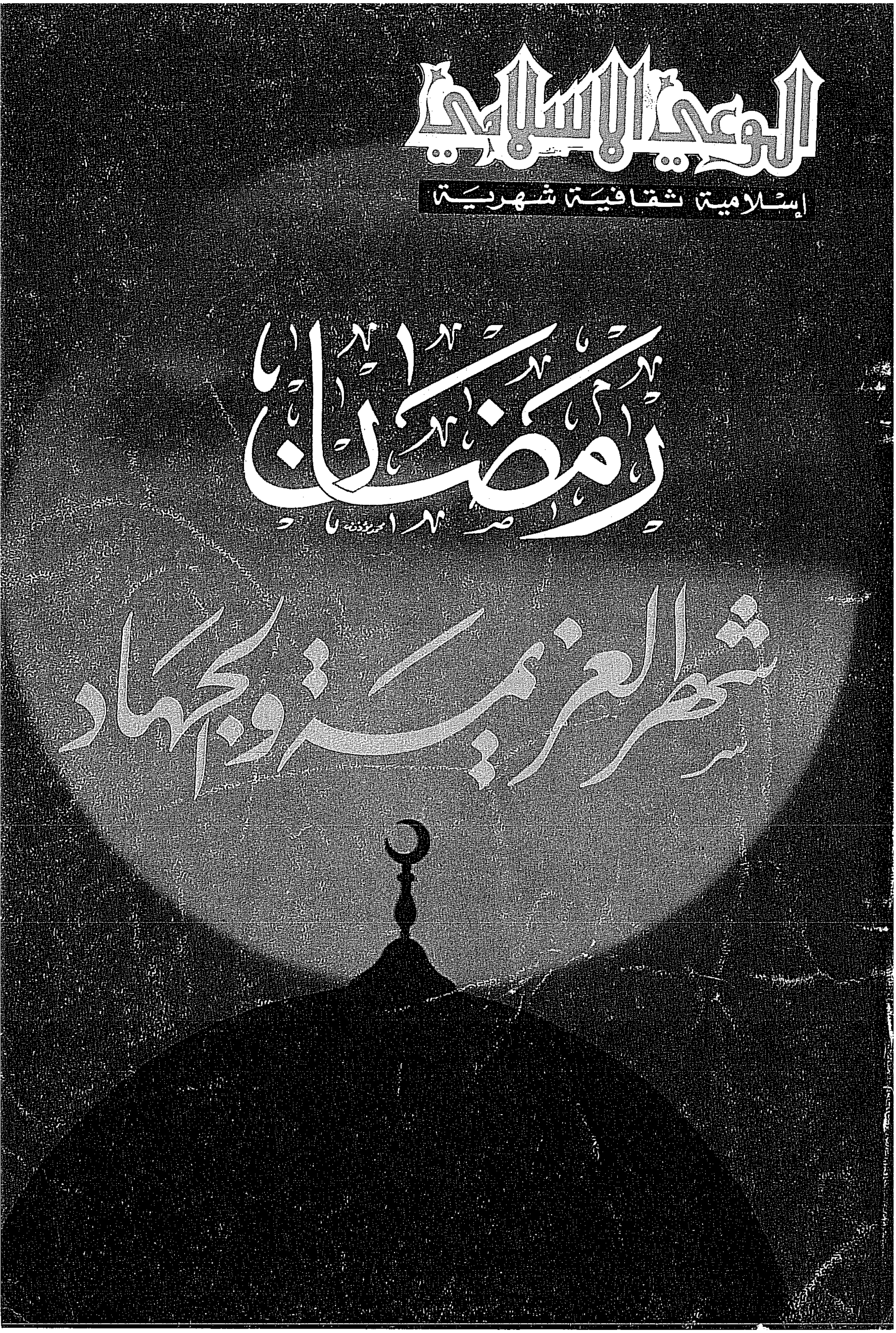

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
رمضان
شهر العزيمة والجهاد

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠١ ● رمضان ١٤٠١ هـ ● يوليو ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

مناقب شهر رمضان

الله تعالى الذي خلق الزمان والمكان جعل عدة شهور العام اثني عشر شهرا ، واختص من بين هذه الشهور شهرا ميزه بميزات جليلة ، وذكر اسمه صريحا في القرآن الكريم ، تنويها بشأنه ، ودعوة لاغتنام خيره ، وهو شهر رمضان ، فقد ابتدأ الله فيه نزول القرآن الكريم حيث حمل جبريل عليه السلام أول آيات القرآن نزولا ، الى قلب محمد عليه الصلاة والسلام وهو يتعبد في غار حراء (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) ..

وكان شهر رمضان بذلك أول ميقات لاشراق الكتاب المبارك الذي أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد ، ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار شهر رمضان الاحتفال بمولد هذا الكتاب الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. وكان هذا الاحتفال يتجلى في مناجاة الله بكلامه ، وفي مدارسة كتابه ، فكان رسول الله المصطفى من

البشر محمد - صلى الله عليه وسلم - يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في شهر رمضان من كل عام .. وقد نوه بهذه الصلة الوثيقة بين شهر رمضان وبين القرآن ، وجعلها أولى المناقب والمزايا التي اختص الله بها هذا الشهر العظيم فقال جلت حكمته (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ..

ولما كانت رسالة الاسلام التي جاء القرآن تعبيرا صادقا عنها ، تحتاج في تطبيقها الى سمو الأرواح وصحة الأبدان ، وقوة الارادة ، وتقدير النعمة ، ومشاعر الحنان والشفقة ، وكمال التسليم لله في أمره ونهيه فرض الله على المسلمين في شهر رمضان من كل عام العبادة التي تكفل لهم وسائل التطبيق وهي (الصيام) فقال تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .. فبالصيام ينطلق الانسان من سلطان غرائزه ، ويتغلب على نزعات شهواته فترتقي روحه وتقترب من الملأ الأعلى ، فاذا دعا ربه استجاب له ، وقد بين رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام أن من بين الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم الصائم فقال : (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) ..

وللصيام أثره في صحة البدن ، فهو يقيه من كثير من الأمراض ، ويعالج فيه كثيرا من العلل .. أما تقوية الارادة : فالصائم يتحمل آلام الجوع والطعام في متناول يده ، ويصبر على حرارة العطش وبين يديه الماء العذب ، ويلجم شهوته الجنسية وبجانبه زوجته ، ولا سلطان عليه في ذلك كله سوى سلطان الضمير ، وبذلك تتربى في نفسه الارادة القوية التي لا تهزمها الشهوات ، ولا تعصف بها الميول والنزوات .. واذا كان العلماء النفسيون قد أثبتوا في بحوثهم أن أعظم وسيلة لتقوية الارادة هي الصوم ، فان الاسلام قد سبقهم في ذلك بأزمنة طويلة . ويكفينا أن نسمع نداء

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الشباب (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ..

والصيام يعلمنا بمقدار ما لدينا من نعم ، فبعناء الجوع وقسوة العطش نعرف قيمة الطعام والشراب ، فنشكر الله على نعمه ، وقد قال النبي العظيم : (عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب : ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فاذا جعت دعوتك وذكرتك ، واذا شبعت ذكرتك وحمدتك) .

وصوت المعدة في الصيام يذكر الانسان بجوع الجائعين وبؤس البائسين ، فتتربى فيه مشاعر الحنان فيجود ويعطف .. وقد ورد أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام وهو على خزائن الأرض ، فسئل في ذلك فقال : (أخاف اذا شبعت أن أنسى جوع الفقير) .

ومن هنا يتبين أن شهر رمضان في كل عام تذكير للأمة الاسلامية أن تستمسك بكتاب ربها تطبيقا لأحكامه واهتداء بهدايته ، لأن في ذلك بقاءها وعزها ومجدها (فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .

ويتبين كذلك أن واجب المسلمين أن يغتنموا الخير في شهر رمضان ، وأن يعدوا أنفسهم لنوال فضله وبركته ، وأن يحرصوا على صيامه وقيامه ذاكرين ما وصفه به الرسول الكريم بقوله : (أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) وبقوله : (أتاكم رمضان شهر بركة . يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر الى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقي من حرم رحمة الله عز وجل) نسأل الله التوفيق والهداية .

رئيس التحرير

محمد الراشدي

التراسل بين القرآن والسنة

١ ـ مقدمة تبين بعض معاني التراسل بين القرآن والسنة

السنة تطبق مقاصد القرآن ، على مواضعها من حياة البشر ، حيث تدعوهم إلى طاعة الله ورسوله ، وتدعوهم الى تذكر كل ما جاءهم من العلم ، وتدعوهم إلى أن لا يكذبوا بالحق الذى جاءهم به دين الله .

فلما كانت أهواء البشر كثيرة ، تؤدي إلى اختلاف أفكارهم ، وتداعي كلماتهم على ذاتها ، وتفرق أعمالهم وتضاربها ، إذا انقطعوا إلى ظنونهم البشرية .

فلذلك كانت السنة ، هي التي تصل بين أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا وبين آيات القرآن ، حتى تكون حياتنا ، تطبيقا عمليا حيا ومتجددا بمقدار ما ننهل من كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا الجمع بين اليقين الثابت في الوحى من قرآن وسنة ، وبين أحوال

من حيث الشكل والمضمون

للاستاذ محمد العفيفي

التلقي لهذا الوحي في حياة البشر ، هو المقصود بالتراسل بين القرآن والسنة .

ومن التراسل بين القرآن والسنة ما هو خاص بالشكل والمضمون . وسنبدأ الآن به .

ثم يلي ذلك فصل من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي .

وأخيرا نصل إلى التراسل بين القرآن والسنة وصلته بالنسخ وأسباب النزول .

٢ ــ ترتيب مقاصد السنة واتفاقه مع ترتيب مقاصد الآيات

ــ لو نظرنا في أى حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا ترتيب مقاصده ، موافقا تماما لترتيب هذه المقاصد ذاتها في الآيات الخاصة بها في القرآن الكريم .

ومن دلائل ذلك ، وهي كثيرة ، أن قوله

تعالى :
(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٣) البقرة .
مرتبة مقاصده بحيث نجد الايمان اولا ثم الصلاة بعده ، ثم الانفاق الذي يشمل كل أنواع الزكاة في نهاية الآية .

وننظر في قوله صلى الله عليه وسلم : (بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ! وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم .

وهكذا نجد هذا الحديث الصحيح مرتبة مقاصده الثلاثة الاولى على مقتضى الترتيب القرآني في الآية السابقة .

ثم نجد الحج هو الركن الرابع في سياق الحديث بينما الصوم هو الركن الخامس فذلك مرتبط أعظم الارتباط بترتيب آيات القرآن ، كما نجدها في المصحف .

وأكبر الأدلة على ذلك ، أن قوله تعالى : **(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)** قد جاء ترتيبه في أوائل الآيات بسورة البقرة ، حيث عرفنا أنها هي الآية الثالثة في سورة البقرة .

وهكذا تكون هي الآية الأولى في ترتيب المصحف التي تجمل لنا القول في الايمان ثم الصلاة ، ثم الزكاة .

أما الحج فقد جاء ذكره ضمنا بقوله تعالى **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)** وهذا في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة ، وهي أول آية في ترتيب الآيات بالمصحف ، تحدثنا عن الحج بوجه عام .

أما ذكر الحج بوجه خاص فقد كانت اول آية تحدثنا عنه ، هي الآية (١٥٨) من سورة البقرة ، وهي أول آية عن هذه الفريضة في ترتيب الآيات بسورها في القرآن كله . ومنها قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما)** البقرة/١٥٨ .

وهكذا كان الحج هو الركن الرابع في ترتيب الفرائض بالحديث السابق الذي جاء بترتيبه ، هكذا في أمهات كتب الحديث كما سبقت الاشارة إلى ذلك .

أما الصوم فقد جاء ذكره أول ما جاء في ترتيب آيات المصحف كما هي في سور القرآن كله ، بالآية (١٨٣) ومنها قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)** البقرة/١٨٣ .

فلما كنا نجد هذه الآية قد جاءت ببيان فريضة الصوم ، بعد آيات كثرة ، تسبقها الآية التي جاء بها ذكر الحج ، فلذلك كان ترتيب الحج في الحديث السابق ، قبل الصيام .

وقد يكون بعض رواة هذا الحديث لم يهتموا بهذا الترتيب ، وانما أدوا معناه بوجه عام .

ولكن الحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد ثبت عنه أنه كان

عظيم العناية بترتيب أقواله وأعماله ، بما يتفق تماما مع ترتيب مقاصد القرآن كما هي مرتبة في الآيات والسور .

وهذا وجه عظيم من وجوه تفسير السنة للقرآن وبيانه ، من طريق التطبيق العملي لآياته وسوره إجمالا وتفصيلا ، على الحياة كلها في جملتها وتفصيلها .

ـ وكذلك نجد السنة العملية ترتبط مقاصدها مع ترتيب المقاصد الخاصة بها في آيات القرآن وسوره .

فمن ذلك ما جاء في صفة الوضوء في الآية السادسة من سورة المائدة كما نجد ذلك بقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) المائدة/٦ .

إن ترتيب أعمال الوضوء ، فرض من فرائضه ، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم ، للصحابة في شأن الوضوء : (ابدءوا بما بدأ الله به) رواه مسلم .

والأمر نفسه نجده في ما جاء عن ترتيب أعمال الحج .

فقد جاء في حديث جعفر بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من الصفا في حجه فقرأ قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)** ثم قال : (أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه) رواه مسلم .

فهذا الجزء من الحديث يبين لنا أن ترتيب الرسول في عباداته وأحكامه التي هي تطبيق عملي للقرآن ، إنما هو ترتيب وثيق الصلة باحكام القرآن وتفصيله ، وترتيب آياته في سوره ، وكلماته في آياته .

٣ ـ السبق إلى الحقيقة ، أهم نتائج الترتيب الصحيح :

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن كل نعمة من نعم الله **علينا في معرفتنا ووجودنا وكل أعمالنا ، إنما هي مرتبة ترتيبا ، ينبغي على المؤمنين** أن ينظروا في جملته وتفصيله ، وبذلك ، يسبق السابقون ، **إلى كل فهم** سديد ، وقول صادق ، **وعمل** صالح ، وعلم نافع .

ونجد هذه الحقيقة الكبرى من حقائق العلم والعمل ، في قوله صلى الله عليه وسلم :

(سبق المفردون . قالوا : وما المفردون يا رسول الله . قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) رواه مسلم .

ان في هذا الحديث سر المعنى الشامل ، للتجدد الذي يحرص عليه الناس ، في كل أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم ومنتجاتهم .

والتجدد في حقيقته التي جاء بها هذا الهدى الذي تمدنا به السنة ، هو فهم الارتباط بين أجزاء آيات الله القرآنية أو آياته الكونية ، فاذا هذا الارتباط يخص كل نوع بحقيقته الشاملة ، كما يبين لنا أن أجزاء الآيات في كلام الله أو خلق الله ، قد جعل الله كلا منها جديدا في ذاته ، كما هو متفرد بموضعه بين سائر أفراد نوعه .

ولو نظرنا إلى آيات الخلق الالهي لوجدناها خاضعة في جملتها وتفصيلها لقوله تعالى :

(إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) مريم/٩٣ ــ ٩٥ .

فتقديم الاحصاء على العد فيه بيان الشمول في الارتباط بين أجزاء الخلق ، فاذا هم في جملتهم خلق واحد ، تجمعهم صفتهم الجامعة ، وهي أنهم عباد الله وحده لا شريك له .

أما تأخير العد على الاحصاء ، ففيه بيان التفصيل الذي يخص كل نوع من أنواع الخلق ، بثباته على خصائصه ، وتجدده الذاتي بحكم كونه متجدد المواضع التي تتكاثر فيها أفراده ، حتى يبحث الباحثون بآلات البحث العلمي ، فلا يخطئهم أن يجدوا الخلايا أو الذرات في مظانها ، كما يتصل كل نوع منها بأفراد نوعه .

ثم يقول الله تعالى : **(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** .

أي أن حركة الكون كله من الدنيا الى الآخرة ، لا تنفصل عن ثبات خصائص كل أحد من مخلوقات الله تعالى ، وبذلك يظل كل منهم متفردا في صلاته بمجتمعه الذي وصله الله به .

فقوله تعالى : **(فردا)** يتسع للكون كله في جملته وتفصيله .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون) الى نهاية الحديث يأتي تابعا لهذه الآيات وما هو في حكمها في كل سور القرآن ، ليطبقها تطبيقا عمليا .

فالتراسل بين القرآن والسنة هنا ، هو هذا التنسيق الذي خص الله به آيات كتابه بالأحكام العامة ، ثم خص السنة بعد ذلك بالجانب العملي من كل قضية بذاتها .

وهكذا ننظر في بناء كل آية قرآنية ، فنجد لها تنوعا في وحدة ، وحركة في ثبات ، وتقدما في عدل ، وتجددا في استغناء ، عن أى مدد خارجي ، يأتي من أى مصدر آخر غير الوحي الالهي .

والرسول صلى الله عليه وسلم في كل أحاديثه يأتي بما هو شامل ثم يبين فروعه بعد ذلك ، فيختم بما هو خاص ، بعد أن بدأ بما هو عام .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « آمركم بخمس ، الله أمرني بهن ، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم .

فقال رجل يا رسول الله : وان صلى وصام .

قال : وان صلى وصام .

فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله » رواه احمد والترمذي .

وفي هذا الحديث نجد ما هو عام أولا وهو الخمس التي أمره الله بها .

ثم اكد ذلك قوله :

فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن

يراجع .
ثم توالت بعد ذلك الفروع التي سبق بها الحديث .
وواضح هذا التراسل بين القرآن والسنة ، من حيث ترتيب المقاصد في قوله صلى الله عليه وسلم : الذي سماكم المسلمين والمؤمنين .
فقد قال الله تعالى :
(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ١٤ : الحجرات .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : « إن رحمتي غلبت غضبي » رواه البخاري .
وواضح هنا ـ كذلك ـ أن تقديم ذكر الخلق ، إنما هو تقديم لما هو عام من حيث المعنى الذي يريده صلى الله عليه وسلم .
الخلق هم الذين يحتاجون دائما إلى رحمة الله تعالى .
فهذا هو العام هنا .
أما الخاص فهو ذكر الرحمة والغضب ، لأن أعمال العباد هي التي يستحقون بها هذا او ذاك .
ولكن الله تعالى يعافي عباده ويرحمهم ، وقد جعل رحمته مقدمة على غضبه .
لذلك جاء ذكر الرحمة في الحديث ، سابقا لذكر الغضب .
وهذا كله من تقديم العام على الخاص .
وبهذه اللمحة من أنوار النبوة التي تدلنا على كثير من الأحاديث التي هي صحيحة في ذاتها ، وان ضعفت بعض شروط اسنادها ، فلو أننا عرضنا أمثال هذه الأحاديث على كتاب الله تعالى لوجدنا أن القرآن كله يقدم العام على الخاص ، كقوله تعالى :
(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) هود/ ١ .
فالأحكام هو ارتباط كل الآيات وأجزائها بمواضعها من السور ، هو العام الذي يشمل فروعه ، التي تأتي في قوله تعالى : **(ثم فصلت)** .
ذلك أن التفصيل هو فروع المعاني ، التي تكثر وتتنوع بمقدار ما يستطيع كل أحد ان يبذل الجهد في قراءة القرآن وفهمه ، ولن يحيط البشر بمعاني القرآن أبدا ، لأنها هي الحق الذي يريده الله تعالى ، وانما حسبنا أن نسدد ونقارب بقدر ما نستطيع .
ولقد فهم عامة الناس هذه المعاني في أحوال المادة ، التي خلقها الله تعالى وسخرها لهم ، فهم يقولون ان نور شمعة واحدة ، لا يغلبه ظلام العالم كله . فما بالنا بأنوار المعاني التي جاء بها كلام الله .
ومن هذه الأحاديث السابقة الذكر ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله ؟
قال : الحال المرتحل .
قال : وما الحال المرتحل .
قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل » رواه الترمذي .

فهذا الحديث لم يبلغ درجة الصحة من حيث إسناده حسن به على كلمة ضعيف فقال هو حديث حسن .
والحقيقة أن أنوار النبوة لا تخفى بحال من الأحوال .
ولكن هذه القاعدة المتقدمة فيها خير كثير إن شاء الله تعالى .
فكما نجد القرآن يبين لنا كل حكم في كل وجوهه العامة ، ثم يأتي بعد ذلك بفروع هذا الحكم فكذلك السنة الصحيحة تفعل ذلك .
وفي الحديث السابق جاءت كلمة (الحال المرتحل) تشمل التلاوة الصحيحة للصالحين من الناس جميعا .
وتقديم هذا الأمر يقوم على أن الناس هم المحتاجون إلى ذلك ، فهو من أعم أمورهم وأشملها في هذا المعنى الذي جاء من أجله الحديث ثم يفسر الرسول هذه الحقيقة ويكشف دقائقها فيقول :
(الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره) .
وفي هذا تقديم لما هو عام أيضا لأنه تطبيق عملي لما جاء حكمه العام في قوله (الحال المرتحل) .

أما الذي هو خاص هنا ، والذي يبين لنا الفروع التفصيلية لكل ما سبق من المعنى والتطبيق ، فهو قوله صلى الله عليه وسلم : (كلما حل ارتحل) أي كلما وقف عند حرف او كلمة أو جملة أو آية ، ارتحل معها إلى مواضعها الجديدة ، التي تفتح لها أبواب العلم ، على كثرتها التي لا يحيط بها إلا الله تعالى ، فكل من أخذ من هذه المعاني بطرف ، فهو موصول بنور على نور ، كما تكفي الانسان لمسة عطر ، ويكفي القارورة أن تمتلأ عطرا ، ويكفي الورود بكل أنواعها ، أن يسطر الشذى حروفه في أوراقها ، ولا يحيط بذلك كله في جملته وتفصيله إلا الله وحده .
وسنرى بعد ذلك بعض النماذج الهامة ، التي تبين لنا أن كل حقائق العلم جاءت في القرآن ابتداء ، ثم اكتشفها الناس بعد ذلك بوقت طويل ، فهذا من ترتيب الله تعالى لمراحل كشف هذه الحقائق .

١ ـ مع حقيقة الثبات والحركة :

جعل الله الثبات والحركة ، وجهين لحقيقة واحدة ، يقوم عليها بناء الحياة الانسانية كلها ، فتظل حياة دائبة التجدد ، مع أنها لم تخرج في جملتها وتفصيلها عن التقدير الالهي الشامل ، لكل ما يرتبط بها من فصول الزمان والمكان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
ولو ذهبنا نتقصى كل الأصول العلمية للثبات والحركة لطال بنا الكلام ، أكثر مما نستطيع .
فحسبنا هنا أن نقف ـ معا ـ عند أكثر من مثل بسيط ، وثيق الصلة بحياتنا العملية ، ونجد فيه بيانا لارتباط الثبات بالحركة .
أولا ـ لولا ثبات أسنان المفتاح الذي يفتح لصاحب السيارة باب سيارته ، وثبات صلته بأسنان القفل الذي يدور فيه .

ما تجددت وكثرت المرات التي يتم فيها فتح باب السيارة .

ثانيا ـ لولا ثبات الماء والتربة على خصائص كل منهما بكل مكان وزمان ، وثبات كل نوع من أنواع النبات على خصائصه كذلك ، ما وجدنا القمح قمحا بكل العصور ، وكل البلاد ، وما وجدنا الورد وردا ، والقثاء قثاء إلى ما لا نستطيع إحصاءه من جميع أنواع النبات .

فثبات الخصائص في كل شئ ، هو الذي يبين لنا حركته المتجددة ، التي يتم بها تكاثره ، أو تكاثر وظائفه بكل مكان وزمان .

هكذا شاء الله أن يبين لنا كل شئ ، بما يختلف معه شكلا ، وإن كانت الغاية من ذلك ، هي تحقيق الانسجام والتوافق في كل حقائق الحياة .

وهكذا تسقط كل أصول الفكر المادي الالحادي التي تقوم على أن المادة يحكمها الصراع أو التناقض ، والحقيقة أن المادة وكل مخلوقات الله ، مركبة تركيبا يقوم على رحمة الله بخلقه كما يقول سبحانه : **(ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما)** غافر/٧ .

فليس في الأمر أى صراع ، وإنما الصراع في عقول أصحاب الفكر المادي ، وقد أملته عليهم نفوسهم المريضة .

ولعلنا نذكر هنا ، ما سبق عن وحدة نظام التركيب في الوحي الالهي ، وفي مخلوقات الله جميعا .

وقد بين الله ذلك بأن وحد لنا الكلمات القرآنية التي تدل على التنزيل ، وجعل هذه الكلمات خاصة بالوحي ، كما هي خاصة بالخلق .

ونجد ذلك كله في أمثال قوله تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** النحل / ٤٤ .

وقوله تعالى :

(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) النحل/٦٥ .

فهذا من الدلائل الكبرى على أن الثبات والحركة والتجدد الذاتي ، أصل من أصول النظام الواحد الذي ربط الله به بين معرفتنا ووجودنا وبين كل نعم الله علينا ، ومنها الوحي الذي أتمه الله على لسان خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها كل نعم الله الكونية .

وهكذا ندرك أن التجدد الذاتي ، يعني أن تركيب القرآن بشكله ومضمونه ، وكذلك تركيب السنة من حيث مقاصدها المرتبطة بمقاصد القرآن ، في إحاطة دائمة بأحوال الحياة الانسانية ، فمهما تتقدم حياة البشر بكل مكان وزمان ، فالقرآن والسنة أساس كل نية صحيحة وقول صادق ، وعمل صالح ، وسعادة دائمة في الدنيا والآخرة .

٢ ـ من الحدود الفاصلة بين التجدد الذاتي في وحي الله وخلق الله

خلق الله الانسان ، وخصه بنوع من

الحرية ، يترتب عليه التكليف في الدنيا والحساب في الآخرة .
لذلك كان تقدير الله لحاجات الانسان إلى نعم الله الكونية ، قائما على نظام شامل تتكاثر فيه أنواع الخلق وفق خصائص ثابتة ، لكل شئ بذاته .
ويتضمن هذا التقدير الالهي الشامل ، أحوال الحياة الانسانية في الدنيا ثم في الآخرة .
وبذلك ندرك أن التجدد الذاتي في آيات الله الكونية ، مرتبط بثبات خصائص المخلوقات بكل أنواعها ، مع تكاثرها ، ثم موتها ، في دورات تدلنا دائما على حقيقة بعث الانسان بعد موته ، وتجعل ما هو جديد بالنسبة للناس ، مرتبطا بحالة كل إنسان وهو يكتشف من معالم الأشياء ما هو ثابت على تجدده ، إلى حين ، فعندما يكتشف أحد العلماء دواء جديدا ، فان هذا الدواء يظل جديدا بالنسبة لكل مريض يحتاج إليه ، حتى يتم اكتشاف ما هو خير منه فينتزع منه مكانته أما التجدد الذاتي في القرآن والسنة ، فهو يدلنا على ثبات البناء اللغوي للقرآن بلا تبديل ، وكثرة المعاني والمقاصد بلا حدود .

ثم ننظر فنجد السنة مترابطة المعاني ، في وحدة وتنوع ، لا مثيل لهما في غير كلام النبوة .
ذلك أن كلامنا البشري الخارج عن نطاق كلام النبوة ، تتداعى معانيه على ذاتها ، حتى نجد النظريات العلمية ، بحاجة دائما إلى حذف أو إضافة ، مع توالي الاكتشافات وتقدم البحث العلمي .
فاذا عدنا إلى القرآن وتذكرنا كيف أن كل ما تعددت مواضعه من أجزاء الآيات كالحرف أو الكلمة أو الجملة ، فانه يكون كالأبواب الكثيرة التي تفضي بنا إلى حقيقة واحدة في جملتها ، ولكنها كثيرة الوجوه في تفصيلها .
فهكذا يؤدي ثبات هذه الأجزاء على نصوصها إلى حركة متجددة ، تبينها لنا المشاهد الكثيرة التي تتصل بها في الآيات والسور .
وهذه الحركة ، هي أعظم دليل على التجدد الذاتي ، في كلام الله ، فهو بجملته وتفصيله جديد ، في جديد ، مهما تتقدم بنا فصول الزمان والمكان ، في الدنيا والآخرة .
* ـ ولكننا كلما نظرنا في ارتباط هذه الحركة بمدلولاتها في الواقع العملي في كل وجه من وجوه الحقيقة على إطلاقها ، تبين لنا أن أى ابتكار علمي في حياة البشر ، أو أى إنتاج متعلق بهذا الابتكار ، يفقد استحقاقه لكلمة الجديد شكلا ومضمونا ، بمقدار ما يظهر فيه من النسيان أو الخطأ ، وما يتبع ذلك من انفصاله أو انفصال مصطلحاته العلمية ، عن مصالح الناس ، مع استمرار تقدمهم في الحياة .
* ـ إن القرآن يستوعب كل حاجاتنا إلى القراءة .
فلو أننا قرأناه قراءة متواصلة بمقدار ما نتذكر من أجزاء آياته ، وما تجدده لنا في مواضعها من المشاهد ، نحصل على وجوه علمية كثيرة ،

ولكنها مرتبة ترتيبا معجزا متفقا مع الواقع العملي في الكون والحياة ، كما شاء الله أن يكون التركيب والثبات والحركة في آياته الكونية .

* ـ ذلك أن البشر ، لا ينشئـون الأشيـاء أو المصنوعـات أو المصطلحات العلمية ، أو الأحـكام الدينية إنشاء ، ويخلقونها خلقا وانما هم يركبون المصنوعات أو الكلمات الدالة عليها ، والأحكام الخاصـة بتنظيم الانتفاع بها ، في حدود ما يسر الله لذلك من الأسباب ، في وجودهم ومعرفتهم .

ولقد جعل الله هذه الأسباب خاضعة لأحكامـه هو ، وليسـت خاضعـة لأحكام خلقه .

* ـ فلما كان البشر ، يتهافتون دائما على ادعاء التجديد ، ولا قدرة لهم عليه ، إلا بمقدار خضوعهم ، لفطرة الله في خلقه ، ونظامه في كتابه وسنة رسوله ، فقد بين الله لهم بالواقـع العملي أن نظام بحثهم العلمـي في القرآن والسنة ، هو نفسـه نظـام بحثهم العلمي في كل أمورهم المادية ، في الكون والحياة .

وأكبر الدلائل على ذلك ، أن أجزاء الآيات القرآنية تقوم على ثباتها على نصوصها بلا تبديل ، وحركتها في مواضعها بلا تحريـف ، وأن هذا النظام ، يقدم لنا وجوه الحقيقة مرتبة وفق حاجاتنا إليها كلما سعينا لذلك سعيه ، سواء نظرنا إليها نظرا عاما أو خاصا .

والمقصود بالنظر العام هو القراءة المتواصلة لآيات القرآن وسوره كما هي مرتبة في المصحف .

والمقصود بالنظر الخاص البدء بقياس الاشباه والنظائر من أول احتياجنا إلى معنى أى كلمة قرآنية إلى نهاية النظر في حركتها الموصولة ، بسياقها من مواضعها في الآيات والسور ، كما سبق بيان ذلك ، فاحتجنا ـ معا ـ إلى تأكيده هنا ، عندما وجدنـا له مناسبة جديدة .

فأما النوع الأول ـ فهو النظر العام حيث ننظر في آيات الله الكونية بكل أنواعها ، ونحن نعيش في رحابها . وذلك أمر يتفق مع حاجاتنا إلى النظر في جمال الكون والحياة ، أو يتفق مع النظر في الوحدة والتنوع بآيات الله الكونية ، على ما هي عليه في ظاهرها العام .

وفي ذلك يقول الله تعالى :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيـف كان عاقبـة المكذبـين) الأنعام/١١ .

وكلمة **(قل)** من الكلمات القرآنية الدالة على ارتباط مضمون السنة ، بمضمون القرآن . وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد تضمنت هذه الكلمة ارتباط الرسول والرسالة بما أوحى الله إليه في القرآن والسنة ، وعاقبة المكذبين هي أنهم بادوا وبادت معهم كل منتجاتهـم وصناعاتهـم ، والسموات والأرض على حالهمـا ، ينطلقان إلى حيث قدر الله من نهاية الدنيا واقبال الآخرة .

والآيات في ذلك كثيرة ، تفصل لنا وجوه العلم المتنوعة ، التي نحتاج إلى ترتيبها القرآني ، لتتقدم أفكارنا مع

تقدم صناعاتنا ، وتتجدد سعادتنا مع تجدد مبتكراتنا في كل فكر وقول وعمل ، وإنتاج ، ومنتجات .

وأما النوع الثاني — فهو النظر الخاص ، في كل وجه بذاته من وجوه البحث العلمي ، في الكون والحياة .

* — وواضح أننا لا نصل إلى أى نتائج علمية قابلة لأداء المنافع التي يحتاج إليها البشر في حياتهم العملية ، إلا وقد عرفنا خصائص نوع بذاته من الذرات أو الخلايا ، أو نوع بذاته من الأحياء ، أو الأشجار .

والشكل في كل من ذلك ، هو سبيلنا إلى المضمون . والله تعالى هو الذي ثبت شكل كل ما كثر أو قل من آياته الكونية ، لنستدل بذلك ، على حركة كل نوع من الأنواع في مواضعه ، الكثيرة بين مخلوقات الله تعالى . فهذا النظام نفسه ، هو نظام التدبر في آيات القرآن ، وأجزائها ومواضعها وارتباطاتها ، وما يتحقق بذلك من تجديد المعاني والمقاصد المرتبة ، في نظامها المعجز ، الذي أمر الله به وحيا ، وطبقته السنة عملا ، وبيانا وتفسيرا .

فكيف يكون العلم البشري ، خاضعا لمنهج الله في آياته القرآنية ، وآياته الكونية هذا الخضوع ، ثم يتكبر صغار العقول من الباحثين في العلوم البشرية المختلفة ، فيظنون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى القرآن والسنة .

* — والحقيقة أن البشر ، كلما ازدادوا تقدما ، وتجديدا في الصناعة والعلوم التي يسرها الله لهم ، كلما كانوا اكثر حاجة ، إلى أمرين أساسيين :

الأمر الأول : هو احتياجهم إلى التدبر في تركيب القرآن في شكله المعجز ، ثم في ارتباط مقاصد السنة بمقاصده ، وبذلك يكتشفون النظام الواحد في منهج البحث العلمي كما يسره الله تعالى لهم في آياته القرآنية ، وآياته الكونية .

والأمر الثاني : هو أنهم بحاجة إلى أن يتعلموا كيف يربطون بين معنى التجدد والتقدم ، ومعنى السعادة الانسانية التي لا تقوم لها قائمة ما لم نستلهم روح القرآن والسنة ، وروح الكون الذي سخره الله لنا ، حيث وصلنا الله بنعمه على أفهامنا ، كما تمت بذلك شريعته ، واكتمل دينه ، ووصلنا بنعمه على أجسامنا كما يسر لنا أنواع الرزق ، في كون متحد متآلف ، لا تناقض فيه ولا تفاوت ، ولا صراع ، ولا حيرة ولا ضلال ، إلا بالبعد عن طاعة الله ورسوله .

هكذا يتبين لنا بعض معاني التجدد الذاتي في القرآن . فكيف يتبين لنا التجدد الذاتي في السنة .

* — إن السنة لها من خصائصها الكثيرة أنها مرتبطة بالقرآن من حيث كونها صادقة وعادلة وثابتة في كل مقاصدها .

ولكن الجديد هنا أن السنة تبين لها بتكوينها الشكلي أن مقاصدها مرتبطة بتفسير القرآن وبيانه ، وتطبيقه تطبيقا عمليا على كل أحوال الحياة الانسانية .

وسنضرب لذلك ثلاثة أمثلة تدل على

تجدد السنة تجددا ذاتيا ، يربطنـا بمقاصد القرآن ربطا متواصلا باقيا لا سبيل إلى نقضه أو توهين عروته الوثقى .

فأما المثل الأول : فهو من احتواء الأحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلمات تربطنا بالقرآن ، لنستطيع دائما أن نكتشف تفسير السنة ، في جملتها وتفصيلهـا ، للقـرآن في جملتـه وتفصيله .

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .

ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذى ناب من السبع » رواه ابو داود (والحديـث طويـل وفيـه أحـكام اخرى)

وقد فسر الخطابي شارح سنن أبي داود هذا الحديث ، ونختار لكم شيئا من هذا التفسير .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) يقول في تفسيره الخطابي رحمه الله : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله الكتاب وحيا يتلى ، كما آتاه الله من البيان أى أذن له أن يبين ما في الكتاب ، ويعم ويخص ، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به ، كالظاهر المتلو من القرآن » .

وهذا الحديث يتضمن التطبيق العملي لدور السنة في زيادة أحكام لم يرد نصها في القرآن .

وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي .. ولا كل ذى ناب من السبع .

فمـن التجـدد الذاتـي من حيـث المضمون ، أن الله خص السنة بأمور نحتاج إليها في حياتنا العملية ، ولم يجعل الله هذه الأمور في القرآن ، لتتجدد حاجاتنـا إلى سنـة عبـده ورسوله ، كما تتجدد حاجاتنا إلى كتابه المتلو في المصحف .

ولكن الذي يعنينا هنا هو ما سبقت الأشارة إليه من احتواء الكثير من أحاديث الرسول على كلمات تربطنا بالقرآن ، وتردنا إليه ردا جميلا ، كلما كنا بحاجة إلى ذلك ، في الكثير والقليل من أمور حياتنا .

ألا نرى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « إني أوتيت القرآن ومثله معه » .

إن كلمة (**مثله**) من هذه الكلمات التي تردنا إلى القرآن ردا جميلا كما قلنا ـ معا ـ قبل ذلك .

فلننظر في قوله تعالى :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولـو جئنـا بمثلـه مددا) الكهف/ ١٠٩ .

ان التماثل بين البحر وبين ما جاء عنه بقوله تعالى يقوم على أمور كثيرة نذكر منها ثلاثة أمور في حدود ما نعلم من ذلك ، وما نستطيعه من البيان .

الأمر الأول : هو وحدة المصدر لأن

الله هو خالق كل شئ .

الأمر الثاني : تفرق البحار في مواضعها بين السماء والأرض والزمان والمكان .

وهذا التفرق ، وان كان تباينا وليس تماثلا ، إلا أنه يجمل معنى التماثل من حيث الصفة العامة ، التي تجعل التفرق الشكلي ، دليلا للحياة الانسانية ، تعرف به كل نوع بذاته بين نعم الله تعالى .

الأمر الثالث : ان التفرق الشكلي في مواضع البحار بين السماء والأرض ، التي تتباعد فيها مناطق البحار الكثيرة ، هذا التفرق الشكلي ، هو الذي يتم به معرفتنا لمضمون الماء ، وهو مضمون واحد ، كلما تحركت بنا دوافع الحياة ، فعرفنا ما حضر من البحار ، بما غاب منها ، ولم يبق منه في عقولنا غير التذكر .

فقوله صلى الله عليه وسلم : (ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه) يبين لنا معنى التماثل كما هو مبين في القرآن العظيم ، هو أن استقلال كل حقيقة بشكلها ، لا يمنع ارتباط كل أمر واحد ، بمصدره الواحد ، ومضمونه الواحد ، وغاياته الواحدة .

والقرآن يؤكد لنا هذا المعنى في مقاصد كثيرة ، منها التفرق في أشكال العمل البشري ، وان كان ذلك لا يمنع التماثل المتجدد ، لكل نوع واحد من الأعمال .

وذلك كما يقول الله تعالى :

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) النور/١٧ .

ومثل ذلك يبينه لنا القرآن عن التماثل بين المضمون العام للقرآن ، وما سبقه من الكتب في لغاتها ، وفي أمكنة نزولها ، وأزمنته . كما يقول الله تعالى :

(وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) الأحقاف/١٠ .

فلننظر كيف تربطنا هذه الكلمة ــ من كلمات هذا الحديث ، بمضمونها القرآني ، المتنوع ، الكثير في معانيه ودلالاته .

ولنبحث في مثل ذلك ..

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو كثير جدا ، ولكن الجهود المبذولة في معرفته جد قليلة .

وأما المثل الثاني : فنجده في تركيب السنة ذاتها تركيبا دالا على التجدد الذاتي الذي لا سبيل إلى مثله إلا في كلام النبوة .

ومن دلائل هذا البناء المعجز في السنة ، أننا ننظر في الأحاديث فنجد لمعانيها وحدة وتنوعا ، كما نعد لبنات بيت واحد ، فنجد كل لبنة متفردة بموضعها وحركتها ، بين اللبنات جميعا .

وبذلك تكون السنة كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فلا سبيل إلى الاستغناء ، عن السنة كلها في قليلها وكثيرها ، كما لا ينبغي أن يستغني أحد عن القرآن كله في قليله وكثيره .

فلننظر على سبيل المثل لا الحصر إلى باب البر وصلة الرحم في الحديث الشريف :

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال :
« سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أي العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله » رواه البخاري ومسلم .

فهذا الحديث يربط بين بر الوالدين وبين الصلاة والجهاد .

* وروى عبد الله بن عمر وابن العاص أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :
« جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أبوي يبكيان ؟ قال ارجع إليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما » رواه أبو داود .

وهذا الحديث يبين لنا أهمية إرضاء الوالدين .

* وعن أنس رضي الله عنه قال :
« أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه .
قال : هل بقي من والديك أحد ؟
قال : أمي .
قال : قابل الله في برها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » رواه أبويعلى والقيراني .

وهذا الحديث يرفع بر الوالدين ولا سيما الأم ، إلى مستوى الحج والعمرة والجهاد .

* وعن ثوبان رضي الله عنه قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » رواه ابن ماجه وابن حبان .

وهذا الحديث يبين لنا البر في عمومه لكل أحد من خلق الله ، وواضح أن رد الدعاء للقدر ، يدخل في القدر ، لأن الدعاء نفسه من القدر .

وواضح أن العمر يزيد بعد موت صاحبه إذا بقي من آثار بره ما ينفعه ، كالعلم النافع ، الذي لا يبتغي به غير وجه الله ، والولد الصالح يدعو له ، والصدقة الجارية ، وكل نلك مستفاد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟
قال : أمك .. قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ . قال : أبوك » رواه البخاري ومسلم .

وهذا الحديث يبين لنا ما يمتاز به بر الأم بصفة خاصة ، من وجوب تقديمه على كل ما عداه .

* وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد » رواه الترمذي

وهذا الحديث يبين أن رضا الله تعالى في رضا الوالد .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال :

« أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : إني أذنبت ذنبا عظيما ، فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا . قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرها » رواه الترمذي .

وهذا الحديث يبين أن بر الأم ينوب عنه بعد موتها بر أختها .

* وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال :

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد موتهما ؟

قال : نعم « الصلاة عليهما » والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما » رواه ابو داود وابن ماجه .

وهذا الحديث يبين لنا كيف يتجدد بر الوالدين بعد موتهما .

اننا أمام ثمانية أحاديث عن باب واحد من أبواب السنة ، هو البر وصلة الرحم .

* والحديث الأول يربط البر والصلة بالصلاة والجهاد .

* أما الحديث الثاني فهو يربط البر والصلة بادخال السرور على الأبوين .

* وأما الحديث الثالث فهو يربط البر والصلة بالحج والعمرة والجهاد .

* وأما الحديث الرابع فهو يربط البر والصلة بالدعاء ثم يربطه بالقدر ، ثم يربطه بزيادة العمر .

* وأما الحديث الخامس فهو يربط البر والصلة بالأم وتقديم حقها في ذلك على حق الوالد .

* وأما الحديث السادس فهو يربط البر والصلة برضا الوالد ، وما يؤدي اليه ذلك من رضا الله تبارك وتعالى .

* وأما الحديث السابع فهو يربط البر والصلة بالخالة ، ويجعله توبة من الذنب .

* وأخيرا نصل إلى الحديث الثامن حيث يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن البر والصلة ، لا ينتهيان بموت الأبوين ، وانما يتصلان بالدعاء والاستغفار لهما وصلة رحمهما واكرام صديقهما .

إننا أمام بناء متواصل ، من المعاني والمقاصد التي لا تتوقف عن التقدم ، ولا تكف عن الزيادة في الحركة والاستيعاب ، مع تجدد يرتبط بوحدة متنوعة ، لكل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا بعض معالم الوحي الالهي في السنة المطهرة .

فلما كان التجدد الذاتي في القرآن يقوم على الوحدة والتنوع في أدق دقائق النصوص القرآنية كالحروف والكلمات فما فوقها من الجمل والآيات ، فان الحديث يتجدد تجددا ذاتيا من حيث المعاني والمقاصد ، وهي مبنية هذا البناء العجيب الذي لا مثيل له في غير كلام النبوة .

أما المثل الثالث : فهو يقوم على وجهين أساسيين للتجدد الذاتي في القرآن والسنة :

الوجه الأول : خاص بالعمل

بالقرآن ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات » رواه البخاري .

والأحاديث الخاصة بالصلاة لها وحدتها وتنوعها من حيث معانيها كما هو الشأن في كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » رواه احمد وابو داود .

ولو ذهبنا نتقدم مع كل الأحاديث الصحيحة ، في باب الصلاة لوجدنا تجددها الذاتي مطردا في تنوعه ، حتى يكتمل البناء العملي لكل آيات الصلاة في القرآن .

وعلى هذا الأساس ضرب الطبري أحسن مثل لتفسير القرآن بالسنة في المقام الأول ، والمأثور عن الصحابة والتابعين ، وكلهم ملتمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الوجه الثاني : فهو أن التجديد الذاتي ، إنما هو في اتساع القرآن والسنة لكل حقائق الكون والحياة ، وما بعدهما من أمور الآخرة ، في تقدم متواصل ، لا سبيل إلى العلم به ، والعمل على مقتضاه إلا باتباع كلام الله وسنة رسوله ، إذ ان كل محاولة للتجديد مع البعد عن هذا النور المبين ، إنما هي سقوط وانقطاع ، وحيرة وضلالة . ولا يتفق شيء من ذلك مع التجديد في حقيقته .

ذلك أن التجديد لا يتم في أى حقيقة ما لم تكن هذه الحقيقة ، متصلة بالوحي الالهي من قرآن وسنة ، على أساس من أحكام القرآن وتفصيله ، ومن تجدد السنة في بنائها المحكم ، وتنوعها المتجدد .

وكلام البشر يختلط به الصواب بالخطأ والحق بالباطل والصدق بالكذب .

فكيف يمكننا أن نعتمد عليه ونصف ما شئنا من أجزائه بأنه جديد ، بينما الحقيقة أن ما يستحق هذه الصفة ، هو كل كلام صادق وعادل وثابت ، كما تبين لنا ذلك من قبل . ذلك أن أى كلام جديد ، يشبه صكا يكتبه أحدنا على نفسه ليصرف بمقتضاه مبلغا من المال من أحد المصارف . فلو أن المبلغ المذكور في هذا الصك ، قد صرف من قبل بمقتضى صك غيره ، لكان الصك الأخير ساقطا من الحساب ، ولا مكان له في ان يعتبر له وجود حقيقي ، فضلا عن جدارته لتحقيق الفعل الجديد الذي كان ينبغي ان يترتب عليه .

فكذلك الكلام ، يظل جديدا أبدا ، بمقدار ما يكون قادرا على الفعل والتأثير بصفة مستمرة ، وهذا هو البيان العملي للصدق والعدل والثبات .

والوحي الالهي من قرآن وسنة ، هو الذي يتجدد تجددا ذاتيا بهذا المعنى ، لأنه قادر دائما على أن يبرر لنا ارتباطه العملي الذي لا ينفصل أبدا بجملة الحقائق المرتبطة به .

رَدٌّ عَلى رَدٍّ

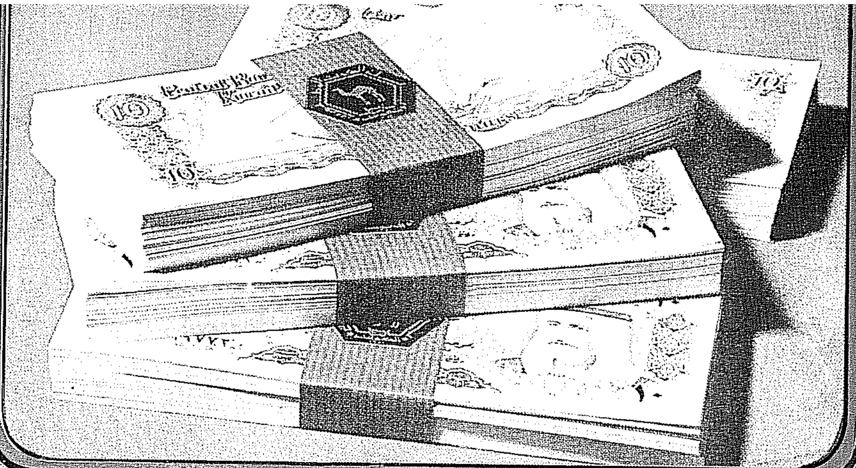
الأوراق المالية والبنكية والصرف

حمدا لله رب العالمين وصلاة وسلاما على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد .

فإني أشكر الدكتور أحمد السالوس للمرة الثانية على اهتمامه بموضوع الأوراق المالية البنكية ، كما أشكر له غيرته الاسلامية التي أرجو أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وألا تشوبها شائبة من اتباع للهوى أو رغبة في حب الظهور ، أو وقوع في براثن الحقد الذي يصيب الكثيرين حين لا يجدون سعة في صدورهم للنقاش الهادف المعتمد على الحقائق العلمية الناصعة الواضحة وضوح الشمس للمبصرين . ولقد طلبت منه ومن جميع العلماء الأفاضل المهتمين بالأمور الاسلامية أن يدلوا بدلوهم لتبيان الحقيقة في أمر له خطورته وأهميته ، وهو التعامل بالأوراق المالية « وهل تعامل هذه الأوراق معاملة الذهب والفضة أو تعامل معاملة عروض التجارة ؟ »

وقلت رأيي في الموضوع « وهو أنني أرى أن تعامل الأوراق المالية معاملة عروض التجارة » فلا تخضع للشروط التي يجب تحققها في التعامل بالذهب والفضة من التماثل في الوزن ومن القبض في المجلس لكليهما إن كان مبادلة ذهب بذهب أو فضة بفضة ، ومن قبض في المجلس مع جواز التفاضل إن كان ذهبا بفضة أو فضة بذهب .

واستدللت على ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصنافا ستة في عدة أحاديث هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولم يزد عليها مما يدل على أن الربا يقع في هذه الأصناف فقط ولا يتعداها الى غيرها إلا بنص لقوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم**) الأنعام/١١٩ كما انني أرى أن ذكر هذه الأصناف دون غيرها غير معلل بعلة وبناء على ذلك لا يقاس غيرها عليها ، فلا تقاس الفلوس التي هي من نحاس أو غيره ولا تقاس الأوراق المالية على الذهب والفضة في اشتراط المثلية والتقابض في المجلس .



للشيخ/حسن محمد أيوب

ورد علي الدكتور الفاضل والأخ العزيز الحبيب بأن الظاهرية وحدهم هم الذين قالوا بعدم العلة في ذكر هذه الأصناف فرددت عليه بأن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بذلك فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلي ج٨ ص ٤٦٨

واختاره ابن عقيل : « وهو قمة في فقه الحنابلة » مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في اغاثة اللهفان ج٢ ص١٥٦ حيث قال : إن علل القياسيين ضعيفة واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبوبكر الباقلاني كما قال ابن رشد حيث لم يلحق بالأصناف الستة المذكورة في الحديث الا الزبيب لأنه أخذ بقياس المعنى ولم يأخذ بقياس الشبه الذي أخذ به جمهور الفقهاء لضعفه عنده ، وقال به من المحدثين الصنعاني في سبل السلام ج٣ ص٣٦ حيث ذكر أن الفقهاء اختلفوا في العلة اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية .

وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري في كتابه « الروضة الندية » حيث قال : أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوى طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على الشريعة وعدم التكلف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض الخ ج٢ ص١١٠ .

وقلت ان القائلين بالعلة من أصحاب المذاهب الأربعة .

هم الأحناف : وعلة الربا عندهم في الذهب والفضة هي الوزن والأوراق لا توزن فلا تخضع للربا . وهم الامام أحمد وله آراء ثلاثة منها رأي كرأي الأحناف . وهم المالكية والشافعية ولكن العلة عندهم « وهي الثمنية » قاصرة على الذهب والفضة فلا

تتعداهما الى غيرهما فتكون الأوراق المالية عندهما غير داخلة في أحكام الربا التي يخضع لها الذهب والفضة . وهذا هو رأي القائلين بعدم العلة فلا خلاف في النتيجة .

والخلاصة هي : أن الأوراق المالية البنكية لا يشترط في التعامل بها ما يشترط في التعامل بالذهب والفضة ويستوي في ذلك القائلون بعدم العلة وأكثر القائلين بها .

هذه خلاصة ما ذكرته بالنسبة للعلة في ردي المنشور في مجلة الوعي الاسلامي عدد رقم ١٩٦ بتاريخ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ .

وهذا هو الأساس في مناقشة موضوع الأوراق المالية وهل تعامل معاملة الذهب والفضة لعلة الثمنية التي تلحقها بهما أم لا تعامل معاملتهما لعدم العلة أو لأن العلة قاصرة على الذهب والفضة أو لأن العلة فيهما هي الوزن والأوراق لا توزن .

والأمر حينئذ في منتهى الوضوح ومن أراد الرد فعليه أن ينكر ما ذكرته هنا ولا يستطيع ذلك لأنني نقلته من كتب الفقهاء بنصه وحددت رقم صفحاته .

أو يرد على الظاهرية ومن قال برأيهم وهم كثيرون ولهم وزنهم في الفقه الاسلامي . أو يدعي أن الظاهرية ومن قال معهم بعدم العلة لا وزن لهم عند الفقهاء ولا يعبأ بهم . أو يعترف بأن القائلين بعدم العلة لهم رأيهم ولكنه يخالفهم في الرأي .

ولكن الدكتور الفاضل أحمد السالوس لم يفعل شيئا من ذلك كله ، وبعد بعدا شاسعا عن هذا الأصل الذي هو أساس المناقشة ما عدا كلمات تفيد أن الظاهرية لا يعبأ أحد بقولهم وذلك في رده علي في عدد جمادى الآخرة رقم ١٩٨ وراح يحشو أربعين صفحة في مجلة الوعي بكلام للفقهاء لا صلة له بهذا الأصل ، وادعى أنه يرد علي . وأنا أقول له : يا أخي الحبيب : في أي واد مشيت ؟ ولم تركت هذه الأصول كلها فلم ترد عليها ؟ ولم لم تتعرض للرد على الظاهرية ولا على الباقلاني ولا على ابن عقيل ولا على الصنعاني ولا على القنوجي ؟ ولم أهملت الجميع إهمالا تاما كما سبق ؟ كما أنك قلت في العلة القاصرة كلاما لم يقله أصحاب المذاهب القائلون بها فان العلة القاصرة لو تعدت الى الأوراق المالية لتعدت الى الفلوس الرائجة ولو تعدت الى الفلوس الرائجة ما حدث فيها خلاف ، وأنت ذكرت أنهم اختلفوا فيها ، وما ذكرته عن الامام مالك لا يصلح دليلا لك لأنه لم يذكر علة الحكم ، والعبرة بالأصول ، فان جاء في المذهب ما يخالفها نظر في ذلك ، وقد عرفت أصول المالكية كما ذكرها أحد فقهائهم ، وهو ابن رشد وقد ذكرت في الرد عليك من أقوال الأحناف ومن أقوال صاحب المغني الصريحة ما يدل على أن أكثر العلماء لا يرى أن تعامل الفلوس معاملة الذهب والفضة « فجئت أنت وقلت : مرادهم الفلوس الرائجة » وعملت من نفسك شارحا لهم ثم جئت بأقوال

للأحناف لتستدل بها على مذهبك وهي غير صالحة أبدا ، وكان يجب أن تدرك أن علة الربا عند الأحناف في الذهب والفضة هي الوزن فحتى لو قالوا : ان الفلوس فيها ربا لكان علـى أصل مذهبهم باعتبار أن الفلوس توزن كما يـوزن الذهب والفضــة ، والأوراق المالية لا توزن ، ولو تدبرت ما قاله ابن عابدين لأدركت هذا المعنى والا فكيف تفهم الأمور ؟ واذا كان أكثر العلماء لا يخضع الفلوس للربا فالأوراق المالية لا تخضع له في التبادل العادي من باب أولى ، وان قلت ان البعض يقول بخضوعها والآخر يقول بغير ذلك قلت لك أنا مع من يقول بغير ذلك فهل علي لوم أن أتشبه بهم ؟

كما أنك أتعبت نفسك في نقل كلام مجمــع البحوث وكبــار العلماء في السعودية ورئيس المحاكم الشرعية بقطر وهؤلاء قائلون بالعلة فليسوا حجة على من لم يقل بها في الصرف وأنا منهم ، ولم حاولت تجـريحي وغمزي ولمزي أكثر من مرة لأنني لم أقل بقولهم ؟ هلا جرحت وغمـزت ولمزت وطلبت توبة جميع من لم يقل بالعلة أو لم يقل برأيك ومنهم البعض الذي ذكره رئيس محاكم قطر ، حيث أن هذا البعض اعتبر الأوراق البنكية عروض تجارة ؟

ومنهم كبار علماء السعودية حيث أن أكثر هيئة كبار العلماء بها هم الذين قالوا بأن الأوراق المالية تعامل معاملة الذهب والفضة والقلة لم تقل بهذا الرأي فلماذا لم تسلط عليهم سوطك كما سلطته علي ؟ ولماذا لم تطلب منهم جميعا التوبة لأنهم أذنبوا ووقعوا في كبيرة من الكبائر على حد زعمك ؟ أليس القائلون بعدم العلة والقائلون بها ولكن لا تنطبق على الأوراق المالية أكثر عددا من القائلين بالوصية الواجبة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المعلق لا يقع ؟ ومن القائلين بأن الطلاق الثلاث في لفظ واحد يقع واحدة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المخالف لما أمر الله لا يقع ؟ كأن طلق الرجل امرأته وهي حائض أو طلقها بعد الطهر والاتصال بها الخ ؟ راجع زاد المعاد لابن القيم .

فهل أقمت الدنيا ولم تقعدها على هؤلاء جميعا ؟ وهل الأمر اتباع هوى أم اتباع دليل وأصول فقهية متفق عليها ؟

كـان الأولى أن تطلب التـوبـة بشجاعة من نفسك ومن القائلين بأن الشيك يكفي عن قبض الأوراق المالية وقد طلبت أنا من الجميع أن يأتوا بدليل واحد من الكتاب أو السنة أو كلام السلف على أن الربا الذي شدد الرسول صلى الله عليه وسلم علينا فيه لا يحدث اذا قبض الانسان شيكا بدلا من المبلغ المطلوب قبضه في الصرف . قد تقول ان الضرورة تبيح المحظورة كما فعلت فأقول لك : ان هناك من يقول ان ربا الفائدة ضرورة ، وان تعامل البنوك به ضرورة ، وان وقوع الدول فيه ضرورة ، وان حاجة الأفراد اليه ضرورة ، وكلها أقوال تقال فهل كل ما يقال يؤخذ به ؟ وهل قيل لك انه لا حل عند الاقتصاديين الا هذا ؟

ثم اذا كـان الشيـك ضــرورة

فبمقتضى هذا انك اعترفت بأن التعامل به ربا وحرام لكن الضرورة أباحته ، ولكنك تقول في موضع آخر انه يكفي عن القبض فليس ربا ولا حراما أليس هذا خلاصة ما ذكرته وفيه تناقض واضح ؟

أما ما حشوت به المقال من كلام الفقهاء فمع أنه ليس أصلا في المناقشة فهو يرد عليك أنت لأنك خرجت منه الى أن المالكية يمنعون التعامل بالفلوس الا على أساس المثلية والقبض في المجلس وان للأحناف في الفلوس رأيين وكذلك للشافعية وكذلك الحنابلة : اذا فليس هناك رأي واحد ، وهذا دليل على أن الفلوس ليست كالذهب والفضة لأن الربا في الذهب والفضة لا خلاف فيه فلماذا اذا تتهجم علي وتتهمني بالعظائم ؟ وهل سبق مني ما يخدش كرامتك أو يجرح شعورك ؟ ثم لماذا هذا الكلام يا دكتور عن رأيي ورأي الأكثرية معي ؟ تقول : فيه تعطيل لكتاب الله وتذكر آية : (**والذين يكنزون الذهب**) التوبة/ ٣٤ هل يفهم أحد غيرك هذا الفهم ؟ وهل هكذا يرمي العلماء بعضهم بعضا ؟ وتقول : وفيه تعطيل لسنة رسول الله « لأنني سأعطل الزكاة في الأوراق المالية » أهكذا يسبح بك الخيال وترمي إخوانك بغير رحمة وأنت قرأت قولي بأن الأوراق المالية تجب فيها الزكاة وكذلك سمعت من الشريط ؟ وهل المسلم يتصيد لأخيه الأخطاء بدون أدنى مبرر وبهذا الشكل ؟ وهل هذه مناقشة علمية موضوعية ؟

وتقول : وأصبحنا في عصر يستحل فيه الربا لأن الشيخ حسن لا يقول بالحاق الأوراق المالية بالذهب والفضة « خلاصة كلامك » اذا فجميع الفقهاء الذين لم يقولوا بالعلة والذين قالوا بالعلة القاصرة وجميع الذين لم يلحقوا الأوراق المالية بالذهب ومنهم سعوديون وغير سعوديين . جميعهم أحلوا الربا في نظرك ؟ يا لها من داهية دهياء وفتنة عمياء ورمية شنعاء لم يتق الله راميها . وذكرت أن الناس سيستغلون رأيي هذا ويقعون في أنواع من الربا « خلاصة قولك » فهل هو رأيي فقط ؟ وهل استغلال الناس لفتوى عالم استغلالا بعيدا عن مرمى الفتوى يوجب على العالم أن يغير الفتوى ويقول بما لا يراه ولا دليل عليه عنده ؟

ان الناس استغلوا فتاوي لابن تيمية ولابن القيم ولابن عبد الوهاب وغيرهم استغلالا فاحشا ، كما استغلوا فتاوي لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهما فماذا فعل كل هؤلاء ؟ هل راجعوا عن فتاواهم ؟ ؟ ثم : ألا ترى معي أن القائلين بالقياس على الأمور الستة المذكورة يترتب على قولهم وقوع كثير من المسلمين في الربا ؟

ان كل ما يكال وما يوزن يقع فيه الربا عند الأحناف ولو كان مبادلة حديد برصاص ، أو جبس بتبن ، أو علف ببرسيم جاف ، أو دقيق بأرز أو سكر .

وكل ما هو طعام للاقتيات والادخار يقع فيه الربا عند المالكية .

وكل ما هو طعام يقع فيه الربا عند الشافعية ولو كان فجلا بجرجير أو خبزا بكراث أو كزبرة بحلبة وهكذا .

فهل ترى الناس الآن أو قبل الآن بقليل فهموا هذه الأمور وتركوا الوقوع في الربا المترتب على التعامل فيها ؟ ان طلبة العلم أنفسهم قليل منهم من يفهم هذه الأمور فضلا عن أن يطبقها أما رأيت الكثيرين يذهبون الى البقال وأمثاله لفك دينار وتحويله الى فلوس فلا يجدون عنده قيمة الدينار من الفلوس فيقولون للبقال سنمر عليك بعد قليل لأخذ الباقي منك ؟

وهذا ربا حسب قولكم في التعامل بالأوراق المالية ، والناس يقعون في كل ما سبق أمام أعين العلماء فهلا أنكرت أنت وغيرك على هؤلاء ؟

هل قامت حملة من وزارات الأوقاف غيرة على دين الله فحذرت الناس من الوقوع في هذه الأنواع من الربا ؟ ان ذلك كله مفروض على العلماء أن يقوموا به حتى لا يقع الناس في أنواع الربا التي قال بها أهل القياس .

ماذا بالله يحدث لو رفعنا عن المسلمين الحرج ووقفنا عند الأصناف الستة ولم نقل بالعلة التي لا تطمئن النفس اليها في هذه الأمور ؟؟؟

وتقول « إن قضايا العصر لا تحل « باجتهاد فردي » وهذا حق ولكن هل ذلك رد أم اتهام بأنني وحدي أقول بهذا الرأي ؟ وأين اذا جميع العلماء والفقهاء القائلين بهذا الرأي ؟ هل صاروا هباء في نظرك يا دكتور ؟

وأكثرت من قولك أخطأ الشيخ - ومن الخطأ قول الشيخ وما ذكرت خطأ لي الا وجئت بكلام يدل على أنني على صواب ، وأنا أرضى لجنة تحكيم للنظر فيما كتبت حتى ترى بعدك عن الحقيقة وإسرافك في التشنيع والتهم ووضع نفسك موضع المدافع وحده عن الاسلام ضد إنسان يعتدى عليه .

سامحك الله يا دكتور أحمد وردك الى الصواب فيما تقول وفيما تكتب وسدد الله خطانا أجمعين .

تذكر أنني ذكرت في مقالي السابق أنني أريد رد العلماء الأفاضل ولم أقل أريد التهجم والغمز واللمز والتهم الجارحة فإن هذا ليس أسلوب العلماء .

وقبل أن أنهي كلامي في موضوع لن أعود للكتابة فيه أقول لك : حاول أن تقرأ ما كتبته أنت للرد علي في هدوء واسأل نفسك هل حقيقة أنت رددت علي أم شط بك القلم ، وبعدت عن أصل الموضوع واعتمدت على أسلوب التجريح والتهويش والتلفيق واتهامي بأنني بترت الكلام والله يعلم أني بريء من كل ما كتبت ؟؟؟

لا « ثم لا » « ثم ألف لا » يا أخي الحبيب : وأقولها بصدق لأني أحب فيك إيمانك وان كنت لا أحب فيك تجريحك الشنيع لأخ لك في الله يعرف الناس عنه أنه لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يريد الا الحق المبني على الدليل ، ولا يرضى لنفسه أن يكون مقلدا ، أو متعصبا مذهبيا ، أو أسيرا لكلمة « الجمهور » هدانا الله سواء السبيل .

الصيام والتقوى

للدكتور/ محمد الدسوقي

التقوى - وقد وردت في القرآن الكريم بجميع مشتقاتها نحو مائتين وخمسين مرة - كلمة جامعة لخصال الخير والبر في الدنيا والآخرة ، فهي وان أطلقت في الكتاب العزيز على عدة معان لا تخرج في مدلولها العام عن معنى خشية الله ومراقبته ، والالتزام بما كتبه على عباده ، حتى تكون النفس في وقاية مما تخاف يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وتشير بعض الآثار الى أن من تمام التقوى أن يدع الانسان بعض الحلال ، مخافة الوقوع في الحرام ، فالمؤمن التقي ورع لا يحوم حول الحمى ، ولا يدنو من الشبهات ويترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، ومن ثم يحيا مخبتا لربه يخشاه في السر والعلن ، يرجو رحمته ، ويشفق من حسابه وعذابه .

ان التقوى لباس الخير ، وطريق الفوز في العاجلة والآجلة ، فالأتقياء يغدق الله عليهم النعم الجزيلة ما ظهر منها وما بطن : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) الأعراف/٩٦ : (**ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**) النحل/١٢٨ .

ولا يتقبل الله عملا الا من الأتقياء ؛ لأنهم وحدهم الذين يعملون العمل الطيب الخالص لبارئهم ، فلا يشركون به شيئا : (**انما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/٢٧ .

ولا غرو أن أثاب الله الأتقياء جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - فرض

علينا لغاية مقدسة كسائر الفروض والتشريعات ، وهي تربية التقوى في نفس المؤمن ، وبعث الشكر لربه الذي أنعم عليه بكل شيء : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .

قال أبو حيان : « للصوم فائدتان : رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » (البحر المحيط ٢ صـ ٣٠) .

ان الصيام يبعث على التقوى ، ويحض على الاخلاص لله في السر والجهر ، وقد ذكر بعض العلماء أن التعبير بـ « لعل » في الآية الكريمة فيه معنى الاعداد والتهيئة ، وأن الصيام يعد النفوس لتقوى الله وطاعته ، وأن هذا الاعداد يظهر من وجوه كثيرة أهمها ما يلي :

أولا : أن الامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية امتثالا لأمر الله وتقربا اليه يحمل على التقوى ، ومراعاة حدود الله في كل وقت ، كما أن هذا الامتناع من ناحية أخرى يضعف تحكم القوى الشهوانية في الانسان فلا تسيطر عليه ، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » والمعنى من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج ، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم ، فان الصوم جنة ، أي وقاية ، وهي في معناها الشامل وقاية من كل شر ، فالصوم لذلك وقاية من كل ما يسوء الانسان ويسوء المجتمع ، لأنه يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ، ويخلص الانسان من عبودية الجسد وسيطرة الغرائز .

ولكن كيف يكسر الصوم الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ؟ يرى كثير من الباحثين أن الامتناع عن أهم حاجات الجسد من طعام وشراب ، يضعف الانسان ، فيعجز عن المعاصي ، فالصيام لديهم بطبعه يؤثر في قدرة الانسان على العبث والمجون ، ولا يتيح لقواه الشهوانية فرصة الانطلاق ؛ لأنه يحرمها من مصدر النشاط والحركة ، وهو الغذاء ، بيد أن الصيام لا يضعف الشهوة ؛ لأنه حرمان من أهم حاجات الجسد ، والا كان لونا من العقوبة لا لونا من العبادة والطاعة ، والله أرحم بعباده من أن يكتب عليهم ما فيه إعنات لهم أو ضعف لقوتهم .

ان ما افترضه الله على عباده من صلاة وصيام وحج وزكاة ليس له بذاته أثر في تقوى القلوب ، ولكن لأنه عبادة تصل الانسان بخالقه ، وتشعر بسلطان الله عليه فلا يضل ولا يشقى ، فالصلاة مثلا كما جاء في القرآن الكريم تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي في ذاتها من حيث القيام والركوع والسجود وتلاوة بعض آيات الله لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ،

ولكن من حيث كونها عبادة تتكرر كل يوم خمس مرات ويستشعر الانسان في كل مرة خشية الله ومراقبته ، لأنه بين يديه ، فان هذا يعصمه من الزلل ، وتحول الصلاة بذلك بينه وبين الفحشاء والمنكر .

والصيام يكسر الشهوة لا بالجوع والعطش ، ولكن لأنه عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجي ، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة في ضمير المؤمن ، بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة « تفسير المنار ٢ صـ ١٦١ » .

« ان الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين في الحكمة وفضل الصوم ، وحبذا الصوم امساكا عن جميع الأهواء والأخطاء ، ليكون رياضة مصلحة للنفوس ، مجدية على الفرد والجماعة ، مروضة على ما لا يسهل الارتياض عليه في سائر الأوقات لضعف أو اهمال أو عدم رقابة ، فيكون رمضان وسيلة الى التقوى التي رجاها القرآن » . « من هدي القرآن في رمضان للشيخ أمين الخولي صـ ٤٧ » .

ويرى بعض المعاصرين أن الصائم حين يمتنع عن حاجاته البشرية من طعام وشراب وما الى ذلك فانه يشعر برغبة تثير انتباهه الى تلك الحاجات ، فكأن الصيام تذكير بمادية الكيان ، وبشرية الوجود وحاجة الانسان فلا يستعلي ولا يستبد ، ولا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته .

إن كل فرد ـ مهما يكن مركزه ـ معرض في بيئته للون من الطغيان ، يجاوز فيه قدره نوعا من المجاوزة ، فاذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر الى حاجة الانسان الى أكل الطعام ، عاد بالصوم انسانا سويا (المصدر السابق صـ ١٦) .

وهذه نظرة عميقة خليقة بالتدبر والتأمل ، لأنها لا تجعل الامتناع عن أهم رغبات الجسد مجرد حرمان مؤقت يؤتي ثماره في مجال الحد من طغيان الشهوات ، ولكنها تجعله مع هذا آية العبودية ودليل الضعف البشري ، فيعرف الانسان قدر نفسه ، ورسالته في الحياة .

ثانيا : اذا كانت بعض العبادات كالصلاة والحج والزكاة يمكن أن يدخلها الرياء والنفاق ، لأن القيام بها يتمثل في أمور يطلع عليها الخلق غالبا ، ويستوي في أدائها من الناحية الشكلية المخلصون والمنافقون والصالحون والطالحون ـ فان الصيام عبادة لا يلحقها الرياء ، ولا يتحقق فيها النفاق ، فالقيام بها يتمثل في أمور لا يطلع عليها سوى الحق تبارك وتعالى ، ومن ثم كان سرا بين العبد وربه ، وفريضة يرجو الصائم من ورائها مرضاة الخالق بعيدا عن أعين المخلوقين ، فأداء هذه الفريضة على وجهها المشروع لا يمكن أن يكون إلا ابتغاء لمرضاة الله وامتثالا لأوامره ، ومن امتثل أمر الله في صدق ، وتغيا من الطاعة والعبادة رضوان ربه فقد

اتقى خالقه حق تقاته .

ولأن الصيام هكذا اختصه الله بنفسه ، ونسبه لذاته مع أن كل العبادات كذلك ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي مخبرا عن ربه : « يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ... الصوم لي وأنا أجزي به » وفي رواية أخرى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به » . (رواه الامام مسلم)

وجاء في تفسير المنار ٢ صـ ١٥٩ :

« فاذا ترك الانسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك ، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق اليها ، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه ، وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة » .

ثالثا : ان الصيام يقوي الارادة الانسانية ، ويجعل من المسلم رجلا ماضي العزيمة حر الارادة لا تلعب به النزوات أو الشهوات ، وذلك لأن من ينتصر على رغبات الجسد ولذاته يسيطر عقله على هواه وارادته على شهوته ، ومن كان كذلك فقد أصبح مالكا لزمام نفسه ذا ارادة قوية لا يميل مع هوى النفس الامارة بالسوء ، ولا ينحرف عن جادة الطريق . وليست التقوى في جوهرها الا ارادة قوية تكبح الأنفس عن غيها وتسلك بها طريق الحق والهدى والرشاد .

ولأثر الصيام في شحذ الارادة وجهاد النفس ومقاومة نزعات الشر والمنكر ، كان واجبا شهرا من كل عام ، ليظل الانسان حرا قوي الارادة نقي السريرة ماضي العزيمة ، لا تسترقه شهوة ، ولا تفسد فؤاده قالة منكرة أو هاجسة أوحى بها شيطان من شياطين الانس والجن ، ولا يرضى بالدنية في دينه ودنياه ، فهو دائما عالي الهمة يكره سفاسف الأمور وينشد بدلا من حياة العقبان والنسور ، حياة القمم والكرامة والعزة والاباء ، لا يركع الا لفاطره ، ولا ينام على باطل أو ضيم أبدا . وذلك لأن تكرر الشهر يجدد آثار الصيام التي قد تنال منها مرور الأيام ، وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم ، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجراثيم ، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات الهابطة والشهوات الحيوانية المسفة ، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم ولا يفقد مقاومته ، كذلك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته مرة في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها (انظر الصوم الأضحية للدكتور علي

عبد الواحد وافي صـ ٣٢) .

ان الاسلام دين العزة والقـوة والكرامة ، ومن ثم كان الجهاد في هذا الدين ماضيا الى يوم القيامة ، وكانت تعاليم الاسلام وعلى رأسها الصيام تدريبا عمليا ونفسيا لاعداد المسلمين للحياة العزيزة الكريمة في دنيا يذهب فيها الزبد جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، ان الصيام يمنح الصائمين ارادة صلبة تقهر الشهوات المسيطـرة ، والنـزوات المتحكمـة ، ارادة لا تنال منها شدائد الحياة ، وتزيدها الصعاب مضاء وقوة ، وحين فقه المسلمون معنى الصيـام كما ينبغي أن يكون كانوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين كانوا قوة تهاب ، وعزيمة تجتاح كل الصعاب .

ان القيام بفريضــة الجهاد في الاسلام على وجهها المشروع يحتاج الى رجــال ذوي عقيـدة وارادة وشخصية ، والصيام يسهم بحظ كبير في اعداد الرجال للجهاد والقتال ، اذ هو مجال تقرير الارادة الانسانية والشخصية الانسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعا ، كما أنه مجال لاختبار مدى الطاعـة لله ، والاستسلام لفرائضه أيا كان فيها من الحرمان ، وهذان عنصران لازمان في اعداد النفوس لاحتمال مشقة الجهاد في سبيـل الله (في ظـلال القرآن ٢ / ٧٤) ومن المصادفات الغريبة أن تقع أشهر المعـارك الحربيـة التي خاضها المسلمون في بسالة وحققوا فيها أروع الانتصارات ، ورفعوا فيها راية الاسلام ، في شهر رمضان .

رابعا : لما كان ظرف الصيام يمتد من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فان الصائم يظل طول يومه في عبادة وطاعة لله ، ومن شأن هذا أن يرسخ في ضمير الصائم شعور المراقبة لخالقه في وقت الصيام وغيره ، وبذلك تحقق هذه الفريضة التقوى في النفـوس والخشية في القلوب ، والاقبال على الله في السراء والضراء ، ومن هنا لم يكن الصيام المبرور مجـرد امتناع عن الطعام والشراب وما اليهما ، ولكنه مع هذا امتناع عن كل عمل يفسد روح هذه العبادة أو يحول دون رسالتها كما ينبغي أن تكون ، وان كان من الناحية المادية عملا لا أثر له في صحة العبادة وجوازها .

لقد رويت الآثار في النهي عن الكذب والغيبة والرفث ، وبينت أن من لم يأخذ نفسه في رمضان بالكف عن الرذائل والمناقص فان الله غني عن ترك الطعام والشراب ، ان هذا الترك أهون الصيام وأدناه ، أما أعـلاه وأشقه فهو الصيام عن كل منكر من الأقوال والأفعال ، وما ذلك الا وقاية لهذه الفريضة من أسباب الانحراف بها عن حكمتها الأولى ، وهي تقوى الله والاعتصام بحبله في كل حال .

تلك في اجمال ، الوجوه التي يكفل بهـا الصيام للصـائمـين التقـوى بمفهومها الشامل الكامل ، التقوى التي تحول بين المرء وما يسخط ربه ، وتجعل منه عبدا عابدا لخالقه في كل ما يأتي ويذر ، وتسلكه في عبـاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يسألون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما ، والذين لا يعرفون في حياتهم الافراط أو التفريط في كل شيء ، فهم اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، انه القصد والتوسط والاعتدال ، والذين يؤمنون بخالقهم ايمانا صادقا لا يخالطه شرك من أي لون ، ولا يأتون منكرا أو كبيرة تورد فاعلها موارد التهلكة والخلود في العذاب المضاعف يوم القيامة .

ان التقوى هي غاية الصيام الأولى وحكمته الأساسية ، وما عداها من الحكم والفوائد التي يفيض في الحديث عنها بعض الباحثين فتبع لها أو منبثقة عنها ، بيد أن ما يذكره هؤلاء من حكم أو فوائد لا يرقى الى درجة الغاية من هذه الفريضة ، وربما أثار غبار الشك حولها ، ومن هذا ما يذهب اليه البعض ، أن من حكمة الصيام أنه منهج صحي يشفي الجسم من بعض الأمراض ، كما أنه وسيلة لأن يحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء ، وهذا الرأي لا سند له من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وتخرج عبادة الصيام عن طبيعتها وتنقص من قدسيتها وجلالها ، وتهوى بها الى مستوى العادات ، وتجردها من أغراضها الروحية السامية ، وتلصق بها مقاصد مادية تافهة تتعلق بالجسم وحاجاته ، ثم ان هذه الأغراض عرضة للشك واختلاف الرأي حولها ، فقد يرى بعض الباحثين في الطب وعلوم الأغذية أن ليس للصوم في صورته الاسلامية الفوائد الصحية التي ينسبونها اليه ، وقد يرى البعض أنه لا يحقق ما يرتبونه عليه من عطف الأغنياء على الفقراء ، وأنه لو كان المقصود منه هذا لاقتصر على ذوي اليسار ، واذا سرى الشك الى الغاية والمقصد فانه لا يلبث أن يسري الى العبادة نفسها فتتزعزع عقائد الناس في العبادات ويضعف ايمانهم بها .

وقد يقال : ان الجوع يخلص الجسم من الفضلات والأخلاط الضارة ، فينشط ويصح ، وقد ورد في الأثر : « جوعوا تصحوا » ولهذا يفيد الصيام الجسم صحيا فوق ما فيه من فوائد نفسية وروحية .

ومع التسليم بأن الصيام في صورته الاسلامية يفيد الجسم صحيا فإن الذي يجب الاهتمام به في هذا الموضوع أن الاسلام يحرص أبلغ الحرص على حماية الجسم من كل عوامل الضعف ، ويدعو الى تقوية الأبدان والايمان ، ولذا نهى عن الاسراف في المأكل والمشرب ، وأمر بما يسمى في العصر الحديث بالطب الوقائي ، كما أمر بالنظافة والرياضة ... الخ ، وهذا الحرص البالغ ينسحب على حياة المسلم كلها في أطوارها المختلفة لا على شهر أو فترة معينة ، وان كان لها دورها في هذه الحماية والوقاية .

ان الصيام في جوهره تربية روحية سامية ، وليس عادة صحية أو منهجا غذائيا ، ومن هنا يكون الرأي الذي

يذهب الى الافاضة في الحديث عن فوائد الصيام الصحية ويجعل هذه الفوائد في مرتبة الحكمة من فرضية الصيام رأيا يبعث على الشك في الغاية من هذه الفريضة ، ويكون الرأي الذي يذهب الى أنه ليس من حكم الصيام وأغراضه فوائده الصحية رأيا له منطقه الذي يسوغه ، وهو رأي ينأى بهذه الفريضة الجليلة عن كل ما يسيء اليها ، ولا مراء في أن النظر الى الصيام بهذا المعنى يربأ به عن أن يكون لونا من العادات الصحية التي تفيد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر .

ان الجوع نقمة ومحنة ، وليس لجوع الصوم القصير ذلك الأثر الذي تحدث عنه الفقهاء والصوفية ، وما جوع الصائم في حقيقته الا ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات ، ولو عمم هذا الاعتدال في صنوف الشهوات جميعا لتحققت التقوى المرجوة بالصيام (من هدي القرآن في رمضان صـ ٤٩) فالقول بأنه فرض ليحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء قول لا يخلو من شبهة تفسده ، والأولى أن تظل هذه العبادة بعيدة عن كل ما قد يضعف الايمان بها وان جاز أن يكون أثرا من آثارها .

وبعد فان التقوى هي العروة الوثقى ، وهي الفارقة بين الكفر والاسلام ، وقد جعلها الله يسرا لكل عسر ، وبابا لكل خير : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق/ ٢و٣ .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - يربي التقوى في النفوس والخشية في القلوب ويدفع الى الجهاد بالنفس والمال ، وهو - فضلا عن هذا - مظهر رائع من مظاهر وحدة المسلمين ، وقوتهم ، فهم في مشارق الأرض ومغاربها ، يعيشون شهرا كاملا وكأنهم في معسكر واحد ، يفرض عليهم ألوانا من السلوك لا مناص من الحفاظ عليها ان شاءوا لأنفسهم فترة تدريبية تعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة .

وما أحوج الأمة الاسلامية في هذا العصر الذي يواجه فيه الاسلام أخطر المؤامرات للقضاء عليه ، أو لجعله غريبا بين أهله ، أو جعل أهله غرباء عنه ، الى أن يكون صيامها سبيلا لتقوى الله ، حتى لا تخشى فيه لومة لائم ، وحتى تعتصم دائما بحبله ولا يكون بأسها بينها شديدا ، وحتى لا ترضى بالدنية في دينها ودنياها ، وحتى تبذل كل ما تملك فداء لعقيدتها وكرامتها ، لتظل كلمة الحق لها السيادة والقيادة في عالم يحكمه منطق القوة الباغية ، الذي يسمى الاغتصاب حقا والاحتلال والارهاب حماية ، والاستغلال ونهب ثروات الشعوب تعاونا ، وبذلك نحيا خير أمة ونعيش أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) المنافقون/ ٨ .

من أدب القرآن :

دعائم القوة في سورة الأنفال

للأستاذ : عبدالغني احمد ناجي

لأمر جليل له أثره وخطره ، مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ القوة والأقوياء بقوله : « المؤمن القوي خير ، وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » رواه مسلم . والقوة ذات شعب أو دائرة منداحة ، تضم القوة المعنوية والقوة المادية ، وتشمل قوة الفرد والجماعة ، والاسلام الحنيف ـ دين القوة العادلة ـ ينشد في نهجه الحصيف ايجاد الأقوياء الأسوياء من البشر ، ليكونوا لبنات قوية صالحة في مجتمع قوي سوي ، وإن شئت فقل في مجتمع فاضل ، وبيئة مثالية ، فالمثالية المبتغاة لا يمكن تحقيقها إلا مدعومة بالقوة ، إذ الدعاة إليها أو المتمسكون بها ربما يتعرضون للأذى الذي يفتن عن الحق ، فلو لم تكن معهم قوة مادية ولو لم تكن بداخلهم قوة معنوية ممثلة في قوة الروح والايمان واليقين ـ لاضطروا اضطرارا الى ترك النور تحت وطأة الأذى من جانب الظلام .

لقد اتخذ الاسلام أساليب عدة في تربية المسلمين على القوة العادلة ، أو في دعم قوة المسلمين حتى تسمق فوقها دعوتهم إلى الحق ويثمر نداؤهم الى الصراط المستقيم . والذي يقرأ القرآن الكريم بتبصر وتدبر يجد فيه هذه الأساليب التربوية التي ألمحنا اليها . يجدها في عرض باهر معجز ينبىء عن حسن النتيجة ، ونبل الهدف وهذه

الأساليب قد توجد مبثوثة حسب المناسبة والمقام وقد توجد مركوزة في سورة من سور القرآن الكريم ، إذا كانت السورة برمتها في مناسبة تستدعي تربية القوة لدى المسلمين والذي يعيش في أنوار سورة الأنفال ربما يجد ما يدعم هذا القول الذي نذهب اليه .

ولنعش في رحاب السورة الكريمة مستلهمين الله صواب الرأي وصحة الدليل .

تبدأ السورة بحكاية المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النصر على الكفار في يوم بدر ، فقد حار المسلمون يومئذ في كيفية قسم الغنائم وكادوا يختلفون ، وأوشك الخلاف أن يؤثر في وحدتهم الجامعة ، والوحدة قوة لا تدانيها قوة ، فنزلت الآية الأولى من سورة الأنفال تدرك المسلمين قبل أن يحدث الخلاف ما يحدث في وحدتهم ، وترشد المسلمين إلى أمثل الطرق لفض الخلاف وحسم النزاع ، والحفاظ على القوة والتآلف ، وكان ذلك في الارشاد الى حكم الله العزيز الحكيم عند كل خلاف أو نزاع ، ففي حكم الله تعالى والرضا به راحة للقلوب والضمائر ، وفيه قطع لدابر الخلاف والتدابر ، فتظل قوة الصف متينة ، ووحدة الهدف ثابتة راسخة .

يسألونك عن الأنفال قل الانفال لله والرسول ..) ـ الأنفال لله والرسول ـ جملة مفحمة مسكتة ، اخالها غطاء ثقيلا ، وسميكا غطى مرجلا يوشك ان يغلي أو إخالها ماء باردا سكب على نار فأطفأها وأخمد أوارها ثم توالى السكب حتى تبدلت بؤرة النار والرماد روضة فيها الزرع والنبات .

ولما كانت وحدة المسلمين هي أقوى الدعائم التي تعتمد عليها دعوتهم ، وترف بها سعادتهم في معايشهم فقد الحت الآية في سد ثغرة الخلاف بينهم ، حتى لا يتصدع صفهم او تخدش وحدتهم ، فتأتي أفعال الأمر متوالية متواكبة تلح على المسلمين أن يرعوا هذه الوحدة بالدعم والتقوية ، وأن يدعوا كل ما من شأنه الخلاف والنزاع ، ولنستمع الى بقية الآية المتضمنة هذه الأفعال :

(.. فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ..) فهذه الأفعال في تواليها وتواكبها ـ توحي بالحرص الشديد على وحدة المسلمين وقوتهم حتى لكأن المراد بالتقوى هنا الخوف من عقاب الله تعالى على التمادي في الخلاف والنزاع ، وكأن الغرض من طاعة الله ورسوله ـ في هذا المقام ـ طاعتهما في الحفاظ على الاتحاد والتواد ، ثم يأتي اسلوب الحفز التربوي الحامل على فعل الخير الذي يراه الناصح للمنصوح ممثلا في قوله تعالى للمؤمنين يومئذ .. : **(.. إن كنتم مؤمنين)** اي ان كنتم كاملي الايمان فدعوا الخلاف والنزاع ، واحسموا الأمر بالرجوع إلى حكم الله ورسوله ، وفي تعليق كمال الايمان على تآلف القلوب ، ووحدة الصفوف إيحاء وأي إيحاء بشدة اهتمام الاسلام بتلك الوحدة لأثرها الخطير في دعم قوة المسلمين ، وإني لاخال الآية حارسا يقظا امينا على بلد ساحلي يطل على بحر مائج ، وبين البلد والبحر سد منيع ، ولكن ثقبا في السد حدث ، وليس معه من خطر لصغره ، ولكن الحارس لأمانته وغيرته على بلده لم يسكت

حتى يتسع الثقب او يتصدع السد ، فهاله الثقب الصغير ، لأنه بالسكوت وعدم العلاج والاصلاح سيصبح كبيرا وخطيرا ، فهب الحارس الأمين ، واتخذ لسد الثقب كل وسيلة ممكنة ، وعالجه بصنوف عدة من العلاجات ودعا الى الحذر والحرص من حدوث غيره ، حتى يظل البلد آمنا مطمئنا ذلك مثل الآية الكريمة مع المؤمنين يوم بدر ، وعند الحيرة في تقسيم الغنائم ، والغنائم مال ، والمال حبيب الى النفوس ، وربما يودي التشبث به إلى معاداة من يقف دون الحصول عليه ، فكانت الأوامر الشديدة المتلاحقة : (**اتقوا الله ـ اصلحوا ذات بينكم ـ اطيعوا الله ورسوله** » ثم كان الحفز بتعليق كمال الايمان على اطاعة تلك الاوامر .. « **.. ان كنتم مؤمنين** » .

وبعد التحذير والتنبيه الى التمسك بالوحدة ونبذ الخلاف لما في ذلك من قوة الفرد والمجموع ـ تأتي الآيات متضمنة اهم وسائل التقوية المعنوية للمسلمين ، في أسلوب يتضمن الحفز التربوي ايضا ، وذلك بعرض ابرز سمات المؤمنين الصادقين الذين وصلوا عند الله الى أعلى الدرجات فهم الذين لا تخاف قلوبهم الا من الله ، وكلما تليت عليهم آيات الله تعالى زادتهم ايمانا ويقينا ، وهم الذين لا يعتمدون في كل أمورهم الحيوية إلا على ربهم ، ثم هم الذين يحافظون على صلتهم بخالقهم باقامة الصلاة والمحافظة عليها ، حتى يظل اتصالهم بخالقهم مستمرا وقلوبهم بالله موصولة ، فهذه السمات : عدم الخوف الا من الله ، وقوة الايمان عندما تتلى آيات الله ، والتوكل في كل الأمور على الله تعالى ، والمحافظة على الصلاة ـ هذه السمات من شأنها ان تقوى الروح والقلب ، وتجعل الانسان ـ وإن كان ضعيف البدن ـ أقوى من الطود ، وأصلب من الحديد ، ثم تختم الآية الثالثة بثمرة من ثمار القوة المعنوية التي حدثت ونمت وترعرعت لدى المسلمين باتخاذ أسبابها ، هذه الثمرة هي الانفاق ، والانفاق دون كزازة او شح ثمرة طبيعية لقوة الروح والقلب ، وقد جاء ذكر الانفاق مطلقا إيحاء بان هذا المسلم بعد تقوية قلبه وروحه اصبح لا يخشى فقرا او فاقة لصلته الدائمة بالله الرزاق ، وأصبح منبع خير ، فهو ينفق في كل جهات الخير ، على النفس ، وعلى الغير : (**.. ومما رزقناهم ينفقون**) ولكون القوة المعنوية أساسا وركيزة للقوة المادية بدليل الواقع الملموس ، فقوى الروح قوى حقا وإن كان ضعيف الجسم ، وقوي الجسم ليس بقوي حتى تعتمد قوة جسمه على قوة روحه ، فقد يجبن الضخم العملاق ، الخواء روحه ، وقد يثبت القزم الضئيل ، لقوة قلبه وروحه ، نقول : لكون القوة المعنوية بهذه المثابة كانت دعوة الاسلام اليها ملحة وشديدة حتى ترتكز عليها القوة المادية التي ستأتي الدعوة اليها في هذه السورة بعد قليل من الآيات ، وقد جاءت الدعوة الى القوة المعنوية في أسلوب تربوي ايضا تمثل في مدح المؤمنين الصادقين الذين ينصاعون لتلك الدعوة ، فيقوون قلوبهم وأرواحهم باتخاذ الأسباب التي أرشدت اليها الآيات السابقة ، وقد تركز المدح في آية قصيرة لا تتعدى الجملة الواحدة ولكنها تحمل المدح بأجل ما يتمناه المسلم وهو الايمان

الكامل :
(.. **اولئك هم المؤمنون حقا**) ثم يجيء في بقية الآية الجزاء والمكافأة للحفز والتشجيع : (**لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**) وذلك كمعلم امين يقول عن صفوة تلاميذه الذين استجابوا لنصحه وإرشاده : هؤلاء أفضل تلاميذي وهم الممتازون حقا ، ولهم عندي أعلى الدرجات ، سأمنحهم أفضل المكافآت ففي مثل هذا الأسلوب مدح للكامل الممتاز ، ودعوة لغيره الى سلوك مسلكه . وانتهاج نهجه حتى يحظى بامتيازه ..
ثم يجيء دور الدعوة الى القوة المادية بعد تأصيل القوة المعنوية فيما سبق ، وتبتديء تلك الدعوة في السورة بمعاتبة المسلمين الذين ودوا المال والتجارة دون الحرب التي ستكسبهم القوة والنصر : (.. **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ..**) وفي الكناية عن التجارة والمال بغير ذات الشوكة ايحاء بأن الأولى سلوك ما يكسب الشوكة والمنعة ، وإنذار بأن عملهم سيفقدهم الشوكة والمنعة ، وفي ذلك خطر عليهم وأي خطر .
ثم يأتي مراد الله تعالى من القوة العادلة التي يريدها للمسلمين : (**ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**) وما دام المؤمنون قد استجابوا لله ورسوله فقاموا بكل ما من شأنه تقوية الروح ، والقلب كما ارشدت الآية الأولى من هذه السورة فالله تعالى سيكافئهم بأسباب القوة المادية ممثلة في كل شيء تراه العين ويقبله العقل ، حتى التأييد بالملائكة ، مردفين في الحروب والغزوات : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ..**) ولا يحسبن أحد في ظلال هذا التأييد الالهي للمؤمنين ان الله منزل نصره وتأييده دون جهاد من هؤلاء المؤمنين فبعد سلوك المؤمنين مسالك التقوية المعنوية كما أسلفنا يأتي التأييد ، ومع التأييد لا بد من كفاح وعمل وجهاد ، حتى يتنزل النصر ويتم الفوز ، ولا بد ان يستعمل المسلمون ما حباهم الله تعالى من قوة في دعم الحق ، وإزهاق الباطل حتى تظل كلمة الله هي العليا لا بد أن يضربوا على يد هذا الباطل ممثلا في الكفار والملحدين حتى يتفيأ العالم ظلال حق وريف ، وسعادة حقة ، لا بد من ذلك ومن ثم جاء بعد آيات التأييد بالملائكة امر الله للمؤمنين بقوله في ختام الآية : (**فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**) وليس في هذا الضرب ظلم او تعسف او طغيان فحاشا لله ان يأمر بذلك وحاشا للمؤمنين الصادقين ان يحدث منهم ما يصمهم بالبغي والعدوان ، ولكن الضرب للحق ، ولاعلاء كلمة الله التي فيها خير البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة ومن لم يدرك ذلك وتسول له نفسه أن يقف حائلا دون إعلاء كلمة الله فكأنه يقف حائلا دون سعادة البشر ، ومن حق

عباد الله الواعين المدركين ان يستلهموا من الله العزة والقوة والتأييد ليجابهوا هؤلاء المعاندين ويأخذوا على أيديهم حتى يتفسح الطريق أمام النور . نور الله الحق ، ليعم الأكوان المتطلعة اليه ، ومن ثم جاء عقب الأمر بالضرب على يد الباطل بيان العلة والسبب ، حتى تطمئن نفس الضارب وتظل روحه قوية ، وقوته شديدة : **(.. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)** .

وإلى هنا نجد الناس وكأنهم انقسموا الى فريقين : فريق قوي الروح صلب المادة يسير في أنوار الحق مدافعا عن الحق ، وفريق ضعيف الروح ، خائر المادة يرتكس في عطن الباطل ومباءاته فتأتي الآيات التالية تحمل نهيا شديدا لأتباع الحق عن الفرار يوم الزحف ، امام غثاء الباطل ، وحزب الشيطان ، فما دام الله قد تكفل بنصر أتباع الحق ، وتكفل بتأييدهم في مواطن الكفاح والدفاع عن الحق ، فلا مجال إذن للنكوص والفرار : **(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ..)** ثم يأتي الوعيد الشديد لكل مؤمن تسول له نفسه الفرار يوم الزحف لغير سبب سوى الجبن والهلع فالموقف خطير يتحدد فيه مصير الحق والباطل ، وساعة ثبات وصبر تقلب الوضع والموازين ، ومن ثم كان الوعيد عنيفا ومخيفا : **(.. ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** .

ويحدث النصر المبين للمسلمين يوم بدر ، ويتنفس المسلمون الصعداء ، ويستروحون نسمات الفوز والظفر ، ولكن وصايا السماء لا تتركهم ، فلا بد من الربط على القلب ولا بد من موالاة النصح حتى تظل أسباب القوة قائمة متينة ، ومن ثم نجد الآيات بعد ذلك تعاود التحذير والتخويف مما يؤثر في وحدة المسلمين : **(.. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)** وتحذر من التكالب المسرف على المال ، والولد تكالبا يصرف عن الجهاد والدفاع عن الحق : **(واعلموا أنما اموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم)** وتضيف الى ذلك – وبعد النصر – التحذير من الغرور بالنصر ، إذ الله وحده هو مانح النصر : **(.. فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..)** ثم يأتي الترغيب المعجز في الدعوة الى الأخذ بأسباب القوة تجاه أعداء الله تعالى ، وأعداء المؤمنين : **(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ..)** فما أحق الدعوة وما أحسن ما يدعى اليه المؤمنون ، وما أبلغ الأسلوب ! .. **(.. دعاكم لما يحييكم)** فاذا فسر المدعو اليه بالعلم فالعلم – لا شك – حياة ، وإذا فسر بالجهاد تجاه العدو فذلك حياة للمؤمنين وأي حياة وجاء التعليم رائعا وبديعا لان كل ما يدعو اليه الرسول قومه لهم فيه حياة وقوة لكيانهم ، ثم يتكرر الأمر بالثبات في مواجهة العدو ، لأن ذلك أقوى دعائم النصر : **(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** وفي ذكر الله تعالى في مواطن الخطر مع الثبات والصبر قوة لا تعدلها

قوة ، ومن ثم انتصر المسلمون في قلتهم العددية على الكفار في كثرتهم العددية ، لاستجابة المسلمين الى الأخذ بأسباب القوة والنصر التي دعا إليها الاسلام الحنيف ، ولا يوهن القوة ويضعفها سوى الشقاق والخلاف ، ثم الغرور والبطر ، ومن ثم تأتي الآيات التالية محذرة من هذه الأدواء التي تبدد القوة كالرياح : (**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ..**) وترشد تلك الآية الى أن القوة الممنوحة من الله تعالى ينبغي أن تستعمل في الخير خاصا كان أو عاما لا في الرياء والفخر ، ولا في الصد عن فعل الخير ، فما أنبل الهدف !! والذي يتنكب ذلك فالله من ورائه محيط ، وفي هذا تهديد وأي تهديد .

وإذا توفرت للمسلمين القوتان : المعنوية والمادية ــ فلا يليق بهم التخاذل أمام عدو ، او التباطؤ عن الجهاد أمام خائن يمكر بهم ، فهنا مجال استخدام المسلمين لقوتهم التي منحهم الله اياها : (**.. وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**) .

والمسلمون بعد توفر القوة ، وتحقق النصر ينبغي ألا يغفلوا عن كيد العدو ومكره ، ويجب عليهم ان يكونوا دائما على استعداد لمواجهة الخطر ، ومواصلة الكفاح ، بهذا يرهبون العدو ، ويعيشون في هدوء وينشرون الخير الذي كلفوا نشره في امان وسلام : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..**) وجاء لفظ القوة منكرا ومطلقا لتشمل القوة جميع الانواع : المعنوية والمادية في كل جيل وعصر من الخيول الى الصواريخ .

ولما كان الاسلام دين سلام حقا ، والقتال فيه مشروع لحفظ السلام ، والدفاع عن الحق ــ فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المؤمنين ــ بعد بلوغ قوتهم ما يكفل الدفاع والردع ــ ــ أمروا ان يجنحوا الى السلم إن جنح العدو لها وكان صادقا في ميله وسلمه ، وذلك حتى يدعم المسلمون دعوة الاسلام إلى السلام : (**وإن جنحواللسلم فاجنح لها ..**) والذي يقرأ هذه الآية الكريمة ، ويقرأ في أول السورة قوله تعالى معاتبا المؤمنين في أول عهدهم بقتال الكفار ، حينما مال بعضهم إلى العير لا النفير : (**وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**)ــ نقول : إن الذي يقرؤها يجد فرقا في الدعوة والأرشاد ، والذي يعرف أن المسلمين حين نزول آية العتاب كانوا قلة ضعافا ، وفي حاجة الى قوة تكسر شوكة الكفار ، وأن المسلمين حين نزول الآية الثانية الداعية الى الجنوح للسلم إن جنح العدو لها ــ كانوا من القوة بحيث يرهبون العدو ، ويردعون عدوانه ، فلا حاجة إلى الغلظة ما دام العدو قد خضع صلفه ، وانهار بنيانه ، وتحطمت شوكته ، وكأنها قاعدة حربية عادلة يقرها الاسلام اذ يبيح للمسلمين الجنوح للسلم إن قوى جانبهم ، وأمنوا عدوهم ، ويلزمهم باستعمال أقصى القوة في الحرب ، واستعمال شتى الأساليب لكسر شوكة العدو ــ إن كانوا في دور

التقوى والنهوض ، هذا عمل تقره الانسانية العاقلة ، والطباع السليمة ، أقول : ان الذي يعرف ذلك يدرك السبب ، ويفقه العلة في اختلاف مرمى الآيتين الكريمتين . ثم تأتي النصائح المذهبة للخوف من قلوب المسلمين حين انصاعوا لدعوة الاسلام الحنيف الى الجنوح للسلم ممثلة في الأمر بالتوكل على الله وحده ، بعد الحرص وأخذ الأهبة ، والاستعداد التام في قوة رادعة ، ومن ثم كان الأمر بالجنوح للسلم بعد الأمر بالاستعداد في قوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** فلا جنوح للسلم مع ضعف أو قلة ولا جنوح للسلم مع تهاون او غفلة فالجنوح للسلم في الاسلام يكون مع قوة المسلمين الرادعة ، ومع يقظتهم التامة . وربما يأنف المسلمون ــ وهم في قمة قوتهم ــ من الجنوح للسلم حذرا من خداع العدو ، فيحرمون بهذا الامتناع انفسهم من الهدوء ، وغيرهم من الهدى ، فتأتي الطمأنة من الله مانح النصر ، وحافظ المؤمنين في قوله تعالى : **(.. وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم ..)** .

ثم يأتي دور الأسرى وموقف الاسلام منهم يوم بدر بالذات ، فنجد القرآن يعتب على المسلمين عدم اثخانهم في الأرض يومئذ ، ويعتب عليهم رغبتهم في عرض الدنيا : **(ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة)** ونلمس العتاب موافقا للعتاب الأسبق في قوله تعالى : **(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم)** ومن خلال العتابين نحس ان الاسلام كالوالد الرحيم ، يريد لأتباعه كما يريد الوالد لأولاده القوة والمنعة ، ولا تناقض بين هذا وبين الآية الداعية إلى الجنوح للسلم ، فآية الجنوح للسلم تحمل نصيحة عامة غير مقيدة بزمن معين ، او غزوة بعينها غاية ما تشترطه أن يكون المسلمون أقوياء وعلى استعداد تام لملاقاة العدو وردعه ، أما آيتا العتاب فهما خاصتان بغزوة بدر يوم أن كان المسلمون قلة ضعافا ، وكان عدوهم كثيرا قويا ، فالعقل يقضي حينئذ باستعمالهم كل الأساليب لكسر شوكة العدو ، وإضعافه حتى يجنح للسلم ، ويميل الى المهادنة ، وربما يكون ذلك بابا إلى الهدى ، والاعتراف بالحق الواضح .

وإذا كانت سورة الأنفال ، قد بدئت ببيان وسائل القوة المعنوية ، كركيزة لسائر القوى ، ثم مدحت الذين يأخذون بهذه الأسباب بأنهم المؤمنون حقا ــ فانها قد ختمت بمدح الذين يستعملون القوة العادلة في الدفاع عن الحق ، وفي نشر الخير حتى يرف على الانسانية العانية ــ بأنهم أيضا المؤمنون حقا : **(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا)** وإذا كان للمؤسس نوع من الفضل على المنفذ ــ فان واضعي اسس القوة : **(لهم مغفرة ورزق كريم)** وبعد فلعلنا بعد استعراض هذه السورة الكريمة نكون قد لمسنا ركائز القوة التي توفرت للمسلمين بمنح الله وتأييده ، فأستعملوها في الحق ، فحقق الله لهم النصر المبين .

شهر الصفاء والاخاء

للأستاذ
محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

لقد مرت الأيام ، ودار العام دورته ، وطلع علينا شهر رمضان كعادته ، مهيبا جليلا ، تسعى بين يديه مواكب الحفاوة والترحيب ، في جلجلة من التهليل والتكبير ، تهفو إليه قلوب المسلمين ، وتنتظره في كل عام في لهفة الظمآن إلى الماء ، والحيران الضال إلى الطريق الموصل للهدف المنشود ، والأمل المعقود .

وشهر رمضان بما امتاز به من خصائص دينية وتاريخية ، كانت السبب في نشر الخير في العالم كله ، وتبديد ظلمات الجهل ، وعلاج الأرواح والنفوس والأجسام ، بهذه الميزات والخصائص يجمع المسلمين في مختلف بلاد العالم تحت راية المودة والصفاء والاخاء ، والحب والتضامن بأكمل صوره .

وشهر رمضان هو شهر القيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والاحسان ، شهر تفتح فيه

أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر النصر والفوز على الأعداء ، شهر يجود فيه المولى تبارك وتعالى على عباده بأنواع المكرمات ، ويجزل فيه لأوليائه الأعطيات ، شهر جعل الله عز وجل صيامه أحد أركان الاسلام فصامه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وأمر بصيامه ، وأخبر أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله عز وجل له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم .

شهر فيه حكم عظيمة ، منها : تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة ، كالبخل والبطر ، وتعويدها الأخلاق الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ، ومجاهدة النفس فيما يرضى الله عز وجل ويقرب إليه ، ويعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لخالقه ، ويذكر نعمه عليه ويذكر - أيضا - حاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله جل شأنه . ومن أجل نعم المولى تبارك وتعالى علينا أن يفرض علينا عبادة فيها لنا كل السعادة وكل الخير ، ويتجلى فيها شفاء القلوب والأبدان ، ونور الحق وصدق العقيدة .

وهذه المعاني نجدها واضحة في قوله عز وجل : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)** البقرة / ١٨٥ .

ولقد قال أحد العلماء في حكمة فرضية الصيام في شهر رمضان : « إن رمضان شهر نزلت فيه هداية السماء إلى الأرض ، فناسب أن يكون زمن عبادة ترتفع بها النفوس من شهوات الأرض إلى روحانية السماء ، وتتخلص من جوانب المادية ودوافع الغرائز إلى صفاء ونقاء يضفي على النفوس البشرية نوعا من الشفافية والرقة » .

فضائل رمضان كثيرة ومتعددة

وشهر رمضان تنبثق منه عدة فضائل كثيرة ومتعددة ، فهو مدرسة يدخلها الصائمون شهرا كل عام ، يتدربون فيها على مكارم الأخلاق ، وممارسة الصفات الحميدة التي بها تصلح الحياة ، ويستقيم عليها أمر الناس .

ويمتاز هذا الشهر المبارك بالأحداث التي نشرت النور والخير والسعادة في العالم ، فهو شهر القرآن الكريم كتاب المولى تبارك وتعالى ، وسمي **رمضان** لأنه يرمض الذنوب ، بمعنى انه يحرق ذنوب الصائمين ويمحوها ، وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » رواه البخاري ومسلم .

وتصفيد الشياطين في رمضان رحمة

من الله عز وجل بعباده الصائمين ، حتى يكـــون صيامهم خاليا من وسوسة الشيطان ونزعاته ، والذي يشعر بهذه الناحية هو من يكــون صافي القلب ، طاهر النفس ، قوي الايمان ، فلا يستطيع الشيطان أن يغويه ، أما من يجعل من رمضان شهرا للطعام والشراب ، والعناية بالجسد وإهمال الروح فهو بعيد عن هذا الصفاء وهذا الاشراق ، وكذلك من يجعل منه موسما للتظاهر والتفاخر والرياء بالأعمال ، وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عن ربه عز وجل : « كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى : **إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به**» .رواه مسلم .

وذلك لأن الصوم سر بين العبد وخالقه ، فلا يطلـع عليه إلا علام الغيوب ، بخلاف بقية العبادات فانها قد يدخلها الرياء والتظاهر ، ولأن الصوم يمنع الانسان من الشهوات والملذات بخلاف سائر العبادات ، ومن هنا كانت له وحدة دون سواه هذه المنزلة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكـم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » رواه النسائي والبيهقي وقال لامرأة من الأنصار ، « إذا كان رمضان فاعتمري . فان عمرة فيه تعدل حجة » رواه الدارمي ومعنى هذا أن ثواب العمرة جزيل لوقوعها في رمضان .

وأن من أعظم الفضائل أن يجعل الانسان هواه تبعا لعقله ، ويجعل شهواته مستسلمة لضميره الذي يخضع للقوانين الالهية ، وقد حاول بعض الناس أن يغري رجلا قوي الايمان بارتكاب معصية بحجة أنه لا يراه إلا الكواكب ، فرد عليه الرجل المـــؤمن بقوله : « أنت نظرت إلى الكواكب ، ولكن أين مكوكبها ؟ » .

جهاد النفس بالصوم

وجهاد النفس بالصوم من أرقى أنواع الجهاد ، إذ هو ردها عن غيها وغاياتها وتخليصها مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

ففي الصوم تعود على الصمود والصبر ، وتقوية للارادة ، وتدعيم للعزيمة ، لأن الصائم يجاهد نفسه ، ويحارب نزواته ، ويلجم أطماعه ، ويخوض معركة شرسة ضارية أمام نزعاته وأهوائه ، فبين يديه الطعام ، وتحت أمره الشراب ، وإلى جانبه زوجته ، تزين له نفسه أن يسد جوعته ، وأن يروي ظمأه وأن يقضي شهوته ، بيد أنه يغالب أهواء نفسه ، ويلتزم أمر ربه عز وجل ، ويتغلب على شيطانه ، وكلما استهواه عاود معه الصراع من جديد بدافع من دينه ومن ضميره ، فتتربى فيه الارادة القوية ، والعزيمة الصامدة ، ولا يتسرب اليأس إلى نفسه ، ولا يدب الضعف في

إرادته ، وإنما يحمل راية الكفاح ويتوجه طموحه ويواصل الجهاد يسانده صموده ، وبذلك يسهل عليه الانتصار على عدوه بعد أن انتصر على عدوه الذي يوسوس في نفسه ، لأن الانتصار على العدو أسهل من الانتصار على النفس .

وجهاد النفس والدنيا ، ومغالبة الهوى والشيطان من أعظم الجهاد ، ومغالبة الانسان للشرور المنبعثة من داخل نفسه تحتاج إلى رعاية المولى تبارك وتعالى وعنايته ، وتحتاج إلى إنارة الفكر والعقل والبصيرة وصفاء الروح ، ليعرف الانسان من أين تأتي مكائد الأعداء ، وما هي الأسلحة التي يتغلب بها عليهم وطوبى لمن وفقه الله عز وجل إلى ذلك .

ولا وسيلة إلى التغلب على عوامل الشر والفساد إلا بترويض النفس وتهذيبها وضبطها في طعامها وشرابها ، ويوضح ذلك قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم فمن هذا الحديث الشريف ندرك ان الصوم سلاح قوي في أيدي الشباب للتحكم في أهوائهم وشهواتهم ، وقال لقمان الحكيم : « يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

وقال الامام الغزالي : « الصوم زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وفي جوع الانسان صفاء القلب ، وإبقاء القريحة ، واتقاد البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ فيتبدد الذهن ، والصبى إذا ما كثر أكله ، بطل حفظه وفسد ذهنه » .

ويقول : « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصف وترق » وهذه الكلمات الحكيمة تبين مدى تأثير الصوم في تهذيب النفس ، وتصفية القلب ، بالاضافة إلى الثواب العظيم في الدار الآخرة .

الصوم يعلم الصبر

ويعتبر الصيام من الوسائل التي تغرس في النفوس الأخلاق الحميدة فالصبر تعود ، ومن تعوده قادرا استطاعه دائما ، والصيام هو الوسيلة الوحيدة التي تخلق في نفس الانسان الصبر ، كما يكبح الصوم جماح النفس ، ويحد من شهوة الصائم ، ويكسر من حدة غضبه ، فاذا صام المـــرء وجب عليه ألا يغضب ، بل يعفو عمن يسيء إليه ويصفح عنه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصيام جنة ــ اي : وقاية ــ فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم » رواه البخاري .

ويغرس الصوم في نفس الصائم فضائل كثيرة يحتاجها الفرد في حياته ، وتدعو إليها كل وسائل التربية ،

كغض البصر عن كل حرام او مكروه ، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب ، وكف السمع عن الاصغاء إلى أي مكروه ، وقد بين لنا ذلك كله الرسول صلوات الله وسلامه عليه في قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري ، وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها فقال :
« هي في النار » رواه احمد والحاكم وابن حبان .
وقد نوه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بمنزلة الصائمين بقوله : « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي : أما واحدة : فانه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا . وأما الثانية فان خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة وأما الرابعة : فان الله يأمر جنته ، فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الخامسة ، فانه إذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟ فقال : لا ألم تر إلى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » رواه البيهقي .

شهر الكرم والجود

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبل رمضان استقبله بفيض من الكرم والجود ، فهو في هذا الشهر الكريم أجود بالخير من الريح المرسلة .
روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .
وكان صلوات الله وسلامه عليه يدرب أصحابه على أن يكونوا كرماء مثله في شهر رمضان ، فكان يحثهم على إطعام الطعام ، ويذكرهم بأن هذه نعمة ينبغي للمؤمن ان يتجه إلى المولى تبارك وتعالى بالدعاء ليوفقه فيها ويجعله من أهلها ، يقول أنس – رضي الله تعالى عنه : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه ابو داود .
وجاءت أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه تعد الكرماء الذين يقدمون الطعام للصائمين بأن الله عز وجل سيعطيهم مثل أجور من أطعموهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وعلاوة على ذلك فان الملائكة تصلي على من أكل عنده حتى

يفرغ الآكلون ، ويصافحه جبريل ليلة القدر .

الصوم راحة للجسم

وفي الصوم دروس في التربية الصحية لا يستطيع غيره تأديتها ، فان أجهزة الجسم كلها وبخاصة الجهاز الهضمي ، تعمل في الجسم طيلة العام ليل نهار ، لا تهدأ ولا تسكن عن الحركة ساعة واحدة ، وهذا العمل الدائب المتواصل مجهد لها بطبيعة الحال ، تحتاج معه إلى فترة من الراحة تتمكن بها من متابعة الطريق الطويل الممتد على مدى عمر الانسان ، وإلى سبيل يؤمنها ويؤمن لها الراحة التي تنشدها ، فليس هناك غير الصوم حيث ترتاح المعدة والأمعاء طوال النهار على امتداد شهر كامل راحة تامة ، يستحيل أن تتوفر لها بغير الصوم وقد عرف الطب الحديث الصوم علاجا ووقاية للكثير من الأمراض المستعصية ، بل لقد قرر الأطباء ان الصوم هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض كأمراض القرح المعدية وغيرها ، فأوصوا به وأرشدوا إليه .

إن الصوم مروض للنفس وصالح للبدن ، يعلم الارادة القوية والعزيمة الصادقة ، وعن طريقه يستطيع الانسان ان يتحكم في النفس الأمارة بالسوء والتي تسرف في شهواتها وملذاتها ، حتى تتجاوز الحد المعقول وتخرج عن النطاق المقبول ، وما الشهوات والملذات إلا أغلفة وأغطية تضرب على القلب نطاقا كثيفا من الظلام والغلظة ، يحجبه عن نور المولى تبارك وتعالى الذي أشرقت له الظلمات ، فاذا جاهد الانسان نفسه وتحكم في شهواته فقد مزق الحجب التي تغلف قلبه ، وخرج من الأغطية واللفائف التي تكاد تخنقه إلى ملكوت الله عز وجل الفسيح ، تماما مثلما يخرج الوليد من بطن أمه إلى نور هذا الكون وفسحته لأول مرة ، وتلك منزلة لها مالها من الصفاء النفسي والنقاء الروحي .

وبعد :

إن شهر رمضان شهر التزكية ، فليكن زيادة للمؤمنين في إيمانهم ، وللمستقيمين في استقامتهم وتنبيها للغافلين عن غفلتهم ، وعودة للشاردين في الغي والضلال والعصيان إلى رحاب الله عز وجل وحاديا للمقصرين في جنب الله جل شأنه ليلحقوا بالركب من جديد وينضموا إلى موكب الايمان .

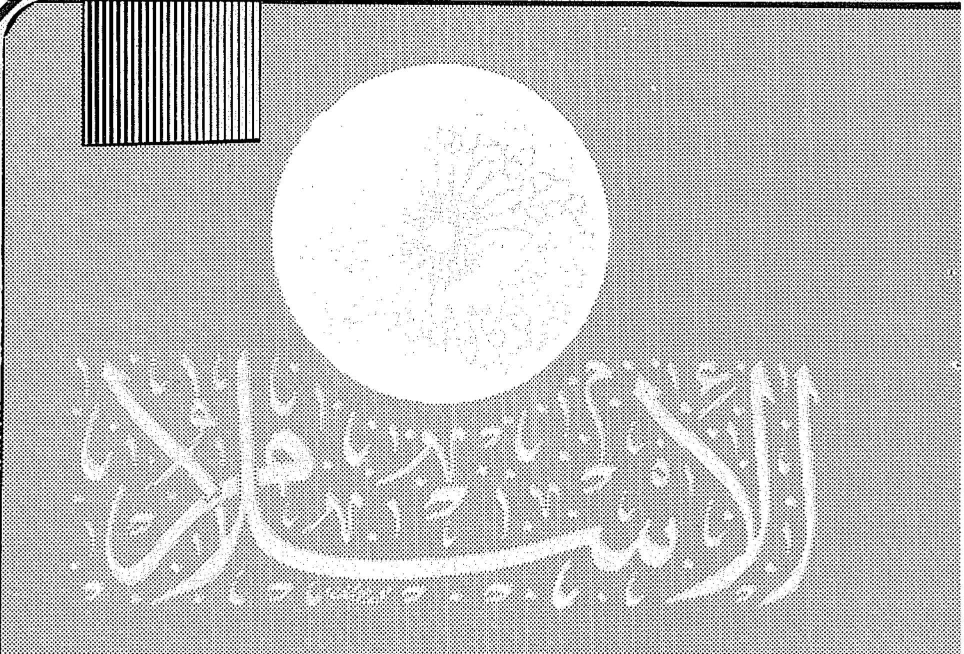
فلنستقبل شهر رمضان بالتسامح والعفو والتوبة الصادقة النابعة من القلب ، ونعمل على تحقيق الأخوة الصادقة .

فلنستقبل شهر رمضان ونحن قد عقدنا العزم على أن يسود الصفاء والاخاء والرحمة بين قلوبنا بقلب منيب ونفس متواضعة ، راجين من الله العلي القدير ان يلهمنا الصبر والاخلاص في فريضة الصوم وكل الفرائض ، وأن يتقبل منا أعمالنا ويحقق لنا رجاءنا وأن يهيىء قلوبنا للخير وحب الخير ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

ميادين جديدة تنتظر

هذه قصة فتى أمريكي من جامعة لوس انجلوس يسمى جاكسون ، عاصرها وشاهدها وشارك فيها دكتور فاضل كان محاضرا في الجامعة هناك ، لقد رأى عن كثب كيف ان فطرة الاستجابة للاسلام مركـــوزة في نفوس الذين لم يصل الاسلام اليهم بعد ، إنها فحسب في حاجة الى من يزيل عنها الغطاء ، ويجد لها شعاعا تهتدي به في الخروج من ظلماتها ، ذلك لان الدين عند الله هو « الاسلام » ، وقد فطر نفوس الخلائق عليه ، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، وهذه الفطرة المركـــوزة في النفوس مرهونة بأوقاتها ، وبأسلوب علاج الرين الذي ران عليها ، بفعل الزمن والبيئة وتعقيدات الحياة ، ان كل المطلوب هو رفع الغشاوة الحاجبة في هوادة ورفق عن القلوب ، فاذا بنور الهداية تتفجر ينابيعه تلقائيا .

ان كثيرا من الدعاة ربما كانوا في حاجة الى تدريب على الأسلوب ، فكثير منهم في كثير من الأحيان وبسلامة نية طبعا يخطئون الطريق ، ذلك ان لكل شيء في الحياة علمه وفنون تحقيقه ، والدعوة الى الحق يجب ان تكـــون كذلك ، وما الارشاد الحكيم الى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة غير دليل على ان الحكمة هي فن الوصول الى القلوب بالاقناع الميسر ، فكثيرا ما نرى دعاة حين يكونون بين قوم لم



للاستاذ / محمد لبيب البوهي

يعرفوا الطريق الحق الى الاسلام . وقد يكونون من ذويهم . فاذا بأول ما يفعلونه معهم هو ان ينذروهم بالويل لتارك الصلاة ، دون ان يدرس هؤلاء ما الصلاة ؟ .. وما حقيقتها ؟ وما ثمرتها ؟ وما السعادة الروحية والدنيوية التي تتحقق بأدائها ؟ ان امر هؤلاء كما قال استاذ حكيم : كمن يتخذ بداية الطريق من محطة الوصول .. وهو امر معكوس . وليس المهم هو مجرد ذكر قصة انسان في امريكا قد اعتنق الاسلام ، بل هي صورة من ميادين مفتوحة تحتاج الى التأمل ، ان الاسلام لو انتشر مثلا في امريكا فقد يكون ذلك اكثر تفضيلا مما لو كان ذلك في سكان الاحراش ، لأسباب كثيرة ليست هي فحسب ما لأمريكا من ثقل في الميزان الدولي ووزنها وأثرها في الاحداث .

***

ولقد أصبح بديهيا أن نكرر ما أصبح مألوفا معروفا من ان الظمأ الروحاني في اوروبا عامة وامريكا خاصة في حاجة الى ما يروي هذا الظمأ والمذاهب الزمنية العابرة والموقوتة كالوجودية وغيرها قد لا تكون في احسن المواصفات الا مخدرات زمنية تعقبها نكسات فظيعة ـ انهم هناك بسبب

تفشي

الانحلال يتجرعون مرارة التخمة الحسية التي يحاولون علاجها بالمزيد منها كما يقول الشاعر :

وداوني بالتي كانت هي الداء ،

ان الفطرة هناك تصرخ في حاجة الى من ينتشلها مما ترد فيه .. وهذه هي مهمة الاسلام . وهناك الآن ميادينه التي يجب أن تنال حقها من رعاية الدعوة في بداية هذا القرن الجديد الخامس عشر الذي هناك من الارهاصات ما يدل على انه سيكون قرن اليقظة الروحية الشاملة حيث يكون الاسلام هو المنقذ للعالم من آلامه وفراغه الروحي .

وربما تكون هناك فئة قليلة من مراهقي الترف قد شوهوا عن غير قصد صورة الاسلام في الغرب حين ذهبوا الى هناك وتركوا للمراهقة الحسية حبلها لتمرح في حقول الملذات . فكان مثلهم وهم أصحاب الدعوة اسما لأن اكثرهم أو كل هؤلاء لم يتمرسوا بأصول دينهم . ولكنهم ذهبوا على فراغهم الديني يحملون اسم الاسلام . فكان مثلهم كالمرضى الذين ينتظرون الطبيب فلما جاء فانه بدلا من ان يعالجهم راح يتجرع جراثيم امراضهم . حتى لم يعد من المستغرب كثيرا ان تجد في لندن وغيرها من العواصم الغربية بعض محال اللهو وقد وضعت عليها باللغة العربية لافتات اسلامية . ولكن هناك الى جانب القلة التي ذكرنا امرها من ذهبوا الى امريكا بوجه خاص مسلحين بقيم وفضائل دينية ، ولما اتخذوا هذه المناطق موطن اقامة ، اصبحوا فيها دعاة بحق العلم ــ والقيم ، والمثل ــ والسلوك بما استقر في نفوسهم من اصول الدين ، وما قصة الفتى الجامعي جاكسون الا حالة من آلاف ونحن نذكرها على سبيل المثال وليس الحصر لنبين اثر الاسلوب العصري العلمي المهذب المدروس في ان يؤتي ثماره ، فليس كل ما يصلح لنشر الدعوة في مكان يصلح لكل زمان او مكان ، فللبيئة والظروف الاجتماعية والوسط العلمي اساليب مختلفة .

***

كان الفتى جاكسون وهو باسم التدليل يدعى جاك طالبا جامعيا يعيش في لوس انجلوس . وذات يوم استيقظ مع تباشير صباح جديد كان هو من ايام احد الاعياد الاسلامية ، ليرى مجموعة من السيارات يهتف الراكبون فيها هتافات بنغم حلو هادئ رصين ، اذ كانوا ينشدون نشيد العيد .. لا اله الا الله وحده صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الاحزاب وحده .

***

كان الصوت هادئا موسيقيا ، ينساب الى قلوب السامعين هادئا رصينا ، فليس فيه صراخ ، وانما نغم جديد على مسامع الفتى . والوجدان يهتز للكلمات الصادقة . ولو لم يدرك السامع كل معناها لأن ما كان من القلب فهو يحرك قلب

السامع ، ولما تكررت كلمات النشيد ، اسرع الفتى الى ورقة ، وراح يكتب بلغته الانكليزية ، الكلمات التي ترددت والتي لا يفقه لها معنى . حتى اذا ذهب الى الجامعة اسرع الى صديق عربي معه ليسأله ترجمة هذا النشيد ، فسر زميله بذلك ، وراح يشرح له المعنى في بساطة واعية ، واخبره ان هناك جماعة من المسلمين لهم دار في لوس انجلوس ، اذ كانت المدينة تحوي نحوعشرين الفا من الجالية الاسلامية . وانهم في ذلك اليوم يحتفلون بعيدهم ، وهذا هو نشيد العيد – انه ينشد امجاد الدين والاتجاه الخالص الى الله الواحد الاحد . ويرددون في تقدير فضل الله عليهم وما حباهم به من نعم .

وسأل جاك هل من مانع ان يزور دار هذه الجماعة ؟. فوجد من صاحبه الحريص على دينه تشجيعا وترحيبا ، واردف ترحيبه ذاك بابتسامة حلوة رقيقة .

***

كانت الجماعة الاسلامية قد اتخذت لها مقرا جميلا تحيط به حديقة صغيرة في المدينة ، وكانوا يحرصون على اجتماع دوري في يومي الجمعة والأحد ، فتكون هناك محاضرة لأحد الأساتذة الذين يلمون بما لا بأس به من اصول الدين .

وفي هذين اليومين يؤدون صلاتي المغرب والعشاء ، ويتناولون معا طعام عشاء خفيف متبرعا كل فرد في هذا الطعام بدولارين ، وهو مبلغ زهيد يضم الى حصيلة تبرعات كثيرة لشئون دينهم عالمين بأن ما يدفع مهما عظم ، فهو قليل بالقياس الى عطاء الله لهم ويدركون انه ما من صدقة الا وهي تقع في يد الله ويدخرها لهم لأخراهم ، فمن يدرك ذلك يقينا يطيب له ويلذ له الانفاق مدركا انه يستثمره في مصارف السماء ، فكل استثمار في الدنيا الى زوال ، وكل ما فيها متروك الا ما يستودع عند من لا تضيع عنده الودائع .

***

لقد شارك جاك الامريكي مكرما في هذا العشاء ، حتى اذا انتهى الطعام رأى نفسه محاطا بابتسامات وترحيبات طيبة مباركة صادرة من قلوب تفيض حبا لجميع الخلائق . ووجد سعادة في أن يشارك الآخرين غسل الصحون وتجفيفها ، حتى اذا نودي لصلاة العشاء جلس غير بعيد يرقب هذه الصلاة .

كان ذلك عنده شيئا رائعا جديدا ، وارتسمت في ذهنه صورة طيبة عاد بها الى داره ، ولم تبرح هذه الصورة خياله ، بل لعله وجد نفسه في الأحلام يشارك فيها ويركع ويسجد مع الساجدين دون ان يدعوه الى ذلك انسان .

***

طابت للفتى الامريكي هذه المشاركة التي وجد فيها لذة جديدة

غير لذائذ الحس .. فجعل بعد ذلك يكثر من التعرف الى آخرين معه في الكلية من هؤلاء الذين رآهم في مجتمعهم يؤدون الصلاة .. وفي غير مشقة لحظ انهم يتميزون عن غيرهم .. ففي وجوههم نور .. وعلى افواههم ابتسامات .. وفي حديثهم روح مودة صادقة . وبين بعضهم اخوة لا تخطئها العين .. فكل ذلك حبب الى الفتى التردد على مجتمعهم مرة بعد مرة .

***

ان مئات الملايين في الشرق الاقصى من بلاد الهند والصين والملايو وجزر اندونيسيا وما حولها من شرق ومن غرب انما دخلوا في الاسلام بداية بما كانوا يشاهدونه من تجار مسلمين ذهبوا الى هناك تسعى انوار اخلاقهم وانوار معاملاتهم بين ايديهم وفي احاديثهم وسلوكهم .. لقد ذهبوا الى تلك المناطق النائية حاملين معهم عادات الاسلام واخلاقه واخوة الاسلام حيث المسلم اخ للمسلم اينما كان .. فكانت هذه الصفات هي الدعوة إلى الدين بغير اعلان .. وهذه الصورة يمكن دائما ان تتكرر في كل زمان ومكان . انها تفتح ميادين جديدة لدين الله الحق عن طريق محاسن الصفات والمعاملات ومكارم السلوك .. فالاسلام دين الاخلاق العظيمة التي هي جزء من الفطرة .. وما الانحراف غير طارئ في انتظار من يزيحه ، ويعيد الى القلوب صفاءها من جديد .

راى الفتى الامريكي نفسه مدفوعا الى سؤال اصحابه عن لب الاسلام ـ فكان مع صاحب له حوار هادئ قال له : اجبني يا جاك هل تظن ان هذا الكون العظيم البديع الكبير قد صنع نفسه تلقائيا ذاتيا وابتكر لنفسه قوانين دوامة ؟.. استمع الفتى ولم يجب في اول الامر .. قال له صاحبه : ان بعض الناس يرون ان هذا الكون قد وجد مصادفة ووجدت معه قوانينه .. هل تظن ذلك يا جاك ؟ انه عندما يقال ان الكون خلق نفسه تلقائيا كمثل ان يقال انه حدث انفجار في دار للطباعة فارتفعت حروف الطباعة في الهواء ، ثم هبطت وكونت تلقائيا من نفسها كتابا في الكيمياء او الطبيعة فهل تظن ذلك معقولا ..؟ تبسم الفتى الامريكي ضاحكا وقال : لا .. ثم اردف انني لست من هذا القبيل لست ملحدا ان الكون له اله .. وانني اؤمن به .. انه المسيح قال صاحبه في اناة ورفق : إذن فانت تؤمن بان المسيح هو الله ؟ قال الفتى : نعم ..! قال صاحبه : والمسيح هو ابن السيدة مريم ؟.. قال جاك : هذا حق انه ابن العذراء مريم قال محاوره في نفس الهدوء المبتسم : مادام المسيح الذي هو الله هو ابن للسيدة مريم ، فقد نستطيع ان نقول ان السيدة مريم هي أم الله ؟ والله الذي هو المسيح هو الذي خلق الكون وهو الذي يدبر امور ما خلق اي انه كان يدبر امور الكون وهو جنين في بطن امه . هل ذلك شئ يقبله العقل يا صديقي الطبيب ؟ .

قال الفتى الامريكي في حياء وتردد كأنما قد فوجئ بقول لم يكن في تقديره ولا حسبانه : تلك احدى معجزاته . قال صاحبه بابتسامة عريضة صادقة في ود ، والسيدة مريم التي هي أم الاله كما ترى وباعتبارها من البشر فان لها اسرة واقارب من الناس .

قال جاك : من الطبيعي ان يكون لها اقارب من الناس شأن كل اسرة .

قال صاحبه : هل يقبل العقل ان يكون الله الذي هو خالق الناس ينتمي الى عائلة منهم ؟ فيكون مثلا هذا عمه .. وهذا خاله ..وهذا ابن عم الله .؟

فسكـــت الفتى وتبسم صاحبه وانتهى الحوار في رفق ولكن يبدو ان المعاني الجديدة ظلت تدور في خاطر جاك الامريكي بل لقد عاد في حياء يريد المزيد من الحوار .

قال له صاحبه : اسمع يا جاك الطيب الكريم : لقد علمنا ان الارض ليست في كون الله الا كمثل ذرة في صحراء او قطرة ماء من مياه المحيط ــ قال الامريكي : هذا حق ــ هناك ملايين او بلايين البلايين من الكواكب في كون الله منها ما هو اصغر حجما ومنها ما يفوقها مئات المرات .

قال صاحبه : اذا كان المسيح هو الله .. وقد ولدته السيدة مريم على هذه الارض . وهو في ذات الوقت الاله الخالق للملايين البعيدة من الكواكب ، فهل ترى ان الاله الذي ولد على الارض كان يصرف امور الملايين من الكواكب البعيدة من هنا ام انه كان الها طوافا يطوف بملايين الكواكب التي خلقها ؟

سكت جاك واستغرق في تفكير عميق وهو يستمع الى صاحبه الذي سأله : تقول ان اليهود قد قتلوا أو صلبوا المسيح هكذا تعتقد .. فهل من كرامة الاله ان يموت قتيلا بيد نفر من مخلوقاته . وتبسم الصديق وانتهى الحوار .. ومضت أيام وأيام وفي احدى صلوات العشاء نظر الصديق المسلم فاذا بصاحبه الامريكي قائم يصلي فريضة العشاء في الصف الاوسط من الجماعة .

وأخذ والدا جاك يرقبان هذا التغير العجيب .. واوشكت امه ان تلقي اليه باللوم حين علمت بامره فقال لها ابوه : انظري كم تغيرت اموره . لقد كان ولدنا يشرب الخمر فتركها .. وكـــان يدمن المخدر فتباعد عنه .. الايكفي هذا .!؟ فلم تحر السيدة جوابا واخذت ترقب ولدها عن كثب ، ثم طلبت اليه ذات يوم ان يصحبها الى ذلك المجتمع الذي يتردد عليه .

***

ولم تمض الا اسابيع حتى كانت السيدة الأم تواظب على حضور محاضرات المجتمع المشرق المضيء بأنوار اليقين .

وهكذا تكون الامور .

الا نرى جميعا من ارهاصات القرن الخامس عشر ان هناك ميادين جديدة تنتظر الاسلام بأسلوب مدروس .!؟

رمضان شهر أمتي

للاستاذ : حسن منصور

يدور الفلك دورته . ويتم البدر رحلته ثم يهل علينا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فتنشرح فيه النفوس للطاعة . وتهفو القلوب الى التوبة وتشهد المساجد وجوها لم تشهدها أحد عشر شهرا . إنه أكرم ضيف يأتينا كل عام تحف به كل البركات وتنزل فيه ملائكة الرحمة . ويختفي فيه الشيطان وتتلألأ الأنوار وتنكشف للقلوب المؤمنة الأستار . يدعونا الى التجرد من الشهوات والتحرر من رق النفس وعبادة الهوى ، فهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .

ويدفعنا الصوم الى أن ننزع من قلوبنا الغل والغش والحقد والدنس ونصفو حتى نكون كالملاك .

ان هناك حافزا خفيا يدفعنا كل عام ان نستعد لاستقبال هذا الشهر المبارك والى تحيته باحياء أيامه صائمين مخلصين ولياليه قائمين داعين .

فنشعر طيلة أيامه بسلام لم

يرفرف علينا طيلة شهور العام ويأمن وطمأنينة لم نشعر بهما في بقية الأيام .

الصيام في القرآن

قال تعالى في سورة البقرة : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) ١٨٣ .

فالصوم يعد نفس الصائم للتقوى . فاذا ما تعهد الانسان نفسه وانتهى الى التقوى كان جزاؤه عند الله عظيما . ومن هنا نفهم الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت في الصوم وعظمة شأنه ، والتي لا تفهم فهما حقيقيا إلا اذا راعينا أن الصائم يتعهد نفسه ويعدها بالصوم . فقد طلب أبو أمامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ان يأمره بعمل ينفعه الله تعالى به فقال صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له . فكرر له أبو أمامة الطلب ، فقال عليه الصلاة والسلام ايضا نفس ما قاله في المرة الثانية » رواه النسائي .

بهذا يتضح ان الصوم لا مثيل له في تهيئة النفوس للتقوى ، فمن انتهى الى هذه الغاية وصام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن هنا كان المعنى العميق للحديث المشهور :(قال الله عز وجل : **كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فانه لي وأنا أجزي به**) رواه البخاري ومسلم .

وقد فهم الناس أن الله يجازي على الصوم باستمرار جزاء يزيد على سبعمائة ضعف وهذا صحيح بالنسبة لمن تعهد نفسه واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى التي لا تفهم فهما صحيحا الا على ضوء ما تقدم ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » . رواه النسائي وابن ماجة . ويقول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

ولا ينتهي الصوم الى ثمرته التي أرادها الله منه الا اذا صدقت النية وقويت العزيمة وصام الانسان ايمانا واحتسابا . اي صام على التصديق والرغبة طيبة بالصوم نفسه ، غير كاره له ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلبا لوجه الله تعالى ، وصدقت نيته في النجاة واستشرقت نفسه لرضوان الله . واذا ما توفر كل ذلك تحقق ما قاله السابقون والمعاصرون في فائدة الصيام .

فاذا ما وطن الانسان نفسه على الصلاح والخير بعد ان مهد له الصوم السبيل الى ذلك ، وأعده ليسير في سهولة ويسر على الصراط المستقيم ، فقد فاز بثمرة الصوم المرجوة ، وهي التقوى ، ويدخل في نطاق الآية الكريمة : (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) يونس/٦٢ ـ ٦٤ .

الصوم يهذب السلوك

والتقوى التي تحدثنا عنها ليست أمرا مقتصرا على الحياة الدينية في المسجد والمنزل بل ان الحياة الدينية بمفهومها الشامل لا يمكن ان تنحصر بين جدران المسجد وتتردد بين أعمدته في دعوات وصلوات ومواعظ فوق المنابر . بل هي سلوك قويم ينهي عن السوء ويدعو إلى الخير في كل مجالات الحياة ونشاطاتها . وعلى هذا الضوء نستطيع أن نرى في الصوم ارادة الحياة ـ أنه كف عن الطعام والشراب والشهوة ، فهو بهذا تربية بالحرمان والتربية ارادة والارادة ايجابية والايجابية انتاج ـ وما أروع قول الامام علي رضي الله عنه في وصف الاسلام : « الاسلام هو التسليم ـ والتسليم هو اليقين ـ واليقين هو التصديق ـ والتصديق هو الاقرار ـ والاقرار هو الأداء ـ والأداء هو العمل » .

الصوم يقوي العزائم

يقول الامام الغزالي : « الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، في جوع الجسم صفاء القلب ، وايقاد القريحة ، وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر الشجار في الدماغ ، فيتبلد الذهن ، والصبي اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصفو وترق » .

ويقول الشيخ محمد عبده : « ان الصوم يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه . وفي هذه المراقبة أكبر معدل للنفوس ومهيىء لها لتسعد في الآخرة وتستقيم في الدنيا .

انظر هل يقدم من صدق مع الله في صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله في منع الزكاة ؟ أم هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات جهارا أو يسدل بينه وبين الله في المعاصي ستارا ؟ كلا ـ ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي اذ لا يطول أمد غفلته عن الله . واذا نسي وألم بشيء منها كان سريع التوبة قريب الأوبة : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الاعراف/٢٠١ .

فكل ارتباطات رمضان في ديننا ، تدعو الى العمل والتفتح على الحياة والآخرة معا ، تدعو إلى البر بالناس والاقبال على الله ، وأكبر البر اخلاص كل فرد في عمله وإستجابته لمطالب الناس عنده .

وما أجمل أن ينتصر الانسان على نفسه في رمضان ، فلا يصخب ، ولا يضيق بالناس ولا بالعمل ، فالصوم يربي ضمائر الأفراد والجماعات ، ويطهر القلوب مما يلم بها من الرجس

طيلة أيام السنة ، وحياة الناس في حاجة إلى تربية وتطهير فتهتدي في رمضان وتزكو بالصوم . وهكذا كان رمضان ولا يزال شهرا تزكو فيه الروح ، وتبدو هذه الزكاة في الفرد سلوكا وعبادة وبذلا – وفي الأسرة والجيرة وذوى الرحم برا وتعاطفا – وفي المجتمع تماسكا وتكافلا . فرمضان بهذا شهر المحراب والميدان – هو شهر القرآن الذي جاء مصدقا بكل نبي ورسول وداعيا الى الربط بين الناس برباط الوحدة والتوحيد والمساواة ، كما هو شهر الجهاد والاستشهاد . فقد شهد جانبا من الوقائع الفاصلة بين الاسلام وأعداء الحق والحياة – فقد شهد غزوة بدر وغزوة الفتح – والعودة الظافرة من غزوة تبوك في أضخم جيش قاده الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شهد رمضان معركة عين جالوت وبها تحول مسار الزحف التتاري وارتدت موجته ، واستطاعت جيوش المسلمين أن تصون العروبة والحضارة الاسلامية .

ومن طبيعة رمضان أيضا ان تتجمع فيه ذكريات الماضي واحداث الحاضر وآمال المستقبل بحلوها ومرها ، ببسماتها ودموعها ، ويبدو هذا في أكثر من صورة في حياتنا اليومية .

أثر رمضان على الحياة اليومية

وفي رمضان يزداد الود والتزاور بين الناس ، وتزداد العبادة والتوجه الى الله ويزداد عمار المساجد ويكثر الاقتراب من القرآن الكريم وتتعطر الألسنة بالسيرة النبوية المطهرة وتتشنف الآذان بمسلسلات من تاريخنا الحافل بالأمجاد والدروس .

فتجد الأنفس المؤمنة العزاء في آية من القرآن ، أو عبرة من تاريخ ، وتجد الدمعة الحزينة سكينة يشيعها الشهر الكريم في حياتنا ، ويجد القلب المكدود روحا وريحانا في روضة الدين ، يستعين بها على ان يتابع المسيرة في قوة وفاعلية .

ان هذه الأرادة التي يربيها الصوم طيلة شهره المبارك ، نحتاج إليها دوما في مسيرتنا نحو الازدهار والتقدم .

مرحبا يا خير قادم

فمرحبا بك يا رمضان يا من جعل الله أولك رحمة وأوسطك مغفرة وآخرك عتقا من النار وجعل مسك ختامك ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر واختص أمة الاسلام بك فأنت حين تقبل يا رمضان يقبل معك الخير والبركة والرضا واليقين والطمأنينة وسلامة الروح ورضا النفس ، لك منا شكر المقربين بفضلك ، وتحية الخاشعين لربك الفرحين باستقبالك الراجين من الله أن يروا مطلعك على أمة الاسلام مطلع خير ويمن وإنعام – وسلام الله وبركاته عليك عزيزا بيننا مقيما وراحلا بعد ضيافتك تاركا بيننا أثرا عظيما وسرا مقيما .

دروس من الفتح الأكبر للمسلمين في القرن الخامس عشر الهجري

من انتصارات

تمهيد :

ربى النبي صلوات الله وسلامه عليه من اسلم في مكة تربية اسلامية متكاملة حتى حققوا معنى الاية الكريمة : **(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له)** الانعام/١٦٢ و ١٦٣ وفي الوقت نفسه فاضت كأس قريش ظلما وعدوانا وجحودا بالحق وصدا عن سبيل الله بكل الاساليب حتى التى تنكره عادات العرب في الجاهلية وما بقى من دين ابراهيم عليه السلام في حرمة مكة وحرمة الاعتداء على من سكنها وصدهم عنها من يريد ان يدخلها معتمرا واخيرا نقض العهد والاعتداء بالقتل والمطاردة على خزاعة التى دخلت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ـ وقد اراد الله سبحانه وتعالى ان ينهى هذا الظلم الذي لايريد ان يقف عند حد وأن يدخل رسوله والمسلمين مكة فاتحين وان يطهر بيته من الرجس من الاوثان ومن قول

رمضان

للاستاذ/علي القاضي

الزور وان يعيد الى مكة مكانتها الاولى فتعود مثابة للناس وامنا . ويصبح البيت كما كان مباركا وهدى للعالمين .

لذلك هيأ الله سبحانه وتعالى الاسباب حيث دعت قريش اليها.وذلك ان معاهدة الحديبية كان في احد بنودها ان من دخل في عهد قريش وعقدها دخل فيه ومن دخل في عهد محمد وعقده دخل ، فدخلت بنو بكر عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد النبى عليه الصلاة والسلام ،

واستمر الوضع على هذا سبعة عشر شهرا – ثم بدأت بنو بكر تفكر في الاعتداء على خزاعة أخذا بثأر قديم كان لهم عليها – وكلمت اشراف قريش ان يعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك .

نقض العهد :

خرج نفر من قريش متنكرين : ((خوف ان يبلغ رسول الله انهم نقضوا العهد والهدنة)) واجلسوا معهم ارقاءهم فأغاروا مع بنى بكر

على خزاعة لبلادهم وهم آمنــون. وقتلوا منهم ثلاثة وعشرين وذلك على ماء قريب من مكة يقــال له الوتــير ، وكان عامــة القتلي من النســاء والصبيــــان وضعفـــة الرجال ـ حتى ادخلوهم الحرم .

فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر لنوفل بن معاوية الديلي ـ وكان يومئذ قائدهم يانوفل : انا دخلنا الحرم الهك الهك ـ فقــال كلمــة عظيمة : (لاإله له اليــوم) ثم قال : يابني بكر اصيبــوا ثأركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وهكذا فهم لم يرعوا حرمة البيت ولا حرمة من فيه مع الافحاش في القول حتى مع الله سبحانه وتعالى .

وفد خزاعة في المدينة :

وهال الأمر خزاعة فلم يجدوا بدا من الالتجاء الى النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين رجلا حتى قدم على رسول الله المدينة فوقفوا عليه وهو جالس في المسجــد بــين ظهرانــي اصحابه وانشد ابياتا تدل على مدى تأثره بما اصاب قومه وقد جاء فيها :

ان قريشـــا اخلفــوك الموعدا
ونقضــــوا ميثاقـــك المؤكدا
هم بيتونـــا بالوتـــير هجدا
وقتلونـــا ركعـــا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام : نصرت ياعمرو بن سالم ـ لانصرت ان لم انصر بني كعب ممــا نصرت منــه نفسي ، ومع ذلك فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يستوثق من الخبر ويعذر الى قريش فبعث إليهم رجلا يخيرهم بين احدي ثلاث خلال ـ بــين ان يدفعوا دية قتلى خزاعة ـ او يبرءوا من حلف من تولى كبر هذا النقض او ينبذ اليهم على سواء فأجابه قرطة بن عمرو احد زعماء قريش لكن ننبــذ اليهم على سواء ـ وبذلك برئت ذمة قريش وقامت عليهم الحجة .

عندئذ لم يشك اهل مكة في انهم سوف ينالون جزاء غدرهم فبعثــوا بأبي سفيان الى المدينة عله يستطيع ان يفعل شيئا لقريش عن طريــق الاعتذار او تجديد المعاهدة ومدها لكن الامر كان اخطر من ذلك بكثير ـ فماضيهــم مملــوء بالشر والظلــم وحاضرهم مملوء بالقتل والطغيان ـ ولذلك فلن يرجى منهم خير في المستقبل فلتطو هذه الصفحة وليفتح الله مكة على المؤمنين ولنفتح صفحة جديدة في تاريخ الاسلام والمسلمين . ولذلك فقد عاد ابو سفيان بخفى حنين .

الاستعداد لفتح مكة :

حين عزم النبي عليــه الصــلاة والسلام على فتح مكة ارسل الى اهل البادية والى من حوله من المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية حتى قدموا .

في اليوم العاشر من رمضان خرج النبي عليه الصلاة والسلام من المدينة قاصدا مكة بعد ان استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وقد انضم اليه في الطريق الكثير من القبائل فبلغ عدد الرجال عشرة آلاف .

هذا القائد العظيم الذي يقود عشرة

آلاف جندى وهو ذاهب لفتح مكة يلفت نظره بعد مسيرة يوم من العرج كلبة تهر على اولادها وهن حولها يرضعن فيأمر جعيل بن سراقة ان يقوم حذاءها لا يعترض لها احد من الجيش ولا لاولادها. انه النبي الذي ارسله الله رحمة للعالمين فتعم رحمته الانس والحيوان والجماد .

وواصل النبي عليه الصلاة والسلام الصيام حتى وصل بئر الكديد في وضح النهار ـ فخشي النبي عليه الصلاة والسلام ان يشق العطش والتعب الشديد على جنوده فيعيقهم عن اداء مهمتهم ـ فدعا باناء به ماء واشرف على الناس من فوق ناقته العالية وشرب جرعة على مشهد من الجند ليريهم ان الافضل الافطار في مثل هذه الظروف ـ ثم بلغه ان قوما استمروا في صيامهم فقال عليه الصلاة والسلام : اولئك هم العصاة وبين السبب في ذلك فقال : انكم مصبحو عدوكم والفطر اقوى لكم .

لقد افطر النبي عليه الصلاة والسلام ليكون قدوة للمسلمين في ذلك ـ ففي وقت الحرب يصبح الافطار عبادة اكثر من الصيام ـ فلما بلغه ان بعض المسلمين لم يقتد به وهم مقدمون على معركة ـ بين لهم انهم عصاة بصومهم لانهم لن يتمكنوا من اداء واجبهم القتالي وهم صيام .

وحث الرسول عليه الصلاة والسلام جنده على الاسراع في السير ، فوصل الى مر الظهران على ابواب مكة قبل أن يعرف القرشيون شيئا عن قوة المسلمين وعن اخبار سيرهم .

دخول مسالم :

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصا على ان يدخل مكة بغير قتال ووضع الخطة على هذا الاساس وامر اصحابه ان يتفرقوا في مداخل مكة فلا يدخلوها من مدخل واحد وبذلك يفوتون فرصة القتال على اهل مكة لو ارادوا ذلك ـ اذ انهم مضطرون حينئذ الى تشتيت جماعاتهم وتشتيت قواهم في جهات مكة فتضعف بذلك المقاومة ومغرياتها ـ وبذلك تحقن الدماء وتحفظ السلامة والامن في البلد الحرام ـ ومن اجل هذا امر الا يقاتل المسلمون الا من قاتلهم واعلن ان من اغلق عليه داره فهو آمن ، وقد اسند الى الزبير بن العوام دخول مكة من طريق « كدى » وهو جبل بأسفل مكة . والى خالد بن الوليد مهمة دخول مكة من اسفلها . والى ابي عبيدة مهمة دخول مكة من طريق الضواحى الشرقية . والى سعد بن عبادة مهمة دخول مكة من طريق كداء وهو جبل بأعلى مكة .

وقد اخذت نشوة الموقف سعد بن عبادة فقال : اليوم يوم الملحمة اليوم اذل الله قريشا وحين بلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : كذب سعد ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم اعز الله قريشا ـ وامر بنزع الراية من سعد واعطائها لابنه قيس .

ودخل المسلمون من كل جانب ولم

يلقوا مقاومة ـ اللهم الا خالد بن الوليد الذي استقبله وابل من السهام وقع على جنده فأصاب الكثير منهم ـ وكان ذلك من عمل صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل اللذين دبـرا الكمين وراء صخور جبل خندمة ـ فهجم خالد برجاله على المكان الذي تحصن فيه الاعداء فبث فيهم الرعب وشتت شملهم وقتل منهم اثنى عشر ـ ثم انهزموا فدخل حماس بن قيس على امرأته ـ وكان حماس قد اعد سلاحا لقتال المسلمين فقالت له امرأتـه : والله ما أراه يقوم لمحمد واصحابه شيء قال : والله اني لارجو ان اخدمك بعضهم ـ فقال حماس اغلقي علي بابى فقالت له : واين ما كنت تقول ؟ فأنشد :

انك لو شهـدت يوم الخندمه
اذ فر صفـوان وفـر عكرمه
وابـو يزيـد قائـم كالموتمه
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعـد وجمجمه
ضربا فلا يسمـع الا غمغمه
لهـم نهيـت خلفنـا وهمهمه
لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه

ووصـل النبـي عليـه الصـلاة والسلام الى جبل الحجون فرأى لمعان السيوف والرماح ـ فغضب وبعث الى خالد بن الوليد برجل من الانصار ـ فلما جاء خالد عنفه على ان قاتل وقد نهاه عن ذلك نهيا شديدا فأجابـه خالد : انهم يارسول اللـه بدءونا بالقتال ورمونا بالنبال ووضعوا فينا السلاح وقد كففـت ما استطعـت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا فقاتلتهم واظفرنا الله عليهم فهربوا من كل وجه فقال عليه الصلاة والسلام : قضى الله امرا .

ازالة آثار الجاهلية :

وبعـد ان هدأ الموقـف ودخـل المسلمون الى مكة اعتجر الرسول عليه الصـلاة والسـلام عمامـة سوداء ووشاحا مخططا على رأسه ، وترك طرفاه ترفل بين كتفيه ثم يمم شطر الكعبة للطـواف مبتدئـا بالحجـر الاسود ، ثم نزل عند راحلة ليغشى البيت ولكنه تراجع اذ ابصر بالاصنام التى تحيط بالكعبة ، وصاح امام لوحة تصور ابراهيم عليه السـلام ممسكا بالازلام : ((قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسـم بالازلام ـ والله ان استقسم بها قط)) وامـر بالصور فمحيت .

واتجـه الى الاصنـام المحيطـة بالحرم وكان عددها ثلاثمائة وستين فبدأ بالصنم الاكبر هبل وجعل يضرب في عينيه قائلا : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ فخر الصنم لوجهه مهشما وجعل الرسول عليـه الصـلاة والسـلام يطـوف بالاصنام فيهشمها واحـدا واحـدا حتى لم يبق قائم الا صنم بني خزاعة المصنوع من نحاس وصدف وكان منصوبا على سطح الحـرم فقـال الرسول عليه الصلاة والسلام لعلي : اجلس فجلس علي فصعد رسول الله على منكبيه ـ ثم قال له انهض فأحس علي بحمل فوق طاقة البشر فلم يستطع فنزل ورفع النبـي عليـه الصـلاة

والسلام عليا قال علي : فلما نهض بي وصعدت فوق ظهر الكعبة خيل الى حين نهض بي « صعد » اني لو شئت لنلت فوق السماء ــ وكان الصنم مؤيدا بأوتاد من حديد وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ــ فتمكنت من الصنم فقذفته فتكسر ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام سراياه الى الاوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره وبعث رجلا من اصحابه الى القبائل فهدموا اصنامها .

يالله لقد كانت هذه الحجارة منذ هنيهة آلهة مقدسة ولكنها الان انقاض بعد ان هدمها نبي التوحيد . الذي دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله ــ ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينظرون ماذا يصنع بهم ؟ فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال : لااله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده .

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام :

توجه اهل مكة في اليوم التالي الى الصفا حيث دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام ليأخذ عليهم العهد والميثاق ــ ومما يلفت النظر ان اهل مكة لم تكن تبدو عليهم امارات الخزى التى تبدو عادة على المنهزمين ــ فقد اطمأنوا الى النبي عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة بأنه رؤوف رحيم ــ واستمعوا الى خطبته التى قال فيها : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وحزم الاحزاب وحده ــ الا وان كل ثائرة او مال او دم فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطآ شبه العمد السوط والعصا فيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطون امهاتها ثم قال : يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بآبائها ــ الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية : **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ الا وان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله لم تحل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد كان بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار ــ الا لاينفر صيدها ولا يعضد (يقطع) عضاهها (شجر له شوك) ولا تحل لقيطتها الا لمنشد ولا يختلى خلاها (يقطع حشيشها) فقال العباس : الا الاذخر يارسول الله فانه لابد منه للقبور وظهور البيوت فسكت ساعة ثم قال : الا الاذخر فانه حلال .

ولا وصية لوارث وان الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ولا يحل لامرأة تعطى من مال زوجها الا باذن زوجها ــ والمسلم اخو المسلم ، والمسلمون اخوة ، والمسلمون يد على من سواهم ، تتكافأ دماؤهم ويرد

عليهم اقصاهم ويعقد عليهم ادناهم .

ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح امرأة على عمتها او خالتها والبينة على من ادعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث الا مع ذي رحم محرم .

ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاني اقول لكم كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء ثم قال : اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال : هذا مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء وجاء الظهر :

فأمر بلالا ان يصعد فوق الكعبة فيؤذن ــ وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد تغيرت وجوههم وتعبوا وتغيبوا خوف ان يقتلوا ــ فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد مايكون وقال : اشهد ان محمدا رسول الله قالت جويرة بنت ابي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك اما الصلاة فسنصلى ــ والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا ــ وقال خالد بن الاسيد : الحمد لله الذي اكرم ابى فلم يسمع هذا اليوم وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم قبل ان اسمع بلالا ينهق فوق الكعبة . وقال الحكم بن ابي العاص : هذا والله لحدث العظيم ان يصبح عبد بني جمح على بنية ابي طلحة . وقال سهيل بن عمرو : ان كان هذا سخطا لله فسيغيره وان كان لله فيه رضا فسيقره وقال ابو سفيان بن حرب : أما انا فلا اقول شيئا لو قلت شيئا لاخبرته هذه الحصباء ــ فأتي جبريل عليه السلام فأخبره خبرهم .

ثم دخل دار ام هانيء فاغتسل وصلى صلاة الفتح ثماني ركعات وكان أمراء المسلمين من بعده يقتدون به في ذلك فاذا فتحوا بلدا صلوا هذه الصلاة ــ ثم لبس السلاح ومغفرا من حديد ثم ركب القصواء ومر وابو بكر معه على الناس وعبد الله بن ام مكتوم بين يديه يقول :

ياحبــذا مكة من وادى
ارض بهــا اهلي وعوادي
ارض بهــا انسي بلا هادي
ارض بهـا ترســخ اوتادي

حتى انتهي الى الكعبة فتقدم على راحلته فاستلم الركن وكبر فكبــر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة ، فأشار اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبل ينظرون ، ثم طاف ومحمد ابن مسلمة آخذ بزمامها .

ثم اجتمعت قريش لمبايعته فجلس علي الصفا وجلس عمر بن الخطاب اسفل مجلسه يأخذ على النــاس فيبايعون على السمع والطاعة للــه ولرسوله فيما استطاعوا ــ ثم قال : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .

غسل الكعبة :

ثم تجرد رجال من الازد ثم اخذوا الدلو فغسلوا الكعبة وبطنها حتــى انبعج الوادي بالماء فلم يدعوا فيه صورة ولا اثرا من آثار المشركين الا محوه وكان عليه الصلاة والسلام لما جلس ناحية من المسجد توضأ بسجل من زمزم قريبا من المقام والمسلمون

يبادرون وضوءه يضعونه على وجوههم ــ والمشركون يومئذ متعجبون ويقولون : ما رأينا ملكا قط يبلغ هذا ولا شبيها به !

أثر فتح مكة :

كان لفتح مكة اثر عميق في نفوس العرب فشرح الله صدر كثير منهم للاسلام وصاروا يدخلون فيه افواجا ــ وكانت عدة قبائل بينها وبين قريش حلف وكانت ممتنعة عن الدخول في الاسلام لمكانة هذا الحلف وكانت قبائل ترهب قريشا وتجلها فلما رأتهم استسلموا للاسلام ورغبوا فيه زال الحاجز وكانت قبائل تعتبر مكة لايفتحها احد ولا يدخلها ملك جبار او من يريد لها سوءا الا اهلك ــ ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل وشاهد مافعل بأبرهة فيقولون اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما فتح الله مكة لنبيه ــ خضعت قريش للاسلام طوعا او كرها واقبل العربي على الاسلام اقبالا لم يعرف قبل ذلك وصاروا يدخلون في دين الله افواجا وصدق الله العظيم القائل : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر .

الانصار يخافون :

ظن الانصار الذين آووا الرسول عليه السلام ونصروه ان مهمتهم قد انتهت وقالوا : فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام وهى بلده وموطنه ــ جال ذلك في نفوسهم وتحدثوا به فيما بينهم ثم قالوا : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده ان يقيم فيها ؟ فلما تم فتح مكة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم « وفي مكان آخر يقول : لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار » .

لقد اقام النبي عليه الصلاة والسلام نحو التسعة عشر يوما في مكة ومع ذلك فقد اعتبر نفسه غريبا مسافرا وكان يقصر من الصلاة وكان يقول بعد تمام الركعتين : يأاهل البلد صلوا اربعا فإنا سفر » .

وامر الرسول عليه الصلاة والسلام على مكة قبل ان يغادرها عتاب بن اسيد يدبر امورها ويقيم الموسم والحج بالمسلمين وسنه عشرون سنة بمحضر من اهل الاسنان والفضل ــ فدل ذلك على ان المناصب تقوم على الجدارة والقوة ــ لا على العلم او السن او الجاه او المال ولم ينكر احد من الصحابة هذا العمل .

خاتمة :

بالامس خرج النبي عليه الصلاة والسلام من موطنه واحب بلاد الله اليه ــ من مكة مستخفيا في بطون الجبال والوديان مهاجرا الى يثرب وقد سبقه الى الهجرة اليها ولحق به اصحابه وهم قلة مستضعفة ــ

خرجوا متسللين فارين بدينهم تاركين المال والاهل والوطن ــ نعم كان ذلك بالامس .

اما اليوم فها هم اولاء يعودون الى وطنهم واهلهم ومالهم ، وقد كثروا من قلة وتقووا بعدضعف ، واستقبلهم اولئك الذين اخرجوهم بالامس خاشعين اذلاء خاضعين خائفين .

وبلال العبد الحبشي الذي طالما عذب في رمضاء مكة على ايدى المشركين ، يصعد اليوم على الكعبة المشرفة ينادى باعلى صوته : الله اكبر . الله اكبر .

نعم بالامس كان يهمس وهو تحت اسواط العذاب احد أحد ــ واليوم يجلجل فوق بيت الله الحرام : لااله الا الله محمد رسول الله والكل خاشع ومنصت .

وبعد انتصار المسلمين وفتح مكة القى الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطبة ــ ترى ما الذي يشغل بال هذا الفاتح العظيم وما الذي يقوله في هذه الخطبة ــ نعم انه الفاتح العظيم ولكنه ايضا رسول الله صاحب الرسالة ولا يشغل باله شيء الا اداء هذه الرسالة وحتى وقت الفتح الاكبر لم يشعر بشيء من الزهو او الغرور بل انه هو محمد رسول الله ، يلقى خطبة يضع فيها الاسس الاسلامية في العقيدة والتشريع والاخلاق التى يحتاج اليها الناس في جميع العصور وفي جميع البلاد ــ ولم يحدث في التاريخ البشري ان خطب فاتح مثل هذه الخطبة التى تخلو من التعاظم والتى تضع اسس المجتمع السليم ــ ولكنه محمد رسول الله الذي ارسله الله تعالى لانقاذ البشرية واخراجها من الظلمات الى النور .

ان محمدا صلوات الله عليه دخل مكة دخول الرسول الذي يريد ان يفتح القلوب لنور الايمان ــ فهو ليس ملكا يبغى شهرة ، ولا طاغية يبغى سيطرة ــ لقد ارسله الله رحمة للعالمين ومن هنا فلم يكن في مشاعره الا المودة ولم يكن في الفاظه الا الرقة .

دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة دخول خاشع متواضع لا دخول فاتح متعال ــ دخل خافضا رأسه تواضعا لله حين رأى ما اكرمه الله به من الفتح ، حتى ان ذقنه لتكاد تمس واسطة الرحل ــ دخل مكة وهو يقرأ سورة الفتح ــ وفي دخوله مكة فاتحا ــ وهي قلب الجزيرة العربية ومركزها الروحي والسياسي رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة والتواضع والخضوع .

او ليس مما يلفت النظر ان يردف خلفه اسامة بن زيد وهو ابن مولاه ــ ولم يردف احدا من أبناء هاشم او اشراف قريش .

انها العبودية المطلقة لله تعالى في السراء والضراء .

وما اشد حاجتنا في بداية القرن الخامس عشر الى ان ندرس هذه الغزوة دراسة واعية لنأخذ عنها الدروس التى تفيدنا في مستقبلنا نحو الدعوة الى الله تعالى لننقذ انفسنا مما نحن فيه وننقذ هذا العالم المضطرب الحائر .

ليلة القدر وبداية التبليغ

للاستاذ
محمد نعيم عكاشة

نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** العلق/١ ، ثم جاء رمضان فأمر الله رسوله الأمين بتبليغ رسالة القرآن إلى الناس : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر)** المدثر/ ١ و٢ .

والقدر هو الشرف العظيم .. يقول أبو بكر الوراق : سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، وعلى لسان ملك ذى قدر ، وعلى رسول ذى قدر ، وعلى أمة ذات قدر ، وكما وصف الله هذه الليلة بالقدر والشرف ، وصفها بالبركة في قوله تعالى : **(حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين)** الدخان/١ – ٣ .

ويقول الزمخشري في كتابه عند تفسير قوله تعالى : **(ليلة القدر خير من ألف شهر)** القدر/٣ ، ان سبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية هو ما يوجد فيها من المصالح الدينية : من تفصيل كل أمر حكيم ، وتبيين الطريق المستقيم .

ويقول الامام الشيخ محمد عبده (والقدر) إما تقدير الأمور وقضاؤها وإما العظمة والشرف ،

وكلا المعنيين مراد ومقصود ، وبهما سميت ليلة القدر : أما على معنى التقدير فهي الليلة التي ابتدأ الله فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ، وأما معنى العظمة والشرف فذلك لأن الله لانزاله القرآن فيها ليبلغ الناس رسالة هادية ، قد أعلى من منزلة رسوله وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأعلى منزلة الانسانية حيث أنقذها ــ ببزوغ أول شعلة إلهية ــ من ظلمات الجهل والوثنية . قال تعالى : **(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** الأنعام/١٢٢ .

فلا عجب في تعبير القرآن الكريم عن فضل هذه الليلة بأنها : **(خير من ألف شهر)** فان ليلة هدى ونور ، خير من دهر يمضي في ظلام وضلال ، فليست قيمة الأيام بساعاتها ، ولا قدر الليالي بطولها وعددها ، وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر ، وسعادة للناس ..

الاختلاف في تعيين الليلة

وقد اختلفت الروايات في تعيين هذه الليلة إلى ثلاثة وعشرين قولا ، وأرجحها أنها في رمضان ، وفي العشر الأواخر منه ، وفي الأوتار من تلك الأواخر .. ومن الأقوال التي ذكرت في هذا الشأن :

قال ابن اسحاق : إنها كانت ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى : **(إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)** الأنفال/٤١ ، لأن المراد بيوم التقاء الجمعين يوم التقاء المسلمين مع المشركين في غزوة بدر وكان يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية من الهجرة فكان يوم الفرقان ، وهو أول يوم نزل فيه القرآن في رمضان قد وافق يوم التقاء الجمعين ، وإن كان بينهما زمان طويل فهما متحدان في الوصف « وهو انهما يوافقان الجمعة ١٧ رمضان » وإن لم يتحدا في الزمن ــ

وقال البيروني : ليلة السابع والعشرين من رمضان تسمى ليلة القدر وهو اتفاق من العوام لأنها مجهولة وقيل اطلبوها ليلة السابع عشر وليلة التاسع عشر فان فيها وقعة بدر وفتح مكة ، ونزول الملائكة امدادا مسومين ، وعسى ان يكون هذا صحيحا فان الله يقول : **(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر)** القدر/٤ و ٥ .

وفي حديث عبدالله بن أنيس الجهني أنه قال لرسول الله : « إني رجل ضرير البصر شاسع الدار فمرني ليلة أنزل فيها فقال له الرسول : انزل ليلة ثلاث وعشرين » رواه ابو داود .

وذكر ابن حجر في فتح الباري عن ابن عباس ان عمر دعا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على انها في العشر الأواخر من رمضان ،

وهذه العشر هي التي كان الرسول يخص أيامها ولياليها بمزيد من التعبد لله تعالى والتقرب اليه بملازمة الاعتكاف فيها .

وفي البخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيى ليله ، وأيقظ أهله ، وفي الترمذي عنها : كان النبي يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها . وعنها كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى .

وحديث ابن عمر عن ليلة القدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

قال القرطبي : والذي عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين ، لحديث أبي ابن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليلة القدر ليلة سبع وعشرين .. ولحديث زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب ان أخاك عبدالله بن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يغفر الله لأبي عبدالرحمن ، لقد علم انها في العشر الأواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه اراد الا يتكل الناس ثم حلف ابي لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين .

قال ابن حبيش بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر قال بالعلامة التي اخبرنا رسول الله ان شمسها تطلع يومئذ لا شعاع لها .

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان » .

ويؤخذ من مجموع الأحاديث التي أوردناها ان ليلة القدر في الغالب الأعم تتكرر كل عام وتكون في العشر الأواخر من رمضان متنقلة في أوتارها .. قال ابن حجر : وأرجحها كلها انها في وتر من العشر الأخيرة ، وأنها تنتقل وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين ، وعند جمهور العلماء ليلة سبع وعشرين .

إخفاؤها .. لماذا ؟:

وفي إخفاء هذه الليلة وعدم تعيينها أسرار ولطف من الحكيم الخبير .. وقد ذكر ان الحكمة في ذلك : ان يجتهد من يطلبها في العبادة ، وان يتوفر في جميع الليالي على الطاعة وكثرة الأدعية ، وهو ما كان يفعله السلف الصالح .

وقال الفخر الرازي في تفسيره : « وأخفاها تعالى كما أخفى سائر الأشياء فانه أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغب عباده في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليتحرزوا عن الكل ، وأخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان ، فان العبد إذا لم يتيقن أي ليلة هي ، فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجاء أنه ربما

كانت هذه الليلة هي ليلة القدر .

فضل الليلة ..:

وردت جملة أحاديث في فضل هذه الليلة : من ذلك ما رواه إمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري ، فانه عقد بابا خاصا في فضل ليلة القدر ، وروى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .. إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على فضل تلك الليلة ، لأنها وضعت حدا بين الضلالة والهداية ، وفيها ارسل النبي – صلى الله عليه وسلم – الى الناس كافة .

وقال الشعبي : المراد من نحو : (أنزلناه) و (أنزل فيه القرآن) الابتداء بانزاله خصوصا والقرآن كله والجملة منه وان قصرت كل ذلك يسمى قرآنا ، ويسمى كتابا . والمراد بانزاله : الابتداء بانزال شئ منه ، وهو المعنى من قوله : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة/ ١٨٥ . أي ابتدئ فيه بانزاله . وتنص هذه السورة على ان الانزال حصل ليلا لا نهارا ، وان هذه الليلة تسمى ليلة القدر ، ووصفت آية الدخان بالليلة المباركة ، وفيها يفرق كل أمر حكيم ، أي يفصل فيها كل حكم من أحكام الدين ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فرق بين الحق والباطل ، وبين للناس مصالح حياتهم الدنيوية والأخروية .

وقال ابو بكر بن العربي : لو لم يكن من شرفها الا انزال القرآن فيها لكفى .. قال تعالى : **(إنا إنزلناه في ليلة القدر)** القدر /١ ، اي ليلة الشرف الرفيع ، والفضل الخطير ، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

وقال العلماء : يلقى الله فيها إلى الملائكة ما قضاه على خلقه في العام ثم ينزله في الأرض عند حدوث أسبابه ومناسباته ، وفيها تتنزل الملائكة إلى السموات والروح فيها إلى الارض يستغفرون للمؤمنين ، فمعنى (يفرق كل أمر حكيم) يفصل ويبين كل أمر مشتمل على الحكمة وموافق للصواب ، وينسخ فيها من أم الكتاب ما يكون في مدى أيام السنة من رزق وأجل وموت وحياة ، وسلم وحرب ، وفرح وحزن وسعادة وشقاوة ، وكل ما هو كائن من الأحداث التي دونت وقائعها في أم الكتاب ، فليلة القدر هي الليلة التي تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها ، وليس المراد من تقدير هذه الأشياء في ليلة القدر بدء تقديرها وانشاء تحديد مواقيتها ، وضبط شؤونها واحوالها فان ذلك أزلى سبق به علم الله وارادته منذ القدم ، وانما معنى ذلك اظهار هذه الأمور للملائكة ، وإطلاعهم عليها ، وكشفها لهم ليضبطوها في صحفهم ،

ويقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك ..

وقيل ان الملائكة تكون في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى ، وان الله يقبل التوبة فيها من كل تائب ، وانه تفتح فيها أبواب السماء ، وأنها من غروب الشمس إلى طلوعها . وروى ان جبريل ينزل إلى الأرض ومعه كثير من الملائكة فيركزون ألويتهم في أربعة مواطن عند الكعبة ، وعند قبر الرسول ، وعند مسجد بيت المقدس ، وعند مسجد طور سيناء ، ثم يتفرقون : فلا يبقى دار ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة الا دخلته الملائكة ويسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله فيها : انها (**خير من ألف شهر**) قال العلماء معناه أن ثواب العمل فيها أفضل وأعظم من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

قال الامام مالك في الموطأ : سمعت من أثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خيرا من ألف شهر .. انتهى ..

الاحتفال المشروع بليلة القدر :

وقد جرت عادة الناس على تحرى ليلة القدر والاحتفال بها في السابع والعشرين من رمضان وهذا امر حسن الا ان البعض يخرج عن الصورة المشروعة للاحتفال ويجرى وراء خيالات واسعة غير مقبولة ، شرعا .. فأحياء الليلة لا يكون إلا بالاجتهاد في الطاعة والاكثار من التهجد والتعبد والضراعة ومضاعفة الاحسان والبر وكثرة الصدقات وقراءة القرآن ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

ويقول الامام الشيخ محمد عبده : « هي ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين . وان مثل هذه المواسم انما ندب الدين اليها لتتخذ موسم ذكرى .. ذكرى لنعم الله وحساب النفس على مبلغ ما أدت من الشكر على هذه النعم ، ومقدار قربها أو بعدها عن هذا الدين ، فهي بمثابة احياء للقلوب ، واذكاء للاخلاص ، وحث على التوبة ، ورجوع إلى الله في التمسك بدينه والتأدب بأوامره ، والكف عن نواهيه ، حتى تزداد عليهم نعمه ، وتتوارد عليهم آلاؤه ، وينعموا برضاه ويفوزوا بمحبته : (**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**) ابراهيم/٧ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، اني علمت ليلة القدر بماذا أدعو فيها ؟ فقال قولي « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » رواه الترمذي واحمد .

المسلمون

في بداية القرن الخامس عشر الهجري

قوة الاسلام : وقوة المسلمين

يأتي القرن الخامس عشر الهجري ، وعالمنا الاسلامي والعربي يموج بتيارات من القلاقل والفتن والاضطرابات ، وبلغت الخطورة في محنته الى درجة أثخنته الأحداث الدامية بالجراح ، من كثرة السهام الموجهة تارة الى عروبته وتارة موجهة الى اسلامه من أعدائه أحيانا ومن أبنائه المفتونين والمخدوعين أحيانا أخرى ، بصورة تبعث الأسى في نفس كل مسلم غيور على الاسلام ، وتهز كل عربي مشفق على العروبة ، وتمزق قلب كل انسان ينتمي الى دين الحنيفية السمحاء .

والمحن التي يتعرض لها عالمنا الاسلامي والعربي . كانت ستهون ، وتقل خطورتها ، لو أنها تتصل بفرد ، أو جماعة من الجماعات ، ولكن الخطورة كل الخطورة ـ هنا ، أنها تتصل بكيان الاسلام ، وتتعلق بمستقبل هذا الدين الذي بشر به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، والذي جاهد هو وأصحابه الكرام من أجل إرساء قواعده ، وتثبيت أركانه والذي ارتضاه الله لعباده ، ليكون دينا عاما ، وأبديا ، للبشر .

ومن الحقائق المسلم بها ، أن الاسلام لا يقوم وحده ، بل لا بد من قوى تتمثل في المسلمين ، فالمسلمون اذا اتحدوا ، وتماسكوا وتمسكـــوا بالاسلام ، إستطاعوا بقوتهم التي أعطاها لهم الاسلام ، أن يؤلفوا قوة مرهوبة الجانب شامخة البنيان ، قوية الأصداء .

اذن فهناك قوتان قوة الاسلام التي لا بد من قيامها بتكتل المجتمع الاسلامي وقوة المسلمين الذين يستمدون عناصر قوتهم من الاسلام .

ومن هنا فان أعداء الاسلام يركـــزون اهتمامهم على هذين الجناحين ، انهم يركزون اهتمامهم على امرين ، الاول : القضاء على المسلمين ، وتدمير تكتلهم ، الثاني : اذا تحقق لهم ذلك أمكنهم صرف المسلمين عن دينهم القويم ، لأنهم

وقضاياهم

للاستاذ/
سعد صادق محمد

يعلمون أن قوة المسلمين في دينهم ، فهم اذا تمسكوا بدينهم ، وعضوا عليه بالنواجذ ، وضعوا أقدامهم على طريق الخير والقوة والفلاح ، كما فعل سلفهم الصالح ، وكانوا سادة العالم في عصورهم الذهبية الماضية ، وشهد الله لهم بأنهم : **(خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/ ١١٠

الارساليات التبشيرية :

والمتآمرون على الاسلام ، لكـي يتحقق لهم ما يريدون ، استخدموا في نطاق أنشطتهم المعادية — الارساليات التبشيرية ، والمدارس .

فمنذ أكثر من نصف قرن من الزمن ، بعث أعداء الاسلام ، الارساليات التبشيرية « الى انحاء **العـالم** الاسلامي في آسيا وأفريقيا » للتبشير هناك ، وخاصة في المناطق الفقيرة لمحاولة استغلال حاجة الفقراء المسلمين ، لاغرائهم ، وتحويل أفكارهم ، ومعتقداتهم .

ومن خلال هذه المدارس ، قامت الارساليات التبشيرية بنشاطات كبيرة لتحقيق أغراضهم المعادية للاسلام . فهي تقوم بنشر التعليم الأجنبي في أوساط أبناء المسلمين ، في مدارسها وجامعاتها ، لقتل اللغة العربية في نفس المسلم وهي لغة القرآن والعروبة — كما يحدث الآن في أندونسيا والهند والشام .

ومن خلال هذه المـدارس أيضا يقوم المبشرون بهدم مفهوم العقيدة في المسلمين ، واخراج المسلم من دينه ، ليس بتحويله الى دين آخر ، ولكن بتشكيكـه في دينه ، وفي معتقدات اسلامه ، وبذلك يسهل عليه اعتناق المـذاهب الهدامة مثل الالحاد والماركسية .

وأعداء الاسلام لم يكتفوا بتغيير مفاهيم وفكر الشباب المسلم ، بل امتدت أيديهم اليه ، فصدروا له كل مايقضي على روحه الشرقية ، وسماته الاسلامية ، فدفعوه الى تقليد شباب الغرب في التخنث ، فأطال شعره وسوالفه ، ولبس الضيق والمشجر من الثياب ، وقلد شباب الغرب المتحلل « الخنافس » في انحرافه وحاكاه في

حياة اللهو والميوعة ، فأخرجوه بذلك عن تقاليده وعاداته الطيبة ، وقضوا على شخصيته الاسلامية ، وأماتوا فيه روح الرجولة وخشونتها وجديتها .

كذلك امتدت أيديهم الى البنت المسلمة ، فدفعوها هي الأخرى الى سلوك طريق سيىء منحرف ، فقلدت الرجال واختلطت بهم في الكليات ، وفي أماكن التجمعات الأخرى .

كما عملوا على إحياء العصبيات ، وتشجيع الأقليات والقوميات ، كما نرى في لبنان ، وايران ، والعراق ، ومصر وشمال افريقيا ، وغيرها من البلاد ، لقتل تكتل العرب والمسلمين ، واماتته ، أو على الأقل .. اضعاف وحدتهم ، لكي لا تقوم لهم قائمة قوية .

اسرائيل .. والعالم الاسلامي :

واسرائيل التي أوجدها المتآمرون ضد العروبة ، مازالت تحتل أرض الاسلام والنبوات منذ وعد بلفور المشئوم ، والذي كان في نوفمبر عام ١٩١٧ .. لقد اقتطع المتآمرون على الاسلام هذا الجزء العزيز من أرض العرب وأعطوه لليهود ليقيموا عليه دولتهم ، وقد زعم اليهود أن فلسطين هي « أرض الميعاد » فقاموا بطرد سكان فلسطين من أرضهم . طردوا بعض النساء والأطفال والشيوخ وقتلوا البعض الآخر ، كما قتلوا شباب فلسطين ورجالها في المذابح المشهودة والتي سجلها التاريخ في صفحاته ، كذلك اعتدى اليهود على المسجد الأقصى ، وأحرقوا منبره ومحرابه في ٨ جمادي الآخرة ١٣٨٩ هـ ــ ٢١ أغسطس ١٩٦٩ .

وفي سلسلة اعتداءاتهم امتدت أطماعهم الى القدس العربية « تاريخا ، وأرضا ، وسكانا » وادعت انها أرض آبائهم ، وقررت جعلها عاصمة لاسرائيل ، وامعانا في العدوان والكيد والصلف ، راوغت المفاوض المصري في عدم اعادة الأرض لاهلها ، وجعل الحكم الذاتي قاصرا على الاشخاص فقط ، دون الأرض مما يكشف عن أخلاقياتها ، لتدلل اسرائيل بذلك على أن اسرائيل التي كانت في عهد نبي الله موسى عليه السلام . هي نفس اسرائيل التي اغتصبت فلسطين عام ١٩٤٨ . وهي نفس اسرائيل التي وقعت اتفاقية كامب ديفيد مع مصر . وهي نفس اسرائيل الى أن تقوم الساعة ، فهم لا عهد لهم ولا أمان .

وعلى جبهة أخرى غير فلسطين والقدس ، ترى اعتداءات اسرائيل المتكررة على جنوب لبنان للقضاء على المقاومة الفلسطينية المكافحة لاسترداد أرضها ، وكيانها ، وتاريخها ، ويحدث هذا رغم صيحات واستنكار العالم ضد اسرائيل وغير ذلك من الفتن والقلاقل التي تحدثها الحركات اليهودية العالمية ضد الاسلام والعرب .

قضايا المسلمين في افريقيا . وآسيا :

وهناك دول في افريقيا وآسيا لها قضايا مريرة تعيش فيها . وهي قضايا تتصل بحق الحياة ،

والحرية ، والعقيدة ، والدين .

فدولة تشاد الافريقية يبلغ سكانها ٤ ملايين نسمة يشكل المسلمون من هذا العدد ٩٠٪ ، والعشرة الباقية من عناصر صليبية ، ووثنية ، ومنهم الحاكم ، ويجاهد شعب تشاد لينال حقوقه السياسية والاجتماعية والدينية ، ولكنه يجد قهرا من السلطة الحاكمة ، تؤازرها فرنسا ، ويحتاج الى عون من اخوانه في الاسلام .

وأرتيريا المسلمة في محنة . فهي تكافح ضد أثيوبيا الصليبية ، ومازال السفاح منجستو يعلن الحرب ضد هذا الشعب المسلم ، ويرغمه على الاستسلام ، ويتلقى المساعدات من روسيا وكوبا للقضاء على مقاومة شعب ارتيريا ، في الوقت الذي لا يتلقى فيه هذا الشعب المناضل الا المساعدات اليسيرة جدا من بعض الهيئات والحكومات الاسلامية .

والى عهد قريب كانت حرب الجزائر مع المغرب ، بسبب أراضي الصحراء المغربية التي انسحبت منها موريتانيا .

ودولة بورما تضم بين سكانها أقلية اسلامية ، وتعاني هذه الأقلية ألوانا من العسف والاضطهاد من حكومة بورما البوذية ، وكثيرا من الارهاب والحصار ، كما تسخر حكومة بورما ، المبشرين المسيحيين لتغيير عقائد المسلمين هناك ، ويحدث هذا من حكومة بورما الطاغية دون أن تجد من يردعها عما تقترفه يدها من جرائم ضد الشعب المسلم البريء ، وحتى بعض صحفنا الاسلامية ، لم تتحرك لتكتب عن هذا الشعب المناضل .

والأقليات المسلمة في الفليبين حيث يعيش هناك أكثر من ٨ ملايين مسلم في الجنوب ، يتعرضون لحرب الابادة ، وهم رغم عمليات القهر والبطش والقتل والتعذيب صامدون صابرون ، لا يتحولون عن عقيدتهم ، ويجاهدون ضد قوات الحكومة بالسلاح ، وباصدار النشرات عن ثورتهم ، وعن كفاحهم ، وهم يتطلعون الى مساعدة اخوانهم في الاسلام والعروبة لمواجهة الارهاب والبطش ، وكذلك الأقليات المسلمة في تايلاند ، وكامبوديا ، والصين ، وبلغاريا يعانون نفس المعاملة القاسية في بلادهم من تعنت وارهاق الحكومات الصليبية لهم .

الشيوعية تغزو أرض المسلمين :

وهناك دول اسلامية تدور في فلك الشيوعية وسلمت مقاليد أمورها الى هذا المذهب وقد صار حكامها عملاء للشيوعية كما تحدث فيها صراعات داخلية على السلطة لحساب الشيوعية ، بدليل أن روسيا تسرع الى الاعتراف بها .

ثم رأينا كيف سقطت أخيرا أفغانستان المسلمة في يد الشيوعية بواسطة عملائها ، ويناضل الشعب الأفغاني اليوم ، من أجل حريته ، واستقلاله ، واسلامه

خلافات عربية مدمرة :

ان المسلم ليحزن حقا حين يرى بعض الدول العربية ما تزال في بداية القرن الخامس عشر الهجري في

خلافات كبيرة وعميقة ، وفي صراعات مع بعضها البعض من أجل المشكلات القائمة بينها ، بشكل يهدد بنيتها جميعا ، وبشكل يؤلم الفكر ، ويهز المشاعر حزنا وأسفا .

والغريب في الأمر أن صحف الغرب تتعمد إثارة الخلاف بين هذه الدول ، حتى يتسع هذا الخلاف ، وتبعد فرص الالتقاء أو التفاهم المرجو بينها .

ولم تكتف هذه الصحف الغربية بتوسيع الخلاف بين الدول الشقيقة ، فحسب ، بل انها تفزع حين تسعى بعض الدول الاسلامية ، لتقريب وجهات النظر بين الدول الشقيقة المتنازعة ، وحين تحدث صحوة اسلامية عند شباب العالم الاسلامي وحين تنشط الصحف والمجلات الاسلامية ، وتهتم الصحف بصفة عامة ، بقضايا الاسلام ، والمسلمين ، وابراز النشاط الديني في العالم الاسلامي .

وكذلك يفزع المتآمرون على الاسلام ، وصحفهم بسبب المؤتمرات الاسلامية التي تعقد على المستويين الحكومي والشعبي لبحث القضايا المختلفة ، والسعي لايجاد التضامن والتعاون بين الدول الاسلامية . وانهاء الخلافات والمنازعات التي تعوق التضامن والتعارف بين هذه الدول . والعمل على تطهير المجتمع من عملاء الشيوعية والالحاد . وتخليصه من عوامل الانحلال والفساد التي تأتيه من نشر واذاعة الافلام الجنسية ، والصحف والمجلات المنحرفة ، وأساليب الترفيه الرخيصة ، وكان من هذه المؤتمرات . ذلك الذي عقد في أندونسيا ، وكان له مظاهر اهتمام شديد ، بفضل وسائل الاعلام ، واتخذت فيه قرارات وتوصيات لو نفذت ، لكان لها دوي شديد لصالح الاسلام والمسلمين ، ولأصبحت وسائل الاعلام من أقوى الأسلحة لحماية الدين الاسلامي من أخطار ومؤامرات خصومه وأعدائه .

وكان آخرها **المؤتمر العالمي الأول للاعلام** الذي عقد في « جاكرتا » في سبتمبر عام ١٩٨٠ ، واتخذ المؤتمر قرارات وتوصيات هامة تتعلق بمستقبل الاعلام الاسلامي ، وزيادة أنشطته ، ودوره في ابراز القيم الاسلامية ، ومبادئه الخلقية ، وتوضيح محاسن الاسلام ، ومجاهدة الاستعمار والالحاد والعدوان والحركات الهدامة الفاشية ، والتحديات الفكرية ، وغير ذلك مما يزيد من فعالية الاعلام الاسلامي في خدمة القضايا الاسلامية .

وكل مسلم غيور على الاسلام يود من أعماقه أن توضع هذه القرارات والتوصيات موضع التنفيذ ، وهذا لن يتحقق الا بتعاون الحكومات الاسلامية المشتركة في المؤتمر مع المنظمات الاسلامية الشعبية حتى تؤتي هذه المؤتمرات ثمارها المرجوة ، وتحقق ما اجتمعت من أجله .

واجب قادة المسلمين .. وزعمائهم

ان الاسلام يمر بمحنة . **ومحنته**

كامنة في أن قادة المسلمين لم يقوموا بما طلبه منهم ربهم من القيام بواجب التعبئة الروحية والمــــادية للمجتمع الاسلامي الكبير ، ولديهم وسائل التعبئة المادية والمعنوية ــ ليواجهوا مواكب العداء والحروب التي تنظمها الصليبية في عصورنا هذه ــ بما لديها من امكانيات مادية ــ فلا شك أن هذه المواكب والحروب . هي امتداد شرس وجاحد للحروب الصليبية التي بدأت في الأندلس ، وبيت المقدس والشام ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية التي ازدهرت أيام الاسلام الاولى ، والتي شهدت مجدا ونهضة ، وعزا ، وقوة وشموخا . نقول : هي امتداد للحروب الصليبية يراد بها القضاء على قوة المسلمين الكامنة في الاسلام .

قرون شهدت جهاد النبي والصحابة :

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ الاسلامي فسنجد أن القرون الماضية شهدت رجالا تعرضوا لمحن من مثل ما نتعرض له هذه الأيام ، ولكنهم لم يسكتوا عليها . فقد كان الرجل منهم « أمة » وكان الرجل منهم : أفضل من ألف رجل في عصور أخرى . غير عصورهم وقرونهم .

وطبيعي أننا لن نتكلم عن القرن الأول الذي شهد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد هجرته من مكة الى المدينة ، ولا عن جهوده المباركة في تحطيم الأصنام التي عبدتها الجاهلية في شتى صورها ورموزها ، وطهر المجتمع من صور الفساد والشرك والباطل ، وقضى على كيد المنافقين الذين عملوا ضد الاسلام والمسلمين سرا وعلانية . وعلى اليهود الذين تآمروا على الاسلام وكادوا له ولأهله ، ثم انتصر على هؤلاء جميعا ، وأنشأ نموذجا لدولة اسلامية عظيمة .

ولن نتحدث كذلك عن الخلفاء الراشدين « رضي الله عنهم » ولا عن عصورهم حين اهتزت على أيديهم الامبراطورية ـان الـــــقويتان والكبيرتان ، صاحبتا الحضارة اليونانية والفارسية ، وسقطتا من عرشيهما خلال خمس سنوات ، وكان هذا حدثا فريدا في التاريخ ، لم يحدث له مثيل ، لا قديما ولا حديثا وأنشأوا أمبراطورية اسلامية فريدة في نوعها ، حديثة في شكلها ، عظيمة في مضمونها ، وهم ضعفاء لا يملكون بعد حضارة تقف على صف واحد مع الحضارات اليونانية والفارسية ، ولا يملكون قوة مادية تضارع القوتين الكبيرتين ، نقول : لن نتكلم عن الدولة الاسلامية ، ولا عن امبراطوريتها الاسلامية ، فذلك معروف وثابت في التاريخ لكل ذي عين ولب ، وليس هذا مجاله ، ولكننا سنتناول جهود المسلمين في عصور تالية .

إن كل واحد من هؤلاء الذين سنتناولهم كان في محنة ، فلم يسكت ولم يرض بالضيم ، والضعف والهوان ، فناضل العدو ، وكافحه ، وأثبت أنه وحده « امة » وأنه « بطل » وانه قادر على مواجهة

المحنة ، كذلك جاهر برأيه وعقيدته ، ولم يخش أحدا مهما أحاطت به الخطوب ، وحاصرته الشدائد ، وكان كل واحد منهم قدوة لغيره ، وكان يلقي بنفسه في المعركة ، مرددا قول الشاعر الذي قال قولته العظيمة ، وهو يقاتل العدو :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

صلاح الدين الأوبي :

تولى هذا القائد العظيم مقاليد الحكم بعد وفاة نورالدين محمود صاحب دمشق وعندما نجح صلاح الدين في ضم مصر اليه ، دب الفزع في قلوب الصليبية ، لأنهم أيقنوا أنه بصيرورة الأمر الى صلاح الدين ، سينزع منهم بيت المقدس .

واتجه صلاح الدين الى الحروب الصليبية ، واتخذ سياسة ضدهم ، لأنهم كانوا يتآمرون ضد المسلمين ، ويريدون شرا بهم . فكانت « موقعة حطين » ، فاقام حصارا محكما للصليبين عند سهل حطين ، ومنع عنهم الماء حتى اشتد به العطش ، ثم هجم على قواتهم المنهوكة القوى ، فأنزل بهم هزيمة ساحقة ، خيبت آمالهم ، وبددت شملهم ، ومزقتهم شر ممزق ، وفر قوادهم وقبض على البعض الآخر ، وسيقوا إلى صلاح الدين أذلاء مجروحين .

والواقع أن موقعة حطين ، كانت أعظم من كونها مجرد نصر حربي بالنسبة الى المسلمين ، اذ كانت في حقيقة أمرها ، بشيرا بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية قام بها أعداء الاسلام ، وشهدها العالم في العصور الوسطى ، أما بالنسبة للصليبين ، فقد كانت حطين أكبر من كونها كارثة حربية ، لأنها لم ينتج عنا أسر « حابي لوزجتان » ملك بيت المقدس ، وضياع هيبته كملك فحسب ، بل نتج عنها ضياع « زهرة فرسان الصليبيين » وغالبية جيش مملكة بيت المقدس بين قتلى وجرحى وأسرى في يوم حطين العظيم .

ثم استولى صلاح الدين بعد ذلك على كثير من مدنهم وحصونهم في الشام مثل : عكـــا ، والناصرية ، وحيفا . وغيرها من المدن الساحلية ، ثم تابع بعد ذلك أعماله البطولية في الشام ، بالاستيلاء على « بيت المقدس » ، ثم كان « صلح الرملة » الذي طلب فيه الصليبيون من البطل صلاح الدين الكف عن الحرب .

وهكـذا نرى هذا البطل المغوار « صلاح الدين » قد خلد اسمه في التاريخ بهذا الانتصار الرائع على الصليبية الماكرة .

وهنا نرى ثلاثة أبطال آخرين من حقهم علينا أن نذكـرهم في مقام الفخر ، حيث كان لهم دور كبير في المعركة الصليبية .

*** الشخصية الأولى :**

ركن الدين بيبرس الذي استطاع أن ينقذ المنصورة بعد أن اقتحمها الصليبيون ، تمهيداً لاحتلال القاهرة ، كما استطاع ان ينقذ الجيش العربي من هزيمة محققة ، وكان من أثر هزيمة الصليبيين في تلك

الموقعة ، أن سيق لويس التاسع عشر الى سجن المنصورة ، ليدفع الجزية ذليلا مقهورا أمام أيدي المسلمين الأبطال ، ويعلق المؤرخون على هذه الموقعة التي تألق فيها ركن الدين بيبرس بأنها : كانت من أهم الأحداث في تاريخ الحملات الصليبية في تاريخ مصر ، التي وجدت في تلك اللحظات الحرجة ، وقد برز فيها أبطال استعذبوا المــوت في سبيل الدفاع عن بلادهم ، واستطاعوا أن يشعلوا نار الوطنية ، ويهيجوا الحماسة ضد قوى الصليبية التي هددت البلاد .

واشترك بيبرس كذلك في معركة عين جالوت ، وكان له شرف الانتصار على التتار في موقعة « عين جالوت » الخالدة .

❋ اما الشخصية الثانية :

فهو السلطان سيف الدين قطز ، قائد معركة « عين جالوت » .. خرج قطز بجيشه لملاقاة المغول « التتار » بعد أن اعملوا تخريبا في بغداد وقتلوا رجالها وعلماءها وحفظة القرآن فيها . خرج لـــلاقاة التتار ، عند « عين جالوت » ، بين بيسان ونابلس بفلسطين . وكـــان يحث الناس لاستنقاذ الشام من التتر ، ونصرة الاسلام والمسلمين ، ويصيح في وسط المعركـــة تشجيعا للجند « وإسلاماه » ، وقد أظهر الجيش المصري شجاعة فائقة بقيادة قطز ، وبيبرس ، حيث أوقع الهزيمة بجيش التتار الذي اندحر وولى الأدبار ، وقد كانت موقعة « عين جالوت » فاصلة في التاريخ ، فقد جاء انتصار البطل قطز على المغول حدثا هاما وعظيما بعد أن عجزت الدولة الخوارزمية ، والدولة العباسية عن مقاومتهم ومدافعتهم . وبعد أن انهارت القوى المسيحية أمام الزحف المغولي على أجزاء من روسيا وبولندا والمجر .

ومما جعل هذه الموقعة من المواقع الهامة الحاسمة في التاريخ ، ان خطر المغول ، لم يكن على الشرق فحسب ، وانما كان خطرا على اوروبا نفسها ، فلو تقدم المغول في اوروبا ، واستقروا فيها ، لكـــان تأثيرهم سيئا جدا عليهم ، ومن هنا نقول : إن الغرب مدان للعرب ـ ضمن أفضالهم عليه ـ بهذا العمل العظيم .

❋ اما الشخصية الثالثة :

فهو نور الدين محمود بن زنكي رئيس الدولة النورية ، وهو أول مسلم في تلك الفترة كان همه مواجهة الصليبيين ، اذ نذر نفسه لحربهم ، وجندها لقتالهم ، وكلمته هذه تعطينا مؤشرا لاتجاهاته ، يسأله سائل عن سر حزنه الدائم ، بينما الناس يبدون حوله بأحوال مختلفة ؟ فيجيب « كيف أضحك ، وبيت المقدس تحت سلطان الصليبيين ؟»

ونور الدين هو الذي استولى على مصر ، وهو أهم شخصية عرفت في تلك الفترة ، تمتلىء غيرة ، واسلاما ، وحماسة في عصر الحروب الصليبية .

الامام ابن تيمية :

ويتحدث التاريخ عن هذا الامام

حديث إعجاب وإكبار ، فقد وجد هذا الرجل في عصر اسود متلاطم بأمواج من الضعف والفساد ، والانحراف في النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية .. اذ زخر المجتمع بأجناس مختلفة طارئة عليه ، متنافرة ، يعمل كل جنس وفق تقاليده وموروثاته ، وكـــان منهم السلاجقة من الاتراك الذين حكموا البلاد ، وتحكموا في أمورها ، دون الخليفة وكذلك ضعف الخلفاء بسبب نزواتهم وكـــان من نتائج ضعف الخلفاء ، أن انفرد بعض الحكـــــام بأمور أقاليمهم مستقلين عن الخليفة ، كذلك كثر أدعياء العلم ، ومحترفو التحزب السياسي ، ومروجو الخرافة ، وناشرو البدع ، حتى حلت البدعة محل السنة وتوهم الناس ان البدعة هي الدين الصحيح ، وانتشر التعصب المذهبي وجمدت الأفكار على التقليد ، ودب الفساد في كل جانب من جوانب الحياة .

وكـــــان من نتائج الضعف والتمزق ، أن تعرضت البلاد لخطرين عظيمين هما خطر ظهور التتار ، وزحفهم الى الشام ومصر وخطر زحف الفرنج الى هذين الاقليمين ـ أما ظهور الافرنج « الصليبيين » فسبق أن تحدثنا عنه ، وعن دور صلاح الدين ، والظاهر بيبرس ، وقطز ونور الدين محمود في المعركـــــة مع الصليبيين .

أما التتار فقد عاصر ابن تيمية ظهورهم ، وكما سبق أن ذكرنا أن التتار أنزلوا بالديار الاسلامية : الدمار والخراب ، وكما يقول المؤرخون : ان الاسلام والمسلمين بلوا في تلك الأيام بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، ومنها : ظهور التتار ، قبحهم الله ، أقبلوا على المشرق ، ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع عنها . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا .

وابن تيمية ، له دور هام وكبير في المعركة مع المغول ، فقد أظهر هذا الامام شجاعة نادرة في مجابهة التتار . اذ عندما زحفوا بجحافلهم على الشام دب الذعر في نفوس الأهالي وراحوا يبحثون عن مهرب من شر المغول ، لكن ابن تيمية لم تضعف له قناة ، ولم يهن له عزم ، بل نهض للقيام بعبء الدفاع عن حاضرة الاسلام ، فكـــــان يخطب في الجماهير ، يوصيهم بالصبر والثبات ، ويحضهم على القتال والجهاد والانفاق ، ويحثهم على التصدي للعدو ، للحفاظ على كيان الأمة ومقدساتها ، وكان يرسل رجالا من أتباعه للقيام بحراسة مداخل المدينة للحيلولة دون فرار ضعفاء الايمان والجبناء خوفا من بطش التتار ، ويخرج ابن تيمية مع بعض المشايخ والأعيان لمقابلة ملك التتار ، فيقابله ابن تيمية بنفسه ، ويتحدث اليه ، ويغلظ له القول ، حتى ظن من معه من العلماء أنه سيقتل .. وكانت شجاعة ابن تيمية تشبه « شجاعة أكابر الأبطال »

وعندما عاود المغول العدوان على الشام عام ٧٠٠ هـ خرج اليهم ابن تيمية وتقدم المقاتلين، يقاتل معهم في الميدان، ويخطب في المجاهدين، ويحثهم على القتال، يبشرهم بالنصر، وانتهت المعركة بنصر الله .. فكان ابن تيمية بحق « امام السيف والقلم واللسان » .

جمال الدين الأفغاني :

وعرف هذا الشيخ بأنه داعية الوحدة الوطنية، كان هذا العالم الجليل يدعو الى انهاض الدول الاسلامية والعربية من ضعفها وانقسامها، لتعود ـ كما كانت فجر الاسلام ـ ذات قوة، وسيادة، وحضارة، وكانت دعوته الى الوحدة الوطنية هي شغله الشاغل، وأبرز أعماله . فكان الافغاني يرى الاستعمار ينقض على بلاد الشرق كله، ويشعل فيها الفتن والقلاقل، كما كان يرى الحكام والامراء في بلده وفيما احتل من بلاد الشرق يستبدون، ويتخاذلون، ويتنافسون على إرضاء المستعمر، وكان يرى الجهل متفشيا، والأمية منتشرة، والعقائد والتقليد الأعمى مستحوذا على العلماء وعامة الناس، وباب الاجتهاد مغلق في وجوه المفكرين، كان الافغاني ينتقل من بلد اسلامي الى آخر، فيرى سوء أحوالها الداخلية والخارجية فيثير حمية المسلمين، ويوقظ في نفوس العلماء والهيئات الدينية الثورة ضد الاستعمار وضد الاستبداد السياسي، والجمود العقائدي والفكري كما كان يبث في المسلمين روح الفضيلة والاباء ويذكرهم بأمجاد الآباء، وحديث التاريخ عن الأجداد ضد الباطل والفساد، وكان الرجل ثورة في كل مكان . فقد أيقظ روح الثورة في الشرق على الاستبداد والحكام والمستعمر .

وكان له مقصدان في حياته، **الأول :** تنبيه المسلمين الى الاصلاح الديني والعلمي بالكتابة والخطابة، **والثاني :** سياسي واجتماعي، وهو ترقية الدول الاسلامية بالمدنية والقوة، حتى تصل الى مستوى أحسن من البلاد الغربية .

ومن جهاده أنه كون جمعية سرية، هي العروة الوثقى، وكانت تدعو الى تضامن الدول الاسلامية، والنهوض بمستواها الفكري والاقتصادي، ومحاربة المستعمر، وتحرير الأرض منه، كما كان من وسائله وجهوده انشاء جريدة العروة الوثقى التي أصدرها لتعبر عن فلسفته، ودعوته في الحياة والاصلاح والخير وتقدم المسلمين .

الامام محمد عبده :

كان الامام محمد عبده من أولئك المجاهدين الذين كتب التاريخ لدعوتهم الخلود فقد جاهد في سبيل الله، وفي سبيل اعزاز الدين ونصرته، وفي سبيل النهوض بالمسلمين واصلاحهم دينيا، فكانت دعوته مقدمة لموجة ثورة جديدة، ما لبث أن تفجرت عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبعد خيبة أمل الوعود البراقة التي قطعها

الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب ، وفي مقدمتها : وعود ويلسون التي ما لبث هو نفسه أن تنكر لها ، واعترف بالحماية البريطانية على مصر .

جاهد الامام محمد عبده لنشر الدعوة الاسلامية الصحيحة ، وعمل لتطهيرها مما طرأ عليها من البدع والخرافات جهادا عنيفا ، وتحمل كثيرا من العنت والاضطهاد والارهاق . كان يؤلمه ما وصل اليه حال المسلمين من ضعف وهوان وتخلف ، ويؤلمه أيضا ما وصلت اليه حضارة الغرب ، ويقارن بينهما ، فيزداد ألما وحسرة ، ودفعه هذا التألم الى البحث عن أسباب ضعف المسلمين الطارىء ، وخلص من ذلك البحث الى أن العلة في الضعف الذي أصاب المسلمين هي : بعدهم عن دينهم الحق ، وأعراضهم عن اسلامهم الصحيح ، وأخذهم بكثير من العادات والتقاليد الناشئة التي ينكرها الدين ، والتي لا تمت اليه بصلة ، ولا تنتمي اليه بنسب ، وعلى ضوء ما تراءى له ، وخرج به من نتائج ، سعى الامام حثيثا لنشر دعوة الاسلام الصحيحة ، اذ رأى أن خير علاج لمشكلات المسلمين هورجوعهم الى دينهم الصحيح وان خير دواء لاوضاعهم السيئة هو : توبتهم الى الله ، ومن هنا حدد العلاج في الاتي :

اولا : تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتجر فيه زعماء الدنيا ، ولا زعماء الأديان .

ثانيا : اعتبار الدين صديقا للعلم ، ولا موضع لتضادهما ، اذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات الفكر ، لا تغني احداهما عن الأخرى .

ثالثا : فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى « القرآن ، والسنة ، وطريق السلف الصالح » .

رجاء .. وأمل :

لا نريد ان نقول : ان القرن الخامس عشر الهجري ، وما قبله من القرون ، قد خلا من شخصيات مسلمة ، ومن روح اسلامية نشطة ، تعيد لنا صورة الحمية الاسلامية ، والغيرة على دينه ، والحماس له . لا نقول ذلك ، فعالمنا الاسلامي توجد به عناصر لزعامات ، وقيادات مؤمنة باسلامها ، مخلصة لدينها ، متحمسة لعروبتها ، ولكنها في حاجة الى عون ومساندة لتقوم بعمل لمصلحة الاسلام وخير المسلمين .

اننا نطلع ـ في مستهل القرن الخامس عشر الهجري ـ بقلوب كلها رجاء ، ونفوس ملؤها الأمل ، الى كل عالم ، ورئيس ، وقائد في عالمنا الاسلامي أن يتحرك .

نريد من علماء الاسلام أن يكون لهم دور باعتبارهم القدوة والأمل في تحقيق الحكم بشريعة الله ، لأنهم من أعلم الناس بهذه الشريعة ، وقد مر بنا الحديث عن علماء امثال ابن تيمية ، والافغاني ، ومحمد عبده ، وعرفنا كيف جاهدوا ، ووقفوا في مواجهة الارهاب والحاكم المستبد والمستعمر ، وكيف قاموا بواجبهم في

بيان الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نريد من قادة المسلمين وحكامهم بما لديهم من امكانيات هائلة – أن يعملوا لحماية الحركات الاسلامية ، ومساندة المنظمات والهيئات الاسلامية التي نريد ان تنشط من حين لآخر ، وتصدر قرارات وتوصيات لمصلحة المسلمين ، ولخير الاسلام ، لأن هذه المنظمات لا بد من تدعيمها ماديا وأدبيا من الحكومات الاسلامية .

نريد من الهيئات والمنظمات الاسلامية أن تزيد من أنشطتها ، وتطالب الحكومات الاسلامية لتدعيمها ، وألا تتراخى أو تتباطأ في توصياتها وقراراتها .

نريد ألا تكون هذه القرارات والتوصيات حبرا على ورق ، والا تضيع في ادراج المكاتب ، بل يجب ان تتحرك هذه القرارات والتوصيات ، لتشعر الشعوب الاسلامية بوجود كيان اسلامي متحرك ، يحمي الاسلام ، ويصون معتقداته .

نريد تسوية الخلافات القائمة بين الشعوب الاسلامية والعربية ، ووضع خطط للتعاون الاسلامي في مختلف المجالات . في مجال الاعلام ، والثقافة والاقتصاد ، والسياسة الخارجية ، لأنه بدون تسوية الخلافات يكون اللقاء الاخوي بين الاشقاء مستحيلا ، ويكون وجود التعاون في هذه المجالات اكثر استحالة لأن أعداء الاسلام ، والمتآمرين على المسلمين ، يعملون دوما على تعقيد المشكلات القائمة بين الدول الشقيقة ، وتنشيط الصراعات الموجودة بينهم ، وهذا يعمل بالضرورة – على استحالة حل المشكلات ، ويقلل من فرص اللقاء .

نريد التركيز على التعاون مع البلاد التي يتهددها الغزو التبشيري ، وخاصة في دول افريقيا المسلمة .

نريد الاهتمام بالحركات الاسلامية في الفليبين ، وبورما وتايلاند وارتيريا ، وافغانستان ، ومساندة هذه الثورات بالمال والسلاح ، لتنتصر على قوى الصليبية وينتصر الاسلام .

نريد وقفة عربية جريئة وموحدة أمام اعتداءات اسرائيل واطماعها المتزايدة يوما بعد يوم في فلسطين والقدس وفي غيرها من الدول العربية ، لاسترداد حق شعب فلسطين المغتصب ، ولوقف اطماعها ، حيث لا يفيد معها اتفاقيات أو معاهدات .

نريد احياء مشروع الجهاد ، تتكون حصيلته من قروش تجمع من الأفراد ، والحكومات والهيئات لمساندة الأقليات في الفليبين وبورما وتايلاند وارتيريا وافغانستان ، ومدها بالمال والسلاح .

نريد قيادة رشيدة ، لا تهتم بالشعارات المستوردة ، والزعامات المتهالكة المتهافتة ، لتنقذ العالم الاسلامي من محنته في مستهل القرن الخامس عشر .

والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

مائدة القارئ

من كلام العرب

قال اعرابي : اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الامور .

وسئل اعرابي عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها وسئل اخر عن القدر ، فقال : علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون وحق علينا ان نرد ما التبس علينا من كلمه الى ما سبق من علمه .

وقال اعرابي : تداور الليل والنهار ، لاتبقى عليه الاعمار ولا لأحد فيه الخيار .

طرائف وعبر

– نزل رجل صومعة راهب ، فقدم اليه الراهب اربعة ارغفة وذهب ليحضر اليه العدس ، فحمله وجاء فوجده قد اكل الخبز . فذهب واتى بخبز اخر فوجده قد اكل العدس . ففعل معه ذلك عشر مرات . فلما اراد الضيف الانصراف سأله الراهب اين مقصده ، قال : الى الاردن .

قال : ولماذا ؟ قال : بلغني ان بها طبيبا حاذقاً اريد ان اسأله عما يصلح معدتي ، فأني قليل الشهوة للطعام .

فقال له الراهب : ان لي اليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي .

دعاء

« اللهم ابرم لهذه الامة امرا رشيدا يعز فيه وليك ، ويذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ورضاك » .

من دعاء سفيان الثوري رضي الله عنه

مائدة القارئ

في تفريج الهموم وقضاء الديون

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له (أبو أمامة) فقال له النبي : يا ابا امامة مالي اراك جالسا في المسجد من غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله .

قال : افلا اعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ؟..

قال : بلى يا رسول الله ..
قال : قل اذا اصبحت واذا امسيت : اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من البخل والجبن واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ..

قال : فقلت ذلك فاذهب الله عز وجل همي وقضى ديني ..
ـ رواه أبو داود ..

خشية الخالق

رفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة .. فقال له الحسن : حاجتك مقضية ، فقيل . له : لو نظرت في رقعته ثم رددت . الجواب على غير ذلك ؟ قال : يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته !!

○ قال الامام علي كرم الله وجهه : والله ان دنياكم عندي اهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ..

رمضان أقبل

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

فرض صيام شهر رمضان في كل سنة هلالية في السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان تحولت القبلة من بيت المقدس بالشام الى الكعبة بمكة بأيام معدودات .. اذ ان تحويل القبلة كان في نصف شعبان

على ما عليه الجمهور الاعظم من علماء السيرة في نفس هذه السنة ..

وبعد ان استقر امر الصلاة ـ وهي الركن الثاني في الاسلام ـ بأوقاتها ، واعداد ركعاتها .. وتحديد اتجاه القبلة في أدائها .. كان منطقيا ان يشرع بعد ذلك ما هو بعد الصلاة في الركنية ، وما يتلوها في الفرضية وكان من بين ما شرع عقيب فرضية الصلاة .. الصيام في رمضان .. ولم يكن الفارق بين فرضيتهما الا نحواً من نصف شهر ، وذلك بقوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .)
البقرة/ ١٨٣ ـ ١٨٥ .

وقد مهد لصيام رمضان تمهيدا اتخذ اوضاعا متنوعة .. فمرة صام الجاهليون عاشوراء .. وصامه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة متابعة لأهل الجاهلية في صومهم له .. لأنه لم يكن يرفض كل ما عليه الجاهليون .. بل كان يأخذ أحسنه ، ويبطل أسوأه .. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه .. فلما قدم المدينة صامه ، وأمر بصيامه ، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه .. فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره) .. وقد حدث هذا التمهيد لصيام رمضان من دون ان يدري أحد أن رمضان آت بفرضيته لا محالة .. إذ أن ذلك كان لا يزال سرا مطويا في ضمير الغيوب ، ولم يكن احد يدري من ظهر الغيب شيئا من ذلك .. ولكن حركة المقادير .. جرت على النحو الذي اوجد تمهيدا لرمضان بصيام عاشوراء .. فعرف الناس معنى الصيام ، وفكروا فيه ، وتمرسوا به فعلا وواقعا ، واقتنعوا بما يحتويه من أسرار وحكم .. وقعت من نفوسهم موقع القبول والرضا ..

وان غامت في انفسهم آفاقها ، وقصرت في بصائرهم رؤيتها بادئ ذي بدء .. حتى جاء القرآن الكريم بالأمر بكتابته وتبيين وجه حكمته ، وتحديد مداه ومغزاه ، وحكمه واحكامه واستمر هذا التمهيد الواقعي لصيام رمضان ينتقل مع الايام من طور الى طور .. ومن قوم

الى قوم حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فدخلها في شهر ربيع الاول فوجد اليهـود صياما ولما سأل عن ذلك عرف انهم يصومون عاشوراء .. فوافقهم على صيامه وصامه وامر المسلمين بصيامه .. وكان هذا هو الفصل الثاني من فصول التمهيد والتقدمة لصيام رمضان بحسب الواقع التاريخي .. وان لم يسبق ذلك بعلم العلماء ، ولا بفقه الفقهاء ــ وفي ذلك يروي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء .. فقال لهم : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ .. قالوا : هذا يوم عظيم ، انجى الله فيه موسى وقومه ، واغرق فرعون وقومه .. فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه وامر بصيامه) وقد يقال : فأين عاشوراء ؟ وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم من السنة الهلالية التي هي التوقيت المعتمد عند الله تعالى كما قال : (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم**) التوبة/٣٦ وكما قال جل شأنه : (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) البقرة/١٨٩ او هو العاشر من شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة مهاجرا من مكة .. فوجد اليهود صائمين فيه .. فصام عاشوراء وأمر بصيامه : والجواب ــ كما في السيرة الحلبية جـ ٢ : ١٤٩ : ان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذي هو عاشر المحرم فيما عند الله تعالى هو الذي نجا فيه موسى وغرق فيه فرعون .. اتفق له في دورته الحولية ان وقع في شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة بحسب التوقيت الشمسي عند اليهود .. وان الرسول صامه في المحرم التالي لذلك وأمر أصحابه بصيامه كذلك .. ولم يوافق اليهود في صيام ذلك اليوم من شهر ربيع الاول ثم خالفهم في عاشوراء التالي وما بعده .. فهذا من أبعد البعيد (المصدر السابق : ١٥٠) وذلك لأن أيام الشهور القمرية تدور في فصول السنة كلها .. وقد يصادف بعضها الصيف مرة والشتاء اخرى ، والربيع طورا والخريف طورا آخر .. اما التوقيت الشمسي فهو مقيد بفصول السنة لا يريمها .. وفي المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد رضي الله عنه قال : (ليس يوم عاشوراء اليوم الذي تقوله الناس ــ اي اليهود ــ انما كان يوما تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور في السنة) .. ثم كان الطور الثالث من اطوار التمهيد التاريخي لصيام رمضان هو إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل والدعاة الى القبائل وسكان الاطراف يدعوهم فيها الى صيام عاشوراء : فمن كان منهم

اصبح صائما فليتم يومه .. ومن كان اصبح غير صائم فليمسك بقية يومه تشبها بالصائمين .. وكان يأمر بالصبيان والصغار .. فيتفل في افواههم ويأمر أهلهم بتصويمهم حتى الليل .. ففي الصحيحين عن الربيع بنت معوذ قالت : (ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الانصار التي حول المدينة : من كان اصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان اصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ــ اي الصوف ــ فاذا بكى احدهم على الطعام اعطيناه اياه حتى يكون عند الافطار) .. وفي رواية : (فاذا سألوا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم) ..

وفي شهر شعبان من السنة الثانية (الفقه على المذاهب الاربعة/٢٤٧) فرض صيام رمضان فبدأت بذلك مرحلة جديدة كل الجدة .. اذ انتقل الصوم من اطار السنية المؤكدة لعاشوراء الى الوجوب الحتمي لرمضان على غير المرضي والمسافرين .. الا ان هذا الوجوب والتحتم لم يبدأ بطريقة فجائية مباشرة .. بل درج الشرع الحكيم في فرضيته ولزومه على مدرج الترقي في التشريع .. كما هو الشأن في كثير من الاحكام الشرعية .. فكان صيام رمضان اول ما بدأ على التخيير للمطيقين له .. المتحملين لصومه في يسر وخفة .. فكانوا بالخيار بين أمرين : إما صيام شهر رمضان .. واما الاطعام عن كل يوم مسكينا نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند اهل الكوفة وهم الحنفية .. أو مدا عند غيرهم ،

وذلك بقوله تعالى : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** أي الذين يستطيعون صوم رمضان من الأصحاء المقيمين **(فمن تطوع خيرا)** أي زاد على اطعام المسكين ، **(فهو خير له وأن تصوموا خير لكم)** من الفطر والاطعام ، **(ان كنتم تعلمون)** ما في الصوم من فوائد .. فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم يفطره الدية السابق ذكرها .. (السيرة الحلبية جـ٢ : ١٥١) .. ثم أن الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** أي فمن وجد وعلم دخول الشهر فليصمه .. الا اذا كان لا يستطيع صيامه لكبر أو مرض ميئوس من شفائه فيجزيه الاطعام الآنف الذكر .. كما رخص فيه للمريض الذي يجهده المرض .. وللمسافر الذي يرهقه السفر « مسافة ٨٩ كيلومترا فأكثر » ولو لم يشق ذلك عليه أن يفطر على أن يقضي بدل الأيام التي أفطرها أياما أخر اذا زال عنه المرض والسفر ، وذلك بقوله تعالى مرة أخرى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** ويكون الصوم في حال احتماله مع السفر

والمرض خيرا من الفطر على كل حال هذا لون من التدرج في تشريع الصيام في رمضان في أول أمره بالتشريع .. وثمت لون آخر من هذا التدرج .. وهو : أن الناس الذين فرض عليهم صوم رمضان كانوا اذا دخل الليل يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب .. أو يدخل عليهم وقت العشاء الآخرة حتى وهم متيقظون ، فاذا ناموا .. أو دخل وقت العشاء عليهم حرم عليهم الأكل والشرب والاتيان الى الليلة القابلة .. ثم نسخ ذلك وأحل المفطرات كلها الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) ..** البقرة/١٨٧ الى أن قال جل شأنه : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** البقرة/١٨٧ وقد فهم بعض الصحابة من الآية الكريمة حقيقة الخيط فاتخذ لنفسه عقالا أسود وعقالا أبيض وجعل يتبينهما فلا يستطيع .. حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «« انك لعريض القفا » وهذا كناية عن ثقل فهمه وبين له أن ذلك يعني : بياض النهار وسواد الليل .. وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة .. فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه .. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة .. اني رجعت الى أهلي .. فوجدت رائحة طيبة .. فسولت لي نفسي .. فجامعت أهلي .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما كنت جديرا بذلك يا عمر » فقام رجال فاعترفوا بمثله .. فنزلت الآية الكريمة .. كما ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم .. فسأله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأنه أهل زرع وحرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يستيقظ الا بعد الغروب .. فلم يتناول شيئا .. فأنزل الله هذه الآية الكريمة .. ولا مانع أن تنزل آية من القرآن الكريم لأكثر من سبب ، وأن تتوافق الأسباب على هدف واحد .. وفي النهاية استقرت شريعة الصيام في رمضان على وجوبه عينا على كل من شهد الشهر مقيما صحيحا بدون خيار ، وعلى الرخصة للمريض والمسافر وأمثالهم في العذر في افطاره مع القضاء في أيام أخر .. وعلى الاذن للكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه بالافطار مع الفدية عن كل يوم يفطر فيه ، ووضع حد لهذا التدرج في التشريع والذي استغرق مع تمهيده الخطوات الآتية :

١ ــ ان المشركين من قريش كانوا يصومون عاشوراء بمكة وقد صامه النبي صلى الله عليه وسلم معهم موافقة لهم على بعض عاداتهم الحسنة .

٢ ــ بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وافق اليهود

في صيامهم ليوم عاشوراء – وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب موافقتهم غالبا قبل فتح مكة .. كما كان يكره ذلك في كل أحوالهم بعد فتح مكة وقد صامه وقال : نحن أحق وأولى بموسى منكم لأن موسى أخوه في الدنيا والآخرة وقد أمر أصحابه حينئذ بصيامه وشدد في الأمر حتى صوم الصبيان وحتى أرسل رسله الى ما حول المدينة ليأمر بصيام عاشوراء سواء منهم من أصبح صائما بلا نية ، أو أصبح مفطرا تشبها بالصائمين ، الا أن هذا الأمر بصوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب – على أرجح الأقوال – واليه ذهب الشافعية ويؤيدهم حديث معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب الله عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » رواه البخاري .

٣ – بعد فرضية صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة وفي شعبان منها اتخذ صيام عاشوراء صفة الاختيار .. فمن شاء صامه .. ومن شاء تركه .. وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك صيامه مما يفيد حكم الندب لصيامه على الأقل تشبها بصيام النبي صلى الله عليه وسلم له ، وزالت عنه صفة السنية المؤكدة .. وفي السنة التي توفي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حين واظب على صيام عاشوراء قالوا له يا رسول الله : (هذا يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : فاذا كان العام المقبل صمنا التاسع) وفي رواية : « لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر » رواه مسلم عن ابن عباس . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وافته منيته قبل أن يصوم التاسع ، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : « صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ذلك » وكان عبد الله لا يصومه الا أن يوافق صومه » واذا أدركنا أن الصبيان ليسوا محلا لايجاب صوم عاشوراء ، عرفنا الى أي مدى يترجح قول من قال : ان صوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب لا قبل رمضان ولا بعده .. وأنه لم يفرض على الأمة الا صيام واحد في كل سنة مرة واحدة .. هو صيام شهر رمضان ، وان صوم عاشوراء تردد بين الاباحة والسنة المؤكدة والندب .

٤ – تدرج التشريع في صيام رمضان .. فبدأ أول ما بدأ على التخيير للمستطيع من المقيمين الأصحاء : إن شاءوا صاموه ، وإن شاءوا أفطروه وأخرجوا عن كل يوم يفطرونه الفدية المقررة .. ثم نسخ ذلك بالالزام العيني والغاء هذا التخيير .. كما بدأ أولا مع حل الفطر بعد الغروب ما لم يحدث نوم أو تدخل العشاء .. فان نام امرؤ أو أظله وقت العشاء حرم عليه الفطر .. ثم نسخ ذلك بحل المفطرات كلها من الليل حتى يطلع الفجر حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

القتل

بين الشريعة

تمهيد :

القتل عند العرب قبل الاسلام :

كان العرب قبل ظهور الاسلام قبائل متناكرة متنافرة ، لا سلطان يجمعها ولا حاكم يقيم العدل بينها وانما كان العدل فيها والسلطان لصاحب الظفر والناب ، ولم تكن الحروب بينهم بسبب الثأر تقف عند حد ، حتى لتدوم معاركه الطاحنة بينهم أربعين عاما ، كما حدث بشأن حرب البسوس التى بدأت بقتل « جساس بن مرة » « لكليب بن وائل » لقتله ناقة كانت ترعى بين ابله للبسوس خالة جساس . ولم تقف مطالبة أهل الدم للثأر الى حد قتلها القاتل والتمثيل به ، وانما تجاوزته الى غيره من أفراد قبيلته الذين يناظرون المجني عليه في مكانته وكثيرا ما كان يسرف أصحاب الدم ولا يرون بديلا لشفاء غيظهم الا الامعان في القتل من قبيلة القاتل ، ولا ادل على ذلك مما يروى ان شريفا قتل ، واجتمع أقارب القاتل لدى والد المقتول ليرضوه فخيرهم بين احدى ثلاث ، قالوا : وما هي ؟ فقال لهم : تحيون ولدي ، أو تملأون داري من نجوم السماء ، أو تدفعون لي قومكم

العمد والقانون

للمستشار/ علي عبد الــلاه طنطاوي

حتى اقتلهم جميعا ثم لاأرى أني أخذت عوضا . الفخر الرازي ج ٢ ص ١٤٩

موقف الاسلام :

ولما جاء الاسلام بهدايته ورحمته لم يكن ليترك الناس وما هم عليه من سوء في هذا الامر ، فضلا عن أنه ما كان يحملهم ما لا يطيقون بمخالفتهم فطرتهم وطبيعتهم ، ذلك أن الغضب للدم وحب الانتقام له فطرة وطبيعة في كل انسان ، ومن ثم فقد قررت الشريعة الغراء القصاص ولكن من ذات الجاني دون سواه فلا مسئولية على غيره (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الانعام/١٦٤ ، كما أنه قصد من القصاص حفظ النفوس وضمانها ، لان من يعلم أنه لو قتل سيقتل فانه يتردد أكثر من مرة قبل أن يقدم على جريمته ، هذا بالاضافة الى أن في القصاص ما يشفي غليل أسرة القتيل ويستأصل شأفة الشر من نفوسهم ويزيل حقد قلوبهم .. وصدق الله العظيم حين يقول : (**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب**) البقرة/ ١٧٩

ومع تقرير الشريعة الغراء للقصاص في القتل ، الا أنها لم توجبه

بل خيرت بينه وبين العقوبة ، وهذا العفو يكون بالصلح أو بقبول أولياء الدم للدية بدلا من قتلهم للجاني ، وتركت الشريعة كلا الامرين لمحض اختيارهم . ان شاءوا القصاص اقتصوا ولا تثريب عليهم ، وان شاءوا العفو وقبول الدية فلا سلطان عليهم ، وحتى ان قبلوا الدية فانه يتعين عليهم طلبها بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديها باحسان واكمال تحقيقا لصفاء القلوب وشفاء الجراح والنفوس وتقوية لأواصر الود والمحبة بين الأحياء : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)** البقرة/١٧٨

القصاص في الاديان السماوية :

والقصاص هو شريعة الأديان السماوية كلها ، فقد ورد في التوراة في سفر الخروج الاصحاح الحادي والعشرين « من ضرب انسانا فمات يقتل ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فأنا أجعل له مكانا يهرب اليه ، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تاخذه للموت ، ومن ضرب اباه او امه يقتل قتلا ، ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ، ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا ، واذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الآخر بحجر او بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش فان قام او تمشى خارجا على عكازه يكون الضرب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه .

واذا تخاصم رجلان وصدما امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل اذية يغرمان ، واذا حصلت أذية تعطي نفس بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح . « وقد ورد في الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد ما يفيد بان ولي الدم له حق قتل القاتل . « ان القاتل يقتل .. ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه » .

هذا هو حكم التوراة وهو حكم الانجيل لعدم وجود نص به يخالف هذا الحكم ولا ينال من ذلك ما ورد بأنجيل متى « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا وذلك لان هذا القول المنسوب الى نبي الله عيسى عليه السلام هو وصية بالعفو وليس القصد منه سن نظام يترك فيه المعتدي يعربد وفق ما يريده . وقد جاءت تعاليم الاسلام بالقصاص وحضت على العفو . : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)**

وهذه الآيات التى تحث على العفو لا تعني ترك المعتدي دون جزاء ، وهو الامر الذي ينطبق على قول سيدنا عيسى عليه السلام .

ادلة ثبوت القصاص

إن عقوبة القصاص ثابتة بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة . اما الكتاب فقوله عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا**

كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) البقرة/١٧٨ و ١٧٩

وقوله : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/٤٥

وهذه الآية الكريمة وان كانت تبين احكام شريعة التوراة الا ان هذه الاحكام لم تنسخ ومن ثم فالمسلمون يلتزمون بها فضلاً عن ان الآيات الواردة في سورة البقرة سالفة الذكر قد جاءت بالقصاص . اما ما ورد بشأنه في السنة فهو قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل له قتيل فهو بخير النظيرين : اما ان يفتدي واما ان يقتل .. » رواه الترمذي ، وقوله « من اصيب بدم او خبل فهو بالخيار بين احد ثلاثة : اما ان يقتضي واما ان يؤخذ العقل واما ان يعفو . فان اراد رابعة فخذوا على يديه » رواه ابن ماجة والدارمي

تعريف القتل :

القتل العمد في الشريعة هو ازهاق الروح – روح الانسان عمدا – بفعل انسان آخر . فيشترط اذا لقيام جريمة القتل ان تتوافر ثلاثة اركان :

اولا : الركن المادي : هو ارتكاب الجاني لفعل يحدث الوفاة .

ثانيا : الركن المعنوي : وهو ان يقصد الجاني من فعله هذا احداث الوفاة بالمجني عليه .

ثالثا : ان يكون موضع الاعتداء هو انسان حي .

ويقع الركن المادي بأي فعل سواء بالذبح او بالتغريق او بالالقاء الى حيوان مفترس او بالخنق او بالحرق او بالسم او بالضرب .

وجمهور الفقهاء لم يشترط آلة محددة في ارتكاب جريمة القتل . فعندهم أن كل ما من شأنه ازهاق الروح ، محددا أو غير محدد ، مباشرة او تسببا ، فهو محقق للجريمة وموجب للقصاص حتى كان بنية ازهاق الروح . ولقد خالف أبو حنيفة الجمهور واشترط في القتل الموجب للقود ان يقع بآلة محددة تفرق الاجزاء وما يشبهها كالنار ، كانه لا ينتفي عنده الشك في تعمد القتل الا بوضع آلة الاعتداء وبأن تكون من حديد او ما يجري مجراه فهو يعتبر هذه الآلات قرينة على قصد العمد في القتل .

والقرآن والسنة لم يتعرضا لآلة القتل ، وتركا تحديدها للعرف والظروف وملابسات الحادث ولتطور الزمان . فقد يتفتق عقل انسان عن اختراع آلة قاتلة غير التى كانت معروفة من قبل ، ولا خلاف بين الفقهاء في ان فعل القتل كما يقع بوسيلة مادية ، قد يقع بوسيلة معنوية كمن يطلق مقذوفا فوق رأس انسان

فيموت رعبا ، او من يصيح بانسان على ربوة فيسقط فزعا من صيحته فيؤدي سقوطه الى موته . وقد قال بعض الفقهاء من بينهم الامام مالك / بانه اذا تعمد الجاني الفعل ، فان فعله يعد قتلا عمدا ، والا عد قتلا خطأ اذا كان يقصد من فعله اللهو . ويرى البعض الآخر من بينهم ابو حنيفة أن الفعل يعد شبه عمد لان الوسيلة لا تقتل غالبا ، وفي كل الامور يجب ان تتوافر رابطة السببية بين الفعل والموت سواء كان الموت نتيجة مباشرة لفعل الجاني أو غير مباشرة ، وسواء كان السبب قريبا أم بعيدا ما دام الفعل سببا للنتيجة ، ومع هذا لا يسمح فقهاء الشريعة بتوالي الأسباب التى غير محددة ، بل يقيدون هذا التوالي بالعرف ، فما اعتبره العرف سببا في القتل فهو سبب له ولو كان سببا بعيدا ، وما لم يعتبره العرف سببا للقتل فهو ليس سببا له ولو كان قريبا .

القصد الجنائي :

يجب لدى جمهور الفقهاء ان يقع الفعل بقصد ازهاق روح المجني عليه ، فان تعمد الجاني الفعل بقصد العدوان المجرد دون قصد القتل ، فان فعله يكون قتلا شبه عمد . وقد خالفهم في ذلك الامام مالك اذ رأى ان قصد اتيان الفعل يكفي لقيام جريمة القتل العمد دون الحاجة لنية القتل . ذلك انه لا يرى القتل الا نوعين : قتل عمد ويتوافر بالفعل المزهق للروح والقصد العدواني . والقتل الخطأ ويتحقق اذا كان الجاني يقصد من فعله اللهو أو التاديب .

ونية القتل أمر نفسي يبطنه الجاني ، ولكن يمكن استظهارها عن طريق الآلة المستعملة في الحادث ومن أنها تؤدي الى الموت بطبيعتها ، ويمكن استظهارها ايضا من موضع الاصابات وكيفية احداثها وظروف ارتكاب الجريمة . وكل ذلك بالاضافة الى اعترافات المتهم ، فاذا اعترف المتهم اعترافا صريحا خاليا من أي عيب يشوبه ، فان اعترافه يكون دليلا على نية القتل عنده . وللمتهم ان يقيم الدليل على انه لم يكن يقصد القتل .

ان يكون القتيل آدميا حيا :

فمن يطلق النار على ميت يقصد قتله فليس بقاتل ، لان الفعل لم يقع على حي . كذلك الاعتداء على جنين في بطن امه . ومن يطلق النار على محتضر قاصدا قتله فيموت فهو قاتل . ولا يوهن من ذلك كون المجني عليه في حالة احتضار ، لأن فعل الجاني هو الذي ادى اليه ولا عبرة بشخصية المجني عليه فيتساوى ان يكون كبيرا او صغيرا رجلا كان ام امرأة ما دام معصوم الدم .

وجمهور الفقهاء قال ان اساس العصمة الاسلام والامان ، وخالف ابو حنيفة واعتد بعصمة الدار ومنعة الاسلام . فمن يقتل مسلما في دار الحرب فلا عقاب عليه لأنه لا يعد معصوما في رأيه خلافا لباقي الفقهاء الذين لم يعتدوا بوجوده في دار الحرب .

والمرتد والمحارب والقاتل والزاني غير معصومين وقتلهم لا يوجب

القود . ولكن قد يخضع الجاني لعقوبة تعزيرية ، وذلك لافتياته على حق السلطة العامة في توقيع العقاب .

حالة رضاء المجني عليه بالقتل :

لا خلاف بين الفقهاء في ان رضاء المجني عليه لا يبيح الجريمة لأن عصمة النفس لا تباح الا بنص شرعي ، ولكنهم اختلفوا في عقوبة القاتل فالبعض ومن بينهم الاحناف ورأى في مذهب الشافعي قالوا : ان الاذن بالقتل يعد شبهة والحدود تدرأ بالشبهات ، ومن ثم فالعقوبة تكون الدية دون القود ، والراجح في المذهب المالكي ان الجاني ، يعاقب بالعقوبة المقررة للقتل العمد . أما الامام احمد فيرى وهو الراجح في مذهب الشافعية ألا عقاب على الجاني ، لان من حق المجني عليه العفو عن العقوبة وان الاذن بالقتل يساوي العفو عن العقوبة في القتل . التشريع الاسلامي ج ٢ ص ٨٥

عقوبة القتل العمد

أولا : القصاص

يرى جمهور الفقهاء انه اذا توافرت اركان الجريمة السابق سردها تعين القود عينا في القاتل ، اي القصاص بقتله شريطة ان يكون بالغا عاقلا مختارا ، وان لا يكون المقتول من فروع القاتل كالابن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقتل الوالد بالولد » رواه احمد والترمذي – وحكم الام هو ذات حكم الاب وكذلك الجد لاب او لام كما ، قالوا : بقتل الجماعة بالفرد لان القصاص مزجرة السفهاء فيجب تحقيقا لحكمة الاحياء . اللباب في شرح الكتاب ص ٢٨

واستدلوا في ذلك الى ما يروى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب : من قتله سبعة من اهل صنعاء ، ذلك ان امرأة صنعاء غاب عنها زوجها وترك لها ابنا له يسمى « اصيل » من زوجة اخرى فاتخذت لها في غياب زوجها خليلا وقالت له : ان هذا الغلام يفضحنا وامرته بقتله فامتثل لها بعد امتناع واشتركت واياه مع الآخرين في القتل ولما اكتشف الحادث واعترف الجناة ، كتب والي صنعاء الى عمر فامره بقتلهم قائلا : لو ان اهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم جميعا .

كما قالوا ان الامام علي بن ابي طالب قتل الحرورية طائفة من الخوارج نسبة الى حروراء بعبد الله ابن خباب فانه توقف عن قتلهم حتى يحدثوا حدثا او يرتكبوا جرما غير مجرد القول فلما ذبحوا عبد الله بن خباب وقالوا : كلنا قتلناه . فقال علي لاصحابه دونكم القول فما لبث ان قتلهم علي واصحابه .

ولا شك ان هذا عين المصلحة ودرء للشر والا لو علم الجماعة انهم اذا قتلوا الواحد ولم يقتلوا به لتعاون الاعداء على قتل اعدائهم بالاشتراك في قتلهم . تفسير القرطبي

استيفاء القصاص :

قال الاحناف ان لولي الدم حق الاستيفاء وبرهنوا على صحة رايهم بقوله عز وجل : **(فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان**

منصورا) الاسراء/٣٣

وقال جمهور الفقهاء ان استيفاء القود حق للحاكم دون سواه ، وليس لولي الدم الا ان يطالب بحقه ، يقول ابن فرحون في كتاب تبصرة الحكام ان كل ما يحتاج الى نظر وتحرير وبذل جهد في تحرير سببه ومقدار سببه لابد فيه من حكم الحاكم » ثم قال عند الحدود انها تفتقر الى حكم الحاكم وان كانت مقاديرها معلومة لان تفويضها يؤدي الى الفتن والشحناء والقتل وفساد الانفس والاموال وكذلك التعزيرات وكذلك ما جرى هذا المجرى كاستيفاء القصاص » ويقول القرطبي في تفسيره « لا خلاف في ان القصاص في القتل مفوض لأولى الامر اذ فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة الحدود وغير ذلك لان الله سبحانه وتعالى خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعا ان يجتمعوا على القصاص فاقاموا السلطان مقام انفسهم في اقامة القصاص وغيره من الحدود ، ولا يفوتنا ان ننوه ان الاقرب الى النفع العام والادنى الى الحق هو رأي جمهور الفقهاء ، وذلك لان السلطان المقصود بقول الله عز وجل : **(فقد جعلنا لوليه سلطانا)** انما يعني — والله اعلم بمراده — الحكم العادل وهو قتل القاتل فلا حاجة لتدخل ولي الدم ما دام هذا الحكم وضع موضع التنفيذ ، اما اذا تقاعس الحاكم عن تنفيذ الحكم واهمله تماما فلولي الدم حق التدخل لاستيفاء حقه بالقصاص . وجدير بالذكر ان اهمال الحاكم تطبيق بعض احكام الشريعة لا يعتبر اهمالا تاما منه في تنفيذ القصاص ، ومن ثم فان في هذه الايام التى نعيشها والتى اهمل فيها المسئولون تطبيق احكام الشريعة لا يجوز لولي الدم ان يقتص من القاتل بنفسه .

آلة التنفيذ في القصاص :

لم يحدد القرآن الكريم الآلة التى يجب استيفاء القصاص بها ، وازاء عدم تعيينها اختلف الفقهاء في شأنها وبكل الاسباب التى يستند اليها ، فقال جمهور الفقهاء ان لولي الدم ان يقتص من القاتل بمثل فعله أي بذات الآلة التى استعملها في ارتكاب جريمته وذلك في حالة شروعه في الفعل . اما اذا كانت الآلة غير مشروعة كمن يقتل آخر باسقائه خمرا فالراجح عندهم ان يكون القتل بجز الرقبة ، ولا يقتل به وبمثل فعله بالمجني عليه لعدم مشروعية الفعل في هذه الحالة ، وسند هذا الرأي : تحقيق المساواة والمماثلة بين الفعلين أخذا من قوله عز وجل : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** وقوله : **(فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)**

كما قالوا انه يمكن لولي الدم ان يقتص في مثل هذه الحالة بالسيف والامر متروك لاختياره . والرأي الثاني : هو لبعض الفقهاء أنه لا يقتص بغير السيف أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا قود الا بالسيف » رواه ابن ماجه ،

واشترطوا ان يكون السيف حادا او غير مسموم وذلك منعا من تعذيب الجاني والتمثيل به الذي لو تحقق تم استيفاء القصاص بمثل فعل الجاني وهذا التعذيب نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للحيوان « ان الله تعالى كتب الاحسان على كل شيء فان قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه احمد – واذا كان هذا شان الحيوان فاولى بذلك الانسان . اما الاستدلال بآية **(فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)** فانها نزلت بشأن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل في غزوة أحد ومثل المشركون بجثته قال النبي صلى الله عليه وسلم « لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فنزلت هذه الآية » وعندئذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بل نصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة » سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠١ و١٠٢

ويرى بعض العلماء المعاصرون انه لعدم وجود دليل من الشرع يعين آلة محددة فانه يجوز استعمال أي آلة تؤدي الغرض المقصود . وقد أفتت لجنة الفتوى بالازهر الشريف بجواز استيفاء القصاص بالمقصلة والكرسي الكهربائي وغيرهما . التقرير في الشريعة الاسلامية هامش ٢٦٧ والاسلام عقيدة وشريعة ٣٨٣

ثانيا : الدية :

ثبتت الدية بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله عز وجل : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا)** النساء/٩٢ ، وقوله تعالى : **(فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان)** فدل بهذه الآية على وجودها بدل الدم عند العفو واما ثبوتها بالسنة فهو ما يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من انه كتب الى اهل اليمن كتابا في الفرائض والسنن والديات ورد فيه « ان في النفس مائة من الابل » .

واما ثبوتها بالاجماع فان الفقهاء وفي كل الازمنة والامكنة اجمعوا على وجوبها في الجملة ، والدية في القتل العمد تجب على القاتل لا تتجاوز الا اذا كان القاتل صغيرا او مجنونا فان جمهور الائمة قال بتحمل العاقلة « أسرة القاتل » لها في هذه الحالة وخالف الشافعي الذي قال بوجوب الدية في مالها ، كما ان جمهور الفقهاء قال بعدم تأجيل الدية في القتل العمد ولكن الاحناف قالوا ان مرجع الامر الى تراضي الطرفين .

والشريعة الاسلامية عندما اوجبت الدية فانها وحدت قيمتها في كل حالة وقررت المساواة فيما بين جميع المسلمين ، خلافا لما كان عليه العربي في الجاهلية فلم تكن قيمتها موحدة عندهم ، بل كانت ترتفع وتتضاءل وفي مكانة المجني عليه بين قبيلته ، ووضع القبيلة بالنسبة لغيرها من القبائل ، والابل هي الاصل في تقدير

الدية عند بعض الفقهاء وقدرها مائة في دية المسلم وقالوا ان الذهب والفضة يقدر بها .

وقال البعض الآخر ان الابل والذهب والفضة كلها اصول معتبرة في تقدير الدية فبأي من هذه الأصول يمكن اداء الدية وقالوا : انه في الابل مائة وفي الذهب ألف دينار ومن الورق اثنى عشر الف درهم ويرى بعض العلماء المعاصرين ان الدية هي مائة من الابل لا تقل قيمتها عن الف دينار فأن قلت وجبت الألف دينار وان زادت وجبت الزيادة في قيمتها والالف دينار بالنقد المصري الآن ٤٦١٢,٥ جنيها على اساس سعر الذهب ، ولو قدرت على سعر الابل وهو الواجب فان قيمتها الآن تساوي سبعة آلاف جنيه . المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة بحث مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٢

ثالثا ــ التعزير :ــ

اذا امتنع القصاص عن القاتل او سقط عنه سواء سقطت الدية أم لم تسقط فان للحاكم وفق الرأي الراجح لدى الفقهاء أن يوقع على الجاني عقوبة تعزيرية يراها مناسبة لتأديبه وزجره وقد تكون اللوم او التوبيخ او الحبس وليس هناك ما يمنع من ان يصل التعزير الى حد القتل ما دامت ملابسات الواقعة تقتضيه .

رابعا : العقوبة التبعية للقتل :

بجانب العقوبة الاصلية لجريمة القتل العمد توجد عقوبتان تبعيتان هما الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية . وقد ثبتت هاتان العقوبتان بالسنة فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس للقاتل من الميراث شيء » رواه البيهقي في السنن

القتل العمد في القانون الوضعي :

لم يعاقب القانون الوضعي المصري على القتل العمد بالاعدام الا في حالات على سبيل الحصر وهي :

اولا : اذا كان القتل قد وقع مع سبق الاصرار « المادة ٢٣١ عقوبات » ويتوافر سبق الاصرار اذا دبر الجاني امر ارتكاب جريمة في هدوء وروية عاقدا العزم عليها مقدرا خطورتها ناظرا الى عقوبتها .

ثانيا : اذا وقع القتل بقصد الترصد ويتحقق الترصد بانتظار الجاني للمجني عليه في المكان الذي يعلم انه يسير منه سواء طالت فترة الانتظار ام قصرت . (المادة ٢٣٢ عقوبات)

ثالثا : اذا وقع القتل بالسم « المادة ٢٣٣ عقوبات » ويتساوي في هذه الحالة دس السم في الطعام او في الشراب او بطريق الحقن .

رابعا : اقتراف القتل بجناية اخرى او ارتباطه بجنحة « المادة ٢٣٤ عقوبات » شريطة ان لا تكون الجريمتان ناشئتين عن فعل اجرامي واحد .

كما ان القانون عاقب الشريك في الجرائم السابقة بالاعدام او الاشغال الشاقة المؤيدة .

اما اذا وقع القتل العمد دون الظروف المشددة السابقة فان القانون يعاقب عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة .

هذا من ناحية النصوص القانونية ، اما من ناحية التطبيق العملي فقد جرى القضاء في الغالب الاعم على استعمال المادة ١٧ من قانون العقوبات ، وهذه المادة تجيز النزول بعقوبة الاعدام الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة ، اذا رأت المحكمة اخذ الجاني بالرأفة .

وكثيرا ما تعلو صيحات بعض رجال الفقه والقانون الوضعي مطالبين بالغاء عقوبة الاعدام زاعمين انها عقوبة بربرية قاسية تتنافى مع ما أسموه بالمدنية والتقدم .

وكان اول المنادين بالغائها هو الفقيه الايطالي « سيزاردي يكاريا » ومن بين ما قالوه ايضا في نقده ان حياة الانسان مملوكة له ولا حق لغيره في سلبها ، كما قالوا بان قتل القاتل يفقد المجتمع نفسين فضلا عن ان الغاية من العقاب هي اصلاح الجاني ، وعقوبة الاعدام تفوت هذا الغرض كما انه يستحيل تصحيح خطأ القاضي بعد تنفيذ الحكم بالاعدام اذ لا سبيل لاعادة الحياة الى المحكوم عليه .

وقد فات هؤلاء ان حياة الانسان ليست ملكا خالصا له ، بل هي ملك لله الخالق الوهاب وهو الذي شرع عصمة النفس وحرم ازهاقها ، ولكنه في ذات الوقت سلب هذه العصمة ممن لا يستحقها والانسان الذي يعتدي على حق غيره في الحياة غير جدير بصيانة حقه فيها .

كما ان نفس الجاني التي يتباكون على اعدامها انما هي نفس شريرة من صالح المجتمع بترها . وفي الطب الحديث لا يتوانى الجراح من بتر العضو الفاسد اذا كان في بتره صلاح لباقي الجسد ، والقاتل بارتكابه جريمة القتل العمد انما يدل على انه يحمل بين جنبيه شرا وفسادا كبيرا .

ومن صالح الجماعة التخلص منه ، لا سيما وان في بقائه خطرا على حياة الآخرين اذ ان اهل القتيل لا يطيقون صبرا حتى يثأروا لدمه وقد يكون الثأر من احد اقارب القاتل اذا تعذر عليهم قتل الأخير .

وما زعمه هؤلاء المعارضون من ان الاعدام يفوت الغرض من الاصلاح فمردود ، لأن من يرتكب هذه الجريمة الشنعاء لن يجدي معه صلاح ولا تهذيب فضلا عن انه لو حكم عليه بعقوبة مقيدة للحرية فسيخرج من السجن شيخا فانيا لأن عقوبة القتل العمد تصل الى الاشغال الشاقة المؤبدة ٢٥ سنة .

أما القول بعدم استطاعة تدارك ما قد يقع فيه القضاء من خطأ وان كان لهذا القول بريق قد ياخذ بالالباب الا انه مردود بان هناك ضمانات كثيرة سواء من ناحية أدلة ثبوت الجريمة او الاجراءات ، وكلها كفيلة بان تحول بين القاضي والخطأ .

هذا فضلا عن ان مثل هذه العقوبات لا يحكم بها الا اذا اقتنع القضاء اشد الاقتناع بثبوت الجريمة . المسئولية الجنائية ، للدكتور محمد الخضراوي .

وعموما وكما يستحيل تصحيح

الخطأ في الاعدام يستحيل تصحيحه بالنسبة لعقوبة السجن التى قد تكون نفذت بأكملها أو نفذ بعضها .

ثم ان القول بهذه العقوبة او مجافاتها المدنية قول يجافي العقل والمنطق العادي للامور ولسنا ندري اي مدنية تلك التى يريدون في ظلها ترك القصاص ؟!

هل المدنية في نظرهم هي ترك قاتل النفس سافك الدم دون جزاء يناسب ما اقترفت يداه ؟!

هل المدنية ترك الآمنين الوادعين غرضا لكل هاجم وموضعا لمخالب كل معتد اثيم ؟!.. أليس الجزاء من جنس العمل ؟! ثم اذا كان في القصاص قسوة أليس الباعث عليه الزجر والتأديب ؟!.. ثم لمن تكون الرحمة أتكون لقاتل النفس سافك الدم .. أو تكون بأسرة القتيل واولاده الذين تركهم القاتل بجريمته يتقلبون على جمر اليتم ويلتحفون الضياع ؟!.. أتكون الرحمة بالمجرم القاتل أو بهؤلاء الذين تركهم الجاني حيارى لا يدرون اين المساق ؟!

هل يترك القاتل ليكون همزة وصل لسلسلة من الجرائم ، قد يروح ضحيتها عشرات الابرياء ؟ وييتيتم فيها مئات الاطفال وتفنى فيها النساء بين ملابس الحداد والنواح .

واني ارى من لا يرحم حياة غيره لا يستحق الرحمة لان الرحمة ليست حنانا دون عقل ولا رأفة تخل بأمن الناس ونظام المجتمع والعدل فيه وان المتتبع لاحصائيات الامن العام في مصر ليلحظ عدم جدوى العقوبة الوضعية في محاربة هذه الجريمة التى وصل عددها في سنة ١٩٢٣ الى ١٩٤١ جناية قتل (تقرير الأمن العام المنشور بمعرفة وزارة الداخلية) ، باعثها في الغالب الاعم ، الثأر . ذلك ان القانون عجز عن شفاء غيظ نفس اهل المجني عليه فكان طبيعيا ان يتولوا هم شفاء غيظ انفسهم .

كما ان عقوبة السجن للقاتل وان صلحت للبلاد التى صدرتها لنا ، لترف اهلها وانغماسهم في النعيم ، فهي ليست كذلك عندنا فضلا عن ان السجون اثبتت افلاسها عن اصلاح المجرمين ، واصبحت معهدا عاليا لتخريج المجرمين المحترفين ، الذين يتلقون فيها فنون الجريمة واساليبها التى لا عهد لهم بها على ايدي غيرهم من عتاة المجرمين ، وان لنا لعبرة في البلاد التى الغت عقوبة الاعدام ثم عادت اليها بعد ان اكتشفت تفشي هذه الجريمة فيها .. ومن هذه الدول ايطاليا التى ألغتها سنة ١٨٩٨ واعادتها سنة ١٩٣٠ وكذلك الولايات المتحدة الامريكية التى عادت اليها بعد الغائها .

ولست ادري متى تعلم السلطة التشريعية في هذه البلاد ان شريعة الاسلام هي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أما آن لهم ان يعلموا ان هذه الشريعة لم يغض على الايام معينها ولم تتعطل على الزمن مواردها .! أما آن لهم ان يتدبروا قوله عز وجل : **(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا)** الاسراء/١٠٥

شهر العزيمة والجهاد

للاستاذ محمود محمد ابراهيم السيد

رمضان شهر عزيمة وجهاد | رمضان شهر هداية ورشاد
قد أشرقت بحلوله آمالنا | وتبسمت دنيا الربيع النادي
كم ذاتحن الى ضياه قلوبنا | وتظل تهتف باسمه وتنادي
تصفو لدى استقباله أرواحنا | نشوى بنور الفيض والامداد
فيه مغالبة النفوس وضبطها | والصوم للانسان خير جهاد
فيه مراقبة الضمير وحفظه | وطهارة للروح والأجساد
وتراحم في ظله وتقارب | وتعاون في البر والارشاد
وتجاوب بين المشاعر في رضا | وسماحة ومحبة ووداد
قد أنزل القرآن فيه هدى لنا | ومبشرا بالخير والاسعاد
في ليلة منه تعاظم فضلها | فاقت على الأزمان والآماد
للصائمين بها نسائم رحمة | في موكب الأفراح والأعياد
أثنى عليها الله في آياته | وبها فضائل جمة وأيادي
يسخو بها المولى ويفتح بابه | للسالكين به وللرواد
والصوم قد شرع الاله زكاته | قصدا إلى التقويم والاعداد
هي قربة لله وهي تراحم | وعبادة الرحمن أفضل زاد
ولنا بذا الشهر الكريم مواقف | قد خلدت بالفخر والامجاد
كتبت لنا فيها انتصارات على | حملات أهل الشرك والالحاد
والله أيدنا وأظهر جنده | بالنصر والتثبيت والامداد
يا معشر الاسلام هذا شهركم | شهر فضيل مشرق الميلاد
شهر يربى في النفوس مبادئا | هي في طريقكم منار هادي
شهر أهلت بالمنى أضواؤه | بين الأنام فسيحة الأبعاد
فتفيأوا محرابه وتخيروا | زادا ليوم البعث والميعاد
هو فرصة كبرى فمن يظفر بها | يسعد وظل الله خير مراد
يا أمة الحق استعيدوا مجدكم | بالعلم والتقوى والاسترشاد
وابنوا كما بنت الأوائل قبلكم | بالجهد في غدكم والاستعداد
هيا أعيدوا في الورى تاريخكم | روضا نضيرا زاهر الأعواد

الصوم

قضت حكمة الله ـ ابان الدعوة ـ الا تكلف المسلمين اكثر من الايمان بالشهادتين على مدى تسع سنوات من البعث ، حتى فرضت الصلاة ليلة الاسـراء والمعراج ـ فلما مرن المسلمون عليها ، وخالط حبها قلوبهم على مدى ست سنوات ـ فرض الله بعد ذلك الصوم في منتصف السنة الثانية من الهجرة ، وللعلم والتسرية اخبرهم الله في كتابه بأن الصوم فريضة قديمة ـ قدم الشرائع السماوية وانها فرضت على الامم السابقة كما فرضت على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل شأنه (**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .

وقد اتخذ الصيام في الامم السابقة اشكالا وصورا مختلفة ، تتمثل تارة في الحرمان من مواد غذائية معينة كاللحوم والاسماك والبيض والزبد والسلي والاجبان كما هو الحال إلى اليوم في صيام النصارى نحو خمسين يوما ، ثم اباحة ما عدا ذلك من اطعمة ، وعدم التقيد في تناولها بكم أو وقت أو كيف ، ويتمثل الصوم تارة اخرى في صوم بضعة ايام يتدرج فيها الوقت من ربع اليوم الى نصف يوم الى يوم بعد يوم ، كما هو الحال في صيام اليهود حيث يصومون ايام ٥ و ٧ و ٨ و ٩ من اكتوبر ساعات محدودة ثم يصومون يوم ١٠ بليلته ، ويسمونه الصيام الكبير او يوم الغفران ، ويزعمون انه اليوم الذي كلم فيه موسى بالوادي المقدس طوى ، ويحكمون بالكفر على من يفطر في هذا اليوم ،

من مستلزمات الفطرة

للاستاذ/ عبد الحميد محمد المشهدي

ويتمثل الصوم تارة ثالثة في الامتناع عن الكلام والكف عن مزاولة العمل ، هذا ما رويت ترجمته عن صوم الأقدمين زاعمين أن الامتناع عن تناول أي طعمة أو تغيير المسيرة المألوفة لاي مجتمع - يورث كبتا لجموح النفس وإذلالها ، وهي الثمرة المرجوة من تشريع الصوم كما يقولون - فلما اوحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم بصورة الصيام الاسلامية المتناسقة كما وكيفا وسلوكا ، وجاءت السنة المحمدية ففصلت ما أجمل ، وفسرت ما أبهم وفوقت ما اغفل - كان التشريع الجامع بين صوالح المسلمين دينا ودنيا .

وقد كان شهر رمضان وعاء الصوم - لفضله المتميز على بقية الشهور - ولنزول القرآن فيه ، والقرآن هدى للناس ومرجعهم ودستورهم في شؤون دنياهم ودينهم قال سبحانه (**شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن**) البقرة/ ١٨٥ واذا كان العالم شرقه وغربه - يحتفل في المناسبات بذكريات الزعماء والمصلحين والقادة والمفكرين والادباء والفنانين والمخترعين والمكتشفين - أفلا يجدر بنا - نحن المسلمين ان نحتفل بالشهر الذي انزل فيه الينبوع الحضاري المتجدد ،

ورسالة الهداية الخالدة للبشر وهو القرآن الكريم وحسبه قدرا ووصفا ، قول الله سبحانه فيه (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة/ ١٥ ، ١٦ وكذلك قوله جل ثناؤه **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)** الانفال/ ٢٤ وفي كلمة ـ لما يحييكم من المعاني العلمية والفنية والادبية ـ ما لا يتسع المقام لشرحه ويكفي للاشارة الى ذلك ان اول اية نزلت من القرآن على رسوله ـ كانت دعوة للتوحيد مقرونة بدعوة التعليم والارتواء من منهل العلم ، قال سبحانه **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** القلم/ ١ ـ ٥ وللعلم دوره العظيم في حياة الاسلام واهله وازدهار دعوته ، والالما دعا الله اليه في عدد كبير من الآيات القرآنية ، ولما دعا الرسول العظيم اليه في عدد لا يحصى من الاحاديث النبوية ، ولما افسح له الرسول في مسجده ركنا خاصا للتعليم والعلم ، بسط عليه عنايته وظلله برعايته فكان المنار الاول الذي أشرقت من اشعاعه تعاليم الاسلام على ربوع العالم ، وانقذت البشرية من ظلام التخلف والجهل في القرون الوسطى والى يوم القيامة وقدمت لعصر النهضة الاوروبية مشاعل طلائعها الاولى .

لهذا كان احتفال المسلمين على مر القرون عارما متجددا ـ بشهر القرآن شهر ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ، شهر الصوم المفروض ، شهر البر بالفقراء شهر زكاة الفطر ، شهر الصمدانية والتشبه بالملائكة الابرار شهر العتق من النار شهر المران على الصبر والحرمان ، شهر الحصانة من همزات الشيطان ، شهر الشكر على نزول القرآن ، شهر الانتصار على الهوى والنفس والشيطان ، شهر تفتح فيه ابواب الجنة ، وتغلق فيه ابواب النار ، واذا كان لشهر رمضان من الافضال والمميزات ما تقدم فان رمضان ظل على مدى القرون ميدانا يفيض بامجاد الاسلام والمسلمين وترفرف في ساحته أعلام النصر فوق الرؤوس المتوجة بأكاليل الغار .

ففي شهر رمضان تقرر مصير الاسلام في بدر ، ورست قواعده فوق أرض صلبة وانتصرت فيه القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الكافرة من المشركين تفوقهم عددا وعدة وثراء **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** البقرة/ ٢٤٩ وفي شهر رمضان فتح الله ابواب مكة امام رسوله وطهر المسجد والبيت الحرام من الالهة المعبودة التي لم تستطع ان تدفع عن نفسها وقع المعاول حولتها ركاما وجذاذا ، والقى بها في مطارح القمامة والغائط .. وفي شهر رمضان تحدى رسول الله جيوش الروم في (تبوك) فهزموا بسلاح الرعب وولوا مدبرين .. وفي شهر رمضان هزم المسلمون تحالف الفرس والروم على شاطىء الفرات في السنة الثانية عشرة من الهجرة .. وفي شهر رمضان فتح الله بلاد الاندلس على يد القائد العربي العظيم طارق بن زياد وعاشت

هذه البلاد ثمانية قرون في ظل القرآن وتحت رايته ومن مشكاته كانت النهضة الاوروبية الحديثة .. وفي شهر رمضان انتصر المعتمد بن عباد القائد العربي الفز على جيوش الفونس السادس ملك قشتاله والكونت ريمون وشانسيوم ملك إراجون في معركة الزلاقة يوم العروبة .. وفي شهر رمضان انتصر السلطان محمد بن قلاوون على جيوش التتار بقيادة غازان في معركة برج الصفر ، وعاد الى مقر ملكه برؤوس القتلى معلقة في أعناق الاسرى من المجوس يكسو وجوههم غبار الخزي والهزيمة والعار .. فهل يمكن بعد هذا الاستعراض السريع ان يمر بنا هذا الشهر دون ان نحتفل به ، ونترجم هذا الاحتفال الى دراسة وتلاوة وتعبد وبر وصدقة وتعاطف وتعاون وتجلد وعصمة من كل ما حرم وكره . حتى نظفر بثوابه كاملا ، ونفوز بجزائه وفاقا ويلتقي المسلمون جميعا على مائدة الرحمن في يوم العيد وافرين مكبرين مهللين متآخين مهنئين لا تثقلهم المسؤوليات ولا تضنيهم أعباء الحياة .

واذا كان لا بد من الاحتفاء أو الاحتفال بشهر رمضان فلتعلم ان رؤية هلاله ـ هي شارة البدء والاستعداد للهجرة من الحياة العادية الى حياة منظمة لها قيم ومبادىء وآداب وسلوك وحواجز وحدود ، يبتدىء الصوم بها يوميا وينتهي في اطار الآية الكريمة (**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل**) البقرة/١٨٧ .

وقد كانت رؤية الهلال هي مؤشر البدء والاستعداد للصوم ـ ليستوي في ذلك سكان البوادي والحضر والمسافرون على أجنحة الهواء وفوق اعناق الماء والضاربون في الفيافي والصحراء ، استجابة لقوله سبحانه (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) البقرة/ ١٨٥ . واطاعة لقوله صلوات الله وسلامه عليه (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) رواه البخاري ويجوز للبلاد الاسلامية المجاورة التي لم تر الهلال ، ان تقتدي بالبلاد التي ثبتت عندها رؤيته متى كان موقعها يجعلها تشترك معها في ليل واحد او جزء من الليل وحددوا ذلك بالمنطقة التي تقع بين بلاد المغرب وجزر الفلبين وقد اجمع علماء الفلك على انه حينما يكون الوقت مغربا في المملكة المغربية يكون قد بقي على الفجر في الفلبين نحو ساعة وثلث وهي مدة كافية لتناول السحور وتبييت النية حين يعلم المسلمون في هذه الجزر بظهور هلال رمضان بطريقة ما وما اسرع وسائل المعرفة من الالكترونيات والتكنولوجيا .

وللصوم ركنان : ـ الامساك والنية في كل ليلة قبل الفجر ، عند الامام الشافعي وتجوز نية الصوم عن رمضان كله مرة واحدة تلافيا من نسيانها خلال الشهر ولقدر الصوم وعظمته اقسم الرسول بشأنه فقال صلوات الله وسلامه عليه (والذي نفسي بيده ـ لخلوف فم الصائم اطيب

عند الله تعالى من ريح المسك) رواه مسلم . كما ان الله يباهي ملائكته بصمدانية الصائمين واستسلامهم لطاعة الله وعظمته فيقول في الحديث القدسي (**انظروا يا ملائكتي الى عبادي يذرون شهوتهم وطعامهم لأجلي ، فالصوم لي وانا اجزي به**) وفي تفسير لقوله سبحانه (**كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية**) الحاقة/ ٢٤ يقول وكيع : هو خطاب من الله للصائمين في الجنة ـ ومن تفسير لقوله جلت عظمته : (**فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**) السجدة/ ١٧ يقول كان عملهم الصوم .

والصوم في جملته امساك وكف عن تناول المفطرات مهما دق حجمها وصغر وحائل دون وصولها الى الجوف اختيارا عن طريق طبيعي كالفم والاذن والانف ، ومن بين هذه المفطرات التدخين تناولا بالفم ، أو سعوطا في الانف ، وضخ الحقنة الشرجية ، اما ضخ الدواء بالابرة تحت الجلد أو في العضل فهو غير مفطر بخلاف ضخها في الاوردة أو الشرايين فانه مفطر ، وكذلك التقطير في الانف والاذن واستنشاق ادوية الزكام والذبحة الصدرية والربو فانه مفطر وكذلك ابتلاع ما يتساقط من فضلات الطعام من بين الاضراس أو الاسنان وابتلاع القيء والنخامة والبلغم مع امكان قذفه خارج الفم ، فانه مفطر ، وكذلك الجماع أو الاستمناء خلال ساعات الصوم فانه مفطر وكذلك الرده قولا أو عملا ومنها سب الدين وازدراء مقدساته وانكار ما علم منه بالضرورة والجنون والاغماء فانه مفطر .

ولا صحة لما شاع بين بعض الناس من ان الاكتحال والتقطير في العين ودهان الشعر والحجامه والفصد وابتلاع الريق والابتراد بالماء صيفا وتذوق الطعام ومجه ووصول الغبار والدقيق الى الجوف في غير عمد .. نعم لا صحة لما يقال عن هذا بانه مفطر .

ومن المعلوم سلفا ان الصوم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل مقيم سليم ومنكر وجوبه كافر باجماع المسلمين على ان تكون المرأة خالية من الحيض والنفاس والا تكون حاملا او مرضعا ولو بالاجر وتخشى على نفسها ما يضر بها ، وذلك لأن وطأة الصوم مجهدة مضنية ونزول الدم يزيدها بهرا واجهادا وضغط الحمل وادرار اللبن يعرضها للبهر والوهن والله أرأف وأرحم من أن يكلف هذا المخلوق الضعيف بما يصل به الى حالة الانهاك والوهن ، وقد يسبب لها ذلك مضاعفات صحية تصل بها الى شفا الاصابة بمرض خبيث ـ فاذا تحاملت الحائض والنفساء على نفسها وصامت بطل صومها وباءت بالوزر المذكور وحرمت كذلك من ثواب الصوم لقوله صلوات الله وسلامه عليه : (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) رواه الترمذى ولا يجب الصوم على الصبي الذي لم تدركه علامات البلوغ ويجوز الصوم له للتعود والمران عليه ، وقد كان أصحاب الرسول عليه

الصلاة والسلام يدربون اولادهم الصغار على الصوم ويعللونهم عند الجوع بالدمى المصنوعة من الصوف حتى يهل وقت الافطار كما روت الربيع بنت معوذ فيما رواه البخاري ومسلم : (كنا نصوم صبياننا الصغار ونذهب الى المساجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فاذا بكى احدهم للطعام اعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار) .

هذا ولا صوم على مريض لا يرجى برؤه كالمسلول والمعوود والمسلول والمسروط وعليه الفدية والقضاء ان امكن ذلك اما من افطر لمرض يرجى شفاؤه فعليه الفدية والقضاء ويباح للمسافر سفر قصر مساحته (٨١) كيلو ان يفطر فاذا قدر على الصوم قبل منه خلافا للامام احمد وكذلك يباح الفطر للشيخ الطاعن في السن وعليه ان يطعم كل يوم مسكينا وجبتين كاملتين من اوسط ما يؤكل عادة وكذلك يباح الفطر لمن يزاولون عملا شاقا في مجال الزراعة او الصناعة او الكراء على ان يكون عمله مورد رزقه الوحيد وعليه القضاء اذا اتيحت له فرصة الصوم .

هذا وقد شرع الصوم نهارا لا ليلا لتتضاعف المشقة عند الكفاح في مجال الرزق والمعاناة من الحرمان بالصوم وكلما ثقلت اعباء المشقة تضاعف الاجر وعظم الثواب بالاضافة الى ان الصيام نهارا يجدد الاحساس بالجوع ومرارة الجوع توقظ المقتدرين من غفوتهم وتنبههم الى واجبهم الاسلامي والانساني نحو المعوزين والمحرومين فيتحقق الود ويتوثق التعاطف بين طبقات المسلمين ، وفي معنى الاثر : (أطفئوا نار الحسد ولو بشق تمرة فان كل ذي نعمة محسود) .

على ان تجسيد الاحساس بالجوع - من ناحية أخرى يشعر الصائم بقيمة النعمة عند انقطاعها بالصوم فيتدارك ما فاته من وسائل الشكر عليها والثناء على الله للاستزادة منها قال سبحانه : **(لئن شكرتم لازيدنكم)** ابراهيم /٧ وقوله جل ثناؤه **(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم)** الحديد/ ١١ ولاهمية الصوم وقدره وعظيم أثره ، وتلافيا مما عساه يحدث فيه أو يدس عليه ظرفا ومطلعا ومطعما وحكما وعددا وتأويلا ومناخا - نعم لاهمية كل ذلك - حدد - الشارع أيام الصوم وساعاته ودقائقه من رمضان ، ولم يتركه نهبا للأهواء الرياسية ، أو في متناول السلطات الدينية أو الظروف المناخية ، كما حدث مثل ذلك بين الأقدمين الذين : **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)** التوبة/ ٣١ اما تحديد الشهر - فثابت بقوله سبحانه : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/ ١٨٥ وهذا أمر والامر للوجوب ورؤية هلال الشهر مؤشر الهي لبدء الصوم والاستعداد له ، أما عدد أيامه فمحصور بين مطلع الهلالين : هلال رمضان وهلال

شوال ، حيث يقول الرسول العظيم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » فما يقع من عدد الايام بين الهلالين فهو شهر رمضان قل عددها عن ثلاثين يوما أو زاد ، وما يقع من ساعات الصوم من قبيل الفجر الى غروب الشمس ، فهي ساعات الصوم اليومية ، قال جل شأنه : (**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**) البقرة /١٨٧ اي بعد الغروب ، ومن هنا ولشدة حرص المسلمون على تحقيق ساعات الصوم وتحديدها لم يعتمد المسلمون في انحاء العالم منذ فجر الاسلام الى اليوم والغد ـ على القواعد الفلكية والعمليات الحسابية في معرفة وتحديد أول أيام الصوم وآخرها ، رغم تقدم علم الفلك وأجهزته ومراصده وتفوق علم التكنولوجيا ، وسحر الالكترونيات الحديثة ، وسيظل اعتمادهم على تعاليم المعلم العظيم في حديثه الشريف : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » رواه البخاري .

ولعل من أسباب هذا التحديد الواضح في عدد ايام وساعات الصوم ـ ما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما ونقله الزمخشري في تفسيره ـ من أن النصارى صادفهم رمضان صيفا ، فقرر رهبانهم الصيام في فصل معتدل الطقس ، وارتضوا ان يكون فصل الربيع وتكفيرا عن هذا التعبير زادوا في صيامهم عشرة أيام ، ثم مرض راهب كبير فنذر اذا شفي ان يزيد أيام الصوم سبعة فشفي ووف بنذره ، ثم نجا أحد ملوكهم من خطر احاط به فنذر ان يزيد أيام الصوم ثلاثة اذا نجا ، فكان له ما أراد وما نذر فكان عدد أيام الصوم خمسين .. وكذلك فعل اليهود ، فقد نقلوا صيامهم الى فصل الخريف ، وأكدوا على صيام أيام ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، من اكتوبر ، ويصومون أربعا وعشرين ساعة في اليوم العاشر منه ويسمونه الصوم الكبير أو يوم الغفران ويزعمون انه اليوم الذي كلم الله فيه موسى فوق جبال سينا ، والى هذا التعبير تشير الآية الكريمة : (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله**) التوبة/ ٣١ يمنحون أنفسهم حق التبديل والتغيير والزيادة والنقص .. ولعل تكريه الشارع لصيام يوم الشك ، وتحريم الصوم في يوم العيد الأصغر أو الاكبر ـ من أسباب عناية القرآن بتحديد ايام الصوم وساعاته ، حتى تأتي مطابقة لارادة الله في صوم شهر رمضان متى هل هلاله في أي فصل من فصول العام .

وقد أسند الله جزاء الصوم وثوابه .. الى كرمه العظيم في حديثه القدسي : ـ « الصوم لي وأنا أجزي به » ذلك لأن الصوم ترك وكف لا عمل فيه ، وعبادة باطنية قوامها الصبر المجرد ، ولأنه سر بين العبد وخالقه ، بينما جميع الطاعات الأخرى بمشهد من الناس ، ومرأى من الجميع ، وفي القيام بالصوم كبح لنشاط الشيطان ، وحد من نوازعه واغراءاته ، وبهذا

استحق الصائم ثوابه بغير حساب ولا يستحق مثل هذا الثواب الا من استكمل لصيامه كل أركانه وشروطه وآدابه ، لأن الكف عن الطعام والشراب فقط ، لا يعتبر صوما كاملا ، والجامع بين الصيام والغيبة لا يعتبر صومه كاملا والجامع بين الصيام والكذب والغش وقول الزور والنظرة المحرمة واليمين الفاحشة لا يعتبر صومه كاملا ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « من لم يدع قول الزور والعمل به ـ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري فالصوم الكامل هو الذي جمع بين الكف عن المفطرات والكف عن المحرمات والمكروهات ، والا كان الصوم مهزلة حين يجمع الصائم بين العبادة واقتراف المعاصي وفي هذا يقول الرسول الكريم « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » رواه ابن ماجه .

هذا وكل ما فرض الله على عباده المسلمين ومن بينها الصوم ، فرض لصوالحهم دينا ودنيا ، ولا أريد أن استعرض الحكم المتعددة من فرضية كل ما فرض الله فليس هذا ميدانه ولا مقامه ، وحسبي من ذلك ما ترتب على فرضية الصوم من بعض نواحيه وأسراره التي تعود فائدتها على الصائمين وحدهم قبل كل شيء ، فلن ينال الله من عباده العابدين شيئا ، ولن يضره من عصيانهم شيئا وهكذا يقول الله في كتابه :

(وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) ابراهيم/٨ كما قال الله في حكمة القربى اليه باراقة دماء الهدى في الحج : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** الحج/٣٧ وهكذا لم تكن فرضية الصوم تعذيبا للصائمين ولا اعناتا بهم بل هي لصوالحهم مادة وروحا ، وأولها : الحكمة الصحية ، حيث تؤدي قلة الطعام ، ودوام الحرمان من قبيل الفجر الى ما بعد الغروب ـ الى تجفيف المعدة وتطهيرها من الرواسب المتخلفة من الاطعمة والاشربة زهاء أحد عشر شهرا من كل عام ، شأن الانسان في هذا ، شأن الارض الزراعية التي تملك المصارف التي تخلصها من بقايا الماء بعد استيفاء حاجتها منه ، فتجف وتشبع من الهواء وحرارة الشمس ، فتأتي أكلها كل حين ، وتجود بأوفر المحاصيل والثمرات ، والا غرقت في الماء الآسن وتحولت تربتها الى مستنقع وأملاح تأتي على البذور والنبات في طفولته ، والمعدة بيت الداء اذا احتشدت بالطعام ، أو القي به اليها بغير مواقيت أو نظام ، وهي رأس الدواء اذا قلت وجباتها ونظمت أوقاتها ، وهو ما يسمى بالحمية أي الصوم والتجويع ، وكثرة الطعام تذهب باليقظة والصحو وقوة الملاحظة وتخمد وقدة الزكاء والفطنة ، وتصيب الرأس بالاسترخاء والثقل .

أما حكمة الصوم من الناحية الاجتماعية ـ فيتلخص في أن الصوم المتكامل ـ من شأنه أن يقلل من تدفق الدم ويقلل من سرعته في الاوردة

والشرايين ، وقلة الدم يحفظ على الشاب اعتدال حيويته ، وتهدئة اعصابه ، ويبعده عن التفكير في المعاصي ، لأن كثرة الطعام تكثر الدم ، وكثرة الدم تدعو الى آثارة الاعصاب ، واثارة الاعصاب مجلبة للفساد ومدعاة للمعاصي .

أما حكمة الصوم من الناحية التربوية فانه يورث الاناة والصبر على الآلام والحرمان . وفي الصبر دواء لعلاج الكثير من مشاكل الحياة ، فنجاح التاجر والمزارع والصانع والطبيب والمعلم والطالب والمحارب والمربي ـ مرهونة بمقدار صبره واناته وقوة احتمالاته ، فالتاجر الناجح هو الذي يصبر على استرضاء العميل ولجاجته ويختار له البضاعة الجيدة بالثمن المعتدل ، والمزارع الناجح هو الذي يصبر على خدمة الارض ويتعهدها بالحرث والسقي والنقاء ، والصانع الناجح هو الذي يصبر على اختيار الخامات وجودة الحياكات والعامل الناجح هو الذي يصبر على تجويد ما بيده ، ويوفي بما يتعهد به ، والمربي الناجح هو الذي يصبر على لأواء التدريس ويسوس تلاميذه بالاناة والجندي الصابر هو الذي يفوز ويستأهل غار الفخار ، كل هذا النجاح مرهون بالصبر ، والصبر وليد الصوم ، وأخيرا فان الصوم وليد الاحتمال والاناة ، والصبر عصمة من الحدة والانفعال ، وهو الصمام من الغضب والاندفاع ، قال صلوات الله عليه : « انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل « يندفع » واذا امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم اني صائم » رواه الترمذي .. وقد قسم الامام ابو حامد الغزالي ـ الصوم الى ثلاثة اقسام ، صوم العموم بمعنى الامساك عن كل ما يصل الى الجوف عمدا اثناء الصوم عن طريق الفم والانف والشرج ، كالاكل والشرب والسعوط والادوية ومثل هذا ضخ الادوية في الاوردة او الشرايين وكذلك الجماع والاستمناء في ساعات الصوم .

القسم الثاني صوم الخصوص ـ وهو فوق ما تقدم ـ كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن المعاصي والآثام ويؤيدون مذهبهم بما رواه عن جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خمس يفطرن الصائم ـ الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) رواه مسلم .

القسم الثالث ـ صيام خصوص الخصوص وهو صوم القلوب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية والانصراف عن كل ما سوى الله عز وجل فاذا انصرف الصائم ـ عند اصحاب هذا المذهب ـ الى ما سواه جل شأنه كان مفطرا وقالوا : ان من تتحرك همته في نهار رمضان لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة لقلة وثوقه بفضل الله وافتقار الى اليقين برزقه الموعود .

ولست من انصار هذا الغلو في العبادة ولا من الداعين الى صيام القلوب القائلين بان التوجه بالقصد والرجاء لغير الله ـ افطار ، وصرف

الهمة لغير العبادة افطار ، والتغاضي عن اقامة الحدود افطار ، والاهمال في المصالح العامة افطار ، لان هذه اثام ولكل أثم حدوده وعقوبته والاسلام عبادة وعمل ، الاسلام مسجد ومصنع ، الاسلام مصحف وسيف ، الاسلام علم وعمل ولا بد من خلال العمل ان تحدث اخطاء وان تظهر فجوات وللاخطاء والفجوات دواؤها من التوبة والانابة والتنصل من الذنب والرجوع الى الله . وعندي ان الصوم من مستلزمات الفطرة في الانسان والحيوان والطيور وبعض الاشجار والحشرات والزواحف والبرمائيات فالابل تصوم عن الطعام فترة في كل عام وبعض الطيور الجارحة تقبع في اوكارها وتصوم ، وكذلك تصوم الحيوانات البرمائية والضفادع والزواحف في فترة البيات الشتوي والطيور المهاجرة في فترة الانتقال بحثا عن مواطن الدفء والخضرة وتصوم الاسماك عند الانتقال الموسمي الى مواطن اللقاح وتصوم الاشجار عن غذائها الارضي فتذبل اوراقها وتتساقط ثم تعود سيرتها الاولى فتورق من جديد .. الى غير ذلك مما لا يعلم انواعه وعدده الا الله .

فالصوم اذن ليس ضريبة مفروضة على هذه الكائنات ولهذا كانت شرعة الصوم قديمة قدم الخليقة ثم تجلت حاجة الانسان اليه منذ نشأته وصاحبته على مر العصور رياضة وطبا وعبادة ، حتى وافت شريعة الاسلام بخيراتها وظلالها ، وكان الصوم ركيزة بين اركانها . صوم قوامه الاعتدال والوسط وثمرته معالجة النفس والجسد ورياضة الاعصاب ، وسره المران على الصبر والتدريب على مرارة الحرمان وتحسين الصلة بالله ثم بالناس والشعور بالواجب والاحساس بالمسؤولية نحو الاخرين والاسهام في مجالات الخير المختلفة والتجاوب مع مشاعر المعوزين والمحتاجين والتطبيع على فضيلة النظام فيما نزاوله من أعمال وتقسيم الوقت بين الاخلاص في العمل الجاد والعبادة الضارعة حتى يمكن الانتفاع بكل ما منحنا الله به من نعمة الوقت وخير الزمن ، وللنظام اثره الكبير في دفع عجلة التقدم والحضارة وتوفير الانتاج والخير للانسانية في كل مكان . ثم تعود تقاليد الصوم لتطوف باذهاننا وخيالنا حول موائد الافطار في دنيا المسلمين في وقت واحد وشعور واحد وايمان واحد فنذكر بذلك امجاد الاسلام وكثافة تعداده وقوة مواقفه ومنابع ثرواته وما يمكن ان يقوم به لارساء قواعد وتمكين بنيانه ومدى اسهامه في ركب التقدم والحضارة ويقدمه لخير الانسانية في كل اتجاه متى اتحدت صفوفهم وتضامنت ارادتهم وتعاونت قواهم وصفت نواياهم فانجز الله لهم وعده وورثهم أرضه واستخلفهم فيها كما قال ذلك في كتابه : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا**) سورة النور/ ٥٥ .

صوم

تكمن الحكمة العليا للصيام في قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/ ١٨٣ .

فالتقوى هي الهدف من الصيام كما هي الهدف من مختلف الشعائر التي كلفها الله المؤمن وتعبده بها . ولا يخفى أن التقوى هي جماع الفضائل وأساس الكمالات وقمة المثل العليا في الحياة .

لقد تعبدنا الله بالعبادات ليهذب من ضراوة نفوسنا ويرفع من قدرنا حتى نستحق بذلك مقام الخلافة التي من الله بها علينا منذ القدم حين خاطب ملائكته في عليائه : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**) البقرة/ ٣٠ .

ولا يكون الانسان خليفة إلا إذا تخلق بأخلاق الله . بأن يصبح ربانيا . يسمو ببشريته عن أدران الأرض ويرتفع بروحانيته الى آفاق السماء . ويجول بفكره في ملكوت الله فيرتد اليه بغرائب الفكر ودقائق العبر ، هو مع الناس كأحدهم ولكنه مع الله بوجدانه ومشاعره ، ووسيلته

العارفين

للأستاذ/عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

في ذلك .. التقوى التي أمر الله بها عباده في مختلف الظروف والمناسبات، ودعاهم الى أن يتخذوا منها شعارا ودثارا، والصوم وسيلة كبرى من وسائل تحقيق هذه التقوى التي أمر الله بها.

ولئن كانت الصلاة تربط بين الانسان وربه عن طريق المناجاة والتحميد والتسبيح والتكبير والتلاوة والركوع والسجود، فان الصوم يربط بينه وبين ربه عن طريق الا مساك عن الشهوات المختلفة وما يلازم ذلك من آداب وضعها الشارع الحكيم للصوم، ولا يتحقق مفهومه على وجهه الصحيح الا بها، بل لا يتحقق الهدف منه الا بمراعاتها، يبين ذلك الحديث الشريف الذي يرويه صاحب رياض الصالحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه، وهذا لفظ رواية

البخاري .

ومعنى الجنة الوقاية ، فالصوم وقاية للصائم من شتى الأدواء الحسية والمعنوية ففيه وقاية لصحته من الأمراض التي يسببها الافراط في الطعام والشراب ، وفيه وقاية لروحه من دنس الشهوات التي تنشأ عن امتلاء المعدة وما يترتب على ذلك من التراخي في الطاعة والتداعي الى المعصية ، وفيه وقاية لعقله من وخم الغفلة المترتب على الشبع المفرط فلا تتفتح أمامه مغاليق الحكمة وأبواب الفكرة ، وفيه وقاية لمجتمعه من أمراض الشح والبخل والأثرة ، فلا يحس بألم الجائع الا الجائع ، إن هذا الحديث الشريف من جوامع كلم المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيه من المعاني النبيلة ما يجل عن الحصر ، وفيه آداب عليا تهدف الى سعادة الانسان في الدنيا والآخرة .

من آداب الصوم و آثاره :

كما أن في هذا الحديث الشريف إشارة الى آداب الصوم المتمثلة في تجنب الرفث ، من كلام فاحش وبذاء وما الى ذلك من كذب وغش وخداع ونميمة وغيبة ، وغيرها من فلتات اللسان ، وفي تجنب الصخب وهو كثرة اللغط ورفع الصوت ، والضوضاء والتباهي بالباطل والجدال وغير ذلك مما يؤدي الى إحباط الأعمال وفي التسامح وترك المراء ، وفي التجاء الصائم الى الله ، ممن يجره الى ذلك ... فان استمر الصوم بهذه الآداب العليا أثمر ذلك نورا في داخل القلب وتهذيبا في الوجدان وحكمة تفيض على اللسان ، ولعل في ذلك سببا لاضافة الصوم الى الله حيث يقول في مطلع الحديث السابق ..« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ... »

فهم بعض المتذوقين ذلك فقال : أضاف الله الصوم الى نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية ولأنه من أعمال السر التي لا يطلع عليها أحد الا الله تعالى .

شهوة البطن أساس الشرور :

ان جميع أبواب الشر المحيطة بالانسان مفتاحها شهوة البطن الذي إذا شبع استطاع الشيطان أن يفتح أمامه كل باب مغلق من الفتنة ويجره الى كل نوع من أنواع المعصية ، دون أن يستطيع مقاومته ، ولقد عبر عن ذلك الامام يحيى بن معاذ حين قال فيما يورده عنه صاحب كتاب عوارف المعارف « إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بمرض الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان ، فاذا جوع بطنه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله ، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن منه الشيطان ، والشبع نهر في النفس يرده الشيطان ، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة ، وينهزم

الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما ؟ ويعانق الشيطان شبعان قائما فكيف إذا كان نائما ؟

فالصوم له أثر كبير في تهذيب النفس وترويضها حتى تنقاد لصاحبها وتمرن على أعمال البر وتعتادها وتصبح سجية لها ، ولكن لا يتم ذلك إلا بالمنهج الذي رسمه العارفون بالسير على قدم صاحب الشريعة . صلى الله عليه وسلم .

منهج لا بد منه :

فمن ذلك أن يكون صومه لله ، مؤمنا موقنا بأن ذلك استجابة لأمر الله وتنفيذ لشريعته حيث أمر بالصوم ودعا إليه ، وهذه هي النية المطلوبة التي لا يقبل عمل صالح الا بها : « إنما الأعمال بالنية وانما لامريء ما نوى » متفق عليه .

وقد ورد في ذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » متفق عليه - رياض الصالحين .

والمقصود بقوله : إيمانا ، أي مصدقا بثوابه عند الله ، وبقوله : احتسابا ، أي قاصدا به وجه الله تعالى ، فقد يكون الصوم بدون نية أو بنية أخرى غير التي أشار إليها الحديث الشريف ، كأن يكون مريضا نصحه الأطباء بتحاشي الطعام أو الاقلال منه أو الاقلاع عن ألوان معينة منه ، أو كأن يكون مقلدا منساقا في صيامه كما يفعل الغافلون عن حكمة الصيام فذلك إذا أثمر صحة في البدن فلن يثمر النور الباطني المطلوب .

ومن ذلك التمسك بالآثار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم فان في ذلك إحياء للسنة وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله تعالى بالاقتداء به والسير على منهجه حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/٢١

ومن الآثار الواردة في ذلك ، الالتزام في صوم رمضان بأيامه فلا يتقدم الصائم عليه بصوم يوم ولا يزيد عليه يوما آخر ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم . رواه أبو هريرة رضى الله عنه . وقال صاحب رياض الصالحين . متفق عليه .

ومعنى : رجل كان يصوم صومه ، أي رجل تعود أن يصوم يوم الخميس مثلا فصادف أن يوم الخميس كان سابقا على أول رمضان ، والوارد في بدء الصيام ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان حالت دونه غيابة فأكملوا شعبان ثلاثين يوما » وما رواه أبو داوود والترمذي أيضا عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما : « من صام

اليوم الذي يشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » .

والالتزام بصوم الشهر التزام بالأمر الالهي والسنة النبوية ، دون إضافة ، فالاضافة ابتداع ، وما تقرب عبد الى الله بأحب مما افترضه عليه من الفرائض ، فاضافة يوم زائد على رمضان قبله أو بعده يساوي إضافة ركعة الى إحدى الصلوات المكتوبة .. ولا يعني ذلك ألا يصوم الانسان متطوعا ، فالتطوع محبوب ومسنون وله ثوابه الجزيل ولكن ذلك له أوقات أخرى غير يوم الشك السابق على رمضان ويوم العيد الذي يعقبه فالصوم في هذين اليومين وإن حسنت نية الصائم ، فيه مخالفة واضحة .

- والدعاء عند رؤية الهلال من الآداب المرعية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال : « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى » رواه الدارمي ..

إن في هذا الدعاء استشعارا طيبا لآيات الله سبحانه وتعالى واعترافا بنعمة تسخيرها لنا ، وإدراكا لعظمة هذا الرسول « وهو الهلال » الذي آذن الله به بدء الصيام ، ودليلا بينا على الرجوع بالاذن في الشعائر الى موجبها سبحانه وتعالى حيث جعل رؤية الهلال بالعين المجردة إشارة البدء بالصيام ، فلا نلجأ في ذلك الى حسابات فلكية أو اصطلاحات رقمية قد تتعرض لاحتمال ولو طفيف في الخطأ ، وفي مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم للهلال تنزيل له منزلة العاقل ، وكيف لا يكون عاقلا وهو طوع كلمة الله لا يخرج عما كلفه ولا يتعدى حدود ما أمر به : **(الشمس والقمر بحسبان)** الرحمن/٥ ، وقديما خاطب الحق تعالى السموات والأرض خطاب العقلاء فقال لهما : **(ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)** فصلت/١١

- ومن الآثار المرعية في الصوم التعجيل بالفطور وتأخير السحور فمن ذلك ما ورد في رياض الصالحين عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال خمسون آية .

ذلك أن في تعجيل الفطور وتأخير السحور مراعاة الرفق بالنفس وتقوية لها على العبادة حتى لا تعوقها مشقة الصوم وشدة الجوع عن ذلك ، كما أن في ذلك استمساكا بالسنة المطهرة التي جاء صاحبها رحمة للعالمين ومن الخير أن يتمسك المسلم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى تنسحب آثارها عليه ، وليكن ذلك مراعى في نيته . فان الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم له أثره الطيب في الانتفاع بالحكمة التي اهتدى اليها صلى الله عليه وسلم فعمل بمقتضاها ، وكل عمل قام به الرسول مستقي من معين أقواله التي قال الحق فيها : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى)** النجم/٣ ، ٤ ونحن مأمورون بالتزام عمل الرسول حيث

قال الله تعالى : **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم)** آل عمران/ ٣١ وحيث قال الله لنا : **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧

الصوم تهذيب للنفس وسمو بالروح :

وليس من التكرار القول بأن الصائم عليه أن يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يغضب الله ، فان ذلك من أول واجبات الصائم التي يتحقق بها الهدف من الصوم ، وكم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ، قيل : هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يقتات وهو صائم على أعراض الناس ، وقيل هو الذي لا يكف لسانه عن الفلتات ، ولا بصره عن تتبع العورات ولا سمعه عن الآفات ولا ذهنه وفكره عن التطلع الى الشهوات . فكما يكون الصوم عن الطعام يكون كذلك ما أمكن عن الكلام ، وكلما قل الكلام استيقظ الفكر واستنار الباطن ، وقد ورد في الأخبار : الصمت حكم وقليل فاعله ومما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . ومما رواه الشعراء المتذوقون في ذلك ما قاله أبوبكر غالب بن عبد الرحمن وجاء في هامش رياض الصالحين .

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذن من صومي الجوع والظمأ
وإن قلت إني صمت يوما فما صمت

لا جرم ، فما حظ الصائم اذن من صومه اذا لم يأت الصوم بثمرته المرجوة في أن يكسب صاحبه نورا ويحقق له التقوى التي جعلها الله تعالى هدفا ساميا للصوم .

والصوم درجات فهناك صوم العامة عن شهوتي البطن والفرج ، وهناك صوم الخاصة عن كل شيء فيه شبهة وهناك صوم العارفين المقربين عن كل شيء سوى الله عز وجل . فلا يخطر على قلوبهم الا هو ولا تتعلق همتهم الا به سبحانه .

الخروج على المنهج وأثره :

والوسيلة الى تحقيق أهداف الصوم - الى جانب مراعاة الآداب السابقة التي أشرنا اليها هي الاقلال من الطعام والشراب ما أمكن ، فلن يكون الصوم صوما إذا عوض الصائم ما فاته من طعام وشراب في وجبتي الفطور والسحور أو في إحداهما بأن يجمع في أكلة واحدة أكلات يستدرك بها ما فات ، وهذا ما نراه ملاحظا في هذه الأيام ، إننا نلاحظ أن استهلاك الطعام يزيد في رمضان وأن هناك ألوانا من الطعام والمشهيات لا تظهر أو لا يكثر ظهورها الا في خلال رمضان ، والمائدة في الافطار والسحور ، نراها حافلة بالكثير الطيب المغري ، الذي يفوت معه كل غرض

من أغراض الصوم دعا اليها الشارع الحكيم .

ولننظر الى تأديب الله لعباده بالصوم ، فكما ألزمهم به مراعاة لأجسامهم وصحتها ، ألزمهم كذلك به تحقيقا لأهداف اجتماعية سامية ، منها الحد من سلطان الترف المودي بالأمم والجماعات فما تسلط الترف على قوم حتى أهلكهم ، قال تعالى : **(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء/١٦ ، والمترفون هم أسبق الناس عذابا يوم القيامة : **(حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون)** المؤمنون/٦٤ ، والمتتبع لآيات الترف في القرآن الكريم يراها تشير الى وجوب الحذر منه ، والتأبي عليه حتى لا تنجرف النفوس في تياره المفسد والمزين للسوء والفاتح لأبواب الفتنة والشهوة بابا فبابا ، حتى ينسى المرء في خلال ذلك كل دعوة للخير ويغفل عن كل استجابة للحق والنور ، ومن الترف الجمع بين عدة ألوان من الطعام وعدم الاكتفاء بها أحيانا في الوقت الذي يتشهى بعض الناس الكفاف فلا يجدونه . ورد عن بعض الصالحين قوله : لا تجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين فما بالك إذا كان الجمع بين العديد من الأصناف ؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه أنس رضى الله عنه ـ يفطر على رطبات أو تميرات فان لم تكن حسا حسوات من الماء ، ثم يقوم الى الصلاة ، فالاقتصاد في الطعام على قدر الضرورة واجب ، وإذا راعى المسلم قدر الضرورة في طعامه اصطحبته هذه العادة في سلوكه فلا يتكلم الا لضرورة ولا ينام الا لضرورة ولا يكون سعيه في الحياة وتقلبه فيها الا لضرورة ، هي ضرورة العمل لوجه الله والاستجابة لأمره مصداقا لقوله تعالى : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)** الأنعام/١٦٢ ، وإذا التزم المسلم ذلك أصبح الانسان الرباني الذي تصير جميع حركاته وسكناته لله وبالله ، ولقد أصبح كما يقول بعض العارفين « نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح » وتفسير ذلك أن النوم ضرورة لصحة البدن فيقوى على العبادة وكل ما يعين على العبادة ينسحب عليها حكمها ، فبذلك يصبح النوم عبادة ، ويصبح نفس النائم الصائم تسبيحا ، فمن ضرورة الصوم وأدبه ـ إذن ـ أن يقلل الصائم الطعام الذي كان يتناوله وهو مفطر ، وسيجد لذلك أثره الواضح في نشاطه الجسمي والفكري والروحي وفي استجابته الطيعة السريعة لدوافع الخير . قال لقمان لابنه : إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال بعض الحكماء : الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك يكون زهدك في الدنيا ، وقد ورد في الأثر الكريم : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، وكان حال

الصحابة الأجلاء ، الزهد في الطيبات - لا في شهر رمضان فحسب بل في سائر الأوقات - ، وأثر عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يؤثر الجاف من الطعام ، حتى قال أحدهم وكان يخدمه : ما نخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص ، وقد سئل عمر عن إيثاره التقشف وفي إمكانه أن ينال من طيبات الدنيا فقال : لقد قرأت قوله تعالى في حق قوم : (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**) الأحقاف/ ٢٠ ، فأحببت أن أدخر طيباتي للآخرة ، وفي أثر أورده السهروردي في عوارف المعارف عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قولها : أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم ، قالوا : كيف نديم ؟ قالت : بالجوع والعطش ، ويمكن تحقيق ذلك بالتربية والتعويد ، فان من شأن النفس أنها تخضع للسياسة الحازمة الحكيمة وتنقهر تحت حكم الارادة الصلبة قال البوصيري في بردته :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وما أصدق الذي يقول :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد الى قليل تقنع

الصوم والقرآن :

ولا تقهر عبادة النفس كما يقهرها الصوم لأن الرياء لا يظهر فيه ، ولأن الجوع الذي يصحبه يذيب الشهوات ويميت التطلعات ، ولكن ذلك لا يتم الا إذا كان الصائم متشوقا الى تحقيق هدف التقوى بمراعاة الآداب المطلوبة وإحياء ليالي الشهر بالطاعات ومداومة تلاوة القرآن الكريم ، فقد ورد في فضل التلاوة آثار طيبة - ولا سيما إذا كانت في رمضان - ويكفي أن يكون الله قد قرن رمضان بالقرآن حيث قال : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ - وفي إسناد الصوم لله مع جعل شهره موعدا لنزول كلامه دلالة على ارتفاع منزلة الصوم ووجوب اغتنام فرصته للتقرب الى الله عن طريق كلامه : (**ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور**) فاطر/ ٢٩و٣٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » قال صاحب رياض الصالحين : متفق عليه .

- وبعد ، فالصوم كله خيرات وفضائل وله ثمار رائعة يانعة ، ما تنبه لها عاقل الا اغتنم فرصته وحقق آدابه وأداه كما يجب حتى يتحقق له خير هذا الشهر المبارك ، وبذلك يصبح أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقا من النار .

الرشوة وأثرها في تقويض صرح المجتمع

كثير هم الذين يلجأون الى وسائل غير مشروعة تحقيقا لأهدافهم ومطالبهم

وكثير هم الذين يسمون الأشياء بغير أسمائها ظانين أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الاثم .

وكثير هم الذين يغتصبون حقوق الغير .. فيحتلون مواقع ليست لهم .. فيتسلط على مقاليد الأمور من لا يحسن إصلاح شأن نفسه .. وتشيع في المجتمع امراض حذرنا ديننا الحنيف من شرها ..

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد المنصف محمود يقول :

الرشوة حرام بالاجماع : سواء أكانت للحاكم أو للقاضي أو للعامل أو لغيرهم لما لها : من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، وأضرار جسيمة ، قال الله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » البقرة/١٨٨ .. قيل : هو أن يدفع الانسان إلى الحاكم رشوة ليحكم له أو يحمله على تنفيذ رغبته .. والمعنى على هذا التأويل : لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ، ليقطعوا لكم حق غيركم .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراشي والمرتشي في الحكم » رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان ، واللعن : هو الطرد والابعاد من رحمة الله .. وعن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش : يعني الذي يمشي بينهما » وهو السفير بين المعطي والآخذ ، وإن لم يأخذ على سفارته أجرا ، فإن أخذ فهو اشد حرمة .. رواه أحمد والبزار والطبراني ..

والرشوة التي تعطى للقاضي : إن كانت ليحكم له بغير حقه : فهي حرام على الآخذ والمعطي ، لأن الراشي يساعد المرتشي على تضييع الحقوق ، ويغريه بالرشوة على التحكم فيما هو حق لغيره ، فيستمريء الحصول على المال من هذا الطريق غير المشروع ..

والمرتشي : قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه .. وهو جور وظلم ..
وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه : فهي حرام على الحاكم دون المعطي ، لأنها لاستيفاء حقه .. وقيل : تحرم على المعطي أيضا ، لأنها توقع الحاكم في الاثم ..
وأما الهدية : فان كانت ممن يهاديه ، قبل أن يعهد إليه بهذا المنصب فلا تحرم استدامتها .. وان كانت قد أعطيت له بعد أن ولي هذا الأمر تزلفا أو لقضاء حاجة ، أو كانت ممن بينه وبين غيره خصومة عنده : فهي حرام على الحاكم والمهدي ..
ولعل اشد وعيد ورد في شأن الذين يرتمون بين أحضان الرشوة ذلك الداء الوبيل والمرض الخطير : الذي يودي بحياة الأمة ، ما رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الراشي والمرتشي في النار » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا .. جيء به (يوم القيامة) مغلولة يده .. فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه ، وان حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه ، شدت يساره إلى يمينه ، ثم رمي به في جهنم ، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام » رواه الحاكم .. وروي عن مسروق رضي الله عنه : « أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها ، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فرده ولم يقبله .. وقال : سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت !! فقال رجل : يا أبا عبد الله ما كنا نظن أن السحت الا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر ونعوذ بالله » أي لمن استحل ذلك .. ومصداق هذا ما رواه الطبراني بسند صحيح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الرشوة في الحكم كفر ، وهي بين الناس سحت » .. وفي رواية اخرى : « هدايا العمال غلول » الامام أحمد عن أبي حميد الساعدي .. وروي ابن سعيد عن طريق فرات بن مسلم قال : « اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئا يشتري به !! فركبنا معه ، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح ، فتناول واحدة فشمها ، ثم رد الأطباق : فقلت له في ذلك ، فقال : لا حاجة لي فيه .. فقلت : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما : يقبلون الهدية ؟ فقال : إنها لأولئك هدية وللعمال بعدهم رشوة ..
ومضى كاتبنا يقول : قبيح بنا أن نتقدم بالرشوة إلى من بيده إنجاز اعمالنا ، ونحاول أن نميله لأخذها ، فنجني عليه شر جناية ، ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ، ونعلمه الطمع والجشع ، ونلفته إلى شيء قد لا يكون في حسبانه ، ولم يتعود عليه من قبل ، وفي هذا إفساد لنفسه ، وتخريب لذمته ، وبيع لضميره بدراهم معدودة ..
وأقبح من هذا وأفظع : أن نحاول بالرشوة أو المحسوبية ، أو المحاباة ،

تخطي ذوي الجدارة والكفاءة في الوظائف والأعمال ؛ أو الحصول على ما ليس من حقنا ، أو إلحاق الضرر بغيرنا ؛ فإن ذلك من الاثم بمكان كبير ..

محاسبة الحكام للولاة والعمال :

ولا يتبادر إلى الذهن : أن تحريم الرشوة قاصر على الحكام أو القضاة فحسب ، بل أنه يشملهم وغيرهم من كل من ولى من أمور الناس شيئا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك ، فهو غلول » .. عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : « استعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه ، قال : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه : ثم قال : أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله ، فيأتي احدكم فيقول : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي ، فهلا جلس بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته : إن كان صادقا ، فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حق ، إلا جاء الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيراله رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر .. ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه : ألا هل بلغت » رواه البخاري ومسلم .. فقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على عامله المذكور : أخذه الهدية ، لأنها هدية تهدى لأجل علة ، وفي الحديث دلالة : على أن هدايا العمال يجب أن تجعل في بيت المال ، وأنه ليس لهم منها شيء .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بلغه أن عامله على مدينة حمص اشترى دارا بسبعة آلاف درهم ، فاستدعاه إليه وسأله ، كم راتبك في اليوم ؟ قال : ثلاثة دراهم ، فقال عمر : فما تصنع بها ؟ قال : أعود بدرهمين على عيالي واحتفظ بدرهم .. قال : كم لك في عملك ؟ قال : سنتان ، قال عمر : بعد حساب يسير : إن ما يمكنك أن تقتصده فيهما : سبعمائة درهم ، فمن أين جئت بالباقي ؟ قال الوالي : كانت تصلني هدايا من بعض الناس .. قال عمر : لو كنت في بيتك ولم تكن حاكما أكان يهدي إليك ؟ ثم أمر بعزله عن الولاية ، ومصادرة أمواله ، وضمها إلى بيت مال المسلمين ...

هكذا تكون محاسبة الحاكم لعماله وذويهم ، والتشديد عليهم ، والتفطن لأحوالهم ، وعدم الغفلة عنهم ، لئلا يتخذوا من جاههم أداة يبتزون بها أموال الرعية ، ويجمعون الثروات الطائلة عن طريق الهدية ، أو ما يسمى بالكسب غير المشروع .

ـ الأخ عبدالرحمن أحمد شادي ارسل الينا مقالة كريمة عنوانها

(الأعياد الخالدة والبائدة)

نقتطف منها :

تمتاز الأعياد الدينية في الاسلام وهي عيد الفطر وعيد الاضحى بأنها خالدة تمر عليها ألوف السنين دون ان تفقد جلالتها وروعتها حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في دولة ملحدة ظالمة .. اما الأعياد القومية فانها لا تنبع من القلوب وانما تفرض على الناس فرضا .. تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير .. ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها احد وهي كثيرة واحصاؤها محتاج الى بحث مستقل .. وهي محلية ، كل بلد له اعياده الخاصة ولا تعرف في البلاد الأخرى .. وقد توضع هذه الأعياد على الرف متى وضع صاحب المقام الرفيع المقامة من اجله على الرف ايضا .

ان الاسلام الحنيف ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا ان نحتفل فقط بعيدي الفطر والأضحى .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .**

بريد الوعي الاسلامي

مسيحي .. اسلم

حمل الينا البريد هذه الرسالة يقول صاحبها : انا شاب في الخامسة والعشرين من عمري ومن عائلة مسيحية ومتعصبة جدا . وقد شاءت الاقدار ان اهاجر من بلدي طلبا للقمة العيش ، وحتى استطيع ان اعيل اهلي واخواتي ، وحضرت الى الكويت سنة ١٩٧٢ وعملت فيها ، واصبحت اعاشر واتعامل مع الافراد في هذا المجتمع واندمجت معهم ، وقرأت عن مبادىء الدين الاسلامي السمحة ، وعملت مقارنة بين الدين الاسلامي والدين الذي اعتنقه ، فوجدت الفرق الكبير ، واصبح ايماني انه لا دين عند الله الا دين الاسلام ، هذه قناعتي ، ولكني كنت اخفي هذه الحقيقة عن جماعتي واهلي . وقد رفضت عدة طلبات كان من شأنها ان توثق العلاقة بيني وبين الدين المسيحي . فرفضت الزواج متعللا بعدة اسباب . وفي السنة الماضية اكملت الرسالة التي كنت قد حضرت من اجلها الى الكويت حيث ان اخواتي تزوجن ووالدي قد توفي ، واصبحت وحيدا مع الدتي . وبعد هذا سافرت الى بلدي ثم أودعت اهلي الا انني قررت بيني وبين نفسي ان اشهر اعتناقي للدين الاسلامي وبعد رجوعي بيومين فقط وقعت في مشكلة ودخلت السجن . فما زادني هذا الا ايمانا بالله فأشهرت اسلامي علنا ، وعن طريق وزارة الداخلية فوزارة العدل . وقد عرف اهلي وجماعتي باسلامي فاصبحت تنهال علي رسائل التهديد والوعيد ، حيث صدر الحكم علي بالسجن ثم الابعاد بعد تنفيذ عقوبة السجن ومعنى هذا انني انتظر الاعدام بعد فترة السجن حيث انني من بلد تطارد المسلمين أينما وجدوا .

فأرجو حمايتي من أعداء الدين الاسلامي ونصر الحق ، وإزهاق الباطل ، وإنقاذي مما اعاني .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

المعذب : شحاته روفائيل جهجاه
السجن المركزي
بعد الاسلام : عمر شحاده جهجاه

المحرر :

اخي عمر قد وفقك الله للخير اذ شرح صدرك للاسلام .. « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » .

وفضل الله عليك عظيم اذ وهبك نورا في العقل به اهتديت الى الدين الحق ، فأنقذت نفسك من الهلاك .. وما الأنبياء جميعا الا حملة وحي السماء الى الانسان حتى اكتمل نضج العقل الانساني ، فختمت حلقات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكل نبي سبقه كان يبشر به ويدعو الى الايمان بدعوته .. وبعد ان صرت مسلما يجب عليك ان تؤدي فرائض الاسلام وتتعامل بأخلاقه فان القول يتبعه العمل .. والعمل يجب ان يكون خالصا لوجه الله ، والايمان : ما وقر في القلب ، وصدقه العمل . وبعد أن اشهرت اسلامك ، واعلنته على الملأ ، فمعنى هذا انك تواجه العالم كله بحقيقة اسلامك ، وتقول له : لقد هداني الله للحق ، وانا ادعوكم اليه .

لقد واجهت العالم كله بحقيقة اسلامك ، ومعنى هذا انك صاحب ارادة وعزيمة قوية ، وأنه لن يصرفك عن الحق صارف ، حتى ولو كان الاهل جميعا ..

انظر الى سعد بن الربيع عندما أسلم في بداية الدعوة الاسلامية ، وكانت أمه تحبه وهو يحبها كثيرا ، غير أنها ارادت ان تصرفه عن الاسلام بشتى الوسائل .. حتى نذرت الا تستظل من شمس ، والا تأكل .. حتى يرجع سعد عن دينه أو تموت ..

فقال سعد وهو المحب لوالدته : والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا لما تركت ديني فافعلي ما شئت .

وبعد ... لقد واجه صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، من صنوف العذاب ، والوان الاذى ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولم يصرفهم ذلك عن دينهم .

بل إن هناك من مات تحت سياط الكفر وجبروت الطغاة ، فكانوا الشهداء الاوائل في الاسلام منهم ياسر ، وسمية . وكان الرسول يمر بهم وهم يعذبون فيقول : صبرا آل ياسر .

فاستمسك بدينك يا اخ عمر ..

والله يحميك من الأعداء ، واتخذ لنفسك كل الحيطة والحذر ، وفوض الأمر لله فلن تموت حتى تستوفي اجلك . ويمكنك ان تبلغ السلطات المختصة بمن يهددك وتطلعهم على الرسائل الواصلة اليك .. وهم يقومون بعمل اللازم ، ثم إن أرض الله واسعة .. وسوف تجد لك مكانا على ظهرها تأمن فيه على نفسك ، وعلى دينك .. فهاجر حيث تجد الأمن والأمان .. وتب الى الله .. والجأ اليه دائما ، يكن في عونك .

مع صحافة العالم

نشرت مجلة الدعوة الهندية في عددها الصادر في ١٥/٣/٨١ كلمة بعنوان :

متى ننتبه من سباتنا

تقول فيها :

كثير من الناس يزعمون ان روسيا وامريكا دولتان تختلفان منهجا وهدفا ، ولا تتحدان في امر ما ـ وهم في زعمهم هذا يصيبون الى حد ما . فها هي روسيا دولة ملحدة تعتز بالحادها وتحاول ابراز مجتمع انساني ملحد ، سائرة على درب الدكتاتورية العمالية . واما امريكا فهي دولة مسيحية ديمقراطية رأسمالية تعتز بديمقراطيتها وتحاول ابراز مجتمع انساني سائرة على درب الديمقراطية الرأسمالية . وتمنح مواطنيها حرية العقيدة والعمل ، وتفسح لهم المجال ان يلعب كل دوره في الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، بخلاف روسيا فانها لا تعتز بحرية الفرد ، بل تحاول ان تذوب شخصيتهم في الهيكل الاجتماعي البرولتاري ومن اجل ذلك لا توجد في روسيا الاحزاب السياسية المعارضة ولا منظمات عمالية ولا طلابية . وكذلك لا توجد فيها الصحافة الحرة . والنشاطات الثقافية الحرة .

هذه النواحي كلها تدل على ان هاتين الدولتين لا تتحدان في المبادىء والاهداف ولا في السلوك والمنهج وتختلفان حول سائر القضايا الدولية سياسية كانت أم عسكرية ـ اقتصادية كانت او أجتماعية .

وكلتاهما توافقان على هضم حقوق الشعب المسلم في اريتريا وفلسطين وفي المناطق الأخرى من العالم وعلى إثارة الخلافات بين المسلمين . فما هي الحرب الدائرة بين ايران والعراق الا نتيجة لمؤامرة دولية للقضاء على الثورة الاسلامية ولدفع عجلة التقدم للحركات الاسلامية في العالم الى الوراء ، وما حدث ويحدث في افغانستان لا يحتاج إلى الاشارة . كل يعلم أنه مأساة الساعة ، ومؤامرة دولية للقضاء على الكيان الاسلامي في البلد المسلم فالى متى نغتر بهما ـ وإلى متى لا ننتبه إلى واقع الأمر ـ فقد فقدنا الخلافة الاسلامية ، وفقدنا فلسطين الحرة ، وضاقت علينا أرض لبنان ، وتمطر علينا سماء أفغانستان مطرا من النار فهل بقى لنا شيء آخر نريد أن نفقده باسم الرقى والتقدم ، او باسم صداقة روسيا وأمريكا . المسلم لا يلدغ من جحر مرتين .

انتفاضة متوقعة للمسلمين في الاتحـــاد السوفيتي

نشرت جريدة الشرق الاوسط بتاريخ ٢٨/٤/١٩٨١ نقلا عن ديلي تلغراف موضوعا تحت هذا العنوان تقول :

في الوقت الذي تواجه فيه القيادة السوفياتية تحدي العمال الذين بدأوا بتفكيك النظام الشيوعي في بولندا هناك مخاوف من أن تتراكم المسببات لانتفاضة المسلمين في جنوب الاتحاد السوفياتي .

وقالت صحيفة « ديلي تلغراف » أن السوفيات من اصل روسي يشكلون الآن اقلية ضمن الشعب السوفياتي فعددهم لا يتجاوز ١٣٧ مليونا من اصل ٢٦٢ مليونا يشكلون مجموع عدد سكان الاتحاد السوفياتي .

ووفقا لاحصائيات رسمية سوفياتية فان عدد السوفيات من اصل روسي لن يتجاوز سنة ٢٠٠٠ ، ١٤٠ مليون نسمة بينما سيصل اجمالي عدد السكان الى ٣٠٠ مليون نسمة ، من بينهم ما لا يقل عن ٧٥ مليون مسلم مقابل ٤٥ مليون مسلم الآن .

وقالت الصحيفة ان نسبة الولادة في اواسط اسيا السوفياتية اكبر من أي نسبة أخرى في بقية انحاء الاتحاد السوفياتي . فبينما تصل هذه النسبة الى ٣ر٧٪ في جمهورية طاجيكستان لا تتجاوز ٩ر١٪ في الاتحاد السوفياتي ككل .

وتابعت الصحيفة القول انه من المحتمل ان تعمل الزيادة في عدد السكان على زيادة البطالة في الجمهوريات السوفياتية الجنوبية الا اذا سمح المخططون الاقتصاديون بنقل بعض السوفيات الآسيويين الى الجزء الأوروبي من الاتحاد السوفياتي او اعادة توزيع المراكز الصناعية بشكل آخر .

وقالت الصحيفة لكن النتيجة الفورية لمثل هذا التغيير الديموغرافي قد بدأت تظهر الآن ، فوفقا لنفس الاحصائيات تبلغ نسبة الشباب من الاصل الروسي الذي يستطيع دخول الجيش اقل من نصف مجموع عدد الشبان الذين يستطيعون دخوله في الاتحاد السوفياتي . ومن الملاحظ ان المسلمين من الاصل التركي والايراني يشكلون حوالي ٢٤٪ من الشباب المؤهل للتجنيد .

وجدير بالذكر ان القليل من المسلمين يصلون الى مراتب الضباط في القوات المسلحة السوفياتية كما أن السوفيات الآسيويين محرومون من أي دورات عسكرية خاصة او مهنية كدورات المظليين واستخدام اجهزة الاتصالات السلكية واللاسلكية .

وقالت الصحيفة أن عدم تعود الناس في الجمهوريات السوفياتية الجنوبية الاسلامية على اللغة الروسية هي مشكلة الجنود المسلمين في الجيش السوفياتي ، ولكن عدم معرفتهم اللغة ليست السبب الوحيد لمعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في القوات السوفياتية .

اقرأ في هذا العدد

ألبانيا (بلاد الأرناؤوط)

○ احدى دول البلقان وتعرف باسم (بلاد الأرناؤوط) تجاور كلا من يوغسلافيا واليونان تبلغ مساحتها ٦٢٥٠٠كم٢ وطبيعة البانيا جبلية يصعب العيش فيها تتألف من مثلث غير منتظم الأضلاع بين خطي عرض ١٩ ـ ٢٢ شرقي غرينتش يتأثر مناخها بالبحر الادرياتي وبحر ايجة وهو صحي بوجه عام .

○ يبلغ عدد سكان البانيا ٢,٦٠٠,٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين ٧٥٪ والشعب الألباني من العنصر الآري يعرف عند الأوروبيين باسم (الألبان) أي الأرناؤوط ويتألف السكان من مجموعة عناصر متغايرة فالأرناؤوط يبلغ عددهم ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وهم السكان الحقيقيون أما باقي العناصر فيتألفون من الترك والأفلاق والبلقان واليونان والصرب والغجر .

○ يتميز العنصر الألباني بطول القامة واتساع المنكبين وهو ذو جسم مرن ممشوق .

○ دخل الاسلام الى البانيا مع الفتوحات العثمانية في القرن السادس عشر والألبان ينظرون للدين نظرة اعتدال .

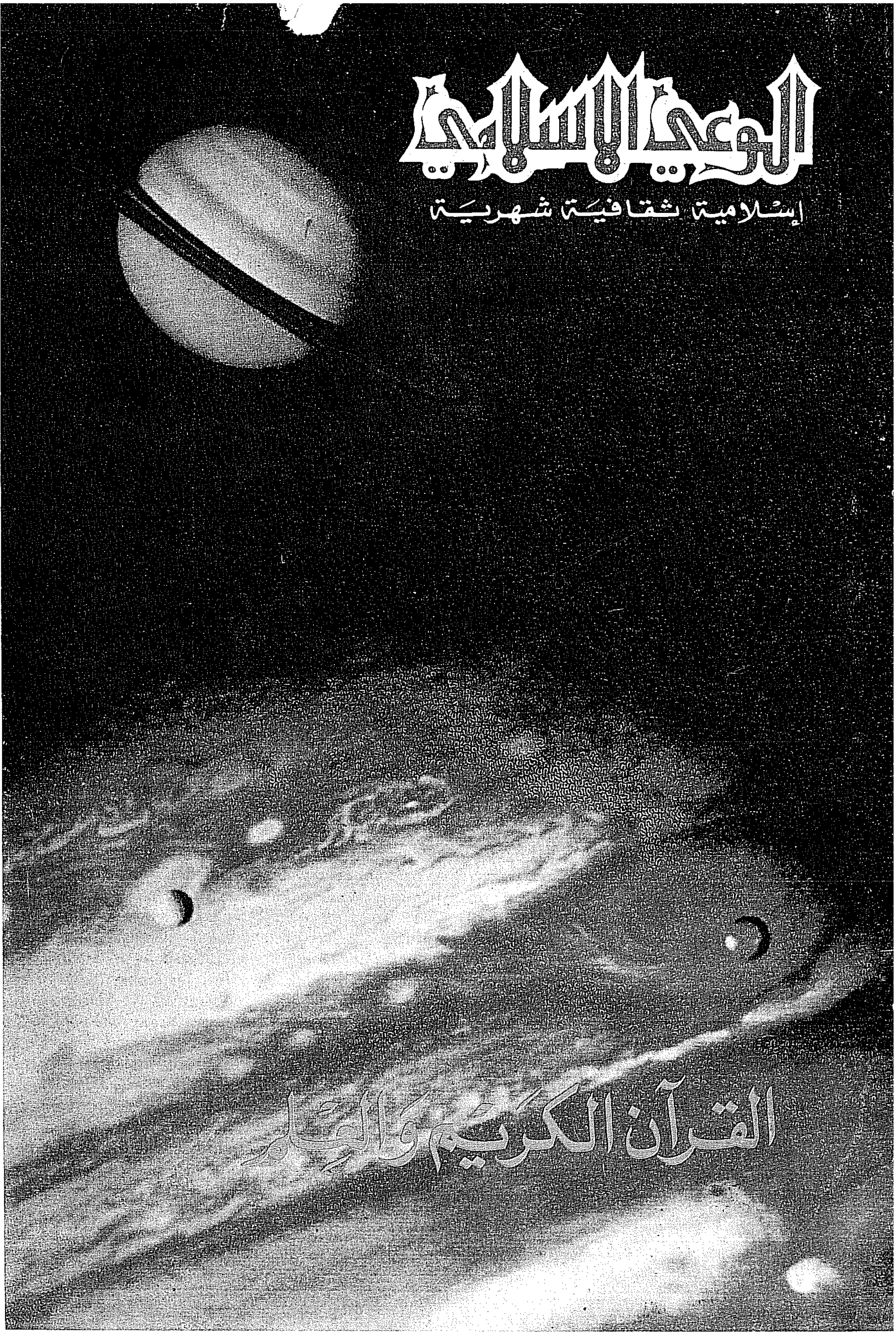
○ اللغة الألبانية هي في الأصل لهجة الليرية وهي احدى اللغات الآرية وأقرب اللغات اليها هي مجموعات لغات بحر البلطيق الصقلبية وتنقسم اللغة الألبانية الى لهجتين : لهجة الشمال وتعرف بالتركية باسم (غيفة) ولهجة الجنوب وتعرف بالتركية باسم (توسقة) .

○ عاصمة ألبانيا مدينة (تيرانا) ومن المدن الهامة سكوتاري ، دورازة ، برزرين والبلاد بصورة عامة زراعية وأهم الحاصلات الذرة والزيتون والتبغ والكروم .

○ استقلت البانيا عام ١٩١٢م وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تمكن الشيوعيون من الاستيلاء على الحكم وطبقوا فيها النظام الماركسي الذي يدور في فلك الصين الشعبية والمعادي للاتحاد السوفييتي لكن الشعب الألباني المسلم يتطلع الى ذلك اليوم الذي يستطيع العودة فيه من جديد الى بوتقة الاسلام العظيم .



طباعة مؤسسة دار السياسة — الكويت —


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
القرآن الكريم والعلم

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٢ ● شوال ١٤٠١ هـ ● اغسطس ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة
الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الجهاد رهبانية الإسلام

في بعض الديانات السابقة على الاسلام كان الترهب في الصوامع، والانقطاع في الأديار حتى الموت، وهجر الحياة وتكاليفها، آية اليقين البالغ والصفاء التام !!

اما الاسلام فقد رسم طريقا آخر للعبادة غير هذا الترهب .. طريقا يكبدهم العمل والكفاح، فلم يقل لمن يحبون الله اعتزلوا الحياة وتأملوا، بل قال لهم: انغمسوا في الحياة وعالجوا باطلها بالحق، وقاوموا طواغيتها بالقوة .. وبهذا

البيان رفض الاسلام الترهب الذي يدع الباطل يسير من غير مقاومة ، واصبح الاقبال على الحياة ومعالجة شؤونها لنشر الفضائل ومحو الضلالات جهادا في سبيل الله .

ولا شك أن أهل الفساد والعدوان أبغضوا الاسلام لهذه النزعة البادية في تعاليمه ، لأنهم لا يخشون قوما يتعبدون بالعزلة ، وإنما يخشون قوما يتعبدون بالهجوم على هذه الدنيا لاصلاحها ، وتقييد الطغاة المهتاجين في أرجائها .. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي شاقته العزلة ، حين مضى على شعب فيه عيينة من ماء عذبة ، وحدثته نفسه بأن يجنح الى تلك البقعة ، وأن يقبل على ربه فما يفتر عن ذكره في صباح أو أصيل « لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » .

نعم ، ان الانسان في عمله المتواصل وكفاحه الدائب يحتاج الى لحظات ينفرد فيها بنفسه مثلما يحتاج المسافر الى منازل يحط فيها رحاله ويجم فيها بدنه . ومن أجل هذا سن الاسلام لأتباعه الاعتكاف ، وأذن لهم بالعزلة الى حين . ولكن الاسلام يرفض أن تتحول هذه العزلة الى هجران للمجتمع وقلة مبالاة بالمعركة الدائرة بين الحق والباطل والافساد والاصلاح .

وقد قارن النبي صلى الله عليه وسلم بين منازلة الأعداء وجهادهم بكل وسائل المنازلة والجهاد وبين عبادة الله بالعزلة ، فصور بعد المسافة بين الأمرين أوضح تصوير .. سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « لا تستطيعونه » فأعادوا عليه السؤال ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » .

والحياة الى يوم القيامة صراع بين الحق والباطل، والقوة أضمن طريق لاحقاق الحق .. وفي هذا العصر يهتاج أعداء الاسلام كالكلاب المسعورة لانتهاب مصير المسلمين !! والاسلام يفرض على أهله إباء الضيم، وان يجاهدوا المعتدين، وان يعدوا لهم كل ما يستطيعون من قوة معنوية ومادية، وأن يبذلوا النفوس والأموال في سبيل تخليص أرضهم ومقدساتهم، وصيانة وجودهم، والاحتفاظ بعزتهم وكرامتهم بين دول العالم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان الجهاد في سبيل الله اعظم درجة عند الله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.

حدث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله فقال رجل: ما أبالي ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله، ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم).

والمجاهدون الصادقون، المتوحدون على الحق. المتآخون على الايمان بالله المتعاونون على البذل والتضحية في سبيل الله، يمدهم الله بعونه وتوفيقه، ويحقق لهم النصر العزيز على أعدائهم. قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).. وقال: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

رئيس التحرير

محمد الاباصيري

التفكير في الدين

للدكتور/ ابراهيم علي ابو الخشب

كلمة دين تطلق بمعنى الخضوع والانقياد . فيقال دان له اهل الحي بمعنى خضعوا لامره ونزلوا على ارادته . واستجابوا لدعوته ، وصاروا له اتباعا لا يخرجون على طاعته بحال من الاحوال ، لانهم يرونه المثل الاعلى للقائد او الرائد . وتطلق الكلمة ـ كذلك ـ على الجزاء على العمل خيرا او شرا ، ومن ذلك في سورة فاتحة الكتاب الاية ٤ (**مالك**

يوم الدين) اي الجزاء في نهاية المطاف ، حيث تنتهي الدنيا ، ويقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ليحاسبهم على ما كان منهم في هذه المرحلة التي اجتازوها من الحياة الدنيا(**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/٧ ، ٨ والمعنيان الخضوع والجزاء يتداخلان ويكمل احدهما الآخر ، اذ الذي يلقى من الله جل وعلا جزاء عمله في الدار الآخرة . خاضع له لا محالة – راغبا او راهبا – لأن مصيره الذي وصل اليه ، ليس له حيلة فيه ، ولا الغاء له ، ولا هروب منه ، او هو من صنعه ، يملك شأنه وجودا أو عدما ، وانما هو مصير كان من الحتم ان يصير اليه ، والمراحل التي تخطاها ، والمسافات التي قطعها او الاطوار التي مر بها ، منذ ان كان خاطرا في نفس امه وابيه ، الى ان كان ماء وعلقة ومضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم طفلا وشابا ، ورجلا وكهلا ، وهكذا الى يوم النشور وتقرير المصير بالجنة او النار ، انما هي تنفيذ لخطة مرسومة في الازل ، أو جدول موضوع لم يكن هو صاحب الكلمة فيه .. وما من فصيلة من الحيوانات أو الطيور أو الاسماك الا كان في فطرتها التي ركبت فيها ، او طبعت عليها ، معنى الانقياد الى من تطمئن كل الاطمئنان الى انه يفضلها بالقوة ، او يمتاز عنها بالدراية ، أو ما يوفره لها من الخير والبر ، أو بذوده عنها من الخطر ويظهر ذلك في التبعية العمياء له ، والتفافها الواضح حوله وربما كان هذا الفرد المتميز بكل هذه المزايا هو كل شيء في نظام حياتها ، ودفع الاذى عنها ، أو جلب الخير لها ، ويعسوب النحل صورة واضحة لهذه الدعوى التي ندعيها ، تنقاد له ، وتلتف حوله ، وتعتمد عليه ، ويكون وجودها رهنا ببقائه على هذا الوضع منها ، فان نزلت به جائحة ، أو اصابه مكروه ، أو وقع عليه عدوان ، كانت هي بعده بددا واقل عددا ..

والبشرية على تطاول عهدها ، وامتداد تاريخها ، واختلاف مراحل حياتها من الاحراش والادغال ، والجبال والانهار ، والخيام في الصحاري ، والبيوت في القرى والمدن كانت تشعر بتلك التبعية الروحية التي تخفى عنها ، ولا تعيش الا في اوهامها المظنونة ، أو خيالها الملح ، وشعورها الجياش ، وعقلها الباطن ، ووعيها المكبوت واحلامها التي تطوف بخواطرها ، وقد انقادت لرئيس القبيلة ، ونزلت على ارادته ، واستجابت له بادىء ذي بدء ، اشباعا لهذا النزوع ، وتحقيقا لذلك المعنى ، ثم مع مرور الزمن ، وتهذيب هذه الفكرة نوعا ما بحثت عن صورة يتمثل فيها ذلك الانقياد ، وتلك الطاعة ، وجعلت تتخيلها في الهواء أو الماء أو النار أو الكواكب أو الرياح أو الجبال أو الشمس أو القمر وهكذا واخذت بعد هذا ترمز لها برموز وتعبدها عبادة مباشرة ، أو تجعلها واسطة الى هذا الذي تعبده كما صرح القرآن الكريم في بعض هذه الاصنام

وهم يقولون عنها (**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**) الزمر/٣ وان كانت عبادة الاصنام أو الاوثان أو النار أو الرياح وما شاكل ذلك كله لا تحدها أمثلة ولا صور ، وانما هي على أمثلة متنوعة ، وصور مختلفة ، ومن طريف ما يقال في ذلك ان الصنمين « إساف ونائلة » يرمزان الى رجل وامرأة فسقا في الحرم الشريف بمكة المكرمة فمسخهما الله الى حجرين على صورتيهما وقد فوجىء الناس بهما معلقين هنالك فاخذوا يتابعونهما بالزراية لهما . ومع تطاول الزمن ، وتناسي الناس لهذه الحادثة تحولت الزراية بهما ، والبصق عليهما ، واللعنة لهما ، الى قداسة واحترام ثم عبادة بعد ذلك ، وفي قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه التي سجلها القرآن وقد كان ابوه يحترف صنع التماثيل وبيعها لمن يعبدها من دون الله (**واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمان عصيا . يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا . قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . واعتز لكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا أكون بدعاء ربي شقيا**) مريم/٤١ ـ ٤٨ ما يدل على مدى تعلق البشرية وارتباطها بتلك الصور والتماثيل التي صنعوها بايديهم وكان لابراهيم عليه السلام موقف آخر كان يعلن فيه لقومه ان الخرافة التي تتمكن من العقول ، أو تستولي على النفوس ، ليس لها من علاج الا التمرد عليها ، والتحطيم لمعالمها وآثارها حتى لا تعود الاوهام الى الارتباط بها ، والحنين اليها ، أو التقرب منها ، والعبادة لها ، وذلك في قصة العدوان عليها المذكورة في سورة الصافات (**وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون . ما لكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فاقبلوا اليه يزفون . قال اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم . فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين**) الصافات/٨٣ ـ ٩٩ ولقد ذكر هذا الموقف بعينه على صورة اخرى في سورة الانبياء (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون . قالوا**

وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) الانبياء ٥١ ـ ٧٠ وهذا كان الحوار الذي اجراه الله على لسان نبيه ابراهيم من الدقة والحكمة والسداد والرشد ، والبراعة والحذق ، والكياسة والمنطق ، واللباقة والرأي ، بحيث لم يترك لهم منفذا يدخلون منه ، ولا ثغرة يسلكونها ولا حجة يعتمدون عليها ، أو يتمسكون بها ، (**فاسألوهم ان كانوا ينطقون**) وكأنما كانوا في غفلة عن هذا كله ، ولم يدر بخلدهم انها جماد لا تحس ، أو حجر لا يدرك ، وصخر لا ينطق ، الى هذه اللحظة التي جابههم بانهم هكذا في سكرتهم يعمهون (**قالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) وكان من الواجب ان يصدر عنهم هذا الاعتراف من قبل في هواتف افئدتهم . وقرارة انفسهم . فلا يكون منهم ذلك التخبط كله . لكن الله سبحانه وتعالى اراد ان تكون هذه الهزيمة المنكرة ارغاما لهم على ان يعلنوا هذا الخطأ الذي لم يجدوا مناصا من الاعتراف به ليكون ادعى الى اظهارهم بمظهر الحمقى الذين تجافوا الصواب ، وتنكبوا سبيل الحق الذي هو معلوم بالضرورة ، وليكون كذلك عنوانا على إفحامهم (**قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون**) والحمق كل الحمق ان يكون الميدان للمنطق الذي لا يصح انكاره ، ولا يمكن الاختلاف فيه ، لأنه مسلم به في بداءة العقول ، ثم يتحول ذلك الى صراع دموي او انتقام ينبىء عن الحقد والطيش والغضب والكراهية ، واستعمال اساليب الهمجية والفوضى والخروج عن مناهج العقلاء ، (**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم**) وكأنما ظنوا ان ذلك صنيع يرتفع بهم الى مستوى النصر ، وجهلوا انه نصر شر من

الهزيمة ذاتها لأنه عنوان على ان صاحبه قد تجرد من الانسانية التي هي اسمى ما يملكه الانسان .. ولم يكن ابراهيم عليه السلام وحده هذا الذي صارع قومه بالبرهان . وحاجهم بالدليل وسفه احلامهم بانحرافهم عن الجادة ، وعدولهم عن السنن السوى فيما يجب ان يكون دينا قيما ، وعقيدة صحيحة ، وهديا واضحا ، يجعل قلوبهم ممتلئة بالايمان الراسخ بتلك القوة الخفية التي تدبر امور البشر ، وتصرف شؤون الكون ، وتقضي على الناس بالخير او الشر ، والحياة او الموت ، والسعادة والشقاء ، وتمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ، وانما كانت هذه قصة مكرورة معادة ، لم يخل منها تاريخ رسول من الرسل الذين ارسلتهم العناية الالهية لاحقاق الحق وابطال الباطل ، ولذا يقول سبحانه وتعالى (**ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**) النحل/ ٣٦ وذلك ان دلنا على شيء فانما يدلنا على ان البحث عن الدين ، والتفكير فيه والنزوع اليه ، من الامور التي كانت على مدى التاريخ الشغل الشاغل الذي اهتمت به الانسانية . .واخذ من صراعها العقلي الشيء الكثير بصرف النظر عن كونه كان يسير على وفق الجادة الصحيحة ، والنهج السليم ، اوكان خطأ وخبطا ، وقد علمنا انه كان في بعض الحين يلازمه المنطق ، ويقترن به الحق ، ويصحبه الصواب ، ويحاول محاولة جادة ان يصيب كبد الحقيقة ، وثبت ان كثيرين من اهل الجزيرة العربية كانوا يتلمسون الصواب ، ويطلبون الحق ، ويبحثون عنه ، فلا يخطئهم السداد والرشد ، والتوفيق والهداية ، كما ينقلون عن « قس بن ساعدة الايادي » من الخطباء ، « وامية بن ابي الصلت » من الشعراء ..

وتعرض بعض المفكرين من الكتاب لتعريف الدين فقال « فريد وجدي » : « الدين شعور بالارتباط الطبيعي بين الانسان وروح الكون » وقال : « اذا قلنا ان الانسان لا يمكنه ان يعيش بلا دين لا نكون مغالين ، وانما نكون مماشين لطبيعة الاشياء » وينقل الشيخ امين الخولي عن الجرجاني في كتابه التعريفات : « الدين وضع الهي يدعو اصحاب العقول الى قبول ما هو عند الرسول » وعن صاحب كتاب كشاف اصطلاحات الفنون : « الدين » وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح . وعن الراغب الاصفهاني : « الدين ما شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصلوا به الى جوار الله » وعن بعض الغربيين : « انه ديوان الفضيلة والطراز العالي للحياة » ويقول بعض المشتغلين بعلم النفس ان فكرة التدين نشأت في اول امرها عند الانسان البدائي من الخوف من مظاهر الطبيعة كالرياح والامطار

والرعد والبرق والزلازل والبراكين اذ اهتدى الى ان يحتمي من مخاطرها بقوة خفية لا يعرف مصدرها على التحديد ، وكان اسلوب الاحتماء هذا غيرمحدد بكيفية بعينها ، كما ان هذه القوة لا يستطيع احد ان يحددها اكثر من كونها معنى روحيا تمتلىء به الخواطر ، وتتوهمه النفس ، وتتخيله العقول ، وتعمر به الافئدة ، ثم لا يمكن لاحد ان يحدد ابعاده ، أو يخطط صورته ، أو يصف ملامحه ، ومن هنا كثرت النعوت له ، والحديث عنه ، والتصورات المختلفة لذاته ، فهو تارة جماد ، وأخرى نبات ، وثالثة مادة أو روح ، وليل أو نهار ، وظلمة أو نور ... واغلب الظن ان كلمة اله ورب وخالق وموجد للاشياء وعلة العلل ـ كما يقول الفلاسفة ـ : لم توجد في قواميس الكون الا فيما بعد حينما شبت الانسانية عن الطوق ، وحديث القرآن الكريم عن خالق السماوات والارض في زعم العرب او اعتقادهم ينبىء عن انه هو الله **(ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)** لقمان/٢٥ ما في ذلك من شك ولا ريب ، لكن هذه الالوهية التي تجري على السنتهم ويعبرون عنها بكلمة الله أو اله أو رب السماوات والارض ما هي حدودها المنطقية في اوهام الفلاسفة أو افكار العلماء لم يصلوا فيها الى نقطة تلتقي عندها تصوراتهم ، ومرة كانت رموزا واشارات ومرة كان لها اعوان وجنود **(وما يعلم جنود ربك الا هو)** المدثر/٣١ ومرة كان لها شركاء **(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)** الانعام/١٠٠ وربما كان هؤلاء الشركاء كثرة غير محدودة ولا معدودة ، لذلك كان الرد القرآني قاطعا للألسنة ، وقاضيا على هذه البلبلة **(قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد)** سورة الاخلاص وقد اخترع المسلمون علما برأسه خاصا بتنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك والمشابهة للحوادث ، ولما كان اهم ما تضمنه هو برهان وحدانيته في الذات والصفات والافعال سموه « علم التوحيد » ويقول كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** الانبياء/٢٢ وكأنها على قصرها البرهان القاطع ، والدليل الواضح ، والحجة الدامغة ، على انه سبحانه قيوم السماوات والارض ، لا ينازعه ذلك دعى ، ولا يزاحمه جبار ، ولا يشاركه مسلط ، ولا يغالبه قهار **(له الملك وله الحمد)** التغابن/١ ومع ان القرآن الكريم اشبع هذه الناحية بيانا ، ووفاها برهانا ، الا ان للعلماء في ذلك قاعدة هي ان الدليل العقلي مقدم على الدليل النقلي ، ويعنون بذلك ان المؤمن بالله اذا اراد ان يقنع غير المؤمن بالآية الكريمة **(بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)** الانعام/١٠١ او قوله : **(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)**

الانعام/٥٩ اوقوله : (**وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها**) هود/٦ او قوله : (**وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم**) الانعام/١٣ أو غير ذلك ، وذلك من الآيات التي تدل على انه وحده القائم على كل نفس بما كسبت ، كان كما يقول الحريري في مقاماته ينفخ في غير ضرم ، لأن ذلك الذي يوجه اليه هذا النص لا يؤمن بانه خطاب السماء ، نزل على سيد الانبياء ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم ظل يدعو العرب ثلاثا وعشرين سنة ما بين مكة والمدينة ، وكان معظم جهده وهو بمكة قاصرا على وحدانيته سبحانه ، وتنزيهه عن كل نقص ، ووصفه بالكمال كله ، لأن الانسان اذا ما تيقن ذلك وآمن به . استراح قلبه ، وهدأ خاطره ، وطابت نفسه واطمأن عقله . وعلم أنه آوى الى ركن شديد ، يعتز به ، ويفزع اليه ، ويلوذ بكنفه ، ويحتمي بسلطانه ، ويطلب منه ، ويغترف من فيضه ، ولا يذل الا له ، ولا يخاف الا منه ، ولا يقف الا بين يديه ، ولا يكون الانسان كل الانسان الا هذا الذي تكون عبوديته قائمة على هذه الدعائم من اجلاله لربه ، وايمانه به ، وثقته فيه ، ورجائه منه ، واعتماده عليه ، واتجاهه اليه ، ولا تجد رجلا تأنس به ، وتستريح له ، وتأمل فيه ، وتقبل عليه ، وتأمنه على دينك وعرضك ومالك الا وهو من هذا الطراز الذي امتلأ قلبه بالله ، وعمرت نفسه بالدين ، وازداد ايمانه بربه ، وكان يعبده على هذا الاعتبار الذي يرجع اليه كمال القدرة والارادة والعلم والحلم والرحمة والسلطان والملك والتصرف والقهر والغلبة ...

ومع كون نظرية الالوهية هذه من البداهة والوضوح بهذه المثابة ، فان جماعة ممن طمس الله على قلوبهم بغضبه ، واظلم بصائرهم بسخطه ، كانوا ينكرون هذه الحقيقة ثم لا يكتفون بانكارها وانما يريدون ان يحملوا الناس على مذهبهم العقيم ، ورأيهم الفاسد ، واعتقادهم الضال ، وفهمهم الخاطىء ، ودينهم الكاذب ، وذوقهم المختل ، والكون في نظرهم حدث بطريق المصادفة أو الضرورة ، والفرق بين الأمرين ان المصادفة محض وجود لم يكن مقدرا ولا مظنونا ، وان اصل هذه الكائنات خلية ما ، قذف بها الغيب من غير تقدير ولا ارادة ، وبمرور الزمن ، أو مضي السنين والاعوام ، صارت الى هذه المخلوقات التي لا عداد لها ، من الانسان والحيوان والطيور والوحوش والجبال والانهار والهوام والحشرات .. واما الضرورة فهي الحاجة التي تحتم ان يكون الوجود على شكل خاص ، أو هيئة بعينها ، كطول عنق الزرافة الذي لا بد منه لتتناول به غذاءها من الاشجار العالية ، وزعانف السمكة التي تساعدها على السبح في الماء ، وهكذا ولا يعترفون بتلك القوة التي تدبر هذا العالم ، وتسوس ذلك الكون ، وتتقن هذا الصنع ، وتتحكم في القضاء والقدر ، وتقدر الحياة والموت ، وتعلم

خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وهو منطق – كما يرى العقلاء – يتهاوى بعضه على بعضه ، ويناقض اوله آخره ، وينكر لفظه معناه ، ولا ينطلي الا على الاطفال أو المجانين **(الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)** لقمان/ ٢٠ – ٢٤ وفي هذه الآيات من سورة لقمان وامثالها من القرآن كله . ما يصفعهم على اقفيتهم ، ويجابههم بما يتخاذلون له ، وترتعد منه فرائصهم ، وبخاصة اذا لاحظنا انهم لا يعتمدون على منطق ، ولا يستندون الى دليل ، ولا يقف الى جانبهم عقل ، ونحن نعلم ان الدعاوي من غير دليل يؤيدها ، او حجة تدعمها ، او برهان يؤازرها ، افتراءعلى الله وعلى الناس ، لا يتمسك بها الا الحمقى ، ولا يصدقها الا اولئك الذين اصابهم الله بالغفلة ، ورماهم بالعته ، او ابتلاهم بالجنون ، وسلبهم نعمة العقل والادراك ، والانسان الذي كرمه ربه بالتمييز ، ومنحه الفكر الواعي ، والبصر الكاشف ، والصواب الحق ، والخير المحض ، هو هذا الذي يفتح عينيه على الضياء ، ويوجه قلبه الى الهداية ، وذوقه الى المنطق ، وعقله الى الحكمة ، فلا يتخبط تخبط الضال ، ولا ينحرف انحراف الاعمى ، ولا يتقاعس تقاعس الجبان ، وقانونه الذي يلتزم به ، ويخضع له ، ويتعامل معه **(فاطر السماوات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)** يوسف/ ١٠١ واعتقد ان هذا الانسان ليس هو هذا الذي جاء بمحض المصادفة – كما يقولون – ولكنه هذا الذي فضله ربه بالعقل ، وكرمه بالدين ، وشرفه بالتكليف ، وميزه بالرأي والاختبار ، والحكمة والصواب ، والحق والمنطق **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/ ٧٠ وابوه آدم هذا الذي علمه الله الأسماء كلها ولم تكن تعرفها الملائكة ، وقد أمرهم سبحانه أن يسجدوا له لأنه سيمنحه الخلافة في الأرض .. وهكذا كان الانسان عند الله في مكان الرعاية والتقدير ، والاجلال والاحترام ، على قدر تفكيره فيه ، وايمانه به ، وعبادته له ، ورجوعه اليه ، وخوفه منه ، لأن ذلك كله استجابة للفطرة ، وسير على السنن السوى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

منهج الاسلام

الاسلام بنظمه وتشريعاته ، ونصائحه وتوجيهاته ، يشتمل على تشريعات حية نامية متطورة ، تكفل للفرد وللمجتمع الحياة الكريمة الآمنة ، ولهذا نرى الاسلام يعني أكبر العناية بالمجتمع المسلم ، وبوجوب تطهيره من الرذائل الدخيلة التي وفدت علينا مع الاستعمار والتي ورثناها من عهود الانحطاط ، من المادية والانانية والميوعة والتحلل ، والاستغراق في متع الحياة الدنيا ، والاستبداد والنفاق ، والملق وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال الى غير ذلك من الاخلاق التي ينهى عنها الاسلام ، كما نجد الاسلام من ناحية اخرى يعني بتثبيت القيم الاخلاقية الاصيلة التي توارثتها هذه الامة جيلا بعد جيل ، مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذي بعثه الله ليقيم مكارم الاخلاق ، كالسخاء والايثار والعفاف والحياء والغيرة . والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد والوفاء والرحمة بخلق الله ، واصلاح ذات البين والشجاعة ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والاحسان الى الجار ، واكرام

في بناء المجتمع الفاضل

للاستاذ / حسنين نعيم

الضيف ، واغاثة الملهوف والصدق في القول والامانة في العمل ، والعدل في الحكم والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس والقصد والاعتدال . في كل شيء الى غير ذلك من الفضائل التي يجب ان تسود وتبقى لذا ليس عجيبا ان نرى الدكتور « هوجوماركاسن » الفيلسوف الالماني يقول : « ان الاسلام احدث الاديان السماوية ثم هو في الوقت نفسه ارقاها واعظمها تمشيا مع التقدم » وقد امتاز الاسلام بهذا الامر في تعاليمه الجليلة المستمدة من القرآن حتى صار اعظم الاديان اخذا بأحكام العقل وأشدها تقديرا للترقي . وانه لا يرغم معتنقيه على الايمان به ارغاما بل تسليما والتسليم مشتق من اسمه الاسلام » .

ولذلك كانت الغاية التي ينشدها الاسلام من الحياة هي أن يعيش الناس عيشة فاضلة كريمة ، تلائم كرامتهم وتناسب منزلتهم بين الخلائق ، ومن هنا كرم الله بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ، وجعلهم خلفاء في هذه الارض ، وسخر لهم كل ما فيها ليعمروها بالخير والصلاح ، وجعل لهم أجلا لا ريب فيه تنتهي اليه

مدتهم في الحياة الدنيا ، بعدها ينتقلون الى حياة أخرى أكرم وأسمى . قال جل وعلا : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ كما قال جل شأنه : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه**) الجاثية/ ١٣ والى جانب هذا كله حذرهم سوء المصير ، إذا هم انحرفوا عن الجادة وحادوا عن الطريق السوي ومالوا مع الاهواء والشهوات .

فالاسلام لا يريدها حياة كيفما كانت ، انما يريدها حياة سامية سامقة ، كريمة تليق ببني الانسان ، وترتفع بهم عن الاسفاف ، والهبوط الى مستوى الحيوان الأعجم الذي تحكمه شهواته وغرائزه ، فيندفع معها بلا ارادة ولا فكر ولا نظر في العواقب ، يريدها حياة وحدة وارتباط ، وتآلف يدين الناس فيها دينا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ويسكنون وطنا واحدا ، هو هذه الأرض التي سخرها لهم ليعيشوا عليها إخوة متراحمين ، مثلهم في توادهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى لذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما اعزنا الله اذلنا الله » والاسلام يريدها ايضا حياة فاضلة كريمة ، قوامها التآخي ومظهرها التراحم ، وغايتها السلام ، كل هذا ليقيم الاسلام المجتمع على اسس من الطهر والنقاء والصفاء ، والاخوة والمحبة والمودة ، وحتى يعيش الجميع في ظل الاسلام آمنين على ارواحهم وأعراضهم وأموالهم ، لذا يقول صلوات الله وسلامه عليه « كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه » رواه ابو داود وابن ماجه أيضا ليقيم الاسلام المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة ، ولا ينتشر فيه التبرج يقول تبارك وتعالى : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**) النور/ ٣٠ و ٣١ كما يقيم الاسلام المجتمع على الشورى والنصح والتعاون والمساواة والعدالة ، لذا يقول الله تبارك وتعالى : (**وامرهم شورى بينهم**) الشورى/ ٣٨ ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « الدين النصيحة » وبقية الحديث كما جاء في صحيح مسلم قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال « لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم » ومن هنا رأينا الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، حين يودع احد ولاته الى اقليمه حاكما يلقي عليه قبل سفره هذا السؤال الكبير قائلا : « ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق او ناهب ؟ فيجيبه الوالي قائلا : اقطع يده . فيقول عمر واذن فان جاءني منهم جائع او عاطل

فسوف يقطع عمر يدك ، ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفهم فاذا اعطيناهم هذه النعمة من الله ، اقمنا عليهم حدود الله كفاء شكرها .
ولا شك ان المجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم بحكم التشريع ، والذي يقف فيه الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين واحكم الحاكمين ، والذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون يعيش الجميع في ظله آمنين مطمئنين على حياتهم وارزاقهم وجميع شؤونهم يروي المؤرخون ان يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز عاملا على صدقات افريقية ، فاقتضيتها وطلبت الفقراء نعطيها اياهم . فلم نجد بها فقيرا ، فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، مع ان مدة خلافته كانت ثلاثين شهرا .

على هذه الاسس القويمة يبنى المجتمع الاسلامي وتتكون الأمة الاسلامية : كما يريدها الله ، ومن هنا رأينا المنصفين من الاجانب يشيدون بالاسلام ، ويمجدون تعاليمه فهذا هو جون الفيلسوف الالماني الذي يؤثر عنه انه نظر في الاسلام فأعجبه يقول « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » كما رأينا « كارليل » الفيلسوف الانجليزي يقول « اي دليل تبغي على صدق محمد فيما يدعيه من النبوة اكبر من ان يأتي للناس بدين يهديهم به ، ويدفعهم في طريق الحياة الفاضلة ، وان يبقوا محافظين عليه متحمسين له اكثر من اثنى عشر قرنا ، الا فليعلم الناس ان مثل الباطل كمثل ورق البنك الزائف ، يمر من يد ويدين ، ثم يضبط ويعرف انه زائف ، ولكن الاسلام هدى عقول كل هذه الاجيال ، واهله اشد اعتدادا وتمسكا به من اي امة بدينها في الارض » .

وهذه شهادة صدق للاسلام وصدق الشاعر حين قال :

شهد الانام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الاعداء

ومن هنا فان الاسلام هو الذي يمكن بواسطته اقامة مجتمع فاضل ، وذلك بارشاده الانسان الى الوسائل التي ترفع من شأنه وتعلي من قدره ، وتجعله سعيدا في الدنيا والاخرة ، فقد اقتضت حكمة الله جل شأنه ان يكون في هذا الدين خير هذه الدنيا وأمنها وسعادة الفرد والجماعة فيها يقول جل وعلا : (**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى**) طه/ ١٢٣ ـ ١٢٧ كما يقول سبحانه : (**انه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**)طه/ ٧٤ ـ ٧٦ .

فالاسلام فيه الخير كل الخير ، والفلاح كل الفلاح لمجتمعنا في هذه الدنيا اليس هو صانع تاريخ العرب وأمجادهم وثقافتهم ومثلهم وحضارتهم ؟ ثم اليس هو الذي خلّد لغتهم ورفع ذكرهم في العالمين عامة وفي الشعوب الاسلامية خاصة ؟ بل وجعل من العرب أمة رائدة حيث وضع في أيديهم القيادة ، وجمعهم من شتات العصبية ، وحررهم من جهالة الأمية وضلال الوثنية وقذارة الجاهلية ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وصدق الله إذ يقول : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) الجمعة / ٢

وبالاسلام صار العرب إخوة متحابين متعاونين ، يتسابقون الى الخير ويتبارون في عمل البر ، بل لقد كان التواصي بالخير والدعوة الى التزام البر طابعا وشعارا وخلقا وسلوكا ، حتى لقد كان الرجلان اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة المباركة الوجيزة : (**والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر .

وكان رب الأسرة وعائلها لا يكاد يخرج من بيته حتى يوصيه أهله بالخير ، ويذكرونه بالبر والرشد ، لا سيما وهو في طريقه الى السعي على رزقه ، واكتساب نفقة أهله ، قائلين له اتق الله ولا تكسب حراما ، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم .

ولقد كان الإيثار خلقا وسلوكا ، فقد أخرج الطبراني في الكبير عن مالك الدار وهو مالك بن عياض مولى عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ، فقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

فذهب الغلام اليه فقال يقول لك آمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال أبو عبيدة وصله الله ورحمه ثم قال : تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، حتى نفدت ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقال اذهب بهذا الى معاذ بن جبل

فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال معاذ رحمه الله ووصله . تعالي يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا ، اذهبي الى بيت فلان بكذا ، فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين ، فأعطنا . فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره . فسر بذلك فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض .

ولقد كان العدل سائدا بين الأولين بفضل الاسلام الذي أرشدهم اليه وكان شاملا للناس جميعا فلم يفرقوا في ذلك بين المسلم وغيره من أهل الأديان الأخرى .

يروي أبو داود في سننه أن الرسول

صلوات الله وسلامه عليه قال « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » .

حتى لقد حدث حين توغلت جيوش المسلمين في فارس وما وراء النهر ودخلت مدينة سمرقند أن أرسل أهلها الى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين فأرسل عمر الى والى خراسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضي « جميع بن حاضر البلخي » فقضى القاضي بأعجب حكم في التاريخ . لقد قضى بإخراج الجيش الاسلامي من سمرقند لأنه دخل المدينة غدرا وهو حكم لم تعرفه الدنيا الا للقضاء الاسلامي وعدالة لا تعرفها عدالة الأرض .

هذا وقد ذكر الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » أن عبد الله بن عمر رجع من غزوة من الغزوات وقد ابتاع الغنيمة بأربعين ألف درهم فلما قدم على أبيه أنكر عليه ما فعل لأنه لعل أمير الجيش قد باع له بأرخص مما يبيع لغيره ، لأنه ابن أمير المؤمنين ، ولم يجد شيئا قول ابنه له انه اتجر كما يتجر غيره ، ثم قال له اني قاسم مسئول واني معطيك أكثر مما ربح تاجر من قريش . لك ربح الدرهم درهم ودعا التجار فاشتروا ما كان معه بأربعمائة ألف فأعطاه ثمانين منها ، ودفع بالباقي الى بيت المال ليقسمه بين الناس . ويروي البخاري في صحيحه أن عمر رضي الله عنه قسم ثيابا بين بعض نساء أهل المدينة فبقى منها ثوب جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك . يريدون أم كلثوم فقال عمر أم سليط أحق به وهي من نساء الأنصار وممن بايع رسول الله فقد كانت تحمل القرب يوم أحد .

بل لقد بلغ العدل عند عمر الغاية وأربى على النهاية ، وذلك حين خرج يوما يتفقد ابل الصدقة فقد وجد بينها طائفة أنكرها لجودتها وسمنها وحسن العناية بها فقال لعامله على إبل الصدقة ، إبل من هذه ؟ فقال العامل إنها إبل عبد الله بن عمر فقال ومن عبد الله بن عمر ؟ فقال العامل : ابن أمير المؤمنين فقال عمر : علي به . فأحضروه فقال عمر لابنه بكم اشتريت هذه الابل فقال عبد الله اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين فقال عمر نعم يقولون هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها ، لك ما اشتريت ثم هي لبيت مال المسلمين .

ومن ثم رأينا المسلمين الأولين قد سادوا وفتحوا البلاد شرقا وغربا حيث ساروا على منهج الاسلام الذي هذب سلوكهم وصفى نفوسهم ونقى ضمائرهم وعدل سلوكهم لذا ليس عجيبا أن نرى أحد الفلاسفة يقول مشيدا بالاسلام « إن لتعاليم الدين من السيطرة على المسلمين في كل تصرفاتهم ما يجعل لها مكانا بارزا في أي تخطيط لاتجاهات العالم الاسلامي ، فالاسلام ليس مجرد مجموعة من القوانين الدينية ولكنه حضارة كاملة .

روح السورة وأهدافها في القرآن الكريم

للدكتور : عبد الله محمود شحاته

١ ـ خطأ المستشرقين :

وجه بعض المستشرقين نقدا الى تأليف القرآن ، وقال : انه جمع غير مؤتلف أشبه بقولهم : « خمر لبن عسل » .

ولم يستطع أن يتبين ما في القرآن من روابط خفية ، فالوحدة الكبرى التى تجمع بين آيات القرآن هي الحديث عن الأسلام وما يتعلق به ، ولكن هذا الحديث كان معجزا متشابها يحس الأنسان فيه بصدق العاطفة وجمال التعبير وجودة الأداء . قال تعالى : (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد**) الزمر/٢٢

وفي ترابط آيات القرآن سر تحس به النفوس وتخشع له القلوب ، وقد تعجز الكلمات عن التعبير عن التأثير القرآني وسطوته على القلوب .

٢ ـ رأي الدكتور دراز :

يرى الدكتور دراز أن القرآن يضرب به المثل في جودة السبك واحكام السرد حين ينتقل من فن الى فن .

ويرى : « أن هذه النقطة قد غفل عنها جميع المستشرقين ، فضلا عن بعض علماء المسلمين ، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السطحية عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التى تناولتها السور ، لم ير في القرآن الا أشتاتا من الأفكار المتنوعة ، عولجت بطريقة غير منظمة ، بينما رأى البعض الآخر أن علة هذا التشتيت المزعوم ترجع الى الحاجة لتخفيف الملل الناتج من رتابة

الأسلوب . وهناك فريق آخر يرى في الوحدة الأدبية لكل سورة ــ وهو مالا يستحيل نقله في أية ترجمة ــ نوعا من التعويض لهذا النقص الجوهري في وحدة المعنى .

وفريق آخر يضم غالبية المستشرقين ، « رأى أن هذا العيب يرجع الى الصحابة الذين جمعوا القرآن وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور » .

ويعقب الدكتور محمد عبد الله دراز :

« بأن هذه التفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها ، اذ من المتفق عليه أن السور كانت بالشكل الذي نقرأها به اليوم ، وبتركيبها الحالي منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« ولقد اتضح أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا للسورة يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة .. ولا جدال في أن طريقة القرآن هذه ليس لها مثيل على الأطلاق في أي كتاب في الأدب أو في أي مجال آخر ، يمكن أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو . واذا كانت السور القرآنية من نتاج ظروف النزول ، تكون وحدتها المنطقية والأدبية معجزة المعجزات » .

٣ ــ نزول القرآن منجما :

لقد نزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة . واستمر نزول بعض السور عشر سنين مثل سورة البقرة ، ومع ذلك احتفظت بالتناسق والترابط بين آياتها ، وبالترتيب والتجانس بين موضوعاتها .

« ومع أن السورة من القرآن كانت تنزل منجمة مقسطة وفي أوضاع تأليفية عجلى ومشتتة ، وبين أجزائها عناصر معنوية مختلفة ، ومع هذا سبكتها وأحكمت صنعتها يد الله السميع البصير ، فانظر الآن هل استطاعت هذه الأسباب على تضافرها ، أن تنال من استقامة النظم في السور المؤلفة على هذا النهج ؟. « أما العرب الذين تحداهم القرآن بسورة منه فلقد علمت لو أنهم وجدوا في نظم سورة منه مطمعا لطامع ، بله مغمزا لغامز لكان لهم معه شأن غير شأنهم وهم هم » .

٤ ــ كتاب النبأ العظيم :

كتاب النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، من أقيم الكتب التى تحدثت عن القرآن ، فقد تحدث الكتاب عن الوحدة المعنوية للسورة ، وما في القرآن من اعجاز متعدد الألوان ، فمنه الأعجاز اللغوي والأعجاز العلمي ، والأعجاز التشريعي . وبين أن أسلوب القرآن هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها ، ووضع الدليل أمام القارىء قائلا :

« أقبل بنفسك على تدبر هذا النظم الكريم لتعرف بأي يد وضع بنيانه ، وعلى أي يمين صنع نظامه حتى كان كما وصفه الله (**قرآنا عربيا غير ذي عوج**) الزمر/٢٨ . اعمد الى سورة

من تلك السور التى تتناول أكثر من معنى واحد ، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته ، وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة ، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدئت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ، ووطأت أولاها لأخراها ، وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها ، أو مبانيها ، ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى . ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة واحدة حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها نزلت نجوما »

٥ ـ طبيعة وحدة السورة :

في السورة وحدة فكرية ، تعني أن هناك روابط بين أجزائها ، ويخطيء من يظن أن هذه الوحدة تعني أن السورة موضوع مستقل ، أو فصل في باب ، أو مبحث في كتاب .

فهناك فارق كبير بين طريقة القرآن ، وطريقة التأليف عند الناس . القرآن كتاب هداية يسلك الى النفوس طريقها ، ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر ، ولكنه جعل لكل سورة موضوعا غالبا عليها وسمات بارزة فيها .

٦ ـ رأي الاستاذ محمد المدني :

يقول أستاذي المرحوم الشيخ محمد المدني في مقدمة كتابه « المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء » .

ان في كل سورة من سور القرآن الكريم روحا يسرى في آياتها ، ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها .

« ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بوضع الآيات التى تنزل عليه منجمة في مواضعها من السور ، وأن ذلك كان عن وحي يتلقاه عليه الصلاة والسلام من جبريل ، عن الله رب العالمين ، فهل كان ذلك الا لمعنى ؟.. وهل يأمر الله تعالى بوضع هذه الآيات هنا ، وهذه الآيات هناك الا لحكمة ؟. وقد عنى المفسرون بكثير من الجوانب المتصلة بدراسة القرآن الكريم ، وقل فيهم من عنى بهذا الجانب الذي هو دراسة الروح العام لكل سورة ، والغرض الذي تهدف اليه .

ومن الواضح أن سور القرآن مع كون كل واحدة منها ذات طابع خاص وروح يرى في نواحيها ، لا يمكن أن تعد فصولا أو أبوابا مقسمة منسقة على نمط التأليف التى يؤلفها الناس ، ومن أراد أن يفهمها على ذلك أو أن يفسرها على ذلك ، فانه يكون متكلفا مشتطا محاولا أن يخرج بالقرآن عن أسلوبه الخاص ، والذي هو التنقل والمراوحة والتحول ، وبث العظة في تضاعيف القول والوقوف عند العبرة لتجليتها ، والتوجه الى مغزاها ، وانتهاز الفرصة أينما واتت لدعم العقيدة السليمة والمباديء القويمة .

ان هناك فرقا بين من يحاول أن يفعل ذلك ومن يحاول أن يجعل القاريء يلمح الروح الساري ،

والبيئة المعنوية الخاصة التى تجول فيها السورة دون أن يخرج التنزيل الحكيم عن سنته وأسلوبه الذي انفرد به ، وكان من أهم نواحي الأعجاز فيه .

وهذه الطريقة في الدراسة القرآنية أجدى على الناس من تتبع الآيات آية بعد آية بحسب ورودها في السورة ، ومن تتبع جمل كل آية وكلمات كل آية ، وأحيانا حروف كل آية أيضا ، ليدرس كل ذلك على نحو من التفصيل والاجمال ، أو على نحو من التطويل والأيجاز ، فان ذلك لا يعطي المنظر العام ، ولا يساعد على تصور عظمة الصورة مجتمعة الملامح منضمة التقاسيم ، كاملة الوضع .

٧ ــ خاتمة :

ان النظرة الكاملة للسورة تبرز شخصيتها وتجعل القارىء يتعرف على فكرتها العامة ، ويتتبع موضوعاتها داخل الأطار العام المميز لها عن غيرها .

وشتان بين صورة متكاملة متجانسة ، وبين أجزاء مفككة مقطعة لهذه الصورة .

شتان بين من يصف قصرا شامخا ببيان نوع أحجاره ولبناته وأخشابه وحديده ومقابض أبوابه ، وبين من ينظر الى جملته كبيت كامل أو كصرح عظيم .

يرى الامام أبو حامد الغزالي أنه شتان بين من يقدم عبدا هدية لأنسان وبين من يقطع أوصاله ليقدمها هدية ، مع أن العبد في الواقع هو مجموع هذه الأجزاء .

ويقول الغزالي : « الصلاة المشتملة على الركوع والسجود وسائر الأركان بدون حضور القلب ، أشبه بأجزاء العبد حين تقدم هدية ، أما الصلاة المشتملة على الخشوع وحضور القلب فهي أشبه بالعبد الكامل حين يقدم هدية فيها الروح والحياة والجمال » .

لقد تكفل الله بحفظ كتابه ، وهذا الحفظ لا يعني حفظ النصوص وحدها ، ولكنه يعني أيضا حفظ المعنى والروح الهادية في القرآن الكريم ، وما أحوجنا أن نتعرف على روح القرآن الهادية ، وأن نستلهم منه العظة والعبرة ، وأن نستهدي بأهداف سوره ومقاصدها وآداب آياته وأحكامها .

ان هناك يقظة فكرية في البلاد الأسلامية ، وتوجد رغبة ملحة في أن يعود المسلمون الى القرآن ، وأن يتعرفوا على هديه .

وفي رأيي أن تيسير الأهداف العامة للسورة ، وتوضيح أفكارها وسماتها ، يساعد القارىء على ادراك الروح العامة للآيات ، والأحساس بالوشائج والصلات التى تربط بين أجزاء كل سورة ، وهذا يسهل الحفظ لمن أراد الحفظ ، ويسهل الأحاطة بالمعنى الأجمالي للآيات لمن أراد القراءة والتلاوة ، ويقرب القرآن وييسر فهمه ، حتى يتعظ به المؤمنون ، ويهتدي به المسلمون ، وصدق الله العظيم : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر/١٧ .

مِن سمات.. مجتمع التوحيد

للدكتور / عبد الفتاح محمد محمد سلامه

تراهم ركعا سجدا :

المجتمع الاسلامي ـ الذي صنعه القرآن تحت راية التوحيد ـ مجتمع نابض بالحياة ، موار بالحركة ، زاخر بالنشاط في شتى الميادين والمناحي ، لا تقعد به همته العالية أن يتطاوس ويحلق ، حتى يتعانق مع أسرار الكون ، ونواميس الوجود ، متفاعلا معها ، مهيمنا عليها ، لأن الله هكذا خلقه ، وعلى هذا العطاء ذرأه .. فهو بحكم طبيعته المستمدة من القيم المغروسة فيه ، لا يعرف السلبية او الانزواء ، كما انه يرفض ـ بكل حزم وقوة ـ ان يتراجع او ينهزم في معارك التعمير والبناء .. ويعجبني في هذا المقام كلمة جرت على لسان ، فيلسوف الاسلام وشاعره الأمجد « محمد اقبال » ـ سقى الله جدثه وابل الرحمة ـ : قال فيها :

« المؤمن الضعيف هو الذي يعتذر بالقضاء والقدر ، اما المؤمن القوي فهو قدر الله الذي يتحدى به الأشياء .. » ..

والكتاب المقدس ــ القرآن ــ واضح كل الوضوح ، في تقريره لهذه الحقيقة الساطعة ، حيث يعلن :

(ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ..) القصص /٧٧

ولقد كانت الديانة المسيحية في جوهرها ، دعوة صريحة الى تعميق المفاهيم الروحية ، ونشر مبادىء الحب والتسامح ، بين جماعة بني اسرائيل المتنمرة ، والتي كانت تطفح بكل معاني اللؤم والغدر والخسة والخيانة .. حتى روي عن المسيح ــ عليه السلام ــ قوله :

« من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .. »
« المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره » ..

ولكن هذه التوجيهات الانسانية النبيلة ، والتي صدرت من روح الله وكلمته ، لم تجد صدى في بيئة معتمة ، أوغلت في العداوة ، وارتضعت من لبان الجريمة ، وكانت تتعطش الى سفك الدماء ، وتتوق الى ازهاق الأرواح ، بعدما كندت طبيعة من فيها من اليهود ، وسرت المادية في اوصالهم ، فتحجرت منهم القلوب ، وتصلدت النفوس ، وخربت الضمائر ، فاستحال هؤلاء الشرائم ، وأولئك الأوزاع الى حيوانات شرسة ضارية ، وثعالب ماكرة ختالة ، لا بضاعة لها الا النهب والتكالب ، ولا مصلحة لها الا الاستغلال الجشع ، وارواء جانب الأثرة الطاغية التي تمكنت منها ايما تمكن ، فصبغت سلوكها بصبغة مادية مسعورة .. لا تبض بقطرة واحدة من ادب او حياء :

ومن ثم ، فان مبادىء المسيحية ما لبثت ان انكمشت وتلاشت ، بل انها تبخرت تماما على ساحة المجتمع اليهودي الصاخب المعربد ، واخفق اقطاب المسيحية ، ومن خلفوا عيسى في دعوته ، إخفاقا كاملا ، وفشلوا فشلا ذريعا ، في توجيه دفة السفينة ، والقبض على زمامها .

وضاق الدعاة ذرعا بمجتمعهم الرافض ، وافلس رصيدهم من القيم والشعارات والمثل في معالجته وتغيير معالم الشر المبثوثة في كيانه ، فحدث ما لا بد ان يحدث : فرار وعزلة ، وتقوقع ورهبنة ، وسخط وتذمر ، وكبت ، ومحاربة للحياة ، وسخط عليها .. وعداء سافر للوجود الانساني كل هذا تحول اليه دعاة الانجيل ، واخذ التمزق النفسي يطحنهم ويسحقهم ، فلجأوا الى المغارات وكهوف الجبال ، واعتكفوا في الأديرة والصوامع ، منقطعين مترهبنين عازفين عن الحياة وشؤونها ، بعد ان هزموا في ميدانها ، وتركوا ساحتها الرحيبة للشيطان يلعب فيها ويعبث بمقدسات الله .. ومن هنا فانهم فشلوا في تأدية رسالتهم ، لأنهم

الزموا انفسهم بهذا النظام ، وفرضوا عليها بدعة الرهبنة التي ما انزل الله بها من سلطان :

ويصور الذكر الحكيم هذا التحول الرهيب في حياة المسيحية فيقول الله تعالى :

(ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ..) الحديد / ٢٦ ، ٢٧ ..

بات ظاهرا لذي عينين : ان رسالة الانجيل ، كما يمثلها دعاتها ، غير صالحة لمواكبة المسيرة البشرية ، فهي قد دعمت الجانب الروحي بقدر استطاعتها أما والمجتمعات الانسانية في حركة مائجة ، وأوضاع مهتزة ، فقد اصبحت تتطلب بعثا جديدا ، وتستدعي قيادة رشيدة ، تعبر بها المفاوز ، وعلى دعاة الانجيل القاصرين ان يسلموا اللواء ، لمن هو اقدر منهم على حمل اللواء :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه　　　لا تظلم القوس أعط القوس باريها

فكان ان سجل التاريخ بين احداثه الجسام : ظهور المجتمع الاسلامي بقيادة ابرز الشخصيات العالمية منذ ان برأ الله النسمة والى ان ينفض سرادق هذه الحياة .. الا وهو سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله .. وأثبتت الأيام ان هذا المجتمع المذكور ، هو اقدر المجتمعات على مواكبة مسيرة الانسانية ، وقيادة قافلة الحضارة ، وتعبئة الزمن بطاقات مبدعة لصناعة الرجال ، وتكوين الأجيال ، وتربية الابطال .. فدستوره نزل ليصلح الحياة وما بعدها ، ويخلق من اتباعه اناسا ينغمسون في اعماق الدنيا بانين مشيدين ، يقومون معوجها ، ويرفعون فيها للفضائل والمكرمات مكانا عليا ..

ونحن وان كنا قد جمعتنا لقاءات سابقة مع مجتمع التوحيد الأول ، على صفحات هذه المجلة الغراء ، فان اللقاء الذي يضمنا الآن يشع بالعبادة ، ويموج بالذكر ، وتتمثل فيه المحاريب ، وقد استقبلت أفواجا وزمرا من القائمين والعاكفين والركع السجود .. أليسوا هم الذين قال الله فيهم :

(تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من

أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ..) ؟ .. الفتح / ٢٩ ..

بلى !!! إنهم هم أتباع محمد عليه الصلوات والتسليمات ، وهذه النعوت مكملة لهم ، وتبرز شخصياتهم في دنيا الناس ، مثلما تبرز الثريا في عالم الكواكب ..

فهم غزاة فاتحون ، حاكمون مؤسسون ، صناع حضارة ، ومشيدو مدنية ، رواد علم ، وحماة ثقافة ، أرباب فكر اصيل وعقل مستنير ... والتاريخ بذلك خير شاهد ...

ومع كونهم يقفون في محراب الحياة ، خلايا نشطة واعية ، لها في ميادين التعمير والبناء والرقي المادي والأدبي صولات وجولات .. فانهم في الوقت ذاته يمثلون في محراب العبادة لا يغفلون عنه ، ويزودون انفسهم بزاد منه ، وذلك ليثبتوا لكل ذي لب : أن الحياة لا تصلح إلا اذا كان الدين هو القائم عليها ، والموجه لها ، والحارس الامين لقضاياها ، وكانت هي ترجمة صادقة لنظمه ومبادئه .. ورحم الله « إقبال » حين هتف :

إذا الايمـــان ضاع فلا أمان ... ولا دنيـــا لمن لم يحـــي دينا
ومـــن رضي الحيـــاة بغـــير دين ... فقـــد جعـــل الفنـــاء لهـــا قرينا

ونحن – بكل فخر واعزاز – لا نقصد بالدين الا الاسلام ، شريعة الله الخاتمة الخالدة :

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..) آل عمران / ٨٥ فهي شريعة الدنيا والآخرة ، فلا رهبانية ولا عزلة ولا انقطاع ، ولا فرار إلى الكهوف ، ولا تعذيب للأجسام ، ولا تنكر للحياة ، ولا تجهم في وجهها .. الم يقل رسولها العظيم ..

« لا رهبانية في الاسلام » .. الطبراني في الأوسط .. « رهبانية أمتي الجهاد .. » .. ابو داود .. « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه وإنما خيركم من أخذ من هذه وهذه .. » .. الترمذي .. ؟؟؟

واذا كان الأمر كما قررنا ، فان ربنا – تبارك وجل في علاه – قد وصف أتباع النبي الامي ، وهم البذور الأولى في مجتمع التوحيد الأشم ، فقال :
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..) .. الفتح / ٢٩

فهم قوم يعيشون حياتهم بكل ما فيها من نشاط دافق ، وسعي موفور ، لا يعرفون الخور او الضعف ، وانما يعطون الحياة خير ما فيها ، مما يسعدها ويرقيها .. اما النص الذي معنا الآن :

(**تراهم ركعا سجدا ....**) .... فانه يشير الى دعامة متينة وخطيرة من دعائم « مجتمع التوحيد الحضاري » في ظلال القرآن .. ألا وهي : الصلاة ...

وليس هناك من وسيلة فذة لكسب رضا الله ، وتعميق الصلة به ايمانا واعتقادا ، أزكى ولا أقدس من تلك الساعات التي يقف فيها المؤمن بين يدي ربه خاشعا ، يقشعر منه الجلد ، ويذوب فيه القلب ، ويلج الى عالم الصفاء والطهر والنقاء ، فينادي مولاه ويناجيه ، وهنا يدرك العبد أن سيده العظيم أقرب اليه من حبل الوريد .

جاء في الحديث القدسي : « وما تقرب الى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه .. » .. رواه مسلم ..

ومن هنا ندرك سر التعبير في وصف جماعة المؤمنين بأنك :

« تراهم ركعا سجدا » .. فينعتهم القرآن بهذين النعتين الجليلين ، ويضفي عليهم هاتين الهالتين المضيئتين .. « الركوع والسجود » .. واذا كان الركوع يمثل الخضوع والاذعان لله رب العالمين ، فان السجود يتحول الى رمز كبير يحوي قمة العبودية ، ويشير الى ذروة الوصول للاله الكبير المتعال ..

« اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. » .. الترمذي

ونحن نلمح على هذا التعبير (**تراهم ركعا سجدا ..**) مسحات مشعة وايحاءات مشرقة من الجمال البياني الأخاذ .. الذي يصورهم في هذه الصورة القانتة العابدة ، ويبرزهم في ذاك الاطار المهيب ، الذي يعلوه الوقار ، ويجلله البهاء ، وما بالك بقوم اذا توجهت اليهم بنظراتك ، او وقعت عليهم عيناك ، فانك لن ترى منهم الا متلبسا بركوع او سجود ، ولن تبصرهم الا على حالة من العبادة المنيبة المتبتلة ، فكأن ديدنهم وشعارهم ، بل وشغلهم الشاغل هو : أن يراهم ربهم في محل طاعته ، ويفتقدهم حيث نهاهم ، وهم بذلك يكونون قد وصلوا الى

اعلى مراتب العبادة والتجرد لله الواحد الديان ، حيث مقام الاحسان ، الذي يتحدث عنه سيد ولد عدنان :

« الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك ... » ... رواه الشيخان ...

وهذه الصفوة المؤمنة انطبعت حياتها بطابع الطاعة لله ، والامتثال له ، والتوجه اليه ، فهي قد اتحدت مع الكون ، وانصهرت في بوتقته ، وتجانست مع نواميسه ، حيث يصبح الجميع وحدة متسقة ، تهتف بلسان الحال ، وتقر بلسان المقال ، معترفة بالجمال والكمال ، لربك ذي الجلال :

(الم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ..) .. الحج / ١٨ ..

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ...) .. الاسراء / ٤٤ ..

ولأجل أن يبرز القرآن هذا المعنى واضحا جليا ، يأتي بالصيغتين الكريمتين وهما : (**ركعا سجدا**) . بما تشتمل عليه كل منهما من مبالغة وكثرة وزيادة ، نتيجة التشديد الكائن في مادة الكلمة ، ولا يخفى عليك جمال الايقاع والرنين الموسيقي العذب الذي ينبعث من تأليف ذينكما اللفظين الرقيقين بطريقة تأخذ بمجامع القلوب ، وتلك ناحية يدركها أرباب البلاغة ، ويتذوقها أصحاب الأحاسيس الأدبية الرفيعة ، التي يستثيرها القول الجميل ، ويحرك كوامنها التعبير الجليل ، ويقدح زناد عاطفتها التركيب الرصين ..

والصلاة في لغة القرآن تعني عبادة القلب واللسان والجوارح ، وهي مقوم اصيل من مقومات المجتمع الحضاري في ظل الاسلام ، لأنها تخلع عليه ظلالا وارفة من الأمن والرضا ، وتجعله يشعر بالسكينة تنزل عليه ، وتوفر له اسباب السعادة ، بل وتغسل عنه الأوضار والأكدار ، وتصب سلوكه وأفعاله في قوالب من الاتقان والابداع ، فعلى قبس من نورها يمضي المؤمن في عمله هادىء النفس ، واثق الخطى ، عامر الفؤاد بيقين في الله لا يهتز ولا يتزعزع ، لا ترجف به الأرض ، ولا يشطح به الخيال ، ولا تلعب به الاماني ، ولا يغره بالله الغرور .. وإنما يكون متصلا بحبل ربه المتين ، يأخذ عنه ، ويستقي من ورده ، ويغترف من نبعه ، فيعرف الحقائق ، وتتجلى له الأشياء ..

والقرآن الكريم يقرر هذه القضية ، ويسوقها في تأكيد جازم ، وذلك حيث يقول رب العزة :

(ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون ..) .. المعارج /١٩ ـ ٢٣ .

وجاء في الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله : « أنه كان إذا حزبه أمر ، فزع إلى الصلاة .. وقال بهذا أمرني ربي .. » .. مسلم ..

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ..) .. طه /١٣٢ ..

بل ان الرسول العابد ـ وهو قائد مجتمع التوحيد ـ لتصل به درجة العشق للصلاة والهيام بها ، إلى حد الانبهار ، والشوق الجارف ، والحنين الدافق ، الذي لا يستطيع مغالبته .. فاذا بك تسمعه وهو يخاطب مؤذنه الأثير عنده ، بلغة وديعة وصوت مأنوس يقطر سلاسة وعذوبة ، وهو يقول بلسان المحب الوامق :

« أرحنا بالصلاة يا بلال ... » .. رواه البخاري

إي والله !!! أرحنا بها لا أرحنا منها ... !!!

وإنك لتعجب أشد العجب عندما تجد النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، يخلع على الصلاة هذه الصورة الباهرة ، ويبرزها في ذلك الاطار المضيء ، ويسوق لها ذاك المثل الفريد ، فيجعلها بلسما شافيا يطب الجروح ، ويبرىء السقام ، ويزيل عن الانسان أثقاله وهمومه ..

« أرأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل فيه خمس مرات كل يوم ، هل كان يبقى من درنه شيء ؟؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا .. » .. رواه البخاري ..

فالصلاة روح الاسلام وشعاره ، ولباس الايمان ودثاره ، وهي قيمة خلقية حضارية ، غرسها القرآن المجيد في أعماق مجتمع التوحيد العظيم ، فعرج بها الى السموات العالية ، وتسنم بها ذرا الفضائل والمثاليات ، وغدا افراده رهبان الليل

وفرسان النهار ، فعندما يجن الظلام على احدهم ، وتغور نجومه ، ويرخي سدوله ، اذا بك تلفيه : يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيري ، ألي تعرضت ؟ أم إلي تشوقت ؟ هيهات هيهات .. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ...

واذا كان الله قد أيد رسوله الكريم بالاسراء والمعراج ، وفيهما رأى محمد من آيات ربه الكبرى : (**ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين او أدنى**) . النجم /٨ ، ٩ وفيهما ايضا فرضت الصلاة في ساعة من ساعات القرب والاصطفاء والاجتباء ..

فانه لا ينبغي ان يغيب عن أذهاننا : ان هذه الصلاة بعينها قد جعلها ربنا إسراء بحياتنا ، ومعراجا لأرواحنا ، حيث نتخفف من وطأة الحياة ، ونتخلص من ماديتها ، ونزيح عن انفسنا قيودها واغلالها ، في فترات نخلو فيها الى خالقنا ، نحادثه ويحادثنا ، وندعوه ويستجيب لنا ، ونشكو اليه فيزيل شكاتنا ، وبذلك تعود لأرواحنا شفافيتها ورفافيتها ، ويؤوب لنفوسنا صفاؤها ونقاؤها ..

(وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ..) .. البقرة / ١٨٦ ..

ويقول فيه سيدنا رسول الله ، يخاطب الناس جميعا :

« الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .. » .. البيهقي ..

الناس سواسية

عندما يصعد الانسان النظر ، ويقلب الفكر ، ويسلس القياد لتطلعاته ، فانه سيرمق عن قرب عالما ممزق الاوصال ، مقطع الروابط ، مبتوت الوشائج ، تأكله الاحقاد ، وتضطرم فيه نيران العداوة ، وتسري بين اوصاله روح البغضاء والكراهية . سوف يبصر حشود البشرية مطحونة مسحوقة متحاربة متصارعة ، تكاد لافلاسها من القيم تهوى من حالق ، وترتطم بالصخور . لقد اصبح الحال كما وصفه القرآن :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/٤١ .

ومما يؤسف له ان حياتنا هذه ، تحكمها الآن تيارات رعناء ، متناقضة

الاهواء ، متباينة المشارب ، مختلفة المنازع ، وهي كلها تحكي ردة الفكر ، وشتات العاطفة ، وتصور الجاهلية الداكنة والانسانية تموج فيها ، وقد غشاها ما غشاها ، وغمرها ما غمرها من اشواب الباطل ، تعكس عليها ظلالا فاحمة من القتام الاسود الرهيب ، جعلتها تسبح في دائرة فضائية خواء ، وتتحرك في واد بلقع تلفه الوحشة ، وتكتنفه المتاهات . وما أرى الانسانية وهي تتخبط في مسيرتها ، الا وقد نسيت ارشاد ربها ، وتوجيه خالقها وبارئها ، حين صب في سمعها :

(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام/١٥٣ ومنذ أن برزت الى الوجود ، في مطالع هذا القرن ، فكرة تفوق الجنس الآري ، او سيادة العقل الاوروبي ، وتسلطت على العالم هذه النزعة الهوجاء : بدأ الاستعمار الغربي المتغطرس : حملاته المحمومة المسعورة ، التي اكتوت بها الامم ، وزلزلت كيان الشعوب ، واخذ مد الطغيان يقوض دعائم الامن ، ويدك معاقل الاستقرار ، ويقبض بيد من حديد على كل ما يقع في حوزته من مال ، ويبتز من الاسلاب والخيرات ما ناهيك بكثرته وضخامته . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، اذا لهان الخطب ، وخفت البلية ، ولكن طفح الكيل ، وجاوز السيل الزبى ، عندما استذل المستعمرون غيرهم من بني البشر وحولوهم الى ما يشبه العبيد والخدم ، ونظروا اليهم نظرة تنقص ومعابة ، وكأنهم مخلوقات حشرية او كائنات طفيلية ، يجب التخلص منها ، ويلزم استئصال شأفتها .

وذلك كله حدث ويحدث بدعوى ان العقل الاوروبي هو سيد العقول ، وان صاحبه ميزه الله باستعداد ، وحباه باختصاص ، حرم منه كل الناس ، فمن حقه ان يسود ويسيطر ، ويستغل ويستعمر ، ويستذل ويستعبد ، ويستولي على مقدرات الامم ، ويتحكم في مصائر الشعوب . وكنتيجة عكسية لهذا الاتجاه الأفن ، ظهرت التفرقة العنصرية ، وطفت آثارها الفادحة فوق السطح ، وظهرت عواقبها الوخيمة في بقاع شتى نكبت بالاستعمار ، ورزئت بهمومه واثقاله ، والمثل على ذلك : جنوب افريقيا حيث الاستعمار البرتغالي يكتم انفاس المواطنين السود ، ويجثم فوق صدورهم ، ويعاملهم باسلوب همجي بربري ، كله قمع وعنف ووحشية وقسوة تتنافى مع ابسط قواعد الانسانية . حتى الدول التي تدعى لنفسها تقدما ومدنية ، وبلغت في القوة المادية درجة خيالية . كأمريكا مثلا نكبت هي الاخرى بهذا اللون من الوان المعاملة فهناك الزنوج السود القاطنون في الولايات المتحدة ، يعانون اشد المعاناة ، ويقاسون انكى انواع المظالم التي يتعرض لها انسان . وكم قامت ثورات جائحة ، راح ضحيتها رجال ونساء واطفال ، ولكنها أخمدت ، وسحبت عليها ذيول النسيان

لقد اسمعت لو ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تنادي

وهكذا تحول الانسان الابيض المتمدين الى حيوان فاتك ، ووحش شرس ، يسفك الدماء ، ويزهق الارواح ، وكأن البشرية قد رجعت الى العهود البدائية ، يوم أن كانت تحكمها شرائع الغاب ، وتسوس حياتها قوانين الارهاب . بل صار الحال هو الذي عناه الشاعر حين هتف :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصـــوت إنســـان فكدت اطير

وفي عام ١٩٤٥ قامت المنظمة الدولية (الامم المتحدة) وهي هيئة انيطت بها امور خطيرة : تتمثل في رعاية العالم والسهر على راحته ، والضرب على يد الظالم ، وانصاف المظلوم المقهور ، وتقديم كافة المساعدة المادية والادبية للشعوب المستضعفة ، لتظفر بحريتها ، وتعتز بآدميتها ، ولكن هذه الهيئة الدولية ما تمكنت من القيام بدورها ، لتصارع ارباب النفوذ ، وتطاحن القوى العالمية ، وظل الناس في اقطار شتى يتحملون الوانا جمة من الويلات والشرور ، من جراء تسلط قوى البغي والطغيان .

ومن عجب انه في العام الذي ولد فيه : الميثاق العالمي لحقوق الانسان في ديسمبر ١٩٤٨ والذي اصدرته الامم المتحدة ، وقامت له الدنيا وقعدت في ذلكم العام الحزين بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين وقعت اعظم الجرائم الانسانية بشاعة وخسة ، حيث نهب شعب باكمله ، وطرد من دياره ، واخرج من ارضه ، وابتزت خيراته ، وخرج اكثر من مليون مسلم وعربي هائمين على وجوههم ، تحتويهم الخيام ، ويؤويهم العراء ، وتضمهم بطون الصحراء . وقعت جريمة فلسطين التي تندى لها جبين الانسانية حزنا وخجلا تحت سمع وبصر المنظمة العالمية وقامت دولة صهيون على حساب امة كانت تقول : لا اله إلا الله فماذا فعلت المنظمات والهيئات ؟ وماذا قدم ميثاق حقوق الانسان لشعب مغلوب على امره ؟ . لا شيء . بل وصل الامر منتهى القحة ، عندما بادر رئيس امريكا في ذلك الوقت : « ترومان » . واعترف بدولة العصابات اليهودية بعد قيامها باربع عشرة دقيقة ولله في خلقه شؤون .

ويحضرني في هذا المقام حديث لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » رواه البخاري ومسلم .

وناهيك بالنزعة العنصرية القاتمة التي أوغلت في دماء اليهود ، وصبغت فكرهم ، ولونت اتجاههم ، فجعلتهم يهرفون بمالا يعرفون ، وتنادوا بتفوق السلالات اليهودية ، وانها وحدها اهل لتكريم الله واصطفائه ، وان كلمة الرب قد القيت اليها من ضمير الغيب ، فلها السيادة والتعالي ، والقيادة والهيمنة . ومن ثم ، اذاعوا على سمع العالم انهم : « شعب الله المختار » . وان وعده —

سبحانه ـ بالتمكين والغلبة ، خاص بهم ، مقصور عليهم ، دون غيرهم من الناس . والقرآن الماجد يتغلغل الى اعماق هذه النفوس المظلمة ، المريضة بعقدة السيطرة والاستحواذ ، والتي يلعب فيها مركب النقص دوره الشائن المحقور ، ويستبطن اسرارها الغامضة المثيرة ، ثم يزيح عنها الاستار ، ويكشف الاقنعة ، لتبدو في جلاء على حقيقتها الرهيبة : وبذلك : « يفصح الصبح لذى عينين » يقول الكتاب الكريم محللا العقلية اليهودية المتهافتة :

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) . المائدة/١٨ .

ويتحدث عن نزعة الغرور المادي ، التي اوصلتهم الى درجة الكفر الفاجر :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) المائدة/ ٦٤ .

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران/١٨١ .

تلك امانيهم ، وهذه مزاعمهم ، ولا مراء في انها نزعات شريرة ، معربدة شقية مغامرة ، ينتكس بها الحق ، ويعم تحت دخانها الظلم ، ويخفت في ظلالها المخيفة صوت العدالة ، وتقوم بها للباطل دولة ، وتكون له صولة ، فتستباح الحرمات ، وتنتهك الحريات ، وتهدر آدمية الانسان ، ويفقد من جراء ذلك كل معنى كريم ، وتغيب عنه كل القيم الرفيعة ، وفي هذا الزحام تنقلب الامور ، وتنعكس الموازين ، وتفسد المعايير ، واذا ما سارت البشرية الى هذه الهاوية ، وتدلت الى هذا الدرك ، فقد باينها الرشد ، ونبابها الشيطان عن الهداية ، وهي ـ بذلك ـ الى الدمار تسعى حثيثا . وما لهذا خلق الانسان . وما لذاك العبث كانت حكمة الاستخلاف .

واذا اردت ان تعرف دستورا جامعا ، يرعى العلاقات الانسانية ، ويمجد اواصرها ، ويبوىء البشرية مكانتها القمينة بها ، فلا تنظر الى الشرق ، ولا ترن الى الغرب ، ولكن ارهف سمعك ، واصغ بحسك ، واستثر انتباهك لصوت كتاب الله ، يعلو داويا ، وينساب رقيقا حانيا ، يمسح الضغائن ، ويزيل الاحقاد ، انه يخاطب الناس ، كل الناس ، ويناديهم هذا النداء العطوف ، ليلقي في حبات قلوبهم هذا الاعلان ، بل ذاك الميثاق العالمي الخطير ، وهو ميثاق الهي ، ومنهج رباني ، حفيت اقدام البشرية ودميت ، وهي تسعى لاهثة اليه ، بينما هو كائن في صيدلية القرآن ، الذي انزل على محمد عليه الصلاة والسلام . انه يقول في حزم وحسم :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات/١٣ . أرأيت الى هذا العطر الفواح ؟ أرأيت الى هذا العالم الطهور الذي يحلق في آفاق غير

متناهية من الجمال والجلال والكمال ؟؟ انه عالم القرآن في تفرده ، وهمسه في خلوده وشموخه انه النور يشرق ، والضياء يتألق ، والهداية تسري ، والحياة تواكب مسيرة الحضارة الصاعدة الظافرة . وما اجمل ان يصافح سمعنا قول ربنا ، متحدثا عن تلكم المعاني المتوجة بالبهاء :

(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) النور/ ٣٥ .

(وكذلك أو حينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) الشورى/ ٥٢ .

ان الدساتير البشرية المنحوتة من الافكار القاصرة ، والثقافات المحدودة ، يجب ان تعرف قدرها ، ولا تتجاوز طوقها ، وكذلك المواثيق الدولية التي صاغتها اقلام ذهب بها الهوى كل مذهب ، فراحت تسوق مبادىء متباينة ، وتسوس الشعوب والامم بنظريات تخلو من الروح والمضمون .

اقول : ان هذا الحشد الهائل من الافكار والثقافات ، يجب ان يقف خاشعا امام دستور القرآن الامجد ، وهو يشرع للناس ، ويبني لهم الحياة الطيبة ، وهي حياة ترتكز على جوهر اصيل ، ومعنى نبيل ، يتماثل في قيمة حضارية ، سكبها القرآن انشودة معطرة ، في سمع الانسانية الضالة الحائرة ، فاذا بها تغدو عالما غنيا بالمبادىء والمثاليات واعني بهذه القيمة الحضارية : « المساواة » وذلك حين ينادي ربنا البشرية العزيزة التي نفخ فيها من روحه ، وهي مبثوثة في فصائلها الكثيرة :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهو نداء عزيز غال ، يهز أوتار القلوب ، ويثير كوامن الشوق في النفوس ، وفيه يخلع الله على الانسانية خلعة البهاء والوقار ، ويدثرها بحلية التكريم والتعظيم ، لأنه توجه اليها بهذا الخطاب الذي يفيض رقة وعذوبة ، وهو هنا ــ سبحانه ــ ينادي الناس ، كل الناس ، على اختلاف الوانهم والسنتهم ، ومللهم وجنسياتهم ، بدون تفريق او تمايز ، فالكل خلقه ، والجميع نفخة من روح قدرته ، بل ان التباين في الالوان والالسنة ، امارة من امارات العظمة المبدعة التي سجلها الكتاب الخالد لله رب العالمين :

(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) الروم/ ٢٢ .

فلم يعد منذ الآن ، وبعد هذا البيان ، من يتغنى بنزعة العرق ، أو يمتدح بظاهرة اللون ، او يتعالى بشارة اللغة ، أو يعزف على قيثارة الغرور نغمة نشازا لنعرة جاهلية كذوب . فكل هذه السمات والملامح ، من خلق الله وحده ، ومن ابداعاته الباهرة ــ تبارك وجل في علاه ــ وليس لأحد فيها فضل ، وليس له

اكتساب ـ فالناس بكل ما يموجون فيه من آيات التغاير ، قد ركب فيهم ، وبرزوا الى الحياة وهم يحملون بصماته .

وأنت ترى أن هذا الأسلوب الندائي ، قد توشى بالمساواة العامة الشاملة ، وأن الناس بها قد أعطوا شحنات كبيرة من الانتباه ، ومنحوا طاقات من الاثارة ، شدتهم الى خالقهم ، وجذبتهم اليه ، فاشرأبوا وتطاولوا ، ورنوا وتطلعوا ، وكلهم متهيىء ليسمع خطاب الملك العلام ، للبشر في كل زمان ومكان :

(انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

وبتقرير هذه الحقيقة الخطيرة ، طاشت أقوال الفلاسفة ، وذهبت آراؤهم قبض الريح ، وظهرت أفكارهم بزيفها وهزالها وسطحيتها ، حيث زعموا قديما : أن الخلق في أصل تكوينهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام : البيض وقد خلقهم الرب من فمه ، والحمر وقد أوجدهم الله من بطنه ، والسود وقد أنبتهم الخالق من قدمه ، ولذلك فهم أشرار ، وملاعين ، ويلزم تسخيرهم خدما وعبيدا .

وفي الوقت الذي تسود فيه هذه الآراء الواردة عن فلاسفة اليونان ، نرى القرآن العزيز يصدع بهذا البيان ، ويسوق هذه القضية التي هزت الانسانية في أعمق أعماقها ، وجعلتها تسجل بحروف من نور ذاك الحدث الفريد من نوعه ، والذي صبه محمد بن عبد الله ، وهو يشيد مجتمع التوحيد على تقوى من الله ورضوان . الناس أصلهم واحد ، مربوبون لرب واحد ، فلم يخلق صنف منهم من ذهب ، والآخر من خشب ، ولم يفطر الله نوعا من عباده من ماس ، والثاني من حجارة ، أبدا جلت حكمة الله عن هذا العبث ، وتعالت عن ذاك الهراء . فآدم أب البشرية ، تحدث القرآن عن الأصل الذي انحدر منه فقال : **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)** المؤمنون /١٢ .

هذه السلالة الطينية الترابية ، أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا ، ثم بث الله فيها الروح ، فصارت نفسا زاكية مشرقة هي : آدم ، ثم خلق الله من تلك النفس زوجا لها لتؤنسها وتذهب وحشتها ، ولتتم بعد ذلك عملية الانجاب ، ويكثر النوع ، ويعمر الكون .

ويحلق بنا القرآن في هذه الآفاق ، ويقرع أسماعنا بالحقيقة المجلجلة : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** النساء/١ .

ذلكم مبدأ الاسلام ، وتلكم هي القاعدة الصلبة التي أسس عليها مجتمع التوحيد بنيانه الشاهق ، عالي الهامات ، رفيع الذرا ، سامق الأعمدة وسار عليها سيرته التي أذهلت التاريخ ، فلم تكن كلمة « المساواة » في قاموس القرآن مجرد شعار أجوف ، وانما كانت تطبيقا حيا أمينا ، وأصبحت دستورا فذا ، يحتكم اليه أتباع محمد عليه الصلاة والسلام . ويلوذون به ، فيجدون عنده المرفأ الأمين ، والبلسم الشافي ، الذي يطب الجروح ويداوي السقام . ورحم الله أمير

الشعراء : « أحمد شوقي » عندما وصف شريعة القرآن شريعة العدالة فقال :

الله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاء
والبر عندك ذمة وفريضة	لا منة ممنونة وجباء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى	فالكل في حق الحياة سواء

وإذا كان الناس جميعا متساوين في مبدأ الخلقة ، كما نطق بذلك القرآن ، فان من سمات مجتمع التوحيد بقيادة محمد بن عبد الله ، أنه لا يلقى بالا الى الأمور الشكلية العارضة ، التي قد تغشى الانسان وقد تفارقه من مال وجاه وصولجان ولون . فهذه كلها في ميزان الاسلام خواء ، لا تغير من جوهر الشخصية ، ولا تغني عنها فتيلا ، اذا طاش سهمها ، وخاب سعيها في مجال القيم والأخلاق والمثاليات والعقائد .

وهذه تجربة مثيرة جلاها القرآن ، ووضعها في اطار انساني مهيب ، ونحن نستشف من خلالها : كيف نفذ الكتاب الخالد بمبدأ المساواة الى قلوب الناس وعقولهم ، وحطم به كبرياء الجبابرة ، وأذل به جبروتهم ، وخضد به شوكتهم ، ومرغ به في الأوحال طغيانهم :

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبياء/١٨ . هل تبصر عصابة الشرك هذه ؟ انها تقدم على رسول الله متأففة متضجرة ، تنتفخ أوداجها ، وتشمخ بأنوفها ، متعالية متعاظمة ، يسوقها غرور عنيد ، ويزين لها شيطان عتيد ، وهي تلح على النبي الجليل : إذا أراد أن يدعوهم بدعاية الاسلام ، ألا يسوي بينهم وبين العبيد والفقراء في مجلس واحد ، فهم قوم أغنياء يتربعون على عرش الزعامة في قريش ، فكيف وهم علية الناس وذؤاباتهم يضمهم مكان فيه : صهيب وبلال وسلمان وعمار ، وغيرهم من المستضعفين الذين يلبسون رث الثياب ، وليس لديهم ما يعتزون به من عرض الحياة ، ولا ما يشمخون به من زينتها وتيجانها ؟ ؟

وكاد الرسول العظيم – وقد كان حريصا على نشر الدعوة بكل سبيل – أن يقتنع بوجهة نظرهم ، ويسايرهم فيما يرتأون الا أن الوحي نزل ليسدد خطاه على الطريق ، ويحسم القضية المثيرة من جذورها ، لتمد الانسانية جمعاء بالدروس النافعة ، وتغذيها بالمنهج الواضح ، وتسعفها بالعبرة ، وتزودها بالموعظة .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف/٢٨و٢٩ .

هنا يقف الزمن ، ويخشع الدهر ، وتنصت الحياة ، ويكتب التاريخ في سجلاته شهادة الحق لخير المجتمعات ، وخير الأمم ، وأكرم بها من شهادة

أملاها : من لا يحابي ولا يداري ولا يداجي ، ولا يخاف أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد . أتدري من هو ؟ انه الله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١٠ .

بل أن سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم ، بدرت منه بادرة لعبد الله بن أم مكتوم ، فامتعض وجهه ، وتقطب جبينه ، وعبس وأعرض عنه ، وقد جاءه ذات يوم ، يبغي عنده هداية وتذكيرا ، وتزكية وتطهيرا ، وكان الرسول مشغولا بدعوة أكابر القوم الى الاسلام ، فكره من هذا الرجل – وكان أعمى – أن يأتي اليه ، ويقطع عليه حديثه ، ومع كل هذا فقد نزل القرآن يعاتبه وينهي اليه أنه لا يرضى منه ذلك الأسلوب الجاف في معاملة هذا الانسان المحروم المتعطش الى الرى ، الظامىء الى المعرفة : استمع الى تلك الصورة الانسانية الفريدة ، يسكبها الكتاب المعجز نغما حلوا ، في همس رقيق ، ولفظ أنيق ، وتعبير رشيق :

(عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة) عبس/١ – ١١ .

ولقد كان سيدنا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، بعدها ، اذا أقبل عليه ابن أم مكتوم ، يحتفي به ، ويكرم وفادته ، ويهش له ويبش ، بل ويفرش له عباءته .

أرأيت دستورا بشريا يداني هذا الدستور ؟ ان كل ما سنه أصحاب القرائح من حقوق انسانية ، لو صيغ مبلورا مجموعا ومحبوكا ، فانه لن يتعدى بعض مضامين اشتملت عليها الآية الكريمة التي نحلق في أجوائها المعبقة بالشذى ، المضمخة بالعطور وأعني :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى)

ولم ينفرد القرآن بالدعوة الى هذا المبدأ الخالد ، مبدأ المساواة ، فهناك السنة الواردة عن معلم الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، والتي تعتبر الناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، ومن ثم أصبح تلامذة النبي الكريم اخوة أندادا متحابين ، قد تلاشت بينهم الفواصل ، وتمزقت الحجب ، لأنهم عرفوا أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، وأنهم يعبدون ربا واحدا .

يقول أمير الأنبياء في حجة الوداع :

« **أيها الناس** !! ان أباكم واحد ، وإن ربكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، ألا هل بلغت ؟؟ اللهم فاشهد » رواه الشيخان .

ويخشى الرسول الحبيب ، أن تصيب أهله عقدة التعالي على الناس ، فيغترون بعنصريتهم ، وكونهم فرعا من دوحة الرسالة الباسقة ، ويتكلون على هذه

النزعة ، ويذرون العمل الذي يقربهم الى الله . فتراه يسدي اليهم هذه النصيحة الغالية ، ويسوق اليهم ذلك التوجيه الرشيد ، في صورة نهي مغلف بغلالة رقيقة من العطف والاشفاق :

« لا يأت الناس بالأعمال ، وتأتوني بالأحساب والأنساب ، فلقد علمتم أنه ليس لأحد فضل على أحد الا بالتقوى » الترمذي :

« الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصاني ولو كان هاشميا قرشيا » ابن ماجة وغيره .

إن مجتمعا يتلاحم فيه الأفراد هذا التلاحم الفذ العجيب ، وتختفي من أجوائه الطائفية والعصبية والحزبية والعنصرية ، لتشغل مكانها كل معاني الحب والصفاء والنقاء ، لتصبح هي الديدن والشعار الذي يظلل أبناء الاسلام بلوائه الخفاق . بل أن أمة يتساوى فيها بالمناكب والأقدام : بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي مع محمد النبي ، لهي أمة قمينة بالزعامة ، جديرة بالريادة ، وهي أهل لأن توجه مسيرة الحياة ، وترعى وثبتها ، وتبارك زحفها :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣ .

تلك سنة العدل ، وهذه شريعة المساواة التي أقام الاسلام العظيم ميزانها ، وجعلها ناموسا عاما يحكم البشرية ، ويسوس أمرها فالناس في مقياس القرآن السديد ، أسرة إنسانية واحدة ، لكل فرد فيها كافة الحقوق التي لأخيه ، بطريقة تحفظ توازن المجتمع ، ولا تترك ثغرة واحدة لظلم مستبد ، أو انتهازية رخيصة ، أو استعلاء كاذب . وبذلك يتسنى لمجتمع التوحيد ، أن يمارس أفراده حقوقهم ، ويعبرون عن آرائهم وخوالجهم في حرية كاملة ، لا في ديمقراطية مزيفة ، تبيح للناس الكلام ، وهي في الواقع تكبلهم بقبضات الحديد .

لقد كان أتباع النبي يطبقون مبدأ الشورى في أسمى صورها ، وأنضر حللها ، حتى مع زعيمهم وقائدهم العظيم محمد ، والرسول الجليل تنبهر نفسه ، حين يرى بين تلاميذه هذه الطاقات الخصبة ، وتلك الشجاعة الصادعة ، وحين يبصر أن مدرسة الوحي ، قد أنجبت رجالا أعزة لا يعرفون الخور ، ولا يقبلون التبعية الذليلة ، بل عندهم ملكة النقد الصائب ، والنظر العميق ، وتلك كلها قيم غرسها القرآن فيهم وهو يضع اللبنات الأولى لمجتمع « لا اله الا الله » :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩ .

وتورد لنا السيرة العاطرة حادثة مثيرة ، يتكشف لنا من ثناياها كيف كان الصحابة يصقلون أنفسهم على محك الديمقراطية الربانية ، وليست الفارغة الكاذبة كتلك التي اخترعها ويخترعها سماسرة الأمم ، وتجار الشعوب من أولئكم

المزايدين المنافقين .

فلقد نزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالناس منزلا في غزوة بدر الكبرى ، فقام الحباب بن المنذر وقال لرسول الله في جرأة وصراحة لا تعرف الضعف : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل الذي نزلته أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول النبيل : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال الحباب : ان هذا ليس بمنزل ولكن أرى أن ننزل أدنى ماء من القوم فنحفر حوضا ونملأه بالماء ونقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فانبهر الرسول بالرأي وتقبله في رضا وارتياح .

هكذا الفرد في معيار الاسلام ، انسان له حريته ، وعضو له كرامته ، ومخلوق عزيز لا تهون عليه آدميته ، مهما كان وضعه الاجتماعي ، وكيفما كانت ظروفه الانسانية . ألم يقل الرسول في سلمان الفارسي : « سلمان منا آل البيت » ؟ رواه ابن ماجة .

ألم يقل عمر بن الخطاب الخليفة الملهم في بلال بن رباح العبد الحبشي : أبو بكر سيدنا وأعتق بلالا سيدنا ؟ ؟

ألم تعارض امرأة عجوز عمر الفاروق وتصحح له حكما يتعلق بمهور النساء ، وكان يريد أن يحمل الناس عليه ، فما زاد على أن قال : كل الناس أفقه منك يا عمر حتى العجائز ؟ ؟

ألا لله در مجتمع هذا شأنه ، وتلك سيرته ، وهاتيك مناقبه ، فأرح نفسك ولا تشقها بالبحث ، فوالله لن تعثر عليه لا في الشرق ولا في الغرب ولا بين قواميس الفلسفة ، ولا حتى في عالم الخيال والمثاليات فاذا رمت عثورا عليه فانك واجده حتما في دساتير القرآن ، وفي مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام .

وأكرم يا أخي بمجتمع يأخذ فيه العبد المهيض الجناح حقه من السيد الشريف ، في مساواة فذة تخشع لها الانسانية ، وتنحني لها هامة التاريخ : حدث هذا عندما تعالى أبو ذر الغفاري على بلال العبد الحبشي وعيره بأمه وقال له : يا ابن السوداء . ويشكوه بلال الى الرسول الأعظم : ويغضب الرسول ويقول لأبي ذر :

« أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » البخاري .

وما أن سمع أبو ذر هذا التأنيب من سيد الرسل حتى نام ووضع خده على التراب وقال : والله لا أنهض حتى يطأ بلال خدي بقدمه .

تلك هي المساواة الحقة ، والعدالة النادرة التي قام عليها مجتمع التوحيد دون غيره من المجتمعات ، في ظلال القرآن الكريم

التفسير العلمي للقرآن الكريم

للدكتور/ محمد جمال الدين الفندي

كثر الحديث حول هذا الموضوع ، خصوصا من جانب المعارضين الذين تكاد تنحصر حجتهم في ما يذهبون اليه من أن العلم يتغير ، وهم بذلك انما يقصدون النظريات العلمية بطبيعة الحال ، ومن غير الملائم اذا ، بل ومن الخطر بمكان ـ حسب رأيهم هذا ـ ان نعلق على آيات الذكر الحكيم أو نفسرها بشيء يتغير ويتبدل الى النقيض في بعض الأحيان !

والحق أن من بين المفسرين العلميين الحديثين من أساءوا الى هذا الواجب الديني ، وأقصد به تفسير القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم في ظل الثابت من حقائق العلم وفي ظل تلك الافاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم ، ذلك اما لكونهم تخطوا حدود الثابت من حقائق العلم مما غاب عن ادراكهم أو خرج عن نطاق تخصصاتهم ، واما لأنهم حملوا الآيات الكريمة ما لا تحتمله من معاني او تأويل !!

وكثيرا ما سألني الباحثون عن رأيي في هذا الأمر فكنت أصرح بأن المبدأ (يعني التفسير العلمي للقرآن الكريم) في حد ذاته سليم بل وواجب

علمي وديني في نفس الوقت ، ولكن علينا أن نتوخى الدقة والسلامة فيما نسوق من حقائق العلم التى لا تتغير وأن لا نحمل الآيات ما لا طاقة لها به . وعلى الرغم من تلك الأخطاء التى ارتكبها بعض الكتاب في هذا العصر الا أنه يكفيهم فخراً أنهم كسروا الجمود أو حطموه !!

نعم أيها القارىء المسلم ، فان أهم أسباب تخلفنا هو الجمود ، ويوم أن عجزنا عن مسايرة الركب ونضب فكرنا كان التخلف . انظر معي الى ما فعله أجدادنا عندما فهموا الرسالة على حقيقتها وانفتحوا بأفكارهم على حضارات الفرس والروم والاغريق والهند و ... ، لقد هضموا كل تلك الحضارات وأضافوا اليها الشيء الكثير داخل اطار (المنهج الاسلامي) أو الفلسفة الاسلامية . ويومئذ كانوا هم قادة الأرض علميا وفكريا واقتصاديا وسياسيا و ... لقد ابتدعوا كثيرا من العلوم مثل الجبر ، وحساب المثلثات ، والفلك الكروي ، وحساب اللوغاريتمات ، ونبغوا في علم الفلك بالذات لخدمة الشريعة ، وما زالت بصمات أصابع العلماء المسلمين باقية في قبة السماء ممثلة بمئات الأسماء العربية للنجوم مثل :

أشرنار أصلها آخر النهر
بتلجوز أصلها الجوزاء
تاوروس أصلها الثور
دنب أصلها الذنب

حتى ان المأمون في بغداد قاس نصف قطر الأرض بطريقتين مختلفتين ، الأولى هي طريقة « ثابت ابن قرة » الذي عمد الى قياس المسافة بين كل خطين متتاليين من خطوط العرض ، وكان يقيس خط عرض المكان بواسطة قياس ارتفاع النجم القطبي فيه . أما الطريقة الثانية فهي طريقة « البيروني » — وهي لا تزال تحمل اسمه حتى يومنا هذا — وتتلخص في قياس زاوية انحطاط الأفق من على جبل مرتفع يطل على مساحة منبسطة من الأرض .

وانتقلت تلك القياسات الى أسبانيا (الأندلس) ومنها عرف المستكشفون فيما بعد من أمثال (كولمبس) و (ماجلان) أن الأرض كروية وأن محيطها لا يتعدى طوله ٢٥ ألف ميل ، فأقدموا على الدوران حول الارض في مراكبهم ، ولكن الفضل العلمي والقياس انما يرجع كما نرى الى العلماء المسلمين !! وأعجب من هذا كله أن جاءني رجل في يوم من الأيام بعد أن صلى بنا الامام يسأل : هل الأرض مكورة حقا !!؟ فكيف نسى المسلمون هذا التراث العلمي ، وكيف تخلفوا ؟ وهل كانت رسالة المسجد قاصرة على مجرد الصلاة ؟ أو ليس العلم رسالة الاسلام ؟! ألم تكن أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق أمرا بالقراءة للعلم والمعرفة عندما نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى عز وجل :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم

الانسان ما لم يعلم) العلق : ١ــ٥ .

لقد توصل « الخليلي » في دمشق الى الفلك الكروي وصنف (زيجا) أو جداول فلكية من أربعة مجلدات لا نعرف كيف انتقلت الى بولندا ليصنف مثلها « كبرنيق » بعد مضي ١٥٠ عاما أو أكثر ويقرر في ظلها أن الشمس هي التى تحتل مركز ــ أو بؤرة ــ المجموعة الشمسية ، وليست الأرض هي مركز الكون كما كان يظن الناس حسب تعاليم الاغريق وفلسفاتهم . ويومئذ قامت الدنيا وقعدت . وما زال العلماء يحتفلون بذكرى « كبرنيق » ونحن لا نعرف شيئا عن « الخليلي » صاحب الفضل الحقيقي المهضوم !!

وهل يعقل ، ونحن نعلم أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، هل يعقل أن نجمد معاني ما فيه من آيات كونية عند حد ما قاله الأقدمون ؟ وهل يستطيع منصف ان يدعي أنه (أو غيره) قد وصل الى نهاية المطاف في هذا المجال ؟

الحق أن القرآن كلام الله والكون من عمل الله ، وكان من الطبيعي اذا أن يستمد القرآن كثيرا من آياته وحكمه من الكون . وعلى هذا النحو تحدث عن السماء والهواء والماء والأحياء و ... وأثار بذلك قضايا علمية عامة :

(ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) الجاثية ــ ٣ ــ ٦

والعلم هو الذي يبصرنا بآيات الخالق في هذا الكون ، وأقصد بها الحقائق الثابتة التى لا تتبدل . ومن هنا كان التقاء العلم بالدين . ومن هنا جاءت تلك القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم معجزة في عصر العلم .

والنظام الذي يسير عليه الكون ثابت وشامل . ولولا هذا الثبوت وذلك الشمول ما نشأ العلم الذي هو في جملته تلمس الحقائق في عالم الحس باستخدام الحواس أو الآلات التى ترقى بأية ظاهرة الى مستوى الحس . ومعلمنا في هذا كله هو الكون ــ كتاب الله المنظور ــ فنحن نستمد منه الحقائق ثم نردها اليه لنتبين مدى صحتها ، فان خالفت ما في الكون اعتبرت وهما وخيالا .

(قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الانعام/١٤٨

ونحن طالما كنا نفسر الآيات في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف ولا حرج . ولزيادة الايضاح أضرب مثلا أو اكثر لذلك .

١ ــ انظر الى قوله تعالى :

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/٢٢

قال بعض الأقدمين ان (لواقح)

هنا انما تشير الى تلقيح الرياح للنباتات أو بعض النبات . وهذه حقيقة علمية كانت ولا زالت وسوف تظل سليمة ، الا أنني في هذا العصر لمست حقيقة أخرى فحواها أن الرياح تلقح السحاب أيضا .. نعم ان الرياح بعد أن تثير السحاب ، أي تكونه وتدفعه .

(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) الروم/٤٨ قد تدأب على امداده وتغذيته ببخار الماء الذي تحمله وتجلبه معها من البحار والمحيطات وكذلك تغذيه بجسيمات صغيرة تسمى علميا باسم (نوى التكاثف) . ووظيفة هذه (النوى) هي تجميع جزئيات بخار الماء في مناطق اثارة السحب لتكون قطرات صغيرة من الماء أو من بلورات الثلج .

والفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر هو أن الأولى لها مدد مستمر من بخار الماء ونوى التكاثف بواسطة الرياح أو الهواء الصاعد ، أما الثانية فليس لها أي مدد .

وينجم عن استمرار الرياح في « تلقيح » السحاب الذي تثيره ببخار الماء ونوى التكاثف نزول المطر . ومن هنا تكون الفاء في قوله تعالى **(فأنزلنا)** هي فاء السببية ، أي نجم عن هذا التلقيح نزول المطر . أما قوله **(وما أنتم له بخازنين)** فهي اشارة أخرى الى معجزة أخاذة الى الدورة المائية بين السماء والأرض ، حيث نقول : ان ماء المطر يعود مرة أخرى الى المحيطات والبحار عن طريق الأنهار أو المياه الجوفية ، وتعود الشمس فتبخر بعض ماء المحيط والبحر لتعود الدورة من جديد وهلم جرا !

وعلى هذا النحو نجد أنه في ظل الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم تثير هذه الآية الكريمة ثلاث قضايا علمية هامة هي من آيات الاعجاز العلمي في هذا العصر .

أما القضية الاولى فهي أن الرياح تلقح السحاب (ببخار الماء ونوى التكاثف) ، وأما القضية العلمية **الثانية** فهي أنه ينجم عن هذا التلقيح نزول المطر . وتقر القضية **الثالثة** حقيقة الدورة المائية بين السماء والأرض .

وأنا عندما أكتب هذا ـ أو أذكره في محاضراتي ـ لا أدعي أن ما قاله الأولون خطأ لأن حقائق العلم لا تتغير ، كما أنني لا أدعي بأن قولي هذا هو نهاية المطاف ، فقد تظهر حقائق أخرى غابت عنا ، ولكن لا يعني ذلك أن ما قلناه خطأ على الاطلاق . ومعنى ذلك أنه لا يليق بتاتا أن نقف مكتوفي الأيدي ، أو ان ندعي بأن العلم يتغير وبذلك لا نساير الركب ، أي ركب الحضارة الذي تخلفنا عنه حتى يدعى أعداء الدين كذبا وبهتانا أن الدين هو السبب !!

والأمثلة التى يمكن أن أسوقها للبرهنة على صحة وسلامة أنه لا خوف اطلاقا من التفسير العلمي للقرآن الكريم ما دمنا نستخدم حقائق علمية ثابتة هي في الواقع أمثلة عديدة . ونحن يجب علينا أن نتذكر

دائما أن معاني الكتاب العزيز لن تنضب ، وأنه سيظل معجزا الى يوم الدين ، وأن علينا أن نتدبره ونفسره في ظل الثابت من حقائق العلم .

خذ مثلا قول الله عز وجل :

(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات/٤٧ ، أو قوله : **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)** الانبياء/٣٢ ، او قوله : **(والسقف المرفوع)** الطور/٥

ماذا قال الاقدمون في مثل هذه الآيات الكونية ؟ وماذا تبين لنا في عصر العلم من حقائق مستمدة من الكون الذي صنعه الخالق وتتمشى مع قضايا العلم التى أثارها الكتاب العزيز بصورة تسحر العقول وتجعل الجاحد يؤمن بأنه كلام الله الخالق العليم ..؟؟ هذا هو بيت القصيد ، وهذا ما سنكتب عنه في سلسلة أبحاثنا في هذا المجال لعلنا بذلك نؤدي الأمانة ، ونقدم ما علينا من زكاة العلم نحو اخواننا المسلمين في كل قطر ان شاء الله تعالى .

اما الآية الكريمة : **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)** فقد فسرها الأقدمون تفسيرا صحيحا سليما منطقيا . ومجمل قولهم : أن هذا الكون رغم اتساعه ورغم ما ضم وحوى من أجرام ، فان لدى الخالق العلي القدير المزيد والمزيد .

واتضح لنا في عصر العلم معنى آخر يمكن أن يضاف الى المعنى الأول من غير خوف أو وجل ، ذلك لأن الذي حدث بالفعل منذ أن نزل القرآن الكريم وسار ركب العلم قدما أن اتسعت آفاق الكون أمام العلماء – ومن ثم أمام الناس – في خطوات متتالية اتساعا يفوق حدود الوصف والخيال . فقد كان الناس في باديء الأمر يظنون أن الأرض هي مركز الكون ، وأن السماء تنتهي عند القبة الزرقاء ، وأن النجوم معلقة غير بعيد في تلك القبة .

ثم عرف الناس فيما بعد : المجموعة الشمسية التى لا يزيد قطرها على ٥ ساعات ضوئية – والساعة الضوئية هي المسافة التى يقطعها الضوء في ساعة كاملة بسرعته البالغة « ٣٠٠ ألف كيلو مترا في الثانية » – ثم امتدت أبعاد السماء الى مجرتنا التى سماها المسلمون الطريق اللبني أو طريق البنانة وقطر هذه المجرة أوالجزيرة الكونية هو « ١٠٠ ألف سنة ضوئية » . ثم باستخدام المناظير الفلكية اكتشف الانسان المجرات الأخرى وعرف أن أقرب المجرات الى مجرتنا هي مجرة المرأة المسلسلة التى تبعد عنا بنحو « ٧٠٠ ألف سنة ضوئية » ، أما القبة الزرقاء فهي مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في جو الأرض .

ثم اتسعت السماء أمامنا حتى وصلت في ظل « الفلك الراديوي » الى حدود « ٢٠ ألف مليون سنة ضوئية » !! نعم لقد كشفت لنا « المناظير الراديوية » اجراما تسمى (اشباه النجوم) على أبعاد سحيقة لا نجد لأبعادها او لمواقعها تعبيرا

أروع من قول الله عز وجل :

(فلا أقسم بمواقع النجـوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيـم) الواقعة/ ٧٥ ، ٧٦

وربمـا تركـزت أهـم أسبـاب الاعتراض على التفسير العلمي للقرآن الكريم (كما ذكرنا) فيما يذهب اليه البعض من أن العلم يتغير وقد ذكرنا أن الذي يتغير ليس هو عموم العلم بل النظريات العلمية ، ذلك لأنها انما تستنبط باستخدام قوي العقل في ظل الثابت من حقائق العلـم . وكلمـا تراكمـت معلوماتنـا السليمـة عن الكون ، تلك المعلومـات المستمـدة بالرصد والقياس والتتبـع ، كلمـا كانت هناك فرصة أكبر لاستنبـاط النظريات ، أو لتعديلها أو تحويرها . ولزيادة الايضاح نقول مثلا ان الضوء عندما درسه العلمـاء منـذ عهـد « الحسن بن الهيثـم » تراكمـت الحقائق المتعلقة به فعرف العلماء على التوالي أن الضوء « ينعـكس » أو « يرتد » من الأجسام التى يسقط عليها ، ثم عرفوا أنه « ينكسر » ، ثم توصلـوا الى أنـه « يتشتـت » أو « يتناثر » ، وأنه « يحيد » ، وكذلك « يستقطب » .. وهكذا ظهرت في ظل هذه الحقائق عدة نظريات علميـة تتعلق بطبيعة الضوء أو كنهـه أو حقيقتـه المطلقـة ، منهـا نظريـة « الجسيمـات الصغـيرة جدا » « لينوتن » ، ثم « النظرية الموجية » « لهيجن » ، ثم « نظريـة الكـم » « لبلانك » ثم ... الخ ... ولم تثبت حقيقة الضوء على حال حتى الآن .

قس على ذلك الكهرباء ونحوها من الطاقات وما نظرية التطـور التـى يتشدق بها بعض المكابرين الا مجرد افتراض من هذا القبيل وقد ظهرت نظريات تخطئها وتقلبها رأسا على عقب ، الا أن هذا لا يعني أن الحقائق العلمية التى بنى عليها علم الحيوان هي بدورها خطأ ، لأن الحقائق انما تتكامل فقط كلمـا جمـع العلمـاء معلومات متزايدة من الكـون ومـا يحوي من أحياء وما يعج فيه من طاقات نحن لا نعرف مصدرها ولكننا نصفها بقوانين رياضية ونقول ان الطاقة لا تغني ولا تجيء من العدم وانما قد تتحول الى أنواع متباينة على غرار تحول طاقة الوضع الى كهرباء وتحول الطاقة الكهربائية الى حرارة أو ضوء وهلم جرا .

ويهمنا في هذا المقام أن نبين بجلاء ووضوح أنه بدلا من أن يهاجم العلم من غير قيد أو تحديد بأنه يتغير ، وبدلا من ان تزيد الهوة بين العلم والدين أقول بدلا من هذا وذاك يجدر بنا – معشر المؤمنين – أن ننادي بثلاثـة مباديء أساسية أو ثلاث حقائـق واقعية هي :

أولا : أن قيام العلم انمـا هو نتيجة لثبوت النظام الكوني وشموله . فلولا ثبوت الناموس الطبيعي وشموله ما كان هناك علم .

وثانيا : أن هذا الثبـوت وذلك الشمول هما أكبر دليل عقلي وعلمي على استبعاد عنصر الصدفة واثبات وجود الخالق ، ذلك لأن الصدفة لا يمكن أن تثبت نظاما ولا يمكن أن

تجعله شاملا .

واذا كان الأمر كذلك فليس من المنطق ولا من المنتظر أن يعمد الخالق جل شأنه ــ وعصر العلم على الأبواب ــ الى تغيير ناموسه من أجل تجلية ذاته أو اثبات وجوده .. ولهذا كانت أكبر المعجزات وآخرها : معجزة تساير الناموس الطبيعي وتتمشى مع نظام الكون ، وأقصد بها القرآن الكريم الذي يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة . أما المعجزات التى خالفت الناموس فقد انتهت بانتهاء زمانها ومكانها . ونحن اليوم نؤمن بتلك المعجزات عن طريق القرآن الكريم الذي نسلم بما فيه ككل ونؤمن بما حوى من تفاصيل مثل عصا موسى ، وهدهد سليمان ، وناقة صالح ، و ... التى لولا القرآن الكريم ما صدق بها أحد بحجة أنه لم يرها أو يشاهدها أو يلمسها ، أو بحجة عدم وجود صلة قاطعة بينها وبين وجود الخالق !!

وعلى هذا النحو كان من الطبيعي عندما أقبل المشركون على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يطلبون عملا من الخوارق وبرهانا يخالف النواميس الطبيعية ، كان من الطبيعي أن يستنكر القرآن الكريم هذا المطلب ، لأنه مطلب واه ينتهي بانتهاء زمانه ومكانه بينما أمامهم معجزة خالدة لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات تخاطب عقولهم وتغذي أفكارهم :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا .) الاسراء/ ٩٠ ــ ٩٣

وهكذا يتخذ القرآن الكريم الأسلوب العلمي فيستنكر عمل الخوارق . وهكذا يفرق نزول القرآن بين عهدين من عهود العقل البشري .

ثالثا : أن العلم رسالة الاسلام ، ودليلنا على ذلك تلك الآيات العديدة التى تحض على دراسة أسرار الكون ونواحيه ، مثل قوله تعالى في سورة البقرة :

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) الآية ١٦٤ وقوله في سورة الاعراف :

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) الآية/ ١٨٥

بل أن هناك من آيات الذكر الحكيم ما يمكن آن تتخذ أساسا لارساء قواعد بعض العلوم : انظر

مثلا الى قوله تعالى :
(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت/ ٢٠
فمهما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة ما من شك أنها تقرر حقيقة علمية ثابتة فحواها أن تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بطريقة ما في قشرتها التى نعيش عليها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجائها فاحصين دارسين مدققين ــ وهذا هو معنى فانظروا ــ لنقف على ذلك التاريخ . أما اللغة التى كتب بها فتعرف الآن باسم لغة « الأحافير » أو « الحفريات » .

ومنذ أكثر من ١٥٠ سنة أعلن عالم « اسكتلندي » اسمه « هاتون » وكتب يقول : « ان تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بين طيات قشرتها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجاء الأرض ونجمع الأحافير ونتعرف عليها وندرسها ونربط بينها لنعرف ذلك التاريخ » !! آنئذ قامت الدنيا وقعدت ، وقال الناس ان علما جديدا قد ولد وظهر في الوجود هو علم « الأحافير » ومن ثم « علم طبقات الأرض » أو « الجيولوجيا » ، وحصل هاتون على لقب « لورد » تقديرا له واحتفاء بمولد هذا العلم على يديه !

ولكن ألست انت معي أيها القاريء الكريم في أن الآية الشريفة قررت نفس القضية العلمية بطريقة معجزة أخاذة قبل عصر النهضة العلمية بنحو ألف سنة !! الا أن فريقا من المسلمين كانوا ــ سامحهم الله ــ ينادون بأن البحث في سنن الله تعالى والكشف عن آياته ممنوع !! وهذا أيضا من أسباب التخلف الذي أصاب صميم الادراك وحقيقة الفهم لرسالة الاسلام .

واكثر من هذا أن قصر فريق من المسلمين العلم على العلوم الدينية ، وأعني بها الفقه ، ونحوه واعتبروا سائر العلوم الأخرى كماليات لا لزوم لها ، بل وشككوا الناس في قيمتها ناسين او متناسين أنهم انما يأكلون ويشربون وينتقلون ويتطيبون ويطيرون في السماء وينقلون أمتعتهم في البر والبحر ويتسامرون و .... بوسائل كلها من صنع العلم وعمل العلماء .

وبطبيعة الحال لا ينكر هذا الفضل للعلم الذي منحنا اياه الخالق العليم وفضلنا به على سائر مخلوقاته الا كل مكابر جاحد غير مدرك لرسالة الاسلام التى جعلت المسلمين في سنوات معدودات قادة هذه الأرض فكريا واجتماعيا وعلميا .. الخ ..
(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الانبياء/ ١٠٥
واذا أردنا أن نواجه الحقيقة كاملة ، نقول : اننا تخلفنا لبعدنا عن الدين . وما من شك للأسف الشديد أن هذا التباعد لم يكن قاصرا على اتجاه معين وانما شمل كل الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعلمية .. وما من شك أن القرآن الكريم كتاب هداية قبل كل شيء ، فيه صلاح الدارين ، وقد أمرنا بالعلم وان نعد لأعداء الدين ما استطعنا من قوة ، والعلم مصدر

القوة في هذا العصر ، ليس فقط من حيث استغلال الطاقات واعداد الأسلحة ، ولكن أيضا من حيث الفكر ، لأننا نعيش في عصر يؤمن فيه سواد الناس بالعلم وعلينا أن نخاطب غير المؤمن بلغة العلم ، والاسلام كفيل بذلك ، وهو الدين الوحيد الذي يقف شامخا أمام تيارات الكفر والالحاد بعد أن فصل الأوروبيون العلم عن الدين وانطلقوا بعلمهم يشككون الناس في عقائدهم !!

لهذا كله حرصت على أن ينصب حديثي وبحثي على صلة العلم بالدين ، وعلى سد تلك الهوة السحيقة التى ظهرت بين العلم والدين في بلاد الغرب وراح فريق منا ينقل عنهم كل ذلك . وان الدراسة الواعية لتراثنا الاسلامي انما تظهر بجلاء كيف نشأ العلم في أحضان الدين عن المسلمين .

ومنذ سنوات جاءني رجل يقول : كيف يكون القرآن الكريم معجزة خالدة ونحن نكاد نقصر اعجازه على حد البيان والفصاحة والبلاغة ، مما لا يثير اهتمام سواد الناس في هذا العصر ، وأقصد به عصر العلم ؟

ثم لماذا نحيط التفسير العلمي لبعض الآيات الكونية بكل هذه المخاوف ونحدده داخل اطار ما قاله الأولون ؟؟

قلت : ان التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم – قديمه وحديثه – انما يتم في ضوء السائد من العلوم والمعرفة في عصر المفسر . ولم يقل عاقل ولا عالم منصف بأنه قد وصل الى نهاية المطاف في تفسير القرآن الكريم ، خصوصا تلك الآيات التى أثارت قضايا علمية عامة وأشارت الى آفاق الكون الواسعة وما دمنا نفسر في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف اطلاقا ولا ضرار .

وبدلا من المناداة بأن العلم يتغير فتزيد الهوة بين العلم والدين يجب علينا أن ندقق اللفظ ونستبعد النظريات العلمية وحدها فهي التى تتغير أو تتحور في ظل ما يصل اليه العلماء من حقائق العلم الجديدة .

ويجب أن نلاحظ أن التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم انما يقودنا دائما الى استبعاد عنصر الصدفة من ناحية والى عدم الوقوف بالحقائق العلمية عند وصف الأشياء كما هو متبع الآن ، بل علينا أن نخطو خطوة الى مناقشة الحكمة أو الفائدة من كل آية يستمتع بها الناس بلا مقابل !

وليس معنى ذلك الخروج عن المنهج العلمي في دراساتنا ، ولكن معناه الاستمرار خطوة أخرى نخطو بها من العلم الى الايمان ، عندما نتدبر الحكم المنطوية تحت كل آية من آيات الكون . والحق أن الذي فصل العلم عن الدين هم أهل أوروبا في العصور الوسطى ، وذلك تحت ضغط فئات الكهنوت « أو الكنيسة » التى لم تجد سبيلا للربط بين الدين وما يتوصل اليه العلماء من كشوف فلكية على يد امثال « غاليليو » « وكبرنيق » الخ .. والأمثلة التى يمكن أن نسوقها لزيادة الشرح ولايضاح ما نرمي اليه وننادي به أمثلة عديدة .

نظام العقوبات في الإسلام

وهل يتنافى مع حضارة القرن العشرين

للدكتور / أحمد شوقي الفنجري

تدوي في أرجاء العالم الاسلامي كله هذه الأيام صيحة قوية تطالب بالعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية في كافة قوانين ومعاملات الدولة وذلك بعد أن أوقفها الاستعمار الأوروبي في بلادنا منذ أكثر من قرن كامل واستحدث مكانها البغاء والخمور والمخدرات وكافة أنواع الرشوة والفساد .

بعض الأمثلة ودلالتها :

● نادى عمر بن الخطاب أحد ولاته قبل سفره الى اقليمه الذي سيحكمه وأخذ يمتحنه :

ـ ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

فأجابه الوالي بدون تردد : أقطع يده

فقال عمر ـ اذا . ان جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك ..

ثم تابع نصيحته قائلا : ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوفر له حرفتهم .. فاذا أعطيناهم هذه النعمة تقاضيناهم شاكرين ...

يا هذا .. ان الله خلق الأيدي لتعمل .. فاذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالا .. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ..

فهذا المثل يدلنا على أن الحدود لم تنزل من أجل الرعية وحدهم . ولكنها أيضا تضع المسؤولية على الوالي حتى لا يتهاون في توفير فرص العمل والرزق لأبناء شعبه بخلق المشروعات النافعة وحسن توزيع الدخل والاصلاح الداخلي ...

● ومثل آخر : سمع عمر بن الخطاب أن جماعة من الشباب يسكرون في بيت واحد منهم ، فتسلق سور البيت وفاجأهم وهم يشربون الخمر . فما أن بدأ يتوعدهم بتوقيع الحد والعقوبة عليهم حتى رده أحدهم قائلا :

ـ مكانك يا عمر .. لقد جئنا بواحدة وجئتنا بثلاث ..

أولاها : تجسست علينا والله يقول : **(ولا تجسسوا)** الحجرات/١٢

وثانيها : لم تدخل من الباب والله يقول : **(وأتوا البيوت من أبوابها)** البقرة/ ١٨٩

وثالثها : دخلت بدون استئذان والله يقول : **(لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا)** النور/٢٧

وهنا تنبه عمر الى خطئه . فقد وضع الاسلام أمام السلطة التنفيذية قيودا وتعاليم وآدابا وأوجب عليها الالتزام بها حتى وهي تتعامل مع الخارجين على شريعة الله واذا تعدت السلطة التنفيذية هذه الحدود والآداب فلا يجوز لها أن توقع العقوبة لأن اجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية .

وهكذا اعتذر عمر عن فعلته .. واعتبر نفسه مخطئا وقال لهم :

« هذه بتلك (أي أن كلانا أخطأ) ... ولا تعودوا الى مثلها ...

من هذا المثل الثاني نرى أن نظام العقوبات في الاسلام لم يوضع بغير روابط ولا أصول بل إن للمخطيء والمذنب حقوقا في الاسلام وله ضمانات لم يتحقق مثلها في أي قانون مدني في التاريخ .

● ومثل ثالث : في عام الرمادة على عهد عمر أجدبت الأرض ومات الزرع ونفقت الأغنام وعمت الناس مجاعة كبيرة فاذا بعمر يوقف حد السرقة ويعلن « لا حد مع الجوع » ورغم الجوع وتوقف العقوبة ، لم تحدث في ذلك العام كله سوى سرقة واحدة .. والسر في ذلك أن الناس كانوا يشعرون بعدالة النظام الاسلامي وعدالة تطبيقه .. فلم يكن أحد من المسؤولين والولاة يؤثر نفسه بخير لا ينال أفقر فقير فيهم .. وأهم من هذا فان الوازع الديني كان من القوة في نفوس الناس

بحيث يتغلب على غريزة الجوع وعلى كل محنة ويغني عن أي عقاب ...

فهذا المثل الأخير يبين لنا أنه في حالة تطبيق النظام الاسلامي .. بما يحققه من عدالة اجتماعية ووازع ديني قوي ، فسوف لا نحتاج الى تطبيق العقوبات الا في أضيق نطاق ، مهما كانت المحنة والشدة والفقر الذي يعيش فيه الشعب .

كانت هذه ثلاثة أمثلة عن نظام العقوبات في الاسلام ، حرصت على نقلها عن عهد عمر بن الخطاب بالذات ...

- فاذا كان عهد الرسول يمثل فترة التشريع .
- وعهد أبي بكر يمثل فترة تثبيت أركان دولة الاسلام .
- فان عهد عمر يمثل فترة التطبيق المثالي لشرائع الاسلام وخاصة فيما يتعلق بالحدود .

المعارضون للتطبيق الاسلامي :

يقول بعض المعارضين أو المشككين في امكانية تطبيق الاسلام في عصرنا الحاضر :

« ليس من المعقول في القرن العشرين أن نقطع يد السارق ، أو نرجم الزاني أو نضرب شارب الخمر ، فنحن في عصر ينظر الى هذه الآفات الاجتماعية على أنها أمراض وعلل ، ونعالجها طورا بالعلم النفسي وطورا آخر بالطب والمستشفيات وطورا ثالثا بالعلاج الاجتماعي والاقتصادي ، ولا يلجأ المجتمع الحديث الى العقوبة البدنية الا اذا استنفد هذه الوسائل كلها ..

ويقول آخرون أن الجلد والرجم وقطع اليد عقوبات قاسية لا يستسيغها القلب ولا العقل في القرن العشرين .. فهي أقرب الى أساليب القرون الوسطى منها الى عصرنا هذا الذي ألغى العقوبات البدنية .

ونرد هنا على كل هذه الاعتراضات بالحقائق التالية :

أولا : من المعروف لدى المشرعين وعلماء الاجتماع أن هناك نوعين من المنحرفين الخارجين على قوانين المجتمع :

- نوع يضطره المجتمع اضرارا الى ارتكاب طريق الزلل .. فهو ضحية المجتمع ..
- ونوع آخر يرتكب طريق الزلل استهتارا بالمجتمع .. فالمجتمع ضحيته ..

من أمثلة النوع الأول الرجل الذي يضطر الى السرقة بسبب الجوع .. والمرأة التي تضطر الى الزنا بسبب الفقر أو الحرمان .. والشاب الذي يلجأ الى السكر والمخدرات بسبب البطالة والفراغ .. والموظف الصغير الذي يطلب الرشوة لينقذ ابنه أو زوجته المريضة ..

وهذا النوع من الناس هم ضحايا المجتمع ويستحقون العطف والاشفاق قبل القسوة والعقاب .. والعلاج الحقيقي لحالتهم يكمن في تغيير نظام المجتمع نفسه واصلاحه ، بحيث يكون لدينا المجتمع المثالي الذي يكفل لكل مواطن حقه في الرزق وفي التعليم وفي الرعاية والعلاج .. المجتمع الذي

يوصل الى الناس حاجتهم ولا يضطرهم الى أخذ حقوقهم بالتحايل أو بالطريق غير المشروع ..

وهذا هو ما يفعله النظام الاسلامي بما يكفله من حقوق الناس .

ـ أما النوع الثاني فهو الذي يسرق بغير حاجة الى السرقة ، ويزني بغير عذر للزنا ، ويقتل استهتارا بالأرواح .. هذا النوع الذي يجعل المجتمع والناس ضحيته ، وأمثاله كثيرون بين شباب الغرب وأمريكا بالذات ، حيث تنتشر جرائم السرقة والقتل وهتك العرض لا من أجل الحاجة والفقر والاضطرار ، ولكن من أجل التسلية وحب المغامرة والاستهتار بالقانون والمجتمع .

فلمثل هؤلاء أنزلت العقوبات وشددت في الاسلام .. حتى تكون لهم رادعا وعلاجا .. بل ان العقوبات في الاسلام قد أنزلت لهذا النوع فقط من الناس ، لأن النوع الأول لا يمكن وجوده في ظل الرعاية التي يقدمها الاسلام لأبنائه .

● والاسلام لا يعترض أسلوب العلم الحديث .. ولا ينكر دوره ولا يمنعه من تأدية رسالته ، ولا يمكن أن يدعي أحد أن الاسلام يوجب تطبيق الحد دون محاولة طرق العلاج العلمي والنفسي . بل ان الاسلام قد سبق كل ما يعرف في عصرنا الحديث من أساليب علمية في علاج المشاكل ..

فالخمر مثلا نزلت فيها ثلاث آيات بالتدريج . الأولى تذكر أن فيها إثما وفيها منافع للناس ، والثانية جاءت تمنعها قبل الصلاة فقط .. وأخيرا جاءت الثالثة بالأمر القاطع الفاصل الذي ينهي عنها نهيا حازما .

ويقول مؤرخو السيرة إن الأمر الأخير بمنع الخمر قد نزل ، ولم يكن هناك مسلم واحد يشربها وفي هذا خير دليل على أن الاسلام لا يستحب أو يقبل تطبيق العقوبات بغير الأسلوب العلمي السليم .. وأنه ليس من النظم التي تحل المشاكل الاجتماعية بجرة قلم أو بأمر الى الشرطة .

وتطبيق الشريعة الاسلامية يبدأ بتكوين المجتمع المسلم الذي يكفل لأعضائه كل الضمانات فلا يضطر الناس فيه الى السرقة والرشوة بسبب البطالة أو الفقر .. ولا يلجأ الشباب فيه الى الخمور والمخدرات بسبب الفراغ النفسي والعقائدي .

اذا تحقق هذا المجتمع ، فليس من الظلم أبدا معاقبة المنحرف والمسيء في جرائم الحدود بما نص عليه الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، وفي غيرها بالتعزيرات التي يراها الحاكم المسلم .

○ **إما الادعاء بأن العقوبات الاسلامية بالغة القسوة والعنف** :

فمن المعروف أن أي تشريع في العالم له على المجتمع جانبان جانب الحقوق والامتيازات وفي مقابلها جانب الواجبات والعقوبات .. والتشريع العادل حقا هو الذي يوازي بالعدل والقسط بين ما يعطي وما يأخذ .. ولا ينزل من العقوبات ويتقاضى من

الواجبات الا بقدر ما يعطي الناس من الحقوق والامتيازات . والعقوبات التي شرعها الاسلام مكافئة للجرائم التي سببتها فهي زجر وتأديب للمعتدي ، وصرف لغيره ممن يفكر في مثل فعلته وذلك يحقق للمجتمع الأمن والاستقرار .

● ومن المعروف أن بعض العقوبات التي ذكرت في الشريعة لم تنزل بها آية أو نص في القرآن ، ولم يأمر بها رسول الله أو ينفذها على عهده ، ولكنها جاءت للتعزير نتيجة اجتهاد الخلفاء وأهل الفقه حسب ما تقتضيه ظروف عصرهم وحاجة مجتمعهم فمن أمثلة ذلك ما جاء في حد الخمر :

فقد حرم الله الخمر في القرآن ولكنه لم يفرض على شاربها عقابا في الدنيا وإنما ترك ذلك لما ادخر للمخالفين لامره من العقاب يوم القيامة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب على الخمر اربعين ضربة باطراف الثياب او بالجريد . ولم يحاول ابو بكر ان يزيد على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، ولكن عمر رأى على عهده أن المسلمين ينساحون في الارض ويمضون في الفتوح وأشفق أن يغريهم بعدهم عن مركز الخلافة بالتهاون في رعاية ما أمر الله به وخاصة ان الخمور كانت تباع امامهم ويشربها اهل الذمة .

فأخذ عمر رضي الله عنه يستشير الصحابة في اقصى عقوبة يمكنه تطبيقها على شارب الخمر ، فأشار علي بأن يؤخذ شارب الخمر بعقوبة القاذف فيضربه ثمانين جلدة لانه اذا شرب سكر واذا سكر كان حريا ان يفتري ويقذف الناس ... ثم جاء عثمان بعد عمر فعاد الى الحد الذي طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● ورغم شدة العقوبات في الاسلام الا انها تتميز عن العقوبات المدنية بما يصاحب التنفيذ من خلق اسلامي متسامح وكريم .. فالاسلام ينص على عدم توجيه لفظ جارح او سب الى المذنب حتى أثناء توقيع العقاب عليه .. فقد سمع رسول الله خالد بن الوليد يسب امرأة زانية اثناء توقيعه الحد عليها فنهاه الرسول وقال له :ـ « مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » .رواه مسلم وابو داود .

فتوقيع الحد في نظر الاسلام معناه ان المذنب قد غفرت له كل ذنوبه وخرج من العقوبة كما ولدته امه لا يلحقه بعدها عار ولا حرج في المشاعر ولا شعور بالذنب أو المهانة ، وهي في المجتمع الاسلامي الخالص لا تعيق صاحبها عن استئناف الحياة الشريفة كأي مواطن حر وشريف . وكثيرا ما كان الحاكم نفسه يواسي من يوقع عليه العقوبة حتى يرد له اعتباره ، اذ لم تكن العقوبات توزع على الناس حسب الاهواء الشخصية او الدوافع السياسية ، بل كانت لوجه

الله تعالى وصالح المجتمع .. ويروى عن عمر انه علم ان احد اشراف قريش عندما اقيم عليه حد السكر في الشام ، شعر بالمذلة والخزى امام اهله وقبيلته فجلس في بيته واحتجب عن الناس . فلما علم عمر بذلك ارسل اليه خطابا يذكره بقوله تعالى : —

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ .

فسرى عن الرجل وخرج للناس وترأس جماعته من جديد .

● وشروط توقيع العقوبة في الاسلام أدق وأصعب منها في اي قانون مدني .. وهذه الشروط تجعل توقيع العقوبة في أضيق نطاق وفي الظروف الواضحة التي لا يمكن ان يتطرق اليها أدنى شك فجريمةالزنا مثلا لا بد لثبوتها من اربعة شهود عدول .. اي موثوق بهم وأن يروا بأعينهم (المرود يدخل في المكحل » على حد تعبير الفقهاء وهو أمر شبه مستحيل عمليا .. واذا ثبت أن هؤلاء الشهود قد دخلوا البيت من غير بابه أو خلسة أو تجسسا بطلت شهادتهم .. ومن القواعد الثابتة في الاسلام ذلك الحديث النبوي الذي يقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عدي وهو الذي يعبر عنه القانون الحديث بقوله « الشك يفسر لصالح المتهم » .

ومن المعروف ان حد السرقة قد نفذ في عهد الرسول مرة واحدة فقط ، وأن حد الزنا قد نفذ مرتين اثنتين ، وأنه في جميع عهود الخلفاء الراشدين لم ينفذ حد السرقة الا في ست حالات فقط . وأن جميع هذه العقوبات قد تمت بالاعتراف الطوعي ، ولم تحدث حالة واحدة بشهود الرؤية .. بل ان الغامدية وهي المرأة الوحيدة التي طبق عليها الرسول حد الزنا كانت تلح عليه الحاحا ليطهرها بالعقوبة من عذاب ضميرها . فكان الرسول يؤخرها ويمهلها بين الحين والحين ، لعلها تتراجع في أقوالها وهي على اصرارها . وأخيرا لما علم بانها حامل قال لها .

« اذهبي حتى تضعي (ما في بطنك) حملك » رواه مسلم ومالك فغابت بضعة أشهر ثم عادت ومعها وليدها فقال لها « اذهبي حتى يستغني الطفل الرضيع » فذهبت وعادت بعد ان كبر وليدها واستغنى عن الرضاعة فأوقع عليها الحد .

والآن قد يقول قائل « ما معنى وجود العقوبة طالما ان تطبيقها شبه مستحيل الا في حالة الاعتراف الشخصي والطوعي » ونرد عليه بأن هذه هي فعلا النظرية المثالية الحديثة في العقاب .

فالعقوبة في نظر العلم الحديث لم يعد الهدف منها هو الانتقام او التعذيب ، ولكن الهدف هو الردع

والتخويف أي انها أصبحت للوقاية اكثر منها للعلاج ولمنع الاخطاء في المستقبل اكثر منها للحساب على الماضي .

● ان بعض الناس في العالم الاسلامي يتساءلون : لماذا لا نطبق الاسلام في جميع نواحيه ما عدا العقوبات فيترك الامر فيها الى القانون المدني :ـ

وهذه نقطة هامة وخطيرة يجب ان يعرفها كل مسلم :ـ

فجميع نظم العالم كما ذكرنا تعطي على قدر ما تأخذ . وتجعل العقوبات والواجبات على قدر ما تقدم من الحقوق والامتيازات .. فالحق والجزاء مرتبط كل منهما بالاخر اشد الارتباط .. واذا اهتز ركن منهما فان ذلك يقوض الركن الآخر ، ويفسد النظام كله من أساسه وهذه هي الحكمة في قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب**) البقرة/ ٨٥ .

وهكذا يعتبر الله تعالى ترك بعض تعاليم الدين نوعا من هدم الدين كله ولا يقل خطرا عن الكفر بالله والشرك به ..

ـ فلا يمكنك مثلا ان تطلق حرية الزواج حتى أربعة وحرية الطلاق ثم لا تفرض عقوبة قاسية حازمة على جريمة الزنا .

ـ ولا يمكنك ان تقطع يد السارق الفقير في حين انك تعفي الغني من الزكاة .

ـ ولا يمكنك ان تقيم مجتمع الكفاية أي تكفل لكل مسلم حدا ادنى من الرزق في حين انك لا تفرض ضريبة المال الاسلامية التي تشمل الزكاة .

فالنظام الاسلامي كأي نظام علمي دقيق ، يمثل وحدة متكاملة يسند بعضها بعضا ويكمله .. ولو تركنا جزءا منه كنا كمن يقول (**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة**) دون ذكر قوله تعالى (**وانتم سكارى**) النساء/٤٣ فيعكس الهدف من الآية الكريمة .

والخير كل الخير في تطبيق الشريعة الاسلامية بجميع أجزائها .

● ان قسوة العقوبات في كثير من الاحيان قد يقصد بها الحاكم قبل المحكوم ومن بيده سوط العقاب قبل من يطبق عليه العقاب ، فقد رأينا في المثل الاول الذي ضربناه عن رأي عمر ابن الخطاب في اقامة الحدود ، ان العقوبة القاسية تجعل الحاكم ملتزما بحل كل مشاكل شعبه وإيصال الحقوق الى أصحابها قبل ان يبدأ في تطبيق العقاب ..

ـ فهو لن يقطع يد لص قبل ان يؤمن

عملا لكل محتاج .

– ولن يرجم زانيا او زانية قبل ان يوفر فرص الزواج لكل شاب ، فيوفر له سكنا لائقا ورزقا ثابتا وعيشة كريمة .

ولو لم يكن في العقوبات الاسلامية غير هذه الفائدة لكفى .

من هذا كله نرى ان نظام العقوبات في الاسلام هو نظام دقيق علمي متكامل ... وانه انسب النظم في عصرنا الحاضر لاي دولة اسلامية متطورة في القرن العشرين .

وابسط دليل على ذلك ان نقارن بين حال المسلمين في عهود الاسلام الزاهرة بحالة اوروبا اليوم وهي في قمة مجدها وازدهارها .

فالعالم الاسلامي قد ظل قرابة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، لا يعرف الامراض السرية التي كانت منتشرة في اوروبا .. وكان اول مرة يسمع المسلمون عنها عندما حضر نابليون وجنوده الى الشرق وسمى الناس الزهري « المرض الفرنساوي » .

والعالم الاسلامي لم يعرف حوادث السكر العنيفة التي تؤدي في اوروبا الى الكثير من جرائم القتل ، وحوادث السيارات ، وجنون الخمر والموت المبكر ، ولم يعرف العالم الاسلامي حوادث الانتحار التي تنجم عن القمار وضياع الثروات بالملايين على موائد الخمر والقمار .

وكانت بلاد الاسلام لا تسمع فيها عن سرقة بالاكراه او حوادث السطو وقطع الطريق .. فكان التاجر يترك متجره مفتوحا ويذهب إلى الصلاة آمنا .

وكان عمال الخليفة يمرون على الناس لتوزيع الزكاة ، فيردهم الناس مستغنين متعففين فيمرون بها على الذميين ، فيردونها لعدم حاجتهم ، وأخيرا ترد الى بيت مال المسلمين لعدم وجود من يطلبها في الدولة كلها ، فمتى حدث هذا في أي دولة اوروبية وفي اي عهد من عهود ازدهارها ؟ واليوم ...

وقد تفشت في عالمنا العربي والاسلامي كل انواع الجرائم التي وردت الينا مع حضارة الغرب ، جرائم الرشوة والسرقات الكبيرة بالملايين .. وجرائم الاستهتار بالعرض والشرف ورابطة الاسرة وانتشار الدعارة والمجون تحت اسم الفن والحضارة .. وموائد القمار التي تضيع عليها ملايين الدولارات من عرق الكادحين والجياع والمساكين . ومجالس السكر والمخدرات التي تضيع فيها كل القيم الانسانية .

اليوم اصبحنا اشد ما نكون حاجة الى تطبيق الاسلام نصا وروحا ثوابا وعقابا حتى نخلص مجتمعنا من هذا البلاء الذي عم وفاض ...

الحرب والسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، وبعد ، فقد أحببت أن أسأل شريعتنا الغراء حول موضوع حاسم تتجاوب أصداؤه في عالمنا العربي في أيامنا هذه كثيرا ، ويختلف فيه العرب ما بين مؤيد ومفند ، ومعاضد ومعارض ، ولو أننا عدنا الى ديننا نسأله ما اختلفنا في شيء وما تشعبت بنا السبل واختلطت علينا المسالك **(فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** النساء/٥٩ **(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب)** الشورى/١٠ **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** النور/٦٣

نعود الى موضوع البحث وهو الحرب والسلام ، وقد أوردت هاتين الكلمتين لأنهما التعبير الشائع في لغتنا اليومية لكن تسميتها في القرآن جاءت بلفظتي القتال والسلم وربما وفقنا الله في مقال قادم لايضاح الفرق بين هذه التسميات وتلك .

فرض القتال :

بدأ القرآن الكريم في عرض أمور البشر عرضا تاريخيا في قوله تعالى : **(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)** البقرة/٢١٣

فهناك فئتان بعد بعث الله الأنبياء

في ميزان القرآن الكريم

للأستاذ : محمد عبد السلام نجم

بالحق ، فئة مؤمنة مهتدية وأخرى باغية انحرفت برسالات السماء لخدمة أهوائها وضلت عن الصراط المستقيم ، وهنا وضح دور القتال في قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز**) الحج/ ٣٩ ، ٤٠

اذن فمشروعية القتال جاءت لوقف ظلم وطغيان الفئة الكافرة المبتعدين عن سبيل الله الذين يرون في انتشار النور الالهى تهديدا لشهواتهم الطامعة المستغلة وايذانا بتعديل الأوضاع على غير ما يهوون فهم يبادرون بخنق كلمة الحق في مهدها وظلم أهلها وطردهم وتشريدهم ولو استمر الوضع هكذا .. عدوان من الظالمين وسكوت من المؤمنين لما استقام الأمر ولأصبح أتباع الحق سبحانه يمثلون الضعف والمذلة فكيف يكون ذلك وهم أتباع القوى العزيز القادر على نصرهم ، ما داموا ينصرونه بنشر هداه على الأرض وإعلاء كلمة الحق والدين وفي مشروعية القتال هذه حماية لمصالح المؤمنين وعقائدهم أيضا .

وكان الله سبحانه وتعالى يأخذ القرى بظلمها حين كان أصحاب الهوى يكذبون المرسلين ومع تقدم الرسالات بتقدم التدريب الالهى لحمل الأمانة التى اشفقت منها السماء والأرض والجبال ، عهد الله سبحانه وتعالى بمهمة الدفاع عن الحق الى

أوليائه من المؤمنين وكان ذلك التكليف لبني اسرائيل كما يحدثنا القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)** البقرة/٢٤٦

وبذلك لم يؤهل بنو اسرائيل لحمل شرف الدفاع عن كلمة الحق وجاء التكليف بعد ذلك الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم صريحا واضحا ومعللا كذلك في قوله تعالى : **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢١٦

فمن هم الذين يجب أن نقاتلهم ؟

ان الجواب واضح في قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** التوبة/ ٢٩

فماذا لو تخلينا عن قتالهم ؟

عدول المسلمين عن قتال أعدائهم الذين عددهم الله عز وجل في الآية السابقة فيه هجوم مضاد من جانب هؤلاء الأعداء على المسلمين فلا يضايقهم شيء الا هذا الايمان الراسخ في القلوب ، يقول الله عز وجل : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧

ويتحدث القرآن الكريم عن عهد أولئك الأعداء وكيف يخلد المسلمون الى مظنة صدقهم وحسن نيتهم فيقول تعالى : **(كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون)** التوبة/٨

فكيف نستعد للقتال ؟

الاستعداد للقتال يجب أن يكون بالحشد الكامل ماديا ومعنويا يقول رب العزة تبارك وتعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/٦٠ ، ويقول عز من قائل : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** التوبة/٤١

أما التوجيه المعنوي فان ايضاح الهدف وعاقبة العمل يحفل بها القرآن الكريم في آيات كثيرة وحسبنا أن نذكر منها قوله تعالى : **(ألا تقاتلون قوما**

نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) التوبة/١٣ ـ ١٥

وهذا التوجيه المعنوي مطلوب من القائد اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله عز وجل أن يحرض المؤمنين على القتال : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** الأنفال/٦٥

هذا طبعا فضلا عما وعدهم الله بالخير سواء في حالة النصر أو الشهادة : **(قل هل تربصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون)** التوبة/٥٢

ثم هذه الصفقة الرابحة بكل ما تحمل من معنى : **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة/١١١

فكيف يكون القتال ؟

هنا أيضا نجد التوجيهات التى تكفل لنا النصر . فاذا ابتدأ القتال وقد تم للمسلمين حشد كل قواهم المادية والمعنوية فأول ما هو مطلوب منهم هو الثبات مع الاتصال بالله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)** الأنفال/٤٥ ، ٤٦

ويجب الا يفر المسلم من المعركة بأي حال من الأحوال ولا يكون هناك انسحاب بالجيش الاسلامي الا ان كان ذلك بقصد التركيز والدعم وليس بهدف الفرار **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** الأنفال/١٥ ، ١٦

ويجب ألا يستشعر المؤمنون الضيق والعنت الذي قد يقابلونه في حالة الحرب سببا من أسباب تداعيهم ، وفتور همتهم ، واضطراب موقفهم ، بل ليعلموا ان أعداءهم في حالة الحرب يعانون أيضا من الضيق والعنت ، وعلى ذلك فالغلبة لمن يصبر أكثر ، ولينظر المؤمنون على أن ذلك اختبار من الله وعليهم أن يجتازوه بنجاح **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح**

مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آل عمران / ١٣٩ — ١٤٢

وقال تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) البقرة / ١٥٥

ويجب أن يتجه المسلمون في أثناء الحرب الى قتل من تصدى لقتالهم لأنهم يعمدون الى قتل المسلمين بكل غل وحنق ، والذين يحلو لهم أن يأسروا اكبر عدد من الأعداء لخدمة بعض المواقف الدنيوية ، أو الذين ينصرفون الى جمع غنائم الحرب قبل حسمها انما يخالفون أمر الله تعالى الصريح في قوله الكريم : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) محمد / ٤

النصر :

لابد أن يعقب الحرب الاسلامية الصادقة نصر من عند الله ، لكن لا يكفي أن يوقن المقاتلون بالنصر لمجرد أنهم مسلمون ، لا ولكن اذا أخلصوا لهدف نصر الله عز وجل واتبعوا ارشاداته فان الله ينصرهم وهو شرط واضح (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد / ٧ ، وتأكيد بالنصر واضح أيضا في قوله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الحج / ٤٠

انهاء القتال :

قلنا أن للقتال هدفا لابد أن يبلغه ، وبلوغ هذا الهدف هو النصر ، وببلوغه تنتهي الحرب ولا تستمر والا كان عدوانا ينهي الله عز وجل عنه : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) البقرة / ١٩٣ (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) الأنفال / ٣٩

السلم :

اذا انتهى أعداء الاسلام عن استمرار القتال وكفوا أيديهم معترفين بدين الله عز وجل وصحة القضية التي يقاتل من أجلها المسلمون وأبدوا رغبتهم في السلم رغبة حقيقية فالاسلام يرحب بهذا السلم ويحقق لهم هذه الرغبة ويصبح عدم تحقيقها شهوة شيطانية خبيثة (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) البقرة ٢٠٨ ، ويقول سبحانه وتعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) الأنفال / ٦١

الخداع بالسلم :

وربما يحس أعداء الاسلام وطأة القتال وأنه لا طاقة لهم به فيضمرون في أنفسهم العداء ويتظاهرون بالرغبة في السلم ، وهنا يكون الموقف الصعب الذي قد لا يستبينه المسلمون ، ولكن الحل موجود ايضا حيث يبين رب العزة جل جلاله وسائل تدارك هذا الموقف وكشف الخداع فيه باسترجاع سيرة النصر ، فما تظاهر الأعداء بالرغبة في السلم الا حين أحسوا بنصر المسلمين ، اذن فاسترجاع سيرة هذا النصر بكل العوامل المؤدية اليه وبتجميع المؤمنين دائما على قلب رجل واحد ، لأن هدف الذين يخادعون بالسلم هو النفاذ في فرصة هدنة ماكرة الى صفوف المسلمين لتشتيتها وبعثرة قواها ، ثم يميلون عليهم ميلة واحدة ، يقول الله عز وجل : (**وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم . يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**) الأنفال/ ٦٢ ــ ٦٤

وهكذا يكون المسلمون واعين حذرين دائما ، فان ظهر أن هذا السلم ما هو الا خديعة فيجب انهاء حالة السلم والالتجاء للقتال والحرب . قال الله تعالى في صيغة صريحة قاطعة : (**واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩

استجداء السلم :

وتلك حالة خطيرة يضطر فيها ضعاف المسلمين لاستجداء السلم من أعدائهم ظانين أنهم بذلك يصلون بسرعة وسلامة الى أفضل الحلول رغم تعنت الأعداء وصلفهم وتشددهم في املاء شروطهم ، وهنا يحذرنا الله عز وجل من هذا التردي الخطير في قوله تعالى : (**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد/ ٣٥

فهل هي رغبة جامحة في القتال واعراض أجوف عن نداء السلم ؟ ان علام الغيوب جل شأنه يقول لنا من الأسرار ما قد يخفي علينا في ظروف قد لا تتيح لنا الرؤية الكاملة للموقف (**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط**) آل عمران/ ١١٩ ، ١٢٠

يجب اذن ان نتعرف على موقفنا جيدا وندرسه من شتى جوانبه متجردين من العجلة والزيغ والأهواء مستلهمين كتاب الله وسنة رسوله في كل خطواتنا (**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٨

نِعَمَ العطاء

مكانة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تفوق عن مكانة أبناء جنسهم ، وذلك لما لهم من صفات تفوقوا وامتازوا بها عمن سواهم من أبناء البشر جميعا . كانوا على إيمان بالله سبحانه لا يتطرق إليه الشك ، كان إيمانهم بالله إيمانا كاملا بالصدق واليقين والثبات ، ووصلوا بإيمانهم إلى طمأنينة النفس ، وإلى غاية الاعتزاز بالله ، ولقد كبح الاعتزاز عندهم كل نوازع الأغراض من نفوسهم ، فهم لم يلتفتوا أبدا إلى ما بأيدي غيرهم من متاع ، بل ولم تجد الأطماع طريقا إلى إغرائهم ، وعملوا — من أجل الحياة — لكسب العيش الكريم ، ثم جاهدوا في سبيل دعوتهم إلى الله ، أما أمانتهم فانها حفظت لهم وللناس حُق السماء فيما أنزل الله عليهم من وحيه ، كما حفظت عليهم حق أهل الأرض في كل ما أئتمنهم الناس عليه .

لقد وصل الأنبياء والرسل إلى مكانة التفوق على غيرهم لأنهم حققوا في حياتهم التوافق ، والاتزان ، والانسجام ، بين الروح والجسد ، في كل أمر أمر الله به ، لأنه أمر من الله

عطاء الله لمن اصطفاه

للاستاذ حسين عبد الحليم

سبحانه ـ وهو باليقين ـ فيه الخير ، وفي كل نهي نهى الله عنه ، لأنه نهي من الله سبحانه ـ وباليقين في فعله الشر كل الشر ، فأحكام الله سبحانه طاعة في سرائرهم وفي علانيتهم .

ولقد وصلوا في مفهوم وحدانية الله تعالى إلى أرقى مراتب الفكر الانساني ، ذلك لأن توحيد الله تعالى تنزيه ، وسمو ، وجلال ، وقد وهب الله لهم من نوره ما وهب .

وأخذهم من قلوبهم وضمائرهم ، وأعدهم في التكوين وفي الخلق ليكونوا رسلا لعباده ، ومن الفكر التوحيدي نالوا درجة النبوة والرسالة وشرفهم الله بها ؛ وقد بلغوا ـ بالبيان المضيء الواعي ـ كل ما أراده الله سبحانه من خلقه .

وإننا نرى من عطاء الله لأنبيائه ورسله أن كشف الغطاء عن بصائرهم ، فشاهدوا أسرار الخالق في كل شيء خلقه وأبدعه ؛ من هذا الحديث نجد أنفسنا أمام سنة جليلة من سنن الخالق سبحانه ، وهي : « أن لله فيمن يخلق . صفوة يختارها ويصطفيها ، ويقربها إليه . ويهبها العطاء منه بما يشاء » .

وإذا اصطفى الله سبحانه من اصطفاه فلا راد له . يؤكد ذلك قول الله تعالى : **(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)** آل عمران / ٣٣ .

وكان هذا التقدير والاختيار لأنهم يستحقونه ، فهم قد ملأوا حياتهم بالصدق ، وهم قد عبروا بالبلاغة والحجة الواضحة عما أنبئوا به من الله لمن بعثوا إليهم .

ولقد تحدث هؤلاء الرسل مع الناس عن آلاء الله ، وكشفوا أمام العقول المستعصية عن أسرار قدرة الله ، وعن وحدانيته .

ثم عرضوا ـ قضية البعث يوم القيامة ، وعرضوا كذلك ما يتبعها من الحساب والثواب والعقاب .

قالوا عن قضية البعث قولا سهلا لا يدع مجالا للارتياب .

ولقد تعجب المعارض أي عجب لهذه القضية التي تلزمه بالحساب وبالثواب وبالعقاب .

وقال ـ كما حكى القرآن الكريم ـ :

(من يحيي العظام وهي رميم) ؟ . يس / ٧٨

وتأتي حجة الخالق أمام تعجب من عارض رسله .. يقول القرآن الكريم : **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)** يس / ٧٩

يعترف ـ المعارض ـ أولا بأن الذي خلقه هو الله ، ثم يقر بأنه ـ قبل أن يخلقه الله . لم يكن شيئا . فاذا كان يعترف بالخلق الأول له فلم ينكر الخلق الثاني ؟

ولنا ان نسأل هنا :

لماذا استبعد المعارض الآخرة والبعث والحساب والثواب والعقاب ؟

لقد استبعد المعارض الآخرة لأن فيها ما يخيفه من أصناف العذاب ، بل ورأى فيها ما يصرفه عن لذاته وشهواته وأطماعه في دنياه . بل ورأى فيها حضه وإيقاظه لاعمال العقل في محاسبة النفس ، وحملها على تقدير الحساب والثواب ، او العقاب : ولقد تناسى المعارض « قضية البعث » .

مع أن محاسبة النفس بالحساب وتقدير الثواب أو العقاب لها ، هي دعوة إلى إدراكه قيمة وجوده ، وإشغال فكره ، وإحساس وجدانه ، وفي هذا كله فضائل يتميز بها الانسان على سائر الحيوان .

ونعود لنتابع تقدير الله لرسله وأنبيائه فنرى أن الأنبياء كثيرون .

ولكن الرسل الذين اصطفاهم الله من بين أنبيائه ، ونالوا من عطائه وفضله درجة الرسالة ، هم خمسة وعشرون رسولا . قال الله تعالى : **(وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين)** الأنعام / ٨٣ ـ ٨٦ .

إن الآيات الكريمة قد أحصت لنا ثمانية عشر رسولا — أما من بقي من الخمسة والعشرين ، فانهم سبعة : **إدريس ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، وذو الكفل ، وآدم ، ومحمد بن عبد الله .**

ويتدرج الاصطفاء !

فيصطفي الله بالعطاء والفضل خمسة من هؤلاء الرسل ، وهم بالترتيب ، **محمد بن عبد الله العربي** القرشي . وهو أولهم ، ويليه في القرب من الله **إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم نوح .** عليهم الصلاة والسلام جميعا وهؤلاء هم أولو العزم ، وخصهم الله بهذه الصفة لأنهم صبروا وتحملوا المشاق في سبيل الله تعالى : لنشر دعوته ؛ ثم اصطفى الله بالفضل « محمداً » من أولى العزم ، فما ناله محمد بن عبد الله من عطاء الله وفضله لم ينله غيره من الأنبياء والمرسلين .

فمحمد — صلوات الله وسلامه عليه — هو أقرب الخلق إلى الله .

يقول الشاعر .. في مدحه .

الله هيأ من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائما
ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

ويقول الرسول محمد ، عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم ، فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر » رواه احمد والترمذي وابن ماجه .

النبي محمد — يعتز بعطاء الله .
ولا يفخر إنه — بتقدير الله يتحدث .
وبنعمته وعطائه يحكي
هنيئا لك يا رسول الله !!
ونعم العطاء عطاء الله .

إن محمداً بن عبد الله ،، قد فاز بالقرب من الله ، ونال درجة عنده لم ينلها أحد من خلقه .

وإذا احتسبت الفترة التي عاشها النبي صلوات الله عليه بين قومه يدعوهم فيها إلى الله تعالى ، لوجدناها فترة قصيرة ، تصل إلى ثلاث وعشرين سنة .

وعلى الرغم من قصر هذه الفترة فان من إكرام الله له أن نصر دعوته في أنحاء الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وفتح الله عليه بالفتح الأكبر ،، فتح مكة ..

ويئس الشيطان أن يعبد في الأرض العربية كلها .

هذا هو ما قاله محمد بن عبد الله حين كان يكسر بيده الأصنام . اعترافا بفضل الله وعطائه ،، وإن من تكريم الله لنبيه محمد أن هيأ له رجلا حازما هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ..

فهو في حياة النبي ،، يناصره ،، ويفتديه بماله ،، وبروحه ،، ويؤانسه في الغار قال تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ**

يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة / ٤٠

وبعد ممات الرسول الكريم ، يقف أبو بكر أمام كل الأعداء لمحمد ولدينه ، ليحافظ على قواعد الاسلام .

ثم يوضح للأمة الاسلامية طريق مسيرتها .

إن محمدا بلغ الكمال في كل شيء ، بلغ الكمال في الصدق ، وفي الأمانة وفي الصبر على الشدائد ، وفي الخوف والخشية من الله ، فهو جدير بتكريم الله سبحانه وهو القائل عنه في كتابه :

(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤

وينفي عنه الجنون ، ويعصمه منه . وقد رماه الأعداء به **(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)** القلم ٢

وقد تفضل عليه الله بالعصمة من أعدائه ، وفي يوم الهجرة من مكة الى المدينة دليل على هذه العصمة .

وقد أسرى به سبحانه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام ، ليبعد عنه الحزن ، ويحظى بقرب الله .

وقد عمم بعثته فجعلها لكل المكلفين من إنس ، ومن جن .

وقد حفظ دعوته من التغيير ، وهيأ له من ينصرونها في كل زمان .

وقد حفظ قلبه ، وجعله وعاء صافيا لحمل رسالة السماء .

ولقد كرمه أعظم تكريم . إذ خصه بالمعجزة الخالدة .. تلك هي « **القرآن الكريم** » !!وقد جعله صلوات الله عليه خاتما للرسل لأنه أكملهم .

وإذا وصل الكمال في العطاء وفي التكريم إلى محمد فما الحاجة لمن يأتي بعده ؟

وكان لابد ــ بعد أن جعله خاتما للرسل ــ أن تكون رسالته خاتمة للرسالات وللشرائع ، لأنها أكملت كل الشرائع السابقة . إن الشرائع السابقة تختلف بحسب الأزمنة ، أما شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه فهي لم تترك حاجة من حاجات الناس مهما اختلفوا ، إلا تناولتها بنصوص القرآن بالتشريع ، وبالتنظيم .

وإن كلام الله معجز للبشر جميعا قال تعالى : **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء / ٨٨

وإن إعجاز القرآن يتجلى في كونه في أعلى قمة من طبقات البلاغة والفصاحة .

وإن إعجاز القرآن حاصل ، لكونه يشتمل على الاعلام بالغيب ، ولكونه يتحدث عن دقائق العلوم .

وإن كتاب الله لمحمد : نعم العطاء وسيبقى القرآن في حفظ الله »

قال تعالى :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر / ٩

صلاة وسلاما عليك يا رسول الله بقدر حبك لله ،، ولكتابه .

وبقدر حب الله لك ،، وبقدر عطائه لك ،، وتكريمه إياك .

قصة الإفك ومقاصدها في فقه الدعوة

للدكتور/ عبد السلام الهراس

إن الدعوة التي تستمد من القرآن والسنة وسيرة الصحابة والصالحين مبادئها وأساليبها وسلوكها ، هي الدعوة الاسلامية الحق . وليست

حكمة الدعوة ولا موعظتها الحسنة امرين يستفادان من خارج المصادر السابقة ، وامامنا نماذج حية لتربية الدعاة تربية مفعمة بالوعي والتبصر والفطنة والحذر الهادف والصبر الجميل والارادة الصامدة وايثار الحق والقدرة على التمييز والاحساس بالخطر ، وادراك المرامي والاهداف للقيادة من جهة وللقوى المعادية من جهة اخرى ، ومن هذه الدروس النموذجية العظيمة قصة الافك التي تناولتها « **سورة النور** » وكانت سببا في تشريعات هامة تتعلق بالاسرة والبيت والعرض والعلاقات الزوجية وبعض ازماتها ، واعطت حلولا لبعض القضايا الاخلاقية والاسرية ، كما اهتمت بالتربية والتأديب ، وشرعت حدودا صارمة حماية للكرامة الانسانية ، وحفاظا على سمعة المسلمين .

وردت القصة بتمامها في صحيح الامام البخاري بأسلوب جميل رائع ومؤثر ، يحمل في ثناياه سمات الصدق والعفوية والبراءة والطهر والعفاف ، وشفافية الروح وسمو الاخلاق والورع وعفة اللسان فلنراجع هنالك .

اما التهمة فقد نفاها الرسول صلى الله عليه وسلم اولا بقوله : « معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي ، والله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم نفاها الله اخيرا ، وبرأ « **الصديقة بنت الصديق** » كما برأ معها في ذات الوقت الصحابي الجليل « **صفوان بن المعطل** » بقوله تعالى : **(ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** النور/١١ .

اذن فلم يبق هناك ذرة من شك في ان هذه التهمة باطلة ، ومن اصدق من الله قيلا ؟ وبذلك كفى الله المؤمنين القتال .

واذا ما طويت ملفات القضية بما صدر فيها من احكام نهائية ، وما نفذ فيها من عقوبات شرعية ، فان للقضية جانبا آخر لا تزال وثائقه منشورة ، وملفاته معروضة ، والواحه شاخصة ، لتكون مصدرا هاما للدراسة ، واعمال النظر في ظاهره وباطنه ، واستخلاص العبر واستنتاج المقاييس ، واستخراج القوانين من ثناياه ، ليكون ذلك صفحات حية من كتاب العمل الاسلامي ، ودليلا من دلائل الحركة ، وجزءا من فقه الدعوة .

لقد كان الافك امتحانا عسيرا للقيادة الاسلامية الاولى ، ولقاعدتها معا ، وفتنة ارتج لها ارجاء المجتمع ، وتزلزلت بها نفوس ، واضطربت قلوب ، واغتنمت العصبة المنافقة واليهود الفرصة لترويج الشائعة ، وتزويقها وتسويغها للعقول والأفواه ، ومع ذلك يقول الله تعالى : **(لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** فما هو هذا الخير ؟ احسب ان من اهم عناصر الخير في

هذه القصة هي ما يمكن استخلاصه من غايات عظيمة ، وحكم مفيدة ، فمن ذلك :

١ ـ الثقة :

تعرض المجتمع الاسلامي لامتحانات عسيرة في ايمانه ، وثقته بربه ، وقيادته ، وحياة الدعوة قبل الهجرة وبعدها ، كانت كلها اختبارات وابتلاءات تربوية صارمة ، ومن هذه الابتلاءات : **الافك** الذي كان امتحانا لثقة المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأسرته ، وبقيادة ابي بكر في بيته ، وتربيته لبنيه ، وهو المعد لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد فوجىء المسلمون بترويج الافك ، والافك عندما ينطلق من عصبة منظمة يتخذ صورا شتى ، واساليب مختلفة ، حتى يكون اكثر تأثيرا واستمالة ، وقدرة على قبوله واستساغته ، ولكن المسلمين يعرفون الله حق المعرفة ، ويعرفون رسول الله حق المعرفة ، ويعرفون زوجة « الصديقة بنت الصديق » حق المعرفة ، ومن قويت معرفته بالله ، ومعرفته برسول الله ، ومعرفته بالصديقة رضى الله عنها ، لا يسعه ان يقول إلا ما قاله سادات الصحابة لما سمعوا ذلك :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) النور/١٦ .

وروى ان ابا ايوب خالد بن زيد الانصاري قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضى الله عنها ؟ قال : نعم ، وذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا ، والله ما كنت لأفعله : قال : فعائشة والله خير منك .

هذا الموقف العفوي يدل على سمو التربية التي تلقاها الصحابة في جو النبوة الكريمة، لقد شاهدوا قدوتهم على صراط مستقيم دائما ، في بيته ، وعلاقاته ، وحركاته وسكناته ، وشاهدوا من حياته ما كون في نفوسهم ثقة ثابتة لا تعصف بها اعتى الابتلاءات ، لانهم يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى يتولاه ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يربي فيهم هذه الثقة في حدود رسالته ونبوته ، وعبوديته لربه حتى لا يدعوا فيه ما ادعته النصارى في نبيهم ، وحتى لا يغلوا في محبتهم .

وتتجلى هذه التربية الحضارية ليس فقط في دفع الافك ، ورفضه رفضا قاطعا ، بل ايضا في الاسلوب المعبر عن ذلك ، لقد كان صورة معبرة دالة اذ قالوا : **(سبحانك هذا بهتان عظيم)** .

ويعلق ابن القيم على هذه العبارة الجميلة بقوله :

« تأمل ما في تسبيحهم لله ، وتنزيههم له في ذلك المقام ، من المعرفة به ، وتنزيهه عما لا يليق به ، ان يجعل لرسوله وخليله واكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به السوء ، وعرف اهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها ، كما قال تعالى : **(الخبيثات للخبيثين**

والخبيثون للخبيثات) النور/٢٦ فقطعوا قطعا لا يشكون به ان هذا بهتان عظيم » .

وكما كان الظن حسنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبزوجه رضي الله عنها ، كان ايضا بصفوان ابن المعطل .

لأن المجتمع كان يتعامل فيه أفراده بينهم بالثقة والاحترام والتقدير .

٢ ـ الوعي والفطانة :

ان الافك كان عملية عدوانية في مجال الدعاية والشائعة ، قصد بها أعداء الاسلام الفت من عضد المسلمين ، بعد ما شهدوا من انتصارات متوالية ، وخضوع القبائل لهم ، والدخول في دينهم : احس اليهود والمنافقون بالمدى الكبير لنجاح الاسلام واكتساحه الميادين كلها ، وسحقه لمؤامراتهم ، لذلك حسبوا ان في استغلال هذا الحادث مكسبا هاما ، اذ يستطيعون ان يثيروا البلبلة والاضطراب داخل اسرة رسول الله ، ووسط المجتمع الاسلامي الجديد ، فكانت هذه المؤامرة من جانب اليهود واذ يالهم من المنافقين ، امتحانا عسيرا لوعي المسلمين وفطانتهم وتربيتهم النفسية والاجتماعية ، فاذا بالمؤامرة ترتد خائبة ، اذ ينكشف لاصحابها مدى سلامة هذا المجتمع ، وتماسكه ورشده ، وذكائه وعمق وعيه ، ورصانته وحسن تفكيره ، فالشائعة لم تستطع ان تجد مجالا للانتشار الا في اطار ضيق ، وضيق جدا لا يتعدى افرادا ثلاثة ممن اقيم عليهم الحد .

اما المنافقون الذين يقودهم عبد الله ابن ابي بن سلول فلكونهم مبتورين من الجماعة الاسلامية لم يستحقوا التطهير بالحد ، لأن مصيرهم العذاب العظيم في الدنيا والهزائم المتكررة والمقت الاجتماعي الشامل ، والاحتقار من اقرب الناس اليهم ، وفي الآخرة بما هو اشد وانكى ، وتلك الفئة المؤمنة القليلة التي تنحصر في ثلاثة افراد تعرضت للحد ، لانها آذت عرض مسلمة مؤمنة ، وأبانت عن ضعف في وعيها ، ونقص في ادراكها لابعاد مؤامرات المنافقين واليهود ، ومن فضل الله على هذه الفئة الساذجة ان قبل الله توبتها ، اذ طهرها بالحد ، يقول تعالى :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) النور/ ١٤ ، ١٥ .

وهذه نقطة هامة نستفيدها من هذه الحادثة ، وهي ان المؤمن الحق ان بدر منه خطأ ما ، ولو كان في هذا المستوى الذي نتناوله ، فان باب التوبة مفتوح بفضل من الله ورحمته ، اما المنافق فلا توبة له لأنه مصر على النفاق ، مستمر في الضلالة .

٣ ـ تمييز الاعداء وكشفهم

لو كان الحادث يتعلق باسرة مسلمة عادية ما كان اعداء الاسلام يسارعون لاستغلاله ، فقد سبق ان

هاجرت مسلمة من مكة الى المدينة حيث زوجها ، وصحبها في الطريق رجل من مكة ـ كان جارا لها ـ حماية لها من اخطار الطريق ، فلم يلتفت احد الى هذه القضية ، لأن اتهام امرأة عادية ليست بقضية ذات استثمار دعائي ، اما وان الامر يتعلق بامرأة ذات شأن ، لكونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنت صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ، فالفرصة مواتية لمناوأة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجماعة المسلمين ، وبث البلبلة والاضطراب في صفوفهم ، وزرع الشك والظن السيىء فيهم ، لأنه ان استقر ذلك في النفوس تزعزعت الوحدة ، وتضعضع الصف ، ومن هذا يبدأ التقهقر والفشل ثم الانهيار .

هكذا تهيأ للمنافقين وتراءى لهم ، فاندفعوا بنشاط متواصل ، يتصلون بهذا وذاك يشيعون الافك وينشرونه ، ويزيدون فيه وينقصون ، فكان نشاطهم ذاك فرصة نادرة ينكشفون فيها للمسلمين ، فيعرفون منهم صفات جديدة من الكيد والمكر ، والدس والتلفيق والبهتان ، ويعرفون معظمهم باسمائهم ، كما تتأكد قيادة ابن ابي سلول لهذه العصبة الخطيرة ، كما انكشف بعضهم في غزوة بدر ، وغزوة احد ، وغزوة الخندق ... وهكذا تكون هذه الحادثة المؤلمة خيرا للمسلمين وللمجتمع الاسلامي ، اذ انكشف لهم اعداؤهم عراة من الداخل(**ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر**) آل عمران/ ١١٨ ولو بذل المسلمون ما بذلوا لكشف هؤلاء الاعداء ما كانوا ليحققوا هذا الغرض بمثل ما تحقق بهذا الحادث ، اذ اندفع المنافقون في بلادة وتسرع وتهور الى اعلان الحرب النفسية ، بدافع البغض والحقد والتقرب لليهود وهكذا يمكن للمسلمين في كل زمان ومكان ان يكشفوا المنافقين والاعداء على ضوء تصرفاتهم ومواقفهم ، وسلوكهم في مثل هذه الاحداث ، فسمات المنافقين التي رسمها القرآن ، ووصفها من الداخل والخارج ، تنطبق عليهم في كل زمان ومكان .

٤ ـ تأديب واعداد خلقي :

ان قصة الافك كانت مناسبة لتربية الامة ، وتعويدها على خصال حميدة ، واشعار كل فرد منها بوجوب احترام الآخرين ، واعتبار نفسه انه جزء من كل ، وبهذا يتكون الشعور الجماعي الذي يجعل من الأمة جسما حيا متكاملا ، كل عضو فيه يخدم باقي الاعضاء ، ويسعى لمنفعتها ، ويحمل نحوها نفس التقدير ، ونفس الظن الحسن ، يقول تعالى مخاطبا الجميع ، من ظن خيرا ، أو من ظن غير ذلك تأسيا وتأكيدا ، توجيها وارشادا ووعظا : (**لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**) النور/ ١٢ .

فالظن الحسن بالغير هو في الحقيقة ظن حسن بالذات نفسها ، لأن الامة ذات و حدة ولا يكون المؤمن

مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وان كل شعور بغير هذا انما هو مرض فردي ، ان كان صاحبه فردا ، وظاهرة مرضية اجتماعية تدل على اختلال في التربية ، وسوء في التوجيه ، واضطراب في السير ، ومثل هذا المجتمع لا يكون جديرا بالقيادة ، وانما يكون قابلا للتمزق والفتنة والتبعية ، والاستسلام للانهيار .

٥ ـ انجازات تربوية :

ان هذا الحادث يبين لنا ان تربية القرآن وعناية الله بحمال رسالته قد بلغت درجة عالية من الفعالية والتأثير ، أما بالنسبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان الكمال الباهر ، ولنضرب على ذلك امثلة :

○ **ـ الصبر** : فقد لاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر ، وكذلك فعل ابو بكر وزوجه ، ونفس الموقف التزمته عائشة ـ رضي الله عنها ـ لانها زوجة الاول صلى الله عليه وسلم ، وبنت الثاني رضي الله عنه .

اما الرسول فقد كان يعيش وفق تربية سماوية مباشرة ، يتولاه الله بوحيه ، ويصنعه على عينيه التي لا تنام ، لذلك اتخذ موقف الصبر والاناة والانتظار والتربص ، لأنه ادرك ان شيئا وراء هذه الحادثة ، وانها امتحان من نوع جديد في سلسلة الامتحانات السابقة للمجتمع الاسلامي كله ، ولم يقدم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أي اجراء أو تنفيذ ، وانما عندما عاد الى المدينة ، وكثر القيل والقال من رئيس المنافقين واشياعه رقي المنبر متعذرا في عبد الله بن ابي قائلا :

« يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني اذاه في اهلي ، فو الله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ، وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم استشار بعض اقربائه ، فكانت اشارة الجميع تدل على حسن الظن بعائشة رضي الله عنها ، بما في ذلك على كرم الله وجهه .

ثم اتجه نحو صاحبة القضية مباشرة يخاطبها في أدب قرآني رفيع .

اما ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ فاحتذى حذو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشعر بأن هذا ابتلاء من الله ، فلاذ بالصبر ، واتجه نحو الله وحده سبحانه وتعالى ، وكان في استطاعته ان يستعمل نفوذه ، وان يثير الصحابة والمسلمين على هؤلاء الأفاكين ، وينتصر لعرضه ، لكنه لم يفعل ذلك ، وانما أدرك ان الابتلاء يواجه بالصبر والتسليم والاعتماد على الله الذي يتولى أولياءه .

اما عائشة التي تربت في احضان الرسول واحضان صاحبه أبي بكر ، فقد بكت وخرت مغشيا عليها ، واصابتها حمى ، فلما افاقت وكلمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الموضوع ، لم تزد ان قالت : واني لا اقول إلا كما قال والد يوسف : **(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** يوسف/١٨ .

لكن صفوان بن المعطل لم يكن من الصابرين ، اذ لم يحتمل الصدمة ، وقد ووجه بتهمة خطيرة ، من شأنها ان تعرضه الى سخط الله ، وسخط رسوله ، ومقت المجتمع الاسلامي كله ، لذلك اهتاج اهتياجا دفعه الى البحث عن حسان بن ثابت ، وهو مؤمن مثله ، حتى اذا وجده هوى عليه بسيفه يريد قتله ، ولولا ثابت بن قيس ابن شماس الذي اخذ صفوان فشد وثاقه لأجهز على حسان ، وفي مثل هذا الموقف لا يصبر الا اولو العزم من الرجال ممن يهيأون للقيادة والريادة كأبي بكر .

٦ ـ العفو والاحسان :

والخلق الثاني الذي تجلى في هذه القصة ، هو العفو والصفح والاحسان للمسيء . فقد آذى « مسطح » « ابا بكر » في عرض ابنته ، وكان يعوله لقرابة بينهما ، فلما وقع ما وقع ، اقسم ابو بكر الا ينفع مسطحا بنافعة ، فقطع عنه النفقة ، فنزل قوله تعالى : **(ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم)** النور/٢٢ فقال ابو بكر : بلى ، والله يا ربنا انا لنحب ان تغفر لنا ، وعاد لمسطح بما كان يصنع واستأنف الانفاق عليه .

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تثني على حسان ، وتقول : ما سمعت بشعر احسن من شعر حسان ، ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة .

ولكن ليس هذا بعجيب ، اليست بنت الصديق وزوجة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك فقد احسنت كما احسن ابوها بعدما عفا وصفح ، وكل ذلك من اخلاق التربية النبوية الكريمة التي تستضيء بنور الوحي ونور القرآن **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** النور/٤٠ .

٧ ـ سمو الخلق في العلاقات والورع :

لقد تجلى في هذه الحادثة سمو اخلاق المجتمع الاسلامي ابتداء من قائده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهاء بآخر شخص من هذا المجتمع .

وأي اسلوب حضاري اخلاقي اعظم من تلك المعاملة المتبادلة ، وذلك الحوار الذي جرى بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين زوجه ـ رضي الله عنها ـ فلم يتسرع الرسول باخبارها بما يشاع ، ولما علمت به جرى هذا الحوار الكريم بينهما ، اذ قال لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما حمد الله واثنى عليه :

« اما بعد ، يا عائشة ان كنت قارفت سوءا ، او ظلمت ، فتوبي الى الله . فان الله يقبل التوبة عن عباده » فالتفتت عائشة إلى أبيها فقالت له : أجب رسول الله ، قال : فماذا أقول له ؟ فالتفتت إلى أمها فقالت لها : أجيبي رسول الله ، قالت : ماذا اقول ؟ وعند ذاك لم تجد بدا من الجواب ، فحمدت الله واثنت عليه بما هو اهله ثم قالت :

« اما بعد ، فو الله ان قلت لكم اني

لم افعل ، والله – عز وجل – يشهد أني لصادقة ما ذلك بنافعي عندكم . لقد تكلمتم به واشربته قلوبكم . وان قلت لكم اني قد فعلت ، والله يعلم اني لم افعل ، لتقولن قد باءت به على نفسها ، واني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف – اي النبي عليه السلام والتمست اسمه فلم تقدر عليه – حين قال :

(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

في هذا الموقف العصيب بدت آثار تربية القرآن ، وتربية الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الافراد الذين حضروا المجلس ، فالكل قد عرف الحدود والمقامات ، ومن جهة اخرى فان زينب – رضي الله عنها – كانت ضرة لعائشة ، وكانت تساميها عندما سألها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بادرت الى القول :

« يا رسول الله ، احمي سمعي وبصري . والله ما علمت الا خيرا »»

وعندما سأل عليا رضي الله عنه – وهو تربية الرسول صلى الله عليه وسلم – حاول في اجابته اطمئنانه ، ولكن فيما يتصل بعرض عائشة رضي الله عنها احاله فيه على الجارية التي تعرف خبايا الامور ، فقال له :

« وان تسأل الجارية تصدقك الخبر » فقالت الجارية – بريرة او غيرها – والذي بعثك بالحق ما رأيت منها امرا قط اغمصه (اعيبه والاحظه) اكثر من انها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين اهلها ، فتأتي الداجن فتأكله وفي رواية اخرى انها قالت : ما علمت عليها الا ما يعلمه الصائغ على التبر »

اما اسامة بن زيد – رضي الله عنه – فقد قال :

« يا رسول الله ، اهلك ولا نعلم الا خيرا »

وقد تبين من هذا ان البناء الداخلي لاسرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان متينا متراصا يسوده حسن الخلق ، وعمق الورع ، والتواد والتراحم ، والاحترام المتبادل ، والاخلاص وايثار الحق على ما سواه .

٨ – الثقة بالله

ان موقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وموقف ابي بكر – رضي الله عنه – وزوجه وجواب عائشة كل ذلك يدل على الثقة في الله ، والاطمئنان الى حكمه ، والشعور بمعيته ، وانتظار القول الفصل منه سبحانه وتعالى ، وان كانت عائشة لم تكن تظن ان قرآنا سينزل فيها فانها كانت على يقين من براءتها ، وان براءتها ستأتي من السماء ، ولهذه العلاقة بينها وبين ربها اتجهت بالشكر له فقط ، لأن وحيه هو الذي فرج الكربة ، وازال الغمة ، بل واسبغ نعمة المسرة والفخر مما زاد الروابط متانة ، والمحبة قوة ، والنفوس اطمئنانا ، وهناك حكم اخرى وعبر عظمى اشار الى بعضها ابن القيم في كتابه العظيم « زاد المعاد » ويمكن استخلاص البعض الآخر بالتأمل والنظر مثل مناسبة التشريع ، وزيادة التشريف لابي بكر وعائشة ، وابراز

مقام ابي بكر العظيم في درجـات الاهلية للقيادة ، بالموقـف الرزيـن الـذي التزمـه ، وبالعفـو الكريـم والاحسان المتواصل اللذين اتصف بهما ، وبمسارعته لانفاذ توجيه الله ، وامتثال تعاليمه ، والعمـل على ما يرضيه سبحانه وتعالى .

ويجدر بنا ان نختتم هذا الموضوع بكلام ابن القيم الذي لخص فيه كثيرا من مقاصد هذه الحادثة ، وبيان ما فيها من خـير للامـة الاسلاميـة جمعاء ، يقول رحمة الله عليه جوابا عن تساؤل حول توقف الرسول صلى الله عليه وسلم في امر عائشة سائلا ومستشيرا وباحثا قائلا :

« فالجواب ان هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولجميع الامة الى يوم القيامة ، ليرفع بهذه القصة اقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وايمانا ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ، واقتضى تمام الامتحان والابتـلاء ان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحي اليه في ذلك شيء ، لتتم حكمته التـي قدرهـا وقضاها ، وتظهر على اكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون ايمانـا وثباتا على العدل والصدق ، وحسن الظن بالله ورسوله واهـل بيتـه ، والصديقـين من عبـاده ، ويـزداد المنافقون افكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وابويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن ابويها والافتقار الى الله ، والذل له وحسن الظن به ، والرجاء له ، ولينقطع رجاؤهـا من المخلوقـين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد احد من الخلق ، ولهذا وفت لهذا المقام حقه لما قال لها ابواها قومي اليه ، وقد انزل الله عليه براءتها ، فقالت : والله لا اقوم اليه ، ولا احمد إلا الله هو الذي انزل براءتي .

وايضا فكان من حكمـة حبس الوحي شهرا ان القضية نضجـت واستشرفت قلوب المؤمنـين اعظـم استشراف الى ما يوحيه الله الى رسوله فيها ، وتطلعت الى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي احوج ما كان اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته ، والصديـق واهلـه ، واصحابـه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الارض وهي احوج ما كانت اليه فوقع منهم اعظم موقع والطفه وسروا به غاية السرور ، وحصل لهم به غاية الهناء ... »

وبعد ·

فجدير بالمسلمين ان يدرسوا مثل هذه القضايا بما تستحق من عناية ، في وقت استسهـل فيـه كثـير من المسلمين — وفيهم الخـاصة !!! — إثـم القـذف ، وثلـم العـرض ، والاصاخة للشائعة . وقد عرف اعداء الاسلام هذا الضعف فينا فاستغلوه اشد استغلال ، وافادوا منه ايمـا فائدة ، ودخلوا منـه الى مجـالات الافساد بين الجماعات والافراد في المجتمع الاسلامي .

مائدة القارئ

لا تتمن ما غبت عنه

كان المقداد بن عمرو رضي الله عنه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين ، وقد شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس المسلمين الوحيد في غزوة بدر ، لقول علي رضي الله عنه : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروي عبد الرحمن بن جبير بن نضير عن ابيه ، قال : جلسنا الى المقداد يوما فمر به رجل ، فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لوددنا انا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ، فاستغضب ، فجعلت اعجب ، فالرجل لم يقل الا خيرا ، ثم اقبل اليه (اي التفت اليه بوجهه) فقال :

ما يحمل الرجل على ان يتمنى محضرا غيبه الله عنه ، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، او لا تحمدون الله اذ اخرجكم لا تعرفون الا ربكم ، مصدقين بما جاء به نبيكم ، ولقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على اشد حال بعث عليها نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ان دنيا افضل من عبادة الاوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده . ان كان الرجل ليرى والده وولده واخاه كافرا ، وقد فتح الله قفل قلبه للايمان ، يعلم انه (اي ان والده او ولده او اخاه) ان هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار . وانها للتي قال الله عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين » (الفرقان ٧٤) .

دعاء

اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا ورحيمها أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك

مائدة القارئ

اخوة بعضهم من بعض

روي عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صر اربعمائة دينار ، وقال لغلامه ، اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلبث عنده في البيت ساعة ، حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام وقال له : يقول امير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال له : وصله الله ورحمه ثم دعا بجارية له وقال لها : اذهبي بهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه السبعة الى فلان ، حتى انفذها فرجع الغلام الى عمر ، واخبره فوجده قد اعد مثلها الى معاذ بن جبل وقال له : انطلق بها الى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من امره ؟

فذهب اليه وقال له كما قال لأبي عبيدة .. ففعل معاذ ما فعل ابو عبيدة ، فرجع الغلام واخبر عمر .. فقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .. رضي الله عنهم جميعاً .

كلمات لها معنى ..

المسلم الحق يربيه اسلامه على البصيرة النافذة ، والحكمة البالغة والقوة الصادقة ، والحجة الدامغة فما بالنا نرى القليل من النماذج لهذا المسلم ونرى الكثير من النماذج اللامعة عن معرفة او جهل ، والمتهور عن اخلاص او طيش والمتردد عن هوس او جبن ..

امثال

❋ اذا حان القضاء ضاق الفضاء

❋ ❋ ❋

❋ اذا حلت المقادير بطلت التدابير

نظرية فرويد

شهد القرن التاسع عشر مولد كثير من المفكرين في نظريات التطور وأصل الانواع .. وقد أحدثت تلك الافكار والنظريات ثورة في مجال الدراسات العلمية المختلفة .. حتى لقد قيل ان مذهب فرويد في التحليل النفسي يعد تطبيقا لنظرية التطور في مجال علم النفس .

ولقد ذهب هؤلاء المفكرون بعيدا .. حتى ضلوا سواء السبيل وتنكبوا الطريق الحق .. ودخلوا في متاهات الظنون .. حتى أنكروا وجود الله تعالى . وبنيت دراساتهم على هذا الاساس الخاطيء .. واذا كان الاساس خاطئا فان كل ما بنى عليه لابد ان يكون خاطئا أيضا .. ومن هنا نستطيع ان نقول ان فكرة التحليل النفسي تؤدي الى انكار وجود الله تعالى وانكار المثل العليا في الاخلاق .

ومن العجيب ان يدعى فرويد عكس ذلك تماما ، ويزعم ان الارتباط المستمر بين الدين والاخلاق سوف يؤدي في النهاية الى تحطيم كل القيم الاخلاقية .

في العلاج بالتحليل النفسي

الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

من هنا نفهم ان فرويد كان ملحدا .. وان نظريته في العلاج بالتحليل النفسي ، لمختلف الامراض النفسية ، انما بنيت على فكر الحادي خاطيء .. وللنناقش نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي ، مناقشة موضوعية ومن منطلق علمي بحت ، ونقارن بينها وبين شفاء الامراض التى تعتري النفس البشرية ، بالاتصال بالله تعالى والايمان به والاستغفار له .

يعتقد فرويد ـ مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، أن الامراض النفسية هي نتيجة كبت لرغبات الغرائز الحسية .. تلك الرغبات التى لا يقرها الدين أو لا يرضى المجتمع عنها أو لا يسمح العرف بها .. فيضطر صاحبها الى ان يكبتها في عقله الباطن بشكل لا شعوري بقصد اخفائها وتجاهلها .. ولكنها دائما

.. بسبب ما يحيط بالانسان من شحنات عاطفية ـ تحاول الظهور الى الوعي ، وتسعى دائما الى التعبير عن نفسها في الوقت الذي يحاول فيه

الانسان كبتها وحبسها في اللا شعور .. وبين محاولة الكبت ومحاولة الظهور .. ينشأ نوع من الصراع النفسي .. يسبب مرضا نفسيا .. والمرض النفسي قد يكون بسيطا وقد يكون شديدا .

ويرى فرويد أن علاج الأمراض النفسية هو التحليل النفسي .. ولقد آمن بهذه النظرية في العلاج كثير من الاطباء حتى الان .. ومجمل التحليل النفسي أن يسترخي المريض تماما ، ويساعد على ذلك ببعض العقاقير المهدئة .. ثم يتحدث بكل ما في نفسه للطبيب النفساني بصوت مسموع .. وهذا في حقيقته نوع من اعتراف صريح من المريض للطبيب بكل الأخطاء التى ارتكبها .. وكل الظروف التى تأثر بها .. والتى ربما كان قد نسى بعضها .. ولكنها ترسبت في نفسه وأحدثت بها عقدا نفسية .

والهدف من التحليل النفسي هو الكشف عن الأخطاء والذنوب فيراها المريض نفسه ويشعر بها في الوعي .. هنالك يحدث صلح بين النفس والضمير .. فيتسامح ضمير المريض .. ويكف عن لوم النفس فينزاح عن النفس عبء ثقيل .. فيستريح المريض وتتحسن حالته .

هذا ما قاله فرويد مؤسس مدرسة العلاج بالتحليل النفسي وسار عليها كثير من الاطباء من بعده زمنا طويلا .

واذا حاولنا أن نقارن بين نظرية فرويد في علاج الامراض النفسية بالتحليل النفسي وبين شفاء تلك الامراض باتصال المريض بالله تعالى ومداومة الاستغفار له سبحانه .. لوجدنا أن القرآن الكريم فيه الشفاء للناس اكثر وأجدى مما في العلاج بالتحليل النفسي وذلك للأسباب الاتية :

اولا : التحليل النفسي هو اعتراف من المريض بأخطائه وهمومه ومشاكله لانسان آخر – هو الطبيب – يعلم المريض أنه لا يملك له ضراً ولا نفعاً .. أما الاستغفار فهو افضاء المريض بكل ما في نفسه الى خالقه تعالى .. والمريض هنا يعلم يقينا أن الله تبارك وتعالى بيده الأمر كله .. وأنه لا ملجأ منه الا اليه .

ثانيا : التحليل النفسي هو محاولة لأخذ الاعتراف من المريض وسحبه منه سحبا .. أما الاستغفار لله فهو طلب المغفرة من أخطاء اعترف بها المريض مسبقا .. فهو اعتراف كامل وصريح ، طواعية واختياراً ، بدون أي ضغط .. ومن أقرب طريق .

ثالثا : التحليل النفسي لابد أن يكون أمام طبيب نفساني .. ولا بد أن يأخذ المريض موعداً ، وينتظر دوره ، فالطبيب ليس حاضرا في كل وقت .. وغير موجود في أي لحظة يحتاج اليه المريض اذا حدثت له أزمة نفسية مفاجئة .. أما الاستغفار لله تعالى فبابه مفتوح لمن يريد .. بدون اجراءات .. وبدون تحديد موعد وبدون انتظار . والله تعالى تفضل على عباده ، فحثهم على الاستغفار له وشجعهم على ذلك .. كما في قوله تعالى :

(أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) المائدة /٧٤ وكما في قوله تعالى : **(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)** هود/٩٠

رابعا : لا يزيل التحليل النفسي ما في قلب المريض من خوف من محاسبة الله تعالى له ، فلا يمنحه الطمأنينة والارتياح .. أما الاستغفار لله تعالى فهو يزيل كل قلق وخوف من محاسبة الله له .. ذلك لأن الخالق سبحانه وعد المستغفر له ، بالصفح والمغفرة والرحمة .. ونجد ما يشير الى ذلك في قوله تعالى :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) النساء/١١٠

وفي قوله تعالى : **(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم)** الانعام/٥٤

خامسا : ليس في وسع أي طبيب أن يعد مريضا وعدا قاطعا بالشفاء . فعلاج الطبيب محاولة تنجح او لا تنجح .. أما نتيجة الاستغفار لله تعالى فهي نتيجة حتمية .. فيها العفو والمغفرة والصفح من الله تعالى للانسان .. مهما أسرف في الخطأ .. ومهما أوغل في طلب المعصية .. اذا كف عن الخطأ وأقلع عن المعصية .

ونقرأ قولا كريما يطمئن النفس البشرية ويريحها في قوله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ ، وفي قوله تعالى : **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم)** المائدة/٣٩

واذا كان التحليل النفسي وسيلة من وسائل العلاج .. فأن الاستغفار لله .. وكلماته تعالى هي الشفاء وفيها الشفاء للنفس البشرية من الامها وامراضها .. يقول الله تعالى :

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) الاسراء/٨٢

سادسا : ان التحليل النفسي قد يساعد المريض في أن يكف الضمير عن محاسبة النفس عما حدث في الماضي .. أما الاستغفار لله تعالى فهو أعم وأشمل فائدة وشفاء .. فهو يشفيه مما حدث منه في الماضي ، ويأخذ بيده في شدته في الحاضر ، ويرشده الى طريق العلاج في المستقبل ، فهو يطمئنه ويريح قلبه في عطف وحنان كما في قوله تعالى :

(وتوكل على الله) النساء/٨١ يمنح الطمأنينة للنفس ، وقوله تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة /٥١ يزيل من النفس التوجس والقلق والخوف ، وقوله تعالى : **(واصبر وما صبرك الا بالله)** النحل/١٢٧ يمنح الانسان مزيدا من القوة ، ويعطيه قسطا أوفر من التحمل والصمود في مواجهة الشدائد ، وقوله تعالى :

(وما تشاءون الا أن يشاء الله) الانسان/ ٣٠ ، يريح النفس تماماً لأنه يزيل عنها الأعباء التي تنوء بحملها .

سابعا : المريض بمرض نفسي يشعر بالوحدة .. فهو محتاج للطبيب في كل وقت ، ولكن الطبيب ليس معه دائما .. أما من يتجه لله تعالى بالاستغفار فالقرآن الكريم يعلمه أن الله معه في كل وقت .. وفي كل مكان .. لا يتركه لحظة .. ولا ينصرف عنه مطلقا .. كما في قوله تعالى :

(ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) المجادلة/ ٧ ، واذا تفكرنا في هذه الآية نجد أنها بدأت بتقرير علم الله الشامل لكل ما في السماوات والارض .. ثم جاءت بعد ذلك بتقرير وجوده تعالى مع كل مخلوق .. فتشعر المخلوق الضعيف بأن الخالق تبارك وتعالى لا تشغله أمور ملكوته عن النظر اليه دائما .. والقرب منه ابدا .. وذلك يجلب للانسان شعور الأنس والطمأنينة والسعادة والارتياح . ونقرأ قولا كريما مريحا للنفس البشرية وشافيا لالامها ومتاعبها وأمراضها في قوله تعالى :

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة/ ١٨٦

ونلاحظ ان الله تعالى لم يقل « اذا سألك المؤمنون عني » .. وإنما أضفى — جل وعلا — على المستغفرين كرامة وعزة ومقاما كريما باضافة اسمهم اليه تعالى فقال : **(واذا سألك عبادي)** فأضاف اليهم شرف عبوديتهم لله .. وما اعظمه من شرف .. كذلك لم تقل الاية « واذا سألك عبادي فاني سأسمع دعاءهم وسأجيبه » ولكن الله تعالى — وهو الكريم الجواد البر الرحيم — عجل باجابة الدعوة بمجرد طلبها فقال تعالى : **(واذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)** .

ثامنا : المريض قد يثق بالطبيب .. ولكنها لن تكون ثقة مطلقة .. ذلك لأن الطبيب انسان يخطيء ويصيب .. أما المستغفر لله ، فلا تملؤه الثقة المطلقة بالله تعالى فحسب .. ولكنه اليقين والايمان الكاملان .. وشتان بين ثقة مهزوزة بانسان .. وايمان ويقين بالله تبارك وتعالى علوا كبيرا .. والاستغفار طريق الايمان بالله تعالى .. والايمان يمنح الانسان فوائد لا تحصى وقد تواترت الايات الكريمة التى تدعو الى الاستغفار لله تعالى والايمان به لأن للايمان الأثر العظيم في علاج الام النفس البشرية وأمراضها . فالايمان بالله تعالى يحرر الانسان من تصوراته الدنيوية فيزول ما في قلبه من قلق . والايمان يجعل الانسان يحس بأن له عند خالقه مكانة وكرامة ، وقوله تعالى **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)**

المنافقون/٨ تشعر الانسان بالعزة والكرامة والطمأنينة .. وتملأ نفسه ـ اذا أخطأت ـ بالأمل العريض في صفح الله وغفرانه اذا قرأ قوله تعالى : (**الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما**) الفرقان/٧٠

وجاء العصر الحديث يحمل لنا الدليل على خطأ نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي . فأساس نظرية فرويد أن سبب المرض النفسي هو كبت رغبات الغرائز الحسية بشكل لا شعوري اذا كان الدين لا يقرها أو كان المجتمع لا يرضى عنها ، ولكنها تحاول الظهور الى الوعي بين الحين والحين فيكبتها مرة أخرى .. وبين محاولات الكبت والظهور ينشأ الصراع النفسي .. وتحدث بسببه الامراض النفسية .. ولكننا نرى اليوم الدليل على خطأ تلك النظرية في المجتمعات الغربية كما في الدول الاسكندنافية واوروبا الغربية وغيرها .

فالمجتمعات هناك لا ترفض تلبية أي رغبة لغرائز الانسان ولا يعترض العرف هناك على ذلك .. اذن فليس هناك كبت لرغبات الغرائز الحسية .. فلو كانت نظرية فرويد صحيحة لا نعدمت الامراض النفسية في تلك المجتمعات .. ولكن العكس هو ما حدث تماما فان عدد حالات الأمراض النفسية في تلك المجتمعات في ازدياد مستمر والاقدام على الانتحار في أعلى معدل له .

هذا فضلا عن ان أصحاب مدرسة العلاج بالتحليل النفسي لم يستطيعوا تفسير نجاح علاج الاكتئاب النفسي بالعقاقير الطبية وبالصدمات الكهربائية بدون مزاولة التحليل النفسي على الاطلاق .

من هنا نفهم ان نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي لامراض النفس نظرية خاطئة واساسها خاطيء .. وان الفكر الالحادي الذي بنيت عليه كان خاطئا ايضا .. وأنه من الاجدى للانسان الا يعتمد على نظريات تتأرجح بين الصواب حينا والخطأ احيانا .. بل يتجه رأسا الى الحق واليقين .. الى الشفاء الاكيد .. وهو الاتجاه الى الله تعالى والاستغفار له .

والقرآن الكريم هو شفاء لما يعتري النفس البشرية من الام واضطراب وأمراض .. والخالق تعالى ادرى بمن خلق وكل صانع أعلم بما يصون صناعته .

واذا كنا نرى صانع السيارة يرسل معها كتابا يبين فيه طرق اصلاحها وصيانتها يدرسه الناس ويسيرون على هداه في اصلاح وصيانة سياراتهم .. والأمر نفسه بالنسبة لكل آلة وكل جهاز .

وخالق الانسان وصانعه .. ارسل له كتابا .. هو القرآن .. بين فيه للانسان طرق اصلاحه وصيانته .. وطرق الهدى وسبل الشفاء ، كما في قوله تعالى (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/٨٢ .

بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

للاستاذ / محفوظ امين غريب

العلاقة بين الاباء والابناء قضية اجتماعية شغلت رواد الاصلاح بل شغلت الناس جميعهم ، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكرية ، في كل زمان ومكان ، ولسوف تظل شاغلهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد شهد عصرنا الحديث ــ عصر التقدم العلمي الهائل والمذاهب الفكرية والاجتماعية المتضاربة ــ جدالا واسعا حول هذه القضية ،

. وتبلور الجدال في تساؤل تضاربت أيضا حوله الاجابات : هل يظل الآباء ــ كما كان شأنهم قديما ــ في أبراج عالية ويظل الأبناء حول هذه

الأبراج خاشعين يفعلون ما يؤمرون أو على الآباء أن ينزلوا من عليائهم إلى الأبناء عاملين بنظريات التربية الحديثة التي تعلي من شأن الحرية الشخصية وتكاد تلغي الحدود بين الآباء والأبناء ؟

على أن القرآن الكريم حسم القضية ؛ إذ عرضها بأبعادها المختلفة ، وأعطى لكل مقام فيها مقالا سديدا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبذلك لم يبخس الآباء أو الأبناء حق كل على الآخر ، وحدد بجلاء الأسس السليمة التي تحكم العلاقة بين الآباء والأبناء ، بحيث لا يتعدى كل حدود الله تعالى في ممارسة هذه العلاقة .

هذا هو لقمان الحكيم يضرب لكل أب المثل الأعلى في الأبوة المدركة بعمق حق الابن على أبيه ؛ فلقد قام بواجبه نحو ابنه خير قيام حين وعظه ، فزوده بما يحييه حياة طيبة ويجعله من حزب الله . وكان أول ما زوده به العقيدة الصحيحة الخالصة من الشرك ، فالشرك ظلم عظيم ؛ لأن فيه تسوية الخالق المنعم على خلقه بمن لا يخلق ولا نعمة له أصلا ، ويحث لقمان ابنه على مراقبة الله في أقواله وأعماله صغيرها قبل كبيرها ، لأن كل امرىء بما كسب رهين . وينادي لقمان ابنه بعطف آمرا إياه بتأدية الصلاة بإخلاص ليصل نفسه بخالقه ، وأن يسلك طريق التطبيق العملي للايمان فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصبر على ما يصيبه في سبيل الله ؛ لأن ذلك مما أوجبه الله ، ويرشد لقمان ابنه إلى مجموعة من الفضائل ، تجلب له حب الله وعباد الله من تواضع للناس ، واعتدال في مشيته ، وخفض لصوته ؛ لأن الله لا يحب المتكبرين المختالين الفخورين بأنفسهم ولأن أنكر الأصوات صوت الحمير العالي ، قال تعالى : **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان / ١٣ . (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان / ١٦ ـ ١٩ .**

هكذا قام الاب الحكيم لقمان بواجبه نحو ابنه في عطف عليه وتقدير لذاتيته ، فهذا النداء « يا بني » الذي يفيض استعطافا يتكرر وصولا الى قلب الابن واحتراما لآدميته دون قهر أو إكراه ، وما التحليل والتعليل اللذان يتجليان في الآيات إلا وسيلة إفهام واقناع ، ليفهم الابن ويقتنع ، ثم يختار برأيه المستقل المسترشد بتوجيه هذا الاب الحكيم الحاني .

وإذا كان لقمان الحكيم قد ضرب مثلا اعلى في الأبوة ، فان إسماعيل عليه السلام قد ضرب مثلا أعلى في البنوة ، ويؤيد ذلك قصة رائعة في

القرآن الكريم .

لقد كان اسماعيل ابنا صالحا برا بأبيه ابراهيم عليه السلام ، وقد بلغ في بره بأبيه أن استسلم له ليذبحه تحقيقا لرؤية رآها الأب في منامه ، وقد باركت السماء هذا التجاوب الأمثل بين الابن وأبيه ، فكافأتهما بكبش عظيم يذبح بدل الابن وبالتالي ارتاح قلب الاب بنجاة ابنه بعد ذلك الاختبار البين . وكذلك يجزي الله الآباء والأبناء المحسنين أمثال ابراهيم واسماعيل عليهما السلام :

(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم) الصافات / ١٠٠ ــ ١٠٧ .

ويكفي اسماعيل فخرا وشرفا أن كان الساعد الأيمن لأبيه في بناء البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وقد سجل القرآن الكريم لاسماعيل أنه شارك أباه البناء والأذكار التي كان يتجه بها إلى ربه أثناء البناء :

(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة / ١٢٧ ــ ١٢٩ .

هكذا كان إسماعيل خيرا وبركة لأبيه ، فكان مجيئه الى الدنيا ــ كما قرر القرآن تحقيقا لدعاء أبيه : **(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم)** .

على أن بر الأبناء بآبائهم لا يعني أن يكون الابناء إمعات خلف آبائهم يسيرون على دربهم ، ولو ذهبوا بهم الى الجحيم . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه « آزر » .

لقد أثبت ابراهيم أنه ابن راشد حين رفض أن يسير أصما أبكما اعمى وراء أبيه وقومه في العكوف على عبادة الاصنام ، ولم يقتنع عقله بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ، وأعلن لهم أنهم وآباءهم في ضلال مبين ، فبهتوا من جرأته ولم يصدقوا آذانهم حين قرعها بعنف حكم ابراهيم بضلالهم وضلال آبائهم ، فقالوا له : أأنت جاد في حكمك وما جئتنا به ؟ فرد عليهم في قوة : بل ربكم رب السماوات والارض الذي خلقهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، ولم يكتف ابراهيم بذلك بل صارحهم مقسما بالله ، انه سيكيد أصنامهم بعد أن يذهبوا إلى عيدهم . وقد بر بقسمه فدخل الى هيكلهم فحطم آلهتهم إلا أكبرها حجما ، لعلهم

يرجعون إليه بالسؤال عمن فعل ذلك . وروع أبو ابراهيم وقومه وتساءلوا عمن فعل ذلك ؟ ثم عرفوا أن الفاعل ابراهيم ، فأجمعوا رأيهم على عقوبته بمرأى من الناس . وفي ذلك الموقف الرهيب صمد الابن الراشد ابراهيم ، وجادل أباه وقومه بمنطق مبين ، وعزم لا يلين ، رغم أنه يرى بعينيه نارا مستعرة قد أعدوها لتحريقه فيها . قالوا له : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال ساخرا : لا ، بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، وأثر فيهم جوابه الحكيم فراجعوا عقولهم ، وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون . ولكنهم عادوا فانقلبوا الى المجادلة بالباطل عنادا وتكبرا على الحق الذي أظهره لهم ابراهيم فقالوا له : لقد علمت أن هذه الأصنام لا تنطق ، فقال منكرا عليهم عبادتهم الباطلة : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ولا انفسهم ينصرون ؟ أف لكم وأف لما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ ولكن عناد القوم هوى بهم الى وحل الكفر فقالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم ناصريها حقا . وأوقدوا نارا عظيمة وألقوه فيها ، فنادى رب العالمين أن كوني بردا وسلاما على ابراهيم ، فنجا الابن الراشد ابراهيم من كيدهم ، وأما الاب الضال وقومه فقد كانوا هم الأخسرين : **(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين)** الأنبياء / ٥١ ـ ٧٠ .

هكذا يقرر القرآن الكريم في قصة ابراهيم وأبيه استقلال شخصية الابن ما دام تفكيره راجحا . ولقد بلغ ابراهيم في ذلك الاستقلال أن تبرأ من ابيه وعدل عن استغفاره له حين تبين له انه عدو الحق : **(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن**

موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . التوبة / ١١٤ .

وليس معنى عطف الآباء على أبنائهم أن يتقبل الآباء الأبناء على علاتهم ، فيغضون الطرف عن نقائصهم ، ويلتمسون تبريرا لزلاتهم باسم الأبوة الحانية على فلذة كبدها . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام مع ابنه .

لقد أرسل الله تعالى نوحا إلى قومه ، فحاول أشراف القوم إبطال نبوته بكل ما أوتوا ، وانحاز ابن نوح الى حزب الكافرين . وأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه الا القليل ، وأن عليه أن يصنع سفينة تحت رعايته سبحانه ، ولا يشفع في الذين ظلموا من الكافرين فانه محكوم عليهم بالغرق . ولما جاء الطوفان بأمر الله قال نوح للذين آمنوا : اركبوا السفينة باسم الله مجريها ومرساها ، فركبوا فيها ، فأخذت تجري بهم في أمواج كالجبال . ونادى نوح ابنه وكان معتزلا إياه في ناحية ، وقال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، فقال : يا أبت سآوي الى جبل يحميني من طغيان الماء ، فقال له ابوه : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان الابن من الهالكين غرقا . ولقد تبرأ نوح من ابنه لما تبين له أنه عدو الحق واستغفر الله أن توجه إليه تعالى كي ينجي ابنه من الغرق : **(وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) .** هود / ٤١ ــ ٤٧ .

وهكذا حسم القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا قضية العلاقة بين الآباء والابناء ، فكفل لكل حقه ، وحدد واجبه ، وألزم الجميع ــ في ممارسة هذه العلاقة ــ بالتعاون على البر والتقوى ، ونبذ الاثم والعدوان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبذلك تسعد الأسرة ويكون الآباء والأبناء لبنات طيبات في صرح خير أمة أخرجت للناس : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .** آل عمران / ١١٠ .

علوم الزراعة والنبات في القرآن الكريم

للاستاذ / عبد الرزاق نوفل

لقد شرف الاسلام الزراعة تشريفا لم ينله غيرها من عمل اذ اسندها الى الله سبحانه وتعالى في نص قرآن ربنا العظيم : (**أفرأيتم ما تحرثــون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون**) ٦٣ و ٦٤/الواقعة .

وفي كل الآيات التي اوردت الزرع والانبات تقرر ان الله جل شأنه هو الذي يزرعها وينبتها في مثل النص الكريم : (**أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون**) ٢٧ / السجدة وانه الذي انشأ الشجر الذي نستمد منه النار بما فيها من ضوء وحرارة وذلك في النص الشريف : (**افرأيتم النار التــي تورون . أأنتــم انشأتــم شجرتها ام نحن المنشئون**) ٧١ و ٧٢ / الواقعة .

والزراعة هي اول مهنة قام بها الانسان اينما كان .. سواء اكان وهو في الجنة ام بعد ان هبط منها الى الأرض وعاش فيها وعليها .. فآدم اول البشر منذ ان خلق في الجنــة واحس بوجوده ، واستمع الى امر الله جل شأنه له بان يأكل هو وحواء من كل ما فيها من ثمر ونبات عدا شجرة واحدة وذلك بالأمر الكريم :

(**وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**) ٣٥/ البقرة .

ولذلك فقد باشر مع زوجته نوعا من انواع الزراعة ، هي جمع الثمــار وحصاد الزروع وكذلك الأمر بعد ان

نزلا من الجنة الى الارض ، فقد قاما بالزراعة بكل انواعها ومختلف عملياتها .

وعلماء الطبيعة في ابحاثهم مع علماء الحياه يقررون ان الحياة النباتية اسبق على كافة اصناف الحياة الاخرى من حيوانية او بشرية ، فالانسان لكي يعيش لا بد له ان يتغذى وعلى عناصر تناسب عناصر جسمه . ولذلك اعتمد ويعتمد على النبات والحيوان . فلا بد ان النبات والحيوان قد توافرت اصنافهما للانسان منذ احتاج الى تغذية والحيوان لكي يعيش ويحيا لا بد ان يتغذى .. اما على حيوان اصغر او على نبات .. ولذلك لا بد ان الحيوانات الكبيرة قد وجدت اخرى صغيرة ونباتا .. ولأن الحيوانات الصغيرة قد عاشت وتكاثرت فلا بد انها وجدت النبات الذي اكلته . والنبات انما يكون غذاؤه بنفسه دون حاجة الى كائن اخر . وهكذا قرر علم الحياة ، ان النبات سبق الحيوان – وانهما سبقا الانسان .. وهذه ان كانت حقيقة علمية وبديهية عقلية .. فانها آية قرآنية قد سبقت العلم بما اوردته اذ تقول الآيات الشريفة : **(والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها)** ٣٠ – ٣٢ النازعات ، اي ان الارض بعد ان اخذت شكلها الكروي نتيجة دورانها وهي ملتهبة . اخرج الله سبحانه وتعالى منها الماء الذي اخرج به المراعي .. التي تعيش عليها الحيوانات وبعد ذلك تفتتت الاحجار ، وانتشرت الجذور . وتراكمت المواد الذائبة فحددت اماكن الجبال وأرسيت .

وقد وجه القرآن الكريم نظر الانسان الى ما في نبات الارض وزرعها من آيات تشير الى بعض قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق والابداع . وتدل على وحدانيته وتعرض صورة لآثار حكمته وعظمته . وذلك في كثير من الآيات الشريفة مثل النص الكريم :

(اولم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم . ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) ٧ و ٨/ الشعراء .

وكذلك فيما يرى الانسان من زروع ونباتات مختلفة تخرجها الأرض من قطع متجاورات متماثلة في تركيبها وتسقى بماء واحد ولكن يخرج منها مختلف الزروع من حبوب وبقول وخضر وفواكه . فهذه آيات على وجود الله ووحدانيته وقدرته .. وكذلك فيما يختلف من الأرض الواحد في جودة انتاجها .. فانتاج جزء من الارض افضل من جزء .. رغم ان الارض واحدة والماء واحد والحب واحد .. وهذه ايضا آيات على حكمة الله وبالغ علمه وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)** الرعد/ ٤ ولقد اورد القرآن الكريم اصول علم الفلاحة قبل ان

يصل اليها علمنا المعاصر وذلك في نص الآية الكريمة : **(ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)** ٢٦٥ / البقرة اذ تقرر الآية بصراحة ووضوح حقيقة علمية ، وصل اليها العلم الحديث ووصفها كأصل اول لعلم الفلاحة ، ألا وهي جودة الارض العالية .. وقد اتضح اخيرا اهمية انخفاض مستوى الماء الارضي الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على قدرة الأرض في الانتاج وعلى سلامة هذا الانتاج وكميته . فكلما كانت الارض مرتفعة ـ اي منخفضة مستوى الماء الأرضي كلما كانت افضل في الزراعة . وهذه الارض المرتفعة لو رويت ريا غزيرا فانها تأخذ منه كفايتها ثم ينصرف عنها الباقي بارتفاعها .. وان لم يصبها الماء الغزير واصابها الماء الخفيف المناسب فانها تنال حاجتها منه دون حاجة الى صرف الزائد . وعدم وجود الماء الزائد في حالة الري الخفيف . وتخلص الأرض من باقي الماء في حالة الري الغزير انما يؤدي الى زيادة الانتاج الى ضعف او ضعفين وهذا ما تقرره الآية الشريفة ووصل العلم اليه بعد اربعة عشر قرنا من الزمان من قولها بعد التجارب والدراسات ولذلك تهتم الدول الزراعية بالمصارف قدر اهتمامها بقنوات الري لتحقيق خفض مستوى الماء .. وبالتالي ارتفاع سطح التربة التي تزرع عن هذا الماء الأرضي .

وفي علوم التربة اورد القرآن الكريم كذلك حقائق علمية سبق بها العلم بعشرات المئات من السنين وذلك بمثل الآية الكريمة : **(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)** الحج / ٥ .

ولا يتصور الانسان اطلاقا ان الارض تهتز اذا نزل عليها الماء . ولا انها تزداد في الحجم ، فان اية ملاحظة مهما كانت دقيقة ، لا يمكن ان تصل الى ما تقول به الآية الشريفة بنصها الواضح ، الا ان العلم وصل عن طريق التجارب المعملية الى ان التربة الزراعية ايا كان نوعها ، لا بد ان تحتوي على نسبة من المسام تختلف في عددها وسعتها من ارض الى اخرى . وان هذه المسام بها هواء . فاذا نزل الماء على التربة تغلغل في هذه المسام ودفع امامه الهواء ، وتتحرك بذلك ذرات التربة في اهتزاز امكن حسابه معمليا ، ويزداد بذلك حجمها لدرجة امكن قياسها ، وفي كل معامل المعاهد والكليات بل والمدارس الثانوية تجرى مثل هذه التجارب بوضع قطعة من التربة الزراعية في مخبار مدرج وبعد قياس حجم التربة ، يضاف الماء الى التربة فيرتفع سطحها في المخبار ويحدد درجة زيادة حجم التربة بالماء .. اي ان الأرض بنزول الماء تهتز وتربو ، كما اثبت العلم انه بعد نزول الماء على الارض تخرج الشعيرات الجذرية للنبات وتتشعب تحت الارض لتبحث عن

الغذاء . واثناء تغلغلها تهتز ذرات التربة بتأثير هذه الحركة كما تزداد حجما بهذا التفكك ، وقد يعتقد البعض ان هذه الحركة بسيطة وان هذا التفكك ضئيل الشأن . ولكن الحقيقة ان البحث العلمي قد اثبت ان الشعيرات الجذرية كثيرة وطويلة ومتفرعة ، بحيث انه في الارض الزراعية قل ان نجد اية مساحة بأي قدر خالية من الشعيرات الجذرية للنبات .

وقد وضع القرآن الكريم اصول دراسة علم النبات ، كما وصلت اليها الابحاث العلمية اخيرا ، فدراسة النبات حاليا وفي كل جامعات العالم ، تعتمد على اساليب موحدة علمية وصلت اليها بعد ابحاث طويلة ومقارنات عديدة لوسائل دراسات مختلفة ، فأول ما يعتمد عليه علم النبات المعاصر في دراسته ، هو الشكل الظاهري للنبات اذ عن طريق هذا الشكل يمكن وصف النبات وصفا علميا ، ولا بد ان يكون النبات قد اكتمل نموه ، حيث يمكن وصف الجذر والساق والأوراق والزهرة والثمرة ، وبعد ذلك وعليه يمكن وضع النبات في مكانه تماما من المملكة النباتية ، وعن طريق وصف الزهرة يوضع ما يسمى بالقانون الزهري ، وعن طريق وصف الثمرة توضع الثمرة في مكانها من التقسيم النباتي الثمري . اذ يختلف النبات بالنسبة للثمرة اختلافا كبيرا لتعدد اشكال الثمرة من ناحية طبيعة الغلاف ، اذ قد تكون الثمرة غضة او جافة . والغضة تنقسم الى اقسام اخرى .

وهكذا قرر علم النبات ان الدراسة الظاهرية للنبات ، هي اهم وسائل دراسة النبات والأساس لها ، ولا بد ان تتم الدراسة عندما يكتمل نمو النبات وتنعقد ثماره . وقد اورد القرآن الكريم كل هذه الحقائق العلمية ، وهذه الاصول الدراسية في نص كريم من الآية الشريفة :

(انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الانعام/ ٩٩ .

وقرر القرآن الكريم حقيقة علمية في علوم التغذية والزراعة في النص الكريم :

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) البقرة/ ٦١

إذ تقرر الآية الشريفة ان البقول والعدس والبصل ادنى وأقل خيرا مما كان يأكله قوم موسى ، وهو المن والسلوى وهما نوعان من الحلوى عسلية وطير يرجح ان يكون هو المعروف حاليا بالسمان ، ولم يصل العلم – الا اخيرا – الى ان افضلية الغذاء ليست في مقدار ما تحويه المادة الغذائية من عناصر بل في نوع ما يحتويه من مكونات التغذية . وقد وصلت لجان الابحاث العلمية الى ان قيمة المواد الزلالية ، تختلف في نوعها وفي المقدار الذي يمنع المواد الزلالية المكونة للانسجة من ان تحترق ، وان

البقول يضر الاكثار منها حتى ان التقارير العلمية ، تنصح بعدم اعطائها للاطفال ، وبالتقليل منها للكبار ، وعرف إخيرا ان المواد البروتينية او الزلالية ، والتي تعتبر اهم مكونات البقول ولو انها مصدر طاقة لتوليد الحرارة والنشاط ، الا انها مرهقة لاجهزة الجسم في تحويلها الى هذه الطاقة ، ولهذا ينصح الطب الحديث بالاعتماد على النشويات كمصدر للطاقة ، وان البروتينات او المواد الزلالية الموجودة في الحيوان ، تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلا كبيرا ، وتعتبر الانواع التي ذكرها القرآن الكريم من البقول اكثرها احتواء على المواد البروتينية والزلالية ، بل ان الطير الذي كان يأكله قوم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، يحتوي نفس النسبة تماما من المواد الزلالية الموجودة في اصناف البقول التي اوردها القرآن الكريم ، اي ان الآية الشريفة قد قارنت بين الطير والبقول وهما متساويان تماما في نسبة المواد الزلالية ، الا ان الآية الكريمة قدرت ان البروتين الحيواني افضل من البروتين النباتي ، وهذا ما وصل اليه العلم الحديث في اخر ابحاثه العلمية عن الصحة الغذائية .

وأورد القرآن الكريم اصول التخطيط الغذائي السليم ، وأسس التخزين العلمي الحديث في النص الكريم : (**يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون**) ٤٦ ـ ٤٩/ يوسف

كما اورد حقيقة تكوين الفحم من النباتات التي تدفن في باطن الأرض لأجيال من السنين وذلك بالنص الشريف :

(**والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى**) ٤ و ٥/ الأعلى

كما اورد القرآن الكريم كافة اصناف وأنواع النباتات والزروع ـ من المراعي حتى الأشجار والنخيل ، وان المتدبر لآيات القرآن الكريم ، ليجد انه وقد اورد كل اصول وحقائق علوم النبات والزراعة ، وشرف الزراعة تشريفا لم يشرفه لغيرها . بل انه ليقرر بان الشجر جميعه بانواعه واصنافه وفي كافة مراحله انما يسجد لله سجود الطاعة والولاء شأنه في ذلك شأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب كلها بأصنافها . اذ تطيع الله طاعة تامة . اما الجنس البشري فبعضه ليس على هذه الطاعة اذ تقول الآيات الكريمة : (**ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء**) ١٨/ الحج .

المقالة

للاستاذ : علي حسن الشكرجي

أقيم حفل ليلة زفاف ، في مدينة من مدن دولة عربية ، التي أجلي عنها الاجنبي المحتل حديثا ، بعد أن مكث فيها أكثر من نصف قرن ، يشيع فيها عاداته وقوانينه ويسوغ النفوس لها بدهاء شديد ، حتى أنها مكثت بعده ، ولم يفكر المواطنون أن يجلوها معه .

جلبت الخمرة ورقصت الغجريات ، وتعالت أصوات الغناء الغرامي الفاضح مصحوبا بموسيقى غربية صاخبة .

رأى الفتى « حمزة » بعض الرجال ، يدخلون مكانا منزويا ، لا يلبثون أن يخرجوا منه ، وهم يمضغون شيئا في افواههم .

« ماذا هناك ؟! لا بد أنه شيء خاص ثمين ، لا يقدم إلا للمقربين !! »

اغتنم فرصة اختلاء المكان ، فتسلل إليه ، فوجد « قناني » فيها سائل رائق صاف ، « ما اجمل هذه القناني ، ما أشهى ما فيها !! »

ويقرأ : « ويسكي ... »

وفجأة يسمع وقع أقدام تقترب ، وبدون تفكير وتردد ، حمل قنينة ، ودلف خارج المكان ، وقد اخفاها تحت سترته الفضفاضة ، ويرجع الى صديقه « ممدوح » ويهمس في أذنه ، « اني قد حصلت على شيء ، لم يحصل عليه أحد من أمثالنا ، هيا نخرج إلى النهر لنشرب ويسكي .. ها ها . » .

يخرجان وينطلقان إلى النهر ، ويجلسان على ضفته ، كان ماء النهر الجاري يعكس البدر ، وبدا لهم وكأنه يرقص للعرس أيضا .

يفتح حمزة القنينة بشهية ، ويعب منها جرعات سريعة ، فأحس أن جوفه وحلقه يحترقان ، وغاثت نفسه ، وكاد يرمي على الارض الجرعة الاخيرة ، إلا أنه أراد ان يورط صديقه فيما تورط فيه ، فيصيح « الله !! ما أطيبه لهذا السبب كانوا يخفونه إلا عن بعض !! قاتلهم الله !! »

يخطفها ممدوح منه ، ويفرغ منها جرعات في جوفه ما لبث ان بصق شيئا منها على الأرض ، وهو يقول « خدعتني يا حمزة !!»

ويضربه ، إنهما اعتادا أن يمزحا باللكمات والركلات ، والصراع والمطاردة ، وكان المزاح ينتهي بسلام ، إلا أن هذه المرة اختلفت ، فقد لعبت بهما الخمرة ، نهض حمزة ليرد الضربة بأخرى أقوى منها .

يهرب ممدوح ، ويطارده حمزة ، الذي اخذ يشعر بالتراخي والفتور ، إنه لا يستطيع اللحاق به ، فيستشيط غضبا ، ماذا يفعل ؟

التقط حصاة كبيرة ورماها عليه فتقرع منه رأسه « اخ !!» صاح ممدوح ، وقد كاد يفقد وعيه من شدة

الألم ، فقد احس ان روحه تنتزع من أنفه ، كما تنتزع شعرات غليظة من جلد بشري رقيق ، يفقد صوابه ، ويفلت منه زمام نفسه ، ويرجع إلى حمزة ، ويرفع القنينة التي كانت مرمية على الأرض ويهوي بها على رأسه بقوة كافية لتسكين ألمه ، لكن سرعان ما عاد إليه ألم أقسى منه ، إنه رأى الدم يتدفق من رأس صديقه غزيرا ، وقد سقط على الأرض لا حراك فيه .

يصيبه الهلع ، ويبتعد متراجعا ، وينطلق إلى بيته ، ويأوى إلى فراشه دون ان يكلم احدا .

لم يغمض له جفن ، ما أطولها من ليلة !! لعل ما حدث حلم يزول تأثيره وآثاره عند الاستيقاظ !! لا انه حقيقة ، إن على كمه دما !!

ويمزق نفسه شعوران : شعور حزن على فقد صديقه العزيز إلى الأبد ، وشعور خوف من السجن او الاعدام .

تحبس أنفاس ممدوح طرقات على باب الدار قبل شروق الشمس ، على غير المعتاد ، فاذا بأبي حمزة يسأل عن ابنه ، إنه لم يرجع البارحة اليهم . إن الجميع يعرفون أن « ممدوح » و« حمزة » صديقان لا يفترقان ، ويعرف كل منهما اين يذهب الآخر .

وحينما سأله الاب : اين كانا ؟ ومتى افترقا ؟ أجابه أنهما كانا في حفل الزفاف ، وتركاه حوالي الساعة العاشرة ، وذهب كل منهما الى بيته ، وأيده على ذلك اهله ، بشهادتهم أنه أتى الى البيت مبكرا ، ولم يسهر في الحفل .

لم يمض وقت طويل من الصباح ، حتى شاع في المدينة كلها خبر مقتل حمزة ، ويساق « ممدوح » الى التحقيق . إنه الآن امام موظفين مأمورين غرباء عنه وعن حمزة ، لا ينفعلون بوقوع جريمة ، لأنهم ألفوها ، فلا يتوقع منهم أن يغتاظوا منه ، او يلوموه ، حزنا على مقتل حمزة صديقه العزيز ، فيخبرهم بكل ما حصل بيسر وهدوء ، إلا إنه ما يلبث أن ينفعل ويصيح : « اني لا يهمني بعد السجن ولا الاعدام ، إن الذي يقتلني ويعذبني الآن ، هو فقد صديقي الوفي « حمزة » افعلوا بي ما شئتم ، اعدموني . فاني استحق الاعدام !! » .

ثم يهدأ ويقول بصوت خفيض : « كان عليكم أن تمنعوا أسباب الجريمة ، لا أن تنتظروا حتى يقع احد فيها ، فتطاردونه ، وكأن الأمر لعب اطفال ، ما زالت في المدينة عادات عشائرية ، وحينما تعلم عشيرة حمزة ان « ممدوح » لن تعدمه السلطة ، لأنه لم يكن متعمدا القتل ، استعدت لتثأر لنفسها . أرسلت إنذارا إلى احمد أخي ممدوح الكبير ، ورب العائلة ، إما أن يدفع الدية أو يقتل .

تظلم في عينيه الدنيا ، دنيا بلاد الشمس ، وتضيق عليه أرضها الواسعة ماذا يفعل ؟! انه لا يستطيع أن يطلب من عشيرته أن يساهموا في دفع الدية ، لأنه لم يساهم قط في دفع دية أحد ، ويستحيل عليه ان يدفعها

وحده .
إنه لا يقر العادات العشائرية هذه ، وكان يشعر أن مجتمعه قد نسي دينه وتعاليمه ، وقد استبدلها بتقاليد غريبة ، وتعاليم أجنبية ، فلم يخض مع الخائضين فوجد بمرور الزمن أنه معزول عنهم ، وأحس أنه غريب بينهم ، وكان يعينه على تحمل هذه الغربة والعزلة ، إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا وان طوبى للغرباء فالرسول بشره قبل اربعة عشر قرنا فطوبى له طوبى لأحمد الغريب .
وبعد ليل قضاه ساهرا مفكرا ، قرر ان يغادر المدينة إلى العاصمة حيث لا عادات عشائرية ، وحيث يصعب على أفراد عشيرة حمزة أن يجدوه ، لسعة مساحتها ، وضخامة عدد سكانها .
ويرحل احمد صباح اليوم التالي إلى العاصمة لاجئا إليها ، هاربا من القتل ظلما ، على يد إخوانه بني قومه ووطنه .
ويضاف إلى غربته غربة أخرى ، غربة الديار والوجوه ، ما أثقل ان يضطر الانسان ان يعيش غريبا .
إنه الآن مشرد ، شردته تقاليد ظالمة .
ولم تكد تدخل السيارة العاصمة ، حتى سمع ضجيجها ، ورأى زحامها وينظر من خلال نافذة السيارة إلى شوارعها ، فيرى الناس مزدحمين على دور اللهو الباطل ، وحانات الشراب الحرام ، يدفعون النقود بسخاء بينما رأى الجوامع خالية ، مع أن دخولها بالمجان ، وبلا تذكرة ، فيذكر المثل الشعبي : « الجنة بالمجان ، وجهنم بفلوس » .
وتثير انتباهه لافتة كتب عليها « معرض فلسطين » احس برغبة جامحة في زيارته ، فنزل وأسرع إليه .
ويدخل المعرض ، ويرى صورا ورسوما لمآسي فلسطين ، لمشرديها وأيتامها وثكالاها .
خرج تلك الساعة بروحه عن دنياه ، وعاش فيها مع مظلومي فلسطين ، وشهدائها ، ومشرديها ، ولاجئيها ، من أطفال وأمهات ، ونساء وشيوخ في أسمال بالية ، وقد بان الوسخ والبؤس عليهم ، وملأ كيانه حزنا بكاء هؤلاء الأطفال وتأوهات وأنين هؤلاء النساء والشيوخ ، إخوانه في الدين والقومية والمصير ، وتلسعه قهقهات الصهاينة ، تتعالى لهروب هؤلاء وتشردهم ، فيمتلىء حقدا وحنقا عليهم .
وترجع إليه روحه بواقعه فيبكي .
« اني والله لاجىء مشرد مظلوم مثلكم » .
وينصرف ذهنه إلى ما يحدث بين العشائر العربية ، بعضهم يثأر من بعض ، ولا يثأرون لهؤلاء المظلومين من عدوهم الأكبر ، الذي لو استطاع لفعل بهم ما فعل باخوانهم الفلسطينيين ، ما أشد غفلتهم عن عدوهم المشترك ، لكن لماذا لم تهزه النكبة من قبل ؟! عجبا !! ما كان أغباه وأقسى قلبه !! إنه سمع كثيرا عن نكبة فلسطين وتشرد اهلها ، واحتلال القدس .
حدثته نفسه أن يركع أمام فلسطيني

في المعرض ، ويطلب منه الصفح ، ويقدم اليه نفسه فداء لفلسطين ، ويقول له : « إننا ظلمناكم كما ظلمكم العدو ، إننا نتخاصم فيما بيننا ونتباعد والعدو ينكل بكم ، ويشردكم ، إننا نحتفل فرحين ، ونرقص ، ونغني ، ونشرب منتشين ، وأنتم تتصدق عليكم الامم الغرباء ، إن هذا ذنب لا يكفر عنه إلا ببذل النفس » .

لم يعد « أحمد » يرى شيئا ، فالدموع حجبت عنه الرؤية ولم يعد يسمع شيئا ، فبكاء المشردين ، وعويلهم وأنينهم ، صم أذنيه ، وكذلك قهقهات الصهاينة .

لم يطق المكوث في المعرض ، أمام تلك الصور والرسوم ، أكثر من ذلك ، فيخرج ويجد مكانا خافت النور خاليا ، فيجلس ويفكر .

أيذهب الى عشيرة حمزة ، ويقول لهم : لماذا يقتل بعضنا بعضا ويشرد أحدنا الآخر والعدو يظلم ويشرد ، ويقتل إخواننا في فلسطين ، ويحتل أراضيهم ، لا إنهم سيطلقون عليه النار حالما يرونه لا بد انهم سمعوا بهروبه منهم ، إنه لم يعد يهاب الموت ، لكنه لا يريد أن يقتله اخوه ، انه يريد أن يقتله صهيوني ، وهو يجاهد لتحرير فلسطين المقدسة ، فلينطلق الى المعرض ، ويطلب من الفلسطينيين العاملين فيه ، ان يقبلوه فدائيا في صفوفهم باسرع وقت ، قبل ان يقتل بعيدا عن فلسطين ، فباب التطوع مفتوح .

يقف بجانب احد العاملين في المعرض ، بدا عليه في نحافته وشحوب لونه ، انه فلسطيني . أراد ان يكلمه ، لكنه لم يستطع ، فقد خنقته العبرة ، ويبتعد عنه ، ويسترجع سيطرته على نفسه ، ويقف بجانبه مرة اخرى ، ويمد يده الى ذراعه ليثير انتباهه ، لكن يده لم تصل اليها ، ويفتح فمه ليكلمه ، إلا أن كلامه لم يخرج من فمه إلا همسا .

« حق له ألا يسمعني بعد كل ما أصابه ، وأصاب وطنه ، وأهله ، واقرباءه وأصدقاءه » .

وينطلق خارج المعرض ويبكي حتى تجف دموعه .

وبعد قليل يرجع إلى الفلسطيني ، ويقف هذه المرة أمامه بحيث نظر إليه الفلسطيني نظرة تساؤل : ماذا يريد ؟

اراد « أحمد » ان يجيب : « إني اخوك يا مظلوم .. إني عشت — والله — الآن نكبتك ، وعرفت مرارتها ، فلم اطق إلا ان اشارككم الجهاد ، ما أعذب ان استشهد في قضيتكم !! إني اريد ان اربط مصيري بمصيركم ، إما أن أقتل ، وإما ان نحرر معا فلسطين ، وأكون فيها مواطنا بينكم ، نبنيها دولة عربية مسلمة ، شامخة ، لتكون رمزا لانتصار الحق على الباطل ، وعبرة للظالمين ، وطريقا للمظلومين »

إلا أنه لم تخرج من فمه الا : « أريد أن أكون فدائيا معكم » وكأنها حين خرجت من فمه ، قد رفعت عن كاهله جبال الهموم ، واثقال الشعور بالذنب .

الإسلام وأثره في رقي الفكر الإنساني

للشيخ/ سليمان احمد التهامي

بني دين الاسلام القويم على دعائم راسخة من الكمال العلمي الذي أطلق العقول المتردية في غياهب الظلمات من قيودها لتنهل من العلوم والمعارف ما هي مستعدة له بمقتضى فطرتها ، لذا حارب الاسلام الجمود المزري بكرامة الانسان ولم يكلف الناس شططا ولم يمتحنهم بألغاز تعلو على العقول بل جاء رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم بشرع أبين محجة ، وأقوى حجة يتمشى مع مقتضيات الفطرة ويعتمد على سلطان العقل كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي » وليس بعد هذا البيان الناصع قول لقائل ولا حجة لمكابر .

فالاسلام تجاوز ما جاءت به الشرائع الحديثة اذ يجعل حرية الفكر واجبا على كل مفكر ولم يجعلها حقا له فحسب ، فقد جعل الفكر والنظر

أساس التدين ونهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم أمر العقل . ولم يكن ليكتفي في تعليم العلم بمجموعة من الالفاظ تلقن للناس فيتلقونها من غير بحث ولا تفكير ، ويدخرونها في أذهانهم دون جدل أو مناقشة ، وانما اراد من العلم ذلك النوع البرهاني الذي يرتكز على الادلة ، ويعتمد على معرفة الاسباب وربطها بمسبباتها ليعرف المتعلم الى أي غاية يقصد وإلى أي نهاية ينتهي ، فكانت سنة القرآن في تعظيم العلم المبنى على البرهان سنة فريدة لم يسبق اليها وبلغ من تعظيمه لذلك العلم أن قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى والنهي عنه وهو اكبر الكبائر واظهر ضروب الكفر ، ومع ذلك فلم يشأ العليم الخبير أن يترك النهي عن الشرك من غير دليل ولا برهان بل أمر باتباع البرهان فقال جل شأنه : **(قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)** الاعراف/٣٣ . فالله تعالى يأمر الناس أن ينظروا في الحجة قبل أن يعتنقوا المبدأ ، لان المقصود من السلطان في الآية الكريمة على ما يقول المفسرون هو الحجة والبرهان .

وقد أجمع العلماء على أن من قلد في الايمان بالخالق لا يقبل منه ايمانه ، ولا تسلم له عقيدته وأن كل ذلك مردود عليه حتى يذعن ببرهان ، ويعرف كيف يقيم الحجة على صحة ما يعتقده ، عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم .

حتى في الفروع التى لا تتصل بأصل الايمان ، لا يليق بالانسان الا أن يكون مستقل المذهب حرا في تفكيره ، أما تقبل آراء الناس من غير تنقيح ولا تمحيص فلا ينبغي لمسلم مهما كان حاله ، فانه وان تجرد عن العلم لا يتجرد عن الفطرة ، وكل امرىء بفطرته يستطيع أن يفهم ويناقش حتى يصل الى ما تستريح له نفسه ، ويطمئن اليه ضميره ، كما يقول ابن عبد البر ، اذ يشرح العلم عند المسلمين فيقول : « حد العلم عند العلماء والمتكلمين هو ما استيقنته وتبينته وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه ، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليدا فانه لم يعلم » .

والفرق بين التقليد والاتباع فرق بين ، لان الاتباع هو أن تتبع القائل وأنت على يقين من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا تتبين وجه القول ولا معناه وتأبى قول من سواه ، وان تبين لك خطأ من اتبعته ، فأنت ترى رأيه غير معتد بما خالفه من آراء أظهرت فساد قوله ، وهذا يحرم القول به في دين الله تعالى .

ولعلك تعرف أن من اصول النصرانية الايمان بغير المعقول ، فالايمان عندهم منحة لا دخل للعقل فيها ، ومن الدين عندهم ما هو فوق العقل ، بمعنى انه يناقض احكام

العقل ، ومن ذلك فيجب الايمان به .. فكأن الفهم عندهم ليس وسيلة الى العقيدة ، وانما هو نوع من شغل القرائح بما يتسلى به الانسان ويفني فيه وقته بدون طائل .

قارن هذا بما ورد في أصول الاسلام الصحيحة التي جعلت العقول في متسع لا يحده أفق وأباحت للاذهان أن تبحث وتستقصى بلا حرج ولا نكير ، بل جعلت الانسان مكلفا أن يبذل طاقته في الوصول الى الحق ، وليس عليه بعد ذلك من حرج ما دام قد صرف عقله فيما خلق له وهو البحث والتنقيب ، فاذا وصل الى الصواب فبها ، والا فهو من الناجين ، وقرر العلماء في ذلك أن من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد واخطأ فله أجر .

وقد كان اسلوب الكتاب الكريم خير داع الى هذه الحرية ، حرية الفكر والعقل واكبر باحث للعاقل على اتباعها ، حتى ان من يمعن النظر في آيات الله يرى أنه من الاثم أن ينظر الانسان الى الاحياء والاشياء المحيطة به من غير أن يفهم أصلها ومصيرها ومنتهاها ويسائل نفسه كيف خلقت ؟ والى أي غاية تسير والقرآن الكريم ازدرى هذا السلوك الذي يجعل الانسان يفني عمره في غفلة وضلال دون بحث وتمحيص فيما يحيط به ، قال تعالى : **(وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)** يوسف/١٠٥ .

وجاء كتاب الله وسنة رسوله الكريم بمباديء تتسع في معناها وتبعد في مرماها ، حتى لا تضيق بحاجة ذرعا . ولا تأبى على الناس اصلاحا أو نفعا ، وذلك المسلك يوحي الى الناس أن يكونوا أحرارا ليفهموا ما يصلحون به وليهتدوا الى ما يبتغون من الحياة النافعة والعيش الهنيء ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم **(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته)** ص/٢٩ . فهداهم بذلك كله الى أنه يجب عليهم أن يفقهوا حكمة ما خوطبوا به ، وجه كونه مصلحة لهم ، ووسيلة لسعادتهم ، وتركه مدرجة لفسادهم وشقاوتهم : **(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)** يوسف/١٠٨ . ثم وصف من اتبعه بقوله تعالى : **(والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)** الفرقان/٧٣ .

أطلقت هذه الآيات وأمثالها عقول المسلمين وتفكيرهم ، وحررت افكارهم من غبار الماضي السحيق الذي طمث على افئدتهم .. فأخذت النفوس تنعم في رغد هذه الحرية التى طال انتظارها لتعطي للانسان برهانا صادقا فيما حوله من عظمة وقدرة الخالق عز وجل .

وكان من آثار هذا التفكير أن ظهر في المسلمين علماء لا يشق لهم غبار في الشرائع والادب والعلوم ، وانتهى أمرهم الى أن كانوا أساتذة العالم في عصرهم . ونشأ فيهم التسامح ، فلا يبغي أحد على أحد بغير سبب ، ولا يخاصمه بدون حجة ، حتى ان خلفاء

المسلمين أنفسهم وقد كانت الدنيا بقبضتهم لم يكونوا ليكرهوا أحدا على اعتناق مذاهبهم أو الاخذ بآرائهم ، فلم يظلموا الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

روى أن عمر بن الخطاب رفعت اليه مسألة رجل توفى وترك جده واخوته فاستشار فيها ، وهنا يروي زيد بن ثابت حواره مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيقول : ـ كان رأيي يومئذ أن الاخوة أحق بميراث أخيهم من الجد ، وعمر بن الخطاب يرى يومئذ أن الجد اولى بميراث ابن ابنه من اخوته ، فتحاورت أنا وعمر محاورة شديدة ، فضربت له في ذلك مثلا فقلت : لو أن شجرة تشعب من أصلها غصن ثم تشعب من الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع خوطين أقرب الى أخيه من الاصل ؟ ثم ما زلت اعد له واضرب له الامثال ، وهو يأبى الا أن الجد اولى من الاخوة ، ويقول : والله لو أني قضيته اليوم لبعضهم لقضيت له للجد ، ولكن لعلي الا أخيب منهم أحدا ، ولعلهم أن يكونوا كلهم ذوي حق .

وقد كان عمر يستفتي في المسألة فاذا أفتى وقيل له ان فلانا أفتى بغير رأيك يقول : لو كنت أردك الى كتاب أو سنة لفعلت ، ولكنني أردك من رأي الى رأي وهذا لا يجوز ، فاذهب وخذ بما تراه .

وقد نقل عن الائمة الذين كانت مذاهبهم مدارس يأوى الناس اليها أنهم حثوا على ممارسة حرية الفكر والنقاش ، يأخذ الواحد منهم ويعطي رأيا .. لا يبالي منزلة كبير ولا سطوة جبار .

فقد حكى ابن القيم عن ابي حنيفة وابي يوسف أنهما قالا : لا يحل لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه .

وروى عن مالك أنه قال : « انما أنا بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » . ومن البلاء أن يقنع المسلم برأي لا يعرف حجته ، أو يقف عند مذهب وقد كشفت الايام عن فساده ، وهو يقرأ في كتابه المبين ما نعى الله على الجاحدين الضالين : **(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)** النجم/٢٣ .

وقد تواترت الرواية عن الامام مالك أنه قال له الرشيد : انه يريد أن يحمل الناس على مذهبه ، فنهاه عن ذلك وقال : ان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وهم يحملون الاثار عن الرسول فدعهم ومذاهبهم .

فهل هناك دليل اقوى من ذلك على استقلال الفكر ، وابعد مدى في طريق الحرية ؟ وليت شعري هل في حلقات العلم ومراكز الابحاث الان من يستدركون على شيوخهم أو يخالفون اساتذتهم كما كان يفعل المسلمون من قبل !!.

ولا ريب في ذلك فقد كان الشافعي عليه رضوان الله يقول : ان الماء اذا بلغ قلتين بقلال هجر لا ينجسه شيء

يقع فيه ، أما اذا كان دون هاتين القلتين فان كل نجاسة تقع فيه تذهب عنه حكم الطهارة وان لم تغيره . فاستدرك عليه الغزالي وهو من أتباعه ، ورد هذا المذهب واطال في مناقشته في كتابه الاحياء ، وقال : ان الذي يراه أن الماء القليل الذي لا يبلغ القلتين لا ينجسه شيء يقع فيه الا اذا تغير ، وخالف مذهب امامه وتركه الى مذهب مالك .

وروى البيهقي أيضا بسنده الى الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت .

ومن قرأ تفسير الكشاف للزمخشري يرى أن صاحبه يخالف مذهبه الحنفي مسائل اتباعا لما فهمه من القرآن :. ومن ذلك ما يقول الحنفية في الصعيد الذي يتيمم منه الانسان ، فقد قال رب العزة تبارك وتعالى : **(وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً)** النساء/ ٤٣ . وهنا يختلف الفقهاء في فهم الصعيد ، فيقول الشافعي انه التراب الطاهر ، ويقول ابو حنيفة : كل ما علا وجه الارض وان كان صخرا ، على تفصيل له في ذلك ، ثم لا يقنع هذا الرأي الزمخشري وهو يتبع ابا حنيفة فيعترضه ويفنده ويقول في تفسيره اذا كان المراد من الصعيد وجه الأرض وان كان صخراً ، فما تصنع بقوله تعالى في سورة المائدة : **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)** أي من الصعيد ، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه .

ويورد الزمخشري جواب الحنفية على هذا السؤال ، فيقول : قالوا ان « من » في الآية الكريمة لابتداء الغاية وليس المقصود أن الانسان يمسح وجهه ببعض التراب . ويرى أن هذا الجواب قول متعسف ، وأنه لا يفهم من قول العرب : مسحت برأسي من التراب أو من الماء الا أن الممسح يمسح ببعض التراب أو الماء .. وهذا عنده هو الحق .

والاسلام لا يقصد من الانسان الا أن يكون حرا في بحثه ، وأن عليه أن يرفض كل علم لا ينبني على البرهان الاكيد ، وأن يطرح كل قضية لا تقوم على الحجة جانبا ، ولا أدل على ذلك من آيات كتاب الله الكريم التى تكثر من ذكر الادلة والبراهين وتنبه العقلاء وترشدهم الى التمسك والاخذ بما انزل من عند ربهم قال تعالى : **(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)** النساء/ ١٧٤ وقال جل شأنه : **(ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)** المؤمنون/ ١١٧ .

فنراه قيد الوعيد على الشرك بأنه لا برهان لصاحبه يحتج به ــ وفي ذاك أيضا تعظيم لامر البرهان وتعجيز لاهل الشرك عن اقامة الحجة على شركهم .

وقد أقام المولى جل شأنه البرهان

العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والارض : **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** الانبياء/٢٢ . وبقوله : **(اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)** المؤمنون/٩١ .

وقد روى القرآن أن المولى عز وجل علم رسله السابقين أن العلم هو الذي يسنده البرهان ويدعمه الدليل فقال في قصة ابراهيم عليه السلام وهو يحاج قومه : **(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون)** الانعام/٨١ .

وما أخبر به المولى جل شأنه أنه يكره الجدل بغير برهان ، ويمقت الاعتقاد بغير حجة ، لان ذلك فيه اهدار لحرية الفكر وضرب من ضروب القهر الذي يفرض على العقول ، ولا أثر له الا فقدان الانسان لحريته في التفكير وتقييد للقدرات التى وهبها الله له دون سائر المخلوقات ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : **(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا)** غافر/٣٥ ، وقوله تعالى : **(ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه)** غافر/٥٦ .

كان الاسلام بحق دين الفكر والبرهان لا دين التسليم والاذعان وآيات كتابه الكريم جاءت بأفضل مبادىء الحرية في الجدل البناء وأقوم الاصول لاستقلال الرأي ، وكان بحق واضع تلك الاسس والمبادىء ، وله الفضل العظيم في غزو مواضع الاقناع من العقلاء تعليما لهم وغرسا لاصول الحرية في نفوسهم ، مما كان له الاثر الكبير في رقي طرق التفكير وصولا الى سبيل أهدى وأقوم ، تلك السبيل التى انتهت بالعلماء المسلمين الى أن نقلوا آراء الفلاسفة من جميع الاديان وناقشوها مناقشة لم يسبق لها مثيل ، بدا فيها الموحدون الذين يقفون عند ظواهر النصوص والامور ، بجانب الفلاسفة الذين يبحثون ويتكلمون في الماديات ومبدئها ونهايتها ومظاهرها وغايتها . واتسع هذا الجدل الذي شمل (الغزالي وابن رشد وابن سينا والفارابي) وغيرهم ممن اسسوا مذاهب ، ووضعوا نحلا ، وتفرقوا طوائف ، لا يمنعهم سلطان ولا يردهم الا البرهان والدليل ، ثم تسمع منهم بعد ذلك عبارات التسامح مع المخالفين حتى يقول بعضهم اذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط ، ويقول آخر ، كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا ساكن هذه الروضة المباركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يتفق اهل الملة الاسلامية على أنه اذا تعارض العقل والنقل .. أخذ بما دل عليه العقل ، وبقى في النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية .. تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق

معناه مع ما أثبته العقل . وبهذه القاعدة التي قامت على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت أمام العقل السبل المثلى وأزالت من طريقه جميع المعوقات ليسير كل عالم منهم في بحبوحة من فكره لا يخشى أحدا ، عقله رائده وكتاب الله مرشده .

أما اذا أوصدت أبواب الفكر وحجر على العقول ، ووقعت الافئدة في حبائل الاسر ، فمن أين لهم أن يتدبروا آيات الله ويستفيدوا بما فيها من واسع المعنى وصادق المغزى ؟.

وقد أرسل نبي الله معاذ بن جبل الى اليمن وسأله بم تقضي ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب الرسول على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي الله .. وفي ذلك ثناء على التفكير والبحث وحض على الاجتهاد وذم للجمود وعبودية الفكر ، وقد ورد في ذمها آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : **(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة/١٧٠ وقوله تعالى : **(واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)** المائدة/١٠٤ . صدق الله العظيم . وقد ذمهم من ناحيتين (احداهما) الجمود على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل ، وليس هذا من شأن الانسان العاقل والفكر الواعي (والاخرى) أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا ميزة البشر في التمييز واستخدام العقل والضمير الانساني للوصول الى العلم والهدى في الدين كما في قوله تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/٣٦ .

ولا ريب في أن المسلمين اذا لم يطلقوا العنان لعقولهم ، ويتمتعوا بحريتهم في تفكيرهم ليواجهوا الدنيا وما فيها من جديد ، سيتخلفون عن الركب والتنقيب عن اسرار الحياة وما أودع الله في خلقه من خصائص تحار فيها العقول الباحثة عن عظمته وقدرته سبحانه وتعالى جل شأنه ، كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه في أبيات يظهر فيها ضعفه وقلة حيلته أمام اعجاز القرآن الكريم وعلم الرحمن الرحيم .

كلما أدبني الدهر
أراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما
زادني علما بجهلي

فعلينا الاخذ بكتاب الله وسنة رسوله لنتبصر بآياته ولنهتدي بهديه ، لترقى عقولنا وتنعم نفوسنا بحرية الفكر والعلم ، وما ربك بظلام للعبيد : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)** العنكبوت/٤٣ .

النمو الخلقي

للدكتور/عبدالرحمن عيسوي

مفهوم الاخلاق :ــ

ينبغي تحديد المقصود باصطلاح « الاخلاق » فهل الاخــلاق هي ما يقرره المجتمع حتى ولوكان خطأ ، أم أن الأخلاق هي ما يعتبره الفرد عدلا وشفقة وايثارا وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة ؟ لا شك أن مفهوم الأخلاق كمفهوم نابع عن المجتمع هو مفهوم دينامي في طبيعته ، بمعنى انه يتغير من جيل إلى جيل ، ومن مجتمع إلى اخر ، وينمو ويتطور أو يتعدل .

ويعرف « هادفليد » الاخلاق فيقول :

« هناك معنيان عريضان لمصطلح « الأخــلاق » أحدهمــا : بمعنــى الامتثال لمعايير المجتمع وعاداتــه ، والمعنى الآخر : هو اتباع الغايات والأهداف الصحيحة » .

النوع الأول : يجعلنا آليا نتبع العادات ، ونمتثل للسلوك الجماعي ، ونرعى التقاليد الاجتماعية ، وطبقا للمعنى الثاني فان الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والأمانة تعد خيرة في

ذاتها ، وينبغي اتباعهـا ، بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره ، والأخلاق بمعنـى الامتثـال لقيـم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر .

ويستخدم أحيانا اصطلاح الخلق ليعني السلوك الخلقي ولكن اصطلاح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلقي الفعال لكل قوى الفرد ، ويشير إلى الاستعداد « النفسيفيزيقي » الدائم الذي يقمع البواعث تبعا لمبدأ تنظيمي معـين . ومعنـى هذا الاشارة إلى الأخلاق كخلق داخلي يكمن في داخل الفـرد نفسه ، وهكـذا نرى أن اصطلاح الخلق يشير إلى سمـات الشخصية أكثـر من إشارتـه إلى الأخلاق التي تتضمن قوة إراديـة كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . وتهتم الأخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الارادية وأهداف كفاحه واتجاهاته .

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما ، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر ، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر ، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فالمبادىء التي تصلح للمجتمع الاشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأسمالي ، كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطـي تختلـف عن أخلاقيات المجتمـع الديكتاتـوري ، فالفرد الذي يعيش متكيفا في مجتمع رأسمالي يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعي مثلا . وطبقـا لوجهة النظر « الامتثالية » ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التي ينتمي إليها حتـى يعيش في سلام ووئام معها ، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المبـادىء الخلقيـة « المطلقة » العامة التي تصدق في كل مكان وزمان ، ومنها الصدق والأمانة والولاء ... الخ

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات ، وتصلح للتنبؤ بالسلـوك المقبـل . فالنمو الخلقي لدى الطفل يسير من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيـد بالمبـادىء الخلقيـة والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل ، وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجيـة أي صادرة من الخـارج ، من الآبـاء والأمهـات والمدرسين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل ، ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء واكتسابها ، وبذلك تصبـح معايير الطفل نفسه .

الأنماط الخلقية :

يصنف الناس أحيانا إلى أنماط خلقية مختلفة تبعا لنوع الأخلاق الذي يتبعونه :

١ ــ النمط النفعي وفيه يسلك الفرد فقط سلوكـا خلقيـا للحصول على

أغراضه الذاتية .

٢ ــ النمط الامتثالي وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون ، وما يقولون إنه ينبغي عليه أن يعمله .

٣ ــ النمط العقلي أو النمط ذو الضمير الحي وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ .

وتبعا لهذه المعايير يحكم على تصرفاته ، وهو نمط إيثاري ويمثل أعلى مستويات الأخلاق . وله مجموعة من المبادئ الخلقية الثابتة المستقرة والتي توجهه ، إنه عقلاني وواقعي في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس . وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات او التأويلات الخلقية لأنه يتبع « حرفية » القانون الخلقي ، اما الشخص النسبي في مذهبه الخلقي فانه يأخذ في الحسبان النوايا والدوافع والاصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله ، وكما يقول فروم في ضوء الاخلاق السلطوية تضع السلطة ما هو خير للانسان ، وتضع القوانين والمعايير للسلوك ، أما في الأخلاق الانسانية فالانسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذي يضع هذه المعايير ، إنه مصدر المعايير والمسؤول والمنظم ، وهو أيضا الموضوع الذي تنطبق عليه هذه المعايير .

خصائص الفكر والسلوك الخلقي

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادئ الخلقية أو خصوصيتها بمعنى هل يكون الطفل الأمين في البيت أمينا في المدرسة ، وفي النادي ، وفي العمل ، وفي الامتحان ، وفي اللعب ، وفي جميع المواقف والأماكن ، أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذي يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى « الغش » مثلا ؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته ؟ لقد دلت دراسة هارتشون وماي (سنة ١٩٢٨) على عدم وجود ارتباط ذى دلالة بين الغش في المدرسة والغش في المنزل ولكننا إذا أخذنا الأخلاق بمعنى الشعور بالذنب لتجنبنا الصعاب الناتجة من الاتجاه الامتثالي السلوكي ، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للاغراء ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لامتلاكه معيارا داخليا .

يسير الطفل في بدء حياته بمنطق « اللذة » أي إنه يميل إلى تكرار السلوك الذي يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم . ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين اللذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل ، فالطفل الصغير لا يسرق لأن « ماما » تقول : لا تسرق ، ولأن السرقة تغضب « ماما » .

وهنا ينبغي أن نتساءل عن العوامل التي تؤثر في مجرى النمو الخلقي ؟

العوامل المؤثرة في النمو الخلقي :ــ

لقد تساءل كثير من الكتاب : هل

يرجع السلوك الخلقي إلى الوراثة أم إلى البيئة والاكتساب ؟ يحتوي التراث السيكولوجي على كلا الاتجاهين : أي الاتجاه الوراثي والاتجاه الاكتسابي ، ومن بين الدراسات العديدة التي تؤيد العوامل الفطرية في الأخلاق دراسة الأسر التي انتشر الجنوح والاجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة عبر الأجيال المتعاقبة ، ولقد افترض قديما بعض العلماء وجود حس خلقي داخل الانسان ،

ولكن إذا كان للأخلاق حس مستقل ، فأين يقع هذا الحس من الجسم ؟ وفي غضون القرن ١٨ سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لاصابة الفرد بمرض ما ، فانه يفقد حسه الخلقي ، بينما تبقى قواه العقلية سليمة ،

وأطلق على هذه الحالة المرضية اصطلاح الجنون الخلقي ويفترض هنري مودسلاي ان معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقيا في القوة الخاصة بتكوين الحس الخلقي ، وكان يعتقد أن معظم الأطفال موهوبون عقليا ، ولكنهم يعانون ضعفا خلقيا ، وأن هذا الضعف الخلقي الموروث يبدو أنه ينتشر في أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة . ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيرا من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنوح ، وكان لمبوروزو يعتقد بوراثية الاجرام . ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزودا بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات الخلقية المحددة كالأمانة والصدق ، ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسؤولياتهم إزاء تربية الطفل تربية خلقية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم ، وإنما إلى نقص وراثي أو فطري لا يمكنهم التغلب عليه .

يقول مكدوجل ، مؤيدا الاتجاه الوراثي للعقل البشري ، إن هناك نزعات فطرية أو موروثة هي المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك ، وهي الأساس الذي تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمم بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية .

أما فرويد فيرى أن غريزتي الجنس والمحافظة على الذات هما العنصران الأساسيان في الدافعية الانسانية وتتضمن غريزة المحافظة على الذات ، من بين ما يتضمن حماية معايير الفرد الخلقية والاجتماعية ويفترض آدلر وجود نزعتين مسؤولتين عن ارتباط الانسان بأخيه الانسان وهما :

١ ــ الرغبة في القوة الشخصية والسمو .

٢ ــ الشعور الاجتماعي .

ولكن مثل هذه الاتجاهات التي تختزل الدافعية الانسانية في شكل عامل أو عاملين تبالغ في تبسيط التنظيم الدافعي في الانسان ، وهو تنظيم بالغ التعقيد وفي مجال تأييد وجهة النظر الوراثية في نمو القيم الخلقية ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والاناث في

الأخلاق . فلقد وجد أن الاناث أكثر تأثيرا بالنداء الانفعالي في الحياة الدينية ، بينما الذكور أكثر جذبا بالشرف والعقاب الخلقي والنشاط الاجتماعي . وبالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد (١٩٣٧) حقنا من الهورمون المنشط للذكورة لعدد من الصبيان الصغار ووجدا زيادة واضحة في العدوانية في كل العلاقات الاجتماعية ، كذلك أعطى كلارك وبرش هرمونات ذكورة وانوثة لقرد ذكر ، ووجد ان الهرمون الذكري يؤدي إلى زيادة السيطرة الاجتماعية عند الحيوان وأن الهرمون الانثوي يؤدي إلى خضوع الحيوان ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية في الذكور عنها في الاناث . وفي مجال الفروق الجنسية في الأخلاق أيضا هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور ـ هات ، حيث وجد أن الاناث يلقين أكثر من الذكور كثيرا من الأكاذيب التقليدية مثل :

أمي ليست في المنزل

أنا سعيدة لرؤيتك

لقد قضيت وقتا ممتعا في حفلتكم

مثل هذه الأكاذيب اعتبرتها نسبة أكبر من البنات عن البنين « ضرورية » كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنات الأكاذيب الاجتماعية « ضرورية » (نسبة ٣٢٪ في مقابل ١٨٪ من الذكور) ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية « الكذب للاحتفاظ بالأسرار » و « الكذب حماية من الغرامة » وما إلى ذلك .

وفي دراسة شيلي (١٩٣٨) التي تناولت ٨٠٠ طفل تتراوح أعمارهم من ٩ ـ ١٦ سنة وجد الذكور أكثر عدوانا وسيطرة واقل خوفا واكثر تفاخرا عن الاناث اللائي كن اكثر شكا وخيالا ، وأكثر خضوعا وطاعة للضوابط الاجتماعية ، ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الاناث في الأحداث الجانحين تساوي ٦ ـ ١

ولكننا يجب أن نلاحظ أن هناك فروقا كبيرة في نوع الجرائم التي يرتكبها أفراد كل جنس ، كذلك هناك فرق في المستويات الخلقية التي يضعها المجتمع على أفراد كل جنس ، فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحا في قبول المخالفات التي يرتكبها الولد الذكر . كذلك فانه يفترض أن الأب ـ أكثر من الأم ـ هو الذي يمثل السلطة الخلقية الرئيسية في الأسرة . وأنه أيضا الموضوع الخلقي الذي يتقمصه الولد والبنت على حد سواء إن الأب أكثر تمثيلا للمعايير الاجتماعية وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط في الأسرة .

ويبدو أن الأباء لهم أكبر قدر من التأثير في تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب . ولقد تبين أنه كلما زاد اتصال الطفل التصاقا بالكبار زاد تأثيرهم عليه ، وعلى سلوكه ، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دورا هاما في تنمية الضمير القوي في الأطفال .

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذي يؤدي إلى تنمية الضمير ، أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها

فانهما يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والطغيان والمبالغة في المطالب .

أما الأطفال الذين خضعوا لسيطرة الامهات والتحكم الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافأة لخضوعهم ، أصبحوا منسحبين . ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الاجتماعية في نقل ثقافة المجتمع للطفل ، إنه يكمل وظائف المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، كالحكومة والمدرسة والمسجد ، بل إنه يبدأ في « عمله هذا » قبل أن يبدأ الطفل في الاحساس بدور هذه المؤسسات كذلك تلعب المدرسة دورا هاما في نمو السلوك والقيم الخلقية في الطفل ، فلقد لوحظ أن السلوك الخلقي للاطفال يتدهور عندما تضعف الادارة المدرسية .

العوامل التي تساعد على النمو الخلقي الجيد

١ ــ صحة جسمية جيدة لمقاومة الاغراء وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص ، ومن وجود دوافع الانتقام .

٢ ــ الأمان الانفعالي لامكان الشعور بالحب تجاه الآخرين .

٣ ــ توفير وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير او التصريف .

٤ ــ تدريب مستمر في التحكم والضبط الذاتي للمساعدة في التخلص من البواعث الطفلية .

٥ ــ وجود أفق اجتماعي مستمر الاتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف ، وعلى التسامح ، وعلى التعاطف ، وعلى الفهم ، وتنمية الرغبة الأصلية لتقدير حقوق وواجبات الناس الآخرين .

٦ ــ الطموح نحو الرغبة القوية في عمل الصواب ، بحيث يجد الفرد الشعور بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب . وفي الغالب ما ينمو الطموح نتيجة للتعاليم الدينية .

ولا يمكن تخيل حدوث النمو الخلقي بمحض الصدفة بل إنه يحتاج إلى جهود وأساليب مدروسة ويتطلب تخطيطا دقيقا للمواقف التي تضمن التعاون والضبط الذاتي ونمو روح الجماعة . كذلك ينبغي تشجيع الطفل على تعميم المبادىء الخلقية ، ويمكن إشراك التلاميذ في مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل المسؤولية وتقدير الصالح العام وحمايته . وإلى جانب المؤثرات الخارجية ، ففي مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ونحو تقدير العدالة ونمو الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك عن المبادىء السلوكية المثالية ففي المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو إصلاح العالم ، ونحو البذل والتضحية الذاتية . وينبغي توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجي الحقيقي كما ينبغي إشعار المراهقين بأنهم مرغوبون ومطلوبون كما ينبغي أن يجدوا المنافذ الايجابية لتصريف طاقاتهم الزائدة .

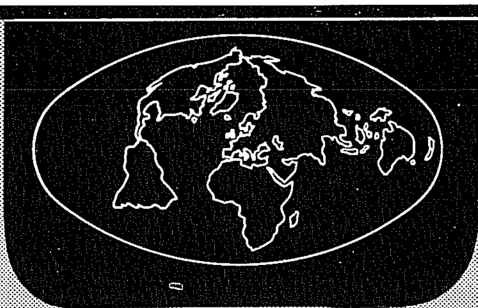
شموع ودموع

قد جئت للكـــون إعلاء وعمرانا تهدى لانسانه أمنا وإيمانا
تروم عالمنا يعلو مراقيه فلا يعيش أسير الجهل حيرانا !
أشرقت تدعو الى الرحمن خالقنا وكيف لا نعبد الرزاق رحمانا ؟
ترى العقيدة أس الأمر أجمعه متى نؤسس صحيحا نعل بنيانا
وعشت تهدى بنى الانسان قاطبة تروي بهديك جيلا كان هيمانا
فاستقبح الناس ظلما كان يرهقهم واستحسنوا العدل تشريعا وميزانا
تفجر الخير في أعماقهم غدقا فأوسعوا الكـــون إصلاحا وعمرانا
رأوا سماحة هذا الدين تجمعهم لله صفا ، وفي الضراء إخوانا
وصار لله والاسلام نسبتهم به نجمل دنيانا لأخرانا !
وأكـــرم الناس أتقاهم وأصلحهم ساوت قريش بهذا قيس عيلانا !

★★★

يا سيد الكون عفوا إذ نظرت لنا نجفو الهدى فتعالى صوت شكوانا
قد أصبح الذهب البراق قبلتنا وصار دينارنا المحبوب مولانا !
به التكـــاثر ملهانا وشغلتنا حتى نسينا زمانا ضم إخوانا !
أيام هاجرت لا تأسى على وطن جفا الهدى وجزى رحماه طغيانا !
ما كان ترك الحمى جبنا ولا هربا بل ارتكـــازا يزيد الحق رجحانا !
فجئت (يثرب) نورا هاديا أمما تهوى الهدى لصلاح الكون عنوانا !
المؤاخاة في تكـــوين مجتمع لم يدر أبناؤه عربا وسغبانا !
كانوا بأخلاقهم أعلام عالمنا سادوا وشادوا به للعز أركانا !
وإن يكـــن مالهم قلا فقد سمحوا فصار من جودهم ذا الكون مزدانا !

على قمة القرن الرابع عشر الهجري



للأستاذ/محمود عبداللطيف فايد

ما قيمة المال إن عاشت مشاكلنا ... ولم نطب به مكـــروه بلوانا ؟
البعض ينفق لم يحفل باخوته ... والبعض يشكو إلى الرحمن حرمانا!
واخجلتي حينما يجري بنا مثل ... للضعف والفقر والنعمى بيمنانا !
يقدم العلم غيري للعلا صعدا ... وكلما زاد عمرى زدت نقصانا !!

★★★

من لى بوحدتنا أو سر قوتنا ... حتى يرى عالمـــي عدلا وإيمانا ؟
من لى بمن جعلوا الاسلام غايتهم ... فراقبوا الله، خافوا منه طوفانا ؟
وكيف نمسك وفرا في خزائننا ... وهذى أرضنا تشكـــو وأسرانا ؟
والمـــاء عن كتب يغرى طوائفنا ... بيتا يؤرقنا من بات ظمآنا !
والمـــال لله إن ثابت مراشدنا ... نعمل لعزتنا ، نزرع لأخرانا !

★★★

لو أن أهل القرى قد أخلدوا لهدى ... ما شاف عالمنا نكسا وحيرانا !
وكيف يفلح قوم مزقوا شيعا ... والله وحدنا في الحق إخوانا ؟

★★★

يا سيد الرسل : يا أستاذ عالمنا ... يا ناجع الطب يا محاء شكوانا !
أرى دموعي على القرطاس هامية ... فأمتي أمتى لم تأل عصيانا !
على شفا حفرة ترنو لتنقذها ... ترجو الغياث ولطف الله رضوانا !

★★★

دامت سطورك ـ مولانا معلمنا ـ ... بدورنا ودواء طب مرضانا
نحل في نورها بالعلم مشكلنا ... ونوسع الكـــون بالايمان عمرانا

كتاب الشهر

حواء وبناتها في القرآن الكريم

تاليف : السيدة أمينة الصاوي

عرض : الاستاذ عاصم الادفوي

مما يؤلم المسلم اليوم ، هذه الغربة المروعة التي تفصم بين المجتمعات العربية والاسلامية عن تاريخها وماضيها ونماذجها الايمانية الأصيلة ، على سبيل المثال ، إذا وضعنا تحت دائرة الضوء ما يقدم لبناتنا ونسائنا من ثقافة ، فماذا نحن واجدون ؟

ـ مع بعض الاستثناءات ، فانك إذا تصفحت مجلة نسائية ، فلن تجد فيها إلا موضوعات من قبيل : أطباق الطعام ، ديكور المنزل ، عروض الأزياء النسائية ، قصص عاطفية أجنبية ، مشاكل القارئات ، وقد تجد حلقات مسلسلة لمذكرات ممثلة من هوليوود أو روما .

ـ وإذا قلبت موسوعة نسائية عن عالم المرأة ، فلن تجد فيها إلا أسماء الأديبات الشقيقات « شارلوت واميلي وآن برونتي » ، والممرضة : الانجليزية « فلورنس نايتنجيل » ، والطيارة الأمريكية « إميليا إيرهارت » ، والمؤلفة الكفيفة الصماء « هيلين كيلر » ، وحتى إذا جاء بالموسوعة النسائية المترجمة إلى اللغة العربية ، ذكر لقلة من النساء العربيات والمسلمات ، فان هذا يأتي من باب دفع الحرج أو (رفع العتب) ، حتى إذا ما تعرض المسئولون عن إصدارها لهجوم من كاتب ذي نخوة عربية إسلامية ، وجدوا ما يدافعون به .

* ومن المؤكد أنك لو سألت طالبة من بنات المدارس الثانوية أو الجامعات والمعاهد العليا ـ باستثناء من تربين ونشأن في بيوت إسلامية ـ عن ماذا تعرف عن : السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أو نسيبة بنت كعب رضي الله عنها ، أو البطلة الفدائية : خولة بنت الأزور الكندي ، لما سمعت منها جملة واحدة مفيدة .

* أما من أوتوا نصيبا وحظا من المعرفة فالغالبية العظمى منهم ، تفوق معلوماتهم عن « جان دارك » الفرنسية ما يعرفونه عن « صفية بنت عبدالمطلب » رضي الله عنها ، أو عن « غزالة الحرورية » البطلة العربية ، وهم يعلمون عن « فلورنس نايتنجيل » بينما يجهلون اسم « رفيدة بنت سعد » الأسلمية الخزرجية ، أول ممرضة في الاسلام .

* **بل إنه من الجلي الواضح أن رجل الشارع العربي يعلم عن الغانية البطلمية « كليوباترا » الشيء الكثير في الوقت الذي لم تطرق سمعه معلومات عن البطلة العربية ـ قبل الاسلام ـ « زينوبيا » ملكة « تدمر » التي امتد ملكها من أرمينيا إلى أعماق الجزيرة العربية .**

* والأسباب التي تقف وراء غربة المجتمعات العربية والاسلامية عن جذورها التاريخية ، عديدة ، وقد شخصها الكثيرون من أساتذتنا وعلمائنا الاجلاء ، وإن كان المجال لا يسمح بتناولها بافاضة ، وما لا يختلف عليه اثنان هو أن الضعف الذي ران قرونا طويلة على المجتمعات العربية والاسلامية ، جعل ثقافتها وتعليمها بيد المستعمرين ، فوجهوها الوجهة التي تخدم أطماعهم وأهدافهم ، وحتى بعد غروب شمس الاستعمار العسكري ، فان الاستعمار الثقافي لايزال يمارس فعله ، واستطاع أن ينجح في تغريب الكثيرين من المثقفين والمفكريـن وأساتـذة الجامعات ، محولا إياهم — إلى أدوات في أيدي بعض المستشرقين ، وطلائع الاستعمار الثقافي .

* ومن الأسباب النفسية الاجتماعية التي تمارس فعلها وتأثيرها في مجتمعاتنا العربية والمسلمة ، الاصابة بالداء الذي يعبـر عنـه البعض بـ « عقـدة الخواجة » ، التي سبق أن كشف عنه « عبدالرحمن بن خلدون » في مقدمته الشهيرة ، حين تحدث عن ولع المغلوب باقتداء الغالب ، فنحن نلحظ أن المتحمسين للثقافة الاسلامية والعربية الأصيلة يلقون بعض الصد الموجه إليهم ، لكن الأبواب تفتح أمام المستغربين عباد كل ما هو وارد من الخارج ، وكل ما ختم بخاتم الافرنج .

* كما أن عناصر أخرى جدت على الموقف الثقافي العام ، ذلك لأن الدول المتقدمة في الشرق والغرب بتملكها لأدوات الحضارة والقوة ، قد صرنا أسرى لاعلامهم وثقافتهم ، الموجهة بخبث إلى العقل العربي والاسلامي ، فهم قادرون على توجيه أموال طائلة لانتاج أفلام أو تمثيليات عن أبطالهم ، وشخصياتهم ، وأمثلتهم العليا ، ونحن لا نفعل شيئا سوى استهلاك هذا الانتاج الفني ، والانصات إليه ، ببلاهة ، وفي توقيت يومي مستمر .

* لكن مع هذه الصورة المحزنة ، ووسط كل هذا الركام ، فان البعض يدافعون باستماتة عن الفكر العربي الاسلامي الأصيل ، ويبذلون جهودهم للعـودة بمجتمعاتنا إلى المسار الصحيح ، فمن هؤلاء ؟

— إنه من يقدم دراسة تاريخية علمية نقدية تجيب على السؤال الحيوي : لماذا استطاع زحف التحرير العربي الاسلامي أن يدمر أقوى إمبراطوريتين ، الفرس والروم ؟ وكيف استطاع المد العربي الاسلامي أن يحرر شعوبا عديدة في عقود قليلة من الزمان ؟

— وإنه أيضا من يقدم دراسة عن أروع صور الحرية الدينية والفكرية والعقلية التي مارستها الحضارة العربية الاسلامية يوم أن كانت مزدهرة ؟

* والكتاب الذي بين أيدينا على صغر حجمه وتركيزه واحدة من الاسهامات الهامة في التخفيف من غربة الثقافة العربية الاسلامية عن مجتمعاتنا ، ذلك أن موضوع « حواء وبناتها في القرآن الكريم » هو أحد الفصول الهامة في كتاب العقيدة الاسلامية ، وهو الفصل الضروري الذي يجب على حواء المسلمة أن تتمثله ، وأن

تعيش حياتها في إطاره ، فماذا تقول المؤلفة في كتابها ؟ :
ــ تقدم المؤلفة للموضوع بلمحة تاريخية تعرض صورا متلاحقة لوضع المرأة الذليل في الحضارات الاغريقية والفرعونية ، ثم نيلها بعض الحقوق مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، لكن لما جاء الاسلام ، تبدلت أحوال المرأة تماما ، وحدث التغير الجوهري في تقدير دور المرأة في بناء المجتمع المسلم ، ومن مظاهر هذا تسمية سورتين من سور القرآن الكريم هما : سورة النساء ، سورة مريم ، وتستفتح سورة النساء بأول آية تقرر حقيقة وحدة النفس الانسانية رجلا كان أو امرأة ، قال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) ، والقرآن الكريم يخاطب المرأة كمخاطبة الرجل ، وهو يساوي بين الرجل والمرأة في العقاب والثواب ، يقول جل من قائل : (**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**) سورة النساء ــ الآية رقم ١٢٤ .

* كما تشير المؤلفة إلى أن القرآن الكريم قد أعطى المرأة كثيرا من الحقوق التي كانت محرومة منها ، كالتملك ، والبيع والشراء ، والتصرف في المال ، وجعل لها القرآن الكريم نصف حظ الرجل في الميراث بعد أن كانت هي نفسها بعض التركة ، وحدد القرآن الكريم للمرأة حقها في العمل ، والتعلم ، واختيار الزوج ، والطلاق إن أساء الزوج معاملتها واستحال عليها أن تعاشره ، وفرض على الرجل أن يحسن معاملتها ، وأن يقدم لها الصداق عند الزواج ، واحتفظ لها بحقوقها في النفقة بعد الطلاق ، والخلاصة ان القرآن الكريم عنى بالمرأة طفلة وابنة واختا وزوجة وأما .

* ثم قدمت الكاتبة عددا من النماذج النسائية التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وهن : حواء عليها السلام ، وهاجر أم العرب ، وأم موسى عليه السلام ، وآسيا المؤمنة وامرأة فرعون ، وبلقيس ملكة سبأ ، وامرأة زكريا عليه السلام ، ومريم أم عيسى عليه السلام ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وخولة بنت ثعلبة ، وامرأة العزيز ، وأم جميل حمالة الحطب ، ففي كل قصة من قصص حواء وبناتها كما رواها لنا القرآن العظيم العبر الغالية ،

ياحبذا لو تدارسها الأباء والأمهات ، ورووها لأبنائهم وبناتهم ، ليحققوا لهم وللأجيال الشابة التربية والتنشئة الاجتماعية الاسلامية العفة ، ليتخذوا منها المثل العليا والنماذج التي تحتذى ، وهي مثل تلفها الطهارة والايمان ، وما أحوج مجتمعاتنا العربية والاسلامية إلى هذه التنشئة الاسلامية التي تصنع لهم ، وتربي فيهم البصيرة المسلمة التي تقودهم بأمان وسط بحار العصر المضطربة .

بأقلام القراء

جمعية الدعوة الاسلامية ـ ببريطانيا



ارسل الينا الاخ منور حسين مشهدي رئيس جمعية الدعــوة الاسلاميــة ببريطانيــا هذا التعريف الموجز عن نشاط الجمعية يقول فيه :

لا يخفى على الجميع ان الجيل الجديد من شباب المجتمع البريطاني حر من كل القيود والقيم وفي معزل عن حقيقة الاسلام ومبادئه وكل ما يمتد اليه بصلة ، بحكم المجتمع التائــه وبحكم التأثيرات الضارة من قبــل المؤسســات التعليمية الغربية التــي اثارت لديهم الشكوك والشبهات حول الاسلام . وبما ان معظم آباء وامهات الشباب المسلم قد اهتموا بالدنيا حتى

صارت لديهم مقصودة بذاتها وشغلتهم اعمالهم ليلا ونهارا عن واجباتهم الدينية وقصروا في تربية اولادهم التربية الاسلامية . لذا صار لزاما على المسلمين الذين تفضل الله عليهم بنعمة العلم والعمل ان يحاولوا ويبذلوا جهودا في نشر الاسلام ويفكروا في تربية هؤلاء الشباب تربية جادة مؤثرة على اسس صحيحة لكي يرفعوا لواء الاسلام في ظلمات اوروبا بدافع من هذا الشعور بالمسئولية اسست جمعية خيرية تسمى « جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا » شعارها رفع لواء الاسلام بين ابناء المسلمين وغيرهم ، وكان ذلك في شهر مايو ١٩٧٤ .

ولهذه الجمعية مركز يسمى « مركز الدعوة الاسلامية » ومقره مدينة برمنغهام ويضم هذا المركز الذي تشرف عليه الجمعية مسجدا . ومدرسة ، ومكتبة ومطبعة وقاعة للمطالعة ودارا للكتب !

□ المسجد : يصلي المسلمون فيه صلواتهم الخمس بما فيها الجمعة . حيث يخطب الخطيب في موضوعات شتى يشرح فيها امور الدين كما تقام فيه حلقات دراسية عامة لتفسير القرآن الكريم وشرح الاحاديث النبوية وذلك بعد صلاة العصر من كل يوم . ونظرا الى كثرة المصلين والحمد لله فقد اعد مشروع توسعة وتعمير المسجد بتكلفة تصل الى حوالي ستين الف جنيه استرليني .

□ **المدرسة** : نظرا للحاجة الملحة والماسة الى تعلم القرآن الكريم والامور الدينية واللغة العربية وهي لغة القرآن عينت الجمعية خمسة اساتذة للتدريس فيها والدراسة تسير فيها على ما يرام والحمد لله .

□ **المكتبة** : تحتوي المكتبة في الوقت الحاضر على كتب دينية ومصاحف وكتب التفسير والاحاديث وغيرها من الكتب المختلفة باللغة العربية والانجليزية والاردية . وتريد الجمعية ان توسع هذه المكتبة باضافة العديد من المراجع الاسلامية اليها .

□ **المطبعة** : اسست الجمعية مطبعة صغيرة كاملة لنشر كتبها ومجلاتها وغير ذلك من مطبوعاتها المستمرة .

□ **قاعة المطالعة** : بما أن وسائل الاعلام المستحدثة قد قربت العالم وجعلت افكار واخبار الدول سهلة التناول ، لذا رأت الجمعية ان تزود قاعة المطالعة بالجرائد اليومية باللغات الانجليزية والعربية والاردية ، الى جانب المجلات الاسبوعية والشهرية وغير ذلك ليستفيد الناس منها .

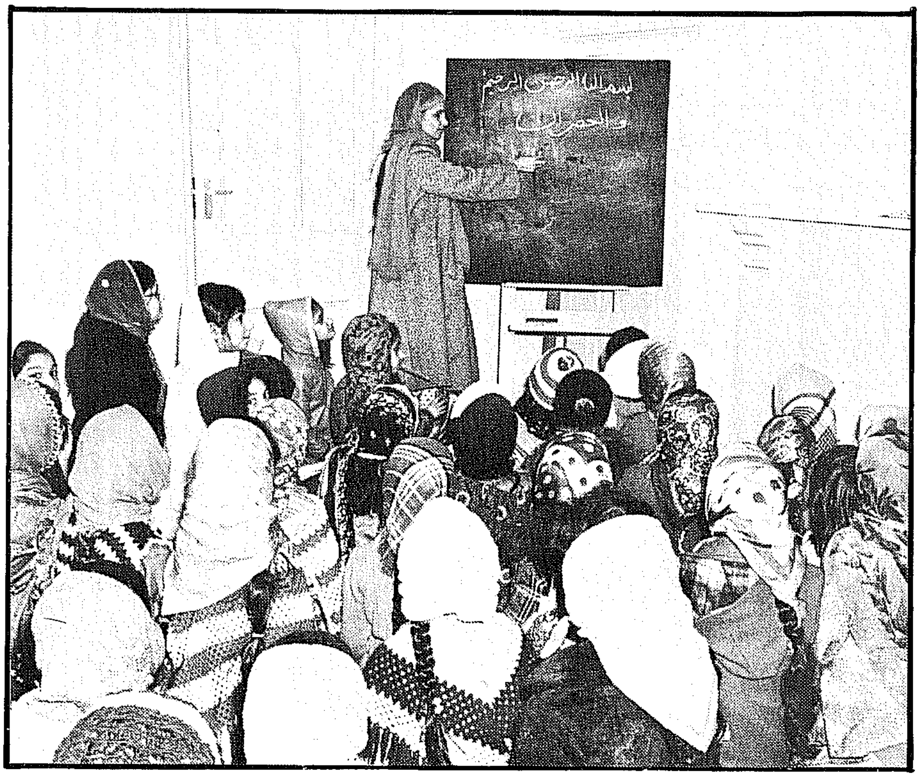
□ دار الكتب : أسست الجمعية هذه الدار نظرا لحاجة المسلمين ومتطلبات المؤسسات التعليمية

والمنظمات الاسلامية ومكتباتها اليها وتباع فيها المطبوعات الاسلامية وتنفق ارباح المبيعات في مجالات الدعوة الاسلامية .

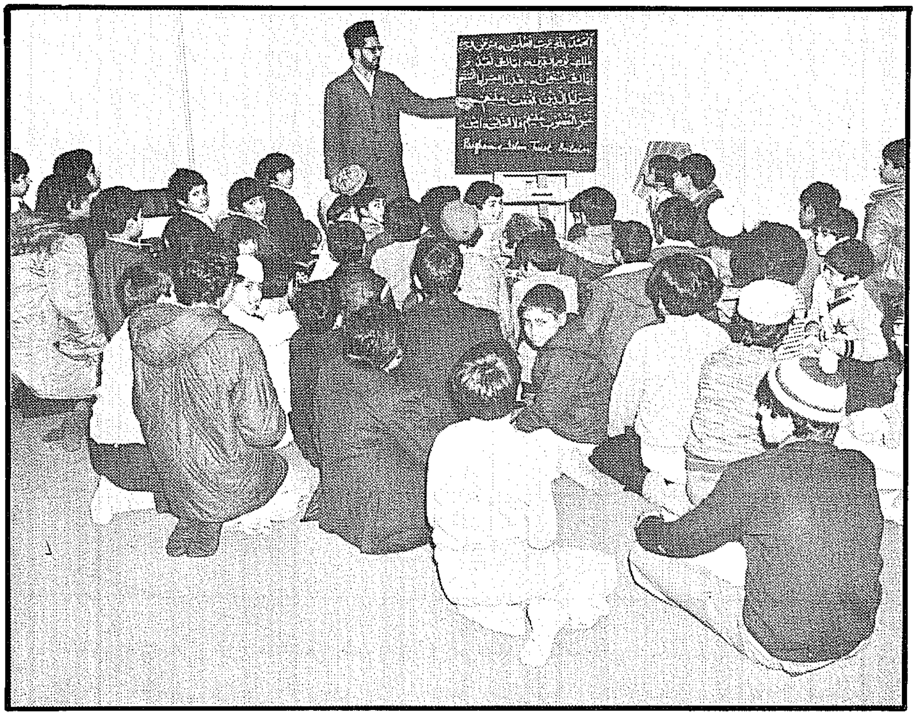
□ المطبوعات التي توزع مجانا :

توزع الجمعية بعض الكتب الاسلامية على المسلمين المرضى والمسجونين والطلبة المحتاجين وعلى غير المسلمين لاطلاعهم على صفاء العقيدة الاسلامية ووضوحها فتندفع بذلك الشبهات التي يثيرها اعداء الاسلام الحاقدين .

□ المجلة الاسلامية : تصدر الجمعية مجلة وهي باللغة الانجليزية للشاب المسلم . وتوزعها مجانا الى جميع البلاد الاوروبية ، والآسيوية والافريقية . وبجانب هذا انشأت الجمعية دائرتين .



مدرسة تدرس بنات المسلمين في مدرسة جمعية الدعوة الاسلامية في مركزها ببرمنغهام .



ـ استاذ يعلم الشباب المسلمين في مدرسة جمعية الاسلامية ببرمنغهام .

الاولى : دائرة الشباب المسلمين وهي تهتم بتنوير عقولهم بالثقافة الاسلامية وايقاظهم وجهود الشباب في مجالات الكتابة والخطابة وتعهد اجسامهم بالتدريب ليكونوا اقوياء البنية .

لذلك تضع الجمعية برامج عديدة في هذا الصدد وتعقد المسابقات وتوزع الجوائز .

والثانية : دائرة النساء المسلمات وهي منظمة تقوم بتربية النساء والاطفال وتعليمهم وتعقد هذه الدائرة اجتماعات شهرية لها ،

ومما لا شك فيه أن هذه المشاريع لا يمكن ان تتقدم وتزدهر الا بفضل الله ونظرة الكرم والجود والتعاون من المسلمين نحو هذا العمل الخير . قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » لتتمكن الجمعية من الاستمرار في تأدية رسالتها على اكمل وجه ممكن

بريد الوعي الاسلامي

حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امتداد الساحة العربية والاسلامية .. ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها ..

قضاء الصلاة

شاب تونسي من قابس هو الاخ فرحات حسان .. كتب الينا يقول : بدأت اصلي وانا عمري ٢٤ سنة ، وانا اداوم على اداء الصلاة في اوقاتها ـ والحمد لله ـ ولكن يؤرقني التفكير في قضاء ما فاتني من صلاة قبل هذا .. فكيف أقضيها ؟

المحرر :

الصلاة عماد الدين ، من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي ذات تأثير ايجابي في حياة الفرد والجماعة ، تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وهي وقوف بين يدي الله سبحانه في اليوم خمس مرات .. لذا فقد حرص المسلمون الاولون على ادائها في اوقاتها وفي جماعة ما امكن ذلك ، وسار على ذلك المسلمون جميعا الى يومنا هذا .. وامر الاسلام بأن يعود عليها الصغار حتى قبل سن التكليف ، حتى اذا ما وصلوا الى مرحلة التكليف حيث الثواب والعقاب ادوها في يسر وبلا مشقة .. والصلاة لا تسقط عن الانسان العاقل البالغ المكلف بأي حال .. فيؤديها في جماعة او منفردا ، وفي المسجد او في البيت ، او في اي مكان طاهر .. ويؤديها بوضوء او بتيمم اذا لم يجد الماء او تعذر استعماله ، ويؤديها قائما بركوها وسجودها .. او جالسا اذا لم يستطع القيام .. او مضطجعا اذا لم يستطع الجلوس ، وذلك بأن يتصور نفسه في صلاة ، ويحرك لسانه بالقراءة ، ويجري حركاتها على قلبه ..

من هنا تعلم يا اخ فرحات ان الصلاة لا تسقط بحال ـ الا اذا كانت المرأة حائضا او نفساء فانها لا تعيد الصلاة التي سقطت عنها اثناء الحيض والنفاس .. اما انت فأحمد الله ان وفقك لطاعته ، وحافظ على اداء الصلاة وداوم على ادائها فذلك دليل الايمان الحق ..

اما ما فاتك من الصلاة فحاول قضاءه بأسرع وقت ممكن ، فانه لا يسقط عنك الا بادائه ، ويمكن ان تؤدي مع كل فريضة فريضة اخرى مما فاتك ، حتى يغلب على ظنك انك اديت جميع ما فاتك من الصلاة منذ بلوغك سن التكليف ... والله يوفقك .

ردود سريعة

ـ الاخ الطالب احمد كمال امين الجمال ـ مصر ـ الشرقية

بعث الينا راجيا نشر اسمه في ركن التعارف في مجلة البراعم .

نعتذر يا اخ احمد عن ذلك لأن ركن التعارف مخصص فقط للبراعم الاسلامية اليافعة التي لم يتجاوز سنها ١٥ عاما فقط . ونشكرك على قصيدتك ونأمل لك مزيدا من التقدم في انتاجك الشعري .

ـ الاخت رجاء الوسلاتي / تونس

شكرا على رسالتك وعواطفك الاسلامية وقد تم ارسال بعض اعداد المجلة السابقة نرجو ان تجدي فيها مقالات تبحث في الموضوعات التي تطلبين من المجلة نشرها .

ـ الاخ محمد من المغرب يسأل عن طائفة البهرة عقيدة وسلوكا

يا اخ محمد ـ البهرة جماعة من الشيعة الامامية ينتسبون لطائفة الاسماعيلية ينتشرون بين الهند وشرقي افريقيا واليمن وباكستان وبريطانيا وتعتبر الهند مقرهم الرئيسي وملخص معتقداتهم ما يلي :

يعتقدون بالفيض الالهي وهي المعرفة التي افاض الله بها على الامام فتجعله فوق الناس قدرا وعلما والامام عندهم معصوم لذلك يحرصون على تعمير القبور واكبر دليل على ذلك اهداؤهم مقصورة من الفضه لمسجد سيدنا الحسين واخرى لمسجد السيدة زينب ومن عقيدتهم عدم تخطئة الامام مهما اتى من افعال خير او شر والامام بمقام النبوة عندهم وكل آرائهم لا دليل عليها ويبدو بأن الكثير من عقائدهم نتجت عن اتصالهم ببراهمة الهند والفلاسفة والبوذيين والفرس .

مع صحافة العالم

العروبة وموقف الاسلام منها

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد الله عبد العزيز العدواني في جريدة الانباء الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٤ ما يلي :

لقد كثر الحديث والجدل حول قضية العروبة وموقف الاسلام منها ، وقد قرأت الكثير من كتابات الاخوة حول هذا الموضوع الحساس .

وفي الحقيقة انني اود من خلال السطور التالية ان اطرح وجهة نظري حول هذا الموضوع كشخص مسلم عربي .

لا ينكر احد ان الاسلام خاتم الاديان الذي يجب ان يعتنقه كل من يصله خبر هذا الدين وتقام عليه الحجة ، والا اصبح كافرا مهما كانت عقيدته .. لقد جاء الاسلام باللغة العربية ، وكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عربيا من خيرة بيوتات العرب من قريش ، وكذلك فان الخلافة في دولة الاسلام هي للمسلم من قريش دون سواهم بالاضافة الى ان لغة اهل الجنة هي العربية ، وفي الاثر ان كره العرب لمجرد كونهم عربا يعد ضربا من النفاق . اقول ان هذه الدلائل تشير الى تكريم الله عز وجل للعرب بما لا يدع مجالا للشك .. ولكن يجب علينا عدم الافراط او التفريط في فهم هذه القضية وهو ــ مع الاسف ما وقع فيه بعض الاخوة في كتاباتهم حول الاسلام والعروبة .

والحقيقة ان المتمعن في التشريع والفقه الاسلامي والدارس للتاريخ الاسلامي يجد حقائق واضحة لا لبس او غموض في تفسيرها حول علاقة الاسلام بقضية القومية والدعوات العرقية او الشعوبية سواء جاءت من العرب ام من غير العرب .

فلقد حارب الاسلام التفرقة الطبقية المبنية على أسس عرقية او قومية .. ففي الحديث الشريف « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » وفي الكتاب الكريم « **انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند**

الله اتقاكم » .

ومن هذين النصين الشرعيين نلحظ وجهة النظر الاسلامية حول قضية التفرقة العرقية ، فقد حارب الاسلام مثل هذه الفوارق وجعل الميزان الحقيقي للمسلم هو مدى التزام المرء بتعاليم الخالق عز وجل لا بقربه أو صلته بجنس أو قوم أو غيرهم .

ولقد جسد الرعيل الاول من الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة . قدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان المسلم العربي يحارب اباه وامه واقاربه ولا يتوانى عن الحاق الضرر بهم وحتى قتلهم لا يمنعه من ذلك قرابتهم او صلتهم به . واكبر من ذلك فقد كان المسلم العربي يعين اخاه المسلم غير العربي على قتل او الحاق الضرر بقريبه وابن جلدته من العرب .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحارب اعمامه واخواله ممن لم يعتنقوا الاسلام غير مكترث بكونهم قومه وبني جلدته فالاسلام الغى كل عصبية ، والغى اي تمييز وجعل الانتماء اليه هو الاساس والمقياس .

وما اقامة دولة الاسلام على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام الا ترسيخا لمبدأ اسبقية الاسلام والانتماء الاسلامي على ما سداه من روابط عرقية او غير عرقية .

فلم تقم دولة عربية على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .. وانما قامت دولة اسلامية عاش في كنفها المسلمون جميعا عربا وغير عرب بالاضافة الى الطوائف الاخرى من غير المسلمين كاليهود والنصارى خاضعين لسلطان الخليفة المسلم ومتمتعين بكامل الحرية المدنية ما لم يتعارض ذلك مع الاسلام على ان يدفعوا الجزية كضريبة لتمتعهم بالحياة تحت ظل الخلافة الاسلامية . ولا حق لهم في اي منصب قيادي في الدولة ، فالحكم والقيادة والسيادة هي للاسلام والمسلمين الى ان تقوم الساعة ، وهذا حكم الله سبحانه وتعالى الذي لا تجوز معارضته في اي حال وتحت اي ظرف .

ولكن مع اتساع الخلافة الاسلامية ودخول شعوب كثيرة في الاسلام وخضوعهم لسلطان الخلافة الاسلامية كان من الطبيعي ان يظهر بعض المنافقين ممن اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر بكافة صوره واشكاله ، بدأ هؤلاء الحاقدون بمحاولة هدم كيان الخلافة الاسلامية بكل ما اوتوا من وسائل ومن بينها اثارة النعرات العرقية والدعوات الانفصالية فقالوا ان الاسلام دين العرب فقط وان العرب استعبدوهم تحت ستار الدين الجديد هذا كان من غير العرب ، أما عند العرب فقد بدأت الدعوة في العرب غير المسلمين بعد ان احسوا انهم لم تعد لهم سلطة في دولة الاسلام فبدأوا بنشر الدعوة القومية والمطالبة بالوحدة العربية والدولة العربية لكي يتخلصوا من سلطان الاسلام والخلافة الاسلامية .

ولقد لقيت هذه الدعوة القبول من

بعض المسلمين العرب الذين لم يعوا حقيقة هذه الدعوة واهدافها المعادية للاسلام ، والداعية الى التخلي عن التشريع الاسلامي والرابطة الاسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية والرابطة القومية التي تتيح لغير المسلمين المجال للتغلغل في الكيان او البنيان السياسي للدولة الاسلامية ، وتقلد المناصب القيادية التي لا يجوز في التشريع الاسلامي تقلدها الا للمسلمين فقط دون سواهم بغض النظر عن ارتباطاتهم العرقية والقومية .

هذه كانت حقيقة ظهور الدعوات القومية سواء من العرب او غيرهم من الاجناس ممن خضعوا لسلطان الخلافة الاسلامية .

ان التشريع الاسلامي واضح وصريح عندما حدد علاقات المسلمين مع بعضهم ، وعلاقاتهم مع غير المسلمين من مختلف الطوائف الدينية والاجناس العرقية .

فالمسلم أخو المسلم دائما وابدا يجب عليه ان ينصره ويعينه ويتكاتف معه تحت اي ظرف ..

فمثلا اذا تقاتل مسلم مع غير مسلم فعلى المسلمين نصرة اخيهم المسلم حتى وان كان غير المسلم هذا من بني قومهم فالاسلام كما سبق وقلت قد الغى اي رابطة سوى الاسلام ، وهذا ينجر على جميع انواع العلاقات والروابط في كل المجالات فحتى المحبة والود والصداقة يجب على المسلم ان لا يفضل في علاقته غير المسلم على المسلم لاي سبب كان . وهذا لا يعني ان يكون المسلم عدوا لغير المسلم دائما فالاسلام يدعونا الى التسامح مع غير المسلمين ما لم يعتدوا على حرمة الاسلام والمسلمين .

وفي الختام اقول ان على المسلمين عربا وغير عرب الاتحاد لبعث الخلافة الاسلامية من جديد ونبذ كل النزعات القومية التي هدمت دولة الاسلام ، وسببت لنا ما نحن فيه من تخلف وذل بعد ان كنا الاعزة واصحاب الحضارة عندما كانت هويتنا هي الاسلام عربا وغير عرب ، انني ادعو الاخوة ممن يخالفونني الرأي ان يقرأوا مقالي جيدا بروح علمية محايدة لكي نصل الى الحقيقة التي لا لبس فيها ولا غموض .

المسلمون في اليابان

نشرت جريدة السياسة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٩ حديثا للدكتور موسى محمد عمر ممثل المركز الاسلامي في اليابان قال فيه :

ـ ان الدعوة الاسلامية في اليابان تختلف عن مثيلاتها في امريكا واوروبا واسيا ، لان الدعوة الاسلامية في اليابان موجهة الى الشعب الياباني

مباشرة حيث اقتنعت اعداد كبيرة من اليابانيين بالاسلام واعتنقته ، وكما هو معلوم فان ادخال غير المسلمين في الاسلام مهمة عسيرة الا ان ظروف اليابان تساعد وتشجع والحمدلله فاننا نرى نتائج ملحوظة ، لا تقاس بالارقام ، فاعداد المسلمين عام ٧٢ ـ ١٩٧٣ كان يقدر من ٢ ـ ٣ آلاف مسلم ياباني بينما قدرت حاليا اعداد المسلمين بين ١٢ ـ ١٥ الف ياباني بخلاف الاجانب . وقال ان التجاوب الموجود من عدة منظمات اسلامية ترك اثرا في مسيرة الدعوة الاسلامية هناك ، وقد نظمت احدى الجامعات مؤتمرا للفقه الاسلامي حيث رعى شقيق الامبراطور هذا الحفل الاسلامي وكانت هذه البادرة ظاهرة تاريخية كما أنشئ بجامعة (تشوؤ) كرسي للدراسات الاسلامية في وقت تقوم فيه كبريات الصحف اليابانية وتوزيعها يتجاوز العشرة ملايين نسخة يوميا وهي (اساهي ، ومانتجي) وكلا الصحيفتين ، تتعاونان مع المركز الاسلامي كما نظمت ايضا الندوة الثقافية الاسلامية بالاضافة الى ان الاذاعة والتلفزيون تستضيف مندوبي المركز بمقابلات للتحدث عن الاسلام وعرض كذلك فيلم عن مناسك الحج وتم توزيعه على المدارس واحدث ضجة واسعة بالاوساط وعرض ايضا برنامج عن حياة الرسول ، وبرامج اخرى عن المناسبات الاسلامية وقال ان المركز الاسلامي في طوكيو صغير بحجمه وكذلك بامكانياته المالية والبشرية وقال د . موسى محمد ان طبيعة الشعب الياباني غير المتعصبة ضد الاسلام ساعدت في تحقيق نتائج كبيرة جدا والمستقبل في اليابان اسلاميا يبشر بخير عميم ويعتمد بالدرجة الأولى على الجهد المبذول . وبخصوص الزيارة الحالية قال د . موسى عمر ان هذه الجولة تستهدف عرض موقف الدعوة الاسلامية في اليابان وما وصلنا اليه ومدى اقبال اليابانيين على الاسلام وبنفس الوقت عرض ما تحتاجه الدعوة ماديا ومعنويا .

وقال ان الدعوة تحتاج الى رجال اولا ولذلك طلبنا العون في تفريغ بعض العاملين بكفاءات معينة تتلاءم مع ظروف اليابان ، وكذلك المشاركة في الدعوة من حيث طبع الكتاب الاسلامي باللغة اليابانية والدعوة لتنظيم حملات تبليغ ومحاضرات وندوات بالاضافة الى المساعدة في بناء مقر تنطلق منه الدعوة الاسلامية وتلبية الاحتياجات بشكل عاجل ، وحول ما إذا تم في هذه الجولة جمع تبرعات للمركز الاسلامي باليابان قال : ان دولة الامارات العربية تبرعت بمساعدات مالية وشاركت في نشاط الدعوة وكذلك الحكومة السعودية تبرعت وشاركت في جميع المجالات المختلفة التي عرضها المركز عليهم ، اما بالنسبة للكويت فقد وعد المسؤولون بدراسة الامر ولكن سبق ان تبرعت الكويت في مناسبات عديدة .

اقرأ في هذا العدد

جمهورية مصر العربية

● دولة عربية اسلامية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قارة افريقيا ـ يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال وعلى اطرافه تقوم الحياة البشرية ـ عاصمتها القاهرة التي تفخر بالجامع الازهر ومن مدنها الاسكندرية وبور سعيد واسيوط والاسماعيلية .. عدد سكانها ٤٣ مليون نسمة يعيشون ضمن مساحة قدرها ٩٩٤٠٠٠ كم٢ غالبيتهم من المسلمين السنة وفي البلاد اقلية مسيحية تسمى (الاقباط) .

● ان اسم مصر مشتق من مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام .

● تعتبر مصر من اقدم مناطق العالم التي شهدت ارضها نشوء الحضارات وفي مقدمتها حضارة مصر الفرعونية بآثارها التي لا تزال باقية حتى اليوم ثم حكم مصر البطالمة اليونانيون ثم حكمها الرومان واخيرا جاء الفتح الاسلامي لها بقيادة عمرو بن العاص عام ٢١هـ ودوى على واديها الحبيب نداء الله اكبر .

● ورد اسم مصر في القرآن الكريم ضمن آيات متعددة . منها قوله تعالى :

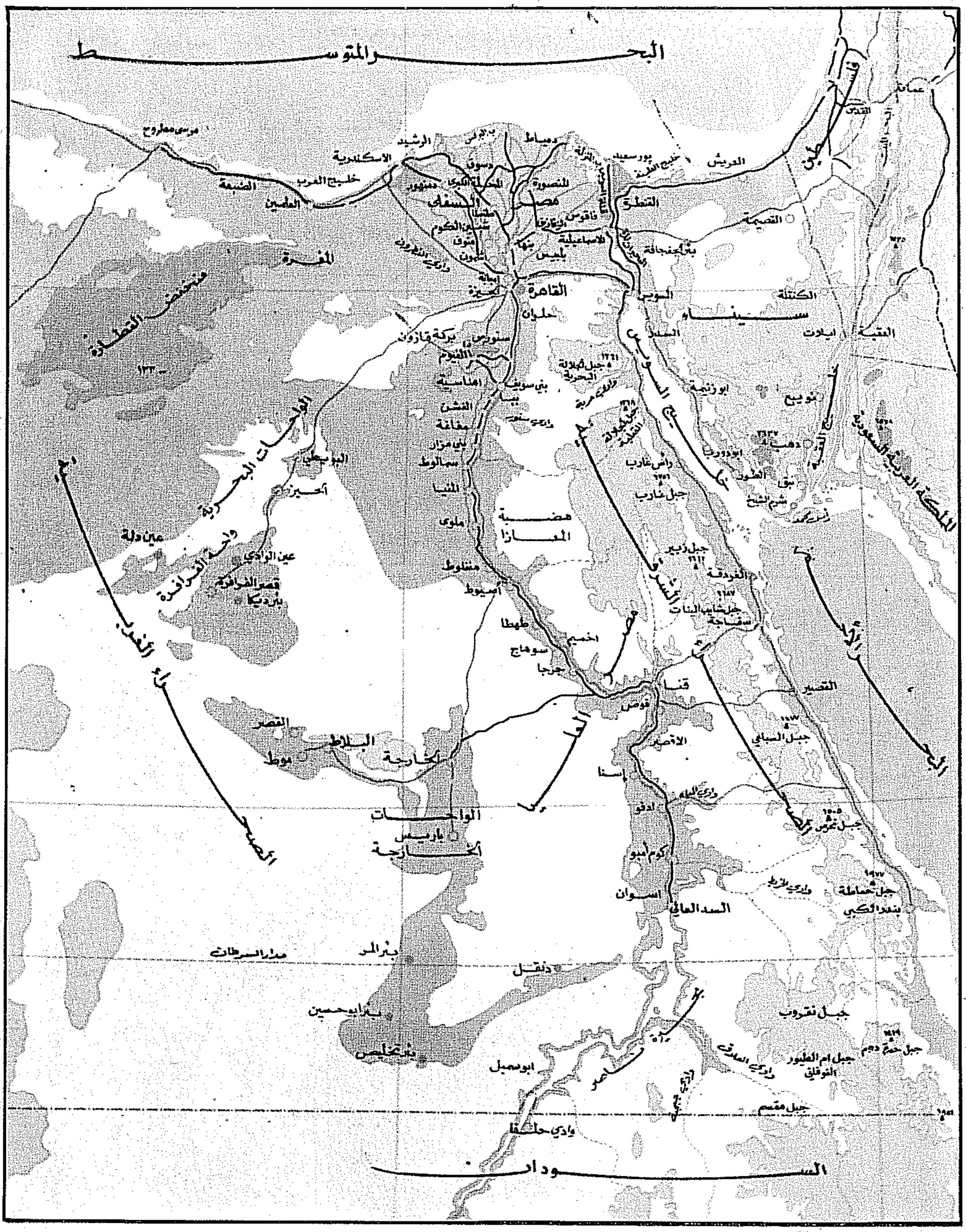
○ **(وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين)** يوسف / ٩٩

○ **(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه)** يوسف / ٢١ .

○ **(واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا)** يونس / ٨٧ .

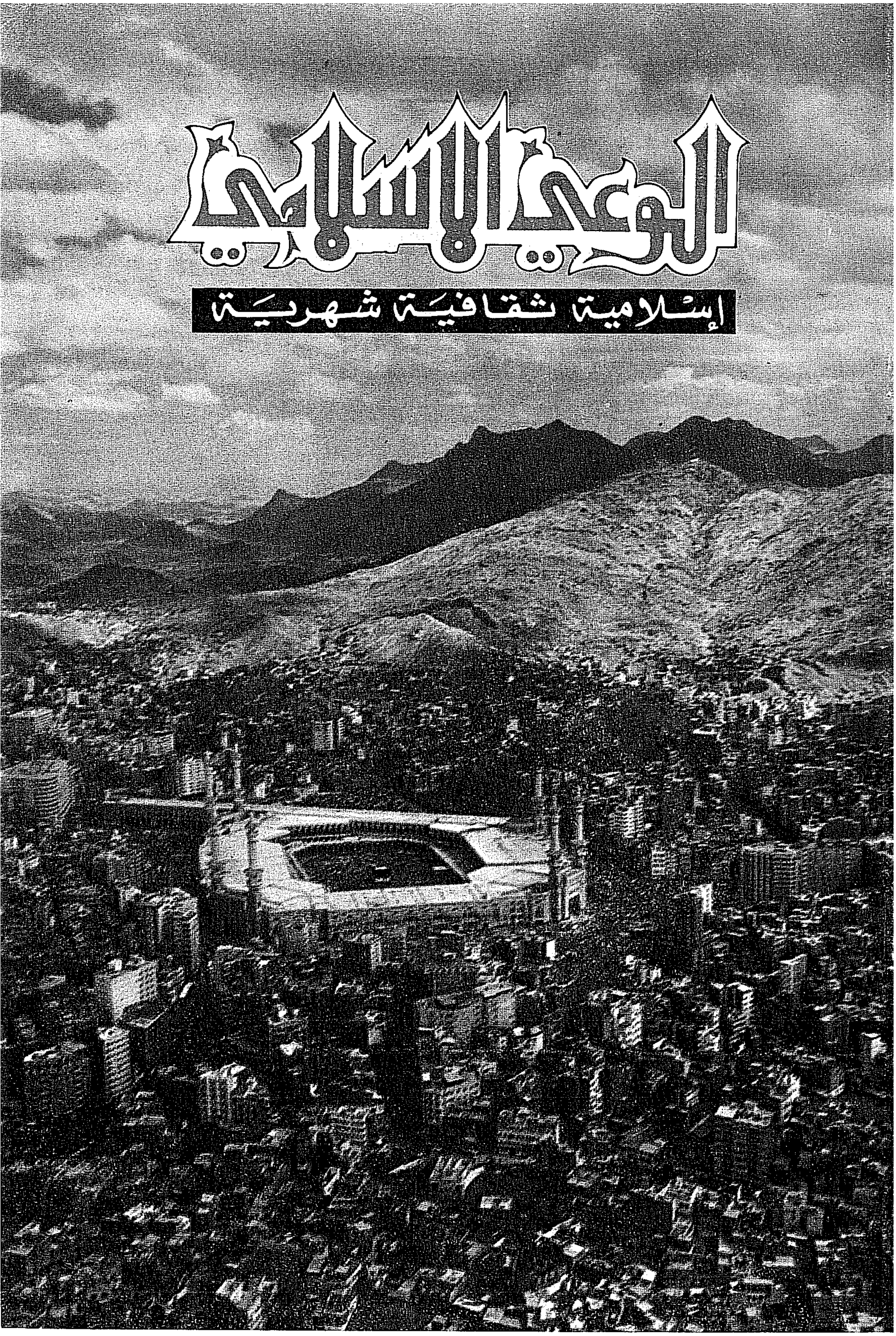
○ **بعد سقوط الخلافة العباسية ١٢٥٦م خضعت مصر لسيطرة المماليك الذين قضى عليهم العثمانيون عام ١٥١٧م ـ وظل الامر كذلك حتى خضعت مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨٢م .**

ـ قامت الثورة المصرية ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي اعلنت الجمهورية وبدأت مصر بعدها تخطو خطوات واسعة نحو التصنيع وتطوير الزراعة ..



جمهورية مصر العربية

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٣ ● ذو العقدة ١٤٠١ هـ ● سبتمبر ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الحجّ.. أشهر معلومات

كان الحج معروفا قبل الرسالة الخاتمة ، منذ أن أتم ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ بناء البيت الحرام تنفيذا لأمر الله تعالى ، فقد أمر الله ابراهيم أن يرفع قواعد البيت ، فرفعها هو وولده اسماعيل ولما فرغ من بناء البيت أمره الله أن ينادي في الناس بالحج ، وذلك قوله

تعالى : **(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .**

وفرض الحج في الاسلام سنة ست من الهجرة بقوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا) .. وقد وقت الله تعالى للحج أشهرا معلومات هي : شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة ، تؤدى فيها أعمال الحج : من الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ولا يصح أداء شيء من أعمال الحج في غيرها .. وعلى من قصد البيت الحرام للحج في هذه الأشهر أن يجتنب ما نهى الله عنه من الرفث وهو غشيان النساء والتقبيل ، وأن يعرض لهن بالفحش من القول .. ومن فعل المعاصي عامة ، وما نهى عنه المحرم في حال الاحرام خاصة من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الشعر .. ومن المراء الذي يماري الرجل به صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه .. وعليه أن يستجيب لفعل الخير ، فيستعمل مكان الرفث الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ، ومكان المراء الوفاق وحسن العشرة والأخلاق الجميلة .. وعليه أن يتزود لسفره واقامته وعودته بما يتبلغ به ويكف وجهه عن الناس ، ويتزود لآخرته بالتقوى فهي خير زاد قال تعالى :

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

والحج الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ، ويقترن بالفضائل كاطعام الطعام ، وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات هو الحج المبرور الذي جعله الله من أفضل الأعمال . روى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وقد جعل الله الحج جهاد من لا يستطيع الجهاد في سبيل الله ، فقد ورد عن الحسن بن علي رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر من عدم استطاعته الجهاد قائلا : اني

جبان . واني ضعيف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : (هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج) .

والحج مفروض على التراخي . ولكن يستحب للمكلف المستطيع أن يعجل بأداء الحج لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة) .

والاستطاعة تتحقق بالقدرة الصحية التي تمكنه من السفر والانتقال وأداء الأعمال ، والقدرة المالية التي تكفل له الزاد والراحلة زيادة عن حاجة من يعولهم أثناء غيابه ، وأمن الطريق بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله . وعدم وجود مانع من الذهاب الى الحج كالحبس والاعتقال ، وبطش سلطان ظالم .

والمسلمون حين يفدون من مشارق الأرض ومغاربها لأداء الحج يتاح لهم أن يتذكروا أمورهم ويتدارسوا شؤونهم ، ويرسموا خطوط مستقبلهم .. وهم حين يشاهدون الأماكن المقدسة التي مشى فيها رسولهم صلى الله عليه وسلم . وعاش فيها الصحابة والتابعون ، وشهدت انتصارات الاسلام في أيامه الأولى تتيقظ مشاعرهم ، وتتجه نفوسهم للسير في الطريق نفسه الذي سلكه هؤلاء الأبطال الأطهار لرفع كلمة التوحيد ، واعزاز الحق فعزوا وسادوا .

والحج يعطي معنى واضحا للمساواة بين المسلمين أمام الخالق جل وعلا ، فهم يطوفون جميعا حول مكان واحد هو البيت الحرام ، ويسعون جميعا بين الصفا والمروة ويقفون جميعا على (عرفات) يدعون الله في صفاء ونقاء وخشوع لا فرق بين جنس وجنس ولا بين غني وفقير .

وهل نجد مظهرا لوحدة العقيدة أبهى من مظهر الحجاج وهم يجتمعون على الحب والاخاء في الله ، والتعاون على الخير والتناصر على الحق ؟؟

وهل نجد عملا يحقق لصاحبه ضمان الجنة ان مات وضمان الأجر والثواب ان عاد الى بلده كما نجد ذلك فيمن قصد البيت الحرام للنسك حاجا أو معتمرا ؟؟

روى ابن جبير باسناد حسن عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

مع آيات من كتاب الله

الله أعلم

الرسول المصطفى :

جاء هذا القول الكريم من الله تعالى ، ردا مفحما ، مخزيا لأهل الضلال والعناد من مشركي قريش الذين أبوا أن يستجيبوا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يصدقوا أنه رسول من عند الله ، فقالوا : (**لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله**) فأخزاهم الله تعالى بقوله : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) فليس هذا الأمر مما ينال بالتمني ، ولا بالمال والجاه والسلطان ، وانما ذلك الى الله تعالى وحده ، يصطفي به من يشاء من عباده : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**) الحج/٧٥ .. وقد نازع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكون رسولا من الله تعالى اليهم ، وليس هو أكثرهم مالا ، ولا أعظمهم جاها وسلطانا ، فقال الله تعالى عنهم : (**واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا**) الفرقان/٤١ .. وقال سبحانه عنهم أيضا : (**ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به**

حيث يجعل رسالته

للأستاذ
عبد الكريم الخطيب

كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فرد الله عليهم بقوله : **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الزخرف/ ٣٠ ـ ٣٢ .

والزمان المصطفى :

وكما اصطفى الله محمدا بن عبد الله ، اماما للمرسلين ، وخاتما للنبيين ، فانه سبحانه اصطفى زمان بعثته ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ليكون أنسب الأزمان ، لاستقبال هذه الرسالة المباركة الخاتمة ، ولاخراج ما تحمل من ثمر طيب مبارك ، تغتذي منه القلوب والعقول ، وتحيا به الأرواح والنفوس .. فلا شك أن للزمن آثاره في حياة الناس ، حيث تنضج على أناته معادن الناس ، وتختبر به معادنهم ، فيكون لكل زمن من الناس ما يشبهه .

ومن هنا كانت رسالات الرسل ، قبل البعثة المحمدية ، محسوبة بحساب أقوامهم ، مقدرة بقدر

مبلغهم من النضـج الانسانـي في مسيرة الزمن بالناس .

ومن هنا أيضا أخذت رسـالات الأنبياء ابتداء من نوح ، الى موسى وعيسى ، تتـدرج صعـدا ، في تكاليفها ، وأوامرهـا ونواهيهـا ، حيث تأتي الرسالة اللاحقة باضافات جديدة ، لم تأت بها السابقة .

وهكذا حتى جاء دور الرسالـة الاسلامية الخاتمة على يد محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، فكانت قمة الرسـالات السماويـة ، وواسطـة عقدها .

ان الانسانية لعهد محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت قد جاوزت طور الصبا ، وبلغت أشدها ورشدهـا ، وهي بهذا جديرة بأن تخاطب من جهة عقلها . لا من جهـة حواسهـا .. وكانت الكلمة المعجزة المتحدية أنسب وسيلة لاقناعها ، واقامـة الحجـة عليها ، وذلك على خلاف ما كانت عليه الانسانيـة في مدارج طفولتهـا وصباها ، حيث كانـت المعجـزات المادية المحسة التي تشاهد بالعين ، هي التي توائم الناس في هذه الأطوار من حياتهم ، وتقيم الحجة عليهم . كما نرى ذلك في تعليم الصغار ، وما للمحسات من دور أساسي في نقـل المعلومات اليهم . على خلاف الكبار الراشدين الذين يكون معتمدهم على العقل في تحصيل العلوم والمعارف .

رسالات الرسل قبل الاسلام :

وننظر في رسالات الرسل ـ عليهم السلام ـ قبل الرسالة الاسلامية ، فنجد أن المعجزات التي وضعها الله بين يدي رسله لتكون شهـادة على صدقهم ، وأنهم مبعوثون من عنـد الله ـ نجد أن هذه المعجزات كانت أمورا ماديـة خارجـة عن مقـدور البشر ، خارقـة لنامـوس الحيـاة المعهودة لهم ، وبها يقع الاعجـاز القاهـر . المفحـم ، الباعـث على الدهش ، والحيرة .

فهذا طوفان نوح ، وريح عاد ، وصاعقة ثمود ، وناقـة صالـح ، وعصا موسى ، وكلمة عيسى التي كان يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى باذن الله ، كلها كانت مشهودة لأعين القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الرسل ، وكلها خارجـة عن حدود القدرة البشرية !!

فسفينة نوح ، معجـزة ماديـة قاهرة ، صنعها بيده ، وشهد قومه صنعها ، وأعلمهم بالغايـة التـي صنعت من أجلها ، وهي أنها ستكون مركبا للمؤمنين ، ونجـاة لهـم من الطوفان الذي سيغرق كل من لم يؤمن به من قومه ! وأنه لو لم يجيء هذا الطوفان ، لما كان لسفينة نوح حديث في الناس ، ولا أثر في الحياة . ولكنها حين جاءت ساعة العسرة ، وأقبـل الطوفان ، كانت أشبه بعصا موسى ، حين ضرب بها البحر ، فانفلـق ، وأقام له طريقا له ولقومه ، طريقا يبسا ، ركبه هو وقومـه فنجـوا ، وركبه فرعـون وجنـوده ، فأطبـق عليهم ، فكانوا من المغرقين .

ومعجزة هود ـ عليه السـلام ـ

كانت ريحا صرصرا عاتية ، أنذر بها قومه ، ان لم يؤمنوا به ، كما يقول تعالى : **(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا)** فكان جواب هود لهم : **(بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم. تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين)** الاحقاف/ ٢٤و٢٥ .

ومعجزة صالح – عليه السلام – كانت ناقة ، لا يظهر وجه المعجزة منها ، حتى تجيء الساعة الموقوتة لها لقد قال صالح لقومه بعد أن تحدوه أن يأتيهم بالوعيد الذي توعدهم به اذا لم يؤمنوا : **(ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب)** هود/ ٦٤ . ان كل ما هو مطلوب منهم أن يدعوا هذه الناقة وشأنها ، تأكل في أرض الله ، وألا يمسوها بسوء ، فان هم عرضوا لها بأذى أخذهم الله بالعذاب .

وازاء هذا التحدي لصالح ، وامعانا ، في تكذيبه ، عقروا الناقة ، ليروا ماذا سيحل بهم . فلما فعلوا بالناقة ما فعلوا ، قال لهم صالح : **(تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب)** هود/ ٦٥ ومع هذا ، فانهم لم يصدقوا هذا الوعيد ، ولم يؤمنوا خلال هذه الأيام الثلاثة ، ولو آمنوا لنجوا من هذا الهلاك الذي أنزله الله تعالى بهم : **(فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها)** الشمس/ ١٤و١٥ .

هذا ، ونلحظ في هذه المعجزات الثلاث – معجزة نوح ، وهود ، وصالح – أنها لم تكشف عن وجهها ، الا حين تطلع طلعتها المباغتة ، لتأتي على القوم الظالمين . انها تجارب في حقل الانسانية الأولى ، غايتها تنقية المجتمع الانساني ، من هذه الأشواك الخبيثة ، التي تنجم بين الحين والحين ، في أماكن وأزمان مختلفة في جسد المجتمع البشري . ولهذا كان من تدبير الحكيم الخبير أن يجتثها من أصولها ، بعد أن يقدم اليها الدواء على أيدي رسله ، فلا تتقبله ، ولا تستجيب له ، فلم يكن بعد هذا الا حسم الداء ، واقتلاعه من جذوره .

وتمضي الأيام والسنون ، ويجيء ابراهيم عليه السلام ، وقد قطعت الانسانية مرحلة طويلة نحو النضج والرشد ، فلا يكون ابراهيم هو الذي يأتي بالمعجزة متحديا ، وانما يصنع قومه بأيديهم مادة المعجزة ، فيوقدون له نارا ، ويؤججون ضرامها ، ثم يلقون بابراهيم فيها ، وهنا تخرج المعجزة من هذه النار التي أوقدوها بأيديهم ، وينظر القوم واذا نارهم هذه قد صارت بردا وسلاما على ابراهيم ، لم يمسسه منها سوء !

ولا تنتهي هذه المعجزة ، بما انتهت به المعجزات السابقة ، حيث كانت تقف على اطلال القوم الظالمين ، دون أن تترك منهم بقية ، كما يقول تعالى : **(فهل ترى لهم من باقية)** الحاقة/ ٨ . فقد ترك القوم وشأنهم .

ثم تجيء دعوة موسى وعيسى عليهم السلام ، وبين يدي كل دعوة منهما الكلمة التي تخاطب العقل ، والمعجزة المادية التي تجابه الحواس ، وذلك حين أشرفت الانسانية على دور المراهقة والتمييز من حياتها ، فكان بين يدي موسى التوراة ، وفيها شريعة الله وما تحمل من أحكام وآداب ، وفي يده عصاه التي يرسلها من يده فتكون حية تسعى ، أو يضرب بها البحر فينشق عن طريق يبس ، أو يضرب بها الحجر ، فيتفجر منه الماء . وكان بين يدي عيسى الانجيل ، وفيه الحكمة والموعظة ، وفي فمه كلماته التي يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي بها الموتى باذن الله .

وانظر أثر الفارق الزمني بين موسى ، وعيسى – عليهما السلام – فتجد أن لهذا الفارق أثره في صورة المعجزات هنا ، وهناك .

فمعجزات موسى المادية ، تنطلق من عصاه ، مادة محسة ، مشهودة للناظرين . ومعجزات عيسى ، في نفخة من فمه ، أو كلمة تنطلق من بين شفتيه . تسمع ولا ترى !

هكذا يقضي منطق الزمن في سير ، وفي تنوع المعجزات التي يضعها الله تعالى بين أيدي رسله .

المعجزة الخالدة :

أما معجزة خاتم النبيين محمد – صلوات الله وسلامه عليه – فقد كانت في كلمات الله التي ضم عليها القرآن الكريم . فلم تكن لرسول الله معجزة محسة يراها الناس ، كما كان ذلك لرسل الله من قبله .

وكلمات الله في القرآن الكريم ، انما تخاطب العقل وحده ، فمن رشد ، ووعى ، وتدبر كلمات الله ، آمن بالله ، وصدق رسوله . ومن لم يؤمن ، لم يأخذه الله تعالى بالهلاك العاجل في الدنيا ، بل تركه يعيد النظر فيما يقرأ أو يسمع من كلمات الله ، الى آخر يوم من أيام حياته .

والحق أن المعجزة القرآنية ، تختلف اختلافا واضحا عن جميع ما سبقها من معجزات الأنبياء ، من حيث هي في شكلها ومضمونها ، ثم من حيث الصلة التي بينها وبين الرسول الذي جاء بها ، والصلة التي بينها وبين القوم الذين تعرض عليهم .

فأولا : المعجزات المادية المحسة التي جاء بها الرسل – قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه – لا تعيش في الحياة ولا تصحب الناس الا لحظات عابرة ، ثم تختفي الى آخر الدهر .

وثانيا : ان هذه المعجزات المادية المحسة ، ليست حجة الا على الذين شهدوها ، ورأوا آثارها رأى العين . أما من لم يشهدها ، فلا حجة فيها عليه ، وما صدق أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، بسفينة نوح ، وريح عاد ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وكلمات عيسى ، الا لأن القرآن الكريم قد ذكرها ، وذكر آثارها .

وثالثا : أن تلك المعجزات المادية المحسة ، كان أغلبها تحت سلطان

الرسول ، يظهرها حيث يشاء ، بمعنى أنها لا يمكن أن تكون أو تقع ، الا اذا كان الرسول هو الذي يجليها ويكشف عن وجهها ، فاذا ذهب الرسول ، ذهبت المعجزة معه ..

وهذا خلاف المعجزة القرآنية ، المتحدية للناس جميعا ، في كل زمان ومكان ، الى يوم النفخ في الصور .. ان المعجزة القرآنية ذات وجود ذاتي ، مستقل عن الرسول المبلغ لهذا القرآن الذي نزله الله تعالى عليه ، فهي تواجه الناس باعجازها المتحدي ، بدون أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ، مكان في هذا التحدي .

فحيث كان في الناس من يفهم العربية ، ويتعرف على مواطن البلاغة والروعة في الكلام ، فانه يستطيع أن يستدعي اليه المعجزة ، أو المعجزات التي تنطوي عليها كلمات الله ، وأن يشهدها حاضرة عتيدة في مجلى بصيرته ، كلما تلا آيات من كتاب الله أو استمع اليها .. وقد عرف مشركو العرب هذا الاعجاز للقرآن الكريم ، فآمن به من آمن ، وكفر من كفر عنادا واستكبارا ، كما يقول تعالى عن هؤلاء المكابرين المعاندين من مشركي العرب : (**قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الأنعام/٣٣ وكما يقول سبحانه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**)النمل/١٤ .

ثم انه إذا لم يكن هناك من لا يفهم العربية ، ولا يحسن تذوق بلاغتها ـ وهم كثير ـ فان ما جاء به القرآن الكريم من دعوة الى توحيد الله ، ومن عبادات ومعاملات ، ومن أحكام الأسرة ، ومن القصاص من أهل البغي والعدوان ـ اذا ترجم الى أية لغة ، فانه يرسم للحياة الانسانية دستورا خالدا معجزا ، اذا استقام عليه مجتمع من المجتمعات ، بلغ من العزة والسعادة ، والأمن والاستقرار ، ما يقيمه على هامة أرقى المجتمعات التي لا تقيم وجودها على هذا الدستور الالهي الذي : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/٤٢ .

وإذن فالزمن الذي اختاره الله تعالى لمطلع الرسالة الاسلامية الخاتمة لرسالات السماء ، هو أنسب الأزمان لالتقاء هذه الرسالة بالعقل الانساني ، الذي كان في ذلك الوقت قد بلغ درجة من الوعي لم تبلغها البشرية من قبل .

ولا يستهولنك في هذا المقام ، ما يقال عن حكماء اليونان والرومان وفلاسفتهم ، وما يقال عن فراعنة مصر ، وبابل وأشور ، وما بلغوا من علم ومعرفة ، فان ذلك لم يكن الا ومضات تلمع ثم لا تلبث أن تختفي ، ويخيم عليها الظلام !!

أما الرسالة الاسلامية فهي خالدة باقية لأنها رسالة الله إلى خلقه وقد تكفل جل شأنه بحفظها .

(**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)

رد على تعليق

الإسلام

عـرض الاستـاذ عبدالسميــع المصري في العدد ١٩٩ من مجلة الوعي الاسلامــي كتابــي « الاســلام والسياسة » فأحسن العرض ولولا هنات لفظية ما اخذت عليه شيئا في ادب الحوار ، ولعل أول ما آخذه عليه كلمة التخبط فان ادب الحوار العلمي لا يعرف مثل تلك الكلمات القاسية ، وان كنت ألتمس له العذر بعد أن غامت المعاني لديه فلم يع معنى الدولة في المصطلح العلمي الذي عرفه فقهاء السياسة والعلوم السياسية وما تعنيه الدولة الدينية أو « الثيلوجيــة » أو « البيثوقراطية » في هذا المصطلح ، وقد غاب عنه أن الدولة ظاهرة لاحقة على قيام المجتمع وليست سابقة عليه فاذا قامت فانها تقوم على غرار هذا المجتمع ومثالا له ، فاذا كان المجتمع إسلاميا كانت الدولــة إسلاميــة ، وفرق بين أن نقول دولة إسلامية أو أن نقول دولة دينية ، مما يفسر عبارة الاسلام : « دين ودولة » .

وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بناء العقيدة ، وظل يدعو لها ثلاثة عشر عاما بمكة ، فلما قامت الجماعة الاسلامية بالمدينة كان عليه أن يسوس امورها ، وحفلت السور المدنية بكل ما يقوم عليه المجتمــع الاسلامي من شرائع تحكم سلوكه ومعاملاته وعلاقات أفراده بعضهم ببعض ، وكان يترك لهم من أمورهم ما هم أدرى به فيقول : « انتم أعلم بشؤون دنياكم » وقد نزل على رأي « الحباب بن المنذر » في موقعة بدر معلنا إلى صحبه أنه بشر مثلهم ، وان

والسياسة

للدكتور/حسين فوزي النجار

الرأي شورى بينهم وهو غير ما يدين به الحاكم في الدولة الدينية أو « الدولة الثيوقراطية » حيث لا يبرم أمرا إلا وحيا من الله ، وحيث لا تعلو إرادة فوق إرادته ، كما كانت البابوية في حكمها للأمبراطورية الرومانية ، وكما كان من أمر البابا حين يمنح صكوك الغفران ويصدر قرارات الحرمان ضد مخالفيه .

وقبل أن أعرض لتلك المصطلحات الحديثة التي اتسم بها العلم الحديث ، سواء في ميدان السياسة أم الاجتماع أم الاقتصاد ، مما نجد بذوره في تعاليم الاسلام جليةواضحة بينة ، لولا أننا غفلنا عنها فلم نتبين ما بين الاسلام والعلم الحديث من وشائج تزيدنا إيمانا ويقينا بديننا العظيم .

قبل أن أعرض لذلك أحب أن أسأل الاستاذ عبدالسميع المصري ومن يجري جريه ، أيهما أوسع مدى وأبعد نطاقا : الدنيا أو الدولة ؟

فالدولة نظام قانوني تنشأ بنشأة الجماعة المنظمة ، وهي الجماعة التي يدرك فيها الفرد ذاته في غيره ، أي أنه يدرك مسؤوليته قبل الجماعة التي يعيش فيها وواجبه نحوها . وهو ما نراه فيما حدده الاسلام لقواعد المسؤولية والواجب ، كما فصلتها في كتابي . وبقيام هذه الجماعة المنظمة التي يدرك الفرد فيها ذاته في غيره ، تقوم الجماعة السياسية وتبدو حاجة هذه الجماعة السياسية إلى من يدير أمورها فتنشأ السلطة ، وتلتزم السلطة فيها بارادة

المجموع ، وهي إرادة تعلو على كل إرادة سواها ، وهي مصدر السيادة التي تحكم السلطة .

أما الدنيا فهي الحياة بأوسع ما تقوم عليه وما تحتويه ، بل إنها تتسع فتشمل الانسانية جمعاء ، وهي الناس جميعا بكل ألوانهم وأجناسهم ، وهي في دنيا الاسلام هذا العالم الاسلامي الواسع ما كان منه خاضعا للدولة الاسلامية أيام كانت هناك دولة اسلامية فسيحة ، وما كان منه بعيدا عنها ، ودنيا الاسلام في يومنا هذا هي دنيا المسلمين في أي منتجع يقيمون : في الفيلبين وفي الهند وفي امريكا ، حيث يحيون ويقيمون شريعتهم ويمارسون قواعد دينهم من عبادات ومعاملات وعلاقات في دول على غير دينهم .

فاذا قلنا الاسلام دين ودنيا ، فانما نعني شريعة تقيم للدنيا نظاما تتكامل فيه الحياة على أكمل ما تكون الحياة ، فاذا اكتمل للجماعة الاسلامية في أي منتجع قوامها السياسي ، بمعنى أنها هي الجماعة التي تسود ارضها ولها السلطان عليها أقامت الدولة ، ومادامت الدولة تقوم مثالا للمجتمع وعلى غراره فانها دولة اسلامية تقيم شريعة الاسلام وتحكم على أصولها .

ولعل ما يذهب إليه الذين يقولون بأن الاسلام « دين ودولة » لا يخرج عن هذا ولا يشذ عنه إذا ما كانت الدولة تعني الدنيا وتعني الحياة التي يعيشها الناس . ولعل هذا هو ما يذهب إليه القائلون بذلك ، والا اختلف المعنى واختلف المضمون .

فاذا قلنا الاسلام « دين ودولة » فان المعنى يندرج إلى غير ما يذهب إليه المسلمون بهذا التعبير ، وهو ما يغيم على غير المسلمين فيذهب الرأي بهم إلى أن المسلمين يدعون إلى قيام دولة ثيوقراطية ، وهي الدولة التي تعلو فيها إرادة الحاكم على كل إرادة سواها لأنه يستمد سلطانه من الله مباشرة وهو ما يتنزه عنه الاسلام .

ولعل الاستاذ عبدالسميع المصري في غيرته التي لمستها في تعليقه ، يدرك دعوى العلمانية التي يثيرها الشيوعيون في بلادنا وما يكنونه في ضمائرهم من خبث حين يصورون عبارة « الاسلام دين ودولة » بأن المسلمين يدعون إلى إقامة دولة دينية أو « ثيوقراطية » وهم يعرفون تماما أن الاسلام لم يعرف الدولة الثيوقراطية ، فما كان الحاكم في الاسلام خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا إلا حاميا للشريعة مقيما لقواعد الدين ، وليس له حق تأويله أو تفسيره ، فهذا موكول إلى اجتهاد الفقهاء وفي اجتهادهم يلتزمون بقواعد لا يحيدون عنها ، هي كما نعرف جميعا القرآن والسنة والقياس والمصالح المرسلة ، وليس منهم ولا من الحكام من يتلقى الوحي من الله أو يحكم بامرته فقد انقطع الوحي بختام الرسالات وبانتقال محمد « صلى الله عليه وسلم » إلى الرفيق الأعلى .

وإذا كانت أوروبا قد عرفت الدولة الثيوقراطية تحت سلطان البابوية فان

المسلمين لم يعرفوا تلك الدولة ولم تمر بهم في تاريخهم ، وإذا كانت الحركة العلمانية قد عرفها الفكر الأوروبي ؛ حين فصل بين الدين والعلم ، وحين أنكر سلطان البابوية ورجال الأكليروس ، فان الاسلام لم يعرف هذا الفصل بين الدين والعلم ، ولم يقف الاسلام في يوم ما أمام حرية الفكر ولم ينكر العلم ، فأكثر الناس خشية لله هم العلماء ، ذلك إنهم يدركون من أسراره وسنته ما يزيدهم إيمانا على إيمان ، ولم يعرف الاسلام حاكما يدعى لنفسه سلطة إلهية .

فاذا كان الشيوعيون يتخذون من عبارة « الاسلام دين ودولة » وسيلة للتهجم على الاسلام ، وأن الدولة فيه تقوم على أساس « ثيلوجي » ينكر العلم ويقف دونه ، فلأنهم يبغون هدم الاسلام والنيل منه ، فينادون بالعلمانية مادام الاسلام كالمسيحية ينكر العلم وهو حقيقة مقررة .

ويؤسفني أن أقول ان « العلمانية » لفظ أبهم معناه الخفي على كثير من المسلمين حتى أنكروه على غير دليل أو منطق ، والدليل بين والمنطق سليم ، فان الاسلام لم يفصل أبدا بين الدين والعلم ، وعاش العلم في رحاب الاسلام مزدهرا حتى عدت العوادي على المسلمين فتخلفوا وجهلوا حقائق دينهم ، وإنه قد شمل الدنيا جميعا ما يدخل في خصائص الدولة وما هو بعيد عنها لا دخل لها فيه ، مما تحكمه قيم الدين وأخلاقياته .

ولعل أكثر ما كان يعني الشيوعيين في مصر يوم كان سلطانهم عليها غالبا خلال الستينات ، أنهم كانوا يرمون إلى حذف كلمة إسلامية من وصف الدولة المصرية .

كان هذا هو السبب في أن أتصدى لهم بكتابي « الاسلام والسياسة » يدور في فحواه على أن الاسلام لا يعرف الدولة الدينية ، وإنه إذا لم يأت بشكل معين للدولة فانه قد وضع المبادىء العامة التي يقوم عليها دستور مقنن لحكم إسلامي ، والخلافة في الاسلام ليست غير شكل من أشكال الحكم ، يقوم على المبادىء التي قررها الاسلام ، وأولها مبدأ الشورى وهو المقابل للديمقراطية الحديثة ، فاذا التوت الخلافة عن هذه القاعدة فقد فقدت القاعدة التي قررها الاسلام للحكم ، واي حكم يقوم على الشورى والأخذ بشريعة الاسلام جمهوريا أو ملكيا أو أي شكل آخر فهو حكم اسلامي ، وإذا كانت الخلاقة إطارا لوحدة العالم الاسلامي ففي أنظمة الدول الحديثة ما يحقق هذه الوحدة تحت أي اسم ، فالجوهر هو الذي يعنينا وليس الشكل . ولم تكن الخلاقة مما نصت عليه الشريعة وليست أصلاً من أصول الاسلام .

وارجو ألا يضني الاستاذ المصري بما سماه « التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي – كما ذكرنا – المؤلف نفسه في شك من صحته » .

هدانا الله جميعا إلى طريق السداد إلا أن أقول كلمة الاسلام في دنيانا هذه الواسعة .

التطبيع الاجتماعي الاسلامي

للدكتور زيدان عبد الباقي

يولد الطفل وعقله عبارة عن صفحة بيضاء ، ويتولى المجتمع من خلال الأسرة تطبيع هذا الطفل اجتماعيا بنقش القيم الاجتماعية والمبادىء والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وما الى ذلك من محددات السلوك على عقله ، فيتحول من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي يدرك حقوقه ويتمسك بها ، كما يدرك واجباته ويقوم بها .

وفي هذا يقول الامام الغزالي « الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » وقول الغزالي هذا يتفق مع أحدث نظريات علم التربية ، ذلك أن الطفل البشري يولد وهو في حالة من العجز الشديد بحيث اذا ترك وشأنه هلك . ومن أجل ذلك كانت رحمة الله بالأطفال ماثلة في عاطفة الأمومة وعاطفة الأبوة ، حيث يتولى الأبوان رعاية أطفالهما الى حد تفضيلهما على نفسيهما . ففي فترة الطفولة المبكرة يتعرض الوليد من أمه لعدد كبير من خبرات البذل والعطاء ولعدد كبير من خبرات الحرمات . واذا كانت خبرات البذل والعطاء مثل الارضاع وتغيير الملابس المبتلة ومختلف أنواع الرعاية الأخرى ضرورية لحياة الطفل ، فان خبرات الحرمان أكثر ضرورة لحياته الاجتماعية ، حيث تغيب الأم عن طفلها اما لانجاز بعض الأعمال المنزلية أو للخروج للعمل أو للتزاور ، وبالتالي - لا سيما وأن الطفل لا يمارس في الشهور الأولى من عمره وظيفتي التذكر والتوقع - فانه يتصور أنه فقد - بغياب أمه - حياته كلها ، حيث ينخرط في البكاء الشديد بكل كيانه .

وتساعد خصائص الطفل ومن أهمها خاصيتا « المطاوعة » و « الاندماج » في ظل ظروف حالتي البذل والحرمان علي تنمية وسائل

التعبير والطلب لدى الطفل ، بمعنى أن خاصية المطاوعة تسمح له بتشكيل سلوكه بأشكال متنوعة تتناسب مع أشكال السلوك السائدة في المجتمع ، فالعجز الشديد لدى هذا الوليد يحتم عليه قبول كل ما يلقي اليه من الكبار من مساعدات وتوجيهات تربوية والا هلك .. وتبدو خاصية المطاوعة واضحة في علاقة سيدنا اسماعيل عليه السلام جد العرب بأبيه الخليل ابراهيم عليه السلام من خلال قوله تعالى : (**فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين**) الصافات /١٠٢ ومن ناحية اخرى فان هذا العجز الشديد يعرضه في طفولته المبكرة لخبرات الحرمان التى لا يستطيع التغلب عليها بنفسه ، ومن ثم تبدأ في الشعور بحدود شخصيته ، بأنه كائن له حدوده . ومن هنا توضع البذرة الأولى لاستقلال شخصيته واحساسه بفرديته . وبذلك تساعد خبرات البذل والحرمان التى تقدمها الأم لوليدها على وضع الأساس النفسي والاجتماعي لشخصية الطفل التى ستتبلور فيما بعد .

الطابع الفردي والاجتماعي للوليد :

وهكذا فانه عن طريق خبرات البذل والحرمان التى توفرها الأم لوليدها تتجه به من التمركز حول الذات وتلك مرحلة يمر بها الطفل في نموه وارتقائه النفسي . ومن مميزاتها أن الطفل يكون عاجزا تماما عن أن يرى وجهة نظر الآخرين في أي مشكلة هو بصددها ، ولكنه مدرك فقط لوجهة نظره هو . ومن مظاهر التمركز حول الذات ايضا الأنانية الشديدة عند الأطفال في هذه المرحلة ، فاذا كان الطفل يحب شيئا فهو يريد أن يحصل عليه بأي شكل ، بصرف النظر عن فائدتها أو عدم فائدتها بالنسبة له ، وبصرف النظر عن مقدرة الأبوين على شرائها أو عدم المقدرة .. فالطفل هنا متمركز في قدراته المختلفة ، وفيما ينبع من ذاته ولم ينطبع بعد في البيئة المحيطة به .. نقول تتجه خبرات الحرمان من التمركز حول الذات الى الشخصية ذات الطابع الاجتماعي المطلوب للمجتمع ، حيث تتولى الأم تدريبه على مقاطع الكلمات ثم على الكلمات والعبارات ، ثم تشرع في تلقينه مباديء دينه ومختلف سننه الاجتماعية مثل العادات والأعراف والتقاليد وسائر القيم والمباديء القويمة .. الخ . وهذا يؤكد الأساس العلمي لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البيهقي والطبراني ، واذا كان الحديث النبوي يجمع بين دور الأب والأم في تهويد أو تنصير أو تمجيس الوليد ، فان الدور البارز في هذا للأم أكثر من الأب ، فهي التى تهدهده وتمسح عنه بيدها الحانية .

غير أن دور الأب يتفوق على دور

الأم في تربية الأبناء بعد السنوات الثلاث الأولى من عمر كل منهم ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » الترمذي والحاكم ، وقال أيضا « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي ، ذلك ان الأبناء - بنين وبنات - هم ثمرة القلوب وأفلاذ الأكباد ، وأمانة جليلة في أعاق الآباء ، تتمثل في حسن الرعاية ودقة التربية واستقامة التنشئة الاجتماعية . ومن ثم فان الاسلام يلزم الآباء بتوفير التربية السليمة للأبناء بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/٦ ، والولد من الأهل ، والوقاية من النار تكون بالهداية الى مواطن الخير والابعاد عن مزالق الشر ، وانما يتحقق ذلك بحسن التربية .

ومن الواجب على الوالد أن يحرص اولا وقبل كل شيء على غرس بذور الأخلاق الفاضلة في نفس الولد أو البنت وتعويدهما العادات الكريمة والأعراف القويمة والتقاليد المألوفة وتجنيبهما الترف والنعيم ، وابعادهما عن قرناء السوء . وفي هذا يقول الغزالي عن تربية الوالد لولده وصيانته « بأن يؤدبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره » .

ومن خبرات البذل والحرمان التى يقدمها الوالد والوالدة معا اشعار الأبناء بتمييز بعضهم على بعض مما يربي الغرور في نفس من يقدمانه على غيره ، ويربي الغيظ والحقد في نفس من يحرمانه أو يؤخرانه . فقد حاول بعض المسلمين أن يشهد الرسول الكريم على أنه اختص أحد أبنائه بشيء فرفض الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقال « أشهد غيري ، فاني لا أشهد على جور » متفق عليه ، ونصحه النبي بأن يسوى بينهم حتى يكونوا متساوين في برهم له . بقوله « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » متفق عليه .

المعلم الأول للوليد :

واذا كان علم النفس التربوي وعلم الاجتماع التربوي يؤكدان أن الأم تتولى محادثة وليدها منذ لحظة ميلاده ، وان كان الحديث من طرف واحد ، فان عاطفة الأمومة تجعل في مقدور الأم - وحدها - أن تترجم تقلصات كل جارحة من جوارح وليدها ، ثم تستجيب لتلك التقلصات بتوفير ما عبرت عنه من احتياجات لهذا الوليد .. وهذا الفهم لدى الأم يعتمد على عملية مماثلة بين الأم ووليدها ، بمعنى أنه اذا كان الطفل عمره كذا ساعة أو يوم أو شهر ويصرخ ويتلوى بشكل معين ، مع أنه في حالة شبع فلابد أن يكون عنده مغص مثلا . والمقارنة بين الأم والوليد تعتمد على عملية الاسقاط Projection وتلك العملية تشبه ماكينة السينما التى تلقي شعاعا

منعكسا على الشاشة الموجودة في الاتجاه المقابل فتظهر الصورة . ولذلك فالأم تعرف أنها تتلوى وتتقلب في حالة المغص ، وما دام الطفل يتلوى ويتقلب فقد يكون عنده مغص ، أي أن الأم تسقط على الطفل بعض حالاتها النفسية ، مع أن حالتها هذه قد تكون غير موجودة تماما لدى الطفل .. وخاصية المطاوعة لدى الوليد تساعده على اكتساب كل خبرة تقدمها الأم ، بمعن أنه يبدأ في التعليم منذ لحظة ميلاده . وهذا ما عبر عنه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي ، ولذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة المبكرة عند الأبناء لكي يغرسا في نفوس أبنائهم المباديء الطيبة والأخلاق الكريمة وتزويدهم بالمعلومات النافعة .

ومن المعروف أن الطفل يغلب عليه الحياء في أول أمره . واذا زاد هذا الحياء عن حده انقلب الى ضده ، أي يصير ضعفا . وبالتالي فانه من الميسور استغلال هذا الحياء عند الطفل واستثماره تربويا بصورة تجعل منه شخصية متميزة بالاتزان الانفعالي . وفي هذا يقول الامام الغزالي « فانه اذا كان - أي الطفل - يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض ، فصار يستحي من شيء دون شيء . وهذه هداية من الله تعالى ، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحى لا ينبغي أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه » وهكذا نجد للأم دورا في تربية الأبناء يتقدم على مختلف أدوار بقية أفراد الأسرة ، وان كان دور الأب قد يتفوق على دورها في المراحل التالية من عمر الأبناء .

المنهاج الدراسي الاسلامي :

يتكامل المنهاج الدراسي الاسلامي بحيث يشمل كل خصائص مناهج التربية الحديثة ، وبحيث يتناول كل ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية الكاملة ، ويقضي المنهاج الدراسي الاسلامي الذي ينقسم الى جانبين أحدهما دراسي والآخر تربوي بما يلي :

أولا : الجانب الدراسي :

يتكون الجانب الدراسي من المنهاج الدراسي الاسلامي من خمس مراحل هي :

١ - في مرحلة الحضانة ورياض الأطفال :

ففي هذه المرحلة نرى المربين المسلمين الأوائل أمثال ابن سينا الذي يشير بأن يبدأ البرنامج اليومي لأطفال الحضانة ورياض الأطفال بالاستحمام ، ثم باللعب الحر حينا من الزمن ، ثم تناول وجبة خفيفة من الطعام ، ثم اللعب المنظم تحت اشراف المدربين الرياضيين والاخصائيين الاجتماعيين ، ثم تناول الغذاء .. الخ وهذه المرحلة في التعليم

الاسلامي تبدأ منذ عهد الرضاع ، حيث يطالب الاسلام المسلمين باختيار المرضعة الصالحة والمربية الصالحة .. ويشترط الامام الغزالي في المرضعة أن تكون متدينة وتأكل من حلال حتى تؤثر في الوليد تأثيرا صالحا ، لأن هذا في نظره يتفق مع قول الرسول عليه الصلاة والسلام « كل جسد نبت من حرام ، فالنار أولى به » الطبراني وابو نعيم .

وهذه المرحلة في التعليم الاسلامي تبدأ منذ لحظة ميلاد الطفل تطبيقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام بأن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي وكذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة عند الأبناء لكي يغرسا في أبنائهما المباديء الطيبة ، والاخلاق الكريمة والمعلومات القويمة .

٢ ـ في المرحلة الابتدائية :

والتى فيها ينبغي أن يقوم المعلم او المؤدب بالاشراف على تربية الطفل ، مع التدرج في الزامه بالكتاب وبالعلم ، من التقليل من فترات اللعب بالتدريج ، مع زيادة فترات الدراسة . وهذه المرحلة من أهم المراحل الدراسية في حياة الأطفال التعليمية ، على اعتبار أن مزايا التعليم فيها كما أشار اليها خبراء التعليم الاسلامي متعددة مثل قولهم :

ـ من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

ـ وقولهم أيضا : التعلم في الصغر كالنقش على الحجر .

ـ وكذلك قولهم أطيع الطين ما كان رطبا ، وأعصر العود ما كان لدنا .

كما يطالب حجة الاسلام الغزالي بالزام الطفل بالقيام بالفروض الدينية اذا بلغ سن التمييز والتكليف والرسول يقول مثلا في شأن الصلاة بالنسبة للبنين والبنات « مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر » احمد وابو داود والحاكم ، والقدوة العملية في مجال التربية انفع درسا وأقوى تأثيرا .

٣ ـ في المرحلة الاعدادية :

وهي مرحلة اكتشاف القدرات والاستعدادات العلمية والمهنية لدى الأطفال . ولذلك فمن الضروري استخدام أساليب التوجيه التربوي في توجيه كل منهم الى ما يتفق مع قدراته واستعداداته من جانب ومع حاجات المجتمع وامكاناته من جانب آخر . وفي هذا يقول أبو يحيى الأنصاري « ان كل صبي يجب عليه أن يعرف طرفا من العلوم الضرورية في الحياة ـ أي المعارف العامة ـ ثم يتجه بعد ذلك الى العلم ـ أي العلم الذي يتفق مع قدراته العقلية العليا ـ أو المهنة التى يهواها طبقا لاستعداداته المهنية ، اذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم ، فاذا اتجه الى العلم فليقصد العلم الذي يقبله طبعه ـ أي ميوله ـ فما كل ما يصلح لتعلم العلوم ، يصلح لجميعها » .

هذا ومن الضروري ألا تنتهي هذه المرحلة الا بانتهاء عملية التوجيه

التربوي حتى يعرف كل تلميذ خطه المهني أو العلمي . وقد ذهب الأصفهاني الى هذا الرأي ـ كما يرى ابن سينا ـ من « أنه ليست كل صناعة (مهنة) يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه » ولقد روى أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر ، فصعب ذلك عليه ، فقال له الخليل يوما .. « من أي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع ؟

ولما عجز يونس بن حبيب عن الاجابة طالبه الخليل بن احمد بتنفيذ الشطرة الثانية من قول الشاعر محل السؤال .

وكان الامام البخاري يحاول في أول أمره تعلم الفقه والتبحر فيه ، فقال له محمد بن الحسن : « اذهب واشتغل بعلم الحديث » عندما رآه مناسبا لقدراته وأليق به وأقرب اليه . وقد اطاع البخاري ومن ثم صار على رأس أهل الحديث ، بل وامامهم .

٤ ـ في المرحلة الثانوية :

وهي طبقا لرأي أبي يحيى الانصاري تنقسم الى نوعين :

أ ـ الثانوي الفني بمختلف انواعه الزراعية والتجارية والصناعية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمهن الضرورية للمجتمع .

ب ـ الثانوي العام بمختلف اتجاهاته الأدبية والعلمية والرياضية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمرحلة الجامعية وما بعدها .

وهذه المرحلة ينبغي أن تنتهي قبل بلوغ الدارسين سن العشرين من اعمارهم حتى يتشبعوا بالمهارات المهنية المطلوبة لمهنة كل منهم من جانب ، او أن يتشبعوا بالأسس العلمية الأدبية أو العلمية أو الرياضية من جانب آخر . وفي هذا يقول علماء التربية الاسلامية « بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال ، وانه وان كان الكبير أوقد عقلا ، فانه أشغل قلبا » ويقول الشاعر في هذا أيضا :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

وفي هذه المرحلة ينتهي تعليم ٧٥٪ من أبناء الشعب ، ويملك ٢٥٪ منهم القدرات التى تمكنهم من مواصلة التعليم في المرحلة التالية وما بعدها .

٥ ـ المرحلة الجامعية :

وهي المرحلة التى يتاح فيها تخريج الاخصائيين في مختلف التخصصات بحيث تغطي أعدادهم حاجات المجتمع من المتخصصين ذوى المستويات الدقيقة .

تلك هي أجزاء الجانب الدراسي في المنهاج الدراسي الاسلامي ، وهو الجانب الذي يقدم داخل الفصول ، اما الجانب التربوي الذي يقدم داخل الفصول وخارجها فهو كما يلي :

: الجانب التربوي :

وهذا الجانب يتكون من خمس مراحل هي :

١ - التربيـة الاجتمـاعيـة الاسلامية :

وهذا النوع من التربية تضع الأم الأساس الأول له ، ثم يستكمله مع الأم ، الأب والمعلم والقريب والجار والصديق والزميل . وعلى الكبار داخل الأسرة أن يعودوا صغيرهم على آداب المائدة لضرورتها بالنسبة له . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام ، فينبغي أن يؤدب فيه ، مثل : ألا يأخذ الطعام الا بيمينه ، وأن يقول عليه : بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه ، وألا يبادر الى الطعام قبل غيره ، وألا يحدق النظر اليه ، ولا الى من يأكل ، وأن يجيد المضغ ، وأن لا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ يديه أو ثوبه ، وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات ، حتى لا يصير بحيث يرى الأدم دائما وحتما ، ويقبح عنده كثرة الأكل ، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، وأن يحبب اليه الايثار بالطعام ، وقلة المبالاة به ، والقناعة بالطعام الخشن ، أي طعام كان »

وكل تلك الأمور ينبغي أن يلتفت اليها الوالدان في تربية الأبناء وتعليمهم آداب المائدة وأساليب تناول الطعام وكيفية الجلوس على المائدة ، حتى لا يضيق بهم من يشاركونهم الطعام والجلوس على المائدة . وبجوار ذلك يقول الغزالي أيضا « وينبغي ان يعود .. الا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده ، فان ذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، وانه فعل أبناء اللئام » وأن يعود أيضا الاحسان الى الغير ، على أن يكون ذلك بمقدار حتى لا يخرج به الى رذيلة التفاخر على الغير ، وفي ذلك يقول حجة الاسلام الغزالي « ويمنع من أن يفتخر على أترابه بشيء مما يملكه والداه ، أو بشيء من مطامعه وملابسه ، أو لوحه وأدواته ، بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم » .. واذا عجز الوالدان عن ذلك ، أو اذا كان الطفل قد فقد أحدهما أو كليهما ، فعلى المدرس والمربي والأخصائي الاجتماعي أن يبصر الطفل ويعلمه آداب المائدة باعتبارها من أهم العادات الاجتماعية .

واذا كان من الخير في مجال التربية الاجتماعية ان نعود الطفل الشعور بمشاعر الآخرين والتجاوب معهم في عواطفهم ومشاركتهم وجدانيا فيما يمر بهم ، فانه من الخير في مجال الصحة النفسية أن نجنب الطفل حد العواطف المثيرة حتى لا تستبد به وتضله عن الطريق السوي .. ولذلك نجد الفيلسوف الاسلامي الذائع الصيت ابن سينا يقول في كتابه « القانون » انه « يجب علينا أن نجنب الطفل الغضب الشديد والخوف الشديد والحزن والسهر ، وأن نقدم اليه ما يحتاجه ليعتدل مزاجه ، فتعتدل أخلاقه ، لأن الأخلاق الحسنة تابعة لصفاء المزاج » .

وهكذا نجد التربية الاجتماعية الاسلامية تتناول التربية بجانبيها الاجتماعي والنفسي وكذلك الصحية النفسية ، وتلك هي الصورة التكاملية للتربية .

٢ ـ التربية الصحية :

وعلى الوالدين أيضا تجنيب أطفالهما العادات المرذولة التى قد تؤثر على صحتهم وعلى الصحة العامة . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدر غيره .. الخ » ومعنى ذلك أن الامام الغزالي يطالب الجميع بتعليم الأطفال عادة البصق والتمخط والعطس في المنديل وليس على الأرض في الشارع أو المنزل أو في الفصل الدراسي أو في مكان العمل .. وكذلك اذا تثاءب فانه ينبغي أن يضع كفه مقلوبا على فمه حتى لا يرى الناس فمه مفتوحا وبه آثار التدخين وآثار تناول القهوة والشاي بصورة قد تكون مقززة .. وأيضا ألا يسير وراء الآخرين أو يلتصق بظهورهم أينما جلسوا وحيثما ساروا .. الخ ..

٣ ـ التربية الرياضية :

والتربية الرياضية او البدنية لها أهميتها في مجال منهاج التربية الاسلامية المتكامل ، على اعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لبدنك عليك حقا » وكذلك يقول الامام الغزالي « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ومن الألعاب الأساسية لعبة « الرمي » وهي لعبة تؤدي الى زيادة القوة البدنية تأكيدا للحديث الذي يقول « ألا ان القوة الرمي » مسلم .

ويحدد الامام الغزالي مواعيد ممارسة الأنشطة الرياضية بقوله « وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف عن الكتاب ـ أي للطفل فيما بين الحصص الدراسية او فيما بين المواعيد المحددة للاستذكار في المنزل ـ أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا » واللعب الجميل الذي يشير اليه الغزالي هنا ليس هو لعب الكرة في الشارع او بقية مختلف الألعاب التى تمارس في الشارع داخل الأحياء السكنية أيا كان نوعها ، وانما اللعب الجميل هو اللعب المنظم داخل ملاعب المدارس والمعاهد والكليات الجامعية والأندية الرياضية تحت اشراف المتخرجين في مختلف أقسام المعاهد العالية للتربية الرياضية . وهذا اللعب من وجهة نظر الغزالي ضرورة علمية وعقلية واجتماعية ونفسية تجدد ذهن الطفل أو الغلام أو الشاب الصغير حتى يعود الى دراسته أو عمله وهو أكثر اشتياقا اليه وقواه متجددة حتى لا يسأمه ويفر منه وممن يفرضونه عليه بمختلف الحيل النفسية المعروفة .

٤ ـ التربية القومية :

تقوم التربية القومية الاسلامية

على أساس تعريف الدارسين حقوقهم وواجباتهم من خلال القيم الاجتماعية المستمدة من الدين والأخلاق ، وكذلك تعريفهم بوطنهم من خلال الوثائق القومية التى تنظم العلاقات والمعاملات في المجتمع مثل الدستور ..

وليس على أساس الاشادة الى حد التأليه ببعض الملوك أو الرؤساء أو الأمراء في المجتمع . ذلك أن التربية القومية الاسلامية تقضي بأن يغرس في نفس الطفل منذ أول الطريق معنى العزة وعدم الرضا باذلال الناس . وفي هذا يقول الامام الغزالي « ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئا بذلة ، ان كان من المحتشمين ، بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وان كان من أولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والأخذ مهانة ومذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب ، فانه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها » تلك هي التربية الاسلامية التى تعتمد على المشاركات الوجدانية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية التى تستند الى الآية القرآنية (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) أي التربية التى تجعل من الانسان وحدة اجتماعية متفاعلة بصورة ايجابية مع بقية افراد المجتمع ، ولا تجعل منه مجرد عابد ذليل في محراب الملك أو الرئيس أو الأمير .

٥ - التربية الدينية :

وهذه التربية أساسها الدين والايمان بالله والخوف منه والارتباط بحماه ، وذلك بتعليمه القرآن الكريم والحديث والفقه والسيرة وقصص الأخيار . وهنا يطالب حجة الاسلام الغزالي « بتجنيب الصبي أشعار الهوى والغرام والأدب المفسد ، كما يطالب بالزامه بالقيام بالفروض الدينية اذا بلغ سن التمييز والتكليف » بشرط أن يكون والداه ومدرسوه والمشرفون على تربيته قدوة حسنة له . والقرآن يقول في هذا (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**) الاحزاب/ ٢١ ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام كما أمره به في القرآن « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** » وكذلك نقرأ موعظة لقمان لابنه في القرآن الكريم (**واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** لقمان /١٣ وعلى الوالد ايضا ان يأخذ بيد ابنه الى الطريق المستقيم ،

طريق الدين والأخلاق الكريمة ،

أسوة بسيدنا نوح الذي قال لابنه كما جاء في القرآ الكريم (**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**) هود/٤٢ ، ٤٣ وعلى الأبناء طاعة آبائهم حتى لا يكون مصيرهم مثل مصير ابن نوح ما دام آباؤهم يرشدونهم الى طريق الدين .

ومما ينبغي أن يحرص عليه المربون في تربية الأبناء تقديرهم لأنماط السلوك الايجابية ، أي التى تتفق مع الدين ، التى يأتيها الطفل .. فاذا أتى الولد عملا كريما أو سلك سلوكا حميدا ، كان على المربي أن يذكر له ذلك ويقدره ويشكره عليه ليكون ذلك تشجيعا وتأييدا وحثا له على المزيد من العمل الطيب والتصرف الجميل . واذا ارتكب الولد خطأ كان على المربي أن يذكره به في رفق ، وأن يبين له ما في هذا الخطأ من ضرر . وأن يحرص المربي على أن يتم ذلك في هدوء وبعيدا عن التشهير ، وبلا قسوة ، حتى لا يقتل عنصر الحياء في الصبي ، وحتى لا يقضي على همته وعزيمته . وللغزالي في هذا المقام عبارة جليلة تدل على خبرة وبصيرة بطرق التربية القديمة والحديثة يقول فيها « ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ، ولا يظهر له أنه يتجاسر أحد على مثله ، لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه ، فان اظهار ذلك عليه ربما يزيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك ان عاد ثانيا ، فينبغي ان يعاتب سرا ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له : اياك أن يتعود بعد ذلك لمثل هذا ، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس .. ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه الا أحيانا » .

وهكذا نرى الغزالي يؤمن بالتجاوز عن السابقة الأولى اذا ما أخفاها صاحبها ونجح في اخفائها لأن ذلك يدل على احساسه بالذنب ، ولكنه اذا عاد لمثلها فمن الضروري محاسبته عليها سرا أيضا وعلى الوالد أن يحافظ على اطار من أنماط السلوك مع ولده حتى لا يتصور الولد أن الوالد غلام يلعب معه .

وعلى الوالدين أن يقتديا بنبي الله لقمان في توجيه أبنائهم الى ما يتفق مع الدين ، كما جاء في القرآن الكريم (**يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك وأغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير**) لقمان/١٦ ـ ١٩ .

تلك هي باختصار شديد نظرية التطبيع الاجتماعي Socialization الاسلامي التى تركها لنا فقهاء الاسلام من مختلف نواحيها البيولوجية والاجتماعية والنفسية والدينية ، مما يعد مفخرة للاسلام وللمسلمين .

رحلة الحاج من وطنه إلى مكة المكرمة وآثار الحج ومنافعه

نحو فهرسة لمناسك الحج

للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

مع اشراقة اول شهور الحج الثلاثة (شوال وذو القعدة وذو الحجة) بدأت وفود الحجيج تزحف قاصدة مكة المكرمة لتؤدي هذه الفريضة وتشهد أكبر مؤتمر

سنوي يعقد على صعيد واحد وحول بيت واحد حضوره عبادة والطواف حوله عبادة وعلاوة على ذلك فيه منافع للناس .

وتزدحم النفس بالأحداث الجلال العظام فمنذ أربعة عشر قرنا وزيادة ، انبعثت من أرض هذه البلاد أنوار الرسالة المحمدية ، تبشر بدين الحق الذي أفاء على العالم كله حضارة وعدالة ونورا .

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر ، وتستشعرها الانسانية في كل مكان ، وتملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم ، وعجيب أمر هذه الفريضة فمن أداها وذاق حلاوتها وأمتع الروح والقلب بالمشاهد وممارسة الشعائر ، يعيش طيلة حياته تواقا الى تكرارها ومعاودة أدائها والمتعة بما تجد فيها الروح هناك من سعادة لا تعادلها سعادة .

لذلك ظلت الكعبة وهي قبلة المسلمين سببا هاما من أسباب قوة ووحدة المسلمين .. وكانت كتابات وتقارير واجتماعات اعدائهم تدور حول صد المسلمين عنها أو التهوين من شأنها ، بل لقد صرح احدهم « بأن الاسلام سيظل صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات النيل منه ما دام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن والأزهر واجتماع الجمعة ـ الاسبوعي ـ ومؤتمر الحج السنوي » واجد نفسي معتزما بمشيئة الله آداء فريضة الحج فاغترف من هذا النبع الصافي هذا المقال اقدمه تذكرة لكل مسلم ومسلمة بأعمال الحج ومناسكه ، مرتبة ترتيبا زمنيا ومكانيا فإنأوقات الحاج وتوالي المناسك وتعدد المعالم وكثرة الانتقالات .. لا تحتمل استيعاب الاحكام الشرعية المتعلقة بالحج طلبا أو كفا صحة او فسادا في كتب الفقه الاسلامي المطولة . وهي كثيرة ومتعددة .

والجدير بالذكر ان الحج فر يضة وركن من أركان الاسلام الخمس ، شرعها الله وأوجب أداءها على كل مستطيع يقول سبحانه : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/٩٧ وقبل الشروع في آداء مناسك الحج على المسلم أن تكون نيته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وعلامة ذلك أن يتخلص المسلم من عيوب نفسه ، وان يرد المظالم ويعطي لكل ذي حق حقه ، وأن يصل رحمه ويعد نفقته في الاراضي المقدسة من مال طيب حلال . فمن فعل ذلك كان حجه مبرورا .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه .

تعريفات هامة :

١ ـ **ما هو الحج** : هو أن يقصد المسلمون القادرون الكعبة في مكة المكرمة ، وأركانه : الاحرام ، والطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة في التاسع من ذي الحجة من الزوال إلى الفجر مع مراعاة أن يكون الاحرام من اماكنه .. والحج فريضة محكمة على كل مسلم مستطيع قادر على آدائها صحة

ومالا وغيرهما وسبق الاشارة الى ذلك .

٢ ـ **ما هي العمرة** : واجب تؤدي مع الحج أو منفصلة عنه واركانها ثلاث : احرام ، وطواف ، وسعي وأربعة بزيادة الحلق عند الشافعية وهي واجبة وفي تركها هدى ويرى بعض المذاهب انها سنة . وليس لها ميقات زماني فيمكن القيام بها في أي وقت من أوقات السنة .

٣ ـ **الميقات الزماني للحج** : بين الله سبحانه وتعالى المواقيت الزمانية للحج في قوله تعالى : (**الحج اشهر معلومات**) البقرة/١٩٧ وقد بينها « الرسول » صلى الله عليه وسلم بأسمائها وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة .. وقال أبو حنيفة وبعض الأئمة انها شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة .. ويقول الامام الشافعي ان الشروع في الحج قبل هذه الاشهر لا يصح .. كما لا يصح الاحرام بالصلاة قبل وقتها . ومن المتفق عليه ان أعماله ومناسكه لا تستوعب هذه الأشهر الثلاثة وغالبا تؤدى في أيام معدودة من ذي الحجة الا الاحرام فانه يمكن ان يستوعب شهر شوال وذي القعدة وعشرا من ذي الحجة ، وتوسيع الميقات الزماني جاء بقصد سعة الاحرام وسفر الحاج ذهابا الى الاراضي المقدسة واستعداده لأداء هذه الفريضة .

٤ ـ **الميقات المكاني** : خصص الشارع لكل وافد الى مكة المكرمة مكانا أوجب عليه ان لا يمر به إلا محرما « أي متجردا من ثيابه العادية ومرتديا ملابس الاحرام ، وهذه الامكنة تسمى مواقيت الاحرام ولا يصح ان يؤخر الاحرام بعدها وان كان يصح أن يكون قبلها فيجوز لأي حاج ان يحرم من بيته او في الباخرة أو في الطائرة أو في المطار ولكن ذلك مشقة لم يلزمنا بها الشارع الحكيم .. ومعلوم أن للاحرام ميقاتين احدهما زماني كما سبق من أول شوال إلى طلوع فجر الاضحى والآخر مكاني وهو يختلف باختلاف الجهات التي قدم منها حجاج البيت الحرام وهي كما يلي : ـ

(أ) **ذو الحليفة** « آبار علي » مكان بينه وبين مكة حوالي ٤٥٠ ك . م وهو ميقات اهل المدينة .

(ب) **الجحفة** « رابغ » مكان بينه وبين مكة ٢٠٤ ك . م تقريبا وهو ميقات أهل مصر والشام والمغرب وبلاد الأندلس .

(جـ) **قرن المنازل** ، جبل يقع شرقي مكة المكرمة يطل على عرفات وبينه وبين مكة ٩٤ ك . م وهو ميقات أهل نجد والكويت .

(د) **يلملم** ، ميقات أهل اليمن والهند وهو جبل جنوبي مكة المكرمة وبينهما ٥٤ ك . م .

(هـ) **ذات عرق** ، ميقات أهل العراق وهو مكان في الشمال الشرقي من مكة وبينهما حوالي ٩٤ ك .م .

وهذه المواقيت عينها وبينها « رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأهل هذه البلاد التي ذكرت ولمن مر بها يقول صلى الله عليه وسلم : « هن لهن . ولمن أتى عليهن من

غيرهن . ممن أراد الحج أو العمرة » رواه مسلم ويحرم على المسلم الذي يريد الحج أن يتجاوزها بدون إحرام سواء أكان قادما برا أم بحرا أم جوا .

خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة :

اولا : الاحرام :

الاحرام أولى خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة ، ويجب أن يكون من ميقاته المكاني وفي ميقاته الزماني بالنسبة للحج ويشمل ما يلي : -

١ - قبل وصول الحاج الى ميقات الاحرام عليه الاستعداد للاحرام والسنة في الاستعداد للاحرام ، أن يقلم أظافره وأن ينظف بدنه وأن يزيل الشعث كقص الشارب وتسريح اللحية وحلق العانة ونحو ذلك ، مما قد يتأذى به المحرم اذا بقى بعد دخوله في الاحرام ، ثم يغتسل ويتجرد من ملابسه العادية ويلبس ملابس الاحرام .

٢ - بعد ذلك يصلي ركعتين بنية سنة الاحرام ، وعقب ذلك ينوي الدخول في النسك ويسن النطق بالنية بأن يقول نويت الحج وأحرمت به لله تعالى « اللهم يسره لي وتقبله مني » اذا كان مريدا الحج فقط . ويقول : « نويت العمرة ... الخ » اذا كان معتمرا أو يقول « نويت الحج والعمرة ... الخ » اذا كان سيجمع بينهما في احرام واحد .

٣ - يسن قرن الاحرام بالتلبية وهي سنة ويستحب للرجل ان يرفع صوته بها ، ووقتها عند جمهور الفقهاء **من وقت الاحرام الى رمي جمرة العقبة يوم النحر** ، ويستحب تجديدها عند تغير الحال من صعود جبل او ركوب سيارة او لقاء اصحاب ومعارف وعقب كل صلاة يصليها وهو محرم ، ومن الجدير بالذكر ان رفع صوت المرأة بالتلبية مكروه وعليها ان تسمع نفسها ومن يليها فقط وصيغة التلبية هي :

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .. » والتلبية هامة جدا في أداء مناسك الحج ، وبعض الأئمة يرى انها ركن من اركان الحج ، ويرى غيره انها ليست ركنا ، ولكن يلزم تاركها دم .

٤ - **محظورات الاحرام** : اثناء فترة الاحرام من وقت الاحرام حتى الانتهاء من المناسك يحرم عدة أشياء نجملها فيما يلي :

(أ) **لبس المخيط للرجل** :فلا يلبس المحرم قميصا أو جبة أو سروالا او اي ثوب مما اعتاد لبسه ولا يلبس عمامة او قبعة ولا حذاء يستر ظاهر قدمه .

(ب) **القفاز** « الجوانتي » للمرأة ، يحرم على المرأة ستر الوجه واليدين بأي ساتر ، ويرى بعض الأئمة ان المرأة اذا قصدت ستر احداهن « الوجه او اليدين » عن الأجانب جاز لها ذلك وفي هذه النقط كثير من التفاصيل .

(جـ) ايضا يحرم **الرفث** ، وهو الجماع ودواعيه كالتقبيل واللمس بشهوة والمداعبة والنظر في محاسن المرأة .

(د) ويحرم **الفسوق** اقتراف المعاصي والجدال وهو مخاصمة الرفقاء وغيرهم لقوله تعالى : **(فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** البقرة/١٩٧ .

(هـ) كذلك يحرم **ممارسة عقد النكاح** سواء أكان زواجا ام خطبة على المحرم واذا حدث كان باطلا الا عند الحنفية .

(و) كذلك **يحرم** تقليم الاظافر والتطيب وصيد البر وقطع شجر الحرم او اتلافه . وهذه المحرمات كلها اذا اقترف منها شيء وجبت الفدية ما عدا عقد النكاح ، والفدية وهي تختلف وتتفاوت باختلاف طبيعة المحظور الذي وقع .

٥ **ويباح للمحرم** ما عدا ذلك . كالاغتسال وغسل الثوب ونفض الشعر ومشطه ولبس الخفين للمرأة فقد روى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عائشة رضي الله عنها فقال « انفضي رأسك وامتشطي » وقال النووي نفض الشعر والامتشاط جائزان في الاحرام ، بحيث لا يؤدي ذلك الى سقوط الشعر . كذلك لا شيء في تغطية الرأس بهذا او النظر في المرآة او شد الحزام او لبس الخاتم الفضي في اليد او الاستظلال بشيء او خيمة او بيت او مظلة شمسية كذلك يباح ايضا قتل الحيوانات المؤذية للمحرم اثناء مدة الاحرام كالعقرب والثعبان .

٦ ـ ويستمر المحرم متجها الى مكة المكرمة فاذا ما قرب منها يسن له ان يغتسل قبل دخولها ، ويستحب ان يدخلها نهارا ويبدأ بالحرم ويقول عندما يقع بصره على الكعبة : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه ، من حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا » .. « اللهم انت السلام فحيينا بالسلام » وهذا الغسل للنظافة فيستحب للمرأة حتى ولو كان بها عذر شرعي ، كما ان عليها ان لا تدخل المسجد الحرام الا اذا تطهرت بعد النقاء ..

والجدير بالذكر ان انواع الاحرام **ثلاثة** : هي الافراد والتمتع والقران **فالافراد** : هو ان يحرم للحج وحده فاذا فرغ من اعماله ، احرم بالعمرة وطاف وسعى واتم اعمالها .

والتمتع : هو ان يحرم بالعمرة فاذا فرغ منها ، احرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة .

والقران : الجمع بينهما في احرام واحد او الاحرام بالعمرة ثم ادخال الحج عليها قبل الطواف وعلى كل من المتمتع والقارن ان يقدم هديا لقوله سبحانه في المتمتع : **(فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم)** البقرة/١٩٦ . واما القارن فلما روى عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم . ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات ومن اختار الافراد فليس عليه شيء من الهدى .. بقى ان تتذكر ايها القارىء ان افضل الانواع الثلاثة للاحرام محل اختلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم .

فالاحناف على ان القران افضل ويليه التمتع ثم الافراد . **والمالكية** يفضلون الافراد ويليه القران ثم التمتع ، **والشافعية** يقولون بأفضلية الافراد ويليه التمتع ثم القران ، والامام احمد يفضل التمتع ويليه الافراد ثم القران وعلى العموم ما دامت هذه المسألة خلافية بين الأئمة فعلى كل حاج تخير نوع الاحرام الذي يتوافق مع ظروفه ووقته مع ملاحظة وجوب الهدى على المتمتع والقارن فقط اما المفرد فلا هدى عليه : **ورأى الفقهاء الغالب يوافق الامام احمد في افضلية التمتع لما يحققه من فوائد هي :** ـ

١ ـ قصر مدة الحج وهي لا تتعدى اليوم الثامن من ذي الحجة ويوم عرفة وجزءا من ايام العيد . فلا يكون هناك ملل من طول مدة الاحرام لأن طول المدة قد يكون سببا في فساد الحج ، او الاقلال من الثواب الا من قدره الله سبحانه وتعالى على تحمل المشقة .

٢ ـ نظافة الجسم بالاستحمام الذي يقوم به المتمتع بين النسكين وصيانته من العوامل الجوية .

٣ ـ ان المتمتع يلزم اهداء هدى وهذا يفوز بالنفع للفقراء والمساكين كما سبق فان لم يجد المتمتع هديا فعليه الصيام كما حددته الآية الكريمة .

وبدخولك ايها الحاج الكريم مكة المكرمة تكون قد بدأت في بقية المناسك .. تقبل الله حجك وجعله حجا مبرورا .

قبل أن اختم هذا المقال أود الاشارة إلى آثار أداء فريضة الحج في النفس والحياة عموما والى تلك المنافع التي أشارت اليها الآية الكريمة في قوله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله)** الحج/٢٧ و ٢٨ والآية الكريمة تفتح بابا للتأمل والتفكر والنظر في هذه المنافع المشهودة التي قدمت في الآية الكريمة على ذكر اسم الله جلا علاه .

وتتعدد آثار الحج ومنافعه لتشمل الآثار والمنافع الروحية والتعليمية والتجارية وغيرها ، هذه الآثار وتلك المنافع العظيمة التي أوردها القرآن الكريم تعليلا لهذه الرحلة المباركة كانت دائما محل اهتمام المؤمنين المخلصين وغيرهم واهتمام المؤمنين المخلصين بها يكون على سبيل تحصيلها وأداء هذه الفريضة لاكتساب هذه الآثار وتلك المنافع ، اما غيرهم فهي محل اهتمام بالدراسة والبحث وايجاد الوسائل الكفيلة بعدم تحقيقها وتحصيلها وبصد المسلمين عن الكعبة ومحاولة صرف نظرهم عنها ومع ذلك فاننا نجد قلة من المنصفين الاجانب يشهدون بفضل هذه الشعيرة الاسلامية العظيمة والامثلة على ذلك كثيرة منها ما ورد في مقدمة هذا المقال ، واذا ما عدنا الى تعداد هذه المنافع والآثار التي تعود على المسلمين افرادا

وجماعات وشعوبا بالخير العميم ، فيمكن ان نذكر منها :

١ ـ ان الحج يزود المسلم بشحنة روحية وعاطفية ويملأ جوانبه خشية وتقى لله سبحانه وتعالى ، فالارض المقدسة وذكرياتها الغالية وشعائر الحج والتفاف المسلمين حول الكعبة التي ظلت وسوف تظل على مدى الدهر رمزا للتوحيد وعبادة الله ووحدة المسلمين وقوتهم فيرجع الحاج خاصة من كان حجه مبرورا نقي القلب . طاهر العقيدة واقوى عزيمة على الخير واصلب عودا امام المغريات والشهوات ولقد اشار الحديث النبوي الى هذا ، يقول الرسول الكريم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري واحمد والنسائي .

٢ ـ المنافع التجارية : وللحج جانب مادي ، حيث يكون فرصة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين .

وكان المسلمون في اوائل الاسلام يتحاشون التجارة ، ولا يقومون بأي عمل دنيوي ، يكون الهدف منه الربح والرزق خوفا من ان ينال ذلك من أدائهم الشعيرة ، أو ينقص مثوبتهم عند الله . فأجاز الله سبحانه وتعالى ذلك فقد روى البخاري عن ابن عباس قال : « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فتأثموا أي تحرجوا ان يتاجروا في الموسم « موسم الحج » فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية الكريمة : (**ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم**) البقرة/١٩٨ . يقول صاحب المنار في هذه النقطة : « كان بعض المشركين وبعض المسلمين يتأثمون في ايام الحج من كل عمل حتى كانوا يغلقون حوانيتهم فعلمهم الله تعالى انٍ الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الاخلاص . وقوله تعالى (**من ربِّكم**) يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة انه فضل من الله ، نوع من انواع العبادة ويروي ان عمر قال لسائل في هذا المقام : وهل كنا نعيش الا على التجارة ؟

٣ ـ **الحج مساواة ووحدة وسلام** : من الأمور المسلم بها ان الحج تدريب عملي للمسلم على المبادىء الانسانية العليا . فقد جاء الحج ليضع المبادىء والقيم الاجتماعية بين أيدي المسلمين ليتدربوا عمليا عليها ، من هنا كانت الحكمة في الاحرام حيث التجرد من ملابس الزينة والتفاخر وارتداء الجميع ملابس بسيطة لا مجال فيها لصنعة هي اقرب من اكفان موتى المؤمنين . ويلبسها الكل: الفقير والغني والمعدم وذو المال والحقير وصاحب الجاه . وقديما كانت قريش ترى نفسها افضل من سائر العرب ، فكانت تقف على المزدلفة وتترفع عن الوقوف معهم في عرفات ، فأبطل الاسلام هذه العادة ، وذكر بعض اعمال الحج قوله : (**ثم افيضوا من حيث افاض الناس**) البقرة/١٩٩ .

كذلك يتجلى مبدأ السلام في هذه الرحلة الميمونة ، فالحج طريقة لتدريب المسلم على السلام ، فأرض الحج هي البلد الحرام والبيت الحرام يقول تعالى : (**من دخله كان آمنا**) آل عمران/٩٧ ويقول عمر رضي الله عنه « لو وجدت فيه ـ أي في الحج ـ قاتل أبي ما مسته يدي » أرض الحج أمان شامل للطير في الجو ، والصيد

في البر ، والنبات في الارض ، والمسلم في الحج يعيش في سلام حقيقي ، مهما اختلف جنسه ولونه ووطنه ، وحدة في الشعائر والمشاعر ، والهدف والعمل والقول ، الجميع مسلمون يطوفون ببيت واحد ويعبدون الها واحدا ، ويتبعون رسولا واحدا هل رأيت ايها القارىء الكريم وحدة اعمق من هذا وابعد غورا ؟

٤ ـ الحج مؤتمر عالمي : يجتمع المسلمون من مشارق المعمورة ومغاربها . مؤتمر دعا اليه العلي القدير يلتقي فيه المصلحون والسياسيون والعلماء ، ليتعارفوا ويتعاونوا على بلوغ انبل الاهداف واعظمها . ولقد عرف المسلمون الاوائل قيمة هذا المؤتمر ، فجعلوه فرصة لتبادل الآراء وتعارف الافكار وتدارس الروايات والاحاديث والاخبار . ولا يخفى علينا ما للحج من أثر في ثقافة المسلم وتدريبه ، وتوسيع افقه واتصاله بمن حوله من العالم لذلك قالوا : السفر نصف العلم ويروى ان حكيما قال من يعش يرى كثيرا ، فرد عليه آخر وقال : لكن من يسافر يرى اكثر ، رحلة الحج فيها تدريب للمسلم على البساطة والتقشف ، والانتقال والارتحال والاعتماد على النفس ، والبعد عن الترف والتكلف والعودة الى طهارة الفطرة الانسانية وفيه التضحية بالراحة والسكون ، وتدريب على ركوب الصعاب والمشقات ومفارقة الاهل والوطن ، والآل والصحاب ، وأعمال الحج توقظ في نفوس الحجيج النزعة الى تقاليدهم وتذكرهم بكل المعاني والمشاعر النبيلة وبقصة مجيء الاسلام وانتشاره وازدهاره .

وستظل الكعبة رمزا خالدا ومثابة للناس وأمنا يقول الله تعالى : (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**) البقرة/ ١٢٥ اللهم اجعلنا من حجاج بيتك الملبين لندائك وهيىء لنا كل السبل لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم . وليذهب الى الجحيم امثال المستشرق الفرنسي (كيمون) حيث يقول في كتابه (باثولوجيا الاسلام) « اعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة » ويقول موروبيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر) « يجب محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوتهم لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره ان الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية » ونقول لهؤلاء المستشرقين ان الاسلام سوف ينتشر وينتشر ، وسيعود المسلمون الى ريادة العالم كله ، وسيملأ الاسلام جوانب الارض عدالة وحضارة ونورا .

ثانيا : **الطواف حول الكعبة المشرفة** :

١ ـ بعد دخول مكة المكرمة ، يشرع في طواف القدوم وهو سنة لمن نوى الحج فقط ، اما المعتمر فيجزئه طواف العمرة عند القدوم لأن هذا الطواف سنة للحاج فقط ، وركن من اركان العمرة ، ويوجد بعد ذلك نوعان من الطواف بالكعبة ، هو طواف الافاضة او الزيارة ، وهو ركن من اركان الحج لقوله تعالى : (**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**) الحج/ ٢٩ . وطواف الوداع ويسمى طواف الصدر ليكون هذا الطواف آخر عهدك بالبيت ، ومعلوم ان

ذلك يكون في نهاية الحج وعند العزم على مغادرة مكة للسفر منها الى موطن الحاج ، ويسمونه ايضا طواف الوداد ، وسوف نتكلم عن الادعية المأثورة في طواف الوداع او الصدر او الوداد في نهاية مناسك الحج .. ونخلص من ذلك ان طواف القدوم سنة عند الحنفية والشافعية والحنابلة لمن نوى الحج فقط ، وواجب عند المالكية وفي عدم القيام به هدى عندهم ، اما طواف الافاضة فهو ركن من اركان الحج باجماع الأئمة خاصة الأربعة اشواط الاولى والثلاثة الباقية يرى الفقهاء انها واجبة وليست ركنا ، اما طواف الوداع فهو واجب في اغلب المذاهب وعند الحنفية واجب على غير اهل مكة وفي تركه هدى عندهم .

٢ ـ والطواف مهما كان نوعه سبعة اشواط ، ومعنى الطواف الدوران حول الكعبة ، ويراعى فيه ما يراعى في الصلاة من طهارة وستر عورة ، ويسن الرمل « الاسراع في المشي او الجري » في الاشواط الثلاثة الاولى ، ويمشي في الاربعة الباقية .

٣ ـ وعلى الحاج ان يبدأ كل دورة بالحجر الاسود ، ويختمها به جاعلا البيت عن يساره ويستحب للحاج ان يجعل وسط الرداء ت تحت منكبه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر .

٤ ـ اذا شك الحاج في عدد الاشواط ، بنى على اليقين وهو الاقل ، فاذا شك مثلا انه طاف خمسة اشواط او ستة ، جعلها خمسة واكمل الطواف .

٥ ـ وعلى الحاج ان يستلم الحجر الاسود في كل مرة ، ويقبله اذا امكنه ذلك والا اشار اليه من بعيد ، ويقول عند لمسه الحجر الاسود او الاشارة اليه « اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

٦ ـ يسن أثناء الطواف الدعاء بالادعية المأثورة في كل شوط من الاشواط السبعة ،

٧ ـ على المرأة اثناء الطواف ان تمشي مشيتها المعتادة وليس عليها ان ترمل اي تسرع او تجري .

٨ ـ بعد الانتهاء من الاشواط السبعة ، يصلي المحرم ركعتين ناويا سنة الطواف ، ويقرأ في الركعة الاولى سورة الاخلاص ويسن ان تكون الصلاة في مقام ابراهيم ، ان امكن ، وتجزىء عن ركعتي سنة الطواف صلاة اي فرض او نفل يصليها الحاج .

٩ ـ بعد صلاة الركعتين يسن له ان يأتي الملتزم « باب الكعبة » ويتجه الحاج الى بئر زمزم للشرب منها ما استطاع ، ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحـوه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم . فيه طعام الطعم وشفاء السقم » ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحوه مما هو خير في الدين والدنيا ، فان « ماء زمزم لما شرب له » ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم يقول : اللهم اني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

ثالثا : **السعي بين الصفا والمروة** :

١ ـ بعد شرب ماء زمزم يرجع المسلم الى الحجر الاسود لاستلامه ناويا التوجه الى السعي بين الصفا والمروة .

٢ ـ والسعي بين الصفا والمروة يكون سبعا مبتدئا بالصفا ومنتهيا بالمروة . أي مبتدئا بما بدأ الله به في قوله : **(ان الصفا والمروة من شعائر الله)** البقرة/١٥٨ . وهو ركن من أركان الحج ومن الأئمة من قال بوجوبه .

٣ ـ تجوز الاستراحة بين الاشواط ، أو أداء الصلاة مع الجماعة ويشترط المشي للقادر عليه ولا بأس بالركوب لغير القادر .

٤ ـ للسعي سنن منها :

أ ـ ان يخرج الى السعي من باب الصفا .

ب ـ ان يصعد على الصفا حتى يشاهد الكعبة .

جـ ـ الدعاء بالادعية المأثورة ويستحب فيه قراءة القرآن والاكثار من الذكر .

د ـ ان يكون بعد الطواف مباشرة .

هـ ـ ان يكون الساعي متطهرا من الحدث والخبث .

و ـ ان يهرول وسط الشوط بين المكانين المعروفين بالميلين (العلمين الاخضرين) .

ويجب الاشارة الى انه لا يسن للنساء الصعود على الصفا إن كان هناك زحام .

التحلل من العمرة :

بعد الانتهاء من السعي بين الصفا والمروة تتم العمرة لمن نواها عند الاحرام .. اذا كان معتمرا فقط وحتى يتحلل من العمرة عليه ان يحلق رأسه ويقص شعره ، ويباح له ما كان محظورا عليه وقت الاحرام . يظل هكذا حتى يحين وقت الاحرام بالحج ، وهو في هذه الحالة يسمى **متمتعا** وسبق أن التمتع هو الاحرام بالعمرة اولا ، ثم التحلل منها ، ثم الاحرام بالحج في وقته ، وسبق انه متى تمتع المحرم وجب عليه هدى .

اعادة الاحرام للحج (يوم التروية) :

في اليوم الثامن من ذي الحجة نتهيأ للاحرام ، ويسمى هذا اليوم يوم التروية وسبق كيفية الاحرام . والاحرام للحج بعد التحلل من العمرة يكون من نفس المكان الذي ينزل فيه الحاج سواء أكان في مكة ام خارجها ، ثم يذهب الحاج الى منى في طريقه لعرفات ، واثناء السير الى منى يستحب الاكثار من الدعاء والتلبية ، ويبيت الحاج في منى ولا يخرج منها الا بعد طلوع شمس التاسع من ذي الحجة ، ويؤدي بها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وتجدر الاشارة الى انه اذا ترك الحاج شيئا من هذا او ذهب الى عرفات مباشرة من مكة فلا شيء عليه ، لان عائشة رضي

الله عنها لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه .

رابعا : الوقوف بعرفة.:

١ ـ اهم ركن من اركان الحج لقوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » رواه ابن ماجه وابو داود . من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج .
٢ ـ وعرفات جبل يقع غرب مكة على بعد اكثر من عشرة كيلو مترات ، ووقت الوقوف بعرفة بين زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى فجر العاشر منه ، وشرط الوقوف ان يكون بعد الزوال ، والسنة ان يمتد الى غروب الشمس ، ومن وقف قبل الزوال لا يعتد بوقوفه .
٣ ـ عرفة كلها موقف « **إلابطن عرنة** » وفي الجهة الشمالية من جبل عرفات صخرة مرتفعة تسمى جبل الرحمة وفي سفحها الجنوبي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع المشهورة .
٤ ـ المراد بالوقوف بعرفات حضور الحاج فيه ولو لحظة بمقدار ما بين السجدتين واقفا او جالسا او ماشيا او راكبا او نائما او مستيقظا من بعد ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة وحتى فجر العاشر منه .
٥ ـ يجب في الوقوف ان يكون على طهارة والاكثار من ذكر الله والثناء عليه والتكبير والتلبية والتهليل والاستغفار والتذلل له والطلب منه والرجاء اليه .
٦ ـ في عرفات نصلي الظهر والعصر يومها قصرا جمع تقديم ومعنى الظهر المقصور ان نصلي ركعتين بدلا من اربع ، وكذلك العصر . ونجمعها جمع تقديم اي نصلي الظهر والعصر في وقت الظهر مع الامام بمسجد نمرة من غير فصل بينهما بنافلة .. واذا صليت في الخيمة فتصلي كل فريضة في وقتها او جمعها في وقت الظهر مستقلة كل منها عن الاخرى .

الافاضة الى المزدلفة :

المزدلفة مكان يقع بين منى وعرفات ، وتكون الافاضة اليه بعد غروب الشمس ، ويندب في الافاضة الى المزدلفة الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن .. وعند الوصول الى المزدلفة « وتسمى المشعر الحرام » نصلي المغرب بها مع العشاء قصرا جمع تأخير اي وقت العشاء ، والمبيت بمزدلفة مطلوب لمن في استطاعته ذلك حتى يصلي الصبح في أول وقته ثم يتركها الى منى لقوله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**) البقرة/١٩٨ ومعنى افضتم : نزلتم .
والحاج يجمع من ارض المزدلفة الحصيات التي ترمى بها جمرة العقبة بمنى صباح يوم النحر وهي سبع حصيات ، ويمكن جمعها من غير المزدلفة ، ويمكن

ايضا جمع جميع الحصيات اللازمة للرمي في الايام الثلاثة يوم العيد واليومين التاليين له من مزدلفة او من غيرها ومجموع الحصيات المطلوبة ٤٩ حصاة لجمرة العقبة يوم النحر ، وواحدة وعشرون للجمرات الثلاث في ثاني ايام العيد ، ومثله في ثالث ايام العيد .

رمي جمرة العقبة بمنى : كما يلي :

بعد ترك المزدلفة يسلك الطريق الى منى وعند دخولها فورا يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات واحدة تلو الاخرى على ان تكون كل حصاة بين طرفي الابهام والسبابة اليمنى ، وان يكون الرمي بقوة قائلين : « بسم الله والله أكبر .. رجما للشيطان وحزبه اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا » .

وبعد رمي اول حصاة تنقطع التلبية التي التزمناها منذ الاحرام بالحج ، ثم يتم ذبح الهدى أن لم يكن قد تم الذبح بمكة من قبل ، ويلاحظ عدم رمي هذه الجمرة ولا غيرها بأشياء تخالف السنة ، ويمكن الانابة في الرمي على ان يرمي من انبته لنفسه اولا ولمن انابه ثانيا . والافضل الرمي بنفسك ما دمت قادرا عليه .

وتسير الخطوات بعد ذلك :

١ ـ بعد رمي جمرة العقبة بالحصيات السبع ، يحلق الحاج رأسه او يقصر شعره ومعنى ذلك هو التحلل من الاحرام بالحج ، ويباح ما كان محظورا بسبب الاحرام الا معاشرة الازواج ، وهذا هو التحلل الاول الذي يبيح له كل شيء الا النساء .

٢ ـ بعد ذلك ينزل الى مكة لطواف الافاضة وهو ركن كما سبق ثم يسعى بعده ويتحلل الحاج التحلل الاكبر ويرجع الى حياته العادية وطواف الافاضة كيفيته وشروطه واجراؤه يكون كما سبق في الكلام عن طواف القدوم .

٣ ـ الذين لا ينزلون الى مكة يوم النحر بل يظلون بمنى حتى يرموا الجمار ، فانهم يطوفون طواف الافاضة عندما ينزلون الى مكة ويتحللون التحلل الاكبر .. والسعي الذي يعقب طواف الافاضة يكون للذين لم يسعوا من قبل ، اما الذين سعوا فعليهم بطواف الافاضة ثم التحلل الاكبر .

٤ ـ رمي الجمار أيام التشريق الثلاثة له شروطه التي سوف اتكلم عنها فيما بعد .

٥ ـ رمي الجمار ايام التشريق يكون بعد رجوع الحاج من طواف الافاضة ان كان قد نزل مكة بعد رمي جمرة العقبة ، وان لم يكن قد نزل الحاج واجل طواف الافاضة فانه بعد الانتهاء منها ينزل الى مكة ويطوف طواف الافاضة ويتحلل التحلل الاكبر .

٦ ـ بعد ذلك يطوف الوداع عند العزم على مغادرة مكة الى الموطن ثم يسافر بعد ذلك في سلامة الله .

الافاضة ورمي جمرة العقبة والتحلل

من الجدير بالذكر ان الافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف حتى غربت الشمس وقال : « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم وقد افاض النبي عليه الصلاة والسلام بالسكينة وضم زمام ناقته اليه حتى كاد رأسها يفيض طرف رجله وهو يقول : « يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالانصاع » والانصاع يعني الاسراع رواه البخاري ومسلم ، الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لم يلب حتى رمى جمرة العقبة ويبيت الحجاج هذه الليلة في « مزدلفة » ويسن ان يظل بها الحاج حتى يصلي الفجر الا اذا كان له عذر ، وعند الحنفية ان الحاج لا ينصرف قبل طلوع الفجر إلا لعذر وإلا لزمه دم .

ولا يتعين اخذ الحصى من المزدلفة وان استحبه الشافعية ولا دليل على من اعتقد بوجوب اخذ الحصى من المزدلفة والوارد عنه صلى الله عليه وسلم انه اخذ سبعا من حصى الجمار في هذا اليوم ليرمي جمرة العقبة ويمكن التقاط حصى الرمي في الايام الباقية من منى ويمنع اخذ الحصى من مكان الرمي « أي حصى رمي به من قبل » وبعد رمي جمرة العقبة ينحر الحاج هديه ثم يحلق بعد ذلك شعره أو يقصر والحلق افضل ، لأنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة والرحمة للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة ، اما النساء فليس عليهن حلق ، وانما عليهن التقصير وبعد الفراغ من الحلق ، يسن ان يقول الحاج الحمد لله الذي قضى عني نسكي . اللهم ائتني بكل شعرة حسنة . وامح عني بها سيئة . وارفع لي بها درجة واغفر لي وللمحلقين والمقصرين وجميع المسلمين . اللهم زدنا ايمانا ويقينا وتوفيقا وعونا واغفر لنا ولآبائنا وامهاتنا وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد رمي جمرة العقبة والذبح وحلق الشعر او تقصيره ، يباح للمحرم كل شيء ما عدا النساء وهذا هو التحلل الاول ثم يطوف طواف الركن « طواف الافاضة » ويسن للحاج ان يتطيب ويتوجه الى مكة لأداء هذا الطواف ، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم . ولحله قبل ان يطوف بالبيت » اخرجه البخاري ومسلم وبعد الفراغ منه يسعى ان لم يكن قد سعى ويرجع الى حياته العادية فيحل له ما بقي محرما عليه وهو مباشرة زوجته .

شروط رمي الجمار

وفي أيام التشريق ترمى الجمار الثلاث في ثلاثة أيام ، اذا تأخر بمنى،ويومين اذا تعجل ، والجمار عددها ثلاث هي الصغرى قريبة من مسجد الخيف والوسطى

تبعد عنها بنحو ١٥٥ مترا والكبرى وتسمى جمرة العقبة وهي في مدخل منى وتبعد عن الوسطى بنحو ١٥٥ مترا ايضا ويلاحظ :

١ ـ عند الرمي يبدأ الحاج بالصغرى فالوسطى فالكبرى على الترتيب ويفعل ذلك يومين بعد العيد ان اراد الاكتفاء والرحيل الى مكة او ثلاثة اذا اراد البقاء .

٢ الرمي يكون بحصى مناسبة لا هي بالصغيرة ولا بالكبيرة وعليه ان يتأكد او يغلب على ظنه اصابة الجمرة .

٣ ـ لا يجوز الرمي بحجر كبير ولا بعصى او زجاجة او حذاء او ما شابه ذلك ، كما يفعل بعض الناس اظهارا لكراهية الشيطان لأن هذا مخالف للسنة .

٤ ـ على الحاج تحاشي اصابة الناس عند رميه الحصى ، وينوي في قلبه العزم على قهر الشيطان ووسوسته ، وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصى وفي الحقيقة يرمي الشيطان .

٥ ـ ووقت الرمي لجمرة العقبة يوم النحر عند الشافعية واحمد من منتصف ليلة العيد حتى آخر أيام التشريق الثلاث ، ويمكن الأخذ بهذا تلافيا للزحام او شدة الحر ، وعند الحنفية يبدأ الوقت عنده بطلوع فجر العيد حتى فجر اليوم الثاني ، ويندب ان يكون بعد طلوع شمس العيد ، ويكره تأخير الرمي بعد الزوال يوم العيد عند المالكية .

٦ ـ الجمار الثلاث الاخرى وقت الرمي يكون من الزوال الى الغروب ، ويكره تأخيره الى الليل حتى الفجر ، ولكنه يجزىء عند ابي حنيفة ، ولا يجوز تأخيره عن الغروب عند مالك والشافعي واحمد ، وعندهم لو تأخر عن الغروب لا يرمى ليلا وانما يرمى بعد زوال اليوم الثاني .

٧ حكم الرمي واجب عند الجميع .

٨ ـ يجوز للمرضى وكبار السن والنساء الحوامل ان يوكلوا من يرمي عنهم الجمرات كلها ، وليس لهم توكيل لغيرهم في شيء من المناسك ما عدا الرمي ، وعلى الحاج الموكل ان يرمي لنفسه اولا ، ثم يرمي عن موكله .

والجدير بالذكر ان من فاته الوقوف بعرفة فلا حج له وعليه عندئذ ان يأتي باعمال العمرة من طواف وسعي وحلق او تقصير وعليه قضاء الحج في العام القادم ودم كدم المتمتع ـ اما من فاته ركن آخر غير الوقوف بعرفة ، فيجوز الاتيان به في اي وقت من عمره عند ابي حنيفة واحمد ، وعند المالكية يمتد وقته الى آخر ذي الحجة ولا دم عليه ، ولكن اذا آخر الاتيان به بعد ذي الحجة فان حجه صحيح ويجب عليه هدى . ومن المعروف أن من فاته السعي فعليه ان يؤديه طالما هو موجود بمكة ، والا بعث بهدى يذبح في مكة ولا يرجع الى مكة لاعادة السعي .

مبطلات الحج :

تجدر الاشارة الى ان الحج او العمرة لا يبطله ارتكاب اي شيء من المحظورات

(محظورات الاحرام) الاحالة واحدة هي الجماع فهي تبطل الحج اما ارتكاب اي محظور آخر فيوجب الفدية والفدية تكون واحدة من **ثلاثة اشياء** هي ذبح شاة او اطعام ستة مساكين كل مسكين نصف صاع او صيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة ايام بعد عودته الى وطنه ويجوز الاكل من هدى التمتع وهدى القران وهدى التطوع ولا يأكل من غيرها هذا ما ذهب اليه الامام ابو حنيفة والامام احمد . وعند الامام مالك يجوز الأكل من الهدى الذي قدمه لفساد حجه ومن هدى التمتع ومن الهدى كله الا فدية الاذى وجزاء العيد وما نذره للمساكين .

أخطاء شائعة يرتكبها بعض الحجاج :

تتعدد الاخطاء الشائعة التي يرتكبها بعض الحجاج ، وقد يكون ذلك بغية الامعان في أداء الشعيرة او نتيجة عدم المام الحاج بمثل هذه الأمور منها :

١ ـ تجاوز الحاج ميقاته المكاني وهذا مخالف لأمره صلى الله عليه وسلم فعلى من يفعل ذلك الرجوع الى الميقات المكاني والاحرام منه ، وإن لم يستطع ذلك فعليه فدية ، يذبحها في مكة ويطعمها كلها للفقراء . فان لم يمر الحاج على ميقات من المواقيت الخمسة السابقة احرم بمحاذاة اول ميقات يمر به .

٢ ـ كذلك من الاخطاء في الطواف ابتداء الطواف قبل الحجر الاسود او من داخل حجر اسماعيل او الرمل « الاسراع » في جميع الاشواط او المزاحمة لتقبيل الحجر الاسود او التمسح به التماسا للبركة منه او استلام جميع اركان الكعبة المشرفة او التزاحم للصلاة عند مقام ابراهيم عليه السلام .

٣ وايضا من الاخطاء نزول بعض الحجاج خارج حدود جبل عرفات وبقاؤهم في اماكن نزولهم حتى غروب الشمس ، ثم ينصرفون الى مزدلفة ، وهذا خطأ جسيم يفوت على مرتكبه الحج ، لأن الحج عرفة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا انصراف بعضهم من عرفة قبل الغروب ، وهذا مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه وقف بعرفة حتى غربت الشمس تماما . والتزاحم في صعود جبل عرفة ، واستقبال بعض الحجاج عرفة في الدعاء والسنة هي استقبال القبلة .
٤ ـ ايضا من الاخطاء اعتقاد البعض ان حصى الجمار لا بد ان يكون من مزدلفة وانشغالهم بالتقاطه قبل ان يصلوا المغرب والعشاء ، وكذلك غسل الحصى بالماء وهذه امور غير مشروعة ، او رمي الحصى دفعة واحدة ، او الرمي بحصى كبير او الحذاء او الاخشاب ، وايضا من الأخطاء الانابة في الرمي مع القدرة عليه .
وهناك اخطاء كثيرة أخرى كمن يطوف طواف الوداع ثم يرجع الى منى ليرمي الجمرات ويسافر من منى الى وطنه ، فمثل هذا جعل آخر عهده بالجمار وليس بالبيت الحرام ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفرن احد حتى

يكون آخر عهده بالبيت » رواه مسلم واحمد وقد يخرج الحاج بعد طواف الوداع القهقري اي يخرج بظهره ليظل مستقبلا الكعبة وهذه بدعة في الدين لا اصل لها . أو الدعاء بدعوات كالمودع للكعبة .

أخطاء في زيارة المسجد النبوي :

بعض الزائرين للمسجد النبوي يتمسح بالقضبان ، أو يذهب الى المغارات في جبل احد ، وربط الخرق عندها وزيارة بعض الأماكن التي يظنون أنها من آثار الرسول الكريم كمبرك الناقة واخذ التراب من هذه الاماكن للبركة ، ورمي النقود عند زيارة مقابر البقيع ، ودعاء الاموات ، كل هذه أخطاء لا اصل لها في الدين ، ولكن اذا ذهب الزائر الى هذه الاماكن ومثلها بمكة ، غار حراء وثور بقصد معرفة هذه الاماكن وتذكر المجهود الجسمي وما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته حتى انتشر الاسلام هذا الانتشار العظيم ، فأغلب ظني ان هذا لا بأس به إذا ما وضع الزائر في ذهنه صعوبة الوصول ووعورة الطريق خاصة وان هذه الطرق لم تكن ممهدة او مرصوفة في هذا الوقت .

ويجدر الاشارة في نهاية هذا المقال ، انه يسن زيارة مقابر البقيع وقبر عثمان رضي الله عنه وقبور شهداء أحد ، وقبر حمزة رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ، ويسلم الزائر عليهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ان نقول عند زيارة القبور : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم .

بقى على المسلم ان يتذكر ان شروط وجوب الحج هي : البلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ووجود محرم مع المرأة او رفقة مأمونة من النساء .

اما أركان الحج عند الأئمة فهي :

الحنفية : ركنان فقط : الوقوف بعرفة وطواف الافاضة الاربعة اشواط الاولى منها اما الثلاثة الباقية فهي من الواجبات وليست من الاركان .
الشافعية : اركان الحج ستة : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وازالة الشعر بشرط ان يزيل ثلاث شعرات من الرأس « **الحلق او التقصير** » ويكون هذا الركن بعد الوقوف بعرفة والركن السادس هو الترتيب بمعنى تقديم الاحرام اولا وتقديم الوقوف على طواف الافاضة والحلق والطواف على السعي ان لم يفعل السعي عقب طواف القدوم .
باقي الأئمة : عندهم أركان الحج **أربعة** : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة .

وصحة الحج تتوقف على أداء هذه الاركان ، فمن ترك ركنا منها لا يصح حجه .

تربية الطفل في الإسلام

للاستاذ عبدالرحيم صالح عبدالله

○ ـ **نظرة الاسلام الى طبيعة الطفل**

يتمشى اهتمام الاسلام بتربية الطفل مع نظرته الى طبيعة الطفل . وبدون فهمنا لهذه النظرة يكون فهمنا لتربية الطفل في الاسلام فهما مبتورا ، ويمكن تحديد خصائص الطبيعة الانسانية للطفل كما يلي :

١ ـ يتكون الانسان من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي ولابد من امتزاج هذين الجانبين لتحقيق سعادة الانسان ، واما انفصالهما عن بعضهما البعض فيؤدي الى شقائه .

٢ ـ تتصف طبيعة الانسان بأنها متفاعلة أي أنها مؤثرة في الوسط المحيط بها بفعل الدوافع الفطرية المزودة بها ، ومتأثرة بهذا المحيط بفعل المرونة التى تتصف بها من حيث قابليتها للتأثر بهذا المحيط .

٣ ـ لا تنضج طبيعة الانسان بدون التربية الصحيحة السليمة الملائمة لهذه الطبيعة .

٤ ـ تتصف طبيعة الانسان عند الولادة بالحياد الاخلاقي أي يولد الطفل على الفطرة ، وبحسب التربية التى يتلقاها من بيئته يغلب لديه جانب الخير أو الشر .

٥ ـ الطفل ليس رجلا مصغرا .

وهذه الخصائص ليست منفصلة عن بعضها البعض وانما هي مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تكون كلا واحدا ، وهذا الفصل المصطنع انما هو من أجل سهولة توضيحها فقط .

وسيتم فيما يلي تناول كل جانب من هذه الجوانب بشيء من التفصيل

○ ـ **تكوين الانسان** :

يتكون الانسان في نظر الاسلام من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي لقوله تعالى : (**اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ص ٧١/٧٢ ،

فالطين يمثل الجانب المادي من الانسان وهو جسده ، وقد ثبت أن جسد الانسان يتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الطين . وينبع من هذا الجانب دوافع الانسان التى تهدف الى المحافظة على بقاء الانسان وحمايته من الأخطار الخارجية التى قد يتعرض لها . وهذه الدوافع الفطرية هي ما تسمى عند المسلمين بالشهوات .

ويدل على اعتراف الاسلام بوجود هذه الدوافع عند الانسان عدد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال كبار علماء المسلمين ، ولضيق المقام هنا عن التفصيل يكتفي الباحث بذكر قوله تعالى : (**زين للناس حب الشهوات**) آل عمران/١٤ ، وقوله تعالى في الانسان : (**وانه لحب الخير لشديد**) العاديات/٨ ، والخير هنا هو الموضوعات المادية الخارجية التى تشبع دوافع الانسان وحاجاته ، كما يدل على ذلك السياق الذي توجد فيه هذه الآية في سورة العاديات .

وأما الجانب الروحي الذي في الانسان فينبثق عنه دافع التدين الفطري ، ومظهر هذا الدافع هو التقديس . وحتى حين تضل فطرة الانسان لانكبابها على الشهوات فانها برغم ضلالها تتجه نحو خالقها . وانه وان كان اتجاها تخالطه الشوائب التى تؤثر في نقائه وصفائه الا انه على أي حال اتجاه نحو الله يظهر فيه وجود دافع التدين الذي يدل عليه مظهر التقديس بشكل واضح . فيعبد الناس الله ويشركون به غيره من الكائنات (**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**) الزمر/٣ ، والملحدون الذين يحاولون قمع دافع التدين الفطري عند الانسان لم يستطيعوا قمع هذا الدافع وانما هم يعملون على تحويله الى عبادة الابطال أو الى عبادة كائنات أخرى من مخلوقات الله أو الى منتجات من صناعة الانسان ، ويظهر ذلك جليا من تقديس الافراد لمثل هذه الأمور عندما يضلون عن الله تعالى .

وهذان الجانبان وهما : الجانب المادي والجانب الروحي لابد من اتصالهما وامتزاجهما بشكل متوازن من أجل تحقيق سعادة الانسان . فسعادة الانسان لا تتحقق الا باشباع دوافعه جميعها بشكل متوازن وبحيث يصحب عملية الاشباع هذه مزج المادة بالروح أي تسيير الاعمال التى يقوم بها الفرد لاشباع دوافعه بأوامر الله ونواهيه . فالاسلام يحض على اشباع الدوافع في عدد من الآيات والأحاديث نجتزىء منها قوله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**) الاعراف/٣٢ ، وكره الاسلام الانقطاع التام للعبادة لاشباع الجانب الروحي واهمال الحاجات الجسدية ، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية وقال (ان الرهبانية لم تكتب علينا) رواه احمد ، وقال تعالى : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧ .

كما أمر الاسلام المسلم بأن يجعل المقياس الذي يقيس به أعماله التى

يقوم بها لاشباع دوافعه هو مقياس الحلال والحرام بحسب أوامر الله ونواهيه ، وهذا هو مزج المادة بالروح . فمثلا اباح الاسلام اشباع الدافع الجنسي ولكن بطريق منظم وبحسب قواعد معينة وضعها الاسلام للزواج وحرم الزنا وجعله من الكبائر .

وأباح اشباع دافع الجوع بأنواع معينة من الطعام وحرم أنواعا أخرى ، وأمر بأن يتم الحصول على الطعام بالطرق الحلال التى أباحها الشرع . ومن يتتبع الاحكام الشرعية يجد أن هذا الأمر وهو مزج المادة بالروح ينطبق على اشباع كل دافع من دوافع الانسان ، أي أن الاسلام يحض على اشباع كل دافع ولكن بحسب أوامر الله ونواهيه وأن يتم الاشباع بشكل معتدل ومتوازن بين جميع الدوافع ، وأي انفصال بين الجانب المادي والجانب الروحي يؤدي الى عدم التوازن بين اشباع الدوافع وينتج عن ذلك شقاء الانسان .

○ ـ اتصاف الطبيعة الانسانية بالحياد الأخلاقي

المقصود بهذا القول أن الطفل يولد على الفطرة ، وتكون قابليته للاتجاه نحو الخير اكثر اذا ما حقق التوازن بين اشباع دوافعه بشكل معتدل وكان يمزج في هذا الاشباع المادة بالروح أي كان يجعل مقياس أعماله في اشباع دوافعه مقياس الحلال والحرام المتفق مع أوامر الله ونواهيه وأما اذا لم يمزج المادة بالروح وحدث انفصال بين جانبه المادي وجانبه الروحي فانه يختل التوازن بين الجانبين فيختل التوازن بين اشباع الدوافع جميعها فينتج عن ذلك الشقاء الانساني ، كما نلاحظ في وقتنا الحاضر أن حالات القلق النفسي والانتحار تكثر حيث تسود الحياة المادية ، ويتم اهمال الجانب الروحي لدى الانسان . والاندفاع وراء اشباع الدوافع بدون ضوابط يؤدي الى تضخمها وخروجها عن الاعتدال فتدفع الانسان الى الوقوع في الشرور . ويعبر الغزالي عن الحياد الاخلاقي بقوله : « والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ، ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر ، وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها » .

○ ـ عدم قابلية الطبيعة الانسانية للنضج بدون التربية :

عندما يولد الطفل يكون خلوا من كل علم . وكل علم يوجد لديه في مستقبل حياته انما يحصل عليه عن طريق الاكتساب من بيئته ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « وانما العلم بالتعلم » رواه البخاري ، والحقيقة أن نمو الخصائص الانسانية التى تميز الانسان عن الحيوانات وضبط دوافعه وتهذيبها وانارة العقل بالشرع لا يتم كل ذلك بشكل صحيح بدون التربية السليمة الملائمة لطبيعة الانسان وفي ذلك يقول الحسن رحمه الله : « لولا

العلماء لصار الناس مثل البهائم » . ومن هنا فقد اكتسب طلب العلم والعمل به أهمية كبرى لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه ابن ماجه ، والاسلام لا يعذر الجاهل على جهله بأي علم من العلوم النافعة له في حياته . كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ دائما من كل علم لا ينفع .

○ ـ مرونة الطبيعة الانسانية في تفاعلها مع الوسط المحيط بها :

طبيعة الطفل في أساسها متفاعلة مع الوسط المحيط بها أي أنها تؤثر في الوسط المحيط بها وتتأثر به . وفعاليتها في التأثير في الوسط المحيط بها ناتجة عن فعل الدوافع الفطرية التى يولد الطفل مزوداً بها كما سبق توضيح ذلك . وفي نفس الوقت تتصف هذه الطبيعة الانسانية بتأثرها في الوسط المحيط بها ، لان الطفل يكتسب علومه وأخلاقه من بيئته ، ويعبر الغزالي عن ذلك بقوله « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل شيء وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » .

○ ـ نظرة الاسلام الى الطفل بانه ليس رجلا مصغرا

ينظر الاسلام الى الطفل بأنه يختلف عن الكبير البالغ في صفاته الجسمية وقدراته العقلية ولذا فانه ينبغي معاملته بشكل يتفق مع خصائصه ، ولذا فان الاسلام لا يكلف الطفل بالالتزام بالتكاليف الشرعية حتى يصل سن البلوغ ويصبح قادرا على الالتزام بهذه التكاليف من الناحية الجسمية والعقلية لتلبية الجانب الروحي ، وحتى يصل سن البلوغ لابد من الاهتمام بتربيته وتعويده على السير في طريق الخير ووقايته من السير في طريق الشر . ولذا فقد جعل الاسلام تربية الطفل ووقايته من كل انحراف واجبا دينيا وحمل مسئوليته للاباء وغيرهم من المربين الذين يشرفون على تربية الطفل . وانهم يأثمون في حالة تقصيرهم عن القيام بهذا الواجب الديني . يقول تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا)** التحريم/٦ ، ويوضح الغزالي ذلك بقوله : « والصبي أمانة عند والديه .. فاذا عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له » .

○ ـ التطبيقات التربوية

في ضوء مفهوم الطبيعة الانسانية توجد تطبيقات تربوية اسلامية لتربية الطفل سبقت بها التربية الاسلامية كل تربية في القديم والحديث . والتطبيقات التربوية التالية متصلة مع بعضها البعض ، ويصعب الفصل بينها ، وما الفصل بينها الا من أجل فهمها :

○ ـ ضرورة ايجاد التوازن بين العوامل النفسية والبيئية :

بما أن طبيعة الطفل متفاعلة

بفطرتها مع الوسط الذي يعيش فيه الفرد ، فان الفرد في أي مرحلة من مراحل نموه ، انما هو نتاج التفاعل المستمر بين العوامل النفسية الموجودة في داخله ، والعوامل الخارجية المؤثرة فيه . وتفسير سلوك الفرد ينبغي أن يتم في ضوء هذين العاملين . ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه مسلم ، وفي هذا الحديث يقر الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الفروق الفردية ، ثم يوضح أن المزايا الداخلية التى يتميز بها الفرد لا تجعله متميزا عن غيره الا اذا تفاعلت مع البيئة الموجود فيها .

○ ـ ضرورة استغلال الدوافع في التربية والتوجيه :

بما أن الدوافع هي محركات السلوك الانساني كان من الطبيعي أن تهتم التربية الاسلامية باستغلال هذه الدوافع . وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في تربية الاطفال . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينظم للاطفال دروسا بليغة يتعلمون منها ثمرات الجهاد والسبق في الحياة وهم لا يشعرون ، وذلك عن طريق اللعب الذي يلائم طبائعهم واستغلال دوافعهم واشباع حاجاتهم فقد روى في مسند الامام أحمد أنه كان صلى الله عليه وسلم يصف الاطفال الذين يأنسون به ويقول : « من سبق فله كذا » « فيستبقون اليه ، فيقعون على صدره فيلتزمهم ويقبلهم .

○ ـ استغلال اللعب في تربية الطفل

لقد رأينا فيما سبق كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستغل اللعب في تربية الأطفال . وأدرك المربون المسلمون ما للعب من أهمية كبرى في تربية الاطفال . ومما أدركوه في هذا المجال هو أن فرض الجدية على الطفل والطلب منه بالاستمرار في التعلم وعدم السماح له باللعب الجميل المناسب له يؤدي الى ملله من الدروس واضعاف قدرته على تحصيلها والتفكير فيها والى كراهيته لها والنفور منها ، واما اذا سمح له بعد انتهاء الدرس بممارسة اللعب المناسب الترويحي فان ذلك يؤدي الى تجديد نشاطه ويزيد من اقباله على دروسه بهمة ونشاط ، ويزيد من قدرته على التحصيل والتفكير .

○ ـ ضرورة تهيئة بيئة تربوية مصفاة من الشوائب :

بما أن طبيعة الطفل تتصف بالمرونة من حيث قابليتها للتأثر بالبيئة المحيطة بها ، لذا كان لابد من احاطته بالمؤثرات التى تؤثر فيه تأثيرا ايجابيا ، وتقيه من الوقوع في الانحراف وتحميه من كل أثر سلبي . ويحض الرسول صلى الله عليه وسلم كل مسلم على أن يبذل جهده في تهيئة البيئة التربوية الصالحة لطفله في البيت عند التفكير في تأسيس البيت وحتى قبل ولادة الطفل ، ولا أدل على ذلك من أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا كل مسلم يريد أن يختار زوجته بالتفكير في الأطفال الذين ستنجبهم ،

فيعرف الصفات والمواهب التى تتمتع بهـا ، ويعرف مـدى صـلاحيتهـا لتنشئتهم التنشئة الصالحـة لأنها ستنقل اليهم مزاياها الطبيعية عن طريق الوراثة ، وستنقل اليهم صفاتها المكتسبـة عـن طـريق التـربيـة والمخالطة . وكذلك نرى المربين المسلمين يوصون بضرورة حفظ الطفل من قرناء السوء ، وألا يستعمل في حضانته الا امرأة صالحة متدينة ، وأن يكـون المعلم قـدوة حسنـة لتلاميذه .

○ ـ الاهتمـام بالأخـذ بالتـربية المستمرة :

طبيعة الطفل تتصف بالمرونة ، واهمال تربيته يؤخر نضجه من حيث اتصافه بالصفات الانسانية ، وأنه اذا عود الشر استمر عليه وأدى ذلك الى شقائه ، واذا عود الخير استمر عليه وأدى ذلك الى سعادته ، لذا كان لابد من الاهتمام بتربية الطفل منذ صغره ، والاستمرار في تربيته طيلة أيام حياته .

○ ـ ضرورة مراعاة مستوى نضج الطفل واستعداده للتعلم :

بما أن الطفل يسير في مراحل من النمو في نضجه ، فاذن لابد من مراعاة مستوى النضج الذي يكون قد وصله ، فهو لا يستطيع أن يتعلم الا ما هو مناسب له يقول تعالى (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/٢٨٦ ، ولذا لا يجوز تكليف الطفل بما هو فوق طاقته ، ويبين المربون المسلمون في ضوء ذلك أن تكليف الطفل بتعلم ما هو فوق طاقته واستعداداته لا يؤدي الا الى نفـوره من التعلم وعـدم استفادته منه ، ولذا على المعلم أن يعرف مستوى قدرات طفله وان يعرف استعداداته ليقدم له ما يناسب ذلك يقول ابن قيم الجوزيه : « ومما ينبغي للمربي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الاعمال ومهيأ لـه منها » .

○ ـ عدم معاملة الطفل على انه رجل مصغر :

يتصـل هذا التطبيق بـالتطبيق السابق ، والمراد تركيزه هنا ان الطفل لا يختلف فقط عن الكبير في القدرات العقلية ، وانما يختلف عنه في جميع الصفات ، ولا بد من احترام طبيعته هذه ومعاملته على اساسها ، فانه يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « من كان له صبي فليتصابِ له » رواه الديلمي ، اي فلينزل الى طبيعته الطفولية وليعاملها على اساس طبيعتها التي تختلف عن طبيعة الراشد .

○ ـ ضـرورة مـراعــاة الفـروق الفردية :

لقد سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » اي انه يوجد بينهم اختلاف في الصفات والطبائع الاساسية وفي الصفات المكتسبة ، وهذا يحتم استعمال اساليب مختلفة في معاملة الافراد ويقول المـربون المسلمون « وكما لو عالـج الطبيب جميـع المرضى بعـلاج واحد قتـل اكثرهم ، فكذلك الشيخ المريد لو اشار

على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وأمات قلوبهم » .

○ ـ **التوجيه العلمي والمهني بحسب المواهب والقدرات :**

تدعو التربية الاسلامية الى توجيه الطلاب الى التخصصات المهنية والتعليمية بحسب مواهبهم وقدراتهم التي يتصفون بها ، وعلى ان تبدأ عملية التوجيه بعد ان يجتاز الطالب مرحلة من التعليم يتقن فيها اساسيات العلوم المهمة له في حياته ، ويصبح في مرحلة يكون فيها قادرا على التخصص في الناحية التي تتفق مع مواهبه .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من المحسوس الى المعقول في تعلمه :**

تنظر التربية الاسلامية الى العقل وخاصة في مرحلة الطفولة بأنه يألف المحسوسات ويصعب عليه ادراك المعقولات اذا لم تتمثل في الحواس ويقول الغزالي : « لا يحل في العقل الا ما يحل في الحواس » . ولذا فقد اهتمت التربية الاسلامية بالبدء بالمحسوسات للانتقال الى المعقول لتقريب المعاني العقلية للمعقول . ونرى القرآن الكريم تكثر فيه الآيات التي تحاول تقريب كثير من القضايا العقلية الهامة عن طريق ضرب الامثال الحسية ، ويبين الله سبحانه وتعالى ان الغاية من ضرب الأمثال للناس هي اثارة تفكيرهم ، يقول تعالى : « **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** » الحشر/٢١ . ولا يتسع المجال هنا لذكر عدد من الأمثلة على ذلك ونكتفي منها بقوله تعالى : (**مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد**) ابراهيم/١٨ . ولذا فقد اهتم المربون المسلمون باستعمال الوسائل الحسية في تعليم الاطفال لتوضيح العلوم لهم .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من السهل الى الصعب في تعلمه :**

لقد سبق وان رأينا أن التربية الاسلامية تهتم بمراعاة مستوى نضج الطفل وتشدد على الا تقدم له الا ما يتناسب مع قدراته واستعداداته لأن كل ما يقدم له وكان فوق مستوى نضجه واستعداداته يصعب عليه فهمه ولهذا فانه لا بد من استعمال الوسائل الحسية لمساعدة الطفل على فهم العلوم والبدء معه في تعلم السهل والانتقال معه الى الصعب .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من المعلوم الى المجهول في تعلمه :**

لما كان فهم المعلوم اسهل من فهم المجهول لذا كان لا بد من البدء بالمعلوم في تعليم الطفل والانتقال به الى المجهول . ويذهب المربون المسلمون الى ان العلوم المجهولة يصعب اكتسابها بدون العلوم السابقة فيقولون : « كل علم مكتسب فبعلم قد سبق ان اكتسب » ويقولون : « العلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية » .

○ ـ **الثواب والعقاب :**

تميل التربية الاسلامية الى

استغلال الثواب لاثارة نشاط الطفل للتعلم ، ولتعزيز تعلمه كما سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الثواب في اثارة نشاط الاطفال للتعلم ولتعزيز تعلمهم ويقول « من سبق فله مني كذا » فيستبقون اليه فيقعون على صدره فيلتزمهم ويقبلهم .

وأما بالنسبة للعقاب فان الاسلام ينظر الى طبيعة الطفل بانها ليست شريرة ، ولذا فهو لا يقر العقاب في تربية الطفل من اجل العقاب نفسه ولتطهير نفس الطفل من الشر المتأصل فيها . وانما يحض على الرفق في المعاملة وينهي عن استعمال العنف لقوله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرحمة ما لا يعطى على العنف** » رواه مسلم . وقد ادرك المربون المسلمون المضار النفسية والعقلية والجسمية والخلقية التي تنتج عن استعمال العقوبات القاسية ومما يقوله ابن خلدون في هذا المجال : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ... سطا به القهر وضيق على النفس انبساطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث ... وفسدت معاني الانسانية التي له ... وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل » .

○ - **اجبارية التعليم** :

لأهمية التعليم في حياة الانسان فقد جعله الاسلام اجباريا على كل فرد مسلم لقوله صلى الله عليه وسلم « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه البخاري . والعلم الفرض هذا هو العلم الذي لا يستغنى عنه المسلم في حياته . واما العلوم التي يحتاجها بعض الأفراد دون الآخرين مثل الطب والصيدلة وغيرها من العلوم التي اذا خلا منها بلد لحق الضرر والأذى ببعض افراد اهل البلد كانت هذه العلوم فرض كفاية يأثم جميع اهل البلد اذا خلا البلد من اي علم منها ، ويسقط الأثم عن الباقين اذا وجد في البلد من يتخصص بهذه العلوم الى الحد الذي يكفي حاجة اهل البلد من هؤلاء المتخصصين . واما التعمق في علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية عن الحد اللازم لحاجة الناس فيغتبر من علوم الفضيلة ، ويكون مذموما اذا لم يكن نافعا او ضارا او كان مبنيا على اسس من الوهم والخرافة .

رأينا فيما سبق ان درجة وجوب تعلم العلم من حيث كونه فرض عين او فرض كفاية او فضيلة او من حيث كونه مذموما انما يكون بحسب درجة نفعه للفرد او للمجتمع او بحسب الضرر الذي يحصل منه للفرد او للمجتمع . ولذا فانه من الواضح ان الاسلام لا يحض على طلب العلم لمجرد حشو العقول بالمعلومات التي لا تستعمل في الحياة ولا تكون نافعة . ونرى القرآن الكريم يذم الذين يتعلمون علما ولا يعملون به بأسلوب يعادل اقسى الزواجر يقول تعالى (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا**) الجمعة / ٥ .

أسرى الحرب

ان الحرب قديمة في العالم ، لا يخلو منها زمان ومكان ، لأن الاقتتال طبيعة في البشر . وسبب ذلك كما يقول ابن خلدون : اما غيرة ومنافسة ، واما غضب لله ولدينه ، واما غضب للملك والسيطرة وسعي الى تمهيد ذلك ، واما عدوان على الآخرين .

والناس يدركون خلو الحرب في كثير من الاحيان من الرحمة والهوادة ، فمن لوازمها القسوة والغلظة ، ومع ذلك فهم يسارعون اليها ، اذا أخفقت جهودهم السلمية ، وفشلت وسائلهم الدبلوماسية في الحد من عدوان الظالم **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** البقرة/٢١٦ ففي رد العدوان حفظ للحق وبقاء للعدل . أما السلام الدائم فهو أمر مستحيل في البشر عند ابن خلدون ، لأن القتال ناتج عن اختلاف ارادتين : احداهما تريد الانتقام والعدوان والأخرى تدافع ضدها ، فاذا تجمع حول كل ارادة المتحزبون لها كانت الحرب .

وفي عصرنا الحاضر تسعى الدول الى اقرار السلام وابعاد شبح الحرب ، وربما صدق هذا على بعض الدول ، لأن هناك من يحضر المؤتمرات ونية الغدر وأسلحة الفتك والدمار تلازمانه ، ثم ان جهود السلام تتعارض مع أهواء الدول الكبيرة وأطماعها ، فهي لذلك تسعى في فرض نفوذها ومذهبها السياسي أو اتجاهها الاجتماعي . وما دام الواقع العالمي

في الاسلام

للاستاذ / حسن عبد الغني ابو غدة

كذلك فان الحرب مستمرة وفكرة الغائها لا يمكن لها أن تستمر، وسيبقى القتال مهددا العالم.

مشروعية القتال في الاسلام :

اذا كان القتال شبحا مخيفا يخشى الناس وقوعه، فان الاسلام لا يزاوله لبسط نفوذ ولا لقصد عدوان. فهو الذي عاب الافساد في الارض والاعتداء على الناس (**ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) البقرة/ ١٩٠

ولكن لماذا شرعت الحرب في الاسلام ؟

١ ـ من مشروعية القتال رد العدوان ومقاومة الظالم، لأن طرد المسلمين من ديارهم ومبادأتهم بالعدوان، ونقض العهود معهم تشكل دوافع كافية لقتال العدو (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة**) سورة التوبة/١٣ (**فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**) سورة البقرة/١٩١.

٢ ـ كما أن من مشروعية القتال تأمين وصول الدعوة الاسلامية الى الناس، لأن الاسلام، لا يقف مكتوف اليدين أمام من يقف في طريق دعوته، ويمنع الناس من سماع الاسلام وفهمه بما يفرضه عليهم من ارادة ظالمة وقوة غاشمة. فمن حق الناس اختيار ما يريدون من عقيدة وما يرضون من دين. وليترك المتسلطون دعاة الاسلام يحاجون غيرهم ويناقشونهم ولتكن الغلبة

للحجة والبرهان لا للتسلط والقهر **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** سورة البقرة/١٩٣ .

من آثار الحرب الأسر :

اذا كانت الحرب وسيلة لابد منها عند اخفاق الجهود السلمية وفشل المفاوضات ، واذا كان الاسلام قرر مشروعية الحرب لأهداف سامية تقدم ذكرها ، فان كل حرب لابد أن تترك آثارها بين الناس ، ومن آثار الحرب ظهور الأسرى . ويهمنا أن نعلم معاملة الأسير في الاسلام وهل لهذه المعاملة نظام معروف وقواعد ثابتة ؟ هذا ما سنبحث عنه .

معاملة الأسير قبل الاسلام :

الأسير هو الشخص الذي يقع في قبضة دولة معادية في الحرب أو قبلها أو بعدها ، وربما كان الأسير رجلا أو امرأة .

وسمي أسيرا لوقوعه في الأسر وهو الاحتباس الذي يصاحبه في العادة التقييد أو ربط اليدين ليمنع من الفرار والعدوان .

بدأ الأسر في التاريخ عقب الغزو أو الحرب اللذين كانا يسودان بين الأقوام والجماعات ، فتكون نهاية ذلك استبقاء الافراد الذين ألقي القبض عليهم بيد أعدائهم ، ثم أصبح للأسير نظام خاص للمعاملة عند قدماء المصريين والصينيين والهنود ، كما أن الرومان واليونان والفرس كانت لهم معاملات معينة للأسرى . حتى عرب الجاهلية عرفوا معاملة منتظمة مع الأسير : كالفداء أو الاستخدام أو القتل . غير أن الأسرى كلفوا من الاعمال مالا يطيقون ، ومنعوا من السكن الملائم وربما من الغذاء ان لم يخضعوا صباح مساء لضربات السياط والتعذيب . على مثل هذه المعاملة كانت عادة بعضهم قبل الاسلام . وعندما جاء الاسلام كانت له نظرة خاصة للأسير سيأتي بيانها . ولكن متى حدث الأسر في الاسلام ؟

أول حادثة أسر في الاسلام :

ان أول حادثة اسر في التاريخ الاسلامي كانت في سيطرة سرية من المسلمين بقيادة عبد الله بن جحش على رجلين قرشيين هما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وكان ذلك في الشهر الحرام ـ رجب ـ قبل غزوة بدر الكبرى ، وقد رد رسول الله هذين الأسيرين الى قريش بعد أن عاد رجلان من السرية الى المدينة ، وكانا قد تخلفا في الطريق . فلما تأكد رسول الله من رجوع جميع رجاله أعاد الأسيرين الى قريش . ولم تتعرض آيات القرآن لقصة هذين الأسيرين .

ولما اشتد عود المسلمين وانتزعوا النصر العسكري في معركة بدر حصلوا على سبعين اسيرا من أفراد عدوهم ، وكانت مسألة الأسرى من آثار المعركة التي اختلفت وجهات نظر المسلمين فيها . فعمر بن الخطاب ومعه بعض الناس يرون قتل جميع الأسرى وعدم قبول افتدائهم . وابو بكر الصديق ومعه بعض الناس يرغبون في الفدية ولا يريدون القتل لأن الأسرى من الأهل والقرابة ، وأخذ

الرسول بالرأي الثاني وقبل الفداء ممن يستطيعه .. الخ ونزلت آيات القرآن تعرض - ولأول مرة - لمسألة الأسرى (**ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**) سورة الأنفال/٦٧ .

من هو الأسير ؟

الأسير في النظام الاسلامي هو فرد من العدو المحارب غير المسلم وربما أمسك به قبل الحرب أو بعدها ، سواء كان جريحا ام سليما . وعليه فلا أسر لأفراد العدو المهادن أو المصالح الا لحدوث غدر ووقوع خيانة ، كما أنه لا أسر لأفراد مسلمين : فلو ثار بعض المسلمين على السلطة أو خرجت طائفة منهم على الدولة فألقي القبض عليهم فهؤلاء بغاة وليسوا أسرى ولهم معاملة مغايرة تختص بشرحها كتب الفقه الاسلامي . وربما سموا أسرى تجوزا .

التحكم بالأسير :

ذهب بعض العلماء الى أن الفرد الآسر أو المجموعة الآسرة هي التى تتحكم في مصير الأسير وممتلكاته بل هي صاحبة الارادة الوحيدة في ذلك قياسا على قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا فله سلبه » حديث متفق عليه ، والسلب هو ما يملكه القتيل من متاع وسلاح اثناء المعركة . فكذلك من أسر أسيرا فهو حر الارادة فيه . وأضافوا الى ذلك ما أخرجه الحاكم من أن آسري العباس بن عبد المطلب توعدوه بالقتل بعد بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الانصار آنهم قاتلوه . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : ارسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال عمر : فان كان لرسول الله رضا ! قالوا : فان كان له رضا فخذه . فأخذه عمر .

وفي تقديري أن قصة العباس مع آسريه لا تصلح لما ذكروا ، بل لها توجيه آخر هو أن الأنصار توعدوه بالقتل توقعا لما سيوقعه به الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل أنهم لما قبل الرسول الفداء بحكم كونه رئيس الدولة لم يصر الأنصار على قتل العباس وتسليم العباس الى عمر طاعة من الأنصار لقيادتهم التى لها حق التصرف المطلق لأن من المعروف في الفقه الاسلامي أن راى الحاكم هو الذي ينهي مصير الأسرى .. ولما سبق فان الذي يتحكم في مصير الأسير رئيس الدولة لا الأفراد أو المجموعة الآسرة - لأن أسير الحرب هو أسير للدولة . وهذا ما قرره القانون الدولي فاعتبر أسير الحرب اسيرا للدولة وحدها وهي التى تقرر مصيره .

ما يحمله الأسير :

يكون مع الأسير المحارب عادة سلاحه ولوازم حربه من أجهزة وعتاد وربما مبالغ من المال وما شابه ذلك . والحكم في ذلك أن الممتلكات ملك للدولة الآسرة لا الأفراد ، والتصرف فيها خاضع لرأي القائد المفوض أو الحاكم العام . ويحرم على الأفراد أخذ شيء من ذلك الا باذن من

الحاكم . وكل سرقة قبل توزيع المغانم غلول وسحت « لا تغلوا فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة » حديث رواه أحمد والنسائي .

وربما احتاج القائد الى حماسة المقاتلين فبث فيهم الشجاعة والمنافسة فأباح لهم تملك ممتلكات من يقتلونه أو يأسرونه من العدو ، فهذا أمر جاء في الاسلام لأن تقدير المصلحة عائد الى القائد ، ومن المصلحة تشجيع الأفراد المقاتلين على العدو ورفع روحهم المعنوية بما هو مناسب ومشبع لرغبات الأفراد « من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال عبد الله بن جحش « اللهم ارزقني رجلا شديدا أقتله وآخذ سلبه » . اخرجه الحاكم والبيهقي بسند صحيح .

تقييد الأسير :

أجاز الاسلام ربط يدي الأسير أو تقييده بجذع شجرة أو عمود أو غير ذلك ، وهو حينما يقرر ذلك يقصد به التحفظ على الأسير والحذر من هربه أو عدوانه . أخرج أبو داود عن جندب بن مكيث أنه خرج في سرية فأسروا الحارث بن البرصاء فقال لهم : اتركوني فقد جئت أريد الاسلام . فقالوا : ان تكن مسلما لم يضرك رباطنا يوما وليلة ، وان تكن غير ذلك نستوثق منك . ثم شدوا وثاقه أخذا من الآية الكريمة (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**) سورة محمد / ٤ وجريا على عادة القرآن في تعليم المسلمين الحذر من العدو فقد أرشدهم ـ كما يقول المفسرون ـ ولم يلزمهم بربط الأسير أو تقييده .

وربما تستنكر بعض الدول اليوم ربط الأسير أو تقييده ، وتعتبر ذلك اهدارا لكرامة الانسان ، وفات تلك الدول أن ذلك للحذر والتحفظ . بل ان هناك من يدعي التقدم والحضارة ثم يخرق الكرامة الانسانية ، بما يقوم به من قتل وتشريد وعدوان على الابرياء من أطفال ونساء وشيوخ ، وليست حروب أفغانستان وارتيريا بعيدة عنا ، كما أن فعل العدو الاسرائيلي شاهد حاضر على هدر حقوق الانسان وكرامته .

هذا وقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيره ثمامة بن أثال في سارية ـ عمود ـ المسجد النبوي ، وربما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم تعريف الأسير بدين الاسلام وشعائره وسلوك المسلمين ومعاملاتهم وعدالتهم وسمو دينهم . ولقد تأثر الأسير بمن خالطهم حيث انه لما أطلق سراحه دخل الاسلام فتأثر به قومه لأنه كان زعيمهم فلا يعقل أن يخالفوه . وفي أمثال ثمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » حديث رواه البخاري .

تعذيب الأسير :

ان المتتبع للنصوص الاسلامية في معاملة الأسرى يجدها تفيض بالاحسان الى الأسرى ومد يد المساعدة اليهم . لأن الأسير مخلوق وقع في شدة وضيق فيحسن بالآسرين ان يقدموا له العون ويخففوا عنه الشدة ، فربما ترك عداوته لهم

وانخلع عن الشرك الى الاسلام من حسن المعاملة **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** سورة الانسان/٨ ثم ان الاسلام دين هداية لا عداوة وحقد . فهو لا يبيح لاتباعه مبادأة الأسير بالعدوان والايذاء والتعذيب ليكره على الاعتراف بأمر ما أو ليحمل على افشاء أسرار دولته . خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت رجلا من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا اساره ثم رجع الرسول الى أهله فقال لهم : اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به الى ثمامة وأمر رسول الله بلقحته (ناقته) أن يغدا عليه بها ويراح » كما في الروض الأنف وأصل الحديث عند الشيخين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم بدر : استوصوا بالأسارى خيرا . فاذا كان الاسلام يكرم الأسير ويطعمه ويستوصى به خيرا فهل يعقل أن يسمح بتعذيبه أو ايذائه ؟ أما اذا جرت عادة الدول المعادية على تعذيب أسرى المسلمين والاضرار بهم لحملهم على افشاء الأسرار فلا مانع حينذاك من التماثل في المعاملة ، لايقاف العدو عن عدوانه وكفه عن فعله السيء . وما ورد من روايات وقصص فيها تعذيب المسلمين لأسراهم فانما هي من باب التعامل بالمثل لا المبادأة بالعدوان .

والشيء المتعارف عليه دوليا في عصرنا الحاضر ان الأسير لا يكره على شيء من المعلومات سوى اسمه ورقمه العسكري ورتبته ، وقد سبق الاسلام هؤلاء حينما أرشد الى اعانة الأسير وسماع شكواه كما كان يفعل رسول الله عندما يتردد على ثمامة وهو في المسجد يسأل عن حاله .

معتقلات الأسرى :

كان الأسرى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعون في المسجد كما فعل بثمامة بن أثال . أو يربط الى جذع شجرة بشكل مؤقت ليتم تقرير مصيره أو يحتفظ به في غرفة أو بيت من البيوت كما فعل بسهيل بن عمرو حينما أودعه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجرة سودة بنت زمعة احترازا من هربه كما في سنن ابي داوود ، ولم تكن بساطة حياة العرب تساعدهم على تخصيص معتقلات أو بناء سجون للأسرى ، خاصة اذا علمنا أن تبادل الأسرى أو تقرير مصيرهم كان لا يأخذ مدة بعيدة من الزمن حسب استراتيجية حروب ذلك العصر ، وما دام الاسلام دين النظافة ، يأمر بها ويحث عليها « ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم (ساحاتكم) ولا تشبهوا باليهود .. رواه الترمذي فلا نستطيع أن نتصور المسجد أو البيت أو ساحات المسلمين الا نظيفة صحية تتوفر فيها راحة الأسرى وتحفظ فيها سلامة أجسادهم ويبتعدون عن الأمراض

والأوبئة والصخب والقلق .

وعلى هذا فالأسير كان يلقى العناية الصحية والراحة الجسمية عند المسلمين اضافة الى تلبية رغباته وتأمين حاجاته ومتطلبات جسمه . وقد ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرسل الى الأسير الطعام والغذاء ويأمر بالناقة ليشرب منها صباحا ومساء . ويستمع الى شكواه في معتقله قائلا : ما عندك ياثمامة ؟ ثم تغير اسلوب المعيشة وبنيت السجون ووضع فيها الأسرى وتمتعوا فيها بالراحة والطمأنينة والاحترام الى أن افتدوا أو اطلق سراحهم .. الخ . وبهذا يكون الاسلام سابقا عصرنا المسمى بعصر النور والذي يطالب باحسان معاملة الأسرى وحفظهم في معتقلات خاصة تحفظهم من القتال ، وتتوفر فيها أساليب الراحة ومتطلبات الصحة والسلامة . ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقي الأسير منهم الجوع والقهر والتعذيب وقطع الاطراف على النحو الذي تعامل به بعض الدول أسراها في عصرنا هذا الذي يسمى بعصر النور كل ذلك يتم على أيدي أبناء الأمم التى تدعي أنها حامية الانسان والحضارة والمدنية ، قال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعني انزع ثنيتي (سني) سهيل بن عمرو ويدلع لسانه حتى لا يقوم خطيبا يحرض عليك ، فلم يأذن له بذلك .

العناية بالأسير :

من المباديء الاسلامية تكريم الانسان واحسان معاملته (**ولقد كرمنا بني آدم**) سورة الاسراء/ ٧٠ ، ومن هذا المنطلق شرع الاسلام تكريم الأسير ورعايته الرعاية اللائقة به كانسان له روح وحياة يحيا بها . ومن رعاية الأسير توفير طعامه وشرابه وملبسه واطمئنانه على أهله واولاده وحفظ صحته من الأمراض والعدوى ومعالجته ان لزم الأمر ، وهذه التكاليف تقوم بها الدولة بحكم واجبها تجاه أسراها حتى يتقرر مصيرهم ، ذلك لأن الأسير يعجز عن التكسب والانفاق على نفسه ورعاية شؤونه ، فلا بد من العناية به ممن يمنعه من القيام بذلك . والأسلام لا يجيز حرمان الأسير من الطعام أو الدواء كما لا يسمح للأمراض بالفتك به وهو لا يوافق على تعرية الأسرى وهتك كرامتهم باظهارهم عراة دون ستر عورتهم . ولقد أثنى الله على من يطعم الأسير في قوله : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) سورة الانسان/ ٨ بل هذه من صفات المؤمنين الملازمة لهم ، بل ان المسلمين كانوا يشركون الأسرى معهم في الطعام كما قال أبو عزيز أسير المسلمين في بدر : كنت في رهط من الانصار فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله اياهم بنا .. الخ ، اما كسوة الأسير فهي واجبة سترا لعورته وصيانة لكرامته الآدمية (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا**) سورة الاعراف/ ٢٦ والاسلام يوجب دفع البرد عن الأسير بما يعطي من ثياب

تحميه من البرد وتحفظه من الحر أو تدفع عنه الأذى ولقد اتي بالعباس بن عبد المطلب وهو أسير في بدر ولم يكن عليه ثوب يستره فامر له رسول الله بثوب يكسوه .. حديث رواه البخاري ، وحفظ صحة الأسير وتأمين راحته مطلوب في قوله صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيراً » ولا مانع بعد ذلك من تقدير الناس وانزالهم حسب منازلهم ومراكزهم الاجتماعية أو العسكرية ، اذ ليس في الاسلام ما يمنع من معاملة اصحاب الرتب من الضباط الأسرى معاملة أفضل وأحسن مستوى ممن دونهم ، على أن لا تهدر حقوق الأخرين ولا يتساهل في الحد الطبيعي والانساني في معاملة عامة الأفراد العاديين .

مصير الأسرى :

بدأت النصوص الاسلامية تعالج مسألة الأسرى بدءا من أسرى بدر ، فقد استشار الرسول أصحابه في مصيرهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالعفو عنهم وقبول فدائهم لأنهم الأهل والقرابة ، وأشار عمر بقطع رؤوسهم والخلاص من شرهم وأشار عبد الله ابن رواحة بتحريقهم في واد كثير الحطب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب في الفداء وأخذ برأي ابي بكر لعلهم يتوبون ويؤمنون ولعل المسلمين ينتفعون بالفداء والمال ، ثم نزلت آيات القرآن تحبذ رأي عمر وتتمنى لو أن الرسول قتل الأسرى ، لأن الرحمة لا تنفع معهم واللين لا يجدي أمامهم فهم (مجرمو حرب) حسب تعبيرنا المعاصر لأنهم نكثوا أيمانهم واخرجوا الرسول من بلده وعذبوا الضعفاء وقتلوا المسلمين وهم الذين بدأوا بالحرب يوم بدر (**ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض**) سورة الانفال/٦٧ .

ولعل في تقتيل الأسرى يومئذ ارهابا للمعتدين وتخويفا للغادرين ولكل من تسول له نفسه العدوان على الاسلام وأهله ، ثم لما قوي المسلمون وانتشر الاسلام استقرت معاملة الأسرى على أمور ١ - الفداء ٢ - المن ٣ القتل ٤ - الاسترقاق

ولذا جاءت تعبيرات الفقهاء بأن الامام (الحاكم) مخير بين هذه الأمور الأربعة كما في الهداية من كتب الحنفية وغيره .

○ **أما الفداء** : فقد قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تصرف به مع الأسرى مقابل دفع مبلغ من المال يدفعه الأسير أو اهله أو الدولة المسؤولة عنه . وقد اطلق سراح العباس بن عبد المطلب مقابل مبلغ من المال ، فان لم يكن للأسير مال أو لم يفد به فأمامه مجال تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحه . وقد تعلم الصحابي الجليل زيد بن حارثة من أسير في معركة بدر .

● وقد يفدى الأسير بتبادله مع أسرى المسلمين عند العدو « فادى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مسلما برجلين مشركين » حديث أخرجه مسلم والترمذي .

واستمر العمل بالفداء بين الدولة

الاسلامية وأعدائها ، فقد كانت العادة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية أن ينتهي مصير الأسرى بالفداء المالي أو الشخصي ، فيعين المكان والزمان للتبادل ويتم ذلك بصفة رسمية محفلية (ابن الاثير في حوادث عام ١٨١ هـ) وليس هناك مقدار معين من المال ، وانما يقدره الحاكم حسب الظروف والملابسات وحال المسلمين .

○ **وأما المن** : فهو التفضل على الأسير باطلاق سراحه دون مقابل ، لطمع في اسلامه (كثمامة بن أثال) أو تغيير مواقفه أو لأنه فقير لا يجد ما ينفقه ، أو يتعهد بأن لا يعين على المسلمين عدواً .. الخ وقد من رسول الله صلى الله وسلم على أبي نمرة الشاعر يوم بدر بعد أن شكا اليه الفقر وكثرة الأولاد ، وعاهده أن لا يعين عليه عدواً (واعطاه كلمة الشرف كما في تعبيرنا الحديث) وحينئذ تركه الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنه نكث وعده وغدر بعهده . وخرج مع المشركين يوم أحد كما سنبين ذلك فيما يأتي . والمن والفداء مذكوران في قوله تعالى (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء**) سورة محمد / ٤ ..

○ **وأما القتل** : فهو ليس الحل الوحيد لمصير الأسير لأننا ذكرنا أن الحاكم مخير بين أربعة أمور ، لكننا لو تتبعنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ودرسنا المواطن التى قتل فيها أسراه وجدناها قليلة بالنسبة الى الفروع الاخرى من مصير الأسرى ، بمعنى ان الرسول لم يقتل من الأسرى الا معاملة بالمثل لأن اعداءه كانوايقتلون أسراهم من المسلمين (قتل خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وهما في الأسر) . كذلك فإن الرسول لم يقتل من الاسرى الا من رأى منه الغدر والاعتداء على حرمات المسلمين فهذا ابو نمرة الشاعر نقض عهده وأخل بوعده ونكث كلمة الشرف والوفاء التى أعطاها لرسول الله ، فوقع في الأسر يوم أحد وطلب من الرسول أن يمن عليه لكثرة عياله ولكن الرسول رفض وعامله معاملة يستحقها مجرم الحرب في عهدنا وقال له : لا أعفو عنك حتى تجلس في مجالس مكة وتمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين وقال له لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله كما في فتح الباري . واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم يعامل من آذاه ـ من الأسرى ـ والب عليه الناس بالقتل حتى يردع المجرم ويوقف المعتدي والسيرة تذكر معاملة الرسول لبني قريظة بالتقتيل لأن يهود بني قريظة عاهدوا الرسول على أن يعيشوا مسالمين في المدينة ، يردون معه عدوان المعتدين عليها ، واذ بهم ينقضون العهد ويساعدون قريشا على المسلمين في غزوة الخندق ، بل يتحرشون بالمسلمين من خلف صفوف القتال ويضعفون عزيمتهم عن مقاومة عدوهم الأمامي ، فما كان لهم من جزاء الا القتل بما أثاروا من ذعر في صفوف المقاتلين المسلمين ، وما قاموا

به من عدوان على المدنيين الآمنين في المدينة المنورة .

ولعل معاملة الرسول لأمثال هؤلاء أشبه بمحكمة عسكرية سريعة النظر في هذه الأمور، نظراً للظروف التى يمر بها المجتمع حينذاك ، بغض النظر عن شكليات المحاكم وكيفيتها لأن هذه الأمور التنظيمية من الاختصاصات الداخلية لكل دولة . والقانون الدولي حاليا لا يمنع من قتل الأسرى بعد محاكمتهم لأن في ذلك تحقيق الأمن والمقاصد للدولة الآسرة . سواء كان الأسير من الرجال أم من النساء . لأن بعض الدول تستخدم النساء في الأعمال العسكرية العدوانية فهن والرجال في الحكم سواء لارتكاب العدوان والغدر وخلف الوعد .

الاسترقاق : وهو الضم الى ملك المسلمين للاشراف على الأسير واستخدامه وتأديبه بأدب الاسلام فيتأثر بذلك ويقبل على الدين بفهم وقناعة . وربما أطلق سراحه وأعتق لحسن سلوكه وطيب نفسه وصدق أخلاقه .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن نظام الرق مبدأ مقرر منذ العصور القديمة عرفه قدماء المصريين وأيد صحته الفيلسوف « ارسطو » واستمر العمل الى أن جاء الاسلام فأقر المعاملة بالمثل وليس من المعقول ان يسترق الاعداء أسرى المسلمين ، أن يحرر المسلمون أسرى اعدائهم . وشرع الاسلام من الاحكام ما توجب الاحسان الى الرقيق على غير العادة التى كان يعامل بها في الدولة الرومانية التي كانت تعطي السيد الحق المطلق في التصرف بعبده ، ولو أدى ذلك الى قتله أو اماتته من الجوع .

أما الرق في الاسلام فقد بني على العدالة والواقعية وحسن المعاملة . فكثيراً ما اعتق الرسول وأصحابه الرقيق وعملوا على اقلال عددهم ، بل ان الاسلام شرع الاعانة المالية للرقيق حتى يحرر نفسه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين فيها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) . التوبة/ ٦٠ وشرع الاسلام عتق الرقبة كفارة لكثير من المخالفات التى يرتكبها المسلم . وما اكثر المخالفات في النفوس البشرية (**ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**) سورة النساء/ ٩٢ وكفارة اليمين اذا حنث بها صاحبها (**اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**) سورة المائدة/ ٨٩ وغير ذلك .

ونهاية القول : ان الاسلام كان يرعى الأسرى ويكرم فيهم انسانيتهم ، ولا يلقيهم في المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعاً وعرياً ومرضاً ، ولا يكلفهم من الاعمال ما يقصم ظهورهم على النحو الذي تعامل به الأسرى في عصر الحضارة حيث تقطع الأطراف وتسترق الشعوب قبل الأفراد في بلاد تعترف قوانينها بالتفرقة العنصرية بين السود والبيض بصفة يأباها الطبع الانساني السليم .

عقيدة الألوهية

عقيدة الألوهية في رسالة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام الى بني اسرائيل قائمة على توحيد الله بالعبادة ، وان المسيح عليه السلام بشر رسول ومن يرجع الى النصوص التي تنسب الى المسيح وليس ما الحق بكلامه وسيرته ، يجدها كلها تدعو الى التوحيد الخالص وان ما ورد من كلمة البنوة لله في بعض المواقف ما كانت الا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين ولم يختص بها المسيح وحده .

فعن وحدانية الاله قوله :

● (جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله اية وصية هي اول الكل فأجابه يسوع ان اول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ـ وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الاولى) ـ انظر انجيل مرقس في الاصحاح الثاني عشر عدد ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وكلمة يسوع تعني عيسى المسيح .

● ويؤمن الكاتب السائل على كلام المسيح عليه السلام (فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس اخر سواه) انجيل مرقس في الاصحاح السابق عدد ٣٢ .

● (وسأله رئيس قائلا ايها المعلم الصالح ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحا ليس احد صالحا الا واحد وهو الله) ـ انظر انجيل لوقا في الاصحاح

كيف عبثت بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية

للمستشـــار
محمـــد عــزت الطهطاوي

الثامن عشر عدد ١٨ ، ١٩ .

● ويقول في الاصحاح السابع عشر عدد ٣ (وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) .

وعن البنوة لله يقول المسيح عليه السلام :

● (فصلوا انتم هكذا ، أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) ـ انظر انجيل متى ـ الاصحاح السادس عدد ٩ ، ١٠ .

● (فكونوا رحماء كما ان اباكم ايضا رحيم) ـ انجيل لوقا في الاصحاح السادس عدد ٣٦ وفي هذا المقام يستطيع كل مؤمن بالله ان يقف ويناجي اباه اي ربه الذي دعاه المسيح ابانا بصيغة الجمع ويتخلق بصفة الرحمة لان رب الجميع رحمن رحيم اي انه اب لجميع المؤمنين وليس ذلك قاصرا على المسيح ولذا جاء في بعض نصوص الانجيل من اطاع الله كان ابنا لله ـ ومن اطاع الشيطان كان ابنا للشيطان .

ـ وفي رسالة يوحنا الأولى نجد ان يوحنا الحواري يعلن فيها بان الله سبحانه وتعالى لم يره احد قط وهذا نص كلامه في الاصحاح الرابع عدد ١٢ (الله لم ينظره احد قط) .

الا انه بعد انقراض اجيال المسيحية الاولى انتشر معتنقو النصرانية ودعاتها بين الأمم الأجنبية خصوصا في بلاد اليونان وفي بلاد الرومان حيث كانت تدين بالوثنية ،

وفي مصر حيث الفلسفات الوثنية ، فاختل نظام الدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام واستحدثت فيها الأفكار الغريبة عنها ـ وشوهت دعوة المسيح الى الوحدانية واختلطت بها الآراء الفلسفية فشاعت مع الوحدانية عقيدة مستحدثة هي عقيدة الثالوث لم تكن تعرفها الاجيال الأولى للمسيحية وان كانت هذه العقيدة سائدة في المجتمعات الوثنية .

من هو اول من اخترع وصاغ عقيدة الثالوث في ملة النصرانية :

يذكر المؤرخون ان اول من نادى بعقيدة الثالوث واخترعها واستعملها هو (ترتليان) في القرن الثاني الميلادي وبالتحديد سنة ٢٠٠ م فهي عقيدة دخيلة على النصرانية الحقة الموحدة .

عقائد الوثنيين التي كانت تدين بالثالوث قبل المسيح عليه السلام :

لقد غلبت عقيدة الثالوث على كثير من الديانات التي سبقت رسالة النصرانية ومن امثلة ذلك : ـ

١ ـ في بلاد الهند ابتدع كهنتها الثالوث البرهمي المكون من براهما الاله الخالق ـ وفيشنو او كريشنا وهو الاله الحامي للخليقة ـ وسيفا وهو القوة التي تفنى وتعيد .

٢ ـ وفي الديانة البوذية ابتدع كهنتها الثالوث البوذي المكون من الاله الخالق او النرفاتا وبوذا الابن من العذراء مايا ـ والروح القدس الذي حل على تلك العذراء فولدت بوذا .

٣ ـ وفي بلاد الصين انتهت عبادتها للاله الواحد الى ابتداع الثالوث الصيني تي ين الاله غير المنظور ـ وتي سميز وهو الشمس والكواكب السيارة ـ وتشايخ وهو ارواح الآباء والحكماء والملوك .

٤ ـ وفي بلاد الكلدان انحسرت عبادتها الى الثالوث المكون من ـ بعل اله الشمس ـ وعشتروت اله الجمال ، وتموز اله الخصب والنماء .

٥ ـ وفي عهد قدماء المصريين انحرفت عبادة المصريين من الاله الواحد الى الثالوث بفعل الكهنة اذ اتخذوا من صفات الله وهي الوجود والحكمة والحياة الثالوث المصري آتون ـ وآمون ـ ورع .

كيف غلبت النصرانية على حكام الدولة الرومانية ؟

عانت النصرانية من اضطهاد حكام الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون ، ففقدت في تلك الاضطهادات كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح عليه السلام ، كما امتد الاضطهاد الى انجيل المسيح نفسه فالتهمه وقضى عليه ، ففقدت بذلك اهم مراجعها الاصلية .

وبحلول سنة ٣١١ م تكشف للامبراطور جالير ـ وكان اشد المضطهدين للنصرانية حماسا ـ عقم جهوده ، فاضطر الى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى ، ولما مات بعد فترة قصيرة اصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم ، الذين حاول كل منهم استرضاء الانصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة .

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة

ان تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفا يعتز به كل طالب للحكم .

وقد فاز بتأييد الكنيسة الامبراطور (قسطنطين) حيث رفعته الى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس) الذي كان يستند الى آلهة الوثنيين فقد اقام لها الصلوات وذبح لرضاها القرابين - وفي سنة ٣١٢ م اصدر الامبراطور قسطنطين مرسوم (ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الاخرى داخل الامبراطورية الرومانية .

الا ان معتنقي النصرانية كانوا وقتئذ على خلاف شديد فيما بينهم واهم هذه الخلافات الخلاف الذي كان بين آريوس شيخ كنيسة بوكاليس بالاسكندرية وبين بطريرك كنيسة الاسكندرية حول شخصية المسيح عليه السلام .

فقد نادي آريوس بان المسيح ليس ازليا وانما هو مخلوق من الآب - وان الابن ليس مساويا للآب في الجوهر ويقف الروح القدس بين القوى المخلوقة ويعني بالابن المسيح وبالآب ذات الله - اي ان المسيح ليس مساويا لله بل هو مخلوق ويغلب التوحيد على هذه العقيدة فالآريوسية تعني ببساطة ، وحدانية الله مع عدم الخلط بين المسيح وبين الله .

اما عقيدة كنيسة الاسكندرية او ما يسمى بعقيدة الارثوذكس والتي حمل لواء الدعوة اليها (اثناسيوس) بطريركها فتتلخص في ان المسيح اله غير مخلوق ولد من الله لا من العدم وانه مساو له في الازلية والجوهر - وكذلك الروح القدس - فالآب اله - والابن اله - والروح القدس اله فمن اراد ان يخلص فعليه ان يعتقد بهذا الثالوث - ويعنون بالآب ، الله وبالابن المسيح .

مجمع نيقية الأول وظروف انعقاده سنة ٣٢٥ ميلادية :

خشي الامبراطور قسطنطين خطورة المجادلات بين آريوس وبين بطريرك الاسكندرية على اقاليم الامبراطورية بسبب اختلافهم في امر العقيدة ، لذلك امر بعقد مجمع يضم رجال الدين المسيحي من مختلف انحاء البلاد لتقرير ما يراه في شأن الخلافات ، وقد انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م في مدينة نيقية بحضور ٢٠٤٨ من الاساقفة ، وكانت حصيلة هذا المجمع رفض آراء آريوس وتقرير الوهية المسيح ، وانه من جوهر الله قديم غير مخلوق ، وانه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس .

ثم فرضت تلك العقيدة على طوائف النصرانية فرضا ، يؤيدها سلطان الامبراطور قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثير من الاساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر لاعتناقهم عقيدة آريوس التي يغلب عليها التوحيد بل قررت الدولة عزل انصار آريوس من كنائسهم .

ويقول ادولف هرنك استاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين ان الامبراطور قرر تحت تأثير (هوسيوس) وزير البلاط ان يجبر

اعضاء المجمع المجتمعين على قبول صيغة الوهية المسيح بعد ان تواطأ وزير البلاط مع بطريرك الاسكندرية على تقرير تلك الصيغة .

مجمع انطاكية سنة ٣٢٩ م

لم يستسلم انصار آريوس الى العقيدة التي فرضها الامبراطور باسم مجمع نيقية ، بل صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام ٣٢٨ ميلادية الضغط على الامبراطور قسطنطين ، فأعاد آريوس واتباعه الى كنائسهم ، وعندئذ قام (ايزبيرس) اسقف نيقوميديا و (نيوغنس) اسقف نيقية بعقد مجمع في انطاكية سنة ٣٢٩ تقرر فيه تثبيت معتقد آريوس وعزل الاساقفة الارثوذكس من اسقفياتهم .

مجمع قيسارية سنة ٣٣٤ م

لما كان اغلب النصارى في مصر من انصار آريوس غلبوا على كنائس مصر والاسكندرية واخذوها ، ثم وثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى ، فلم ير الامبراطور امامه من حل سوى عقد مجمع من الاساقفة في مدينة قيسارية عام ٣٣٤م ، ودعا اثناسيوس للاشتراك فيه فلم يحضر لذلك امر بعقد مجمع آخر في مدينة صور في العام التالي ، وحتم على بطريرك كنيسة الاسكندرية حضوره .

مجمع صور سنة ٣٣٥ م

عقد هذا المجمع بناء على امر الامبراطور قسطنطين وحضره اثناسيوس بطريرك الاسكندرية وقتئذ كما حضره كثيرون من الاساقفة الذين حضروا مجمع نيقية الاول - وقد احتدم الجدل بين المجتمعين حتى بلغ حد العنف وامتدت الأيدي الى بطريرك الاسكندرية بالضرب ، حتى كاد ان يهلك لولا تدخل مندوب الامبراطور لانقاذه ، واخيرا اصدر المجتمعون قرارات لصالح عقيدة آريوس منها ..

١) خلع البطريرك اثناسيوس من منصبه ونفيه الى مدينة تريفس في جنوب فرنسا .

٢) اعداد العدة لدفن قرارات مجمع نيقية التي قررت التثليث وألوهية المسيح .

مجمع انطاكية الثاني سنة ٣٤٠ م :

اوصى الامبراطور قسطنطين قبل وفاته سنة ٣٣٧ م بان يتولى نجله قسطنس الاقاليم الشرقية كلها ويتولى شقيقه قسطنطينوس ايطاليا وافريقيا اما قسطنطين الصغير فقد ولى امر فرنسا واسبانيا وبريطانيا .

وعلى اثر وفاة الامبراطور قسطنطين عاد البطريرك اثناسيوس من منفاه الى الاسكندرية سنة ٣٣٨ م فثار عليه انصار آريوس ودعوا الى عقد مجمع جديد وقد انعقد هذا المجمع في مدينة انطاكية سنة ٣٤٠ م وقرر فيه المجتمعون وكانوا من انصار عقيدة آريوس عزل البطريرك اثناسيوس من كرسي كنيسة الاسكندرية والمطالبة بتعيين البطريرك الآريوسي جاورجيوس بطريركا على كرسي كنيسة الاسكندرية وقد وافق الامبراطور الروماني على طلب ذلك المجمع مما اضطر

اثناسيوس الى الهرب الى مدينة روما .

مجمع انطاكية الثالث سنة ٣٤١ م

انعقد هذا المجمع لتقرير مجموعة من قوانين الايمان تتفق مع عقيدة آريوس التي يغلب عليها توحيد الاله .

عودة اثناسيوس الثالوثي الى الاسكندرية سنة ٣٤٦ م :

اضطر الامبراطور الروماني تحت تأثير شقيقه قسطنس حاكم الاقاليم الشرقية الى اعادة اثناسيوس الى كرسي كنيسة الاسكندرية ، الا ان انصار آريوس قاوموه مقاومة عنيفة ، مما ادى الى عقد مجمع في مدينة آرلس بفرنسا .

مجمع آرلس بفرنسا ٣٥٣ م :

قرر هذا المجمع خلع اثناسيوس من « اسقفية » مدينة الاسكندرية - ووقع على هذا القرار جميع الأساقفة الحاضرون فيه فيما عدا (بولين) اسقف مدينة تريفس - كما ان (ليباريوس) اسقف رومية ارسل وفدا من جانبه الى الامبراطور الروماني ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر ، يعيد النظر فيما قرره مجمع آرلس فوافق الامبراطور على عقد مجمع جديد في مدينة ميلانو .

مجمع ميلانو سنة ٣٥٥م :

كان هذا المجمع مؤلفا من ٣٠٠ من الأساقفة أغلبهم من أنصار آريوس وقرروا الآتي :

١ - خلع أثناسيوس من بطريركية الاسكندرية .

٢ - نفيه وابعاده عن مدينة الاسكندرية .

٣ - تحويل الغلال التى كانت توزع على فقراء الأرثوذكس الى كنائس الأريوسيين ، وقد كلف الامبراطور الروماني والى مصر من قبله باخطار البطريرك أثناسيوس بالقرارات السابقة ، ولما رفض البطريرك المذكور تنفيذ تلك القرارات ، حاول الوالي استعمال القوة معه فلما شعر بذلك فر من البلاد سنة ٣٥٦م .

فتولى الأسقف جاورجيوس الاريوسي - كرسي كنيسة الاسكندرية .

مجمع سرميوم يضع صيغة ايمان جديدة سنة ٣٥٧م :

انعقد هذا المجمع في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا حضره كثير من الأساقفة الأريوسيين وتولى رئاسته أسقفان من الغرب هما أورزاس وفالانس وحضره الامبراطور قسطنطينوس بنفسه حيث وضع ذلك المجمع صيغة ايمان جديدة أنكر فيها مساواة المسيح لله في الجوهر .

مجمع ريمني ومجمع سلوقية سنة ٣٥٩م :

هذان المجمعان أمر بعقدهما الامبراطور الروماني وكان الأول في مدينة ريمني وخصه بالغربيين والثاني في مدينة سلوقية بسوريا كان من ضمن أساقفته عشرة من الاريوسيين وفدوا اليه من مصر . وقد أيد هذان المؤتمران عقيدة آريوس كل التأييد .

مجمع أنطاكية سنة ٣٦١ م :

انعقد هذا المجمع بمعرفة الاريوسيين وقد أكدوا فيه على صيغة

ايمانهم السابق الاشارة اليها بصيغة جديدة تعلن أن (الابن غريب عن أبيه - مختلف عنه في الجوهر والمشيئة) ويقصدون بالابن المسيح وبالاب ذات الله سبحانه وتعالى .

مجمع القسطنطينية سنة ٣٦١م :

انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في نفس السنة التى انعقد فيها مجمع أنطاكية السابق الاشارة اليه وكانت مهمته تثبيت عقيدة التوحيد التى أقرها المجمع المذكور .

ثم قام الآريوسيون بنشرها في أنحاء الدولة الرومانية حيث قننوها في سبعة عشر قانونا للايمان تخالف القوانين التى أقرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

الدولة الرومانية ترتد عن التوحيد وتعود الى عقيدة الثالوث مرة أخرى

١ - لما توفى الامبراطور قسطنطينوس سنة ٣٦١م خلفه (يوليانوس) على عرش الامبراطورية ، فخشى من توثق عرى الوحدة النصرانية بين رعيته ، فعمل على حل عرى هذه الوحدة ، وذلك بأن سمح بارجاع الاساقفة المنفيين الى كراسيهم الكنسية ومنهم أثناسيوس البطريرك الثالوثي الى كرسي كنيسة الاسكندرية .

ولم يمض بعد ذلك كثير من الزمن حتى ظهر ذلك الامبراطور على حقيقته وكفره بعقيدة النصرانية كلية اذ أصدر أوامره باغلاق جميع الكنائس ونهب الأواني المقدسة منها وسلمها الى الوثنيين الذين سمح لهم بفتح معابدهم واعادة عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها .

٢ - وبوفاة يوليانوس سنة ٣٦٣م تولى عرش الامبراطورية (يوبيانوس) وكان يعادي عقيدة الآريوسيين لذلك فقد حرمها وأقام على الولايات التابعة للدولة حكاما ممن لا يدينون بهذه العقيدة وأرسل الى أثناسيوس باطلاق يده لنشر عقيدة الثالوث ثم لما تولى العرش الامبراطور تاوديوس سنة ٣٧٩م عمل على الغاء المذهب الآريوسي كلية والانتصار لعقيدة أثناسيوس وهكذا ساد التثليث وقضى على عقيدة توحيد الاله التى كان يمثلها الآريوسيون في جميع أنحاء الامبراطورية .

رأي علماء الأديان النصارى في عقيدة التثليث في زماننا المعاصر

١ - يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين (ان صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل - وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا) .

٢ - وفي قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين وهم الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية بالقاهرة والدكتور جون

الكسندر طوسن والأستاذ ابراهيم مطر وقدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقي في جامعة برنستون ورد في هذا القاموس عن عقيدة التثليث الآتي : (اعترف كبار علماء اللاهوت أنها لم ترد في الكتاب المقدس - ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد وقد خالفه كثيرون - ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية - ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنائس النصرانية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي) .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل امبراطور الدولة الرومانية وهل حمله فيه اثم تحريم عقيدة الآريوسيين أنصار عقيدة التوحيد ؟

أوردت كتب السيرة النبوية - أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملوك العالم والامراء في عصره يدعوهم الى الاسلام وكان ممن أبلغه بدعوة الاسلام الامبراطور هرقل قيصر الدولة الرومانية فلقد وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم على يد دحية الكلبي وقد جاء فيه الآتي :-

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الآريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولقد فسر كتاب السيرة النبوية أن الآريسيين الواردة في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم تعني الزراع أي الفلاحين بوصفهم غالبية الرعية بمعنى أن اثم هؤلاء الفلاحين عن عدم اهتدائهم الى الاسلام يقع على قيصرهم باعتباره امبراطور دولتهم والناس عادة على دين ملوكهم .

ولكن الصواب والأقرب الى العقل أن الاريسيين تعني أنصار عقيدة التوحيد في أنحاء الامبراطورية وهم اتباع عقيدة آريوس بوصفهم أنصار عقيدة التوحيد المجرد التى دعا اليها المسيح عليه السلام وحواريوه المخلصون والذين غلبوا على أمرهم وحرمت عقيدتهم بفعل أنصار عقيدة التثليث بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمل امبراطور الروم في حالة اعراضه عن الاسلام وهو دين التوحيد اثم تحريم عقيدة دعاة التوحيد السابقين ايضا وهم « الآريوسيين » في مفهوم حكام الدولة الرومانية فعلى هذا الحاكم اثم الصد عن سبيل الله ومنع الدعوة اليه وهذا ذنب عظيم وجرم كبير قال تعالى : (**ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا . الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا**) النساء/١٦٧ - ١٦٩

الحلف بالطلاق

سرى بين الناس في مجتمعنا المعاصر الحلف بالطلاق سريان النار في الهشيم ، أو سريان الداء في الجسم السقيم ، حتى استحال إلى مرض عضال .. استفحل على الدواء ، وعز عليه البرء والشفاء ، وتشيع هذه الظاهرة المرضية العويصة في الأسواق ومجامع السوقة ، حيث لا يجدون في وسعهم متنفسا لضيقهم ،

أو خروجا من ورطاتهم ، أو تبريرا لصدقهم ، أو تمكينا لكذبهم ، إلا الحلف بالطلاق أحيانا مرة واحدة .وأحيانا أخرى بالثلاث على كل مذهب ، واتخذ الحلف بالطلاق صورا شتى ، وأساليب مختلفة فمن قائل : علي الحرام « ومن قائل » علي الطلاق » ، ونحو ذلك مما يتناول عقدة النكاح المقدسة بالتهاون والاستهتار ، وتعريضها للقطيعة والتمزق والانهيار ، ثم يذهب بعض الحالفين إلى من له نصيب من علم أو فقه يستفتونه في طلاق ، ويلتمسون عنده مخرجا من زلته . لذا أحببت أن أتناول هذه الظاهرة الخطيرة بالبحث والنظر بعد أن رأيت فيها رأيا

بدعة مستحدثة

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

اعجبني ، ووقع من نفسي موقع الرضا والقبول ، وهأنذا ألخصه فيما يأتي : —

(١) إن الحلف شرعا لا يكون إلا بالله تعالى أو بصفة أو اسم من صفاته أو أسمائه الحسنى المعروفة وكان العرب قديما يحلفون بآبائهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم الأسلوب الأوحد للحلف والقسم ، وذلك فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكــم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وفي رواية لأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون » ، والحديثان دليلان على التحريم ، لأن النهي عند الاطلاق يفيده كما هو أصله ، وقال ابن عبدالبر : لا يجوز الحلف بغير الله تعالى بالاجماع ، وقال الماوردي : لا يجوز لأحد أن

يحلف أحداً بغير الله تعالى لا بطلاق ولا عتاق ولا نذر ، وإذا حلف الحاكم أحداً بذلك وجب عزله ، وفي حديث لأبي داود والحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله كفر » وفي رواية للحاكم : « كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك »بل إن من حلف بغير الله يجب أن يستشهد بعد حلفه وينطق بكلمة الاسلام ليجدد دينه .. أخرج مسلم : « من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » هذا بالنسبة للعباد ، أما بالنسبة لله تعالى فقد أقسم بالمخلوقات كالشمس والليل والضحى ونحو ذلك وهذا من خصائص الذات العليا ولا يسأل عما يفعل ، على أنها مؤولة برب الشمس .

وسبب التحريم : أن الحلف يقتضي التعظيم للمحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يلحق به غيره ، ثم قال الصنعاني (سبل السلام جـ٤ : ١٥٠) : « والاظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات ، اذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » .

(٢) ما دام الحلف لا يكون شرعا إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته فان الحلف بالطلاق ، بدعة لم يشرعها الله تعالى ، ولم يأذن بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا حلف به الصحابة ولا غيرهم من التابعين ، وفي ذلك يقول ابن تيمية في مجموعة الفتاوي جـ ٣ : ٢٧٦ : « إن اليمين بالطلاق بدعة محدثة ، ولم يبلغني آنها كانت يمينا على عهد الصحابة ، وقد ذكرت في الأيمان التي كان الولاة يلجأون إليها في بيعتهم لحمل الناس عليها ، وأول من اتخذ اليمين بالطلاق في أيمان البيعة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت تشتمل على اليمين بالله وصدقة المـــال ، والطلاق ، والعتاق ولم أقف إلى الساعة على كلام لأحد من الصحابة في الحلف بالطلاق ، وإنما الذي بلغنا عنهم الجواب في الحلف بالعتق ، وهذه البدعة قد اتخذت صفة الشيوع والذيوع واعتقد الناس وقوع الطلاق بها لا محالة ، فنشأ من ذلك ضيق وحرج عظيمان أشبه بالأغلال التي كانت على بني إسرائيل في شريعتهم السابقة على شرعة الاسلام ، ونشأ عن ذلك أنواع من الحيل والمفاسد في الأيمان حتى اتخذوا آيات الله هزوا ، وذلك أنهم يحلفون بالطلاق على فعل أمر أو تركه ، ولا مناص لهم من فعله أو تركه ، وغالبا ما يكون ذلك في حالات الغضب والانفعال العنيف ، ثم إن فراق الزوجة وتعريض الأولاد للتشرد والتشتيت والتمزق قد يكون أفدح من أغلال الاسرائيليين ، حتى تفتقت قرائح المشتغلين بالفقه وغيرهم عن أنواع من الحيل للخروج من ضيق هذه اليمين المستحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وانحصرت حيلهم في الألفاظ ، أو في الأفعال ، أو في إفساد الأصل الذي بنى عليه المحلوف عليه ، أو بايجاد مانع من سريان الحكم أو في التحليل ، وكلها

تكلفات فقهية دعا إليها الانسياق وراء هذه اليمين بالطلاق التي لا تؤيدها الأدلة والأصول ، ولا تسمح بها الأقيسة في مجالات الاجتهاد إلا بمزيد من التأول والتكلف :

أ ـ فمن الحيلة على الألفاظ : أن من حلف مثلا لا يجلس على بساط جيء له ببساطين للخروج من الحنث في اليمين

ب ـ ومن الحيلة على الأفعال : مخالفة الزوجة ـ على رأي الشافعية ـ ثم فعل المحلوف ثم استعادة الزوجة بعقد جديد ومهر جديد ، وقد انحلت اليمين ، وفي نفس الوقت لا تطلق زوجته لأنها لم تكن في عصمته وقت فعل الفعل

جـ ـ ومن الحيلة في إفساد الأصل البحث عن ثغرة في النكاح الذي هو أصل لهذا الطلاق فاذا اكتشفنا فوات شرط من شرائط صحته وهي كثيرة عند الشافعي واحدى الروايتين عند أحمد ، حكمنا بفساد النكاح ثم بفساد الطلاق المبني عليه ، ونحتاج الى تجديد عقد النكاح مستوفيا شروطه ، وعند الشافعي أن الولي الفاسق لا يصح نكاحه ، وأسباب الفسق كثيرة ومن الممكن تحين أي تفريط من جانب الولى في النكاح للحكم ببطلان نكاحه ، قال ابن تيمية وهذا مكر في آيات الله أوجبه الحلف بالطلاق والضرورة إلى عدم وقوعه .

د ـ ومن الحيلة في استكشاف مانع ما ذهب اليه ابن سريج من الشافعية وطائفة بعده وهو : أن يقول الرجل لامرأته إذا وقع عليك طلاق مني فأنت طالق قبله ثلاثا ، فانه لا يقع على المرأة بعد ذلك طلاق أبدا ، لأنه اذا وقع الطلاق الأول المنجز لم يجد مكانا للوقوع لأنه يلزم وقوع المعلق وهو الطلاق الثلاث قبله المقتضي بينونتها منه ، فيفضي وقوعه الى عدم وقوعه ، ولكن العلماء رفضوا هذه الحيلة وأولهم ابن تيمية الذي رآها غلطا غير صحيح لان الطلاق ثلاث لا غير ، وهذه تعتمد على أربع طلقات فيكون باطلا وإذا بطل لم يلزم من وقوع المنجز وقوع المعلق عليه لأن ذلك التلازم يقتضي الصحة ، ثم إن هذه الحيلة تبطل الطلاق كمبدأ من مبادىء الاسلام ، وشرط صحة الحيلة الحسنة عند أصحابها أن تكون مسايرة لمبادىء الاسلام العامة لا مبطلة لها .

هـ :ومن الحيلة في هذا المقام إعادة النكاح من أساسه عن طريق التحليل الذي يشرط فيه الطلاق من الثاني وعودتها للأول بنكاح جديد ومهر جديد ، أو يقصد إلى ذلك ، وفيه ما فيه من الحظر المتمثل في منعه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الأربعة إلا النسائي من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له) .

وأكثر ما يوقع الناس في هذه الحيل تهافتهم على الحلف بالطلاق لسبب ولغير سبب ، واعتقادهم وقوع الطلاق في حال الحنث لا محالة ، حتى لقد فرع أهل الحيل الكثير من حيلهم على هذا الأصل ، وقد شبه الشيخ أبو محمد المقدسي هذه الفروع المحبوكة

على هذا الأصل بمن بنى دارا حسنه على حجارة مغصوبة ، فاذا استحقت الحجارة انهدم البناء

(٣) إن الذي ثبت نقله عن الصحابة هو الجواب عمن حلف بالعتق ، فقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المجمع على إمامته وفقهه ودينه ، وعن أخته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعن زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أفضل فقيهات الصحابة ، الافتاء بالكفارة في الحلف بالعتق ، أي بكفارة اليمين عند الحنث فيها ، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، وعند العجز عن ذلك يصوم ثلاثة أيام ، فيكون الطلاق أولى منه بذلك ، وإنما كان الطلاق أولى من العتق ، لأن عادة الشرع في العتق تيسير سبل التحرير فيه ، وتلمس الأسباب الى ذلك ، ومع هذا فقد أفتوا بالكفارة لا بالعتق ، كما جرت عادة الشارع الحكيم بتأجيل الطلاق إلى ما بعد التأديب والتحكيم بفضالة ، وتعويقا لمجراه ، والقياس هنا منضبط ولا فارق . حتى إن طاوس وهو من أفاضل علماء التابعين لم يكن يرى اليمين بالطلاق موقعة له ، وقد اختار هذا الاتجاه ابن تيمية في مجموعة فتاويه جـ٣ ٣٧٩ وما حولها حيث قال : إن احتمال الكفارة في اليمين بالطلاق قياسا على اليمين بالعتق أيسر من وقوع الطلاق بآثاره السيئة ، وشريعتنا فيها من طبيعة اليسر والفرج ما يبرر ذلك ، وليس من اللازم للخروج من الذنب حلول الضرر العظيم ، لأن الله تعالى لم يحمل علينا إصرا كما حمله على الذين من قبلنا ، فعلى فرض أن الحالف بالطلاق قد حنث وارتكب كبيرة تاب منها ، فهل تضيق عليه الشريعة ، حتى لا يجد أمامه إلا ضرر الطلاق منفذا ومخلصا ، إن من يريد الطلاق حقيقة يطلق امرأته ثلاث مرات ، وله ذلك ، وهذه حالات خاصة بالكـــارهين ، وهي قليلة نسبيا بخلاف الحلف بالطلاق ، فانه قد وصل إلى درجة التهور واللهو غير المقصود حتى صار لا يراد به طلاق ولا فراق ، وإنما قصد به ما قصد باليمين من الحمل على الفعل أو الترك ، ثم قد يضطر إلى ذلك وإلى الحنث فيه ، فيلزمه طلاق لم يقصده ولا اختيار له فيه ، وأيضا فان الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو تخفيف الأيمان بكفاراتها . لا تثقيلها بالتطليقات التي تخرب البيوت وتشرد الأسر .

(٤) إن كثيرا من الفقهاء ومنهم الحنفية قد أوقعوا الطلاق بالحلف بالطلاق وجعلوا منه صورة التعليق بالشرط مثل : ان دخلت دار فلان فأنت طالق وسموه يمينا وأفتوا بوقوع الجزاء عند وقوع الشرط : وقالوا ان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه ، ولا مستند لهم إلا هذا التفكير العقلي في إطار نظرية الشرط والجزاء ، ومثل هذا التفكير لا يقوى على انشاء حالات من الطلاق لم توجد أساسا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أصحابه ولا في عرف العرب الذين نزلت الشريعة في ساحاتهم ، وضمن

دائرة أعرافهم وتقاليدهم ، وخصوصا في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق به حقوق الغير من زوجة وأولاد ، بل لابد في هذا من نص صريح أو قياس جلي ، وقد رأينا القياس واضحا جليا في فتوى ابن عمر واخته وزينب بالالزام بالكفارة على من حلف بالعتق . أما فيما عدا ذلك فلا نجد لهم مستندا إلا قولهم كما في العناية جـ ٤ : ٨١ : « وكل ما انعقد في حقه اليمين إذا وجد الشرط فيه يترتب عليه الجزاء »

(٥) لما كان أبغض الحلال الى الله الطلاق ، كما في حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم « سبل السلام جـ ٣ :٢٠٥ » فان في ذلك إشارة لا تخفى على الفقيه بأن يضيق بقدر الامكان منافذه ، ويعوق مسيرته ، كما قال الصنعاني في تعليق على الحديث السابق : « والحديث دليل على أنه يحسن تجنب إيقاع الطلاق ما وجد عنه مندوحة » . فانا نجد المندوحة الآن سانحة كل السنوح ، واضحة غاية الوضوح في تضييق سبل الطلاق استناداً إلى أن الحلف بالطلاق بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وأنه شيء من مخترعات العصور اللاحقة لعهد الصحابة والتابعين وهم خير العصور كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » رواه البخاري واحمد والبدعة لا تترتب عليها أحكـــام شرعية بالوقوع بعد الايقاع ، بل ينبغي محاربتها ، والتشكيك فيها ، والقضاء عليها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وحينئذ فاننا نرى أن نذهب إلى ما ذهب اليه الصنعاني في سبل السلام جـ ٤ : ١٥٠ حيث قال : « والأظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات إذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » فقد يحلف الحالف بالطلاق وزوجته من أحب الناس اليه ، ولا يوجد بينهما سبب لنفور أو فراق ، فأي علاقة بين حلف الرجل بطلاق امرأته ، وبين عقدة النكاح التي وثقها الله تعالى بقوله : **(وأخذن منكم ميثاقا غليظا)** النساء / ٢١ وهل من حكمة الشارع جعل حاضر الزوجية ومستقبلها معلقا بمثل هذه الأحلاف اللاغية الباغية ، التي ليس لها منطلق من عقل أو تفكير ، وليس لها مستند من كتاب أو سنة . لذلك أرى أنه قد آن الأوان لكي نعالج هذا الداء الذي استشرى في جسد الأمة ، وانتشر في أوصالها انتشار السرطان في خلايا الجسم ، ولا يكون ذلك الا بحسم واستئصال مكمن البلاء منه ، وذلك بابطال كل أنواع الحلف بالطلاق وإهدارها واعتبارها لغوا لا يؤاخذ الله الناس به لا في الدنيا بالكفارة ولا في الآخرة بالعقوبة ، وأن من أراد أن يطلق زوجته حقا وصدقا فهناك السبل التي لا حلف فيها ولا تلاعب بها ولا افتئات عليها .

مائدة القارئ

عند الخروج من البيت

المسلم دائم الصلة بالله سبحانه وتعالى ، ولذا فهو يلجأ اليه في كل حال ، وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه انس – رضي الله عنه – علمنا الرسول الكريم ان نقول عند الخروج من البيت : « بسم الله ، توكلت على الله . لا حول ولا قوة الا بالله » . وعندها يبتعد الشيطان عن طريقنا ويوفقنا الله للخير ، ونص الحديث كما رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه : عن انس – رضي الله عنه ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ؛ يقال له : حسبك هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

آثار الحسنة ، وآثار السيئة

قال ابن عباس رضي الله عنه : إن للحسنة لنورا في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة من الخلق ، وإن للسيئة لغبرة في الوجه ، ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضا من الخلق .

الأولى خير

صلى أعرابي صلاة مخففة ، فقام اليه علي – كرم الله وجهه – بالدرة ، وقال له : أعدها . فأعادها الأعرابي ، ثم قال لعلي بن أبي طالب : أهذه خير أم الأولى ؟ . فقال علي : بل الأولى . فقال الأعرابي : ولم ؟ قال علي – رضي الله عنه – : لأن الأولى لله ، وهذه للدرة .

انتقام

بطنة الغني انتقام لجوع الفقير .

مائدة القارئ

الأمل في الله

قال الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بهـا الفتى ذرعا وعنـد الله منهـا المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنـت أظنهـا لا تفرج

بين الرجاء والخوف

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك ، لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

تلاوة القرآن

في شهر العبادة ، حيث يصوم المسلم نهاره ، ويقوم ليله ، ويحيي ساعاته بتلاوة القرآن نسوق هذا المثل الذي ضربه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . حيث مثل صاحب القرآن بصاحب الابل . فصاحب الابل ان شد وثاق ابله امسكها وحفظها ، وان لم يربطها بالعقال وهو الحبل تفلتت منه وشردت ، كذلك صاحب القرآن إن تعهده بالتلاوة والحفظ كان نورا في قلبه ، وإن أهمله نسيه ، وفي ذلك خسارة كبيرة له .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة : إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » . رواه البخاري ومسلم .

الدين .. والامتحانات

الحياة التي نعيشها امتحان كبير .

الحياة التعليمية فترة قصيرة تنتظم عاماً ..

والحياة الدنيوية فترة طويلة تنتظم العمر كله .

للاستاذ / محمد محمد حلاوة

الامتحان لغة :

محنه من باب قطع ، وامتحنه اختبره . والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان .

الامتحان والابتلاء :

يلتقى الامتحان والابتلاء في معنى الاختبار يقال بلاه جربه واختبره ، وبلاه الله اختبره يبلوه بلاء ، ويكون بالخير وبالشر ، وابتلاه أيضا .

الحياة امتحان كبير :

والحياة التي نعيشها امتحان

كبير .. امتحان في النفس ، وفي الزوج ، وفي الولد ، في الغنى وفي الفقر ، في الصحة وفي المرض ، في القدرة وفي العجز ، في النعمة وفي النقمة ، في كل شيء حتى في الهمسة والخطرة ، وفي الشوكة نشاكها : **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)** الملك/١ و ٢ .

نعم . فقد خلق الله الخلق ليعبدوه ، وأرسل لهم رسله مبشرين ومنذرين يبينون للناس دستوره الذي يسيرون عليه ، وهداهم النجدين : **(من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/١٥ .

وقد حرص الدين في كل ما وضعه من تشريعات ـ وفق حكمة عليا ، وتخطيط محكم ، وعلم لا تخفي عليه خافية ، ورؤية دقيقة نافذة لا تدركها أبصارنا ، ولا تصل إلى فهم أسرارها عقولنا ـ حرص على ما يحقق للناس الخير والسعادة في دنياهم ، والأمن والعافية في أخراهم ، وطلب إليهم أن يعملوا في حدود هذه التشريعات ملتزمين جادين ، وأن يقاوموا ما وسعهم كل ما يحول دونهم ودون هذه الغاية من مفاتن الحياة ومغرياتها ، باذلين في سبيل ذلك العرق والدمع والدم ، والوقت والجهد والمال ، وأن يقفوا بالمرصاد دائما لشهواتهم ، ونزواتهم ، ووساوسهم ، فيعلنوا عليها حربا شعواء لا تهدأ ، ولا تغفل لحظة من ليل أو نهار : **(الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين)** العنكبوت/١ ـ ٦ .

ثم جعل لهم أجلا لا يعدونه ، ويوما يحاسبون فيه على ما قدمت أيديهم : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الأنبياء/ ٤٧ ، فمن جاز هذا اليوم فقد فاز برضوان الله وجنته ، ومن أخفق فيه فقد باء بغضب الله : **(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية . وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها**

كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) الحاقة/١٣ ـ ٣٧ .

أصعب امتحان :

وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يكون أشق امتحان في هذه الدنيا هو امتحان الأنبياء والمرسلين ، ثم المصطفين من خلقه ، وذلك لعلو قدرهم ، ودقة موقفهم ، وجلال رسالتهم ، ولهذا عاشوا حياتهم في جهاد متصل ، وضربوا الأمثلة العليا في الصبر ، واحتمال الأذى ، والزهد ، والقناعة ، وشظف العيش ، والايثار ، والتضحية ، والتقوى ، والطاعة ، والترفع عن الصغائر ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وكانوا وفاء المسؤولية التي ألقيت عليهم ، فحولوا مجرى التاريخ وانجزوا للانسانية في وقت قصير ما عجز عن تحقيقه ساسة العالم وقادته في أجيال وأجيال ، بل ما سيظلون عاجزين عنه إلى يوم الدين .

الامتحانات التعليمية :

والشبه كبير بين الحياة التعليمية ، والحياة التي نعيشها ، فالأولى فترة قصيرة تنتظم عاما دراسيا ما بين ثمانية أشهر وتسعة تقريبا ، والأخيرة فترة طويلة تنتظم العمر كله ، وهذه تعد لامتحان آخر العام يوم يكرم المرء أو يهان ، وتلك تعد ليوم الدين : **(يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم)** الشعراء/٨٨ و ٨٩ .

وبالرغم من أن الدراسات المختلفة التي أجريت على الامتحانات التعليمية قد وجهت إليها بعض المآخذ إلا أنها لا تزال في نظر الأكثرية أمثل طريقة ، وأعدلها في قياس الطالب والحكم عليه .

ولقد خطا بعض المتقدمين في دول الغرب خطوة جريئة في هذا المضمار ، فألغوا الامتحانات بصورتها الحالية ، واكتفوا في جواز نقل الطالب من فرقة إلى فرقة أعلى ، أو في حصوله على إجازة أو مؤهل علمي برأي أستاذه أو أساتذته فيه ، وهي طريقة لا تخلو من عيوب أيضا ، إذ قد يصح هذا في عدد محدود جدا من الطلاب ، ومع أستاذ لا ترقى إليه تهمة أو شبهة ، ولكنه يتعذر ، بل يستحيل في الأعداد الكبيرة التي تتقدم للامتحانات كل عام .

ومهما كان الأمر فان امتحانات الشهادات ولا سيما امتحان الثانوية العامة وما يعادلها قد أخذت في السنوات الأخيرة صورة زائدة من الاهتمام من جميع الأوساط ، وسلطت

عليها وسائل الاعلام المختلفة أضواء باهرة قوية متلاحقة جعلتها تبدو شبحا مخيفا للآباء وللأمهات وللطلاب على السواء ، وأصبحوا يعيشون فترة الامتحان بل قبله بمدة طويلة في قلق وتوجس ، وريبة وترقب ، وانتظار ولهفة ، مما يطالبنا ويطالب المسئولين بالوقوف طويلا عند هذه الظاهرة ومحاولة القضاء عليها أو التخفيف منها . ولو أنهم رجعوا إلى دينهم يستلهمونه الدروس والعبر لوجدوا فيه ما يريدون .

الدين والامتحانات :

وبعد فهل هيىء الطالب دينيا لهذه الامتحانات ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .. اعتقد أننا أغفلنا هذا الجانب إلى حد كبير ، مع أن أي عمل يتم بعيدا عن الدين وتعليماته فهو عمل محكوم عليه بالاخفاق ، وكم يسعدني ، وأبناؤنا وبناتنا الطلاب يستعدون لموسم الامتحانات أن أتقدم اليهم ببعض ما هداني الله إليه من توجيهات :

اولا :**التوكل على الله** : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) الطلاق/٣ وفرق كبير بين التوكل والتواكل ، فالتوكل أن تعتقد أن الأمر لله وحده ، وأن الفعل لله وحده ، ثم تأخذ في الأسباب . أما التواكل فاستسلام يرفضه الدين ، وينهي عنه ، وهو صفة العجزة وغير المؤمنين ، وستطالعنا نتيجة مذهلة لو قمنا باحصائية عن عدد المتواكلين ، والذين لا يأخذون بالأسباب من طلابنا وطالباتنا .

ثانيا : **العمل الجاد المتقن المنظم** :(**وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/١٠٥ . والآية الكريمة تحتمل كل هذه المعاني وأكثر فناهيك بعمل يراه الله والرسول والمؤمنون . إن العمل الذي لا عرق فيه لا خير منه ، والعمل غير المتقن لا جدوى فيه ، والعمل العشوائي يربك الجسم والتفكير والوقت ، وقد رأينا أن بعض الطلاب يرهقون انفسهم احيانا أكثر مما يتحملون فتكون النتيجة أنهم يعتلون شهورا ، وبذلك يسيئون إلى أنفسهم من حيث أرادوا ان يحسنوا إليها . حقا « إن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » ، وتنظيم الفكر لا يقل اهمية عن تنظيم العمل ، لأن الفكر المشوش لا يثمر الا حقائق مشوشة .

ثالثا : **الصبر** فمن صبر ظفر :(**واصبر وما صبرك إلا بالله**) النحل/١٢٧ . (**إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين**) يوسف/٩٠ ونعني بالصبر هنا الصبر على السهر ، وعلى التعب ، وعلى التحصيل ، وعلى التركيز ، وعلى ترويض العادة ، وعلى قهر النفس وحرمانها من بعض المتع ، وعلى الصعوبات المختلفة : صعوبة الحفظ ، والعرض ، والمادة وغيرها .

رابعا : **الأمل والتفاؤل** فانه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة : (**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) يوسف/٨٧ وللأمل حدود

إذا تجاوزناها أصبح تمنيد ، وقاد الانسان إلى متاهات يصعب عليه أن يخرج او ينجو من شرها . وكم جرينا وراءه فألهبنا وأحرقنا .

خامسا : **الاعتماد على النفس** ، **وتلك صفة المؤمنين الأقوياء ، والمؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف . إن الانسان الذي لا يعتمد على نفسه إنسان ضعيف الارادة ناقص الهمة ، مشلول التفكير . وقد ثبت بالتجربة أن الطالب الذي يعتمد على الدروس الخصوصية يتعثر في دراسته ، ونجاحه نجاح وقتي وسطحي ، لأنه لا ركيزة له . ولنسأل أنفسنا كم طالبا يستفيد من الدروس الخصوصية بوضعها الراهن ، إن الطالب الذي يستفيد بحق منها هو الطالب الذي يحدد موقفه من المادة تحديدا دقيقا ، فيعرف ما فهمه منها جيداً ، وما لم يفهمه أصلا ، وما هو بين بين ، ويذهب إلى استاذه طالبا ما يحتاجه فقط كأن يقول له مثلا : أريد في مادة الرياضيات خمس حصص ، حصة في باب كذا موضوع كذا ، وحصة في جزئية كذا ، وثالثة في المقارنة بين كذا وكذا ، ورابعة في طريقة الاجابة ... إلى آخره .**

سادسا : **الثقة بالنفس** ، بحيث لا تتعدى حدودها ، وإلا أصبحت غرورا ويا ويل الانسان من الغرور ، ولذا فقد وجب على الطالب أن يكون صادقا مع نفسه ، وأن يقيس قدراته واستعداده بميزان دقيق ، فاذا لم يستطع فليستعن بمن يثق فيه من أساتذته ، وذلك ليحدد موقفه من كل مادة ، ويتعرف مواطن ضعفه ومواطن قوته ليقف على أرض صلبة ، ويتحرك بقدم ثابتة فكم من طلاب يخرجون من الامتحان يرقصون ويهللون يقدرون لأنفسهم الدرجة النهائية أو قريبا منها ، ثم نفاجأ عندما تظهر النتيجة بأنهم راسبون أو ناجحون بالنهاية الصغرى فقط . ليس لذلك إلا تفسير واحد هو أنهم يخدعون انفسهم .

سابعا : **التواضع** ، فالتواضع سمة العلم ، والكبر سمة الجهل ، واستقص في هذا الموضوع كما تشاء ، وضع من المقدمات ما تحب فلن تتخلف هذه النتيجة أبدا (ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر) . وإنها لظاهرة تدعو للعجب وللأسف معا ما نراه في طلاب اليوم إذ يستنكفون أن يسألوا عما لا يفهمون كأن سوء الفهم عار وضعف ومذلة . وذلك على النقيض تماما مما كان يفعله طلاب الأمس فكانوا يسألون ويلحفون .. يسألون أستاذهم . يسألون زميلهم .. يسألون أي إنسان يلتمسون عنده المعرفة ؛ وكانت لا تهدا لهم نفس ولا تقر لهم عين إلا إذا أدركوا ما يريدون .

ثامنا : **التحلي بآداب العلم** ، فللعلم آداب كثيرة ، يجب الالتزام بها ، وأهمها الطهارة ، والخشوع ، وحسن الاستماع ، وخفض الصوت ، وعدم اللجاج ـ وعفة الحوار ..

تاسعا : **القصد في الطعام** ، فان

الاكثار منه يثقل البدن ، ويقتل النشاط ، ويضعف الهمة ، وله أثره السيىء على الذهن .

عاشرا : **عدم الغفلة** ، سألته وقد رأيته يعيد الشهادة الثانوية : فيم تخلفت ؟ ولم ؟ أجاب : في مادة الرياضيات . قلت له كيف ، وعهدي بك تلميذا نجيبا ؟ قال : اقص عليك . في امتحان مادة الجبر والهندسة التحليلية ، وبعد ان دق الجرس مؤذنا بالاجابة قرأت الأسئلة ، ثم بدأت في اجابة التمرين الأول . حللت الخطوات الأربع الأولى منه في ثوان ، وبقيت الخطوة النهائية عندما حللتها حدثتني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة . وحبا في التغلب على المسألة وجريا وراء هذه الغاية اخذت اعيد واعيد وفي كل مرة تحدثني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة ، وظللت كذلك إلى ان حدثتني نفسي بأن الجواب صحيح . وهنا رفعت القلم ، ونظرت في الساعة فوجدت ان الزمن لم يبق منه إلا دقائق معدودة !!

الاجابة المفتوحة :

ايها الطالب عندما تدخل الامتحان ابدأ فاكتب بياناتك في المكان المعد لها من دفتر الاجابة ، ثم قسم أوراق الاجابة على الاسئلة معتمدا في ذلك على طبيعة المادة ، وعلى خبراتك من الأعوام السابقة ، بحيث تبدأ اجابة كل سؤال من اول صحيفة وحسب هذا التقسيم اكتب إجابة السؤال الأول ، إجابة السؤال الثاني ، إجابة السؤال الثالث ... وهكذا .

فاذا تسلمت ورقة الأسئلة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، واقرأها للمرة الأولى ، ولا تحكم عليها بهذه القراءة . اقرأها للمرة الثانية ، واختبر أسهل الأسئلة وأكثرها وضوحا لك وفهما . ابدأ الاجابة عنه في مكانه الذي حددته من اوراق الاجابة ، فاذا انتهيت منه فقل الحمد لله وراجعه في الحال ، ولا تنتظر حتى نهاية الزمن واذا وقفت في شيء منه فلا تفكر اكثر من دقيقتين بأي حال ، فاذا وفقت فذلك الفضل من الله ، والا فانتقل الى اخف سؤال واسهله بعد ذلك ، وهكذا وقد يحدث كثيرا ان تتذكر النقطة التي وقفت عندها ولم تجب عنها وأنت تجيب عن سؤال آخر عندئذ ارفع القلم وارجع بسرعة حال الى السؤال الذي وقفت فيه واكمل النقطة التي فاتتك والا فانها ستند عنك ومن العسير أن تعود ثانية وتلك هي الاجابة المفتوحة التي نقصدها والتي تدل على يقظتك وانتباهك والتي تتيح لك أن تجيب أوفى ما يكون على كل سؤال من الاسئلة مستغلا كل ثانية من زمن الاجابة .

ولقد امرنا الدين باليقظة وحذرنا من الغفلة والشواهد على ذلك كثيرة .

واخيرا **فملاك الأمر كله طاعة الله وتقواه** ، فهي خير عاصم وخير معين فاتقوا الله ويعلمكم الله : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب**) الطلاق/٢ و ٣ .

والله أسأل ان يرزقنا ويرزق أبناءنا وبناتنا التوفيق والسداد .

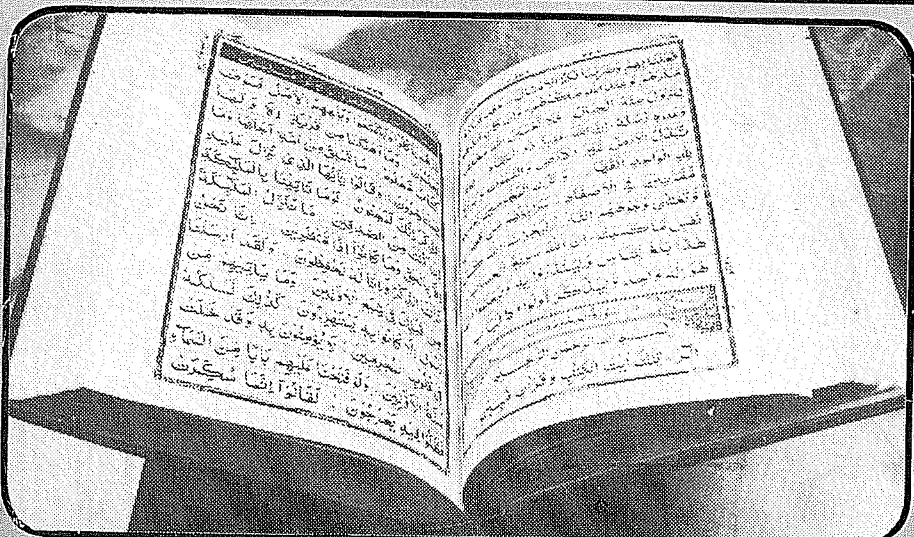
التصوير القرآني

للدكتور/ علي علي مصطفى صبح

أذهل القرآن الكريم عقول البشر، وتركهم في حيرة وما زالوا يرددون: هل الاعجاز في النسق العجيب؟ أم في النظم البديع؟ أم في الأسلوب الرفيع؟ أم في التصوير البياني؟ أم في التصوير الفني؟ أم في الفن القصصي؟ أم في كل ذلك؟ أم في غير ذلك؟ ان الاعجاز في «التصوير القرآني» لأنه ينبني علي ما سبق، بل أكثر مما سبق.

حين نزل القرآن الكريم، كان العرب قد بلغوا الغاية في فصاحة اللغة وبلاغتها، لذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في لغة العرب، التى أفصح عنها القرآن في صورة أعجزت أهلها، وذلك أدعى الى اقناعهم وأجدر في رد انكارهم لدعوة الاسلام، فيكون العجز عن المجاراة في لغتهم بمثابة البرهان الساطع والحجة القاطعة قال الله سبحانه وتعالى: **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)**، النساء/١٦٥، لذلك عجزوا عن الاتيان بمثله، بل عن الاتيان بآية من مثله، مع أن الله سبحانه وتعالى جعله **(قرآنا عربيا غير ذي عوج)** الزمر/٢٨

تعددت الجوانب في اعجاز القرآن الكريم، فكان في مضمونه وشكله، وفي كل ما يتصل به، سواء أكان ذلك في موضوعاته المختلفة التى تتصل بالاخبار عن المغيبات، كالشأن في القصص القرآني، الذي يحكي أحوال الأمم السابقة مع الأنبياء والرسل، الذين بعثهم الله فيهم مبشرين ومنذرين، من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين والمرسلين، وغيرها من القصص، مثل قصة أصحاب الجنة، وقصة الرجلين، وقصة أصحاب الكهف، وذي



القرنين ، وسوى ذلك .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى ستقع في المستقبل ، مثل هزيمة الروم وفتح مكة ، وانتصار الاسلام ، وغير ذلك مما أخبر به الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بأنه سيقع في المستقبل القريب أم البعيد الى يوم القيامة .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى تتصل بالتشريع الالهي لهذه الأمم ، فتوضح العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وتنظم أسلوب المعاملة بين الانسان ونفسه ، وبينه وبين أهله وعشيرته ، وبين المجتمع الذي يعيش فيه ومجتمع آخر ، وغيرها من التشريعات والنظم ، مما يتناسب مع الأجيال والأزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/٩

أو كان الاعجاز من حيث النظم العجيب ، والأسلوب البديع ، في ألفاظه التى وقعت في موقعها ، متآخية من جاراتها ، ومنسجمة مع أخواتها ، لأداء هذا المعنى ، الذي يهز الأعماق ، أو من حيث تصويره للمعاني تصويرا تلتقي فيه كل عناصر الاعجاز ، في « التصوير القرآني » الرفيع .

وآثرت التعبير في جانب القرآن الكريم « بالتصوير القرآني » لتفرده بالاعجاز ، فهو أسمى ما عرفه البلغاء على الاطلاق ، فنسبة الشيء الى أصله أولى بجلال القرآن وقدسيته ، من حيث مصدره الالهي ، دون غير ذلك من التعبيرات والأوصاف ، التى يمكن أن يتصف بها التصوير في القرآن الكريم من المصطلحات الأدبية والنقدية والبلاغية ، التى جرت على ألسنة

الأدباء والنقاد والبلغاء ، وآثروها دون غيرها ، مما يتفق مع ذوقهم وباحساسهم ، ويشخص مدى اعجابهم وانبهارهم بالاعجاز في التصوير البديع في القديم والحديث على السواء ، مثل قول بعضهم : « التصوير الفني في القرآن الكريم » ، وقول بعضهم : « الفن القصصي في القرآن الكريم » فالقرآن يسمو عن تصويره بكلمة « الفن » المستعملة مع العامة ، ومثل قول بعضهم : « التصوير الأدبي » كأن القرآن نص أدبي من صنع البشر ، وقول بعضهم : « البيان القرآني » ، وهذا أقرب الى الصواب من حيث النسبة الى القرآن فقط ، لا من حيث المراد ، لأن البيان يمثل جانبا واحدا من جوانب التصوير القرآني العميق ، وغير ذلك من الأوصاف التى جرت على الألسنة مما لا يتناسب مع جلال القرآن الكريم وقدسيته الربانية .

والقرآن الكريم حين خاطب العقل والشعور ، والروح والقلب جميعا ، خاطبها بأجل الوسائل في التعبير ، فبهرها « بالتصوير القرآني » الذي تلتقي فيه كل روافد الاعجاز ، ليكشف عنها أروع كشف ، في جلاء ووضوح ، واقناع وتأثير ، والتصوير القرآني هو « اعجاز الاعجاز » ، لأن التصوير بمعناه الواسع العميق يفيض بكل ذلك ، فهو جسد وروح معا ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا نقصد بالتصوير الصور التقليدية والجزئية ، التى اقتصرت على ألوان البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، أو اقتصرت على اللفظ والعبارة أو اقتصرت على النظم في علاقة الكلمة بالمعنى ، دون الأبعاد النفسية والشعورية ، التى يعلمها خالق النفس والشعور سبحانه وتعالى ، وليس هذا هو المقصود بالتصوير القرآني ، بل الأمر أعمق من كل ما سبق ، وأرحب أفقا ، ان التصوير القرآني كائن حي خالد ، يلتقي فيه ما اجتمع في الانسان من كل وسائل الحياة ، في ارتباط شكله بمضمونه جملة ، وما وراء ذلك من مشاعر النفس وخوالجها وعواطفها والصدق فيها ، وغير ذلك من عناصر التصوير ، التى تملك زمام التأثير في النفس ، وتدفع صاحبها الى الاقتناع العقلي .

والتأثير والاقناع هما الغاية من الاعجاز في التصوير القرآني ، وبهما تحول الوليد بن المغيرة من معاند فاتك الى مهزوم ضعيف ، يسترحم محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويضع يده على فمه الشريف فزعا من الهلاك ويقول له : أمسك عليك يا ابن أخي ، ثم يذهب الى صناديد الكفر ، الذين كانوا ينتظرون منه القضاء عليه ، فاذا بالحق ينطق به قلبه وعقله ، وينطلق على لسانه ، ليجري مجرى المثل والحكمة ، وان كان المثل من كافر ، وهذا أولى لأنهم قالوا والفضل ما شهدت به الأعداء . قال الوليد بن المغيرة ، يصف الابداع في التصوير القرآني : ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان

أسفله لمغدق ، وانه يعلـو ولا يعلى عليه . وصدق الله العظيم اذ يقول : **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)** الحشر/٢١

وعلى سبيل المثال تأمل قول الله تعالى : **(اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمـة وهيىء لنـا من أمرنـا رشـداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)** الكهف/١٠ ، ١١ ، ستقف امامها خاشعا مطرقا لجلال التصوير القرآني في نقل المشهد حيا كما هو ، فأبرزت الآيتان الكريمتان عنـاصر التصوير في فرار الفتية من جبروت الملك في سبيل الله ، وهم على خوف شديد ، فشخصت السرعة في معناها ومبناها الموسيقي فقولـه تعـالى : (إذ) يدل بمعناه الزماني ومبناه الصوتي على قصر الوقت الذي قطعه الفتية في البحث عن الكهف في سرعة خوفا من الوقوع في يد الطاغية ، على العكس من كلمة (حين) التى قد تسد مسدها في المعنى الزماني ، فهي تدل على البطء وطول الوقت مما لا يتناسب مع المقام من السرعة ، ودلالة (أوى) عليها أدق من دلالة (لجأ) حين توضع مكانها ، فهي تدل على الوصول في تؤدة وتلكؤ .

ثم ما يوحيه لفظ (الفتية) من الشباب والنضارة ، وتدفق البـذل والكرم في نصرة الحق ، والصلابة والقوة في جانب الباطل ، فموطن الغرابة فيهم أن ولايتهم في شبابهم ، والشباب مرحلة الغواية والميل ، ولن تكون ولاية الشيـخ الكبـير مثـار العجب ، لذلك كان الشاب المستقيم من السبعة الذين سيظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ... وشاب نشأ في عبادة الله ، ثم ما يدل عليه وزن (الفتية) من العدد ، وهو دون العشرة ، وهم كذلك ، لأن العرب استعملت (فعلة) في جمع القلة .

وأما قوله تعالى : (فضربنـا) فالفاء وحدها التى تدل في اللغة على الترتيب والتلاحـق صورت سرعـة استجابة الله لهم ، حيث هيأ لهم كهفا يحفظهم فيه دلالة على ولايتهم ، والولايـة دون النبـوة ، لما في (الضرب) من معنـى الايـذاء والعقاب ، لفرارهم بدينهم ، بينمـا الأنبياء لا يفرون ، وانما يواجهون الكفار في ثبات واصرار ، وتسليط (الضرب) على السمع أبلغ في النوم من تسليطه على العين ، فقد تتناوم العينان ، وصاحبهما يقظان ، وانما النائم الحقيقي هو الذي ضرب على سمعه لا بصره ، وهكذا اذا ما تأملت ما في الآيتين من الحروف والألفاظ ، لوجدت أن كل حرف ولفظ لا بديل له في التصوير القرآني فهو يفيض بمعان غزيرة ، لا يعلم حقيقتها الا اللـه سبحانه وتعالى : **(وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتـكون من المنذريـن . بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علمـاء بنـي اسرائيـل)** الشعراء/١٩٢ ــ ١٩٧ .

عبادة

عندما أوشكت الانسانية ان تبلغ رشدها ، ويكتمل وعيها ، وصار في استطاعة شعوب مختلفة الاجتماع على التفاهم والود والمحبة في صعيد واحد ، أمر المولى تبارك وتعالي رسوله وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء اول بيت مقدس يحج اليه الناس جميعا ، فنفذ سيدنا إبراهيم الأمر بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام : **(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)** البقرة ـ ١٢٧ .

ولما اثمرت طهارة القلوب ، وقداسة المبدأ والايثار ، والتطلع الى الحياة الانسانية المثلى في الاجتماع على العقيدة الصحيحة ، امر المولى تبارك وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من رجس الشرك ، والوثنية والاصنام التي كانت تعبد من دون الله عز وجل ، وقد هاجر الى « الجزيرة العربية » لهذا الهدف : **(واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود)** . الحج ـ ٢٦ .

وبعد ان تم بناء البيت الحرام وتشييده واعداده لجمع كلمة الناس

العمرة

على عبادة الله عز وجل ، وتوحيد صفوفهم في ظل العقيدة الصحيحة أمر المولى تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام ان ينادي في الناس جميعا من كل جنس ولون ، معلنا دعوتهم لزيارة هذا البيت : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج ـ ٢٧ ، قال قتادة : لما امر الله عز وجل ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج نادي : يا أيها الناس ، ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوا .

والاستجابة لهذا النداء الرباني لحضور هذا المؤتمر العام واجبة على المسلمين ، ليحل الاتحاد محل الاختلاف ، ويتحول الحقد الى ود واخاء .

ولقد كان فرض الحج في السنة الخامسة او السادسة من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامة عليه ، ليكون مظهرا من مظاهر المساواة بين المسلمين ، ورمزا خالدا لاتحادهم ، وملجأ رحبا لمواساتهم وتراحمهم ، وملاذا قدسيا لتزكية نفوسهم ، وشعاعا وضاء لانارة بصائرهم وضمائرهم ، ومتوجها خالصا الى بارئهم ورازقهم ، ليتجلى عليهم بنعمائه ، ويعمهم ببركاته وخيراته ،

ويشملهم باحسانه وتجلياته ، ومثابة وأمنا يثوبون اليه كل عام ليؤدوا مناسكهم ، ويتحرروا من ذنوبهم واثامهم ، ويتجردوا من زخارف الحياة الدنيا ، ويطهروا قلوبهم بذكر المولى تبارك وتعالى الذي تطمئن بذكره القلوب ،، ويترفعوا بأنفسهم عن اللغو والرفث والفسوق والجدل ، ويكبروا الله جل شأنه ويشكروه على ما وفقهم اليه وهداهم ورزقهم واولاهم ، وليشهدوا منافع لهم في دنياهم واخراهم .

ان الحج ركن عظيم من اركان الاسلام ، ودعامة قوية من دعائمه ، فرضه المولى تبارك وتعالى على كل مسلم ، بالغ ، حر ، مستطيع ، فلا يجب على الكافر ، ولا على الصبي ، اما اذا فعله الصبي صح منه ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لقى بالروحاء ركبا ، فقال : « من القوم ؟ » فقالوا : « المسلمون » ، ثم قالوا : « من انت ؟ » فقال : « رسول الله » ، فرفعت اليه امرأة صبيا وقالت : « ألهذا حج ؟ » ، قال : « نعم ولك أجر » رواه مسلم .

ولا يجب على المجنون ، ولو فعله لا يصح منه لذهاب عقله ، ولا على من فيه رق ، ولو فعله فانه يصح منه ويثاب عليه ، وايضا لا يجب على غير المستطيع ، ويسقط عنه الفرض في حالة ما اذا تبرع له احد بنفقات حجه .

ويشترط في وجوب الحج على المرأة أن تكون امنة على نفسها من الفتنة ، سواء بوجود زوج او محرم ، او نسوة ثقاة معها ، بيد انه يصح منها في حالة ما اذا خرجت وحجت دون وجود احد من هؤلاء معها .

والحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام ، لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » (متفق عليه) .

وهو فرض على المسلم والمسلمة مرة واحدة في العمر ، وما زاد عن ذلك فهو تطوع ، ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ، ان الله قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم .

بيد انه يسن الاكثار منه ومن العمرة تطوعا ، فقد روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « متفق عليه » .

وقد ذهب كثير من العلماء الى ان الحج افضل من الصلاة والزكاة والصوم مستدلين على ذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » (متفق عليه) .

ان المولى تبارك وتعالى قد اوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج ـ ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ، والاجتماعية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم بأنهم جميعا جسد واحد ، كل امة او جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في ان قمة المنافع الروحية تتجلى في توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لاعظم وحدة اجتماعية ، وقاعدة عريضة للاخاء والسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد ، كلهم لبوا دعوته ، واقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعلم الجميع انها شر كلها ولا خير فيها .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الانصاب في « منى » وهذه سنة متبعة من ايام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « اور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج الى وقتنا هذا يرجمونها في « منى » .

ولقد لمس العرب بطلان عبادة الاصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة : « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي اخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم**) ابراهيم ـ ٣٥ ، ٣٦ ، ولا يزال الناس الى اليوم يلمسون بطلان عبادة الاصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك ان الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الاصنام يتجلى اعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة المولى تبارك وتعالى في قلوبهم وأنه الخالق لكل شيء ، وليس كمثله

شيء بعد ان تصغر في نظرهم الانصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون : « الله اكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الانصاب في كل عام ، ففي يوم النحر يرجم نصب « العقبة » اكبر الانصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الذي يرجم في ذلك اليوم وحده ، اما بقية الانصاب فترجم في ايام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا حرج عليه ، ولا يشك انسان مثقف له دراية بعلم النفس في ان رجم الانصاب في معاقلها هو تذكير بأن المولى تبارك وتعالى واحد لا شريك له في ملكه وفي سلطانه .

وفي موسم الحج يجتمع المسلمون على اختلاف جنسياتهم واوطانهم والسنتهم ، في مؤتمر عام عالمي للمدارسة في شئونهم ، ولتبادل وجهات النظر فيما يهمهم من الامور ، حتى يحققوا العزة والنصر لهم ولدينهم .

ويكفي انهم في موقف لا يجدون فيه الا الحق ، ولا يحسون الا بالتضرع والابتهال الى المولى تبارك وتعالى ، رجاء مغفرته واملا في عونه ، وطمعا في رحمته ، « مكة » البلد الحرام ملتقاهم ، والكعبة الشريفة مجتمعهم ، وهي اول بيت وضع للناس ، يقول الحق جل وعلا : « **ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين** » ، آل عمران - ٩٦ ، ٩٧ ، فمن ترك الحج مع قدرته عليه فان الله عز وجل في غنى عنه ، لأنه جل شأنه غني عن العالمين .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « **ومن كفر** » بدلا من كلمة « **ومن ترك الحج** » ليدل على شدة حرص الاسلام على اداء هذه الشعيرة .

وفريضة الحج تجمع اركان الاسلام في مناسكها ، ففيها الصلاة ، وفيها الزكاة ، وفيها الصيام في فدية التقصير في بعض الواجبات ، وفيها التوحيد في التلبية ، وفيها الى جانب ذلك مظهر الجهاد ، من حيث الاستعداد وتحمل مشاق السفر ، وتغيير الاجواء والمطعم والملبس والمسكن ، وما يعتاده الانسان في حياته العادية ، وما يتقيد به الحاج من الازمنة والامكنة .

والحج هو الشعيرة الوحيدة من بين شعائر الاسلام التي لا تؤدي الا بصفة جماعية ، وعلى هيئة مؤتمر عام ، ولقد جعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مؤتمر الحج طريقا للتغيير ، وطريقا للتقدم ، وطريقا للنهوض بالانسانية ، واستغل الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الحج لتوجيه المسلمين للمنهاج الصحيح والطريق القويم .

ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ومعه مائة الف او يزيد من المسلمين لحج بيت الله الحرام ، فطاف بالكعبة ، ثم سعى بين الصفا والمروة ، وفي ليلة اليوم الثامن من ذي الحجة

نزل المزدلفة بمنى ، وفي ليلة التاسع نزل بعرفات عند الصخرات ، فلما حان وقت العصر امر من ينادي في الحجاج بالانصات ، فأنصت الناس ، واتخذ من حوله مبلغين لخطبته حتى يصل قوله الى الناس واضحا ، فخطب وهو فوق ناقته القصواء خطبة جامعة شاملة ، اكمل بها دستور الدين ، واتم بها الرسالة ، ووضحت خطبته الاغراض الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمستقبل المسلمين ، وتعد هذه الخطبة وثيقة خطيرة حددت اهداف الاسلام العليا ، وصارت اساسا كليا في التشريع ، وسندا يرجع اليه فقهاء الدين ، ففي هذه الوثيقة قطع لكل كلام حول الاسلام ، ويكفي ان الوحي نزل بعدها - كما جاء في صحيح الخبر - بقول المولى تبارك وتعالى : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة - ٣ .

وفي الحج يتجمع الحجاج من سائر أنحاء الأرض ، يفدون على البلاد المقدسة ، فيغمرونها بما ينفقونه وما يتصدقون به ابتغاء وجه المولى تبارك وتعالى وابتغاء مرضاته ، الأمر الذي يؤدي إلى إصلاح حال الفقراء ، ويحقق دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام : (**رب اجعل هذا البلد آمنا وأرزق أهله من الثمرات**) إبراهيم/ ٣٥ .

وفي الحج تتجلى وحدة المسلمين كأقوى ما تكون ، وتزول جميع الفوارق ، ونرى المسلمين وقد غمرهم احساس المودة والمحبة ، وملأ قلوبهم الشعور بالاخوة الاسلامية وهم في اطهر مكان واقدس بقعة ، يذكرون الله عز وجل في ايام معدودات ، مستمسكين بالقيم والمبادىء ، متجردين من الاهواء والشحناء ، مبتعدين عن البغضاء والمعاصي ، عازفين عن الفسوق والجدال والعصيان ، متجملين بالصبر على الشدائد ، متقبلين بكل رضا وطيب خاطر الارهاق الحسي والنفسي في الاماكن الضيقة وزحمة الحجاج ، مرتدين ملابس الاحرام مظهر المساواة ورمز الوحدة ، في صفاء روحي ، متجهين الى القبلة نقطة تجمعهم وشعار وحدتهم ، آملين رضا الله عز وجل والدار الاخرة ، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » رواه البزار عن جابر ورجاله ثقات .

وفي الحج يقف المسلمون بعرفات ، تجمعهم جميعا روابط المودة والاخاء هاتفين في صعيد واحد ووقت واحد للاله الواحد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك » .

وعلى ذلك فان الحج المبرور يعتبر عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » (متفق عليه) .

ان فضل المولى تبارك وتعالى على

حجاج بيته لاتحده حدود ، فهم قد جاءوه شعثا غبرا وهو عز وجل ناظر اليهم برحمته ، ويحوطهم برعايته ويحفظهم بعنايته ، تتنزل عليهم الرحمات في عرفة وحول البيت الحرام ، وفي كل موطن من المواطن التي يؤدون فيها الشعائر ، وهم خاضعون بين يديه عز وجل ، متساوون ، منخلعون من كل ربقة لا يرتضيها الاسلام ، متخلون عن المألوف والشهوة والعادة ، متحركون ضمن هدف واحد رسمت معالمه العقيدة الاسلامية التي يهللون ويكبرون لشارعها ، رافعون اكف الضراعة اليه بالرجاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسهم راضية طيبة ، فلا يخيب لهم المولى تبارك وتعالى رجاء ، ولا يرد لهم دعاء ، بل يشملهم بفضله ورحمته ، فيندمون على ما اقترفوا من ذنوب ، ويقفون بين يديه عز وجل خائفين من هول اليوم الذي يفر فيه المرء من اخيه ، وامه وابيه ، وصاحبته وبنيه .

ان الحج بشعائره كلها آية ربانية على سلامة الطريق ، ومصدر قوة للامة الاسلامية لو رافقت كلماتنا الخشية ، وارتبطت تلبيتنا بالقلوب ، وجعلنا كلمة الاسلام هي المحكمة ، وفي بيت الله الحرام آيات بينات ، جديرة بأن توقظ كل غافل ، وتشد من ازر كل كامل ، وتحيي الارض بعد موتها ، وذلك ميدان يتسابق فيه السعداء الذين لا يبتغون اي شيء سوى مرضاة الخالق جل شأنه .

ما اعظم هذه الفريضة ، وما اعذب وقعها على النفوس المؤمنة ، انها رحلة الحياة وطريق الفوز والسعادة ، والنجاة من عذاب المولى جل شأنه ، وفي ذلك يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « اتاني جبريل عليه السلام فاقراني من ربي السلام وقال : ان الله غفر لاهل عرفات ولاهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « يا رسول الله : اهذا لنا خاصة ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا لكم ولمن اتى من بعدكم الى يوم القيامة » ، فقال عمر : « كثر خير الله وطاب » رواه المنذري في كتاب الترغيب والترهيب عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن انس بن مالك رضي الله عنه .

نسأل المولى تبارك وتعالى الرحمن الرحيم ، وندعوه وهو القاهر فوق عباده ، ونلجأ اليه وهو الذي يباهي بالحجيج ملائكته ويتجلى عليهم بالرحمة والعتق من النار ، ان يفتح القلوب لهدايته ، وان يجعل من نور كلمات المصطفى صلى الله عليه وسلم غيثا يروي النفوس العطشى ويحملها الى مرابع الخير ، وان يتجلى على عباده بروح من عنده تسري في كيان الفرد والجماعة ، فيعودون الى سيرتهم الاولى ، ينهلون من منابع العطاء ، ويستأنفون الطريق ، ويأخذون بأسباب القوة في القلوب والعقول والاعداد ، فيأمنون بعد خوف ، ويؤدون رسالتهم في العالمين مطمئنين .

إلى حجاج بيت الله الحرام

للاستاذ / محمود محمد بكر هلال

سطعت كنور الفجر في أبياتي ... وتسربت كالعطر في الزهرات

وغدت تحدث في جلال خاشع ... كالطهر والايمان في الصلوات

وسمعتها تدعو وتهتف في الضحى ... قدسية الدعوات والنغمات

نادى الخليل فياسعادة من سعى ... لله في صدق وفي إخبات

فأجابها نفر « كريم » أشربوا ... حب التقى وحلاوة القربات

تركوا ديارهمو وساروا خشعا ... كالنور يطوى الجو والفلوات

وهناك في الأرض المقدسة التي ... كرمت بنور الوحي والآيات

هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى ... تختال في سحر وفي هالات

ورنت الى ركب الحجيج وأرسلت ... بشرى كلحن الطير في الربوات

حجاج بيت الله طابت رحلة ... نلتم بها ما طاب من جنات

غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا ... بالأجر والرضوان في عرفات

وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذي ... يغري الورى باللهو واللذات

وهناك في عرفات صرتم أمة ... مجموعة التهليل والدعوات

لا فرق بين الواقفين فكلهم ... قلب يناجي الله بالطاعات

وعلى منى نلتم من الله المنى ... وقتلتمو الشيطان بالجمرات

وقصدتمو البيت الحرام وطفتمو ... سبعا ببيت الله ذى الرحمات

بشراكمو فلقد عمرتم بيته ... وهو الكريم يضاعف الحسنات

ثم انثنيتم نحو قبر محمد ... فحظيتمو بالخير والبركات

صلى عليه الله ما طلع الضحى ... ودعا الموحد بارىء النسمات

ولكم من الله المثوبة والرضا ... في أسعد الأيام والأوقات

والتهنئات أزفها منضورة ... كالزهر في أرج وفي بسمات

لكمو بحجكمو وباليوم الذي ... لا شك بالنصر المؤزر آت

المسلمون أمام تحديات

خطة جديدة :

شنت اوروبا ثماني حملات صليبية على الشرق الاسلامي ، وقد باءت هذه الحملات بالاخفاق والهزيمة . فـ « القديس لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا وقع اسيرا في مدينة (المنصورة) في مصر ، ثم خلص من الأسر بفدية . ولما عادِ الى فرنسا أيقن ان قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم الى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس وبكل غال ، اذن لا بد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته أن يهتم اتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للاسلام لهذا الغرض . وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار الى ميدان الفكر !

ان هذه الوثيقة الخطيرة ظلت مختفية عن انظار المسلمين ، بل العالم فترة طويلة ، ولم يكشف النقاب عنها الا في وقت متأخر قبل سنين قليلة ، وقد اشارت اليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسي ، كما ذكرها مؤرخه ـ ايضا ـ « جرانفيل » ! وقد حولت المعركة بهذه التوجيهات من الغزو العسكري الى الغزو الفكري ، فعلى شبابنا ان يتفهم ويدرك ما اراد لهم اعداؤهم ، اذ قد نفذت هذه الخطة تنفيذا دقيقا ، ونجحت نجاحا

الغزو الفكري

للاستاذ/ ابراهيم النعمة

واضحا ، نلمس اثاره في مجتمعات المسلمين اليوم !

مجالات الغزو الفكري :

كان الغزو الفكري الذي وجه الى العالم الاسلامي منظما التنظيم كله ، فعمل على الدخول في جميع مرافق الحياة ، والهيمنة عليها واستغلالها لصالحه ، فاستخدم السينما والمسرح والتمثيلية والقصة والاذاعة والتلفزيون والكتب والمجلات في ما يحقق غرضه ! وقد حقق ما يصبو اليه وزيادة ، فأنشأ جيلا يحب الغرب والحياة الغربية ، بل يتفانى في سبيلها ! ولو حملت اوروبا كلها السلاح اكثر من الف سنة ، وجاءت بخيلها ورجلها ، وقضها وقضيضها الى العالم الاسلامي : تغزو وتدمر لما حققت من النجاح ما حققته في غزوها الفكري الذي اوهن الامة الاسلامية ، وتركها تتلوى الما وترتمض اسى !!

التربية والتعليم :

ومن اقوى الوسائل التي تمكن بها الغزو الفكري من الوصول الى هدفه هي التربية والتعليم والثقافة الاجنبية ، اذ بوساطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين .. وقد دخل الغزو الفكري الى العالم الاسلامي من باب يخيل الى السطحيين من الناس انه

الباب الطبيعي ، اذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن ، ومن يحارب ذلك الا الجاهل الاحمق ؟! يقول زويمر : « المدارس احسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين » !

اقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كاثرة : يزدردون مناهجها ، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها .. وقد اوحى الى بعض المسلمين ان يعتقدوا ان التعليم في هذه المدارس خير دواء لمعالجة الداء الذي الم بالعالم الاسلامي ! ولم يدر بخلد كثير منهم ما سوف تنتجه هذه المناهج المبنية على اسس تختلف وتتباين عن اسس الاسلام الصحيحة في العقيدة والشريعة ، والنظرة الى الكون والحياة والانسان : (**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا**) الاعراف/٥٨ .

على ان هذه المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة : تمدها بالمال وبكل ما تحتاجه . ونستطيع ان ندرك اهمية هذه المدارس في اعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها ، اذ ما دخلوا بلدا من البلدان الا كان اول ما فعلوه ان فتحوا المدارس . وقد قال القائد الفرنسي الجنرال « بيير كيللر » عن المعاهد الفرنسية في لبنان :

« .. فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبا في ايدينا . وفي بداية حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ كان اكثر من اثنين وخمسين الف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون الى عائلات اسلامية عريقة » وهذه المدارس ادت دورا عجزت عن ادائه اجهزة التبشير والاستشراق كلها . ويكفينا ان نعلم ان مؤتمر (ادنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠ وحضره ١٢٠٠ من مندوبيه كان مما قرره هذا المؤتمر ما يأتي :

« اتفقت اراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية ، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوروبا كلها » .

ويقول المبشر « تكلي » :

« ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس امرا صعبا جدا » .

ويقول المستشرق الانكليزي (هاملتون جب) :

« لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ اثرا يجعلهم في مظهرهم العام « لادينيين » الى حد بعيد ، ولا ريب ان ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من اثار » .

الجامعة :

بعد ان سيطر المستعمرون على بلاد المسلمين اولوا جل اهتمامهم

بالجامعات الاسلامية : بمناهجها ونظامها ، وصاغوها صياغة خاصة تجعل المتخرج منها لا صلة له بالاسلام ، ويكون في الوقت نفسه اميًا في عقيدته وشريعته . يقول الدكتور عبد الحليم محمود ـ شيخ الجامع الازهر رحمه الله :ـ

« ان الامر قد وصل بالاستعمار ان صاغ خريجي كليات الحقوق ، بحيث لا يفهمون بعد (الليسانس) كتابا عربيا في المواد التشريعية ، وليس الامر بغريب ، ان جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الاسبوع للقوانين الاوروبية ، ومحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية » .

ولم يكتف المستعمرون بذلك بل قاموا بفتح جامعات ومعاهد لتقوم بتوجيه ابناء المسلمين توجيها مباشرا : كالجامعات الفرنسية والامريكية التي كانت تعمل عملها في القاهرة واستانبول وبيروت وغيرها . وكانت هذه الجامعات تخرج شبابا معجبا بالغرب وحضارته . وتمكنت هذه الجامعات الغربية من منافسة الجامعات الاسلامية ، فانتزعت من الجامعات الاسلامية شبابها ، خاصة بعد ان جعلت الوظائف المهمة منحصرة في خريجي جامعات الغرب ، واغدقت عليهم المرتبات الوفيرة ، في الوقت الذي ضيقت الخناق من الناحية المادية على خريجي الجامعات الاسلامية ! ووصل الامر بخريجي الجامعات الاسلامية ان صارت الامثال تضرب بهم : في فقرهم المدقع ، وعوزهم البائس لقلة مرتباتهم !

وقد استمدت الجامعات العصرية مناهجها وبرامجها من المناهج والبرامج الغربية ، متجاهلة الدور الكبير العظيم الذي اسداه المسلمون الى الانسانية في مجال العلوم والاداب والروح والقيم ، وكانت علوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها تدرس في هذه الجامعات على انها نتاج غربي ليس الا ، وان المسلمين لم يكن لهم اي دور يستحق الذكر في هذه العلوم وقد هدفت هذه المناهج الى ان تقف وقفة مضادة لما كان يقوم به الازهر ، وجامعتا الزيتونة ، والقرويين ، والمدارس الاسلامية في العالم الاسلامي ، وبذلك يتخلخل وينهز فكر الشباب المسلم ، الامر الذي يؤدي ـ بطبيعة الحال ـ الى ان يتخرج الطلاب من كلتا الجامعتين ، وخريج كل منهما يختلف في تفكيره مع الاخر ، بل صار بينهما تضاد عميق وبون شاسع ! ووصل الامر ببعض هذه الجامعات العصرية ان صارت تحتفل بمولد اناس عرفوا بمعاداتهم الشديدة للاسلام ، وذمهم الكبير وانتقاصهم الواسع للعرب : كما فعلت احدى الجامعات في مصر حين احتفلت بذكرى مرور مائة سنة على ولادة الفيلسوف (رينان) !!

وتبنت هذه الجامعات العصرية وجهة النظر الغربية في الاسلام والعرب والشرق ، وذلك بتأثير المستشرقين الذين كانوا يدرسون فيها ، وقد جعلت سورا من حديد بين

العلم الذي يدرسه ابناء المسلمين والاسلام الذي ينتسبون اليه . هذا وقد جعل الغربيون كثيرا من الجامعات الغربية تجمع بين العبادة والعلم . ففي جامعة (اكسفورد) مثلا تسع عشرة كلية وفي كل منها كنيسة ، والطلبة ملزمون بالصلاة فيها في اوقات معينة . ولا يخفي على القارىء اللبيب الفرق الواسع بين عقيدة الاسلام والعقيدة الاوروبية في موقفها من العلم فليتأمل !!

على ان الجامعات الغربية كان مخططها دقيقا ، حيث عملت على الوصول الى الهدف في تشكيك المسلمين بدينهم وتاريخهم وقيمهم من غير ان تصطدم اصطداما مباشرا بالاسلام ، ومن غير ان تستثير من يحمل حبا للاسلام فتخسره ، وذلك في ترويج دراسات المستشرقين في القرآن والوحي والرسول واللغة العربية والعقيدة والشريعة ، ومما يدلنا على ذلك ان الجامعة الامريكية في بيروت ظلت خمس عشرة سنة تدرس العلوم باللغة العربية ، ثم الغت ذلك ، وصار تدريسها بالانجليزية . وفي جامعة الجزائر كان التعليم بالفرنسية وكذلك الامر في معهد الدراسات العليا في تونس .

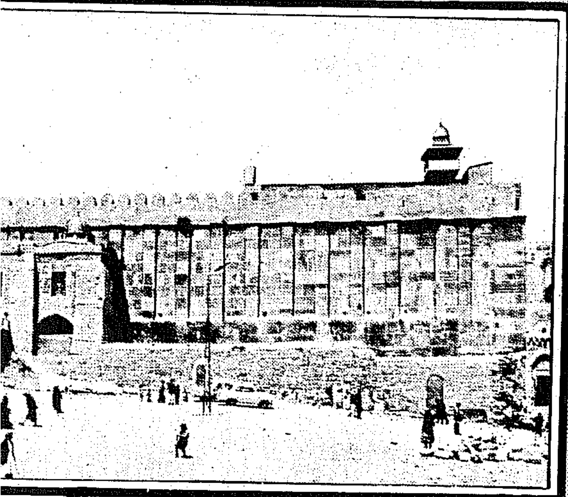
على ان هذه الجامعات الاجنبية يتخرج منها الطالب وهو موزع الولاء لدين غير دينه ، وحضارة غير حضارته ، وامة غير امته ! ان ذلك كله انكشف أمام الناس انكشافا واضحا حين وقف عبد القادر الحسيني ، يوزع شهادات خريجي الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ ، والقى كلمة قال فيها :

« ان هذه الجامعة التي تظهر امام الناس في مظهر المدرسة العالمية ، ولكنها في الحقيقة تعمل على افساد العقائد الدينية ، وهي تطعن في الدين الاسلامي ، وان الجامعة الامريكية التي ادعت انها علمية محضة ، وليس لها ادنى علاقة بحوادث التبشير ليست كذلك » وقد اتى في كلمته هذه بأدلة كثيرة اثبتت ما قرره !!

ويعرب (ماسينيون) عن مهمة جامعات فرنسا تجاه الطلاب المسلمين فيقول :

« ان هؤلاء الطلاب المسلمين الذي يصلون الى فرنسا يجب ان يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا اعوانا لنا في بلادهم » .

وهكذا يعود المبعوثون بعد ان اجرت لهم الجامعات الغربية عملية « غسل الدماغ » الى بلادهم ، وقد حملوا افكار المستعمرين نفسها التي تقلل من سلطان الاسلام واهميته ، بل توهنه وتضعفه ! واذا علمنا ان اقامة الطلاب في ديار الغرب حين الدراسة فترة ليست بالقصيرة ، وان تلك الديار فيها من الانحراف والميوعة والضلال الشيء الكثير ، وان المقيم في تلك الديار يتأثر بأعراف القوم ان لم تكن له حصانة من دينه تقيه من شرور ذلك المجتمع الفاسد ، ادركنا ان بعضا من طلابنا ، بل كثيرا منهم سوف يتأثر بتلك البيئة ، لكن هذا التأثير يختلف من بعضهم الى البعض الآخر قوة وضعفا ، إيجابا وسلبا !



هنا... أمام الحرم

للأستاذ/ أحمد العناني

« أبشر .. أبشر .. رزقت بولد يا ضعيفة ، ربما لم تتناه الى سمع شيخ بركات ! » وارتفعت زغرودة أحد أبعد ممن في الجوار الملاصق ..

ولا عجب فقد كان الشيخ بركات ، كما يطيب للناس أن يسموه على كره منه ، موضع مهابة من نساء بيته ، وحب عميق أيضا ... في ذلك اليوم الزاهر ، ابتسم الشيخ بركات ابتسامة فاترة ، ولكنها معبرة ، وحيث كان الوقت في الهزيع الأخير من الليل ، وكان قد أعد منذ أيام ، ما يحتاج اليه البيت ، في مناسبة كل مولود جديد ، فانه لم يزد على أن نهض فتوضأ ثم مضى توا الى الحرم الابراهيمي الشريف ، يتمتم شاكرا لله تعالى ، وينقل خطاه بتأثر عميق وسعادة ، على شوارع مبلطة بحجارة صلبة متآكلة الوجوه ، من طول سير الناس عليها في تلك المدينة القديمة ، وفيما كان يقترب من الحرم كان يسمع أنين العابدين في « الزوايا » المحيطة بالحرم العتيق ...

ومر ببوابة كبيرة ، ينتهي منها السائر مباشرة الى الدرج الصاعد الى الحرم ، وتذكر أنه جلس عندها في جنح الليل غير مرة ، يسأل الله تعالى أن يستجيب لدعائه ، فيرزقه ولو ولدا واحدا ، عسى أن تنتفع به شقيقاته الخمس ، اللواتي سبقنه للحياة ، فلقد كان قد وطد العزم على ميتة جهادية في سبيل الله ... فمنذ استشهد الشيخ القسام رحمه الله ، وهذا الرجل يحس أن حافزا يناديه من أعماقه ، أن يا هذا : ما فائدة الاستمرار بعد الأبرار في الحياة ؟ ! والله لأن تموت ألف مرة خير لك من أن تحيا الى حين تنفذ نوايا المستعمرين ، وينتهي أمر البلاد الى أحباب الصليبيين ... لقد كان يتمثل الصهاينة وقد تكاثروا ومشوا تحت حراب الغاصب الى الأقصى ، والحرم الابراهيمي ، فتجتاحه تنهيدة ثقيلة ، وتمنى لو يموت كما مات الشيخ القسام ، يواجه الرصاص بجبهته ووجهه ، ويظفر من الله برضوانه ..

لم يكن في الحرم أحد حين وصل الشيخ بركات ، فتوجه ناحية المحراب حيث اعتاد أن يسري الى هناك قبيل الفجر من كل يوم ، يصلي مع الناس ، ثم يحمل خريطة ، فيها خبز ، وحفنة من الزيتون وقطعة من اللبن المجفف ، ويمضي قدما الى كرم العنب الذي ورثه عن أبيه ، لا يفتر في الطريق عن ذكر الله أبدا ، حتى اذا وصل الى الكرم مضى الى حيث يخبىء فأسه في مسكن صيفي مهجور ، ويبدأ العمل الى أن يدركه الجهد والجوع حين يكون الضحى ، فيجلس ليستريح ، ويفطر ، ويصلي ركعتين ، ثم يستأنف العمل يضرب في الأرض كأن له عندها ثأرا .. فاذا حان الظهر توضأ وصلى واستراح ، ثم استأنف العمل بعد الظهر ، حتى تميل شمس النهار الى المغيب غير غافل عن صلاة العصر .

وشد ما كان يزعجه حين يلقي تحية الى أحد ، أن يجيء الجواب في كل مرة : « وعليك السلام يا شيخ

بركات ! »

وذات مرة انفعل كثيرا من هذه العبارة ، فانفلتت منه صيحة عجب وتأفف ـ يا أخي .. أنا بركات بن ابراهيم الوردي ! »

ـ ومن قال غير ذلك يا شيخ بركات ؟ »

ـ أستغفر الله العظيم ! ويتنهد

ـ لم أخطىء في حقك يا شيخ بركات ، وأنت رجل طيب لا تغضب وأنت على حق .. فما بالك تغضب بغير حق اليوم ؟

ـ لا قوة الا بالله ! يا أخي أنا لست كبير سن فتسموني شيخا ، ولا عالما في الدين ولا فقيها .

ـ لا يا شيخ ابراهيم .. أنت

ـ رجاء رجاء لا تزكني على الله .. حرام عليك .. حرام عليكم يا ناس ، دعوني وشأني .

ويهز الرجل الآخر كتفيه استغرابا .. ومع ذلك فهو يحس بحنان عميق لهذا الرجل ، وهو يوقن أن لو كان على الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لشابههم بركات الوردي في نقائهم وطهرهم ..

كان بركات من أوساط الطلبة في ثانوية الخليل الوحيدة في ذلك الزمان ، وكان يحيا حياة رتيبة ، وفق تربية صارمة في ذلك البلد الجبلي ذي التقاليد القديمة .. وعندما أنهى الثانوية ، وجد نفسه تلقائيا يعمل في مكان أبيه المتوفي من قريب ... يذهب الى كرم العنب فيعتني به ، لا يكاد يفارقه في غير أيام الجمع ، وكان يحيا حياة الجند من غير أن يعرف الجندية .

قبل الفجر من كل يوم يمضي الى الحرم ، وبعيد طلوع الشمس يكون في الكرم ، وقبيل الغروب يعود .. يصلي المغرب ، ويتعشى ، ويجلس الى بناته يسامرهن بعض الوقت ، وقد يزوره جاره أبو خالد ، أو يذهب هو لزيارته ، والحديث ان لم يكن عن الزراعة وشؤون الكروم ، فهو عما يشغل الناس من أمر الانجليز واليهود ، وعما يلقى الناس من قهر وسجون وتعذيب ، وعن الثورة وأحداثها .

وقليلا ما كان الشيخ بركات يسهر الى ما بعد صلاة العشاء يصليها في الجامع ان كان ناشطا ، فان كان جهد الأرض والزراعة قد امتصه سحابة النهار فهو يصليها مع أهله في البيت ، ثم يأوي الى فراشه يستعين على سرعة النوم بذكر الله ، والتضرع اليه ، ولا يخالف عن ذلك الا ليالي العمليات ضد الانجليز .

ذلك كان شأنه في الشتاء ، فاذا ما حميت شمس الربيع ، وبدت طوالع الصيف والحرارة ، استعان بجاره أبي خالد في ترميم العريش الصيفي ، وفي ثاني يوم يتعاون الاثنان في عريش أبي خالد ، ثم ترتحل العائلتان الى الكروم ، حيث الهواء الطلق والفاكهة والخضار ، وحيث النسوة يجتمعن ليخبزن على نار الحطب يثرثرن في أخبار الثوار والانجليز واليهود .

كان كل شيء على ما يرام في

المسكن الصيفي ... الجو في الأرض التي باركها الله لا هو الى حر في النهار ولا الى برد في الليل ... ومنذ الأصيل تختلط الأنوار والظلال وخضرة الكروم ، والأنسام في موكب من الجمال يتحول اذا جن الليل عليه ، وواتاه القمر بالحضور ، الى معرض مسحور ، يستريح القلب فيه ، وتقر العينان ، وتهدأ الروح في الجسد ... فيمتنع السهاد ، ويحلو الرقاد ، ويهيمن الصمت حالما بالسعادة ، الى حين يمزق هدأة الليل صوت الرصاص يلعلع ، من اشتباكات الثائرين مع دوريات الانجليز ، وما تلبث أن تأتي مصفحات تهدر بصوتها الأجش على الشارع الرئيسي الممتد الى بيت لحم والقدس ، واذ ذاك يحمي الوطيس ولا يبقى رجل عنده سلاح الا وهو في المعركة .. وتصطك أنياب الصبية الصغار ، حين يخرج الانجليز من المصفحات ، ليعيثوا خلال العرائش الصيفية بالأذى والعدوان .. وهم يصيحون برطانتهم المقيتة ، فاذا أطلقت النيران من خلفهم رجعوا الى مركباتهم ، يخورون كالثيران الهائجة ...

وبآخرة من الليل ، يجلس الشيخ بركات وأبو خالد يتهامسان ، فيما ينتظران غليان الماء في ابريق للشاي ، على جمرات خافتة من نار الحطب .

- هاه ! ما رأيك ؟ هكذا يتساءل أبو خالد أولا

- لن نهدم راحتنا وراحة الأولاد بالعودة الى المدينة

- ولكني متأكد أنهم كشفونا .. غدا يأتون بكلابهم البوليسية فتتوقف عند عريشكم أو عريشنا ، فيخربون كل شيء فيهما ، ويروعون الأطفال ، ويعتقلوننا .

- لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. كل ما عليك أن تنهض فتضع في طريق الكلاب الى مخبأ الرشاشين والذخيرة ما يحول بينها وبين الشم ، وما علينا الا التظاهر بالبراءة والغباوة ، فتجوز الحيلة عليهم .. انهم أغبياء يا أبا خالد

- لكن هذا الضابط الجديد الذي يتكلم العربية أشد خبثا من الشيطان .. ألم تسمع بما فعل في حلحول أمس .. لقد أمر جنوده فخلطوا المؤن والملابس والفراش ثم أهالوا عليها الغاز وحرقوها .. ولم يترك رجلا ولا صبيا ناهز الرجولة ، الا اعتقله وأمر بضربه ، وقد قتل ثلاثة من خيرة الرجال ...

- كذلك فعل ... ؟ هل فيهم أحد من الجماعة ؟

- نعم ! محمد خليل ...

- واستشهد محمد خليل اذا ؟

- أي والله ! فلم تبق عين لم تدمع ، ولا قلب لم يحزن .. كان والله يساوي مئة رجل .. رحمة الله عليه .. ما رأيت في الرجال أشد منه صمودا في ساعة الشدة ..

مضى أبو خالد يتحدث بلوعة عن آخر شهيد ، شيعته القرية

المناضلة حين قتلوه غيلة ، بعد أن أعياهم في الجبال ليلا .. فيما ظل الشيخ بركات صامتا وقد امتلأ قلبه بالحقد على أولئك الكفرة المعتدين ... ثم تمتم بركات ...

- ليتني لم أذهب أمس الى يافا .. لكن أمر الله لا يرد .. كل هذا حصل في يوم واحد ؟

- ولكنا كنا محتاجين لسفرك من أجل الذخيرة ، ويا ليتك عدت بشيء

- رحمة الله عليك يا محمد خليل .. كان المقرر أن يذهب هو حتى آخر لحظة .. ما هكذا كان يشتهي أن يموت ... ولكن أين كانت القنابل الثلاث .

- كان على وشك الوصول الى مخبئها ، حين فاجأوه من الخلف بالرصاص

- لا بأس .. لا بأس ...

- أنا أعرف أن موته يشق عليك ، فقد كان لك أخا وفيا ، ورفيق عمر وسلاح .

- غدا أو بعد غد ، سأثأر له إن شاء الله ، وبالقنابل الثلاث .

- لا تحاول شيئا الآن .. انهم منتبهون

- استمع الي يا أبا خالد ، والله ما لنا أكرم من الميتة التي ماتها شهيدنا القسام ، مواجهة مع هؤلاء المجرمين الذي باعونا لليهود في وضح النهار ، مد يدك وعاهدني

- على ماذا ؟

- مد يدك وتوكل على الله .. لقد امتلأت البلاد بما زرعوا فيها قسرا من مستعمرات لليهود .. والله ما بقي في الأمر رجاء لشجاع ولا لخائف .. أعطني عهدك بأن تنظر في شأن ولدي اسماعيل اذا اختارني الله لجواره .

- يا شيخ بركات .. لا تلق بنفسك في التهلكة ، وعندك خمس بنات وطفل .

اذا أترك ولدي لله ، فأنت لا تريد مسؤولية عنه .

- معاذ الله أن يكون الأمر كذلك .. ولكن أردت

- أردت ماذا ؟ أن تردني عن المجرم قاتل محمد خليل ...

لم يمض غير أسبوع على تلك الليلة ، حين دوى نبأ مقتل الضابط البريطاني الماكر ، الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ، ويعرف أكثر مما ينبغي لمثله عن أخبار الثوار ، ويفتك بالقرى وأهلها فتك الطاعون ، ويباهي بحبه لليهود ، ومقته للعرب ، لقد أطاحت به في عقر منزله قنبلة يدوية ، قذفها أحد الثوار عليه في مخدعه ، وقد سمع على أثر انفجارها تبادل رصاص شديد ، بين حرس الضابط القتيل ، والثائر الذي انسحب مخلفا وراءه خطا من الدم المتقطع ... وكان الناس مرتاحين لأن الثائر الذي أزاح كابوسا عن صدور الناس ظل مجهولا .. وربما كان يداوي جروحه في مكان مجهول ...

كان هناك شخص واحد يعرف الحقيقة هو أبو خالد .. وقد كان متأكدا من العثور على جثة الشيخ بركات لأنه لم يعد الى العريش منذ

أربعة أيام ... وكانت مشكلته ، عجزه عن البحث عن جاره وصديقه في النهار ، لأن المكان يواجه ثكنة الجنود الانجليز الذين جن جنونهم في البحث عن مكان اختفاء قاتل الضابط .. فقد كان خط الدم الذي خلفه وراءه في انسحابه ينتهي عند صخور في جبل نمرة ، وعبثا تبحث كلاب البوليس من بعد الجبل فقد ألقى الجريح في طريقها ما عطل حاسة الشم فيها . ولكن الى أين مضى الرجل الجريح ؟ ! وأين اختفى أو مات ؟ !! ومضت شهور ، وتغيرت الأحوال ، وهدأت الحوادث ...

وراح أبو خالد في عناد وتصميم ، يبحث عن صديقه الشيخ بركات ، الى أن انتهى الى بيت شعر في منطقة البحر الميت .. وهناك جلس يقص عليه بدوي من التعامرة ، قصة رجل جريح ، آوى اليهم ، وحاولوا تطبيبه بوسائلهم ، لكن جرحه نغر عليه ، بعد ما كاد يشفى ، فاختاره الله لجواره ..

- ولم يقل لكم شيئا ، ولا أوصاكم بشيء .. أرجوك أن تخبرني بكل شيء ، فان هذا الشهيد كان أحب الى من نفسي ...

- ما كان ينطق بغير ذكر الله ... وكان يهذي في شدة الحمى عن الحرم الابراهيمي ، وعن الضابط الانجليزي .. ولكنه ترك خريطة .. والله ما نعرف ما فيها ... وها أنت جئت .. فخذها لأهله فهي على حالها لم تمسها يد ...

كان في حقيبة الشيخ بركات نسخة من القرآن الكريم ، وبعض رصاصات ، وقطعات خبز قفار .. وظهرت في وسط المصحف ورقة ... فيها هذه الكلمات .

« رسالة الى ولدي اسماعيل من أبيه الذي أناله الله الحظوة بالشهادة في سبيل الله .. اذا كتب الله لك العمر فانظر في شؤون اخواتك ، واذا شهدت زمانا يجيء فيه اليهود لاغتصاب الحرم الابراهيمي كما يتوعدون ، فاحرص أن تموت شهيدا ، كما مات أبوك ، واذا استطعت فمت عند البوابة القبلية ، فهناك كان دائما يصلي أبوك والله معك » .

ومضت الأيام مريرة مليئة بالمآسي ، حوافل بالأحداث المتلاحقة ، كلما جاءت موجة منها أنست ذكر ما قبلها ، وحتى الشهداء الأبرار محت سطور ذكرياتهم في القلوب ، دموع اللاجئين ، وحسرات الاحتلال وأهوال الفواجع .. وفي ظلال الآلام وعلى دروب النقمة من حبوط الآمال مرة بعد مرة ، مشت أقدام الصغار نحو الشباب المفرغ من كل بهجة أو غنوة سعادة ، سقط الساحل وقامت دولة اليهود . وامتلأ الجبل باللاجئين ، وضاقت سبل العيش ، وامتلأت الدنيا بأغاني الأحزان ، وأناشيد العودة ، وسطع الغضب ، ولكنه تهالك ، فخفت وارتمى ، وضاع الباقي من

فلسطين ، وجاءت أيام الجسر ، جسر العذاب على درب الأردن ...

ربما كان اسماعيل بركات من أشد الناس احساسا بالفجيعة ، فبعد سنوات اليتم المرير ، حين كان يذهب مع والدته لزيارة قبر أبيه في منطقة التعامرة ، وفي سنة انتهائه من الدراسة الثانوية ، سقطت الخليل فيما سقط في أيدي الصهاينة الفاشيين ، وتجددت في حياة الولد قصة أبيه ...

أحيانا كان يسائل صديق والده أبا خالد عن أبيه كيف كان يفكر ؟ وكيف كان يتعامل مع الناس ؟ فكان أبو خالد يروي للفتى كل شيء الا أمر الرسالة التي تركها أبوه ، فانه أشفق عليه منها ، فطواها عنه .

قليلا ما كان يعرف اسماعيل ، أنه جاء صورة أخرى من والده ، رغم اختلاف الظروف والأيام ، فقد فعل الانجليز فعلتهم ، ومكنوا لأحبابهم الصهاينة ، قبل أن ينصرفوا ، بسبة الزمان ، وعار الظلم الأسود ...

لكن اسماعيل كان من المتعلقين بحب المسجد الابراهيمي ، حتى قبل أن يجيء الصهاينة للخليل بسنوات ، كان يعرف كل زاوية فيه ، وان أحب الزاوية القبلية بغير شعور منه ، وذات يوم تنهد في وجهه صديق أبيه الشيخ أبو خالد ، وهو يقول :

« سبحان الله .. حتى المكان الذي كان يصلي فيه أبوك أنت تحرص على الصلاة فيه !! لا اله الا الله .. حتى جدك أبو بركات كان لا يبارح الزاوية القبلية من الحرم ...

ولم يلبث أبو خالد أن مرض مرضا مقعدا ، ومع ذلك فحين كان يزوره اسماعيل بركات ، كان لا يغفل عن الحديث عن الحرم .. كيف وأهل الخليل يرون شرفهم كله في سدانة حرم جد الأنبياء ، وذات يوم ارتعد اسماعيل حين سأله الرجل المريض عن الأحوال فراح يحدثه عن تدنيس اليهود للحرم ، ودخولهم على الناس في الصلاة بأحذيتهم ، وبملابس نسائهم الفاضحة ، وهم يصفرون ويسخرون .. وأرعد اسماعيل وأزبد وهو يقول لأبي خالد : « والله يا عم لقد أخذت على نفسي عهدا ، لئن وصل شرهم الى الزاوية القبلية .. ، فلسوف أتقرب الى الله بدم من أستطيع الفتك به منهم ، ثم راحت تمضي الأيام ..

وذات يوم وفيما كان أبو خالد يحتضر ، قامت ضجة هائلة .. ، وكان واضحا أنها في الحرم .. وراح المريض يناشد من حوله : « أسألوا لي عن أخبار اسماعيل بركات ، فلعلي لو التقي بالاموات أجيب أباه لو سأل عنه ...

وارتفع صوت يقول :« يا والدي انظر في حالك ومرضك اسماعيل بركات رحمه الله ، منذ أيام ، دنس اليهود زاوية الحرم القبلية ، فهاج عليهم ، فقتل منهم ، واستشهد .

وابتسم أبو خالد ، وهو يودع الروح .. لقد تم لصديقه بركات ما أراده لولده أن يكون .

حركة البحث العلمي

للدكتور : حسن فتح الباب

ما اكثر المؤلفات التي تناول اصحابها موضوع الحضارة العربية والاسلامية وفضلها على العالم . بيد اننا ما زلنا في حاجة ملحة الى مزيد من هذه المؤلفات وذلك بغية تحقيق مقاصد ثلاثة **اولها** : تفنيد الكتابات المغرضة التي صدرت ومازالت تصدر من اعداء العروبة والاسلام ، **وثانيها** : الكشف عما تزخر به المكتبات العالمية المختلفة من جوانب تراثنا الذي ما يزال كثير منه طي الخفاء او النسيان . **اما المقصد الثالث** : فهو تحقيق تلك المعادلة الصعبة وهي الجمع بين الاصالة والمعاصرة .

وفي رأينا ان البحث العلمي في الاسلام يقع في الصدارة بين الموضوعات التي ينبغي ان يلتفت اليها الباحثون ويولوها المزيد من الاهتمام والتركيز ، بالنظر الى طبيعة عصرنا الراهن وما يتسم به من تقدم مضطرد في مجال البحوث العلمية ومناهجها . فقد اجمع العلماء والمفكرون الذين يتحرون الصدق والنزاهة فيما يكتبون على ان العرب قد بلغوا في القرون الماضية اوج الحضارة والتقدم ، وكانت ثقافتهم ينابيع متدفقة على الامم المختلفة التي عاصرتهم آنذاك ، وان آثار هذه الثقافة ما فتئت باقية الى اليوم شاهدة على ذلك الشموخ والسمو الذي ارتقت اليه الامة العربية الاسلامية حينما كانت وحدتها متماسكة ، وعراها وثيقة ، وسبيلها لا زيف فيه ، وهو سبيل الاسلام الصحيح الذي يشحن الانسان بطاقات تمكنه من الحركة المستمرة ، وليس السبيل الذي يتخذه بعض الحكام ستارا يحجب النور عن عيون الناس ويكبل ارادتهم .

والعلاقات الدولية في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية

والى جانب هذا العامل الاساسي الذي يرجع اليه انبثاق هذه الحضارة واستمرارها الا وهو وحدة الكلمة وسيادة العدالة، فان ثمة عاملا اخر ادى الى تعدد جوانب الحضارة العربية ومنحها قوة خارقة للعادة ومكانة بارزة في تاريخ الانسانية كما يشهد لها بذلك المستشرقون العدول.

ونعني بذلك العامل اهتمام الانظمة العربية بحركة البحث العلمي وتهيئتها شتى الوسائل المادية والمعنوية للكشف عن كل جديد في مختلف الميادين استلهاما لروح العقيدة الاسلامية القائمة على العلم والتفكير، وطموحا الى الوصول بالامة الاسلامية الى ارفع منزلة، واثبات العبقرية العربية، والاسهام في رفد الثقافة الانسانية بدم حضاري جديد

فلقد وعى المسلمون في عهود ازدهارهم ان دينهم هو في حقيقته عقيدة تحررية كبرى جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من اسار الجهالة،

ولتبدل ظلمات الناس نورا، وانه رسالة العلم والحضارة والتقدم. كما وعوا انه لا سبيل الى رفع الظلم واقامة العدل وارساء مبادئ الحق والمساواة الا بالبحث عن المعرفة ونشر الثقافة الصحيحة وخلق واقع جديد للمجتمع يتفق مع مبادىء الاسلام المثلى، كيما يبلغ ذلك المجتمع غايته السامية وهي الوحدة التي تؤلف بين اهله جميعا وتضمن الخير والرفاهية لهم.

وتشهد حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع واحداث ان الدين الاسلامي كان ثورة

اجتماعية وثقافية شاملة باجل معانيها ، وان المسلمين كانوا يدركون الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد وهو وحدة الاسرة التي تشكل خلية المجتمع ، ويعملون على تحصيل العلوم وتطويرها نحو آفاق فسيحة تتيح للانسان في كل مكان وزمان مستقبلا كريما ، وتفجر الطاقات الخلاقة في نفوس الافراد والجماعات . ولم يغفل الحكام المسلمون الاوائل مغزى عرض الرسول محمد عليه الصلاة والسلام على اسرى المشركين في بدر ان يطلق سراح من يفتدي منهم نفسه بتعليم عشرة من ابناء المسلمين .

اما طموح الخلفاء والحكام المسلمين الى النهوض بدولهم من طريق اتخاذ العلم اساسا ركينا في بناء هذه الدول ، فهو يتمثل في البعوث العلمية التي نظموها ، والسفارات الثقافية التي عنوا بها فسيروها الى مختلف ارجاء العالم القائم في ذلك الحين ، ممارسين في ذلك مبدءا اسلاميا اساسيا جاء في الحديث الشريف وهو « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه ابن ماجه ، وعبر عنه الأثر القائل « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، ومعتمدين في ذلك ايضا على ولع المسلمين ـ بطبيعتهم ـ بالسعي الى مناهل العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق . فالعربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار البعيدة وارتياد الآفاق المجهولة ، ومن ثم وجه قادة المسلمين طلاب العلم واربابه الى انتجاع موارد المعرفة في مظانها التماسا لكل مستحدث في العلوم والفنون والاداب والفلسفات .

وقد اقترنت البعوث العلمية في الاسلام بنشأة الدبلوماسية وتطورها وقد بدأت الدبلوماسية العربية منذ عصر الجاهلية اذ عرفها العرب اسلوبا لاقامة العلاقات وتوثيقها بين قبائلهم بعضها وبعض من ناحية ، وبينهم وبين جيرانهم من الامم والشعوب الاخرى من ناحية ثانية . غير ان هذه العلاقات كانت مقصورة في اغلبها على الناحية التجارية ، ومن ثم كانت نظمهم الدبلوماسية تتسم بالبساطة التي تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، فلم تشمل بطبيعة الحال التبادل الثقافي بمفهومه الحديث لما يقتضيه ذلك من قيام وحدة سياسية فلما نشأت الدولة الاسلامية الاولى في المدينة ثم انتقلت الى دمشق وبعدها الى بغداد ، تعددت اغراض الدبلوماسية نظرا لتشابك العلاقات والمصالح بين العرب وجيرانهم ، وتحولت الدبلوماسية بذلك الى فن متطور يساير الظروف الجديدة ويتطلع الى افاق ابعد وارحب ، اذ ازدهرت الحضارة وتقدمت العلوم والمعارف ، وانفتحت منافذ وسبل جديدة للتلاقي بين الناس في مختلف اركان المعمورة ، وللتعاون بينهم لتحقيق المصالح والغايات .

ولقد كان الهدف الرئيسي

للدبلوماسية في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام هو نشر الدعوة في الجزيرة العربية ومنها الى الجماعات السياسية خارج الجزيرة ، وكانت العلاقات الدبلوماسية التي اقامها عليه الصلاة والسلام مقصورة في بداية الامر على المحادثات الشخصية وارسال الكتب وايفاد البعثات الى القبائل العربية والى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالاسلام والدعوة الى اعتناقه . ومن اجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادى الدين الاسلامي والاقناع بها .

ولما اثمرت الدعوة وتحققت للعرب ـ لأول مرة في التاريخ ـ وحدتهم السياسية ، وقامت اول دولة اسلامية برياسة النبي صلى الله عليه وسلم ، اصبح انتهاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لتدعيم اركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها واغراضها ، وتطورت دعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم مقتصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت الى مختلف النواحي الاخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الاسلامية بالطرق الدبلوماسية .

ومن طبيعة الاحوال أن السفارات الثقافية ـ باعتبارها غرضا من اغراض الدبلوماسية ـ لم يكن لها مجال يعتد به في هذه المرحلة ، ذلك لان الجهد الاكبر كان منصبا على نشر الاسلام . فاستخدمت الدبلوماسية بمختلف اساليبها المتاحة لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وعقدت المعاهدات مع ممثلي الامصار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنة أو السلم وما يقتضيه ذلك من وقف القتال وتبادل الاسرى . ومن ثم استغرقت الدولة الاسلامية معظم حياتها على عهد النبي في نشر الدعوة وخوض غمار الحروب دفاعا عنها ، وترتب على ذلك ان اتجهت الدبلوماسية الى تحقيق الاغراض السياسية والعسكرية ، ومن المعروف في هذا الصدد ان من طليعة حكومة الثورات ان تعبى كل قواها في سبيل ارساء دولتها الناشئة والذود عن حماها ضد القوى المعادية .

ومع ذلك فاننا نطالع في صفحات التاريخ الاسلامي على عهد النبوة ـ في كتب السيرة ـ انباء سفارات اوفدها رسول الله لتثقيف العرب وتعليمهم ، ومن ذلك بعثة القراء التي ارسلها النبي الى قبيلة عقيل لتثقيفهم في الدين واقرائهم القرآن . بيد ان هذه السفارة ومثيلاتها لا تعد سفارات ثقافية بالمفهوم الفني الحديث ، بل ان الهدف منها هو نشر مبادى الدين اي الاعلام والدعوة . وهي تختلف في ذلك عن السفارات التي توفدها الدولة الى دولة اخرى تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي بقصد توطيد العلاقات بينهما عن طريق التبادل العلمي للمعارف والثقافات .

ولم تختلف السفارات الدبلوماسية كثيرا في العهد الاموي من حيث طبيعتها واغراضها عما كانت عليه في العصر النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين ، اذ ظل هدفها الرئيسي هو تأييد الفتوحات الاسلامية بنشر العقيدة السمحة في الاقطار والمدائن التي لم تكن قد بلغتها بعد . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير ، وانما كان التطور قاصرا على تنظيم الدبلوماسية وتطوير وسائلها . وكان استمرار الحروب بين دولة الاسلام ودولة الروم لا يسمح بأكثر من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة او تنظيم فترات السلام ودفع الجزية دون ان يمتد الى التعاون الدولي في مجال العلم والثقافة ، وذلك التعاون الذي لا ينشأ الا في اوقات الاستقرار وقيام العلاقات الودية في ظل السلام .

غير ان النهضة التي بدأت في العصر الاموي عن طريق حركة الترجمة كانت ارهاصا بازدهار شجرة الثقافة والبحث العلمي حتى كان قطاف ثمراتها في عصر العباسيين . ذلك ان الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية كانتا اعظم قوتين سياسيتين في العصر الوسيط ، اذ امتدت رقعة الاسلام من اطراف الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، كما اتسعت ارجاؤها شمالا وجنوبا ، وكانت الامبراطورية البيزنطية آنذاك تبسط ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وايطاليا . ولم تكن الحروب هي العلاقة الوحيدة القائمة بين هاتين القوتين الكبيرتين ، بل نشأت بينهما في كثير من الاوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولمقتضيات التوازن الدولي .

ولم تستمر سياسة الفتوح في العصر العباسي كما كانت عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين والامويين ، بل ان الدولة كانت في حاجة الى الحفاظ على سلامة اقاليمها الشاسعة اكثر منها الى الاستمرار في الفتح . ومن ثم كان اكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم في بدايات عهدهم دفاعا عن دولتهم ، وكانت تلك الحروب هي الجانب السلبي للعلاقات السياسية ، اما في الجانب الاخر فقد اهتموا اكثر من الامويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية واقامتها على اساس المنافسة السلمية لا التنابذ والصراع .

وهكذا بدأت حركة البحث العلمي في ظل هذه السياسة الدولية ، فسارت البعوث الثقافية بين خلفاء بني العباس وبين ملوك القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين ، والى جانب معاهدات الصلح وتبادل الاسرى في عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، تبادلت دولة الاسلام مع الدول الاخرى السفارات في مختلف الاغراض الرامية الى توثيق الصلات التجارية وفض المنازعات وابرام المعاهدات . وكان دعم الروابط في مجال العلم

والثقافة من اهم ما سعت اليه تلك السفارات ، مما يشبه المهمة التي يقوم بها اليوم الملحقون الثقافيون في السفارات الدبلوماسية .

لذلك اقترن عصر استقرار الدولة الاسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامي اطرافها بازدهار البحث العلمي عن طريق التبادل والتعاون بينها وبين الدولة الرومانية (البيزنطية) بصفة خاصة . ولا غرو ان يطلق على عصر هارون الرشيد وابنه المأمون العصر الذهبي للفكر والمعرفة ، وان تبلغ فيه حركة البحث العلمي مدى بعيدا ، فلقد كان عصر الاحياء العلمي بحق ، لانه العهد الذي ارتفعت فيه اعلام الاسلام على كثير من اقطار العالم الغنية بالموارد ، وساد فيه السلام الاسلامي مشارق الارض ومغاربها .

لقد امتدت حركة الترجمة التي بدأها الامويون الى جميع فروع العلم والمعارف ، ولم يأل العباسيون جهدا في استقاء العلوم والفلسفات والرياضيات من شتى مصادرها والبحث عنها في منابتها القاصية . وغني عن الذكر ان نجاح حركة الترجمة والبحث العلمي يرجع في المقام الاول الى حرية الفكر التي جاء بها الاسلام ، وكانت ديدن المسلمين في تعاملهم مع غيرهم ، وتحفل كتب التاريخ بكثير من الشواهد على اهتمام العباسيين بحركتي الاحياء العلمي والنهضة الفكرية حتى صارت كل من بغداد والبصرة والكوفة مراكز قيادة ومصادر اشعاع تضم القيادات العلمية والفكرية ، ويتزاحم عليها طلاب المعرفة من مختلف البلدان لينهلوا من مواردها الغزيرة .

وفي سبيل تدعيم تلك الحركة العلمية الرائدة سارت البعثات الاسلامية الى بيزنطة ، وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية لاستخراج الكتب النادرة التي يحتاج اليها المسلمون في دراستهم النظرية والفلسفية او تجاربهم الكيماوية والطبية على السواء وترجمتها . ومن تلك البعوث ما اوفده الخليفة العباسي المنصور الى القسطنطينية حيث عاد العلماء ومعهم مختارات من الكتب والمصنفات النادرة كان من بينها كتاب « اقليدس » .

وكان المأمون ينتهج جميع السبل الدبلوماسية لتحقيق بغيته ، فوثق علاقاته بملوك الروم ، واتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطو طاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وليس ادل على جهود المأمون في هذا الميدان من تلك الواقعة التاريخية التي تؤكد نظرته الى العلم والثقافة باعتبارهما ركنا من اركان الدولة ودعامة من دعائم السلام الاسلامي ، وليسا مجرد ترف عقلي للخاصة ، اذ كان من شروط صلحه مع الامبراطور

البيزنطي « ميخائيل » الثالث ان يعطيه مكتبة من مكتبات الاستانة ، فكان ذلك ، ووجد فيها كتاب بطليموس في الرياضة الفلكية ، فأمر بترجمته ، وسماه « المجسطي » .

ومن مآثر المأمون في ميدان البحث العلمي انه انشأ سنة ٢١٥ هـ (٨٢٠ م) بيت الحكمة في بغداد . وجمع في هذه المكتبة الاف المخطوطات المترجمة عن الحضارات الانسانية القديمة التي ورثها المسلمون ، وتلك المؤلفة من قبل الأدباء والعلماء والفلاسفة العرب في شتى العلوم والفنون . وقد قصد الباحثون والدارسون هذه الدار من مختلف الامصار الاسلامية يأخذون عنها ويستمدون منها زادا لهم . وبذلك انتقل العلم من الرواية الى التأليف ، ومن المشافهة والاستماع الى البحث والاستقصاء . وازدهر الانتاج الفكري نتيجة لذلك في شتى مناحي العالم الاسلامي شاملا مختلف مناحي المعرفة .

وكان الخلفاء العباسيون والاباطرة البيزنطيون يتنافسون في انتزاع فضل السبق العلمي في عصرهما ، ولا يألون جهدا في هذا السبيل . ومن ذلك ان الخليفة المأمون ومعاصره الامبراطور تيوفيل – وكانا يغرمان بالشرع وروايته ويهتمان بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد في الدين – جرى بينهما تنافس حاد في هذا الصدد تمثل في تلك السفارات المتعددة والمفاوضات المتكررة التي دارت بينهما في شأن العالم الفلكي المهندس ليو . وكان المأمون يتوق الى حضور هذا العالم الذائع الصيت الى بغداد لفترة قصيرة من الزمن كي يستفاد من علمه الواسع في الرياضيات . فأرسل الى الامبراطور البيزنطي سفارة خاصة من اجل ذلك وقال في رسالته الشخصية إليه إنه يعتبر ذلك عملا وديا . ووصل الامر الى حد ان عرض عليه صلحا دائما في مقابل ايفاده هذا العالم اليه . ولكن تيوفيل رفض عرض المأمون لأن ابحاث « ليو » كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة البيزنطية وشئونها العسكرية . وحين نذكر قوة الدولة الاسلامية في عصر المأمون وسعي الدولة البيزنطية الى خطب ودها والدخول معها في علاقات سلمية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المأمون ، ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة في البحث العلمي .

ومن هذه الواقعة وامثالها نتبين ان النزعة العلمية كانت احدى السمات المميزة للنهج الذي سار عليه الحكم خلال عهود بني العباس اعمالا لروح الاسلام ، وركيزة لدولته في الارض . فما اجدر بنا اليوم ان نعود الى بدء حياتنا حتى نجمع بين الاصالة والمعاصرة اذا كنا قد تنبهنا الى مكانة العلم والبحث في مجالاته المختلفة ، فاننا لم نزل بعد في اول الطريق وعلينا استكماله ، واول الغيث قطر ثم ينهمر .

كتاب الشهر

السنة المفترى عليها

تأليف : الاستاذ سالم البهنساوي

عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

○ المؤلف هو السيد المستشار سالم البهنساوي المستشار بوزارة العدل الكويتية ، عرفته وهو ما يزال طالبا في كلية الحقوق ، شابا مسلما طموحا ، امتحن من اجل عقيدته فصابر وصبر وتحمل وثبت ، اصدر في بداية حياته رسالة بعنوان : الوجيز في العبادات ، ثم الاسلام والتامينات الاجتماعية ، ثم بعد ذلك عرض لقضية من القضايا التي شغلت في الاونة الاخيرة اذهان الرأي العام الاسلامي ، في دراسة موضوعية بعنوان : الحكم وقضية تكفير المسلم ، ثم هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء اليوم .. السنة المفترى عليها .

○ والكتاب يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ويعرض لقضية من اهم القضايا الجديرة بالدراسة والتمحيص .. والعمق وسعة الافق .. على اساس من المنهج العلمي والمناقشة الموضوعية ، ومما يزيد من اهمية القضية ، ان المستشرقين من الغرب والشرق ، وتلامذتهم من بعض المسلمين انفسهم ، قد خاضوا في هذه القضية ، وصالوا وجالوا ، بهدف التشكيك في مصادر الاسلام ، بعد ان فشلوا في محاولاتهم التشكيك في الوجود الاسلامي نفسه .. إذن فمن يعرض لهذه القضية ينبغي عليه ان يدرك ان مهمته شاقة ، وان يكون كفءا لها ، وعلى درجة كبرى من الصبر والمعاناة .

○ ولكي نحكم على الدراسة التي بين ايدينا ، يحسن بنا ان نعرض محتوياتها في ايجاز ، المؤلف قسم دراسته الى عشرة فصول :

الفصل الاول : بين الرسول وحقيقة السنة ، وفيه عرض للسنة بين النصارى والأعراب ، وحقيقة السنة والبيان النبوي ، وانواع السنة ووظيفة الرسول ، والجماعات الاسلامية والانحراف عن المنهج النبوي ، ثم استقلال السنة بالتشريع .

الفصل الثاني : الفتنة وشبهات حول تدوين السنة .. وبعض ما عرض فيه : كتابة السنة ، والسنة والفتنة الكبرى ، والتقريب بين السنة والشيعة ، ثم الحديث النبوي بين السنة والشيعة والخوارج .

الفصل الثالث : تناول فيه ، السنة بين الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث واهميتها ، ورد السنة بين السند والمتن ، ثم مدى التوقف في متن الحديث .

الفصل الرابع : وفيه عرض للسنة وشبهة الظنية ، واحاديث الآحاد بين مدرستي الرأي والحديث ، والسنة وبدعة المصطلحات الحديثة ، واحاديث الآحاد بين الظن واليقين ، ثم احاديث الآحاد وقطعية الثبوت ..

الفصل الخامس : وقد تناول المؤلف فيه دعوى تقديم القياس على سنة الآحاد ، وشبهة عمل اهل المدينة ، ثم المذاهب والخلاف الفقهي .

الفصل السادس : وقد عرض فيه للسنة بين المعجزات والعقائد ، والمعجزات بين الدين والعقل ، ثم الغزو الفكري وبدعة الاسراء بالروح .

الفصل السابع : وفيه عرض للسنة بين العموم والخصوص ، والدليل الظني بين العام والخاص ، وشبهة التعارض بين العام والخاص ، وشبهة تعارض النصوص ، ثم بدعة التوفيق بين الاسلام والنصرانية .

الفصل الثامن : وقد تناول فيه السنة ونسخ الاحكام ، ونسخ السنة للقرآن ، ثم الاجماع والنسخ .

الفصل التاسع : وفيه عرض للطعن في البخاري ، وفي ابي هريرة ، وتحريف النصوص الشرعية بين المستشرقين وعلماء الشهرة ، ثم التحريف وموالاة اهل الكتاب .

الفصل العاشر والاخير : وقد عرض فيه لمنزلة السنة من القرآن ، والسنة وتفسير القرآن ، ومقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، وعصمة الائمة عند الامامية ، ثم الوسائل الجديدة لهدم السنة .

○ هذا مجمل ما ورد في هذه الدراسة . ومن هذا المجمل الموجز يتبين لنا ان المؤلف قد وفق - بحق - في مناقشة الشبهات التي اثيرت حول السنة المصدر الثاني ، ودحضها . وقد توسع المؤلف بالقضية المطروحة ، وقليلا من المسائل العرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بها ، فمثلا

الشبهات حول تدوين السنة ، والشك في ثبوت السنة ، والسنة وبدعة المصطلحات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقضية الحديثة ، وشبهة تعارض النصوص ، هي من المسائل الجوهرية اما مثل هذه المسائل : الغزو الفكري وبدعة الاسراء والمعراج ، مؤلف التوراة والانجيل ، مقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، فهي مسائل يمكن مناقشتها في مجال آخر غير مجال القضية المطروحة ، حتى لا يتوزع جهد المؤلف ، ويتوفر على اصل القضية .

● ان المؤلف قد التزم بالمنهج العلمي في كثير من الشبهات التي عرض لها ، الا ان هناك قليلا من المسائل ، في حاجة الى مراجعة . ومن اوائل هذه المسائل ، احاديث الآحاد بين الظن واليقين ، فالمؤلف يجنح الى التخفيف من اهمية ان تكون احاديث الآحاد ظنية ، ويرد قول العلماء الذين يرون ان احاديث الآحاد التي تفيد الظن لا يعمل بها في العقائد ، مع ان جمهور الفقهاء والاصوليين ، يقررون ان الحديث المتواتر وحده ـ كالقرآن ـ مفيد للحكم الشرعي في العقائد ، وغيره ـ كالآحاد ـ لا يفيد الحكم الشرعي في العقائد ، وهذا مايقرره استاذنا الشيخ احمد ابراهيم الذي كان من اوائل اساتذة الشريعة في كلية حقوق القاهرة ، وذلك في مؤلفه « علم اصول الفقه » وكذلك استاذنا الشيخ محمد ابو زهرة ـ رحمهما الله ـ في مؤلفه « اصول الفقه » ونص عبارته : « وحديث الآحاد يفيد العلم الظني الراجح ، ولا يفيد العلم القطعي ، اذ الاتصال بالنبي فيه شبهة .. ولهذه الشبهة قالوا : انه يجب العمل به إن لم يعارضه معارض .. ولكن لا يؤخذ به في الاعتقاد ، لان الامور الاعتقادية تبنى على الجزم واليقين ، ولا تبنى على الظن ولو كان راجحا ، لان الظن في الاعتقاد لا يغني عن الحق شيئا » .

ومما يدهش له القارىء ما يراه المؤلف الاستاذ البهنساوي ، من ان احاديث الآحاد قطعية الثبوت . مستندا الى ان التفرقة بين الاحاديث النبوية « المتواتر والآحاد » تفرقة لا دليل عليها من القرآن او السنة او اجماع الصحابة ، خصوصا ان القرآن قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة واخذ به في الحدود» .

ونحن نقول إن هذا التقسيم مجمع عليه تقريبا ، وليس من المعقول ، ان نطلب دليلا عليه من الكتاب او السنة او اجماع الصحابة ، وعلم الحديث نفسه لم ينشأ الا ابتداء من اواسط القرن الثالث الهجري ؟

اما قول المؤلف ان القرآن الكريم قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة .. فهو قياس مع الفارق ، لاننا بصدد رواية لا شهادة . والرواية تتصل بدين المسلمين فهي في حاجة الى التدقيق ، لانها تنتقل من راو الى اخر ، وهكذا .

● وبعد ـ فلا جدال ان المؤلف قد قدم لنا دراسة جديرة بالتقدير ، وقد بذل فيها جهدا شاقا مضنيا اثمر دحضه لكثير من الشبهات ، بالاضافة الى غيرته على الاسلام ، وصدق نواياه . فجزاه الله خيرا .

التكوين العقلي للفرد

شاهدنا نظما معاصرة تجتهد في تربية الانسان تربية عقلية اساسها السطحية والعاطفية والحقد ، والنظرة القاصرة الى الأمور والأشياء ، والحكم بموازين مختلة على مختلف القضايا : وكان ضرر هذه التربية كبيرا وخطيرا وشديدا .

ولا نزال نرى الأيديولوجيات المعاصرة في العالم تطبع الفرد بطابعها الخاص ، وتحاول أن تصبغه بصبغة معينة لا يتعداها .. مما جعل الفرد ينشأ في خواء عقلي ، وفراغ فكري كبير .

وتحاول وسائل الاعلام المختلفة ذات اليمين وذات اليسار أن تؤثر على الانسان تأثيرا شديدا ، فلا تترك له فرصة الرأي المستقل ، ولا التفكير الذاتي المنبعث عن مشاعر الانسان وأحكامه الخاصة .

وقد أثر ذلك كله على البناء الانساني والثقافي والحضاري في العالم ، ورأينا الانسان المعاصر يسعى الى الانانية والأثرة والذاتية وحب الشخصية سعيا حثيثا ، ورأينا العرض والمظهر والشهرة أحب الى نفسه من الجوهر والحقيقة والاخلاص في العمل والتفكير .. الى

في الإسلام

للدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

غير ذلك مما رأيناه من دافع الانسان عن مصلحته وحدها ، ومن قيام حروب متلاحقة بسبب التنافس على المصالح الاقتصادية وعلى استعمار العالم وفرض النفوذ والسيادة دون غيرها من مثل الحياة وقيمها العليا .

وعلى النقيض من كل ذلك كان الاسلام ، وكان رسول المسلمين ، وكان اعلام مدرسة الاسلام الأولى ، الذين فتحوا العالم ، وقوضوا صروح الطغيان ، ونادوا بحقوق الانسان ونشروا الثقافة والحضارة في الدنيا .

ربى الاسلام الانسان المسلم على العفة والنزاهة والشرف ومراقبة الضمير ، ورباه على تحمل المسؤولية ، والحرص على الامانة والوفاء بالوعد ، والالتزام بالعهد ، ودعاه الى تقرير أمانة الكلمة ، والى التزام المنطق في القول ، والحجة في الحوار ، والصدق في الكلمة والانسانية في التفكير .

والزمه الدفاع عن الحق ، وانكار الباطل ، والاحتكام الى العقل ، وترك التقليد ، والسير على نمط المنهج القرآني كاملا .

وعوده الذاتية والشخصية الكاملة ، فلا يكون الانسان المسلم مرائيا ولا منافقا ولا إمعة يسير وراء غيره أينما سار .

ودعاه الى الانسانية في معاملة الناس ! والى الدفاع عن العرض والحرمات ، والى تقدير حق الجار والقريب والصديق والأخ والأب وغيرهم .

وألزمه بكل فضيلة وخير ، ونهاه عن كل رذيلة وشر ، ودعاه الى نظافة القلب والجوارح واللسان والثياب ، والى أن لا يسخر شيئا مما أنعم الله به عليه في معصية ، والى أن لا يستخدم ما من الله به عليه من نعمة في البطر والكبر والخيلاء والتعالي على الناس والفخر عليهم ، وأوجب عليه مراعاة حق الضعيف والمرأة والخادم والعامل والأسير والطفل واليتيم والمسكين وابن السبيل ، وحثه على التعاون والتكافل والايثار وحب الغير قبل حب النفس ، وعلى الانفاق والصدقة وايتاء الزكاة ، والبر بالفقراء وذوي الأرحام . وكما طالبه بشرف النفس طالبه بشرف العرض ، ورفع وجهه الى السماء بعد أن كان الانسان قبل الاسلام يخلد الى الأرض ، وينكس رأسه في التراب . وصار يراقب الله في كل شيء ، ويراقب ضميره في كل صغيرة وكبيرة .

قيم جديدة خلقت في الانسان المسلم شعورا جديدا ، وفكرا جديدا ، وعقلية من طراز خاص غير العقلية التي يفكر بها أتباع كل دين وملة .

هذا هو الحارث بن مالك الأنصاري يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم يوما : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقا ، قال : انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عرفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت لذلك ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا .. فقال : يا حارث عرفت فالزم / ابن ماجة .

ورأى رسول الله زهيرا الضبعي ، رجلا سيىء الهيئة فقال : ألك مال ؟ قال نعم من كل أنواع المال . قال : فلير عليك ، فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ، ولا يحب البؤس ولا التباؤس / **رواه أحمد** .

وهذا خوات بن جبير الأنصاري ، نزل مع رسول الله مر الظهران ، فخرج من خبائه فاذا بنسوة يتحدثن ، فأعجبنه ، فرجع ، فاستخرج حلة فلبسها ، وجاء فجلس معهن ، وخرج رسول الله من قبته ، فلما رآه خوات اضطرب ، وقال : يا رسول الله جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدا ، ومضى رسول الله ، فاتبعه خوات فألقى الرسول اليه رداءه ، ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ، وأقبل والماء يسيل على صدره من لحيته ، فبادر خوات يقول له : أبا عبد الله ، ما فعل ذلك الجمل ؟ يقول خولت : وارتحلنا ، فجعل رسول الله لا يلحقني في المسير الا قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ فلما رأيت ذلك ، تغيبت الى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك علي أتيت المسجد ، فقمت أصلي ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره ، فجاء

فصلى ركعتين فطولت رجاء أن يذهب ، ويدعني ، فقال صلى الله عليه وسلم : أبا عبد الله ، طول ما شئت أن تطول ، فلست بمنصرف حتى تنصرف ، فقلت في نفسي : والله لأعتذرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبرئن صدره ، فلما انصرفت ، قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ قلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : يرحمك الله ثلاثا .. ثم لم يعد لشيء مما كان .. ـ أسد الغابة ـ .

ما مغزى ذلك ؟ مغزاه ضعف النفس الانسانية حينا عن مقاومة اغراء الفتنة ، وان حزم الانسان لأمره حينئذ أسلم ، وصراحته وصدقه في مثل هذا الموقف أولى .. ومغزاه هذا الروح الانساني الرفيع الذي كان يعامل به الرسول الأعظم صحابته ، وكيف كان يؤدبهم في انسانية معاملة وجلال أدب ، وسمو حكمة ، صلى الله عليه وسلم .

وانظر الى عمر بن الخطاب وقد عزل خالد بن الوليد ، في حواره لأحمد المخزومي من أبناء عمومة خالد ، كان عمر يخطب المسلمين في المدينة ، فقال لهم : اني أعتذر اليكم من خالد ، أمرته أن يحبس هذا المال على المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان ، فنزعته ، أي عزلته ، وأثبت أبا عبيدة ، فقام أحمد المخزومي فقال له : لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغمدت سيفا سله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ووضعت لواء نصبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم .. فقال عمر له : إنك قريب القرابة ، حديث السن ، تغضب في ابن عمك .

حوار يعلم العقل ، ويرشد الى الحق ، ويدل عليه ، وليس فيه استعلاء خليفة ، ولا سوء أدب ابن عم .

هذا الطابع العقلي للمسلم ، الذي رباه الاسلام ورسوله العظيم عليه ، كان له أثره وخطره في حياة الاسلام ، فقد خرج من المدينة ومكة أعلام الاسلام ، وساسته وقواده وعلماؤه وقضاته . وحكام الأمم ، وساسة الشعوب ، ومعلمو الانسانية ، وموجهو الدنيا ، وناشرو الدين والعلم والثقافة ، ورافعو لواء المدنية والحضارة في الأرض ، فأضاءت بهم الدنيا ، وسعد بهم العالم ، وعزت بهم الانسانية ، وكانوا مصابيح الحياة ، ونجوم الدهر ، وكواكب التوحيد ، ومقدمة مواكب النور في الأرض .

انظروا الى حرص الاسلام على أن يكون المسلم صادقا في كل شيء ، روى سفيان بن أسد الحضرمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كبرت جناية أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب »

رواه أبو داود وابن حنبل

وأمر الاسلام للمسلم بالعدل في الحكم ، وبالتروي في الفصل والقضاء بين الناس ، وبوزن الحجج بموازين دقيقة .. معروف لا يحتاج الى بيان ..

وماذا تعرف عن المسلمين الذين

رباهم الاسلام حقا ، في عهد الرسول وخلفائه وفي عهود مجد الاسلام ، الا كل شرف وخير ومأثرة ومنقبة ومكرمة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

هذا النهج الاسلامي الرفيع ، هو الذي سماه القرآن الكريم « صبغة الله » فقال تعالى « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** » البقرة/١٣٨

وسماه القرآن أيضا بـ « فطرة الله » كما جاء في الآية الكريمة : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » الروم/ ٣٠ .

وفي المنهج العقلي في الاسلام يقول الله عز وجل : « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » لقمان/٢٠ ، فالعلم والهدى والكتاب المنير ثلاثتها هي الطريق الى المعرفة الحقة في الاسلام ، ويفسر المفسرون العلم بالعلم الضروري ، علم الفطرة والطبع والغريزة ، ويفسرون الهدى بالاستدلال والنظر الذي يهدي الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحي .. وان كنت لا أرى مانعا من أن نذهب الى غير ما قالوا ، فنفسر العلم بما يشمل الحقائق الثابتة المستقرة في النفس ، والتي يرشد اليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، ونفسر الهدى بالالهام النفسي الذي تمده فطرة الله في النفس الانسانية ، ونفسر الكتاب المنير بالوحي المنزل من السماء وهو القرآن الكريم والكتب السماوية الصحيحة .

فأصول المعرفة في الاسلام ثلاثة :

١ ـ العلم العقلي المبني على الدليل والبرهان .

٢ ـ والعلم الفطري المركوز في طبائع الناس كافة .

٣ ـ والوحي الالهي الداعي الى الدين والايمان والمثل والقيم الحضارية .

ويؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان اذا ظهرت أمامه مشكلة دعا أصحاب رسول الله وأولي الرأي في الأمة فاستشارهم فيها ، فاذا قاموا من عنده دعا شباب المسلمين ، فعرض عليهم المشكلة ، وامتحنهم فيما يذهبون اليه من رأي في حلها .. ليعودهم على التفكير وسداد الرأي ومواجهة المشكلات ، وليربيهم تربية تجعل منهم خلفا صالحا لخير سلف .

لقد أثمرت هذه التربية العقلية الاسلامية أجيالا من المسلمين ، نشروا الاسلام ، وسادوا العالم وساسوا الشعوب .

فمتى نرجع الى النهج الاسلامي في تكوين أجيالنا المسلمة على ما كان يربى عليه في الاسلام أجيالنا الصالحة السالفة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

عندما يحدث ذلك ، ويخرج جيل جديد ، على النمط الاسلامي الخالص في التربية العقلية للانسان المسلم .. عند ذلك سوف نعود سيرتنا الاولى ، ونسترد مكانتنا السالفة ، ونعود الى امتلاك زمام العالم مرة أخرى . وما ذلك على الله بعزيز .

لبيك اللهم لبيك

تحت هذا العنوان كتب الينا هذه الفقرة الاستاذ/صلاح أحمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** ٩٦

و٩٧/آل عمران . الحج هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته

وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة .. فلو انكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الاسلام ..
والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم .

عن أبي هريرة (رضي الله تعالى عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم .

التلبية شعار للحاج :

إن التلبية هي الشعار الدائم للحاج إلى أن يرمى الجمار ولفظها « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، وقد بين

العلماء معناها بعبارات تختلف في الألفاظ وتتحد في الجوهر .. وقد ذكر الامام النووي بعض هذه المعاني فقال :
التلبية : معناها : إجابة بعد إجابة ولزوما لطاعتك .
وقيل : اتجاهي وقصدي إليك مأخوذ من قولهم : داري تلب دارك اي تواجهها .

وقيل امرأة لبة إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

وقيل : أنا مقيم على طاعتك وإجابتك .. مأخوذ من قولهم لب الرجل بالمكان وألب .. إذا أقام فيه .
قال القاضي : قيل هذه الاجابة لقوله تعالى لابراهيم « عليه السلام » :

وأذن في الناس بالحج

عن خلاد بن السائب عن أبيه « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالاهلال والتلبية » وزاد ابن ماجه « فانها شعار الحج » أما المرأة فانها لا ترفع صوتها بالاهلال .

وتستحب التلبية في مواطن : عند الركوب ، أو النزول ، وكلما علا شرفا « المكان المرتفع » أو هبط واديا « المكان المنخفض » أو لقى ركبا ، وفي دبر كل صلاة وبالأسحار .

الصلاة على النبي « صلى الله عليه وسلم » :

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : يستحب للرجل – إذا فرغ من تلبيته – أن يصلي على النبي « صلى الله عليه وسلم » .
وكان النبي « صلى الله عليه وسلم » إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ورضوانه واستعتقه من النار (رواه الطبراني وغيره) .

الدعاء :

ينبغي المحافظة على الطهارة الكاملة : واستقبال القبلة ، والاكثار من

الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمر الدين والدنيا ، مع الخشية ، وحضور القلب ، ورفع اليدين .

إن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (رواه الترمذي) .

علامات وآداب الحج المبرور :

الحج المبرور ما اخلص العبد فيه لمولاه ، واستكمل أركانه وشروطه وواجبه واجتنب ما نهى عنه الشارع وأباه .. وللحج المبرور علامات وآداب قبلية وحالية وبعدية فمن علامات الحج المبرور القبلية : أن يوفق العبد قبل الشروع في السفر للتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ورد ما عنده من الودائع ، واستصحابه من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير ، بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، وأن يتصدق بشيء قبل خروجه ، ويلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ..

ومن علامات الحج المبرور بعد الشروع في السفر : أن يكون المتوجه لبيت الله الحرام مقيما لفرضه ، موفيا بنفله ، مراعيا لأوقاته ، ضابطا لأنفاسه ، قائما بوظائفه ، حافظا لمروءته ، صبورا على شدائد السفر ، موطنا نفسه عليها ، متجنبا موارد الندم القادح في إخلاص توجهه متوسعا في الزاد طيب النفس بالبر والانفاق من غير تقتير ولا اسراف ..

ومن علامات الحج المبرور البعدية : أن يرى الحاج تاركا لما كان عليه من المعاصي قبل حجه ، وأن يتبدل إخوانه الطالحين باخوان صالحين ، ومجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر واليقظة ، وأن يرى طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ، فان ذلك من دلائل قبول حجه .

وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .

بريد الوعي الاسلامي

حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امداد الساحة العربية والاسلامية ..
ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها

المال الحرام ، والمطر ، والمرأة العاملة

من السودان كتبت الينا الاخت فاطمة مختار عمر .. لتستفسر عن امور ثلاثة :ــ

اولا : ما حكم الشرع في اسرة ينفق عليها عائلها من مال حرام او مختلط بالحرام وهي لا تدري بذلك ؟.

ثانيا : توصل العلماء في بعض الدول الى التحكم في الضباب والغيوم وفي منع المطر او توجيهه الى اماكن معينة باتباع طرق علمية ، فهل في هذا تعارض مع قول الله سبحانه : « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » ؟
ثالثا : ما رأي الشرع في المرأة العاملة وهي ليست في حاجة الى العمل ؟

المحرر

ما دامت الاسرة او افرادها لا يعلمون ان ما ينفقونه قد اتى من حرام فلا وزر عليهم .. بل الاثم على رب الاسرة فقط وهو الذي اكتسب من حرام « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ، « وكل نفس بما كسبت رهينة » ، الى غير ذلك من الآيات الكريمة

التي تبين ان الاثم لا يتعدى صاحبه .

وحتى لو كان يعلم افراد الاسرة ان المال الذي ينفقه عليهم رب الاسرة هو مال جاء عن طريق حرام ، فانهم ما داموا صغارا لا يستطيعون الكسب فلا شيء عليهم ، واما اذا كان فيهم من يستطيع ان يكتسب بنفسه فعليه ان يتورع عن الحرام ، وينفق مما يكسبه من حلال .

اما استغلال العلم في الاستفادة من المطر وتوجيهه فذلك شيء لا يتعارض مع الدين ولا مع قدرة الله وعلمه ، فالله هو القادر على كل شيء ، وهو الذي يحيط علمه بكل شيء ، ولو شاء سبحانه لامسك الرياح فلا تثير السحاب ، ولا يسقط المطر ، وكل ما يجري في الكون واقع بمشيئة الله ، وما يفعله العلماء هو دليل على قدرة الله ، وانه الصانع الاول .. فكما احيا سبحانه الارض الميتة بالمطر كذلك يحيى الاموات ببعثهم من قبورهم .

واما عمل المرأة ، فهو جائز في الاسلام ، مادام عملا شريفا كريما ، يحفظ للمرأة مكانتها الاسلامية ، وبشرط ان تلتزم المرأة بتعاليم الاسلام ، فلا تبرج ، ولا خلوة بالاجنبي ، ولا كشف لما حرم الله كشفه .. وبشرط الا يشغل هذا العمل المرأة عن القيام بواجبها تجاه اسرتها ، ورعاية اولادها ، والله يوفق للخير دائما .

ردود سريعة

ـ الاخ سعد النجدي العازمي من منطقة الزراعية

يسأل : هل يجوز للفتاة ان تكشف من جسدها شيئا قليلا اثناء الصلاة في البيت مثلا اسفل الركبة او الرأس او مثلا الصدر ارجو الافادة .

ـ من شروط الصلاة عند النساء ستر العورة وعورة المرأة كافة جسدها عدا وجهها وكفيها وما ذكرته في رسالتك من كشف لبعض اجزاء الجسم يبطل الصلاة .

ـ الاخ احمد بشار بركات ـ ابو ظبي

بعث الينا بمقال ادبي يتضمن مدح الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم عبر العصور من القديم للحديث ويقول لنا بأنه من كتاب المقالات الادبية والدينية ويستفسر عن امكانية نشر نتاجه .

يا اخ احمد المجلة تركز اهتمامها على المواضيع الاسلامية ونحن نرحب بكل المقالات والموضوعات الاسلامية التي تردنا اذا كانت صالحة للنشر ونأمل ان يصلنا بعض نتاجك الاسلامي .

مع صحافة العالم

جاء في كلمة الدعوة السعودية في عدد رقم ٧٩٤ بتاريخ ٢٠/٤/١٩٨١ تحت عنوان

الى فلسطين من جديد هذا هو الطريق

نتوجه بالحديث هذه المرة الى اخوة الجهاد .. الى الصامدين أبداً في مسرى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في القدس وفي المثلث وغزة والجولان .. وفي كل شبر وتحت كل شجرة وخلف كل حجر من ارض فلسطين الحبيبة نشد على أيديهم، نقبل بين أعينهم، نهنئهم، نعم نهنئهم بالنصر والفتح القريب بمشيئة الله تعالى .

وقد كان للانباء التى تحدثت مؤخرا عن ظهور تيار اسلامي جديد في فلسطين وقع اهتزت له نفوس المؤمنين المتعطشة دوما لتحرير الأرض وتخليص المقدسات من رجس المحتلين الصهاينة .

وكانت « اسرة الجهاد » التي اثارت هلع السلطات الصهيونية والتي ظهرت في قرى المثلث الفلسطيني المحتل منذ عام ١٩٤٨م هي طليعة ذلك الزحف القادم، فقد امتدت هذه الحركة المباركة – كما ورد في الانباء – في وقت قياسي لتشمل ثلاث مناطق مهمة من فلسطين .

- المنطقة الشمالية : وينتمي اعضاؤها الى قرية ام الفحم .
- المنطقة الوسطى : وينتمي اعضاؤها الى باقة الغربية .
- المنطقة الجنوبية : وينتسب اعضاؤها الى كفر قاسم والقرى المجاورة وعلى رأس كل منطقة من هذه المناطق قائد مسئول من أسرة الجهاد .

والحق ان مجريات القضية لا تهم المراقب الواعي كثيرا فقد تعود الاشقاء في فلسطين ان يتذوقوا العلقم على يد العدو الغاصب . ولكن ما يهمنا جميعا هو الابعاد الحقيقية لهذا الحدث الفريد وهي ذات دلالات كثيرة معبرة .

قد يكون من أهمها ان جذوة الايمان قد تخبو فترة ولكنها لا تموت أبداً مهما طال ليل الظلم والبغي والتجهيل والتجويع ايضا .

فبمجرد ان تدوي صرخة مؤمنة سرعان ما يستعيد المسلمون كل المسلمين وعيهم الحقيقي فتسرى فيهم روح الايمان سريان البرق في الليل

البهيم وتتأجج بين حناياهم نخوة الجهاد ثم لا يكون بعد ذلك ظل لمستعمر اثيم ، او مطمع لغاصب مستبد .. وما قصة المعتصم وعمورية عنا ببعيد .

وبعد فهل يتذكر الأهل في الضفة والقطاع وفي المثلث والجولان ـ وهم بلا شك يتذكرون ـ ما كان من بلاء حسن للأباء والاجداد حين زحف جيش عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى فلسطين والشام ينشرون الاسلام والعدل والسلام وهل يتمثل اخوة الجهاد نخوة هارون والمعتصم وجهاد صلاح الدين وجيشه يوم خلص بيت المقدس من أيدي النصارى المتعصبين .

وما بالنا نوغل في التاريخ بعيدا وهذه التجربة الجزائرية ذات المليون ونصف المليون شهيد امامنا جميعا ماثلة للعيان .

اننا لا نحمل اخواننا في الدم والعقيدة على الصعب ولا نطالبهم بالمستحيل فالجهاد قدر مفروض على المسلم وهو من قبل ومن بعد الطريق الأوحد لبلوغ النصر كما لا نتنصل من مسؤولياتنا الأخوية تجاههم وتجاه المقدسات السليبة في فلسطين ، ولا نقول كما قال قوم موسى (عليه السلام) من قبل « **اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون** » ولكن نقول قاتلوا عدو الله وعدوكم فانا معكم مقاتلون .

● وفي الوقت عينه نضع ايدينا ـ كما كنا دائما ـ في أيدي الرجال المخلصين من ابناء فلسطين خارج الوطن الأم ـ الذين يجاهدون في كل ميدان من اجل القضية في ساحات القتال والفداء وفي المحافل الاقليمية والدولية . والشيء نفسه بالنسبة لبقية الشعب الأبي الذي تحدى مغريات التذويب والتلاشي وفضل الاقامة في المخيمات والعيش الكفاف وما هو ادنى من الكفاف املا في عودة كريمة الى ارض الاباء والاجداد .

ونعتقد بيقين ان فلسطين الجريحة في حاجة الى كل كلمة صدق وكل قذيفة بندقية ونقطة دم واننا كما روى عن سيد البشر لن نغلب لقلة عددنا بل ان الأم الفلسطينية وحدها قادرة على تعويض كل الأبطال الذين سقطوا والذين سيسقطون مستقبلا في ساحات الجهاد والفداء على تراب فلسطين حتى يأتي النصر « وما النصر الا من عند الله » .

وكلمة اخيرة لا نظن انها تغرب عن بال كل مجاهد في سبيل الله ان القضية اي قضية مهما كانت عادلة فانها تحتاج وباستمرار الى سواعد الرجال العظام للدفاع عنها وحمايتها وان التجربة الطويلة مع المنظمات والهيئات الدولية قد اعطت قناعة بأن هذه المنظمات لا تستطيع ان تنصف الا الاقوياء ايمانا وبأسا . والله يتولى الصالحين وهو الهادي سواء السبيل .

الشرق الأوسط مازال مركز الثقل الحضاري

عن جريدة اللواء الاردنية جاء تحت هذا العنوان على لسان الفيلسوف الفرنسي غارودي ما يلي :-

الاسلام منذ انطلاقته الأولى استطاع ان يوضح امكانية ايجاد طريق اصيل تماما .

انه بذلك يعتمد على دعامتين أساسيتين لكل مجتمع إنساني حقيقي ، مجتمع ذو وجه انساني والدعامتان هما التعالي والجماعة .

وأضاف ان هذه الرؤيا يجعله أن يؤكد ان بامكان الاسلام ان يلعب دورا حاسما إذا هو لم ينغلق على نفسه وعلى ذاته .

وقال علينا أن نفكر جيدا في المستقبل وعلينا أن تقف التكاليف لباهظة لاستثمارها في المجهودات العلمية والتربوية وكما قلت لبعض المسؤولين العرب ان ثمن طائرتين من طراز ماستير يكفي لاعادة بناء كل الجامعات العربية الكبرى التي وجدت في العصور الذهبية لا من اجل العودة الى الماضي المجيد فحسب وانما لاثبات فعالية التصور الاسلامي وما يمكن ان يقوله الاسلام عن طريق اصيل ومتميز ، طريق لا يشبه الرأسمالية الغربية .

واضاف ، ان امام العرب ثلاثين سنة من اجل انجاز عمل عظيم على المستوى العالمي وعندهم النفط الذي يمكنهم من القيام بذلك ، ولذلك فالعرب يتحملون مسؤولية تاريخية وعليهم عدم اضاعة هذه الفرصة ، لأن اضاعتها خسارة فادحة ليس لهم وحدهم بل للعالم اجمع .

وقال انه مقتنع بأن مركز الثقل والتحول الحضاري ما يزال في منطقة الشرق الأوسط ومنه سيبعث الاشعاع من جديد ولكنه قال ان ذلك مشروط بأن لا ينغلق الاسلام على نفسه داخل عباءة التزمت والتعصب الذي لم يكن ابدا من تقاليد الاسلام .

ان آيات القرآن لا تتضمن أي معنى للتزمت أو الانغلاق بل هي تؤكد على الانفتاح والحديث النبوي (اطلبوا العلم ولو في الصين) يحمل وحده دلالة عميقة على ما يحققه الاسلام من أهمية على الانفتاح باتجاه حضارات الاخرين .

وقد اوضح الاسلام في مراحل توسعه أنه يملك القدرة الهائلة على الاندماج والتفاعل مع أكبر الحضارات وعطاءاتها العلمية والدينية والفنية في الصين والهند وايران والباكستان وافغانستان واكثر من ذلك فان الاسلام استطاع ان يجعل هذه الحضارات وحدة متناسقة اصيلة وانسانية .

اما في المرحلة الماضية وقبل اشكالياتها يرى الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي ان مستقبل الاسلام

ليس في اعادة وتكرار ما قيل بشكل رائع وجذاب في عهد النبي ، بل عليه ان يحاول ان يبدع وينمي التصور الاسلامي ومعالم طريقه الاصلية بحسب مقتضيات العصر .

ان الاسلام الأصيل هو ان نفعل ما فعله النبي محمد في عصره وهذا يعني شق طرق جديدة على ضوء الخطوط العريضة التي جاء بها النبي عندما اسس مجتمع المدينة .

الاسلام المنتصر

نشرت جريدة اللواء الأردنية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

العالم الاسلامي يمور اليوم بالفتن والانقلابات ، والصراعات والحروب الداخلية حتى ليحسب المرء أن هذا الجزء من العالم لم يكن في يوم من الأيام دولة واحدة لها عاصمة واحدة ويحكمها خليفة واحد رغم اتساع مساحاتها وصعوبة المواصلات بين أجزائها . يوم كانت الأمة تشرب من معين فكري واحد وتتجه الى كعبة واحدة . فكانت خير أمة أخرجت للناس وكانت أقوى أمة على خارطة هذه المعمورة .. وكان أعداء الأمة أدركوا سر قوتها وسبب عظمتها وسبيل وحدتها فعملوا كل ما بوسعهم لابعادها عن هذا السر والسبب والسبيل ألا وهو الاسلام . فربوا بين ظهرانيهم وعلى أعينهم شبابا من أبناء هذه الأمة كانوا أشد فتكا بها من الجيوش الجرارة يوم ناصبوا فكر أمتهم وعقيدتها العداء وعملوا في منابعها تكديرا وتلويثا . حتى لقد نشأت على أيديهم أجيالا كان بعضها يخجل من الانتساب الى الاسلام دينا والى أرض الاسلام وطنا . وأصبح السير على نهج الاسلام سبة ورجعية ، وتأخرا وجمودا . وفي ظل غياب الاسلام عن خارطة العالم الاسلامي تمزقت الأمة شر تمزيق وحلت بها نكبات لم يعرف لها التاريخ مثيلا . لم تقتصر على احتلال الأرض ، بل تعدتها الى سلب النفوس فاستمرئت هذه النفوس الذل والهوان ، والضياع وظلت الأمة تتخبط في دياجير ظلمتها تتناوشها براثن الغزو الفكري الذي فتكت سمومه بعقول أبنائها فسلبتهم ارادتهم حتى وصل الاخفاق مداه وتجسدت الهزيمة أمة تعيش على الأرض . وهنا بدأ الضمير النائم للأمة الممزقة يصحو على واقعه ويراجع حساباته التي أثبتت أن كل الهزائم التي منيت بها هذه الأمة كانت نتيجة منطقية لابتعادها عن الاسلام : وهي الحقيقة التي أصبحت تفرض نفسها على كل الأصعدة ، على امتداد الخارطة المسلمة وبدأ الناس جميعا يعودون الى منابع أمتهم .

وحلت تهمة عداء الاسلام محل تهمة الرجعية والعمالة التي كانت تلصق بالبقية المسلمة . وهكذا فان الله ناصر أمره ومظهر منهاجه وها هو الاسلام يعود منتصرا . وأصبح الاقتراب منه مدعاة للفخر وتعزيزا لقواعد القيادات لأن هذه الأمة مسلمة بفطرتها مؤمنة بتكوينها فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

اقرأ في هذا العدد

المملكة المغربية (مراكش)

○ تقع في الزاوية الشمالية الغربية من قارة افريقية في موقع هام يطل على مضيق جبل طارق

○ كلمة المغرب تطلق على كل بلاد البربر الممتدة من ليبيا الى مراكش ولما نالت مراكش استقلالها اصبح اسمها (المملكة المغربية)

○ المساحة ٤٤٧,٠٠٠ كم٢ ،السكان غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة

○ بلاد المغرب بلاد جبلية تسورها جبال الاطلس الممتدة من تونس الى المغرب ، وفي جبال الاطلس المغربية توجد اعلى قمة في العالم العربي وهي قمة طوبقال ٤١٦٥م .

والمملكة المغربية بلاد غنية زراعياً وتملك ثروات معدنية متنوعة وتتمتع بمناخ دافىء مطير

○ عاصمة المملكة المغربية (الرباط) ومن مدنها الهامة مراكش وفاس ، والدار البيضاء ومكناس

○ انتشر الاسلام في المغرب في النصف الثاني من القرن الاول الهجري وكانت المغرب نقطة الانطلاق لفتح اسبانية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير وقد ساهم بربر المغرب جميعا في هذا الفتح

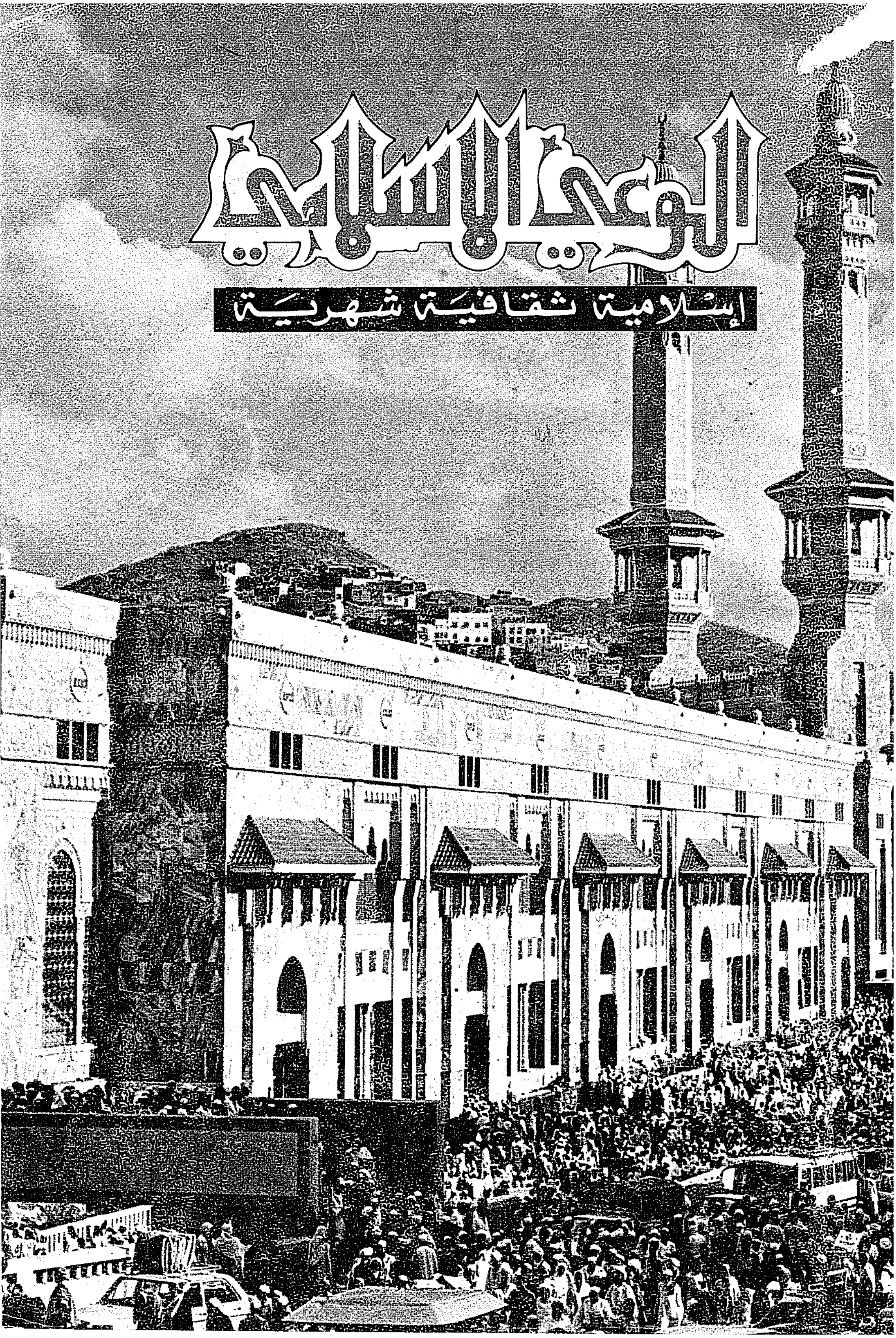
○ لما ضعفت الدولة العباسية في المشرق ظهرت على ارض المغرب دولا اسلامية متتابعة هي : الادارسة (١٧٢ ـ ٣٧٥هـ) والمرابطون (٤٤٨ ـ ٥٤١هـ) والموحدون (٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ) وبنومرين (٥٩١هـ ـ ٩٥٧هـ) وفي عهدهم هوجمت سواحل المغرب من قبل البرتغاليين واحتلوا بعض الموانىء الساحلية مثل سبته ، وطنجه .

○ خضعت المغرب للاستعمار الفرنسي عام ١٩١٢ م وقد تنازلت فرنسا لاسبانية عن منطقة الريف المغربية الشمالية واصبحت منطقة (طنجة) دولية وقد حمل شعب المغرب السلاح دفاعاً عن دينه ووطنه وبرز في حرب الاستقلال الامير عبد الكريم الخطابي بطل منطقة الريف لكن اسبانية وفرنسا تعاونتا للقضاء عليه وقد نالت المغرب استقلالها عام ١٩٥٦م .



المملكة المغربية

طباعة موسسة دار السياسة – الكويت –


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٤ ● ذو الحجة ١٤٠١ هـ ● اكتوبر ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

يومان من أيام الحج

يومان من ايام الحج ينتهي ضيوف الرحمن من اولهما سعداء بخير يوم مر عليهم منذ ولدتهم امهاتهم ، ليستقبلوا ثانيهما مكبرين شاكرين ربهم الذي بنعمته تتم الصالحات ، ويشاركهم في التكبير والتسبيح اخوانهم في العقيدة حيثما وجدوا ، يجمع الجميع شعور واحد بحق الله على عباده في ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

انهما يوم « عرفة » ويوم « الاضحى »

فيوم (عرفة) هو قمة النسك ، وقطب رحى الشعيرة التى فرضها الله على كل مسلم استطاع السبيل اليها ، فالحجاج وفد الله يأتي من كل فج عميق الى بيته العتيق ، في بلده الحرام ، منزل الوحي ، ومشرق نور التوحيد ، ومهد الرسالة الأول ، ومجمع امجاد الامة التي كانت هي ورسولها الامين - صلى الله عليه وسلم - دعوة جد الانبياء ابراهيم وولده اسماعيل ، وهما يرفعان قواعد اول بيت وضع للناس في ارض الله ، قال تعالى :

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت

واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميــع العليم . ربنــا واجعلنــا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسـولا منهم يتلـو عليهم آيــاتـك ويـعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .)

وقال سبحانه : **(ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) .**

ويوم عرفه هو الموقف الجامع ـ زمانا ومكانا ـ الذي لا يغيب عنه حاج ، ففي غيره من ايام الحج يطوف الطائفون بالبيت ويسعى الساعون حول الصفا والمروة ، متى شاءوا من ليل او نهار ـ قبل الوقوف بعرفة وبعده ـ ويبقى ليوم الموقف العظيم (يوم عرفة) سمته المميزة من وحدة العمل والامل والذكر والدعاء والتأهل لتجلي الحق من فوق سبـع سماوات مباهيا بأهل المشهد العظيم ، ملائكته المكرمين بقوله : « يا ملائكتي هؤلاء عبادي جاءوني من كل فج عميق شعثـا غبرا ضـاحين ، اشهـدكم يا ملائكتي اني غفرت لهم » .. يا له من غفران يحقق اجل نعمة وهي رضوان الله تعالى يوم اللقاء .

وقد قال النبي ـ صـلى الله عليه وسلم ـ « الحج عرفة » وفي خطبته يوم عرفة في حجة الوداع ، رسم قواعد العقيدة الخالصة والسلوك الراشد ، والمبادىء الكريمة التي تحدد مسـار الـوجود السعيـد ، وتصـون حقـوق الانسان رجلا وامرأة ، وتقيم العلاقات بين الناس على العدل والتراحم .

ويوم الاضحى هو اليوم التالي ليوم عرفة حيث ينزل الحجاج من عـرفة ليستجلـوا شمس يـوم الاضحى في (منى) يكبرون الله ويذكرونه ويؤدون صلاة العيد ثم يذبحون الاضاحي من الابل والبقر والغنم ذاكرين قصة فداء اسماعيل عليه السلام بعد ان اذعن والده ابراهيم الخليل لامر الله بذبحه ورضى الولد صابرا ونادى والده بأن يفعل ما امره ربه قال ابراهيم لولده **(يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .**

فلما اسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم .

كذلك نجزي المحسنين .) .. ان النحر في يــوم الاضحـى (في منى) ليس المقصود منه مجرد اراقة الدم او اسعاف بعض المحتاجين بشيء من اللحم ثم يذهب اكثره امام الاعين في غير طائل .

لا .. ليست هذه روح الاسلام . وانما

يجب ان يصنع هذا اللحم الذي يذهب هدرا ، ويعد ليكون مددا وزادا للمعوزين من المسلمين في غير قطر ومنزل ..

وعلى المسلمين ان يدركوا ان قصة الفداء توحي بان المال لم يخلق ليكون وسيلة للمعاصي والاثام والزهو والتكبر وانما خلق ليكون بناء للقيم العليا وسنادا للمثل السامية ، وفداء للانسان من ان يذل او يهون .. لقد ادرك المسلمون الاولون من صحابة رسول الله وتابعيهم هذه المعاني وطبقوها ، فنشروا الاسلام بعدله الشامل وطهره البالـغ وعزتـه الابدية في مشارق الارض ومغاربهـا والتاريخ شاهد صدق على امجادهم !!

فلماذا تركنا سبيل الله ـ وفيه عزنا ـ واتبعنا سبل الشياطين التي يســرت لاعدائنا اذلالنا واغتصاب بلادنا ونهب خيراتنا ؟ لا شك ان الذي اضلنا عن اتباع الصراط المستقيم هو حبنا للدنيا الذليلة وكراهيتنا للموت الشريف . فمتى نفيق من غفلتنــا ومتى نصحــو من سكرتنا ، حتى نستعيد مجدنا وعزنا وكرامتنا وهيبتنا .؟؟

ان النحر في يوم عيد الاضحى سواء على يد الحجاج في المشاعرام على يد غيرهم في بـلادهم ، يجدد العهـد بجد العـرب اسماعيل ووالـده ابراهيم الخليـل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ويذكر بما ينبغي لله من طاعة واذعان الى المدى الذي قد يستهدف المال والولد .. فهل نعي هذه الدروس ونمضي بالايمان بالله على الطريق الذي سبقنا فيه السلف رضوان الله عليهم ؟.. اننا بذلك نحقق لانفسنا الخير كل الخير (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) .

(ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) والا فالنذير قائم يدوي (في كتاب الله الخالد) بالدمار والهلاك قال تعالى : (**قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخــوانكم وازواجكم وعشيــرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهـاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين .**) .. نسأل الله ان يهدي قادة المسلمين وشعوبهم سواء السبيل انه سميع مجيب .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

وَإِنَّ يوماً عندَ ربِّكَ

لا يزال الزمن سرا من اسرار الكون .. ولقد كان للفلاسفة على مدى العصور المختلفة اراء ونظريات عن الزمن ، لم يصل واحد فيهم الى الصواب فيها .. واكثر ما وصلوا اليه هو تصورات ضعيفة ومليئة بالاخطاء .. ومع تقدم العلم حديثا استطاع الانسان أن يصل الى بعض الملامح الصحيحة عن اسرار الزمن .

واثبتت الحقائق العلمية حديثا ان الزمن شيء نسبي .. يتعلق بحركة الافلاك في المجموعة الشمسية .. اما خارج المجموعة الشمسية في الفضاء النجمي أو المجرى أو الفضاء الكوني .. فلا يوجد زمن بالمعنى الذي نفهمه نحن على الارض .

والزمن انواع يدخل بعضها في بعض .. فهناك الزمن الكوكبي ويتعلق بعمر الأرض وهذا الزمن يتوقف على دوران الارض حول الشمس .. وهناك الزمن الطبيعي ويتوقف قياسه على حركة دوران الارض حول محورها أمام الشمس وتعاقب الليل والنهار .. وهناك الزمن البيولوجي وهو عمر الخلايات الحية .

وكل هذه الازمان أو الآجال لا يتوقف احدها على الآخر .. فالزمن الكوكبي لا يتوقف على الزمن الطبيعي .. والزمن البيولوجي لا يتوقف على الزمن الطبيعي وحتى نفهم ذلك فنفرض ان شخصا سافر حول الكرة الارضية في اتجاه الغرب بسرعة اكثر من الف كيلو متر في الساعة مثلا .. وسافر شخص آخر حول الكرة الارضية في اتجاه الشرق بنفس السرعة .. نجد ان المسافر في اتجاه الغرب مع اتجاه الشمس اكتسب زمنا طبيعيا فعاش اليوم مرتين أما المسافر في اتجاه الشرق فانه يخسر يوما من العمر المحسوب للجسم بالزمن

كألف سنة مما تعدون

للدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

الطبيعي .. ومع اختلاف الزمن الطبيعي للجسم فان الزمن البيولوجي لخلايا الجسم لم يتغير في الحالتين .

وحتى نبين ذلك نعطي مثالا اكثر وضوحا .. اذا كانت الطائرة تقطع المسافة بين الكويت ونيويورك في عشر ساعات وسافر شخص ما من الكويت الى نيويورك غربا - وفرق التوقيت بين البلدين ست ساعات - فاذا قامت الطائرة من الكويت في السادسة مساء فانها تصل نيويورك في الرابعة فجر اليوم التالي بتوقيت الكويت ولكنها في الواقع تصل الى نيويورك في العاشرة من مساء نفس اليوم .. وهكذا فان الزمن البيولوجي يصير أطول من الزمن الطبيعي للانسان في هذا السفر .. واذا افترضنا ان نفس المسافر عاد بالطائرة من نيويورك الى الكويت شرقا وقامت الطائرة في السادسة صباح الاحد مثلا فانها تصل الكويت في الرابعة فجر الاثنين (بتوقيت نيويورك) ولكنه في الواقع سيصل الكويت ويجد الوقت بها العاشرة من صباح الاثنين .. اذن فالزمن الطبيعي للجسم في هذا السفر صار أطول من الزمن البيولوجي للجسم .

واذا تصورنا باخرتين في ميناء بانجلترا وابحرتا في نفس الوقت بنفس السرعة الى مكان ما في المحيط الهادي على خط ١٨٠ درجة في اتجاهين مختلفين .. واحدة اتجهت الى الشرق .. والأخرى اتجهت الى الغرب .. ووصلت الباخرتان الى المكان المحدد بعد اسبوع .. ونظر كل مسافر الى ساعته .. فاننا نجد ان الزمن اختلف كثيرا في الباخرتين .. فالمسافرون في الباخرة التى اتجهت الى الغرب اذا كان الوقت عندهم يوم

الاحد مثلا فان الوقت عند المسافرين في الباخرة التى اتجهت الى الشرق كان يوم الاثنين .. هؤلاء خسروا اثنتي عشرة ساعة واولئك كسبوا نفس الزمن الطبيعي .. بينما الزمن البيولوجي في اجسام المسافرين في الباخرتين لم يتغير ومتساو فيهم جميعا .

وإذا حسبنا عمر الانسان في الدنيا .. هل هو الزمن البيولوجي للجسم أم هو الزمن الطبيعي الذي يمر عليه في وجوده على الارض ؟

والنوعان من الزمنين مختلفان .. من هنا فحسابنا حتى للاعمار لا يمكن ان يكون صحيحا .

وكما ان الزمن الطبيعي غير ثابت فكذلك الزمن البيولوجي يختلف من نوع من الخلق الى نوع آخر منه ونقرأ قوله تعالى في سورة الاعراف :

(ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الاعراف ٣٤ والزمن الكوكبي يختلف عن الزمن الطبيعي على الارض أيضا .. فبناء على نظرية انشتاين عن الزمن .. اذا تصورنا انسانا ركب صاروخا انطلق بسرعة تقارب سرعة الضوء وذهب الى أقرب نجم ثم عاد الى الارض .. فان الرحلة ذهابا وايابا في الصاروخ تستغرق يوما واحدا .. ولكنه لدى عودته الى الارض يجد عجبا .. يجد ان الزمن على الارض قد طوى عشرات بل مئات السنين .. ويجد في الارض احفاده اكبر منه سنا .. وهكذا يكون عمره بحسب الزمن الطبيعي على الارض طويلا جدا .. في حين ان عمره البيولوجي لم يتقدم الا يوما واحدا فقط .. وهذه حقائق لا يكاد يصدقها أحد .. ولكن الحقائق العلمية الرياضية الحديثة أثبتت ان الزمن مع سرعة تقارب سرعة الضوء يكون في غاية القصر .. أما اذا وصلت السرعة الى سرعة الضوء فيكون الزمن صفرا .. أو درجة يصح معها ان نقول : لا زمن .

ومن هنا يمكننا أن نفهم أن الزمن مركب من ابعاد يدخل بعضها في بعض .. وهي كلها فصول في كتاب واحد .. وكل أبعاد الزمن ونسبه في المخلوقات المختلفة في الكون ، تدخل في قانون واحد .. وحساب واحد .. لا يحيط به الا علم الله تبارك وتعالى .

وكل مخلوق خصه خالقه تعالى بزمنه الخاص به .. ولا يستطيع البشر مهما أوتوا من علم .. قياس الزمن بالنسبة لأنفسهم ولا قياس الزمن بالنسبة لغيرهم من المخلوقات .

ونقرأ قوله تعالى :

(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) الروم / ٨

وجاءت كلمة « اجل » التى تدل على الزمن مفردة .. وغير معرفة .. فلم يقل « آجال » .. لأن كلمة « آجال » تدل على آجال الخلق على اختلافها .. والله تعالى يحيط بكل هذه الأجال جملة وتفصيلا .. لذلك جاءت كلمة « أجل مسمى » لتستوعب جملة

الاجال وتفصيلها معاً .. من أجل ذلك لم تأت كلمة « الآجال » في القرآن الكريم كله .

ولو جاءت كلمة « اجل » عن عمر شخص واحد لكان ذلك صحيحا .. ولو جاءت عن كل اعمار الناس جميعا لكان ذلك صحيحا ايضا .. لأن الزمن كما قلنا فصول متعددة كلها في كتاب واحد ، علمه عند الله تعالى .

وجاء لفظ آجل لمفرد في قوله تعالى : **(ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** الاعراف/ ٣٤

وجاء لفظ « أجل » لمثنى في قوله تعالى :

(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) الرعد/ ٢

وجاء لفظ « أجل » لجمع في قوله تعالى :

(ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى) الحج/ ٥ وفي قوله تعالى : **(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا)** فاطر/ ٤٥ .

وهكذا فكلمة « أجل » في القرآن الكريم تعني آجالا متعددة جملة وتفصيلا ونضرب بجسم الانسان مثلا على ذلك :

فجسم الانسان له أجل مسمى واحد .. هو جملة حياته على الارض ، ومع ذلك ، فداخل هذا الجسم ذى الأجل الواحد .. آجال كثيرة .. مثل آجال الكرات الدموية الحمراء التى تعيش الواحدة منها من يوم الى مائة يوم أو يزيد .. وآجال الكرات الدموية البيضاء التى تعيش الواحدة منها ساعات معدودات .. وآجال صفائح الدم التى تعيش الواحدة منها اياما قليلة .. وهكذا كل خلية في الجسم لها اجل يختلف عن آجال الخلايا الأخرى .. ومع تنوع هذه الاجال في مكونات جسم الانسان الا أنها مترابطة ومتكاملة ومتداخلة .. كلها في قانون واحد ، وحساب واحد ، ولها في جملتها أجل مسمى واحد .. هو اجل الانسان الذي قدره الله له .

وما يجري في الانسان من أجل مسمى ، يجري في انواع الخلق جميعا وفروق الزمن في الكواكب والنجوم هي فروق في أبعاد الزمن بالنسبة لكل منها .

والله تعالى يعلم آجال كل ما خلق في السماوات والارض جميعا .. لأنه سبحانه ، يحيط بكل الابعاد والقياسات والحقائق الكونية كلها .. فهو تعالى خالقها وبارؤها ومصورها . ونقرأ قوله تعالى :

(هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم) الحشر/ ٢٤ .

ويحسب البشر الزمن بسرعة الضوء وهي ١٨٦ ألف ميل في الثانية .. ولما كانت الشمس تبعد حوالي ٩٣ مليون ميل عن الارض ، فان أشعة الضوء تستغرق من الزمن ثماني دقائق لتصل الى الارض .. اذن فقياس الزمن يتعلق بالمسافة وبالمكان

وبالحركة .

ولما كانت كل حركة مستديرة .. مثل دوران الكواكب حول الشمس .. ودوران الشمس حول المجرة .. ودوران الاليكترونات حول النواة في الذرة .

ولما كان كل شيء في الكون مستديرا من اول الذرة الى الكوكب الى النجم .. فان الزمن لابد ان يكون ايضا مستديرا أو يستدير .. وهذه حقائق اكتشفها علم الرياضيات الحديث .. ولكننا نقرأ عن ذلك في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الا ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق السماوات والارض » وسرعة الزمن على أي كوكب أو نجم يتوقف على زمنه الكوكبي أو النجمي أيضا . فمثلا كلما زاد عمر الارض ، كلما كان الزمن فيها أسرع .. فان الشمس سوف تتكدس يوما وحينئذ ستفقد قوة جذبها .. فتنجذب الأرض نحوها ، وتقرب المسافة بين الشمس والارض مما يزيد من سرعة دوران الارض حتى يصبح اليوم كساعة ، وتزداد الحرارة على سطح الارض وتلتهب بمن فيها .

ونقرأ حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة (أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ورواه احمد في مسنده) .

والبشر يستطيعون العد في حدود ضيقة جدا .. ولكنهم لا يحصون شيئا .. لأنهم لا يحصون بعلم الاشياء .. واذا حاولوا الاحصاء فانهم يحيطون نسبا محدودة .. لمجرد القياس .. لا ترقى الى مستوى الاحصاء التام .. ولكن الله تبارك وتعالى الذي يحيط علمه بكل ما خلق من اشياء هو وحده الذي يحصيها . ، ونقرأ قوله تعالى :

(ان كل من في السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) مريم/٩٣ ـ ٩٥ ونلاحظ في الايات الكريمة ان الله تعالى قدم الاحصاء على العد .. والبشر حتى في عدهم قد لا يصيبون .. ونقرأ قوله تعالى : **(و قال كم لبثتم في الارض عدد سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين)** المؤمنون/١١٢ ـ ١١٣ ، فعد الناس للزمن يتعرض للخطأ .

وعندما يترك الناس هذه الدنيا يكتشفون أن حسابهم للزمن بها لم يكن صحيحا .. وان الزمن الذي يمر على الانسان في الدنيا لم يكن في حقيقته الزمنية الا يوما او بعض يوم .. ونقرأ قوله تعالى : **(وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب)** غافر/ ٤٩ ، فالكفار يدعون ربهم أن يخفف عنهم يوما من العذاب .. وهو يوم من أيام الآخرة .. هو بالنسبة للزمن في الدنيا قد يكون الف سنة أو يزيد .. وان كان في حقيقته ليس الا

ساعة .. لذلك فالاسلام يسمى الساعات كلها اذا اتصلت معا « ساعة » ، فالزمن من الدنيا يعتبره الاسلام « ساعة » وقال الامام علي كرم الله وجهه : « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مالي وللدنيا .. والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب راحلة في يوم صائف استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها » وفي هذا الحديث الشريف اعجاز في قوله واعجاز في علمه .. فالساعة هي جملة حياة الانسان على الارض .. وهذا أصدق حديث عن الزمن .. لأن عد الزمن لا يمكن ان يكون صحيحا .. ولكنه في جملته الحقيقية ساعة .. وقوله صلى الله عليه وسلم « كراكب راحلة » اي ان الانسان جاء الى الدنيا والنفس في الجسد .. وقوله « ثم راح وتركها » راح أي لم يكن راكبا .. وتركها أي ترك الشجرة أو ترك الراحلة .. او قد تركهما معا .. ومعنى ذلك ان النفس تركت الجسم عندما تترك الدنيا .

والخلق في حركة مستمرة والله يبدأ الخلق ثم يعيده .. فهو في حركة لا تفتر والحديث الشريف يبين هذه الحركة في الوجود أصدق بيان .

وكما سمت السنة زمن الدنيا كله « ساعة » فقد سمى القرآن القيامة « الساعة » .. لأن القيامة تجمع الازمان جميعا .. فهي تجمع الساعات كلها .. ومن هنا فسماها القرآن « الساعة » .. وجاء الاسم معرفا .. فلم تأت كلمة « ساعة » نكرة الا لأزمان الدنيا فحسب .. أما يوم القيامة فسماه القرآن دائما بالاسم المعرف « الساعة » لأن مجموع الازمان جميعا .. ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود .

وعن الزمن في الدنيا يقول تعالى : **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** الاعراف/٣٤ ، ولكنه تكلم عن يوم القيامة يقول تعالى : **(وأن الساعة آتية لا ريب فيها)** الحج/٧ ويقول تعالى : **(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم)** الحج/١ ، يقول ايضا : **(ان الله عنده علم الساعة)** لقمان/٣٤ ، يقول ايضا : **(بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وامر)** القمر/٤٦ ، وذكر الزمن في الدنيا فجاء الاسم غير معرف .. وذكر الزمن يوم القيامة فجاء الاسم معرفا في آية واحدة في قوله تعالى :

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الروم/٥٥ ومن هنا كان حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمى زمن الدنيا كله ساعة في قوله « ماأنا ، والدنيا الا كراكب راحلة استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها » وقول سيدنا علي رضي الله عنه : « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة » .

ويبين الله تعالى أن خلق السماوات والارض كان في ستة ايام .. ولا ندري عن طول هذه الايام شيئا .. فهي من ايام الله تعالى .. ولا نعرف عنها الا ما أخبرنا به القرآن الكريم في قوله

تعالى : **(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** الحج/٤٧ ، نلاحظ قوله تعالى « مما تعدون » والخطاب موجه لنا .. أي مما تعدونه أنتم بحسابكم .. وقد يكون عدا صحيحا أو غير صحيح .

وفي علم الفلك يحسبون الزمن بسرعة الضوء حينا .. وبسرعة دوران النجوم والكواكب حينا آخر .. ولكن حساب الزمن بهذه المقاييس ايضا لا يمكن ان يكون ثابتا .. فكلما تضخم الكوكب أو النجم أو ثقل وزنه أو زادت كثافته ، كلما صار مسار الزمن فيه بطيئا .. ولما كانت النجوم تمر بمراحل مختلفة من الحجم والوزن والكثافة .. فان الازمان فيها تمر بمراحل مختلفة كذلك .. نفهم من ذلك اذا علمنا ان الشمس تفقد من مادتها في كل دقيقة ٢٤٠ مليون طن .

بل ان الزمن يختلف حسابه على الارض باختلاف مواقع القياس فيه فهناك فروق في التوقيت من مكان على الارض الى مكان آخر عليها .. كذلك يختلف حساب الزمن على الكوكب الواحد باختلاف وحدة القياس . فبناء على حركة القمر حول الارض، يكون الحساب القمري للزمن .. وبناء على حركة الارض حول الشمس يكون الحساب الشمسي للزمن على الارض .. وبين الحسابين فرق . فاذا حذفنا الكسور في الارقام نجد ان السنة القمرية ٣٥٤ يوما والسنة الشمسية ٣٦٥ يوما وان ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ٣٠٩ من السنين القمرية .. فالزمن واحد في الحالتين ولكن الحساب مختلف .. وذكر ذلك الفرق في الزمن باختلاف وحدة قياسه في القرآن الكريم في الحديث عن اهل الكهف في قوله تعالى :

(ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) الكهف/ ٢٥ .

والزمن في كواكب المجموعة الشمسية نفسها يختلف اختلافا كبيرا .. فالسنة في زحل اذا حسبناها بحساب الزمن بسنوات الارض يكون مقدارها ثلاثين سنة وفي اورانوس اربعة وثمانين سنة .

وهل للشمس هي الاخرى سنة ؟.. ما دامت الشمس تتحرك فلابد ان لها زمنا خاصا بها .. فالشمس تجري في الفضاء في فلك حلزوني بسرعة ٢٥٠ كيلو متر في الدقيقة الواحدة .. تطوف حول مركز المجرة بهذه السرعة الرهيبة وتتم دورة واحدة في كل مائتي مليون سنة بحسابنا نحن للزمن ولكن مائتي مليون سنة بالنسبة لنا هي سنة واحدة للشمس .. واذا حسبنا عمر الارض بحسابه في الارض لكان خمسة الاف مليون سنة وعمر الشمس قد يكون ضعف ذلك .. ولكن اذا حسبنا عمر الشمس بسنوات الشمس نفسها نجد ان عمر الشمس خمسين سنة فقط وهكذا فحسابنا للزمن يختلف اختلافا كبيرا وعدنا للسنين عدا لا يمكن ان يكون صحيحا .. ولذلك يقول النص القرآني : **(كألف سنة مما تعدون)** وسبقت كلمة « ألف » بكاف التشبيه .

وان يوما من ايام الله تعالى لا يمكن

ان يكون كيوم من ايامنا فقوله تعالى : **(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** الحج/٤٧ يدل على ذلك واختار الله تعالى ان يخلق السماوات السبع والارض ومن فيهن في ستة ايام بدلا من ان يخلقها في أقل من لمح البصر .. وهو تعالى قادر على ذلك .. كما في قوله سبحانه : **(انا كل شيء خلقناه بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)** القمر ٤٩ ـ ٥٠ . ويرى الرازي أن ذلك من تقدير الله تعالى ـ كما بينت الاية الكريمة ـ الذي وضع لكل شيء في خلقه مكانا ، وقدر له زمانا خاصا به .

ومن هنا نرى ان الزمن شيء نسبي .. فمثلا عصر الديناصورات على الارض انتهى منذ مائتي مليون سنة ولكننا اذا حسبنا ذلك بحساب سنوات الشمس لكان عصر الديناصورات انتهى منذ سنة واحدة .. وعمر الجنس البشري كله يومين .. وعمر انسان منا على الارض جزءا صغيرا جدا من الثانية .

وهكذا سيظل الزمن سرا من اسرار الكون ولن يستطيع الانسان ان يصل الى فهمه الفهم الكامل والصحيح .. وكل محاولات البشر في معرفة الزمن وحسابهم له لم تكن مجدية .. فهم لا يحيطون بعلم الاشياء ، فكيف يحسبون أزمانها ؟ وحتى تعريف الزمن لم يستطع الانسان الوصول اليه .. وهناك كلمات كثيرة نعبر بها عن الزمن مثل : وقت ، أجل ، قديم ، حديث ، مؤقت ، دهر ، مدة ، أبد ، حين .. وغير ذلك .. ومع ذلك يصعب ادراك معاني هذه الكلمات ..

ومما سبق يمكننا ان نفهم بعض ما في قوله تعالى من علم

(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) الحج/٤٧ ، وقوله تعالى : **(يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون)** السجدة/٥ ، وقوله تعالى : **(تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)** المعارج/٤

في آية سورة الحج سبقت كلمة « الف سنة » بكاف التشبيه ، وفي آية سورة السجدة لم تسبق كلمة « الف سنة » بكاف التشبيه دلالة على اختلاف الزمن في تلك الايام بحساب عدنا لها نحن ، ولذلك اختتمت الايتان بقوله تعالى : **(مما تعدون)** .

واية سورة المعارج تتحدث عن يوم اخر من ايام الله كان مقداره خمسين الف سنة .

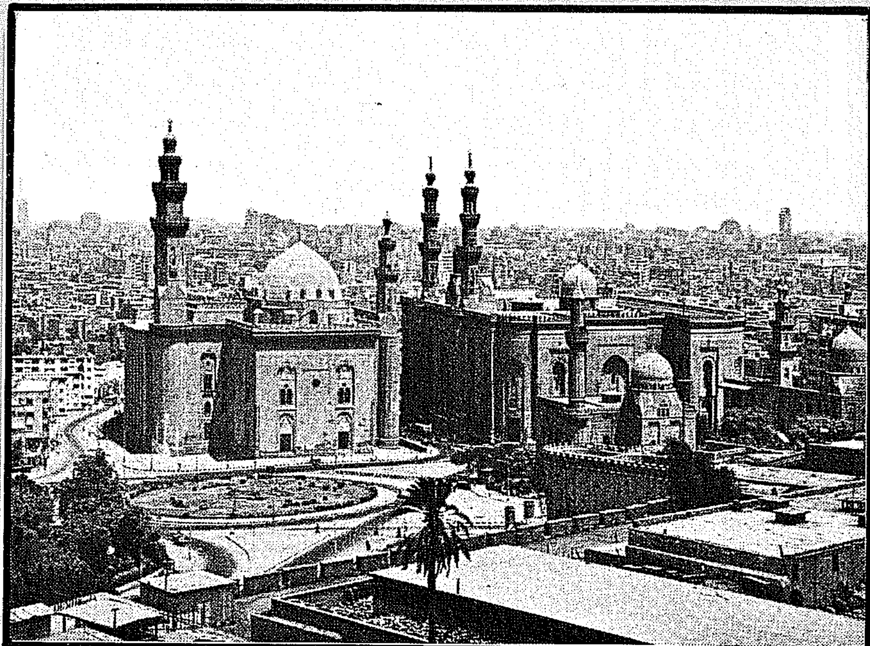
هذه بعض الملامح عن موضوع الزمن .. وكيف ان علم الانسان فيه لا يعد شيئا مذكورا .. لأن الانسان لا يحيط بشيء من علم الله تعالى الا بما شاء .. **(ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)** البقرة/٢٥٥ . ، وشيء من علم الله تعالى .. هو أقل من قطرة من ماء من بحر محيط ليس له قرار والذي يحيط بالعلم ويحصى كل شيء هو الخالق البارىء سبحانه وتعالى وما كان حقا فمن الله عز وجل .. وما كان خطأ فمن الانسان .

الاسلام والحضارة

للاستاذ/ عبدالعظيم ابراهيم منصور

تحتاج الامم والشعوب وهي تعيد بناء الحياة على أرضها إلى تحديدات معينة تتناول جوانب الحياة كلها ، لتكون نقطة الانطلاق ، لتنشئة الانسان المتوازن القادر على حمل امانة التكليف ، والقيام بواجبات العبودية لله في الارض ، كمرحلة يجتازها ، لا بد منها في طريقه الى حياة عليا نظيفة طاهرة ، لا تقاس بملايين السنين ، لانها الخلود في رحاب خالق الخلق ، وواهب الوجود . ولعل اسمى التحديات واجلها على الاطلاق هي تلك المرتبطة بالفكر ، باعتباره المنهل العذب ، الذي لا يستغنى عنه كل من اراد ان يسلك الطريق ، من فقده ، فقد الدليل ، فيمشي على غير سبيل ، ويجري شوطه المقدر له في هذه الحياة ، وقد اضطرب امامه الطريق ، واشتبهت عليه معالم الجهات ، لأنه سبق أن ارتوى من ماء آسن ، وأكثر من غير طائل ، فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب فيخبط خبط العشواء ،

ويجري في اقتناص مصالحه على غير السواء ، سواء ما تعلق منها بالدين



والـدنيـا ، والجسـد والـروح ، والأخلاقيات والماديات ، والغيبيـات والحسيات ، وبالجملة كل ما يتعلق بالأسس التي يسير عليها خط التقدم الانسـاني وهو الأسـاس الأصيل للحضارة الانسانية إن تم الاهتداء إلى الأسس السليمة ، وسار هذا الخط في اتجاه الضبط ، دون أن يميل هنا أو هناك .

ونحن ـ المسلمين ـ حملة المنهج الالهي ، إلى أن تقـوم الساعـة ، والأمناء على مواريث النبوة النابعة من السماء ، أحوج ما نكون ونحن نعيد بناء الحياة من جديد ، أن نتلمس طريقنا من منبعه الصافي ، ومن منهله العذب ، لنعيد للبشرية ما ضاع من عافيتها ، ونسترد لها ما تم امتهانه من كـرامتها ، ونقيم لهـا حضارة تتعاون فيها قوة الروح والأخلاق ، والدين والعلم ، والامكانيات المادية لاعادة صياغة الانسان الكامل من جديد ، بعد أن هانت عليه إنسانيته ، في ظل حضارات أو مدنيات ، أخصبت وازدهرت في كل ما ارتبط بماديات

الحياة ، ولكنها ماتت وأجدبت في القلوب والأرواح ، وما تبع ذلك من اختلال نظام الحياة واضطرابه ، فأصبحت تلك المدنيات كجسم ضخم متورم يملأ العين مهابة ورواء ، ولكنه يشكو في قلبه آلاما وأوجاعا ، وفي صحته انحرافا واضطرابا .

ولا شك أن هذا الموضوع عميق الغور ، واسع المدى ، أكبر بكثير من أن يتناوله قلم واحد ، كما أنه أكبر بكثير من أن يضمه كتاب واحد ، لذا اكتفي بابراز الفكرة ، بالقدر الذي يسمح بتبيان الأسس التي تقوم عليها الحضارة الانسانية ، وفقا لخط التقدم الانساني السليم .

لقد شهدت البشرية في تاريخها الطويل ، عبر القرون والأجيال نماذج من حضارات شتى ، صاغتها الشعوب في مئات السنين ، ولكنها ذهبت مع الأمس الدابر ، فلم يعد لها من الحاضر نصيب ، كما شهد تاريخ البشرية حضارة لم يحلم الانسان بأرقى منها ، ولم يفترض المفترضون حتى ازهى وأجمل وأكمل منها ، تعاونت في بنائها كل القوى ، قوة الروح المشع المرتبط بالملأ الأعلى ، وقوة الأخلاق والعلم ، والقوة المادية التي فاقت كل قوة في عصرها ، تلك هي الحضارة الاسلامية الفذة ، فكان ذلك برهانا ساطعا ، على أن طريق الأنبياء ، هو الطريق الطبيعي الوحيد لرسم خط التقدم الانساني ، وبناء الحضارة الانسانية ، في ظل نظام جاءت أحكامه من خارج النطاق الأرضي ، ومن خارج المحيط البشري ، لاسعاد العالم كله دنيويا وأخرويا ، فلا غرو أن يكون هذا النظام كاملا ، وحسبه كمالا أن يكون من عند الله ، الذي يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، وأحاط علمه بوجوه المصالح ، دقيقها وجليها ، خفيها وظاهرها ، ووضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه ، كما قال تعالى :

(صنع الله الذي أتقن كل شيء)
النمل/٨٨

انه يمكن تعريف الحضارة من وجهة نظر مجردة بأنها : صرح للحياة تم بناؤه في فترة زمنية معينة ، وترك آثاره في واقع الحياة ، ولست هنا بصدد التعرض لأنواع الحضارات التي تركت آثارها في واقع الحياة ، والتعرض للدواعي والأسباب ، التي دعت المشايعين لها لاعتبار المجتمعات التي عاشت في ظلها مجتمعات متحضرة أو متقدمة ، وطبع غيرها من مجتمعات بطابع التخلف والرجعية ، وجماع ما يمكن أن يقال بالنسبة لما شهدته البشرية من حضارات إن جاز اعتبارها حضارة بالمعنى الحقيقي للحضارة ، أن منها ما قام على مجموعة من الشرائع القانونية ، من صنع فريق من البشر واجتهاداتهم ، وبعضها كان للتمكين المادي ، والاتساع العمراني ، النصيب الأوفى في اعتبارها إحدى حضارات التاريخ ، وتتتابع مقاييس الحضارة ، فتختلف النظرة إلى تلك المقاييس ، باختلاف نوعية رجال الفكر ، ممن يتصدى

للرأي ، ويقيم الحجة على ما يرى ، فبعضهم يتخذ من الحياة الميسرة الآمنة للانسان مقياسا للحضارة ، بحيث إذا توفرت تلك الحياة للانسان بمقوماتها ، من مطعم وملبس ومسكن ، ومقررات التعليم ، وحق العمل ، والتأمين ضد أخطار المرض ، وما شابه ذلك ، من اعتبارات اقتصادية ، والبعض ينظر الى مقاييس الحضارة مردودة إلى القدر من الحرية المتاحة للانسان ، فاعطاء الألسن نصيبها من حرية القول ، والعقول نصيبها من حرية الفكر ، والنفوس قسطها من الجرأة والشجاعة ، إلى غير ذلك من حرية على اختلاف صورها ، حتى ولو أدت في النهاية إلى أن يهلك الانسان نفسه ، بافساد القيم الأخلاقية ، والاعتبارات الانسانية ، حتى ولو أدت ممارسة الانسان لحريته إلى حرمان الآخرين منها ، ما دامت الفرص متاحة للجميع على قدم المساواة ، ولكن لصفات طبيعية ومكتسبة لفريق تتوافر فيه ، وافتقار فريق آخر لتلك الصفات ، تجعل منهم ضحايا للحرية نفسها ، يعتبر هذا البعض هذا اللون من الحرية مقياسا للحضارة والتقدم ، وهكذا بالنسبة لما شهدته البشرية من حضارات ، لو أخضعناها وقسناها بالمقياس الحقيقي للحضارة ، لما أمكن وصفها بالحضارة ، أو وصف مجتمعاتها بالتقدم ، لأنها إن تميزت وانفردت بحسنة ، أو مجموعة من الحسنات ، لما تيسر تبرئتها من كثير من الخطايا والسيئات .

ومن هنا فان الحضارة التي قامت في ظلال الاسلام مستندة إلى خطوط من التقدم ، لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، هي الحضارة الحقيقية ، عاشت في ظلها البشرية أجمل أيام حياتها ، حيث أقام الاسلام عوج الحياة ، ورد كل إنسان في المجتمع البشري إلى موضعه لا يقصر عنه ، ولا يجاوزه إلى غيره فيتعداه ، فاتسعت آفاق النفس الانسانية ، وكبرت اهتماماتها ، فارتقت إلى الاستقامة الكاملة ، وارتفعت أهداف الانسان ، وتحرر لأول مرة من العبودية لمن هم مثله من البشر ، حكاما ومحكومين ، لتبقى العبودية كاملة لله ، وليرفض الانسان رفضا حاسما الخضوع ، والاستسلام لما سواه ، فتم إعتاق البشر من القيود والأغلال التي سبق أن ألغت الوجود الحقيقي ، لكثير من دول الأرض وشعوبها ، وتغيرت نظرة الناس إلى الحياة ، فلم يعودوا ينظرون إليها كأنها قفص من حديد ، يسعون إلى كسره وتحطيمه ، ولا يعدونها عذابا فيتخلصون منها ، ولم يعودوا ينظرون إلى الدنيا كفرصة لا حياة بعدها فيتهالكون عليها ، أو ينقضون على ما فيها من خيرات ، كأنها مال سائب ، يتقاتلون عليه ، ولم يعودوا ينظرون إلى الأمم الضعيفة كفريسة يتسابقون في اقتناصها ، بل أيقنوا أن الله خلق الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف وليس للتناكر والتباغض والتحاسد ، فتوارى الاعتزاز بالعصبيات والوطنية المعتدية ،

والجنسية الغاشمة ، ليحل محلها فكرة الأخوة الانسانية للبشر جميعهم ، وبالجملة فلم تعرف البشرية دورا من أدوار التاريخ ، كان أجمل وأكمل في كل نواحي الحياة ، من هذا الدور ، دور الخلافة الاسلامية الراشدة في تنشئة الانسان « الكامل » ، وفي ظهور المدنية الصالحة ، وقوامها دين متبع ، استروحت النفوس في ظلاله برد اليقين ، وحلاوة الايمان ، وبه تم صرف النفوس عن شهواتها ، فأصبح قاهرا للسرائر ، زاجرا للضمائر ، رقيبا على النفوس في خلواتها وخطراتها ، نصوحا لها في ملماتها ، وبجانب الدين حاكم عادل ، يسوس المحكومين ، متبعا كتاب الله وسنة رسوله ، وليس مبتدعا ، فتألف الأهواء المختلفة ، واجتمعت بهيبته القلوب المتفرقة ، وانكفت بسطوته الأيدي المتغالبة ، وانقمعت من خوفه النفوس المتعادية ، فأمن الناس على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، وتحرروا من الخوف عليها ، فليس لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة ، وبجانب القاعدتين السابقتين خصب دار اتسع للجميع حكاما ومحكومين ، واشترك فيه ذوو الاقلال والاكثار ، فقل في الناس الحسد ، وانتفى عنهم التباغض والحقد ، وكثرت المواساة والتواصل ، وأمل فسيح اتسعت به النفوس ، فحسنت علاقة الفرد بالفرد ، والفرد بالجماعة ، والجماعة بالفرد ، وسادت الثقة المتبادلة وحسن الظن ، بين الحاكم والمحكومين ، فاحتل الحاكم مكان القلب والروح من الجماعة الاسلامية ، كما كان اهتمام الحاكم بمصلحة المحكومين أكبر من اهتمامه بمصلحة نفسه ، من أجل ذلك ، وغيره ، على النحو الذي شهدته البشرية في الفترة الفذة ، التي عاش فيها الاسلام في ضمير الفرد ، وفي واقع الجماعات الاسلامية ، ولا زالت ، وستظل تلك الفترة ، التي تربعت فيها البشرية على قمة سامقة ، تملأ الدنيا نورا ، وتسعد البشرية كلما حاولت الاقتراب منها ، وترسم خطاها ، اقول : إنه من أجل ذلك يكون الاسلام هو الحضارة ، ويكون المجتمع الاسلامي هو المجتمع المتحضر ، بالمقاييس الثابتة ، التي وضعها للبشرية ، وهي مقاييس غير قابلة للتحول والتغير ، الأمر الذي يدفعنا الى استعراض الأسس التي تقوم عليها الحضارة الاسلامية ، وهي نفس الأسس التي قامت عليها تلك الحضارة في الماضي : لو ترسمها المسلمون في حاضرهم لعادوا كما كانوا أمنة للبشرية ، ، وعصمة لها من التصدع والانهيار .

اسس الحضارة الاسلامية

(١) : ان أرفع مقياس للحضارة ، وأعلى خط من خطوط التقدم الانساني ، واقدسها أن تكون « لا إله إلا الله » وان « محمدا رسول الله » القاعدة العريضة العميقة والشاملة لمنهج الحياة كلها ، بشعائره التعبدية ، وشرائعه القانونية ،

وتصوراته الاعتقادية ، وقيمه الاخلاقية ، وعلاقاته الانسانية .

فاذا وجدت هذه القاعدة بعمقها ، وشمولها ، واتساعها ، وقام على أساسها منهج حياة ، فقد تحققت العبودية الحقة لله ، ومتى تحققت على الحد الذي حددته الشريعة الاسلامية الفذة في الأمور كلها ، فقد قام المجتمع المسلم المتجرد من العبودية لغير الله ، ومتى حدث ذلك ، امتلك كل إنسان زمام نفسه ، وجماع ما يمكن أن يقال عن امتلاكها ، أن الانسان يستطيع برفضه الخضوع والاستسلام لغير الله أن يرحل من المخلوقات إلى الخالق ، ومن الأكوان الى المكون ، دون أن تقف هذه أو تلك في طريقه إلى الله **(وأن إلى ربك المنتهى)** النجم/٤٢ وهذا تحقيق للعزة والكرامة في نفس الانسان ، إذ سيتحرر من الخوف على الرزق لأن الرزق بيد الله ، وسيتحرر من الخوف على المركز والمكانة ، لأن مالك الملك هو الله ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وسيتحرر من الخوف حتى على الحياة ، لأنه ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله ، وسيتحرر من التبعية البغيضة ، والعادات الموروثة ، ليكون التلقي كله عن الله ، وسيرفض الهوان في الأرض ، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء ، وبالجملة سيتحرر الانسان من كل الحظوظ الدنيوية المادية والمعنوية ، بضغطها الساحق ، ووزنها الثقيل ، سواء أكان هو المالك لها ، أو غيره هو الحائز لها ، ولا شك أن التحرر على هذا النحو كفيل ، بأن يدفع الانسان إلى ان يستشعر السيادة لنفسه ، ويستهدف تحقيقها لغيره ، لأنه سبق أن اعترف وآمن بتلك القوة الالهية القاهرة ، فوق الخلائق أجمعين ، فلا تتحكم فيها الأهواء والبواعث والأغراض ، أحب الناس أم أكرهوا ، رضوا أم سخطوا استسلموا وانقادوا أم طغوا وتمردوا ، آمنوا أم كفروا ، وهذا هو المحك الصحيح لتحرير الانسان حيث الجميع في مقام العبودية لله على قدم المساواة ، بعيدا عن أسباب الصعود والهبوط في موازين الأرض .

وهذا ما أفاء به الاسلام على البشرية ، فأضاء للانسان الحياة يؤمن بنفسه ، ويؤكد عنصره ، مخلوقا مكرما عند الله ، وعند الناس ، وهذا أول مقياس ، بل أرقى مقاييس الحضارة على الاطلاق ، وأبرز خط من خطوط التقدم الانساني . وهذا ما يلحظه الباحث في تاريخ الانسانية الطويل ، عبرالقرون والأجيال ، من أن الجماعات الانسانية لا تستطيع أن تستغني عن عقيدة دينية ، كما لا يستطيع الفرد أن يعيش دون عقيدة ، يعتصم بها ، ويأوى اليها ، ويقيم كل علاقاته على أساسها ، ولم يقم من التاريخ الصادق دليل حتى الآن ، على أن عاملا من العوامل ، كان أقوى أثرا ، وأعظم فاعلية ، من عقيدة في الله ثابتة .. ، فلا نخوة الوطنية ، ولا رابطة القومية ، ولا تأصل الأعراف والشرائع والقوانين ، ولا ارتباط المصالح المادية .. كل هذه الشعارات

ليست بمغنية عن عقيدة دينية ، تتسع لكل ما في الوجود ، من ظاهر وباطن ، وعلانية وسر ، وماض ومصير ، والمتمعن في أحوال الأمم ، وسيرة الشعوب ، وسلوك الأفراد ، يلمس فعل العقيدة عند المقابلة والموازنة ، بين جماعة تعتصم بالدين ، وأخرى تنكره ، كما يلمس فعلها عند المقابلة بين فرد يأوي الى عقيدة دينية ، وآخر ليس له منها حظ ونصيب ، فالمؤمن كالشجرة الطيبة ، تأتيها الرياح ، تقومها تارة ، وتميلها تارة ، وهي ثابتة على أصولها ، وغير المؤمن كالشجرة الخبيثة لا تزال ثابتة على أصولها حتى إذا حركتها الرياح فيكون انجعافها مرة واحدة ، والحس والعادة والتجربة ، وأحوال الأمم التي لم تكن فكانت وارتفعت وعزت ، ثم انحطت وضعفت ثم مرضت خير شاهد على ذلك ، فالرفعة كانت ثمرة للعقيدة ، والضعف كان نتيجة مباشرة لانسحاب العقيدة ، من ضمير الأفراد ومن واقع الأمم والجماعات ، فبقدر نصيب الأمم من العقيدة ، يكون نصيبها من الرفعة والكمال ، فلا تسقط دولة وعقيدتها في الاله عالية ، ولا تعلو دولة وعقيدتها في الاله هابطة .

(٢) : ويلي هذا المقياس الحضاري العقائدي كأرقى خط من خطوط التقدم الانساني واثبتها ، مقياس يرتبط بالمقياس الاول ، هو تحكيم منهج الله ، بكل ما جاء به من أحكام ، تحل وتحرم ، تبيح وتحظر ، تأمر وتنهى ، لاخراج المخاطبين بأحكامها عن داعية أهوائهم ، لأن الله اعتبر الهوى مضادا للحق ، الذي نزل به الوحي ، في قوله تعالى : (**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) . ص/٢٦

فاذا خرج الناس عن أهوائهم وأغراضهم ، تحقق لهم أمنهم على العقول والأنفس والأعراض والأموال ، وهذا هو المقصد الأسمى من وضع الشرائع ، لأن الشرائع والمناهج الالهية لم توضع عبثا ، بل وضعت لحكمة ومصلحة ، والمصلحة إما أن تكون راجعة إلى الله تعالى أو إلى العباد ، ورجوعها إلى الله محال لأنه غني ، ويستحيل عود المصالح إليه ، فلم يبق إلا رجوعها إلى العباد وذلك مقتضى أغراضهم ، ولن تتحقق مصالحهم وأغراضهم إلا إذا كانت شريعة ربهم التي شرعها لهم حاكمة لكل امورهم الدينية والدنيوية ، وعلى الحدّ الذي حدته الشريعة ، دون زيادة أو نقصان ، ودون تبديل أو تغيير ، سواء ما تعلق بالعبادات والمعاملات ، والعقائد والسلوك ، والروحيات والماديات ، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية ، والأرض والسماء ، والدنيا والآخرة ، وعن كل ما يصدر عن تلك الكليات من جزئيات من تشريعات وفرائض وتوجيهات وحدود ، وأراء في الحكم والمال ، وفي توزيع المغانم والمغارم وفي الحقوق والواجبات ، وفي علاقات الأفراد والأمم والجماعات .

(٣) : والمقياس الثالث للحضارة

كخط من خطوط التقدم الانساني ينضم إلى سابقيه : هو ضرورة الابداع المادي بكل صوره وأشكاله ، لأن الاسلام لا يمقت المادة ، بل يرغب فيها ، باعتبارها نعمة من نعم الله على عباده ، لاغنى عنها ، بل هي ضرورة ملحة ، ووسيلة شريفة ، لحياة حرة كريمة ، تليق بكرامة الانسان ، ولكن الاسلام وهو يمجد المادة ، ويعلي قدرها : يشترط ألا يكون التمكين المادي وسيلة من وسائل التسلط والسيطرة والغلبة والاستعلاء ، بل يطلب أن تكون المادة بكل صورها وأشكالها أداة من أدوات الرفاهية الاجتماعية والتقدم في شتى صوره وأشكاله وأحجامه ، وهذا لن يتأتى إلا برفع أهداف المادة ، والابتعاد بها عن أن تكون معتدية على حقوق الأفراد والجماعات ، سواء كان الاعتداء ماديا : بأن يكون تكوينها ، والاضافة إليها من طرق غير مشروعة ، وأن يكون إنفاقها هو الآخر في وجوه لم يشرعها الله ، أو كان الاعتداء معنويا : وذلك باذلال الأفراد والجماعات بما يقتل الهمم ، ويثبط العزائم ، ويحيل الأفراد الى مجرد أدوات لا يرجى منهم نفع ، ولا يعرفون لهم في الحياة وجهة ولا مصيرا ، وقد أشار القرآن الكريم إلى عينات من التمكين المادي المتعالي والمتغطرس في قوله تعالى :

(أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بانعام وبنين . وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . (أتتركون فيما ها هنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الشعراء من ١٢٨ ـ ١٣٥ ، ومن ١٤٦ ـ ١٥٠ **(ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)** . القصص/ ٧٦ ، ٧٧ إن الاسلام وهو يزكي الابداع المادي ويباركه أيا كان شكله ، إنما يفترض أن يساهم في ترقية الحياة ، ورفع أهداف الانسان فيه ، وهذا ما حدث في صدر الاسلام إذ كان الأغنياء وأصحاب الثروات أسبق الناس إدراكا لحقيقة الثروة والغنى ، فالواحد منهم يخرج عن ماله كله طواعية واختيارا في سبيل الله ، وكان شعاره إذا جد من أمور الدولة ما يستدعي بذلا وعطاء ، ما قاله سعد بن معاذ عن نفسه وعن الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر « إنني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم .. وخذ من أموالنا ما شئت ،

وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت » .

(٤) : ورابع مقياس للحضارة ويمثل خطا بارزا من خطوط التقدم الانساني : ذلك الاعتبار الأخلاقي الضخم الذي سرى في كل الأحكام الاسلامية وتلبس بها :فجعل من الشريعة الاسلامية الشريعة ذات النزعة الأخلاقية العالية ، سرى في العقائد الاسلامية فطرح الانسان كل العقائد الواهية والفلسفات المخرفة والوثنية الضالعة ، وبقايا الديانات المحرفة ، ليفرد الوجهة إلى الله وحده تحقيقا لعزته وكرامته بعد أن أسقط كل الحواجز المصطنعة بينه وبين الله ليكون جديرا بالخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه ، وهذا أرقى خط أخلاقي تقدمي وأرقى الأمانات على الاطلاق عبر الله تعالى عنه في قوله عندما آخذ العهد على الأرواح في عالم الأشباح :

(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) . الاعراف/ ١٧٢

وامتزجت الاخلاق بسياسات الاسلام ، امتزجت بسلطات الحكم فتم استعمالها لصالح المحكومين فعدل الحكام في حكمهم ، وامتزجت بسياسة المال وأحكامه فابتعدت الأموال في كسبها وتنميتها والاضافة اليها عن الاحتكار والغش والسرقة والربا والرشوة كما ابتعدت في إنفاقها عن السطو على الاعراض والحرمات ، لتبقى الاموال نعمة من الله لها قدسيتها وشرفها طاهرة ونظيفة .

وتلبست الأخلاق بأحكام الحرب والقتال فكان المبرر الاخلاقي للحركة الاسلامية الجهادية والفتوحات الاسلامية قوله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) . آل عمران/ ١١٠

وقوله : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** آل عمران/ ١٠٤ وبهذا تكون الفتوحات في الاسلام ليست للسيطرة والاستعلاء ، وليست بدافع امتصاص دماء الشعوب ونهب ثرواتها ، كما لم تكن بقصد اتساع الملك وبناء الامبراطوريات يرتعون وينعمون في ظلها ويتكبرون تحت حمايتها ، بل لم يقصد من تلك الفتوحات الا إبلاغ دعوة السماء إلى النفس البشرية والضمير الانساني في كل مكان استجابة لأمر الله لا خيار ولا تقدير لأحد في ذلك سوى الله ، بقصد بناء إطار عالمي رباني للبشرية تجد في ظله الأمن والطمأنينة والسلام ، كما تحقق في ظله الارتقاء الروحي بجانب ارتقائها المادي وتعمل في ظله للآخرة دون أن تنسى حظها ونصيبها من الدنيا ، وعلى هذا : فالفتوحات في الاسلام ليست إلا بسطا لسلطان الفضيلة وارتقاء الحق ، وتقليصا لظل الباطل لأن الفضيلة لا تحيا إلا بالجهاد لبسط سلطانها على الأرض وتموت إذا خذلها الانسان وتقاعس عن نصرتها . وهذا ما يلحظه الباحث

في تتبع ظروف ونشأة قيام الدولة الاسلامية والفتوحات التي تمت في الفترة الفذة من تاريخ الاسلام حيث تم استنقاذ شعوب كثيرة من الضياع والهلكة ، فتم الأخذ من القوي للضعيف ومن الغني للفقير ، ومن الحاكم للمحكوم ومن العالم للجاهل ومن السادة للعبيد ، وتم للناس الأمن على الأديان والدماء والأعراض والأنفس والأموال كل ذلك بعد أن عاشت البشرية أحلك أيام حياتها قبل مجيء الاسلام ، في ظل حكومات عم فيها الجور والعسف وتواضع رجالها على الخيانة والظلم وتسابقوا في أكل أموال الناس وسفك دمائهم وهتك أعراضهم . وامتزجت الأخلاق بسلوك الأفراد وسيطرت على تصرفاتهم فشهد المجتمع الانساني الاسلامي أعدل نظام اجتماعي شهدته البشرية تعامل فيه المسلمون بالايثار **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ وهو الخلق الاسلامي السامق الفريد الذي اشاعه ومكن له الاسلام في نفوس أبنائه ، فرفعهم مكانا عليا توارت بسببه الأثرة والأنانية ، تلك الآفة القاتلة لحقوق الناس وحرياتهم ، وتجاوز الاسلام بأبنائه معدلات الرجولة بكل مقتضياتها ليرتفع بهم إلى مقامات البطولة ، ذكرنا الايثار كعينة لها ونضيف اليها ما طلبه الاسلام من أبنائه من قول الحق ولو على النفس والأقربين ، **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)** . النساء/ ١٣٥ كما طلب الاسلام من أبنائه الترفع عن طلب الثناء على الاحسان في كل عمل **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)** الانسان/ ٨ ، ٩ الى غير ذلك من أخلاق فذة تجاوز بها المسلمون حدود الواجب إلى ما هو فوق الواجب ، ففتحوا أبواب الراحة على مصاريعها ، وأغلقوا أبواب الشدة فشهدت البشرية أعظم فترة في تاريخها في أمن وطمأنينة وسلام .

(٥) : مقياس آخر من مقاييس الحضارة وخط التقدم الانساني ينضم إلى ما سبقه من مقاييس هو ذلك الاخاء الانساني الذي أرسى أصوله الاسلام وأقام له القواعد ، يعمل المسلمون بمقتضياته فريضة من الله أمر بها وشدد ناهيا عن مخالفتها . فمن بين ما يتلقاه المسلم ويؤمن به بعد إيمانه بالله واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق ، هو الايمان بأن التعارف والتآلف وليس التناكر والتباغض والتحاسد . هو الحكمة من خلق القبائل والأمم والشعوب واختلاف الأجناس والألوان واللهجات مصداقا لقوله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** . الحجرات/ ١٣ وعلى هذه القاعدة العريضة أقيمت الأخلاق الانسانية ، يعامل المسلمون بها غيرهم من

الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ممن لا يربطهم بالمسلمين رباط الاخاء الاسلامي المشدود بروح الاخلاص المؤزر بقوى العقائد . فلا ريب أن تكون الأخلاق الانسانية سمة بارزة وعلامة مميزة على صدر هذا الدين الذي يطالب أبناءه بأن يؤمنوا بأن البشرية من أسلافها إلى أعقابها لها نسب واحد ولها إله واحد ولها نهاية واحدة ، فالناس كلهم لآدم ، وآدم خلق من تراب ، ويجب أن يجري المسلمون في علاقاتهم بغيرهم على أساس الاخاء الانساني عند افتقاد اخاء الدين ، ورفض عقيدة المسلمين ، عن جهل بها ، أو عن استكبار وتعنت في قبولها .

واستجابة لما أمر به الدين كانت علاقة المسلمين بغيرهم .

ولم تستند الأخلاق الانسانية التي دعا اليها الاسلام في معاملة أبنائه لغيرهم إلى الاخاء الانساني وحده ، بل نجد أساسا قويا لها في قاعدة العدل التي يأمر بها الله الحكام والأفراد والجماعات المسلمة حتى مع أعدائهم ، وقد ازدحمت آيات الكتاب الكريم والسنة ، بالأمر بالعدل والنهي عن الظلم نخص منها قوله تعالى : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) النحل/ ٩٠

(**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) . النساء/٥٨ .

وإذا كان الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل بصفة عامة في الآيتين السابقتين فقد أمر تبارك وتعالى بالعدل في القول في قوله تعالى :

(**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**) . الانعام/ ١٥٢

ويجب إقامة العدل على النفس ، والوالدين والأقربين ، بالغا ما بلغت تكاليف إقامته ، قال تعالى :

(**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**) . النساء/ ١٣٥ .

وبغض قوم من الأقوام لأي سبب كان ، ينبغي ألا يميل بالمسلمين عن العدل أو يجرهم إلى الظلم ، أو يذهب بهم إلى حيث الأهواء والاغراض ، فيقول تعالى :

(**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**) . المائدة/ ٨ .

والاسلام ليس دين قواعد ومبادىء يمليها ، أو أصول نظرية ينادي بها ، إنما هو دين عمل وتطبيق لما جاء به من مبادىء وأصول ، نادى بها المسلمون ، وكان عملهم اظهر من قولهم واصدق .

ولقد رأت البشرية من صفات الأمة الاسلامية ما أيقنت معه أن تلك الأمة تحمل إلى الانسانية رسالة الحق

والخير ، وانها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها ، وأن الذي اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذي قامت به السماوات والأرض وبعثت به الرسل وأنزلت به الكتب .

ولقد كانت الأخلاق الانسانية وصية النبي إلى الأمة الاسلامية ، كما كانت وصية الخليفة إلى من سيخلفه في سياسة الدولة وقيادة المسلمين ومعاملة من يقيم على أرض الاسلام من المخالفين للمسلمين في العقيدة والدين .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر المسلمين بالرفق بأهل الذمة حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم فقال : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما » البخاري وغيره كما قال عليه الصلاة والسلام « من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » رواه الخطيب .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا ، أن يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم » .

ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي . قال : فما ألجأك إلى ما أرى . فقال : الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل . ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم « **أنما الصدقات للفقراء والمساكين** » التوبة/ ٦٠ والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه . ولم يتخذ الاسلام من الأخلاق الانسانية تدبيرا من تدابير السياسة وحيلة من حيل الحكم يلجأ المسلمون إليها عند الحاجة ، ويتخلون عنها عند الطاقة والمقدرة ، بل جعل الاسلام تلك الأخلاق أمانة من أمانات الاسلام وخلقا شريفا يكاد الخارج عنه أن يخرج عن إنسانيته . لذا كان الأصل القطعي الذي أمر الله به المسلمين والتزموه في معاملة المخالفين لهم في الدين هو البر بهم والعدل في معاملتهم ، والوفاء بعهدهم كما في قوله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين-إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) . الممتحنة/ ٨ ، ٩ .

(**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**) . النحل/ ٩١ .

وفي تلك الدائرة العالية كانت علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب فيما عدا الحالات التي يساق فيها المسلمون بحكم الضرورة ، وعندما يحدث الاخلال المستمر من غير المسلمين بعهد قطعوه ، أو فتنة يستغلونها ، فلا تثريب على المسلمين إن هم انتصروا لدينهم ، أو حافظوا على وحدتهم بكل ما يرونه بذلك كفيلا .

وهذا ما تعلمه المسلمون من أصول دينهم وجرى عليه واقعهم ، وما زالت البشرية ترى ومضات من تلك الأخلاق الانسانية في معاملة المسلمين لغيرهم ، في كل وقت يملك فيه المسلمون القدرة على القصاص من مظالم السنين السابقة التي لحقت بهم من غيرهم عبر السنين والأجيال ولم يقم من التاريخ دليل حتى الآن على أن أقلية مسلمة تمتعت على أرض غير إسلامية بما تمتعت وتتمتع به جميع الأقليات غير المسلمة على أرض الاسلام وبين المسلمين .

تلك هي أبرز خطوط التقدم الانساني ، عقيدة في الله ثابتة تعتبر مركزا لتجمع المسلمين ينطلقون منها ويعودون إليها ، منهج كامل للدين والدنيا يرتكز على هذه العقيدة يعمل المسلمون بكل ما أتى به من أصول وأحكام على الحد الذي حدته الشريعة الاسلامية دون زيادة فيها أو نقصان من منها اتساع عمراني وتمكين مادي بكل صوره واشكاله ، أخلاق فاضلة ثابتة تسيطر على السلوك والتصرفات وتتناول الفرد والأسرة والدولة والمجتمع ، وتعتبر تلك الخطوط في النهاية إذا اجتمعت ووجدت طريقها إلى واقع أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات أعلى مقياس للحضارة وهذا ما تحقق لأول مرة بمجيء الاسلام ، فشهدت البشرية حضارة إسلامية كانت في غنى عن العالم كله ، ولم يكن العالم في يوم من الأيام في غنى عنها فقيم روحية وأخلاقية عالية ، ونجاح مادي واتساع عمراني ، تقدم علمي سامق فريد ، معاني إنسانية عالية سادت العلاقات ، تخلت بسببها البشرية عن طبائع القهر والاستبداد ، فما أحوجنا اليوم ونحن على الطريق أن نعيد تقديم هذا الزاد إلى البشرية مرة أخرى لتطوي به واقعها المؤلم كما سبق لها أن طوته بمشرق الاسلام ، وتستأنف السير على الطريق إلى الله ، دون أن تضطرب أمامها السبل أو تشتبه عليها معالم الجهات ، وإن لم تفعل فستظل تائهة في بيداء المهالك والضلالات وما أصدق قوله تعالى :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) . العنكبوت ٤١

وما أعظم ما قاله عمر بن الخطاب رمز العدالة في تاريخ الانسانية بعد الرسول والأنبياء لأمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح .

« إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

وهذا هو الطريق ..

لماذا أحجم الأوائل عن تدوين السنة

للدكتور
محمد محمد
الشرقاوي

ثلاثة أسباب هامة حالت بين إقدام المسلمين الأوائل ـ وأعني بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين ـ عن تدوين السنة بما فيها من اقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وافعاله وتقريراته وصفاته الخلقية وشيمه الخلقية ، وهم الحريصون كل الحرص على حفظ معالم الدين ، وإحاطته بسياج منيع من العناية والرعاية والاهتمام .. والواقع انهم لم ينصرفوا ويصرفوا الناس معهم عن تدوين السنة عبثا او صدفة او جهلا بالكتابة والتدوين ، أو افتقارا الى الامكانيات والوسائل .. وانما اختمرت في طواياهم هواجس حسبوا لها كل حساب ، وحالت بينهم وبين هذا التطور العلمي الذي تمخضت عنه الايام فيما بعد ، وصيرته ضرورة علمية دينية ، وخلعت عليه باجماع الامة صفة الواجب الكفائي الذي اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، واذا لم يقم به واحد من الامة اثم الكل ووقعوا تحت طائلة المؤاخذة والمسئولية .

ولنبدأ بالبداية .. فالرسول عليه الصلاة والسلام الذي اتخذ لنفسه كتابا للوحي يسجلون عنه ما نزل عليه من لدن ربه ، قرآنا متعبدا به معجزا للبشر ومتحديا باقصر سورة منه .. هو الذي نهى عن كتابة الأحاديث التي تفيض بها اقواله وافعاله وتقريراته في مطلع الاسلام ، وفي الوقت الذي تكاثر فيه الكتبة لديه بما فيه الكفاية فقد كان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه من الملازمين للكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم في الوحي وفي غير الوحي ، وكان يزامله في ذلك ثابت بن قيس ويزيد بن ابي سفيان اخو معاوية ، والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء الحضرمي وعمرو بن العاص وعبيد الله الحضرمي ومحمد ابن سلمة وعبدالله بن عبدالله بن ابي ابن سلول .. كل هؤلاء كانوا طوع أمر الرسول ورهن إشارته .. لو أنه أشار عليهم بتدوين الاحاديث كما كانوا اطوع له من بنانه في كتابة آي الذكر الحكيم في الصحف حينا ، وفي جريد النخل (العسب) او الأكتاف (العظام العريضة الرقيقة) او في اللخاف (الحجارة البيض الرقيقة) حينا آخر فالوسائل الكفيلة بحفظ السنة وتدوينها كانت متوفرة على القدر الذي تسمح به الظروف خوفا من الضياع ، وحماية لها من النسيان والفوات .. والكتاب كذلك مؤهلون بايمانهم واستعدادهم لمثل هذه المسئولية الخطرة .. بيد ان للمسألة خلفية اخرى تبدو فيها وجاهة الفكرة ، وسداد الرأي ، وهي أن القرآن في ذلك الوقت كان ينزل منجما حسب الحوادث والأحوال والمؤمنون يتتبعون نزوله بفارغ الصبر ، وعظيم الاهتمام وكانت الهمم كلها منصرفة الى تلقي هذا الفيض الالهي بكل دقة وعناية .. فلم يكتفوا فيه بالحفظ في الصدور بل اضافوا اليه تخطيط السطور .. لتتضافر كل الجهود في الحفاظ على نصه المقدس .. فلو أن السنة في هذه الحال حظيت بما حظي به القرآن الكريم من تدوين وكتابة ، وجمع بالصدور وبالسطور لاختلط الأمر ، ولكان إفراز كل منهما عن الآخر عسيرا صعبا .. وأقل ما في الأمر انتهاز المنافقين والمتربصين هذه الفرصة السانحة للكيد للاسلام ، والتشويش على مصدر الشريعة الاول ، بالخلط والتمويه واشاعة القيل والقال فلذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم بكياسته وفطنته ، وذكائه وبعد نظره يأمرهم بكتابة القرآن وحده بين يديه ، وينهاهم عن كتابة غير القرآن وفي ذلك يروي مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » ، ويؤيد هذا ما روى عن أبي سعيد : « كنا قعودا نكتب ما نسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج علينا ، فقال : ماذا تكتبون ؟ فقلنا : ما نسمع عنك . فقال : أكتاب مع كتاب الله ؟، امحضوا كتاب الله ، وخلصوه » ومثل هذه الفكرة طافت

بخلد ابي بكر رضي الله عنه الذي دعاه حرصه على الدين اولا الى ان يجمع خمسمائة حديث ثم قال لعائشة ائتيني بنار فلما جاءته بها احرق ما جمع .

ومن هنا تبدو لنا الحيرة المتمثلة في تفكير الخلفاء الراشدين .. فقد تنازعهم عاملان : اولهما الحرص على السنة وكتابتها وتقييدها في الصحف خوفا من اندراسها أو اختلاطها أو دس الدساسين فيها وهو امر محبب الى النفوس اثير لدى العقول الناضجة ، والقلوب المتفتحة التي كان يتحلى بها الصحب الاوائل ، وثانيهما الخوف من مزاحمة القرآن في أخص خصائص حفظه وهي كتابته وتدوينه .. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « اني كنت اردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، واني والله لا اشوب كتاب الله بشيء ابدا » ولم يدون السنة ، وتركها رهينة الوعي والذاكرة وفي هذا ايضا قال ابو سعيد الذي روى حديث النهي عن كتابة السنة حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنكتب ما نسمع منك ؟ قال : أتريدون أن تجعلوها مصاحف » وفي ضوء هذا يفسر ما جاء عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من كراهة كتابة الحديث وامرهما بالاقتصار على كتاب الله تعالى في الحلال والحرام ، بل بلغ الامر بهما الى حد انهما كرها رواية الحديث كثيرا بله كتابته .. لحرصهما الشديد جدا على التأكد والتثبت مما يروى بعد ان اكثر المكثرون من الرواية ، وتعددت النقول وتخالفت أحيانا ، ولهذا كانا يطلبان شهودا في كثير من الأحيان ليزكوا الراوي فيما ينقله من الاحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

على اننا لا نكاد نفرغ من عرض هذه الفكرة الرائعة التي حدت بالرسول وصحبه الى منع تدوين السنة حتى نجد اخبارا اخرى صحيحة تفيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اذن لبعض الصحابة في كتابة السنن ، وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حين استدار الزمن استدارة ملائمة ، بما جعل هذا الاذن امرا مستحسنا لاحرج فيه ولا خوف منه ولا تثريب عليه .. ذلك ان امر القرآن الكريم كان قد حسم حسما تاما .. فتمت الآيات تقريبا ، ودونت ، وحفظت ، وعرفها الجمع الكثير من الحفاظ بما يؤمن عليها من الضياع ، أو الاختلاط .. بعد ان اقامت الأمة التي لا تجتمع على ضلالة ـ كما اخبر عنها الصادق المصدوق من عقولها وصدورها ، ووعيها وآذانها حصونا منيعة لحفظ هذا التراث العزيز من النص القرآني المقدس من أي تلاعب أو دس أو دخل فلما تقدم الزمان ، واستقر وضع القرآن الكريم ، أذن الرسول في مزاولة رسالة العلم والتعلم ، وفتح الباب للكتابة لكي تؤدي وظيفتها الأساسية للحاضر وللمستقبل في تدوين سننه ،

وتضمينهـا للصحائـف والسطـور لتساهم بدورها في خدمة الانسانية ، ورعاية الحق ، وحفـظ الحقيقـة ، وحينئذ نسمع قوله صلى الله عليـه وسلم لعبدالله بن عمرو : « اكتـب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق » وأشار الرسول الى فمه صلى الله عليه وسلم ونسمع قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وكان يخطـب « اكتبوا لأبي شاه » وذلك حين سأله ابو شاة الكتابة لانه لا يحيط بكل ما يسمع وهذا اصح ما في الباب .

ونسمع قوله صلى الله عليه وسلم لرجل سيىء الحفظ : « استعن على حفظك بيمينك » وقوله لرافع بن خديج حين قال له : يا رسول الله .. انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ فقال : اكتبوا ولا حرج » .

ونرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كتبا في الصدقـات والديـات والفرائض والسنن لعمـرو بن حزم وغيره .

ونراه صلى الله عليه وسلم في آخر لحظات عمره يقول : « إيتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » لولا ان عمر رضي الله عنه اعترض على ذلك وقال ان النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، .. فلما اختلف الحاضرون ما بين مؤيـد للكتـاب ومعترض عليه قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « قوموا عني فلا ينبغي عندي التنازع » .

ولذلك بقي اهل المائة الهجرية الأولى متحفظين من الكتابة في الحديث ، متهيبين لها ، حذرين منهـا ، وان كتبت احاديث فانما في نطاق ضيق ، ومن اوثق المستويات العلمية ، وبقدر قليل بل أقل من القليل ، وكان هناك سبب آخر يحول بينهم وبين تدوين السنة وهو الخوف من هجران القرآن الكريم ، والاشتغال بالكتب الاخرى التي تحتوي على السنن والاحاديث والسير وثمت سبب لا يقل اعتبارا ووزنا عما سبقه وهو الخوف على الـذاكرة من الوهـن والخـــور ، والضعف والفراغ حين تعتمد اعتمادا كليا على الكتب والمسانيد ، وما الى ذلك مما طلع به الزمان فيما بعد ولذلك قال الزهري : « كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليـه هؤلاء الأمـراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين » ومثل ذلك نقل عن الأوزاعي .. حتى ان سفيان الثوري كان يكتب الحديث أولا وخاصة اذا كان طويـلا فاذا حفظه محاه ، وحذا حذوه حماد بن سلمة .

الا ان تيار الرغبة الجامحة في الكتابة كان جارفـا ، وزحـف المدنيـة والحضارة اثر الفتوحات الاسلامية المتعددة كان هادرا مدمرا ، فلم يلبث ان اجمع المسلمون شرقا وغربا كما قال ابن الصلاح في مقدمتـه على ضرورة كتابة الاحاديث وتدوين السنة وتسويغ ذلك وقال : « ولولا ذلك لدرس الحديث في الأعصر الآخرة ، ولا سيما بعد أن أخذت قرون الفتن والدسائس تطل من أوكارها ووجدت في احاديث الرسـول وسنتـه مرتعـا خصيبـا لألاعيبها ودسائسها ومؤامراتها على الاسلام المحقود عليـه » .. فلـذلك

سارع العلماء بكل همة ونشاط الى العمل ، وشمروا عن ساعد الجد لتدوين الأحاديث بعد هذا الكبت الطويل من الاحجام عن كتابتها ، واللهفة الحثيثة لتضمينها الصحائف ، والمدونات حتى تكون أخلد على الدهر من الدهر ، وحتى تقطع الطريق على أمثال هؤلاء الحاقدين خوفا من التلاعب بهذا التراث الغالي ، والكيد لذلك الدين الحنيف .. فما كاد يهل على الأمة الاسلامية القرن الهجري الثاني حتى كان لكل طالب علم كراسة او كتاب فيه أحاديث وسنن ، وشاع التدوين وذاع ، وملأ البقاع والاصقاع ، وصار ضرورة العالم والمتعلم على السواء وكان ذلك زمن التابعين وأول ما جمعت الأحاديث بصورة مصغرة منظمة كان على يد عامر الشعبي سنة ١٠٣ هـ ثم عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج البصري سنة ١٥٠ هـ ثم موطأ مالك بن انس سنة ١٧٩ وكانت تضم احاديث الرسول وفتاوى الصحابة والتابعين وتسمى المصنفات او المجاميع .. ثم ظهر في الأفق لون جديد لمؤلف جديد يحمل اسم المسند وهو يجمع احاديث كل صحابي على حدة تحت اسم مسند فلان ، وأول مسند ظهر هو مسند الطيالسي سنة ٢٠٤ هـ ، ثم تتابعت المسانيد ، وأوفاها قدرا ، وأعظمها فخرا : مسند الامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١هـ وهو من أتباع أتباع التابعين ثم ظهرت الكتب الستة الصحاح في هذا العصر أيضا وأولها بلا منازع هو صحيح الامام البخاري سنة ٢٥٦ هـ ثم مسلم سنة ٢٦١ والراجح ان اول حاكم امر بجمع السنة بصفة رسمية هو عبدالعزيز بن مروان بن الحكم والد عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين وكان واليا على مصر وقد طلب بوصفه واليا من كثير ابن مرة الحضرمي الذي ادرك سبعين صحابيا بدريا في حمص ان يكتب اليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديث ابي هريرة رضي الله عنه فانه كان عنده .. ثم جاء بعده ابنه عمر بن عبدالعزيز فاقتفى أثر والده (ومن يشابه أبه فما ظلم) واتخذ خطوة حاسمة لحفظ الحديث من الاختلاط بغيره فكتب الى الآفاق : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وامر ابن شهاب الزهري وأبا بكر بن حزم بجمع السنن وهكذا بدأت قصة تدوين الأحاديث والسنن في حذر شديد ، وخطوات وئيدة فيها حرص على القرآن أولا ، وعلى الذاكرة الاسلامية ثانيا ، وعلى عدم الاشتغال بكتب أخرى غير المصاحف التي كان يخشى عليها من تعشيش العنكبوت عليها بعد مزاحمة كتب السنة لها .. ولكن الحكمة والروية التي هيأها الله تعالى لهذه الأمة قد حفظت القرآن حفظا شاملا ، كما حفظت السنة حفظا كاملا ، ولم يعشش على المصاحف العنكبوت كما تخوف المتخوفون ، ولا ضعفت الذاكرة والهمة كما تهيب المتهيبون وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم .

من المسؤول عن تربية النشء

للدكتور/ احمد حمد

مفهوم التربية

لا نود أن نحدد مفهوم التربية على أساس من النظريات الفلسفية التي شغلت الأفكار قديما وحديثا وربط الفلاسفة بها مناهج التربية والتعليم ، فليست هذه النظريات إلا جهدا فكريا يشهد بقصور البشر عن

إدراك الحقيقة وتصور الكمال .

ولقد قدم هؤلاء تعريفات للتربية تؤكد نظرتنا فيهم وحكمنا عليهم فالفيلسوف يعبر عن وجهة نظره فيقول عن التربية : « التربية فن لا يصبح كاملا إلا عن طريق أجيال عدة » ويقول هيجك : « إن عملية التربية صراع بين طبيعة الانسان الحيوانية وطبيعته العليا الروحانية » . أما فروبل فقد كان أعمق نظرة إلى التربية حيث يقول في كتابه تربية الانسان : « إن كل شيء يتحكم فيه قانون أزلي ، وهذا القانون يعبر عن نفسه بكل جلاء فيما حول الانسان ، أي الطبيعة ، كما يتحكم في ذات الانسان أي النفس ، كما يتحكم فيما يربط الاثنين معا أي الحياة ، وعلى هذا الأساس يوجد كائن هو أرقى الكائنات بصيرة وأعظمها قوة ، هذا الكائن هو الله الذي منه ينبع كل شيء فيخضع لسيطرته وإرادته ، فالله هو الأساس الوحيد لكل شيء ، إذ هو الذي يحكم هذه الحياة ، والأشياء تأخذ وضعها الطبيعي لأن الله هو الذي ينظم أمرها » .

والتربية في نظرنا هي تقويم الفرد قلبا وعقلا وسلوكا بالأصول الثابتة من وحي الله .

ضلال الفلسفات

ولقد تخبط الفلاسفة ومن سار على منهجهم من التربويين في اختيار السبيل الأمثل لتربية النشء ، وتعددت مدارسهم ، وتعارضت مناهجهم وظهر في أفق هذا العصر من هم أنصار للفلسفة التي يقوم على أساسها التربية الطبيعية ، ومن هم أنصار الحركة النفعية ، أو من يسمون البراجماسيين ، وهؤلاء لم يستطيعوا أن يصلوا إلى الغاية أو يحققوا الهدف المنشود في العملية التربوية ، كما أن سابقيهم من فلاسفة اليونان قد أخفقوا إخفاقا شديدا في رسم منهج تربوي سليم تسير عليه الأجيال تلو الأجيال .

النفس الانسانية :

والنفس الانسانية من خلق الله ، فيجب أن يكون منهج تربيتها وتزكيتها من وضع الله ، والاتجاه نحو هذا المنهج الالهي لفهمه فهما دقيقا وتطبيقه تطبيقا سليما هو الذي يضمن للبشرية سيرها المتوازن وصلاحها المنشود .

وإذا كان كل ما يحيط بالانسان من أسباب الحياة والعيش إنما هو من وضع الله فلماذا لا تكون مصادر تربيته وتقويمه وتزكيته من صنع الله كذلك ؟ هل يستنشق الانسان هواء ، او يشرب ماء ، أو يتناول غذاء ، أو يرتدي كساء أوجدته او خلقته يد البشر ؟ إن الهواء والماء والغذاء والكساء من خلق الله أوجدها بصفات معينة وبمقادير متوازنة لا يستطيع البشر بعمق معارفهم وقوة سلطانهم وتطور مخترعاتهم أن يخلقوا مثلها أو شيئا منها :

(أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) الواقعة ٥٨ ـ ٧٢ .

(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يتذكرون) الاعراف/ ٢٦

إن الأسباب التي بها يتكون البناء الجسمي للانسان وينمو ويحافظ على صحته وبقائه إنما هي من خلق الله ، ومن المنطق المعقول والمقبول أن يكون البناء النفسي للانسان قائما على أسس ومناهج من المصدر نفسه وهو الله ، فالبناء النفسي والبناء الجسمي وحدة متكاملة ، وأي اختلال في أحدهما له أثره المباشر على الآخر ، فاذا فسد الهواء هزل الجسم ، وضاقت النفس ، وإذا فسدت التربية فسدت النفس وضاق العيش : **(ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** طه/ ١٢٤ .

عناصر التربية السليمة :

والتربية السليمة لابد لها من عناصر تضمن فعاليتها وتؤكد سلامتها وهذه العناصر هي :

١) **عنصر الثبات :** والمقصود بذلك أن تكون التربية قائمة على أساس ثابت لا يتغير بتغير البيئات ولا يتطور بتطور العصور .

ولقد فقدت ألوان من التربية بهاءها وجدتها لأنها كانت وليدة البيئة ونتاج العصر ، ثم عقم إنتاجها وزال أثرها بتغير البيئة وتجدد الزمن ، فالتربية الاسبرطية كانت تهدف إلى تزويد كل فرد بقدر من الكمال الجثماني والشجاعة ، وغرس عادات الطاعة العمياء للقانون ، ولذلك تحكمت الدولة في طريقة تربيته من أول الأمر بعيدا عن أسرته .

أما أثينا فقد انتهجت قديما نهجا مخالفا ، إذ أرادت أن يكون الفرد ـ وهو يطيع دولته ويقوم بواجبه ـ متمتعا بقسط من الحرية ، وإن كان تحت مراقبة دقيقة من موظفي الدولة .

وفي عصر الانتقال كان هدف التربية زيادة الاهتمام بنمو الفرد أكثر من الاهتمام بشؤون الدولة ، حتى لا يصبح الفرد مجرد مواطن خادم للدولة ، ثم جاءت التربية اليونانية في عصرها الأخير لتهدف إلى سيادة المصلحة الفردية .

ثم يأتي العصر الحديث ليصبح من مميزات الفكر المذهب الطبيعي ، فقد

أسبغ (بيكون) على الطبيعة ثوبا فضفاضا من التبجيل والاحترام . والاغراق في تقديس الطبيعة قد تولد عنه منهج آخر معاكس ، وهو المذهب المثالي ، الذي يؤيده كثير من علماء التربية أمثال بستالوتري وفختـه وفروبل وبرس نن .

ولكن ما لبث المذهب الطبيعي أن حاول تضييق مجال الخلاف بينه وبين المذهب المثالي ، ثم لبس قناع مذهب النفعية أو البراجماسية التي أصبح (جون ديوي) من رجالها ، والتي تمثل الاتجاه الامريكي في وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من تناقض هذه المذاهب التربوية فان المعنيين بالتربية في البلاد الاسلامية يأخذون بها على تناقضها ويتجاهلون ما بها من أخطاء ، وما تتضمن في مناهجها من أسباب نبذها وعدم الاحتفال بها . وعنصر الثبات في التربية يجنب علماء التربية الوقوع في هذا الخطأ ، بل يعطي الأساس المتين لمنهج تربوي ثابت يمكن أن يطبق في كل مصر وفي كل عصر .

٢ ـ عنصر الاهتمام بكل جوانب النفس : فلا يهتم المربي بجانب من جوانب النفس على حساب جانب آخر . والمناهج التربوية التي اهتمت بنواحي خاصة في التربية لظروف خاصة وأهملت جوانب أخرى ، لم يكتب لها البقاء ، وانتهى أمرها بانتهاء الظروف التي أملتها .

وإذا بحثنا في المناهج التربوية قديما وحديثا لا نجد منهجا واحدا يستطيع أن يعالج كل جانب من جوانب النفس ما عدا منهج الاسلام ، فانه كما يهتم بالجانب المادي اهتماما كبيرا . **(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)** الاعراف/٣١ .

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور/٣٢ . **(ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ . « علموا أبناءكم السباحة والرماية » رواه الديلمي « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم .

يهتم الاهتمام نفسه بكل الأجهزة الفكرية : **(أفلا تعقلون)** ، **(أفلا تتفكرون)** **(أفلا تبصرون)** **(أفلا تتذكرون)** ، **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** يونس/١٠١ **(قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)** سبأ/٤٦ .

وبكل المشاعر العاطفية : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)** آل عمران/١٣٩. **(ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)** الحجرات / ٧ . « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرجال » رواه احمد . (إن

الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فاطر/٦ .

وبكل الأشواق الروحية : **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم)** فصلت/ ٣٠ – ٣٢ . **(فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى)** الليل/ ٥ – ٧ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) . (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)** الطلاق/ ٢ و ٥ ، **(إن الله مع الصابرين) (إن الله مع المتقين) ، (إن الله لا يضيع أجر المحسنين)** ، « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » رواه مسلم واحمد .

بل إن هناك جانبا بالغ الأهمية في العملية التربوية ونقرر هنا أن هذا الجانب لم يحظ بأي اهتمام في مناهج التربية كما حظي في منهج الاسلام ، هذا الجانب هو الجانب الأخروي . وأي منهج تربوي يغفل عن هذا الجانب أو يتجاهله يعتبر منهجا مبتورا . يشهد على نفسه بعدم صلاحيته ، ولذلك كان المنهج الاسلامي حريصا على أن يضع الدار الآخرة في بؤرة الشعور ومركز الاحساس وعصب الفكر وسويداء القلب عند كل مسلم ومسلمة : **(وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)** العنكبوت/ ٦٤ . **(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** الحديد/ ٢٠ و ٢١ .

٣ – الموازنة بحكمة ودقة بين مقادير المعلومات المطلوبة لتزكية هذه الجوانب :

ومع الثبات والشمول لابد من الموازنة بين مقادير المعلومات والمعارف في مجال التربية ، وأخذ ذلك بدقة وحكمة ، كيلا يطغى جانب على جانب ، اويقع في النسيان أو الاهمال أحد هذه الجوانب .

ومناهج التربية قديما وحديثا تؤتي من هذا الجانب ، ولذلك فهي لا تؤتي أكلها ولا تستطيع البقاء إلا مستندة

إلى قوة تفرضها وتلزم الناس بها .

والحق إن الموازنة الحكيمة الدقيقة بين مقادير المعلومات في مجال التربية أمر صعب لا يقدر عليه إلا من أوتي بصيرة نافذة وعقلا حصينا وتجربة طويلة في هذا المجال . ولن يستطيع علماء التربية وفلاسفتها ، مهما أوتوا من بصيرة نيرة وتجربة واعية أن يحققوا هذه الموازنة بدقة إلا إذا أخذوا كتاب الله بقوة ، فان هذا الكتاب الذي يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، هو الكتاب الذي يعطي لعلماء التربية في معظم سوره النبراس الهادي في هذا السبيل . ولنأخذ سورة البقرة مثالا في هذا المجال ، فانها تبدأ بتقسيم البشر إلى أصناف ثلاثة تتناول كلا منها بالشرح والتفصيل بمقدار يتناسب مع ما يتطلبه العقل لمعرفة هذا الصنف أو ذاك ، ثم تدعو الناس إلى عبادة الله وحده بقدر يكفي استثارة نفوسهم بهذه الدعوة وإقناع عقولهم بهذا الحق ، ثم تعرض الحوار الذي تم بين الله وملائكته في موضوع الخلافة في الأرض ، ثم كيف تقلد آدم هذه الخلافة وكيف أقام في الجنة هو وزوجه وكيف خرجا منها ، ثم تتناول بني اسرائيل كاشفة اللثام عن انحرافاتهم في العقيدة والسلوك وتزوير الحقائق ، ثم تضع تشريعات محكمة في مجالات شتى كالقصاص والحرب والزكاة والحج والنكاح والطلاق والبيع والربا والدائن والمدين .

كيف تألقت وتآلفت هذه الموضوعات المختلفة في مقادير متناسبة وبتناسق محكم ؟ هذا أمر يحتاج من كل مختص في مجاله إلى دراسة متأنية ، وهذه الدراسة المتأنية إلى جوانب النفس المختلفة وحاجة كل جانب منها إلى الاشباع بمقدار مناسب من المعلومات تدعو علماء التربية بالحاح إلى المبادرة إليها والتعمق فيها .

طريق النجاة

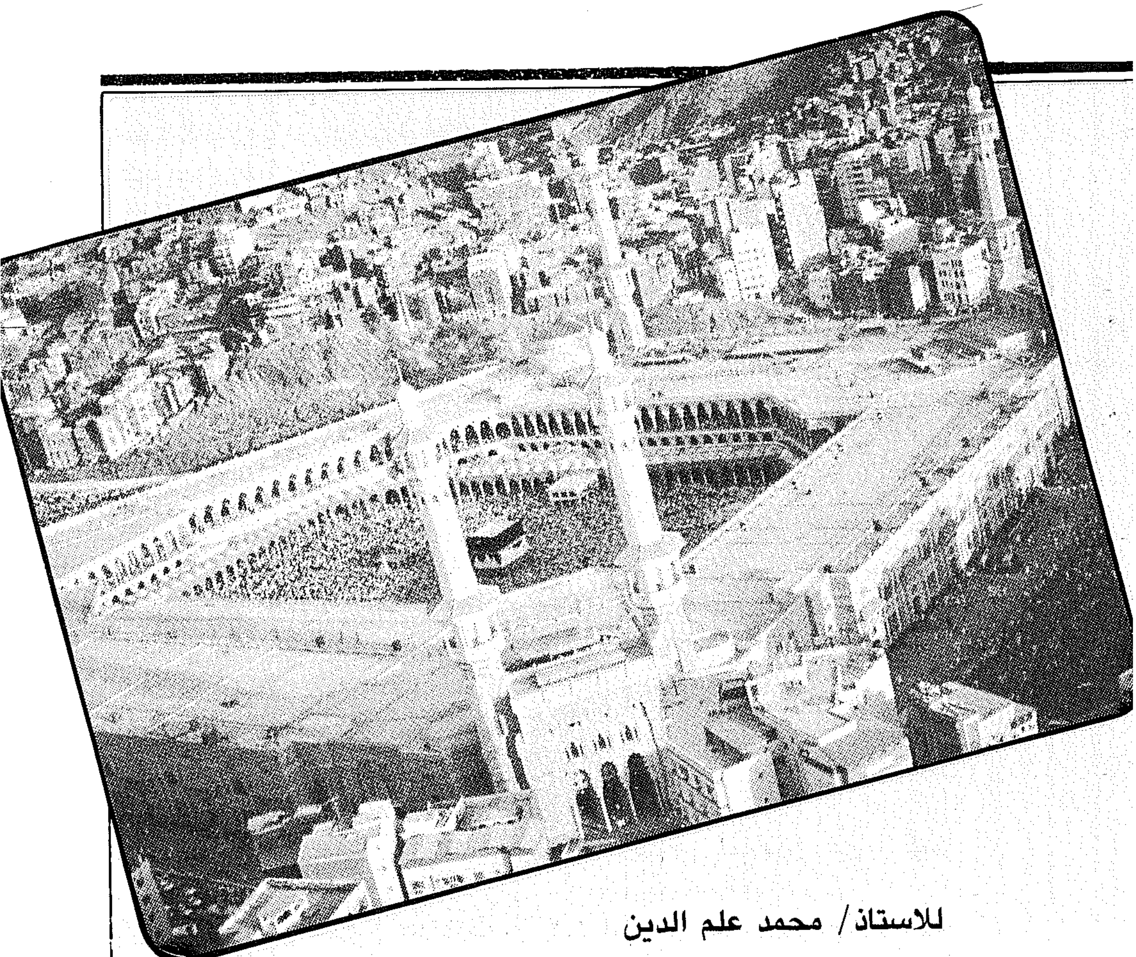
وسيظل العالم كله في عصرنا الذي نعيش فيه يتخبط في نظريات مبترة قاصرة كما تخبط قديما في عصوره الغابرة ، ثم يصطدم واقعه المؤلم بهذا القصور والابتار ، ولن ينقذه من شطحات هذا التخبط في مجال التربية إلا إذا جد في البحث واهتدى إلى الطريق الذي يكفل له السلامة ويضمن له النجاة .

وما طريق النجاة وسبيل السلامة للأجيال تلو الأجيال إلا المنهج الذي يخلو من الزيغ ويسلم من الانحراف والضلال : إنه منهج الله الذي رسمه لعباده الذين يعيشون في كونه : منهج الله لعباد الله في كون الله : **(وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)** الأنعام/١١٥و ١١٦

فضل الله على المسلمين في تشريع الحج

من اراد ان يعرف فضل الله على المسلمين في تشريع الحج ، فليرجع في التاريخ الى عهد الخليل ابـراهيم ولينظر كيف كان خليل الرحمن يعيش في ارض كنعان ، والشرك والاصنام في كل مكان وهو ينادي بعبادة الرحمن وما من سميع أو مجيب ، حتى اذا ضاق ذرعا ، لقن المشركين درسا عمليا في الهتهم الزائفة ، فكسرها الا الصنم الاكبر وقد علموا انهم هم الظالمون ولكنهم نكسوا على رؤوسهم وقرروا احراقه بالنار ، فنجاه الله منها وجعلها بردا وسلاما ، واستمروا على عبادة الاصنام ولا نجد الا صنما قد هام ، في صنم .

لم يجد ابراهيم بدا من أن يهاجر من هذه البلاد الظالم اهلها الى بلاد العرب ، وبوحي من الله يترك زوجته ام اسماعيل وابنه اسماعيل في البقعة المقدسة التي صارت فيما بعد مكة ، ثم يعود بعد بضع سنين وقد شب ابنه وكبر ، فيأمره الحق جل وعلا ان يتعاون مع ابنه اسماعيل في بناء



للاستاذ/ محمد علم الدين

الكعبة ، وجعل ما حولها مسجدا حراما طاهرا من الاصنام خالصا لعبادة الرحمن يؤمه الطائفون والعاكفون والركع السجود .

ولم يكن احب الى سيدنا ابراهيم من ان يسكن ذريته بهذا الوادي المقدس غير ذي الزرع عند بيت الله المحرم ، لتنشأ ذريته على الطهارة وعبادة الله الواحد القهار بعيدا عن الشرك والاصنام التي اضلت كثيرا من الناس ، فكان البيت المحرم : الكعبة وما حولها أول بيت وضع متعبدا خالصا من الشرك والاصنام لله تعالى .

وقد صور القرآن الكريم كل هذا في سورة ابراهيم والبقرة وآل عمران .

وفي البقرة في الآية ١٢٥ وما بعدها يقول الحق : (**واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**) . يدعو ابراهيم ربه ان

يجعل هذا البلد آمنا ، وان يرزق اهله من الثمرات ، كما يدعو وابنه ان يتقبل الله منهما ، وان يجعل الاسلام يشملهما ويشمل ذريتهما ، وينظران الى المستقبل من وراء الغيب ، فيدعوان الله ان يبعث في ذريتهما رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويطهر اخلاقهم . وفي سورة ابراهيم يدعو الله ان يجعل مكة حرما آمنا ويجنبه وبنيه عبادة الاصنام ليتفرغوا للعبادة والصلاة في مكان لا طمع فيه للغزو .

يقول عز من قائل : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم**) ابراهيم /٣٥ و ٣٦ .

كان الامل يراود سيدنا ابراهيم ولكن الشيطان الذي توعد آدم وذريته منذ الازل والذي قال للرحمن : (**لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا**) الاسراء/٦٢ اي آكلهم بحنكي كما يأكل الجراد الزرع لا يترك منه الا النادر ـ هذا اللعين لم يكد يمضي عهد ابراهيم واسماعيل حتى بدأ يخب ويضع ، ومرماه ان يجعل هذا البيت الذي انشيء للتوحيد مكانا للاصنام وعبادة المخلوقات والاعراض عن عبادة الخالق ، وسار في طريقه بخطى حثيثة لا يهمه الزمن قدر ما يهمه الوصول الى الهدف ، فحبب الى سكان الجزيرة العربية بعض الاشخاص ولما ماتوا زين لهم ان يصنعوا لهم تماثيل تذكارية ، وبعد مدة زين لهم ان يتقربوا اليها ويستشفعوا بها ويذبحوا لها ويذكروا اسماءهم عليها ، وقد ذكر لنا الله تعالى اسماء بعض اصنامهم ، منها : اللات ، والعزى ، ومناة ، وهناك غيرهم كثير على رأسهم هبل ، وهكذا دخلت الاصنام بيت التوحيد وملأته واعتلت فوق الكعبة ، فوصل الشيطان الى هدفه كاملا ، ولم يقف عند هذا الحد بل احال كل مناسك الحج الى مسخ مشوه لا يبعث على فضيلة بل لا يوحي الا بالرذيلة :

١ ـ التوحيد جعله شركا وعبادة الاصنام .
٢ ـ الانعام تذبح على النصب ويذكر عليها الاصنام .
٣ ـ الطائفون يطوفون عرايا كما ولدتهم امهاتهم .
٤ ـ الصلاة مكاء وتصدية والتلبية شرك .
٥ ـ التفاخر بالاباء وانشاد الاشعار يحل محل ذكر الله في سوق عكاظ .
٦ ـ الخمسة لا يقفون مع الناس في عرفات .
٧ ـ النسيء يدخل الاشهر الحرم ويزعزع الامن .

وفيما يلي تفصيل لهذا الاجمال

اولا ـ من حيث التوحيد : تقدم ان الشيطان اوحى الى المشركين ان يصنعوا تماثيل لمن يجلونهم من الناس

ويتدرجون حتى يعبدوها ، وكل هذا لا يرضى عنه الله ، فلما نزل القرآن الكريم على خاتم الرسل ، امره اولا ان يدعو الناس الى الاله الحق الخالق الاكبر الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو الخالق لكل ما عداه وله بعد الخلق الامر ، وليس لغيره في الملك نظير ولا فتيل ولا قطمير ، وهو الذي خلق الانسان ومن رحمته خلق له القرآن ، ثم علمه البيان ليستسيغ احكام القرآن ويكون خليفة عن الله في ارضه ، يصلح فيها ولا يفسد ويعمر ولا يخرب ، ويحافظ على الدماء والاعراض والاموال ولا يهدرها .

كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ، ولكنهم لم يستجيبوا له الا قليلا ، فلم يكن يستطيع وهو بمكة ان يحسم امر الاصنام ، حتى اذا هاجر الى المدينة ومكن الله له فيها ، اصبح قادرا على فتح مكة فتحها وامر اصحابه بهدم التماثيل وتطهير المسجد الحرام منها ، وسرعان ما تهاوت الآلهة الزائفة تحت معاول المسلمين ورأى المشركون رأي العين انها لا تدفع عن نفسها ضرا ، فكيف تنفع من يتقربون اليها ؟ وهذا الدرس العملي الذي كرر به نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ما فعله جده ابراهيم بالاصنام ، كان خاتمة عبادة الاصنام بمكة ثم سائر بلاد العرب ، وعاد البيت بحمد الله طاهرا عامرا بالطائفين والعاكفين والركع السجود على يد النبي الامي محمد عليه الصلاة والسلام ، وبذلك ظهر دين الله على غيره ولو كره المشركون .

ثانيا : ما احدثه المشركون في الانعام والاشهر الحرام :

ان الله الذي امر بعبادته وحده دون شريك قد بين انه المستحق بهذا لنعمتين رئيسيتين هما **الاطعام** من الجوع ، **والامن** من الخوف وانزل في ذلك قوله تعالى : (**فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**) قريش/٣ و ٤ .
والاطعام من الجوع تحقق من عدة نواح : منها التجارة وحراسة القوافل الصيفية الى الشام والشتوية الى اليمن كما قال تعالى : (**لايلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**) قريش/١ و ٢ ومنها المراعي التي تربى عليها الانعام . الابل والبقر والغنم ، ومنها حجاج البيت الذين يفدون اليه من كل فج عميق ومعهم الهدى والقلائد لتكون طعاما للبائسين والفقراء .
والامن من الخوف تحقق بتحريم الاشهر الحرم .

فماذا فعل الشيطان بكل هذا ؟ انه اولا حول التوحيد الى عبادة اوثان وقد تقدم هذا ثم عمد الى الأمن فعبث بالاشهر الحرم وجرأ المشركين على النسيء كما سيجيء

والاطعام عماده لحوم الانعام : الابل والبقر والغنم ، والله جل شأنه خلقها لعدة منافع ذكرها في قوله : (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها**

جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم) النحل/٥ - ٧ . والله احل بهيمة الانعام لتكون طعاما للناس والفقراء اشد حاجة اليها لطول حرمانهم منها ولذلك جعل الله الهدى والقلائد تساق الى البيت الحرام لتذبح في مكة ومنى وقال : **(فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)** الحج/٢٨ وقال : **(واطعموا القانع والمعتر)** الحج/٣٦ اي المعترض بالسؤال ، ولكن شياطين الانس والجن قبل ذلك اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فبدلوا وغيروا وحرموا وحللوا فيما خلق الله من الانعام والحرث ، وهما عماد الطعام للناس ومما صوره الله جل شأنه في سورة الانعام قوله : **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)**١٣٦/ الانعام .

(وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم) الانعام ١٣٨ و ١٣٩ .

فكانت جناياتهم متعددة :

١ - قسموا الزروع واللحوم قسمين : قسم لله وقسم للاصنام ، وجاروا في القسمة ، فما هلك من نصيب الله لا يعوض ، وما هلك من نصيب الاصنام يعوض .

٢ - اغفلوا ذكر الله على ما يذبح وذكروا اسم آلهتهم كما انهم ذبحوا على النصب .

٣ - عمدوا الى بعض الحرث وبعض الانعام فمنعوا التصرف فيه والذبح الا لمن يشاءون بزعمهم كخدمة الاوثان والرجال دون النساء ، وعمدوا الى بعض انواع الانعام فحرموا ركوبها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

٤ - بعض الانعام حرموا الحج عليها والتلبية على ظهورها .

٥ - عمدوا إلى ما في بطون البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو للذكور فقط وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث .

وكل هذا نعاه الله عليهم وبين سفههم فيه ، وبين انه لا حرام الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، يقول الله تعالى في سورة الانعام : **(قل لا اجد فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به)** ١٤٥ . وبهذه الآية الكريمة محا الله كل تغير وتبديل زعمه المشركون في الانعام ، واعاد الانعام الى ما خلقت من اجله وهي الركوب وحمل الاثقال والطعام واللبن ، ولا يذكر عليها عند

الذبح سوى اسم الله تعالى يقول المولى جل وعلا : (**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**) الحج/ ٣٦ و ٣٧ .

النسيء والنعمة الثانية وهي الأمن من الخوف كان الله قد جعل في العام اربعة اشهر حرم منها ثلاثة للحج : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر للعمرة هو رجب ، واشهر الحج شهر للذهاب وشهر للحج وشهر للاياب ، ولكن المشركين ابتدعوا النسيء وهو تأخير حرمة شهر من الاشهر الحرم الى شهر آخر من اشهر الحل حسب مصلحتهم وحسب اهوائهم ، فاذا كان مصلحتهم الحرب في شهر ذي القعدة أو الحجة او المحرم اخروا حرمته الى ربيع او غيره ، من اشهر الحل ولذلك اختل الامن الذي شرعه الله لعباده واصبح مزعزعا حسب الاهواء ، وليس لغير الله ان يحل او يحرم ولذلك انزل في القرآن الكريم تحريم النسيء وجعله زيادة في الكفر ، ورد الاشهر الحرم الى ما كانت عليه منذ خلق الله السموات والارض فقال عز من قائل في سورة التوبة : (**انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين**) التوبة/٣٧ ، وجاء في خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع بعد ان ذكر هذه الآية . ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .

ثالثا : الطواف عرايا .

احدث المشركون في الحج ان يطوفوا بالبيت عرايا رجالا ونساء وان كان بعضهم قد جعل طواف الرجال نهارا وطواف النساء ليلا ، الا ان العري كان غالبا ، مع ان الحج شرطه ستر العورة ، ولكن الشيطان لعب بعقول القوم بعد ان افهمهم انه لا يصح ان يطوفوا بالبيت في ثياب عصوا ربهم فيها ، ولو عقلوا لجعلوا للحج ثيابا خاصة طاهرة ، ولكنهم خلعوا ملابسهم وطافوا كما ولدتهم امهاتهم ، يرى بعضهم سوأة بعض ، وبذلك حقق ابليس ظنه عليهم فجعلهم يتجردون من الثياب ، كما كان السبب في نزع ثياب ابيهم آدم في الجنة ، والله تعالى لا يرضى بهذه الفاحشة فانزل قرآنا كريما في سورة الاعراف : (**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون . واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا**

والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون) ٢٧ و ٢٨ ثم امر بالستر في قوله : (**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**) الاعراف/٣١ والامر للوجوب لستر العورة وللندب لما زاد عنها .

وبهذا الامر رد الله تعالى العقول الى الصواب وابطل كيد الشياطين واعاد الى المساجد حرمتها وآدابها وما يليق بجلالها .

ولقد كان المشركون وهم يطوفون عرايا يتوجهون الى الاصنام ، ويتقربون اليها فيستشفعون بها مع انهم كانوا يعترفون بالله تعالى ربا ، ولكن اعتبروا مشركين لاتخاذهم الاصنام شفعاء ولانهم ذبحوا لها وذكروا اسماءها .

رابعا وخامسا : ما احدثه المشركون في ذكر الله في الحج :

وقد أثر عن ابن عباس انه قال : ان العرب في الجاهلية كانوا عند الفراغ من حجهم يقفون بمنى ويذكر كل منهم فضل آبائه وسماحتهم وحماستهم ويتناشدون الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم بالشهرة والافتخار بمآثر الاسلاف .

ويقول القلقشندي في كتابه صبح الاعشى جزء اول ص ٤١١ في اسواق الجاهلية : ثم يرتحلون الى عكاظ في الاشهر الحرم فتقوم اسواقهم ويتناشدون الاشعار ويتحابون ومن كان له اسير سعى في فدائه ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى من له الحكومة ، وكان الذي له أمر الحكومة من بني تميم ، وآخر من قام بها منهم « الاقرع بن حابس التميمي » ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج .

والمشركون اذا كانوا يقيمون سوق عكاظ في اشهر الحج ، ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون ويتعاظمون بالاباء ، والاسلام لا يرضى عن هذا وقد جعل ذكر الله فوق ذكر الآباء والاجداد فقال عز من قائل : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . واذكروا الله في ايام معدودات**) البقرة/١٩٨ - ٢٠٣ .

واذا ، فالله سبحانه وتعالى جعل ذكره اولى واشد من ذكر الآباء ، فهو الذي هدى الناس الى الايمان والى الحج وشعائره وهو المستحق للذكر ، وما ذكر الآباء الا للتعاظم والتفاخر ، ان كان صدقا فهو مباهاة وان كان كذبا فهو ادهى وامر ، وبذلك وضع احكم الحاكمين التوجيه الجديد ليحل محل العادة القديمة الذميمة ، فامر بأن يذكر اسمه كثيرا في عرفة والمشعر الحرام ومنى وفي الطواف والسعي

وكل أيام الحج .

اما في **عرفات** فان الناس يعجون بالتلبية والقران والتضرع الى الله تعالى في هذا الموقف الرهيب الذي يباهي به الله ملائكته ، لان عباده جاءوه شعثا غبرا لا يبالون تعبا ولا جهدا تركوا اموالهم وآباءهم واهلهم كل ذلك يبتغون رحمة ربهم ويخافون عذابه ويقول للملائكة هؤلاء الذين قلتم فيهم : (**اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**) البقرة/ ٣٠ ها هم اولاء يفعلون ذلك وهم لم يروني ولم يروا جنتي فكيف بهم اذا رأوا نعيمي ؟ .

في هذا الموقف الجليل يخطب الامام الناس متأسيا بالرسول الكريم الذي خطبهم في حجة الوداع فبين لهم ، وحرم عليهم دماءهم واموالهم واعراضهم ، كما حرم الربا وحرم النسيء وبين حقوق الرجال على النساء وحقوق النساء على الرجال ، ووضع دماء الجاهلية ، واعلن نهاية التفاخر بالآباء وان الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى .

وفي المشعر الحرام يقول الله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام**) وهو المزدلفة يجمعون فيها بين المغرب والعشاء ، وتكرار الامر بالذكر في قوله (**واذكروه كما هداكم**) يدل على ان ذكر الله يجب ان يكون مستمرا في كل الاوقات وكل الاماكن بالقلب وباللسان ! والانسان في هذه الاماكن المقدسة هو في الواقع في عروج الى السماء ، وفي مقام لا يحس به الا من عاينه وحضره بقلبه وعقله ومن احق بالذكر من الله ؟ وهو الذي هدى الناس وصحح لهم اجسادهم ، واغناهم واقدرهم على الحضور وعرفهم مناسكهم ، وجعلهم يسيرون على آثار النبيين ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وفي قوله تعالى (**ثم افيضوا من حيث افاض الناس**) توجيه لقريش التي كانت تقف في المزدلفة ولا تقف مع الناس في عرفة كبرا وترفعا ، فنهى الاسلام عن هذا ، فامر ان يكون وقوف الجميع في عرفة والافاضة منه ، وفي الامر بالاستغفار اشعار انه واجب على كل انسان في كل زمان ومكان ويقول احدهم اني لم اذنب ، فسيد البشر كان يقول اني لاستغفر الله في كل يوم وليلة سبعين مرة ..

وذكر الله في منى يكون بالخلط بين التلبية والتكبير حتى رمى جمرة العقبة ، فيكون التكبير وحده وكذلك يذكر الله عند ذبح الهدى والقلائد ، وكذلك عند رمي الجمار في العقبة الصغرى والكبرى رجما لابليس وطاعة لله .

هذا وذكر الله يستمر في الطواف وفي السعي وفي كل ايام الحج ومن خير ما يذكر به الله : (**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**) البقرة/ ٢٠١ .

ويمكننا ان نقارن بين ذكر الله في الاسلام وذكره في الجاهلية في قوله تعالى : (**وما كان صلاتهم عند**

البيت الا مكاء وتصدية) الانفال/ ٣٥ والمكاء من مكا الطائر اذا صفر اي انهم كانوا في صلاتهم يصفرون ، والتصدية هي التصفيق فكانت صلاتهم بين التصويت والتصفيق كما كانت تلبيتهم فيها ذكرا لاصنامهم وشتان بين هذا وبين تلبية المؤمنين القاطعة لكل شرك المقررة لكل توحيد : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وبعد فلقد كان فتح مكة وحجة الوداع نهاية المطاف للشرك الذي عشش في مكة وبلاد العرب وافرخ فيها ، وبذلك عادت الطهارة وعاد الرجوع الى الحق ايمانا وطاعة وتسليما وجهادا في سبيل الله بالنفس وبالاموال لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهكذا ضاع كيد الشيطان في عشرين قرنا من الزمان في يوم واحد جاء فيه الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

خاتمة الحج دورة تدريبية

وبذلك أعاد الله تعالى للحج طهارته وقدسيته ومنهجه التربوي وجعل محمدا مجددا لدين ابراهيم وهو الدين عند الله ، كما جعل الحج دورة تدريبية سنوية للمسلمين القادمين من بقاع الارض يعيشون مدة التدريب اخوة بكل معاني الكلمة لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وانما تزود من التقوى واحتمال للاذى وتجرد من زينة الدنيا وترك للاهل والدار والمناصب وارتداء للزي الموحد ، ثم تلبية وضراعة لله ، وطواف بالبيت كالملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم .

الحج مؤتمر عملي

وفي هذا الحج مؤتمر على اعلى مستوى يتعارف فيه الناس ، ويتعرفون مشاكلهم ويعملون على حلها بنفس متجردة من الهوى ملتزمة بالتقوى وكلما امتد الزمن وكثر هؤلاء العائدون من التدريب وبشروا به بين اهلهم يكون الوطن الاسلامي نموذجا مشرفا يراه العالم فيقبل على الاسلام لما يراه من سمو في بنيه .

هل الطواف عبادة أوثان ؟

اما ما يشيعه المبغضون للاسلام من ان الطواف عبادة اوثان فذلك لغو وباطل فالناس لا تعبد البيت وانما تعبد رب البيت وتستحضر عظمة الخالق وهي تطوف بالبيت وتتمسح بأركانه ، وماذا يقول هؤلاء المرجفون فيمن يعظمون قبر الجندي المجهول ؟ اهم يعظمون الحجارة او المعنى السامي الذي يتضمنه جهاد رجل لم يكن يبغي جزاء ولا شكورا من الناس ، وماذا يقول هؤلاء في تعظيم علم البلاد وهو يرفع ؟ أهو تعظيم للقماش أو تعظيم للمعنى الذي يرمز اليه وهو رفعة البلد الى اعلى عليين .؟ الحق ابلج والباطل لجلج

والله يهدينا الى سواء السبيل ،،،

منهج القرآن في الشريعة وخصائصه

للدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي

١ – في المزالق المتلفة قد يقول لك ناصح أمين : اغمض عينيك واتبعني . أو لا تسلني عن شيء يستثيرك .. وربما تكون السلامة في طاعته ، فأنت تمشي وراءه حتى تبلغ مأمنك .. إنه في هذه الحال رائدك المعين الذي يفكر لك وينظر لك ويأخذ بيدك ، فلو هلك هلكت معه ..

أما لو جاءك من أول الأمر رجل رشيد ، فرسم خط السير ، وحذرك مواطن الخطر ، وشرح لك في إفاضة ما يطوى لك المراحل ويهون المتاعب ، وسار معك قليلا ليدربك على العمل بما علمت . فأنت في هذه الحال رائد نفسك ، تستطيع الاستغناء بتفكيرك وبصرك عن غيرك ..

إن الوضع الأول أليق بالأطفال والسذج .. أما الوضع الأخير فهو المفروض عند معاملة الرجال وأولي الرأي من الناس . وهكذا كان منهج القرآن في التشريع ، فلا خطاب إلا لعاقل ذي لب : (**إنما يتذكر أولو الألباب**) الرعد/١٩

ب ـ التمهيد لأحكامه بوازع الضمير والأخلاق :

ولا تتحقق الغاية المرجوة من التشريع بحسن وضعه وأحكامه فحسب ، وإنما تتحقق مع ذلك بتنفيذه ممن شرع لهم ، على أن يكون هذا التنفيذ بوازع من أنفسهم وقلوبهم . وهذا الوازع يجيء من ايمانهم بعدالة التشريع ، ورضاهم به ، واعتقادهم المثوبة من المشرع على النزول على امره ، راضين عن تشريعاته وأحكامه ..

والتشريعات الاسلامية كما نعرفها من القرآن والسنة النبوية ، قد بلغت الكمال من ذلك كله ، إذ قامت جميعها على اعتبارات من الدين والأخلاق تجعلها تبلغ غاية الرضى والايمان ممن وجهت اليهم من المؤمنين جميعا . لا فرق بين المسلمين وغير المسلمين ، وحسبنا أن نشير من ذلك الى ما يأتي :

١ ـ حق الجوار .
٢ ـ الزكاة .
٣ ـ الجهاد .. وغير ذلك ..

جـ ـ الجزاء في منهج القرآن لمن يخالف تشريعه نوعان :

أ ـ دنيوي يقوم على أساس النظر إلى الفعل الاجرامي وأثره في المجتمع ..
ب ـ وأخروي يقوم على اساس النظر الى ذات الشخص ..

وذلك لأن الجرائم الخلقية نوعان : جرائم يجري عليها الاثبات ومن شأنها ان تفسد الجماعات . وهذه جرائم وضعت لها العقوبات الزاجرة الرادعة في الدنيا ، وهي التي يطبقها القضاء : كجريمة السرقة ..

وهناك جرائم أخرى خلقية لا يجري عليها الاثبات : كالغيبة والنميمة ، والنفاق ، والحسد وغير ذلك من الجرائم الخلقية التي لا يمكن ان تثبت بين يدي القضاء ، فان لها عقوباتها الأخروية ..

ومن هذه الناحية وغيرها من النواحي تتصل الشريعة بالضمير الانساني المتدين . فان المسلم المتدين يحس بأنه في رقابة من الله

سبحانه وتعالى ، وانه محاسبه على ما يفعل ، ومراقبه على ما ينوي ان يفعل ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « انما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته لما هاجر اليه » متفق عليه واتصال الشريعة بالضمير يفيد في :

١ — الوقاية من الحقد .
٢ — تسهيل الاثبات
٣ — الندم والتوبة

د — النزعة الجماعية :

التشريع الاسلامي يرمي الى صلاح الفرد والمجتمع . فالنزعة السائدة فيه هي النزعة الجماعية . ونحن نريد بالجماعية معنى اوسع يتناول الناحية المالية وغيرها ، حتى ليعم الحقوق والواجبات جميعا . والأمثلة على ذلك كثيرة منها وجوب إقامة الحدود صيانة للمجتمع ..

هـ — الكمال :

فهو واف بحاجات البشر ما كان وما سيجد . فليس لبشر فصل بعده ولا استدراك عليه ، وليس لبيئة مؤمنة به تأثير عليه .. وهذا الكمال قد اراحنا من خلافات الله اعلم بمداها . فقد رسم لنا الأصول ، وحدد المعالم ، ووضح كيفية النظر في الفروع .

واذا كان الناس قد حدثت لهم أقضيات لم تكن معهودة حين نزول القرآن ، فليس هناك ما يمنعه من الفصل فيها بأسلوبه المرن وبقواعده الكلية .

وعلى المجتهدين ان يستنبطوا من نصوصه الأحكام الفرعية التي تحقق المصلحة العامة ، ولا تصطدم مع النصوص ، وأصدق شاهد على هذا ما كتبه الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه « الفقه الاسلامي » قال ما نصه :

كل ضرب من الفقه يجب ان يكون في طبيعته وأدواته واصوله ، ما يجعله قابلا للتطور حسب الزمان والمكان ، ليكون صالحا للبقاء ، والا كان فقها ميتا غير صالح للحياة .

والفقه الاسلامي له من كل ما ذكرنا ما جعله خالدا يتطور مع الزمن . وقد رأينا فيما مضى بدء هذا التطور وشيئا منه في زمن الخلفاء الراشدين أنفسهم ..

ولو ان رجاله قاموا عليه كما يجب ولم يجمدوا على القديم ، لما كانت الامة الاسلامية بحاجة مطلقا للجوء للفقه والقوانين الغربية ، تأخذ منها تشريعاتها وقوانينها .. وهكذا صرنا الى حالة مؤلمة من الاخذ عن الغرب في كل شيء ، حتى كأننا أمة ليس لها مقوماتها الذاتية وتقاليدها الطيبة » اهـ ..

و ـ سمو الفكرة :

ولا تعرف الجماعة الانسانية ما يهدد كيانها الا بعد تخلخل بنيانها ، وربما تهدم عليها . وهنا فقط تفطن فتشرع القانون لتنظيم ما هو كائن ، ولتلافي ما حل بها ، وكثيرا ما يفوتها عنصر الزمن فتعالج المستقبل بما تعالج به الحاضر ، فتقع فيما وقعت فيه .

أما القرآن ، فهو موجه للجماعة ، قائد لا يضل ، مرشد لا ينحرف ، بصير بالأمور ، لا يقف عند حدود واقع الجماعة . بل يرتفع بها الى اسمى الرتب واعظم القيم ، وقال تعالى : **(كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)** ص /٢٩

ز ـ الدوام :

فلا تبديل لكلماته ولا استغناء عن أحكامه ، فله تعبير خاص يمتاز بالعموم والمرونة ، مما جعله ينتظم الزمان والمكان والأشخاص .

والصياغة فن رفيع . والنص القرآني كامل ، شامل ، عام ، مرن ، يتسع لكل عقل يحاول ان يتفهمه . وكم تنوعت أفهام الأئمة حول نص واحد كقوله تعالى : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض)** المائدة/٣٣

هل حرف « أو » للتقسيم فلكل جريمة عقاب ؟ أو أنه للتخيير فالامام مخير في أية جريمة أن يختار ما يراه مناسبا في حدود العقوبات الأربع ؟..

ح ـ الابتكار :

فقد ابتكر عقوبات لبعض الجرائم ـ كالصلب ، والقطع ، والجلد ..

ط ـ الاستقلال :

فلم يقلد منهجا سابقا ، فما كان العالم ليعرف أن التوبة قبل القدرة وسيلة ناجحة لاقتلاع الاجرام من نفس المجرم ، وأن ندمه خير رادع له ، وشعوره بالذنب أقوى حائل بينه وبين العود للجريمة .

ى ـ هو قبل كل شيء من عند الله رب العالمين ، قال تعالى : **(الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)** السجدة/١و ٢ .

ك ـ أن مبادئه هي الحق ، لا تعنت فيها ولا تعصب ، قال تعالى : **(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)** العنكبوت /٤٦ وقال سبحانه : **(قل أتحاجوننا في الله**

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحـــن له مخلصـــون) البقرة/ ١٣٩ وقـــال : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة/٢٥٦ تلك هي دعوة الاسلام الى الله ، وهذا هو موقف أتباعه من أهل الكتاب ، وما يدينون به ..

فأي دعـــوة أقـــوم ، وأرحـــب ، وأحكم ، وأحق ، من هذه الدعـــوة التي تسلم الانسانية جميعها والوجود كله ، الى مصير واحد في يد متصرف واحد هو الله رب العالمين ؟..

ان ذلك هو ما يقضي به منطق كل عقل ، وما ينتهي اليه نظر كل مفكر : **(أأرباب متفرقـــون خـــير ام الله الواحد القهار)** يوسف/ ٣٩

تلك لمحة يسيرة نقتطفها من منهج القـــرآن وتشريعـــــه في الجرائـــــم والعقوبات . ولعل ما نسوقه يقنـــع المتحاملين على عقوبات الاسلام .

العفو مروءة ودين :

قال تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين)** الشورى / ٤٠ وقال سبحانه : **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)** فصلت/ ٣٤

في هذه الكلمات المعدودة ، وضـــع الاسلام دستور السلوك الانســانـــي الذي لا يهتز ولا يضطرب ، في اي مجتمع ومع اي نفس وفي اي زمان .. فجزاء العدوان بالعـــدوان ، ولقـــاء السيئة بالسيئة فطـــرة مركوزة في الكائن الحي ، وقوة عاملة في كيان الانسان لا يستطيع ان يتجرد منها ، وإن هو استطاع ان يتخفـــف من ضغطها وجموحها ..

فالاســـلام يقـــرر هذا الحــــق للانسان ، ويطلق يده في اخذ هذا الحق ، وان يجزي السيئة بالسيئة ، والعدوان بالعدوان ، ولكن بشرط الا يأخذ اكثر من حقه ، والا انقلـــب الوضع واصبح معتديا بعد ان كان معتدى عليه ..

ثم بعـــد ان تقـــرر هذا الحـــق للانسان ، واصبح ملكا خالصا له ، جاءه الاسلام من طريق آخر .. طريق مفاوضة المالك فيما ملك ، ومفاوضته بما يمكن ان ينزل عنه من ملكه .. فدعاه الى العفو والتسامح والى دفع الشر بالخير .. وله في مقابـــل هذا جزاءان طيبان : عاجل ، وآجل .. اما العاجل فهو أن يمتلك ـ بالعفو عن المعتـــــدي ، وبالاحســـــان الى المسيء ـ زمام الموقـــف ، فيصبـــح السيد المحسن الكريم .

وأما الآجل ، فهو ما ادخره الله له من جزاء حسن ، وثواب عظيـــم : **(والله عنده حسن الثـــواب)** آل عمران/ ١٤ .

الإسلام

الاسلام في مدلوله المشرق دين الهي متكامل ، وتشريع فذ له أصوله الشامخة ، وركائزه المتينة ، ومن ثم ، فهو يتناول بالاصلاح والتهذيب كافة نواحي الحياة وضروبها وأوضاعها ويقود مسيرتها ان تنحرف بها السبل ، ويمسك زمامها ان يلتوي بها القصد .

إنه إسلام القلب والجوارح لله رب العالمين ، فكرا وعبادة وسعيا وتوجها ، في خضوع وحب ، ورغبة ورجاء ، وإنابة ودعاء .

(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين) الأنعام / ١٦٢و١٦٣ .

انه رسالة خالدة وافية ، انبثق نورها ليهدي البشرية الضالة ، وينقذ الانسانية الحائرة التي كادت رأسها ترتطم بالصخور ، ويوجه هذا القطيع المعربد وقد أفلس رصيده من القيم فراح يتهالك في تمزق وشتات ، وضياع وشرود . إن الاسلام جاء

والجاهلية

للدكتور/ عبدالفتاح محمد محمد سلامه

ليهدم الجاهلية في كل صقع وناد ، ويدك أبراجهـا العـالية ، ويصوح بأركانها العاتية ، ويقلم أظافرها ، ويخضد شوكتها ، ويمحو آثارها ، في جميع صورها وأشكالها ..

وهذا ما قام به وعمل على تحقيقه ، أعظم مصلح في التاريخ الـرسول الجليل « محمد بن عبدالله » صلى الله عليه وسلم . حيث بعث في زمن ، طغـت فيه الجاهلية وبغـت وعمت وتفاقمت ، وضربت أطنابها في ربوع العالـم ، تزرع الشرور والآثام ، وتمكن للظلم والعدوان .

لقد فسد كل شيء ، ومسح الباطل آثار الحق ولمساته ، وتمكنت الجهالة من النفوس ، وأصيبت العقول بداء الخرافة والجمود ، وأترعت الحياة بالرذائل والجرائم ، واكتظت الأرض بالسفاهـات النزقة ، والحماقات الطائشة .

فحيثما وليت وجهك ، ألفيت فسادا طافحا ، وخبثا مستشريا ، ووجدت نعرات جوفاء ، ومذاهـب خرقاء ، تسير التعـاسة في ركابهـا وينسج

الشقاء خيوطه في ظلالهـا . فهناك أنظمة اقتصادية جائرة وثمت حكومات مستبدة مستعلية جعلت من الناس خولا وعبيدا ، يسامون العذاب في خدمة الطواغيت المـاردة ويتجرعـون كؤوس الـذل في جو مشحون موبوء ، وفي مجتمع معتكر الجوانب مسود الصفحات .

في خضم هذا المعترك الصاخب ، المائج بالفتنة والمنكر ، ارسل الله نبيه على حين فترة من الرسل ، فدعا الى عبادة الله الواحد وجاهد وابلى بلاء عنيفا ، لسحق الجاهلية وإقصائها عن قيادة البشرية .

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) المائدة / ١٩ .

أعلن الرسول دعوته الخالدة ، ونشط في إخماد أنفاس الجاهلية ، مزريا عليهـا ، مبطلا عقائدهـا الـوثنية المخربة ، حاملا بدلا منها إلى البشر ، صيحة السماء الأخيرة في عالـم الأديان ودنيا الرسالات .. ثم صدع بالحق في وجوه الطغـاة المستبدين المبطلين وبين لعبدة الأصنام وسدنة الجاهلية ، مدى ما وصلـت اليه عقولهم من خبل ، ومقدار ما آل اليه فكرهم من ضلال وتهوس .

(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلـون . وإذا حشر الناس كانوا لهـم أعـداء وكـانوا بعبادتهـم كافرين) الأحقاف / ٥ و٦ .

ترى !!! هل ألقت الجاهلية السلاح وهادنت رسالة الحق والنور ؟؟ هل ابصرت ما في طبيعتها الجاحدة من نقائص مشينة ، ومساقط فادحة ، وانها بهذا العوار ، وذاك الزيف .. جرثومة قاتلة تبيد الانسانية وتضعها على حافة بركـان يقذف بالحمم ، ويرمي بشرر كالقصر ؟؟

ان الجاهلية وطواغيتها وبكـل ما يملكـون من قوة ، اعلنوهـا حربا ضروسا لا هوادة فيها على الاسلام وأهله وداعيته الأول صلـوات الله وسلامه عليه ، وقام صراع مرير احتشد فيه الباطل وجمع جموعه ، ليخوضها معركة ساخنة مع الحق الممثل في محمد وصحبه .. وهـو يحسب أن الدولة ستكون له ، وان النصر سيؤول اليه . ولكن هيهات هيهات .. فما كان للباطل ان يعز أمام حق جريء قوي .. يعرف كيف يثبت اقدامه على طريق الله رب العالمين .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) الانبياء / ١٨ .

لقد استطاع محمد وأصحابه الغر الميامين ، بعزيمة صادقة لا تلين ، وارادة صلبة تفل الحديد ، وتذيب جلاميد الصخر . ان يجتذلـوا الباطل ، ويكسروا جبروته ،

ويحطموا صروح الجاهلية النكراء ، ويصرعوا طواغيت الارض تحت سنابك الحق الاسلامي ، ثم انطلقوا يؤسسون كيان الأمة الرائدة التي حملت رسالة التوحيد الى عالم يموج بالكفر والجهالة ، ونشرت في جوانب المعمورة عدالة القرآن ، وحضارة الاسلام ، وشريعته السمحاء ..

وسارت كتائبها الظافرة تقوض عروش البغي ، وتثل حصونه ، وتنقذ الأمم والشعوب ، من كل فساد وظلم والحاد ، حتى علت كلمة الله في آفاق الأرض . وحكم نظام الاسلام الحضاري ، الناس جميعا ، في أخوة باهرة ، ومساواة كريمة ، وعدالة رحيمة ، وعبودية لله وحده .

لقد افاقت الانسانية من كابوس ثقيل الوطأة ، كاد يكتم أنفاسها ، ويقطع عنها شرايين الحياة ، ولكن الله سلم ، فاذا بالصبح ينبلج ، والفجر ينبثق ، واذا بحادي القافلة ورائد الجماعة يتقدم في اباء وشموخ ليعلن انقشاع ليل طال فأرخى سدوله ، وانجلاء سواد غارت نجومه .

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة / ١٥ و ١٦ .

إن البشرية منذ أن أمسك بزمامها تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم – وهم رهبان الليل وفرسان النهار – واخذت تشق طريقها صعدا الى حضارة ربانية وارفة الظلال ، تصنع الأمجاد وتعلي بنيان الفضائل ، وترسخ دعائم المساواة ، وتبسط جناحيها على المعذبين والمنكوبين ، فتأسو جراحهم ، وتلملم احزانهم ، وما سعد الناس وطابوا نفسا وقروا عينا وما احسوا بنعمة الأمن ، وتنسموا عبيره .. الا بعد أن تنفسوا في جو الاسلام الطهور ، واستنشقوا عطره الزاكي ، وشذاه الفواح .

ولقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« والله لينصرن الله هذا الدين حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله عز وجل والذئب على غنمه » رواه البخاري .

ثم مرت الأجيال وانصرمت الأحقاب ودار الفلك دورته ، وتخلى الاسلام عن قيادة العالم ، بعد أن طارت حقيقته ، وخفت سناه في قلوب اتباعه ومن ينتمون اليه فارتكست الانسانية وانتكست ، وغامت الحقيقة في أودية الوهم والخيال ، ودب الشقاق في النفوس ، وزحفت الغواية تدير الرؤوس وسرت بهارج الفتن تغزو الانسانية في عقر دارها ، وتلهيها عن مقومات وجودها وأسباب فلاحها .. وما زالت تتدلى في هذا الدرك ، وتنزل الى ذاك المستوى الدون .. حتى نفقت بضاعتها من الأخلاقيات ونفضت جعبتها من المثل ، وأصبحت على حافة الهاوية بل ان جاهلية سافرة مخربة ماجنة اشد في ضراوتها من أختها الأولى ، تدق بابها وتنزل الى

رحابها .. ولكأني في هذه الفينة أنظر إلى الآية الخالدة من كتاب الله .

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم / ٥٩ .

ولكأني في الوقت نفسه ، استمع الى الآية الأخرى وهي تقرر وقوع الفساد في الأرض ، وسريانه في عالم البشر ، وقد اتخذ صورا داكنة ، من جاهلية عامة شاملة .

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم / ٤١ .

أجل !!! إن العالم اليوم تأخذ بتلابيبه جاهلية محقورة ، مزقت كيانه الأدبي ، وطحنت عواطفه بين رحاها طحنا وافقدته الضمير اليقظ ، وسلبته النظر البصير ، فراح يتخبط في دياجير الفوضى ويحتكم الى قوانين نسجها وحبكها طواغيت أفاكون ، يشرعون للناس ما لم ينزل الله به سلطانا ، في تخرص كاذب ، وافتئات مقيت ..

ويا ويل الانسان ، عندما تغشاه الغواش وتتسلط عليه نزعات الهوى .. ان بطن الأرض خير له من ظهرها . ومن اشارات القرآن النابهة هذا التوجيه الحصيف لنبي عظيم قلده الله أمانة الحكم والقضاء في فترة من الفترات ..

(يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص / ٢٦ .

وهذا عين ما وقعت فيه الانسانية ، حين تحاكمت الى الطاغوت ، ونسيت او تناست شريعة الخالق الأعظم ، بما فيها من ضمانات أصيلة للحياة الراقية المتقدمة ، فكان ما نراه من هذا التمزق ، وذاك التطاحن المسعور ، الذي اوشك ان يهوى بالبشرية من حالق . وماذا يا ترى عن مسيرة يقودها الشيطان .. إلا أن تخلف وراءها هذا الركام المخيف من الشقاء والتعاسة والخراب والدمار ؟

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) النساء / ٦٠ .

ان الجاهلية وقد أغفى حماة الحق ، وهجع حراس الفضيلة ، ما لبثت أن بعثت من مرقدها ووثبت ناشطة تنفث سمومها ومخازيها ، وتنشر قبائحها وجرائمها .

ثم ها هي الآن تقود عالما مضيعا في مجاهل الألحاد والشقاء .. فحيثما شرقت او غربت ، صعدت او هبطت بل حيثما وليت وجهك لا تقع باصرتك الا على ظلم صارخ ، ومناكير مسفة ، وحياة هابطة ، اهدرت فيها الكرامات ، وبيع فيها الشرف ، ومحقت على صعيدها المكرمات ، وأصبح الانسان فيها رقيقا مستذلا ،

تحركــــه الشهـــوات ، وتقذف به المطامع .
ماذا بعد أن سلبت الحريات وكممت الأفواه واغتصبت أوطان وطحنت شعــوب ، واستعبدت امم وسالــت دماء ، ولا شريعة الا شريعة الغاب ، ولا حكم الا لمنطق القوة والعجرفة والصلف والغرور ، وكل هذا في عصر يزعمونه عصر النور والعلم والحضارة والمدنية ؟
ان العلم المخرب المدمر المفلس من القيم ، والذي تجرد من وازع الخوف والمـــراقبة ، فأزال حقا ، وأوجد باطلا ، ومسخ فضيلة ، وأحيا منكرا هو في حقيقته علم متهاو ، يظهر فيه الانسان له مخالب وأظفار ، وأنياب حداد تسلخه من بشريته ، وتحيله الى كائن شرس يقوض أركان الحضارة الحقة ، وتذوي على يديه سمات التقدم المرموق . وهذا النوع من العلم الشارد المغرور المنتفخ الأوداج ، هو الــذي تكتوي به الانسانية اليوم ، وتعـــاني منه ، وتجني ثمار ويلاته المـــرة : في هذا الصراع الأحمق ، والسبق المجنون الى ابتكار وسائل التدمير والتخريب ، وفي ذلكم السعي الحثيث لقهر الأمم وإذلال الشعوب .

إن العلم الحديث قد حول الانسان الى آلة مجردة لا يعرف الا منطق المادة ، ولا يدين الا بمبدأ اللذة ، ولا يؤمن الا بكل ما هو محسوس ملموس ، وهو في غمار هذا كله ، قد نسي ربه ، بل جحد خالقيته في غباء وصلف ، ومن ثم فقد الشعور الزاكي والاحساس الراقي .

إن حوادث الانتحار التي علت نسبتها بشكل ملفت للنظر ، يقع أكثرها في البلاد المتقدمة علميا وماديا كأميركا والسويد وغيرهما من دول الغرب . ذلك لأن الانسان في هذه البيئات المعقدة ، تفاقمت مشاكله الوجدانية وكثرت عقده النفسية ، واحس انه يعيش في فراغ فكـــري وعــــاطفي رهيب ، يعجز عن شغلــــه فراح يتخلص من نفسه ، بعد ان أدرك انه مخلوق يدور في عالم الضياع والشرود وبعد ان عرف — كذلك — انه كائن لا حقيقة له ، في دنيا الآلات ، وضوضاء التروس .
ان الايمان بالله الـــواحد الأحد والتعــرف عليه ، والحب له — جل وعلا — هو الذي يعطي للانسان صمام الأمن ، ورضا القلــــب ، وصفاء الفكـــر ، وربو العـــاطفة ، وإنارة الــوجدان .. وهــو كذلك — يضفي على حياته ظلالا من الراحة والسكينة ، تنعش نفسه ، وتبهــج خاطره .. وتلك هي سمات العلم في الاسلام .

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) الفتح / ٤
ان العلم في الاسلام يسير في هذه الدائرة الخاشعة العابدة التي تعرف قدرها ، وهي ما تحدثت عنها الآيات الكريمة :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علـــق . اقرأ وربك

الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ ــ ٥ .

فباسم الله نتعلم ولوجه الله ما نتعلمه وفي سبيل رضا الله نسخر ونبذل ما علمناه .

تلك نظرة القرآن للعلم ، فهو علم عاصم يقود الانسانية ويرعى وثباتها ويصون سبقها ويبارك خطواتها ويحفظها في أخلاقها وفضائلها ويدحر عنها صوت الشيطان ، ويعلي بنيانها على تقوى من الله ورضوان .

(أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) التوبة / ١٠٩ .

وكثيرا ما كان الرسول العظيم عليه صلوات الله ، يسأل ربه عالي الأخلاق ويستعيذ به من دنيئها .

« اللهم إني اسألك ايمانا كاملا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، ويقينا صادقا ، وأعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تقنع ، وعين لا تدمع ، وعلم لا ينفع » رواه مسلم وغيره .

إن الأرض تجتاحها اليوم موجات آثمة من الترف والفسوق والفجور ، والكون كله تسري فيه غاشية من الكفر والضلال والظلام ، وقامت الفتن على قدم وساق ، ووقفت البشرية ترقب في خوف وتوجس ، ما يتمخض عنه الغد الغامض ، وماتحمله طيات الغيب المجهول .

وذلك بسبب افلاس القيادات الجاهلية ، المتحكمة في العالم وانحراف الناس عن قوانين السماء .

ان العالم تسيطر عليه ــ منذ زمن ــ قيادات مفلسة ذات أنظمة هدامة مفسدة سواء في الشرق أو في الغرب ، وهذه القيادات قد دبت اليها الشيخوخة ومزقت كيانها عوامل الترف والرخاوة والفجور ، حتى أوشكت على الزوال ، وكاد دورها يؤذن بالانتهاء .

تلك سنة الكون .

ولقد جاء الآن دور الاسلام ، ليقود العالم الحائر ، وينتشل البشرية المطحونة المهرأة ، وينقلها من جور الطغيان · إلى عدالة القرآن ، وإني على ثقة في الله جل جلاله من مجيء هذا اليوم ، الذي يحيا فيه الاسلام ، ويبعث من جديد في قلوب أتباعه حيث يحكم نظام القرآن ، وتسود دولة الايمان ، وكما قضى الاسلام الناهض القوى ، على جاهلية القرن السادس الميلادي سيقضي بمشيئة الله وعونه ، على جاهلية القرن العشرين المظلمة المعتمة :

(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد / ١٧ .

(ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الروم / ٤ ــ ٦ .

كتاب الشهر

إعجاز القرآن بين النظرية والتطبيق

تأليف : الدكتور حفني محمد شرف   عرض : الدكتور منير سلطان

قضية كبرى في حياة الاسلام والمسلمين ، دارت حولها دراسات ولكنها ما زالت في حاجة الى المزيد ، انها قضية اعجاز القرآن الكريم ، وقد تفرغ لها عدد من كبار العلماء وافردوا البحوث المستفيضة ، كل يتناولها من زاويته التي يجيد ، حتى انتهت الى نظرية متكاملة لها عناصرها وخصائصها .

لها جانب كلامي يتصل باثبات نبوة الرسول الكريم ومعجزاته ومنها القرآن ونزوله وجمعه وترتيبه ونفي ما يوهم التناقض فيه ، وجانب آخر يتصل بالحديث عن الفاظه وفصاحتها وائتلافها وموسيقاها ونظمها .

والمعتزلة هم الرؤوس الكبيرة التي تصدرت للدفاع عن القرآن كلاماً وفلسفة امام المغرضين والحاقدين من الملل والنحل الأخرى ، ولم يكن الأمر مقصورا على المعتزلة بل شاركهم في المهمة السامية تلامذتهم النابغون اصحاب ابي الحسن الاشعري ، وكذا اهل الظاهر ورائدهم ابن حزم الاندلسي ، ولم يتخلف الأدباء والبلاغيون واللغويون ، كل اسهم بنصيب ، فهي قضية الاسلام والمسلمين .

والكتاب الذي نقدمه اليوم اهتم برصد الجانب النظري فتتبع نشأة نظرية الاعجاز وسار معها عبر العصور ، وقفى هذا بدرس الجانب التطبيقي فقدم نماذج من اسرار الاعجاز البياني للقرآن .

اولا : الجانب النظري عبر العصور

بدأت وقفة المؤلف عند اسبق الدراسات القرآنية ظهوراً وهي كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى وفيات ٢١٠هـ ، والذي يرجع تأليفه الى سنة ١٩٠هـ ، وظل الباحث مطوفاً بنا الى ان وصل الى آخر كتاب ظهر ١٣٩٠هـ - ولو وضعنا هؤلاء العلماء في دوائر اختصاص - ليست مغلقة - لوجدنا ابا عبيدة بكتابه وكذا الخطابي بكتابه « بيان اعجاز القرآن » في دائرة علماء اللغة الذين ساهموا في المضمار ، بينما نجد من المعتزلة الجاحظ بكتابه « نظم القرآن » والفراء له « معاني القرآن » والروماني له « النكت في اعجاز القرآن » وابن سنان الخفاجي له « سر الفصاحة » والسكاكي له « المفتاح » اما عن الاشاعرة ، فقد ترك لنا الباقلاني كتاب « اعجاز القرآن » وعبد القاهر ترك « الدلائل والاسرار » والرازي له « نهاية الايجاز » والغزالي له « احياء علوم الدين »

ومن اهل السنة ، ابن قتيبة وله « مشكل القرآن » والطبري له « جامع البيان » وعبد الرحمن الشافعي الاصفهاني له « التفسير الكبير » والزركشي له « البرهان » وابن خلدون قد كتب فصلا طيباً عن الاعجاز في المقدمة ، وابو عبد الله محمد بن ابي زيد المراكشي له « اسماع الصم في اثبات الشرف من جهة الام » والسيوطي له « البرهان » والالوسي كتب « روح المعاني » والقاضي عياض له « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » وهؤلاء هم الابرار بما بذلوه قديما في بيان اعجاز كتاب العربية الاكبر ، اما المحدثون ، فتعرض « لرسالة التوحيد » لمحمد عبده ولاعجاز القرآن للرافعي و« لساعات بين الكتب » للعقاد ولاعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب

ثانيا : الجانب التطبيقي .

امتازت دراسة الباحث في بيان اسرار اعجاز المعجز ، بأنها ابتعدت عن دوائر العقائد ، والمعروف بأن المعتزلة ذهبوا بعيداً في التأويل وحملوا كثيراً من المجاز في القول ، اصابوا في بعض ما ذهبوا اليه وجانبهم التوفيق في الآخر ، والمعروف ايضا ان الأشاعرة لم يجرفهم تيار الاسراف في التأويل والتعلق بأسباب المجاز وآثروا ان يكونوا بين ذلك قواما ، ولاهل الظاهر رأي وللصوفية رأي وللشيعة رأي - اقول - نجح الباحث حين

نأى بنفسه عن ذاك الجرف الهاري ، وقدم لنا تطبيقات فنية جمالية فيها الحيدة وفيها الذوق وفيها ايضا جماع القول الذي لا يختلف فيه مفكر اسلامي له ذوق سليم .

يقول في الفاظ القرآن

من الحقائق الجلية ان الفاظ القرآن المفردة وجزالتها وسلامة بنيتها وفخامتها تروع كل دارس ، اننا نراها غير متنافرة مستقرة في مكانها بحيث لا يصلح موضعها غيرها ولا يؤدي معناها كاملا الا بها ، مؤتلفة بعضها مع بعض ، موسيقية في ادائها ، موحية في معناها ، وائتلاف الألفاظ بعضها مع بعض بمعنى ان يقرن الغريب بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة كقوله تعالى (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا) فلما اتى سبحانه بأغرب الفاظ القسم ، وهي التاء لأنها اقل ادوات القسم استعمالا ، وابعدها عن أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو ، اتى باغرب صيغ الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الأخبار ، وهي تفتأ فان الفعل « تزال » اقرب الى الافهام واكثر استعمالا من « تفتأ » ثم اتى بأغرب الفاظ الهلاك وهي من جنسها في القرابة توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف الالفاظ « حرضا » فاقتضى حسن الوضع ان تجاور كل لفظة من الألفاظ لتتعامل في الوضع وتتناسب في النظم .

البلاغة والقرآن

يقول المؤلف « ومن حيث النظم الفريد الملتئم المحبوك نرى صورة عجيبة تعلو فوق آفاق البلغاء وتسمو على مناط فنهم ، ومن حيث الموسيقى ترى فنانيها يتأثرون بالقرآن ، ومن حيث التصوير نرى فنا عجيبا يسحر اللب ويسيطر على منازع النفس وأهواء القلوب — هذا — بالاضافة الى ما في قصصه من فن باهر وما في اتساق معانيه وائتلاف اغراضه — في السورة الواحدة — من نظام مدهش رائع يسمو على قدرة البلغاء ويعلو على آفاقهم ، فالسورة الواحدة وحدة ونظام مؤتلف مهما كان فيها من كثرة تصريف الحديث وتلوين الخطاب سواء في ذلك الطويلة والقصيرة كأن السورة في ائتلافها وتناسق اوضاعها بناء هندسي قد احكم فنه وزاد اتقانه حتى صار كلا لا يتجزأ ، إذ ليس هناك فجوات او ارتجال في التنقل بين المعاني والاغراض .. فالآية اللاحقة تشد بعروة السابقة برباط محكم لا انفصال فيه ولا انفصام ، والسورة بناء حي متماسك .

وعن معاني القرآن

يقول « قد وصف القرآن رب العالمين المثل الاعلى وذلك لجمعه صفات الكمال فهو الواحد القهار القوي القادر الشديد السميع ، كما ابرز القرآن نعم الله وفضله على عباده فانعم عليهم بالرزق والهدوء والسكينة وخلق لهم الشمس ، والقمر

وسخرهما لهم ، وجعل الارض ذلولا يمشون في مناكبهـا ويأكلـون من رزقها – ولم تقف معاني القرآن على العبادة والتوحيد ، فانها قد اهتمت بالفرد والجماعة والمعاملات والعلوم بمعنى انه يشتمل على دروس المواد العلمية ، اما الأشياء التفصيلية التي هي من خصائص الانسان فلا علاقة لها بالقرآن .

التصوير البياني

احتوى القرآن الكريم على روائع الصور التشبيهية – والـذي يلفـت النظر ان هذه الصور قد انتزعـت اجزاؤها من عناصر الطبيعة ومن ثم جاء استمـرار حيويتهـا الدائمـة استمرار الطبيعة نفسها كلما وقعت اعينهم على الاشياء المحيطة بهـم فنحن لا نكاد نجد من تشبيهـات القرآن تشبيها واحدا يدرك جمالـه شخص دون اخر ، ويتمثل هذا في قوله تعـالى « **الله نور السمـوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصبـاح المصبـاح في زجاجـة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولـو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** » **النور / ٣٥** .

وقد حفل القرآن بعديد من الصور الاستعارية كقوله تعالى (**واشتعل الرأس شيباً**) **مريم / ٤** و(**ارسلنا عليهم الريح العقيم**) **الذاريات / ٤١** و(**الر كتاب انزلنـاه اليـك لتخرج الناس من الظلمـات الى النور**) **اول ابراهيـم** والاسلـوب الكنائي ليس بدعا من بين الصور البيانية ، فلقد حفل الكتاب الحكيم بضروب شتى منـه كقولـه تعـالى (**وغيض الماء**) **هود / ٤٤** و (**فيها ما تشتهيه الانفس وتلـذ الأعين**) **الزخـرف / ٧١** وكقولـه تعالى (**وماكنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر**) واذا كان العرب قد جعلوا للكناية مزية على التصريح ، فانهم لم يجعلوا تلك المزية في المكني عنه ، فطول القامة وكثرة القرى لا يتغيران بأن يكنى عنهما بطول النجاد او كثرة الرماد ، وانما نكون قد اثبتنا كثرة القرى باثبات دليلها ومشاهدهـا وذلك ابلـغ من اثباتها بنفسها .

نظم القرآن

ونظم القرآن قائم على الموسيقى وعلى الـروح المستشفـة من هذا النظم ، انها تخاطب الروح والفاظه ليست الفاظا فقـط بل هي حيـاة تضطرب ، فيها زيـادة على صوت النفس الطبيعي في تركيـب اللغـة العربية صوت الفكر فيما فوق ذلك الى صوت الحس في الألفاظ والمعانـي الممثلة من ذلك قوله تعالى (**لها ما كسبـت وعليهـا ما اكتسبـت**) **البقرة / ٢٨٦** فانه كان يمكن ان تأتي اللفظتان بغير زيادة فيقال « لها ما كسبت وعليها ما كسبت » وانما

منع من ذلك ما يحصل للنظم من العيب واغماض المعنى الذي قصد ، اما العيب فاستثقال تكرار لفظة « كسبت » بغير زيادة في نظم قربت الثانية من الاولى .

وأمـــا الاغمـــاض فلان المراد الاشارة الى ان الفطرة التي فطر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس عليهـا فطرة الخير ، فالانسان بتلك الفطرة السابقة في اصل الخلق لا يحسن ان ينسب اليه الا كسب الحسنات ، وما يعمله من السيئات يعمله لمخالفتـه الفطرة ، فكأنه تكلف من ذلك ما ليس في جبلته ، فوجبت زيادة التاء التي للافتعال ، فحصلت بزيادتها اماطة العيب عن النظم لمخالفـة احـدى اللفظتين اختها ، والاشارة الى المعنى المراد ، ليوافق معنى هذا الـكلام معنى قوله تعالى (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) **الـروم / ٣٠** ومعنى قوله عليه السلام « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه « وبهذا ينتهي بحث المرحوم الدكتور حفني محمد شرف .

واذا سمحت لنفسي هنا ان اسجل بعض ما ند عن الباحث الكبير نتيجة سهو ، فان هذا لا يقلل من شأن واهمية كتاب « الاعجاز البياني بين النظرية والتطبيق » .

ففي ص٢١ ـ يقـول « ويمـكن القول بأن الدراسة القرآنية كانت في القرن الثاني دراسة لغوية اي تتعلق بالالفاظ والمعاني واثرهما في النفس » وهذا حكم مطلق بلا عنان وكتاب مجاز اقرآن لابي عبيدة يشهد بأن العرب قد شغلوا بالاسلوب والصور والاخيلة وفي محاولة الدكتور زغلول سلام في كتابه « اثر القرآن في النقد العربي القديم » والتي اثبت فيهـا بوضوح وجود بذور فنون البلاغة من بيان ومعان وبديع في مجـاز ابـي عبيدة ـ في هذه المحاولة دليل على ان القرن الثاني لم يتوقف عند جانب واحد من دراسات الاسلوب .

ومع هذا الحشـد الحاشـد من العلماء الذين ذكرهم الباحـث نسي الزمخشري بكتابه « الكشـاف » ـ ولا ادري لماذا آثر الباحث استعمال « التقيـت بابـي عبيـدة وقابلـت الرازي » واحيانا يقول « التقيت مع الباقلاني » بينما هي « التقيت بـ » مع ركاكة الاستعمال نفسه .

والباحث يتهم البلاغيين بانهم لم يلتفتوا الى القصص القرآني وذلك لأنه لم يرجع الى الكشاف للزمخشري ، وكنت اود ان يتسم البحث بشيء من العمق والايجاز والتخلص الى النتائج في سهولة وابراز الجهد الذاتي والفكر الخاص الذي يتجلى دائما بعد ان تمتلئ النفس من الاغتراف من بحر الآخرين ـ اما هذه الدراسة فيخيل الي لو ان المرحوم الدكتور حفني مد الله تعالى في عمره الخصيب لأعاد النظر في كثير مما جاء بهذا الكتاب .

الاستشراق

ان كثيرا من المسلمين لا يعلمون أن غالبية المستشرقين وان اختلفت أوطانهم ولغاتهم الا أنه اتفقت أهدافهم وغاياتهم على أمر واحد ، هو النيل من الاسلام ونبيه ، ولو كان ذلك عن طريق تشويه الحقائق واختلاق الأباطيل والعيوب وتلفيق التاريخ وتفسير حوادثه تبعا لأهوائهم ورغباتهم مدفوعين في ذلك بحقدهم الدفين .

وان نظرة خاطفة على تاريخ الاستشراق كفيلة باثبات ذلك الذي نقرره .

لقد بدأ الاستشراق عندما ازدهرت الحضارة الاسلامية في الوقت الذي كان الغرب المسيحي يتخبط في ظلمات الجهل والفساد والضلال ، ولقد أعجب بعض رجال الغرب بحضارة المسلمين فتوجهوا الى البلاد الاسلامية ينهلون من ثقافتها .

وما لبث الرهبان أن سلكوا هذا الطريق ولكن بأساليب معوجة ، اذ اهتموا بالثقافة العربية الاسلامية ، ليس حبا فيها ، ولكن لغاية في أنفسهم ، هي تشويه الاسلام ، وكان أول المستشرقين منهم ، هو الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا

نشأته وأهدافه

للمستشار
علي عبد اللاه طنطاوي

لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الاندلس وعودته الى بلاده ، ومن هؤلاء أيفا بطرس المحتوم عام ١٠٩٢ : ١١٥٦م وجيراردي كريمون ١١١٤ : ١١٨٧م .

وهكذا لم ينشأ الاستشراق كما يتصور البعض لخدمة العلم والمحافظة على تراث الشرق من الضياع وانما بدأ أول ما بدأ في رعاية الكنيسة الكاثوليكية وخضع لاشراف دقيق منظم من كبار أحبارها وكان الرهبان والعقاد الرسوليين هم جنوده الأولون .

وهكذا كانت الكنيسة دائما من وراء نشاط الاستشراق تؤيده وتؤازره ، كما أنها كانت تقوم بدورها المباشر في تشويه الاسلام وتزييف تاريخه ، ليتسع لها المجال لتصوير النبي صلى الله عليه وسلم على خلاف صورته التاريخية ، كما أنها أحرقت نسخة القرآن الكريم في البندقية عام ١٥٣٠م وحرم البابا اسكندر طبعه وترجمته ، واستمر الحال على هذا الشأن حتى جاءت الحملات الصليبية بقصد القضاء على المسلمين وتقويض حضارتهم ومحو تراثهم ، ولكن الله عز وجل رد كيدهم الى نحورهم فعادوا

مـدحورين يجـرون وراءهم أذيـال الخيبة والفشل .

ورأت هذه الحكومات الصليبية بعد ذلك أن تجرب سلاحا غير سلاح السيف الذي فشلت فيه ، فبدأت تجرب سلاح الفكر والقلم تحت ستار البحث العلمي ، وقـد وجد هؤلاء الحكـام في المستشرقـين ضـالتهم المنشودة .

وبدأ عهد جديد تمثل في التعاون التام بين ملوك أوروبا والكنيسة على شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم ، حتى أضحى المستشرقون في بعض الأوقـات يتبعـون وزارة الخارجية والمستعمرات .

وعنـدمـا احتلت أوروبـا بـلاد الاسلام ، قام الغزو الفكري الصليبي بنشر سمومه وتحريفاته وأباطيله بين أرجاء الوطن الاسلامي ، ومن المحزن أن بعض المسلمين المتولـين بعض المناصب سيما التربوية انطلت عليهم هذه السموم في شرابها المعسول ، فأخذوا يرددونها ، خاصة في دور العلم مما كان له أوخم الآثار .

ورغم استعمال هؤلاء المستشرقين أقنعـة براقـة وشعارات زائفـة في الوصول الى غايتهم المنشودة ، الا أن بعضهم لم يستطع اخفاء ما تطفح به قلوبهم من حقد على الاسلام ونبيه ، فتمادوا في كذبهم وافترائهم الى حد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم هما سبب انحطاط المسلمين .

وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي كيمون « ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلـل عام وجنون ذهولي ، يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ويدمن على معاقـرة الخمور ، ويجمع بين القبائح ، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين » .

ويرى هذا المستشـرق وأمثالـه كثيرون المسلمين وحوشا ضارية ، ويعتقد أن من الواجب ابادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر .

ويقول وليم جيفورد « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة والتي لم يبعدها عنه الا محمد وكتابه » ؟؟

ومن نافلة الحديث القول بأن مثل هذه الآراء لا يمكن أن تصدر الا من جاهل بأحكام الاسلام ، أو من عدو حاقد عليه أو من مكابر ضال لا يقتنع بدليل أو بـرهان ، اذ أن الـواقع والتاريخ خير شاهد على عكس ما يقرره هذان المستشرقان وأمثالهما ، ويكفينا ردا على هذه الأباطيل آراء بعض المستشرقين مثل السير وليم موبر الذي قال :

« امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الانسانية في زمن قصير ، كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم . »

ولا شك أن هذه كلمة حق وانصاف ، وان كنا نود أن نضيف أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس مصلحا فحسب ، كما قرر المستشرق وانما هو نبي ورسول .

ويقول المفكر الفرنسي الكبير روجيه جارودي في محاضرة القاها بدار الأهرام في نوفمبر ٦٩ « ان الفتح العربي لم يكن غزوا ولم يكن استعمارا ، انه أوجد في كل بلد فرصة لخلق حضارة من صنع الاسلام ملتحما بالحضارة المحلية » .

ويصف المستشرق الأمريكي ادوارد رمسي حالة العرب قبل البعثة المحمدية وبعدها فيقول :

كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد في أحط الدركات حتى ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان .

وكان العرب يعيشون في جو فاسد مملوء بالغبار والميكروبات الاجتماعية حتى أن مجرد ذكر هاتيك الأيام تقشعر منها النفوس .

وهنا بزغ فجر عصر جديد ، وبشرت الأيام بسطوع شمس العرفان وانقشاع سحب الجهالة المظلمة ، وبالاجمال أتى الوحي من عند الله العلي القدير الى رسوله ونبيه الكريم محمد بن عبد الله ، ففتحت حججه العقلية أعين تلك الأمة الجاهلة .

ويقول ونيسون في ذلك أيضا « كان العالم على شفا جرف هار من الفوضى ، لأن العقائد التي كانت تعين على اقامة الحضارة قد انهارت . أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه » .

ويقول المستشرق الأمريكي فيلكو « كان عقل محمد النبي من العقول الكبيرة التي قلما يجود بها الزمان . كان يعامل الصديق وغيره والقريب والبعيد والغني والفقير والقوي والضعيف بالمساواة والانصاف » .

ومما يصور حقد المستشرقين على الاسلام أصدق تصوير هو ما قاله المستشرق لورانس براون : لقد كنا نتوجس خوفا من شعوب مختلفة لكننا بعد طول الاختبار لم نجد ما يبرر قلقنا تخوفا من الخطر اليهودي والخطر الشيوعي والخطر الأصفر الا أن هذه المخاوف لم تستند الى أي أساس .

لقد وجدنا اليهود أصدقاءنا ، ورأينا البلاشفة حلفاءنا ، أما الخطر الأصفر فهناك دول كبرى تتكفل بالقضاء عليه ، ولكن الخطر الحقيقي يكمن في نظام الاسلام وفي قدرة هذا الدين على التوسع والاخضاع وفي حيويته انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي ..

والغريب أن عين الحقد التي ينظر بها هذا المستشرق للاسلام ، جعلته يعتبر انتشار الاسلام توسعا ويظن أن مبادئه المقنعة اخضاعا .

ولقد رأى بعض المستشرقين أن هجومهم السافر على كتاب الاسلام ونبيه لن يحقق لهم غاياتهم وأهدافهم فلجأوا الى أسلوب المداراة والمواراة ،

الذي هو أشد خطرا وأكثر فتكا ومن هذا الاسلوب الذي سعوا الى استعماله ، محاولتهم صرف المسلمين عن لغتهم العربية التي أنزل بها كتابهم ، وذلك عن طريق الدعوة الى استعمال اللهجات العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى .

وقد نادى بعضهم باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

وقد ظهرت هذه المحاولات عام ١٨٨٢م وقد رددها من أبناء العرب بعض المخدوعين والحاقدين زاعمين أن اللغة العربية سبب من أسباب التخلف عن ركب الحضارة ، ولا زال هؤلاء الأعداء يحاولون بعث هذه الأفكار ومن ذلك ما حدث في مؤتمر برمانا بلبنان المنعقد في شهر يونيو ١٩٧٣ .

وغني عن البيان أنه لا غنى للمسلم عن اللغة العربية الفصحى في معرفة دينه واقامة عبادته وشعائره وتلاوة الكتاب المنزل على نبيه ، وان من قصد صرفه عنها انما قصد أن يصبح الاسلام مهجورا وفي ذلك يقول الكاتب الاسلامي الكبير المرحوم محمود عباس العقاد :

« زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غبار الأمم فلا يبقي له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا ايمان » .

ويقول هنري لاوس « ان اللغة العربية عندي من أهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين وأهم أسباب تفوق هذه اللغة أنها اللغة الرسمية ولغة الدين ولا بد لفهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة معرفة دقيقة » .

وليت هؤلاء الذين انساقوا وراء غوايات المستشرقين تدبروا قبل انسياقهم قول المنصفين منهم مثل ماسينيون أستاذ اللغة العربية بجامعة السوربون حيث يقول: « ان اللغة العربية بفضل تركيبها قادرة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ، ومن هنا كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر والمسلسلات الحسابية ، وهي لغة وعي ولغة شهادة وينبغي انقاذها سليمة بأي ثمن لتصبح اللغة الدولية المستقبلة » .

ويقول سارتون « كانت لغة العلم الارتقائية للجنس البشري حتى لقد كان ينبغي لأي انسان اذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية » .

وهكذا اختلفت أساليب المستشرقين وتعددت وسائل غزوهم الفكري محاولين النيل من الاسلام ، ولكن لا يفوتنا القول بأن مجموعة منهم كانوا أصحاب ضمائر حية ، فأبوا الا أن يسروا حقيقة ما انتهت اليه دراساتهم الطويلة ، وبحوثهم العميقة ، فكانت كلمة حق في الاسلام ساعدت على تصحيح بعض أفكار الغرب الخاطئة عنه ، ومن هؤلاء المستشرقين من اعتنق الاسلام وحسن اسلامه ، ومنهم من ظل على عقيدته رغم التزامه بالتجرد والامانة العلمية في كتاباته .

قصة إسلامية

الرجل الذي اهتز له عرش الرحمن

للاستاذ خميس عواد عودة

خذها مني ، وانا ابن العرقة

قالها حبان وانطلق سهمه من قوسه ، عابرا خندق سلمان ، يمزق الهواء بقوة ، قاصدا سعدا ، حامل لواء الأنصار فأصابه ، وقطع وريده .
انبثق منه الدم ، يجري سريعا ، سرعة النبال المتراشقة منسابا انسياب السهام الطائرة حوله . فسقط يتلوى ألما ، ويتمتم بكلمات يكاد يسمعها رفيقه ..

ــ حرق الله وجهك في النار .

قالها سعد بن معاذ متجها ببصره صوب الرامي ، هناك شمال الخندق .

وتحلقته جماعة من المسلمين ، يفحصون جرحه . عيناه زائغتان ، بينما تتمتم منه الشفتان ..
ـ اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها ، فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه ، وأخرجوه . وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة .
وسكنت شفتاه ، وارتخى جفناه ، وراح في غيبوبة ، وبدأ الدم تخف سرعته ، وتقل كميته حتى وقف النزف تماما قبل ان تحاول رفيدة شيئا مع الجرح .
أفاق سيد الأوس ، ونظر الى جرحه وقد جف وتحسس الدم وقد كف ، فاكتسى وجهه بمزيج الفرح والجد ، فقد فهم من البرء السريع ان الحرب لم تنته ، وان بني قريظة حان أمرهم . وتابع اخبار المعركة راقدا تحت خيمة رفيدة ، والمناوشات بالسهام والرماح مستمرة .
قفز مشرك الى قاع الخندق يختال فوق فرسه صائحا ..
ـ هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟
توقفت الحركة تماما ، وصمت الجميع على جانبي الخندق , من هذا ؟! عمرو بن عبد ود ؟! الفارس الكفء لألف ؟!! قفز بخفة ابن العشرين رغم سنوات عمره التسعين . قفز الذي يجبن الرجال عن منازلته ، خوفا ورعبا .
قفز عمرو بفرسه ، وحوله ابطال مغاوير ، يشدون ازره ويقودون غطفان ، وبني مرة ، وبني أسد ، وعلى رأس هؤلاء وهؤلاء قريش . عشرة آلاف مقاتل يحركهم الحقد ، ويدفعهم الشيطان لمحاصرة النور .
برز علي بن ابي طالب في السبحة يتقدم الى المقاتل الكفء لألف مجيبا سؤله .
تفرس فيه عمرو بن عبد ود ، طويلا ، ساخرا ، مستنكرا ثم قال مستهزئا ..
ـ لم يا ابن اخي ؟ والله ما أحب ان اقتلك .
ـ ولكني والله اني احب ان اقتلك .
كان رد علي شرارة اشعلت سخط ابن عبد ود ، فزمجر ، وعفر ، وقفز مجنونا ، تاركا فرسه ، وعقره بسيفه ، واستعد للنزال ـ مغرورا ـ دونه .
قفزت القلوب الى الحناجر ترقب السبحة . وتوقفت العيون في محاجرها ، تشاهد ـ فزعة ـ المعركة . وسعد بن معاذ تحت خيمة الجرحى يتابع ما يدور متحسسا ذراعه المصابة ، متألما لمكانه هنا بعيدا عن القتال .
الموقف ألهب الجو . تأسرع أحد الصحابة ينقل ما يدور إلى سيد الأوس الجريح . عيناه معلقتان بشفتي الصحابي يصف المعركة .
الدماء تسيل على الوجه الكريم ، ابن عم رسول الله يتراجع امام ابن عبد ود . درقة « علي » تحمل آثار ضربة هائلة من سيف جبار . كريم الوجه يتراجع .

وسعد الجريح يتميز من الغيظ ، قعيد ، يسمع الصحابي يتابع الوصف .. عمرو يتقدم بضربات متلاحقة في اصرار ، ابن ابي طالب يتراجع . وعيناه مركزتان على سيف عمرو . خطوات للامام تقابلها خطوات الى الخلف ، صدر متقدم بكفره ، وآخر متأخر بمكر . ابن عبد ود بضرباته السريعة المتتالية يتفاداها « علي » بذكاء . شك الكافر في تراجع « علي » الذي استمر يتحرك الى الخلف . فزع الكافر من هذا التقهقر ، خال احداً يتسلل خلفه ، فالتفت المشرك سريعا ، سيف « علي » اسرع . اطاح بساق الفارس الكفء لألف ، تمت الخدعة التي حاكها علي بن ابي طالب ، امسك عمرو المترنح ساقه مذهولا وقذف بها « علي » المخادع ، المنتصر ، والفارس الذي كان كفءا لألف سقط في بركة من دمائه ، عيناه جاحظتان خلف زملائه الفارين ، فانكفأ يتخبط في الأرض ، واناشيد المسلمين تعلو .. الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

هلل سعد ، وكبر ، وأراد النهوض ، لكن ضعفه اقعده من جديد الى الأرض .

ارخى الليل سدوله ، فشمل السكون الجميع ، وهجع كل الى سلاحه ، يصلح منه ، ويشحذه ،ةثم ينال قسطا من الراحة ، حتى تبزغ شمس يوم جديد .

المشركون عبأوا رجالهم ، وفرقوا كتائبهم ، ونحوا الى رسول الله كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فصمد المسلمون ، وقاتلوا ساعات طويلة الى هوى من الليل ، ورجع الفريقان الى منازلهم منهوكين .

وبدأت كتل الظلام تجثم على المكان ليست جحافل الليل المعتادة التي تخيم على الكون كل مساء ، لكنها الليلة زخات كزخات المطر ، تنهمر ، صفوفا متراصة ، وتشكيلات عجيبة ، لو رآها انسان لظنها جيشا عرمرما في الطريق الى معركة حاسمة ، لكن التعب غلب الجميع فاستكانوا للنعاس ولم يروا الزخات التي حجبت نور القمر ، لم يشاهدوا ملائكة السماء ، جاءت في دفعات متتابعة ، تنزل شمال الخندق ، يواكبها ريح صرصر ، وتظللها سحابات داكنة ، تجمعت من كل فج ، وتحلقت فوق سماء المعركة ، فأظلمتها ، اما الرياح فجاست مع جنود السماء وسط خيام الأحزاب فاقتلعتها ، والقدور اكفأتها ، والنيران أطفأتها .

ثم هبطت جحافل الليل المعتادة تنضم إلى الملائكة المقاتلين يلقون الرعب في قلوب الأحزاب ، وينشرون الظلام والفزع بين صفوف قريش ، وحلفائها من غطفان ، وبني مرة وبني أسد ، حتى إن أبا سفيان انخلع قلبه هلعا فصاح ..

ـ يا معشر قريش .. إنكم والله ما اصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع .. و ..

لكن صرصرة الرياح غطت صراخه ، ولم يعد يسمع صوته ، وزاد الهرج والمرج ، وقطعت الابل مرابطها ، وفزعت الخيل الى كل اتجاه ، وعاد صوت أبي سفيان مع هبوب الرياح يعلو .

ـ لا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل .

وتنفس الصبح عن مكان ساكن ، وجو جميل ، فقد تبدلت عاصفة الأمس الى صفاء . ونظر المسلمون فلم يجدوا احدا من جموع العدو الحاشدة ، فقد ارتحلوا قبل اشراقة الصباح ، جرح سعد ما زال حيا ، فيه ألم ، غير أن النزف توقف ، والسكينة والرضا باديتان على محياه ، وطرق سمعه حديث الرسول الكريم .

ـ لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة ، الان نغزوهم ولا يغزوننا .

هلل وجه سعد ، وتابعت عيناه جموع المسلمين وهم يتجهزون لبني قريظة ، وعاد هو الى المدينة محمولا على دابة ، حتى استقر في المسجد تحت خيمة رفيدة مع الجرحى . تمضي به الأيام بين أغفاءة وإغماءة ، ولم يعد يقوم من رقدته الا للصلاة او لقضاء حاجة ، او ليسمع أخبار الحصار الذي فرضه رسول الله على اليهود من بني قريظة ، حتى أتاه رسول رسول الله يخبره نزول بني قريظة على حكمه فيهم .

هب كالاسد الجريح ، لا يقوى على الحركة فحملوه على دابة في الطريق الى رسول الله .

وتحركت الصور بطيئة في خياله ، وعادت به الذاكرة الى ايام الخندق العصيبة ، عندما ارسله الرسول مع سعد بن عبادة في نفر من أصحابه الى بني قريظة ، ليعرف حقيقة نقضهم لعهدهم مع رسول الله ، فجاءت كلماتهم ترن الآن في اذنيه ، كما كانت تقال حالا ..

ـ لا عهد له عندنا .

فجعل يناشدهم الوفاء ، ويحذرهم عاقبة الخيانة والغدر ، ولكنهم افحشوا له في القول وشاتموه .

وتتتابع الصور الأليمة امام ناظري سعد الجريح ، صور حية مثل جرحه الحي . حاول مشاتمتهم ، غير ان رفيقه منعه قائلا ..

ـ دع عنك مشاتمتهم ، فالذي بيننا وبينهم أكثر من ذلك .

وتتحرك هذه الصور ، كما تتحرك به الآن دابته البطيئة وسط المحاربين المؤمنين . ويتطلع الجميع ناحية الدابة تمشي وسطهم تشق طريقها ببطء ، ويفسح لها جمهور المسلمين الطريق حتى اقتربت من نهاية الطريق ، تحمل الجريح العظيم . وتركزت الأنظار عليه ، وقد اكتسى وجهه بالضعف ، ومالت عليه جماعة من الأوس ترجوه .

ـ احسن في مواليك .

ويجيب في حزم ..

ـ لقد آن لسعد الا تأخذه في الله لومة لائم ، وصعد الى ذاكرته كلام سعد بن عبادة ..
ـ دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك . فجعل يكرر عبارة ابن عبادة بصوت خفيض ، حتى وصل الى حيث ينتظره رسول الله ، فاستقبله يفسح له الطريق قائلا ..
ـ قوموا الى سيدكم .
وكأن مئات من الطير وقفت على رءوس الصحابة ، وساد السكون والصمت الجميع ، ينتظرون الحكم ، ينتظرون ما ينطق به سيد الأوس ، واعلن :
ـ إني أرى يا رسول الله أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ،
وهكذا خلت المدينة ممن لا عهد لهم ، وتطهرت يثرب ممن غدروا برسول الله والمسلمين ، ونقضوا عهدهم في زمن القتال .
علا الاطمئنان وجه الجريح ، سيد قومه ، فقد عاش حتى جاهد القوم الذين آذوا رسول الله وكذبوه واخرجوه ، وانفجر الدم من عرقه المصاب ، غزيرا غزيرا ، كما لو كان جرح الآن . فاحتضنه الرسول ، والدماء تتفجر كينبوع ، وسال الدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابو بكر الصديق يهرول ، وقد فوجىء بما رأى فتحرك لسانه ذاهلا ..
ـ وانكسار ظهراه .
غير أن النبي الكريم يمنعه ..
ـ صه .
ويغيب سعد الجريح في غيبوبة هادئا ، مسلما أمره لله ، راضيا بقضائه .
ويتركه الرسول في اغماءته لأمر من أمور المسلمين ..
وبدأت قوافل الملائكة تهبط من السماء ، حتى بلغ عددهم سبعين ألفا ، ما وطئوا الأرض من قبل ، يتقدمهم أمين الوحي ، جبريل ، معتجرا عمامة من استبرق . واتجه الى الرسول يسأل ..
ـ يا نبي الله .. من هذا الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتز له عرش الرحمن ؟!
فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم سريعا ، يجر ثوبه ، يهرول صوب سعد ، فوجده قد قبض .
ويتحرك الموكب العظيم ، نبي الله ، صحابة رسول الله ، مهاجرون ، وأنصار ، يحفهم سبعون ألفا من الملائكة ، في جنازة سعد بن معاذ ، التي هدأت نفسه بتكريم الله له ، وقرت عينه في بني قريظة .
وعاد الرسول من جنازة سعد ودموعه تحادر على لحيته وأشار النبي الأمين وهو يقول :
ـ وبحق أعطاه الله ذلك .

مجتمع الإنفاق

سمة الاسلام التكامل والتوازن بين قوى النفس الحسية والمعنوية ، وهو في ذلك تعبير عن تكامل الشخصية الانسانية . فكما أننا لا نستطيع فصل جسد الانسان عن روحه فاننا بالمثل لا نستطيع فصل الدين عن الدنيا في نظام الاسلام . وذلك ملحوظ في كل ما أتى به القرآن الكريم من احكام وتعاليم . فالعبادة فيه مقرونة بالعمل كما تقترن النظرية بالتطبيق ، والايمان فيه مقرون بالسلوك كما تقترن حياة الفرد الخاصة بحياة مجتمعها العامة . وبهذا الربط العضوي بين طاقات الانسان الروحية والمادية وتوفيقه بين باطنه وظاهره ومزجه بين العقيدة والمسلك اعاد الاسلام صياغة الفرد البشري ووصل بينه وبين مجتمعه برباط من التعادل والانسجام امتزجت فيه فردية الفرد بجماعية الجماعة بحيث انمحت ثنائية الفرد والمجتمع باكتساب الفرد الشخصية الجماعية . وقد ركز القرآن الكريم على خلق هذه الشخصية الجماعية للفردبتربيته تربية فكرية وعملية ترسب في أعماقه قيم الجماعة وتغرس في ضميره كل مظاهر التعاون والتضامن التي تجعل المواطنة الحقة تنبع من داخل الفرد وتنعكس على كل تصرفاته الخاصة والعامة بوحي من الضمير الذي رباه الايمان وصبغ كل معاملاته بصبغة الموضوعية المستمدة من خشية الله التي هي المعيار الأوحد الذي تقاس به الأعمال متى بلغ المؤمن درجة الاحسان التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه البخاري وليس من دليل على هذه الصياغة الجماعية للفرد أبلغ من التركيز على فكرة الانفاق في القرآن الكريم .

فان الحديث عن الايمان النظري

والايثار

للدكتور . عون الشريف قاسم

والحث على فعل الخير بالكلام والموعظة قد يؤثر تأثيرا وقتيا على بعض النفوس ولكنه ما لم يقترن بالعمل فلن يؤتي ثماره الباقية . ومن ثم قرن الله سبحانه وتعالى الايمان بالانفاق في كثير من آيات القرآن الكريم التي تكررت فيها فكرة الانفاق في اكثر من سبعين موضعا . كقوله تعالى في سورة الحديد : (**فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير**) من الاية / ٧ وكقوله تعالى في سورة النساء : (**وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله**) من الاية/ ٣٩ . بل هو يذهب إلى أكثر من ذلك في سورة البقرة حيث يجعل الانفاق علامة لازمة من علامات التقوى في منزلة واحدة مع الايمان بالغيب وإقام الصلاة فيصف المتقين بقوله الكريم : (**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) الآية / ٣

ويجعل بلوغ مرتبة البر التي هي من اعلى درجات الايمان مرهونة بالانفاق كما جاء في قوله تعالى في سورة آل عمران . (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) من الاية/ ٩٢ وليس الانفاق الوارد في هذه المواضع التي تتجاوز السبعين مقصودا به الزكاة الواجبة فحسب بل هو دعوة عامة إلى البذل والانفاق بما يفوق الفرض الواجب مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن في المال حقا سوى الزكاة) . وقد رغب الله في الانفاق وحث عليه ووعد المنفقين خيرا في قوله الكريم : (**وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) البقرة/ ٢٧٢ وانه سيخلفه كما جاء في قوله تعالى : (**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) سبأ/ ٣٩ وقال تعالى : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع**

سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) البقرة/٢٦١ والانفاق ليس مقصودا لذاته وانما هو موصول السبب بنتائجه الاجتماعية الخيرة التي تصل بين الناس برباط المحبة والالفة والتعاون ، ولذلك فقد فصل القرآن الكريم القول في الجو النفسي الذي يحقق به الانفاق هذا الأثر المطلوب ، كما في قوله تعالى : **(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم)** البقرة/٢٦٢ . وقال تعالى : **(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس)** البقرة /٢٦٤ ، ونعى على أجلاف العرب مسلكهم المكروه في الانفاق في قوله الكريم : **(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما)** التوبة/٩٨ وبين في كثير من المواضع أن يتجه الانسان بما ينفق إلى الله : **(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)**البقرة /٢٧٢ وبين منهج الاسلام في الانفاق باتباع سبيل التوسط :**(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا . وكان بين ذلك قواما)** الفرقان /٦٧ وان يكون ذلك في كل الأوقات في السر والعلن : **(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية)** البقرة/٢٧٤ **(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية)** ابراهيم/٣١ وفي السراء والضراء : **(الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ)** آل عمران/ ١٣٤ ولفضل الانفاق في تركيز دعائم المجتمع المسلم وتسابق المسلمين فيه للفوز بثمراته الطيبة تحدث القرآن الكريم عن أولئك المسلمين الفقراء الذين حال فقرهم دون الانفاق ووصفهم بقوله الكريم : **(تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/٩٢ وأزال حزنهم بقوله تعالى : **(ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله)** التوبة/ ٩١ . وقد روى أبو ذر رضي الله عنه (أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ذهب أهل الدثور (أي الأغنياء) بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة (قول لا اله الا الله) صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع (أي النكاح والجماع) أحدكم صدقة ، قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم ويتضح من ذلك قيام المعنويات مقام المحسوسات في ميزان الاسلام وقيام المحسوسات مقام المعنويات لأنهما وجهان لحقيقة

واحدة هي حقيقة الايمان الذي يمتزج فيه القول بالفعل والعقيدة بالعمل مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

بهذا التركيز العظيم على الدعوة لبذل المال في سبيل الآخرين أصبح الانفاق الركيزة العظمى للعدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم ، وبدافع من ذلك رأينا أغنياء المسلمين ينفقون جل أموالهم في سبيل الله وفي سبيل مجتمعهم مثلما فعل أبو بكر في إنفاق ماله ، ومثلما فعل عثمان بن عفان في تجهيز جيش العسرة الذاهب إلى مشارف الروم ، ومثلما فعل عثمان أيضا عندما أقبلت قافلته التجارية من الشام إلى المدينة وهي محملة بالطعام في زمان ضيق ومجاعة فأقبل عليه التجار يساومونه فرفعوا ثمنها مرة ومرتين وثلاثا حتى بلغوا خمس مرات وفي كل مرة يقول لهم لقد أعطيت أكثر من ذلك . فلما يئسوا قال لهم : « إن الله ضاعف لي ثمنها عشر مرات » وفرقها جميعها على أهل المدينة دون ثمن . ولعله لهذا السبب لا نجد في تاريخ الاسلام والمسلمين ذلك الصراع المرير بين الاغنياء والفقراء الذي غالبا ما يسود المجتمعات التجارية ، وقد بلغ المجتمع المسلم درجة عظيمة من التطور التجاري وكثرت فيه الثروات ولكن فضيلة الانفاق التي غرستها تعاليم الاسلام في النفوس وجعلتها المعيار الحقيقي لصحة الايمان كانت تدفع بالأغنياء والفقراء على السواء لبذل ما فضل عن الحاجة ابتغاء وجه الله الذي حذرهم من اكتناز الثروات في قوله تعالى في سورة التوبة **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)** الآية/ ٣٤ وبذلك عم التراحم والتواصل والمساواة بين المسلمين . والواقع أن غاية الاسلام من الانفاق لا تقف عند تحقيق مجتمع المساواة فحسب وإنما تتجاوزه لتحقيق مجتمع الايثار مصداقا لقوله تعالى : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر/ ٩ وبهذا الايثار ونكران الذات ومشاركة الآخرين فيما نملك أصبح شعار المسلمين قوله تعالى : **(وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)** . وقد أدى ذلك إلى حفظ التوازن الاجتماعي وإلى التعاون الحقيقي النابع من إلزام الضمير الذي يجعل من يملكون ينفقون على من لا يملكون عن طواعية واختيار ودون قسر أو إكراه . وما أحرانا في مجتمعنا إلى هذه السمة المميزة لحضارة الاسلام التي حفظت لمجتمعنا توازنه وتعاطفه فنسعى إلى التمكين لها في حياتنا الخاصة والعامة ونكتشف من الأساليب ما يجعل أثرها أبقى وأنفع لنحقق قول الله تعالى فينا : **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)** الشورى/ ٣٨ صدق الله العظيم .

مائدة القارئ

العدل والاحسان

كان المنصور ـ الخليفة العباسي ـ يجلس للقضاء بين الناس ، فجاءوا له برجل أذنب ، فأمر بقتله ، فقال الرجل : إن الله يأمرك بالعدل والاحسان ، فان أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالاحسان .

فأمر المنصور باطلاق سراحه ، وعفا عنه .

في طلب الرزق

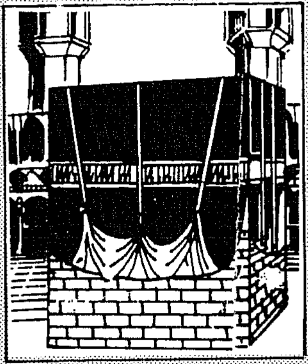
○ دعا اعرابي ربه فقال : اللهم ان كان رزقي نائيا فقربه او قريبا فيسره او ميسرا فعجله او قليلا فكثره او كثيرا فثمره ..

دعاء السفر

جاء في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر ، كبر ثلاثـا ، ثم قال : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ، اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل » .

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبـون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

قبلة المسلمين



قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

الآية ١٤٤ من سورة البقرة

التكبير

رددوها دعوة مبصرة ترفع التقوى لمن ضل منارا
واجعلوا التكبير فيكم قبسا ينشر النور على درب الحيارى
لا يصون الحق أو يحفظه غير من يرجون لله وقارا

قد عق يومه

قال علي كرم الله وجهه :

من أمضى يومه في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه .

تجنب هؤلاء

قال الأحنف بن قيس :

الكذوب لا حيلة له ، والحسود لا راحة له ، والبخيل لا مروءة له ، والملول لا وفاء له ، ولا يسود سيىء الأخلاق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلا أن يكتم ذلك ويتجمل .

الواقعية في قضايا الإسلام

هبوط بعض الناس فجأة على أرض الواقع بعد تحليقهم في سماء الخيال يحدث دويا لافتا ، ومآسي مفجعات ، ثم يدعو الى دراسة الواقعية في حقيقتها ، ومظاهرها ، وثمارها .

فلقد خلق الله الناس أنماطا متباينة من حيث الطباع والنزعات ، ومن ثم وجدنا بعضهم بطبعه الفطري يعيش في ساحات الواقع ، والبعض الآخر يهرب ـ بنزعة أو لسبب طارئ ـ الى أجواء الوهم والخيال ، وأبرز ما يتميز به الأولون الاستقرار الاجتماعي والنفسي ، في حين يستمر الآخرون في تذبذبات واضطرابات كثيراً ما تؤدي بهم إلى خلل في القوى ، وسطحية في التفكير ، وهما يسلمان إلى اهتزاز الشخصية وخور العزيمة ، وكل ما يجنح بالانسان عن الاستواء المنشود .

والاسلام الحنيف لما كان هدفه الأسمى إيجاد المؤمن الصادق ، وهو يرادف الانسان الكامل ، والشخص السوي ـ لما كان هدفه هذا وجدناه في تعاليمه كلها يأخذ بمجامع الانسان بحصافة رزينة ، ونهج تربوي سليم ـ إلى الواقعية مجنبا إياه عواقب التحويم الوخيمة التي تنحصر

للاستاذ
عبد الغني احمد ناجي

في هذا العطن ، وهو التردي من جرف هار في بؤرة السخط والتنمر على قضاء الله عندما يفتح الانسان عينيه ويبصر الواقع الأليم .

وإن أبرز مظاهر الواقعية في الاسلام تتجلى في يسر تشريعه ، وفي تدرجه في نهيه وتحريمه مراعيا في ذلك واقع الانسان ، أي فطرته التي فطر عليها ، وما تتسم به من ضعف بشري أمام التكاليف من جهة ، ثم أمام الاغراءات ، والعادات المتحكمة من جهة أخرى .

فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه السماحة ، وذلك اليسر بقوله : « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه » ، رواه البخاري والنسائي وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بعصا الواقع الرحيمة على أيدي أولئك الرهط الذين أتوا يفخرون بتشديدهم على أنفسهم ، وهمهم الطيران من أرض الواقع التي ثبتها الاسلام لتثبت فوقها الأقدام . عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ،

فقالوا : وأين نحن من النبي ، صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال احدهم : أما أنا فاني اصلي الليل ابدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؛ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه

والمظهر الثاني هو مظهر التدرج في النهي عن عادة متأصلة أو تحريم عمل بغيض ، ولربما يتملك الانسان العجب – وبخاصة غير المسلم – حينما يجد الاسلام الحنيف النظيف يقر الموبقات في واقع المسلمين مع ما فيها من ضرر بالغ ، وخطر جسيم لفترة من الزمن ، ثم يأخذ في تحريمها على مراحل وخطوات تسلم أولاها إلى اخراها حتى ينتهي بالناس ، أو ينتهي الناس بأنفسهم إلى الاقتناع بالضرر فيتركوا ، ويرعووا ، .. ثم لا يعودوا ... لا يعودون بأنفسهم دون ما ضغط أو إجبار ، فالاسلام في نهجه التربوي الهادف يشير فحسب من بعيد الى الأثر الخطير ، والضرر الكبير ، لافتا نظر الانسان إليهما ، شأن والد رحيم أو أم رءوم تلفتان نظر ولدهما الغرير إلى ثوبه ، وقد تقذر من مداد إثر عبثه بالمداد ثم يسكتان فلا يعود .

كان ذلك النهج الواقعي السليم في تحريم الخمر وفي تبغيض الرق ، فقد راعى الاسلام واقع الانسان ، وأنه لا يطيق أن يترك أمرا درج على مزاولته منذ صغره ، وورثه عن آبائه وأجداده بمجرد الأمر بتركه ، وهو إن تركه تحت قسر أو تخويف كان متحفزا – لعدم اقتناعه أو لضيقه النفسي بهذا التحريم الفجائي – إلى أن ينكص على عقبه ، ويرتد إلى حمأته حتى مع لمسه ضررها ، واكتوائه بنارها ، ولا ينجح مصلح يجنح الى هذا التحريم الطفري ، لأنه بذلك يحرك في الانسان المنحرف غريزة العناد فيحرمان معا : المصلح من النجاح ، والمنحرف من الاصلاح .

ولحكمة جليلة تتجلى في مراعاة واقع الانسان خفف الله على المؤمنين المقاتلين في غزوة بدر الكبرى بعد أن أثار نخوتهم ، وأنهض هممهم بقوله تعالى : **(إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** الأنفال / ٦٥ وقد صرحت الآيات بعد ذلك تصريحا واقعيا بأن في المؤمنين يومئذ ضعفا ، وهذه لمسة واقعية تتسم بالرحمة الحانية فيجيء التخفيف في قوله تعالى : **(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)** الأنفال / ٦٦

ولما كان الاسلام دين الفطرة فانه راعى طاقة الانسان المحدودة ، فلم يكلفه فوق طاقته : **(لا يكلف الله**

نفسا الا وسعها) البقرة /٢٨٦ وأباح له ترك ما يجافي هذه الطاقة أو يرهقها ، كاباحته للمسلمين الصائمين مباشرة النساء في ليل الصوم مراعيا واقعهم الذي لم يطق منع تلك المباشرة نهار الصوم وليله ، فاختانوا أنفسهم ، فخفف الله عنهم : **(علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم)** البقرة /١٨٧

ولما كانت الواقعية من أهداف الاسلام ، ليسير بالانسان في طريق أمين إلى شاطىء أمين ، وربما يجنح بعض الناس إلى مجافاتها بدافع التنطع ، والاغراق في المبالغة ــ وجدنا الاسلام يوقف الانسان عن الشطط والايغال ولو في الخير ؛ لأن عاقبتهما بهر وانقطاع ، فعن أبي جحيفة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه » . أخرجه البخاري والترمذي .

وطبيعة الانسان تميل إلى التمتع بأطايب الحياة التي خلقها الله له ، ولو حرمت عليه مع ما فيه من نزوع إليها ، ومع ما فيها من بريق جاذب ــ لمال إليها ناسيا التحريم ، أو متناسيا إياه ، أو ذاكرا ، ولكن ماذا يفعل ؟ لهذا رعى الاسلام هذه الناحية بواقعية ، وأباح التمتع بالطيبات في نطاق القصد والاعتدال . قال تعالى في سورة الاعراف : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) الاعراف** ٣١ ، ٣٢ وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » متفق عليه فأباح الزواج استجابة للطبيعة البشرية التي فطر الناس عليها .

وهناك المجال الندي الرحيم للواقعية السامية في الاسلام ، وهو ميدان التوبة والعفو مراعاة لطبيعة الانسان التي تجنح الى الخطأ بحكم بشريتها : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » رواه احمد والترمذي فتقرير أن الخطأ من الانسان زاوية من طبيعة البشرية ، ثم فتح باب التوبة أمامه ليستأنف السير على الجادة السوية ، والطريق المستقيم ــ ذلك واقعية حانية لا يقررها إلا دين سماوي من أخص سماته الرحمة الشاملة ، قال تعالى في سورة الزمر : **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)** الزمر /٥٣ .

هذا جانب من واقعية الاسلام ، يتجلى في مراعاة الشارع لواقع الانسان بحكم بشريته المرسومة بالطاقة المحدودة ، والمدى القريب في مجال النشاط والعمل ، وهذا معنى

وسمها بالضعف كما صرح القرآن الكريم في أكثر من آية حينما يعرض لبيان طبيعة الانسان وسماته البشرية ، وهي لمسات في مجال الواقعية الاسلامية ، تدخل على الفؤاد البرد والسلام ، وتريح المسلم ، وترغب في الاسلام ، ومن ثم كانت ضمن أسباب عديدة عملت على انتشاره ، ثم على تمكنه من القلوب : **(فطرة الله التي فطر الناس عليها)** الروم / ٣٠ .

أما الجانب الآخر من تلك الواقعية الرشيدة فيبرز في توجيه الانسان بطريقة تربوية حصيفة إلى أن ينهج النهج الواقعي في كل تصرفاته عبر حياته ، حتى لا يسخط على قضاء ، أو يميت نفسه كمداً ، وأرحب ميدان لهذا النهج هو « الأسرة » في بدء تكوينها من زوجين مسلمين ، فان الاسلام بتعاليمه الواقعية لما كان ينشد هناء الأسرة أو الحياة الزوجية السعيدة حتى تهدأ النفوس ، وتخلص للعبادة ، وترضى بالواقع ـ نجده يوجه الزوج ـ بعد أن يمنحه القوامة على الزوجة ـ إلى أن ينظر الى شريكة حياته على أنها إنسان مثله ، وكل إنسان بطبعه البشري فيه المحاسن والمثالب ، والمزايا المرضيات ، والنواحي المسخطات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا ، رضي منها آخر » رواه مسلم .

ففي هذا الحديث النبوي الهادف علاج بل وقاية مما عسى أن ينجم عن الخيال الشاطح والأمل الخادع الجانب عند الزواج ، إذ أن كثيرا من حالات الزواج الفاشلة عند دراستها تتكشف عن نزعة خيالية سارحة كان يعيش فيها الزوج وهو يختار شريكة الحياة ، ولما صدم بصخرة الواقع كره الحياة ، وشريكة الحياة .

والاسلام بتوجيهه الواقعي هنا يلفت المسلم إلى ناحيتين فيهما العلاج : أولاهما النظر إلى نفسه ، فهو إنسان ، وزوجه إنسان ، وثانيتهما : النظر إلى محاسن زوجه بجانب النظر الى مثالبها ، بهذين العلاجين اللذين وصفهما الاسلام تسلم الحياة الزوجية من تصدع ، وتنقذ من انهيار .

ولما كان بعض الناس إذا مرض تناول دواء غيره إن تشابهت الأعراض مراعيا قياس حاله بحال من وصف له الدواء آنفا ـ فاننا لا نبعد إذا قلنا : إن هذا الحديث النبوي المطب صالح لعلاج كل حالة يكون فيها اتصال إنسان بانسان : زيجة كانت أو صداقة ، فالصديق أيضا إذا اتبع نهج الاسلام الواقعي فراعى في صديقه أنه إنسان يخطىء ويصيب ، ويحمل ما يرضى الناس ، وما يسخطهم ـ دامت الصداقة بينهما مدى عمريهما ، فلم يصبها تصدع ، ولم ينل منها خلاف .

هذه الواقعية التي يجذب إليها الاسلام كفيلة باسعاد المسلم في حياته ؛ لتطيب في عينه الحياة ، فيرضى عن مبدع الحياة ، ويرضى عنه الله .

عودة العيد

للأستاذ / : احمد حسن القضاة

عدت يا عيد بقلب منفطر — دامع المقلة ، هياباً ، حذر ..
إذ تجيل الطرف فيما بيننا — وتنادي : يا لقومي ! ما الخبر ؟
لم أكن أدري بما حل بهم — من هوان وضياع وخطر ..
إنما عهدي بهم أنهم — (قلعة) الدين ، وسادات البشر .!

* * *

عدت يا عيد وهذي حالنا — كقطيع ضل في يوم مطر ..
.. غاب (راعيه) ولا من عودة — ويحه ! في اي ارض يستقر ؟!
كنت في الماضي تراثنا (أمة) — قد حباها الله صيداً (كعمر)
وحدتها للمعالي شرعة — ومضت تنشر عدلا يذكر
عم في الأرض (سلام) يحتذى — فاذا الظلم بعيداً ينحسر

* * *

أنت يا عيد لدينا مكرم — وأعز اثنين ، طه قد ذكر
عجباً للعرب ما أظلمهم — قيدوا الفكر ، أطاعوا من كفر
وتراهم لهواهم خانعين — وأضاعوا ما لديهم من درر
كثر (الزخرف) في هذي الدنا — وعلا الباطل في شتى الصور
عمت (البدعة) واستشرى (الهوى) — و (الضلالات) ولا من (معتبر)
تخذوا للأم (عيداً) ما دروا — أنما عيدها ألا تحتقر !
وكذا (الثورة) أحيوا (عيدها) — وتغنوا بين كأس ووتر .!
ليس من يبدع نهجاً حسناً — مثل من يبدع سوءاً وضرر

* * *

أمة الاسلام يا أم العلا — أين فرسانك لليوم الأغر ؟
أين أعلامك : علماً وتقى — أين أبطالك في كر وفر ؟
أمة التوحيد هذي صيحة — من صميم القلب توحي بالنذر :
كلما البعد عن (الحق) طغى — كلما الكفر تبدى وانتشر
من يرد نصراً فلا بد له — ينصر الله بما الله أمر

قصة النفس كما يراها الامام الغزالي رضي الله عنه

النفس

للامام الغزالي رضي الله عنه بحث قيم لعله الأول من نوعه في عالم النفس ، لم يسبقه اليه أحد ، إذ جاء في بحثه ذاك بنظريات تفرد بها في كتاب قديم له عظيم القيمة والمقدار بعنوان مدارج القدس في معرفة النفس ، غير أن الكتاب كما يبدو قد وضع للخاصة وربما لخاصة الخاصة لما يشتمل عليه من كثير من الاشارات التجريدية التي قد تبدو للقارىء العادي كالالغاز أو الطلاسم من امثال النفس الكلية .. والعقل الهيولي .. وقد قامت دار الجندي للنشر بالقاهرة بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتخريج احاديثه بمعرفة فضيلة الشيخ محمد مصطفى ابي العلا في نحو مائتي صفحة من الحجم العادي وكنا نود لو تم إضافة شيء من الشرح على الهامش لتبسيط ما يبدو معقدا عسير الفهم وهو ما نحاوله بجهد متواضع في هذه الصفحات مع شيء من التصرف والتيسير في الايضاح ..

ماذا في عالم النفس ..؟

هو اقرب شيء الى الانسان بل هو

في عالمها

للاستاذ/ محمد لبيب البوهي

ذاته وقد استحوذ هذا العالم ومازال على كثير من أهل الفكر .. بل إن النظر في عالم النفس يفتح الآفاق لتثبيت الايمان وزيادته بقوله تعالى : **(وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات / ٢٠، ٢١. فمعرفة الانسان لنفسه تضاعف من يقينه كما جاء في الاثر : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) لما في تكوين النفس من آيات الله ما يرفع إدراكها من يقين الانسان .. ويقدم الامام الغزالي براهين كثيرة على أن النفس منزهة عن صفات الأجسام ، ويكشف الحجاب عن مقومات وجودها ..

وبقائها .. وسعادتها .. وشقائها بعد مفارقة الأجسام .. حتى ليبعث فينا المزيد من الشوق للمزيد من دراستها .. وهذه الدراسة التي يوردها الاستاذ الامام لا تقف بنا عند حد النفس ، بل تربطنا بعالم الملائكة لصلة الملائكة بالانسان .. بل وصلة النفس بعالم الشياطين لمحاولتهم صرفها عن رسالتها .. وما نزال مع الاستاذ الامام نسير من جوانب مشرقة الى جوانب اكثر اشراقا وهو

يأخذ بأيدينا الى خفايا عالم النفس العميق البعيد الغور وما يكون من حظ النفس في جهادها الى الوصول الى درجات الالهام ، ويكشف لنا الحجاب عن عالم المعجزات .. والنبوات والسعادة في العالم الآخر — وكيف تستطيع النفس تحقيق هذه السعادة قبل مفارقتها للبدن .. بل كيف يكون في مقدورها أن تتذوق في حياتها الأرضية العابرة الموقوتة الفانية بعض طيبات الحياة الأخرى .

اختلاف ما يطلق على النفس من اسماء وصفات

فكلمات النفس .. والقلب .. والروح .. والعقل كثيرا ما تكون معاني مترادفة للتعبير عن النفس في مفهوم كثير من الناس .. أما مكونات النفس فتشمل أمرين أولهما : الصورة الحسية البدنية بغرائزها الارضية والحيوانية والتي علمنا الهادي البشير عليه صلوات الله وسلامه ان جهادها هو الجهاد الأكبر . وثانيهما : الجوهر الكامن فيها والذي هو المحرك لها والمدبر لامرها ..

وعلى هذا الاساس تختلف صفات النفس طبقا لمنازعها واتجاهاتها .. فاذا اتجهت الى الرشد والصواب ونزلت عليها السكينة الالهية ، فهي حينئذ النفس المطمئنة التي خاطبها ربها سبحانه بقوله : **(يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية)** الفجر/٢٧ ، ٢٨ وقد تكون مع غرائز البدن والقوى الحيوانية في صراع ، فتارة تكون لها الغلبة على تلك الغرائز ، فهي عندئذ نفس لوامة .. وهي حالة أكثر الخلق .. أما حين تغلبها صفاتها الحيوانية فترضخ لها تماما فهذه هي النفس الأمارة بالسوء .

إثبات وجود النفس

وجود النفس أمر بدهي قد لا يحتاج الى دليل ، فالخطابات والنداءات والصفات الموجهة لها من ربها لايمكن عقلا أن تكون موجهة الى معدوم بل الى موجود .. فالانسان يختلف من هذه الناحية عن النبات والحيوان فالنبات قاصر على مجرد النمو .. والحيوان يأخذ عن النبات خاصية النمو مع الحركة ، ويهتدي الى مصالحه تلقائيا بالغريزة ، فهو يتجه الى ما ينفعه ويهرب مما يضره .. والانسان فيه من النبات خاصية النمو .. ومن الحيوان خاصية الحركة ويتميز بادراك الأشياء الخارجة عنه سواء كانت من المحسوسات .. أم المعنويات . فهو يدرك المحسوسات بالحواس .. ويدرك المعاني بالجوهر العقلي الذي فيه .

ويمكن أن ندرك ان النفس جوهر من ان الانسان لا يغيب عن الشعور بذاته .. فهو دائما حاضر مع هذه الذات .. وفي النوم حين تكون الاعضاء البدنية في شبه موت لا حركة

لها نرى النفس في المنام تنهض .. وتتحرك .. وتسافر وتتصارع .

فهي اذن ليست مادة .. وليست جزءا من الجسم الذي هي فيه .

من براهين وجود النفس

يرى الامام ابو حامد الغزالي ان النفس ليست جسما ماديا لانها لو كانت كذلك فانها اما ان تكون مادتها داخل الجسم او خارجة عنه ، فان كانت خارجة عنه فكيف تؤثر وتتصرف في ذلك الجسم ؟ وان كانت داخل البدن لكان ينبغي اذا قطع من البدن طرف أن تنزوي النفس التي كانت بذلك الجزء ، وتنتقل من عضو الى عضو ، وذلك لا يحدث بل النفس تظل على قواها ، فلو قطعت يد انسان أو رجله فان قواه العقلية تظل بلا نقصان ، ولو كانت النفس الانسانية منطبعة في البدن لكان يضعف فعلها مع ضعف البدن أو مرضه ولما كانت النفس ليست مادة فلا يجوز عليها ما يجري على المادة فهي لا تضعف ولا تمرض ، ولا تشيخ ..

ويسترسل الامام رضي الله عنه في بحثه ذاك الممتع حتى ينتهي الى أن النفس لها وظيفتان وظيفة في تصريف البدن ، والوظيفة الاخرى في سياسة الحياة والأمور العقلية والوظيفتان تحتاجان الى توازن في النفس في الأداء ، فزيادة إقبالها على عالم الحس يقلل من ممارستها للأمور العقلية .

الخير والشر وارتباط العقل بالشرع

ولما كانت الحركة الانسانية فيها الخير والشر ، لذلك كانت النفس دائما في حاجة الى التسديد والترشيد ، وكما ان الحركات النباتية للنبات تحتاج الى تشذيب ، والحركات الحيوانية تحتاج الى توجيه كذلك تحتاج الحركة الانسانية للنفس الى ترشيد لتؤدي رسالتها على وجه كريم ، فالشرع ضرورة لتأديبها كما يقول الهادي البشير عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » رواه ابن السمعان في أدب الاملاء عن ابن مسعود فالنفس لا تهتدي الا بالعقل .. والعقل لا يهتدي الا بالشرع .. ولذلك قال سبحانه : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**) المائدة / ١٥ ، ١٦ فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده ..

ويشرح لنا هذا الفصل في دراسة عميقة الصلة بين النفس .. والعقل .. والشرع ومنه ندرك ان الشرع يقينا هو المرشد .. والموجه للنفس في كل ظروفها واحوالها حين تبتغي الهدى . فتارة يقوم الشرع بتذكير العقل حتى يتذكر ما نسيه . وتارة بالتعليم والتوجيه الى الاعتقادات الصحيحة الدالة على حسن مصالح الدنيا والآخرة .. ومتى عدلت النفس عن الشرع فقد ضلت طريق الهدى يقول الله سبحانه : (**ولولا فضل الله**

عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) النساء /٨٣

اختلاف النفوس في ممارسة وتحقيق ذاتها

وتختلف النفوس في ممارستها لوظائفها ، فاعلاها ان تكون مشرقة مضيئة كزيت مضيء ولو لم تمسسه نار ، فتسبح هذه النفس في عالم من الصفاء ، ويكون لها فيض متواصل تتلألأ فيه الانوار ، التي تفيض عليها من الملأ الأعلى ، فهذه النفس كأنما قد نفضت عنها بشريتها الهابطة واتصلت بعالم القدس .. حتى لقد يستوي امر هذه النفس في ملابستها للبدن ومفارقتها له ، فهذه النفس تحكم البدن تماما وليس هو الذي يحكمها او يستعملها ، وهذه النفس تعيش في دنياها وهي في ذات الوقت تنعم بأنوار الآخرة ومباهجها يقول احد الصالحين « لو كشف عني الغطاء ما ازددت يقينا » .

في سعادة النفس وكمال جوهرها

حين تكون النفس في طريقها السليم فانها تتخذ من البدن خادما ذلولا ومطية الى اغراضها الشريفة ، وبذلك ترقى دواما في مدارج الجلال ، واما اذا اتبعت الشهوات فهي تهبط رويدا رويدا متباعدة عن شمس الانوار الالهية ، فهي لا تقترب من سعادتها وكمالها الا بالمعقولات الشرعية التي تعينها على فضائلها .

كيف تنشأ الفضائل والرذائل ؟

يرى الامام الغزالي رضي الله عنه ان الفضائل والرذائل تنشأ من ثلاث قوى في الانسان .. قوة التخيل .. وقوة الشهوة .. وقوة الغضب .. فهذه القوى الثلاث معينات للنفس او مثبطات لها . والمقصود بالقوة المتخيلة الصور التي تبدو عليها الرغبات في النفس ، قبل ان تتحول ارادة الانسان بها الى ممارستها كأفعال .. فهي تخرج الى حيز التنفيذ بعد ان كانت مجرد خيال وتتفاوت هذه المخيلة بين الحق والباطل .. وميزان فضيلتها حين تتوافق مع الاحكام الشرعية .. وترتفع درجات النفس في مدارج الكمال بقدر غلبة هذا الطابع الشرعي على مخيلاتها واعمالها .. حتى لقد يستطيع المرء بذلك ان يحيا على الارض سعيدا في حياة ملائكية : **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة)** فصلت /٣٠

ومن قوة التخيل ما يكون مزينا بدسيسة من الشياطين حين يسيطرون على زمام النفس الخبيثة :**(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم)** الشعراء/ ٢٢١و٢٢٢

النفس والقوة الشهوية

اما القوة الشهوية فهي كذلك اما صاعدة واما هابطة .. وهي اصعب

اصلاحا من سائر القوى .. لانها اقدم القوى وجودا في الانسان .. ويرتفع الانسان عن المستوى البهيمي بقدر قوة الانضباط والتحكم السليم في الشهوات عند الاحساس بها في المخيلة وهي مجرد خواطر او رغبات وتحويلها بالارادة عن الاتجاه السيىء .

وقوة التخيل او التصور للانسان ضرورة له ولولاها لما امكن تصور نعيم الآخرة والعمل على تحقيقه وتحصيله بالعبادة .. ولا سبيل للعبادة الا بالحياة الدنيوية .. وتسخير البدن في هذا السبيل بالاسلوب الشرعي .. فالدنيا ضرورية لانها مزرعة الاخرة .. ولذلك لو تصورنا الشهوة معدومة اطلاقا لاختل نظام الدين والدنيا .. وارتفعت المعاملات بين الناس .. وارتفعت الشريعة والسياسة فالشهوة تخشى مضرتها من وجه ويرجى نفعها من وجه اخر بالعلاج .

علاج النفس :

ولذلك كان لا بد دائما من موالاة النفس بالعلاج المستمر .. ويرى الامام الغزالي انه مما تعالج به النفس كسر تطرف شهواتها بالتحكم في قوة المخيلة .. حين يستحضر الانسان دواما في خياله الذهني ما تنتهي اليه الشهوات من لذة عابرة وقتية يعقبها هم وندم .. كما يرى ايضا كسر القوة الغضبية بتصور نتائج الطيش والاندفاع .. وان مما يعين الميزان الشرعي والمنطق العقلي السليم على اداء هذا التوجيه قلة الطعام الا بالقدر اللازم لحفظ البدن ، فهذه القلة تعين على صفاء القلب ورقته وتجعل النفس متقبلة لحلاوة المناجاة .. ويرى الامام كذلك ان من الاسباب المهيجة للغضب والزهو والعجب شدة الحرص على فضول المال والجاه مما يعرض المرء الى صراع مع الأخرين .

بيان امهات الفضائل :

لما كانت امانة النفس هي ان تعمل على تهذيب ذاتها فان الغزالي يرى ان عليها ان تدرك بداية ان امهات الفضائل اربع .. الحكمة .. والشجاعة .. والعفة .. والعدالة .

فالحكمة فضيلة العقل وقد عظمها الله سبحانه بقوله : **(ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا)** البقرة/ ٢٦٩ والوجه المقابل للحكمة هو القوة الغضبية وتحكمها الشجاعة النفسية في السيطرة على موجبات الاندفاع والعفة هي فضيلة القوة الشهوية .

والحكمة هي سيدة سائر القوى .. اذ هي ادراك صواب الافعال والاتجاه اليها بالارادة .

ثم يذكر الامام الغزالي الأساليب التي يستطاع بها تحقيق كل فضيلة من الفضائل الاربع .. فمن كان طبعه

يميل الى الجبن فليدرب نفسه على افعال الشجاعة . ولو تكلفا في البداية ، حتى تتحقق له العادة بالمواظبة ، واما الاعمال التي تدخل تحت نطاق القوتين الغضبية او الشهوية فعلى العاقل تعود الاعتدال ، ولو فعل لعاش هادىء النفس طوال حياته ، ثم ترتحل النفس عند موتها وليس معها علاقة ارضية فلا تتعذب لما فاتها منها .

والعدالة عند الامام الغزالي هي الجامعة لامهات الفضائل ويعرفها بانها الترتيب المتناسق بوضع كل شيء موضعه ، ولذلك كان الجور وهو الوجه المقابل للعدالة جامعا لجميع الرذائل .. وبالحرص على خاصية الترتيب المتناسق لكل شيء يصقل القلب ويصبح كالمرآة الصافية فتنعكس عليه حقائق الاشياء والأمور حتى تنجلي عنها غاشية الحجاب الذي يحجب النفس عن حقيقتها العليا .

بيان خلود النفس

وفي بيان خلود النفس يورد الاستاذ الامام براهين كثيرة منها البرهان العقلي القائم على ان كل شيء يفسد بفساد جزء منه ، ونحن نرى انه بفساد جزء من البدن لا تتأثر النفس بهذا الفساد لان النفس عامة في سائر البدن . بمعنى انه ليس هناك جزء منها خاص بالعين مثلا .. وجزء خاص بالاذن .. وجزء خاص بكل عضو اخر .. بل هي جوهر متكامل لا يتأثر بفساد اجزاء الجسم بل قد نرى انسانا يفقد بعض اطرافه كاليدين او القدمين ثم نراه في يقظة تامة .

سعادة النفس او شقاؤها بعد مفارقة البدن :

ويسير الكتاب سيرا ممعنا في التجريد لمستوى خاصة الخاصة فقد اطال الحديث عن ـ الهيولي .. والعقل الفعال .. وقوى الحواس الظاهرة والباطنة .. ولذلك نرجو ان نورد بعض ما نراه في تصرف موجز لا يخل بالاصل ولا ينأى عنه ، فهو يرى ان كمال النفس في دنياها يكون بقدر ما تحققه من المعرفة .. وانها تجد لذتها بذلك في الشوق الى عالمها الذي جاءت منه .. وان منتهى كمال هذا الشوق هو الشوق الى الله .. فاذا فارقت البدن انتقلت معها هذه الخاصية .. واما النفوس التي لم تكتسب هذا الشوق العلوي .. فان هذه النفوس متى فارقت البدن فاذا كانت غير مكتسبة للرذائل ولم تتمكن منها فانها تصير الى سعة من رحمة الله ومجرد نوع من الراحة وذلك مصير النفوس الساذجة .. والصبيان وغيرهم ممن لم يستطيعوا تحقيق الكمالات ولا ذنب لهم .. وأما النفوس التي كانت في دنياها ملطخة بالمعاصي .. ولم تكتسب شوقا ولا تطلعا فهي تتعذب عذابا شديدا لذلك والكتاب عظيم القيمة يحتاج الى مجهود كبير في تبسيطه وشرحه فهو غذاء عقلي نادر وغير مسبوق والله المستعان .

كنيسة النصرانية

هل أنشأها أو عبد الله فيها ورتب أمورها وأنظمتها المسيح عيسى عليه السلام

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

إن المتتبع لأناجيل النصرانية وما ألحق بها من رسائل يتبين له أنها لم تنسب الى المسيح تعبيرا يثبت قيامه ببناء كنيسة مما تعارف عليه النصارى بأنه مكان العبادة وبالتالي فلم يتعبد المسيح طيلة حياته أو مدة دعوته في أي كنيسة من هذه الكنائس .

أما الثابت عنه فهو أنه كان يعلن دعوته ويبلغ رسالته في مجامع « أي معابد الاسرائيليين » ، وهو ما غلب على تسميتهم باليهود بوصفه رسولا خاصا إليهم ولنستدل على ذلك بالنصوص الآتية على سبيل المثال :

يقول متى في إنجيله : (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين

فشفاهم فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليين واليهودية ومن عبر الأردن) انظر الاصحاح الرابع من انجيل متى عدد ٢٣ ـ ٢٥ وكلمة يسوع تعني عيسى أو المسيح .

وقد تضطره الظروف الى إلقاء تعاليمه في الجبل لكنه ينبه المستجمعين لدعوته أنها مكملة لدعوة موسى عليه السلام وليست ناقضة لها ـ وأي نقض لدعوة موسى وديانته لا يكون بانشاء مكان للعبادة مستقل عن معابد اليهود وهياكلهم يشير الى ذلك قوله : (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس) انظر انجيل متى في الاصحاح الخامس عدد ١٧ ، ١٨ وكلمة الناموس تعني شريعة موسى عليه السلام وكتابه التوراة .

ويؤكد على تلاميذه حين يرسلهم لابلاغ دعوته بأنها خاصة باليهود فقط لذلك يقول عنه متى في إنجيله : (ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف ، هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ـ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة) انجيل متى الاصحاح العاشر عدد ١ ، ٥ ، ٦ .

ولما أراد الانتقال من الجليل الى أورشليم القدس لاعلان كهنتها بدعوته ورسالته دخل الى هيكل عبادة اليهود يشير الى ذلك قوله : (ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي ناصره الجليل ودخل يسوع الى هيكل الله واخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) انجيل متى في الاصحاح الحادي والعشرين عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ وهيكل الله كان معبد اليهود الأكبر في مدينة القدس بناه نبي الله سليمان عليه السلام وقد دمره اعداء اليهود من البابليين والرومان في فترات عدة انتقاما من اليهود .

وما تقدم من نصوص وما شابهها يتبين أن المسيح عليه السلام لم ينشيء أية كنيسة ويقرر الكاتبون النصارى أن أكثر الأمور المحققة ثبوتا لدى أي باحث يدرس الأناجيل في غير ما تحيز هو : (أن المسيح لم ينشيء كنيسة ولم يردها ـ بل ان افتراض العكس لن يجد له سندا تاريخيا مقبولا ـ فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل) .

ويعلل هؤلاء الكاتبون ما وصلوا اليه من نتيجة بأن نصوص الأناجيل تشير الى أن المسيح كان يبشر ويترقب حلول مملكة الله الوشيك . ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقه كل

فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه .

ثم ان المسيح كان يهوديا خاضعا تمام الخضوع لشريعة اليهود الدينية ـ لهذا كان لا بد من الايقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما يسمى بالكنيسة .

أما الزعم بأن المسيح أعطى لحوارييه سلطة ما فهذا محل جدل الى اليوم ـ وعلى افتراض احتماله ـ لا ثبوته ـ فانه لا يتعدى أن يكون المسيح قد منحهم بعض ما أوتي من سلطان التبشير بالتوبة ـ وبحلول مملكة الله ، لكنه البتة لم يصنع لهم أساقفة أو قساوسة ، حيث لم يكن هو في حاجة الى هذا إطلاقا ـ انظر اليه في قوله : (ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثنى عشر عن المثل فقال لهم قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله) انظر انجيل مرقص في الاصحاح الرابع عدد ١٠ ، ١١ .

كما ورد في انجيل لوقا قوله : (وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر) انجيل لوقا في الاصحاح الثامن عدد١ .

هل أنشأ الكنيسة حواريو المسيح ؟

ان الدارس لما قام به الحواريون من أعمال ، فانه لا يجد أنهم فكروا في إنشاء أية كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائر عبادته ، لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لمملكة الله التي بشر بها المسيح وليس لكنيسة ما .

وجود نص عن الكنيسة في انجيل متى وهل يتعارض مع رسالة السيد المسيح ؟

أورد متى في انجيله النص الغريب الآتي عن مناقشة بين المسيح وبين بطرس الحواري : (وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) انظر انجيل متى الاصحاح ١٦ عدد ١٨ .

والمتأمل لهذا النص يجد ان المسيح كأنه تنكر لرسالته التي جاء بها لبني اسرائيل لأن رسالته كانت التبشير بقرب حلول مملكة الله ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان النص يفيد أن المسيح سيبني كنيسة وقد انتهى المسيح عليه السلام من هذه الأرض ولم يبن تلك الكنيسة على الاطلاق مما يؤكد شذوذ النص المشار اليه وتعارضه مع رسالة المسيح ، يضاف الى ذلك فان لفظ الكنيسة كما سيأتي في هذا المقال لفظ يوناني لانها نشأت اساسا في ربوع العالم اليوناني والمسيح لم يظهر في بلاد اليونان ولم يتكلم اللغة اليونانية .

كيف نشأت فكرة انشاء الكنيسة بمعنى نظام تعبدي ؟

يقرر علماء الأديان ان فكرة إنشاء

كنيسة لأداء مناسك العبادة – وتسلسل وظائفها في الكهنوت وفي الاكليروس انما نشأت في ربوع العالم اليوناني بعيدا عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح وبشر فيها برسالته بلغته التي كانت الآرامية .

ويقولون : « إن اليهود المغتربين في مهاجرهم قد طردوا أتباع المسيح من معابدهم اليهودية ، سواء كان هذا التابع يهوديا في أصله أم غير يهودي أي من الأمم غير اليهودية ، فتكون من هؤلاء الأتباع المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم المسيح مع اولئك الوثنيين اليونانيين الذين طردوا هم كذلك من معابد الوثنيين لاتباعهم المسيح – كونوا جميعا تجمعا حول عبادة واحدة » تمجد المسيح – عبادة لا تعدو ان تكون عبادة بدائية .

ويقول الاستاذ الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي الأستاذ بجامعة القاهرة في كتابه (نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الشريعة المسيحية) الآتي :

١ – ان لهيب الاضطهاد استمر على النصارى ثلاثة قرون من قبل حكام الامبراطورية الرومانية – يثور أو يخمد مثل حمم البركان وفقا لظروف الامبراطورية ونشاط حكامها .

٢) ولقد اعتصم النصارى بالمغارات الصخرية في جوف الأرض لاداء شعائرهم الدينية بعيدا عن اضطهاد الرومان .

٣) إن فكرة بناء الكنائس ليس لها أي أساس عقائدي في ملة النصرانية الحقة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، بل هي من ابتداع واختراعات بولس الذي لم ير المسيح عليه السلام ولم يؤمن به ، بل كان عدوا له ولحوارييه وتلاميذه وبعد ذهاب المسيح من هذا العالم ، زعم لهؤلاء التلاميذ أنه رأى المسيح وأنه آمن به ، ثم لما اطمأنوا اليه أخذ يبث من التعاليم ما يناقض دعوته ويتعارض مع ما تلقاه هؤلاء التلاميذ من المسيح عليه السلام .

ويقول د . شارل جن بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس أن فكرة الكنيسة انطوت على فكرة الاجتماع الأخوي ، وفي هذه الحالة سمى أتباع المسيح أنفسهم بالقديسين وظلت الكنيسة في نشأتها بهذا المفهوم الذي لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنين المحليين بالمسيح دون أن يظهر ما يسمى بكنيسة الله في كيان مادي ملموس .

ولا تزال فكرة نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض لعدم وجود أدلة كافية عن ظروف نشأتها ، لأنها نشأت في أحضان الارهاب السياسي والاضطهاد الحكومي والشعبي ، ويمكن القول افتراضا أن جماعات قامت باسم التعاون بين صغار الناس وكان لكل جماعة مدير منتخب – وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص – فلعل هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية النصرانية المتناثرة فأنشأوا نظاما إداريا للكنيسة تطور فيما بعد الى ما يعرف بالقسيس – والأسقف والشماس

وهو لفظ سرياني يعني المعاون .

وقد ظهر ذلك في القرن الأول الميلادي — ثم تطور فيما بعد الى نظام متكامل معقد فرضته ظروف كثيرة من اختلاف القساوسة في العقيدة — وتحمسهم لأوطانهم — وشراهتهم في جمع المال وتنافسهم على السلطات .

الكنيسة تستعير من الرومان نظام وأوضاع رجال الدين

يقول جيرالد لبيري من كبار مفكري الغرب في كتابه ديانات العالم عن النصرانية أن الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات طبقا للآتي : —

أولا : في خلال القرون الأولى للنصرانية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن النصارى كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم — ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن — واسمه مستعار من اليونانية وهو الرجل الشيخ

ثانيا : فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ النصارى يرتبون لها نظما أكثر دقة ودواما تنحصر فيما يلي :

١) أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها — وكل منهم يسمى قسيسا أو رجل دين .

٢) أطلق على هؤلاء المنقطعين رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين غير المنقطعين لخدمة الدين .

٣) كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران .

٤) الأساقفة في المدن الرئيسية اطلق على كل منهم رئيس الأساقفة في دائرته .

٥) من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة الى مكان أسمى — وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريق — وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية : (أنطاكية — وبيت المقدس — والاسكندرية — والقسطنطينية وروما) فأربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب .

٦)قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب « بابا » ولكن منذ القرن الحادي عشر في عهد البابا جريجوري السابع حاول أن يختص بهذا اللقب رئيس اساقفة روما لكن ينازعه حاليا بطريك الاسكندرية اذ أمر أتباعه بمناداته بلقب بابا الاسكندرية .

٧) وبفعل نفوذ بابا روما أصدر الامبراطور الروماني في سنة ٤٤٥ ميلادية قرارا بجعله رئيسا عاما للكنائس النصرانية — وقد تمكن باباوات روما وقتئذ من الاستيلاء على السلطة السياسية هناك ، وظل السلطان السياسي في يد هؤلاء الباباوات مدة اثنى عشر قرنا كونت فيها الكنيسة هناك من نفسها دولة وساعدها في ذلك قوتها وغناها .

أ — فأذاعت كنيسة روما ان مكانتها أسمى من مكانة الملوك والاباطرة .

ب ــ وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والادارة .
جـ ــ وأنه المشرع والمفسر النهائي للكتاب المقدس .
د ــ وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء .

فجبت الكنيسة الضرائب ــ وسيطرت على القضاء ــ واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخاليفها ــ واستصدرت قانونا جديدا عكف على إعداده عدد كبير من القسس ــ وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس اذا اخطأوا كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس .

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ــ وكان غناها من ايراد الممتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها ومن الوصايا التي طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيما في الحياة الآخرة .

وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي ، فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر .

واجتمع في الكنيسة جميع شؤون الأسرة كالزواج والطلاق وقيد المواليد والوراثة والوصايا وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات وعد رجال الكنيسة انفسهم ممثلين لله في الأرض ــ فأخذوا حق قيادة افكار الناس وأعمالهم ــ وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله وأنها منفذ الرحمة ــ وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء .

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الكنيسة كثيرا من الناس ليدخلوا الكنائس ولينصتوا الى رجالها لينعموا بهذا النفوذ ــ وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة ــ وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الاطماع وعبدة الدنيا محسوبين في عداد رجال الدين .

ولما ازدادت قوة الكنيسة واهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عددا وتنوعت هذه الطقوس ــ وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ــ وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء في حياة الانسان النصراني وبعد موته ، ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس الى سبعة هي على الترتيب الآتي : ــ

١ ــ تعميد الأطفال عقب ولادتهم لتمحى عنهم آثار الخطيئة الاصلية (خطيئة آدم في زعمهم) .
٢ ــ العشاء الرباني وهو يكون بالماء او الخمر ومعه الخبز الجاف .
٣ ــ الاعتراف ويتبع الاعتراف الغفران (المذنب المعترف بخطيئته امام القسيس)
٤ ــ حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت .
٥ ــ حضور القسيس عند الزواج

ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .

٦ ـ الميرون وهو مزيج من العقاقير عليه بقايا تحررت كما يدعى رجال الكهنوت من الدهن الذي صنعه الرسل ولا يمسح به الا الكهنة .

٧ ـ الكهنوت ـ معناه السر الذي يحصل الانسان به على النعمة التي تؤهله لاداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة ـ والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح وكذلك الاسرار الستة الاولى (على حد قولهم) .

٨ ـ السر الثامن وتنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة بابا روما واستحالة ارتكابه الاثم والخطيئة لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول (ويبدو ان هذا السر لم يعد قاصرا على بابا روما وحده بل تعداه الى باقي البطارقة فزعموا العصمة لأنفسهم بفعل هذا الروح القدس) .

الاسلام ينعي على النصارى هذا الابتداع في الدين

لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بعقيدة الاسلام ، أمره ان يبلغ اهل الكتاب من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها ، الا ينقادوا لشهوات الأحبار والرهبان فيما ابتدعوه قديما من نظم كنسية وما رسموه من تقاليد كهنوتية فهم قد ضلوا من قبل فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله فأضلوا كثيرا ممن اتبعوهم دون روية او تفكير وما عليهم الا تلبية دعوة الحق ألا وهو الاسلام فهو يدعو الى جادة الطريق الذي لا عوج فيه ولا التواء ولا مغالاة قال تعالى :

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) المائدة/٧٧ .

كما حذرهم القرآن الكريم بأن في قيامهم بطاعة رهبانهم واساقفتهم فيما لم يحله الله ويشرعه وفي كراهيتهم لدعوة الاسلام ـ إثم كبير بل وشرك بالله يقول جلت كلماته :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) التوبة/٣١ .

ولقد كشف القرآن سوء اخلاق اولئك الاحبار والرهبان حتى يعلم اتباعهم انهم غير جديرين بتقديسهم لهم والأخذ عنهم فهم يأخذون من هؤلاء الأتباع الضرائب والمكوس باسم الكنائس ، ويستولون عليها لشهواتهم واغراضهم ويكنزونها ولا يكتفون بذلك بل يصدون اتباعهم ويمنعونهم عن الدخول في دين الاسلام واتباع ما ارسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة وأحكام يقول تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) . التوبة/٣٤ .

أكثر الأوجاع شيوعاً

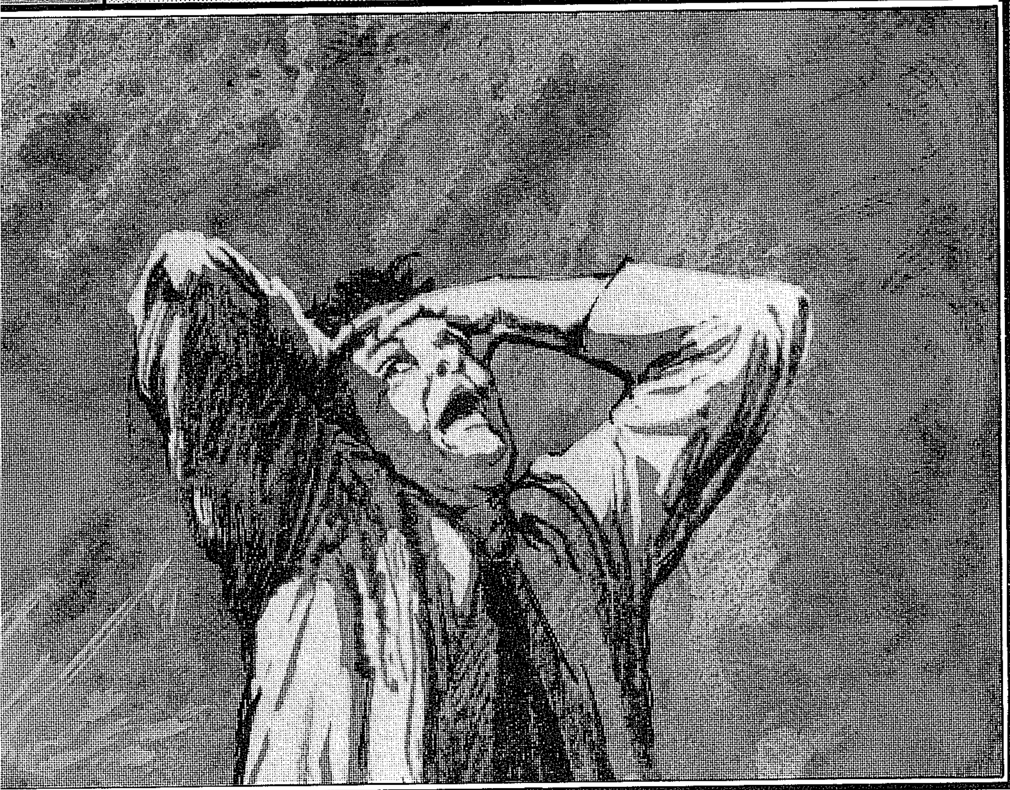
للدكتور/غريب جمعة

لست أنسى ذلك اليوم حينما كنت أعمل طبيبا بالقوات المسلحة في مكان يبعد عن القاهرة اكثر من ستمائة كيلو مترا ، وكنا بضعا من الزملاء بيننا واحد يكبرنا في السن والرتبة وكان دائم الشكوى من صداع بالرأس وكثيرا ما كان يتناول بعض الاقراص من المسكنات فيذهب الصداع أو تخف حدته على الأقل .

وذات مرة زاد عليه الألم وأخذ يبتلع قرصا تلو الآخر ولكن دون فائدة ، وتعالى صراخه من شدة الألم قائلا : يارب ... يارب ثم بدأ يبكي كالأطفال طالبا منا أن نسعفه بما يريحه ، ولم يكن أمامنا بد من إعطائه حقنة منومة ، وتم ذلك ونام بالفعل ، ثم استيقظ من نومه وقد ذهب آلمه باذن الله .

ومن العجب أن نرى الانسان يجأر بالشكوى إلى ربه إذا أصابه الضر ، حتى إذا ذهب ضره عاد إلى ما كان عليه من نسيان لربه وتفريط في جنبه .
ويصور القرآن الكريم هذا الطبع في الانسان أبلغ تصوير في قول الله عز وجل :

(وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا



عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يونس/١٢ .

وكم في الانسان من جحود وكنود ، ودعنا أيها القارىء من الحديث عن طبائع الانسان وغرائزه فليس ذلك موضوعنا وهيا بنا إلى الحديث عن موضوعنا وهو الصداع والله المستعان .

كيف ينشأ الاحساس بالصداع ؟

الصداع هو ألم بالرأس وهو من أكثر الأوجاع شيوعا في الانسان والأولى أن يعتبر عرضا وليس في ذاته مرضا ولكي نفهم كيف ينشأ الاحساس به ، لابد أن نتعرف بايجاز على محتويات الجمجمة . ففي داخلها يستقر المخ وهو مغلف بثلاثة أغلفة « أغشية » من النسيج الضام ، وتوجد بين تلك الأغلفة فراغات ممتلئة بسائل يطلق عليه « السائل المخي الشوكي » .

وقد أوجد اللطيف بعباده والخبير بصنعته هذا السائل ، ليقوم بدور وسادة لينة بين المخ والجمجمة

الصلبة ، حتى لا يرتطم بها أثناء الحركة أو القفز أو نحو ذلك . وتنتشر الأوعيـة الدمـوية بنـوعيها ، وهي الشـرايـين والأوردة في الأغشيـة الثلاثة . وتقوم الشرايين بحمل الدم الغني بالأوكسيجين والمواد الغذائية من القلب إلى المخ ليؤدي وظائفه . أما الأوردة فتقـوم بحمل الـدم الذي استنفدت منه هذه المواد من المخ إلى القلب في دورة جـديدة وهكـذا .. دواليك .

ونسيج المخ في ذاته غير حساس للألم ، ولكن الاحساس بالألم ينشأ بـواسطة اغشيـة المخ والشـرايين والأوردة ومعظم التركيبات الواقعة على سطح الجمجمة ، وينشأ معظم الألم بسبب الضغط على أحد هذه المحتويات فمثـلا : زيادة السـائل المخي الشوكي تسبب ضغطا على أغشية المخ ، ومن ثم ينشأ الألم ، وزيادة توارد الدم إلى المخ تؤدي إلى إتساع الشرايين ، ويؤدي ذلك بدوره إلى الاحساس بالألم ، وقـد يكون إتساع الشرايين ناتجا عن عدوى بدنية عامة يواجهها الجسم بزيادة فيض الدم وعلى ذلك يكون الاحساس بالصداع مع ارتفاع درجة الحرارة من أولى الأعراض الدالة على العدوى « الحمى » .

وإذا كانت زيادة السوائل تؤدي إلى الضغط الذي ينشأ عنه الاحساس بالصداع ، فان تعرض الرأس لهزة نتيجة حادث ، قد يسبب جذبا أو دفعا أو احتكاكا للتركيبات المستقرة في الجمجمة . وقد تحدث التواءة فجائية للرأس فتسبب ألما في العضلات أو بعض التركيبات الحساسة الأخرى . كما أن التورم الناتج عن خراج أو إلتهاب بالمخ أو نشوء ورم بالمخ أو ورم ناتج عن تجمع دموي بالمخ كل ذلك قد يؤثر على التركيبات المختلفة بالجذب أو الدفع أو الازاحـة فيؤدي إلى الاحساس بالألم .

أسباب وأنواع الصداع :

هـل تتصور أيهـا القارىء أن الأطبـاء الباحثـين استطاعـوا أن يسجلوا أكثر من مائتي « ٢٠٠ » سبب للصداع !! وكل سبب من تلك الأسباب يرتبط بمرض عضوي ، قد يسهل تشخيصه وقد يصعب لتداخله مع غيره مما يوقع المريض في حيرة والطبيب في حيرة أشد ، ولسنا بصدد الافاضة في شرح تلك الأسباب فهذا أمر يطول ويطول ولكن حسبنا أن نضرب لك أمثلة نحسبها تفيد باذن الله .

١ ـ صداع التوتر :

هو الصداع الذي يشكو منه معظم الناس ونظرا لأنه لا يرتبط بسبب عضوي فانه يعتبر نفساني المنشأ . والتوتر الذي يسبب هذا النوع من الصداع راجع إلى ضغوط الحياة المتعددة التي تتحول عند بعض الناس إلى سوط يجلد ظهورهم سعيا وراء المطـالب الماديـة والمتع الحسيـة ، فيركضون في الـدنيا كمـا تركض

الوحوش في البرية . كما ينتج أيضا عن الهموم والانفعالات النفسية التي تزمجر في أعماق الانسان ولكنها حبيسة لا تجد مخرجا .

وقد يؤدي ذلك التوتر إلى انقباض عضلات العنق والرأس لمدة طويلة محدثا نوعا من الصداع في مؤخرة الرأس .

وعلاج هذا النوع من الصداع يكون : باديء ذي بدء بالتوكل على الله عز وجل وبأن ما أخطأ الانسان لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه . كما يجب تفريج الهم بمواجهة المشكلات التي تؤدي إليه والعمل على حلها وليس بالهروب منها .

كما يفيد أيضا تناول قرص أو قرصين من الأسبرين (أو أي مسكن آخر) مع الاسترخاء في مكان هادىء وتدليك عضلات العنق أو فروة الرأس أو وضع كيس من الثلج لمدة خمس دقائق .

أما إذا كان التوتر شديدا ولم تفلح هذه الوسائل في علاجه فلابد من استشارة أحد الاخصائيين في العلاج النفساني .

٢ ـ صداع ارتفاع ضغط الدم :

يعرف هذا النوع بالصداع الوعائي نتيجة اتساع الشرايين ويسبب ألما « نباضا » أي مع نبضات القلب ويكون موضعه على جانبي الرأس ويرتبط علاج هذا النوع بعلاج الضغط المرتفع .

٣ ـ صداع إجهاد البصر :

يكون الاحساس به عادة في الجبهة وتزداد شدته مع زيادة إجهاد العينين لمدة طويلة بالقراءة أو الكتابة ولابد أن يعرض المريض نفسه على أخصائي طب العيون حتى يتم فحصه بدقة وأمانة ، ليختار له العلاج المناسب سواء كان هذا العلاج هو استعمال نظارة طبية مناسبة أم أي نوع آخر حسب تشخيص الحالة .

٤ ـ صداع الجيوب الأنفية :

يكون الاحساس به فوق الحاجبين مباشرة وقد يكون خلف الأذنين أو عند قاعدة الجمجمة وتبلغ شدته أقصاها في الصباح ثم تخف تدريجيا وقت الظهر وتزداد الحالة سوءا في الجو البارد المشبع بالرطوبة .

٥ ـ صداع النزلات البردية وبعض حالات الحساسية :

قد يشبه النوع السابق لأنه في هذه الحالة تحتقن الأغشية المخاطية المبطنة للأنف فتحدث ضغطا في الجيوب الأنفية ، وذلك الضغط هو الذي يؤدي إلى الاحساس بالصداع ، ويمكن تخفيف هذا الصداع باستعمال بعض النقط التي تعمل على انقباض الأوعية الدموية بغشاء الأنف مثل البريزيولين مع عدم الاسراف في استعمالها ، حيث أن ذلك يؤدي إلى حدوث نتيجة عكسية .

٦ ـ صداع الأمراض المعدية (الحميات) :

يشمل الرأس بأكمله ، وقد يكون أشد إيلاما من صداع النزلات البردية ، كما في حالة الانفلونزا ، وقد يكون معتدلا مقرونا بارتفاع درجة الحرارة كما في شلل الأطفال ، ويكون شديدا ويشمل الرأس بأكمله ويمتد إلى منطقة العنق مع ارتفاع درجة الحرارة كما في حالة الالتهاب السحائي « الحمى الشوكية » . ومثل هذه الحالات تعالج في مستشفى الحميات الخاصة بذلك لعمل الأبحاث اللازمة لتشخيص الحالة تشخيصا سليما وإعطاء جرعة الدواء المناسبة .

٧ ـ صداع الأنيميا (فقر الدم) والتعب والجوع والامساك :

يشبه إلى حد ما الصداع الذي ينشأ في حالة الأمراض المعدية ، أي إنه يشمل الرأس بأكمله غير أنه ليس مصحوبا بارتفاع في درجة الحرارة وفي حالة الأنيميا يشعر المريض بدوخان وزغللة بالعين إذا وقف فجأة .

٨ ـ صداع أورام المخ وإصابات الرأس :

تختلف شدته وموقعه تبعا لاختلاف موقع كل من الاصابة وحجمها ، وبفضل التقدم العلمي أصبح من السهل تشخيص وعلاج مثل هذه الحالات .

٩ ـ صداع ما قبل الحيض مباشرة أو معه وصداع اضطرابات سن اليأس :

وهذا النوع بالطبع يقترن بهذه الحالات .

١٠ ـ الصداع النصفي = الشقيقي = الشقيقة

هو مرض قديم يتميز بنوبات شديدة من الصداع تصيب نصف الرأس لذلك اطلق عليه الصداع النصفي وسوف نخصه بمزيد من الايضاح لكثرة انتشاره وشدة إيلامه . وهو يصيب الأشخاص في سن الطفولة والمراهقة ، وترتفع نسبة الاصابة به بين الاناث عنها في الرجال خصوصا بين سن العشرين والثلاثين ويكون وراثيا في أغلب الحالات . ولا يزال السبب المباشر لهذا المرض غير معروف على وجه التحديد ، وإنما توجد مجموعة من العوامل يؤدي بعضها أو كلها إلى ظهور نوب الصداع وهي :

١ ـ الانفعالات النفسية الشديدة بسبب الحزن أو التفكير المتواصل أو القلق من جراء مشكلات العمل أو الحياة الزوجية فقد لوحظ زيادة النوبات في هذه الأحوال .

٢ ـ إجهاد البصر خصوصا إذا كان مصحوبا بأخطاء في الانكسار « كالأستجماتزم » .

٣ ـ اضطرابات الدورة الشهرية والجهاز التناسلي في الأنثى .

٤ ـ بعض العقاقير مثل حبوب منع الحمل .

ولعل السبب في ارتفاع نسبة إصابة الاناث به ترجع إلى هذين العاملين .

٥ ـ التهابات اللثة والجيوب الأنفية .

٦ ـ اضطرابات الجهاز الهضمي مثل القولون العصبي أو إلتهاب المرارة المزمن أو قرحة الاثنى عشر إذ كثيرا ما تحدث النوبات في الأشخاص المصابين بمثل هذه الاضطرابات .

٧ ـ الجوع لأنه يؤدي إلى انخفاض مستوى الجلوكوز « السكر » في الدم .

٨ ـ الحساسية : لبعض الأطعمة وعلى المريض أن يلاحظ طعامه بدقة حتى يبتعد عن الأطعمة التي يشعر بنوبة الصداع بعد تناولها . وقد يقول قائل : لقد أصبحت كلمة « الحساسية » هي الشماعة التي يعلق عليها الأطباء ما جهلوا من أسباب ، ولكن ما حيلة الأطباء وغيرهم إذا كانت الانسانية كلها لم تؤت من العلم إلا قليلا ، والأمل في فضل الله لا ينقطع ، وندعوه أن يكشف للناس ما استغلق عليهم من اسرار .

الأعراض :

تحدث الأعراض على صورة نوبات تختلف في شدتها ، وتكون متميزة حتى أن المريض يستطيع أن يتنبأ بحدوثها ، وتبدأ بفقد فجائي في الابصار لمدة ثوان ثم يستعيد المريض بصره ، ليرى سحابات أمام عينيه أو أجساما كروية مضيئة أو خطوطا متعرجة مضيئة ذات ألوان مختلفة ، وقد يحدث تقلص في عضلات الجسم خصوصا في الجهة التي يحدث بها الصداع ، وقد لا يجد المريض القدرة على الكلام ويبدو عليه الاعياء الشديد ، ثم يأتي بعد ذلك الصداع فوق حاجب العين في الناحية المصابة أو في مقلة العين نفسها ، ويزداد هذا الصداع شدة ويمتد إلى باقي منتصف الرأس ، وقد يمتد الألم لأعلى الرقبة والذراع ، ويشعر المريض بغثيان وقد يتقيأ إذا كانت المعدة ممتلئة بالطعام ، ويخفف القيء من حدة الصداع .

وقد تستمر النوبة لمدة طويلة من ١٢ الى ٢٤ ساعة في الحالات الشديدة ، وتتميز بمعاودة المريض من حين لآخر خصوصا في فصل الشتاء أو بعد انفعال شديد أو مجهود عقلي أو جسماني . وتتوقف النوبات في النساء بعد سن اليأس أما في الرجال فقد تنقطع بعد سن الخمسين وفي بعض الحالات قد يستمر المرض مدى الحياة وليس من الضروري ان تحدث جميع هذه الأعراض في جميع الحالات وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو :

كيف يحدث الألم في هذا النوع من الصداع ؟

عندما يحدث ضيق في الشريان

الذي يحمل الدم والمواد الغذائية إلى المخ فان ذلك يؤدي إلى حدوث الأعراض الأولى مثل وجود سحابات أمام العين في الجهة التي سيحدث فيها الصداع مع شحوب بالوجه ووجود الأعراض الأخرى مثل عدم القدرة على النطق والحركة ، ويستمر ذلك لمدة تتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ دقيقة ثم يحدث الصداع نتيجة اتساع الشريان ومرور كمية كبيرة من الدم فيه ، وقد يضغط المريض على الشريان الذي ينبض بقوة أو يربط منديلا حول رأسه ليخفف من حدة الألم الذي يشعر به ، وقد يتحسن بالفعل ، ولعل الذي يحير الأطباء هو عدم معرفة السر وراء اتساع وضيق شرايين المخ في مريض الصداع النصفي .

العلاج :

أولا : أثناء النوبات :

١ ـ عندما يشعر المريض بقرب حدوث نوبة الصداع ، فان عليه أن يتناول قرصين من « الاسبرين » أو « الكافر جوت » أو يعطي حقنة من دايهيدرو إرجوتامين وربما تكرر هذه الجرعة إذا لم يخف الصداع في مدة نصف ساعة ، وقد وجد أن مثل هذا التصرف ربما يمنع حدوث نوبة الصداع أو على الأقل يخفف من حدتها .
٢ ـ التزام الراحة التامة بالفراش وتجنب الضوضاء ويستحسن إظلام الغرفة ومن رحمة الله بالمريض أن النوم يذهب هذا الألم الشديد .
٣ ـ يفضل إعطاء بعض المسهلات .
٤ ـ توضع زجاجات ماء دافئة على قدمي المريض .
٥ ـ يحقن المريض في الوريد بالنوفالجين أو المنومات . ومنها مشتقات « الأفيون » وهذه لا تستعمل إلا بتوصية الطبيب مخافة الادمان .

ثانيا : العلاج بين النوبات :

١ ـ تجنب الانفعالات النفسية بقدر الامكان .
٢ ـ التواجد في الأماكن ذات الهواء الطلق والجاف الخالي من الرطوبة .
٣ ـ إعطاء بعض المقويات مثل مركبات الحديد وفيتامين « ب » المركب .
٤ ـ قد يفيد استعمال بعض العقاقير مثل « اللومينال » وأدوية الحساسية ، وهذه كلها تؤخذ تحت إشراف الطبيب .
٥ ـ استشارة أخصائي الأنف والرمد والأسنان والنساء والتوليد (في حالة الاناث بالطبع) .

وبعد ..
فأرجو أيها القارىء ألا أكون قد صدعت رأسك بهذا المقال وإنما أرجو أن أكون قد قدمت لك شيئا متواضعا من المعرفة حول هذا الداء اللعين أسأل الله لي ولك علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وسقم .

بأقلام القراء

« حاضر الاسلام ومستقبله باندونيسيا »

اجاب الدكتور عبدالله بن عبدالقادر رئيس الجماعة الاسلامية بدار الحديث بأندونيسيا على اسئلة تتعلق بواقع المسلمين ومستقبلهم هناك .. وفيما يلي نعرض ما وصلنا من سيادته :-

سؤال : ما رأي فضيلتكم في حاضر الاسلام ومستقبله باندونيسيا ؟

جواب : اني ارى ما يبعث على التشاؤم في واقع المسلمين بهذه الديار وهو اندفاع كثيرين من زعمائهم وعلمائهم في التعصبات المشينة والحزبيات الذميمة والتطاحن في الخلافات الفقهية وايثارهم المصالح الذاتية والمذهبية على المصالح العامة للاسلام والمسلمين . فالأمة تتكيف بما تكيف به الزعماء والعلماء وتتأثر بما تطبعوا به فاذا عمت العصبيات والحزبيات بين الناس عمت الفوضى وهنالك الطامة الكبرى والبلية العظمى .

ماضي الاسلام الزاهر

لقد كنا نفخر من ماضينا القريب والبعيد ، فالمسلمون منذ دخول الاسلام الى اندونيسيا كان لهم شأن لا يستهان به وذكر ذائع وفي خلال تلك العصور قامت ممالك اسلامية زاهرة في جاوى الشرقية وفي جاوى الوسطى وفي جاوى الغربية . ثم كانت العصور التالية حتى اواخر عهد الاحتلال والاستعمار فقد كان للمسلمين اليد الطولى والسهم الأوفر في الكفاح لنيل الحرية والاستقلال .

فقد قام مسلمو اندونيسيا قومة مشكورة ومثلوا نواة في عقد المؤتمر الاسلامي الاسيوي الافريقي الأول واحتضنوه في مدينتهم الجميلة باندونغ للمداولة فيما يهم الاسلام والمسلمين قاطبة . وهذا ان دل على شيء فانما يدل - ولا فخر - على ما كان للأمة الاندونيسية المسلمة من كرامة واستعداد للتقدمية والزعامة .

ولكن ما لنا والتشبث بالماضي . فالمهم هو القيام بما اسفر عنه هذا المؤتمر ومؤتمرات اخرى من قرارات وتوصيات ولكنهم فاشلون في تنفيذها والعمل بها . وان كثيـرا منهم ليلمـون بنظـريـات ومبادىء ، ولكنهم عاجزون عن اظهارها الى حيز الوجود .

سؤال : **وماذا ينقص المسلمين حتى لا يتخلفوا عن الركب** ؟

جواب : ينقصهم الرجوع الى تعاليم دينهم الحنيف والايمان بالله في جميع مجالات اعمالهم ومرافق حياتهم ، ولا يؤثرون اية مصلحة حزبية او مذهبية او اقليميـة على مصـالح دينهم ووطنهم الاسلامي . فان المسلمين لن تقوم لهم قائمة الا بالاسلام . بالاسلام فقط كانوا في الماضي قد دونوا لهم تاريخا مجيدا سجل لهم في بطون التاريخ بماء من ذهب ، وبالاسلام كذلك ، سوف يقهرون في المستقبل ما يجابههم من تحديات وتهجمات نصبها لهم اعداؤهم مهما تفوقوا عليهم وتكالبوا يشكلون جبهة متحدة يريدون ان يطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

نعم لنا من متانة عقيدتنـا وسمو مبادئنا ما نستطيع ان نجزم به ان المستقبل سوف يكون للاسلام في مشارق الأرض ومغاربها لا محالة ، وقد تنبأ بذلك المستشرقون من علمـاء الغرب انفسهم مثل برناردشو وجوته وكارليل وكثير غيرهم فان الاسلام وهو العقيدة السمحة التي لا التواء فيها ولا لبس يلابس فطرتها وبداهتها . والدين المرن الذي يصلح لكل زمان ومكان سوف يجذب اغلب شعوب العالم إلى الأخذ بتعاليمه والتشبث بمبـادئه ولكنـه في طريقه الى هذا الهدف الاسمى سوف يجتاز كثيرا من العقبات الكأداء ، وهذا مما يبعث على التشاؤم ويثير الاسى فان الواقع الذي عليه المسلمون هو انهم في غفلة مميتة عن الاخطار المحدقة بهم والتي تهدد كيانهم والمجابهات التي تشن عليهم من كل جانب .

خطر الشيوعيين

ففي اندونيسيا لا يزال هذا الخطر الاحمر من بقايـا الحزب الشيـوعي الاندونيسي فاغرا فاه صامدا في الخفاء ، مترصدا للظهور بين آونة واخرى فانهم بعد ثورتهم الفاشلة مازالوا ينظمـون فلولهم ، ويلمون شعثهم ، ويـوحدون صفوفهم خلف الستار ليعيدوا الكرة للمرة الثانية . والثالثة والرابعة وهلم جرا ومن ورائهم الدول الشيوعية مثل الصين والروس يمدونهم بما يحتاجون اليه من المؤن والعتاد والذخائر .

خطر النصرانيين

هذا من جانب ومن جانب آخر فان النصاري بارسالياتهم المتبشيرية على قدم وساق يعملون علىمضاعفة جهودهم ومساعيهم ضد الاسلام والمسلمين بل وقد تجرأوا فقالوا ان الباب قد انفتح الآن على مصراعيه لاخضاع العـالم الاسلامي وقالـوا ان تنصير مسلمي

اندونيسيا سوف لا يكلفهم من الوقت سوى بضع عشرات من السنين .

ويعزز قولنا هذا ما رأيناه في الواقع من النشاط النابي والحركة النكراء في هذه الايام اذ شرعوا يحصدون المسلمين حصدا بمختلف الوسائل وببث مشاريعهم الخيرية ومستشفياتهم ومدارسهم ومطبوعاتهم ونشراتهم واموالهم الطائلة المبذولة بسخاء وكذا رجالاتهم ونسائهم الذين يتجولون ويرتادون بيوت المسلمين للتبشير والتنصير فضلا عن اقامتهم الكنائس في المدن والقرى والارياف حتى في الاماكن التي لا يوجد فيها نصراني واحد .

ولا تسأل عن الامدادات التي تأتيهم تترى من الخارج من دول الغرب مثل الولايات المتحدة ، والانجليز ، وفرنسا ، وغيرها من الدول فانها مفضوحة قد لاكتها السن الخاص والعام .

خطر الصهيونيين

واما الصهاينة فليس بمستبعد ان تكون لهم وكالات او قل احبولات بهذه البلاد ضد العرب ، والمسلمين ، فقد كان لهم مثلها في بعض البلاد المجاورة يعرفها من يعرفها ممن مارس السياسة وتتبع حوادثها .

العلاج

سؤال : **نشكر فضيلتكم على هذا البيان في تشخيص الحالة التي عليها المسلمون فهل لكم ان تبينوا لنا العلاج حتى يعرف الناس كيف يعالجون امراضهم ؟**

جواب : الحقيقة اني قد اشرت الى العلاج بطريقة مجملة فيما تقدم من الحديث وهو الرجوع الى الدين الاسلامي ، ولكن لا بأس من زيادة حتى تتبين الحقيقة واضحة جلية .

اننا اذا اردنا ان نعالج امراضنا الاجتماعية حتى نشفى تماما وحتى لا نتسكع في اللحاق - بركب الحياة فنتوازى مع غيرنا ونجلس جنبا لجنب مع الامم الأخرى في المجال الدولي ، فلابد ان نعد لذلك عدتنا كما اعدها غيرنا والا فاننا لابد ان نتخلف ولا يمكننا اللحاق بالركب اذا امعنا في التقهقر .

قال الله سبحانه وتعالى :

« **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » (الانفال ٦٠) والعدة لكل تقدمية هي عبارة عن المال ، فلابد ان يكون لنا مورد او منبع للمال حتى نستطيع ان نوازي غيرنا او نتقدم عليه .

ولكن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليست لهم دول جبابرة تمدهم بالاموال وغير الاموال بسخاء كما لغيرهم .

اذن ، فهل لنا ان نكون تبعا في حين ان الله سبحانه وتعالى اراد لنا بالاسلام ان نكون زعماء متبوعين ؟ كلا ، انه جلت قدرته قد اعد لنا موردا من اخصب الموارد ومنبعا من أغزر المنابع بحيث لا يمكن ان يبقى الاسلام في المؤخرة لو استطاع المسلمون ان ينتفعوا بموردهم المالي ويحسنوا استغلاله لمصالحهم .

بريد الوعي الاسلامي

اقتراح

ارسل الينا الاخ محمد عبد العزيز الجارحي من الاسكندرية ـ مصر ـ يقول :

ان مجلة « الوعي الاسلامي » قد حققت اسمها فعلا بما تنشره من موضوعات مفيدة بعيدة عن الخلافات المذهبية . وبعدم اهتمامها بنشر « الصور » بعكس ما تفعله المجلات الاسلامية الأخرى .

ثم اقترح علينا الاخ محمد ان ننشر شيئا ولو يسيرا عن البدع الشائعة ونحاربها حتى نعود بالاسلام الى نبعه الصافي كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته من بعده عليهم رضوان الله .

ثم اقترح أيضا ان يخصص جزء من المجلة لبيان الاحكام الخاصة بالنساء .. وختم رسالته بتوجيه التحية الاسلامية الى كل الاخوة المسلمين .

المحرر :

نشكر للاخ القارىء اهتمامه بالمجلة وحرصه على قراءتها وغيرته على دينه الاسلامي ، وندعو له بالتوفيق .

أما بخصوص ما اقترحه علينا .. فاننا نقول : ان « **الوعي الاسلامي** » لا تألو جهدا في محاربة البدع والخرافات الشائعة بين الجهلاء ، ولقد نشرت العديد من المقالات في هذا الخصوص متبعة طريقتها في معالجة الأمور بالقول الحسن والكلمة الطيبة ، يحدوها الأمل في أن تختفي كثير من العادات السيئة بفضل الدعاة إلى الله والمتواجدين في أرض البدع والخرافات .. ولا تملك المجلة غير النصيحة وبيان الحق والدعوة إلى التحرر من أسر العادة حتى يعود الاسلام نقيا ناصع البياض كما كان .

أما عن الأحكام الخاصة بالنساء .. فلا يمر عدد من أعداد المجلة إلا ويشار فيه إلى هذه الأحكام من خلال المقالات العديدة .. والحديث على العموم موجه إلى المرأة والرجل فكلاهما سواء في التكليف .. إلا ما كان خاصا بالمرأة فإنه ينص عليه في موضعه .. فعند الحديث عن الصوم مثلا : نذكر حكم المرأة الحامل ، والمرضع ، والحائض والنفساء إلى آخره ، وعند الحديث عن الصلاة : نذكر عورة المرأة في الصلاة والتي يجب سترها ، إلى غير ذلك من الأمور » وعلى العموم فكل ما ينشر في المجلة موجه إلى الرجل والمرأة على السواء ، وتحياتي لك يا أخ محمد .

لعب الورق

أرسل إلينا الأخ إدريس ابراهيم حربي ــ من السودان ــ يسأل عن حكم لعب الورق وما شابهها :

ونقول له : إن كل ما فيه مضيعة للوقت بلا فائدة عملية أو ذهنية فهو منهى عنه ، ولعب الورق إن كان على رهان أو مال فهو قمار .. ولعب القمار حرام ، وكذلك كل ما شابهه . وننصحك بأن تستغل وقتك فيما يعود عليك بالمصلحة والمنفعة في الدين والدنيا ، ولا مانع من قضاء بعض الوقت للترفيه عن النفس فيما أحله الله من المتع المباحة واللهو البرىء .

سندات الادخار

ويسأل أيضا عن حكم سندات الادخار .. وهي سندات تعدها البنوك وتحدد قيمتها على أن يستردها صاحبها بعد عدة سنوات بقيمة محددة ..

ونقول للأخ السائل : إن الذي عليه العلماء أنه لا ينبغي أخذ مال على أن يعاد إلى صاحبه بعد فترة زمنية محددة بزيادة معينة .. كأن يأخذ البنك مبلغ ١٠٠ دينار من العميل على أن يعيدها إليه بعد عشر سنوات مثلا ١٥٠ دينارا .. فهذا حرام ، ولكن الجائز هو أن يكون المبلغ وديعة لدى البنك يستثمرها على أن يكون لصاحبها نصيب من الأرباح معروف النسبة ، ولكن ليس معروف القيمة .. وفي المصارف الاسلامية غناء عن التعامل في الحرام أو ما فيه شبهة حرام .

المهور

ونقول للأخ إدريس : إن الاسلام يحث على التيسير على الشباب في موضوع الزواج فأكثر الزواج بركة واستقرارا ما كان فيه المهر بسيطا لا يرهق كاهل الزوج وإن كان الاسلام لم يفرض حدا أدنى للمهور فكذلك لم يحدد مقدارا أعلى له ، بل ترك ذلك لعرف الناس وتقاليدهم بشرط ألا يصطدم ذلك مع روح الشرع ، والا يؤدي إلى مفسدة .. فـإذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هناك من كان مهرها تعليمها آيات من القرآن الكريم ، أو مجرد خاتم من حديد .. والمهر عطية ومنحة من الزوج لزوجته ، فلا ينبغي أن يرهق الزوج بسبب ذلك .

مع صحافة العالم

رعاية الشباب اسلامية

جاء في كلمة الدعوة السعودية تحت العنوان السابق :

لا يختلف اثنان في ان شباب كل امة هو عمودها الذي تبني عليه قبة مجدها وفخارها .
إنهم القلب النابض ، والعقل المتقد ، والحركة البانية واذا كانت حكمة الشيوخ وحنكتهم وخبرتهم لا تستغني عنها أية أمة حية ، فان جانب التنفيذ والتطبيق والقدرة المركزة الدءوب على التفكير العملي المتواصل والتجربة المتلاحقة المفضية الى النتائج المهمة هي من عمل الشباب .
من هنا يقاس تقدم الأمم بعدد العاملين فيها من الشباب ويكون تقدمها مزدهرا لو كان هؤلاء الشباب على قدر من المهارة والاخلاص والقدرة على الاختراع والابتكار والعطاء .
والدول كل الدول – حريصة على ان يكون لديها طاقات كافية من الشباب المؤهل .. وهذا امر لا مشاحة فيه .
لكن الامر الذي يحتاج الى دراسة وتخطيط هو اسلوب تكوين هؤلاء الشباب واسلوب اعدادهم ، هنا تبذل كل أمة غاية جهدها في أن تطبق منهجها الذي اختارته لنفسها وتحاول بشتى الوسائل – ان تجعل من شبابها حملة ممتازين وجنودا مؤهلين لتشييد مجدها وللتعبير عن منهجها في الحياة وللخروج بهذا المنهج عن طريق التجربة الحية إلى مستوى الرسالة العالمية التي تصلح للتأسي والقدوة ولو القينا نظرة على العالم من حولنا لوجدنا المعسكرات الرأسمالية حريصة كل الحرص على ان يبدو شبابها خير ممثل للفكرة الديمقراطية وللأسلوب الحر الذي لا تقيده الا قيود المصالح المشتركة والاخلاق النفعية – اما المعسكرات الاشتراكية فهي تربي الشباب لديها على الفكرة الشيوعية الالحادية فروسيا مثلا تتعهد الشباب منذ نعومة اظفارهم فتفرض عليهم معاهد الالحاد وعبادة لينين وتقديس المنجزات الاشتراكية الثورية التي سحقت الانسان في طريقها .. وفي سبيل ذلك تقيم روسيا المباريات الرياضية والرحلات الترفيهية وتصدر بمعدل كتاب كل

ساعة لتثقيف الشباب تثقيفا اشتراكيا ثوريا محبوكا بكل خيوط الضلال المنظم !!

وقد كان شباب الصين يقرأ جزءا من كتاب (ماوتسي تونج) مع كل طعام ، وقبل كل تدريب عسكري وفي اثنائه حتى خرج جيل مسحور بالاشتراكية مملوء بباطلها وان كانت الظواهر تؤكد الان ان ذلك الباطل في طريقه الى الزوال !!

***

ونحن - المسلمين - يجب ان نضاعف اهتمامنا برعاية الشباب وبتربيته عقديا وخلقيا ونفسيا وتثقيفه التثقيف المدروس الواعي الذي يجعله يعتز بدينه وحضارته الاسلامية ويصبح خير ممثل بفكره وسلوكه وانتاجه - لهذه الحضارة الشامخة .

ان توجيه الشباب يتجاوز الاهتمام بالمنافسات الرياضية والتعاقد مع اشهر المدربين بمبالغ خيالية .

كما ان الاهتمام برعاية الشباب لا يعني ابدا ان نتلقف المباريات الرياضية من الشرق والغرب لنبثها على جماهيرنا الشبابية .

ان رعاية الشباب هي التطبيق العملي للمنهج الاسلامي الصحيح في تربية الشباب تربية متكاملة تعني بروحه وعقله وجسمه . وان الرعاية الحقة في حاجة الى المنهج القرآني الذي خرج لنا اعظم قادة العالم .. إنه المنهج الذي خرج خالد ابن الوليد والقعقاع بن عمرو ومصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وغيرهم كثير . ان هذا المنهج في حاجة الى كفاءات وطنية عالية ، وتخطيط سليم ، وجهود متواصلة .

وغني عن البيان اننا لا ننتقص من قيمة وأهمية الجسم السليم لكن هذا الجسم السليم اذا لم يقد بروح اسلامية قوية ويحكم بخلق عظيم سيصبح وبالا على صاحبه يجره الى الهدم والمفاسد وكأنه قطار بدون سائق او سيارة يقودها معتوه !! وقديما سقطت روما وهي قوية تصارع الثيران !!

فليس بالجسم وحده تقام الأمم ، وانما بالروح والعقل .. ثم بالجسم تقوى الامم وتبنى الدول .

ولن تبنى امة من غير شباب عظيم ينتمي لأمته ويؤمن برسالتها في الحياة .

- شباب قوي في عقيدته وروحه .
- شباب قوي في عقله وفكره .
- شباب قوي في جسمه .

ولا مراء في أن إعطاء أي جانب من هذه الجوانب غير رتبته او اكثر من حقه لا يعتبر (رعاية للشباب) وانما هو ملهاة للشباب ، وهذا ما نرجو أن يحفظ الله أمتنا المسلمة الكريمة منه آمين .

العدو يقتل ونحن نشجب

تقول جريدة الاتحاد الصادرة في (ابو ظبي) تحت هذا العنوان في كلمة للاستاذ عبد الله رشيد :

في لبنان سقطت القنابل الحارقة ، وسقطت معهـا كل الاقنعـة من فوق الوجوه ، ووضحت الحقيقة مزقت تلك القنابل اجساد الشهداء . كأن البشرية قد حكمت على نفسها بالموت ، والقت الطائرات حمولتها القذرة على المـدن والقرى دون تمييز بين الاطفال والنساء والشيوخ ، استباحت الارض فعملت بها ما يحلو لها من حرق ودمار .

وبعد .. ماذا حدث ؟ لقد احرق العدو الاخضر واليابس . نفذ تهديداته ووعوده السابقة اعتدى على الارض العـربية واستخدم في ذلك احدث الاسلحة الفتاكة للبطش بالابرياء .

اطفالنا هناك يصرخون انهم يتحدون الاعداء في ساحة القتال بكل بسالـة وشجاعة فهذا العدو اللعين لم يفرق بين المرأة والرجل الكل عنده سواء . المهم ان يبيد من الوجود هذا الانسان العربي نعم .. العدو يقاتل ونحن نقاتل ، ولكن تختلف الاسلحة لدى الطرفين فعدونا يقاتل بالسلاح ويصب جام غضبه على رؤوس الابرياء والعزل يفتك بالحديد والنار اجساد كل كائن حي يحرق بالحقد الاسود كل جميل على وجه الارض يطلق التهديدات والوعود بالانتقام والهجوم ثم ينفذ تهديداته ووعوده بالفعـل . هذا الجانب بكل اسف حقق له ما اراد ولا يزال يأمل في تحقيق المزيد .

والطرف الآخر يقاتل هو ايضا ولكن باسلوب وسلاح يختلفان تماما فالعدو يفتك بسلاحه ونحن نفتكه بـالشجب ويتبع اسلوب التوسع ونتبع اسلوب الاستنجاد .

ومنذ زمن بعيد ونحن نسمع الكلام والوعود فقط ، سؤال واحد كان يخطر على بالنا عند كل هجمة كان يشنها الاعداء علينا وهو : اين الفعل ؟ اين الذين يقولون ويفعلون ؟

ان العدو شرس وخبيث يعرف كل صغيرة وكبيرة عنا . مطلع على كل ما يجري على الساحة العربية من احداث فاستطاع ان يفرقنا وينتهز الفرصة تلو الاخرى لينال ما يريد ويفعل ما يحلو له في جزء عزيز من الوطن العربي .

ومطامع العدو الصهيوني لم ولن تنتهي ابدا ، بل انه يطمع في تحقيق المزيد وسيتعمد في كل مرة العبث بكرامة وشرف الارض العربية وسيعاود انتهاك اجوائنا ومياهنا الاقليمية ولن يتوقف عن قتل الابرياء وسيعمد في المرات القادمة الى القاء قنابل اكثر زنة من ٢٥٠٠ رطل فوق المدنيين وعلى رؤوس الابرياء دون مبالاة .

ثم ماذا يحدث ؟ يبـدأ رد الفعل العربي المتمثل في الشجب والاستنكار والادانة العدو يضرب ونحن ندين ! وتمر الايام والسنون ورصيد الشجب يزيد والارض العربية تضيع .. ويجيء جيل بعد جيل ويضيع هذا الحديث ..

فهرس عام مجلة

الوعي الإسلامي

في عامها السابع عشر

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

يشتمل

على الموضوعات والكتاب

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/ صفحة
ابعاد الاسراء والمعراج	الدكتور/ محمد رواس قلعة جي	٣٨/١٩٩
ابن الهيثم	الاستاذ منذر شعار	٩٦/١٩٤
احتفال الوزارة بالعام الهجري	التحرير	١٠/١٩٤
احتفال الوزارة بالمولد النبوي	التحرير	٦/١٩٦
الاحتكار	الاستاذ/ عبد السميع المصري	٣٠/١٩٤
احكام التداوي بالمحرمات	الدكتور/ محمود ناظم النسيمي	١١٢/١٩٩
احكام النقود باقية	الدكتور/ علي السالوس	٩٢/١٩٨
احوال البيئة النبوية	الاستاذ/ محمد عزة دروزة	٤٦/١٩٤
اخاء العقيدة بين الأمس واليوم	الاستاذ/ عبد العظيم منصور	٩٠/٢٠٠
اخوة الاسلام	الاستاذ/ محمد محمد حلاوة	٨٨/١٩٦
ادعياء النبوة	الدكتور/ احسان صدقي العمد	٥٨/١٩٩
الادلة الجنائية في القرآن	الدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي	٩٩/١٩٦
الأدلة الجنائية في القرآن (٢)	الدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي	٧١/١٩٨
الاستشراق واهدافه	المستشار علي عبد اللاه طنطاوي	٦٤/٢٠٤
الاسراء والمعراج	الاستاذ/ سعد صادق محمد	٦٨/١٩٩
الاسراء والمعراج	الدكتور/ محمد سعد قشوان	٥٢/١٩٩
اسرى الحرب في الاسلام	الاستاذ/ حسن عبد الغني ابو غدة	٥٠/٢٠٣
الاسلام دين المدنية	الاستاذ/ علي عبد اللاه طنطاوي	٨٦/١٩٧
الاسلام ماضيه وحاضره	الدكتور/ عبد الكريم الخطيب	٦/١٩٩
الاسلام منطلق الهدى	الاستاذ/ محمود ابراهيم طيره	٧٢/١٩٣
الاسلام واثره في رقي الفكر	الشيخ/ سليمان احمد التهامي	١٠١/٢٠٢
الاسلام والتامينات الاجتماعية	الاستاذ/ سالم البهنساوي	١١٦/١٩٤
الاسلام وتحديد النسل	الاستاذ/ ابراهيم النعمة	٩٠/١٩٥
الاسلام والجاهلية	الدكتور/ عبد الفتاح محمد سلامة	٥٢/٢٠٤
الاسلام والحضارة	الاستاذ/ عبد العظيم منصور	١٤/٢٠٤
الاسلام والسياسة	الدكتور/ فوزي النجار	١٢/٢٠٣
الاسلام والسياسة (كتاب الشهر)	الاستاذ/ عبد السميع المصري	١٣٨/١٩٩
اصح وثيقة في تاريخ البشرية	الاستاذ/ ابو الوفا مصطفى المراغي	٥٨/١٩٨
اصول علوم الحيوان في القرآن	الاستاذ/ عبد الرزاق نوفل	٧٦/٢٠٠
اضواء على المضاربة والبنوك	الاستاذ/ مجدي عبد الفتاح سليمان	٢٠/١٩٨
اطفالنا والألبان الصناعية	الاستاذ/ محمد حسن عبد العزيز	٨٤/١٩٤
اطياف الميلاد	الاستاذ/ عبد الحميد محمد المشهدي	٨٠/١٩٩
اعجاز القرآن البياني	الدكتور/ منير سلطان	٥٩/٢٠٤
الاعياد الخالدة والبائدة	الاستاذ/ عبد الرحمن شادي	١٢٥/٢٠١
آفة الانفتاح الثقافي على الغرب	الاستاذ/ طه محمد كسبه	١١٦/١٩٧
الاقتصاد في الاسلام	الاستاذ/ عبد الحميد عبد الفتاح	١٣٢/١٩٨
اكثر الأوجاع شيوعا	الدكتور/ غريب جمعة	١٠٠/٢٠٤

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ		
عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/ صفحة
حاذر يا ولدي	الاستاذ/ احمد العناني	٢٨/٢٠٠
الحديث النبوي والقرآن الكريم	الدكتور/ محمد الأحمدي ابو النور	٢٠ /١٩٤
الحرب والسلام	الاستاذ/ محمد عبد السلام نجم	٥٨ /٢٠٢
حركة البحث العلمي	الدكتور/ حسن فتح الباب	١٠٦/٢٠٣
حركة النهضة الحديثة	الدكتور بكر مصباح تنيره	٣٥/١٩٦
الحق المنتصر	الاستاذ/ علي احمد علي	٥٨ /١٩٥
حقوق المرأة في الاسلام	الاستاذ/ محمد ابراهيم عامر	٧٨ /١٩٣
الحكم بغير ما انزل الله	الشيخ/ عبد الحميد السائح	٦٧/٢٠٠
حكمة الاسراء والمعراج	الاستاذ/ سيد خليل الابوتيجي	١٣٤/١٩٩
حكم المرتد في الاسلام	الشيخ/ محمد الأباصيري خليفة	١٦/١٩٤
الحلف بالطلاق	الدكتور/ محمد محمد الشرقاوي	٦٨/٢٠٣
حواء وبناتها (كتاب الشهر)	الاستاذ/ عاصم الأدفوي	١١٦/٢٠٢
حول مؤتمر حقوق الانسان	التحرير	١١٠/١٩٥
حول مؤتمر الغرفة الاسلامية	التحرير	٦٤/١٩٨
حول مؤتمر القمة الاسلامية	التحرير	١٠٤/١٩٧
حول النظام الاسلامي	الشيخ/ ابو الوفا مصطفى المراغي	٢٦/١٩٤
حياة الانسان على الارض	الدكتور/ محمد طموم	٦٠/١٩٤
حياة الحياة	الاستاذ/ عز الدين علي السيد	٧٨/١٩٤
حيلة يوسف	الدكتور/ نجاشي علي ابراهيم	٩٩ /١٩٤
الخطر الشيوعي في افريقيا	الاستاذ/ عبد الفتاح مقلد غنيمي	٤٨/١٩٥
دعائم القوة في سورة الانفال	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	٣٥/٢٠٠
دعائم المثالية الانسانية	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	١٥٤/١٩٩
دعاة الحق وادعياء التدين	الاستاذ/ ثنين محمد اتركان	١٥٥/١٩٩
دعوات هدامة فاحذروها	الاستاذ/ محمد السيد علي بلاسي	١٥٤/١٩٩
الدعوة الاسلامية	الاستاذ/ عبد الفتاح مقلد غنيمي	٩٤/١٩٣
دور الشباب في غزوة احد	الاستاذ/ سيد ناجي	٩٩/١٩٧
الدين ضرورة حتمية	الاستاذ/ علي عبد العظيم	١٤٠/١٩٤
الدين والامتحانات	الاستاذ/ محمد محمد حلاوة	٧٦/٢٠٣
الدين هو الحل	الاستاذ محمد احمد العزب	١٣٢ /١٩٤
الذات المسلمة والابداع الحضاري	الدكتور/ عبد الحليم عويس	٥٦/١٩٤
الذكرى في منطق العصر	الاستاذ/ محمد الدراجيلي	١٠٦/١٩٥
الرجل الذي اهتزله عرش الرحمن	الاستاذ خميس عواد عوده	٦٩/٢٠٤
الرسول الداعية	الاستاذ/ محمد كمال الدين	٦٧/١٩٣
الرشوة واثرها	الاستاذ/ عبد المنصف محمود	١٢٢/٢٠١
رمضان اقبل	الدكتور/ محمد محمد الشرقاوي	٨٦/٢٠١
رمضان شهر امتى	الاستاذ/ حسن منصور	٥٤/٢٠١
روح السورة واهدافها	الدكتور/ عبد الله محمود شحاته	٢٠/٢٠٢

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/صفحة
المرأة المسلمة	الاستاذ/ صبحي شحاته	١٥٨/١٩٣
المراهقة في التربية الاسلامية	اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ	١٠٤/٢٠٠
المستقبل الحضاري للانسان	الدكتور/ محمد احمد العزب	١٣١/٢٠٠
المسلمون وتحديات الغزو الفكري	الاستاذ/ ابراهيم النعمة	٩٤/٢٠٣
المسلمون وقضاياهم	الاستاذ/ سعد صادق محمد	٧٢/٢٠١
مع اعجاز القرآن الكريم	الدكتور/ ابراهيم علي ابو الخشب	١٢٢/١٩٤
معاول في جدار العلمانية	الدكتور/ عماد الدين خليل	٩٢/١٩٩
مع آية من كتاب الله	الاستاذ/ عبد الكريم الخطيب	٦/٢٠٣
مع الجماعة (قصة)	الاستاذ/ محمد المجذوب	١٤٦/١٩٨
مفاجاة (قصيدة)	الاستاذ/ سيف النصر الطلخاوي	٩٠/١٩٤
من الأدب الاسلامي	الاستاذ/ السعيد الشرباصي	٩١/١٩٤
من اشراقات الميلاد النبوي	الدكتور/ عبد الله عبد القادر بلفقيه	٦٨/١٩٥
من انتصارات رمضان	الاستاذ/ علي القاضي	٥٨/٢٠١
من انماط البشر في القرآن	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	٦٢/١٩٧
من دلائل صدق الرسالة المحمدية	الاستاذ/ حسن الحفناوي	٣٥/١٩٤
من سمات مجتمع التوحيد	الدكتور/ عبد الفتاح محمد سلامة	٢٤/٢٠٢
من الشجر الأخضر نارا	الدكتور/ عبد المحسن صالح	١٠٤/١٩٤
من قطوف القرن الخامس عشر	الاستاذ/ عبد الهادي عصر	٨٢/٢٠٠
من المسؤول عن تربية النشء	الدكتور/ احمد حمد	٣٢/٢٠٤
منهاج الصالحين (كتاب الشهر)	التحرير	٧٢/١٩٥
منهج الاسلام في بناء المجتمع	الاستاذ/ حسنين نعيم	١٤/٢٠٢
منهج الجهاد في الاسلام	الاستاذ/ حسيني عرابي عطوه	٦٣/١٩٩
منهج القرآن في التشريع	الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي	٤٧/٢٠٤
مؤتمر الطب الاسلامي الاول	التحرير	١٠٨/١٩٦
موقف الاسلام من اعدائه	الاستاذ/ احمد محمد دحلوب	١٥٥/٢٠٠
المولد كما يجب الاحتفال به	الاستاذ/ محمد الكوفي عسقيا نور	٢٢/١٩٥
المولد النبوي الشريف (قصيدة)	الاستاذ/ احمد حسنين جريفل	١٥٥/١٩٩
مؤمنون حقا	الدكتور/ زكريا عبد الستار المزين	١٥٦/١٩٤
ميادين جديدة تنتظر الاسلام	الاستاذ/ محمد لبيب البوهي	٤٨/٢٠١
الناسخ والمنسوخ	الدكتور/ محمد محمد الشرقاوي	٦٧/١٩٤
النبي عند سدرة المنتهى	الاستاذ/ محمد لبيب البوهي	٢١/١٩٩
النبي في اهله	الدكتور/ اسماعيل احمد الطحان	٣١/١٩٩
نحو فهرسة لمناسك الحج	الدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى	٢٦/٢٠٣
نظام الحكم في الاسلام	الاستاذ/ سليمان احمد التهامي	١١١/١٩٣
نظام العقوبات في الاسلام	الدكتور/احمد شوقي الفنجري	٥٠/٢٠٢
نظرات في سورة الحجرات	الشيخ/ عبد الحميد بلبع	٦/٢٠٠
نظرية فرويد	الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم	٨٠/٢٠٢

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
أبراهيم سليمان عيسى	نحو فهرسة لمناسك الحج	٢٦/٢٠٣
أبراهيم علي ابو الخشب	مع اعجاز القرآن الكريم	١٢٢/١٩٤
أبراهيم علي ابو الخشب	التفكير في الدين	٦/٢٠٢
أبراهيم النعمة	الاسلام وتحديد النسل	٩٠/١٩٥
أبراهيم النعمة	صلاحية شريعة الاسلام	٦٢/٢٠٠
أبراهيم النعمة	المسلمون وتحديات الغزو الفكري	٩٤/٢٠٣
ابو الوفا مصطفى المراغي	حول النظام الاسلامي	٢٦/١٩٤
ابو الوفا مصطفى المراغي	اصح وثيقة في تاريخ البشرية	٥٨/١٩٨
احسان صدقي العمد	ادعياء النبوة	٥٨/١٩٩
أحمد بدر الدين نجيب	بماذا ينهض الاسلام	١٥٥/١٩٨
أحمد حسن قضاة	عودة العيد (قصيدة)	٨٥/٢٠٤
أحمد حسنين جريفل	المولد النبوي الشريف (قصيدة)	١٥٥/١٩٩
احمد حسنين القفل	الهجرة النبوية (قصيدة)	١٥٦/١٩٣
احمد حسنين القفل	يا اسوة سعد الانام بنورها	٦٧/١٩٥
احمد حسنين القفل	تفسير فاتحة الكتاب	٦/١٩٧
احمد حسنين القفل	العلم في القرآن الكريم	٣٢/٢٠٠
احمد حسين مرواد	صلاة الجمعة	١٥٣/١٩٦
احمد حمد	من المسؤول عن تربية النشء	٣٢/٢٠٤
أحمد الشرباصي	محمد في القرآن الكريم	٩٩/١٩٥
احمد شوقي ابراهيم	وان من شيء الا يسبح بحمده	١٢٣/١٩٣
احمد شوقي ابراهيم	نظرية فرويد	٨٠/٢٠٢
احمد شوقي ابراهيم	وان يوما عند ربك كالف سنة	٦/٢٠٤
احمد شوقي الفنجري	الطب الاسلامي	١٢٦/١٩٥
احمد شوقي الفنجري	نظام العقوبات في الاسلام	٥٠/٢٠٢
احمد عبد الرحيم السائح	الهجرة حركة رائدة	١٢٨/١٩٣
احمد عبد الرحيم السائح	العبادة في الدين الاسلامي	٤٤/١٩٩
احمد العناني	حذار يا ولدي	٢٨/٢٠٠
احمد العناني	هنا أمام الحرم (قصة)	٩٩/٢٠٣
أحمد محمد دحلوب	موقف الاسلام من اعدائه	١٥٥/٢٠٠
احمد محيي الدين العجوز	عقد التأمين	٣٥/١٩٨
اسماعيل احمد الطحان	النبي في اهله	٣١/١٩٩
انور الجندي	قضية الاقتباس من الغرب	١٥٢/١٩٤
بكر مصباح تنيره	حركة النهضة الحديثة	٣٥/١٩٦
التحرير	كلمة سمو أمير دولة الكويت	٤/١٩٤
التحرير	احتفال الوزارة بالعام الهجري	١٠/١٩٤
التحرير	القدس (١)	١٢٠/١٩٤
التحرير	منهاج الصالحين (كتاب الشهر)	٧٢/١٩٥

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
التحرير	حول مؤتمر حقوق الانسان	١١٠/١٩٥
التحرير	القدس (٢)	١٤٤/١٩٥
التحرير	احتفال الوزارة بالمولد النبوي	٦/١٩٦
التحرير	مؤتمر الطب الاسلامي الاول	١٠٨/١٩٦
التحرير	القدس (٣)	١٣٨/١٩٦
التحرير	حول مؤتمر القمة الاسلامي	١٠٤/١٩٧
التحرير	حول مؤتمر الغرفة الاسلامية	٦٤/١٩٨
التحرير	الهلال الاحمر معكم ولكم	١٤٤/٢٠٠
تنين محمد اتركان	دعاة الحق وادعياء التدين	١٥٥/١٩٩
توفيق محمد سبع	القرآن نبع حضاري متجدد	٦/١٩٨
جاسر ابو صفية	التفسير النبوي للقرآن	١٤ /١٩٩
حسن الحفناوي	من دلائل صدق الرسالة المحمدية	٣٥/١٩٤
حسن عبد الغني ابو غدة	اسرى الحرب في الاسلام	٥٠/٢٠٣
حسن فتح الباب	حركة البحث العلمي	١٠٦/٢٠٣
حسن محمد ايوب	الصرف وبيع العملات	٧٦/١٩٦
حسن محمد ايوب	الأوراق المالية والمصرفية	٢٢/٢٠١
حسن منصور	رمضان شهر أمتي	٥٤/٢٠١
حسني عبد الهادي عصر	من قطوف القرن الخامس عشر	٨٢/٢٠٠
حسنين نعيم	منهج الاسلام في بناء المجتمع	١٤/٢٠٢
حسين الطوخي	طائر يرد الجميل (قصة)	١٤٦/١٩٩
حسين عبد الحليم	نعم العطاء	٦٤/٢٠٢
حسين فوزي النجار	الاسلام والسياسة	١٢/٢٠٣
حسيني عرابي عطوه	منهج الجهاد في الاسلام	٦٣/١٩٩
خضر سليمان عبد السلام	العين ادلة وبراهين	١٥٢/٢٠٠
خميس عواد عوده	الرجل الذي اهتزله عرش الرحمن	٦٩/٢٠٤
زكريا عبد الستار المزين	مؤمنون حقا	١٥٦/١٩٤
زيدان عبد الباقي	التطبيع الاجتماعي الاسلامي	١٦/٢٠٣
سالم البهنساوي	الاسلام والتأمينات الاجتماعية	١١٦/١٩٤
سعاد صبحي شحاته	المرأة المسلمة	١٥٨/١٩٣
سعاد صبحي شحاته	غلاء المهور	١٥٦/١٩٧
سعد صادق محمد	الاسراء والمعراج	٦٨/١٩٩
سعد صادق محمد	المسلمون وقضاياهم	٧٢/٢٠١
السعيد الشرباصي	من الأدب الاسلامي	٩١/١٩٤
سليمان احمد التهامي	نظام الحكم في الاسلام	١١١/١٩٣
سليمان احمد التهامي	الاسلام واثره في رقي الفكر	١٠١/٢٠٢
سيد خليل الابوتيجي	حكمة الاسراء والمعراج	١٣٤/١٩٩
سيد ناجي	دور الشباب في غزوة احد	٩٩/١٩٧

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/صفحة
سيف النصر الطلخاوي	مفاجأة (قصيدة)	٩٠/١٩٤
الشريف مأمون ابو الوفا	محمد اشرف الخلق	١٥٦/١٩٥
صلاح احمد الطنوبي	جنود على طريق الهجرة	١٥٢/١٩٣
صلاح احمد الطنوبي	لبيك اللهم لبيك	١٢١/٢٠٣
ضياء الحاج حسين	العسل والداء السكري	٦٧/١٩٦
طه محمد كسبه	آفة الانفتاح الثقافي على الغرب	١١٦/١٩٧
عاصم الأدفوي	حواء وبناتها (كتاب الشهر)	١١٦/٢٠٢
عباس محجوب	شباب الاسلام (قصيدة)	١٣١/١٩٤
عبد التواب يوسف	تجربة الهجرة	١٠٠/١٩٣
عبد الحفيظ فرغلي علي	والله متم نوره	٣٠/١٩٣
عبد الحفيظ فرغلي علي	صوم العارفين	١١٤/٢٠١
عبد الحليم عويس	الذات المسلمة والابداع الحضاري	٥٦/١٩٤
عبد الحميد بلبع	نظرات في سورة الحجرات	٦/٢٠٠
عبد الحميد السائح	القرآن والقرن الخامس عشر	٨/١٩٣
عبد الحميد السائح	الحكم بغير ما انزل الله	٦٧/٢٠٠
عبد الحميد عبد الفتاح المغربي	الاقتصاد في الاسلام	١٣٢/١٩٨
عبد الحميد محمد المشهدي	اطياف الميلاد	٨٠/١٩٩
عبد الحميد محمد المشهدي	الصوم مستلزمات الفطرة	١٠٤/٢٠١
عبد الرحمن ابراهيم الفكي	ترنيمة مسلم (قصيدة)	٩٢/١٩٧
عبد الرحمن احمد شادي	الاعياد الخالدة والبائدة	١٢٥/٢٠١
عبد الرحمن عيسوي	النمو الخلقي	١٠٨/٢٠٢
عبد الرحيم صالح عبد الله	تربية الطفل في الاسلام	٤٢/٢٠٣
عبد الرزاق نوفل	إيتاء الزكاة	٩٤/١٩٧
عبد الرزاق نوفل	اصول علوم الحيوان في القرآن	٧٦/٢٠٠
عبد الرزاق نوفل	علوم الزراعة والنبات في القرآن	٩١/٢٠٢
عبد السلام الهراس	قصة الافك	٦٩/٢٠٢
عبد السميع المصري	الاحتكار	٣٠/١٩٤
عبد السميع المصري	الاسلام والسياسة (كتاب الشهر)	١٣٨/١٩٩
عبد العظيم منصور	اخاء العقيدة بين الأمس واليوم	٩٠/٢٠٠
عبد العظيم منصور	الاسلام والحضارة	١٤/٢٠٤
عبد الغني احمد ناجي	من انماط البشر في القرآن	٦٢/١٩٧
عبد الغني احمد ناجي	في ذكرى الاسراء والمعراج (قصيدة)	٩١/١٩٩
عبد الغني احمد ناجي	دعائم المثالية الانسانية	١٥٤/١٩٩
عبد الغني احمد ناجي	دعائم القوة في سورة الانفال	٣٥/٢٠٠
عبد الغني احمد ناجي	الواقعية في الاسلام	٨٠/٢٠٤
عبد الفتاح محمد سلامة	العلم في مدرسة القرآن	٣٢/١٩٧
عبد الفتاح محمد سلامة	مجتمع الاسلام الأول	١٢٤/٢٠٠

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
عبد الفتاح محمد سلامة	من سمات مجتمع التوحيد	٢٤/٢٠٢
عبد الفتاح محمد سلامة	الاسلام والجاهلية	٥٢/٢٠٤
عبد الفتاح مقلد غنيمي	الدعوة الاسلامية	٩٤/١٩٣
عبد الفتاح مقلد غنيمي	الخطر الشيوعي في افريقيا	٤٨/١٩٥
عبد القادر محمد العماري	جهاد الامام ابن تيمية	١١٨/١٩٩
عبد الكريم الخطيب	التقليد والمقلدون	٦/١٩٥
عبد الكريم الخطيب	شخصية الرسول	٣٧/١٩٣
عبد الكريم الخطيب	الاسلام ماضيه وحاضره	٦/١٩٩
عبد الكريم الخطيب	مع آية من كتاب الله	٦/٢٠٣
عبد الكريم الخطيب	شخصية الرسول	٣٧/١٩٣
عبد اللطيف فايد	الهدية (قصة)	١٤٨/٢٠٠
عبد الله عبد القادر بلفقيه	من اشراقات الميلاد النبوي	٦٨/١٩٥
عبد الله محمود شحاته	روح السورة واهدافها	٢٠/٢٠٢
عبد المحسن صالح	وما من دابة في الارض	١٠٢/١٩٩
عبد المحسن صالح	من الشجر الأخضر نارا	١٠٤/١٩٤
عبد المقصود محمد حبيب	المد الاسلامي والتحدي	٩٢/١٩٦
عبد المنصف محمود	الرشوة وأثرها	١٢٢/٢٠١
عبد الناصر توفيق العطار	تقنين احكام الشريعة	٢٧/١٩٩
عزت ابو الفتوح حمودة	التدخين واضراره	١٣١/١٩٦
عز الدين علي السيد	حياة الحياة	٧٨/١٩٤
عز الدين علي السيد	المثل الذي نفتقده	٥٢/١٩٨
علي احمد السالوس	احكام النقود باقية	٩٢/١٩٨
علي احمد علي	الحق المنتصر	٥٨/١٩٥
علي جريشة	كيف ندعو	٨٩/١٩٣
علي جريشة	فلسطين	٢٨/١٩٥
علي جريشة	امراض الدعاة	١٢٠/١٩٧
علي جريشة	الايدي الخفية	٥٦/٢٠٠
علي حسن الشكرجي	الغفلة (قصة)	٩٦/٢٠٢
علي عبد العظيم	الدين ضرورة حتمية	١٤٠/١٩٤
علي عبد اللاه طنطاوي	الاسلام دين المدنية	٨٦/١٩٧
علي عبد اللاه طنطاوي	القتل العمد	٩٢/٢٠١
علي عبد اللاه طنطاوي	الاستشراق واهدافه	٦٤/٢٠٤
علي القاضي	كيف تكون المجتمع الاسلامي بالمدينة	٢٢/١٩٣
علي القاضي	ماذا تعرف عن مكة عند الهجرة	٧٤/١٩٥
علي القاضي	من انتصارات رمضان	٥٨/٢٠١
علي مصطفى صبح	التصوير القرآني	٨٢/٢٠٣
عماد الدين خليل	معاول في جدار العلمانية	٩٢/١٩٩

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ		
اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
محمد عبد القادر الفقي	القرآن وتلوث البيئة (١)	٦٠/١٩٣
محمد عبد القادر الفقي	القرآن وتلوث البيئة (٢)	١٢٦/١٩٧
محمد عبد الله السمان	السنة المفترى عليها (كتاب الشهر	١١٣/٢٠٣
محمد عبد المنعم خفاجي	التكوين العقلي للفرد	١١٦/٢٠٣
محمد عبد المنعم القيعي	منهج القرآن في التشريع	٤٧/٢٠٤
محمد عزت الطهطاوي	الوثنية والنصرانية	٤٠/١٩٤
محمد عزت الطهطاوي	عقيدة الألوهية	٦٠/٢٠٣
محمد عزت الطهطاوي	كنيسة النصرانية	٩٣/٢٠٤
محمد عزة دروزة	احوال البيئة النبوية	٤٦/١٩٤
محمد عزة دروزة	القرآن الكريم واليهود	٦٧/١٩٧
محمد العفيفي	التراسل بين القرآن والسنة(١)	٤٤/١٩٣
محمد العفيفي	التفسير النبوي للقرآن الكريم	٥٠/١٩٦
محمد العفيفي	التراسل بين القرآن والسنة(٢)	٦/٢٠١
محمد علم الدين	فضل الله على المسلمين	٣٨/٢٠٤
محمد فوزي فيض الله	فداء اسرى بدر	٥٦/١٩٧
محمد كمال ابراهيم جعفر	قرن جديد لأمل مجيد	١٣٨/٢٠٠
محمد كمال الدين	الرسول الداعية	٦٧/١٩٣
محمد كمال الدين	التضامن والتعاون في الاسلام	١٢/١٩٦
محمد الكوفي عسقيا نور	المولد كما يجب الاحتفال به	٢٢/١٩٥
محمد لبيب البوهي	عندما يريد العقل اقتحام الغيب	١٠/١٩٨
محمد لبيب البوهي	النبي عند سدرة المنتهى	٢١/١٩٩
محمد لبيب البوهي	ميادين جديدة تنتظر الاسلام	٤٨/٢٠١
محمد لبيب البوهي	النفس في عالمها	٨٦/٢٠٤
محمد المجذوب	مع الجماعة (قصة)	١٤٦/١٩٨
محمد محمد ابو شهبة	ترغيب الشباب في الزواج	٤٦/١٩٨
محمد محمد حلاوة	الجزاء المفتوح	٣٠/١٩٨
محمد محمد حلاوه	هذا هو الدواء	٧٢/١٩٤
محمد محمد حلاوة	اخوة الاسلام	٨٨/١٩٦
محمد محمد حلاوة	الدين والامتحانات	٧٦/٢٠٣
محمد محمد الشرقاوي	الناسخ والمنسوخ	٦٧/١٩٤
محمد محمد الشرقاوي	رمضان اقبل	٨٦/٢٠١
محمد محمد الشرقاوي	الحلف بالطلاق	٦٨/٢٠٣
محمد محمد الشرقاوي	لماذا احجم الاوائل عن تدوين السنة	٢٧/٢٠٤
محمد محمود السيد	شهر العزيمة والجهاد (قصيدة)	١٠٣/٢٠١
محمد مصطفى الزحيلي	الوصية الواجبة	١٢٦/١٩٩
محمد نعيم عكاشة	لمحات من هجرة الرسول	١٠٦/١٩٣
محمد نعيم عكاشة	ليلة القدر	٦٧/٢٠١

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اقرأ في هذا العدد

اتحاد ماليزية (مالايو)

○ دولة اسلامية تقع في بحر الصين الجنوبي جنوب شرقي قارة آسيا مساحتها ١١٨٥١٣ميل مربع وعدد سكانها ١٠,٥ مليون نسمة معظمهم من المسلمين تتألف من اتحاد تسع دول عاصمتها (كوالا لمبور) .

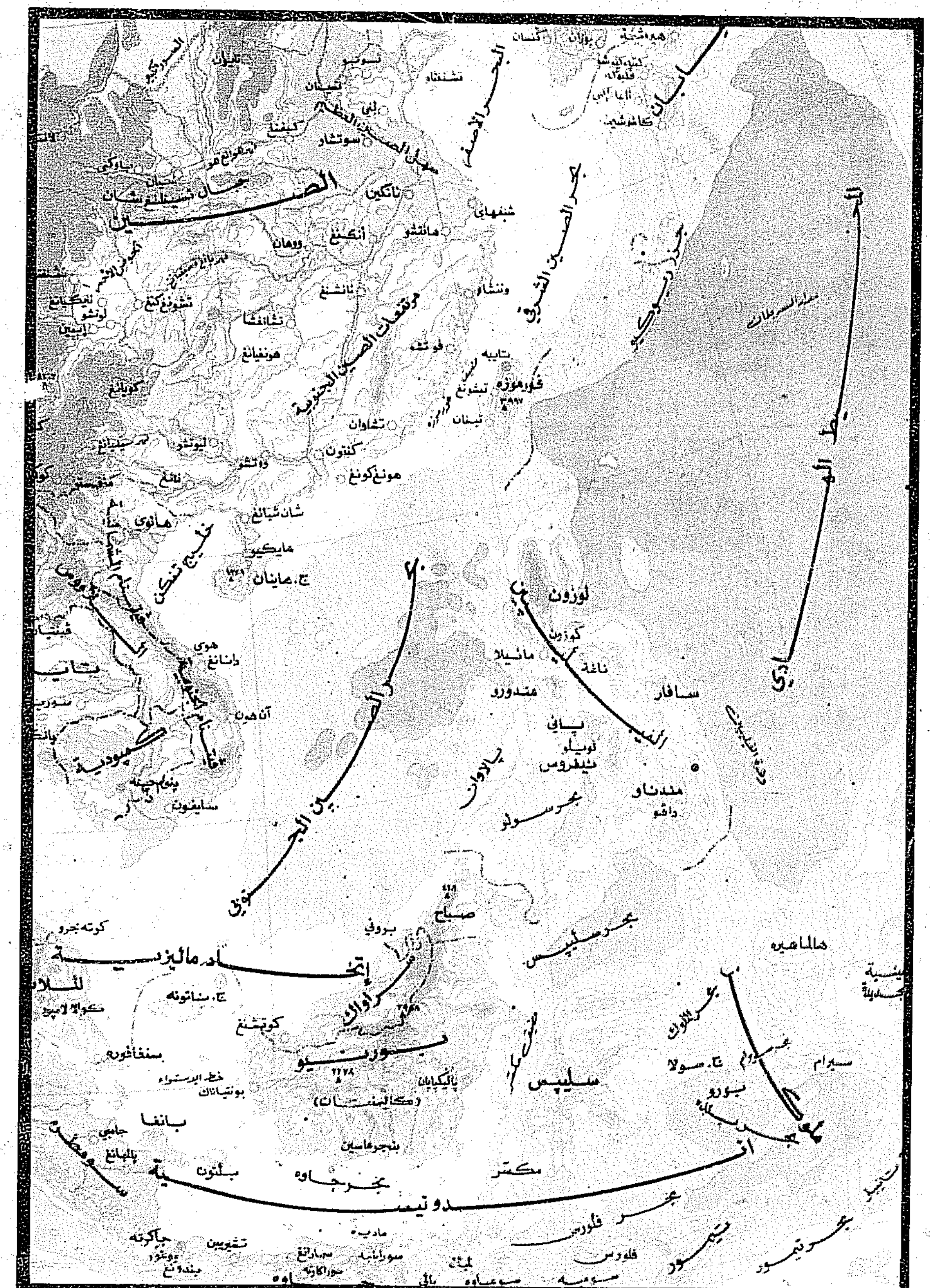
○ ينتمي ٥٠٪ من سكان ماليزية للأصل المالاوي والباقي يتألفون من عناصر صينية وهندية واللغة الماليزية هي لغة اهل الملايو الوطنية الاصلية كما تستعمل اللغة الانكليزية في جزيرتي صباح وساراواك وتكتب اللغة الماليزية الوطنية بالأبجدية العربية .

○ الاسلام دين الدولة في ماليزية وقد دخل الاسلام الى ماليزية عن طريق التجار العرب والهنود الذين اتصلوا بهذه المنطقة فأعجب سكان الملايو بسماحة الاسلام وبساطة تعاليمه فاقبلوا عليه .

○ يعتمد سكان ماليزية اعتمادا كليا على الزراعة وتخصص ماليزية ٦٥٪ من اراضيها لزراعة المطاط والباقي للشاي والبن والارز وجوز الهند وتشكل الغابات ٧٥٪ من الأرض .

○ ماليزية غنية بالثروة المعدنية كالقصدير والفحم الحجري والحديد والمنغنيز وتعد اول دولة في العالم في انتاج القصدير .

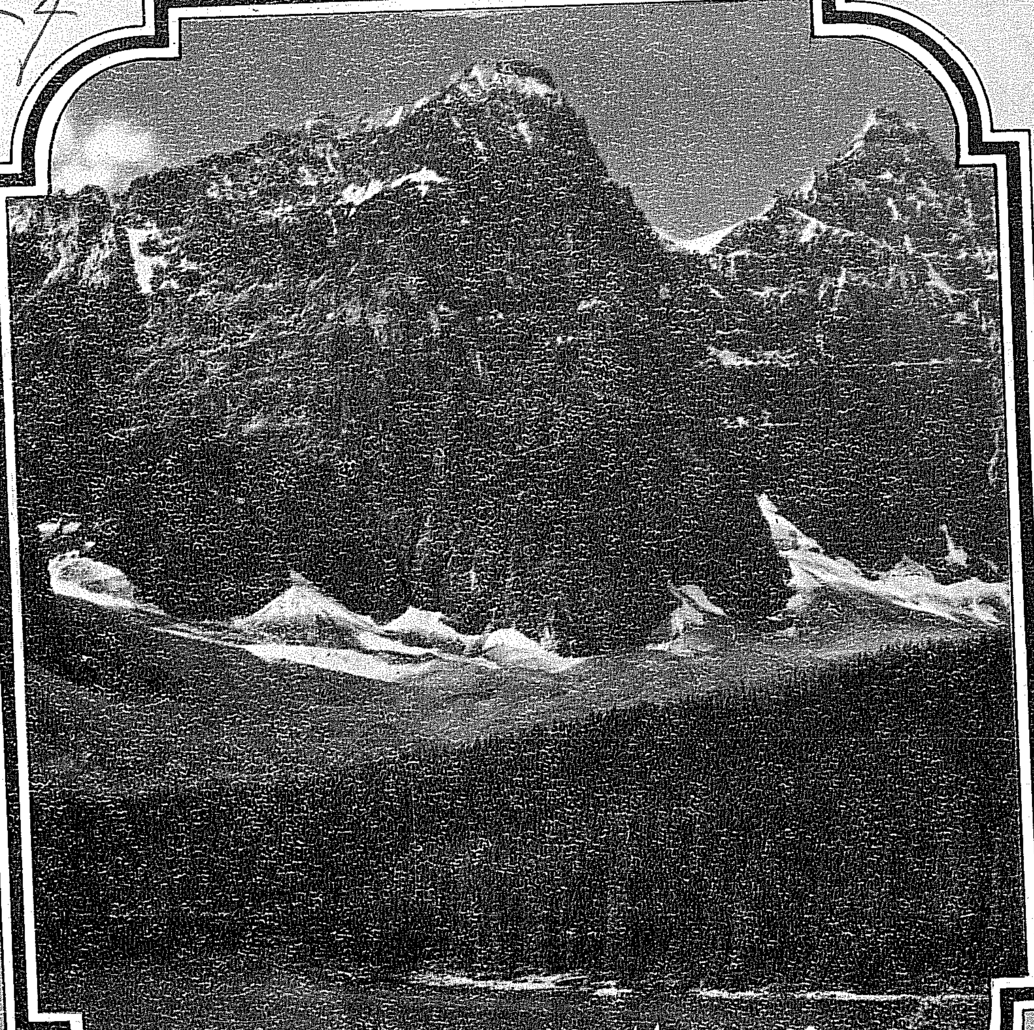
○ خضعت الملايو في القرن السادس عشر الميلادي للسيطرة البرتغالية وحاول البرتغاليون نشر المسيحية لكن اهل البلاد صمدوا في وجه الموجة الصليبية ومازال الاسلام في انتشار دائم في كل المناطق رغم حملات التبشير النشطة وصدق الله العظيم : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .



اتحاد ماليزية

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



حقيقة الوجود الكبرى

موضوع العدد ص ٩٢

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٥ ● محرم ١٤٠٢ هـ ● نوفمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

جمعية العفو الدولية تهاجم تطبيق الشريعة الاسلامية

كنا نحسن الظن « بهيئة العفو الدولية » ونرجح ان لها رسالة تتفق مع اسمها ، فتقف مدافعة عن المظلومين الذين تصب عليهم الحكومات الطاغية الأذى والنكال ، والمذلة والهوان ، بلا ذنب ولا جريرة ، كشعب فلسطين الذي سلب الطغاة وطنه . وأقاموا دولة لهم على انقاضه ، وكالنساء والاطفال والشباب والشيوخ من ابناء فلسطين ولبنان الذين تحصدهم الغارات الوحشية الاسرائيلية آنا بعد آن ، وكمسلمي الفلبين الذين يذوقون الويلات على يد الطغاة ، وكشعب افغانستان الذي ترميه الشيوعية في كل لحظة بأسباب الدمار والهلاك ، وغير هؤلاء في انحاء العالم كثير .

نعم كنا نحسن الظن بهيئة العفو الدولية ونرجح ان اسمها مأخوذ من رسالتها الى ان وقعت في يدنا صورة رسالة موجهة من جمعية العفو الدولية ـ المجموعة الطبية ـ ومقرها الدنمارك الى عميد كلية الطب بجامعة طنطا بمصر بتاريخ ١٩/٢/١٩٨١ موقعة باسم « **أنجي كيمب جينفكه** » رئيسة المجلس الاستشاري الطبي . تقول فيها :

السيد الدكتور

سبق ان كتبت لكم في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٩ باسم المجلس الطبي لهيئة العفو الدولية والتي تضم ٤٠٠٠ طبيب في ٢٦ دولة . والآن فانني ألفت انتباهكم الى امر خطير للغاية ، فقد قررت حكومة الجنرال ضياء الحق تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في باكستان والتي تعاقب مرتكب جريمة السرقة « بقطع يده ثم القدم » ويتم بترتلك الأجزاء بواسطة أطباء جراحيين . والمطلوب منكم الآن الاعتراض بكل قوة ممكنة ضد مشاركة الاطباء في هذا العمل المشين . وارسل لكم مع هذا بعض الأوراق الخاصة بما هو افظع وأشنع ، فقد حكمت محكمة اسلامية في مدينة (نواكشوط)

عاصمة موريتانيا على ثلاثة أشخاص ثبتت عليهم تهمة السرقة بقطع اليد ، وتم بتر الأيدي بواسطة أطباء جراحيين من المستشفى الاهلي بعاصمة موريتانيا (نواكشوط) . وطبقا لاعلان طوكيو الخاص بمنظمة الطب العالمية الفقرة رقم ١ أن الأطباء لا يشاركون في عمليات التعذيب أو تنفيذ أعمال التعذيب .

وهنا نبين لكم أن رأي « العفو الدولية » أن الأطباء لا بد أن يمتنعوا عن أعمال بتر أجزاء من جسم الانسان ، لأن ذلك يكون تشويها للجسم ، بل يسيء الى سمعة المهنة ، كما أن هذا العمل يعرض الانسان الى الخطر الكبير والمضاعفات الكثيرة بعد اجراء العملية ، بل ربما يؤدي الأمر بعد ذلك الى وفاة الشخص .

ونحن نرى أنه من الضروري والعاجل أن يقوم الأطباء في كل مكان بمعارضة ذلك الأمر الذي ترفضه تقاليد مهنتنا ، ونقترح عليكم ارسال خطابات احتجاج مليئة بالغضب الى :

م . بادالي ولد شيخ وزير العدل والشئون الاسلامية/ نواكشوط

م . يوسف دياجانا وزير الشئون الاجتماعية والعمل/ نواكشوط

دكتور ضياء الحسين/ المستشفى الأهلي/ نواكشوط

يرجى كتابة الخطابات بصفة فردية لاستنكار هذا العمل ومعارضته .

توقيع : أنجي كيمب جينفكه/ رئيسة المجلس الطبي الاستشاري

هذه هي الرسالة وهي كما يرى القارىء تشتمل على ما يأتي :-

أولا : بها هجوم مباشر وطعن شديد في الشريعة الاسلامية الغراء .

ثانيا : تبين الرسالة وجود تنظيم طبي عالمي داخل تلك الجمعية يقوم بمهمة الهجوم على الشريعة الاسلامية والطعن في أحكامها تحت شعار ما يسمى بالعفو الدولي وهذا التنظيم - كما جاء بالرسالة - يضم ٤٠٠٠ طبيب ، ولا بد أن يكون فيهم عمداء ومديرو خدمات طبية في كثير من بلاد المسلمين ، وبهذه الوسيلة يستطيعون ان يدبروا هجوما شرسا لتشويه الشريعة الاسلامية .

ثالثا : تستعين الجمعية بالأطباء المسلمين الذين تعرف عنهم الاندراج في سلك الروتاري وغيره من التنظيمات الماسونية للحصول على إدانة كتابية من الأطباء المسلمين ضد الشريعة الاسلامية .

رابعا : تبين الرسالة حقيقة منظمة العفو الدولية وأنها تعادي الاسلام ، كما تكشف جانبا من جوانب حملة عالمية ضد البلاد التي تطبق الشريعة الاسلامية أو تنوي أن تطبقها .

خامسا : في هامش الصفحة الأولى من الرسالة تأشيرة تطلب من رؤساء الأقسام نشر الرسالة بين الأساتذة وذلك بالنسبة للمرسل اليه أمر غني عن التعليق والبيان .

سادسا : تركز الرسالة على الطعن في عقوبة قطع يد السارق وتصفها بأنها عمل مشين وتعذيب وقسوة الخ .

وبعد

فليست جمعية العفو الدولية أول ولا آخر من يسوقهم التعصب الأعمى الى الطعن في الشريعة الاسلامية ، والصد عن سبيل الله ، ولسوف يتساقط أعداء الاسلام بباطلهم أمام صولة الحق بحجته وبرهانه (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) .

ومهما بذلت جمعية العفو الدولية من جهود في محاربة الاسلام ومهما أنفقت من أموال في تضليل الناس عن طريق الهدى فلن تجني من ذلك سوى الفشل والهزيمة (**ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**

وبمناسبة هذا الهجوم من جمعية العفو الدولية على الشريعة الاسلامية نحب ان نقول لها ولمن يسيرون في ركبها : « ان الذين يستنكرون تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ويقولون بعدم صلاحيتها وأنها عمل مشين فريقان من الناس : فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون الوضعي ، وفريق درس القانون الوضعي دون الشريعة ، وكلا الفريقين ليس أهلا للحكم على الشريعة لأنه يجهل أحكامها جهلا مطبقا ، ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه .. والذي يعرف قدر الشريعة الاسلامية هو من درسها دراسة علمية ومنطقية ، فان هذه الدراسة تكشف له فضلها ، وتفوقها على القوانين الوضعية ، وصلاحيتها للتطبيق في كل العصور والأزمان .

ومن يدري فربما كان في محيط جمعية العفو الدولية من درس الشريعة الاسلامية دراسة دقيقة وعرف قدرها وفضلها ولكنه يكتم الحق جحودا بآيات الله وتعصبا للباطل كأولئك الذين قال الله فيهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أو الذين عناهم بقوله : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .

وفي الصفحات التالية بيان للأساس الذي وضعت عليه العقوبات في الشريعة الاسلامية وخاصة « عقوبة السرقة » والغاية التي شرعت من أجلها . نرجو ان يكون له أثره في إنارة الطريق أمام كل مسلم حتى لا تتفرق به السبل عن سبيل الله المستقيم (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) كما نرجو أن يجد فيه القارىء ما يروي ظمأه الى معرفة الحق فيما أثير ضد عقوبة السارق في الشريعة الاسلامية بعيدا عن زيف الباطل وضلال الهوى ومن الله وحده التوفيق وعليه التوكل ومنه الانابة .

رئيس التحرير : محمد الأباصيري

العقوبات في الشريعة الإسلامية

للشيخ : محمد الاباصيري خليفة
رئيس تحرير المجلة

الشريعة الاسلامية انزلها الله نظاما شاملا لجميع ما يتطلبه المجتمع الاسلامي في كل مجالات الحياة ، كي ينعم بالعدل والأمن ، والطهر والنظافة . والعزة والكرامة ، والتقدم والنهوض .

وعقوبات الشريعة الاسلامية وضعت على اساس علم الله بالنفس البشرية ، وتقدير دقيق للغرائز والميول ، وشرعت لمحاربة الجريمة والحفاظ على مصلحة المجتمع .

وقد حرصت الشريعة الاسلامية على ان تسبق العقوبة بأمرين اصلاح نفسية المجرم ، وكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته .

فبالنسبة لاصلاح نفسية المجرم وضعت الأسس التالية :ـ

أولا ـ مقاومة الجريمة قبل وقوعها : وذلك بتوجيه الناس الى الايمان الكامل الذي يحقق الخوف من الله ، وتقويم الأخلاق وترويض النفس على حب الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأليف القلوب بالتعاون والتناصح .

ثانيا ـ تشريع العقوبة : فان مجرد تشريع العقوبة يمنع الكثيرين من الاقتراب من الجريمة . ذلك أن العقوبة جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى عنه أو ترك ما أمر به . فهي قبل الفعل موانع وبعده زواجر .

ثالثا ـ فتح باب التوبة أمام كل مذنب مهما كثرت جرائمه (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) .

رابعا ـ الاعلام العملي من الشريعة

الاسلامية بأن العقوبات الواردة فيها لا يقصد بها تعذيب المجرم وإنما يقصد بها كفه عن الجريمة ، وحماية المجتمع من الأذى . وذلك بما أخذت به من التشدد في وسائل إثبات الجريمة ، ودرء الحدود بالشبهات امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إدرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » وقوله « لأن يخطىء الامام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة » وقد منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع يد السارق عام المجاعة .

اما بالنسبة لكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته ، فيتبين ذلك من أن الشريعة الاسلامية تفرض على المجتمع المسلم أن يوفر لأهل دار الاسلام ـ على اختلاف عقائدهم ـ جميع حقوقهم ، فيوفر لكل فرد حقه في الحياة وحقه في الحرية وحقه في كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، كما يوفر له ضمانات التربية والتعليم وضمانات الوقاية والعلاج وضمانات الأمن والاستقرار . والفرد يحصل على كل ذلك عن طريق العمل مادام قادرا عليه ، وعلى الدولة أن تيسر له العمل وأداته ، فإذا تعطل لعدم وجود العمل ، أو لعدم وجود أداته ، أو لعدم قدرته على العمل ، أو إذا كان كسبه من عمله لا يفي بضرورياته فله الحق في الحصول على تلك الضروريات أو استكمالها من عدة وجوه :

اولا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين في اسرته .

ثانيا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين من أهل محلته .

ثالثا ـ من بيت مال المسلمين من حقه المفروض له في الزكاة ، فإذا لم تكف الزكاة فرضت الدولة ما يحقق الكفاية للمحرومين من مال الواجدين ، بحيث لا تتجاوز في ذلك حدود الضرورة .

وإذا نظرنا إلى السارق الذي يعيش في تلك العدالة الاجتماعية التي تصونه وتكفله على هذا النحو الفريد من الصيانة والكفالة ، ونظرنا في ظل تلك العدالة إلى ما قدمته الشريعة الاسلامية من وسائل فعالة لاصلاح نفسيته ، وتساءلنا لماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام ؟ ما رأيناه يسرق إلا طمعا في الثراء من غير طريق العمل ، فيروع المجتمع ويسلبه الطمأنينة ويزعزع أمنه واستقراره ، بلا عذر له في السرقة .

ومن ثم فلا يجوز لعاقل أن يرأف به متى ثبتت عليه الجريمة ، بل يجب أن يعاقب بالعقوبة التي شرعها الله ، فتقطع يده اليمنى ، فإذا عاد كان القطع في الرجل اليسرى إلى الكعب .

وهذه العقوبة هي العقوبة الوحيدة التي تلائم الجريمة كل الملاءمة ، لأن السارق حينما يفكر في السرقة إنما يدفعه إلى ذلك رغبته في أن يزيد كسبه بكسب غيره ، فكانت العقوبة حربا لهذا الدافع ، لأن قطع اليد يؤدي إلى نقص الكسب ، فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية الداعية لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرفه عن الجريمة ، فإذا تغلبت العوامل

النفسية الداعية لارتكاب الجريمة ، وارتكب انسان الجريمة مرة كان في العقوبة ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة ثانية ، وكان في تنفيذها صرف لسواه ممن تحدثه نفسه باقترافها .

ذلك هو الأساس الذي قامت عليه عقوبة السرقة في الشريعة الاسلامية ، وهو خير أساس من يوم نشأة العالم وإلى أن ينتهي . وقد ثبت أنه على مر العصور لم تفلح أية عقوبة أخرى في تحقيق أمن الناس على أموالهم .

والعجب ممن يقولون إن عقوبة قطع يد السارق لا تتفق مع ما وصلت إليه الانسانية والمدنية في عصرنا الحاضر . كأن الانسانية والمدنية في أن نقابل السارق بالمكافأة على جريمته التي يزعزع بها أمن المجتمع ، فنحكم عليه بالحبس مدة نطعمه فيها ونسقيه ، ونتيح له أن يتزود بفن أوسع في الاجرام من نزلاء السجن الذين هم أطول باعا في الاجرام منه .. وكأن الانسانية والمدنية في أن يكد العاملون في تحصيل المال من حلال ليستولي عليه اللصوص ، فيعيش المجتمع مزلزل الأوضاع محروما من الأمن والاستقرار .

إن عقوبة قطع يد السارق هي العقوبة الملائمة للجريمة لأن الله تعالى بناها على علمه المحيط بنفسية الانسان وعقليته ، وهي في الوقت ذاته تؤدي إلى أمن المجتمع وتقليل الجرائم إلى حد الندرة .

وما رأى هيئة العفو الدولية وتنظيمها الطبي في شخص يصاب في عضو من أعضائه بمرض غير قابل للشفاء ومن طبيعته السريان في الأعضاء المجاورة للعضو الذي أصيب به هل نبقى على العضو المصاب حتى يسري منه المرض إلى بقية الأعضاء ويقضي على حياة صاحبه أم نبتره طلبا لسلامة صاحبه ؟؟

لقد رأينا وقرأنا عن حالات من هذا النوع أجمع أهل الاختصاص من الأطباء على ضرورة استئصال ذلك العضو إبقاء على حياة صاحبه .. فكيف لا تستأصل يد السارق الذي عالجت الشريعة نفسيته وأعطته كل ضمانات الحياة ومع ذلك هدد أمن المجتمع وحرمه من نعمة الاستقرار ، ومعلوم أن حياة المجتمع أهم من حياة الفرد .

والذين يصفون قطع يد السارق بأنه عقوبة قاسية فاتهم ان اسم العقوبة مشتق من العقاب ولا يكون العقاب عقابا إذا كان فيه رخاوة وضعف . والله سبحانه وهو أرحم الراحمين وضع العقوبة متناسبة مع الجريمة فقال جل شأنه : (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) فهي تنكيل رادع من الله ، والردع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدثه نفسه بها لأنه يكفه عنها ، ورحمة بالمجتمع كله لأنه يوفر له الطمأنينة . ولن يزعم أحد أنه أرحم بالناس من خالقهم إلا وفي قلبه عمى ، وفي روحه انطماس .

وقد جرب قطع يد السارق قديما وحديثا فنجح نجاحا تاما في تحقيق الأمن والاستقرار .. لقد أثبت الواقع أن قطع يد السارق لم يطبق في خلال نحو قرن من الزمان في صدر الاسلام إلا في (آحاد) لأن المجتمع الاسلامي بعدالته وكفالته ، والعقوبة بشدتها لم ينتج عنهما إلا هذه الآحاد . ويقول الاستاذ « عبدالقادر عودة » في كتابه (التشريع الجنائي في الاسلام الجزء الأول ص ٧١٢ط دار الكتاب العربي بيروت) . « إن التجربة وحدها هي التي تبين قيمة الأنظمة الجنائية » . وقد قال علماء القوانين الوضعية مجتمعين في اتحاد القانون الدولي : « إن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وإن التجارب هي وحدها الكفيلة بابراز هذا النظام المنشود » .

ولقد أبرزت التجارب الحديثة أحسن الأنظمة الجنائية ، وتبين أن هذا النظام المنشود هو الشريعة الاسلامية وكانت التجارب التي امتحنت فيها عقوبات الشريعة على نوعين : كلية ، وجزئية .

فأما التجربة الكلية فقد بدىء بها في مملكة الحجاز حيث طبقت الشريعة الاسلامية تطبيقا تاما ، ونجحت نجاحا منقطع النظير في القضاء على الاجرام وحفظ الأمن والنظام ، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلا في الحجاز بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الاجرام . فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في ليل أو نهار ، وكانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم ، وما كانت هذه القوات الخاصة ولا القوات الحجازية بقادرة على تحقيق الأمن وكبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم ، وظل حماة الأمن في الحجاز عاجزين عن حماية الجمهور حتى طبقت الشريعة الاسلامية ، فانقلبت الحال بين يوم وليلة ، وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين ، وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق ، وأصبحت الجرائم القديمة أخبارا تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها ، وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الاجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام ، فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه معروضا للتعرف عليه ، وهذا يفقد أمتعته وييأس من ردها ولا يبلغ عنها ولكنه يجد رجال الشرطة يبحثون عنه ليردوا إليه ما فقد منه ، وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية عظيمة من الداخل وقوات عسكرية كبيرة من الخارج أصبح الأمن محفوظا بحفنة من الشرطة المحليين .

تلك هي التجربة الكلية ، وكفى بها دليلا على أن النظام الجنائي في

الشريعة الاسلامية يؤدي عملا إلى قطع دابر الجريمة ، وأنه النظام الذي يبحث عنه ويتمناه اتحاد القانون الدولي .

أما التجربة الجزئية فقد قامت بها أولا انجلترا وامريكا ومصر وبعض الدول الأخرى ثم قامت بها أخيرا كل دول العالم تقريبا وقد نجحت هذه التجربة الجزئية أيضا نجاحا منقطع النظير . وقد سمينا هذه التجربة بالتجربة الجزئية لأنها جاءت قاصرة على عقوبة واحدة من عقوبات الشريعة الاسلامية وهي « عقوبة الجلد » فانجلترا تعترف بالجلد عقوبة أساسية في قوانينها الجنائية والعسكرية ، ومصر تعترف بها في قوانينها العسكرية ، وامريكا وبعض الدول تجعل الجلد عقوبة اساسية في الجرائم التي يرتكبها المسجون ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فقررت كل الدول تقريبا « عقوبة الجلد » على جرائم التموين والتسعير وبعض الجرائم الأخرى الماسة بالنظام أو الأمن العام ، وهذا اعتراف عام عالمي بأن عقوبة الجلد أفعل من أية عقوبة أخرى ، وانها الوحيدة التي تكفل حمل الجماهير على طاعة القانون وحفظ النظام ، وأن كل عقوبات القوانين الوضعية لا تغني عن عقوبة الجلد شيئا في هذا الباب ، وهذا الاعتراف العالمي هو في الوقت نفسه اعتراف بنجاح الشريعة الاسلامية في محاربة الجريمة ، لأن عقوبة الجلد هي إحدى العقوبات الأساسية في الشريعة .

هذه التجارب قاطعة في أن عقوبات الشريعة الاسلامية تؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وأن أي نظام جنائي وضعي يعجز عن الوصول إلى بعض النتائج التي يصل إليها نظام الشريعة الجنائي ، ولعل السر في نجاح الشريعة أن عقوباتها وضعها العليم الخبير على أساس طبيعة الانسان ، ففي طبيعة الانسان أن يخشى ويرجو ، وهو لا يأتي أي عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه ، ولا ينتهي عن عمل إلا بقدر ما يخشى من مضاره ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره منها من منفعة ، ولا ينتهي عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها ، فكلما اشتدت العقوبة كلما ابتعد الناس عن الجريمة وكلما خفت العقوبة كلما استهانوا وازداد إقبالهم على الجريمة ، وقد تمشت الشريعة الاسلامية مع طبيعة الانسان فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة ، ونظرت في الجرائم الأخيرة إلى الجريمة دون المجرم حتى لا يكون لدى المجرم أمل في استعمال الرأفة ، لأن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، ولأنها تمس كيان الجماعة ونظامها ، فالتساهل فيها يؤدي إلى أسوأ النتائج ، والتشدد فيها يؤدي إلى قلة وقوع هذه الجرائم . فعلى العقلاء أن يدركوا حكمة الله فيما شرع لعباده حتى لا يكونوا فريسة لتضليل المضللين وخداع المخادعين .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

الهجرة

بناء وعطاء لا انهزاماً وفناءً

للدكتور / وهبه الزحيلي

كانت هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه البررة الاوفياء من مكة الى المدينة مثلا بارزاً عاليا من أمثلة القوة والحركيـة الاسلاميـة

والنشاط ، وانتجاع الوسط الأفضل والبيئة الخصبة الدافئة المترعة بالغنى والخير والعطاء ، والبناء والتجديد والتفاني في سبيل المبدأ ، والسعي والتحرك لاقامة أرسخ البنى لدين الله تعالى في الأرض ، ونشر الرسالة الالهية ، وتوسيع رقعة امتدادها ، وتكثير انصارها ودعاتها والمؤمنين بها ، الذين بذلوا من أجلها الدم والمال والنفس والنفيس ، وضحوا براحتهم ووطنهم وعلاقاتهم التي يصعب عادة التخلي عنها الا طلباً لمغنم مادي أو رفاه معيشي موقوت .

واهداف سامية كهذه تجعلنا نجزم أن الهجرة لم تكن انهزاماً في مواجهة عدو ، ولا هروباً من مقابلة الأحداث ، ولا فناء وذوباناً الى الأبد ، بدليل أن الهجرة لم تكن آنية سريعة عقب البعثة ، وانما كانت بعد ثلاثة عشر عاماً بذل فيها نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في مكة اقصى جهده ، واشد طاقته في الدعوة الى عقيدة التوحيد والحق والخير والعدل والتحرر الانساني والكرامة الشخصية ، وتصحيح مفاهيم الناس والحياة العامة والخاصة ، وارساء معالم الفضيلة والاخلاق السوية المتزنة الثابتة المتفاعلة في ميزان التعامل الداخلي والخارجي ، واقتلاع جذور الوثنية والشرك ، سواء منه القديم البسيط المتمثل في الخضوع والتقرب الى مظاهر واشكال المادة الصماء من حجر او معدن ، او الشرك الحديث المعقد او الخفي المتمثل في تنوع الوان الرياء والتملق والنفاق والتزلف وابتغاء الخير من شخص متنفذ او حاكم مستبد ، ونسيان جانب الله مصدر كل نفع ونعمة وفضل .

لم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحبه ضعفاً ولا خوراً ، ولا خوفاً ولا يأساً ، لأن الله تعالى مؤيد عباده المخلصين ، وناصرهم ومعزهم وهاديهم الى الخير والرشاد ، وانما هاجروا بعد ان اوذوا وعذبوا ، وواجهوا كل صغيرة وكبيرة في جيوب وعقول وسلوك المجتمع الوثني ، غير انهم وجدوا ان الاسلام يعتز وتقوى شوكته في بقاع اخرى من الأرض هي مدينة الأنصار منطلق الحياة والقيم الخيرة ، ومصدر الاشعاع الحضاري ، ومركز القيادة للانقضاض على أوكار وعشش ومهاد الجاهلية الفاسدة في أي مكان ، لا في مكة وحدها ، وانما في ارض الله الواسعة : (**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً**) النساء /٩٧ : (**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيما**) النساء /١٠٠

فاذا كانت مكة عقيما فالمدينة ولود : (**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً**)

الأعراف / ٥٨ .

كان لهذه الهجرة التي يحتفل العالم الاسلامي الآن بالقرن الخامس عشر لحدوثها آثار بعيدة المدى في تاريخ الانسان ، تمخضت عنها بجلاء ، ومن اهمها ما يأتي :

١ ـ تغير المفاهيم الشخصية والاجتماعية :

لقد انتهت السيادات والزعامات الفردية الى شورى الجماعة ورأي الأكثرية ، وزال الظلم والطغيان والتحكم الطبقي ، واصبحت ناصية القيادة بيد الفئة القليلة التي كانت مستضعفة ، ولكنها استنارت بنور الهدى الالهي ، وتحول الصراع القبلي العنيف الى وحدة ومحبة وإخاء عام شامل شمل ابناء العقيدة الحقة الخالدة ، وتغيرت نظرة العربي وغير العربي من تمجيد وتقديس الرموز والأشباح والأصنام والأوثان ، والجماد والحيوان ، الى تفكير واع في ملكوت السموات والأرض ، وانتهت عبادة الأشخاص واستؤصلت وهاد الخرافة والاوهام والسطحية في التفكير ، وأحس المرء بخطورة دوره في هذه الحياة ، وضرورة الافادة من نتاج الكون ، وما يختبئ فيه من خيرات تستثمر وتنفع كل إنسان ، لأن المآل والمصير في النهاية الى محاسب دقيق على كل عمل الا وهو خالق الكون الذي ابدع كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ،

وارتقت مشاعر واحاسيس الفرد ، فبعد ان كان همه طلب القوت وتحصيل اسباب المعيشة عن طريق النهب والسلب والغارات ، اصبح يقدر قيمة العمل والكسب الشريف الحر ، والعمل اسمى قيمة حضارية يفخر بها الانسان ، بل هو ميزان الشعور بالمسئولية ، وسبيل تحقيق الوجود الذاتي ، وطريق القضاء على الفراغ ، وتحطيم عوامل اليأس والسأم والفتور والكسل ، وتحقيق التقدم والتحضر والتمدن .

وبرز مفهوم جديد هو العمل لخيري الدنيا والآخرة ، والاهتمام بالصالح العام ، ودعم عزة الامة ، والحفاظ على كرامة الجماعة . وتلاشت اعراف الجاهلية الفاسدة القائمة على الوثنية في الدين ، والفوضى في نظام المجتمع ، فحل القصاص المنظم محل عادة الأخذ بالثأر الفوضوية ، وشاع العفاف ليستأصل أوكار الفاحشة ، وبدا بوضوح ضرورة احترام المرأة ليحل محل المتاجرة بعرضها أو وأدها حية . واصبح الاحسان والحب بديلا عن التقاطع والتدابر وحب الذات ، وظهرت قيم جديدة انجبتها الهجرة : هي الحرية والعدالة الشاملة ، وتنشيط سبل العلم والمعرفة والثقافة ، وتوجيه القوة والجهاد نحو عدو أخطر يهدد وجود العرب كلهم ، لأن الاسلام الحقيقي لا يتم بدون التخلص من افكار بالية وعقائد فاسدة وطقوس جوفاء .

٢ ـ اقامة نظام الدولة :

تزدوج السلطة المدنية والدينية في تعاليم الاسلام ، فلا تنفصل احداهما عن الأخرى ، لأن الاسلام

دولة ودين ، ونظام حياة ، وعقيدة ودستور ، وعبادة ومنهج ؛ اذ لا أمل في انجاح المبادئ بدون سلطة .

وقد اثمرت الهجرة هذه المعاني الدقيقة ، فعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم ذو صفتين : كونه رسولا مبلغاً لوحي ربه ، وكونه حاكماً صاحب سلطة مدنية سياسية ، يفصل الخصومات ويقيم الحدود ، ويوفر الأمن ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقود الجيوش ، ويعقد المعاهدات ، ويحمي المسلمين ، ويوحد المواطنين ، فبعد ان كان مشركو مكة يعتقدون أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة دينية روحية خلقية ، فوجئوا بأنها أصبحت روحاً ومادة ، وقوة ومدنية ، واجتماعاً وحكومة وسياسة .

اقيمت الدولة على نفس الصورة او القاعدة التي تقوم عليها الدولة الحديثة بأركانها او عناصرها الثلاثة : وهي الشعب والوطن او الاقليم ، والسلطة السياسية او السيادة .

وفي المجال الشعبي حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الوحدة الوطنية بين فئات المدينة ، فأزال الاحقاد والاحن الجاهلية ، وسوى المنازعات الحادة بين الأوس والخزرج اهل يثرب ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد معاهدة امن وسلام ودفاع وتعاون بين المسلمين ويهود المدينة ، كل ذلك لتقوى القاعدة الداخلية لممارسة سلطان الدولة .

واصبحت المدينة مقر الهجرة ومبعث القوة ودار الاسلام ، وموطن المسلمين الجديد ، يدافعون عنه ، ويذودون عن حياضه ، بعد تشريع الجهاد للدفاع عن النفس : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**) الحج / ٣٩ .

ومارست الدولة مظهر سيادتها الخارجي ، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بارسال الكتب والسفراء ، وبعث البعوث الى ملوك وأمراء العالم ، وزعماء القبائل العربية يدعوهم فيها الى الاسلام خاتم الاديان والنبوات عقيدة ونظام حياة ، مما لا يصدر مثله الا عن قائد وصاحب دولة .

وكانت معاهدة الحديبية مع مشركي مكة في السنة السادسة من الهجرة نموذجا بينا لوجود المسلمين الدولي ، ومثلا يحتذى للمعاهدات السياسية التي تعقدها الدول المعاصرة ، شكلا وموضوعا .

غير ان الفارق الوحيد : هو ان مصدر جميع السلطات التشريعية في دولة الاسلام هو الشرع ، وامر التنظيم متروك للحكام ومستشاريهم ، اما مصدر السلطات في الدولة العصرية فهو قانوناً للشعب : (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**) المائدة / ٥٠ .

٣ ـ استقرار الحياة التشريعية :

عني التشريع المكي باصلاح العقيدة والاخلاق والسلوك ؛ لأنه الأساس الذي يبنى عليه غيره ،

ولاصلاح شأن العرب الذين اختارهم الله انصارا لدينه ودعاة اليه ، وذلك في مدى ثلاث عشرة سنة ، حتى برزت نواة العقيدة الصحيحة في نفوس الناس ، وتلاشت ضلالة الشرك .

ثم اتجه التشريع في المدينة نحو تنظيم حياة الفرد والجماعة في كل النواحي : في العبادات والمعاملات والجنايات والجهاد ، والقضاء والمواريث والوصايا ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ، والقربات الدينية من كفارات الأيمان ، ووفاء النذور وغير ذلك من كل ما تتطلبه الدولة من قوانين دستورية ودولية ومدنية وجنائية وشخصية ، لتحقيق الاستقرار والاطمئنان وتنظيم حياة الناس الاجتماعية والفردية . واصبح الكمال التشريعي في الأصول والمبادئ والقواعد العامة مع بعض التفصيلات الجزئية هو شعار الاسلام ومفخرة المسلمين : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً**) المائدة / ٣ ، وكان يواكب نزول القرآن بيان السنة النبوية والتي لا يشك امرؤ عاقل في ضرورتها ووجودها وكونها تشريعاً ملزماً ، الا ان يكون جاحدا معانداً ، او هداماً منافقاً ، او حاقداً كافراً ، لقوله تعالى : (**يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول**) النساء / ٥٩ : (**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم**) النحل / ٤٤ ، وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم على من رد سنة صحيحة بذل العلماء في تحقيقها جهوداً جبارة ، فأثبتوا الصحيح ، وردوا الضعيف ، ونخلوا الآثار نخلا دقيقاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك رجل منكم متكئاً على اريكته يحدث بحديث عني ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، الا وان ما حرمه رسول الله مثل الذي حرم الله » رواه ابو داود والترمذي ، وبدا حينئذ ان تاريخ وجودنا كأمة بالمعنى الصحيح . بدأ بالهجرة ؛ حيث انتقل المسلمون من الموقف السلبي الى الموقف الايجابي ، ومن مرحلة الصبر الى مرحلة الجهاد ، ومن بناء العقيدة الى تنظيم الحياة ، ومن الاضطراب والقلق الى الامن والاستقرار ؛ لأن الايمان والثقة بالله يمكن بهما التغلب على الكفر والتردد ، والخوف والتمزق .

والهجرة أقامت دولة ، وأنشأت أمة ، وكونت جماعة وانجبت نظاماً وقانوناً : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**) النور / ٥٥ .

وقد امتن الله سبحانه على المؤمنين ، اذ يذكرهم بضعفهم وخوفهم السابق بقوله تعالى : (**واذكروا اذ انتم قليل**

مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره) الانفال / ٢٦ .

٤ ـ توفير مناخ التقدم وارساء دعائم الحضارة :

الاستقرار شرط ضروري للنهضة والتقدم وبناء الحضارة ، وهذا قد تحقق بالهجرة ، فبعد ان كان العرب يعيشون في ظلال كثيفة من الجهل والحيرة والتردد ، وفي وسط من الضلالة والظلمة والفساد اصبحوا بالهجرة ينعمون بنور العلم والمعرفة ، ويسيرون في فلك الهداية الربانية والنور الالهي ، وإرشاد القرآن .

وتقوم حضارة الاسلام على أساس الجمع بين مطالب الروح والمادة ، والقيم الخلقية والعمل ، ونحو ذلك مما أنجزته الهجرة في الواقع العملي ، من ضرورة الربط بين الخلق والعلم ، والعمل والايمان ، لأن الايمان اساس العمل .

وانتشر الاسلام بفضل الهجرة في المشارق والمغارب ، وكان المسلمون الأوائل مثلا طيباً عالياً لكل فضيلة وتضحية وإخلاص ، وترجموا بسلوكهم صورة الاسلام النقية الصافية ، كما ارادها الاله في قرآنه العظيم لأن الهجرة كانت الرمز العملي للتضحية والايثار والاخلاص والتنافس في الخير ، وتجميع الجماعات ، وتوحيد الصف ، والاستماتة في سبيل المبدأ . وكان بناء المسجد في قباء اول اعمال النبي بعد الهجرة ليصبح منبراً ومركزاً وقاعدة للجماعة ولاعلام المسلمين أحكام دينهم وقضايا امتهم .

فلولا الهجرة لم يكن هناك اسلام يذكر ، ولما كان للحضارة الانسانية نصيب من الاسلام ، وأوفى نصيب هو تعمير القلوب بالايمان ، والاندفاع نحو القيام بالواجب بالدوافع الذاتية التي لا رقابة لأحد عليها سوى رقابة الله في السر والعلن .

٥ ـ انتاج الكفاءات العالية :

كانت الهجرة محكاً قوياً لاختبار إيمان الصحابة ، ومعرفة مدى صدقهم ، وتفانيهم في سبيل ارضاء الله ، فضحوا بأغلى ما لديهم من نفس ومال ، ورقد علي بن ابي طالب الفتى الشجاع في فراش النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً نفسه لسيوف القتلة الذين بلغوا مائة ، انتدبوا من كل قبيلة ، ليتوزع دم رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ويرضوا بالدية ، فيعطوها لهم . وتصبح اسرة ابي بكر كلها من رجال ونساء وخدم جنودا أوفياء لانجاح خطة الهجرة ، ومصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء السفر والمكوث في غار ثور ثلاثة ايام ، بعد ان دخل ابو بكر الغار اولا ، باحثا وناظرا أفيه سبع او حية ، يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . وترك مسلمو مكة بلادهم وأموالهم واهلهم ، وهرعوا الى الهجرة الى المدينة ، فاستحقوا ثناء الحق تبارك وتعالى عليهم :

(للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانـاً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقـون) الحشر / ٨ .

ويستقبلهم الانصار بالمدينة بروح عالية من الحب والايثار والفداء ، ويشاركونهم في ثرواتهم ، فكانـوا أيضاً موضع تقدير ورضا من ربهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممـا اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ .

٦ ـ التأريخ بالهجرة :

تمت الهجرة بدخول المدينـة في الثاني عشر من ربيع الأول بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة سنة ٦٣٢ م ـ ٣٠ ايلول (سبتمبر) ، ونظرا لما حققته الهجرة من آثار عميقة بعيدة المدى في الحيـاة الانسانيـة ، ولما تجسد بها من قيم عالية ، جعلها عمر ابن الخطاب رضي الله عنـه مبـدأ التاريـخ الاسلامـي ، ووافقـه الصحابة ، وأجمع المسلمـون على رأيه . وهـذا حق وصـواب ؛ لأن الاسلام يخلد الأحداث العامة التي تحقق آثاراً كبرى وصريحـة بـين المسلمين ، ولأن التأريخ بالهجـرة تجسيد للمعاني والقيم العالية التي اشرنا الى اهمها ، ولا يصح لمبتدع بعدئذ او مدع التجديد ان يغير ما اجمع عليه المسلمون ، او يربط تاريخ الاسلام بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قياساً على ربـط التاريـخ الغربي بميلاد المسيح عليه السلام مثلا ، لأن القضية في ميزان الاسلام لا ترتبط بالأشخاص ، فهم زائلون ، ولأن الذات التي تستحق وحدهـا التقديس والتمجيد والخلود هي الذات الالهية فقط ، ولأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تعني طوي ما أتى به ، مع ان الاسلام يتسم بالخلود والبقاء والاستمرار .

بل ان نزول القرآن الكريم دستور المسلمين ، قد يكون احق بالتأريخ به ، لو لم ينزل منجماً ـ مفرقاً ـ على حسب الوقائع والمناسبات ، ولكنـه بدأ ينزل ـ كما هو معلوم ـ في ليلة القدر ، ثم اكتمـل في مدى ثلاثـة وعشرين عاماً ، فلم يعـد عنوانـاً صالحاً للتأريخ ببدء نزوله مثلا .

والهجرة اخـيراً ليسـت مجـرد تاريخ ، او حادث عابر يمر ، فنتذكره في لحظة زمنية محددة ، وانما هو امر حي في النفوس المؤمنة ورمز لأي نصر الهي يمكن ان يتحقق ويتجدد في كل زمن بتجدد صدق المؤمن ، وتجـدد الايمان والعطاء ، وتنفيذ العهد مع الله في اي زمـان ومـكان : **(الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليـا والله عزيـز حكيـم)** التوبة / ٤٠ .

الجانب التشريعي

ـ الرسالة المحمدية : ـ

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، يقول تبارك وتعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/٢٨ . وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله ، فموسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتصرت دعوته على بني إسرائيل لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون عليهما السلام الى فرعون قالا له : **(انا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل)** طه/٤٧ إن « موسى » ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني اسرائيل ، ولم يكافح موسى عليه السلام الشعوب أو الأمم في سبيل دعوته .

و « عيسى » عليه السلام إنما أرسل إلى « خراف بني إسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول عليه السلام أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

اما رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسله الله إلى الناس جميعا من حيث المكان ومن حيث الزمان : **(قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)** الأعراف/١٥٨ وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي

في سنة رسول الله

للاستاذ/ محمد ابراهيم الخطيب

أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ضمانا لهذا العموم في الزمان والمكان وتحقيقا له : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/٩ ومن أجل هذا الوعد بحفظ الوحي كاملا غير منقوص ، صحيحا غير مزيف ، كانت الحكمة الالهية في أن الانسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ولا إلى نبي بعد النبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه خاتم الرسل وخاتم الانبياء ولقد امتزج صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة فكان هو هي ، شرحا وتفصيلا ، وكانت هي هو ، بيانا لمعدنه وجوهره وخلافة له ونيابة عنه .

ـ حديث عن سنة رسول الله : ـ

واذا جئنا الى الحديث عن سنة رسول الله وجدناها تتناول ما صدر عن رسول الله من أقوال وأفعال وتقريرات إن سنته القولية مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » رواه أحمد وابن ماجة .

كما قال فيما رواه البخاري ومسلم « إنما الاعمال بالنيات ... »

وسنته الفعلية : مثل إقامته الصلاة وأدائه الزكاة وصومه وحجه وتوضئه .

وسنته التقريرية : مثل إقراره

بعض ما صدر من أصحابه من قول أو عمل روي انه صلى الله عليه وسلم أقر ما تصرف به أحدهم عندما لم يجد وقودا في صباح يوم بارد فتيمم رغم وجود الماء ، ولقد أمرنا القرآن الكريم بأن نأخذ ما أتى به صلى الله عليه وسلم ، ونتجنب ما ينهى عنه إذا رآه من غيره ولم يقره ، وذلك بمثل النص الكريم : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) الحشر/٧

وينبغي أن نعرف أن سنن رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حجة على المسلمين وقانون واجب عليهم أن يرجعوا إليه وأن يتبعوا أحكامه ، ذلك لأن القرآن الكريم هو القسم الاول من القانون الدستوري الاسلامي وقد تحدثت عن ذلك في العدد ١٨٨ من الوعي الاسلامي الصادر في شعبان عام ١٤٠٠ هـ .

والسنة هي القسم الثاني ، وقد استدل جمهور المسلمين على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كما أمر بطاعته أمر بطاعة رسوله حيث يقول جل جلاله : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء/ ٥٩ . ويقول : (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال/ ٢٤ ، وكما حرم سبحانه على المؤمن أن يعصيه حرم عليه أن يعصى رسوله فقال : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الاحزاب/ ٣٦ وفي القرآن الكريم ايات عديدة تنفي الايمان عمن لا يطمئن إلى أحكام الرسول ولا يسلم لها يقول سبحانه : (**قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين**) آل عمران/ ٣٢ . وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الاعراض عن طاعة الله أو عن طاعة الرسول كفر ، وما من شك في أنه كفر ، ذلك أن من أركان الايمان ، الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استخفافا أو جحودا وإنكارا أو عنادا ومماراة كفر يخرج به المعرض عن دائرة الاسلام .

ويقول الله تعالى في طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما يفرده بالحديث : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/ ٦٥ ويقول : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) النور/ ٦٣ ، ويقول عليه الصلاة والسلام . فيما رواه أبو داودوالترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب قال : قال صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله ... » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه : ـ

« لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

وأحكام الرسول هي ما صدرت عنه قولا أو فعلا أو تقريرا ، وهي قانون واجب اتباعه في حياته وبعد مماته وقد كان الصحابة في حياة الرسول وبعد موته إذا عرض لهم حادث وأرادوا معرفة حكمه رجعوا الى كتاب الله فإن وجدوا حكم ما عرض لهم اتبعوه ، وان لم يجدوا في القرآن حكم ما عرض لهم رجعوا إلى الرسول في حياته وسنته بعد مماته . روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن فقال له « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ » قال : أقضي بكتاب الله . قال : « فإن لم يكن في كتاب الله ؟ » قال : فبسنة رسول الله . قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ » قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » .

وجاء فيما رواه أصحاب السنن : عن قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها . فقال : مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا فارجعي حتى أسأل الناس . فسأل فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل قوله : فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه قال : ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر رضي الله عنه فسألته ميراثها فقال : ما لك في كتاب الله شيء وما كان القضاء الذي قضى به الا لغيرك ، وما أنا بزائد في الفرائض ولكن هو ذلك السدس فان اجتمعتما فيه فهو بينكما وأيكما خلت به فهو لها .

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالته المشهورة إلى أبي موسي الاشعري يقول فيها : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة » ويقول له « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » .

ـ تساؤل عن موقف سنة الرسول من القرآن : ـ

وإذا تساءلنا ما موقف سنة الرسول بالنسبة إلى القرآن وجدناها لا تخرج عن حالات ثلاث :

١ ـ إما أن تكون سنة مبينة ومفصلة لنص جاء مجملا في القرآن . وذلك مثل سنته العملية في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فانها تبيين وتفسير لقول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** البقرة/٤٣ ولقوله : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/١٨٥

ولقوله : (**ولله على الناس حج البيت**) آل عمران/٩٧ فلولا تبيين الرسول لهذه النصوص المجملة ما أمكن تنفيذها ، وهذا التبيين جعله الله لرسوله لأن وظيفة الرسول أمران : تبليغ ما أوحى إليه من ربه ، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من مجمله ، يقول الله تعالى : (**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة/٦٧ ويقول : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) النحل/٤٤ ويقول : (**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/١٥١ .

٢ ـ وأما أن تكون سنة مؤكدة ومقررة لما جاء في القرآن وذلك مثل السنن التي أمرت بما أمر به القرآن من التوحيد وبر الوالدين والعدل والاحسان وأداء الأمانات ، والتي نهت عما نهى عنه القرآن من الزنا وشهادة الزور وقتل النفس التي حرم الله قتلها .

٣ ـ وأما ان تكون سنة منشئة وشارعة حكما في واقعة لم يذكر حكمها في القرآن ، وذلك مثل ما جاء في السنن من أنه لا يجمع في الزواج بين البنت وعمتها والبنت وخالتها ومن أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، ومن تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ومن أن ما بقي من الارث بعد ذوي الفرض لأقرب عاصب ، ونحو هذا . ومن الواجب أن نذكر أن سنن الرسول عليه الصلاة والسلام لا تعارض حكما جاء في القرآن لأن رسول الله مأمور بأن يبلغ الناس ما أنزل اليهم ليتبعوه ولينفذوه ، فلا يصدر عنه ما يخالف الوحي الذي أمر باتباعه .

ـ هل السنن كلها تشريع عام ؟!

ونتساءل بعد ذلك : هل السنن التي صدرت عن رسول الله كانت كلها تشريعا عاما حجة على المسلمين في كل زمان ومكان ؟ ونجيب بأنها لم تكن كلها تشريعا عاما وحجة على المسلمين في كل زمان ومكان ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم له صفتان : صفة أنه بشر مثل أفراد الناس في بشريتهم وإنسانيتهم ، وصفة أنه رسول اصطفاه الله تعالى ليوحي إليه ، وليبلغ للناس ما أنزل إليه من ربه ، فمن ناحية أنه بشر صدرت عنه أقوال وأفعال ، والحجة على المسلمين هو ما صدر عنه بصفته رسولا يشرع للمسلمين أحكاما ليأتسوا بها وليتبعوها ، وما صدر عنه بصفته بشرا مثل سائر البشر فليست حجة على المسلمين ولا هي قانون عام ويترتب على ذلك ما يأتي : ـ

١ ـ أن السنن القولية أو الفعلية التي رويت في أكله صلى الله عليه وسلم وشربه ومشيه ولبسه ونومه وركوبه وقعوده ونحو هذا مما صدر عنه بمقتضى طبيعته الانسانية وحاجته البشرية ، ليست تشريعا عاما ولا قانونا يجب اتباعه ، فما روي عن الرسول من أنه كان أحب الثياب اليه ثوب يماني مخطط من قطن أو كتان ،

وكان آحب الطعام إليه الدباء ، وأنه كره لحم الضب ونحو هذا لا يعد تشريعا عاما ولا يوجب على المسلم حب ما أحبه ولا كره ما كرهه لأن مرجع هذا إلى المزاج الانساني لا إلى الحكم الديني . ولذلك وجدنا أئمتنا وعلماءنا الحريصين على اتباع السنة لا يتقيدون بشكل ولا بجنس ما كان يلبسه الرسول ، ويختلف بعضهم عن بعض فيما يلبسون جنسا وهيئة ، ولا يتقيدون بنوع ما كان يأكل ولا بهيئة طبخه ولا يتقيدون كذلك بأن يمشوا كما كان يمشي أو يركبوا ما كان يركب .

٢ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدبير مسألة دنيوية أو واقعة حربية بناء على تقديره وتفكيره وتجاربه كتعيينه مكانا لينزل الجنود فيه ، ووصفه دواء لمرض ومشورته في زراعة أو تجارة أو مضاربة ونحو هذا مما يظهر فيه أنه وليد الرأي لظرف خاص ، وليس صادرا عن الوحي ، لا تعد تشريعا عاما ولا قانونا واجبا اتباعه ..

عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخي استطلق بطنه يريد الاسهال ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقه عسلا » فسقاه ثم جاء فقال : سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال له « ثلاث مرات » ثم جاء الرابعة فقال « اسقه عسلا » فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » . فسقاه فبرأ . « متفق عليه » . لا يدل هذا الحديث على أن شراب العسل دواء من أي مرض باطني لأي مريض ، لأن هذا صدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن تجاربه بوصف أنه إنسان لا عن وحي إلهي . وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مر على نفر يقومون بتأبير النخل (أي تلقيحه) بنقل المذكر منه إلى المؤنث فقال لهم « لو لم تفعلوا لصلح » أي انه لا داعي لهذا العمل وأنهم لو تركوه بدون تلقيح لأتى بالثمر ، واستمع القوم الى قول رسول الله ، ولم يقوموا بتلقيح النخل كما اعتادوا فلم يثمر النخل ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقصوا عليه أمر نخلهم فقال لهم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » . يعني أنتم في حل من التقيد بقولي .. والغريب أن بعض الناس يسيئون فهم هذا الحديث ويريدون أن يتخذوا منه مبررا لكي يشرعوا لأنفسهم بحجة أنهم أبصر بشؤون دنياهم ، ونسوا أو تناسوا أن هناك فرقا بين الأمر التجريبي العملي الذي يكون الفيصل فيه للتجربة التي لا تخضع للهوى الشخصي ، ولا تختلف فيه الآراء ، وبين الأمر النظري الذي تختلف فيه الأهواء والمذاهب فنحن أبصر بشؤون دنيانا فيما يختص بالأمور المادية والعلمية الناتجة من التجارب المعملية الصماء التي لا تحتمل التأويل والاختلاف ، وتلك الامور لا نستمع فيها لرأي ولا مشورة أما بالنسبة للأمور النظرية

والفكرية التي يدخل فيها الهوى الشخصي وتحتمل تعدد الآراء فان التشريع قد جاء ليحمينا من تلك الأهواء التي تدعو إلى الاختلاف والمصلحة الشخصية ، ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فيما يختص بهذا التشريع الذي تختلف فيه الأهواء فقط .

٣ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن الرسول ودلت القرائن على أنها صدرت منه بناء على ظرف خاص أو عرف خاص ، أو مراعاة لمصلحة خاصة لا تعد تشريعا عاما لكل بيئة في أي زمن ، روى مسلم والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « خالفوا المشركين ، وأحفوا الشوارب وفروا اللحي » .

وفي عبارة الحديث ما يدل على أنه تشريع قومي زمني ، وليس إلزاما بشعار ثابت دائم ، ولو كان من عادة المشركين في عهد الرسول توفير اللحي وإعفاء الشوارب لقال الرسول وفروا الشوارب وأحفوا اللحي .

في مواجهة أعداء السنة :

أخي القارىء : إن أعداء الاسلام بدءا من غلاة المستشرقين والملحدين وانتهاء بكل ضال أو مضل في الشرق أو في الغرب يحاولون النيل من الحديث النبوي والسنة المشرفة بالتشكيك فيها والزعم بأنها من نسيج روايات الرواة حتى أنهم تطاولوا على أصدق كتاب بعد كتاب الله باتفاق علماء الاسلام وهو « صحيح البخاري » وشككوا في رواة البخاري كما فعل المستشرق المجري (جولد زيهر) حينما طعن في أبي هريرة وفي كل ما يتصل بالسنة ، والواقع أن أمثال هؤلاء حينما يحاولون تحطيم السنة النبوية إنما يهدفون إلى هدم التشريع الاسلامي كله ، فلا يمكن تصور البناء الاسلامي بغير أقوال وأفعال وتقريرات نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة في قرآنه الكريم بقوله : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم/٣ و ٤ . وإن مجرد النظرة إلى دور السنة النبوية في تشريع كل ما يتصل بالدين يجعل المرء يدرك أن السنة هي الأساس الثاني للتشريع وفيما يلي أمثلة سريعة سيجد الناس فيها أي جناية ترتكب ضد الاسلام إن هم استمعوا إلى هؤلاء الحاقدين والجاهلين : ـ

أ ـ **في العبادات** : شرعت السنة الطهارة والتيمم والمسح على الخفين وبينت عدد ركعات الصلاة ومواقيتها ، وانه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وبينت أيضا كيفية صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء والجنازة وأحكام الأذان ومبطلات الصلاة وأحكام السهو والجمع بين صلاتين في السفر وأحكام صلاة القصر .

ـ وفي الزكاة حدد النصاب والمقدار الواجب إخراجه وأحكام صدقة الفطر وما يجب في الركاز .

ـ وفي الصيام شرعت كفارة الفطر

المتعمد في رمضان وأحكام الحامل والمرضع والأعمال الشاقة .

- وفي الحج جاء الحديث الشريف « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم والترمذي .

ب - في المعاملات : - حرم الرسول بيع الخمر والميتة والأصنام وبيع الغرر والمرأة ، وحرم النجش وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وبيع ما لا يملك .. الخ .

وشرع خيار البيع وبين أحكام الشفعة والسلم والرهن وحرم الاحتكار وبين أحكام الشركات والقراض والهبة والوقف والاجارة والاعارة والربا ..الخ .

جـ - في حقوق الأسرة : بين الرسول أن الثيب أحق بنفسها ، وأن البكر يستأمرها أبوها ، وأوجب الزواج على الشاب المستطيع ، وحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها قياسا على تحريم الجمع بين الأختين ، ونهى عن نكاح المتعة وبين أحكام الطلاق وبين أن الوصية تكون في الثلث .. الخ .

د - في الحدود : بين حكم الردة والزنا وشرب الخمر والديات .

هـ - في الحلي والثياب : حرم الحرير والذهب على الرجال والأكل في صحاف الذهب والفضة والشرب في أوانيها ، وحرم الحمر الأهلية وما له مخلب من الطير وناب من الوحوش وحرم قليل الخمر قياسا على كثيره ، كما حرم كل مسكر ومخدر ومؤثر في العقل قياسا على الخمر .

و - في الجهاد : بين أحكام شهيد الدنيا والآخرة وشهيد الدنيا فقط والآخرة فقط ، وحرم التمثيل بالقتلى وشرع للفارس سهمين وللراجل سهما ... الخ .

ز - في الثروة الأخلاقية هناك بحر من المثل العليا فمن أحب الله اتبع رسوله واقتدى به .

(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران / ٣١ .

وبقيت كلمة لا بد منها وهي أن أئمة الحديث خدموا أحاديث الرسول الكريم أعظم خدمة ، وكتب الصحاح والمسانيد تزخر بها المكتبات ، والأحاديث الموضوعة لا تخفي على الأذكياء والعلماء وبخاصة أن موضوعها يدل عليها . إنه لا يمكن الدعوة إلى ترك النقد الجيد لوجود نقد زائف ولا إلى ترك الورود والرياحين لوجود أعشاب في الطين ، ولا يمكن للمسلمين أن يتركوا الأحاديث الواضحة مثل الشمس والمجمع عليها والتي بدونها يصبح القرآن الكريم بلا مضمون بدعوى الأحاديث اللاغية التي تفضح نفسها ، ورحم الله العلامة « الشاطبي » الذي ذكر في كتابه (الموافقات) أن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم خارجين على السنة إذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله ، ورحم الله الامام الشافعي - الذي قال عن المنكرين للسنة « إن هؤلاء ليسوا من الاسلام في شيء » وصلى الله على صاحب السنة الشريفة أفضل صلاة وأزكى سلام .

قضية فقهية فريدة

بيع الدين بالعين

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

حكمة مشروعية البيع بصفة عامة أعرف من أن تعرف ، وأوضح من الشمس في رابعة النهار والبدر في ليلة التم والازدهار .. لأن كل انسان له حاجة إلى ما في يد الآخر غالبا ، وقد لا يبذل العطاء ، ولا يرفد الصحاب .. فمست الحاجة الى تبادل ما في الأيدي ، وتناول ما عند الآخرين ، بمقابل مدفوع ، باذن مشروع .. فكان لا بد من البيوع التي عرفتها اللغة : بأنها تمليك مال بمال وزاد فيها الشرع بالتراضي لاعلى وجه التبرع .. أخرج ابن ماجة وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم (انما البيع عن تراض) والحديث الشريف تفسير لقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم)** النساء / ٢٩ . لان الحديث عبر عن التراضي بأداة الحصر وهي انما ونتيجة ذلك ان كل بيع خلا من الرضا فهو بيع باطل عند الله تعالى لا يحل تعاطيه .

وقد أحاطت الشريعة البيع الصحيح بضوابط وشروط لا بد من مراعاتها حتى لا يدخل تحت طائلة

النهي والحظر الشرعي منها : عقل البائع وتمييزه ، والمال المتقوم المقدور التسليم ، والملك والولاية على كل من الثمن والمثمن .. وفي الحديث الشريف (ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل : « أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ») رواه البزار وصححه الحاكم .. قال الحافظ ابن حجر : « وفوق ذلك ما يكسبه الرجل من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى » ومعلوم أن كسب الجهاد نوع من عمل الرجل بيده .. فهو داخل في عموم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم .

ومن أهم شروط البيع المصححة له شرعا ، وجود المبيع فعلا وواقعا . حتى ينتفي الغرر والجهالة المفضية الى النزاع .. فنهى عن بيع حبل الحبلة كما في الحديث المتفق عليه ومعناه أن يشتري الرجل حمل ولد الناقة من دون اشتراط الولادة ، وعلة النهي كما اشار اليه البخاري حيث صدر الباب ببيع الغرر : هو كونه بيع معدوم ومجهول وغير مقدور على تسليمه .. وكان بيعا شائعا في الجاهلية ، فأبطله الشرع وعن ابي هريرة عند مسلم « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر) وبيع الحصاة يشبه القمار .. لأنه بيع ما تقع عليه الحصاة التي يقذفها البائع على مجموعة من السلع المرصوصة بثمن واحد ولفظ الغرر يشملها .. وانما خصت بالذكر لشيوعها في زمان صدور الحديث ، والغرر معناه الخداع .. ويتحقق في صور منها : عدم القدرة على التسليم حالا .. اما لكون المبيع غائبا غيبة بعيدة او معدوما ، او مجهولا في قدره ونوعه ، وقد يعفى عن بعض الجهالات التي لا تفضي الى ضخامة حجم الجهالة .. ولا تؤدي الى نزاع عادة ويجري بها العرف ، مثل الاجارةشهرا مثلا مع انه قد يكون ثلاثين يوما او تسعة وعشرين وبيع ثوب مبطن لا ترى بطانته ، ودخول حمام لا يدري كمية الماء المستهلك فيه ونحو ذلك .. واجمعوا على بطلان بيع الاجنة في بطون امهاتها ، والطيور في اجوائهاوالاسماك في امواهها .. وعن بيع الثمار في البساتين قبل ظهورها اذا تعينت اشجارها ومن صور الجهالة والغرر استثنيت وبرزت في افق الفقه صورة فريدة في بابها .. كثيرة في تداولها ، وهي بيع المحاصيل الزراعية وقيس عليها غيرها كما سنبين ــ وذلك قبل زراعتها وقبل حرث الارض لها .. واتخاذ الاهبة لانتاجها .. أي إنه يجوز شرعا بيعها بأي مقدار معلوم في كمه وجنسه ونوعه مما تنتجه الأرض ويدخل فيها ثمار النخيل وغيرها ، وهي لما تزل شائعة في ضمير الغيب .. على ان يسلم ثمنها في مجلس العقد او قريبا منه بيوم او بيومين ــ كما يرى المالكية ــ وذلك نظرا للحاجة الاجتماعية الماسة الى شرعية هذا اللون من التعامل .. فان الناس .. بين غنى بماله .. فقير بخبرته .. وبين خبير

بزراعته .. مقل في امكانياته .. فكان لا بد من التعاون المثمر بين طرفي المجتمع حتى لا تتعطل الأعمال ، ويقع الناس في الحرج . فشرع ما سمى ببيع (السلم) وحقيقته شرعا : بيع موصوف في الذمة ببدل مالي يدفع عاجلا ، ولم يخالف في شرعيته الا ابن المسيب .. وهو بهذا مخالف لاجماع الفقهاء فلا عبرة بخلافه واتفقوا على انه يشترط فيه ما يشترط في البيع المطلق من شروط الصحة والنفاذ ، وعلى ضرورة تسليم البدل النقدي في نفس مجلس العقد .. ومالك رحمة الله تسامح في تأخيره يوما او يومين ، ولا بد من تقديره بكيل معلوم او وزن معلوم .. فان لم يكن مما يكال ويوزن .. ذكر عدد معين ، ووصف يزيل الجهالة ، ويرفع النزاع .. والسلم من هذه الزاوية مخالف للقياس لأنه بيع المعدوم وعقد على الغرر .. ولكن القياس ترك اعتباره لما ورد فيه من احاديث خاصة منها .. ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال : من أسلف في ثمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » وفي لفظ البخاري : « من اسلف في شيء » وهو اعم من الثمر ، وروى البخاري عن عبدالرحمن بن ابزي ، وعبدالله بن ابي اوفى قال : (كنا نصيب المغانم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتينا انباط الشام - أي زراع من الشام - فنسلفهم في الحنطة والشعير والزبيب .. وفي رواية والزيت الى أجل مسمى قيل : أكان لهم زرع . . قالا : ما كنا نسألهم عن ذلك » وقد استدل جمهور الفقهاء بالاحاديث السالفة الذكر على شرعية السلم وعلى انه على خلاف القياس لانه بيع المعدوم لان المقصود الأصلي في البيع هو المثمن لا الثمن وهذا اولى من قياسه على البيع بالثمن المؤجل .. ولكن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو ترجمان القرآن .. قد رأى ان السلم قد ثبتت شرعيته بالكتاب العزيز فضلا عن السنة الصحيحة فقد أخرج الحاكم في المستدرك بسنده وصححه على شرط الشيخين عن قتادة عن ابي حسان الأعرج عن ابن عباس قال : « اشهد ان السلف المضمون إلى أجل مسمى - وهو السلم - قد أحله الله في الكتاب وأذن فيه وأنزل فيه أطول آية في كتابه .. وتلا قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه**) البقرة / ٢٨٢ .. والجمهور على ان هذه الآية الكريمة في عموم الديون كلها سواء كانت سلما ام غيره والمقصود بها الارشاد الى الاستيثاق بكتابة الديون التي تحل في الذمة خوفا من النسيان او الجحود ودفعا للنزاع والشغب ، وفي كتاب الهداية جـ ٥ ٣٢٤ (والسلم جائز في المكيلات والموزونات والمراد بالموزونات ما عدا الدراهم والدنانير لانها اثمان » والمسلم فيه لا بد ان يكون مثمنا لا ثمنا ويصح كذلك في المذروعات - اي ما يمكن

ضبطه بالاذرع كالثياب مع ذكر صفتها وطريقة صناعتها ، ويصح كذلك في المعدودات المتقاربة الآحاد كالبيض الحاقا بالمكيلات والموزونات ، والكبير والصغير سواء لاصطلاح الناس على اهدار التفاوت في ذلك بخلاف البطيخ والرمان لتفاوت آحاده تفاوتا فاحشا .. ولا يجوز في الحيوان لتفاوته في المعاني والأوصاف تفاوتا فاحشا ، ولا بأس بالسلم في الطوب وكل ما امكن ضبط صفته ومعرفة مقداره .. ولما كان كثير من أصحاب رؤوس الأموال يلجأ الى الابتزاز والحاق الضرر بالمزارعين الفقراء .. فيشتري منهم الى أجل .. بثمن بخس يلحق بهم الاذى مستغلا فيهم ضعف الامكانيات ، وقلة ذات اليد .. فيضطرون اضطرارا الى قبول الاثمان الزهيدة ، وبذل المبيعات القيمة .. كان لا بد من التنبيه الى ضرورة تحقيق العدل في التقدير ، وتقوى الله في معاملة المحتاجين .. وان نضع في الاعتبار القاعدة العامة لتنظيم التبادل بين الناس في اي قطاع من قطاعات البيوع ، وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« انه لا يحل مال امرىء الا بطيب من نفسه » رواه احمد .. وطيب النفس في هذا الحديث هو المعادل للتراضي المشروط في كل عمل تجاري يجري فيه التعامل بين الناس .. والتراضي عمل من اعمال القلوب وهو خفي لا يمكن الاطلاع عليه الا بدليل ظاهر .. وليس يكفي فيه مجرد النطق بالايجاب والقبول ، فقد يكون ذلك تحت ضغوط مختلفة .. وانما المهم فيه توفير الضمانات الكافية لتحقيق الانصاف بين البائع والمشتري ولا سيما في جانب السلم ، وذلك بمراعاة الاسعار السارية بين الغالبية من المتعاملين ، والتي ينتفي فيها الجشع والاضرار بالناس ، وفي الحديث الشريف « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابن ماجة وهي قاعدة عامة تنطوي فيها كل انواع التصرفات وبعد فقد تبين لنا من خلال هذه العجالة :

١ ـ ان شرط صحة البيع انتفاء الجهالة والغرر بصفة عامة سواء الثمن في جانب الثمن أم في جانب المثمن ليقوم التعامل بين الناس على اساس من الصراحة والوضوح والبعد عن الخداع والغش والتدليس .

٢ ـ انه استثنى من هذا الشرط بيع السلم الذي هو بيع أي أصناف يمكن وصفها وتحديدها في الذمة وصفا ، وكما ، ونوعا ، وعددا ، وكيفية حتى تزول الجهالة المفضية الى التنازع والخصومة بشرط دفع الثمن حالا .

٣ ـ ان بيع السلم على خلاف القياس اصلا ، ولكن ترك هذا الاعتبار وابيح التعامل فيه مراعاة لمصلحة ارجح وهي الحاجة الداعية الى انتفاع الغني بخبرة الفقير ، والفقير بمال الغني فشرع بالسنة ..

٤ ـ انه لا بد حين تسعير الاصناف من مراعاة التقوى والرحمة بحيث يكون السعر مما ينتفي به الجشع ومما يدخل تحت تقويم المقومين بلاابتزاز ولا استغلال ولا قسوة

ثبوت النسخ في القرآن الكريم

للاستاذ / مصطفى عبد الله العريس

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عالمين بأحكام الدين الناسخة منها والمنسوخة في معظمهم لمعاصرتهم من الابتداء لنزول تلك الاحكام ، وحضورهم في غالبهم اوقات نزول الوحي والاحكام والتشريع من قرآن وأحاديث . وقد حرصوا على نقل كل ما علموه من امور الدين الى من بعدهم من التابعين ومن جملتها كل ما يتعلق بالنسخ في الكتاب والسنة . رغبة في ان يؤدوا ما اؤتمنوا عليه من الدين وفي ان يكون لهم نصيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المرغب في نشر العلم وتعليمه القائل : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » رواه البخاري .

لقد سمعت ان بعض العلماء المعاصرين انكروا وقوع النسخ في بعض احكام الشريعة الاسلامية ولم يسلموا بما أتي به المتقدمون من الادلة على وقوع النسخ في القرآن والحديث ، وراحوا يفسرون الآيات والأحاديث الدالة على وقوع النسخ تفسيرا خاطئا بعيدا عن الصواب والحقيقة ، فاستغربت ما سمعت عنهم ، ورغبت في الرد عليهم بايراد ما اثبته العلماء الاعلام في حقيقة وقوع النسخ في الشريعة الاسلامية وفي الشرائع قبلها ، لأن نسخ بعض الأحكام هو من سنة الله في شرائعه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، لذلك اقول :

ان العلماء الذين يقرون بوقوع النسخ يرون ان نسخ بعض الاحكام

في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من الحكمة الدقيقة في تدرج التشريع تبعا لتطور الفطرة ومتطلبات الحياة ، للانتقال بالمكلف من حسن الى أحسن ومن قويم الى اقوم ، ومن واجب فرض الى اباحة مستحبة ، ومن اباحة الى تحريم ، ومن تحريم محدد الى تحريم مطلق ، وهكذا .. وان النسخ في القرآن كان بالقرآن ، وفي السنة بالسنة ، وفيما بينهما ايضا لوحدة علاقة الوحي فيهما مع التفاوت بينهما . والله سبحانه وتعالى يقول : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة ١٠٦ .

لقد كان القرآن يوحي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى جميعا ، فوجبت المحافظة عليه لفظا وترتيبا وترتيلا . والسنة كان يوحى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمعنى واللفظ تارة كما في بعض الاحاديث القدسية ، وتارة بالمعنى فقط دون اللفظ كما في باقي الاحاديث النبوية التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغها للناس بما أوتي من جوامع الكلم وحسن الاختيار عليه الصلاة والسلام . والقرآن والسنة كلاهما جميعا وحي من الله تعالى ، عليهما تقوم أسس الشريعة الاسلامية ، يقول الله جل جلاله في ذلك : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم ٣ و ٤ . ويلزمنا الله سبحانه بهما بقوله : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) الحشر/٧ . والآيات بهذا المعنى في القرآن كثيرة .

ولما كانت احكام الشريعة الاسلامية نزلت في القرآن الكريم مجملة غالبا وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مفصلة واضحة . ولما كان في هذه الاحكام ما هو ناسخ وما هو منسوخ ، فانه لن يتوصل احد الى معرفة الاحكام المقررة الثابتة في الشريعة إلا اذا كان له معرفة وإلمام بالناسخ والمنسوخ .

لقد كان الصحابة الكرام عالمين باحكام الدين ناسخه ومنسوخه لانهم عاصروا الوحي من ابتدائه ، ومن تأخر اسلامه منهم أخذ هذا العلم عن السابقين في الاسلام ، فكانوا يسألون بعضهم بعضا ويتلقون عن بعضهم البعض فيما غاب عنهم أخذ ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن هذا حال المتأخرين في الاسلام بل كان هذا شأن الذين يتعاطون الصفق في الاسواق ايضا عندما يفوتهم امر حكم من الاحكام لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان كل واحد منهم مدرسة او استاذا للآخر .

الشافعي واضع اسس النسخ :

والعلماء الأوائل بعد الصحابة رضوان الله عليهم عنوا بالتحقيق التام والبحث للوصول الى معرفة الاحكام الثابتة ، فكان لا بد لهم من الالمام بعلم الناسخ والمنسوخ فألفوا في ذلك الكتب القيمة فسهلوا الكثير على المتأخرين .

وان اول من اهتم من هؤلاء العلماء وكتب في النسخ في الشريعة الاسلامية هو الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب رضي الله عنه . فاثبت ذلك في كتابه : الرسالة ، وان كان الامام الزهري قد سبقه بشيء من هذا ولكن الشافعي لخصه وامعن فيه .

جاء في كتاب الاعتبار للهمداني ص ٣ ما يثبت ذلك بما يأتي :

لا نعلم احدا جاء بعد الزهري تصدى لفن الناسخ والمنسوخ ولخصه وأمعن فيه وخصصه الا ما يوجد من بعض الايماء والاشارة في عرض الكلام عن احد الأئمة ، حتى جاء ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، فانه خاض تياره وكشف اسراره ، واستنبط معينه واستخرج دفينه واستفتح بابه ورتب ابوابه .

الامام احمد بن حنبل يشهد بذلك أيضا للشافعي رضي الله عنهما .

اخبرنا الامام ابو عبد الله الحسن ابن العباس الفقيه في كتابه عن ابي مسعود الحافظ انا احمد بن عبد الله ثنا محمد بن حميد بن سهل ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال : سمعت محمد بن مسلم بن وارة قال قدمت من مصر فأتيت ابا عبد الله احمد بن حنبل اسلم عليه فقال لي : كتبت كتب الشافعي رضي الله عنه ؟ قلت لا . قال : فرطت . ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي رضي الله عنه .

ان لعلم الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة كبرى في التشريع الاسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما مصدر الاحكام ومنشؤها . ولا يستطيع احد ان يعلم الاحكام ويتثبت منها ان لم يحط بهذا العلم ، وهو فن مستصعب كتب فيه الكثيرون فأعياهم ، لذلك انكره من انكره لصعوبته عليهم ففضلوا انكار وجوده على التمرس والالمام به .

شهادة الامام الهمداني بصعوبة علم النسخ .

يقول ابو بكر الهمداني في كتابه الاعتبار : ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه علم جليل ذو غور وغموض ، دارت فيه الرؤوس وتاهت في الكشف عن مكنونه النفوس ، وقد توهم بعض من لم يحظ من الآثار الا بأثار ، ولم يحصل من طريق الاخيار الا الاخبار ، ان الخطب فيه جلل يسير غير كثير ، ومن أمعن النظر في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في الاحكام المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، اتضح له ما قلناه . ويشهد لصحة ما رسمناه ، ما اخبر به ابو موسى محمد بن عمر الحافظ انا ابو علي الحسن بن احمد انا ابو نعيم ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحق ثنا عبدالله بن سعد ثنا هارون بن معروف ثنا عمر بن رجاء ابن ابي سلمة عن ابن رزين قال : سمعت الزهري يقول : أعيى الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من

منسوخه .

الله يأمر بالأخذ عن رسوله القرآن والسنة جميعا .

اوضح الله سبحانه وتعالى للناس احكام الاسلام على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن تارة وبالحديث تارة اخرى ، فانه سبحانه جل شأنه انزل القرآن هداية للناس ومعجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة باقية خالدة ، ثم اعطاه السنة وهي الحكمة التي ذكرها في كتابه العزيز بقوله :(**كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/ ١٥١ .

اعطى الله رسوله السنة مفصلة ومفسرة وشارحة للكتاب واثبت ذلك بقوله جل جلاله : (**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون**) النحل/ ٤٤ .

وتمم تعالى شريعته بالقرآن والسنة بعد ان بدل جل وعلا بعض هذه الاحكام ومحا واثبت منها ما فيه مصلحة عباده ، من غير سهو منه ولا جهل ولا نسيان ، بل لحكمة أرادها ومنفعة لهم ساقها ، وأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الاخذ والترك ، في العمل بالناسخ وترك المنسوخ من احكام شريعته لأن الرسول هو وحده المكلف بتبليغهم اوامر الله في جميع الاحوال ، فيقول تعالى : (**من يطع الرسول فقد اطاع الله**) النساء/ ٨٠ . ويقول : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ويقول كذلك :(**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران/ ٣١ .

لذلك كله يتحتم علينا ان نعتمد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشريع الاحكام وتثبيتها ومعرفة ناسخها من منسوخها ، كما نعتمد القرآن الكريم في اصول هذه الاحكام ومنشئها . لأن الاصول في القرآن والتفصيل في السنة . فالله تعالى اعطى نبيه من السنة مثل ما اعطاه من القرآن وخوله تفهيم الناس احكام شريعته بما أوتي من الحكمة وحسن البيان وجوامع الكلام .

لقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم للناس مثبتا لهم ان الله سبحانه وتعالى آتاه من العلم بالوحي ما جاء في القرآن الكريم ، ومثل ما في القرآن في حديثه عليه الصلاة والسلام ، صرح بذلك بقوله : « يوشك رجل متكئا على اريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ؛ الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » وفي رواية « الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ثلاثا .. ألا يوشك رجل شبعان على اريكته ....» رواه ابو داود والترمذي وغيرهما .

لقد بين عليه الصلاة والسلام بحديثه هذا انه لا عذر لمن يريد ان يرجع في الاحكام من تحليل وتحريم فيها الى ما في القرآن فقط ، وكذلك يبين ان ما ثبت من تحليل او تحريم في حديثه له نفس المكانة والمنزلة للذي ورد في كتاب الله تعالى وان كلا من

الكتاب والسنة مرجع للاحكام جميعا ، بل ان ما اجمل من الاحكام في القرآن الكريم ، لا يعلم تفصيله إلا من سنته عليه الصلاة والسلام ، إذ أن كلا من القرآن والسنة متمم للآخر خصوصا في ناسخ الاحكام ومنسوخها .

تعريف النسخ والناسخ والمنسوخ

يطلق النسخ في اللغة على معان كثيرة :

١ ـ إزالة الشيء واعدامه من غير حلول آخر محله نحو قولهم : نسخت الريح آثار الاقدام . اي اتت عليها ومحتها ومنه قوله تعالى : (**فينسخ الله ما يلقي الشيطان**) الحج/٥٢ .

٢ ـ إزالة الشيء وابداله بآخر ومنه قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) . ومنه نسخ الشيب الشباب .

٣ ـ نقل الشيء من مكان الى مكان مع بقائه في نفسه . ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم الى قوم والميراث قائم . ومنه نسخ الكتاب .

والمعول عليه هو ان النسخ : حقيقة في الازالة مجاز في النقل .

يثبت ذلك ان الله تعالى لما خاطب عباده في القرآن الكريم خاطبهم بما يفهمون من لغتهم العربية . فلما اراد ان يبين لهم ان النسخ جائز وواقع بقدرته قال جل وعلا لهم :(**ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) وننسخ معناها نزيل . كما عبر سبحانه عن النسخ بالتبديل في قوله (**واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل**) . النحل/١٠١ والتبديل انما يكون برفع الآية والاتيان بغيرها بدلا عنها او رفع الحكم والاتيان بغيره . ولا معنى للازالة الا هذا لأنه لا يجمع بين البدل والمبدل عنه .

واذا استعمل القرآن هذه المادة في غير معناها الحقيقي فلأن الاجماع قائم على ان القرآن جاء بما تعرفه العرب من لغتهم واتى باعلى المراتب في فنون القول ، وتنقل بين الحقيقة والمجاز والأطناب والايجاز . وعلى هذا فالنسخ معناه : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر .

وبالنسبة لله تعالى وهو المشرع فالنسخ بيان منه لانتهاء امد الحكم واظهار ذلك للمكلفين . والناسخ حقيقة هو الله تعالى . فيقال : نسخ الله فهو ناسخ (لجواز تسميته بما يشتق من اسمائه عند البعض اذا لم يوهم نقصا) ومنه قوله تعالى :(**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته**)

والناسخ مجازا قد يطلق على الآية فيقال مثلا : آية السيف نسخت آية الصبر والمرابطة وكذلك يطلق على كل طريق يعرف به نسخ الحكم من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره . وقد يطلق النسخ مجازا على الحكم فيقال : وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء فهو ناسخ .

تعريف المنسوخ والناسخ :

المنسوخ هو الحكم المرتفع طلب

فعله عن الأمة بالقرآن أو السنة . فما كان ارتفاع حكمه بالقرآن : كارتفاع وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وارتفاع وجوب ثبات المقاتل الواحد امام العشرة في القتال بقوله تعالى :(**الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**) الانفال/٦٦ . وغير ذلك كثير .

وما كان ارتفاعه بالحديث : كارتفاع وجوب الوضوء مما مست النار . روى جابر قال : آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترك الوضوء مما مست النار » وغير ذلك كثير أيضا .

فكل ذلك (الأوامر الأولى) نسخ برفع وجوبه عن الأمة فهو منسوخ اما بايجاب بديل ، واما من شدة الى سهولة ، او من سهولة الى شدة وذلك لمنفعة عاجلة او آجلة ولحكمة يعلمها الله تعالى . فالاوامر المبدلة هي المنسوخة ، والاوامر الاخيرة الثابتة هي الاحكام الناسخة .

وقوع النسخ في الشرائع السابقة .

ان ادلة القرآن وشواهده ليست دليلا على وقوع النسخ في الشرع الاسلامي فقط بل هي دليل وشاهد على وقوعه ايضا في الشرائع التي سنها الله تعالى لعباده منذ انزل الشرائع للناس يقول تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة/٤٨ فالشرائع السابقة كانت متعبدا للأمم السالفة والشرائع آيات في كتب او صحف وهذه الأيات قابلة للنسخ ، يدلنا على ذلك قوله تعالى :(**ما ننسخ من آية**) وليس في هذه الآية القرآنية تخصيص النسخ بشريعة الاسلام فقط بل هي عامة . ودليلنا قصة الذبيح اسماعيل مع ابيه ابراهيم عليهما السلام فالآية صريحة في قوله تعالى :(**وفديناه بذبح عظيم**) الصافات/١٠٧ فقد كان الحكم اولا : الأمر بالذبح ثم نسخ حكم الذبح بالفداء فكان الفداء ناسخا للذبح .

وعصا موسى عليه السلام كانت آية لابطال سحر السحرة ولاخافة فرعون بانقلابها ثعبانا عظيما . فلما بطل السحر وانتهى بايمان السحرة ، وقتل فرعون لهم ، اصبحت العصا آية لشق الطريق في البحر ، ليجوز بنو اسرائيل من مصر الى سيناء تخلصا من حكم فرعون ، ثم اصبحت ايضا اداة لانباع الماء بضرب الحجر بها وغير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الأمم السابقة وفيها النسخ في أحكامها .

نسخ شريعة الاسلام لما سبقها من الشرائع :

ان الأدلة على نسخ شريعة الاسلام للشرائع المتقدمة عليها كثيرة واضحة نذكر بعض ما جاء منها في القرآن الكريم . يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**وما أرسلناك الا كافة للناس**

بشيرا ونذيرا) سبأ/٢٨ .

فارسال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا بشيرا ونذيرا للناس كافة هو كف لرسالة من قبله من الرسل وانهاء لنظمهم وشرائعهم المنزلة للناس من عند الله ، وهذا الخبر بطبيعته نسخ لما سبقه من اخبار واوامر وتثبيت لما حمله الرسول الجديد من أوامر وأحكام . فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأخيرة في النزول للناس وهي المنهية لما سبقها من شرائع وأحكام .

ويقول الله تعالى : (**ان الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/١٦ ، ويقول جل وعلا : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/ ٨٥ .

هذا كلام من الله تعالى صريح واضح وأمر جازم للناس ، بأنه يجب عليهم أن ينصرفوا عن الأديان السابقة عن جميع الأديان السماوية منها والوضعية المرفوضة ، ويدخلوا في دين الاسلام لأنه لا دين مقبول عند الله الا الاسلام وان من يتجه الى غيره من الأديان فسيكون من الخاسرين في الآخرة والنادمين أشد الندم . ويقول الله تعالى : (**ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون**) يذكر الله سبحانه وتعالى هذا الكلام في القرآن الكريم عن لسان نبيه ورسوله وخليله ابراهيم عليه السلام ولسان حفيده نبي الله يعقوب ، وهم يوصون أولادهم بالاسلام يقول الله تعالى : (**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون**) البقرة/١٢٧ ـ ١٣٣ . أوردنا هذه الآيات بمضمونها لنبيين ان الله سبحانه وتعالى كان يدعو رسله للاسلام منذ ابراهيم عليه السلام . فالاسلام لم يكن غريبا عن رسل الله تعالى ولا عن أممهم ، وكان مجيئه منتظرا حتى ان الله سبحانه وتعالى كان يأخذ العهد على كل من يرسله قبل محمد صلى الله عليه وسلم بأن يكون من أتباع محمد وأنصاره اذا أرسل في أيامه ، يقول الله تعالى : (**واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على**

ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران/٨١ .

ويقول الله تعالى كذلك : (**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/٣ .

لقد كانت الشرائع للأمم السابقة مقتصرة على نوع من أنواع الأحكام والعبادات ولم تكن شاملة كل الشمول لجميع الأحكام فأتت شريعة الاسلام بجميع ما اشتملت عليه الشرائع السابقة وكتبها وصحفها وفي زيادة عليها كذلك . لذلك وجب أن تكون عامة لجميع الناس ناسخة لشرائعهم ، لأنها ليس فيها نقص ولا تفريط يقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء)** الأنعام/٣٨ . ومما يقوله الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** الأعراف/١٥٨ .

النسخ في شريعة الاسلام

لقد ثبت لنا أن شريعة الاسلام قد نسخت الشرائع السابقة وأحكامها . وهي أيضا قد وقع فيها النسخ . وقد كان النسخ فيها أنواعا ثلاثة بالنسبة للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، لذلك كان نزول القرآن الكريم على قلب محمد عليه الصلاة والسلام منجما ولم ينزل دفعة واحدة ، فكانت الأحكام تنزل من عند الله تدريجيا لينسخ ما ينسخ ويثبت ما يثبت .

أنواع النسخ الثلاثة في القرآن الكريم :

النوع الأول : نسخ الحكم والتلاوة .

النوع الثاني : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم .

النوع الثالث : نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالحكم الذي نسخ وبقيت تلاوته يعرف نسخه بتلاوة الحكم الجديد . والآيات التي نسخ حكمها وبقيت في القرآن الكريم . تبقى تلاوتها عبادة وفيها الأجر . مثالا لذلك قوله تعالى : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)** الأنفال/٦٥و٦٦ .

لقد كان الحكم الأول بوجوب صمود العشرة أمام المائة والمائة أمام الألف ثم خفف الحكم وأصبح وجوب الصمود للمائة أمام المائتين وللألف

أمام الألفين فقط ورغم أن الحكم نسخ فقد بقيت تلاوة الحكم الأول وثبتت في القرآن . وفي تلاوتها أجر كتلاوة غيرها من القرآن .

نسخ الحكم والتلاوة

ان مما نسخ حكمه وتلاوته لفظ الحكم بالاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس في ابتداء الأمر . فان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في صلاته في مكة المكرمة جاعلا الكعبة بينه وبين جهة بيت المقدس ، ولما هاجر للمدينة صار يتجه لبيت المقدس وهو يطمع في أن يتغير هذا الاتجاه الى الكعبة الشريفة يوما ما ، ويطيل نظره الى السماء راجيا أن ينزل عليه الوحي بما يطمع ويرجو . والله تعالى يقول له في ذلك : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**) البقرة/ ١٤٤ .

ولما لم ينقل الينا لفظ حكم الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولما كان اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في صلاتهم الى بيت المقدس لا يكون الا عن أمر من الله سبحانه وتعالى ، ولما كان الله تعالى يشهد لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه فيما يبلغه للناس - لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحي من الله يوحى في قوله تعالى : (**وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى**) النجم/٣و٤ . لكل هذه الأسباب نقول : انه لا بد من أن يكون هناك وحي وقرآن من الله تعالى في وجوب الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولكنه نسخ ذلك من القرآن ونسخ معه كذلك حكم الاتجاه ، وجاء الناسخ بوجوب الاتجاه في الصلاة الى الكعبة الشريفة وهذا ما كان يتمناه النبي عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة/ ١٤٤ .

نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

ان مما يتناقله الرواة أن حكم الزناة كان معلوما بلفظ : (الشيخ والشيخة اذا زنيا فاجلدوهما البتة نكالا من الله) . وان مثل هذا المعنى وهذا الحكم موجود في القرآن الكريم بغير هذا اللفظ . ففي القرآن قوله تعالى : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**) النور/٢ ، فالتلاوة الأولى نسخت ولم تعد قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها ، وبقي الحكم الذي يدل على لفظها ثم نسخ وتطور الى أشد في بعض الحالات .

ومن الأحكام ما اشترك القرآن والحديث في نسخها وتطورها ، مثال ذلك حد الزنا : فان أول ما نزل في الزناة في القرآن الكريم قوله تعالى : (**واللاتي يأتين الفاحشة من**

نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) النساء/ ١٥و١٦ .

فاذا زنت المرأة بكرا كانت أم ثيبا كان حدها أن ثبت عليها الفعل بشهادة أربعة شهداء ان تمسك في بيتها وتحبس فيه حتى يأتي أجلها فتموت فيه ، أو يجعل الله لها من دون ذلك فرجا بأن ينسخ هذا الحكم بغيره . وأما الزاني ان كان بكرا أي لم يتزوج بعد ، أو كان ثيبا أي تزوج زواجا شرعيا ، فان حده كان الايذاء بالتعنيف والتوبيخ والتعيير حتى يظهر توبته فان تاب تاب الله عليه وخلص من الايذاء .

نسخ القرآن بالقرآن

بعد أن ثبت حكم حد الزناة كما مر تفصيله في الزانية والزاني نزل قوله تعالى فيهما مغيرا الحكم فقال جل جلاله : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) . تغير حد الزنا الى أشد بالنسبة للزاني فان الجلد أمام طائفة من الناس فيه ايلام وتعزير . وأما بالنسبة للزانية فجاء أخف لأن جلدها مائة جلدة أمام الناس وخلوصها من الحبس حتى الموت لا يستويان بالنسبة لها فكان الحكم الجديد فيه تسوية الحد على الاثنين بجلدهما مائة جلدة أمام الناس .

نسخ السنة للقرآن

عندما نزل حكم حد الزنا أول مرة في القرآن الكريم ثم نزل تعديله مرة ثانية فنسخ الحكم الأول بالحكم الثاني صار عند الناس أمل في تكرار التعديل وتجديد النسخ وأخيرا صدر تعديل هذا الحكم وتبديله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نصه : « خذوا عني خذوا عني خذوا عني : قد جعل الله لهن سبيلا (جوابا لقوله تعالى : (**أو يجعل الله لهن سبيلا**) » : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » سنن الدارمي ٢/ ١٨١ . ثم نسخ الجلد للثيب وبقي الرجم فقط ، ثبت ذلك أيضا بالحديث لا بالقرآن . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث التالي : حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد « رضي الله عنهما » أنهما أخبراه أن رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : اقض بيننا بكتاب الله وقال الآخر وهو أفقههما : أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن اتكلم . قال « تكلم » قال : ان ابني كان عسيفا على هذا (خادما في أهل

بيتـه) ـ (قـال مـالـك والعسيف الأجير) فزنى بامرأته ، فأخبرني ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي ، ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني : جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم على امرأته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وجلد ابنه مائة وغربه عاما . وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخـر فان اعتـرفت فـارجمهـا » فاعترفت فرجمها . رواه البخـاري وروى مثله أحمد ومسلم .

والنسـخ كمـا ثبت وجـوده في القرآن ، أي نسخ القرآن بالقرآن ، كذلك ورد النسخ وثبت في السنة أي نسخ السنة بالسنة .

أنواع النسخ في السنة ثلاثة

أولا : نسخ الحكم واللفظ .
ثانيا : نسخ اللفظ مع بقاء الحكم .
ثالثا : نسخ الحكم مع بقاء اللفظ .

نسخ الحكم واللفظ

ان ما نسخ حكمـه ولفظه من الحديث ، منه ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه ليلة الاسراء والمعراج فرضت عليه الصلاة على المسلمين خمسين صلاة ثم تدنت خمسا فخمسا حتى أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة فالحكم الزائد عن الخمس نسخ مع لفظه .

نسخ اللفظ مع بقاء الحكم :

مثال ما نسخ لفظه وبقى حكمه ، قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالشاهد واليمين فلا بد وأن يكون له لفظ دال عليه ، ولكنه لم ينقل الينا بل ألقى ونقل الينا الحكم فقط . فانه وان كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتمل فيما يشتمل عليه يشتمل على قوله وفعله ، ولكن موضوعنا هنا يدور حول بقاء اللفظ ونسخه .

نسخ الحكم مع بقاء اللفظ

ان هذا النوع من النسخ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير . منها قوله عليه الصلاة والسلام : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة » أخـرجه مسلم وغيره وفي رواية للنسائي : « ... فمن أراد أن يـزور فليزر ولا تقـولـوا هجرا » .

وفي رواية لابن ماجه : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد نهى عن ادخار لحـوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ونهى عن الأشربة في الأوعية التي كانت مظنة التخمر ثم أباح ذلك كله في حديث له فقال عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن

النبيذ الا في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا » رواه مسلم .

فهذه الأحاديث وأمثالها كثير قد نسخت فيها أحكام وثبتت فيها أحكام جديدة نسخت الأحكام القديمة ، وبقى لفظ الأحكام القديمة موجودا ولكن لا يعمل به لانتساخه .

متعة النساء

ان من الأحكام التي كانت مباحة ونسخها رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء ، والذي في حكم متعة النساء زيادة عن غيرها من الأحكام ، ان هذا الحكم كان مباحا ثم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أباحه ثم حرمه . أباحه مرارا وحرمه مرارا ثم كان آخر الأمرين منه التحريم .

عن علي رضي الله عنه ، كما رواه مالك في الموطأ : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهى عن المتعة يوم خيبر » . أي يوم فتح خيبر . ونهيه صلى الله عليه وسلم كان ولا شك بعد اباحة .

وروى سبرة الجهني قال : « أذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة فلم نخرج من مكة حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

فيكون هذا الحديث دالا على أن رسول الله صلى اله عليه وسلم بعد أن حرم المتعة يوم خيبر ، أباحها ثانية ثم حرمها بعد اباحتها .

تحريم متعة النساء نهائيا :

روى الدارمي في سننه : قال أخبرنا جعفر بن عون عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز عن الربيعة بن سبرة أن أباه حدثه أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : « استمتعوا من هذه النساء » . والاستمتاع عندنا التزويج فعرضنا ذلك على النساء فأبين ألا يضرب بيننا وبينهن أجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « « افعلوا » (وفي قوله افعلوا إباحة للمتعة بعد أن كانت محرمة) فخرجت أنا وابن عم لي معه برد ومعي برد وبرده أجود من بردي وأنا أشب منه ، فأتينا على امرأة فأعجبها شبابي وأعجبها برده فقالت : برد كبرده . وكان الأجل بيني وبينها عشرا فبت عندها تلك الليلة ثم غدوت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بين الركن والباب « أي عند الكعبة » فقال : « يا أيها الناس اني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ألا وان الله قد حرمها الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » وروى شبيهه البخاري ومسلم .

هذا غيض من فيض في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناسخ والمنسوخ في الأحكام . فأرجو أن أكون قد نفعت ووفيت بعض الشيء من حق هذا الموضوع الهام والحمد لله أولا وآخرا .

إلى كلِّ كافرٍ بالقدَر

كفيف البصيرة فيم الضجر
تأمل حياتك من مبتداك
وأنت الجنين بحرز مكين
وأول خلقك ماء مهين
يطوره اللطف أطواره
وينفخ فيه الحياة القدير
غذاء تحول بالمعجزات إلى
فلا فك يمضغ قوتاً يقات
ولا عين تبصر لون الغذاء
إلى أن خرجت لنور الحياة
بعين ترى ، وبأذن تصيخ ،
وذوق به تستسيغ الطعوم ،

وأنت الأثير بلطف القدر ؟
وحتى يجيء تمام الخبر
حفيظ يوقيك مس القذر
رماه القضاء به فاستقر !
ويضفي عليه البهاء الأغر !
ويرزقه من لذيذ الثمر
جسمه ما درى كيف مر ؟
ولا كف تجلب رزقا فتر !
ولا عقل يحمي اغتماض البصر !
عزيز اللقاء بدنيا البشر
ولمس أعان ، وعقل سبر
وشم به تستطيب الزهر !

★ ★ ★

تباركت يا أحسن الخالقين !
وآتيته منذ بدء الحياة
نوافذ حس تمد الفؤاد
فما اهتز شكراً بحمد الوهوب
إذا مسه الخير زاد ابتهاجاً

وهبت ابن آدم أبهى الصور !
على الأرض مفتاح كنز العبر
بعلم عليه سما للقمر
ولا بالخطوب ارعوى وازدجر
وقال بعلمي أنال الظفر

وفاتك بالبشر

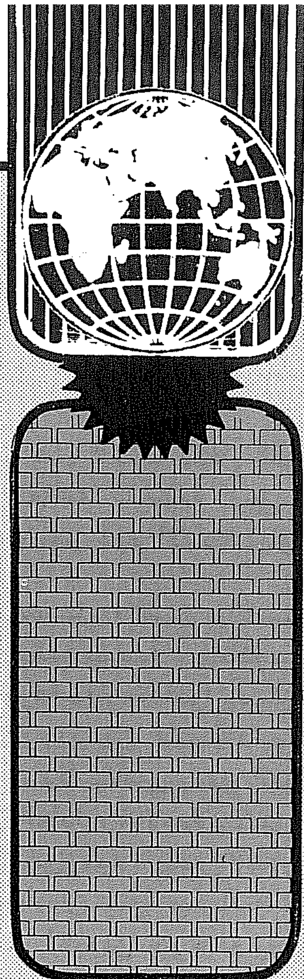
للاستاذ/ عزالدين علي السيد

وإن مسه الشر سب الزمان ... وألقى العنان كوحش عقر !
عجبت لصنعك يا بن التراب ! ... عجبت لكل عنيد كفر !
ولو أنت حين استفز الغرور ... شعورك يرديك بين الحفر
وعيت نداء اللطيف الخبير ... يحذر منه شديد الحذر
فعذت به .. لاستنار الفؤاد ، ... وفر اللعين ، وزال الخطر
ولكن قلبك كهف الظلام ... فعنه الهدى بالظلام استتر
يرى كل شيء بعين الجحود : ... بفكر تولى وعقل سدر
وتقنص من كونك المشتهى ... ولو كان شراً عظيم الضرر
وتسخر من ورع المتقين ... وقد عظموا الله فيما أمر
وملء القلوب عفاف الضمير ، ... وخوف تهددهم من سقر !
وحب حداهم لدار السلام ... اعدت لساع سعى فاصطبر !
على الغيب آمن ملء الفؤاد ... فحث الخطى هانئاً بالسفر
فليست له الأرض دار المقام ، ... وليس بها العيش كل الوطر
ولكنها لبسة المستعير ، ... وظل إذا العود نام اندثر !
فأسهر ليلا كثير النيام ... فطال السجود ، وطاب السهر
وصام نهاراً شديد اللهيب ... ليوم اشد رمى بالشرر !
وفي كل طرفة عين له ... بتلك الحياة نذير هدر
وآيات ربك للموقنين ... تجلت لكل حليم نظر
بأكبر جرم كتلك السماء ، ... وأصغر جرم كبذر الثمر
وأصغر منه كذر الهباء ... على جنبات النسيم انتشر !

بصوت يجلجل في سمعه ، | برؤيا فؤاد لرب ظهر
على كل شيء بهذا الوجود | يناديه : عبدي ، إليَّ المفر
تدبر صنيعي ، فاني القدير | ودع في ضلال الهوى من فجر
أدبر ملكي بـ (كن) لا انام | وأرزق خلقي بجوف الحجر !
واعلم سرا طواه الضمير ، | ووهما اطاف ، وغيبا وقر
وأحيي بماء السماء الجديب | وإن شئت أمسكت عنه المطر
ولو شئت أهلكت هذا الأنام | وأنشأت خلقاً لأرضي عمر
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة | تقياً كريماً حميد الأثر
ولكن وصفي الحليم الكريم | الرؤوف الرحيم عليكم ستر
فان آب جان على نفسه | فعبد أناب ورب غفر !
وإن لج في الكفر حق الوعيد | فعبد طغى وإله قهر !

★ ★ ★

فيا ابن التراب رويداً على | تراب الجدود إذا ما انتثر !
فكم من قبور عداها البلى | رماداً وما عندنا من خبر
عليها بعنف نقيم الديار ، | ونجري الخيول ، ونقني البقر !
تقول لنا باللسان الفصيح : | أناة أناة غزاة المدر !
غداً في ثراكم تبول الكلاب | فكف البلى أقسمت لن تذر !
تركنا الحياة وكنا الأباة | حماة السروح بعهد غبر
يخيف الأسود فتانا الغرير | إذا ثار في وجهها أو زأر !
وملء الحياة مني حالمات | عليها نما حلمنا وازدهر !
فرحنا وراحت بمر السنين | كأن لم تكن .. وعدتنا الفكر !
فلم تذكروا أنكم تحرثون | ونحن السمادلهذا الشجر !
رويداً رويداً جناة الأنام | قساة القلوب فما من وزر ..
من الموت يسلب تلك القوى ، | ويجري عليكم كؤوس الكدر !
سفكتم دماء زكت في السماء | ولم ترهبوا من دعاء السحر
مجاباً لدى الله من أرمل ، | وطفل له وجهكم قد بسر !
ومن زهرات كزهر الرياض | طوى حسنهن الأسى واعتصر !
ولا ذنب إلا التقى والعفاف | قلوب أنابت وصدر زفر
من الحزن مقتا لكفر الكفور | إلى الله مما جناه اعتذر !
وأنتم ضحايا الطغاة البغاة | سلام على مؤمن قد صبر !
قريباً ترون عجيب القضاء | يبل القلوب .. وثأر القدر !



الدولة الإسلامية في المدينة

للاستاذ/محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

ان سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في أمته ومع الأمم الأخرى تعد منهجا فريدا في الحياة السياسية ، لأنها قائمة على أسس ربانية يراد منها التقارب لا التباعد ، والاتحاد لا التفرق بين

الأمم ، على اختــلاف أجناسهــا وألوانها وشرائعهــا وقوانينهــا ، كما يراد من هذه السياسة الحرص على تطبيق مبدأ المساواة بين البشر جميعهم في الحقوق والواجبات ،

واعتبار المجتمع الانساني مسئولا مسئولية كاملة عن المحافظة على أرواح الناس وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم وأوطانهــم ، في حدود العــدل الالهــي ، والتشريـــع السماوي الرحيم .

ولن تستطيع أي دولة أن تبني حضارتها وتعلي مجدها وكيانهــا بين الأمم الا اذا كان دستورهــا وقوانينها المعمول بها وأعمالهــا قائمة على أسس رحيمة صالحة لأن تسع بعدلها ورحمتها كل حاجات أفرادها ، مهما تطــورت الحيــاة واختلفت الأماكن .

ولقد كان نظام الدولــة التــي أنشأها المصطفى صلــوات اللــه وسلامه عليــه من نوع جديــد ، يختلف اختلافاً كلياً عن جميــع النظم ، فقد كان هذا النظام مزيجا من الشورى والاستقلال بالحــكم يقول الحق عز وجل : (**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله**)آل عمران/ ١٥٩ .

وكان هذا النظام في اطاره العام دينيا ، يعتمد على الأحكام الشرعية وتعاليم السماء ، ولكنه في تفاصيله وتطبيق أحكامه شورى .

وقد أقرت الدولة الاسلامية مبدأين على جانــب كبــير من الأهميــة ،

وهما : **الأول : حرية العقيدة :**

وبموجب هذه الحرية تكفل الدولة لأصحاب العقائد المختلفة الحق في الحياة ، وتضمن لهم الاستقــرار ،

وتيسر لهم سبــل الأمــن والأمــان ووسائــل الطمأنينـــة ، وتتكفــل بحمايتهم ورعايتهم ماداموا يعيشون مسالمين لا يحدثــون فتنــة داخــل « المدينة » ، ولا يتآمرون على الدولة ومصالحها العليا ، فالاسلام لا يرغم أحدا على الدخول فيه ، وليس لأحد أن يجبر أي انسان بأية وسيلــة من الوسائل على الايمان بشيء لم يصل اليه بقلبه وعقله ، فحرية العقيــدة مكفولة مضمونة على الــدوام ، ولا يستطيع أحد أن ينال منهــا ، أو يتعرض لها بالمحو أو الاثبات ، لأنها تتعلق بضمير الانسان ووجدانــه ، ومن المستحيــل التحــكم فيهــا ، والنصوص القرآنية صريحة في ذلك ،

يقول الحق جل وعلا : (**لا إكراه في الديــن قد تبــين الرشــد من الغي**)البقرة/ ٢٥٦ ، ويقول مخاطبا المصطفى صلــوات اللــه وسلامــه عليه :(**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره النــاس حتــى يكونــوا مؤمنين**)يونس/ ٩٩

الثاني : المساواة :

إن جميع الرعايا في الدولة متساوون في الحقوق والواجبات مساواة تامة ، بلا اي فرق بين طائفة وأخرى ، فالكل أمام عدالة القرآن الكريم وعدالة الاسلام سواء .

وقد قرر الاسلام مبدأه الأساسي وهو المساواة بين الناس في أكمل صوره وأمثل أوضاعه ، واتخذه دعامة لجميع ما سنه من نظم لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وطبقه في جميع النواحي التي تقتضي العدالة الاجتماعية ، وتقتضي كرامة الانسان أن يطبق في شئونها .

سياسة الرسول الداخلية :

وقد برزت عبقرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وتجلت مقدرته العظيمة في تدبير شئون المسلمين والدولة والاستعداد للمستقبل ، فلم تكن مهمته قاصرة على تبليغ رسالة السماء التي نزلت عليه ، بل كانت أكثر من ذلك ، فشملت تنظيم « المدينة » ، وكان صلى الله عليه وسلم يقدر هذه المسئولية من أول الأمر ، فـ« الأوس » و« الخزرج »وهم سكان « المدينة » الأصليون ، وكانت تحدث بينهم مشاحنات ومنازعات كثيرة ، وكان اليهود يجاورونهم ولهم تاريخهم الحافل بكل مظاهر الغدر والخيانة والقتل ، ونسج خيوط الفتن ، وتدبير المؤامرات واشعال نار الحرب ، والى جانب هؤلاء كان هناك المنافقون الذين يضمرون للاسلام والمسلمين كل غدر وشر ، وان بدوا في الظاهر من رجال الصفوف الأولى أحيانا عند الصلاة وعند توزيع الغنائم .

وأصبحت هاتان القبيلتان من « الأوس » و« الخزرج » في أمس الحاجة الى من يوفق بينهما ويوحد صفوفهما ، كي يتمكن الفريقان من العيش في هدوء وانسجام ، وقد انضم إليهم المهاجرون ، مع أن المهاجرين قد استقبلوا في المدينة أستقبالا حسنا ، وعوملوا من اخوانهم الأنصار معاملة ممتازة ، الا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رأى أن يحتاط لاقامتهم في « المدينة » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك من خلفه « قريشا » وهي على درجة كبيرة من العداوة للمسلمين لا يمكن تصورها ، ويعلم مدى قدرتها على الاعتداء على المسلمين والتحرش بهم ،وأنها لن تدخر وسعا في سبيل إلحاق الضرر بهم ، فلا بد اذن والحالة على هذا النحومن الوقوف على أهبة الاستعداد ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة كافة الاحتمالات ، ومجابهة خطر العدوان المتوقع من جانب « قريش » ، وهذا لن يكون الا بتقوية الجبهة الداخلية والعمل على تماسكها ووحدتها ، لأن وحدة الأمة أهم أسس بنائها ، هو الحفاظ على كيانها وقوتها .

وقد واجه المصطفى صلوات الله

وسلامه عليه هذا الموقف منذ البداية مواجهة تدل على سعة تفكيره وقوة ادراكه للأمور ، وأبدى من بعد النظر ودقة التنظيم ما جعل سكان « المدينة » يعيشون في استقرار تام وترابط قوي ، وقدرة على النمو ، وجعلهم يعيشون ظروف احتمالات الغزو الخارجي بجدارة أكسبتهم النجاح والنصر في كل عمل يقومون به ، فاستطاعوا أن يقيموا الدولة الاسلامية العظيمة .

ولقد اجتمعت في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أمة بأكملها ، فهو الداعية الحكيم ، والمربي الحنون الرحيم ، والقائد المظفر ، والسياسي الملهم ، والاجتماعي الممتاز ، والاقتصادي الرائع ، والمشرع العبقري .

وقد وضع صلى الله عليه وسلم دستورا ينظم شئون الحياة في « المدينة » ، ويحدد العلاقات بينها وبين ما جاورها من البلاد ، وهذا الدستور دليل على مقدرة عظيمة في التشريع ، وعلى الخبرة الواسعة بأحوال الناس ، ومعرفة ظروفهم المعيشية ، وقد عرف هذا الدستور باسم « الصحيفة » .

وقسمت « الصحيفة » سكان « المدينة » الى ثلاثة أقسام :

١ ــ المهاجرون .

٢ ــ الأنصار .

٣ ــ اليهود المقيمون بـ « المدينة » .

وتعتبر هذه « الصحيفة » ذات أهمية كبيرة ، لأنها حددت شكل الدولة الاسلامية ، ولها أهمية ــ أيضا ــ في مفهوم الأحداث التي جدت بعدها .

ونصوص هذه « الصحيفة » متفقة في مبادئها العامة مع القرآن الكريم ، من ناحية توحيد الصفوف ، وجعل المسلمين أمة واحدة لها كيانها بين الأمم ، ومن ناحية التعاطف والتراحم والتضامن بينهم ، والمحافظة على رابطة الولاء التي تربط بينهم برباط قوي لا ينفصم ، وحقوق الولاء المترتبة عليها ، ومن ناحية القرابة والصحبة والجوار وتحديد المسئولية الشخصية ، والبعد عن الحزازات الجاهلية وعصبيتها ، ومساواة الجميع أمام القوانين الخاصة بالدولة ، ورد أي أمر من الأمور الى الدولة لتتصرف فيه ، وتعاون الرعايا في المحافظة على النظام واقرار الاستقرار ، والضرب بشدة على يد كل من تسول له نفسه تعريض أمن الدولة وسلامتها للخطر .

وكانت المهمة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد كل هذا تقتصر على الدفاع عن الدولة ، وتأمين حدودها وحمايتها وضمان الأمن لها ، ولم تتجاوز تصرفاته هذا الغرض طوال مدة العهد المدني والى أن لحق بالرفيق الأعلى .

ولتقوية جبهة « المدينة » اعتبر كل من هاجر اليها مستحقا لرعاية الدولة الجديدة ، فعلى أي انسان يرغب في أن يكون من بين مواطني « المدينة » بعد اسلامه ، فعليه أن يهاجر اليها ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك نصا

صريحا ، يقول الحق جل شأنه :(**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**) الأنفال/٧٢ .

وكما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايجاد أداة للحكم في « المدينة » وتنظيم أمورها الداخلية ، حرص كذلك على ضم القبائل والريف المحيط بها اليها ، عن طريق السرايا التي بعثها ، وحرص ــ أيضا ــ على تخطيط مجالها وتقرير حدودها ، وعقد الأحلاف مع القبائل النازلة فيما حولها ، حيث إن « المدينة » لا تستطيع العيش بمفردها ، ولا غنى لها عن الريف الذي يمدها بكل ما تحتاج اليه ، لهذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة سرايا ابتدأت من « المدينة » وسارت الى كل الجهات ، فأمنت الريف ، وتم في نفس الوقت عقد أحلاف مع القبائل المجاورة ، لأن المدن التي تكون مقامة في وسط البادية لا بد لها من أن تكون على حذر شديد ، ولا سبيل لها الى ذلك الا عن طريق عقد المعاهدات مع من هم حولها ومهادنتهم ، ثم صد غاراتهم واستعمال الشدة معهم اذا اقتضى الأمر ذلك ، ليشعروا بأن « المدينة » على جانب كبير من القوة ، وأنها قادرة على توجيه الضربات في الوقت المناسب ضد أي عدو ، وأن في استطاعتها أن تقوم بصد أي عدوان يقع عليها .

وقد سالم الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود ، وعاهدهم على المناصرة والمساعدة ، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام لما وقف منهم موقف العداء ، ولظلت « المدينة » يغمرها الود والصفاء ، ولكنهم جوزوا بما جنته أيديهم واقترفوه بحماقتهم ، فأجلى صلوات الله وسلامه عليه يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير »وقضى على يهود « بني قريظة » ، وترك يهود « خيبر » بعد انتصاره عليهم زراعا في أرضهم ، على أن يكون لهم نصف ما يخرج منها .

وأخيرا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى بتطهير « الجزيرة العربية » من أي دين من الأديان غير الاسلام ، وقد نفذ هذه الوصية عمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ في خلافته ، لأن خلافة أبي بكر الصديق ــ رضى الله تعالى عنه ــ لم تتسع لمثل هذا العمل ، حيث كانت حروب « الردة » بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام هي شغله الشاغل .

سياسته الخارجية :

وكانت سياسته صلى الله عليه وسلم الخارجية لا تقل في براعتها وروعتها عن سياسته الداخلية ، فقد كان لنجاحه في الداخل أثر كبير في نجاحه بالخارج ، اذ أنه خطا خطواته الخارجية وهو مطمئن الى أن القلة

المؤمنة معه تعدل في ميزان الأمم أكبر دولة عالمية حينئذ ، بل وتزيد ، لأنها تسلحت بايمانها ووحدتها وعملها الصالح فوق تسلحها بسلاح عصرها وتفوقها ، ويكفيه فضلا من الله عز وجل عليه وعلى أمته أننا لا نجد نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترك في أمته مثل ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد بدأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه منذ أول يوم وصل فيه الى « المدينة » يؤسس الدولة الاسلامية الكبرى ، التي أذن لها الله جل شأنه فيما بعد أن تمتد في كل اتجاه ، وأن تضم بين ذراعيها وتبسط سلطانها على أقوى دولتين كانتا تتحكمان في العالم في ذلك الوقت ، وهما دولة « الفرس » ودولة « الروم » ، وتقف ثابتة كالطود أمام أعاصير الالحاد وبراكين الفتن ، وكتب لها المولى تبارك وتعالى الخلود الى أن تنفطر السماوات ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السماوات ، ويرث الله جل شأنه الأرض ومن عليها .

ان البناء الضخم الشامخ الذي أقامه وأرسى أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في « المدينة » ، لم يسبق له نظير أو مثيل في المجتمعات أو الدول التي سبقت أو عاصرت الدولة الاسلامية ، كما أن أسس هذا البناء ستظل على الدوام في كل عصر وفي كل وقت جديدة ومثالية ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، والذي تعددت فيه المشاكل وتنوعت وتشعبت .

وستظل أسس المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « المدينة » تضع الأمة الاسلامية في الموضع الذي اختاره لها الله عز وجل ، في قوله جل شأنه : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**)البقرة/١٤٣ .

والأمة الوسط تظل كذلك في كل عصر من العصور ، وفي كل زمن من الازمان ، تنمو نموا مطردا ، كما أن شهادتها على الناس تدعوها بأن تكون على الدوام محيطة بكل ما في الناس ، وبكل ما لدى الناس ، وفي أي وقت من الأوقات ، حتى تستطيع أن تقوم بما ألقى على عاتقها من مهام على الوجه الأكمل .

وشهادة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يجعلها على الدوام تقيم ميزانا وضميرا حيا ، ورقابة ذاتية ، ومقياسا صحيحا على جميع تصرفاتها ، وعلى كل حالاتها ، قربا أو بعدا من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقربا أو بعدا من دين الحق جل وعلا ، وقربا أو بعدا من وضعيتها ومهمتها بين الأمم الأخرى .

بداية الدولة الاسلامية :

العمل في بناء المسجد والمساكن

استقر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصحابه المهاجرون بـ « المدينة » بين ظهراني الأنصار ، وصارت الدعوة الاسلامية في مأمن ، وأصبح الدين الاسلامي حقيقة واقعة يشعر بها العرب ، وأخذ المسلمون يشعرون بقوتهم وكيانهم كجماعة واحدة وكوحدة واحدة ، فبدأوا يقيمون شعائر دينهم للمرة الأولى علنا وبلا أدنى خوف ، وبلا أي تصد من أي أحد كان .

واستسلمت « المدينة » عن بكرة أبيها ، وبكل ما فيها من مشركين ويهود الى الوضع الجديد الذي جد فيها ، وبدأت حالة من الاستقرار النسبي تتطلب وتقتضي تنظيما دقيقا لشئون المسلمين ، وتستدعي النظر في مختلف الأحوال والملابسات التي تكتنف هذه الدولة الناشئة ، وذلك حتى تستقر الأوضاع فيها استقرارا تاما ، وعلى أساس قوي ، ودعائم ثابتة متينة .

وكان من الطبيعي بعد أن التأم شمل هذه الدولة الناشئة وانتظم عقدها ، أن يتجه تفكير قائدها ومؤسسها صلوات الله وسلامه عليه أول ما يتجه الى بناء دار للعبادة ، يجتمع فيها المسلمون لاقامة شعائر دينهم ، وأول هذه الشعائر الصلاة ، التي تعد أكبر أركان الاسلام الخمسة .

ومن هنا كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بناء المسجد ، فبناه في مكان « الجرن » الذي لم يقبل أن يوهب له ودفع ثمنه ، حيث كان يمتلك هذا « الجرن » فتيان يتيمان هما : سهل وسهيل ابنا عمرو .

وقد أصبح عمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بمثابة تشريع منه ، ولقد حدث نفس الشيء من عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، وذلك عندما أراد بناء مسجده بـ « القدس » ، فقد أصر على شراء قطعة الأرض التي بنى عليها المسجد .

ثم أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون في البناء ، وقد استغرق بناء المسجد أحد عشر شهرا ، وقد استدعى البناء كل ذلك الوقت لأن « الجرن » كانت فيه قبور للمشركين ، وحفر ونخل ، فلا بد من تسويته ، وازالة الحفر والقبور والنخيل ، وبنى المسجد « بالطوب النيىء » ، أما جانبي المسجد أي : الأبواب فكانا من الحجارة ، والسقف من الجريد ، وعمده من جذوع النخل .

وعلى هذا النحو ظل البناء المادي والتعمير دأب المسلمين منذ أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم البناء ، سواء في « قباء » ببناء مسجدها ، أو بـ « المدينة » بشروعه ببناء مسجده ومساكنه منذ اللحظة الأولى ، فاذا أحصينا المدن والقرى التي أقامها المسلمون في مختلف العهود ، أو التي عمروها بعد أن كادت تزول وتفنى ، لوجدنا آلاف المدن والقرى ، الأمر الذي لم يتوفر في أي دول أخرى غير دول الاسلام .

ولا غرابة في ذلك ، فقد كان في مقدمة التعليمات التي توجه الى القوات الاسلامية : هي ألا يهدموا بناء ، وألا يقطعوا شجرا ، وألا يقتلوا الا المحاربين ، وألا يحرقوا أي شيء ، فضلا عن العناية بالسوائم والبهائم .

وكان في مقدمة العاملين في البناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أشعل ذلك الحماس في قلوب المسلمين ، من مهاجرين وأنصار ، ودأبوا في العمل بهمة ونشاط زائدين ،

وكان بناء المسجد النبوي والمساكن بمثابة تدريب عملي على العمل المشترك ، وحثا على العمل ، وذلك بتقديم الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل لهم ، لدرجة أن قال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكانت مساكن الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن عدة حجرات حول المسجد ، وكانت بسيطة ، قصيرة البناء ، قريبة ، على غرار المسجد ، ولم يكن لأبوابه حلق ، بل كان يقرعها الطارق بالأظافر ، وقد أضيفت الحجرات كلها الى المسجد بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ووفاة أزواجه .

الأخوة بين المهاجرين والأنصار :

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم وخرجوا من ديارهم وصودرت أموالهم وممتلكاتهم موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن ، ويقتضي أن يسود بينهم وبين اخوانهم الانصار التعاون .

وكان الأنصار وهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ اي : فقر ـ .

ولا غرو ، فقد شعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين ، وقدروا ظروفهم العصيبة ، فآووهم ، ونصروهم ، وضربوا في الاخلاص لهم والتفاني في خدمتهم أروع الأمثال ، حتى لقد وصفهم المولى تبارك وتعالى بذلك الوصف الرائع حيث يقول : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ ،أي : يفضلون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم مهما كان فقرهم ، ومهما اشتدت حاجتهم .

وكانت سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد ، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين ، وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم برباط قوي متين ، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثال بين المهاجرين والأنصار ، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، فكان أبو بكر الصديق أخا لخارجة بن زهير « الأنصاري » ، وكان عمر بن الخطاب أخا لعتبان بن

مالم « الانصاري » ، وكان أبو عبيدة بن الجراح أخا لسعد بن معاذ « الأنصاري » ، وكان عبدالرحمن ابن عوف أخا لسعد بن الربيع « الأنصاري » ، وكان عثمان بن عفان أخا لأوس بن ثابت « الأنصاري » ، وهكذا أصبح المهاجرون والأنصار بنعمة الله عز وجل اخوانا .

ولقد كان يترتب على هذه الأخوة أن يتوارث الأخوان كما يتوارث الأخوان من النسب ، وظل الأمر على هذا الشكل إلى أن نزل قول المولى تبارك وتعالى :(**وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**) الأنفال/ ٧٥ ، فنفت هذه الآية الكريمة سنة التوريث بالمؤاخاة ، ولكن نفى التوريث لا ينفى عاطفة الاخاء نفسها ، لأن هذه العاطفة قويت بمرافقة الجهاد في سبيل الله عز وجل وفي سبيل اعلاء دينه .

وقد أظهر الأنصار من الكرم والتسامح مع اخوانهم المهاجرين ما خفف عنهم آلام الغربة ، وعوضهم عن فراق الأهل والعشيرة .

دستور المدينة « الصحيفة » :

لقد أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ينشىء دولة اسلامية تجمع بين الجميع ، بصرف النظر عن الأجناس والديانات ، وبذلك بدأت الدعوة الاسلامية تدخل في دورها السياسي ، وبدأ المظهر السياسي يبدو في شخصية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مع المظهر الديني .

ولقد كانت « المدينة » عند مقدم المصطفى صلى الله عليه وسلم خليطاً من عقائد مختلفة ، ومن عناصر لا يربطها نظام ولا وحدة ولا وفاق ، فعمل صلى الله عليه وسلم على أن ينظمها ويوحد بينها ، ويجمعها تحت جامعة الانسانية العامة ، ويقيم التعاون بينها على أساس من الاخاء العام الذي يربط بين الانسان وأخيه الانسان ، فكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار – وهو ما يسمى بالوثيقة أو الصحيفة – ، بين فيه ما يجب على المؤمنين والمسلمين – بعضهم لبعض – من التعاون والتكافل والتناصر والأخذ عل يد الباغي ، ووادع فيه اليهود وعاهدهم ، فشرط لهم أن يكونوا آمنين على دمائهم وأموالهم ومواليهم ، وأن يكونوا أحراراً في عقائدهم ، فمن تبع المسلمين منهم فله ما للمسلمين من النصر والأسوة ، واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة على من دهم « يثرب » أو حارب أهلها ، وأن ينفقوا مع المسلمين ماداموا محاربين ، على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

كما اشترط على المشركين من العرب ألا يجير مشرك مالا أو نفسا لـ « قريش » ، ولا يحول دونه على المؤمن ، وألا تجار « قريش » ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم « يثرب » ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وكما تضمن الكتاب ــ الوثيقة أو الصحيفة ــ حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الهجرة والاقامة ، تضمن ــ أيضا ــ حرمة النفس وحرمة المال وحرمة الجوار وحرمة الوطن ، وكفل نصرة المظلوم ومقاومة المعتدي واعانة من أثقله الدين ، وشدد في تحريم البغي والفساد وايواء الباغين والمفسدين ، وفتح باب الصلح لمن أراده من المسلمين وغير المسلمين ، ودعا الجميع الى التعاون على البر دون الاثم ، وجعل الاحتكام فيما يكون بين أهل هذا الكتاب من خلاف الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان الهدف الذي يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .

وهكذا أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الوئام والحب ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالمولى تبارك وتعالى على الاخلاص في عبادته والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

ونصوص هذه « الصحيفة » هي :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

١ ــ هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ ــ أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ ــ المهاجرون من قريش على ربعتهم ــ أي : على أمرهم الذي كانوا عليه ــ يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم ــ أي : الأسير ــ بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٤ ــ وبنو عوف على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ــ وبنو الحارث ــ من الخزرج ــ على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦ ــ وبنو ساعدة على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ــ وبنو جشم على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ــ وبنو النجار على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ــ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم ،

يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ ــ وبنو النبيت على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ ــ وبنو الأوس على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ ــ وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا ــ وهو من أثقله الدين والغرم فأزال فرحه ــ بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ ــ وأن المؤمنين المتقين ــ أيديهم ــ على كل من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم ــ أي : طلب دفعا على سبيل الظلم ، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم ــ ، أو اثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

١٤ ــ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .

١٥ ــ وأن ذمة الله واحدة : يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

١٦ ــ وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ ــ وأن سلم المؤمنين واحدة : لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم .

١٨ ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ــ أي : يكون الغزو على التناوب بينهم يعقب بعضهم بعضا فيه .

١٩ ــ وأن المؤمنين يبييء ــ من أبأت القاتل بالمقتول اذا قتلته به ــ بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله .

٢٠ ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا دونه على مؤمن .

٢١ ــ وأنه من اعتبط ــ أي : قتل ــ مؤمنا قتلا عن بينة فانه يقاد به ، أي : أن القاتل يقاد به ويقتل ــ ، الا أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم قيام عليه .

٢٢ ــ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ــ أي : جانيا ــ ، أو يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣ ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله والى محمد رسول الله .

٢٤ ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٢٥ ــ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين :لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ ــ أي : يهلك ــ الا نفسه وأهل بيته .

٢٦ ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما

ليهود بني عوف .
٢٨ ــ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
٢٩ ــ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .
٣٠ ــ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .
٣١ ــ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهله .
٣٢ ــ وأن جفنة بطـن من ثعلبـة كأنفسهم .
٣٣ ــ وأن لبني الشطيبة مثـل ما ليهود بني عوف ، وأن البـر دون الاثم .
٣٤ ــ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .
٣٥ ــ وأن بطانة يهود كأنفسهم .
٣٦ ــ وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد ، وأنه لا يتحجر على ثأر جرح ــ أي : لا يلتئـم جرح على ثأر ــ ، وأنه من فتك فبنفسه ، وأهل بيته الا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .
٣٧ ــ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لا يأثـم امـرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .
٣٨ ــ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
٣٩ ــ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
٤٠ ــ وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها .
٤١ ــ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى الله والى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٢ ــ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
٤٣ ــ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .
٤٤ ــ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونـــه فانهـــم يصالحونـــه ويلبسونه ،وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل أنـاس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .
٤٥ ــ وأن يهـود الأوس مواليهـم وأنفسهم على مثـل ما لأهـل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٦ ــ وأنه هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله . اهـ .

هذا هو نص الوثيقة الدستورية التي وضعها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وهي التي نقلها الامام ابـن كثـير في كتابـه « البدايــة والنهاية » ، في الجزء الثالـث ، في الصفحة ٢٢٤ ، نقلا عن محمد بن اسحاق .

وهذه الوثيقة تعد بحق فتحا في الحياة السياسية والحياة المدنية في

ذلك الوقت ، واذا كان ذكر يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير » ، ويهود « بني قريظة » لم يرد في هذه الصحيفة ، فقد ثبت أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد عقد مع كل فريق منهم معاهدة على حدة ، ولقد وفى المسلمون بما جاء في هذه الصحيفة وبما التزموا به ، ولكن اليهود نقضوا العهود على مألوف عاداتهم ، فهم أناس لا أمان لهم ، فكان عملهم هذا مصدر تعاسة وشقاء لهم .

ولا شك في أن تلك المعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت متفقة في نصوصها الأساسية ، لأن معاملته عليه الصلاة والسلام لجميع طوائف اليهود كانت واحدة ، وكان ظاهر هذه الصحيفة التي كتبت للبطون الصغيرة أنها كانت تخصهم ، ولكن أسسها ونصوصها العامة كانت تشمل كل من تحالف مع اليهود ، فلما اتضحت هذه النصوص من هذه الصحيفة سارع يهود « بني قينقاع » و « بني النضير » و « بني قريظة » الى عقد معاهدات شبيهة بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي معاهدات واحدة بالنسبة لمن عقدت لهم ، وإن اختلفت باختلاف من عقدت لهم .

ويجدر بنا أن نقف عند بعض نصوص هذه الصحيفة وقفة تأمل وتفحص لنحلل بدقة ما فيها من النقاط الهامة ، رغبة في ايضاح سياسة الدولة الاسلامية في بدايـة نشأتها ، فهذه الصحيفة قد تضمنت الكثير من المبادىء السامية ، والأسس التي يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الأمم ، ومن أهم المبادىء التي تضمنتها الصحيفة ما يأتي :

تكوين الأمة :

لقد ورد في الصحيفة : « أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس » ، فلم يجعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الانتماء الى هذه الأمة قاصراً على أوائل المسلمين في عهده ، بل جعله عاما يشمل كل فرد يدخل في هذا الدين الى يوم القيامة ، بشرط أن يكون من المجاهين في سبيل الله عز وجل ، لا من الخاملين المتقاعدين الذين يكتفون باقامة الشعائر الدينية ، من غير أن يكون لهم دور ايجابي في حياتهم ، فمن أراد أن ينال شرف عضوية الأمة فعليه بالجهاد .

واننا اذا تصفحنا التاريخ لوجدناه شاهدا بوجوب هذا الشرط الذي اشترطه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيمن يرغب في الانضمام الى الجماعة الاسلامية ، لأن كل الدعوات لم تقم لها قائمة بغير الجهاد .

ولم يشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم صفات معينة فيمن يريد أن يتبع المهاجرين والأنصار ، ويلحق بهم ويجاهد معهم ، ليكون ذلك من حق كل انسان مهما كان دينه أو وطنه

أو جنسه ، وهو يقصد بقوله : « أمة واحدة من دون الناس » استقلال هذه الأمة وقيامها بذاتها ، واعتمادها على نفسها دون غيرها .

وقد اعترفت الصحيفة مع ذلك بالمجموعات القبلية القائمة ، وأشارت الى المهاجرين بصفتهم وحدة ، أي : أمة واحدة من دون الناس ، كما أشارت الى قبائل من « الأوس » ومن « الخزرج » ، بيد أنها مع اعترافها هذا لم تترك لهذه الوحدات ما يشعرها بالتكتل الا عند دفع الدية أو الفدية ، وما الى غير ذلك مما لا يتعارض بأي شكل من الأشكال مع وحدة الجماعة الاسلامية .

وحدة الأمة :

ورد في الصحيفة : « وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم » .

ولعل في هذا اشارة من المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى أن المسلمين متحدون في كل أمورهم ، فلا يليق أن تكون هناك وحدة في السلم ، ويكون هناك انقسام في الحرب أو في غيرها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأن أيديهم عليهم جميعا » ، فالمقصود بهذه العبارة هو من يسعى بالافساد بين المؤمنين ، وقال أيضا : « وأن المؤمنين عليه كافة » ، ويعني بذلك من يقتل مؤمنا بغير حق ، فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه حين يعبر بكلمتي : « جميع » و « كافة » في حديثه عن قيام المؤمنين بالقصاص من الذي يقتل أحدهم أو يسعى بينهم بالفساد ، فانه بهذا التعبير يقرر وحدة المسلمين وحدة تامة ، وهذا هو أساس فوزها وانتصارها في مختلف الحروب التي خاضتها .

حرية العقيدة :

جاء في « الصحيفة » : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » ، وفي هذا خير برهان وأكبر دليل على أن الاسلام برىء مما ادعاه أعداؤه من أنه قد انتشر بقوة السلاح ، فلو كان هذا الادعاء صحيحا لما وجدنا الاسلام يقر المغلوبين من أهل الأديان الأخرى على دياناتهم مقابل دفع الجزية ، على أنه قد أعفى منها الفقير المعدم ، والضعيف العاجز عن العمل ، والشيخ الفاني ، والمرأة ، والصبي ، والرقيق ، لئلا يدعي أحد أن العاجزين عن دفع الجزية ليس أمامهم الا الحرب ان كانوا أقوياء ، أو الاسلام قهرا ان كانوا ضعفاء .

ولم يرغم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحدا على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، وأوضح دليل على ما نقول أنه ترك لليهود الحرية في دينهم ، كما ورد النص على ذلك في الصحيفة ، وقد قال المولى تبارك وتعالى مشيرا الى مبدأ حرية العقيدة : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة/٢٥٦ ، وقال عز

شأنه :(**قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين**) سورة الكافرون .

وهكذا يأمر المولى تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وبانذار الكافرين بالعذاب الأليم ان هم أصروا على كفرهم ، بدون أن يرغمهم على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، والناس بعد ذلك مخيرون بين الايمان والعمل الصالح وهما طريقا الفوز والفلاح ، وبين الاستمرار على الكفر والضلال وهما المؤديان الى الخسران والهلاك ، يقول الحق جل وعلا : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**) الكهف/ ٢٩ ، وبذلك يكون الاسلام قد قرر مبدأ حرية العقيدة ، ونادى به منذ بدأت دعوته ، بينما يصفق العالم اليوم لمن يظنهم سباقين الى هذا المبدأ .

وقد عمى عن ذلك أعداء الاسلام ونسوا أو تناسوا سماحته ، وأنه هو السابق الى مبدأ حرية العقيدة ، وهم لا ينظرون الى الاسلام الا بمنظار أسود يحول بين أعينهم وبين رؤية ما فيه من العدالة والكمال ، فلا يرون فيه الا ظلاما وهميا من نسج خيالهم .

التعاون الاجتماعي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل » ، والمفرح هو الانسان الكثير الأولاد ، والذي كثرت ديونه ، فاذا كان من أقارب الأسير ساعده المؤمنون ليستطيع المساهمة في الفداء ، واذا كان من عاقلة شخص جنى خطأ عقلوا عنه ، حتى لا تزيد ديونه بسبب عجزه عن دفع ما عليه من الفداء أو الدية ، ولئلا يعجز عن الانفاق على أولاده اذا دفع ما معه في الفداء أو الدية ، وهذا يحقق مبدأ التعاون الاجتماعي الذي تفخر به الانسانية .

والمسلمون اذ يعطون المفرح في الفداء أو الدية انما يحاربون الموت والرق في وقت واحد ، فقد كان العرب في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويقدمون على هذا العمل ولا يبالون بما يفعلون ، وكان المدين عندما يعجز عن دفع ما عليه من دين في الأجل المحدد له تضاعف دينه ، وصار كالخادم عند الدائن ، يأتمر بأمره ، ويمتنع عما ينهاه عنه .

لقد حارب الاسلام كل ذلك ، وقضى على كل الأسباب المؤدية اليه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه باعانة المفرح ومساعدته ، فكانوا يقومون بسداد دينه ، أو اعطائه المال عند الشدة ، وهذا مبدأ من مبادىء الاسلام السامية التي

تسعد البشرية ، والتي جاءت بها الشريعة الاسلامية السمحة الغراء .

نظام الحكم :

جاء في صحيفة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله » .

وبهذا يقرر الاسلام مبدأ عاما وقضية طبيعية ، وذلك لأن كل الجماعات والأمم ينشب بينها النزاع ، ولكن شتان ما بين نزاع يزيد وينمو على مر الأيام ويتحول الى أحقاد تتوارثها الأجيال ، وبين نزاع سريع الزوال ليحل محله الود والصفاء ، وهذا الأخير هو الذي يقصده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فهو لا يريد لأمته نزاعا جاهليا تتسع هوته على مر الأيام ، ولكنه يريد النزاع الاسلامي الذي لا يلبث أن يزول وتنقشع سحبه .

وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه للفصل في هذا النزاع ، لأنه يريد تأليف القلوب وإزالة أسباب الفرقة والخلاف ، فحبه واحترامه يغمر القلوب ، قلوب المسلمين جميعا ، فلا يخالفون له أمرا ، ولا يتخلف واحد منهم عن تلبية دعوته في أي أمر من الأمور ، ولن يتوانى صاحب الحق في التنازل عن حقه والعفو عمن ظلمه اذا ما سمع من الرسول عليه الصلاة والسلام كلمة تدعوه الى ذلك .

ويدل نص الصحيفة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يقضي في خصومات أهل الكتاب والمشركين من أهل الصحيفة ، كما يقضي في خصومات المسلمين ، ولعله قد اختار نفسه للقضاء بين الناس ليؤكد لهم أنه هو رئيس الحكومة الجديدة في « المدينة » بعد هجرته اليها .

ومن الطبيعي أن تفويض السلطات التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية للرسول صلى الله عليه وسلم يستند الى آيات قرآنية كريمة ، فقد قال المولى عز وجل : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/٥٩ ، وقال جل شأنه : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/٦٥ ، وقال تبارك وتعالى :(**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الأحزاب/٣٦ ، وقال سبحانه وتعالى :(**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**) النساء/٨٠ .

اذاً فالمصطفى صلوات الله

وسلامه عليه كان يمارس هذه السلطات مهتديا بأحكام القرآن الكريم ، وأن دستور الحكم في الأمة الاسلامية هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وليس للعرف أو التقاليد القبلية .

مراعاة حق الجار :

لم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة من هو المقصود بالجار ، ليدل بذلك على أن هذه الكلمة تشمل كل من جاور المسلم .

ولا شك في أن الجار هو أقرب الناس الى الانسان بعد أهله ، فمن الممكن أن يعرف أخلاقه وطباعه ، فلو رأى رجل من أهل الكتاب لينا ولطفا وحسن معاملة من المسلم لتآلف قلبه للاسلام وفهمه على حقيقته ، وعلى العكس لو رأى غلظة وقسوة منه لنفر قلبه من الاسلام ، وأساء فهمه وزاد بعدا عنه ، وقد تحدث بينهما مناقشات قد تؤدي الى منازعات لا تعود على الاسلام بفائدة ، فلا يليق بالمسلم أن يسيء معاملة جاره إن كان على غير دينه ، وانما يجدر به أن يعامله باللين ، ويخاطبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن تنعكس شخصية المسلم على تعامله معه .

واذا عرفنا أن كلمة « الجار » في الاسلام تشمل من يسكن الأربعين بيتا المحيطة بالمسلم لعلمنا أن جميع الأمة جيران ، وأنها حلقات متصلة في ظل المحبة والاخاء ، والتعاطف والبر والتراحم .

موادعة اليهود .

لقد أقر الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود على دينهم ، وقد اوضحنا ذلك عند الحديث عن حرية العقيدة ، وقد جعلهم عليه الصلاة والسلام هم والمسلمون أمة واحدة بقوله في الصحيفة : « وأن يهود بن عوف أمة مع المؤمنين » ، ثم أورد كل قبيلة من القبائل اليهودية أو البطون اليهودية وجعل لها مثل ما ليهود « بني عوف » .

وقد ورد في الصحيفة : « ولا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه » ، فالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه حين يحدد وصف المؤمن بقوله : « آمن بالله واليوم الآخر » انما يريد بذلك التقريب بين اليهود والمسلمين من جهة العقيدة ، بحيث لو رغبوا في اعتناق الاسلام والدخول فيه لوجدوا تقاربا بينهم وبين دينهم .

وأغلب الظن أن الحرص على ضم اليهود الى صفوف المسلمين يتضح في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » فيه من الاغراء والترغيب ما فيه .

إيقاف الموادعة اذا ما ظلم اليهود :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « الا من ظلم

وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه » ، ويقصد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالظلم والاثم ما يقع من اليهود من محاولات الغدر المقصود بها اشعال نار الفتن والحروب ، ومقاومة الاسلام ومحاربة الدعوة ، وصد الناس عنها ، مما يوقع الضرر بالمسلمين والاسلام ، ويحول دون انتشار الدعوة وتقدمها ، واظهارا لقوة المسلمين وتهديدا لليهود بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم منهم فلن يكون ظالما الا لنفسه .

ولعل المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشعر بأنه لن يكون هناك وفاق بين المسلمين واليهود ، ولذا كرر هذا المعنى في الصحيفة ، وذكر هذا التحذير عدة مرات ، لأن اليهود سينقضون هذا العهد وسيغدرون بما ركب في نفوسهم الدنيئة من الخسة والنذالة ، والميل الى الدس والنفاق والشقاق والكيد ، فأراد صلوات الله وسلامه عليه أن يقيم عليهم الحجة ، ويبين سلامة موقفه أمام المولى تبارك وتعالى ، والضمير ، والانسانية ، اذا عاقبهم على ظلمهم ونقضهم للعهد ، ولذا كرر انذاره لهم ، وقديما قيل في الأمثال : « قد أعذر من أنذر » .

وأغلب الظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصد من هذا الانذار منع الصراع الداخلي في « المدينة » بين اليهود والمسلمين ، لئلا تنتهز « قريش » الفرصة وتهاجم المسلمين ، وتشغل الرسول عليه الصلاة والسلام عن نشر الاسلام خارج « المدينة » .

وبعد هذا الانذار أورد الرسول صلى الله عليه وسلم ترغيبا ، اذ أمر بألا يقوم المسلمون بأي شيء تجاه اليهود الا في حالة عدائهم للاسلام ، فما دام اليهود مسالمين فالمسلمون موادعون لهم .

تحريم خروج اليهود من المدينة بغير إذن الرسول الكريم :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واثق من اخلاص اليهود له ، وكان يتوقع منهم دائما الغدر ، فهم قد جبلوا عليه وطبيعتهم مركبة منه ، ولا يعرفون الى الوفاء سبيلا ، ولذلك فقد حرم عليهم الخروج من « المدينة » بدون اذنه ، ليكون في مأمن من شرهم ، وليكون على علم تام بأمرهم وكل تحركاتهم ، اذ ليس من المستبعد أن يعرف البعض منهم أخبار المسلمين ثم يقوم بتوصيلها الى « قريش » التي تتربص بهم الدوائر ، في الوقت الذي يريد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام كتمان الأخبار عنها ، ومن المحتمل أن يخرج البعض من اليهود لتأليب « قريش » على المسلمين ، واشعال نار الحرب .

محالفة اليهود :

كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدى قوة « قريش » ، ويتوقع هجومها على « المدينة » في أي وقت من الأوقات ، وكان يدرك أن المسلمين في بداية

عهدهم في « المدينة » وليست لديهم القوة التي يستطيعون بها أن يقفوا وحدهم أمام « قريش » ، فعقد معاهدة الدفاع المشترك عن « المدينة » بهذه العبارة من الصحيفة التي تقول : « وأن بينهم النصر على من دهم يثرب » ، ليتخذ أنصارا يقفون معه ضد كل من يعاديه من « قريش » وغيرها ، ولم يعين صلوات الله وسلامه عليه المقصود بكلمة « النصر » هذه لتشمل المساعدة الحربية والمساعدة المادية معا .

وقد نصت الصحيفة كذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلب من اليهود مصالحة حليف للمسلمين فانهم يصالحونه ، وأن اليهود اذا طلبوا من المسلمين مثل هذا فعلى المسلمين أن يجيبوهم اليه ، وقد فعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ذلك تأكيدا للتضامن الحربي بين اليهود والمسلمين ، وتقوية لوحدة الأمة اليثربية التي أرادها .

هذا باستثناء من حارب الاسلام ، فيحرم على المسلمين مصالحة من حارب دينهم ، وليس من حق اليهود أن يصالحوا أعداء الاسلام ، ثم يطلبوا من المسلمين مصالحة هؤلاء الأعداء .

اشتراك اليهود في النفقة مع المسلمين وقت الحرب :

جاء في الصحيفة : « وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ماداموا محاربين » ، فاذا كان في الجيش معسكر لليهود ومعسكر للمسلمين التزم كل معسكر بنفقاته ، فيطعم الجنود ويشتري السلاح من ماله الخاص .

وقد نفى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بهذا النص أن ينفق المسلمون على اليهود اذا خرجوا معهم للقتال ، أو يظن اليهود وجوب نفقتهم على المسلمين لخروجهم معهم لقتال أعدائهم .

يقول أبو عبيد في هذا الشأن : فهذه النفقة في الحرب خاصة ، شرط عليهم المعاونة له على عدوه ، وانما كان يسهم لليهود اذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة ، ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم ، وانما كان هذا الكتاب قبل أن يظهر الاسلام ويقوى ، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب .

صيانة الأمن وتحريم الجريمة :

ورد في الصحيفة : « وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل » .

والمحدث هو : المجرم أو الجاني . فلا يحل لأحد أيا كان أن يمنع من اقامة الحد عليه ، حيث جاء في الأثر : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في

أمره » .

وقد روى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة مخزومية سرقت ، فقالوا : من يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ؟ .. فلم يستطع أحد أن يكلمه غير أسامة بن زيد ، وكانت شفاعته مقبولة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام فاختطب ، ثم قال « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدهـا » رواه مسلم .

حق الحياة :

جاء في الصحيفة : « وأنـه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم قيام عليه » .

واعتباط المؤمن قتله بغير حق ، وجزاؤه القتل الا اذا قبل ولى المقتول الدية ، ونحن نجد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا الحق الانساني ، فقد جعل المولى تبارك وتعالى قتل النفس ظلما كقتل الناس جميعا ، وذلك لينفر من جريمة القتل ويقرر حق الحياة ، فقد قال عز وجل بعد قتل قابيل لأخيه هابيل :(**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة /٣٢ .

إن الله عز وجل لم يخلق الحياة عبثا ، بل خلقها لحكمة جليلة وغاية عظيمة ، تتمثل في اختيار كل انسان لمعرفة مدى قيامه بواجباته أو تقصيره فيها طيلة فترة عمره ، يقول الحق جل وعلا : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك/١ و ٢ .

وقد جعل الله جل شأنه الحياة حقا من الحقوق وواجبا من الواجبات في نفس الوقت ، ولذلك فمن حق كل انسان ومن واجبه أن يعمل على حفظ حياته وصيانتها له ولاخوانه بقدر ما يستطيع ، ولا يحق لأي انسان أن يعتدي على حياة غيره ، لأنه بذلك يكون قد ارتكب جرما واغتصب حقا من أهم حقوق اخوانه ، ومن قتل نفسا بغير حق فقد باء بغضب من الله عز وجل الذي تفرد بصفة الاحياء والاماتة ، ومن المجتمع الذي ينكر عليه التعدي على أهم حقوق غيره .

إن حياة الناس سواء في مشارق الأرض ومغاربها ، والاعتـداء على بعض الناس يعتبر اعتداء عليهـم جميعا ، والاسلام يدعو جميع الناس لعمل كل خير ودفع كل شر ، وبالتالي يدعوهم لجمع الصفـوف وتوحيـد الكلمة .

وعلى الدولـة بصفتهـا ممثلـة للمجتمع أن تمنع اعتداء الانسان على حياة أخيه الانسان ، وتطبق في سبيل ذلك الأحكام الشرعيـة الرادعـة ، وتبحث عن أسباب الجريمـة قبـل

وقوعها لتلافي حدوث هذا الأمر .

حرمة المدينة :

ورد في الصحيفة : « وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » ، واننا لنجد في هذا النص تأكيداً لناحيتين :
الأولى : وجوب مسالمة اليهود للمسلمين وعدم الكيد لهم .
الثانية : تأمين اليهود على أنفسهم وممتلكاتهم .

ولعل الحكمة في جعل بعض الأماكن حرما كـ « مكة » و« المدينة » هي عين الحكمة في جعل بعض الأشهر حراما لا يحل فيها القتال ، فالمقصود بهذا أن يعتاد الناس حياة الأمن التي لا يعكر صفوها نزاع أو جريمة ، ولحرمة « المدينة » قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها » .

وأغلب الظن أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لو كان يملك زمام الأمر في « جزيرة العرب » كلها وقت كتابة الصحيفة لجعلها كلها حراما ، وما جعل الحرمة قاصرة على « المدينة » فقط .

عدم جوار قريش :

لقد جاء في الصحيفة : « وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، وقد كان من مظاهرالمروءة والشرف عند العرب في الجاهلية عادة الجوار ، وقد رأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بثاقب رأيه وعظيم حكمته أن هذه العادة لو بقيت لكانت مصدر خسران وبلاء للاسلام ، فلو اشتد أحد من « قريش » في عداوته للمسلمين واضطهاده لهم ، ثم طلبه المسلمون بعد ذلك لينال جزاءه فاستجار برجل من أهل « المدينة » لم يتمكن المسلمون من أن يتخلصوا منه ومن عداوته لهم ، فلا غرابة اذن في أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بألا تجار « قريش » ولا من يناصرها .

ولم يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المجير في أمره بعدم اجازه « قريش » ليشمل المشرك واليهودي بجوار المسلم .

تنظيم الحياة العامة في الدولة الاسلامية :

لقد نصت الصحيفة على الأسس التي تنظم الحياة العامة في الدولة الاسلامية ، ويتبين من هذه الصحيفة الى أي حد تغيرت الأحوال والأوضاع القديمة التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام .

وأول هذه الأسس أن الصحيفة جعلت للجماعة الاسلامية كيانا ، فقد نصت على أن كل المسلمين من « قريش » و « المدينة » ومن انضم اليهم وقاتل معهم في سبيل تعزيز الدولة الاسلامية أمة واحدة من دون الناس وبهذا اصبح الاسلام ملكا لمن دخل فيه واعتنقه ، وبناء على هذا

الاساس دخل في الاسلام شعوب كثيرة ، بدون أن يضع الرسول صلى الله عليه وسلم أمامها أية حواجز تمنعها من المشاركة في حياة العالم الاسلامي ، ذلك لأن الحدود القبلية أصبحت غير معترف بها رسميا في الدولة .

وهذه الأمة تجمع بين رعاياها رابطة الاتحاد النابع من الايمان ، والمؤمنون هم أول من يتمثل معنى الاتحاد ، وهم أول من يلتزم بالوفاء له ، وهم كذلك أول من يتمتع بالحقوق التي يمنحها لهم .

والأمة الاسلامية لها منطقة من الأرض ، هي منطقة « المدينة » ، وكل ما في هذه المنطقة يجب أن يكون مقدسا ودار سلام ، لا يحدث فيها اعتداء من أحد على أحد ، وعلى هذا الأساس فالأمة الاسلامية لا تتألف من المسلمين وحدهم ، بل هي تتألف من كل من يحالف المسلمين ويجاهد معهم ، وبذلك يدخل في الأمة الاسلامية من لم يعتنق الاسلام ، كبعض الأنصار الذين لم يسلموا وظلوا على ما هم عليه من ديانة ، وأدمجوا في الدولة الاسلامية ولم يستبعدوا عنها .

كما شملت الأمة الاسلامية — أيضا — اليهود في « المدينة » ، بيد أن اندماجهم في الامة الاسلامية لم يكن كاندماج المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يكونوا مكلفين بنفس الواجبات ولا يتمتعون بنفس الحقوق ، وقد ألحق بعضهم بالدولة بنص صريح في الصحيفة ، وهؤلاء هم الذين كانت بينهم وبين الانصار روابط تحالف ، ووضع بند خاص لكل من يتبع الدولة منهم بعد ذلك ، وعلى هذا فلم يكن الجميع ينتمون للدولة بدرجة واحدة ، بل أصبح هناك فرق وتمايز بين أصحاب الحق الكامل ، وبين غيرهم ممن يتبعونهم أو ينزلون بهم .

وعلى الرغم من انضمام كل الطوائف تحت لواء الأمة الاسلامية فانها لم تكن أمة أفراد ، بل أمة جماعات ، فانتماء الفرد الى الأمة انما يكون عن طريق القبيلة أو العشيرة ، وقد نصت الصحيفة على بقاء القبائل كما هي ، ودخولها في الأمة الاسلامية على ما هي عليه ، فظل تشكيل القبيلة الاجتماعي كما هو ، ومع أن نظام العصبية والقبلية الذي كان سائدا في العصر الجاهلي لم يعد له أدنى اعتبار ، فان النظام القبلي باعتباره عاملا من عوامل قوة القبيلة في داخلها وبطريقته في معاملة الغرباء ظهرت فائدته ، فلم يستطع نبذه أو الاستغناء عنه ، فظل رؤساء القبائل كما هم ، ولم يقم غيرهم مقامهم .

أما فيما يختص بعلاقة الأمة بالقبائل ، وتحديد سلطة كل منهما ، وما لكل منهما من حقوق وواجبات ، فقد ظلت القبائل ملزمة بالنفقات التي لا تأخذ طابعا خاصا ، وخاصة فيما يتعلق بفداء الأسرى ودفع الديات ، لأن نظام خزانة الدولة لم يكن قد عرف أو وجد بعد ، وبقي للقبيلة حق الاحتفاظ بنظام الولاء ، فلا يصح

لأي انسان أن يتحالف مع مولى غير مولاه ، وكذلك ظل حق الاجارة من غير قيد ، فيجوز لأي شخص أن يجير الغريب ، وهو باجارته ملزم للجماعة كلها ، ولكن اجارة « قريش » ومن نصرها محرمة على كل من اشترك في هذه الصحيفة .

ومقتضى ذلك أصبح لزاما على القبائل أن تتناسى مسألة الأخذ بالثأر فيما بينها ، لأن أول هدف للأمة الاسلامية هو منع نشوب حرب أهلية داخلية ، فاذا قام نزاع وجب أن يعرض على القضاء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص في الصحيفة على أن يتولى هو بنفسه القضاء بين الناس دون سواه .

والهدف الثاني الذي بينته الصحيفة هو تضامن القبائل لصد أي عدوان يتهددهم من الخارج ، والمؤمنون ملزمون بالتناصر والتآزر والتعاقل فيما بينهم ، وهم يد واحدة على من سواهم ، وهم جميعا على من بغى منهم ، ولا يقع واجب الثأر على عاتق أهل المقتول بحكم رابطة القرابة ، وانما يقع على كاهل المؤمن ليأخذ بثأر المؤمن ، وبذلك أصبحت الحرب حربا ليس إلا ، وأصبح السلام مع قوم أجانب أمرا يشمل المؤمنين جميعا كما هو الشأن في الحروب .

لقد أوضحت الصحيفة التخطيط الشامل لكل الأمور ، واذا كانت هناك بعض الثغرات التي تتمثل في حق المجني عليه ، في الأخذ بالثأر أو العفو ، وفي حق الاجارة التي يجب أن تكون حقا من حقوق سيادة الدولة ورئيسها ، إلا أن نظام الأمة الاسلامية أخذ يكتمل بعد ذلك بالتدريج .

إن الهدف الذي كان يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هو أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، ولقد كان فيما وضع الاسلام من مبادىء وأصول ، كفاية وضمان لدوام المحبة والتراحم بين الناس .

وهكذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الاطمئنان والاستقرار ، والمودة والوئام ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالله عز وجل على الصدق والاخلاص في عبادته ، والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

لقد كان المؤمنون وعلى رأسهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هم الروح التي تحيا بها الأمة الاسلامية ، وعنصرها الذي به تنهض وتصدر عنه الحركة ، وكلما كانت الدعوة الاسلامية تنتشر كانت الأمة الاسلامية آخذة في طريق التماسك والبناء .

الإسلام والعلم

لم يخلق الله سبحانه وتعالى الانسان في هذا الكون ليعبث ويلهو ويلعب .

ولم يخلق الله الانسان ليطغى بقوته وجبروته وصلفه وغروره ، ولم يخلق الله الانسان ليعيش في احضان الجهل .

(افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون/ ١١٥ .

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) الملك/ ١ و٢ .

فالانسان خلق وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والعمل ليكون خليفة في الارض يعمل على اصلاحها واتساع عمرانها واظهار اسرار خالق الكون فيها وتدعيم اوامر الخير فيها واقرار السعادة والخير في جميع اصقاعها .

وقد ارشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى في سورة البقرة وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان :

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا

للاستاذ/ عبد الحفيظ حسين

آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة/ ٢٩ ـ ٣٣ .

فهذه الآيات توحي بأن العلم أساس للدنيا والدين . فالخلافة في الأرض والسيطرة عليها وتسخير ما فيها واستغلال خيراتها وثمراتها وطيباتها بل تسخير السموات وما فيها . أساس ذلك كله العلم لا غيره .

ومن ذلك قوله تعالى : (**هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم)** الأنعام/ ١٦٥ .

ومن ذلك قوله تعالى : (**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد/ ٧

وقوله تعالى : (**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)** ص/ ٢٦ .

وإذا كانت هذه هي مهمة الانسان في الحياة وهي حكمة خلقه . وحكمة الانعام عليه بقوى العلم والعمل وحكمة تسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف فانه لا سبيل إلى قيام الانسان بهذه المهمة وتحقيق تلك الحكم إلا إذا تحصن بالعلم .

وإذا كانت الخلافة الانسانية في الأرض أساسها العلم فان رسالة الاسلام أساسها العلم أيضا لأن محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والرسل ولأن رسالته مكملة حلقات الرسالات السماوية .

ولهذا يأتيه جبريل بالوحي وفي أول لقاء بينه وبين محمد يقول له بصيغة فعل الأمر ــ اقرأ ــ ويرددها مرات ثلاث ثم يبلغه وحيا يتلى فيه الأمر بالقراءة التي هي أولى مفاتيح العلم ، العلم الذي هو سلم طريق المجد والتقدم **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/ ١ ــ ٥ .

وتوالت آيات القرآن تحث على الاستزادة من العلم والاغتراف من رحيقه فقال تعالى : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ وقال تعالى : **(وما يعقلها إلا العالمون)** العنكبوت/ ٤٣ وقال تعالى : **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ .

ولم يكتف الاسلام بهذا بل فتح مجال العلم للعقل الانساني وتعدى به أسرار الطبيعة وتغلغل به في أسوار الحياة .

فقال تعالى : **(فلينظر الانسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم)** عبس/ ٢٤ ــ ٣٢ .

(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق/ ٥ ــ ٧ .

(وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/ ٢٢ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/ ٣٦ ــ ٤٠ .

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد/ ٤ .

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت/ ١١ و ١٢ .

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)

الانبياء/٣٠ ــ ٣٢ .

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) الحج/٥ .

هذه الآيات وما جرى مجراها فتحت للعقل الانساني آفاق الكون ووصلت به إلى خير ما قدر له من الانتفاع والرقي والتقدم .

وفي آيات القرآن الكريم دعوة إلى التأمل والمشاهدة والتفكير في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق وما يفيد المجتمع .

(أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية/١٧ ــ ٢٠ .

دعوة صريحة إلى المشاهدة والتأمل واستنباط الحقائق العلمية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وعودة صادقة إلى اتباع الأسلوب العلمي في مناحي الحياة .

وكل ما جاء به القرآن في الحث على التفكر والتفكير دليل على مكانة العقل والعلم في نظر الاسلام : إذ العقل آلة التفكير والعلم ثمرة التفكير .

فكل ما ورد في القرآن حثا على التفكير هو إعلان عن فضل العقل وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته وهو في الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم وايحاء بتحصيله . حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل . ويتحرر من رق الأوهام والخرافات التي لا صلة لها بواقع الحياة وبهذا كان الاسلام دين الفكر والعقل والعلم .

وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير . وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة في الأرض وبها احتمل الأمانة التي عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات . **(فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** الأحزاب/٧٢ .

وأشار القرآن إلى العقل ومشتقاته ومترادفاته في نحو أكثر من ثلاثمائة آية فسماء العقل والفكر والرأي والنظر والفقه والرشد والذكر واللب والحجر والنهى والقلب والفؤاد والحكمة والهدى والبينة والبرهان .

ولم يكتف الاسلام بهذا فحسب بل جعل طلب العلم فريضة .

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث عدة تدعو إلى النظر والدراسة في هذا الكون الفسيح ونظمه وقوانينه :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت / ٢٠

(قل انظروا ماذا في السموات والأرض) يونس / ١٠١

(او لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) الأعراف / ١٨٥ .

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سبأ/٤٦ .

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان

يسمعون بها) الحج/٤٦ .

فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين يجب ان ترى والأذن يجب أن تسمع والعقل يجب أن ينظر ويفكر .

وهذا هو منطق الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع .

وبناء على التوجيهات القرآنية للناس بالنظر والدراسة وعلى جعل طلب العلم فريضة انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ويترجمون ويقارنون ويغربلون ويقعدون ويؤصلون .

وكان للحديث النبوي وللأسس العلمية التي سار عليها علماء الحديث في تحري الأحاديث النبوية أثر كبير في إيجاد روح الدقة في البحوث العلمية وأساليبها .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصول ومبادىء عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين من الاستفادة من تلك القدرة الالهية التي منحها الله للانسان وهي العقل فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات وكانت هناك تشريعات وفلسفة وقوانين وطب وفلك ورياضيات وأدب واجتماع وتاريخ وجغرافيا وفنون جمالية ومسيقى وآداب للسلوك والاجتماع وكان لكل هذه العلوم والفلسفات اساتذة عباقرة كأئمة الفقه ورجال الحديث الذين ضبطوا أساليب النقد وقعدوا قواعد التشريع .

وعلماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا من أمثال : المسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون والزرقاني وابن سعد .

وعلماء الفلك من أمثال : يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر والبستاني وأبناء موسى ابن شاكر .

وعلماء الرياضيات من أمثال : الخوارزمي الذي أسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا والبتاني الذي وضع أسس حساب المثلثات .

حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا أصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين أسهموا في هذا الميدان أمثال اسحاق الموصلي والفارابي وابن محرز والكندي والخوارزمي والغزالي وهيئة علماء إخوان الصفاء « وكثير غير هؤلاء » .

وجاء في رسائل إخوان الصفاء الدستور الذي وضعه العرب للبحث العلمي والفلسفي وهذا الدستور ينحصر في تسعة أحكام وها هي كما جاءت في الرسالة السابقة .

السؤال الأول : هل هو : يبحث عن وجدان الشيء أو عن عدمه والجواب نعم او لا .

السؤال الثاني : ما هو : يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : كم هو : يبحث مقدار الشيء .
السؤال الرابع : كيف هو : يبحث عن صفة الشيء .
السؤال الخامس : أي شيء هو : يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .
السؤال السادس : أين هو : يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .
السؤال السابع : متى هو : يبحث عن زمان كون الشيء .
السؤال الثامن : لم هو : يبحث عن علة الشيء المعلول .
السؤال التاسع : من هو : يبحث عن التعريف للشيء .

وتدل هذه الأسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان بعض العلماء يسير عليه . وفوق هذا وذاك فقد كان المسلمون هم واضعي طريق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ويكفي أن نستشهد في هذا باعتراف العلامة « بريفولت » .
في كتابه :

العرب وطريق البحث العلمي التجريبي وأنه لم يسبقهم إليها باحث ومفكر .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية واستقرت دعائمها في أعماق نفوسهم وانطوت عليها أفئدتهم وجوانحهم .

فكانت الرائد الأمين لعقولهم وأفهامهم . والغذاء الروحي لغرائزهم ومواهبهم وهذه الينابيع الاسلامية طبعتهم على استقلال الارادة وحرية الفكر .

وكرهت إليهم التقليد والتبعية العمياء ووجهت قولهم للبحث والانتاج .

وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون ، فاقبلوا عليها سراعا ودخلوها من كل باب وبهذه النهضة العلمية الجبارة والثورة الفكرية المتحررة . استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا إلى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة الفنون ورواد الحقيقة .

وكان واصبح هناك قادة وحكام لم يعرف التاريخ لهم مثيلا أمثال أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد والمقداد وصلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد وموسى بن نصير ومحمد الفاتح .

وكانت هناك مدن لم يشهد العالم لها مثيلا مثل القاهرة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية وبغداد . مدن تزخر بكل ألوان الحضارة .

وكانت هناك دول وممالك في الشرق والغرب بسطت نفوذها وقيادتها وفلسفتها وعبقريتها وشرقت وغربت حتى شملت معظم الرقعة المعمورة من الأرض آنذاك .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية الكامنة في الانسان المسلم ففتحت أمامه آفاقا للتحرر من ربقة ما كان عليه الآباء ...

فبحث ودرس وأضاف وجدد وابتكر فكان ذلك النتاج الحضاري الاسلامي الأصيل في سائر المعارف الأنسانية .

نحو جيش اسلامي لا يقهر

للواء محمد جمال الدين محفوظ

ينطوي بناء جيش الاسلام الاول ، الذي كونه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبنى رجاله وأعد قادته ، وقاده في معارك الدفاع عن الدين ورد العدوان ، على كل مقومات الجيش الذي لا يقهر .

وقد سجل التاريخ لهذا الجيش ــ فوق آيات البطولة والشجاعة وحسن القيادة ــ أنه حقق أعظم الأهداف وهو تأمين الدعوة وحماية بناء الدولة الاسلامية حتى تمت كلمة ربك في الجزيرة العربية .. وكان هذا الجيش مدرسة عسكرية كبرى لها نظرياتها وتعاليمها ، وقد تخرج من هذه المدرسة قادة ومقاتلون حققوا بعد عصر النبوة فتوحات امتدت في أقل من مائة عام من سيبريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، كما سجلوا على صفحات

التاريخ الحربي ما أذهل خبراء الحرب من آيات العبقرية الحربية .

وليس من شك في أن تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية ما زالت من القوة والصحة بحيث اذا اتبعتها الأمة العربية والاسلامية لأصبحت جيوشها جيوشا لا تقهر .. فلقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ، ولا تستكين الى هوان ،

● فأمرها باعداد القوة التى ترهب الأعداء كما يفهم من قوله سبحانه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/٦٠

● وفرض عليها الجهاد في سبيله ، وجعله الوظيفة الشريفة التى اختارها لأدائها كما يفهم من قوله تعالى : **(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)** الحج/٧٨ ـ (اجتباكم يعني اختاركم) .

فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله في خير منزلة بين الأمم في قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/١١٠ ، وفي قوله سبحانه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/١٤٣ (وأمة وسطا يعني خيارا معتدلين ـ وشهداء على الناس أي في مقام عال ، فان الشهيد ـ لغويا ـ هو الذي ينظر من عل) .

والتكليف باعداد القوة وبالجهاد ، تكليف قائم وباق حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة عن إعداد القوة بعناصرها المتعددة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها ، ثم ان ورود لفظ القوة مطلقا دون تقييده بشكل معين ، يقضي منطقيا أن تتطور القوة في شكلها ونوعها وتركيبها وأسلوب استخدامها لتناسب روح العصر الذي يحتويها ، والأمة الاسلامية ان لم تفعل ذلك ، ولم تأخذ بأسباب التطور العلمي و (التكنولوجي) ، وتخلفت عن مقتضيات عصرها ، فان قوتها التى أمرها الله باعدادها تفقد قيمتها وفاعليتها ، وتعجز عن إرهاب الأعداء ، فتتعرض الأمة للخطر والهلاك .

ان أخطر ما تتعرض له الأمم هو الغفلة عن الخطر المحدق بها من أعدائها ، والأمة العربية والاسلامية في أشد الحاجة الى اليقظة والحذر ، وهي في صراعها لتحقيق نهضتها الحضارية الشاملة في عصر ساد فيه منطق القوة ، في أشد الحاجة الى « القوة » و التى تتكافأ مع قدرها ومكانتها ، والتى تحمي كيانها وتصون وجودها ، وترهب أعداءها وتمنعهم من التفكير في العدوان عليها . ولا يوجد سبب على الاطلاق يبرر الزعم بأن العرب والمسلمين قد فقدوا الصفات التى مكنت اجدادهم من أن يبنوا قوتهم ويقيموا حضارتهم ، فما يزال الانسان العربي يملك صفات الرجولة والمروءة ، والاستطلاع العقلي الحاد ، والخيال المبدع ..

فلا مراء في أن لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ، وعلى بناء القوة التى تحميها وتدفع عنها العدوان ما استمسكوا بدينهم ، وأقاموا وحدتهم ، وساروا على هدى دينهم في البحث والتطوير ، وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم ، والصبر والمصابرة .

ويكفي أن نقارن حال العرب قبل الاسلام بحالهم بعد الاسلام ، لكي نكتشف سر ذلك التحول العظيم الذي حدث للعرب بعد الاسلام .. فلقد كانت للعرب قبل الاسلام خبرة طويلة بالحروب ، وكانوا شجعانا لا يهابون الموت ، بل كانوا يعتبرونه في ساحة المعركة شرفا يتباهون به ، ويعدونه في غيرها عارا يأنفون منه ، ومن ذلك قول شاعرهم :

وما مات منـا سيـد حتـف أنفه	ولا طل منـــا حيـــث كان فتيل
تسيـل على حد الظبـــات نفوسنا	وليس على غـــير الظبـــات تسيل

(الظبات جمع ظبة بضم الظاء والمراد بها السيف)

لكن العرب لم يحققوا ما حققوه من فتوحات وحضارة إلا بعد الاسلام ، ثم نتأمل في سر آخر ، فالرسول القائد صلى الله عليه وسلم كان يحارب في معاركه دفاعا عن الدين عربا بعرب ، بل وقرشيين بقرشيين ، فكان المسلمون ينتصرون على الرغم من تفوق عدوهم عددا وعدة !

فماذا تعلم العرب في المدرسة الاسلامية حتى اصبحوا قوة لا تقهر ؟ وحتى أصبح العربي مضرب الأمثال في الشجاعة والبطولة والعبقرية الحربية ؟

ان الاسلام عقيدة وعملا ، قد أوجد في قلب العرب التربة الصالحة ، وخلق الاستعداد النفسي للغرس والتربية ، يقول الله تعالى : **(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت/ ٤٤ .

كما أن الاسلام قد وجه العرب الى غاية عظمى رفعت أقدارهم وهي إعلاء كلمة الله ، واعزاز راية دينه ، وما يدخل في مفهوم كلمة « سبيل الله » من قيم فاضلة وقضايا عادلة ، وأهداف نبيلة .

فلنتاول الأن أهم الأسس التى تستوحي من تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية في بناء الجيوش بروح العصر الذي نعيش فيه .

أولا : القيادة العلمية

يجمع القادة العسكريون وعلماء الاستراتيجية العسكرية على أنه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشاكل البناء العسكري بدون السيطرة على الطرق العلمية للعمل في الجيوش وقيادتها ، وأن جوهر القيادة العلمية للجيوش في هذا العصر ، بكل خصائصه المعروفة ، يحتم على القيادات العسكرية أن تكون على مستوى

عال من المعرفة ليس في المجال العسكري الخالص فحسب ، بل في مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء والاحصاء ، وللعلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ وعلم الادارة وغيرها .

والاسلام اهتم بالعلم اهتماما بالغا ، فحث عليه ووجه اليه وجعله من أسس الدين نفسه ، ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم تتضمن « **القراءة** » التى هي مفتاح العلم ، و « **القلم** » الذي هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله هو الذي علم الانسان كل شيء : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/٥ ، والآيات والاحاديث التى وجهت الأمة الاسلامية الى العلم كثيرة مستفيضة ، واذا كان العلماء يشهدون التوحيد ، فان منزلتهم بالمكان السامي ، ودرجاتهم في الرفعة والسمو : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/١١ .

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء امر الله سبحانه وتعالى رسوله ــ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ــ أن يقول (**رب زدني علما**) طه/١١٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » الترمذي والنسائي وابن ماجه ، ويقول أيضا : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه مسلم .

وقد اهتمت الجيوش ــ وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى ــ بتنمية التفكير العلمي المنظم في عقول رجالها ، فقد انقضى العهد الذي كانت فيه الشجاعة والقوة البدنية تشكلان المقومات الاساسية للنجاح في المعركة ، وأصبح التفكير العلمي المنظم هو المطلب الحيوي الأول للنجاح في القيادة والقتال معا .

من أجل ذلك أنشأت كل الجيوش معاهد عسكرية خاصة لتدريب ضباطها وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات على أساس علمي ، وتسمى هذه المعاهد بكليات الأركان ، ويروي أن القائد العام في احدى الدول الكبرى توجه لافتتاح كلية الأركان عند انشائها لأول مرة عقب الحرب الأولى ، فلم يزد في خطابه الذي وجهه الى المجموعة الأولى من الضباط الدارسين على قول كلمتين هما : « تعلموا التفكير » ، ويقول المشير « مونتجمري » معبرا عن تجربته الطويلة في مجالات القيادة : « لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأي قائد في القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما وممارسا ممتازا لفن الحرب ، اذا لم يقم قبل كل شيء بالدراسة والتفكير العلمي المنظم للحرب ، وينبغي أن يكون القائد مفكرا صافي الذهن تماما ، وقادرا على استخلاص العناصر الجوهرية من وسط أكداس العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استنباط العناصر الجوهرية يجب الا يصاحبها فقدان الرؤية ، وسوف يفشل القائد ــ في الأغلب ــ إذا لم يكن ذهنه في صفاء الثلج ، واذا لم يكن تفكيره منظما » .

وجملة القول ان « القدرة على اتخاذ قرار سليم في الوقت المناسب » من أول مطالب الحرب الحديثة في الرجل العسكري قائدا كان أو جنديا ، والتفكير العلمي المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم ، وعملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب ان تسير على المنهج العلمي الذي يقوم على العناصر التالية :

- تحديد المشكلة تحديدا صحيحا .
- دراسة المعطيات والبيانات وتحليلها أو وضع الفروض عن العوامل المسببة او المحددة للمشكلة واختبار كل فرض منها .
- استعراض البدائل التى تسهم في حل المشكلة على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة .
- اختيار البديل الأفضل .

هذا المنهج العلمي هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحدث النظريات العلمية التى تستهدف حل المشكلات ومعاونة القائد في عمليات اتخاذ القرارات وتسمى بحوث العمليات Operations Research ، وهي مجموعة من الأساليب الرياضية المستخدمة في تحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها ، ويعرفها علماء الادارة بأنها هي « استخدام الطريقة العلمية في تحليل المشكلات الادارية » . وقد أصبحت لبحوث العمليات أجهزة متخصصة في كل تنظيم حديث في الحياة المدنية والعسكرية على السواء .

والواقع والمدهش أيضا ، أن المنهج العلمي الذي لم يشعر بأهميته الناس الا حديثا ، منهج اسلامي ، سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

فليس من شك في أن الاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وأنه حث على التفكير والتفكر والمشاهدة والتأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية والوصول الى معرفة نواميس الكون ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

- **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/ ٢٠
- **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** يونس/ ١٠١
- **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)** الحج/ ٤٦

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يأمر باتباع المنهج العلمي في مناحي الحياة ويأمر باستخدام الحواس استخداما أساسه المشاهدة ، فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر . وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع ، وهو المنهج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل « جوستاف لوبون » الذي قال : « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا في القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على

تكرار رأي المعلم ، ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم الى اكتشافات مهمة » ومثل الأستاذ بريفولت الذي قال : « ان الأوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير في طريقها دون عوائق ، لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

فعلى الأمة العربية والاسلامية أن تحرص على توفير القيادة العلمية لجيوشها :

- عن طريق تزويد قادتها بأعلى مستويات المعرفة في علوم الحرب والعلوم الطبيعية والاجتماعية وعلوم الادارة التى أصبحت من الضرورات الحيوية للقيادة العصرية .
- وعن طريق انشاء أجهزة بحوث العمليات وتزويدها بكل ما يلزمها من علماء ومتخصصين وأموال ومعدات .

ثانيا ـ نظريات عسكرية عربية

لكل دولة راقية نظرياتها الخاصة في كل ما يتعلق بشئون الحرب ، مثل بناء الجيوش وتدريبها وتسليحها ، واعداد القادة وأساليب القتال والحرب النفسية وغيرها مما يطلق عليه « العقيدة العسكرية » و « الاستراتيجية العسكرية » .

ويتولى وضع العقيدة والاستراتيجية العسكرية كبار القادة والخبراء العسكريين الذين يجمعون بين العلم والتجربة العملية في قيادة وادارة الحرب ، وتتحول النظريات التى يضعونها الى مناهج للدراسة في كلياتهم العسكرية يتلقاها الضباط والقادة ، ثم تطبق هذه النظريات عمليا في ميدان القتال عندما تشترك الدولة في الحرب .

ومن الحقائق المعروفة أن النظريات العسكرية تختلف من دولة لأخرى ، لأن لكل دولة ظروفها الاستراتيجية والاقتصادية والبشرية ، ووجهات نظرها التى تحكم تصورها للأهداف والوسائل التى تحصل بها على النصر في الحرب ضد أعدائها .

وتعتبر نظريات كل دولة في شئون الحرب سرا من أسرارها ، لأنها تتصل مباشرة بسلامتها وأمنها ، ولذلك نراها اذا أعطت شيئا للدارسين من غير أبنائها ، تحرص كل الحرص ـ وهذا أمر طبيعي لا يخفي على الفطن ـ على ألا تقدم لهم من العلم والخبرة والسلاح الا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية ، أوما يكون قد تقادم به العهد ، فأصبحت تملك ما هو أفضل منه ، أو أصبح متخلفا عن مقتضيات العصر .

ولقد عاشت دول عربية واسلامية كثيرة زمنا طويلا تعتمد على الدول الأجنبية في مجال العلوم العسكرية والصناعة الحربية ، فأصبح رجال العسكرية فيها

يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكري للدول الاجنبية وكأنه ليس للعرب ولا للمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة .. كما أصبحت هذه الدول تعتمد في تسليح جيوشها أساسا على استيراد السلاح ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين قدرة على صناعة السلاح !

ولقد آن الأوان لكي تكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول العظمى ، وآن الأوان لكي تمتلك القدرة على صناعة السلاح الذي يناسب مقتضيات العصر .

فكيف يكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول الكبرى ، وكيف تتملك القدرة على صناعة السلاح المناسب لمقتضيات العصر ؟

ان الأمر لا يقتضي أن تذهب الأمة بعيدا ، فكتاب الله وسنة رسوله ، خير مرشد لها على الطريق ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » (رواه الحاكم) فالواقع أن الاسلام حضارة كاملة ، فالقرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله ، والتقرب اليه فحسب ، وانما هو الى جانب ذلك وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه ، دستور من أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل ، وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم كما يقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الانعام/٣٨ وكما يقول تعالى : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**) المائدة ١٥ ، ١٦ .

وكما نظم الاسلام كافة امور الحياة دينا ودينا ، فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع خير المناهج والمبادىء لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وقوانينها وآدابها .

« والعسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ، ومن الحضارة الانسانية بالتالي ، فلولا جهاد المسلمين الأوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور ، لقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل تأسيس هذه الحضارة وشق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية في ميادين العلوم الطبيعية والانسانية وكان فضلهم هذا ، من بعض ثمرات الجهاد في الاسلام .

والباحث العسكري المدقق ، لا يجد في الاسلام كل ما تحتويه المدارس العسكرية للدول العظمى في الشرق والغرب من نظريات فحسب ، بل انه يخرج من الدراسة المقارنة بأن نظريات الاسلام تتجاوز نظريات تلك الدول وتتفوق عليها ، سواء من الناحية الفنية والعسكرية البحتة ، أو من حيث نبل المقاصد

والأهداف ، ولنضرب مثلا :ـ أصبحت « نظرية الردع » مفتاح الاستراتيجية العسكرية في القرن العشرين وخاصة بعد أن تحقق ما يسمى « بالتوازن الذري » بين الكتلتين المتنافستين الشرقية والغربية ، ومعنى التوازن الذري امتلاك كل من الكتلتين لأسلحة الدمار النووية كالقنابل الذرية والهيدروجينية بقدر متكافيء تقريبا بحيث لا يكون لاحداها تفوق محقق وساحق على الأخرى .

وقد تولد عن هذا التوازن افتتاع لدى كل منهما بعدم جدوى الحرب ، وبأن نشوبها بينهما هو بمثابة « عملية انتحار » رهيبة ، وذلك لأن كلا منهما تملك القدرة على « الردع » والانتقام اذا تلقت الضربة المدمرة أولا .. وقد عبر عن هذا المعنى قائد عسكري كبير بقوله : « إن أية حرب عالمية في هذا العصر قد تكون انتحارا عاما ونهاية للحضارة التى نعرفها ، وإن كلا من الدولتين العظميين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية ، لأن الدمار الذي سيترتب على الضربة الانتقامية لأي منهما سيكون مروعا ، كما أن كلا منهما لن يكون على يقين تام من النصر » .

وهكذا يتبين أن « القوة » حققت أهدافها في منع قيام الحرب بقوة « الردع » لكن العالم لم يصل الى تلك النظرية الا في القرن العشرين ، وبعد معاناة قاسية وطويلة في حروب طاحنة اكتوى بنارها ، كما عبر عن ذلك الاستراتيجي الكبير الجنرال اندريه بوفر في قوله : « ان رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي . وهي استراتيجية الردع ، فلقد أصبح العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال » .

هذه النظرية « الردع » التى لم تتبلور في أذهان خبراء الحرب الا في هذا العصر ، هي احدى النظريات التى سبقت بها العسكرية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا . فان اعداد « القوة » واظهارها « لارهاب الأعداء » واخافتهم من عاقبة عدوانهم هو موقف مبدئي للاسلام تجاه أعدائه وأعداء أمته ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال/ ٦٠ ، وقد طبق الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذه النظرية في صراعه ضد أعدائه بعد أن أذن له بالقتال ، فمن بين ثمان وعشرين غزوة قادها ضد المشركين واليهود نشب القتال في تسع منها فقط بينما فر الأعداء في تسع عشرة غزوة بدون قتال ، ولم يكن فرار الأعداء الا حسابا لعواقب قتالهم للمسلمين وهذا هو « الردع » على أفضل صوره ، وان قمة الردع لتتمثل في غزوة فتح مكة ، اذ كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم العبقرية في اظهار قوة المسلمين كفيلة « بردع » الأعداء ومنعهم من التصدي للمسلمين وهو ما ينطق به قول زعيمهم أبي سفيان : « يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

غير أن الدراسة المقارنة تكشف عن الكثير مما تنفرد به نظرية الردع الاسلامية من الخصائص الفاضلة والمقاصد النبيلة ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فهي تتفق بداهة من جوهر الاسلام الذي هو دين السلام .

فنظرية الردع الحالية قد نشأت كما ذكرنا مرتبطة بالتوازن الذري الناشيء عن تملك كل من الكتلتين لقدر متكافيء تقريبا من الأسلحة النووية وعن قدرة كل منهما على الرد والانتقام اذا ما هوجمت أولا .

وهذا الارتباط بين نظرية الردع وبين التوازن الذري لا يوحي بالاطمئنان ، ولا يؤدي الى الثقة في قيام سلام حقيقي في هذا العالم ، وذلك لأن « فقدان » هذا التوازن أو اختلاله ــ وهو احتمال وارد ــ بحصول احدى الكتلتين على تفوق ساحق على الأخرى ، سوف يؤدي حتما الى اندلاع حرب نووية ، وقد عبر عن ذلك الجنرال أندريه بوفر نفسه في قوله : « ولكن هل سنسير نحو السلام ؟ بالتأكيد كلا » . ثم أوضح السبب في ذلك وهو وجود الرغبة في التوسع والامتداد .

وهنا نستبين احدى حسنات نظرية الردع الاسلامية ، وذلك لأنه اذا تملكت الأمة الاسلامية القوة المتفوقة على خصومها بحيث يصبح ميزان القوى في جانبها ، فان ذلك لن يغريها باستخدام القوة ضدهم ما داموا يمتنعون عن العدوان .. فالأمة الاسلامية لا تتعدى حدود الردع ، ما دام يحقق الهدف منه وهو ارهاب العدو واخافته ومنعه من استخدام القوة وذلك لسببين :ــ

- أن القصد من اعداد القوة في الاسلام هو ارهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والعدوان .
- وأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب في الاسلام ، فلم يشرع القتال الا اعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الأمة الاسلامية ضد الاعتداء .

ولعل أبلغ دليل عملي على ذلك غزوة الفتح ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكري ساحق على قريش ، لكن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم قرر أن يتم الفتح بدون قتال ، وتحقق قراره عمليا بالتخطيط والتنفيذ .

ومن المقاصد النبيلة لنظرية الردع الاسلامية أيضا أنها تهيىء الفرص الحقيقية لحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية . فان ما تتميز به الأمة الاسلامية من أن دينها يمنع العدوان ، ومن أنها تملك ــ وبأمر دينها أيضا ــ القوة القادرة على رد العدوان وقهره ، يقنع الأمم الأخرى بالامتناع عن اللجوء الى القوة ، وهي مطمئنة الى أن طريق السعي لحل المشكلات بالوسائل السلمية ، ليس مفتوحا فحسب ، بل هو طريق مضمون النتائج ، لا تحيط به الشكوك ، ولا تنعدم به الثقة ، وليس فيه مخاطرة بالتنازل ــ تحت تهديد القوة ــ عن شيء من حق أو كرامة ، ولكن تحوطه كل معاني حب السلام والحق والعدل .. تلك لمحة سريعة عن احدى نظريات العسكرية الاسلامية لم يتسع المجال لشرح كل خصائصها ، وانما قصدنا بها أن نؤكد أن الأمة العربية والاسلامية يمكن أن يكون لها نظرياتها الخاصة في مختلف شئون الحرب مع الثقة الكاملة في أن تلك

النظريات تملك من الخصائص ما لا تتسامى اليه غيرها من النظريات .

ثالثا : الصناعة الحربية العربية

لقد جعل القرآن الكريم العناية بهذا اللون من العلم آية على صدق الايمان وحسن الجهاد ، وهو ما يفهم من قوله تعالى : **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)** الحديد/ ٢٥ .. وختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الجليلين **(قوي عزيز)** اشارة الى أن الله يحب لعباده المؤمنين القوة والعزة ، وأن كل ما يوفر ذلك نظريا وتطبيقيا هو من وسائل التقرب اليه ، ومن دلائل تقواه جل شأنه .

فلا يقول قائل : انه يكفينا أن نأخذ من غيرنا عتاد الحرب ، لأن الواقع ــ كما ذكرنا ــ هو أن معظم الدول الأجنبية تحرص ــ بطبيعة الحال ــ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها في كافة المجالات العسكرية النظرية والتطبيقية ، فلا تقدم لغيرها من عتاد الحرب الا ما لا يضير العمل به بمصالحا الاستراتيجية ، أو ما يكون قد تقادم به العهد ، أضف الى ذلك أن الاعتماد الكامل على الدول الأجنبية يضعنا في مهب المصالح والسياسات والأهواء المتقلبة .. وهل يغيب عن العرب والمسلمين أن اسرائيل على الرغم من اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية كمصدر رئيسي للسلاح ، لا تركن الى ذلك فتهدأ وتستكين ، بل تسعى بكل وسائل البحث العلمي والصناعة ، نحو تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي في مجال التسليح ، وذلك على الرغم من الروابط الاستراتيجية القوية التى تربطها بأمريكا والعالم الغربي ؟؟

لقد أثنى الله عز وجل على عدد من أنبيائه الكرام وعباده الصالحين ، فذكر تفوقهم في علوم الصناعة ، وجهودهم في تطويع هذا التفوق لنصرة الحق ، ودعم جانبه ، فقال جل شأنه يصف داود : **(وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد)** سبأ/ ١٠ ، ١١ .. وإلانة الحديد ، هي المهارة في ايجاد شتى الآلات والمعدات منه ، والوصول بصناعاته إلى حد الاتقان دون إعياء أو قصور ، ذلك لحسن الخبرة وطول الدربة .. وقد أمر الله داود بتقدير السرد أي كلفه باحكام النسج للدروع السوابغ التى ينتجها حتى تخرج في أعلى مستوى مستطاع . وفي موضع آخر يصف داود بنوعين من العبادة والعلم ، أولهما طول الذكر والتسبيح ، والآخر اجادة المعدات الحربية ، فقال تعالى :

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) الانبياء/ ٧٩ ، ٨٠ .. وعباد الله الصالحون ، أثبت القرآن صلاحهم وهم يقومون بأعمال رائعة تدل على علم بالحياة وخبرة عميقة بشئونها ، فهذا ذو القرنين يقول للذين منوه بالمكافأة اذا بنى لهم سدا يحميهم من أعدائهم : **(ما مكني فيه ربي خير**

فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) الكهف/ ٩٥ .

وهنا يظهر علم الرجل ببناء القلاع فيحول منطقة عمله الى مصانع يصهر فيها النحاس ، وتغلى المواقد ، ويقطع الحديد ، وتمهد الأرض ، وتسوي جوانب الجبل ، ويؤدي الرجال الأتقياء واجبهم لله على هذا النحو الذي يحمي الضعاف ، ويصون الحق ، ويعلي شأن الايمان : **(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)** الكهف/ ٩٦ ، ٩٧ .

وقد أفتى العلماء باتفاق أن اقامة الحرف والصناعات فريضة على المجتمع كله ، يأثم بتركها ، وعلى الأفراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم وقدراتهم أن يجودوا فيها ، ويخدموا أمتهم ورسالتهم بها .

وأبلغ دليل على اهتمام العرب بعد الاسلام بالصناعة الحربية أنهم برعوا — وهم أبناء الصحراء — في صناعة السفن وقيادة الأساطيل وحرب البحار ، لقد رأوا — دون انتظار لنص موجه — أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، وبلغوا في هذا المجال درجة عالية فسيطروا على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وكانت أساطيل الرومان والفرنجة كما يقول ابن خلدون : « تهرب أمام البحرية العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت عليهم **كضراء** الأسد على فريسته » .

رابعا : الصناعات الثقيلة

وهذا المبدأ مرتبط بسابقه ، إذ أن المعروف أن أسلحة الحرب وخاصة الأسلحة الثقيلة كالمدافع والدبابات والطائرات والسفن الحربية والصواريخ ، لا تقوم صناعتها الا على أساس الصناعة الثقيلة التى تعتمد على صناعة الحديد والصلب . والتوجيه القرآني حول الحديد في الآية الكريمة **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)** يوحي بعدة مباديء على الأمة العربية والاسلامية ان تعيها وتلتزم بها :—

● أن تقيم الأمة بنيانها الاقتصادي على « الصناعة » أساسا ، والمعروف لدى علماء الاقتصاد أن الصناعة (وليس الزراعة) هي الأساس الحقيقي للتنمية الاقتصادية ولتقدم الأمم وقوتها .

● وأن تتجه الأمة في التصنيع نحو « الصناعة الثقيلة » التى هي أساس لصناعة الأسلحة والمعدات الحربية ذات « البأس الشديد » .

● وأن تتملك الأمة العربية والاسلامية زمام « صناعة الحديد والصلب » التى لا تقوم الصناعة الثقيلة الا على أساسها .

كل هذا أكدته الآية الكريمة حول الحديد ، الذي اتفق الاقتصاديون على انه هو مصدر القوة الحقيقية للأمم :

- في مجال الحرب : **(فيه بأس شديد)**
- وفي مجال التنمية الاقتصادية عامة **(ومنافع للناس)**

خامسا : التعبئة الاقتصادية والتكامل الاقتصادي

من الأمور الطبيعية أن تتطور محتويات « القوة » على مر العصور نتيجة لعوامل كثيرة على رأسها التقدم العلمي وما ينتج عنه من اختراعات ونظريات .

وفي عصرنا الذي نعيش فيه لم تعد الحرب قاصرة على تصارع الجيوش في ميادين القتال المحدودة كما كان الحال في الماضي ، بل أصبحت طبيعة الحرب الحديثة تعني أن الشعب وقواته المسلحة يخوضون الحرب ، ويتحملون أعباءها ويواجهون مخاطرها ، وأصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمي والفني الى غير ذلك من عناصر القوة المادية والمعنوية .

والمدهش أن الاسلام قرر هذا المبدأ وسبق به قبل أربعة عشر قرنا ، فلو نظرنا الى متانة الاقتصاد لوجدنا أن الاسلام يربط بينها وبين القوة الحربية برباط وثيق يتمثل فيما يلي :

١ ــ وحدة الأصل ، فالاقتصاد والقوة العسكرية ينتميان الى أصل واحد هو « القوة » التى أمر الله باعدادها في الآية الكريمة **(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** الأنفال/ ٦٠ ، ويؤكد ذلك ورود لفظ القوة مطلقا دون تحديد ، مما يجعله يتسع ليشمل كل مصادر القوة ولا ينحصر في القوة الحربية فقط .

٢ ــ التكليف بالجهاد بالمال (وهو عصب الاقتصاد) مقترنا بالتكليف بالجهاد بالنفس ، كما يفهم من قول الله تعالى : **(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)** التوبة/ ٤١ ، وقوله سبحانه : **(ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)** الأنفال/ ٧٢ .

ومما يدل على تأكيد القرآن لأهمية الجهاد بالمال وخطره ، أنه قدمه على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات القرآنية التى تحث على الجهاد ، فقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهاد بالمال أمر لابد منه في تزويد الجيش بمطالبه ، وهو لذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك في الجهاد بماله ، اذا لم يجاهد بنفسه ، وان كان المجاهد بنفسه وماله معا في طليعة المقربين الى الله أكثر من المجاهد بأحدهما فقط « **ولكل درجات مما عملوا** » .

ووجه آخر من الحكمة في ذكر الأموال قبل الانفس هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالطعام أو السلاح أو البترول أو غيرها) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

ثم ان الجهاد بالمال يدعم نظرية الردع الاسلامية التى تحدثنا عنها ، وذلك لأن المال هو عصب الحرب كما يقولون ، فاذا رأى العدو أنه سوف يواجه قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ، ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركنا من أركان الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، ومن أجل هذا المعنى أجاز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في زمن الحرب ما تدعو اليه الحاجة .

ثم ان الجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق ، أفضل منه في الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام في أول أمره في حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل :

(وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الحديد/ ١٠ .

وفي فضل الانفاق في سبيل الله يقول الله تعالى : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** البقرة/ ٢٦١ .

والأحاديث التى تؤكد الربط بين العسكرية والاقتصاد كثيرة نذكر منها :

● ورد عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله فقد غزا » رواه الترمذي والبخاري ومسلم .

● وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه والنسائي .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري (ومثل الفرس كل عدة من عدد

الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله . نودى من أبواب الجنة كلها : يا عبد الله هلم » (أي أن كل أبواب الجنة تنادي عليه ليدخل وهذا زيادة في التكريم) رواه البخاري .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم في سبيل الله : مات الرسول صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير ، وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسي في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات » . « والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته » .

وعلى أساس أن التكليف بالجهاد هو تكليف بالجهاد بالأموال والأنفس ، فان المؤمنين يستجيبون لنفير الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف كما يفهم من قول الله تعالى : (**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**) التوبة/ ٤٤ ، ٤٥ .

ويجيز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في ساعات الحرب ما تدعو اليه الحاجة ، ومن أمثلة ذلك ما يدخل في اجراءات التعبئة وقت الحرب من الاستيلاء على عدد من سيارات النقل المدنية والسفن التجارية لصالح « المجهود الحربي » .

وبهذا المفهوم فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ، بل هي « تكافل عام » مفروض على أبناء الأمة الاسلامية جميعا .. فالأمر ـ في مجال التراحم ـ في صدقات البر والتطوع موكول الى الضمائر ، أما في « التكافل العام » فالاسلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد على القادرين من أبناء الأمة تكليفا ملزما ، من نكص عنه ظلم نفسه ، وعق دينه وأمته .

ثم انه بمقتضى التكليف بالجهاد ، والأمر باعداد القوة لارهاب الأعداء ودفع عدوانهم ، فلا بد أن يقوم النظام الاقتصادي للأمة الاسلامية على أساس « التكامل » الذي يكفل أفضل استغلال واستثمار لموارد الأمة وطاقاتها ، والذي يحقق للأمة قدرا كبيرا من « الاكتفاء الذاتي » ، وهو مطلب حيوي لبناء القوة المنشودة ، لأنه لا يضع الأمة الاسلامية تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات

المصالح والسياسة الدولة ، ولأنه هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها .

سادسا : الكيان العسكري للأمة

ان بناء الكيان العسكري للأمة أهم وأخطر ـ في نظر الأمم الواعية ـ من بناء الجيش ، اذ أن الكيان العسكري هو الضمان الحقيقي لفاعلية الجيش ، ولقدرة الأمة على تحقيق أهدافها ، وهو الذي يمكن الأمة من ردع العدوان في أية لحظة ، وتحقيق النصر في أقل وقت ممكن ، والصمود للحرب طويلة الأمد ، والتقليل من الخسائر التى تسببها ضربات العدو ، والمحافظة على درجة عالية من الروح المعنوية وعلى ارادة القتال لدى الشعب بأسره .

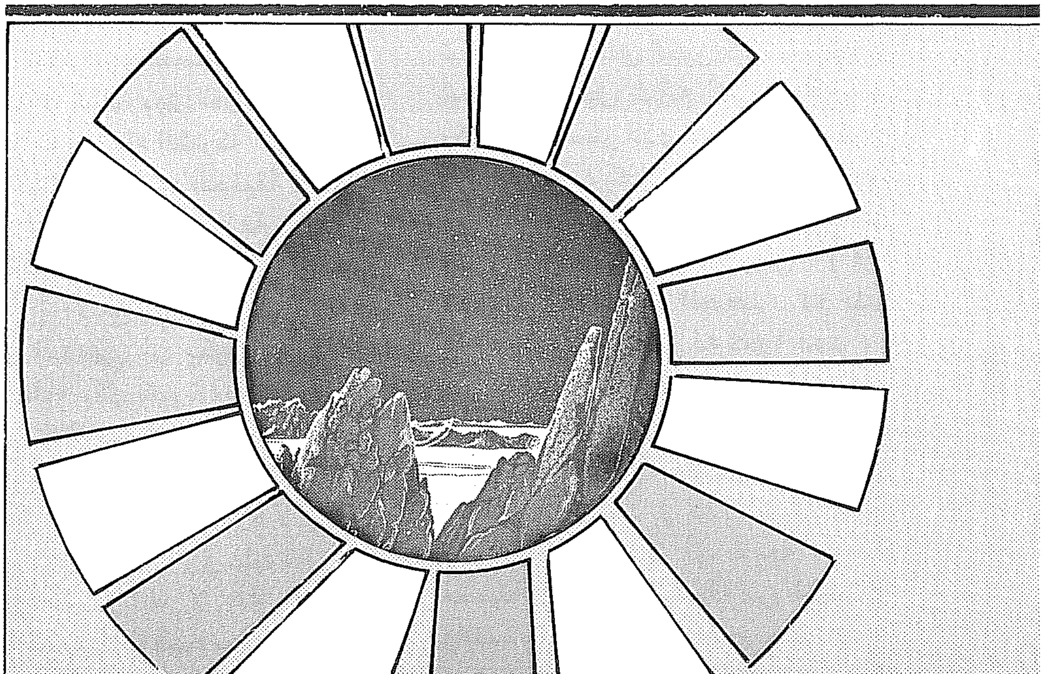
« والكيان العسكري للأمة » لا يقوم الا على أساس « الكيان العسكري لكل فرد فيها » ، وينبع هذا من احساس كل فرد بأن شخصيته ووجوده ومصيره ، وآماله في حياته الخاصة والعامة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بايمانه برسالته ، وأدائه المخلص لعمله وواجبه ، وبناء قدراته العلمية والفنية ، وادراكه الواعي للخطر المحدق بأمته ، وتأهبه الدائم لرد أي عدوان يقع عليها .

وسجلات التاريخ حافلة بالأمثلة التى تبرهن على القيمة العظمى للكيان العسكري للأمة ، وعلى أنه قد يكون لدولة ما قوات مسلحة ضخمة ومتفوقة عسكريا في التنظيم والتسليح ، ومع ذلك فهي تعجز عن التغلب على قوات أمة صغيرة ، ذلك لأن تلك الأمة الصغيرة تملك كيانا عسكريا ـ وهو ما لاتملكه الدولة الكبرى ـ يجعل من قواتها العسكرية القليلة مع تضامن شعبها ، قوة قادرة على صنع ما يشبه المعجزات .

من أجل ذلك نشأ المبدأ الذي يقول : « ان القاعدة العريضة لوجود الدولة هي الأمة المسلحة ، وبغير هذه الأمة المسلحة لن يكون هناك أي كيان مهما بلغ حجم القوات المقاتلة وامكانياتها » .. ويقول الجنرال ديجول : « كلما عدنا الى دروس التاريخ الحربي البعيدة أو القريبة ، نجد أن الشعوب أو الدول التى تفقد كيانها العسكري تخسر الحرب قبل أن تدخل أية معركة ، بل قبل أن تنطلق رصاصة واحدة » .

والواقع أن الاسلام يكفل بناء الكيان العسكري للأمة على أكمل الوجوه :

١ ـ فالتكليف « بالجهاد » بالأموال والأنفس ، تكليف للأمة كلها ، سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، فهو يقتضي من كل مسلم التأهب الدائم والاعداد والتدريب والاستعداد بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره في دفع العدوان عن أمته ، فلا فرق بين جيش وشعب ، بل الجميع مجاهدون كل منهم يؤدي دوره بالعمل المناسب وفي الموقع المناسب لتحقيق الهدف المشترك .



للدكتور/ فؤاد محمد محمود العارضة

وجد بطريق الصــدفة كمـا يدعي اصحاب التفكير السطحي والنظـر القصير من الماديين الملحدين ، اذ لا بد له من خالق قدير حكيم لا حد لقدرته وحكمته وعلمه ، الا وهو الله تعالى العلي القدير والعليم الحكيم ، ولا غرو فلكل مصنوع صانع ولا يوجد شيء بطريق الصدفة ، كما يدل على ذلك واقع الامر والحياة . وننظر في هذا الكون فنرى وحدة ازلية ونسقا واحدا في نظامه وخلقه ، فلا تفاوت ولا اختلاف في تركيبه وبنائـه ووحدة الخلق من وحدة الخالق ، قال الله تعالى : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير**) . الملك/١ ـ ٤

ولو كان هناك اكثر من إله واحد لهذا الكون لرأينا اكثر من نظام واحد له ، ولوجدنا لكل اله نظاما خاصا به ،

ولحدث انقسام وانفصال بين الآلهة كما يحدث ذلك بين افراد الاسرة الواحدة ، واعضاء الشركة الواحدة ، ونرى هذا الحق وهذه الحقيقة في قوله تعالى (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**) الانبياء/ ٢٢ .

ومن البديهي ان يكون الله تعالى محيطا علمه بكل كبيرة وصغيرة فيما خلق من كائنات ومخلوقات ، كما ان الذي صنع سيارة يعرف كل اجزائها ودقائقها ، والذي بنى عمارة لا يخفى عليه شيء فيها ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :(**الله لا أله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم**) البقرة/ ٢٥٥ وقال جل شأنه (**الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم**) . المجادلة / ٧ .

ولسائل ان يسأل : من هو الذي خلق الله خالق الانسان تمشيا مع النظرية التي تقول انه لا بد من وجود صانع لكل مصنوع ؟ فيقال له : ان هذه القاعدة لا تنطبق على الله ، اذ انه تبارك وتعالى خلق الكون كله ولم يخلقه احد . فهو جل شأنه الاول والآخر ، وكما ان الصفر الذي يعني لا شيء قبل العدد واحد ، كذلك لا شيء يسبق الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كما قال عز وجل : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد**) سورة الاخلاص، وهذا غاية ما يصل اليه عقل الانسان المحدود ، وادراكه المعدود ، فاذا ما حاول الانسان ان يتجاوز هذا الحد في هذا الشأن ضل وتاه دون ان يصل الى نتيجة ، واذا مضينا في هذه السلسلة من الاسئلة والتساؤلات : من هو الذي خلق الله ؟ ومن هو الذي خلق الذي خلق الله ؟ وهلم جرا .. غرقنا في خضم هذه الاسئلة التي تعتبر الاجابة عليها مسألة فوق مستوى عقل الانسان وتفكيره ، ولا غرو في ذلك فعقل الانسان محدود ، وله طاقة معينة لا يمكنه تعديها ، والله سبحانه وتعالى لا محدود ، والمحدود يعجز عن ادراك كنه اللامحدود ، كما ان ضوء المصباح يضيع في نور الشمس ، وغاية ما يدركه الانسان في مسألة الخلق والوجود ان هذا الكون له خالق واحد هو الله تعالى وحده لا شريك له ، كما تنطق بذلك آيات الله البينات في الافاق ، وفي خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وفي نفس الانسان ، وفي كل شيء ، قال الله تعالى : (**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون**

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) آل عمران/ ١٩٠ ، ١٩١ وقال عز وجل : **(سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)** فصلت/ ٥٣ اما ما وراء ذلك ، واما ادراك كنه الذات الالهية فمسألة فوق طاقة العقل البشري المحدود واذا الانسان مد نظره اليها ارتد اليه طرفه وهو حسير ، وخطف بصره وصعقه نور الله الذي يغمر السموات والارض ، واذا كان نور السيارة يخطف بصره فكيف بنور الله الذي يضيء الكون كله ، واذا كان الانسان عاجزا عن ادراك كنه روحه التي بين جنبيه وفي جسمه ، فكيف والحالة هذه يدرك كنه ذات الله تعالى ؟

ومسألة خلق الانسان التي وردت في القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية الصحيحة هي الحقيقة الناصعة التي لا ريب فيها ، فقد خلق الله أبانا آدم من الطين ، وخلق امنا حواء من نفس آدم ، فتزوجا لينجبا ويتوالدا ! وهكذا كانت بداية الجنس البشري ، ولا يعقل ابدا ان تكون قد بدأت بطفلين لأن الطفل لا يستطيع ان ينمو ويعيش بلا حضانة ورعاية ، واذا كانت قد بدأت بطفلين فمن كان والداهما ، واذا كان لهما والدان فلا بد ان يكون لهما خالق خلقهما هو الله تعالى ، ولا يمكن ان يكونا قد خلقا بطريق الصدفة ، ويستحيل ان يكونا قد خلقا انفسهما بنفسهما لأن لكل مخلوق خالقا ولكل مصنوع صانعا كما يدل على ذلك واقع الحياة ، فالانسان لم يستطع حتى الان ان يخلق حتى حشرة حية ، ولا حبة فاكهة ، فكيف يخلق بشرا سويا ناطقا ، فما صنعه الانسان هو آلات واجهزة جامدة ، ومنظر حشرة او زهرة او شجرة او فاكهة من البلاستيك ، او تمثال ميت جامد لانسان او حيوان ، ومسألة خلق الانسان من الطين هي الحقيقة الناصعة الخالدة التي تدحض اية رواية اخرى عن اصل الانسان ومصدر خلقه ، ولا ادل على ذلك من ان الانسان وكل كائن حي يعود الى اصله التراب بعد ما يموت ، ولا غرابة في ذلك فكل شيء يرجع في النهاية الى اصله .

وايماننا بما قاله خالقنا الله تعالى عن خلق الانسان ، يحتم علينا الايمان بوجود حياة اخرى ، يبعث فيها الانسان الذي مات وصار عظاما نخرة ، ليحاسب على اعماله في الدنيا ، ومن شك في قدرة الله على اعادة خلق الانسان مرة ثانية بعد موته وفنائه نقول له : ان الله الذي خلق الانسان اول مرة من صلصال لقادر على اعادة خلقه مرات كثيرة . ولم لا والصانع الذي صنع السيارة يستطيع ان يعيد صنعها مرة ثانية بعد ان تتحطم وتبلى والبناء الذي بنى عمارة يستطيع اعادة بنائها اذا ما انهارت وسقطت ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :**(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون)** الروم/ ١١ وقال عز وجل : **(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**

وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الروم/٢٧ .

ولنا ان نتساءل : هل يعقل ان يكون الفناء الابدي مصير هذا الجمال البشري الساحر الفتان وهذه المواهب والعبقريات الانسانية الرائعة ؟ كلا ثم كلا فلا بد ان يكون لها حياة اخرى في دار الحق والبقاء والخلود . ويستحيل ان تكون قد اوجدت بطريقة عفوية تلقائية ، وذلك من آيات الله البينات التي تنطق بقدرته وعظمته وحكمته كما قال تبارك وتعالى : **(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)** الروم/٢٢ وقد خلق الله تعالى هذا العالم بالحق والصدق ولم يخلقه عبثا ولا باطلا كما قال جل شأنه : **(سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا)** وقال : **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين)** الانبياء/١٦ وقد خلق الله الناس وجعل لهم اجلا مسمى في هذه الحياة الدنيا ليبلوهم بالشر والخير ، وليعلم ايهم احس عملا ، كما قال عز وجل : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)** الملك/٢ .

والانسان في هذه الحياة الدنيا معلق بمشيئة الله ورحمته ، ومعرض للموت في اي وقت ، ولا يدري اين ولا متى يصعد الى الملأ الأعلى ، كما قال تعالى : **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت)** لقمان/٣٤ ووجوده فيها قصير مؤقت ، وهو فيها عابر سبيل وضيف زائر ، فالايام تمر مر السحاب وكل يوم يمضي يدنى الانسان من اجله المحتوم ، وينقص من عمره المقدر له ، لذلك كان مستقبل الانسان الحقيقي الدائم في الحياة الآخرة دار الحق والخلود ، لا في دار الموت والفناء ، ولا يضع ذلك نصب عينيه الا اولو الالباب ، وايمان الانسان بذلك ، وبالثواب والعقاب ، وبأن عين الله الحي القيوم لا تأخذها سنة ولا نوم ، وتراه ليلا ونهارا سرا واعلانا ، تجعله صالحا طيبا مثمرا لا يقول ولا يفعل الا خيرا ، ولا شيء يجعل الانسان طيبا مثمرا كالايمان بالله تعالى ، كما يدل على ذلك واقع الحياة ، ويشهد واقع الحياة كذلك بان الشرور والآثام يقترفها دائما الذين لا يعرفون الله ولا يتقونه كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ! ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه البخاري . وهكذا من لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل والرحمة .

ووجود الانسان العابر في الحياة الدنيا لا يؤدي في الاسلام الى هجر الحياة والانحباس في زوايا الزهد والتصوف والرهبانية ، بل يعني العمل لهما معا ، واعطاء كل منهما حقها ، كما قال الله تعالى :**(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ وقال الامام علي كرم الله وجهه : اعمل

لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ».

فالمسلم الواعي المستنير يأكل ويشرب ولا يسرف عملا بقوله تعالى : **(كلوا واشربوا ولا تسرفوا)** الاعراف /٣١ ويأخذ بشتى الوان الزينة من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب ونحو ذلك في نطاق الاعتدال والشرف والفضيلة ، مستلهما ذلك من قوله تعالى :**(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/٣٢ ففي الاعتدال حكمة وصحة وعافية وفائدة ، وفي الاسراف تهور ومرض وضرر ، بل ان الاسراف في اي شيء يؤدي الى الحرمان منه .

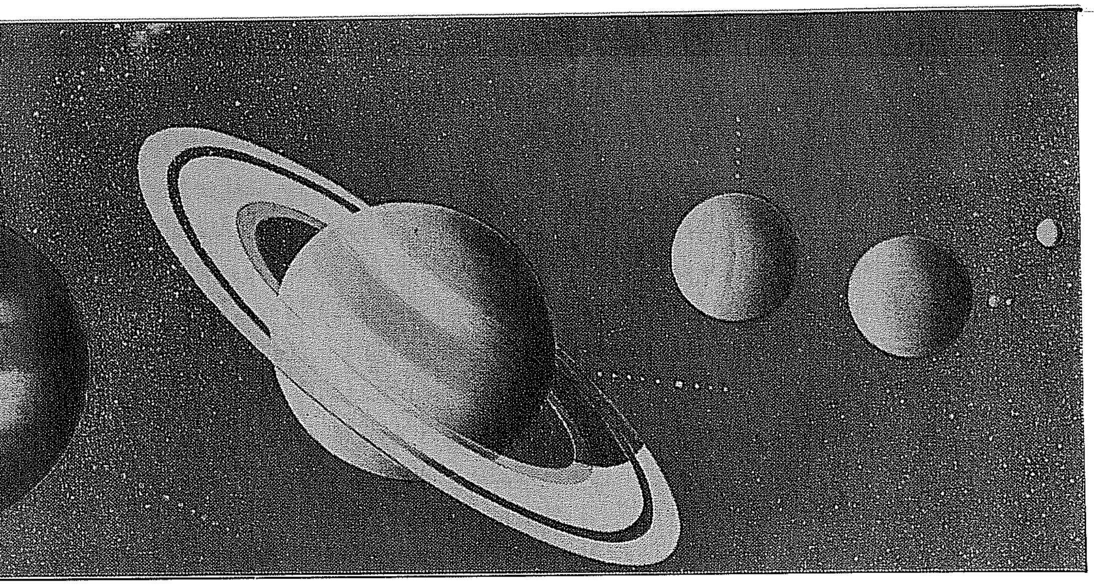
والمسلم الحق يتزوج ، ويبني اسرة ، وينجب اولادا ، ويربيهم تربية صالحة ، ولا يعتكف في صومعة الرهبنة التي هي موقف سلبي من الحياة ، من شأنه ان يهدم الحياة ، ويجتث شجرتها ، والرهبانية مما يناهض واقع الحياة الانسانية وامر لا يطيقه جل البشر ، والاسلام دين يتمشى مع الفطرة السليمة وواقع الحياة ، والمسلم المستنير القوي ما دام قادرا على العمل لا يتوقف عن الزرع والغرس والبناء والتعمير حتى آخر يوم في حياته ، يحفزه الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فليغرسها » رواه احمد .

وبذلك ينفع نفسه واهله ويخدم امته ووطنه ، ويضمن لنفسه مستقبلا كريما في دار الحق والخلود ، فمستقبل الانسان في الحياة الآخرة يصنع ويرسم في الدنيا ، فمن زرع نباتا طيبا ووردا في الدنيا جنى ثمرا حلوا ووردا عطرا في الاخرة ومن زرع نباتا مرا وشوكا حصد المر والشوك في الحياة الاخرى ؛ كما قال الله تعالى :**(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزله/٧ ، ٨ والاسلام الحنيف يأمر بالايمان بالقضاء والقدر خيره وشره قال تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة/٥١ وقال عز وجل :**(لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** يونس /٤٩ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « استعن بالله ولا تعجز ، وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم وابن ماجه .

فهذا الايمان الصادق بالقضاء والقدر خيره وشره يجلب لصاحبه السكينة والراحة النفسية ، ولا يجعل نفسه تذهب حسرات على ما يصاب به ، فهو لم يأل جهدا في دفع الخسارة والضرر ، ولكن الحظ خانه ولم يحالفه النجاح ، كما قال حافظ ابراهيم :

لا تلم كفي اذا السيف نبا
صح من العزم والدهر ابى

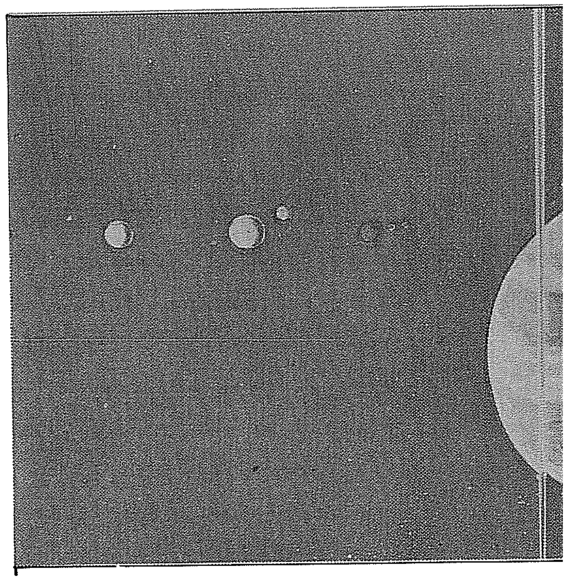
فالمؤمن بالله حقا يعتبر ما يصيبه من يسر او عسر ابتلاء واختبارا لايمانه ، عملا بقوله تعالى : **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)** الانبياء/٣٥ ومما يضاعف صبره



ويقوي عزيمته قوله تعالى : (**واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور**) لقمان/ ١٧ .

واعتقاد المسلم ان الارزاق والاعناق بيد الله وحده ، يجعله شجاعا حرا ، لا يخاف بشرا في سبيل قول الحق واتباع طريقه ، ويدفعه الى الجهاد بماله ونفسه في سبيل الله ، غير مبال بالاذى والموت ، وان وقع في ضنك ومأزق وجدته يعمل لدحره صابرا متفائلا املا في انقشاع الغمة امله في انبلاج فجر مشرق من ظلمات ليل حالك ، ويضيء نفسه بأنوار الامل والرجاء قوله تعالى : (**واصبروا ان الله مع الصابرين**) الانفال/ ٤٦ وقوله جل شأنه : (**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) يوسف/ ٨٧ .

واذا فاتته فرصة لم يقلق ولم يتحسر معتبرا ذهابها خيرا له ، يحفزه الى ذلك قوله تعالى : (**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**) البقرة/ ٢١٦ على ان ذلك لا يعلم المسلم الاهمال والتواكل في اعتماد اسباب النجاح ، واتخاذ طرق الوقاية والعلاج انما يعلمه التوكل على الله ، والاعتماد عليه في النتائج والعواقب والثمار ، فعليه ان يعتمد على نفسه ، ويستعين بالله في السعي والزرع ، ويعتمد على الله ويثق به في حصاد الغلة وجني الثمر ونجاح المسعى متسلحا بقوله تعالى : (**حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**) التوبة/ ١٢٩ وبقوله عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » رواه الترمذي .



والاسلام دين الفطرة السليمة ، فهو يساير واقع الحياة البشرية ويلبي مطالب الانسان الطبيعية ويهذبها وينظمها دون ان يكبتها ويخنقها فالانسان مثلا يخطىء وينسى بطبعه وطبيعته ، فالاسلام يراعي ذلك ولا يعاقبه على النسيان والخطأ العفوي ، كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه الطبراني وفي الاسلام يحاسب الانسان كبشر يخطىء ويصيب ، فليس عيبا ان يخطىء المرء ولكن العيب ان يتمسك بخطئه ، والا يتعلم منه ، لذلك يعتبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ويبقى باب التوبة مفتوحا ، قال الله تعالى : (**ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم**) النحل/ ١١٩ .

والاسلام الحنيف لا يقتل غريزة الجنس بالرهبنة والعزوبية بل يشبعها اشباعا مهذبا منظما بالزواج ولا يسمح لها بالارتواء بالزنى الذي هو فوضى وابحاية وظاهرة حيوانية لان الحيوان لا يعرف الزواج ويحرم الاسلام الزنى لانه يؤدي الى اختلاط الانساب وانجاب اللقطاء فضلا عن ذهاب الشرف والفضيلة قال تعالى : (**ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/ ٣٢ وليس الهدف من الزواج في الاسلام اشباع الغريزة الجنسية فحسب ، انما الهدف اسمى واجل من ذلك ، الا وهو السكن والاستقرار وبناء الاسرة وانجاب البنين ، وحفظ الفرج ، ومنع الفاحشة ، قال تعالى : (**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

ويشهد واقع الحياة الانسانية بان الرجل اصلب عودا واخشن ملمسا ، واقدر على النهوض بالاعمال الشاقة ، واطول نفسا واكثر صبرا في مجال السعي والعمل والجهاد من المرأة كما انه اوسع افقا واعمق فكرا ، وأدق ملاحظة ، وأبعد نظرا ، واقل عاطفة منها ، وذلك يعني ان الرجل يمتاز بتكوينه الجسماني والنفسي والعقلي على المرأة ، ولا ادل على ذلك من انه لا يوجد بين الانبياء والرسل ، والفلاسفة وعمالقة الفكر ، وبناة الدول وصانعي الثورات الانسانية

امرأة واحدة ، وهي ادوار تتطلب صلابة عود ، وقوة نفس ووفرة صبر وطول نفس ورجاحة عقل قد يقول قائل : إن ما تمتع به الرجل من حرية وانطلاق عبر حياته جعلت الـرجل يتفوق على المرأة في هذه الميادين مع ان المرأة كانت محرومة من ذلك ، فيقال له : ان الله تعالى خلق آدم وحواء وهما والدا البشر جميعا ووضعهما في مكان واحد وجو واحد فبادر آدم الى تولي امر حواء وقيادتها وربوبة الاسرة لأنه اقوى منها جسما ونفسا وعقلا بفطرته وطبيعته لذلك جعل الله للرجل حق القوامة على المرأة وقيـادة سفينة الحياة ، فقال تعالى : (**الرجـال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**) النساء/ ٣٤ . ولما كان الرجل اقـدر على السعي وكسب الرزق ، واوسع حيلة واطول باعا في ميدان الكفاح والجهاد من المرأة ، فقد كلفه الله بالانفاق على الاسرة وجعل نصيبه في الميراث مثل نصيب امرأتين اثنتين ، وفي ذلك قال الله تعالى : (**يوصيكم الله في اولادكم للـذكـر مثـل حظ الانثيـين**) النساء/ ١١ . وكذلك يتميز الرجل على المرأة بانه ادق ملاحظة واقل عاطفة وميلا مع الهوى منها ، لذلك جعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وفي الاسلام الحنيف الضرورات تبيح المحظـورات ومن هذه الضـرورات السماح للرجل بان يتزوج باكثر من امرأة واحدة في آن واحد ، اذا كانت زوجته الاولى عاقـرا لا تنجب او مريضة مرضا يعيقهـا عن القيام بواجباتها الزوجية او اذا كان الزوج لا يقنع بحليلة واحدة فخير له ان يتزوج بثانية من ان يتخذ له صـديقات عشيقات وان يتزوج الرجل على زوجته العقيم امرأة ثانية خير لها من ان يطلقها فتصاب بالعقم والطلاق ، وقد يضطرها الطلاق الى الانحراف وهناك ظروف اجتماعيـة انسانيـة تتطلب احيانا تعدد الزوجات كأن يكون هناك زيادة في عدد الاناث على عدد الذكور فهذه المشكلة لا يمكن حلها عن طريق التصدير للخارج كما هو الحال في التجارة والبيع والشراء ولكن يمكن حلها بالزواج بأكثر من واحدة اما ما ينشأ احيانا من مشاكل ومتاعب في البيوت التي تجمع اكثر من زوجة واحدة فمصدرها انانية المرأة وقلة عقلها وغيرتها الجامحـة فالـزوجة الثانية ليست غولا يأكل ولا بعبعا يخيف ولكن تصـير عونـا وسنـدا ومؤنسا مسليا للزوجة الاولى في ظل التضحية والايثار والتفاهم والتسامح اما النسل فيمكن ضبطه والتحكم فيه بوسائل منع الحمل المتعددة المعروفة وعلى الزوجين اذا ارادا العيشة الطيبة الراضية ان يتبادلا المودة والرحمة والمعاملة الكريمة وان يقوم كل منهما بواجبه نحو الآخر كاملا ، والا فخير لهما الانفصال والفراق كما قال الله تعـالى : (**فإمسـاك بمعـروف او تسريح باحسان**) البقرة/ ٢٢٩ .

والانسان له طاقة معنوية ومادية لا يستطيع تجاوزها فاخذ الاسلام ذلك في عين الاعتبار وادخله في الحساب فلا يكلف شخصا ما لا يستطيع قوله او

فعله ، قال تعالى : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/ ٢٨٦ وقال حكماء العرب : « سل ما يستطاع حتى تطاع » .

والانسان مظهر وجوهر ، وشكل وروح ومظهره الجسم وروحه وجوهره العقل والخلق ، ولا ريب في ان قيمة المرء في روحه وجوهره لا في شكله ومظهره ولا ادل على ذلك من ان العلوم والآداب والفنون والحضارة والمدنية من ثمرات العقل والخلق والروح ، لا من نتاج المظهر والشكل ، والاسلام الحنيف دين العقل السليم ، والمنطق القويم ، والفطرة السليمة ، يزن الانسان ويقيمه بجوهره وروحه لا بمظهره وشكله ، قال تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » رواه مسلم وابن ماجه .

لذلك حرم الاسلام ـ دين المساواة والاخوة الانسانية والحرية ـ التمييز الطبقي والتعصب العنصري ، فالناس جميعا على اختلاف اجناسهم واشكالهم والوانهم من التراب والى التراب ، وابوهم آدم ، وامهم حواء وليس من العقل ولا العدل في شيء ان يوزن الانسان بشكله ولونه ، اذ لا يد له في خلقه على الصورة التي هو عليها ، سواء كانت جميلة او قبيحة ، فالله تعالى خالق الناس جميعا خلقه هكذا واعطاه الصورة التي يحملها ، اما الاخلاق والاعمال فهي اشياء مكتسبة يصنعها المرء بنفسه ويده ، لذلك كانت هي مقياس التفاضل والتفاوت بين الناس جميعا .

والانسان جسم وعقل وروح وكل واحد منها يحتاج الى رعاية وعناية ، واذا اعطى الانسان كل واحد منها حقه من الرعاية ، ووازن بينها في العناية ، عاش عيشة راضية طيبة فعقل المرء يحتاج الى تنوير وصقل بالافكار النيرة الخيرة والمعاني السامية ونفسه كذلك تحتاج الى تهذيب وتزيين بالايمان بالله ومكارم الاخلاق والفضائل السامية ، كما يحتاج جسمه إلى تنظيف وتهذيب وتزيين وتغذية . والعاقل يعتني بتغذية عقله ونفسه بثمار العلم والأدب ، كما يعتني بتغذية جسمه بالطعام والشراب ، اما الجاهل فانه يهتم بملء بطنه وكساء جسمه ، ويترك عقله فارغا ونفسه خاوية عارية ، فحياة بلا نشاط علمي وادبي واخلاقي اشبه بحياة الحيوان ، فالحيوان لا يعرف من الحياة الا الاكل والشرب والنوم والجنس ، وعلى ذلك يكون الاتجاه المادي والمتجسد في حاجات الجسم المتعددة ظاهرة حيوانية والانسان الواعي المتزن يوازن بين متطلبات جسمه وعقله وروحه ، ولا شكل في ان نظافة الوجه واليد واللسان من نظافة العقل والروح والقلب . لذلك كانت العبرة في جمال الروح والباطن اكثر منها في جمال الشكل والظاهر ، والناس في الاسلام مخابر لا مظاهر قال الله تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣

والمرء لا يكون قويا فعالا وطيبا مثمرا ما لم يكن متمتعا بالصحة والعافية والعقل السليم المستنير، والخلق الكريم، وتوفر الصحة والعافية يتطلب اعتدالا في الاكل والشرب والجهد وراحة البال، قال تعالى: (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**) الاعراف/٣١ ولا يستنير العقل الا بالتأمل والتزود بالعلم والادب والتقوى قال تعالى: (**وقل رب زدني علما**) طه/١١٤ وقال رسوله الكريم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البهيقي ولا يكرم الخلق ولا يستقيم السلوك الا بالايمان بالله وتقوى الله، لذلك امر الله الناس ان يؤمنوا به، ويتخلقوا باخلاقه، ويتزودوا بتقواه، قال جل شأنه: (**وتزودوا فان خير الزاد التقوى**) البقرة/١٩٧ وقال رسول الله محمد صلوات الله عليه وسلامه: « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » رواه الحاكم وقال: « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ». رواه احمد.

وهكذا يتناول الاسلام الحنيف العقل والنفس والجسم بالتغذية والرعاية والتهذيب والتزيين، فهي متكاملة في وجود الانسان الصالح المثمر، فالجسم السليم يلزم للتفكير السليم. والعقل الرشيد والنفس الطيبة المطمئنة والاعصاب الباردة المنضبطة تجلب للجسم الصحة والعافية والسلامة والامان وجسم المرء يتحرك ويسير على ضوء عقله وقوة دفع نفسه، والجسم من حياة الانسان بمنزلة الوعاء من السائل الذي فيه، واللباس للجسم كالغلاف للكتاب، وكالورق للشجر، والقشر للفاكهة.

وهكذا نرى المسلم الحق يعتني بعقله ونفسه وجسمه اعتناء متوازنا لانه يعلم علم اليقين انه بالعقل السليم المستنير والخلق الكريم والجسم السليم يعيش حياة آمنة طيبة خالية من المتاعب والآلام والامراض ويحسن استخدام ما في يده من قوى وطاقات، فيستعمل الماء في السقي والشرب، ولا يستخدمه في الاتلاف والضرر، ويطلق لسانه في الحكمة والموعظة الحسنة لا في الشتيمة والوشاية والنميمة، ويضع يده في البناء والتعمير بدلا من استخدامها في الهدم والتخريب، ويستغل الطاقة الذرية في السلم والعمران لا في الحرب والخراب، ولا يصير الانسان صالحا مثمرا الا بالتزود بالعلم النافع، والايمان الصادق بالله، ومكارم الاخلاق، فإذا تجرد المرء من الافكار الخيرة الانسانية والمثل العليا والقيم الروحية صار حيوانا مؤذيا سافلا ولا شيء يجعل تفكير الانسان انسانيا خيرا، وخلقه كريما، وسلوكه قويما كالايمان بالله وتقوى الله، والمؤمن المستنير يدرك ان الحياة الانسانية الكريمة لا تكون بملء البطن وحده، بل بملء العقل والنفس والمعدة، فجوع النفس والعقل كافر كجوع البطن، والفقر والافلاس في العقل والنفس شر من الفقر والافلاس في المال، وقتلى الثعابين والوحوش

البشرية اكثر من قتلى الافاعي والوحوش الحيوانية ، وصلع النفس وعريها اقبح من صلع الرأس وعري الجسم ، وضحايا الامراض النفسية والاخلاقية اكثر من ضحايا الامراض الجسمية ، وهكذا يكون المرء الصالح المثمر بالتوازن بين العقل والنفس والجسم ، وتكون الحياة الطيبة الكريمة بالتعادل بين القيم المادية والروحية .

والاسلام الحنيف يوائم بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فهو ينمي المصلحة الخاصة في حقل المصلحة العامة ، ويرعاها في ظل المجتمع ، وان حصل تعارض بينهما فأولوية المرور للمصلحة العامة ، فالصالح العام فوق الصالح الخاص ، والحكمة في ذلك ان سلامة المواطن من سلامة الوطن ، والعلاقة بينهما كعلاقة الجزء بالكل ، والفرع بالاصل والغصن بامه الشجرة ، والمسلم الحق يستضيء ويسترشد في حياته وبناء كيانه بنور مصلحة الامة والوطن ، لأن سلامته وحياته من سلامة أمته وحياة وطنه ، وفي ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أراد ان يفرق امر هذه الامة فاقتلوه » رواه مسلم والنسائي ويقول الحكماء : يد الله مع الجماعة ومن الخير للفرد والمجتمع ان يكون للمواطن حرية محدودة منظمة ، وان لا يكون له مطلق الحرية والتصرف في حياته الخاصة والعامة ، والا يفعل كل ما يخطر على باله وتحدثه به نفسه فالمرء تعن له خواطر حسنة وسيئة ، ونفس الانسان أمارة بالسوء بطبعها وفطرتها ، فاذا ما أطلق العنان لخواطره ورغباته ، وجرى مع أهواء نفسه الأمارة بالسوء آل الى ما تئول اليه سيارة تنطلق بسرعة فائقة بلا فرامل تكبح جماحها وتمسكها عند اللزوم ، وبذلك يضر نفسه وغيره ، والانسان يطغي ويتسلط اذا ما استغنى وتحرر من قيد المصلحة العامة ، قال الله تعالى : (**ان الانسان ليطغي . ان رآه استغنى**) العلق/٦ ، ٧ .

وهكذا في المجتمع الاسلامي تنمو المصلحة الخاصة وتثمر في ظل المصلحة العامة ، فلا يسمح لاحدهما بابتلاع الاخرى ، فلا رأسمال مستقل محتكر ، ولا فرد ذائب في الجماعة ، انما مصلحة خاصة تستمد وجودها من المصلحة العامة ، ومواطن يستقي حياته الحرة الكريمة من حياة وطنه كما يستمد الغصن حياته من امه الشجرة ، وفي ذلك اشباع لطموح الفرد الشخصي ، ومراعاة للفروق الفردية الطبيعية بين المواطنين ، وذلك ما تقتضيه الفطرة السليمة وواقع الحياة .

وذلك يعني ان الحرية المطلقة اللامحدودة ضارة بالفرد والمجتمع ، بينما الحرية المحدودة المنظمة تنفع المواطن والوطن .

ومن الحرية المهذبة التي يرعاها الإسلام الحنيف حرية الرأي والكلمة وقول الحق وحرية النقد الهادف البناء فبحرية الكلمة والنقد الايجابي يظهر الحق والصواب من الباطل والخطأ ،

وتسطع الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويشخص الداء ويوصف الدواء ، على ان حرية القول لا تعني اباحة الشتيمة والسباب وطول اللسان ، ولا ادل على حرية القول والنقد البناء في المجتمع الاسلامي من تلك الانتقادات التي وجهها بعض المسلمين الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عملا بقوله صلوات الله عليه وسلامه : « الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه » رواه الترمذي وابن ماجه وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي وقال تعالى : **(ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)** البقرة/٢٨٣ .

وقال عمر بن الخطاب لامرأة نبهته الى خطأ وقع فيه سهوا : « اصابت امرأة واخطأ عمر » . وكان رضي الله عنه يقول : « رحم الله انسانا اهدى الينا عيوبنا » .

ولا ريب في أن المرء الذي يكشف لغيره خطأه وعيبه انما يريد له الاهتداء والخير ، فهو كالطبيب الذي يشخص للمريض مرضه ليداويه ، اما الشخص الذي يرى خطأ واعوجاجا في أخيه ولا يبينه له انما يريد له الضرر ، شأنه في ذلك شأن من يرى في طريق اخيه حفرا ولا يحذره منها ، ولا ينفر من سماع صوت الحق والنقد البناء الا كل جاهل مغرور ، فالعاقل الواعي يفتح سمعه وقلبه لكلمة الحق ، ويرحب بالنقد النزيه الايجابي ، ويشكر صاحبه كما يشكر على الخير والمعروف لأنه يرى فيه نورا وهداية وخيرا ، وكذلك الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه والتعلم منه والرجوع الى الحق حكمة وشجاعة انسانية وفضيلة سامية ، بينما التمسك بالخطأ والتمادي في الباطل حمق وجبن ورذيلة ، والاصرار على الخطأ خطأ آخر يجر الى الفشل والضرر ، ومن حاسب نفسه اهتدى وافلح ، ومن تمادى في خطئه ضل وخاب .

ومن الحريات الانسانية التي يرعاها الاسلام الحنيف حرية التدين ، فهو يدعو الناس الى الدخول فيه بالحكمة والموعظة الحسنة والاقتناع والحب والرفق ، قال الله تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن)** النحل/١٢٥ ولا يرغم احدا على اعتناقه والايمان به ، قال تعالى : **(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة/٢٥٦ وقال جل شأنه : **(فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر)** الغاشية/٢١ ، ٢٢ والحكمة في ذلك انه لا ينفع الاسلام شخص يدخله مكرها مرغما ، ولا يلبث ان يخرج منه حين تزول القوة التي اكرهته على الدخول فيه ، لذلك لا يجوز الاكراه في الدين ، كما انه لا يجوز الاكراه في الزواج .

والاسلام الحنيف دين العلم النافع والحرية الانسانية ، يأخذ بيد اهل الفكر والعلم ، ويحفزهم على البحث والانتاج والابداع في رحاب الايمان بالله ، ويدل على ذلك قوله

تعالى : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والــذين أوتــوا العلم درجــات**) المجادلة/ ١١ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ، ولا أدل على رعاية الاسلام للعلم والفكر من الحضــارة الاســلاميــة شمس العصور الوسطى ومطلع الحضارة الاوروبية المعاصرة .

والامة الحرة الكريمة العزيزة هي الامة التي يتمتع افرادها بــالعزة والكرامة وحرية القول والعمل ، اما الامة التي تهدر فيها كرامة المواطن ، وتسلب حياته الحرة الكريمة ، فلا تكون حرة كريمة قوية فكرامة الامة من كرامة افرادها ، وكرامة الفرد من كرامة امته . ولا يعلى شأن الوطن ولا يحميه الا مواطنون احرار اعزاء ، والمواطن الذي تهون عليه كرامة نفسه وحريته الشخصية تهون عليه كرامة وطنه وحرية امته ، لذلك رأينا الاسلام الحنيف يبــدأ اول ما يبــدأ ببناء الانسان فكريــا وعقائــديا وروحيــا وجسميا وماديا ، فيحرره اولا من استعباد نفسه له ، حتى لا ينقاد لأهوائها وشهواتها ، واذا ما تحرر المرء من سلطان نفســه تحرر من سلطان غيره ، فلا يعود يخضع الا لله تعــالى الذي بيــده وحــده الارزاق والاعمار ، والنفع والضر .

والاسلام الحنيف يساوي بــين المسلمين ولا يميز بينهم الا على اساس من العلم والتقــوى ، قــال تبــارك وتعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمــون والــذين لا يعلمــون**) الزمر/ ٩ وقال : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ . ومــراكز القيادة والمسئولية ورئاسة الدولــة مصلحة عامة يحق لكل مسلم كفء صالح أن يمنح فرصة الوصول إليها ، فالمصلحة العامة تتطلب أن يقــود سفينة الأمة أصلحهم وأكفؤهم علما وخلقا ، وأن يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، وأن تسند الأمور إلى أهلها ، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو ارضى لله منــه فقد خــان الله ورســولــه والمــؤمنــين » رواه الحــاكم وروى البخاري انه صلوات الله وسلامه عليه قال : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » قيل يا رسول الله وما تضييع الامانة ؟ قال : ان يوسد الامر الى غير اهله » هذا الكــون بما فيــه من مخلوقات وثروات وخيرات ملك لله تعالى خالقه ، والأموال التي في ايدي الناس هي في الحقيقة والواقع لله تبارك وتعالى ولا ادل على ذلك من ان الناس يموتون عنها ويتركونها ، فهي ودائع لدى الناس ، وعارية مستردة ، والناس وكلاء الله فيها . ولا بد يوما ان ترد الودائع والعواري الى صاحبها الحقيقي .

وهكذا يجد الانسان في الاسلام الحنيف الصحيــح حقيقة الــوجود الكبرى الخالدة ومنبع نهر الحياة ومصبها ، ومفتاح لغز الحياة والموت ، وما ينشد من حياة حرة كريمة ، وسعادة وارفة ، في الدنيا والآخرة .

تحيّة للهجرة في عامها الجديد

قديم ولكــــن في القلوب جديد ... ومجد لنا في العالمــين تليد
ويوم ولكـــن قل في الدهر مثله ... وعيد على مر الزمان سعيد
وذكــــرى ، الى كل النفوس حبيبة ... وحب الورى للصالحات ، أكيد !
أهيم بها حبا ، وعندي لوعة ... وربى على حبي لها ، لشهيد !

★★★

وفي كل عام كالعروس ، تزورنا ... ومن سحرها غارت لعمري غيد
شذا عرفها الفواح تشكــو مغيظة ... أزاهير منه في الربى وورود !
سقى الله أرضا سار فوق أديمها ... نبى الهدى والخطو منه سديد

★★★

وفي هجرة الهادى دروس عظيمة ... ودرس الفدا في التضحيات فريد
فما اشجع المختار يهزأ بالقوى ... قوى الشر تغشى داره وحشود !
ويقتحم الأخطار لا بل يدوسها ... كما داس أعواد الهشيم وليد !
وطاشت سهام المعتدين وصبحهم ... نكــــاد وخزى الأخرين شديد !
وإن عواء الذئب في الغاب واهن ... وزأرة ليث في العرين رعود !
اذا ما رآه الذئب يقدم شامخا ... تهالك مذعورا وفر يحيد !

للاستاذ/محمود ابراهيم طيرة

فاذ رام أهل الشرك قتل محمد فان إله العرش عنه ، يذود
مقام رفيع لا ينال وكوكب سما في الأعالي ما إليه صعود
فداء النبي نفسي ــ ونفسي عزيزة ــ وكـــل محب بالعزيز يجود !

★★★

وإن عليا في الوفاء وفي الفدا مثال على ليس منه عديد
ومن واجه المـــوت الزؤام نيابة عن المصطفى ، رمز الفدا ويزيد !
ومن مثل سيف الله، في العلم والحجى ودر على في البيان نضيد !!

★★★

ويا غار ثور ــ إن حظك وافر وحسبك ــ يا طوق النجاة ــ خلود !
شرفت بإيواء النبي ، محمد وصاحبه حينا ، فأنت سعيد !
وكـم هي ساعات من الدهر حلوة يفوز بها من دهره ويفيد !
وفي حل سر الغار عقلي حائر وكـم حار في حل الرموز رشيد !!
وآيات ربي فيه كانت وفيرة سلوا الغار عنها إنه لشهيد
فان كان عند الناس غار فانه لدى الله حصن للنجاة عتيد !

★★★

فيا هجرة المختار ألف تحية واهداءها شعرا اليك أريد
لقد كنت للاسلام أول نصرة وللشرك ــ يعتو ــ دولة وجنود !
فليس عجيبا أن تنالى مكانة ومن رامها بالخزى سوف يعود !
وقد أعلن الاسلام أنك مبدأ لتاريخه عبر الزمان ، مجيد !
فيا دورة الدنيا ــ قفي بتأدب لذكـــرى بها ظل الأنام يشيد !!

الأسرة والزواج في الإسلام

للاستاذة/ فتحية محمد توفيق

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر ، تترابط فيما بينها بمبادى وقوانين وأعراف وتقاليد ، تتفاوت آثارها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات المعرفة والثقافة ، وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء وكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الصحيحة كلما كان المجتمع قويا ، واللبنة الأولى في بناء أي مجتمع ، هي الاسرة فاذا كانت هذه اللبنة مفككة منهارة ، فلا بد أن يكون المجتمع مفككا منهارا .

واذا كانت هذه الاسـرة صلبة متماسكة ، فلا بد أن يكون المجتمع المتكون منها صلبا متماسكا كذلك .

ولما كان الاسلام الحنيف ، يعمل على تكوين المجتمع الاسلامي القوي ، فقد حرص على تدعيم اللبنة الاولى في البنيان الاجتماعي ، وهي الاسرة .

وعمل على اسعادها وتقويتها .

وفي هذا الصدد جاء بالمبادى والقوانين التي تعمل على احكام العلاقات والروابط داخل الاسرة . وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار ، وأوجب على المجتمع ان ينفذ هذه المبادى والقوانين .

قال الله تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) التوبة/ ٧١ .

ففي مجال العلاقة بين الزوجين يحرص الاسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون .

ولهذا كان الزواج في الاسلام ، مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيها الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصالح مشتركة بين الطرفين .

وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين ، هو توفير وضع اجتماعي ، يتمتع فيه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وإرضاء النزعات الطبيعية للانسان ، بصورة كريمة مستقرة .

كما يرضيان الغريزة الوالدية التي تتطلع دائما الى الاولاد ، وتدفع الى العناية وتوفير اسباب النمو والازدهار لهم .

وبالنسبة للاولاد فالاسرة « الزوج والزوجة » البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلي والجسمي ، والرقي ، والوعي الثقافي . ولا شك ان اوضاع الاسرة الاسلامية ، قد أخذت الطابع الاصيل الذي يجعلها خير وسيلة لاغراض الاسرة ومهمتها في المجتمع .

ولهذا كان الزواج في الاسلام (**ميثاقا غليظا**) وعهدا متينا ، ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا .

قال الله سبحانه وتعالى : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**) النساء/ ٢٠ و ٢١ .

والذي يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التي وردت فيها ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانها في التعبير القرآني الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه واحكامه .

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة « ميثاق » وقد جاءت في شأن الزواج أن يدرك المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها . (الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص ١٣٦ مطبعة الأزهر) .

قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

وهذا الميثاق الذي ربط الله به بين الزوجين ، أقيم على ركائز : من التعارف ، والمودة ، والرحمة ، والعفة والكرامة ، والصيانة .

وهذا هو الزواج الانساني في وضعه الصحيح من وجهة الأفراد ، ومن وجهة المجتمع .

فهو استقرار وسكن نفساني من وجهة الأفراد . وواجب اجتماعي من وجهة المجتمع .

وسبيل مودة ورحمة بين الرجل والمرأة .

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة ، أنها علاقة « سكن » تستريح فيها النفوس الى النفوس ، وتتصل بها المودة ، والرحمة ، والمشاركة ، القلبية والوجدانية .

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النفس الانسانية واستزادة ثروتها من الرحم ، والرحمة ، ومن العطف والسمو ، ومن مساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الاحساس ، وتنوع القدرة على الايناس والحب ، ولهذه الركائز ، راعي الاسلام ان تؤسس الاسرة منذ البداية على الرغبة والرضا والاختيار . (سماحة الاسلام للدكتور الحوفي ص ٢٥ ط المجلس بالقاهرة) .

فوضع عناصر أصيلة لبناء الاسرة السليمة وتكاملها في المجتمع الاسلامي ، وهذه العناصر إذا روعيت ، كانت قوة للاسرة الاسلامية ، وتدعيما ونجاحا . ووصلت الاسرة المسلمة الى ذروة ما قدر من الاستقرار والأمن .

وهذه العناصر نجدها في الترغيب في الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها . وحقوق الزوج على زوجته ومكانة الزوج في الاسلام بالنسبة لزوجته . والحقوق المشتركة بين الزوجين . وعلاج ما يحدث بين الزوجين من خلاف . وسنتناول كل عنصر بكلمة خاصة نتبين من خلالها مزايا الاسلام وتشريعه الخالد ، في حفظ الأسرة ، ووضع المرأة في مكانها اللائق بها ، حتى لا تتعرض للابتذال والارتخاص والميوعة ، والانحلال وحتى لا تكون في وضع الطريد .

الترغيب في الزواج : قال الله تعالى : (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**) الرعد/٣٨ .

قال ابن كثير في التعليق على هذه الآية : يقول الله : « وكما ارسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ، ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية » (تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١ ط الحلبي) .

وقال تعالى : (**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**) النساء/٣ .

وقال تعالى : (**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**) النور/٣٢ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : إما انا فاني اصلي الليل ابدا .

وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا افطر .

وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له ، ولكني اصوم وافطر ، واصلي وأرقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان والنسائي .

وعن أيوب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » رواه احمد والترمذي .

وعن انس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه احمد والنسائي والحاكم والبيهقي .

والاسلام بهذه النصوص الصريحة ، يعرب في وضوح عن دعوته الى الزواج والترغيب فيه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عن طريق زواج شرعي وعقد صحيح تترتب عليه التزامات من كلا الطرفين .

والاسلام الحنيف بهذا الادب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد الى مراقي الاطمئنان ، إذ الاسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية لأنه لا يريد ان تشيع في المجتمع الانساني ، اذ بانتشارها تختلط الانساب من جانب وتضيع الالتزامات الشرعية التي على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر .

والمجتمع حينئذ لا يستطيع ان يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء المجهولين .

ومن هذا يتضح أن الاسلام ينظر الى المجتمع الاسلامي ، نظرة انسانية فيها من الشرف ، والكرامة ، والاباء ، والشمم ، ما يملأ الجوانب أمنا وطمأنينة .

ينظر الاسلام الى المجتمع على انه وحدة متفاعلة متجاوبة متعاونة على أساس من الدين والخلق والمودة .

وليس المجتمع في نظر الاسلام مركبا تركيبا ماديا صرفا . بل هناك من القيم الانسانية الهادفة ما هو كفيل بسعادة المجتمع .

وان اهداف الزواج في الاسلام نجدها :

اولا : في بقاء النوع الانساني وتقوية الروابط في المجتمع .

ثانيا : في التسامي بالغريزة النوعية .

ثالثا : في تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية الأولاد .

رابعا : في الاستقرار النفسي والشعور بالتجاوب العاطفي .

والواقع أن بقاء النوع الانساني ،

وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع الاسلامي من أهم أهداف الزواج في شريعة الاسلام ..

قال الله تعالى : (**وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا**) الفرقان/ ٥٤ .

وقال تعالى : (**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان/ ٧٤ .

يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له . (تفسير ابن كثير الجزء الثالث ص ١٢٨) .

وقال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) النساء/١ .

وقال تعالى : (**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات**) النحل/٧٢ .

يذكر الله تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم ، وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ، ما حصل الائتلاف ، والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته ، خلق من بني آدم ذكورا واناثا ، وجعل الاناث ازواجا للذكور ، ثم ذكر الله تعالى انه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم اولاد البنين . (تفسير ابن كثير الجزء الثاني ص ٥٧٧) .

قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وقال ابن جبير عن ابن عباس : « بنين وحفدة » هم الولد وولد الولد . وقال ايضا عن عكرمة : بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . (المرجع السابق نفس الجزء والصفحة) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله اصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وانها لا تلد أفأتزوجها ؟ قال : لا . ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه .

فالاسلام الحنيف يحافظ على بقاء النوع الانساني ويدعو الى التزاوج القائم على روابط الاخلاص والمودة ليكثر النسل في ظل الاسلام ، ويعم الخير الانسانية كلها .

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثاني من أهداف الزواج في الاسلام ، فنرى أن المجتمع الطبيعي ، هو الذي يقوم على أساس من الفطرة ، ويدرك أحكامها ومقتضياتها .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا ان المجتمع الطبيعي هو الذي يطلق لنفسه العنان ، فلا يتقيد بقيد ، ولا يحاول ان يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى ان يكون لها من شطط ، لا ينبغي ان يفهم هذا ، لأن الاسترسال في وضع من الاوضاع دون كبح او تهذيب ، لا بد ان يعكس هذا الوضع في النهاية .

فكان لا بد من تهذيب الغرائز ،

والتسامي بها حتى لا تندفع ، والغرائز من طبيعتها تأبى ان تقاوم او تكبت ، ويفرض عليها مالا يلائمها . فكان لا بد في الاسلام من تهذيبها والسمو بها . بل لعل ذلك من مزايا الاسلام اذ انه يدرك هذه الامور حق الادراك ، ولهذا كان من اهداف الزواج في الاسلام التسامي بالغريزة النوعية ، قال الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين**)المؤمنون/ ٥ و ٦ .

دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة امور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين ، وانه من الملومين ومن العادين ، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم .

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ، وقد أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض ابصارهم ، وحفظ فروجهم ، وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فإن الحوادث مبدؤها من النظر ، كما ان معظم النار من مستصغر الشرر . (تفسير القاسمي : ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

ولله در القائل :

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ويقول القاسمي : تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ثم خطوة ، ثم خطيئة ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة احرز دينه : **اللحظات ، والنظرات واللفظات ، والخطوات** . فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغرها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيرا . (تفسير القاسمي ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

وعن عبد الله رضي الله عنه : قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه .

وعن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » رواه الترمذي والنسائي والحاكم .

وعن انس رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني في الاوسط ، والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وفي رواية البيهقي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي » .

ومن أجل التسامي بالغريزة ، حرم الاسلام ، جلوس الناس في الطرقات تفاديا من ان يمتد نظر الجالس الى الاجنبيات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والجلوس على الطرقات » فقالوا : ما لنا بد هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « فاذا أبيتم إلا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر وكف الاذى ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر » متفق عليه .

ومن اجل التسامي بالغريزة . حرم الاسلام الخلوة بالمرأة الاجنبية ، لما يترتب على الاختلاط بها من تحريك نزغات الشيطان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي محرم » رواه البخاري .

ومن أجل التسامي ايضا نهى الاسلام عن سفر المرأة وحدها ، او مع غير ذي محرم منها ، وذلك خوفا على عفافها وكرامتها ، وصيانة لها ، قال رجل : يا رسول الله اني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج . فقال صلى الله عليه وسلم : « أخرج معها » رواه البخاري .

فيا حبذا لو اننا تتبعنا أسرار التشريع الاسلامي . واتبعنا تلك الارشادات وتمسكنا بأدب الاسلام وسلكنا طريق الحق .

اننا ان فعلنا ذلك ، تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير .

ومن أهداف الزواج في الاسلام ، تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية البنين والبنات . قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم/٦ .

قال ابن عباس في معنى الاية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ..

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وان تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به ، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها . وذكر القشيري ، ان عمر رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : يا رسول الله نقي أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا .

فقال تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله ..

وقال مقاتل : ذلك حق عليه في نفسه ، وولده ، وأهله فعلينا تعليم أولادنا ، وأهلينا : الدين ، والخير ، وما لا يستغنى عنه من الأدب . قال تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك**) البقرة/٢٣٣ .

وعن ابن عمر رضي الله عنه ، عن

النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كلكم راع ، فمسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه .

وعن ايوب بن موسى ، عن ابيه ، عن جده رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وابو داوود والحاكم .

والطريق الأمثل في هذه التربية ، هو تقديم القدوة الصالحة من جانب الأم والأب .. ثم الأخذ في تعليم الدين بالطرق التي تلائم مراحل حياة الناشئين وتعتمد في اداء مهمتها على الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والقصص الديني وحياة أبطال شباب الاسلام ..

قال الله تعالى : (**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**) النحل/ ٧٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

فنفس الطفل في بدء الأمر قابلة لأن تنقش فيها الأخلاق الكريمة ، ومثلها كمثل المرآة المصقولة ، تنطبع فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها .

وبعبارة أخرى قد تكون أقرب : نفس الطفل ، كالصحيفة البيضاء للمربي يمكن أن ينقش فيها ما يشاء ..

قال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا
كالعود يسقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذي ابصرت من يبسه

ولهذا كانت الحياة الزوجية ، حقلا تربويا خصبا ، لتخريج الأجيال الناشئة وهي أقدر على أداء الرسالة الاسلامية ، وافادة المجتمع ، بما يضمن الأمن والاطمئنان .

وننتقل بالقارى المسلم ، والقارئة المسلمة ، الى هدف آخر من اهداف الزواج في الاسلام ..

وهذا الهدف هو الاستقرار النفسي ، والتجاوب العاطفي ، ويعد هذا الهدف اساس الحياة الكريمة والمودة والرحمة والاخلاص ..

ويشير الى هذا القرآن الكريم ، دستور الامة الاسلامية في قوله تعالى في سورة الروم :

(**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)الروم/ ٢١

فالله سبحانه وتعالى يرشد الانسانية الى ما فيه سعادتها في الحياة ..فيضع لها اركان الحياة الزوجية في آية (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم**

أزواجا) .

والركن الاول : السكون النفسي ، وهذا الركن خاص بالزوج والزوجة . وهو تعبير بليغ عن شعور الاطمئنان والامن والراحة والصفاء .

والركن الثاني : المودة ، والتي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين واسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التي لا تكمل للانسان ، الا بعواطف الامومة والابوة ، ورحمتهما لاولادهما ..

فيكون لكل البشر ، أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة .. وتستقر العاطفة في بيت الاسرة ، ويتم سكون كل من الزوجين إلى الآخر ، اذا تبادلا معا ما يعين على هذا السكون ، حيث يعامل الزوج زوجته بالحسنى ويعاشرها بالمعروف ..

وتعاونه هي على أمور الحياة ، وتتوافق معه في رأيه ، وتراقبه في غيبته ، وتدفعه الى صالح الاعمال ، وتحقيق الآمال ..

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيرا له من زوجة صالحة . إن امرها اطاعته وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربع من أعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها وماله » رواه الطبراني والبيهقي .

فمن هذه النصوص العظيمة نرى أن مفاهيم الزواج في الاسلام لا تدانيها مفاهيم في اقامة الاسرة وتدعيم بنيانها .. فليس الزواج في الاسلام الحنيف علاقة جسدية وليس الزواج في الاسلام صفقة تجارية ..

وليس الزواج في الاسلام ، جواز مرور ، يحمله الانسان حين يروم ارضاء ما به ..

وليس الزواج في الاسلام ، علاقة تلجى اليها الضرورة الوقتية وانما الزواج في الاسلام ، علاقة انسانية ، دائمة تلتقي فيها انسانية انسان ، بانسانية انسانة .

علاقة بشرية ، تجمع بين النفسية والجسدية ، لتتواءم مع طبيعة الانسان ..

والزواج من هنا : كان شركة بين هذين الانسانين ، بل بين هاتين الانسانيتين .

رأس مال هذه الشركة : الحب ، والوفاء ، والإيثار ، والرعاية ، والصيانة ، والعفة ، والصدق ، والثقة ..

وهدف هذه الشركة : السكون النفسي ، والاستقرار العاطفي ، وقيام كل منهما بواجب المسؤولية ، الأسرية والاجتماعية التي ناطتها الطبيعة والشريعة بكل منهما .

وشعار هذه الشركة : التعاون في سبيل التربية الصادقة ، والعمل لخيري الدنيا والآخرة ، ومعاونة الأمة الاسلامية في تقدمها وفلاحها ...

قصة قصيرة

المخرج

للدكتور/ عبد الحي الفرماوي

وعاد الجيش واستقبله الناس على أبواب المدينة والكل يشترك في الاهتمام بخبر واحد ، وهو نجاة النبي صلى الله عليه وسلم وعودته سالما وينفرد كل منهم بعد ذلك باهتماماته الخاصة .

فالأم : تبحث عن ابنها وتستقبله .

والأخت : تبحث عن أخيها وتستقبله .

والزوجة : تبحث عن زوجها وتستقبله .

والابنة : تبحث عن أبيها وتستقبله .

ومع القادمين : تصل الأخبار وتأتي الأنباء عن سير المعركة ونتائجها والذين استشهدوا والذين أسروا والغنائم والخسائر .. الخ .

والكل فرح بعودة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سالما منتصرا في معركته وفي عودته .

والكل يهنيء من فازوا بالنصر ورفعوا راية هذه الدعوة الجديدة التى تحمل للناس النور والسلام وتحارب الجهل والاستبداد والاستعباد .

والكل يهنيء ـ كذلك ـ أهل من فازوا بالشهادة وهم يتلون قوله تعالى : **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)** .

وفريق واحد من الناس : هو الذي كانت وجوهه تحمل معنى الأسى والحيرة والقلق على مصير أبنائهم وهم أهل الأسرى .

وكان من بين من أسروا : سالم بن عوف بن مالك الأشجعي .

* * * * *

وتجمع كثير من الناس في بيت عوف ابن مالك ، الرجال يطمئنون عوفا ويتباحثون معه في احتمالات عودة سالم ، وكيفيتها ، ويذهبون عنه الخوف من بعض الخواطر التى تنتاب الأب في مثل هذه الاحوال .

والنساء مع أم سالم يواسينها ويهدئن من روعها ويخففن عنها من آلام الثكل الذي بدأت تحسه ويبثثن في نفسها الثقة بعودة سالم مرة ثانية ، اذ لا خوف على الأسرى حيث يتم التبادل بين أسرى الفريقين .

وفي مجلس الرجال : كان الحوار يدور والاحتمالات تطرح ، والتوقعات الحسنة تظهر والكل يشترك في الحديث غير فرد واحد كان صامتا شاردا يبدو أنه كان بعيدا عن كل ما يدور وما يقال وهو عوف بن مالك والذي توجه اليه احد الجالسين بقوله :

لم هذا الصمت الطويل يا عوف ؟

ويجيب عوف على السائل والكلمات تخرج منه بطيئة ثقيلة ، تحمل على اكتافها الاجهاد الذي يعانيه والقلق الذي يشغل باله ، ويبعده عن حوار الجالسين وحديثهم .

فيقول : ماذا أقول ؟

فيقول السائل : أإلي هذا الحد أنت جذع على ابنك ؟

فيقول عوف : انني لجد حزين ، اذ لم تكتب لابني الشهادة وينالها مع الذين استشهدوا في هذه الغزوة .

وفي نفس الوقت : قلق على مصيره وأخشى من تعذيبه ، ومن جهة ثالثة : وكما تعرفون فان سالما هو عائلنا الوحيد الآن بعد أن قد بلغت من الكبر عتيا ، وأكلت الأيام مني كل جهد وقوة .

فيقول رجل من الجالسين : يا عوف اذا كان ابنك لم يحظ بالشهادة فقد فاز بالنصر وهو احدى الحسنيين .

وليس من داع للقلق على مصيره أو تعذيبه ، فان مات نال الشهادة وإن عذب ففي سبيل الله ما يلقاه ، وليس بعد هذا سوى عوده اليك .

اما كونه هو العائل الوحيد : فاعلم جيدا أنه : **(ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) .**

فقال عوف : الحمد لله !! هو حسبي ونعم الوكيل .

وطال الحوار وزانه الايمان ، وتوجه حب الناس لدين الله ورغبتهم الاستشهاد من أجل رفع رايته .

وانفض المجلس وغادر الناس البيت وجلس عوف بين زوجته وأولاده وكانوا كثرة .

وطال بينهم الكلام ، وترقرقت في أعينهم الدموع ، وغشيهم البكاء ، ثم ساد بينهم لفترة غير قصيرة ، الصمت وغلبهم النعاس .. عدا عوف ، الرجل الكبير ــ الذي كان قد استراح من عناء السعي في هذه السن . بعد قيام « سالم » عنه بهذا الواجب ــ اخذته الخواطر ..

وشطحت به الافكار ، وظل وسط هذه الدوامات من القلق على ابنه الذي غاب والانشغال على زوجته وباقي الاولاد .. حتى طلع النهار .

ومرت الايام .. تتلوها الأيام .

دونما أخبار عن سالم .

أو استقرار لما يدور في ذهنه من خواطر وافكار .

وهو يدعو في صلاته .. ويضرع في سجوده وكذلك زوجته وباقي أبنائه .

أن يعود لهم « سالم »

أو أن يجعل الله لهم من هذا الموقف ، وما تفرخ لهم عنه قوادم الايام مخرجا .

وطال التشاور بين الرجل الكبير .. المسن .. الضعيف « عوف » وزوجته .

حتى كان ذات يوم .

قال عوف لزوجته

سأذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

واشتكي له : ما نحن فيه ، وما ينتظرنا من فقر وجوع يهدد أبناءنا .

أليس هو رسول الله !!؟

اليس هو المسئول عنا ؟!!

والزوجة في خواطرها هي الاخرى .

لم تجب .

ولكنها أومأت برأسها دلالة الموافقة .

وذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واستقبله النبي عليه الصلاة والسلام ، وقرأ ما يدور بخواطره ، ويعتمل بصدره ، مما تفصح عنه أساريره وملامح وجهه المجهد ، ونبرات صوته المهدود .

وأجلسه بجواره وربت بيده الشريفة على ظهره

وقال له : ما حال الأم بعد غياب ابنها يا عوف ؟

قال عوف : وقد سهلت أمامه المهمة

بهذا السؤال .

« جزعت الأم »

ثم اضاف قائلا :

وانت تعلم يا رسول الله انني رجل كثير العيال قليل المال كبير السن عديم القوة لا طاقة لي على العمل والكسب .

وسكت .

وفهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يرمي اليه هذا الرجل .

وسكت .

وران الصمت على المجلس .

ماذا يفعل لهذا الرجل ؟؟

ماذا يعطيه ؟؟

فليست لديه الخزائن والأموال ليأمر له ولأولاده براتب شهري حتى تتغير أحوالهم .

وطال الصمت .

وطال التفكير .

اذاً : فليس غير الله تعالى

وفجأة قطع صوت عوف هذا الصمت

وقال : بم تأمرني يا رسول الله ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا عوف .. اتق الله واصبر

وآمرك وإياها أن تكثرا من قول « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وظهرت أسارير البشر في وجه

عوف .

فهو يعلم أن الله تعالى هو صاحب التصرف ، وصاحب التدبير وصاحب الحول والطول القوى العزيز المدبر الحكيم .

وقام عوف .

وذهب لمنزله

وقابلته زوجته .. وهي ترنو الى شفتيه تترقب وتتسمع لما سيقول .

أليس قادما الآن من عند النبي ؟؟

أليس النبي عليه الصلاة والسلام يقف دائما بجوار الجميع في مثل هذه الامور الجسام ؟

أليس النبي صلى الله عليه وسلم يحل للجميع ما لديهم من مشاكل ؟

اذاً فلابد من أن عوفا قد أتى بما سوف يخرجنـا من هذا المأزق الحرج .

وقال عوف لزوجته :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك ، أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله .

فقالت الزوجة على الفور ..!!

الحمد لله ..!!

نعم ما أمرنا به .

وساد بينهم السرور ، وعمتهم السكينة ، وطافت بهم سحائب الرضى والتسليم ، ورطبت ألسنتهم « الحوقلة » وترنم الجميع بالتسبيح ، وملأ الايمان جوانب البيت ، وحفت به مواكب الملائكة ، واعتلت شفاه الجميع بسمة السعادة ، وأفعمت القلوب بنور الله تعالى ، وانشرحت الصدور ، وكأن « سالما » ما فقد وما غاب ، بل كأنه بينهم يرعى كعادته شئونهم ، أو كأنه عاد وهم من الفرحة يشكرون ، ويحمد الله على عوده يسبحون .

ومرت عليهم الأيام .

تتلوها الأيام .

وهي وان كانت قليلة .. لكنها بدون « سالم » تمر بطيئة حتى كان يوم .

وشمس الصباح لم تنفض عن نفسها غبار الليل الطويل .

وعوف مع أولاده خلف باب الدار يتناولون طعام الفطور وفي هذا الصباح الباكر وقعت مفاجأة غريبة .

فقد سمع الجميع صوتا قادما ناحيتهم .

ماذا يقول الصوت ؟؟

ماذا ..؟

سالم عاد ..!!

ووقف الجميع وفتح الباب وسمع الصوت جيدا بل أصوات تقول .. سالم عاد .. سالم عاد .

وصاح عوف .. وهو يستقبل أصحاب الصوت .. ماذا تقولون ؟؟

وقالت الام : أين ابني ؟؟

وصاح الاطفال جميعا : سالم .. سالم .

وظهر سالم .

وصرخ الاب : ما هذا ؟ لمن هذه الغنم الكثيرة يا سالم ؟

واقبلت الأم على ابنها واحتضنته وهي تبكي وتقول ابني .. حبيبي .. اين كنت ؟؟ وكيف اتيت ؟؟

وتجمعت الجموع ، وتكاثرت الناس ، وانهالت التهاني وعمت

الفرحة ..

وعوف .. يقف صامتا ينظر الى هذه الغنم الكثيرة التى أتى بها سالم أيكون قد سرقها ؟

لا .. لا . أعوذ بالله تعالى من ذلك ، أيكون قد استعمله عليها واستأجره لرعايتها أحد الناس ؟؟ ربما .. ولا مانع

أيكون ..؟ أيكون ..؟

وانهالت على رأسه التساؤلات

ثم أقبل على ابنه يسأله خبرها

فقال سالم لأبيه : لقد غافلت العدو الذي أسرني يا والدي ، وهربت بها منهم ، واتيت بها معي فهى لنا .

قال عوف : لا .. لا .. ليست لنا حتى نذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره خبرها .

وذهبا .. عوف وابنه .. الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهنأ النبي صلى الله عليه وسلم سالما بعودته وسأله : عن قصته ، منذ أسره .. حتى ساعته هذه .

وقص سالم على النبي صلى الله عليه وسلم قصته وأخبره أنه غافل العدو وساق غنمهم وهرب بها وعاد الى هنا ، وهي معه .

وهنا .. سأل عوف عن الغنم ..!!

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم سؤال عوف .

وسكت .

وسكت عوف .

وسكت الحاضرون

وتطلع النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء

وتطلع عوف الى النبي .

وتطلعت الناس .

وحينئذ

نزل القرآن الكريم

ليجيب عوفا ، ويوضح الحكم ويبين مصير الغنم ويرشد الناس جميعا ان الله مع الصابرين المتقين ، يؤازرهم ويخفف عنهم ويجعل لهم من كل ضيق يعتريهم فرجا ومخرجا اذ قال تعالى :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بما نزل

وفرح عوف كذلك بما نزل .

وفرح سالم ـ هو الثالث بما نزل .

وعلم الناس جميعا : أن تقوى الله تعالى واللجوء اليه عند النوازل والملمات والصبر على قضائه والاحتماء بطاعته والبعد عن معصيته ، هو اقرب طريق الى رضوانه ورحمته ، واضمن سبيل للخروج من أي مأزق او مشكلة .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : الغنم خير ساقه الله اليكم يا عوف

وانصرف عوف وابنه تحملهما الفرحة على أجنحتها وتشيعهما تهانى الحاضرين .

بريد الوعي الاسلامي

القانون الوضعي

حمل إلينا البريد هذا الشهر رسالة من السيد / عباس نور الدائم من السودان يقول فيها : ما حكم الشرع في العمل بالقانون الوضعي ؟ وهل يجوز لنا التخاصم أمام هذا القانون ؟

ونجيب الأخ السائل فنقول ان نظام الحكم في الاسلام خاضع لما جاء في كتاب الله تعالى ، ومأخوذ من سنة نبيه الصحيحة ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فكل ما وافق الكتاب والسنة فهو حكم الله ، يجب اتباعه والعمل به ..

وواجب حكام المسلمين أن يغيروا كل قانون وضعي لا يستقيم مع تعاليم الاسلام ، والحكام يملكون تغيير القوانين المعمول بها في بلادهم ، وهي ـ في الغالب ـ قوانين استعمارية فرضتها دول غير اسلامية ، ومسؤولية الحكام في هذا عظيمة

الفرق الاسلامية

ويقول الأخ عباس نور الدائم : هناك فرق اسلامية كثيرة موجودة في الساحة الاسلامية ، وضرب مثلا لذلك بأنصار السنة ، وجماعة التبليغ ، وغيرهما ويسأل عن أيها الناجية يوم القيامة ...

المحرر :

ونقول للأخ عباس : انه مهما اختلفت المسميات ، وتعددت الفرق الاسلامية ، فهي كلها في الدائرة

الاسلامية ما دامت تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وواجب هذه الجماعات أن توحد صفوفها ، وتجمع كلمتها ، وتصب كل جهودها في اتجاه واحد حتى تستطيع العودة بمجتمعنا إلى الصورة التي يرضاها ديننا الحنيف ،

حارس

ومن الأخ الرفاعي عبد العزيز ـ من الرباط بالمملكة المغربية ـ جاءتنا رسالته التي يقول فيها : إنه يعمل في الحراسة ـ وهو جندي ـ ويقضي يوما كاملا في الأسبوع حارساً وحيداً وهو بذلك لا يستطيع أداء الصلاة في وقتها لشدة الحراسة ، ويسأل عن الحكم في ذلك .

المحرر :

يقول تعالى : « **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » .. فالصلاة يجب أن تؤدى في وقتها ، وهي عماد الدين ، لا إهمال في أدائها ، ولا تقصير .

غير أنه قد يتعرض الانسان لظروف قاهرة لا يمكنه التغلب عليها ، فتفوته الصلاة في وقتها ، فيجب عليه أن يقضيها فور تمكنه من ذلك ، لأنه لا يعرف متى يحين أجله ، وكان المسلمون الأولون يحرصون على أداء الصلاة حتى في حالة الحرب والجهاد في سبيل الله ، وفي السفر ، فالصلاة لا تسقط بحال ، إلا أنه تعفى من قضائها المرأة الحائض والنفساء ، وقد تقصر الصلاة في الحرب وفي السفر ، ولكنها لا تسقط ما دام الانسان مكلفا ..

وفي مثل حالتك ، كلما أمكنك أداء الصلاة في وقتها دون أن تعرض نفسك للخطر من جراء تركك للحراسة ، فافعل ، وإلا فأدها قضاء بعد خروج وقتها ، وبعد أن تنتهي من الحراسة ، والله يغفر لنا ولك ، ولعلك تكتب للمسؤولين علهم يعينون معك حارسا آخر فتتناوبان الحراسة ولو لمدة يومين كاملين ، ولن يخسر المسؤولون شيئا . وفق الله الجميع لما فيه الخير .

قراءة القرآن في المسجد

ونقول له : لا مانع من قراءة القرآن في المسجد ، وبصوت معقول ، حتى لا يؤثر على المصلين ، ولا على قراءة الآخرين ، وركعتا تحية المسجد سنة .

اللحية والصلاة

ونقول أيضا للأخ الرفاعي : إن عدم ترك اللحية لا يبطل الصلاة ، فصلاة حليق الذقن صحيحة ، وإن كان إرسال اللحية واجبا أو مندوبا في بعض المذاهب الفقهية ،

بأقلام القراء

سلاح اغفله المسلمون

جاءنا من الاستاذ محمد سليم رشوان كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

يومان من عمر الدهر ..

أذكرهما كلما أطل على الناس عام من هذه الأعوام المتلاحقة ، وهذان اليومان هما . يوم المولد النبوي الكريم ، ويوم الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب .

أما اليوم الأول منهما ، فأذكره مع الاجلال والاكبار لأنه برز فيه إلى الوجود الانسان الكامل ، الذي جاء رحمة للناس ، ليخرجهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمة إلى النور . ومن ضياع الكفر والوثنية إلى وضوح الايمان والتوحيد ، فكانت بداية هذا اليوم بداية ذلك الوجود ، الذي أخذ يكبر مع الدهر ، حتى طوى أياما وأياما ، تراكمت في صفحة الزمان أربعين عاما . ثم أطل من بعدها بالنبوة فاذا هو ضياء يبهر العيون ، ويسير على هداه أبناء أمتنا ، ليضعوا روائع الأمجاد ، ويشيدوا للانسانية حضارة شامخة الذرى .

ذلك هو اليوم الأول ..

وهو اليوم الذي نحتفل بذكراه ومعنا المسلمون في أنحاء الأرض قاطبة كلما أهل موعده ، ومن حقنا ومن حقهم أن نفعل ذلك ويفعلوه ، حتى ولو تشعبت الأقوال في دقة تحديده خلال أيام ذلك العام ، الذي كان فيه ، فحسبنا وحسبهم أنه حقيقة لا مراء فيها ، سواء تقدم عن ذلك اليوم الذي حدده الرواة أم تأخر عنه .

أما اليوم الثاني فاني أقرأ فيه صفحة رائعة من صحائف الايمان ، وأقف أمامها وقفة الذهول والدهشة والاعجاب ، ومالي لا أكون كذلك ، وأنا أشاهد الرجل الوحيد الذي لا ناصر له يشد أزره ويحمي ظهره ، وليس من حوله غير طائفة من الناس ، يتفاوت أفرادها ويختلفون في القبيلة واللون والجنس والبلد ، فيحتاج بذلك كل واحد منهم إلى ناصر ومعين ..

ورغم هذا كله ..

يخرج مهاجراً بايمانه الكبير ، الذي لم تخالطه شائبة من ريبة .. أو من شك .. أو من تردد ، وهو موقن أشد اليقين ، بأنه منتصر لا محالة ، وبأنه بالغ الهدف الذي يهدف إليه ، وواصل إلى الغاية التي خرج من أجلها ، وأن ما يدعو إليه من حق وإن كان صاحبه ضعيفا أعزل ، سوف يظهر على كل ما يعترضه من باطل وإن كان هذا الباطل مدعوماً بالقوة والسلاح .

ثم انتشر دينه في الآفاق .. وكانت تلك عاقبة انتصاره على الباطل ، في معركة لا تكافؤ فيها ، ولكنه كان في النفر القليل ، وهو يقف في وجه الغدة والعدد ، يحمل سلاحا لا يعرفه أئمة الكفر من أخصامه ، وكان هذا السلاح هو الايمان ، وبفضل هذا السلاح كان ما أحرزه من الغلبة ، وما توصل إليه من ثمرات النصر المتلاحق .

لماذا خلقنا ؟

حول هذا السؤال يجيبنا الاستاذ عبد الفتاح محمود علم الدين يقول :

سؤال يجب أن يسأله كل مسلم ، ليعرف المهام الملقاة على عاتقه في هذه الحياة الدنيا ، وينبغي أن يلتمس الاجابة عنه من القرآن الكريم فهو النور وفيه شفاء لما في الصدور .

وأدل ما تلقاه قول الله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الذاريات : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**) وإذا فحكمة الخلق هي عبادة الله ، ويبادر المولى جل وعلا فينتزع من الانسان فكرة عبودية الانسان للانسان فالفرق بينها وبين العبودية لله وعبادته فرق ما بين السماء والأرض ، فعبودية الانسان للانسان ذلة ومهانة وكل قوى العبد وخدماته عائدة على سيده وهو يعيش بالقدر الضروري لحياته كيما يستمر في الخدمة ، ولكن الله تعالى تمنى عنا فيقول : (**ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات/٥٧ بل على العكس ، العبد لله هو المستفيد من غنى الله (**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) وحتى عائد الشكر عليه (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم/٧ ولكن المسلم مع هذا يتوسم ايضاحا اكثر للعبادة فيجد ان الله تعالى قال له في سورة الملك في الآية الثانية : (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) يفهم ان العبادة في احسان العمل .

ثم يزداد المسلم استيضاحا فيجد المولى جل وعلا يقول له في سورة الكهف الآية السابعة (**انا جعلناماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**) فتدله هذه الآية الكريمة على أن حسن العمل هو ما جعله الله على الارض من زينة ..

واذا تشوف المرء لمعرفة الزينة وجد الله تعالى ينير له السبل في الآية السادسة والاربعين من نفس سورة الكهف فيقول : (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك**) .

والى هنا يكون قد عرف ان الحكمة في خلقه وهي العبادة تكون باحسان العمل فيما خلق الله في الارض من زينة المال والولد . ولما كان كل ما على الارض لا يخرج عن مال وولد . فالمطلوب من الانسان ان يعبد الله باحسانه في معاملة الارض وتربية الاولاد .

والارض وما عليهاوما بها من جبال وانهار ومعادن ونبات وحيوان .. كل ذلك ما سيحاسب الله صاحب الدنيا عنه وعن معاملته معها ، مما سيحاسبه على الاولاد وهل وقاهم النار اولا ؟

وفي الآية العشرين من سورة المزمل لا يترك الله للانسان عذرا في ادعاء جهله بمهمته في الحياة فيقول : (**علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله**) .

فهذه الآية الجليلة قسمت الناس قسمين : مرضى وأصحاء ، اما المرضى فلا حرج عليهم حتى تعود اليهم صحتهم فيندرجون تحت قسم الاصحاء .

والاصحاء جعل الله مهمتهم في الحياة اما ابتغاء فضل الله واما القتال في سبيل الله والضرب في الارض ابتغاء فضل الله ، هو التعبير الرباني عن العمل في احد حقول الزراعة او الصناعة او التجارة او الطب او الهندسة او المرافق .. وكل ما يتصل باعمار الارض والانتاج ومتطلبات الحياة وتطويرها الى احسن ، وقد استعمل الحق جل وعلا هذا التعبير في سورة الجمعة حيث قال : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠ فالناس عقب الصلاة الجامعة كل جمعة ينتشرون في الارض ويعود كل منهم الى عمله الذي يسره الله له ابتغاء الرزق وما يعود بالنفع عليه وعلى اسرته وعلى المواطنين .

واستطرادا لهذا لم يخصص يوم بأسره للراحة من العمل ولكن الله جعل الانقطاع عن العمل فرضا اذا تؤدى للصلاة من يوم الجمعة حتى تؤدى كاملة ثم يعود دولاب العمل الى ما كان عليه .

هذا فريق اعمار الارض حيث ان الله تعالى قد استخلفنا فيها لنقوم باعمارها واصلاحها ولا نسعى فيها فسادا .

اما الفريق الآخر الذي يقاتل في سبيل الله فهو فريق حماية الانتاج من الاعداء الخارجين والداخلين .

فحماية انتاج المواطن من اعداء الخارج يكون بالجيش الذي يكون معدا باستمرار للقيام بواجبه في هذه الحماية ليل نهار ، لا يغفل عن واجبه مدججا بالاسلحة متدربا على استعمالها واقفا للعدو بالمرصاد يبث العيون والارصاد ويرابط في الثغور حتى لا يفاجأ بالاعداء .

مع صحافة العالم

الخلاص

تحت هذا العنوان نشرت جريدة القبس الكويتية هذه الكلمة للاستاذ جاسم حبيب

لماذا اهتزت الحضارات الغربية والشرقية بظهور الاسلام ؟ ولماذا استطاع نفر قليل من الجزيرة العربية اعتنق الاسلام وامن بالرسالة وتفهم القرآن الكريم ان يحطم ما يسمى بالحضارة اليونانية والفارسية ؟؟ وعلى الرغم من ان اليونان والفرس كانوا اكثر عتادا وعدة واكثر تقدما في اساليب الحرب وطرقها الا ان العقيدة الاسلامية اقوى اثرا واشد عنادا في الحق والانسان المسلم المؤمن بربه وبما انزل من الكتاب والرسل هو اقوى واعظم من اي حضارة !!!؟ والسؤال عن سر الانتصار !!؟ سهل وميسور ويستطيع كثير من التلاميذ الاجابة عليه فالحضارة والمدنية بدون قيم اخلاقية ومبادىء تظل ضعيفة وهشة حتى تضمحل !!

والحضارات التي قامت على عبادة الاصنام وعبادة الاموال والذهب والفضة واعتناق مبادىء اللذة الدنيوية وغيرها اضمحلت كلها والتي تقوم اليوم على نفس القيم اللاسوية ستضمحل حتما !! ورب سائل او مستدرك يقول : اين العرب اليوم ؟ او اين الاسلام اليوم ؟ ومع ان الاجابة صعبة جدا وتحتاج الى تفكير وبحث ومعاناة حتى تجيب على هذا السؤال وتستوفيه حقه الا ان العرب والمسلمين سيظلون في تأخر واضطراب وسيزداد الظلام وستنعدم الرؤى تماما اذا ظل « الحال على هذا الحال » وسنتوه ويتوه من بعدنا الجيل القادم وسنعيش الضياع بكل ابعاده ما دمنا لا نطبق الاسلام تطبيقا صحيحا صافيا ونقيا دون زيف ودون نفاق والعقيدة الاسلامية نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وسوف نستفيق !! وسوف نتقدم ونعيش برفاهية وخير وقوة اذا فهمنا الاسلام فهما حقيقيا كما اراده الله تعالى لنا وكما بسطه وشرحه رسولنا الكريم خاتم الانبياء .

العقيدة الاسلامية عدالة ومحبة وخير

وجمال ورقة وعطف وحنان وكرم وسماحة وتعاون وعطاء وانتاج وعمل واداء وقوة في الحق وثقة في النفس وكفاح في سبيل الله والوطن . باختصار هي كل المعاني السامية التي تفقدها الكرة الارضية اليوم في شمالها وغربها وشرقها وجنوبها !! وما لم تكن لنا هذه الاستراتيجية العظيمة سنظل في خواء فكري وتأخر مضطرد حتى الموت !!؟

وبالاسلام نعيش وتكون لنا شخصية واضحة المعالم وبالاسلام يحترمنا كل العالم وتتهافت على التقرب الينا كل الشعوب ، ذلك لان في الاسلام فكرا وروحا ومادة ولان للمجتمع الاسلامي معالمه وشخصيته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهذا التكامل الفكري هو مبعث الاحترام وهو سر القوة والمنعة والانطلاق !! ومن هنا او بناء على هذه التقدمة تستطيع عزيزي القارىء ان تدرك معاناة الانسان العربي ومأساته ومن هنا ايضا تدرك سر الحرمان والفقر والجهل الذي تعيشه جماهيرنا العربية اذ بدون الاستراتيجية الفكرية للاسلام وبدون قلب وروح الاسلام وبدون التراحم والتواصل والتآخي والتكافل والتعاون الاسلامي لا تقوم لنا قائمة ولا تكون لنا ملامح على سطح الارض !! وكل الشعوب التي ليس لها فكر ونظرية وعقيدة محكوم عليها بالفناء أما الشعب الأصيل فهو الذي يملك قوة العقيدة والفكر والايمان وتبني الحضارة ويبنى العمران وتزدهر المدنية حيث توجد النظرية الراسخة والعقيدة القوية المتمكنة في قلوب الناس التي تدفعهم للابداع والتحرك والنشاط .

والسؤال ما هي استراتيجيات ومنطلقات النظم العربية ؟ ما هي العقائد والنظريات التي تنطلق منها الانظمة العربية في بناء الانسان ؟ كيف يسير الاقتصاد وعمليات توزيع الثروة على جماهير الشعوب ما هي السياسات التعليمية ؟ ما هي السياسات الاعلامية ؟ ما نوعية التربية داخل الاسرة ؟ ما هو دور المؤسسات والجمعيات والروابط وما هي انشطتها وما مدى ما تحققه من نجاح في تثقيف الجماهير ؟ ما مدى ما يتمتع به المواطن من ضمانات في التعبير عن حرية الرأي والعقيدة والقول ؟

الشيوعية هذا المبدأ الهدام

نشرت جريدة الشرق الاوسط كلمة للاستاذ عبده احمد تحت هذا العنوان تقول :

الشيوعية الملحدة خراب كل بيت تدخله وخراب كل عقل تغزوه وخراب كل بلد تحل فيه الشيوعية دمار كل القيم الانسانية تعني كبت حريات الناس وتكميم افواههم ، الشيوعية عدوة الاسلام الاولى لانها ترى في الاسلام

السد المنيع الذي يقف في وجه زحفها
الاحمر ترى في الاسلام عملاقا يقف
وبكل صمود في وجه نظرياتها ومعتقداتها
الزائفة ترى في الاسلام قوة تستطيع
منعها من تنفيذ مخططاتها الاجرامية
ضد العالم الاسلامي ترى في الاسلام
المستقبل الزاهر للبشرية جمعاء ترى في
الاسلام نقطة تجمع قرابة الف مليون
مسلم متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه
الكريم يستمدون قوتهم من قوة الله التي
لا تقهر لم تلق الشيوعية قلعة منيعة
وصامدة تقف امامها مثل قلعة الاسلام
الشامخة القوية بعزيمة المسلمين لم تجد
من يحاربها ببسالة وإرادة وعزيمة تشق
الصخر مثل المسلمين الذين يحاربونها
بالتمسك بكل اوامر الله وسنن محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي
حربنا مع الشيوعية ذات الوجه البشع
وهي حرب وعدنا الله بالنصر فيها ما دمنا
ملتزمين بكل ما امرنا به . ان اجدادنا
واسلافنا الكرام الحقوا الهزائم بكل
الحملات الصليبية يضربون اروع المثل
في محاربة المعتدين ويضعون لنا خطا لا
يجب ان ننحرف عنه مهما كان الثمن .
واليوم نرى الشيوعية وقد دخلت الى
افغانستان قلعة الاسلام الصامدة التي
تقف بكل بسالة امام هذا الغزو الشيوعي
لافغانستان . لم تستسلم افغانستان
لهذا الغزو الدموي بل هناك الكثير من
المجاهدين في سبيل الله يقضون مضاجع
الشيوعيين المستعمرين ضامنين نصر الله
الذي وعدهم وهو لا يخلف الوعد فوجب
اليوم على كل مسلم غيور على دينه وارضه
ان يساعد هؤلاء الرجال بكل ما استطاع
… غذاء وكساء قال تعالى

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . (صدق الله العظيم) . لقد
ثبت ان كل ما تدعيه الشيوعية من
تأييدها لحرية واستقلال كل دول العالم
هو كذب وخداع لأن غزوها لافغانستان
قلب الموازين واسقط الاقنعة البراقة عن
وجه الشيوعية القبيح فالشيوعية حركة
استعمارية في المقام الاول ان ما تدعيه
ادعاء لا اساس له لأن غزوها لافغانستان
وقتلها ومحاولتها اشعال نار الفتنة في كل
مناطق العالم اثبت بما لا يدع للشك
مجالا عكس هذا الادعاء . ان الشيوعية
والصهيونية عنصران يكمل احدهما
الاخر فالشيوعية هي وليدة الصهيونية
ولأن من الف النظرية الشيوعية هو في
الاصل يهودي فلننظر الى اوجه المقارنة
بين هاتين الحركتين العنصريتين
فالصهيونية تقتل وتشرد الشعب
الفلسطيني والشيوعية تقتل وتشرد
الشعب الافغاني فأوجه المقارنة كثيرة
والغاية واحدة وان اختلفت السبل
والوسائل فالصهيونية والشيوع
تصبان في قناة واحدة وهي العدا
الكاملة للاسلام .
ان سلاحنا القوي في وجه ال
الشيوعي لارض افغانستان هو و
كلمتنا ووقوفنا صفا واحدا تحت
الاسلام « لا اله إلا الله محمد ر
الله » هذه الراية التي وقف تحتها
عظماء من المسلمين دانت لهم
شرقا وغربا فلنسر على نهجهم
اثرهم وقال تعالى في كتابه العز
ينصركم الله فلا غالب لكم » ص
العظيم .

اين هم العـــرب واين هـم المسلمون ؟

تقول جريدة الوطن الكويتية تحت هذا العنوان :

اننا نعيش هذا الواقع المؤلم الذي يكمن تحت طياته الحزن والاسى لشعب ذنبه ان ارضه بيعت بمغيب عنه ، بيعت بغير ثمن مقابل الشهرة والمجد للمزيفين بيعت عن طريق السماسرة والخونـة الـذين همهم الوحيـد متعة انفسهم وانعاشها على حساب الغير .

السؤال الذي يحيرني دائما وابدا هو : من نحن ؟

هل نحن عرب كما ندعي ؟

فان كنا كذلك : اين عروبتنا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ؟ هل العروبة بالاسم فقط ؟ ومجرد لفظ ينطق به بدون معنى او حرمة او تقدير ؟

هل هذه هي عروبتنا في تل الزعتر ولاكثر من شهرين محاصرين محرومين من الطعام والشراب تنهك اعراضهم وحرماتهم ويقتل الشاب امام والديه كما يقتل الوالدان امام ابنائهم وصوت الطفل يسري صداه في الوادي بين الجبال وعيناه تذرف الـدم بدل الـدمع ، لا يستطيع الكلام سؤالا عن ابيه وامه واخيه واخته .

فأين عروبتنا منهم ولماذا لم يتمكن الصليب الاحمر من الوصول اليهم ؟ ولماذا تمكن من الوصول الى زحلة عندما تضايق الخونة والعملاء « الكتائبيون » والكل صاح مطالبا بوقف اطلاق النار بحجة الوفاق والتكاتف ، فأي وفاق هذا واي تكاتف ؟ لماذا لم يكن في تل الزعتر ؟

اذا لم نكن عربا وقلنا بأننا مسلمون ، فأين الاقصى في اسلامنا ؟ واين الحرم الابراهيمي في عقيدتنا ؟ واين افغانستان في مبادئنا ؟

الاقصى الشريف الذي بارك الله حوله وقدسه يحرق امام اعيننا ويدمر امامنا ونحن نشاهده ، اليهود يدخلونه بنعالهم ويدنسون حرمته والايدي العاملة تحفر تحته يوما تلو الاخر وذلك لتهويده .

الحرم الابراهيمي يمنع المسلمون من دخوله لاداء صلواتهم وشعائرهم الدينية وكبـار مسؤولي الصهـاينـة يعـدون المستوطنين اليهود بتمكينهم من الصلاة في الحرم الابراهيمي وتحويله الى معبد ولم نسمع الا ذلك الروتين المعـروف الاستنكار والرفض .

لكل هذا لم اجد ردا على هذا السؤال الذي يحيرني دائما وسيبقى هكذا حتى اجد له جوابا .

فمن كان لديـه الجواب الـواضح والشافي فليكتبه لي وليجبني عليه .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧) .
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكو

السد المنيع الذي يقف في وجه زحفها الاحمر ترى في الاسلام عملاقا يقف وبكل صمود في وجه نظرياتها ومعتقداتها الزائفة ترى في الاسلام قوة تستطيع منعها من تنفيذ مخططاتها الاجرامية ضد العالم الاسلامي ترى في الاسلام المستقبل الزاهر للبشرية جمعاء ترى في الاسلام نقطة تجمع قرابة الف مليون مسلم متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم يستمدون قوتهم من قوة الله التي لا تقهر لم تلق الشيوعية قلعة منيعة وصامدة تقف امامها مثل قلعة الاسلام الشامخة القوية بعزيمة المسلمين لم تجد من يحاربها ببسالة وإرادة وعزيمة تشق الصخر مثل المسلمين الذين يحاربونها بالتمسك بكل اوامر الله وسنن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي حربنا مع الشيوعية ذات الوجه البشع وهي حرب وعدنا الله بالنصر فيها ما دمنا ملتزمين بكل ما امرنا به . ان اجدادنا واسلافنا الكرام الحقوا الهزائم بكل الحملات الصليبية يضربون اروع المثل في محاربة المعتدين ويضعون لنا خطا لا يجب ان ننحرف عنه مهما كان الثمن .

واليوم نرى الشيوعية وقد دخلت الى افغانستان قلعة الاسلام الصامدة التي تقف بكل بسالة امام هذا الغزو الشيوعي لافغانستان . لم تستسلم افغانستان لهذا الغزو الدموي بل هناك الكثير من المجاهدين في سبيل الله يقضون مضاجع الشيوعيين المستعمرين ضامنين نصر الله الذي وعدهم وهو لا يخلف الوعد فوجب اليوم على كل مسلم غيور على دينه وارضه ان يساعد هؤلاء الرجال بكل ما استطاع من مال وسلاح وغذاء وكساء قال تعالى « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » . (صدق الله العظيم) . لقد ثبت ان كل ما تدعيه الشيوعية من تأييدها لحرية واستقلال كل دول العالم هو كذب وخداع لأن غزوها لافغانستان قلب الموازين واسقط الاقنعة البراقة عن وجه الشيوعية القبيح فالشيوعية حركة استعمارية في المقام الاول ان ما تدعيه ادعاء لا اساس له لأن غزوها لافغانستان وقتلها ومحاولتها اشعال نار الفتنة في كل مناطق العالم اثبت بما لا يدع للشك مجالا عكس هذا الادعاء . ان الشيوعية والصهيونية عنصران يكمل احدهما الاخر فالشيوعية هي وليدة الصهيونية ولأن من الف النظرية الشيوعية هو في الاصل يهودي فلننظر الى اوجه المقارنة بين هاتين الحركتين العنصريتين فالصهيونية تقتل وتشرد الشعب الفلسطيني والشيوعية تقتل وتشرد الشعب الافغاني فأوجه المقارنة كثيرة والغاية واحدة وان اختلفت السبل والوسائل فالصهيونية والشيوعية تصبان في قناة واحدة وهي العداوة الكاملة للاسلام .

ان سلاحنا القوي في وجه الغزو الشيوعي لارض افغانستان هو وحدة كلمتنا ووقوفنا صفا واحدا تحت راية الاسلام « لا اله إلا الله محمد رسول الله » هذه الراية التي وقف تحتها رجال عظماء من المسلمين دانت لهم الارض شرقا وغربا فلنسر على نهجهم ولنقتفي اثرهم وقال تعالى في كتابه العزيز « **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** » صدق الله العظيم .

اين هم العــرب واين هــم المسلمون ؟

تقول جريدة الوطن الكويتية تحت هذا العنوان :

اننا نعيش هذا الواقع المؤلم الذي يكمن تحت طياته الحزن والاسى لشعب ذنبه ان ارضه بيعت بمغيب عنه ، بيعت بغير ثمن مقابل الشهرة والمجد للمزيفين بيعت عن طريق السماسرة والخونـة الـذين همهم الوحيـد متعة انفسهم وانعاشها على حساب الغير .

السؤال الذي يحيرني دائما وابدا هو : من نحن ؟

هل نحن عرب كما ندعي ؟

فان كنا كذلك : اين عروبتنا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ؟ هل العروبة بالاسم فقط ؟ ومجرد لفظ ينطق به بدون معنى او حرمة او تقدير ؟

هل هذه هي عروبتنا في تل الزعتر ولاكثر من شهرين محاصرين محرومين من الطعام والشراب تنهك اعراضهم وحرماتهم ويقتل الشاب امام والديه كما يقتل الوالدان امام ابنائهم وصوت الطفل يسري صداه في الوادي بين الجبال وعيناه تذرف الـدم بدل الـدمع ، لا يستطيع الكلام سؤالا عن ابيه وامه واخيه واخته .

فأين عروبتنا منهم ولماذا لم يتمكن الصليب الاحمر من الوصول اليهم ؟ ولماذا تمكن من الوصول الى زحلة عندما تضايق الخونة والعملاء « الكتائبيون » والكل صاح مطالبا بوقف اطلاق النار بحجة الوفاق والتكاتف ، فأي وفاق هذا واي تكاتف ؟ لماذا لم يكن في تل الزعتر ؟

اذا لم نكن عربا وقلنا بأننا مسلمون ، فأين الاقصى في اسلامنا ؟ واين الحرم الابراهيمي في عقيدتنا ؟ واين افغانستان في مبادئنا ؟

الاقصى الشريف الذي بارك الله حوله وقدسه يحرق امام اعيننا ويدمر امامنا ونحن نشاهده ، اليهود يدخلونه بنعالهم ويدنسون حرمته والايدي العاملة تحفر تحته يوما تلو الاخر وذلك لتهويده .

الحرم الابراهيمي يمنع المسلمون من دخوله لاداء صلواتهم وشعائرهم الدينية وكبـار مسؤولي الصهـاينـة يعـدون المستوطنين اليهود بتمكينهم من الصلاة في الحرم الابراهيمي وتحويله الى معبد ولم نسمع الا ذلك الروتين المعـروف الاستنكار والرفض .

لكل هذا لم اجد ردا على هذا السؤال الذي يحيرني دائما وسيبقى هكذا حتى اجد له جوابا .

فمن كان لديـه الجواب الـواضح والشافي فليكتبه لي وليجبني عليه .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

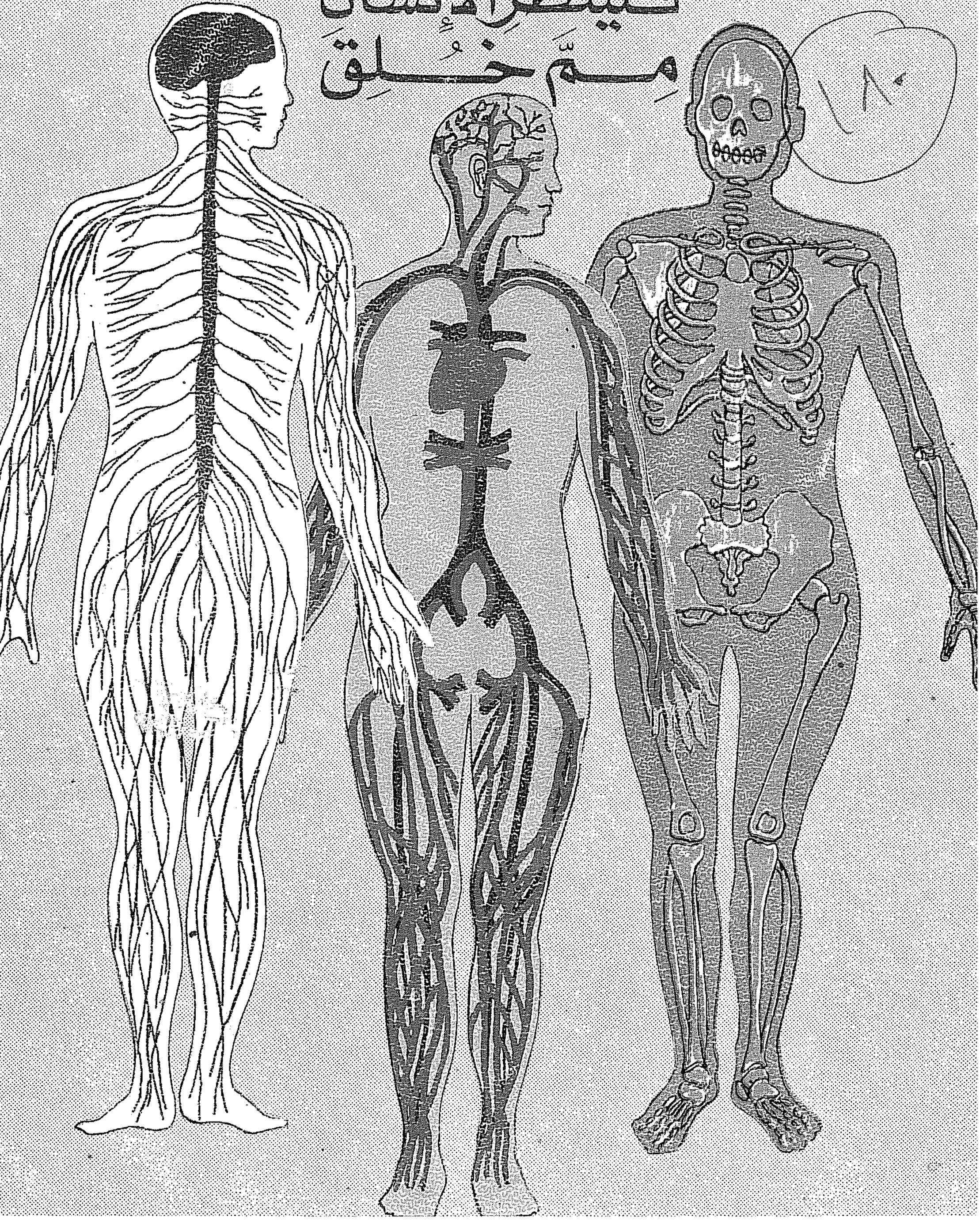
محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ــ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

فلينظر الإنسان مم خلق



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٦ ● صفر ١٤٠٢ هـ ● ديسمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي

المسؤولية في الاسلام

لقد جاء الاسلام بتربية ضمير الانسان وتهذيب روحه ، وارضاء غرائزه في حدود الاعتدال ومراعاة أوامر الله ، وكفل له حصانة النفس والمال والعرض ، وحق الاخاء والمساواة ، وأقام أخلاقه على دعائم من قوة الشخصية وطهارة النفس ، ومنحه ارادة يختار بها أموره العقائدية ليكون ايمانه بالله عن اقتناع ورضا لا عن سيطرة واكراه قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة/٢٥٦ . وقال مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر**) الغاشية/٢١و٢٢ . ويختار بها كذلك أموره الشخصية من التملك والتصرف والانتقال والاقامة ونحوها ، وأموره السياسية من ابداء الآراء ، وتقديم النقد البناء ، والنصح الخالص .

ثم بين القرآن الكريم أن الاهتداء بهدي الله سبيل الحياة الطيبة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ، فقال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

يعملون) النحل/ ٩٧ . وان الخروج على تعاليم الله طريق الشقاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، فقال تعالى : (**ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .**

وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه/ ١٢٤ ـ ١٢٧ .

وبهذا عرف الانسان رسالته في الحياة ، وفتح عينه على حقوقه وواجباته ، وأصبح مسؤولا عن عمله .. ثواب استقامته له لا لغيره ، وعقوبة انحرافه عليه لا يؤخذ بها أحد سواه ، قال تعالى : (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) فصلت/ ٤٦ . (**من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الاسراء/ ١٥ .

والفرد في هذه الحياة مسؤول عن تزكية نفسه وتطهيرها بالايمان والعمل الصالح قال الله جل شأنه : (**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) الشمس/ ٧ ـ ١٠ .. ومسؤول عن أسرته يعمل لاسعادها ، فيعنى بتربية أولاده جسميا وخلقيا وعلميا ، ويقوم بحق والديه والاحسان لقرابته لقوله تعالى : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى**) النساء/ ٣٦ .. ومسؤول عن رعاية حقوق غيره ، لأن الحياة مثلها كمثل السفينة وسط الأمواج ، جميع ركابها مسؤولون عن سلامتها ، وليس لأحدهم أن يخرق موضعه في السفينة باسم الحرية الفردية ، فقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه الترمذي .

والأمة ممثلة في الدولة مسؤولة عن كفاح أعدائها ورد كيدهم ، والحفاظ على حقوقها ومقدساتها حتى تعيش في كرامة وعزة ، وتكون أهلا لعون الله ونصره قال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع**

المحسنين) العنكبوت/ ٦٩ .. ومسؤولة عن حماية الضعفاء فيها تقاتل عند اللزوم لحمايتهم وانقاذهم . قال تعالى : (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء/ ٧٥ .. ومسؤولة عن فقرائها يجب أن تهيىء طريق العمل للقادرين عليه ، وأن تمد يد العون للعاجزين والذين لا يوفى ناتج عملهم بضروراتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » رواه الطبراني . وقال : « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم قال راوي الحديث : فذكر أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل .

والحاكم في الأمة مسؤول عن اقامة العدل في رعيته ، والحفاظ على مقدراتها ، وأن يسهر على مصالحها ، وألا تأخذه في اقامة حدود الله على القريب والبعيد هوادة .. وعلى الرعية حينئذ أن تسمع له وتطيع قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/ ٥٩ . وقد أعلن الخليفة الأول أبوبكر رضوان الله عليه دستور الحكم الصالح بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو وحده الذي يقضي بالحق وقد وكل بكل انسان كراما كاتبين يسجلون سلوكه من حسنات وسيئات ، فاذا جاء يوم القيامة نشرت الصحف ووقف المرء أمام أعماله لا يستطيع منها فكاكا : (**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**) الانفطار/ ١٠ ـ ١٢ .. (**وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) الاسراء/١٣و١٤ .. واذ ذاك يتجلى العدل الالهي فتؤخذ كل نفس بما كسبت . (**يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**) النحل/ ١١١ .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري

الإسلام

لآيات القرآن الكريم في التغير وبيان حقائقه والاشارة الى صوره حكمتان ، احداهما عقلية والاخرى روحية أو خلقية . والحكمة العقلية قوامها ان الانسان المسلم ينبغي ان يدرك انه يتغير ، وانه وصل الى ما وصل اليه في بدنه ونفسه وعقله ودينه ودنياه بفضل التغير المستمر ، وان يدرك ان كل ما حوله يتغير سواء أكان من الحيوانات أم النباتات أم النظم أم الظواهر والتيارات الاجتماعية ، وكذلك الافلاك والشموس والكواكب والنجوم والمجرات .. كل تلك المخلوقات تتغير وتتحرك وتأخذ حسب سنة الله في مخلوقاته صورا واشكالا متعددة في اليوم الواحد وعلى مدار الشهور والسنون وفي الآماد والحقب والاجيال والازمان .

والتفات الانسان المسلم بعقله وفكره الى هذه الحقيقة الكبرى ، ينفعه في اكثر من وجه ، فالعلم في ذاته غاية وهدف للانسان المسلم رجلا كان أم امرأة . لأن العلم قوة وزاد لا يدخل في عقل الانسان قبل ان يستقر في نفسه وينتقل الى اسلوب حياته وانماط سلوكه ، ووسائل تعامله مع بني جنسه من افراد المجتمع . واذا كان الناس يتفاوتون في التحصيل العلمي ، فان الله امر الناس بطلب العلم ولم يستثن منهم احدا ، فالله امر المسلمين في شخص نبيهم عليه الصلاة والسلام بقوله (**وقل رب زدني علما**) طه/ ١١٤ وفي هذا المقام يضيف القرآن الكريم (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ والوجه الثاني ان يحاول الانسان المسلم الافادة من حقيقة التغير ومتابعة مساره ومعرفة آثاره ، وان يتقي المضار التي تلحقه ، ان هو غفل عنه ، او وقف في طريقه . ودع عنك تحديه وانكاره او تجاهله .

وما دامت كل المخلوقات تتغير فان حياة الانسان الاجتماعية تتغير ايضا

والتغير الاجتماعي

للدكتور ـ زيدان عبد الباقي

باعتباره سيد المخلوقات في شكل ملامح جديدة تطرأ على الظواهر والنظم والتيارات الاجتماعية طبقا لقوانين اجتماعية حددها عالم الاجتماع العربي الاول في العالم كله عبد الرحمن بن خلدون . ومقالنا هذا يتناول موقف الاسلام من الانسان من خلال تغير النظم الاجتماعية .

هذا والتغيير الاجتماعي من الموضوعات التي حظيت باهتمام كثير من علماء الاجتماع . ولعل اول من اولى هذا الموضوع اهتماما كبيرا في العصر الحديث هو « وليم اوجبرن » وتتابعت بعد ذلك دراسات التغير الاجتماعي منذ مطلع القرن العشرين في ظلال ازدهار مناهج البحث الاجتماعي الحديثة . ومن المعروف ان ظاهرة اجتماعية وطبيعية تخضع لها الظواهر الاجتماعية والطبيعيـة على السواء ، وان كنا نجد انه اكثر وضوحا في الحياة الاجتماعية ، واذا كان التغير الاجتماعي من مميزات جميع الثقافات ، فان معدل التغير يختلف باختلاف نوع المجتمع ، ذلك أن التغير في المجتمع البسيط يختلف عنه في المجتمعات التي حققت قدرا كبيرا من النمو الاجتماعي والاقتصادي ، مع ملاحظة ان ثقافة المجتمع البدائي ليست استاتيكية كما يتوهم البعض ، وانما هي ثقافة ديناميكية كما اثبتت ذلك الدراسة العلمية لبعض الشعوب البدائية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان التغير يختلف عن التقدم الاجتماعي ، بمعنى ان جوهر التغير الاجتماعي هو البحث عن المبادىء التـي تحـكم الذبذبـات الاجتماعية . ومن ثم فانه يقوم على التحليل الموضوعي لهـذه الذبذبـات واتجاهاتها .. على حين ان التقدم الاجتماعي لا يخرج عن كونه مدخلا معياريا

قيميا للحكم على الاحداث الاجتماعية ، ومن ثم فان تركيز التقدم الاجتماعي يتجه الى البحث عن مجتمع أفضل بعكس الحال في التغير الاجتماعي الذي يركز اهتمامه على المجتمع القائم ، اي ان التقدم الاجتماعي فكرة فلسفية تبحث فيما ينبغي ان يكون ، بينما التغير الاجتماعي عملية اجتماعية تبحث فيما هو كائن .

وللتغير الاجتماعي نظريات متعددة يمكن تصنيفها في مجموعتين على النحو التالي :

أ ــ النظريات الدورية في التغير الاجتماعي .

ب ــ النظريات الحتمية في التغير الاجتماعي .

وتفاصيل تلك النظريات متاحة في المؤلفات المتخصصة .

هذا وتغير النظم الاجتماعية بمقتضى ما يجد في المجتمع والحياة الاجتماعية من ظروف يكون في بقائها واستمرارها مضار ، وفي تحويرها صالح منشود للناس ، فان الاسلام لا يمنع من حدوثه ، ما دام الغرض الاسمى يحقق المنفعة لسواد الشعب ، بغير تمييز بين الافراد مهما تكن منازلهم او مكاناتهم في المجتمع . وما دام التغير في النظم الاجتماعية يرمي الى درء المفاسد واقرار الطيبات لصالح الانسان .

هذا ولم تعرف البشرية دينا مثل الدين الاسلامي ، دين يزكى الفؤاد ويضيء البصيرة ، ويدعو العقل الى التفكير والتدبر ، والنظر في آيات الله ، والخروج من الدائرة الضيقة المحدودة الى الرحاب الواسعة الفياضة لكي يقف المسلم على آثار قدرة الله تعالى وعلى نعمائه . وهو مع ذلك دين يدعو الى المعرفة الواعية الموصلة للانسان الى غايته التي يرتضيها والى الخلق القويم الذي يريده . ولعل عنايته بالعلم ، انما جاءت بعد ان اكتمل للعقل البشري النضوج وتراكمت في جنباته الابتكارات الحضارية ، وبلغ ذروته واصبح على استعداد لهذا النظر والتفكر .

والطريقة العلمية التي نأخذ بها في هذا المقال ، انه لا يستعصي على البحث والدراسة ان يهتديا الى العصي الغريب ، متى استضاء سيرهما بمصابيح الحياد العلمي والتخلص من الافكار والاوهام السابقة واستخدام مناهج البحث العلمي . وبذلك لن يلبث الغريب المستعصى ان يلين من قيادة فيقرب ويسهل ويصبح له طعم الماء العذب ، الحلو المذاق ، ويجد الابواب مفتوحة امامه الى القلوب ذلك ان المسلم سينتهي بذلك الى ما ينتهي اليه الباحث المدقق اذا اشعل سراج العدل ، حيث تتبدد كل ظلمة ، ويقرب كل بعيد ويتيسر كل صعب ، ويصبح المر حلوا سائغا ، والمجهول واضحا مكشوفا بفضل هذا المنهاج .

وليس أضوأ من مصابيح تكشف للناس بعض ما يشتبه عليهم ، مما يتوهمون انه لا يكتشف ، ولا اعز من طرق علمية تجمع الرأي بعد خلاف يظن ان اشتاته غير قابلة للجمع . وذلك كما يتوهم بعض الناس ويظنون في الشريعة الاسلامية ، وفي الحياة الاجتماعية الظنون ، اذ يخيل الى اوهامهم بادىء ذي بدء ــ انهما امران متباعدان ، ونقيضان متضادان ، لا يمكن ان يجتمعا في « انا » واحد ، او

ان يلتقيا تحت سماء واحدة .

ولم يكن هذا التباين الموهوم بين الشريعة والحياة الاجتماعية الا من جانب الذين لم يفتحوا على الرؤية غير عين واحدة ترى نصف الافق ، ترى المنقول والمؤول والمفسر فحسب ، ويغيب عنها نصفه الآخر . وهو النصف الذي اصطلح عليه الناس تحت اسم « العقل الجمعي » في المجتمع . ولو انفتحت العينان معا لتراءى لهما الافق كله في وحدة متصلة مستمرة ، وفي منظر ملتئم مجموع لا يتجاهله كل ذي بصيرة .

الاسلام دين كل انسان وكل زمان وكل مكان :

والاسلام ــ كنظام اجتماعي ــ جاء للناس كافة ، لا لقوم دون قوم ولا لقبيل دون آخر ، ولا لأبيض دون أسود ، ولا لأحمر دون أصفر ، وإنما جاء رسالة شاملة للجميع ، لاقامة العدل بين الناس وتهيئة مختلف الفرص لكل انسان لكي يعيش مع غيره بكرامة وعزة . ومن الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك قول الله تعالى **(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** سورة سبأ/ ٢٨ ، وكذلك قوله تعالى **(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** سورة الاعراف/ ١٥٨ وهذا ليهتدي به الضال عن سبيل الله ، ويتنبه به الغافل عن طريق الرشاد ، فليس احسن مذهبا ، ولا اقوم سبيلا ممن دعا الى دين الله الحنيف الذي اقامه سبحانه وتعالى على اعدل السبل ليغلب على سائر الاديان ، وليهدي به من يشاء من عباده ، الذين تفرقت بهم الطرق فعاشوا زمنا طويلا في تيه من الضلال والغي ، الى ان جاءتهم دعوة الحق جلت قدرته فتناجوا به في كل صلاة قائلين **(اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين)**

ومما يؤكد ايضا ان الاسلام جاء للناس كافة ، لقوله تعالى **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** سورة الفرقان/ ١ ، ٢ وايضا قوله سبحانه وتعالى **(وما هو الا ذكر للعالمين)** سورة القلم/ ٥٢ وكذلك قوله جل شأنه **(ان هو الا ذكر للعالمين)** ص/ ٨٧ وايضا قوله تعالى عز من قائل **(وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين)** سورة يوسف/ ١٠٤ واخيرا وليس آخرا قوله سبحانه وتعالى **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** سورة الانبياء/ ١٠٧ وكل تلك الايات البينات تؤكد ان الرسول ــ ممثل الاسلام ــ للناس كافة . والفرقان نذير للعالمين من افريقيين واسيويين واوروبيين وامريكيين واستراليين . ولكل سكان الكواكب والاقمار والمجرات . بل ولكل كائن

حي اينما كان وحيثما حل مهما تتابعت الحقب والاجيال . فالرسول والاسلام كلاهما للانسان ، كما هما للانسانية وكتاب الاسلام يدعو الناس الى التآخي (**انما المؤمنون اخوة**) الحجرات/ ١٠ ويدعوهم الى الحرية والاخاء والمساواة في الحقوق والواجبات ، والى العيش متعاونين متكافلين داعين الى الخير ، مناعين للشر ، مقيمين للحدود معادين للباطل ذلك ان الاسلام دعوة صريحة واضحة لا لبس فيها ، تدعو الى الاخوة بين البشر جميعا . دعوة كريمة وتوجيه كريم من رب كريم عظيم ، ودستور سماوي عظيم لم تصل الى مستواه ــ ولن تصل ــ اكثر الامم رقيا في عصرنا هذا الذي يقولون عنه انه عصر الذرة وعصر الفضاء وسفن الفضاء . وهذه هي الامم الغربية كلها وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية حيث توجد هيئة الامم المتحدة التي اعلنت واصدرت الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، تحدثنا صحافتها عن قصص التفرقة العنصرية الداميــة ، تلك القصص التي يندى لها جبين الانسانية وتتألم لها النفوس البشرية .. هذا ابيض له كل الحقوق ، وهذا اسود ليس له اي حق من الحقوق .. حتى في اماكن العبادة التي يجب ان تكون فيها النفوس اكثر صفاء ، وتنحني داخلها الرؤوس من خشية الله ... هناك لا يجلس الابيض بجوار الاسود .. ترى من الذي اوجد التفرقة ونادى بها ، مع ان الله خلق الكل ، واوجد الوجود كله للكل ... الخ ؟

وعلاوة على ذلك فان الاسلام دين الديمقراطية الحقة ، دين يدعو كل مؤمن الى ان يرفع رأسه عاليا وان يعيش عزيز النفس ، كريم الذات ، عالي الهمة بالسلوك الحميد وليس بالتعالي والتفاخر بالانساب والاموال ذلك ان الضعيف قوي بالاسلام ؛ والفقير بالاسلام ــ الاسلام دين السعي والكفاح ــ غني . وكل مسلم بالاسلام عزيز لن يهون ، وله مكانة الانبياء اذا سلك مسلكهم ، وسار على دربهم وتمسك باخلاقهم تأكيدا لقوله تعالى (**ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما**) الاحزاب/ ٤٠ فهو واحد من البشر مثلنا اختصه الله بالرسالة لتمسكه باخلاق الاسلام ولحكمة علوية كريمة ارسله الله للناس كافة وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين ، اذ ليس وراء رسالته في توجيه الانسانية رسالة ، فهي الرسالة الجامعة المانعة بها يسعدون وبغيرها يشقون ويفسدون .

اذا ، الاسلام رسالة نورانية ، رسالة الحرية والاحرار ، رسالة الحق والعدل والخير والجمال ، رسالة التوحيد والتمجيد لله سبحانه وتعالى . وليس ذلك فحسب ، بل ان الاسلام دين حر ودولة حرة ، وبالرغم من ذلك ، فان رسالة الاسلام لم تفهم ــ بعد النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ــ على وجهها الصحيح ، ولم ينتشر الاسلام كما ينبغي نتيجة نسيان المسلمين للاخوة الدائمة في الخير والشر في مجتمعهم ، كذلك في الغنى والفقر ، في الجهاد والدعة ، في الكفاح واليسر ، في الحرب والسلام ، نسى المسلمون كل هذا وراحوا يقيمون مجتمعات بعيدة عن روح الاسلام الصحيح ، بعد ان سيطرت على

الدول الاسلامية النظم الرومانية التي شهدوها في الشام والنظم الفارسية التي آنسوها في بلاد فارس بعد الفتوح الاولى مباشرة ، مع ان القرآن الكريم يقول (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة**) آل عمران/٢٨ وتلك مباطنة لا يقرها الاسلام فقد نزلت هذه الآية الكريمة ــ كما يقول الالوسي ــ في نفر من الانصار ، كانوا يباطنون نفرا من اليهود مثل ابن ابي الحقيق ... وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ايضا . وليس معنى ذلك ان يتمركز المسلمون حول ذاتهم في انطوائية ترفضها الحياة الاجتماعية ، وانما في نهاية الآية الكريمة السابقة دعوة للأخذ من الآخرين والآية تحدد ايضا ماهية هؤلاء الآخرين بأنهم (**الا ان تتقوا منهم تقاة**) وليس ذلك من الموالاة في شيء ــ كما يقول الالوسي ــ بل من السنة المشروعة . واورد عن النبي صلى الله وسلم قوله « ان الله امرني بمداراة الناس ، كما امرني باقامة الفرائض » رواه الديلمي ورمز السيوطي لضعفه .

وظلت تلك التبعية ميراثا تتناقله الدول والدويلات الاسلامية الى زماننا هذا ، تلك النظم التي كانت الاساس التي قام عليها النظام الطبقي الصارخ في سائر المجتمعات الاسلامية . تلك الطبقات التي يرفضها الاسلام لبعدها عن روحه . ولأنها ليست من اصوله ولا من فروعه ، ذلك ان الاسلام دين يدعو الى التقارب في فرص الحياة بين الناس ، كما انه دين المساواة في مستويات الحكم ، فلكل من يظله الاسلام كرامة مساوية لكرامة غيره من الحاكمين والمحكومين ، وله على الدولة حق الحياة بكل الوانها ، روحية كانت أم مادية . ولا ريب في ان اساليب النفاق الطبقي الصارخ الذي ورثته دويلات الاسلام عن الروم والفرس قد عطلت المعنى الاسمى الذي ينشده الاسلام لكل مجتمع انساني ، بلا تفرقة بين عقيدة وعقيدة ، او لون وجنس ، او اي من تلك الفروق التي تنخر في عظام الحضارة الحديثة . وهكذا فان الاسلام ، كما يقول طيب الذكر الامام محمد عبده « محجوب بالمسلمين » وهو قول حق اريد به وجه الحقيقة .

التغير الاجتماعي الذي لا يقره الاسلام :

ابتعد المسلمون على النحو السالف الذكر عن حقيقة دينهم ، وخضعوا نتيجة لعدم اقتباسهم ما يتفق مع الاسلام من النظم الاجتماعية الحديثة ، كما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما دون الديوان واستبدل لقب الخليفة الثاني للمسلمين بلقب « امير المؤمنين » وانما لنظم دخيلة على الاسلام . وكان بعدهم عن حقيقته سببا في ان يبتعدوا عن الحياة ذاتها . فما هي اذن تلك المؤثرات التي احدثت ذلك الصدع الكبير بين الاسلام والمسلمين ؟

لعل السبب يرجع ــ بل من المؤكد انه يرجع ــ الى بعد الاسلام عن المسلمين ، ومن ثمة بعدوا عن الحياة الاجتماعية الاسلامية . فالاسلام يدعو الى التطور

وليس دينا جامدا مغلقا امام ما لا يتعارض معه ، لا سيما اذا كان فيه صالح الانسانية . ولكن رجال الاسلام بعدوا عن روح الاسلام . وبالتالي فلن يستعيدوا مجدهم الا بالنظرة الشاملة والادراك الواعي والفهم العميق لروح تلك الرسالة النورانية ، على انها رسالة انسانية جعلت اصلا من اجل الانسان .

ولكي نفهم رسالة الاسلام فهما عقلانيا يجب علينا ان نرفع ذلك الحجاب الذي اسدلناه بيننا وبين الاسلام وحجبنا به الاسلام عن اعيننا وعن اعين الآخرين في مختلف الامم . الامر الذي يجعلنا مسؤولين امام الله عن حجب الاسلام عن اداء رسالته العالمية الانسانية للناس اجمعين . اوكما قال امامنا الراحل محمد عبده رحمه الله « بأن المسلمين حجبوا الاسلام بالاسلام ، فقد تفرقوا احزابا وشيعا ، وذهبوا طرائق متباينة ، والتمس كل فريق منهم وسيلة من الاسلام يؤيد بها الصورة التي زيفها منه ، وعندي ان هذه الظاهرة كانت اكبر اعتداء انزله المسلمون بدينهم فالاسلام في حقيقته رسالة بسيطة ظاهرة المعالم ، بينة الحدود ، بعيدة عن مماحكات المنطق ، وسرحات الباطنية والتصوف ، فاساس الاسلام اله حق ورسول ادى رسالة ، وانسان اديت اليه . والانسان في الاسلام هو المحور الذي تدور حوله رسالة الاسلام وتعاليمه العليا ، وكانت الكارثة الكبرى التي حجبت الاسلام فعلا ، هي ان المسلمين نسوا الانسان ، نسوا الجوهر الذي نزلت من اجله الرسالة النورانية » .

وخلاصة ذلك ان الرسالة الاسلامية وسيلة والانسان هو الغاية . ولو ان المسؤولين عن الدين الاسلامي قد استمسكوا بجوهر الوسيلة ، لما استطاعوا ان يطرحوا الغاية . ولكنهم بجهالة ـ جمدوا الوسيلة وفرقوها حسب اهوائهم ، وادخلوا عليها ما ليس فيها من بدع خضوعا منهم لمنطق المصلحة الخاصة وصبغوها بالباطنية حينا وبالتصوف حينا آخر ، وبالاساطير والاباطيل احيانا كثيرة ، انتجاعا لسيطرة الطبقات المستعلية وتخويفا للطبقات المستدنية حتى تستكين وتضعف وتذل ، بان يلقى في روع افرادها ان استعلاء الاعلين ، واستدناء الادنين ، انما هو من صنع القدر استنادا الى قول الله تعالى (**وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**) الانعام/ ١٦٥ وقوله تعالى (**اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣٢ ونسوا بذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس ، ان ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ولا لأحمر على اسود ، ولا لأسود على احمر الا بالتقوى » رواه احمد وهذا يتفق مع قوله تعالى (**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ وذلك للقضاء على اجحاف النظام الطبقي الذي كان سائدا قبل

الاسلام . ومن ثم فان ما ظنوه من صنع القدر ، ليس من القدر في شيء ، وانما هو من صنع فئات اتيح لها ان تسيطر ، فأوسعت سواد الشعب خفا وهضما . وفي ثنايا هذه الانشطارات المؤسية التي لا تمت لروح الاسلام بأية صلة ، نسيت الغاية ، اي نسى الانسان الذي جعل الاسلام من اجله . وبذلك وهنت القوة الروحية التي يضفيها الاسلام على المسلمين . ومن هنا تقهقر الاسلام ، ولم يكن تقهقره نتيجة لفقدان القوة المادية ، والسيادة السياسية ، ولا لنقص فيهما ، ذلك ان الامم ـ كما يقول ابن خلدون ـ لا تموت في العادة ، ولكن يقضى عليها بان تنحدر الى مستوى الحياة الهينة اللينة عندما تنتقل من مرحلة البداوة ال مرحلة الملك ثم الى مرحلة الهرم والشيخوخة ، وهذا ما اتفق للاسلام عندما توقفت جهوده المبدعة بتخلف اتباعه وكذلك عندما اضيفت كثير من المبالغات في الصلاح والفتوى وفي الاحتقار للآخرين . وعندما خـفت ذلك النور الداخلي في المسلمين ، حتى خسر ايمانهم قوة صفائه .

خفت هذا النور عندما استسلم المسلمون لدعاوي الاستعمار القائمة على الاسفاف والتجني والتي حمل لواءها الفيلسوف « ارنست رينان » الذي اتهم الاسلام بمناهضة العلم والفلسفة وكل ما هو مجال للعقل ، ولقد بالغ في دعواه حتى زعم ان العقلية السامية بصفة عامة ـ وكان يعني بذلك العقلية العربية ـ ليست بعقلية علمية ، ولا تصلح باستعدادها للبحث العلمي . وانما هي عقلية تتجلى براعتها في الحكم الرمزية والكلمات الغامضة المصبوبة في قالب الاحاجي المصنوعة في شكل الغاز ، وعلى الرغم من انها دعوى ظاهرة البهتان ، بل انها دعوى ترجع ـ في الواقع ـ الى العقلية العنصرية حيث تعتمد على حيثيات غير علمية ، اذ لا يوجد في العلم عقلية علمية واخرى غير علمية . فالعرب الذين يصف عقولهم بانها غير علمية ، هم الذين ينحدرون من سلالة امة عاشت تسعة قرون من الزمان ، وهي مركز القوة في العالم ، وقطب الحياة لهذه الدنيا ، وانهم سلالة آباء امجاد طوقوا عنق اوروبا بفضل المعلم على التلميذ وكان لهم في هذه الحضارة العربية الاوروبية عقل وفكر وعلم ، اخذه عنهم الاوروبيون وجعلوه اساسا رفعوا فوقه البنيان ، وما زالت آثاره ماثلة في حياتهم . فاذا كنا نأخذ اليوم عن اوروبا علما وفكرا ، فانه اخذ مسبوق بالعطاء ، وسداد لدين قديم اقتضى حق الوفاء ـ واذا كانت الامة العربية قد اغفت فترة من الزمن حتى سلبها الغرب كل ما لها من مقومات ومقدرات ، فهكذا سنن الاجتماع ، تتداول الامم صعودا وهبوطا ، يقظة واغفاء .

وبالرغم من ان السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله قد دفع دعوى « رينان » ببطلانها على مرأى ومسمع من علماء السربون ، وفي مواجهته في باريس ، وبالرغم من ان الامم الحية مثل الامة العربية هي التي تستيقظ من غفوتها فتكون اقدر واقوى على صنع الحياة وما تفرضه مطالب الحياة ، فقد جازت دعوى « رينان » على افهام بعض العرب والمسلمين بحكم التخاذل الذي اصابهم في عهود الاستعمار

والتسلط فكانوا يرددون هذه الدعوى الباطلة ويؤكدونها على قومهم واهلهم من العرب والمسلمين في غير وعي وغير ادراك .

المسلمون قادة العالم :

لقد قاد المسلمون العالم بالاسلام في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني على مدى الفي عام على الاقل قبل اليونان ، ثم في القرون الوسطى طوال اربعة قرون تقريبا ، وليس ثمة ما يمنع شعوب الدول العربية من ان تقود العالم مرة ثانية في المستقبل القريب او البعيد ، بشرط ان ينهضوا من كبوتهم ويعودوا الى الأخذ بروح الاسلام وليس بحرفيته ، ويرفضوا ما انتحلوه من الأمم الأخرى ، وخاصة الرومان والفرس من نظم الحكم الطبقي .. تلك النظم التي وسعت من الفروق الطبقية ، حتى انتهى الامر باهل الطبقة العليا ان يعملوا على السيطرة على الطبقة الدنيا ، وبأهل الطبقة الادنى ان يستنيموا للقدر الذي اوحى اليهم بانه من صنع الله وما كان الله بظلام للعبيد !!!

الاسلام دين الفطرة :

والفطرة هنا ليست الفطرة القائمة على التوحش ، عندما عاش الانسان في حالة الطبيعة جريا لكل انسان ضد كل إنسان كما يرى « هوبز » وليست حرية مطلقة حيث يتصرف الانسان على اساس عقلي كما يرى « جون لوك » وانما الفطرة في الاسلام تقوم على ما اثبتناه في صدر هذا المقال من ان الاسلام رسالة عامة للناس اجمعين ، بلا تفريق بينهم من حيث الجنس او اللون او الوراثات الاجتماعية ، رسالة لا تفضيل فيها بين الناس ، هي نذير للعالمين ، وذكر للناس اجمعين ورحمة للبشر رسالة ترسم لهم طريق الدنيا والآخرة ، هي شريعة للتنظيم المدني ، وهداية للتعايش الاجتماعي ، وحدود مرسومة لحياة اجتماعية راقية .

ان الاسلام رسالة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فهي اذن رسالة جامعة ، لأن فطرة البشر واحدة ومن ثم تكون رسالة الفطرة ، رسالة لمن تجمع بينهم فطرة واحدة . وهذه المسلمة التي تستقر على قمة المسلمات او البدهيات فسرت عدة تفسيرات ، جنح اليها رجال الدين من المحافظين ، اعتقدوا خطأ ان تفسيرها ينبغي ان يكون رهنا على قول من قال من القدماء « كل جديد بدعة ، وكل بدعة في النار » وهو قول مستخرج من حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام ونصه « فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه غير ان معنى البدعة او الاحدوثة يختلف عن الجديد في العلم ، ولكنهم اخذوا اللفظ على

اطلاقة ، ورفضوا كل جديد حتى كان قد تم التأكد من صدقه وثباته بمنهاج علمي دقيق . ولذلك فانهم بالرغم من ذلك قالوا : ان المعنى المستفاد من عبارة « الاسلام دين الفطرة » انما يرجع الى اساس واحد ، وهو ان التفسيرات والنقول القديمة هي التي تعني معنى الفطرة ، وان الفطرة لاولاية لها على التفسيرات والنقول . وهذا التفسير الجامد لا يتفق ومعنى الفطرة ، ذلك ان الفطرة تتطور وتتقدم وتتجدد فاما ان نساير الفطرة ، وإما ان نتخلف عن ملاحقة التطور الفطري . واذن فخليقة الفطرة مناقضة تماما لذلك التفسير الموغل في الجمود ، ومن هنا فاننا اذا اردنا مزيدا من البيان ، فانه يجب علينا ان نفسر مضمون « الفطرة » من وجهة نظر الاسلام : فالفطرة ـ كما نراها ـ من منظور اجتماعي ، هي الحياة الاجتماعية بكل سماتها الظاهرة والباطنة ، ومن مقتضيات الحياة الاجتماعية التطور والتغير فهي ديناميكية بفطرتها بل ان من خصياتها الثابتة ان ترقى وان تتقدم وان تتجدد ، فكانما يقول ان الاسلام دين الحياة ، والحياة تتطور ، وبالتالي يجب علينا كمسلمين ان نساير الحياة ونتطور معها طبيعيا وعقليا واجتماعيا ، والا تطورت الحياة الاجتماعية وتركتنا متخلفين عن ركب الحضارة ، ومن ثم نصبح حضيضا وذنبا في دنيا الناس ! ولكي لا نكون ذنبا في دنيا الناس فمن الضروري ان نأخذ بالكليات الاسلامية فما هي تلك الكليات ؟ .

الكليات الاسلامية :

تتصل الكليات بمفهوم الفطرة ، فما دمنا قد ايقنا ان « الفطرة » اصطلاح غير ذي حدود تتفق وصالح المجتمع في جميع الاحوال ، ففي الفطرة : الذكاء والعقل والفضيلة ، كما ان فيها الشهوة والافتعال والرذيلة . ومن اجل ذلك شاءت حكمة الله في الرسالة الاسلامية ان يكون للاسلام « كليات » تحكم الفطرة في حدود تتسع لما يمكن ان يبلغه الانسان من تغير في حياته الاجتماعية ، ولهذا كانت هذه الكليات على ما ادرك منها ثابتة لا تتزعزع ولا تتحول ولا تتحور ، ولا ينتابها التخلف والتناقض ، كليات تتجه جملة وتفصيلا الى خير الانسان وبالتالي خير الانسانية ، ... هذا ومن اهم امثلة هذه الكليات ما يلي :

أ ـ ان اول هذه الكليات ان الاسلام قد جعل من اجل الانسان ولم يجعل الانسان من اجل الاسلام . ومن ثم فكل اصلاح اجتماعي او تشريعي تقوم الدلالة المادية على انه من صالح الانسان يكون بذلك من روح الاسلام ذلك ان الاسلام لا يتصادم مع حقائق الحياة ، فرسالته انسانية تقدمية ترفع الظلم وتطلب المصنع والطائرة والاقمار والسفن الفضائية ، وتقيم العمران ، وتدفع للعمل تحت الشمس ، وتطالبنا بالمزيد والمضاعفة للانتاج ، وتؤكد حق الانسان المسلم في الحياة ، وحقه في الحرية ، فان الله تبارك وتعالى وضع الفرصة المتكافئة امام

البشر اساسا للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة .
والدين الاسلامي لكي يمنح الانسان حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، وضع مبادىء ونظما اقتصادية للعمل والتملك والانفاق ، وقد عالجت هذه النظم مشكلة الفقر في المجتمع وقربت الفوارق وحققت الاكتفاء الذاتي ، وادى تطبيقها الى تحقيق التعاون والرخاء ، والاخاء بين افراد المجتمع منذ اربعة عشر قرنا من الزمان ، ونحن لو طبقناها لسمت بنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا واخلاقيا ، كما سمت بآبائنا من قبل ، ولاعفتنا مما ينادى به البعض من نظم اقتصادية وسياسية مستوردة تتنافى مع مبادئنا وعقيدتنا ، وينعدم في دنياها الخوف من الله ، وينعدم بانعدام ذلك الصبر والامن والعدالة والرحمة وحرية التفكير والتعبير ، وتجعل التملك للدولة وتحول بين الفرد والتملك حتى يعمل ويأكل كالحيوان ، ويقضي على نظام المواريث ، ويصب الناس بمقتضى ذلك في قوالب متساوية ومتشابهة مع ان الله لم يخلقهم متساوين في اي شيء جسماني او عقلي ، اتفاقا مع قوله تعالى (**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣٢ وكذلك قوله تعالى (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**) النحل/ ٧١ .
ان الاسلام الذي يزعم البعض انه لزمن مضى وانقضى هو دين الحياة .. دين الحرية ... حرية الاعتقاد (**لا اكراه في الدين**) البقرة/ ٢٥٦ حرية العمل المشروع (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ حرية الرأي والقول والاجتماع لان كبت الاراء والزج باصحاب الرأي في السجون ، انما هو ظلم يتنافى مع اخلاقيات الاسلام لقول الله تعالى (**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون**) البقرة/ ٤٢ ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره » رواه احمد ومسلم ومعنى ذلك ان حرية الرأي مكفولة في ظلال المبادىء الاسلامية . فذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يتقبل حرية الكلمة من رجل قال له : اتق الله يا عمر . وعندما قال احد الحاضرين : اتقول ذلك لأمير المؤمنين ؟ قال عمر : دعه فليقلها ، نعم ما قال ، فلا خير فيكم ان لم تقولوها ، ولا خير فينا ان لم نسمعها ونتقبلها .
ب ــ وثاني هذه الكليات : ان الاسلام « روح » وليس حروفا مرصوصة ، وقبل ان يكون نقولا او تفسيرات او تأويلات ، وروح الاسلام انه هداية للبشر في معاشهم اولا ، ثم هداية لهم في اخراهم من بعد ذلك . فمراعاة مصالح الناس في امور معاشهم ومعاملاتهم من الامور الاساسية في الدين الاسلامي . ولذا كان للعرف وللعادات وللتقاليد اعتبار في ابتناء الاحكام ولما كان المسلمون في كل فجاج الارض مخاطبين بالشريعة ، اصولها وفروعها ، وان يطبقوا احكامها على كل تصرفاتهم والتزاماتهم ، لزم ان يكون التشريع قد راعى مصالحهم على اختلاف اقاليمهم ومتأثرا بعاداتهم وباعرافهم وبتقاليدهم .

والمصلحة يراد بها في لسان الشريعة : جلب المنفعة ودفع المضرة في حدود المحافظة على الشريعة ، والذي يتتبع الاحكام الاسلامية يجد انها موضوعة لصالح الناس ، كما دل على ذلك القرآن الكريم في قوله **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء/١٠٧ فاساس الرحمة جلب المنفعة ودفع المضرة وهي دائرة حول ذلك لا تتعداه ، ولذا فان التشريع الاسلامي لوحظ في احكامه اليسر والبساطة ، كي لا يقع الناس في ضيق وحرج ومشقة لقوله تعالى **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ .

جـ ـ وثالث هذه الكليات ان الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة في الافضلية على الاخرويات ، فالدنيا سابقة على الآخرة ، والحياة سابقة على الموت ، فالرسالة المحمدية كانت اتماما للنعمة لانها تضمن لهم من الاسباب المادية والروحية ، ما يحققون به التعادل في ذواتهم بين متطلبات الجسم ومقتضيات حاجاتهم المادية في عالمهم الواقعي وبين متطلبات الروح والعقل من تحصيل المعارف الصحيحة والمعتقدات السليمة والتمسك بالقيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية العالية » فاذا تحقق هذا التعادل والتوازن ولم يتغلب في ذات الانسان احد الجانبين على الآخر ، حصلوا على السعادة في واقع ذواتهم وفي واقع حياتهم المادية ، وفي الشعور بحياة روحية تخلع عليهم من البهجة والاطمئنان ما يجعلهم دائما أبدا في نعيم مقيم وخير عميم ، وفي ظل هذا النعيم المقيم والخير العميم نجد الدنيا سابقة على الاخرة .

ومما يؤكد ذلك ان الله سخر للانسان كل ما في الارض ، اذ يقول سبحانه وتعالى في آيات وسور متعددة من القرآن الكريم **(وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار)** ابراهيم/ ٣٢ ويقول ايضا **(وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)** ابراهيم /٣٣ وكذلك قوله تعالى جل شأنه **(وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا)** النحل/ ١٤ ويقول جل شأنه **(الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض)** لقمان/ ٢٠ .

واذا كان الله سبحانه وتعالى بكل ما سخره للانسان من الآيات السابقات ، جعله سيدا لهذه الكواكب والاقمار والنجوم ، ودواب الارض وهوامها ، وما يلج فيها وما يخرج منها ، وما يعرج الى السماء وما ينزل منها ، فالسبيل الوحيد لهذا التسخير ، هو اولا : التأمل في هذا الكون ومعرفة السنن التي أودعها الله فيه والاهتداء الى مفاتيح هذا الكون ومقاليده لادارتها ، فاذا هو طائع يمنح الانسان العالم المفكر المتدبر خيراته ، كأنه حيوان اليف يتبع سيده ويلبي إشارته ولا يعصي ما يؤمر به .

فاذا أحسن التأمل وأطال النظر في خفايا هذه الكائنات وخباياها ، وأسلوب تطورها وتحللها وارتقائها ، وطريقة غدوها ورواحها ، واتصال بعضها ببعض ، وتأثير بعضها في بعض ، زاد سلطانه عليها ونفعه منها . وزاد قربي لربه الذي وعد عباده بالزيادة في كل شيء ، في قوله تبارك وتعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » وقد

قلنا من قبل ، ان خير وسيلة لشكر الله هي : التفكير في نعمه ، أي في أكوانه وبدائع مخلوقاته ، والسعي الحثيث للاهتداء الى نواميسه والوقوف على قوانينه .

اذن ما دامت زيادة معرفة الانسان لمخلوقات الله ، تؤدي الى زيادة سلطانه عليها بمقدار هذه الزيادة في المعرفة ، وما دام كل ما على الأرض ، وما في باطنها وما حولها في كل أرجاء الكون مسخرا للانسان ، وما دام الدين نعمة من تلك النعم ، فان الدين يصبح مسخراً للانسان وليس العكس .

د ـ ورابع هذه الكليات : أن الرسالة الاسلامية هي رسالة الحرية والاستقلال والاخوة المطلقة ، في حدود الشرائع والقوانين ، تطبيقا لقوله تعالى : (**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) سورة البقرة/ آية ٢٥٦ وقوله تعالى : (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**) سورة الكهف/ آية ٢٩ .

والرسالة التى تبيح الحرية في العقيدة على هذا النحو ، تفرضها على المسلمين وغير المسلمين فرضا في المعايشة وفي الحكم وفي المعاملات ، ذلك ان الحرية ميراث للناس أجمعين ، وليست وقفا على دين أو شريعة أو جنس أو لون ، ذلك لأن الاسلام يؤكد بهذه الآية أن الانسان حر التصرف حسب ارادته ، وترتيبا على ذلك ، فقد منع المسلمون من فرض ارادتهم على غيرهم ، بيد أن هذا لا يعني أن الاسلام ليس دين تبليغ ، فهو دين يستهدف الحق ، وهذا الحق يجب أن يظهر في الفكرة وفي الكلمة وفي العمل . وهذه لا تكمل الا اذا وصلت الى كل نفس بشرية .

ومع أن القرآن الكريم يصف المسلمين بهذه الآية : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**) سورة آل عمران آية/ ١١٠ ، الا أنه يحرم عليهم استخدام القوة أو اللجوء الى الاكراه ، وحتى نبي الاسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فانه لم يستثن من هذه القاعدة ، اذ خاطبه ربه قائلا (**فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور**)سورة الشورى/ آية ٤٨ ويقول سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام (**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) سورة يونس/ آية ٩٩ .

هـ ـ وخامس هذه الكليات أن الاسلام رسالة مرنة ، فيها طواعية لحاجات البشر في دنياهم ، ثم ارشاد لهم في أخراهم ، وفيها أساس ثابت للنشوء والارتقاء والتطور ، ومسايرة لمقتضى الحال ، ليظل الاسلام والآخذون به وبرسالته بشرا أحرارا بالمعنى المفهوم من هذه الكليات التى سقنا القول فيها : ذلك أن الاسلام

يحدد الأهداف العليا ، ويضع القواعد الأساسية ، ويتناول المسائل الكلية .. ويدع الجزئيات للحوادث الاجتماعية وتطور الحياة والحضارة الدينية . فالاسلام دين كل عصر ، ودين كل مكان ، وقوانينه التى تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية جامعة شاملة ، قابلة للتفسير تفسيرا يتفق وحالة أي مجتمع ، فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان في أحسن صورة ، وكرمه بالعقل واللسان الناطق ، وختم رسله بخاتم الأنبياء ، الذي قدم بمباديء تسمو بالغرائز وتوجهها الى الخير ، وتزرع في القلوب المحبة والاخاء ، وزوده بنزعة التشارك في السراء والضراء ، مع منح المرء حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، فيعمل العمل الصالح الذي يملأ قلبه بالراحة والطمأنينة ويسعده في دنياه ، ويجعله يظفر بالنعيم في أخراه ، وصدق قول الله سبحانه وتعالى : (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ ويقول عز من قائل : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم**) المؤمنون/ ١١٥ ، ١١٦ ، ذلك أن الانسان قد كرمه الله بأن خلقه في أحسن صورة وأحسن تقويم ــ كما قدمنا ــ ولم يك أصله حيوانا من الحيوانات ذات السلسلة الفقرية العليا (قردا) تحول بالارتقاء الى انسان ، كما تزعم نظرية « دارون » التى يتشيع لها علماء « الأنثربولوجيا » في مصر وفي العالم ، والمبهورون بكل ما هو مستورد ، حتى وان كان هذا المستورد يحقر الانسان ويزري من شأنه وان كانت لا تقره تعاليم السماء وشريعة الخلاق العليم القائل (**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون**) كما أن الله سبحانه وتعالى يقول (**ولقد كرمنا بني آدم**) ، ويقول سبحانه وتعالى (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**) ويقول (**وصوركم فأحسن صوركم**) ويقول جل شأنه (**في أي صورة ما شاء ركبك**) ، ولا شك أن التكريم وحسن الصورة مما يتنافى مع صورة القرد وأنماط سلوكه وأساليب حياته !!

وكذلك يخبرنا الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، وهو أقدم المراجع الدقيقة على الاطلاق ، بأن خلق الانسان منذ البداية كان نوعا مستقلا وليس متطورا عن نوع آخر من أنواع الحيوانات ــ كما زعم « دارون » ــ حيث يقول سبحانه وتعالى عن خلق آدم (**واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ويقول عز من قائل (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) ويقول جل شأنه أيضا (**الذي أحسن كل شيء خلقه**) .

ذلك أن أصل النشأة مسألة غيبية لا يصل اليها الانسان على أساس مناهج البحث العلمي الحديثة ، أي تلك التى تقوم على أساس الحواس والملاحظة والتجربة ، أي بالعقل ، لأن الله خلق الانسان وهو العالم بأصل النشأة ومبدأ الخلقة ، وانه سبحانه وتعالى نفي عن الانسان معرفة ذلك بقوله تعالى (**ما**

أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) وذلك بالرغم من أنه ــ كما هو معروف ــ أن الانسان خلق كما خلق سائر الحيوان ، ومنها القرود من تراب وماء مهين . ولكن الله ميز الانسان على سائر الحيوان بالنطق والعقل المفكر ، وهو بهذا العقل المفكر أصبح مكلفا بقيم وبمباديء وبأخلاقيات ، وأصبح مسئولا عما يفعل ــ بعكس الحيوانات ــ لقوله تعالى **(انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** وقوله سبحانه وتعالى أيضا **(وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة اذا تمنى)** النجم وقول الله جل شأنه **(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير)** سورة النور/ آية ٤٥ .

وهذا الانسان اذا لم يعمل بما أنزل الله ، فان الله قادر على أن يفعل به كما فعل ببني اسرائيل ، اذ جعلهم كالقردة في الذلة والمهانة ، اذ قال سبحانه وتعالى في شأن اليهود **(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)** وقال سبحانه وتعالى ايضا **(وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)** .. ترى هل هؤلاء القردة هم ــ أو بالأحرى ــ أجدادهم الذين يقصدهم « دارون » بنظريته القردية !!؟

و ــ وسادس هذه الكليات : أن الاسلام رسالة بسيطة ومفهومة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، لا كهانة فيها ولا رهبانية ، فالاسلام دين أركانه الخمسة بسيطة ومفهومة ، يستوي في فهمها وادراكها أكبر الفلاسفة وأجهل الصعاليك ، لا سيما وأن من أسمى مميزات الشريعة الاسلامية ، أن تعاليمها ، ونصوصها تجمع بين البساطة والعمق ، وهي تمشي مع تطور حياة المجتمع ، وهي تستطيع ان تحكم معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم ، مهما تطورت وتنوعت هذه المعاملات والعلاقات .

ز ــ وسابع هذه الكليات : أن الاسلام رسالة علم وفكر ، رسالة تفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وتجعل الولاية للذين يعلمون على الذين لا يعلمون ، رسالة المفكرين الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، أي يتفكرون في عالمي الغيب والشهادة ، فلقد كانت أولى كلمات الوحي التى صافحت أذني النبي عليه الصلاة والسلام : دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الايمان بالله العليم الحكيم ، قال تعالى **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/ ١ ــ ٥ ، ان الاسلام يقوم على العلم ويحض عليه ، ويرفع من قدر أهله ، وعن طريقه تتحقق النهضة الانسانية الشاملة ، فتنقشع ظلمات الجهل ، ويأخذ النور طريقه الى الناس ، فتقوم بينهم دعائم الحق والكمال ، أي أنه كانت أولى كلمات الوحي دعوة الى العلم تكسو الدين الجديد الذي يقوم في أساسه باسم

الله ، كانت (**اقرأ**) دعوة آمرة الى طلب العلم والثقافة والفكر والبحث المستفيض في السماء والأرض وفي الجبال وفي البحار ، وفي كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت ، انها (**اقرأ**) باطلاق ، انها (اقرأ) دون تحديد ولا تقييد ، اللهم الا أن تكون باسم الله ، ويحث الاسلام على طلب العلم ، فيقول سبحانه وتعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) . ومن ثم فالمسلم مطالب بأن يتفقه في أمور دينه ، وأن يأخذ بحظ وافر من العلم والمعرفة ، وفي سبيل ذلك : عليه ان ينفر في سبيل تلقي العلم وتحمل مشاقه ، وأن يرحل من أجله مستعذبا كل ألم ، مقبلا عليه بنفس راضية مطمئنة .

وطلب العلم في الاسلام ليس من أجل العلم فحسب ، وانما من أجل فائدة البشرية ، ولقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام مثلا يؤكد : أن طلب العلم ينبغي أن يعود على البشرية بالخير فقال (مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم ، كمثل الغيث أصاب أرضا : فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت طائفة منها طائفة اخرى .. انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . وذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به ، مثل ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه احمد والشيخان .

وخلاصة ذلك أن البشرية لم تعرف دينا ، مثل دين الاسلام ، دين يزكي الفؤاد ويضيء البصيرة ويدعو العقل الى التفكر والتدبر والنظر في آيات الله تعالى ، والخروج من الدائرة الضيقة الى الرحاب الواسعة الموصلة للانسان الى غايته التى تستهدفها ، والى الخلق القويم الذي يريده ، ولعل عنايته بالعلم انما جاءت بعد أن اكتمل عقل الانسان ، وبلغ ذروته ، وأصبح على استعداد للدراسة والبحث ، ولهذا فاننا نجد القرآن الكريم قد عاب ، على هؤلاء المشركين الذين قالوا (**انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**) الزخرف/٢٣ ، عاب عليهم تمسكهم بعقيدة أبائهم وعدم افساحهم للعقل طريقا في دنيا حياتهم ، كي يقفوا على آثار رحمة الله تعالى ونعمائه ، كما عاب عليهم تمسكهم بالقديم ، وعدم طموحهم الى الجديد ، بل توعد هؤلاء الذين لم يستخدموا حواسهم استخداما يوصلهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، قال تعالى (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ، ولعلنا نلمس انكار القرآن الكريم على هؤلاء الناس عدم استخدامهم لعقولهم في قوله تعالى (**أولئك كالأنعام بل هم أضل ..**) ولقد بلغ من شدة احتفاء القرآن الكريم بالعقل أن ذكره نيفا وأربعين مرة ، لأنه مدار التكليف اذا اكتمل ، وبدونه تسقط التكاليف ، ولهذا يقول رسولنا الكريم « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى

يستيقظ ، وعن المبتلي حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر » احمد وابو داود والنسائي ، وكذلك ذكر العلم ثمانمائة وثمانين مرة ، ومن ثم فالرسالة المحمدية رسالة لحرية الفكر ، رسالة تبيح الشك ، لا لمجرد الشك ، ولكن ليكون الوسيلة الى بلوغ الحقيقة على أية صورة كانت ، ذلك أن دعوة الاسلام دعوة علمية ، أساسها التفكير والعقل .

ولقد كان للنظرة الاسلامية الى الحياة والكون أثرها العميق الفعال في تاريخ الحضارة الانسانية واتجاه سيرها في جميع ميادين الحياة ، وعلى يد العرب والمسلمين ، وعلى الأصح : انتقلت العلوم الطبيعية بالتفكير العربي الاسلامي من المرحلة النظرية عند اليونان الى المرحلة التجريبية ، فانتقلت الكيمياء والفيزياء والفلك الى مرحلة التجريب واكتشاف القوانين ، بل اننا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان العلم هو الأساس الاعتقادي في الاسلام ، فالعقيدة الاسلامية لا تتحصل للانسان بالتقليد والتلقي ، بل بالتفكير والنظر والفهم ، وكثيرا ما ندد الاسلام بأهل التقليد والتلقي الجامد ، ودعا الى التفكير والنظر والفهم . وهذا هو الأساس العلمي لكل اتجاه من اتجاهات الحياة .

ولقد ذهب بعض الناس ــ خطأ ــ الى أن العلم الذي يدعو اليه الاسلام هو العلم الديني وحده ، بينما الاسلام لم يقتصر على جانبه الديني ، بل تناول العلم بأوسع معانيه . فدعا الى التفكير في خلق السموات والأرض وحض الناس على أن يسيروا في الأرض ليروا كيف بدأ الله الخلق ، واستثار المشاعر والألباب حين دعا الناس أن ينظروا (**الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت**) بل ان الاسلام جعل النظر والتفكير والدراسة الواعية لهذا الكون مدخلا الى الايمان بالله ، وسبيلا الى ادراك قدرته وعظمته ، فما من ذرة في هذا الكون ، ولا ما هو أدنى ولا أكبر منها ، الا وتشهد بوجوده وتسبح بحمده وتدل عليه ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، فكما وضح القرآن الكريم منزلة العلم ، فقد وضح ماهيته وأشكاله ، فهو لم يقصره على علوم الشريعة وحدها . وانما جعله عاما ، ولكن بشرط ألا يخرج عن دائرة « اسم الله » الذي أشارت اليه الآية الكريمة (**اقرأ باسم ربك**) .

وعلى ذلك فلسنا مطالبين ، أو في حاجة الى أن نسوق مزيدا من الأدلة والبراهين أكثر من ذلك على اهتمام الاسلام بالعلم وتكريمه للعلماء ، فلقد جاءت آيات القرآن الكريم تحث على العلم والتعلم وتوضح مكانته في مواضع كثيرة .. فالله سبحانه وتعالى يذكر أولى العلم بعد الملائكة ، تنويها بشرفهم وفضلهم فيقول (**شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**) ، وكذلك بين رفعة العلماء بقوله تعالى (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) كما بين انهم الذين يخشون ربهم ويتقونه حق تقاته (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) كما بين صلى الله عليه وسلم أن العلم هو ميراث الأنبياء ، وأن شرف طالب العلم لا يطاوله شرف ، فالملائكة تضع أجنحتها له رضا بما

يصنع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذه بحظ وافر » وهكذا فان الاسلام قد رغب في العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبذلك تتضح لنا منزلة العلم والعلماء في الاسلام ، وكذلك منزلة طلاب العلم بكل ألوانه .

ح ــ وثامن هذه الكليات أن تكون التقوى أساس المعاملة والتقويم ، والعدل أساس الحكم والتقاضي ، ولقد أقرت رسالة الاسلام بهذا كل ما يدرك الناس على اختلاف فئاتهم وتباين حضاراتهم من مفهوم القانون مسايرا لحاجات الناس في معاشهم واطمئنانهم الى أمور دنياهم ، وأنهم أحرار في ظل شريعة حرة ، لها قيد واحد : هو الصالح العام للانسان وللانسانية ، وقد وصف المؤرخ العربي المسيحي « فيليب متى » الاسلام بأنه : حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ، اذ يعيش غير المسلمين مع المسلمين على قدم المساواة ، وتربطهم قواعد الاسلام بروابط المحبة والأخوة » وأضاف الى ذلك أيضا « أن المسيحيين استأذنوا السلطات الدينية في أن تكون « المواريث » في الشرق العربي هي نفس المواريث التى قررها الاسلام ، فأذنت السلطات بهذا .. » وهكذا نجد الاسلام لا يفرق بين عربي وعجمي ، او بين مسلم ومسيحي أو يهودي ، بل ان غير المسلمين يجدون في الاسلام ما يحقق العدالة بينهم .

تلك هي الكليات الاسلامية ، ولا ريب أن للاسلام كليات اخرى كثيرة ، وهذه الكليات وجزئياتها فروض معلقة في رقبة كل مسلم ، من يرعاها مسلم ، ومن يشذ عنها متخلف ، وازيد على ذلك : أن الحقوق المترتبة على هذه الكليات مشاع لكل مواطن مسلما كان أو غير مسلم ، على اعتبار أن الرسالة الاسلامية رسالة للمساواة في الحقوق ، وبالتالي فاذا ذهبنا الى أن الانسان قد جعل من أجل الاسلام : لم نكن مصيبين ، واذا ذهبنا الى أن الاسلام نقول وتأويلات وتفسيرات : انقلبنا جامدين ، واذا قلنا أن الأخرويات مفضلة على الدنيويات : كنا ضد التغير الاجتماعي ، وتخلفنا بذلك عن ركب الحضارة وانحدرنا الى حيث لا نكون شيئا ، واذا نزعنا نزعة الجمود في الفكر والعمل . انفصلنا عما في الاسلام من مرونة وطواعية لمقتضى الحياة ومقتضى الحضارة واذا جنحنا الى الرهبانيات والكهانات والتصوف والباطنية .. وكلها من مظاهر الجمود والتخلف : قضينا على كليات الاسلام قبل جزئياته قضاء ونسخناها نسخا ، واذا وزنا العدل بميزانين وكلناه بكيلين .. أو فرقنا بين الناس لعقائدهم أو لألوانهم أو لأجيالهم : انحرفنا عن رسالة الاسلام في أخص أصولها .

الأصول والفروع :

وعلى هذه الكليات تتفرع الجزئيات ، ولعل الخطأ الذي وقع فيه المسلمون ، وجروا معهم الاسلام الى حيث انحدروا ؛ أنهم تمسكوا بالجزئيات ونسوا

الكليات ، أخذوا بالفروع وتركوا الأصول ، جمدوا عند الأقوال والمذاهب والتأويلات ، وتغاضوا عن أن الاسلام كليات جامعة ، وهي التى ينبغي أن تكون لها الأولوية العليا على الأقوال والمذاهب والعقول ، وأنها السابقة وليست المسبوقة .. هي الأصول ، وما عداها الفروع .

والكليات هي الأساس الثابت الذي تقوم عليه رسالة الاسلام ، لا تبديل فيها ولا تغيير ، لا مماحكة فيها ولا اختلاف ، لا تضاد فيها ولا تناقض ، هي التى تحكم على صحة الأقوال والمذاهب والآراء والتفسيرات والتأويلات ، هي الكل وغيرها الجزء ، هي الجذع وغيرها الأغصان .

ومن أجل أن يظل الاسلام خادما للانسان ، ينبغي أن يقاس ما في المذاهب والنقول وغيرها على هذه الكليات ، أما العكس فليس من روح الاسلام في قليل أو كثير ، ومن أبين ما في الرسالة من حق ثابت واضح صريح ، أن في مستطاع الانسان ان يفكر لنفسه ، وأن في ميسوره عن طريق الفكر ، أن يصل الى الحقيقة ، وأن يعرف الحل .

وقد أعطانا الاسلام مثالا على أهمية التطور الفكري الاجتماعي لنصل الى القوانين الضابطة والحاكمة لهذا الكون ومخلوقاته من أحياء وجمادات : فالحرارة والبرودة ، الصلابة والسيولة ، التمدد والانكماش ، ليست الا مظاهر لهذا التطور وصوره ، ومن ثم : فان التأثر بقانون التطور ، أي بقانون التغير الاجتماعي والتأمل فيه ، هو الذي قاد خطى الانسان الى كشف أكبر القوانين العلمية حقا وصدقا ، وهو قانون التوحيد ، اذ لولا معرفة الانسان ان لهذه الأكوان جميعا الها واحدا ، وأن له قانونا واحدا ثابتا لا يتغير ، مهما تغير الزمان والمكان ، في القديم والحديث ، وفي جميع القارات وكل المحيطات لبقى الانسان عبدا أو أسيرا للخرافة والشعوذة ، وللذين يتسلطون على عقول الناس ونفوسهم ، بما يثيرونه في تلك العقول والنفوس من مخاوف باطلة ، وأوهام زائفة ، بفضل اتقانهم لترويج الخرافات .

ولقد روى القرآن الكريم لنا نموذجا لاهتداء الانسان الى القانون الأسمي ، وهو قانون التوحيد بالاهتداء الى قانون التغير والتطور ، وذلك في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) سورة الانعام/ آيات ٧٥ ـ ٧٩ .

وهذه الآيات التى بدأت بقوله تعالى (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ..**) آية / ٧٤ تعنيً أن اهتداء ابراهيم عليه السلام ، بدأ في النظر الى

السموات والأرض ، فلم يصل بقومه الى الأيمان بالله والاهتداء الى خالق الأكوان ، بعد أن لفت أنظارهم الى تأمل ظواهر الكون المتغيرة والمتطورة طبقا لمسلمة أو لبديهية حتمية التغير طبقا لنظام تنطوي عليه تلك البديهية ، واجراء المقارنة بين النجم اللامع والقمر الساطع ، والشمس البازغة ، ثم بتبينهم أن هذه الأجرام جميعا تختفي ، وأذهانهم لم تتفتح الى استنباط الحقيقة المستفادة من ظهور هذه الأجرام واختفائها ، من تباين أحجامها ، واختلاف نصيب كل منهم من الضوء ، الا بعد أن تدربوا على منهاج استنباط الحقائق . ولقد روى لنا القرآن الكريم أيضا هذا المثال ليرينا أن تغير ملكوت السموات والأرض هو سنة صالحة . وأن عاقبتها هي الوصول الى اكبر الحقائق ، التي حينما تمتلىء نفس الانسان بها : يتحرر من القلق والخوف من مظاهر الطبيعة المجهولة ، والخوف من الانسان الآخر ، حاكما كان أوكاهنا لينطلق من أسر الأكاذيب الشائعة التى ترتقي ــ بالباطل ــ الى مستوى الحقيقة ، وتأخذ مكانها ، ومن أسر المتسلطين الذين يكسبون من استبقاء الجهال في الجهل ، والضعفاء في الضعف ، والفقراء في الفقر مزيدا من الغرور والضلال .

تلك هي الفوائد التى يجنيها الانسان في مجال العقل ، من الاهتداء الى قانون التطور او التغير ، أما خيرات الاهتداء الى هذا القانون الروحية او الخلقية : فهي كشف أثر تغير حياة الانسان الاجتماعية ، وطواعية النظم الاجتماعيـة ، والأحوال البشرية للتغير ، وواجب الانسان محاولة دفع كل نقص وعيب وقصور وظلم في مجتمع الانسان ليكون أفضل وأحسن وأعدل وأسلم .

وعلى ذلك فلا خوف من الأخذ بالتطور الاجتماعي للنظم الاجتماعية مع تخليصها من كل ما يتعارض مع الاسلام . بصرف النظر عن رأي أسرى النقول والتأويلات : في التمسك بكل قديم ، واعتبار كل جديد بدعة .

ذلك رأي متخصص في علم الاجتماع ، لا يدعي أنه من رجال الدين الاسلامي أو من فقهائه ، وانما هو رأي شخص مسلم ، درس التغير الاجتماعي وتخصص فيه ، بعد أن آمن به ، كما آمن بأن الطفرة محال ، غير أن الطفرة : اذا كانت محالا في علم الأحياء الطبيعية ، فان من شأن المجتمعات الانسانية أن تتخلف عن التغير السريع الايقاع فيسبقها الزمن ، فاذا تحركت : ظهر للأعين خطأ ، أنها تطفر وأنها تسير في طريق الخطأ .. كلا فمثل هذه التحركات أو التغيرات ، انما هي وثبات طبيعية تحاول المجتمعات المتخلفة والآخذة في النمو أن تصل عن طريقها الى نصيبها الطبيعي من الارتقاء والتقدم ، اذا لم تصد عن التغير بموانع اصطناعية .

والاسلام بنصه وروحه وتاريخ أئمته وهداته والمباديء التى كانت مدار التطور الفكري على مر عصوره ، يتفق تماما مع مسايرة الفطرة الانسانية ، وبخاصة فطرة المجتمع اذا ما ألحت عليه ضرورات التغير من حالة قائمة الى حالة ، يشعر بضرورة قيامها في ضوء الكليات الاسلامية ودون الخروج على أطرها .

من أخلاق المجاهدين

سال فضاء الصحراء فيما جاور المدينة بجيش العسرة في انتظار أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بالمسير لغزو الروم في تبوك ، لخيله صهيل يتردد صداه في الآفاق ، ولمواقد حطب النار في انحائه بريق يبدد الظلام ، ويلون الرمال ، ويخيف مردة الاعراب وأخلافهم من اهل الكتاب . جيش جمع خير ما في الجزيرة العربية من شباب وكهول ورجال صدق ايمانهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، عرف لهم الاسلام حسن البلاء في مواقف الجلاد ، واصدق الفداء في ميادين الجهـاد ، وحفظت لهم القبـائـل حرصهم على ما للعرب من تاريخ المفاخر من طارف وفلاد .. لم يتخلف عنه الا القواعد والخوالف والذين في قلوبهم مرض .. نفر به النبي صلى الله عليه وسلم في لظى محرق تشع رماله اللهب ، وتحمـل رياحـه الشـرر ، ويتنفس جوه الخانق عن حر مميت ، وشاء الله ان يؤوب القائد بجيشه مهيب الجانب ، مرفوع اللواء مؤيدا بنصر الله **(وما النصر الا من عند الله العـزيـز الحكيـم)** آل عمران/ ١٢٦ .

كانت الدعـوة الى غزوة تبـوك امتحانا للايمان في القلوب ، وامتحانا للفضـائل بـين اطـواء النفـوس ، وامتحانا للفطرة في اهاب الطبيعة البشرية لقد كانت البوتقة التي تجمع فيها ما وقر في قلوب اتباع محمد عليه الصلاة والسلام من الايمان فصهرته فذهب الزبد جفاء واستقر ما خلص في

صِدقُ الحَديثِ وَالمعتقَدْ

للشيخ/سليمان التهامي

ميدان الجهاد يواجه البلاء والمحنة وأي بلاء هو؟ لقد جمع الله على المجاهدين في تبوك عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء، فاعتقب النفر منهم البعير الواحد، وطعموا التمر المتسوس، والشعير المتغير؛ والشحم المتعفن، وغاض ماء الارض حتى قال عمر رضي الله عنه: « اصابنا العطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع منه » واصابهم الجوع فآثروا على انفسهم حتى كانت الثمرة تدور بين النفر منهم كل واحد يلوكها ويطعمها ويشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى منها الا النواة. ولكن الله الذي عرض أهل الايمان لهذه المحنة استنقذهم من شدة العسرة، وخلصهم من نكاية العدو، وامسك بقلوبهم وقد كادت تزيغ قال تعالى: (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم**) التوبة/١١٧.

لقد ساد الصدق في محيط هذه الغزوة فبقدر ما صدق جود الاغنياء في تجهيز جيش العسرة صدق جود الفقراء بأنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. وبقدر ما اضفى المتخلفون ثوب الصدق على معاذيرهم صدق احساس فريق منهم بجسامة التبعة في التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم، صدق ايمان المؤمنين حين لبوا دعوة الرسول الى النفير سراعا، ما

خطر لأحدهم خاطر التخلف ولا مال قلبه الى القعود ، ولا فكر فيما يلاقي من وعثاء السفر ووقدة الحر ، ولا اغراه ما ينعم فيه من الظل الظليل ، والثمر الطيب ، والمتعة بين الاولاد والازواج والاهل والصحاب بينما اشتد نفاق المنافقين حتى انتحلوا المعاذير واختلقوا الاباطيل . فمن قائل كيف ننفر في الحر وقد طابت الثمار وامتدت الظلال ؟؟ وفيهم قال الله تعالى : (**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون**) التوبة/ ٨١ ومن متخوف فتنة نساء بني الاصفر (الروم) ويطلب الأذن في القعود وفيهم قال الله تعالى : (**ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**) التوبة/ ٤٩ ويقول عبد الله بن ابي رأس المنافقين كيف يغزو محمد بني الاصفر على بعد الشقة وقلة الظهر ، وجهد الحال والله لكأني بأصحاب محمد مقرنين في الاصفاد .

وصدق جود الاغنياء حتى جاء أبو بكر بماله كله ، وعمر بنصف ماله ، والعباس بتسعين ألفا ، وغير هؤلاء قدموا مالا كثيرا ؛ وجهز عثمان بن عفان ثلث الجيش واتبع ذلك بألف دينار صبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) رواه الترمذي ولم يقتصر الجود على الرجال ، بل تدافعت النسوة يلقين بين يدي رسول الله ما يملكن من أقراط ودمالج وخواتيم ومناضد وذهب وفضة ، وصدق جود الفقراء بأنفسهم ، وحمل النبي عليه الصلاة والسلام منهم من استطاع حمله ، وقال لأكثرهم لا أجد ما أحملكم عليه ، وما أصدق ما وصفهم الله في قوله تعالى : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون**) اي ان الله عذرهم وليس عليه من سبيل التوبة/ ٩١ ، ٩٢ .

ولحق بالجيش نفر منهم ابو خيثمة الانصاري الذي قال لزوجتيه وقد هيأتا له الظل والماء والطعام : رسول الله في الطيح والريح والحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ، والذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام وهو جالس في القوم بتبوك يتحرك به السراب فقال : كن أبا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة !!، وممن قعد وصدق النبي الحديث كعب بن مالك ؟ وهلال بن امية الواقفي ، ومرارة بن ربيعة العامري وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ النبي امرهم حتى قضى الله فيه .

واذا كان الذين غزوا مع النبي عليه الصلاة والسلام لهم فضل السبق في صدق الايمان ، فاني لأقدر

صدق المتخلفين الذين صدقوا النبي عليه السلام في معاذيرهم ، وعرضوا انفسهم لتجربة نفسية من اشق ما يعرض للرجال المخلصين في هذه الحياة وقد زكي الله صدقهم حين تاب عليهم ورضي عنهم ، وذكر قصتهم في القرآن لما لها من شأن ولما لهم من منزلة ولما لموقفهم من اثر في رضا الله ورسوله عنهم ، ولما اتصفوا به من شجاعة في الدفاع عن انفسهم قال تعالى :

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) التوبة/١١٨

ان ثناء الله عليهم في قوله عز وجل **(يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة/ ١١٩

مفخرة لا تعدلها مفاخر بني البشر اجمعين ، وان بشارة الله ورسوله لهم حين برأهم من النفاق والتخلف والقعود عن الاستجابة للنبي عليه السلام بالتوبة عليهم ، وحين استقبل رسول الله كعب بن مالك ببرق وجهه من السرور ويقول له مهنئا (ابشر يا كعب ابن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك) لا توازيها بشائر اهل الارض قاطبة .

وقصة الثلاثة الذين خلفوا قصة عظيمة لانها قصة الصدق والصراحة معا - الصدق الذي هو ثمرة الايمان القوي في وقت خارت فيه القوى ووهن اليقين ونطقت بالكذب الألسنة ، وقبل النبي ما ظهر له من امر المعذرين تاركا سرائرهم الى الله . وقصة الصراحة والصراحة النادرة التي صورت خطرات النفس وخلجات الفؤاد لرجل من الثلاثة هو كعب بن مالك فهو يقول : (غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا ولم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو فكنت اذا خرجت في الناس يحزنني اني لا اجد الا رجلا مغموصا عليه في النفاق - اي مطعونا في دينه - او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . فلما بلغني ان رسول الله قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بم أخرج من سخطه غدا . فلما قيل لي انه اطل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه) .

هذا التصوير الدقيق لخواطر نفسه يدل على صدقه مع نفسه وذلك امارة الصدق وآية الايمان ، وقليل من الناس هم الذين يبرزون دخائل انفسهم على هذه الصورة وهم يعلنونها لأن لهم من الايمان سندا ؛ ومن اليقين عدة ومن أدب النفس مدخرا . ويجب ان يفهم ان الثلاثة الذين خلفوا قد اتفق موقفهم في تقرير حقيقة اعذارهم لكنهم اختلفوا في معالجتهم للموقف وتناولهم لملابساته

المختلفة ، فبينما كان موقف كعب بن مالك ايجابيا كان موقف صاحبيه سلبيا فكعب في حركة دائبة لا يقر له قرار يحضر الصلاة في المسجد مع النبي عليه الصلاة والسلام ويمشي في الاسواق ، ويغدو ويروح في الطرقات يتعرض للمسلمين لعل احدا يكلمه فلا يأبه له احد ، وقد وصف حاله تلك بقوله : (كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة اسلم عليه واقول هل حرك شفتيه برد السلام ، واسارقه النظر حينا والتفت اليه حينا آخر فيعرض عني ، واتسور جدار حائط ابي قتادة الانصاري وهو ابن عمي اسلم عليه فلا يرد السلام ، وانشده الله هل يعلم مبلغ ايماني وحبي للرسول فيقول : « الله ورسوله اعلم » ولعل ذلك راجع الى انه كان اشب القوم واجلدهم كما وصف نفسه . اما صاحباه فجلسا في بيتهما يبكيان لا ترقأ لهما دمعة ، ولا ينقطع لهما نشيج وقد يمضي اليوم واليومان على احدهما لا يذوق طعاما ولا يشرب شرابا اللهم الا جرعة من ماء اولبن ، وقد وصفت زوجة هلال ابن أمية حاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين جاءت اليه تستأذنه في خدمته بعد امره باعتزالهم لنسائهم ـ بأنه شيخ ضائع شديد البكاء قد ابيضت عيناه من الحزن او كادت وذلك اسلوب في محاسبة النفس اشد ايلاما واعظم ارهاقا .

وكما صدق كعب في تصويره خلجات فؤاده وخواطر نفسه كما اسلفنا صدق في اعترافه حين وصل الامر الى الاعتراف الذي لا محيد عنه ، ولا زيف فيه لأنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . يحدثنا كعب فيقول : (جئت النبي فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال : (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت يا رسول الله : اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني ساخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله . والله ما كان لي عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك) رواه البخاري وصدق كعب رضي الله عنه حين قال : ما أعلم نعمة بعد الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانصرف كعب بن مالك من عند رسول الله عليه الصلاة والسلام ليستقبل فترة مريرة من فترات الحياة لا عهد له بها من قبل ومريرة لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن كلامه وكلام صاحبيه ، وطال امد هذه الجفوة حتى بلغ خمسين يوما ـ وعلى رأس الاربعين منها امرهم باعتزال نسائهم ـ حتى قال عنها كعب (لقد تنكرت لي الارض فما هي بالارض التي اعرف) وصورها القرآن تصويرا مطابقا في قوله تعالى . **(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت**

وضاقت عليهم انفسهم) التوبة/ ١١٨ ومريرة لأن ملك غسان بعث الى كعب بن مالك برسالة يقول له فيها : (اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك) وقد قال كعب رضي الله عنه بعد قراءتها (وهذه ايضا من البلاء فتيامت التنور فسجرته بها) لله ما أجل هذا الموقف في محنة تذهل فيها العقول ، وتضيق الصدور ، وتذهب النفوس حسرات وصدق كعب حين قال : ما علمت احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني الله به) .

واذ كنا قد عبرنا عن هذه الفترة التي سبقت توبة الله على كعب وصاحبيه بأنها مريرة فذلك رعاية لحق الايمان في موقف رجل مؤمن فليست فترة مريرة وحسب بل هي فترة دقيقة لصلتها الوثيقة بالعقيدة ، وليست حياة الانسان شيئا مذكورا اذا ابتلي في عقيدته . فلو لم يفض قلب كعب بالايمان لاندفع في غمار هذه القطيعة التي عاناها من النبي والمسلمين او ذلك الاغراء الذي عرض عليه من ملك لا يدين بهذا الدين الى ما يقوض به ايمانه ويزلزل يقينه ولكنه احتمل هذه المرارة واقتحم تلك العقبة حتى لاتزل قدم بعد ثبوتها وعلى حال استحق من اجلها توبة الله عليه ، وشهادته له مع صاحبيه بالصدق والايمان .

وفي فجر ليلة الخمسين جادت السماء بالفرج ، وتنفس جبريل عن البشرى فيما نزل به من آيات في سورة (براءة) تعلن توبة الله عن الصادقين ، وسخطه ونقمته على المعذرين الكاذبين ومن الخير ان ادع كعب بن مالك يختم حديث الصدق والايمان يقول رضي الله عنه : (بينما انا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت على نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفي علي (سلع) اسم جبل - يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا ثم قصدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك) فقلت : اهو من عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال : بل من عند الله ، فقلت يا رسول الله : ان من توبة الله علي ان انخلع من مالي صدقة فقال : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت : ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي الا احدث الا صدقا ما بقيت) .

وبعد : فان العبرة في مقالنا هذا اننا ابرزنا صورة الايمان تعز في هذا الزمان ، وموقفا من مواقف الصدق يندر ان يقفه احد من الناس الآن واذ كنت لا ارى للايمان الا مشوبا أفيحق لي ان اقول للمسلمين اتصفوا بالصدق ، فما أسلم عقيدة الصادق من النفاق ، وعمله من المخالفة وسلوكه من الانحراف او اسمعهم ما قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) .

السعادة وكيف يحققها الإيمان

للاستاذ ـ
محمد لبيب البوهي

السعادة كهدف انساني :

لا تطيب الحياة ما لم يحيها صاحبها راضيا مطمئنا هادىء النفس لا يشغله شيء يكدر نفسه ، بغير سعي ملح وراء التطرف والمغالاة في الهروب مما قد يلم به ؛ بل يلتمس من مصادر صحيحة أسلوب العودة الى موازنة الحياة ، كالنهر حين تضطرب أمواجه فتحاول أن تعيده إلى الهدوء بوسائل مجربة مدروسة لا تسبب انتكاسات جانبية ... بدلا مما يحاوله البعض من الالتجاء إلى متع عارضة حسية يغرق فيها هموم نفسه إلى حين ، ثم يعود إلى أسوأ مما كان عليه فيحاول الهروب بنفس المتع ولكن بجرعة أكبر وهكذا دواليك الى ما لا نهاية لأن العلاج لم يكن بدواء صحيح ..

ولذلك قد ينبغي قبل أن ندرس هذا العلاج أن نقف قليلا عند حد تعريف السعادة ، ولقد نرى أنها قبل كل شيء إحساس نابع من داخل النفس ، وبهذا الاحساس يتكيف خط مسار الحياة ولذلك تختلف باختلاف

النفوس فما قد يسعد إنسانا قد لا يرضى به آخر ، غير أن هناك حقيقة مشتركة لا يصح إغفالها ، وهي أن أسلوب حياة كل إنسان رهن بمزيج من صحته ، وتكوينه العقلي ، وطبعه الشخصي ، وعاداته وغرائزه ، والقدرة على التأليف بين هذا كله في اتزان واعتدال بتوجيه عقيدة سليمة .

ولئن كانت هناك أخطاء وعادات غير سوية ، فانه من الخير أن يحاول تأمل ذاته بنفسه ودراستها في أناة ، غير متحيز ، عسى أن يرى ما اذا كانت هذه العناصر قد اكتسبها من ممارسات سابقة أو بحكم البيئة أو الوراثة . وعليه بعد ذلك أن يعجل بتنمية الجانب الايجابي منها ، وسيجد أن ذلك ليس صعبا إذا استعان بحقائق ثابتة لتصحيح خط مسار الحياة مما هو مجرب ومعروف من القواعد والنظم والأخلاقيات ، وسوف يجد في ذلك رياضة نفسية تسعده بتنمية إرادته وصنع حياته كما يحب فالارادة عنصر اساسي هام .

اكتشاف الكنز المخبوء داخل نفسك :

وهذه حقيقة مقررة في قوله تعالى : **(ونفس وما سواها)** الشمس / ٧ ـ أي خلقها سبحانه سوية لا عوج فيها للاتجاه السليم نحو سعادة الحياة ما سلكت سبيل الفطرة الكامنة فيها ، ولذلك قال سبحانه : **(قد أفلح من زكاها)** الشمس / ٩ أي عمل على تنمية فضائلها المركوزة في داخلها إذ خلقت سوية باستعداد فطري طيب لاسعاد صاحبها ، فأسباب السعادة كنز مخبوء في أعماقها ، وعلى العموم ، فانه يمكن باختزال للأمر ان نقول : أن السعادة هي ثمرة تحقيق الانسان لأمانة وجوده ، مع الاستمتاع بالعافية والنجاح ، ولا يتم ذلك بغير خلق متين وطبع رشيد بغير عائق أو مكدرات وقد تكفل خالق النفس إذا التزمت فطرتها أن يهديها سبيلها : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)** النحل/ ٩٧ .

الطريق الى سلامة التحقيق :

ولما كان الانسان قد خلق ضعيفا حتى يكون دائما في مسيس الحاجة إلى الاتجاه نحو ينابيع القوة التي هي تحت مطلبه إن شاء بالاتجاه إلى صاحبها ، والذي فتح لها الأبواب لمن يبغي الوصول اليها ، فان عليه في سبيل ذلك ان يجتاز مغريات سلبية تعترض طريق التجربة الأرضية واضعا نصب عينيه القواعد الصحيحة لأتزان نفسه وهدوتها في نطاق الحياة السليمة مع الآخرين ، وذلك بتنمية الارادة لأنه بغير هذه الارادة لا يستطيع ان يرد عنه الاغراء الشديد البراق الصادر من كل ما هو هابط وسلبي ووهمي وغير سليم ، مما يبدو من معوقات لذات مزينة في أبهى زينة مزيفة تحاول أن تشده عن طريقه ، ويعقبها بعد ذلك ندم طويل ويمكن مراعاة هذه القواعد

البسيطة .

١ ـ ادرس ما يحقق سعادتك على ضوء إيمانك .

٢ ـ حدد هدفك على ضوء ما تقدم .

٣ ـ ادرس الجوانب الايجابية في نفسك التي تعاون على تحقيق هدفك .

٤ ـ استعن بالله ثم بارادتك على تحقيق اهدافك موطدا النفس مسبقا على الرضا بالنتائج .

٥ ـ إذا وقعت في اغراء بسبب الضعف او اخطأت فلا تقف عند ذلك طويلا وعد الى طريق مسارك .

وهناك شعار يقول : (من أراد وفق واستطاع) فالزم هذا الشعار .

من التعليمات الالهية :

هذه التعليمات تكفي تماما لراحة النفس فما دام الانسان مؤمنا فهو بغير ريب يتلقى كلمات ربه بالقبول او على الأقل فهو يحاول الفهم والتأمل ، وما دام المرء مؤمنا فقد أصبح من أحباب الله ، ولما كان الحبيب ـ أي حبيب حتى الحبيب الأرضي ـ لا يرضى لحبيبه شيئا يضره وفي مقدوره أن يمنعه فكيف بربك حين يكون حبيبك الذي جربت أنه سخر كل شيء لراحتك ونفعك وخدمتك ؟ وليس معنى هذا أنه يشترط لتنال عفوه سبحانه أن تكون في الذروة العليا من الأبرار بل يكفي النية الصادقة في مواصلة الطاعات ما استطعت .. حتى ولو أخطأت أو نسيت أو وقعت في إثم عابر بغير إصرار فانه حبل الود موصول والعفو عند الرجوع اليه في الانتظار واذا استشعر المؤمن هذا المعنى وكان دائما في تقديره فان الشقاء لن يعرف اليه سبيلا ـ قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأمرأته في مغاضبة عابرة لاشقينك ، قالت لن تستطيع لأن سعادتي في إيماني وإيماني في قلبي وقلبي لا سلطان لك عليه .

لقد كانت رضي الله عنها على يقين من المعنى الذي لا ننساه في قوله تعالى : (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

في مواجهة الضعف البشري :

وليس معنى السعادة في ظلال الايمان أن يصبح الانسان فرحا فخورا متهللا يمشي في الأرض لا يغضب لشيء ولا يهمه شيء ، إن هذا التصوير غير وارد لأنه ما دامت الدنيا مزرعة الآخرة ، وكل مزرعة فيها آفات تعترض نموها وطفيليات تعوقها وربما لصوص يتربصون بها ـ ولذلك فان الزارع يمتحن برعايته لما يزرع وحرصه على جودة الحصاد قال سبحانه : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**) البقرة/١٥٥ . ولذلك كان الصالحون يواجهون الشدائد بالقبول لادراكهم ما وراءها من الأجر وحسن الثواب .

ودائما بعد كل عسر يسر

وانت لو رجعت الى تاريخ حياتك وحياة بعض من تعرف لوجدت أن ما من شدة كتب لها الدوام ، سواء تلقاها المرء بهلع وجزع أو بصبر

وقبول ، فلما ذهبت بقي له الثواب كم مرضت ثم شفيت ، وكم ذهبت أشياء وجاء من بعدها عوض ، وكم مات من احبة ثم جاء سلوان وجاء أحبة آخرون ؟ .. وعندما تقع شدة من الشدائد فانه لو استحضر الانسان في ذاكرته صور الماضي وأن فضل الله الذي كان معك من قبل هو كائن الآن وسوف يكون دائما ، فان هذه الذكرى تخفف من وقع المأساة ، فالذكرى تنفع المؤمنين وما أروع وأجل مقابلة كل شدة بالعلاج الناجح الذي فيه البشرى للمؤمنين : (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) البقرة/١٥٦ .

فالليل دائما يعقبه نهار والشمس تشرق بعد غروب والريح تهدأ بعد العواصف وما من شيء سيدوم .. فاذا ذهب أمر بما كنا نفرح به فانك تستطيع ان تدخر في مقابله أضعافا مضاعفة بالصبر والرضا بما عند الله فكما يسعدنا ما ندخره لأيامنا في مصارف الدنيا من رصيد ، فلنكن اكثر سعادة بما ندخره في مصارف السماء .

اتخاذ اواسط الأمور موقفا :

كثير من الناس يعيشون في آلام الماضي وقد يظن البعض أن ذلك من فضائل الأمور كمن ينوي الحزن على حبيب مات منذ سنوات ويخيل اليه أنه من الخيانة لذكراه ان يتخفف من الحزن أو يلوذ بجانب السلوان أوكمن اساء اليه انسان منذ سنوات فحفر للاساءة في نفسه جرحا لا يريد له ان يندمل ، ولا يحاول ذلك فهو يجتر دائما الحقد ويعمل دواما من أجل الثأر والانتقام ـ وربما يصبح سببا في تكدير حياة من حوله وحرمانهم من بهجة الحياة غافلا عن أنه من أصول الايمان أن يتخلق بأخلاق الله العفو الغفور ذي الرحمة الواسعة ، فاذا عصى الانسان ربه وكانت له ذنوب مثل حجم الجبال ، فانه بمجرد التوبة النصوح تنسف جبال الذنوب وتعود الصفحات نقية بيضاء ، فهل من الراحة للنفس وإطمئنان البال ان يكون كذلك أو كبعض ذلك ، أو يظل عبر الايام يعرض على نفسه هذه الهموم الثقال ؟

ومن صفات الذين هم كذلك أنهم عبيد للانفعال العاطفي ، وانهم كما يستغرقون في الأحزان فانهم اذا اصابهم خير بالغوا وتطرفوا في الأفراح ، وهذا التذبذب بين الحزن الشديد والفرح الغامر ، يخرج بصاحبه عن حدود الاتزان التي هي لب الخيرات والبركات ، اذ هي أواسط الأمور فلا حزن شديد على ما مضى ، ولا فرح متطرف بما أتى أو بما هو آت : (**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**) الحديد/٢٣ .

عندما تأتي الاساءة من الغير

وقد يقول احدنا ان هذه المواقف لعلاج ما يواجهنا من الأحداث في حدود الاعتدال والاتزان ولكن ماذا يكون الموقف حين تفرض علينا من

الغير مخاصمات ومشاحنات تسبب لنا من الآلام ما لا نستطيع له دفعا ؟ اذ يلاحقك غيرك بما يؤلم ، وعندئذ فانه علينا ان نواجه الموقف مع الغير هكذا .. ان خصوماتنا مع الغير إنما تصدر من أحد افراد ثلاثة إما ممن هو أكبر منا علما ومكانة وعقلا وإما ممن هم في المستوى العام لنا ، أو من جاهل احمق . هذه هي الصفات الثلاث للناس ، وسيكون موقف من اساء الينا على صنفين إما ان يراجع نفسه ويعتذر ، وذلك حين تترك هذه الفرصة لمن تتوسم فيهم العقل والحكمة ، ولذلك فانه ربما كان من الخير دائما عدم الرد السريع على الشر بمثله ، فاذا جاء اعتذار عاتبنا في أناة وقبلناه بغير اصرار على الخصومة ، بل نحاول نسيان ما كان منها قبل تصفية وضعها ، وأما من يصر على الاساءة فان الاحساس من جانبنا هو أن نحتكم الى العرف أو إلى من يفصل بيننا من ذوي العدل ، وإما أن يكون من أساء الينا على درجة من الجهل والحماقة فهذا موقفنا معه الاعراض والتباعد ، قال الشاعر : (يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا) وهذه الانواع الثلاثة من علاج الاساءة من الغير ارشدنا اليها رب العزة بقوله سبحانه : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الاعراف / ١٩٩ . باتباع آيات الله نغتنم ونربح اسباب الراحة وهدوء البال ، ونعالج أمور قد تجر علينا بغير هذا الاسلوب كثيرا من الهموم والمتاعب .

مع الله ـ والنفس ـ والناس :

الواجبات المطلوبة من كل انسان هي الطاعة وإحسان الصلة بالله وحسن توجيه المرء لنفسه ، وحسن معاملة الناس واجتناب شرورهم ، فاذا توفر له ذلك عاش حياة طيبة هادئ النفس ناعما ، وقد يكون في حاجة الى موازين دائمة لقياس درجات هذه المواقف الثلاثة مع الله ـ ومع نفسه ـ ومع الناس ، وتظل هذه المقاييس ثابتة يعود اليها كلما أراد معرفة مكانه مما صنع وقدمت يداه ، وتلك غاية أساسية ما دمنا راغبين في قضاء فترة الحياة الأرضية المؤقتة في هدوء بال واطمئنان خاطر .

اما مع الله تعالى فالميزان هو دوام مراجعة النفس بحيث يعود عند كل عمل أو قول أو حال إلى وزن ذلك بميزان التقوى .. والتأويل الذي اراه للتقوى هو كما يقول السادة الاطباء من أن الوقاية خير من العلاج ، أو من أن أدع نفسي عرضة للاصابة بالمرض ثم اعالجه ، فالتقوى من الوقاية أي وقاية النفس من الوقوع في الاخطاء والذنوب بقدر المستطاع .

واذا كان ميزان المراجعة هو لقياس موقفي مما يرضاه الله ، فان الامر مع النفس بالمحاسبة ولو جعل كل يوم عدة دقائق لعرض اعمال اليوم التي قامت بها النفس وحاسبها لتثبت له وجوه الصواب فاستراح لها وحمد الله ، وان كان الأمر غير ذلك أسرع الى التوبة من قريب وبذلك تكون التصفية

اولا بأول . واما مع الناس فان صلتنا بهم يجب ان تكون إحسانا فاذا صدرت اساءة بقصد أو بغير قصد سارعنا الى حسنة مع الذين أسأنا اليهم .. وقد علمنا الله سبحانه وتعالى : (**إن الحسنات يذهبن السيئات**) هود/١١٤ .

مما ينكد حياة كثير من الناس الخوف من الموت

والعجيب ان هؤلاء لو وضعوا مصيبة الموت تحت منظار الايمان الحق لتغير وجه الأمر واستراحوا ، بل أن من آثار الصالحين ما نراه انهم نظروا الى الموت كمتعة روحية عظمى ، ستكون في الانتظار ، فلو تصورنا أن إنسانا يعيش في صحراء تلقى وعدا مؤكدا بأنه سيدعى الى قصر في المدينة ، فانه يظل في متعة الشوق الى تحقيق ما وعد به ، إن الموت عند المؤمن هو لقاء الله ومن طبيعة النفس الشوق الى لقاء من تحب
والمؤمن اذا ركز هذا المعنى في النفس يصبح انتظار الموت تحفة الى لقاء الحبيب الأعظم ، بل ان ذلك يخفف عليه ويلات الحياة ، لأن كل ما يصيبه من هول يهون بجوار السعادة المنتظرة ، ومن وجد الله فماذا فقد ؟ والموت ليس فناء للذات وانما هو طور من اطوارها ومرحلة انتقالية بالمؤمن الى حياة افضل ، ليس فيها منغصات عالم التراب ، حتى ولو كان المرء ذا ذنوب فانه بالتوبة يستطيع ان يستبشر فرحمة الله وسعت كل شيء ..

والمهم ان يكون الموقف في نظرتنا الى الموت بمنظار الرهبة وهذه النظرة لا بأس بها ، والرهبة بخلاف الخوف فأن المرء قد يرهب شيئا يحبه كالفتى الذي لا يعلم عن الزواج شيئا فأنه قد يرهب ليلة الزفاف ولكن لا يخافها .

تفاءل وانتظر الخير دائما :

ما دمنا نواصل العمل بمنهج الله لاداء أمانة وجودنا الأرضي ، فنحن اذن في ظل رضوانه تعالى موقنين أن كل ما يحدث لنا انما هو خير ، ولو بدا في ظاهر الأمر غير ذلك وعلينا أن نذكر ان الطبيب قد يصف للمريض دواء شديد المرارة ، فاذا طلب المريض دواء حلوا أخبره الطبيب أنه يضره لأن الطبيب وحده هو الذي يعلم الحكمة فيما يصف ويقدر ، ونحن لا نناقش الطبيب لأننا لا نملك منهج المناقشة ، ولله المثل الأعلى : (**عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة/٢١٦ وهناك حكمة لابن عطاء الله تقول « لا تدبر ما دبره الله لك » وقد يتبادر الى ذهن البعض ان هذا نوع من التواكل ولكن الحق ليس كذلك بل هو عين التوكل إذ قد يقول احدنا ما دام الله هو المدبر لكل الأمور فلماذا السعي مني والعناء ؟ : فنقول لهذا السائل : لا : ان العمل هو القيام بوظيفة العبودية والنتائج هي من شأن الربوبية .. اما بعد فهذه قواعد يسيرة لمن يلتمس راحة النفس وهدوء البال وأطمئنان الخاطر .

(**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) .

من آداب النكاح في السنّة المطهّرة

للاستاذ ـ عادل ابراهيم الدسوقي

دعا الاسلام إلى تكوين الأسرة فأمر الشباب ذا المقدرة المالية والجنسية بالزواج .

روى الشيخان عن عبدالله قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

وعد الرسول عليه الصلاة والسلام المعرض عن الزواج راغبا عن سنته .

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فاني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وللاسلام مقاصد نبيلة من الدعوة إلى الزواج منها :

١ ـ خلق الله لابن آدم الحواس التي يجد بها لذة الزنا .

فقد روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه » .

والزواج يعصم الانسان من ذلك فيه عفة وطهارة وحصانة من النفس الأمارة بالسوء .

روى مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه » .

بل إن الاسلام ليعتبر مواقعة الرجل لزوجته بقصد عفاف نفسه ونفسها صدقة له ثوابها .

روى مسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه « .. وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » .

٢ ـ وفي الزواج إثمار الولد فيتكون المجتمع الصغير الذي هو أساس المجتمع الكبير والأولاد نصف زينة الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**) الكهف/٤٦ ، والولد الصالح يدعو لأبويه بعد الموت .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

ومن مات له اثنان أو ثلاثة من الولد فصبر واحتسب دخل الجنة .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار : « لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة ، فقالت امرأة منهن أو اثنين يارسول الله قال أو اثنين » .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عد من لم يمت أو يستشهد أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه : رقوبا .

روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ » قلنا : الذي لا يولد له قال « ليس ذلك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا » .

٣ ـ وفي الزواج مجاهدة للنفس برعاية الأهل والقيام بحقوقهم .

روى البخاري عن أبي مسعود الأنصاري قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أنفق المسلم نفقة على

أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » .

فمثلا من ربى صغيرتين وقام بمصالحهما من نحو نفقة وكسوة حتى تبلغا ـ ويفضل حتى التزويج بالاكفاء ـ فيكفيه فضلا أن يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة .

روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضم أصابعه .

٤ ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ففي الزواج ترويح للنفس وإيناس لها فيقوي به المرء على ممارسة اعماله .

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

ويبدأ الزواج باختيار الزوجة . وأفضل النساء الصالحة ذات الدين والخلق .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

ولا يمنع ذلك من أن يكون بجانب حسن خلق المرأة أن تكون جميلة فتسر زوجها .

روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

لذلك يفضل للزوج أن ينظر إلى وجهها قبل الزواج خشية أن يكون به ما ينفر منه الطبع .

روى مسلم عن أبي هريرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنظرت إليها ؟ » قال : لا قال « فاذهب فانظر إليها فان في أعين الأنصار شيئا » .

ويفضل أن تكون بكرا ليسعد بها وتسعد به ، وقد يفضل البعض الثيب لسبب او لآخر فلا مانع أن تكون ثيباً .

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال إن عبدالله ـ أي والده ـ هلك وترك تسع بنات فتزوجت أمرأة ثيبا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جابر تزوجت ؟ قلت نعم قال : « فبكر أم ثيب » ؟ قال قلت بل ثيب يارسول الله ، قال « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك ؟ » قال قلت له إن عبدالله هلك وترك تسع بنات وإني كرهت أن اتيهن بمثلهن فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن قال « فبارك الله لك » أو قال « خيرا » .

وعلى ولي المرأة أن يختار لها ، زوجا مؤمنا صالحا حسن الخلق حتى إن بغض منها خلقا رضي منها آخر فلا يظلمها بل يحسن إليها ويرعاها .

روى مسلم عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر » وقال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن لي ابنة ليس لي ولد سواها فممن أزوجها ؟ قال « زوجها من رجل يتقي الله ، فان احبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها » .

ويسبق عقد الزواج الخطبة .

ويجوز أن يخطب الرجل المرأة بنفسه أو أن يرسل من يخطبها له .

روى مسلم عن أم سلمة قالت أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت إن لي بنتا وأنا غيور فقال « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة » .

كما يجوز للرجل أن يخطب لابنته .

روى البخاري عن عمر بن الخطاب قال « حين تأيمت حفصة ، لقيت أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيني أبو بكر فقال إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها » .

بل إن الامام البخاري رضي الله عنه ذهب إلى أن المرأة تعرض نفسها على الرجل الصالح ليتزوجها مستندا إلى الحديث الشريف الذي رواه عن أنس ، جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها قالت يارسول الله ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه قال « هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها » .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك أو يأذن له .

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب » .

وأعطى الاسلام كامل الحرية للمرأة أن تقبل الزوج أو لا تقبله .

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن » . قالوا يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال « أن تسكت » .

وليس لوليها أن يفرض عليها زوجا أبدا .

روى البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصاري أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه .

ويتفق أثناء الخطبة على الصداق فهو حق للمرأة .

قال الله تعالى : **(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا)** النساء/ ٤ .

ويجب القصد في المهر فلقد كان

صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لزواجه خمسمائة درهم « من الفضة » وعلينا موافقة كل أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا للبركة .

وروى مسلم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت كان صداقه ثنتى عشرة أوقية ونصف أوقية فتلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه » .

وكان الرجل يتزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من الذهب .

روى الشيخان عن أنس بن مالك أن عبدالرحمن بن عوف تزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولم ولو بشاة » .

بل كان يتزوج بخاتم من حديد أو بما معه من القرآن الكريم « بشرط موافقة الزوجة » .

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله جئت أهب لك نفسي قال فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال « وهل عندك من شي » ؟ قال لا والله فقال « اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا » فذهب ثم رجع فقال : لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظر ولو خاتما من حديد » فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري « قال سهل ماله رداء » فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بإزارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي فلما جاء قال « ماذا معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا ـ لسور ـ عددها فقال « تقرؤهن عن ظهر قلبك » ؟ قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشغار وهو أن ينكح الرجل ابنته أو المرأة يلي أمرها من كانت على أن ينكحه الآخر ابنته أو المرأة يلي أمرها من كانت ولم يسم لواحدة منها صداق .

روى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن الشغار » والشغار : أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق .

كما لا يجوز النكاح إلا بموافقة ولي المرأة فللولي مع المرأة في نفسها حق وإن كان عليه أن لا يعضلها إذا رضيت أن تنكح بالمعروف .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فان أصابها فلها الصداق بما استحل من فرجها فان اختلفوا فالسلطان ولي من لاولي له » .

قال الله تعالى : (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**) البقرة/٢٣٢ .

وإذا اتخذ الزوج خاتما ليدل على الخطبة أو غيرها فلا يكون من الذهب وإنما يجوز ذلك للزوجة .

روى مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » .

وعلى الزوج أن يعد مسكنا وأن يؤثثه بفراش له وفراش لزوجته ـ لأنهما قد يحتاجان ذلك عند المرض ونحوه ـ وفراش ثالث للضيف ، ولأهل الزوجة أن يساهموا في ذلك .

روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان » .

روى احمد والحاكم وابن حبان عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » .

ويتم الزواج بالعقد ، ويفضل أن يكون ذلك في شهر شوال .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قال « تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال » .

وعلى الزوج ان يولم وأن يدعى إلى الوليمة الأغنياء والمساكين .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وعلى كل من دعى إلى الوليمة أن يحضر ويأكل ان كان مفطرا أو يصلي ان كان صائما .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعى أحدكم فليجب فان كان صائما فليصل وإن كان مفطرا فليطعم » .

ويجوز الضرب بالدف في النكاح لأن ما فيه من لهو ولعب يورث الألفة والانشراح كما يجوز للامام والعالم حضور ذلك ومشاهدته .

روى البخاري عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت :

جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى على فجلس على فراشي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر إذ قالت احداهن . وفينا نبي يعلم ما في غد فقال « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » .

بل ان فعل ذلك ممودح ومطلوب .

روى البخاري عن عائشة انها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة « ما كان معكم لهو ؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو » .

ومن السنة الذهاب إلى العرس لأن فيه إظهار الفرح والسرور .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام ممتنا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » .

وإذا أتى الرجل زوجته استعاذ بالله من الشيطان الرجيم .

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : « اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » .

وإذا أراد أن يعود ، عليه أن يتوضأ وإذا أراد أن يأكل أو ينام ، عليه أن يتوضأ كذلك .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » .

وروى مسلم عن عائشة قالت « كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » .

وليس من حق المرأة أن تهجر فراش زوجها إطلاقا إلا باذنه ، فسخط الزوج يوجب سخط الله .

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

حتى إذا كانت حائضا فللزوج حق الاستمتاع بها بعد تغطيتها ما بين الركبة والسرة .

روى الشيخان عن عائشة قالت « كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها . فتأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها » قالت « وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه » .

ومن حق المرأة أن لا يأتيها زوجها في دبرها فهذا محرم .

في كتابه الأم ذكر الشافعي رضي الله عنه باسناد صحيح عن خزيمة بن ثابت أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إي حلال » فلما ولى الرجل دعاه أو أمر به فدعى فقال كيف قلت في أي الخربتين أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم أم من دبرها في دبرها فلا ،؟! إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن » .

ويفضل أن لا يترك الرجل زوجته قبل مرور سبع ليال ـ خاصة إذا لم يكن له زوجة غيرها ـ من ليلة الزفاف .

روى مسلم عن أبي بكرة بن عبدالرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج أم سلمة فدخل بها فأراد أن يخرج أخذت بثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن

شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع وللثيب ثلاث » .

وللزوج على زوجته :

١ ـ ألا تصوم تطوعا إلا باذن منه إن كان مقيما معها لأن له حق التمتع بها في أي وقت والصوم يمنعه ، أما إن كان مسافرا فلها الصوم لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه .

٢ ـ كما لا يحل لامرأة أن تأذن لأحد بالدخول في بيت زوجها إلا باذنه وهذا محمول على ما لم تعلم الزوجة رضى الزوج به ، فإذا علمت جاز إذنها به وذلك حال حضوره أما في حالة غيابه فبالأولى أن لا يكون لها إذن في الأجنبي .

٣ ـ وإذا تصدقت المرأة وإذا أطعمت من طعام بيتها من مال زوجها بغير إسراف من غير أمره مع علمها برضاه فان للزوج نصف الأجر ، أما إذا كان ذلك باذنه الصريح أو العرفي فان لها أجرها وله مثله تماما وفي هذا إشارة إلى ضرورة تداول الرأي في التصرف .

ـ روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا باذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا باذنه ، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فان نصف أجره له » .

ـ وروى الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة ، كان لها أجرها وله مثله بما اكتسب ولها بما أنفقت » .

٤ ـ وعلى المرأة أن تطيع زوجها فتضمن حسن سير شئون الأسرة .

روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

ولكن لا تطيعه في معصية الله فمثلا :

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقالت إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها فقال « لا انه قد لعن الموصلات » .

٥ ـ وعلى الزوجة أن تؤدي واجبها المنزلي وأن تعني بأولادها عناية عظيمة فهذا لا يقل أهمية عن عمل زوجها خارج البيت وعليها الاستعانة بالله والتوكل عليه في ذلك فهذا خير لها من خادم .

روى الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة ، قال فجاءنا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال « على مكانكما » فجاء فقعد

بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال « ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ اذا اخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم » .

٦ - وعلى المرأة أن تحذر من إنكار إحسان زوجها إليها فإن ذلك يؤدي بها إلى النار .

روى البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وأريت النار فلم أر منظرا كاليوم أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء » قالوا بم يارسول الله قال « بكفرهن » قيل يكفرن بالله ؟ « قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط » .

٧ - ولا يجوز للمرأة - إن غضبت من زوجها - أن تهجر إلا اسمه كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفعل .

روى البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة « إني لأعرف غضبك من رضاك » . قالت وكيف تعرفه ؟ قال « إذا رضيت قلت لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت لا وإله ابراهيم » . قالت صدقت إنما أهجر اسمك .

وللزوجة على زوجها .

١ - حق الانفاق عليها وعلى ولدها .

قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ..) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

وليعلم الزوج أن هذا أفضل الانفاق على الاطلاق .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » .

وللزوجة إذا لم ينفق عليها زوجها أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

٢ - وعلى الرجل أن يرفق بزوجته وأن يصبر على عوج أخلاقها .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » .

٣ - وعليه أن يمزح معها فيضاحكها ويلاعبها ليطيب بذلك قلبها على ألا

يفرط في ذلك .

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال « قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تزوج : « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك .. » .

٤ ـ وعلى الرجل أن يمتنع تماما عن أن يتكلم مع الناس عما جرى بينه وبين زوجته من قول أو فعل أو يفشي عيبا من عيوبها أو يذكر من محاسنها ما يجب شرعا أو عرفا سترها ـ حتى إن كان غاضبا عليها وينوي طلاقها .

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها » .

٥ ـ وعلى الزوج أن يشارك زوجته في أداء الواجبات المنزلية ويعتمد على نفسه ما استطاع .

روى البخاري عن الأسود بن يزيد قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في اهله ؟ قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

٦ ـ وعلى الزوج أن يغار على زوجته من كل ما يمس شرفها أو كرامتها على ألا يبالغ في إساءة الظن وتصديقه والاستمرار فيه روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا » .

٧ ـ وإذا أعرضت المرأة عن أمر زوجها وتعالت عليه فعليه أن يبدأ بموعظتها أولا ثم يهجرها في الفراش لمدة لا تزيد عن شهر فإن لم ينجحا فالضرب غير المبرح البعيد عن الوجه قد يصلحها أما لغير ذلك فيكره ضرب الزوجة .

قال الله تعالى : « **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

روى مسلم عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه » .

ـ روى البخاري عن عبدالله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم » .

٨ ـ وعلى الزوج أن يعلم زوجته قواعد الغسل من الجنابة والطهارة وصلة ذلك بالعبادات ومنها :

روى الشيخان عن أسماء قالت جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع به قال

« تحته ، ثم تقرصه بالماء ، وتنضحه وتصلي فيه » .

« تحته = الحت الدلك بأطراف الاصابع مع صب الماء عليه ، تقرصه = تقطعه بأظافرها . النضح = استمرار صب الماء حتى إزالة الأثر) .

- روى مسلم عن أنس بن مالك قال : سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل في منامه فقال : « إذا كان منها ما يكون من الرجل فلتغتسل » .

روى مسلم عن عائشة أن أسماء بنت شكل سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال « تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ قرصة ممسكة فتطهر بها » قالت اسماء وكيف تطهر بها ؟ فقال « سبحان الله تطهرين بها » فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك « تتبعين أثر الدم » .

وسألته عن غسل الجنابة فقال « تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء » .

فقالت عائشة : « نعم النساء ، نساء الانصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

« السدرة = قطعة من القماش تستعملها المرأة في مسح دم الحيض » .

« قرصة ممسكة = قطعة من القطن عليها من المسك أو أي شي للتطيب به » .

روى مسلم عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله اني امرأة أشد ضفر رأسي وأنقضه لغسل الجنابة قال : « لا ، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين » .

روى مسلم عن معاذة بنت عبدالله العدوية قالت سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ولكني أسأل قالت : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

« الحرورية : طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة إذا طهرت » .

هذا وإن اشترط أحد الزوجين على الآخر شرطا خاصا قبل الزواج فعلى الطرف الآخر أن يوفي بهذا الشرط بعد الزواج .

روى الشيخان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحق الشروط ان يوفي به ما استحللتم به الفروج » .

ولا يدخل في هذا أن تشترط المرأة طلاق أختها المسلمة فهذا ممنوع .

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « .... ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفيء صحفتها ولتنكح فانما لها ما كتب الله لها » .

وعلى الزوج رعاية زوجته وأولاده فيجد ويبذل وسعه ليصونهم وعليه الحزم والاعتدال في معاملتهم ، وعلى الزوجة رعاية زوجها وأولادها فتوفر لأسرتها الهدوء والسعادة والاستقرار .

روى البخاري عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول ، فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول » .

والعزل - وهو نزع الذكر من الفرج وقت الانزال خوفا من حصول الولد - غير ممنوع .

روى مسلم عن جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا » .

ولكن ترك العزل أفضل وأولى فان المؤثر في وجود الولد وعدمه هو القدر وليس العزل فعلى المسلم العاقل أن يعلم أنه ليس بحاجة إليه وما عليه ضرر في تركه فان قدر الله شيئا فسيكون .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم فانما هو القدر » .

ولكن على المسلم أن يستعيذ بالله من جهد البلاء وهو قلة المال مع كثرة العيال ثم يبذل قصارى جهده للحصول على المال اللازم لنفقة أولاده .

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

وليست المرأة هي المسؤولة عن إنجاب الذكور أو الاناث .

روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت قائما عند الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام فكان مما سأله قال : أسألك عن الولد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذكرا باذن الله واذا علامني المرأة منى الرجل آنثا باذن الله » - قال اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به » .

وليس للزوج أن يشك إذا ولد له طفل بعيد الشبه بوالديه لأن ذلك يرجع إلى العوامل الوراثية .

روى الشيخان عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ولد لي غلام أسود ! فقال له : « هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : « ما ألوانها » ؟ قال حمر . قال « هل فيها من أورق » ؟ قال نعم ، قال « فأنى ذلك » ؟ قال لعل نزعه عرق ، قال « فلعل ابنك هذا

نزعه » .

وعلى الوالدين :

١ - أن يختارا اسما حسنا لولدهما مع مراعاة الآداب الآتية :

روى مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسمي غلامك رباحا ولا يسارا ولا أفلح ولا نافعا » (وكذلك سائر الاسماء التي قد يتشاءم منها صاحبها) .

روى مسلم عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أقنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله عز وجل » .

روى الشيخان عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فاني أنا أبو القاسم أقسم بينكم » .

روى مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن » .

٢ - أن يقدما ذبيحة - ولوشاة - لاماطة الأذى عن الطفل ، وليكن ذلك في يوم أسبوعه كما يجوز عند ذلك الضرب بالدف وسماع الغناء لأن ذلك من سائر أوقات السرور التي يباح فيها اللهو .

روى البخاري عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما واميطوا عنه الأذى » .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » .

٣ - وأن يذهب به والده إلى رجل صالح ليحنكه وليدعو له بالخير .

روى مسلم عن أنس بن مالك قال ذهبت بعبدالله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عباءة يهنأ بعيرا له ، فقال « هل معك تمر » فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه فجعل الصبي يتلمظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار التمر وسماه عبدالله » .

٤ - وتتم رضاعة الأولاد في عامين كاملين .

قال الله تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة/٢٣٣ .

٥ - وعلى الوالدين ملاطفة الأطفال والرحمة بهم .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « من

لا يرحم لا يرحم » .

٦ ـ وأن يعدلا بينهم في كل شي .

روى مسلم عن النعمان بن بشير قال تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقتي فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « أفعلت هذا بولدك كلهم » قال لا قال « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » فرجع أبي فرد تلك الصدقة .

٧ ـ وأن يحذرا أن يدعوا على أولادهما مهما كانت الأسباب خشية أن يستجيب الله .

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لعن بعيره ـ « انزل عنه فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » .

وبعد أيها الأخ المسلم فهذه هي بعض آداب النكاح التي سبق شرحها ، وأود أن تلاحظ الآتي :

١ ـ حرص الاسلام على حماية ابنائه من اقتراف جريمة الزنا فدعاهم للزواج .

٢ ـ وحرص على استمرار الحياة الزوجية إلى الأبد فجعل اختيار الزوج والزوجة قائما على أساس تمسكهما بالدين فهو الضابط لسلوكهما .

٣ ـ وعلى أفراد المجتمع احترام خطبة الرجل للمرأة فنهى الرجل أن يخطب على خطبة آخيه بمجرد معرفته ذلك ، بل عليه أن يسمو بأخلاقه ، فلا يتقدم لخطبتها لمجرد سماع أخيه يذكرها لنفسه .

٤ ـ وأعطى المرأة الحق الكامل في قبول الزوج أو رفضه وليس لوليها الحق في أن يفرض عليها زوجا مهما كانت الأسباب ، لكن إذنه ضروري لصحة عقد الزواج .

٥ ـ وحرص على تيسير الزواج فدعا إلى عدم المغالاة في المهر ، حتى أن ما مع الرجل من القرآن الكريم يجوز أن يكون مهرا .

٦ ـ ودعا إلى اللهو واللعب في حفل الزفاف لأنه يورث الألفة والانشراح وإلى المشاركة في ذلك لاظهار الفرح والسرور .

٧ ـ ولما كان من اغراض هذا الزواج عفة النفس جعل الاسلام جماع الرجل لزوجته صدقة ، وحضه حينئذ على ذكر الله والاستعاذة به من الشيطان حتى لا يضره أو يضر ولده ابدا .

٨ ـ وأوجب الاسلام حقوقا للزوجة على الزوج ، وللزوج على الزوجة ، لتحقق الأسرة الأغراض السامية التي من أجلها قامت .

٩ ـ كما أوجب على الوالدين العناية بأولادهما وحسن تربيتهم والعدل بينهم لينشأ مجتمع فاضل .

١٠ ـ ان المجتمع الاسلامي مجتمع متكامل ، فيسر المهر وطاعة المرأة لزوجها وإخلاصها له ، يقابله حسن معاشرة الرجل لزوجته وصونه لها ، وجهده في حياته لاسعادها .

جسم الانسان

يقول الطبيب الفرنسي والعالم المستشرق « موريس بوكاي » في كتابه القيم « التوراة والانجيل والقرآن في ضوء المعارف الحديثة » يقول انه قد قام بدراسة مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة في كل ما تعرضت له من حقائق علمية وفي ضوء تكنولوجيا القرن العشرين .. فاذا به يكتشف أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد، الذي لا توجد فيه حقيقة علمية واحدة فيها خطأ . أو تتعارض مع مكتشفات العلم الحديث .

ويقول بوكاي أنه وجد في الكتب الأخرى الكثير من التناقضات والأخطاء التي لا تتفق مع المنطق العلمي . ثم يعلق على ذلك بقوله : « غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة . وتلك التي لا يحتملها التصديق وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم . لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الايمان بالله . ولا تقع المسؤولية فيها الا على البشر فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص والكتب المقدسة » .

أما القرآن .. فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف ، والذي ظل محفوظا لنا بنصه وروحه كما أنزل ، ومن هنا كان ما ذكره القرآن من حقائق علمية معجزة لا يستطيع بشر في القرن السابع الميلادي مهما أوتي من العلم أن يأتي بمثلها .. وفي هذه العجالة نتناول احدى معجزات القرآن العلمية

والإعجاز القرآني

للدكتور/ أحمد شوقي الفنجري

وهي جسم الانسان وما ذكره القرآن عن تركيبه ونموه ...

وأول هذه الحقائق التي تصادفنا في القرآن هي أن الله تعالى قد خلق الانسان في أحسن صورة بين خلقه جميعا (**وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير**) التغابن/ ٣

فالانسان أعظم خلق الله ذكاء، وأجملهم خلقة .. وأدقهم تركيبا وصنعا .. وأكثرهم تكيفا للحياة على الأرض ...

ولكي يزداد ايمان هذا الانسان بقدرة الخالق فان الله يأمرنا أن نتأمل في أجسامنا وصنعتها وتركيبها فيقول تعالى :

(**وفي انفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/ ٢١

وأول معجزة ينبه اليها القرآن أن هذا الكائن البشري المعقد التركيب الدقيق الصنعة .. قد خلقه الله من تراب وطين أي من عناصر الأرض . وفي ذلك يقول تعالى :

(**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر**) الروم/ ٢٠ وقوله : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/ ١٢

وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الانسان يتكون من جميع العناصر الموجودة في البيئة المحيطة بنا .. فعنصر الكالسيوم الموجود في الحجارة هو نفسه الموجود في عظامنا .. والبروتينات الموجودة في النبات هي نفسها الموجودة في أعضائنا .. وفي جسم الانسان من العناصر الأرضية الحديد والفوسفور واليود والماغنسيوم والبوتاسيوم بنسب

دقيقة وثابتة بين جميع البشر ..
واذا نقص أحد هذه العناصر في أجسامنا نجم عن ذلك مرض معين ، فنقص الكالسيوم يؤدي الى لين العظام .
ونقص الحديد يؤدي الى فقر الدم .
ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية .
ونقص الفوسفور يؤدي الى تسوس الأسنان .
ونقص البروتينات يؤدي الى هزال الجسم والعضلات .
وليس هذا فحسب .. بل ان الزيادة أيضا تؤدي الى أمراض أخرى .. فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين .. وزيادة الفوسفور تؤدي الى تآكل الأسنان وهكذا
وفي هذا كله خير دليل على ارتباط الانسان بالأرض .
وسبحان من قال : (**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**) طه/ ٥٥
ويأمرنا الله أيضا بالتأمل في أجسامنا .. وصنعتها ..
في هذا القلب الذي يظل ينبض بأمر الله تعالى ليلا ونهارا على مدى سنين العمر كله .. وهذا العقل الذي يظل يعمل ويفكر ليلا ونهارا في اليقظة والنوم .. وفي الرئتين والكبد والأمعاء ، وكل منها له وظيفة يؤديها دون كلل ولا راحة .. وفي الأذن التي تسمع والعين التي ترى واللسان الذي ينطق ويتكلم .. وفي هذا يقول الله تعالى : (**ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين**) البلد/ ٨ و ٩

ثم يأمرنا الله تعالى بالتفكير في خلقنا .. وكيف كان الانسان نطفة في قرار مكين أي في الرحم ؟ .. ثم أصبح علقة ثم مضغة ثم ينفخ الله فيه من روحه فتتكون له أعضاء وأطراف .. ثم يخرج باذنه تعالى طفلا رضيعا .. يقول الله تعالى في سورة « المؤمنون » :
(**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) ١٢ ـ ١٤
واذا تأملنا هذه الكلمات .. التي أنزلت على لسان النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم في المدارس ، وقبل أن يعرف العلم الحديث مراحل تطور الجنين بأربعة عشر قرنا ، واذا تأملنا هذه الدقة العلمية في وصف مراحل نمو الجنين .. لأحسسنا باعجاز القرآن وروعته ..
فالجنين يكون أول أمره نطفة .. أي قطعة غير مشكلة ومكونة من اتحاد جزأين أو جسمين هما البويضة والحيوان المنوي ..
وعادة يتم اخصاب البويضة وتكوين النطفة في الثلث الوحشي للقناة الرحمية ، ثم تأخذ النطفة مسارها في القناة الرحمية حتى تدخل الرحم وتصل الى مكان الانفراس فيه ، وهو ما يعبر عنه القرآن (بالقرار المكين) وهذا المكان في المنطقة العليا في الجزء



الأغشية أو الظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين

الخلفي لجدار الرحم .

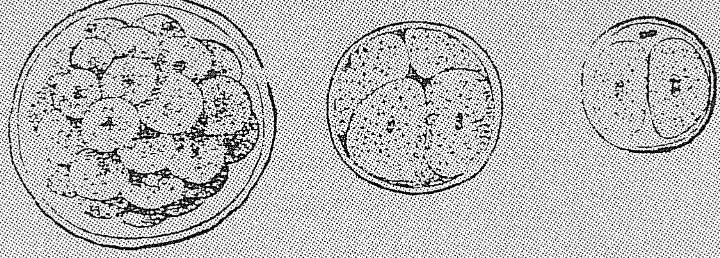
فاذا لم تعلق النطفة بهذا المكان بالذات وعلقت بمكان آخر فان الجنين يتعرض للاجهاض وقد يسبب متاعب في الحمل وهو ما يسمى علميا « بالانغراس المعيب » .

وما أن تصل النطفة الى مكان الانغراس حتى تتعلق به وتلتصق بجدار الرحم وهو ما يعبر عنه القرآن (بالعلقة) وتستغرق الرحلة من القناة الرحمية الى مكان الانغراس خمسة أيام يكون الرحم قد تهيأ خلالها لالتصاق العلقة بـه . ويتم الالتصاق باندماج غشاء العلقة بغشاء جدار الرحم .

وتبدأ العلقة في الانقسام ، وتكبر في الحجم حتى تصبح في شكل المضغة وهو ما يسمى في الطب الحديث بالجنين التوتي (Mulbry Stage)

ولنا هنا وقفة تأمل بين التعبير القرآني (**المضغة**) والتشبيه العلمي التوتة .. فالجنين في هذه المرحلة يكون عبارة عن قطعة لحم على سطحها بروزات أشبه بالبروزات والنتوءات التي تتركها الأسنان على قطعة اللحم التي تمضغها وهو ما يشبهه العلم بسطح التوتة المحبب .

وبعد هذه المرحلة يبدأ تكوين العظام تماما كما جاء في القرآن فأول مركز تمعظم (أي تكوين النسيج العظمي) يظهر في الأسبوع السابع الرحمي عندما يكون الجنين حوالي ٢ سم طولا ..



شكل يبين أطوار نمو الجنين فيكون علقة ثم مضغة

وبعد أن تتكون العظام يبدأ ظهور العضلات في الأسبوع الثاني عشر من عمر الجنين وهو ما يعبر عنه القرآن بقوله (**فكسونا العظام لحما**) .

وحتى عصر قريب لم يعرف الانسان طبيعة النطفة الأولى .. وكيف يتكون الجنين ، فكانت نظرية الاغريق التي تقول ان الجنين يتكون من نقطة دم داخل الرحم واذا لامسها مني الرجل تجمدت وكونت جنينا وذلك لأن الميكروسكوب لم يكن قد اكتشف حتى يتبين العلماء أن السائل المنوي عبارة عن حيوانات دقيقة وأنها تتحد مع البويضة في رحم الأنثى لتكون جنينا .. ولكن القرآن قد سبق الى ذكر هذه الحقيقة في قوله تعالى (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**) الانسان/ ٢ .. وكلمة أمشاج مكونة من اتحاد عنصرين أو جسمين مختلفين في النوع ، وهما الحيوان المنوي والبويضة وفي اللغة العربية يقال مشجه ـ يمشجه أي خلطه بشيء آخر .

وكثيرا ما يتعرض القرآن لحقائق علمية في التشريح وخاصة تشريح الأجنة : ومن هذه الحقائق ما كان غامضا على الفهم وقت نزوله ، وما احتار علماء التفسير في فهمه .

فمن ذلك قوله تعالى : (**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق/ ٥ ـ ٧ .

والصلب هو العمود الفقري ، والترائب هو القفص الصدري .. ومعنى الآية أن الخصية التي تكون السائل المنوي مكانها الأصلي داخل البطن قرب العمود الفقري وقد ثبتت هذه الحقيقة بتشريح الأجنة .

فالخصية تهاجر من مكانها داخل البطن مع نمو الجنين .. ثم تنزل الى الكيس الخاص بها قبل الولادة وبعض الأطفال يولدون بأحد الخصيتين أو كليهما في بطنه ، وهذه تعيق نمو الطفل وتعرضه الى الاضطرابات الهرمونية ما لم تجر له عملية انزال الخصية الى الكيس وهذه

الحقيقة لم تكن معروفة حتى عصر قريب .

ثم تأتي آية أخرى لتزيد هذه الحقيقة تأكيدا . ففي سورة الأعراف يقول تعالى : **(واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)** ١٧٢ ، فهذا تأكيد آخر على الموضع الأول للغدة التناسلية في الانسان ومن الحقائق التي ذكرها القرآن واحتار المفسرون في فهمها قوله تعالى : **(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث)** الزمر/٦ قال بعضهم : ان الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر . وقال آخرون : انها ظلمة البطن والرحم والمشيمة ... وكلا التفسيرين لا يستقيم مع المعنى المقصود من أن هذا التطور يكون داخل الرحم محاطا بثلاث ظلمات ..

ويفسر لنا العلم الحديث هذه الآية .. بأن الجنين نفسه ضمن مراحل نموه وتطوره يكون حوله ثلاثة أغشية رقيقة جدا .. هي (الأمنيون والكوربون والألنتوبس) وهذه الأغشية الثلاثة لا تكون موجودة في الرحم أصلا .. ولكنها تتخلق وتتشكل مع ابتداء تكون الجنين وتحيط به في مراحل تطوره ونموه وكلمة الظلمات التي ذكرها القرآن يقصد بها الأغشية المظلمة التي تحمي الجنين داخل الرحم ويتحرك داخلها والله أعلم ...

تعيين جنس الجنين :

يقول الله تعالى عن جنس الجنين :

(ألم يك نطفة من مني يمني . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) القيامة/ ٣٧ ـ ٣٩

لقد كان الاعتقاد السائد من آلاف السنين وحتى عهد قريب أن نوع الجنين سواء كان ذكرا أم أنثى يتوقف على المرأة وحدها . وأن هناك نساء تعيسات لا تنجب أرحامهن سوى البنات .. وأخريات ينجبن الأولاد .

وكان هذا الاعتقاد متفشيا في الجاهلية الى الحد الذي يجعل الرجل يطلق المرأة اذا أكثرت خلفة البنات . وقد أثبت العلم الحديث أن مني الرجل فيه نوعان من الحيوانات مذكرة ومؤنثة وأن بويضة الأنثى لا علاقة لها بجنس الجنين .. فاذا اتحد حيوان منوي مذكر مع البويضة أنجبت ذكرا ، واذا اتحد معها المؤنث أنجبت أنثى فمني الرجل هو الذي يفرز جنس الجنين ..

وقد جاء القرآن ليقرر هذه الحقيقة قبل أن تعرف بأكثر من ألف عام . وهي أن النطفة أي جنين المستقبل يتكون من المني ، وأن هذا المني هو الذي يحدد اذا كان الجنين ذكرا أم أنثى هذا وحده اعجاز الهي ..

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى قوله تعالى **(فجعل منه)** أي جعل من هذا المني الذكر والأنثى ولم يقل (فجعل منها) أي جعل من النطفة نفسها .

هذه هي بعض معجزات القرآن الكريم في جسم الانسان وفي خلقه وتطوره .. وصدق الله تعالى :

(وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ٧

الاسلام ثورة على الالحاد

للأستاذ/سيد خليل الابوتيجي

لقد جاء الاسلام الحنيف وسطا معتدلا متفقا مع طبائع النفوس وطبائع الاشياء ، فلم يستعمل القوة الا في المواضع التي تحتاج الى القوة ، ولم يكن شديدا صارما الا في كل ما هو حق وواجب ، كما حبب الرفق والتسامح والصفح فيما يتطلب ذلك ، وهو دين عالمي وتشريع سماوي هدفه سعادة البشر في الدنيا والاخرة ، وقد اعتمد في نشر دعوته على المنطق والحجة ، فكان يخاطب العقل في كل اموره ويحكمه في كل شأن من شئونه لان الانسان بالعقل والقلب عرف خط سيره وبهما يرتفع ويتسامى ويجمع بين عالمي النور والمادة .

ولما كان المنهج الالحادي خصيما للطبيعة البشرية عسيرا على الفطرة السليمة محقرا لشأن الانسان كان الاسلام ثورة عنيفة على كل ما يهين او يقلل من كرامة هذا المخلوق الذي وضعه الله موضع التكريم قال تعالى (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) سورة الاسراء ٧٠ ومن هنا كان النهوض بالكرامة البشرية اول مظهر من مظاهر الاسلام ، فهو يؤمن بحرية الفرد ومصلحته ما دامت لا تتعارض ومصلحة المجموع وعمل على ان يكون حر التفكير مستقل الرأي في كل ما يطرأ له من اشياء وما يلم به من امور ، وان يجتهد دون ان يتأثر باي عامل خارجي يضيق عليه ويحد من حريته ، وذلك اعتراف .

بشخصية الفرد ليحافظ على كيانه حتى لا يتلاشى في المجموع ويذوب في الدولة فان ذلك يقتل فيه حب النشاط والجهد والحيوية ويغرس في النفس النشيطة الخمول والكسل والشعور بالظلم . ولذلك كان الانسان في نظر الاسلام حرا يعمل ويمتلك ويتفاعل مع المجتمع . اما التصور الالحادي فهو لا يعترف بالفرد ولا يؤمن بذاتيته وحريته ومن هنا بدأ العداء ... فالاسلام اذ يحارب الفكر الالحادي لانه فكر يهدف الى تجريد النفس البشرية من اسمى غرائزها واجل عواطفها ولانه فكر تافه وضلال سافر وفساد كبير ، وهو قبل كل شيء مناف للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، اذ هو عبارة عن مجموعة متناقضات في ثوب مهلهل ترمي الى العداوة والخصومة ومما يسترعي الانتباه أن دعاة الالحاد يرفعون عن ضمير الفرد شعوره بالمسئولية في اخطائه ويلقونها على المجتمع فهم يهدمون الاساس الذي لا كيان للاخلاق بغيره ، ويوهمون المذنبين والخاطئين انهم ابرياء من التهم منزهون عن المسئولية لان المجتمع هو السبب في فساد من افسد واجرام من اجرم .

اما الاسلام الذي يستهدف في كل تشريعاته وقوانينه صلاح الفرد وسعادته فانه يلقي التبعة عليه اولا ويجعل المجتمع مسئولا عن اشاعة المنكرات وانتشار الرذائل كما يجعل حرية الفرد محدودة بحيث « لا ضرر ولا ضرار » حتى لا تكون الحرية سلما الى الفوضى وتخلصا من الاوامر والنواهي والواجبات فينزلق الفرد في حضيض الاباحية ويسلم نفسه الى الشهوات فيعيش كالبهيمة حسب ارضاء غرائزه واشباع رغباته ، ولذلك نرى مظاهر الفوضى الخلقية بارزة بصورة واضحة في المجتمعات الملحدة التي انعدمت فيها الضمائر وماتت فيها القلوب فلم تر دلائل الهدى ولم تبصر انوار الحق لانها اغلقت نوافذ الايمان .

اوهام في التصور الالحادي

١ ـ يتخذ دعاة الالحاد في المجتمعات الحديثة من المنهج العلمي معاول للهدم ووسائل لنشر سمومهم بين الناس ومن امثلة ذلك « نظرية داروين » في النشوء والارتقاء ، وهي نظرية قائمة على الظن والحدس والتخمين وليس لها دعائم قوية تؤيدها ومع ذلك يستغلها الملحدون في هدم الاخلاق وتدمير الجوانب الاجتماعية وطمس معالم الفطرة السليمة فيوهمون البسطاء بان الانسان ليس اكثر من حيوان فحسب فتهتز لديهم القيم الدينية والمعايير الخلقية ويتحول المجتمع البشري السامي بنعمة العقل الى قطعان من الوحوش والبهائم « عالم الغابات » لاهم لهم الا تلبية نداء الجنس الذي يرقى عندهم فوق كل نداء والصهيونية العالمية تعمل بكل ما تملك من طاقات وامكانات مادية واعلامية لتروج وتزخرف لهذه النظرية الهابطة التي جنت على البشرية وهدمت معايير الفضيلة ..

٢ ـ المذهب المادي .. وهو عند الملاحدة مذهب فلسفي قديم بدأ مع الحضارة الغربية منذ ثلاثة قرون وزاد اتساعه في القرن التاسع عشر وقد ظهرت نتائجه المشئومة في القرن العشرين ونقطة الارتكاز في هذا التصور المليء بالهذيان جملة صغيرة قصيرة تقول ان الكون مادة لا اله لها .. وهو تصور جاهلي لا يقوم على دليل ولا يستند الى شيء ، بل تصور واه متناقض ، ولووقفنا مع هذه الخرافة وقفة قصيرة لعرفنا انها نوع من الهوس اكتسى ثوب الفلسفة الجوفاء وحلة المنطق المحموم وحاول الماديون ان يجعلوا بينه وبين العقل نسبا وصهرا فافسدوا العقول بسمومهم .

فهذه الدعوة الخبيثة لا تعترف الا بما يؤثر في حياة الفرد تأثيرا مباشرا ويقع في دائرة الحس المادي ، وما دون ذلك اوهام وظنون وما تقوله الاديان السماوية عن المعاني الروحية والعالم العلوي .. فكل هذا عند « الماديين » اماني ودعاوى واضغاث احلام وعلى الانسان ان يعتقد انه ابن الطبيعة وان يعيش بلا قلب وبلا روح « انسان آلي » وعليه ان يغلق سمعه عن العقائد الدينية حتى لا تغلق امامه ابواب السعادة المزعومة ، ومن هنا كانت الشرائع السماوية العدو الاول للالحاد والاسلام بصفة خاصة لانه كاشف لافانين الخداع المادي وأينما كان الاسلام توقفت حركة الالحاد .

٣ ـ الصدفة مما يثير الاذهان ويقزز النفوس هذا التناقض الواضح في ذلك الفكر المحموم الذي يهدم بعضه بعضا ، وانني لواثق ان هؤلاء المنكرين الجاحدين من اصحاب الدعوات المضللة باسم العلم او الفلسفة لو رجعوا الى انفسهم بشيء من التعقل والتروي لادركوا حقا انهم على غير الصواب . ولكنهم مغرورون باوهامهم الزائفة محجوبون بمشاهداتهم المحسوسة حيث لم يروا غير المادة ورأوا سرابا خادعا فقالوا « الكون وليد الصدفة » .

بل من العجيب ان وجود قوة قادرة حكيمة مدبرة لهذا الكون امر غير قابل للمناقشة .. ونحن نتساءل كيف يلغي هؤلاء عقولهم ؟ وكيف يتصورون ان هذا الكون الهائل بسمواته واراضيه وشمسه وافلاكه ونجومه و ... و ... قد تكون على هذا النظام العجيب المتسق من تلقاء نفسه نتيجة للصدفة العمياء .

ومما لا شك فيه ان اي عاقل لا يعتبر هذا القول الا ضربا من ضروب العته والجنون ، لان الايجاد والتدبير والدقة والابداع والاحكام لا يمكن ان يتم الا بقوة حكيمة عالية هي يد الله جلت قدرته وهذه بداهة لا تحتاج الى كد الذهن او اجهاد الفكر ، وهذه حقيقة سافرة ، مشرقة لامعة قال تعالى :

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) ، سورة الزمر ٦٢ ـ ٦٣

فمن الحماقة والتغفل ان يتصور ذو

عقل ان الفوضى او المصادفة تخلق وتدبر وتبدع .. ولكن الملاحدة سفهوا انفسهم عندما الغوا عقولهم ..

دور الاسلام في مواجهة الالحاد :

يجب ان نعرف ان معنى الالحاد في اللغة هو الحيد والعدول عن الصواب ومعناه العرفي والتشريعي موت في الضمير وعماء عن الحق بل انتكاس في الفطرة الانسانية ، وانعزال عن القوة الحقيقية المؤثرة في الفطرة الانسانية في هذا الكون ، والالحاد انقطاع عن الحياة الابدية وتمزيق للصلة التي تربط بين المخلوق وخالقه حتى يعيش الانسان محصورا في قوقعة الحس الضيقة تتهشم داخلها عظامه فيحيا في دائرة المادة الغليظة بلا ادراك وبلا راحة ، وبغير طمأنينة ولا ثقة ولا يقين ، فالملحد في قلق دائم وفي ضياع مستمر وفي حيرة قاتلة لانه انسان قتل ضميره فغطت على عينه الأوهام فتجرد من الايمان واصبح أحط من مستوى البهيمة السائمة التي لم تعط قدراته ولم تؤت مواهبه قال تعالى : (**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون**) سورة الاعراف ١٧٩ .

ومن الآيات نفهم انه لا فرق بين انسان بلا عقيدة وحيوان يدب على اربع او يزحف على بطنه ..

واذا كان دعاة النزعة الالحادية يبدأون دعواهم الخبيثة بإماتة الضمير عند الانسان فان الاسلام قد ركز في كل تشريعاته على ايقاظ الضمير واحياء الشعور بمراقبة الله ، فالضمير هو ما يضمره الانسان ويستره وهو الوازع النفسي الذي يوجه السلوك ويقوم الاخلاق ويدفع صاحبه الى الخير ويمنعه عن الشر ولذا عنى الاسلام بتربيته ، وجعله حكما مسيطرا على القلب يصفيه ويزكيه قال تعالى : (**ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ..) سورة الشمس من ٧ الى ١٠ .

ومن يتأمل اساليب الالحاد ووسائل نشر سمومه يجدها ملتوية ، متغيرة متطورة تتخذ في كل يوم ثوبا جديدا ولونا براقا .. ولكن ما بسط الاسلام جناحيه في مكان الا تخاذلت وانكشفت الاعيب الملحدين وردت سهامهم الى نحورهم قال تعالى : (**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)

وهكذا يصد الايمان الملحدين ويبقى غصة في حلوقهم ويذري التراب في عيونهم ، وسيبقى الاسلام يلاحق وثباتهم ويتتبع خطواتهم حتى يردهم على اعقابهم خاسرين .

وسيبقى الاسلام ينير لاهله الطريق ويمد أبناءه بروحه ويهديهم بهديه ولن يغض الطرف عن اي مشكلة يتعرض لها بنوه الا وعالجها ووضع نقاطها فوق حروفها ..

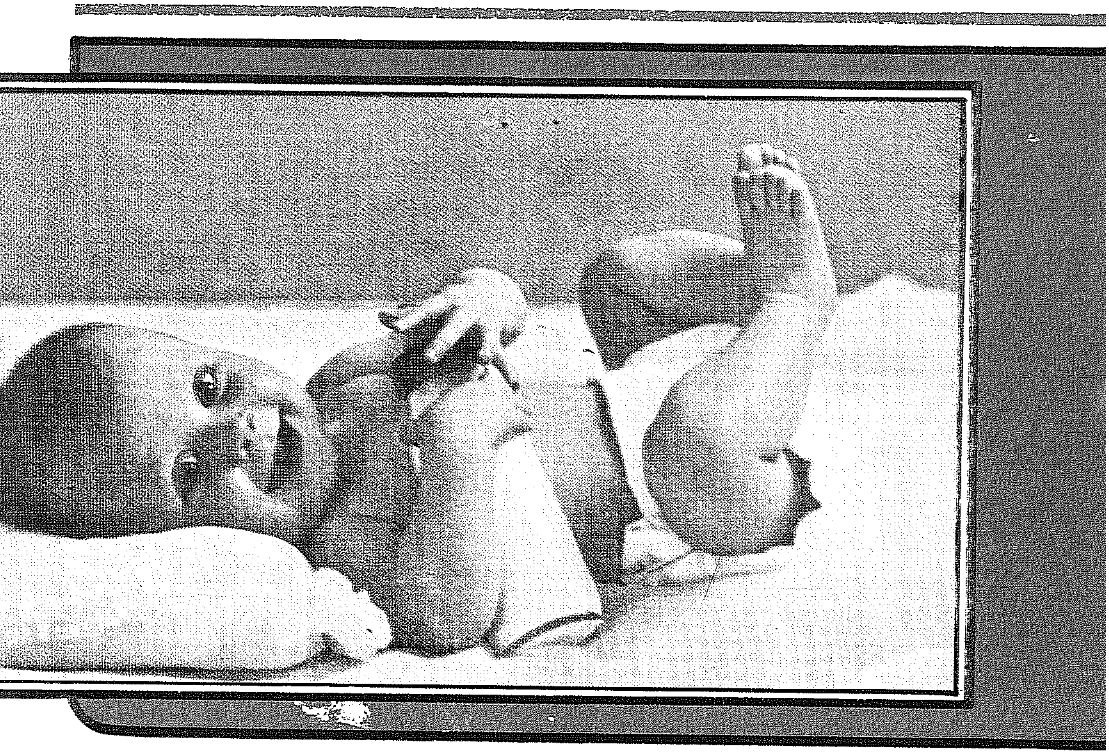
وسيعرف الملحدون ان الباطل لا يستطيع ان يلتقط انفاسه ما دامت يد الحق كاتمة على انفه ، وان الالحاد لن يعيش ما دامت عين الاسلام ناظرة اليه .

دراسة في أدب الأطفال

للاستاذ / محمد فوزي حمزه

تحت هذا العنوان ، لا اريد ان اقول ان الطفل المسلم في ايامنا هذه لا يجد ما يقرؤه ، وهذه معارض الكتب تعج بأجنحة كتب عليها « كتب الاطفال » ، كما لا اريد ان اقول ان الوسط الادبي في البلاد الاسلامية يغفل الاطفال اغفالا ، وهذه واجهات المحال تزينها اغلفة تحمل السلاسل المشهورة « قصص الاطفال » ، « مجموعة الطفل الذكي » ، « ادب الصغار » .. الى اخر ما تحفل به المكتبات من هذه المسميات .

ولكن الذي اريده ، ان ما يعنيه كثرة المعارض وامتلاء الواجهات على هذا النحو شيء ، وان ما يعنيه تقديم الادب المناسب للطفل ، شيء اخر ، فانك اذا زرت المعرض ، وملأت حقيبة طفلك بما تجد هناك ، فالقليل مما تحويه الحقيبة ، يتناسب مع الطفل .. سواء من حيث لغته « اقصد اللغة التي يستطيع ان يستوعبها والمستوى الذي يراد له ان يصبح عليه بعد تحصيل هذه الكتب » ، او من حيث مضمونه ومادته العلمية في مواكبة المناسبة التي يقدم فيها ، او من حيث اعداده العلمي والادبي والفني « اقصد مدى ما يستكمل من فنون القصة المكتوبة او الرواية المسموعة » ومن حيث الاسلوب الذي اعد به ، ومدى ما يتناسب هذا الاسلوب ، ليس فقط مع



القدرة الاستيعابية للاطفال ، ولكن ايضا مع ضرورة جلب اهتمام الطفل واستقطابه الى تحصيل مادة الكتاب .

هذا هو القليل ، مما تحتويه الحقيبة ، اما الكثير منه ، فقد اعد ارتجالا ، قل كيفما اتفق ، او قل كيفما جلب الربح ، ولا تعجب عندما اقول ان من المؤلفين ومن الناشرين من يعرف ان كتب ومجلات الاطفال ..

كنز لا يفنى ، وملك لا يبلى ، والاب عندما يدخل الى المعرض ، لا تنسى الواجهات ان تذكره بطفله ، وطفله ، امل عزيز ، يجب الا ينسى في هذه المناسبة ، بل وفي كل مناسبة ، هو يريد لطفله كتبا تحمل الاسم والمعنى اذا ما كتب عليها « كتب للاطفال » ،

والواجهات ، بعضها يريد ان يعطيه غرضه وكثير منها يريد له ان يأخذ من بضاعتها ، وفي الحالتين ، أو في الحالات جميعا ، هو آخذ من بضاعتها لطفله ، انه عزيز عليه ، ألم اقل ان من المؤلفين والناشرين ، من يعرف من اين تؤكل الكتف ؟

ولعل هذا ـ هذا المظهر التجاري ـ هو السر الكامن وراء امتلاء الواجهات بالكتب والمجلات

التي تتضمن من السموم ، ما يمكن ان تتضمنه قصة بوليسية « بطلها » لص ماهر يسرق النقود ويختلس الحلي ويخدع العسس ، أو قصة من قصص العنف « بطلها » ولد فاشل او رياضي منحرف يوظف عضلاته في اكثر الاعمال سفالة من خطف الطعام وترويع الاسواق وابتزاز النساء ، او قصة جنسية « بطلتها » مراهقة تنتقل بين الحانات والمراقص ومواطن السكر والعربدة ، فضلا عن الاحضان والمخادع مع الصبيان والمردان ، وفي كل مرة ، اللص هو « البطل » والمنتهب هو « البطل » والعربيدة هي « البطلة » وقد اعدت هذه الكتب اعدادا متقنا ، وصممت من اول غلافها الى اخر شيء فيها بدربة فائقة على جذب اهتمام الطفل ، ثم تسليته ، ثم تسميمه ، .. ثم القضاء عليه « فكريا » .. ثم ... دفعه في الهاوية .

وفي هذا السياق ، لا بد ان ادير عليك طرفا من سؤال ، يقول : ترى من المسئول ؟ ، هذا القصور الذي بات ضحيته الطفل العربي ، المسؤول عنه المؤلف ؟ أم الناشر ، ام الدولة ، ام الاب ؟... ام التطور الادبي عموما ؟

قد لا يثير الدهشة ان يكون هؤلاء جميعا شركاء في المسئولية ، فالذي يثير الدهشة ان يكون قطاعا واحدا منها هو المسئول عن كل هذا ، وانما المثير للأسى ، ان يكون الطفل محاطا بكل هؤلاء ، ثم اذا بحث عن نفسه لم يجد منهم من التفت اليه ، او على الاقل ، لا يجد من التفت اليه التفاتة حقيقية .. تعود عليه « فكريا » بالفائدة وتذهب عنه بالخسران والضرر .

وعند الاجابة على هذا السؤال ، فاني بداية انحي باللائمة على كثير من الاباء والامهات الذين هم في موجات تدليل ابنائهم « ارجو ان تلاحظ الفارق الكبير بين تدليل الطفل واسعاده » ، يشترون لهم مثل ما ذكرت من قصص ، دون ان يبذلوا ادنى عناء في فحص هذه القصص ، او حتى مجرد القاء نظرة عابرة عليها ، او اخضاعها لمجرد المحاولة لما تفرضه اصول التربية السليمة ، التي يعرفها اب يريد لابنه العزيز ، سعادة فائقة ، لا ام « او اب » تريد لطفلها المدلل وقتا مليئا باللهو والتدليل وغريب من امر هذه الام ، ان تدعي – من باب التظاهر – انها تعنى بثقافة طفلها الى درجة انها تشتري له قصص الاطفال ، في الوقت الذي فيه ، هي تدمر ثقافة ابنها وتضيع « فكره » سعيا منها وراء مظهرية لها هي ، لا وراء فائدة له هو .

ولا شك انني هنا ، لا اقصد الامهات اللاتي حكى لي عزيز عن واحدة منهن ، كانت تناوله – ايام كان في المدرسة الابتدائية – ريالا فضيا ليشتري كتابا من كتب السيرة

الشريفة ، يقرؤه عليها وعلى اخوته الأخر في مسامرات المساء ، وانما اقصد الام التي ارى الكثير من نماذجها في هذه الايام فلا احسبها كانت اما الا بالفطرة لا بالاعداد ، وبالطبيعة لا بالنشأة وكثير من هؤلاء الامهات « او قل من هذه النماذج فان لفظة ام ارفع من ذلك » اعدت وانشئت على انها امرأة ذات مظهر « عصري » ، او « متطور » او سواها من ترهات الانحلال .. هذه الام « او النموذج » تجدها تحدث صديقتها عن مشترياتها .. لطفلها من سوق الكتب تحدثها بتظاهر واضح ، ثم اذا ما قلبت حقيبة المشتريات وجدتها مليئة بامثال قصة « اللص الذكي » او « لغز السرقة » او « المراهقة والرجال » ، وربما كان اقلها خطرا على عقلية الطفل ، ما كان من قبيل قصة « الثعلب المكار » او « جحا وحماره » ، وربما لا تجد الا القليل ــ قصصا تغذي افكار الطفل بما ينفع الناس ويمكث في الارض ، وهذا القليل لا تجده ــ الا قلة ــ اعد اعداد متقنا .

والمؤلف ــ ايضا ــ له جانب من تلك الاجابة ، لا شك انه سيطلب منه ان يجيب على اسئلة تقول كم سأل نفسه عن الطفل الذي سيقرأ قصته ؟ عن عمره « سنا ومقدرة على الادراك .. الخ » عن المضمون الذي يقدمه للطفل في هذه القصة عن الجرعة المغذية ــ او ربما السامة ــ التي سيناولها له كتابه ، فضلا عن الاسلوب والالفاظ التي اعد بها .

كثير مع الاسف ، من مؤلفي كثير من القصص التي تعج بها المعارض والواجهات اذا اخلص الاجابة ، سيجد نفسه قدم الجريمة او الرذيلة او غيرها من اوجه الفساد ، في اطار « القصة الممتعة » وقدم المجرم او الفاسق او الفاشل او المنحل او غيرهم من صور المفسدين في صورة « البطل » ، وسيجد نفسه قدم لمشاعر الطفل ومكوناته النفسية وللمقدمات الفكرية لحياته ، جرعة مسممة ، والخطر الكبير ، انها مسلية وممتعة ، وسيتناولها الطفل راضيا مسرورا ، وهذا هو الذي يثير الأسى ، فان الذي يقدم مثل هذا للطفل ، ارضاء للمتعة ، هو ــ بالضبط ــ كالذي يقدم له الخمر ، هو يتلذذ بها وهي تودي به .

الا انني ــ هنا ــ يجب الا اغفل قدرا من المؤلفين ، اعتنى بما يقدمه للطفل ، منهم من اجاد ومنهم من حاول على الاقل ، منهم من صرفه اهتمامه الى المضمون فقدم قصة نبي ، او ذكر مجاهد او حديث موقعة ، ومنهم من صرفه الى الاسلوب ، ومن صرفه الى العرض ، او الى غيره من عناصر هذا الفن ، الا ان بعضا من هذه المحاولات ــ على اهميتها وتقديرنا لها ــ ما يزال بحاجة الى دربة وكثير مران ، وتوسعة حتى تشمل مختلف التساؤلات التي تفرضها عناصر هذا الفن ، فعلى الرغم من العناية ببعض هذه العناصر

« المضمون او الاسلوب .. الخ » ، تجد القصور واضحا في بعضها الآخر .

واقصد بهذه المحاولات الجادة ، من حاول تقديم السيرة الشريفة في مجموعات او قدم اعلام الاسلام والعروبة ، او وقائع الجهاد ، كل هذه موضوعات تناولها كتاب في مجموعات قصصية تصلح للاطفال ، ولكن بقيت العناية بهذه العبارة الاخيرة « تصلح للاطفال » تلفت انتباه الطفل وتدعوه الى قراءتها ، ثم تقدم له في اسلوب يتناسب مع سنه وعقليته حتى يستطيع ان يستوعبها .. كل هذا طبعا من غير ان يفسد مضمونها ، او يعطي للطفل انطباعا سيئا – او غير صحيح – عن هذا المضمون ، كمن قال وهو يحدث الطفل عن ابوي النبي « وقضيا ايام الزواج حبيبين « كذا » .. يرفرف عليهما طائر الحب « كذا » .. وكانت آمنة كلما تذكرت ان زوجها كان مشرفا على الهلاك ضمته الى صدرها « كذا » .. « الى ان وصل الى وداع عبد الله لآمنة يوم سفره ، فذكر انه قال لها « ..سأعود اليك يا حبيبتي « كذا » .. » « راجع احمد التاجي – آمنة ام النبي » ثم أتى الى دور الناشر في هذه الظاهرة – ظاهرة القصور في ادب الاطفال –.فاقول انه وان كانت بعض الهيئات المعنية بهذا الامر ، يقوم بدور كامل – الى حد ما – الا ان الكثير منها – او على الاقل البعض منها – لا يكلف اجهزته عناء هذا البحث بقدر ما يصرف اهتمامه الى بحث امكانيات الربح ومدى الاقبال على اسم المؤلف ومدى امكانية رواج الكتاب بين الاذواق « وارجو ان نلاحظ ان كثيرا من اذواق جيل اليوم من الامهات والاباء اكثر ميلا الى صور التربية الغربية منهم الى صور التربية الحميدة ، فضلا عن انصراف اذواق بل واذهان الكثيرين منهم عن النموذج المسلم او النموذج العربي على حمادته الى النموذج الغربي على انحلاله ورعونته » ومدى السهولة او التكلفة في تنفيذ الكتاب ، الى غير ذلك من المعطيات التجارية .

غير ان الانصاف يستلزم الاشارة الى ان بعضا من مؤسسات النشر ، يجيد اختيار واعداد ما يقدمه للاطفال ، فضلا عن اجادته لتبويبه وعرضه ، ولذا فان من المناسب في هذه الدراسة ، ملاحقة هذه الظاهرة بين دور النشر في اكثر من مستوى ، فمن مستوى كبير من الالتزام ، الى مستويات لا التزام فيها الا بتحقيق الربح ، تتدرج دور النشر فيما تقدم للاطفال ، وغير الاطفال ، وحيث ان الذي يعنينا هنا ما يقدم للاطفال فبعض هذه الدور يقدم مجموعات نافعة مثل دائرة معارف الطفل التي تقدم له قبسا من المعرفة عن بعض المخترعات ، ومثل مجموعة السيرة النبوية وسلسلة رايات الاسلام ، وشرح وتعليم اركان الاسلام ، وتراجم ميسرة عن حياة ابطال

الاسلام في شكل قصصي للطفل .. وكل ذلك ، وغير ذلك تقدمه دار المعارف بمصر ، وهذا اقصى مستوى يمكن تصوره من الالتزام .

الا ان صدق القول ، يقتضي ذكر ان بعض هذه الدور ، وعند هذا المستوى من الالتزام ، ما يزال على شيء من القصور ، بحيث يعثر الطفل ــ بالكاد ــ على نذر يسير من اهتمام هذه الدور ، فبينما ترى دار المعارف تقدم للطفل خضما هائلا من مطبوعاتها وجانبا كبيرا من اهتمامها ، وترى الهيئة العامة للكتاب « بمصر » ، اذا دخلت معرضها وسألت الرجل عن كتب الاطفال ، أشار لك الى ركن صغير جدا ، تقلبه فتجد ثلاثة كتب فقط للاطفال ، احدهما يحمل اسم « اللقاء الفريد » .. والثاني ، « مشاهد من الطبيعة » .. والثالث اسمه « كلب آل باسكرفيل » ، اما بقية الكتب التي يزدحم بها « ركن الاطفال » فهي ــ كما رأيتها هناك ــ « النقد التحليلي عن عبد القاهر الجرجاني » الامارات العربية في بلاد الشام » و « ابن تيمية » و « لغة الشعر الحديث » و « مقالات في النقد الادبي » .. وغيرها مما لا يمكن تصور انه للاطفال ، ولا يمكن تصور الا انه للكبار .. بل .. وللخاصة من الكبار .

ومرة اخرى ، عند هذا المستوى من الالتزام ، قد نجد في دار المعارف ، قصصا للاطفال ، اسمها « العملية الجريئة » او « تان تان وعصابة شيكاغو » ، او « قراصنة الأحراش » .

ودون هذا المستوى . تنحدر درجات الالتزام حتى تصل الى الدور التي تصدر القصص البوليسية والجنسية ، مثل « الرأس الذهبية » او « بائع الجرائد » او « الدائرة الحمراء » ومختلف الكتب والمجلات المتلفة مثل « كيف نلعب النرد » ، « وبلاي بوي ــ اي الولد اللاهي » و « الف سؤال عن الجنس » وغيرها ، وهذه ومثلها تصدرها في العادة ، الدور الخاصة ، وكثير من اصحابها لا يعنيهم الا ما يحققون من ربح ، واكثرهم من يجد الاسهل ان يترجم عن الغرب هذه القصص والكتب والمجلات ، ويقدم منها جرعاته السامة الى اطفالنا ، ونحن نذكر جيدا الفترة التي قدمت فيها بكميات هائلة ، كتب مثل « ايفا الغانية » و « الارملة الطروب » و « رسائل الغرام » وغيرها .

ومناسب ان اعرج على مسؤولية الدولة تجاه هذا القصور ، واسهامها في تحقيقه ، باهمالها الواجب المتحتم عليها تجاه ما يقدم للاطفال .. فالدول جميعا لديها قوانين للنشر ، واجراءات يتحتم على الناشر اتباعها ، سواء لترشيد النشر او مراقبته ، وعندما تدرك الدول ما ترجو من هذه المراقبة ، او هذا الترشيد

ادراكا صحيحا ، فانهــا ولا شك ستحجب عن اطفالها وصبيانها هذا السيل من السموم ، وستضطر دور النشر الى درجة معقولة من الالتزام ، ولكن الواضح الان ، ان هذه القوانين والاجراءات ، توضع ـ او يوضــع جلها ـ لخدمة النظم الحاكمــة لا لخدمة الشعوب ، واذا اصبح الحكم للكراسي لا للامانات ، فقد اصبح لكل دولة ، قانون للنشر ، يصرف في جل اهتمامه الى مراقبــة النشر بعــين مصالح النظام ، وليس بعين مصالح الشعوب ، ولا يراعي في كثير ، ما ينشر بعيدا عن المساس بهذا النظام ، حتى ولو كان يدمر العقائد تدميرا وحتى ولو كان يتلف الاجيال اتلافا ، وكذا ، اصبح لكل دولة ، شرطــة واجهــزة تتفحص بدقــة وتشديــد بالغين ، كل ما ينشر وله صلة بالنظام او بكراسي الحكم ، او حتى باعداء شعوبها من اصدقاء وحلفاء النظم وكراسي الحـــكم ، ثم تصرف كل عنايتها عن أي شيء مما عدا ذلك ، ومن بــين مالا يعنيهــا ـ حســب تصورهـــا الخاطــىء ـ هذه القصص ، وهذه الكتب المفسدة .

وربما هنا يقتضي الانصاف ان نقــول ، ان قوانـــين النشر تنص مذكراتها على ان غايتها هي المحافظة على عقائد الشعوب وتجنيب افكارها السموم ، ثم عند التطبيق العملي ، يغفل تماما هذا الهدف ، وتتقــرر اهــداف اخــرى تمليهــا مصالــح الانظمة ، واعتبارات الحكام ، وهذا قصور عام في دور الدولة ، او في ادراكها لدورها وممارسته ، يمضي على الطباعة والنشر بصفة عامة ، ولا يسلم منه ما يظهر مطبوعا منشورا للاطفال .

وبعد ذلك آتي الى التطور الادبي العربي ، ومــا اسهــم به في هذا القصور ، فاقول ان اللغة العربية وما عرفت في تاريخها الطويل من اداب الشعر والنثر وغيرها ، ظلت بمنأى عن ادب الاطفال ، واستحوذ على جل اهتمامها ـ ان لم يكن على اهتمامها كله ـ ادب الكبار ، خذ مثلا الشعر ، قصائد الفخر والحماسة ، والنسيب والرثاء ، وغيرها ، وكلها للكبــار ، وهكذا في غير ذلك من الفنون التي لم يحفل القائلون فيها كثيرا بالصغار ، حتى اذا كان عصر التدوين في اواخر العصر الاموي ، وسجلت الاعمــال الادبية حفظا للتراث وصيانة له ، استحــوذت اداب الكبــار على جل اهتمام المدونين ايضا ، ولم تترك من اهتمامهم في اداب الاطفال الا نذرا يسيرا ، الا ان هذا النذر اليسير ، افصح عن بعض الاغنيات او الابيات التي كانت العرب ترقص بها اطفالها على سبيل المداعبة ، وهو ما ينبؤنا بأنه كان هناك نوع من الادب يعتني بالاطفال ، ان لم يكن ضــاع فيما اغفل التدوين ، فهو هذه الاغاني على الاقل ، الا ان معظم هذه الاغاني ، اغان تتحــدث عن الطفــل ، وليس تتحدث الى الطفل ، ومنها البيــت المشهور الذي كانت ترتجزه الشيماء

وهي ترقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع في حجر امها حليمة فتقول :

هذا اخ لي لم تلده امي
وليس من نسل ابي وعمي
فأنمه اللهم فيما تنمي

ويمكن القول بأن بعض هذا عائد الى نظرة المجتمع الى الطفل باعتباره صغيرا ، له ـ على اي حال ـ صفة الصغر ، التي من شأن من يتصف بها او ما يتصف بها الا يجد من عناية المجتمع الا اليسير ، ومع اعتبار ان هذا خطأ كبير في النظرة الى الاشياء ، فهو خطأ اكبر عند النظرة الى الطفل ، فهو ليس بالشيء الصغير ، ولكنه « الانسان » الصغير ، انه قبل ان يكون صغيرا ، كان انسانا ، ثم انه « الرجل » الصغير ، انه بعد ذلك سيكون رجلا .

وهذه النظرة المخطئة ، اسهمت في انصراف كتاب العربية وشعرائها ومختلف ادبائها عن الطفل ، حيث يكاد الناس يجمعون ـ مخطئين ـ على انه لا يعني بما يؤلف للصغار الا من لا يعنى بما يؤلف للكبار ، وفي المقابل ، يكاد الادباء يجمعون ـ مخطئين ـ على انه لا يؤلف للصغار الا من لا يجد ما يؤلفه للكبار .

ثم نظرا لان العربية الفصحى ظلت الى عهد قريب لغة المثقفين وحدهم ، فقد ابتعد كثير ممن الفوا بها عن التأليف للصغار ، واستحوذت ثقافة الكبار عل جل اهتمامهم ، حتى انه لم يبق للصغار مكان الا في اطراف من الادب الشعبي ، مما في الحكايات المسموعة و « الحواديت » الساذجة التي يكون لها اكبر الاثر في تشويه ثقافة الطفل وتخريب خيالاته ، ومن ثم في تردية شخصيته ، والاكثر من ذلك ، ان نصوص الادب الشعبي ، التي يطلق عليها لفظ « نصوص » مضافا الى لفظ « الادب » ما يزال معظمها مليئا بالخرافات والخزعبلات ، ومازال معظمها مواعيظها وحكمتها يغطي عليه بهارة الاسطورة ، ومازال معظمه للتسلية ، تسلية الصغار .. والكبار احيانا . ومثل ذلك « الف ليلة وليلة » و « قصة بني هلال » .

الا ان في العصر الحديث ، قل مثلا منذ العشرينات ، بدأ الكتاب والمؤلفون والشعراء يعنون بالصغار ، ويقدمون لهم ، حتى وصل الحال بأدب الاطفال الى ما هو عليه الان ، بما فيه من نواحي الكمال ونواحي القصور ، مثلا قدم امير الشعراء شعرا يتحدث الى الاطفال والى الصبيان في المدارس ، وقدم الكيلاني سجلا من القصص . الا انه عندما بدأت اداب العربية تدخل عالم الطفل ، وجدت ان خطوتها هذه جاءت متأخرة ، بعد عصور تتلوها عصور من ضآلة التجربة وقلة الخبرة وضحالة المعرفة ، فضلا عن تشويه الخيال وتزويد العقل الباطن للطفل بخرافات عن المخلوقات العجيبة مثل

« العفريت » و « الام الغولة » و « بساط الريح » و « الجدي الطائر » الذي ينقل خيال الطفل الى اخر الدنيا في غمضة عين ، واختصاره ، ان اللغة العربية عندما دخلت ادابها عالم الطفل ، لم تجد – ولو في البداية – مناخا ملائما ، ولا تربة صالحة لنمو شجرتها ، وازدهار ادابها الرفيعة ، سواء عند الكتاب ، اوعند الناشرين ، او عند القراء من الاطفال .

حتى اذا ما حل في الدهر منتصف هذا القرن « الميلادي » تقريبا ، كان التطور قد اتخذ بعدا اخر ، حيث شهد العقد الخامس فيضا من الادب في عالم الاطفال ، وبدأت مؤسسات ودور النشر تعترف بهذا العالم وتشعر بضرورة الدخول اليه مدخلا جديا ، كما ان اعتراف الكتاب بهذا العالم – بعد تغير نظرة المجتمع الى الطفل من اعتباره شيئا صغيرا الى اعتباره انسانا صغيرا ورجلا في دور التنشئة يجب ان تعد له المدارس وتلقن له الدروس ويحاط بوسائل العناية واسباب الحفظ – اخذ يتزايد ، واصبح الكثير منهم يعني بما يزود به ، باعتباره فنا جادا من فنون الادب .

هذا العصر ، عصر جديد ، عجيب ، غريب ، من الحق – عندما يتصل الحديث عن تربية الاطفال وبناء النشء – ان يقال انه « عصر الافات » ليس فحسب ، بل وان يقال عنه ، « عصر الاستفحال لاخطار الافات » عصر تطورت فيه وسائل الغزو الفكري والنفسي لعالم الطفل ، تطورت من صندوق الدنيا وخيال الظل ، الى المنياه « التلفاز » و « الفيديو » ، ومن « الحكاية » او « الحدوتة » الى الكتاب الخرافي او الرواية الجنسية ، واصبح الطفل فيه – ومن بعد ذلك الشاب ثم الرجل – هدفا حيويا توجه اليه – بمهارة – سهام هذه الآفات ، أرأيت الى البعوضة ، تأخذ القليل من دم المريض ، ثم تحقنه في الدم السليم ، فتعديه كله ، وهكذا هذه الآفات الفكرية ، تنقل الفساد حيث يكون ، في مجتمعات الغرب وشوارعه ومنتدياته ، او مجتمعات الشيوعيين الملحدين وشوارعهم ومنتدياتهم ، او في اوكار الفساد ايا تكون ، ثم تحقنها – بوسائلها الجهنمية – في عقول اطفالنا وغلماننا ، ونفوسهم وافكارهم .

لهذا ، أهيب بكل من له دور في عالم الطفل ، او بعبارة ادق ، اهيب بكل من يجب ان يكون له دور ، من اب او ام ومدرسة ومؤلف وناشر ودولة ، ان يدرك دوره ادراكا صحيحا ، وان يمارسه ممارسة صحيحة ، فليعمل كل منهم على انشاء جيل جديد ، تكون للأمة فيه حياة جديدة ، وليضع الكل نصب عينيه ، ان .. انهم مستقبلنا ، ليس فحسب ، انهم أماننا ، ليس فحسب ، انهم ... أبناؤنا .

(وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) .

الفرقان : ٥٤

العلم في القرآن الكريم

للدكتور : احمد حسنين القفل

مناقشة هذه الآية الكريمة علميا يمكن ان تشمل ثلاثة اتجاهات :

اولا : قوله تعالى « **وهو الذي خلق من الماء بشرا** »

و« الماء » هنا معناه « السائل المنوي » الذي تسبح فيه النطفة او ما تشيع تسميته علميا « بالحيوان المنوي » او « المشيج المذكر » (شكل ١) . والحيوان المنوي تصنعه خصية الرجل البالغ . وهو وحده لا يمكنه ان يكون خلقا جديدا « بشرا » ولكن يلزم

ان يندمج معه ما يعرف علميا « بالمشيج المؤنث » او « البويضة » (شكل ٢) وهذه يصنعها مبيض المرأة البالغة في فترة خصوبتها (بعد البلوغ وقبل الوصول الى سن اليأس) . وعلى اثر اندماج الحيوان المنوي بالبويضة في ظاهرة تعرف علميا « بالاخصاب » تتكون ما يعرف باللاقحة (البويضة المخصبة او الزيجوت) وبانقسام هذه تباعا في رحم الام يتكون انسان جديد من البشر ، يبدأ حياته في قرار مكين (الرحم) (شكل ٣) ثم ينزل بعد الولادة الى هذه الحياة الدنيا ليعيش أجله المسمى الذي قدره الله له .

وفي الانسان بالذات - وكذلك الحيوانات التي تشابهه في التناسل - لا بد من اخصاب البويضة بالحيوان المنوي لكي تتكون اللاقحة وبالتالي الخلق الجديد ، واذا فشلت عملية الاخصاب امتصت البويضة وتلاشت ولهذا اشارت الآية الكريمة الى بداية الخلق من النطفة - كما سجلت ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم - . ولولا ماء الرجل الذي تسبح فيه الحيوانات المنوية لما كان هناك حياة لانسان على وجه الارض . لماذا ؟ ليس لان النطفة هي التي تخصب البويضة فتتكون بذلك اللاقحة التي تنقسم فتكون الفرد الجديد كما سبق القول . ليس لذلك فحسب . ولكن لأنه عن طريق النطفة - وعن طريقها فقط - تكون الذكورة والانوثة في بني البشر . وهل يمكن ان تستمر حياة دون ذكور واناث ؟ ولكن كيف يكون ذلك ؟ يكون ذلك لان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته في سبيل استمرار حياة البشر - وغيرهم - على وجه الارض اقتضت ان تصنع خصية الرجل نوعين من الحيوانات المنوية : احدهما يحمل صبغيا (كروموزوم) جنسيا مماثلا للصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة انثى . اما النوع الاخر من الحيوانات المنوية فيحمل صبغيا جنسيا يخالف الصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة ذكرا . وعلى هذا الاساس يتنوع البشر ذكورا واناثا ولولا هذا التنوع لما كان هناك التزاوج ولما تسلسلت حياة البشر - وغيرهم - على الارض جيلا بعد جيل . ولقد اكتشف العلم هذه الحقيقة مؤخرا عندما ازدهرت علوم الوراثة بداية من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، مع ان القرآن الكريم قد سجلها جلية واضحة قبل ذلك بعشرات المئات من السنين . يقول سبحانه : (**وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى . من نطفة اذا تمنى**) النجم/ ٤٥ - ٤٦

(**ايحسب الانسان ان يترك سدى . الم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى**)القيامة / ٣٦ - ٣٩

وعلى اثر الاخصاب وتكوين اللاقحة ، تنقسم هذه تباعا لتتكون بذلك الاطوار الجنينية في رحم الام ،

كمرحلة لا بد منها في بداية خلق الانسان ، ويزداد حجم الجنين ، وبالتالي رحم الام كل يوم بمقدار حسب ما اراد الله له : يقول سبحانه :
(الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) الرعد/٨
(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين .) المؤمنون ١٢ - ١٤ .

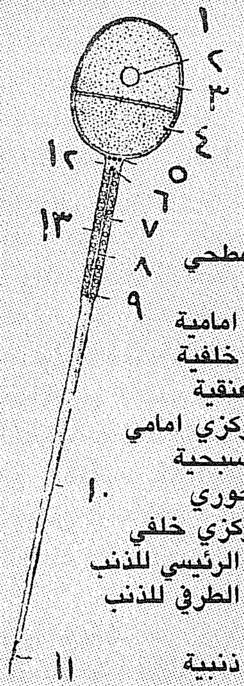
(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ..) الحج /٥

(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم .) المرسلات /٢٠ - ٢٢

ولما كانت اللاقحة التي يتكون منها الفرد الجديد ، هي نتيجة اندماج الحيوان المنوي من الاب مع البويضة من الام ، فان الصفات الوراثية في اللاقحة تكون بذلك امتزاجا للصفات الوراثية من الاب (٥٠٪ تقريبا) وللصفات الوراثية من الام (٥٠ ٪ تقريبا) ، وينشأ الفرد الجديد من البشر وبه هذا المزيج من الصفات الوراثية التي تجعله فردا له شخصيته (ذاتيته) التي لا يشاركه فيها انسان غيره قط (الا في القوائم النموذجية) فكل فرد من البشر كما يقال « نسيج وحده » في كل صفاته - ومن الناحية العلمية ، ثبت وراثيا ان الصبغيات (الكروموزومات) التي تتكون منها نواة اللاقحة تحمل في طياتها (على الجينات) كل الصفات الخلقية (الجسمية) التي يتميز بها الفرد الجديد عن كل فرد اخر من سائر البشر ، يتميز بها وهو جنيني في بطن امه ، وبعد ان يولد ، وطول حياته حتى الموت ، ولو بلغ ارذل العمر . ولو ان هذه الصفات التي تتسع لها الصبغيات - على ضآلة حجمها - لو انها ترجمت الى كلمات لما اتسع لتسجيلها عشرات المجلدات الضخمة . ومن هنا يتبين العمق الحقيقي لمدلول حديث النبي الامي الذي لا ينطق عن الهوى في قوله - صلى الله عليه وسلم - « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » رواه البخاري ، قالها عليه الصلاة والسلام قبل ان نعرف شيئا عن قوانين الوراثة ومدلولاتها وابحاثها بعشرات المئات من السنين ، فسبحان من علمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما .

عند بدء الاخصاب وتكوين اللاقحة ، لوحظ - في الحالات الطبيعية - وجود جاذبية بين الحيوان المنوي والبويضة ، فوجود الجاذبية

هذه ضمان للاخصاب الذي يتم في العادة بحيوان منوي واحد لا اكثر .
وعلى هذا الاساس تتم الجاذبية بين البويضة وبين حيوان منوي به صبغي جنسي مشابـه لما فيها ، فتتكون بذلك لاقحة أنثى ، أو بين البويضة وحيوان منوي به صبغي جنسي مخالف لما فيها فتتكون بذلك لاقحة ذكر ، او قد لا يتم التجـاذب بـين الحيـوان المنـوي والبويضة لسبب او لاخر فلا يتم الاخصاب ، ولا تتكون اللاقحة ، واذا استمرت الظاهرة الاخيرة كان العقم (عـدم الانجاب) . وعـلى اساس الحقيقة السابقة ، فان الزوجة قد تنجب اناثا فقط او ذكورا فقط ، او ذكورا واناثا معا ، او قد لا تنجب اطلاقا رغم سـلامة الـزوجين من الناحية الصحية ـ وكل هذا يتوقف على الجاذبية الكائنة بين الحيوانات المنوية بنوع منها او بنوعيها معا او عدم الجاذبية بينها وبين البويضة وتدل هذه الظاهرة على ان انجاب البنات هي مسئولية الزوج في الجزء الاكبر منها . وعلى الذين يلـومون زوجاتهم لانهن ينجبن بنات ان يدركوا هذه الحقيقة . ويسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية الوراثية وقبل ان ندرك اسبابها الحقيقية . يسجلها قبل معرفتها بعشرات المئات من السنين .
يقول سبحانه .
(لله ملك السماوات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) الشورى / ٤٩ ـ ٥٠



١ ـ غشاء سطحي
٢ ـ فجوة
٣ ـ قلنسوة امامية
٤ ـ قلنسوة خلفية
٥ ـ حبيبة عنقية
٦ ـ جسم مركزي امامي
٧ ـ اجسام سبحية
٨ ـ خيط محوري
٩ ـ جسم مركزي خلفي
١٠ ـ الجزء الرئيسي للذنب
١١ ـ الجزء الطرفي للذنب
١٢ ـ عنق
١٣ ـ وصلة ذنبية

(شكل ١) تركيب الحيوان المنوي

وبناء على المنـاقشة السـابقة ، يتضح ان الله العلي القدير ، قد شاءت حكمته ان يخلق من الماء اي المنى « بشرا » اي رجالا ونساء ، وان هذا التنوع في الخلق بين ذكور واناث هو السبب الاساسي في استمرار حياة البشر على الارض . وتكون الاشارة الى خلق البشر من « الماء » هي لفت النظر الى ان الانسان ـ والانسان بالذات ـ لا بد ان يكون نتيجة تزاوج بين ذكر وانثى ، بل وتأكيد لهذه الحقيقة . فالذكر وحده ، او الانثى وحدها لا

يمكن لاي منهما ـ في حالة الانسان ـ ان ينجب ذرية ـ اما في حالة بعض الحيوانات الاخرى فقد تكون الانثى قادرة وحدها ، ودون الذكر ، على انجاب ذرية بظاهرة تعرف علميا « **بالتوالد العذري او البكري** » ومثال ذلك حشرات المن والاطوار اليرقية للديدان المفلطحة وانتاج الذكور في حشرات النحل والنمل . بل ان بعض الحيوانات التي تتناسل بحيوانات منوية وبويضات ـ كما هو الحال في الانسان ـ قد امكن اجبار بويضات الانثى غير المخصبة على الانقسام وتكوين اجنة (بدون حيوان منوي) باستخدام وسائل خاصة (اشعاع ذري ـ هرمونات ـ وخز بالابر) وقد تم ذلك في اناث الضفادع والارانب . لكن هذا لا يمكن ان يحدث في الانسان ، ولو حدث لكانت كارثة ، ولهذا ركز القرآن الكريم على بداية الخلق من النطفة في كثير من آياته ، واكدها ، وزاد الله الامر تأكيدا بولادة سيدنا عيسى من غير اب ، وجعلها سبحانه معجزة خارقة للعادة ، لا يمكن تكرارها ، والمعجزات امور لا يقاس عليها .

ثانيا : قوله تعالى (فجعله نسبا وصهرا)

الاسرة هي اللبنة التي تتكون منها المجتمعات البشرية وتتكون الاسرة في العادة من الاب والام والاولاد ذكورا كانوا ام اناثا ، وتنسب الاولاد الى الاب في الاسرة ، وتتم المصاهرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات ـ والبشر جميعهم ينسبون الى ادم عليه السلام ، فهم « بنو آدم » وهو ابو الآدميين جميعا ، هذا هو النسب في حالة الانسان . اما النسب في حالة الحيوانات الاخرى ـ ان تم ـ فيكون غالبا منسوبا للام لانها هي التي ولدت او وضعت البيض ، وغالبا ما يكون الاب مجهولا ، اذ يكون الاخصاب عشوائيا ، لا يتحدد فيه الاباء . والحيوانات ـ من غير الانسان ـ تنظم تناسلها بالغريزة (الفطرة) ، فقلما يتعدى ذكر على انثى الا في وقت الحاجة تماما ، ولابقاء النوع ، وقلما تقبل الانثى الذكر ، الا وقت الحاجة تماما ، وقد تقبله مرة واحدة في حياتها التي تطول لسنوات محتفظة بما حصلت عليه من حيوانات منوية لتتصرف فيها بالقدر اللازم لتصريف امور نتاجها (النحل والنمل) . اما الانسان فهو المخلوق الوحيد تقريبا الذي غالبا ما يزاول العملية الجنسية للمتعة اكثر مما يزاولها للانجاب ، فكثيرا ما تتم المباشرة بين الزوج وزوجه الحامل لا لغرض الا للمتعة ، وهذه المتعة في الانسان هي الاساس في برامج « تنظيم الاسرة » في كثير من اقطار الدنيا .

وبناء على ما سبق يكون المعنى القريب او المباشر للآية الكريمة ، هو خلق البشر رجالا ونساء من الماء الدافق (المنى) ليتم بينهما ـ بين الجنسين ـ التزاوج الذي عن طريقه

يتم النسب والمصاهرة ، نسب البنين الى الآباء ، والمصاهـرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات ـ وبذلك يرتبط الجميع بوشائج الدم وصلات القربى ، هذا المعنى واضح في قوله تعالى :

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم / ٢١

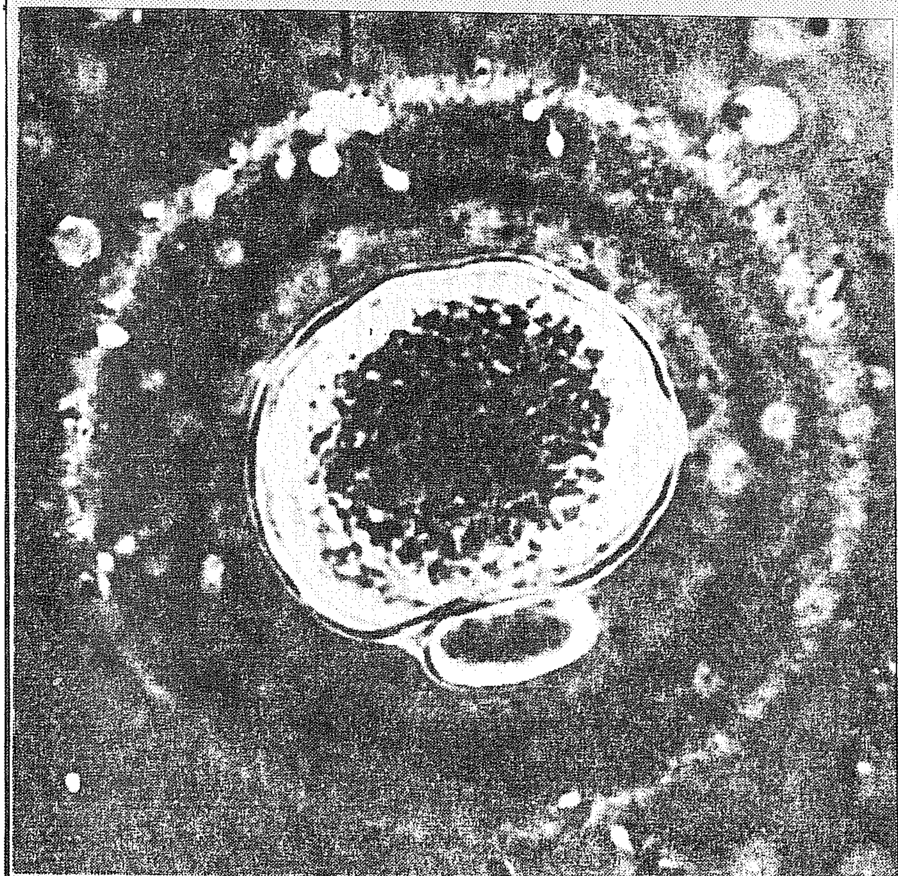
اما المعنى البعيد للنسب والمصاهرة فيمكن ان نتصوره علميا على النحو التالي :

اي فرد من البشر ، ومنذ ان دب ادم على الارض وحتى تقوم الساعة ، اي فرد لا بد ان يبدأ حياته بلاقحة على اثر اخصاب يتم بين حيوان منوي من اب وبويضة من ام ، اي بين مشيجين تناسليين من فردين سابقين له في الوجود . فهو اذن يبدأ بخلية تناسلية واحدة (اللاقحة) تنقسم تباعا ودون توقف فتكون بذلك الفرد الجديد ذكرا كان او انثى بكل مكوناته من انسجة واعضاء واجهزة تختلف عن بعضها اختلافا شاسعا (شكل ٤) . وبناء على ماسبق ، فهناك ملاحظات علمية يمكن ان نسوقها على الوجه التالي :

١ ـ يبدأ الفرد الجديد ـ اي فرد جديد ـ بلاقحة ، وما هي الا خلية واحدة نتجت عن اندماج حيوان منوي من رجل مع بويضة من امرأة . ومن ثم تكون اللاقحة نتاج خليتين تناسليتين (انصاف خليتين من الوجهة الوراثية) فقط . ولهذا تمثل اللاقحة ما يعرف علميا « **بالبلازما التناسلية grem plasm** »

٢ ـ البلازما التناسلية الممثلة في اللاقحة تنقسم ثم تنقسم تباعا فيتكون بذلك الفرد الجديد بتمامه وكماله ، والذي يتكون بدوره من « بلازما تناسلية » ممثلة في الخلايا التناسلية التي ينتجها جهازه التناسلي بالاضافة الى بلازما اخرى تعرف علميا باسم « **البلازما الجسمية somato plasm او البلازما الخضرية Vegetative plasm** » ممثلة في كل ما عدا الخلايا التناسلية ، فهي ممثلة في كل الانسجة والاعضاء والاجهزة التي يتكون منها الجزء الاكبر من الفرد الجديد (شكل ٤) .

ويتضح مما سبق ان البلازما التناسلية قد اعدها الله لتنتقل من فرد الى اخر . فقد انتقلت اول ما انتقلت من آدم ابي البشر وزوجته حواء في صورة لاقحات كونت كل منها فردا من ذرية آدم الاولى (الجيل الاول) ثم انتقلت من الجيل الاول ـ بعد التزاوج ـ الى الجيل الثاني ومن هذا الجيل الى جيل لاحق وظلت وستظل تنتقل من جيل الى جيل على هذا النحو السابق حتى يرث الله الارض ومن عليها (شكل ٤) ـ ومعنى ذلك ان « **البلازما التناسلية لها كفاءة الخلود** » فما انتقل منها بداية من آدم سوف يظل ينتقل وينتقل حتى تقوم الساعة ـ ومعنى ذلك ببساطة ان



شكل (٢) رسم فوتوجرافي دقيق لبويضة حية من مبيض سيدة . ويلاحظ الجسم القطبي (على اليمين) فائدته تخليص البويضة من نصف عدد صبغياتها ليبقى فيها النصف منها فقط . وترى الحيوانات المنوية (مشار اليها باسهم) التي وصلت الى مشارف البويضة يحاول واحد منها ان يدخلها .
لاحظ النسبة بين حجم البويضة وحجم الحيوان المنوي .

كل آدمي دب او سيدب على ظهر الارض من عهد آدم وحتى يوم القيامة ، كل آدمي هو امتداد لابي البشر آدم عليه السلام ، وفيه منه « بقية » هذه البقية هي البلازما التناسلية التي يسلمها كل جيل سابق لكل جيل لاحق . ويترتب على ذلك ايضا انتقال الصفات الوراثية من جيل الى جيل ، وبهذا يكون الارتباط نسبا ومصاهرة عن طريق التكاثر

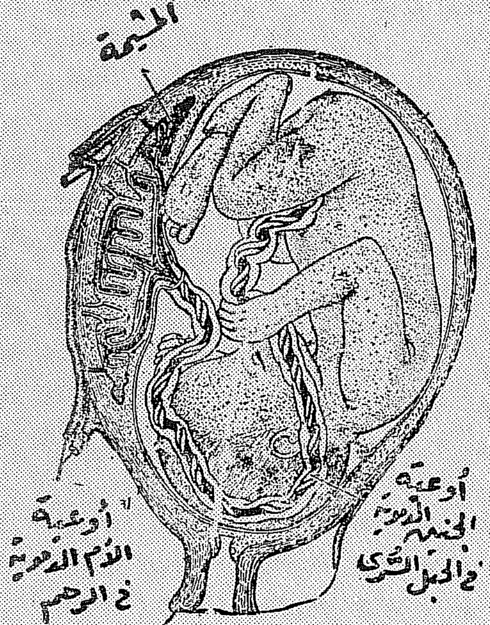
بالتزاوج او ما يعبر عنه القرآن الكريم « بالنكاح » .

والفرد الجديد الذي بدأ حياته جنينا بالبلازما التناسلية (اللاقحة) وحدها ودون شريك قد تكونت في هذا الفرد ومن هذه البلازما تباعا اثناء الاطوار الجنينيةوما بعدها ، قد كونت فيه من جديد بلازما تناسلية (خلايا تناسلية) بالاضافة الى كل جسمه الباقي الذي يتكون من البلازما الجسمية . وعليه يؤكد العلم - في حالة الانسان - ان البلازما التناسلية قادرة بانقساماتها على تكوين بلازما تناسلية جديدة مع بلازما جسمية وليس العكس صحيحا ، اي ان البلازما الجسمية لا يمكن بحال - في حالة الانسان - ان تكون بلازما تناسلية البتة . مع انه في بعض الحيوانات الاخرى من غير الانسان - مثل العدار (الهيدرا) والاسفنج وبعض الديدان المفلطحة (بلاناريا) (شكل ٥) وغيرها - يمكن ان تكون البلازما الجسمية بلازما تناسلية وجسمية من جديد ، فاذا قطع الحيوان قطعا (اربا) فان كل قطعة - تمثل بلازما جسمية - يمكنها ان تكون حيوانا جديدا قائما بذاته له جهازه التناسلي (بلازما تناسلية) واجهزته الجسمية الاخرى (شكل ٥) .

البلازما الجسمية في اي فرد آدمي مآلها الموت لا محالة . بل قد يموت بعضها ولا زال صاحبها حيا يرزق (مثل كرات الدم الحمراء ، وكثير من الخلايا الطلائية على الجلد او في باطن القناة الهضمية) . لكن حين ينتهي الاجل المسمى فيموت الانسان برمته ، فانه يموت بكل اجهزته بما فيها من خلايا تناسلية بقيت فيه - لكن خلاياه التناسلية (الحيوانات المنوية في الرجل والبويضات في الانثى) التي قدر لها ان تشترك قبل موته في تكوين لاقحات تبقى كامتدادات له فقد انتقلت منه اثناء حياته لتشترك في تكوين ابنائه او بناته .. وهكذا على نحو ما وضحناه سابقا . ولهذا يحلو لبعض العلماء ان يقول معبرا عن هذه الظاهرة « ما البلازما الجسمية في اي فرد الا مجرد عربة وظيفتها الاساسية ان تحمل وتحافظ على البلازما التناسلية حتى تسلمها الى غيرها » اليس هذا صحيحا ؟ .

واذا كان القارىء الكريم قد اخذ فكرة عن امكانية خلود البلازما التناسلية على النحو الذي وضحناه سابقا ، فانه يستطيع ان يستنتج على الفور « عمق النسب » الذي يعنيه هذا التعبير في الآية الكريمة . كما يمكن ان يرن في اذنه عمق هذا النسب ، كلما سمع اللفظ او النداء « يا بني آدم .. » في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

بقيت فكرة لا بد من تسجيلها عن ارتباط « الارحام » في كل ابناء آدم . والرحم في المرأة هو جزء من جهازها



شكل (٣) قطاع في رحم سيدة يظهر به الجنين متصلا بالحبل السري المتصل بالمشيمة الدورة الدموية في الأم مبينة باسهم منقطة وفي الجنين باسهم كاملة

التناسلي ـ بلازما جسمية ـ حيث يربى الجنين وهو المسمى « بالقرار المكين » في قوله تعالى :

(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون) المرسلات / ٢٠ ـ ٢٣ .

في الاسرة الواحدة المكونة من اب وام واحدة لأبناء متعددين ذكور واناث ، يكون جميع الأبناء قد سكنوا على فترات متتالية رحم هذه الام لا محالة ، فصلة الرحم بينهم واضحة بلا غموض واذا كان لهذه الام اخوة واخوات من اب وام واحدة فهم لا شك بدورهم قد جمعهم رحم هذه الام (جدة الاسرة الاولى) وهكذا اذا تسلسلنا خلقا على هذا النحو ، فسوف نصل الى :

١ ـ ان رحم حواء قد سكنه على فترات كل اولادها من آدم ، ذكورا كانوا ام اناثا .

٢ ـ ان اناث الجيل الاول اللائي تزوجن باخواتهن قد سكن ارحامهن كل اناث وذكور الجيل الثاني .

٣ ـ واذا تسلسلنا على النحو السابق

لوجدنا ان كل ام لاحقة قد سكن رحمها ذكور واناث من ابنائها وبناتها لكن هذه الام بدورها كانت اختا لذكور واناث سكنوا رحم ام سابقة . ومعنى ذلك بعبارة اخرى :

- ان حواء هي ام لابنائها الذكور والاناث من الجيل الاول .
- ان حواء هي ام لامهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثاني
- ان حواء هي ام لامهات أمهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثالث .
- ان حواء هي ام لامهات امهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الرابع .

وهكذا يمكن ان نسلسل حتى لنجد ان « صلة الرحم » تربط كل من في الارض جميعا رجالا ونساء منذ وجدت حواء على الارض وإلى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ونخلص من مناقشتنا السابقة عن البلازما التناسلية والارحام ان الناس جميعا تربطهم وحدة التكوين كما تربطهم وشائج الدم (القرابة) . واذا استقرت هذه الحقيقة في ذهن كل انسان اتضح له ان الناس كلهم متساوون فليس لجنس امتياز على جنس اخر الا بالتقوى والعمل الصالح ، فتكريم الانسان لا يكون بلون ضد لون ، او جنس ضد جنس ، او قومية ضد قومية ، انما التكريم بالتقوى كما ينص على ذلك قوله تعالى :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات / ١٣ .

وهكذا تكون البلازما التناسلية وخلودها ، وتكون الارحام وصلاتها ، تكون هذه وتلك سببين شديدين « النسب والمصاهرة » كما ورد في الاية الكريمة ، واذا كان القارىء قد تدبر وتمعن في هذين البعدين تدبرا شديدا وتمعنا عميقا ، فبامكانه ان يقرأ قول الحق تبارك وتعالى مدركا هذين البعدين اشد الادراك . يقول سبحانه :

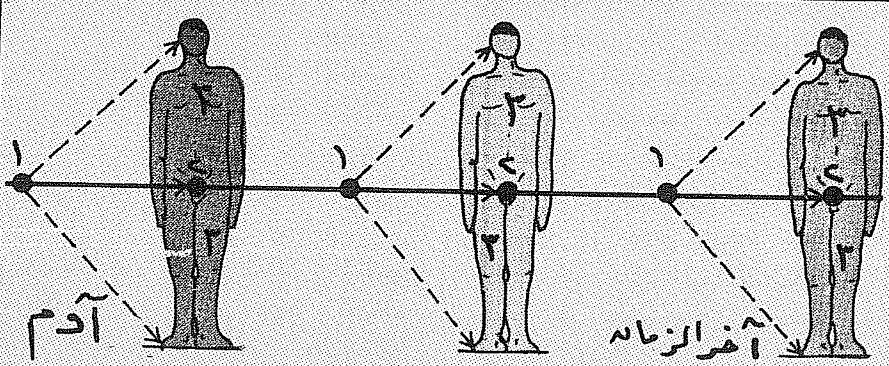
(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا .) النساء / ١

فالنداء من الله الى الناس باتقائه لانه سبحانه :

١ ـ قد خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وهذا ما يتعلق بالبلازما التناسلية فكلهم مخلوقون بالتسلسل منها كما سبق القول . والنداء موجه للناس منذ وجود ادم وحتى تقوم الساعة .

٢ ـ وعبارة « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » تشير الى تنوع الحيوانات المنوية وبالتالي انتاج ذكور واناث من البشر في كل زمان ومكان .

٣ ـ واتقاء الله والارحام معناه ملاحظة الصلات المتينة بين الناس ،



شكل (٤)
امكانية الخلود في البلازما التناسلية

شكل (٤) اللاقحة (١) تنتقل من سابق الى لاحق فتكون في الفرد الجديد بلازما تناسلية (٢) كما تكون بلازما جسمية وهكذا تمضي الحياة من جيل الى جيل من لدن آدم وحتى اخر الزمان .

وكأنهم افراد اسرة واحدة يرتدون جميعا الى رحم واحد .

ثالثا : قوله تعالى « وكان ربك قديرا . »

لا يستطيع احد ان يحصي اثار قدرة الله التي تتجلى في كل شيء خلقه . لكن الآية الكريمة التي نحن بصددها تعالج خلق البشر من ماء التناسل (المنى) على النحو البديع والمعجز الذي نرجو ان نكون قد وضحناه سابقا . وفي هذا المجال وحده يمكن ان نتأمل معا الملاحظات الآتية :

١ ـ شاء الله وقدر ان يخلق الحيوان المنوي كما تصنعه الخصية شاء ان يجعله في صورة تخالف صور اي خلية اخرى في جسم الانسان (شكل ١) ، فجعله متحركا مكونا من رأس وذنب ومعدا بشكل خاص يؤهله لاداء وظيفته على الوجه الاكمل . فكان خفيف الوزن ، رشيق القد ، كثيرة اعداده اذا ما قورنت باعداد بويضات الانثى (النسبة بالحجم ١ : ٢٥٠,٠٠٠) وهذا ما يجعل فرصة التلاقي والاخصاب كبيرة . فالمعروف ان المشيج المذكر هو الذي ينتقل الى حيث توجد البويضة في جهاز المرأة التناسلي ، وعليه فاذا لم يكن مكيفاً بالشكل المطلوب ، والحجم المناسب والحركة الملائمة ، التي هيأها الله جميعا له ، لو لم يكن كذلك ، لما امكنه ان يزاول مهمته الشاقة على الوجه الاكمل ، ليكون هناك رجال كثير ونساء .

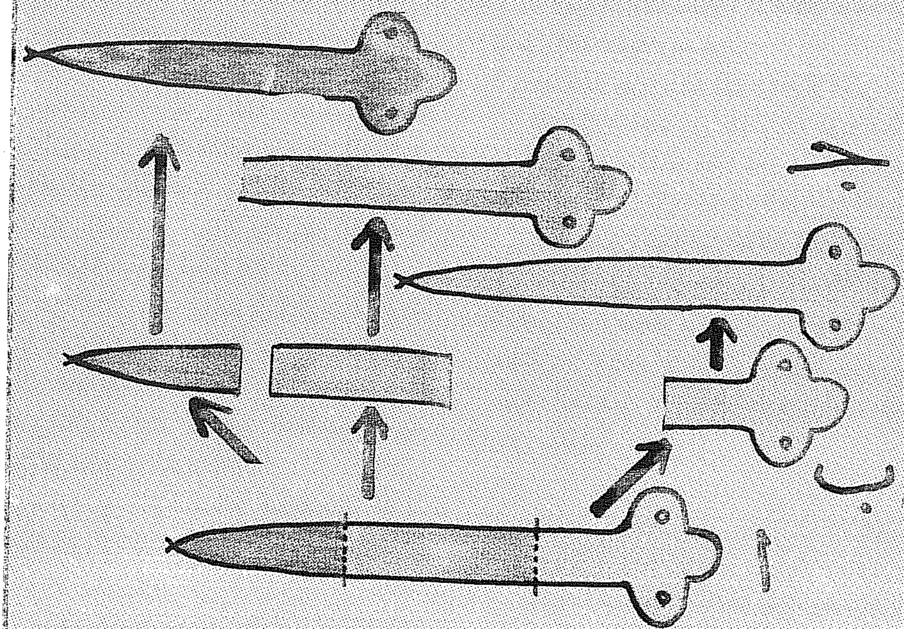
٢ ـ على عكس جميع خلايا الجسم

الاخرى - اي خلايا البلازما الجسمية - فان الامشاج بنوعيها ، لها طريقتها الخاصة في الانقسام الذي اختصها الله بها لتتكاثر اعدادها ، ولتعد نفسها للاخصاب . وتعرف هذه الطريقة علميا « بالانقسام الاختزالي » ونتيجته ان يحمل كل من المشيج المذكر والمشيج المؤنث ، ان يحمل كل منهما « نصف عدد الصبغيات فقط » حتى اذا اندمجا معا بالاخصاب ، تكونت لاقحة بها « العدد الكامل من الصبغيات » الذي يشبه نظيره في كل خلايا الجسم الاخرى . ترى من الذي افهم الامشاج ان تسلك هذا المسلك ؟ انها لو خالفته بمسلك آخر لنشأت لاقحة لا تمت لصاحبها بصلة ، ولما تم تكوين الخلق الجديد على الوجه المرضي ، بل قد لا يتأتى تكوينه كلية . انها قدرة الله الخالق ، الذي خلق فسوى . وقدر فهدى .

٣ - مكن الله بقدرته اللاقحة - وهي خلية واحدة - مكنها من الانقسام المتوالي لتكوين الفرد الجديد بخلاياه التي تعد بالبلايين وبأنسجته المختلفة ، وباعضائه واجهزته المتباينة . ترى من الذي مكن لمثل هذه الخلية التي لا تزن سوى جزء واحد من بلايين البلايين البلايين الاجزاء من الجرام الواحد ، من الذي مكنها على ان تنقسم فتكون فردا قد يصل وزنه الى مائة كيلو جرام أو يزيد ؟ ونواة اللاقحة التي لا تشاهد الا بالمجاهر المكبرة كثيرا كنقطة حبر على ورقة بيضاء ، هذه النواة هي سجل كامل وحافل بكل الصفات الوراثية التي تجعل الفرد الجديد وطوال حياته فردا له « شخصيته أو ذاتيته » التي ينفرد بها عن كل ما سواه منذ خلق ابيه ادم وحتى تقوم الساعة . وما البصمة الا مثال واحد من امثلة عديدة تدل على هذه الذاتية . هذا صنع الله ، فهل يمكن ان بدانيه في صنعته احد ؟

والانقسامات الاولى للاقحة تؤدي الى خلايا متشابهة ، فمن الذي يأمر خلية او مجموعة من الخلايا محددة ان تسير في اتجاه معين تخالف مسيرة خلية او مجاميع خلايا اخرى ؟ هذه تكون جهازا دوريا ، وتلك جهازا عصبيا ، وثالثة عظما ، ورابعة لحما و ... الخ . وعلماء الاجنة يعرفون تمام المعرفة ان الخلية التي تتجه لتكوين مشيج او جهاز بعينه تظل على مسيرتها دون أن ترتد او تنكص على العقب مهما وقع عليها من تأثير . انها تصر على تنفيذ ما امرت به . انها ملائكة الرحمن تجعل من اللاقحة خلقا اخر ، انسانا بكل صفاته ، فتبارك الله احسن الخالقين .

والانسان الكامل يكون جسمه متماثلا ، بمعنى ان شقه الايمن يشبه الى حد بالغ شقه الايسر ، ففي الحالات الطبيعية ، لا نجد خلافا بين اذن يمنى واخرى يسرى ، ولا بين ذراع ايمن وذراع ايسر وهكذا . بل ان الشعر يتوزع على الجسم في تماثل



شكل (٥)

على عكس الانسان وفي حيوانات غيره يمكن للبلازما الجسمية ان تكون بلازما تناسلية وجسمية

حيوان البلاناريا (أ) من الديدان المفلطحة قسم الى قطع ثلاث (ب) ربيت في بيئة مناسبة فنمت كل قطعة (بلازما جسمية) وكونت حيوانا كاملا بكل اجهزته (بلازما تناسلية + بلازما جسمية)

تام ، حتى اذا شاب بعضه عن يمين ، شاب نظيره عن شمال . وقس على ذلك الكثير الكثير . من الذي امر الخلايا ان تسلك مسلكا معينا ؟ وما هي التوجيهات الحازمة التي لا تجعل يمينا يشذ عن شمال . العلم لا يعرف عن ذلك شيئا . لكن علم الله المحيط هو الذي تكمن فيه اسراره . وقدرته تعالى تتضح في مظاهره التي تحير العقول .

٤ ـ مكن الله البلازما التناسلية في صورة اللاقحة ان تكون الخلق الجديد بكل مركباته من بلازما تناسلية واخرى جسمية (شكل ٤) وشاءت حكمته وفي الانسان خاصة الا يحصل العكس ، فلا تكون البلازما الجسمية فردا جديدا (كالحال في بعض الحيوانات الاخرى) ، وقد جعل سبحانه للبلازما التناسلية كفاءة الخلود بانتقالها من سابق الى لاحق من لدن آدم وحتى تقوم الساعة ،

وجعل وسيلتها الى ذلك الخلود ارحام الامهات التي تكفل لها الاستمرار والحياة ، وبالتالي يتم « النسب والصهر » . ومن هنا اصبح لفظ « الرحم » ومشتقاته رمزا للصلة والقرابة والرحمة في كثير من آيات الذكر الحكيم ، والاحاديث القدسية الشريفة يقول سبحانه :

(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) آل عمران / ٦

(واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) النساء/١

(واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) الانفال/٧٥

وفي حديث قدسي يقول سبحانه ما معناه : ان الله اشتق اسم الارحام من اسمه تعالى (الرحمن - الرحيم) وانه سبحانه يحض على وصلها وعدم قطعها ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . ويقول سبحانه انذارا للقاطعين لها : **(فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم .) محمد /٢٢ ٨ ٢٣**

رابعا : حول النسب والمصاهرة :

واكمالا للفائدة ، وتوضيحا للآية الكريمة ، نسجل هنا خواطر مفيدة عن النسب للانبياء الذي حدث على اثر المصاهرة وتكوين العائلات .

١ - وتبدأ بالرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم :

أ - فنسبه من جهة ابيه هو كالاتي :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (وكان في زمن سيدنا موسى عليه السلام على الصحيح وقيل في زمن سيدنا عيسى)

ب - واما نسبه من جهة امه فهو كالاتي :

سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ابيه) .

والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي به نسبه الى سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام .

٢ - اما شجرة النسب التي ينتمي اليها سيدنا عيسى وتضم كثيرا من اسماء الانبياء الاخرين فقد سجلها « موريس بوكاي » في مؤلفه بالانجليزية والفرنسية والذي ترجمته الى العربية دار المعارف بالقاهرة (تحت رقم ١١١٩) في ذكرى الملك الراحل « فيصل بن عبد العزيز » رحمه الله وعنوان المؤلف « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء

المعارف الحديثة » ويعترف المؤلف المسيحي ان الاناجيل تختلف فيما بينها في تسجيل نسب سيدنا عيسى ، وقد قدم دراسة مقارنة في هذا الصدد واختار هنا ما سجله المؤلف من انجيل « لوقا » عن شجرة نسب المسيح ، وان كان المؤلف نفسه يوجه اليها بعض المطاعن ، ولكني اوردها هنا لفائدتها ، فقد بدأها بأبي البشر آدم عليه السلام على الوجه التالي :

آدم ، ـ شيث ـ اندش ـ قينات ـ مهلئيل ـ يارد ـ اخنوخ ـ متوشالح ـ لامك ـ نوح ـ سام ـ ارفكشاد ـ قينان ـ شالح ـ عابر ـ فالج ـ راعو ـ سروح ـ ناحور ـ تارح ـ ابراهيم ـ اسحق ـ يعقوب ـ يهوذا ـ فارص ـ حصرون ـ عرني ـ اومني ـ عميناداب ـ نحشون ـ شالح ـ بوعز ـ عوبيد ـ يسى ـ داود ـ ناتان ـ متاتا ـ منا ـ مليا ـ الياقيم ـ يونان ـ يوسف ـ يهوذا ـ شمعون ـ لاوي ـ متات ـ يوريوم ـ عازر ـ بوسى ـ عير ـ المووام ـ قوسام ـ آدي ـ ملكي ـ تيري ـ شالتئيل ـ زربابل ـ يسا ـ يوحنا ـ يهوذا ـ يوسف ـ شمعي ـ متتيا ـ مآت ـ نجاي ـ حسلي ـ ناحوم ـ عاموس ـ متتيا ـ يوسف ـ ينا ـ ملكي ـ لاوي ـ متات ـ عالي ـ يوسف (آل عمران والد مريم التي ولدت المسيح)

وقد ناقش المؤلف (موريس بوكاي) الاختلافات الكثيرة في الاسماء بين انجيل « لوقا » وانجيل « متى » وكان هذا موضع نقد شديد منه . وعلى سبيل المثال لم يرد اسم النبي « سليمان » بعد « داود » في انجيل لوقا مع وروده في « انجيل « متى » . وعلى هذا الاساس فتكون شجرة النسب الواردة هنا على عهدة من سجلها .

٣ ـ يرتبط النسب والصهر ارتباطا شديدا بظاهرة « البلوغ » في الانسان ، كما يترتب على هذه الظاهرة الكثير من التكاليف الشرعية في الاسلام ، والرجل يصبح في حكم « البالغ » عندما يستطيع انزال المنى لاول مرة ، فهذا شاهد بلوغه ، اما المرأة فتصبح بالغة عندما تحيض لاول مرة ، ومعنى الحيض ترتيب دورة شهرية لها يحدث اثناءها التبويض (اي وصول البويضة من المبيض الى قناة المبيض حيث يمكن اخصابها) . ويكون « البلوغ » بالمعنى العلمي الدقيق هو « بداية امكانية الانسان او قدرته على توريث البلازما التناسلية لغيره من بعده كامتداد له » . ترى لماذا كانت مسئولية التكاليف الشرعية مرتبطة بالبلوغ ؟ . ولماذا كان العمر السابق على البلوغ « فترة سماح » لا يحاسب المرء عليها ؟ يقول علماء الدين ان فترة السماح هذه تكون انضاجا للعقل والخبرة والتدريب حتى اذا حان البلوغ كان الانسان على استعداد لتحمل مسئولياته امام ربه . قد يكون ذلك سليما ولكن السبب الكامل ـ على ما اعتقد ـ لا يكمن في هذا التفسير

وحده ، فكم من صبي لم يبلغ الحلم بعد أن اكتسب خبرة وتعقلا اكثر من رجل بالغ في ريعان عمره - ومن جهتي ، فاني اعتقد ان ارتباط المسئولية بالبلوغ هو ارتباط للمسئولية بتوريث الصفات عن طريق البلازما التناسلية (اللاقحات) ومعنى ذلك ان الوالدين اللذين اصبحا قادرين على امتداد حياتهما في ذريتهما لا بد ان يكونا اسوة لهما في كل عمل يأتيانه ، والمسئولية التي تلقى على عاتقيهما منذ بلوغهما هو اشعار لهما « بالامانة الثقيلة » التي يقبلان على حملها .

٤ - واذا كانت الاولاد في الاسرة ينسبون الى ابيهم وتلدهم امهاتهم ان تعددت الزوجات او امهم ان كانت زوجة واحدة ، فقد احترم القرآن الكريم هذه العلاقة احتراما شديدا ، فحرم التبني ، وهو ادعاء البنوة لشخص ليس امتدادا لابيه ، كما انكر على الزوج ان يدعي ان زوجته كأمه (الظهار) محرمة عليه . يقول سبحانه :

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) . الاحزاب / ٤ - ٥

(الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور) المجادلة / ٢

وبقدر ما يحترم القرآن الكريم النسب الحقيقي على النحو السابق ، فان الحق تبارك وتعالى يقدم رابطة العقيدة الدينية على رابطة النسب الحقيقية ، فابن سيدنا نوح الذي هو من صلبه ، يشفق عليه والده من الغرق فيدعو ربه لانقاذه ، فيكون جواب الله له ما يحكيه القرآن الكريم :

(ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين .) هود / ٤٥ - ٤٦ .

والمعنى ان ابن سيدنا نوح ان كان ينتمي اليه نسبا ، فانه يسلك مسلكا يخالف ما يدعو اليه والده ، ومن ثم فانه لا يكون على دينه ، فالعقيدة الدينية رابطة اقوى من النسب ، ومن ثم كان ابن نوح ليس من اهل نوح لانه ليس على عقيدتهم . وفي غزوة بدر الكبرى تجلت هذه الظاهرة واضحة قوية ، فقد احلت العقيدة الدينية قتل المؤمن لمخالفه الكافر ابنا كان او ابا ، والامثلة على ذلك تسجلها كتب السيرة وهي كثيرة .

٥ ـ وكما حرم الله التبني حفاظا على النسب الحقيقي ، فقد أمر ان تعتد المطلقات حتى تبرأ ارحامهن من الحمل قبل ان يقدمن على الزواج من جديد . وقد اكد ذلك حتى لا تختلط الانساب بين زوج سابق وزوج لاحق .

يقول سبحانه .

(يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ..) الطلاق/١

(واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ..) الطلاق / ٤

(والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ..) البقرة / ٢٢٨

فسر القرء على انه الحيض أو الطهر بين حيضين ، والسؤال الان هو لماذا التحديد بثلاثة قروء او ثلاثة اشهر ؟ . المعروف ان الحيض يحل بالمرأة الخصيبة (ليست في سن اليأس) مرة كل شهر تقريبا في الاحوال الطبيعية . وقد ثبت طبيا بالابحاث ان المرأة قد تحمل ، لكن الجنين وهو في بداية حياته لا يستهلك كل الدم الوارد الى الرحم فينزل بعضه في ميعاد الحيض مرة ، او مرتين على الاكثر ولكنه لا ينزل ابدا للمرة الثالثة عند استقرار الحمل . لم تكن هذه الحقيقة الطبية معروفة وقت نزول القرآن الكريم ، فهي لم تعرف الا حديثا . ومن ثم يكون انتظار المطلقة لثلاثة قروء كافيا ومؤكدا لاستبراء رحمها من الحمل ، ولا يحل لها ان تتزوج قبل استكمال عدتها هذه حتى لا يختلط النسب اذا لم تراع هذه الحقيقة مراعاة تامة .

٦ ـ ونختتم المقال بالاشارة الى التركيز الواضح الذي يسجله القرآن الكريم بصدد نسب سيدنا عيسى الى امه تأكيدا لمعجزة ولادته من غير اب .

● فقد ذكر لفظ « المسيح » في القرآن احدى عشرة مرة جاء فيها غير منسوب لأمه ثلاث مرات فقط (النساء : ١٧٢ ـ المائدة : ٧٢ ـ التوبة : ٣٠)

● وذكر لفظ « عيسى » في القرآن خمسا وعشرين مرة جاء فيها غير منسوب لوالدته تسع مرات فقط (البقرة : ١٣٦ ـ النساء : ١٦٣ ـ الانعام : ٨ ـ الشورى : ١٣ ـ الزخرف : ٦٣ ـ آل عمران : ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٥٩ ـ ٨٤) .

● وذكر لفظ « مريم » في القرآن اربعا وثلاثين مرة جاء فيها دون ذكر لابنها احدى عشرة مرة فقط ، منها ستة في آل عمران وحدها .

والله تعالى أعلم .

مائدة القارىء

بين

قال الحريري في درة الغواص : بين لا تدخل الا على المثنى والمجموع ، كقولك : الدار بينهما ، والدار بين الاخوة ، فأما قوله تعالى : « **مذبذبين بين ذلك** » فان لفظة ذلك تؤدي عن شيئين ، كشف ذلك بقوله تعالى : « **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** » ونظيره : « **لا نفرق بين احد من رسله** » فلفظة احد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع .

الحبس

ما الحبس الا بيت كل مهانة — ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدو فشامت — يبدي التوجع تارة ويفند
او زارني فيه المحب فموجع — يذري الدموع بزفرة تتردد
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى — احد عليه من الخلائق يحسد

خطايا ... وحسنات

قال لقمان لابنه :
يا بني اجعل خطاياك بين عينيك الى ان تموت ،
واما حسناتك فاله عنها فانه قد احصاها من لا ينساها .

انت الزمان

قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة :
كيف زمانك يا معن ؟
قال : يا امير المؤمنين ، انت الزمان ،
فان صلحت صلح الزمان .
وان فسدت فسد الزمان .

الهدية ... والصدقة

الهدية ترد بلاء الدنيا ، والصدقة ترد بلاء الآخرة

جفاء موجع

قال حكيم : جفاء القريب اوجع من ضرب الغريب .

ستر الله

قال ابو هريرة ـ رضي الله عنه : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل أمتي معافى ، الا المجاهرين ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ! عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » .

اخرجه البخاري

الذين آمنوا

قال الله تعالى : « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » .

الآية ٣١ من سورة ابراهيم

مكارم الاخلاق

وقعت سفانة بنت حاتم في اسر الجند المسلم وكانت ضمن السبى الذي عرض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما وقفت بين يدي الرسوم الكريم قالت : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب ! فان ابي كان سيد قومه يفك العاني ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه احد في حاجة فرده خائبا ، انا ابنة حاتم الطائي .
فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا ، ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق . ثم اردف فقال عليه الصلاة والسلام : ارحموا عزيزا ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بين جهال .

متى يشعر المسلمون

حبانا الله تبارك وتعالى ـ معشر المسلمين ـ بنعم فاقت النعم التي أنعم بها على غيرنا من الأمم . أنعم علينا بنعمة التوحيد وما أعظمها نعمة ولا سيما أن البشرية تجرعت كأس الضلالة حتى الثمالة من جراء ابتعادها عن عقيدة التوحيد .

وأنعم علينا بنعمة الاسلام وكفى بها نعمة وجعله خاتم الأديان السماوية وأكملها قال تعالى : (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/ ١٩ وقال : (**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/ ٣ بل جعله دين البشر عامة لأنه الدين الكامل ، وتوعد الذين يلقونه غير مسلمين فقال تعالى : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/ ٨٥ .

وأنعم علينا بالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي فيه علاج ما عجزت البشرية بماديتها واعتمادها على عقلها الناقص عن علاجه ، وتتجلى هذه النعمة في حفظه عما أصاب غيره من الكتب السابقة من التحريف

بذاتهم

للاستاذ /
جابر محمد حسن خليل

والتبديل وصدق الله إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/٩ وبين الحق تبارك وتعالى ان هذا الكتاب حوى كل شيء فقال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الأنعام/٣٨ وان هذا القرآن هداية للبشر : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**) البقرة/٢ .

وأنعم علينا بخير الأنبياء وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله للبشر عامة على عكس الذين سبقوه من الأنبياء والرسل فقال تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء/١٠٧ .

هذا فيض من غيض وقطر من بحر نعم الله التي أنعم بها على المسلمين بل أكثر من ذلك جعلهم خير أمة أخرجت للناس فقال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ال عمران/١١٠ وكذلك جعل الله الأمة الاسلامية شاهدة على بقية الأمم فقال تعالى : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**) البقرة/١٤٣ .

وهنا نتساءل : لماذا تقهقرت الأمة الاسلامية إلى هذا المنحدر السحيق الذي لم يسبق لهم أن انحدروا في مثله منذ أربعة عشر قرنا ؟

والاجابة على هذا السؤال جد يسيرة : فالمسلمون تخلوا عن ذاتهم ، وتخلوا عن عزتهم التي أعطاهم الله إياها حيث قال : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون/٨.

تخلوا عن صراط الله المستقيم الذي ينشدون الله كل يوم أن يهديهم إليه حينما يقولون : (**اهدنا الصراط المستقيم**) الفاتحة/٥ ، والذي وضحه لهم الحق تبارك وتعالى في قوله :

(**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الأنعام/١٥٣ .

فوجدنا بعض المسلمين يولي وجهه قبل الشرق حيث الشيوعية الملحدة ، والبعض الآخر يولي وجهه قبل الغرب بماديته الجارفة التي لا مكان فيها للفضيلة والخلق القويم .

ووجدنا البعض يعلن على الملأ إسلامه ويلبس مسوح العلماء وهو ألد الخصام ، يفعل في السر ما يهدم به ما يقوله في العلانية ، ووجدنا آخرين ليس لهم هم إلا القضاء على الاسلام والمسلمين ثم يدعون الايمان . هذا الانفصام في الشخصية يعاني منه المسلمون الآن ، وفي أيديهم العلاج لكل ما تعاني منه البشرية من آلام ، ومع هذا فقد فضلوا الداء على الدواء .

وهنا نعيد السؤال مرة أخرى ولكن بصورة أخرى : متى يفيق المسلمون من غفلتهم هذه ؟

لن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم ، وعرفوا معنى العزة ومعنى الخيرية التي كتبهما الله لهم ، ويكفي أن يعلموا أن قوتهم في وحدتهم وانظروا كيف كنا ؟ كنا خير أمة حينما تمسكنا بكتاب رب العالمين فخافنا العالم وعرف بأسنا ، وكانت كنائس اوروبا لا تتجرأ على دق نواقيسها ، حينما كانت السفن الاسلامية تعبر البحر المتوسط ، يوم كنا تحت راية الخلافة في القرون الماضية ، أما الآن فقد نزع الله من قلوب عدونا المهابة ، وقذف في قلوبنا الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت كما أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لن يفيق المسلمون إلا إذا رجعوا إلى كتاب ربهم الذي يناديهم قائلا : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران/١٠٣ . وتركوا العصبية التي كادت تقطع أوصالهم ، لأنهم نسوا أو تناسوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية » رواه أبو داود وقوله (صلى الله عليه وسلم) : « ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » رواه احمد ، وبمثل ذلك دعانا في حجة الوداع في وصية لنا معشر المسلمين بنبذ النعرات القومية جانبا والالتفاف حول لواء الاسلام لأننا جميعا لآدم وآدم من تراب .

لن يفيق المسلمون إلا إذا اقتنعوا بأن الأعداء من حولهم مهما اختلفت مذاهبهم ومهما اختلفت عقائدهم فإنهم يجتمعون على هدف واحد هو استئصال شأفة الاسلام ، والعمل على طمس الوجود الاسلامي من وجه البسيطة .

لن يفيق المسلمون إلا إذا اعتزوا بلغتهم لغة القرآن الكريم فلم يفرطوا فيها ، وحاربوا الذين يحاولون النيل منها بالدعوة إلى العامية تارة وبالدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية تارة أخرى .

ولن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم كأمناء على رسالة الله في العالم وأنه بضياعهم يضيع العالم لأنهم حملة مشاعل النور إلى البشرية التي تعج في ظلمات بعضها فوق بعض .

ولكي يفيق المسلمون من سباتهم العميق نضرب لهم هذا المثل الذي ضربه الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينما أراد أن يبين أثر تخلي المرء عن خصائصه وعن ذاته :

« كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعى وفير الكلأ عيشا رغيدا ، ولكنها أصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها ، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها . فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريح من هذا الخطر الداهم الذي يهددها في أوطانها وأرواحها ، فرأى أن استخدام القوة مع هذه الأسود أمر مستحيل ، فلابد من استخدام السياسة والدهاء والحيلة ، فظل يتودد إلى هذه الأسود في حذر حتى ألفته وألفها ، فاستغل هذه الألفة وبدأ يعظ الأسود ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء ، وإلى أن تترك أكل اللحم ، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون ، ويقبح لها الوثب والاعتداء حتى بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام ، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش ، وأخذت تتكاسل في السعي وراء الرزق ، ومالت إلى حياة الدعة والهدوء ، واكتفت بأكل الأعشاب كما تفعل الكباش فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن الأسود استرخت عضلاتها ، وتثلمت أسنانها وتقصفت أظفارها وأصبحت لا تقوى على الجري ، ولم تعد قادرة على الافتراس وبذلك تحولت الأسود إلى أغنام » .

وهنا بيت القصيد : لماذا تحولت الأسود إلى أغنام ؟

لأنها تخلت عن خصائصها وتخلت عن ذاتها وكذلك الأمة الاسلامية حينما تخلت عن ذاتها .

ونعود إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام صحابته رضوان الله عليهم نجد أنهم فتحوا البلاد شرقا وغربا وخضع لهم أعداؤهم في ذلة وانكسار لأنهم عرفوا مكمن عزتهم فتمسكوا به ، وعرفوا مكانة المسلم بين الناس فعملوا على إعلاء هذه المكانة متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله .

وحينما تخلى المسلمون عن ذاتهم ، ساروا في ركاب الملحدين تارة وفي ركاب الكفار تارة أخرى ، صاروا في

ذيل القافلة ونسوا أن هؤلاء الذين يتبعونهم يعتزون ويتمسكون بأفكارهم الباطلة سواء كانوا شيوعيين أم صليبيين أم يهودا .

ومن نتائج فقدان الذات أن سلط الله على الأمة الاسلامية رعاع البشرية وسفلتها ممثلة في هذه الشوكة التي وضعها أعداء الله في قلب أمتنا الاسلامية في فلسطين ألا وهي اسرائيل .

واسرائيل تمثل في المثال الذي ضربه الشاعر المسلم محمد إقبال ذلك الكبش الذي يخفي مكره ويدعي العجز لكي يسلب الأسود أعز ما يملكون ، وإذا نظرنا الى فريضة من الفرائض التي تركها المسلمون وكانت سببا في فقدان ذاتهم نجد أن تركهم الجهاد كان القشة التي قصمت ظهر البعير فقد ابتعدوا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ولم يكتفوا بهذا ، بل تركوا سبيل عزهم ومجدهم ألا وهو الجهاد ، وصدق رسول الله حينما قال : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا » رواه احمد وأبو داود .

ويرجع هجر الجهاد في سبيل الله إلى عوامل كثيرة اختمرت في نفوس المسلمين منها ما فعله ذلك الكبش اللئيم وأتباعه من المستشرقين وأذياله من المستغربين من أبناء المسلمين حيث أشاعوا فرية أن الاسلام انتشر بحد السيف ، ولسنا بصدد الرد على هؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نور الشمس بأفواههم ، ولكننا لابد أن نكشف اللثام عن الغرض الخبيث وراء هذه الأكذوبة ألا وهو أن هؤلاء المستشرقين وأذنابهم ومن يدور في فلكهم يريدون ان يقولوا لضعاف النفوس من المسلمين إن دينكم انتشر بحد السيف ، ولكي تنفوا عن أنفسكم هذه الجريمة يجب عليكم أن تلقوا السلاح من أيديكم ، وألا تفكروا في الجهاد أبدا حتى لا تتهموا بما اتهم به أسلافكم .

ووجدت هذه اللعبة هوى عند الذين فقدوا ذاتهم وأصبحوا يسبحون في بحار الغي والضلال فرأينا منهم من يمد يد السلام إلى من لعنهم الله ، ورأينا بعضهم يحالف الملاحدة الذين كفروا بالله .

وأيضا من نتائج فقدان الذات أننا لم نعد نتذوق حلاوة الأخوة في الله وتركنا شعوبا مسلمة لله تصارع قوى البغي والعدوان دون أن نمد لها يد العون اللهم إلا بكلمات التأييد وبالخطب الرنانة والشعارات البراقة ونسينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الحاكم وقوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم واحمد .

وفي هذا النطاق وجدنا المعتصم يجهز جيشا لفتح عمورية التي أهدر أهلها كرامة امرأة مسلمة هضم أعداء الله حقها فصاحت : وامعتصماه فرد لهذه المرأة اعتبارها وأخذ لها حقها معززة مكرمة ولكننا من منطلق فقدان الذات تركنا أفغانستان وارتيريا

واندونيسيا ترزح كل منها تحت أيدي أعداء الله وتصرخ فينا قائلة : وإسلاماه ولكن ما لجرح بميت إيلام لقد ضاعت أصداء هذه الأصوات في سماء تجاهل المسلمين لإخوانهم .

وأخيرا نعود لنسأل أنفسنا : متى يعود المسلمون إلى سابق مجدهم ؟ وبعبارة اخرى : متى يشعر المسلمون بذاتهم ؟

يخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه جعل لهذه الأمة الخيرية إذا نفذت الشروط التي بينها الله في قوله : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) فالشروط الثلاثة التي استوجبت لهذه الأمة الخيرية هي : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والايمان بالله . ولسنا بصدد الغوص في بحار هذه الشروط الثلاثة ولكن بحسبي أن أقف وقفات سريعة عند كل منها فمن الأمر بالمعروف أن يأمر كل شعب من الشعوب الاسلامية حكامه بأن يتكاتفوا مع بعضهم البعض لمواجهة ما يحيط بالعالم الاسلامي من مؤامرات يهودية وصليبية وشيوعية امتثالا لقوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) ولقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الشيخان .

ومن الأمر بالمعروف أن نجتمع على ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وبذلك نفوت الفرصة على أعداء ديننا الذين يتربصون بنا لتفكيك أواصرنا حتى يسهل عليهم ابتلاعنا وصدق رسول الله إذ يقول : (إن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية) رواه احمد وأبو داود والنسائي والحاكم .

أما عن المنكرات فهي أكثر من أن تحصى وإذا ضربنا أمثلة عليها فاختلاف المسلمين فيما بينهم هو أكبر المنكرات ، والدعوة إلى العصبية والنزاع العرقي هو أيضا من المنكرات التي يجب أن نتجنبها .

واتصال حبل المودة بين المسلمين وأعداء الله من اليهود هو من أشد المنكرات ولا سيما أن الله كشف عن خستهم وخفايا نفوسهم وأن الله كتب عليهم الذلة والمسكنة فكذلك من أحبهم لأن من أحب قوما حشر معهم ، أما من أحب الله العزيز واتبع منهاجه فسيكتب الله له العزة .

وأخيرا فان الايمان بالله يكون باعلاء شرع الله فتكون الدساتير في بلاد الاسلام كلها مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ، ويكون شرع الله هو الغالب لا شرع البشر مهما بلغت مكانتهم . ومن الايمان بالله أن يعمل الجميع على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ومن الايمان بالله أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد يجمع شملهم في ظل خلافة إسلامية ، وأن يتعاون المسلمون جميعا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان .

يومها ويومها فقط نشعر بذاتنا المسلمة ، ونشعر بعظم مكانتنا بين هذا العالم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

من الشعر الديني

مؤمنا

صاعد في الجو يبغي مأربا — في مدار الشمس او مسرى القمر
كلما أمعن سيرا في الفضا — وجد الارض تناهت في الصغر
والجبال الشم في ارجائها — قد بدت في العين اشباه الابر
ورأى أهرام خوفو مثلما — تبصر النملة او حبة بر
لم ير الانسان في ارجائها — ما له في اي نحو من اثر

❋ ❋ ❋

أين من يملأ كبرا صدره — وارم الأنف ، وفي الخد صعر ؟
يحسب الناس جميعا دونه — وهو في قمة اجناس البشر
اين من يشعل حربا كلما — انس القوة في بر وبحر ؟
لا يبالي ، هلك الناس به — او اقاموا من تخوف فوق جمر
يملأ الارض فسادا طيشه — كل عود من أذاه ينهصر
هو والرحمة ضدان ، ولا — يعرف الرفق وإن لان الحجر !!

❋ ❋ ❋

أين من ينكر ربا قادرا — وهو في أنعمه الغر غمر ؛
يرتع الجاحد في خيراته — ثم يمضي وهو بطران اشر
يدعي ظلما وزورا انه — ليس الا العلم رب مقتدر !
ما علوم الارض في علم السما — غير حسو الطير من ماء النهر !

❋ ❋ ❋

عجبا للمرء في حالاته — قلب في أمره لا يستقر
كلما كان بخير سالما — جحد النعمة ، والرب كفر
وإذا ما مس ضر جسمه — ضج بالشكوى ولله جأر

يغزو الفضاء

○ للشاعر : محمد عبد الفتاح محمود علم الدين

يطرح الكبـــر ويحنـــي رأسه   ان رأى يومـــا قواه في خطر
فاذا ما انجـــاب عنـــه ضره   عاد للشر سريعـــا وفجر !!

***

قتـــل الانســـان ما اكفره !   من عنـــاد ينـكر الشمس بظهر
يحسـب الخـــلاق عنـــه غافلا   وهـــو مرصـــود ليـــوم لا مفر
ما جزاء المرء في طغيانه   غـيـر ان يسـلك في سلك سقر !

***

ايهـا الجاحـد : مهـــلا ، إنما   انـــت تمضي في ظلام مستمر
امـلأ العـــين بانـــوار الضحا   وامـــلأ الصـــدر بانفـــاس السحر
متـــع العـــين بجنـــات الربا   يانعـــات دائبـــات بالثمر
والنبـــات الغض في ارجائها   دائـــم الخضرة ريـــان عطر

***

اعل يا جاحـد يومـا في الفضا   وامـــلأ القلـــب جلالا تنبهر
انمـــا الـــكون فسيـــح رائع   يخلـب اللـب ويسبـى من نظر
ارجـــع الطـــرف الى آماده   يرجـع الطـرف كليـــلا ينحسر
كل من يطلـــب اقطـــار السما   ينتهـي عمـــرا ولا يقضى الوطر
ليس عمـــر المرء الا ومضة   من قرون الضوء يأتي من مجر !!

***

اسمـــع التسبيـــح في تأويبه   من نجـــوم وجبـــال وشجر
واعـــن لله الـــذي يعنـــو له   كل خلـق غاب عنـــا او حضر

من ذكريات الإسلام في شهر صفر

للأستاذ/ صلاح أحمد الطنوبي

صفر : الشهر الذي بعد المحرم . قال بعضهم : انما سمي بهذا لأنهم كانوا يتمارون الطعام فيه من المواضع . وقيل : لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا . وروى عن رؤبة أنه قال : سموا الشهر (صفرا) ؛ لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل ، فيتركون من لقوا صفرا من المتاع ، وذلك أن صفرا بعد المحرم ، فقالوا : صفر الناس منا صفرا . قال ثعلب : الناس كلهم يصرفون صفرا الا أبا عبيدة ، فمنعه للعلمية والتأنيث ، بارادة الساعة ، يعني أن الأزمنة كلها ساعات .
أنظر محاسن التأويل ـ الامام جمال الدين القواسمي جـ ٨ صـ ٣١٤٤)

وفي شهر صفر ذكريات اسلامية كثيرة منها :

(١) غزوة ودان (الأبواء) في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة :

أول مغازيه التي خرج فيها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بنفسه ، خرج في صفر على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٣م) يريد عيرا لقريش ، وبني ضمرة ، وقيل : لم يكن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مريدا لهم ؛ بل مريدا للعير التي لقريش ، فلما لقى بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا ، وكان خروجه في ستين راكبا ، ليس فيهم أنصاري ، فلم يدرك العير التي أراد ، وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على أنهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ، ولا يعينون عليه عدوا ، وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، وأنه اذا دعاهم لنصر أجابوه .. عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، وكان لواء الرسول « صلى الله عليه وسلم » أبيض ، وكان معه حمزة « رضي الله تعالى عنه » واستخلف على المدينة سعد بن عبادة « رضي الله تعالى عنه » ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

(٢) ملحمة يوم الرجيع في شهر صفر سنة ٤هـ (مايو سنة ٦٢٥م)

الرجيع : ماء لهذيل ، قرب الهدأة بين مكة والطائف ، وبعث الرجيع هي سرية عاصم بن ثابت الانصاري « رضي الله عنه » ، وكان بعثه في صفر من السنة الرابعة من الهجرة النبوية ذكر ابن اسحاق أنه « قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بعد أحد رهط من قبيلتي : عضل والقارة (وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة) فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث رسول الله « صلى

الله عليه وسلم » نفرا ستة من أصحابه وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الاثنة بن معاوية ، وعبد الله بن طارق .. »

خرج هؤلاء حتى أتوا الرجيع ، فغدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلا ؛ ليعينوهم على قتلهم ، فلم يدع القوم وهم في رحالهم ، الا الرجال بأيديهم السيوف ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وقالوا ذلك ؛ لأنهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ، ويأخذوا في مقابلهم مالا لعلمهم أنه لا شيء أحب الى قريش من أن يأتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ، ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد ؛ فأبوا أن يقبلوا منهم .

فأما مرثد وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ، وقاتلوا حتى قتلوا محتسبين أرواحهم الطاهرة في سبيل الله والاسلام .

وأما الثلاثة الآخرون (زيد وخبيب وعبد الله بن طارق) فقد لانوا ورغبوا في الحياة ، فأخذتهم هذيل أسرى وانطلقوا بهم نحو مكة ، وقبل دخولهم اليها تمكن عبد الله بن طارق ـ أحد المسلمين الثلاثة ـ من فك قيده ، واستل سيفه ، فتأخر عنه القوم ، ثم رموه بالحجارة حتى قتلوه فلحق باخوته شهيدا في سبيل الله والاسلام .

ولما أرادوا قتل خبيب بن عدى ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه ... ، وقيل : ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك ، فقال أبوسفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

(٣) سرية بئر معونة في شهر صفر ٤هـ :

وتسمى هذه السرية سرية المنذر ابن عمرو الخزرجي ، وتسمى أيضا بسرية القراء ، وكانت هذه السرية في شهر صفر في السنة الرابعة من الهجرة (مايو سنة ٦٢٥م) على رأس أربعة أشهر من أحد . قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في المدينة أحد زعماء الأعراف وهو أبو براء عامر ابن مالك المعروف بـ « ملاعب الأسنة » وهو من رؤوس بني عامر ، فعرض عليه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يظهر عداوة للاسلام ، ولكنه عرض على النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يبعث دعاة من أصحابه الى أهل نجد ، فلعلهم يستجيبون ويسلمون ، فخشى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » غدر أهل نجد بهم ، فقال أبوبراء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى

أمرك .

فبعث النبي « صلى الله عليه وسلم » المنذر بن عمرو الساعدي في أربعين رجلا من خيار المسلمين ، فانطلقوا في سبيل الله حتى نزلوا ببئر معونة ـ بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ـ وبعثوا أحدهم بكتاب النبي « صلى الله عليه وسلم » الى عامر بن الطفيل يدعوه الى الاسلام ، فلم ينظر في الكتاب بل قتل الرجل الذي ينبغي ألا يقتل لأنه رسوله ، والرسل لا تقتل ! واستصرخ بني عامر كي يقتل أصحاب النبي ، فأبوا أن يخذلوا أبا براء الذي أجارهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم ، فأجابته قبائل منهم ، واندفعوا معه حتى أحاطوا بالمسلمين ، فاستل هؤلاء سيوفهم ودخلوا مع أعداء الله في معركة غير متكافئة ، وصدقوا الله حتى قتلوا ، لم ينج منهم الا اثنان كعب بن زيد الذي تركوه وبه رمق ، فعاش ووصل الى المدينة ، وعمرو بن أمية الضمرى الذي أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه !

وجاء رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خبر أهل بئر معونة ، فقال : هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره وقد كنت لهذا كارها متخوفا ؛ فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر ابن الطفيل ، ومات عامر بن الطفيل .

قال حسان بن ثابت يرثي قتلى بئر معونة :

على قتلى معونة فاستهلي
بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا
ولا قتهم منـاياهم بقـدر

وقد احتسب المسلمون عند ربهم هؤلاء الدعاة المجاهدين في سبيل الله تعالى ، غير أن حزنهم عليهم كان عظيما ، وآية ذلك أن النبي « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه ظلوا شهرا كاملا يبتهلون الى الله تعالى ويدعونه عقب صلاة الفجر من كل يوم أن ينتقم لهم من قاتليهم . ومن جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة : عامر ابن فهيرة مولي أبي بكر الصديق « رضي الله عنه » وهو الذي عذب في الله فاشتراه أبوبكر فأعتقه ، واستشهد عامر وهو ابن أربعين سنة . رضى الله تعالى عنه .

الدروس المستفادة من يوم الرجيع وبئر معونة :

١ ـ يدل كل من حادثة الرجيع ، وبئر معونة على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة الى الاسلام ، وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه ؛ فليس أمر الدعوة موكولا الى الأنبياء والرسل « عليهم السلام » وحدهم ، أو الى خلفائهم ، والعلماء دون غيرهم .

ان ايفاد هاتين السريتين لم يكن الا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل الله ، والدعوة الى هذا الدين ، والسهر على نشره بشتى الوسائل ، أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا

شهداء ؟ وهذا ما كان يرجوه كل مسلم آنئذ !

٢ ـ الايمان القوي الذي يتجلى في محبة الصحابة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وظهر هذا جليا في جواب زيد بن الدثنة لأبي سفيان قبيل قتله ، وكذا جواب : خبيب بن عدي ، ولا ريب أن هذه المحبة من أهم الأسباب التي حببت الى قلوبهم كل تضحية وبذل في سبيل دين الله تعالى ، والدفاع عن رسوله « صلى الله عليه وسلم » ومهما بلغ المسلم في ايمانه فانه بدون مثل هذه المحبة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » يعتبر ناقص الايمان ، وانها لحقيقة صرح بها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اذ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين » (متفق عليه) .

(٤) سرية غالب الليثي الى بني الملوح بالكديد في صفر سنة ٨هـ (يونية سنة ٦٢٩م) :

خرج المسلمون حتى اذا كانوا بقديد لقوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وهي أمه فأخذوه ، فقال : انه جاء يؤيد الاسلام ، ولكنهم أوثقوه وخلفوا عليه رجلا وشنوا عليهم الغارة ، واستاقوا النعم ، وحملوا ابن البرصاء ، وعادوا الى المدينة ، وأسلم ابن البرصاء ، وتوفي آخر خلافة معاوية (رضى الله عنه) .

ولما رجع غالب الليثي من هذه السرية ، بعثه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى موضع مصاب بشير ابن سعد بفدك (ومعه ٢٠٠ رجل) وذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة ؛ وقد نجحت هذه السرية نجاحا تاما ، فقد قاتل المسلمون ساعة ، ووضع فيهم السيف وقتلوا منهم قتلى ، وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وعادوا الى المدينة .

(٥) سرية قطبة بن عامر الى خثعم في صفر سنة ٩هـ :

أرسل رسول الله «صلى الله عليه وسلم » قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبقرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعا ، وقتل قطبة بن عامر من قتل ، وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة .

(٦) بعث أسامة بن زيد لغزو الروم في شهر صفر سنة ١١هـ :

ويعتبر بعث أسامة بن زيد هذا هو

آخر البعوث النبوية ، اذ أنه في أثنائه انتقل الرسول « صلى الله عليه وسلم » الى الرفيق الأعلى .

وأسامة بن زيد بن حارثة ينتهي نسبه الى لؤى بن كعب ، وكان أبوه مولي للرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وأمه هي أم أيمن ، وقد كانت مولاة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكانت حاضنة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وقد أصبحت أمه عنده بعد وفاة أبيه ، فأعتقها وزوجها زيد ابن حارثة الذي أنجب منها أسامة ، وولد سنة ٦١٣م أي قبل هجرة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بتسع سنين .

وعاش أسامة مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وحظى عنده بالعناية والمحبة مثل أبيه ، وقد قال عنه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ان اسامة بن زيد لأحب الناس الى وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » ، ويتحدث أسامة (رضي الله عنه) عن منزلته عند الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » بقوله : « كان يأخذني رسول الله والحسن بن علي ابن أبي طالب ثم يقول : اللهم أحبهما فاني أحبهما » .

وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يردف أسامة وراءه ، وقد دخل الرسول « صلى الله عليه وسلم » مكة يوم الفتح وهو رديفه ، كما أردفه حين أفاض من عرفة . وقاتل أسامة ابن زيد في موقعة « مؤتة » تحت راية أبيه زيد بن حارثة ، وكان أسامة يوم حنين من الذين صمدوا مع الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

وبعد أن رجع الرسول «صلى الله عليه وسلم » من حجة الوداع أمر بتجهيز جيش كبير بقيادة أسامة ، وكان فيه أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص وسائر المهاجرين الأولين ، كما أمر أسامة أن يتوجه بهذا الجيش الى البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، على مقربة من مؤتة ، حيث استشهد أبوه قال له الرسول «صلى الله عليه وسلم » : سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، وأغر صباحا عليهم ، وأسرع المسير تسبق الخبر ، فان ظفرك الله بهم فاقبل « البث فيهم »

وخرج أسامة وأمر الجيش بالتحرك ، وبينما هم يتهيأون للمسير جاء الخبر بموت النبي « صلى الله عليه وسلم » وعاد المسلمون ليشغلوا في أمر تجهيز النبي «صلى الله عليه وسلم » ودفنه ، وموضوع الخلافة بعد المصطفى « صلى الله عليه وسلم » ولما تمت البيعة للصديق رضي الله عنه كان أول ما أمر به هو انفاذ جيش أسامة ؛ تنفيذا لوصية النبي « صلى الله عليه وسلم » وكان رأي بعض الأصحاب أن يتأجل مسير هذا الجيش ريثما ينتهي المسلمون من تأديب المرتدين والمتمردين على

الاسلام بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ؛ لكن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) صمم على انفاذ هذا البعث مهما كان الأمر وقال كلمته الخالدة :

« والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي «صلى الله عليه وسلم» ، ثم نادى على الناس أن يتهيأوا للخروج مع أسامة ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) بنفسه يودع جيش أسامة وهو يمشي على رجليه ، وأسامة بن زيد راكب .. فقال أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبوبكر : والله لا تنزل ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة .. وسار أسامة في طريقه حتى وصل الى حدود الشام ، فأغار عليهم وقاتل قاتلي أبيه ، وانتصر عليهم وغنم غنائم كثيرة ، ثم رجع الجيش الى المدينة منتصرا ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) والمسلمون يستقبلون الجيش المنتصر خارج المدينة ، ويهنئونهم بالفوز على أعدائهم ، واعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ، وكان أول عمل فعله أسامة بمجرد دخوله المدينة أن ذهب الى مسجد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الذي ودع الدنيا قريبا ، والذي كان معهم بالأمس ، ذهب ليصلي ركعتين شكرا لله تبارك وتعالى على ما وهبهم به من نعمة الفوز والنصر . وعقب رجوعه الى المدينة اشترك في حروب الردة فأغار على قضاعة ، وأبل ، وقد حقق أسامة في هذه الحروب نصرا كبيرا رفع الروح المعنوية عند المسلمين .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان أسامة وابنه عبد الله مكرمين عنده ، فقد فرض لاسامة خمسة آلاف درهم ، ولعبد الله ألفين ، كما كان أسامة مقربا أيضا الى عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) وموضع ثقته بعد توليه الخلافة ، ولما قامت الفتنة التي انتهت بقتل عثمان كان أسامة من الذين وجههم عثمان للبحث عن أسبابها فقد أرسله الى البصرة وقد حفظ أسامة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين ، وقد كان تأميره لحكمة بالغة من الرسول «صلى الله عليه وسلم» اذ فيه حث له على التضحية في سبيل الله ، والحرص على الاقتصاص من قاتلي أبيه ، كما كان فيه قضاء على العنجهية العربية والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الاسلام ، وأيضا فقد كان من التوجيهات النبوية الحكيمة الى تهيئة الفرص للشباب الصالح واثارة عزائمهم وهممهم الى معالي الأمور وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات الجسام والمهام العظام .

وتوفي أسامة بن زيد سنة ٥٨ من الهجرة في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله تبارك وتعالى عن هذا البطل العربي حبيب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .

وللمسرفين أمراضهم

للدكتور/ غريب جمعة

جلس الرجل يتحدث وقد تمددت بطنه امامه وتضخمت لغاديده وتورمت اجفانه ثم تعالت زفراته وتوالت اهاته شاكيا آلاما مبرحة في جسمه عامة وفي الاصبع الكبير لقدمه بصفة خاصة وبعد أن انتهى من شكواه قام الطبيب بفحصه ثم وصف له الدواء وطلب منه ان لا يسرف في تناول بعض الاطعمة التي لا تتناسب مع مرضيه . وعندئذ صاح الرجل في وجه الطبيب قائلا :ـ وكأنما يريد ان يلقنه درسا في الدين ـ

الم تقرأ قوله تعالى « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** » الاعراف/٣٢ وابتسم الطبيب ابتسامة لا تخلو من اشفاق وسخرية معا من هذا الفهم المغلوط لايات القرآن وقال للرجل : بلى قرأتها وقرأت الاية التي قبلها فهل تعرفها ؟ وسكت الرجل .

قال الطبيب : ليتك عرفت ما قبلها . اذا لصح فهمك وصح بدنك معا .

اما ما قبلها فهو قوله تعالى : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » (الاعراف / ٣١) .

والذي احب ان تفهمه جيدا هو : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » :

ان الله تبارك وتعالى يعلمنا ان نأكل ونشرب ما لذ وطاب من انواع المآكل والمشارب من غير اسراف وانما علينا بالعدل والتوسط فلا تقتير ولا اسراف سواء كان الاسراف يشمل الزيادة في البخل او الزيادة في الانفاق وتجاوز الحلال الى الحرام لأنه سبحانه لا يحب المسرفين ولا يرضى عنهم . وتؤكد السنة النبوية الشريفة هذا المعنى حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة (كبر وإعجاب بالنفس) ولا سرف فان الله يحب ان يرى اثر نعمه على عبده » (رواه النسائي وابن ماجة) والاسراف في المأكل والمشرب اذا تجاوز الحدود الشرعية فهو حرام واذا تجاوز الطاقة المالية فهو خطر واذا تجاوز الطاقة البدنية فهو ضرر . والذي تشكوه ايها الرجل سببه الاسراف في اكلك وشربك وهي اعراض مرض (النقرس) (Gout) او « داء الملوك » واليك التفصيل :

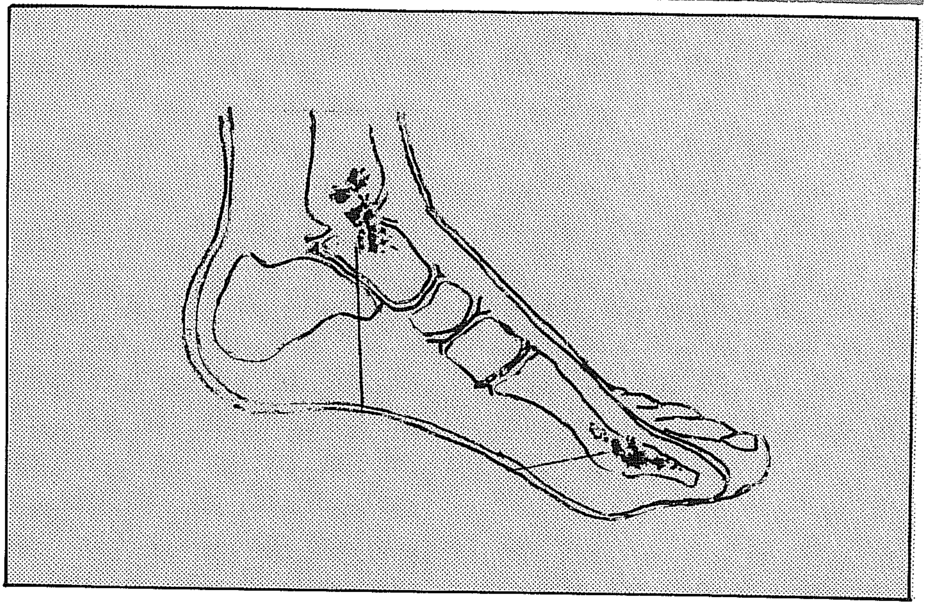
كلمة عامة :

يعتبر النقرس من امراض المفاصل المعروفة من قديم الزمان وقد أصيب به بعض المشاهير امثال الاسكندر الاكبر ولويس الرابع عشر والرئيس الامريكي بنيامين فرانكلين . وهذا المرض مصحوب بارتفاع نسبة حمض « البوليك » (Uricacid) في الدم ونسبته الطبيعية ما بين ٣ ـ ٦ مليجرام في كل ١٠٠ سم من الدم وترتفع تلك النسبة بعد بدء المرض بوقت قصير وتترسب املاح ذلك الحمض في الغضاريف (جمع غضروف) والمفاصل فتتلفها كما تترسب في اربطة العضلات وفي الكلية في بعض الاحيان .

وهذا المرض يصيب الرجال غالبا ما بين الخامسة والثلاثين والخمسين ولكنه قد يظهر قبل ذلك .

اسباب المرض :

ليس من المعروف الاسباب التي تتحكم في نسبة حمض البوليك بالدم



يبين الشكل رواسب حمض البوليك في مفصل رسغ القدم وابهامها وتسبب تلك الرواسب « النقرس » وهو نوع من التهاب المفاصل

وبالتالي اسباب النقرس على وجه التحديد ولكن الذي لا شك فيه ان الغذاء يلعب دورا رئيسيا في هذا المرض اذ ان حمض البوليك مشتق من المواد التي يدخل « البيورين » في تركيبها والبيورين مركب كيميائي سهل التحول الى حمض البوليك ومن الاطعمة الغنية بالبيورين ما يلي :
اللحم خصوصا الاحمر ـ الكبدة ـ الكلاوي ـ البنكرياس ـ الديوك الرومي ـ السردين ـ الرنجة ـ الانشوجة ـ الشاي ـ القهوة ـ الشمبانيا ـ النبيذ ـ البيرة .

وعلى ذلك فان النقرس اكثر شيوعا في اولئك الذين يأكلون اللحوم بكثرة واصحاب المآدب الحافلة بأطايب الطعام والمسرفين في طعامهم وشرابهم امثال الاغنياء والملوك لذلك اطلق عليه « داء الملوك » وان كان قد وجد بعض حالات النقرس بين النباتيين ولكن على الرغم من ذلك لا بد من اتباع نظام غذائي معين لا يحتوي على اللحوم بكثرة حتى نقلل من ارتفاع نسبة حمض البوليك بالدم .

انواع النقرس :

١ ـ النقرس الحاد :
يظهر هذا النوع غالبا بدون انذار واكثر المفاصل اصابة هو المفصل الاخير من الاصبع الكبير بالقدم وتظهر الاصابة في ساعات الصباح

حيث يستيقظ المريض على الم بذلك المفصل ربما يصعب عليه احتماله ويزداد هذا الالم مع حركة الاصبع او لمس الاغطية له . وقد تظهر نوبة الالم عقب عملية جراحية او عدوى او نتيجة لبس حذاء ضيق وقد تظهر من غير سبب ، وقد يصاب المريض بصداع وارتفاع في درجة الحرارة مع عدم القدرة على المشي .

واذا نظرنا الى المفصل وجدناه متورما لامعا شديد الحمرة واذا لمسناه وجدناه ساخنا ويخف الالم احيانا اثناء النهار ليعود تارة اخرى اثناء الليل مسببا الارق في كثير من الاحيان . وتستمر النوبة من يومين الى اسبوع ثم يقل الالم تدريجيا مع استمرار الورم اياما اخرى يصعب فيها لبس الحذاء ثم تزول النوبة الحادة الاولى . ثم تمضي فترة قد تمتد الى عام او عامين لا يشكو المريض فيها الما بالمفاصل على الاطلاق وان كان بعض المرضى يشعر بتعب في ذات المفصل ولكن لا يمنعهم من ممارسة نشاطهم العادي ويستمر الحال هكذا الى ان تتكرر النوبة وتتحول الحالة من حالة حادة الى حالة مزمنة . وقد تكون للنوبات المتكررة ـ في بعض الاحيان ـ علامات منذرة بحدوثها مثل : اضطراب المعدة والامعاء واحساس المريض بالانقباض وتغير المزاج وقد تكون تلك العلامات واضحة جدا بدرجة تجعل المريض او اهله قادرين على التنبؤ بأن نوبة جديدة ستصيبه . وتعود النوبة في نفس المفصل او مفاصل اخرى وحينما يتحول النقرس الى مرض مزمن يكون من العسير التمييز بينه وبين التهاب المفاصل شبه الروماتزمي .

وقد لا نتبين نوبة النقرس الحادة وبخاصة اذا اصابت مفصلا غير مفصل الاصبع الكبير بالقدم وقد تشخص على انها التهاب بالمفصل لا يرجع الى النقرس ولكن يمكن اكتشاف ذلك بواسطة اختبار بسيط لقياس نسبة حمض البوليك في الدم فاذا كانت مرتفعة كان ذلك نذيرا بأن المرض هو النقرس .

العلاج :

تعالج النوبة الحادة بكثير من الادوية في مقدمتها (خلاصة اللحلاح) « الكولشيسين » وهو يستخلص من نبات الزعفران وهو علاج معروف من عهد اطباء بيزنطة في القرن الخامس الميلادي ويمكن ان تعالج النوبة كالاتي :

١ ـ اقراص « كولشيسين » (١/٢ جرام) قرص كل ساعة حتى يخف الالم او يحدث اسهال ثم قرص الى قرصين يوميا فيما بعد .

٢ ـ فوارة سترات الصوديوم او اليوروسلفين (Ulrosolvine) (ملعقة صغيرة على الـ ١/٢ كوب ماء بعد الاكل) .

٣ ـ اقراص « فينايل بيوتازون » (قرص بعد الاكل ثلاث مرات يوميا) .

٤ ـ مشتقات الكورتيزون مثل « البريديلون » (قرص بعد الاكل اربع مرات يوميا) .

٥ ـ اقراص زيلوريك (Zyloric) (قرص مرتين يوميا) .
٦ ـ راحة تامة بالفراش .
٧ ـ تناول سوائل بكثرة ويجب ان لا يقل حجم البول عن لترين يوميا .
٨ ـ تجنب الاطعمة والمشويات التي تؤدي الى زيادة نسبة حمض البوليك سالفة الذكر بقدر الامكان . تلك خلاصة علاج النوبة الحادة والامر متروك للطبيب المعالج بطبيعة الحال .

النقرس المزمن :

لا شك ان تكرر اصابة مريض النقرس بالنوبات الحادة التي لا تعالج يؤدي الى ظهور اعراض النقرس المزمن وفي الغالب لا يحدث ذلك قبل مضي عشر سنوات على الاقل على ظهور النوبة الحادة الاولى .

وفي النقرس المزمن تترسب بللورات صلبة من حمض البوليك تعرف بالحصب في المفاصل (انظر الى الرسم) والانسجة وتؤدي الى حدوث تشوهات بها كما في مفصل الاصبع الكبير وشحمة الاذن . ويتلف المفصل المصاب بالنقرس بنفس الطريقة التي يتلف بها اذا اصيب بالتهاب روماتيزمي وقد ينتهي به الامر الى فقدان الحركة تماما . وقد يصاب نسبة من مرضى النقرس تصل الى عشرين في المائة بأعراض نتيجة اصابة الكلية .

وكلما ظهر النقرس في سن مبكرة كان المريض اكثر تعرضا للاصابة بأعراض عنيفة اما هؤلاء الذين يصابون بالنقرس بعد سن الخمسين فنادرا ما تحدث لهم تلك الاعراض .

العلاج :

تعالج الحالة المزمنة بنفس الادوية التي تعالج بها الحالة الحادة مع التعديل بالطبع وقد تستدعي الحالة اضافة انواع اخرى من الادوية اذا اصيبت الكلية وقد تساعد الجراحة في ازالة الحصبات وتقويم التشوهات .

والآن وقد انتهينا ايها الرجل من الكلام (بايجاز) عن مرضك دعنا نتمم الصورة لك ولغيرك بالحديث بايجاز عن نتائج الاسراف في تناول المواد الغذائية المختلفة ثم الحديث عن الغذاء المتوازن .

نتيجة الاسراف في تناول المواد البروتينية :

وهي التي تحتويها الاطعمة سالفة الذكر بالاضافة الى البيض والسمك واللبن والجبن وقد عرفنا انها تؤدي الى ظهور مرض النقرس كما تؤدي الى ارهاق الجسم في عملية الهضم كما تساهم بما فيها من دسم في الاصابة بضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين . لذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من تناول اللحم فيقول :

« اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر » . قال السيوطي في شرحه على « الموطأ » (٣ / ١١٧) : اياكم واللحم اي الاكثار منه فان له ضراوة . قال « الباجي » : يريد عادة يدعو اليها ويشق تركها لمن الفها وزاد في النهاية

فلا يصبر عنه من اعتاده يقال : ضرتي بالشيء اذا لهج به .

والمعروف ان التركيز على البروتينات مع حرمان الجسم من الخضروات التي تحتوي على السليولوز يعرض الانسان الى الامساك ومضاعفاته . والمعروف ان البطنة تذهب الفطنة وتوقظ الشهوات .

نتيجة الاسراف في تناول المواد الكربوهيدراتية (النشوية = السكرية) :

من المعروف ان الاكثار من المواد السكرية يؤدي الى حدوث تخمر بالامعاء وقد يؤدي الى حدوث اسهال والمعروف ان هذه المواد يتم احتراقها داخل الجسم لتتحول الى سعرات حرارية بالقدر الذي يحتاجه الجسم وما زاد عن ذلك فانه يتحول الى شحم يتراكم بالجسم ويتسبب في زيادة وزنه . ويتحد السكر الزائد بالكالسيوم الموجود بالانسجة فتنخفض نسبة الكالسيوم بالدم ويتم تعويض ذلك من العظام والاسنان وبالتالي يؤدي ذلك الى ضعف العظام وتسوس الاسنان كما انها ليست في مصلحة مرضى البول السكري .

الاسراف في تناول المواد الدهنية :

لا شك ان المواد الدهنية تشكل عبئا ثقيلا على اجهزة الجسم كلها وفي مقدمتها الجهاز الهضمي وهو المسئول عن هضمها بالاضافة الى الجهاز الدوري (القلب والاوعية الدموية) حيث تؤدي الى زيادة الوزن وبالتالي زيادة العبء على القلب وارتفاع نسبة « الكولسترول » بالدم . (هو المادة التي تؤدي الى تصلب الشرايين) .

الغذاء المتوازن :

لكي يكون الغذاء متوازنا لا بد ان يحتوي على العناصر الاساسية التي يحتاجها الجسم وهي : البروتينات ـ الكربوهيدرات ـ الدهون ـ الفيتامينات ـ المعادن .

وقد منح الخالق جل وعلا الجسم قدرة فائقة على التصرف الكيميائي في محتوياته فهو يستطيع ان يحول الدهون الى سكر ويحول السكر والبروتينات الى دهون حسب حاجته ولكنه لا يستطيع ان يحول السكر والدهون الى بروتين وعلى ذلك فلا يجوز حرمانه من البروتينات بحجة تناول اغذية اخرى واهم مصادر البروتين هي :

اللحم ـ السمك ـ البيض ـ اللبن ـ الجبن . وهذه مصادر البروتين الحيواني اما مصادر البروتين النباتي فهي :

الفول ـ العدس ـ البازلاء ـ البندق وغيرها .

وحاجة الجسم من البروتين اقل مما يظنه الناس فالشخص البالغ يستطيع ان يعيش في حالة صحية جيدة اذا تناول نصف جرام بروتين لكل كيلو جرام من وزنه فمثلا الشخص الذي يزن ٧٠ كيلو جراما يحتاج الى ٣٥ جراما يوميا من

البروتين العالي المرتبة مع ما يلزمه من الدهون والكربوهيدرات والفيتامينات والمعادن والماء .

والفيتامينات مواد خاصة توجد بكميات متفاوتة في الاطعمة وهي تحافظ على قوة الابصار وتساعد على نمو الجسم وعلى غيره من وظائف الجسم .

اما المعادن الضرورية للجسم : فهي : الكالسيوم والفوسفور (لتكوين العظام والاسنان) والحديد (يدخل في تكوين كريات الدم الحمراء) . والمعادن الثلاثة متوافرة في البيض ومنتجات اللبن واللحم الخالي من الشحم والدقيق الممتاز .

ومن مصادر الكالسيوم الجبن والعسل الاسود ورؤوس اللفت .

ومن مصادر الفوسفور : الحبوب واللحم والسمك .

ومن مصادر الحديد : اللوبيا والفاصوليا والكبد والبنجر والسبانخ وخبز القمح الكامل .. ويحتاج الجسم الى قدر يسير من اليود (لمنع حدوث « الجويتر » بالغدة الدرقية) ويمكن الحصول على هذا القدر من ملح الطعام الذي يحتوي على اليود .

ويحتوي الغذاء المتوازن كذلك على قليل من المغنسيوم والمنجنيز والنحاس . والمواد الكربوهيدراتية تمد الجسم بالطاقة بعد وقت قصير من تناولها اما الدهون والبروتين فانها تحتاج الى بعض الوقت حتى يحصل الجسم على الطاقة منها .

ولا يمكن ان يضع الانسان قائمة واحدة للغذاء المتوازن لأن لكل بلد مزاجه الخاص في المأكل والمشرب وطريقة اعداد ذلك بل ان لكل انسان بمفرده رغبة في طعام قد لا يشاركه فيها غيره وهكذا .. ولكن يمكن ان تكون هناك قائمة تقريبية بحاجة الجسم اليومية من الطعام وهي :

- لبن : نصف لتر (يزاد في حالة الاطفال) .
- بيض : واحدة (او ما يساوي ذلك من الفول او الجبن او اي بروتين اخر) .
- لحم - سمك - دجاج : شريحة او شريحتان .
- بطاطس : واحدة او اثنتان .
- فاكهة : ثمرتان احداهما حمضية (اي مصدر لفيتامين ج او اي بديل) .
- خبز : رغيف مصنوع من الدقيق الكامل او مضافا اليه مواد اخرى ويضاف الى ذلك الحلوى والدهون واطعمة اخرى لاستكمال الوجبات والحفاظ على وزن الجسم في حدوده الطبيعية .

وبعد ..

فاننا نرجو ان لا يسيطر الشره الغالب والشوق العارم الى الطعام على ابناء المسلمين وان يرتفعوا في درجات من الفهم الى مستوى قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

وان لا يهبطوا في دركات سوء الفهم الى مستوى الذين قال الله فيهم « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** » (محمد / ١٢) .

الرافعي

(١)

لاريب أن الأدب العربي افتقد انسانا مسلما ظل طيلة حياته ذائداً عن حياض اللغة والدين ، متصديا لخصوم القرآن المبطلين ، يحمل قلبا لا يخشى الا الله ، وقلما مؤيدا بمدد الاسلام ، وانه لمنحة للذين عايشوه فتنكروا له قبل ان يكون هاديا لبني العروبة الأوفياء .. .. ولكنهم جمدوا مآثره ، ورفضوا مصنفاته ، انه الأديب الحجة المرحوم : « **مصطفى صادق الرافعي** » ١٨٨٠ - ١٩٣٧م .

وإذا ما ذكر ذهب الفؤاد الى آفاق سماوية ، تعلو فتنتشر الجو عبيراً ينطق بحلاوة اللفظ وصدق المعنى ، وعذوبة البيان ..... ولكم حز في النفس ان تأتي الذكرى المئوية لميلاده ثم لا يتذكره كاتب او اديب ؟! - في وطنه - ناهيك المحاولات المدبرة في الخفاء للقضاء على فكره ، وانها لمؤامرات ساقطة ! وعما قليل سيعلم اهلها منقلبهم السيء ، ولا عليك ممن سار في ركابهم ، فتالله ماكره « ابا السامي » الا حاقد وما ابغضه الا منافق ..

وسلوا التاريخ عن معاركه مع جل الأدباء .. لماذا نشبت نارها واضطرم لهيبها ؟ ؟- لا لشيء - شهد الله - سوى « القرآن والفصحى » ، وكأن « الرافعي » قد كلف حراستهما دون غيره من البشر اما وقد اكتملت فيه فضائل الذات الاسلامية بيد أنه يتصل بالفاروق « **عمر بن الخطاب** » الخليفة الثاني ، واجداده كلهم من

تاريخ لا ينسى وذكرى لن تموت

للاستاذ
عبد الجواد محمد الخضري

ذوي الاريحية والعلم زد على ذلك الذكاء المتوقد ، والفطرة الصافية التي وهبها الحق كل الشمائل الحسنة والطباع النيرة فهي مدفوعة الى الانصاف مقتحمة مواطن الهلاك - ارضاء لله - الكبير المتعال « **لقد كان ناقدا عنيفا حديد اللسان ، لا يعرف المداراة ، ولا يصطنع الادب في نضال خصومه .. وكان فيه صراحة وصرامة ، وكان له في الادب مذهب وحده .. وحرصه على اللغة من جهة حرصه على الدين اذ لا يزال منهما شيء واحد قائم كالاساس والبناء لا منفعة فيهما معا الا بقيامهما معا** » وليس بد من كشف اللثام عن واحدة من اخطر المعارك التي دارت رحاها منذ ان بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - والى ان تنقضي الحياة !! ولم لا ؟ وكلما ظهر اعداء الدين ظهرت الصيحات المدوية بالمصطلحات التي ابتدعها اهلها للكيد بين المسلمين وما قضية « القديم **والجديد » الا خدعة يرتكز عليها المستعمرون ، حتى لا يتفرغ الناس الى شئون الفكر العملي واللحاق بركب التقدم « التقني » .. واذا كنت اليوم اقلب صفحات ماضية فما اردت الا تنبيه العقول الى الفكر الوافد في اثواب « التعادلية » التي ينادي بها بعض الادباء العرب المحدثين ، انهم لا يفرقون بين مسلم ويهودي ، ولا بين عربي وغربي ،**

ولا بين اخلاق وانحلال ، وفي غيبة الضمير اعادوا ما ردده « طه حسين » في الربع الثاني من القرن العشرين وانه لواجب للأدب ان يسترد حقه المنتزع في عيد

« **الرافعي** » الذي رد على هؤلاء بأقوى ما عرف من اسلوب ، وما ظهر من بيان « **بوسيلة القلم الذي لا يجاري والفكر الذي لا ينقض والخيال الذي لا يلحق ، والقوة المستحصدة ، والطبع المستجيب ، والكلام الذي تراه حيا ساميا فتحسبه ينبع من موضع يد الله في النفس الانسانية** » .

ـ ٢ ـ

وبدأت امارات الحرب حين نشر الدكتور « طه حسين » **كتابه (في الشعر الجاهلي**) وحمل فيه حملات شعواء على الحقائق التاريخية .. زاعما انه يحكم منهج (ديكارت) الفيلسوف الفرنسي فضل الطريق ، وضلل تلاميذه ، ولما سئل عن احداثه اجاب : ان لي طريقة حديثة في الأدب والشعر ، وطرائق البحث ! فهب الادباء يدافعون عن حمى التراث القومي ، ومن هؤلاء : « **الخضر حسين ـ محمد فريد وجدي ـ محمد احمد الغمراوي ـ شكيب ارسلان** » ، وغيرهم الا ان « الرافعي » افرد العقل فجاء بمقالات جاءت كاللهب المقذوف .. ظلت تترى في ثورة عارمة كأن فيها « معنى الدم » .. ولان الله غالب على امره ، متكفل بحفظ دينه حدث ما لم يكن في حساب حاسب ، اذ ان ازمة سياسية ـ ارادها الجبار المنتقم ـ فوقعت بين الحزب الحاكم ، وحزب الامة وكان الدكتور ينتمي الى الحزب الحاكم بينما حزب الامّة هو حزب الزعيم « سعد زغلول » مما جعل الشعب بمثقفيه وقرائه وعوامه يقفون يدأ واحدة تحت لواء (الرافعي) ضد طه حسين .. وتابع القراء مقالاته التي نشرت في مجلة (كوكب الشرق) فصار للناس رأي في الادب ادلوا به من باب السياسة التي اتفقت وتصادفت في الوقت نفسه مع الحقيقة الدينية ليكون الرأي لكلمة الله « **على ان هذه المقالات باقبال الناس عليها ـ لسبب ادبي او لسبب سياسي ـ قد بعثت روحا دينية كانت راقدة ، واذكت حمية كانت خامدة ، والفت قلوبا الى قلوب كانت متنافرة ، ونبهت طوائف من عباد الله كانت اشتاتا لتعمل للذود عن دين الله** » ..

وكان لا بد من تقديم عميد الأدب العربي للمحاكمة ، واصدرت الجامعة الأوامر بجمع نسخ الكتاب من المؤلف ومن المكتبات ، ومنع تداوله ... ، « ورب ضارة نافعة » لقد عرف العالم العربي « الرافعي الناقد » الذي رسم معالم النقد الاسلامي من ناحيتي المبنى والمعنى وطبع مقالاته في كتاب عرف فيما بعد « بالمعركة تحت راية القرآن » ارتأى صاحبه ان ضعف اللغة مرده الى ضعف الدين « **ولن تجد ذا دخيلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت له مثلها في اللغة** » وما هذا الحكم الا كبرهان على سمو اخلاق الرجل ، وثقته بالمنهج الالهي في تربية الذوق وتهذيب الحس والأدب ، ان

خرج من مرآة القرآن أعان القارىء على الحياة الآمنة ونظم له امور الدنيا ، وهون عليه متاعب الدهر وتلك مهمة الأدب الذي اشترط له « الرافعي » ان يوافق السلوك والتطبيق أي ان « ادب النفس قبل ادب الدرس » واذا كان بعض المفكرين ينفي صفة النقد عنه ، فانه ـ اي النافي ـ معذور !!

وانها لمتناقضات ان نحتكم الى قواعد الغرب في الحكم على الشرق ، مع المفارقات والتفاوتات بيننا نحن الشرقيين وبينهم ..

إن من شك في ايمانه يجب ان لا نأخذ عنه الا ما صح عند سليم العقيدة ، وليس من الجائز ادخال النظريات الالحادية اللاأخلاقية في اغراض الادب بله الفكر بصفة عامة .. واذا رأينا اي اديب يماري في ذلك اخذنا عنه بحذر حتى لا نقع في محظور نهى الدين عنه فالكلمة المكتوبة تخضع لقول الله : (**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**) ق/١٨ ، وحين ننظر الى الادب نجرد انفسنا من المؤثرات الخارجية التي تلعب دورها في تعلية هذا واسفال ذاك ... وتأمل ما يقوله « الرافعي » بهذا الصدد .. « انما نعمل على اسقاط فكرة خطرة ، اذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه ، فقد تكون غدا فيمن لا نعرفه ، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء لاجهلنا من نجهله يلطف منه ، ولا معرفتنا من نعرفه نبالغ فيه .. فان كان في اسلوبنا من الشدة او العنف او القول المؤلم او التهكم « فما ذلك اردنا » ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي ان يضل ، فما به زجر الاول به عظة الثاني .. .. » ..

ـ ٣ ـ

تلك مجمل آرائه في النقد ، فهو لا ينتقد الأشخاص لذواتهم كلا ! بل يستهدف التقويم والاصلاح فليست الخلافات المذهبية دافعا للاختلاف والعداء تحت ستار الادب وفي نفس الوقت يؤكد على سلامة نيته وصفاء قلبه بأن استعمال هذا الاسلوب لا يختص بعدو دون حبيب بل انهما سواء في مثله فلا مواربة ولا « مجاملة » حتى ولو ادى الجهر بالحق الى تحول الصديق عدوا ..

أما الأسلوب اللاذع الذي استخدمه في كتبه المتعلقة بالنقد الادبي ففي رأينا الشخصي انها جاءت ملائمة لمقتضى الحال ، فالهجمة الشرسة التي قادها الاستعمار ضد الاسلام جعلت من بعض المرتزقة ورجال الادب معاول هدم لتقويض الصرح الشامخ ، ولن نتزيد ان ـ قلنا : اخطر حقبة مر بها الفكر الاسلامي هي التي انحصرت ، في غضون العشرينات والثلاثينات ، فيها ظهرت الأهواء الفاسدة والمذاهب الأدبية العليلة التي تركت أثرها السيء في الأمة الى اليوم ، وكلما ازداد

الانسان قربا من « الرافعي » فهم اهدافه السامية من مكتوباته ، وليعلم خصومه ان مؤلفه (على السفود) لا يسجل مفاهيم النقد التي ارتضاها ، وقد صرح قبل رحيله الى عالم الخلود للأستاذ « محمد سعيد العريان » انه لم يكتب ما كتب في حالته المعتدلة العادلة ، ولعل هناك ما لا اعلمه من اكراه « الرافعي » على تصنيف هذا الكتاب وارجح انه تراجع عن جله .... ولو عاش لجلس والعقاد على كرسي واحد كما كانا قبل بذور الشقاق ، على اي خصومة « طه » لله وحده ولك ان ترى حياته ناطقة بفعله .. لقد نظر الدكتور العربي المسلم المسمى بأشرف الاسماء (طه) الى الاسلام نظرة يأباها المنطق والانصاف ، ويتعسف حين يوافق اليهودي الكافر « كليمان هوار » فيقول قالة !! ضد العروبة .. رغم ان قصة ابراهيم حيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهودية وبين التوراة والانجيل ، وهذا افتراء على الواقع وجهل بالتاريخ ، واستخفاف بالعقل فالنصوص الموثقة تقول : ان العرب لا يعتبرون اليهود منهم ، وما كان للعرب ان يتبرأوا من اليهود الا للعداوة الدائمة بين العرب واليهود يقول « الجاحظ » : **جاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ، ومعظم اليهودية انما كانت بيثرب وحمير وتيما ، ووادي القرى في ولد هارون دون العرب** » .

ويسوءنا ان تردد الأبواق العميلة ما اثاره الدكتور لخدمة بعض الاغراض الشخصية والذين يسلكون هذا الدرب يبغضون العرب ، ويزرعون الشعوبية الحمقاء ، اتراهم يجهرون لاجل الادب ؟ ام لحاجة في صدورهم ، لقد عقدوا « المهرجانات » واقاموا الحفلات بل قامت دار نشر صهيونية بطبع مصنفات « طه حسين » ، وتنوي احدى دول الاسلام اصدار جائزة للفكر الاسلامي تحمل اسم « طه حسين » .. أهذا منطق .. اهذا كلام ؟

لعمري ، هذا أقل شيء يفعله اليهود مع عميد الأدب الذي افتتح الجامعة العبرية وروج للفكر اليهودي عن طريق مجلته (الكاتب) ، وانكر شخصية واحد منهم هو (ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ) انكره ليبرىء اليهود من الفتن المدسوسة في العهد الاول ..

ان الادب ليس ملكا لاحد ، ولا يحق لقوم ان يحتكروا احكامه ، والى الذين ـ يقدسون الاشخاص نقول : راجعوا انفسكم بروية ربما عدتم الى الصواب بعد القول الفصل الذي قرره الاستاذ : « انور الجندي » ورفيقه « المحتسب » بشأن « طه حسين » الذي صوره « الرافعي » اصدق تصوير حين قال : « **انه مجموعة افكار مضطربة متناقضة ، وطباع زائفة ، وما من عالم في الارض الا وانت واجد آراءه قائمة بمجموع**

اخلاقه اكثر مما هي اتية من صفاته العقلية ، ولذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان اخوف ما اخاف على امتي كل منافق عليم اللسان » رواه احمد . وطه رجل ارسلوا لسانه وقلبه الى اوروبا « فتنكر للعربية والعقيدة » .

ـ ٤ ـ

ان تقديس الادب ومفكريه ، ليس من قيمنا الربانية ، ورحم الله سادتنا الذين وضعوا ميزان « الجرح والتعديل » وهؤلاء لو ادوا الامانة لاقتدوا بهم في تحكيم هذا الميزان في الادب ـ ايضا !!

ومازالت اقلام المنصفين تنادي بابعاد الفكر الوافد المحمل بالانحلال والفسوق ، وها هي ذي مدرسة « الرافعي » تقف في وجه الخصوم .

ومن حسن الطالع انها ليست اقليمية بل عربية اسلامية ، ولن تجد دولة من عالمنا العربي الا و « للرافعي » بنهجه رسول هداية يكشف الظلمات ، وينير الطرقات ورحم الله الذين تمسكوا بالخط البياني الذي سار عليه صاحبنا ومنهم : « محمد احمد الغمراوي ـ كامل محمود ـ محمد سعيد » اذا طالعت بواكيرهم الادبية سبحت في عالم الطهر والعفاف .. ورحم اللغة امسك وشيجة من رحم النسب عند هؤلاء ، لقد تمسكوا بلغة القرآن فكرا واسلوبا وتعبيرا بالرغم من اختلاف مناهجهم الدراسية ، ومناهلهم في البحث ، وهذه هي العظمة التي لا تحتكم الى عبادة غير الله ، احبوا « الرافعي » بلا واسطة ولا سبب اللهم الا وحدة الفكر ، وشمولية الهدف ، ومازالت ثلة من خلفهم تعطي بلا من .. .. بارك الله خطوات الأحياء : « **علي الطنطاوي ـ محمد شاكر ـ عبد السلام هاشم حافظ ـ حسين زيدان** » رواد مدرسة الاصالة .

واني اناشد المتأدبين الجدد بمطالعة آثار « الرافعي » حتى يستقيم قلمهم ، ومن ذا الذي اقتدى به ؟ ثم ضل ولم ينتفع لقد كتب ـ رحمه الله ـ في اللغة والدين والفلسفة والحب والتاريخ وغدت كتبه « **تاريخ آداب اللغة ـ اعجاز القرآن ـ تحت راية القرآن ـ السحاب الاحمر ـ أوراق الورد ـ رسائل الأحزان** »... من اهم ما يزين عصر الانحطاط الادبي ، وتخيل معي رجلا اعزل اليد ، لم ينتقل من بلدته « طنطا » ولم يعرف رئيسا او حاكما ومع ذلك خاض المعارك كلها ، وانتصر فيها باخلاصه وايمانه وكأني به ، وهو يستنفر جهده للدفاع عن حمانا ليحمي حقيقنا ! ولله در القائل :

مهذب الطبع مامون الضمير اذا بلوته كان باديه كخافيه
حاز الكمال فلم يجنح لمنقبة فلست تنعته الا بما فيه !!

قصة

البكاؤون

للدكتور/ عبد الحي الفرماوي

في بيت أحدهم اجتمع الرجال السبعة ، وأخذوا يتباحثون فيما بينهم هذا الموقف ، الذي شغلهم جميعا كما شغل الناس جميعا ، وتوحد موقفهم حياله بينما أختلفت مواقف الناس جميعا . وقال أحدهم : لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغزو الروم .

ماذا تقول يارجل ..؟ ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصرح بجبهة الغزو عادة .

فقال الذي أخبر : انه قد بين الجهة هذه المرة للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يقصده وحتى يتأهب الناس لذلك .

فقال ثالث : يالها من فطنة هذه التى يتحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم عندما صرح بذلك حتى يكون الناس على بينة فيقررون الذهاب للجهاد معه أو عدم الذهاب وهم كذلك على بينة خاصة ونحن في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر ، وجدب من البلاد وقد طابت الثمار أو أوشكت والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم .

وأخذوا يتبادلون أحاديث غزو النبي صلى الله عليه وسلم للروم بتبوك ويذكرون بعد المسافة وقلة الزاد وموقف المنافقين المثبط للهمم والمشكك في النصر ، ويذكرون كذلك تدافع الناس على النبي صلى الله عليه وسلم للاشتراك في السير معه كما يشيدون بمواقف أهل الغنى الذين أخذوا في

تجهيز المجاهدين .

حتى قال أحد السبعة : لكن يا أصحابي !! ماذا سنفعل ؟

لقد قال الله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١ ، وان الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الروم يحتاج منا الى مال كثير لا نملك منه شيئا ، كما يحتاج الى ظهور تحملنا ، وليس عندنا ما يحملنا مع المجاهدين .

وقال آخر : ولابد لنا إن شاء الله من الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة البعيدة تنفيذا لأمر الله تعالى ، ولا ينبغي ان يفوتنا الاشتراك فيها ، فان احساسا يخامرني بأنني سوف أنال الشهادة في هذه الغزوة بأذن الله تعالى .

وقال ثالث : عندي اقتراح ..!!

فقال الجميع : ما هو ..؟

قال : فلنجمع ما نملكه نحن السبعة ونقتسمه بيننا حتى نتمكن به من شرف الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو .

فأطرق الجميع رؤوسهم ووافقوا على هذا الاقتراح بصوت خفيض لا يكاد يبين .

وبدءوا في احصاء ما يملكون رغبة في تجهيز أنفسهم جميعا بما لديهم كذلك .

فأطرق الاول مفكرا وقال بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثاني مفكرا وقال كذلك بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثالث وقال نفس المقالة .

وقال الرابع كذلك .

والخامس كذلك .

وقال السادس وأنا كذلك : ما عندي شيء .

وقال صاحب الاقتراح : والأسف يغطي ملامح وجهه وأنا كذلك .

اذا ..!!

ماذا نفعل ..؟؟ لابد من الاستجابة لامر الله تعالى

لابد من الذهاب ، لابد من مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو

لابد من الذهاب ، لابد ...

ولفتهم الحيرة بصمت ثقيل طويل .

وقال أحدهم : عندي اقتراح آخر !!

فقال الجميع بلهفة : ما هو ؟؟

قال :فلنذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطلب منه أن يحملنا معه وسوف يكفينا مؤونة الزاد والراحلة ، وهو يعلم أننا جميعا أهل حاجة .

فقال الجميع : نعم ما رأيت ، وبهذا لا يفوتنا شرف الاشتراك وفرصة الاستشهاد في هذه الغزوة .

واستقر رأيهم على هذا الحل الذي لم يجدوا غيره يحقق لهم هدفهم ، ويمكنهم الامتثال لقوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا**)

وقام الجميع من المجلس .

* * * * *

وتوجه الرجال السبعة الى النبي

صلى الله عليه وسلم

سالم بن عمير .

وعلبة بن زيد .

وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب .

وعمرو بن حمام بن الجموح .

وعبد الله بن المغفل المزني .

وهرمي بن عبد الله .

وعرباض بن سارية الفزاري .

ودخلوا عليه صلى الله عليه وسلم .

وقالوا : يا رسول الله ..!!

ان الله قد ندبنا للخروج معك والجهاد لرفع راية الاسلام ونحن نحب أن لا يفوتنا السير في صفوف الذاهبين معك لقتال الروم في تبوك بيد اننا ـ كما تعرف ـ أهل حاجة وفقر ولا نملك جميعا من الزاد والراحلة ما يجعلنا مع المجاهدين .

وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فترة ، راجع فيها رجاله وعدته وعتاده وما تجهز لديه ، ووجد عليه الصلاة والسلام انه لم يتبق لديه ما يحملهم معه عليه .

وسكت جميع الحاضرين مجلس النبي صلى الله عليه وسلم .

وسكت الرجال السبعة : يداعبهم الامل في حمل النبي صلى الله عليه وسلم لهم معه ويراودهم حب الاستشهاد في سبيل الله تعالى وترفرف أمام اعين خيالاتهم رايات نصر النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الروم الذاهب اليهم .

وخيم الصمت على المجلس .

ثم .. ثم نطق النبي صلى الله عليه وسلم قائلا لهم : (**لا أجد ما أحملكم عليه**) .

ووقعت الطامة على رؤوس الرجال السبعة ، وعلت الدهشة وجوههم . وملامحهم تنطق بأنهم ما سمعوا أو أنهم سمعوا لكنهم ما فهموا ، أو أنهم سمعوا وفهموا لكنهم ما كانوا يودون ذلك ، ولم يصرفهم ما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم عن رغبتهم الصادقة وحبهم الشديد للذهاب الى قتال الروم .

فقال أحدهم : بصوت ينم عن التواضع في الطلب ، يا رسول الله ! احملنا معك على أقل ما يحمل عليه المجاهد ، احملنا على ما يمكن الاستغناء عنه بحيث لا تتركنا نتخلف عن هذه الغزوة البعيدة .

وقال آخر وصوته يقطر رجاء وتوسلا ، يا رسول الله ! احملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة لنغزو معك .

فقال صلى الله عليه وسلم وقد درس هذا الامر قبلا وأصدر فيه رأيا بصوت تواسيهم نبراته : (**لا أجد ما أحملكم عليه**) .

وصمت الرجال السبعة وقتل الأمل الذي يداعبهم ، وسدت المنافذ أمامهم وقطع منهم خيط الرجاء .

اذا ..

فلن يمكنهم الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولن ينالهم شرف الجهاد معه في هذه الغزوة البعيدة .. وسيكتب عليهم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانصرف الرجال السبعة من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.

(وأعينهم تفيض من الدموع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وأن ينالهم عقابه على تخلفهم هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ليسوا من الضعفاء ولا من المرضى حتى يكون لهم العذر في هذا التخلف الذي صار شيئاً مخيفا وباب عصيان فتح عليهم ، واسود الابيض أمام اعينهم ، وخيم خوف العصيان عليهم ، وجثم كابوس التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدورهم .

وانهمر الجميع في البكاء نعم في البكاء الشديد واستولى عليهم بصورة عجيبة يقطر منها الايمان ويفوح منها الخوف من الله ويشع منها حب الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصار الرجال السبعة يبكون ويتوجهون الى الله تعالى .

- في الطرقات يبكون .
- في البيوت يبكون .
- في المسجد يبكون .
- في جماعتهم يبكون .
- على انفرادهم يبكون .

خوفا من عصيان الله وحرصا على الجهاد مع رسول الله وأملا في فرج يدركهم بما يأملون ويرغبون فيه .

وشاع خبرهم وذاع بالمدينة أمرهم .

وتندر بهم المنافقون .

وحزن من اجلهم المسلمون لكن ماذا يفعلون ؟ فالاغنياء قد تبرعوا بالكثير من أموالهم وقد جهز منها النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم من جهز من المجاهدين ، والآخرون قد جهزوا انفسهم بأموالهم الخاصة .

وأشفق النبي صلى الله عليه وسلم كذلك عليهم .

لكن ماذا يفعل ..؟

رغبتهم صادقة ، وحرصهم شديد ، لكنه لا يجد ما يحملهم عليه .

اذاً فأمرهم لله تعالى .

لعل الله يسمع بكاءهم ويتقبل عنهم عذرهم ويستجيب لدعائهم .

* * * * *

وكان الله تعالى سميعا مجيبا .

فقد نزل القرآن .

نعم بخصوصهم نزل القرآن .

ليرفع عنهم الاثم ويعفيهم من الحرج والمؤاخذة ويتقبل منهم عذرهم .

حيث قال تعالى : **(ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/ ٩٢ .

أي ليس عليهم اثم أو حرج في هذا التخلف عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم برفع الحرج عن هؤلاء الصادقين .

وفرح الرجال السبعة إذ أعفاهم الله تعالى كما نزل في شأنهم قرآن يتلى ويتعبد به . وفرح المسلمون كذلك .

* * * * *

يا ليت للمسجد الأقصى وللقدس الشريف اليوم من أمثالهم .

بريد الوعي الاسلامي

التوبة

طلب الأخ/رضا السيد سلامة ـ من شرباص ـ فارسكور ـ دمياط ـ ج . م . ع ان نجيبه على سؤاله : « لماذا تاب الله على آدم عليه السلام بالرغم من ان ادم عصى ربه ، ولم يتب على ابليس بالرغم من انه ايضا عصى ربه » ؟

المحرر :

لقد عصى آدم ربه باغواء الشيطان لــه وخداعــه : (**فوسـوس اليــه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملـك لا يبلى**) ..

وبطبيعة ادم عليه السلام تلك الطبيعة البشرية ، نسى امر الله له باجتناب الشجرة والأكل منها ، وامام اغراء ابليس وضعف الطبيعـة البشريـة اخطأ آدم ، فأكل هو وزوجه حواء من الشجرة الملعونة ، فأصـابهما مـا اصابهما .. فتذكرا عهد الله اليهما ، وانهما خالفا امر الله بالأكـل من الشجرة ، فاعترفا بذنبهما ، وندما على فعلتهما ، ولجآ الى الله سبحانه يطلبان منه العفو ، والغفران ، وقبول توبتهما ، وقالا : ربنا ظلمنا انفسنا ـ وامام هذا الاعتراف ، والضعف ، والتوبة من آدم عليه السلام ، تاب الله عليه ، وعفا عنه فانه عفو كريم يحب العفو .. يقول تعالى : (**انما التوبة على الله للـذين يعملون السوء بجهالـة ثم يتوبـون من قريب** » .

اما اولئك الـذين يصرون عــلى العدوان ، وينتهكون حرمات الله ، ويظلون على ذلك حتى نهاية حياتهم فلن يقبل الله توبتهم ، وابليس اللعين عصى الله ، واستكبر عن عبادته ، وتحـدى الارادة الالهية في صلف عجيب .. حيث قال الله له : (**ما منعك ان تسجد اذ امرتك**) فيكون جواب اللعين : (**انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**) ويمضي في عناده واصراره على زرع الشر في الحياة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها فيقول اللعين كما حكى القرآن :

(**فبعزتك لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين**) .

وهكذا عاد آدم عليه السلام الى ربه سبحانه معترفا بضعفه وذنبه طالبا الغفران ، فغفر الله له وتاب

عليه . اما ابليس فقد تمادى في غيه وتحدى الأوامر الالهية ، ولم يتب الى الله ، ولا طلب غفرانه ، فكان جزاؤه هو واعوانه واتباعه جهنم وبئس المصير .. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونرجو ان يقبل توبتنا ، ويقيل عثراتنا ، ويمن علينا بفضله اللهم امين .

ردود قصيرة :

ارجع الى المجلة

الأخ خالد ابراهيم عبدالله الصباغ ـ بيبان ـ كوم حمادة ـ البحيرة ـ ج . م . ع .

رسالتك وصلت ، ونشكرك على حسن تقديرك لمجلتك « الوعي الاسلامي » ، واقتراحك محل عناية من المجلة ، وقد سبق ونشرنا لقاءات مع شخصيات اسلامية ، واستطلاعات عن المساجد وعن احوال المسلمين في اكثر من بقعة في العالم ، كما نشرت المجلة دراسات عن الدعوة والدعاة لكبار الكتاب الاسلاميين فارجع الى اعداد المجلة الصادرة تجد فيها ما تحب .

حديث غريب

جاء من السيد/زناتي علي خطاب من اسيوط ـ ام القصور ج . م . ع السؤال التالي :

في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم وجبت لهم النار » .

فكيف يتفق هذا الحديث مع ما قاله الله تعالى في سورة عبس قوله تعالى : (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)

وقوله تعالى : (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) .

الاجابة

هذا الحديث اخرجه الترمذي من حديث علي بن ابي طالب وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده بصحيح (صحيح الترمذي جـ ١١ ص ٢٩ ط الصاوي) .

العلم والايمان

كتب الينا الدكتور عون الشريف قاسم تحت هذا العنوان كلمة جاء فيها :

كان للصراع العنيف الذي احتدم بين رجال الدين ورجال الفكر والسياسة في أوروبا منذ بداية النهضة الاوروبية وإلى يومنا هذا أثره البعيد على وضع الدين في عالمنا المعاصر . فقد انتقلت روح العداء للدين مع الثقافة الاوروبية إلى كافة انحاء المعمورة وأصبح كل دين يقاس بنفس المقاييس التي نجمت عن الصدام مع دين واحد هو في هذه الحالة المسيحية . ولا اريد الخوض في طبيعة هذه المقاييس ولا في مدى تصويرها للحقيقة الدينية عامة والمسيحية خاصة ، ولكني أريد التنبيه إلى الشعارات الكثيرة التي رافقت المعركة وملأت ساحات الفكر ومجالات الثقافة فأصبحت في حكم المسلمات من مثل قولهم : (الدين افيون الشعوب) وقولهم : ان الدين صنو الرجعية ونقيض التقدم وانه قفزة في عالم الغيبيات ، وهو عالم وهمي صنعه خيال الانسان المريض وخوفه من مواجهة المجهول ، وأنه فوق ذلك كله مخالف في أفكاره ومنهجه لاسلوب العلم الطبيعي الذي يقيس الامور بمعيار الحس والتجربة ، فما لم يخضع للتجربة فهو في حكم المعدوم . ومن الواضح ان معظم افكار الدين وتصوراته أمور معنوية غير محسوسة ولا يمكن بحال أن تخضع للتجربة ، فكيف نبرهن على الحياة الاخرى مثلا ، والاموات لا يرجعون بعد موتهم إلى الدنيا ليحدثونا عنها ؟ وكيف نبرهن وجود الجنة والنار ، وهي اشياء غيبية لا تخضع لتجربة البشر ؟ .. وهكذا طبق رجال النهضة الاوروبية معايير العلم المادي على كل الميادين ومن بينها الدين ، وحين فشلوا في إخضاعه لمعاييرهم المادية لم يتوقفوا ويتشككوا في هذه المعايير ومدى صلاحيتها للحكم على قيم الدين ، بل تشككوا في الدين ورفضوه ، فانطبق عليهم القول الحكيم : (من جهل شيئا عاداه) .

والواقع ان الدين يبدأ من حيث ينتهي العلم . لا لأن الدين في حقيقته مناقض للعلم او لانه لا يخضع لمعايير المنطق التي يستند إليها العلم الطبيعي في حالته الراهنة . ولكن لأن الدين يتناول الجانب الروحي والمعنوي من شخصية الانسان وعلاقته بسر الكون الذي لم تستطع وسائلنا العلمية حتى الآن أن تسبر غوره أو تدرك كنهه . ولذلك كان مجال العلم الحقائق الملموسة المعبر عنها بالحقائق العلمية التي يمكن البرهنة عليها عن طريق التجربة في المعمل وفي الحياة ، وكان مجال

الدين الايمان ، وما يمكن أن نسميه بالمعرفة الوجدانية التي أطلق عليها علماء المسلمين اسم الحقائق العرفانية . ولعل الاسلام هو قمة التكامل بين الحقائق العلمية القائمة على التجربة والحس والحقائق العرفانية القائمة على الايمان والوجدان . فان الاسلام يأخذ كل ما انتهى إليه العلم ويتخذ منه سبيله الى اكتشاف عالم الغيب وتبين مجاهل عالم الروح . ويكفي أن نذكر أن الاسلام بدأ بايقاظ العقل وتنبيهه لطلب المعرفة الحسية ، فطلب من النبي الأمي ومن المسلمين جميعا أول ما طلب أن يقرأوا ويتعلموا عن طريق القلم ، وهو طريق العلم المعهود . وهو في كل اشاراته يوجه عقول الناس وقلوبهم ومداركهم الى الملاحظة والمشاهدة لكي يصلوا الى كل الحقائق الحسية والايمانية عن طريق العقل والبرهان . وهو يتوصل الى توسيع دائرة المعرفة الانسانية بشحذ قوى الناس العقلية عن طريق التفكر في ما خلق الله ودراسة بديع صنعه في الكون ليكتشفوا عن طريق العلم قدرة الله أعظم الخالقين ، وليكتشفوا عن هذا الطريق قصورهم عن إدراك كثير من حقائق الوجود وهي تحت أنظارهم ، وعلى رأسها حقيقة أنفسهم ، فمن جهل نفسه كان أجهل بغيره ، ولذلك استحق وصف الله له : (**إنه كان ظلوما جهولا**) الاحزاب/ ٧٢ . والعلم الحقيقي الذي درب الاسلام المسلمين على اتخاذه وسيلتهم في الحياة يقود إلى الايمان . فمن أدرك عن طريق العلم دقة نواميس الكون وعرف عن طريق التجربة عظمة الله في خلقه تطامنت نفسه وتواضع لله وأدرك حكمة قوله تعالى : (**وما أويتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ ، وقاده هذا الادراك إلى مرحلة الايمان التي تصل عالم الشهادة بعالم الغيب . إذ أن عالم الشهادة المحسوس لدينا والذي أدركنا عن طريق التجربة والعلم اسراره وخوافيه يقودنا إلى عالم الغيب الذي لا تدركه وسائلنا القاصرة فيتعمق في قلوبنا ووجداننا الايمان بالله عالم الغيب والشهادة . وعالم الغيب هو عالم الانسان الحقيقي الذي به تتأكد انسانية الانسان لا في الآخرة وحدها وانما في الدنيا ايضا . وهو محك الدين الحق . لأن العلم هو المدخل للدين ، ولكن الدين عالم القيم والموازنات والحساب والعقاب والعدالة الصارمة والتجرد من الأهواء والنزوات والوقوف امام طغيان الدنيا . وملذاتها واطماعها وجورها على انسانية الانسان ، وكل ذلك لا ندركه عن طريق العلم فحسب وانما ندركه بوسائل أخرى تحول الفكر المترسب عن العلم إلى مشاعر وأحاسيس وايمان تغذي عناصر الحق والخير والعدل في نفس الانسان ليقوى على مواجهة الشر الراسخ في كل نفس بشرية . والقول بأن الايمان والعقيدة مناقضان للفكر والعلم لأن كل ما لم يبرهن عليه يكون عقيدة ، وما امكن برهانه يصبح حقيقة ، كلام خاطىء يقيس الانسان بنصف قدراته وغفل نصفه الآخر والأهم . فان الحقائق البرهانية كالرياضيات مثلا لا تظل مجرد حقائق جامدة لا تثير في نفس الانسان المشاعر ؛ وانما هي تتحول عن طريق تكوين الانسان الروحي والنفسي إلى حقائق وجدانية وأحاسيس ومشاعر تدفع الانسان إلى العمل ، وتنظم كيانه الداخلي وتعيد إلى نفسه التوازن ليصبح أكثر انسجاما مع

الكون وأكثر انسانية .
فالعلم الصحيح يتحول إلى مشاعر خيرة تعيد تكوين النفس على ضوء تنظيم العقل عن طريق العلم والمعرفة . ولهذا السبب استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . وهكذا ينعكس عالم الغيب والشهادة على نفس الانسان ليحدث التوازن بين عقل الانسان وروحه ، فيكون العقل الذي يكتشف حقائق الوجود في عالم الشهادة رافدا للروح في عالمها الخفي المعقد ، عالم الغيب ، الذي هو غيب عن ادراكنا القاصر ، ولكنه جزء من وجودنا ومن أنفسنا ، لا ندركه عن طريق العلم ، وإنما ندركه عن طريق الدين الذي دلنا عليه الله خالقنا لأنه أدرى بنا من انفسنا (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ صدق الله العظيم .

الاسلام المفترى عليه

تحت هذا العنوان جاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ فاروق عبد العزيز سلام يقول فيها :

إن المأساة التي استقرت في القلوب .. ولفت الوجدان .. مختزنة المرارة والألم للمجازر البشعة التي يتعرض لها المسلمون في بقاع الأرض ...
وتيار الحقد الدفين يتدفق غزيرا .. يحمل في ثناياه الخطر والموت للمسلمين العزل .. في الفلبين .. وأرتريا .. وافغانستان .. وروسيا .. الخ .
وهو في تدفقه يدفع بافتراءات عنيدة عن الاسلام .. قاصدا تشويه حقائقه بكل ما تحمله من دلائل الخير والحب .. والسلام ..
والمستشرقون .. والدخلاء على الاسلام تكتسح كتاباتهم عقول الكثير من شبابنا .. وهم مع الالحاد يشكلون تحديا .. ومؤشرات الخطر تتجلى في كل قول مأفون يحاولون زرعه في افهام معظم شبابنا باسم الحضارة الغربية التي تقربنا الى كل رذيلة ومرذول بقدر ما تبعدنا عن قويم السلوك لتحقيق هدفين رئيسيين وهما : ـ

أ ـ تميع حضاري   ب ـ انحلال خلقي .

وحقائق التاريخ تشير الى هذا الواقع الأليم الذي ما عرفته امة حتى اندثرت واصبح مجدها أثرا بعد عين ..
هذه الحقائق التي تمخض عنها التاريخ الانساني تعي دروسها الصهيونية والصليبية المتسترة وراء دعوة المعلم العظيم المسيح بقدر ما يعيها الالحاد الماركسي اللينيني .. فعملوا كل جهدهم على تحقيق هذا الواقع بكل مقواده وآلامه .. ونحن ساهون .. وفي غفلة عن ذكر الله .. سادرون في غي وضلال المدنية ...
والحقيقة التي لا ريب فيها ـ أن الثالثوث المجرم نجح في محاولاته بتكريس

زيف فرضوه واقعا .. وصدقه ضعاف العقول والارادة والنفوس من المسلمين وعكسوا تصديقهم من خلال ارسالياتهم وكتبهم ومبشريهم في غيبة علماء الدين المسلمين ..

وتلك نذر خطر .. وتجربة رهيبة فرضتها محصلة هذه الوقائع ... ونتائجها ضرورة تغيرات جذرية في الشكل والمضمون ...

حتى لا يحدث لاقطار اسلامية ما حدث لمسلمي لبنان وقبرص وغيرهم والوسيلة لغسل النفوس من رواسب وأدران هذا الخطر الزاحف اما بغسل العقول الاسلامية او بازهاق ارواحها .. او في استنزاف طاقاتها ومقدراتها بالاقتتال بينها وبين بعضها .. ـ هو بالرجوع الى الله والعيش في كنف الدين الحنيف ..

والحقيقة الثانية : ان كل الشواهد .. والأدلة الماثلة امامنا رؤية .. وبصيرة .. وعقلا .. تسلب من دقة الامور قيادها بقدر ما تسلب الحياد من الحكم على الاشياء هذا بالنسبة لبعض علماء الاسلام اما بالنسبة لحكامنا فان دفة الامانة والامور تنحاز في اتجاه تطلعاتهم الدنيوية في بحر التصارع على الحكم والقيادة ..

من هنا يفلت الزمام ـ لتتحكم قيادة الامور نحو المطامع الشخصية والاستغلال .. تحركها بسرعة رواسب كامنة ـ تتعاظم سعيا نحو الزعامة ـ تحاول ان تضغط بعنف لا يرتقي الى مستوى المسؤولية .. ولا يرتفع الى شرف الامانة .. والعهد .. بل يبعد عن الحكمة ومنطق الاسلام والانسانية ... ويجانب الصواب .. الأمر الذي يخلق جوا من التذمر .. ـ ذلك ان كثرة الضغط مجافيا للحق والعدل .. والسلام ـ يولد الانفجار ...

إن علاقة الحاكم بالمحكوم في مفهوم الاسلام ـ علاقة انسانية شمولها الرحمة والعدل .. ويجب ان يضع الحاكم في اعتباره ـ ان العدل اساس الملك .. وان الملك زائل .. وأن ما عدا الله باطل .. وأن المساواة أساس السلام .. والطمأنينة ..

واذا كان جوهر الرسالات السماوية يستهدف شرف الانسان وسعادته ليحيا بالحق على أرضه عزيزا كريما .. فان واجب المفكرين الدينيين الا يستغلوا الدين ضد طبيعته وروحه تقربا وزلفى الى حاكم .. او تحقيقا لمأرب دنيوي رخيص .

اجل : يا دعاة الحق .

اجل : يا جبابرة الطغيان .

ان الاديان السماوية قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان .. وعلى منحه طاقات لا حدود لها من العمل ...

لأن الاديان وفي مقدمتها الاسلام (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) آل عمران/ ٨٥ سعت الى ارساء قواعد الحق والعدل والسلام .. وفي ايجاد حياة آمنة لكل انسان .. ولكن اعداء الاسلام يريدون فناء المسلمين قضاء على الاسلام .. ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ـ وصدق قوله : (**إنَّا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

مع صحافة العالم

المد الاسلامي يدخل الاتحاد السوفييتي

نشرت جريدة القبس الكويتية بتاريخ ٤/٩/١٩٨١ نقلا عن (ايكونومست) حول هذا العنوان تقول :

يعاني الاتحاد السوفييتي من مشكلة مهمة داخل حدوده ، هي : مشكلة الاقلية الاسلامية فيه ، والزعامة السوفيتية التي تحاول توسيع مدى نفوذها في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي تشهد في الوقت نفسه ، إنبعاثا إسلاميا عبر حدودها مباشرة . وتماسك الشعوب الاسلامية وزيادة ثقتها بنفسها بالأضافة إلى كثرة أعدادها أمور يجب أن تجعل زعماء الاتحاد السوفييتي يشعرون بالقلق . وفي الوقت نفسه تكتسح اليقظة الاسلامية بلدانا واقعة على حدود الاتحاد السوفييتي مضيفة بعدا استراتيجيا لما قد أصبح الآن مشكلة داخلية رئيسية .

وناحية الاعداد ملفتة للنظر . فالمسلمون السوفييت وعددهم ٤٣ مليونا يشكلون نسبة ١٦ بالمائة من عدد السكان . وفي السبعينات زاد عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي بنسبة ٢٤ بالمائة في حين زاد عدد الروس بنسبة ٦,٥ بالمائة . وقد يصل عدد المسلمين بنهاية هذا القرن إلى ما بين ٦٥ و ٧٥ مليون نسمة أي ما يساوي ربع عدد السكان ويهبط عدد الروس إلى أقل من نسبة ٥٠ بالمائة .

ومعظم المسلمين يعيش في عمق الجنوب وهو واقع مهم بصورة مماثلة .

والحزام الجنوبي في الاتحاد السوفييتي يجاور إحدى أكثر المناطق إضطرابا سياسيا في العالم وهي المؤلفة من إيران وأفغانستان وتركيا ومقاطعة كزينيانغ في الصين . ومنطقة الحدود السوفيتية هذه أخذت تصبح بكاملها إسلامية وتركية . وبنهاية هذا العقد سيصبح الروس أقلية لا شأن لها حتى في مدن وسط آسيا .

ومن الناحية الاقتصادية ، يبدو أن الاسلام السوفييتي بدأ يكتسب أهمية كبيرة . أما من الناحية السياسية ، فهناك بعض التساؤلات حول الاخلاص لموسكو .

فالمثقفون المسلمون لم يصبحوا سوفييت ، ولكنهم ظلوا مرتبطين بجماعاتهم وهم يحترمون تقاليدهم وتراثهم الديني .

وبالرغم من أنهم مازالوا أساسا مخلصين للنظام السوفييتي ، ويقبلون بالماركسية اللينينية عقيدة رسمية فان

هؤلاء المثقفين الذين يشكلون النخبة ، يرفضون العمل كممثلين لموسكو في جمهورياتهم وهم يواجهون موسكو كمندوبين عن شعوبهم .

وفي حين فقد الاسلام الكثير من قبضته على الحياة الاقتصادية والسياسية للمجتمعات الاسلامية فقد أظهرت استطلاعات أخيرة أن ٨٠ بالمائة من الناس هم مؤمنون بشكل أو بآخر أن عن طريق الاقتناع أو التقاليد .

ويبدو أن عقودا من فرض الخضوع للماركسية الروسية جعلت المسلمين السوفييت عرضة لتقبل الأفكار الدينية والسياسية المنبعثة من منطقة الشرق الأوسط غير المستقرة وجميعها يشكل خطرا محتملا على استقرار الاتحاد السوفييتي لأن ما تعرضه هذه الأفكار هو أكثر تقبلا لدى المسلمين السوفييت مما هي الماركسية الروسية المتبلدة البيروقراطية والملحدة .

وقد يكون سكان وسط آسيا يرحبون بتوسيع للنفوذ السوفييتي في العالم الاسلامي لأن أية مساعدة يقدمها الآسيويون ستكون مقابل تنازلات مهمة تقدمها الحكومة السوفيتية في الشؤون الدينية والادارية واستثمار رأس المال .

وبمواجهة هذه الخلفية ، لابد من طرح سؤال حول الاستراتيجية التي ستتبع إذا استمر الاتحاد السوفييتي في اتباع سياسته التوسعية في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي .

فالتوسع تحت راية الصداقة السوفيتية ـ الاسلامية شيء والتوسع تحت راية الثورة الماركسية شيء آخر .

والخيار الأول هو أقل احتمالا ولكنه مما يحبذه المسلمون السوفييت ، لأن من شأنه تعزيز سلطة الزعماء الدينيين في تعاملهم مع الحكومة السوفيتية .

والاستراتيجية الثانية ، أي تصدير الثورة الماركسية إلى الخارج ، يمكن القيام بها بمساعدة الكوادر الشيوعية الاسلامية في الاتحاد السوفييتي وبدون هذه المساعدة أيضا . والمحاولة من دون مساعدتهم هي الاستراتيجية التي تتبع حاليا في أفغانستان حيث تستخدم قوات سوفيتية غير مسلمة لمقاتلة المجاهدين . ومع هذا إذا استمر القتال لفترة غير محددة فان هذا الخط يشكل احتمال خطر أكبر على استقرار الاتحاد السوفييتي .

وهناك إمكانية أخرى هي أن يأمر الاتحاد السوفييتي بتراجع تدريجي ، ويسحب الستار الحديدي الذي يعزل حدوده في منطقة وسط آسيا والقوقاز عن العدوى الخارجية .

وتبدو الآن هذه الامكانية بأنها الأقل خطرا بالنسبة لموسكو لأن الغزو السوفييتي لأفغانستان أضر كثيرا بسمعة الاتحاد السوفييتي في العالم الاسلامي .

ويبدو أن حملة جديدة معادية للاسلام والقومية قائمة الآن في منطقة وسط آسيا والقوقاز .

قالت جريدة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ٨١/٩/٤ تحت عنوان :

أثيوبيا ..
والتآمر ضد الاسلام

قرأت وثيقة سرية أثيوبية منشورة في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨١/٦/١٩ باللغتين العربية والأثيوبية وتحمل خاتم الحكومة الأثيوبية وهالني ما بها من حقد على الاسلام والأديان عموما فهي تكشف النقاب عن خطة جهنمية محكمة أعدها النظام الشيوعي الحاكم في أثيوبيا ضد الأديان السماوية من منطلق أن الدين هو « العدو الرئيسي للثورة » وأبرز ما جاء فيها أن التنفيذ سيتم بالتشاور مع الاتحاد السوفياتي الذي يهيمن على مقدرات أثيوبيا بموجب ما يسمى « بمعاهدة الصداقة والتعاون » والتي أسفرت عن تحويل البلاد إلى قاعدة أساسية للسوفيات في منطقة القرن الافريقي وتتضمن الخطة البدء بضرب المسيحيين وإغلاق دور العبادة ثم الاتجاه لضرب المسلمين وهي تدعو في هذا المجال إلى بذر بذور الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في أثيوبيا حتى تسود الحكومة الشيوعية وتضرب الطرفين في آن واحد .

وتدعو الوثيقة لمحاربة الأديان لأن الأديان بزعمها على علاقة وثيقة بالنظم الامبريالية والاقطاعية والرأسمالية والرجعية والقضاء على هذه النظم يستلزم القضاء على الأديان ومن أجل ذلك يجب التعاون مع الاتحاد السوفياتي وسائر القوى الاشتراكية في العالم وإتباع ماركس ولينين في الداخل والخارج .

كما تقول الوثيقة أن الدين هو الذي وحد المقاومة ضد الثورة الشيوعية في أفغانستان كما تصب غضبها على الدول العربية البترولية لانها كما تزعم الوثيقة موالية للامبريالية وتعمل على تقوية الثوار المسلمين .

كما كشفت الوثيقة عن نوايا خبيثة للثورة الشيوعية تجاه الأديان مثل إستخدام الفتيات لاغراء رجال الدين وتحويل دور العبادة إلى مقاصف . هكذا يخطط أعداء الاسلام في أثيوبيا كما خططوا من قبل تركيا الاسلامية وغيرها من الدول العربية التي إنسلخت من الاسلام فأين دعاة الاسلام وأين اموال العرب والمسلمين لكي تحول دون الكارثة ؟؟ هذا ما وقع في أيدينا وما خفى كان أعظم فهناك الامكانيات الضخمة والابتكارات الحديثة التي جندت من أجل الاطاحة بهذا الدين والوقوف في وجه هذه الصحوة الاسلامية المباركة ولكن الله سبحانه وتعالى سيمكن لهذا الدين إنتشاره وقوته والله غالب على أمره ولو كره المشركون .

« إلى راغبي الاشتراك »

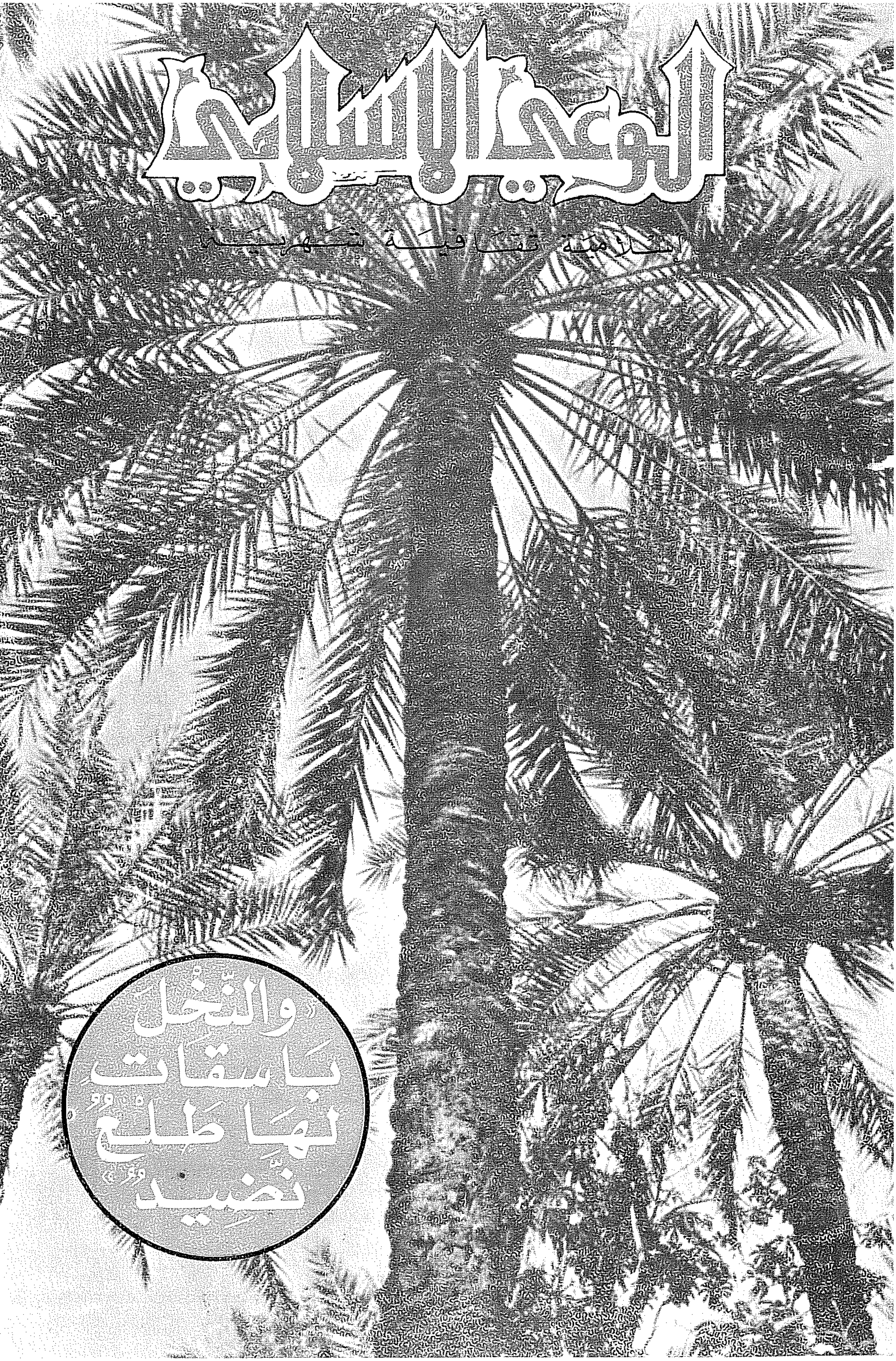
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
والنخل باسقات لها طلع نضيد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٧ ● ربيع الاول ١٤٠٢ هـ ● يناير ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الله أعلم حيث يجعل رسالته

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب هو رسول الله وخاتم النبيين ، ينتمي إلى أسرة عريقة بمكة من قبيلة قريش من فرع بني هاشم ، عرفت بالورع والتقوى أكثر مما عرفت بقوة السلطان ، وينسبه الأثر إلى نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ويجمع المؤرخون لحياته أنه ولد يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، ويذكر أوثق العلماء أن هذا التاريخ يوافق سنة خمسمائة واحدى وسبعين لميلاد المسيح عليه السلام .

ولد يتيما ، فقد مات أبوه قبل مولده بسبعة شهور ، ولما ولد عهد به إلى مرضعة بدوية هي (حليمة السعدية) حتى بلغ الرابعة ، ثم تولت أمه تربيته بمعاونة مربية هي (أم أيمن) لكنه لم يستمتع بحنان الأمومة طويلا إذ ماتت أمه وهو في السادسة

من عمره !! فكفله جده (عبد المطلب) وآثره بحنانه وعطفه ، ولكن لم يكد (محمد صلى الله عليه وسلم) يبلغ الثامنة حتى مات جده !! فكفله عمه (أبو طالب) الذي أولاه حبا أبويا خالصا رغم أنه لم يكن ميسور الحال لكثرة عياله .

خرج مع عمه في رحلة تجارية إلى الشام وسنه اثنا عشر عاما ، وهناك رآه الناسك المسيحي (بحيرا) وعندما تحدث معه لاحظ فيه بعض العلامات المنصوص عليها في الكتب المقدسة ، فاقترب من أبي طالب وقال له : (هذا الشاب سيقوم بدور عظيم في العالم ، فأرجعه إلى بلاده ، على عجل ، وإسهر عليه ، واحذر عليه من اليهود الذين قد يؤذونه لو علموا منه ما أعلم) .

وهكذا هيأ الله له من آواه وجبر يتمه ، حتى يكون إحساسه بمرارة اليتم وحلاوة الايواء أساسا لتوجيه الله له باكرام اليتيم والاحسان إليه والابتعاد عن قهره وإذلاله ، (**ألم يجدك يتيما فآوى**) .. (**فأما اليتيم فلا تقهر**) .

وقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم شبابه إلى الخامسة والعشرين من عمره في حالة قريبة من الفقر ، فهو لم يرث عن أبيه وأمه الا أمة سوداء ، وقطيعا من الغنم ، وخمسة جمال ، وكان غالب عمله في تلك الحقبة رعي الغنم .. وقد كلفته أرملة واسعة الثراء من شريفات مكة هي (خديجة بنت خويلد) بمهمة تجارية إلى الشام فأنجزها بكامل اليقظة وبالغ النزاهة ، مما أكد عندها ذكاءه وأمانته ، فرغبت في الزواج به رغم الفارق المادي الكبير بينهما . ولما فاتحته في ذلك الأمر قبل رغم تباين السن ، فقد كان في الخامسة والعشرين وهي في الأربعين . وذلك لما عهده من حسن اخلاقها وكريم محتدها وكان هذا الزواج فرصة لرفع مستواه المادي . وصدق المولى جل شأنه في قوله : (**ووجدك عائلا فأغنى**) . ومن ثم أمر الله أن يشكره على نعمة الاغناء بعد العيلة قولا وعملا فقال تعالى : (**وأما بنعمة ربك فحدث**) .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه النبيل ، وبصفة خاصة بحيائه الشديد ، وبعده عن اللهو الرخيص وعفته المطلقة .. وفي مشاغله اليومية لم يرتكب عملا يشينه ، ولم يشترك في عبادة الأوثان ، وكان يجذب اهتمام كل من يتعامل معه ، فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما جعلهم يسمونه بـ (الأمين) .

وبهذه الخصال الحميدة كان محمد صلى الله عليه وسلم وهو في ريعان شبابه يدعى لمجالسة رؤساء القبائل الموقرين في (حلف الفضول) . وكان هذا الحلف المكي يستهدف مساندة الضعفاء ، ورد الظلم عن المظلومين ، وإقرار السلام

بين القبائل ، والتصدي لمن يحاول العبث به . روى ابن اسحاق بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحلف : (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولـو أدعى به في الاسلام لأجبت) .

وكان أهم الأحداث التي وقعت بين تاريخ زواجه وتاريخ بعثته وهو في الخامسة والثلاثين اختلاف القبائل ـ وهم يقومون بترميم الكعبة ـ عـلى وضع الحجر الأسود في مكانه ، إذ لم ترض قبيلة عن التنازل عن حقها ، وتفاقم النزاع ، وكـادوا يمتشقون السلاح . ولكنهم إشفاقا على أنفسهم من ويلات الحرب وآثارها عقـدوا اجتماعا أخيرا قرروا فيه أن يحتكموا في هذا الموضوع إلى أول شخص يدخل عليهم من باب بني شيبه .. وشاءت الأقدار أن يكون الشخص الداخل (محمدا) فلما رأوه صاحوا مبتهجـين : (الأمـين . الأمـين) وعرضوا الأمـر عليه ، فـأسرع ـ بذكائه ونزاهته ـ بأن بسط رداءه على الأرض ، ووضع بيديه الحجر الأسود وسط الرداء ، ثم طلب إلى رؤوساء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف من أطرافه ، وأن يرفعوه معا إلى المستوى المطلوب . وعندما وصلوا بالحجر إلى المكان المخصص له أخذ محمد صلى الله عليه وسلم الحجر بنفسه ووضعه مكانه ، فساد الرضـا بين جميـع الحـاضرين واستتب السـلام بين القبائل .

ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل بعثته على درجة ممتازة من الأخلاق السامية كانت تحيط بـه جـاهلية مضطـربـة التصـورات والعقـائـد ، منحـرفـة السلـوك والأوضاع ، وما كان يؤنس عنده بعض المعارف المذهبية ، لأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الايمان (**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان**) . ولم يكن حظه أكثر من حظ قومه من حيث معرفة القصص الديني (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومـك من قبل هذا**) .

ولم يكن في حسبانه أنه يكلف بدور المرسل من عند الله (**وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**) . كما لم يكن يعرف كيف يرشد نفسه إلى الطريق الواضح القويم ، والله تعالى هو الذي أرشده بالوحي (**ووجدك ضالا فهدى**) .. (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) . ومن ثم أمره الله تعالى أن يكون رفيقا بالسـائل في العلم ، وألا يكون جبارا ولا متكبرا ، ولا فظا غليظ القلب (**وأما السائل فلا تنهر**) .. (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولـو كنت فظا غليظ القلب**

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

لقد نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين من عمره ، وكان نزوله منجما ومجزءا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأقام الدولة الاسلامية ـ كما أمر الله ـ على قواعد الحق والعدل ، والنظافة والطهر ، والتقدم والنهوض ، وبذلك أوجد الحضارة الانسانية الفذة التي يعيش الناس في ظلها آمنين مطمئنين ، يقدمون الخير ويعيشون فيه ، ويكافحون الشر ، وينأون عنه . وصدق الله تعالى في قوله : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) .

ولقد شهد أعدى أعداء الاسلام أبو سفيان بن حرب قبل أن يسلم بسنتين بنقاء نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وصدقه ، وما تحمله دعوته من مكارم . وذلك في إجاباته على أسئلة (هرقل) عظيم الروم حين استدعاه ليسأله عن هذا الرسول الذي أثار دهشته بكتابه الذي يدعوه فيه إلى الاسلام .. وانا لنرى في تعليق (هرقل) على إجابات أبي سفيان رجاحة العقل وسعة الأفق ، وأن العقول السليمة متى سلمت من الأهواء المضلة فانها تهتدي إلى الحق وتسلك سبيل الرشد .

أمر (هرقل) ترجمانه أن يقول لأبي سفيان :

سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب . فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فقلت : لا ، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا . فلو كان من آبائه من ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقلت : لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الايمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فقلت : لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر ، فقلت : لا . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .. وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إليه فقرأه .

يقول أبو سفيان : فلما قال (هرقل) ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا . فقلت لأصحابي - حين أخرجنا - : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الذي أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد .

هل للمسلمين - وقد نزلت بهم المحن نتيجة الابتعاد عن هداية الله - أن يعودوا لمنهج الحق الذي أنزله الله وبينه رسوله ، وأن يدركوا أن أي اتجاه لغير طريق الاسلام اتجاه ضال تشقى به الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم ولا تنهض ؟؟ وهل لهم وهم في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتدبروا قول الله تعالى : (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) . **وقوله جل شأنه** : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

وهل للعالم المضطرب بالأهواء الجانحة عن العدل ، المفعم بالأنانية وحب الذات ، المولع بالتحكم في أمور المستضعفين ، هل لهذا العالم أن يفيء إلى رحاب الاسلام طلبا لحل المشاكل التي تقض مضجعه وتقلق راحته وانتماسا لرحمة الله وفضله ، واستجابة لندائه السامي ، (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله وإعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)

إنا لنرجو ونأمل .. والظلام المخيم لن يزيدنا إلا تفاؤلا ، فليس بعد سواد الليل إلا صبح مشرق ، وليس بعد الأزمات الخانقة إلا فرج قريب ، ولا يأس مع الايمان (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ

لهج كثير من المبشرين والمستشرقين وغلوا في معاداة الاسلام والكيد له ، وتأثر بهم بعض المستغربين من الشرقيين وبعض ضعفاء الايمان من المسلمين ، فادعوا ان القرآن الكريم من تأليف محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا ان اسلوب السور المكية غير اسلوب السور المدنية ، لان محمدا في زعمهم تأثر باليهود في المدينة وما توارثوه من حضارة وفلسفة وتاريخ ومنطق وقالوا ان هذا يتجلى في الآية الكريمة : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) الانبياء / ٢٢ فهي قضية منطقية لها مقدمة ونتيجة عقلية ، وما كان محمد ليقولها في مكة حيث كان يعيش بين قوم اميين تفشت فيهم الجهالة والسذاجة ـ وفات القائلين ان الآية وردت في سورة الانبياء وهي سورة مكية كما في جميع المصاحف وفي كتب العلوم القرآنية

ربّ العالمين

للاستاذ / علي عبدالعظيم

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى

كالبرهان للزركشي والاتقان في علم القرآن للسيوطي وان جميع آيات السورة مكية . ومن الخير ان نسوق الادلة العقلية والبراهين المنطقية التي تقرر ان القرآن الكريم ليس من صناعة محمد ولكنه : « **تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين** » الشعراء / ١٩٢ ، ١٩٣ تثبيتا للايمان في نفوس ابنائنا الشبان ودحضا للشبهات والافتراءات ، فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة وعليه الاعتماد .

اولا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرأ ولا يكتب (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) العنكبوت / ٤٨ فما دخل كلية من الكليات ولا جامعة من الجامعات ومع ذلك جاءنا بتشريع دستوري

كامل اصيل ، عالج فيه شؤون الرجال والنساء والافراد والجماعات وشرع للامة العربية والامم الاخرى ، ونظم حالات السلم والحرب ، وتناول الوصية والميراث والبيع والشراء والفضائل الخلقية ، كما تناول حقوق الانسان التي لم يعرفها العالم الا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب الحرب العالمية الثانية بعد حوالي ١٤ قرنا من ظهور الاسلام ، وقد اثبت التطبيق العملي لهذه الشريعة صلاحيتها التامة لكل زمان ومكان في جميع البيئات والظروف والملابسات وقد ساد المسلمون العالم يوم تمسكوا بهذه الشريعة الغراء وما تخلفوا الا حين تخلوا عنها وافتتنوا بالشرائع البشرية وعملوا بها . واصدار قانون تشريعي الآن يحتاج الى عدة لجان لدراسته يتم عرضه على مجالس النواب ثم على مجالس الدولة ثم على وزارات العدل لمختلف الشعوب . وعند عرضه للتطبيق العملي يتضح ما فيه من عيوب تتجافى به عن العدل المنشود ، فيعاد فيه النظر مرات ومرات من كبار المشرعين .

فرجل واحد مثل محمد لم يدرس الشرائع والقوانين ولم ينل قسطا من الثقافة القانونية ثم يجيئنا بهذه الشريعة الغراء ، دليل على انها ليست من صناعته وانما هي تنزيل رب العالمين .

ولقد اعترف كبار رجال القانون في العالم بأهمية هذه الشريعة الغراء واصالتها وصلاحيتها للتطبيق في مختلف الامم والشعوب ، حيث اصدر مؤتمر القانون الدولي في لاهاي بهولندا سنة ١٩٣٧ قرارا بان الشريعة الاسلامية شريعة اصيلة كاملة متكاملة ، وأهاب بالدول الاسلامية ان تقنن هذه الشريعة ليتسنى الانتفاع بها للدول الاخرى ، وتكررت هذه التوصية في عدة مؤتمرات قانونية دولية متوالية مؤلفة من جهابذة رجال القانون في العالم كل عشر سنوات .

ثانيا : تناول القرآن الكريم صفحات من تواريخ الامم السابقة للاسلام لم تكن معروفة لا يغالها في القدم ، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤرخا ولا ملما بدراسة اللغات القديمة كالهيروغيلفية والحميرية والعبرية وغيرها ولا كان احد من العرب يعرف هذه الاحداث التاريخية : « **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** » هود / ٤٩ .

ونستطيع ان نضرب مثلا بقصة ملكة سبأ التي وصفها القرآن الكريم بأنها (**أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم**) النمل / ٢٣ وقد اثبتت الدراسات التاريخية ازدهار هذه المملكة وان حضارتها كانت تضارع حضارة قدماء المصريين وان اهلها برعوا في اقامة السدود المائية العظيمة والقنوات العديدة الممتدة منها الى جميع ربوع المملكة بحيث يسير المسافر في جميع الطرق فيجد الحدائق الغناء تحف به من يمين وشمال : (**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور**) سبأ / ١٥ .

ان محمدا النبي الامي لم يصف هذه الحضارة من عند نفسه وانما هو تنزيل رب

العالمين،نزل به الروح الامين .

ويعقب القرآن الكريم على بعض الأحداث بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشهدها وما كان له ان يشهدها لتطاول القرون ولكن الله اوحاها اليه ، فيعقب على قصة يوسف وكيد اخوته له بقوله تعالى : (**ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكرون**) يوسف / ١٠٢ .

ويعقب على قصة موسى عليه السلام بقوله تعالى : (**وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون**) القصص/ ٤٤ ـ ٤٦ .

ويعقب الله سبحانه وتعالى على اقتراع كهنة بني اسرائيل على ايهم يفوز بكفالة السيدة مريم العذراء فيقول تعالى : (**وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**) آل عمران / ٤٤ .

ثالثا : الانباء بالماضي السحيق قد تتناوله الألسنة فينتقل من جيل الى جيل اما الانباء بالمستقبل القريب او البعيد فهو فوق طاقة البشر ـ وقد حفل القرآن الكريم ببعض الانباء الآتية وتم وقوعها طبق الاصل على مدى قريب او بعيد فمثلا حدث في غزوة بدر وكانت قريش اكثر من المسلمين عددا واوفر عدة وامضى سلاحا ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اشرف عليهم وهو يتلو قوله تعالى : (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ وما هي الا ساعات قليلة حتى انهزمت قريش وولت الادبار فمن انبأ محمدا بهذه النتيجة قبل وقوعها ومن أدراه ان الامر ربما كان على غير ما اعلنه :

وحينما التحمت الامبراطورية الفارسية بالامبراطورية الرومانية وهزمتها هزيمة ساحقة بقيادة سابور ملك الفرس فرح المشركون فرحا شديدا لانهم جعلوا هذه النتيجة انتصارا للوثنية التي تمثلها الامبراطورية الفارسية على اهل الكتاب الذين يمثلهم الرومان وحزن المسلمون ـ وكان المؤرخون يرون الهزيمة ساحقة وانه لا سبيل لانتصار الروم الا بعد عشرات السنين فنزل قوله تعالى : (**آلم . غلبت الروم . في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده**) الروم / ١ ـ ٦ روى الترمذي :

« ان المشركين لما سمعوا هذه الآيات قال اناس منهم لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، افلا نراهنك على ذلك ؟ قال : بلى ـ وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين الى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطا نحتكم اليه قال فسموا بينهم ست سنين فمضت ست السنين قبل ان يظهر الروم فأخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على

فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فمن اعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ان الروم ستظهر على الفرس في بضع سنين بعد ان هزمهم الفرس هزيمة ساحقة واضطروا ملكهم هرقل الى اللجوء الى القسطنطينية وحاصروهم فيها مدة طويلة ولم يكن يخطر ببال انسان ان الروم سيهزمون الفرس في هذه الفترة اليسيرة .

وفي صلح الحديبية عاد المسلمون الى المدينة بعد ان تعهد المشركون لهم بتمكينهم من اداء العمرة بالمسجد الحرام في العام التالي ولم يكن احد يدري أيوفون بالعهد ام ينقضونه ؟ فنزل قوله تعالى : (**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**) الفتح/ ٢٧ . والخبر في الآية مؤكد بلام القسم ونون التوكيد فمن ادرى محمدا ان المشركين سيسمحون له ولاصحابه بالعمرة ومن اعلمه ان العمرة سيعقبها فتح قريب هو فتح مكة ، قد ينقض المشركون عهدهم ويغدرون وطبيعتهم الغدر ، ولكن الآية تؤكد ما يحدث بعد عام تأكيدا جازما وليس ما فيها من عند محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الامين .

رابعا : لو كان القرآن الكريم من تأليف محمد لجارى فيه ميوله واهواءه ولم يخالفهما ولكن القرآن الكريم جزم بما يناقض ميوله صلى الله عليه وسلم فقد كان يود من صميم قلبه ان يسلم عمه ابو طالب ولكن القرآن الكريم صدمه بما يعارض رغباته فقال تعالى : (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**) القصص / ٥٦ فقد ثبت في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا طبيعيا لا شرعيا ـ قال الزهري : حدثنا سعيد بن المسيب عن ابيه : « لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل بن هشام وعبدالله بن ابي امية بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبدالله بن امية : يا أبا طالب اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان اخر ما قال : هوعلى ملة عبدالمطلب وابي ان يقول لا اله الا الله وقد جاء القرآن الكريم بمايناقض رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومن الامثلة الواقعية على مناقضة القرآن الكريم لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه من عبدالله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة فقد كان يهادنه على الرغم من نفاقه . مجاملة منه صلى الله عليه وسلم لابنه الصحابي الجليل القوي الايمان عبدالله . وحدث ان استأذن هذا الصحابي الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في ان يقتل اباه لنفاقه قائلا : « انا ابر الناس بأبي يا رسول الله والانصار

جميعا يعلمون هذا ، ولكنه منافق يكيد للاسلام واخشى ان يقتله احد المسلمين فتأخذني العزة بالاثم فأقتله ، فاقتل مسلما بكافر فيكون مصيري الى النار فأذن لي ان ا قتله انا) فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان الاسلام لا يبيح قتل من نطق بشهادة التوحيد ولو نطقها نفاقا .
وحدث ان عبدالله بن ابي كاد في احدى المواقع ان يثير فتنة بين المهاجرين والانصار حين تخاصم غلام لأحد المهاجرين مع غلام لأحد الانصار ، فاستغاث الاول بالمهاجرين واستغاث الثاني بالانصار ؛ فانتهزها عبدالله بن ابي فرصة وقال لقد صدق المثل : « سمن كلبك يأكلك » لقد اوينا المهاجرين واكرمناهم فاستطالوا علينا ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وبلغت هذه القالة ابنه عبدالله فانتظره خارج المدينة حتى عاد وامسك بتلابيبه ، واقسم الا يمكنه من دخولها حتى يعترف بان العزة لله ورسوله والمؤمنين فاضطر الى الاعتراف بهذا ـ فلما مات حزن ابنه عبدالله عليه حزنا شديدا وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم باكيا ورجاه ان يستغفر لابيه وان يعيره قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه .
قال البخاري : « ... فأعطاه القميص ثم قام ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انما خيرني الله فقال : (**استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**) قال عبدالله بن عمر قال : فصلى عليه وصلينا معه وانزل الله قوله (**ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) ومن المعروف ان الصلاة على الموتى استغفار لهم .
وجاء القرآن الكريم مناقضا لميول النبي صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين .
خامسا : لو كان القرآن من تأليف محمد بن عبدالله ما ورد فيه العتاب الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم في مواقف عديدة مثل موقفه صلى الله عليه وسلم من ابن ام مكتوم الاعمى فقد ذكر لفيف من الرواة الثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب من زعماء قريش ـ وكان يطمع في اسلامهم واسلام عدد من اتباعهم باسلامهم فاقبل اليه رجل اعمى يقال له عبدالله بن ام مكتوم وهو يناجيهم ، فقاطع النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، علمني مما علمك الله ، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم وظهر العبوس على وجهه فليس من الآداب المرعية في الاحاديث ان تقاطع من يتحدث الا لضرورة وابن ام مكتوم لم يشاهد العبوس ، فعاتب الله رسوله في هذا الموقف عتابا شديدا فان ابن ام مكتوم لم يرالعبوس ولكنالله رآه قال تعالى : (**عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى**) عبس / ١ ـ ١٠ فأكرم النبي

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآيات ابن ام مكتوم وكان يقبل عليه ويحتفي به ويكرمه حين يلقاه قائلا « اهلا بمن عاتبني ربي فيه » وكان يوليه احيانا حكم المدينة حين يغادرها في احدى غزواته .

ومن مواقف عتاب الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث في موقفه من زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول وزوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية وكانت جميلة حسيبة ، وزيد كان عبدا رقيقا اشترته السيدة خديجة واهدته الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ليقوم على خدمته ، وكان أبوه شيخ قبيلة ولكن تجار الرقيق اختطفوا زيدا وباعوه في الاسواق ، فانتقل من يد الى يد حتى اشترته خديجة واهدته الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقام على خدمته ، وطلبه ابوه وعمه كعب حتى جاءا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالا له يا ابن عبدالمطلب ، انك رجل كريم وابننا عندك وقد جئنا لنفتديه بما تطلب من الفداء فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فقال من هو ؟ قالا زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا غير ذلك ؟ قالا ما هو ؟ فقال : ادعوه وخيروه ، فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني احدا فقالا : قد زدتنا على الانصاف واحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرف هذين ؟ قال نعم ، هذا ابي وهذا عمي قال : فانا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني او اخترهما قال زيد : ما اريدهما وما انا بالذي اختار عليك احدا ، أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرية ؟ وعلى ابيك واهل بيتك ؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي اختار عليه احدا ابدا ، فلما رأى النبي ذلك اخرجه الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه ، فلما رأى ذلك ابوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا ، وبعد هذا منع القرآن عادة التبني قال تعالى : (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) الاحزاب / ٥ وكان من عادة العرب الا يتزوج الرجل امرأة من تبناه . ولكن الله اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يكون قدوة في نقض هذه العادة فيتزوج أمرأة زيد ، « السيدة زينب بنت جحش » .

وكانت في اعتزازها بحسبها تبدو منها بوادر تسيء زيدا فيشكو الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : (**أمسك عليك زوجك**) واتق الله وهو يعلم ان الله قد جعلها من نسائه فنزل قوله تعالى معاتبا رسوله : (**واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا**) الاحزاب / ٣٧ .

ويخترع المبشرون والمستشرقون اكاذيب ينسبون فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم مفتريات يتخذونها وسيلة للطعن في عصمته ، فقد ذكروا ان نظره وقع على زينب في بيت زوجها فعشقها وقال : « سبحان مقلب القلوب » واحس زيد ذلك

فعرض على الرسول ان يطلقها فقال له : (**أمسك عليك زوجك واتق الله**) والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفها منذ نشأتها معرفة صادقة وكان يستطيع ان يبني بها وهي عذراء فلا يترقبها حتى تصبح ثيبا ، وهي قد تزوجت زيدا على مضض منها ومن اسرتها ، ولولا رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في اتمام هذا الزواج ما تم . وزيد هو الذي كان يلح في تطليقها وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستمهله وينصحه بالتمسك بزوجته .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتم » هذه الآية : (**وتخشى الناس والله احق ان تخشاه**) رواه البخاري ومسلم .

وما كان له ان يكتم شيئا لان القرآن من عند الله وليس من عنده ، وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)

ومن الوان العتاب العديدة التي وردت في القرآن الكريم موجهة من الله الى رسوله وكان الرسول يستطيع اخفاءها لو كان من تأليفه ولكنها وحي يوحى ، من هذه الالوان ما قرره القرآن الكريم في موضوع اسري بدر حيث قال تعالى : (**ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم**) الانفال / ٦٧ و ٦٨ والعتاب هنا قائم على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليه ان يمعن في قريش تنكيلا حتى يكسر شوكتهم ويوهن قوتهم وحتى لا يعودوا الى حربه مرة اخرى ، وكان من رأي ابي بكر العفو عن الأسرى واخذ فدية منهم ، وكان رأي عمر ضرب اعناقهم . وجمهرة المفسرين على ان القرآن الكريم وافق رأي عمر مع ان القرآن الكريم يقول ان الاثخان في الارض ينبغي ان يتم قبل الاسر قال تعالى : (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فامّا منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها**) محمد / ٤ واذا كان هناك من وافقت الآية الكريمة رأيه فهو سعد بن معاذ فقد كان يكره الأسرى قبل الاثخان فلو كان القرآن من صناعة محمد ما وجه فيه هذا العتاب الشديد الى نفسه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سادسا : كشف الاحداث الغيبية فقد حدثت بعض الامور بالغ اصحابها في كتمانها ولكن القرآن الكريم كشف عنها الستار واطلع الرسول واصحابه على ما خفي من الامور فقد حدث ان بني ابيرق وهم قوم ضعفاء الايمان نقبوا دارا لرفاعة ابن زيد وسرقوا ادرعا له وقيل ان السارق هو بشير بن ابيرق وحده ، دون اخوته ، ورفع الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما علم السارق بذلك عمد الى الدروع فالقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبتها والقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا وقالوا يا نبي الله ان صاحبنا بريء وان صاحب الدروع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فنزل قوله تعالى : (**انا انزلنا اليك الكتاب بالحق**

لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامةام من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إ ثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا . ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) النساء / ١٠٥ ـ ١١٣ .

وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم ما تم في الخفاء لولا ان الله اطلعه عليه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما فما كان القرآن الكريم من تصنيفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومثل هذه المواقف تعددت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حدثت مفاداة الاسرى عقب غزوة بدر ، وكان من بينهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان غنيا ، ولكنه تظاهر بالفقر طمعا في اقلال الفدية واطمعه في ذلك لين الرسول صلى الله عليه وسلم ، فادعى انه اسلم من قبل وانه حضر الغزوة مع قريش مكرها لا محاربا ، فقال صلى اللهعليه سلم اما ظاهرك فكان علينا والله اعلم باسلامك وسيجزيك خيرا ، فادعى انه لا مال عنده يفدي به نفسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذي اودعته ام الفضل وقلت لها لو اصبت في سفري هذا فهذا لبني : الفضل وعبدالله وقثم فقال العباس : والله اني لاعلم انك رسول الله ، ان هذا الشيء ما علمه الا انا وام الفضل ، فاخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة اوقية من الذهب فداء له ولابني اخيه عقيل ونوفل ولحليفه عتبة بن عمرو ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه الاسرى وفيهم جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق وجاء ابوها يطلب فداءها ونظر للابل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم جاء الى النبي فقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا ؟ فقال الحارث : اشهد ان لا اله الا الله وانك يا محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى وحده ، فكيف علم محمد بهذا الامر ان الله علمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما وما كان القرآن الكريم من تأليفه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سابعا : ما من كتاب مهما بلغت روعته ، حفظ لغته من الاندثار كما حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فان اللغة العربية ظلت لغة حية نحو الفي عام مع انها تعرضت لاحداث عنيفة كادت تقضي عليها وبخاصة في عصر المماليك والاتراك ،

ونحن نعلم ان عباس الاول حاكم مصر حظر على طلبة الكلية الحربية ان يتحدث احدهم باللغة العربية ومن فعل الجمه بلجام عقابا له وسخرية منه طيلة يومه ، كما تعرضت العربية لغزوات التتار والفرنسيين والاتراك .
ومن طبيعة اللغات ان تتعرض للتغيير والتبديل كل مائتين او ثلاثمائة من الاعوام ، فقد انقسمت اللغة اللاتينية الى بضع لغات تخالف اصولها مخالفة تامة ، والانكليز المعاصرون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة شكسبير الانجليزية والفرنسيون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة كورني وراسين الفرنسية ، والايطاليون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة دانتي الايطالية مع اننا نقرأ لغة المعلقات في العصر الجاهلي فنفهمها ونتأثر بها ونسمع قول عنترة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فنفهم عنه وننفعل معه ونشاركه في عواطفه الوجدانية لان اللغة هي اللغة ، واللغة العربية الان مزدهرة اعترفت بها هيئة الامم وجعلتها من اللغات العالمية الرسمية السائدة الان ، ويتحدث بها اكثر من مائة مليون عربي ويعبد الله بها نحو الف مليون من المسلمين يرددونها خمس مرات يوميا ، وما تم هذا الا بفضل القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الحجر ٩ .

وما حفظ لنا اللغة العربية الا القرآن الكريم لانه : (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) وحسب القرآن الكريم اعجازا انه فرض نفسه على محطات الاذاعة الاجنبية غير الاسلامية تذيعه في مستهل ارسالها وفي نهايته ، وليس ذلك بقوة العرب ولا بسيطرتهم ، وانما لما لهذا الكتاب الكريم من مكانة ومنزلة لا تدانيهما منزلة أي كتاب آخر من صناعة البشر لانه : (**كتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/ ٤١ و ٤٢ .

والدارسون للغات يعلمون أن أكبر كتابها لا يستعملون من مفرداتها اكثر من ٥٪ خمسة في المائة ، وطبقوا هذا على شكسبير في اللغة الانكليزية ، وهو أكبر شعرائها وعلى غيره من الكتاب والشعراء .

اما القرآن الكريم فقد تناوله الدكتور علي حلمي موسى الاستاذ بكلية علوم عين شمس ، وأجرى تجربة فيه يحدثنا هو عنها قائلا « يعتبر القرآن الكريم من الناحية اللغوية قمة الاعجاز إن أي دراسة للقرآن تعطينا كنوزا وتفسيرات أوضح وأكبر وتثبت للعالم ان الدين لا يتعارض مع العلم بل يؤكده ... لقد قمت بتغذية الكمبيوتر بالالفاظ الموجودة في القرآن الكريم ... وتم شحن كل ذلك في ذاكرة الكمبيوتر بترتيب مخصوص ونظام معين واخترت معجم الصحاح ليكون الجهة الاخرى من المقارنة لانه يعتبر من أدق المعاجم في العربية الى جانب قربه من عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اثبتت الدراسات ان القرآن الكريم استخدم ٣٠٪ ثلاثين في المائة من ألفاظ اللغة العربية وهذا يعتبر اعجازا لغويا كبيرا فان اغنى ادباء وشعراء العالم مثل شكسبير او العقاد لم يستخدموا سوى ٥٪ فقط من لغتهم ... كما ان الألفاظ التي استخدمت مرة واحدة في القرآن الكريم بلغت ٣٧٤ لفظا وهذا ايضا من الاعجاز اللغوي ...

كما أثبتت الدراسة أن لفظ الجلالة (الله) اكثر الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم ثم كلمة (رب) تليها كلمة (آمن) واعتذر الدكتور علي حلمي موسى عن عدم قيامه بدراسة تفسيرية لهذه النتائج التي انتهى اليها العقل الالكتروني بأنه يكتفي بان يضعها امام علماء الدين المشتغلين بالدراسات القرآنية .

فلو كان القرآن الكريم من صناعة محمد ما زادت الاصول اللغوية فيه عن ٥٪ من متن اللغة العربية ولكنها ارتفعت الى ٣٠٪ لانه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

ثامنا : العصمة من الناس :

روى الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم وابن جرير عن السيدة عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت الآية : (**والله يعصمك من الناس**) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » .

فلو كان القرآن من صناعة محمد ما أطمأن الى هذه الآية ولا صرف الحراس عن حراسته ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين فاطمأن الى وعد الله كل الاطمئنان وقد حفظه الله وعصمه من اليهود الذين دسوا له السم في شاة مذبوحة ، فنطقت واخبرته أنها مسمومة فامتنع عن أكلها وذلك بخيبر (راجع صحيح البخاري في كتاب المغازي) .

واخرج الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم في احدى الغزوات أنه استظل بشجرة ونام تحتها ونام أصحابه في مواضع متقاربة فاذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم فذهبوا اليه واذا عنده أعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتاً ، فقال من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثا ، ولم يعاقبه .

تاسعا : الاستغراق في العبادة :

كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة في جوف الليل حتى تتورم قدماه تلبية لقوله تعالى : (**قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٢ ـ ٤ وكانت السيدة عائشة تشفق عليه وتتألم لما يعانيه

فتقول له : يا رسول الله رفقا بنفسك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول لها صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ، ولو كان القرآن من تأليفه ما ألزم نفسه هذه المشقة ولا كابد فيها ما كابد ولا صام يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين .

والقرآن الكريم لو كان من تأليف محمد ما ذكر فيه ما وجهه المشركون اليه من لمز وتشهير ، فاننا لو أردنا أن ندرس ما ذكره الوثنيون من مناقضات للقرآن الكريم ، فاننا لن نجد الا مرجعا واحدا جمع ما قالوه هو القرآن الكريم ، ولو كان القرآن من صناعة محمد ما عني بتسجيل اقوال الوثنيين فيه ، ومن الامثلة على ذلك قولهم أنه اساطير الاولين قال تعالى : (**ومنهم من يستمع إليه وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**) الانعام/ ٢٥ .

وقال سبحانه : (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**) الفرقان/ ٥ وقال تعالى : (**وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**) النحل/ ٢٤ .

وقالوا عن القرآن الكريم انه : (**سحر يؤثر**) قاله الوليد بن المغيرة ومن مالأه ، قال تعالى فيه : (**إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبروا ستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر**) المدثر/ ١٨ ـ ٢٥ .

وكلما واجههم بآية بينة قالوا هذا سحر مبين قال تعالى : (**بل عجبت ويسخرون . وإذا ذكروا لا يذكرون . وإذا رأو آية يستسخرون . وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**) الصافات/ ١٢ ـ ١٥ وتواصلوا فيما بينهم أن يعرضوا عن القرآن اذا طرق اسماعهم وأن يمعنوا في اللغو والضجيج حتى لا يصل الى آذانهم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) فصلت/ ٢٦ وادعوا أنهم قادرون على الاتيان بمثله قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذاإن هذاإلاأساطير الأولين**) الأنفال/ ٣١ .

وزعموا انه افك أعانه عليه بعض أنصاره قال تعالى : (**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليهم قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا**) الفرقان/ ٤ .

وزعموا أنه يتعلم القرآن من غلام نصراني اسمه سبيعة أو بلعام اعجمي اللسان وهو حداد ويعمل عبدا عند بعض بني الحضرمي ولا يكاد يبين قال تعالى : (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**) النحل/ ٣ . واذا أنذرهم بالبعث بعد الموت قالوا : **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) النمل/ ٦٨

وقالوا لو كان القرآن خيرا لسبقنا نحن اليه محمدا فهو ليس بخير ولكنه إفك قديم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم**) الأحقاف/ ١١ واذا طرق القرآن اسماعهم اسرعوا في الاعراض والانشغال عنه لاهين منصرفين : (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم**) الانبياء/ ٢ و ٣ وأعلنوا هذا هاتفين : (**قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه و في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون**) فصلت/ ٥ وقالوا عنه انه سحر مصنوع وافك مفترى قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبدآباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**) سبأ/ ٤٢ ويزعمون انه من صناعة محمد وانه تقوله وافتراه : (**أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**) الطور/ ٣٣ و٣٤ ويتحدونه ليأتيهم بقرآن آخر غير هذا القرآن حينما يضيقون بأحكامه فيقولون له : (**ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبد له من تلقاء نفسي إن آتبع إلا ما يوحي إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون**) يونس/ ١٥ و ١٦ ويتحدون الرسول صلى الله عليه وسلم منكرين عليه نزول القرآن منجما : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) الفرقان/ ٣٢ و ٣٣ وأعلنوا كفرهم بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب السماوية : (**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**) سبأ/ ٣١ وزعموا أن القرآن ضرب من ضروب الشعر فقال تعالى في الرد عليهم : (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**) يس/ ٦٩ .

وكانوا كثيرا ما يستمعون الى آيات الله ساخرين مستهزئين وقد اهاب الله تعالى بالمؤمنين ان ينصرفوا عن الكفار في هذه الأحوال قال تعالى : (**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**) النساء/ ١٤٠ وكان بعضهم يعدل عن الآيات المحكمات ويتتبع الآيات المتشابهات محاولا أن يصرفها عن وجوهها الى ما يرضيه من شهوات واهواء قال تعالى : (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و أخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/ ٧ وذلك مثلا أنهم سمعوا قوله تعالى : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**) الانبياء/ ٩٨ ضحكوا وكان السبب في ذلك كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة

قال الوليد بن المغيرة زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعري اما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا اكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيرا والنصارى يعبدون المسيح ابن مريم فيعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فانهم انما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ؟ وأنزل الله عز وجل : (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**) الانبياء/ ١٠١ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحياء والرهبان الذي مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من عبدهم من أهل الضلالة اربابا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله : (**وقالو اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون**) الانبياء/ ٢٦ ... انتهى نقلا عن تفسير ابن كثير ونزيد على ما ذكره ابن كثير ان كلمة (ما) في الآية الكريمة (**إنكم وما تعبدون من دون الله**) تدل لغويا على غير العاقل غالبا فالمقصود بها انهم وما يعبدون من دون الله من اصنام وكواكب وأشجار وحيوان مصيرهم جميعا الى النار ـ وكانوا اذا سمعوا عبارة التوحيد أعرضوا ورموه صلى الله عليه وسلم بالجنون : (**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٥ و ٣٦ واذا ذكرهم بالبعث والنشور صاحوا ساخرين : (**إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**) الدخان/ ٣٥ و ٣٦ . (**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**) الجاثية/ ٢٤ (**وقال الذين كفروا أ إذا كنا تراباً و آباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) .

ومن المعروف ان كل مجرم أو مذنب يتلمس لتبرير جريمته أو ذنبه عذرا ما يسميه علماء النفس باسم التبرير ويسميه القرآن الكريم بالمعاذير يقول الله تعالى : (**بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره**) القيامة/ ١٤ و ١٥ ولم يغفل القرآن الكريم تسجيل تبريرات المشركين لشركهم ومعاذيرهم عن عبادة الاصنام قال تعالى : (**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**) يونس ١٨ وقال سبحانه : (**ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) الزمر/ ٣ ووصف امعانهم في البخل وتبريرهم له فقال سبحانه : (**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أن أنتم إلا في ضلال مبين**) يس /٤٧ .

ووصف القرآن الكريم مبلغ تعصبهم واسرافهم في المكابرة والعناد فقال تعالى : (**ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**) الانعام/ ٧ وقال سبحانه : (**ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**) الحجر/ ١٤ و ١٥ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألم من عناد قومه وتكذيبهم له فواجههم الله بأنهم هم الكذابون لانهم يعلنون خلاف ما يعتقدون ، فانهم في قرارة انفسهم يعتقدون صدق الرسول وامانته وقد اطلقوا عليه لقب الامين ، واذا كانت لدى احدهم تحفة ثمينة لم يجد من يودعها عنده الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثقة في امانته وصدقه ، والله سبحانه يواسي رسوله ويجابه المشركين بكذبهم فيقول : (**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الأنعام/٣٣ والاية مكية واجه بها الرسول قومه فلم يستطيعوا أن يواجهوه بالتكذيب او الادعاء .

ومن هنا نرى القرآن الكريم قد حفظ لنا اقوال المشركين كاملة بحيث لا نجد مصدرا آخر غير القرآن سجل لنا هذه الاقوال .

ولو كان القرآن من صناعة محمد ما سجل فيه اقوال خصومه الالداء ، ولكنه تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الامين .

وكما سجل القرآن الكريم اقوال المشركين في القرآن سجل اقوالهم في الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اتهموه بالكذب : (**وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل**) الانعام/ ٦٦ وذلك لانهم استبعدوا ان يرسل الله أحدا من البشر وانه لو شاء لأنزل ملائكة قال تعالى : (**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين**) يونس/ ٢ ولجوا باتهامه بأنه ساحر : (**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**) ص/ ٤ و ٥ ثم رموه بأنه مسحور يتخيل أمورا لا أساس لها من الواقع قال تعالى : (**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**) الاسراء/٤٧ واستبعدوا عليه ان يكون رسولا وهو انسان مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق : (**وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**) الفرقان/ ٧ ـ ٩ . وتوهموا أن الله اذا بعث رسولا فلن يبعثه من البشر وانما يرسله من الملائكة : (**وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون . ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**) الانعام/٨ ـ ١٠ .

وطالما جابهوه بالسخرية والاستهزاء : (**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون**) الانبياء/ ٣٦ .

(**واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا . ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**) الفرقان/ ٤١و٤٢ . وكثيرا ما عابوا عليه فقره : (**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمةربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣١ ـ ٣٢ . وكلما ضاقوا بالرسول ذرعا اتهموه بالجنون : (**وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين . ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين**) الحجر/ ٦ ـ ٨ . قال تعالى : (**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين . أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين**) الأعراف/ ١٨٢ ـ ١٨٤ . واتهموه مع الجنون بأنه شاعر يعيش على الخيال والأوهام : (**ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٦ . كما رموه مع الجنون بالكهانة ويرد الله عليهم هذا الاتهام بقوله : (**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**) الطور/ ٢٩ . ويقول سبحانه : (**وما صاحبكم بمجنون**) التكوير/ ٢٢ . ويقول تعالى ان هذا شأن جميع الأمم السابقة : (**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . أتوا صوا به بل هم قوم طاغون . فتول عنهم فما أنت بملوم . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٢ ـ ٥٥ .

ولما كان للشعر عندهم من مكانة ألحوا في اتهام الرسول بأنه شاعر وأن من الخير تركه حتى تنتهي حياته : (**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين**) الطور/ ٣٠ ـ ٣٤ . وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد أن يبعث الله رسولا من البشر : (**وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**) الاسراء/ ٩٤و٩٥ . وما أنكر محمد بشريته بل أعلنها بكل الوسائل في كل مجال : (**قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) الكهف/ ١١٠ . فهو بشر مماثل لهم ولا فرق بينه وبينهم الا أنه يتلقى

الوحي السماوي بأن الله اله واحد ، وأنه وحده المستحق للعبادة والتقديس وأن كل انسان سيلقى ربه مهما طال به العمر ، وسيحاسب على ما قدمت يداه ، ومحمد في بشريته يجري عليه ما يجري على البشر جميعا ، فهو يصح ويمرض ويحيا ويموت ويفرح ويحزن : (**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**) آل عمران/ ١٤٤ ، (**انك ميت وانهم ميتون**) الزمر/ ٣٠ ، لكنهم في لجاجهم وعنادهم لم يقدروا الله حق قدره ولا عرفوا حكمته في اصطفاء الرسل من البشر قال تعالى : (**وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء**) الأنعام/ ٩١ ، وكانوا يظنون أن بشريته تمنعه من حمل الرسالة وأدائها (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**) الأنبياء/ ٢ ـ ٥ .

ولقد أمعنوا في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه يفتح سمعه للكذابين ويتأثر بهم وفاتهم أنه لا يحب أن يسمع الا الخير : (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**) التوبة/ ٦١ .

وأمعنوا في ايذائه حتى نالوا من أهله فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وأحب نسائه اليه رموها بالبهتان العظيم حتى أظهر الله سبحانه وتعالى براءتها وطهرها في كتابه الكريم : (**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**) الأحزاب/ ٥٧ .

ولم يكتفوا بأن القرآن معجزة كبرى للنبي صلى الله عليه وسلم بل طالبوه في الحاح بالمعجزات الحسية المادية وفاتهم أن المعجزات المادية محدودة الزمان والمكان ومقصورة على عدد محدود من المشاهدين أما القرآن فاعجازه غير مقيد بزمان ولا مكان ولا عدد المشاهدين ولكنهم لا يفقهون : (**وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون**) الأنعام/ ١٠٩ ، ولما حدثت معجزة انشقاق القمر أسرعوا بالتكذيب قال تعالى : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**) القمر/ ١ ـ ٣ ، : (**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون**)

العنكبوت/ ٥٠ ـ ٥٢ .

ولما تحداهم القرآن باعجازه وقرر عجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ ، لجوا في عنادهم وطغيانهم وطلبوا اليه أن يخرق النواميس الكونية في السماء والأرض وأن يأتيهم بمعجزات حسية مادية قبل أن يستجيبوا لدعوته : (**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا**) الاسراء/ ٩٠ ـ ٩٣ ، أي لست ملاكا ولا الها وانما أنا بشر رسول .

فلو كان القرآن من كلام محمد ما سجل فيه مطاعن المشركين ولا لمزهم ولا سخريتهم منه ولا تحديهم له .

ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

عاشرا : ذكرنا ألوانا من الأدلة العقلية والبراهين المنطقية على أن القرآن ليس من تصنيف محمد وانما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونسوق الآن أدلة علمية حاسمة لا مجال للخلاف فيها ، فقد تناول القرآن الكريم بعض الكشوف العلمية التي لم يعرفها العالم الا في العصر الحديث .

ومع أن القرآن كتاب هداية ونور فانه ألم ببعض القضايا العلمية قال تعالى : « **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات/٤٧ ـ ٤٩ ، ففي آيات ثلاث قصار لا تتجاوز سطرين انتقل بنا القرآن الكريم من آفاق السموات الى أرجاء الأرض ثم الى عوالم الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وأعطانا أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من كشوف لم يكن يعلمها أصلا قبل ذلك .

فمن حيث السماء أشارت الآية الكريمة الى تمدد الأجرام السماوية واتساعها ونحن نعلم أن المجموعة الشمسية بكواكبها التسع وأقمارها العديدة وما تضمه من مذنبات مثل مذنب « هالي » هي جزء من المجرة ، وأن المجرة تضم نحو مائة ألف مليون مجموعة شمسية في كل منها كواكب عديدة وأقمار كثيرة ومذنبات وغبار كوني ... وأن الكون الفسيح يضم نحو ألف مليون مجرة وأقرب المجرات الينا تبعد نحو سبعمائة ألف سنة ضوئية والسنة الضوئية تقدر بما يقطعه الضوء من مسافات مقدارها ثلاثمائة ألف كيلو في الثانية الواحدة أو عشرة ملايين مليون كيلومتر تقريبا في السنة الواحدة وأقرب شمس الينا هي ألفيا سنتيورى وتبعد عنا نحو أربع سنين ضوئية ، وأحدث ما وصلت اليه الكشوف العلمية أن الكون يتمدد

ويتسع كما تتسع كرة القدم بالنفخ فيها ، وتمدد الكون وتباعد أجرامه بعضها عن بعض تتم بسرعة نحو مائة وستة أميال في الثانية الواحدة ، ونعلم أن اتساع الكون الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه في بدء الخليقة وان نصف قطره الآن يعادل خمسة آلاف مليون سنة ضوئية ونقول الآن لأنه يتمدد بسرعة اكثر من مائة ميل كل ثانية وهو شبيه بمنطاد يتمدد ويظل يتمدد حتى تنفجر حبال الجاذبية التي تربط بعض الأجرام السماوية بالأجرام الأخرى ، والى هذا تشير الآيات الكريمة : (**فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية**) الحاقة/ ١٣ ـ ١٦ ، وفي الحديث الشريف « وصاحب الصور قد التقم الصور ينتظر الاذن بالنفخ » رواه أحمد ، والى هذا التمدد والاتساع أشار القرآن الكريم بقوله : (**وانا لموسعون**) مع التأكيد بأن ولام الابتداء في قوله (**وإنا لموسعون**) وتبارك الله : (**يزيد في الخلق ما يشاء**) فاطر/ ١ .

هذا ما يتعلق بالسماء أما ما يتعلق بالأرض فالله تعالى يقول : (**والأرض فرشناها**) أي كسوناها بغشاء يغلفها ونحن نعلم أن الأرض كرة ملتهبة من النار انفصلت من الشمس منذ خمسة آلاف مليون عام وحرارتها تعادل حرارة قرص الشمس « خمسة آلاف درجة مئوية » مثل حافة الشمس وقد كساها الله بغلاف رقيق بارد لا يتجاوز بضعة أميال ، وهذا الغلاف يحتوي البحار والأنهار والجبال والغابات والمروج وعالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات ، وكلما تعمقنا في جوف الأرض ثلاثين مترا ارتفعت الحرارة درجة ، حتى نصل الى درجة حرارة تنصهر فيها الحجارة والمعادن ، وتحاول أن تنسف القشرة التي تغلف سطح الأرض فتحدث الزلازل ، وقد تمزقها فتنفجر البراكين المدمرة بما تقذفه من صخور ومعادن ذائبة مصهورة ، واذا كان محور الكرة الأرضية يعادل ثلاثة عشر ألف ميل فان القشرة الأرضية لا تتجاوز بضعة أميال هي الفرش الرقيق لسطح الكوكب الأرضي وتبارك الله : (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**) البقرة/ ٢٢ ، وسبحان الذي جعل لنا الأرض بساطا لنسلك فيها سبلا فجاجا قال تعالى : (**والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا**) نوح/ ١٩و٢٠ ، ومعنى بسطها أنها مهيأة لنمد فيها الطرق والسكك الحديدية وتمخر السفن فيها عباب البحار والمحيطات وهذا لا ينافي كرويتها التي أشارت اليها الآية الكريمة : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر/ ٥ ، ولا ينافي دورانها حول محورها الذي أشارت اليه الآية الكريمة : (**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/ ٨٨ ، فسبحان : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى**) الأعلى/ ٢ ـ ٥ .

هذا ما يتعلق بالأرض التي نعيش على سطحها فوق أتون ملتهب من النار ، ونعيش تحت سمائها تحت سقف محفوظ يحمينا من الشهب المتساقطة أو

الحاصب الذي يقذف الأرض بمئات الملايين كل يوم منها قال تعالى : (**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير**) الملك/١٦و١٧ ، أما موضوع ازدواجية الكائنات فقد تناولتها أكثر من آية قال تعالى : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس/٣٦ ،

و كان العرب يعلمون عند نزول القرآن أن الذكورة والأنوثة ومن التقائها يمتد النسل ويبقى الجنس قائما على طريق التلقيح والاخصاب وكان العرب يعلمون أن هناك نباتا واحدا تبدو فيه الذكورة والأنوثة وهو نخل البلح فكانوا يؤبرون « يلقحون » النخلة الانثى بطلع النخلة الذكر ، ويسمونها بعملية التأبير وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم .

ولكن الآية الكريمة تعمم الازدواجية في جميع الكائنات : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) وقد كشفنا في العصر الحديث الازدواجية في عالم النبات كله ورأينا أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث داخل الأزهار بالبصر العادي أو بالمنظار المكبر . ثم عرفنا حديثا أن الازدواجية موجودة في عالم الجماد أيضا وأطلقنا عليها بدلا من تعبير الذكورة والأنوثة تعبير « السالب » و« الموجب » فان جميع الكائنات يمكن ردها الى بضعة وتسعين عنصرا وكلها تنتهي الى ذرات بالغة الحد في الصغر وعلمنا حديثا أن كل ذرة تضم نواة « بروتين » وكويكيات « الكترونات » وأن النواة كهرباء موجبة والكويكيات كهرباء سالبة كما علمنا أن الكون مكون من طاقة أو مادة والطاقة فيها الجانب السلبي كما فيها الجانب الايجابي وأن كلا منهما يكمل الآخر ، فلو جئنا بقضيبين ممغنطين فان لكل منهما طرفه السلبي وطرفه الايجابي ، فلو قربنا طرف القضيب الايجابي من الطرف الايجابى للقضيب الآخر ينفر منه مبتعدا ، وكذلك الأمر لو قربنا الطرف السلبي من السلبي الآخر لنفر منه، ولو قربنا الطرف السلبي من الطرف الايجابي للقضيب الثاني لتجاذبا تماما وكملت الدائرة المغناطيسية والكهرباء ، كذلك يتكون الحبل الموصل للكهرباء من سلكين أحدهما تياره موجب والآخر تياره سالب ، فلو انقطع أحد السلكين لانطفأ النور حتى يتم وصله ومن هنا تبدو الازدواجية في عالم الجماد كما تبدو في عالم الحيوان وعالم النبات أيضا وصدق الله اذ يقول : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) .

فمن أعلم محمدا النبي الأمى أسرار الكون ؟ وانه يتمدد ويتسع باستمرار وفي ادارة طبيعة الغلاف الذي يضم أتون الأرض الملتهب وجوفها المنصهر ، ومن أخبره بازدواج جميع الكائنات ؟ انه لم يعرف هذا من عند نفسه وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين وكثير من الآيات القرآنية تضم أسرارا علمية لم يكشفها العلم الا في العصر الحديث بل أن بعضها سبق العلم الحديث وقرر أمورا علمية ما زال العلم الحديث يحاول جاهدا الكشف عن أسرارها ، فمن القضايا

التي يقف العلم حائرا أمامها الآن قضية سكان الكواكب . ان العالم الآن يعج بملايين الكواكب الشبيهة بالأرض فهل انفردت الأرض وحدها دون بقية الكواكب فانها وحدها المأهولة بالسكان .

ان العلماء الآن يرسلون المركبات الفضائية الى بعض كواكب المجموعة الشمسية لتصوير ما فيها ، ولم تصل الى نتيجة ايجابية حتى الآن ، ولكننا نتلقى اشارات لاسلكية تلتقطها بعض المراصد السمعية على سطح الكوكب الأرضي ، وتصلنا من أعماق الفضاء السحيقة من عالم مجهول ولم نستطع حل رموز هذه الاشارات حتى الآن ، ولكن القرآن الكريم يقرر في كثير من آياته البينات ان هذه الكواكب مأهولة بالسكان المتازين بالعقل أو الذين يتجردون منه والمعروف في اللغة ان كلمة « من » تدل على العاقل وكلمة « ما » تدل على غير العاقل ـ والله تعالى يقول : (**ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم/٩٣ ـ ٩٥ ، ويقول سبحانه : (**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا**) الاسراء/٤٤ ، وكما ان في السموات كائنات عاقلة فيها كائنات غير عاقلة أيضا والله سبحانه يقول : (**ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا**) ويقول الله تعالى : (**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**) الحشر/١ .

وفي كواكب السماء دواب أيضا تدب على سطوحها قال تعالى (**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير**) الشورى/٢٩ ، وقد يتأول أحد المتأولين الدواب التي تدب على سطوح هذه الكواكب بالملائكة مع أنه لا يصح وصف الملائكة بالدواب وينافي هذا ما ورد في قوله تعالى : (**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون**) النحل/٤٩ ، فالعطف يقتضي المغايرة ولو استعرضنا القرآن الكريم كله ما وجدنا فيه حقيقة تناقض العلم الحديث بعكس ما نراه متجليا في اصحاحات العهد القديم والعهد الجديد « التوراه والانجيل » وهذا دليل قاطع على أصالة القرآن الكريم وانه : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) .

ومهما بلغ الانسان من القدرة البلاغية فانه لا يستطيع ان يرضى عما ابدعه من فنون البلاغة ، ويتمنى ان يعدله ليصل به الى مدى اسمى مما بلغ اليه ، وفي هذا يقول العماد الاصفهاني : « اني رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لوغير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

والرسول صلى الله عليه وسلم طالع العرب بآيات الذكر الحكيم متتالية متوالية يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام في مدى نيف وعشرين عاما وهو في اثنائها يتحدى العرب ان يأتوا بمثل هذا القرآن ويتلو عليهم قوله تعالى : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) فعجزوا عن مواجهة هذا التحدي ثم عاد فتحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات قال تعالى : (**ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين**) هود/١٣ طالبهم بهذا ودعاهم لان يستعينوا بمن يرون فيه فائدة في المعونة ان كانوا صادقين ! و(ان) اداة شرطية تدل على الشك في مدى استطاعتهم . ثم عاد مرة ثالثة فتحداهم بان يأتوا بسورة واحدة ولم يحدد مدى هذه السورة فان هناك سورا قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات ، وقد تكون سطرا واحدا ، او سطرين على الاكثر .

ثم عاد فقرر في عبارة حاسمة جازمة انهم لن يستطيعوا ان يقبلوا التحدي لانهم اعجز من ان يواجهوه قال تعالى : (**وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين**) البقرة / ٢٣و٢٤ وزاد على التحدي انذارهم بالعذاب الاليم في النار التي وقودها الناس والحجارة اذا اصروا على جحد القرآن الكريم والتكذيب بآياته البينات .

وهم في اثناء تخبطهم العجيب في مواجهة تحدي آيات القرآن الكريم يحاولون تبرير هذا العجز الرهيب فيزعمون انه يتلقى القرآن الكريم عن طريق الشياطين وقد دحض القرآن الكريم هذا الادعاء فقال : (**فلا اقسم بالخنس،الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم امين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالافق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم**) التكوير / ١٥ ـ ٢٥ . فليس لقرآن من وحي شيطان وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على خاتم المرسلين بلسان عربي مبين ، وقد كان العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا يلهمه ما يقول ، وكان الشعراء انفسهم يعلنون هذا فيقول أحدهم :

انـي وكـل شـاعـر مـن البشر   شيطـانـه انثى وشيطـاني ذكـر

اذا فمحمد شاعر ولا بد ان وراءه قوة من الشياطين تلهمه ما يقوله ويتحدى به البشر ، وقد كذب القرآن هذا الادعاء ويكفي ان نقول ان في المشركين شعراء موهوبين فما بالهم وقفوا عاجزين امام تحدي القرآن الكريم قال تعالى : (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا**

ويحق القول على الكافرين) وفنون الشعر العربي تقوم على العاطفة والخيال وتتناول فنون المديح والهجاء والحماسة والنسيب ، وهذا القرآن الكريم يقوم على الحقائق والعقل الرزين ، وليس من هذه الفنون بسبب او نصيب ولا يمت الى همزات الشياطين باي سبب من الاسباب قال تعالى : (**وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون**) الشعراء / ٢١٠ ـ ٢١٢ .

وتوالى التحدي وتوالى العجز وتلاحق الاعجاز وحينما يظهر العجز يطالعهم باعجاز جديد ، ظل يتلاحق ثلاثة وعشرين عاماً بمكة ثم المدينة ، وظل الاعجاز قائما على تلاحق العصور وهم يدركونه وان كانوا يكابرون فيه عنادا ولجاجا ، حدث ان ثلاثة من بلغاء قريش كانوا يتسللون الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا فينصتون الى تلاوته اثناء الصلاة ليلا وهم الوليد بن المغيرة والاخنس بن قيس وابو جهل بن هشام ، وتاخذهم بلاغة القرآن فيستمرون في الاستماع حتى الصباح ، فلما اصبحوا انصرفوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رآكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه واستمالهم اليه بقوة تأثيره فآمنوا به ، فلما كان في الليلة التالية عادوا الى التسلل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم واخذ كل منهم موضعه واستمعوا اليه حتى الصباح ، فلما اصبحوا جمعتهم الطريق فاشتد نكيرهم وتلاومهم وتعاهدوا وتحالفوا الا يعودوا ، فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخنس بن قيس فقال له ما تقول فيما سمعت من محمد ؟ فقال الاخنس : ماذا اقول ؟ قال بنو عبدالمطلب : فينا الحجابة ، قلنا نعم قالوا فينا السدانة قلنا نعم ، قالوا فينا السقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي !! والله لاآمنت به ابدا ، فالموقف ليس موقف انكار للقرآن ولا جحد لاعجازه وانما هو موقف عناد ولجاج وانكار للحق الواضح البين وكما قال تعالى (**يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون**) الانفال / ٦ .

وكانوا اذا استمعوا الى القرآن ملك عليهم عقولهم وقلوبهم وامتلأت نفوسهم بالرهبة والخشوع قال جابر بن عبدالله : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فلنكلمه ولننظر ما يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فاتاه عتبة فقال له اخير انت ام عبدالله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم فقال : انت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت النبي (يريد ابا النبي وجده) فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خيرمنك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم ، حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، ايها الرجل ان كان انمابك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء

قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال صلى الله عليه وسلم فرغت ؟ قال نعم فتلا عليه قوله تعالى : (**حم. تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون**) فصلت / ١ـ٤ ـ حتى بلغ قوله تعالى من سورة فصلت : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فصلت / ١٣ فامسك عتبة على فم الرسول وقال وقد ارتعدت فرائصه وناشده الرحم ، حسبك يا محمد ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم ، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة اصابته ، فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال له ابو جهل يا عتبة « ما حبسك عنا الا انك صبأت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال : والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكنني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب ، وليس عجيبا ان يحدث القرآن الكريم هذا الاثر العجيب في النفوس فقد ترك آثاره العميقة في نفوس الجن فأسلموا كما قال تعالى: (**واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين**) الاحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ . ولقد بنى الباقلاني كتابه اعجاز القرآن على حقيقة معروفة وهي ان الشاعر او الاديب مهما بلغ من الابداع لا يستطيع ان يظل في مستواه الرفيع في كل ما ينتجه من الروائع بل هو يحلق في اجواز الفضاء ، ثم يهبط احيانا الى الحضيض فقد تسعفه مواهبه فياتي بالروائع ، ثم تخونه مواهبه ويتغلب عليه ضعفه البشري فيسف الى ما دون المستوى المطلوب وفي ضوء هذه الحقيقة الصادقة استعرض الباقلاني شعر زعيم الشعراء في الجاهلية وهو امرؤ القيس فنوه بروائعه وابرز ابداعه ابرازا واضحا ملموسا ثم نبه على سقطاته واظهر ما فيها من ضعف وتهافت وتناول بمثل هذا شاعرية اكبر شعراء الاسلام وهو البحتري ، فابرز روائعه الفنية واظهر سقطاته ووضحها اتم وضوح ، اما القرآن الكريم فهو دائما في الذروة والقمة وليس فيه اي تهافت او ضعف واستشهد بقوله تعالى : (**افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ . وحسبنا ما سقناه من الادلة العقلية والبراهين العلمية على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صناعة محمد وإنما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)

الرحمة المهداة

للاستاذ / حسن عبدالغني ابو غدة

إن الأمم كالأفراد ، تصاب بالضعف بعد القوة ، وينتابها العجز بعد القدرة . وفي حالة ضعفها أو عجزها ، لا ينبغي لها أن تركن إلى الاستسلام ، وترضى بالتبعية ، بل ينبغي عليها أن تعيش في نور متجدد ، يسطع من تاريخها الماضي ، فيبعث فيها روح الأمل ، وحسن الثقة والعمل .

وجدير بالمسلمين وهم يحاولون إزالة العثرات عن طريقهم ، وينهضون لاصلاح أحوالهم ، أن يلتمسوا نماذج من سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحينذاك تتوثق صلة حاضرهم بماضيهم .

وتاريخ البشرية لم يعرف مصلحا غير محمد صلى الله عليه وسلم استطاع أن يغير وجه الدنيا ، ويحول مجرى التاريخ في فترة وجيزة ، لا تعد زمنا بالنسبة إلى عمر الأمم وحركات التاريخ . مما يثبت أن هذا النبي مؤيد بقدرة الله ورعايته .

ولكن يبقى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقدر قدره الصحيح عند بعض الناس ، لفقدهم التصور السليم لأحوال الناس واهتماماتهم قبل الاسلام . ولذلك كان لابد من بيان حال العالم قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعندئذ تظهر ضخامة المهمة التي تحملها رسول الله ، وتنحني الرؤوس أمام تلك النتائج التي أسفرت بها دعوة الاسلام .

كان العالم ـ قبل البعثة النبوية ـ يعيش في جاهلية : جاهلية العقائد والمبادىء والخلق . وجاء لفظ الجاهلية في القرآن الكريم ، ليصور الظلام الذي انتشر قبل ظهور الرسول الكريم في شتى مجالات الحياة . ففي سورة آل عمران الآية/ ١٥٤ يقول تعالى عن المنافقين : **(وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)** حيث فقدوا الثقة بالله ، ففرغت قلوبهم من الايمان ، فعاشوا في تخبط وضلال . وفي سورة الأحزاب الآية/ ٣٣ قوله تعالى لنساء النبي مرشدا وهاديا : **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)** والجاهلية الأولى كما يقول كثير من العلماء ما بين عيسى

ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، حيث كانت المرأة تلبس قميصا شفافا غير مخيط الجانبين ، لتظهر جسمها وفتنتها للناس . وقد أدرك أصحاب رسول الله بقية من الجاهلية ، فهذا جَعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يخاطب النجاشي ملك الحبشة قائلا : « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف .. » وإن المتأمل في هذه الصفات يجدها قد جمعت فساد العقل وانحراف السلوك وشذوذ الطبع الانساني .

والتبسط في شرح لفظة الجاهلية يحتاج إلى صفحات ، لكن الصورة التي رسمتها آيات القرآن الكريم تمثل حالة الانحطاط التي تردى فيها الوثنيون العرب مع بقية الأمم من يهود ونصارى . بل إن مدينة الفرس ، وحضارة الروم لم تنجوا من الفساد والضياع .

ولعل سبب ارتكاس البشرية في حمأة الجاهلية تطاول الزمن على الناس ، وابتعادهم عن عهد الرسالات ، فغدا التفلت من شعائر الأديان السماوية أمرا سهلا ومألوفا ، حتى انتهى القوم إلى الفساد الذي ظهر في البحر والبر : **(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** الروم/ ٤١ .

لقد كانت نصرانية القرن السابع متداعية ، عطلت بعدة فلسفات متنازعة ، فاستبدلت بايمان العصور الأولى السمح صغيرات الخرافة ، إضافة إلى ذلك فقد انتشرت في العالم المسيحي آثام وشرور لم تجد من ينكرها .

أما الديانة اليهودية ، فقد اقتبس أصحابها كثيرا من عقائد الأمم الوثنية ، وصوروا ذات الله شخصية تعمل فتتعب فتستريح . وهكذا حجب نور التوحيد وراء الأباطيل والأوهام . وتسلط الأحبار على الناس يحللون ويحرمون بأهوائهم ومطامعهم ، حتى لو بعث أصحاب هذه الديانة لأنكروها وتجاهلوها ، مما أصابها من عبث وتغيير .

وفي الأطراف الشرقية والمناطق الوسطى من قارة آسيا عاش الناس يسجدون للأوثان ويعظمون التماثيل ، ويستقبلون الشمس والنيران في صلواتهم ، أو يعبدون إله النور طمعا في ضيائه ، ويخشون إله الظلام مخافة انتقامه .

وإذا كانت هذه هي الحالة الدينية فليست الحياة الاجتماعية أو الخلقية أفضل منها لأن الاستبداد قد شاع في علاقات الناس مع بعضهم ، وانتشر الجهل حتى قام الناس في أوروبا الغربية يبحثون في أمر المرأة : هل هي انسان كامل ، أو روح حيوانية شريرة في صورة إنسان ؟ وهل يحق لها أن تمتلك وتبيع وتشتري أم لا ؟

وهكذا عاش الناس في ظلم وقهر فلم يجدوا ما ينفسون به عن أنفسهم سوى ألعاب العنف والهمجية

والمصارعة ، التي انتشرت في الدولة الرومانية .

وجزيرة العرب لم تكن الحياة فيها أسعد حظا من حياة الأمم والشعوب . فمع أن العرب عبدوا الله سبحانه واحترموا البيت العتيق ، فقد كان إيمانهم ضحلا ، لأن حياتهم العملية تكذب ذلك الاقرار الشفوي غير النابع من القلب : (**قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا**) الرعد/١٦ ، إنهم آمنوا بآلهة وأوثان دعوها لتشفي مرضاهم وتوقف مجاعاتهم وترد كوارثهم . فكلما باشروا عملا أو عزموا على أمر ، قصدوها يلتمسون بركاتها ويطلبون عونها .

وحياة العرب الاجتماعية كانت متفسخة هزيلة : انتشر فيها حب الثأر وشدة البطش ونصرة القريب ولو كان ظالما . فضلا عن انحطاط قيمة المرأة التي أباحوا لها تعدد الأزواج ، بل أكرهوها على الزنى طلبا لمال يناله السيد من مملوكته البغي . وكثيرا ما سمح بعض الأزواج لزوجاتهم أن يتصلن بمشاهير الرجال ليحملن منهم أبناء من صنف ممتاز ، كما كانوا يزعمون . أخرج البخاري وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ثم يصيبها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يتخلف ، حتى إذا اجتمعوا عندها ، قالت لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان - لواحد منهم - وتلحق به ولدها ، ولا يستطيع أن يمتنع الرجل . ونكاح رابع يجتمع الناس فيدخلون على المرأة البغي التي يكون لها علم أو راية فاذا حملت ألحقت ولدها بمن يريده ولا يمتنعون من ذلك .

أضف إلى هذا عادة وأد البنات وقطع الطريق وشن الغارات وإسالة الدماء بغير حساب .

في هذا العالم الذي وصفنا أحواله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام بجهود عظيمة لاحلال النور مكان الظلام ، وإشاعة الأمن مكان الخوف ، ونشر الوحدة بدل الفرقة . حتى سطر لشعب بل لأمم متفسخة موازين الاصلاح بعد أن كانت تتردى في دركات الانحطاط .

ولم تكن بعثته صلى الله عليه وسلم مفاجئة لنواميس الحياة ، بل إن الديانات السابقة بشرت به ، فحملت الكتب المقدسة السالفة أنباء تتصل بظهور خاتم النبيين ، وكانت هذه البشارات منتشرة بين أهل الكتاب من يهود ونصارى . بل إن الكتب المقدسة ذكرت اسمه وموطنه وسجاياه

وصفات أصحابه رضي الله عنهم ففي سورة الفتح : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه**) الفتح/٢٩ .

ولعل تلك البشارات كانت السبب الذي أغرى طوائف اليهود والنصارى بالسكن في بلاد العرب ، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يبعث فيه خاتم النبيين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة . فلقد أخذ الله العهد على أنبيائه لئن جاءهم محمد لينصرنه ويتبعونه ، وبهذا نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، واشتملا على وصايا تحث أتباعهما على الايمان بالرسول النبي الأمي . ومع أنه جرى التغيير والتبديل في أجزاء من تلك الكتب السماوية فان البشارات لم تمح منها كلية ، طمعا في أن يكون النبي المرسل مواليا لجماعة منهم .

على أنه لابد من القول بأن نبوة رسول الله ما كانت تستمد من شهادات الأمم السابقة ، وإنما تستمد قوتها وصحتها من ذاتها ، لأنها تحمل في نفسها الشهادة على صدقها والبينات الناطقة بأنها من عند الله العزيز الحكيم .

ثمة بشارة في سفر « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس الذي بيد اليهود وفيها « جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » وما مجيء الرب في العبارة السابقة إلا تباشير بانتشار رسالاته وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة موسى الذي سار من سيناء وعيسى الذي بعث في فلسطين ومحمد الذي ظهر في مكة حيث الجبال محيطة بها ، حتى لقبت في القديم بفاران لاحاطة الجبال بها .

وفي الأناجيل الحاضرة نصوص تبشر بالفار قليط وهو لفظ مقابله في العربية لفظ أحمد ، الذي بشر به عيسى عليه السلام ففي سورة الصف آية/٦ قوله تعالى : (**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**) ومن المتفق عليه عند البخاري ومسلم أن أحمد من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه لم يأت بعد عيسى من تسمى بأحمد وحمل النبوة غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه البشارات بخاتم النبيين منتشرة في القرن السادس الميلادي ، زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . بل ومسطورة في كتب السابقين . روى البخاري عن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو ابن العاص وكان قد وقع على حملي بعير من كتب أهل الكتاب . فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . ثم قرأ عليه : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا**

ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح » .

أما استمرار البشارة بخاتم النبيين عند النصارى فروى البيهقي عن ابن عباس أن الجارود بن عبدالله - كان نصرانيا - قدم على رسول الله فأسلم وقال : « والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول » يعني عيسى ابن مريم .

وقد تأثر الأحبار والرهبان بهذه البشارات فالتمسوا تفسيرها الصحيح فوجدوه في أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بما أنزل الله إليه من نور وحكمة ، فهذا عبدالله ابن سلام سيد قومه من اليهود ينضم إلى المسلمين ويؤمن بالنبي لما تبين له أنه الحق . وكذلك فعل زيد بن سعنة الصحابي الكريم وكان على دين اليهود . ومن بعدهما أسلم كعب الأحبار ووهب بن منبه . وقبل هؤلاء آمن نجاشي الحبشة حينما علم بدعوة رسول الله من جعفر بن أبي طالب في هجرة المسلمين إلى الحبشة .

ومن الجدير بالذكر أن العرب كانت تسمع أخبار النبي المنتظر من أهل الكتاب ، وكانوا يطمعون أن تتحقق النبوءة في أبنائهم فراحوا يسمونهم باسم محمد . ومن هؤلاء محمد بن سفيان جد الفرزدق ومحمد بن مسلمة الأنصاري وغيرهما ، أخرج البيهقي والطبراني أن رجلاً سأل محمد بن عدي بن ربيعة : كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا ؟ قال : أما إني سألت أبي عما سألتني عنه فقال : خرجت في نفر من قومي فلما وردنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فأشرف علينا راهب فقال : من أنتم ؟ قلنا : قوم من مضر . قال : أما إنه سوف يبعث فيكم نبي . فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فانه خاتم النبيين . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلما صرنا إلى أهلنا وولد لكل واحد منا ولد سماه محمدا .

وهكذا .. عاش الناس على أمل النجاة مما هم فيه من شقاء وضلال وفساد . وأراد هؤلاء النبوة لأبنائهم . لكن الله أرادها لصفوته من خلقه ، فصلوات الله وسلامه عليه .

لقد انفرد محمد صلى الله عليه وسلم من بين جيله ، بل الأجيال كلها ، بميزات جسمية وخلقية ، ليست في سائر الناس ، وإن كان هو من الناس . ولهذا لم يكن بدعا من الأمر أن يكون تكوين محمد صلى الله عليه وسلم مسترعيا للأنظار . فهو جميل في جسمه كما هو حسن في خلقه . ولا شك أن ذلك التناسق له أثر في الاستجابة لدعوته . روي أن أعرابيا رأى رسول الله ، فراعه منظره وحسن هيئته فسأله : من أنت ؟ فقال : محمد بن عبدالله . قال الرجل : أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم . قال الأعرابي : والله ليس هذا بوجه كذاب . فما الذي تدعو إليه ؟ فعرفه رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

لقد أكثر الواصفون وصفهم لرسول الله وإعجابهم بتكوينه ، وقام أصحابه يصفون دقائق جسمه ، أخرج الترمذي والبيهقي والطبراني عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ، وكان رجلا وصافا : فقال : « **كان رسول الله فخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، ليس بالطويل ولا بالقصير عظيم الهامة ، رجل الشعر ، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، معتدل الخلق ، بادنا متماسكا ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام** » .

كان منظر رسول الله يشد الأنظار إليه ، لأنه الجمال والكمال ، جمال الرجولة وكمال الانسان ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه . فكل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله . وها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية : فشعره أسود ، بل إن الذين عدوا شعرات شيبه ، لم يرقوا بها إلى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس خادم رسول الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

وفي جسم رسول الله كان خاتم النبوة ، وهو جزء من لحمه كان بين كتفيه ، ومن مجموع الروايات التي وصفته ، يظهر أنه كان ناتئا نتوءا واضحا غير أن حجمه كان صغيرا بحيث لا يظهر من وراء الثوب . أخرج مسلم عن جابر قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفي رسول الله مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده » وقد خلق الله هذا الخاتم اللحمي وصفا جسديا لذات الرسول ، كي لا يماري فيه من رآه . وكانت الكتب السماوية من قبل ذكرت أنه سيبعث نبي بين كتفيه خاتم النبوة .

وهكذا فان معرفة بشارات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم والاطلاع على صفات رسول الله لا يتركان مجالا للناس بأن يتساءلوا عن سر اختيار الله تعالى لمحمد بن عبدالله دون غيره .

وبعد هذا لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون الصديق أو دون عمر أو دون علي أو دون غيرهم وهم الأطهار الأبرار الشجعان ؟! لا يستطيع أحد أن يسأل ذلك لأن صفات محمد صلى الله عليه وسلم الخلقية والجسمية لم تكن في أحد من هؤلاء ولا في غيرهم . وصدق الله القائل : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام/ ١٢٤ والحمدلله رب العالمين .

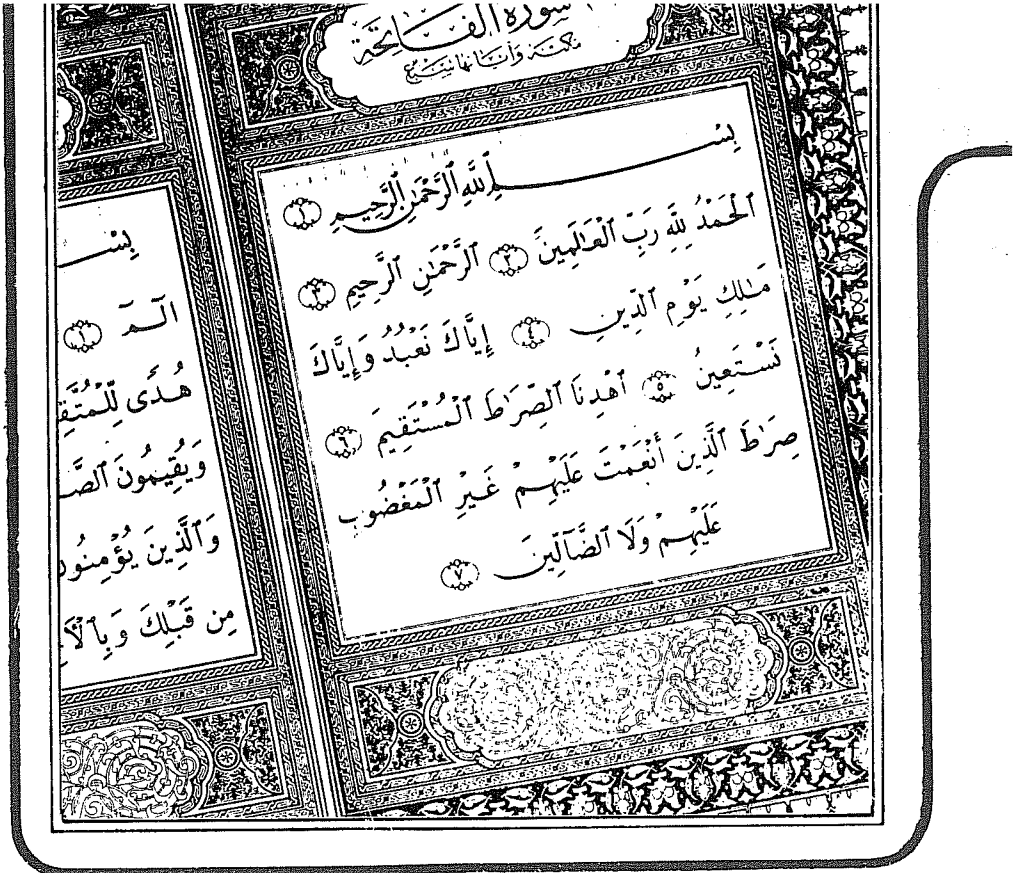
الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم

١ ـ معنى كلمة سورة :

القرآن ١١٤ سورة ، وفي كل سورة من سور القرآن روح يسري في آياتها ، ويسيطر على مبادئها ، وأحكامها ، وتوجيهاتها ، وأسلوبها .

قال الحافظ ابن كثير :

« واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة ؟ فقيل : من الابانة والارتفاع ، فكأن قارىء القرآن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وقيل : لشرفها وارتفاعها ، كسور البلدان ، وقيل : سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه ، مأخوذ من سؤر الاناء وهو البقية ، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها . وقيل : لتمامها وكمالها ، لأن العرب يسمون الناقة سورة ، قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والاحاطة لآياتها ، كما يسمى سور البلد ، لاحاطته بمنازله ودوره .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

وجمع السورة (سور) بفتح الواو ، وقد يجمع على (سورات) و (سوارات) .

٢ ـ أسماء السور :

السورة قطعة من القرآن وجزء منه ، وهي سور يحيط بالآيات التي تحتويها . ونلاحظ أن السورة تسمى بأغرب شيء فيها أو أهم شيء فيها :

١ ـ فسورة البقرة سميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة ، وذلك أنه قتل قتيل في بني إسرائيل ولم يعلم قاتله ، فذهب القوم الى موسى ـ عليه السلام ـ يطلبون منه بيان القاتل ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا القتيل بجزء منها فترد إليه الحياة ، ويقوم ويقول قتلني فلان ، ثم يعود ميتا ، قال تعالى : **(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)**

البقرة/ ٧٢ .

٢ ـ وسورة آل عمران اشتملت على قصة مريم ابنة عمران ، وقد حملت مريم بأمر الله ، وكانت ولادة عيسى أغرب ولادة في التاريخ ، حيث خلقه الله بقدرته من غير أب ، وخلق حواء من غير أم .

قال تعالى : (**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.الحق من ربك فلا تكن من الممترين**) آل عمران : ٥٩ و٦٠ .

٣ ـ وسورة النساء اشتملت على ذكر احكام النساء والوصية بهن ، وأوجبت لهن الميراث ، وكانت المرأة لا ترث في الجاهلية . وقد بينت المحرمات من النساء ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

٤ ـ وسورة المائدة اشتملت على قصة المائدة في الآيات ١١٢ ـ ١١٥ ، حيث طلب الحواريون من عيسى مائدة من السماء ، ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بصدق عيسى في دعوته .

(**قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين**) .المائدة / ١١٤ ، ١١٥ .

٥ ـ وسورة الأنعام تعرضت لذكر الأنعام وأنواعها الثمانية : وهي الشاة والخروف والتيس والماعز والثور والبقرة والجمل والناقة . وذلك في الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤ من السورة ، قال تعالى : (**ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين** ..) الانعام ١٤٢ ، ١٤٣ .

٦ ـ وسورة الأعراف تعرضت لذكر الأعراف ، وهو حاجز مرتفع بين الجنة والنار ، عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم . قال تعالى : (**وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**) الأعراف/ ٤٦ .

٧ ـ وسورة الأنفال تعرضت لذكر الانفال وهي الغنائم ، وكان المسلمون قد اختلفوا في طريقة توزيعها بعد غزوة بدر ، فبينت السورة أن النصر كان من عند الله ، وأن الواجب يقضي بتقوى الله وإصلاح ذات البين وجمع الشمل . قال تعالى :(**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول فاتقوا الله وأصلحوا**

ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) الانفال/١ .

٨ ـ وسورة التوبة ، ذكر فيها توبة الله على المؤمنين وعلى المتخلفين عن الغزو ، حين علم الله منهم صدق التوبة والندم الشديد . قال تعالى : **(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)** التوبة /١١٧ ، ١١٨ .

٩ ـ وسورة يونس تعرضت لذكر نبي الله يونس ، وقد أرسله الله إلى مائة الف أو يزيد ، فآمنوا به فنجاهم الله من العذاب ، ومتعهم في الدنيا إلى نهاية أجلهم . قال تعالى : **(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)** يونس/٩٨ .

١٠ ـ وسورة هود ذكرت رسالة هود إلى قومه في قوله تعالى : **(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون)** هود / ٥٠ ، ثم وضحت رسالات الرسل الى قومهم فذكرت رسالة صالح الى ثمود ، ورسالة شعيب الى أهل مدين ، ورسالة ابراهيم ولوط وموسى الى قومهم .

١١ ـ وسورة يوسف دارت كلها تقريبا حول قصة يوسف عليه السلام .

وهكذا نجد أن الاساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء ذكر فيها أو أغرب شيء تحدثت عنه .

واحيانا تطرق السورة عدة موضوعات وتختار واحدا من بينها ليكون عنوانا لها ، فسورة هود تناولت قصص كثير من الانبياء اولهم نوح ، ولكن نوحا ذكر في سورة مستقلة ، وثانيهم هود وبه سميت السورة ، ثم تحدثت عن صالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى عليهم السلام .

٣ ـ السورة وأسلوب القرآن :

كان الرجل اذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين ، وكان عليه الصلاة والسلام يخطب الجمعة بسورة ق ، حتى قالت النساء ما حفظنا سورة ق الا من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فالسورة لوحة هادفة ، ورسالة معبرة في كتاب الله الحكيم ، وقد ذكر العلماء وجوه إعجاز القرآن ، وبينوا أن من خصائص

الأسلوب القرآني ما يأتي :

١ ـ إرضاؤه العامة والخاصة .
٢ ـ إرضاؤه العقل والعاطفة .
٣ ـ مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .
٤ ـ جودة السبك وإحكام السرد .
٥ ـ براعته في تصريف القول .
٦ ـ جمع القرآن بين الاجمال والبيان .
٧ ـ القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .
٨ ـ عدم الاختلاف والتناقض بين معانيه .

٤ ـ وحدة النظم في القرآن الكريم :

من إعجاز القرآن اتساق عبارته وإحكام نظمه ، واتحاد طريقته في الابداع والقوة ، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين .

« ومرد ذلك الى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الالهي وتلمح جمال هذا التركيب في نظم الكلمة وتأليفها ، ثم في تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي إعجازه في التركيب ، وإن كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام ، ومناحي العبارة على جملة ما حصل به جهات الخطاب ، كالقصص والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحو مما يدور عليه » . إعجاز القرآن / للرافعي .

فأنت مادمت في القرآن حتى تخرج منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال ، وان اختلفت اجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف ، والوان التصوير واغراض الكلام ، كأنها تفضي اليك جملة واحدة .

وقد ذهب العلماء الى ان الفاظ القرآن متميزة من جنسها ، بحيث اذا وجدت تركيبا قرآنيا في نسق الكلام دل على نفسه ، وارشدت محاسنه اليه لما له من صفة الهية : (**انه لقول فصل . وما هو بالهزل**) الطارق : ١٣ ، ١٤ .

٥ ـ وحدة الفكرة :

من وجوه الاعجاز في القرآن أن معانيه تجري في مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى الفاظه ، ولا يعدم المفكر وجها صحيحا من القول في ربط كل كلمة بأختها ، وكل آية بضريبتها ، وكل سورة بما اليها ، وهو علم عجيب اكثر منه الامام فخر

الدين الرازي في تفسيره ، وقد قال ان اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

ويقال ان اول من اظهر هذا العلم الشيخ ابو بكر النيسابوري . وكان غزير المادة في الشريعة والادب ، وكان يقول في تفسيره لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ، وكان يزري على علماء بغداد لانهم لا يعلمون هذه المناسبات .

وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧هـ كتاب قيم عنوانه : « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ، قام بطبعه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في عدة اجزاء . وقد حقق الجزء الاول منه الاستاذ محمد على النجار . ويتميز هذا الكتاب بايراد الافكار والمبادىء والوصايا والاحكام التي تشتمل عليها كل سورة على حدة .

ومن عنوان الكتاب نلمح ان المؤلف قد حرص على جمع اللطائف التي اشتمل عليها القرآن الكريم . وهو يبدأ بسورة البقرة ثم بسورة آل عمران وهكذا ، ويذكر تحت كل سورة تعريفا بها ، والحكمة في تسميتها ، ويبين المعاني والافكار المشتملة عليها ، والايات المتشابهة فيها ، التي تكررت في سورة اخرى ، والسر في تميز الآية في سياق سورة عنها في سياق سورة أخرى .

وللامام برهان الدين ابن عمر البقاعي المتوفي في سنة ٨٨٥ هـ تفسير طبع حديثا بالهند اسمه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » ، وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ، وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه ، وفي مطلع القرن العشرين ظهر تفسير « المنار » للشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وعنى تفسير المنار ببيان الوحدة الموضوعية للسورة ، وبيان التناسب بين آياتها ، وبين ان الموضوع يجب ان يكون اساسا في فهم الايات التي نزلت فيه .

وكان السيد رشيد يتبع تفسير كل سورة بملخص لاهم موضوعاتها والاحكام التي وردت بها .

وكان استاذي المرحوم الدكتور « محمد عبد الله دراز » يفتح عيوننا اثناء الدراسة الجامعية على موضوع السورة وفكرتها العامة ، ويعرض موضوعاتها في سلك واحد كأنها حبات عقد مكتمل ، احكمته يد السميع العليم القائل في كتابه الكريم : (**كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**) هود /١ .

مقومات المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / السيد أحمد المخزنجي

أفكار عامة :

● حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية .

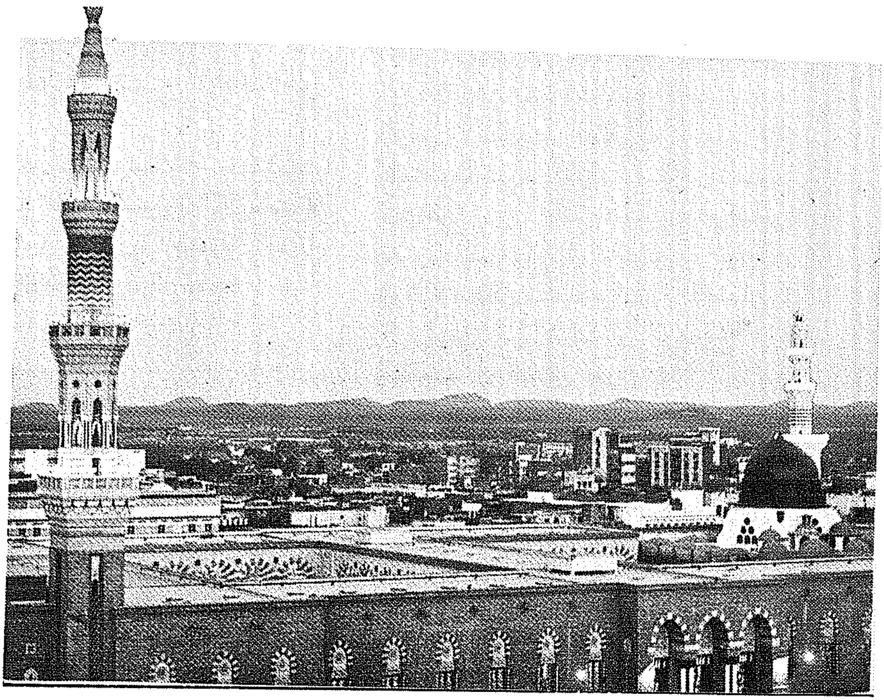
● أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد .

ـ تمهيد :

نود أن نشير ـ بادىء ذي بدء ـ الى الحالة التي كان عليها مجتمع « الجاهلية » قبل بعثة الرسول الكريم ، لنرى الى أي مدى أثرت « المقومات » أو الأسس التي جاء بها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بناء مجتمعه الاسلامي الجديد .

○ حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية :

كان المجتمع قبل بعثة الرسول الكريم أشبه ما يكون بالغابة الواسعة المظلمة يتيه فيها « القوم » قويهم يأكل ضعيفهم ، لا يعرفون طريقا يهديهم الى الخروج من تلك الغابة ولا يستأنسون بمرشد يرشدهم الى طريق الصواب ، فالقدرات البشرية معطلة أو ضائعة لم ينتفع بها ، ولم توجه التوجيه الصحيح السليم ، فكانت وبالا على أصحابها وعلى الانسانية جمعاء .



فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية وأضحى الجـود تبذيـرا واسرافـا والذكاء خفـة وخداعـا ، والعقل - كـان - وسيلـة للتفنن في ابتكـار الجنايات وارضاء النزوات الحيوانية على السواء .

وبالجملة لم تكن هناك ثمة فضائل تذكر او تعد ، فصار الخير شرا وتبدل ظلاما وعتمة عمت القلوب وطمست الابصار عن جادة الطريق .

وازاء تلك الصورة القاتمة لهذا المجتمـع الجاهـلي الذي عـاصـره الرسول الكريم ، كان لزاما عليه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يضع من الأسس أو يوجد من المقومات ما يقضي به على حال هذا المجتمع الفاسد والمظلم ، ويمحو به تلـك الصورة القبيحـة المظهـر لينشىء بفضلهـا مجتمعه الاسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، وليحدد من خلالها صورته الجديدة التي ترتكز في بنائها على فلسفة واضحة المعالم والأهداف تلك الفلسفـة التي تنقل هـذا المجتمع الجاهلي من حاله البائس المزري الى حـال يشعر فيـه « الفـرد » - من جديد - بكيانه وكـرامته وقيمتـه ، ويدرك حقيقة وجـوده على الأرض فيتولد من هذا الشعور الجديد أفراد عـديدون ، يكـونون في مجمـوعهم المجتمع الاسلامي ؛ الذي يرمي الى

تأسيسه الرسول الكريم من وراء تلك الأسس أو المقومات .

أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد :

ومن أهم تلك الأسس « المقومات » التي وضعها رسول البشرية لهذا المجتمع الاسلامي الجديد ، ما يلي : -

اولا : الايمان بوحدانية الله :

وفحوى هذه القاعدة الأولى ، من مقومات البناء ، أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم المشتتة في عبادة الأوثان وان تتفق أفهامهم - في يقين لا لبس فيه - على الايمان بحقيقة « الاله الواحد » الأعظم ، الذي له من الصفات والمكنات ما لا يتساوى به « غيره » من تلك الآلهة التي تعبد من دونه ، وبها يشرك به ، وما لا يتطاول اليه عقل ويستحيل تصوره فهو سبحانه ، كائن بذاته ، متفرد بعظمته ، مهيمن بجبروته على هذا الوجود ، أو كما يقول الشاعر .

كثرة لا تتناهى عددا قد طوتها وحدة الواحد طي
كل شيء فيه معنى كل شيء فتفطن واصرف الذهن الي

وكان من نتائج ترسيخ الرسول الكريم لتلك العقيدة التوحيدية في قلوب وعقول افراد هذا المجتمع ، أن اجتمع اهتمام الانسان وتوحدت قبلته وتجمعت أشواقه وانتظمت مشاعره ، وتحددت أفكاره وأهدافه ، وذلك هو الآثر البنائي للتوحيد وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الذي أسسه الرسول الكريم ، فنقل به - صلى الله عليه وسلم - أفراد هذا المجتمع الجاهلي من عالم همجي غوغائي تسوده الدهماء إلى عالم جديد تبلورت في ظله معالم شخصية هذا الانسان .

وليس من شك أن ترسيخ هذه العقيدة في أذهان أفراد هذا المجتمع وايمانهم المطلق بها وقناعتهم بحقيقتها كان الركن الركين الذي تأسس عليه صرح المجتمع الاسلامي الجديد - مجتمع الرسول - هذا عن المقوم الاول . من مقومات البناء .

ثانيا : التضامن الجديد للامة الاسلامية - صوره :

أما عن هذا الأساس الثاني ، فقد أقامه الرسول الكريم ، على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود ، واخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد ، ولقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا في مظهر الاخاء الكامل الذي كان له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية وازالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعا . والذي محيت فيه كل صفات الفردية والأنانية وحب الذات ولقد كانت القاعدة التي وضعها النبي الكريم أساسا قام عليه هذا التضامن

الجديد ، هي ، قوله ، صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ، وقوله الشريف : « المؤمنون تتكافأ « أي تتساوى » دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » رواه احمد وأبو داود .

ولقد كان من أثر ذلك على المجتمع الاسلامي الجديد ، مجتمع الرسول أن الفرد فيه ، كان يسير بروح الجماعة ويتغيا في منتواه مصلحتها ويسعى لتحقيق هدفها النبيل ويطمح إلى الاسهام بدور إيجابي في تحقيق هدفها المنشود . بل لا بد وان تتطابق رغباته وطموحاته مع طموحات وآمال أفراد تلك « الجماعة الاسلامية » .

هذا عن المعنى العام للتضامن . لكنه ، في واقع الأمر ، توجد عدة صور توضح لنا معنى هذا التضامن الجديد للمجتمع الاسلامي بمفهومه الواسع ، نذكر من اهم تلك الصور ، ثلاثة هي : -

أ) التكافل الاجتماعي .

ب - الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها .

جـ - الشورى بين افراد المجتمع الاسلامي .

الصورة الأولى : « التكافل الاجتماعي » - معناه - صوره :

والتكافل الاجتماعي ، معناه ، شعور الفرد المسلم بتحمل التبعات والمشاركة في الأزمات ازاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد تربطه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف .

فعلى جميع القوى الانسانية في ظل هذا المجتمع الاسلامي - الا تدخر جهداً أو ان تتوانى في سبيل المحافظة على مصالح الآحاد ، أو ان تقعد عن حل مشكلاتهم ، وهذا هو الاساس البنائي الذي اقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمعه الاسلامي الكبير .

على ان الرسول الكريم ، وضع - في هذا المقام - جملة من الأقوال والتوجيهات تأسس عليها مبدأ التكافل الاجتماعي هذا ، نذكر من بينها . قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيما أهل عرصة « الحي والمكان » أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » رواه احمد ، وفي حديث آخر : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ، وفي حديث ثالث ، عن ابن عباس : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » متفق عليه .

وهكذا تأسس هذا المجتمع الاسلامي الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعي ، فالأفراد كلهم جسد واحد وروح واحدة في الاحساس

بالألم والشعور بالمشاركة فيه ، وليس من شك ان في هذا الاتحاد الجامع المتضامن ما يعكس صورة رائعة أوضحت الشكل الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، فالمؤمن يجب ان يشد من أزر أخيه وأن يقف بجانبه يشاطره المحن ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن ويرفع عن كاهله الأحمال الثقال بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلا .

وهذا ما دفع « ابن حزم » ومن وافقه من فقهاء الاسلام الى القول بتحميل سكان بلد المسؤولية الجنائية في موت فرد من أفراد هذا البلد جوعا . هذا عن الصورة الاولى .

الصورة الثانية : الآداب الاخلاقية والسلوكية وضوابطها :

وعلى هذا الاساس من التعاون والتكافل بين أفراد هذا المجتمع الاسلامي الجديد وضع الرسول الكريم ، أسس الآداب الأخلاقية والسلوكية لضبط سير الأفراد ، فيه ، سيراً هادئاً مهذباً ومنظماً .

ففي مجال « آداب السلوك الأخلاقي والاجتماعي » . شرع الاستئذان عند اتيان البيوت وفي داخلها .

ووضح الرسول الكريم هذا اللون الجميل من الأدب الأخلاقي في سننه القولية والفعلية .

فعن عبد الله بن مسرة قال ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم » رواه أبو داود .

وفي الصحيحين ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « لو أن أمرأ اطلع عليك بغير اذنك فحذفته « أي رميته » بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح » .

وعن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ـ أألج ؟ « أي أأدخل ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لخادمه ، أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له ـ قل السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعها الرجل فقال ـ السلام عليكم ، أأدخل فأذن له النبي ـ صلى الله عليه وسلم فدخل » رواه البخاري .

وبالمقابل وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية وشددت تشديداً يتناسب مع صيانة حياة كل فرد وماله وحرماته ، وقام على تطبيقها زعيم الأمة وقائدها المظفر ، عليه الصلاة والسلام .

فشرع القصاص في القتل والجروح حماية لافراد المجتمع وصيانة لارواحهم : **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)** البقرة/ ١٧٩ ، :(**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)** المائدة/ ٤٥ .

« ولذلك أيضا شددت عقوبة الزاني والزانية لما فيها من اعتداء على

العرض وعبث بالحرمة ونشر للفاحشة في المجتمع لما ينشأ عنها من تدليس في الأنساب ... شددت هذه العقوبة فجعلت القتل رجما للمحصن والمحصنة والجلد مائة جلدة لغير المحصن والمحصنة ، وجعلت عقوبة القذف في أعراض المؤمنات ثمانين جلدة وتفسيقا للقاذف بعدم قبول شهادته .. كما شددت عقوبة السرقة فجعلت قطع اليد . ثم قطع الاخرى عند العودة لما في السرقة من اعتداء على ملك الآخرين واعتداء على حق الناس في الأمن » .

الصورة الثالثة : «الشورى بين أفراد المجتمع الاسلامي » :

واذا كان المجتمع الاسلامي الجديد جسداً واحداً ـ كما قلنا من قبل ـ فمن الطبيعي ان تترابط فيه المصالح وتتوحد الأهداف وتتشابك العلاقات الانسانية والاجتماعية ، غاية القول ، أن هذا المجتمع « الكل » تجد فيه امور واحداث وتطرح على ساحاته ثمة مشاكل ، وتطفو على سطحه ـ في حالات الشدة والعسرة ـ بعض المصاعب الى آخر ذلك مما يتطلب له الحلول والعلاجات على أن تكون تلك الحلول نابغة من ضمير الجماعة الاسلامية ، وممثلة لفكرها الموحد ومعبرة عن روحها وارادتها الواعية .

وهذا هو ما أرساه الرسول الكريم ، في مبدأ الشورى ، ذلك المبدأ الذي يتبلور في اطاره الحل الامثل والعلاج الانجح لأم المشاكل صغيرها وكبيرها .

وغني عن القول أن يوصف ـ مبدأ الشورى ـ بأنه أعظم المبادىء دستورية و « ديمقراطية » ، تأكدت في ظله حقوق الانسان ، وكشف للعالم المتمدين عن أروع نظام سياسي ، عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الاسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الاسلام العالمية .

وفي هذا المبدأ بين الرسول الكريم ، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين فوضع اساسا قيما لمسؤولية رجال الحكم أمام الأئمة فقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم » رواه مسلم واحمد عن أبي هريرة ، وقال ايضا : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشكوا أن يعمهم الله بعقاب منه » رواه أبو داود والترمذي .

وكذلك وضع الرسول الكريم ، نظاما للمسؤولية وكيف يؤدي رجال الشورى واجب النصح وتقديم ما يمكن أن يطرأ على غيره الى آخر ذلك وترك تفصيله لمراعاة مقتضيات الأحوال والظروف .

كما وضع ـ صلى الله عليه وسلم ـ (للبيعة) التي تنعقد لشخص يصبح خليفة ، أو حاكما ، أو رئيسا للدولة

الاسلامية شروطاً مما لا بد منها لكي تحقق الغرض منها فليست الامارة في مجتمع الاسلام مغنماً يرجى نهمه، أو مطعماً يرجى حوزته في جلابيب القوم والرجال، وإنما هي مسؤولية و « أمانة » تأتي يوم القيامة خزيا وندامة إلا من أخذها وأدى الذي عليه فيها.

وهذه المسؤولية من نتائج الشورى إذ لولا أن للامة حق الرقابة على الحاكم ما أمر أن يستشيرها في كل أموره.

ولقد كان الرسول الكريم في تطبيقه لمبدأ الشورى قولا وعملا، خير مترجم أمين لآيات الذكر الحكيم: (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى/٣٨، وقوله تعالى: (**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران/١٥٩.

تلك كانت الصورة الأخيرة من صور التضامن الجديد لمجتمع الرسول الكريم، لكنه بقي لنا أساس ثالث من مقومات هذا المجتمع الجديد، وهو حسن المعاملة بين أهل الذمة سواء كانوا في دار الحرب أو دار الاسلام، وهذا ما سنعرض له بايجاز واجمال، مراعاة لظروف الحال ومقتضيات المقال والمقام.

ثالثا: حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة:

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي الجديد لم يكن مجتمعاً إسلامياً صرفاً - بمعنى أنه لم يكن مقصوراً على المسلمين فحسب وإنما كان يحوى، إما بداخله أو بجواره - أفراداً آخرين لا يؤمنون بالنبي الكريم ولا يعترفون برسالته، وان كانوا يعلمون ما فيها من الخير والصلاح هؤلاء هم الذين يعرفون « بأهل الذمة » أو أهل الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم، قد « فلسف » معاملته وحدد علاقاته مع « أهل الذمة » هؤلاء، في صور ثلاث: بيعته، معاهداته، سفراؤه، صلى الله عليه وسلم.

وكان من دلالات البيعة أن النبي الكريم، كان يقيم في « أولاها » أساس دولة الاسلام أول ما أنشئت فقد كانوا يتعاهدون على ميثاقها الأول إذ صار لها أرض وشعب وحكم ونظام.

ونحن نؤيد أحد الباحثين، حيث يقول، في ذلك الصدد « وإنني أظن أن مواد هاتين البيعتين تستجمع العناصر الأولى لتكوين المجتمع والتي بدونها لا مجتمع ولا نظام وإنها تؤلف الخلية الاجتماعية على وجهها الصحيح بأن تنشيء جماعة مطمئنة تقيم النظام في هذه الجماعة.

وهذا مثل آخر نذكره لنؤكد به مدى سمو العلاقة ومبلغ التسامح الذي أسس عليه الرسول الكريم تعامله مع أهل الذمة في دار الاسلام او في دار

الحرب ، حيث اكتفى بقبول « الجزية » منهم التزاما بأمر الله ومقابلا لتوفير الرعاية لهم والأمن في داخل هذا المجتمع الاسلامي فالمؤرخ « توماس ارنولد » يذكر : انه لم تحدث محاولة واحدة لارغام أي ذمي على اعتناق الاسلام ، فيقول صراحة :

« لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلين على قبول الاسلام ، أو عن اي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي » .

وأما (لو ثرب ستو دارد) فيقول هو الاخر في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، « ما كان العرب قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك ، امة موهوبة عظيمة الاخلاق والسجايا ، تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب .. وقد سارت الممالك الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى من تاريخها (٦٥٠ - ١٠٠٠ م) أحسن سير ، فكانت اكثر أصقاع العالم حضارة ورقيا وتقدما وعمرانا ، وما انفك الشرق الاسلامي خلال هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصراني نورا » .

واما فيما يتعلق بمعاهداته - صلى الله عليه وسلم - بين أهل الذمة فيكفي ان نشير الى بعض ما جاء في نصوص احدى معاهداته معهم حيث جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش « يثرب » ومن تبعهم فلحق بهم .. المهاجرون من قريش على ربعتهم « حالتهم التي أتى الاسلام وهم عليها » يتعاقلون بينهم « اي يدفع كل منهم عن الآخر الدية » وهم يفدون عانيهم « الاسير » منهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. وان المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالدين والانفاق بينهم ان يغطوه (يدفعوه) بالمعروف في فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولي مؤمن دونه .. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. الخ .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص تلك المعاهدة ، ولعلنا تبينا الأسلوب الأمثل الذي سلكه الرسول الكريم في تطبيع علاقاته ومعاملاته والسياسة الحكيمة التي رسمها ، صلى الله عليه وسلم ، بين مجتمعه الاسلامي الجديد وبين أهل الذمة هؤلاء .

ونعتقد - ونحن في ختام (مقالنا) هذا - ان الرسول الكريم في خطبته « حجة الوداع » قد بلور الأسس والمقومات بلورة كاملة تأسس عليها بناء المجتمع الاسلامي الجديد في عهده ، ومن بعده ، صلى الله عليه وسلم ونقتطف منها ما يكفي لبيان الدلالة وصدق العبارة على هذا القول ، وبها يكون مسك الختام والفراغ من المقال .

قال الرسول الكريم بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، في تلك الخطبة الجامعة ما نصه : « أيها الناس ! ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا ، الاهل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع « ساقط ومحرم » ، وان اول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة غير السدانة « خدمة الكعبة » والسقاية « سقاية الحجاج » والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية » .

« ... ايها الناس ! فان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ؛ ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن « تضيقوا عليهن » وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان « اسيرات » الا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مسلم مال إلا عن طيب نفس ... الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله ، الا هل بلغت اللهم اشهد .

« يا أيها الناس ، ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد قالوا : نعم ، قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز وصية لوارث في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر « اي هذا مقضى به رغم انفها او لعله يشير الى رجمها » ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف « توبة » ولا عدل « فدية » .

* * *

وهكذا على هذا النحو من الأسوة الحسنة والموعظة البليغة والحجة البالغة ارسى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقومات التي بني عليها مجتمعه الاسلامي الجديد الذي كان نواة لدولة اسلامية كبرى ، حكمت وسادت وعزت وسمت بعز وسمو قادتها واتقيائها .

فنعم الاساس وما اعظم البناء ، وصلاة وسلاما على من وضع اللبنات فكانت عمداً ومقومات صلبة ارتكز عليها مجتمعه الاسلامي في كل بقعة من الارض وفي كل عصر من الاعصار .

« وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين »

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

للدكتور
محمد
عبد المنعم
القيعي

يذكر المسلمون نبيهم في كل صلاة ، ويطلبون اسرار الذكرى كلما طلع عليهم هلال ربيع ، ليعرفوا مغزاها ويفقهوا معناها . معنى النبوة والنبي والرسالة والرسول . وبعد استقرائهم لبعض تراثه ـ يخرجون بأن حقيقة النبوة قوة من الوجود في انسان مختار ، جاءت لتصلح الانسانية به ، وتقر في هذه الحيوانية المهذبة مثلها الأعلى بدلالتها على طريقها النفسي مع

طـريقهـا الطبيعي ، فيكـون مـع الانحطاط ـ الرقي ، ومع النقص ـ الكمال ، ومع حكم الغريزة ـ التحكم فيها ، ومع الظلمة المادية ـ الاشراق الروحي .. حقا انها قوة مؤثرة في كل جوانب الحياة ، خلصت الانسان من العبودية لكل شيء الى السيادة على كل شيء ... ثم وضعت عبودية الانسان في موضعها الصحيح ، واصبح لا يرى عبودية الا لله محييه ومميته .

ولقد خاض الفلاسفة منذ اقدم العصور في معناها . ونسبها بعضهم الى الاكتسـاب والتحصيـل ودارت بحوثهم في نظريـات عقيمة ـ أهي واجبة او مستحيلة ؟ او هي ممكنة ؟ الى غير ذلك من خبط عشواء لا معنى له ..

أما الاسلام فقد وضع اللفظ في معناه ، يحمل من الأوصاف ما تلزم المتصف بها . فالنبي فعيل بمعنى فـاعـل ـ وهـذا يستـدعي تبليغـه وفطانته ، وبمعنى مفعـول ـ وهذا يستدعى صدقه وأمانته ..

والنبوة صفة حقيقية قائمة بذات النبي لا تفارقه في يقظة أو نوم ، فتجعله معجما نفسيا ألفته الحكمة الالهية بعلم من علمها وقـوة من قوتها ، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعا جديدا ، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله . يخاطب الناس بكلمات ألفاظها ألفاظهم . بيد أنها في جاذبيتها نبض قلب يتكلم ، وفي سموها واجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم . ان خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح . وان راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح في منزع يلين ويشتد فيروى بالدماء كلام الأرض بعد السماء ، كأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه .

أما الرسالة والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فهي حبل الوصال بين الله وخلقه ، وهي نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تدول ، وحاملها محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وخاتم النبيين . ما كان بـدعا من الرسل ، وانما هو الرحمة المهداة ، من به الله على عباده فقال :

(**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيـاته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) آل عمران/ ١٦٤ .

ولروعة ما في هذا النص من أسرار سجلها الواقع بمداد من أضـواء النجوم ، التي سكبها الخلود كل ليلة على صفحات التاريخ ، التي لا يقوى على جحد ما فيها مكابر او معاند ..

في الجاهلية كان العالم الانساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية ترهق الجسد . وكانت الطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبـدع وانبعاث الـربيع . وكـانت الخليقة الحائرة ترسل النظر الحائر في الآفاق الغائمة تر تقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله . وكانت الهواتف

الطائفة تعلن في رؤوس الجبال وسفوح الأودية ومدارج السبل وثوابيط المعابد وأواوين القصور - بشرى الرسالة الأخيرة . ثم كانت ومضات من روح القدس وأشعة الخلد ، تتعقد هالات مشرقات على شعب بني هاشم ...

ثم انبثق روحه القدسي في مجاهل البدو ومعالم الحضر كما يبتسم الأمل في قطوب اليأس وتومض المنارة في ظلام المحيط ..

وعند ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، كأنما هتف من الغيب هاتف يقول : انما العبادة لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحكومة لأتباع شريعته ، والدنيا للجميع ..

ودار الفلك دوراته حتى بلغ الرجل أشده ، وبلغ أربعين سنة ، اصطفاه الله واجتباه : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**) الحج/ ٧٥ .

ونودي صلى الله عليه وسلم :

(**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) المائدة/ ٦٧ .

وبين رهط له نقائضه الدنيوية يقف محمد قدوة في المناقب التي يتمناها المخلصون لكل انسان . وما أحوج العالم الى مصلحين ، ولكن ما أجرأ الجهلاء على العظماء وهم في حاجة الى هدايتهم . وأي معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف !!..

ومحمد عظيم في الدين والعقل والشعور . والعظمة قيمة في النفس قبل ان تبرزها الاعمال ، وملكات النفوس مزية غير قابلة للمسخ .

جاء صلوات الله وسلامه عليه بعقيدة تملأ فراغ النفس في داخلها ، ثم بنظام ينشر عليها الأمان بين بني جنسها : قالت حوادث الدنيا : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة . وقالت : حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . توافرت لديه خصائص الداعية ، فكانت له فصاحة اللسان واللغة ، والقدرة على العمل ، وقوة الايمان ، والغيرة على الدين . نجح في دعوته لا بالاغراء ولا بالوعيد .

فبالنسبة لدافع الاقوياء - ما وجدوه فيه من رحمة وانابة واعتذار .. وبالنسبة لدافع الضعفاء - ما وجدوه عنده من الانصاف .. أحاط به نفر ممن هداهم الله للايمان ، تعددت امزجتهم وتنوعت رغباتهم . فوسعهم بحلمه ولين جانبه :

(**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران/ ١٥٩ .

وفاوضه أصحاب المصالح الشخصية وعرضوا عليه ما عساه أن يثنيه عن الدعوة في زعمهم ، فأطرق

اطراقة وقف إزاءها تاريخ الوجود كله برهة مبهوتا لا يدري بعدها ما اتجاهه ـ في الكلمة التي تفتر عنها شفتاه ، حكم على العالم أيظل في الضلال يمد له فيه ، فتطغى المجوسية على النصرانية ، وترفع الوثنية بباطلها رأسها الخرف الآفن . أو هو يضيء أمامه أنوار الحقيقة ويعلن فيه كلمة التوحيد ؟

لقد قال قولته المشهورة : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ـ سيرة ابن هشام .

لم يحتكم الى السيف الا في أمور تتفق الانسانية على أنها لا تفض الا به ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فقاد اصحابه بقيادة تدور على الفكر لا على الظواهر والأحجام . وأنزلهم ببصيرة تعرف أن الحرب خدعة . فاعتمد على ربه ، ثم على حسن اختيار الموقع . وبادر بالمفاجأة فضرب القوى العسكرية والموارد الاقتصادية ، معبئا كل القوى مستشيرا اصحابه ، فيرسل المخابرات ، ويتصدى للاشاعات ، فيخرج من المعركة بما قسم له الله فيها من نصر يشكر ربه عليه ، أو اخفاق يبصر فيه اصحابه بمواطن النقص عندهم . ثم يعلمهم كيف يواجهون الحياة سياسيا واداريا . ولهم فيه أسوة حسنة ... توخى في اقامة الحجة لامضاء عزيمته ، وفرق بين خصومه يوم الأحزاب ؛ ويوم ان فتح مكة ، وقبل العهد الذي خفي على أخص عطرته يوم الحديبية .

ولا شك ان العمل الاداري في بيئة هي في اول الطريق من أشق الاعمال وأصعبها . والسليقة النفسية المطبوعة على الادارة النافعة هي التي تعرف التبعة والنظام والاختصاص في العمل . فولى الامراء ، وقاد الأمة بنظام . وفوق النظام سلطان . وفوق السلطان برهان من العقل والشرع . فهو مدير حين تكون الادارة تدبيرا للأمور ، ومدير حين تكون الادارة تدبيرا للشعور .

وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدي على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة :

« أتى برجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من فيه ، فقال النبي : اضربوه ، قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » ... البخاري كتاب الحدود ..

وقد كان يراعي مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد لكل تغيير امر لا بد منه ، وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل أضرار وعواقب ينبغي للمصلح ان يتحاشاها ، قال لعائشة :

« لولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية ، فأخاف ان تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق

في المغرب

للدكتور/
حسن فتح الباب

واقعة حصن « تل ابران » :

يتبين عدم التكافؤ في العدة والعديد بين عبد الكريم الخطابي وبين العدو اذا علمنا ان اسبانيا قد اعدت جيشا يبلغ تعداده خمسمائة جندي في صيف سنة ١٩٢١ ميلادية بقيادة الجنرال سلفستري لاقتحام منطقة الريف الاسباني التي حررها الثوار المسلمون وعلى رأسهم الخطابي الذي كان يتخذ « اجادير » مقرا لقيادته - وكان الجنرال الاسباني - في صلف المستعمر الغاشم - يأمل ان يحتسي الشاي في اجادير في الوقت الذي كان جنوده يرتجفون في حرارة الصيف ذعرا وهلعا من بأس المسلمين البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرين مجاهدا وحاول القائد المتغطرس ان يتحصن باحدى النقاط الاستراتيجية المسماة « بتل ابران » ومكن جنوده من « التمركز » بها .

واستنفر الخطابي جنوده محرضا لهم على قتال العدو متخذا اسلوب حرب الاقتناص (حرب العصابات) بالنظر الى قلتهم وكثافة الجيش الاسباني . فعمد في الليلة الاولى من شهر يوليو الى رسم خطة الهجوم على الحصن ، مقسما قواته ثلاث وحدات : الاولى عهد اليها تسلق الجبل من جميع نواحيه ، على حين تصوب المجموعة الثانية اسلحتها (البنادق) نحو سور الحصن لتغطية زحف المجموعة الاولى . وما ان تبلغ نقطة متفقا عليها حتى تبدأ المجموعة الثالثة بالتسلق بدورها في حين تغطيها الاولى ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القوة كلها موقع الحصن . وذلك هو عنصر المباغتة الذي يدل على التخطيط الحربي السليم عندما تكون القلة في مواجهة الكثرة .

ولقد نجحت الخطة أيما نجاح بفضل احكامها ودقة تنفيذها ، فما ان بزغت الشعاعات الاولى للفجر حتى احتدم القتال داخل الحصن ، وكان مجزرة رهيبة بالنسبة للغزاة ، حيث سقط صريعا كل من كان محتميا بالقلعة الاستراتيجية التي ظنوا انها تنجيهم من الخطابي ورجاله بل تمكنهم منهم . خمسمائة عسكري معتد اصبحوا اشلاء متناثرة . اما

المجاهدون فلم يستشهد منهم غير اربعة ، وكان مجموع الغنائم التي حصلوا عليها خمسمائة بندقية واربعة مدافع رشاشة ومدفعي هاون . وصدق الحق تعالى : (**يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين**) الانفال / ٦٥ و ٦٦

وفي الصباح بهت الذي كفر ، ذلك انه لما بلغ النبأ الجنرال سلفستري اصيب بالرعب على حين استبشر المجاهدون واهلوهم بما آتاهم الله من نصر مبين . وعلى سنة القائد الاعظم رسول الله حين كان يأمر اصحابه بالتأهب للغزو بعد رجوعهم منصورين من احدى الوقائع حتى لا يشغلوا باقتسام الغنائم او تدب في نفوسهم روح الوهن التي تنجم عن استمراء الراحة والدعة ، طفق عبد الكريم الخطابي يشحذهم جنوده حتى لا تنسيهم نشوة النصر الاستعداد تلو الاستعداد للانقضاض على المعتدي وكسر شوكته حيث ان هزيمته الفادحة لن تثنيه عن معاودة الكرة من مرابضه القريبة من الحمى المحرر .

معركة أنوال :

وهكذا خاض المجاهدون معارك متصلة بلغ عددها خمسا خلال شهر واحد ، واستخدم فيها الخطابي « تكتيكا » عسكريا جديدا . فكان يحفر الانفاق تحت الحصون ويحشوها بالمتفجرات ، فما ان تنفجر الارض تحت الحصن حتى يفر الاسبان الى الخارج في هلع واضطراب ، فيحصدهم المجاهدون بنيرانهم . وبهذا الاسلوب الفذ في ميدان الخطط العسكرية استطاع الخطابي ان يقضي على معظم المراكز التي اقامها الاسبان .

ولكن العدو الغاصب لم ييأس ، بل زادته مرارة الهزائم المتتابعة حقدا وعنادا . فرمى بكل ثقله في الحرب ، وكانت معركة انوال التي نشبت في يوم ذكرى معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي وصحبه من المهاجرين والانصار على مشركي مكة الباغين . وهنا ايضا لم يكن ثمة تكافؤ بين الفريقين ، ففي مقابل اربعة عشر الفا من الجنود الاسبان المعتدين المزودين بأحدث الاسلحة كان هنالك ستمائة مجاهد مسلحون بالعتاد الذي غنموه من العدو ، ينتظرون في خنادقهم هجوم جيشه وطلب الجنرال سلفستري من دولته النجدة حين ادرك تصميم الخطابي على الثبات في الحرب حتى النصر او الاستشهاد ، وفكر في الانسحاب في الوقت الذي كان الخطابي يرسم خطة الحرب ويوزع جنوده على مسالك الطرقات ليفاجيء العدو . واذ هم الطاغية بالارتداد على عقبيه قبل الشروق ، باغته المجاهدون

بالرصاص فهوى مضرجا بدمائه .

مزيد من الانتصارات :

تولى الجنرال نافارو قيادة الغزاة بعد مصرع سلفستري وباء بخزى الهزيمة مثل سلفه ، اذ فقد في معركة حصن « جبل اعروي » ٢٦٠٠ قتيل . وفي اليوم التالي من شهر اغسطس لم يبق مع الجنرال نافارو الذي سلم نفسه كأسير حرب للخطابي الا اربعمائة جندي من خمسة وعشرين الفا وغنم المجاهدون عشرين الفا من البنادق ، واربعمائة رشاش و١٢٩ مدفع ، وبلغ عدد الاسرى الاسبان الفا ومائة . ولم يخسر المجاهدون في هذه الملحمة اكثر من بضع عشرات من القتلى والجرحى .

وهكذا اسدل الستار على تلك المعركة البطولية بالنسبة للمجاهدين ، ودخلت التاريخ كأول معركة في القرن العشرين ، ينهزم فيها جيش اوروبي هزيمة منكرة على يد بضع مئات من الرجال . وقد اذهل هذا النبأ العالم الغربي المستعمر ، فحرك لديه عقدة الصليب مع الهلال وندب المارشال « اليوطي » فباء بدوره بالفشل الذريع ، واعقبه المارشال « بيتان » ذي الصيت المعروف في الحرب العالمية الاولى .

الجهاد الاكبر :

نجح عبد الكريم المغربي بطل الريف المغربي في الجهاد الاكبر بعد انتصاره في معارك الجهاد الاصغر فانشا حكما عادلا في تلك المنطقة استمر من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦ وكان يتطلع الى نشر العلم وتوطيد الحرية للشعب المغربي والعيش الكريم بين الامم ، الأمر الذي اثار حفيظة اعدائه من المستعمرين واتباعهم فنعتوه بالرجل الديني المتعصب الشرس . ولقد التف حوله الشعب وبايعه على الطاعة ثقة في اهدافه النبيلة ، وهي بناء دولة تستمد قوتها من جيش منبثق من ابناء الشعب ، وبناء اقتصاد محكم ، واقامة عدالة مبنية على الشورى والاقتناع كما شرعهما الاسلام .

وبذل الخطابي اقصى الجهد ، وهو في دوامة الاحداث الحربية فعمل على استتباب الامن بين القبائل ، وجمع شملهم على كلمة واحدة هي مقاتلة العدو الدخيل ، فأعاد روح الجماعة . كما أنشأ التعاونيات الزراعية ، ونظم التجارة بين المواطنين ، وأنشأ مدارس للتعليم ومد خطوط الهاتف وشق الطرقات ، وغير ذلك من الاعمال التي تعود على الناس بالخير . اما في الجانب العسكري فقد بدأ ينشىء جيشا عصريا لكي يضطلع بالمهام الوطنية والشعبية ، فالبندقية في يد والمعول في اليد الاخرى . وما كان لينسيه كل ذلك الجهد التزاماته اليومية التي كانت تحظى منه بالرعاية القصوى ، بل كانت بالنسبة اليه

كالروح في الجسد ، وهي الاجتماع مع كل الطبقات الاجتماعية والانصات اليها والاصغاء الى شكاواها مباشرة . وما غره يوما زهو الانتصارات التي احرزها ، وما رضي ان يلقب نفسه او يخلع عليه الناس الالقاب والنعوت التي تخلب ألباب اصحاب السلطة ، وقضى على الشعوذة والتمائم .

مؤامرات العدو وصنائعه :

لم يغفل اعداء الرجل من المستعمرين والتابعين لهم يوما واحدا عن التآمر عليه واستمالة ذوي النفوس الضعيفة والخسيسة والجهلاء الادعياء الذين كانوا يرتزقون من اعمال السحر والكهانة . فانضم هؤلاء الى اللفيف الاجنبي المعروف بوحشيته في التنكيل باحرار المغرب العربي خاصة والقارة الافريقية عامة . وبذلك حقق سدنة الاستعمار هدفهم الدنيء وهو محاربة المغاربة بعضهم لبعض بعد ان فرقوهم ليسودوا . وحشدت فرنسا ـ من جهة اخرى ـ على حدود الريف بطول الخطوط الشمالية للمغرب مائتي الف جندي بقيادة مارشالين ، واربعين جنرالا ، مقابل خمسة الاف مجاهد في اقليم لا يتجاوز عدد سكانه اربعمائة الف نسمة .

وفي ١٣ ابريل من سنة ١٩٢٥ استعرت نيران المعارك الطاحنة بين قوة الحق وقوة الباطل . فلم تتوان فرنسا واسبانيا في استعمال ما لديهما من قوة وامكانات حديثة ، ضد الوطنيين المسلمين ، كاستعمال الطائرات وغير ذلك من وسائل الخراب والدمار ، بقيادة طيارين مرتزقة امريكيين ، كانوا قد انتهوا توا من عمليات مماثلة في العدوان على الشعوب ، وانتهاك حقوق الانسان . وامام تعاظم قوة البغي والطغيان التي بلغ عددها نصف مليون جندي ـ وهذا باعتراف المصادر الغربية نفسها ـ لم يكن امام البطل الخطابي الا ان ينسحب من الميدان ، وهو شاهر مسدسه الى اخر لحظة ، ليذهب الى عالم النفي والحرمان .

صفحة مضيئة بالشرف والبطولة :

لكن الاستعمار لن ينسى ان فريقا من المجاهدين الريفيين بقيادة عبد الكريم الخطابي لم يزد عددهم عن خمسة الاف مقاتل ، استطاعوا وهم لا يملكون الا اسلحة عتيقة ، ان يواجهوا اكبر الحملات الاوروبية العدوانية التي اربت عدتها على نصف مليون جندي وان ينتصروا عليهم في معارك كثيرة بفضل ايمانهم وتمسكهم بحقهم واستهانتهم بالموت في سبيل المبادىء والاهداف النزيهة . ولقد سجل التاريخ جهاد ذلك البطل ورجاله المؤمنين في صفحات الشرف ليبقوا دائما رمزا للبطولة والتضحية وقدوة للاحرار الذين ينشدون الحق والعدل والكرامة في كل مكان وزمان . وصدق الله العظيم : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) محمد /٧**

المسلمون والتقدم العلمي

للدكتور
عبد الفتاح الفاوي

كثيرا ما يتساءل المرء عن سر هذا التقدم الرهيب الذي أحرزته تلك الأمم ، والتي استطاعت أن تطأ به سطح القمر . وكثيرا ما يتساءل أيضا عن سر تأخر المسلمين ، أو توقفهم بعد أن كان لهم قصب السبق في ذلك الميدان .

لقد حاول البعض أن يعللوا تأخر المسلمين بشدة تمسكهم بدينهم . فقالوا : ان الاسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة . ولكن ينقض على هؤلاء تعليلهم هذا أن الدين الاسلامي نفسه يحث في مواطن كثيرة على التعلم وعلى البحث ، لأن المسلمين أنفسهم عندما كانوا متمسكين بالاسلام حقا كانت لهم يد طولى في هذا المضمار . فليس الدين اذن هو عامل التأخر كما يقولون . وليست اللغة العربية أيضا هي سبب

هذا التأخر كما حاول الاستعمار وقتا ما أن يوعز بذلك .

واذا لم تكن اللغة العربية أو الدين الاسلامي هما سببا تأخر المسلمين عن ركب الحضارة فلا بد أن هناك عاملا أو عوامل أخرى غير هاتين فما هي تلك العوامل ؟

قبل الحديث عن هذه العوامل أود أن أشير الى أن الغرض من طرح هذه القضية ومحاولة تحليلها هو اكتشاف موطن الداء ليسهل وصف الدواء . فعندما نقف على هذه العوامل ونحددها نستطيع أن نتجنبها . أو على الأقل نستطيع أن نحدد مدى قدرتنا على تجنبها . وبالتالي نصبح على بينة من أمر أنفسنا فنعرف ان كانت تلك العوامل عوامل داخلية في المسلمين أو في الساميين عموما كما يقول « ريغان » المستشرق الفرنسي بحيث لا نستطيع أن نتخلص منها لأنها فطرية طبيعية . أم أنها عوامل خارجية طارئة يمكن علاجها والعمل على مجاوزتها عند الوقوف عليها . وأن هذه العوامل تتعلق بالظروف المحيطة بالانسان أكثر مما تتعلق بالانسان نفسه . فكلنا يعرف مثلا أن ازدهار الحضارات يواكب دائما الامم الناجحة القوية لأن الحضارات تزدهر في جو الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي . فعندما تتوفر تلك العوامل تتجه جهود الدولة شعبا وحكومة الى الابتكار والاختراع لوجود الامكانات المادية والمعنوية التي تساعد على ذلك . أما اذا انعدم هذا الاستقرار وحلت محله الاضطرابات فليس آنئذ ثمة مجال لابتكار أو اختراع اذ الكل في ذلك الوقت يعمل لنفسه بمعنى أن كل فرد لا يهمه الا أمر نفسه يحميها من القلاقل ، ويؤمنها من المخاوف ، أو يجلب لها بعض المكاسب . وان وجد في مثل هذه الظروف شيء من حضارة فلن تكون في درجتها أوقات الاستقرار . والتاريخ بجميع فصوله وأبوابه خير شاهد على ذلك .

واذا سلمنا بهذه المقدمة نقول ان العرب عندما كان لهم هذا الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أوجدوا حضارة وصنعوا تقدما وكانت لهم خطوات في هذا المضمار طويلة ، وباع ليس بالقصير فوجد فيهم الأفذاذ من أصحاب النظريات وأرباب الاختراعات .

ولكن ـ والحق يقال ـ ان العرب أو المسلمين جميعا في هذا الوقت أخطأوا المنهج وضلوا الطريق فأضاعوا فرصة يعز عليهم أن يرجعوها . وكان خطؤهم في اتجاههم نحو مجال واحد يعملون فيه وينتجون . يبتكرون فيه ويخترعون . وتركوا المجالات الأخرى هملا أو شبه مهملة . ذلك أن المسلمين عندما أتيحت لهم ظروف التقدم والابتكار وخلق الحضارة اتجهوا نحو العلوم النظرية علوم الدين والشريعة واللغة والأدب وما اليها كرسوا لها أعدادهم وجهودهم حتى لتجد منهم ألف عالم وعالم في تخصص واحد وتجد العمل الواحد يكرر ألف مرة ومرة حتى قتلوا هذا المجال بحثا وأشبعوه انتاجا فأنتجوا من التراث في

العلوم الانسانية ما لم ينتج ولن ينتج مثله حتى ليقال ان مياه الرافدين في العراق قد اسودت من مداد الكتب التي ألقاها هولاكو فيها عندما استولى على العراق . فالاعادة والتكرار ، والشرح والتلخيص ، والابطال والتأييد ، أعمال انصرفت اليها جهود معظم علماء المسلمين وكان يمكن لها الاكتفاء ببعض ذلك أو أقله . يؤلف مثلا عالم كتابا في النحو فيأتي آخر ينقضه عليه ويأتي ثالث يؤيد النقض أو ينقضه ورابع وخامس وهكذا . وقل مثل ذلك في علم الكلام واللغة والفلسفة وباختصار كل فروع العلوم النظرية . وهكذا وجهت جهود علماء المسلمين الى مثل هذه الأعمال . ولا شك أن هذه العقول التي انتجت هذا التراث عقول جبارة . والمطلع على هذا التراث ليرى ما يثير دهشته من ذكاء هؤلاء العلماء وقدرتهم على التحليل وبراعتهم في التعليل . اقرأ ان شئت بعض كتب الفقه أو الأصول أو اذهب الى اللغة والنحو أو عرج على كتب الفلسفة والكلام ناهيك عن كتب التصوف ومؤلفات الشيعة . انتاج عجيب وعظيم معا وعندما أشير الى هذا الانتاج أشير الى مدى الجهد العقلي الذي استنفده ومدى ما له من دلالة على ذكاء القوم وعظمة عقولهم لا يعنيني صحة ما فيه في هذا المقام بقدر ما يعنيني تقييم الجهد العقلي الذي بذل فيه . فسواء أكان كل ما فيه صوابا أم كان شيء منه مجاوزا للصواب فان العمل العقلي الجبار باد في جميعه بل قد يكون خطوة قد بذل فيه من الجهد العقلي اكثر من صوابه .

وأريدك الأن أن تقف معي وتتصور لو أن بعض هؤلاء العلماء نصفهم أو ثلثهم أو دون ذلك أو فوقه اتجه نحو العلوم العملية ألم يكونوا قادرين على صنع حضارة وتقدم عملي ؟ ألم تكن هذه العقول قادرة على أن تحقق بعض ما حققه القوم اليوم أو على الأقل أن تبدأ من حيث بدءوا .؟!!

أما أنا فأعتقد ذلك بيد أني لم أقرا كتب التراث كلها ولا جزءاً ضئيلا منها . ولم أقرأ الا أقل القليل وقد رأيت في هذا الأقل ما جعلني أقرر أن بعض هذه العقول لو اتجهت نحو العلوم العملية لصنعت شيئا بل أشياء فما بالك بمن قرأ معظم هذا التراث أو جزءا كبيرا منه .

اننا نستطيع أن نعد من علماء المسلمين في هذا المجال (المجال النظري) المئين بل الألاف في الوقت الذي اذا ذهبنا فيه الى العلوم العملية لا نعثر فيها الا على الواحد بعد الواحد . ولا يكاد المشهورون في هذا المجال يتجاوزون العقد الأول من العدد تذكر مثلا جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الحسن بن الهيثم ، ابن سينا ، البيروني ، وربما تذكر ضعف هذا العدد أو حتى عشرة أضعافه فهو على أية حال عدد قليل وقليل جدا لا يفي . على أن هذا العدد أو أضعافه لم يجد من يواصل خطاه من بعده . فماتت أعمال كل واحد بموته تقريبا . لأن الفكرة ان لم تجد التطبيق فهي

ميتة أو في حكم الميتة .

فالفرق بين المجال العملي والمجال النظري عند المسلمين أمران أولهما أن معظمهم أو قل ان شئت كلهم عدا نذر يسيراتجه نحو العلوم النظرية ، وأفراد معدودون هم الذين اتجهوا نحو العلوم العملية . ثانيهما : أن من اتجه منهم نحو العلوم العملية لم يجد الخلف الذي يحمل نظرياته من بعده لم يجد اليد الأمينة التي ترعى هذه النظريات وتستخدمها وتطورها بعكسها في العلوم النظرية حيث كان الواحد منهم يضع رأيا في مسألة فتجد العشرات من بعده يناقشونها تأييدا أو معارضة . هذا الى أن كثيرا ممن اتجهوا نحو العلوم العملية لم يتجهوا لها كليا بل كان لهم الى جانبها اهتمامات بالعلوم النظرية فابن سينا مثلا فيلسوف قبل أن يكون طبيبا . وكذا البيروني وهكذا . والغريب بعد ذلك أن ترى اللاحقين يتبنون أعمال ابن سينا النظرية اكثر من تبنيهم أعماله العملية ففلسفة ابن سينا قتلت بحثا الى يومنا هذا في الوقت الذي أهمل فيه طبه أو كاد . ولو وجد طب ابن سينا مثلا العناية والاهتمام من المسلمين مثل ما وجدتها فلسفته لكان للطب عند المسلمين مقام غير مقامه الأن ... وهكذا ...

نستطيع أن نقول باختصار ان السبب في تأخر المسلمين هو اتجاه علمائهم نحو العلوم النظرية ، وقطعهم حبل الود وقطيعتهم التامة للعلوم العملية . من ثم برعوا في العلوم الانسانية وكسدوا في العلوم العملية - ربما يقول البعض ان هذا رأي سبق به ريغان من قبل عندما رأى أن الشعوب السامية تهتم بالعلوم الانسانية النظرية وبالرؤية العامة الكلية بينما تهتم الشعوب الآرية بالعلوم العملية وبالنظرة التفصيلية . هذا رأي ريغان . والمتأمل يجد فرقا واضحا بين ما ذهب اليه ريغان وبين ما أدلينا به هنا . فريغان يرى أن الجنس هو العامل المميز بين الشعوب الآرية والسامية وأن لكل شعب خصائصه ومميزاته . وعلى ذلك يرى أن العامل في تأخر الشعوب السامية ومنها الشعوب العربية عن الشعوب الآرية هو عامل داخلي فطري وهو الجنس . أما ما ذهبنا اليه فيرى أن العامل في تأخر المسلمين ليس عاملا أساسيا داخليا فطريا - ليس هو الجنس - وانما هي عوامل خارجية وأيا ما يكن فقد انتقدت نظرية « ريغان » بما فيه الكفاية مما يعفينا من اعادة نقدها هنا .

فاتجاه المسلمين نحو العلوم الانسانية لا لعجز عن العلوم العملية . ولكن لأسباب أخرى . دينية واجتماعية وسياسية . والمسلمون لو اتجهوا للعلوم العملية لأنتجوا . وبعضهم اتجه وأنتج . الا أنهم يمموا - لسبب أو لأخر - شطر العلوم الانسانية . وربما كان السبب في ذلك هو شدة تعلقهم بالدين وحبهم له الأمر الذي جعلهم يقيمون من أنفسهم حماة ومدافعين عن كتابهم المقدس « القرآن الكريم » . ومن أجل تلك الحماية وهذا الدفاع نشأت علوم اللغة والدين

على أوسع نطاق وأعمقه . فكل المصنفات الاسلامية من لغة وشريعة وفلسفة وتاريخ وأدب نشأت أصلا لحماية الدين بل حتى علوم الفلك والطب والهندسة نشأت نشأة دينية . وقل باختصار ان نشاط المسلمين الثقافي كان وراءه من قريب أو بعيد دوافع دينية . والحماس الديني الذي اندفعوا معه الى هذا الاتجاه حجبهم عن النظر الى الجانب الأخر من العلوم وهو الجانب العملي التطبيقي . فكانوا جميعا في اتجاه واحد وكان هذا هو الخطأ الذي وقعوا فيه لا الذي أوقعهم فيه الدين . لأن الدين لم يحجر عليهم دراسة العلوم العملية بل على العكس كثيرا ما حث عليها . والاشارات العلمية في القرآن اكثر من أن تحصى . بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اطلب العلم ولو في الصين » يريد أن يشير من قريب أو بعيد الى العلوم العملية لأن العلم الذي يمكن أن يطلب في الصين ليس هو علوم اللغة أو الشريعة . فالخطأ اذن خطأ منهجي من المسلمين وليس من الاسلام . ومما شجع علماء المسلمين على التمادي في هذا الخطأ والاستمرار في الاهتمام بالعلوم الانسانية نظرة المجتمع فقد كان المجتمع يحترم ويجل أمثال هؤلاء العلماء في الوقت الذي كان لا يعطي مثل هذا الاحترام والتقدير لمن يشتغل بالعلوم العملية ويهتم بتطبيقها .

وليس المجتمع فحسب بل الحكام أيضا كانوا يرعون العلوم الانسانية أكثر من رعايتهم للعلوم العملية وبلاط الخلفاء خير شاهد على ذلك .

ويمكن أن نضيف الى ذلك بساطة حياة المسلمين الأولى وسذاجتها التي جعلتهم لا يفكرون في العلوم العملية لأن الحاجة أم الاختراع وهؤلاء كانت حاجاتهم قليلة جدا .

وعلى ذلك فالوقت الذي كان من الممكن أن ينتج فيه المسلمون شيئا أنتجوا فيه أشياء كثيرة . ولكنها علوم نظرية وليست عملية . وبعبارة أوضح ان عهد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين الذي كان يمكنهم أن يصنعوا فيه حضارة وتقدما علميا عمليا لم يستغلوه في هذا المجال وانما اتجهوا فيه نحو العلوم النظرية فكان ذلك الانتاج الرهيب الذي خلفوه . ثم ضاع هذا الوقت بالنسبة للمسلمين عندما ضعفوا واستعمروا وضاعت فرصتهم للقدرة على الاختراع ردحا من الدهر . ثم عادت أو ها هي تعود اليهم ثانية فهل يا ترى ينتهزونها هذه المرة أم يتركونها تفلت من أيديهم كما فلتت من قبل ؟!! لا .. انهم تعلموا درسا قاسيا واستفادوا منه كثيرا وها هم الأن يعملون قدر جهدهم ليلحقوا بالركب . ومبعوثوهم في الدول المتحضرة خير شاهد على عزمهم وإصرارهم . وما هي الا فترة أو زهاؤها حتى تنتهي خلافاتهم وتتوحد كلمتهم وجهودهم وعندئذ يقودون العالم كما قادوه من قبل وينتجون له هذه المرة حضارة عملية انسانية معا هدفها سعادة الانسان ، سعادة حقيقية .

العقوبات في الإسلام

تمهيد :

من أهم حاجات الفرد والمجتمع في كل النظم والفلسفات الحاجة الى الأمن ، وهذا ينطبق على الانسان في كل زمان وفي كل مكان ، كما ينطبق على المجتمع في كل زمان وفي كل مكان .

وكل أمة تضع من الأسس التربوية ومن التشريعات القانونية ما يساعدها على تحقيق الأمن ـ وهذا حسب تصور المربين فيها وحسب تصور رجال القانون ورجال السياسة ، وهذا يتأثر إلى حد كبير بالمصادر التي يستقون منها نظمهم وقوانينهم .

وقد جربت المجتمعات الأصول التربوية المختلفة والتشريعات القانونية المتباينة في جميع عصورها وفي جميع دولها .

ويأتي سؤال : وهل نجحت هذه الدول في تحقيق الأمن للفرد وفي تحقيقه للمجتمع ؟

إذا كان الجواب ما قرأناه في كتب التاريخ عن الماضي وما نراه وما نقرؤه وما

هدفها حماية مقوّمات الوجود الإنساني

طلبت جمعية العفو الدولية من الاطباء الامتناع عن تنفيذ عقوبة قطع يد السارق زاعمة ان قطع يد السارق لون من الوان التعذيب . ومن هنا يحق لنا ان نكتب عن العقوبات في الاسلام لنبين لهذه الجمعية انها خالفت الحق والعدل فيما طلبت ، وليعلم الناس كل الناس من طريق الحجة والبرهان ان العقوبات في الاسلام شرعت لصيانة مقومات الحياة الانسانية من الدين والعقل والعرض والدم والمال ، وانها دون غيرها سبيل الامن والطمأنينة .

للاستاذ : علي القاضي

نسمعه عن المجتمعات الحاضرة من فشل واضح في تحقيق هذه الحاجة للفرد والمجتمع فان سؤالا آخر يأتي :ـ

ولماذا كان هذا الفشل الواضح في تحقيق هذه الحاجة الأساسية ؟

والجواب : إن الذي يضع الأصول التربوية والقوانين التشريعية رجال علماء تربية وفقهاء في القوانين وهم يعرفون عن الأفراد جوانب ويجهلون جوانب ، ولذلك فانهم حسب علمهم يضعون ويظنون ان هذا كاف وعند التطبيق يظهر ألوان من القصور فيغيرون ويغيرون وهكذا ـ ثم إنهم حسب استعداداتهم الشخصية وحسب ثقافاتهم يتأثرون في بعض الجوانب فلا يرون إلا هذه الزوايا ، وأحيانا تتدخل المصالح الخاصة في وضع ذلك فتصبح القوانين أو تطبيقاتها في مصلحة الحاكم أو في مصلحة الحزب أو غير ذلك .

والمجتمعات الغربية تستمد أصول قوانينها من القانون الروماني القديم ، وهي تشيد به وبما فيه من امتيازات ـ ولكنها لا ترى غيره ـ ومع وجود الكثير من المميزات في القانون الروماني القديم إلا أن به أيضا ألوانا من الخلل مثل وجود

قوانين تطبقها على أفراد مجتمعها وقوانين لغيرها ، يقول محمد أسد في كتابه (**الاسلام على مفترق الطرق**) : إن الفكرة التي كانت تسيطر على الأيدلوجية الرومانية هي احتكار القوة لها ، واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الروماني فقط ـ لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم أو قسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة ـ أما ما اشتهر من عدل الرومان فلم يكن إلا للرومان فقط .

إن استقرار المجتمعات هدف أساسي لجميع النظم وجميع التنظيمات الاجتماعية التي تحاول أن تبلغه بشتى الأساليب والمناهج ـ بل وتقوم بتجريب ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث ليساعدها ذلك على استقرار المجتمعات ، ومع ذلك فهل وصلت إلى النتيجة المرجوة ؟ **والجواب** : لا ، بل إن كل المجتمعات تشكو من فقدان الأمن للفرد والمجتمع ـ ومع ذلك فان هذه المجتمعات التي تفتقد الأمن في نظمها وتشريعاتها البشرية يحلو لها أن يهاجموا الاسلام في النظم التربوية والتشريعات الحدودية حتى يثبتوا لأنفسهم ـ وربما للمسلمين أيضا ـ أن الاسلام دين قد انقضى عهده ، ولم يعد صالحا للتطبيق في عهود الحضارة والمدنية ، إذ كيف يكون من المعقول أو المقبول أن يمشي بين الناس بيد واحدة لمجرد أنه سرق أو أن يجلد لمجرد أنه زنا ـ مع أن هذا قد يكون برضا الطرفين ـ فالاسلام بذلك يصادر الحرية الشخصية ـ وكيف يكون من المقبول أن يجلد شارب الخمر مع أنه يريد أن ينسى همومه أو يتلذذ بشربها وهكذا ..

يقولون هذا وهم يعانون ما يعانون من المتاعب والمشكلات وفقدان الأمن للأفراد والجماعات ـ ولو أن أساليبهم في التربية وتشريعاتهم القانونية نجحت لكان من الممكن أن يقولوا هذا ـ ولكنهم يقولون ما يقولون في كبرياء لأنهم لا يكلفون أنفسهم دراسة التربية الاسلامية ولا التشريع الاسلامي بحثا دقيقا حتى يعرفوا ما فيهما من امتيازات وما وصل إليه التطبيق من نجاح ، فيكونون هم المستفيدين بما يتوصلون إليه من معرفة .. ولكن متى كان للمستكبر نظرة موضوعية يفيد بها نفسه وغيره ؟

والاعجب من هذا أن بعض المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية يسيرون على هذا النهج وهم لا يعرفون شيئا عن دينهم ولا عن ثقافتهم ولا عن عقيدتهم ، فصادفت هذه المعلومات قلبا خاليا فتمكنت منه .. وساعدهم على ذلك أنهم مكنوا بوساطة الغربيين من استعمال أجهزة الدعاية والاعلام فأخذوا يعيدون ويزيدون ويكررون هذه المعاني ، ويحاولون أن يأتوا بقانون من هذه الدولة أو تلك ـ وفي الوقت نفسه يواجهون من يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية باتهامات شتى مثل الرجعية والتأخر ومصادرة الحريات وما إلى ذلك ـ مع أن النظرة الخاطفة ترينا أن المدنية الحديثة هي التي صادرت الحريات وأهدرت كرامة الانسان ، ولاقى الانسان تحت لوائها ما لاقى من متاعب وأهوال .. ثم هل معنى أن الشيء قديم أنه غير صالح ؟ وهل الرجوع إلى الوراء كله سوء ؟ فلماذا يرجعون إلى الآداب الاغريقية

وإلى القوانين الرومانية ليستمدوا منها الكثير في آدابهم وفي قوانينهم وتشريعاتهم مع أنها أسبق بكثير من الاسلام ؟

إن قوة الغرب المادية أعمت بصيرته عن أن ينظر بعين الانصاف فشقى هو بذلك ، وشقى الكثيرون معه من الذين يسيرون على نهجه .

هل الحدود الاسلامية قسوة ؟

من الذي شرع الحدود الاسلامية ؟ إن الذي شرع هذه الحدود هو الله سبحانه وتعالى خالق البشرية وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم ـ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ؟ أترى رب العزة يميل إلى القسوة على عباده أم أنه بهم رؤوف رحيم ؟ يحدثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بامرأة من السبى قد وجدت صبيا في السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترى هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه فقال عليه الصلاة والسلام : الله أرحم بعباده من هذه بولدها » البخاري ومسلم .

والناس في الزمن الحاضر ـ وفي كل زمن ـ ينظرون نظرة جزئية إلى مصلحة خاصة أو مصلحة عامة في فترة زمنية محدودة ـ ولو أنهم نظروا إلى مصلحة الفرد على المدى الطويل وعلى مستوى المجتمع كله أو على مستوى الجماعات والأمم لغيروا .. ولكن الانسان بطبيعة تكوينه قاصر عن أن يحيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد ـ وخالق البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك ـ وهو المنزه عن كل نقص أو قصور ـ كما أنه المنزه عن أن يكون له غرض خاص او مصلحة خاصة ..

ومع هذا ، فان المجرم في المجتمعات التي لا تطبق شرع الله ينال عقوبات أقسى مما يناله في ظل الحدود الاسلامية ـ إذ أن المجتمع يقف أمام المعتدي محاولا أن يمنعه من جريمته ـ وبالتالي فان المجرم يستخدم ذكاءه ـ ويستخدم القوة في صورة أقسى ضد المجتمع فينال المجرم من صراعه مع المجتمع أضعاف العقوبة الالهية ـ ويلاقي المجتمع الذي لم يسر على منهج الله تعالى ألوانا من المتاعب الجسمية والنفسية إلى جانب اعداد من الضحايا وفقدان الأمن والاطمئنان .

ومن يبحث في أحوال المجتمعات الانسانية المعاصرة ويرى ما تطبقه من أدوات وأجهزة ووسائل وما تستخدمه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات ضخمة بعضها علمي وبعضها تربوي وبعضها فني ـ إلى جانب ما تضع السياسة العامة لهذه المجتمعات من مؤسسات بعضها سياسي وبعضها تشريعي وبعضها تنفيذي وبعضها قضائي ـ ثم يرى ما تعانيه هذه المجتمعات مع هذا كله من فقدان للأمن يصاب بخيبة أمل .

نعم ، إن المجتمعات الحديثة تعاني ما تعاني من اضطرابات اجتماعية ـ وعدم وجود أمن واستقرار فيها ـ ومن ينظر إلى ألوان الجرائم التي تنتشر هنا وهناك

بصورة مخيفة يجد الجرائم بكل صورها ـ بكل عنفها ـ بكل ما فيها من حنق على المجتمعات ـ ويتمثل هذا في عصابات السرقة والسطو والسلب بالاكراه والاغتصاب بالقوة ، ثم إلى الاختطاف والتهديد والاغتيالات الفردية والجماعية ـ وهذه العصابات تتسلح تسلحا قويا ، وتخطط وتنفذ في تحد لكل أجهزة الدولة الأمنية ـ بل والشرطة العالمية في كثير من الأحيان .

وإلى جانب هذا جرائم اخرى هي في نظر القوانين الوضعية محققة ولكن آثارها في المجتمعات كبير من ذلك السكر وما يقترف بسببه أحيانا تحت شعاره ـ واصبحت كل أجهزة الأمن الحديثة قاصرة عن تحقيق الأمن لمواطنيها .

والحدود الاسلامية حينما تصبح تشريعا نافذا يلتزم به الأفراد ويطبقه المجتمع ويصبح معلوما للناس جميعا أنه من قتل يقتل وأن من سرق يقطع وهكذا ، فان كل شيء سيسير على النظام الذي يحقق الأمن والاستقرار ـ هذا إلى جانب التربية الاسلامية التي تقوي الضمير وتربط الفرد بالله تعالى على امتداد الأزمان والأماكن ، فالتربية والتشريع الحدودي يرسمان للمجتمع الاسلامي الأمن والهدوء والاستقرار ـ وذلك أعز ما في هذه الحياة .

فالأمن أهم شيء في هذه الحياة ، ولا يحس به أو بأهميته وبقيمته إلا من افتقده في هذه الحياة .

والعصر الحديث يتميز بافتقاد الأمن ، وهذا ما دعا إلى إنشاء لجنة في باريس لدراسة العنف برئاسة وزير العدل بيريفيت ، وقد جاء في هذه الدراسة ما يأتي : العنف الناتج عن الشعور بعدم الأمان الذي ساد في الفترة الأخيرة هو العنف الاجرامي والاقتصادي ـ العمل ـ الرياضة ـ الحروب ـ الارهاب السياسي ـ وسبب أعمال العنف : الضغط السكاني ، والمعدل الكبير للحياة المعاصرة وإغراء المال ـ وعدم وجود القيم ـ وقد ظهر أن ٦٩٪ من العينات لا يلجأون إلى الشرطة لحل مشكلاتهم لأنهم لا يثقون في إمكاناتها ، وأن ٢٠٪ من أفراد العينة تدرب على الكاراتيه والجودو ليدافعوا عن أنفسهم ، وأن ١٢٪ أحكموا إغلاق أبوابهم ، وأن ٦٠٪ يملكون أسلحة مرخصة للدفاع عن أنفسهم ـ وظهر أن بعض الناس يطلقون النار على بعض الأشخاص لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء وذلك بسبب الضيق والتوتر والقلق .

ويستمر التقرير قائلا : والعنف أخذ في النمو بمعدلات متقاربة في جميع الدول الصناعية ما عدا اليابان ـ وقد ظهر أن ٢٥٪ تواتيهم الرغبة في ضرب إنسان أي إنسان مرة على الأقل كل أسبوع .. وأن نصف سكان باريس اعترفوا بأنهم يتعاركون بشكل مستمر مع أحد أفراد العائلة ـ وقد سجل عام ١٩٧٦ أن ٣٥,٤٠٠ جهاز تلفزيون تم تحطيمها وأن ١١٥١ جهازا قد سرقت ـ وأن نسبة الانتحار تأتي في المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث ـ وتعاطي الخمور والادمان يماثلان الانتحار ـ وهناك احصاءات تستحق الدراسة الدقيقة لرسم العلاج فقد جاء في هذه الدراسة تحت عنوان : المجتمع الفرنسي يخشى شبابه انه في

عام ١٩٧٥ سجل أن ٨٦٪ من مقترفي الجرائم وبخاصة جرائم السطو والسرقة باستخدام الأسلحة من الشباب أقل من ٣٠ عاما . وأن ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٥ عاما وأن ٢٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٠ عاما وقالت الدراسة ان عدم العدالة ظاهرة منتشرة وتمتد إلى مجالات الثقافة والبيئة والفراغ - وتوجد علاقة مباشرة بين عدم العدالة والعنف - وقد يكون تعبيرا عن عدم الرضا عن الظلم ومحاولة لتحقيق العدالة .

الغش الضريبي وتهرب الأثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضريبية مما ينتج عنه عدم المساواة وينعكس هذا على النفوس - وقد ظهر من هذا التقرير أن ١ من ٢ ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه - وأن ١ من ٤ ممن يرتكبون جرائم السرقة يقبض عليه وأن ١ من ٦ ممن يرتكبون جرائم السطو يقبض عليه - كما ظهر أن ٧١٪ من السكان يرون أن العدالة تسير بشكل سيء - وظهر أيضا من نتائج هذه الدراسة - أن ظهور حالات العنف داخل الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل أحدهما سلبي يتمثل في الخوف والتوتر النفسي عند المواطنين والآخر إيجابي يتمثل في مقابلة العنف بالعنف - كما ظهر أن نسبة الجرائم عام ٧٧/٧٦ كانت على النظام الآتي :

- من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة ٦٪
- من ١٣ - ١٤ سنة ٤,٩٠٪
- من ١٤ - ١٥ سنة ٩,٩٠٪
- من ١٥ - ١٦ سنة ١٥,٥٠٪
- من ١٦ - ١٧ سنة ٢٥٪
- من ١٧ - ١٨ سنة ٣٨,٧٪

على أن العجب العجاب يظهر في التوصيات التي أوصت بها اللجنة المسؤولين والتي تتلخص في العناية بالهوايات وفي تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدي إلى امتصاص الفراغ - وفي الاهتمام بتكوين المعلم وفي الحماية القضائية للشباب الذي ارتكب الجرائم وفي إقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التي تخدمهم ، وفي العناية برسالة التلفزيون ..

أو ليس من العجيب أن تكون كل هذه هي كل التوصيات التي توقف هذه الجرائم ؟ أين أسلوب التربية التكويني ؟ وأين الاسلوب العلاجي الذي يقف أمام هذه التيارات ؟ إنه أسلوب قاصر لن ينجح في إصلاح ما فسد ؟ وهذا نوع من الجرائم فأين أنواع الجرائم الأخرى ؟ لكن الاسلام له أسلوب في التربية وأسلوب في العلاج .

الأسلوب الاسلامي في التربية :

والاسلام - لأنه من الله سبحانه وتعالى - يتوخى في تشريعاته مواءمة الفطرة

الانسانية ـ وقد اتخذ لذلك أسلوبين يسيران جنبا إلى جنب حتى يتحقق بذلك الأمن للفرد والمجتمع .

الأسلوب الأول : **تكويني** : وهو مهمة التربية الاسلامية ـ وهو عبارة عن بناء الفرد المسلم من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية وربطه بالله سبحانه وتعالى فيقوى بذلك ضميره على محاسبته نفسه ومراقبته لله تعالى ، ثم في رسم الطريق الذي ينهجه وفي سلوكه الذي يسير عليه في هذه الحياة ، وبذلك يستنفد طاقاته في مسالك سليمة لا يضل من يلتزمها ـ وتعود بذلك الفائدة على الفرد وعلى المجتمع في وقت واحد .

ثم إن الاسلام يقوم على أساس متين من العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الكامل بين أفراد المجتمع الاسلامي على نحو يتيح لكل فرد أن ينال حقه كاملا في الحياة الانسانية التي تليق بالبشر سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أم من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

والتكافل في الاسلام يفرض منذ البداية أن يقوم كل إنسان بواجبه أولا فاذا ما تمت هذه الخطوة فليس هناك من يحتاج إلى المطالبة لحق لأن في أداء الواجبات من الأفراد ومن المجتمع اتياناً للحقوق ـ حقوق كل فرد ـ فلا يجد نفسه في حاجة لأن يطلب شيئا ـ فاذا لم ينل حقوقه أمكنه أن يطالب بها وسيجد آذانا صاغية وأعذارا واضحة تبين له سبب عدم حصوله على حقوقه .

وإذا ما غابت العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي لسبب أو لآخر فانحرف بعض الأفراد في هذه الظروف الطارئة استتبعها إعادة النظر إلى المواقف في ضوء الوضع القائم .

والأسلوب الثاني : **علاجي** : ويظهر في مواجهة ما يبدو من شذوذ خارج عن الفطرة أو انحراف طارىء على استقامتها ـ وذلك يظهر حين يكون هناك خلل في بناء الفرد أو نتيجة لعوامل أتاح لها ضعف الانسان تأثيرا وقتيا لا يلبث أن ينتهي متى ووجه بما وضعه الله تعالى خالق الانسان من طرق العلاج التي تبدو قاسية ـ وإن كانت في حقيقة الأمر هي الرحمة بعينها .

والحدود الاسلامية لابد وأن تدخل ميدان التربية الاسلامية حتى تصبح جزءا أساسيا في تكوين أفكار الناشئة وفي ضمائرهم وتنفعل بها وجداناتهم ـ وهذا كله يحقق معنى التقوى التي يطلبها الاسلام من كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي ـ والتقوى معناها ان يفعل المسلم كل ما يأمره الله به وان يجتنب كل ما نهاه عنه ـ ومعنى هذا أن يستجيب ضمير المسلم للخير والحق والعدل ـ وهذا أعظم ركيزة في المجتمع الاسلامي لأن المسلم يسير على النهج السليم الذي يقربه من معاني القوة والفضيلة ويبعده عن الانحراف واقتراف الآثام التي تحدث الخلل في المجتمع .

والحدود وحدها لا تنشىء مجتمعا آمنا سليما ـ ولا تبعث في النفوس الهدوء والاطمئنان وإنما دورها الاسهام في المحافظة على أمنه واستقراره اللذين قاما أصلا نتيجة لبنائه على أصول الاسلام ومبادئه .

وليس من المعقول أن يؤتي بالحدود الاسلامية لاقامتها في مجتمع لا يسير على نظام الاسلام .. ولا يعني فيه بالتربية الاسلامية ، ولا يحقق في النفوس التقوى ، ولا يقوي الضمير ، ولا يربطه بالله تعالى إنه إذن الخلل بعينه ـ الخلل الذي يظهر الحدود الاسلامية بمظهر القسوة على المنحرفين ـ لأن الانحراف بكل ألوانه منتشر في المجتمع ـ ومن هنا تزداد المخاوف وتظهر آثار ما يقولون .. ولكن الحدود الاسلامية في ظل المجتمع الاسلامي الذي يقوم على أسس التربية الاسلامية الذي يطبق تعاليم الاسلام مفيد إفادة هائلة في إيقاف الانحراف ، وفي ضمان الأمن للفرد والمجتمع .

والحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني ، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال والأديان السماوية تلتقي حول تقديس هذه المقومات ـ ذلك لأن الدين هو غاية هذه الحياة وهو الذي يجعل الانسان يحقق خلافة الله في الأرض ـ فيعمرها وينشر العدالة والأمن فيها ـ كما أن النفس بها قوام الوجود ـ وبغيرها لا يكون هناك حياة ، وبالتالي لا يستطيع الانسان أن يحقق رسالته في هذا الكون ، والعقل لأن به قوام إنسانية الانسان الكامل ـ وبغيره يصبح الانسان كالحيوانات ـ والذين لا يستطيعون أن يحققوا لأنفسهم ولا لمجتمعهم شيئا يقوم على التفكير والفهم والبناء ـ والعرض لأنه جماع ما يمدح به الانسان أو يذم ـ وهو مناط الكرامة والاحترام بين الناس ـ والمال لأنه قوام الحياة في بعدها المادي القائم على إشباع حاجات الجسد ـ ثم إنه أداة لتطهير الروح وتزكية النفس .. وإذا أمن الفرد في المجتمع على هذه الأشياء كلها فقد استراح قلبه ، وهدأت نفسه واطمأنت روحه وبالتالي أصبح المجتمع كله مجتمع أمن وسلام واطمئنان .

ولهذا كله كانت الحدود الاسلامية حقا لله عز وجل لا يجوز للحاكم أن يتنازل عنها حتى ولو تنازل المجني عليه عن حقه ـ ومن هنا ، فان المجرم يعرف أن أحدا لن ينفعه في منع توقيع الحد عليه ولا يساومه على ذلك ـ وبذلك يحدث توازن نفسي بين الدوافع للجريمة ، والموانع التي تقف أمامها وسيبقى بعد ذلك الشرير الشاذ الذي لا يبالي بالمجتمع ، ولا يفكر في عاقبة عمله ـ وهذا الصنف هو الذي يتعامل الاسلام معه بالحدود .

الحدود تقيم التوازن بين الفرد والمجتمع :

يتحدث الدكتور الذهبي رحمه الله عن هذه الناحية فيقول : إن الحدود تقام على مبدأين : المبدأ النفسي والمبدأ الاجتماعي .

والمبدأ النفسي بحكم طبيعته مسرح لصراع مستمر بين دوافع الخير ونزعات الشر فيه ، وهو معرض لعوامل كثيرة قد تميل به إلى هذه الناحية أو تلك ، فاذا ما كان متوازنا ـ بأن تكون عوامل الخير فيه مسيطرة أو أن هناك عوامل مناهضة لعوامل الشر فيه ـ أمكنه أن يبتعد عن الانحراف ـ والحدود من العوامل التي تحقق هذا التوازن إلى جانب التربية السليمة ، والبيئة الصالحة ، والرغبة في ثواب الله ـ فعامل الرغبة وعامل الرهبة كلاهما يؤثر على النفس إيجابا أو سلبا في ناحيتين مختلفتين ـ فاذا ما هم مسلم بشرب الخمر مثلا فتماثل له ما أعده الله للمتقين فينشط الوازع النفسي فيه فيكف عن شرب الخمر ، فاذا لم يفد هذا فعامل الرهبة يؤدي الى نفس النتيجة من طريق آخر وهو الخوف من عقاب الله في الآخرة ، أو من عقاب المجتمع في الدنيا ـ فهو يوازن بين ما ينال من لذة شرب الخمر وما يصيبه من عقاب بالحد عليه وسوف يصرفه ذلك عن شربها ـ وهذا يثمر اذا كان العقاب رادعا يزيد عن اللذة الوقتية والا توافرت الجرأة على الاقتراف ـ وفي مجال الترغيب بالثواب ، يقول الله تعالى : (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**) الكهف/١٠٧ وفي الترهيب بالعقاب يقول الله تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) الماعون ٤/٥ ، ولا يغني واحد منهما عن الآخر ـ ومن هنا كان اهتمام القرآن في مزجه وربطه الوثيق بين عنصري الترغيب والترهيب في كل الأحوال أمرا أو نهيا ـ ولأن المزج يتيح للنفس من عوامل التوازن والسيطرة على بواعثها ودوافعها ما تتمكن به من شحذ إرادتها في مجال الاختيار والترجيح ـ ذلك لأن الدوافع التي تحرك لارتكاب الذنوب الموجبة للحد هي دوافع بالغة المدى من حيث تأثيرها في الغرائز والميول الفطرية الأولى التي جاء الدين وكل المقومات الفطرية لتهيئتها في الانسان ـ ودور الحدود دور بنائي يسهم في تكوين الفرد وتنشئته من جهة ، ودور وقائي يمنع الكثرة الغالبة من الأفراد على جرائم الحدود من جهة أخرى .

والمبدأ الثاني هو المبدأ الاجتماعي فالحدود حق الله ـ ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمتخاصمين إسقاطه بالعفو أو التراخي ـ والى جانب هذا فللحد قدسيته وهيبته حين جعله الله تعالى حقا له ـ وجعل العدوان عليه عدوانا على حمى الله ، كما جعل تعظيمه تعظيما لأمر إلهي (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**) الحج/٣٠ هذه القدسية « حق الله » متى استقرت في نفس مؤمنة كانت حاجزا قويا يحول بين صاحبه وبين الاقتراب منها ـ ثم إن العدوان الذي وقع وهو موجب لحد من الحدود هو عدوان على الجماعة كلها ـ وهذا واضح في قوله تعالى : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ ، ولعل ما يحدث الآن في المجتمعات الغربية من اجتراء على القتل يشرح لنا هذه الآية شرحا يبين لنا أبعادها والخطورة التي تترتب على الاجتراء على القتل .

والخطاب في آيات الحدود موجه للجماعة وهذا يوضح واجبها في إقامة الحد والمحافظة على ذلك فهي ليست منازعات شخصية ، وليست حقوقا شخصية خاصة ، إنها حق المجتمع ، إنها حدود الله التي يجب على المجتمع الاسلامي إقامتها .

إن الحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال ـ وفي حماية الدين أوجب الله تعالى حد الردة ، وفي حماية النفس أوجب حد القصاص ، وفي حماية العقل أوجب حد الخمر ، وفي حماية العرض أوجب حد الزنا وحد القذف ، وفي حماية المال اوجب حد السرقة والحرابة .

حد الردة :

الاسلام يعطي الحرية الكاملة لأي إنسان في أن يعتنق الاسلام أو لا يعتنقه ، وقالها الاسلام صريحة : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها)** البقرة/ ٢٥٦ ـ ولكن الانسان إذا دخل الاسلام فليس من حقه أن يرجع بعد ذلك لأنه قد التزم بدخول الاسلام بالتزامات أمام الله تعالى وأمام المجتمع الذي يعيش فيه وفي العصر الحديث الانسان الذي يلتزم ويخل بالتزاماته أمام الدولة له عقوبات قد تصل إلى الاعدام وفي الدول الملحدة المعاصرة يعتبر أن من يعود إلى دين كان عليه قبل ذلك بل أن يترك الحزب فقط خائنا للحزب رافضا لفلسفته وينال ألوانا من التعذيب وتوقع عليه عقوبات قد تصل إلى الاعدام ومع ذلك فان هذه الدول تنكر على مجتمع مؤمن يريد أن يؤمن حقه في حماية نفسه من عبث العابثين المتلاعبين وخطر الخارجين عليه ـ هذا من زاوية ـ ومن زاوية أخرى فالمرتد قد قام بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة أهلها ، ورسم طريق الجرأة لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم ويشككوا الضعاف في عقيدتهم وهذه كلها جرائم .

وقد قص علينا القرآن الكريم من مواقف أهل الكتاب ما يؤكد هذه المعاني **(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)** آل عمران/ ٧٢ .

وحد الردة يغلق الباب أمام من يريد إفساد الاسلام من داخله أو التجسس عليه ، وقد عانى الاسلام كثيرا ممن أخفوا الكفر وأظهروا الايمان .

حد القتل :

عقوبة الاعدام من أقدم العقوبات ـ ومنذ القرن الثامن عشر ـ بدأ بعض الكتاب

يعترض عليها ويطالب بالغائها ـ ثم تراجعت حركة الالغاء في بعض الدول تحت تأثير العوامل السياسية ونظم الحكم الداخلية والاعتبارات المحلية ـ ولا يزال كثير من التشريعات يقرر عقوبة الاعدام مثل التشريع الفرنسي والتشريع السوفييتي ـ وهناك تشريعات ألغت عقوبة الاعدام مثل التشريع النرويجي والسويدي والنمساوي والدانمركي ولكن كثيرا من التشريعات التي الغت عقوبة الاعدام عادت فقررتها حينما شعرت بالحاجة إليها ـ ومن ذلك التشريع الايطالي الذي ألغاها عام ١٩٣٠ ثم عاد إلى اقرارها مرة أخرى عام ١٩٤٧ ، والتشريع السوفييتي الذي ألغاها عام ١٩٤٧ ثم عاد إلى إقرارها عام ١٩٥٨ في قانون العقوبات الاتحادي .

وهكذا تضطر التشريعات البشرية إلى التغيير ـ لأن نظرتها قاصرة ولأنها تتأثر بأوضاع المجتمع المختلفة على عكس التشريع الالهي ـ وإذا كان الأعدام كما يرى بعض المتحضرين وهو يوقع على مجرم يتسم بالقسوة والبشاعة ، فان الاعتداء على المجني عليه وهوشخص برىء يكون اشد قسوة واكثر بشاعة .

والاسلام يبين السبب في صورة واضحة بقوله : (**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب**) البقرة/١٧٩ . ويبين فرض حد القصاص في قوله : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**) البقرة/١٧٨ ..

والقرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ويتوعد فاعله بأشد ألوان العذاب والعقاب فيقول : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) المائدة/٣٢ ، كما بين أن قتل النفس جريمة كبرى جزاؤها جهنم عند الله (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**) النساء/٩٣ .

والرجل الذي يريد ان يقتل ـ حين يعلم أن جزاءه القتل ـ فانه سيتردد مرة ومرات قبل أن يقدم على جريمته .. والقرآن نص على أن القصاص فيه حياة للناس لـ (أنهم كانوا يعقلون هذه المعاني ، ولكن القاتل إذا علم أنه سيعاقب بعقوبة أقل فانه سيندفع الى ارتكاب الجريمة باصرار وعنف أكبر حتى ولو كانت العقوبة هي السجن المؤبد ـ وقد أصبح من الأقوال المأثورة في بعض البلاد الاسلامية « **سأقتلك وأروح فيك مؤبد** » أي أن هذه العقوبة هينة وهو مستعد لأن يتحملها .

وفي بعض البلاد الاسلامية التي لا تطبق القانون الالهي نجد أن أهالي القتيل يتولون الأخذ بالثأر عندما يجدون أن العدالة لم تقتص لهم ، وإعتقادا منهم بأن الأحكام التي وردت في القوانين الوضعية لا تشفي غليلهم ـ ويستمر الثأر من هذه الأسرة ومن تلك ـ وتحدث مجازر يتولى الجيش أحيانا الوقوف بين الفريقين المتنازعين لوضع حد لهذه الأمور ، وقد يدخل معهم في معركة يقتل فيها العديد من

جميع الأطراف .

ولكن القصاص في الاسلام يحقق العدالة بين الناس ـ كما يحقق الأمن للفرد والمجتمع الى جانب الراحة النفسية ـ والرسول الكريم يبين لنا رأي الاسلام في قتل فرد واحد بدون حق وذلك حين يقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » رواه مسلم ـ بل إن تخويف المسلم حرام يقول الرسول الكريم :« لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه الطبراني .

والقتل من الحدود الاسلامية التي راعى الاسلام فيها حق الله وحق ولي الدم ، وقد رجح الاسلام جانب مصلحة ولي الدم على جانب مصلحة المجتمع ، ولهذا فقد أعطى الاسلام ولي الدم حق توقيع العقوبة أو العفو عنها ـ وفي هذه الحالة يجوز للقاضي التعزير ـ ويكون لأولياء الدم الدية ـ والتشريعات الحديثة تعتبر القتل حقا للمجتمع ، مع أنه أساسا يقع على المجني عليه وعلى أهله ـ وتمكينهم من القصاص أو العفو يطفىء غلتهم ويريح أنفسهم .

حد الخمر :

الاسلام يحترم عقل الانسان الذي يتميز به على سائر مخلوقات الله ، وبوساطته يحقق رسالته في هذه الحياة ، والمسلم ليس حرا في نفسه يفعل بها ما يشاء لأنه ليس ملكا لنفسه ـ بل هو ملك للرسالة التي يؤديها في عمارة الكون باعتباره خليفة لله في الأرض ، على عكس المجتمعات البشرية التي ترى أن الانسان حر في نفسه يفعل بها ما يشاء ، ومن هنا فقد حرم الاسلام على المسلم استعمال كل ما يغيب العقل من شراب مسكر أو مخدرات أو غير ذلك حتى يحتفظ بهذه النعمة الكبرى ـ ومن زاوية اخرى فان الانسان إذا غاب عقله ارتكب اشياء تعود بالضرر على الفرد وعلى الأسرة ثم على المجتمع كله ـ ولو تصورنا شعبا من السكارى لأدركنا ما يكون عليه حال هذا الشعب من فقد الأمن والسعادة والطمأنينة ـ إلى جانب الاصابة بالجنون والأمراض العصبية والنفسية والجسمية .

وكثير من الدول ادرك هذه الخطورة ، وقامت محاولات شتى لمنع هذا الشراب أو الاقلال من استخدامه ولكن دون جدوى .

وأمريكا قامت في هذا المجال بتجربة تتلخص في أنها شرعت قانونا يحرم الخمر عام ١٩٣٠ ـ بعد دعاية واسعة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام مدعومة بالاحصاءات الدقيقة والبحوث العلمية والطبيعية ـ واشترك في هذه الحملة كثير من الخبراء في جميع المجالات الصحية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية وأنفق على الدعاية ٦٥ مليونا من الدولارات ـ وقتل في سبيل تنفيذ القانون حتى عام ١٩٣٣ مائتا شخص وبلغت الغرامات التي جمعت من المخالفين مليونين من الدولارات ، كما صودرت ـ أموال ـ بسبب المخالفات ـ تقدر بستمائة مليون

دولار ، ومع هذا كله فقد فشلت الولايات المتحدة في تنفيذ هذا القانون فشلا ذريعا الأمر الذي جعلها تقوم بالغائه في أواخر عام ١٩٣٣ .

ولكن التجربة الاسلامية نجحت نجاحا رائعا بدون إراقة دماء أو حبس للشاربين أو تحصيل غرامات ذلك لأنها بدأت بتقوية الوازع الديني عند الفرد وعند المجتمع ، فأصبح للضمير سلطان كبير على النفوس ، وهم يريدون إرضاء ربهم ولذلك فحين نزلت الآية الكريمة (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**) المائدة/ ٩٠ ، ٩١ كان جواب المؤمنين على هذه الآية الكريمة : انتهينا ربنا انتهينا ربنا ، ولم يكن الكلام باللسان بل إنهم أراقوا زجاجات الخمر امتثالا لأمر الله ـ وكان الواحد منهم إذا كان الكأس في يده وقد شرب بعضها نزع الكأس من فيه وأفرغها على الأرض .

وبعد ذلك يأتي الحد للمنحرفين حتى يحميهم من انحرافهم وحتى يحمي المجتمع أيضا من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة على الفرد والمجتمع وفي الحديث الشريف « من شرب خمرا فاجلدوه فان عاد فاجلدوه » .

ولكي يسد الاسلام هذا الباب نهائيا فانه لم يحرم شرب الخمر فقط ، بل إنه حرم كل ما يتصل به من بيع أو شراء أو صناعة أو غير ذلك ، ولذلك فقد لعن النبي صلوات الله وسلامه عليه في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها ـ والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له) الترمذي وابن ماجة .

بل أكثر من هذا ، فقد حرم بيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرا ـ كما حرم مجالس الخمر وفي ذلك روى عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) رواه احمد .

ولا تزال الاكتشافات الحديثة تظهر لنا أضرار تعاطي الخمر ، ومن ذلك أن استاذا فرنسيا حاضر طلبة كلية طب الدار البيضاء بالمغرب عن مرض تشمع الكبد ، وهو مرض خطير يعتبر الخمر من أسبابه القوية وكان مما قاله : « إنكم أيها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما أصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، وليكن مسك الختام أن اقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » وقد أوردت الوزارة الامريكية تقريرا اقتصاديا يشير إلى أن تناول الشعب الأمريكي للخمور يسبب خسائر باهظة للاقتصاد الأمريكي قيمتها ٧٦ بليون دولار سنويا بين خسائر مادية ونقص في الانتاج وقيمة علاج الأمراض التي تنتج عن تعاطي الخمور ، وأكد التقرير أن الخمور تسهم بشكل أو بآخر في الاصابة بالسرطان واضطراب وأمراض القلب ..

والعلم الحديث يبين لنا أن مضار الخمر تأتي من أنه عقب شربها مباشرة تمتصها الامعاء الدقيقة بسرعة كبيرة وترفعها إلى مستويات عالية بالدم في وقت قصير جدا ، وعن طريق الدم يتم توزيع مادة الكحول على جميع اجزاء الجسم بما فيها المخ والرئتين ، ويبقى الكحول بعد ذلك لمدة ثماني عشرة ساعة بعد شرب الخمر ـ وبذلك يتأثر جسم شارب الخمر وعقله دفعة واحدة في آن واحد .

فمن الناحية البدنية تتغير خلايا الجسم لتكيف نفسها مع الكحول ، وتصبح عاملة بأقل من طاقتها الطبيعية ـ كما يصاب الشارب بعسر الهضم وضعف الأعصاب وألمها وبخاصة أعصاب الساقين ـ والكبد يعاني من التغيرات الكثيرة ويبدأ به مرض التليف الكبدي الذي يؤدي الى الاغماء والموت ، ويصاب شارب الخمر بصداع قاس ودوار وغثيان وقيء ، وتتأثر الأذن الوسطى فيفقد الجسم اتزانه ثم يعتاد شرب الخمر فتزداد الجرعات إلى أن يصل إلى فقد كامل للذاكرة ، وفي الصباح ينسى كل ما قاله او فعله ـ وقد ينتهي به الحال إلى أن يتلف عقله ويهمل نفسه وأسرته فلا يشعر بمسؤولياته الاجتماعية ثم يصبح غير خجل من أي فعل يرتكبه ، وهذه أعراض مرض التسمم الكحولي الذي يعتبر أخطر ما يتعرض له شارب الخمر وهذه الأمراض غير مرتبطة بالانتظام فقد يصاب بها من يشربها لأول مرة في حياته ، ومرض التسمم الكحولي من الأمراض غير القابلة للشفاء ، وقد وصلت نسبة الاصابة بها في الولايات المتحدة الامريكية إلى ٤٪ من السكان وتليها فرنسا والسويد وسويسرا والدانمرك وكندا والنرويج وفنلندا واستراليا وانجلترا وايطاليا .

وشرب الخمر ينشر الفساد والاعتداء على الأموال والأنفس والأعراض ، ولم ينج من ذلك أمهات وأخوات المخمورين ، ولذلك فان الاسلام لا يرفع المسؤولية عن شارب الخمر عند ارتكابه لأية جريمة وهو تحت تأثير الخمر كما تفعل التشريعات الحديثة .

العرض :

أجمعت الأديان السماوية على تحريم الزنا لما فيه من الحط بكرامة الانسان وجعله كالبهائم ، مع أن بعض البهائم تأبى هذا السلوك ، وإلى جانب هذا انحلال الأسر ، وتفكك الروابط وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات بين أفراد المجتمع ، وبالتالي إنهيار الأخلاق وإختلاط الأنساب ، ومن هنا فقد حرم الاسلام الزنا ، بل لقد حرم كل المقدمات التي توصل إليه (**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/٣٢ ـ والاسلام يعني بنظافة المجتمع وطهارته وسلامة الأعراض والأخلاق ، فاذا كانت هذه الأمور مطلوبة فالوسائل التي توصل إليها مطلوبة ـ ولو ترك الاسلام ذلك فان إنتشار هذا الانحراف قد يؤثر في المجتمع الاسلامي في رؤية المنكرات فتبعده عن الحمية الدينية والعصبية الاسلامية وفي

هذا خطورة على المجتمع الاسلامي ، والفواحش هي السبب الأساسي للعدوى بالأمراض الزهرية وما ينتج عن ذلك من تعطيل للعمل وصرف للأموال في العلاج ، ثم عزوف الشباب والشابات عن الزواج وبناء الأسرة واستنفاد الطاقة التي خلقها الله في هدف واحد قريب وإهمال النواحي الأخرى .

ومن اهتمام الاسلام بالعرض أنه جعل عقوبة أدبية للزاني إلى جانب العقوبة المادية ، ذلك أنه حرم زواج الزاني أو الزانية من غير صنفهما فقال : (**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**) النور/٣ ـ وذلك لون من ألوان الحرمان من الحقوق الأدبية ـ فالنكاح سبب المودة والرحمة فكيف يكون الخبيث زوجا للطيب ؟ وكيف يمكن أن يكون أحدهما سكنا للآخر ؟ ومنه أيضا أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وفي هذا إيلام لنفسيهما بعد إيلام جسميهما ، فضربهما أمام الناس يجعل العار أبلغ ـ وفي هذا شهادة عامة بين الناس جميعا بأنهما قد تجردا من إنسانيتهما فلا حق لهما في إعادة الاعتبار ، وشهادة مجموعة من الناس للحد ضروري لتحقيق أثره وغايته في الزجر ـ وقد شددت العقوبة على الزاني المحصن ذلك لأن الاحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فاذا ما فكر فيه بعد ذلك فانما يدل تفكيره فيه على قوة اشتهائه للذة المحرمة ، فوجب أن تكون العقوبة فيها من قوة العذاب ما يجعل الانسان إذا ما فكر في اللذة المحرمة وذكر معها العقوبة المقررة تغلب التفكير في العقوبة على التفكير في اللذة المحرمة .

والقذف كما يرى الاسلام هدم معنوي للمسلم الذي يوجه إليه ـ والألم الذي يصيب المقذوف من جرائه ألم نفسي بالغ الأثر ، والقذف عادة تضعف لديه الضوابط الخلقية التي تجعله يقف عند حدوده والعقاب البدني الذي قرره الاسلام وقتي لا تلبث آثاره ان تزول بينما آثار القذف النفسية مستمرة لفترات طويلة ، ولهذا تضمن حد القذف عنصرا يمثل الايلام النفسي ، ويصم القاذف وصمة أخلاقية باقية تطارده في المجتمع الاسلامي إلى أن يتوب ، ويتجلى هذا في إهدار أهليته للشهادة في أي وقت فهو وصف غير مباشر بأنه كذاب .. ولا تعاقب الشريعة على القذف إلا إذا كان محض إختلاق ، فان كان تقريرا للواقع فلا جريمة ، كمن يقذف امرأة بالزنا وقد سبق أن وقعت عليها عقوبة الزنا أو كان معها ولد لا يعرف له أب .

السرقة :

الاسلام كفل لكل فرد من أفراد المجتمع ما يكفيه سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، وقد كفل عمر بن الخطاب لكل مولود ما يكفيه من بيت المال ، كما كفل لكل فرد غير قادر ما يحتاج إليه وأسرته وقد وجد عمر يهوديا ضريرا يسأل الناس ،

وحين سأله لماذا تفعل هذا ؟ قال اليهودي : الحاجة والجزية فأخذ عمر بيده وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وقال : انظر هذا وضرباءه فأعط لهم ما يكفيهم ثم قال : ما أنصفنا هذا وضرباءه إن أخذنا شبيبته وتركناه عند الكبر ، وقد كتب عمر ابن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة عامله بالبصرة قائلا : (وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وزالت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه فقد بلغني أن عمر بن الخطاب مر بشيخ من أهل الذمة يسأل فقال له : ما أنصفناك إن أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك عند الكبر ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ..

ومن هنا فان السارق بعد ذلك يعتبر خائنا ، والسارق الخائن لابد وأن يلقي جزاءه ، وجزاء اليد التي تخون قطعها كما قضى بذلك رب العزة ، والحد في الاسلام مقصود به الزجر والاصلاح واستقرار المجتمع والأمان ـ ولو أن علماء النفس في مجتمعاتنا المعاصرة قاموا بالدراسات الكاملة لنفسية الانسان وعقليته وصالح الجماعات لوجدوا أن الحدود هي أعدل العقوبات ، ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد : أن أبا العلاء المعري لفت نظره الفرق بين دية اليد والمبلغ الذي تقطع فيه فقال :

يـد بخمس مئـين عسجـد وديت   مـا بالهـا قطعت في ربـع دينـار؟

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي اجابة تدل على الفهم العميق لحكمة الاسلام :

عـز الأمانـة أغـلاهـا وأرخصهـا   ذل الخيانة فـافهم حكمة البـاري

على أن ظروف الجريمة قد تدعو للنظر في إقامة الحد ، وذلك إذا كان السارق مضطرا إلى السرقة ولذلك فان عمر بن الخطاب لم يقطع غلمان حاطب بن بلتعة الذين سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، إذ أن عمر أدرك علة الحكم وفهم حكمته وشروط تطبيقه ـ والقاعدة الفقهية المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) باقية ـ ولم يكتف عمر بعدم القطع بل قال يخاطب عبدالرحمن بن حاطب : والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لقطعت أيديهم وغرمه ضعف ثمن الناقة تأديبا له .

كما أن الظروف العامة إذا كانت غير كافية لاعطاء كل فرد من أفراد المجتمع كفايته فان هذا يدخل في الباب السابق ، ولذلك أوقف عمر حد السرقة في عام المجاعة لاضطرار الناس إلى ذلك .

والمجتمعات الحديثة المتحضرة لازالت تتخبط في تقنين العقوبة المناسبة للسرقة ، ذلك لأن التشريع البشري يتأثر بأشياء كثيرة ، أما التشريع الالهي فهو ثابت لا يتأثر بشيء ، وقد اضطر الاتحاد السوفييتي إلى تشديد عقوبة السرقة فقرر

إعدام السارق رميا بالرصاص ، وهي أقسى عقوبة ممكنة ، وقد ورد في الأهرام القاهرية عدد ١٤/٨/١٩٦٣ ان الاتحاد السوفييتي أعدم ثلاثة أشخاص رميا بالرصاص لاتهامهم بالسرقة .. ومع ذلك فلم يتهمه أحد بالقسوة أو الوحشية .

والسجون التي تستخدمها بعض الدول عقابا للسارقين أصبحت مدارس يتعلم فيها الصغار أنواع السرقة ، ويتبادل فيها الكبار خبراتهم في هذا الميدان ، وحتى الذين لم يدخلوا السجن بسبب هذه الجريمة فانهم يتعلمونها عن طريق اختلاطهم بأصحاب هذه المهنة .

وقطع يد السارق يعني تعطيل أداة رئيسية من أدوات الجريمة وتجريده من سلاح العدوان والمقاومة إذا أضيف إليه ما يحدث قطعها من تنبيه وتحذير .. ومعنى السرقة الأخذ عن طريق الاستخفاء والمال في حرز وقدره عشرة دراهم أو ربع دينار ـ وإذا كان السارق يريد زيادة الكسب عن طريق حرام ، فان قطع اليد لازمة لأنها ستمنعه من ذلك .

الحرابة :

الحرابة معناها الخروج على المارة لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة ، مما يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور ، وانقطاع الطريق ، سواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة بسلاح أو غيره ، ويسمى مرتكب هذه الجريمة بالمحارب وتسمى الجريمة بالحرابة .. والعقوبة المحددة أن يقتل الجاني أو يصلب إذا قتل وأخذ المال ، والقتل بلا صلب إذا قتل ولم يأخذ المال ، وقطع يد المحارب ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل ، والنفي من الأرض إذا خاف الطريق ولم يقتل ولم يأخذ مالا .. وهذه العقوبات مقررة في قوله تعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**) المائدة/٣٣ .

والحرابة إنما تكون من الشواذ الذين لا يبالون بالمجتمع ولا يفكرون في عاقبة ، وهؤلاء المنحرفون لا يستحقون الرحمة ، يروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله قدم عليه نفر من عكل فأسلموا واجتوروا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فأضحوا وارتدوا وقتلوا رعاءها واستاقوا الابل ، فبعث النبي في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسبل أعينهم ثم لم يحبسهم حتى ماتوا .. ذلك لأنهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ، ولذلك فقد فعل الرسول الكريم بهم ذلك بدون رحمة مع أن الله تعالى سماه الرؤوف الرحيم ، وهو حد يغلب فيه الطابع الاجتماعي لأنه يتصل بأمن الجماعة وهيبة سلطانها وسلطاتها الشرعية ، وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد .

وفي عصرنا ، في الحجاز ـ كانت الدول ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لرد الاعتداء عنهم من العصابات التي كانت تهاجمهم ، ومع ذلك فان هذه القوات لم تكن قادرة في كثير من الأحيان على المحافظة على الأمن ، مع أنها مشتركة مع القوات الحجازية ، وكان الحجاج أو الرعايا من الحجازيين يخطفون ويفتك بهم ـ إلى أن طبقت الحدود فساد الأمن ، بل وأصبح مضرب الأمثال في العالم كله وأصبحت الأموال تنتقل إلى السعودية من مصرف إلى مصرف دون حراسة ، وفي الدول الغربية تنتقل الأموال بسيارات مصفحة وحراسات ضخمة ومع ذلك فهي لا تسلم من الهجوم عليها وسرقة ما فيها وقتل الحراس .

ومن الأشياء التي تذكر في هذا الصدد في البلاد المتحضرة ما روته الصحافة عن (ولاس ويرت) رجل الأعمال الأمريكي الذي له نشاطات تجارية في جميع أنحاء العالم وهو لا يتحرك إلا ويحيط به رجال مسلحون لحمايته ويتبعه رجال الحرس الخاص به في كل مكان يذهب إليه ، وسائق سيارته يحمل سلاحا وقد تلقى تدريبا خاصا حول وسائل الدفاع المختلفة وكيفية المقاومة والمراوغة بالسيارة هربا من أي هجوم تتعرض له ، وعند سفر السيد/ويرت إلى الخارج يزداد عدد حراسه حيث يسبقه بعضهم إلى البلد الذي سيسافر إليه للتأكد ممن سيقومون بخدمته ، ومن المكان الذي سينزل فيه ، كما يقومون بوضع عدد من المدافع الرشاشة حول الفيللا ، ومما هو جدير بالذكر أن السيد/ويرت وزوجه وابنه يجيدون استعمال هذه المدافع فقد تلقوا تدريبا مكثفا عليها ، واسم ويرت ليس هو الاسم الحقيقي ، وهذه الاجراءات الأمنية رد فعل للتهديدات المتزايدة من بعض المنظمات الارهابية السياسية ضد رجال الأعمال الامريكيين ، ومما هو جدير بالذكر أن عدد رجال الأمن في المدن الامريكية يفوق عدد الارهابيين ، ومع ذلك فان خبراء مكافحة الارهاب في الولايات المتحدة يعتقدون بأن المؤسسات الامريكية معرضة لخطر المهاجمة بشكل دائم ومستمر في الخارج ، وبخاصة تعرض هذه الشركات أو المؤسسات أو فروعها في الخارج لعمليات خطف كبار المسؤولين فيها ، أو القيام بعمليات التخريب في المصانع والأجهزة .

وفي إيطاليا تطالعنا الأنباء دائما بأن رجال الأعمال قد أصبحوا هدفا لجماعات سياسية على درجة كبيرة من الاعداد والتنظيم ، وبالرغم من إجراءات الأمن المختلفة والمكثفة حيث يقوم جهاز خاص للمخابرات برصد وحصر المعلومات الخاصة بجماعات الارهاب السياسي ، بالاضافة إلى الاحتياطات الكثيرة الأخرى إلا أنه مع ذلك فان رجال الأعمال الآن في صراع كبير مع الارهاب السياسي .

وإذا ما انتقلنا مرة أخرى إلى الولايات المتحدة لنطالع الاحصاءات الواردة منها ، فاننا نجد أن ٢٩١ هجوما تعرض لها المواطنون هناك خلال الفترة من ١٩٦٨/١٩٧٦ ، وكانت ١٥٠ منها تتم باستعمال القنابل ، وقام الارهابيون باعتقال ١٢٢ امريكيا واختطاف ٦٤ ـ واجراءات الأمن هناك تعتبر سرية ..

ويذكر دكتور (روبرت كوبرمان) كبير العلماء في وكالة نزع السلاح بالولايات المتحدة وأحد خبراء مكافحة الارهاب الرئيسيين في واشنطون (أن أي مؤسسة متوسطة الحجم تحتاج إلى مليون دولار لانفاقها على الأبحاث والدراسات الخاصة بمكافحة الارهاب . وانه يجب الاهتمام بتعليم قائدي السيارات العاملين في المؤسسة طرق وسائل المناورة الدفاعية مع تدريب المسؤولين وشاغلي المناصب الكبرى في المؤسسة او الشركة على كيفية اكتشاف ما إذا كان هناك من يتبعهم ، أو يقتفي أثرهم مع ضرورة تغيير الطريقة والوسيلة التي يتبعونها عادة في سفرهم أو تنقلاتهم ـ واستخدام السيارات المصفحة التي لا ينفذ إليها الرصاص وارتداء الملابس الواقية من الرصاص .

ويلاحظ أن مؤسسة (ميامي واكت هت) مثلا تقدم خدمات خاصة مثل التأكد من الخدم الذين يعملون في خدمة رجال الأعمال الامريكيين بالخارج ـ ومراقبتهم ـ إلى تزويد رجال الأعمال بحرس خاص وتركيب آلات التنبيه والتحذير إلى المنازل والمصانع .

ومع ذلك كله فهل نجحت هذه الأساليب في منع الجرائم ؟ هناك الكثير من عمليات الخطف ـ وهناك التزايد السريع في عدد بوالص التأمين ضد الخطف التي تعقدها شركات التأمين .. ويشير الدكتور كوبرمان الى أن جماعات الارهاب في العالم قد نجحت في ابتزاز حوالي مائتي مليون دولار من شركات ومؤسسات متعددة الجنسية ويقول : إن عمليات الخطف تعود بالربح الوفير على جماعات الارهاب .

وقد تبين أن من كل مائة حالة خطف في ايطاليا وألمانيا قتل منها اثنتا عشرة ضحية خلال محاولات الشرطة إنقاذ هذه الضحايا .

وتشير الاحصاءات التي قامت بها مؤسسة (راند) إلى أن ثلاث ضحايا من كل مائة ضحية عمليات الخطف قد لقوا مصرعهم عمدا على أيدي مختطفيهم وأن ٨٥٪ من كل مائة ضحية قد تم إطلاق سراحهم بعد دفع الفدية في الغالب ، وقد لوحظ أن أهم عنصر في إنقاذ الضحايا كان هو القيام بعمليات التفاوض مع الجماعة الارهابية بطريقة ناجحة تضمن إنقاذ حياة الضحية ـ ففي أغلب الاحيان يتطلب تدبير مبلغ الفدية المطلوب وقتا يستغرق في عمليات التفاوض بين الجماعة الارهابية وأصحاب الشأن ـ فحياة الضحية تعتمد في الواقع على مدى نجاح هذه المفاوضات .

ماذا يريد الغرب :

تبين لنا من العرض السابق ما يلاقيه الغرب من المتاعب التي ترتب عليها فقد الأمن بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع إلى جانب الخسائر المادية والمعنوية التي

يفتقدها كل شعب من الشعوب الغربية . ولقد فشلت كل التشريعات التي أقامتها المجتمعات الغربية في بعث الأمن والاستقرار وفي تلافي الاضرار الناتجة عن عدم استعمال العقوبات المناسبة ..

يقولون إن الحدود الاسلامية عقوبات قاسية ، وفيها إيلام شديد لا يتناسب مع الجريمة مما يجعل هذه الحدود ظالمة .. يقولون هذا وهم يلاقون ما يلاقون من فشل في تأمين الافراد والمجتمعات في دولهم من زاوية ومن زاوية أخرى فهم يذيقون الافراد ألوانا من العقوبات لأشياء سياسية أو شخصية .

والاسلام الذي أقام الحدود حرم أن يضرب إنسان بغير حق وأن يجلد ظهره إلا في حد وأنذر باللعنة من ضرب إنسانا ظلما ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه .

بل أكثر من هذا .. فقد حرم الاسلام الايذاء الادبي للانسان عن طريق اللمز والهمز والتنابز بالالقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات/ ١١ . ثم كفل الاسلام للانسان الاحترام بعد مماته ـ ولذلك أمر بغسله وتكفينه ودفنه ـ والنهي عن كسر عظمه أو الأعتداء على جثته إلا لضرورة ـ وقد قام النبي عليه السلام حين رأى جنازة فقالوا : إنها ليهودي فقال عليه الصلاة والسلام : (أليست نفسا) رواه البخاري ـ كما حرم عرضه وسمعته بعد موته فقال عليه السلام : (لا تذكروا موتاكم الا بخير) رواه أبو داود .. بل أكثر من هذا فالاسلام يحترم كل ذى روح من غير بني الانسان والحديث الذي يتحدث عن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هي اطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض والحديث الشريف الذي يروى الناحية المقابلة عن رضا الله عز وجل عن رجل سقى كلبا حين رآه فعرف أنه يلهث من العطش فنزل البئر وملأ خفه وسقاه فغفر الله له بذلك ، ومن ذلك ما يروى من أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال عليه الصلاة والسلام : أتريد أن تميتها مرتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها) الطبراني ، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يتخذ شيء فيه الروح غرضا ونحن في البلاد المتمدينة نرى صراع الديكة والثيران وما إلى ذلك ..

وفي بني الانسان « نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوشم في الوجه والكي تكريما للانسان » رواه مسلم وقد روى مسلم عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي : أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » فاذا

كانت الرحمة تصل إلى هذه الدرجة لغير بني الانسان وللانسان فكيف يتهم الاسلام بالقسوة في حدوده .

إن الحد في الاسلام يقام مرة ليحمي المجتمع من فقد الأمن ومن القسوة التي يلقاها أفراد المجتمع بين أفراده وجماعاته من انتشار الفوضى على ما نرى في المجتمعات الغربية في العصر الحديث ، ومن هنا فقد حرص الاسلام على تمكين الاثر المترتب عليه سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

وقانون العقوبات حين يوضع إنما يقصد به أن يكون جزاء على عمل الشر والافساد فلابد وأن تكون العقوبة رادعة ـ ولو قرن الغربيون هذه العقوبة وتأثيرها ـ بالجريمة وآثارها ـ لو استحضروا فعل السارق وهو يسير ليلا ويشهر السلاح ويروع الآمنين في بيوتهم ـ لو أنهم نظروا إلى هذه الأشياء وقارنوها بقطع يد السارق الآثمة لغيروا رأيهم ـ ولعلموا أن هذا هو الجزاء العادل .

ويتهم الغربيون الحدود الاسلامية بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية ـ وأن المجرم مريض يحتاج إلى علاج لا إلى عقوبة ـ وهذا كلام ليس له ضابط وليس من السهل تحديده وقد جربوا ألوانا من العلاج الذي يقولون به فلم يفدهم ذلك شيئا وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد في كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة ـ والاسلام يرى أن هذه الأشياء لا تصلح مبررا لارتكاب الجريمة ، ولا يصح أن يفلت المجرم من العقاب ـ والحدود الاسلامية هي علاج حقيقي للمنحرف ـ حقيقة إنه عقاب قاس ولكنه عقاب لجرم قاس ايضا بعد أن أحاطه الاسلام بالضمانات الكافية في التربية الاسلامية التي تربط المسلم بالله تعالى ، وفي التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك ـ نعم هو عقاب قاس ولكنه ناجع وفي الوقت نفسه مفيد للشخص نفسه ـ هو كبتر الجزء المريض من جسم الانسان فانه مع قسوته الظاهرة هو الرحمة بعينها لأنها ستبقى على الجسم كله سليما يؤدي رسالته في هذه الحياة فالذي لا يصلح فيه كل هذا لابد من بتره فذلك خير له وللمجتمع .. ثم إن المجرم حين لا يوقع عليه الحد فانه سيتمادى في إجرامه وسيقوم صراع بينه وبين المجتمع وأجهزة الأمن وسيصيبه من جراء ذلك أضعاف الحد ..

ومع هذا فقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسؤول من العقاب كالمجنون والمضطر وما إلى ذلك ـ وجعل المسؤولية تبدأ من البلوغ ـ والاسلام أيضا راعى أحوال المجرم في عقوبة الزنا فالزاني المحصن عقوبته الرجم ـ وغير المحصن عقوبته الجلد ـ وقد سد الاسلام بذلك أبوابا كثيرة من الفساد الذي لم تستطع المجتمعات المعاصرة سدها أو إيقاف تيارها فمع أن الدول الغربية تبيح الاتصال الجنسي من غير حدود مادام ذلك يتم برضا الطرفين فأننا نلاحظ أن الاغتصاب ـ وهو الذي لا يتم برضا الطرفين بل يتم عن طريق العنف ـ هذا الاغتصاب يمثل في أمريكا أحد الجرائم الثلاثة الكبرى التي تحدث كل ثلاث ثوان ـ وهو القتل وسرقة البنوك والاغتصاب ـ وقد بلغ عدد الفتيات اللاتي

اغتصبن في امريكا خلال عام ١٩٧٥ ٥٥ ألف فتاة أمريكية طبقا للتقريرات الرسمية ـ ومع ذلك فان التقريرات غير الرسمية ترفع هذا العدد إلى ثلاثة أضعاف ـ وبعض المهتمين بهذه النواحي يؤكدون أن العدد يصل إلى نصف مليون فتاة علما بأن بعض الفتيات يقتلن بعد عملية الاغتصاب ..

وفي عقوبة السرقة راعى الاسلام ظروف المتهم فالسرقة العادية عقوبتها القطع ولكنها في الحرابة قطع اليد والرجل .

ومع هذا كله فان الشك في الحدود الاسلامية يفسر لصالح المتهم ـ وفي الحديث الشريف « إدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه الترمذي والحاكم والبيهقي . وعمر بن الخطاب يقول : لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات » ومنها شبهة الملكية في السرقة ـ ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبراني ـ وفي شهادة الزنا لو شهد ثلاثة وتراجع الرابع فان حد الزنا لا يقام على المتهم بل يقام حد القذف على الشهود لأنهم في هذه الحالة يعتبرون كاذبين .

وفي القوانين الحديثة قاعدة تقول : « لأن يفلت مجرم من العقاب خير من أن يدان برىء » وهي تماثل القاعدة الفقهية : (لأن يخطيء الامام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة) ومعنى ذلك أن القاضي إذا تشكك في ارتكاب الجاني لجريمته أو في انطباق النص المبين للعقوبة على الفعل الذي أتاه وجب تبرئة المتهم .

ثم ان في اقامة الحد على المجرم في الاسلام ـ مصلحة مؤكدة له لأنها تخلصه من العقوبة في الآخرة وفي معاقبته إذا أجرم تطهير له من الخطيئة في الدنيا لأن عقابه يوقظ فيه معاني الايمان الدفينة وتحسسه بعظم تقصيره في جنب الله مما أدى به إلى هذا العقاب وهذا يجعله غالبا يتوب إلى الله تعالى .

وتتميز الحدود الاسلامية في أن القانون يصل إلى كل إنسان في الدولة مهما كان مركزه ـ فلا ترتفع المسؤولية الجنائية عن وزير أو رئيس دولة ـ ولا يملك رئيس الدولة حق العفو لغيره أو لنفسه ـ والتاريخ يحدثنا أن امرأة مخزومية سرقت فأهم أمرها المسلمين ووسطوا في شأنها أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فغضب غضبا شديدا وصعد المنبر وقال للمسلمين : « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » رواه احمد .

والقضاء في الاسلام جزء من الولاية العامة التي يتولاها الخليفة بنفسه أو ينيب عنه من يتولى القضاء ويحدد له اختصاصاته ـ وفي تنفيذ الأحكام كان القاضي يتولى بنفسه تنفيذ ما يصدره من أحكام ـ ومن الجدير بالذكر أن القاضي كان لا يحتاج إلى معونة في تنفيذ الأحكام لأنهم كانوا ينفذونها من تلقاء أنفسهم والشريعة الاسلامية لم تأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات .

وتمتاز العقوبات الاسلامية بأنها تجعل المسؤولية شخصية على عكس بعض

الأنظمة الحديثة والقرآن الكريم يحدد ذلك في قوله تعالى : (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الأنعام/ ١٦٤ .

ولعل هذا كله هو الذي جعل مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد في جامعة دمشق عام ١٩٧٢ يقرر أن (**التشريع الاسلامي هو أجدى تشريع في مكافحة الجريمة**) وان المؤتمر يهيب بالدولة أن تقترب في تشريعاتها من التشريع الاسلامي لمكافحة الجريمة .

والدول المتمدينة في العصر الحديث اهدرت حرية الانسان وحطمت كرامته لانه يعترض على رأي الزعيم مثلا مما لا يكون اي لون من الوان المخالفات في الاسلام الامر الذي جعل انسان العصر الحديث يلاقي من الاهوال ما لم يلقه انسان على مدى التاريخ ذلك لان الذي يحدد العقوبة هو الانسان الحاكم الذي يهمه ان يعمل لمصلحته وان ينتقم لكرامته والانسان قد يكون في قلبه بغض او حقد او استعلاء فهو ليس مؤتمنا في وضع العقوبات ، والحاكم يستخدم كل أجهزة الدولة في سبيل مصلحته وفي المحافظة على ملكه .. ومع هذا كله فهم يقولون ان الاسلام اهدر كرامة الانمسان وآدميته حين قرر الحدود مع ان الانسان الذي ارتكب عقوبة تستوجب الحد هو الذي اهان نفسه وتعدى على غيره .. وهم يتكلمون كثيرا في الزنا وفي قسوة عقوبته والاسلام له رأي في الزنا تظهر اهميته في الآثار التي ترتبت على الزنا في المجتمعات الغربية فحطمت الفرد ـ كما حطمت المجتمع وان كانوا لا يقرون بهذا صراحة ولا يدخل الزنا في باب الحرية الشخصية لان فيه اضرارا بغيره واعتداء على الاسرة الاسلامية المتماسكة وهدم لكيانها ـ وهي في نظر الاسلام ـ الخلية الاولى التي يتكون منها المجتمع ـ وفيه اشاعة للريبة في النساء والزوجات وتشكك في الانساب وتضييع للاطفال ـ وهذه كلها اخطار تصيب المجتمع يضاف اليها نشر العزوف عن الزواج وانتشار الامراض المختلفة الى غير ذلك من الاضرار التي نراها منتشرة في المجتمعات التي تبيح هذه الانحرافات لذلك كان من حق المجتمع الاسلامي ان يحمي نفسه من هذه الاضرار التي يسببها الزنا . مع انها لذة وقتية كان يمكن للزاني أن يحصل عليها بالزواج واذا كان متزوجا فانه يحصل عليها من زوجه ـ وتعسر الزواج ان وجد لا يعتبر مبررا للزنا فهناك مآرب اخرى لطاقة النشاط الجسمي في العمل المستمر وفي الصيام وما الى ذلك .
والزنا برضا الطرفين لا يجعله مشروعا في الاسلام لانه لا يزيل الاضرار المختلفة المترتبة عليه والاعراض ليس فيها بذل كالاموال لان الاثار المترتبة عليها تصيب الافراد والجماعات ـ ومن هنا كان الحد حقا لله عز وجل لا حق الافراد .
ومن تمام صيانة الاعراض في الاسلام انه حفظها حتى من الحديث عنها بغير دليل ومن هنا كان القاذف الذي يتهم غيره بالفاحشة بدون ان يستطيع اقامة الدليل يعتبر كاذبا وقاذفا ـ ويقام الدليل على كذبه بجلده علانية فهو الذي اهدر كرامة نفسه بتعريضها للجلد حين اتخذ هذا الاسلوب في اتهام الناس ... وهكذا تحرص

التربية الاسلامية على طهارة المجتمع وصيانته بالتربية المتكاملة ثم يتمم ذلك القانون الاسلامي بايجاد العقوبة التي تساعد على تحقيق هذه الطهارة .. والمعترضون بعضهم يرى ـ من وجهة نظره ـ انها ليست بجريمة وبعضهم لا يرى هذه الخطورة أو أنهم يرونها ولكنهم لا يهتمون بها ..

والحضارة الحديثة تحكم بالاعدام على جرائم قد تكون وهمية ـ ومع ذلك فهم يقولون إن قطع يد السارق وحشية قد انقضى عهدها فهي لا تليق بالفرد وفيها إضرار بالمجتمع لأنها تجعل المقطوع عاجزا وفي الحبس كفاية .. والحبس لا يكفي بل انه ينشر اساليب الجرائم عن طريق من فيه كما بينا ـ ثم ان وجود المقطوع عالة على المجتمع خير من ابقائه سليما وهو يعيث في الارض فسادا .

والمدنية الحديثة ترى ان الانسان حر في نفسه ـ ومن حريته الشخصية ان يشرب الخمر فلا فرق بين شرب الخمر وشرب الماء والاسلام يرى ان الانسان ليس حرا في نفسه لان له رسالته في هذه الحياة ولن يستطيع أن يؤديها كاملة إلا إذا كان سليم الجسم سليم العقل سليم النفس ، ومن الذي قال ان الانسان يعرف مصلحة نفسه ونحن نرى اعدادا من الناس يتصرفون تصرفات تعود عليهم بالضرر البالغ ومن ذلك شرب الخمر الذي يضر بالجسم ويضر بالعقل ويقلل الانتاج ، وليس هذا فقط بل ان الاضرار المختلفة ستنسحب على المجتمع من نواح كثيرة .

والمدنية الحديثة فيها الوان من التصرفات التي تدل على عدم احترام الانسان او المحافظة على كرامته ، ونحن نرى ونسمع عن الاجهزة المختلفة التي تقوم بالتجسس على الافراد في بيوتهم وفي محال اعمالهم لترى مدى اخلاصهم للحزب او للقائد ـ وترسل وراءه رجالا في كل مكان يكتبون تقريرات عنه في ذلك ـ ولادنى شبهة يعذبونه بألوان من التعذيب النفسي والجسمي ـ وقد يبقى في المعتقل سنوات يلاقي ما يلاقي ـ وقد يقتل او يموت من التعذيب ـ وتتبعه اسرته واصدقاؤه في ملاقاة المتاعب على ايدي رجال الحزب والمباحث والمخابرات ـ ولكن الاسلام يرفض كل هذه الاشياء ، ويترك كل انسان آمنا في بيته وفي عمله ـ والمرتد لا يتجسس عليه احد ولا ترسل وراءه المباحث والمخابرات ـ ومن هنا فانه اذا كتم ردته فلا سبيل لاحد عليه ـ ولكن اذا اعلنها ففي ذلك تشجيع للمنافقين وتشكيك الضعاف العقيدة وهذا يؤدي الى اضطراب المجتمع واهتزاز نظامه .. ومن الواجب القضاء على جرثومة الفساد .. ومع هذا فان الاسلام يعطي المرتد فرصة للتوبة ويحبس ثلاثة ايام فان تاب فبها ونعمت ، والا وقعت عليه العقوبة وقطع دابره واصبح المجتمع سليما منه .

والاسلام يحدد المواطن التي يعاقب فيها بالقتل وقد حددها النبي الكريم في قوله : (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه وبهذا التحديد صار المسلم في المجتمع الاسلامي الذي يحكم بالاسلام يعيش في امن وامان ولكنه تحت لواء المدنية

الحديثة يلاقي ما يلاقي لسبب او لغير سبب ـ واذا كان المسلم في ظل المجتمع الاسلامي حرام على الجميع انتهاك ماله أو عرضه أو دمه فانه تحت لواء المدنية الحديثة لم يعد يحس بشيء من ذلك كله .
وحين نطبق الحدود الاسلامية وتسد المنافذ امام الشفاعة والمحسوبية فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر في اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر او شاذ الدوافع وهم قلة وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم .

خاتمة :

تهتم كل دولة بأن يسود الأمن مجتمعها ، وهذا يدل على نجاحها في ادارة دفة الأمور ، وفي صلاحية القوانين السائدة فيها ولذلك فانها تعلن عادة في نهاية كل عام عن حالة الأمن فيها ، وحين ينخفض معدل الجريمة تهلل الحكومة ومعها كل وسائل الدعاية والاعلام لان الدولة قد تمكنت من زيادة الامن فيها للافراد وحماية حرمات الناس وضبط المجتمع .. ومعنى ذلك انها نجحت في عملها بمقدار ما حققت من الامن ، والا فان النظام الموجود في الدولة قاصر عن تحقيق الامن للافراد والمجتمع فتزيد في اجهزة الامن وفي الوسائل التي يستخدمونها لمراقبة المجرمين والتصدي لهم والامر لا يقتصر على اجهزة الامن بل ان المجرمين بدورهم يقيمون أجهزة مضادة لأجهزة الامن ـ! ترصد حركاتها وتقاومها وتصيب من افرادها بمقدار تعرضها له ، بل انها قد تقف احيانا متحدية لكل أجهزة الأمن ، ولعل هذا هو الذي جعل عصابات النشل والسرقة بالاكراه والاختطاف والتعصب والسطو الجماعي والاغتيالات التي تعرف اسبابها او التي لا تعرف مما هو موجود في المجتمعات المعاصرة ، ولا يوجد في المجتمعات التي تطبق الحدود في قديم الانسانية او حاضرها .
وقد لوحظ ان المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الاسلامية يتمتع افراده بتوازن نفسي من نوع يريح ويطمئن ، ويجعل طاقات الافراد تتحول الى البناء والعمل المنتج اذ لا يوجد للافراد ما يصرف القوى الجسمية والنفسية عن مسالكها السليمة ، وبذلك تصبح قواهم الجسمية والنفسية والمالية سليمة فيقبلون بها على البناء .. وبذلك تهيىء الحدود الاسلامية مناخا حرا يتنفس فيه من عرف كيف يحترم حريات الآخرين وفي الوقت نفسه تضيق الخناق وتطارد من يحدثون انفسهم بالعدوان على الناس كما تروع الخارجين على القوانين الاسلامية التي تعمل على احاطة المجتمع والامن والاطمئنان .. ومن هنا كانت الحدود الاسلامية من مظاهر رحمة الله بعباده لانها تزجر الانسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الأثم ، واذا وقع في الجريمة فان العقوبة بالنسبة له بمنزلة الكي بالنسبة للمريض او بمنزلة قطع العضو الفاسد بالنسبة للمجتمع .. والحرية الشخصية مشروطة بان لا تؤدي الى اي نوع من الاضرار بالنفس او الاضرار بالمجتمع .

والاسلام يدرأ الحدود بالشبهات ومن هنا فان بعض الجرائم لا يمكن ان تثبت الا بالاعتراف كالزنا والاعتراف من خصائص الاسلام لانه ناتج من التربية الاسلامية ومن تقوية ضمير المسلم وربطه بالله تعالى ومن هنا فان من الطبيعي ان يأتي رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له : يا رسول الله طهرني بالحد وكلمة طهرني تبين الى اي مدى كان ضمير المسلم قويا وكيف انه يريد ان يذهب الى ربه طاهرا سليما وذلك بعد ان ضعفت ارادته في فترة من الفترات .
ان المجتمع الذي ليس فيه جرائم هو مجتمع مثالي لا يتوفر وجوده في هذه الحياة ، ولكن هناك فرق بين ان يكون الانحراف حوادث فردية وبين ان يكون ظاهرة اجتماعية منتشرة تفقد الناس احساسهم بالامن . والبلاد العربية التي لا تطبق الحدود الاسلامية تزداد فيها الجرائم بصفة دائمة وقد اشارت الدراسة العربية الى ان الكويت سجلت اعلى نسبة في جرائم الجنس حيث سجلت ٣٢٠ حالة بغاء واغتصاب عام ١٩٧٢ وزادت هذه الحالات بنسبة ٤٩٪ في السنوات الأربع التي تلتها وفي الجزائر كانت حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (١٩٠) حالة ثم زادت في الاربعة اعوام التالية بنسبة ٥٤٪ وفي تونس كان عدد حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (٢١٨٠) حالة زادت بنسبة ٨٣٪ في الاربع سنوات التي تليها وفي السودان كان عدد الحالات عام ١٩٧٢ (٨٦٥) زاد بنسبة ١٢٣٪ .
ولعل الاحصائية الآتية التي اعدتها هيئة الامم المتحدة عن معدل الجريمة في بلاد تطبق احكام الشريعة الاسلامية بالمقارنة بمثيله في البلاد الغربية ترينا الفرق الهائل في نسبة الأمن في البلاد التي تطبق الحدود الاسلامية مع ملاحظة ان هناك اشياء تعتبر جرائم في التشريع الاسلامي ولا تعتبر جرائم في التشريعات الوضعية مثل شرب الخمر والزنا ـ وقد اذيعت هذه الاحصائية في مؤتمر وزراء العدل الذي عقد في القاهرة في يناير عام ١٩٧٩ تقول احصائية المنظمة الدولية انه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصا ، وفي فرنسا ٣٢ الف شخص وفي كندا ٧٥ الف شخص
وفي فنلندا ٦٣ الف شخص وفي المانيا الغربية ٤٢ الف شخص .
ومن يتأمل هذه الاحصائية جيدا يدرك الى أي مدى كانت الحدود الاسلامية هي هدية الله الى البشرية الضالة التي تريد ان تتمتع بالامن والاستقرار ولكنها اخطأت الطريق .

فالى هذا العالم الحائر الذي يريد ان يعيش في ظلال الامن والاستقرار اهدى هذه الكلمات عله ينظر بعين العدل والانصاف الى الحدود الاسلامية فيكف عن مهاجمتها ويحاول ان يستفيد بها في حل مشكلاته المتزايدة والله الذي حددها هو الله الذي خلق البشر والذي يعلم السر وأخفى والذي يحيط علمه بكل شيء وهو ادرى بما يصلح لعباده الذين خلقهم وكرمهم وفضلهم على سائر مخلوقاته ليحققوا خلافته في عمارة الارض ونشر العدالة والامن والسلام فيها .

عطاء العلم بين الايمان والالحاد

للاستاذ
محمد الدراجيلى

إن كان لا بد لكل موضوع من مقدمة تعرف بغرضه ومنهجه ، فأرجو ان اصنع هذا في كلمات سريعة .

اولا : ان ما نطرحه هنا ـ عبر مجلة الوعي ـ من فكر مؤمن ليس الا حقائق راسخة أثبت التطبيق العلمي والعملي نجاحها ـ فهي بالحق وللحق ليست موضع جدل او نقاش ، وما دور القلم إلا تعميق مفاهيمها في ضمير الأمة بأسلوب لا يخفي وراءه زخرفا من قول ، أو ادعاء من فراغ ، عل عناصر الحق والصدق فيها تستميل شبابنا ، فتصبح حداء للركب المتأهب ، ونشيدا للنصر المؤمل ، وشعاعا ينير الى الطريق المنشود .

ثانيا : ليس لدي قدر يسير او كثير من الرغبة في أن ترتدي كلماتي ثوب الناصح أو رداء العالم الذي يلقي معارفه من خلف منصة الأستاذية ، انما هي انطباعات صادقة أسرعت للتعريف بها ـ إيمانا مني بقدرتها على العطاء والبذل في المعركة المحتومة بين الايمان والالحاد .

العلم في منظار الاسلام :

العلم في نظر الاسلام قيمة من القيم الرفيعة التي كرمها الحق ـ سبحانه ـ وفضلها على سائر القيم نلحظ ذلك في هذا الحوار الذي قصه علينا القرآن الكريم والذي دار بين نبي من أنبياء بني اسرائيل وقومه في قوله تعالى : (**وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى**

يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) البقرة/ ٢٤٧ فبسطة العلم هنا فاقت سعة المال كما نرى .

وإذا كان القرآن قد فضل العلم على المال ، فاننا نراه أيضا ـ قد شرف العلم ، وكرمه وارتقى به إلى ما هو أجل من عرش الملوك ، وجاه السلاطين ، وأي ملك هذا الذي نتحدث عنه إنه ملك سليمان الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فضل القرآن العلم على هذا الملك حين امتن على داود وسليمان بالعلم .. لا بالملك ـ في قوله سبحانه : (**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**) النمل/ ١٥ .

وذلك الفضل العظيم لا يمنحه الله إلا لأناس من صفوة خلقه ، حدد السمات التي يتحلون بها من صفاء القلب ، ونقاء الضمير والخشية لله ، في قوله جل وعلا (**أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ فاذا انتقلنا الى السنة النبوية واجهنا حشد هائل من الاحاديث التي تفيض بالثناء العاطر على العلم وتكرم العلماء نقتطف منها قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عبد البر وقوله « وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر » رواه ابن عبد البر والحديث الاول مبدأ من مبادىء حقوق الانسان في الاسلام لم يستطع عالمنا المعاصر تحقيقه حتى اليوم ، فاذا كان التعليم الزاميا في المرحلة الابتدائية ، فانه عند المسلمين الزام وفريضة في كل مراحل العمر .

وبالنسبة للحديث الثاني فان تعليقا للامام الغزالي رحمه الله يقول فيه أي منصب أعلى ممن تشتغل الملائكة بالاستغفار له ؟ هذا التعليق يكفينا مؤونة الحديث عنه ، او التعليق عليه ولقد شجع صلوات الله عليه وسلامه العلماء ، وحث الناس على الاخذ بالعلم ، والتفقه فيه بالقول والعمل ، فجعل فداء الاسرى تعليم بعض ابناء المسلمين ، وجعل صداق المرأة تعليمها . والانصاف يقتضينا ان نقول ان رسول الله ـ عبأ كل القوى المؤمنة ودفعها لنشر العلم وتيسيره بين الناس في مدرسة الأرقم بن أبى الأرقم في مكة ، وفي مدرسة مصعب بن عمير في المدينة بل وفي خارج الجزيرة في الحبشة في مدرسة جعفر بن أبي طالب .

أما أداء المؤمنين ، وتكريمهم للعلم والعلماء ، فان من الخير ان نعيد الى ذهن القارىء هذه القصة ففيها كل الغناء بل وفيها الاشارة التي تغنى عن العبارة عما كان يتمتع به العلماء من شرف عظيم في نظر الملوك والامراء . مما يستحق ان يكون مضرب المثل عن حضارة الانسان المسلم ورقيه .

ومضمون تلك القصة ان المأمون اختار الفراء لتأديب ولديه ، وحين كان

يجلس الفراء لالقاء درسه كان يخلع نعليه ، فاذا انتفض قائما تسابق الولدان في حمل نعله اليه ـ وعلم بذلك الخليفة ، فسأله يوما من اعز الناس يا فراء ـ قال الفراء : أمير المؤمنين أعز الناس ، فقال : لا والله إن أعز الناس من يتسابق وليا عهد المسلمين في حمل نعله اليه .

فهل عطاء هذا العلم يستحق فعلا هذا التكريم والتبجيل ؟ نعم . نعم لأن العلم الذي يعنيه الاسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم الحياة كلها كلياتها وجزئياتها العلم النظري الذي يشير اليه قول الله سبحانه : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق/ ١ والعلم الواقعي الذي يتخذ من الواقع والكون كتابا له والذي يلفت القرآن النظر اليه في قول الله : (**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/ ٢١ و ٢٢ (**أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ هذا كله في الوقت الذي عرفنا فيه علم الآخرين يدين بالنظرة التجريدية للفلسفة اليونانية ، ولم يعتمد المذهب الواقعي التجريبي إلا حين عرف حضارة الاسلام وانتقلت إليه بواسطة الأندلس وعن طريقها ـ يقول « بريفولت » مؤلف كتاب بناء الانسانية « ان الحضارة الأوروبية مدينة بالضرورة في كل نهضتها للثقافة الاسلامية التي نقلتها عن الاندلس » .

ان هذا العلم المؤمن علم موصول بالله ، مقترن بنية العبادة ، يؤكد ذلك ما جاء على لسان حجة الاسلام الغزالي ؛ فقد كان رحمه الله يرى ان الغرض الاسمى من العلم هو التقرب الى الله وليس طلب الرياسة او الفخر والمباهاة ، ومن هنا فانه علم بناء استهدف رخاء الانسانية وصلاحها ، ولم يحدث ان اتجه الى تخريب او تدمير او عدوان او بغي ، حتى في اعز فترات تطوره ، ويوم ان كان يقود قافلة البحث والمعرفة علماؤه الاجلاء امثال ابن الهيثم الذي الف ما يربو على مائتي كتاب في الفلك والكيمياء والطبيعة ، والذي ترجم له كتاب « المناظر » الى اللاتينية في القرن السادس عشر الهجري فلما انتقلت قيادة العلم الى الآخرين اذاقوا الدنيا مرارة القتل والقهر والرعب والتسلط ، في الحروب العالمية وما بعدها وحتى يومنا هذا . فالفارق كبير والبون شاسع لان الأول ينطلق من قاعدة الايمان التي يستمد منها المسلم فكره وعلمه وسلوكه : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ .

اما الآخر فانه علم يتخذ المادة أساسا ، والغلبة شعارا وفرق بين الثريا والثرى .

ان العلم في الاسلام يطلب لذاته ، فهو في نظر العلماء المسلمين ألذ شيء في الحياة فقد تعلموا راغبين ، وكتبوا والفوا محبين عابدين ، وخير مثل على ذلك ما كان يقوم به الجاحظ من اكتراء دكاكين الوراقين والمبيت فيها طلبا للعلم وبحثا عن المعرفة ، ويسأل

الامام مالك رضي الله عنه فيما لو بقيت له ساعة من عمره فيم يقضيها فيقول في طلب العلم . من أجل هذا كله تركوا ثروة هائلة من المجلدات والاسفار ، وقدموا للحياة الافذاذ من العلماء امثال الفارابي ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وابن الهيثم ، مما يجعلنا مطالبين وبالحاح في البحث عن انفسنا وذواتنا ، والعمل على عودة الروح الباحثة اليها ، وان تأخذ التربية في اعتبارها تلك المثل ، لنثري الحياة بالحق والعدل والخير كما اثريناها سابقا ، ولنعز دين الله بالعمل الطيب كما فعلنا من قبل .

إن المسلمين اخذوا انفسهم بمبدأ التعلم الذاتي والمستمر ، ودعوا اليه من قبل أن تعرفه التربية في هذا العصر ، فلم تتقيد مدارسهم ، أو معاهدهم أو مساجدهم أو كتاتيبهم بسن معين او نبوغ معين ، أو قدرات أو مهارات بل يسرته للجميع وأباحته لكل راغب ، يسأل ابو عمر وبن العلاء ـ هل يحسن بالشيخ ان يتعلم فأجاب إذا حسن له أن يعيش ، فأحسن منه أن يتعلم .

إن العلم المؤمن في أزهى عصوره ؛ وأعظم فتراته التزم بمنهج الله في عمارة الحياة واثرائها ، ومنحها الرخاء والسكينة والرفاهية والأمان .

واذا كنا ننبهر ـ الآن ـ أو البعض منا بما حققه العلم الكافر في هذه العصور من الكشوف والمخترعات ، فاننا نحمد له ما التزم به من علم نافع ، وننعي عليه عجزه عن توفير الامن والطمأنينة في النفوس ، ويؤسفنا ان نقرر ان عالمنا في عصر يدعى فيه أنه عصر العلم يعاني قلقا رهيبا تظهر آثاره في حالات الصرع والجنون ، وحوادث الانتحار وتفكك الاسر . ذلك لان قادة المعرفة والاختراع ينطبق عليهم قول الحق سبحانه : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ اما علماؤنا فقد عرفوا مفهوم الآية ومضمونها ، ومنهج الله فيها ، فبحثوا والفوا ، وهم يدينون بقول الله سبحانه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/ ٧٧

ان هذا يدعونا الى الايمان الصادق بالعودة من حيث بدأ المسلمون الأوائل ، كما يدعونا الى الايمان الواثق بأن دورنا في الحياة لم ينته ولن ينتهي ، وأننا قادرون كما قدرنا من قبل على أن نضيف الجديد من الخير والحق وقادرون على أن نأخذ الراية ونستلم الركب ونتقدمه ولن يكلفنا ذلك اكثر من أن نصطلح مع الله ونعود اليه ، ونعلم انه عند التطبيق نجح علمنا ، وبنى وأسس ، وبالتطبيق انتكس علمهم ودمر وخرب ، وأن الحياة اليوم تذرع الخطى وتتلهف في معاناة . لنأخذ بيدها لانقاذها مما اصابها ، ونحن مهيأون لذلك . بعون الله ـ وهو قدرنا لأن مشيئة الله اقتضت وقضت بأن الأرض لن يرثها دعاة الفتك ، ولا حملة الكراهية بل سيرثها عباده الصالحون بناة الحق ، أولياء الايمان والعقل ، أصدقاء الانسان والحياة .

بشائر النور

للأستاذ : محمد عبد الله القولي

خفق الفؤاد وظل في تهيام ... مذ اشرقت من ذكره أيامي
وتطلعت نفسي لتلتمس الرجا ... ترجو النجاة من الضلال الطامي
فاذا السماء تألقت أنوارها ... واذا السماء تفيض في انعام
كل الخلائق يومها قد سبحت ... لله يهدي الكون خير امام
جاء الربيع فجنة أيامهم ... ومع النعيم هداية الاسلام
وتدفقت أنوار ربك للورى ... تحيي القلوب بأطيب الأنسام
عودي لنا يا فرحة في بعثه ... نشوى الفؤاد بعاطر بسام
عودي لنا وأتى بعطرك سائغا ... يغنى الحياة ونبعه متنامي
هزي لنا جذع النخيل بمكة ... تساقط الثمرات كالألهام
تتعانق الآيات من تذكارها ... تغشى القلوب برحمة العلام
تزهو على سفر الوجود وما حوى ... في طيه من أعظم الأيام
تهمي كما الغيث الهتون بفيضها ... للظامئين الى هدى الاسلام

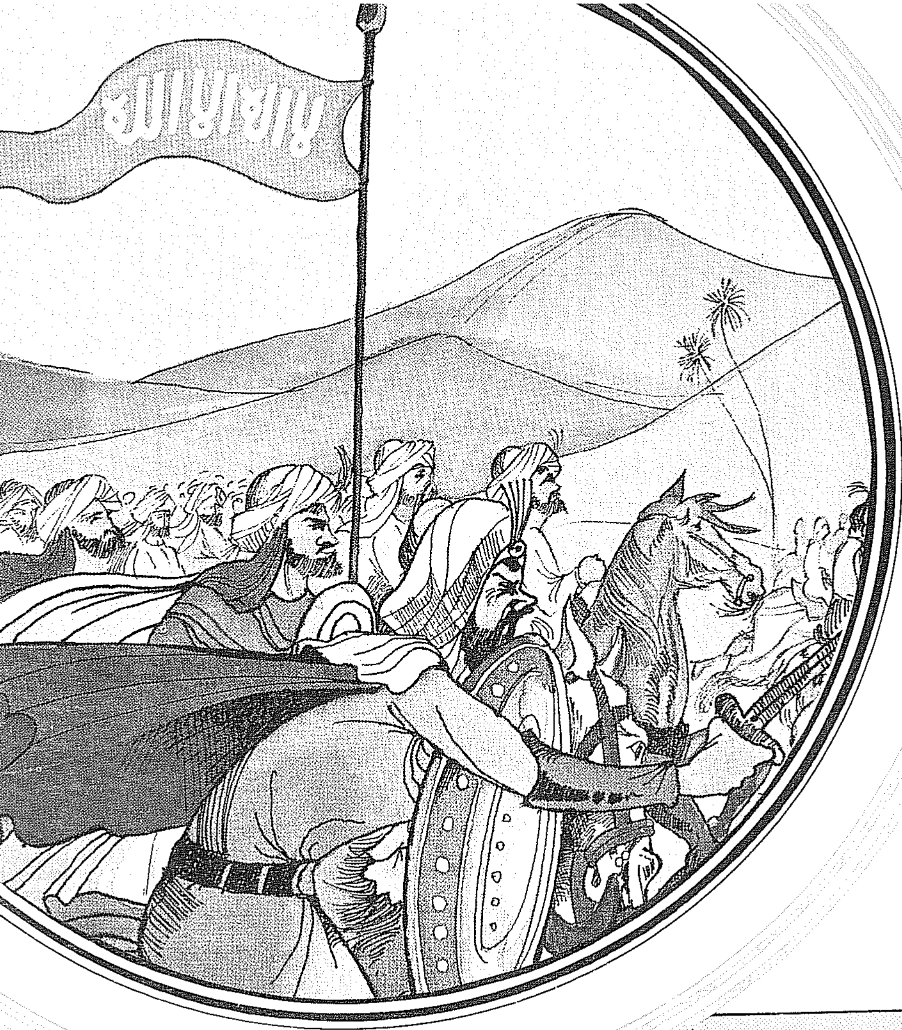
تعلو على الخلق الكريم على الدنى — قدسية التعظيم والاكرام
ترنو اليك الكائنات بأسرها — مثل الوهاد تتوق للأعلام
هزي لنا جذع النخيل بمكة — تتعانق الآيات في إحكام
تروي لنا عن جد أحمد (شيبة) — ما جاش في الأذهان والأفهام
ساد العشيرة كابراً عن كابر — بالعدل والاحسان والاقدام
سقي الحجيج تقرباً من ربه — وقراهم في موطن الاحرام
يسعى و « حارثة » المطيع بقوة — كي لا يرى من جائع او ظامي
أمضى بجمع الماء أطيب يومه — لكن جمعاً لا يفي بتمام
قد شاء في الساح المقدس منهلا — يروي الحجيج على مدى الأعوام
فاذا قريش غصة في قلبه — تأبى عليه ، تصده بتعام
لو كان من أبنائه في كثرة — لم يرغموه بأيما إرغام
فدعا الاله وحسرة في نفسه — تكوي الفؤاد عظيمة الايلام
ربي لئن أنجبت عشراً صبية — لأضحين بواحد صمصام
لبى المجيب لعبده ما شاءه — وحبا بعشر كالبدور كرام
حتى اذا كان الوفاء أهمه — اي العيون يساق للاعدام ؟
نذر على « الفياض » يذبح واحداً — والنذر للفياض وعد ذمام
أي الأحبة من بنيه فداؤه ؟ — والولد نبع دائم الانعام
والولد للشيخ المسن جوارح — بل اضلع تحمي من الأيام
هم بهجة لأبيهم وسعادة — هم أنجم تقضي على الاظلام
أي البنين سينتقيه ضحية ؟ — أي الجوارح تنتهي لحمام ؟
لم ينجه من حيرة غير اللجو — ء لجعبة الأقداح والأزلام
يا ليتها الأقداح ظلت نسمة — ما أخبرته بحكمها الهدام
أيكون « عبد الله » ذبح فدائه — خير النجوم وأرفع الاعلام
زاغت عيون المشفقين بمكة — هل يقبلون بأصعب الأحكام ؟
نور لعبد الله يطفح حوله — سر به يعلو على الأفهام
تبكي له بالبيت « ابنة نوفل » — وفؤاد « آمنة » كذبح حمام
تلك الرقيقة تبتغيه لنفسها — حتى تكون نذيرة الأقوام
وكأن آمنة تظن بأنها — أم النذير الطاهر المقدام
كم أخبرتهم « سودة » بنبوءة : — في آل زهر حكمة العلام
هتفت بشارة كاهن من يثرب — أن يفتدى بالقدح في الأنعام
حتى اذا رضي الاله فداءه — نزلت عليه عظائم الانعام
كم قد فدى الرب العظيم عباده — وأقال عشرة « شيبة » بغلام
بالأمس « اسماعيل » جيء بفدية — ووفى ابوه بحلمه بسلام
فرح بمكة يحتوي ابياتها — قد عاد « عبد الله » في إكرام
زاد الفداء جلاله وجماله — علقت به الأبصار في اعظام

قد عاد للكبد المصدوع شفاؤه ... رجع الحبيب الى الفؤاد الدامي
ما بال عبد الله حتى انه ... فرحت له الآساد في الآكام
لاقت بفديته العظيمة مطعما ... حتى الطيور تصيب من إطعام
فرح لشيبة كم يطول طوافه ... بالبيت يدعو ربه بهيام
لن يهنأ الشيخ المسن بنجله ... حتى يزوجه ببنت كرام
في آل « وهب » أخبروه نبوءة ... فطوى عليه السر في احكام
صدحت أهازيج النساء تزفه ... من بنت « كبشة » كافر الأصنام
ما بال مكة جنة في عرسها ... قد أشرقت نوراً بغير ضرام ؟
ما سرها والكون في آياته ... يرنو لها في وجهه البسام
عرس تحلقت البشائر حوله ... وسمت به في فارس والشام
قمر لشمس بالزواج تلاقيا ... كي يهديا للكون خير إمام
كم أشرقا في إلفة ومودة ... كم أمضيا في الحب من أيام
قد أسلما لله في أقداره ... وتناجيا في فرحة ووئام
لم يدريا أن الفراق مقدر ... سيغيب بدر لم يعش لدوام
لهفي على البدر المودع شمسه : ... سأعود في رزق كفيض غمام
سأعود كي أرعى حبيباً قد دنت ... أيامه ونقوم خير قيام
أنت الحبيبة والحليلة والمنى ... أنت السعادة منتهى الأحلام
يحميك رب البيت في عليائه ... تفديك نفسي ، مهجتي وعظامي
غاب الحبيب وقلبه في مكة ... يرعى الحليلة عاطر الأنسام
طال البعاد ولم يؤب لعروسه ... قد عذبت في الخوف والأوهام
لكن حملا في الضلوع تجنه ... يشفي لما تلقاه من آلام
هو حلم آمنة العظيمة حظها ... هو أنسها النامي مع الأيام
« سمعت برؤياها العجيبة هاتفا : ... أن قد حملت بسيد الأقوام
يا ليت عبد الله يسمع حلمها ... يدري بمن قد غاب في الأرحام
تدنو الى أعلى السماء برأسها ... أغصانها في الخافق المترامي
أبهى من الشمس العظيمة نورها ... سطعت على الأعراب والأعجام
فيها تعلق من قريش ثلة ... وسعى لها رهط على إصرام
« آبت تجارة مكة ورجالها ... قد حملت من خير ما في الشام
وصلت بشائرها لكل حبيبة ... طال الزمان تعد في الأيام
« واها لآمنة تحدق في الربى ... لم تلق عبد الله في الأقوام
قد غاب عنها في المدينة ميتاً ... وجنينه في عالم الأرحام
لهفي على الشيخ المفارق نجله ... هل يفتديه لأشهر من عام ؟
لهفي على النذر الذبيح كأنه ... لا يفتدى الا لأمر هام
لا يفتدى إلا لنسل محمد ... ليجيء منه المصطفى بسلام
« عجبا قريش تحتمي بجبالها ... تأتي عن الأخطار خوف حمام

قد جاء « أبرهة » البغيض بجيشه ... بالفيل يجعل بيتها كركام
أبدا فرب البيت يحمي بيته ... ويرد كيد المعتدي بضرام
طير ابابيل تفرق جمعهم ... فكأنهم في الساح طحن طعام
سر لبيت الله يدفع خصمه ... ان جاء في وهم من الأوهام
حفظ لبيت الله مهد نبيه ... الصادق المصدوق خير همام
« جاء الربيع الى الديار فهللت ... واستبشرت بالخير والانعام
حمل الأثير بشائرا من مكة ... وسرى بها في السهب والآكام
ولد اليتيم محمد في فرحة ... يا مرحبا يا سيد الأيتام
ولد اليتيم ونوره متألق ... شمل الوجود وكان في إظلام
لم تلق آمنة المصون بحمله ... او وضعه شيئا من الآلام
« هو رحمة للناس ، كيف بأمه ؟ ... سعدت به واستبشرت بسلام
حلمت بعبد الله يرقب طفله ... ويضمه للصدر في تهيام
فرح حوى أبيات « هاشم » عمها ... فتهللت لوليدها البسام
فدموع « شيبة » بللت وجناته ... فمضى لشكر الله ذي الانعام
« هذي حليمة ترتجي من ربها ... طفلا ثرياً سيد الأقوام
قبلت يتيما وهي جد فقيرة ... فتدفقت خيراتها بزحام
قد شرفت بمحمد وبفضله ... وأحلها الرحمن خير مقام
يا مرحبا بالمصطفى وقدومه ... للمرسلين أتيت خير ختام
قد كان عرساً للسماء وبهجة ... في اعظم الأفراح والأيام
غنى له الكون العظيم وغردت ... ذراته في أعذب الأنغام
طربت له الأرواح في عليائها ... اذ حررت من ربقة الأوهام
اذ طهرت من كل ما تشقى به ... وتخلصت من ظلمة الآثام
صعق الطغاة المجرمون بمولد ... قد أنقذ المظلوم من آلام
قد اعتق الانسان من اغلاله ... ونأى به عن ساحة الاجرام
وسما به للخير في أفعاله ... للحق والتوحيد والاسلام
زكاه من ادرانه وعيوبه ... وأقامه في الكون خير مقام
ورعاه من دين الاله بحكمة ... وحماه من اهوائه بنظام
قد فضل الله العظيم محمداً ... ليكون للأديان خير امام
قد جئت تهدينا لكل فضيلة ... صرنا بدينك افضل الأقوام
إنا رسول الله أعظم أمة ... ان نعتصم بكتابنا الاسلامي
نحن الأعزة والكرام على المدى ... ان ننتصر بالخالق العلام
ان نستجب لله في أحكامه ... ونعد للأعداء في إحكام
ان نتحد صفاً على أعدائنا ... ونرد كيد عصائب الاجرام
اشفع لنا يا رحمة من ربنا ... أنت الشفيع وذو المقام السامي
واقبل رسول الله حسن تحيتي ... واقبل حبيب الله طيب سلامي

معسكر القرآن

ربما كانت أشد لحظات التاريخ الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي تلك اللحظات الرهيبة في معركة أحد ، التي انكشف فيها المسلمون بعدما أوشكوا على تحقيق انتصار كامل على قريش ، حيث أولى القرشيون ظهورهم للمسلمين ، وتخلوا عن معسكرهم فارين ، فاغرى ذلك معظم رماة المسلمين باعلى الجبل في احد بالمسارعة الى الغنيمة ، فعصوا امر قائدهم ، وتناسوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، فافسحوا المجال لخيالة قريش بقيادة خالد لاحتلال موقعهم ، فانقلب ميزان المعركة رأسا على عقب وتنادت قريش الى القتال فعاد المنهزمون ، فاختل امر المسلمين واضطرب امرهم ، وفشا القتل فيهم ، وتخلى عن القتال اكثرهم ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجه بفئة قليلة جدا من



للاستاذ/ أحمد العناني

حوله جيش قريش بكامله ، وارجف المرجفون من قريش بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم واستبدت الحيرة بنفر من خيرة المسلمين بينهم ابو بكر وعمر ، وهم يظنون ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد لقي حتفه ، ويرون الحال الموحشة التي آلت اليها الامور حين مر بهم أنس بن النضر رضي الله عنه فهتف بهم « ما يجلسكم ؟» .

قالوا « قتل رسول الله » ؟

قال انس : « فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! وبأثر من ذلك المنطق السديد ، والحضور الذهني الرائع ، انطلق القوم مع انس الذي اندفع يقاتل حتى اثخن بالجراح الى ان استشهد رضي الله عنه وقد قدر ان ما اصابه كان في حدود سبعين طعنة بحيث خفيت معالم جسده الطاهر فلم تتعرف عليه قبل

دفنه سوى اخته وكان لكل سيف عائد الى المعركة من سيوف المسلمين اثره الكبير ، حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقاتل وهو جريح قتالا لا نظير له في الثبات ومن حوله نفر من اماثل الابطال من الرجال والنساء كابي دجانه وسعد وعلي وام عمارة والزبير ، وكانت عودة العائدين الى الرسول عليه الصلاة والسلام في اشد لحظات الحرج مما مكن له عليه الصلاة والسلام وسلك الفئة من الابطال ان يشقوا طريقهم للنجاة ، وبذلك فوت على قريش اعظم ما كانت تتمناه ، وتتنزى شوقا اليه ، الا وهو قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وفي ذلك الموقف الضنك وصف القرآن الكريم عودة أنس والعائدين بقوله تعالى : (**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا**) آل عمران/ ١٧٣ .

ان الحرج الذي يواجهه المسلمون اليوم في العالم يجعل من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين في تلك اللحظات الرهيبة من أحد موضعا للقدوة اللازمة . وهناك طائفة من المسلمين اليوم يصرون على التنكر للوجود الذاتي للاسلام والمسلمين ككيان متفرد بذاته ومواصفاته ، ويسلكون مسلكا هروبيا ذليلا ، وكأنما زال الاسلام ورفع القرآن وطويت صحائف التاريخ .. وهم يصرون على ان الانضواء تحت احد المعسكرين الرائجين لروسيا وامريكا حتمية لا مفر من قبولها ونحن مع هؤلاء في ان الناس من الفريقين قد جمعوا لنا وان كليهما يريد بنا شرا .

ولكننا مع الله جل جلاله ، في ان ذلك جدير بأن يعيدنا الى المعركة وان يزيدنا ايمانا ، واننا لن نلقي الا مثل المصير الزاهر لانس بن النضر رضي الله عنه ، او النجاة الممهدة لنصر لاحق عظيم جعل من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في نفس المكان من يثرب اعظم حاكمين في زمانهما ؛ وجعل من طيبة اعظم مدائن الدنيا قاطبة .

والواقع الذي لا يستطيع ان ينكره اي كان من المتصدين للتحدث باسم الاسلام هو انه لا حاجة لنا بالحياة بعد القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ، تماما كما لم يجد انس بن النضر رضي الله عنه حاجة للحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به او نموت جميعا من دونه هو ان القرآن الكريم هو معسكر غير معسكر امريكا او روسيا ، وانه لا يمكن ان يندغم او يتوافق مع ما تدعو له امريكا او روسيا ومن لف لفهما من السائرين في فلك كل منهما .

ان الحقيقة الخطيرة الكبرى هي ان القيمة الاساسية لحياة المسلم هي توجيه الدنيا لخدمة الاخرة .

فليس هناك فوز في الاسلام الا الفوز الذي حدده القرآن الكريم : (**فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز**) آل عمران/ ١٨٥

وليست هناك طريقة سهلة الى ذلك الفوز بنص القرآن الكريم : (**ام**

حسبتهم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) البقرة/ ٢١٤ . والمعسكران الامريكي والروسي كلاهما يبعد الدين عن الحياة ، ولا خلاف بينهما في السعي من اجل الحياة وحدها ، سوى ان احدهما يطلق حرية الافراد في التزاحم على الهدف الدنيوي ، وليتخم من يتخم بشبعه ، وليجع من يجوع في فقره وعريه فيما الاخر يجعل الحرية لحزب تقوم عليه الدولة بدعوى تأمين الجميع من الجوع وليرض من يرضى وليسخط من يسخط .

لكن القرآن الكريم يحكم الناس بقانون الله جل جلاله فيؤمن بأمر الله شبع كل مسلم فيما يترك الباب مفتوحا للتنافس على رضوان الله والفوز بالجنة والزحزحة عن النار ، بالإيثار والتطوع والمحبة ، مكرما ارادة الانسان ، ورافعا شأن التقوى فوق كل شأن .

فكيف يمكن تسليم زمام القرآن وهذه رسالته الى معسكر من هؤلاء او اولئك ـ.

ان الذين يقولون بفصل الدين عن الحياة ، وإفراغ الحكم من حكم الشريعة . والذين يقولون لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، والذين ينادون بتسيير الحياة بغير الحكم بما نزل الله ، والذين يرفعون رابطة الوطن او اللسان او العرق فوق رابطة الله ، والذين يعتبرون العامل الاقتصادي ، وحيازة ادوات الانتاج المقرر الوحيد لحركة الحياة .

والذين يجعلون من مواصفات الحرية الانفلات من اوامر الله ورسوله ونواهيهما ، هم جميعا قوم جهلوا وطغوا وآثروا الحياة الدنيا وجعلوا الجحيم لهم مأوى ..

وبرغم انف المضللين والضالين معا .

وانوف المعتدين على حقائق الاسلام وصريح القرآن ، يظنون انهم بذلك يرضون المتنفذين في الارض ليرضوا عن استبدالهم بالمسلمين ، وليديموا ترفيه انفسهم على حساب المقهورين ، رغم انوفهم جميعا تسري دعوة الحق في الوطن الاسلامي الواحد كله ..

لقد قطع العقل الاسلامي مرحلة الوعي الاولى ودخل مرحلة التركيز والرؤية الواضحة للحقائق ..

وبات يعرف الطريقة الوحيدة المقبولة للوضع السليم في الاسلام ، الا وهي الحكم بشريعة الله وسنة رسوله والعمل الجاد لاستنباط الصيغ اللازمة لتسيير المستجد من شئون الحياة ، تحت شمس القرآن والسنة .

وبات يعرف موقفه واضحا من كلا المعسكرين .

ولا يمكن لاية فكرة دخيلة ، ان تجد وسيلة للنمو في عمق الذات الاسلامية المتميزة الفريدة في اسسها وتوجهاتها ، وإن الزمن ليجري في صالحنا .

وقبل ذلك وبعده فإن الله معنا .

في معنى النبي الأمي

للأستاذ /

محمد حسن عبد العزيز

« شاع استعمال كلمة « أمي » بمعنى جهل القراءة والكتابة مع أنها تعني معنى قوميا اعتقاديا لسائر الناس من غير سلالة بني اسرائيل ... »

اعتقد بنو اسرائيل انهم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله الجديرين بتلقي خطابه بما دسه أحبارهم على التوراة بجعل النبوة حكرا على اسحق ونسله والى الأبد وحرمان شقيقه اسماعيل ونسله من عهد الله . وهو ما يعرف عندهم بشعب الله المختار أو الشعب الذي اختاره الله وفضله على سائر خلقه .

وتحكي التوراة سبب هذا الاختيار بخطأ ارتكبه حام بن نوح عليه السلام حين لم يغط عورة أبيه الذي شرب خمرا وسكر وغطاه ولداه سام ويافث . فلما أفاق وعلم بذلك قال : « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته . وقال يبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم »

(تكوين ٩)

وقد ارتبطت الديانة اليهودية بسلالة معينة كالهندوكية والشنتية وان امتازت هاتان الديانتان بأن المؤمنين بهما لم يتعرضوا للشتات .

وتحت تأثير أكذوبة الشعب المختار اعتقد اليهود ان أرواحهم تتميز على باقي الأرواح لأنها جزء من الله عزيزة عليه والأرواح الأخرى شيطانية

شبيهة بأرواح الحيوانات وأطلقوا على الشعوب الأخرى صفة « الغويم » وترجمتها العربية « الأميين » وهم الذين خلقهم الله على هيئة الانسان ليكونوا لائقين بخدمة شعب الله الذي خلقت من أجله الدنيا .

واعتبرت المسيحية غير المسيحيين « أميين » ذلك بأن المسيح عليه السلام جاء لخراف بني اسرائيل الضالة ، وحذر من دعوة الغرباء الى هذا الدين « .. الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ولكن اذهبوا بالحرى الى خراف بني اسرائيل الضالة » (متى ١٠) ولذلك أطلق على بولس الرسول « شا ءول » رسول الأمم لأنه اتجه بدعوته الى غير بني اسرائيل بعد أن يئس منهم .

واذن فالسلالات الأخرى من غير بني اسرائيل من الأمم أو الأميين التي لا ترقى الا لمستوى الحيوان والمسخرة لخدمة شعب الله .

وعلى أساس نعرة الاستعلاء هذه وعقدة الانفراد والتفرد ، اتخذ بنو اسرائيل من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام موقفا مؤسفا مع أنه جاء مصدقا لما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وكانوا من قبل يبشرون ببعثه بالرسالة الأخيرة الخاتمة للرسالات . لكنهم رفضوا الايمان به لاعتقادهم ان النبوة لا تكون الا منهم .

أما هو فقد جاء من العرب « الأميين » أي من الأمم الأخرى .

ومن هنا جاء اشتقاق كلمة أمي التي شاع تفسيرها بمعنى جهل القراءة والكتابة على غير ما يستوجبه اشتقاق الكلمة في سياق الآيات القرآنية . ومدلولها اللغوي على لسان العرب .

فبعض المفسرين ينسب كلمة أمي بمعنى جهل القراءة والكتابة الى الأم وقد كان الجهل بهما شائعا في العرب رجالا ونساء . كما كان في غيرهم مثل اليهود وان كان في العرب أكثر منه في غيرهم وان عرف عنهم فصاحة اللسان وبلاغة البيان وقرض الشعر بالسليقة وحفظ الانساب ، وكل ذلك غير منوط بقراءة وكتابة فتلك طبيعة أهل البادية .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام على عادة قومه . وقد نزل عليه جبريل عليه السلام بأول آيات الوحي (اقرأ) فقال : ما أنا بقارىء أي أنا لست ممن يقرأون لأني لا أعرف القراءة .

ويرى البعض ان الكلمة جاءت بمعنى « عِربي » وهو أقرب المعاني لمقصد الآيات بل هو معنى جزئي للكلمة التي تعني في اجمالها غير اليهود لأن الكلمة بمعنى قومي اعتقادي . وجاء في سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٢٠٩ بمعنى من لا كتاب لهم وهو أوفق المعاني لاشتقاق الكلمة .

وعلى كثرة ما افترى المفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر أحد عليه أنه كان يقرأ ويكتب . ولم يرد بالقرآن الكريم آية واحدة ترد

على ذلك .

ولا ينكر أحد انه عليه الصلاة والسلام لم يشارك قومه فيما ألفوه من قرض الشعر (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**) ٦٩/يس ، وان كان بليغا فصيحا .

ولأنه لم يكن قارئا كاتبا محبا للعزلة ميالا للفكر . فانه لم يطلع على كتب السابقين التي ظهرت أول ترجمة عربية لها على يد سعديا الفيومي عام ٩٤٢م أي بعد وفاته بأكثر من ثلاثمائة عام ومن ثم فان ما اخبر به القرآن الكريم من أنباء الأمم السابقة انما مصدره الوحي من الله .

(**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) ٤٨/العنكبوت

(**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير**) ٤٤/سبأ

(**أم لكم كتاب فيه تدرسون**) ٣٧/القلم .

ولم يعرف عن العرب دراية بزراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا علم ، وغاية جهدهم الاشتغال بالنقل البري يحملون التجارة على ظهور الابل في رحلتي الشتاء والصيف : (**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون**) ١٤٨/الأنعام

(**لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف**) ١ و٢/قريش

وقد شاع بينهم انتظار نبوة ودين وتطلع الى شريعة الهية تعيد لهم مجدهم ووحدتهم ومنهم من تطلع الى دين ابراهيم عليه السلام بعد أن خاب أمله في دين اليهود الذي تحول على يد العبرانيين الى دين خاص بأبناء اسحق وتحولت شريعتهم الى جيتوفكري .

وقد كذب القرآن دعوى اليهود بأن الله لا يخاطب الأمم ولا يبعث أنبياء الا منهم : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) ٢/الجمعة .

وان محمدا عليه الصلاة والسلام قد بعث للناس جميعا بما فيهم بنو اسرائيل : (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**) ١٥٧و١٥٨/الأعراف .

« فالنبي الأمي هو المبعوث من غير سلالة بني اسرائيل . وهو أيضا أمي بين الرسل المبعوثين من سلالة اسحق وهو من سلالة اسماعيل عليهما السلام ، والقرآن العربي أمي بين

الكتب التي نزلت باللسان العبراني ، فالرسالة الخاتمة لا يجوز لها أن تستأثر بأمة ولا تحجب عن أمة خلافا لما زعم اليهود .

ويقول أستاذنا العقاد رحمه الله في كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ولعله من علامات الخير ان تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أمور الدين والدنيا وتبقى للمسلم عقيدته في حقوق أمته مصونة في قلوب المحافظين والمجددين ملحوظة في آراء الوادعين والثائرين .

فالأمة بمعنى الناس جميعا ، فلا تمايز بين خلق الله ولا استعلاء ، وحسب المرء أن يفضله علمه وعمله . فالأمة الواحدة هي موضع خطاب الله وهي الوعاء الذي تصب فيه نتائج التكاليف .

وقد ورد لفظ الأميين مقابلا لأهل الكتاب أو من ليس لهم كتاب .

(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) ٧٥/ آل عمران .

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ٢٠/ آل عمران .

وقد أنصف القرآن بعض أهل الكتاب ممن يعرفون حقيقة كتابهم وهم من اذا أؤتمنوا على قنطار من الذهب ردوه ، أما أولئك الذين يتبعون ما لحق كتابهم على يد كهانهم من تحريف وتزييف ، فانهم اذا اؤتمنوا على دينار لا يؤدونه لصاحبه لأن شريعتهم المحرفة لا تلزمهم في معاملاتهم مع غيرهم من الأمم برد تلك الأمانات .

جاء في التلمود : ان الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي الا بربا .

« من رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر »

« يحرم على اليهودي ان ينجي أحدا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها » .

ولا يمكن أن ينصرف معنى لفظ « الأميين » الى من لا يعرف القراءة والكتابة حيث لا يستقيم المعنى مع سياق الآيتين المتقدمتين من القرآن الكريم ، وأهل الكتاب شأنهم شأن غيرهم في جهل القراءة والكتابة والتكليف لا يناط بعدم الجهل بهما : **(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون)** ٧٨/ البقرة .

والأميون هنا جماعة من العرب تهودوا وكانوا لا يعرفون ما يتلى عليهم من التوراة بلغة لا يفهمونها ولا يعرفون معناها ، وكل حظهم اتباع الظن والتحريف الذي دسه الاحبار على كتاب موسى عليه السلام ، فهم جاهلون بحقيقة الكتاب ومع ذلك اعتبرهم اليهود من الأميين لأنهم ليسوا من سلالة بني اسرائيل .

فكل من ليس يهوديا من سلالة اسحق هو أمي أو من الأمم الأخرى لأن اللفظ يعني معنى قوميا اعتقاديا يخص السلالة الممتازة والشعب المختار ولا يتصل بحال بقراءة ولا كتابة ولا يمس من قريب أو بعيد شخص النبي عليه الصلاة والسلام .

أما الحديث الشريف « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » متفق عليه فمعناه ان عبادات الاسلام من صلاة وصيام وحج لا تعتمد على كتاب وحساب انما تعتمد على رؤية القمر في تحديد أوائل الشهور : (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) ١٨٩/البقرة .

أما أوقات الصلاة فيعتمد في تحديدها على رؤية الشمس : (**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل**) ٧٨/الاسراء .

ومعجزة نبي الاسلام لم تكن في عدم المامه بالقراءة والكتابة وانما كانت في نظم القرآن الكريم وبيانه وبهما كان التحدي ولا يزال ، وقد نزل باللغة الأولى التي علمها الله تعالى للانسان الأول : (**خلق الانسان علمه البيان**) ٣و٤ الرحمن . (**وعلم آدم الأسماء كلها**) ٣١/البقرة .

تلك اللغة الخصبة فائقة الثراء والملكات والقابليات ، المستجيبة بوفرة مفرداتها لدواعي الاشتقاق أو الميزان الصرفي لهذا الاشتقاق ، القادرة على البيان والايضاح وقد تعهد الله بحفظها ومهد بها للرسالة الخاتمة من يوم أن أمر خليله ابراهيم بالهجرة بولده اسماعيل عليهما السلام الى مكة ، ومع اتساع حركة أبناء اسماعيل صارت لغتهم لغة الثقافة والحكمة والأدب ، ثم تحقق دعاء ابراهيم وولده : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم**) ١٢٩/البقرة .

ومن هذه السلالة الطيبة الطاهرة كان النبي الأخير بكتاب حافظ على لغتهم تتلى بها آياته فلا يصمت أبدا . وصار البيت الرمز المجسد لوحدتهم الفريدة يذكرهم باليوم الآخر الذي هو غاية الدين والايمان .

كان رسولا من الأميين الى الأميين والى الناس أجمعين ، هكذا علم منه أهل الكتاب والمشركون في مكة والمدينة وفي كل مكان بلغت الدعوة خارج الجزيرة وما وراءها ويثبتها الواقع العملي المتمثل في رد المقوقس ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وخطابه الى هرقل والنجاشي .

نبي أمي لأنه ليس من سلالة الشعب المختار الذي ظن ان النبوة حكر عليه وانه اختار الاله واختاره الاله .

والأميون هم سائر خلق الله بما فيهم السلالة الممتازة المزعومة .

وهكذا استخدم القرآن الكلمة .

أما تفسيرها بجهل القراءة والكتابة ففيه ارهاق للنصوص وتحميلها بأكثر مما تحتمل واستنباط ما لا يفيد .

رؤيــة في عصمة الأنبياء

للدكتور/ محمد الانور حامد عيسى

أنبياء الله ورسله هم الصفـوة الممتازة الذين اجتباهم الله من بين البشر واختصهم بصفـات الكمـال الخلقية والخلقية ، وجعلهم السفراء الامناء في حمل الشرع وتبليغه الى الناس .

واذا كانت وظيفة الرسول هي توصيل كلمة الله الى الناس وارشادهم بالقول والفعل والاقرار الى ما فيه النفع في الدنيا والآخرة ، كان لزاما ان يكون قدوة حسنة في كل ما يصدر عنه وان لا ينطق الا بكلمة السماء ، ولن يكون كذلك الا بالعصمة الباطنية من الحقـد والغل والكبـرياء والحسـد والرياء والشح الخ ..

والعصمة الظاهرية من الذنوب مثل : الشرك والكذب والقتل وشرب الخمر والزنا الخ ..

ولعلك تسأل ما هي العصمة ؟

ونجيبك بأنها : حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من ارتكاب منهى عنه او ترك مأمور به ، او هي لطف من الله سبحانه وتعالى يجعل الـرسل يتجهون الى فعل الخير ويبتعدون عن فعل الشر .

ولا يعني الحفظ او اللطف انهم عليهم السلام مجبورون بل يعني ان استعدادهم كامل في التمييز بين الخير

والشر ، وأن مراقبتهم لله في اعمالهم متحققة مع كل نبضة من نبضات القلب فهم يتحركون دائما في دائرة الاحسان والتي بينها رسولنا صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ومسلم ، ومن كان امره كذلك كان اتجاهه بالعقل والقلب معا في كل قول او فعل او اقرار ملازما لاوامر الله ومبتعدا عن نواهيه .

ونأتي الى سؤال ـ هل الانبياء معصومون قبل البعثة وبعدها من الصغائر والكبائر ؟؟

لعلماء المسلمين مواقف متعددة الا انهم يجمعون على عصمة الانبياء من الشرك والكذب وما يشعر بالخسة كالزنا والسرقة وكل ذلك قبل البعثة وبعدها ، وجوز بعضهم فيما عدا ذلك من الكبائر والصغائر قبل البعثة .

يقول السنوسي : « أما حكمها قبل النبوة فالذي ذهب اليه اكثر الاشاعرة وطائفة كثيرة من المعتزلة الى انه لا يمتنع عقلا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة معصية كبيرة او صغيرة » ولعلنا لا نميل الى مثل هذا الرأي الاخير ونرى ان رسل الله معصومون عن الكبائر مطلقا قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، اما الصغائر فان كانت مشعرة بخسة او تؤدي الى نفور كسرقة دينار او تطفيف كيل مثلا ، فهم معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، واذا لم تكن مشعرة بخسة فهم غير معصومين منها قبل البعثة عمدا او سهوا ، اما بعدها فهم معصومون منها عمدا ، ويجوز الوقوع فيها على سبيل النسيان او الخطأ في التأويل ، واذا حدث مثل هذا فان المشرع الحكيم يوجههم الى الطريق الصحيح ويذكرهم بما وقعوا فيه من نسيان .

بعض الآيات التي يشعر ظاهرها ما يخالف عصمة الانبياء :

وقد وردت آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها ان الانبياء قد وقعوا في بعض الذنوب فلنتأمل فيها لنقف على حقيقة الامر .

اولا : ورد في حق سيدنا آدم عليه السلام انه امر بعدم الاكل من شجرة معينة الا انه بعد وسوسة الشيطان خالف الامر وبذلك صار عاصيا ورجع الى الله بالتوبة فقبلها منه ، وهذا يؤكد وقوعه في ذنب والذنوب تخالف العصمة .

يقول سبحانه وتعالى : (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**) البقرة/ ٣٥ ـ ٣٧ .

ويقول سبحانه : (**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**

وعصى آدم ربه فغوى) طـه / ١٢١ .

ويرد على هذا :

بأن ما حدث من آدم لا يخالف العصمة ، لانه كان قبل النبوة حيث لم تكن له أمة بعد ولم يكن في امر تشريعي ، ومثل هذا يعتبر صغيرة ، ولقد سماه الله سبحانا عصيانا لما سيكون من شأن عظيم لآدم فيما بعد وما صدر عنه عليه السلام كان نتيجة للنسيان ، والذي يؤكد هذا قوله سبحانه : (**فنسي ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ . ولقد غفر الله له هذا الذنب الصغير ثم جعله نبيا .

يقول تعالى : (**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

ثانيا : ورد ان سيدنا نوحا عليه السلام طلب من ربه ان ينجي ابنه قائلا : (**رب إن ابني من أهلي**) فأجابه سبحانه وتعالى : (**إنه ليس من أهلك**) وهذا يدل على ان نوحا عليه السلام قد كذب على الله والكذب كبيرة تخالف العصمة . يقول سبحانه وتعالى : (**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**) هود/ ٤٥ و ٤٦ .

ويرد على هذا :ـ

ان نوحا عليه السلام لم يكذب على ربه وان ما يطلب انجاءه هو ابنه من صلبه ، وقد رد الله عليه سبحانه وتعالى بما يفيد إنه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ، او هو ليس من اهل دينك بل هو كافر مستحق للعقوبة .

ثالثا : وردت آيات في حق سيدنا ابراهيم عليه السلام ربما فهم من ظاهرها تردده في الاعتقاد حيث اعتقد ألوهية الكوكب ، ثم رجع عنه الى اعتقاد ألوهية القمر ، فلما طلعت الشمس ورآها اكبر ،اعتقد ألوهيتها وهذا التردد في الاعتقاد يفيد الشرك والشرك من الكبائر التي اجمع المسلمون على عصمة الانبياء منها ، ثم انه تبرأ بعد ذلك من كل هذه الاشياء واعتقد الوهية الواحد الاحد سبحانه ، يقول عز وجل : (**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) الانعام/ ٧٦ ـ ٧٩ .

ويرد على هذا :

بأن ابراهيم عليه السلام يعتقد يقينا بوجود الله وبأنه سبحانه متصف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، الا ان

البيئة التي تحيط به تعبد الاصنام والكواكب ، ولقد اراد عليه السلام ان يهديهم الى الله الحق ، فتظاهر بالتسليم لهم بأن ما يعبدونه آلهة ، ثم اخذ يبين لهم بطلان اعتقادهم بالتدريج ، فالاله لا يتغير وما يعبدونه يتغير والاله لا يغيب وما يعبدونه يغيب والاله ليس بحادث وما يعبدون حادث .

وما قام به سيدنا ابراهيم عليه السلام من التظاهر بالتسليم للخصم ثم مناقشته لبيان بطلان اعتقاد هذا الخصم لا يتنافى مع العقل في عصرنا الحديث وليس فيه اي شرك بل هو توجيه عقلي للايمان بالله وبتفرده بالكمال المطلق وتنزهه عن الحوادث .

رابعا : ورد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام اقسم ليحطمن الاصنام وفعلا حطمها الا الصنم الكبير فقد تركه بعد ان وضع على كتفه المعول وحينما أتى القوم هالهم ما رأوا ثم سألوا سيدنا ابراهيم عن الذي حطم آلهتهم فأجابهم بأن الذي حطمها هو كبير الاصنام وطلب منهم ان يسألوه ، وعلى هذا فقد وقع سيدنا ابراهيم في الكذب حيث قال : ما ليس بحق ، والكذب من الكبائر التي تتنافى مع عصمة الانبياء .

يقص القرآن هذا الحادث فيقول : (**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بـ هتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**) الانبياء/ ٥٧ ـ ٦٣ .

ويرد على هذا :

بأنه عليه السلام لم يكذب ، لانه لم يقصد اسناد الفعل الى الصنم حقيقة ، بل الى نفسه وانما اراد الاستهزاء والسخرية بهم والتعريض بضعف فكرهم واعتقادهم واعلامهم بأن الاصنام لا تضر ولا تنفع ولا تملك الدفاع عن نفسها ، وكأنه عليه السلام اراد ان يقول لهم : اذا كان عندكم شك في ان الاصنام لا تملك شيئا فارجعوا اليها وأسألوها .

ولهذا يحكي القرآن عودتهم الى انفسهم واحساسهم بأنهم هم الظالمون ويصفهم بالخيبة لتأكدهم ان الاصنام لا تنطق . يقول سبحانه وتعالى : (**فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) الانبياء/ ٦٤ و ٦٥ .

خامسا : ورد ان سيدنا ابراهيم طلب من الله ان يريه كيف يحيى الموتى ، وهذا يشعر بشك سيدنا ابراهيم في قدرة الله على الاحياء وشك الانبياء من الكبائر التي تتنافى مع عصمتهم .

يقول سبحانه وتعالى : (**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى**

قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢٦٠ .

ويرد على هذا :

بأن سيدنا ابراهيم يعلم علم اليقين ان الله قادر على الاحياء ولكنه يريد ان ينتقل من علم اليقين ـ اي المبني على الاستدلال ـ الى عين اليقين اي المطبوع في القلب .

سادسا : ورد في حق سيدنا يوسف عليه السلام ان امرأة العزيز همت بارتكاب الفاحشة معه وهم هو بنفس الشيء وهذا يتنافى مع القول بعصمة الانبياء .

يقول سبحانه وتعالى : (**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**) يوسف/ ٢٤ .

ويرد على هذا :

بأن الذي يجري في النفس له مراتب خمس : الاولى : الهاجس ، وهو ما يمر سريعا على نفس الانسان ، والثانية : الخاطر ، وهو ما يبقى في النفس ويتحرك فيها قليلا ، والثالثة : حديث النفس ، وهو التردد بين الفعل او الترك . المرتبة الرابعة : الهم ، وهو توجه النفس نحو الفعل والميل اليه .

وهذه المراتب الاربع لا يتناولها التكليف ولا يؤاخذ عليها الانسان وانما يؤاخذ ويقع تحت التكليف اذا انتقل من المرتبة الرابعة ودخل في المرتبة الخامسة وهي : العزم والتصميم وسيدنا يوسف عليه السلام بحكم طبيعته البشرية ولكونه قبل البعثة دخل مرحلة الهم ، الا انه لم يتجاوزها فلا شيء عليه اطلاقا .

يقول صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف ، واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

سابعا : ورد ان سيدنا موسى عليه السلام حينما دخل المدينة مستخفيا وجد رجلين يقتتلان احدهما من شيعته من العبريين والاخر من المصريين ، وحينما استغاث به الذي من شيعته على الذي من عدوه قام موسى بدفع المصري بكفه المضمومة الاصابع فسقط الرجل قتيلا ، وعلى هذا يكون موسى عليه السلام قاتلا والقتل كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة ، وقد اعترف موسى بأنه ظلم نفسه بقتله للرجل والظلم كبيرة .

يقول سبحانه وتعالى : (**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين** .

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) القصص/ ١٥ ـ ١٦ .

ويرد على هذا :ـ

بأن ما حدث كان قبل النبوة وان ما فعله موسى في الرجل هو الوكز وهو الدفع والضرب بالكف المضمومة الاصابع ، ولم يقصد موسى عليه السلام قتله ، وانما قصد دفعه بعيدا عن الآخر ، الا ان اجل الرجل حان في هذا الوقت . ومثل هذا يعتبر من الصغائر التي تحدث قبل البعثة ولا تشعر بأي خسة ولا تتنافى مع عصمة الانبياء .

وقد وصف موسى نفسه بالظلم لاحساسه بترك الاولى فقد كان من الاولى ان يترفق بالرجل ويدفعه بالكلام لا باليد .

ثامنا : ورد في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى : (**ووجدك ضالا فهدى**) الضحى/ ٧ وظاهر الاية الكريمة اشعر بعض الناس انه عليه الصلاة والسلام ارتكب بعض الذنوب التي تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن الضلال يراد به : اما ضلال الشرك واما ضلال الهوى واما ضلال الطريق ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبرأ عن الشرك وعن الهوى ، بقي ضلال الطريق فهو عليه الصلاة والسلام نشأ في بيئة جاهلية تعبد الاصنام في جانب وفي جانب ثان تقول بألوهية المسيح وفي جانب آخر تدعي ان عزيرا بن الله ، ولطهره وحبه للخير كان يتمنى هداية هؤلاء الضالين عن الحق ، الا انه لا يعرف المنهج او الطريق الذي يسلكه لهدايتهم ولهذا ظل متحيرا ، وآثر التحنث وحده في الغار بعيدا عن التخبط الجاهلي ، وكلما رجع الى القوم فزع ، وازداد حيرة في بحثه عن طريق لهدايتهم وظل الامر كذلك الى ان جاءه جبريل عليه السلام بالمنهج الرباني والطريق الحق الذي استطاع به اخراج الناس من ظلمات الجهالة والشرك الى نور الايمان والوحدانية . ويقول الفخر في تفسير الاية الكريمة : (**ووجدك ضالا فهدى**) أي : « وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها ، ووجدك ضالا عن المعيشة وطرق الكسب ، ووجدك ضالا في زمان الصبي في بعض المفاوز ».

تاسعا : يقول سبحانه وتعالى : (**ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك**) الانشراح/ ٢ و ٣ والفهم الظاهري للآيتين الكريمتين يشعر بأنه عليه الصلاة والسلام ارتكب ذنبا عظيما وهذا يخالف العصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن المراد بالوزر ما يحسه الانسان من ثقل عظيم نتيجة للخوف او القلق او المعاناة الشديدة . ولقد فوجىء صلى الله عليه وسلم اثناء تحنثه بسيدنا جبريل ينزل عليه ويضمه

اليه ، ويطلب منه ان يقرأ ولم يكن لنبينا عهد بجبريل ولا بالقراءة ، ولهذا انتابه عليه الصلاة والسلام الخوف والقلق واحس برعدة في جسمه الشريف ، فخرج مسرعا من الغار وفي منزله طلب من السيدة خديجة رضي الله عنها ان تزمله وان تدثره - ومع تكرار نزول جبريل وعلمه بأنه من عند الله سبحانه وتعالى شعر بالانس والاطمئنان وزالت مخاوفه مثله تماما مثل من كان يحمل على كاهله ما لا يطيق ، ثم رفع عنه فانه يحس بالراحة . وفي بداية الدعوة لم يكن للقوم الف بالدين ، ولهذا تحمل عليه الصلاة والسلام كثيرا من الايذاء النفسي والجسدي ، واراد سبحانه وتعالى بعد هذه المعاناة الشديدة هداية القوم .

يقول الفخر الرازي : « الوزر في اصل اللغة هو الثقل . قال تعالى : (**حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد/ ٤٠ اي اثقالها ، وانما سمي الذنب بالوزر لانه يثقل كاسبه ... وهو عليه الصلاة والسلام كان في غم شديد لاصرار قومه على الشرك ، وانه كان هو واصحابه فيما بينهم مستضعفين ! فلما أعلى الله كلمته وعظم امره فقد وضع وزره »

عاشرا : يقول سبحانه وتعالى : (**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**) الفتح/ ٢ يفيد الفهم الظاهر للنص الشريف انه حدثت مغفرة من الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام والمغفرة لا تكون الا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :-

بأننا قلنا : انه يجوز ان يصدر عن الانبياء قبل نبوتهم بعض الصغائر التي لا تشعر بخسة وعلى هذا فان المراد بما تقدم أي في صباك ، وما تأخر اي في شبابك او « ان المراد ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر ، فان الرجل المعتبر اذا احسن بعض خدمه او اساء فانه يقال له انت فعلت ذلك وان لم يكن هو فاعله بنفسه » .

وفي تفسير آخر نستريح له ان المراد بالمغفرة لا مغفرة الذنب وانما المغفرة لترك الاولى ، ففي اسرى بدر مثلا قبل صلى الله عليه وسلم الفداء طمعا في هداية القوم فيما بعد ، وكان الاولى قتلهم حتى يذل الكفر ، ففي هذا الموقف ترك صلى الله عليه وسلم الاولى فعاتبه ربه سبحانه وتعالى واعلمه بما كان ينبغي ان يفعله في مثل هذه الحالة ، فمن حق الرسول ان يجتهد لكن المشرع سبحانه يصحح له الاتجاه في حالة ترك الاولى .

وأيضا فقد انشغل صلى الله عليه وسلم عن ابن ام مكتوم وهو من المسلمين السابقين وكان اعمى ، جاء يسأله عليه الصلاة والسلام في امر من امور الدين انشغل عنه بحديث مع كبير من كبراء قريش طمعا في هدايته للاسلام ، فعاتبه ربه سبحانه وتعالى لتركه الاولى . وقد سمي سبحانه ترك الاولى بالذنب ، لان محمدا خاتم الرسل ولا يجب ان يصدر عنه مثل هذا فعظم الموقف لعظمة صاحبه عليه الصلاة والسلام .

أمن الجنة تفرون

للاستاذ/ حسين القباني

كان من أوائل الشبان الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين صبروا على أذى قريش واضطهاد الكفار لهم والتربص بهم .. ولما أمر الرسول أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، هاجر هو مع الفوج الثاني .

وكان يكنى « أبا العاص » ... ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام .. لفرط حبه له واعتزازه به .. غير هذه الكنية وسماه « أبا مطيع » .

انه هشام بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي .. أخو عمرو بن العاص من الأب ــ أما أمه .. فهي حرملة بنت هشام بن المغيرة ..



وقد دخل في الاسلام قبل أخيه عمرو .. ورغم أنه أصغر منه سنا ..
وكان عمرو بن العاص يقول عنه دائما : « أسلم قبلي واستشهد وبقيت ... » .
هذا يعني بوضوح أن عمرا كان يرى أن أخاه الأصغر أفضل منه ... لأنه أسلم قبله ، واستشهد قبله أيضا .
وعاد من الحبشة الى مكة ، بعد أن علم بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام الى المدينة .. وقرر أن يلحق بالرسول ، ولكنه كان يعلم أن المشركين كانوا يتربصون بهم ، ويمنعونهم من اللحاق بالرسول في المدينة حتى لا يكثر عددهم وتقوى شوكتهم ... وكان هشام ملهوفا الى

الوقوف بجانب حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فراح يلتمس السبيل للهرب الى المدينة ، ومن ثم اتفق مع عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما للهجرة معهما .. وتواعدوا على اللقاء سرا عند اضاءة ـ أي غدير ـ بني غفار على مسافة أميال قليلة خارج مكة .

وفي الوقت المحدد شرع هشام في تنفيذ المخطط ... ولكنه ما أن سار في الطريق الى مكان اللقاء ، حتى فطن أهله بأمره .. فلحقوا به وأمسكوه .. وكذلك فعل أهل عياش بن أبي ربيعة ... وأودعوهما السجن بمكة ... ليأمنوا هجرتهما ... أما عمر بن الخطاب .. فقد استطاع أن يهاجر في تلك الليلة .. وينجو من لحاق المشركين به ..

وظل هشام في سجن مكة بضع سنين ، يلقى من ألوان العذاب ما يهد الجبال .. ولكنه صبر وتجلد وقاوم وهو يؤمن بأن فرج الله قريب .. وكان الرسول كلما جاءته أنباء هذا العذاب الذي يصبه المشركون على سجناء المسلمين .. دعا ربه في قنوت الصلاة ، والمصلون من ورائه يرددون :

« اللهم انج الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين » .

واستجاب الله لرسوله .. فنجا عدد كبير من سجناء المسلمين في مكة .. ولما طال السجن بهشام بن العاص .. وعياش بن أبي ربيعة ... قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

ـ من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ..؟

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة ، قد نجا من سجنه ولحق بالرسول الكريم في المدينة ، فلما سمع هذا القول ، وثب واقفا وقد انتضى سيفه وقال :

ـ أنا لك يا رسول الله ..

ووضع الوليد خطة لانقاذهما .. فتنكر في ملابس وسمت غير ملابسه وسمته ، ومضى الى مكة كغريب جاء لبعض شأنه .. وراح يتلطف مع الناس ويسأل حتى عرف مكانهما ، فاذا هما في سجن تقوم عليه الأسوار ... مقيدان لا يستطيعان حراكا .. ولكنه لم ييأس .. ولم يهن .. وانما انتهز ليلة ظلماء هوجاء الريح .. فتسلق الأسوار في غفلة من الحراس .. وهبط الى السجن ، وتحسس الطريق الى السجينين حتى عثر بهما .. وسرعان ما فك قيودهما .. وخرج بهما مستخفيا الى بعير كان قد أعده سرا خارج مكة .. وعاد بهما الى الرسول الكريم ، الذي سر بنجاتهما سرورا كبيرا وحمد الله وأثنى على شجاعة الوليد وعلو همته ..

وتتحدث كتب التاريخ على مختلف مصادرها عن شجاعة هشام بن العاص في الحروب .. وفي اخلاصه وتفانيه لنشر دعوة الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض .. فما من مهمة عسكرية يرسله الرسول فيها الا ويعود مؤزرا بالنصر والتوفيق .... وقد روي عن الترمذي والنسائي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن هشام وأخيه عمرو : « مؤمنان .. هشام بن العاص .. وعمرو بن العاص » ..

والايمان مرتبة أعلى من الاسلام .... وما من شك في أن كل مسلم يتمنى أن يشهد له الرسول الكريم شهادة كهذه ... وليس بعد شهادة الرسول شيء ..

ولم يكن هشام بطلا صنديدا في الحرب وحسب .. ولم يكن مؤمنا عظيم الايمان فقط .. وانما كان على رجاحة عقل وحسن تدبير وبلاغة قول .. فلا عجب أن وثق به أبو بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الى ملك الروم مندوبا عنه في التفاوض معه لشأن ما من شئون الدعوة الاسلامية ، فكان نعم المندوب ، وخير السفير .

ثم جاءت معركة أجنادين بين الروم والمسلمين في أرض فلسطين ... وشارك فيها هشام وأبلى بلاء حسنا .. وكان معه أخوه عمرو .. وقد أعان كل منهما أخاه استعدادا للمعركة ... وفي هذه المعركة ، لاحظ هشام بعض التراخي في صفوف المسلمين .. فاندفع الى قلب الأعداء ، وقد سيطرت عليه الحماسة ... وغلبه الشوق للاستشهاد مع النصر .... وأرسل صيحته المشهورة يحث بها اخوانه في الجهاد :

« أنا هشام بن العاص .. أمن الجنة تفرون » ..

وتدافع المجاهدون وراءه يتسابقون الى الاستشهاد والجنة .. وكان لهشام ما أراد .. فانتصر المسلمون .. واستشهد هو .. وقال أخوه عمرو بعد أن جمع أشلاءه من أرض المعركة :

« أيها الناس .. ان الله قد استشهده .. ورفع من روحه » ..

وظل عمرو كما سبق القول ، يتحدث عن أخيه هشام ويذكر فضله ، ويقول :

- لقد شاركنا في المعركة .. وأعان أحدنا الآخر ، وعرضنا أنفسنا على الله .. وكلنا يسأل الله الشهادة ، فقبله وتركني .. وحرمتها ورزقها ..

ألا ما أعظم هؤلاء الرجال .. ألا ان في سيرتهم لعبرة ومثلا يحتذى .. وحسبهم مكانة عند الله .. أنهم كانوا يتسابقون الى التضحية بالنفس في سبيل الله ... ويتفاخرون ، لا بالأحساب والأنساب .. وانما بالسبق في الشهادة والفداء ...

تكريم المصحف

جاءنا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد هذه الكلمة في الحث على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وتكريمه وعدم امتهان شيء من الاوراق والصحف التي تحمل آياته :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين . اما بعد :

فان القرآن كلام الله تعالى انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدى ونورا للعالمين الى يوم القيامة وقد اكرم الله صدر هذه الامة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم اليه في القليل والكثير ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسا ومعنى ولكن هناك طوائف كبيرة واعداد عظيمة ممن ينتسب الى الاسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واخشى ان ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى (**وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**) اذ اصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورا هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه اذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات وكثيرا ما تشتمل على ايات من القرآن الكريم في غلافها او داخلها لكن قسما كبيرا من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لاغراض اخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم (**انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين**) والاية دليل على انه لا يجوز مس القرآن الا اذا كان المسلم على طهارة كما هو راي الجمهور من اهل العلم وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمس القرآن الا طاهر . ويروى عن ابن عمر .. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا تمس القرآن الا وانت طاهر**) وروى عن سلمان رضي الله عنه انه قال لا يمس القرآن الا المطهرون فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء . وعــن سعد انه امر ابنه

بالوضوء لمس المصحف . فاذا كان هذا في مس القرآن العزيز فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على ايات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات لا شك ان هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة ان يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها مما فيه ايات قرآنية او احاديث نبوية او كلام فيه ذكر الله او بعض اسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر واذا استغنى عنها دفنها في ارض طاهرة او احرقها ولا يجوز التساهل في ذلك وحيث ان الكثير من الناس في غفلة عن هذا الامر وقد يقع في المحذور جهلا منه بالحكم رايت كتابة هذه الكلمة تذكيرا وبيانا لما يجب على المسلمين العمل به تجاه كتاب الله واسمائه وصفاته واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيرا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين والله سبحانه المسئول ان يوفقنا والمسلمين جميعا لما يحبه ويرضاه

خواطر من وحي المصطفى

جاءنا من الاستاذ عبد الرزاق حسن العائش هذه القصيدة :

ولينتصر جيش الاخاء ويرتفع	فوق المآذن للصلاح اذان
إيوان كسرى قد تصدع خاشعا	ولعرش قيصر زلزلت اركان
بسمات فجر مزقت ثوب الدجى	ما عذر من اغوتهم الاوثان
يا ويحهم عبدوا الدمى من صنعهم	سحقا لرب ربه انسان
يا رحمة للعالمين تحية	ومن التحايا ملجأ وامان
فاليك يا هادي الانام خواطري	ما شابها كذب ولا بهتان
جئت الوجود ولم يزل في عهده	طفلا تولى امره شيطان
فاذا الحياة خلية موبوءة	تنمو بها الاحقاد والاضغان
واذا السلام جرائم وحشية	ينمي اليها الجهل والحرمان
واذا القصيدة دمية يعنو لها	ملك الملوك وتنحني تيجان
مرض النفوس من العسير علاجه	حتى اتى بشفائه القرآن
فاذا الحياة رياض حب صادق	ثمراتها المعروف والاحسان
واذا السلام تآلف ومودة	ينمي اليه العلم والعرفان
وطن رفعت من الحضيض كيانه	بلغ المدى رفعت به اوطان
ورست على حب الوئام دعائم	فتفيأت بظلالها الاكوان
وسرت على النهج القويم قوافل	وحدت على نغم الهدى ركبان
فمن العجائب ان تفرق امة	نادى بجمع صفوفها الفرقان

بريد الوعي الاسلامي

الاشتراك بالمجلة

إلى طالبي الاشتراك بالمجلة يمكنكم تأمين وصول أعداد المجلة إليكم بالاشتراك فيها عن طريق متعهد التوزيع في بلادكم، وفي صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة بالمجلة ثبت بأسماء متعهدي التوزيع، وإن لم يكن بالقرب منكم متعهد توزيع فيمكنكم الكتابة إلى الشركة العربية للتوزيع ص. ب (٤٢٢٨) - بيروت. لبنان.

والشركة ستتولى تأمين وصول المجلة إليكم في موعدها إن شاء الله.

الاستطلاعات

الأخ جمال رمضان ثابت - ج. م. ع

يطلب أن تخصص المجلة صفحات أكثر لتفسير القرآن الكريم، وأن تواصل جولاتها الاستطلاعية عن أحوال المسلمين ومآثرهم الحضارية، لأنه لاحظ توقف ذلك.

ونقول للأخ جمال:

إن المجلة حريصة على أن تتصدر أعدادها مقالات ودراسات عن القرآن الكريم تفسيرا وشرحا واستنباطا للأحكام وإظهارا لحكم الله في أوجه حياتنا المختلفة، ولا يكاد عدد يخلو من ذلك.

أما عن الاستطلاعات فان المجلة لا تألو جهدا في التعريف بأوطان المسلمين وأوضاعهم ودراسة الآثار الاسلامية كلما رأت ذلك مفيدا، وهي إذ توقف نشاطها في هذا الميدان لبعض الوقت فلكي تثب وثبة أخرى فتستعرض أوضاعا جديدة لعالمنا الاسلامي.

ونشكركم لاهتماماتك الاسلامية، وحرصك على مطالعة مجلتك، والله يوفق للخير دائما.

الأهل وزواج ابنهم

نقول للأخ سعد عمار الثابت - من تونس :-

إن الزواج حالة اجتماعية، ترتبط فيها أسرة بأسرة لتنشأ بينهما علاقة مصاهرة، ومن هنا فان الاسلام حريص على أن يحظى الزواج بموافقة الأهل ورضاهم، وأن يكون الزواج

مظهر فرح للجميع ، ولما كانت خبرة الشاب ـ أو الفتاة ـ في مثل هذه الأمور محدودة ، فان الوالد والوالدة يقدمان النصح ، ويرشدان ابنهما إلى من تصلح له زوجا ، ويكون ذلك من واقع حبهما لابنهما وحرصهما عليه .

وليس الحب ، أو العشق على حد قولك ـ هو كل شيء في الزواج، بل ذات الدين والأخلاق الفاضلة أولا ، والرغبة في إعفاف النفس ، وإنجاب النسل الصالح من زوجة صالحة ، وقد تغيب عنك أشياء كثيرة لابد من توافرها فيمن تريدها زوجة لك ، ولا تهتم إلا بمظهرها فقط ، والمظهر غالبا ما يكون خداعا خصوصا في فترة الخطوبة ، فكل من الخطيبين حريص على أن يظهر بأحسن مظهر ، ومن هنا فان الولد العاقل ينشىء حوارا بينه وبين والديه ، حتى يقتنع بوجهة نظرهما أو يقنعهما هو بوجهة نظره ، وبذا يتم الفرح في أجمل صورة ، حيث رضا الوالدين من رضا الله سبحانه .

أما إذا استعصى الوفاق ، فاحرص على إرضاء والديك ، ولا تسيء إليهما ، مع العلم بأنه ليس لهما أن يرغماك على الزواج ممن لا تريدها ، ولا أن يمنعاك من الزواج بمن تحبها ، ولعل ذوى القربى يستطيعون التوفيق بينكم ، والله يتمم على خير .

أكثر الله أمثالها

حمل البريد إلينا رسالة الأخ الاستاذ محمود زيدان سفاريني .. كتب فيها تحت عنوان « أكثر الله أمثالها » يقول :ـ

عرفتها والدة لثمانية أطفال ، توفي زوجها منذ سنوات وأبقاها وصغارها بدون وارد سوى ما يقدمه لها أهل الخير ، فخصصت لها من فاعل خير راتبا شهريا مقداره ٣٠ دينارا ، واستمر الحال على هذا المنوال ست سنوات .

وفي المرة الأخيرة ، وقبل فترة قصيرة ، ذهبت لأعطيها المبلغ كالعادة ، فأبت وقالت . الآن أعلمك أن ابننا الأكبر قد تخرج وعمل. ومن فضل الله فقد أصبحنا الآن بنعم . وبما أنني ياأخي ذقت مرارة الفقر ، فاني أصبحت أشعر بحالة الأرامل الفقيرات ، وأتألم لهن كثيرا . وعلى هذا الأساس فاني أريد تخصيص مبلغ « ٣٥ » دينارا اردنيا شهريا للأرامل والأيتام وللعائلات المستورة من راتب ابني هذا . وقالت تفضل ، هذه الـ « ٣٥ » دينارا الدفعة الأولى في سبيل الخير . وقالت لي : أرجو منك ياأخي أمرين . الأول : أن تقول لكل عائلة « مستورة » تذهب إليها : إن الله مع الصابرين ، وليس بعد الضيق إلا الفرج . والثاني : أن تطلب من الأرامل اللواتي يخصهن نصيب من مبلغنا هذا أن يدعون لولدنا بالتوفيق والصحة والعافية كما كنت تطلب مني أن أدعو بالخير لأبناء من كانوا يحسنون لنا عن طريقك

فخرجت من بيتها وأنا أقول : دنيا تحوي أمثال هذه المرأة المتواضعة الصابرة الكريمة فانها لازالت بخير ..

قرية كاملة تعتنق الاسلام

نشرت صحيفة الرائد المغربية بتاريخ ١٩٨١/٩/٣٠ تحت هذا العنوان تقول :

كانت زيارة (ميناكشي بورم) التي تعرف الآن « برحمت نجر » بعد أن اعتنق معظم سكانها الاسلام وغيروا اسم القرية ، أسعد لحظات الحياة ، وأمتعها ، وقد كنا سمعنا وقرأنا في الصحف عن إسلام جماعة كبيرة تتراوح بين ٨٠٠ إلى ألف شخص ، وما آثار هذا الحادث من صدى في الأوساط السياسية ، ولكن الزيارة تركت آثارا لا تمحى ، فان إجتماع الاخوان الجدد الذين دخلوا في الاسلام ومظاهر الاخاء الاسلامي الذي يقضي على سائر الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والحماس والروح والعواطف المتدفقة وبريق الأمل في المستقبل الزاهر الذي كان يتجلى في وجه المسلمين الجدد ، كان قد بعث في القلوب الأمل في مستقبل الاسلام وصلاحيته لجذب القلوب ، وقوته في التآخي .

وصلنا إلى القرية من مصيف كوتالم حيث انتقلنا [illegible] بعد [illegible] زيارة ترونلزبلي ، و[illegible] المس[illegible] الجدد وعدد كبير من الدير[illegible] كانوا يعزمون إعتناق الاسلام قد إحتشدوا في حفل شيق ، كان قد زين باللافتات التي تحمل آيات قرآنية ، وكلمة لا إله إلا الله ، وكانت الوجوه مستبشرة ، يلوح فيها نور الايمان ، قلوب صافية كاللوحة البيضاء بعد أن هدم الاسلام ما كان قبله ، وزكي القلوب .

بدأ الحفل بتلاوة آية من الذكر الحكيم ثم ردد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة الاسلام فدخل أكثر من ١٥٠ شخصا في الاسلام وعلت هتافات الله أكبر ، وسبق أن أسلم أكثر من ألف شخص بفضل جهود الدعاة المحليين وخاصة جهود جمعية إشاعة إسلام في ترنلوبلي ، التي يرأسها الشيخ عبدالرحمن الرفاعي .

وتحدث سماحة الشيخ الندوي بهذه المناسبة وأعرب عن غبطته بحضور هذه المناسبة السعيدة ، وأوضح أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الذي يسلم إيمانا وإحتسابا كان كمن ولدته أمه ، وقال إن الله شرفكم بالاسلام وهو نعمة

عظيمة لا تساويها نعمة ، وأصبحتم إخوانا لنا ، لا فضل بيننا وبينكم إلا بالتقوى ، وهنا سالت الدموع من العيون ، ودموع الفرح أحلى الدموع ، وذكر سماحته قصص الصحابة رضي الله عنهم . كيف كانوا يتسابقون إلى الخير بعد الاسلام ، ويصبحون دعاة إلى الاسلام ، ثم دعاهم إلى التمسك بتعاليم الاسلام والاهتمام بالاخلاق الحسنة ، وتعلم مبادىء الاسلام ونظام حياته ، والتوحيد الخالص ، وبدء الحياة من جديد ، وأكد سماحة الشيخ الندوي ضرورة فتح مدارس ، ومراكز لتربية البالغين ، وتعليم الأطفال للمسلمين الجدد ونشر التعاليم الاسلامية ، واطلع على الاجراءات التي تتخذها الجمعيات الاسلامية في المنطقة في هذا المجال .

سؤر المؤمن شفاء

لقد اهتزت الجماهير بهذه التجربة الغريبة في حياتهم ، فقد مر المسلمون الجدد في جاهليتهم بتجربة قاسية ، كان يحرم عليهم أن يجلسوا مع أعضاء الطبقة الراقية من الهندوك ، أو يأكلوا معهم ، أو يستخدموا الآبار التي يستعملونها ، فضلا عن الشرب أو الأكل في إناء واحد ، ومروا باحتقار ومذلة ، ولكن هذا الحفل الاسلامي شهد تجربة جديدة خلفت أثرا طيبا ، إذ قدمت كأس إلى المسلمين الجدد ليشربوا منها فشربوا منها ثم شرب منها العلماء والقادة الجالسون على المنصة ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والاستاذ عبدالكريم باريكة ، ورئيس العصبة الاسلامية ، ونواب البرلمان الآخرون من المسلمين ، وكان في هذا السؤر شفاء لما في الصدور ، فسبحان من شرفنا بنعمة الاسلام .

وبعد هذه الحفلة التاريخية توجهنا إلى مسجد متواضع بناه المسلمون الجدد بأيديهم حديثا بعد أن هجروا معبدهم الهندوكي ، وصلينا المغرب مع الأخوان والمصلين الجدد ، ومرة أخرى تلاشت سائر الفروق ، وقام في صف واحد ، رجال مختلف الطبقات الذين وحدهم الاسلام .

قصة الاضطهاد الذي يدفع فقراء الهند لاعتناق الاسلام

كما ذكرت جريدة الاتحاد الظبيانية بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٦ حول هذا الموضوع ايضا وقالت تحت هذا العنوان :

نيودلهي ـ أ ف ب : خرج حوالي مائتي شخص من المنبوذين الهندوس وقد حملوا امتعتهم القليلة على عربات تجرها الثيران وارتدوا اسمالا بالية

فرارا من قريتهم « نيزامبور » الواقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من نيودلهي . بحثا عن الحماية في العاصمة الهندية من مضايقات السكان ورجال البوليس في قريتهم التي تنتمي الى الطبقة الهندوسية العليا .

وصرح أحد « الهارجيان » (وهو الأسم الذي يطلق عادة في الهند على المنبوذين أي الطبقة الدنيا من الهندوس) قائلا (إننا نرغب في العيش كبني البشر الآخرين .. إنهم (يقصد هندوس الطبقة العليا) يضربوننا حينما يشاءون ويعتدون على زوجاتنا حين تستبد بهم الرغبة ويضرب أطفالهم أطفالنا في المدارس من باب اللهو .. لقد تحملنا كل ذلك سنوات طويلة ولكننا قررنا الاحتجاج الآن » .

وقد احتل المنبوذون فجأة أحداث الساحة في الهند منذ أن قرروا اعتناق الاسلام أو البوذية للافلات من المصير الذي ينتظرهم وكذا اعتنق عدة آلاف من الهاريجان (أبناء الله) الاسلام في جنوبي الهند ويعتنق حوالي مائتي ألف آخرين البوذية خلال الشهر القادم خلال تجمع كبير سيعقد في أحمد أباد مركز صناعة النسيج في غرب الهند . ويمثل الهاريجان وهم الطبقة الدنيا في النظام الهندوسي حوالي ١٥٪ من السكان في الهند أي ١٠٣ مليون نسمة من بين تعداد السكان في الهند البالغ ٦٨٠ مليون نسمة ويعمل أغلبهم في صناعة الأحذية والخدمة في المنازل أو كعمال زراعيين .

وتعد المصادمات بين المنبوذين وأفراد الطبقة العليا ظاهرة حديثة العهد إذ طالما اعتقد الهاريجان حتى وقت قريب أنهم إنما خلقوا لخدمة الطبقة العليا ولم يحدث قط أن إحتجوا أبدا حتى في حالة تعرض البعض منهم للضرب الذي يفضي للموت أو في حالة تعرض بناتهم للاعتداء . إلا أنه بعد حصول الهند على الاستقلال في عام ١٩٤٧ حصل الهارجيان على بعض الحقوق لاسيما حق مجانية التعليم وحق التعيين في بعض الوظائف العامة التي كانت قاصرة على فئات متميزة وقد انخرط بعض الهاريجان في العمل السياسي وأصبح البعض منهم وزراء كما يشغل البعض منهم مقاعد في البرلمان الفيدرالي وقد أدى تمردهم إلى وقوع حوادث دامية بينهم وبين هندوس الطبقة العليا خلال الأعوام الأخيرة الماضية وقد قرروا الآن الانضمام جماعة إلى بعض الطوائف الدينية الأخرى . إلا أن أغلبية الهاريجان في الريف الهندي تعيش إلى الآن كقطعان الماشية حيث تتعرض للتعذيب إلى حد الموت في بعض الأحيان عند أقل بادرة احتجاج ويسكن الهاريجان عند أطراف القرى في مساكن بنيت بالطين ويعملون ١٨ ساعة يوميا مقابل وجبة واحدة أو أحيانا مقابل رداء ويحظر عليهم استخدام مياه الآبار الخاصة بالطبقة العليا .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٨ ● ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ● فبراير ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

العظمة الفريدة في تاريخ الانسانية

الناس امام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختم الله به الرسالات ، وجعله رسولا الى الناس كافة (مؤمنون وكافرون) . فالمؤمنون برسالته يرفعون مقامه عن المقارنة والمقايسة بينه وبين غيره ، لأن الميزان الذي يحمل في احدى كفتيه النبوة والرسالة العامة تبقى كفته الأخرى طائشة ، ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة على سمو القدر ، ومعالي الامور ، وبلوغ المنزلة الكبرى في خصال المجد والشرف . ولا يوجد في الناس منذ ان خلقهم الله الى ان تنتهي الحياة من يساويه او يقرب منه في هذه المكانة ، بل هو اوسع الناس فيها مجالا ، وابعدهم اثرا ، وارسخهم قدما .

ولم تكن عظمته صلى الله عليه وسلم عظمة الملوك المتجبرين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون . فعظمة هؤلاء عظمة ارضية موقوتة مهما ملكوا من ثمرات الارض وخيراتها ، ومهما كان لهم من سلطان وجبروت .

لقد حكى الله تعالى عن « فرعون » غروره بالملك في قوله : (اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون)، وادعاءه الالوهية في قوله : (أنا ربكم الأعلى). فماذا كان ؟ كان أن اخذه الله نكال الآخرة والاولى ، واغرقه وقومه الذين اطاعوه : (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين).. اما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله بالدين القيم ، والشريعة المحكمة ، وجعله القائم على تلك الشريعة يبلغها للناس مبشرا ونذيرا . وبعد ان تناسق عقدها ، وتكاملت نجوم هدايتها ، وانزل الله تعالى قوله : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى مخلفا للمسلمين شريعة خالدة ، وسياسة حكيمة ، فكانت دولتهم ذات بأس شديد على الباطل واهله ، ورحمة حانية على الحق وذويه .

ولم تكن مكانة محمد صلى الله عليه وسلم مكانة الاغنياء المختالين الطاغين بغناهم . فعظمة هؤلاء عظمة كاذبة ، لأن المال لا يعد - في نظر اولى العقل - من مظاهر العظمة ، وانما هو وسيلة الى خير او الى شر . وقديما كان « قارون » - وقد اتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة - باغيا على قومه ، زاعما انه اوتي المال على علم عنده ، واصم اذنيه عن سماع النصيحة ، فكانت النتيجة ان خسف الله به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . ولا عجب فان صاحب المال الذي يركض به الى المحرمات ، وينفقه بعيدا عن الطاعات وينكر فضل الله عليه ، وحقه في ان يشكر على نعمائه وان يحمد على عطائه ، اعظم منه البائس الفقير الذي يزيد عليه

بمثقال من علم او فضل .

وقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حالتي كفافه ويساره ، يمثل الصبر والسكينة والزهد والسخاء . اذ لا يخدش الفقر والاقلال مكانة الانسان اذا نهضت به الحكمة والعزم والاخلاص ، وارغم انوف الطغاة الذين يمشون في الارض مرحا .

ولا يمكن ان يوازن المؤمنون بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القواد الفاتحين في عدد ما فتحوا من المدن او الممالك . واذا عددنا فتح مكة من مظاهر عظمته السامية ، فلأنه نتيجة جهاد وصبر وثبات ، ولأنه الفتح الذي اخذ به الاسلام مظهرا مهيبا ، وقطعت به الدعوة الى الحق شوطا واسعا ، والذي يفتح مدينة فيملؤها ايمانا بعد شرك ، واصلاحا بعد فساد ، تكون عظمته في قلوب عقلاء الناس وحكمائهم فوق عظمة من يفتح المشرق او المغرب ، وهو يحمل في نفسه غطرسة وكبرا ، وفي يده اذلالا وارهاقا !!

ولا تصح المقارنة بين رسول الاسلام فيما اسدى للانسانية ، وبين كبار الفلاسفة والمخترعين والمكتشفين فيما قدموا من نظريات ومكتشفات ومخترعات ، فان الاختراع والاكتشاف مما يناله الناس بالذكاء والمثابرة على البحث ، وقد جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة وقفت دونها انظار الاذكياء ، وتخبطت في البحث عنها عقول الفلاسفة ، وهي الحقائق والاداب والنظم التي هي قوام الحياة السامية .. هذه هي الحكمة التي اختار الله لها محمدا صلى الله عليه وسلم فالقاها على الناس دروسا نافعة ، وترجمها سلوكا مستقيما ، ولبس من زينتها سيرة كريمة ، ولا يضيره بعد هذا العلم وهذا السلوك وهذه السيرة الا يخترع من الحديد غواصة ، والا يكتشف اثرا كان تحت الارض غائبا .. واذا اعترف الناس بالعظمة لفيلسوف كشف عن شيء من غوامض الطبائع المادية ، فان عظمة من يكشف عن الحقائق العقلية والفضائل النفسية والصلات الادبية والقواعد العمرانية اسنى مطلباً واجلى مظهرا .

اما الكافرون الذين لم يهتدوا بالاسلام ، فمن دخل منهم دائرة

البحث النزيه لم ينصرف عنه الا وقد شهد من سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عظمة فائقة ، قال الفيلسوف « تومس كارليل » : « اتبين في محمد عقلا راجحا ، وعينا بصيرة ، وفؤادا صادقا ، ورجلا قويا عبقريا ».

والدكتور « مايكل هارث » مؤلف كتاب « المائة » في هذا العصر الذي عنى فيه بالبحث عن اهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله ، قد اختار « الاول » في الاهمية في التاريخ الانساني كله نبي الاسلام محمدا صلى الله عليه وسلم . اختاره المؤلف وهو رجل مسيحي يعيش وسط العالم الامريكي المسيحي اليهودي .

يقول الدكتور « مايكل هارث » « ان اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح اعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي . انه الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت به شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه اقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي ايضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لهذه الامة كل اسس حياتها الدينية والدنيوية .

ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب احد المراكز الحضارية في العالم ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس .

وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ، ولكن في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية من العراق وسوريا الى اخر الشاطىء الافريقي غربا ، الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الان . وهو معيار في قياس اثر الرسالة واستمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ

الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد . الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل .

ومن اجل هذا كله فاني وجدت ان محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب اعظم تأثير اصلاحي على الاطلاق في التاريخ الانساني ».

فهذه هي العظمة الفريدة في تاريخ الانسانية اعطاها الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدق الله تعالى في قوله لرسوله : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما).

فهل للعالم المعاصر ان يدرك مغزى تلك العظمة فيفيء الى رحاب الاسلام ليهتدي الى الصواب ؟: (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم).

وهل للمسلمين ان يثوبوا الى رشدهم ويتبعوا ما انزل اليهم من ربهم ، ويعملوا صادقين لاستعادة مجدهم بالاقتداء برسول الله العظيم ؟ ممتثلين لقول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وذاكرين لقوله جل شأنه : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما).

الرجاء في الله عظيم ، والامل في توفيقه لا ينقطع ، وليس بعد الغفلة المطبقة التي رانت على قلوب المسلمين ، فأفقدتهم عزتهم وحقوقهم إلا صحوة ايمانية مشرقة تبدد الظلمات ، وتنير الطريق وتنال بها العزة المفقودة ، والحقوق المغتصبة ، والمجد الضائع . ولينصرن الله من ينصره : (ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون).

رئيس التحرير

محمد الاباصيري

بنين

للدكتور احمد حسنين القفل

يقول المولى تبارك وتعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) .
آل عمران / ١٤ ـ ١٧ .

مَتاعٌ

الانسان صنعة الله ، وقد خلقت النفس الانسانية مجبولة على بواعث فطرية ، وعلى رغائب وميول غريزية ، اتاحها الله لخليفته في الأرض حتى يمكنه بها ان يواصل حياته عليها سعيدا موفقا مرزوقا ، اذا هو احسن الاداء واخذ بالاسباب . ولم تغره الاهواء لكن الانسان قد يجرفه الانحراف . وتبطش به الاهواء فيغرق في لذائذه الدنيوية بلا حساب ، وينقاد الى شهواته البهيمية بلا حدود ، ويستمتع استمتاعا ممقوتا ، لا يلتزم بحلال او حرام ، ولا بتكاليف شرع او دين ، فتستهويه دنياه بما حوت من زخارف تتراءى له ، وينساق الانسان وراء خطوات شيطانه ، فينسى أن له آخرة ، وانه سيحاسب على ما قدمت يداه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . لا يدري ان كل امرىء بما كسب رهين ، وان ليس للانسان الا ما سعى . وان الله سوف يجزيه الجزاء الاوفى .

والاسلام بتكاليفه وتعاليمه لا يكبت الغرائز ، ولا يهمل البواعث الفطرية فقد وهبها الله للنفس البشرية كما اسلفنا لانها ضرورة لازمة في الحياة ، لكن الاسلام لا يطلق للغرائز العنان ، ولا يجعل البواعث الفطرية تندفع بلا حساب ، ولكن الاسلام يضبطها وينظمها ، ويرسم لها الحدود والمقاييس التي تخفف من حدتها ، وتحول دون اندفاعاتها بحيث يكون الانسان سيد نفسه لا عبد شهواته وغرائزه . والله العليم الخبير ، الذي يعلم سر صنعته البشرية ، يصف متاع الحياة الدنيا بأنه قليل مهما كثر ، وان الباقيات الصالحات خير وابقى . وان الدنيا لو كانت تساوي

عند الله جناح بعوضة ، ما سقى الكافر منها جرعة ماء . ولهوان الدنيا على الله ، يقول سبحانه في قرآنه ، انه لولا مخافة ان يفتتن المؤمن بغنى الكافر ، لجعل الكافر يتقلب في النعم ويرفل في زخارف من الفضة كمتاع له في حياته الدنيا ليأتي مفلسا يوم القيامة . يقول سبحانه :

(ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) الزخرف / ٣٣ - ٣٥ .

والآيات الكريمة التي صدرنا بها هذا المقال ، تشير الى نوعين من المتاع ، احدهما متاع الحياة الدنيا ، والثاني متاع الآخرة ، كما تشير الى سلوك الانسان - تبعا لشهواته - ازاء كل من المتاعين . فمن الناس من يستهويه متاع الحياة الدنيا فيعب منه بلا حدود ولا ضوابط ، ليكون مفلسا يوم القيامة ، ومن الناس من يستمتع بدنياه بالقدر المطلوب والميزان المحسوب ، مدخرا متاعا اجزل واوفى يجزيه الله به في الآخرة . والفئة الاخيرة المؤمنة لها اوصافها ومعاييرها التي وضحتها الآيات الكريمة . وفيما يلي توضيح ما اجملناه .

١ - الله الذي خلق الانسان ، يأمره صريحا في القرآن الكريم فيقول له :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض) القصص / ٧٧ .

ومن ثم ، يكون الانسان مخلوقا . مهيئا للاستمتاع بالدارين (الدنيا والآخرة) وترتيبا على ذلك ، تكون البواعث الفطرية ، والرغائب والميول الغريزية موجودة في كل انسان ، اذ هي من مستلزمات مواصلة حياته على الارض التي أمر الله أن يعمرها ولا يفسد فيها ، لكن هناك فرق بين انسان رغائبه وميوله في توازن وتبصر وتدبر ، وفي حدود مأمونة ، وفي اطار ما رسمه الله العليم الحكيم له وقيده الشرع بتكاليفه . وبين انسان آخر يطلق لنفسه العنان في لذائذه الحسية ونزعاته الشيطانية يتعدى الحدود في ارضاء شهواته . مثل هذا الانسان هو الذي « زينت له نفسه او حسن له شيطانه » حب شهواته ، فأرخى لها العنان ، يستمتع بما لذ وطاب في اعتقاده ، لا يحاسب نفسه على حله وحرمه . انه يعيش دنياه ، ويغتنم الساعة التي هو فيها ، انه لا يعترف بمتاع الآخرة أو لا يأبه له ان كان في ذهنه وميض من الاعتراف .

والاسلام بتكاليفه انما يهذب هذه الشهوات الفطرية ولا يكبتها ، وانما يضبط هذه الرغائب والبواعث الغريزية ولا يحرمها ، يضبطها الى الحد الامثل المفيد ، حتى لا تطغى ولا تستشرى ، وعندئذ لا يقتصر ضررها على صاحبها كفرد ، وانما يمتد اثرها الى المجتمع الذي يعيش فيه اذا لم يضرب على يديه ، او يحول بينه وبين

المنكر الذي يأتيه . .

٢ ـ واذا كان « **النساء** » اولى الشهوات التي اشارت اليها الآية الكريمة ، فان تزيين حبهن كشهوة عارمة بدون حدود او قيود هو الامر المنهي عنه في الاسلام . فالله سبحانه وتعالى قد اباح للرجل ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع في اطار (**فان خفتم الا تعدلوا فواحدة**) كالنص في سورة النساء (٣) . والله تبارك وتعالى يمتن على الانسان ان خلق له من مثله زوجة يبدأ بها تكوين اسرة من افراد جعل بينهم جميعا مودة ورحمة . يقول سبحانه .

(**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .

(**والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** ..) النحل / ٧٢ .

وتشير الاحاديث النبوية الكثيرة الى فضل الزوجة الصالحة ، والى ان خير ما يرزق به الزوج هو الزوجة الصالحة التي ان نظر اليها اسرته ، وان غاب عنها حفظته في ماله وعرضه وبيته . ومن ثم ، فان الاستمتاع بالنساء في الحدود وبالقيود التي رسمها الدين ليست مطلوبة فحسب لعمار هذا الكون وانما يثاب عليها اذا صلحت التصرفات حيالها . لكن الشهوة الى النساء المنهي عنها ، والتي هي من تزيين الشيطان ، انما تكمن في تخطي الحدود الشرعية في الاستمتاع بالنساء . فاتخاذهن خليلات شهوة دنيئة ، واستخدامهن في عروض تلفازية او سينمائية ونحوها للاثارة الجنسية ودون احتشام شهوة دنيئة ، والاتجار بالاعراض شهوة دنيئة ، ومعاكستهن والنظر الى محارمهن شهوة دنيئة ، وقس على ذلك الكثير والكثير مما لا يتسع لذكره المقام .

٣ ـ اما « **البنون** » فهم مع المال زينة الحياة الدنيا كما يقرر القرآن الكريم « الكهف : ٤٦ » بل ان الله سبحانه وتعالى يمتن على الانسان بأنه يمده بانعام وبنين (الشعراء : ١٣٣) والبنون نعمة كثمرة لزواج مشروع ، فما من زيجة مشروعة الا ووراءها الرغبة في الانجاب . والوالدان يسعدان في العادة باولادهما فالاولاد في العادة سند الآباء في الحياة ، واستمرار وذكرى لهم بعد الموت . ولكن متى يكون البنون شهوة ممقوتة ؟ يكون الامر كذلك ، اذا اتخذ البنون موضوعا للتفاخر والتكاثر . وقهر الآخرين بالكثرة والقوة ، كما كان الحال في عهد الجاهلية وحين نزول القرآن ، ويكون الامر كذلك اذا كانت الرغبة هي كثرة الانجاب دون اقتدار على التربية الحسنة والتوجيه السليم . ويكون الامر كذلك حين يتزوج الرجل المعدم (الفقير) لا بواحدة مثله بل بأكثر من واحدة بغية المتعة الجنسية في المقام الاول ثم الانجاب الكثير الذي به يخرج اولادا عديدين الى الدنيا من اضيق ابوابها فينحرفون ويعتادون الاجرام ، وقد يتساءل البعض : هل مثل هؤلاء الاولاد يكونون شهوة مطلوبة بالنسبة

للآباء او الامهات ؟ .. ربما فكثير من الاشرار يستمتعون بالاجرام يصيب مجتمعهم ، ولو كان ضحاياه من ابنائهم ، لانهم بما اقدموا عليه من زيجات تفتقر الى القدرة على الانفاق ، لا يكترثون بابوة ولا بنوة . انهم يمارسون متعتهم الجنسية وليكن بعدها ما يكون .

والقرآن الكريم الذي يقرر ان الزوجة سكن للرجل وان الاولاد زينة ، وان بين افراد الاسرة مودة ورحمة يلفت النظر الى حقيقة يجب ان يتنبه اليها كل انسان يقول سبحانه . **(يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)** . التغابن / ١٤ .

الا ترى معي ـ ايها القارىء الكريم ـ ان شهوة الحب الزائد للزوجة والاولاد ، والمبالغة في ارضائهم ، وتلبية جميع رغباتهم التي قد لا يتحملها الزوج ولا يطيقها ، قد تجعله ينحرف في سبيل تلبية هذه الرغبات ، كم سجلت الصحف اليومية حوادث اختلاسات وسرقات ـ الخ قام بها اناس لم يعتادوا الاجرام اصلا . وانما ضاقت بهم سبل الحياة فانحرفوا مرضاة لرغبات بدت من ازواجهم او اولادهم . انهم يركبون الصعاب في سبيل مرضاة الازواج والاولاد وان كان هذا ليس الطريق السليم . فالله لا يكلف نفسا الا وسعها .

٤ ـ واكتساب المال من الاوجه المشروعة امر مطلوب ، فالمال سلاح يعين صاحبه على نوائب الدهر . وقضاء الحاجات ، والانفاق على الأهل والعيال ، ومن لا مال له لا سند له . وكأنه يسعى الى الهيجا (الحرب) بدون سلاح . لكن شهوة حب المال تكمن في تكديسه دون استخدامه . وفي الاستحواذ عليه دون استثماره ، وفي كنزه دون التصرف فيه بالطرق المشروعة . ولهذا كانت العبارة في الآية الكريمة بألفاظ **(القناطير المقنطرة من الذهب والفضة)** وفي هذه العبارة اشارة الى كل انواع المال وان اقتصر الامر على ذكر المعدنين النفيسين ، واشارة الى مضمون شهوة حب المال المقوتة في الاستحواذ عليه وكنزه دون تصرف فيه . ويبشر القرآن الكريم الذين يكنزون الذهب والفضة دون اخراج زكاتها ودون الانفاق منها في سبيل الله يبشرهم بعذاب اليم يوم القيامة على النحو الذي يصوره قول الحق تبارك وتعالى :

(... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة / ٣٤ ـ ٣٥ .

ومن الناس من تستبد به شهوة المال فيجمعه من اي طريق تمتد يده اليه ، لا يتحرى في هذا الصدد حلالا او حراما ، انما يأكل اموال الناس بالاثم وهو يعلم ذلك ، ومنهم من يمنعه حب ماله من تأدية زكاته ، « فيسرق »

بذلك الحق المعلوم الواجب تأديته للسائل والمحروم ، ومنهم من يجمع المال لتنفيذ مآرب شريرة ، وشهوات آثمة ، يقول سبحانه :

(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) البقرة / ١٨٨ .

(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا . وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) . النساء / ٣٧ ـ ٣٩

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) النساء / ١٦٠ ـ ١٦١ .

(والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج / ٢٤ ـ ٢٥ .

وشهوة المال الممقوتة قد تدفع بالقيم على مال اليتيم ان يتلاعب فيه او يحجزه عنه بعضه او كله . والله يتوعد مثل هؤلاء فيقول سبحانه :

(وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا) النساء / ٢ .

٥ ـ اما (**الخيل المسومة**) فهي عند بعض الناس زينة مشتهاة ، ورياضة محبوبة ، وتجارة رابحة . والخيل معقود بنواصيها الخير كما يقول الرسول الأعظم ، وقد امر القرآن الكريم باعدادها قدر المستطاع كقوة مرهوبة في الحرب . فقال سبحانه :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) الانفال / ٦٠ .

وقد يقول قائل : وما دور الخيل الان بجانب وسائل الحرب الحديثة من صواريخ وطيارات وقنابل نووية .. الخ ؟ ونجيب بان القرآن الكريم نزل والخيل لها شأن اي شأن في الحروب . وظلت كذلك حتى اخترعت الوسائل الحديثة هذه فقل دورها ، ولكن الى حين . ذلك لان مخزون البترول في العالم مهما طال امد استخدامه فسينفد حتما ، وعندئذ تصبح كل هذه الوسائل الحديثة المشار اليها آنفا عاطلة لا فائدة من ورائها . ويعود الامر الى ما كان عليه اصلا قبل اكتشاف البترول كطاقة . ومن يرى الخيل او يقتنيها يفعل ذلك لجمالها ، وذكائها واستخدامها في اغراض مشروعة شتى كالحمل والحرب ـ لا للقهر ـ والفروسية والرياضة .. الخ . اما تربية الخيل

لشهوة غير مشروعة كالقرصنة والاعتداء على الآخرين وترويع الآمنين . والاغارة للسلب والنهب كما كان الحال عليه في الجاهلية وقبل ظهور الاسلام ، فهو ما لا يرغب فيه اذ يكون عندئذ شهوة ممقوتة .

٦ ـ اما (**الانعام والحرث**) وكل ما يتصل بالشئون الزراعية فامتلاكها وحيازتها من الطريق الحلال امر مطلوب ومرغوب فيه ومحبوب ، ذلك لان خيراتها لا تقتصر على فرد دون فرد ، ولا على بيئة يعيش فيها انسان دون اخرى ، فالانعام تشمل الضأن والماعز والبقر والجاموس والابل (الجمال) وخيراتها من لحم ولبن وسمن وجبن واشعار واصواف واوبار وجلود ـ الخ ... لا يستغنى عن كلها او بعضها انسان ، كما ان خيرات الارض الزراعية من محاصيل مختلفة للحبوب والزيوت والبقول ومن فواكه وخضراوات متعددة الاصناف والاشكال والالوان ... الخ .. كل ذلك مشهور فائدته ملحوظ شموليته للناس جميعا . وقد جاء ذكر كل ذلك في آيات متناثرة كثيرة في القرآن الكريم يضيق المقام عن تعدادها بله تسجيلها .

ولهذا كانت الانعام والحرث من نعم الله المبسوطة في كل حين ، والتي تستحق الشكران في كل آن ، لكن متى تكون الانعام والحرث شهوة يتحرز منها المؤمن ؟ اذا كان امتلاكها عن طريق الجور والظلم من طرق غير مشروعة ، او كانت للتكاثر والتفاخر على الآخرين . وللانعام والزروع زكاتها التي يلزم الا يحجبها حبها عن ان تصل الى الفقراء والمحتاجين .

وحين نزل القرآن الكريم ، بدأ في الجزيرة العربية حيث كانت الانعام وتجارتها وحيازتها هي شغل البدو الشاغل في مثل هذه البيئة ، وحيث كان امتلاكها من اي طريق شهوة الفرد والقبيلة .

وفي عصرنا الحالي قد تتحكم الشهوة العارمة في رفع الاسعار الخاصة بالانعام ومنتجاتها ، وبالارض وانتاجها حتى ليموت الناس جوعا في بعض المناطق ، بينما يغرق الآخرون محاصيلهم في قاع المحيط بغية تقليل عرضه لرفع سعره ، او الامتناع عن زراعته اصلا ليقل عرضه فيزيد طلبه .

والشهوات التي اشير اليها فيما سبق ، هي اكثر الشهوات ذيوعا وشيوعا والصقها بالانسان ، وهي التي يزينها الشيطان للانسان فتدعوه الى الانحراف عن الجادة . والقرآن الكريم يشير اليها بعبارة (**ذلك متاع الحياة الدنيا**) والمعنى ان هذه الشهوات متاحة للكافر والمؤمن على سواء اثناء حياتهما في الدنيا . اما الكافر فيعتقد او يتصور الا آخرة له . فهو يستغرق استغراقا ممقوتا في شهوات نفسه ، ورغبات حسه ، فيكرع كأسه حتى الثمالة . فحياته هي الدنيا ولا شيء بعدها . اما المؤمن التقى العاقل فيستمتع هو الآخر بهذه المتع الدنيوية ولكن في اطار الحدود والتكاليف التي رسمها الله له ، وهو العليم بحاله ، ذلك لان المؤمن يعتقد اعتقادا لا شك فيه ان وراء هذه الحياة

الدنيا اخرى ، وان الدنيا فانية والاخرى باقية ، وانه يجب عليه ان يجعل الفانية مزرعة للباقية ، لان الله وحده يمتع اكثر من متع الدنيا في آخرته حيث تكون له خاصة لا يشاركه فيها كافر مصداقا لقوله تعالى :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الاعراف / ٣٢ .

والآية الكريمة السابقة تقرر ان المتقين الذين يلتزمون الحدود الشرعية المسموح بها في حياتهم الدنيوية سوف يستمتعون في آخرتهم وحدهم .. ودون الكافرين ـ بمتع اوفر واحسن ، كما سيتضح ذلك بعد ، اذ يتبين ذلك جليا من الصورة التي يسجلها القرآن الكريم للمناداة بين اهل النار وأهل الجنة . يقول سبحانه .

(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) الاعراف / ٤٤

(ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) الأعراف / ٥٠ ـ ٥١

ويزين الشيطان للكافر شهوات الدنيا فتستغرق كل نشاطه ، ويستمرىء مرعاها فيغالي فيها ويشتط ، ويصل امره الى ان يسخر من المؤمن الذي لا يجعل الدنيا اكثر همه ولا مبلغ علمه ، وقد يأخذ منها بالكفاف مقتصرا على ضرورات الحياة . ومن ثم يكون حظه من المتع الدنيوية ـ التي اشرنا اليها سابقا ـ اقل في العادة من حظ الكافر منها ، لان المؤمن يعتمد على رصيد اخير وابقى له في آخرته حيث يكون الكافر فيها مفلسا بلا رصيد ، ويصور الله هذه الحقيقة فيقول سبحانه :

(زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) البقرة / ٢١٢ .

(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) النور / ٣٩ .

وبناء على كل ما سبق ، يلفت المولى سبحانه وتعالى نظر عبده الى إعمال فكره ، والى استخدام لبه بصدد المقارنة بين متاعين احدهما في الدنيا متاح لمن آمن ولمن لم يؤمن وثانيهما اجل واخير وهو متاع الآخرة مقصور على الذين اتقوا ربهم ، فيقول المولى **(قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير**

بالعباد) آل عمران / ١٥ .
ولو فكر الكافر مليا ، لايقن ان الله قد سخر الكون بما فيه من جماد وحيوان ونبات للانسان كافرا كان او مؤمنا ، ولا حرج على الانسان اذن في الانتفاع والتمتع بما سخر الله له . لكن الواجب كان يقتضي ان يدرك الانسان ذلك المنة من خالقه فيؤدي نعمة الشكر له ، ويلتزم بما امره ، وينزجر عما نهاه عنه ، وهذا ما ادركه المؤمن ، وما اهمله الكافر فالمؤمن موقن بكلام الله في قرآنه عن متاع مؤجل له في الآخرة نظير التزام بمتاع محدود في الدنيا وهو في قرارة نفسه يعقد مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الاخرة فيرى :

- ان متاع الدنيا قليل مهما كثر بجانب متاع الآخرة .
- ان متاع الدنيا زائل وقد يتم زواله في حياة صاحبه او قد يزول صاحبه عنه فيتركه ميراثا بعد وفاته لكن متاع الآخرة خالد لا يزول .
- ان متاع الدنيا يكون على قدر امكانات صاحبه اما متاع الآخرة فعلى قدر امكانات الله وشتان بين امكانيتين .
- ان رضوان الله في الآخرة والنظر اليه سبحانه ـ كما وعد ـ اقصى درجات المتاع لذة ومتعة .

ومن هنا ، نرى الآية الكريمة السابقة تشير الى متاع ينتظر المؤمن الذي التزم حدوده في الدنيا ، واتقى المحارم ، وهو متاع كريم يعوضه عما فاته في دنياه فما فاته من شهوة الانعام والحرث في الدنيا يجد بدلا منه جنات تجري من تحتها الانهار في الآخرة ، وما فاته من استمتاع بالنساء على اوسع نطاق في دنياه يجد بدلا منه ازواجا مطهرة وحور عين لم يطمثهن من قبله انس ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان . اما الخيل المسومة والانعام والاموال .. الخ . فقد بطل مفعولها في الآخرة ، واصبح ساكن الجنة يجد فيها ما يشاؤه بمجرد التشوق اليه ودون بذل الاسباب .. وفوق هذا كله يجد ابلغ متاع وهو رضوان من الله ، ولا اجد كلمات عندي استطيع بها وصف هذا المتاع ، لانه فوق كل وصف ، وابلغ من اي تصور ، **(وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة)** القيامة / ٢٢ ـ ٢٣ .

وتنتهي الآية السابقة بعبارة **(والله بصير بالعباد)** ثم تمضي الآية التي بعدها ، فتعدد صفات هؤلاء العباد الذين ادخلهم الله جناته ، وتجلى عليهم برضوانه . ومن صفاتهم :

١ ـ **(انهم يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار)** .

اليس ذلك اعلاناً ما بعده اعلان ، واقرارا ما بعده اقرار ، واذعاناً ما بعده اذعان ، بالايمان بالله واحد هو الذي يغفر الذنوب ، ويتجاوز عن الخطايا ، انهم يدعونه ويستغفرونه ويتوبون اليه علّه يقيهم من عذاب النار . والقلب الذي ينبض بهذا النبض ويحس بهذا الاحساس ، في الدنيا ، لا بد ان يكون ملتزما ، مؤمنا حق الايمان .

٢ ـ وهم **(الصابرون)** في دنياهم على

كل ما نالهم من آلام ومشقات ومصائب فقد اسلموا وجههم لله خالقهم ، وقبلوا حكمه وارتضوه ، هم واثقون ثقة بلا حدود في قوله تعالى :

(ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد / ٢٢ ـ ٢٣ .

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧ .

وعلى هذا فسلاح المؤمن الصبر ، يجتاز به كل بلاء ، وينجح به في كل اختيار .

٣ ـ وهم **(الصادقون)** بينهم وبين ربهم فلا مراءاة ، وبينهم وبين انفسهم ، فلا تقول السنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولا يقولون ما لا يفعلون . وبينهم وبين اخوانهم وعشيرتهم من الابناء والازواج ، فلا تضليل ولا مخاتلة ، وبينهم وبين مجتمعهم فلا مؤامرات ، ولا مناجاة بالاثم والعدوان ومعصية الله . وهم فوق ذلك ، وقبل ذلك صادقون في ايمانهم بربهم ورسولهم ، يصدقون بيوم الدين ، وما يكذب به الا كل معتد اثيم .

٤ ـ وهم **(قانتون)** اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . هم يعرفون حق الالوهية عليهم فتطمئن قلوبهم بذكر الله وتلين ، وواجب العبودية لله لا لغيره ومن ثم فهم احرار .

٥ ـ وهم **(المنفقون)** اموالهم في مصارف الانفاق المشروعة ، فهم :

- ينفقون من اموالهم واثقين انهم يقرضون الله قرضا حسنا وسيضاعفه لهم .
- ينفقون من اقواتهم وزروعهم فيقتحمون بذلك العقبة التي وضحها لهم القرآن بانها اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة .
- ينفقون من قوتهم وامكاناتهم مساعدة للضعفاء وتيسيرا للعاجزين .

ومقام المنفقين وجزاء الانفاق الحسن يسجله القرآن الكريم في آيات كثيرة ليس هنا مقام سردها .

٦ ـ وهم **(المستغفرون بالاسحار)** في هدأة الليل وقبيل الفجر حين ينام الغافلون ، ويسكن الدنيويون ، حين لا رياء ولا مراءاة ، بل صفاء ومناجاة ، والاستغفار والتوبة جزاؤهما المتاع الحسن (هود : ٣) والرزق الواسع ، والامداد بالاموال والاولاد (نوح : ١٠ ـ ١٢)

اليس من يتصف بكل هذه الصفات جديرا برضوان الله ؟ قمينا بدخول جناته ؟ انهم المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين متاعي الحياة الدنيا والآخرة ، فطوبى لمن دخل في زمرتهم يوم يساقون الى الجنة زمرا .

نحو منهج

يمتاز المنهج الاسلامي بشمول قواعده وانسحابها على كل شيء في هذا الكون ، وهذه إحدى خصائصه الفريدة ، فلا يدرس الباحث موضوعا واحدا بعينه ، محدد الأجزاء ، له مقدمات مفترضة يصل منها إلى نتائج .. كما تفعل المناهج الوضعية ، دون أن تربط هذا الموضوع ربطا محكما بالناموس الكوني والقانون الالهي .

وليس للمنهج الاسلامي تبويب متعسف لموضوعاته ، ولا تقسيم متعسف لمباحثه ، إنما نجد الآيات البينات هي الموضوع الرئيسي الذي يستخلص منه قوام مادته وحكمته وحججه وأصوله ..

ومنهج القرآن الكريم يربط التعاليم الخلقية بالنظام الكوني ، فيدعو إلى الاستقامة واتباع الخير في الوقت الذي تشير فيه الآيات القرآنية إلى بديع خلق السموات والأرض وما سخر للانسان من أنهار وبحار ودواب وجبال وشمس وقمر وسحب ، بالنصيحة والعبرة .

كما نجد آيات التخويف للكافرين ، والتأنيب للغافلين ، تتبعها آيات التبشير للصادقين والتثبيت للمخلصين ، مع تقرير الثواب والعقاب لكل فريق .

القرآن الكريم إذن يعالج أكثر من موضوع في آن واحد دون أن تختلط فيه المعاني وتتفرق السبل ، إنما يتم الترابط بين الموضوعات في إبداع

علمي إسلامي

للدكتور / حسن الشرقاوي

محكم ، وأسلوب معجز في إطار شمولي عام :

(كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فصلت/٣ .

فالقرآن لا يدرس التاريخ كما يدرسه المؤرخون ، ولا يدرس الطبيعة كما يدرسها الطبيعيون ، ولا يغمض الألفاظ بحيث تحمل أكثر من معنى ، كما يفعل بعض العلماء والأدباء لتأييد وجهة نظرهم فيما يقنعون به من نظريات ومذاهب وآراء ، ولا تتناقض المعاني بعضها مع بعض كما يظهر في الدراسات النظرية والتجريبية ، والقرآن لا يحلل الأحداث ويفصلها عن حقائقها كما يفعل المؤرخون عندما يجعلون واقعة معينة سببا لثورة من الثورات ، أو بداية لنظام من النظم الاجتماعية ، إنما القصص القرآني يراد منه التأمل والتعقل والاستنارة بما فعل ويفعل السابقون واللاحقون في كل زمان ومكان ..

القرآن الكريم هداية ورحمة ، لذلك فهو يقصد أن يعتبر السامع بما يسمع ، والقارىء بما يقرأ حتى يجعل آيات الله القدوة الرشيدة في سلوكه ، والسراج المنير الذي يبين له الطريق الواجب الاتباع ، بما يلقيه إليه من الموعظة الحسنة ، ويشرح صدره بالحكمة البالغة ..

القرآن لا يستخدم أسلوب علماء التاريخ عندما يعرض للقصص القرآني ، أو يستخدم ألفاظ الفلاسفة أو مصطلحات العلماء الطبيعيين عندما يتعرض لموضوعات الكون

والطبيعة ، إذ القرآن يخاطب الناس جميعا مع اختلاف مستوياتهم وأحوالهم وأزمانهم ، لذلك يمتاز بالشمولية والعمومية والوضوح لأنه خطاب موجه للناس جميعا وليس لأصحاب تخصص معين أو مشرب محدد ..

ولكن المتخصصين مع ذلك يستفيدون ، كل في دائرة تخصصه بآيات الكون والقصص القرآني ، والمعارف المبسوطة في كلام الله ، كما يستفيد ايضا الطالب والعامي من الناس ..

إن ما يستهدفه تعالى من الدين معرفة الله ، وتوحيده ، والتوحيد يحتاج إلى العلم ، كما يحتاج العلم إلى الصدق واليقين ، ومن هنا يهتم المنهج الاسلامي بمخاطبة الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، أبيضهم وأسودهم ، مخلصهم ومنافقهم تائبهم وظالمهم ، عالمهم وجاهلهم ..

وخطاب الله للناس معجز في اسلوبه وبلاغته ومعانيه ، حتى إنه يشعر القارىء أو السامع أنه موجه إليه وحده ، رغم اختلاف الناس في الثقافة والتقاليد والطبائع ، والمؤمن يشعر حقا أن آياته البينات إنما تواكب دقائق حياته اليومية ، وواقعه الحي ، وكأنها البلسم الشافي لجميع أسقامه ، والطبيب الذي يحل له كل قضاياه ومشاكله ، فحجج الله الدامغة تساعد الانسان على الصبر في الفاجعات ، والرحمة مع الضعفاء ، والاحسان إلى الفقراء ، والعمل والجهاد في سبيل الله ، وبذلك يمتلىء قلبه نورا وسكينة وأمنا وأملا :

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت/٤٤ .

والشمول في المنهج الاسلامي ، آية من آيات الله البينات ، تتحدى من يجاهر بغير علم ولا هدى ، ومن يحاول أن يناطح حكمة الله البالغة ، يستعصى عليه ذلك حيث أنها تشهد بالصدق والحق والشمول :

(وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) الطلاق/١٢ .

إن جميع المناهج الوضعية والقوانين البشرية يعوزها الثبات ، سواء كانت هذه المذاهب عقلانية أو روحية أو حسية أو تجريبية ، إذ ما يلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها ، وتبين ضآلة صدقها ، ويعرض بعض العلماء وجهات نظر جديدة تهدم المناهج القديمة وتلغي قواعدها وقوانينها ونظرياتها ..

ويحتار الانسان أمام هذا الخضم العجيب من المعاني المتناقضة والأفكار المختلفة وتسد أمامه السبل ، فلا يعرف إلى أي من هذه المذاهب عليه أن ينتمي ، وأيا منها الصادق ، وأيا منها الباطل ، حتى ينتهي آخر الأمر بعد البحث والتدقيق إلى موقف الرفض لها ، فيتشكك فيها جميعا ، وربما يهوي على أم رأسه فيكفر بكل شيء ، ويقع في الضياع فيجرفه تيار الالحاد إلى الضلال المبين .

وإذا كان الباحث قد هداه الله إلى تأمل منهج الله ، وحظى بنعمة الايمان به وجعل إمامه وقدوته الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم ـ نجا بنفسه وثبت قلبه على الحق وأمن من شر الانحراف عن الصراط المستقيم :

(للذين استجابوا لربهم الحسنى) الرعد/ ١٨ .

وإذا تيقن الانسان بفطرته السليمة أن طريق الله هو الحق ، فان الله يربط على قلبه ، ويثبت قدمه ، فلا يشك في أمر الله ، ولا يتردد في طريقه ، إذ تفتح أمامه السبل كما وعد الله :

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/ ٧ .

فالذي يتمسك بالمنهج الاسلامي يرشد إلى العلم الصحيح ويثبت بالقول الثابت ، ويمده الله بالأمن الداخلي ، وبالالهام الملائكي ، فلا يفقد أبدا طريق السلامة والأمن :

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ابراهيم/ ٢٧ .

والمنهج الاسلامي ثابت في حقائقه ، يحظى فيه المؤمن بدرجات تزداد يوما بعد يوم من العلم والمعرفة واليقين ، فلا يخذله الله تعالى أو يتركه ، ما دام سائرا في طريق التوحيد والايمان :

(يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة/ ١١

وهذه هي سنة الله للناس ، وحتى إذا تبدل الناس جميعا وتحولوا ، فان سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير ، إذ هي ثابتة أبدا :

(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاطر/ ٤٣ .

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الاسراء/ ٧٧ .

منهج الله ثابت في الزمان والمكان ، والله لا يستحي أن يقول الحق :

(وآتيناك بالحق وإنا لصادقون) الحجر/ ٦٤ .

ويمكن أن يدعى بعض الحاقدين أن أمة الاسلام رغم أنها تسير على هذا المنهج وتؤمن به ، فان أصحابها يحيون حياة المذلة والضعف والوهن في وقتنا هذا ، ويستهدف هؤلاء من ذلك الادعاء وصف الشريعة بالجمود وعدم انسحابها على إنسان القرن العشرين .

لقد نسى هؤلاء أن منهج الله الثابت شيء ، والمتمسحون به كذبا وبهتانا ونفاقا شيء آخر ، والله تعالى لا يثبت إلا الذين آمنوا ، أما الذين يستظهرون الايمان ويتخفون رياء ويتسترون على شركهم وبعدهم عن الاستقامة والحق ، فان الله تعالى لا ينصرهم ولا يناصرهم ولا يساعدهم ولا يثبتهم ولا يمكن لهم في الارض :

(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الأنفال/ ٥٣ .

فالمنهج الاسلامي ثابت إلى الأبد ، كما أن المؤمنين يرونه ثابتا أبدا ، أما أصحاب الضلالات من الملحدين والظالمين والكافرين والمنافقين والفاسقين فانهم :

(صم بكم عمي فهم لا يرجعون) البقرة/ ١٨ .

مراعاة المصلحة العامة

للاستاذ ـ محمد رجاء حنفي

إن جميع الأحكام الشرعية في الشريعة الاسلامية تقوم على المصلحة الانسانية ، فما من امر شرعه الاسلام بالكتاب او بالسنة النبوية إلا وكانت المصلحة ثابتة فيه ، لدرجة أن البعض من الباحثين المحققين من كتاب الفقه الاسلامي في الماضي يقررون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطا وثيقا .

ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلبا حتميا يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه ، ويختلف اللزوم الحتمي باختلاف قوة المصلحة ، فما تكون فيه المصلحة أقوى يكون مقدما على ما قوته أقل فيها ، وما لا تكون المصلحة فيه مؤكدة يكون الطلب فيه ثابتا من غير لزوم ، وما يكون الضرر فيه مؤكدا يكون محرما ، ويختلف التحريم قوة وضعفا باختلاف قوة الضرر ، فما يكون أقوى ضررا يكون أشد تحريما ، وما لا يكون الضرر فيه مؤكدا يكون مكروها من غير الحكم بالتحريم ، وما لا يثبت رجحان الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيرا . إن كل حكم تصدى القرآن الكريم لبيانه ، أو السنة النبوية لتوضيحه مشتمل على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس ، فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده .

يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « لا ضرر ولا ضرار » رواه النسائي فهذا الحديث يعتبر قاعدة كلية في المعاملات ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « من ضار ضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه » رواه البخاري .

وفي القرآن الكريم نجد النهي عن الضرر في المعاملات ، كالوصية ، والرجعة بعد الطلاق ، والرضاع ، والبيوع ، وغير ذلك في آيات كثيرة .

فمن مراعاة المصلحة العامة ما روى من أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع ذات ليلة بكاء صبي فتوجه نحوه ، فقال لأمه ، « اتقي الله تعالى واحسني الى صبيك » ، فلما كان بعد قليل سمع بكاء الصبي مرة ثانية ، فعاد الى أمه يقول لها مثل قوله الأول ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي ، فأتى إلى أمه وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ وقال لها : « ويحك أم سوء !.. مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ » .. فقالت الأم :

« إني أسكته عن الطعام فيأبى ذلك » فسألها عمر : ولم ؟ : « فقالت : « لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم » فقال عمر : « وكم عمر ابنك هذا ؟» فقالت : « كذا وكذا شهرا » فقال لها عمر ويحك !.. لا تعجليه عن الفطام » . وعندما صلى الصبح التفت إلى الناس وقال لهم والدموع تكاد تملأ عينيه : « بؤسا لعمر !.. كم قتل من أولاد المسلمين » ثم أمر مناديه بأن ينادي في الناس : « لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في

الاسلام » وكتب بذلك إلى عماله في جميع الأمصار .

مراعاة المصلحة في الطلاق

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الطلاق حيث يقول المولى تبارك وتعالى : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**) ـ ٢٢٩ البقرة ـ ثم قال : (**فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) ـ ٢٣٠ البقرة ـ فالمقصود من هذا النص الكريم ان الطلاق يقع مرة فمرة ، وللزوج بعد كل من المرتين ان يراجع زوجته ، فاذا وقع منه الطلاق الثالث صارت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ، وذلك لما روى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا ، فتزوجت بعده رجلا فطلقها من قبل أن يدخل بها ، أتحل لزوجها الأول ؟ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته » رواه النسائي وابن ماجه .

والحكمة من هذا النص واضحة بينة ، فالطلاق وهو أبغض الحلال الى الله عز وجل فيه تقويض لحياة الاسرة وهدم لها وتترتب عليه نتائج خطيرة لكل من الزوجين ، وتتعداهما لابنائهما ، وفي أغلب الأحيان تترك أثرا سيئا في هؤلاء الأبناء يستمر معهم طيلة حياتهم ، من أجل ذلك أباح المولى تبارك وتعالى للزوج ان يراجع زوجته بعد الطلقة الأولى ، وبعد الطلقة الثانية حتى تعود المياه الى مجاريها بين الزوجين ويستمر بناء الاسرة قائما وتستقيم الأمور بينهما من جديد .

السعي بالتوفيق بين الزوجين

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الطلاق يجب ان يسبقه سعي بالتوفيق بين الزوجين ، والعمل على حل جميع المشاكل القائمة بينهما ، وتصفية الجو حتى تعود الحياة إلى طبيعتها الأولى ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**) ٣٥ النساء ـ فإذا باءت المساعي بالفشل ، وتعذر التوفيق بين الزوجين ، ولم يكن بد من الطلاق على الرغم من الجهود المبذولة للتوفيق بين الزوجين ، واقر الحكمون من أهله ومن أهلها ان المصلحة في الطلاق ، فان شريعة الله عز وجل لا تجعل الطلاق مرة واحدة قاطعة ، ينهدم بها كل أمل في المراجعة بين الزوجين إذا بدا لهما بعد تجربة الفراق ان عوامل الألفة أو المصلحة أكبر وأقوى من عوامل النفور والكراهية بل مرتين ليستطيع الزوج ان يراجع زوجته إذا كان هناك بقية من مودة ، او مصلحة او خشية على الأبناء .

بيد انه لا تجوز المراجعة بعد الطلاق الثالث حتى تتزوج من غيره زواجا

صحيحا ، وذلك كيلا يستخف اي من الزوجين بالحياة الزوجية ويقدم على فصمها .

الطلاق الثلاث في لفظ واحد

وقد كان الطلاق الثلاث في لفظ واحد - كأن يقول الرجل لزوجته : أنت طالق ثلاثا - يعتبر طلقة واحدة ، وكان ذلك الشأن على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي عهد ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم امضى الثلاث طلقات في كلمة واحدة ثلاث طلقات متفرقات ، وقال : « ان الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه اناة ، فلو امضيناه عليهم » ، فأمضاه عليهم .

وقد كان الرجل في الجاهلية يطلق زوجته الثلاث والعشر وأكثر من ذلك ثم يراجعها ما دامت في عدتها ، فجعل المولى تبارك وتعالى حد الطلاق ثلاث تطليقات .

وفي تحديد حق الرجل في مراجعة زوجته ما دامت في عدتها بمرتين إنما أريد به ألا يضر الرجل المرأة ، وألا يتركها كالمعلقة حياتها ، والمعلقة هي التي أساء زوجها عشرتها وتركها لا هي متزوجة ولا هي مطلقة .

وفي هذا رفق بالمرأة يتفق مع روح الاسلام ، ولقد ذهب القرآن الكريم في هذا الرفق بالنساء كل مذهب ، فأمر بأن تبقى المطلقات في المرة الأولى والثانية في بيت الزوجية طوال مدة عدتهن ، وان تحسن معاملتهن ، فقال : (**لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**) الطلاق ٢ - وقال : (**فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**) وقال (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف**) ٢٣٢ البقرة - وقال : (**وللمطلقات متاع بالمعروف**) ٢٤١ البقرة - فهذه الآيات وغيرها تحرم على الزوج ان يلحق اي ضرر بزوجته ، وترى في إلحاق الضرر بالزوجة إثما عظيما .

إن المولى تبارك وتعالى قد فرض المراجعة للاصلاح ، فاذا اتضح أن الاصلاح غير ممكن وظهر من مراجعة الزوج لزوجته أنه لم يقصد منها إلا إلحاق الضرر بها فإن حكمة المراجعة في ذلك الوقت لا تكون قائمة .

وأكبر الظن ان الذين كانوا يطلقون نساءهم على عهد عمر بن الخطاب لم يكونوا رحماء بهن ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السبايا من بلاد « العراق » و« الشام » قد كثرن وافتتن بهن أهل « المدينة » وأهل « شبه الجزيرة » فكانوا يسارعون إلى طلاق زوجاتهم رغبة في إرضاء من شغلت قلوبهم بهن ، وكانوا يذكرون الطلاق الثلاث في كلمة واحدة حتى ترضى من وقع هواها في قلب الواحد منهم ، وتطمئن إلى أنها هي الوحيدة الأثيرة لديه ولا يشاركها أحد فيه .

ولعل من بين الأسباب أسبابا كانت هناك ، جعلت البعض في ذلك الوقت يعبث بالطلاق الثلاث استهتارا

وضرارا ، كأن يتزوج الرجل بامرأة غير زوجته فتشترط عليه أن يطلق زوجته أولا ، وان يكون طلاقه لها ثلاثا حتى لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، فيجيبها الرجل بطلاق زوجته ثلاثا في كلمة واحدة ، فإذا راجعها بعد ذلك انقلبت حياة البيت الى جحيم لا يطاق ، ونزاع مستمر وعدم استقرار .

لمثل هذه الأسباب أمضى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث تطليقات متفرقات مراعاة للمصلحة العامة وليتحمل كل من يستهين بشيء نتيجة استهانته واستهتاره .

معالجة تقلب النفوس البشرية

ان الاسلام لم يقف في حفظ الحياة الزوجية ورعايتها عند حد الامر بالاحسان وابراز مقتضياته وآثاره في الأسرة ، بل قدر ان النفوس البشرية عرضة للتقلب ، وان لمظاهر الحياة او انحرافات القلوب نزعات تحاول ان تغير من عاطفة الحب والمودة والرحمة التي تجمع شمل الاسرة برباط قوي متين وتقطع ما يكون من صلات وتترك في النفوس النفرة بدل الألفة ، والشقاق بدل الوفاق ، والفراق بعد التلاق .

ومن هنا نجد الاسلام يحرص اشد الحرص على علاج مثل هذه الأمور قبل ان يستفحل امرها ، ويتسع نطاقها ، ويتفاقم خطرها ، وتكون سببا في انهاء الحياة الزوجية ، وتقويض اركان الأسرة .

ولقد حذر القرآن الكريم من مسايرة هذه النزعة الشيطانية التي قد تطرأ على الحياة الزوجية ، وأرشد الى محاربتها وعدم التأثر بها وبين للرجل ان هذه الزوجة التي يزيّن له الشيطان ان قلبه قد كرهها ربما جعل المولى تبارك وتعالى له فيها خيرا كثيرا ، يقول جل شأنه : (**فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ١٩ النساء -.

وبين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه للرجل انه وان كان قد كره في زوجته جانبا فهناك جوانب اخرى كثيرة ترضيه وتهدىء من نفسيته ، يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يكره مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها آخر » رواه احمد فهذه نصائح يجب ان يتذكرها كل زوج ويعيها عندما يتعكر الجو بينه وبين زوجته حتى تهدأ نفسه ، وتخمد ثورته ، وتمر العاصفة بسلام .

ولم يقف القرآن الكريم في علاج نزعات الكراهية بين الزوجين عند هذا الحد الذي وجه اليه أنظار الأزواج ، بل قدر - أيضا - أن تمتد هذه النزعات الى قلب المرأة ، فتحملها على النشوز والخروج على حقوق الزوجية ، والترفع عن مركز الرئاسة البيتية ، فأرشد القرآن الكريم الرجل الى معالجة هذا الأمر بنفسه بدون تدخل من أي انسان آخر ، حفظا للأسرار العائلية من الذيوع والانتشار ، وحدد للرجل مراحل ثلاثة ، لا ينتقل من احدها الى الأخرى الا اذا لم تجد المرحلة التي هو فيها ، يقول المولى

تبارك وتعالى : (**والـلاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**) ٣٤ : النساء ـ ، فالتي يكفيها الوعظ بالقول لا يجوز للرجل أن يتخذ سواه ، فان لم ينفع الوعظ انتقل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الهجر ، وما أقسى هذا العلاج على المرأة الحرة ، فان لم يجد الهجر انتقل الى المرحلة الثالثة وهي العلاج بالقليل من الايذاء البدني ، وقد جعله القرآن الكريم آخر الوسائل الاصلاحية التي هي من حق الرجل ، ويملك استخدامها كحق من حقوقه ، وهي بمثابة الدواء الأخير الذي لا يلجأ اليه الا عند الضرورة ، والواقع أن هذا التأديب لأرباب الشذوذ والانحراف من النساء اللواتي لا ينفع معهن وعظ ولا هجر أمر تدعو اليه الفطرة ، ويقضي به نظام المجتمع .

وكما قدر القرآن الكريم أن المرأة قد تكون مثار النشوز قدر ذلك ـ أيضا ـ من الرجل ، فأرشد المرأة في هذه الحالة الى محاولة علاج زوجها من هذا النشوز ، حفظا للحياة الزوجية واستمرارا لقيامها ، فتعمل أقصى ما في وسعها على كسب قلبه بما تستطيعه من وسائل الترضية وأن تتنازل في سبيل ذلك عما جرت به عادة البعض من الزوجات من الاحتفاظ والتمسك ببعض الرغبات التي تكون سببا في غضب الرجل ، وعليها أن تتقي تفاقم الشر بينهما .

وكم من كلمة طيبة ، أو اشراقة وجه ، أو ابتسامة حلوة في وجه الزوج يكون لها أثر كبير في عودة المياه الى مجاريها بين الزوجين ، والنفوس الى صفائها ، والقلوب الى تلاقيها ، يقول المولى تبارك وتعالى : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**) ـ ١٢٨ : النساء ـ ، فما دام الخلاف لم يتجاوز مرحلة الخطر فالزوجان هما المكلفان بتسوية شؤونهما ، وعلاج حالهما دون افشاء سرهما أمام الناس .

بيد أن الاسلام قدر أن الزوجين قد يفشلان ويعجزان عن غسل ما في نفوسهما من نفرة ، فهل سمح لهما ـ والحالة هذه ـ بالطلاق ؟ .

كلا ، لأن الطلاق أبغض الحلال الى المولى تبارك وتعالى ، فماذا فعل الاسلام إذن ؟ ... لقد لجأ الى علاج أقوى للمحافظة على الحياة الزوجية ، وأشار بضرورة عقد مجلس عائلي تكون مهمته محاولة اصلاح ما بين الزوجين ، وإزالة ما في نفوسهما ، يقول الحق جل وعلا : (**وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا**) ـ ٣٥ : النساء ـ .

وقد ذكر القرآن الكريم أن يكون المجلس من الأهل لأنهم أشد الناس حرصا على استمرار الحياة الزوجية بينهما وسعادة الأسرة ، بمقتضى صلات القرابة التي تربط وتوحد بين

الجميع ، ولأنهم - أيضا - أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون في الشقاق من شؤون يجب أن تكتم وتخفي ولا تشيع بين الناس ، وهذه حكمة عالية وسامية في التشريع الاسلامي .

هذه هي السبل التي رسمها المولى تبارك وتعالى للاصلاح بين الزوجين تبين لنا أن الاسلام حريص كل الحرص على انقاذ الحياة الزوجية وعدم تعرضها للانهيار .

الطلاق علاج للإبقاء

إن الاسلام عندما أباح الطلاق جعله علاجا - أيضا - للابقاء على الحياة الزوجية ، وجعله على وضع يمكن الزوجين من مراجعة أنفسهما ، وتدبر عاقبتهما من أمرهما وأمر ما قد يكون بينهما من أبناء .

والاسلام لم يجعل من الطلاق كلمة يلقيها الزوج في وجه زوجته فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ، وانما سلك به طريق العلاج ، وجعله على مراحل ثلاثة ، حتى يمتد أمد النظر والتبصر ، فشرعه مفرقا مرة بعد مرة ، ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى وبعد المرة الثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، وهذا هو ما يسمى بـ « **الطلاق الرجعي** » ، فالطلاق رجعي في المرة الأولى والثانية ، لأنه يعد في الحقيقة وقف للحياة الزوجية لا حسم لحبالها وقطع لأوصالها ، ويجوز للزوج أن يراجع زوجته في خلال ثلاث دورات شهرية بدون عقد ولا مهر ، وكل ما على الزوج هو أن يراجع زوجته فتعود الى عصمته ، أما اذا سمح لنفسه أن يتركها لأكثر من ثلاث دورات شهرية فلا يجوز له أن يراجعها الا بعقد ومهر جديدين ، تغليظا عليه ، وحثا للأزواج على أن يراجعوا زوجاتهم قبل مضي هذه المدة حتى لا يلحقوا الضرر بزوجاتهم .

ومن هنا يجب أن نعلم أن الاسلام ليس شغوفا بالطلاق ، وانما شرعه علاجا للحياة الزوجية نفسها ، وجعله على ثلاث مراحل ليمكن للزوج أن يراجع زوجته مرتين ويراجع كل منهما نفسه ، ويتذكر كل منهما ما كان بينهما من الود والحب والتعاطف ، فاذا لم تفد التجارب وأوقع الزوج الطلقة الثالثة وضع الاسلام بينهما حاجزا وسدا منيعا ، وهو أنه لا يباح لهما ارجاع الحياة الزوجية بينهما الى سيرتها الأولى الا بعد شرط قاس يمنع الرجل المتمتع بالعقل الراجح والتفكير السليم من أن يوقع الطلقة الثالثة ، وذلك الشرط هو المشار اليه في قول المولى تبارك وتعالى : (**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**) ٢٣٠ : البقرة .

وهذا هو ما يسمى بـ « **الطلاق البائن** » ، أي : الطلاق الذي فيه ابعاد شديد بين الزوجين ، بحيث لا يمكن أن يجتمعا مرة ثانية الا بعد أن تتزوج رجلا غيره زواجا صحيحا ، ثم يطلقها هذا الرجل ؛ وربما لا يطلقها فلا يجتمعان ابدا ، لان المفروض في الزوج الثاني ان يكون قاصدا دوام

معاشرتها .
فهل التفريق بينهما بعد ما تبين ان الحياة الزوجية بينهما اصبحت متعذرة ومستحيلة وبعدما اجريت عليها التجارب المتعددة ، والتي اتضح منها انهما لا يلتقيان ، فيفرق بينهما بالمعروف ، ويبحث كل طرف منهما عن طرف آخر يألفه ويعيش معه في سعادة وهناء وسرور هل هذا التشريع افضل ام نحكم عليهما بالبقاء معا ؟.. ويعيش كل واحد منهما مع الآخر عيشة صورية ، وربما يميل قلب الزوج الى أخرى ويميل قلب الزوجة الى آخر وفي هذا الحرام كل الحرام .
ان التشريع الاسلامي الحكيم والذي يضع كل شيء في نصابه والذي قام على المصلحة العامة لكل فرد يأبى مثل هذا الوضع اشد الاباء .

كف الضرر عن الناس

ومن مراعاة المصلحة العامة في التشريع الاسلامي كف الضرر عن الناس ، ومن ذلك ما يروي بأنه كان لرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى ابا لبابة نخلة في بستان رجل فقال له الرجل : « انك تطأ حائطي الى عزقك ، فانا اعطيك مثله في حائطك وأخرجه عني » فلم يرض ابو لبابة بذلك ، فشكاه الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أبا لبابة أن يكف عن صاحبه مايكره ، وينفذ ما طلبه منه ، فامتثل ابو لبابة لامر الرسول عليه الصلاة والسلام .
وفي فتح « خيبر » اوقد جماعة من المسلمين النار تحت قدر فيها لحوم الحمر الاهلية فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر امرهم بان يريقوا الماء واللحوم ثم يقوموا بكسر القدور فقال واحد من المسلمين : « بل نريق ما فيها ونغسلها » فقال عليه الصلاة والسلام : « أو ذاك » رواه احمد ولقد اجابه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى طلبه نظرا للمصلحة العامة ، لأنه من الممكن غسل القدور وتنظيفها تنظيفا جيدا بدلا من كسرها لانهم ينتفعون بها في شئون معيشتهم .

اباحة المحرمات

وتتجلى مراعاة المصلحة العامة في الشريعة الاسلامية في إباحة المحرمات من أجل الضرورة كإباحة أكل الطعام المحرم اذا خاف الانسان الهلاك ، وتحقق من الموت جوعا لعدم وجود ما يأكله سواه ، وكإباحة الفطر في شهر رمضان المعظم لمن كان مريضا او على سفر وتعذر عليه الصيام وما الى غير ذلك من الأمثلة التي يحرص فيها الاسلام على مصلحة الانسان وحياته .
ان مراعاة المصلحة العامة من الاسس التي قامت عليها الشريعة الاسلامية ، ومزية من مزاياها التي انفردت بها عن بقية الاديان الاخرى السابقة عليها .

نظرات ابن سينا

للاستاذ محمد لبيب البوهي

تناول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في دراسة شاملة نظرات الرئيس ابن سينا في الفلسفة الاسلامية خاصة والفلسفة بصفة عامة ، مقارنا فلسفته بمن سبقه من بعض فلاسفة الاغريق والعرب ، ولقد يكون من المفيد ان نحاول إبراز بعض ذلك في تيسير ملخص مع شيء من التحليل ، فالبحث ضخم كبير وهذه بعض نظرات منه في محاولة للاحاطة باطاره العام بما يقرب المعنى للأذهان وتجلية بعض ما هو من طبيعة الفلسفة في عمق رموزها ، فمن البحث ندرك ان الرئيس ابن سينا كان يتخذ الرمز لتقريب المعنى ، فهو يجعل الطير مثلا رمزا للنفس ، وحين يقع الطير في شباك الصياد ويحاول الخلاص منها ، فقد يكون ذلك شأن المرء حين يقع في قبضة شهواته ، حين يحاول الخلاص منها ، بعد ان يذوق وبال أمرها ، وقد نرى في محاولة الطير الخلاص من الشباك ما يشبه محاولة المرء في مجاهدة نفسه بالرياضة .

ويرى الاستاذ العقاد أنه وإن كان ابن سينا قد تأثر ببعض ما جاء في فلسفة أفلاطون وأفلوطين والفارابي ، إلا أنه له مذهبه الخاص ، الذي كثيرا ما يخالف هؤلاء ، ذلك انه كان لا يخرج في فلسفته عن إطار العقيدة الدينية ، وبذلك يخالف بعض من سبقوه في



في الفلسفة

بعض أو كثير من القضايا العقلية .

كيف يرى ابن سينا بداية خلق العالم ؟

يذهب ابن سينا الى ما ذهب اليه أرسطو من أن العالم تكون في بداية خلقه من العدم الذي برزت فيه مادة كي يتكون منها ، وأن كيفية الوصول الى نشأة هذه المادة امر فوق القدرة العقلية ، وأن هذه المادة انما جاءت بفعل وتقدير وتدبير من واجب الوجود ، وهو الله سبحانه الذي أقام من هذه المادة صور العالم ، فان صور العالم لا يمكن ان تفرض نفسها على الوجود .. وأن الذي أوجدها واجب وجوده .. وأنه لا بد ان يكون أزليا لم يسبقه احد ، ولم يسبقه شيء ، لأنه لو كان مسبوقا لكان الذي سبقه هو واجب الوجود .. كما أن واجب الوجود سبحانه لا يمكن أن يكون مادة ، لان المادة تتكون من اجزاء ، والاجزاء تحتاج الى مكون لتكوينها فتكوينها لنفسها أمر محال .

مدى الاختلاف بين ابن سينا ومن سبقوه

ومع ان كثيرا من السابقين لابن سينا قد ذهبوا الى مثل هذا التأويل الذهني فهناك بعض الخلاف بينهم وبينه في إدراكهم لواجب الوجود وهو الله

سبحانه وممكن الوجود وهو الكون ، فهو يرى أن الكون قبل تكوينه كان في علم الله وإرادته ، وهي إرادة سرمدية لا يحدها زمان . فالله سبحانه قديم سرمدي لا يحيط به زمن ولا محل ، ولما خلق الكون جعل لهذا الكون حركة فنشأ الزمان ، فالعالم كما كان في إرادة الله قديم ، وإن الزمان نشأ من حركة الكون .. ويلتقي معه أرسطو في أن الحركة الأولى هي علة الزمان .

الحركة الطبيعية والحركة النفسانية

ويشترك ابن سينا مع أرسطو في تقسيم الحركة الى طبيعية ونفسانية ، فالحركة الاولى هي تجاذب مفردات الكون الى مركز العالم ، وأن من لوازم هذه الحركة استمرارها على نسق ونظام ، ولذلك تكون الحركات الفلكية حركات عقول ولذلك كان مذهب ابن سينا في الكائنات العلوية أنها ذات عقول على صورة ما ، وأن ذلك كامن فيها ذاتيا لتحافظ على أوضاعها بتدبير وقوانين اودعها فيها ذاتيا محركها الأول وهو الله ..

ونحب ان نفسر ما جاء في مذهبه عن تلك العقول بأنها القوانين التي اقام الكون عليها واجب الوجود حين خلق الكون من العدم وبدأت منه الحركة الأولى .. فأودع كل شيء قوانين استمراره ، واعطى كل شيء خلقه ثم هدى ..

وقد يرى البعض ان هذه العقول المحركة هي الملائكة .

شوق الكون كله الى مصدره الأول

وهكذا يتضح شوق كل حركة الى مصدرها الأول وهو الله سبحانه .. وهو ما تفسره بتسبيح كل شيء . ثم يفسر صفات الله تعالى بأنها ذاتية له سبحانه بدرجة الكمال المطلق وان صفاته سبحانه كلها مجتمعة فالانسان قد يكون قديرا بأن له قدرة تنفصل عن علمه ، ولكن قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وكل ما اتصف به سبحانه فهي مجتمعة ذاتية بدرجة الكمال المطلق .

ويقول ابن سينا : ان الله تعالى يعلم كل ما وقع او يقع في ملكه ، وليس علمه بها لانها حصلت بل هي حصلت بعلمه السابق قبل حصولها منذ الأزل ، فكان علمه بها سببا لحصولها ، ولكنه علم يخالف علم الانسان كما يختلف المحدود عن غير المحدود .

كيف يرى ابن سينا النفس ؟

والنفس عنده تصدر عن العقل وانها تكون في اسمى درجاتها حين تكون مطمئنة ، ومعنى ذلك أنها حققت كمال ذاتها المحدد لها بصفاتها التي منحت لها ، وكمال النفس ينقسم الى قسمين : الكمال المؤثر .. والكمال المتأثر وعلى العموم فان النفس عند ابن سينا كما عند أرسطو هي (قوى) تبدأ من القوة النباتية التي تقوم بالتغذية والنمو .. الى النفس الحيوانية التي تسيطر على القوة النباتية وتحركها .. الى النفس العليا

التي هي الناطقة العاقلة ولها صفات مختلفة كالبصر .. والسمع والشم وما الى ذلك ، وهي المقومات التي تتعامل بها مع الحياة .. والنفوس الاخرى ، والاشياء .

مقومات النفس وملكاتها

النفس لها مدارج تصعد بها الى كمالها ، اذا استعملت مقوماتها استعمالا سليما .. ومنها ملكات او مقومات باطنية كالتفكير ، والذاكرة .. والحفظ ، وملكات منفذة تجمع الى ماسبق القدرة على تحويل هذه المعنويات المجردة ، إلى تصرفات قائمة على تجميع ما يصدر إليها من الباطن من المعاني وتنقسم الى جزئيات ، وكليات ، فالجزئيات قد يشترك فيها الانسان مع الحيوان في ادراكها بالحواس .. أما الانسان فهو وحده الذي يدرك الكليات وارتباطها بالجزئيات .

وأول مراتب النفس العاقلة استعدادها من تركيبها الجوهري (الهيولائي) على استقبال التصورات وترتيبها والاحتفاظ بها والقياس الفكري .. والاستنباط ، فاذا استطاعت ترتيب الصور وربطها بأسبابها انتقلت الى مرتبة تدبير الامور وما تزال بعد ذلك هذه النفس في صعود .. بعد صعود حتى تصل الى ما يسمى بالنفس القدسية التي تؤهل صاحبها لمراتب العارفين والصديقين ، وتخاطب بقول الله سبحانه : (**يا أيتها النفس المطمئنة**) الفجر / ٢٧ .

النفس ليست تجسيدا عضويا ولا حيز لها

ويرى ابن سينا ان النفس ليس لها حيز ولا مكان في الجسد ، لأنها جوهر لا ينقسم ، وهي منتشرة في عموم الجسد كله ، سواء في حالة صحة أعضائه او مرضها ، فالانسان حين يقول : أنا فانه لا يقولها ويعني بها جسده اوأعضاءه بل يقولها وهو غافل تماما عن التعبير عن جسده وأعضائه ، ويرى أن هذه النفس تدخل الجنين عندما يتهيأ الجسد لقبولها .. ثم ترتقي بعد ذلك وتنمو بالعمل الشرعي والعلم الالهي ، وإذا اصابها انحراف في مسيرها الذي هيئت له بالقوانين المودعة فيها لصلاحها ، فان هناك قوانين ذاتية لتطهيرها من أدرانها كما يتطهر الجسد من النجاسة بالماء او التراب .

وقد تحدث شعرا عن هذه النفس وارتباطها بالجسد بالقصيدة العينية التي جاء فيها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

ومن ذلك ندرك انه يرى بقاء النفس بعد فراق الجسد ، وهو الرأي

الاسلامي العام ، وقد سبقه إليه الفارابي معارضا أتباع ارسطو الذين كانوا يقولون بأنهم لا يعرفون وجودا للنفس الانسانية ، ولا بعثا بعد الموت ألا للنفوس التي استطاعت ترقية ذاتها في حياتها دون أن تجرفها الشهوات ، اما النفوس التي استهلكتها شهواتها فان حكمها حكم الحيوان لا بعث له .

في الخير .. والشر

ويرى ابن سينا أننا لا نستطيع تصور استمرارية الحياة إذا كانت خيرا محضا او كمالا مطلقا لانها تظل عندئذ صورا ثابتة بغير حركة الصراع الذي به تتحدد فوارق الأشياء ، كما انه ليس في وسعنا تصور الوجود شرا محضا ولكن الشر يأتي عرضا ليتحدد به الخير ، ويظهر وينمو ، فبعض الشر لازم ليتميز الخير ويتحرك .
فالنار لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا كانت ذات لهب حارق .. وقد يكون الشر نقصا كالجهل .. فيكون خيرا من حيث إنه يحفزنا الى التعلم .. والمرض كذلك من حيث إنه يدعونا الى التماس أسباب العافية .. وكل هذا لا يستطاع اجتنابه في عالم يتسع للممكنات ، وفيه كل شيء ممكن وجوده ، اي حدوثه ، فهو ناقص لا محالة ، إذ لا وجود للكمال المطلق لغير الله سبحانه . وكل ماهو حادث فهو عرضة للعدم .. أي في طريق العدم .. فالخير أصيل في العالم والشر عارض في لوازم تحقيق الخير المتاح للممكنات .

الشر دائما اقل من الخير

ويشير ابن سينا الى ان ذلك واضح في جملة الامور .. وإلا لما كان لاستمرار الحياة والعالم قوام ، ولو ان كل واحد منا نظر في امور حياته وظروفها لتبين له صدق ذلك فالشر قد يصيبنا في أوقات ، ولكن مقومات الخلاص منه كائنة ، فالخير المحض هو الواجب الوجود لذاته ، ولكن ظروف الحياة كلها تدخل تحت باب ممكن الوجود ، اي كل التغيرات ممكن حدوثها ، ولذلك لا يكون الخير المحض دائما مستمرا لان ذاته ـ اي ذات الخير ـ في الدنيا تحتمل العدم والتغيير ، وما دام يحتمل العدم والتغيير فلن يكون بريئا من التعرض للنقص الذي نسميه شرا لذلك يرى ابن سينا ان ظروف الحياة في جملتها تدور في فلك الحكمة ولا يمكن ان يكون عالمنا خيرا مما اعد له وهيئت له احواله مع كونه حادث خاضع للممكنات .. فحدوث الشر الذي هو عارض انما هو ضروري لاستكمال الخير .

خط مسار النفس في حياتها الارضية

وينتهي ابن سينا في خط مسار النفس في حياتها الأرضية الى انها في الفترة ما بين حلولها في الجسد ، الى خروجها منه مكرهة إنما تكتسب تجارب في محاولتها التي يجب ان تكون ترقيا في مدارج الكمال مجاهدة في سبيل ذلك للعوائق التي تعترضها .. وتكون في احسن حالاتها حين تكتسب بالارادة

والبصيرة ، ومتابعة القوانين العلوية الخط الصحيح لمسارها ، ومن هنا فللانسان حريته في سبيل تحقيق الصعود بنفسه او الانحراف والهبوط بها فهو بذلك يحدد مدى استحقاقه للثواب او العقاب باختياره ، وهذا هو العدل الالهي في نظام الوجود ، وقد هيأ له كل أساليب الخير ، وجعلها ميسرة للانسان بالجهاد - او العلاج - او الممارسة ، فلا يقع في الدنيا ظلم الا كان له وجه مقابل من العدل ، ولا يجري الشر الا ليوقظ النفس عسى ان تنهض من جديد في الطريق السليم .. فانتهاء الأمور إلى أفضل النهايات امر ممكن .

خلاصة عقيدة ابن سينا

والمتأمل في آراء ونظريات ابن سينا الفلسفية ، يجد أنه لم يخرج عن نطاق العقيدة الدينية السليمة التي يؤيدها ويدعو إليها في حماس تحليلي ، وهو يرى في شأن النبوة انه ما دام الهدف في الحياة هو الاتجاه الى الله وأن ذلك لمصلحة الانسان نفسه وسعادته ، فان وجود المرشد أو النبي ضرورة حتمية ، ويوضح في تفصيل مسهب ، لماذا يجب ان يكون النبي انسانا من بني البشر ، له طبيعتهم ويتميز عليهم خلقيا ، حتى يكون لهم مثلا أعلى يحتذي به ، وان تكون له خصائص ينظرها الناس فيوقنون بحق أنه لن يكون له هذا التميز الا اذا كان مؤيدا بقوى عليا ، وأنه إذا لزم الأمر لتأييد ذلك التميز فهي المعجزات التي تؤيد صدق دعواه .. وأن النبي متى وجد فسيكون ليسن للناس القوانين التي تتنزل عليه ، ومن هنا يؤكد ابن سينا لزوم الوحي وإنزال روح القدس على النبي ، ثم إن مهمة النبي هي ان يربط للناس امور دنياهم بأمور أخراهم . آخذا بأيديهم على جسر الهداية الى الحياة الحقيقية ولذلك فهو يرى الجنة حقيقة ، ويدعو الناس الى ان سعادتهم في التطلع اليها والعمل من اجلها .. وقد جاء تفصيل ذلك كله في كتابه المسمى بـ « النجاة » .

صلة ابن سينا بالله ورأيه في الكرامات

ولم تبعد حياة التجرد والفكر الفلسفي لابن سينا قيد أنملة عن أداء الشعائر واستلهام العنصر الديني في خط مسار أفكاره فقد عرف عنه انه كان كلما أهمه الفكر وذهب به مذاهب شتى في البحث عن الحقيقة الفلسفية ، استغرق في الصلاة مبتهلا الى ربه كي يلهمه الهداية ويكشف له عن وجه الحق ، فقد كان شديد الحرص في الدعوة الى تقوية صلة الانسان بربه ، وكذلك صلة الروح بالجسد وقدرتها على التأثير فيه حتى لقد كان يرى ان صاحب النفس القوية إن كان خيرا رزق القدرة على ان تكون له كرامة يؤتاها من الله للتأثير فيما حوله حتى في الماديات ، وتزداد هذه القدرة بزيادة التقوى والصفاء ، وإن كان صاحب النفس الشريرة فهو الساحر

الخبيث .

من نصائح ابن سينا لأتباعه

وعلى ضوء ما سبق فانه كان يدعو الى عدم الوقوف موقف الانكار والمعارضة ، لما قد يبلغنا عن بعض العارفين ، من أنه مثلا كان لبعضهم دعوات مستجابة كأن يشفى بها المريض ، او يصيب بها قوما ضالين ، وهو يرى عدم اخضاع هذه المواهب للفكر العادي ، لان هذه الكرامات استمدت اسمها من تكريم الله لرجاله من اصحاب الصفات ، وهناك أمور لا يصح الوقوف منها موقف التكذيب .
ولقد كان يرى انه ما دام الكون المادي قابلا للتغيير والتبديل ، فقد اوتي العقل القدرة على التأثير فيه ، ان خيرا أو شرا فيما يظهر او فيما يخفى من الاسرار .. ذلك لانه ترى ان العقل المستفاد عند الانسان ليس منبت الصلة بالعقل الكلي الفعال .. وربما يعني بذلك الملائكة ـ ولذلك يرى ان النفوس لها تأثيرها في الأجساد .. وما دام لها تأثيرها في اجسادها ، فقد لا يكون هناك مانع من تأثيرها في الاجساد الاخرى ، ذلك لان النفوس غير متحيزة بحيز محدود اذ ليست مادة بل صلتها بالنفوس الاخرى قائمة .. ومن هنا يرى صحة حدوث الكرامة .

من بعض ما يؤخذ على ابن سينا

ولقد نرى مغالاته في شأن ما ذهب اليه آنفا .. كما يؤخذ عليه شدة اعتقاده في تأثير الكواكب وولعه بالحروف الأبجدية وتأثيرها الرياضي او تعبيراتها عن موجودات علوية او سفلية .. وان كان لم يذهب في هذه الآراء الى الكشف عن الغيب عن هذا الطريق .. وإن كان يمكن الوقوف عند بعض آرائه في رمزية بعض الحروف ، حين كان يرى مثلا ان الالف ترمز الى الواحد الباري جل وعلا .. وأن بعض الحروف الاخرى ترمز الى العقل .. او النفس .

قدرة الانسان على الوصول الى مراتب عليا في الكمال

وذلك بالتأمل الصادق ـ الصوفي ، وهو طريق الحكماء والصالحين ، ولابن سينا نفسه محاولات في هذا السبيل فقد حاول الكشف عن بعض حقائق الكون بالصلاة والزكاة ، والكف عن الشهوات ، وكانت له صلات ببعض المتصوفة في زمانه من امثال ابي سعيد بن ابي الخير .. غير انه يبدو انه لم يسر كثيرا في هذا السبيل ، اذ كان يميل الى تغليب جانب العقل على الجانب الروحي ، مما كان منشأ خلاف له مع بعض رجال التصوف .

ومع اختلاف لأهل الرأي في شأن ابن سينا ، فان أمثاله لا يخلو من اختلاف الناس في شأنه ..
ولا يمكن الانكار أنه كان قطبا لامعا ، سيظل مضيئا في سماء العروبة تفخر به الى آخر الزمان .

كتاب الشهر

البنوك الاسلامية

للدكتور
شوقي اسماعيل شحاته

عرض الأستاذ
عبد الحميد المغربي

يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة في مجال دراسة أسس ومبادىء وتطبيق البنوك الاسلامية فهو يتعرض لكيفية حساب التكاليف وتقدير السيولة النقدية في البنك الاسلامي ، ويشير أيضا الى بعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية ، وذلك بجانب استهلال الكتاب ببيان الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية وبيان مصادر الاموال واستخدامها في البنك الاسلامي مع توضيح للخدمات التي يمكن للبنك الاسلامي تقديمها .

وهكذا يمكن بيان النقاط التي تعرض الكاتب لها في الآتي : -

- الاطار الشرعي للبنوك الاسلامية .
- مصادر الاموال وأوجه الاستثمار والخدمات في البنوك الاسلامية .
- حسابات التكاليف في البنوك الاسلامية .
- السيولة النقدية في البنوك الاسلامية .
- نماذج لبعض البنوك الاسلامية .

ففي الباب الاول : الاطار الاسلامي الشرعي للبنوك الاسلامية : تعرض الكاتب لبيان عدة نقاط أساسية تدور حول بيان كنه العمل في تلك البنوك والمبادىء والأسس التي تحكم عملها وكيفية تحديد الارباح .. وذلك في ضوء ما تقتضيه الشريعة الاسلامية ، ولذا فقد بين الكاتب هذه النقاط كما يلي : -

(١) التمويل في ظل نظام الفائدة الحالي لا يختلف عن الربا ، ولذا ناقش الكاتب قضية تنظيم الفائدة في البنوك الربوية وبيان موقف الشريعة الاسلامية منه وهل هو محرم أو يحل للناس التعامل على نهجه . وعرض لآراء البعض في هذا الشأن منهم : -

- المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، وقد قال ان الفائدة الحالية التي تتقاضاها البنوك على القروض لا تختلف عن الربا الذي حرمه القرآن للاسباب التالية : -

* انه لا كسب من غير تعرض لخسارة لأن الغنم بالغرم والعطاء بالأخذ والكسب بالخسارة .

* نصوص القرآن في تحريم الربا عامة ولم يقم دليل على تخصيصها .

* كلمة رأس المال في القرآن تعني أصل المال ولذا فكل ما عداه يعد زيادة عن الاصل فهو ربا .

* الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات والربا حرام لا شك فيه وقد أجمع المسلمون من أقدم العصور الى اليوم على تحريمه ولم يقل أحد قط أنه حلال .

- الدكتور محمد عبد الله العربي ، وقد بين ان الفائدة الحالية المدينة والدائنة للبنوك لا تختلف عن الربا الذي حرمه الاسلام . الا انه يرى في المجال الدولي رأيا ، وذلك باباحة التعامل بالفائدة ، حيث لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية المتعامل معها ، ونحن في حاجة ماسة لاستيراد سلع لم نصل بعد الى انتاجها ، فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي يشوب معاملاتنا .

- أما الدكتور محمد عبد الله دراز ، فيرى أننا اذا أصررنا على اشراك المقرض في الربح الناشيء وجب علينا في الوقت نفسه ان نشركه في الخسارة النازلة ، ومتى قبلنا اشراك رب المال في الربح والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض الى صورة أخرى وهي المضاربة الشرعية أو القراض .

- فتوى الامام محمد عبده ، وذلك حيث افتى بامكان جعل الربح الناتج للمدخرين في صندوق التوفير حلالا ، وذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة .

وفي نهاية هذا الفصل قدم الكاتب ملخصا لتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في صفر ١٣٨٥ هـ ، يوليو ١٩٦٥ م ، وذلك بالنسبة لما يتعلق بالمعاملات المصرفية : -

(٢) خصم الاوراق التجارية ربا

فما بدائله الاسلامية : ـ أوضح الكاتب هنا ما يتصل بخصم الكمبيالة حيث تعتبر عملية الخصم هذه عقد ربوي لا يختلف تماما عن الربا الذي حرمه القرآن وأنه عينه وذاته ، ولذا يجب عدم تضمينه الاطار الاقتصادي لنشاط البنوك الاسلامية .

وفي المجال الدولي لنا ان نقبل ولكنا مكرهين لا مختارين جواز الاستمرار في المعاملات المصرفية الخارجية على الوضع الربوي القائم ، حيث انه في الكمبيالات بالذات لا مناص من التغاضي عن وصمة التعامل بالربا في تداولنا السوقي للكمبيالات سواء كانت مسحوبة منا لصالح مصدرين أجانب أم مسحوبة من أجانب لصالحنا .

وقد يقدم البعض تخاريج فقهية لجواز خصم الكمبيالة بفائدة ، ولكن الكاتب يرد عليهم هنا بأن هذه التخاريج أكثرها فاسد لا أساس له من الصحة ولا دليل ولا برهان يثبته ، وقدم الكاتب بعض الاقتراحات الاسلامية كبدائل لخصم الكمبيالة بفائدة .

(٣) المضاربة الشرعية ، وهنا عرض الكاتب لماهية الشركة في الفكر الاسلامي ، ثم بين ما هي شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة .

ـ الشركة في الفكر الاسلامي ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس يباشرون الشركات فأقرهم عليها وباجماع الامة والعقول ، ولذا فهي طريق مشروع لابتغاء الفضل اي الربح والزيادة على رأس المال .

والشركة على وجوه ثلاثة شركة بالاموال وشركة بالاعمال وشركة بالوجوه وبيان ذلك كالتالي : ـ

أ) شركة المفاوضة : وتبنى على أساس اشتراط المساواة فيها من جميع الوجوه حيث يشترك فيها متساويان أو أكثر تصرفا ودينا ومالا وربحا . وتتضمن الوكالة فيصير كل واحد وكيلا عن صاحبه .

ب) شركة العنان ، وتتضمن أساسا الوكالة فالمقصود من الشركة هنا هو التصرف في مال الغير ولا يكون الا بها دون الكفالة ، لانها انما تثبت المفاوضة لضرورة المساواة وتصح مع التفاضل في رأس المال والربح .

جـ) شركة الاعمال والصنايع ، وفيها يشترك اثنان على تقبل الاعمال ويكون الكسب بينهما ، ولا تجوز هذه الشركة عند الشافعي لأن الشركة في الربح تبنى على الشركة في رأس المال على أصلهما وهنا لا مال لهما .

د) شركة الوجوه ، وتبنى على وجاهة الشريكين بين الناس وشهرتهما بحسن المعاملة اذ لا بد منه في الشراء نسيئة ، وفيها يشترك اثنان او اكثر ولا مال لهما بل بوجوههما ليشتريا بلا نقد الثمن ـ حاليا ـ بسبب وجاهتهما وأمانتهما عند الناس ثم يبيعان ويسددان ما

عليهما وهكذا ..

- شركة المضاربة الشرعية واعادة المضاربة ، بين الكاتب في هذا المقام ما هي المضاربة أساسا فقال « المضاربة شرعا هي : شركة في الربح بمال من جانب رب المال ولو متعددا وعمل من جانب آخر وهو جانب المضارب » .

ثم تعرض الكاتب لبيان أنواع المضاربة الشرعية في سبعة أنواع وانتقل بعد ذلك لبيان شروط المضاربة وذلك من ناحية رأس المال والربح وبيان العلاقة بين الطرفين ، وانتقل ايضا الى بيان نشاط المضاربة ، اعادة المضاربة ، لزومية عقد المضاربة ، الاطار الشرعي للبنك كمضارب ، الاطار الشرعي للبنك كرب مال .

(٤) عائد الاستثمار في البنوك الاسلامية ، عرض الكاتب هنا لمفهوم الربح ثم لمفهوم الخسارة وكيفية توزيع الربح بين رب المال والمضارب ، وفي النقطة الاخيرة قال الكاتب : -

- يشترط ان يكون الربح بينهما بحصة شائعة معلومة بينهما من الربح .
- كل شرط يوجب جهالة الربح يفسد عقد المضاربة .
- في حالة اعادة المضاربة يوجد ثلاثة اطراف : رب المال ، والمضارب الاول ، والمضارب الثاني ويتحدد ربح المضارب الثاني على نهج سليم كالاول .
- نفقة المضاربة مصروفة الى الربح لا الى رأس المال .
- عند الخسارة لا شيء للمضارب ويتحمل رب المال وحده الخسارة .
- توزع الزكاة الخاصة بالربح ورأس المال .

(٥) الخدمات المصرفية في البنوك الاسلامية ، وتطرق الكاتب الى الحديث هنا عن الخدمات التي يمكن ان يقوم البنك الاسلامي بتأديتها ، وذلك مثل : -

- الايداع بأجر - الوكالة بأجر أو عمولة - الاجارة والاجر المشترك - الاجير المشترك
- عقد الكفالة - الصرف .

(٦) مفاهيم ومبادىء اقتصادية ومحاسبية في البنوك الاسلامية ، قدم الكاتب في سياق حديثه لبعض المبادىء والاسس والقواعد الرئيسية التي يجب ان يتمسك بها البنك الاسلامي اثناء ممارسته لعمله ومن أمثلة ذلك : -

أ) في مجال الاستثمار :

- الغرم بالغنم
- جواز دفع الحصص في رأس المال بعملات مختلفة .
- الربح وقاية لرأس المال بالدرجة الاولى .
- جواز قيام البنك بتأسيس الشركات او الاسهام فيها .

ب) في مجال القروض :

- كل قرض جر نفعا فهو ربا
- خصم الكمبيالات التجارية بفائدة ربا .
- جواز استرداد البنك للمصاريف الفعلية .

- الحوالة جائزة شرعا .
جـ) في مجال الخدمات المصرفية :
- الايداع مشروع بأجر أو عمولة .
- جواز شراء وبيع العملات لحساب العملاء .
- جواز شراء وبيع الاسهم وتحصيل كوبوناتها .
د) في مجال الخدمات غير التقليدية :
- جواز أعمال الوساطة والسمسرة .
- القيام بأعمال الاستشارات والخبرة المالية والاقتصادية .
- ادارة الصناديق الخاصة بأجر وعمولة .
هـ) في مجال الضمانات
- شرعية المطالبة بتقديم كفيل او ضمان .
- جواز فرض غرامة مالية على المكفول في حالة تقصيره
- مشروعية الرهن ضمانا لاستيفاء حق كالدين .

وفي الباب الثاني :
مصادر الاستثمارات والخدمات في البنوك الاسلامية : تعرض الكاتب بالشرح والتوضيح لبيان مصادر الاموال وأوجه الاستثمار وأخيرا الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه :

(١) مصادر الاموال في البنك الاسلامي : تتكون من مصادر داخلية وخارجية اما المصادر الداخلية فهي :
- رأس المال ويشير الى أصل المال الذي خصص لاقامة البنك .
- الاحتياطيات وتشير الى الارباح المحتجزة لدعم المركز المالي .
أما المصادر الخارجية فهي :
- الودائع تحت الطلب والتي تسمى حسابات جارية .
- ودائع بالمشاركة (المضاربة) وتتنوع الى : -
- ودائع ثابتة وقد تكون مطلقة او مقيدة .
- ودائع باخطار وقد تكون مطلقة او مقيدة .
- ودائع ادخار وقد تكون مطلقة او مقيدة .

(٢) أوجه الاستثمار في البنك الاسلامي بعد ان بين الكاتب في هذا المقام بصورة سريعة أوجه الاستثمار في البنوك التجارية في اطار نظام الفائدة تطرق الحديث الى بيان أشكال الاستثمار بالمشاركة في البنك الاسلامي وذلك ببيان الوضع عندما يشارك البنك كرب مال أو كمضارب ، او عندما تكون هناك عملية اعادة مضاربة ، وعندما يكون البنك في دور رب المال والمضارب معا .

وانتقل الكاتب الى عرض لكيفية تحديد حصة أصحاب الودائع بالمشاركة المقيدة او المطلقة ، ثم انتهى في هذا المقام الى توضيح لمفهوم وقياس الربح القابل للتوزيع في شركة المضاربة الشرعية .

(٣) الخدمات المصرفية التي يقدمها البنك الاسلامي لعملائه ، وبيانها كالتالي :

- الحسابات الجارية
- الاوراق المالية وما يتصل بها .
- خزائن الامانات .
- الاوراق التجارية من ناحية تحصيلها فقط .
- القروض .
- الكمبيو .
- الاعتمادات المستندية .
- خطابات الضمان .
- الصناديق الخاصة وادارتها .
- الاستشارات المالية والاقتصادية .

وفي الباب الثالث : محاسبة التكاليف في البنوك الاسلامية : تناول الكاتب ما يتعلق بكيفية حساب التكاليف في البنك الاسلامي مبينا مراكز التكلفة وذلك بتقسيمها الى مراكز انتاج ومراكز خدمات ، وبيان أنواع التكاليف المباشرة وغير المباشرة وكيفية تخصيصها على مراكز التكاليف ، ثم انتقل الكاتب الى تحديد الربحية النوعية على مستوى الانشطة الاقتصادية الرئيسية وذلك حسب الخطوات التالية : -

- تحليل الايرادات وتحديد ايرادات كل ادارة .
- توزيع ايرادات الادارات الاقتصادية على الانشطة الاقتصادية الرئيسية .
- مقابلة الايرادات بالتكاليف .

ثم عرض الكاتب لنقطة التعادل في البنك الاسلامي من ناحية بيان ماهيتها ودورها ومزايا استخدامها ثم كيفية حسابها رياضيا وبيانيا .

وفي الباب الرابع : السيولة النقدية في البنوك الاسلامية : تكلم الكاتب عن : -

(١) زكاة النقود والسيولة النقدية : وهنا تطرق الكاتب الى الحديث عن الاكتناز في الفقه الاسلامي والفرق بينه وبين الادخار ، وما هي الصعوبات التي تكتنف محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات في الدول النامية ، وبين رأي ابن خلدون في الاكتناز وانكماش التيار النقدي على المستوى الحكومي ، مع عرض للوظيفة الاقتصادية لمصارف الزكاة في دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقدي .

(٢) السيولة ومعادلة الالتزامات النقدية ، تعني السيولة قابلية الاصل للتحويل الى نقود بسهولة ودون تحمل خسائر وتتكون السيولة لدى البنك الاسلامي من : -

بالنسبة للاصول :
- النقدية بالخزينة .
- الارصدة لدى البنك المركزي او مؤسسة النقد .
- الاوراق المالية وكوبوناتها تحت التحصيل .

وبالنسبة للخصوم :
- ارصدة مستحقة على البنوك .
- الذهب والعملات الاجنبية .
- الشيكات والحوالات تحت التحصيل والمستحقة الدفع .
- ارصدة مستحقة للبنوك .
- الودائع .

وتناول الكاتب كيفية حساب نسبة السيولة التي تشير الى النسبة بين الاصول التي تعتبر سائلة والخصوم المقابلة لها .

(٣) أثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار ، لا خلاف في ان اثر عامل السيولة في سياسة الاستثمار لا تقل اهمية في البنوك الاسلامية عنها في البنوك التجارية وهو من اهم العوامل المؤثرة في سياسة الاستثمار في البنوك ، وتحتل الودائع بالمشاركة والمضاربة الشرعية المكانة الاولى ، وهي اما ودائع ثابتة او ودائع باخطار او ودائع ادخار ـ صناديق توفير ـ هذا وتستهدف المحافظة على السيولة في البنوك الاسلامية تحقيق اهداف كثيرة ومتعددة ، أهمها المحافظة على الاستخدام الامثل للارصدة النقدية ، والمرونة في التخطيط النقدي لمواجهة مواسم التمويل والاستخدامات النقدية المتوقعة ، وتجديد الموارد المالية عن طريق بيع استثمارات البنك كلما وجد ذلك مناسبا له .

وفي الباب الخامس : نماذج للبنوك الاسلامية : عرض الكاتب لبعض النماذج من الواقع العملي للبنوك الاسلامية التالية : البنك الاسلامي للتنمية ، بنك دبي الاسلامي ، بنك فيصل الاسلامي المصري ، بنك ناصر الاجتماعي .

وتهدف هذه البنوك أساسا الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للبلاد والمجتمعات الاسلامية وذلك وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية .

ولكي تؤدي هذه البنوك أهدافها ، لها ان تقوم باداء الخدمات المختلفة ما دامت توافق الشريعة الاسلامية ومن امثلة الخدمات التي يمكن ان تقدمها ما يلي : ـ

- الاستثمار في مشروعات البنيان الاقتصادي والاجتماعي .
- المشاركة في رؤوس أموال المشروعات والمؤسسات الانتاجية .
- منح قروض لتمويل المشروعات والبرامج الانتاجية في القطاعين العام والخاص .
- النظارة على صناديق الاموال الخاصة .
- اجراء الابحاث اللازمة لممارسة النشاطات الاقتصادية والمالية والمصرفية .
- قبول الودائع النقدية على اختلاف صورها للحفظ أو للاستثمار .
- شراء وبيع السبائك والعملات الاجنبية .
- فتح الاعتمادات وتقديم سائر التسهيلات المصرفية .
- القيام باعمال بنوك وصناديق التوفير .
- تقديم خطابات الضمان .
- اصدار الاسهم لحساب المؤسسات والشركات ومعاونتها في عملياتها .
- الاستثمارات المختلفة في كل ما تجيزه الشريعة الاسلامية من معاملات .

أبغض الحلال الى الله

للدكتور/محمود محمد عمارة

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) البقرة/ ٢٣٠ .

* تظل الحياة رخية ناعمة ما بقيت علاقة المرء بزوجه وطيدة الدعائم .. ثابتة الاركان .. وكل وليد يترعرع في هذه الدوحة ، يستوي مع الايام على سوقه في ظل من حنان امه .. ورعاية ابيه . ومتى احس الطفل بالحب والامن معا .. حسنت صلته بالحياة .. فحسن ظنه بها .. ثم اقبل عليها جذلان راضيا . بل ان تصوره للحياة ليأخذ معنى ارحب من بيئته .. ولسوف يطير به خياله في كل اتجاه .. وراء مباهج اعطته الحياة عناصرها .. حين اشبعت حاجته للحب والامن معا ..

ولأن استقرار الحياة الزوجية بهذه المثابة .. كان الطلاق ابغض الحلال الى الله تعالى .. لأنه يحول بين الاسرة وحاجتها الى القرار .. حين يضطرب المجداف بين يدي ملاح تائه فوق محيط ثائر الموج .. فلا تستقر على حال من القلق ..

* واذا كان الاسلام يمسك علاقة



الزوجية ان تذوب في غمرة المشاكل المتجددة .. واذا كان قد خط السبيل القاصد لتحقيق السعادة .. بما اوجب على كلا الزوجين .. ولهما .. فانه حتى اذا تجاهل الزوج ذلك ـ لا يتخلى عنهما في ساعة العسرة ابدا .

* انــه يمســك بتــلابيب الــزوج الغاضب .. قبل ان يحرك لسانه بكلمة تهدم الصرح القائم ..

* واذا كان هو قد طلق قبل ذلك مرتين .. ثم وجد طريق العودة مع ذلك ممهدا .. فان عليه اليوم معرفة سوء حاله لو خاض التجربة الثالثة .. ونطق بالكلمة الاخيرة .

ان الطريق الى زوجته يصير حينئذ وعر المسالك .. وسوف يزاحمه فيه شخص غـريب .. يسبقه اليهـا .. فيخلفه في مملكة كان فيها السيد المطاع .

وذلك بعض ما يفهم من قـوله تعالى :

(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

* والاية الكريمة ترسم صورة حية لايامه المقبلة .. من شأنها ان تمسك لسانه فلا ينطق بكلمة الفراق . واذا حدث ونطق بها .. فلا ينبغي لاحد من بعده ان يقف موقفه حتى لا يواجه مثل مصيره ..

فماذا في الآية الكريمة من معان تضبط في قلب الزوج الغاضب دوافع الانتقام ؟

* ان الحق سبحانه وتعالى لا يستدعي فردا معينا يتجه اليه بالخطاب .. وانما تتحدث عنه الآية الكريمة بضمير الغيبة : (**فان طلقها**) .

واستبعاده من الساحة ـ.. وعدم تشريفه بالخطاب .. صورة من صور التجاهل لانسان يفقد ـ في مثل هذه اللحظة ـ وجوده الادبي .. وان كنا نسمع صوته ـ ونرى جثته فهو يقطع ما امر الله به ان يوصل .. ويستغل سلطته في طرد مخلوق ضعيف .. من ظله وحمايته .. ليعيش في وهج الشمس .. ووحشة الضياع . فهو نشاز في نغم متناسق :

* فالدنيا ضاحكة مستبشرة .. تفتح ذراعيها لكل مقبل عليها .. راغب فيها ..

* ثم هي في جوهرها .. حلاوة .. ومرارة .. نقص وكمال .. صحة ومرض .. وانه لم يتقبلها على هذا النحو .. لانه يريدها صفاء مطلقا .. ولن تكون كذلك ..

انه رجل يحكم مزاجه الخاص .. وبه يريد ان يسير دفة الكون .. ولن يوجد مثل ذلك الرجل ، واذا وجد ـ فهو شبح لا وزن له .. يعبر آفاق الوهم .. خاطرا في « ضمير الغيب ».

****

ولكنه مع ذلك موجود في دنيا الناس .. وظاهرة اجتماعية ينبغي ان تلاحق بالتأديب والتهذيب .. وهو ما تتكفل به الآية الكريمة في صدرها .. بما رسمه من مستقبل مثل ذلك الزوج .. حتى اذا رأى نفسه على « شاشة » ذلك المستقبل على هذا النحو الذي يرفضه كرام الناس .. ربما اعاد حساب ربحه وخسارته قبل ان يتخذ موقفه الاخير .

* فعلى اي نحو ستكون ايامه المقبلة ـ لو طلق الثالثة ـ التي يوشك الآن ان يتخذ اليها سبيلا ؟

* ان الزوجة التي يملك معاشرتها الآن .. لن تحل له بعد ذلك .. فكلمة الطلاق التي يمكن ان ينطق بها .. سوف تحفر بينهما برزخا عميق الاغوار .

(**فلا تحل له من بعد**).

* وعليه اذا اراد العبور اليها ان يتخطى جسرا من التعب : فربما تصور الزوج ان الزوجة المطلقة .. ستنتقل الى بيت امها .. ثم تمكث هناك بقية عمرها في احضانها .. تجتر ذكرياتها معك .

* بيد ان الاية الكريمة تطالعه بما يقض مضجعه .. حين تبين له زوجته وهي في عصمة رجل اخر غيره .. وهو الامر الذي يتجاهله ولا يكاد يذكره : (**فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**).

فهلا طامن من غضبه ازاء هذه الصورة التي تطل عليه من شرفات مستقبل متجهم ؟

هل تحسس نبض قلبه .. وصلابة اعصابه ليعرف مدى تحمله لصدمة من هذا النوع ؟ .

* واذا لم يكن قد فعل .. فليعد النظر تارة اخرى .. ليرى بقية النذر التي اغمض عينيه فلم يفطن لها : ان زوجته ـ السابقة طبعا ـ لن تستمر مستسلمة في بيتها ضحية لهواه المتقلب ففي كيانها رغبة في الزواج .. ككل انثى تحس بوحشة الفراغ .. وكل امرأة تقلقها الوحدة متطلعة الى حياة ذاقت طعمها من قبل : ثم انها لن تضمر هذه الرغبة في صدرها الى ان يطرق بابها الخاطبون ..

* بل سوف تعلنها صريحة واضحة :

* سوف تبحث عن ذلك الزوج المرتقب .. بلسان الحال او المقال .. لتنكحه هي ؟!

(حتى تنكح زوجا غيره).

اي انه سيخرج من حياتها .. وتقتلع من ارضها جذوره .. .. متطلعة الى رجل آخر .. ترث مملكته ويستمتع بما لم يكن مباحا له من قبل .

ومن شأن الكبرياء المزيف ان يعود مثخنا بالجراح امام هذا التصور الرهيب .

التصور الذي يوشك ان يكون حقيقة يراها بعينه .. كل يوم : ان الرجل ـ في غيبة ايمانه بربه ـ قد يسمح لزوجته أن تسير معه في الطريق شبه عارية .. بل ربما كانت نظرات الشباب اليها بعض مأربه لكنه سيثور ـ ان بقيت في دمائه ثورة ـ اذا انقلب الوضع .. فكانت هي الناظرة اليهم .. المحملقة في وجوههم .. حيث كان ذلك اعراضا عنه .. وزهدا فيه .. الى غيره .. وهو المعنى الدقيق الذي تملأ به الآية الكريمة وعي الزوج هنا حين اضافت النكاح اليها هي .. والعهد بالقرآن ان يضيفه الى الرجل .

ولعل بصيرته تستيقظ على واقع جديد .. تتحول به زوجته من تابع امين مسالم .. الى ارادة تبحث لنفسها عن الخلاص .. وتعلن التمرد على قائد .. لم يحسن تدبير الاسرة .. فاستغل سلطته في نقض غزلها من بعد قوة انكاثا .. ان عليه ان يدفع الثمن من اعصابه غاليا .. ثم .. ان هذا الزوج الذي ترتقبه .. لن يكون مجرد انسان او زميل في مكتب ومصنع ... انه « زوج » له كل حقوق الزوجية ....

زوج تدول به دولته .. وتطوي رايته ..

****

* ولا تقول الآية الكريمة (زوجا آخر).. ولكنها تقول (**زوجا .. غيره**) وابراز معنى الغيرية مضافة الى ضميره الصريح .. له مغزى عميق الدلالة :

فكثير من الزوجات يعشن في ظلال ازواج « آخرين » وهو أمر يتصوره الانسان فلا يحرك في رأسه شعرة لأنه شيء عادي .. وصورة مكرورة في بيئة كل انسان .. ولكن « الزوج » المأمول هنا .. خلاف هؤلاء جميعا فهو غيرك .. انت .. بالذات ..

يخلفك من دون الناس جميعا في دولة كنت فيها الآمر الناهي ويا لحرمة الاسرار التي تطل الآن من مكامنها .. لتكون في متناول غريم يقف اليوم على

اطلال حياتك .. والازواج نيام .. فاذا طلقوا انتبهوا ..

* وهكذا تتصدى الآية الكريمة في نصفها الاول لكل راغب في الطلاق حتى يتريث وكانما هي في كلماتها الموجزة الموحية .. مانعة صواعق .. تحول بين الاسرة وبين الانهيار ولو احسن الناس فهمها لوفروا على انفسهم متاعب لا قبل لهم بها ..

ولو احسن الكاتبون السطحيون فهم مراميها لوفروا ايضا على انفسهم ما يبذلون من جهد في البحث عن قيود الطلاق .. بعد ان وضعت الآية الكريمة من الضوابط ما يمسك الاسرة ان تزول .. وبعد هذا كله .. تقف اداة الشرط « إن »» (على رأس الآية الكريمة لتزعزع ارادة الرجل فلا يقدم على الطلاق .. حيث كان مدخولها بعيد الوقوع ..

اي ان الطلاق حينئذ تجربة غير مضمونة النجاح .. وعلى كل عاقل ان يراجع نفسه قبل الدخول فيها .. واذا حدث وفعل .. فتحت ظروف قاهرة .. تجعل من الطلاق ذاته مخرجا وحيدا .. وفي هذا المعنى يقول المرحوم العقاد : « فاذا احل - اي الطلاق - بعد استنفاد الوسائل المستطاعة .. فما من حل آخر يغني عنه ، وما من تحريم له الا وهو اشد قسوة .. واقل نفعا من التحليل »..

(فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون)

* ولأن الطلاق ضربة موجعة في كيان الاسرة .. وهي من المجتمع قلبه النابض .. فان الشيطان المريد يتخذ منه سلاحا يفرق به بين المرء وزوجه .. بل ان اقرب جنوده اليه .. هو ذلك الذي ينجح في قطع هذه العروة الوثقى ..

ولن يتصدى الشيطان للانسان وهو معتدل المزاج .. موفور السعادة .. فتلك لحظة قوة ترتفع بالانسان فوق مكايد الشيطان ..

لكنه يدور حوله في مثل هذه اللحظة من لحظات الضعف الانساني .. والتي يحس فيها الزوج بانه يملك .. وبارخص الاثمان .. ان يحطم هذا البناء العالي بكلمة واحدة .. لا سيما والبديل ميسور .. والمهر مقدور عليه ..

* ومن هنا يشدد القرآن النكير على الزوج الغاضب .. قبل ان يتخذ موقفا ربما ظنه بطولة .. او مغامرة .. كما تملي عليه وساوسه ..

* لكن الانسان هو الانسان .

* فقد يتجاهل نداء السماء كأن في اذنيه وقرا .. فلا يضبط نوازعه .. ثم يطلق امرأته للمرة الثالثة .. اجل .. قد يتجاهل الزوج هذه النذر المتلاحقة والتي تلسعه بها الآية الكريمة .. بما تضمنته من امور ترميه بهموم ثقال .. لو اتخذ قراره ..

ولعله .. وبعد فوات الاوان .. يحس بمرارة تجربة خاضها .. حين يصل منها الى مرحلة تحرق دمه في عروقه .. وبعد ان يرى ما انذرت به الآية الكريمة واقعا ملموسا .. وها هي ذي زوجته في عصمة رجل آخر .؟

* وقبل ان تأكل الهموم ما بقي من اعصابه .. فان الآية الكريمة تقف الى جانبه .. بل الى جانب الاسرة كلها .. في محاولة لرأب الصدع .. وعودة المياه الى مجاريها ..

ان الآية الكريمة تتحدث عن الزوج الثاني حديثا عابرا .. فلا يطول ذكرها له حتى تقف بنا موقف المتوقع لتجربة تنذر بفشلها المرتقب .. اي انها تولد .. لتموت .. (**فان طلقها**) اي الزوج الثاني .. ثم يعود الباقي الى الزوج القديم .. وزوجته التي طوحت بها الاقدار الى بيت غريب .. وطبع غريب (**فلا جناح عليهما ان يتراجعا**) .

* ومعنى ذلك ان الزواج الثاني يجيء نشازا في لحن متناسق .. ونسبة نجاحه لا تغري بتحمل مسئوليته ..

فالرباط المقدس الذي جعله الله مودة ورحمة مازال ضارب الجذور في اعماق النفوس رغم كل ما حدث وكأنما كان الامر امتحانا صعبا لكلا الزوجين .. يمحص العلاقة .. ويمهد لظروف ما كان يهجس بها خيال .. من شأنها ان تهز النفس لتفيق من سباتها .. وهي لمحة مضيئة تلفت انتباه الناس الى التأمل .. والفهم .. والموازنة .. ليلتقوا بالحق والوضوح في موضوع طال حوله الجدل .. ولم يصل فيه الى قرار يحسن السكوت عليه .. لأن القضية اذا بحثت بعيدا عن منهج الله .. تظل غائمة عائمة ..

* وحين يتجهون الى القرآن الكريم بتوجيهاته الرشيدة في مثل هذه الآية .. فسوف يتريث الغاضبون قبل ان يصل بهم الغضب الى موقف لا يحسدون عليه ..

* ولو اننا ساءلنا الواقع الماثل لاجاب الاجابة الكافية الشافية لصدور قوم يبحثون عن بر الامان في معترك الموج .. فقد يكون للزوجة اطفال صغار .. ان تركتهم له ضاعوا .. وان ابقت عليهم جاعوا ..

ومع ذلك فلها مع زوجها ذكريات عزاز تلاحقها .. وتؤرق حياتها .. لا سيما بعد ان تترك البيت .. وتهدأ العاصفة .. وبعد ان ترى الحياة من حولها تتقلب بالناس .. وكلهم يعيش .. ويمارس الحياة بما فيها من حلو ومر .. وضعف وقوة .. فلماذا لا تعيش هكذا .. مثلهم ..

* وافكار من هذا اللون تتراكض في ذهن الزوج ايضا .. ويضيء الجو الملبد بالغيوم رويدا .. فتتضح الرؤية وتبدأ عين الرضا تمارس عملها صفحا وتسامحا .. بعد ان كانت عين السخط سيدة الموقف ..

* ان اليوم الاول في حياة عامل جديد .. والليلة الاولى في رحلة الغريب المسافر .. كل ذلك يخط في الاعصاب مجرى عميقا يستعصي على النسيان ..

وفي دوامة الاحداث قد يكره الانسان .. فتبدو الامور في ناظريه اكبر من حجمها الطبيعي ..

وقد يسول له ذلك رؤية سطحية لحياة الآخرين الذين تملأ ضحكاتهم اذنيه فيحسبهم اكثر سعادة منه .. بينما هم في الواقع يخفون بالضحكات نباح الآلام في قلوبهم ، بيد ان

الزمن .. والرؤية المتأنيــة الواعيــة كفيلة بكشف الرغوة العائمة .. وتبدو حقائق اصيلة .. ترسبت هناك في اعماق الزوج والزوجة معا .. ويظل الرباط مع هذا قائما .. وان توقف قليلا من خلال تجربة جديدة قصيرة العمر مع زوج جديد .. لقد خف احساس الزوجين يوما بهذا الرباط .. وتلك الحقائق ، لكنها اليوم في مهب ريح عاصف تبدو كفص من الماس .. يخطف بريقه الابصار ..

وانها لفرصة تتجدد بها الحياة .. كأجمل ما تكون الحياة . من اجل ذلك .. كان التركيز على العلاقة الاولى مع تلبد الجو بالغيوم امرا تفرضه طبائع الاشياء .. وكان الزوج الثاني حلقة غريبة في سلسلة ممتدة يراد لها ان تدوم .. لقد كان فقط صدمــة عصبية صكت مسامع زوج متهور .. يصحـو اليوم عـلى دقات الحقيقــة المرة .. وهو بالخيار ان شــاء الى جنة .. وان شاء فالى النار ..

* فاذا استقامت الحيــاة بالـزوج الثاني فبها .. وحتى في مثل هذا الظرف الطارىء لا يتخلى الاسلام عن منهجه في بغض الطلاق وذلـك في اختيار الآية حرف الشرط « إن » وما يشـير اليـه من استبعـاد وقـوع مدخوله ..

لكنه مع ذلك جائز الوقوع .. فاذا وقع .. فللزوج الأول ان يعود اليها .. وهذا هو طريق العودة ممهد ..

(فــلا جنــاح عليــهمــا ان يتراجعا).

* ان طيف الزوج القديم مازال يرف من خلف السطور ..

* انه .. وان فقد وجوده الفعلي بحياة الزوجة مع آخر .. الا انه ذكرى عزيزة غالية فوق النسيان .. على ما يقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

* الم تر الى ضمير التثنية في قوله تعالى :

(فــلا جنــاح عليــهمــا أن يتراجعا).

فــالسياق يجمعهمـا في ضمـير واحد .. تمهيدا لاجتماع يستأنفان به حياة جديدة . وكأنه .. وقد توقع فشل المحاولة الثانية .. يحتفظ بالزوج .. فنحس به .. متأهبا .. او هكذا يجب ان يكــون .. لاهتبال اول فــرصة تلوح .. لتعود به الى زوجة طالما اساء بها الظن .. وانه ليوشك ان يتقدم الان .. ليرأب الصدع .. ويجمــع شمــلا فرقتــه الايام .. ويستقبـل بالعودة المباركة صغارا لهم اشد جوعا الى عواطفه ورعايته من لقمة العيش .. وجرعة الماء .. وقبل ان يقعوا فريسة عقد نفسية تنهي وجودهم الادبي فلا يستمتعون بحياة .. ولا يسعد بهم وطن ..

* بيــد ان هذه العـودة المباركـة مشروطة بموافقة الزوجة صراحة .. وليس ذلـك بــالشــرط التــعسفي الضاغط .. بقدر ما هو ضمان اكيد لاستمرار الحياة من جديد .. فان

الفشل المكرر يقضي على كل امل في النجاح بعد ..

* فالزوجة اولا : قد اضافت اليها المشاكل خبرة تمكنها من التصور الصحيح للمستقبل .. وبالتالي من صحة الحكم له .. او عليه ..

* وثانيا .. وهو الاهم ـ فقد امسك الزوج بالزمام يوما ـ واتيحت له قيادة السفينة عبر المحيط الواسع .. فما كان منه الا ان اذاق الاسرة لباس الجوع والخوف ..

* لقد اذاقها الامرين .. حين طلق قبل مرتين ..

* وحتى لا تتكرر المأساة .. لا بد ان تشاركه المرأة في قرار العودة .. والاعداد للعش الجديد ليحملا معا مسئولية المستقبل .. في ضوء التجربة التي ذاقا معا مرارتها ..

فاذا التقت الآراء حول تقرير المصير .. فلا بأس .. بل هو ما يطلبه الاسلام .. وذلك قوله عز وجل .

(فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله) .

* فاذا كان قد لاح في حياة الزوج القديم غرام جديد ..

* اذا كان قد استثقل عبء الاولاد .. ومشاكل الاسرة الكبيرة .. فراح يجري به خياله عبر الفردوس المفقود ..

* اذا كان قد توهم ذلك فليعلم ان هذه عبودية للمزاج الشخصي الذي حكمناه من قبل فكان ما كان .

وليست الاسرة بعد اليوم لعبة في يده .. يتخذها حقل تجارب لنزواته الطائشة .. ولا تطلب الآية الكريمة دقة صارمة تؤكد نجاح تجربة العودة .. فقد يكون ذلك فوق الطاقة .. لكنها تكتفي بمجرد غلبة الظن : **(أن ظنا أن يقيما حدود الله)** .

اكتفاء بما مضى من تجارب بينهما تجعل الحكم بالنجاح اقرب الى اليقين ..

فاذا ظنت هي .. وظن هو .. ان في العودة تصحيحاً للاوضاع .. وسيرا بالسفين خفاق الشراع .. بعيدا عن مواطن الزلل فلا بأس ان تبدأ الرحلة المباركة .. ولا بأس ان بقيت في النفوس بعض الرواسب المتخلفة .. وفي ضحكة الولد .. واشراقة البنت .. وانس الاجتماع .. ما ينسى هذه الاوجاع .

** وليت شعري .. اي تكريم للمرأة فوق هذا مما يعرف الناس من قوانين البشر ؟

ان الاسلام لا يرفض فقط ان تكون الزوجة لعبة في يد الرجل .. بل انه ليقف بها موقف الكرامة حين يتيح لها حينئذ ان تقرر مصيرها بيدها .. ثم اليس من تكريمها ان تعود الى عشها الاول .. فرارا من احاديث الناس .. وقبل ان تكون حياتها حديثا يروى ؟

تلك هي حدود الله تعالى ومعالمه .. تطل على الناس من عل .. ليرفعوا ابصارهم اليها .. وليزدادوا ايمانا بها ..

وانها لواضحة بينة لمن اراد ان يذكر او يخشى .

وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون .

سد الذرائع

للاستاذ / محمد الشريف الرحموني

الذرائع جمع ذريعة ، وهي ـ لغة ـ الوسيلة والسبب إلى الشيء، يقال : تذرع فلان بذريعة أي توسل بها ، وفلان ذريعتي إليك : أي سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك .

وأصلها ـ عند العرب الأوائل ـ ما تضبط به الناقة الشاردة ، وتطلق ـ أيضا عندهم ـ على الجمل الذي يسيب مع الوحوش حتى إذا ألفته تذرع به الصياد إليها : فيمشي الى جنبه مستترا به ليتمكن من رميها ، وأنشدوا لذلك قول الشاعر :

وللمنية أسباب تقربها
كما تقرب للوحشية الذرع

كما تطلق على الحلقة التي توضع للرامي ليتعلم الرماية .

ثم نقلت لتدل ـ شرعا ـ على الأسباب والوسائل والطرق التي تفضي إلى الأحكام والمقاصد الشرعية ، وهي تابعة لهذه الأحكام التي تؤدي إليها ومعتبرة بها .

فوسائل الطاعات والقربات مأذون فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها مثاب عليها بحسب ارتباطها بها ، فالوضوء ـ مثلا ـ واجب مثاب عليه لأنه وسيلة الصلاة ، ونصب القضاة والشرط والمحتسبين وغيرهم من العمال واجب لانهم جميعا وسائل الى جلب المصالح العامة والخاصة ، والظمأ والنصب والمخمصة وغيرها مما ينال المجاهدين مثاب عليها كلها لأنها وسيلة الجهاد في سبيل الله تعالى وطريق إلى إعلاء كلمته ، قال ـ جل ذكره ـ :

(**ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين**) التوبة / ١٢٠ وكذلك وسائل المحرمات والمعاصي والمخالفات تمنع بمنعها وتكره بكراهتها ، فسب آلهة المشركين ـ رغم ما فيه من غيظ لهم وإهانة لما يعبدون من دون الله ـ حرام لأنه يؤدي إلى سب الله تعالى ، ومصلحة ترك مسبة الله ـ عز وجل ـ أرجح من مصلحة سبنا لأصنامهم .

قال تعالى :

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الانعام /١٠٨

وضرب النسوة بأرجلهن فعل ظاهره الاباحة في حد ذاته ولكنه ممنوع لئلا يكون سببا الى اثارة شهوة الرجال إليهن عندما يسمعون صوت الخلاخل . قال الله تعالى :

(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور/٣١

والاختلاء بالأجنبية حرام لأنه وسيلة الزنا ، وسفر المرأة بغير محرم منهي عنه لأنه ذريعة إلى الطمع فيها ، والعلاج بشيء محرم ممنوع لئلا يكون ذريعة إلى تعاطيه ، وهكذا « كلما حرم الله تعالى شيئا وله طرق ووسائل تؤدي إليه فانه يحرمها ويمنع منها تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له ، ولو اباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى تأبى ذلك كل الاباء بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك أيضا ، فان أحدهم لو منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم ما يوصل إليه لعد متناقضا ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده ، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الذرائع المفضية إليه وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه ، فما ظنك بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال . »

ومن هنا يتضح لنا كم كان إمام دار الهجرة : مالك بن أنس - رضي الله عنه - مصيبا لما اعتبر قاعدة سد الذرائع أصلا من أصول مذهبه وتوسع في العمل به توسعا يعضده - كما رأينا - النقل والعقل ، ولئن اشتهر اختصاص مالك بهذا الأصل فلا يعني ذلك أن غيره لم يعمل به بل إنه - عند التحقيق - لم يخل من العمل بسد الذرائع مذهب من مذاهب الاسلام . مادام الشرع قد اعتبرها ورتب عليها أحكاما ، ويكفي أن نشير إلى أن ابن القيم الجوزيه الحنبلي المذهب قد ذكر أمثلة كثيرة - بالاضافة الى ما ذكره القرافي المالكي - منع الشارع فيها الذرائع التي تؤدي إلى الحرام أوصلها - في كتابه أعلام الموقعين - إلى تسعة وتسعين وجها ، وعقب عليها بقوله : إن باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف .

والتحقيق في العمل بهذه القاعدة ما ذكره الامام القرافي من أن الذرائع ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أجمع الناس على منعه وسده ، ومنه المنع من سب الأصنام عند من يعلم أنه يسب الله تعالى عند سبها ، والمنع من حفر الآبار في طريق المسلمين إذا علم أو ظن وقوعهم فيها ، ومنع إلقاء السم في أطعمتهم إذا علم أو ظن أنهم يأكلونها .

القسم الثاني : أجمع العلماء على أنه وسيلة لا تحسم وذريعة لا تسد مثل : زراعة العنب ، والتجاور في البيوت

رغم خشية الخمر والزنا .

القسم الثالث : هو موضوع الخلاف بين الأئمة وهو الذي توسع فيه مالك أكثر من غيره حتى حكي عنه اختصاصه به ، وسنقتصر على التمثيل له بمسألتين فقط حيث لا يتسع المقام لجميعها :

المسألة الأولى : بيوع الآجال وهي وحدها تصل إلى ألف مسألة ، منعها مالك بخمسة شروط : **الأول** : أن تكون عقدة البيع الأولى لأجل الثانية **والثاني** : ان يكون المشتري الثاني هو البائع الأول . **والثالث** : أن يكون البائع الثاني هو المشتري الاول أو وكيله ، **الرابع** : أن يكون المشتري ثانيا هو المبيع أولا . **الخامس** : أن يكون الثمن في الحالتين من صفة واحدة . وصورتها : أن يبيع تاجر لشخص سلعة بعشرة دنانير ـ مثلا ـ الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بخمسة دنانير نقدا . فهذا البيع ممنوع ـ كما قلنا ـ عند مالك عملا بقاعدة سد الذرائع لأنه يؤدي الى الربا الممنوع فالنتيجة ـ بعد عقدتي البيع ـ قد آلت الى ان التاجر وهو الطرف الأول قد أعطى خمسة دنانير للطرف الثاني ليرجع له بعد مدة عشرة وهو عين الربا المحرم .

وأقوى دليل على ما ذهب اليه مالك ما ورد في الموطأ من أن أم ولد زيد بن أرقم قالت لعائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ : يا أم المؤمنين ، إني بعت من زيد بن أرقم عبدا بثمانمائة درهم إلى العطاء واشتريته بستمائة نقدا ، فقالت عائشة : بئس ما شريت وبئس ما اشتريت ، أخبري زيدا أنه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب ... فهذا التغليظ العظيم لا تقوله ـ رضي الله عنها ـ الا عن توقيف ، فتكون هذه الذرائع وأمثالها واجبة السد .

وقد وافق مالكا الامامان : ابو حنيفة واحمد بن حنبل ـ رضي الله عنهما ـ إلا أنهما خالفاه في بعض الشروط المذكورة .

أما الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فقد خالف في ذلك معللا رأيه بأن كل عقدة من عقدتي بيوع الآجال صحيحة متوفرة الأركان ومادام الامر كذلك فهي جائزة لقوله تعالى :

(وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة/ ٢٧٥

ولانظر ـ عنده ـ الى ما يؤول اليه العقد من فساد ، اذ لا احد من الأئمة يمنع جواز بيع السيف لقاطع الطريق وبيع العنب للخمار مع ان الفساد في قطع الطريق وشرب الخمر أعظم من سلف جر نفعا ، لما فيهما من ذهاب للنفوس والأموال .

ورد المالكية تمسكه بالدليل الأول بأن الآية عامة والأثر الوارد عن زيد خاص ، وهذا مقدم على العام ، كما ردوا احتجاجه بالدليل الثاني بأن نية المتعاقدين في بيع السيف للقاطع والعنب للخمار ليست تحايلا لاظهار ما

لا يجوز في صورة الجواز ، بخلاف بيوع الآجال فان المتعاقدين تحايلا للحصول على الربا الممنوع باظهاره في صورة جائزة ، وقديما مسخ الله تعالى أصحاب السبت قردة لأنهم تحايلوا على صيد الأسماك في يوم ممنوع فيه ذلك ، ولكنه لم يمسخ من بني إسرائيل من ارتكب معاصي أخطر من الصيد في يوم بعينه لا لشيء الا ان الفريق الاول قد استحقوا ذلك التشديد لاستحلالهم الحرام بالحيلة ، وهناك فرق بين من يذنب وهو معترف بذنبه يرجو التوبة يوما ما ، وبين من يجعل الحرام حلالا . وبناء على هذا فان من عقد عقدة من بيوع الآجال دون نية التحايل لاكل الربا فهو غير آثم قطعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات » ، وقد بسط القول في هذا المعنى ابو الوليد بن رشد في كتابه المقدمات عند كلامه على الاثر الوارد في زيد رضي الله عنه ، فقال ما حاصله : فان قيل : إن زيدا من الصحابة الاخيار ، فكيف أجاز لنفسه فعل هذا ؟ ثم اجاب عن هذا التساؤل بقوله : فعل ذلك إما لأنه لا يعتقد منع الربا بين العبد وسيده ، أو انه خالي النية من التحايل في العقد للتحصيل على الربا ، ولا يحل لمسلم أن يعتقد أن زيدا قد قصد ذلك .

المسألة الثانية : من القسم المختلف فيه : قضاء القاضي بعلمه : منعه مالك واحمد مطلقا أي سواء حصل له العلم بالقضية قبل ولايته القضاء أو بعد ولايته ، عملا بقاعدة سد الذرائع لانه وسيلة للقضاء بالباطل من قضاة السوء ، والواجب على القاضي ـ في هذه الحالة ـ أن يحيل القضية الى قاض آخر وليكن هو شاهدا فيها . وأوجب الظاهرية على القاضي أن يقضي بعلمه مطلقا لأن غايته تحري الصدق وقد حصل له يقينا ، وأجازه الشافعي والكوفي وأبو ثور لادلة عديدة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قضي بعلمه في النفقة لهند زوجة أبي سفيان ، وأن عمر بن الخطاب قضى بعلمه على ابي سفيان لرجل من بني مخزوم ، ومنها ان الله تعالى أمرنا أن نحكم بالعدل والقاضي قد علم العدل ، فما يمنعه من العمل به ؟!

أما الامام الأعظم أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ فقد منع قضاء القاضي بعلمه في الحدود وفصل في الامور المالية : فله أن يستند الى ما علمه فيها بعد ولايته القضاء أما ما علمه قبل ولايته فلا يحكم فيه بعلمه .

وأخيرا ان هذه الامثلة يمكن أن نقيس عليها ما ظهر ويظهر من طرق الشر في عالمنا لحسمها وسدها إذ أن أحسن ما يقاوم به الفساد سد ما يفضي اليه كما أن أحسن ما يقاوم به المرض تفادي الوقوع فيه ، وهذا المبدأ يناقض تجويز الحيل مناقضة تامة ، فهناك فرق ـ لا يخفى ـ بين سد الطريق الى المفاسد بكل ممكن خشية الوقوع فيها وبين فتح الطريق إليها .

الانسان المسلم

الانسان المسلم اليوم يخوض معركتين في وقت واحد ، وكلتاهما تحتاج الى الايمان والوعي والعزيمة القوية .
المعركة الاولى معركة داخلية ـ ذاتية .
والمعركة الثانية معركة ـ خارجية ـ اجتماعية .

ولا يكفي المسلم ان يستعد لاحداهما دون الاخرى ، او يساهم بواحدة ويهمل الثانية ، لان مصير المسلم ـ ومصير مجتمعه كمجتمع اسلامي يتوقف على هاتين المعركتين .
والمسلم ـ وهو يبتغي مرضاة الله عز وجل ـ مكلف ان يستعد لكلتا المعركتين ويخوضهما بعزيمة وقوة وايمان .
اما المعركة الاولى ـ الذاتية ـ فقد ابتدأت من يوم الخلق الاول لادم ـ عليه السلام ـ حين ظهرت مكيدة الشيطان له ـ ابليس ـ واستمرت هذه المعركة ـ وستستمر الى يوم الدين ، لان الشيطان سيبقى في طريق الانسان ـ وهو عدوه الاول ، يغريه ، ويضله ويضع امامه العقبات والمغريات باشكال والوان ومظاهر تتكيف مع البيئة والعصر والظروف .

وحين يغفل الانسان عن واجبه في هذا الميدان ـ على اية صورة كانت ـ يخسر المعركة وتتحطم ذاتيته المسلمة امام انحرافات الباطل ودعاوى الشيطان .
ومواجهة المسلم للشيطان تبدو على صعيد الفكر ، والنفس والمشاعر والسلوك والاعمال .

بين معركتين

للاستاذ محمد حسن بريغش

فعلى صعيد الفكر على المسلم ان يدفع الشيطان واعوانه حينما يختبئون وراء الافكار المزيفة - والدعوات الفاسدة التي يزخرفونها بعبارات منمقة ، او شعارات مخادعة تغري سذج الفكر ، او العقول الحائرة ، وتضع الناس في دوامة تائهة ليسير الانسان وراء تلك الزعامة - او في صفوف هذه البدعة او مع ذلك الشعار .

ولا يتمكن المسلم من دفع الشيطان واعوانه ، ويبني ذاته الاسلامية المتميزة ، الا اذا كون لنفسه الفكر الاسلامي الصحيح ، والعقيدة الواضحة ، والتصور الالهي معتمدا على كتاب الله وسنة رسوله ، ووقائع التاريخ الاسلامي الموثوق وتطبيق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

ان من دواعي الانحراف ان يلجأ المسلم الى عدوه ليتعلم منه عقيدته ويكون بواسطته فكره مع توفر الوسيلة لتكوين فكره وفهم عقيدته معتمدا على ما لديه من امكانيات وما يملك من مصادر .

ولعل شيطان الفكر استطاع ان يغري الناس فيجعلهم يلتمسون كل معرفة من الغرب او الشرق ، ويتعرفون على دينهم من كتابات المتظاهرين بالعلم من المبشرين والمستشرقين والمستغربين ، ثم سار بهم شوطا في البعد عن حقيقة عقيدتهم . وادخل الى عقولهم كثيرا من البدع والانحرافات والتشويهات ، وخدروه بمظاهر العلم ودعوى التقدم حتى فقد ذاتيته

وسلبوه اصالته . وابعدوه عن جوهره .
والمسلم هنا يخوض المعركة في صياغة العقيدة والفكر من اصولها الحقيقية غير مأخوذ بالبريق .. ولا خائف من الصعاب .. وهو في الوقت ـ ذاته ـ لا ينغلق على نفسه امام كل صحيح وجاد من الفكر بعد صياغة عقيدته كما وضعها الله رب الناس جميعا .
وهنا يبدو دور الفكر الاسلامي ـ ومعركته الضارية التي تتطلب الوعي والتبصر ، مع التسلح بأفكار القرآن وعقيدة الاسلام التي تحرك نوازع الخير وتوقظها في ضميره ـ وتفتح نوافذ فطرته على الحياة يستوعب منها ما يزيد عقيدته جلاء وثباتا ، لتكون درعا صلبا امام الافكار الواردة ، والعقائد الباطلة ، وسهما قاتلا لها ايضا .
واما على صعيد النفس والمشاعر فهي معركة ضارية ، استطاع الشيطان ان ينفذ منها إلى كيان المسلم كله ، فيفسده فكرا وعقيدة ـ وسلوكا وعملا .
فالنفس تستهويها المغريات وتلفتها المستحدثات والجديد من الامور ولهذا يجد الشيطان مدخلا الى كيان المسلم عن طريق النفس ـ مرة يدخلها تحت ستار الخوف ـ ومرة تحت ستار الطمع ، ومرة تحت ستار الشهوة ومرة تحت ستار الحب ، ومرة تحت ستار الشهرة و ... و ...
لهذا نرى ابليس يحبذ وسائل الاغراء المتنوعة في حربه للمسلم فالمرأة والجنس ، والمال ، والسلطان ، والمغريات كل ذلك تحشر في هذه المعركة عبر الشارع ـ والمجلة ـ والجريدة والاذاعة ، والسياسة والمرائي ، والوسائل المعروفة لافساد المسلم واثارت غريزته وشهواته ، ودفعه وراء الشهرة او المال ، او تخويفه من الاستقامة بالبطش تارة ، وباظهار الفضيلة والخلق بمظهر الجمود والتأخر ، وليست غريبة تلك الوسائل والمظاهر التي تستخدم في هذه المعركة .
ان المسلم قد يبدأ ـ باسم التسامح او ملاءمة العصر ـ اولى خطواته فلا يقف موقف المؤمن الواعي في صياغة مشاعره ـ او ضبط احاسيسه أو رعاية اسرته ، اوصيانة من يرعاهم ، فاذا به يتابع الخطوات ويستمر في الانحراف حتى يفقد هويته ويتحطم على اقدام الذل والهوان والخداع والعهر .
وقد يظهر الشيطان بمظاهر خادعة تطلى بطلاء الخير ، ولكنها تمتلىء بالباطل والفساد ـ وتنشأ عن ذلك الغفلة والغرور والرياء ـ والطبائع الخبيثة التي تحفر في ذات الانسان حتى تهدم بنيان النفس ، وتضلل المشاعر ، وتفسد الاحاسيس .
وعلى المسلم مواجهة الشيطان في هذه المعركة الشرسة على صعيد النفس والمشاعر ولا يستطيع التغلب على عدوه ما لم يعمل باستمرار على تقوية ايمانه بالله ومداومة الاحساس بالآخرة والحساب ، وربط هذا بالمشاعر الكامنة في نفس الانسان ، وايقاظ مشاعر الخير والحب

والتعـاون ، والخـوف من الله في النفس ، واخذها بالتدريب ، والتربية والطاعة ـ حتى يصبح يكون حب الله ورسوله اكبر من اي حب فيها ـ وحتى يغدو هواها منسجما مع الشريعة ومتطابقا مع مقتضيات العقيدة . ان رعاية النفس ليس بالامر السهل لانها كثيرة التعاريج والمنحنيات عميقـة الكهوف والاغوار .. وما لم يقم على رعايتها ايمـان قوي ووعي بصـير وارادة صلبة ، فانها تجرصاحبها الى الجحيم ، وتتحالف مع الشيطان .

اما صعيد السلوك والعمل فهو نتيجة طبيعية من نتائج المعركة مع الشيطان على صعيد الفكر ، والنفس ، والسلوك هو المظهر الذي تتجسد فيه الافكار والمشاعر ، فصاحب الفكر المتـزن والافكار الخيرة تبدو عليه من خلال سلوكه السوي واعماله الصالحة ـ والعكس هو الصحيح .

والحقيقة ان عمل الانسان هو الذي يكشف عن جوهره ، واخلاصه ولكم انبأ سلوك الفرد عن غشه وكذبه ، او ضعفه وشكوكه ، او نفاقه وسقوطه في احابيل الشيطـان . والله سبحانـه وتعالى يتبع الايمان بالعمل لان الثاني مظهر للاول : « **والعصر. ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحـات وتـواصـوا بـالحق وتواصوا بالصبر** » .

فعلى المسلم ان يدفع عنه الشيطان واعوانه في عمله وتصرفاته حينما تتحول معتقداته وافكاره الى حركة وعمل في الحياة والى صورة اجتماعية وهذا يدعو المسلم ان يضع نفسه في تأهب دائم ويقظة مستمرة حتى لا يحدث التناقض بين السلوك والفكر ، أو بين العمل والمشاعر بل ينبغي ان تكون اعماله وتصرفاته مثالا امينا وواقعا حيا لمعتقداته وافكاره وروحه وهنا تبدو العقيدة المسلمة في صورتها الكاملة الواعية ..

في هذا النطاق الاول ـ يخوض المسلم غمار المعركة متسلحا بالايمان والعلم والوعي ، وحين نقول الايمان لا نعني به الايمان الفطري الساذج ، ايمان التبعية والوراثة والتقليد والتواكل ـ وليس هذا ايمانا كاملا ، وانما نعني به ايمان القـرآن الحي المتحرك ، ايمان العلم والحق واليقين الايمان الذي يقلب حياة المرء الى صياغة جديدة قرآنية ، فتعطي ثمار الخير في كل مجال ، الايمان الراسخ الذي يبرز للعمل الصحيح المستقيم ويشعـل الانسان بالنشاط والوعي والعمل في سبيل الله .

وهنا يبدو تأثير الايمان الذي يغمر القلب فيضيء ويشع ويغمر العقل فيتحـرك ويبـدع ـ ويغمـر النفس فتصفو وتستقيم ، ويغمر الانسان كله فيتحول الى رجل صالح بناء ـ ينطلق في الحياة ليحقق رسالته الكاملة الى العـالم كله ، رسـالة الخـلافة في الارض ، واقامة شرع الله على وجه البسيطة .

واما العلم الذي نعني به سلاحا للفرد المسلم فلا يمكن ان يؤدي رسالته ما دامت تلازمه الحرفية والمظاهر ، او الخـرافـة والتقليـد ، او الغـرور والتبجح .

ولن تنفع الدرجات العالية ـ او الشهادات المكتوبة في تأدية رسالة العلم والثقافة ، لا سيما وقد غدت للاسف ـ وسيلة دعائية للكسب والشهرة واصطياد الانصار .
بل لا بد من بعث الثقافة الحقة ، والوصول الى روحها الحقيقية ـ والسير في دربها السوي لكي تطبع الوسط الاجتماعي كله بطابع العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة الكريمة ، والروح المؤمنة .
هذا الطابع هو الذي يعلو فيه الحق على الباطل ، والخيرعلى الشر والعمل على الثرثرة والخلق على النزوة .
اما الوعي ـ فهو حارس للمسلم من الخديعة ، حيث يأمن بواسطته ان يدخل الشيطان الى حصون الفكر باسم العلم ، او يخرب العقيدة باسم التجربة او الواقعية او التقدمية .
وكذلك يامن ان يتحالف الشيطان مع النفس بواسطة المغريات من الجنس والمال والشهرة او اية وسيلة اخرى .
ان الوعي يقظة دائمة ، وحس مرهف ، وبصيرة متفتحة ، والايمان الراسخ يفتح للأنسان آفاقا من الوعي ويوقظ في اعماقه حواس لا يملكها غيره .
والتجربة ايضا توفر الوعي وتزيد من رهافته وقدرته .

اذا كان هذا دور الانسان في معركته الذاتية امام فكره ونفسه وسلوكه وغوايات الشيطان واضاليله في اصعدة الفكر والنفس والسلوك ، فما هو دوره في المعركة الثانية ؟

ان نجاح الانسان في معركته الاولى ـ الذاتية ـ شرط ضروري لدخوله المعركة الثانية ، لانه كيف يصح ان يضم الصف الاسلامي مهزوما امام الشيطان ليكون عونا له في المجتمع ؟ لان هذه المعركة تستنفد كل طاقات الفرد : الزمن والفكر والمادة والجسد معا .
والمبدأ الذي يضبط هذه المعركة ويرسم خطاها هو مبدأ الهي صنع التاريخ على مختلف وجوهه وحضاراته وهو المبدأ القائل : « غير نفسك تغير التاريخ » والذي تضمنته الآية الكريمة : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد / ١١
وعلى هذا لا بد للمسلم من كسب المعركة الاولى ليخوض الثانية او على الاقل لا بد له من مبررات الانتصار في معركته الاولى ما يسمح له ويدفعه لخوض المعركة الثانية معركة المجتمع ، يدعو ويبني ويصلح .
وحين يغير الانسان نفسه من الغواية الى طريق الخير ، ويخلق فيها الاندفاع الرائع نحو الحق ، ويلزمها باتباع طريق العقيدة حينها ، يستطيع دخول المعركة الثانية ولو لم تنته الاولى الى النصر الحاسم . والمعركة في المجتمع لا بد ان تتناول جميع الاشياء المكونة لطبيعة الفرد ـ بصفته كائنا اجتماعيا ـ والاشياء التي تؤدي لنشوء المجتمعات والحضارات .
وهذا يفرض على المسلم دراسة نفسية الكائن الاجتماعي ومعرفة طبيعة ثقافته وعادات مجتمعه ؛ وتقاليده ،

والمؤثرات التي تصنع فكره وسلوكه ، والقوى المؤثرة فيه ـ مع ملاحظة العوامل السلبية التي تعمل لافساده وانحطاطه وبعدها يستطيع تحديد ابعاد المعركة الاجتماعية التي يخوضها ويتسنى له تحديد الوسائل التي ينبغي استخدامها والاساليب الضرورية لسلوكها .

ان هذه المعركة تكتسب جلالا خاصا ، لانها تقيم الحضارات وتهدمها وتحمي كرامة الانسان او تهدرها . وتضمن سلامة الناس اوتفرط بها ، ولذلك كان هذا جهادا مقدسا لا يقوم به الا المؤمنون ولا يصمد فيه الا المخلصون المتقون .

وهناك ركام ثقيل خلفته العصور السابقة : ركام فكري متهلهل معتمد على الخرافة والسذاجة طبع المجتمع بطابعه ، وركام عقائدي مشوه ، بلبل عقائد الناس وضللهم عن الحق .. وركام تقليدي ممتزج بمختلف الاشياء الفاسدة المستوردة من الاجنبي الدخيل وكل هذا لا بد من مواجهته في هذه المعركة .

ثم لا بد من ملاحظة التيار الجديد الوافد علينا من هنا وهناك ، والذي يعتمد على الشهوات والنزوات والمنفعة العاجلة والرفاهية الزائدة والتبعية العمياء لكل جديد والسير الضال وراء الغرب او الشرق وكذلك لا بد من كشف الخداع الماكر في التضليل والافساد والانحراف باسم العلم والواقعية والتحليل والدراسة .

هذه الاشياء بما تحمل من متناقضات واخطاء وبماتتسم به من نظرة سطحية ساذجة الى مظاهر المدنية الحديثة ، تقتضي مواجهة حكيمة واعية للانتصار على اسبابها وظروفها ونتائجها .

ومواجهة المجتمع يقتضي التمسك بصفات معينة لتطبع الفرد المسلم بطابع الحق : كالصبر والخلق ، والثقة بالله ، والجرأة بالحق ، والثبات على المبدأ والاخلاص في العمل و ... وحين يتصف المسلم بهذه الصفات يستطيع خوض المعركتين ـ ويصبح تأثيره فيهما قويا ومجديا حين يعطي من روحه وقلبه ، ويبذل باخلاص ليجني الخير لنفسه ولمجتمعه ، وليصون كرامة الانسان على هدي عقيدته ودينه .

ان مواجهة المجتمع ، وخوض غمار المعركة مع الشيطان على هذا الصعيد لهو الجهاد الضخم الذي ينوء بحمله الضعفاء والادعياء ، ولا يثبت في مجاله الا المؤمنون الصادقون .

انه يحتاج الى توفر العناصر الاساسية للشخصية المسلمة الواعية بعقيدتها واخلاقها وسلوكها والتزامها بهذه العقيدة ، ويحتاج الى الشخصية الرائدة التي سرت في كيانها روح القرآن ا لصحيحة فغدت قرآنا يتحرك ويعمل ويدعو على بصيرة فعليك ايها الاخ المسلم تقع المسؤولية اينما كنت وحيثما وجدت وبيدك سترفع مشعل الهداية من جديد لتنير طريق البشرية الحائرة وتخلص امتك من براثن التخلف والتخبط والضلال .

انك القدر الجديد، قدر رحمة وخير وانتصار قدر شريعة الله العصماء .

دوافع الاستشراق وأهدافه

انه لمن السذاجة القول ان اهداف الاستشراق خدمة العلم الشرقي الا اذا جاز لنا القول ان اهداف الاستعمار هي تحقيق العمار ـ وليس الدمار ـ للشعوب المستعمرة !!ـ ففي كلا القولين كذب صراح .

بل ان اي مستشرق ـ مهما حاول ان يكون عالما ـ لا يستطيع ان يتناول احد موضوعاته بدون ان يضع في اعتباره الحدود الفكرية والعملية المفروضة عليه . فليس في الاستشراق موضوعات حرة من حيث الفكر او العمل ـ كما ان المستشرق مسئول عن تدريب الشبان الجدد بأسلوب يبعث في قلوبهم الاحساس بالامتياز والاولوية المطلقة لكل ما هو غربي ، وبالتالي الاحساس بالازدراء لكل ما هو شرقي .

ومع بداية القرن الخامس عشر ـ كما هو معروف ـ اخذت التجارة الاوربية شكل سيطرة وتحد للعالم الاسلامي ، وبعيد قليل من هذا التاريخ لم يعد الاستشراق ـ الذي صاحب الظاهرة الاستعمارية ـ قادرا على الاحتفاظ بغموض دوره . فبدأ يظهر تورطه مع العمل الاستعماري ، في اكثر من مجال . فهو الذي مهد للسيطرة الاستعمارية ، ونظم المعلومات التي عاد بها المكتشفون ، ووفر الخطوط الاساسية لارشاد الغزاة والفاتحين ، وقدم للشعوب

بين الماضي والمستقبل

للدكتور
عبد الحليم عويس

المقهورة « نظريات » تبرير خضوعهم لاوربا ، وقبولهم « التغريب » واقناعهم بعدم قدرتهم على استيعاب العلوم ، واهمية المحاكاة والتقليد لهم ، ورميهم - اذا لم يقبلوا كل وصاياه تلك - بالتعصب للاسلام . ثم نشر الافكار القومية والوطنية والعدائية للاسلام بينهم ، وحتى الافكار التقدمية !!

ويرى احد الدارسين المعاصرين ان اهداف الاستشراق تتلخص في الآتي :

١ - تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الاسلامية ، عن طريقين :

أ - اضعاف القيم الاسلامية وتأثيرها .

ب - تمجيد القيم الغربية المسيحية .

٢ - توهين الروح الاسلامية في بلاد المسلمين .

لكن الدافع الديني الصليبي لا يحتاج الى جهد في أثباته في عمل المستشرقين ..

فان اكثر هؤلاء المستشرقين من الرهبان والعاملين في حقل التبشير . وقد ظن بعض هؤلاء ان بامكانهم تحويل المسلمين الى النصرانية ، ظانين ان البناء الثقافي للاسلام بناء ضعيف ، وهم وان فشلوا فشلا ذريعا في هذا ، بل ان بعض المستشرقين قد اسلم ، وعلى رأسهم « رينيه جينون ، وجورج او جست فالين »، فضلا عن القسيس المصري الكبير « ابراهيم

خليل احمد ».. الذي ذهب يبحث في اطروحة للدكتوراة عن تناقضات القرآن ، فغلبه القرآن ، واعلن اسلامه قائلا : ان القرآن غلبني !!

اقول : ان المستشرقين ، وان فشلوا في تحقيق هذا الغرض ، فانهم قد نجحوا في تعكير صفاء الفكر الاسلامي الحديث بما نشروه من افتراءات فاضحة ، وما شغلوا المسلمين به من شبهات لا تصمد امام البحث العلمي النزيه ، مستغلين ظروف تخلف المسلمين الفكري وانبهار بعضهم ببعض منجزات الحضارة الاوربية !!

***

لكن هناك في الحقيقة ـ بعد كل هذه الغايات ـ غاية اخرى كبيرة لم يلتفت كثير من المسلمين اليها .

فان البناء الفكري الكنسي ، كما هو معلوم ، بناء غير عقلي ، يعتمد على مجرد التسليم والايمان ، ولا يستطيع ان يثبت حتى اوليات العقيدة النصرانية بالمنطق العقلي .

وحسبنا ان نعلم ان دانتي في « الكوميديا الاهلية » قد وضع محمدا عليه الصلاة والسلام في ادنى مقاعد الجحيم ، وان المستشرق الفرنسي « دير بيلو » وصف الرسول بانه « دجال »، بينما وصفه « لامانس » بأنه « لص نياق » بينما جعلته احدى اللوحات الاوربية احد ثلاثة اساءوا الى البشرية اساءات بالغة وثانيهما ، ابن رشد ، وثالثهما الشيطان !!

كان هذا كله بتأثير التضليل الكنسي الذي ينبعث من الرعب والخوف من الاسلام ، ومن يوم يخضع فيه الاسلام والنصرانية للمقياس العلمي وللنقد التاريخي على سواء .

ولعله لهذا السبب كانت الكنيسة تحرم كتب ابن رشد من جانب ، وتثني على توماس الأكويني ـ وهو ناقل عن ابن رشد مع تحوير لمصلحة المسيحية ـ من جانب آخر .

بل ان الكنيسة قد حرمت تراث ابن حزم الاندلسي ، وتواطأت عليه تماما ، باعتباره احد الرواد الذين قارنوا بين الاديان بمنهج عقلي منطقي في موسوعته المعروفة « الفصل في الملل والاهواء والنحل »».

ان ابن حزم يناقش الاناجيل والعقائد المسيحية بطريقة علمية وعقلية بحتة لا مجال فيها للتجني ولا الحماس .

فمن ناحية الكتب المقدسة يقول ابن حزم « ان النصاري لا يدعون ان الاناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا ان المسيح اتاهم بها ، بل كلهم لا يختلفون في انها اربعة تواريخ الفها اربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة .. أولها : تاريخ ألفه « متى اللاواني » بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح ، في نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط . وثانيها : ألفه « مارقش الهاروني » بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح عليه السلام ، وكتبه باليونانية في أنطاكية ، وثالثها : تاريخ ألفه « لوقا الطبيب » تلميذ شمعون

باطرة ؛ كتبه باليونانية بعد تأليف مرقص المذكور في حجم إنجيل متى ، ورابعها : تاريخ ألفه باليونانية « يوحنا ابن سيذاي » بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة في أربع وعشرين ورقة ثم ليس للنصارى كتاب يعظمونه سوى « الأفركسيس » الذي ألفه لوقا ، وكتاب « الوحي والاعلان » ليوحنا ، و« الرسائل القانونية » ورسالتين لباطرة شمعون ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهوذا ، ورسائل بولس تلميذ شمعون .

وكل كتاب لهم بعد ذلك فهو من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطارقتهم ـ وبديهي أن ما ألفه فرد ـ ونسبه الى الله ـ لا يمكن أن يكون في ثقة ما صدر عن الله مباشرة باللفظ والمعنى ، بدليل ذلك التفاوت في الأساليب والمضامين بين هذه الأناجيل ، حتى في العقيدة ذاتها .

ومن ناحية عقيدة النصارى حول المسيح يناقشها ابن حزم مناقشة طريفة فيقول :

« وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الانسان ، ومرة هو اله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو « في الله » والله فيه ، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ولا تنفذ ارادته ، ومرة هو نبي وغلام الله ، ومرة أسلمه الله الى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك ـ وتولاه هو ، وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعرق من الخوف ، ويفضل فيركب حماره ، ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصعة ويمسكه الشرط ، ويصلب بين ساريتين ، ومات ودفن ثم قام بعد الموت فلم يكن له من هم بعد أن قام الى طلب ما يأكل ثم انطلق الى شغله .

* * *

فكيف كانت الكنيسة ستسمح لهذا الفكر القوي بأن يعبر الى النصارى الخارجين من ظلام العصور الوسطى ، دون أن تضع أمامه أكواما من الأكاذيب تحول بينه وبين أن يناقش مناقشة عقلية سليمة !! وما تخوفت منه الكنيسة ، ووقفت ضده بالأكاذيب الاستشراقية الهائلة ـ قد وقع مع ذلك ، بحيث أصبح موقف الكنيسة من الاسلام موقفا مفضوحا ، فحاولت تغطية موقفها بما أسمته « الحوار المسيحي الاسلامي » متظاهرة أنها تريد أن تفهم الاسلام لتعدل موقفها منه ، بينما هي في الحقيقة خبيرة كل الخبرة بحقائق الاسلام ، وتشويهها للاسلام تشويه متعمد ، يخضع لخطة الوقاية من الاسلام ، ذلك البناء العقلي والفكري والروحي المتكامل المنسجم .

أجل .. ان ما تخوفت منه الكنيسة ، وما رصدت له جيوش الاستشراق ـ قد وقع ، فظهرت مع

ذلك أقوال « برنارد شو » المعروفة ، التي يبدو فيها وكأنه مندهش ، ويقول : « ان كان هذا هو الاسلام فان أوربا ستصبح مسلمة بالضرورة » و« ان محمدا يستطيع أن يحل مشاكل العالم وهو يحتسي كوبا من القهوة » - كما ظهر - كذلك - « مايكل هارت » الذي كان كتابه من أروج الكتب في أوربا سنة ١٩٧٨ ، وهو الكتاب الموسوم باسم « العظماء في التاريخ مائة أولهم محمد صلى الله عليه وسلم » ، بينما كان ترتيب المسيح - عليه السلام - الثالث ، وترتيب موسى الخامس عشر .

فهكذا ، وعلى رغم الكنيسة ، وعلى رغم « دانتي » أصبح محمد الذي كان في أعماق الجحيم ، أول العظماء في التاريخ كله ، باعتراف المسيحي « مايكل هارت » ، وقد اختفت من كتابات المستشرقين المتأخرين النعوت الحادة للاسلام ولمحمد ، ليس خضوعا للمنهج العلمي ، بل لأن هذه النعوت من شأنها أن تسقط الكاتب وأن تكشف هويته .

وما حدث لمحمد عليه الصلاة والسلام حدث للقرآن الكريم ، فظهر موريس بوكاي يثبت أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي يصمد نصه أمام النقد التاريخي ، وأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يصطدم بالحقائق العلمية .

ومع تقدم العلم والمعرفة في الميدان الانساني ، وازالة حمى المشاعر الصليبية التي تؤججها الكنيسة نحو الاسلام ، سوف يتداعى جدار الأكاذيب والتشويهات الذي بنته الكنيسة ، وسوف تعلن - في هذا الوقت - نهاية الاستشراق وسوف يأتي هواة الدراسات الشرقية الاسلامية ، ليأخذوا الاسلام من مصادره الأساسية ، ويتجنبوا الاعتماد على بعضهم البعض ، وكأن ما نفقه السابقون من المستشرقين أصبح حقيقة يجب أن يأخذه اللاحقون من المستشرقين فيتجاهل الجميع المصادر الأولية ، لأنهم لا يريدون معرفة الاسلام كما هو ، بل كما تريده الكنيسة . أو كما يقول الدكتور « ادوارد سعيد » في كتابه عن الاستشراق :

« ان الميل الثابت الى تجاهل ما معنى القرآن أو ماذا يظن المسلمون أنه يعني ؟ أو كيف يفكر المسلمون ؟ أو يتصرفون في مواقف معينة يدل على أن تعاليم القرآن والاسلام قد عرضت بصورة ترضي المسيحيين » .

أي أن هناك تخطيطا استشراقيا مستمرا يهدف الى صياغة « اسلام جديد » « اسلام مسيحي » يفتقد ركائزه الثابتة ، ويضمن الحفاظ على ضياع المسلمين وتخلفهم الحضاري .

وهذا هو الهدف الاستشراقي الثابت ، وهو ما يجب أن تقف الدعوة الاسلامية ضده بكل ثبات وصمود ، لكي تحافظ على « الاسلام القرآني » الذي أنزله الله ، ولكي تعيد الى معالمه الثابتة الواضحة - القافلة البشرية التائهة ، ممن تسموا باسم الاسلام ، وهم أجهل الناس بحقيقته ، أو ممن ينتمون الى أديان ومذاهب أخرى .

حكم الاستفادة من أعضاء الموتى

للدكتور :
محمود ناظم النسيمي

ان الاستفادة من الطعوم المأخوذة من الموتى كانت من نتائج التجارب العلمية العديدة في الطب الجراحي الحديث ، ومن محاسن تطور الجراحة في فروعها المختلفة في صالح الانسان وتخفيف أو إزالة بعض علله وعاهاته المزمنة واعادة الابتسامة والأمل الى نفوس أرهقتها العلة أو كدرها التشويه الذي لحق بها أو العاهة التي لازمتها كفقدان الرؤية بكثافة قرنية العين أو تعطيل عضو بخراب دعامته العظمية .

يخطر لي واقع التقدم الجراحي في ميدان المعالجة . ويخطر لي بحث حرمة الميت وكرامة الانسان في نظر الاسلام ، وتخطر لي أيضا القاعدة الفقهية « الضرورات تبيح المحظورات » فيدفعني ذلك كله الى دراسة شرعية لموضوع الطعوم المأخوذة من الموتى لزرعها في اجسام الأحياء لضرورات علاجية ، وذلك للوقوف على الأدلة التي تشير الى الحكم الشرعي في هذه المسألة .

وأقصد من الطعوم في هذا البحث الطعوم الجنسية وهي ما أخذت من الجنس ذاته ، أي من انسان الى انسان آخر سواء أكان المأخوذ منه حيا ام ميتا ، وهي التي تحتاج الى حكم الشرع فيها ، ومن أمثلتها نقل قرنية العين « البلورة » من ميت توفى حديثا والترقيع بها بديل قرنية موءوفة . وكذلك نقل قلب انسان مباشرة عقب الموت ، بسبب اصطدام مثلا ، الى انسان آخر ليقوم بديل قلبه المعتل كما جرب ذلك في السنين

الأخيرة . ومن أمثلتها الطعوم العرقية التي تنجح اذا كانت جنسية اكثر من الطعوم الاجنبية « أي من اجناس حيوانات مختلفة غير الانسان » التي تؤدي الى ضيق العرق فالى التخثر والغؤور .

وكما ان من الطعوم العظمية ما هو ذاتي فان منها ما هو جنسي . وهناك في بعض البلدان المتقدمة مصارف للعظم تحفظ فيها بعض عظام الموتى لحين الحاجة والطلب . ولكن اكثر الطعوم العظمية استعمالا هي الطعوم الذاتية اي المأخوذة من ذات الجسم .

هذا وان نجاح التطعيم ليس أمرا مطردا ثابتا ، وان اكثر التطعيم نجاحا ما كان في الفتيان . وان الطعوم الجنسية والاجنبية اقل نجاحا من الطعوم الذاتية ، لاختلاف الاخلاط واختلاف المواد الهيولية في الاشخاص ، ولذا كان الطعم المأخوذ من الاقرباء أقرب الى النجاح . وتعلل خيبة التطعيم بتخثر الدم في عروق الطعم وامحاء الاعصاب وقصور التوعية وفعل المواد العضوية السام وفعل الكريات البيض التي تلتهم الطعم كأنه جسم اجنبي .

ومن المهم جدا أن أشير الى أمر واقعي له مساس بالفتوى وهو أن الطعوم الجنسية لا تؤخذ من انسان ميت الا بعد التأكيد من وفاته ، حتى ولو كان محكوما عليه بالاعدام أو مصابا باصطدام وغلب على ظن الاطباء دنو أجله . وتستعمل بعض الدول المتقدمة جهاز تخطيط الدماغ ليدل على تمام فقدان الحياة وذلك حفاظا على كرامة الانسان وتمسكا بالقيم الاخلاقية النبيلة .

اما اذا عمد بعضهم الى استئصال العضو المطلوب قبيل الوفاة المتوقعة في الظروف السابقة ، او الى استئصاله من محكوم عليه بالاعدام قبيل تنفيذ الحكم فذلك يتنافى مع القيم الاخلاقية وتعاليم الاديان السماوية ، لأن الأجل غيب لا يعلم بشكل قطعي متى ينتهي ، وقد تأتي البراءة او العفو او ما يوجب درء الحد في اللحظة الأخيرة ، وليس من الانسانية ولا من التعاليم الربانية أن يقدم على طلب منفعة غير مضمونة على حساب مصلحة وحياة إنسان آخر .

كرامة الانسان :

تحدث القرآن عن هذه الكرامة في قوله تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ .

من أجل هذا التكريم نص معظم الفقهاء على طهارة الانسان حيا كان أو ميتا ، مؤمنا كان أو غير مؤمن ، ولم يدخلوا لحمه في مفهوم الاطعمة وتقسيمها الى حلال وحرام أيا كانت سلالته ولونه ودينه وبيئته ، وذهب معظمهم الى عدم جواز تناول لحم الآدمي الميت ولو في حالة الاضطرار .

ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يواري كل ميت حتى قتلى الكفار . ونهى عن المثلة اي عن التمثيل بجسم اي ميت او قتيل ولو قتل قصاصا او قتل في صفوف الكفار .

ومن أجل كرامة الانسان واحترامه نص فقهاء المذهب الحنفي على عدم جواز بيع شعر الانسان للنسيج كما يباع وبر الجمل وصوف الغنم ، وعدم جواز الارضاع بعد انتهاء مدته لأن لبن المرأة جزء آدمي وهو محرم وقد أبيح للرضاع للضرورة فيقتصر على المدة المحددة ولا يعدوها .

ان كرامة الانسان تقتضي احترام انسانيته حيا كان أم ميتا فلا يجوز بعد موته ان يوجه اليه الايذاء بمظهريه المادي والمعنوي من جلوس على قبره او سبه أو كسر عظمه ، روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » (اسناده على شرط مسلم كما في بلوغ المرام للعسقلاني) وزاد ابن ماجه من حديث أم سلمة رضي الله عنها « في الاثم »ان تعمد كسر عظم الميت يدل على الاستهانة او قصد الاهانة للميت لأن من يقدم على فعل ذلك ، انما يفعله اما لضعف تقديره كرامة الانسان ، واما لسوء طويته وقوى حقده على الميت صاحب العظم المعتدى عليه فيكسره اهانة لصاحبه وشفاء لغيظ نفسه ، وقد نهى الشارع عن ذلك وعن فعل كل ما يؤذي الاحياء في الاموات .

وبعد هذا البيان الموضح لمنزلة كرامة الانسان في نظر الاسلام ؛ قد يقع في نفس العالم او المثقف ان الاستفادة من اعضاء الميت في عمليات الزرع محرمة فيقول : اين تكريم الانسان واين احترامه اذا عبثنا بجسده بعد موته شقا ونزعا ورتقا كأنه شاة مذبوحة او نسيج للتفصيل نستأصل منه اجزاء لنعطيها الى حي قد يمسك جسمه ذلك الطعم ، وقد لا يقبله مضيعا اتعاب العملية ومخيبا لها .

أدلة اباحة تلك الاستفادة :

ان قوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**) الانعام/ ١١٩ عام مطلق لم يطرأ عليه تخصيص ولا تقييد ، فيشمل الاضطرار كل انواعه سواء أكان لضرورة التغذي أم لضرورة التداوي ام لغير ذلك . ولذا اتفق فقهاء الحنفية والشافعية على جواز التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة بفقدان الدواء المباح المفيد .

ولم يقل الفقهاء الاولون بأن موتى الآدميين لا تمسهم أحكام الضرورات ، بل نرى لهم أحكاما أجازوا فيها شق جوف الميت لضرورة استخراج مال او جوهرة ابتلعها قبل موته ، او استخراج جنين حي يرجى بقاؤه حيا . ارجع اذا شئت الى كتاب المجموع للامام النووي (جـ٥ ص٢٦٦ ـ ٢٦٨) والى حاشية ابن عابدين (١/ ١٦٦) والى فتوى العالم الكبير الشيخ يوسف الدجوي في جواز تشريح الميت ورده على رد (في المجلد

السابع من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥ هـ ص ٣١ ـ ٤١) وفيها ينقل عن مذهب المالكية والحنابلة ايضا وينقل عن ابن قدامة الحنبلي في شرح المغنى (جـ٢ص٤٠٧) في فصل عقده في بيان ما اذا كان الميت في بئر فيه بخار خانق بأن انعدم الاوكسجين ، ينقل قوله : وان لم يمكن اخراجه الا بمثلة ولم يكن الى البئر حاجة طمت عليه فكانت قبره ، وان كان طمها يضر بالمارة اخرج بالكلاليب سواء افضى الى المثلة او لم يفض لأن فيه جمعا بين حقوق كثيرة ، نفع المارة وغسل الميت ، وربما كانت المثلة في بقائه اعظم لأنه يتقطع وينتن ... كما أفتى الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية بجواز تشريح جثث الموتى لضرورة التعليم وضرورة التحقيق الجنائي . (فتاوى شرعية وبحوث اسلامية ـ المجموعة الثانية ص٢١٩).

الجواب على موهمات الحظر :

يشمل عدة نقاط :ـ

١ ـ ليس في مقاصد اخذ الطعم من الميت ما يتضمن اهانة او تحقيرا ، ولا في نية الطبيب أو المريض ذلك . بل انه تكريم بابقاء جزء من جسده حيا يحمله حي آخر يذكره ويدعوله بخير ، كلما تذكر نعمة صحة عضوه الذي استفاد من الميت . فكأنه من الصدقة الجارية ، وخاصة اذا أوصى صاحبه قبل الموت بالاستفادة من اعضائه في صالح الطب والمداواة محتسبا اجره عند الله تعالى .

٢ ـ ليس في طريقة التطعيم ما يحمل صورة التمثيل ولا معناه ، فالتمثيل انما يكون للتشفي والانتقام ولذا يكون مثيرا لاحقاد اقارب المتوفي ولزيادة احزانهم . وليس في هذا المقام انتقام وانما استعانة ثم تذكر بخير . والتمثيل يشوه ، وفي التطعيم يجري العمل كأنما يجري على حي من شروط الطهارة والتعقيم والشق والاغلاق والخياطة وكأنما الأمر عملية جراحية عادية .

٣ ـ ليس التشبيه في قول رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه : « كسر عظم الميت ككسره حيا » مرادا منه كل الوجوه لأن كسره حيا يؤلم وكسره ميتا لا يؤلم ، فما لجرح بميت ايلام ، والكبش اذا ذبح لا يضره السلخ ، وقد وردت احاديث بأن بعض من كان قبلنا امر اولاده باحراق جثته بعد وفاته « البخاري ٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ باب قوله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) فالوجه المراد من التشبيه في ذلك الحديث إذاً هو الاثم في الاهانة والبعد عن مظهر الاحترام كما صرحت بذلك رواية ابن ماجة في الاثم وكما فهم ذلك الامام مالك رحمه الله تعالى عند روايته حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الموقوف عليها : « كسر عظم المسلم ميتا ككسره وهو حي » فقال : تعني في الاثم . « الموطأ » .

ان كسر عظم الميت يفعله من يفعله اما خطأ ، واما غلطة واستهانة بحرمة الآدمي ، واما اهانة واستشفاء لغيظ

الصدر بسبب عداوة سابقة . فالفعل الخطأ مرفوع اثمه ، واما العمد ففيه اثم . ولكن العمل الجراحي في أخذ الطعوم خال من الاستهانة والاهانة ، كما انه يجري في الحالات العلاجية الاضطرارية ، ومن المعلوم ان الضرورات تبيح المحظورات . وبالاستناد الى هذه القاعدة الفقهية المستنبطة من الآية الكريمة المستثنية لحالة الاضطرار يمكن الجواب على كل حكم فقهي يمس الحالات العادية غير الاضطرارية ويستشهد به متوهمو الحظر .

هل توجد شروط مع الاباحة :ـ

بما ان الضرورات تقدر بقدرها ، فيمكن دفعا للشطط والاساءة في اخذ اعضاء او اجزاء منها من الميت ان تشترط امور لذلك ، وان ينظم العمل والاستفادة بقانون يضمن سلامة المعاني الانسانية وكرامة المتوفي وحقوق ذويه . واني اقترح في هذا المجال الشروط التالية :

١ ـ رضى المتوفي بذلك قبل موته صراحة او ضمنا . ففي الرضى تمكين لمعاني كرامة الانسان وحرمته وبعد الأذى المعنوي عنه ومنع زيادة الاحزان على ذويه . ويكون الرضى الصريح بوصيته التي يوصي فيها بجزء منه بعد موته لشخص معين او اشخاص معينين ، او يطلق ذلك لابناء دينه او جنسه ، او يطلقه للتشريح وللتجارب في سبيل التقدم الطبي العلمي العلاجي .

ويكون الرضى الضمني كما في المثال التالي : لو اشترطت الحكومة في اعطاء الدفتر الصحي للمعالجة مجانا في مشافي الدولة ان يكون لها الحق في الانتفاع باجزاء الميت حامل البطاقة الصحية لضرورة التداوي اذا توفي في مشافيها ، وبشرط ان تكون فائدة الاستفادة عائدة لفقير آخر حامل للبطاقة الصحية . فيكون قبول المرء للدفتر الصحي المجاني رضى بشروطه ومنها أخذ اجزاء منه بعد موته .

٢ ـ توافق الدين في المعطي والآخذ ، وهذا الشرط قابل للمناقشة اذا لم يتوفر بتذكر قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » .

٣ ـ ان يتبع في طرق انتزاع ذلك الجزء الاصول الانسانية والآداب الاسلامية . ولذلك اذكر زملائي الاطباء الجراحين والاطباء الشرعيين ، وأساتذة التشريح واخواني الطلاب الذين يتدربون على التشريح في جثث الموتى ، ان الضرورة تقدر بقدرها فلا تكشف عورة الميت الا عند ضرورة التعليم على ناحيتها ، فلا تكشف حين العمل على ناحية الوجه او الساعد او الصدر مثلا . وعلى العاملين في دور التشريح والطبابة الشرعية ، ان يسلكوا في نقلهم للميت وفي وضعه الآداب التي يعاملون بها الاحياء ممن يحبون .

وأترك للسادة الفقهاء التوسع والتفصيل في الشروط المستقاة من تعاليم الاسلام وروح شريعته .

أسأله تعالى ان يوفقنا جميعا لخدمة شريعته والتمسك باهدابها .

المبهمات في الكتاب والسنة

للاستاذ
عزالدين
علي السيد

في القرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت الأخبار والأحكام من جهة الاسناد على وجهين : فهي تنسب مرة إلى الأعلام الظاهرة ، أو ما يشبه الأعلام في البيان وتحديد المقصود ، وتنسب أخرى إلى نكرات وأشباه النكرات في الابهام .

وقد ذكر العلماء للتعريف والتنكير دواعي متعددة ، يسوقونها على الأخص في علم المعاني من مصنفات البلاغة ، لا نطيل ها هنا بذكرها ،

ولكن الذي يعنينا في مقالنا هذا ، هو أن العلماء المسلمين بما جبل عليه الانسان من حب المعرفة ، والشغف بالاستطلاع ، واندفاع الأشواق إلى كشف اللثام عن المجهول ، لم يقفوا عند حدود المذكور في القرآن والسنة ، مكتفين بما يستفاد من الخبر في مجال التشريع واستنباط الحكم اللازم لتقويم الحياة ، بل ذهب كثير منهم لاستكمال الحقائق المستورة كل مذهب ، ليعرفوا من نسب إليه الخبر ، أو من كان سببا فيه ، ولعل سبباً من أسباب الابهام دفع الهمم إلى الاجتهاد والتقصي ، وقد جاء الاسلام الحنيف يحث الأفكار على النظر والتأمل والحركة ومحاربة الجمود ، للوصول عن طريق المعلوم الظاهر إلى المستور الخفي .

أنواع المبهم .

وهذا المبهم منه ما يسهل الوقوف على بيانه ، لارتباطه بحادث معروف البطل في الأصل ، فاذا نزل الوحي

بالخبر أو الحكم دون بيان ، عرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن حضر من الأصحاب ، في حق من نزل ، أو بسبب من نزل ، حين يجيء مبهما أو مكنيا عنه .

ومن هنا ، عين الصحابة والتابعون طائفة من مبهمات القرآن ، لاتصالهم بالأحداث ، أو بمن اتصل بالأحداث فعرف المراد بالمبهم .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم**) آل عمران / ٨٦ إذ عرفوا أن مدار الحديث على الحارث بن سويد لشيوع قصته .

(٢) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**) المائدة / ١١ فقد اشتهر في ذلك غورث بن الحارث ، الذي شام السيف في يده ، وهو يريد قتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ظل شجرة قبل نجد كان يستظل تحتها .

(٣) وقوله تعالى : (**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن**) التوبة / ٧٥ فقد اشتهر بذلك عندهم ثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير من بني عمرو بن عوف .

(٤) وقوله تعالى : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**) المجادلة / ١ وقد قالت خولة ـ رضى الله عنها ـ « في وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة » .

ومن المبهمات في القرآن أو السنة نوع يصعب بيانه وهو ضربان :

(١) ما استأثر الحق ـ جل علاه ـ بعلمه ، وهذا لا مطمع فيه من عاقل ، كما جاء في قوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**) الأنفال / ٦٠ فعلم هؤلاء الآخرين مقصور على الله وحده ، ومنه « مفاتح الغيب » التي لا يعلمها إلا هو .

(٢) ما لم يشع خبره لسبق تاريخه أو انطماس حقيقته ، فلا يعرف الا بتوقيف من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ببيان العالم الثبت من أهل الكتاب .

ومن أمثلة ذلك :

(١) قوله تعالى : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**) الأعراف / ١٧٥ فقد بينه أكثر المختصين بالتفسير ببلعم بن باعوراء من طريق الدارسين للديانات السابقة .

(٢) وقوله تعالى :(**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا**) الكهف / ٨٠ فقد بين البخاري عن مثل هذا الطريق أن اسم الملك ـ فيما يزعمون ـ هدد بن بدد ، وأن اسم الغلام جيسور .

(٣) ما جاء في حديث قصة الأخدود

عن الملك والراهب الساحر والغلام الذي آمن ، من أن اسم الملك يوسف نونواس ، وأن اسم الغلام عبد الله ابن التامر .

(٤) ما جاء في حديث قصة جريج العابد من خبر المتكلمين في المهد ، إذ سموا الغلام الناطق لتبرئة جريج بابوس ، وسموا أباه الراعي الواقع بالمرأة صهيبا .

(٥) ما جاء مبهماً في خبر ، ثم بينه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آخر ، كحديث رد الشمس على يوشع ابن نون ـ عليه السلام ـ وحديث أبي رغال ، الذي كان الاخبار بقبره وما دفن فيه من غصن الذهب علامة من علامات النبوة ،وربما كان إلى اليوم في عالم الغيب لو لم يخبر عنه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه .

أسبق المهتمين بهذا الفن

كان أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسبق من وضع أساس فن البيان للمبهم ، وقد أخرج أحمد والبخاري وغيرهما من حديث فروة بن مسيك « وأنزل في سبأ ما أنزل ، فقال رجل : يارسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أم امرأة ؟ قال : ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ،فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة ، وأما الذين تيامنوا : فالأزد ، والأشعريون ، وحمير ، وكندة ، ومذب حج ، وأنمار . فقال رجل : يارسول الله ، وما أنمار ؟ قال : الذي منهم خثعم وبجيلة » .

وعلى سبيل التعيين كان أسبق الصحابة وعلماء الاسلام في هذا الفن حبر الأمة وعالمها : عبدالله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيما روي البخاري ومسلم في الصحيحين أنه قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأل هيبة له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقفت له حتى فرغ ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال : فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك ! قال : فلا تفعل: ما ظننت أن عندي من علم فسلني ، فان كنت أعلم أخبرتك »

كما روي عنه أنه ظل يطلب بيان الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله أربع عشرة سنة ، وقد وصل ـ رضي الله عنه ـ إلى بيانه بعدها ،كما جاء عنه فيما أخرجه أبو يعلي وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات قال : « خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً ، فقال لقومه : احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ـ

صلى الله عليه وسلم ـ فنزل الوحي :(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ... » النساء/ ١٠٠

وعنه ـ رضي الله عنه ـ فيما روى مسلم ـ أنه تماري هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ فقال ابن عباس : هو الخضر ، فمر بهما أبي ابن كعب الانصاري ، فدعاه ابن عباس فقال : يا أبا الطفيل ، هلم إلينا ... »

وهذا الصنيع من الصحابة ومن حبر الأمة على الأخص قد شجع حركة النفس في البحث عن بيان المبهم ، فظهر ذلك عند طائفة من المشتغلين بالتفسير والحديث ورجال المغازي والسير ، مما نراه قد سبق إليه ابن جريج ، والزبير بن بكار ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي وغيرهم ، حتى تكونت طائفة من المعرفة لدى آخرين مكنتهم أن يخرجوها في كتاب ، فأصبح لهذا الفن بعملهم المحمود مراجعه ، يهرع إليها الرواة والفقهاء والمؤرخون ، لما يرون من أن نسبة الأحكام والأخبار إلى المعلوم آكد توثيقا للحقائق وإقناعا .

وهذا الجهد الحميد يظهر لنا في دراسة الكتاب المجيد والسنة الغراء على سواء ، وأول ما يطالع المتقصي منه كتاب **(التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام)** وهو للعالم الجليل عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي المتوفي سنة (٥٨١) هـ ـ يقول في مقدمته مبينا مزية عمله ومعرفا به :

« ... قصدت أن أذكر في هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه العلم : من نبي ، أو ولي ، أو غيرهما . من آدمي ، أو ملك ، أو جني ، أو بلد ، أو كوكب ، أو شجر ، أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقلة الأخبار والعلماء والأحبار ، إذ النفوس من طلاب العلم إلى معرفة مثل هذا متشوقة ، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، وإذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر أبهم اسمه في كتاب ، وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم ويرونه من نفيس بضاعتهم ـ فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ، ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ... »

وقد جاء تلميذه محمد بن علي بن عساكر فذيل على كتاب أستاذه بكتابه (التكميل والاتمام) وعقبهما بدر الدين بن جماعة فجمع بين الأثرين في كتابه (التبيان في مبهمات القرآن) ولعل ختام هذا الفن في مبهمات القرآن كتاب السيوطي (مفحمات الأقران)

أما مبهمات الحديث فأول ما يذكر منها النووي في التقريب (مبهمات عبدالغني بن سعيد) الذي توفي سنة ٤٠٩ هـ ، وهو كتاب كثر نقل العلماء من بعده عنه ، إذ قل منهم من لا يذكره مرجعا لبيان مبهم ، وقد جاء بعده الخطيب البغدادي المتوفي سنة

٤٦٣ هـ فأخرج في الفن كتابه (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) وهو معلمة كبرى في بابها ، إذ يتضمن ثمانية وثلاثين ومائتي خبر ، كشف الابهام عن مبهمها بما ساق من شواهد وبما أيد من حجج ، تدل على جودة حفظ وسعة دراية وواثق علم ، وقد رتب كتابه ــ رحمه الله ــ بترتيب المبهمات على حروف الهجاء ، قائلا في مستهله :

« هذا كتاب أوردت فيه أحاديث تشتمل على قصص متضمنة ذكر جماعة من الرجال والنساء أبهمت أسماؤهم وكنى عنها ، وجاءت في أحاديث أخر مبينة محكمة ، فجمعت بينها ، وجعلت إثر كل حديث فيه اسم مبهم حديثا فيه بيانه ، ورتبت ذلك على نسق حروف المعجم ، والله تعالى أسأل توفيق العمل بطاعته ... »

وقد أثنى عليه النووي ، واختاره لتلخيصه والبناء عليه في كتابه (شرح المبهمات)

ولعل أظهر عمل في الباب بعد كتاب الخطيب هذا ، كتاب (غوامض الأسماء المبهمة ، الواقعة في متون الأحاديث المسندة) للعالم الزاهد المحدث خلف بن عبد الملك بن بشكوال مؤرخ الأندلس ومسندها ، فانه ظل مثابراً دءوبا حتى جمع ثلاثة وعشرين وثلاثمائة خبر ، عقب رواياتها الواردة على الابهام بالروايات المبينة ، وقد التقى مع الخطيب على ما يقارب المائة والعشرين ، وانفرد بالباقي ، وأتى على ما اجتمعا عليه بروايات غير التي استشهد بها الخطيب من جهة الاسناد حينا ومن جهة المتن حينا ، وقد يختلف معه في بيان المبهم مستنداً إلى حجته . وهذا الكتاب مع سابقيه دعائم الفن عند من جاء بعدهم من العلماء ، ولا يعيب ان بشكوال في (غوامض الأسماء) الا أنه لم يرتب المبهمات على أي سنن يسهل انتفاع الطلاب به ، مما حثني على وضع الفهارس التي تيسره .

ومن تتمة الكلام في هذا الباب ، أن يعلم أن لأبي الفضل المقدسي المتوفي سنة ٥٠٧ هـ مختصرا لطيفا في زهاء خمس وسبعين صفحة سماه (إيضاح الاشكال) وهو سريع العطاء لأنه إلى الفهرسة المفيدة أقرب ، إذ لم ير الحاجة إلى ذكر النص والسند والحجة ، فأعطى المبهم وبيانه على طريق اللمحة الدالة لأهل التخصص في الحديث .

وقد جاء ولي الدين العراقي المتوفي سنة ٨٢٦ هـ بكتابه (المستفاد من مبهمات المتن والاسناد) ملخصا ما خلف الخطيب ، وابن بشكوال ، والنووي ، وابن طاهر ، مرتبا كتابه على الأبواب ترتيبا دقيقا ، مراعيا بيان المتفق عليه والمختلف فيه ، مشيراً إشارات خفيفة كافية إلى مصادر الاحتجاج عند كل منهم ، وهو بذلك غنية المتعجل ، الذي تغنيه الاشارة عن طول العبارة .

وممن حبب الله إليهم هذا الفن الحافظ المحقق الملهم شهاب الدين أحمد بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، فقد ألف في المبهمات على الاستقلال كتاب (الأحكام لبيان ما في القرآن

من الابهام) كما يشير إليه كشف الظنون (ص ٢١ : ٢) كما تذكر له المصادر الأخرى وأدلة المكتبات (ترتيب المبهمات على الأبواب) و (الأجوبة الواردة عن الأسئلة الوافدة) وله فصل طويل في (هدى الساري) الذي جعله مقدمة لفتح الباري ، يذكر فيه بيان مبهمات صحيح البخاري على ترتيب أبوابه ، وهو الفصل السابع الذي يقع في زهاء ست وتسعين صفحة ، مع ما له من البيان في شرحه للصحيح عند المناسبات ، وما يضاف إلى ذلك من فوائده وتنبيهاته في بقية كتبه وتخريجاته مثل (تلخيص الحبير) وسواه .

وقد جاء في هذا الفن مع السابقين علماء تذكر مبهماتهم في شروح المتأخرين ــ ولا أحسبها إلا صدى تلك المصادر ــ منها مبهمات البلقيني (الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) و (ترتيب المبهمات على الأبواب) لمغلطاي بن قليج ، و (مبهمات العمدة) للبرماوي ، و (الأحكام) لابن الطلاع .

إن هذا الحشد من الجهود المحمودة ، التي بذلها السادة من علماء الأمة من وقت الصحابة إلى اليوم ، هي الرد الحاسم على المستهين بهذا الفن ، الذي يتهكم بالباحثين عن المبهم ، عاداً ذلك من الفضول ونقص السداد ، رائيا أن مناط الفائدة هو الخبر والحكم في ذاته ، ولا مشاحة منا في ذلك ، وإنما المشاحة في أن يتهم قاصر الهمة واهن العزم ، من وهبهم الله الصبر على استكمال طرق العلم ، وثقابة الفكر لاستكناه الحقائق ، وقد يكون من حسن التوجيه لمثله أن يقرأ في خاتمة مقالنا ، ما قال صاحب المستفاد في مقدمته :

« وكم له من فائدة تستجاد ، أدناها تحقيق الشيء على ما هو عليه ، فان النفس متشوقة إليه ، ومنها أن يكون في الحديث منقبة لذلك المبهم ، فتستفاد بمعرفته فينزل منزلته ، ويحصل الامتثال لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أنزلوا الناس منازلهم » ومنها أن يشتمل على نسبة فعل غير مناسب إليه ، فيحصل من تعيينه السلامة من جولان الظن في غيره من أفاضل الصحابة ، ومنها أن يكون ذلك المبهم سائلا عن حكم عارضه حديث آخر ، فيستفاد بمعرفته : هل هو ناسخ أو منسوخ ، بأن عرف زمن إسلام ذلك الصحابي ، وكان أخبر عن قصة شاهدها وهو مسلم . إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تخفى . »

أما بعد ، فما أحرى هذا الفن بأن يكون له مكان في معاهد الحديث ، وما أجدر هذه الجهود المبذولة فيه بأن تحقق وتنشر ، فانها جانب عامر من جوانب التراث ، لعلمائه الحق في أن ترى أرواحهم ثمر جهدهم حيا في حقول المعارف ، مقترنا بالدعاء لهم والترحم عليهم ، محتفلا به ومستفاداً منه ، وهو شريف بشرف القرآن ، كريم بكرامة السنة ، وبالله التوفيق ومنه السداد ولا حول ولا قوة إلا به .

بين الشريعة الإسلامية والقانون الدستوري

للمستشار

علي عبد اللاه طنطاوي

القانون الدستوري هو فرع من فروع القانون العام الذي يتضمن مجموعة القواعد الأساسية التي تحدد شكل الدولة ونوع الحكم فيها جمهوريا او ملكيا ديمقراطيا أم ديكتاتوريا برلمانيا أو غير برلماني . كما أن هذا الفرع من أفرع القانون ينظم علاقة السلطات بعضها ببعض من حيث التكوين والاختصاص ويقرر حقوق الأفراد وينظم علاقتهم بالدولة وسلطاتها .

وقد تضمنت الشريعة الاسلامية تنظيمات وأحكاما شملت هذا الفرع من أفرع القانون ، إذ أنه بعد تبليغ

النبي صلى الله عليه وسلم رسالة ربه ، وبعد هجرته الى المدينة المنورة بدأ في تكوين المجتمع الاسلامي ، وبدأت بالتالي التشريعات الالهية توحى اليه ، وكان لزاما لذلك تأسيس الدولة الاسلامية التي تحكم بالقرآن والتوجيه الالهي عن طريق الوحي وتقوم فيها حكومة اسلامية يتولى شؤونها الرسول صلى الله عليه وسلم .. يبلغ الناس ما أنزل إليه من ربه ، ويدعوهم اليه ، ويهديهم سبل الرشاد وفي ذات الوقت يدبر أمور المسلمين وشؤونهم على مقتضى كتاب الله ، وما يسنه هو صلى الله عليه وسلم من أحكام في هدى الوحي وتوجيهات الله عز وجل ، ومن ثم فان سنته القولية والفعلية والتقريرية في أمور الدين والدنيا ، كانت هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ كانت تبين ما يحتاج الى بيان من نصوص القرآن وتفصل مجمله وتقييد إطلاقه وتخصص عمومه وتعين الناسخ والمنسوخ منه .

شكل الحكم في الاسلام : ـ لم يشأ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن ينظما شؤون الحكم تنظيما دستوريا معينا وانما اكتفيا بوضع المبادىء العامة والقواعد الاجمالية التي يجب أن تكون الأساس الذي يلتزم الناس به على مر العصور والأيام ، وتركا طريقة اختيار الحاكم وتعيين الولاة ورقابتهم ، وعموما كل ما يتعلق بتسيير أمور الدولة وفق ما يلائم أحوال المسلمين ويتسق مع ظروفهم وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حسب الزمان والمكان شريطة اتفاقها مع مبادىء الاسلام وروحه .

ويمكن القول أن الخلافة هي شكل الحكم في الاسلام ، وهي تعني رياسة الدولة الاسلامية ، وهي واجبة عند جمهور الفقهاء ، وأساس اختيار الخليفة هو الشورى والبيعة ، ولا يشترط حصول موافقة جميع المسلمين ، بل تكفي موافقة غالبيتهم ، كما أنها يمكن أن تتم بأهل الرأي وقادة الفكر في شؤون السياسة ، والاقتصاد ، والزراعة ، والحرب ، والتخطيط ، والتشريع .

المبادىء الأساسية التي يقوم عليها الحكم الاسلامي : ـ يقوم نظام الحكم في الاسلام على مجموعة أسس ومبادىء لا يجد الباحث ثمة عناء في سرعة الوصول اليها من بين دفتي المصحف والسنة النبوية الشريفة وأعمال الخلفاء الراشدين ، الذين نهلوا الحق من فيض النبوة الساطع المتدفق واهم الأسس التي يقوم عليها النظام الاسلامي هي : ـ

١ ـ **الشورى** : ـ من أهم المبادىء التي يقوم عليها نظام الحكم الأسلامي مبدأ الشورى وقد نص عليها القرآن الكريم وجعلها وصفا من أوصاف المسلمين فيقول الحق تبارك وتعالى **(وأمرهم شورى بينهم)** الشورى/٣٨ .

وقد أرست السنة النبوية الشريفة مبادىء الشورى سواء كانت قولية أم فعلية ، أما السنة القولية فهي ثابتة

من قوله صلى الله عليه وسلم « ما شاور قوم إلا هداهم الله وأرشد امورهم » رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

وأما السنة الفعلية فهي أكثر من أن تقع تحت حصر ونكتفي على سبيل المثال بايجاز ما حدث من اتفاق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قائدي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف أثناء غزو الأحزاب للمدينة ، فقد رغب عليه الصلاة والسلام في إغرائهما بعطاء قدره ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهما بمن معهما وتخليهما عن مسايرة الأحزاب في الحصار المضروب على المدينة ، وتم الاتفاق بينه وبين ذينك الشخصين على ذلك وسجلوا هذا الاتفاق ولم يشهدوا عليه أحدا واستدعى الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا : ـ يا رسول الله أشيء أمرك الله لا بد من العمل به ؟؟ أو أمر تحبه فنصنعه ؟؟

أو شيء تصنعه لنا ؟؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هو شيء أصنعه لكم لأن العرب رمتكم بترس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم » . فقال سعد بن معاذ « يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة فكيف وقد أكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم » . فقال الرسول عليه افضل الصلاة والسلام : « انت وذاك » . وناول سعدا الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة .

وقد ترك « القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة طريقة تنفيذ الشورى وكيفيتها دون تحديد حتى يمكن في كل زمان ومكان أن يختار الناس الأسلوب الأمثل والأفضل لهم والذي يقرر ذلك أولو الأمر طبقا لما يحقق مصلحة الجماعة .

وأولو الأمر في الأمة هم أصحاب الرأي وقادة الفكر فيها سواء في النواحي الدينية أو الدنيوية العسكرية أو المدنية الداخلية في الدولة أو الخارجية في القضاء أو الزراعة أو التجارة في الاقتصاد أو السياسة وهؤلاء لا يخفى أمرهم على الناس لما يمتازون به من نضج رأي وبعد نظر للأمور ونفع لمواطنيهم فيكونون موضع ثقة واجلال وتقدير من الكبير والصغير وعليهم الاجتهاد واستنباط الأحكام التي تكفل تنظيم الحياة وخلا الكتاب والسنة من نص ورد فيها

شريطة ان لا تخالف هذه الاحكام المستنبطة كتاب الله او سنة رسوله .

وطاعة أولي الأمر واجبة على الناس بنص القرآن الكريم : (**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**) النساء/ ٥٩ .

ويقول عز وجل : (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه**

منهم) النساء/٨٣ .

وقد ترك للأمة تحديد هذه الهيئة ـ أولو الأمر ـ وشروط تشكيلها واجتماعاتها وعلاقتها بأجهزة الدولة وهي التي تمثل السلطة التشريعية في الدولة .

هذه هي الشورى وأن العالم بأحكام الاسلام الدارس لتاريخه في صدره الأول لا يملك إلا الاقرار بأن هذا النظام ليس ألا ديمقراطية صادقة تحول بين الحكم والاستبداد والدكتاتورية .

٢ ـ **العدل** : ـ العدل مبدأ أساسي من مبادىء الحكم الاسلامي ، ويشمل العدل في الحكم وفي الحقوق وفي الواجبات وعدل الاسلام يشمل الغريب والقريب يشمل القوي والضعيف يشمل الغني والفقير يشمل العدو والحبيب : **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨ **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء/٥٨ **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان)** النحل/٩٠ ويقول تبارك وتعالى **(وإذا قلتم فاعدلوا)** الانعام/١٥٢ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن ربه « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم .

٣ ـ **المساواة** : ـ ساوى الاسلام بين الناس مساواة مطلقة في الحقوق والواجبات دون نظر إلى جنس أو لون أو عظيم أو صغير أو غني أو فقير .

فيقول الحق تبارك وتعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)** الحجرات/١٣ ويقول عز وجل : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/١٠ .

٤ ـ **مسؤولية الحاكم عن أعماله** : ـ لم يحدد الاسلام مدة معينة للخليفة في الحكم وبمقتضى مبادىء الشريعة يستمر الخليفة في العمل ما دام صالحا للقيام به .

قادرا عليه ملتزما بواجباته ، فإن فقد صلاحيته لعجز أو لتقصير وجب عزله وان حكم بما في كتاب الله وسنة رسوله وجبت طاعته إذ يقول جل وعلا : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)** النساء/٥٩ .

وإذا تعارضت أقوال أو أعمال الحاكم مع نصوص الشريعة أو روحها سقطت طاعته عن المحكومين يقول الله تبارك وتعالى : ـ **(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)** الكهف/٢٨ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه » رواه احمد وابن ماجه والحاكم .

والأمر لا يقتصر على عدم الطاعة فحسب بل تجب مقاومته وتقويمه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه الأربعة

واحمد ومسلم

ومسؤولية الحاكم في الاسلام مسؤوليتان الاولى مسؤولية امام الخالق عز وجل المطلع علي السرائر العليم بالنيات : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة/٧ و ٨ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم راع فمسؤول عن رعيته » متفق عليه وقوله عليه الصلاة والسلام « من ولى من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة » رواه احمد والطبراني ويقول « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته الا حرم الله عليه الجنة » رواه البخاري ومسلم .

والمسؤولية الثانية مسؤولية دنيوية فلكل فرد من أفراد الرعية حق مراقبة الحاكم واسداء النصح له وتقويمه والا عزلته وساءلته ولقد أقر خلفاء المسلمين هذا المبدأ وأرسوا صرحه وشيدوا أركانه فها هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول بعد بيعته « قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن اقواكم عندي الضعيف ، حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي ، حتى أخذ الحق منه » .

وعندما رفضت السيدة فاطمة رضي الله عنها بيعته وقالت له « لأدعون عليك في كل صلاة أصليها » خرج باكيا وقال للناس : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله وتركتموني وما انا فيه ولا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي » فقال المسلمون إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك فقال الصديق رضي الله عنه : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة » .

ويأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فيسير على ذلك الدرب وينهج نفس المنهج يقول يوم توليه الخلافة : ـ « إن رأيتم في اعوجاجا فقوموني فيرد عليه احد المسلمين لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بحد السيف فيعقب أمير المؤمنين على ذلك « الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عمر بحد السيف » .

ونراه مرة اخرى يعرض برنامج حكمه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم في خطبة يلقيها ، فيصوره بكل وضوح وظهور واخلاص ويطلب في ذات الوقت النصح والارشاد من أفراد الرعية فيقول « اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدي والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم ، فاتقوا الله وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم » .

ويقول بعد أن ولي أمر المسلمين : « لوددت أني واياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن

استقام اتبعوه وان حنث قتلوه .» فقال له صحبه وما عليك لو قلت « أن يعوج عزلوه » فقال رضي الله عنه « لا ـ القتل انكل لمن بعده » ، ويؤخذ من ذلك انه رضي الله عنه يريد ان ينكل بالحاكم الظالم ليكون عبرة لمن بعده .

وليس للحاكم المسلم أو لأقاربه أو المقربين إليه حق زائد عن غيرهم من المسلمين فهذا ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخصه برد من أبراد يمنية غنمها المسلمون ويخص ابنه عبد الله برداً ، شأنهما شأن أي مسلم آخر ولما كان الثوب الواحد لا يكفي عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقد تبرع له ابنه ببرده ليصنع منهما ثوبا واحدا يكفيه ، ووقف أمير المؤمنين يخطب الناس وعليه ثوب جديد فقال أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فوقف سلمان الفارسي وقال لا سمع لك ولا طاعة علينا فقال له عمر ولم ؟ فقال له سلمان من أين لك بهذا الثوب وقد نالك برد واحد وانت رجل طويل ، فقال عمر يا عبد الله بن عمر ناشدتك الله ، البرد الذي أئتزر به أهو لك ؟ قال عبد الله نعم فقال سلمان الآن مـر نسمع ونطيع .

وجاءت غنائم الى عمر رضي الله عنه وكان فيها طيب فأرادت زوجته ان تقسم الطيب على النساء فقال عمر رضي الله عنه لزوجته أخاف وانت تقسمين عليهن أن ترفعي يدك إلى أنفك وفيها بقية فيحاسبني الله عليها يوم القيامة .

وها هو عمر ايضا يقسم في عام الرمادة أن لا يذوق سمنا ولا لحما ولا عسلا ولا لبنا وعندما أراد بعض الناس صرفه رفض قائـلا : **كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما مسهم** بئس الوالي أنا اذا شبعت وجاع الناس .

ويروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يقسم تفاحا من فيء المسلمين ، فجاء ابن له صغير وتناول تفاحة فانتزعها عمر منه فسعى الطفل إلى أمه باكيا فـأرسلت الى السوق واشترت منه تفاحا فلما رجع عمر الى المنزل ووجد ريح التفاح سأل زوجته هل أتيت شيئا من هذا الفيء ؟ قـالت لا ، اشتريتـه من السوق ، وقصت عليه القصة ، فقال رحمه الله ، والله انتـزعتها منـه ولكأني انتزعتها من قلبي ، لكني كرهت أن أضيع نفسي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين .

وقال ذات يوم سخنـوا لي ماء أغتسل به للجمعة فقيل له انه لا يوجد حطب ثم ذهبوا بوعاء الماء إلى مطبخ المسلمين ، وجاءوا به يغلي ويفـور فسـألهم كيف أمكنهم ذلك رغم عدم وجود حطب ، وهل استعملوا مطبخ المسلمين ؟ قالوا نعم فاستدعى القائم على المطبخ ، الذي أكد له أنه لم يوقد عليه وانما وضعه على جمر لو تركه لأصبح رمادا فسأله عمر بن عبد العزيز عن ثمن الحطب الذي كان قد أوقد النار وأدى ثمنه له .

هذا هو وضـع الحاكم في الاسلام **لا يستحل من مال المسلمين مليما ولا يعمل على استغلال مركزه في جلب**

ومهمة الحاكم الاسلامي لا تقتصر على حماية أمن المسلمين ورعاياتهم وصون مصالحهم فحسب ، وانما هو يحمي الفضيلة أيضا ويحرس الايمان في قلوب المسلمين ولن يتأتى له حراسة الايمان إلا إذا كان قلبه مفعما به لأنه كما يقال وبحق صلاح الرعية من صلاح الراعي .

وان حرص الحاكم المسلم على مصالح المسلمين وتقدير تبعة الحكم ومسؤولياته يدفع ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب الى القول والله لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لسئلت عنها يوم القيامة ، لماذا لم تمهد لها الطريق يا عمر وهذا القول ليس إلا تطبيقا من أمير المؤمنين لروح الاسلام الذي لا يعتبر الحكم وظيفة أو استعلاء وإنما يعتبره خدمة وتكليفا ، وقد حرم الاسلام على الحاكم أن يعمل على زيادة دخله ، فقد أحصى عمر بن الخطاب أموال أبي عبيدة بن الجراح عندما ولاه الشام ، وحذره أن ما زاد منها فهو لبيت المال ، وأجرى عليه وعلى أسرته نفقة كباقي المسلمين .

وإذا أخطأ الحاكم في حق أحد أفراد الرعية واعتدى عليه ، نال جزاءه المقرر لذلك شأنه في ذلك شأن غيره من الافراد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ظهر المؤمن حمي إلا في حد أو حق » رواه البخاري ولأن الاستقرار والأمن لا يكون بالسوط أو السيف ، وإنما يكون بالعدل والحق ولبسطه بين افراد الرعية ، كما قرر عمر بن عبد العزيز في خطابه ردا على الجراح بن عبد الله واليه على خراسان ، والذي كان قد كتب له قائلا : إن أهل خراسان ساءت رعيتهم ولا يصلحهم الا السيف والسوط فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك . ومن بين ما رد عليه أمير المؤمنين : « يا ابن الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم .. الخ لا تقربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا في حق واحذر القصاص » .

واذا خالف الحاكم ذلك واعتدى على احد رعاياه كان القصاص منه وإن في قصة الذمى الذي ضربه ابن عمرو بن العاص لأكبر مثل على ذلك اذ مكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الذمي من ابن عمرو بن العاص وقال لعمرو « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا .. » .

ويروى أيضا أن رجلا شكا أبا موسى الأشعري لأنه أعطاه جزءا من سهمه وأصر الرجل على اخذه كله فضربه ابو موسى وحلق شعره فشكا الى عمر بن الخطاب الذي كتب الى ابى موسى الأشعري قائلا : « ان كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فدعه يقتص منك في خلاء منهم فلما عاد الجندي الشاكي بكتاب أمير المسلمين رجاه الناس أن يعفو عن أبي موسى فأقسم أن لا يدعه فامتثل الحاكم المسلم وقعد يقتص منه الشاكي فرفع الشاكي رأسه الى السماء وقال اللهم قد عفوت .

٥ ـ **النظام** : ـ جاء الاسلام لبناء المجتمع الفاضل فكان طبيعيا أن يكون من أسسه ومبادئه عدم ترك الناس فوضى دون قيادة تسوس أمرهم وترعى مصالحهم وتحمي كيانهم وعقيدتهم .

وقد نهى الاسلام عن الفوضى والفرقة والاختلافات فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأيتموه يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميع فاقتلوه » رواه احمد .

٦ ـ **كفالة الاسلام للحقوق والحريات** : ـ كفل نظام الحكم في الاسلام للأفراد كافة حقوقهم وحرياتهم من حرية فكر وعقيدة وحرية رأي وحرمة مسكن فيقول عز وجل : (**لا إكراه في الدين**) ويقول : (**لكم دينكم ولي دين**) ويقول وهو احكم القائلين : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) ويقول الرسول عليه افضل الصلاة والسلام « افضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر » رواه احمد والنسائي وليس هذا الحديث إلا حضا للمحكوم على إعلان رأيه ، غير أن حرية الرأي في الاسلام لا تعني نشر الأهواء والضلالة والبدع أو الشرك أو الكفر ولا الخوض في أعراض الناس أو إذاعة أسرارهم ولا تعني المجادلة وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ـ

« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل » رواه احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم .

وخلاصة القول ان الحرية في الاسلام تقوم على إطلاق الحرية للفرد في كل شيء ما لم تتعارض أو تصطدم بالدين أو بالحق أو بالخير أو بالمصلحة العامة فاذا تعدت تلك الحدود فانها تصبح اعتداء يتعين وقفه وتقييده .

كما كفل الاسلام للافراد حق الأمن على النفس والعرض والمال ومن ثم كانت التشريعات من حدود وقصاص وتعزير .

وكفل الاسلام ايضا حرمة السكن فيقول عز وجل : (**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**) النور/٢٧ فهذه الآية الكريمة تعني عدم انتهاك حرمة البيوت بدخولها بغير اذن ويتساوى في عدم الدخول الحاكم أو غيره .

منع الاسلام أيضا التجسس على المسكن وفي سبيل حماية حرمة المسكن من التجسس أهدر دية المعتدي عليه ومنع القصاص من المدافع عنه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم ان يفقأوا عينه » رواه احمد ومسلم والبخاري وابو داود إلا انه قال« ففقأوا عينه فقد هدرت » .

هذه هي أحكام الاسلام في هذا الفرع من أفرع القانون والمسمى بالقانون الدستوري ولو تولتها يد الصياغة لاستطاعت أن تخرج لنا من الأحكام الدستورية ما يعجز الفكري البشري عن الوصول اليه .

رواة الحديث

قال الامام أحمد بن حنبل : ستة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم أكثروا الرواية عنه وعمروا : أبو هريرة ، وابن عمر ، وعائشة ، وجابر ابن عبدالله ، وابن عباس ، وأنس . رضي الله عن الجميع

رضاء .. وكره

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرضي لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا : فيرضي لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا .

ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

رواه مسلم

الناس والدعوة

قال تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **فتوكل على الله انك على الحق المبين . انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ، وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** » . الأيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ من سورة النمل .

عز الطاعة

من أراد الغنى بلا مال ، والعز بلا عشيرة ، والطاعة بلا سلطان ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته سبحانه ، فانه واجد ذلك كله .

الزاهدون .. والراغبون

سمع أحد الزهاد شخصا يقول : أين الزاهدون في الدنيا ، الراغبون في الآخرة ؟

فقال الزاهد : ياهذا ، إقلب كلامك ، وضع يدك على من شئت .

ملذات الدنيا

● تبدأ ملذات الدنيا في الظهور عند الصبي برغبته في اللعب ، فهو أحب إليه من كل شيء .

● ثم تتطور هذه الرغبة مع تقدم سن الصبي إلى حب اللهو ، ولبس الثياب الفخمة ، وركوب المراكب الفارهة .

● ثم تتطور هذه المتعة إلى لذة الزينة من النساء ، والبناء ، والخدم .

● ويمضي الانسان مع الحياة تتجاذبه الرغبات الفانية حتى يظن أن المجد في الجاه والرياسة ، والتكاثر من المال ، والتفاخر بالأعوان والأتباع والأولاد ..

● وإذا ما لاحت النذر ، ورأى بعين البصيرة أن كل ذلك زائل لا محالة . عرف أن الخير كله في العطاء لله ، والعمل وفق أمره ، والسعادة كلها في التزحزح عن النار ودخول الجنة .

إلى هذا يشير قوله تعالى : « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » ٢٠ ، ٢١ من سورة الحديد .

الكذاب واللص

الكذاب شر من اللص : لأن اللص يسرق مالك ، وهذا يسرق عقلك .

أسطورة زيفها على تاريخنا العربي الشعوبيون

وفاء

قضى طيطوس وهدريان من قواد الرومان على ثورة اليهود في الامبراطورية الرومانية ففر بعض منهم إلى الجزيرة العربية طلبا للنجاة ، ونزلت طوائف منهم في قرى شمال الحجاز وبنوا لهم بعض الحصون التي أقاموا فيها ، وكان عملهم هو الزراعة وبعض الصناعات وصياغة الذهب على الخصوص ، وكشأن العربي دائما ، وبما فطر عليه من كرم ، قبلهم في مجتمعه العربي ، وأثرى بعضهم ، وصارت لهم أعمال وتجارة وأموال كثيرة .

وكان من الطبيعي أن يتأثروا بالبيئة العربية ، وأن يظهر منهم بعض الشعراء في العصر الجاهلي ، ولعل من أشهر الأسماء التي ترددت : السموأل بن عادياء ، ويذهب بعض الدراسين إلى أنه كان عربيا محضا ، إلا أنه دان باليهودية وآخرون يقولون إن أمه كانت من غسان ، اما أبوه فكان يهوديا .

وكان السموأل يسكن حصنه وكان له فيه قصر يسمى القصر الأبلق ، وكان قد أثرى من الزراعة وأراد امرؤ القيس الرحلة إلى قيصر للاستنجاد به في القضاء على خصومه واسترداد ملك بني كندة من بني حجر ابن عمرو الذي تعاون المناذرة وبنو أسد على القضاء عليه والأخذ بثأر أبيه (حجر) الكندي .

وكان (حجر) سيدا مطاعا في قومه وملكا مبجلا . وكان يلي على أسد وغطفان ، فخرجوا عليه ، ونبذوا طاعته ، ورفضوا دفع الاتاوة إليه

السموأل الأكذوبة

للدكتور/محمد عبد المنعم خفاجي

بتحريض ملوك المناذرة . فحاربهم (حجر) وأخضعهم ، وأباح أموالهم ، وحبس أشرافهم ، فحقدوا عليه ، واغتنموا فرصة فقتلوه .

وحاربهم امرؤ القيس بن حجر ، وحاربوه ولما لم تعد له بهم طاقة عزم على الاستنجاد بملك الغساسنة الحارث الغساني (٥٧٩ ـ ٦٢٩م) ليعينه هو ، أو قيصر ملك الروم ، على تقليم أظافر الملك عمرو بن هند المنذر الثالث (٥٥٤ ـ ٦٦٩م) ملك الحيرة الذي وقع كل شيء بتحريضه ، والذي قتل من أشراف بني كندة ثمانية وأربعين ، قتلهم جميعا في ديار بني مرين ، وقال امرؤ القيس في مصرعهم .

ملوك من بني حجر بن عمرو
يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا
ولكن في ديار بني مرينا

ولم يجد امرؤ القيس صديقا له إلا السموأل ، فذهب إليه ، وكتب السموأل له كتابا إلى الحارث الغساني ، يطلب إليه فيه أن يتوسط لامرىء القيس عند قيصر الروم ليساعده على الانتقام من قتلة أبيه ، وبخاصة لأن ملوك الحيرة ، وهم عمال الفرس ، أعداء قيصر ، وقد ساعدوهم . وأودع امرؤ القيس السموأل دروعه وسلاحه وذهب مع صديقه عمرو بن قميئة إلى الملك الحارث الغساني بكتاب السموأل .

ويبدو أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ من السموأل جاسوسا له

على العرب الشماليين ، لذلك بادر الحارث فقبل كتاب السموأل ، ووصى قيصرا ملك الروم بامرىء القيس ، وسار امرؤ القيس يقصد قيصرا، ولكنه انتابه المرض ، وقال وهو سائر في الطريق :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنـا لاحقـان بقيصـرا
فقلت لـه لا تبـك عينـك إنمـا
نحـاول ملكا أو نمـوت فنعذرا

وصاحبه هـو عمرو بن قميئة الشاعر الفارسي .

ومات امرؤ القيس في الطريق عند أنقرة ، والروايات هنا تختلف اختلافا كثيرا ، ولا داعي للأفاضة في عرضها وتحليلها .

إلا ان الذي يعنينا أن خصوم امرىء القيس طالبوا السموأل بدروع وسلاح غريمهم فأبى ، وقتلوا ابنه من أجل ذلك ، فقيل : أوفي من السموأل . كما تذكر بعض الروايات .

وهنا لابد لنا من وقوف طويل عند هذه الناحية :

ونقـول أخيـرا : لمـاذا قصـد امرؤ القيس السموأل وحده ؟

١ ـ كان في كندة بعض اليهود ، وكانت لهم صلة بيهود شمالي الحجاز وكانوا على صلة بالسموأل .

٢ ـ كان السموأل عينا للملك الحارث الغساني على العرب الشماليين .

٣ ـ استمال السموأل امرأ القيس ودعاه ليذهب إلى الملـك الحارث . ليظهر أمام ملك الغساسنة بأنه يؤدي واجبه نحوهم بعنـاية ومـزيد من الحرص .

٤ ـ من عـادة اليهـود استغـلال الحوادث لكسب مغانم شخصية على حساب الآخرين .

٥ ـ مقاومة المناذرة والنفوذ الفارسي في تيماء أو قريبا منها انتصارا لقيصر الروم ولنفوذ الغساسنة في الجزيرة العربية .

إن اليهـودي لا يعـرف القيم الاخلاقية ولا يعبأ إلا بالمال وحده ، وبمصالحه الشخصية دون سواها .

وحقيقة الأمر أن الملك الحارث الغساني كان يتخذ جواسيس له في كل مكان من شمال الجزيرة العربية ، يبلغون كل ما يدور فيها ، وكان يبسط نفوذه على هؤلاء العمال ، ولما علم الحارث بامرىء القيس طلب من السموأل أن يبعث إلى امرىء القيس بحثه على الرحلة إليه لمساعدته في طلب ملكه ، واسترداد دولة آبائه .

وبسبب ذلك ذهب امرؤ القيس إلى السمـوأل وحـده ، ورهنـه أدرعـه وسلاحه ، ورحل إلى الملك الحارث الغساني .

ولما كان تسليم السموأل لأمانات امـرىء القيس مما يغضب الملك الحارث الغساني عليه فقد أبى ، وعرض ابنه للقتل ، اعتزازا برضاء الملك الغساني عليـه ، وخوفـا من غضبه ، وليظهر نفسه أمام الملك بأنه قادر على أن يؤدي مهمته من أجل الغسـاسنـة .. ومن أجـل تحقيق رغباتهم ومطامعهم وتوسيع نفوذهم ونفــوذ قيصر معهم في الجـزيـرة

العربية .

وهنا يجيء الخلق اليهودي ليستغل هذه الحادثة استغلالا كبيرا للتحكيم لأغراضهم في المجتمع العربي الجاهلي .

فقد جعلت هذه الحادثة وفاء ، وصورت على أنها مثل من أمثلة الوفاء ، وضرب بها وبالسموأل المثل ، فقيل : أوفى من السموأل .

ولم يقتصر الاستغلال اليهودي على ذلك ، بل لقد صنع اليهود القصيدة المنسوبة إلى السموأل صنعا ونحلوها عليه انتحالا ، ومجدوا فيها شخصية السموأل ونفوذ قومه تمجيدا كبيرا ، ثم أذاعوها في كل مكان ، ونشروها في كل ناحية ، ورددوها في كل مجلس ، وأنشدوها في كل جيل .. ودونوها في كل كتاب ، وذكروا معه القصة التي صنعوا حواشيها ، وأفاضوا في جوانبها ، وأطنبوا في سردها إطنابا شديدا .

ثم روى اليهود هذه القصة ومعها القصيدة في كل عصر ، وترجموها إلى كل لغة ، تمجيدا لليهود والعنصر اليهودي ، واستغلالا لها عند الجماهير وعامة الناس .

وإذا كان السموأل شاعرا ، فقد كان ابنه الغريض بن السموأل ، وحفيداه شعبة بن الغريض ، وسعيد بن الغريض شعراء ، وليس هناك ما يمنع من أن تكون القصيدة من صنع هؤلاء وانتحالهم .

ولكن المهم أن القصيدة أضيف إليها أبيات على مر العصور والأجيال ، ورويت بروايات تختلف طولا وقصرا على مرور الأزمان ، ثم سجلها اليهود في ديوان صنعوه للسموأل .

وليس هناك أبلغ في ذلك مما قاله « بروكلمان » في ديوان السموأل : « ربما كان الأرقام (الصفحات) ١ - ٦ بقايا أصيلة من شعره ، وأضيفت إليها أشعار لشعراء اليهود المتأخرين » .

ويقول بروكلمان كذلك « إن المستشرق « هرفبرج » أثبت أن القصيدة رقم (٧) هي لأحد اليهود في المدينة » .

ويقول في قصيدة السموأل أيضا المسماة بقصيدة الحماسة : « الصحيح أن هذه القصيدة لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي » .

ونحن نعلم كذلك ان اليهود قد انتحلوا شعرا لاثبات سابقتهم في الجاهلية ، وأفضليتهم ومجدهم فيها على لسان شعرائهم ، بل وضعوا كذلك شعرا كثيرا أضافوه إلى شعر الشعراء العرب الجاهليين ، ودسوه في دواوينهم .

ومما عاون على ذلك طيبة قلوب العرب وتسامحهم ، وحسن ثقتهم في الناس ، وأن خلقهم كان يمنعهم من سوء الظن بأحد .

وبعد فماذا في هذه القصيدة ؟

لا شيء إلا الفخر ، والاعتزاز بالأصل ، والتمجيد للنفس ، وإحاطة العنصر اليهودي بهالة من التقديس والاكبار .

إن من شأن العربي أنه يكره الحديث عن النفس، فاذا تحدث عنها مفتخرا لم يقل شيئا بعيدا عن الواقع، بذلك كانت (حالة) التمجيد التي تحتوي عليها القصيدة أمرا غريبا على الخلق العربي، مما يدل على أنها مصنوعة ولا ريب لأغراض عنصرية خاصة.

لذلك كانت هذه اللامية الحماسية السموألية:

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

بمثابة إعلان إعلامي مقصود، صنعه اليهود واستغلوه أحسن استغلال على طول عصور التاريخ، وهم في ذلك جد بارعين، وهذه عادتهم على مر العصور والأجيال إلى اليوم.

ولا بأس أن أذكر أخيرا هذه القصة السموألية، المصطنعة التي استغلها اليهود ودسوها في تراثنا العربي القديم دسا:

ويمكن الرجوع إليها في: المستظرف، والغرر، وبلوغ الأرب، وغيرها.

قيل: لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة، فأرسل خصوم امرىء القيس يطلبون هذه الأمانات المودعة عند السموأل، فقال السموأل:

لا أدفعها إلا إلى مستحقها، فعاودوه فأبى، وقال: لا أغدر بذمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء والواجب علي.

فقصدوه بعسكر، فدخل السموأل في حصنه وامتنع به، فحاصروه.. وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفروا به، وأخذوه أسيرا.. وقالوا له: إن سلمت الدروع والسلاح رحلنا عنك، وسلمنا إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحنا ولدك، وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت.

فقال السموأل: ما كنت لاخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنعوا ما شئتم، فذبحوا ولده وهو ينظر.. ثم لما عجزوا عن الحصن رجعوا خائبين، وأحتسب السموأل ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم حضر ورثة امرىء القيس، فسلم إليهم أماناتهم ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه، أحب إليه من حياة ولده وبقائه، وقال في ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إني
إذا ما خان أقوام وفيت

ترى كم من حادثة أروع وأمجد من هذه الحادثة، نسيها تاريخنا الأدبي والعربي القديم.

إلا أن اليهود لم ينسوا السموأل فمجدوه هذا التمجيد، وأشادوا به تلك الاشادة، وصنعوا له ما صنعوا، وكم صنعوا على طول عصور التاريخ من دعايات لهم ولقومهم وبني جنسهم، وبعد: فان تاريخنا الأدبي جدير به أن يقف موقف الناقد الأمين، والباحث الذكي.. وجدير به أن يعي الدرس الذي قام به اليهود بمهارة وحذق، وأن يتدبر أمر تلك الأسطورة التي سارت مع الأيام.

خطبة الجمعة

للاستاذ / ابراهيم النعمة

تسعى الجماهير المسلمة الى مساجد الله كل يوم جمعة ممتثلة امر ربها **(يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** الجمعة/٩ والمسلم ملزم في سعيه لاداء صلاة الجمعة ، ليس له الخيار في ذلك ، لان الآمر بذلك هو الله - جل جلاله - والخطبة التي تكون بين يدي الصلاة انما هي ميزة الجمعة عن بقية الاوقات .

ان خطب الجمعة تتفتح لها قلوب الناس ، ويشعر المسلم بكل الغبطة والسرور حين يسمع التوجيهات الهادفة التي تسمو بهم عن الارض وتخلصهم من مشكلاتها ومتاعبها ، وتصلهم بالافق الاعلى فتزكو نفوسهم ، وتشرق ارواحهم فتحلق في اجواء عالية .. فما اطيب تلك اللحظات التي يجلس فيها المسلم في المسجد بسكينة ووقار ، وخشوع ونظام ، وهو يستمع الى ايات الله واحاديث رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - تتلى وتشرح ، ويستمع الى العظات والعبر ، والتذكير والتعليم ، والترغيب والترهيب ، والامر والنهي .. ثم يقف الجميع في صف واحد متوجهين الى قبلة واحدة ، ومؤتمين بامام واحد ، لغاية واحدة هي التقرب الى الله - عز وجل .

هذه المناسبة الاسلامية التي تتكرر كل اسبوع مرة واحدة ، يستطيع خطيب الجمعة ان يحسن

الافادة منها ، فيبني بهـا النفوس وينور العقول ، ويثبت بها الايمان ، ثم يوجه الناس توجيها هادفا يؤتي ثمرته المرجوة باذن الله !

ان هذا الاثر العظيم الكبير الذي يتركه هذا الاجتماع الاسبوعي في نفوس المسلمين اذا احسن خطباء الجوامع القيام بواجبهم الذي شرعت فريضة الجمعة من اجله قد لمسه اعداء الاسلام ، وتبين لهم اهميته وخطورته فكتب احد المبشرين تقريرا عن اخفاق حركته التبشيرية في البلاد الاسلامية فكان مما قاله في تقريره :

« سيظل الاسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي مادام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن ، والازهر ، واجتماع الجمعة الاسبوعي ، ومؤتمر الحج السنوي » .

ان استفادة الناس من الخطيب امر ذو بال لا يستهان به ، اذ يتحتم على ذلك الخطيب ان يعد نفسه اعدادا خاصا حين يقوم بالقاء خطبة الجمعة ، ومن هذا الاعداد :

١ ـ وحدة الموضوع :

اذا كانت الخطبة في موضوع واحد تمكن الخطيب ان يعرض موضوعه عرضا جيدا مقنعا يرسخ في ذهن السامع . اما الخطبة التي تتناول مواضيع متعددة ، فان السامع يخرج منها مشوش الفكرة تتصارع في ذهنه نتف مقتضبة من هنا وهناك . وفي هذا ـ ايضا ـ تحميل للخطبة ما لا تطيق ...!

نعم قد يستأنس قسم من الناس حين يستمعون الى طرائف كثيرة في مواضيع كثيرة في الخطبة الواحدة ، لكن ذلك الاسلوب لا يؤتي ثمرته المرجوة ، حيث يخرج المستمع صفر اليدين من تلك الخطبة .

٢ ـ عرض الموضوع :

ان عرض الموضوع باسلوب سلس ، وعبارات بينة وكلمات واضحة الدلالة بينة المقصد يجعل المستمع ينشد الى سماعها والاهتمام بها . وهذا هو الاسلوب البليغ الرصين . يقول ابو هلال العسكري :

« وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ، ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا ، واعز مطلبا ، وهو احسن موقعا واعذب مسمعا » .

وفوق ذلك فان وجود عنصر التشويق فيها ، وصيغة الالقاء التي لا تكون على وتيرة واحدة مع اعطاء الجمل حقها في الكلام من الاستفهام والتعجب ورفع الصوت وخفضه

والتحمس عند الضرورة .. كل ذلك يؤدي الى استيعاب الناس للخطبة .

على ان الخطبة التي تؤثر في الناس وتترك اثارا بعيدة المدى هي الخطبة التي تصل المسلم بقرآنه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وتنعش قلبه بمعانيها . وقد تناول القرآن والسنة جميع جوانب الحياة ، لكن الاستشهاد بالسنة لا يكون الا بالاحاديث الصحيحة والحسنة ، اما الاحاديث الموضوعة فلا يحل له ان يروي شيئا منها !

٣ ـ تسلسل الموضوع :

كل خطبة تتالف من عناصر ـ قليلة او كثيرة ـ وهذه العناصر ينبغي ان تتسلسل تسلسلا منطقيا مقبولا كتسلسل درج السلم ، حتى اذا انتهى الخطيب من خطبته يكون المصلون قد ادركوا الهدف الذي يرمي اليه الخطيب .

٤ ـ قوةالحجة ووضوح البرهان

وهو امر ضروري جدا ليقتنع بها السامع ، وليوصد باب الباطل امام اصحابه ، والقرآن الحكيم مليء بتلك الامثلة :

(ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير)
سورة فصلت / ٣٩

٥ ـ تشخيص الداء ووصف الدواء :

على الخطيب ان يشخص الداء تشخيصا دقيقا ثم يصف الدواء بعد دراسته بدقة ، مستشهدا بآيات القرآن واحاديث الرسول وشهادة الواقع ، ويعمل على اقناع المصلين باهمية هذا الدواء ونجاحه !

٦ ـ الابتكار والتجديد :

ان الخطبة الناجحة المفيدة هي التي يكون فيها افكار ومعان جديدة ، وان لا يقتصر الخطيب على اعادة ما يقرأه فقط من غير ان يمحص ذلك تمحيصا علميا دقيقا ، ذلك ان كثيرا ممن يرتادون بيوت الله قد تثقفوا ثقافة اسلامية جيدة ، فهم يقرأون ويتابعون ما يستجد من بحوث تتعلق بالاسلام ، فاذا لم يتابع الخطيب مطالعته فانه لا يؤدي رسالته على الوجه الاكمل ، لان بناءه لم يكتمل حين ترك هذه الثغرة !

على ان الخطيب الناجح ـ فوق ذلك ـ لا يخاطب عقول الناس فقط ، بل ينفذ الى عواطفهم . وهذاالمزج بين الفكر والعاطفة اكثر جدوى وابعد فائدة من مخاطبة العقل فقط ، او الهاب العواطف وحدها !

٧ ـ الواقعية في الخطبة :

وذلك بان تنسجم الخطبة مع

الواقع الذي يعايشه الناس وذلك بالحديث في امراض المجتمع وعلله ، او ما يستجد من اعمال خيرة ، فيتكلم الخطيب في حادثة من حوادث الاسبوع المهمة ، مبينا حسنها او قبحها ، ولماذا وقعت ، وما موقف الاسلام منها ، مقارنا بينها وبين غيرها من الحوادث التي تتصل بها بنسب اوصلة . ولا يكتفي بذلك ، بل يقدم الحلول الاسلامية الصحيحة التي تعالج مشكلات الناس . اما اذا كان الخطيب في واد واحداث الناس والزمان والمكان في واد اخر . فعلى الخطبة وعلى صاحبها السلام !

على ان الخطيب الناجح ـ فوق ذلك ـ يتحسس ما يعانيه الشباب والشابة والشيخ من ازمات فيقدم الحل الصحيح لها ويبصرهم ـ ايضا ـ بالغزو الفكري الذي اندس في اذهان كثير من الشباب ، فزعزع فيهم العقيدة ، وشوه الفكر الاسلامي الصافي ، واثرت فيهم المادية حتى احتلت من تفكيرهم المكان الاول .

٨ ـ الحكمة في الخطبة :

وذلك بان يتحرى الخطيب الطريقة المناسبة التي يسدي نصحه وارشاده من خلالها مراعيا ظروف الناس واحوالهم فان لكل مقام مقالا . وعليه ان يقدمها بصورة جميلة مشرقة ، لا تعنيف فيها ولا تجريح . وقد دعانا القرآن الحكيم الى ان نقول للناس حسنا . وهذا احد الوعاظ يدخل على هارون الرشيد ويغلظ له القول فيرد عليه الرشيد قائلا ما هكذا تكون الموعظة ان الله بعث موسى الذي هو خير منك الى فرعون الذي هو شر مني فقال له ولاخيه : (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى**) طه / ٤٤ وينبغي ان تكون سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه خير اسوة وقدوة لنا !!

٩ ـ تنوع الخطبة :

وذلك بان لا يقتصر الخطيب على مواضيع محددة ، بل ينوع فيها ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وخلفاؤه والصحابة من بعده قد خطبوا في مواضيع متنوعة : فخطبوا في العقيدة والتشريع والحلال والحرام والجهاد ومكارم الاخلاق والاجتماع والاقتصاد ..

١٠ ـ البعد عن القضايا الخلافية :

من الضروري جدا ان تكون الخطبة بعيدة عن القضايا التي اختلف فيها الفقهاء ، ذلك ان ترجيح راي على راي في خطبة الجمعة قد يثير جدلا لا خير فيه ولا فائدة بين المصلين انفسهم . وقد يصل الامر بقسم منهم الى التشاجر والمقاطعة . وما احوج المسلمين خاصة في هذا العصر الى جمع الشتات ورأب الصدع ، وجمعهم على كلمة واحدة .

ان مجال القول في الشريعة

الاسلامية التي هي محل اتفاق بين علمائنا واسع كبير، فلنبتعد عن القضايا التي توغر الصدور ويكون شرها اكثر من خيرها، وضرها اكبر من نفعها!

ان اكبر عمل واعظمه فائدة يستطيع الخطيب ان يقوم به فيقدم النفع كله للمسلمين ان يصون الجبهة الداخلية من التصدع والتفكك .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يخشى على امته من شيء خشيته ان يدب الشقاق بين المسلمين، فيكون بأسهم بينهم!

١١ ـ التكرار في الخطب:

هناك مناسبات اسلامية تتكرر كل عام كمناسبة المولد النبوي الشريف والهجرة والاسراء والمعراج .. ولا بد ان يتكرر الحديث في هذه المناسبات كل عام وتكرار الخطب في هذه المناسبات شيء جميل لا باس به ولا غبار عليه، ولكن المآخذ تنشأ حين يعمد الخطيب الى اعادة الخطبة التي القاها في سنة ماضية بتلك المناسبة من غير ان يغير او يبدل فيها اي شيء كان!

نعم ان كل مناسبة من هذه المناسبات لها جوانب كثيرة، فيستطيع الخطيب ان ياخذ في كل خطبة جانبا من تلك الجوانب ويشبعها درسا وشرحا وايضاحا، حتى اذا كانت السنة الاخرى تناول جانبا اخر من تلك المناسبة وهلم جرا، وبذلك يقدم شيئا جديدا في كل خطبة من خطبه!

١٢ ـ تحديد وقت الخطبة:

على الخطيب ان يحدد وقتا مناسبا في خطبته لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، ذلك ان طول الخطبة يبعث على السأم والملل والضجر، وقصر الخطبة يفوت فائدتها. وخطيب الجمعة رجل حكيم: يضع كل شيء في موضعه المناسب، فهو الذي يحدد وقت الخطبة، مراعيا في خطبته ما يقتضيها من ايجاز او اطناب، فلكل مقام مقال. واذا سلك الخطيب هذا السبيل الحكيم وهذا المقياس الدقيق فقد نجح في مهمته نجاحا جيدا لا تضره معه انتقادات منتقد، مادام قد انتهج هذا النهج القويم.

وبعد:

فان خطبة الجمعة اصبحت الان فنا يحتاج الى خبرة ودراسة، واصبح الخطباء في حاجة ملحة الى دراسة ما يحيط بالمجتمع من افكار مادية، ودعوات الحادية وتبشيرية، ومذاهب هدامة، وان يدرك الخطيب مصدرها وماهيتها وما فيها من سقطات وثغرات، وان يدرس اساليب اعداء الاسلام ويستعملها ضدهم على اسس علمية رصينة مدروسة لا تتعارض وقواعد الاسلام والله يقول الحق، ومنه الهداية والسداد!

الأسرة وفلسفة تكويناتها في الإسلام

للدكتور ـ محمد أحمد العزب

ـ ١ ـ

تنطلق نظرية الاسلام في بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة .

- مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد .
- ومستوى كونها فعلا يتحقق الان .
- ومستوى كونها فعلا قد تحقق .
- ومستوى كونها فعلا استقر على قاعدة صلبة او تعرض لرياح القلق والاهتزاز

ـ ٢ ـ

من المنظور الاول : (كون الأسرة

احتمالا لم يتحقق بعد) .. يحرض الاسلام على تخير نوعية المرأة التي ستصير زوجة للرجل ، واما للأبناء ، ومصنعا لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة ، ونموذجا لسلوكيات نصف الامة المسلمة .. وفي هذا الصدد يوجه الاسلام الى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الاسرة على منطق الحب وليس على منطق الصفقة ، ولعل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة :

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وأنكحوا اليهم » رواه ابن ماجة والحاكم « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وإن أقسم عليها ابرته ، وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله) رواه ابن ماجة .

« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم « تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الامم » رواه ابو داود . (تنكح المرأة على احدى خصال : لجمالها ومالها وخلقها ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » رواه احمد « اربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حوبا في نفسها ولا ماله » رواه الطبراني والبيهقي .

هذه التوجيهات الراشدة والحاسمة معا ، تفرض بالضرورة على المسلم ان يصحح من منظوره في اختيار شريكة الحياة ، وتضعه امام مرحلة الاختيار في منطقة الوعي بأن المال عرض ، وبان الجمال عارية ، وبان الحسب مقياس ترابي ، وبان الدين وحده هو الاساس الحقيقي الذي يمكن ان تقاس به درجة القبول والرفض لانه هو الاساس الحقيقي الذي يعصم المرأة من ان تصبح شريكة بالمال في حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات او شريكة بالانتماء العائلي في حياة عقيدية يمكن ان يضحي المرء في سبيلها بكل الانتماءات اذا تعارضت مع سمته العقائدي او ايمانه المصيري ويبقى الدين وحده جامعا لا يتعرض للتفتت ، وجامعة لا تتعرض للانفكاك .

ـ ٣ ـ

ومن المنظور الثاني : (كون الاسرة فعلا يتحقق لحظة القبول) يحرض الاسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر ، لأن ذلك ادعى الى تمتين اواصر الحب واخلق ببناء الهرم الاجتماعي المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس على عشوائية الربط بين النقيضين .. ان من حق الرجل والمرأة على السواء ان يعرف كلاهما الآخر ، وان يرى كلاهما الآخر وان يجلس كلاهما الى الآخر . في حياطة الاسرة ورعاية المناخ العائلي .. ومن حق الرجل والمرأة على السواء كذلك ان يرضى كلاهما بالاخر ، وان يوافق كلاهما على

الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهي الى حب دائم يظلل مسافات الحياة .. وقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوضعية الصوابية ، في حادثة الفتاة المسلمة التي وفدت على عائشة رضي الله عنها ، تشكو اليها ان اباها زوجها من ابن اخيه ليرفع بها خسيسته .. وحين يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بمن يستقدم له اباها ويلومه على ما فعل ، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض .. فتقول الفتاة (يا رسول الله قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شيء) .. ليس ذلك فحسب ولكن الاسلام اعطى كلا من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق ان تتعادل كفتاهما في هذا اللقاء ، وهو ما عبر عنه المصطلح الاسلامي : بالكفاءة المادية والكفاءة الروحية والكفاءة الفكرية فان ذلك اعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأي والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس في هذه النظرة الاسلامية ما يشي بحس طبقي كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شيء في نصابه الطبيعي حتى لا يفقد اي من الطرفين طبيعة الارض المشتركة التي يقف فيها الى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه امواج الحركة الحياتية في اتجاه شاطيء القرار .. على ان هذه (الكفاءة) محكومة بنظرة كل من الطرفين الى الآخر وسكونه اليه ، ولو كانا من نوعيتي تركيب اجتماعي متفاوت في موازين العرف والمال والاجتماع .

ـ ٤ ـ

ومن المنظور الثالث : (كون الاسرة فعلا قد تحقق بالفعل) يحرض الاسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها ، وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله ، وللوالدين جميعا حقوق على اولادهما وعليهما جميعا واجبات حيال هؤلاء الابناء وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين .. ولحكمة ما لم يترك الاسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استنادا الى وشائح الدم والحب التي تربط بين اولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وجسد نوعية العلاقات بين الجميع في ظل الوفاء بهذه الاطر وفي ظل نقضها جميعا .

وان كان الاسلام قد حرص على شيء قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى في لحظات الانشقاق العقائدي .. صحيح انه حذر الابناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله ، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن اب ضل . او ام حادت ويكفي ان لا نطيعهما في قضية الشرك ، ولنصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفا .. ان الحقوق والواجبات تبدأ ـ في الوجهة الاسلامية ـ من حسن المعاشرة الى كفالة الحق المادي

والحق المعنوي ، الى تبادل الرأي وطرح الاستبداد الى تحديد مناطق النفوذ في البيت الى تأصيل دعائم الصون والاحترام في علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم الى جنة خضراء من جهة والى مملكة محروسة التخوم من جهة اخرى .

ـ ٥ ـ

ومن المنظور الرابع : (كون الاسرة فعلا تحقق ثم تعرض بعد للقلق او بداية الاهتزاز) يحرض الاسلام على تحكيم التعقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات .. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة ـ مع بداية الانشقاق في جدار الحب بينهما ـ في مراحل الوعظ الرفيق والهجر اللاذع ، والزجر المستأني . فاذا لم تفلح هذه العلاجات الاولية لجأ الطرفان الى التحكيم فيما بينهما ، حكم من اهله وحكم من اهلها ، وشرط في الحكمين ان يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم (**ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) النساء / ٣٥ فارادة الاصلاح في الحكمين اولية لازمة بينهما .. فاذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك ، فان الاسلام يعطي مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة او بملامسة مسترجعة ، تعود المياه الى التدفق وتعود الى الشفاه اليابسة بسمة الحب والاخضرار . والا فان بتر الداء في بواكيره اجدى من تركه ليراكم اعطابه في كل اتجاه .

وهكذا .. يلوح .. بلا ادعاء .. ان نظرية الاسلام في بناء الاسرة المسلمة تنطلق من قاعدة اساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر اليها من مستوى كونها احتمالا لم يتحقق بعد فيحرض على ضرورة الاختيار والانتقاء .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق الآن ، فيحرض على التعرف والرؤية والرضى .

وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا قد تحقق بالفعل فيحرض على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب .

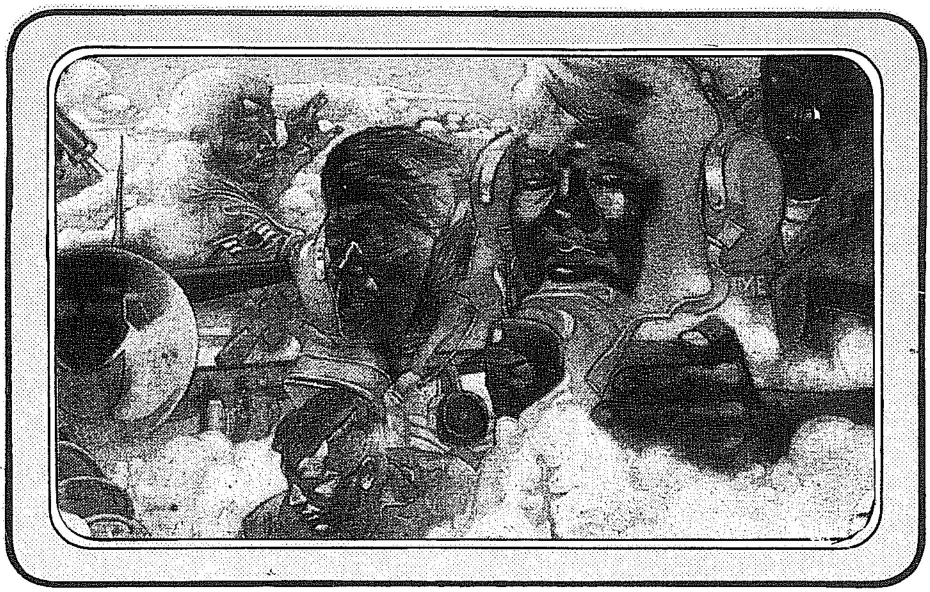
وهو ينظر اليها من مستوى كونها فعلا تحقق ثم تعرض للاهتزاز ، فيحرض على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الاعماق فجر الحب والتواصل من جديد .

ان هذه النظرية الاسلامية لا تنهض على جانب عاطفي مبتوت الصلة بتعقيل الاشياء والعلاقات .. وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلي مبتور الوشائج بتنمية عواطف الحب والرحمة .. ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلي والجانب العاطفي حتى تستطيع ان تحتفظ في لغط الجدل الوجودي لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الانساني بكل ما ينحني عليه هذا التحقق الانساني من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل اولئك في تناغم طبيعي يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودي حميم !!

الهدم

للدكتور / ابراهيم علي أبو الخشب

شر ما تبتلى به الأمم من الأمراض التي تفتك بها فتكا ذريعا بحول بينها وبين النهوض والتقدم ان تدب في صفوفها الحركات الهدامة التي تقاوم زحفها وتعوق مسيرها . وتقف سدا حائلا دون نواياها الطيبة وأعمالها النبيلة ، واتجاهاتها الرشيدة ، او طموحاتها البناءة ، وتطلعاتها الحميدة ، التي لا بد منها لهؤلاء الذين يريدون أن يحتلوا مكانتهم في السماء مع النجوم والكواكب ، ولا يقف هذا الهدم الذي يقوم به اولئك المخربون عند لون واحد بعينه ، ولا اسلوب خاص ، او نمط بذاته ، وانما يكون منهم هذا الهدم على اشكال متنوعة ، وطرق ملتوية ، وفي وضح النهار ، وظلمة الليل ، وفي الامكنة العامة . او المجتمعات المحدودة ، وفي ساحة الدرس ونوادي الرياضة ، وفي المساجد والكنائس ، والنفوس الخبيثة ، والضمائر المريضة ، والافئدة الميتة ، والقلوب المتحجرة والارواح المولعة بالتقويض ، لا يستعصى عليها أن تنفث سمومها وتنصب شراكها . وتصل الى اغراضها من الدمار والهلاك ، اذا ما سنحت لها فرصة أو اتيحت لها مناسبة ، من غير نظر الى اعتبارات او ملابسات ، وربما كان آخر ما يخطر بالبال من هذه كلهع ، ان يكون ذلك الهدم من طريق الثقافة والفنون والعلوم والمعرفة والتهذيب والتقويم ، او ما شاكل ذلك مما من شأنه ان يكون ترميما واصلاحا ، او طريقا الى النور ، ووسيلة من وسائل الارشاد والهداية .. واذا كان للصوص من



افانين الدهاء والحيلة ، والخداع والمكر والتمويه والتلبيس ، ما يساعدهم على ان يتسللوا الى داخل البيوت في غفلة من اصحابها ليسرقوا ما بها من الذخائر والنفائس دون ان يشعر بهم احد . فان لهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وسائلهم التي انفردوا بها والتي برعوا فيها براعة لصوص الخزائن الحديدية ، الذين نقرأ اخبارهم في الصحف والمجلات ، ونقف منها مواقف الغرابة والدهشة ، اذ يجيئون بالكثير من هذه الالوان التي تعتبر بمثابة المعاول في هدم البناء الانساني القوي فلا يلبث بعد فترة من الزمن ان يصبح طللا من الأطلال البالية يثير الأسى والأسف واللوعة والحسرة .. ولقد كنا نقرأ شعر أبي نواس وجحظة البرمكي وابن حجاج وابن مسكرة واضرابهم ممن خلعوا برقع الحياء واشاعوا الأدب المكشوف ونمر بذلك كله مرور الكرام ، ونحمد الله على انها مخلفات متروكة وكان اقصى ما نصيبه من بطون الكتب القديمة عن قصة عاشق كمجنون ليلى لا يعدو أن يكون حنينا الى لقاء ، او لهفة الى اجتماع ، او شكوى من صد وإعراض . او وصفا لمجلس ضمهما . لكن لا يصل مثل هذا الشعر منه ولا من غيره الى درجة أن يكون اثارة للغرائز ولا إهاجة للعواطف ولا انحرافا للسلوك ، ولا افسادا للاخلاق ، ولا تحويلا عن الجادة . ولكننا بعد أن تأدبنا بالادب الغربي وفيه الكثير من المخازي التي لا يبالي اصحابها ان يعترفوا بها للناس . فسدت اذواقنا وانحط إدراكنا وبخاصة حينما عالجنا في الكتابة ما يسمى بالقصة ، وكأنما

وقرفى نفوسنا أن أدبها يقوم على الجنس ويعتمد على الاثارة ، وينادي بطرح القيم والمعايير ، والقوانين والدساتير ، ولا سيما ما يقف منها في طريق الغريزة ، او يحارب الفساد والانحطاط ، او يحول دون اشباع الميول والرغبات وقد كان الهدف للادب منذ اول يوم ان يكون التزاما بالسنن السوى والسلوك القويم ، والخلق الذي لا ينكره الذوق او يأباه ولم تكن القصة بدعا منه . ولا شيئا خارجا عنه . وهي إنما استقلت بهذا الاسلوب الذي يقوم على افتعال الحوادث او افتراض الاشخاص ، والحوار القائم بين الابطال في بعض الأحايين . أو ما شاكل ذلك مما تبنى عليه للمبالغة في تركيز المعنى ، وتأكيد ثبوته . وحب الناس له واقبالهم عليه . فلما انحرفت عن هذا القصد ، وصار الاقبال عليها . والرغبة فيها . للتسلية وقطع الوقت او دفع السأمة والملل او المتعة الوجدانية ، والاستسلام الى حياة لا يسودها الجد ، ولا يتحكم فيها الصدق والحق . كان لا بد أن يجعلها المشتغلون بها ميدانا للهو الرخيص والاسترخاء العقلي النازل ، ومن هنا كان الادب الهدام ، وكان هؤلاء الهدامون والعياذ بالله ... وحين يكون هذا الادب صادرا عن المرأة ، او جاريا في اسلوبها البياني يكون ذلك نذيرا بالخطر وعنوانا على انه أزفت الأزفة ، التي ليس لها من دون الله كاشفة ، لأن للمرأة من أنوثتها وحيائها ، ما عساه ان يجعلها بمعزل عن هذا فهي لا تجاهر بالمنكر ، ولا تظهر بغير المألوف ، ولا تعلن التواءها عن السنن . اللهم الا اذا كشفت البرقع ، وطرحت الغلالة ، ونضب ماء وجهها .. وقد اتيح لي منذ ايام ان اتناول كتابا صغيرا دبجته براعة انثى من اولئك اللائي اشتهرن في المحيط الأدبي بكتابة القصة فقلت في نفسي وماذا على اذا انا تصفحته وسايرت بعض صفحاته لأرى ماذا تقول أمة الله فيه .. وكان الكتاب كله مجموعة من القصص القصيرة ، تولت طباعته ونشره جريدة يومية أعلنت عنه وهيأت الأذهان لاستقباله . بما لا يزيد عليه من التنويه والاعلان . وفي هذه القصص كلها تحريض على الفجور واغراء بالرذيلة ، ودعوة صارخة الى الخروج عن قوانين الاخلاق ، ولا يكاد القارىء ينتهي من القراءة لواحدة منها ، حتى يجد نفسه – رغم أنفه – في داخل ماخور للريبة او بيت يدار للدعارة .. وها هي ذي واحدة من تلك القصص بعنوان « السراب » تتلخص في أن صديقتها « نجوى » استسلمت للنوم لا تفيق منه . كأنما أكلت منوما جعلها تعيش في عالم آخر غير عالم الدنيا وقد شكا منها اهل زوجها مر الشكوى ، فذهبت هي اليها لترى ما بها وهالها انها كذلك وحاولت ان توقظها وتبعث فيها النشاط والمرح . الا انها عانت من ذلك معاناة شديدة . ومع ذلك فانها استطاعت ان تدخل الى قلبها من كلمة « سعيد » التي جرت على لسانها .. وقصة نجوى هذه مجملها انها تزوجت من رجل يكبرها في السن وانجبت منه

بنين وبنات ، وكانت معه كما تكون المرأة مع الرجل في بيت الزوجية ترعى الاولاد ، وتلاحظ شئون المنزل ولا ينقصها من السعادة الا انها مع انسان يكبرها . فهي في بيت يأويها ، ومع رجل يضمها واولاد يبادلونها الحنان والعطف ، ولكنها ينغص عليها هذا العيش انه يلوح لها في الافق شبح رجل فيه من نضارة الشباب وجمال الاهاب ، وبهجة الطلعة واقتبال العمر ، وخفة الروح ، ما يلفت الانظار اليه فتثور فيها نزعة الحسرة على أنه لم يكن من نصيبها هي تترامى بين ذراعيه ، وتنام في أحضانه ، وترتبط به كل الارتباط ، ذلك الشبح هو ضابط البحرية « سعيد » أخو زوجها الذي فقد زوجته ونزل في ضيافة أخيه ، ومعه ابنتاه الصغيرتان وكان من الضروري أن ترعاهما كما ترعى أولادها ثم يكون ذلك كله وسيلة تجعلها تشتغل بسعيد ويثور نزوعها اليه والاشتغال به ..

وفي هذه القصة تتحدث الكاتبة عن الزوج فتقول - على لسان نجوى زوجته - وجاءت الداهية .. كهل .. أصلع قصير .. أقصر مني .. وله كرش ونظارة سميكة - محور حياته هو الطاولة .. ورمية المقهى .. واخذتني تلك الداهية ومشت ..

اما حديثها عن هذا الذي لاح في الافق وهو «سعيد» فهو هكذا .. ثم جاء .. جاء .. هبط على فجأة كأنه رحمة السماء استجابت لدعائي الأخرس .. جاء سعيد .. سعيد ... سعيد ... وضمت ذراعيها بعنف على صدرها كأنه بينهما .. سعيد جاء ... جاء ليعيش معنا .. انا وزوجي تحت سقف واحد .. يجلس جنب اخيه .. ويتكلم معه .. يأكلان ويشربان ويضحكان .. ويقفان جنبا الى جنب .. لأقارن انا واكتوي واحترق .. ويوما بعد يوم لمحت في اعماق عينيه حنانا .. حنانا ، عطشانة كنت انا اليه .. حنانا شغل بالي .. أطاش صوابي .. وصار هو يتباطأ .. يتلكأ في حجرة الطعام .. يدخن غليونه في صمت ويتأملني .. ثم تقول نجوى وقف يسد علي الطريق .. ولكن بعطف .. بفهم .. دعوة خرساء حانية .. صعقت .. تسمرت مكاني .. شعرت بالبركان يزأر في أعماقي .. فخطا خطوة واسعة نحوي وأمسك بذراعي العاريتين يضغطهما ليسندني .. ومسح هو على ذراعي بعطف ، وهو يقول ذراعاك بضتان جميلتان .. وعلى عتبة باب حجرتي تركني .. ورحت في غيبوبة رائعة وحلم جميل بديع رأيتني فيه بين ذراعيه وشفتاه على شفتي .. و ... و ...

وهكذا كانت القصة ولم تكن قصة واحدة - كما قلت - وإنما هي مجموعة قصص من أدب الأنوثة التي تحولت من خضر وحياء ، الى جراة تدل على ان الاناء نضب ما فيه وانه لا أمل في أن يعود اليه الماء واننا هكذا نعيش مع الأدب المكشوف الذي عهدناه من قبل في ابي نواس وانكرناه فلا يسعنا الا ان نقول ادركوا الاخلاق يا حماة الدين والاخلاق ، واضربوا على ايدي هؤلاء اللائي مزقن البرقع .

أيها المسلم

أيـهـا المسلم في شـرق وغـرب حسبـك القرآن منهـاجا وحسبي
هـو نـور الله في أنفسنـا لـو وعينـاه عـلى رشـد وحب
وإذا أشـرقـت النفس بـه اشرق الكون لها من كل صـوب
ورأت فيـه هـدى الله الـذي تبتغي من كـل مشهـود وغيب

***

سله ما شئت عن الـدين يجب او عن الـدنيا اذا كنت رشيـدا
وهل الرشد سوى الوعي الذي جعل الانسان مخلـوقا فـريدا ؟
فتـأمـل آيـه الطـهـر مـعـا انـه جـاء عـلى النـاس شهيـدا
يتجـلى النـور مـن آفـاقـه فتـرى الكـون قـريبـا وبعيـدا

***

واذا انـت تسـاءلـت فلـم تلـق فيـه لسؤال مـن جـواب
فـارجـع الفكـر إليـه كلـه خـاشع القلب بصبـر واحتساب
واعـد ، ثم أعـد ، مستـوعبـا تتفجـر لـك انـوار الصـواب
اتـق الله يـعلمـك ، فمـن يتـق الله يـزل عنـه الحجـاب

***

إنـه بـاق كمـا جـاء بـه سيـد الرسـل ، وهادي العـالمين
جـاء قـومـا مـا أتـاهم قبلـه مـن كتـاب ، فهـداهـم لليقـين
فمضـوا شرقـا وغربـا ، رحمـة لشعـوب الارض بـالحق المبـين
إنـه فتـح قلـوب كـي تـرى سنـن الله ، وبـالله تـديـن

في شرق وغرب

للاستاذ محمد خليفة التونسي

حرروهم من ضلالات الهوى — وعمي الجهل ، وتسخير الطغاه
فتآخوا كلهم في وحدة — يستوي فيها الرعايا والرعاه
خيرهم أتقاهم في نفسه — ومع الناس ، وفي جنب الاله
لا يبالي لومة من لائم — في سبيل الحق ، إذ يحمي حماه

***

سنن لا تعتريها غير — وعليها الكون يمضي في علاه
حثنا القرآن ان نفقهها — لنراها فيه اذ نقفو خطاه
ونراه في سناها مشرقا — حيث يممنا هداها أو هداه
مثل مرآتين : كل واجهت — أختها ، فهي مرايا ، للرؤاه

***

إن لله كتابين هما — صحف الكون ، ووحي الأنبياء
كلمات الله تبدو فيهما — لأولي الألباب ، في أبهى ضياء
فيهما الصدق ، فما ليس له — فيهما أصل ، فزيف ، و رياء
ولو الناس استناروا بهما — لهدوا الحق ، كدأب الاصفياء

***

أيها المسلم ، لا تخنع ، ولا — تتقاصر حيثما واجهت ظلما
انت عملاق مع الله ، على — قدر ما توليه إيمانا وعلما
فاردع الظلم بما يكبته — انت إن سالمته فاض وطما
إنما العزة لله ، فمن — لاذ بالله يزده الله عزما

أوروبا والإسلام

للدكتور
عبد الفتاح الفاوي

من المسائل التي يهتم بها الباحث في الاديان . وخاصة في مجال المقارنة . مسألة التعرف على الاديان في شكلها الصحيح غير المنحرف ، وبموقف نزيه غير متميز . ومن الآمال التي تراود الباحث في هذا المجال ايضا امل تقارب الاديان حتى تأخذ شكلا واحدا **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** آل عمران/ ٦٤ .

ولكن اذا كان التعرف على الاديان امرا ممكنا محتملا فان محاولة جمعها في شكل واحد امر بعيد الاحتمال . **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين)** هود/ ١١٨ ومادام الأمر كذلك فسنحاول في هذا المقام ان نتعرف على المسيحية وعلى الاسلام . او قل بعبارة ادق سنبسط الحديث هنا عن نقطتين : اولاهما : المسيحية كما يدين بها اهلها الان او مدى علاقة ما يدين به المسيحيون الان بالمسيحية

الحقة ؟ وثانيتهما : مدى تصور وطريقة فهم المسيحيين للاسلام .

اما عن النقطة الاولى فان المسيحيين رغم زعمهم انهم مسيحيون يدينون بدين عيسى عليه السلام الا انهم في الحقيقة قد جافوا المسيحية في واقع حياتهم كثيرا . بل لا تكاد تمثل المسيحية الحقة عندهم الان فتيلا ولا قطميرا . فلا يدينون لها او بها في شيء من سلوكهم . ولكن مع ذلك ترى التبشير بها ، والدعوة اليها على قدم وساق . بتخطيط ودراسة علمية لا يختص به موضع دون موضع فبينما تراه هناك في افريقيا بين اهلها البدو تراه هنا في عواصم الغرب حيث يكثر الرواد والسائحون من غير المسيحيين . واذا ما احتككت بهؤلاء المبشرين تجدهم قد اعدوا إعدادا علميا وفنيا عظيما ، وتجد عندهم من الاخلاص في عملهم ما يدعك تتساءل عن العلاقة بين هذا الاخلاص في التبشير وبين نفض القوم انفسهم ايديهم من المسيحية ـ ان احدهم قطع الاميال الطويلة واتاني من جنوب لندن وانا اسكن في شمالها لكي يحضر لي بعض الكتب التي تعرفني بالمسيحية عندما قابلني ذات مرة وعرض علي ذلك . جاءني مرة ومرة ومع انه لم يجدني في شقتي في كل مرة الا انه عندما اتصل بي تليفونيا لم يبد اي غضاضة او يظهر انه تجشم تعبا او ما الى ذلك بل انه في كل مرة قابلني فيها بعد ذلك كان يبدي من الحفاوة والابتهاج قدر ما في المرة السابقة او اكثر . وكم دعاني الى اجتماعات وعرض علي من خدمات في سبيل ان انضم اليهم . نعم ان القوم ينفقون على التبشير بسخاء فقد قابلني وصديقي ذات مرة بعضهم فوقفنا وتحدثنا معهم لحظات قصيرة وعندما هممنا بالانصراف اذ بهم يعطوننا اسطوانات وكتبا وشرائط تسجيل لو اشتريتها بمالي الخاص لأرهقت جيبي .

حقيقة انها معادلة صعبة ان القوم لا يعتدون بدينهم ولا يهتمون به طقوسا وشعائر في الوقت الذي يدعون اليه ويبشرون به بكل حماس ووسيلة .

وبصراحة . ارى ان القوم يفعلون ذلك خوفا من الاسلام . لأنهم يعرفون ما الاسلام ؟ وما دعوته ؟ وكيف يجذب الناس اليه بدون دعاة او مبشرين ؟ ومن ثم فهم يقاومون الاسلام او قل ـ ولعلي لا اكون مبالغا ـ يحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعنيهم الدخول في المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الاسلام . وإن تجرأنا واردنا ان نصوغ لهم مبدأ فمبدؤهم هو لا تدخل الاسلام وكن اي دين شئت ». ولذلك فانهم اكثر ما يركزون على المسلمين يحاولون شدهم من دينهم الى المسيحية ولكن بدون جدوى تذكر . ويعقدون املا كبيرا على بدائيي افريقيا سواء منهم من استقر في تلك القارة او هاجر الى اوربا لأن هؤلاء غالبا ما يكون دينهم غير عميق في قلوبهم ، او يكونون غير ذوي دين اطلاقا . ومن هنا نعرف السر في ان

كثيرا من رواد الكنيسة والاجتماعات الدينية هم من هؤلاء السود الذين وقعوا تحت تأثير الدعاية والاغراء المادي .

ولكن لماذا يخشى القوم من الاسلام كل هذه الخشية ؟ ان الاجابة على ذلك ليست بالعسيرة . فالاسلام فيه من المبادىء ما هي كفيلة بأن تجذب اليها البشر كافة لو نظروا اليها بعين الانصاف ، واستمعوا اليها بأذن العقل ووعوها ببصيرة القلب وهم يعرفون ان ذلك ليس بعزيز على الاسلام قياسا على تجاربه الماضية فقد كان المسلم ينزل البلد - تاجرا - على سبيل المثال - فيتعامل مع اهلها بمبادىء الاسلام فلا يلبث اهلها ان ينقلبوا مسلمين اعجابا بسلوكه واقتداء بعمله . واكثر بلدان افريقية والهند وخراسان وما وراء النهر دخلت الاسلام بهذه الطريقة من غير سيف او فتح كما يزعم هؤلاء أن الاسلام انتشر بالسيف . الاسلام انتشر بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد .

(وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة/٦ .

هم يعرفون ذلك جيدا ويخشونه جدا . وهنا ينبغي ان نشير الى مقارنة بسيطة وهي ان الغرب يستخدم في التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ويرصد لهذا العمل الميزانيات الضخمة . في الجانب الاخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال تبشيرية من الحكومات الاسلامية (فلم ترصد اي حكومة اسلامية حتى الان اية ميزانية لعملية تبشير او دعوة) ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقوامه يعني ان الاسلام يدعو الناس اليه بنفسه بدون داع فيكفي ان ينظر المرء اليه ، وان يعرف ما هو حتى يجد نفسه قد انخرط في سلكه كأحسن ما يكون المسلم ايمانا .

اما هؤلاء فانهم يستخدمون الابواق والطبول والنشرات والكتب ومع ذلك ان وجدوا طلبتهم في شخص فلن تجده يدخل المسيحية بحماس مثل الحماس الذي تجده فيمن يدخل الاسلام . اذ انهم يكتفون منه او هو يكتفي باعلان انه مسيحي لكي يأخذ الخدمة المقابلة لهذا الاعلان من وظيفة او غيرها .

فالاسلام في غير حاجة الى دعاة ، لأن فيه من المبادىء والمقومات ما يغني عن الدعاة والمبشرين . وان كان الاسلام في حاجة الى شيء فهو فقط في حاجة ان يتمسك المسلم بمبادئه فهذا وحده كفيل بهداية غير المسلمين الى الاسلام اكثر من عمل اي داعية او مبشر . فالاسلام يهدي اليه من الناس بمبادئه اكثر ممن يجتذبهم مبشرو المسيحية بكل ما يملكون من دعاية وضجة . ومن يهديهم الاسلام اليه يكونون اكثر ولاء واخلاصا للاسلام من اخلاص وولاء من يجذبهم المسيحيون الى المسيحية للمسيحية .

ونستطيع ان نعلل ذلك وهذا التعليل في الوقت نفسه فرق ثالث بين تبشير المسيحيين ودعوة الاسلام . (لاحظ ان المقارنة دائما بين الاسلام

كداع الى نفسه بمبادئه وبين المسيحيين كأشخاص مبشرين بالمسيحية) وهو ان من يدخل المسيحية تحت تأثير التبشير يدخل لغرض دنيوي كأن يكون مأخوذا بحضارة الغرب ، او محتاجا الى مساعدة اما من يدخلون الاسلام تحت تأثير مبادىء الاسلام فهم يدخلون لغرض ديني بحت . فليس في واقع المسلمين ما يجذب الناس اليهم ، ولم يقدموا خدمة لاحد نظير دخوله الاسلام . فهم يدخلون الاسلام للاسلام وهؤلاء يدخلون المسيحية لما عند المسيحيين من منافع مادية .

هذا عن التساؤل الاول وهو ديانة هؤلاء القوم فهم يزعمون انهم يدينون بالمسيحية ولكنهم ابعد الناس عنها حياة وواقعا وعبادة وطقوسا . وهم جادون في الدعوة اليها ودعوتهم هذه خوفا من الاسلام اكثر من ان تكون ايمانا بالمسيحية .

والآن نود ان نتعرف على فكرة هؤلاء القوم عن الاسلام . ماذا يعرفون عن الاسلام ؟ او ما الاسلام الذي يعرفه هؤلاء ؟

ان كثيرين منهم يعرفون الاسلام كما يعرفه ابناؤه ، ولكن لسبب او لآخر يحاولون تشويه صورته على جميع المستويات ابتداء من اساتذة الجامعات حتى رجل الشارع . فالمتخصصون من اساتذة الجامعات في الدراسات الاسلامية او بعضهم رغم معرفتهم مصادر الاسلام الوثيقة واطلاعهم عليها الا ان كثيرين منهم يدرسون الاسلام من خلال تفاهات وقشور لا تنتمي الى الاسلام الا انها قيلت بلغته العربية فـ « كنابرت » مثلا وهو استاذ بمدرسة « الدراسات الشرقية والافريقية » وله اهتمامات بالاسلام واللغة العربية يعتمد في دراسته للاسلام على بعض المواويل الشعبية ليس هذا فحسب بل يدرسه من خلال بعض الاغنيات العربية الساقطة . ومثل هذا واحد من امرين : اما انه لا يعرف مصادر اسلامية يطلع عليها ويدرس الاسلام من خلالها الا هذه المصادر وعندئذ يكون غير جدير بلقب « طالب » بله لقب « استاذ » واما انه يعرف ـ ولا بد ان يكون كذلك ولكنه يتغاضى ويغض الطرف عنها لمآرب في نفسه فلا يستحق لقب عالم لأن من صفة العالم وشرطه الانصاف والنزاهة العلمية .

واذا كان هذا حال علمائهم فان امر عامتهم على العكس من ذلك . ان كثيرين من عامة الغرب لا يعرفون عن الاسلام الكثير ولا تكاد تعدو معرفتهم له الزواج بالعديد من النساء وقطع اليد والرجم والجلد ـ هكذا لقنوا الاسلام في مهدهم وبهذه الصورة تعلموه في مدارسهم . ومن ثم فانهم ينظرون اليه نظرة خوف منه كسيف مصلت وعقبة كئود في وجه شهواتهم . واكاد اعتقد ان هؤلاء العامة لو وقفوا على الاسلام في شكله الصحيح وقوامه المعتدل وعرفوا مبادئه بوصفها كلا لكانوا اكثر انصافا من علمائهم ولراجعوا انفسهم كثيرا ولدخل

كثيرون منهم في حوزته . لأن عامة هذا الشعب يعيش في فراغ ديني يعطي كل وقته لدنياه حتى ملها او كاد . ويبحث في المسيحية بوضعها الحالي فلا يجد فيها ما يسد فراغه ، او يشبع روحه ، او يعوضه عن المتعة الزائلة بمتعة حقيقية . لأن المسيحية كما هي موجودة بين هؤلاء القوم هزيلة ضعيفة ، لا تقيم اود انسان فاما ان يترهبن وذلك شاق على النفس ، واما ان يعيش كما هو يعيش الآن باستثناء واحد وهو الذهاب الى الكنيسة مرة او مرتين كل اسبوع . هذا كل ما تعطيه المسيحية لهؤلاء . اما الاسلام فغني بما يعطيه لمعتنقيه . يشبعهم من غير ان يشعرهم بالملل . يجذبهم الى حوزة الرحمن من غير ان يقطعهم عن غيرهم من الناس . يصعدهم الى السماء وهم على الارض يمشون ـ الاسلام عطاؤه كثير ومتجدد فالصلوات الخمس كل يوم ، والوضوء قبل كل صلاة ، او قراءة القرآن حينما يتيسر للمرء قراءته والصيام في رمضان وكيفية هذا الصيام (لاحظ ان الصيام في الاسلام فيه من الكيفية ما يجعل المرء طيلة صيامه متذكرا ربه مشدودا اليه بخلاف الصيام في المسيحية الذي تنعدم فيه هذه الكيفية) والحج وغير ذلك من معطيات الاسلام كالاغتسال عند الجنابة ، والتسمية وافشاء السلام ، وغض البصر عطاءات كثيرة كفيلة بأن تملأ فراغ هؤلاء اما المسيحية كما هي موجودة بينهم . ماذا فيها من طقوس ومن ملء فراغ الليل والنهار ؟ ان قراءة الانجيل ليست عبادة عندهم . وصلاتهم ليست فيها المعاني التي تشد الانسان الى ربه فأقصى ما فيها طأطأة الرأس .

فلم يبق امام هؤلاء الا الاسلام يحتضنهم ويحتضنونه وليس معنى ذلك ان نرسل المبشرين الى اوربا للتبشير بالاسلام ولكن يكفي ان يتحلى المسلمون بمبادىء دينهم . وان يبينوها لهؤلاء القوم على وجهها الصحيح .

واظهار الدين الاسلامي على وجهه الصحيح عملية مهمة جدا في مثل هذه البلاد ، لأنه على المستوى العام لا يعرفون عن الاسلام الا الحدود وتعدد الزوجات ، وعلى المستوى التعليمي نجد معرفتهم بالاسلام مشوهة وغير صحيحة لدرجة أنهم يخلطون بين الاسلاميين والبوذيين والهندوسيين فيعتبرون الجميع دينا واحدا . وشد ما دهشت لذلك عندما عرفت هذا الخلط عندهم وعبثا حاولت ان اقنع من كان يناقشني في هذه المسألة منهم بانجليزيتي العرجاء آنئذ اين يكون الاسلام من هذه الاديان . وان كنت اشك كثيرا في ان يكون هذا الخلط عن جهل لا عن مكر .

ايا ما يكن فان القوم وان كانوا يتظاهرون بالحرية الدينية واحترام الاديان الاخرى الا انهم متعصبون للدعوة للمسيحية شديدو الخوف والكراهية للاسلام لأنهم يعرفون أنه الدين الذي يحمل من المبادىء ما يغري بالدخول فيه وان في مبادئه من القوة ما يفوق كل دعاية لهم .

أطوار الجنين في القرآن الكريم

للدكتور/ محمد علي البار

يتحدث القرآن الكريم عن أطوار النمو الانساني في مواضع متعددة .. ويجعلها دليلا قاطعا على إعادة الله الخلق كما بدأكم تعودون .

وقد تحدثت الكثير من الآيات الكريمة عن هذه الأطوار مجملة ومفصلة : (**ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا**) نوح/١٣ و١٤ . قال ابن عباس وقتادة وعكرمة والسدى وابن زيد : معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار الانسان .

(يا أيها ألناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى

ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) الحج/ ٥ .
(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/ ١٢ ـ ١٤ .
(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة/ ٧ ـ ٩ .
(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك) الانفطار/ ٦ ـ ٨ .
(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) آل عمران/ ٦ .

من هذه الآيات الكريمة نستطيع ان نحدد معالم أطوار الجنين الانساني وهي :
١ ـ نطفة ٢ ـ علقة ٣ ـ مضغة مخلقة وغير مخلقة ٤ ـ عظام ٥ ـ لحم يكسو العظام ٦ ـ التسوية والتصوير « خلق آخر » والتعديل ٧ ـ نفخ الروح « وروى عن الامام علي أنه رد على من قال أن العزل هو الموءودة الصغرى قائلا : لا تكون موءودة حتى تمر على التارات السبع : تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر فقال عمر رضي الله عنه : صدقت أطال الله بقاءك » .

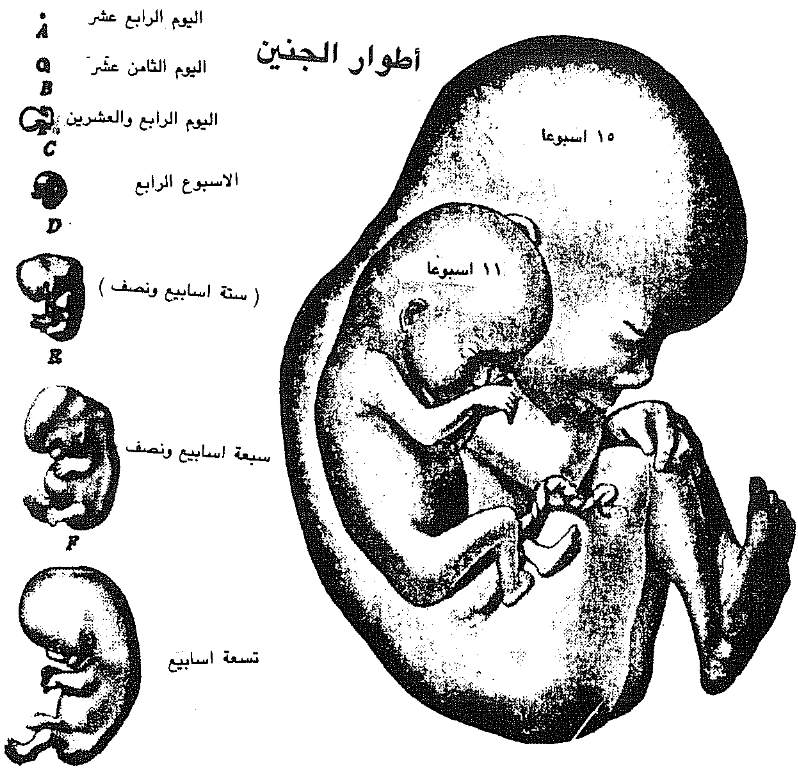
وكما عرفنا فان أول هذه الأطوار هو : طور النطفة .
والنطفة تطلق على ثلاثة أشياء هي :

(١) نطفة الذكر وهي الحيوانات المنوية
(٢) نطفة الأنثى وهي البويضة
(٣) النطفة الأمشاج وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي البويضة الملقحة ، والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الانسان ، حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم .. **(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)** الانسان/ ٢ .
فاذا ما لقحت البويضة وصارت بويضة ملقحة ابتدأت انقسامات متعددة وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق وتتحول البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » إلى ما يشبه التوتة ، فتسمى عندئذ التوتة ثم تتنقل بعد ذلك فتصير مثل الكرة المجوفة ، وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية ويبقى قطر النطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثومية لا يزيد عن ١/٤ ميليمترا .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعا كاملا حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحولت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم .

وتتحول عندئذ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقة .

أطوار الجنين



صورة توضح مختلف مراحل الجنين مع ذكر عمره في هذه المراحل .

وتصوير حجمه الحقيقي ففي اليوم الرابع عشر والجنين في مرحلة العلقة لا يزيد حجمه عن نقطة o وفي اليوم الثامن عشر لا يزيد عن حرف وفي اليوم الرابع والعشرين وقد بدأ مرحلة المضغة ، اقل من حبة القمح او الأرز ، وفي الاسبوع الرابع وهو في قمة مرحلة المضغة لا يزيد حجمه عن حبة القمح . وفي الاسبوع السادس والنصف في أوج تكوين الاعضاء لا يزيد حجمه عن حبة فاصوليا بل أقل من ذلك . وفي الاسبوع السابع والنصف وقد تكاملت الأعضاء تقريبا لا يزيد حجمه عن حبة الفاصوليا او الفول .. وفي الاسبوع التاسع بعد انتهاء فترة الحميل ودخوله الى مرحلة الجنين لا يزيد حجم الجنين عن ثلاثة سنتيمترات (أي ما يزيد قليلا عن البوصة) . وفي الاسبوع الحادي عشر يكون الشكل الانساني مميزا لدرجة لا يمكن ان يخطئها احد .. وتبدأ في هذه الفترة الاعضاء التناسلية الخارجية في التمايز ..

وفي الاسبوع الخامس عشر تستطيع الأم ان تحس حركة وليدها بكل وضوح .. وتكون الأعضاء التناسلية الخارجية واضحة جدا .

العلقة :

هي الطور الثاني الذي تنتقل إليه النطفة .. ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع « منذ التلقيح » عندما تلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .. وتمد الخلايا الخارجية الآكلة معاليق صغيرة متعددة لتلتقي بمثيلاتها الموجودة على الخلايا الطلائية في غشاء الرحم وتتشابك هذه المعاليق ثم تبدأ الخلايا الآكلة في الانغراز وفي قضم خلايا غشاء الرحم حتى تتمكن من الولوج إلى داخل الغشاء .. وتبدأ عندئذ تعلقها بواسطة الخلايا المخلاوية الآكلة التي تتحول إلى الحملات المشيمية وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .

ثم إن الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة وظيفتها العلوق بجدار الرحموامتصاص الغذاء منه .. « وهي تشكل ٩٠ بالمائة من مجموع خلايا الكرة الجرثومية » وكتلة خلايا داخلية « تشكل ١٠ بالمائة من مجموع الكرة الجرثومية » .. وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين .

ويتعلق الجنين بواسطة معلاق يربطه بالغشاء المشيمي « الكوريون » ..

فهناك اذن جملة تعلقات في هذه المرحلة تعلق أولي بواسطة الحملات الدقيقة ثم تعلق ثاني بواسطة الخلايا الآكلة ثم تعلق ثالث بواسطة الحملات المشيمية ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق ..

ولا شك أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق وأن وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد « المتخثر » هو أدق وصف لهذه المرحلة .

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريبا ، ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمثري الشكل ذى ثلاث طبقات متمايزة :

أ - الطبقة الخارجية الاكتودرم
ب - الطبقة المتوسطة الميزودرم
جـ - الطبقة الداخلية الانتودرم

وفي نهاية هذه المرحلة تتكثف الطبقة المتوسطة القريبة من محور الجنين لتشكل الكتل البدنية ويبدأ ظهور أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. وعندئذ تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة .

وفي هذه المرحلة نجد أن الكرة الجرثومية التي كانت قبيل العلوق لا تزيد عن ١/٢ ميليمتر قد أصبحت بعد العلوق بأسبوع واحد فقط ميليمترا ونصف .

وفي نهاية الأسبوع الثالث « منذ التلقيح » يصبح طول اللوح الجنيني « ومن الآن فصاعدا لا يحسب إلا طول الجنين الحقيقي فقط » ميليمترين ونصف .

والطور الثالث حسب التقسيم القرآني هو طور المضغة « الاسبوع الرابع »

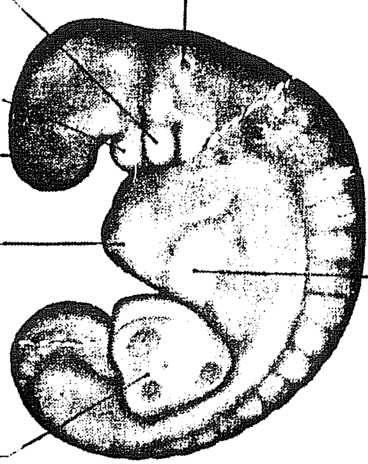
ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح

الجنيني جهة الرأس ثم يتوالى ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين .. ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح .. ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محور الجنين حتى تبلغ ٤٢ إلى ٤٥ زوجا من الكتل البدنية ..

وهذه الكتل البدنية ليست إلا تكثفا لطبقة الميزودرم المتوسطة بجانب محور الجنين .. ويصحب ظهور هذه الكتل ظهور الأقواس البلعومية نتيجة لظهور شقوق وميازيب في الطبقة الخارجية « الاكتودرم » وبروز ونتوء في الطبقة المتوسطة « الميزودرم » .. وتتكون بذلك خمسة أزواج من الأقواس البلعومية في المنطقة العليا من الجنين « تحت قمة الرأس مباشرة » .

ويكون وصف المضغة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة ..

أنظر الصورة حيث ترى الاقواس البلعومية والكتل البدنية وهي تعطى الجنين شكل المضغة ..



صورة للمضغة « في الاسبوع الرابع منذ التلقيح » وتظهر الكتل البدنية بوضوح كما تظهر الاقواس البلعومية .. وفي أسفل الصورة على اليمين حجم الجنين الحقيقي في هذه المرحلة . والصورة توضح ان الجنين في هذه المرحلة يشبه قطعة لحم لاكتها الاسنان ثم قذفتها بعد مضغها . ووصف المضغة أصدق وصف لها .

مرحلة العظام واللحم :

(فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما)

وهي مرحلة تستغرق الاسبوع الخامس والسادس والسابع ..
وتتحول الكتل البدنية إلى جزئين :

١ ـ جزء أمامي وأنسي ويسمى القطعة الهيكلية وهي تكون عظام الفقرات .. كما أن انسياب خلاياه في المنطقة العنقية ٤ ـ ٨ يشكل عظام الأطراف العليا .. وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية « ١ ـ ٥ » والعجزية « ١ ـ ٤ » يشكل عظام الأطراف السفلى .. كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس « الجزء المؤخري القاعدي » من الجمجمة .. وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية « ١ ـ ١٢ » .

وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية .. أما عظام الوجه والفكين وعظام الأذن الوسطى « المطرقة والسندان والركاب » فانها جميعا تشكل من القوس البلعومي الأول .. ويتكون العظم اللامي من القوس البلعومي الثاني ..

ولا يبقى إلا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية « المتوسطة » المتكثفة في قمة الرأس .. والتي تتحول مباشرة من غشاء إلى عظم دون أن تتحول إلى غضاريف .. كما هو معهود في أغلب عظام الجسم .. وقد فصلنا في ذكر هذه المرحلة في فصل العظام والأطراف .

٢ ـ جزء خلفي وظهري ويسمى المقطع العضلي الآدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ ـ آدمي وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة .
ب ـ عضلي وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع ، كما تنساب خلايا هذا القطاع العضلي في المنطقة العنقية « ٤ ـ ٨ » لتكون عضلات الطرف العلوي وفي المنطقة القطنية والعجزية لتكون عضلات الأطراف السفلية .. ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول ان عضلات الأطراف تتكون في موضعها .. ويكون تكون العظام سابقا ولو ببضعة أيام لتكون العضلات .. وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام .

ويقول الدكتور لانجمان في كتاب علم الأجنة الانساني :

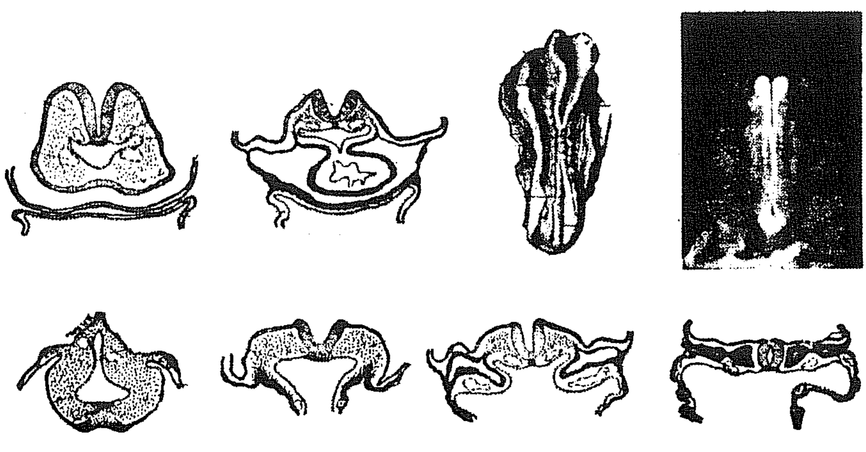
« وفي الاسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح .. وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام » .

وأول علامة على وجود عضلات الأطراف تظهر في الاسبوع السابع وعندما يتحدث عن الفقرات والعمود الفقري يقول :

« وبعد أن تتحرك خلايا القطع الهيكلية إلى الجهة الأنسية مكونة العمود الفقري تعرف الخلايا المتبقية من الكتلة البدنية باسم المقطع الآدمي والمقطع العضلي .

« ونتيجة لتكون جسم الفقرة من قطعتين هيكليتين متجاورتين فان ذلك الالتحام يؤدي إلى تحرك القطع العضلية لتغطيتها » .

ومعنى هذا أن العظام تسبق العضلات .. ثم تكسو العضلات العظام وصدق الله العظيم حيث يقول : (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .



صور للمضغة ومقاطع فيها توضح الكتل البدنية التي تتجمع حول الميزاب العصبي مكونة القطع الهيكلية التي يخلق الله منها الفقرات .. كما ان الجزء الخلفي من الكتل البدنية يشكل القطع العضلية التي تكسو العظام .

ثم أنشأناه خلقا آخر :

وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح ..
والآيات الدالة على التصوير كثيرة منها قوله تعالى :
(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**)
(**ولقد خلقناكم ثم صورناكم**) الأعراف/١١
(**وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير**) التغابن/٣
(**يأأيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك**)
ومن اسماء الله الحسنى المصور (**هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى**) الحشر/٢٤ .

وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده .. فهي تشمل جميع الأعضاء فالأطراف مثلا عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكثف لخلايا الميزودرم « الطبقة المتوسطة » مغطى بغطاء من الطبقة الخارجية الاكتودرم .
ثم تتكون في الطبقة المكثفة من الميزودرم خلايا غضروفية وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج الغشائي .. ثم ما تلبث الخلايا العظمية أن تظهر فتقوم بتفتيت النسيج الغضروفي كما تتكون خلايا آكلة فتأكل الغضاريف وخلاياها ، وتضع الغضاريف عظاما تكون مراكز للتمعظم وينتشر منها التمعظم في أجزاء الهيكل الغضروفي ..

إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة في الجنين بشكل مثير .. إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديدا .. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تتكون الغرف المتتالية الأذين العام والبطين العام وبصلة القلب والجيب الوريدي ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن .. وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضا تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي .

ومن له ادنى المام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تهدم ويعاد بناؤها باستمرار وتتجلى هذه التسوية والتعديل في أجلى صورها في الجنين .. ثم تقل نسبيا بعد الولادة .. ثم تقل كذلك بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى في الشيخوخة .
هناك جهاز واحد فقط لا يشمله التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبي .. فالجهاز العصبي الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب لا تتغير بعد

الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنها تتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها ..
أما قبل الولادة في الجنين وخاصة في الشهر الثاني من الحمل فان التغيير يكون فيها على أشده ..

ففي كل لحظة هناك تغيير في الشكل أو في الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها أو في بناء مجموعة أخرى ..
إن ما يحدث في الجنين شبيه إلى حد ما بما يحدث عند بناء عمارة فهناك السقالات والأعمدة التي تقام ثم تهدم وتزال بعد أداء وظيفتها .. وهناك بناء الأساس أولا ثم بناء الأعمدة والجدران ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الأبواب والنوافذ .. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التبليط والتزيين والتحسين « الديكور » .
ولا يمكن أن تقوم مرحلة التبليط قبل بناء الأعمدة والجدران ولا يمكن وضع الموزاييك والتحسينات قبل إقامة الأبواب والنوافذ .. وهكذا كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها ..
وكذلك في بناء جسم الانسان . كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها .. وما استخدم من أدوات في المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلابد من إزالته حتى لا يعيق الطريق .
هذه باختصار هي التسوية والتعديل .. وهي عملية مستمرة في بناء جسم الانسان منذ أن كان جنينا إلى أن يصبح شيخا هرما .. ولكن هذه التسوية والتعديل أبرز ما تكون في الجنين .
ولا يمكن أن تتم التسوية والتعديل إلا بعد وضع الأسس .. والأسس لجميع الأعضاء توضع في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والثامن .. ولهذا تعتبر هذه الفترة هي الفترة الحرجة التي تكون فيها الجينات أشد ما تكون قابلية للتغيير ولذا فان تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحميات مثل الحصبة الألمانية تكون في أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة .
ولذا ينبغي أن تجتنب الحامل التعرض لتأثيرات الأدوية والعقاقير والأشعة والأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية .. طوال فترة الحمل بصورة عامة وفي هذه الفترة الحرجة « الاسبوع الرابع حتى الثامن » على الخصوص .
هذا هو ملخص للتقسيم القرآني لنمو الجنين الانساني :

١ ـ نطفة « الاسبوع الأول منذ التلقيح »
٢ ـ علقة « الاسبوع الثاني والثالث »
٣ ـ مضغة « الاسبوع الرابع »
٤ ـ العظام والعضلات « الخامس والسادس والسابع »
٥ ـ التصوير « الاسبوع الخامس والسادس والسابع »
٦ ـ التسوية والتعديل

٧ ـ نفخ الروح

اما تقسيم جهابذة علم الأجنة فيتفق فيما يأتي :

(١) مرحلة البويضة الملقحة « النطفة الأمشاج » ويختلفون بعد ذلك فمنهم من يجعل من الاسبوع الثاني حتى الثامن مرحلة واحدة هي مرحلة الحميل ويقسم بعد ذلك ما يحدث في مرحلة الحميل الى (أ) الانغراز (العلقة) (ب) الجنين ذو الطبقتين (جـ) مرحلة الجنين ذى الثلاث طبقات (د) الكتل البدنية (هـ) تكون الأعضاء .

ومنهم من يقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام فقط :

أ) مرحلة العلوق : وتستمر حتى تظهر أغشية الجنين والدورة الدموية وتتمايز طبقات اللوح الجنيني إلى ثلاث طبقات . وتدعى أحيانا هذه المرحلة ما قبل الكتل البدنية وهذا التقسيم ينطبق تماما على مرحلة العلقة لأنها تبدأ بعد العلوق مباشرة وتنتهي بظهور الكتل البدنية « أي المضغة » .

ومدة هذه المرحلة أسبوعان فقط « أي منذ نهاية الأسبوع الأول للتلقيح وحتى نهاية الأسبوع الثالث للتلقيح » .

ب) مرحلة الكتل البدنية : ولا يختلف علماء علم الأجنة في هذه المرحلة .. وهي تبدأ من اليوم العشرين أو الواحد والعشرين وتنتهي باليوم الثلاثين وهذه المرحلة حسب التعريف القرآني هي مرحلة المضغة .

جـ) مرحلة تكون الأعضاء وتبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن وهي الفترة الحرجة بالنسبة للجينات لقابليتها الشديدة للتأثر بعوامل البيئة في هذه الفترة .

وفي هذه المرحلة نرى التقسيم القرآني يربط بين المضغة التي تتحول إلى عظام فيكسوها اللحم .. (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) .

كما يربط التقسيم القرآني التصوير والتسوية والتعديل بما يحدث بعد المضغة (**ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

وتشرحها الأحاديث النبوية الشريفة :

« إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال يارب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتبه الملك » اخرجه مسلم .

ففي نهاية الاسبوع السادس تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها في تكوين هذه الأعضاء وهي قمة المرحلة الحرجة الممتدة من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن .. فيوجهها التوجيه الذي أمر به .. ونحن نعلم أن المبيض والخصية لا يمكن التعرف عليهما قبل دخول الملك فاذا دخل الملك أمكن في الأسبوع السابع والثامن التعرف على الغدة التناسلية أخصية هي أم مبيض ؟ وفي حديث آخر رواه مسلم أيضا : « ان النطفة إذا استقرت في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك

فيقول يارب ذكر أم أنثى » ؟ وفي رواية « لبضع وأربعين ليلة » وفي رواية « لخمس وأربعين » .
وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه :
« وكل الله بالرحم ملكا يقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقا قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ أشقى أم سعيد فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » .

وهكذا نرى من مجموع الآيات والأحاديث أن قمة تكوين الأعضاء وتحديد الذكورة والأنوثة أعلى مستوى الغدد التناسلية إنما يكون في الأربعين ..

وهذه هي الفترة التي تسمى فترة تكوين الأعضاء وهي تبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن .. وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس .

الاسبوع الخامس إلى الأسبوع الثامن :

وفي هذه الفترة يستطيل الحميل من ٥ ميليمترات إلى ٢٣ ميليمترا وتظهر عليه علامات خارجية كثيرة واضحة . وإن كان بعضها لم يكتمل في هذه الفترة . وأول مظاهر هذه الفترة :

١ ـ اعتدال ملحوظ في تقوس الجسم عامة
٢ ـ بدء تكوين الوجه
٣ ـ ظهور واضح لبدء العينين والأذنين والأنف
٤ ـ بدء ظهور أزرار الطرفين العلويين فالطرفين السفليين وربما أول تقسيمهما
٥ ـ صغر نسبي في الذيل
٦ ـ استطالة العنق البدني ليكون الحبل السري
٧ ـ انبعاج واضح للكبد والقلب يرى على سطح الجسم .
٨ ـ تحديد منطقة العنق وظهور الأقواس البلعومية على جانبيها .
٩ ـ أعضاء التناسل الظاهرة « الغدد التناسلية » وإن كانت غير مميزة الجنس « يمكن تمييزها في نهاية هذه الفترة » .

وفي نهاية الأسبوع الثامن تكاد تكون الأعضاء الداخلية كلها قد اتخذت مواضعها وإن بدت بشكل أولي . وتعتبر في نهاية الأسبوع الثامن اكتمال دورة الحميل وبدء دورة الجنين .

فاذا ما انتهت مرحلة تكوين الأعضاء فان مرحلة الحميل تكون قد انتهت . وبدأت مرحلة أخرى تعرف لدى علماء علم الأجنة بمرحلة الجنين وهي تبدأ من بداية الشهر الثالث وتنتهي بالولادة .

ولا يكون في هذه المرحلة إلا تخليق يسير .. وأبرز سمة في هذه المرحلة هي ظاهرة النمو المتصل السريع .. وتستمر هذه المرحلة حتى تنتهي بآلام الطلق والولادة .

ومما تقدم يبدو أن التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الانساني أدق من وصف علم الأجنة .. وإن كان التقسيم القرآني يتفق مع كثير من هذه التقسيمات كالنطفة ـ المضغة ـ العظام ـ واللحم .. ولا يركز بعض علماء علم الأجنة على مرحلة العلقة كما يركز عليها التقسيم القرآني .. وكذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل . أما نفخ الروح فهو لا يزال في طي الغيب الذي لا يعلمه : (**إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/٧ .

وسنعرض بعجالة لما يحدث في فترة الجنين « أي منذ الشهر الثالث إلى الولادة »

الشهر الثالث « **الشهر القمري يحسب ٢٨ يوما** »

- تبدو العنق ظاهرة
- يلتصق الجفنان
- تتخذ الأطراف شكلا قريبا من شكلها عند الولادة ..
- بداية ظهور الأظافر في أطراف الأصابع
- يتميز غشاء المذرق إلى جزئيه : البولي التناسلي والشرجي بوضوح
- تبدو أجزاء القلب بوضوح ويكون له غشاء التامور
- تتميز أجسام الفقرات وتظهر بعض مراكز التمعظم
- ينمو الطحال والغدتان فوق الكليتين « الغدتان الكظريتان »
- يبلغ طول الجنين من الرأس إلى العقب ٩٠ ميليمترا

الشهر الرابع : يظهر على الرأس ثم الجسم وبر « أي شعر خفيف »

- ويكتمل تكوين المشيمة
- تتميز أعضاء التناسل الظاهرة فيبدو القضيب في الغلام والشفران والفرج في البنت
- تتراجع الأمعاء التي كانت بمنطقة الحبل السري إلى تجويف البطن .

الشهر الخامس :

- يغطي الزغب الرأس والجسم بأكمله وتحس الأم أول حركات الجنين وذلك في بداية هذا الشهر
- تدخل الأمعاء بأكملها من منطقة السرة إلى تجويف البطن
- يبدأ ظهور الشعر لفروة الرأس والحاجبين
- ينمو القلب والكبد

ـ يبدأ الرحم والمهبل نموهما .

الشهر السادس :

ـ يزداد السائل الامنيوسي « الرهل » وهو كيس السلى زيادة كبيرة
ـ تظهر طبقة دهنية تغطي بشرة الجنين
ـ ينمو الجنين في هذا الشهر أكثر من أي فترة أخرى ، إذ يصل طول الرأس العقبي ٣٥٠ ميليمترا ووزنه كيلو جراما كاملا .

الشهر السابع :

ـ يصل السائل الامنيوسي إلى غايته ويبلغ لترا ونصف ثم يقل في الأشهر التالية .
ـ يمتلىء الجسم بازدياد الطبقة الدهنية تحت الجلد .
ـ نمو كبير للجهاز العصبي والهضمي .. وتكتمل أجزاؤهما .

الشهر الثامن :

ـ تتخذ السرة موضعها المحدد في المولود
ـ يظهر الجسم مليئا .. ويزول الوبر « الزغب »
ـ يغزر شعر فروة الرأس
ـ يغطى جسم الجنين بطبقة دهنية متجبنة .
ـ تصل الأظافر إلى أطراف الأصابع .

الشهر التاسع : يزداد النمو واستدارة الجسم وإمتلاؤه . وينفتح الجفنان وتنزل الخصيتان إلى كيس الصفن خارج الجسم .

الشهر العاشر : يكتمل النمو .. وخاصة في الرئتين .. وتنمو الجيوب الهوائية وقد يستغرب القارىء ذكرنا عشرة أشهر للجنين والمقصود عشرة أشهر قمرية بالحساب هو ٢٨ يوما فقط .. فتكون الجملة ٢٨٠ يوما ويبدأ حسابها منذ بداية آخر حيضة حاضتها المرأة الحامل ..

وبذلك يكون العمر الحقيقي للجنين هو ٢٨٠ ـ ١٤ = ٢٦٦ يوما فقط .. وهذا هو العمر التقديري للجنين منذ لحظة التلقيح .

وبما أن الحساب منذ لحظة التلقيح أو حتى من الاتصال الجنسي الذي حصل بعده الحمل ـ عسير جدا .. فان الحساب في الغالب لا يكون منذ بداية آخر حيضة حاضتها الأم .

تشبه ملعون

من ولاية بوزيد ـ بالجمهورية التونسية .. كتب إلينا الأخ نور الدين عباس يسأل عن حكم تشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال .. وفي أي شيء يكون هذا التشبه ؟

المحرر : ونقول للأخ نور الدين ـ بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

إن الاسلام حريص على أن يبقى لكل نوع من الجنس البشري صفاته المميزة التي خلقه الله عليها .. فللرجل صفاته الخاصة التي منها خشونة الصوت ، وطريقة الكلام ، والمشي ، ونوعية الملابس ، وتحكيم العقل لضبط العاطفة ، إلى غير ذلك ..

وللمرأة صفاتها التي خلقها الله عليها ليجد الرجل عندها السكن والطمأنينة ، فهي رقيقة الحس ، ناعمة البشرة ، لها طريقتها في الكلام ، والمشي ، وبعدها عن العنف والقسوة ، وميلها إلى الهدوء وتغليب العاطفة .

فاذا ما حدثت انتكاسة في الطبيعة البشرية .. فمال بعض الرجال إلى التشبه بالنساء في الزينة والملابس والكلام والحركة إلى غير ذلك ، ومالت المرأة إلى الخشونة والقسوة ، وارتدت ملابس الرجال ، وحاكتهم في كلامهم وطريقة مشيهم .. إذا ما حدث ذلك فان الأمة في طريقها إلى ضياع شخصيتها ، وذهاب نخوتها ، وسوء عاقبتها .

اقرأ معي ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : « **لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال** » رواه البخاري .

وليس بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم مقال .. دعاؤنا أن يجنب الله أمة الاسلام أمراض العصر المنكود الذي نعايشه ، اللهم آمين .

النظر إلى الأجنبية

دار حوار بين صديقين يعملان في مجال به سيدات موظفات .. وكان أحد الصديقين يطيل النظر إلى زميلته في العمل ـ خاصة إذا كانت جميلة على حد قوله . فقال له صاحبه : غض بصرك فإن النظر إلى المرأة الأجنبية حرام .. فاستغرب الصديق قول صاحبه ، وأرسل يسألنا : هل النظر إلى الأجنبية حرام فعلا ؟ .. وماذا يفعل والمكاتب مشتركة ؟

حول هذا كتب لنا الصديق : محسن رشاد محمد فرغلي ـ من مصر .

ونقول للأخ محسن : هداك الله يا أخي ، وأعانك على الخير ، وجنبك الزلل . واعلم أن الاسلام حريص على طهر المجتمع الاسلامي ، حريص على ما فيه صلاح الفرد والجماعة ، يدعو لكل فضيلة ، وينفر من كل رذيلة ، ويعمل على سد منافذ الشر ، حتى لا يتسرب الشيطان إلى داخل النفس البشرية دون أن يشعر بذلك صاحبها .. وكل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان إن لم يحسن استغلالها تنقلب إلى شر ، وتوقع صاحبها في الإثم ، أرأيت لو استخدمت الأرجل في السعي إلى حرام ألا يعاقب صاحبها ؟.. ولو سرقت اليد ألا تقطع ؟ ولو استرقت الأذن السمع الحرام ألا يحتمل صاحبها في الاثم ؟.. كذلك العينان .. منهما يطل الانسان على الوجود فيرى آيات الله ويطالع مظاهر قدرته ، ويقرأ في صفحات الكتاب ، ويبصر طريقه ، فيحمد الله أما إذا استغلهما في الاطلاع على عورات الناس ، وهتك الحرمات ، وإيذاء الناس فإنه مسؤول عن ذلك أمام الله .. وما كان بالمؤمن الحق ..

اقرأ معي قول الله تعالى في سورة النور : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** » .

فلا فرق إذن بين المرأة والرجل في المطالبة بغض البصر ، حتى نقطع الطريق على وسوسة الشيطان الرجيم .

ويقول رسولنا ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ : « لو أن رجلا اطلع عليك بغير إذن ، فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح » فلا قيمة للعين الخائنة ،

ولقد سأل جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عن نظر الفجاءة ؟ فأمره الرسول الأعظم ان يصرف بصره .

فالنظرة العابرة .. غير القاصدة للإثم .. إذا ما وقعت فجأة على ما حرمه الله . فلا شيء على صاحبها إذا ما صرف بصره عن الحرام فورا ودون أن يطيل النظر أو يعاوده ، هكذا هو الأدب الاسلامي الرفيع ..

هذا .. ومن الأفضل أن تكون للسيدات مكاتب خاصة بهن ، وللرجال مكاتبهم الخاصة أيضا ، ويجب على المرأة أن تستر ما أوجب الاسلام ستره حيث أن جميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين .. وعلى كل حال فالنظرة الآثمة حرام .. وإذا التزمت المرأة بارتداء الزي الذي يوائم الشريعة الاسلامية فلا مانع من التعامل معها في حدود الاحترام ومع وجود الغير حتى يظل النقاء والطهر والعفاف والشرف هي سمات المجتمع المسلم ، والله الهادي والموفق .

الغزو التنصيري لمسلمي لبنان

جاء في التقرير الاسلامي رقم ١٥ بتاريخ ٢٧/١١/١٩٨١ الذي يصدره المركز الاسلامي للتربية في بيروت تحت هذا العنوان :

يعيش المجتمع الاسلامي في لبنان حاليا اسوأ مرحلة في تاريخه الحديث ، يتكالب عليه فيها مجموعة متنافرة من العوامل الهدامة ، بعضها من داخله ، والبعض الآخر من خارجه ، وهو في غفلة عما يحاك له ، سلبي الارادة ، مشتت الرأي في القضايا التي تعنيه مباشرة .

ذلك ، ان المجتمع الاسلامي في لبنان يواجه حاليا اخطارا منها :

اولا : ـ تفكك القيادة الاسلامية ، وتقاعسها عن أداء مهماتها .

● ـ غربة المناهج التربوية وبعدها عن الاسلام في المؤسسات التربوية والاسلامية .

● ـ نشاط اصحاب المؤهلات العلمية المتشرقين منهم والمتغربين .

ثانيا : ـ غياب السلطة الرسمية واهمالها لقضايا الوطن والمواطن عموما ، والمسلمين على وجه الخصوص .

● ـ اكتفاء اجهزتها بمراقبة النشاطات المعادية لجذور المجتمع اللبناني دون الحد من خطرها .

● ـ تضييقها على القلة المتحركة ، العاملة لحماية المجتمع الاسلامي في لبنان ، وسد السبل امام تطلعاتها .

ثالثا : نشاط البعثات التنصيرية وتغلغلها داخل المجتمع الاسلامي في لبنان عبر :

● ـ المؤسسات التعليمية .

● ـ المراكز والنوادي الثقافية والمكتبات العامة .

● ـ مراكز الخدمات الاجتماعية .

واذا كان تفاعل واثر الخطرين الاولين باديين للعيان وملموسين على ارض الواقع أولا بأول وخطوة خطوة، فان الخطر الأدهى والأشد هو في نشاط البعثات التنصيرية وتغلغله في المجتمع الاسلامي ببطء شديد واصرار عنيد، وفعالية اكيدة، وكفاءة عالية.

وبالنظر الى كثافة تلك النشاطات وتعددها - على الرغم من ضيق المساحة الجغرافية التي تتم عليها - يتبين لنا حجم المأساة المتوقعة، والكارثة الدهماء التي تنتظر المجتمع الاسلامي في مستقبله القريب.

وللدلالة على ما ذكرنا، يكفي ان نأخذ بيروت الغربية كمثال حي على النشاط التنصيري القائم على قدم وساق، لاعتبارات عدة اهمها:

● - ان بيروت مركز الثقل في التواجد الاسلامي في لبنان.

● - ان بيروت تستقطب اعدادا كبيرة من المسلمين من المحافظات الاخرى.

● - ان بيروت بحكم موقعها ونظام الحكم في لبنان تستهوي اسحاب ودعاة جميع التيارات الفكرية الشرقية والغربية.

● - كذلك فان بيروت كانت وما تزال مركز تصدير التيارات الفكرية الى مختلف ارجاء العالم العربي.

وللاعتبارات السابقة، ومن الكشف اللاحق بأهم المدارس غير الاسلامية؛ وأهم مراكز التنصير في بيروت الغربية تتحدد لنا الصورة القاتمة والنتيجة المريعة التي سيؤول اليها المجتمع الاسلامي في لبنان.

أهم المدارس غير الاسلامية في بيروت الغربية

رأس بيروت:

راهبات المحبة، القديسة لويزا
سيدة الوردية (مارونية)
المدرسة الانجيلية الابتدائية
مار الياس المارونية
الثانوية الانجيلية الفرنسية (بروتستانت)
الانجيلية الوطنية للبنان، ثانوية الانجيلية الوطنية للبنين
القديس منصور لراهبات المحبة.
القديس فرنسيس للآباء الكبوشيين
الراهبات الكرمليات، القديس يوسف.
الليسيه الفرنسية اللبنانية الصغرى
القديسة حنة لراهبات البزنسون.

المزرعة:

مار مخايل (ارثوذكس)

زقاق البلاط:

راهبات مار يوسف الظهور

مدرسة بيروت الانجيلية للبنات البطريركية
الانجيلية اللبنانية بيروت للبنات ودار المعلمات
الليسيه الفرنسية اللبنانية للبنات .

المصيطبة

مار الياس المصيطبة المختلطة
(ارثوذكس)
مار بطرس وبولس للسريان الارثوذكس
المدرسة المارونية
الادفنتست السبتية
ثانوية مار سويريوس للسريان الارثوذكس
سيدة المصيطبة للروم الكاثوليك
مار افرام للسريان الكاثوليك
مار الياس بطينا الثانوية
المعمدانية الانجيلية الثانوية

مجمع الكنائس للخدمة الاجتماعية في لبنان

اهم مراكز التنصير .. والخدمات في رأس بيروت

١ ـ مركز ريتا
٢ ـ مركز رأس بيروت
٣ ـ كلية اللاهوت للشرق الادنى
٤ ـ وجدتها « حياة لبنان » .
٥ ـ مركز الاتحاد الكنسي
٦ ـ المركز اللوثري
٧ ـ بيت الرعية « كنيسة الوردية »
٨ ـ المركز الجامعي المسيحي .
٩ ـ الكنيسة الجامعية المعمدانية .

ويبقى السؤال قائما .. بحماية من .. وبسبب تقصير من .. تنتشر هذه المراكز في المناطق الاسلامية ؟!

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٠٩ ● جمادي الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م

هدية العدد مجلة براعم الايمان

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٩ ● جمادي الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي

الاسلام والكرامة الانسانية

لقد كان من تكريم الله للانسان أن خلقه في أحسن تقويم ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا عظيما ، وآتاه نعما لا تحصى ، وسخر له مختلف الأشياء في البر والبحر والهواء ، وجعل له السيادة والسلطان على تلك الأشياء ، ولم يسخره هو لشيء منها . قال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) . (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**) . (**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) .. (**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**) .

والاسلام الحنيف الذي ختم الله به رسالاته وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد .. هذا الاسلام قد قرر للفرد من بني آدم - ذكرا او انثى ، اسود أو أبيض ، ضعيفا أو قويا ، فقيرا أو غنيا ، مسلما أو غير مسلم - من الصيانة والحماية والحصانة ما يحفظ به دمه ان يسفك ، وعرضه أن ينتهك، وماله ان يغتصب، ومسكنه ان يقتحم ، ونسبه ان يبدل ، وضميره ان يتحكم فيه قسرا وحريته ان تعطل خداعا ومكرا ، ووطنه ان يخرج منه أو يزاحم عليه .. ولم يكتف الاسلام بتقرير تلك الحماية نظريا ولكنه يطبقها عمليا ، ويهيب بالفرد ان يدافع عن كرامته ، وان يقاتل دونها وان يضحي بنفسه في سبيلها فيقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد) .

وهذه الحصانة التي كرم الله بها كل فرد هي الدرع الواقي من نزوات الطغاة والجبارين ، وهي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين الناس ويظل الفرد

مشمولا بهذه الحماية الى ان ينتهك هو حرمة نفسه بارتكاب جريمة من الجرائم فيرفع عنه جانب من الحماية بقدر جريمته ، وتبقى له الجوانب الأخرى .. وهو في قانون الاسلام ـ منذ ان يتهم ـ بريء حتى تثبت ادانته بالاقرار الصحيح او البينة السليمة . فاذا ثبتت قدرت جنايته بقدرها ونال العقوبة المناسبة لها دون رأفة ولا زيادة ولا يجوز لاحد لا قبل تنفيذ العقوبة ولا بعدها ان يتسلط عليه باي نوع من أنواع الأذى ومن يفعل ذلك يكون ظالما يؤخذ بظلمه وله من الله عذاب اليم (**انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**) .

وبهذا المسلك السامي يحمي الاسلام اعداءه كما يحمي اولياءه .. يحمي اعداءه في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعدوان (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) .. (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله**) ... ويؤمنهم في ميدان القتال من الغدر .. ويصون اجسادهم ـ بعد موتهم ـ من كل تشويه او تمثيل .

والمؤمنون بالله تعالى تسمو نفوسهم فلا يسجدون الا لله ، ولا يخشون احدا سواه .. وهم بالايمان وبالعمل الصالح الذي شرعه الله يستوحون مواهبهم الانسانية العليا ، ويسيطرون على قواهم وغرائزهم الدنيا ، ويسترشدون بامر ربهم وهداه ، ويحاذرون من خدع الشيطان وهواه . وبذلك ينالون الحياة الطيبة في الدنيا حرية وعزة ، فيأبون ان يهونوا على انفسهم وان يذلوا لمخلوق . (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) .. (**من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) .

تلك هي الكرامة الانسانية التي حافظ عليها المسلمون الأوائل فعزوا وسادوا ، فهل للأحفاد ـ بعد ان وصلوا الى تلك الحال من تسلط الأعداء وسلب الأوطان والمقدسات ، والتفرق والتنازع ـ ان يتدبروا التاريخ ليدركوا ان كرامتهم وعزهم ومجدهم في العمل بالإسلام ، وان امة الاسلام لن تصلح الا بما صلح به أولها ، اعتصام بحبل الله ، ونبذ للتنازع والشقاق ، وتعاون وثيق على الخير واحسان من الولاة لشعوبهم ونصح من الشعوب لولاتهم ؟

ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق ، وان نعتز بحقوقنا فلا نفرط فيها وان نحترم ارادتنا فلا نسمح بقيد عليها من هنا او هناك ، وان نأبى الذل والهوان ، وان نقيم شريعة الله لينتشر العدل والطهر والحرية والعزة في ربوع بلادنا .. ان ذلك هو السبيل الوحيد لانقاذنا مما نحن فيه وهو الذي يبدل شقاقنا ونزاعنا الى أخوة صادقة ، والفة جامعة ، ووحدة قوية أمينة تقوم على العمل بالاسلام وتنفيذ شريعته قال تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) .. (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) .. (**ان هذه امتكم امة**

واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

ايها العرب : لقد اختار الله اجدادكم ليكونوا مادة الاسلام الاولى ، فكانوا ـ باهتدائهم به وتنفيذهم لاحكامه ـ سادة الدنيا واساتذة العالم ، واعلام الطهر والعدل ومن واجبكم لتسعدوا بالحياة ان تسلكوا طريق الله الذي سلكوه .

ان ما تسيرون عليه الآن ـ ازاء عدوان الصهيونية والصليبية والشيوعية على بلادكم ومقدساتكم ـ من الشجب والاستنكار والاحتجاج والاحتكام الى الهيئات الدولية المحكومة (**بالفيتو**) من الدول الكبرى التي تعمل على اذلالكم وسلب حقوقكم ، لن يجديكم نفعا ولن يعيد لكم حقا ، بل انه يزيد الداء ويضاعف العلة ، ويرسخ اقدام العدو وييسر له المزيد من العدوان !! .. والطريق الصحيح للخلاص هو العمل . والعمل الجاد الذي ينبعث من الايمان وتقوم به الشعوب المؤمنة بالاسلام ملتحمة مع الحكام الذين يعملون بالاسلام .. وانتم لا تنقصكم القوة المادية فقد منحكم الله وسائلها وما عليكم الا ان تضيفوا اليها قوة النفوس بالايمان بالله والعطاء في سبيله ، والتضحية من اجل الحق والكرامة والشرف ، **(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله)** .

ويوم ان تستجيبوا لنداء الكرامة وتسلكوا طريق العمل ـ كما امر الاسلام ـ ستخشاكم جميع القوى الأرضية الظالمة وتكف اذاها عنكم وتسلم لكم بكل حقوقكم .. ومن يعمل ويجاهد في ظل مرضاة الله يزداد ايمانا كلما خوفه الناس من تجمع القوى الكافرة لحربه فيمضي في جهاده لا يلوي على شيء ولا يخشى من الناس احدا **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)** .

فلنقابل الاعداء بما يقهرهم ، ويعيد لنا الحقوق المغصوبة ، ولنعتصم بالقول السديد الذي يصحبه العمل القوي المفيد ، ولنعلم ان مواجهة السيف بالحجة فشل ذريع ، وترك لسبيل الهدى ، وعزوف عن طريق النصر !! وقد قال رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل » وقال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)** .

رئيس التحرير

محمد الاباصيري

تفسير سورة

تعريف بالسورة

جل هذه السورة في صدد اجلاء فريق من اليهود عن المدينة المنورة . وما كان من مواقف المنافقين في ظروف ذلك . وتشريع للفيء الذي أفاءه الله منهم ومداه وما كان من تشاد حوله . وفيها أكبر مجموعة لأسماء الله الحسنى . ونرجح أنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة حسب ما جاءت في المصحف .

والمفسرون وكتاب السيرة متفقون على أن الفريق اليهودي هم بنو النضير إحدى قبائل اليهود الاسرائيليين الذين كانوا يقيمون في المدينة . ومتفقون كذلك على أن حادث إجلائهم وقع بعد نحو خمسة أشهر من وقعة احد . ويسمي المفسرون السورة باسم بني النضير أيضا عزوا إلى ابن عباس وغيره .
(انظر تفسيرها في الطبري والبغوي وابن كثير وغيرهم وانظر ابن هشام (ج ٣ ص ١٩١ ـ ١٩٨) .
وفيها إشارات إلى ما كان لليهود من حصون وعدة حرب . وإلى دخول فريق من أهل المدينة للاسلام قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم[1] هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

١

الحشر ٧

للاستاذ/محمد عزة درو

فاعتبروا يا أولى الأبصار[٢] ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار[٣] ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب[٤] .

شرح معنى الآيات

١ ـ إن الله الذي يذكره كل ما في السموات والأرض بالحمد والتقديس والخشوع (وهذا معنى التسبيح) القوى الجانب الحكيم القدير هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من موطنهم لأول الحشر في حين أنه لم يكن المؤمنون يظنون ذلك يتم . وأن اليهود كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم من نكال الله . ولكن هذا النكال أتاهم من حيث لم يكن يخطر ببالهم ويحسبوا حسابه . وقذف في قلوبهم الرعب حتى أنهم خربوا وهدموا بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين . وأن في ذلك لعبرة يجب أن يعتبر بها أولو الأبصار والعقول .

٢ ـ لقد اقتضت حكمة الله أن يكتفي باخراجهم وجلائهم مع أنهم مستحقون لعذاب أشد في الدنيا . ولسوف يكون لهم في الآخرة عذاب النار . وذلك بسبب ما كان منهم من مشاقة لله ورسوله ومناوأة وعداء . ومن يفعل ذلك يتعرض لغضب الله الشديد العقاب .

تعليق :

١) وأسلوب الآيات يدل على أنها جاءت للعظة والعبرة . وتذكر المسلمين بما يسر

الله لهم بحيث لو لم يكن تيسيره لما تم ما تم . ولم تأت للسرد القصصي . وهذا شأن سائر حوادث الجهاد في القرآن بل سائر قصص القرآن . ولما كانت الآيات التالية لها قد احتوت تشريع تخصيص جميع ما افاءه الله من هذا الحادث من غنائم لبيت مال المسلمين والفئات المحتاجة بأسلوب قوي حاسم . فمن السائغ أن يقال أن هذه الآيات قد جاءت بأسلوبها الذي جاءت به لتبرير ذلك التشريع والله أعلم .

٢) ويتضمن هتاف الآيات : (**فاعتبروا ياأولي الأبصار**) بشرى ربانية تمد المسلمين بالروح والأمل في ظرفهم الحاضر المشابه للظرف الذي كان فيه المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يحتل الذين كفروا من أهل الكتاب . الصهيونيون اليهود ـ جميع فلسطين عدوانا وقهرا وإغتصابا بعد أن قتلوا الآلاف من أهلها دون تفريق بين ذكر وأنثى وصغير وكبير ومحارب وغير محارب وشردوا معظم من بقي منهم حيا بمساعدة وتأييد طواغيت الاستعمار الطامعين بالسيطرة على بلاد العرب وثرواتها . فالمسلمون الآن يظنون كما كان يظن المسلمون الأولون أنهم غير قادرين على إخراج المغتصبين من أرضهم . والمغتصبون يظنون أنهم لن يغلبوا ولن يقدر المسلمون على استرداد ما إغتصبوه منهم بسبب ما هم عليه من قوة تمدهم بها أميركا طاغوت الاستعمار الأكبر اليوم وبسبب تأييد هذا الطاغوت لهم . ولكن الله تعالى أتى الذين كفروا من أهل الكتاب الأولين من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب وجعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين وأجلاهم عن الأرض المقدسة . وهو قادر على أن يفعل ذلك مع الذين كفروا من أهل الكتاب الجدد الطغاة المعتدين وأنصارهم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن على المسلمين أن يقوموا بما أوجبه عليهم كتاب الله في آيات عديدة أخرى ليستحقوا نصره وتأييده فيتضامنوا أشد تضامن ويتخلوا عن ما هم فيه من تمزق وتخاذل وتهاون ـ وكل هذا هو الذي مكن عدوهم وأنصاره من بلادهم ـ ولا يهنوا في كفاحه ويعدوا له كل ما يستطيعون من قوة . وقد منحهم الله نعمته العظمى التي فيها قوة عظمى لو عرفوها وقدروها واستعملوها حق معرفتها وقدرها واستعمالها .

٣) ولقد كان في المدينة ثلاث كتل يهودية . يمتد سكناها فيها إلى أمد غير قصير على ما يدل عليه ما هو يقيني من أنها كانت تتكلم بالاضافة إلى العبرانية العربية ، وتقيم علاقات وثيقة حلفية وغير حلفية مع العرب ، وكان لها مزارع ومرافق وحصون وبالتالي مركز راسخ قوي .

والمفسرون ورواة السيرة متفقون على أن موضوع الآيات هم إحداها المسماة ببني النضير . أما الأخريان فهما بنو قينقاع وكان تم اجلاؤها قبل هؤلاء بنحو سنة . وبنو قريظة وقد تم إجلاؤها بعد هؤلاء بنحو سنتين .

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة كتب عهدا لهذه الكتل الثلاث ،

آمنهم فيه على أموالهم وأملاكهم وحريتهم الدينية والطقسية ، وأقرهم على ما كان بينهم وبين قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين من محالفات قبل الاسلام ، وأوجب عليهم الموادة والمسالمة وما يوجبه الحلف عليهم من واجبات غير أنهم رأوا في هجرته وانتشار الاسلام ما يهدد مصالحهم ومنافعهم فوقفوا منه ومن الاسلام والمسلمين موقف الكفر والمناوأة إلا أفرادا معدودين ، ولقد عمدوا إلى أساليب متنوعة في المناوأة والدس والتشكيك والحجاج ، فوسع الله صدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك . ولكنهم خرجوا عن هذا النطاق إلى نطاق الخيانة والغدر فاستحقوا النكال .

ونخلص من كل ما تقدم إلى ترديد ما جعلناه عنوانا لكلمتنا ، وهو أن الحاجة الملحة ليست إلى مبادرات جديدة بل إلى الجد العربي داخليا وسياسيا وعسكريا ثم إلى موقف عربي جاد تجاه الولايات المتحدة ، التي لولا تأييدها المطلق على أوسع قياس في كل شيء وموقف ، لما كان العدو المجرم وقف وظل يقف موقفه المستهتر المتغطرس المهين من العرب ومن جميع المبادرات والقرارات ، بحيث صارت بحق هي أعدى أعداء العرب وأشدهم لؤما . ويزداد هذا اللؤم نصاعة أو بشاعة حينما تتنطع لزعامة الدفاع عن حقوق الانسان في الدول الأخرى بسبب حوادث فردية ، بينما تؤيد ذلك التأييد الواسع عصابات الاجرام فيما تمارسه من أبشع أعمال العدوان على حقوق الانسان بالنسبة لوطن كامل وشعب كامل ، وفيما تدوسه من مواثيق دولية وفيما تتحداه من قرارات وإدانات دون توقف لحظة واحدة ..

٤) وخلاصة ما ذكرته الروايات في صدد حادث بني النضير موضوع التفسير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض أصحابه إلى محلتهم للاستعانة بهم على دية قتيل ، كان بين قوم قاتله وبينهم حلف وعهد جريا على التقاليد الجارية ، فتظاهروا بالاستعداد لتلبية طلبه . ولكن بعضا منهم قال لبعض ، إنكم لن تجدوا فرصة أحسن من هذه الفرصة لقتل محمد ، وأخذوا يدبرون طريقة ذلك ، فأوحى الله إليه محذرا ، فانسحب بسلام وأرسل إليهم في اليوم التالي إنذارا بالجلاء في ظرف عشرة ايام على أن يأخذوا أموالهم المنقولة ويقيموا وكلاء على أراضيهم وبساتينهم . وكانوا حلفاء لكبير المنافقين في المدينة عبدالله بن أبي بن سلول أحد رؤساء قبيلة الخزرج العربية المقيمة في المدينة . وكان معه في نفاقه جماعة من عشيرته ، فاستشار بنو النضير هذا الرئيس فحرضهم على الرفض ، ووعدهم بالنصر مع جماعته فاغتروا ورفضوا ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين المخلصين الذين كان منهم كثير من قبيلة الخزرج وزعمائهم أيضا ، وضيقوا عليهم ولم يف المنافقون بوعدهم لهم فاستولى الرعب عليهم ورضوا بالجلاء بشروط أشد من الأولى بسبب رفضهم وعنادهم ، وهي تسليم سلاحهم وتنازلهم عن أراضيهم وبساتينهم والخروج بمنقولاتهم فقط .

ومما روته الروايات أن بني النضير أرادوا التجلد وإظهار الخيلاء وهم يخرجون ، فكانت قيانهم يعزفن وأصحاب الدفوف والمزامير يضربون بدفوفهم

ومزاميرهم . وأنهم هدموا بيوتهم وحملوا سقفها وعضائدها وأبـوابها من الخشب . لئلا ينتفع بها المسلمون وأن بعض الأبنية بقيت قائمة فخربها وهدمها المسلمون . وأن اثنين منهم أسلما فبقيا حيث هم سالمة لهم أموالهم وأن منهم من ذهب إلى بلاد الشام ومنهم من ذهب إلى خيبر فأقام مع يهودها . ومن هؤلاء زعماؤهم الذين هم يهود خيبر . وأن عدد السيوف التي استولى عليها المسلمون منهم ٣٤٠ وعدد الدروع خمسون وعدد البيض أو مغافر الرأس خمسون .

٥) ولقد تعددت تأويلات المفسرين ورواياتهم لجملة (**لأول الحشر**) . من ذلك أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أين نخرج فقال لهم إلى أول الحشر في الشام ومن ذلك أن معناها هذا هو الحشر الأول أي الجلاء الأول ويعقبه حشر ثان أو جلاء ثان وهو ما تم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومن ذلك أنهم استسلموا وقبلوا الخروج لأول ما حشر النبي وشدد الحصار عليهم واستعد لقتالهم . ولعل التأويل الأخير هو الأوجه . لأنه لم يقع بينهم وبين المسلمين قتال . وهو المتسق مع روح الآية الثانية التي هي بسبيل تقرير ما كان من تيسير الله لخروجهم بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعتين لاحد .

٦) وجملة (**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**) في الآية الأخيرة واسعة المدى والشمول . وتدل على أنه كان من يهود بني النضير مواقف عديدة مؤذية ومزعجة تجاوزت موقف الجدل والمناظرة في شؤون الدعوة بل وتجاوزت مواقف التشكيك والاستهتار والاستخفاف والطعن وإن محاولتهم اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت السبب المباشر .

ولقد كان كعب بن الأشرف منهم . وكان شاعرا يجيد العربية وينظم فيها ، فكان يهجو النبي والمسلمين بقصائده المقذعة ، ويتشبب بنسائهم ويحرض مشركي قريش عليهم ويرثي قتلاهم في وقعة بدر حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم انتدب بعض أصحابه لاغتياله فذهبوا واغتالوه فعلا وكان ذلك قبل وقعة إجلاء قبيلته بوقت قصير على ما ذكره ابن هشام في سيرته وابن سعد في الطبقات .

٧) وزعيم المنافقين هو زعيم عشيرة بني عوف من أقوى عشائر قبيلة الخزرج . وقد روى ابن هشام عن ابن اسحق أن قومه كانوا ينظمون الخرز ليصنعوا له تاجا ويعلنوه ملكا عليهم . وفي هذه الأثناء تم الاتصال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض رجال الخزرج والأوس في مكة فآمنوا وبايعوا النبي على نصرته والدفاع عنه إذا هاجر هو وأصحابه إلى مدينتهم ، وتم ذلك وبدأت الهجرة وأخذ الاسلام ينتشر في المدينة حتى قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فشغل هذا الحادث العظيم قوم ابن أبي بن سلول عنه ، وخاب أمله في الملك فحقد على النبي صلى الله عليه وسلم وحركته وتعصب له بعض عشيرته . ولقد كان الظرف مانعا لهم من

التظاهر بالكفر والشرك ، فتظاهروا بالاسلام وكانوا يصلون ويزكون ويشتركون في الجهاد ، ولكنهم ظلوا يضمرون الكفر والعداء ويقفون مواقف المناوأة والأذى والتنشيط والمراوغة والدس بل والتآمر مع الأعداء من مشركين وكتابيين في مختلف المناسبات والأوقات وخاصة في أوقات الأزمات والحرج مما رددته آيات كثيرة في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والأحزاب ومحمد والحديد والمجادلة و « المنافقون » .

ولما تطير يهود المدينة من هجرة النبي والمسلمين إليها على ما ذكرناه قبل . سارعوا إلى الاتصال بالمنافق الكبير وتم بينهم تحالف جديد . وكانوا وراءه في معظم مواقفه حتى سماهم القرآن شياطين في آيات سورة البقرة هذه التي كانت أولى آيات نزلت فيهم :

(**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**) البقرة ٨ ـ ١٥ .

وكان من أشد وأنكى مواقف هذا الزعيم ما رددته سورة « المنافقون » من تحريض الأنصار على عدم مساعدة فقراء المهاجرين ـ وكان جلهم فقراء ـ لأنهم تركوا أموالهم وأملاكهم في مكة ـ ومن قسمه بأن يخرج الأعز في المدينة الأذل منها حاسبا نفسه الأعز والنبي والمهاجرين الأذل : (**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) المنافقون ٧ و٨ .

وكان هذا الموقف أثناء غزوة قادها رسول الله وكان كبير المنافقين وجماعته فيها مع معظم الأنصار والمهاجرين . وهتف المنافق الكبير في الأنصار قائلا (هكذا فعلتم في أنفسكم وحق عليكم المثل (سمن كلبك يأكلك) ثم قال ما حكته الآيات) .

ولقد استأذن أحد كبار المهاجرين النبي بقتله فقال النبي لا أريد أن يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه . والتمس زعيم من الأنصار من النبي توسيع صدره وقال له لقد جئتنا يارسول الله وقومه ينظمون الخرز له لتتويجه وأنه ليحسب انك استللته ملكا . فقال نعم سنوسع صدرنا له . وكان له ابن مخلص الايمان هو عبدالله فجاء إلى رسول الله وقال له إن كنت آمرا بقتل أبي فأمرني فأنا أقتله . لأني أخشى أن يقتله غيري وتأخذني العصبية فأقتل مؤمنا بكافر . فقال له رسول الله بل نتسامح معه . فقال الابن أما وقد قلت هذا فليعلمن غدا أن رسول الله هو

الأعز وأنه هو الأذل . ثم وقف بباب المدينة ومنع أباه من دخولها حتى يعلن أنه هو الأذل ورسول الله هو الأعز ففعل .

ونكتفي بما تقدم لان الموضوع ليس موضوع المنافقين في أصله . مع التنبيه على أن نطاق النفاق ومواقف المنافقين المؤذية لم تكن قاصرة على هذا الزعيم وجماعته بل كان هناك أفراد آخرون من أهل المدينة وجماعات من البدو منهم المعروفون ومنهم المستورون الذين تفضحهم مواقفهم على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة في سورة التوبة وغيرها وعلى ما ذكرته الروايات وإن كانت مواقف ذلك الزعيم وجماعته كانت هي الأشد نكاية وأذى . ومع التنبيه كذلك على أن مركز هؤلاء أخذ يضعف وقوتهم تهن وعددهم يتناقص بعد طرد اليهود شياطينهم من المدينة واتساع نطاق الاسلام وسلطان النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل أمرهم بعد أن كانوا يظنون أنهم الأعز في المدينة إلى الحالة التي وصفتهم بها آيات سورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل من القرآن (**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون**) ٥٦ و ٥٧ . التوبة

(**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**) (الحشر) ٥ .

شرح وتعليق :

١ ـ اللينة هي غرسة النخيل الفتية في قول ، ونوع من جيد النخل في قول آخر .

٢ ـ مما روته روايات السيرة إن النبي لما شدد الحصار على بني النضير أمر بسبيل ذلك بقطع غراس النخيل في بساتينهم . لارهابهم وإرغامهم . فهتف بنو النضير بالنبي مندين بما فعله بالنخيل وواصفين ذلك بالشذوذ والقسوة والعبث . ومما روى أن زعيم المنافقين وجماعته الذين كان بنو النضير حلفاءهم هم الذين هتفوا بذلك فاقتضت حكمة التنزيل بوحي الآية لتبرير الفعل . فان ما قطعوه من النخل كان باذن من الله وما أبقوه باذن من الله وأن القطع كان لخزي العاصين المتمردين . وكأنما أريد أن يقرر بها أن القطع كان عملا من أعمال الحرب التي تقرها ضرورات الحرب فلا يصح سوقها في معرض التنديد . والآية والحالة هذه استمرار للسياق وبسبيل حادث آني وقع في ظروف الحصار وهذا من أساليب التنزيل القرآني .

وقد يكون في التبرير القرآني اجازة لأي عمل من نوعه يؤدي إلى إرغام العدو حينما تقوم حالة حرب وعداء بين المسلمين وغيرهم ، والله تعالى أعلم .

قال تعالى :

(**وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن**

الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير[٦] ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب[٧]

معاني بعض الكلمات :

١) أفاء : منح أويسر . ٢) أوجفتم : هيأتم . ومعنى جملة (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) لم تسيروا مسيرة تحتاج إلى خيل وركائب وتتحملوا فيها حربا وتضحية ومشقة فيما أفاء الله على رسوله حيث كان ذلك من تيسير الله تعالى .
٣) كيلا يكون دولة بين الاغنياء ـ لئلا يكون المال الذي يحصل من هذا الفيء الذي يسره الله بهذه السهولة مما يصح أن يتداوله الأغنياء .

شرح مضمون الآيات :

تضمنت الآيات :

١ ـ مقدمة تبريرية لتشريع الفيء . فأملاك اليهود المجليين التي منحها الله هي هبة وتيسير منه . وقد مكن الله رسوله من ذلك وهو الذي يسلط رسله على من يشاء وهو القدير على كل شيء ولم يكن على المسلمين في ذلك مشقة وكلفة في حرب واعداد ومؤونة للحرب .

٢ ـ تشريعا لما استولى عليه المسلمون من بساتين ومزارع الأعداء . فهو والحالة كما ذكرت لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . ولا يصح أن يكون منه شيء للأغنياء من المسلمين حتى لا يبقى المال محصور التداول بين الأغنياء .

٣ ـ تدعيما لهذا التشريع . فعلى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا . فما أتاهم الرسول أخذوه . وما نهاهم عنه ومنعه عنهم وجب عليهم ان ينتهوا ويمتنعوا عنه . وعليهم بتقوى الله والوقوف عند أوامره فانه شديد العقاب على من يخالف ويتجاوز حدوده المرسومة . والجملة الأخيرة تتضمن تقرير كون ما يفعله الرسول من مثل ذلك هو من وحي الله وأمره .

روايات سبب نزول الآيات :

لقد روى البغوي والخازن أن بعض المسلمين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم قسمة غنائم بني النضير كقسمة غنائم الحرب التي نزل تشريعها في سورة الأنفال ، أي إفراز خمسها للمصارف الستة المذكورة وتوزيع الأخماس الأربعة على المشتركين في الحصار . والطبري يروي أن الذين طلبوا ذلك كانوا جماعة من

الأنصار . وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أن جميع غنائم بني النضير يجب أن تكون للمصارف الستة لأن المسلمين لم يوجفوا على إحرازها خيلا ولا ركابا وأن الآيات نزلت بسبيل تأييد رأي النبي صلى الله عليه وسلم .

تعليق على مدى تشريع الفيء :

إن أسلوب الآية الثانية يجعل التشريع فيها عاما شاملا لكل ما دخل في حوزة رسول الله وخلفائه من بعده بالتبعية من أموال العدو بدون تكلف المسلمين نفقة ومشقة ليكون لبيت المال وينفق على مصالح الاسلام والمسلمين العامة وعلى فقراء المسلمين ومحتاجيهم .

وهذا ثاني تشريع قرآني ورسمي بعد تشريع الغنائم الحربية في سورة الأنفال . وقد عرف باسم (الفيء) اقتباسا من نص الآيات وروحها . وهو أعظم خطورة وأبعد مدى من تشريع الغنائم لأن هذا التشريع جعل الخمس فقط للمصارف الستة بينما جعل تشريع الفيء جميع الفيء لها .

توضيح للمصارف الستة :

١ ـ هناك من قال أن المصارف خمسة وأن ذكر الله في أولها للتشريف . وهناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرز سهما للكعبة ويقول هذا سهم الله وينفقه على شؤونها وليس هناك حديث وثيق وصريح . ولقد ذكر (سبيل الله) في مصارف الزكاة التي وردت في آية سورة التوبة : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**) التوبة ٦٠ .

ويتبادر لنا ـ والله أعلم ـ أن كلمة (الله) في آية الفيء وجملة (سبيل الله) في آية الصدقات في معنى وهدف واحد . وسبيل الله هي الدعوة الاسلامية والدفاع عنها وضمان حريتها ويدخل في ذلك الحرب ووسائله حينما يقتضي الأمر ذلك ، فاذا صح هذا ونرجو أن يكون صوابا فيكون سهم الله هو سهم سبيل الله وتكون المصارف ستة . ومن تحصيل الحاصل أن التصرف بهذا السهم هو لولي أمر المسلمين .

٢ ـ هناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ سهما فينفق منه ما هو في حاجة بيته ونسائه وشؤونه الخاصة ويضع الباقي حسبما شاء . وهناك ما روى أنه كان يعطي أقاربه ما فضل من هذا السهم أي سهم (الرسول) وليس من تعارض بين الروايتين . ولقد تعددت الروايات في هذا السهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها أنه صار لخليفته . ومنها أنه من حق أقاربه ومنها أن أبا بكر رضي الله عنه رده إلى بيت المال . ومنها أنه جعله لشراء السلاح والكراع .

وإن ما كان يفعله أبو بكر كان يتم بعد التشاور بينه وبين كبار أصحاب رسول الله . وإن هذا جرى على ذلك بعد أبي بكر أيضا .

والمستفاد مما أورده جمهور المفسرين من أهل السنة من روايات وأقوال أن سهم رسول الله ينفق على سبيل الله . ولقد اتفق أصحاب رسول الله على تخصيص نفقة لخليفته الأول وصار الخلفاء يأخذون نفقتهم من بيت المال . ولم يكن شيء من ذلك في زمن النبي في حياته فلم يكن من محل لتحويل سهم رسول الله لخليفته .

وقد وردت احاديث في صدد سهم رسول الله في الفيء الذي خصص جميعه لما خصص له خمس الغنائم . ولكن دلالتها شاملة لسهم رسول الله في حياته وبعد وفاته كما هو المتبادر القوي منها حديث رواه الخمسة عن عمر قال : « كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل وركاب فكانت خاصة للنبي ينفق على أهله منه وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله » . ومنها حديث رواه أبو داوود عن عمر جاء فيه : « كانت لرسول الله ثلاث صفايا ، بنو النضير وخيبر وفدك ، فأما بنو النضير فكانت جميعها لنوائبه وأما فدك فكان حبسا لابناء السبيل . وأما خيبر فجزأها رسول الله أجزاء ، جزأين بين المسلمين وجزءا لنفقة أهله وما فضل منه جعله في فقراء المسلمين .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والنسائي عن عمرو بن الحارث قال : « ما ترك رسول الله عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شاة إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة » . وروى الخمسة عن عائشة قالت أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ويطلبان أرضهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لها أبو بكر سمعت رسول الله يقول « لا نورث ما تركنا صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

وهناك صيغة أخرى لهذا الحديث رواه الأربعة جاء فيها : « إن فاطمة بعد وفاة النبي سألت أبا بكر ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال لها : سمعت رسول الله قال « لا نورث ما تركناه صدقة » . وقال لست تاركا شيئا كان النبي يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئا أن ازيغ .

وحديث آخر رواه الأربعة عن عائشة جاء فيه : « كانت فاطمة تسأل ميراثها عن النبي من صدقته بالمدينة ومن خيبر وفدك . فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس فغلبه عليها علي وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال هما صدقة النبي كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما على ذلك إلى اليوم » .

فيكون في هذه الأحاديث الصحيحة حسم في صدد مآل سهم رسول الله بعد موته .

وننبه على أن الطبري والبغوي يرويان حديثا طويلا فيه كثير مما جاء في الأحاديث الصحيحة وفيه توضيح وحسم أيضا . وقد أورداه في سياق تفسير آيات

الفيء في سورة الحشر وقد جاء فيه :
« إن عمر بن الخطاب عهد بسهم رسول الله في الفيء إلى العباس وعلي رضي الله عنهما بعد أن أخذ عليهما عهدا بأن يجعلاه مجعل مال الله كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر من بعده ثم هو في السنتين الأوليين من عهده وقد اختلفا واختصما وراجعاه ليقضي بينهما فقال لهما اتئدوا أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة . قالا قد قال رسول الله ذلك ؟ فأقبل عليهما وقال : إني أحدثكم عن هذا الأمر وأن الله قد خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحد غيره . وكانت خالصة لرسول الله . والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم فقد عطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله ينفق على أهله نفقة سنتهم ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله ثم توفي فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله فقبضها فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله . وأنتما حينئذ جميع . والله يعلم انه فيما فعل صادق بار راشد تابع للحق ثم توفي أبو بكر فقلت أنا ولي رسول الله وأبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر . والله يعلم إني فيه صادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتماني كلاكما فقلت إنكما تعلمان أن رسول الله قال لا نورث نحن الأنبياء ما تركناه صدقة فان شئتما دفعته إليكما على أن تعملا فيها بما عمل به رسول الله وأبو بكر وما عملت منذ وليت ، وإلا فلا . فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما . أفتلتمسان قضاء غير ذلك . فوالله الذي تقوم السماء والأرض باذنه لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما فادفعاها لي فاني أكفيكماها » . وفي هذا الحديث توضيح لنقطة مهمة في حديث عائشة الأول الذي رواه الأربعة وهي تسليم عمر عليا وعباس رضي الله عنهم جميعها « صدقة النبي في المدينة » فالحديث يوضح أن هذا بمثابة تولية من عمر لعلي وعباس لانفاقه على النحو الذي كان يفعله النبي وأبو بكر من بعده ، وليس على سبيل كونها إرثا لهما وحقا شخصيا . والطبري والبغوي من أئمة الحديث ، والراجح أنهما متثبتان من هذا الحديث .

٣ ـ وفي صدد سهم (ذى القربى) روايات وأحاديث متنوعة ، رواها المفسرون في سياق تفسير سورة الأنفال ، ووردت في بعض كتب الحديث . ومن الروايات أن هذا السهم لقريش لأن جميعهم أقارب لرسول الله . ومنها أنه لأقارب رسول الله الأدنين « بني هاشم أو بني هاشم وبني عبدالمطلب » لأن النبي حرم الصدقات عليهم في حديث رواه مسلم والنسائي عن عبدالله بن الحارث أن رسول الله قال : « إن هذه الصدقات من أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » ومن الروايات رواية عن المنهال قال « سألت عبدالله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا . فقلت لعلي إن الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل . قال : يتامانا ومساكيننا . ومنها إن عليا طلب من النبي أن يدفع له سهم ذى القربى ليقسمه في بني هاشم حتى لا يزعجهم فيه أحد بعده ففعل ثم ولاه إياه

أبو بكر ثم عمر ثم عزله هذا عنه ثم أراد أن يرجعه إليه فقال له ما بنا إليه حاجة والمسلمون لهم حاجة به فقال له العباس إنك حرمتنا شيئا لا يرد علينا أبدا إلى يوم القيامة » هذه رواها أبو يوسف في كتاب الخراج .

ومنها أن سهم ذى القربى كان لرسول الله يضعه حسب ما يرى . صار بعد موته هو وسهم رسول الله لولي الأمر يضعهما حسب ما يرى أو يضعهما في مئونة الاسلام وأهله . وإن هذا كان نتيجة تشاور بين أصحاب رسول الله وجرى عليه عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وروى الامام أبو عبيد في كتاب الأموال عن عبدالله بن المبارك عن محمد بن اسحق قال سألت أبا جعفر محمدا بن علي فقلت كيف صنع علي في سهم ذى القربى حين ولي الناس ، قال سلك به سبيل أبي بكر وعمر . وهناك حديثان صحيحان في هذا الصدد رواهما البخاري وأبو داود عن جبير بن مطعم قال « مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله أعطيت بني عبدالمطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » وجاء في ثانيهما « لم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل . قال ابن إسحق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم . وأمهم عاتكة بنت مرة . وكان نوفل أخاهم لأبيهم » . وليس في الحديثين صراحة إن الذي أعطاه النبي لبني هاشم وبني عبدالمطلب هو سهم ذى القربى . وكل ما يفيده أنه أعطاهم شيئا من الغنائم أو الفيء .

وعلى كل حال ليس هناك حديث وثيق السند صريح النص في كتب الأحاديث المعتبرة بأن سهما من خمس الغنائم كان يوزع على أقارب رسول الله أو بني هاشم في زمن النبي وخلفائه الراشدين الأربعة . ومعظم الأقوال تؤيد أن هؤلاء الخلفاء جعلوا هذا السهم مع سهم رسول الله في بيت المال لينفق على السلاح والكراع ومعونة الاسلام وحاجة المسلمين عامة .

والمؤمن الحق الذي يعرف الخلفاء الثلاثة ، هم ممن مات النبي وهو راض عنهم ، وممن سجل الله رضاءه عنهم في الآية (١٠٠) من سورة التوبة ، لا يمكن أن يسلم بأنهم فعلوا غير ما عرفوا أنه الحق الموافق لسنة رسول الله وإلهام كتابه

ولقد أول بعضهم جملة (ذي القربى) بذي العمل الذي فيه قربى إلى الله في خدمة الاسلام والمسلمين ومصالحهم ومادام أنه لم يثبت بنص صريح صحيح أن النبي وخلفاءه أعطوا سهم ذي القربى لفئة ما من الأقارب وأتى عنهم أنهم كانوا يجعلونه في معونة الاسلام وأهله والكراع والسلاح مع سهم رسول الله فنحن نرى هذا التأويل وجيها ومتسقا مع ذلك بحيث يصح القول أن حكمة الله شاءت التنبيه على وجوب مكافأة ذي الجهد والخدمة النافعة للاسلام والمسلمين ويصبح القول بالتالي إن هذا السهم هو لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة مثل سهام الله ورسوله . وقد يكون مقابلا أو شبيها لسهم المؤلفة قلوبهم المذكورين في مصارف الزكاة (الصدقات) والتوجيه القرآني في تخصص مكافأة لهذه الفئة مع احتمال كونها غنية تعليل مستمر المدى إذا ما صح التأويل الذي يؤيده ورود (ذى

القربى) بصيغة المفرد . فلو كان المقصود أقارب رسول الله الذين كانوا في حياته وذرياتهم من بعده لاقتضى - والله أعلم - أن يأتي بصيغة الجمع حتى يكون شاملا . ولقد إستعمل القرآن إشتقاق (قرب) في معان قريبة لهذا التأويل كما جاء في آية سورة التوبة هذه : **(ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم)** ٩٩ . وفي آية سورة سبأ - ٣٧ وسورة الزمر - ٣ شيء من هذا حيث يمكن الاستئناس به على وجاهة التأويل . وقد يؤيده أيضا أن معظم أقارب رسول الله حين نزول آية الغنائم في سورة الأنفال عقب وقعة بدر بل حين نزول آية الحشر كانوا غير مسلمين وفي مكة . ومنهم من إشترك في وقعة بدر في جانب المشركين . وممن ذكرت الروايات أسماءهم من أسراهم (العباس بن عبد المطلب عم النبي وعقيل بن الأسود بن أبي طالب ونوفل إبن الحرث بن عبد المطلب وأبو عزيزبن عمير بن هاشم والسائب بن هاشم ونعمان بن عمرو بن عبد المطلب . وأبو لهب عم النبي أرسل بديلا عنه . وروى أنه مات جزعا حينما علم بكسرة قريش .. (الاسماء من ابن هشام ج٢ . وفي تفسير الطبري وابن كثير لسورة الأنفال) والله تعالى أعلم .

٤ - وفي صدد (المساكين) الذين خصصوا بسهم . نقول إنهم ذكروا في الفيء والغنائم وحدهم في حين أنهم ذكروا في آية (الصدقات) مع الفقراء .

وليس كل فقير مسكينا في حين أن كل مسكين فقير . وقد عرف المسكين في حديث نبوي بأنه « الذي لا غنى يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه » . وهكذا يكون في تخصص المساكين في تشريع الفيء والغنائم لفتة ربانية كريمة لهذه الفئة المعوزة المتعففة عن السؤال .

وهي لفتة تكررت في القرآن في مناسبات عديدة .

٥ - وفي صدد (اليتامى) نقول : إنه من تحصيل الحاصل أن يكون المقصودون هم الفقراء الذين لا مال لهم . وهم أشد من المساكين عوزا لأنهم صغار ضعاف . وقد حظي اليتيم بلفتة القرآن الكريمة في مناسبات عديدة هو الآخر .

٦ - و (ابن السبيل) هو على ما هو المتبادر المجتاز من أرض إلى أرض وقد نفد ما في يده وأصبح محتاجا إلى مساعدة ولو كان في بلده غنيا على ما يستفاد من معظم الأقوال التي ذكرها المفسرون ، وهناك من قال إنه الضعيف الطارق إطلاقا . وروح الآية تجعل الرجحان للقول الأول مع القول أن القول الثاني لا يفقد وجاهته وبخاصة إذا كان الضيف غريبا محتاجا .

وواضح مما تقدم أن مصارف الفيء نوعان إجمالا . واحد لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة وواحد للمعوزين من المسلمين . وهذا ملموح في مصارف خمس الغنائم والزكاة أيضا .

تبدو روعة التشريع خاصة في صدد اختصاص الفئات المعوزة بنصيب من إيرادات الدولة وجعل مساعدة هذه الفئات واجبا إلزاميا من واجباتها . وفي الآيات التالية من السورة توكيد قوي ورائع لهذه النقطة .

ولقد تعددت أقوال المفسرين والفقهاء في كيفية توزيع السهام حيث قال بعضهم أنه تقسم إلى ستة أقسام متساوية ويصرف على كل مصرف حصته . وحيث قال بعضهم أن هذا متروك لولي أمر المسلمين يتصرف فيه حسب مصلحة الاسلام والمسلمين . وليس هناك حديث صحيح نبوي أو راشدي فيه حسم إلا ما كان في صدد سهم رسول الله حيث جاء في الأحاديث الصحيحة التي أوردناها قبل ، إن رسول الله كان يفرز سهمه فينفق منه على نفسه وبيته ويوجه ما بقي لوجوه البر ومصلحة المسلمين . ولقد أصبح هذا السهم لبيت مال المسلمين بعده . والآية مطلقة بأن الفيء لجميع المصارف المذكورة فيها والذي تذكره الروايات والسيرة والتاريخ من لدن النبي وبعده . إنه كان بيت مال إسلامي يورد إليه جميع ما يجيىء من صدقات ويقبض من فيء وجزية وغنائم عينية ونقدية ويصرف منه بأمر ولي المؤمنين . ووكلائه على ما يقتضي . وهذا متسق مع القول الثاني . مع القول أن من الواجب ملاحظة جميع ما ذكر في الآية من مصارف مادامت حكمة الله تعالى قد اقتضت ذلك ذكرها .

تعليق على قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) .

١ ـ مع ان هذه الجملة جاءت لتدعيم تشريع الفيء الذي احتوته الجملة السابقة لها ثم لتوطيد سلطة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانها جاءت في صيغة مطلقة فصارت تشريعا عام الشمول بوجوب اتباع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وسننه القولية والفعلية كجزء من العقيدة الاسلامية . وقد أكد القرآن هذا في آية أخرى في سورة النساء وهي : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) ٨٠ بالاضافة إلى آيات أخرى فيها تدعيم مثل آيات سورة آل عمران : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين**) ٣١ ، ٣٢ ٧ وآيات سورة النساء : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) ٥٩ و (**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) ١٦٤ و ١٦٥ . وآية النور هذه : (**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) ٥٤ ٧ وغيرها وغيرها . والجملة التي نحن في صددها والآيات التي أوردناها وما في بابها تتضمن إيذانا من الله عز وجل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهي عنه عن الأمر إلا بما هو صالح وخير وعن النهي إلا بما هو ضار وشر وباطل .

٢ ـ وننبه على أن هذا ليس من شأنه أن يتناقض مع ما تضمنته بعض الآيات من عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما فعله مثل آيات سورة عبس : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى**) ١ ـ ١٠ وسورة الاسراء : (**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**) ٧٣ ـ ٧٦ . وسورة الانفال : (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى**) ٦٧ ـ ٦٩ . وسورة التوبة : (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**) ١١٣ ـ ١١٥ فهذا كان منه اجتهادا بأنه خير وصالح ولم يكن يعلم ما هو الأولى في علم الله بدون وحي .

٣ ـ ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر وينهي كثيرا باجتهاد منه ، فكان القرآن يسكت عن ذلك مقرا أو يؤيده نصا أو يعاتب عليه ويوحي بما هو الأولى حسب مقتضى حكمة الله تعالى .

ومما كان وأيده الله نصا : (**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**) الفتح/ ١٥ وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لا يذهب معي إلى غزوة خيبر إلا من شهد الحديبية) رواه أبو داود وابن ماجة وكان هذا مثل سائر أحاديث رسول الله وحيا ربانيا غير قرآني فلم يدون قرآنا وبلغه النبي لاصحابه كحديث . ومن ذلك : (**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**) الانفال/ ٧ . وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر إن الله وعدني إحدى الطائفتين أي الانتصار على الطائفة التي معها الغنيمة أو الطائفة الحربية التي جاءت من مكة للدفاع عنها .

٤ ـ ولقد أورد المفسرون أحاديث نبوية في سياق تفسير الجملة التي نحن في صددها فيها توضيح وتدعيم . منها حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .

وقد أورد الخازن حديثا في سياقها أيضا بهذا النص « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أبو داود وابن ماجة والدارمي . والخازن لم يوثق الحديث . ولكن هناك حديثا صحيحا فيه مثل ذلك رواه أبو داوود والترمذي عن المقدام بن معد يكرب جاء فيه « ألا لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » .

٥ ـ والأمر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ميسور بالاستماع منه والرجوع إليه شخصيا . أما بعد وفاته فقد أصبح السير واجبا وفق ما روى وصح عنه من أوامر ونواه وسنن قولية وفعلية وهذا بطبيعة الحال يستتبع وجوب التثبت فيما ينسب إليه من ذلك . ولقد يسر الله رجالا مخلصين لله ورسوله لحقوا ما نسب إليه من

أحاديث ودونوا ما صح عندهم منها فصارت مرجعا عظيما من مراجع التشريع الاسلامي . ومن أهم الضوابط التي وصفها العلماء أن لا يكون بين ما نسب إليه وبين أحكام ومبادىء القرآن الثابتة والحكمة الواضحة تعارض وتناقض لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يأمر وينهي بما يتعارض مع ذلك . والأحاديث النبوية الواردة في شؤون وأحكام قرآنية تدور على الأغلب حول تخصيص ما فيه إطلاق وتوضيح ما فيه غموض وإتمام ما يحتاج إلى إتمام وبيان ما سكت عنه القرآن من جزئيات وأشكال وفروع مثل عدد ركعات الصلوات وكيفياتها وأركانها ونصاب الزكاة وأنصبة الارث التي ستبقى في حالة وراثة النساء فقط واعمال الحج الخ الخ ..

هذا بالاضافة إلى أحاديث كثيرة أخرى في الشؤون الأخرى . وهي وتلك مراتب حسب الرواة والمدونين مما لا يتسع المجال لشرحه ومما هو مفصل في كتب الاحاديث وما وضع لها قواعد ومصطلحات وكثير جدا منها صحيح وحسن ووثيق السند .

فجزى الله رجال القرون الثلاثة الأولى الذين انطلقوا من إيمان عميق بالله ورسوله وبذلوا جهدهم العظيم الذي حفظوا به نصف الشرائع الاسلامية . وهو النصف المفصل الذي فيه التتمة العظمى لنصفه الأول أي القرآن .

تعليق على قوله تعالى : (**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**)

١ ـ هذه الجملة وإن كانت في صدد حجب الفيء عن الأغنياء ومنع تداول ما يفيئه الله على المسلمين من الأعداء بين الأغنياء فانها تنطوي فيما يتبادر ـ والله أعلم ـ على معنى جليل بعيد المدى وهو أن الثروة لا ينبغي أن تكون محصورة التداول في أيدي الفئة الغنية القليلة من الناس ، وأن من حق السلطان الاسلامي أن يتخذ من التدابير ما يكفل توزعها بين أكبر عدد ممكن من الناس ولو بطريق تخصيص الفقراء ببعض موارد الثروة دون الأغنياء استئناسا بالآية التي فيها هذه الجملة حيث شاءت حكمة الله أن يخصص مورد الفيء جميعه لمصالح الاسلام العامة والفئات المحتاجة من المسلمين دون الأغنياء . ولقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » (انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٩١) .

وعمر رضي الله عنه كان من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي من أكثرهم فهما لتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وروحه . ولا شك في أنه صدر في قوله هذا عما اعتقده أنه يشق مع ذلك . ولقد تواترت الروايات إلى حد اليقين بأنه رتب المرتبات لمختلف فئات المسلمين . وكان يهتم كثيرا لمساعدة ونجدة المحرومين والضعفاء والفقراء مما فيه توثيق لصحة صدور ذلك القول عنه . « انظر تاريخ عمر بن الخطاب للامام ابن الجوزي حيث استوعب كثيرا من أقواله وأفعاله في هذا الصدد » .

العقل

للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

أ ـ العقل أس الفضائل

حاول بعض المحققين من أسلافنا الصالحين ـ رضي الله عنهم ـ تعريف العقل بقوله : « إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية » وذلك نوعان : أحدهما ما وقع عن درك الحواس ، والثاني ما كان مبتدأ في النفوس . فأما ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر ، والأصوات المدركة بالسمع ، والطعوم المدركة بالذوق ، والروائح المدركة بالشم ، والأجسام المدركة باللمس ـ فكأن الحواس الخمس نوافذ للعلم والمعرفة على رأي شيخنا أقضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي في كتابه القيم : « أدب الدنيا والدين » ص ٢١ ط الحلبي ١٩٧٣ م

ب ـ سبب التسمية

قال الماوردي : وسمي العقل بذلك تشبيها بعقل الناقة ، لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته إذا قبحت ، كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت ، ولذلك قال عامر بن عبد القيس : « إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل » . ولا يخفى علينا أن لكل فضيلة أسا ، ولكل أدب ينبوعا ، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا ، وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكّده الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع ، فكان العقل لهما عمادا ؛ فبقدر عقل المرء تكون عبادته لربه ، أما سمعتم قول الفجار على ما حكي في القرآن الكريم : (**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/ ١٠ . وقال عمر بن

الخطاب « رضي الله عنه » : « أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه » . وقال الحسن البصري - رضي الله عنه - : « ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما » . وقال بعض الحكماء : « العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدوّ » . وقال بعض البلغاء : « خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل » . وبالعقل تعرف حقائق الامور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات . ونظرا لأن العقل أصل الدين وعماد الدنيا قال الضحاك في قوله تعالى : (**لينذر من كان حيّا**) يس/ ٧٠ أي : من كان عاقلا .

جـ ـ من مفاخر الاسلام

ومن مفاخر الاسلام اعتماده على العقل في قضاياه الأساسية ، وعدم تناقض صحيح المعقول مع صريح المنقول فيه أبدا لدرجة أن قضية الألوهية ووحدانية الله عز وجل تعرض في القرآن الكريم وفيها قوة الاقناع العقلي : (**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون**) المؤمنون / ٩١ و ٩٢ . وجاء في سورة الأنبياء ما يساند هذا الدليل ويؤكده : (**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**) آيات/ ٢١ ـ ٢٣ .

د ـ العقل أساس التكليف

ولا عجب إذن أن يكون العقل أساس التكليف في الاسلام ، فقد جاء رسولنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن بلغت الانسانية رشدها ، وجاءت رسالته عامة خاتمة تخاطب الانسانية في كل زمان ومكان ، ولذا وجدنا القرآن الكريم في غاية الاحكام ، ليس فيه تناقض أو اضطراب : (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ . فاذا تعرض العقل لما يحول بينه وبين أداء وظيفته كالمرض والنوم أو كان المرء صغير السن غير ناضج ـ سقط التكليف عن صاحبه بالأمور الشرعية ، وفي الحديث الشريف : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ » رواه احمد وأبو داود إذ النائم لا قدرة له على الطاعة ما دام مستغرقا في النوم ، والمجنون لا يعقل الطاعات ، ولا تتجه نيته إلى القربات إذا كان جنونه مستمرا ، والصبي لم يبلغ درجة من الرشاد تدفعه إلى الاقبال على العبادة ، وإن كان علينا أن نعّوده ونمرّنه بلطف متى ميز حتى يعتاد الصلاة ، ويقبل عليها ، ويخف إليها ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وأبو داود والحاكم .

هـ ـ وظائف العقل

ومن وظائف العقل الاستنباط ، والتعليل ، والتذكر ، والتفكر ، وبها تتمكن العقيدة من القلب ، وتأخذ بمجامع النفس ، ويحسن التأمل في المعاني ، والصبر على طلب العلم ، وحسن التلقي عن أهله ـ يبلغ الانسان درجة التفقه في الدين ، ثم يكون مهيأ لنقل الدعوة إلى الناس وموعظتهم ، قال الله تعالى : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**) سبأ/ ٤٦ .

وقال عز وجل : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ و ١٩١ .

وإنا لندرك أن الانسان لا ينقاد للشيطان ، ولا يقارف الذنوب إلا وهو في إسار غفلة عن عظمة الله وجبروته ، فاذا ما تذكر ارعوي واهتدى ، وعاد إلى الصواب ، واستغفر الرحيم التواب ، ونعوذ بالله من قرناء السوء ، ورفاق الشر الذين يدعون أصحابهم إلى الشرور ، ويلجون بهم أبواب الفسوق والفجور ، ويزينون لهم الضلال : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون**) الاعراف/ ٢٠١ و ٢٠٢ .

إن طبيعة الحياة ومصالح الناس ، تقتضي تنوع الأعمال واختلافها ، ليتعاون الناس جميعا على شئون الحياة ، ويخدم كل منا أمته بما يستطيع في الميدان المشروع الذي يحب ، فلا بد من الناس ، وكل ميسر لما خلق له ، وخير الناس أنفعهم للناس قال الله تعالى : (**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**) التوبة/ ١٢٢ .

و ـ من مهام الداعية العاقل

والداعية العاقل هو الذي يتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ . قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : « إذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه « والحسد » هنا بمعنى

الغبطة وهو أن نتمنى من الخير مثل الذي عند الغير .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » متفق عليه ، الآناء : الساعات . ص ١٩٨ رياض الصالحين « المكتبة الأهلية ببيروت .

وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول : « كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة مخافة الملل » رواه البخاري واحمد يتخولنا أي يتعهدنا بالموعظة عند توفر نشاطنا لها . ومن من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحب سماع الرحمة المهداة ، والنعمة المزجاة ؟ : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) التوبة/ ١٢٨ .

ولا يغيب عن بال الداعية العاقل أن الناس تتفاوت مداركهم ، فمنهم العامة ، ومنهم الخاصة وخاصة الخاصة ، وقد يكون المتخصص في علوم الدنيا قليل البضاعة في علوم الدين ، ومن ثم حسن ـ بل تحتم على الداعية أن يتخذ لكل طائفة أسلوبا ، وهو في ذلك يستجيب لقول العزيز الحكيم : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل/ ١٢٥ ، ويقتدي بالرسول الكريم معلمنا الأعظم نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم » إذ وجهنا إلى ذلك بالمأثور « امرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ز ـ دعوة الاسلام إلى النظر والتأمل والتفكر

إن قارىء القرآن الكريم بتدبر ، يلمس اهتمام الكتاب العظيم بتثبيت العقيدة ، وتقوية اليقين فيتوجه عقله إلى الربط بين عظمة المصنوع وجلال الصانع المبدع ، وإلى الاستدلال بالمخلوق على وجود الخالق ، نلمس ذلك في قول الله عز وجل : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ وهي من السور المكية ثم يعقب على هذه المشاهد بقوله الكريم : (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) **الغاشية/ ٢١ و ٢٢ والله عزوجل صاحب الفضل العظيم أنعم علينا بنعمة العقل لتعيننا ـ بتوفيقه ـ على الهدى ، وتدفعنا ـ بعونه ـ عن الردى . يسوق لنا هذه الأدلة على وجوده ورحمته وفضله وعظمته في هذه الآية الكريمة** : (**إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة**

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة/ ١٦٤ .

فاذا ما تتبع الانسان أنباء رحلات الفضاء ، وهبوط الانسان على القمر ، وعرف بعد الشمس عن الأرض وعرف أن من النجوم ما لم يصل إلينا ضوؤه بعد - تأكد أن هذه الكرة الأرضية ما هي إلا ذرة تسبح في فضاء الله الفسيح ، وتدور في كونه الرحب فازداد لله إعظاما ومنه خشية ، وله رجاء : ... وأثنى على أهل العلم ، ورجا أن يكون منهم : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨

وانظر يا أخي إلى هذه اللوحة ، وما تضمنته من مشاهد القدرة ، ومجال العظمة ألا تحس مع تلاوتها براحة الايمان ، وسعادة الاطمئنان لما تثيره في الفكر ، وما تدعو إليه من تأمل وأستبصار : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**) فاطر/ ٢٧ و ٢٨ .

إن الادلة المتعانقة تطالع القارىء المتدبر فتنزل على قلبه بردا وسلاما : بردا يطفىء نيران الشكوك ، وسلاما واطمئنانا باشراق أنوار ملك الملوك ، ولذا كان من آداب قراءة القرآن الكريم الترتيل لأن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل يعين عليه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما واتدبرهما ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن الكريم كله هذرمة »

« الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام » . وجلي أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيرا في القلوب من الهذرمة والاستعجال ، قال الله تعالى : (**ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٤ إن الانسان ليطالع الآية من كتاب الله مشتملة على دليل عقلي على أمر من أمور العقيدة في عبارات قصار ، تدعو إلى التسليم والانبهار .. ومن أحسن من الله حديثا ؟ وأصدق منه قيلا ؟.

وتدبر الأدلة المتهادية ، والبراهين السامية في هذه الآيات الفياضة بالاعجاز على ما فيها من إيجاز : (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم**

السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من في السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم/ ١٩ ـ ٢٧ .

ح ـ العقل أساس التشريف

بالعقل يميز الانسان المدركات ، ويربط بين المقدمات والنتائج ، ويلتمس آثار الماضي في أحداث الحاضر ، وخيوط الحاضر في نسيج المستقبل . ومن قوى العقل الاستنباط والتذكر ، والفهم وهي كلها مرتبطة بالتعلم أوثق ارتباط ، ولله در الذي يقول :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الانسان

وبالعقل كان الانسان أهلا للتكليف ، ومن ثم كان الرسل من بني آدم ومن جنس الانسان : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/ ٧٥ ، وهو ـ سبحانه جل شأنه وعظم سلطانه ـ أعلم حيث يجعل رسالته .

وبالتذكر والتعلم تجلت قدرة ربنا في آدم إذ علمه الأسماء كلها : (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**) البقرة/ ٣١ و ٣٢ .

وبالعقل تمكن الانسان من تسجيل الأصوات ووضع الكلمات رموزا للمحسوسات والمعقولات ، ومن ثم كانت نشأة اللغات ، وألهم الانسان صنع المطبعة فكانت الكتابة والمطبعة ذاكرة البشرية ، وعاملا من أهم العوامل في تقدم الانسانية ، ولذا نردد قول الله في يقين وإذعان بلسان الشكر والامتنان : (**وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

وبالعقل استطاع الانسان قيادة الجمل والفيل ، وهما أكبر منه حجما ، وأقوى جسما ، ثم استطاع ابتكار السيارات والقطارات والطائرات والغواصات ، وما هبوط الانسان على القمر في عصرنا الحاضر بأعجب من وضع القواميس منذ مئات السنين .. كلاهما احتاج الى طول تفكير ومواجهة صعاب ، وتخطي عقبات . قال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ بل إن الكفار الأشرار حاولوا أن يرموا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنون ليتخذوا من ذلك ذريعة إلى رفض دعوته ، وإبطال رسالته : (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**) الكهف/ ٥ .

ط ـ من الأباطيل والتضليل

تداعت إلى خاطري بعض هذه

المعاني عقب مطالعتي لمقال في مجلة (آخر ساعة) المصرية ـ بعث به مراسل المجلة من برلين الغربية ونشر المقال في صفحتي ١٨ ، ١٩ من العدد ٢٤٤٣ الصادر في ١٩ من أغسطس ١٩٨١ الميلادية عن اتباع « بهوان » الذين ينتشرون في شوارع المانيا انتشار السيارات اليابانية .. يرتدون ملابس برتقالية اللون ، وعلى صدورهم سبحة طويلة في وسطها تحت الصدر صورة « مولانا بهوان » كما يقول الكاتب يتعبدون ويتأملون ، ويعقدون حلقات الذكر ، ويعيشون حياة فقراء الهنود ، ويسلكون طريق النسك والزهد ، ويتقربون الى الله بدوام القعود على أرض مفروشة بالبسط .. ويعتقدون أنهم ما داموا يذكرون ويتأملون ؛ ويتحررون من أسر المادة يرتاحون نفسيا ، ويتطهرون روحيا ... والمدهش أنهم يقولون : « هنا الأحذية والعقول تترك عند البوابة » وواضح ما في هذا القول من تحقير للعقول بتقديم الأحذية عليها مرة ، وعطف العقول عليها مرة اخرى وجلي ما في هذه النحلة من تناقض واضطراب لأن العبادة إذا كانت قائمة على التأمل فبم أتأمل وقد خلعت حذائي وعقلي عند البوابة ؟ وترحمت على اجدادنا الذين كانوا يقولون لنا عند التأهب للصلاة : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » .

إن محاولة إبعاد العقل تمهيدا لانتشار هذا المذهب ـ دليل على خواء روحي ـ وانحطاط فكري عند بعض الغربيين ، وبرهان على أن الحضارة الغربية اهتمت بتعمير الظاهر ، ولم تهتم بالجانب الروحي فظهر كثير من شبابهم وقد صح فيهم قول الشاعر :

رب : ما أبين التباين فيه
منزل عامر وعقل خراب

وصدق الله العظيم : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/ ٧ . إن بعض المقالات هابطة او هادمة أو مخدرة فهي كالخمور والمخدرات .. وكل مسكر حرام ، وكل مفتر حرام .. ونحن بحاجة إلى ما يزيد في عقولنا لا إلى ما يحجبها او ينقص منها ، وقد سئل أحد الأعراب · لم لا تشرب الخمر ؟ فقال : « كيف أشرب ما يشرب عقلي ؟ » وحكى الأصمعي رحمه الله قال : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ؛ قال : فقلت : لم ؟ قال الغلام : أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ، ويبقى علي حمقي .

ى ـ واجبنا نحو العقل

إن حفظ العقل كحفظ النفس والدين والعرض من أوجب الواجبات ، ومن ثم كان الاسلام دين الفاقهين المستبصرين الذين لا يلعب بعقولهم مضلل كنود ، أو صحفي شرود ، أو حاكم حقود ، إن الاسلام دين قام على العقل وكانت معجزته الخالدة « القرآن » رسالة دائمة للعقل ،

وخطابا للانسان في كل زمان ومكان ، ومجالا للتحليل والتعليل والاستنباط لانه يريدنا أمة يتمتع أفرادها بالوعي الاسلامي ، والعقل الرشيد الذي يميز الخبيث من الطيب . وما أروع القرآن الكريم وهو يقول : (**يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**) المائدة/ ٩٠ ـ ٩٢ إننا لا نريد أن يتحول شباب الاسلام إلى قطعان ، ومبصروه إلى عميان : لأنهم إن صاروا كذلك صاروا كغثاء السيل فلعب بهم الدجالون ، وسيطر عليهم عملاء الصهيونية والصليبية والشيوعية ، وفسر لهم القرآن من ليس أهلا للتفسير فغرر بهم أيما تغرير .

ك ـ متاعب التفكير

إن الباحث الذي يعمل عقله وفكره ويحاول الاجتهاد لفهم دينه ، يشغل نفسه بامور أمته ودينه ومجتمعه .. ومن ثم يعاني ما يعاني الأعزاء عليه ... ولأمر ما قال الله عز وجل : (**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**) المزمل/ ٥ لأنه يتضمن التكاليف ، وما تقتضيه من مقاومة للمفسدين وإقرار للعدالة ، وكشف للضلالة ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .. وقد قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : « ما تركت حقوق الله لامرىء مسلم في ماله درهما » فهل يوافق المترفون طواعية على أن يتخلوا عن بعض مظاهر الترف لصالح إخوانهم في الدين والوطن ؟ ومن أقوال السلف المأثورة : « من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم » ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذي قال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويقول :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

ولكن ليس معنى ذلك ان نتخلى عن عقولنا ، ونهمل تنميتها بالقراءة الجادة ، وحسن الفهم ، ومجالسة العلماء رغبة في دعم وعينا الاسلامي ، ورد سهام أعدائنا إلى نحورهم : (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**) الأنبياء/ ١٨ . نسأل الله أن يديم علينا فضله ورحمته ، ويكتب لنا توفيقه وعونه ونصرته : (**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

والله ولي التوفيق

ماوراء القصص القرآني

الوجود

كان القطار الذاهب من حلب الى بيروت ينهب بنا السهول المنبسطة المترعة بالخضرة الفاقعة ، واشار بيده عبر النافذة الى حصن قديم يقف بأطلاله على مرتفع من الارض وقال : انه واحد من شواهد التاريخ الكثيرة المنتشرة في المنطقة .. ها هنا ادار الزمن صراعا بين المسلمين وبين الغزاة الصليبيين ، بلغ ما يقرب من القرنين قلت ، وانا اجاهد لكي اركز ابصاري بالحصن القديم : من كان يتصور - يومها - ان الصراع سوف يستغرق هذا المدى الطويل ؟ من كان يصدق ان الغزاة ، بعد ان ثبتوا اقدامهم هنا عشرات السنين ، سيضطرون للرحيل ، وترجع الارض الى اصحابها ..؟

قال ، وملامح الامل ترتسم على وجهه : ان تقادم الزمن على اسرائيل لا يعني شيئا ، فها هي ذي عبرة التاريخ .. وراح يتلو : (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) آل عمران/١٣٧ - ١٤١ .

البحث عن الاسباب

ووجدتها فرصة طيبة لكي اسأله عن الموضوع الذي ظل يلح على ذهني ردحا طويلا .. ان القرآن الكريم يفرش مساحات واسعة من سوره وآياته للقصة التاريخية .. وان المرء ليتساءل عن الاسباب والدوافع التي

الاسرائيلي

للدكتور/ عماد الدين خليل

تكمن وراء هذا الاهتمام المتزايد على مدى القرآن كله .

قال : انها الدوافع التي تكمن وراء اية مطالعة جادة ذكية واعية للتاريخ : اثـارة الفكر البشـري ودفعـه الى التساؤل الدائم والبحث الدائب عن الحق .. تقـديم خلاصـات مركـزة للتجارب البشرية عبرا يسـير على هديها اولو الالباب .. ازاحة ستار الغفلة والنسيان في نفس الانسان وصقل ذاكرته وقدرته على المقاومة لكي تظل في مقدمة قواه الفعالة التي هي بأمس الحاجة الى تفجير طاقاتها دوما وهو يواصل الكفاح في عالم يرفض الذين يعانون الغفلة والكسل الذهني والتواكل واليأس والنسيان .. تقديم الدليل على علم الله الواسع الذي أحاط بحركة التاريخ ماضيا وحـاضرا ومستقبـلا .. ثم تأكيـد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الانبياء السابقون جميعا وسعوا الى ان يقودوا أممهم الى مصدره الواحد الذي لا اله الا هو : **(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فـؤادك وجـاءك في هـذه الحق ومـوعظـة وذكـرى للمؤمنـين)** هود/ ١٢٠ **(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)** يوسف/ ١١١ **(فـاقصص القصص لـعلـهم يتفكـرون)** الاعـراف/ ١٧٦ **(ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معـرضـون)** الانبيـاء/ ٢٤ **(ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلـوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)**

البقرة/ ٢١٤ .

فماذا عن النتائج ؟

قاطعته متسائلا : هذا عن الاسباب الاساسية لايراد القصص والوقائع التاريخية في هذه المساحات الواسعة من القرآن . ولكن ماذا عن النتائج النهائية المتمخضة عن دراسة حركة التاريخ البشري والتمعن في وقائعه واحداثه ؟

أجاب ، وهو يشير باعجاب الى بسيط من الارض تفجر في خضرته الريانة مهرجان من الالوان منحته حركة القطار السريعة تداخلا يثير الوجدان : ان القرآن يطرح علينا لأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطىء ، وعبر مسالكها المقننة التي ليس الى الخروج عليها سبيل ، لانها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقا وفكرا وعواطف ووجدانا ، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الانسان والتي تتجاوز في اتساعها وشموليتها نسبيات البيئة الجغرافية او الوضع الاقتصادي لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه ، الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة في كيان الانسان والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية سلبا وايجابا .

وهكذا ، فان حكمها على هذه الحركة يجيء منطقيا تماما لانه اشبه بالجزاء الذي هو من جنس العمل ، ومن خامته الاصيلة ، وعادلا تماما لانه يكافىء الانسان ، فردا وجماعة ، بما يوازي طبيعة الدور التاريخي الذي مارسوه ، حتى لكأن القرآن يلفت انظارنا الى اننا نستطيع ان نبني على مجموعة معينة من الوقائع التاريخية ، سلفا ، نتائجها التي تكاد تكون محتومة لارتباطها العضوي بمقدماتها اعتمادا على استمرارية السنن التاريخية ودوامها .. وعلى العكس ، فان اي تأخر او اهتزاز في نفاذ هذه السنن سوف يؤول الى تميع الحركة التاريخية وعدم انضباطها جزائيا ، وبالتالي سيؤول الى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل .. ومن اجل ان نطمئن يبين لنا القرآن في اكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها او تحولها .. انها موجودة اساسا في صميم التركيب الكوني وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الانسان والعالم .. ولم يفعل القرآن سوى ان كشف عنها النقاب واكد وجودها وثقلها في حركة التاريخ

هذا في وقت ظل فيه المؤرخون والمفكرون عامة يتخبطون في دراساتهم ومعطياتهم التاريخية لانهم - حتى القرن الماضي - لم يستطيعوا ان يصلوا الى هذه السنن التي تحكم حركة التاريخ ويطمئنوا اليها ، ويجروا تحليلاتهم وتفاسيرهم وفق مؤشراتها ودلالاتها .. ولم يحدث الا اخيرا ، وفي القرن الماضي ، ان اكتشف كبار رجالات الفكر الاوروبي ناموسية الحركة التاريخية ، هذا اذا

استثنينا بطبيعة الحال : « ابن خلدون » الذي سبقهم بخمسة قرون ، ولكنهم سلطوا عليها معاييرهم النسبية ومقاييسهم الجزئية فجاءت انعكاسا صارما لفكرة ما او اعتقاد مذهبي محدد ..

اما في القرآن الكريم فان هذه السنن والنواميس لا تتحدد ولا تأسر نفسها بتفاصيل وجزئيات موقوتة ، بل تمتد وتمتد ، مرنة منفتحة شاملة ، لكي تضم اكبر قدر من الوقائع وتلامس اكبر عدد من التفاصيل والجزئيات وتبقى دائما بمثابة الحصيلة النهائية ، والرموز المكثفة والدلالات الكبرى لحركة التاريخ . انها تريد ان تقول لنا - باختصار وتركيز بالغين - ان حركة اية جماعة في التاريخ ليست اعتباطية ، وانها ، بما قد ركب فيها من قوى العقل والروح والارادة - خلافا لما هو سائد في العوالم غير البشرية - مسؤولة مسؤولية كاملة خلال حركتها تلك حيث ينتفي العبث واللا جدوى ، وحيث تتحرك الحرية من شكلها المهوش المتميع الغامض ، الى عمل مدرك مخطط يقف به الانسان بمواجهة الله والعالم لكي يحقق اعماره ورقيه وتقدمه ، وفق ما يجيء به انبياء الله ، حينا بعد حين ، من تعاليم وخطط تأخذ بيد الجماعة البشرية في هذا الطريق .. وحيثما انتفت هذه العلاقة الايجابية بين الانسان والله والعالم ، وأسيء استخدام الحرية ، وضاعت المسؤولية ، وانعدم التخطيط المدرك الواعي ، وتميعت القيم الاخلاقية المنبثقة عن قوى العقل والروح والارادة .. حيثما جاء الجزاء الموازي لجنس العمل ، وآل الامر بالجماعة البشرية الى التدهور والتفتت والانهيار : (**سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا ولن تجد لسنتنا تحويلا**) الاسراء/٧٧ (**فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**) فاطر/٤٣ (**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) الفتح/٢٢و٢٣ .

تجاوز صوب الحركة والابداع

ان كتاب الله لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب ، ولكنه يحولها في الوقت نفسه الى دافع حركي يفرض على الجماعة المدركة الملتزمة ان تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة الى الدمار ، وان تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة ، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه وبهذا يتجاوز التاريخ في القرآن اطره النظرية ، او القصصية الغنية ، او الاكاديمية ، الى حركة وبحث وجهد وابداع تجيء دائما لخدمة المعاصرة وللسير نحو المستقبل بفهم اعمق والمام اكبر بسنن التاريخ . ومن ثم نلتقي بآيات الله وهي تطلب من اية جماعة معاصرة ان تسير في الارض لكي تنظر

لا ان تنظر فحسب ، بل تتعلم من هذا السير « السنن » التي حاقت بالذين خلوا من قبل من اجل بناء عالم لا تدمره تجارب الخطأ والصواب التي دمرت امما وجماعات وشعوبا : **(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها)** محمد/ ١٠ **(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** الانعام/ ٣٤ **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين)** الروم/ ٤٢ **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** النحل/ ٣٦ .

المستقبل .. المستقبل

وسألته عن المردود النهائي لهذا كله .

فقال : اترى الى حركة هذا القطار ؟ ان بداياتها الاولى قد اصبحت ماضيا بالنسبة لنا جميعا .. وذلك الجدول الصغير الذي سنجتازه عما قريب سيفقد بعده المستقبلي ويتحول الى حدث ماض .. ان القرآن الكريم يعرض علينا الحركة التاريخية من خلال هذا المنظور .. التوجه الدائم صوب المستقبل ، اذ ليس ثمة سكون في مكان ما على الاطلاق .. انه التيار الذي تتدفق مياهه فتختلط فلا يكاد احد يميز ، وهي تصب في البحر ، ماءها القادم من المنابع البعيدة من ذلك الذي ارفدها وهي تقترب من البحر .. الم تسمع مقولة « كروتشه » الفيلسوف الايطالي ، واحد رواد فلسفة التاريخ في العصر الحديث ؟

اجبته : اليست هي قوله : ان التاريخ كله تاريخ معاصر .

قال : بالضبط .. فلنرجع الى القرآن لكي نجده يؤكد في اكثر من موضع على ان النظر والبحث والتجوال في تاريخ البشرية ، انما هو جهد ايجابي لن يكون مردوده الا على الحاضر والمستقبل ، ولن يفيد منه الا الذين يشحذون كافة حواسهم وقدراتهم العقلية لكي ليتخلصوا المعنى والمغزى ويسيروا على هداهما : **(فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)** الحج/ ٤٥و٤٦ . **(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغني النذر)** القمر/ ٤ و٥ . **(إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)** الحاقة/ ١١و١٢ . **(ولقد انزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)** النور/ ٣٤ .

المقياس الاشد تأثيرا على المصير

ويبلغ من تأكيد القرآن الكريم على ايجابية البحث التاريخي واتساعه وشموله ان يسعى الى مده الى ما وراء التجارب البشرية الاولى على الارض .. الى بدء الخلق وحجر الزاوية على المستويين الجيولوجي والبيولوجي بما يتيح للانسان رؤية انفذ لقدرة الله المبدعة ، ولسننه الدائمة التي رافقت مجرى التاريخ منذ تكويناته الاولى : (**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**) العنكبوت/ ١٩و٢٠ .

وعبر عدد من المواضع يؤكد القرآن الكريم على ان سنن الله في التاريخ ثابتة ماضية ازاء الجماعات البشرية التي تتنكب عن الطريق ، بغض النظر عن حجم هذه الجماعة وعن مدى دورها الحضاري ومقدار منجزاتها المادية والادبية في مقاييس الكم ومعايير المساحات والاحجام .. فدائما يكمن وراء هذه المعايير والمساحات ، المقياس الحقيقي والمؤشر النهائي اللذين نستطيع بالتمعن فيهما ان نحكم على مسيرة الجماعة وعلى مصيرها السعيد او المفجع . ان وراء العطاء والتعامل الحضاري شيئا اكبر واخطر واشد تأثيرا على المصير ، انه « نفسية » الامة ، افرادا وجماعات واخلاقياتها ، ونظرتها الشاملة الى الحياة ، وطبيعة علاقاتها الانسانية ، والمواقع التي تتخذها بمواجهة الله والعالم (**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم**) محمد/ ١٣ (**او لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) الروم/ ٩ (**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا**) مريم/ ٧٤ (**قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا**) القصص/ ٧٨ (**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون**) غافر/ ٨٢ .

واذ كان القطار ينطلق على الخط الساحلي حتى ليوشك ان ينزلق الى البحر كانت بيروت ترتسم في الافق لكن ما تلبث ان تضيع في الضباب .. وكان صوت محدثي المترع بالدفء والايمان ، يمنح الحوار متعة وحلاوة .. وكنت اتمنى ان يطول الحديث ، ولكن وصولنا الى المدينة ، اضطرنا الى التوقف ريثما نبحث عن سيارة تنطلق بنا الى مصيفنا الاثير .. (بحمدون ».

وإن لكم في

يقول الحق تبارك وتعالى :
(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) الآيات/ ٥ ـ ٩ من سورة النحل . هذه الآيات المباركات جمعت معجزات الله تبارك وتعالى في خلق الأنعام . فاننا نجد دائما أن معظم مخلوقات الله مسخرة باذنه لخدمة الانسان . ومن أهم هذه المخلوقات الأنعام وهي المواشي التي يؤكل لحمها ويشرب لبنها ويستدفأ بجلدها ووبرها ..

وحينما ننظر إلى مطلع الآية الكريمة نجد أن المولى تبارك وتعالى بدأها بالتقديم حيث قدم الأنعام على خلقها « والأنعام خلقها » وهذا التقديم له فائدة وهدف عظيم حيث يفيد تكريم الأنعام وعظم شأنها عند خالقها وبالتالي فهذا نداء إلى الانسان بمعاملة الأنعام معاملة تليق بشأنها عند مولاها وذلك بأن يعطف عليها وألا يحملها ما لا طاقة لها به **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** .

فمن الأغنام يؤخذ الصوف وشاءت حكمة الله أن يكون هناك اختلاف وتشابه بين سلالات الأغنام . فنجد أن هناك أنواعا عديدة ذات الانتاج العالي من الصوف مثل اللنكولن ، الليستر ، المارينو ، السفولك ، هذا وتعطى هذه الأنواع كميات كبيرة من الصوف ذا درجة جودة عالية ، وتصنع منه أحدث وأفخر أنواع الملابس الصوفية التي تقي الانسان من برد الشتاء الشديد . ولم تقتصر منافع الأغنام فقط على إعطاء الصوف الذي هو مصدر

الأنعام لعبرة

للدكتور/عزت أبوالفتوح حمودة

الدفء والحرارة للانسان ، بل تشترك مع باقي الأنعام في إعطاء منافع عديدة لا حصر لها ولكن على سبيل المثال نذكر ..

اولا ـ اللحوم :

اللحوم التي هي المصدر الأساسي للبروتين الذي يتغذى عليه الانسان فمن المعروف أن البروتين الحيواني عالي القيمة الغذائية وذلك نظرا لاحتوائه على معظم الأحماض الأمينية الأساسية اللازمة للجسم ، ومن هنا تظهر أهمية البروتين الحيواني للانسان والذي ينتج عن نقصه ظهور العديد من أمراض سوء التغذية . حيث أنه من المعروف أن احتياجات الفرد العادي كامل النمو من البروتين يوميا حوالي ٧٠ ـ ٩٠جم ويجب أن يكون نصف هذه الكمية على الأقل بروتينا حيوانيا حتى يؤدي الوظيفة المرجوة منه .

ثانيا : الألبان :

وهي تلي اللحوم من حيث الأهمية وفي هذا الصدد يقول الحق تبارك وتعالى : (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) الآية ٦٦/من سورة النحل .

وهذه الآية الجليلة تعتبر إحدى المعجزات القرآنية التي سبقت العلم منذ حوالي ألف وأربعمائة سنة لتؤكد كيفية تكوين اللبن حيث يتم تكوينه من بين فرث : « وهو عبارة عن الأشياء المأكولة والتي تم هضمها بالكرش » ودم . وأخيراً في مطلع هذا القرن جاء العلم الحديث ليفسر كيفية تكوين اللبن والذي يتكون أساسا عن طريق الدم بعد إتمام عمليات كميائية

وحيوية معقدة يكون ناتجها اللبن . والدليل على ذلك أن الدم يحتوي على سكر الجلوكوز واللبن يحتوي على سكر لاكتوز ، وكذلك بروتين الدم يختلف عن بروتين اللبن الذي يكون من لاكتو البيومين ، ولاكتوجلوبيلين ، وكازين فمن جلوكوز الدم يتكون لاكتوز اللبن عن طريق :

- جلوكوز الدم بمساعدة جالاكتوز .
- جلوكوز + جالاكتوز في وجود لاكتوز .

وبالنسبة للدهون الموجودة في اللبن ، غير معروف مصدر تكوينها على وجه التحديد ، ولكن هناك أقوالا بأنها تتكون من الكربوهيدرات وتتكون الأملاح المعدنية في اللبن من الأملاح المعدنية الموجودة في الدم وبعد إتمام هذه العملية الحيوية المعقدة لتكوين اللبن ، يتم إفرازه تحت تأثير هرموني البرولاكتين ، والاوكس توسين حيث يفرز الأول من الفص الأمامي للغدة النخامية ، ويفرز الثاني من نوع معين من خلايا الهيبوسلامسي ويخزن في الفص الخلفي للغدة النخامية ..

هذا وتعتبر الألبان مصدرا هاما للبروتين الحيواني والأملاح المعدنية وفيتامين « أ » ليس ذلك فحسب ، ولكن تعتبر أول كمية من اللبن والتي تفرز في الستة وثلاثين ساعة الأولى عقب الولادة مباشرة في الحيوانات والتي تسمى بالسرسوب ذات قيمة غذائية عالية جدا ، حيث أنها تكسب الرضيع مناعة طبيعية نظرا لاحتوائها على (Immune-Bodies) . كذلك يحتوي السرسوب على كمية هائلة من فيتامين « أ » . كذلك يحتوي على كمية عالية من البروتين الحيواني « عالي القيمة الغذائية » تصل الى حوالي ١٤ ـ ١٥٪ من النوع (Lacto-albumin) & (Gammau jlobulin) . وكذلك على نسبة جيدة من الأملاح المعدنية الهامة مثل الكالسيوم والفوسفور .. هذا وعلى اللبن تقوم صناعات الألبان العديدة من جبن فاخر وقشدة وزبدة وخلافه .

ثالثا : منظرها البديع المبهج للنفس وهذه تعتبر منفعة حسية بعكس المنافع المادية السابق ذكرها . حيث تشعر النفس بالسعادة والبهجة والسرور حين تغدو الحيوانات مساء ممتلئة ضروعها باللبن ، وممتلئة كروشها بالطعام ، وكذلك حين تهرول مبكرة طلبا وبحثا عن غذائها . أليس في كل هذا عبرة لأولي الألباب ؟؟

حقا سبحان الخالق المبدع الذي صنع فأبدع الصنع .

رابعا : **حمل الأثقال** :

لقد خلق الله الأنعام وسخرها من أجل راحة الانسان فجعلها مطيعة له باذنه وخلق فيها القدرة والاستطاعة على حمل الأثقال والأحمال من بلد إلى آخر وذلك لكي تستقر حياة الانسان على ظهر الأرض . حيث أن المولى عز وجل هو الذي خلق الانسان ، وأعلم بضعفه وعدم مقدرته على تحمل مثل هذه المشاق التي لا حول ولا قوة له بها وهنا تتجلى رحمة ورأفة الله عز وجل على عباده .

خامسا :

ثم تعود الآية الكريمة لتخص بالذكر والتحديد : (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**) ، فقد جرت العادة على التباهي والتفاخر بركوب الخيل لما فيها من متعة للنفس ووجاهة عند الناس . وقد خلق الله الانسان وغرس في نفسه حب ركوب الخيل ، وكان ولا يزال تعقد المسابقات الدورية لسباق الخيل حيث يتباهى الهواة من الناس بخيولهم الجميلة في إشباع غرائزهم النفسية .

وهكذا تظهر عظمة المولى في الترتيب من حيث المتعة بالركوب فهي تكون أعلى في ركوب الخيل . ومتوسطة في ركوب البغال وقليلة في ركوب الحمير . وهذا الترتيب الوجيه نلمسه في حياتنا العملية .

وبعد هذا السرد الموجز لمنافع الأنعام التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على عباده ، أليست هذه الأنعام جديرة بالتكريم والعناية والرعاية الصحية ومعاملتها برفق وعطف وحنان ؟ حتى يمكنها أن تؤدي الغرض الذي خلقت من أجله وهو خدمة الانسان على ظهر الأرض .. أليست الأنعام ذات الخلق البديع والنظام الرائع أحق بالتفكر والتدبر والتأمل في خلقها وفي كنهها ؟؟

والمؤمن الحق هو الذي يرى بعين بصيرة وقلب ناضج وعقل متفتح ليقف مبهورا أمام عظمة المولى عز وجل في حكيم صنعه .

فهو يقول (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**) الغاشية/١٧ . حقيقة أن هناك لعبرة للمتدبر ، الابل حيث الكرش الواسع لتخزين الغذاء وحيث الجلد السميك لتقليل فقد الماء في الصحراء ، لكي يمكنه تحمل ظروف البيئة الصعبة وحيث الخف ذو الشكل المفلطح « والمبطن بطبقة سميكة من الخلايا » حتى لا يغوص في رمال الصحراء وحيث المقدرة العالية لحمل الأثقال حيث تعتبر الجمال أولى الحيوانات في المقدرة على حمل الأثقال . وحيث السنام الذي تخزن به الدهون لاستخدامها في وقت الحاجة . وبجانب هذا كله فانه يمكنها إعطاء كميات ممتازة من اللبن . كذلك يستخدم وبر صغارها في صناعة أفخم المنسوجات والقبعات .

وفي نهاية مقالي هذا فانني أتوجه إلى كل قارىء كريم أن يتدبر في مخلوقات الله وخاصة الأنعام حتى يزداد ثقة وعظة ويقينا .. وبذلك يمكنه أن يقف صامدا في وجه تيارات الشرك والالحاد التي تعادي الدين الاسلامي الحنيف . كما أتوجه إلى كل من يمتلك أو يرى الأنعام أن يعاملها معاملة حسنة وأن يكرمها لأن خالقها قد كرمها من قبله ، وطالبه بالاحسان إليها ، لأنه لا فرق بين الانسان والحيوان سوى الوعي والنطق . فكان لزاما على الانسان الحفاظ على نعم المولى التي أنعم عليه بها ، حتى يكون بذلك عبدا مطيعا لأوامر ربه فيفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

الأطباق الطائرة

هذا كتاب جديد للعالم المحقق معالي الدكتور محمد عبده يماني يحاول أن يقتحم به ظاهرة الأطباق الطائرة التي تحدث عنها العالم طويلا وأن يجيب من خلال المعلومات والأسانيد التي قدمها على السؤال الحائر :

هل هي حقيقة أو خيال ؟ وهل هناك حياة على الكواكب الأخرى أو بعضها في هذا الكون ؟ وهل هي حياة كالتي نعهدها على الأرض ان وجدت ..؟

لا سيما ونحن « منذ ثلث قرن تقريبا والى يومنا هذا ، تتناقل وسائل الاعلام المختلفة في انحاء العالم أنباء ظواهر غريبة يتحدث عنها أشخاص يقولون انهم رأوها رأى العين ، وبعضهم التقط لها صورا فوتوغرافية في أوقات متفاوتة وظروف متباينة ، وكان معظم هذه الظواهر الغريبة يلتقي عند نقطة محددة ، هي أن هناك أطباقا طائرة تبدو في الجو ثم تختفي فجأة كما ظهرت ، دون أن تتاح لأحد فرصة التثبت مما رأى أو توكيد رؤيته بالدليل الملموس الذي يقبله العلم ويتقبله العقل » .

فهل تكون هذه الظواهر الغريبة سفنا فضائية جاءت من عوالم أخرى في هذا الكون العظيم ؟

واذا كانت هناك حياة في تلك العوالم الأخرى ، فما هي الغاية من وصول تلك السفن الفضائية الى كوكبنا وظهورها فجأة واختفائها فجأة ؟

اننا على هذه الأرض نعيش فوق كوكب صغير لا يعدو أن يكون ذرة في فضاء الكون وهذه الذرة جزء من

حقيقة أم خيال؟

تأليف
الدكتور
محمد عبده يماني

عرض
وتعليق
عبد السميع
المصري

المجموعة الشمسية التي تتكون من حشد من الاجسام الفضائية ... كواكب ونجوم وأقمار وشهب ونيازك وغيرها تتوسطها الشمس بمركز جاذبيتها التي تمكنها من السيطرة على حركة المجموعة كلها وتمدها بالضوء والحرارة بما تشعه من طاقات حرارية وضوئية لأن تلك الأقمار والكواكب معتمة بذاتها مضيئة بانعكاس الشمس عليها وفي ذلك يقول القرآن الكريم : (**تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**) الفرقان/ ٦١ .

والسراج هو الشمس التي لا تشكل مع مجموعتها سوى هباءة تسبح في كون الله الفسيح الذي يحتوي على ملايين من المجموعات الشمسية وهذه المجموعات تكون المجرات المختلفة التي تتداخل فيما بينها - كما يقول المختصون في علم الفلك - فتدخل مجرة تحتوي على مليارات النجوم السيارة في مجرة اخرى مثلها ثم تخرج دون ان تصطدم احداها بالاخرى وهذا ولا ريب احدى معجزات الخالق العظيم الذي أبدع هذا الكون بارادته والذي لم يصل الى العلم البشري عنه إلا أقل من القليل .. سبحانه وتعالى حيث يقول : (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) غافر/ ٥٧ .

وسط هذا الكون العظيم ذي الأبعاد الشاسعة التي لا يستطيع العقل البشري أن يتخيلها ، لم يجد الانسان وسيلة لتقريب هذه الابعاد الى ذهنه إلا السنة الضوئية يتخذها

وحدة للقياس .

والسنة الضوئية هي عبارة عن المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته في مدة سنة كاملة . وسرعة الضوء كما هو معروف تبلغ ثلاثمائة كيلو متر في الثانية .. ولوصول اي رسالة من كواكب الفضاء الكوني للأرض يلزم لها ألف سنة ضوئية .

وتبدو لنا روعة الخلق الالهي المعجز - الى جانب ما ذكرنا - حين نعلم أن المسافة بين الارض والشمس ثابتة لا تتغير . ولو اقتربت الشمس من الارض أو حدث العكس لاحترق كل ما على الارض ، ولو تزايدت المسافة بين الارض والشمس لقضي على الحياة في الارض بالتجمد .

ولو كانت القشرة أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام ليس غير ، لما وجد الأكسجين الذي تستحيل الحياة بدونه على الأرض .

ونسترسل في هذه التأملات والافتراضات فنذكر أنه لو كان حجم الأرض أقل مما هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها لأن جاذبيتها - اذ ذاك - تختلف .

ولو انخفضت الجاذبية الى مستوى جاذبية القمر لتجمد كل ما في الارض ليلا ، واحترق كل ما عليها نهارا أو لاستحال بقاء الماء على الارض مع ضرورته للاعتدال الموسمي .

ولو كان حجم الأرض أكبر ، لتضاعفت الجاذبية وازداد تبعا لذلك الضغط الجوي .

ولو وصل حجم الارض الى مثل حجم الشمس لأضحت الحياة مستحيلة على الأرض ..

وعلى ضوء تلك الحقائق الاولية ، التي أوردتها كأمثلة ليس غير ، نتبين أن الله تعالى قد خلق الأرض بحكمته بظروف مناسبة ، وأجواء مناسبة وسخر لنا الامكانات اللازمة كي نعيش عليها وان الحياة على كوكبنا هذا ليست صدفة وانما هي كما وصفها جل وعلا في كتابه الكريم : (**صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون**) النمل/ ٨٨ .

ولقد ثبت أيضا أن كل كوكب في المجموعة الشمسية وصل اليه الانسان أو تيسرت سبل اكتشافه وتوفرت المعلومات عنه .. لا توجد عليه حياة ..

لكن الكون يضم ملايين المجرات كالمجموعة الشمسية فهلا توجد بينها كواكب لها نفس ظروف الحياة على الارض من حيث الحجم والمسافة والظروف اللازمة لوجود الحياة ..؟

واذا وجدت هذه الحياة فهل هناك انسان مثل انسان الأرض ..؟

وقبل أن يجيب على هذا السؤال يطوف بنا الدكتور يماني في رحلة ممتعة ثرية بمعلوماتها يبدؤها في الفصل الثاني مع « العلوم الكونية في الاسلام » .. ويكون لنا رائدا يشرح ويوضح ..

فهو يقول « ليس هناك أي برهان أو دليل علمي على وجود انسان كانسان الأرض في أي كوكب من كواكب المجموعات الشمسية المختلفة ، وليس هناك من يستطيع أن يجزم بوجود ذلك

بأي شكل من الاشكال ..

لكن من المحتمل وجود لون من ألوان الحياة لا يعلم إلا الله تعالى كنهها وطبيعتها ومكوناتها وعناصر الاستمرار والفناء فيها على بعض كواكب المجموعات الشمسية المنتشرة في هذا الكون الواسع

ولقد كانت الآيات القرآنية المتعلقة بالحياة في السموات والارضين موضع كثير من التأمل والبحث ولقد كان من بعض معجزات القرآن أن ظلت هذه الآيات - وستبقى - منهلا يستقي منه المتسائلون في كل عصر وأوان .

لقد كانت دائما تنسجم مع ما يتوصل اليه العقل البشري من انجازات في محاولات اكتشاف العالم الذي نعيش فيه ، ولسوف تبقى كذلك ما دام في الأرض حياة وما دام هناك مزيد من الاكتشافات والانجازات ، وذلك لأن ما توصل اليه الانسان حتى الآن هو اقل - بما لا يقاس - مما احتواه القرآن الكريم من اشارات ومعلومات عن أسرار الكون ومداه وتكوينه » .

من تلك الآيات قوله تعالى :

(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) الشورى/ ٢٩ .

(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء/ ٤٤ .

وغير ذلك كثير مما يشير الى وجود كائنات في السماوات بثها المولى عز وجل ويمكن جمعها بمشيئته كما يبعث من في الارض .

يقول ابن كثير في تفسيره :

« قوله تعالى **(ومن آياته خلق السموات والأرض)** .. (من آياته) الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أي ذرأ فيهما أي السموات والارض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالها وألوانها ولغاتها وطباعها وأجناسها وقد فرقهم في اقطار السموات والارض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم اذا يشاء قدير) أي يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق على صعيد واحد فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق » .

وهو نفس ما قال به مفسرون معاصرون كثيرون منهم الاستاذ محمد الغمراوي في كتابه « الاسلام وعصر العلم » :

« لكن علم الله سبحانه أن يكون في السماء حياة ودواب سيكشف عنه العلم في عصر آت وسيلهج به الناس كما يلهجون الآن بحياة في بعض الكواكب يظنونها أرقى في العلم حتى من الحياة على الارض في عصر العلم هذا .. ومهما يكشف العلم في عصر الفضاء من حياة في الكواكب فهو انما يحقق معجزة علمية للقرآن تتجدد بها الحجة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عند الله » .

ان الله تعالى يقسم بقوله :

(**فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**) الواقعة/٧٥ و ٧٦ ليلفت الانسان الى عظم السموات وعجز الانسان عن أن يقدر عظمتها التي بدأنا في عصر الفضاء نقف على اليسير من أسرارها .

لكن دراسة الفضاء لم تبدأ من فراغ بل كان لعلماء المسلمين القدامى فضل السبق في دراسة الفلك والفضاء وكانت مراصدهم منتشرة في عواصم الاسلام في طليطلة وسمر قند وبغداد واشبيلية بالاندلس والمراغة في فارس وابتكروا غير قليل من الادوات والمعدات الفلكية والمناظير التي حققوا بها الكثير من المعلومات عن الفضاء كاضطراب السيارات في افلاكها والنقص المتواصل في انحراف سمت الشمس والاختلاف الثالث في حركة القمر وغير ذلك كثير مما اعترف به علماء أوربة الذين بنوا على انجازات علمائنا هذا التطور العظيم الذي نشهده اليوم في علوم الفضاء .

وفي الفصل الرابع يتحدث الدكتور يماني عن الطوفان الذي اغرق الارض وعن الحضارات المتعددة التي سادت ثم بادت والآراء التي تزعم وجود حياة بشرية على الارض تسبق الحياة التي نؤرخها الآن والتي لا تزيد عن سبعة آلاف سنة ثم يختتم هذه الرحلة بقوله « انه لا يوجد لدينا حتى الآن أي دليل يؤيد الاعتقاد بوجود حياة انسانية سبقت الحياة المعروفة للانسان على الارض وربما يكون هذا هو السبب فيما يقوله بعضهم من أن مخلوقات قد أتت الى كوكبنا من خارجه كتعليل منطقي للظواهر الشاذة وغير الطبيعية التي يراها البشر أحيانا في كوكبهم » ..

فهل هذه الاجسام الطائرة المجهولة التي تشاهد في الفضاء دون أن يعرف كنهها بالضبط هي من هذا النوع من المخلوقات ..؟ أو أن بعض الناس تختلط عليهم بعض الاجسام الطائرة المعروفة كالبالونات وبعض أنواع الطائرات فيظنونها اطباقا طائرة ..؟

لقد حضر الدكتور يماني مؤتمرا علميا في أكابولكو - نشرت بعض التفاصيل عنه في مجلة نيوزويك الامريكية في يناير ١٩٧٩ - يضم نخبة من العلماء في الفلك والاجتماع ومهندسي الفضاء والاطباء ورجال الدين والمفكرين والكتاب بهدف « اصدار قرار موجه للأمم المتحدة يحثها على انشاء هيئة دولية استشارية للبحث في شؤون الاجسام الطائرة المجهولة » .

ثم يحشد الدكتور يماني في الفصل الخامس من الكتاب مجموعة ضخمة من الروايات والشهادات مدعمة بالصور عن رؤية هذه الاطباق الطائرة نذكر منها :

« في شهر نوفمبر ١٩٧٥ كان سبعة أشخاص من سكان أباتشسجراف بولاية أريزونا الامريكية يجتازون (الغابة الوطنية) حين رأوا طبقا طائرا بدون نوافذ يبلغ ارتفاعه عشرة اقدام وقطره خمسة عشر قدما يحوم حول الغابة .

ورغم تحذير زملائه قفز ترافيس

والتن من السيارة واتجه نحو الطبق وعندما أصبح تحته صدمته بقوة أشعة مكثفة من الضوء الازرق، جعلته يسقط أرضا ثم يختفي أو يتلاشى لفترة من الزمن، وان كان بعض الشهود قالوا إنه فقد وعيه فقط، أما والتن نفسه فانه قال ـ بعد غياب الطبق وعودته الى وعيه ـ انه لا يتذكر شيئا مما حدث».

لكن على كثرة رؤية الاطباق الطائرة في أماكن مختلفة من العالم فان أحدا لم يقدم حتى الآن دليلا ماديا واحدا يثبت هذا القول بصورة علمية مقنعة وجميع هذه الحوادث قد اقتصرت على مجرد الحديث والوصف بصرف النظر عن مدى جدارة المتحدث بالثقة.

ونتيجة لاستمرار الحديث وقر في اذهان الرأي العام العالمي أن الاطباق الطائرة ما هي الا مركبات من بعض الكواكب الأخرى ـ دون تحديد للكوكب أو المجرة التي يتبعها ـ وقادتها مخلوقات قصيرة غريبة التكوين رؤوسها اكبر من أجسامها. وهذه الكائنات وأطباقها ذات تأثير عميق على من يقف بالقرب منها لأنها قادرة على احداث تأثير اشعاعي لا حدود له بحيث يفقد الشخص الذي يتعرض له ذاكرته فجأة، كما أن لها تأثيرا بواسطة الاشعاعات من الأجهزة التي تستخدمها، يعمل على تغيير البيئة المحيطة بها كتغيير مجال الجاذبية».

لكن رجل العلم يأبى ان يقطع برأي في أي موضوع دون أن تكون تحت يديه معطيات كافية من الأدلة والمعلومات.

لذلك يميل بعض العلماء مثل وليم سبولدنج المتخصص في شؤون الفضاء الى التصور او التأويل فيقول «من المحتمل أن تكون هذه الأجسام نوعا من الاسلحة السرية التابعة لأمريكا أو روسيا ولكن هذه الدولة لا ترغب في الكشف عنها ولذا فهي تترك الناس يتخيلونها أطباقا طائرة مع أنها تعلم تمام العلم أنها ليست كذلك».

وكما سبقت الاشارة فالفضاء حافل بملايين النيازك والشهب والمذنبات ذات السرعة الفائقة والاشكال التي قد توحي ـ على ضوء التهيؤ الذهني المسبق ـ بأنها أطباق طائرة.

حتى الرئيس الامريكي كارتر وعد اثناء معركته الانتخابية بنشر كل ما لدى الحكومة الامريكية من معلومات حول الاطباق الطائرة بعد ان توفرت «أطنان من الوثائق التي تثبت وجود مخلوقات في الفضاء الخارجي ينبغي ان نزيح الستار عنها، حتى ولو كانت محيرة وانني سأضع جميع المعلومات السرية المتعلقة بهذا الموضوع تحت تصرف الأمة لأنني مقتنع بها شخصيا ولأنني شاهدتها بنفسي».

لكن كارتر بمجرد وصوله الى موقع المسؤولية لزم الصمت وتنكر لوعده مما يحمل على الظن بأن «الأسرار الموجودة لدى الحكومة الامريكية مرتبطة بالمصالح العليا للدولة».

ورغم الجوائز التي رصدت لمن يقدم أدلة ايجابية تثبت وجود هذه

الأطباق من الصحف العالمية والهيئات العلمية فقد «تبين أن معظم الصور التي قدمت على أساس انها تمثل اطباقا طائرة هي صور مزيفة والقليل منها في نظر العلماء لا يكفي لاثبات وجود هذه الاطباق » ... وهي نفس النتيجة التي انتهى اليها تقرير اللجنة العلمية الكبرى التي شكلها سلاح الطيران الامريكي برئاسة ادوارد كوندن الحاصل على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية والذي يؤكد « بأنها ليست الا تهيؤات » .

واذا كان بحث الدكتور عبده يماني قد انتهى الى أنه لا وجود للأطباق الطائرة فانه لا ينفي احتمال وجود أجسام تغزو الأرض في المستقبل لا سيما وأن ما ورد في القرآن الكريم عن هذا الكون العظيم لا يتعارض مع احتمال وجود حياة في كون الله الواسع لا يعرف كنهها غير الله جلت قدرته .. ومن المحتمل ان رحلات هذه المخلوقات تكون قد بدأت منذ مئات السنين .. كما أنه من المحتمل أيضا أن الله جلت قدرته قد هيأ لتلك الكائنات من الاسباب ما هو أسرع من سرعة الضوء والقرآن الكريم يدلنا بوضوح على هذا الموضوع في قصة النبي سليمان عليه السلام عندما طلب احضار عرش سبأ أمامه ، فقال له عفريت من الجن : (**أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك**)النمل/ ٣٩ (**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي**) النمل/ ٤٠ .

والعلماء المعاصرون أول من يؤمن بأن العلم الذي وصل اليه الانسان على عظمته وسعة آفاقه ما زال يحبو بالنسبة لما حواه هذا الكون من أشياء لا يعلم بها الا خالقها ..

وهناك فريق كبير من العلماء يجلسون في مرصد (جودريك) بأمريكا ينصتون لكل همسة او حركة تجري في الفضاء الخارجي ، معهم أحدث الاجهزة مقتنعين بأن هناك حياة في الكون هي في الغالب ليست مثل الحياة عندنا على الارض .

ويخلص من ذلك الدكتور يماني الى أن « الانكار المطلق للأجسام الطائرة لا يغير من واقع الأمر شيئا ، وستظل موجودة في اعتقادي وكل ما ينقصنا هو أن نعرف كنهها ونحدد طبيعتها ليس غير » ..

لقد وفق الدكتور محمد عبده يماني حقا في حشد هذه المجموعة من الدراسات المدعمة بالصور والرسوم والاحصاءات التي تتيح للقارىء الى جانب الفائدة العلمية وقتا ممتعا في مطالعة صفحات الكتاب ، وفرصة فريدة لارتياد آفاق ذلك العالم العجيب » الذي كان اسلافنا بكل فخر ، هم من أوائل من ارتاده وحققوا فيه منجزات لا تنسى » .

بل ان الكتاب في مجموعه نداء الى مزيد من التأمل في كتاب الله « القرآن الكريم » بعد ان كشف أمامنا عن واحدة من معجزات هذا الكتاب الخالد في دراسة الأكوان .. معجزة الحيوات المختلفة المنبثة في السموات والأرضين .

من ابحاث مؤتمر الطب الإسلامي الأول

استعمال السواك لنظافة الفم وصحته

لقد انعم الله على البشرية بالاسلام ، وارسل رسوله محمدا « صلى الله عليه وسلم » هاديا ومعلما ، فكان الاسلام هو الدين الوحيد الذي جمع بين الدنيا والاخرة ، واهتم الاسلام بالروح والجسد ، ولم يفضل واحدة عن الاخرى ، فجاء العلاج متكاملا وشاملا وبذلك يعيش المسلم في حياة قوامها التوازن بين روحه وجسده ، ولا يتسع المجال هنا لحصر الامثلة ، على ذلك ، ولكننا سنتناول جانبا عنى به الاسلام اكثر ما عنى الا وهو طب الفم ولا ادل على ذلك من ان نستعرض

الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا المجال .

وقبل ذلك سوف نذكر نبذة بسيطة عن بعض المعارف الحديثة التي وصل اليها طب الاسنان ، ثم نطابق بين هذه النظريات الحديثة وما ورد في الاحاديث النبوية .

فالفم هو المدخل الرئيسي لاعضاء الجسم الداخلية ، ويمكن ادراك المخاطر التي يمكن ان تصيب هذه الاجهزة ، سواء الجهاز التنفسي العلوى ، أو الرئتين ، أو الجهاز الهضمي إذا ما اصيب الفم ، وعلاوة على ذلك فإن الجهاز العصبي المتصل بالاسنان وبمنطقة الوجه ، يمثل خطورة كبيرة على الانسان اذ هو اقرب المناطق الى الجهاز العصبي المركزي الرئيسي « المخ » لذا كانت الامه لا تحتمل . من هنا يتضح الاهمية القصوى لاهتمام الرسول بتنظيف الفم والعناية به .

تسبح الاسنان دوما في اللعاب وتكسو كل سن سليمة طبقة رقيقة من هذا اللعاب ، وتلتصق بها فاذا ما اتسخت هذه الغلالة اللعابية فان الاسنان يعلوها الكلس والاوساخ التي تضم بين جنباتها الجراثيم . ولقد وجد العلماء انه حتى بعد تلميع الاسنان تتكون هذه الغلالة في اقل من ساعة ، ولا يزداد سمكها عن ميكرون واحد ، وحالما تتكون هذه الغلالة تبدأ الجراثيم المتواجدة بالفم ، كقاطنين طبيعيين ، تبدأ في الالتصاق عليها ، أما إذا لم يتم إزالة هذه المادة الرخوة باستمرار لمدة ٢٤ ساعة فيتضح بمجرد النظر للاسنان ، تتواجد رواسب رخوة عند اتصال اللثة باعناق الاسنان ، ولقد اثبت العلماء في تجاربهم على الحيوانات ان ترسب هذه المادة الرخوة لا يتأثر إطلاقا بمرور الطعام من عدمه في افواه الحيوانات التي تتغذى بطريقة الانابيب المعدنية . وبذا ثبت ان مضغ الطعام للمواد الليفية لا يمنع تكون هذه الرواسب الرخوة ولم يتمكن العلماء حتى الآن من معرفة كيفية التصاق هذه الرواسب الجرثومية على اسطح الاسنان ولكنه ثبت ان هذه الالتصاقات تزداد داخل افواه الاشخاص غير القادرين على تنظيف اسنانهم باستمرار وسرعان ما تبدأ الجراثيم الفمية بتكوين مستعمراتها الاستيطانية ، وحينئذ يبدأ نهجها الاحتلالي على الاسنان .

وتسمى الجراثيم الملتصقة على اسطح الاسنان « اللويحة السنية » وقد اعتبرها علماء العصر الحالي والقديم انها العامل الاساسي في نخر الاسنان وامراض اللثة التي تصيب الانسجة المحيطة بالاسنان .

ولقد اثبتت البحوث الحديثة ان الجراثيم المستوطنة في اللويحة السنية تغير شكلها وكميتها على الدوام وكذلك طرق التصاقها بأسطح الاسنان وبذلك يزداد عتوها ويتمركز تأثيرها على كل الانسجة الرخوة « اللثة » والصلبة « الاسنان ».

وقد يقل معدل تكوين هذه الالتصاقات بتأثير وقوام المواد الغذائية المتناولة وكذلك التركيب

الكيميائي والفيزيائي للعاب الانسان . ولقد تمكن العلماء من اصابة بعض المرضى بأمراض اللثة ، عندما طلبوا منهم الامتناع عن استعمال الفرشاة لمدة ٣ اسابيع ، وهكذا وصلوا لاستنتاج ان السبب المباشر لالتهابات اللثة ونخر الاسنان هو اللويحة الجرثومية حيث ثبتت العلاقة بين تواجد الجراثيم وامراض الفم والاسنان .

اما من حيث علاقة المواد الغذائية وتكون اللويحة الجرثومية ، فلقد اثبتت الابحاث ان المواد السكرية تساهم في تكوين هذه الطبقة وذلك بتغذي الجراثيم عليها ، كما انها تساعد على سرعة وقوة التصاق الجراثيم بسطح الاسنان . وتتحكم الظروف المحيطة باللويحة السنية وما تحتويه من جراثيم في قوة تأثير هذه الترسبات على الانسجة المجاورة ، فمثلا نسبة الحموضة ، تركيز السكر في اللعاب ، وكذلك الاحماض الامينية والفيتامينات . كما تقوم المواد السامة التي تفرزها هذه الجراثيم بتنظيم ديناميكية الانزيمات المطلوبة في عملية التمثيل والنمو الجرثومي للويحة . وهنا يجب ان نذكر ان هذه المعدلات يعتمد بعضها على البعض حتى انه اذا ما اصيب احدها بالخلل اصيبت باقي المعدلات بالخلل ايضا .

ويراعي انه كلما ازداد سمك اللويحة السنية ازداد تمثيلها الغذائي ، كلما قاومت قوة الازاحة باستعمال اي الة لازالتها كالفرشاة مثلا . واذا ما اردنا تطبيق هذه المعلومات على ما اوصى به الرسول : « صلى الله عليه وسلم » من وجوب اهتمام الانسان بنظافة الفم حين قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » (رواه البخاري).

وفي الصحيحين ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة »، اتضح من ذلك ان مستعمل السواك في احسن حال وذلك من جهة تكرار ازالة اللويحة بتكرار استعمال السواك في اليوم .

ومما سبق تتضح النظرة العلمية الدقيقة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فلقد ثبت فعلا تراكم الجراثيم مباشرة بعد الانتهاء من تنظيف الاسنان الامر الذي جعل الرسول يوصي بازالة هذه الترسبات التي لا تزول الا بالحك الالي .

وكلما ركد اللعاب كما ذكرنا من قبل ازدادت ترسبات اللويحة السنية التي تشجع استيطان الجراثيم ، ولقد اتخذ محمد « صلى الله عليه وسلم » عادة ازالة هذه الالتصاقات من على الاسنان حتى اثناء الليل حيث ورد في الصحيحين ان النبي « صلى الله عليه وسلم » كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » .

ولقد امر رسول الله « صلى الله عليه وسلم » باستعمال السواك في حقبة من الزمن ، لم تكن تعرف فيه المعارف الطبية . ولا جدال اذن ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كان اول من امر بالعناية بنظافة الفم وحفظ صحة الاسنان عند المسلمين .

والسواك ذكر انه من شجرة تسمى الراك واسمها العلمي هو السلفادورا براسيكا وهي تنمو في مناطق عديدة حول مكة وفي المدينة المنورة وفي اليمن وفي افريقا وهي شجرة قصيرة ، لا يزيد قطر جذعها عن قدم ، اطرافها مغزلية ، اوراقها لامعة ، جذوعها مجعدة ولونها بني فاتح ، والجزء المستعمل هو لب الجذور ولاستعماله تجفف ثم يحفظ في مكان بعيد عن الرطوبة ، وقبل استعماله يدق بواسطة الة حادة ، ثم يبدأ في استعماله او اذا كان جافا يغمس في الماء ثم تسوك به الاسنان ، ويظل استعماله هكذا حتى اذا ضعفت وتاكلت يوقف استعماله ثم يقطع هذا الجزء ويستعمل جزء اخر وهكذا .

ولقد ثبت بتحليله كيميائيا انه يحتوي على الاتي :ـ

١ ـ مادة شبه قلوية يمكن ان تكون سلفاروررين .
٢ ـ تراي مثيل امين .
٣ ـ نسبة عالية من الكلوريد والفلوريد والسيليكا .
٤ ـ كبريت .
٥ ـ فيتامين ج .
٦ ـ كمية قليلة من مادة الصابونين والتانين والفلافونيد .
٧ ـ كمية وفيرة من مادة السيتو ستيرول .

وبنظرة بسيطة على المكونات الكيميائية للسواك يمكن معرفة الاتي :ـ

أ ـ ثبت ان لها تأثيرا على وقف نمو البكتريا بالفم وذلك يمكن ان يكون بسبب وجود مادة تحتوي على الكبريت .

ب ـ مادة التريمثيل امين تخفض من الاس الايدروجيني للفم « وهو احد العوامل الهامة لنمو الجراثيم » وبالتالي فان فرصة نمو هذه الجراثيم تكون قليلة .

جـ ـ انها تحتوي على فيتامين ج ومادة السيتوستيرول ، والمادتان من الاهمية بمكان كبير في تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية علاوة على اهمية فيتامين ج في حماية اللثة من الالتهابات .

د ـ تحتوي على مادة راتنجية تزيد من قوة اللثة .

هـ ـ تحتوي على مادة الكلوريد والسيليكات ، وهي مواد معروفة بأنها تزيد من بياض الاسنان .

ولقد وجدنا انه من المناسب ان ندرس هذا الموضوع دراسة علمية ونقارن النتائج ببعض المستحضرات الموجودة في الاسواق حاليا .

لقد اجرينا البحث على ثمانين شخصا وقسموا الى اربع مجموعات بحيث استعمل كل عشرين شخصا السواك ، والسواك المصحون ، ومسحوق اسنان تجاري . ومادة النشا . وكان الغرض من البحث هو ايجاد اجوبة على الاسئلة التالية :ـ

١ ـ هل يحل السواك كما هو محل فرشاة ومعجون الاسنان بالرغم من كونه الة مستقيمة لا يمكن استعمالها في اماكن معينة من الفم مثل الاسطح اللسانية للاسنان ؟

٢ ـ عند طحن السواك الى مسحوق ناعم واستعماله مع فرشاة الاسنان هل يمكن بهما ازالة اللويحة السنية كما يفعل المعجون التجاري والفرشاة ؟

٣ ـ كم تبلغ درجة كفاءة المسواك او المسواك المسحوق كمنظفين للاسنان اذا ما قورنت هذه الكفاءة بكفاءة المساحيق المصنعة سواء الناعم منها او الخشن ؟

٤ ـ ما هي مكونات المسواك الطبيعية التي يمكن استعمالها بعد استخلاصها كيميائيا بالتوالي لتقرير صلاحية اي من هذه المكونات في نظافة الاسنان ؟

ولقد اثبت البحث السريري العديد من النقاط اهمها :ـ

١ ـ ان تعاليم الاسلام وتوجيهات رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في استعمال السواك تماثل ـ تماما ما ترنو اليه مهنة طب الاسنان الحديثة ، الا وهو ضرورة ازالة اللويحة الجرثومية وهي بكر قبل نضوجها وازدياد عتوها على الانسجة الرخوة والصلبة .

٢ ـ عملية استمرار السواك يوميا قبل الصلاة وبصورة متكررة ، كما ورد في تعاليم الرسول في هذا المجال تؤدي الى درجة عالية من نظافة الفم .

٣ ـ احتواء المسواك على المواد الطبيعية ، اعطى المسلم الذي داوم على استعمال المسواك منذ الصغر ، اعطاه نعومة للاسنان ، وباحتوائه على مادة السيليكا ، صلابة في مينائها ، وباحتوائه على مادة الفلورين ، قوة في لثته ، وباحتوائه على التانين وفيتامين ج ، وذلك بتقوية الاوعية الدموية اللثوية واحتمال وجود مادة مطهرة للفم خاصة « الكبريت ».

٤ ـ اظهر البحث ان نظافة فم مستعملي السواك المسحوق ، قد وصلت الى درجة عليا من النظافة وغياب الالتهاب ، وذلك بالمقارنة مع المسحوق التجاري والنشا المستعملين في مجموعتين اخريين .

٥ ـ تحسنت التهابات اللثة التي سجلت قبل بدء البحث في المجموعتين اللتين ـ استعملتا السواك ، والسواك المسحوق عن المجموعتين اللتين استعملتا المسحوق التجاري والنشا .

٦ ـ واستخلص البحث ضرورة تطبيق استعمال السواك اذا ما ابتدأت احدى البلدان ـ الاسلامية في اجراء بحوث وقائية لسلامة الفم والاسنان خصوصا وان المسواك متواجد بكثرة في هذه البلدان ، ورخيص الثمن ، وكفانا ان المسلم قد تبين استعماله دوما ومتكررا كجزء من تعاليم الدين الحنيف .

وهكذا يتضح مما سبق ان للسواك فوائد صحية للفم ، تفوق ما استحدث من ادوات ـ وادوية تستعمل في نظافة الفم ، وان اول من افاد باستعماله هو محمد « صلى الله عليه وسلم » الذي عاش في القرن السابع الميلادي بعقلية ، وتفهم القرن العشرين الميلادي بعد ان عبر عن معلومات لا تنتمي الى افكار عصره ، وانما ثبتت صحة أوامره في صحة الفم بعد قرون عدة .

آداب النظر في الإسلام

للواء / ابراهيم محمد الفحام

لا شك أن النظر من أجل نعم الله على خلقه . وقد حثنا جل جلاله على الافادة من هذه النعمة الكبرى بامعان النظر فيما حولنا من معالم الحياة وأحداثها ، لاستنباط مدلولاتها النافعة ، واستخلاص العبر النافعة منها فيقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الآية/ ١١ ويقول في سورة العنكبوت :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) الآية/ ٢٠ .

ويقول في سورة فاطر :

(أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات

ولا في الأرض انه كان عليما قديرا) الآية / ٤٤ .

وبينما يشجع الاسلام - بتلك الآيات وغيرها - النظرة الواعية الداعية الى التذكر والاعتبار ، فهو ينهي عن النظرة الفاسقة ، التي تثير الغرائز ، وتطلق عنان الشهوات ، كما ينهي عن النظرة المتطفلة التي تقتحم على الناس أسرارهم ، والنظرة الحاسدة الحاقدة ، التي تستكثر نعم الله على عباده .

ففي النهي عن النظرة الفاسقة ، يقول تعالى في سورة النور : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) الى آخر الآية ٣٠ / ٣١ .

وهذه دعوة الى كف النظر الى ما يحرم النظر اليه . والغض : إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية .

ويقول الامام الغزالي في كتابه « منهاج العابدين » أن قوله تعالى : (**ذلك أزكى لهم**) ينطلق على معنيين « الأول : ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة ، والتزكية والتطهير والثاني : ذلك أنمى لخيرهم وأكثر ، والزكاة في الأصل النمو . أي في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير . »

ولما نزل قوله تعالى في سورة طه : (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم**) طه / ١٣١ .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي « من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » .

ومما رواه ابن هذيل من الحكم الاسلامية المأثورة في كتابه « عين الأدب والسياسة » :

« ادمان النظر أحد الفسقين »

و« أسباب الفتن ثلاثة : عين ناظرة ، وصورة باهرة ، وشهوة قادرة » .

كما قيل : « الخير كله في ثلاثة : السكوت ، والكلام ، والنظر . فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو . وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو ، وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو » .

ويندد الامام الغزالي المؤمن أن ينظر الى كل عضو من أعضائه ويتأمل فيما خلق له ، وأن يعمل على صونه في ضوء ذلك . ويقول : « فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها ، واليد لكأس الشراب ، وتناول الثمار - يقصد شراب الجنة وثمارها - والعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه .. وليس في الدارين كرامة أجلّ وأكبر من ذلك .. فحقيق بشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة أن يصان ويحفظ ويعز ويكرم » .

ويروى أن امرأة جاءت الى الجنيد فقالت له : « زوجي يريد أن يتزوج علي » .

فقال لها : « إن لم يكن له أربع جاز له أن يتزوج »

قالت : « لو جاز النظر الى الأجانب لكشفت لك عن وجهي حتى تنظر الى فتعرف أن من له زوجة مثلي ، لا ينبغي

له أن يتزوج غيري »
فوقع الجنيد مغشيا عليه . ولما أفاق سئل في ذلك فقال : « كأن الحق سبحانه يقول : لو جاز لأحد النظر الي لكشفت له الحجاب عن وجهه ، حتى ينظر الي فيعرف أن من له مثلي ، لا ينبغي أن يكون في قلبه سواى »

ورأى الخواص رجلا تحت شجرة قد أشرف على الموت من العطش فقال : « يا الهي .. أنهارك في الأرض جارية ، وبحارك في أقطارها طامية ، وهذا المحب يموت عطشا » ففتح عينيه وقال : « يا خواص .. لو سقاني بحار المشارق والمغارب ما رويت الا بالنظر الى وجهة الكريم » .

فمن حرص ألا يدنس عينيه بالنظر الى المحرمات في الدنيا جاز له أن ينعم برؤية نور الله يوم الدين .

وخير ما يجزى به المؤمن في دنياه عن كفه حواسه عن الحرمات ، صيانة الله لهذه الحواس من عوادي الزمن . وقد قيل للقاضي أبي الطيب : « كيف كبرت سنك ولم تتغير أعضاؤك ؟ » فقال : (حفظتها في صغري ، فحفظها الله في كبري) .

وفي النهي عن النظرة المتطفلة ، يقول جل جلاله في سورة الحجرات : « **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** » الآية/١٢ .

ولذلك قالوا في آداب الحسبة إنه : « ليس للمحتسب أن يتعرض لمن أغلق باب داره واستتر بحوائطها ، الا أن يظهر من الدار من الأمارات والآثار ما يدل ظاهرا على حدوث المنكر بها ، كأصوات استغاثة أو أصوات منكرة للسكارى بالكلمات المألوفة بينهم ، بحيث يسمعها المارة فان ذلك يعد ظهورا للمنكر يستوجب تدخل المحتسب لازالته ومنعه » ومن الأدعية المأثورة : « اللهم اني أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على كلا ، ومن حليلة تقرب الشيب ، ومن جار تراني عيناه وترعاني أذناه ، إن رأى خيرا أخفاه ، وان سمع شرا طار به »

ولقد أفتى بأن البالغ أو المراهق اذا نظر من نافذة أو ثقب باب عمدا ، ولم يكن له في الدار زوجة أو محرم فرمي بحصاة أو نحوها فعمي أو مات فدمه هدر ، ولا يقبل قوله « لم أتعمد النظر » أما اذا نظر من نافذة واسعة أو باب مفتوح فلا يجوز رميه .

ويقول بعض الحكماء : « من غض بصره عن عيوب الناس ، غضوا أبصارهم عنه » كما قيل : « استر عورة أخيك بما تعلم فيك » كما قال الشاعر :

لا تلمس من مساوىء الناس ما فيكا
فيكشف الله شرا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وفي النهي عن النظرة الحاسدة :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق بفتح الخاء وسكون اللام ـ فلينظر الى من هو أسفل منه » رواه البخاري .

قال ابن بطال : « هذا الحديث جامع لمعاني الخير ، لأن المرء لا يكون

بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها الا وجد من هو فوقه ، فاذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبدا في زيادة تقرب من ربه ، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا الا وجد من أهلها من هو أسوأ حالا منه . فاذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أو جبه ، فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده »

وروى الترمذي عن ابن عمرو بن العاص : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا : من نظر في دينه الى من هو فوقه ، فاقتدي به ، ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ؛ كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن نظر في دينه الى من هو دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » رواه الترمذي عن ابن عمرو بن العاص .

وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين بقوله : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » أي صائبة .

وقيل انما قال يعقوب عليه السلام لأولاده : **(لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة)** يوسف/٦٧ . خوفا من شر العين .

وقال القرطبي في سورة يوسف « واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه »

وفي شرح المهذب « يستحب اذا رأى شيئا أعجبه أن يدعو بالبركة واذا رأى شيئا يكرهه يقول : اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »

وفي الأذكار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ما يحب قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » رواه ابن ماجه

آداب النظر الى النفس :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر في المرآة قال : أحسنت خلقي فأحسن خلقي » رواه أحمد .

قال ابن عباس : « ما تركتها منذ سمعتها منه صلى الله عليه وسلم » وكان يقول : « لا يمس وجه من قالها سوء أبدا »

ويقال أنه يستحب أن يديم المصلي النظر الى موضع سجوده الا عند الكعبة فينظر اليها ، كما جزم به الماوردي والروياني .

وفي التتار خانية للحنفية : « ينظر المصلي الى موقع سجوده ، وفي ركوعه الى موقع رجليه ، وفي سجوده الى أرنبة أنفه ، وفي قعوده الى حجره » .

وقال آخرون : « يندب للمصلي أن ينظر الى اصبعه المسبحة »

وفي شرح المهذب عن البغوي : أنه ينظر في سجوده الى الله تعالى « أي يستحضر جلاله » .

كونوا يداً واحدة

للأستاذ/محمود محمد بكر هلال

كانت بماضي الدهر في جوف الصحارى شجره
عظيمة مكسوة بالزهر تبدو نضره
تشابكت أغصانها في قوة ومقدرة
وقد بدت أوراقها مثل الشباب خضره
مرت عليها أعصر والله يجري قدره
سعيدة في أرضها رضية مزدهره
فلم ترع بقاطع أو تخش يوما خطره
لأنها عن شره بعيدة مستتره !!!
لكنما الدهر الذي صافي وجلي زهره
قد بدد الأمن الذي فيها وأبدى نذره !!!
وضن بالعيش السعيد في الورى وبعثره
فقد صحت من نومها بيومها مستبشره
وسبحت خلاقها تقية مكبره
لكن رأت ما لم تطق بين الصحارى منظره !!!
وأجفلت أغصانها وأرعشتها قشعره

وأصبحت أوراقها من هوله منتثره !!!
رأت هناك قطعة من الحديد محضره
كأنها الفأس التي تهوى لقطع الشجره !!!
وعندها تململ الجذع وألقى بصره
فالتفت الأغصان من رعب ومالت حذره
وأيقنت بأنها في يومها محتضره
وأن هذي بلطة الحطاب تلقى نذره
وعن قريب يعتدي وتستبين أثره
فيحرم العيش الرغيد والحياة المثمره
ويحرم الطير الغنا ء واللحون المسكره !!!
ويحرم الفراش من تنقلات مزهره
وتحرم الصحراء من ظل يصد الهاجره !!!
ومن مقيل ينعش الجماعة المسافره
فأعولت أغصانها وولولت منذعره !!!
لكن صوتا هادئا يحيي النفوس النخره
نادى به فرع حبا ه الدهر قدما عبره ؛
فراح يروي في الصحا رى للحيارى خبره
وقال : يا أحبتي خذوا اليكم تذكره
فرددوها جيدا ففي سناها تبصره !!!
فانني رأيتكم في رعشة وثرثره
خفتم حديداً ليس يخشى المؤمنون خطره !!!
فهذه الفأس التي ترونها مدمرة ؛
لا تستطيع وحدها مهما تناهت مقدره ؛
أو كان حدها به أسنة مشرشره
فلن تضر وحدها ولن تمس زهره !!!
ولو أتاها حاطب من الرجال المهره !!!
ما لم تكونوا أنتمو أجنادها المسخره !!!
فشرها من بيننا وكامن في الشجره !!!
فلو غدا غصن لها يدا تكون المجزره !!!
وعندها يا إخوتي يقضي العدو وطره !!!
وليس يجدي بعدها تخلص أو معذره
فوحدوا صفوفكم في همة وتبصره
وقاطعوا عدوكم في قوة مؤزره
حتى تنال أرضنا أمجادها المنتظره

« وَفِي الأَرْضِ آياتٌ للموقنين »

من طبيعة الناس انهم يحبون ويكرهون ، وهذا امر لا غبار عليه ولا مأخذ ، فلا احد مثلا يحب المرض والجهل والفقر والموت ، ولهذا نسعى لنتداوى ونتعلم ونعمل ونقاوم ، حتى نتخطى هذه المكاره ، ومع ذلك فهناك اشياء تحدث لنا في حياتنا ، قد نحسبها في ظاهرها شرا ، لكنها تطوي في باطنها خيرا ، او العكس ايضا صحيح ، لكننا لا نعرف ذلك الا بعد وقت قد يقصر او يطول ، من ذلك مثلا ان يتخلف الانسان مرغما عن سفر هام قد يظن فيه الخير ، وقد يلعن حظه العاثر ، لكنه بعد ذلك يحمد ربه حمدا كثيرا ، عندما يعلم ان وسيلة السفر التي كان سيستقلها قد غرقت او تحطمت بمن فيها ، واشياء اخرى من هذا القبيل ، فلا احد يستطيع ان يلم بأحداث الغيب .

وفي هذه المعاني عبرت بعض ايات القرآن الكريم عن ذلك اجمل تعبير : (**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**) البقرة/ ٢١٦ : (**فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء/ ١٩ . وفي سورة الكهف ايضا يتقابل موسى عليه السلام مع عبد من عباد الله الصالحين ، فيرى منه اشياء حسبها موسى شرا ، وهي لم تكن كذلك حقا : (**فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا إمرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**) الكهف/ ٧١ و ٧٢ . الى اخر هذه الاحداث التي ذكرها الكتاب المبين ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا ، فذلك ليس من تخصصنا ، بل

رب ضارة نافعة

للدكتور/عبد المحسن صالح

ستتعرض لقصة مثيرة من قصص الخلق التي لم ترد قبل ذلك في مجال اية مجلة اسلامية ، ولا في اي مجال اخر يناقش امور الدين والعقيدة .

تناقض واضح

وسر اختيارنا لمقدمة هذا الموضوع ، انها تمهد لنا الطريق لنتعرض لظاهرة من ظواهر الحياة التي تنطوي على امور محيرة ومتناقضة ، لأنها تختص بغزو ميكروب وتكاثره في داخل انسجة جذور نبات ، لتصيبه بعد ذلك بأورام كثيرة ، فمجرد ذكر الورم والميكروب يثير في النفس خوفا وقنوطا وفزعا ، فلا احد مثلا تطاوعه نفسه ان يأتي لمريض بمرض عضال كالاورام السرطانية ، فيواسيه بقوله : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** او لوالدي طفل اصيب بفيروس شلل الاطفال ، فيخفف عليهما بنفس القول ، لأن المناسبة هنا لا تحتمل ذلك ، فليس من وراء السرطان الا الموت في معظم الاحيان ، وليس من وراء الشلل الا العجز مدى الحياة ، ولذلك فان لكل مجال مقالا ، ولكل مكروه ما يناسبه من اقوال تريح ولا تثير او تغيظ ، فلا احد منا مثلا يحب ان يسمع ان اصابته بمرض عضال فيها خير له !

ومع ذلك ، فان قصة الغزو الميكروبي ، وما يسببه من اورام ، مناسبة هنا تماما لمقتضى الحال ، وينطبق عليها القول الكريم : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** ،

ودون ان يجانبنا في ذلك الصواب ، صحيح ان الاية تخاطب البشر ، لكن احيانا ما يتعدى معناها الى ما هو اعم واشمل ، وتصبح شريعة صالحة لبعض صور الخلق ، لأن الاصابة وما يتبعها من اورام تعود علينا بالنفع والخير في حين ، وعلى التربة الزراعية في حين اخر ، وعلى الكائن الحي الذي اصيب ، بزيادة في النمو والثمرات !

ولا شك ان في ذلك السرد تناقضا واضحا ، اذ كيف تحدث الاصابة بالميكروب ، ثم تصبح هذه الاصابة مصدر صحة وقوة وازدهار ؟.. ثم اوليس ذلك مخالفا لما وقر في العقل من امور لا يختلف عليها اثنان ؟

وهذا صحيح ظاهرا ، لكن القصة تنطوي على تعاون حقيقي بين الميكروب الذي اصاب ، وبين الكائن المصاب ، فالاصابة هنا لازمة من لوازم حياته ، وهي من العوامل المؤثرة في قوته ، فان غاب عنه ميكروبه ، ولم يصبه بالاورام ، فلا شك ان الكائن سيصاب بالضعف والهزال !

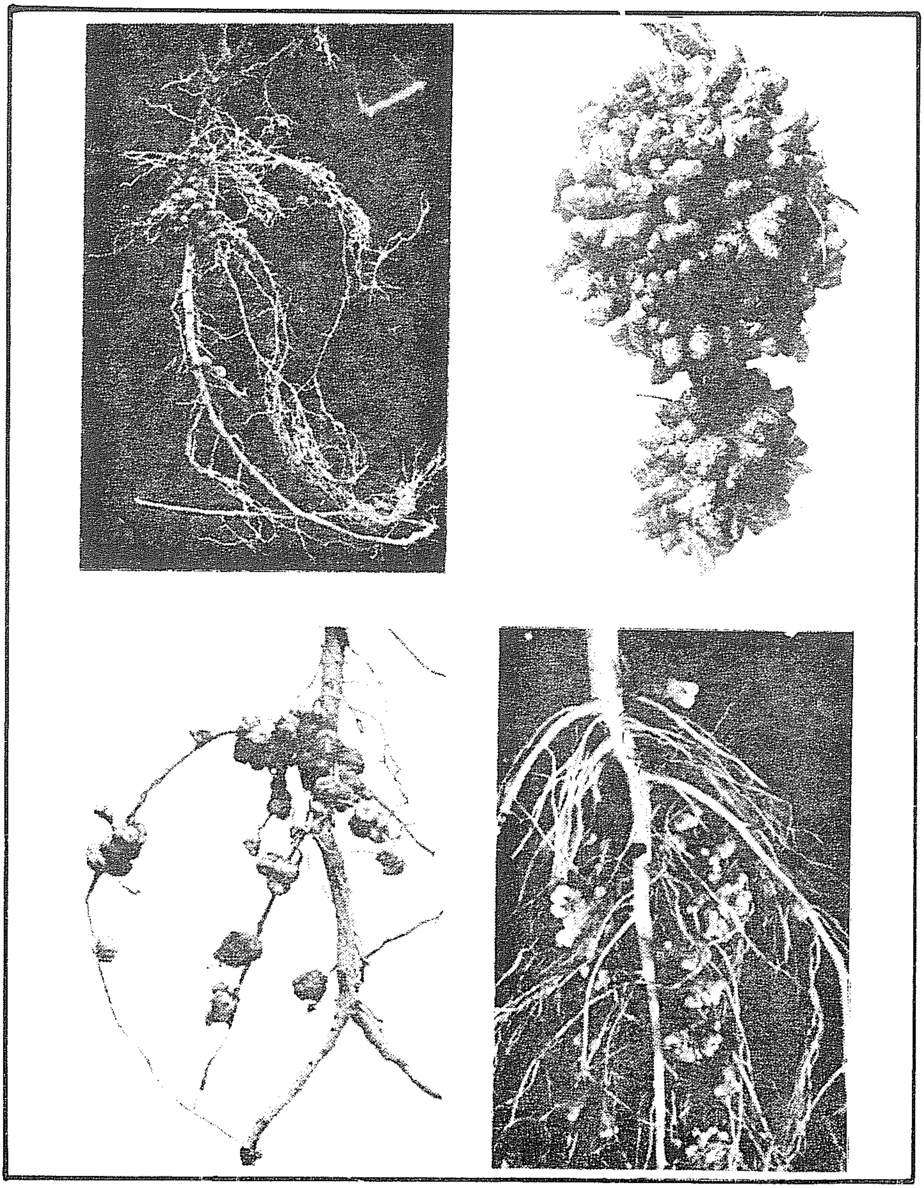
ولقصتنا هذه جذور قديمة ، لأنها تحدث بين نبات بقولي ، وبين ميكروب يسكن الارض ، ولقد بدأت احداثها قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، ولا زالت قائمة حتى اليوم ، وستستمر الى ان يرث الله الارض بمن عليها .

فمن المعروف من قديم الزمن ان زراعة الارض بأحد النباتات في اعقاب حصاد نبات بقولي ، يمنح المزروع بعده مزيدا من النمو والثمار ، فكأنما النبات البقولي في هذه الحالة قد اضاف الى الارض بعض عناصر خصوبتها ، فيثاب بها النبات الذي يليه ، وقد لا يحتاج الى اسمدة يضيفها اليه الانسان ، لأن النباتات البقولية كالبرسيم والفول وفول الصويا والفاصوليا والترمس .. الخ ، قد سمدت الارض ، واعادت اليها خصوبتها ، هذا رغم اننا نعرف ان اي نبات يزرع في الارض وينمو ، فلا بد ان يحرم الارض بعض خصوبتها ، لأنه يستولي منها على العناصر اللازمة لحياته ، لكن لكل قاعدة شواذ ، فالنباتات البقولية تعطي الارض اكثر مما تأخذ منها !

وطبيعي ان الاجيال السابقة لم تكن تعرف السر في هذه الخصوبة ، لكنها عرفتها عن طريق الملاحظة والممارسة عبر اجيال طويلة ، ثم يجيء العلم بعد ذلك ليكشف عن سر بديع ، ينم عن تنظيم متقن ، له مغزاه ومعناه في عقول قوم يتدبرون ما في الخلق من ايات محكمات ، ربما مصداقا لقوله تعالى : (**وفي الارض آيات للموقنين**) الذاريات/ ٢٠ .

كلمة سر لها مغزاها !

وطبيعي ان الارض تموج بجيوش هائلة من الميكروبات .. بكتيريا وفطريات وفيروسات وحيوانات اولية ذات خلية واحدة او عديدة الخلايا .. الخ ، ولها انواع كثيرة جدا تعد بعشرات الالاف ، ثم ان بعض هذه الانواع تحوم حول جذور النباتات ، لتقتنص الفرصة المناسبة لكي تغزوها



الصور الاربعة توضح ما يشبه الاورام على جذور نباتات مختلفة ، ويختلف الورم باختلاف سلالة الميكروب ونوع النبات البقولي .. هذه الاورام تعرف باسم العقد البكتيرية التي تكفل النبات ويكفلها .. لاحظ كيف ان جذور النبات في الصورة الاولى (اعلى الى اليمين) قد تحولت الى اورام ضخمة واضحة (شكل ١)

وتتطفل عليها وتمرضها وتضعفها ، واحيانا تصيبها بالذبول والموت ، الا ميكروب « الرايزوبيام » الذي عقد صفقة تجارية بينه وبين النبات البقولي ، ليتعاون معه على البر والخير ، لا على الاثم والعدوان ـ كما يفعل ابناء عمومته من الميكروبات المتطفلة او الممرضة !

لكن .. كيف يعرف النبات البقولي العدو من الصديق ، او ما ينفعه مما يضره ، خاصة وان الارض تموج بعداوات وصراعات ودفع ازلي بين الميكروبات ، او بين الميكروبات وجذور كل النباتات ؟.. ثم كيف يهتدي الميكروب الى جذور النبات البقولي ، ويعرف ان شريك حياته قد حل بأرضه ، فيسعى اليه ، ويطرق ابوابه ، ليسمح له بالدخول دون سواه ؟

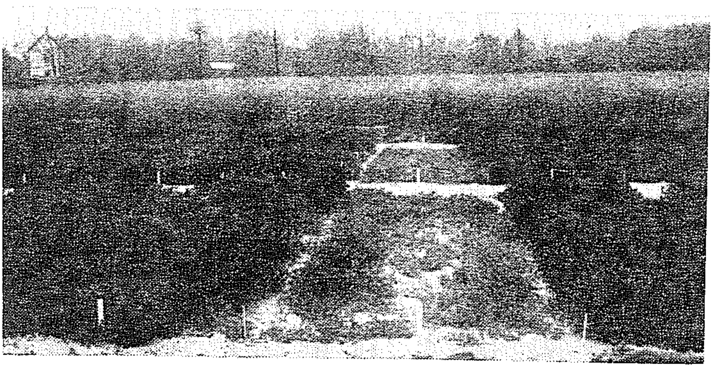
لا شك ان هذه الكائنات لا تمتلك عيونا ولا اذانا ولا السنة ولا اية حاسة من الحواس التي نعرفها نحن في عالمنا ، لتوضح لنا العدو من الصديق ، او الحلو من المر ، او الحيوان من النبات .. الخ ، ومع ذلك فهي تعرف ذلك تمام المعرفة ، فلم يخلق الله خلقا ـ صغر شأنه او عظم ـ الا وامده بالوسائل الحكيمة التي تهديه الى ما ييسر له حياته ، حتى ولو كان يعيش في عالم تكتنفه الظلمات والمتاهات .

لا تحمل لذلك هما ، فكل شيء قد جاء بنظم مذهلة لا تتفتح الا للعقول الواعية التي تسعى سعيها للكشف عن اسرار الله في خلقه ، فتتبين لنا قدرة من خلق فأبدع فتجلى .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ : (**فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٣ .

فواقع الامر ، ان التعارف بين ميكروب الرايزوبيام وبين جذور النبات البقولي ، يتم « بكلمة » سر ، بل « بكلمتين »، او ربما بأكثر .. كلمة منها للنبات ، وكلمة للميكروب ، وطبيعي ان هذه الكلمات غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها مكتوبة ، ليس ذلك بحروف لغتنا ، ولا بحروف اية لغة بشرية اخرى ، بل بذرات مختلفة تتآلف مع بعضها في جزيئات ، كما تتآلف الحروف هنا مثلا في كلمات ، ليكون لها في عقولنا معنى ، وكذلك تكون الجزيئات الكيميائية التي « يؤلفها » كل كائن حسب الخطة او « البروجرام » الوراثي الذي جاء به الى الحياة ، لكن ما علينا من كل ذلك ، لأن الحديث فيه قد يتشعب ويطول ، المهم ان جذور النبات البقولي تفرز مادة او مواد كيميائية محددة ، لتتخلل حبيبات التربة ، ورغم ان تركيزها ضئيل غاية الضالة ، الا انها فعالة ، فتخرج بها الميكروب المنشود من وحدته وسكونه ، وكأنما هي ـ لو ترجمناها بلغتنا ـ قد تعني « لقد حللت بأرضك ، فقم من سباتك ، والى جذوري تحرك ، ووضح لي هويتك »!

وبالفعل يستجيب الريزوبيام لهذا النداء الكيميائي الصامت ، وتزيد اعداده حول جذور النبات البقولي دون سواها ، ويحل بها ضيفا ، لكن الخلايا لا تفتح ابوابها لكل ما هب





الصورة العليا توضح مجموعة من الاصص مزروعة بنبات بقولي .. الاصيص الى اليسار (د) هو الوحيد الذي لا يحتوي على بكتيريا التكافل ، ولهذا كان نموه ضئيلا ، والاصص الباقية تحتوي على سلالات مختلفة من البكتيريا .
الصورة السفلى توضح حقلا تجريبيا ، حيث تظهر المنطقة الوسطى بنمو نباتي ضعيف ، لأنها عقيمة من البكتيريا .

ودب ، بل لا بد من « طرقة » كيميائية لها مغزاها ومعناها ، او كأنما الميكروب والنبات يستخدمان فكرة شبيهة بالقفل والمفتاح ، فكما ان لكل قفل مفتاحه الذي يفتحه دون سواه ، كذلك تتوافق مادة كيميائية تفرزها جذور النبات ، مع مادة كيميائية اخرى يفرزها الميكروب ، فاذا تفاعلت هذه مع تلك ، او تطابقت معها ، واشتغلت بها ، فان ذلك يكون بمثابة جواز مرور الى خلايا النبات ، وبهذا تتم الصفقة الرابحة التي تبارك احداثها السماء !

الموضوع طويل جدا ، وعويص جدا ، ولا زالت تكتنفه الغاز ومتاهات ، رغم مئات والاف البحوث التي تمت في هذا المجال حتى الان ، وهذا ينبئك بأن الخلق يحتوي على

اسرار ما بعدها اسرار ، وكل سر مكتشف يسعدنا ويقربنا من خالق هذه الاكوان ، لنعرف عن علم معنى قوله : (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/٢ .

المهم ان العلماء قد توصلوا الى اكتشاف كلمة السر في جذور النبات ، واطلقوا عليها اسما معقدا وطويلا « بولي جالا كتورونيز » واكتشاف كلمة السر ايضا في الميكروب .. « اندول اسيتيك الحامضي ، او اندول حامض الخليك »، ولا تهمنا هنا الخطوات التي تسير فيها التفاعلات الكيميائية المعقدة ، اذ يكفينا اننا بسطناها بفكرة القفل والمفتاح ، او الشفرة والشفرة المضادة .

غزاه فأصابه فأعطاه

بعد ان فتحت خلايا الجذور اسوارها لتسمح لبكتيريا الرويزوبيام بالمرور دون سواها ، تبدأ البكتيريا في التكاثر لتصبح بلايين فوق بلايين ، وفي النهاية تتحول الى اورام واضحة على الجذور (شكل ١).. وهذه نطلق عليها اسم العقد البكتيرية .

وبمجرد ان يحدث الغزو ، ويستضيف النبات الميكروب ، يبدآن في عمل متناسق يعود بالفائدة على نوعيهما ، فالميكروب لا يتكاثر في التربة الزراعية ، لأنه لا يستطيع ان يكون المواد السكرية ، لكن النبات الاخضر يستطيع ذلك من خلال عمليات التمثيل الضوئي ، ولهذا يأخذ الميكروب من هذه السكريات نصيبا ، وبها يتكاثر ، ولو اقتصر الامر على ذلك ، لاعتبرنا الميكروب متطفلا ، لأن الطفيلي يأخذ ولا يعطي ، او انه يعيش على كد غيره ، دون مشاركة حقيقية لنفع من اعطاه من كده ، لكن الميكروب يقابل هذا الجميل بجميل اكبر ، فيعطي النبات مددا دائما من سماد نيتروجيني غير عضوي ، والنبات البقولي في حاجة ماسة الى هذا السماد « اي النيترات »، ليحوله في داخل انسجته الى مواد نيتروجينية عضوية تتمثل لنا في الاحماض الامينية ، ومن الاحماض الامينية تتكون البروتينات ، ليختزنها النبات في حبوبه وثمراته ، ولهذا فان غنى حبوب البقوليات بالبروتينات ، يرجع اساسا الى التعاون والترابط الوثيق بين النبات البقولي ، وبين هذا النوع من الميكروبات .

لقد تمخض الغزو والاصابة عن اورام ، لكنها - في الوقت ذاته - مصانع حية دقيقة من اروع وادق ما عرفه العلماء ، ذلك ان كل فرد من البلايين التي تسكن الورم او العقدة البكتيرية ، هو بمثابة معمل كيميائي على درجة هائلة من التعقيد ، لأنه يستطيع ان يصطاد غاز النيتروجين الخامل من الهواء ، ثم يدخله في سلسلة من العمليات الكيميائية التي حيرت العلماء ، وقضوا في فك بعض الغازها سنين طويلة ، لكن بقيت الغاز اخرى تستحق مزيدا من البحث والدراسة ، ولن نتعرض هنا - بطبيعة

الحال ـ لهذه العمليات المعقدة ، لأنها تستلزم من القارىء ان يكون على دراية كبيرة باصول الكيمياء الحيوية ، لكن يكفي ان نقول ان غاز النيتروجين الخامل يتحول في النهاية الى مركب النيترات ، وهذا بالضبط ما يحتاجه النبات البقولي ، فيعطيه الميكروب النصيب الاكبر ، ويحتفظ لنفسه بالنصيب الاصغر ، ثم ان هذه العملية تسري ليل نهار ، وفيها يتم انتاج النيترات باستمرار ، وفي النبات يتحول النيترات في سلسلة من العمليات الكيميائية الى بروتينات ، فيختزن نصيبا كبيرا منها في الحبوب والثمرات ، ليستفيد منها الانسان والحيوان .. والارض الزراعية ايضا ، اذ عندما يحصد النبات ، فان جذوره بما حوت من هذه المصانع الحية الدقيقة ـ اي الميكروبات ، تتحلل في التربة ، فتضيف اليها من السماد الجاهز نصيبا يتراوح ما بين ٤٠ ـ ٢٠٠ كيلو جرام للفدان في كل عام ، تتوقف قيمة هذه الكمية على نوع النبات البقولي ، وطبيعة الارض الزراعية ، وسلالة الميكروب .. الخ ، وهذا يعني بوضوح ان كوكبنا يستفيد سنويا بملايين فوق ملايين من اطنان السماد ، ومن صناعة هذا الميكروب وحده ، وايضا بالمجان !

علاقات وطيدة

ولقد حاول العلماء فصل العقد البكتيرية ، وزراعتها في الدوارق والانابيب ، وامدادها بكل ما تحتاجه من سكريات وفيتامينات وكل اطايب عناصر الغذاء التي تهواها ، لكنها لم تستجب ولم تتعاون مع العلماء ، بل هي تفضل ان تتعاون مع النبات البقولي اذ مما لا شك فيه ان هناك علاقات وطيدة ، ومواثيق قديمة بين الميكروب وبين من اواه ، ولا بد ايضا من وجود تفاهم وتناسق في العمل بين الاثنين على اعلى مستوى ، ويوم ان نتوصل الى معرفة كل اصول هذا الترابط ، فقد نسيطر على العملية ونوجهها لصالح نباتات اخرى ، ولصالح الارض الزراعية ، ولصالح البشرية ، ذلك ان كشف اسرار الحياة ليس بالامر الهين : (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبأ/٢٨ .

ثم ان احتياج البشرية لمزيد من الاسمدة النيتروجينية يتزايد في كل عام ، وهناك مصانع كثيرة لانتاج السماد ، لكنها تحتاج الى طاقات كبيرة ، وحرارة عالية ، وضغوط شديدة ، وعوامل مساعدة .. الخ ، لكن هذا الميكروب الدقيق يقوم بالعملية دون ضجة او ضوضاء ، وفي درجة الحرارة العادية ، والضغط العادي ، وقليل من المادة السكرية التي يحصل عليها من النبات ليحرقها ، ويحرر طاقتها ، ليدير بها عملياته الكيميائية على اسس اقتصادية تهون بجوارها كفاءة مصانعنا : (**صنع الله الذي اتقن كل شيء**) النمل/٨٨ .

وفي الوقت الذي يدق فيه عالمنا المعاصر نواقيس الخطر ، محذرا من امكان نضوب مصادر الطاقة ، وما قد

يتبع ذلك من قدوم العالم على كارثة ، في هذا الوقت نرى ميكروبا قد عقد صفقة تجارية مع النبات منذ عشرات الملايين من السنين ، وبهذه الصفقة الرابحة والعادلة قد حل بنفسه ولنفسه مشاكل الطاقة ، فهو لا يستطيع - كما اشرنا - ان ينتجها بذاته - ولا بد - والحال كذلك - ان يستوردها من مصادرها ، فنظمت له الامور ادق تنظيم ، وتآخي مع النبات في منفعة متبادلة ، فيأخذ سكرا ، ويعطي سمادا !

ونحن نعرف ان الصفقة المتبادلة بين اثنين من البشر ، لا تفيد غالبا الا من شارك في الصفقة ، لكن صفقة الميكروب مع النبات اكثر عطاء ، واعم فائدة ، لأنها توزع بعض ما غنمته على المحروم ، وكأنما هي « تزكي »- ان صح هذا التعبير - على ما حباها الله من نعم استمرت معها كل هذا العمر الطويل ، فضمنت للميكروب تكاثره وانتشاره ، وللنبات البقولي قوته وازدهاره .. قلنا انها توزع بعض غنيمتها على المحروم ، لأن هناك نباتات اخرى تسكن في جيرتها ، ولا تجد في الارض من الاسمدة النيتروجينية الا اقل القليل ، لكنها مع ذلك تستفيد مما يعود الى الارض ، لأن الارض بدورها تستفيد ، وكذلك نحن والحيوان نستفيد ، وما اجمل ان تعم الفائدة على الجميع ، وبارك الله في تعاون وتآلف حتى لو كان ذلك على مستوى نبات وميكروب ، فالعبرة دائما بالنتائج او الخواتيم ، خاصة اذا كانت عملا متقنا يتجسد ، لا قولا معسولا يتردد ، فما اكثر اقوالنا ، وما اقل اعمالنا ، وواقع حالنا خير شاهد على ما نقول .

بقيت كلمة اخيرة نوضح بها مدى الارتباط بين النبات البقولي والميكروب ، فمن البحوث التي اجريت في هذا المجال ، يتبين ان اعداد هذا الميكروب تتناقص بالتدريج في التربة الزراعية ، كلما طالت الفترة التي يغيب فيها النبات البقولي ، وقد تصل الامور الى الحد الذي يودع فيها الميكروب حياته ، دون ان يتعرف او يرتبط بنبات اخر ، فاما النبات البقولي ، واما الموت ، فاذا زرعت الارض بنبات بقولي ، وكانت خالية من هذا الميكروب ، ضعف النبات ، وهزل المحصول ، ولا بد والحال كذلك من حقن الارض بهذا الميكروب ، حتى تعود الامور الى مجاريها (شكل ٢).

هذه - اذن - قصة كائنين جد مختلفين ، ولقد قدمناها هنا ، لأن فيها درسا وعبرة في معنى التعاون والتآلف وتبادل المنفعة او التكافل ، وكلها امور قد بدأت تضمحل في زمننا المعاصر ، ثم هي تبين بوضوح صورة جديدة لحياة تسكن التراب ، ولا مانع من حكمة تنبع من تراب ، ثم لا يعرف الكثيرون عن اصولها شيئا ، ثم ما اكثر ما لا نعرف من اسرار الكون والحياة ، وعندما تزيد معارفنا ، يكون ذلك مرشدا وهاديا لروعة الخلق ، ومعرفة تقربنا من الله : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الاعلى ٢/٣ .. وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون .

وظيفة المرأة في المجتمع الانساني

للاستاذ/ علي القاضي

الحديث حول وظيفة المرأة في المجتمع الانساني يطول ويطول ، وتختلف الآراء فيه من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى مجتمع .

ولقد مرت علينا فترات طويلة كنا نظن فيها أن وظيفة المرأة مساوية لوظيفة الرجل تقريبا ـ حتى كاد ان يكون هذا من المسلمات في المجتمع الغربي وبالتالي في المجتمعات المقلدة له والتي أخذت ثقافتها عنه ـ وأصبح الايمان بذلك دليلا على التمدن والحضارة وما عداه دليل على التخلف والرجعية وعدم الفهم لتطورات الزمن .

وهذا أخذ للامور من زاوية واحدة وما زال الغربيون يكررون ويعيدون هذه المعاني حتى صدقها المقلدون ثم ما زالوا يكررونها حتى صدقوها هم أنفسهم .

وترتب على هذا توحيد مناهج التعليم للفتيان والفتيات في جميع المراحل كما ترتب عليه اشتراك المرأة في جميع الوظائف والاعمال الخارجة عن البيت وبالتالي ترتب عليه أيضا ترك المرأة لوظيفتها الاصلية التي خلقها الله لها وهي تربية الاجيال ـ وبدأ الاطفال يتربون في المحاضن والحضانات والمستعمرات وما الى

ذلك .

ولقيت البشرية من وراء ذلك متاعب لا حصر لها حين شب هؤلاء الذين لم تربهم أمهاتهم وخرجوا الى المجتمعات بأمراض جسمية وأمراض نفسية وسببوا للمجتمعات متاعب لا حصر لها وألوانا من المشكلات التي يحاولون أن يخففوا من حدتها وأن يوجدوا الحلول لعلاجها .

ثم بدأ جنس ثالث في طريقه الى الظهور لأن المرأة حين تخلت عن وظيفة الامومة بدأت تضمر فيها هذه الخصائص حتى اصبح من المتوقع ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الانوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

ويبدأ العلم الغربي يعطينا بأبحاثه معلومات جديدة تفيدنا في بيان حكمة الاسلام في تشريعاته ذلك ان الله الذي خلق الانسان هو الذي شرع له وهو أدرى به وباحتياجاته وليس من حق أحد أن يشرع للبشرية اذ أن علمه قاصر على زاوية واحدة . وبين الرجل والمرأة فروق في التكوين البيولوجي والفسيولوجي والسيكلوجي مما يدل على أن لكل منهما وظيفة في الحياة وان كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

الفروق البيولوجية :

والفروق موجودة بين الرجل والمرأة من قبل الحمل ويظهر ذلك في الفرق الموجود بين الحيوان المنوي للذكر والحيوان المنوي للانثى ، والسؤال الذي طرحه العالم الامريكي دكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه هو : هل الكائنات الدقيقة التي تسمى علميا (الحيوانات المنوية أو بذور الحيوان للانسان كما يسميها الدكتور شبنلر نفسه هل هذه الكائنات المنوية التي تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟) .

ومن المعروف أن الكائنات التي تحمل الكرمسوم × اذا لقحت البويضة جاء المولود أنثى واذا كانت تحمل معها الكرمسوم Y جاء المولود ذكرا ـ وأخذ العالم وأعوانه يفكرون لماذا يسبق الكرمسوم × الكرمسوم Y في سباق الحياة أو العكس ؟ هل يحدث هذا عفوا حسب الظروف واذا كان الأمر كذلك فهل بينهما اختلاف في التكوين البيولوجي وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه ان الكرمسوم × الذي ينتج الانثى يتميز بأنه يتجمع جنبا الى جنب وبأنه بطيء الحركة وان كان أكثر تحملا للبيئة ولذلك يعيش مدة أكبر ـ كما أنه ينتعش ويزداد حيوية اذا وجد في المواد الحمضية ـ أما الكرمسوم Y الذي ينتج الذكر فانه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة ويزداد حيوية وانتعاشا اذا وجد في المناخ القلوي ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة ويموت بسرعة أكبر .

ويوضح العالم الفاضل دور كل من الابوين في تكوين البويضة فيقول : ان الاب والأم يسهمان بقدر متساو في تكوين البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم

الجديد لكن الام تهب علاوة على نصف المادة المنوية كل البوتوبلازم المحيط بالنواة .

وهكذا يتضح منذ البداية الفرق بين بويضة الذكر وبويضة الانثى في خصائص كل منهما كما يتضح مقدار اسهام كل من الابوين في تكوين الجنين .

ومن ناحية أخرى يبين الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم الفرق بين الرجل والمرأة في كتابه (الانسان ذلك المجهول) فيقول : ان الامور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الاشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحم والحمل ـ وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمهما بل ان هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الانسجة في جسم كليهما ـ كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم داخل جسمها فكل خلية في جسمها تحمل طابعا انثويا وهكذا تتكون اعضاؤه المختلفة بل وأكثر من ذلك فهذا هو حال نظامها العصبي) ثم يقول (ان قوانين وظائف الاعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك حيث لا يمكن احداث أدنى تغيير فيهما الا بفناء البشرية وعلينا ان نسلم بها كما هي دون أن نسعى الى ما هو غير طبيعي .

ثم يهتف قائلا : (والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الاساسية ، وعلى النساء ان يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وان يبتعدن عن تقليد الرجال) ويمضي مبينا أثر هذا الاعتقاد في السير بالمرأة الى طريق لا يتناسب مع استعداداتها فيقول : « ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا أو أن يمنحا سلطات واحدة ، ومسؤوليات متشابهة ـ والحقيقة أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا كبيرا فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والامر نفسه صحيح بالنسبة لاعضائها ، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين البيولوجية غير قابلة للين شأنها شأن قوانين العالم الكوكبي فليس في الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها فعلى النساء ان ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحددة » .

ثم بين خصيصة من خصائص الانثى البشرية فقال : « وعلى أي حال فيبدو أن النساء من بين الثدييات هن فقط اللاتي وصلن الى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتي لم يلدن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فضلا عن أنهن يصبحن أكثر عصبية منهن » .

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر في بيان الفروق البيولوجية الاساسية بين الرجل والمرأة (بار) وهو أول مكتشف للخاصية التي تتلخص في أن خلية الانثى تحتوي في طرف منها على جسم كروي صغير لا يوجد في خلية الرجل . ثم بدأ بعد ذلك في كل الخلايا في الدم والكبد والقلب والامعاء وباقي الانسجة فثبتت

الحقيقة وهي : أن كل خلايا الانثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروي وأضيفت صفة اخرى للانوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المدونة .
وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس في كل الخلايا المذكرة والمؤنثة تحتوي خلية الذكر على كروموزم × وآخر Y بينما تحتوي خلية المرأة على زوج من كروموزم × وتصبح علاقة الذكر YX وعلاقة الانثى × × ويقول بار : ان الجسم الكروي الذي اكتشفه هو أحد الكروموزمين الموجودين في الخلايا الانثوية ـ ولقد أكد ذلك ان الذكور الذين يعانون من تشويه خلقي، وراثي، يحملون كروموزمينات جنسية أكثر من المعدل كأن يحمل أحدهم YXX أو YXXX .
ولقد اثبت علم الاحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في الصورة والسمت والاعضاء الخارجية وفي ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ـ فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته ـ ومن التكوين البدائي في الرحم الى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها . وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلة .

الوزن والعظم :

أثبتت الدراسات العالمية التي اتجهت الى بحث هذه الفروق بين الرجل والمرأة في هذه الناحية : أن الرجل أثقل وزنا وأطول قامة ـ وهذا راجع الى الكثافة النوعية لعظام الرجل حيث يوجد نوعان من العظام منها العظام المحبوكة أو المكتنزة والعظام الاسفنجية وتمتاز العظام الاولى بصلابتها وشدة تماسكها في حين تفتقر الاخيرة الى شدة التماسك والصلابة وذلك لقلة الكالسيوم فيها أو لسوء التوزيع الترسيبي لمكونات العظام ـ وتمتاز عظام الرجل الطويلة بأنها من النوع الاول في حين نجد أن النوع الثاني ينتشر عند المرأة أكثر منه عند الرجل وذلك نتيجة لعوامل طبيعية وفسيولوجية .
وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدها كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضلي عموما عند الرجل اكبر منه عند المرأة اذ تبلغ نسبته ٤١٪ من فروق جسمه في حين تبلغ عند المرأة ٣٥٪ فقط .
ونتيجة لطول عظام الاطراف عند الرجل وقصره عند المرأة فأننا نجد أن مركز الثقل عند المرأة يعد أكثر انخفاضا ـ وهذا له تأثير في الحركة من حيث القوة ـ كما أن عمودها الفقري أكثر انحناء من الرجل وهذا يؤدي الى ظهور الشيخوخة مبكرة عندها .
وفي منطقة الحوض نجد أن الله وهب المرأة حوضا يمتاز باتساعه وضعف

أربطته فحرقفتاه متعرجتان الى الخارج كثيرا ومنطقة التحامهما متسعة وذلك لتيسير العملية البيولوجية التي اختصت المرأة بها دون الرجل في حين نجد أن حوض الرجل تزداد استطالته ويقل اتساعه وتزداد شدة الربط في العضلات حوله .

وبالنسبة للصدر نجد أن صدر المرأة أضيق منه عند الرجل بكثير ـ وعظام البدن والاكتاف تكون عندها أضعف وشكلها ليس مستقيما تماما ـ أما عضلات ذراعيها فهي أضعف بكثير منها عند الرجل . وجسم المرأة له قابلية اكثر لتخزين الشحم اذ أن كل جسمها قابل لتجميع الدهون على صورة شحم في حين انه يتجمع في مناطق معينة عند الرجل في البطن والردفين ـ وتبلغ نسبة الشحم عند الرجل ١٨٪ من وزنه وعند المرأة ٢٨٪ ويمكننا أن نلاحظ العلاقة بين النسيج العضلي والنسيج الدهني ـ ومن هنا نجد أن عضلات المرأة تقل في القوة عن عضلات الرجل بمقدار ٢٥٪ كما ان الرجل بمقدوره زيادة قوة عضلاته بممارسة الالعاب الرياضية بنسبة ٨٪ في حين أن المرأة لا يمكنها ذلك الا بمقدار ٤٪ فقط كما أن متوسط حجم المخ للرجال اكبر بقليل من متوسط حجم مخ النساء .

والفتيات في الغالب اقل في القوة البدنية عن الصبيان وأعصابهن اكثر تأثرا واسرع توترا من البنين ـ ولذا فأنهن أكثر تعرضا للتعب والاجهاد العصبي ـ وربما فسر هذا باستنفاد جزء غير قليل من الكلسيوم المختلط بالدم .. وهن أقل كفاية لقلة الهيموجلوبين به مما يجعلهن اكثر تعرضا للانيميا بعد البلوغ وعند بلوغ سن الخامسة نجد أن معظم الاطفال يكونون على وعي بكثير من أنواع السلوك مع جنسهم ـ ولو أنك عرضت عليهم سلسلة من الصور التي تعرض أشياء أو أوجه نشاط تتفق مع اللعب التي تتناسب مع الاولاد واللعب التي تتناسب مع البنات لوجدنا أن الغالبية العظمى في سن ٣ ـ ٥ يصرحون بأنهم يفضلون الاشياء التي تتناسب مع جنسهم ويزداد ذلك خلال سنوات ما قبل المدرسة فالفتيات يفضلن اللعب بالعرائس وأدوات المطبخ والفتيان يفضلون اللعب بالمسدسات وهكذا يتجه كل جنس الى اعداد نفسه اعدادا يؤهله لاداء وظيفته في مستقبل أيامه .

وفي فترة المراهقة يتصف النمو الجسمي بالزيادة السريعة المفاجئة ويزيد معدل السرعة في بدء المرحلة عنه في نهايتها ويتأخر الذكور عن الاناث بعامين تقريبا بالنسبة لبداية هذه التغيرات ، والاناث عادة أطول وأكبر وزنا من الذكور والقوى البدنية تتضاعف في الذكور فيما بين سن ١٢ ـ ١٥ والاناث لا يبلغن هذه النسبة ويزداد وزن البنت قليلا عند بداية المراهقة أو نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة حيث تزن في المتوسط ٨٨,٥ رطلا بينما يقل الولد العادي عن ذلك ثلاثة أرطال تقريبا ـ ويكون رأس الولد عادة أكبر حجما من رأس البنت في جميع مراحل النمو تقريبا .

فالنمو الجسمي أسرع في البنات ولذلك فان الانثى تشعر بحاجتها الى اهتمام الذكر قبل أن يشعر الذكر بحاجته الى اهتمام الانثى . والبنات في السنوات الاولى

من المراهقة يبدأن في التكوين بسرعة تفوق سرعة تكوين الذكور فتصبح البنت أطول من زميلها في نفس السن ويتعرض جسمها لتغيرات أوضح ، ويبرز صدرها وتستدير أردافها .
وتبلغ البنات قبل البنين ـ وبعد البلوغ تقل كمية الهيموجلوبين التي بالدم عند البنات ولذلك فأنهن يصبحن عرضة للتعب وتقل قدرتهن على مواصلة العمل ـ وينتج عن ذلك سهولة تعرضهن للانيميا ، والنساء أطول عمرا من الرجال وأقوى على المحافظة على الحياة وأقدر على مقاومة الكثير من الامراض المعدية ، والذكور أقل تعرضا من الاناث للتقلبات التي تعتري توازن البيئة العضوية الداخلية أي أنهم أكثر ثباتا كما في درجة الحرارة واتزان عمليتي الهدم والبناء ومستوى السكر في الدم وغير ذلك .

الفروق الفسيولوجية :

ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فأن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية فنجد أن كبد الرجل ودمه يحتويان على كمية أكبر من الحديد والذي يتحد مع المادة البروتينية ليكون اليحمور الذي اختص بنقل الاوكسجين المستخدم في الاحتراق وانتاج الطاقة التي تستخدم في الحركة والتفكير كما نجد أن دم الرجل المدفوع من القلب الى الجسم كل دقيقة يبلغ ٣٢ لترا في حين أنه عند المرأة ٢٥ لترا فقط ـ وتبلغ نسبة اليحمور الموجود في دم الرجل ٨٨٠ جراما وعند المرأة ٦٦٤ جراما ـ وتبلغ نسبة الاوكسجين المستخدمة في كل دقيقة ٢٥٠ ملليمترا في حين تبلغ عند المرأة ٢٠٠ ملليمترا أو أقل نتيجة لحجم العمل وتقل كفاءة دمها في نقل الاوكسجين ـ وفي ذلك يقول فيروسيه في دائرة معارفه : « انه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي نرى مزاجها العصبي أكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها اقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والامومة والرضاع يسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر » .
أما مقدار ما يفقده الرجل من الحديد يوميا في عمليات الامتصاص والاخراج فيبلغ ٦٪ ملليجرام بينما تبلغ نسبة مقدار فقدان المرأة ١ ، ٢ ملليجرام يوميا أثناء العادة الشهرية ونتيجة لقابلية جسم المرأة لتجميع الشحوم نجدها اقل حيوية واكثر عرضة لتصلب الشرايين والجلطة التاجية . كما ان العمليات الطبيعية كالعادة الشهرية والحمل والوضع والارضاع نجد أن لها تأثيرا عضويا وذلك لفقدها كميات كبيرة من المواد الغذائية الضرورية اثناء هذه الحالات وهذا يؤدي الى ضعفها وضعف نشاطها يقول الدكتور درفاريني في دائرة المعارف الكبيرة (ان المجموع العضلي عند المرأة اقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٢٠ جراما في المتوسط فالرجل أكثر ذكاء وادراكا والمرأة أكثر انفعالا وتهيجا) كما يقول نيكوليه ديبلين في دائرة المعارف

الكبيرة « ان الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل » .

ومن المعروف فسيولوجيا أن هناك فرقا بين الاحبال الصوتية للمرأة فهي قصيرة ورقيقة أما في الرجل فهي طويلة وغليظة .

وقد لاحظ أطباء القلب في ضيق الصمام الميترالي أنه يوجد بنسبة أعلى قليلا في النساء عنه في الرجال وأن أمراض القلب الناتجة عن نشاط زائد في الغدة الدرقية تكون نسبة اصابة النساء فيها ثلاثة أضعاف اصابة الرجل وذلك لان مرض الغدة الدرقية التسممي أكثر حدوثا للنساء لماذا ؟ قال الاطباء قد يكون للتغيرات الشهرية وتأثير الحمل والولادة والرضاعة أثر في ذلك .

الفروق السيكلوجية :

ومن الناحية النفسية أو السيكلوجية نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل وهذه هبة من الله الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره اذ أن الوظيفة الرئيسية للمرأة هي تربية الاطفال وتنشئة الاجيال وهذا يتطلب كثيرا من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيرها لابنه ـ ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثرا بالظواهر الطبيعية فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح .

كما أن نفسية المرأة أضعف بكثير منها عند الرجل حيث أنها لا تستطيع حفظ الاسرار لحظة حتى قالوا فيها : اذا أردت افشاء سرك فبلغه للمرأة وقالوا : المرأة التي تحفظ السر ليست امرأة ولذلك سميت الجنس اللطيف .

وقد سأل الباحثون النفسيون أنفسهم سؤالا : كيف يختلف الرجال عن النساء في استجابتهم للاحباط وكانت الاجابة : هناك من الشواهد النفسية ما يبين أن النساء على الاقل كما يصفن أنفسهن في اختبارات الشخصية أكثر حساسية وأكثر انفعالية ويسهل تأثرهن وانخراطهن في البكاء اذا قورن بالرجال ـ ولقد اتضح ان النساء يبدين على هذه الاختبارات مخاوف أكثر من الرجال وأنهن يحصلن على درجات في القلق أعلى منهم .

ولقد اتضح لفيشر في بحوثه التي أجراها عام ١٩٦٨ : ان الاناث بصفة عامة يحكمن على الوقائع المضايقة بأنها مضايقة بدرجة أكبر من الذكور وفي الوقت نفسه قدر الاناث الوقائع السارة باعتبارها ممتعة بدرجة أكبر من الرجال ، وخلاصة بحثه أن الخبرة المحبطة تثير النساء بدرجة اكبر من الرجال ويفرحن بالسار منها بدرجة أكبر .

والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ما على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الاشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالاشياء ذاتها ـ واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسات أكثر من المعنويات . يقول

الاستاذ العقاد : ان المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل لان ملازمة الطفل الوليد لأمه تستدعي شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها وفهمه وبين مدارج حسها وعطفها ومدارج حسه وعطفه وذلك اصول اللب الانثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة فيصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة . ويقول بيرت : « انفعالات الرجال أعمق وأطول أثرا من انفعالات النساء ولكنها اقل ظهورا بعكس النساء اللاتي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو اخفاء ـ وسرعة تأثر النساء بالانفعالات تجعلهن أكثر تأثرا بالانفعالات والوجدانات كما أنهن أكبر اكتراثا للمدح والثناء أو التوبيخ ، والبنت تستمع للنصح من الرؤساء أو المعلمين وتتقبله من غير معارضة والصبي يعارض ويناقش ويحاور قبل أن يسلم ويخضع ـ والبنت تميل الى الاقتناع بسرعة بأشياء لا يقبلها الصبي الا بعد المناقشة » .

وقد قام بيرت بدراسة على المجرمين وقسم اجرامهم الى اقسام على اساس الدوافع الغرزية وقال : « ان جرائم الصبيان هي التشاجر والقسوة على الحيوانات والتشرد أما البنات فأن جرائمهن هي الامور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار » .

ومما هو جدير بالذكر ان المؤلفة السيدة جان موريس كانت رجلا وكان اسمها حبيس تزوجت وأنجبت كرجل ثم تحولت الى أنثى وأخذت تروي مشاعرها بلا خجل ـ وقد تعرض الكتاب لهجوم من نساء بريطانيا لانها انحازت في كيانها الى الرأي القائل بأن المرأة أضعف من الرجل واعادت تأكيد الشعار الذي تكرهه زعيمات النساء (ان قوة المرأة تكمن في ضعفها وامتيازها يكمن في نقصها) .

فروق عقلية :

وتثبت الدراسات أن هناك فروقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس في جامعة قطر في كتابه الذكاء ومقاييسه (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الاناث في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال وتتفوق البنات في اختبارات الدقة والخفة في استخدام الاصابع مع الادراك الكافي للتفاصيل كما يتفوقن في القدرة على القيام بأعمال السكرتارية .

والصبي في تفكيره أكثر ابتكارا واستقلالا في الرأي وأكثر انتباها وحذرا من الاخطاء المنطقية التي تتخلل المناقشة وهو يقدر على ادراك ما بين الاشياء من تشابه ـ وعلى اكتشاف العلاقة التي بين الحقائق أو الظواهر وهو أدق في ذلك من البنت ولكن البنت أكثر منه صبرا وأكثر أناة في جمع الحقائق وتبويبها وتصنيفها .

وقد أجرت احدى اللجان الانجليزية عام ١٩٢٢ احصاء في امتحانات جامعة

كمبردج وقارنت نتائج البنين بالبنات ـ فوجدت أن الصبيان تفوقوا في الرياضيات وفي الكيمياء والطبيعة واللغة اللاتينية وقليلا في الجغرافيا الطبيعية أما البنات فقد أظهرن تفوقا في الادب الانجليزي والانشاء والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية وفي رسم النماذج وتصميم الزخارف وأجريت احصائيات اخرى كانت نتائجها مثل ذلك .

كما أن الاجراءات التي أجراها بيرت وترومان أظهرت فروقا هامة بين الجنسين في النواحي العقلية التي أعطيت لكل من الجنسين تفوق الصبيان في الاختبارات التي تتطلب تعريف شيء ما أو ادراك التشابه بين الاشياء او التعليل الحسابي ـ وتفوقت البنات في الاختبارات التي بها مفردات لغوية او التي تتطلب اصدار حكم على القيم الجمالية المختلفة . فالبنون يهتمون بالافكار والاراء اكثر من الاهتمام بالاشخاص الذين صدرت عنهم هذه الافكار على عكس الفتيات وهم أكثر تقيدا بالاستنتاج المنطقي وخطواته أثناء تفكيرهم من البنات اللاتي كثيرا ما يهملن بعض خطوات التفكير ويصلن بذلك الى نتيجة خاطئة من جراء التسرع . أما الحفظ فيلوح لنا أن البنات يفقن البنين ولكن قد يفوقهن الصبيان في القدرة على تركيز الانتباه وحصره في موضوع معين .

يقول الدكتور فؤاد البهي السيد استاذ علم النفس بتربية عين شمس في كتابه الذكاء : « تواترت نتائج الابحاث العلمية النفسية في هذا الميدان على تأكيدات زيادة النمو العقلي عند الاناث منه عند الذكور حتى المراهقة ثم يزداد نمو الذكور عن الاناث خلال فترة المراهقة ثم تتقارب المستويات العقلية بعد ذلك عند الجنسين وبخاصة في النواحي العامة التي تدل على الذكاء ـ ويختلف المدى القائم في الفروق العقلية تبعا لاختلاف الجنس فيزداد عند الذكور ويقل عند الاناث أي أن الفروق العقلية عند الذكور أوسع وأكبر منها عند الاناث ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند الذكور عنها عند الاناث .

وقد تحقق من تطبيق مقياس برنوميتر على عينات من الجنسين أن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأكثر اعتمادا على أنفسهم واقل انطواء وأكثر سيطرة وأكبر ثقة في أنفسهم من النساء .

ومن أبحاث ترمان ومليبزلز (أظهر الذكور اهتماما متميزا بالمخاطرة وبالمهن التي تتطلب مجهودا بدنيا خارج المنزل بالادوات والآلات وبالعلوم وبالظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة ، ومن ناحية اخرى وجد ان النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التي يدخل فيها التذوق الجمالي وقد فضلن مهنا واعمالا تتطلب مجهودا اقل داخل المنزل ومهنا تتصل برعاية الاطفال والصغار والضعاف والتعساء ومساعدتهم ـ وقد اظهر الذكور بطريقة مباشرة او غير مباشرة تفوقا في الثقة بالذات والعدوان وتعبيرا عن عدم الخوف وخشونة في اللغة والعواطف اما النساء فقد أظهرن تميزا في المشاركة الوجدانية والحساسية الجمالية والانفعالية والتأنق .

المرأة في الاسلام :

خلق الله آدم ليكون خليفة له في الارض يقوم بعمارتها وإحقاق الحق فيها (**و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة**) البقرة ٣٠ ، وخلق حواء من آدم لتكون عونا له في هذه الحياة . يسكن اليها ، ويطمئن قلبه بها ، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها ، ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر والا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين في الحياة هما المودة والرحمة (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم ٢١ وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الاخرى من حب وانسجام .. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم ـ وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فأن ذلك يؤدي الى الاستقرار الذي يؤدي الى السعادة التي ترفرف على الرجل والمرأة وعلى الاسرة كلها وبالتالي على المجتمع الاسلامي كله ـ وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة . وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الامور في نصابها ـ وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين .

ولقد حذر الله آدم وحواء من ابليس بقوله : (**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه ١١٧ وبهذه الاية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده ، ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضا لقال : **فتشقيا** بدلا من **فتشقى** ـ كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك في قوله تعالى : (**والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى . ان سعيكم لشتى**) الليل/ ١ ـ ٤ فسعي المرأة مختلف عن سعي الرجل ومهمة المرأة أن يسكن اليها الرجل فتخفف من آلامه ، وتهون عليه متاعبه ، وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ، ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج اليها الانسان . فمن يرجع الى بيته يجد مصدرا من مصادر الحنان والعطف والرقة . وهي زوجه فاذا ما وجد ذلك استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء الجهاد الذي كان يمارسه في الحياة . فالراحة التي فقدها في الخارج وهو متحفظ في ملابسه وفي مشيته وفي كلامه سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والاطمئنان .

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتى وفاتها ـ ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته حتى لقد غارت منها السيدة عائشة مع أنها كانت ميتة . ومن الامثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة زوج النبي الكريم وذلك حين اشتاق النبي وصحبه الى

مكة فلما ذهبوا ليعتمروا وكانوا على بعد عشرين كيلو من مكة وقف الكفار ليصدوهم عن الذهاب الى البيت وحدثت مفاوضات كان من نتيجتها ان عقد النبي صلوات الله وسلامه عليه معهم معاهدة تنص على أن يرجع هذه السنة بدون دخول مكة حتى لا تقول قريش : ان المسلمين دخلوا مكة عنوة وقهرا عنها ـ فيكون على المسلمين العودة هذا العام على أن تسمح لهم قريش في العام المقبل بالدخول الى بيتها بأمرها ـ واقتنع الرسول الكريم وكتب العهد ، ولكن المسلمين حزنوا وقالوا : يا رسول الله كيف نقبل الدنية على نفوسنا لابد وأن ندخل فكان النبي يقول لهم : أنا رسول الله لن أخالف أمره ولن يضيعني . ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا غاضبين وبخاصة وأن من بنود الاتفاق أن من أسلم من الكفار وذهب الى محمد فعلى محمد أن يرجعه الى الكفار ومن كفر من المسلمين فليس عليهم أن يردوه ... فلما فرغ النبي الكريم من قصة الكتاب قال لهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا (وذلك ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا الى المدينة) فلم يقم منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من المسلمين فقالت أم سلمة : يا رسول الله انهم جاءوا يريدون دخول المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد قليل منه فهم مطرودون ولكن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك ـ فلما رأى المسلمون ما صنع النبي زال عنهم الذهول وأحسوا خطر المعصية لأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلق بعضهم بعضا حتى كاد يقتل بعضهم بعضا من الغم .

ثم ان هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري وهي انجاب الاطفال وتربيتهم التربية الكاملة التي يحتاج اليها الطفل ذلك أن المرأة تتميز بالامومة أي الانتاج البشري وتربيته ويتجلى ذلك في قوله تعالى : **(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)** النحل/ ٧٢ ..

مواطن الاشتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد فأنهما يشتركان في أشياء هي التي يشترك فيها الجنس الواحد ، فهما يشتركان في طبيعة التكوين للرجل والمرأة ، يقول الله تعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/ ١ كما أنهما يشتركان في الكرامة الانسانية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : **(ولقد كرمنا بني آدم)** الاسراء/ ٧٠ وهو في ذلك يدخل الرجل والمرأة على السواء .

كما أنهما يشتركان في حرية الاعتقاد فكل من الرجل والمرأة حر في أن يعتقد ما يريد وكل منهما محاسب على ما يعتقد ـ وليس هناك قهر أو اجبار ـ والقرآن الكريم

يحدثنا عن بعض أنبياء الله الذين كانت زوجاتهم كافرات بالله كنوح ولوط عليهما السلام يقول الله تعالى : (**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**) التحريم/ ١٠ وقد أباح الاسلام أن يتزوج المسلم من كتابية ـ يهودية أو نصرانية ـ بدون أن يجبرها على دينه .

والرجل والمرأة يشتركان في الثواب والعقاب وكل ما يترتب على الايمان من عمل فهي كالرجل في حسابها على ما تقوم به من عمل صالح أو غير صالح ـ ولقد أفاضت الايات الكريمة في ذلك ، يقول الله تعالى : (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) الاحزاب/ ٣٥ كما يقول تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) النحل/ ٩٧ ويقول الله تعالى في آية اخرى : (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**) آل عمران/ ١٩٥ .

وللمرأة مثل ما للرجل في الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة والاجارة ، ولها أن تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي قبل الزواج أو بعده ـ وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء في أرقي المجتمعات الغربية حتى الآن فهي قبل الزواج تحت وصاية الاب أو الاخ وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج ـ والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها فالزوج هو الذي يدير الاموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون اذن من الزوجة ـ والزوجة لا تملك أن تبرم أي عقد بشأن هذه الاموال الا بموافقة الزوج يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب (ان حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الاوروبية ، ان الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلا عن مهرها وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الانفاق على أمور المنزل ـ وهي اذا أصبحت طالقا أخذت النفقة واذا تأيمت أخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها) .

وللمرأة في الاسلام حق التعلم وفي ذلك يقول الرسول الكريم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه البيهقي وقد طلب النساء من النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج فهي كالرجل يباح لها في اثناء الخطبة ان تنظر اليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بأنه مقبول لديها وذلك في

حدود ما شرع الله وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل عنه ورأيها ضروري لاتمام عقد الزواج وفي ذلك يقول الرسول الكريم (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر (تستأذن) واذنها سكوتها - ولو أن أباها زوجها بدون علمها أو رغما عنها فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد .

فالمنهج الاسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الانصبة بين الرجال والنساء .. والفطرة جعلت الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودعت كلا منهما الخصائص المميزة له - وجعلت لكل منهما وظائف معينة لحساب الانسانية .. وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الاسلامي ، بل والمجتمع الانساني كله فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الاسلامي لان الذي شرعه هو خالق الذكر والانثى وهو أدرى بكل منهما بما يصلحه وما يصلح له .

والاسلام كرم المرأة فجعل لها الحق في النفقة والسكنى والا تكلف بعمل خارج المنزل فان حرفتها الامومة وصناعة الانسان - وهي أشرف صناعة وأهمها في هذه الحياة .

يقول **الشيخ شعراوي** في ذلك : والاسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شعيب اذ أن أباهما كان شيخا لا يقوى على السعي - وليس لهما اخوة من الذكور - ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان بل تنتظران حتى يصدر الرعاء وهي بذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال - وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في اعانة موسى لهما على السقي ومن هنا يتضح لنا ان تنظيم الاسلام للاسرة قائم على الفطرة التي لا تتغير الا بالانحراف وهو يجاري الفطرة في تخصص المرأة لوظيفتها .. وحين يخصص الاسلام المرأة للاسرة فأنما يخصصها لرعاية الانتاج البشري وهو خير ما في الوجود ويعهد اليها بصيانة قدس من أقداس الاسلام - والمجتمع الاسلامي المحض الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب اخلاق الاسلام وعقيدته وشريعته ، ويقوم بواجب خلافة الله في الارض - ولذلك يجب الا نشغل اعصابها بأعالة نفسها وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة ، ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ثم بتوالي الايام تتحول الى جنس ثالث يعذب ويشقى .

ومن هنا فأن الاسلام لم يكتب على المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يحاربون - وهي في هذا الميدان اقدر وانفع ، أقدر لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل ، وأنفع بالنظر الى مصلحة الامة على المدى الطويل فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء تدع للامة مراكز انتاج الذرية فتعوض الفراغ - ورجل واحد في النظام الاسلامي يمكن ان يجعل نساء أربعا ينتجن ويملآن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة من الامان ... فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن اليه الرجل هي تكمله وهو يكملها - والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل

ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة على المرأة) .
والاسلام حين منح المرأة هذه الحقوق منحها لها دون طلب ودون ثورة ودون جمعيات نسائية لأن الذي اعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بأمكانات كل ، ومن هنا فقد جعل الاسلام الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودع كلا منهما خصائصه المميزة له - وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة - وكل واحد منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة .. ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة ولا تحديات ولا يوجد رجل عدو للمرأة أو امرأة عدوة للرجل بل مودة ورحمة .

وحين يقول كارل ماركس : ان المرأة لا بد وأن تعمل لتعيش فهو يتكلم عن مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين ... **يقول الشيخ شعراوي** (والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاء فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج - والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة فليس المفروض ان يحدد الانسان المستوى الذي يعيش فيه وبعد ذلك يحمل الدخول عليه والمفروض ان يحدد مستواه على قدر دخله .. وهذا ما جعل الناس ينحرفون .. ولذلك فأن الاسلام لا يطلب من المرأة العمل - فأن احتاج اليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي ان يكون العمل مخففا والاجر مضاعفا .

ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل - وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الطبيعي للمرأة من حمل وولادة ورضاعة وشؤون منزل وقد اثر هذا على الابناء في تربيتهم .. ان نسبة العاملات في مصر ١٤٪ فقط ومع ذلك فقد ظهر مرض اسمه : مرض فقدان الحنان واصبح له كرسي في جامعة الاسكندرية فما الامراض التي تحدث عندما تبلغ نسبة العاملات ٥٠٪ مثلا .

يقول مسيو د . و . اسس : ان المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم وعلى العموم فلا أحد يستطيع ان يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسيء الى أي من نساء الشعب حتى في اثناء الشغب وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالام درجة العبادة وفي الشرق لا نجد رجلا يقوم على الزام زوجته بالعمل ليستفيد من كسبها وفي الشرق يدفع الرجل مهرا الى زوجته) .

مواطن الاختلاف :

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة ابعادها عن الاسلام والسير في طريق الغرب رغم ان الغرب يلاقي انواعا من المتاعب والمشكلات .

ومن ذلك **قيادة البيت** ...

ومن وجهة نظر الاسلام فأن قيادة البيت والانفاق على الاسرة عملية تنظيم ولا تسيء الى انسانية المرأة او تنتقص من حقوقها . ولذلك يجب ان ينظر اليها في اطار الاسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما**

فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم) النساء/ ٣٤ .

وقيادة الرجل للاسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي اليه الشورى في الاسرة وليست قيادة سيادة او استبداد وان كانت الاصوات العالية في الغرب وفي الشرق أحيانا تحاول ان تصور ذلك .. والسبب ان عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الاحوال السوية الى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله : (**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)** البقرة/ ١٨٧ ... والله عزوجل قد اعد المرأة لدورها كما اعد الرجل لدوره فالمرأة مزودة بالرقة والعطف . وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه المطالب ليست سطحية بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة ـ ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة وهو بطيء الانفعال وذلك لان وظائفه كلها تحتاج الى قدر من التروي واعمال الفكر ـ وهذه الخصائص تجعله اقدر على القوامة وافضل في مجالها .

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الاسلام : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « انهن ناقصات عقل ودين » ويجيب على هذا الشيخ شعراوي فيقول (العقل بمعنى الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة موجود عند الرجل والمرأة والاسلام يستطيع بداية ان يتصرف في مدركاته تصرفا يعطي له مزيدا من المخ ... والعقل ايضا حصيلة تجارب وثقافة وهو العقل المكتسب ـ والمرأة مفروض عليها ان تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ولذلك كانت الآية الكريمة الآتية موضحة السبب **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى)** البقرة/ ٢٨٢ فالضلالة هنا ضلالة اختصاص ولذلك فان المرأة تقبل شهادتها في شؤون النساء بدون شهادة الرجال كالرضاعة والولادة ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها كسن الاطفال .. والمعاملات من ميادين الرجال فاذا اقتحمتها النساء فهنا الضلالة ـ فالمرأة حين ترى شيئا في الخارج فانها لن تتغلغل في المسألة فقد يكون هنا شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه .. أما الرجل فليس له هذا التحفظ فالشهادة من الاشياء التي تريد من الانسان ان يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة ـ والمرأة نظرا لوضعها في انوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصا فيها بل كمال في جهتها ليعينها في مهمتها في الحياة) .

ويقول **الدكتور محمد البهي** : المرأة المعاصرة التي تصر على طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية تتغاضى عن اخص خصائص طبيعة المرأة وهي سرعة الاستجابة لمؤثرات خارجية . هي أكثر من الرجل انعطافا وانحناء على الاخرين واكثر تصديقا لاوضاعهم واقوالهم اذا ما بدت هذه الاوضاع والاقوال في صورة جدية فالمسافة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها وانقباضها وانبساطها وادبارها واقبالها وتشددها وتلهفها ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة في

ذلك ـ رغم الفروق النوعية بينهما ـ لكانت المساواة على حساب العدل بين الناس ولما كان فيها مصلحة تعود على المرأة لانها عندئذ تكون ضد خصائصها) .
والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها على نحو معين من غير ان يكون لها ارادة في الاستجابة والوظائف العامة احوج ما تكون الى استقرار القاضي وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية او ذاتية تخضعه حتما لاوضاع نفسية او بدنية قد تكون متناقضة .

الميراث :

ومن الشبهات التي اثيرت حول المرأة في الاسلام ان الاسلام لم يساوها في الميراث مع الرجل لقد كانت المرأة في الجاهلية مجرد متاع يورث ـ لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمي القبيلة ـ وكثيرا ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الانثى ـ حتى ان بعضهم كان يسارع الى وأدها (**وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء ما يحكمون)** النحل ٥٨ ، ٥٩ .
ولقد كانت المرأة في الجاهلية اذا تزوجت ثم مات عنها زوجها سارع أحد أبناء زوجها للزواج بها اذا اعجبته او يمنعها من الزواج حتى تفتدي نفسها بمبلغ من المال والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله (**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)** النساء/ ١٩ ـ كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون اذن من زوجها او وليها ..
ثم جاء الاسلام ورد اليها اعتبارها فساواها بالانسانية في الرجل : انما النساء شقائق الرجال) وحرم وأد البنات وحث على تعليمهن وأوجب على الرجل الانفاق على المرأة ولو كان لها مال خاص ـ وكذلك الانفاق على الاسرة ولذلك فأنه لم يسو بينهما في الميراث . لأن المرأة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للاسرة فهي الكاسبة على هذا الوضع ـ وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشرا يرشدها الى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشري وبخصائصها في الانوثة والامومة والزوجية أي بخصائصها كأنثى حتى لا تتحول الى رجل أو شبه رجل ـ ومساواتها بالرجل اقتصاديا واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية فهو يضعف احساسها بالانوثة كما يضعف احساسها بالامومة ويجعل هناك تراخيا في العلاقات الزوجية .

الطلاق :

ومن الشبهات التي تثار حول الاسلام أنه أباح الطلاق فهو بذلك لا يحافظ على كيان الاسرة وأنه جعله في يد الرجل وفي هذا هضم لحقوق المرأة لعدم مساواتها

بالرجل .

والاسلام دين واقعي : فهو أولا قد أبعد عن الاسرة شبح الطلاق لانه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى ابغض الحلال يقول الرسول الكريم : (أبغض الحلال عند الله الطلاق) وطلب من الرجل ان يصبر على زوجته حتى عند الكراهية يقول الله تعالى : **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء / ١٩ .

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين فان الاسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ويلزمه باتباع أمور من شأنها ان تعيد للاسرة استقرارها ـ فالزوج عليه أولا أن يعظ زوجته وينصحها فان لم يفد فيمكنه ان يهجرها في المضجع فان لم يفد فيمكنه ان يضربها ضربا غير مبرح لكي تشعر المرأة التي تتصرف بعاطفتها مقدار ما يجره عليها تعنتها من ضرر على الاسرة ـ وحين لا يؤدي ذلك الى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية او استحالتها يقول الله تعالى : **(فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما)** النساء/ ٣٥ .

وحتى الطلاق لم يجعله الاسلام نهائيا من أول طلقة واشترط ان يقع الطلاق في حالة طهر والا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين الاولى والثانية فعسى ان تطمئن النفوس وتهدأ الاعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس فتعود المياه الى مجاريها كل هذا من اجل المحافظة على الوحدة الصغيرة للمجتمع فأن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى **(الطلاق مرتان فأمساك بمعروف او تسريح بإحسان)** البقرة/ ٢٢٩ ومنع الطلاق نهائيا ناحية مثالية قد تصلح فكرا ولكنها لا تصلح تطبيقا في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها ـ ولقد مكث الناس في الغرب وفي الشرق غير الاسلامي فترات طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج ـ كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا على انفسهم للحصول على الطلاق او يعمدون الى تغيير دينهم وعندما يتم الطلاق يعودون الى دينهم السابق ولما اصبح معروفا في المجتمعات البشرية انه لا بد من اباحة الطلاق اقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه الى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة .

وقد نشرت مجلة التيكونوميست الانجليزية في عددها الصادر في ١٩/٥/١٩٧٨ (لقد انتهى رئيس قسم الاسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق مثل استراليا يسمح بأنهاء أي زواج بعد ان يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد ـ والجمعية القانونية ربما تصدر نداءها للاصلاح في الشهر القادم .

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢ بالنسبة للاسر هو تكوين محاكم الاسرة وبما ان هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين في مشاكل الاسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق

مثل الوصاية وكفالة الابناء ... ولكن السويد خطت خطوة ابعد من ذلك فقد نقلت الطلاق من القاضي الى الزوجين معا فاذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فانه يتم بينهما دون حاجة الى حكم القاضي ويكفي تسجيله في السجل المدني .. وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الاوروبية لانه يتجنب تعقيد الاجراءات القضائية من جهة كما يتجنب الكشف عن اسرار الزوجية من جهة اخرى .

ولقد كان الطلاق حقا من حقوق الرجل لان المرأة تحكمها العاطفة ـ وحين مكنت المرأة من حق الطلاق في الغرب اصبح يحدث لاتفه الاسباب وفي امريكا تبلغ نسبة الطلاق ٤٨٪ وهناك اسباب عجيبة للطلاق مثل ان تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم او لانه لا يشركها في شؤونه .. ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة ان تكون العصمة بيدها فان ذلك من حقها ثم ان لها الحق في ان تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية (**فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**) البقرة ٢٢٩ وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

الاحتفاظ بالرجولة والانوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما . فاذا ما أراد اي نوع منهما ان يتشبه بالنوع الاخر فان ذلك لا يبيحه الاسلام لأن هذا النوع الذي يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر ذلك لأن التوازن الاخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والادبية ـ والملبس احد هذه العوامل فالشخص الذي يلبس لباسا رياضيا يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية والشاب الذي يلبس لباس الرجل العجوز يظهر اثر هذا اللباس على مشيته وفي تصرفاته ... ومن هنا كانت محافظة الاسلام على ان يظهر كل من الرجل والمرأة متميزا في لباسه . عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخاري وفي رواية : لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) البخاري وقد ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام : أن ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجلا جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال ـ وقد رأى الرسول الكريم رجلا يلبس الحرير فقال : انما هذه لبسة من لا خلاق له) الشيخان وعن علي رضي الله عنه قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لباس القسى (نوع من الحرير) وعن لباس المعصفر .

خاتمة :

كرم الاسلام المرأة تكريما لا نظير له في فلسفة من الفلسفات او مجتمع من المجتمعات .. وقد كانت آخر كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت (استوصوا بالنساء خيرا) وفي السنن عن معاذ بن جندة القشيري انه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح) ويقول عمر بن الخطاب والله انا كنا في الجاهلية لا نعد النساء امراتى أنزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم .. ويقول الرسول الكريم : (اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهن خلقا وخياركم خياركم لنسائهم ويقول استوصوا بالنساء خيرا فأنهن خلقن من ضلع أعوج ـ وان أعوج ما في الضلع اعلاه فأن أردت أن تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج) النسائي وهو بذلك يريد ان يتحمل الرجال تصرفات النساء ولقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك .

والمرأة اذا كانت اما فقد كرمها الاسلام تكريما رائعا ، يقول الله تعالى **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير)** لقمان/ ١٤ فقد طلب الاحسان بالوالدين ثم خص الام ثم طلب ان يكون الشكر لله وللوالدين ... وقد سأل احد الصحابة النبي الكريم : من أحق الناس بصحابتي ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : أبوك فقد ذكر الام ثلاث مرات ثم ذكر الاب بعد ذلك لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والارضاع ثم ان الأم بطبيعتها أضعف من الاب وهي لذلك في حاجة الى الرعاية أكثر من الرجل .

ولذلك فانه من الخطأ ان يراد للمرأة أن تأخذ موقعا لم تهيأ له لأنهم أرادوا لها ان تتمرد على دينها في مجتمعنا الاسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة ـ وهي شعارات براقة تخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الاسلامي ـ وسيؤدي ذلك الى انها ستشغل بالخارج فتترك امر بيتها ـ واذا خرجت المرأة الى الشارع فانها ستخرج متبرجة فتلهب الغرائز وسيؤدي ذلك الى انحراف المجتمع .

والاسلام ينشد للمرأة ان تكون انسانا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني العالي يتبلور في الزام الرجل ابا او ابنا او اخا أو زوجا بالانفاق على البنت والأم والأخت والزوجة ـ ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت ـ وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها وسعيه اليها ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة ثم حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة . وصدق الله العظيم اذ يقول **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك/ ١٤ .

آفــة التعــاون والاتحــاد

الأثرة والأنانية

للــدكتــور
فؤاد محمــد محمــود
العارضة

تعني الأثرة والأنانية أن يحب المرء نفسه حبا مفرطا ويختصها بأحسن الشيء دون غيره . والانسان أناني بطبعه وطبيعته ، ويدل على ذلك الطفل فهو أناني لا يقصر في أن يستأثر بالنفع وحده دون غيره من اخوته وأصحابه . وكلما كبر الطفل وتقدمت سنه وازداد وعيا ونضجا خفت حدة الاثرة والأنانية فيه وضعف صوتها في نفسه حتى اذا ما نضج تفكيره واتسع أفقه وبعد نظره وسمت نفسه ، خلع عنه رداء الأثرة والأنانية وارتدى لباس التضحية والايثار ونكران الذات .

وكذلك الانسان البدائي الجاهل تراه أنانيا لا يهمه الا نفسه ، ولا يعمل الا لمصلحته الشخصية ، ويدل على ذلك استفحال الأنانية والأثـرة في المجتمعات الجاهلة المتخلفة التي يخيم عليها ظلام الأمية والجهالة وازدهار التضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في المجتمعات الواعية الراقية .

وذلك يعني أن الأثرة والأنانية تنمو في نفوس الجهلاء واللؤماء وتذبل وتجف في نفوس أولي الوعي والألباب والأخلاق الكريمة ، فكلما ازداد وعي المرء واستنار عقله وتعمق تفكيره قلت أثرته وأنانيته ، فالعاقل المبصر أكثر تضحية وايثارا من الجاهل الأعمى ، والطفل الغرير أشد أنانية من البالغ الكبير .

والبخيل الشحيح تطغى عليه الاثرة والأنانية ، كذلك الحيوان أناني بالطبيعة والغريزة . اذاً تطغى الاثرة والأنانية على الطفل الغرير والجاهل الأعمى والبخيل وبالتربية الدينية السماوية وبالتحلي بالثقافة البناءة والأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة ، يتحرر المرء من عقدة الأثرة والأنانية ويسلك طريق التضحية والايثار .

والمتأمل المتفكر يدرك أنه يتولد عن

الاثـرة والأنانيـة مساويء ضـارة ورذائل وبيلة تسوق صاحبهـا الى شرور وجرائم كثيرة ، والاستعمـار بمختلف أشكـالـه وصوره وألوانه من بنات الأنـانية وثمارها . فالدولة الاستعمارية تستأثر لنفسها وحدها بخيرات البلد الذي تحكمه وتستعمره وتحرم أهله منها .

وتلـد الاثرة والأنـانيـة الطمـع والجشع والحسد والغيـرة والشح والـغـدر والخيـانـة والاختـلاس والانتحال ووضع المصلحة الخاصة فـوق المصلحة العـامة . فـالطماع الجشع لا يقنع بما في يده وجيبه من مال بل يطمع فيما في يد غيره وجيبه . يدفعه الى ذلك حرصه على أن يضع يده وحدها على الخير والفائدة دون غيره . والحسود الغيور يتمنى أن ينتقل اليه وحده ما يراه عند غيره من نعمة وخير ، فهو يحب لغيره ما لا يحب لنفسه وعلة ذلك الأثرة والأنانية .

وكم جر الطمع الى معارك ومهالك ، وتحل العداوة والبغضاء والتفرقـة حيث يحل الحسد والجشع والطمع . وما أكثر ضحايا الطمـع والحسد والغدر والخيانة . وما أكثر الأسر والجماعات والدول التي دب في كيانها الحسد والطمع فأصابها الانحلال وتقطيـع الأوصال وانفـراط العقد وانهيار البنيان .

كذلك الغادر الخائن يغدر ويخون في سبيل منفعته الذاتية التي يضعها فوق أية منفعة أخرى . والمنتحـل المدعي يسرق ما يملك غيره من مجد وفضل وينسبه الى شخصه بدافع من حبه لنفسه وخصها وحدها دون غيرها بالفضل والفلاح . ومن ثمار الأثرة والأنـانية الـوصولية والانتهازيـة والاستغلال والاحتكار والاستعبـاد والظلم

فالتاجـر الجشع الـذي يحتكر ويستغل إنما يفعل ذلك بدافع من الاثرة والأنانية

لذلك كانت الاثرة والأنانية رذيلـة الرذائل وأم القبـائح وهي مـرض أخلاقي مهلك وداء اجتماعي وبيل . والمرء الأناني يعزل نفسه بأنانيته وأثرته عن الناس ويخسر النفع الذي يريد الاستئثار به على غيره ، فهو يأخذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ويشد ولا يرخي ، ومن يأخذ ويعطي ويقبض ويدفع ويشد ويرخي يربح ويكسب ، ومن يـأخـذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ، ينحبس عنه الغيث والثمر فيحرم ويخسر . وكلما تخلى المرء عن الأثرة والأنانية وآثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وضحى في سبيل الله والأمة والوطن ، وأنكر ذاته ، عظم نفسه ورفع شأنه ونال خيرا كثيرا ولا يمكن اقامة صرح التعاون والاتحاد ولا رفع علم النهضة والفلاح في مجتمع تسـوده الأثرة والأنانية والنزعة الفردية ، وتباع فيه المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة ، فسلامة الفرد من سلامة المجتمع ، والمصلحة الخاصة مرتبطة بالمصلحة العامة فاذا سلم المجتمع سلم الفرد ، وإن ضاع المجتمع ضاع الفرد ، وإن حفظت المصلحـة العـامـة حفظت المصلحة الخاصة ، وان أهدر دم

الفرد أهدر دم المجتمع ، اذ لا فلاح ولا قوة لمجتمع شخصية الفرد فيه ذابلة زاوية ، وكرامته مهانة ، ومصلحته ضائعة مأكولة .

وفي المجتمع الصالح المتقدم ترى شخصية الفرد تدور في فلك شخصية الأمة كما تدور الأرض في فلك الشمس . وترى المصالح الخاصة الفردية مرتبطة بالمصلحة العامة ارتباط الأغصان والفروع والأوراق بجذع الشجرة وساقها تستمد منها نموها وحياتها وازدهارها كما تستمد أسلاك الكهرباء وشمعاتها الحرارة والنور من مولد الكهرباء ، وتكون فيه أولوية المرور والسير للمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، ويدل على ذلك المسلمون الأوائل في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعهود الخلفاء الراشدين والخلفاء الصالحين من الأمويين والعباسيين وسواهم . فقد ضرب هؤلاء المسلمون المثل الأعلى في التضحية والايثار والتحرر من الاثرة والأنانية . وبذلك صاروا اخوة متحابين متراحمين متعاونين متحدين ، وقوة غلابة قاهرة أقاموا بها الدولة الاسلامية التي امتدت من منطلقها في المدينة المنورة حتى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا . وقد وهبوا أنفسهم ومصالحهم الخاصة لله والرسول ، فوهبهم الله العزة والمجد والخير والحياة الحرة الكريمة والعيشة الراضية في الدنيا والآخرة .

ودارت الأيام وتغيرت الأحوال ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح ، وأهمل الأحفاد ما ورثوه عن الأجداد من اسلام صحيح وايمان صادق وتضحية وايثار لضعف الاسلام الصحيح في قلوبهم وطاعة نفوسهم الأمارة بالسوء والميالة الى الأثرة والأنانية واتباع الأهواء والشهوات والنفس البشرية بلا ضابط يضبطها أو رادع يردعها كجواد شموس جموح بلا لجام أو كسيارة تسير بلا فرامل . فاقتتلوا فيما بينهم وتصارعوا وتفرقوا الى شعوب وأوطان ودويلات فضعفوا وهانوا وطمع فيهم الطامعون وغزاهم في عقر دارهم الغازون واستعمرهم المستعمرون . ولماذا سلك المسلمون الأقدمون طريق التضحية والايثار والتعاون والاتحاد ولماذا انحرف أحفادهم عن ذلك الطريق المستقيم الى طريق الأثرة والأنانية والتفرق والانقسام ؟

ذلك يرجع الى امتلاء قلوب المسلمين الأوائل بنور الايمان بالله واعتصامهم بحبل الله وارتواء نفوسهم من أخلاق الاسلام السامية وفضائله العالية ، وضحالة الاسلام الصحيح والايمان الصادق في قلوب الأواخر وتخليهم عن الاعتصام بحبل الله وتحللهم من أخلاق الاسلام الحنيف ومثله العليا ، وقد تمثل المسلمون الاسلام قولا وعملا وسلوكا وبخاصة في عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعهود خلفائه الراشدين فقد قال الله تعالى فيهم : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ . وقد

عملوا بقوله تعالى: (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١ . وأخذوا بقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم وأحمد . وأحبوا الله ورسوله أكثر من حبهم لأنفسهم ايمانا منهم بأن الله ورسوله خير لهم من نفوسهم الأمارة بالسوء ، وعملوا بقوله عليه الصلاة والسلام: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » متفق عليه .. ويدل ذلك على أنه لا شيء يخنق صوت الاثرة والأنانية في نفس المرء كالايمان بالله والاعتصام بحبله المتين .

فبالتضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة يصير الناس متحابين متآلفين ، متعاونين متحدين . وبالأثرة والأنانية ووضع المنفعة الشخصية فوق مصلحة الأمة يصيرون متباغضين متنافرين ، ومتباعدين منقسمين على أنفسهم . ولنا في الأنصار والمهاجرين قدوة حسنة ، فقد أعطى الأنصار المثل الأعلى وقدموا أقصى غاية التضحية والايثار والجود ، حين شاركوا اخوانهم المهاجرين اليهم من مكة في أرزاقهم وأموالهم ، وبذلك صاروا أسرة واحدة صالحة متعاطفة متراحمة واخوة متكافلين متضامنين في السراء والضراء وفي التآخي والاتحاد قوة غلابة قاهرة . وذلك يعني أن فضيلة التضحية والايثار تجمع وتوحد وتبني وتعلي .. ورذيلة الأثرة والأنانية تفرق وتبدد وتهدم وتحط ، ولا يمكن وضع مصلحة الفرد فوق مصلحة الجماعة ، اذ لا بد لاقامة صرح التعاون والاتحاد من تحلي أفراد المجتمع بفضيلة التضحية والايثار وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فالتضحية والايثار أسمى الفضائل الانسانية ، وأعظم الأخلاق الكريمة ، ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة . مقياس الرقي الخلقي ، والتقدم العلمي والأدبي .

وما الدواء الشافي لهذا الداء الأخلاقي والمرض الاجتماعي الوبيل يا ترى ؟ من أنجع الأدوية لمرض الأثرة والأنانية وبيع المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة ، هو توعية المواطن وافهامه بأن فضيلة التضحية والايثار خير له وأبقى من رذيلة الأثرة والأنانية ، وأن سلامة المصلحة الخاصة رهن بسلامة المصلحة العامة ، وحياة المواطن من حياة الوطن فاذا ضاعت المصلحة العامة ضاعت معها المصلحة الخاصة . فالوطن ملك عام للمواطنين جميعا ، وهو مصلحة عامة ، فاذا ضاع الوطن ضاعت بضياعه أملاك المواطنين وأموالهم ، وذهبت مصالحهم الذاتية الخاصة . ولعل خير دواء يشفي النفس الانسانية من داء الأثرة والأنانية هو الايمان بالله تعالى وتقوى الله وطاعته . فالله عز وجل يأمر عباده بالتضحية والايثار وينهاهم عن الأثرة

والأنانية ، وقد وعد المؤمنين الذين يضحون في سبيله ، ويؤثرون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة النصر والعزة والعلو في الدنيا وجنات تجري من تحتها الأنهار في الحياة الآخرة . وخير شاهد على ذلك العرب في العصر الجاهلي وفي ظل الاسلام الحنيف ، فقد كانوا قبل الاسلام تطغى عليهم النزعة الفردية والتعصب القبلي والأثرة والأنانية ، فتفرقوا وتقاتلوا وتغازوا ووهنوا ، فاستضعفهم الفرس والروم والأحباش واستعمروهم واستخدموهم . وفي ظل الاسلام الحنيف تحلوا بالتضحية والايثار ، فتحابوا وتآلفوا وتعاونوا واتحدوا ، فتحرروا وتقدموا وعزوا وسادوا وأقاموا أعظم دولة عربية اسلامية وأرقى حضارة انسانية في العصور الماضية .

وصاحب الايمان المتين بالله والعقيدة الالهية الراسخة يتزين بالتضحية والايثار ، كما يتحلى بالصحة والعافية ويبرأ من الأثرة والأنانية كما يبرأ من المرض والوباء ؛ فالتضحية والايثار من ثمار الايمان والعقيدة والعلم

قال الشاعر العربي عمر أبوريشة :

واذا راضت العقيدة قلبا فمن الصعب أن يكون أناني

والأثرة والأنانية يدلان على إقفار القلب من الايمان بالله والعقيدة السامية ، وقد تجعل الأنانية صاحبها لا أخلاقيا انتهازيا ، الغاية عنده تبرر الوسيلة وبلوغ الهدف بأي طريقة وأي ثمن .

والسياسة الاستعمارية المجرمة القائمة على الاستغلال والعدوان والنهب والسلب والقتل وامتصاص الدماء ، مبعثها الأثرة والأنانية . وما يلوث جو الحياة الدنيا من مفاسد ورذائل وجرائم وشرور وفجور سببه هؤلاء اللاأخلاقيون ، الذين لا يتورعون عن كل فكر وباطل وفجور في سبيل مطامعهم الشخصية ومآربهم الذاتية ، فهم لذلك أضل سبيلا من الأنعام وأدنى درجة من الحيوانات . وقد ثبت بالتجربة أن ثمار التضحية والايثار طيبة حلوة ، وحصادها المكسب والفائدة ، وأن ثمرات الأثرة والأنانية مرة وعاقبتها الضرر والخسارة ، لذلك كان من الخير للانسان ومن مصلحته الشخصية ، أن يتحلى بالتضحية والايثار ونكران الذات ، وأن يتخلى عن الأثرة والأنانية .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .
○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .
○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .
○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .
○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

السُّنَّة والتُّهم الموجَّهة إليها

للأستاذ / ايهاب محمد المهدي

لا يبدو غريبا على من يقرأ تاريخ السنة النبوية أو يتعرض لها بالدراسة أن يستلفت نظره وجود العديد من التهم التي وجهت اليها عبر العصور وفي كل الأزمان ، فالسنة النبوية هي المكمل والمتمم والشارح للقرآن الكريم ، ومن يتنصل من السنة النبوية فهو يتنصل من القرآن الكريم ومن الاسلام . فهو مرتد يلبس أحيانا ثوب الايمان والخوف على العقيدة الصحيحة أو يدافع عن فكر معين . وأحيانا يلبس ثوب التقدمية والعلمية والمنهجية ويرفض السنة النبوية لأجل الغاء الدين أو على الأقل ذبذبة المذبذبين . وعندما يصدر الاتهام للسنة من المستشرقين فهذه تبدو بديهية . أما أن تصدر الصيحة من رجل يدعي الثورية والتقدمية والمحافظة على الاسلام ثم يقول أنه يرفض السنة . فهذا موضوع آخر ولقد قال الرسول الكثير عن هذا الموضوع ولعل الحديث المشهور الذي يقول فيه : « لألفين أحدكم متكئا على أريكته . يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه . ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه » رواه أحمد وأبوداود .

وأول فتنة تعرض لها الأسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت من رفض السنة وقد تنبأ بها الرسول وقال : « من يعش منكم بعدي سيرى اختلافا كبيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . استمسكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه أحمد وابن ماجه . وما تنبأ به حدث بعد وفاته مباشرة حينما رفضت بعض القبائل دفع الزكاة لأبي بكر لأنهم كانوا يدفعونها للرسول أما وقد مات ، فانه لا أحد يأخذها أو يستحقها فقد كانوا يدفعونها للرسول أما أبو بكر فهو مثلهم . ويقال أن عمر بن الخطاب عارض سيدنا أبا بكر الصديق ، وأنه حدثت مناقشة للأمر فيما بينهم ، وان كنا نرجح عدم حدوث هذه الملاحاة . لايمان عمر ومعرفته بمعنى ترك السنة ، وحتى الذين يقولون هذه الرواية يستشهدون بحديث الرسول ، قاله عمر في معرض النقاش . وهو « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » رواه الأربعة والبخاري ومسلم ويرد عليه سيدنا أبو بكر بقوله : أليس يقول الرسول إلا بحقها ؟ ومن حقها الزكاة . والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله لحاربتهم لأجله . ولن نستطرد كثيرا ولكن النقاش انتهى بأن اقتنع عمر بن الخطاب برأي سيدنا أبي بكر ، ووافق على حروب الردة ، وانتصر المسلمون ورجعت للسنة مكانتها من التشريع الاسلامي . ثم عاد الهجوم على السنة النبوية الشريفة مرة أخرى بعد الفتنة الكبرى بين سيدنا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكثرت حركة الوضع في الحديث مما سنفصله فيما بعد .

وقد روى الامام الشافعي في كتابه الأم باب حكايات الطائفة التي تنكر الأخبار جميعا أن أصحاب هذه البدعة صنفان من الناس ، **الصنف الأول** : لا كلام لنا معهم لأنهم متهافتون ضالون مضلون ، وهم مارقون عن الاسلام من حيث لا يشعرون . اذ ينكرون عدالة الصحابة ويقولون أنهم غير عدول لأنهم وافقوا على أن الرسالة لمحمد ومؤدى هذا أنهم يريدون أيضا أن ينكروا القرآن لأن الذي جاء بالقرآن هو محمد . فيجب أن نطرح الكلام معهم لأنهم ليسوا بعقلاء ، أما **الصنف الثاني** : فيستدل على قوله بالقرآن ، ويقولون ان القرآن قال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الأنعام/٣٨ . واذا احتجنا الى السنة كان الكتاب ناقصا .

وبالرغم من أن هذا الكلام هزيل لأن المقصود بالكتاب ليس القرآن لأن كلمة كتاب مصدر كتب والمقصود بها علم الله بدليل قوله تعالى : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء**) والذين يقولون هذا الكلام ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض والى جانب جهالتهم بشروط تفسير القرآن لا يريدون للاسلام الخير والا ما معنى أن يتركوا القرآن الذي يقول :

○ (**وما ينطق عن الهوى**) النجم/٣ .

○ (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان**

الله شديد العقاب) الحشر/٧ .

○ **(ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** النساء/٨٣ .

○ **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** الأحزاب/٣٦ .

○ **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب)** المائدة/١٥ .

○ **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/٢ .

○ **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء/٦٥ .

○ **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)** آل عمران/٣١ .

وسنترك الآيات دون تفسير فهي شارحة للموقف تماما وتوضح مدى أهمية دور الرسول عليه الصلاة والسلام . وان الايمان به جزء لا يتجزأ من الايمان بالاسلام وان السنة شارحة للقرآن ومرادفة له . وأن الاستغناء عن السنة ليس خطوة في مشوار الكفر وانما هي الكفر ذاته .

وهناك من يرفض السنة لكثرة الوضع في الأحاديث النبوية حتى أن البخاري ذكر أنه سجل أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث . وكذا أبوداود فلم يصح لديه من خمسمائة ألف حديث غير أربعة آلاف وثمانمائة . وحتى هذه الأحاديث كانت موضع نقد وتمحيص ، ونفى الكثير من العلماء بعض الأحاديث عندهم . ويرددون كلام ابن خلدون في المقدمة حيث ذكر أن أبا حنيفة لتشدده في شروط صحة الحديث لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثا . والرد على هذه الاتهامات سهل يسير . ولو أن أحدهم أضاف الى سابق هذا الكلام حديثا عن الرسول : « انكم ستختلفون بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني وما خالفه فليس عني » رواه مسلم .

والرد على هذه الادعاءات سهل يسير ، ولصدورها من رجال خدموا الاسلام وقالوا كلامهم لا لهدم الاسلام وانما نقلا عن بعض الكتب التي تروي هذه الأخبار والأحاديث فيجب أن يكون الرد في النقاط التالية :

١ ـ ذكر البخاري « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر » .

٢ ـ ذكر أبو داود في رسالة الى أهل مكة « سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهي أصح ما عرفت فاعلموا أنه كذلك كله ؟ ولم أكتب في الباب الا حديثا واحدا أو حديثين وان كان في الباب أحاديث صحاح . وما سكت عنه فهو صالح .

٣ ـ أما عن ابن خلدون فهو لم يكن من رجال الحديث ويقول الشيخ

الكوثري . هذه هفوة لابن خلدون لا يجوز لأحد أن يفتريها لأن رواياته على تشدده في الصحة لم تكن سبعة عشر حديثا فحسب بل أحاديثه في سبعة عشر سفرا يسمى كل منها بمسند أبي حنيفة خرجها جماعة من الحفاظ وأهل العلم بالحديث بأسانيدهم اليه .

٤ ـ أما الاستشهاد بالحديث الآنف الذكر فيمكننا أن نأخذ من الشاطبي فهو يقول عن هذا الحديث « وقال عبد الرحمن بن المهدي الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث . وقد عارض هذا الحديث قوم فقالوا نحن نعرضه على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك . فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله ولا نقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما وافق كتاب الله . بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة من أمره جملة على كل حال . فيقول تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ، ثم أن كون مخالفة القرآن مقياس لرفض الحديث لا يستقيم في جميع الأوقات .

ولعل رفض البعض للسنة يقودنا الى حركة الوضع في الحديث . وهذه الحركة نشأت بعد الفتنة الكبرى حين ضعف ايمان بعض الناس ، وحاول الكثيرون زرع بذرة الخلاف أو تأييد مذاهبهم السياسية ، أو من الزنادقة ، أو من اليهود والنصارى الذين أسلموا ، والأحاديث التي وضعوها من السهل اكتشافها اذا حددنا الفرق التي وضعت وهم :

١ ـ **الزنادقة** : ويروي أنهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث وقد روى أحدهم بعد أن اكتشف أمره ويسمى ابن أبي العوجاء « والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطوركم » . والأحاديث التي وضعها هذا الفريق تهدف الى السخرية المستورة من الاسلام ككل ومن الرسول بوجه خاص كقولهم « ان الله لما خلق الحروف سجدت الألف وركعت الباء » وقولهم عن الرسول « الباذنجان فيه شفاء لكل داء » .

٢ ـ **القصاصون** : وقد وضعوا آلاف الأحاديث لأجل التقرب من العامة فهم يضعون الأحاديث لأجل الحصول على المال أو ما شابه ذلك والذي يذهب ريف مصر يسمع أحاديث غريبة جدا مثل : « من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له ألف ألف نخلة في الجنة أصلها ذهب » وكذا من قال « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طائرا له سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله تعالى له » . ولعل أخطر هذه الأحاديث قولهم « ان الله يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول وعزتي وجلالي ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علي لكن أردت أن أرفع قدركم في هذا اليوم انطلقوا الى الموقف . فمن أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة فانطلقوا به الى الجنة » . ومثل هذه الأحاديث يستطيع المؤمن الدارس المتفهم للقرآن أن يعرف ويميز الصحيح منها والموضوع .

٣ ـ **الشيعة** : ويروي ابن تيمية أن أحد شيوخهم قال كنا اذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا ومن الأحاديث التي وضعوها « من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في تقواه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي » وبالطبع واضح أن الحديث موضوع وأكثر فرق الشيعة وضعا هم الرافضة .

٤ ـ **المنافقون** : وهم الذين كانوا يتقربون الى الملوك والرؤساء فيقولون أحاديث تبرر أفعال الملوك من ذلك ما يحكى عن غياث بن ابراهيم أنه دخل على المهدي بن منصور وكان يعجبه اللعب بالحمام فقال له : قال الرسول عليه الصلاة والسلام « لا سبق الا خف أو حافر أو نصل أو جناح » فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام ليخرج قال المهدي أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله . ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **جناح** ولكن أراد ليتقرب الينا . ويبدو أنها قليلة هذه الأحاديث اذ أن معظم كتب الحديث تذكر هذا الحديث .

٥ ـ **الخلافات الفقهية بين العلماء** : وتوجد أحاديث كثيرة عن مشكلة أزعجت بال الناس طويلا وهي خلق القرآن وكان المعتزلة أصحاب هذا الرأي وروى خصومهم أحاديث « مثل القرآن كلام الله وليس كلام الله بمخلوق » وكذا حديث « سيجيء من أمتي قوم يقولون القرآن مخلوق . فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعتها » . وبالطبع واضح أن هذه الأحاديث وضعت في فترة معينة للاجابة على أسئلة محدودة بزمان ومكان معين دون النظر الى مدى تأثير هذا على الاسلام . وعلى العقيدة بوجه عام . وقد أدت هذه الأحاديث النابعة من فكر دخيل على الاسلام الى تشويه حقائق الاسلام في ذهن العامة بوجه عام والى استغلال المستشرقين لهذه الأحاديث واتهام الاسلام في الصميم . والاتهامات التي وجهها المستشرقون الى السنة النبوية كثيرة ، ولكن أخطرها لأجل محوها واسقطاها ما يأتي :

١ ـ **اتهام وجهه بعض المستشرقين** من أن السنة دونت في عهد عمر بن عبد العزيز ٩٩ ـ ١٠١ ومعنى هذا أنها ليست صحيحة ، ودخلها الكثير عن طريق الوضع الذي أشرنا اليه .

٢ ـ **تقول دائرة المعارف الاسلامية** مادة « حديث » لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي بل هي عكس ذلك تمثل آراء بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم .

والرد على الاتهام الأول سهل . اذ أن هناك العديد من الوثائق التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنه كان هناك تدوين للسنة في عهد الرسول والصحابة الى أن أمر عمر بن عبد العزيز بتدوينها رسميا ! وسنكتفي بايراد بعض هذه الوثائق .

١ ـ **وثيقة عبد الله بن عباس** . والتي رواها تلميذه سعيد بن جبير وفي هذه الوثيقة أكثر من ألف حديث .

٢ ـ **وثيقة عبد الله بن عمرو** بن العاص والتي كتبها باذن خاص من الرسول عندما سأله أأكتب كل ما أسمع ؟ قال : نعم . قال في الرضى والغضب ؟ قال الرسول : نعم فاني لا أقول في ذلك الا حقا وقد ذكرها الامام أحمد بن حنبل في المسند بكاملها .

٣ ـ **صحيفة الصحابي أبي هريرة** وبها أكثر من مائتي حديث ، وذلك لأن أبا هريرة لم يكن يكتب ، وقد ذكرها أيضا الامام أحمد بن حنبل في المسند ، وتسمى بالصحيفة الصحيحة . وغيرها كثير ولكنها تكفي بما لا يدع مجالا للشك من أنه كان ثمة تدوين على عهد الرسول وان لم يكن منظما كما هو عليه الحال في عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز .

أما **الاتهام الثاني والأخير** في بحثنا ، فيمكن الرد عليه بسهولة اذ أن أسلوب الرسول واضح .

فاذا سلمنا بأن بعض الأحاديث صحيح والآخر موضوع ، فان معرفة الصحيح وان كان العلماء قديما وحديثا قد بحثوا في رجال الأثر ، وتشددوا في أمر الكتابة والتدوين فان الأحاديث الصحيحة يمكن تمييزها من ناحية الأسلوب . فأسلوب الرسول في الحديث يدل على شخصيته ، فهو مختلف عن أساليب العرب كما هو مختلف عن أسلوب القرآن ، ونلمس فيه كما يقول **الدكتور الزرقا** ضعف الذات أمام الصعوبات القاهرة تارة ، وفيها قوة الثقة تارة أخرى . فهو شخصية تعتز بالضعف الذاتي أمام الله الى جانب اعتزازها بقوة الأمانة والثقة بالحق ففيها ضراعة البشر وتواضع الزهاد الى جانب حكمة العلماء وقوة المبلغين الأمناء .

ونضيف أننا اذا ميزنا أحاديث الرسول وعرفنا الوضع وأسبابه فمن هم أصحاب النفوذ الذين وضعوا الأحاديث . ان هذا يجرنا الى دراسة الشخصيات ذات النفوذ كما تقول دائرة المعارف لنعرف طبيعة شخصياتهم ، وما يمكن أن يضعوه وكانوا أكثرهم من أتقى وأصلح من جاء الى الاسلام والمسلمين . وقد أغنانا الأستاذ العقاد في عبقرياته ودراسته للشخصيات في بداية كل عبقرية . يكتب مفتاح الشخصية وبها تحليل لنفسية الشخصية والبطل الذي يدرسه . وبالطبع لا يمكن أن يكتب الانسان الا ما يعبر عن فكره وشخصه وكلهم طبيعتهم تختلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وايمانهم الصادق ليس مجالا للشك من أي انسان . ولكن الاتهامات تلقى في وجه السنة كخطوة نحو احلال دين جديد محل دين الاسلام بدعوى التطور . والدين الجديد المطور لا يكون اسلاما بقدر ما يكون دينا عبادته المجتمع ورسوله ماركس وطبقة البروليتريا هم الأتباع ، أو دينا عبادته الاستغلال ورسوله آدم سميث وأتباعه من الرأسماليين ، والاثنان بعيدان عن الدين في كل شيء . ويجب أن نأخذ الحذر ونعرف ممن توجه الاتهامات وكيف يفكرون لنعرف كيف نرد عليهم . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

المغفرة لمن ؟

مغفرة الله للمذنبين والعاصين ، ورحمته بهم واسعة .. ولكن بشروط .. يقول تعالى : « **وإني لغفار لمن تاب و آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** » . الآية ٨٢ من سورة طه .

هو حسبي

قال حكيم :**نظرت الى الخلق ، فرأيتهم متوكلين ، هذا على بضاعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق ، فرجعت الى قول الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » . فتوكلت عليه ـ سبحانه ـ فهو حسبي ونعم الوكيل .**

طريقة يهودية

سأل قائد يهودي احد جنوده ـ ماذا تفعل لتفرق مظاهرة معادية ؟
فقال الجندي : أخلع قبعتي واجلس اجمع التبرعات منهم ، فيتفرقون .

الحياة العزيزة

فما العيش الا ان نموت اعـزة ... وما الموت الا ان نعيش ونسلما
تأملت في صرف الزمان فلم اجد ... سوى الصارم البتار للسلم سلماً
فان يك دفع الشر بالرأي حازماً ... فما زال دفع الشر بالشر أحزما
تجـاهل اهـل الكفر كـل قضيـة ... اذا لم يجيء فيها الحسام مترجما

عند الكرب

روي ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول ، عند الكرب : « لا اله الا الله ، العظيم الحليم ، لا اله الا الله ، رب العرش العظيم ، لا اله الا الله ، رب السموات ، ورب الارض ، ورب العرش الكريم » .
اخرجه البخاري

كن مع هؤلاء

أقوى الناس من قوى على غضبه ، واصبرهم من صبر على فاقته ، واغناهم من قنع بما تيسر .

معالجة النفس

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يجمع الناس في المسجد لكل امر مهم ، فينادي فيهم : « الصلاة جامعة » فلما اجتمعوا ، صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :ـ
ايها الناس ! لقد رأيتني وأنا ارعى على خالات لي من بني مخزوم ، فكنت استعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضة من التمر او الزبيب . ثم نزل .
فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما اردت الى هذا يا امير المؤمنين .
فقال : ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسي فقالت لي : انت امير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله احد ، فمن ذا افضل منك ؟
فأردت ان اعرفها قدرها .

يوم الأذان

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال له : اذكر يا امير المؤمنين يوم الأذان ؟ قال : وما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**) . فبكى سليمان وازال ظلامته .

أصالة التشريع الجنائي الاسلامي

للدكتور
احمد علي المجدوب

يتميز التشريع الجنائي الاسلامي بالاصالة على الرغم مما بذله ويبذله البعض ، سواء من المستشرقين او ممن تتلمذ عليهم من علماء القانون الجنائي من المسلمين او من غير المسلمين من جهود دائبة للتشكيك في هذه الاصالة متخذين الى ذلك وسائل مختلفة واساليب متباينة ، تهدف كلها الى نفي الاصالة عن التشريع الجنائي بل واقناع من يتصدون لدراسته بأنه منقول عن التشريعات والقوانين السابقة عليه او المعاصرة له ، وهو زعم باطل من اساسه .

ولعل مما يساعد على رواج هذا الزعم ، المنهج الذي اتبعه بعض الذين حاولوا ان يدفعوا تهمة نقل التشريع الجنائي الاسلامي من غيره من التشريعات والقوانين ، فاذا بمحاولاتهم تؤدي بدون قصد الى نتيجة عكسية كان من المحتم ان يؤدي اليها المنهج الذي اتبعوه في عرض القضية ، وهو منهج يقوم على المقارنة بين احكام التشريع الجنائي الاسلامي وما يقابلها او يماثلها من احكام في القوانين الوضعية ، مما تضمن ايحاء للباحث والقارىء على السواء بأن التشريع قد نقل عن القوانين وليس العكس فمن يقرأ ما كتبه بعض الفقهاء يلاحظ انهم بذلوا اقصى ما في وسعهم للتدليل على ان كثيرا من الاحكام التي تتضمنها القوانين الوضعية الغربية جاءت بها او بمثلها الشريعة الاسلامية . وبالتالي فان رد هذه الاحكام الى

اصولها في القانون الروماني او في قانون صولون او في غير هذا وذاك من القوانين السابقة على الاسلام يكفي بذاته لتأكيد الزعم القائل بأن التشريع الجنائي الاسلامي قد نقل عنها .

ليس ذلك فحسب بل ان هؤلاء الفقهاء رغبة منهم في اقناع الباحثين والقراء بأن التشريع الجنائي الاسلامي لا يقل احكاما ودقة ورعاية لصالح المخاطبين باحكامه عن القوانين الوضعية لم يتورعوا عن اختلاق نظم لا وجود لها في هذا التشريع لمجرد اضفاء صبغة زائفة من التقدمية والحداثة والسبق على التشريع الجنائي الاسلامي على الرغم من ان النظم او الاحكام المدعاة ليست حسنة او مفيدة من اي وجه ، بل ان الدول التي تطبقها تسعى للعثور على بديل لها او الغائها تماما بعد ان كشف التطبيق عن مساوئها ، مثال ذلك نظام العود الى الجريمة الذي لا وجود له في التشريع الجنائي الاسلامي ، ومع ذلك ولانه منصوص عليه في القوانين الوضعية فقد زعم بعض الفقهاء ان التشريع الجنائي اخذ به ونص عليه وهو ما يتعارض بوضوح مع النص الصريح الذي يقرر ان العقوبات كفارات لاهلها ، بمعنى انه بتوقيع العقوبة على المذنب ، فانه يكون قد كفر عن ذنبه .

وبالتالي لا يجوز بأي حال ان نعاقبه مرة اخرى على هذا الجرم اذا ارتكب جرما آخر وهو ما تفعله القوانين الوضعية حيث تشدد العقاب على العائد مع ما في ذلك من ظلم بين اذ يعاقب الشخص عن الفعل الواحد مرتين .

كذلك فان الاحوال الواردة في التشريع الجنائي الاسلامي والتي يتكرر فيها الجرم لا توحي بأن العقاب قد روعي فيه سبق ارتكاب الشخص للجريمة سواء اكانت من نفس النوع ام من نوع اخر . ففي السرقة مثلا تقطع اليد اليمنى في اول مرة ، ثم تقطع القدم اليسرى في المرة الثانية ، وتقطع اليد اليسرى في المرة الثالثة وهكذا ، فالعقاب في المرة الثانية او الثالثة لا يتضمن اي تشديد . كذلك في جريمة شرب الخمر ، فان الشارب يجلد في كل مرة يثبت فيها انه تعاطى الخمر ثمانين جلدة لا تزيد ولا تنقص ، وايضا في جريمتي القذف والزنا من غير المحصن ، ومع ذلك فان بعض الفقهاء المعاصرين يقولون ان التشريع الجنائي الاسلامي ، عرف نظام العود الى الجريمة وشدد العقاب عليه وهو ما لا نجد له سندا في كتب الفقه الاصلية .

وقد استتبع ذلك ، القول بأن **نظام السجل الجنائي** الذي يتضمن بيانا بجرائم الشخص ، او ما يسمى بـ « صحيفة الحالة الجنائية » أو « صحيفة السوابق » نظام مقبول في التشريع الجنائي الاسلامي حيث ان القواعد الخاصة بالعود لا يمكن تطبيقها الا اذا عرفت سوابق المذنب . ومن المعروف ان نظام « صحيفة الحالة الجنائية » اسفر منذ تطبيقه عن مساوىء كثيرة في مقدمتها تلك

العراقيل التي يضعها في طريق الشخص الذي ارتكب جرما عوقب من اجله ثم اراد ان يستأنف حياته مرة اخرى عضوا نافعا في الجماعة ، فان نظام « صحيفة السوابق » يحول بينه وبين الالتحاق بعمل يرتزق منه ، ويحرمه من ممارسة الكثير من حقوقه السياسية . ويشترط عليه ان يسترد ما يسمى « بالاعتبار » قبل ان يعود عضوا عاديا في الجماعة ، وكثيرا ما يتعذر عليه ذلك بالنظر الى الشروط الكثيرة والمعقدة التي يتطلب القانون توفرها . ليس ذلك فحسب بل ان هذا النظام يفتقر الى العدالة بصورة واضحة حيث يؤدي انعدام الدقة في تسجيل السوابق الى تطبيق قواعد العود ومن ثم تشديد العقوبة على البعض دون البعض الآخر ، وهو ما كشفت عنه البحوث التي اجريت على ظاهرة العود الى الجريمة والاعتياد عليها ، حيث تبين ان نسبة مرتفعة من نزلاء السجون لا تعرف سوابقهم .

ولعله لم يعد خافيا على أحد تلك النتيجة التي ادى اليها تطبيق نظام « صحيفة السوابق » وهي ارتفاع نسبة العائدين الى الجريمة بصورة مستمرة بعد ان اقفلت الابواب في وجوههم ، وحيل بينهم وبين الالتحاق بالمجتمع واستعادة اوضاعهم العادية في الجماعة . وهو ما دفع بعض الحكومات الى الغاء ما يسمى بالسابقة الاولى من صحيفة الحالة الجنائية تمكينا لمن حكم عليهم لاول مرة من العودة مرة اخرى الى المجتمع .

وهؤلاء الذين اعتقدوا ان التشريع الجنائي الاسلامي يتضمن احكاما خاصة بالعود الى الجريمة وكذلك تنظيما « لصحيفة السوابق ولما يسمى برد الاعتبار » فانهم لم يدركوا ان هذه النظم تتعارض مع مبدأ « التوبة » الذي يقضي بأن من تاب عن ذنبه بعد توقيع العقاب عليه ، يعود عضوا سويا في الجماعة له ما لاعضائها الآخرين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات ، بحيث لا يحق لاحد ان يفرض عليه ان يعيش في ظروف تدفعه الى ارتكاب الجريمة مرة اخرى ، لكي يعيش او لكي يدفع الظلم الذي ينزله به المجتمع بحرمانه من حقوقه وملاحقة الشرطة له .

وليس معنى هذا ان السجل الجنائي نظام مرفوض من الفقهاء المسلمين او من التشريع الجنائي الاسلامي ، ولكن معناه ، استخدامه في الحدود التي تعود بالفائدة على المجتمع ، بحيث يستخدم في دراسة اتجاهات الجريمة وعواملها فضلا عن رصد حركتها الكمية والنوعية ، وفي غير هذا وذاك مما يفيد في مكافحتها والوقاية منها دون ان يتجاوز ذلك الى وصم المذنب بالعار وحرمانه من حقوقه او ملاحقته او تعقبه .

وهكذا يمكن القول ان خلو التشريع الجنائي الاسلامي من بعض النظم او الاحكام التي استحدثتها القوانين الوضعية لا يعني انه متخلف عنها ، او ان ذلك ينتقص منه او يقلل من قيمته ، بل العكس هو الصحيح ، فقد اسفر التطبيق العملي لتلك النظم

والاحكام عن اضرار فادحة اصابت المجتمع بالاضطراب وانتقصت من حقوق الافراد . ولذلك فانه يجب على من يتصدى لدراسة هذا التشريع بالمقارنة مع القوانين الوضعية ، ان يتخذ منه معيارا للحكم عليها بالصحة او بالفساد ، وليس العكس وهو ما نراه الان . حيث يهتم المدافعون عن التشريع الجنائي الاسلامي بمقارنته بالقوانين الوضعية باتخاذها معيارا للحكم عليه بالصحة ، والاستدلال على ما فيه من دقة وتقدمية ومسايرة للفلسفات المعاصرة ، التي لم تجن المجتمعات من ورائها الا الفوضى وانعدام الامن وافتقاد الطمأنينة .

كذلك فان البحث في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي يستلزم فضلا عن النظر اليه كنظام متميز أو بالاحرى كنسق فريد متكامل ، يستمد اهميته من طبيعته الخاصة ، وتقوم اصالته على اساس مختلف كل الاختلاف عن الاساس الذي تقوم عليه القوانين الوضعية ، ان تكون دراسته شاملة لاقسامه المختلفة ، فلا تقتصر على ما يتعلق منها بالاحكام العامة ، او القواعد الاجرائية ، او النظام العقابي كل على حدة ، وانما يجب ان تكون الدراسة شاملة لها جميعا ، فقد لجأ اعداء الشريعة الى هذه التجزئة للطعن في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي ، وذلك بتركيزهم على النظام العقابي الاسلامي ولفتهم الانظار اليه دون القسمين الآخرين منه ، وهما قسم الاحكام العامة ، وقسم الاجراءات ، وتعمدوا استغلال التشابه بين بعض الجزاءات التي نص عليها التشريع الجنائي الاسلامي وبين جزاءات مماثلة لها او شبيهة بها ، وردت في التشريعات او القوانين السابقة عليه للقول بأنه نقل عنها ، ونفوا بالتالي صفة الاصالة عنه . مثال ذلك عقوبات الرجم والجلد والقطع وكذلك القصاص ، فزعموا ان التشريع الجنائي الاسلامي لم يأت بجديد في هذا المجال وانما استعار من التشريعات الاخرى كالشريعة الموسوية ، او من القوانين الوضعية التي كانت مطبقة عند ظهور الاسلام مثل قانون حمورابي ، والقانون الروماني وغيرها من القوانين التي كانت تطبق في الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية فضلا عن العرف الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ذاتها .

من ذلك ما قاله المدعو « دافيد دي سانتيلانا » في كتاب « تراث الاسلام » الذي الفه جمهرة من المستشرقين باشراف « سيرتوماس ارنولد » عند الكلام عن « القانون والمجتمع » فقد اجمل الكلام عن قانون الجزاء الاسلامي في ثمانية سطور فقط ، قال فيها وبجرأة غريبة يحسد عليها : « ليس ثم كثير مما يقال عن قانون الجزاء فنظام العقاب في الاسلام مبني في جوهره على مبدأ « العين بالعين والسن بالسن » كشريعة موسى . وهو مبتن ايضا على مبدأ الثأر الغريزي . كما انه يضع امام اعيننا المبادىء العقابية الموجودة في متن التوارة دون كبير تحوير . ولا

يغرب عن البال ان لهذه المبادىء والقواعد اسسا تاريخية وقيما تقليدية ».

وهكذا اعتبر هذا الرجل التشريع الجنائي الاسلامي مجرد عقوبات تقوم على مبدأ « العين بالعين ، ومبدأ الثأر الغريزي وتجاهل تماما الأحكام العامة والقواعد الاجرائية التي جاء بها الاسلام ولم يكن لها شبيه من قبل . وعلى الرغم من ان التماثل او التشابه بين بعض النظم والبعض الآخر لا يعني ان احدها قد نقل عن الآخر ، الا انه حتى مع التسليم لهؤلاء الادعياء بما يدعونه ، فان ذلك لا ينفي عن التشريع الجنائي الاسلامي اصالته ، لا لشيء الا لانه لا يقوم فقط ـ شأنه في ذلك شأن كل التشريعات والقوانين ـ على النظام العقابي او اساليب العقاب وحدها بل ولعل هذه وتلك لا تعد عنصرا اساسيا من عناصر هذا التشريع ، وانما هي عنصر ثانوي يلي في الاهمية العنصرين الاساسيين وهما الاحكام العامة والقواعد الاجرائية ، التي بدونها لا يمكن ان تتحقق العدالة او تتوفر الحماية للافراد فضلا عن المجتمعات . فالسلطة العليا في المجتمع يمكنها ان تفرض ما تشاء من العقوبات والتدابير ، ولكنها لا تستطيع ان تكسبها الفاعلية والحياة ، وتضعها موضع التطبيق بالاضافة الى توفير الاحترام لها والانزجار بها الا اذا سبقها تنظيم جنائي محكم يقوم على دعامتين قويتين هما : احكام عامة محددة وواضحة ومستقرة ومحكمة تراعي اعتبارات العدالة والمساواة . وقواعد اجرائية سليمة ودقيقة وملائمة لاحوال المجتمع ومتكافئة مع ظروفه واوضاعه ، تستجيب لردود فعله ازاء الجريمة ، وتراعي التوازن بين مصالح الافراد ومصالح الجماعة ، وتوفر الضمانات الكافية للحريات والحقوق .

اما الجزاءات فسواء اكانت جسيمة ام كانت بسيطة ، فانها تأتي دائما في المرتبة الاخيرة بعد القواعد الاجرائية والاحكام الموضوعية . فاذا فسدت هذه او تلك لم يعد من المهم بحال من الاحوال ، ان نقول ان الجزاءات رادعة او غير رادعة ، شديدة وقاسية او خفيفة وهينة . وهذا يبدو بوضوح بالنسبة لبعض الجزاءات التي فرضت على بعض الجرائم واعتقد المشرع في حينه انها سوف تمنع او على الاقل تقلل من الجريمة التي فرضت من اجلها ، فاذا بها لا تحقق ما كان متوقعا منها ، مثال ذلك جناية جلب المخدرات التي رفع المشرع عقوبتها في قانون العقوبات المصري الى الاعدام شنقا ، ومع ذلك لم تنخفض نسبة جرائم جلب المخدرات ، بل ان القضاء نفسه لم يصدر حكما واحدا بالاعدام على كثرة ما عرض عليه من جرائم من هذا النوع ، مما يدل على أن شدة العقوبة او خفتها لا علاقة لها بالاحكام الموضوعية ولا بالقواعد الاجرائية فضلا عن مكافحة الجريمة او الحد منها .

ولــذلك فــان البحث في اصالــة التشريع الجنائي الاسلامي يجب ان يتجه الى دعامتيه اللتين هما دعامتا أي قــانــون الا وهمــا ، الاحكـام العــامة ، ، والقــواعد الاجــرائية ،

وليس معنى هذا اننا نسلم لاعداء التشـــريع الاســـلامي بصحـــة مــا يزعمونه من عدم اصالته . او على الاقل عدم اصالة النظام العقابي الاسلامي . فمما لا شك فيه انه على الرغم من التشابه القائم بين بعض العقوبات التي وردت فيــه ، وبين عقوبات وردت في تشريعات او قوانين سابقة ، الا انه لا يخلو من اصالة واضحة وبالذات بالنسبة للجزاءات التي استحدثها ومنهــا العقوبــات السالبة للحرية والعقــوبات المــالية فضــلا عن صور من التدابير التي وضعها لمواجهة ما يسمى بحــالة الخطورة الاجرامية ، وكلها لم تعرف الا بعد تطبيقها في الدولة الاسلامية بأكثر من اثنى عشر قرنا ، وهو ما سبق أن بيناه في دراسات سابقة ، ولــذلك فســوف نقتصر هنــا عــلى استعراض معالم الاصالة في التشريع الجنائي الاسلامي بجناحيه وهمــا الاحكام العام ، والقواعد الاجرائية .

ولعل ما اشرنا اليه في مقدمة هذه الدراسة من عدم اعتراف التشريع الجنائي الاسلامي بنظام « العود الى الجريمة » هو احد علامات الاصالة التي يتميز بها ، اما اول هذه العلامات فهو ذلك المبدأ الهام الذي تضمنه ذلك التشـــريع ولم يكن لــه شبيــه في التشــريعات الســابقة او القــوانين الوضعية التي سنها المشرعون ، وهو مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذي يقضي بأن « لا جريمة ولا عقوبة بغير نص » فمنذ ان عرف الانسان الحياة في جماعة وخضع للتنظيم الاجتماعي الذي تقوم السلطة السياسية على رأسه ، وحتى ظهور الاسلام ، لم يكن تجريم الافعال والعقاب عليها يخضع لمبدأ او تحكمه قاعدة ، فكان للحاكم ان يجرم من الافعال مــا يشاء ، ويفرض لها من الجزاءات ما يريد ، دون ان يكون لدى الناس علم مسبق بتجريمها والعقاب عليها ، بــل ان التجريم نفسه لم يكن يتميز بالثبات والاستمرار فالافعال تجرم حينا وتباح حينا آخر ، ويعاقب عليها بعقوبة ثم يعاقب عليها بعد حين بغيرها قد تكون اشد او اخف . وهكذا . ليس ذلك فحسب ، بل ان الحاكم كان يعاقب احيانا على الافعال بأثر رجعي على الرغم مما كان لها من وصف الاباحة عند وقوعها . بل ان الحيوان والجماد وفي احيان كثيرة المــوتى ، كانــوا يعاقبون بــاعتبارهم مسؤولــين عن جرائم وقعت ، فضلا عن الاطفال غير المميزين والمجانين والواقعين تحت تأثير الاكراه او المضطرين .

ولم يكن تجريم الافعال وتوقيع الجزاءات على من يرتكبونها يقتصر على الحـاكم او اولى الامر ، وانما تجاوزه الى الافراد ، فكان للسيد ان يعاقب افراد اسرته او عشيرته او تابعيه ومنهم عبيده ، وله في ذلك مطلق الحرية فهو يعاقب من يشــاء بما يتراءى له من عقاب ، ويعفو عمن يريد

دون معقب على حكمه او ناقض لقراره ، بل ودون ان يراعي الملاءمة بين الجريمة والجزاء ، فله ان يوقع اقسى العقوبات من اجل جرم تافه ، بل وله ان يعاقب من لا ذنب له ولا جريرة لمجرد قيام علاقة من نوع ما او توفر ظروف من طبيعة ما بين الجاني والبرىء ، ومن يقرأ تاريخ المجتمعات سواء في الشرق او في الغرب يجد عجبا ، وهل هناك ما هو اعجب واغرب من ان يقوم احد السادة الرومان باعدام اثنى عشر الف رجل من عبيده لمجرد ان احدهم فر من ضيعته ؟ فأراد ان يخيف الآخرين ويرهبهم حتى لا يحذوا حذوه ، ففعل ما فعل دون ان يسمع كلمة لوم او عبارة تثريب .

كذلك كان للزوج ان يعاقب زوجته فيجدع انفها او يفقأ عينها او يبتر أجزاء من جسدها ، كما كان للاب ان يقتل اولاده . ولم يكن هناك اوصاف معينة للافعال التي تعد جرائم ، فالسرقة كانت تشمل افعالا ابعد ما تكون عن السرقة ، كذلك كانت التهم التي لا دليل عليها تكفي لمعاقبة المتهم بها ، ولم يكن الانسان يدري وهو يأتي سلوكا معينا ، ما اذا كان هذا السلوك مباحا او محرما ، لانه لم يكن هناك قانون يتضمن نصوصا واضحة ومحددة ، تعرف الفعل وتحدد اركانه فجاءت الشريعة الاسلامية لتفرض مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، وقاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص . وبموجبها لا يسأل الافراد عن الجرائم الا اذا كان قد صدر بتجريمها قانون من جهة تملك الحق في اصداره وذلك بناء على قوله تعالى : (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الأسراء / ١٥ وقوله تعالى : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥ وقوله تعالى : (**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم اياتنا**) القصص / ٥٩ فالعذاب او العقاب لا يجوز قبل الانذار والتنبيه الى ما هو مجرم من الافعال ، والتمييز بينه وبين ما هو مباح منها ، فلا يصح ان يفاجأ الناس بتجريم فعل او افعال وتطبيقا لهذا المبدأ لم يصبح شرب الخمر محرما الا بعد ان نزلت الآيات على الرسول عليه الصلاة والسلام بتحريمها ، وكذلك بالنسبة للزواج بين المحارم مثل زواج الابن بزوجة الاب والجمع بين الاختين . ولم يكن التحريم بأثر رجعي وانما ابتداء من نزول الآيات ، وبالتالي لم يعاقب الذين سبق لهم ان تزوجوا بزوجات ابائهم او اخوات زوجاتهم وانما تم الفصل بينهم دون عقاب اما من أصر على الاستمرار في علاقة الزوجية رغم النهي فقد عوقب باعتباره مستمرا في جرمه غير منته عنه بل ومصر عليه .

وعلى الرغم من النص على هذا المبدأ الهام في التشريع الاسلامي الا ان القوانين الوضعية وبالذات ما صدر منها في اوربا لم تعرفه الا بعد قيام الثورة الفرنسية ، التي كانت اول من نص عليه في القوانين التي اصدرتها وللاسف الشديد فان

الشراح المسلمين المعاصرين الذين لا يعرفون عن القوانين شيئا الا من خلال ما يقرأونه في كتب الغرب ، يزعمون في كتبهم التي يدرسونها لطلاب الحقوق ، ان اول من نص على هذا المبدأ هو القانون الفرنسي .

وعلى الرغم مما يبدو من ان هذا المبدأ خاص بالجرائم التي تعد من الحدود او القصاص ، الا انه لا شك في ان القاعدة ملزمة في غير ذلك من الجرائم التي تسمى بالتعازير ، فلا يجوز للحاكم او ولي الامر ان يخرج على مبدأ الشرعية الذي الزم الله سبحانه وتعالى به نفسه مع عدم لزوم هذا الامر بالنسبة لله ، وهو الخالق المطلق الحرية في شؤون خلقه ، والذي لا معقب على ارادته ولا راد لمشيئته ، ومن ثم فان على ولي الامر الا يجرم فعلا ويعاقب عليه قبل ان ينذر الناس ويحيطهم علما بذلك ويعدهم نفسيا واجتماعيا للالتزام به . وهنا يرتبط بالمبدأ في الشريعة الاسلامية مبدأ آخر ، وهو ضرورة اعلام المخاطبين بالقانون بما صدر منه متضمنا التجريم والعقاب ، فلا يجوز اخفاء امر القانون الذي صدر ، بل ولا يجوز مجرد عدم اعلانه حتى لا يعلم به ، بعض من يرغب الحاكم او ولي الامر في انزال العقاب بهم لغرض في نفسه ـ فقاعدة « لا يعذر شخص لجهله بالقانون » لا تطبق طالما ان العلم بالقانون قد تعذر لاسباب ترجع الى من اصدره .

ولذلك فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عفا عن رجل وامرأة زنيا بعد دخولهما في الاسلام بفترة وجيزة ، وبسؤالهما اقرا بما اقترفا وبررا ذلك بجهلهما ان الاسلام يحرمه ويعاقب عليه ، فلما تحقق عمر من ذلك اكتفى بضربهما ضربات خفيفة ، وانذرهما بعدم العودة الى مثل ذلك والا عوقبا طبقا لما تنص عليه الشريعة الاسلامية ، ثم اوصى المسلمين بأن يعملوا على تعليم الذين دخلوا الاسلام حديثا امور دينهم ومبادىء شريعتهم .

وفضلا عن هذا المبدأ الاساسي في التشريع الجنائي ، تضمنت الشريعة الاسلامية مبادىء اخرى لا تقل عنه أهمية ، ونظريات لا عهد للقوانين السابقة عليه بها ، بل ان القوانين اللاحقة عليه لم تعرفها الا بعد اكثر من احد عشر قرنا ، مثل نظرية الظروف ، ونظرية المساهمة الجنائية ؛ ونظرية الضرورة ونظرية الدفاع الشرعي ، ونظرية الفاعل المعنوي ، وغيرها من النظريات التي تزخر بها هذه الشريعة ، والتي انتقلت منها الى القوانين الاوربية في العهود التي اتصل فيها الغرب بالشرق فصاغها في نظريات ، زعم انها من وضع ابنائه ومن بنات افكارهم ، ولم نلبث ان نقلناها عنهم دون أن نفطن الى مصدرها الحقيقي ، لا لشيء إلا لغفلة اصابت علماء القانون المسلمين ، الذين اخذوا يستوحون فيما يضعونه من تشريعات كتب الغرب ، دون ان يكلفوا انفسهم الرجوع الى كتب اسلافهم ولو انهم فعلوا لوجدوا فيها ضالتهم .

الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية

للدكتور / محمد شوقي الفنجري

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية بانها تنمية شاملة ، ومتوازنة ، وغايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه .

١ ـ **فاما انها تنمية شاملة** :
فذلك لانها لا تستهدف رقي الانسان ماديا فحسب ، وانما روحيا بصفة اساسية :

والروحانية في الاسلام ليست كما يتصور الكثيرون مسألة ميتافيزيقية او غيبية ، وانما هي العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى ، سواء كان ذلك الايمان او تلك المراعاة والاعتبار المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته .

فالاسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو اخروي . فكل نشاط مادي او دنيوي يباشره الانسان ، هو في نظر الاسلام عمل روحي او اخروى طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى . فالله سبحانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، اي ليعملوا عملا صالحا ، **والايمان في الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكنه ايمان محدد مرتبط بالعمل الصالح** .

وان مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .. . الخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على اشباع بعض الضروريات او الحاجيات دون الاخرى .

ومن هنا لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كما لا يقبل تنمية « اشتراكية » تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير .

٢ ـ **واما انها تنمية متوازنة** :

فذلك لانها لا تستهدف الكفاية فحسب اي زيادة الانتاج بقوله تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) **التوبة/١٠٥** وانما

تستهدف اساسا العدل اي عدالة التوزيع بقوله تعالى : (**اعدلوا هو اقرب للتقوى**) المائدة / ٨ بحيث يعم الخير جميع افراد المجتمع ، ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية اي المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان ، لا مجرد حد الكفاف اي المستوى الادنى للمعيشة الذي بدونه لا يستطيع المرء ان يعيش وينتج . فضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، هو في الاسلام حق الهي مقدس ، ليستشعر نعم الله وفضله فيتجه تلقائيا الى حمده وشكره تعالى وعبادته ، ذلك الحمد والشكر الذي لا يعبر عنه في الاسلام بالقول والامتنان فحسب ، وانما اساسا بالعمل والاخلاص فيه بقوله تعالى : (**اعملوا آل داود شكرا**) سورة سبأ/١٣ وتلك العبادة التي لا تتمثل في الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب ، وانما اساسا بخدمة الغير ومد يد المعونة لكل محتاج بقوله تعالى : (**لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس**) النساء / ١١٤

فالاسلام اذ يتطلب زيادة الانتاج ، يستلزم في نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لا يغني احدهما عن الآخر ، فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الاسلام ، كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس مما رفضه الاسلام ومن ثم لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة . واذا كانت التنمية « الاشتراكية » تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع ، الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائما شكل الانتاج ، في حين يرفض الاسلام هذه التبعية بحيث ـ ايا كانت اشكال الانتاج السائدة بالمجتمع ـ يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد وذلك كحق الهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق ، ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده ، بحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو ما لا يكون الا في ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسى الجميع في حد الكفاف .

وان مبدأ التوازن في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تتوازن جهود التنمية ، ومن ثم فانه لا يقبل في الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى ، او ان تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، او ان نقدم الكماليات او التحسينات على الضروريات او الحاجيات ، او ان تسبق الصناعات الثقيلة او المستوردة الصناعا ت الاستهلاكية او المحلية ، او ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية .. الخ من **الاخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية ، مقلدة عن وعي او دون وعي ، تجارب شرقية او غربية ، غافلة او جاهلة**

الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائي .

ولا شك ان التنمية غير المتوازنة التي نراها في اغلب دول العالم النامي ، والتي تركز على جزء من الاقتصاد القومي وتزيد من تدهور بقية الاجزاء ، هي تنمية مشوهة بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف .

٣ ـ واما أن غايتها الانسان نفسه :

ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، فذلك ما يحدد بواعث التنمية الاسلامية ووسائلها .

ففي التنمية الرأسمالية ، الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح ، مما يؤدي عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية ووفرة انتاج السلع الكمالية التي يطلبها الاغنياء والمترفون ، وما يصاحب ذلك من تحكم المادة ومختلف المساوىء الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الغربية .

وفي التنمية الاشتراكية ، الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم لا وفق احتياجات ورغبات المواطنين انفسهم ، مما يهدر كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية .

اما التنمية الاسلامية ، فباعثها ليس الربح شأن التنمية الرأسمالية ، ولا اهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية ، وانما هو توفير حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية او حاكمية سوى عبودية او حاكمية الله وحده . **فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه لا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية ، ولا يستذله الغير شأن التنمية الاشتراكية ، وانما محررا مكرما يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى** : (**اني جاعل في الارض خليفة**) البقرة / ٣٠ وقوله تعالى : (**هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها**) هود/٦١ . اي كلفكم بعمارتها .

٤ ـ الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية :

في الاقتصاد الرأسمالي . التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الفرد او القطاع الخاص .

بخلاف الاقتصاد الاشتراكي ، فان التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الدولة او القطاع العام .

اما في الاقتصاد الاسلامي ، فان التنمية الاقتصادية تقوم على تعاون الفرد والدولة معا لكل مجاله ، بحيث يكمل كلاهما الاخر ، ولا يغني احدهما عن الآخر ، وبحيث لا تزداد او تقل مسئولية اي منهما الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية في كل مجتمع . فالدولة تشجع الافراد على الاستثمار والقيام بمختلف المشروعات الانتاجية ، وتنفرد بالقيام بالمشروعات التي يعجز الافراد عن

القيام بها كصناعة الحديد والصلب او يعزفون عنها كتعمير الصحاري او يقصرون فيها او ينحرفون بها كاقامة المدارس والمستشفيات .

ومن ثم فان الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية ، لا يبخس دور الدولة في التنمية شأن الاسلوب الرأسمالي ، ولا يهدر دور الفرد في التنمية شأن الاسلوب الاشتراكي ، بل يحقق التعاون والتكامل بين الفرد والدولة بحيث يستفيد من طاقة وامكانية كل جانب بقدر ما تسمح به ظروف كل مجتمع .

٥ ـ الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية

ولعل اكبر ضمان لنجاح جهود التنمية الاقتصادية واستمرارها ، ومما ينفرد به الاقتصاد الاسلامي دون سائر الاقتصاديات الوضعية ، هو ارتفاعه بالتنمية الى مرتبة العبادة .

ذلك ان الاسلام لم يكتف بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة / ١٠٥ وقوله عليه الصلاة والسلام . (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة) اخرجه الطبراني .

اكثر من ذلك اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته ، افضل ضروب العبادة . فقد ذكر للنبي عليه الصلاة والسلام رجل كثير العبادة ، فسأل من يقوم به ، قالوا اخوه ، فقال عليه الصلاة والسلام (اخوه اعبد منه) وقد اراد احد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله ـ اي في خدمة المجتمع وتنميته ـ افضل من صلاته في بيته ستين عاما) اخرجه الحاكم ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (لكل امة سباحة وسباحة أمتي الجهاد في سبيل الله)اخرجه الحاكم .

ونخلص مما تقدم ان التنمية الاقتصادية في الاسلام ، هي تنمية شاملة ، ومتوازنة ، غايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، وانها مسؤولية الفرد والدولة لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر ولا يغني احدهما عن الآخر ، وانه لضمان نجاح التنمية واستمرارها ارتفع بها الاسلام الى مرتبة العبادة ، بل وصل الامر في حرص الاسلام على التنمية والتعمير ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة ـ اي شتلة ـ واستطاع ان يغرسها ، فليغرسها فان له بذلك اجراً) رواه البخاري ومسلم .

ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة) .

عندما يكون المصرف

للاستاذ
محمد فوزي حمزة

تقديم وتعريف

التمويل بالمشاركة ، خدمة يقدمها المصرف الاسلامي لعملائه فتكون لها آثار طيبة على عملية التنمية ، ومعناها باختصار ان يقوم المصرف بالاسهام في تمويل المشروع في مقابل ان يكون شريكا في ملكيته ، وشريكا في ارباحه ، ومن الطبيعي انه ـ كشريك ـ يتحمل ايضا جزءا من خسارته .

موقع المشاركات من اعمال المصارف الاسلامية :

وهذه العملية تدخل في اعمال المصارف الاسلامية ضمن وظيفتها الاقتصادية الاجتماعية ، فان لهذه المصارف نوعين من العمليات ، أحدهما : تباشره باعتبارها مؤسسات

الإسلامي

شريكا في أعمالك

مصـرفية ، ويندرج تحته مختلف العمليات المصرفية من فتح الحسابات وصرف الشيكات واصدار خطابات التعهد وخطابات الضمان وخطابات الاعتماد والاقراض « الحسن ».

والنوع الثاني : تباشره باعتبارها مؤسسات اقتصادية لها دور اجتماعي ، وتدخل ضمن وسائلها عمليات الاستثمار المباشر ، سواء بطريق شراء الاسهم او بطريق المضاربة والبيع بالمرابحة والمشاركة ، والمشاركة المنتهية بالتمليك ، فالمصارف الاسلامية مؤسسات لها دور اقتصادي واجتماعي معا ، وقد فصل المفكرون القول في هذا الامر وقالوا في ذلك « اما البنوك الاسلامية فهي مؤسسات اجتماعية ومالية في نفس الوقت ، تعمل كاداة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الاسلامية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ المشروعات التي تتطلبها عملية تنمية المجتمع وتحقيق الاحتياجات الاساسية له ، وهي اعمال طويلة الاجل غالبا ، كما انها لا تتعامل بالفائدة ، بل تقوم على اساس الاستثمار المباشر او الاستثمار بالمشاركة في الربح والخسارة...... ».

كما تنص القوانين المنظمة لانشاء وتأسيس هذه المصارف على اعتبار هذه العملية « المشاركة » جانبا هاما من اوجه نشاط المصرف ، فينص القانون الخاص بانشاء البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار على ان البنك يقوم بجميع اعمال التمويل والاستثمار على غير اساس الربا ، من خلال عدة وسائل عد من بينها « .. تقديم التمويل اللازم كليا وجزئيا في مختلف الاحوال والعمليات القابلة للتصفية الذاتية ، ويشمل ذلك اشكال التمويل بالمضاربة والمشاركة المتناقصة ، وبيع المرابحة للامر بالشراء وغير ذلك من صور مماثلة ..».

ولهذه العملية اهداف اقتصادية واجتماعية معا ، اهمها تعاون راس المال وخبرة العمل في التنمية الاقتصادية ، وحصول المستثمر على الربح العادل الذي يتناسب مع الدور الذي اداه ماله ، وتحرير المودعين من النظرة الفردية السلبية التي يتسم بها المودع الذي ينتظر فائدة ربوية ، وتنشيط عمليات التنمية في المجتمع والنهوض باقتصادياته ، وطبيعي ان من اهم اهدافها الخاصة ، فتح مجال لتوظيف اموال المساهمين والمودعين وتحقيق الارباح .

ولا شك في ان هذه العملية تعتبر وسيلة جدية لتوفير المال للمشروعات المزمع انشاؤها ، اذ انها توفر على منشىء المشروع مهمة البحث عن شريك ، وتمهد امامه الطريق سالكة الى هذه الخدمة من خدمات المصرف الاسلامي ، كما انها في الوقت ذاته تعتبر منفذا هاما للمدخرات تسلكه الى اوجه الاستثمار ، اذ « ... تعتبر المشاركة في الربح من اهم اساليب توظيف الاموال التي من شأنها ان تفي بحاجات المشروع لرأس المال السائل خلال الفترة التي تمر بين بدء الانتاج وتسويقه « دورة الانتاج »، كما انها وسيلة لاجتذاب الاموال الى النشاط التجاري ، فعندما يحتاج رب العمل الى رأس مال سائل خلال دورة الانتاج ، فانه يمكنه ان يتعاقد مع احد او بعض المستثمرين ، على تقديم ما يلزمه من المال ، وفي نهاية الدورة تصفي الايرادات من التكاليف ، ويوزع الباقي على المشتركين ، وفقا للطريقة المتفق عليها ابتداء ، وبنفس الطريقة يمكن للتجار ان يستوظفوا اموال الغير في اعمالهم ».

اساس هذه العمليات

وهذا النوع من عمليات المصارف الاسلامية ، يقوم على ما عرف في المعاملات الشرعية باسم « الشركة » ، وهي نوع من المعاملات عنيت بشرحه والتفصيل فيه مذاهب الفقه الاربعة ، وقد عرفها الحنابلة بانها « الاجتماع في استحقاق او تصرف »، والشافعية بانها « ثبوت الحق شائعا ـ اي عاما بين الشركاء ـ في شيء واحد او عقد يقتضي ذلك »، والاحناف بانها « اختصاص اثنين فاكثر بمحل واحد »، والمراد بالمحل هنا هو الشيء الواقع عليه الشركة كالمال والارض وغيرها ، وعرفها المالكية بانها « ما يحدث بالاختيار بين اثنين فاكثر من الاختلاط لتحصيل الربح ».

والشركة ثلاثة انواع ، شركة الاباحة وتعني اشتراك اكثر من واحد في شيء مباح كالماء والعشب والكلأ والهواء ، والثاني شركة الملك كاشتراك اكثر من واحد في ملكية بعض الاعيان بطريق الارث ، والثالث شركة العقد وهو اهم الانواع ، وهو الذي يعنينا هنا امره ، وقد بين العلماء القول فيها بتفصيل معقول ، وعرفها بعض المعاصرين بانها « عقد بين اثنين او اكثر على الاشتراك في المال وربحه ، او على الاشتراك في الربح

دون المال ، او الاشتراك في عقد العمل ، او الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأس مال لهم يتجر فيه ».

فاما الاشتراك في المال وربحه ، فتقديم جانب من رأس المال والحصول على حصة من الارباح ، وهو المقصود به هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ويباشرها الافراد ايضا ، واما الاشتراك في الربح دون المال فهو المعروف في عمليات المضاربة ، واما الاشتراك في عقد العمل فكشركات المقاولات اذ يتفق اثنان او اكثر على تكوين شركة مقاولات فيكونون شركة في تنفيذ ما يسند اليهم من عقود العمل ، واما الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأسمال لهم يتجر فيه ، فمثله الشركات التي تباشر اعمال الوكالة والسمسرة .

من قبل ، سقنا ما قدمته المذاهب الاربعة من تعريف للشركة ، كما سقنا طرفا من تعريف المعاصرين لها ، ومن هذا التعريف الاخير ، قلنا ان عبارة الاشتراك في المال وربحه « هي التي يقصد بها هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ، وقد اكد ذلك القائمون على امر هذه المصارف ، فيقول رئيس الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية : « الاستثمار بالمشاركة يعني مساهمة البنك في رأس المال لمشروع انتاجي ، مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع وشريكا في ادارته ، وكل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتفق عليها »، ويؤكد ذلك الكتاب الذي اصدره الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ، ويزيده ايضاحا بترتيب الاوضاع القانونية التي تنجم عن هذه المشاركة فيقول « ... مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع ، وشريكا في ادارته وتسييره ، وشريكا ايضا في كل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتم الاتفاق عليها .

فنحن هنا بازاء امرين ، اسهام البنك باموالـه في رأسمال المشروع ، ثم الاثار الناجمة عن دوره كشريك ، وقد اوضحنا من قبل انه تنشأ له حقوق في الملكية ، وحقوق في الربح ، وحقوق في الادارة .

اسهام المصرف الاسلامي في رأس المال ..

فاما الاسهام في رأس مال المشروع ، فهو خدمة يقدمها المصرف الاسلامي بعد التقدم اليه بفكرة المشروع والدراسات الاولية حول هذه الفكرة ، اذ يتقدم العميل الى المصرف بطلب المشاركة في مشروعه ، مشفوعا بدراسة معقولة لهذا المشروع وظروف تشغيله ، ومعدل ربحيته وغير ذلك من المعطيات الضرورية ، ومدعما بقدر من رأس المال المقترح ، يقدمه العميل تأكيدا منه للجدية واسهاما منه في رأس المال ، فيقوم المصرف من جانبه بدراسة جدوى المشروع وتمحيص معطياته التي قدمها العميل ، وعند

التحقق من الجدية والجدوى معا ، لا يمتنع المصرف الاسلامي عن توظيف بعض امواله في الاسهام في رأسمال المشروع ، فالخطوات اذن ثلاثة ، الاولى من جانب العميل وهي طلب المشاركة وتقديم جزء من رأس المال ، والثانية والثالثة من جانب المصرف ، وهما التأكد من الجدية والجدوى ثم الاسهام في رأس المال .

ويتخذ المصرف الى الاسهام باموال احد طريقين ، « .... الاول : ان يكون الانفاق مباشرة بمعرفة البنك ، سواء بتسليم المبالغ للشريك نقدا او بشيكات ، او الانفاق في خصائص المشروع نقدا او بشيكات او بشيكات مصرفية او حوالات ، والثاني ان يرخص للشريك بالصرف عن طريق سحب شيكات على حساب المشروع وفي الحدود التي يرخص بها ».

حقوق المصرف الاسلامي على المشروع

واما الحقوق التي تترتب على المشروع للمصرف بناء على عمليات المشاركة ، فهي باختصار حقوق الشريك في رأس المال وفي الربح وفي الادارة ، وهذه الحقوق نختصر القول فيها على النحو التالي :

حق المصرف في رأس المال :

اذ يستمر المصرف مالكا لحصته في المشروع طوال فترة تشغيله ، وعند التصفية يسترد قيمة حصته في صافي اصول المشروع ، وهي حصة مشاع في صافي الاصول الا اذا اتفق من قبل على ترتيب حقوق مستقبلة على بعض الاصول ، كأن يتفق على تخصيص جانب منها ليكون ضمن نصيب المصرف عند التصفية ، كما يفعل بعض الشركاء احيانا ، ولكن هذا مسلك من النادر ان تسلكه المصارف ازاء عمليات المشاركة ، فلم تقدم التجربة حتى الان واقعة واحدة من هذا القبيل ، والذي قدمته التجربة كله عكس ذلك ، وهو ان يبيع المصرف حصته الى العميل دفعة واحدة في نهاية فترة التشغيل المتفق عليها او على دفعات كما سيلي تفصيله عند الحديث عن حالات « المشاركة المتناقصة ».

وعند انتهاء فترة التشغيل المتفق عليها يسترد المصرف قيمة حصته في التصفية ، وفترة التشغيل هذه تسمى من وجهة نظر المصرف فترة توظيف المال « ...... ومن الممكن ان تتراوح فترة توظيف المال بين ستة شهور واثنى عشر شهرا في حالة المشروعات الصناعية والزراعية ، الا ان تلك الفترة تقصر الى ستين او تسعين يوما في حالة المشروعات التجارية ».

حق المصرف في الارباح :

ومن الطبيعي ان يكون للمصرف الاسلامي الحق في جزء من ارباح المشروع الذي يسهم في رأس ماله بطريق المشاركة ، فبعد تجنيب

تكاليف العمليات الانتاجية والتسويقية من ايرادات المشروع ، بما في ذلك ما يتفق على تجنيبه للعميل مقابل الادارة ، تقسم الارباح المتبقية بعد ذلك بين المصرف والعميل ، وفقا لنسبة التوزيع المتفق عليها ، وفي المقابل على المصرف ان يتحمل بنصيبه في الخسارة ان تحققت ، وهذا افتراض عملي يتحقق في بعض المشروعات ، ولكن التجربة العملية اثبتت انه افتراض ندر تحققه في المشروعات التي اسهمت فيها المصارف الاسلامية حتى الآن نظرا لان دقة الدراسات التي يقوم بها جهاز المشاركات في هذه المصارف والتي تجري قبل الموافقة على الاسهام في المشروع تجعل من الصعب تحقق هذا الاحتمال ، الا في حالات نادرة جدا ، وعلى اي فان كلا من المصرف والعميل يتحمل بنصيبه من الخسارة وفقا لنسبة الاسهام في رأس المال ، اما اذا كانت نتيجة الاعمال ارباحا ، فان نسبة الاسهام في رأس المال تكون معيارا عادلا للتوزيع طالما تم تجنيب حصة من الارباح للعميل قبل التوزيع مقابل الادارة ، ومعلوم ان الحصول على نسبة من الارباح ، هو السلوك البديل للفائدة الربوية التي تغتنمها المصارف الربوية ، وليس من جدال انه سلوك اقرب الى الرشد وسبيل اهدى الى النجاح .

حق المصرف في الادارة :

من هذه الحقوق ، افادت مطبوعات الاتحاد الدولي للمصارف الاسلامية بانه ينشأ للمصرف الاسلامي الحق في الاشتراك في ادارة وتسيير المشروع ، ولكن التطبيق العملي اشار الى واقعية الحد من ممارسة المصرف لهذا الحق ، وقد بلغ التقليل « عمليا » من اشتراك المصرف في الادارة درجة بلغت في بعض الاحيان الى ان يقتصر دوره على المراقبة ، وقد ذكر ان بنك فيصل الاسلامي السوداني « يعطي العميل نسبة من الارباح تتراوح بين ٣٠٪ ، ٣٥٪ قبل التوزيع مقابل الادارة ، لأن البنك لا يشترك في الادارة ويكتفي بالمراقبة ولا يتدخل الا استثناء »، فالمراقبة ـ وليس الادارة ـ هي الصيغة العملية لهذا الحق ، ونتوقع ان تكون ممارسة المصرف الاسلامي لهذه المراقبة عن طريق الزام العميل « الشريك » بامساك دفاتر منتظمة وتأكيد حق المصرف في الاطلاع على هذه الدفاتر ومراجعتها وتنظيم الطريقة المثلى لهذا الاطلاع .

ثم نأتي بعد ذلك الى الاثار الناجمة عن طبيعة العلاقة بين المصرف والعميل ، اذ يمكننا اعتبار كل من العمل ورأس المال قوام شركة تقوم بين المصرف من جهة والعميل من جهة اخرى ، وهنا ينشأ نوع من الاختلاف بين دور المصرف الاسلامي باعتباره ممولا ودور المصرف الربوي ، منشأ هذا الاختلاف ، هو انه لن يمارس دوره التمويلي عن طريق الاقراض بالفائدة ، ولكن يمارسه بالدخول في العملية باعتباره شريكا فيها ، وبالمثل

يختلف دور العميل ، وعلاقته بالمصرف الاسلامي عن الحال مع نظرائه من عملاء المصارف الربوية ، اذ ان علاقة هؤلاء النظراء بالمصرف الربوي الذي لا يتصل بالعملية الا عن طريق الاقراض ولا يكون له فيها الا دور المقرض ، لا تعدو ان تكون علاقة المدين بدائنه ، ووفقا لانحصار هذه العلاقة في هذا الاطار ، نجد عقد القرض يصاغ وتؤسس بنوده على فلسفة الدين وحدها ، اما في نظام المشاركات الذي يعمل به في المصارف الاسلامية فان علاقة العميل بالمصرف ـ الشريك ـ تتغير كثيرا عن هذا المفهوم ، لتشمل طلب المشورة والتماس المعاونة الفنية او التسويقية ، وطلب المعاونة في دراسة وتطوير المشروعات ... الى آخره ، بل وتشمل ايضا امكانية طلب الموافقة على تأجيل مواعيد البيع اذا كانت الاسعار الحالية تعرضت للانخفاض ، او اذا كان من بين التوقعات ان ظروفا مواتية في طريقها الى حلبة الاسواق .

وهذا التأجيل يوافق عليه المصرف الاسلامي بغير شروط معسرة كالتي يمليها المصرف الربوي للموافقة على مد اجل الدين ، فالمصرف الربوي ما هو الا مقرض يريد لامواله ان تثمر وهي ـ في عرفه ـ لا تثمر الا معدل الفائدة ، غير المصرف الاسلامي « الشريك » الذي يعنيه تحقيق اكبر منفعة من السلع التي يشترك في انتاجها ، ويدرك ـ من ثم ـ ان عليه ان يتيح قدرا من المرونة للعميل ـ شريكه ـ بموجبه يشترك معه في الخضوع لاعتبارات السوق وظروف التشغيل وغيرها من معطيات العملية الانتاجية والتسويقية .

ومن بين الشروط المعسرة التي يمليها المصرف الربوي ، للموافقة على مد اجل الدين ، الحصول على فائدة جديدة والاستمرار في حيازة الضمان وغير ذلك ، نجد المصرف الاسلامي لا يتقاضى مقابلا يشترطه للموافقة على تأجيل موعد البيع ، وليس مقبولا ـ ولا واردا في معاملات المصارف الاسلامية ـ ان يقابل هذا التعديل تعديل مماثل في نسبة توزيع الارباح بين المصرف وبين العميل ، فقد تعرف من قبل من الايرادات ما يعتبر ربحا ، وقد اتفق من قبل على كيفية توزيعه ، وانما المعقول ان الذي يعوض المصرف الاسلامي عن التأخير في موعد الحصول على امواله الناتج عن تأخير موعد البيع ، هي المنفعة التي ينتظرها باعتباره شريكا في الارباح من التحسن المنتظر لاسعار البيع .

من طبيعة هذه العلاقة ، قلنا ان المصرف الاسلامي يوافق على تأخير مواعيد البيع عند اقتضاء الحال انتظارا للميسرة او ترقبا لظروف افضل ، ومن طبيعتها ايضا انه يسارع الى توجيه العميل الى تعجيل البيع ، إن استشعرت اجهزته ظروفا مواتية في الوقت الحالي اتيح له ادراكها بحكم وجوده بالسوق او استشعر ذلك من اجهزته المختلفة .

ومن طبيعتها ايضا ، انه يساعد العميل « الشريك » على تسويق

منتجاته ، وهو يجد سهولة في تقديم هذه المساعدة ، خصوصا اذا كان من بين عملائه من يشتغل في تصريف هذه المنتجات ، في هذه الحالة ، وقد سبق ان بينا ان المصرف الاسلامي يحتفظ لنفسه بحق مراقبة المشروعات التي يشترك فيها ، فانه يستطيع - من جراء هذه المراقبة - ان يستشعر امكانيات التنسيق بين مصالح عملائه ، وقد يقدم نصائحه في حدود هذا التنسيق وقد يقوم هو بممارسة دور الوسيط في ما بين المصنع والمتجر اللذين يسهم بأمواله فيهما معا ، ومن جراء هذا التنسيق يحقق المصرف الاسلامي منفعة كبرى له ولعملائه ، واذا مارس دور الوسيط فانه يستطيع ان يحقق ارباحا من هذه الوساطة للمساهمين والمودعين فيه .

ومن اثر ذلك ايضا ، ان يكون المشروع محل هذه العملية اكثر صلابة في مواجهة ظروف ومعطيات العملية الانتاجية ، وظروف السوق ، واكثر مقدرة على التعامل معها ، اذ ان العميل - وهو الذي يعول عليه في الجانب الاكبر من ادارة المشروع - يعمل مدعما بامكانيات المصرف ويستفيد من مرونته فيما يتعلق بمواعيد البيع عند التعامل مع تقلبات الاسعار ويستفيد كذلك من استعداد اجهزة المصرف لتقديم المشورة للمشروعات والتنسيق بين مصالحها ، غير عميل المصرف الربوي الذي يقف وحده ، ووراء ظهره مواعيد السداد ومطالبات المصرف واعتبارات الفائدة والضمان وغيرها من الاعتبارات تدفعه دفعا الى اتخاذ مركز غير مرموق ازاء ظروف مشروعه وظروفه التسويقية .

الفارق بين عمليات المشاركة وعمليات المضاربة

وتجدر الاشارة الى ان ثمت فارقا بين عمليات المشاركة التي يباشرها المصرف الاسلامي وعمليات المضاربة التي يباشرها ايضا ، وهذا الفارق يعود الى اختلاف اساسي بين النوعين من العقود التي تستند اليهما العمليتان ، اقصد « عقد الشركة » و « عقد المضاربة » اذ ان المضاربة - رغم انها نوع من انواع الشراكة - تفترض وجود شخصين ، احدهما يمتلك رأس المال والثاني يمتلك القدرة على العمل ، فيقدم الاول المال الى الثاني ليعمل فيه ، على ان يكون الربح الناتج من هذه العملية « المضاربة » شركة بينهما ، يوزع كيفما يتفق عليه اولا ، دون ان يرتبط توزيعه برأس المال ، وبناء عليه يكون الفارق - بالنسبة الى عمليات المصرف - ان المصرف في حالة المضاربة هو الذي يقدم رأس المال كله ، ومن ثم يقع عليه وحده عبء التمويل ، ولا يقدم العميل شيئا منه ، بينما في المشاركة يكون هذا العبء قسمة بين الطرفين ، وان تجاوز ما يقدمه المصرف اضعاف ما يقدمه العميل .

ويترتب على هذه فوارق اخرى ، منها انه في حالة المشاركة يرتبط توزيع الارباح والخسائر بنسبة الاسهام في

رأس المال ، وقلنا ان ذلك يعتبر مؤشرا معقولا اذا احتسبت للعميل حصة من الايراد قبل التوزيع مقابل الادارة ، بينما في حالة المضاربة لا يرتبط توزيع الربح بتقسيم رأس المال ، لأن هذا التقسيم غير موجود اساسا ، وانما يوزع الربح كيفما اتفق عليه اولا ، وفي الوقت ذاته لا يتأثر المضارب عند تحقيق الخسارة ، التي ان تحققت تحملها المصرف وحده ، وقد قال في ذلك بعض المفكرين : « يكون الربح بينهما بالنسبة التي يحددانها ويتفقان عليها ، وهذا اذا حدث ربح ، واذا حدثت خسارة يتحملها صاحب رأس المال وحده ، ويضيع على العامل فقط جهده وعمله ، اذ ليس من العدل ان يخسر جهده ويتبع ذلك بغرم آخر ، وهذا في الحالات الطبيعية التي بذل فيها العامل جهده وتحدث الخسارة بأسباب ليس له مدخل فيها »، كما قد أشار الفقهاء الى أنه لو شرط الطرفان في العقد ان تكون الوضيعة « الخسارة » عليهما بطل الشرط والمضاربة صحيحة »، وبناء عليه « انفراد المصرف دون العميل المضارب بتحمل اعباء التمويل . وانفراده كذلك بتحمل الخسارة ، ثم عدم اعتبار رأس ماله عند توزيع الربح » يكون المصرف قد تحمل في حال المضاربة قدرا من المخاطرة يفوق ما يتحمله في المشاركة .

على ان هذه لا تحمل المصارف الاسلامية على التخوف من الدخول في عمليات المضاربة ، فهذه المصارف تخضع العمليات التي تباشرها من هذا القبيل لانواع من الدراسة الواسعة والمراقبة اثناء التنفيذ ، ولا توظف اموالها فيها الا بعد التأكد من جديتها والوقوف على مستوى جدواها ، وقد مارستها المصارف الاسلامية المعروفة للآن على نطاق معقول ، واثبتت الممارسة العملية نجاحها في تقديم هذه الخدمة والاستفادة منها ، ولذلك نجد ممن مارسوا تقديم هذه الخدمة من يقلل من اهمية القول بأن ارتفاع درجة المخاطرة في حال المضاربة ، يشكل عاملا هاما يدعو مديري هذه المصارف الى الاحجام عن تمويل عملياتها ، فيقول : « ولهذا يتصور ان هذه الصيغة اكثر مخاطرة ، ولكن العمليات التي قمنا بها عن طريق المضاربة صادفت النجاح المتوقع لها ».

ما الضمان في حالة المشاركة ؟؟

وقال قائل : « ان صاحب المال ـ قل هذا المال او كثر ـ ليحرص حرصه على ولده ان يضع ماله الا حيث يراه محوطا بأوثق الضمانات من ان يتعرض لاي سوء يذهب بأي شيء منه ، بل لا بد من ان يعود اليه ومعه عائد يعوضه عن غيبته عنه ، وما يساوره خلال تلك الغيبة من حنين ووحشة ، فاذا علم هذا من رأس المال وطبيعته ، وتعلق النفوس به ، كان لا بد لنجاح صيغة التمويل التي تعتمد عليها البنوك الاسلامية في جلب رؤوس

الاموال اليها من ان تحقق لاصحاب المال الذين يودعون اموالهم فيها امرين : الامر الاول : الضمان الوثيق الذي لا يتطرق اليه اي طارق من شك في ان ما يودع فيها من اموال هي في حراسة امينة من المخاطرة التي تذهب بأي شيء منه ، والامر الثاني : هو ان يعود المال الى مودعه بربح »، وشأننا الآن هو الامر الاول ، اي الضمان ، وهو ما تحدث فيه فقال ،: « ... اما اسلوب المشاركة الذي تعتمد عليه البنوك الاسلامية في تجربتها الجديدة تلك ، فانها فيما ارى لا تحقق الضمان المطلوب للمودعين ، لأن هذا الاسلوب هو ما يعرف في الاسلام بالمضاربة « كذا »،.. وفي ذلك الحين كان الايمان ذا سلطان متمكن من القلوب ، الامر الذي يضمن معه المضارب بماله ان هذا المال في يد امينة تخاف الله ، وانه اذا ضاع هذا المال فلن يتطرق شك من صاحبه الى اتهام المستثمر له بالخيانة او التقصير ،.. اما المضاربة في يومنا هذا ، وقد ذهبت الثقة بين الناس او كادت ، فانها لا تصلح وسيلة لاستجلاب المال من ايدي اصحابه لاستثماره ».

انتهى الحديث ، ونحن - على تحرزنا في قبوله كما سنبين وشيكا - نؤيد اهمية عنصر الضمان الذي يعول عليه المودعون والمساهمون في الموافقة على توجيه المصرف مدخراتهم الى اسلوب المشاركات ، فالطبيعي ان هذه العمليات تستمد مصدر تمويلها من اموال المساهمين والمودعين في الودائع الاستثمارية والادخارية والودائع تحت الطلب ، والمعقول ان هؤلاء جميعا بحاجة الى ما يضمن الا تتعرض اموالهم للمخاطرة في مشروعات انتاجية صناعية وزراعية ومشروعات تجارية قد تبوء بالفشل ، ومن هنا تنشأ حاجة المصرف الشديدة الى تأمين السلامة لهذه الاموال ، وتحقيق الوسائل التي تضمن عدم ضياعها في مخاطر المشروعات ، ولما كان المصرف الاسلامي لا يستطيع - بحكم اهدافه الاجتماعية وبحكم نظامه العام المتفق مع احكام الشريعة الاسلامية - ان يلجأ الى اسلوب المصرف الربوي في التنصل من كل مسؤولية تترتب على مخاطرة المقترض ، فلا بد له من البحث عن وسائل اخرى يتحقق من خلالها الضمان المطلوب .

ولكن الرأي الذي مر بنا من شأنه أن يثير كثيرا من مخاوف المساهمين والمودعين ، ويدعوهم الى مطالبة المصرف بالاحجام عن مباشرة هذه العمليات ، والواقع ان لهؤلاء المساهمين والمودعين ان يركنوا الى جانب كبير من الاطمئنان ، فالقائمون على امر هذه المصارف والدارسون لاوجه نشاطها ، تفتقت اذهانهم عن اسباب متعددة تجعل الضمان المتوفر للاموال المستثمرة في هذه العمليات اكثر من الضمان المتوفر لقروض المصرف الربوي ، فهذا يعنيه التحقق من ضمان القرض باعتباره حقا عينا في ذمة المدين ، فيطلب التحقق من شخصية المقترض والتحقق من ثروته ، وحيازة مقابل الضمان ، وهذه

جميعـا تتحقق منـهـا المصـارف الاسلامية عند الدخول في مشاركة ، فتقـوم بدراسـة شخصية العميـل المشارك وثروته واحيانا تطلب نوعا من الضمان الشخصي من شخص ثالث غير المشارك ، كما تعني بتحصيل جزء من رأس المال من المشارك لضمان الجدية ، فضلا عن ان المصرف يظل مالكا لحصته في المشروع ملكية تامة ، ولا مانع من اشتراط المصرف حيازة البضاعة في مخازنه لحين البيع او التوريد .

هذا كله من باب الضمان لحقوق المصرف في المشروع باعتباره عينا قـائمـة ، وفضـلا عن ذلـك تعني المصارف الاسلامية بتحقيق الضمان للاموال المسهمة في المشاركات باعتبار العائد المتوقع منها ، فمن الضروري لاصحاب هذه الاموال الاطمئنان الى ان المصـرف يوجهها فيما يعـود بـالربـح ، واكبر ضمـان من هذه الناحية ، هو الدراسة التي يقوم بها المصرف قبل الدخول في المشاركة ، ولا جدال في ان الامكانيـات المتوفـرة لاجهزة المصرف وتمرسها في هذه العمليات يجعل من الصعب جدا ان تخطىء التقدير ، واهم جوانب هذه الدراسة ـ وفقا لمطبوعـات الاتحاد الدولي للبنوك الاسـلامية ـ مـدى ربحية المشروع والطلب على منتجاته ، وعلاقة السوق بالسلع البديلة له او المنافسة ، واتجاه اسعار المنتجات والخامات الخاصة بالمشروع ، فضـلا عن جوانب اخرى هـامة ، كعـدم تعارضه مع اهداف خطـة التنمية بـالدولـة ،... والانتعاش والعـائـد الاجتمـاعي والانساني عـلى اهالي المنطقـة التي يعمل فيها ، ومدى مساهمة المشروع في تشغيل الايدي العاملة واسهـامه في حـل مشكلة البطالة ، وموافقة المنتجات من ناحية تحقيـق الاهـداف الاجتمـاعيـة للمصرف ، كأن تكون السلعة منتجة محليا وعدم تعارض المشروع مع فكرة الادخـار والحـد من الاستهـلاك والاسراف .

وفضلا عن هذه الدراسة ، عنى المهتمـون بنشاط هـذه المصـارف بتحقيق اسباب اكثر ضمانا لئـلا تتعـرض اموال المصـرف وارباح تشغيلهـا معـا لجـانب كبـير من المخاطرة ، فان تحقق الخسارة ـ رغم الدراسة ـ افتراض عملي تتعرض له بعض المشروعات ، ولتوفير الوسائل الاكثر ضمانا يقترح بعضهم تدبير الضمان « .... في شكل صنـاديق تعاونية يصب فيها جزء محدد من العوائد الـربحية .. يستقطـع من الارباح الكلية قبل اقتسامهـا بين البنوك والمستثمرين لمجابهة أخطار الخسائر التي تصيب بعض عمليات المضاربة او غيرها ، وفي شكل شركات تأمين تعاونية لهذا الغرض ، تتحمل اموال المضاربـة نفسها اقسـاطها لتـأمينهـا ممـا تتعـرض لـه من اخطـار »..« وبـالـفعـل مـارست المصارف الاسلامية هذا الاسلوب عمليا وانشأت لـه بعض شركـات التأمين التعاونية ، كتلك التي انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني ،..

وبذلك توفر عنصر الضمان المطلوب بهذا التدبير المشروع »، والشركة المقصودة هنا هي شركة التأمين التعاونية الاسلامية السودانية ، وقد انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني وتمارس اعمالها في السودان بأسلوب مبتكر ، يتفق مع الشريعة الاسلامية ، ومن بين اعمالها التأمين على اموال وارباح المشروعات التي يسهم فيها هذا المصرف ، وقد بدأت الشركة اعمالها مع بداية السنة الميلادية ١٩٧٩ .

ومن المناسب الاشارة الى ان المصارف الاسلامية حفاظا على ثبات قيمة الودائع الاستثمارية تعمل على تنويع استثماراتها المختلفة وتوظيف الاموال في مجالات متعددة ،.. وتقوم باحتجاز جزء من ارباحها القابلة للتوزيع لتكوين احتياطي لمواجهة المخاطر وثبات قيمة الودائع الاستثمارية .

والراجح ان هذه العمليات يتحقق لها الضمان والربحية معا ، وهذا يستفاد من الاقبال المتزايد عليها من قبل المصارف الاسلامية ، فقد بلغ التوظيف في الاستثمار بالمشاركة في بنك فيصل الاسلامي السوداني عشرة ملايين وسبعمائة الف جنيه سنة ١٩٧٩م ، كما تجاوز التوظيف في الاستثمارات المالية والمشاركات والمشروعات في بنك ناصر الاجتماعي ٥٢ مليون جنيه عام ١٩٧٩ ، مقابل ٣٤ مليون جنيه عام ١٩٧٨م بزيادة قدرها ٥٣٪ ، وتجاوزت استثمارات بنك دبي الاسلامي في عمليات مشاركة ومرابحة واسهم وعمليات تابعة ١٤٦ مليون درهم سنة ١٩٧٩م مقابل ٥٣ مليون درهم سنة ١٩٧٦م ، و١٣٢ مليون سنة ١٩٧٧ ، و١٢١ مليون سنة ١٩٧٨م ، ولا جدال في ان هذا التوظيف المتزايد راجع الى نجاح هذه العمليات في تحقيق الارباح والضمان معا للمصارف الاسلامية ، وقد ذكر ان ارباح هذه العمليات في بيت التمويل الكويتي تجاوزت ٤٣٠٢٠٠٠ دينار كويتي عام ١٩٧٩ .

المشاركة المتناقصة

واخيرا نشير الى نوع آخر من المشاركة التي تقدمها المصارف الاسلامية ، وهي المشاركة المتناقصة التي ينتهي امرها الى ان تئول ملكية المشروع الى العميل بعد ان يسترد المصرف امواله التي اسهم بها في اقامته ، ويكون ذلك بتخصيص جزء من العائد الصافي لاسترجاع حصة المصرف الذي يستمر شريكا في ملكية ما تبقى من حصته الى ان تتم اقساط الاسترجاع ، ثم – بعد ذلك – تئول الملكية كلية الى العميل ، ويلاحظ – كما تشير مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية – انه في هذه الحالة ، « .... لا يحق للبنك الاسلامي ان يحصل على اية ميزة مقابل ارتفاع الاثمان »، وهو الامر الذي يعني ان العميل هو – وحده – الذي يستفيد من ارتفاع اسعار الاصول عندما تئول اليه ملكية المشروع على هذا النحو .

الزواج .. والصلاة

رسالة جاءتنا من المملكة المغربية الشقيقة تقول صاحبتها : انني فتاة احرص على ان انال مرضاة ربي ، وقد تقدم لي شاب يخطبني ، أخلاقه حسنة ، ولكنه ينقطع عن الصلاة احيانا ولذا فهي مترددة في قبوله زوجا رغم مركزه الاجتماعي المرموق . وتسأل : هل تقبل به زوجا ؟

المحرر :

ونقول للأخت الفاضلة : جزاها الله خيرا ، وبارك فيها ، واكثر من امثالها : ان الصلاة عماد الدين ، وهي الركن اليومي الاساسي في الاسلام ، بل ويكرر في اليوم خمس مرات ، ومن صفات المؤمنين كما حكى القرآن الكريم : « الذين هم على صلاتهم دائمون » .... « والذين هم على صلاتهم يحافظون » ولذا ننصح الاخ المسلم بان يحافظ على اداء الصلاة في موعدها ، وان يداوم على ادائها بلا انقطاع ، ففي ذلك صلاحه في الدنيا والاخرة ..

واذا كان لا يصح اسلام المؤمن الا بالصلاة ، وتركها كبيرة من الكبائر ، الا انه يجوز لك اختي السائلة ان تقبليه زوجا ، فانه بحمد الله مؤمن .. غير انه يقصر احيانا ، وتقعد به همته ، او يصرفه الشيطان عن اداء صلاته . التي يعتقد بوجوبها - بعض الوقت ، ثم يعود الى جادة الطريق فيؤدي ما فرضه الله عليه ، ومع زواجك منه ، واستمرار نصحك له ، ومحاولاتك الرفيقة في الاخذ بيده على درب الايمان الكامل ، فسوف يوفقكما الله في حياتكما الزوجية ، لينشأ بيت جديد من بيوت المسلمين العامرة بالايمان ، والله الموفق .

الشهيد من كل امة

الاخ صلاح محمد محمود من الاسكندرية ـ ج . م . ع . كتب يقول : ارسلت من فترة لمجلتي الوعي الاسلامي رسالة ، ونحن في مصر ننتظرها بشغف ولهفة ، ولم اطالع الرد على رسالتي في باب « بريد الوعي الاسلامي » واعاد ما طرحه علينا في رسالته السابقة فقال : وانا اتلو كتاب الله تعالى . استوقفتني آيتان كريمتان في سورة النحل ، الاولى رقم ٨٤ ونصها : « ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون » . والاخرى رقم ٨٩ ونصها : « ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » . ويسأل عن الحكمة في ذكر « من » في الآية الاولى « من كل امة » . و « في » في الآية الاخرى « في كل امة » . ويطلب ايضاح المعنى .

المحرر : ونجمل ردنا على الاخ الكريم في النقاط التالية :ـ

اولا : لم تصلنا رسالتك السابقة ، وليس من عادة مجلتك ان تهمل رسالة قارئها .

ثانيا : ذكرت في رسالتك التى نرد عليها الان رقمي الآيتين الكريمتين خطأ . ونلفت نظرك الى ان رقم الآية هو الموجود في نهايتها .

ثالثا : المعنى عند ذكر « من » : تتضح الحقيقة امام الكافرين يوم القيامة حيث يبعث الله من جنس كل امة شهيدا عليها ، وهو نبيها ، يشهد انه بلغهم الرسالة ونصحهم ولكنهم اعرضوا ، وعندئذ لا يقبل منهم عذر ولا تسمع لهم حجة .

والمعنى عند ذكر « في » : ان الله سبحانه يبعث كل امة وفيها نبيها ، يكون معهم لا يفارقهم ، فيسأله الله عن موقف امته منه ومن دعوته الى الله ، فيشهد لهم او عليهم ، هو فرد منهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الشهيد على امته يوم القيامة .. فشرعه باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها والعلماء ورثة الانبياء ، فهم المكلفون بحمل عبء الدعوة الى الله ، وفي القرآن الكريم تبيان لكل شيء فهو اصل للتشريع ، وفيه الهدى ، وفي ظلاله الرحمة ، ويحمل البشرى الطيبة للطائعين المسلمين .

رابعا : يرى بعض العلماء : ان الشهيد متمثل في عشرة اعضاء من اعضاء الانسان ، هي : الاذنان ، والعينان ، والرجلان ، واليدان ، والجلد واللسان .
ولهذا ذكر لفظة « في » ووصف الشهيد بكونه « من انفسهم » .

خامسا : والآيتان مع ما ذكر معهما من آيات مسوقة لبيان حال الناس يوم القيامة ، حيث الحكم العدل ، والجزاء من جنس العمل ، نسأل الله الهداية والجنة وما يقربنا اليها من قول وعمل ، ونعوذ بالله من الضلال والشرك ، ومن النار وما يقرب اليها من قول وعمل ، وبالله التوفيق ..

بأقلام القراء

من التراث الاسلامي في أدب الأطفال

جاءنا من الاستاذ الطبلاوي محمود سعد هذه الكلمة ردا على ما نشر في المجلة تحت عنوان دراسة في ادب الطفل :

لقد لفت نظري المقال الذي نشر تحت عنوان : دراسة في أدب الطفل .. بقلم الأستاذ محمد فوزي حمزة في مجلتكم الغراء العدد ٢٠٦ صفر ١٤٠٢هـ .

واضافة الى ما كتب في هذا المقال العظيم ، فانني أنوه بتراثنا الاسلامي الزاخر بالتوجيهات والنصائح الطيبة الى ما يجب أن يكون نحو أطفالنا وفلذات أكبادنا ، فنظرة الى الوراء والى تراثنا القديم ، نجد الامام ابن الجوزي وهو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ويكنى أبا الفرج المتوفي عام ٥٩٧هـ هذا الامام العظيم لم تشغله مؤلفاته الاسلامية في الفقه والفلسفة والتاريخ الاسلامي وعلوم التفسير والحديث وغير ذلك من شتى العلوم ، أن يكتب في التربية الاسلامية ، وبالذات نحو تربية الأطفال فقد ألف هذا الامام الجليل رسالة بعنوان : لفتة الكبد الى نصيحة الولد ، وهي رسالة قيمة تضع لنا الأسس والمبادىء نحو التربية الاسلامية ، وتبصر كل الآباء الى تربية فلذات أكبادهم على مبادىء وأسس سليمة من ديننا الاسلامي الحنيف ، ونبه الآباء في هذه الرسالة على تعليم الصغار الواجبات الدينية ، وغرس العبودية والتقوى في الأطفال وهم صغار ، وأنه يجب على الأب أن يقوم لسان ابنه بأن يعرفه النحو المستعمل في اللغة ، وأن يرسم له طريق الوصول الى المكانة العالية في المجتمع الاسلامي ، وأن يبصره بسبل تلقي العلم ، ونجد في رسالة الامام ابن الجوزي أسلوبه التربوي السليم فهو يقدم في أول كل فقرة من رسالته المبدأ السليم والقاعدة التربوية في توجيه ولده ، ويتبين ذلك من بعض النصوص التي سنذكرها له بعد قليل .

والذي يهمني من التنويه برسالة ابن الجوزي في هذا المقال ، هو أن سلفنا الصالح من ألف عام أو يزيد ، كانت لا تشغلهم علومهم ومؤلفاتهم في شتى العلوم والفنون عن أن يكتبوا للطفل ، ويكتبوا لنا التوجيهات والارشادات في تربية أطفالنا التربية الاسلامية ، حتى ينشأ أطفالنا على ركيزة اسلامية دينية من الصغر الى الكبر ، وحتى نأمن عليهم من التيارات الالحادية والانحرافات الجارفة التي وفدت علينا وعلى أطفالنا من القصص الأجنبية المترجمة لأطفالنا ، أمثال القصص البوليسية ، أو قصص العنف ، أو القصص التي تمثل الابتزاز واللصوصية والمراهقة ، وغير ذلك من القصص الدخيلة على أطفالنا ، وقد اعتبرناها وللأسف الشديد « **أدب الطفل** » ونعود الى ارشادات ونصائح الامام ابن الجوزي في رسالته : لفتة الكبد الى نصيحة الولد . اذ يقول : اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميز الآدمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، واعمل فكرك ، واخل بنفسك ، تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها .. واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم .. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين .. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وعلى العبد الاجتهاد « **فكل ميسر لما خلق له** » ـ كما ورد في الحديث الشريف عن المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم وهكذا علم ابن الجوزي ابنه علم التوحيد وهو صغير ثم انتقل الامام ابن الجوزي يعلم ابنه الصغير المبادىء في عقيدة التوحيد فيقول له : وأول ما ينبغي النظر فيه : في معرفة الله تعالى بالدليل ، ومعلوم أن من رأي السماء مرفوعة والأرض موضوعة وشاهد الأبنية المحكمة .. علم أنه لا بد حينئذ للصنعة من صانع وللمبنى من بان ، ثم يتأمل دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكبر الدلائل القرآن الكريم .

بعد أن بصر امامنا ابن الجوزي ابنه في عقيدة توحيد الله عز وجل وأنه هو الخالق لهذا الكون ، انتقل بابنه الى نصيحة أخرى يقول له : فينبغي لذي الهمة أن يترقى الى الفضائل فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره وحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعرفة سير أصحابه والعلماء بعدهم ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى .

ثم ينصحنا ابن الجوزي بتعليم أطفالنا الأسلوب العربي السليم فيقول : ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف من اللغة ، ويحكي الامام ابن الجوزي لابنه التجربة التي مرت به في حياته فيقول : « فاني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ولي نحو ست سنين وأنا قرين الصبيان ، ثم رزقت عقلا في الصغر يزيد على الأشياخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع صبي ، ولا ضحكت ضحكا خارجا ، حتى اني كنت ولي سبع سنين أو نحوها ، أحضر رحبة الجامع ، ولا أتخير حلقة متعبد ، بل أطلب

المحدث ، فيحدث بالمثمر فأحفظه فأرجع الى البيت فأكتبه ... » هكذا رسم ابن الجوزي طريق التربية لابنه في صغره .

ثم يستمر الامام ابن الجوزي في تبصير ابنه بتجربة أخرى مرت به وهو صغير ، حتى ينشأ ابنه على منواله فيقول : ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة ويتفرجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ خبزا وأقعد حجزة من الناس الى جانب الرقة « مكان بجوار نهر » فأتشاغل بالعلم .. وكنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد ...

ويبصر ابن الجوزي ابنه باغتنام فرص الأوقات حتى لا يضيعها ويقول له : فانتبه يا بني لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة ، واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عظة ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل .

وأخذ امامنا ابن الجوزي يحكي لابنه تجاربه وهو صغير مع الصالحين من السلف ، ويذكر له قصصا كثيرة عن أصحابه وعن العلماء الذين أخذ عنهم العلم ؛ ويبين له شرف العلم والتعلم ، وينصحه بالعزلة عن رفقاء السوء فإن العزلة أصل كل خير ويقول له : وليكن جلساؤك الكتب والنظر في سير السلف ، وتلمح سير العاملين من العلم والعمل ولا تقتنع بالدون ، واعلم أن العلم يرفع الأراذل ، وأخذ ينصحه بالقناعة وحفظ حدود الله والجمع بين العلم والعمل ، وأن يكون همه العلم والتقوى والعبادة ، وأن يرسم لنفسه منهجا سليما في قراءته لكتب الأبطال والمجاهدين وسيرسلفنا الصالح . وأخذ يضرب له الأمثلة . ولا ريب أن رسالة ابن الجوزي : افتة الكبد الى نصيحة الولد ، التي ألفها من تسعمائة عام تعد من الرسائل القيمة في تربية الأطفال تربية اسلامية ، ويا حبذا لو كل مؤلف للأطفال يجعلها نصب عينيه وهو يكتب لأدب الطفل ، ويتذكر نصائح ابن الجوزي لولده وتبصيره بأمور حياته . وارشاده نحو المنبع الصافي الذي ينهل منه أدب الطفل ألا وهو الاسلام الحنيف ، فتاريخنا الاسلامي مليء بقصص البطولة في الحرب والجهاد وميادين القتال ، وأيضا مليء بقصص الأمانة والعفة والنزاهة التي نربي عليها أولادنا ، ونحن لا ننكر فضل ما تبذله دور النشر لكتب الأطفال ، التي تتجه بهم الاتجاه التربوي السليم ، ولكن مكتبة الطفل عندنا بحاجة ماسة الى مزيد من الكتب الاسلامية ، التي تحكي لهم قصص الأمجاد والبطولات التي مرت عبر تاريخنا العظيم . ويجب على الناشرين والمؤلفين والمكتبات ان تقلل من الكتب المستوردة لأطفالنا ، والتي تهدف الى فرنجة أطفالنا الأبرياء . ويا حبذا لو اهتمت كل مجلة أو صحيفة بركن خاص لأدب الأطفال ، وما يجب أن يكون نحو فلذات أكبادنا وأملي في الله كبير أن تستمر مجلتكم الغراء في رسم الطريق السليم نحو : أدب الأطفال .

إضافة لمقال

ارسل الينا الدكتور غريب جمعه هذا التعليق حول مقال الدكتور احمد شوقي الفنجري

قرأت مقال السيد الدكتور / احمد شوقي الفنجري بعنوان « جسم الإنسان والاعجاز القرآني » والذي نشر في عدد صفر ١٤٠٢ من مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء .

والمقال فيه من سلاسة الاسلوب وتسلسل الفكرة واظهار العبرة ما يدعو الى الاعجاب والتقدير للسيد الدكتور ولكني ارجو ان يتسع صدره لإضافة ملاحظتين نحسبهما في خدمة المقال باذن الله .

الاولى : قال سيادته : في ص ٥٤

« ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية »

وهذه عبارة مركبة لا بد من تحليلها ومجملة لا بد من تفصيلها حتى لا يقول قائل : اي مرض يقصد الكاتب ؟ اذ ان امراض الغدة الدرقية متعددة اما المرض الذي يسببه نقص اليود بالنسبة للغدة الدرقية فانه يطلق عليه « الجويتر البسيط » . وهو مرض لا يصحبه زيادة في افراز الغدة الدرقية بل نقص احيانا ولذلك يكون في الغالب محاولة من الغدة لتعويض نقص نشاطها بزيادة حجمها لانتاج كمية اكبر من الهرمون الذي تفرزه . وقد يؤدي التضخم الى اعاقة البلع والتنفس وحجم الغدة الدرقية في الجويتر البسيط اكبر كثيرا من حجمها في مرض جريفز (نوع من امراض الغدة الدرقية) ، ويدخل اليود في صنع هورمون الغدة الدرقية بنسبة ٦٥٪ منه ويطلق على هذا الهرمون « هورمون الثيروكسين » وكمية اليود اللازمة للجسم ضئيلة جدا ومن مصادره ماء البحر وسمك المحيطات ولهذا يكثر هذا المرض في الاماكن البعيدة عن البحار .

الثانية : قال سيادته في نفس الصفحة :
« فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين »

والذي نعرفه من واقع الدراسة ان زيادة الكالسيوم في الدم تؤدي الى الاعراض الاتية :

١ ـ بالنسبة للكليتين :

يؤدي الى حدوث مغص كلوي وافراز بول مصحوب بدم وتكون رمل او حصوات صغيرة ووجع اسفل الظهر ويحدث ذلك في حوالي ٨٠٪ من حالات ارتفاع الكالسيوم بالدم

٢ ـ بالنسبة للعظام والعضلات :

تحدث الام بالعضلات وقد يحدث تساقط للاسنان وكسور وتشوهات بالعظام وتحدث هذه الاعراض في حوالي ٣٠ ٪ من الحالات

٣ ـ بالنسبة للجهاز الهضمي

يحدث غثيان وقيء وامساك والام بالبطن وقد وجد ان ٢٤٪ من الحالات تصاب بقرحة في الاثني عشر وذلك لان زيادة الكالسيوم قد تؤدي إلى زيادة افراز حامض المعدة (حمض الايدروكلوريك) وقد يحدث التهاب مرتجع بالبنكرياس .

٤ ـ بالنسبة للجهاز العصبي :

تحدث اضطرابات عقلية في الحالات الشديدة

٥ ـ اعراض اخرى مثل :

الام عامة بالعضلات وجفاف بالانف واحساس بالعطش ونقص في الوزن وعدم الرغبة في النوم واضطرابات بالقلب وكثرة التبول مع العطش والله أعلم .

الدكتور غريب جمعة

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢ م

هدية العدد مجلة براعم الايمان

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ ٱلرُّومِ : رَقْم (٦٠)

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

بدوي

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٠ ● جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ● ابريل ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعى . وايقاظ الروح . بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب ـ ٤٢٢٨ ـ بيروت ـ لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

المرأة والولاية العامة

الاسلام يحرم اختلاط المرأة بالرجال غير المحارم سدا لباب الفتنة . والدعو
بمنح المرأة حق الانتخاب ومشاركة الرجال في تشريع القوانين ما هي الا وسيا
تريد المرأة ان تتذرع بها لتكسو اختلاطها بالرجال الاجانب عنها ثوب المصلح
العامة ! وهذا عمل لا تقره الشريعة الاسلامية لأنه لا يتفق مع انوثة المرأة وطبيع
تكوينها .

والولاية العامة هي السلطة الملزمة في شأن من شؤون الجماعة . كولاية سن القوانين ، وقيادة الجيش ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك . وهي مقصورة على الرجال الذين تتوافر فيهم شروط معينة من العلم والذكاء ، ورجاحة العقل ، وطهر النفس ، وحياة الضمير ، والشجاعة في الحق .. ولم يثبت ان شيئا من هذه الولايات العامة قد اسند الى المرأة لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، في حين انه كان في الصدر الأول للاسلام مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال ..

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع أبو بكر رضي الله عنه البيعة العامة دون أن تشترك المرأة أو تدعى لمداولة الرأي في ذلك .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسناد شيء من الأمور العامة للمرأة . روى البخاري بسنده عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن الفرس ملكوا ابنة كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والرسول لم يقصد بهذا القول مجرد الاخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم ، وإنما قصد نهي أمته عن مجاراة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ، واختار لذلك أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرهم .. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أئمة السلف رضوان الله عليهم يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الامامة الكبرى ، والقضاء ، وقيادة الجيش ، وما إليها من سائر الولايات العامة . وقد قال الله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** .

وهذا الحكم المستفاد من الحديث معلل بمعان واعتبارات لا يجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعي الانسان .. ذلك أن الحكم لم ينط بشيء وراء الأنوثة التي جاءت كلمة « امرأة » في الحديث عنوانا لها . فالأنوثة وحدها هي العلة . وليست العلة عدم العلم والمعرفة ، ولا عدم الذكاء والفطنة ، إذ الواقع يدل على أن للمرأة علما وقدرة على التعلم كالرجل ، وعلى أن لها ذكاء وفطنة ، بل قد تفوق الرجل في العلم والذكاء والفهم . ولكن المرأة ـ بمقتضى الخلق والتكوين ـ مطبوعة على غرائز تناسب المهمة الأصلية التي خلقت لأجلها وهي « الأمومة وحضانة النشء وتربيته » وهذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعي العاطفة ، وهي مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها في الأشهر والأعوام ، ومن

شأن هذه العوارض أن تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها في تكوين الآراء والتمسك بها ، والقدرة على المقاومة والكفاح في سبيلها . وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها .. وليس أدل على ذلك من أننا رأينا المرأة في أسمى البيئات النسوية لم تسلم من التأثر الشديد بدواعي العاطفة ، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشأتها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها ليس لها مثل إيمانها ، ولم تنشأ نشأتها ، وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟

لقد تطلع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زينة الدنيا ومتعتها ، وطالبنه أن يغدق عليهن مما أفاء الله عليه من الغنائم . فبين الله تعالى لرسوله خطأ هذا الاتجاه منهن وأمره أن يقول لهن : (**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**) فاخترن كلهن : الله ورسوله .

وقد حدثتنا سورة التحريم عن غيرة بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما كان لهذه الغيرة من الأثر في تغليب العاطفة على العقل مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على رسول الله .. وكيف ان الله تعالى ردهن إلى الجادة بقوله تعالى : (**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا**) .

والشريعة الاسلامية التي جنبت المرأة الولاية العامة رعاية لأنوثتها ، وصيانة للمصلحة العامة للمجتمع . هي الشريعة ذاتها التي أفسحت لها الطريق في كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة . فقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات ، إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والاجارة ونحوها من مختلف ضروب التصرفات ، وأجازت لها الوصاية على الصغار ، والولاية على المال ، والنظارة على الأوقاف ، والتعليم والتطبيب لبنات نوعها .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال في قوله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم**) وجعلت حق الطلاق بيد الرجل ، ومنعت المرأة من السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة ، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور صلاة الجمعة والجهاد في سبيل الله ولم توجب عليها شيئا من ذلك .. اذا كانت الشريعة قد رسمت لها حدودها وبينت لها مهمتها المتفقة مع طبيعة تكوينها ، فما بالها تريد أن تخرج عن أحكامها لتزج بنفسها في

انتخابات تدافع فيها وتدفع ، وتختلط في ميدانها بالجماعات والافراد من الرجال ؟ .. وما بالها تريد أن تثير حولها الزوابع وتخوض المعامع في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مئونة الكفاح ، وجنبتها مواطن الزلل ، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللمجتمع الذي تعيش فيه ؟

إن إبداء المرأة لرأيها مكفول ، والسبل إليه كثيرة من غير أن تزج بنفسها في المجتمعات والمحافل العامة . والمرأة التي تتعرف على أحكام الاسلام وتلتزم بآدابه تستطيع أن تبدي رأيها إذا ما أرادت . والحاكم يستمع لرأيها متى نهضت به الحجة . وقد استمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المرأة المؤمنة التي قامت من صفوف النساء وعارضته في تحديد مهور النساء مستدلة بقول الله تعالى : (**و آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا**) .. استمع إليها وقرر أن الصواب في جانبها وعدل عن رأيه قائلا : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

أما المرأة المسلمة التي تجهل أحكام الاسلام أو تعلمها ولكنها لا تلتزم بها في شؤون حياتها فآراؤها لابد أن تكون بعيدة عن الصواب لأنها تقلد فيها النساء الكافرات بدين الله ، وتتبع بها هواها بغير هدى من الله ! وليس أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إنه يظلم نفسه ويظلم غيره .

إن الاسلام حدد ما يتساوى فيه الرجال والنساء وهي الأمور التي لا تتعارض مع تكوين النوعين ، وبين ما يختص به الرجال ، وهي الأمور التي تتفق مع تكوينهم دون تكوين المرأة ، وبين ما تختص به النساء ، وهي الأمور التي تتناسب مع طبيعتهن دون طبيعة الرجال . وفي تشريع الله يكمن الخير للرجال والنساء جميعا حين يلتزم الكل بما عليهم من واجبات ويتناولون ما لهم من حقوق .

الا ما أحوج الأمة إلى النساء المؤمنات اللاتي يتولين الولايات الخاصة إسهاما في حركة المجتمع وتقدمه ، ويقمن بحضانة النشء وتربيته على الدين والخلق ، والفضيلة والشرف والعزة والكرامة ، ليكون سنادا للوطن في معارك الحياة ، وسبيلا لتعميره والنهوض به ، وأداة لتطهيره من المفاسد والسمو به عن الدنايا .

هذا هو السبيل المستقيم في حياة المرأة ، وهو ما يجب أن تأخذ به الدولة الاسلامية في كل مكان تكريما للمرأة ، ووضعا لها في المكان اللائق بتكوينها وطبيعتها ، وصيانةلأوضاع المجتمع من الخلل والاضطراب .

والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

تفسير سورة

قال تعالى :

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[٨] والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[٩] والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم[١٠] .

الحشر ٢

للاستاذ/محمد عزة دروزة

شرح لبعض جمل الآيات :

١ ـ (**الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم**) الضمير في قبلهم عائد للمهاجرين الذين ذكروا قبلها . وجمهور المفسرين أن الدار هي دار الهجرة النبوية (أي المدينة المنورة) وتسمى يثرب . وأن الجملة عنت أهل المدينة الذين آمنوا قبل قدوم المهاجرين إليها .

٢ ـ (**لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**) الجمهور على أن الضمير في كلمتي (لا يجدون) و (صدورهم) عائد إلى الذين تبوءوا الدار والايمان قبلهم . وأن الضمير في (أوتوا) عائد الى المهاجرين . ومعنى الجملة (إن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) لا يشعرون بغيرة ولا حسد مما أعطى للمهاجرين .

٣ ـ **(يؤثرون على أنفسهم)** يؤثرون من الايثار أي يفضلون غيرهم على أنفسهم .
٤ ـ **خصاصة** : فاقة أو حاجة .

مدى الآيات الثلاث :

١ ـ صارت عبارة الآيات واضحة بالشرح السابق لبعض جملها .
٢ ـ والآيات تبدو أنها بيان توضيحي للفقراء المستحقين للفيء والذين يجب إعطاؤهم نصيبا منه . وهم :
اولا ـ فقراء المهاجرين الذين الجئوا إلى الخروج من ديارهم والتخلي عن أموالهم فيها ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة دينه ورسوله .
ثانيا ـ فقراء الأنصار الذين آمنوا برسالة النبي في دارهم قبل أن يأتي إليها المهاجرون ، ورحبوا بالذين هاجروا إليهم وأحبوهم ، والذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وفاقة . ولا يحسدون ولا يغارون مما يعطي المهاجرون ، حيث وقاهم الله من الشح وهيأ لهم بذلك سبيل الفلاح .
ثالثا ـ فقراء المسلمين الذين آمنوا بعد السابقين لهم في الايمان ، والذين حكت الآية دعاءهم الله ، بأن يغفر لهم ولاخوانهم الذين سبقوهم ، وأن لا يجعل في قلوبهم غلا ولا حسدا ولا حقدا نحوهم وهو الرؤوف بعباده الذين يشملهم بسابغ رحمته . ومن الجائز أن يعتبر فقراء الفئات الثلاث من صنف (المساكين) الذين ذكروا كأصحاب سهم في الفيء ، وتنطبق الصفة التي وصف بها الحديث النبوي المساكين الذي ذكرناه سابقا عليهم فهم لا يجدون غنى يغنيهم ولا يسألون الناس .

الروايات المروية في سبب نزول الآيات :

روى المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوي ما يفيد أن المهاجرين كانوا فقراء لا أرض لهم ولا مال ولا مورد وكانوا عالة على الأنصار . فلما فتح الله ويسر أموال بني النضير ، كلم النبي الأنصار واسترضاهم للنزول عن حقهم فيها حتى يقسمها على المهاجرين فيكفوهم مؤونتهم . وأن معظمهم رضوا بذلك عن طيب خاطر ، ولم يشعروا بحسد ولا غيرة مما اعتزمه رسول الله من توزيع فيء بني النضير على المهاجرين عدا الذين في قلوبهم نفاق ومرض ، وأن النبي قسمه على المهاجرين فقط ولم يعط الأنصار منها إلا ثلاثة كانوا فقراء . وأن الآيات نزلت لتأييد ما فعله رسول الله إلهاما وإشادة بالأنصار الذين تنازلوا عن حقهم .
ونحن في حيرة من هذه الروايات التي رواها معظم المفسرين عزوا إلى ابن عباس لاننا نراها متناقضة مع تقرير الآيات السابقة التي شرعت جميع الفيء للمصالح العامة والمحتاجين لانه تفسير بدون إيجاف خيل وركاب ، فلم يستحق فيه المسلمون

إستحقاقا ملزما كاستحقاقهم في الغنائم التي يحوزون عليها بعد قتال وإيجاف خيل وركاب ومنعت قسمته على المسلمين الميسورين . بل وتتناقض مع روح الآيات نفسها التي جاءت مطلقة وبعضها معطوف على بعض بحيث تبدو بأسلوب قوي أنها أرادت فقراء الفئات الثلاث معا أي المهاجرين والأنصار السابقين والذين آمنوا بعدهم واندمجوا فيهم .

وكل ما يمكن احتماله فيما نرى ـ والله أعلم ـ وفيه توفيق بين روح الآيات وخطوط الروايات أن تكون ما آلت إليه حالة المهاجرين الاقتصادية من ضيق وحرج ، قد ألهمت النبي صلى الله عليه وسلم بقصر الفيء الذي تيسر بدون إيجاف وحرب على المصالح العامة وعلى المساكين واليتامى وأبناء السبيل وذى القربى دون الأغنياء . ولم يكن من المهاجرين أغنياء . وإنما كان من الأنصار . وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد خاطب هؤلاء فأظهر المخلصون وهم الأكثرية العظمى منهم الرضاء دون اعتراض وحساسية مما جعلهم يستحقون التنويه العظيم الذي تضمنته الآية الثانية .

المدى العظيم في وصف فئات المسلمين الثلاث في الآيات :

- أن وصف الفئات الثلاث المخلصة وصف محبب قوي وجدير بالتأمل والاجلال .

ويدل على ما كان من قوة إخلاص السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان لدين الله ورسوله وتحملهم في سبيلهما لجسيم التضحيات فاستحقوا هذا الثناء العظيم .

وفي سورة التوبة آية فيها تنويه قوي بهم وإعلان رضاء الله عنهم ووعد هم بالخلود في الجنات الاخروية وهي : **(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)** التوبة/ ١٠٠ ..

ولقد أثرت أحاديث صحيحة عديدة عن رسول الله فيها تنويه بما سماهم (أصحابي) الذين عني بهم على الأرجح والله أعلم : **(السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)** يدل على ما كان لهم عنده من شأن عظيم . من ذلك حديث رواه مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي آمنة لامتي . فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » وحديث آخر رواه مسلم عن أبي موسى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي . لا تتخذوهم عرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم . ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله . ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والترمذي عن أبي سعيد جاء فيه : « لا تسبوا أحدا من أصحابي . فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم

ولا نصيفه » وحديث رواه الترمذي عن بريدة جاء فيه : « ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة » وحديث رواه الشيخان عن البراء جاء فيه : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

ولقد اقتضت حكمة رسول الله أن يخص الأنصار بالتوبة حيث أثرت عنه أحاديث صحيحة عديدة في ذلك . ومن ذلك .

حديث رواه الشيخان عن أنس جاء فيه : « آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » وحديث رواه الشيخان عن أنس أيضا جاء فيه يخاطب امرأة من الأنصار : « والذي نفسي بيده أنكم لأحب الناس إلي ثلاث مرات » وحديث رواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة جاء فيه : « لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » .

وحديث رواه مسلم والترمذي عن زيد بن أرقم جاء فيه : « اللهم اغفر للانصار ولأبناء الأنصار ولنساء الأنصار » .

وهناك أحاديث أخرى في الفئتين بصورة عامة وفي أشخاص معينين من كل فئة ، فاكتفينا بما تقدم .

استطراد توضيحي للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ونقول استطرادا أولا : أن كلمة « صحابي » مع أنها تطلق من المسلمين على كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين فان روح الأحاديث تفيد كما قلنا قبل ، أن المقصود من كلمة « أصحابي » فيها هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ويجوز أن يدخل فيهم من اتبعوهم باحسان وصحبوا رسول الله في حياته . وثانيا ـ أن كلمة المهاجر تطلق على من هاجر من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة وحسب . ولا تطلق على من هاجر بعد هذا الفتح لأن هناك حديثا رواه الشيخان وأحمد وأصحاب السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا هجرة بعد الفتح وإنما نية وجهاد . وإذا استنفرتم فانفروا » . وإن المهاجرين أنواع ، نوع هاجر إلى الحبشة قبل هجرة النبي إلى المدينة ثم جاءوا منها إلى المدينة . ونوع هاجر إلى المدينة من مكة في ظروف هجرة النبي إليها ، ونوع هاجر إلى المدينة بعد مدة ما من هجرة النبي وقبل فتح مكة وظل أثناء هذه المدة مشركا . وأن كلمة (السابقين) بالنسبة للمهاجرين تطلق على النوعين الأولين وحسب .

وثالثا : أن الأنصار أيضا أنواع ، نوع آمن قبل هجرة النبي إلى المدينة وهم الذين ذكروا في الآية الثانية التي نحن في صددها ونوع آمنوا بعد هجرته . وأن كلمة (السابقين) للأنصار تطلق على النوع الأول فقط .

استطراد ثان لتوضيح جملة (**الذين تبوءوا الدار والايمان**) .

إن ملخص ما ذكرته كتب السيرة والتفسير هو أن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موت عمه أبي طالب ، حاميه ، وبعد موت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت من أقوى مشجعيه ومؤيديه ذهب إلى الطائف لعله يجد نصيرا فخاب أمله حتى رشق بالحجارة فخرج كسيرا ، وأخذ يناجي ربه في طريق عودته قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . ياأرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين . وانت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » وأرسل بعد ذلك لبعض زعماء مكة يطلب منهم أن يدخل في جوارهم فرضي بعضهم . وأخذ بعد ذلك يعرض نفسه على قبائل العرب ووفودهم التي كانت تأتي إلى مكة في الحج ، وعرض نفسه في الجملة على جماعة من الخزرج من أهل يثرب ، وكان ذلك في السنة العاشرة من بعثته فدعاهم إلى الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فانشرحت صدورهم وكانوا يسمعون من اليهود الذين في مدينتهم أنه يوشك أن يبعث الله نبيا من العرب ، وقالوا لعله هو فلا يسبقنكم اليهود إليه . فآمنوا وقالوا له إنا تركنا قوما بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنعرض عليهم أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وهؤلاء الجماعة هم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبدالله رضوان الله عليهم . ولما رجعوا أخبروا قومهم وأخبروا جماعة من قبيلة الأوس ، القبيلة العربية الثانية التي كانت تسكن يثرب ، فانشرحت صدورهم ، فلما كانت السنة القابلة جاء وفد خليط من القبيلتين واجتمعوا برسول الله عند هضبة من هضاب مكة الخارجية فآمنوا ، فأرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه داعيا وقارئا وإماما ، فأخذت دائرة الاسلام تتسع حتى لم يبق بيت من بيوت الأوس والخزرج الا ودخله الاسلام .

لما كانت السنة القابلة وهي الثالثة في تاريخ الاتصالات جاء وفد كبير مؤلف من نحو سبعين من القبيلتين فاجتمع بهم فآمنوا ورحبوا بهجرته وهجرة أصحابه إلى مدينتهم وعاهدوه على الدفاع عنه ونصرته واختار منهم اثنى عشر رجلا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فسماهم النقباء « وهم أسعد بن زرارة وعبدالله بن رواحة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبدالله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وسعد بن الربيع من الخزرج وأسيد بن حضير وسعد بن خثيمة ورفاعة بن عبد المنذر من الأوس رضوان الله عليهم » .

وبعد ذلك أذن النبي صلى الله عليه لاصحابه بالخروج فأخذوا يخرجون فرادى تاركين أموالهم ووطنهم في سبيل دين الله ونصرة رسوله وكان الأنصار يتلقونهم بالترحاب والعون ويهيئون لهم المساكن وأسباب المعيشة والاستقرار . وقد تأخر رسول الله بعض الوقت للاشراف على هجرة أصحابه وقضاء بعض واجبات عليه وأمانات لديه للناس . وجن جنون زعماء مكة حينما عرفوا الاتفاق الذي تم بينه

وبين أهل يثرب بعد أن كانوا أيقنوا أن دعوته على وشك الانطفاء وبعد أن وصل أمره إلى ما وصل ورأوا في ذلك خطرا عظيما عليهم وأخبره الله ونجاه وخرج مع رفيقه أبي بكر من مكة ووصل المدينة سالما وهو ما أشارت إليه آية سورة التوبة : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) ٤٠ . فكانت هجرته أبرك وأعظم ثاني حادث في الاسلام . (والأول نزول الوحي بالنبوة والقرآن عليه لأول مرة) . حيث انفتح الأفق الواسع أمام الدعوة الاسلامية وانتشارها وانتصارها ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

ولقد أورد ابن كثير حديثا رواه الامام أحمد عن انس قال « قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير فقد كفونا المؤونة وأشركونا في أموالهم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله » .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : « قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المونة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا » .

ولقد آخى رسول الله بين رجال المهاجرين ورجال الأنصار فكان مما فعله الأنصار تجاه من آخاهم معهم النبي أن قاسموهم بيوتهم وأشركوهم في أعمالهم وأموالهم . حتى لقد طلق بعضهم بعض زوجاته ليبسر لأخيه المهاجر التزوج بها على ما جاء في كتب السيرة والتفسير . وكل هذا بوادر مؤيدة لما وصف الله الأنصار في قوله : (**يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) .

وفي صدد الآية (**ومن يوق شح نفسه**) أورد ابن كثير حديثا عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب أبدا » وحديثا عن جابر رواه مسلم أيضا قال : « قال رسول الله إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » وهكذا يتساوق التلقين النبوي مع التلقين القرآني في هذا الشأن كما هو في كل شأن .

تطبيق عمر بن الخطاب رضي الله عنه للآيات :

لقد روى الامام أبو يوسف في كتاب الخراج والامام أبو عبيد في كتاب الأموال والكتابان من أقدم ما وصل إلينا . والامامان من مشاهير القضاء والفقه وأئمة الحديث في الصدر الاسلامي الأول . إن الذين اشتركوا في فتح العراق طلبوا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم عليهم أرض السواد العراقي فأبى وقال

لهم . إنه لجميع فقراء المسلمين في جميع أجيالهم حقا في ذلك استنادا إلى هذه الآيات ، وأبقاها كذلك . فيؤخذ ريعها من مستأجريها ويوزع على فقراء المسلمين حيث يمكن القول أن عمر رضي الله عنه اعتبر الآيات توضيحا للمستحقين للفيء من فقراء المسلمين على اختلافهم سواء أكانوا من المهاجرين أم الأنصار الأولين أم من الذين آمنوا بعد الرعيل الأول من هؤلاء وأولئك ثم اعتبرها مستمرة الحكم بالنسبة لجميع أجيال المسلمين في مستقبل الأيام وصيغة الآيات وعطف بعضها على بعض ومجيئها بعد ذكر مصارف الفيء مما يدعم هذا الاعتبار .

وفيما فعله عمر رضي الله عنه صورة مما كان يفهمه كبار أصحاب رسول الله من التوجهات القرآنية كما هو ظاهر . وهو عمل فريد رائع في بابه فيه تدشين لما يمكن أن يسمى أملاك الدولة التي ترصد على فقراء المسلمين تطبيقا عمليا ، تشريع مساعدة هؤلاء الفقراء على ما تلهمه الآيات .

ويتبادر لنا أن عمر رضي الله عنه اعتبر فقراء المسلمين من الفئات الثلاث بمثابة (مساكين) في معنى الكلمة الذي جاء في الحديث النبوي الذي أوردناه سابقا ، (المسكين هو الذي ليس له غنى يغنيه ولا يسأل الناس) . ويتبادر لنا كذلك أن عمر رضي الله عنه لابد من أنه لحظ جميع مصارف الفيء ، وكان ينفق على حسب ما تقتضيه المصلحة . وأن ما روى إنما كان لتطبيق مدى الآية وعدم توزيع الأرض على الفاتحين وإبقائها في مثابة الفيء والمصارفة والله تعالى أعلم .

والمستفاد من كتاب الأموال للأمام أبي عبيد أن عمر رضي الله عنه سلك في أرض الشام المفتوحة ما سلكه في أرض العراق .

قال تعالى :

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون[١١] لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون[١٢] لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون[١٣] لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون[١٤] كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم[١٥] كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين[١٦] فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين[١٧] .

شرح لبعض الكلمات والجمل :

١ ـ جدر : جمع جدار : والراجح أن الكلمة هنا بمعنى السور أو الحواجز

الحجرية التي تكون حول الدور .
٢ ـ بأسهم بينهم شديد : عداواتهم فيما بينهم شديدة .
٣ ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى : تظنهم بما يكون من ظواهرهم أنهم متحدون مع أن قلوبهم متخالفة متفرقة .

شرح لمدى الآيات وتعليق عليها :

١ ـ في الآيات وصف لمشهد من مشاهد وقعة بني النضير وإجلائهم وموقف حلفائهم المنافقين في ذلك وحالة اليهود النفسية والاجتماعية .
٢ ـ ولقد حاول حلفاؤهم المنافقون تشديد عزيمتهم ووعدوهم بعدم طاعة أحد فيهم . وبالقتال إذا قوتلوا وبالخروج معهم إذا خرجوا فكذبتهم الآيات فيما قالوه ووعدوا به . وقررت أنهم حتى لو قاتلوا معهم لولوا الأدبار ولما انتصروا وأنهم كالشيطان الذي يزين للانسان الكفر ثم يتخلى عنه بعد أن يكفر يقول له إني برىء منك . وتكون عاقبة الفريقين النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .

٣ ـ ولقد استولى الرعب على اليهود حينما حوصروا حتى صاروا يخافون المسلمين أكثر من خوفهم من الله . ولا يجرأون على مواجهتهم في الحرب . وقصارى أمرهم أن يقاتلوا وهم يتحصنون في قراهم المحصنة أو من وراء أسوارها وجدرها .
٤ ـ وأن عداوتهم لبعضهم شديدة وقلوبهم متفرقة وإن بدا في الظاهر أنهم متفقون . وأنهم في حالتهم هذه كحالة جماعة من قبلهم لم يلبثوا حين حوصروا . أن خارت عزائمهم وذاقوا شر ما صنعوا .

٥ ـ والآيات تعقيب على ما كان في ظروف حادث بني النضير وموقف اليهود والمنافقين التي أوردنا خلاصة ما ذكرته الروايات عنها قبل . ويتبادر لنا والله أعلم أن آيات السورة من مطلعها إلى آخر هذه الآيات قد نزلت بعد انتهاء الحادث تعقيبا عليه من جهة ، وتوضيحا لحالة اليهود والمنافقين من جهة ، وتشريعا لما اقتضت حكمة التنزيل تشريعه من جهة ، وتبريرا وتعليلا لكل ذلك من جهة في آن واحد .
ويتبادر لنا أن بعض الأفعال التي جاءت في صيغة المضارع أو المستقبل هي أسلوبية ولا تعني أن تكون الآيات قد نزلت قبل انتهاء الحادث والله أعلم .
٦ ـ ولقد قلنا قبل ، أن حلفاء بني النضير هم من الخزرج ، ومن قوم عبدالله أمير المنافقين . ولقد كان الجمهور الأكبر من الخزرج مخلصين مؤيدين للنبي صلى الله عليه وسلم في موقفه من اليهود ، فكان في ذلك خذل وخزى للمنافق الكبير ومن تابعه من عشيرته في نفاقه وموقفه ، وصاروا كما حكت الآيات أعجز واجبن من أن يفوا بوعدهم لليهود . وعاد تحريضهم وتثبيطهم على هؤلاء بخسارة أشد مما كان ينالهم لو لم يفعلوا .

٧ ـ ولقد قال بعض المفسرين أن الآية (١٤) في صدد اليهود والمنافقين معا . وقال بعضهم أنها في صدد اليهود . وهذا هو الأوجه فيما نرى . ولذلك صرفناها إلى اليهود فقط ، فاليهود فقط هم الذين كانوا يقيمون في قرى محصنة في ضاحية منعزلة عن مساكن العرب .

٨ ـ وفي سورة البقرة آيات تفيد أن اليهود كانوا ـ فيما بينهم ـ مختلفين متنازعين وهي الآيات ٨٤ و ٨٥ هذه :

(وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) .

والآية (٨٤) مؤيدة لذلك فيما يتبادر لنا . ولقد كان بين الأوس والخزرج خلاف ونزاع قبل الاسلام فتحالف فريق من اليهود مع هؤلاء وفريق من اليهود مع أولئك نتيجة لما كان من خلاف ونزاع فيما بينهم . ولقد أجلى النبي بني قينقاع فلم يتحرك بنو النضير وبنو قريظة لنصرتهم . وأجلى بني النضير فلم يتحرك بنو قريظة لنصرتهم مما فيه تأييد آخر من الوقائع .

ولعل المصالح والمنافع الشخصية كانت تلعب دورها فيما بينهم .

٩ ـ وحادث إجلاء بني قينقاع المذكور الذي رجحنا ان الآية (١٤) قد عنته هو أول حوادث إجلاء اليهود عن المدينة . وقد وقع بعد قليل من وقعة بدر . وكان لبني قينقاع سوق يشتغلون فيه بالصياغة والحدادة . وكانوا حلفاء للخزرجيين بزعامة زعيم المنافقين عبدالله . وصار يصدر منهم بعض مواقف منحرفة عن العهد الذي أخذه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود حينما استقر في المدينة . حيث أمنهم على حرياتهم الدينية والمدنية وأبقاهم على محالفاتهم مع الأوس والخزرج على شرط أن لا يغدروا ولا يتجسسوا ولا يخونوا المسلمين ويقوموا بما يوجبه عليهم الحلف من واجبات . فأنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي الرواة ان آيات سورة آل عمران هذه : **(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)** ١٢ و١٣ نزلت فيهم كما رووا أن آيات سورة الانفال هذه : **(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** ٥٥ ـ ٥٨ نزلت فيهم أيضا .

ولقد روى أن بني قينقاع أجابوا النبي لما أنذرهم بغطرسة وقالوا له لا يغرنك ما لقيت من نجاح في بدر فقد لقيت قوما لا عهد لهم في الحرب . ولو قابلتنا لعرفت أننا نحن الناس . ولقد جاءت امرأة اعرابية إلى صائغ ليصنع لها حلية فأخذ بعض فساقهم يضايقونها ويريدونها أن تكشف مفاتنها فأبت فكشفوا عورتها بحيلة

دنيئة فصرخت « واقوماه » فجاء عربي فقتل اليهودي الذي كشف عورتها فشد اليهود عليه فقتلوه وكبر الشر . فكان هذا هو الحادث الذي جعل النبي يزحف عليهم مع جماعة من أصحابه وينذرهم بالجلاء العاجل قائلا : إنني أخاف من خيانتهم . وتدخل حليفهم زعيم المنافقين وطلب من النبي الرفق بهم ، فسايره وسمح لهم بأن يخرجوا مع أموالهم وسلاحهم .

١٠ ـ ولقد روى المفسرون روايات في معنى واحد وصيغ متعددة عن ابن عباس في صدد جملة : (**كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك**) في الآية ١٦ إنها تمثيل لشخص كان ناسكا أعيا الشيطان إضلاله فاحتال عليه حتى كسب ثقته . وعلمه اسم الله الأعظم فصار يشفي المجانين المصروعين والمرضى ، ثم خالط الشيطان فتاة جميلة حتى جنت ، فجاءوا بها إلى هذا الناسك فأعجبته ، وحينئذ استطاع الشيطان أن ينفذ إليه ويزين له مضاجعتها ثم قتلها لاخفاء جريمته ، وجاء أهلها لتفقدها فشعر الناسك بالورطة التي تورط بها ، فظهر له الشيطان وقال له إن سجدت لي أنقذك من الورطة فسجد له وحينئذ قال له إني بريء منك إني أخاف الله . وقد تكون هذه القصص مما كان يتداوله الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى كل حال فالآية جاءت في معرض التمثيل والتنديد والافحام) .

والآيات وإن تكن في معرض مشهد من مشاهد السيرة النبوية فان فيها تلقينات تصل مستمد إلهام وقوة للمخلصين من المسلمين تجاه أعدائهم وتجاه المخامرين منهم مع الأعداء ، إذا هم كانوا أشداء أقوياء القلوب والعزائم والايمان . لأن الأعداء والمخامرين في هذه الحالة لن يلبثوا أن يخزيهم الله وينخذلوا إزاء مثل هذا الموقف وتظل كذلك مستمد إلهام في تفتيح مواقف المخامرين والمنافقين والمتضامنين بأي أسلوب مع الأعداء وفي عدم قبول أي عذر لهم قد يعتذرون به باسم الصداقة أو المصلحة أو المحالفة أو الواقع . وإن المصلحة العامة العليا هي التي يجب أن يكون لها الاعتبار الأول .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون(١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون(١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون(٢٠) .

مدى الآيات وتعليق عليها :

لم يرو المفسرون مناسبة لنزولها . والمتبادر أنها جاءت معقبة على الآيات السابقة ، التي ندد فيها بالمنافقين ومواقفهم وباليهود الكافرين ، لتوصي المؤمنين المخلصين بتقوى الله ومراقبته والتفكير فيما يقدمونه لغدهم من أعمال يجزون

عليها خيرا كانت أم شرا . ولتحذرهم من أن يكونوا مثل الذين أهملوا تقوى الله وواجباتهم نحوه وتمردوا على أوامره وانحرفوا عن جادة الحق ، فأهملهم نتيجة لذلك ولم يوفقهم إلى ما ينجي أنفسهم ، فوقعوا في شر أعمالهم وفيها تشجيع وتنويه وتطمين للمخلصين ، وتنديد وإنذار للمنافقين والكفار من أهل الكتاب موضوع الآيات السابقة .

ولقد روى ابن كثير في سياق تفسير الآية الأولى حديثا أخرجه مسلم والامام أحمد جاء فيه : « إنه جاء إلى رسول الله قوم من مضر حفاة عراة شديدي العياء فتغير وجهه لما رأى ما بهم من الفاقة فأمر بلالا فاذن وأقام الصلاة فصلى بالناس ثم خطبهم ، فقرأ آية النساء (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) ثم قرأ الآية الأولى من الآيتين ثم وقف عند جملة (**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**) وقال هو أن يتصدق الرجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى تكوم كومان من طعام وثياب فتهلل وجه رسول الله » .

حيث ينطوي في هذا الحديث الرائع كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخرج العبرة والموعظة من الآيات ويوجه الناس بهما نحو الخير والبر والتشجيع عليهما بمثل هذه القوة ؟ وكيف كان أصحاب رسول الله يسارعون في الاستجابة إبتغاء رضوان الله ورسوله رضي الله عنهم ؟

قال تعالى :

(**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**(٢١) **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**(٢٢) **هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون**(٢٣) **هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**(٢٤) .

معنى بعض المفردات :

١ ـ القدوس : المبالغ في التنزه والطهارة ٢ ـ السلام : المرجو للامن والسلام .
٣ ـ المؤمن : واهب الأمن والطمأنينة . وقرنت (المؤمن) بمعنى المعتمد الذي يركن إليه ويؤمن إليه .
٤ ـ المهيمن : المراقب المسيطر على عباده .
٥ ـ الخالق : قيل أن الكلمة بمعنى المقدر لما يوجده على ما اقتضته حكمته .
٦ ـ البارىء : قيل أن معناها الموجد لما يخلقه من العدم أو المنشىء له أو المميز

لأنواعه .

مدى الآيات وتعليق عليها :

ولم يرو المفسرون رواية النزول لهذه الآيات أيضا . والمتبادر أنها استمرار للتعقيب على الآيات السابقة وبقصد تقرب كون ما في القرآن من الآيات والمعاني والحكمة والموعظة والقوة الروحانية والهداية لو نزل على جبل لخشي الله وتصدع من خشيته . وكون الذي أنزله هو الله ذو الأسماء الحسنى الذي يسبح له ما في السموات والأرض ، ويعنو كل شيء فيها لعظمته وقدرته المقدس المتنزه عن كل شائنة ، الذي لا يعزب عن علمه وأحاطته بشيء ظاهر وخفي وحاضر وغائب ، العظيم في رحمته واهب الأمن والسلام ، القوي الذي أوجد كل شيء من العدم وميز أنواعه ، الذي يفعل إلا ما فيه الحكمة ، المتعالي عن كل شريك وند . وكون ذلك كله يستوجب تأثر الناس بالقرآن وخشيتهم وخضوعهم جميعا لله اعترافا وعبادة وطاعة . وكون ذلك مما بينه الله تعالى إلى الناس لعلهم يتنبهون ويتفكرون فيما يجب عليهم نحوه ويؤدونه له . وأسلوب الآيات نافذ من شأنه أن يثير في النفس الطيبة الشعور بهيبة الله وعظمته وقوة القرآن وروحانيته . وقد انطوى فيها معنى التأنيب والتنديد للذين لا يتأثرون بالقرآن ولا يخلصون لله وهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، الذين حذرت الآيات السابقة المؤمنين من أن يكونوا مثلهم . وقد احتوت مجموعة رائعة من أسماء الله الحسنى لم تجتمع في مجموعة قرآنية أخرى مع التنبيه على أنها وردت متفرقة في آيات متعددة .

ولقد أورد ابن كثير في سياق تفسير الآيات حديثا اخرجه الامام أحمد عن معقل ابن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم ، مات شهيدا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » .

وفي الحديث تنويه قوي بفضل الآيات وقوة روحانيتها . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بحديثه أصحابه المؤمنين المخلصين الصالحي الأعمال ، حيث يسوغ هذا أن يقال إن الشخص الذي يعمل به ويريد أن يحصل على المنزلة المذكورة فيه لابد من أن يكون متحفظا بالايمان والاخلاص وصالح العمل في الوقت نفسه ..

ولقد أورد المفسر نفسه في سياقها أيضا حديثا عن أبي هريرة عن رسول الله جاء فيه : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وفي رواية « وهو وتر يحب الوتر » متفق عليه وهي : « الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ،

الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

ومما ذكره ابن كثير في صدد هذا الحديث أنه أخرج في الصحيحين من حديث سفيان بن عينه عن أبي الزناد الأعرج عنه وأن البخاري رواه عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد . وأن الترمذي أخرجه في جامعه عن الجوزماني عن صفوان عن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب وقال عنه أنه حديث غريب .

وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ورد في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث . ورواه ابن حبان في صحيحه عن طريق صفوان . ورواه ابن ماجة في سننه عن طريق آخر عن موسى عن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان . ثم قال ابن كثير بعد هذا إن الذي عول عليه جماعة من الحفاظ إن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبدالملك بن محمد الصفاي عن زهير بن محمد أنه بلغه من غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك . أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينه وأبو زيد اللغوي والله أعلم .

ثم قال : « ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام أحمد في سننه عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الحلبي عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله انه قال : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا . فقيل يارسول الله أفلا نتعلمها قال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها ثم قال وذكر الفقيه الامام أبوبكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم . فالله أعلم .

في سبيل الإصلاح

اتقوا الله

سأتحدث اليك ـ أخي القاريء الكريم ـ في هذه المقالة عن موضوع دقيق وخطير ، ذلك هو موضوع «الصدق والكذب » بجميع حالاتهما ، ومختلف انواعهما ، سيما وقد استفحل شر الكذب في هذا الزمان ، وترتبت عليه نتائج سيئة ، وعواقب وخيمة ، سواء على مستوى الدول والشعوب ، أم على مستوى الافراد والجماعات .

ذلك لان كثيرا من الناس يظنون ان الكذب ليس «بالخطورة» او «القبح» اللذين يصورهما فيه الدعاة والمصلحون ، بل هو يكاد ان يكون صفة « ملازمة » للتقدم الحضاري والتكنولوجيا الحديثة ، والسياسة ، وغيرها .

فهذه دور الخيالة «السينما» بأفلامها « الخيالية» والمسارح بمسرحياتها ورواياتها غير الحقيقية ، والرائي «التلفزيون» ببرامجه المنوعة ليست كلها مبنية على الصدق ولا تخلو قصصها من الخيال والكذب . كما ان هنالك البرامج «الترفيهية» الضاحكة التي تروح عن الناس ، وتجلب لهم الفكاهة والضحك . أليست كل هذه الاجهزة من صلب «الحضارة» و«التقدم» في هذا العصر ؟!

فنحن نقول لهذا الصنف من الناس ان الكذب الذي يذكرونه في هذه الوسائل قد أدى وسيؤدي بكثير من اطفالهم وشبابهم الى تعلم « الجريمة » وانواع القتل والارهاب والاختطاف بشكل فني ومنظم .

فكم من أسر تفككت روابطها ، وزوجات طلقن ، واطفال حرموا من عطف آبائهم ، أو شردوا بسبب كذبة اطلقها كاذب ، أو وشاية وشى بها واش ، او بهتان افتراه مفتر ، قال تعالى : (**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**) النور/ ١٥ . وقال سبحانه : (**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**) الزمر/ ٦٠

ليست هنالك خلّة تضمن الثقة والاطمئنان بين الافراد وتكفل الامن والاستقرار للمجتمعات مثل خلة الصدق . ولاهميته ذكره الله تعالى في آيات كثيرة في محكم كتابه ، ونسَبه الى ذاته العلية فقال سبحانه : (**ومن أصدق من الله حديثا**) النساء / ٨٧

وكونوا مع الصادقين

للاستاذ
احمد حسن القضاة

وقال تعالى : (**ومن أصدق من الله قيلا**) النساء/ ١٢٢ . كما رغّب فيه المؤمنين وحثّهم عليه ومدح الصادقين في كثير من آي الكتاب الحكيم ، وعلى لسان رسوله الكريم ، فقال سبحانه : (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) التوبة/ ١١٩ . وقال تعالى : (**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**) يونس/ ٢ . وقال تعالى : (**والصادقين والصادقات**) الاحزاب/ ٣٥

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة) رواه الترمذي .

كما ذكر الله تعالى الكذب في آيات كثيرة ، منفّراً منه ، ومحذرا من السير في طريقه ، ومتوعدا الكذابين بما أعد لهم من الويل والعذاب الأليم . فقال عز وجل : (**ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**) البقرة/ ١٠ . وقال تعالى : (**ويل يومئذ للمكذبين**) المرسلات/ ١٥ .

وقد اعتبر الصدق اساسا من أسس الفضائل التي تُبنى عليها المجتمعات ، وجعل عنوانا لرقي الدول ، ومقياسا لتقدم الأمم والشعوب .

ولا غرو ان الصدق فضيلة من أجلّ الفضائل التي تتوجب على كل انسان في أي مجتمع .. فيه فوز العامل في عمله ، ونجاح الصانع في صنعته ، وربح التاجر في تجارته ، وهو توكيد

ثقة الناس بعضهم ببعض ، وغرس المحبة في قلوبهم ، وتوثيق عرى المودة والتضامن بينهم .

وما فقدت خلة الصدق إلاَّ وحل محلها عدم الثقة ، وفقدان التعاون ، ولولاه لماتت الحقائق ، وطمست الحقوق وضاعت ، وفقد الأمان ، وعاش الناس في أجواء مليئة بالقلق والاضطراب ، مفعمة بالوساوس والمخاوف والأوهام ، فيفسد نظام حياتهم ، وتنقطع روابطهم ، وينهار بنيان ثقتهم .

والصدق من ضرورات الحياة الاجتماعية لانه صفة جامعة لكل خصال الخير : فهو مِلاك الشرف ، وعنوان الدين ، ودليل المروءة ، ومظهر الشجاعة ، ومرآة الاستقامة . ولا توجد في الصفات الفاضلة التي امتنّ الله تعالى بها على عباده صفة أجدىٰ بالاصلاح والنظام من الصدق ، ولا أفسد لها من الكذب . لأن الكذب قلب للحقيقة ، ووضع للزيف موضع الحق . وقد كتب الله تعالى على الكاذبين الضلالة ، فقال سبحانه : (**إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**) غافر/٢٨

وقال تعالى : (**إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) الزمر/ ٣

ويكفي الصادق شرفاً وسعادة تعظيم الناس له واحترامهم إياه ، وإذا اعتاد الانسان صفة الصدق وجعله وصفاً ملازما له فقد بريء من النفاق والغش والمداهنة والغدر والرياء وخلف الوعد ، لان هذه الرذائل جماعُها الكذب . وأكثر الناس ارباب حرف وصناعات ، وصاحب الحرفة يحتاج في معاملاته وعمله الى ثقة الناس به ، والصدق يبني هذه الثقة فيحبه زبائنه ، ويُقبل على حرفته كثير من الناس . أما الكذب فيهدم ثقة الناس ويزعزعها ، فيبغضه الزبائن ولا يتعاملون معه .

ومجالات الصدق كثيرة ، وأهم أنواعه : التصديق بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ورسالة الاسلام . قال تعالى : (**فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه**) الزمر/٣٢ . وقال تعالى : (**والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون**) الزمر/٣٣

ومنه : الصدق في المعاملات كالبيع والشراء وغيره . قال تعالى : (**ليجزي الله الصادقين بصدقهم**) الاحزاب/ ٢٤

ومنه : الوفاء بالوعد ، قال تعالى : (**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**) مريم/ ٥٤

ومنه : الأمانة : قال تعالى : (**والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون**) المؤمنون/ ٨

كما ان ابواب الكذب كثيرة . وأهم أنواعه : الكفر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ حيث قال تعالى : (**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه**) العنكبوت/٦٨

ومنه : الخيانة ، وهي شر أنواع الكذب . قال تعالى : (**إن الله لا يحب**

من كان خوّاناً أثيماً) النساء/١٠٧

ومنه : خلف الوعد . قال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » رواه البخاري ومسلم .

ومنه : شهادة الزور . قال تعالى : **(فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)** الحج/٣٠

ومنه : البهتان ، وهو الانتقام من إنسان في شرفه وعمله إذا تعذر الانتقام منه في ذاته . قال تعالى : **(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا)** الاحزاب/٥٨

ومنه : النميمة . قال تعالى : **(ولا تطع كل حلاف مهين . همّاز مشّاء بنميم)** القلم/١٠و١١

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم بيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » رواه أبو داود .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلّا حقاً . ورُب كلمة كاذبة يلقيها الرجل مازحاً يكون من ورائها شر عظيم . ولقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن أيكون بخيلا أو جبانا ؟ فقال : نعم . أما حين سئل عليه الصلاة والسلام : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال صلى الله عليه وسلم جازماً : لا .

وقال الامام علي رضي الله عنه : « قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكذاب باحتياله »

لكنّ هنالك حالات « **استثنائية خاصة** » قد يكون فيها الكذب ضروريا ، كحالة : إذا وقع المسلم أسيرا بيد الأعداء وطُلب إليه أن يدل على عدد جيش المسلمين ، أو على مواقعه ، أو أماكن مستودعات ذخيرته وأسلحته ، أو نوع تسليحه ، فعليه أن يخدع الأعداء ، ويكذب عليهم ، ويعطيهم أرقاماً ومعلومات كاذبة ، فذلك من ضرورات الحرب مع الأعداء .

وحالة : الاصلاح بين المتخاصمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري .

وحالة : الكذب على الزوجة ـ أحيانا ـ لكسب ودّها .

فيا أيها المسلم :

لا تقل ما لا تعلم ، ولا تنطق بأكثر مما تعرف ، ولا تكذب ، ولا تمزح إلّا صدقاً ، ولا تسكت على كاذب وأنت متيقن أنه كاذب .

واضْبط لسانك ، وعوّده قول الحق والصدق ، فان اللسان وراء كل مشكلة من مشاكل الحياة ، للفرد والمجتمع ، وهو السبب فيما يعانيه معظم الناس من متاعب وآلام .

قال صلى الله عليه وسلم في نهاية حديث طويل : « ... وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم » أو قال على مناخرهم » إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذي .

السمات العامة للفقه الاسلامي

للدكتور / احمد الحجي الكردي

للفقه الاسلامي سمات عامة تجعله فقها صالحا لحل مشاكل الحياة ، وتنظيم العلاقات الناشئة بين البشر ، على اختلاف السنتهم ، وألوانهم ، وبيئاتهم ، وعصورهم ، تنظيما يوفر العدالة بينهم ، ويؤمن لهم مصالحهم جميعا ، على احسن وجه ممكن ، مما يجعل الحياة الانسانية التي يعيشونها روضة فينانة ، يرتعون في احضانها ، ويمرحون في جنباتها ، ويجتنون ثمارها ، ويتمتعون

برياحينها ، ما داموا مطبقين له ، منفذين لأحكامه ، محتكمين اليه ، ولم لا ؟ فانه شرع الله تعالى الخالق للحياة ، العالم بأسرار الكون ، المحب للعالمين ما داموا ربانيين صالحين ، انه شرع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، الذي يعلم ما كان وما سيكون ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو اللطيف الخبير .
وأنى لشرع وضعي أن يدانيه ، وهو من وضع بشر ، لم يؤتوا من العلم الا قليلا ، يجهلون ما سيكون ، وينسون كثيرا مما كان ، ويتأثرون بعواطفهم مهما تساموا فوقها ، ويندفعون بميولهم مهما حاولوا الترفع فيها ، ولقد اثبتت التجارب ذلك ، فانه ما من قانون يظهر الا وتجد الحاجة ماسة بعد فترة قصيرة جدا الى تعديله ، وربما الى الغائه ، هذا الى جانب ما قد يجره هذا القانون على الكثيرين من الناس من اضرار ، ربما كانت تساوي المصالح التي حققها لهم او تزيد عليها في بعض الاحيان ، ومن ذلك على سبيل المثال النظم والقوانين الشيوعية التي اصدرتها السلطات الشيوعية في روسيا عقب الثورة الشيوعية في عام ١٩١٧/م ، فانها ما كانت تصدر قانونا الا وتعقبه بتعديلات كثيرة ، وربما الغاء كامل ، حتى غدت هذه القوانين كلها اليوم ملغاة تقريبا ، بل ان هنالك حملة واسعة للتشهير بالكثير منها من مصدريها انفسهم .

كما اثبتت التجارب ايضا قبل ذلك ما وصل اليه المسلمون من حضارة رائعة ورفاه شامل ، كانا مضرب الأمثال في العالم كله ، وذلك عندما كانوا يحتكمون الى الشريعة الاسلامية وحدها ، مما جعل رقعة كبيرة من العالم في ذلك الوقت تفتح صدرها لامتداد دولتهم ، والانضواء تحت حكمهم وإمرتهم ، توخيا للعدالة التي ينعمون بها ، والحضارة التي يعيشون في كنفها ، وذلك دونما حرب او قتال ، وان كانت الحرب تفرض نفسها احيانا عليهم ، فما ذلك الا لازالة تلك الرءوس العفنة ، المستهترة التي كانت تحكم الشعوب المستضعفة رغما عنها ، لتستغل عرقهم وتسخرهم في مصالحها ، والا فمن يستطيع ان يفسر امتداد الدولة الاسلامية الصغيرة الضعيفة الفقيرة الى الصين والهند شرقا ، والى فرنسا غربا ، في اقل من مئة عام ، لولا معرفة السر الذي مكنها من ذلك ، وهو انفتاح القلوب لها ، وتعلق الشعوب بها ، ودينونتهم بمبادئها ، ومثلها وشرعها .

ثم ان هذه الدولة الطويلة العريضة انحسرت عن بعض المناطق التي كانت تحكمها ، والشعوب التي كانت تنضوي تحت لوائها ، لظروف كثيرة لا يتسع المجال هنا للبحث فيها ، الا انها بكل تأكيد ليست عدم صلاحية تشريعها ، ومع ذلك فان الاسلام لا زال قابعا في تلك البقاع ، وساكنا في صدور تلك الشعوب ، على

الرغم من المعوقات الكثيرة ، والضغوط الشديدة ، والحروب المعلنة وغير المعلنة ، في الميادين العسكرية ، والثقافية ، وغيرها ، ضده .

فهذه الهند يزيد المسلمون فيها على خمسين مليونا ، وهذه يوغوسلافيا ، وبلغاريا ، واسبانيا ، وقفقاسيا ، وبخارى ، وسمرقند ، وغيرها من الدول والشعوب ، فالمسلمون فيها كثيرون ، وهم محبون لإسلامهم ، ملتزمون ومتعلقون به . فما الذي جعل هذه الشعوب ـ بعد انحسار الدولة الاسلامية عن سمائها ـ تبقى وفية لإسلامها ، محبة له متمسكة به ، رغم كل الضغوط والحروب التي شنت ضدها ، لولا ايمانها بعدالة هذا الاسلام ، وانه الدين الحق ، والشرع الحكيم ، والصراط المستقيم .

وان السمات العامة التي تتصف بها الشريعة الاسلامية تميزها عن سائر الشرائع الأخرى وتحلها محل الصدارة منها جميعا ، وذلك راجع في جملته الى امرين عامين اثنين اشتملت الشريعة الاسلامية عليهما ، وهما :

أ ـ انها شريعة سماوية ، ووحي من الله تعالى ، الذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب كله ، وهذا ما يميزها عن وضع البشر الذين ان رقت بهم ملكاتهم ، وتجردت بهم شهواتهم ، وسمت بهم ميولهم ، فهم لا يعلمون الا اليوم الذي هم فيه ، وربما ذكروا اليوم الذي فات او بعضه ، ولكنهم عن علم ما في غد عمون بكل تأكيد ، والذين قال الله تعالى فيهم : (**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء/٨٥

ب ـ انها خاتمة شرائع السماء ، وآخر وحي الله تعالى الى عباده ، وهذا ما يميزها عن سائر شرائع الله تعالى الأخرى بالاكتمال والشمول .. وما اليه مما سوف يأتي ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣

هذا وان البحث في السمات العامة للشريعة الاسلامية بحث شائك ومعقد ، وصعب وطويل ، ذلك ان السمات العامة لأي تشريع هي الخطوط العريضة التي يسير فيها ، والصفات العامة التي يتحلى بها ، ولا يمكن لأي باحث ان يصل الى ذلك الا اذا استقرأ الفروع كلها ، والأحكام الجزئية جميعا ، وان كل من عرف التشريع الاسلامي ، ودرسه ، واطلع على بعض فروعه ، وتخصص فيه ، علم سعته وشموله ، وأدرك صعوبة استقرائه ، وتفحصه ، وتحليله ، وقد قال بعض السلف : « عجبت لفقيه تفقه في الحنفية في اربعين سنة » ، والحنفية هي احد مذاهب هذه الشريعة ، فانىَّ لمثلي ان يدعي الاحاطة بهذا التشريع ـ بعد ذلك ـ ولم يؤت من العلم الا قليلا ، فان كان لا بد من بذل الجهد ، فانني سوف اقدم دراسات تلقي الضوء على بعض من سمات هذه الشريعة الغراء ، مدعمة بالأمثلة والشواهد ، من غير دعوى استقصاء أو شمول لكل السمات العامة للتشريع الاسلامي .

ومن هذه السمات العامة : ١ ـ العموم والخلود :

فالشريعة الاسلامية شريعة عامة لجميع البشر ، على اختلاف اشكالهم ،

وأجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، وعاداتهم ، وأعرافهم ، وليست خاصة بقوم دون قوم ، او شعب دون شعب ، او امة دون امة ، وذلك مصداقا لقوله تعالى بصيغة الحصر : (**وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ وقوله تعالى : (**وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ/٢٨ ، كما انها شاملة لكل العصور من يوم بعث الله بها محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، خالدة ما دامت هذه الأرض ، لا تقبل النسخ ، ولا الإلغاء ، ولا التغيير ، ولا التعديل ، ولا الايقاف الى أمد معين ، ولا التعطيل لظرف من الظروف ، وان كل محاولة من هذه المحاولات ما هي الا خروج عن كنهها ، وعدول عنها ، وكفر بها ، وقد جاءت بذلك الآيات الكريمة الكثيرة ، من ذلك قوله تعالى : (**لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**) يونس/ ٦٤ ، وقوله تعالى : (**ولا مبدل لكلمات الله**) الانعام/ ٣٤ ، وقوله سبحانه : (**لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم**) الانعام/ ١١٥ وقوله تعالى : (**وأتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا**) الكهف/٢٧ وقوله جل من قائل : (**ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/ ٤٤ وقوله تعالى : (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) الرعد/ ٤١

وان هذه الصفة لتميز الشريعة الاسلامية عن جميع الشرائع الأخرى ، السماوية منها والوضعية .

فان شرائع السماء السابقة على الاسلام كلها شرائع موقوتة بزمن معين ، وبأقوام معينين ، لا تغادرهم ، ولا تفرض على سواهم .

فاليهودية والمسيحية مثلا كانتا في بني اسرائيل ، ولا الزام فيهما على غيرهم حين نزولهما ، كما انهما لا الزام فيهما على احد بعد وفاة سيدنا موسى ، ورفع سيدنا عيسى الى السماء عليهما السلام ، وذلك ما اعرب عنه النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف حيث قال : « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى كل احمر وأسود** » ، وفي رواية « **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة** » اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

كما ان الشرائع الوضعية جميعا هي شرائع محلية ، ولا الزام فيها على غير الأمة التي ارتضتها لنفسها ، وقبلت بالانصياع لها ، كما انها موقوتة بالمصالح التي وضعت وفقا لها ، تدوم بدوامها وتعدل وتلغى وفقا لتغيرها وزوالها .

ثم ان ميزة الخلود هذه ميزة كبرى للشريعة الاسلامية ، وذات اثر بالغ في استقرار المعاملات بين الناس ، وارساء معالم الطمأنينة فيهم على مستقبل علاقاتهم المالية والاجتماعية ... ذلك انهم واثقون مسبقا وعالمون علما يقينا بالاحكام التي سوف تحكم بها علاقاتهم بعضهم مع بعض ، وان هذه الاحكام ثابتة لا تقبل التغير في اي حال من الاحوال ، ما دام ظل الدولة الاسلامية هو المرفرف فوق رؤوسهم .

وهذه الميزة مما تفتقده كل التشريعات الوضعية ، لتعرضها للتغير والتبدل على يد واضعها ، وربما على يد غيره اذا ما تغيرت ظروف معينة ، وهو ما يسبب ارباكا في المعاملات ، وشللا لحركتها بين الناس ، وهذا امر لا يحتاج الى مزيد ايضاح وتفصيل ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه اكثر من غيره التبدلات السريعة ، والتغيرات المفاجئة ، حتى القيم والمبادىء التي كنا نظن انها غير قابلة للتغيير اصلا لاتفاق سائر الناس عليها اصبحت اليوم عرضة للتغيير بل للنسخ كليا

وأخيرا فان تحقيق هذه الميزة الكبرى للشريعة الاسلامية اقتضى تضمنها ميزات اخرى ، وسمات عامة متعددة ، كالمرونة في الأحكام ، والموضوعية ، والعناية بالكليات دون الجزئيات ، وما الى ذلك مما سوف نشير اليه .

٢) **الشمول** :

إن الشريعة الاسلامية شاملة لكل مناحي الحياة ، ومنظمة لكل العلاقات الناشئة بين البشر بعضهم مع بعض ، افرادا وجماعات ، وفوق ذلك فهي منظمة لعلاقات الانسان بخالقه سبحانه ، من ناحيتيها الفكرية والعملية .

ذلك ان الشريعة الاسلامية شاملة لقضايا العقيدة والعبادة ، ومنظمة لها على اسس عقلية وعملية قويمة ، وهي محتوية على كافة التنظيمات والأحكام المدبرة لأمور المعاملات ، والأحوال الشخصية ، والجنايات ، وأحكام السلم والحرب .. وما الى ذلك .

وفوق ذلك كله فهي تحتوي على تنظيم كامل للأخلاق والقيم ، والمثل العليا ، واسس التعاون والاجتماع بين الأفراد ، وبين الشعوب والأمم ، كما تحتوي على قواعد حكيمة لتربية الذوق والوجدان ، وتهذيب الضمير وارهاف الحس ، وتنمية روح مراقبة النفس والتصرفات ، والمثال على ذلك قول الله تبارك وتعالى : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**) المجادلة/٧

وقد عير اعرابي مرة أحد الصحابة ـ رضوان الله عليه ـ فقال له : أحقا ما سمعناه من ان نبيكم يعلمكم طريقة الدخول الى الخلاء ، وطريقة الخروج منه ؟ فأجاب الصحابي ـ رضي الله تعالى عنه ـ بقوله : نعم ، انه يعلمنا كل شيء حتى هذا (اخرجه بمعناه مسلم والترمذي عن سلمان الفارسي) ، وصدق الله تعالى حيث يقول في آخر ما انزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم : (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) .

وهذه الميزة الكبرى هي مما تمتاز به الشريعة الاسلامية على كل شرائع الأرض الأخرى السماوية منها والوضعية .

ذلك ان الشرائع السماوية السابقة على الاسلام هي شرائع ضيقة ومحدودة ، لانها أنزلت تلبية لحاجات موقوتة ، ولأقوام معينين محدودين ، على خلاف الشريعة الاسلامية العامة الخالدة ـ كما تقدم ـ .

وكذلك الشرائع الوضعية ، فانها جميعا خلو من القواعد الناظمة للاخلاق ، والمربية للذوق والحس والوجدان ، بل انها تقوم اصلا على اسس استبعاد ذلك من نطاقها . كما ان الشرائع الوضعية تقوم على اساس فصل امور العقيدة والعبادة عن امور الحياة والمعيشة ، على النقيض تماما من الشريعة الاسلامية .

والأمثلة على شمول الشريعة الاسلامية كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

أ - في امور العقيدة :

اولا) قول الله تعالى : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد**) سورة الاخلاص

ثانيا) وقول الله تعالى : (**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**) الحشر/٢٢

ثالثا) وقوله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦

ب - وفي امور العبادة :

اولا) قول الله تعالى : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**) البقرة/٤٣

ثانيا) وقوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**)البقرة/١٨٣ .

ثالثا) وقوله سبحانه : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/ ٩٧ .

ج - وفي أمور الأخلاق وتربية الذوق :

اولا : قول الله تعالى : (**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**) التوبة/ ٢٤ .

ثانيا) وقوله تعالى : (**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**)

(ثالثا) وقوله تعالى : (**ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**) النور/ ٥٨ .

رابعا) وقوله تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**) الاسراء/ ٢٣ .

د ـ وفي أمور الاحوال الشخصية :

اولا) قول الله تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .
ثانيا) وقوله تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**) البقرة/ ٢٣٣ .
ثالثا) وقوله تعالى : (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا**) النساء/٣ .
رابعا) وقوله تعالى : (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) النساء/ ٧ .

هـ ـ وفي المعاملات المالية والتجارية :

اولا) قول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد**) المائدة/ ١
ثانيا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ .
ثالثا) قوله تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) البقرة/ ٢٧٥ .
رابعا) وقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**) البقرة/ ٢٨٢ .

و ـ وفي الأمور الجنائية :

اولا) قوله تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا) الاسراء/ ٣٣ .
ثانيا): قوله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور/ ٢ .
ثالثا) وقوله سبحانه : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) المائدة/ ٣٨ .
رابعا) وقوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) النور/ ٤ .

ز ـ وفي أمور حماية الأمن العام ، والأخلاق والمثل العامة :

اولا) : قول الله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة/ ٣٣ .
ثانيا) وقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران/ ١٠٤ .
ثالثا) وقوله تعالى : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الأعراف/ ٨٥ .

ح ـ وفي الأمور الدستورية :

أولا) قول الله تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران/ ١٥٩ .
ثانيا) وقوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) النساء/ ١١٥ .
ثالثا) وقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/ ٥٩ .
رابعا) وقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم

لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء/ ٦٥ .

ط ـ وفي العلاقات الدولية :

اولا) قول الله تعالى : **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)** التوبة/ ٦ .
ثانيا) وقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** البقرة/ ٢٠٨ .
ثالثا) وقوله تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)** الأنفال/ ٦١ .
رابعاً) وقوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة/ ٨ .

٣ ـ اليسر والسهولة :

ومن خصائص التشريع الاسلامي الاتجاه دائما نحو التيسير والتسهيل ورفع الحرج في الاحكام والتكليفات ، فلا تكليف الا بما يطاق ، بل لا تكليف بما فيه حرج ـ مشقة شديدة ـ وان كان في حدود الطاقة في الجملة ، وأصدق مثال على ذلك قول الله تعالى في الصوم : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** البقرة/ ١٨٤ وقوله سبحانه : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/ ٧٨ وقوله جل من قائل : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/ ٢٨٦ .
وقد شمل التيسير في الاسلام كل الأحكام ، وجميع التكليفات ، وسائر الميادين ، ان في نطاق المعاملات ، أو العبادات ، أو الأحوال الشخصية ، أو العقوبات .. والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة ، منها :

أ ـ فاما في العبادات :

اولا) قصر الصلاة الرباعية الى ركعتين للمسافر مسافة السفر ، واباحة الفطر في رمضان له .
ثانيا) اباحة الصلاة قاعدا للمريض العاجز عن القيام فيها .
ثالثا) اباحة التيمم بالتراب لمن لم يجد الماء أصلا ، أوكان الماء بعيدا عنه ، اوكان ممنوعا من استعماله لمرض أو عدو ..
رابعا) طهارة الثوب المتنجس تتم بغسله بالماء العادي ولا حاجة الى قصه كما كان الأمر لدى بعض الأمم الأخرى .

ب ـ وثانيا في المعاملات

اولا) اباحة الشروط الجعلية العقدية « على خلاف بين الفقهاء في حدود هذه الاباحة سعة وضيقا » .
ثانيا) ربط العقود بالرضائية وحدها ، دون التفات الى الشكليات ، فيما عدا عقد الزواج الذي يشترط لصحته الاشهاد لمعنى خاص فيه .

جـ ـ وفي الجنايات

اولا) منع العقوبة بالقصاص عن القاتل خطأ ، وايجاب الدية مفرقة على عاقلة القاتل خطأ ، وايجاب الكفارة عليه وحده .
ثانيا) منع التمثيل بالمجرم في كل الأحوال ، دون استثناء .
ثالثا) الوصية بالاحسان الى كل الناس ، والى المجرمين المحكومين بالموت خاصة ، وذلك وفقا لقوله تعالى : (**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل**) الاسراء/ ٣٣ ، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .
رابعا) أوجب في اثبات بعض الجرائم الكبرى شهادة أربعة شهود عدول ذكور ، ولم يقبل في اثباتها بما دون ذلك من العدد ، كالزنا .
خامسا) أوجب درء الحدود بالشبهات ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات ما استطعتم ، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة » أخرجه الترمذي .

د ـ وفي الأحوال الشخصية

اولا) جعل نفقة الزوجة على الزوج بحسب حال الزوج عسرا ويسرا ، ولم يكلف الزوج بأكثر من ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**) الطلاق/ ٧ .
ثانيا) اباح انهاء الحياة الزوجية الفاشلة بالطلاق أو الفسخ او التفريق ، ولم يوقع البينونة الكبرى بين الزوجين بأقل من ثلاث طلقات ، مصداقا لقوله سبحانه : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان**) البقرة/ ٢٢٩ .
ثالثا) عدم ايقاع طلاق المكره ، والمدهوش ، والسكران ، والمجنون .. « على خلاف بين الفقهاء في تفصيل ذلك وشروطه » .
رابعا) وجوب نفقة الفقير العاجز من أفراد الأسرة على باقي الأفراد الأغنياء فيها

وجعل ذلك حقا مكتسبا لا منة فيه ، يطالب به قضاء ، مصداقا لقوله تعالى : **(والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم)** المعارج/ ٢٤ و ٢٥ . فان لم يكن له أقرباء ميسورون ففي بيت مال المسلمين .

خامسا) وجوب نفقة الولد الفقير على والده مطلقا حتى يستغنى عنه بكسبه أو ماله ، أو يبلغ الرشد ، واعتبار ذلك نفقة كفاية لاكفاف .

هـ ـ وفي ميدان السلم والحرب :

اولا) اباح الله تعالى للمجاهدين أكل الغنائم واقتسامها بينهم على نحو بينه القرآن الكريم بقوله تعالى : **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)** الانفال/ ٤١ وقوله سبحانه : **(فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم)** الانفال/ ٦٩ .

وهذا الحكم فيه تيسير على الأمة الاسلامية بعد أن كان الأمر مشددا من الله تعالى على الأمم السابقة ، حيث لا يجوز لهم أكل الغنائم ، ولكن اتلافها لا غير ، وقد ثبت في ذلك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي » وذكر منها : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

ثانيا) وأباح الله استرقاق الاسرى اذا لم تلجىء الضرورة الى قتلهم ، كما أباح اطلاق سراحهم بالمال أو بأسرى المسلمين ، أو المن عليهم بلا مقابل ، اذا رأى أمير المؤمنين مصلحة غالبة في ذلك .

ثالثا) وأباح عقد المعاهدات مع الأعداء إذا كانت مصلحة المسلمين تفرض ذلك .

و ـ وفي أمور الأمن العام :

اولا : قبل توبة المحاربين الخارجين على النظام اذا كانت قبل القبض عليهم ورفع الحد عنهم بذلك .

ثانيا) قبل الجزية من أهل الذمة ، ولم يجبرهم على الدخول في الاسلام اذا أبوا الدخول فيه . وذلك كله على خلاف الكثير من التشريعات السماوية والوضعية الأخرى التي تتشدد فيما تسامح الاسلام فيه .

فاليهودية مثلا تفرض على من ارتكب ذنبا كبيرا او كفر بالله تعالى ثم اراد التوبة مما وقع فيه من الذنب ان يقتل نفسه ، ولا يقبل منه ما دون ذلك ، مصداقا لقوله تعالى : **(فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم)** البقرة/ ٥٤ ، اما الاسلام فانه يكتفي في قبول التوبة من العاصي بالاقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم على

عدم العود اليه ، وتعويض المضرور عن ضرره منه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : **(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)** النصر/٣ وقوله تعالى : **(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)** الشورى/ ٢٥ . وقوله تعالى : **(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)** آل عمران/١٣٥ و ١٣٦ .

وفي اليهودية أيضا أن من تنجس ثوبه بنجاسة وجب عليه لتطهيره قص المكان المتنجس منه ولا يطهر ثوبه بغير ذلك ، أما الاسلام فانه يكتفي لطهارة الثوب المتنجس بغسله بالماء حتى يزول أثر النجاسة منه ، ولا يفرض ما فوق ذلك .

وكذلك المسيحية فانها تفرض على من ضرب أو ظلم أن يسامح خصمه الذي آذاه « من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الايسر » وفي ذلك الفرض من الصعوبة على النفس الانسانية العادية ما فيه ، أما الاسلام فقد أذن لمن ظلم أن يطالب بحقه من ظالمه ، مصداقا لقوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/ ١٩٤ إلا ان القرآن الى جانب ذلك ندب الى العفو عن المعتدي من غير فرض ، فقال تعالى : **(وان تعفوا أقرب للتقوى)** البقرة/ ٢٣٧ .

هذا وقد تعددت طرق التيسير والتسهيل في الشريعة الاسلامية ، وذلك بحسب الحاجة ومقتضيات الحال .

فهي أحيانا تكون بانقاص التكليف عمن لا يطيقه ، أو يطيقه ولكن بشقة كبيرة ، كقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين في السفر .

وهي في أحيان اخرى بإبدال التكليف بتكليف آخر أخف منه وذلك عندما يغدو التكليف الأول مرهقا وشاقا ، مثل التيمم عند انعدام الماء ، او بعده ، او العجز عن استعماله لمرض او غيره .

وهي في بعض الاحوال بتقديم التكليف عن موعده أو تأخيره عنه ، عندما يكون التكليف مؤقتا وتعلقت المشقة به ، كما في جمع الصلاتين في عرفة ومزدلفة ، وجمع الصلاة للمسافر ، وتأخير وجوب اداء الصوم للحائض الى ما بعد الطهر منه .

وقد يكون التيسير بتغيير التكليف كليا اذا لم يحقق السهولة واليسر في تنفيذه غيره ، كما في صلاة الخوف .

وربما كان التيسير برفع التكليف اصلا ، والاعفاء منه بالكلية ، عندما لا يكون هناك طريق لرفع المشقة في تطبيقه غير ذلك ، كما في إعفاء الحائض من الصلاة بالكلية ، وكذلك النفساء ، واعفاء الفقير من الحج .

واخيرا قد يكون التيسير باباحة المحرم والممنوع ، وذلك عندما تكون الضرورة ملجئة اليه ، كأكل الميتة ، وشرب الخمر ، لمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع والعطش ولا شيء لديه غيرهما مما يدفع به الهلاك عن نفسه .

المصلحة مطلب المشرعين جميعا وهي الهدف الاسمى والاعلى في كل شرائع الارض ، السماوية منها والوضعية ، الا ان المصلحة أمر نسبي وليس مطلقا ، يختلف من حالة الى حالة ، ومن شيء الى شيء ، ومن زمان الى آخر ، ومن مكان الى مكان آخر ، وما من شيء فيه مصلحة الا فيه ـ في الغالب ـ مضرة ، وما من شيء مضر الاو وفيه ـ في الغالب ـ مصلحة الى جانب تلك المضرة ، ولهذا فان المشرعين الوضعيين لا بد لهم من أن يختلفوا فيما بينهم على ما هو مصلحة غالبة ، ذلك أنهم بشر متأثرون لا محالة بعواطفهم ، وعاداتهم وثقافاتهم ... فما يراه بعضهم مصلحة قد يراه غيرهم مضرة ، والعكس بالعكس ، هذا اذا ما ترفعوا فوق مصالحهم الشخصية الرخيصة الموقوتة ، وقليل من البشر من يستطيع ذلك ، فاذا لم يستطيعوا الترفع عن ذلك انقلب الامر الى فوضى ، ضاعت فيها الحقوق ، وعمت فيها المظالم .. باسم القانون ، وباسم العدالة ، وباسم الشريعة ، وأكبر مثال على ذلك التناقضات التي تسود العالم اليوم ، فما يعتبره الشرق عدلا يعتبره الغرب جوراً ، وما يعتبره الغرب عدلا يعتبره الشرق ظلما ، وهكذا دواليك .

لكن الشريعة الاسلامية ـ شريعة الله تعالى المحب للبشر جميعا على سواء ، العالم بأسرارهم وخفاياهم ، العالم بالماضي والحاضر والمستقبل ، العالم بحقائق الأمور ودقائقها ، لا بد وان يكون أمره ، بما هو مصلحة غالبة لكل بني البشر على سواء ، ولا بد وأن يكون نهيه عما هو مفسدة غالبة لكل بني البشر على سواء ، وذلك بموضوعية بعيداً عن التأثر بأهواء البشر ، ومصالح البشر ، وقصر نظر البشر ، وقلة علم البشر .

هذا الى جانب ان المصالح قد تتناسق جميعا فتكون مراعاتها كلها ممكنة ، وربما تناقضت واختلفت فكان لا بد من مراعاة الاهم منها على حساب الأقل أهمية ، والاكبر منها على حساب الأصغر ، وكان لا بد لذلك من وضع قاعدة ومبدأ وجدول تتدرج المصالح فيه وفق قوتها وكبرها ، حتى اذا ما اختلفت وتنافرت قدم بعضها على بعض على وفقه ، دون اختلاف او اختلال .

ثم انه لا بد لهذا الجدول من ان يكون قائما على اساس موضوعي ، بعيد عن الأهواء الخاصة والمصالح الشخصية الموقوتة ، والنظرات العجلى العابرة العابثة ، وهو ما لا يستطيعه أيضا الا خالق البشر ، رب العالمين ، لما تقدم من الأسباب .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية في ذلك بمبدأ دقيق قسم المصالح التي هي مناط الأحكام والتكليفات من حيث قوتها وأهميتها الى ثلاثة أقسام : الى ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية ، ثم قسم كلا من هذه الاقسام الثلاثة الى قسمين : عامة وخاصة ، فكانت بذلك ستة أقسام مقدم بعضها على بعض عند التعارض على وفق

الترتيب الآتي :

١ ـ المصالح الضرورية العامة . ٢ ـ المصالح الضرورية الخاصة .
٣ ـ المصالح الحاجية العامة . ٤ ـ المصالح الحاجية الخاصة .
٥ ـ المصالح التحسينية العامة . ٦ ـ المصالح التحسينية الخاصة

فاذا ما تساوت جميعا روعيت كلها ، واذا ما تعارضت وتناقضت ولم يمكن الجمع بينها روعي الأهم منها على حساب المهم مما هو دونه ، واليكم أمثلة تطبيقية على ذلك :

أ ـ رجل في طائرة ، عطش عطشا شديدا خاف على نفسه منه الهلاك ، ولم يجد ما يدفع به الهلاك عن نفسه الا كوبا من الماء مع زميل له في الطائرة ، وكان مستغنيا عنه ، فهل له أخذه منه ؟ والجواب ان الزميل اذا رضي ببذله له جاز أخذه منه ، تحقيقا لمصلحة انقاذ حياته التي لم يعارضها أي مصلحة أخرى ، فاذا امتنع عن دفعه له الا بثمنه ، وكان الثمن متوفرا لديه ، وجب أن يأخذه بثمنه جمعا بين المصلحتين ، مصلحته هو في انقاذ نفسه ، ومصلحة صاحب الماء في احترام ملكيته له .

فاذا أبى صاحب الماء دفعه اليه مطلقا ، أو لم يكن لدى العطشان اي ثمن ، كان التناقض واضحا ومفروضا بين مصلحتي احياء نفس العطشان ، وحماية ملكية صاحب الماء ، الا ان الأولى ضرورية ، والثانية حاجية هنا ، فتقدم الأولى على الثانية ، ويحكم بحل أخذ الماء جبرا عن مالكه في هذه الحال ، الا أن على الآخذ أن يعوض صاحب الماء عنه بمثله أو قيمته عندما يقدر على ذلك ، للقاعدة الكلية : « الضرورات تقدر بقدرها » .

ب ـ شارع ضاق بالمارة حتى عسر عليهم المرور فيه ولم يمكن توسيعه الا على حساب أرض مجاورة له يملكها بعض الناس ، فهل يجوز لولي الأمر أخذ هذه الأرض لتوسيع الشارع ؟

والجواب : ان له ذلك ان رضي صاحب الأرض ، لعدم التعارض بين أي من المصالح ، وكذلك اذا لم يرض صاحب الأرض تقديما للمصلحة الحاجية العامة في توسيع الشارع على المصلحة الحاجية الخاصة في حماية ملكية صاحب الأرض ، وهكذا ..

٥ ـ العمق والإحاطة :

الهدف العام لكل تشريع هو تنظيم علاقات الناس ، وحل مشاكلهم ، بما يوفر العدالة بينهم ، ويقيم الحق في ربوعهم ، ويؤمن اليسر والسهولة في تصرفاتهم .

الا ان مشاكل الناس وعلاقاتهم في كثير من الاحيان ، بل في أكثر الأحيان ، ذات تعقيد وتشابك ، وربما أدى حل مرتجل لها الى تعقيدها ، وزيادة تشابكها ، مما يعود عليها بالنقض ، وربما ادى الأمر في النهاية الى استحالة حلها أصلاً ، فلا

غنى عندئذ عن الحل العميق القائم على دراسة واعية مستفيضة لظروف الحادثة وأبعادها وأسبابها القريبة والبعيدة ، وجذورها ، بموضوعية ، بعيدا عن التأثر بفكرة سابقة ، وحلول مقدرة مبتسرة .

وان للتشريع الاسلامي قصب السبق في هذا المضمار ، ولم لا ؟ وهو تشريع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، وسوف أضرب لذلك **مثالين** :

اولهما) مشكلة قامت لبعض الوقت في عالمنا العربي ، وسعت سلطات كثيرة لحلها يومها فزادتها تعقيدا ، ولم تصل الى حل مناسب لها ، وهي مشكلة « آثار البطالة » .

فقد جاءت فترة ساد فيها ركود اقتصادي كبير ، وعزمت مؤسسات انتاجية كثيرة على الحد من نشاطها ، وتسريح عدد من عمالها ومستخدميها ، وكان في عزمها هذا ضرر كبير بالعمال الذين يحصلون على قوتهم الضروري من دخلهم منها يوما بيوم ، ؛ فأين يذهبون ، ومن أين يقتاتون لو سرحوا منها ؟ وهم الى أن يجدوا عملا جديدا يقتاتون منه ـ ان وجدوا ـ لا بد وان يقضوا فترة من الوقت بدون عمل ... وتفاقمت هذه المشكلة وبدأت تهدد بخطر مستطير ، مما دعا السلطات الى دراستها ومعالجتها ورسم الحلول لها ، الا ان بعض هذه الحلول لم يكن فيه من العمق ما يكفي لاعطائها حجمها وأبعادها بدقة ، فكان في هذا الحل مزيد تعقيد لها ، مما نتج عنه مشكلات أخرى لم تكن في الحسبان ، وكنا في غنى عنها ، ذلك أنهم رأوا معالجتها عن طريق إلزام صاحب العمل بتعويض لعامله المسرح يتناسب ومدة خدمته في معمله أو مؤسسته ، على تقدير ان هذا التعويض سوف يسد حاجة العامل الى أن يجد له عملا آخر يعيش منه .

والذي انتهى اليه الأمر أن هذا العامل كان يستهلك في كثير من الأحيان تعويضه هذا في أمور هي أقرب الى الكماليات منها الى الضروريات التي هو بحاجة ماسة اليها ، من غير بحث عن عمل آخر مركونا الى المبلغ الكبير الذي تحصل له مما لم يعتد الحصول عليه من قبل ، حتى إذا ما فوجىء بنفاد ما عنده من المال أسقط في يده ، وعاد على نفسه بالحسرة ، وعلي عياله باللوعة والحاجة والفاقة ، ثم ان هذا الحل قد أربك كثيرا من أصحاب الأموال ـ في حينه ـ وجعلهم يفكرون مليا قبل الاقدام على استثمار اموالهم في مشاريع جديدة ، محاولين التهرب من الالتزام بالتعويض عند الحاجة الى تسريح عمالهم ، مما قلل حجم الاستثمارات ، وبالتالي قلل الحاجة الى الأيدي العاملة ، وتسبب في نقل كثير من الاموال الى خارج البلاد ، فكثر التسريح ، وتعقدت المشكلة ، وجنت البلاد مزيدا من الركود ، ومزيدا من التخلف .

ولو أننا رجعنا الى التشريع الاسلامي في حل هذه المشكلة وأمثالها ، لوجدنا لديه الحل المدروس العميق المحيط بكل اطراف المشكلة وأبعادها .

فالاسلام في مثل هذه الحال يعفي رب العمل من الالتزام بأي تعويض للعامل غير الأجر المنصوص عليه والمبين في عقد الاجارة او الاستخدام ، الا انه الى جانب

ذلك يكفل للعامل المسرح واسرته عيشا ضروريا مرضيا الى ان يجد العمل المناسب الذي يكسب منه قوته ، وذلك بايجاب نفقته على أقربائه الموسرين ، فاذا لم يكن له اقرباء موسرون كانت نفقته على بيت مال المسلمين « الخزينة العامة » ، الا انها نفقة ضرورية « كفاف » تؤمن فيها ضرورياتها فقط ، وذلك لئلا يثنيه ذلك عن طلب الرزق والتفتيش عن عمل آخر طلبا لما هو فوق الضروري من العيش ، وبذلك تتأمن مصلحة العامل وأسرته دون أن ينثني رب العمل عن البحث عن مزيد من طرق استثمار المال التي تعود على العامل وعلى البلاد بالخير الوفير .

وثانيهما) مشكلة غلاء الأسعار ، فقد غلت الاسعار في الماضي مرات ثم انخفضت ، وهي الان تغلو يوما بعد يوم في بلادنا ، وفي كل بلاد العالم .

ودول العالم اليوم كلها معنية بهذه المشكلة ، وكل منها يدلي بدلوه في حلها ، درءا لأخطارها ، وحماية للشعوب من آثارها المدمرة . وقد طرحت في الساحة أنواع من الحلول منذ فترة من الوقت ، وهذه الحلول لم تنتج أي أثر في حل هذه المشكلة والقضاء عليها ، أو الحد منها على الأقل ، بل انها جميعاً زادتها تعقيدا وتشابكا وخطورة .

فمن هذه الحلول المطروحة العمل على زيادة دخل الطبقات الفقيرة والمتوسطة بزيادة الرواتب والأجور ... الا ان هذا الحل عاد على المشكلة بالنقض ، فكلما زاد الدخل زادت الأسعار بمقابل ذلك ، وربما كانت زيادة الأسعار بنسبة أكبر وأعلى من زيادة الدخل ، حتى نشر أخيرا أن أحد المعامل قرر زيادة رواتب عماله تخفيفا لغلواء زيادة الأسعار عنهم ، فرفع أحد العمال شكوى على رب العمل طالبا الغاء هذه الزيادة ، لانها سوف تكون بكل تأكيد عاملا في زيادة الأسعار .

ومنها تحديد الاسعار بحد معين لا يجوز تجاوزه والزيادة عليه ، وهذا لم ينتج أثره المرجو أيضا ، وكان في الغالب على حساب جودة السلعة وعلى حساب توافرها في السوق ، حتى كادت بعض السلع تختفي كليا من الأسواق نتيجة العزوف عن انتاجها ، هذا الى جانب ابتداع طرق كثيرة للاحتيال والتلاعب والالتفاف من وراء تحديد الأسعار ، واحتكار بعض السلع من قبل بعض المستغلين ، واثراء بعض المتلاعبين على حساب البعض الآخر ، وظهور السوق السوداء ..

ولو رجعنا الى الاسلام نستنطقه حلا لذلك ورجعنا الى عهد النبوة لرأينا ان الاسعار غلت مرة في المدينة المنورة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله أصحابه أن يسعر لهم ، فقال : « لا ، ان الله هو المسعر ، واني أريد أن ألقي الله تعالى وليس في عنقي مظلمة لأحد » أخرجه بمعناه ابو داود وانا لا أريد ـ هنا ـ ان انفي جواز التسعير في الاسلام ، فهو جائز في حالات حددها الفقهاء وضبطوها وفقا لنصوص وقواعد خاصة وردت في ذلك ، ولكنني اريد ان أؤكد أن ذلك ليس هو الحل الأمثل او الحل الوحيد لهذه المشكلة ، وأن هنالك حلولا أخرى ربما كانت أفضل منه وأكثر عمقا ـ في بعض الأحوال على الاقل ـ وأقصد بذلك فرضية الزكاة ، فانها تؤمن للفقير كل ضرورياته مجانا ، مما يغنيه عن شراء أي

شيء منها ، وبذلك يقل الطلب على السلع فتنزل أسعارها ، وفق قانون « العرض والطلب » ، هذا الى جانب أن تحديد الأسعار انما يلجأ اليه حماية لمصلحة الفقير ، وهنا مصلحة الفقير قد أتت مجانا على أتم وجه بطريق أكمل وأفضل ، وهذا ما دعا أحد المستشرقين الى القول : « ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ حل مشكلة الفقر وهو يشرب فنجانا من القهوة » وهو يعني بذلك نظام الزكاة .

٣ ـ الديمومة

كثير هي تلك التشريعات الوضعية التي تصدر اليوم وتحتاج الى تعديل غدا او بعد غد ، وربما استطاع بعضها البقاء لفترة من الوقت اذا احيطت بتعديلات دورية مناسبة ، وان دقة التشريعات وسموها منوط بمدى قدرتها على البقاء ملبية المصالح التي شرعت من أجلها أكبر فترة من الوقت ، وان ذلك في الحقيقة منوط بمدى ما تتمتع به من مرونة وقدرة على التأقلم مع البيئة والمصالح المستجدة فيها .

وان التشريع الاسلامي العظيم تضمن قدرة فائقة على الديمومة ما دامت السماوات والأرض ؛ فهو خاتم شرائع السماء أنزله الله تعالى لينظم للانسانية حياتها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن ديمومته هذه كامنة في صفتين توفرتا فيه ، وهما : المرونة والتعميم ، وسوف القي بعض الضوء على هاتين الصفتين ، مع التمثيل :

أ ـ **المرونة** ، فقد بلغت نصوص التشريع الاسلامي « قرآنا أو سنة » من المرونة مبلغا كبيرا ، وذلك راجع الى طريقة الصياغة التي صيغت بها ، بحيث يمكن ان تفهم على معان مختلفة محدودة تلبي كل المصالح المتجددة المتغيرة ، والامثلة على ذلك كثيرة منها :

اولا ـ طريقة ادارة الحكم في الدولة جاء فيها قوله تعالى : (**وأمرهم شورى بينهم**) وقوله جل من قائل : (**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله**) .

هذان النصان الشريفان يمكن استنباط طرق كثيرة منهما للحكم تتناسب والحاجة المستجدة للبشرية ، فهما لم يحدا الحكم بالنظام الملكي ، او الجمهوري او الرئاسي .. ولكن ذلك كله متأت من خلال هذين النصين اذا ما روعيت الشورى .

ثانيا ـ قررت النصوص أن الامة المسلمة كلها أمة واحدة ، وذلك في قوله تعالى : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) وهذا يتأتى بوجوه متعددة منها جعلها دولة مركزية ، أو دولة اتحادية ، أو دولة فدرالية ..

ب ـ **العموم** : فان غالبية نصوص القرآن والسنة التشريعية عامة أو مجملة ، وذلك لاتاحة الفرصة أمام العلماء المجتهدين في تفسيرها وتخصيصها وفق المصلحة المستجدة المتغيرة ، وذلك على هدى ما تقضي به القواعد العامة اللغوية والشرعية ، ومن أمثلة ذلك :

اولا : جاء في تقدير نفقة الزوجة قول الله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته ومن**

قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) وذلك دون بيان لمقدار النفقة المفروضة وطريق دفعها للزوجة .. مما هو متروك للمجتهدين والقضاة .

ثانيا : جاء في تقدير الاقارب المحتاجين للنفقة على أقاربهم الموسرين ، وبيان الملزم بها منهم قول الله تعالى : **(وعلى الوارث مثل ذلك)** .

٧ ـ الموضوعية :

الانحراف والتحيز نحو فئة معينة دون أخرى من المواطنين في التشريع مطعن كبير ، وانحراف خطير ، وكذلك الانحراف نحو اتجاه معين دون آخر تأثرا بافكار طارئة ، مصالح خاصة فانه انحراف ومطعن كبير ايضا .

والموضوعية في التشريع هي الطريقة السليمة الموصلة الى الحياة السعيدة ، والعدالة الحقة ، والمجتمع الانساني الفاضل ، والموضوعية معناها الاهتمام بالمصالح الحقيقية للامة دون التفات الى ما عداها ، وان تشريعنا الاسلامي العظيم قد تضمن هذه الصفة ، وجلعها محوره في تشريعاته جميعا ، بعيدا عن كل انحراف او تحيز ، ولم لا ؟ وهو تشريع رب البشر ، المحب لهم على سواء ، ولهذا فاننا نرى التشريع الاسلامي يلاحظ مصالح الفقراء بقدر ما يلاحظ مصالح الاغنياء فيفرض في مال الاغنياء للفقراء مقدار حاجتهم ، ولا يسمح للفقراء ان يطلبوا من الاغنياء اكثر من ذلك .

كما يلاحظ مصالح الكبار بمقدار ما يلاحظ مصالح الصغار القاصرين فيجيز للاولياء التصرف بأموال القاصرين ، الا انه يحد ذلك بالمصلحة الظاهرة ، ويثبت للقضاء رقابة على ذلك .

وهو يعني بالمرأة عنايته بالرجل . قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)**.

٨ ـ ربط الاحكام بالثواب والعقاب في الآخرة :

لا بد لأي حكم تشريعي من مؤيد له يضمن سلامة تنفيذه ، والمؤيدات التشريعية كثيرة ، منها عقابي ، ومنها مدني ، والعالم كله يشكو اليوم من عدم جدوى أكثر هذه المؤيدات ، ويحاول البحث عن مؤيدات اكثر نجاحا منها ، فانه من المستحيل على أي تشريع أن يقيم شرطيا على كل مكلف يراقب حسن تطبيقه للتشريع ، وانه اذا ما استطاع ذلك ، فانه عاجز حتما عن اقامة شرطي على كل شرطي يراقب حسن مراقبته للمكلفين ، ثم يقيم شرطيا على كل شرطي من هؤلاء وهكذا دواليك .

والتشريع الاسلامي ـ الى جانب اعتماده المؤيدات المدنية والعقابية ـ ربط

أمور التشريع بأمور العقيدة ، وبالثواب والعقاب من الله تعالى في اليوم الآخر ، وبذلك ضمن سلامة التطبيق لجميع الأحكام والتشريعات دون رقيب أو شرطي غير رقيب الضمير والايمان بالله تعالى واليوم الآخر .

فالمسلم محاسب عن كل تقصير واعتداء ومخالفة لأي حكم من أحكام التشريع سواء كان ذلك الحكم من احكام العبادة او المعاملة او غيرها وذلك مصداقا لقوله تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة/ ٧ و ٨ وذلك الى جانب محاسبته في الدنيا ، بل انه محاسب ومسؤول عن خلجات الصدر ونبضات الفؤاد ، قال تعالى : (**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير**) العاديات/ ٩ ـ ١١ .

ولهذا فاننا نرى المسلم يسارع الى تلبية الامر واجتناب النهي بوازع من رغبته في ثواب الله تعالى ، وخشيته من عقابه ، دون حاجة الى أي من المؤيدات الاخرى ، وهذا ليس أمرا سهلا او قليلا ، ومن عني بمصالح الناس وأمور التشريع والقضاء بين الناس والنظر في أمورهم ، علم قيمة ذلك وأهميته بكل تأكيد .

٩ ـ النزعة نحو التقشف :

الاسلام يعني بالتقشف ويدعو اليه ، الا انه يندب اليه ندبا ويرشد اليه ارشادا من غير فرض أو الزام ، فيدفع الناس اليه بالاقناع بالدليل والبرهان وليس بالسيف والسنان ،

والاسلام اباح الترفه والتزين ما دام ذلك في غير المحرمات ، ومن غير اسراف ، قال الله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) الأعراف/ ٣٢ بل ان كل ما في الكون مخلوق لمصلحة الانسان ، قال الله تعالى : (**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**) غافر/ ٧٩ وقوله تعالى : (**يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**) البقرة/ ١٦٨ .

الا انه الى جانب ذلك ندب الى الاقتصاد والتقشف ، قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الاعراف/ ٣١ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اخشوشنوا ، وتمعددوا ، واجعلوا الرأس رأسين » وقال احد الفقهاء باحثا في الطعام المباح وغير المباح : « ومن الاسراف أن يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو يأكل ما انتفخ منه ويدع الباقي » فما قولكم فيمن يلقي بالخبز واللحم وأنواع الطعام في عرض الشارع ، أو في القمامات .

هذه النزعة التي يندب الاسلام اليها ويغري بها لا تحتاج الى مزيد كلام عن أهميتها وخطرها ، فالعالم كله يعاني اليوم من ظاهرة الاسراف ، وهذا الاسراف هو سبب أساسي من أسباب التضخم النقدي والضائقة المالية التي يعاني منها العالم كله ... فهل من مدكر .

وقفة تأمل

الوحدة والترابط

● تتماسك الأجسام بقوة الترابط والتجاذب بين ذراتها .. ولولا هذه القوة لتبعثرت أشلاء .

● وتتجاذب الأجرام والأفلاك بقوة أودعها الله فيها .. تجعل لكل جرم منها مساره الذي لا يحيد عنه .. ولو حدث وخرج أي منها عن مساره لحدث اضطراب هائل في الكون لا يدرك مداه الا الله .

● وهناك من الخواص في الكون ما يجعل الماء ينبع من الصخر ، والحياة تخرج من الموت .. والنار تنشأ من الأخضر .. الكون كله ينتظم في عقد واحد أبدعته قدرة الله العظيم ..

● فالشمس لها دورها وشأنها ، والقمر له دوره وأهميته .. والليل والنهار آيتان من آيات الله في الكون :

قال تعالى : (**قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) .

● ذاك هو شأن المادة الواحدة : ترابط بين أجزائها .. وشأن الكون كله : يسبح بحمد الله (**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**) ، الكون كله في ألفة ومحبة وود فما بال الانسان لا يتسق مع نظام الكون وهو أكرم مخلوق خلقه الله في أرضه ليكون خليفته سبحانه

● ما بال الانسان يعيش في صراع دائم ودماء تراق ما كان ينبغي لها أن تراق .. والأمة المسلمة وهي أولى الأمم بتحقيق الوحدة بين أقاليمها .. ما بالها أمة تتنازعها الأهواء ، ويطمع فيها الأعداء .. ويخشى عليها من كثرة المعاصي التي ترتكب على أرضها .. والدماء المسلمة الزكية تراق بيد عربية واسلامية ـ للأسف ـ أكثر مما تراق بيد الأعداء .. تنافر بين أبناء القطر الواحد .. وتنافر بين أقطار المسلمين .. وعدو ملحد في أفغانستان ، وعدو صليبي في أرتريا .. وعدو يهودي في قلب الوطن العربي ، ونزاعات ونزاعات

● والمنقذ الوحيد يكمن في العودة الى الاسلام قولا وعملا .. ليكون البنيان شامخا سامق الهامة ، **ولتبقى العزة دائما لله ولرسوله وللمؤمنين** .

● وبالحب ، والرفق ، والدعوة بالحسنى ، ينشأ الفرد الصالح ، والأسرة السعيدة ، والأمة الخيرة في ظل عدالة الاسلام ، والله يحقق الأمل .

للشيخ
محمد الأباصيري خليفة

مما لا شك فيه أن ما عليه الكثير من حكام العرب من التقاطع والتنازع والاختلاف أمر واضح لا يحتاج الى بيان ، ومما لا شك فيه كذلك أن المجتمعات العربية تسودها الحيرة والقلق والاضطراب نتيجة لهذه الحال المحزنة . وقد مس هذا الثالوث البغيض النفوس والقلوب والأذهان قبل أن يمس المظاهر والأوضاع . ذلك أمر متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر الوطن العربي والانسان العربي ، وانا لنسمعه من المفكرين كما نسمعه من العامة في مجالسهم ، والمجتمعين في أنديتهم ، وذوي الأعمال في أماكن عملهم .. واذا أنكرنا هذه الحقيقة أو تغافلنا عن أثرها ، أو استصغرنا نتائجها كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد . واذا دام هذا الوضع فليس وراءه الا الخسارة البالغة والفشل الذريع ... والسبب الأصيل في هذا البلاء هو تعدد الأنظمة الحاكمة في الدول العربية ، مع بعد أكثرها عن النظام الاسلامي الذي يجمع القلوب ويؤاخي بين النفوس على الحق والعدل . فقد ترتب على تعدد نظم الحكم التباعد النفسي بين القائمين على هذه النظم ، واختلاف الوسائل والغايات ، إذ أن القائمين على كل نظام يعملون في نطاق مصلحتهم الخاصة دون نظر الى المصلحة العامة .. كما أدى قيام نظم للحكم تخالف قواعد الاسلام في كثير من

الدول العربية الى فجوة عميقة بين الشعوب وهذه النظم فالشعوب تقدس عقيدتها الاسلامية والمنهج الاسلامي ، ولا تطمئن الى أي نظام يناقض عقيدتها ومنهجها ومن ثم يعمد بعض الحكام بهذه الأنظمة الى قهر الشعوب واستذلالها وقتل حرياتها ، كوسيلة لإخضاعها ، وفي ذلك ما فيه من الفساد والدمار ، وفقدان الالتحام والتعاون بين هؤلاء الحكام وشعوبهم ، فالشعوب تنظر اليهم نظر الطير الى صائده لا نظر الجندي الى قائده .

والمنقذ الوحيد للأمة العربية من محنتها هو النظام الاسلامي الذي أنزله الله العليم بأحوال خلقه الخبير بما يصلحهم ، يطبقه حكامها ، ويجعلونه أسلوب حياتها ، ومنهج تصرفاتها ، وحل مشكلاتها ، يفعل الحكام ذلك وفاء بعهدهم الشرعي لله ورسوله يوم أن نطقوا بالشهادتين معلنين الالتزام بالاسلام عقيدة ومنهجا .

وهذا الوفاء يستلزم تغيير الاتجاهات والأوضاع ، والمجاهرة بأن الأمة العربية هي حاملة رسالة الاسلام ومنفذته ومبلغته من غير مواربة ولا وهن ، والكلام لا يغني عن العمل . وهذا الوفاء يحمي الوطن العربي مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة ، ويعيد الطمأنينة والسكينة الى النفوس والقلوب .

وقد يقال كيف تطلبون أن تقوم دعائم الحياة الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الاسلام والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها ، وقد اصطلحت أمم العالم ـ التي بيدها اليوم توجيه مقدرات الأمم والشعوب ـ على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، واقصاء الدين عن كل مرافق الحياة ، وحصره بين الضمير والمعبد ؟؟

والذين يقولون هذا القول لم يفقهوا الاسلام على وضعه الصحيح من أنه دين مجتمع ، ودنيا وآخرة ، ومسجد ودولة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ، وإن كان أقام الشطرين معا على دعائم من سلامة القلب ، وطهر النفس ، ومراقبة الله .

وقد يقال : ان تطبيق النظام الاسلامي رجوع بالعالم الى الوراء نحو ألف وأربعمائة عام فكيف يعقل أن نطبق اليوم نظما جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر قرنا على لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟ وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء ؟

ونقول لهؤلاء : انكم أيضا لم تفقهوا طبيعة الاسلام ، فقد أنزله الله تعالى فكرة سامية تحدد الأهداف العليا ، وتضع القواعد الأساسية وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط في الجزيئات ، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها ، وتتسع لها جميعها ولا تصطدم بشيء منها ، فهي صالحة لكل زمان ومكان ، واذا كان تاريخ التشريع الاسلامي يحدثنا أن عمر رضي الله عنه أمر بعدم القطع في

السرقة عام المجاعة ، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه ، فأحضرهم ، فأقروا ، وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس .. الخ فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلا : (اذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت) ، واعتبرها شبهة تدرأ الحد ، ولاحظ الظروف والمناسبات ، فهل يقال بعد هذا : ان في الرجوع الى النظام الاسلامي رجعية وجمودا ؟.. وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ، وتساير مقتضيات التقدم ، وتتمتع بمعاني المرونة والسلامة والسعة كشريعة الاسلام الحنيف (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**) .

وقد يقال : ان العودة الى نظام الاسلام تخيف الدول غير المسلمة ، فتتألب علينا ، وتتجمع ضدنا ، ولا طاقة لنا بها . وهذا القول منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير .. لقد سايرنا هذه الدول في نظمها ، وأخذنا بألوان حياتها ، واتبعناها في تقاليدها ، فهل أغنى عنا ذلك شيئا ، وهل دفع عنا كيدها ؟ وهل منعها من احتلال أرضنا ، والاعتداء على مقدساتنا ، والاستيلاء على خيرات بلادنا ، والتجمع في كل مؤتمر دولي ضد حقوقنا ، واثارة المشكلات والعقبات في وجوهنا ؟

وهم لا يتأثرون الا بظروفهم ومصالحهم ، ولقد رأيناهم جميعا يناصرون الصهيونية وهي أبغض ما تكون اليهم ، لارتباط مصالحهم المادية ، وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة .

اننا اذا لاحظنا غضب الدول الأجنبية ورضاها في تمسكنا بالاسلام أو بعدنا عنه فليس لهذا من معنى الا أننا نتمسك بالاسلام فلن نكسب رضاهم ، وسنخسر أنفسنا . في حين أننا اذا تمسكنا به ، وتجمعنا من حوله ، واهتدينا بهديه كسبنا انفسنا ولا شك ، وكان هناك احتمال قوي أن نكسبهم أيضا بتأثير قوة الوحدة . فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب ؟

ويقول بعض الناس : إن التمسك بالاسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة ، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر . ولكن الحق غير ذلك فان الاسلام الذي وضعه الحكيم الخبير قد احتاط لذلك الأمر ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم الا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح في حماية الأقليات وهو قوله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**) . فهذا النص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان اليهم .. وقد حدد الاسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة : (**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم**

وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الضعف دخيلا فيها وعامل فساد بين أبنائها .

أما موقف الاسلام من الأجانب فهو موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فان فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن الموقف منهم بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) .

والنظام الاسلامي يمد الأمة التي تتمسك به (كلا لا يتجزأ)

● بنظام داخلي للحكم يتحقق به قوله تعالى : (**وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) ..

● ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

● ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ..)

● ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)..

● ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قول الله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) ..

● ونظام للثقافة والتعليم يطابق جلال الوحي في أول الآيات نزولا (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) .

● ونظام للأسرة ينشىء الصبي المسلم والفتاة المسلمة ويحقق قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) .

● ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى : (**قد أفلح من زكاها**) ..

● وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله جل شأنه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**)

● ونظام يحدد العلاقة بين الغني والفقير ، فالغني مسؤول عن أخيه

الفقير ، وللفقير في مال الغني حق معلوم لا يستطيع ان يجحده او يتخلف عن أدائه ، والدولة الاسلامية تصون هذا الحق ، وتقاتل من يمنعونه ، قال الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه : (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي) .

● ونظام يمنع طغيان القوي على الضعيف . فلا قوة ولا ضعف في الاسلام الا بميزان الحق . فأقوى الأقوياء ، من الناس صاحب الحق ، حتى ينتصف له ، وأضعف الضعفاء صاحب الباطل حتى ينتصف منه ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

والحكومة في الاسلام تقوم على (**مسؤولية الحاكم**) و (**وحدة الأمة**) و (**احترام إرادتها**) ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

فالحاكم مسؤول بين يدي الله والناس : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**) والأمة الاسلامية واحدة ، لأن الأخوة التي جمع الاسلام عليها القلوب أصل من أصول الايمان بالله ، لا يتم الا بها ، ولا يتحقق الا بوجودها ، (**انما المؤمنون أخوة**) . ولا يمنع ذلك حرية الرأي ، وبذل النصح ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقال : (اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها) وقال : (سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) . ولا تتصور الفرقة في الشؤون الجوهرية في الأمة الاسلامية لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الاسلام ، معترف به من أبنائها جميعا .. والخلاف في الفروع لا يضر ، ولا يوجب بغضا ولا خصومة .. ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة .

واحتراما لارادة الأمة يعطي النظام الاسلامي الأمة الاسلامية الحق في أن تراقب الحاكم مراقبة دقيقة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير وعليه أن يشاورها ، وأن يحترم ارادتها ، وان يأخذ بالصالح من آرائها . وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : (**وشاورهم في الأمر**) وأثنى به على المؤمنين خيرا فقال : (**وأمرهم شورى بينهم**) والخليفة الأول رضوان الله عليه قال : (**اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسددوني**) ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (**من رأى في اعوجاجا فليقومه**) .

والاسلام يعلن الحرية ويزكيها ، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ، ويدعوهم الى الاعتزاز بها والمحافظة عليها فيقول الرسول الكريم : (من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس مني) .. وقرر الطريق العملي الى حماية هذه الحرية ، فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية

لتأمين الدعوة ، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن وجعل الشهادة أعلى مراتب الايمان ، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، وأعلن أن الجهاد افضل الأعمال بعد الايمان ، (**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**).

ان الاسلام أقر الحرية والاخاء والمساواة من قبل ألف وأربعمائة عام ، ولكنه سبق في ذلك سبقا لن يلحق فيه حيث جمل ذلك وزينه بالصدق والعمل . فلم يقف عند حدود النظريات الفلسفية ، وانما أشاع هذه المبادىء في الحياة اليومية العملية وأضاف اليها بعد ذلك السمو بالانسان ، واستكمال فضائله ونزعاته الروحية والنفسانية ، لينعم في الحياتين ، ويظفر بالسعادتين ، وأقام على ذلك كله حراسا أشداء أقوياء من يقظة الضمير ، ومعرفة الله ، وصرامة وصراحة الجزاء ، وعدالة القانون .

لقد كان العرب في الجاهلية متعادين ، فألف الله بين قلوبهم ، وما كان الا الاسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة ، وما كان الا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين ، وما يمكن أن يجمع القلوب ويطارد الخلافات الا اخوة في الله تصغر الى جانبها الاحقاد التاريخية ، والثارات القبلية ، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية ، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال .

ولا يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وعلينا أن ندرك نحن العرب ان الاسلام الحنيف جاء رسالة عامة للناس جميعا وقد قال الله لرسوله : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا**) وقال : (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) .. وان ندرك مع هذا ان الاسلام نشأ عربيا ووصل الى الأمم عن طريق العرب وجاء كتابه الخالد بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم أن كان المسلمون يحتكمون إليه ، فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه ، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم العروبة بقوله فيما رواه معاذ بن جبل (إلا إن العربية اللسان) .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لاعادة أمجادهم واعزاز سلطانهم . وفي هذه الوحدة التي تعتمد مبادىء الاسلام وتعاليمه النجاة من كل شر والقوة البانية المعمرة . وقد قال الله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

افتراءات صهيوني

جاءنا من رابطة العالم الاسلامي ما يلي ننشره حتى يقف قراؤنا على حقيقة المكر اليهودي :

ما تزال القوى الصهيونية في العالم تشن هجماتها الجائرة على الاسلام والمسلمين

وقد استغلوا في ذلك نفوذهم وسيطرتهم على بعض وسائل الاعلام الغربية وغيرها ، فها هي صحيفة « اريزونا » الجمهورية التي تصدر في الولايات المتحدة الامريكية ، تفرد مساحة من صدر صفحاتها الدينية ليجري من خلالها محررها المستر (ريتشارد ليسنر) مقابلة صحفية مع الكاتب اليهودي الصهيوني العنصري / ليون يوريس ، الذي انطلق في افتراءاته على الاسلام والمسلمين مدعيا ومركزا على ان الاسلام هو دين الشر والقوة غير المستقرة في الشرق الاوسط ، وبأن المسلمين في حرب دائمة مع غير المسلمين ونحن نقول للكاتب الصهيوني الحاقد يوريس ، ولامثاله ومن حذا حذوه : ان الاسلام دين سلام وتسامح ولكنه وقف ضد الظلم والعدوان وقاوم الطغاة ومضطهدي الانسانية وسيظل كذلك ،

فأي حضارة تلك التي تقر لاسرائيل ان تقوم بتدنيس قداسة اماكن العبادة ، ولكن الاسرائيليين من شدة حقدهم على الاسلام اجازوا لانفسهم القيام بحرقها .

او لم يسمع يوريس بادانات كل العالم التي تكال ضد اسرائيل في الجمعية العامة للامم المتحدة .. لو فعل ذلك او ابدى قليلا من الاهتمام لربما غير رأيه يقول إن اسرائيل قامت بالغاء وازالة مخيمات الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وشادت مساكن بسيطة التكاليف للاجئين ، ويزعم بان المستوى المعيشي للعرب في اسرائيل قد ارتفع وبأن تعدادهم قد زاد في القدس اكثر من ٩٠٪ ، بعد ضمها ، وهم بالاضافة لذلك يتمتعون هناك بحرية تفوق الحرية التي يتمتع بها سكان الاقطار الاسلامية الاخرى

يزعم هذا الصهيوني بكل هذه الافتراءات ناسيا او متناسيا ان كل العالم يرى ويسمع عن لأعمال الوحشية التي يقوم بها الاسرائيليون

ففي عام ١٩٦٩ م حاولت سلطات الاحتلال حرق المسجد الاقصى ، كما اصدرت اوامر بعدم استعمال مكبرات الصوت في الاذان ، وقامت بنقل ٤ آلاف موظف صهيوني للقدس ، وأعدت ١٣ الف دونم لتقام عليها ١٠ ـ ١٢ الف وحدة سكنية بالاضافة للمكاتب

ولا ينس التاريخ انه في الفترة من ١٩٧٧ الى ١٩٨١ م وهي فترة ائتلاف الليكود الحاكم بزعامة بيجن ، انه تم مصادرة مسجد بئر السبع وتحويله الى متحف ، ومصادرة المقابر الاسلامية في القطاع الغربي من يافا بالاضافة الى الاستيلاء على مسجد حسن بك في يافا والشروع في تحويله الى سوق تجاري ومركز سياحي ، واستباحة الحرم الابراهيمي والسماح لليهود بالصلاة فيه وهدم مسجد قرية الفريديس بحجة توسعة الشارع المار بجانبه ، كما قام العدو الاسرائيلى بالاعتداء على الحرم الابراهيمي الشريف يوم ١/١٢/١٤٠٢هـ

وفي الفترة من ١٩٧٢م وحتى عام ١٩٧٧م فقد تم هدم ٣٦٤٠ منزلا عربيا في الاراضي المحتلة ، ٤٣٥ في الجولان ، ٩١٩ في الضفة الغربية ، ألفي منزل في غزة وجنوب سيناء وما يزيد على ٣٠٠ في النقب ، ٣٣ في الجليل و٦ في وادي عمارة .

وقد استباح الاسرائيليون ارض لبنان يعيثون فيها كما يحلو لهم وفي فترة وجيزة دمروا ٣٣٧ مدينة وقرية في جنوب لبنان مع قيامهم بامطارها يوميا وشهريا بملايين الاطنان من القنابل .

ولا ننسى ضرب المفاعل النووي العراقي واخيرا في محرم ١٤٠٢هـ الموافق ٩/١١/١٩٨١م ، قامت طائراتها بانتهاك المجال الجوي السعودي للمنطقة الشمالية الغربية من المملكة .

اما سجون العدو فتفيض بالمناضلين من ابناء الشعب الفلسطيني ، ففي ديسمبر ١٩٦٧م اضرب حوالي ٤٠٠ شاب عربي معتقلين في سجون العدو عن الطعام ، مطالبين بوقف الاجراءات التعسفية الاسرائيلية ضدهم ومنحهم حقوقهم ، واضرب معهم ٥٠ طالبا بالجامعة العبرية

ولما تصاعدت موجات السخط والاحتجاج والمظاهرات ، قامت السلطات الاسرائيلية باغلاق جامعة بير زيت واعتقال الطلاب وتعطيل الدراسة بجامعة النجاح في نابلس في ١٤٠٢/١/١٨هـ ، حتى ان منظمة العفو الدولية احتجت لدى سلطات العدو الاسرائيلي على سوء المعاملة التي يلقاها المعتقلون العرب في سجون فلسطين المحتلة كما جاء اجماع دولي بادانة اسرائيل ، وذلك بقيادة كورت فالدهايم ، حيث قال ان مسألة القدس ذات اهمية اساسية ولا يمكن حلها بقرار من طرف واحد ، واكد على ضرورة ايجاد تسوية شاملة لمشكلة الشرق الاوسط ، تشترك فيها كافة الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، وان تقوم التسوية على اساس الحقوق الثابتة للفلسطيبيين بما في ذلك حقهم في تقرير المصير والانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة .. ولكن لا حياة لمن تنادي .

بعد كل هذا يحق لنا ان نتساءل ونسأل المستر يوريس وامثاله من هو في هذه الحالة الباغي والمعتدي ؟ اهو الذي استلبت حقوقه واراضيه ، ويحاول ان يبحث ويصر على ان يتمادى في غيه المشروع ؟ ام ذاك الذي يشن الغارات ويقتل الالاف من المدنيين

بالتأكيد ان اسرائيل مغتصبة معتدية وباغية وهي دولة بوليسية ارهابية وقوة مزعزعة للسلام العالمي .. وما اعلان الجولان ببعيد عن الاذهان والذي شجبه وادانه العالم .

ويمضي ليون يوريس في حديثه بنفس المقابلة الصحفية ويستمر في اطلاق افتراءاته قائلا بان الاسلام دين القضاء والقدر والجبرية ، وليس لعمل الناس قيمة في هذا العالم لأنه لا يؤمن بالقيم

ونحن نقول له ولكل من كان على شاكلته بان كل عمل يصدر من المسلم له وزن وقيمة في حساب الاسلام ، وقد رسم ذلك واوضحه المولى عز وجل شأنه في محكم تنزيله بقوله : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة .

« ونقول للكاتب الصهيوني ولغيره ممن يحقدون على الاسلام ان تصرفات بعض المسلمين التي لا تتفق مع تعاليم الاسلام السمحة هي مجرد افعال محسوبة عليهم ولا تضير الاسلام »

ثم يمضي الكاتب فيتعرض لتقييم بعض الشخصيات العالمية نكتفي بما قاله عن مناحيم بيجن ، فهو يضرب الاهداف العسكرية فقط في حين ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تضرب اية اهداف عسكرية ، ويصفه بانه متعصب ولكنه ككل الرؤساء الاسرائيليين محدود الحرية وهو زعيم وقائد قوي ، ويصف الذين يدافعون عن حقوقهم المشروعة بأنهم مجرمون ارهابيون .

اي منطق هذا الذي يجعل من الارهابي الشرس المعروف ، مدبر ومنفذ مذبحة دير ياسين وغيرها ومرتكب ابشع الجرائم مناحيم بيجن ، قائدا وزعيما ويصفه بانه يضرب الاهداف العسكرية فقط وممارساته كالشمس لكل العالم .. ويصف المجاهدين مسلوبي الحقوق ، الباحثين عن العدالة وحق تقرير المصير بالارهابيين المجرمين اوليس هو نفس المنطق الذي يبنون عليه افتراءاتهم واباطيلهم بان الاسلام دين الشر والقوة غير المستقرة !!

ولكنهم مهما فعلوا وقالوا فان افتراءاتهم مكشوفة واباطيلهم زائفة ، والحق ابلج : **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** .

رغم هذا يجب على كل المسلمين وعلماء المسلمين والجمعيات والهيئات الاسلامية ، ان يأخذوا حذرهم ، وان يتصدوا من على كل منبر لمثل هذه الترهات والاباطيل ، وضرورة كشفها وتفنيدها امام كل العالم وسد كل المنافذ والفرص امام هذه القوى العدوانية المناهضة للاسلام وتعاليم الاسلام ، والتي تغزل خيوط التآمر وتدبر الدسائس وترسم المخططات للعمل من اجل اضعاف الاسلام والمسلمين والتشكيك في تعاليم ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، حتى تحين لها الفرصة بالانقضاض الكامل عليه .. ولن يتسنى ذلك لهم ابدا بإذن الله .

الكتمان في الدين

قرأت في « معجم الادباء » لياقوت الحموي ، بيتين من الشعر للحسين البغدادي ، وهما :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سر ، ومال ما استطعت ، ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر ، وبحاسـد ، ومكذب

فطاب لي ان احدث قراء « الوعي الاسلامي »ـ وهم اصدقائي القدامى ـ عن أربعة الوان لا ثلاثة فقط ، من الوان الكتمان في الدين والادب ..
وهذه الالوان هي :
أ ـ كتمان الاسرار ـ ب ـ وكتمان العورات والمساوىء ـ ج ـ وكتمان الثروة والمال ـ د ـ وكتمان العمر والسن ..

أ ـ أما كتمان الأسرار

فما اشقه الا على الصفوة من الامناء المؤمنين ، الذين لا تضيق صدورهم بأسرار غيرهم ، فضلا عن اسرار انفسهم ، ومن روائع الوحي القرآني الكريم ، والهدى المحمدي الشريف هنا ، الآيات القرآنية الآتية :

(يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان

والأدب

للاستاذ
الغزالي حرب

للانسان عدو مبين) يوسف/٥ (**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)** النساء/٧١ (**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون**) الانفال/٢٧ .

والاحاديث النبوية التالية : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي « استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود » رواه البيهقي .

وبهذا الادب الاسلامي ادب الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأحسن تأديبه ، وادب الرسول اصحابه فأحسن تأديبهم ، وكانوا في حرصهم على الكتمان مثلا عليا في اقوالهم واحوالهم ، وفي ظلاله الوارفة الهادئة الهادية :

١ ـ اوصى ابو بكر الصديق ، الخليفة الراشد الاول ، قائده الاسلامي الموفق ، شرحبيل بن حسنة قائلا : « ... واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، واقلل لبثهم ، حتى يخرجوا من عندك ، وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، ولتكن انت الذي تلي كلامهم ، واستر في عسكرك الاخبار ».

٢ ـ وعدل عمر بن الخطاب عن تولية جبير بن مطعم ، خلفا للمغيرة بن شعبة على العراق ، لأن جبيرا هذا كان عمر قد اوعز اليه بالتجهز سرا للسفر ، واوصاه بالكتمان للسر حتى عن اقرب الناس اليه ، بيد انه لم يكن عند حسن ظن عمر به ،

فلم يلبث ان افشى هذا السر الى اهل بيته ، فاذا هو يذيع حتى يصل المغيرة بن شعبة نفسه ..

٣ ـ وارسلها علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ حكمة رائعة خالدة على الزمان : « سرك اسيرك ، فان تكلمت به صرت انت اسيره ».

وهكذا كانت الاغلبية العظمى من الصحابة الكرام ، مثلا عليا في كتمان الاسرار ، ونجوما يهتدي بهم في « امانة السر »، ولم يشذ عنهم في ذلك الا حاطب ابن ابي بلتعة الذي غلبته عصبية الجاهلية على امره ، فأفشى سرا من الاسرار العسكرية لرسول الله ، الذي نزل عليه الوحي بما اعانه على تدارك هذا السر قبل فوات الاوان ، مستعينا على ذلك ببعض اصحابه او بعلي بن ابي طالب الذي لحق بهذا السر قبل وصوله مكة ، على يدي امرأة ارسلها حاطب ثم ادركها علي « عند « روضة كاخ ».. وبرغم هذا الافشاء للسر من حاطب ابقى عليه وحي السماء شرف الاتصاف بالايمان ، وان حذره الخيانة لله ورسوله قائلا : (**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون**) وابقى الرسول على حياته فلم يأذن لعمر بن الخطاب في ضرب عنقه كما استأذنه في ذلك قائلا لعمر في سياسة محمدية سماوية سمحة عليا : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على اهل بدر ، وقال : اعملوا ما شئتم ، فاني قد غفرت لكم .. والحق ان هذا الصحابي الجليل برغم زلته ـ ولكل صارم نبوة ـ كان من صفوة المجاهدين في غزوة بدر الكبرى .. وكان بعد ذلك هو الرسول الذي حمله رسول الاسلام كتابه الى المقوقس عظيم القبط بمصر داعيا اياه الى الاسلام ، فتلقى المقوقس الرسالة المحمدية بكل توقير واجلال ، وتلطف في الرد عليها مرسلا الى الرسول بهدية الجاريتين المشهورتين اللتين كانت لهما في القبط مكانة عظيمة وهما : « مارية » القبطية التي ضمها الرسول اليه فولدت له ولده ابراهيم .. و « نسرين » اختها التي اهداها الرسول الى شاعره حسان بن ثابت ، فولدت له ولده عبد الرحمن .. وتقديرا من الرسول لهدايا المقوقس اليه ـ ولا سيما هاتان الجاريتان ـ قال الرسول يوصي المسلمين خيرا بالمصريين على مر الزمن : « ... فاستوصوا بأهل مصر خيرا ، فان لهم ذمة ورحما ، وصهرا ».

ومن روائع الادب العربي القديم في كتمان الاسرار : قول اكثم بن صيفي حكيم العرب : « الصمت حكم ، وقليل فاعله » وقول الشاعر المعل انس بن اسيد :

فلا تفش سرك الا اليك ... فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت وشاة الرجال ... لا يتركون اديما صحيحا

وقول ابي مسلم الخراساني ، فخورا بنجاحه في شل ملك بني امية ، بالحزم والكتمان :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت — عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت اسعى عليهم في ديارهم — والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا — من نـومة لم ينمهـا قبلهم احد
ومن رعى غنما في ارض مسبعة — ونـام عنها،تـولى رعيها الاسـد

ب ـ واما كتمان العورات والمساوىء :

فهو انبل واحكم الوان الكتمان ، ومن روائع الاحاديث النبوية الشريفة التي تدعو الانسان الى كتمان مساويه فضلا عن كتمان مساوىء الناس وعوراتهم ما يأتي : حديث « اذا بليتم فاستتروا » رواه الخاري وحديث « كل امتى معافي الا المجاهرون ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري .

ولا يستطيع التأدب بأدب الكتمان لعورات غيره فضلا عن عورات نفسه ، الا العاقل الحكيم المتزن ، الذي يملك لسانه ، ولا يملكه لسانه ، وينظر دائما او غالبا بعين الرضا والسماحة ، لا بعين السخط والحقد ، مصداقا لقول عبد الله بن معاوية ـ كما في « رغبة الامل »ـ:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة — كما ان عين السخط تبدي المساويا

ومن خيرة هؤلاء العقلاء النبلاء ، الربيع بن خيثم ، الذي سأله احدهم : لماذا لا تعيب احدا بأي عيب ـ كما يفعل سواك ـ؟ فأجابهم : لست عن نفسي راضيا حتى اشغلها بذم الناس ، والتتبع لعوراتهم ومساوئهم ، ثم انشد البيت الاتي ـ وهو بيت القصيد :

لنفسي ابكي لست ابكي لغيـرها — لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

ج ـ واما كتمان الثروة والمال :

فحسبنا من شواهده في ادبنا العربي العريق ، ان عبد الملك بن مروان ، سأل عبد الله بن يزيد بن خالد عن مقدار ما يملكه من الثروة والمال ، فأجابه عبد الله بن يزيد بما نهديه الى « اغنياء الحرب » وحديثي النعمة ،ـ كما جاء في « الكامل » للمبرد ـ: يا امير المؤمنين ، شيئان لا عيلة على معهما : الرضاء من الله ، والغنى عن الناس ..!!

فلما خرج عبد الله من عند الخليفة ، سأله احدهم : لماذا لم تخبر الخليفة بمقدار ثروتك ومالك ؟ فأجابه بقوله في يقظة واعية : لأن ما املكه ، لا يعدو ان يكون قليلا فيحقرني ، او كثيرا فيحسدني ..

د ـ واما كتمان العمر والسن الحقيقية :

فهو ما نختم به حديثنا عن الوان الكتمان ..

وكتمان العمر والسن ، مر في ادبنا العربي القديم بالمرحلتين الاتيتين :

مرحلة الصراحة والوضوح في العصر الجاهلي ، عصر البساطة والفطرة ..
ومرحلة الكتمان او التكتم ، تشبثا بالشباب الراحل وبقاياه وروائحه من بعيد او قريب ..

اما المرحلة الاولى : فخير من يمثلها من شعراء العصر الجاهلي ، زهير بن ابي سلمى ، ولبيد بن ربيعة : اما زهير فقد صرح بسنه الحقيقية التي بلغها في الثمانين من عمره قائلا :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا ابالك - يسأم

واما لبيد بن ربيعة ، فقد صارحنا بسنه الحقيقيةمرات لا مرة واحدة - كما صنع زهير -:

أ - فحينما تجاوز العشرين من عمره قال :

كأني - وقد جاوزت عشرين حجة - خلعت بها عن منكبي ردائيا

ب - ولما بلغ سبعة وسبعين عاما ، قال يناجي نفسه في الم بالغ ، وامل متردد :

باتت تشكي الى الموت مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزيدي ثلاثا تبلغي املا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ج - وحينما بلغ امله ببلوغه الثمانين ، قال بيته المشهور بين علماء البلاغة في معرض الحديث عن الاطناب :

ان الثمانين - وبلغتها - قد احوجت سمعي الى ترجمان

د - ولما بلغ التسعين من عمره ، قال مشفقا على نفسه من السهام الزمنية التي تراه من حيث لا يراها وخاصة بعد ان جاوز التسعين :

كأني - وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمي وليس برامي ؟!!
فلو انني ارمي بنبل رأيتها ولكنني ارمي بغير سهام !!

هـ - وتحت وطأة ضربات السهام الخفية على مر الاعوام ، قال - وقد بلغ العام العاشر بعد المائة من عمره المديد - متسائلا في رجاء واشفاق ورضاء :

اليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

و - واخيرا بلغ العام العشرين بعد المائة من عمره . فلم يكلف نفسه عناء التحديد للسنوات الطويلة التي عاشها ، وقد عاش ثلاثة اعمار لا عمرا واحدا واكتفى في هدوء الشيخوخة الواهنة ، بتشبيه نفسه بالطائر ، الذي ذهب كر الاعوام بريشه حتى اعجزه عن الطيران - على حد تعبيره - في ابياته التي يكفينا منها قوله :

ولئن كبرت لقد عمرت كأنني غصن تفيأه الرياح رطيب !!

ز ـ ولما امتد به ارذل العمر الى العام الاربعين بعد المائة ـ كما قال بعضهم ـ او العام الخامس والسبعين بعد المائة ـ كما قال آخرون ـ سئم طول الحياة ، وسؤال الناس ، وقال بيته المشهور المعبر عن معنى المثل العربي القديم : كفى بالسلامة داء ..

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

واما المرحلة الثانية : فهي مرحلة الكتمان او التكتم للسن الحقيقية ، بعد تجاوز مرحلة الشباب ، وما احر ما قاله الشعراء والادباء في البكاء والتحسر على الشباب ، فلا عجب ان قال الاصمعي كلمته المأثورة : « احسن انماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب ، وقد امتد الغرام بكتمان السن الحقيقية الى بعض العلماء والادباء الذين نذكر منهم ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ:

١ ـ الامام ابو بكر الانصاري ، كان ـ على علمه وفضله ـ اذا سأله الناس عن عمره ، اجابهم في ضيق بهم ، ونفور منهم : اقبلوا على شأنكم ، فانه لا ينبغي لاحد ان يخبر الناس عن سنه الحقيقية ، لأنه ان كان صغيرا استحقروه ، وان كان كبيرا استهرموه ، ثم انشد :

لي مدة لا بد بالغها فاذا انقضت وتصرمت مت
لو عاندتني الاسد ضارية ما ضرني ما لم يج الوقت

٢ ـ والاديب الاندلسي المشهور بالمقري الاكبر مؤلف « نفح الطيب » ، كان يقول عن نفسه : كان مولدي بتلمسان ، ووقفت على تاريخ ذلك ، ولكني رأيت كتمانه تأسيا بالسلف الصالح .

٣ ـ وابو الحسن بن مؤمن سأل ابا طاهر السلفي عن سنه فقال للسائل : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا الفتح بن زيان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فأني سألت علي بن محمد بن اللبان عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت حمزة ابن يوسف السهمي عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت ابا بكر المنقري عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت احد أصحاب الشافعي عن سنه فقال : اقبل على شأنك ، فاني سألت مالك بن انس عن سنه ، فقال : اقبل على شأنك ، ليس من المروءة للرجل ان يخبر عن سنه ـ وذلك ما ترونه في « نفح الطيب » للمقري ـ ومنه نرى مدى حرص بعض القدامى من افاضل العلماء والادباء على كتمان اسنانهم الحقيقية .. ولعلنا بعد ذلك نلتمس ـ ولو بعض العذر ـ للانسات والسيدات اللاتي عرف عنهن الحرص البالغ الشديد على كتمان اسنانهن ، وعدم تجاوز الثلاثين بله الاربعين من العمر ـ كائنا ما كان هذا العمر ـ كما فاضت بذلك الفكاهات والامثال والاغاني والازجال والاشعار شرقا وغربا ،

مائدة القارئ

ضيف ابراهيم

قال تعالى : « هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال الا تاكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » الآيات من سورة الذاريات .

قطعا للفتنة

كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأوعدهم فيها وامر بها فقطعت وقال : اراكم ايها الناس رجعتم الى العزى ، الا لا اوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها الا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد .

السياسة

سأل الوليد بن عبدالملك اباه فقال : يا أبت ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

الزوج المناسب

قال رجل للحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ ان لي ابنة فمن ترى ازوجها له ؟

قال : زوجها ممن يتقي الله عز وجل ، فان احبها اكرمها ، وان ابغضها لم يظلمها .

اكرام الضيف وأدب الاسلام

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه » .

اخرجه البخاري

اساس الترشيح

اختار عمر ـ رضي الله عنه ـ للخلافة من بعده واحدا من ستة ـ وجاء ترشيحه لهم [illegible] على اساس ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفي وهو عنهم راض ـ وهؤلاء الستة هم : علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، رضي الله عن الجميع [illegible]

الشورى

قال الشاعر :

تمسك بأهداب المشورة واستعن
بحزم نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي قوة للقوادم

حق الصديق

سئل عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ما حق الصديق على صديقه ؟ قال : لا تشبع ويجوع ، وتلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء .

خصال جهل

قال حكيم : اربع من خصال الجهل :

من غضب على من لا يرضيه ، وجلس الى من لا يدنيه ، وتفاقر الى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه .

الشجاعة في صنع القرار ، والاخلاص للصالح العام ، والحزم في مواجهة التحديات ، والثقة بالنفس ..

مع الاعتزاز بالله .. هي اثمن واعز ما تنطوي عليه جوانح القائد في موقع قيادته ، والرائد في مسار ريادته ، والسيد في سدة خلافته .. وبدونها ينتاب الخور القيادة ، ويصيب الوهن الريادة ، وتعصف رياح الفتن واضطراب الامر باعلام الخلافة والولاية .. لا فرق في ذلك بين عصر عاش فيه الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه بما احاطه من بوادر التفكك والانهيار ، وما الم به من مظاهر النكسة والتصدع .. مما جعل اقوى الصحابة بأسا ، واشدهم مراسا يقف مبهور الانفاس ، مشتت الرأي ، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه .. او عصر مماثل مما تتمحض عنه الحياة الحبلى بكل عجيبة ، الحافلة بكل جديدة غريبة من حوادثها الجلي ، واحداثها العظام .

والمتتبع لمواقف ابي بكر رضي الله عنه منذ اللحظة الاولى التي نودي فيها من مكان شرقي المدينة يقال له « السنح » حيث كان في زيارة احدى زوجتيه في دورتها .. اثر انصرافه من عيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت ، واطمئنانه صباحا عليه بعد ان رآه في اشراقة اخيرة .. لم تلبث ان اعقبتها نوبة الموت ضحى الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة .. وجاءه النذير يحمل اليه النبأ الفاجع الذي جعل عمر يهجر في قوله ويقول : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وليبعثنه الله ، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم » .. وفي رواية اخرى : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما واعده الله كما واعد موسى فمكث عن قومه

اربعين ليلة ..» وهنا تبدو الاصالة والصدق في جوهر الصديق فيعود من فوره الى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها حيث قبض الرسول .. فيدخل رابط الجأش ، قوي الشكيمة .. ويكشف عن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكب عليه مقبلا قائلا :

« بابي انت وامي يا رسول الله .. طبت حيا وميتا ، والله لا يجمع الله عليك الموتتين .. اما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها » ثم خرج الى المسجد ، والناس فيه ينتظرون اي شيء ينقذهم من هذا التردي المفاجىء الذي اصابهم ، بينما كان على الجانب الاخر تتحرك فتنة الدولة والحكم والولاية ، وتنفث من حركتها المريبة حمما ينذر بالشر ، ويلوح بالخطر ..

وسط هذه الدوامة المتلاحقة من الانفعالات الهوجاء ، والتحركات المتعجلة ـ والنفوس الولهى

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

والتساؤلات المتلهفة .. يرقى ابو بكر الصديق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقف في نفس المكان الذي كان يقف فيه القائد والرائد والسيد من قبل ، وكأنه يشير بذلك اشارة حاسمة لا تنقصها الحكمة ولا الجرأة ولا الشجاعة .. الى ان المكان لم يعد شاغرا ، والى ان المقاليد لم تترك في مهب الرياح ، ان هذه الوقفة الخالدة في هذا المكان بالذات وفي ذلك الوقت الذي تقاصرت فيه الهمم ، وزاغت عنه العزائم ، وظللته الهيبة والرهبة من كل اقطاره نجد الصديق ابا بكر يخترق حجاب الهيبة والرهبة ، ويصعد درجات المنبر بقدم ثابتة وعزم اكيد على مواجهة الموقف بأول صوت يضع الامور في نصابها ويعيد المياه الى مجاريها .. فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول : اما بعد ايها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ،

ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم قرأ قوله تعالى : « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** » ال عمران/ ١٤٤ . فكانت هذه الكلمات كأنها طلقات المدافع في عصرنا هذا تنبىء بمقدم امر ذي بال ، او تحمل خبرا له اثره وخطره .. وكانت كطلقات المدافع في قوة اثرها ، وعمق نفوذها ، وتحطيم ما حولها من اوهام وخيالات ، وكانت كطلقات المدافع في غزو القلوب والعقول من جديد ، وفتحها بالنار والحديد لتسلم تسليما مطلقا للعهد الوليد ، والصوت الجهير ، والحقيقة الواقعة .. حتى انه كان من اثرها ان خرج الناس من المسجد وهم يرتلون هذه الاية في استيعاب شامل ، وادراك متجدد ، وكأنهم وهم يرددونها في سكك المدينة ودروبها لم يسمعوها الا في يومهم هذا ، ومن فوق منبرهم هذا .. وحتى كان الآية الكريمة لم تنزل الا ذلك اليوم .

وهكذا تبددت اوهام الناس وخيالاتهم ، وتحددت الحقيقة الوافدة بكل معالمها وجوانبها وابعادها بعد ان تردد كثير من الناس في الاقرار بها والتسليم لها .. الا وهي ان محمدا قد مات .. وكيف لا ؟ .. والصديق ابو بكر قد اعلن ذلك بملء فيه .. ومن اين ؟ من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم **هذه واحدة ..**

والثانية ـ ولعلها أخطرها شأنا وأبعدها أثرا ـ حينما اجتمع الانصار وحدهم في سقيفة بني ساعدة والرسول لا يزال مسجى على فراش الموت لما يدفن ، والناس مأخوذون بهول الفجيعة ، وعظم الكارثة منهم من يقول : ندفنه عند المنبر ، ومنهم من يقول : يدفن بالبقيع ، وابو بكر يضع لهم النقط فوق الحروف بقوله : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه » ادفنوه في موضع فراشه ، فوضع قوله الحاسم حدا للاقاويل ولم يعد هناك من يقول : يدفن في مسجده .. او بين اصحابه .. في هذا الوقت بالذات انعقد مؤتمر في غاية الاهمية والخطورة ضم قيادات الانصار واعلامهم ، وخطباءهم وذوي الرأي والمشورة فيهم ولكنهم لا يدرون ماذا يفعلون ، وعلى اي رأي يسيرون ، وعلم المهاجرون بتجمعهم فقال قائلهم : نرسل اليهم يأتوننا .. ولكن ابا بكر قال : بل نمشي اليهم .. وانقاد المهاجرون لمشورة الصديق ، وساروا اليهم وفيهم عمر وابو عبيدة .. وهنا ثار الجدل ، وتقارعت الاراء ، فقال : بعض الانصار : « منا امير ومنكم امير » وكان هذا رأي الحباب بن المنذر الذي يترجم به عن الاتجاه الغالب في رأي الانصار بقيادة رئيسهم سعد بن عبادة .. ويدعم هذا الرأي ما وقر في نفوسهم ان الامر لهم ـ او هكذا ينبغي ان يكون ـ لأن البلد بلدهم والمهاجرين كالضيوف عليهم ، ولأن اهل المدينة انصار الله ، وكتيبة الاسلام .. اما قريش فقد سبق لهم في ذلك الامر سابقة ، ولا يستساغ ان

يستأثروا بالامر من دون الانصار ولذلك وصف الحباب بن المنذر نفسه قبل ان يدلي برأيه فقال : « انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » ولكن رأيا اخر من جانب المهاجرين رد عليه بقوله : « هذا والله اول الوهن » .. وفي زاوية اخرى نرى رجلين من الانصار لا يعجبهما كلام الحباب وهما : عويم ابن ساعدة الاوسي ومعن بن عدي حليف الانصار ، ويشيران على قومهما بترك الامر كله للمهاجرين .. بينما كان بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير .. يتواطأ مع عمر على مبايعة ابي بكر .. ووسط هذه اللجة المتلاطمة الامواج العاجة العجاج جاء الدور التاريخي لابي بكر الرائد والسيد والقائد ، فيقف وقفة كلها صراحة وشجاعة وحزم ، ويرتجل خطابا بليغا اكثر فيه من الكلام المدعم بالدليل ، والمنطق المؤيد بالبرهان وجاء فيه : « نحن الامراء وانتم الوزراء .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الائمة من قريش » .. كما قال : « اوصيكم بالانصار خيرا : ان تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم » ، ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين وقد امركم ان تكونوا معنا حيثما كنا فقال : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » التوبة/ ١١٩ وهو بذلك يشير الى قول الله تعالى : « **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » الحشر٨/ ٩ ومما جاء في خطبته ايضا : « لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادي الانصار » .. ولقد علمت يا سعد - مخاطبا سعد بن عبادة رئيسهم - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانت قاعد : « قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » رواه احمد فرد عليه سعد : صدقت نحن الوزراء وانتم الامراء » وما هو الا ان فرغ ابو بكر من خطبته التي انبعثت من صميم ايمانه ، وعميق وجدانه ، وشعوره الصادق بسلامة الرؤية ، ورجاحة الفكرة ، حتى عملت كلماته في النفوس عمل السحر ، ونزلت بردا وسلاما على اتون الانفعالات المتأججة ، والمشاعر الملتهبة فأحالتها الى روح وريحان ، وتسليم واذعان ، وانفض خطر المجالس واهمها ، واعقد المؤتمرات واكثرها حساسية والناس لا يكادون يصدقون ما حدث بعد ان أسلس الجميع قيادهم ، ووضعوا ازمة امورهم بيد الصديق ابي بكر خليفة الرسول الاول ، وزعيم الوحدة الاسلامية الامثل ..

أما الموقف **الثالث** فذلك حين ارتد

كثير من العرب من حول المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلت وفود القبائل تقدم المدينة فتقر بالصلاة وتجحد اداء الزكاة بعد وفاة الرسول .. قال ابن كثير : « .. ومنهم من احتج بقوله تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم** » التوبة/١٠٣ ولسنا ندفع الزكاة الا الى من صلاته سكن لنا .. اما وقد مات فلا صلاة له علينا ولا زكاة منا لغيره .. وكثر الكلام حول هذه الشبهة الزائفة .. ويبدو ان الامر كان قد استفحل شره ، وادلهم خطره وان الجزيرة العربية قد خرجت من يد الخليفة الجديد او كادت ، وأن داء الشرك وضلالات الجاهلية قد عاودت الظهور او رامت ، حتى ان ابا بكر لما انفذ جيش اسامة الذي اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم في اخريات ايامه بانفاذه اعترض عليه البعض ومنهم عمر الذي قال له : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ، ولكن ابا بكر يرد عليه : « لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وكان عدد هذا الجيش سبعمائة حين اصدر اليهم الرسول قبل وفاته امرا بالمسير الى البلقاء (شرق الاردن حاليا) حيث قتل زيد ابن حارثة وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة في موقعة « مؤته » من قبل .. ولقد صدق ما توقعه ابو بكر من وجه الحكمة في انفاذ هذا الجيش .. اذ انه في مسيرته التاريخية الى حيث امره الرسول. واقره ابو بكر سجل انتصارات مرئية وغير مرئية : اما المرئية فحين انتصر في قتاله مع الروم وألحق بهم الهزيمة ، ورجع الجيش سالما مظفرا ، واما غير المرئية : فلأنه كان لا يمر على قبيلة تراودها الرغبة في الردة الا قالوا : « لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل اولئك من عندهم » ...، فلما عاد الجيش مكللا بالنصر ثاب كثير من القبائل الى رشدها .

وهنا يلمع دور ابى بكر التاريخي في مقاومة القبائل المرتدة ، فقد وقف وقفة الاسد الهصور وحده تقريبا وكان كثير من الصحابة ومنهم عمر يحاول ان يثنيه عن عزمه في محاربتهم طالبين منه الصبر والملاينة مرة ، والاحتكام الى ظواهر النصوص مرة اخرى ، ولكنه رضي الله عنه كان كالصخرة الصماء التي تتكسر على صلابتها ورسوخها الامواج العاتية ، وتتناثر على سفحها حباتها متفتتة سرعان ما تعود ادراجها .. قال له عمر وغيره : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم ، وقال له غيره : اتركهم وما هم عليه من منع الزكاة وتألفهم حتى يثوبوا من ردتهم ، ويتمكن الايمان من قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون .. ولكن رده رضي الله عنه كان واحدا مع الجميع وهو : والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .. والله لاقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة .. حتى قال له عمر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

ولكنه رد عليه بقوله : « ان الزكاة حق المال » فقال قائل : ومع من تقاتلهم ؟ فقال : الصديق : « وحدي حتى تنفرد سالفتي » والسالفة هي جانب العنق ولا تنفرد الا بالقتل .. قال عمر : فما هو الا ان شرح الله صدر ابى بكر للقتال ورأيت ذلك حتى عرفت انه الحق . ولم يكتف ابو بكر في هذا المقام بالقول يردده ، ولا بالعبارة والحجة يفحم بها ، ولكنه شفع ذلك بتعيين الامراء لقيادة الجند ، والعمال لجباية الزكاة ، وممن عينهم من القواد : ابو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد ، ويزيد ابن ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل ، والمهاجر بن ابي امية ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وسهيل بن عمرو ، والقعقاع بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، والعلاء بن الحضرمي ، والمثنى بن حارثة ، وحذيفة بن محصن .. ومن العمال : عتاب بن اسيد ، وعثمان بن العاص ، وزياد بن لبيد ، وابو موسى الاشعري ، ومعاذ بن جبل ، ويعلي بن منبه وغيرهم ولعلنا ندرك حجم الكارثة التي حلت بالاسلام من كثرة هؤلاء القواد والولاة مما يدل على ان المسألة لم تكن معالجة قبيلة او قبائل .. بل ان موجة الردة قد غطت الجزيرة تقريبا حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشربت النفاق والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حسن في ليلة مطيرة بأرض مسبعة فوالله ما اختلفوا في نقطة الا طار ابي بخطلها وعنانها وفصلها ».

رضي الله عنك يا ام المؤمنين .. اذا كنت ـ وانت بعيدة عن موقع المسئولية القيادية والريادية ـ قد اصابك ما لا تحتمله الجبال الشم .. فكيف بحال ابيك الرائد والقائد والسيد وهو يحمل العبء كله على كتفه وحده ، ويتدارك الأمة في هذا المنحنى الخطر في مسيرتها الرائدة .. وكيف وعمر بقوته وصلابته يدعوه الى المسالمة باللين مرة وبالاثار المروية مرة ويصور له الموقف تصويرا رهيبا حين يظهره انه وحده بلا مقاتل .. وابوك هو ابوك الذي صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم في اخطر رحلاته واستبرأ له الغار في احلك ظلماته .. ويأبى الله الا أن يصحب الاسلام مرة اخرى في ادق اوقاته ،

واحرج مواقفه فيخرج منها كما خرج مع صاحبه من الغار محفوفا برعاية الله وعنايته ، مؤيدا بجند الله وحمايته .. ويروي لنا التاريخ ان العرب قد عادوا الى حظيرة الاسلام صاغرين او راضين ... فأدوا العناق او العقال الذي كانوا يؤدونه للرسول صلى الله عليه وسلم لخليفته بعد ان قاتلهم السيد الرائد القائد .

الكتب السماوية

للدكتور/ابراهيم علي أبو الخشب

الذي يحار فيه الفهم ، ولا يمكن أن يدركه العقل ، في حين أنه يثير الدهش والغرابة ، والحيرة والارتباك . أن الكتب السماوية - السابقة - التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله من قبل قد صارت في ذمة التاريخ لا يعرف الناس منها غير أسمائها ، فاذا ما أرادوا أن يقفوا على مسمياتها كانوا يحاولون العبث ، أو يطلبون ما لا يمكن ادراكه ولولا أن القرآن الكريم جاء في ثناياه ذكر بعض منها كالزبور والتوراة والانجيل ماكانت هذه المسميات تجول بخاطرنا ، أو يجري ذكرها على ألسنتنا ، وحين يقول القائلون ان هذه الكتب كثيرا ما يردد الناس اسمها مقترنا بأسماء أولئك الذين هذبوها أو شرحوها أو نقلوها الى العربية بعد العبرية أو السريانية - كما قيل في انجيل متى أو لوقا أو برنابا مثلا - كان السؤال الذي يلح على السامع هو أين هو هذا الأصل لتلك الكتب الذي كان بين يدي هؤلاء وهم يهذبون أو يشرحون أو ينقلون الى العربية ، ومع الايمان بأن هذه الكتب كانت همزة

الوصل بين الله وبين عباده ، حملها اليهم أنبياؤه ورسله . وفيها هدايته لهم ونوره فيهم ، وبره بهم ، وارشاده اياهم ، الا أننا لا نشك في أن مهمتها كانت محدودة ، وأن هذه الرسالات مهما قيل في دورها الذي أدته - أو كانت - تؤديه للانسانية . كانت خطوات ، تنتهي الأولى منها لتجيء الثانية لتخلفها الثالثة . وهكذا دواليك ، وكل كتاب من هذه نهايته بداية الذي يليه ولم يكن فيه من الحصانة ما يضمن له البقاء ، أو يحول بينه وبين عبث العابثين به ، أو المتطاولين عليه ، والعبث والتطاول من الأمور المحتملة من غير شك ، وقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للمهاترة أن ذلك كله قد حدث لهذه الكتب التي لم يكن فيها من الحصانة ما يضمن لها السلامة من عدوان المعتدين ، وعبث العابثين ، كما أخبر القرآن الكريم أنهم جعلوا منها قراطيس يظهرون منها ما يريدون

اظهاره ، أو يخفون منها ما يريدون اخفاءه ـ كذلك ـ اذا كانت مصلحتهم تقتضي هذا أو ذاك ، ثم انتهى ذلك بالصراع الذي أجمله القرآن بقول اليهود عن النصارى أنهم ليسوا على شيء ، وقول النصارى عن اليهود مثل هذا القول في حين أن هؤلاء وهؤلاء عطلوا فيما بينهم العمل بكتابهم : **(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** المائدة/٦٦ .. ويظهر من سياق الآيات في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن كل رسول لاحق كان يعنى كل العناية بتوطيد دعائم كتاب الرسول السابق ، ولهذا تقول الآية الكريمة عن عيسى عليه السلام : **(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)** المائدة/٤٦ .. وتقول الآية الأخرى عن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** المائدة/٤٨ . وكأنما كان ذلك تمهيدا لاستجابة أهل هذا الكتاب السابق لأنهم اذا علموا أن هذه الدعوة الجديدة لم تكن غريبة عليهم ، ولا بعيدة عنهم وانها امتداد لمسيرتهم التي ابتدأها رسولهم لم يترددوا في الايمان بها ، والتصديق لصاحبها ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف أن الأنبياء أبناء علات ، وفي القرآن الكريم يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم : **(ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)** فصلت/٤٣ . **(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه)** الأنعام/٩٢ . وما من كتاب من هذه كلها الا كان هكذا مصدقا الذي بين يديه ، لأن الرسالات السماوية على اختلاف الأزمان والأشخاص كانت دعوة الى إفراد الله بالخلق والرزق ، والحياة والموت ، وتدبير الأمور ، وقضاء الأشياء وانه لا يزاحمه جبار ، ولا يغالبه قوى ، ولا يخرج على ارادته مسلط . والذي يدلنا دلالة لا ريب فيها أن مهمة هؤلاء الرسل لا تختلف اختلافا يجعلها متباينة أو متعارضة ، ما يفيده حديثه صلى الله عليه وسلم من أن مثل ما جاء به هو والأنبياء من قبله مثل رجل بنى بيتا كان موضع اعجاب الناس واكبارهم لا ينقصه الا فراغ كان من تمامه أن تتحيزه لبنة في ذلك البناء ، لهذا كانوا يرون أنه لو جعلت اللبنة في هذا الفراغ لتكامل حسنه ، وتم بناؤه ويقول في نهاية الحديث ، فأنا اللبنة من هذا البناء غير أنه لا نبي بعدي ، وهو واضح في أن وظيفة هؤلاء الدعاة كانت منحصرة في توجيه الخلق الى عبودية الخالق لا أكثر ولا أقل : **(أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** الشورى/١٣ ، الا أن هذه الفرقة التي حدثت كانت مثار نقاش بين أهل

الفكر وأصحاب الرأي ، ودهاقين النظر ، هل كان ذلك من الكتب التي تعددت أسماؤها ومسمياتها ، أو كان من الدعاة وقد حامت حولهم شبهة العبث والتغيير أو كان من الاجتهاد في الفهم ، والاجتهاد ميدان واسع تضل فيه الأفكار ، وتختلف فيه الأفهام ، وقبل أن يتشعب الحديث نبادر الى القول بأنه لا اجتهاد مع النص ـ كما يقول علماء الأصول ـ والعيب كله كامن في أولئك الذين زعموا أنهم قوامون على هذه الكتب ـ ولا كتب ـ ويقول المرحوم الاستاذ سيد قطب في كتابه « المستقبل للاسلام » : « لقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة لتكون منهجا لحياة بني اسرائيل . كما جاء كل دين قبلها ليكون منهج حياة لمن جاءهم ، وجاء عيسى عليه السلام بالانجيل ليكون المنهج المعدل لبني اسرائيل . ولكن اليهود لم يقبلوا رسالة المسيح . ومن ثم قاوموه وقاوموا دعوته . وانتهى بهم الأمر الى اغراء « بيلاطس » الحاكم الروماني على أرض الشام يومئذ بمحاولة قتله لولا أن توفاه الله ورفعه اليه ، وأيا ما كان الأمر فقد سارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى عليه السلام مسيرتها البائسة . فبذرت بذور الحقد على اليهود في نفوس الذين صاروا نصارى ، كما بذرت بذور الكره في نفوس اليهود على هؤلاء ، وانتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود ، وانفصال النصرانية كما صاغتها الكنيسة والمجامع المقدسة عن اليهودية ـ كما صاغها أحبار بني اسرائيل مع أن ما جاء به عيسى في الأصل كان تكملة لما جاء به موسى عليه السلام . ولما وقعت الجفوة بين أتباع عيسى عليه السلام واليهود ، انفصل كتابهم الذي يسمونه العهد الجديد عن كتاب اليهود الذي يسمونه العهد القديم ، وبذلك لم يعد للنصرانية بعد هذا الانفصال شريعة مفصلة تنظم الحياة .. غير أن الذي حدث هو أن عهدا طويلا من الاضطهاد الفظيع قد أظل أتباع عيسى عليه السلام سواء جاء هذا الاضطهاد من اليهود المنكرين لما جاء به المسيح أو من الرومان الوثنيين الذين يحكمونهم ، وهنالك اضطر تلاميذ المسيح وأتباعهم الى التخفي والتنقل والعمل سرا فترة طويلة ضاعت فيها نصوص الانجيل الذي أنزله الله على عيسى . وحينئذ كان الاعتماد على تلاميذه الذين يختلفون في الرواية عنه .. وقد كتب أقدم هذه الأناجيل بعد المسيح بجيل كامل ، ويختلف المؤرخون للنصرانية اختلافا كبيرا في هذه المدة ما بين أربعين أو نيف وستين سنة ، كما يختلفون في اللغة التي كتب بها . اذ لم يوجد له أصل ، وانما وجدت الترجمة فقط .

ولقد كان من نصيب « بولس » الذي لم ير المسيح عليه السلام أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا مطعمة بما رسب في تصوراته من الوثنية الرومانية والفلسفة الاغريقية وكانت الكارثة العظمى في دخول الامبراطور الروماني « قسطنطين » في النصرانية فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم

يتقيد بأوامر الكنيسة الا قليلا في أواخر عمره ، واذا كانت الجماعة النصرانية قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ، ولكنها لم تقطع دابر الوثنية ، وكان من نتائج كفاحها واختلاط مبادئها أن نشأ دين جديد من النصرانية والوثنية ، وابتدأت بعد ذلك صراعات في المسيحية لا نهاية لها ، كان منها تيار الرهبانية العاتية التي كانت أشأم على البشرية من بهيمية الرومان وتحللها ، اذ اكتشف الناس أن حياة رجال الكنيسة تعج بالفواحش في أشد صورها .. ولا نريد أن نسترسل معك في حديث سيد قطب الذي يعتمد فيه كل الاعتماد على كتاب « محاضرات في النصرانية » للعالم الاسلامي الكبير « أبي زهرة » ، وانما أردنا ـ فقط ـ أن نذكر لك أن هذه الكتب السماوية لم تعد لها قداستها واحترامها ، والثقة فيها ، والاطمئنان اليها ، بعد هذا الذي أصابها من أهلها ، ومن عوادي الزمن كذلك ، واذا كنا قد قلنا من قبل إن أصولها غير موجودة حتى في المتاحف الأثرية التي تحرص على الاحتفاظ بالأشياء النادرة . فان أخانا سيد قطب ـ وأبا زهرة ـ يشاركنا في هذا الرأي ، الا أننا نزيد على ذلك أن عوامل الضياع ـ أو الفناء ـ لهذه الكتب كانت موفورة تتمثل في أكثر من سبب واحد ، فالى جانب الصراع بين أهل العهد القديم وأهل العهد الجديد ، أولئك الذين دونوا هذه الكتب على بعد مسافة التاريخ أو قربها ، ثم أولئك الذين اخترعوا من الكهنوت أو غيره أشياء لا أصل لها . وترتب على ذلك كله ثورات كانت باسم الاصلاح الديني حينا أو باسم آخر حينا ثانيا وهكذا توجد علة عدم الثقة التاريخية وعلة العلل في ذلك الحلقة المفقودة التي لا يستطيع أحد أن يعثر عليها وهي اللغة التي كانت بها هذه الكتب ، على أن هذه اللغة التي كانت بها هذه الكتب لا تفيدنا ولا تفيد هذه الكتب شيئا ، وانما يفيدها ان يكون في هذه اللغة من الحصانة ما يحول بينها وبين العدوان عليها ، كما كان الحال في القرآن الكريم الذي لاقى من الاحن والصراعات والحروب ما لا يذكر في جانبه هذا الذي صادف هذه الكتب ونحن نعلم أنه قوبل بالعداوة والصد والاعراض والخصومة ، والكراهية والبغض والتحدي والتكذيب وكان ذلك منذ أول يوم ابتدأ فيه نزول جبريل عليه السلام ببعض آياته على محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا الذي وصل فيه التاريخ الى أربعة عشر قرنا ومع ذلك يزداد تمكينا في الأرض ، ودويا في الآذان ، وروعة في القلوب ، وسحرا في البيان ، واعجازا في البلاغة واصلاحا للنفوس ، وتقويما للطباع ، وخلودا على الدهر ، وتحديا للمتطاولين ، وتسفيها للمكذبين لأنه كتاب البشرية وقانون الانسانية ، ودستور الحياة ، وهداية السماء ، وحديث الخالق الى المخلوقين ولا يستطيع أحد أن يسكت صوته تبارك وتعالى وهو ينادي في القلوب والأفئدة : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/ ٩ .

المتقون

والبصيرة الكاشفة

للدكتور / محمود محمد عماره

يتميز المتقون من الناس كما يتميز الماس من الفحم . وهما من أصل واحد ! ان فص الماس يتحمل الضغط العالي .. وكلما صببت عليه النار .. ردها اليك نورا ..

أما الفحم : فهو الفحم دائما : ظلمات بعضها فوق بعض .

وعلى كثرة ما تحمل الأرض من ألوان البشر .. فان جماهير غفيرة تمضي على وجوهها .. مدفوعة بغرائز الأنانية .. محكومة بمنطق المنفعة :

خلقوا .. وما خلقوا لمكرمة
فكأنهم خلقوا .. وما خلقوا
رزقوا .. وما رزقوا سماح يد
فكأنهم رزقوا .. وما رزقوا !

ومن دون هؤلاء جميعا يمضي المتقون على سواء الصراط : هداة الى الحق .. دعاة الى الخير .. وكأنما أقامهم الحق سبحانه حجة على الناس ـ ليفتحوا أبصارهم على نماذج منهم .. يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مثلهم .. لكنهم عاشوا فوق مستوى المنفعة ..

وحين نزعتهم من الدنيا نوازغ الشهوات .. تخطوا الحواجز النفسية .. واتخذوا الحق والخير سبيلا ..

يقول الحق سبحانه :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران/ ١٤ .

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آل عمران/ ١٥ .

فالحياة بكل ما فيها من صور المتاع مبسوطة أمام كل الناس .. حتى المتقين منهم .. والقدرة على الاستمتاع بهذه الطيبات قاسم مشترك بين الناس جميعا .. وعندما يقف أكثر الناس بوجودهم في السفح .. وعند مستوى المتعة الحسية بنسائهم .. وأولادهم .. وأرضهم .. فان المتقين على ما فيهم من غرائز الجنس .. والأبوة .. والتملك ـ مثلهم ـ الا أن الحياة تبدو في أعينهم في حجمها الطبيعي

وهذه الشهوات .. كما تشير الآيات : « متاع » ـ محدود القيمة .. سريع الزوال . ثم هو « متاع الحياة الدنيا » .. لا يشكل هدفا بعيدا .. تشد اليه الرحال .. ويشقى من أجله الرجال ! ويفتح السياق القرآني هنا أبصار الصفوة على أفق أعلى .. ليتذوقوا النعمة الحقيقية من وراء ذلك كله :

(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) ان المتقين يحبون النساء .. ولكن قصد الاعفاف . وكثرة الأولاد .. ويحبون الخيل المسومة .. اعدادا للمعركة الفاصلة بين الحق والباطل ..وأولادهم متعة الحس والنفس .. بيد أنهم لا يتحولون الى فتنة تلهي عن مطالب الايمان .. ان الشعور بجمال الحياة مطلب في منهج التقوى .. جمال الحياة .. في ظاهرها وباطنها على سواء .

ومعنى ذلك أن التقوى تمنح أربابها حسا بصيرا بعواقب الأمور .. ينفذون به من الشكل الى الموضوع .. من القشرة الى اللب .. ايثارا للباقي على الفاني .. وضننا بطاقات النفس أن تطير شعاعا على موائد الترف والمجون . وفي الوقت الذي يتقلب فيه المترفون بين أعطاف النعيم .. وحينما يدلون بما يملكون من مال وسلطة .. وعندما يخرجون على الناس في زينتهم .. بما لها من بريق خداع .. فان المتقين لا يتخلون عن دورهم أبدا .. ولا تثنيهم المظاهر البراقة عن المضي الى حيث ترمي الهمة فيهم ..

بعيدا .. على طريق الكمال الانساني : **(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار)** آل عمران/ ١٩٦ ـ ١٩٨ .

واذا أحسن المتقون استقبال النعيم الدنيوي .. فكان في حسابهم معراجا الى أفق أعلى .. فان ملكاتهم النفسية والعقلية تحسن أيضا استقبال واردات الهداية : تقرأ .. وتفهم .. وتوازن .. ثم تختار ..

ان القرآن الكريم معروض أمام كل الناس .. لكن الكثرة الكاثرة لا يأخذون منه الا كما تأخذ هبة النسيم العابرة من الروض الناضر .. أما المتقون .. فهم وحدهم المنتفعون به .. الذين يملأون صدورهم من عبقه .. وقلوبهم من حقائقه : **(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)** البقرة/ ٢ .

وعندما تختلط السبل أمام السالكين .. فيشتجر الخلاف .. ويغيم الجو .. ويختلط الحق بالباطل .. وتحتوي الناس حيرة قاتلة .. تصبح التقوى حينئذ طوق النجاة ـ وفرقانا يميز به المتقي الخبيث من الطيب . والباطل من الحق :

(يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) الانفال/ ٢٩ . ان القلب الموصول بالحق لا يخطيء الحق أبدا .. وما أعظم الفضل حينئذ : فبينما يضيع العصاة أوقاتهم ويبددون طاقاتهم في محاولات الخروج من فتنة الحيرة ..

فان طاقات المتقين وأوقاتهم مرصودة لبناء طوابق عليا .. فوق الأساس السليم بما منحهم الله تعالى من بصيرة يكشفون بها معالم الطريق .. وحتى في لحظات الخطر المحدق .. فانهم يبصرون سنن الله في النصر والهزيمة فلا يبطرون في الأولى .. ولا ييأسون في الثانية : **(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** آل عمران/ ١٣٧و١٣٨ . .

وهذه السنن الالهية الماضية في الاجتماع البشري واضحة كالشمس .. تملأ العيون وتدركها العقول . ولكن بعض الناس لا يرى الشمس .. حتى في الضحوة الكبرى .. واذا رآها .. فكأنها شيء لا يعنيه !

وينفرد المتقون بالرؤية الواضحة لحقائق الكون والحياة : انهم يفتحون كل منافذ الحس فيهم .. فاذا هم على الحق سائرون .. يجددون بالعمل ما بلي من قيم .. ويمسحون بالتوبة ما يعلق بهم من غبار الطريق .. انهم ليسوا « آلات تصوير » .. ازاء ما يشاهدون ويحسون .. وانما هم أجهزة استقبال لو أرادت الهداية .. تعطيهم الآيات أسرارها لتصبح في كياناتهم لا مجرد معرفة نظرية وانما

(هدى وموعظة) تستجيش قلب الانسان وعقله ليقبل بكيانه كله على أمر الله تعالى .

وفي غمرة الاندفاع في معركة الحياة تكون للمتقين مع الشيطان جولات .. قد يحقق فيها الشيطان نصرا ولكنه النصر الجزئي المؤقت .. والذي يصحو المتقون فور حدوثه على صوت النذير آتيا من أعماقهم .. والذي لا يغيب أبدا على ما يقول سبحانه : (**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الأعراف/٢٠١ وتطالعنا الآية الكريمة بأمور :

١ ـ الذين صارت لهم التقوى ملكة راسخة .. لن يكونوا بمفازة من الشيطان أبدا .. ويمكن لديه أن تناوشهم لحظة ..

٢ ـ وأن هجمة الشيطان على حمى المتقي تنحسر في النهاية عن مس خاطف واجف .. لا يحدث في بنائهم صدعا .. ولا في قلوبهم وهما .. ولا في بصيرتهم غيما .

٣ ـ وان حساسية قلوبهم تجاه المعصية تجعل رد الفعل صحوة كبرى يخنس لها الشيطان بعيدا ..

٤ ـ وهذا الضمير الصاحي لا يغيب أبدا كما يفيد التعبير القرآني : (**فاذا هم مبصرون**) .

وكيف ؟! :

اذا ضاعت ساعتك .. ثم بحثت عنها فوجدتها .. فمعنى ذلك أنها غابت عنك زمنا .. ثم ردها البحث اليك . أما اذا تفقدت ساعتك التي ظننتها قد ضاعت فاذا هي في يدك .. فمعنى ذلك أنها لم تغب .. ولكن الغفلة أذهلتك عنها ! فاذا قال الحق تبارك وتعالى : (**فاذا هم مبصرون** ..) أي : اذا هم على العهد مبصرون .. لم يحرموا وهج البصيرة لحظة من زمان .. مهما وسوس الشيطان ! في الوقت الذي يظل اخوان الشيطان من الغاوين في غمرة لا تنجلي من الضلال ..

أما الذين اتقوا فمس الشيطان لهم على ما عرفت ـ مثل سحابة الصيف . أو عارض الطيف سرعان ما ينجلي باذن الله .. « بل اننا اذا أمعنا النظر في حكمة ابتلاء المؤمنين بهذه الزلازل السطحية . وجدنا فيها كثيرا من الذكرى والتبصرة : فانما يريد الله بها أن يصهر قلوبهم بنار الخوف على ايمانهم . ليزدادوا حرصا عليه والتجاء الى الله في حفظه .

اذ من ذا الذي يرى اللصوص يطوفون حول حصنه ، ويطوقون بابه ثم يأمن أن يلجوه أو يظهروه أو يستطيعوا له نقبا ؟ فكذلك المؤمن : اذا مسه طائف من لصوص الشياطين أوجس منهم خيفة أن يتسوروا محراب قلبه ، وأن يسرقوا منه أنفس ما فيه ، وهو جوهرة ايمانه ، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ولأن الله الذي أقدر هؤلاء الشياطين على الوصول الى باب الحصن قادر على أن يفتح لهم ويمكنهم منه » .

ومن هنا يظل المسلم على حذر .. وعلى أهبة الاستعداد دائما ليرد كيد الشيطان .. فلا ينام عن قلبه .. عن عقله .. ليظل آمنا من عبث الذئاب .

النظرة الاسلامية

تمهيد :

الحديث في هذا الموضوع جد شيق وذو اهمية بالغة ووزن عظيم في عالم الاقتصاد ، فهو من اساسيات التعامل في السوق ، فلا تعقد الصفقات ، ولا تكتب العقود ويتم البيع الا بعد الاتفاق عليه ، ويؤثر تأثيرا كبيرا في الطلب على السلع والخدمات بما ينعكس على العرض ايضا بعد ذلك ، وحديثا ظهرت له النظريات والطرق والسياسات ، واهتم به علماء الاقتصاد والادارة والمحاسبة غاية الاهتمام ، فدائما ما ينطوي التسعير على عدة اسئلة هامة واساسية الى حد كبير منها :ـ

- ما هو السعر الذي يجب تحديده للسلعة المعينة ؟
- ما هي العناصر التي يجب اخذها في الاعتبار الى جانب الاعتبارات المالية عند تحديد السعر المناسب ؟
- متى يجب اجراء تعديلات في السعر ؟
- كيف يتم استخدام التسعير كادارة استراتيجية لتحقيق التجانس مع

لتسعير المنتجات

للاستاذ
عبد الفتاح
عبد الحميد
المغربي

الاستراتيجيات الاخرى وزيادة الدخل وحجم المبيعات ورضاء المستهلكين ؟
- كيف تستجيب الشركة لاستراتيجيات وسياسات تسعير المنافسين ؟
- كيف تتجنب الشركة السياسات السعرية الانتقامية التي قد يتبعها المنافسون ؟

فهل اعطت الشريعة الاسلامية للتسعير هذا الاهتمام او تركته بلا رعاية او تنظيم ؟

للاجابة على هذه الأسئلة ، وفي غضون ما ظهر حديثا من سياسات وطرق سنتناول هذا الموضوع من النواحي التالية :-

(١) ما هو التسعير ؟
(٢) نظريات التسعير في الاسلام .
(٣) وجوب التسعير عند الضرورة .
(٤) سياسة التسعير الاسلامي .
(٥) مبادىء التسعير وقواعده .
(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة .
- العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير .

- استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب
- بعض السياسات السعرية الحاليةوموقف الاسلام منها .
(٧) خاتمة .

(١) ما هو التسعير :

« يعني التسعير وضع ثمن محدد للسلع التي يراد بيعها بحيث لا يظلم المالك ولا يرهق المشتري ».

ويحتوي هذا التعريف على عناصر جوهرية هي :
- تحديد السعر العادل واعلانه .
- السلع القابلة للتسعير هي تلك السلع القابلة للبيع .
- مراعاة الا يقع الظلم على البائع .
- مراعاة الا يرهق المشتري .

(٢) نظريات التسعير في الاسلام :

يمكننا بالنظرة الفاحصة والاستقراء الكامل لما كتبه العلماء والباحثون حول موضوع التسعير الوصول الى نظريتين اساسيتين هما :
الاولى : نظرية تحريم التسعير .
الثانية : نظرية جواز التسعير .

وبالقاء الضوء على بعض الاسس والقواعد التي تقوم عليها كل نظرية من النظريتين السابقتين نجد ان :
١ ـ نظرية تحريم التسعير : وتكون هذه النظرية واجبة التطبيق اذا تضمن التسعير ظلم الناس واكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه او منعهم مما اباحه الله لهم .

ويستند انصار هذه النظرية على عدة مبررات منها :
أ ـ الحديث الذي رواه أنس بن مالك ، قال : « غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لو سعرت لنا ، فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لارجو ان القى الله ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال » رواه ابو داوود والترمذي .
ب ـ ما قاله الشوكاني :

« ان الناس مسلطون على اموالهم والتسعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن اولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن ، واذا تقابل الامران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لانفسهم ، والزام صاحب السلعة ان يبيع بما لا يرضى به ، مناف لقوله تعالى :

(الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) النساء/ ٢٩ .

جـ ـ يؤدي التسعير الى اختفاء السلع بما يؤدي بدوره الى ارتفاع اسعارها الذي يضر بالفقراء من الناس فلا يستطيعون شراءها ، بينما يشتريها الاغنياء من السوق الخفية « السوداء » بغبن فاحش فيقع كل منهما في الضيق والحرج ولا تتحقق لهما المصلحة .

د ـ ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه مر بحاطب بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب ، فسأله عن سعرهما ، فسعر له مدين لكل درهم ، فقال له عمر حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا وهم يعتبرون سعرك فاما ان ترفع السعر واما ان تدخل زبيبك الى البيت فتبيعه كيف شئت . فلما رجع عمر حاسب نفسه ، ثم اتى حاطبا في داره فقال :

« ان الذي قلت لك ليس بمعرفة منى ولا قضاء ، وانما هو شيء اردت به الخير لاهل البلد ، فحيث شئت فبع ».

هـ ـ ما قاله الله سبحانه وتعالى في سورة النساء : **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما)** النساء/ ٢٩ .

وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الاية :

ان الله ينهي عباده المؤمنين عن ان يأكلوا اموال بعضهم بعضا بالباطل اي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كالربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل . وقال مجاهد « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » بيعا او عطاء احد احدا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما البيع عن تراض » رواه ابن ماجة . ومن تمام الرضى اثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ».

و ـ حديث العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل أدعو الله .

ثم جاءه رجل ، فقال :

ـ يا رسول الله سعر لنا ، فقال : بل الله يرفع ويخفض ، واني لارجو ان القى الله وليس لاحد عندي مظلمة » رواه ابو داود .

ولذا يستدل من الحديث ان اجبار الناس على ذلك ظلم لهم .

ز ـ رفض ابن حزم التسعير ، وكذلك ابن الاثير في كتابه النهاية ، وكذلك فهو محرم عند ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من الفقهاء .

ح ـ لو أبيح التسعير بنص صريح ، فقد يتيح ذلك لبعض الاشرار او الجهال من الحكام تقييد حرية التجارة في غير محل ، وذلك يخنقها بالتسعير في غير ضرورة مما قد يؤدي مثلا الى رأسمالية الدولة ، والدولة اذا تحكمت في شيء ظهر اشد انواع الاحتكار خطورة ، ولكن النبي ذكرنا بحساب الله في هذه المسألة وحثنا على تقوى

الله وخشيته .

٢ ـ نظرية جواز التسعير :

يستند انصار هذه النظرية اساسا الى نقص جوهري في فهم اولئك الذين حرموا التسعير لحديث الرسول حينما قال « ان الله هو المسعر » فالحديث لم ينه عن التسعير ولم يحرمه فالرسول الكريم لم يقل : « لا تسعروا » او « لا يحل لكم التسعير » وانما قال : « ان الله هو القابض الباسط » ، وقال « ادعو الله ».

أ ـ ويعني هذا ان الله سبحانه وتعالى يقبض ويبسط وبيده الامداد والعطاء ،كذلك الامساك والاخذ ، ولذا فهو المسيطر على النعم كلها يهبها لمن يشاء ومتى شاء واينما شاء بقدر منه وبرحمة منه وعدل ، ولو شاء لفاض بها على الناس جميعا في بقاع الارض كلها .

وفي مقابل تلك النعم والافاضة بها فقد زجر الله سبحانه وتعالى ونهى عن اكل مال الغير او نهبه او مجرد النظر اليه بنهم . فهو سبحانه يقول :

« **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**)ويقول ايضا : (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**) طه/ ١٣١ .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « من اقتطع ارضا ظالما لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان ». احمد ومسلم وفي رواية لمسلم : « من اقتطع حق امرىء لقى الله وهو عليه غضبان ».

من ذلك يتضح ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر لحكم العرض والطلب والقواعد العامة المنظمة لذلك واجتناب الامر بالتسعير كذلك اجتناب النهي عنه بل قال « بل أدعو الله ».

ب ـ في حالة تعدي التجار تعديا فاحشا وظلمهم الناس بغير حق مما يضر بالسوق ، وجب على الحاكم التدخل وتحديد سعر معين ، وذلك صيانة لحقوق الناس ومنعا للاحتكار دفعا للظلم الواقع عليهم من جشع التجار .

وذلك ما ذهب اليه الامام مالك كما راه بعض الشافعية في حالات الغلاء .

جـ ـ ما قاله صاحب الهداية :

« لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس فان كان ارباب الطعام يتحكمون ويتعدون في القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير فحينئذ لا بأس به بمشورة من اهل الرأي والبصر ».

د ـ ما قاله الامام ابن قيم الجوزية ايضا في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : « ان يلزم الناس الا يبيع الطعام او غيره من الاصناف الا ناس معروفون فلا تباع تلك السلع الا لهم ثم يبيعونها هم بما يريدون ، فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب ، فهذا من البغي في الارض والفساد ، والظلم الذي يحبس به قطر السماء ، وهؤلاء يجب التسعير عليهم ، والا يبيعوا الا بقيمة المثل ولا يشتروا الا

بقيمة المثل ، بلا تردد في ذلك عند احد من العلماء ، لأنه اذا منع غيرهم ان يبيع ذلك النوع اويشتريه ، فلو سوغ لهم ان يبيعوا بما شاءوا او يشتروا بما شاءوا : كان ذلك ظلما للناس ، للبائعين الذين يريدون بيع تلك السلع وظلما للمشترين منهم ».

فالتسعير في مثل هذا الحال واجب بلا نزاع ، وحقيقة الزامهم بالعدل ومنعهم من الظلم هذا ، وكما لا يجوز الاكراه على البيع بغير حق فيجوز او يجب الاكراه عليه بحق .

هـ ـ التسعير امر واجب عند محاولة الاحتكار واستغلال حاجة الناس الى السلعة لجني ربح اكبر لأن التسعير يجبرهم على السعر المحدد والالتزام به لتحقيق العدل .. كما ان التسعير من افضل وسائل منع الغلاء .

و ـ قول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« ما قاله اصحاب ابى حنيفة لا ينبغي للسلطان ان يسعر على الناس الا اذا تعلق به حق ضرر العامة ، ومن ذلك ان كان ارباب الطعام يتعدون ويتجاوزون القيمة تعديا فاحشا ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين الا بالتسعير ، سعر حينئذ بمشورة اهل الرأي والبصيرة ، واذا تعدى احد بعد ذلك اجبره القاضي .

ز ـ لما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه التسعير امتنع ، ولم يأمر ولم ينه في حين كان نهيه صلى الله عليه وسلم واضحا جليا في الا يبيع حاضر لباد ، وكذلك نهى عن تلقي الجلب ، والفرق بين الامرين واضح لكل ذي عقل .

(٣) وجوب التسعير عند الضرورة :

وبعد فقد القينا الضوء على هاتين النظريتين ويبدو لنا واضحا انهما يتفقان في ابعاد الظلم عن الناس ـ سواء كانوا بائعين ام مستهلكين ـ حيث ان الذين يحرمون وكذلك الذين يرخصون التسعير قد اعتمدوا على حديث واحد والعلة كما قالها رسول الله هي :

« اني لارجو ان القى الله وليس احد يطلبني بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال »

ويشير الحديث الى ان العلة في ترك التسعير هي ظلم الناس ، ويدل هذا على ان ارتفاع الاسعار كان بدون تدخل من التجار ، فاذا ما تبين ان التجار هم الذين رفعوا الاسعار طمعا في الربح الحرام ، فان هذا يعد ظلما يجب على ولي الامر رفعه ، والتسعير هو الوسيلة لهذا الرفع .

والله سبحانه وتعالى يقول : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

ويقول ايضا : (**اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم**) النساء/ ٥٩ .

ويقول ايضا : (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**) النحل/ ٩٠ .

ويدلنا ذلك على امور كثيرة منها :

ـ الايمان بالله ورسوله وطاعتهما .
ـ طاعة اولي الامر ما دامت في طاعة الله ورسوله .
ـ ان الله يأمرنا ان نلتزم بالمعروف ونأمر به وان نبتعد عن المنكر وننهي عنه .
ـ ان الله يأمرنا بالعدل اينما وحيثما كان ، وينهانا عن البغي والظلم والتعدي .

ذلك انه مع تقدم العصور وتفشي المدنية وكثرة عدد التجار وانتشارهم وتدخل عناصر مختلفة وتعدد الاشياء ـ السلع والخدمات والافكار ـ التي يتجر فيها كان لزاما ان يكون هناك سعر معين يرتبط به التجار وتشتد الحاجة الى ذلك في بعض الاماكن عن الاخرى ، او في بعض السلع عن الاخرى ، او في بعض الازمان عن الاخرى .. الخ ، ويحدد ذلك السعر ولي الامر او المحتسب بناء على سياسة سعرية معينة .

ويوضح الاستاذ البشري الشوربجي ان الحاجة تصبح ماسة الى التسعير في الحالات الاتية :ـ

ـ ان الاحتكار محرم في الاسلام بصريح النصوص والتسعير ضرورة لمقاومته .
ـ التسعير سياسة شرعية تسد بها ذرائع الاستغلال والجشع ، وتكفل بها سلامة البيوع والمعاملات من الغبن والغش .
ـ المصلحة تقتضي التسعير وقد توجبه دفعا للضرر عن الجمهور ، وذلك عندما يحتاج الناس الى سلعة ما .
ـ عندما يراد حصر البيع لأناس معينين .
ـ عندما يتواطأ البائعون ضد المستهلكين .

فكأن التسعير من وجهة نظر الاسلام هو الوسيلة لسد الذريعة الى الاحتكار ومكافحة الغلاء ولمواجهة الظلم والبغي .

وكقاعدة عامة « كلما كان صالح الناس ومنفعتهم العامة في التسعير تعين اتخاذه ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان ويتسع تطبيقها ويضيق بحسب حالة الضمير والاخلاق في المجتمع ، ومدى نشاط الحركة الاقتصادية فيه ودرجة اتصال هذه الحركة بالأسس الاخلاقية للمعاملات ».

(٤) سياسة التسعير الاسلامي :

يمكننا هنا بيان كيفية تنظيم السياسة السعرية الاسلامية ، وما هي القوى المؤثرة في تحديد السعر المناسب .

* ويتضح ذلك من مقالة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :
« يجب ان يكون البيع بأسعار لا تجرف بالبائع او المبتاع ، فيجمع الامام اهل

السوق الذي يراد وضع سعر له ، ويحضر غيرهم معهم استظهارا على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ».

* ويقول ابن حبيب :

« ينبغي للامام ان يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم : فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ؟ فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ولا يجبرون على التسعير ولكن عن رضا . قال : وعلى هذا اجازه من أجازه ، قال أبو الوليد : وجه ذلك أنه بهذا يتوصل الى معرفة مصالح الباعة والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح ما يقوم بهم ولا يكون فيه اجحاف بالناس ، واذا سعر عليهم من غير رضا بما لا ربح لهم فيه ادى ذلك الى فساد الاسعار ، واخفاء الاقوات واتلاف اموال الناس ».

* من ذلك يتضح انه لا بد من وجود هيئة تحكيم تتكون من : « المنتج ـ البائع ـ المستهلك ـ خبراء آخرين ».

أ ـ المنتج : وهو الذي انتج السلعة اصلا ويعلم حالها وبكم اعطاها للبائع « الموزع » وكم تكلفت وما هي قيمتها قبل ذلك وبعده ، فهو الذي يستطيع تقويم السلعة الى ذلك الحد .

ب ـ البائع « الموزع »: وهو التاجر الذي اتخذ التجارة حرفة له يرزق من نتاجها فينتفع من الشراء والبيع بالحصول على قدر معين من الربح وبحضوره يمكن تحديد قيمة السلعة وما يمكن ان يتكون لها من هامش ربح حتى الآن .

جـ ـ المستهلك او المشتري الصناعي « الذي يشتري السلعة للانتفاع بها في الانتاج »: وهو الشخص الذي يحتاج الى السلعة بمقابل معين ويستطيع ان يدفع هذا المقابل للاستفادة من السلعة ولكن الواجب هنا هو الالتزام بدفع قيمة المثل للسلعة بالتغاضي عن قدرة المستهلك ، فقد يكون من الثراء بحيث يستطيع ان يدفع الاكثر مما يبغي على مستهلك اقل منه قدرة على الشراء .

د ـ الخبراء الآخرون : ويشترط فيهم الحياد الكامل وذلك بما اتصفوا به من نزاهة الخلق وطيب السيرة والمعرفة الكاملة بالشيء المراد تسعيره من ناحية قيمته وعمره وخصائصه وضروريته .. وغير ذلك . كذلك يجب ان يكونوا اكثر من واحد ، والا يكون لهم مصلحة من هذا التسعير بحيث تجر عليهم افضالا من احد الجانبين ، والبعد عن اي شبهة تقيم الظلم او تساعد على القائه على احد الجانبين .

(٥) مبادىء التسعير الاسلامي وقواعده :

هناك من المبادىء التي يجب الالتزام بها عند التسعير الكثير ، ولكن الواضح الجلي انها تدور حول مصلحة الجمهور وفائدته ونشر العدل بين العباد ، ومن هذه المبادىء :

أ ـ عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اغلى منه فانه يمنع منه في السوق وذلك في مذهب الامام مالك ، ومثل ذلك ان يبيع البعض بـ ١٥ قرشا في حين ان الاخرين يبيعون بـ ١٠ قروش للوحدة .

ب ـ عند وجود سعر معين وارادة البعض البيع بسعر اقل منه ، فهنا نجد ان الشافعي واصحاب احمد كالقاضي ابي يعلى والشريف ابي جعفر وغيرهم منعوا من ذلك ، وكذلك مالك واضح بما رواه في موطئه عن يونس بن سيف عن سعيد بن المسيب « ان عمر بن الخطاب مر بحاطب بن ابي بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر « اما ان تزيد في السعر واما ان ترفع من سوقنا ».

وكذلك قال ابو الوليد السياجي : الذي يأمر من حط عنه ان يلحق به هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير يحط السعر امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور وبه تقوم المبيعات .

جـ ـ ما روي عن اشهب عن مالك : ان لصاحب السوق ان يسعر على الجزارين وذلك اذا سعر عليهم بقدر ما يرى من شرائهم وذلك مع الاخذ في الحسبان عدم اخراجهم من السوق ولا يجبر الناس على البيع ، وانما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحدده ولي الامر على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمشتري ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له منه ما يضر بالناس .

د ـ يقول الامام ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام :

« من منع التسعير مطلقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله هو المسعر القابض الباسط ، واني لارجو ان القى الله وليس احد منكم يطالبني بمظلمة في دم ومال » فقد غلط ، فان هذه قضية معينة وليست لفظا عاما .

هـ ـ على صاحب السوق الموكل بمصلحته ان يعرف ما يشتري به البائعون ، فيجعل لهم من الربح نسبة معينة ، وينهاهم ان يزيدوا على ذلك ويتفقد السوق ابدا .

فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم ، فمن خالف امره عوقب واخرج من السوق ، وهذا قول مالك ، واليه ذهب ابن حبيب وقاله ابن المسيب ايضا ويحيى بن سعيد والليث وغيرهم .

و ـ لا يجوز عند اي من العلماء ان يقول لهم :

* لا تبيعوا الا بكذا ربحتم او خسرتم من غير ان ينظر الى ما يشترون به ولا ان يقول لهم فيما قد اشتروه :

* لا تبيعوا الا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن او اقل منه .

واذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون : لم يتركهم ان يغلوا في الشراء ان لم يزيدوا في الربح على القدر الذي حدد لهم فانهم قد يتساهلون في الشراء اذا علموا ان الربح لا يفوتهم .

ز ـ على ولي الامر عدم الاسراف في فرض الاسعار الجبرية لا سيما بالنسبة للسلع التي لا يضر الناس حرية التعامل فيها ، لأن الافراط في التسعير فيه تقييد

للمعاملات واضرار بالمنتجين او التجار بغير خبرة او ضرورة ملحة .
مما سبق يتضح : ان النظام الاسلامي لم يفرض التسعير فرضا عشوائيا في كل حالة وعلى كل سلعة وبغير حكمة ، وانما رخصة كحكم شرعي يدور مع علته وجودا وعدما ، والعلة هنا هي دفع الضرر عن الناس ، وتنظيم المعاملات على وجه عادل .

ولذا فالقاعدة العامة هنا ان الدولة تلجأ الى التسعير كلما كان فيه صالح الناس ومنفعتهم العامة على اساس من العدل الذي هو اهم اساس من اسس المعاملات في الاسلام .

(٦) التسعير في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة :

أ ـ العوامل التي يجب اخذها في الاعتبار عند اتخاذ قرار التسعير :

هناك عوامل عديدة يجب اخذها في الحسبان عند اتخاذ قرار التسعير ، وذلك في ظل الاوضاع الاقتصادية المعاصرة ، وذلك لما طرأ عليها من تغير وعدم استقرار ، منها ما يتعلق بحالة الطلب العام على السلع محل التسعير ، كذلك ما يتعلق بالمصروفات والنفقات التي تنفق على السلعة سواء اكانت ثابتة ام متغيرة ، مباشرة ام غير مباشرة ، كذلك هناك ما يتعلق بخصائص السلعة وقدرات المستهلكين وصفاتهم وخصائصهم ، واخيرا ما يتعلق بالتجار الذين يمثلون سلسلة توزيع السلعة وهامش الربح الذي يجب تحديده لكل منهم .

١ ـ ما يتعلق بالطلب على السلعة : وذلك من ناحية ،

- دراسة التقلبات في مستوى الاسعار مع الدورات التجارية والتقلبات الفصلية بما هو معروف بالعوامل الموسمية والعرضية المؤثرة على الطلب بوجه عام والطلب على السلعة محل البحث بوجه خاص .
- مرونة او عدم مرونة الطلب على السلعة اي بيان كنه الطلب وطبيعته على السلعة بجانب السلع الاخرى في نفس خط المنتجات وفي الشركة .
- الاختلاف بين الظروف التنافسية وبين دوافع الشراء وبين عادات الشراء والمقدرة على الدفع في المناطق المختلفة .

٢ ـ فيما يتعلق بالنفقات :

- دراسة وتحليل نفقات انتاج الوحدة وتسويقها في ظل الاحجام المختلفة للسلعة .
- حصر وتحديد نفقات النقل والشحن .
- دراسة وتحليل النفقات الثابتة والمتغيرة ومعرفة نقطة التعادل .

٣ ـ فيما يتعلق بأسعار السلع البديلة والمنافسة :

- معرفة اسعار السلع لدى المنافسين بالنسبة للسلع المتشابهة .
- معرفة اسعار البيع للسلع البديلة .

- تحليل اسعار البيع بحسب تصنيف السلعة ميسرة او تسوق او خاصة ، ضرورية او كمالية ، قديمة او حديثة ، مميزة او غير مميزة ، مكان بيعها بالسوق الاهلية او المحلية او الدولية .
- الاسعار الجبرية التي تحددها الحكومة والتي لا يمكن تخطيها او الزيادة عنها .
- الاسعار الخاصة بالمنتجات الاخرى او الاصناف الاخرى التي تدخل في نفس خط المنتجات .

٤ - فيما يتعلق بالموزعين وتجار التجزئة :
- دراسة اماكنهم وتحديد نفقات النقل لكل منهم .
- الاسعار المختلفة التي يبيع بها تجار التجزئة .
- الاسعار التي يمكن للموزعين او الوسطاء البيع بها ودراسة طرق السداد .
- طرق التوزيع ومنافذه التي يمكن التعامل معها ومزايا وعيوب كل منها .
- هامش الارباح الاجمالية لكل طبقة من الموزعين والوسطاء .

٥ - فيما يتعلق بالمستهلكين :
- دراسة المستهلكين في المنطقة التي ستباع فيها السلعة ومعرفة خصائصهم .
- معرفة الاسعار التي تعود عليها المستهلكون نظرا لمعرفتهم بها .
- معرفة الاسعار التي تحافظ على شهرة او وجود السلعة في نظر المستهلكين .
- معرفة الاسعار المختلفة التي تتناسب مع فئات الدخل المختلفة وقدرة المستهلكين على الدفع .

٦ - فيما يتعلق بخصائص السلعة :
- المعرفة الكاملة بخصائص السلعة ومميزاتها عن السلع الاخرى المنافسة والبديلة .
- تحليل تركيب السلعة لدراسة عناصر تكلفتها من الاوجه المختلفة .

ب - استخدام نقطة التعادل في تحديد السعر المناسب :

قد تواجه اجهزة الانتاج بمشكلة تحديد العدد المناسب من الوحدات التي يجب انتاجها وبيعها بسعر مناسب بحيث يغطي الدخل من المبيعات - على الاقل - تكاليف الانتاج والتسويق ، وهنا يمكن للمنتج ان يحدد هذه الكمية بان يفترض عددا من الاسعار التي يرى انه من الممكن بيع الوحدة من منتجاته بأي منها .

* ثم يطرح من كل سعر افترضه قيمة ما تتكلفه الوحدة الواحدة من التكاليف المتغيرة .
* يقسم على الباقي جملة التكاليف الثابتة .
* فيكون الناتج عبارة عن عدد الوحدات التي يمكن انتاجها بالسعر المحدد ومن الممكن اضافة اي مبلغ لتحقيق الربح الذي يراد تحقيقه الى التكاليف الثابتة من اجل الوصول الى الكمية اللازم بيعها لتغطية هذه التكاليف وانتاج ذلك الربح .

وتشتد الحاجة الى استخدام نقطة التعادل عند تقديم سلعة جديدة الى السوق او عند اجراء تغييرات في هيكل الاسعار بالنسبة للمنتجات القديمة .

فنقطة التعادل تعبر عن عدد الوحدات التي يمكن بيعها بسعر معين لكي تغطي جميع النفقات الكلية ـ الثابتة والمتغيرة ـ الانتاجية والتسويقية .

ومن امثلة النفقات الثابتة ، المرتبات ، الاستهلاك ، النور .. الخ .

ومن امثلة النفقات المتغيرة ، المواد الخام ، الاجور ، التعبئة والتغليف .. الخ .

ومعيار التفرقة بين نوعي التكاليف ، ان التكاليف المتغيرة هي تلك التي تتغير بتغير عدد الوحدات المنتجة ، في حين ان التكاليف الثابتة تتميز بالاستقرار والثبات .

جـ ـ بعض السياسات السعرية الحالية وموقف الاسلام منها :

في السنوات الاخيرة ظهرت سياسات سعرية مختلفة ومتعددة منها ما هو طيب يوافق الخلق الكريم والشريعة السمحة ومنها ما هو خبيث لا يتفق مع الشريعة ولكن همه الاكبر تحقيق الربح الطائل في الوقت القليل وذلك باستخدام كافة المغريات البيعية بالتركيز على عاطفة المستهلك ومحاولة التأثير على سلوكه وتصرفاته ، ومن هذه السياسات :

● سياسة الاستدراج : وبمقتضاها تباع بعض السلع بأسعار لا تحقق نسبة كبيرة من الربح او قد تغطي التكاليف فقط ، بينما تباع سلع اخرى بربح كبير يعوض الخسارة في الاولى ، حيث يتم عرض سلع الاستدراج في نافذة المعروضات لاجتذاب المستهلكين واستدراجهم لدخول المتجر ، ثم تعرض بالداخل السلع الاخرى التي من ورائها يحقق البائع الارباح الطائلة .

ولكن هذه الطريقة لا تتفق مع الخلق القويم لأنها تضلل المستهلكين ولا يجدر بالتاجر المسلم في المجتمع الاسلامي ان يجتذب عملاء ، عن طريق الغش والخداع .

● سياسة التحميل : ويتبعها البعض عندما تكون احدى السلع راكدة ولا يقبل عليها المستهلكون ، فهنا يجبر المشترون على قبول كمية من هذه السلعة اذ لا يسمح لهم بشراء السلع الرائجة الا اذا اقترن ذلك بكمية من السلع البائرة .

وقد يبرر ذلك البعض بقولهم اذا لم ينتجوها لتعرضوا لخسائر فادحة من جراء السلع غير الرائجة التي تكون متوفرة لديهم ، ولكن هذه السياسة مرفوضة من وجهة النظر الاسلامية فالعامل الهام لتحقيق البيع هو التراضي : (**الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) يلي ذلك عدم الغش لحديث الرسول الكريم « من غش فليس منا » رواه الترمذي . ويحتم ذلك عدم اجبار المستهلك او الزامه بشراء شيء لا يقبله ولا يحتاجه ولن تتحقق له المنفعة بعد تملكه .

● سياسة كشط السوق : تقوم هذه السياسة على اساس تحديد اقصى سعر ممكن

للسلعة التي تتمتع بخصائص فريدة ، وذلك للحصول على اقصى ربح ممكن في الاجل القصير دون الاكتراث بمركز الشركة في الاجل الطويل ، وذلك بحجة كسب فئة المشترين الذين لديهم الاستعداد لدفع اسعار عالية للسلعة دون غيرهم من المشترين .

● سياسة اختراق السوق : وهي عكس السياسة السابقة ، حيث يتم تحديد اسعار منخفضة لمنتجاتها بهدف الوصول الى اكبر عدد ممكن من المستهلكين او المشترين المرتقبين والحصول على اكبر حصة من المبيعات في السوق .

وحجة هؤلاء :

- اتجاه تكلفة الانتاج والتسويق للوحدة الى الانخفاض مع زيادة الكميات المباعة .
- عدم وجود سوق مرتقبة مجزية من ذوي الدخول المرتفعة التي يمكنها الشراء بأسعار مرتفعة .
- مواجهة المنافسة القوية حاليا ومستقبلا عن طريق السعر .

ولكن هاتين السياستين يختلف الحكم فيهما ، ولكن الارجح - والله اعلم - كما قاله ابن تيميه لما رواه عن مالك :

- الذي يؤمر من حط عنه ان يلحق به ، هو السعر الذي عليه جمهور الناس ، فاذا انفرد منهم الواحد والعدد اليسير بحط السعر ، امروا باللحاق بسعر الجمهور ، لأن المراعي حال الجمهور الذي تقوم به المبيعات .

وقيل هنا من باع خمسة بدرهم والناس يبيعون ثمانية ، او قيل من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة .

قال : وعندي ان الامرين جميعا ممنوعان .

- لأن من باع ثمانية والناس يبيعون خمسة افسد على اهل السوق بيعهم .
- ولربما ادى الى الشغب والخصومة .

ففي منع الجميع مصلحة .

● سياسة الاسعار الكسرية : وتعتمد على اساس ان يقل مبلغ التسعير عن العقد - العشرة ومضاعفاتها - التالي او المائة التالية ومن امثلتها ما يباع بـ ٢٩ قرشا ، او ١٩٥ قرشا . وحجة هؤلاء ما يتصوره المشتري فرقا كبيرا في المقدار بين السعر الكسري القريب من العقد التالي او المائة التالية ومن السعر الذي بلغ هذا العقد او المائة .

فمن الناحية النفسية يبدو للمشتري ان الفرق بين ٧٩ قرشا و ٨٠ قرشا كبير ومن هنا يسود الاعتقاد بان بيع السلعة بـ ٧٩ قرشا سيحقق مبيعات اكثر من تلك التي يحققها البيع بـ ٨٠ قرشا .

ولكن يؤخذ على هذه السياسة اعتمادها على التأثير النفسي والعاطفي والابطاء في عمليات تحصيل الثمن ، وطرح الظلم على احد جانبي عملية البيع ، فلا شك ان المكمل للعقد او المائة من حق البائع او المشتري .

● مجاراة المنافسين : وعليها فان المنتج يجاري المنافسين ويتماشى مع اسعارهم

بالنسبة لنفس السلعة متى كانت عوامل الجودة والحجم واحدة في كل منها ، وعلى ذلك لا يجوز له ان يبيع بسعر اعلى من سعر المنافسين والا انصرف المستهلكون عنه .

ولا شك ان هذه الطريقة يشوبها الكثير من العيوب ، فالمعيار الرئيسي هو قيمة السلعة اولا وما هو الربح العادل الذي يجب الحصول عليه ثم يتحدد السعر المناسب لكي لا يقع الظلم الذي حذر منه الرسول الكريم .

خاتمة :

من كل ما سبق يتضح ان سياسة التسعير الاسلامي يجب ان تبني على اساس تحديد تكلفة الانتاج والتسويق لكل سلعة ونصيبها من المصروفات الادارية ثم اضافة هامش الربح المطلوب لتحديد سعر بيع كل سلعة هكذا :ـ

تكلفة الانتاج + تكلفة التسويق + المصروفات الادارية + الربح = السعر

ويتطلب هذا نظاما دقيقا للتكاليف بحيث يمكن معرفة تكلفة كل وحدة من السلع كاملة الصنع .

وهذا يتطلب من المسئول عن اتخاذ قرار التسعير ان يعلم الافراد الذين يهمهم هذا القرار ويعقد معهم لقاءات متعددة للخروج بأيسر الاسعار واعدلها وهؤلاء الافراد هم :

- المنتجون ـ المستهلك النهائي للسلعة
- الوسطاء ـ المسئول عن ترويج المبيعات
- المنافسون ـ الحكومة

ويجب ان تكون هناك رقابة دائمة على التسعير ومتابعة تنفيذ السياسة المتبعة ، وفي الفقه الاسلامي يقوم بمهمة الرقيب على الاسعار المحتسب ، وهو احد الاشخاص الذين يمثلون الحاكم ، اذ يخول له سلطة الاشراف على السوق والنظر في مكاييله وموازينه وتحديد ومنع الاحتكار وقمع الغش والتدليس ورفع الضرر عن الطرفين وما الى ذلك من امر بالمعروف ونهى عن المنكر . وهكذا نجد ان المحتسب كما يأمر بالعبادات وادائها يراقب حسن سير المعاملات في البلد او المحلة .

وهكذا تستند السياسة السعرية الاسلامية على :

- الاعتدال في الربح المحقق .
- البعد عن الظلم لاي طرف من الاطراف المرتبطة بعملية البيع .
- الالتزام بالخلق القويم والصدق .
- مراعاة صالح الجماعة وافشاء الرحمة بين الخلق .
- الخبرة العلمية والعملية في تقدير التكاليف والنفقات .
- البعد كل البعد عن احتكار السلع والغش والغبن ومحاولة رفع الاسعار .

همسات

للاستاذ احمد محمد السفاريني

دواعيك يا نفس لا تنتهي ... فانت الهوى ومهب البلاء
اذا ما ملكت نواصي الامور ... وسيرت مقودها في غباء
تبلد وجه الحياة الجميل ... وعاثت بها عاديات الشقاء
وشيطانك النهم ذاك الشقي ... يقودك للغي والاشتهاء
يناجيك من منطق مفتر ... يدغدغ فيك غرور الهباء
الم تعلمي كيف اغرى اباك ... وفي جنة الخلد دار الهناء ؟!
ولم يرتض الحق من ربه ... وغاضب حتى ارتمى في الجفاء
فكيف تسيغين وسواسه ؟ ... وكيف تجيبين دعوى الغواء ؟
وقد حذر الله من شره ... واعوانه وافتراء المراء
وفي عالم من خداع رهيب ... يشيد ابليس دار العفاء
مزخرفة بالاماني الكذاب ... مسوفة البدء والانتهاء
يمني بما شاء اتباعه ... وينفث فيهم بداء وداء
ويجعل منهم عبيد المتاع ... ويحملهم في ظلام العناء
اولئك من حزبه ثلة ... اماتوا العقول وخلق الحياء
جهنم موئلهم في الغداة ... وفي الارض غول عظيم الوباء
وتمرغ في الوحل اقدارهم ... وتغرق اعمارهم في العماء
ولو لم يكن مرشد للهدى ... يبين درب الهدى والنجاء

إلى النفس

وحكم من الله يتلى لنا
وايات ذكر حكيم روت
لكانت غواية من يرتمي
لقد خلق الله فينا الحجى
يميز بين خبيث الفعال
فللعقل فهم وفكر يجول
اذا عرف الحق عن حكمة
فقد امن المرء من مكره
واسبغ رب الورى فضله
فكانت رسالاته حجة
وتحميه من شطحات الخيال
ويا نفس هذا سبيل الفلاح
يهذب فيك انفعال الهوى
ويعطي العقول قياد المنى
عقيدة حق تفيد الانام
وشرعة رب عليم حكيم
وللمسلمين منار يشع
اذا حكموا الشرع في امرهم
وزالت غواش غوت اعينا
ووحد من شأنهم دولة
اجل ، قد تدانت بشائرها
وهذا الهتاف على دربنا

صباحا ونقرؤه في المساء
معالم هذا السبيل المضاء
باحضانه لوثة في الهواء
وزودنا بالنهى والدعاء
ومحمودها والهوى والرجاء
وفيه احتكام ومعنى الولاء
وايقن بالرأي والاقتداء
واصبح عفا شديد الاباء
على العالمين بوحي السماء
تقوم في العقل اي التواء
ومن نكسة الشك والافتراء
ينير الحياة باجلى الضياء
ويقذف في القلب اسمى رواء
ليردعها عن شعاب الرياء
وترسم امالهم في اللقاء
ترد الزمان لحكم سواء
ودين يرسخ نهج الاداء
والقوا اليه ايادي النجاء
وظلت تحاول جهد البلاء
تطاول كل شعوب المراء
واصبح في الارض شجوى السناء
يردده الكون .. اندى نداء

الإنسان والنسيان

النسيان :

النسيان ظاهرة نفسية من ظواهر الحياة الانسانيـة ، لا يسلم منها إنسان مهما سمت مكانته ، ومهما أوتي من حدة الذهن ودقة الملاحظة والسلامة البدنية والعقلية من أمراض النفس والجسد . وهكذا كان في حياة آدم وذريته الى يوم الدين ابتلاء حكيما يترتب عليه التنفيذ لقدر حكيم قدره العليم الخبير لانتظام الكون الدنيوي والكون الأخروي على ما سبق من بليغ مراده .

والنسيان في أيسر تعريف وأقرب بيان هو ـ كما عرفه الجرجـاني ـ « الغفلة عن المعلوم في حالة السنة » المعجم الفلسفي ٢/٤٦٨ .

وهذه الغفلة عن المعلـوم تعني احتجابه عن بؤرة الشعور في وقت النسيان ، مدفوعا عنها إلى الخلف منها بقوة المثير الجديد للانتباه الذي يأخذ دوره فيها ، حتى يزيحه فيحل محله مثير جديد .

وهذه المنسيات المتراكمة التي لا حصر لها من المعلومات عرضة لأن تعود بالاستدعاء إلى مكانها من بؤرة الشعـور عند الحـاجة ، وعنـدمـا يستفـزها مـا هي منه بسبب من مشـابهة أو تضـاد أو سواهمـا ، فيسمى رد الفعل هذا بالتذكر .

وقـد يفرق بعض العلمـاء بين النسيان والسهو والغفلة والذهول ، كما يسوي بينها بعضهم للزوم غاية واحدة هي احتجاب صورة المعلوم عن الذهن بعد أن كانت حاضرة ظاهرة .

على ضوء نصوص الشريعة

للدكتور
عز الدين علي السيد

تحت ضوء النصوص:

بعد هذا العرض الساذج البعيد عن تعقيد الفلسفة ننتقل إلى موقف الانسان من النسيان أمام نصوص الشريعة ، وهنا نستطيع أن نصنف النسيان إلى :

(١) نسيان لأمور لا يتسبب عن نسيانها الضرر فتسكت عنها الأحكام .

(٢) نسيان تتعلق به الأحكام فيكون مناطا للمثوبة أو العفو أو العقوبة .

هذا النسيان الأخير يختلف باختلاف سببه ، فهو إما نابع من داخل النفس بالتكلف له والقصد إليه ، وإما وافد عليها من الخارج بغلبة الصوارف ومرور الأحداث . فاذا تعلق كل منهما بواجب شرعي ، كان له حكم يخالف حكم صاحبه ، وعلى هذا جاءت مادة النسيان في القرآن المجيد مقترنة بأحوال غير المؤمنين شاهداً للضرب الأول ، ومقترنة بأحوال المؤمنين شاهداً للثاني .

النسيان الكافر :

فالنسيان الكافر المجتلب لسخط الله وعقابه هو في الأعم مجاز عن سببه وهو الترك المقصود استخفافاً بالفرض المفروض ، وهو أنواع في النصوص متواشجة تصور حقيقة واحدة هي الكفر ، وتلك الأنواع يمكن رؤيتها فيما يلي :

(١) النسيان لله عز وجل - في قوله

تعالى : (**نسوا الله فنسيهم**) التوبة/٦٧ وقوله :(**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر/ ١٩ .

(٢) النسيان لما جاءت به الرسل من التذكير بالآيات كما في هذه النصوص :

(**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء**)الاعراف/ ١٦٥ .

(**يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به**)المائدة/ ١٣

(٣) نسيان العاقبة ويوم الحساب . ومنه ما يلي :

(**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**) ١٤ السجدة

) **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**)ص ٢٦

(**وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**) الجاثية / ٣٤

(٤)**نسيان ما قدمت أيديهم من كفر وقبائح** ، ومنه ما يلي :

(**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه**) الكهف/ ٥٧

(**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**) المجادلة/ ٦

(٥) نسيان الأدلة العقلية والكونية والغفلة عنها ، ومنه :

(**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم**) يس/ ٧٨

(**وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون**) يوسف/ ١٠٥ هذه الأضرب الكافرة من النسيان ناشئة عن الترك العمد لما فرض الله الايمان به من الأصول والفروع ، والترك المعمود إليه أمارة الانكار للمتروك أو الاستخفاف به ، ولذلك كان الجزاء من الله شديداً .

ومن القرائن الظاهرة في الأمثلة المسوقة للضرب الأول قوله تعالى في صدر مثال المنافقين :

(**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم**) التوبة/ ٦٧ وهذا قلب « مقصود » لأوضاع الشريعة ونقض « معمود » إليه لأصولها ، وهو أشد أنواع الترك للمفروض .

وفي الضرب الثاني « نسيان ما أنزل » سياق آية الأعراف في حق اليهود يوضح الجرائم الدالة على العمد الفاضح :

(**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**)

(**إذ يعدون في السبت**)

(**لم تعظون قوماً الله مهلكهم**)

(**واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**) الاعراف/ ١٦٢ ـ ١٦٥ .

فالتبديل للآيات والعدوان في السبت ، وغيرهما مما في السياق أشد دليل على سوء القصد ، والعدوان الواضح على نصوص التوراة بتركها إلى نقيضها .

وفي آية (المؤمنون) ينطق النص بسخرية الكافرين من المؤمنين الضارعين إلى ربهم يرجون منه رحمته : (**إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون**) ١٠٩ و ١١٠

وفي الضرب الثالث « نسيان العاقبة ويوم الحساب » ينطق السياق بعمدهم للترك الآثم في جانب القيامة الموعود استهزاء به واستخفافا بالنذر وجحداً للآيات : (**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون**) الأعراف/ ٥١

وفي الضرب الرابع « نسيان ما قدمت أيديهم » نرى في المثال من سورة الكهف إعراضهم مع قيام التذكير واستماع صوت المذكر ، ولا أشد من ذلك تركا لواجب على عمد .

وفي الضرب الأخير « نسيان الأدلة العقلية » نجد المكابرة السافرة والانكار القبيح للآمر البين الذي قام في النفس ذاتها برهانه : (**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**)

نسيان المؤمن :

على قمة البشرية كمالا أقام الله الأنبياء والرسل ، ولكنهم ـ صلوات الله عليهم ـ لا تخرجهم العصمة عن ظاهرة النسيان المقيد بما لا يجر على الشريعة نقصاً أو على أنفسهم اتهاما .

والنسيان في حياة الأنبياء والمؤمنين لا يجلبه عمد بترك الأمر المشروع إلى سواه ، ولا استخفاف بأمر الله ونهيه ، وانما هو ضعف البشرية الفارق بين الخالق والمخلوق مهما ارتقى ، تقع به أحداث الحياة من المؤمنين على نسق إلهي سابق في التقدير لا تكلف له من داخل النفس ، والمتدبر لأحداثه يوقن بحكمة الحق فيه . وأول نسيان في عالم البشر ما قصه الله حديثا عن الأب الأول آدم ـ عليه السلام ـ رمزاً إلى أن هذا الأمر من خاصة الجنس إلى يوم الدين ـ (**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ فالنسيان منه انقهار بضعف العزم عن مقاومة الخادع الملح المغري ، ولعدم سبق الاصرار أو القصد إلى المخالفة (**اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

وعلى هذا النسق من النسيان البرىء عن قصد المخالفة والترك للمفروض كان النسيان من يوشع عليه السلام للحوت : (**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره**) الكهف/٦٣ كما كان نسيان موسى ـ عليه السلام ـ لما عاهد عليه الخضر : (**قال لا تؤاخذني بما نسيت**) الكهف/ ٧٣

فقد أنسته المفاجأة الغريبة عهده

معه ، ولم يكن تركه العهد عن عمد ، لذلك جعل نفسه في مكان المعتذر دون نظر منه إلى سمو منزلته بالرسالة والاصطفاء بالكلام .

ومن هذا النوع نسيان نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقد جاء فيه حديث ذي اليدين وهو مستفيض الشهرة « أقصرت الصلاة أم نسيت .... » وهو نسيان مراد لله الرحيم بعباده تخفيفاً عن المؤمنين بما ترتب عليه من جبر السهو في الصلاة بسجوده ، وقد روى عن مالك أنه بلغه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : » إني لأنسي أو أنسى لأسن » جمع الفوائد برقم ١٨٠١ .

ومثله حديث عائشة « سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا يقرأ بالليل ، قال : يرحمه الله فقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها » رواه البخاري وهنا نرى فعل النسيان معدى بالهمزة دليل أنه وارد عليه من خارج النفس ، ولا شبهة عند المؤمن في ذلك النسيان المؤقت لآيات اشتهرت بالبلاغ وكتبت في الصحف وحفظها الصحب .

ومن ذلك حديث أبي سعيد في ليلة القدر وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « فاني رأيت ليلة القدر وإنها في العشر الأواخر من رمضان في وتر وإني أنسيتها » ٧٤ : ٣ مسند الامام أحمد وهكذا بقية ما جاء في سهوه - صلى الله عليه وسلم .

لهذا لم يبرىء النبي نفسه من هذا النسيان البريء الذي هو مظهر من مظاهر البشرية ، فقال يقرره في أنفس أمته : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني » وفي رواية ابن مسعود « أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ... » جمع الفوائد برقم ١٧٨٩ - للستة إلا مالكا .

والدليل على سلامة الشريعة من النقص بهذا النسيان النبوي قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**) المائدة/ ٣ وقوله : (**سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله**) الأعلى/ ٦ و ٧ وما شاء الله متصل بقوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) البقرة/ ١٠٦ ومثل هذا قوله الحق : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)الحجر/ ٩ ولما كان النسيان من شأن البشرية ، لقن الحق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يذكره إذا نسى ، وأن يتحول عن مجلس النسيان إذا تذكر ، فقال : (**واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا**) الكهف/ ٢٤ وقال : (**وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**) الأنعام/ ٦٨ وأمره - سبحانه - وأمرنا أن نسأله عدم المؤاخذة إن نسينا أو أخطأنا فلقننا أن نقول : (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**) البقرة/ ٢٨٦ ورجاء عدم المؤاخذة إنما يكون عند العجز عن التذكر لا عند الاصرار والاستكبار والترك المقصود .

وهذا النسيان البريء من المؤمن معفو عن المآخذة به في العبادات كما هو مشهور في الفقه ، وقد جاء عن ابن

عباس يرفعه : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ٤٣٣ : ١ كشف الخفا ، وقد روى بطرق وألفاظ متعددة يؤيد بعضها بعضاً ، ولذا أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبرىء ساحة المؤمن من تبعة النسيان البرىء فقال : « بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي » ٤٩٥ : ٤ شروح السنة - متفق على صحته .

وجدان المؤمن حي:

والوجدان الحي من المؤمن يزعجه إذا أدرك أنه نسى أو غفل عن مهم من الأمر ، وفي ذلك يضرب لنا النبي أروع المثل فيما روته أم سلمة قالت : « دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساهم الوجه ، فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يا رسول الله ، مالك ساهم الوجه ؟ فقال : من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا ولم ننفقها » ٢٣٨ : ١٠ مجمع الزوائد .

بهذه الأسوة السامية ائتسى الصحابة ، فكان من المثل الرفيعة ما روى عبد الله بن أبي بكر : أن أبا طلحة كان يصلي في حائط له فطار دبسي فطفق يتردد يتلمس مخرجا فلا يجد ، فأعجبه ذلك فتبعه بصره ساعة ثم رجع إلى صلاته فاذا هو لا يدري كم صلى فقال : لقد أصابني في مالي هذا فتنة ! فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له الذي أصابه في صلاته وقال : يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت » جمع الفوائد برقم ٩٦٨٠ - لمالك .

نسبة النسيان الى الحق تبارك وتعالى

ما ورد في القرآن من النسيان منسوبا إلى الحق تبارك وتعالى خارج عن حقيقة اللفظ في اللغة كقوله : (**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**) الأعراف/ ٥١ لأن النسيان على حقيقته عجز يتنزه جل جلاله عنه ، فهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقد قال على لسان ملائكته : (**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا**) مريم / ٦٤ ، وعلى لسان نبيه موسى يجيب فرعون عن القرون الاولى : (**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسي**) طه/ ٥٢ وإنما جاء على سبيل المشاكلة بين الجزاء والسبب ، أي على سبيل التمثيل لتركه إياهم في العذاب ترك الناسي لما نسى .

مصدر النسيان

بقى ان ننظر في هذه النصوص الكريمة لنرى مصدر النسيان ، وهو فيها على أضرب :

(١) مسند إلى الله ، ومنه : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) ومنه : (**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم**

أنفسهم) الحشر/ ١٩ .
(٢) مسند الى الشيطان ، ومنه : (**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**) و(**فأنساه الشيطان ذكر ربه**) و (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) .
(٣) مسند إلى غيرهما في قوله تعالى : (**فأتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري**)
والاسناد إلى غير الله في كل ذلك من الاسناد إلى السبب القريب إيذاناً بتوجيه النظر إليه لما يستحق من توجيه النظر .

من أسباب النسيان :

ترك النفس نهباً لما ينتابها من ظروف السعادة والشقاء دون يقظة العقل الحاكم ينحرف بها عن سنن الاعتدال ، فيصيبها التمزق بالانفعال المتسلط عليها ، فتزيد الى ضعفها ضعفا قد يصل بها الى هلاكها ، وهذا التمزق يكون مع الغني بازدحام المطالب والمطامع وتشتيت الآمال بين الاكتساب والانفاق ، وقد بينه لنا ربنا الرحمن الرحيم وزهدنا فيه حفظا لأنفسنا من الضياع فقال : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤ ولذا حرص الاسلام على تقييد حرية المؤمن بالتكاليف التي يظل بها نشيط الانتباه إلى ربه والدار الآخرة ليسلم من الانجراف في سيل الحياة الغامر وراء كيد الشيطان !

وكما يكون ذلك مقارنا للغني يقترن بالفقر في صورة التبرم بالحياة والتسخط على القدر من مرضى القلوب الذين يبررون الكسل والفشل بالاعتراض على حكمة الحكيم العليم ، ولا يعرفون السر الذي يخاطبهم به قوله : (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الشورى/ ٢٧ ولا ما في قوله : (**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) الزخرف/ ٣٣ ـ ٣٥ .

العلاج :

والعلاج الناجع من الخطر في الحالين هو الاعتصام بالتقوى للنجاة من التمزق ، وهو العلاج الرباني الذي يصلنا دائما بالطمأنينة وسعادة الروح ، والذي امتدحه الله وامتدح به فقال : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعراف/ ٢٠١ وكيف لا تكون التقوى سراج القلوب ونورها الهادي للتذكر والنجاة ، والحق يقول : (**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**). النحل/ ١٢٨.

من المكتبة الإسلامية

عرض وتحليل الاستاذ عبدالله السمان

• الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا

● المؤلف هو الدكتور صابر طعيمه المدرس بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ، وقد حصل على الدكتوراه أخيرا برسالته عن « التراث اليهودي القديم وموقف القرآن منه » وله عدة دراسات اسلامية طبع معظمها في بيروت وغيرها .

● والكتاب يقع في زهاء ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد قسم المؤلف هذه الدراسة المستفيضة ثمانية مباحث ، ويتضمن كل مبحث عديدا من النقاط ، وقد يتوهم القارىء للعنوان ـ لأول وهلة ـ أن المؤلف قد خصص لكل مذهب من هذه المذاهب الثلاثة بحثا مستقلا ، الا أن المؤلف قد جعل هدفه الأول من الدراسة

الماسونية ، وحاول أن يمزج بين ثلاثتها ، كأفكار متفقة ومتعاونة على أصول واحدة ، وأسلوب واحد ، ومنهج واحد ، وتخطيط واحد ، للوصول في النهاية الى هدم الأديان ، وفي مقدمتها دين الاسلام ، وهدم المجتمعات المتدينة ، وفي مقدمتها المجتمع الاسلامي .

لذلك أشار المؤلف في مقدمته ، الى أنه منذ مطلع شمس الاسلام بمبعث الرسول (ص) لعب اليهود دورا متعدد الجهات ، مختلف المراحل على أرض الاسلام ، وحين تم للقوى المعادية للاسلام أن تجمع نفسها في تجنيد أتاتورك في حركته الانقلابية العلمانية ، اللادينية واللا اسلامية ، لكي تصبح تركيا الاسلامية نموذجا لهدر قيم الاسلام ، قامت افرازات فكرية وعقائدية في الوطن الاسلامي الكبير ، تنفث سمومها ضد مستقبل الانسان المسلم ، الذي يريد أن يبني حياته على هدي من تعاليم كتاب ربه ، وسنة نبيه الكريم ..

● يقدم المؤلف تعريفا موجزا عن الماسونية نقلا عن غيره ، فهي حركة تنظيمية خفية ، قام بها ـ على الأرجح ـ حاخامات التلمود ، وبخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود التوراة ، ويرى المؤلف كما يرى غيره ، ان البداية العملية لتحقيق موضوع الماسونية عند مؤسسيها ، هي أن الماسونية حركة ذات هدف يهودي بحت ، وذات طابع عالمي تلبس ـ من أجل تحقيق أهدافها ـ كل صور العصر وأدواته وطقوس المجتمع الذي تكون فيه ..

ويشير المؤلف الى أصل الماسونية العام ، ويرى مع غيره أن المؤرخين للماسونية حتى من أشياعها لم يتفقوا ، لا على تحديد زماني أو تحديد مكاني لها ، فمنهم من وصل بها الى آدم ـ عليه السلام ـ ومنهم من جعل نشأتها في أوائل القرن السابع الميلادي ، أما الدلالة اللغوية لكلمة « الماسون » فهي مشتقة من لفظة « فرمسون » وهي مركبة من مقطعين فرنسيين : « فران » أي الصادق ، و « ماسون » أي الباني ، ويكون المعنى الباني الصادق ، والجماعة الماسونية هي : البناة الصادقون ..

● ويركز المؤلف كثيرا على كتاب « القوة الخفية » الذي عربه الأستاذ عوض الخوري ، وطبع منذ سبعين عاما في بيروت ، نقله عن الفرنسية ، وأصل الكتاب بالعبرية ، وأطلق على الترجمة العربية اسم تبديد الظلام أو (أصل الماسونية) فهذا الكتاب يقرر أن البداية العملية ، والممارسة الفعلية لعمل الماسونية المنظم ، كانت حين تم تأسيس الجمعية الماسونية في أورشليم في الرابع والعشرين من شهر حزيران ـ يونيو ـ من السنة الثالثة والأربعين بعد ميلاد المسيح ، وأن أول من فكر في الأمر هو حيرام أبيود مستشار الملك اليهودي هيردوس اكريبا ، وكان أن تم تأسيس الجمعية من تسعة أعضاء ، برئاسة الملك ، ونائب الرئيس هو حيرام مستشار الملك ، وكاتم سر أول ، وكاتم سر ثان ، ومراقب ، ومعاون أول ، ومعاون ثان ،

وكافل ، ثم حاجب : أما الهدف الرئيسي فكان لمواجهة المسيحية ، ولقد وصف الملك المسيح عليه السلام في أول خطاب له بأحط الأوصاف واتهمه باحداث انقلاب روحي وزمني وسياسي عند الشعوب ، ولا سيما في طائفتهم الاسرائيلية ، والملك هو الذي اقترح أن تكون جمعية « القوة الخفية » محصورة بين مؤسسيها التسعة وذراريهم ، وأن تظل أسرارها الداخلية ، وغاياتها الأساسية في كتمان ، حتى عمن ينضوي تحت شعارها ..

قال الملك : ان أكبر واسطة نجعل بها جمعيتنا عظيمة وخطيرة ومشوقة ، هي أن نكتم عن جميع الناس سر تاريخ تأسيسها ، ونكتم أيضا أسماء مؤسسيها - أي أسماءنا - عن كل من ينخرط في سلكنا ، ويصير أخالنا ليبقى هذا السر بيننا نحن التسعة ، لا يتجاوزنا الى غيرنا كائنا من كان ، وكل منا يورثه لأحد أبنائه ، لأرصنهم وأكتمهم للسر ، وذلك بعد بلوغه سن الحادية والعشرين ، ولا يجوز لأحد من اخوته أن يعرف شيئا . »

وكان بعد ذلك العمل على انشاء فروع تابعة للماسونية ومغايرة لها اسما ، وبعد ظهور الاسلام ، أضافت الماسونية الى هدفها الأساسي « مجابهة المسيحية » هدفا آخر ، هو مجابهة الاسلام للقضاء عليه ، ووجهت الى الاسلام ذات الاتهامات التي وجهتها الى المسيحية ، وأنشأت الماسونية بعد ذلك هياكل في ايطاليا ، ثم في روسيا وبقية من بلدان أوروبا ، ثم تطورت الماسونية أساليب ، حتى جعلت من غير اليهود عبيدا لليهود ، وأخذت أسماء عدة متعددة مثال : الروتاري ، والليونز « جمعية الأسود » والبناي برت : الاتحاد والترقي ، و« شهود يهوه » وغيرها ..

● ثم يشير الكتاب الى أشهر الفرق الماسونية الثلاث : الماسونيه الرمزية العامة التي تقوم على ثلاث درجات ، ومن بين بنود القانون الأساسي لهذه الرمزية ، الادعاء القائل عن الماسونية : جمعية خيرية انسانية ، تقوم على المحبة المتبادلة بين جميع أعضائها .. أما شعاراتها فخلابة : حرية . اخاء . مساواة .. وأما الدرجات الثلاث ، فهي : المبتدىء . الشغال . الأستاذ ، والفرقة الثانية : الماسونية الملوكية ، وتعتبر متممة للماسونية الرمزية العامة ، الا أنها صهيونية لحما ودما ، والفرقة الثالثة : الماسونية الكونية .. لا يعرف مقرها ولا رئيسها الا أعضاؤها ، وهي تستخدم المحافل الماسونية الرمزية كافة في تحقيق الأغراض الصهيونية تحت ستار : الحرية والمساواة والاخاء ..

ان الروحية الحديثة هي أيضا في خدمة الماسونية ، ويستشهد المؤلف بكتاب أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين « الروحية الحديثة دعوة هدامة » ثم يشير المؤلف الى أن الصهيونية في العصر الحديث تكمن وراء كل الحركات السياسية والاجتماعية ، ومنها الروحية

الحديثة ، ويذكر المؤلف أن هذه الروحية تزعم محاربة الالحاد والمادية ، لا مانع لديها من تمجيد الشيوعية ، ووصف روسيا بأنها دولة متقدمة .

● ويربط المؤلف بين الماسونية وبين طبيعة بروتوكولات حكماء صهيون ، فهما متفقان ، ومتعاونان منهجا وأسلوبا ومبدأ وغاية ، بل انهما شيء واحد بمسميين ، فهذه البروتوكولات تقرر : ان المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية ، وتكشف عن خبايا نواياها ، وترى : أن مصلحة اليهود تقضي بانحلال الشعوب غير اليهودية ، وتهدف الى ابقاء العامل في حالة تافهة وعجز دائمين ، وبذلك يخضع لمشيئة اليهود وارادتهم ، وفي البروتوكول الرابع عشر : حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أي دين غير ديننا .. لهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ..

وفي المبحث السادس ، يكشف المؤلف عن طبيعة الماسونية ، فهي حرب على الأديان السماوية ، ترتدي ثوبا جديدا في العداء للاسلام ، فمن صياغتها : البابية والبهائية ، والسبئية ، والباطنية والماسونية الحديثة تدعو الى الدين الطبيعي وتمجده ، وكلمات زعماء الماسونية تؤكد : أن الماسونية ليست سوى نكران جوهر الدين ، وان قال الماسون بوجود الاله أرادوا به الطبيعة . . .

أما في المبحث الثامن والأخير ، فيشير المؤلف الى ارتباط الشيوعية بالماسونية اليهودية ، وأن هذه الماسونية هي التي خططت للماركسية ، واتخذت قرار هدم روسيا ـ.. وأن دور الشيوعية في الحرب ضد الاسلام ، مصدره تخطيط الماسونية الصهيونية ..

● وبعد ..

فالحق أن المؤلف الدكتور صابر طعيمة قدم دراسة ، تتركز مهمتها في خطورة الماسونية قديما وحديثا ، ولقد لعبت في القرنين الأخيرين ، وقبلهما بقليل أخطر الأدوار في سياسة العالم ، ومنذ الثورة الفرنسية وهي من بنات أفكار الماسونية ومخططاتها ، يعتبر التاريخ هذه الماسونية المسؤول الأول عن سائر الحركات التي تلت الثورة الفرنسية ، ولا سيما الحركات التي اتسمت بطابع التصفيات الدموية ، بل ولم يعد خافيا على أحد أن معظم الزعامات التي تسيطر على الشعوب يدين بالولاء للماسونية ، ويدير الحكم بعقلية علمانية ..

والمؤلف اعتمد كثيرا في ابراز جهده على النقل ، ولا سيما كتاب « القوة الخفية » وبروتوكولات حكماء صهيون ، والنقل ليس في حد ذاته عيبا ، بشرط أن يكون لرأي المؤلف في التحليل والتعقيب والتفسير وجود ، وبشرط آخر ألا يجد القارىء نفسه في متاهات ، وازاء هذا وذاك ، لا مانع

من التماس بعض العذر للمؤلف ، فلم تزل الماسونية في حاجة الى مزيد من الدراسة التي تكشف مخططاتها ، وتعري أهدافا لها لم تعر بعد ..

التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين

● المؤلف هو الفقيه الفاضل ابو محمد ، عبدالله بن السيد البطليوسي ، ولد في مدينة بطليوس سنة ٤٤٥هـ احدى مدن الاندلس وتقع غربي قرطبة ، حيث نشأ بها ، وتلقى اولى سنوات تعليمه على ايدي علمائها ، ثم يمم وجههشطر قرطبة ، حيث كانت تموج بالعلماء والادباء وحيث تابع دراساته للفقه والحديث وبعد ان اضطربت الاحوال في الاندلس انتقل الى مدينة بلنسية التي تقع شرقي قرطبة ، وظل بها علما مرموقا حتى وافته منيته سنة ٥٢١ هـ .

ويعتبر المؤلف حجة في اللغة والادب والفقه ، وقد اضفى على سائر مؤلفاته مسائل النحو حتى لقد اعتبر كتابه الذي بين ايدينا مرجعا في اللغة . وقد كان معظم مؤلفاته في الادب واللغة ، منها « اصلاح الخلل الواقع في الجمل » وهو نقد لكتاب « الجمل » للزجاجي . ومسائل منثورة في النحو ، وشرح سقط الزند لابي العلاء ، والاقتضاب في شرح ادب الكاتب ، وشرح الكامل للمبرد ، وشرح ديوان المتنبي . وغير هذا

● اما الكتاب الذي بين ايدينا فهو ـ يعد اول كتاب وصل الينا من الكتب التي الفت في اسباب الخلاف ، ويعتبر البطليوسي من اوائل الذين فطنوا لافراد هذا الفن في كتاب ومن مقدمة المؤلف وانى لما رأيت الناس قد افرطوا في التأليف واملوا الناظرين بانواع التصنيف ، في اشياء معروفة ، واساليب مألوفة صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قليل النظير نافع للجمهور عجيب المنزع ، غريب المقطع يشبه المخترع وان كان غير مخترع .. هذا وقال المحققان : وقد جاء على نمطه بعد فترة من الزمن كتاب الانصاف في بيان اسباب الاختلاف للدهلوي المتوفى سنة ١١٨٠ هـ ، ومما الف في عصرنا الحاضر في اسباب الاختلاف اسباب اختلاف الفقهاء للشيخ على الحفيف ، وايضا للدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .. ونحن نضيف ان لاستاذنا الشيخ عبدالجليل عيسى كتابا قريبا من الموضوع عنوانه : .. ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » وهو على صغر حجمه له قيمة علمية كبيرة اما كتاب

الدهلوي فهو رسالة صغيرة الحجم للغاية وقد قمت بتحقيقها وطبعها ضمن سلسلة الثقافة الاسلامية ـ مارس ١٩٦٥ علما بان هذه الرسالة موجودة بنصها تقريبا في المؤلف المشهور ـ للدهلوي وهو « حجة الله البالغة » .

● يقول المؤلف : ان الخلاف عرض لاهل ملتنا من ثمانية أوجه ، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها » اما هذه الاوجه الثمانية فهي على الترتيب : اشتراك الالفاظ والمعاني ـ الحقيقة والمجاز ـ الافراد والتركيب ـ الخصوص والعموم ـ الرواية والنقل ـ الاجتهاد فيما لا نص فيه ـ الناسخ والمنسوخ ـ ثم الاباحة والتوسع .. ولكن الملاحظ ان المؤلف اسهب الى حد ما في بعض الاوجه ، حيث بلغت صفحات كل من الاوجه الاول والثاني والثالث والخامس بين اربعين وخمس وخمسين صفحة ، اذ به يوجز ايجازا الى حد ما في الوجه الرابع حيث كانت صفحاته عشرا اما الاوجه الثلاثة الاخيرة فلم يزد احدها على صفحة واحدة مع ان لهذه الاوجه اهميتها وفيها مجال واسع لاختلاف العلماء ..

وقد اشار المحققان الى منهج المؤلف وقيمة الكتاب العلمية ، فالمؤلف ـ كما قالا ـ : كان على قدر كبير من الفهم العميق للشريعة الاسلامية والاحاطة باسرارها وقد اجابا عن سؤال قد يطرح نفسه على القارىء : كيف يبرع في الفقه وعلوم العقيدة رجل كالبطليوسي ، يعد من اساطين علماء اللغة والادب حتى يخيل لمن يقرأ له في اللغة والادب انه فرغ لهما ؟ يجيب المحققان عن هذا السؤال اجابة شافية ، فالاندلسيون كان منهجهم في التعليم : الاحاطة اولا بقدر كبير من علوم الدين من حفظ للقرآن ودراسة للحديث والتفسير والفقه ، يستوي في ذلك اللغوي والفقيه والمهندس والطبيب ولذلك كثر بينهم النحوي الفقيه والفقيه النحوي ، والطبيب المحدث والمحدث اللغوي فالامام الشاطبى ، الف في النحو بمثل البراعة والقوة اللتين الف بهما في الفقه والاصول ، وابو حيان فقيه ومفسر ونحوي واديب وشاعر ، بالاضافة الى ان الاندلسيين كان لهم من ذكائهم وقوة حفظهم اكبر عون » والحق ان ما يقال عن علماء الاندلس يمكن ان ينطبق على كثير من علماء المسلمين غير الاندلسيين ، فمثلا ابن قتيبة المتوفي ٢٧٦ هـ وهو فارسي الاصل ولد بالكوفة ونشأ في بغداد او على ارجح الاقوال ، ولقد الف في كثير من المعارف والعلوم ، حتى قال عنه بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية : « ان مصنفاته قد تناولت جميع معارف عصره » ومصداق ذلك اننا نراه قد ألف في جميع الفنون العربية التي عرفت في عصره ، ومن يجهل كتاب : الشعر والشعراء ، او كتاب ادب الكاتب او كتاب عيون الاخبار ، او كتاب المعارف ، او كتاب الانواء في الفلك ، او كتابي مشكل القرآن وغريب القرآن ، او كتاب تأويل مختلف الحديث ، بل ان لابن قتيبة كتابا سبق به البطليوسي هو

كتاب ... الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ..

● والى القارىء نموذج يوضح منهج المؤلف في البحث ، وهو منهج يعتمد على الاستقصاء العميق ، والاهتمام البالغ بشواهد اللغة ، ففي الوجه الاول « الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ يقول :

« هذا الباب ينقسم ثلاثة اقسام :

احدها : اشتراك في موضوع اللفظة المفردة ..

والثاني : اشتراك في احوالها التي تعرض لها من اعراب وغيره ..

والثالث : اشتراك يوجبه تركيب الالفاظ وبناء بعضها على بعض فاما اشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة فنوعان : اشتراك يجمع معاني مختلفة متضادة ـ ـ واشتراك يجمع معاني مختلفة غير متضادة ..

ثم يشير المؤلف الى احتجاج بعض الحجازيين باثبات الهاء في « ثلاثة قروء » فدل ذلك على انه اراد « الاطهار » ولو اراد « الحيض » لقال « ثلاث قروء » لان الحيض مؤنث ويعقب المؤلف بقوله : وهذا لا حجة فيه عند اهل النظر لانه لا ينكر ان يكون القرء لفظا مذكرا يعني به المؤنث ويكون تذكير ثلاثة حملا على اللفظ دون المعنى كما تقول العرب : « جاءني ثلاثة اشخص » وهم يعنون نساء ، والعرب تحمل الكلام تارة على اللفظ وتارة على المعنى ، والا ترى إلى قراءة القراء : (**بلى قد جاءتك آياتي**) الزمر/ ٥٩ بكسر الكاف وفتحها ؟

ثم يستطرد المؤلف :

« ووقوع الاسماء على المسميات في كلام العرب ينقسم اربعة اقسام :

احدها : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مذكر كرجل مسمى بزيد او عمرو ..

والاخر : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مؤنث كامرأة تسمى فاطمة ..

والثالث : ان يكون المسمى مؤنثا واسمه مذكر كامرأة تسمى جعفر ..

والرابع : ان يكون المسمى مذكرا واسمه مؤنث كرجل يسمى طلحة ..

● وبعد

فان الانصاف يفرض علينا ان نشير الى عمل المحققين العالمين الجليلين الدكتورين احمد حسن كحيل ، وحمزة عبدالله النشرتي فقد احسنا الاختيار اولا وحسن الاختيار من التراث امر له تقديره وقد اعتمدا على نسختين للاصل مخطوطتين وهناك نسخة مطبوعة بمصر منذ ثمانين عاما ، لكنهما وجدا بها تصحيفا كثيرا وسقطا ، ولدى نسخة منها ، وهي تقريبا بلا تحقيق وهي رسالة صغيرة اما النسخة المحققة التي نقدمها الى القراء فهي في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير وهذا يشير الى الجهد العلمي العظيم الذي بذله المحققان الفاضلان ، فالى جانب ضبط الاصل

والتعريف بالمؤلف والكتاب والترجمة للاعلام شرحا الالفاظ وحققا الاحاديث والشواهد من اللغة والفقه والشعر ووضعا في نهاية الكتاب فهارس للاحاديث النبوية والقوافي والاعلام واهم المصادر ثم الموضوعات ..

ولا يسعنا ازاء هذا الجهد العلمي العظيم سوى تقديرنا للمحققين العالمين الباحثين .

الخصائص العامة للاسلام

● المؤلف ليس في حاجة الى التعريف به ، فهو الدكتور يوسف القرضاوي الاستاذ بكلية التربية في جامعة قطر ، والذي سبق ان قدم - وما يزال يقدم - للمكتبة الاسلامية دراسات اسلامية امتازت بالاصالة ، والمرونة ، وسعة الافق ، فالقراء يعرفون جيدا كتابه « الحلال والحرام في الاسلام ، وقد طبع بضع عشرة مرة ، وكتابه « الحل الاسلامي فريضة وضرورة » وكتابه « الحلول المستوردة ؛ وكيف جنت على امتنا » ثم « فقه الزكاة » في مجلدين كبيرين ، وهو الدراسة التي حصل بها على الدكتوراه من كلية اصول الدين بجامعة الأزهر .

● والكتاب يقع في زهاء مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو مقسم الى سبعة فصول ، بعد الخصائص التي اختارها المؤلف - ليس على سبيل التحديد او الحصر - وهذه الخصائص هي : الربانية - الانسانية - الشمول - والواسطية - الواقعية - الوضوح - ثم الجمع بين الثبات والمرونة ، وقد كان للخصائص الثلاث : الاولى والثانية والاخيرة ، نصيب اوفى من الدراسة ، بينما احتلت الخصائص الثلاث : الرابعة والخامسة والسادسة ، نصيبا وسطا من حيز الدراسة ، اما الخصيصة الثالثة ، فقد كان نصيبها من الدراسة اقل الانصبة ، وهي خصيصة « الشمول » .

○ في **الخصيصة الاولى** : « الربانية » يشير المؤلف الى أن الربانية ، معناها : الانتساب الى الرب - على غير قياس - أي الله سبحانه ، ويطلق على الانسان انه « رباني » اذا كان وثيق الصلة بالله ، عالما بدينه وكتابه ، معلما له ، اما

المراد من الربانية هنا، فأمران: ربانية الغاية والوجهة، ثم ربانية المصدر والمنهج، ويعني بربانية الغاية والوجهة: ان غاية الانسان، وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله، والحصول على مرضاته، وما عدا هذه الغاية الرئيسية من غايات انسانية واجتماعية ليست إلا خادما للهدف الأكبر، وكل ما في الاسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يهدف إلى إعداد الانسان ليكون عبدا خالصا لله، لا لأحد سواه، ولهذا كان روح الاسلام وجوهره هو التوحيد.

ويثير المؤلف قضية ليست جانبية، فمما يقال مثلا: ان الأحمق يعيش؛ ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، ولكن السؤال الذي يعجز الماديون عن الاجابة عنه، هو: لماذا يعيش العاقل؟ ويجيب عنه المؤمنون: ان الانسان يعيش ليعرف خالقه سبحانه، ويعبده، ويقوم بخلافته في الأرض.

اما ربانية المصدر والمنهج: المعنى الآخر للربانية، فيعني به: ان المنهج الذي رسمه الاسلام للوصول الى غايته وهدفه منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله تعالى الى خاتم رسله، لم يأت المنهج نتيجة لارادة فرد او ارادة اسرة، او طبقة او حزب او شعب وانما جاء نتيجة لارادة الله. وإذا كان الله سبحانه هو صاحب هذا المنهج، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الداعي الى هذا المنهج، ليس له من القرآن الا التلقي والحفظ، ثم التبليغ والدعوة، والسنة التي بينت القرآن هي نفسها وحي الهي، ولكنه وحي غير متلو ولا معجز، وما جاء في السنة عن طريق الاجتهاد، فالله لا يقر رسوله على الخطأ فيه، بل ينزل الوحي مصححا ومصوبا، أو مثبتا ومؤكدا.

ثم يشير المؤلف الى ميزة منهج الاسلام بين المناهج القائمة في العالم، فالاسلام هو المنهج الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة، ولا مخلوطة بأوهام البشر، واغلاط البشر، وانحرافات البشر، واذا نحن نظرنا الى المناهج القائمة في العالم، وجدناها **ثلاثة**: **المنهج البشري المحض**، ومصدره التفكير العقلي او الفلسفي لبشر فرد، او مجموعة من الافراد، كالشيوعية والرأسمالية والوجودية، **والمنهج الديني البشري**، كالديانة البوذية، لا يعرف لها اصل الهي، او كتاب سماوي، فمصدرها اذن فكر بشري، **ثم المنهج الديني المحرف**، الذي عملت فيه يد التحريف والتبديل، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمت ثقة بربانية مصدره، كاليهودية والنصرانية، اما الاسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر وتحريفهم، وهذه الميزة، كان من ثمراتها: العصمة من التناقض والتطرف ـ البراءة من التحيز والهوى ـ الاحترام وسهولة الانقياد ـ التحرر من عبودية الانسان للانسان.

● هذا مجرد عرض للخصيصة الاولى: الربانية، للتعرف على منهج

البحث عند المؤلف الذي يعتمد على الاستطراد والتحليل والمقارنة الى حد ما ، وهكذا فعل في بقية الخصائص ، فأشار في الخصيصة الثانية « الانسانية » الى أن الاسلام يمتاز بنزعته الانسانية الواضحة الثابتة ، الاصيلة في معتقداته وتوجيهاته ، وليس هناك تناقض بين الربانية والانسانية فالاسلام مع ربانيته في غايته ووجهته ، هو انساني ايضا في الغاية والوجهة ، ومن هنا نقول : ان للانسان مكانا ـ أي مكان ـ في غايات الاسلام العليا ، واهدافه الكبرى ، مع تقرير غايته الربانية ، وابرازها وتثبيتها ، اذ لا تنافي بين الغاية الربانية ، والغاية الانسانية ، بل هما متكاملتان .

وفي الخصيصة الثالثة : « الشمول » يشير المؤلف الى أن هذه الخصيصة تميز الاسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان ، والفلسفات والمذاهب ، بكل ما تتضمنه كلمة « الشمول من معان وأبعاد ، انه شمول يستوعب الزمن كله ، والحياة كلها ، ويستوعب كيان الانسان كله ، انه رسالة للانسان في كل مجالات الحياة ، وفي كل مجالات النشاط البشري ، والخصيصة الرابعة « الواسطية » انما يعبر عنها بـ « التوازن » اي التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين ، ومثال الاطراف المتقابلة او المتضادة : الروحية والمادية ـ الفردية والجماعية ـ الواقعية والمثالية ـ الثبات والتغير ـ وما شابهها ، ومعنى التوازن بينها ، ان يفسح لكل طرف منها مجاله ، ويعطي حقه بالقسط ، بلا وكس ولا شطط ، ولا غلو ولا تقصير ، والانسان عاجز عن انشاء نظام متوازن بعقله المحدود ، وعلمه القاصر ، فضلا عن تأثير ميوله ، ونزعاته ، ولهذا لا يخلو منهج او نظام يصنعه بشر من الافراط والتفريط كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ .

ويشير المؤلف الى الخصيصة الخامسة : « الواقعية » فهي لا تعني في الاسلام ما يعنيه بعض الفلاسفة من الماديين او الوضعيين ، من انكار كل ما وراء الحس ، وما بعد الطبيعة ، واعتبار الواقع هو فقط ، الاشياء المحسة ، والمادة المتميزة ، فلا إله عندهم للكون ، ولا روح للانسان ، كذلك يرفض الاسلام الواقعية التي تعنى قبول الواقع على علاته ، وانما تعني الواقعية لدى الاسلام ، مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعية ، ووجود مشاهد ، ولكنه يدل على حقيقة اكبر منه ، ووجود اسبق وابقى من وجوده ، ومراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، تنتهي بالموت ، وتمهد لحياة اخرى بعد الموت ، ومراعاة واقع الانسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، والواقعية بهذا المعنى ليست نقيضا للنزعة المثالية المعتدلة في الفلسفة والاخلاق .

وبعد ان عرض المؤلف للخصيصة السادسة : « الوضوح » سواء فيما

يتعلق بالاصول والقواعد ، ام بالمصادر والمنابع ، بالاهداف والغايات ، ام بالمناهج والوسائل ، عرض للخصيصة السابعة والاخيرة « الجمع بين الثبات والمرونة » فأشار الى ان الذين يكتبون عن الاسلام ورسالته وحضارته في عصرنا فئتان متقابلتان : الأولى تبرز جانب المرونة والتطور في احكام الاسلام وتعاليمه ، حتى تحسبها عجينة لينة قابلة لما شاء الناس من خلق وتشكيل بلا حدود او قيود ، اما الفئة الاخرى فتبرز جانب الثبات والخلود في تشريعه وتوجيهه ، حتى يخيل اليك انك امام صخرة صلب لا تتحرك ولا تلين ، ولا جدال في الاسلام انه دين وسط ، يتميز مجتمعه بالتوازن بين الثبات والتطور ، او الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات والمرونة ، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع ، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح ، الثبات فيما يجب ان يخلد ويبقى والمرونة فيما ينبغي ان يتغير ويتطور ، وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الاسلام لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية فالسماوية كانت تمثل الثبات بل الجمود احيانا وقد سجل التاريخ على كثير من رجالها توقفهم في وجه الحركات العلمية والتحررية الكبرى ، ورفضهم لكل جديد في ميادين الفكر او التشريع او التنظيم ، والوضعية تمثل عادة المرونة المطلقة ، ولهذا تراها في تغير دائم ، ولا تكاد تستقر على حال . اما الاسلام فقد اودع الله فيه عنصر الثبات والخلود ، وعنصر المرونة والتطور معا .

● وبعد ـ فقد اشار المؤلف في مقدمته الى كتاب الشهيد « سيد قطب » خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » وقال عنه : انه يعني بجانب واحد من جوانب الاسلام الرحب ـ كما يبدو من عنوانه ـ وهو جانب التصور والاعتقاد ، اما خصائص المنهج او المذهب او النظام الاسلامي كله ، فلم يكن ذلك هدف المؤلف في الكتاب » ولقد احس الدكتور القرضاوي بهذا القول الذي اقتضته منه الامانة العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان المقارنة التي ابداها بين مؤلفه ومؤلف الشهيد سيد قطب مقبولة ولكن الى حد ما ، فالمنهج لدى كليهما في تقديم هذه الخصائص يكاد يكون متقاربا غير ان الدكتور القرضاوي عنى عناية اكبر بابراز الوجه المشرق للاسلام بهذه الخصائص اما الشهيد سيد قطب ، فقد عني عناية اكبر بالعمل على انقشاع السحب التي هي من صناعة الفكر المادي ، والتي تحول دون ابراز الوجه المشرق للاسلام لدى الغربيين انفسهم ، وهناك شيء آخر هو ان كتاب الشهيد سيد قطب هو القسم الاول ، اقصد ان ما طبع ليس كل الكتاب ، الذي لم يتم ، وازاء هذا تكون المقارنة بين المؤلفين غير وافية ، وهذا لا يحول دون ان نقدر في الدكتور القرضاوي ان قدم للمكتبة الاسلامية دراسة تعتز هي ويعتز الشباب المسلم معها به .

من ابحاث مؤتمر الطب الإسلامي الأول

نظرة الإسلام للطب

للدكتور/ابراهيم الصبي

اولا : الاسلام وعلم الطب

● ـ علاقة الاسلام بالطب هي عنصر جزئي ينطلق من حقيقة كبرى تحكم نظرة الاسلام للانسان فالانسان في القرآن الكريم هو خليفة الله في الارض ، وهو مخلوق الله المكرم الذي أمر الملائكة فسجدت له وسخر له الارض ليبني فيها ويعمر .

هذه القيمة العظمى للانسان هي التي فرضت احاطة مخلوق الله المكرم بسياج من الضمانات التي قررتها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لدرجة ان العدوان على الانسان هو اعتداء على المجتمع بأسره . يقول القرآن الكريم : (**من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ .

ويقرر الرسول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم وازاء هذه القيمة العظمى والمسئولية الكبرى للانسان فان الله تعالى قد سلح الانسان بالمعرفة : (**الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان**) الرحمن/١ ـ ٤ .

وهكذا تتضح الصورة : انسان كرمه الله ، ثم حمله مسئولية كبرى وهي حمل امانة الله في الارض ثم اعطاه السلاح الاساسي وهو : « العلم والمعرفة ».

● ـ وعلم الطب هو ابرز وسائل المعرفة لحماية ذلك المخلوق الذي كرمه الله لكي يؤدي رسالته على الارض فالطب ترجمة لحق البدن على صاحبه كما يقول الرسول :

« إن لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا » رواه البخاري .

● ـ والعلم الحق هو الذي يهدي الى الايمان والايمان الحق هو الذي يعطي مجالا للعلم وهذا هو العلم الذي يريده الاسلام ، يريده علما في ظل الايمان وفي خدمة مثله العليا وفي ذلك أشار القرآن (**اقرأ باسم ربك**) العلق/١ وهكذا طلب القرآن قراءة مقيدة بقيد خاص وهو ان تكون باسم الله . وبهذا تكون موجهة الى الخير .

● ـ الاسلام يفضل طلب العلم على العبادة غير المفروضة . فعن رسول الله قوله (فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم) رواه الترمذي .

وذلك ان معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها فالذاكر وتالي القرآن يتعبدون بما يزكى انفسهم ويزيد في حسناتهم ، ولكن المجتمع لا ينال من عبادتهم فائدة مباشرة تحقق له النفع ، اما العلم فنفعه متعد لا يقتصر على صاحبه بل يفيد منه الناس .

● ـ لذلك كان للعلوم التطبيقية مثل الطب مكانة رفيعة في الاسلام . ففي الآية الكريمة : (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/٢٧و٢٨ . كانت خشية الله عائدة على العلماء المشتغلين بالعلوم التطبيقية التي وردت في الآية الكريمة مثل الجيولوجيا والطب والاحياء .

● ـ بل ان العلم النافع للبشرية يتميز على العبادات بان ثوابه لا ينقطع بانتهاء الحياة قال رسول الله : « « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه البخاري ومسلم .

● ـ وعلى ذلك نقول اذا كانت العبادات وسيلة الى رضا الله فان العلم ايضا وسيلة الى رضا الله والى نفع العباد وهذا يستلزم من العلماء ان يوجهوا علمهم الى ما يرضي الله :

« من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عوضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » رواه احمد وابو داوود و « من طلب العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم » رواه ابن ماجه والسيوطي . ولكي لا يكون العلم سلاحا ذا حدين دعا الرسول الى تقوى الله في استخدامه حيث يقول « العلم الخشية وتقوى الله » رواه الطبراني .

● ـ وبالرغم من اهتمام الاسلام

بالطب فان هناك توضيحا للعلاقة بين القرآن والعلوم الطبية . ان القرآن ليس كتابا في الطب او الفلك كما يحاول بعض اعدائه ان يجدوا فيه تباينا مع هذه العلوم . ان مادة القرآن اكبر من تلك المعلومات الجزئية فمجال القرآن هو الانسان ذاته ، اعتقاده ومشاعره وسلوكه واعماله وعلاقاته بخالقه وبما حوله ، وبذلك يصحح له مفاهيمه وتصوراته عن الحياة ، ويضعه على الطريق السليم ليستخدم طاقاته ومنها طاقته العقلية لتعمل بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للانسان ، كما يعالج بناء المجتمع الانساني الذي يسمح لهذا الانسان بان يحسن استخدام طاقاته في الخير بما يرضي الله .

ان القرآن الكريم كتاب هداية ، يهدف الى تكوين المجتمع المسلم الذي يقيم رسالة الله في الارض والسنة النبوية التي تعتبر شرحا وتطبيقا لكتاب الله تناولت من الجوانب الطبية ما يهم صالح المجتمع المسلم كما سنوضح فيما بعد . فرسول الله ليس طبيبا ولم يدع لنفسه القدرة على الشفاء بل كان يقول لاهل المريض : « ارسلوا الي طبيب » رواه احمد وبعبارة اوضح فالكتاب والسنة وضعا الخطوط العريضة للتشريع في مختلف مجالات الحياة لتتناسب الشريعة الاسلامية مع كل زمان ومكان في حدود جلب المصالح وتجنب الضرر والضرار .

● ـ ان وجود بعض المصطلحات مثل « الطب الاسلامي » او « الطب النبوي » لا يعني ان الطب الذي يمارس اليوم في العالم طب غير اسلامي . هذه المصطلحات تحمل معنى تخليد التراث الحضاري للامة الاسلامية في عهد ازدهار الدولة الاسلامية ، ذلك الازدهار الذي انعكس على مختلف العلوم ومنها الطب ، فكانت نهضة حقيقية تستفيد بما قبلها وتناقشه وتنقحه وتضيف له خلاصة تجاربها وانتاجها ، ثم تصدره للعالم في افضل صورة متاحة للبشرية في ذلك الحين . وفي كل هذه المراحل كان الفضل للاسلام . في مرحلة الترجمة كان الدافع هو ان : « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها اني وجدها » رواه الترمذي وفي مرحلة الانتاج الذاتي كان الدافع هو دعوة القرآن والرسول للعلم في مواضعها الكثيرة .

وفي مرحلة التصدير كان الدافع هو ان الاسلام يرفض الاحتكار لاي شيء ولذا لا بد من نشر المعرفة . والآن وبعد التخلف الحضاري والتفتت الاقليمي للامة الاسلامية ، فانها مطالبة بالاستفادة من الطب الذي يتقنه الاخرون بل واللحاق بهم . ان تذكر امجاد الماضي يجب ان يكون دافعا لانجازات المستقبل لا سببا للتوقف عند الحد الذي وصلوا اليه . وكل ما ينجزه العقل البشري من علم نافع يقبله الاسلام ، بل ويباركه الرسول . مشجعا للمتخصصين في علوم الحياة رافضا ان يفرض عليهم اية وصاية حين يقول : « انتم اعلم بأمور دنياكم » رواه مسلم .

ثانيا : الاسلام ومهنة الطب

● ـ الاسلام يحترم العمل المهني من اجل الكسب الحلال . فالرسول يقول : « ان اطيب ما اكل الرجل من كسب يده » رواه البخاري والطب مهنة للكسب الحلال امتدحها رسول الله : « نعم العبد الحجام » وورد انه « احتجم واعطى الحجام اجره » رواه البخاري .

● ـ والمسلم في عمله الحلال له ثواب العبادة . فرسول الله اعاد شابا من الجهاد لكي يعمل لتوفير الرزق لوالديه المسنين وقال له : « ففيهما جاهد » رواه البخاري ولكي يكون العمل في منزلة العبادة لا بد ان تتوفر في ممارسته نية صادقة بأنه موجه الى رضا الله فالرسول يقول : « من ابتغى وجه الله فان نومه ونبهه اجر كله » » ابو داوود والنسائي .

● ـ لذلك فان الاسلام يدعو الطبيب المسلم لأن ينطلق في ممارسة مهنة الطب من قواعد ثلاث :ـ

★ دفع الضرر عن المجتمع المسلم بتوفير مقومات الصحة للمجتمع . والرسول يقول : « ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري والطبيب في مجال تخصصه مطالب بان يقدم علمه وخبرته لصالح المجتمع المسلم . يقول الرسول : « اعزل الاذى عن طريق المسلمين » رواه مسلم « والله يكره اذى المؤمن » رواه الترمذي .

★ اداء واجب الاخوة في الله نحو اخيه المسلم المريض ففي الحديث الجامع عن رسول الله : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ومسلم وبذلك يكون هدف الطبيب في تخفيف الام المريض اسمى من الرغبة في الاجر والجزاء الدنيوي وارفع من اشباع النفس بلذة الشعور بالمهارة في المهنة .

★ الرحمة الانسانية التي تتسع لكل البشر مسلمين وغير مسلمين بل تتسع لكل كائن حي كما يقول الرسول : « لكم في كل ذات كبد حرى اجر » رواه الطبراني « لن تؤمنوا حتى تراحموا ». قالوا كلنا رحيم يا رسول الله . فقال الرسول « ليست الرحمة ان يرحم الرجل قومه انما يرحم الناس جميعا » رواه الطبراني .

وموقف الطبيب في العملية العلاجية هو انه اداة الرحمة الالهية والوسيلة التي يخفف الله بها آلام الناس ، فعندما قال ابو رمثة لرسول الله : « دعني اعالج ما بظهرك فاني طبيب » فقال له الرسول : « انت رفيق والله الطبيب » رواه ابو داوود واحمد ان ذلك يجعل الطبيب دائم الصلة بالله يسأله التوفيق في عمله . كما انه يقيه من الغرور المهني عند نجاحه في عمله لأن ذلك يحبط العمل ويزيل الاجر .

ثالثا : نظرة الاسلام للمرض

● يعترف الاسلام بالمرض كحالة غير طبيعية تصيب اعضاء معينة من

الجسم . فرسول الله يقول لسعد بن ابي وقاص حيث اصيب بمرض القلب : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة اخا ثقيف فانه رجل يتطبب) » رواه ابو داوود . اذن ليس المرض ناتجا عن الشياطين والنجوم والارواح الشريرة . لذلك منع الاسلام كل الممارسات المبنية على هذه المعتقدات الخاطئة ، مثل التطير والتمائم والعرافة وغيرها . يقول الرسول في احاديثه : « من علق تميمة فقد اشرك » رواه احمد « من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد » رواه احمد « لا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة » رواه الترمذي « ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه الترمذي .

● صحيح ان الاسلام لم يوضح العوامل والاسباب المرضية بالصورة التي نفهمها الآن ، لأن الحضارة الانسانية في هذا العصر لم تكن لتستوعب هذه المعلومات . ومع ذلك فقد اعطى ارشادات محددة تهدف لسلامة المجتمع المسلم مثل ما ذكره الرسول في العدوى وصحة البيئة والتغذية والنظافة الشخصية . وهذه لا تختلف عما يقوله عالم في العصر الحديث يعرف مسببات الامراض ووسائل مكافحتها . وحديث الرسول عن الطاعون ما هو الا اسلوب الحجر الصحي الحديث للامراض الانتقالية ولكن دون ان يذكر العامل المرضي « الميكروب » وطريقة انتقاله بصراحة . عن اسامة بن زيد قال رسول الله : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها » رواه البخاري .

● المسلم مطالب بحفظ صحته والمجتمع مطالب بوقاية نفسه من الامراض بل وتوفير الصحة الايجابية بمفهومها الحديث يقول الله تعالى : **(إن خير من استأجرت القوي الأمين)** القصص/٢٦ . ويقول الرسول : « لو لم يكن لابن آدم الا اسلامه والصحة لكفاه » رواه الترمذي .

وليس ذلك بغريب فالمؤمن القوي الصحيح اقدر على اداء الرسالة التي خلق الله الانسان من اجلها ليعيش على الارض ويؤدي الامانة التي تقبل ان يحملها . ان القرآن يعيب على اولئك الكافرين الذين يريدون الحياة - اي حياة - لمجرد الحياة **(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)** البقرة/٩٦ .

ان الاسلام لا يقبل ان تكون امة المسلمين غثاء كغثاء السيل ، تعيش على هامش الحياة في عجز جسماني وفكري . فعندئذ يكون بطن الارض خيرا لها من ظاهرها .

● بل ان كره المرض امر طبيعي يقبله الاسلام فعندما ما قال ابو الدرداء لرسول الله « لأن اعافي فأشكر احب

الى من ابتلى فأصبر » فقال الرسول : « الله يحب معك العافية » رواه الترمذي « اسألوا الله العافية فانه ما أوتي احد بعد يقين خيرا من معافاه » رواه الترمذي .

● ولكن اذا ما حدث المرض فان المسلم اقدر على تقبل هذا الواقع المؤلم بصبر ينبعث من ايمانه بنظرية الابتلاء . فالمرض ليس غضبا من الله او عقابا من السماء لكنه ابتلاء يكفر الذنوب ويرفع الدرجات اذا تلقاه المسلم بصبر واحتساب . يقول الرسول : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياه » رواه البخاري ومسلم واحمد .

● بل ان هناك جانبا يتميز به الاسلام في موقفه من المرض وهو وان بدا امرا ـ يتعلق بالسلوك الا انه في نهاية الامر نوع من العلاج النفسي لنا ان نصنفه في جانب العلم بأكثر مما يصنف في جانب الآداب والاخلاقيات . فللمريض حق على الصحيح وهو حق العيادة ، كما ان له حقا على الطبيب هو حق الطبابة . وهذه الحقوق تستمد من التأكيد الشديد الذي ركزت عليه احاديث الرسول في عيادة المريض الى ما يشبه الوجوب ، وانها من حقوق المسلم على المسلم ، انها ليست مجرد تخفيف عنه وصله له ولكنها قربى الى الله .

يقول الرسول في الحديث القدسي :

« ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يارب : كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده . اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده » رواه مسلم وهكذا فالمريض قريب من الله كما يقول الرسول الكريم : « عودوا المرضى ومروهم فليدعو لكم فان دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور » رواه الطبراني « اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة » رواه ابن ماجه .

● بهذه الفلسفة يكون المريض قادرا على التماسك والتحمل ولا يكون المرض البدني سببا في تولد المرض النفسي او الاضطرابات العضوية النفسية . بل ان صلابة النفس ـ كثيرا ما تساعد في شفاء المرض الاصلي .

● ويتفرع من تلك الفلسفة ايضا ان الازمات الصحية مهما اشتدت لا تقود المسلم الى التفكير في التخلص من حياته . بل لا يجوز له ان يتمنى الموت . عن انس بن مالك عن رسول الله : « لا يتمنين احدكم الموت من ضر اصابه فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي » رواه البخاري ومسلم .

● اعطى الاسلام المريض رخصة تعفيه من الالتزامات الشرعية حسب ما تمليه الضرورة . ففي القرآن الكريم : **(ولا على المريض حرج)** النور/ ٦١ ولذا يباح الذهب في العلاج التعويضي كما امر رسول الله عرفجة بذلك ، كما يباح استعمال الحرير في

المرض الجلدي فرسول الله رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير لحكة كانت بهما مع ان كليهما محرم على الرجال .

رابعا : نظرة الاسلام للوقاية والعلاج :

● دعا الاسلام الى تطبيق اسس الرعاية الصحية الثلاثة وهي الوقاية والعلاج والتأهيل .

● وحيث ان الطب الوقائي يهدف الى تدعيم الصحة الايجابية لذلك اولاه ـ الاسلام اهمية خاصة . فالمجتمع المسلم الصحيح اقدر على حمل الامانة واداء رسالة الله في الارض . وعلى ذلك نجد ان احاديث الرسول في الصحة الوقائية تتميز بالتفصيل وتنتهج اسلوبا اقرب الى الالزام . اما الطب العلاجي فقد تناولته بالمنهج العادي في التشريع وهو وضع القواعد الاساسية التي تضمن السير في الطريق الصحيح دون الدخول في التفاصيل .

● ففي مجال البيئة نجد الاسلام قد وضع انموذجا رائعا لارتباط كل فرد مسلم بأمة الاسلام ، ويتمثل ذلك في مسئولية كل فرد عن سلامة المجتمع والتزام كل مؤمن بسلامة اخيه تماما كالتزامه لنفسه فالقرآن الكريم وضع القواعد الاساسية : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) الحجرات / ١٠ . والرسول يقول : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري . « والمسلم للمسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى . رواه مسلم .

وانطلاقا من ذلك فان المحافظة على الصحة الشخصية لا تكفي بل لا بد من الحرص على صحة البيئة ويتمثل ذلك في الاحاديث « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم فنظفوا افناءكم وساحاتكم » رواه الحاكم . « انظر ما يؤذي الناس فاعزله » رواه احمد . « لا يبولن احدكم في الماء الدائم » رواه البخاري .

● وفي مجال الوقاية من الامراض المعدية وضع الرسول قيودا على حركة المريض : « لا يحل الممرض على المصح وليحل المصح حيث شاء » رواه مالك . بل ان المسلم مطالب بالالتزام بقواعد الحجر الصحي في حالة الوباء ، ولو ادى ذلك الى التضحية بنفسه فالرسول يقول : « الطاعون شهادة لكل مسلم » رواه البخاري ومسلم .

● وفي مجال الصحة الشخصية فان طهارة البدن شرط لدخول الاسلام والنظافة شرط لاداء اهم اركانه وهي الصلاة . ونظرا لأهمية صحة الاسنان وانعكاساتها على اجهزة الجسم المختلفة جعل العناية بها تكاد تكون ملزمة كما في قول الرسول : « لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك قبل كل صلاة » رواه البخاري ومسلم . وكثير من احاديث الرسول تناولت صحة الغذاء والاواني والطعام .

● وفي مجال السلامة والوقاية من الحوادث : وضع الاسلام القاعدة الاساسية لهذا العلم الذي لم يتبلور الا في اواخر القرن العشرين : فلكل حادثة سبب ولتجنب الحوادث يجب على المسلم ازالة اسبابها وقاية لنفسه . في القرآن الكريم : (**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**) البقرة ١٩٥ (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**) النساء/ ٢٩ .

وحديث الرسول « لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون » رواه البخاري « ارشادك الرجل في ارض الضلال - صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة » رواه الترمذي .

● وفي الطب العلاجي امر الاسلام بالتداوي امرا صريحا وحازما فالمسلم ليس قدريا يهمل العلاج ويترك نفسه للاقدار بل لا بد من العلاج الذي جعله الله سببا للشفاء .. وعندما سئل الرسول عن دواء يتداوى به هل يرد من قدر الله شيئا فقال الرسول : « هي من قدر الله » رواه ابن ماجه . وحديث الرسول المعروف عن العلاج « يا عباد الله تداووا . ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » رواه احمد . « فاذا اصاب الدواء الداء بريء باذن الله » رواه مسلم .

هذه التعليمات الواضحة غيرت مفاهيم البشرية نحو المرض والعلاج ووضعت حدا للخرافات الشائعة عن اسباب الامراض ووسائل علاجها . ووضعت الناس على الطريق الصحيح ليبحثوا في الداء والدواء ليعلم من لم يكن يعلم .

● واستكمالا للدقة في تحديد المسار الصحيح للطب العلاجي دعا رسول الله الى احترام التخصص في فروع الطب فينادي الحارث بن كلدة للمريض المفؤود . وعندما يواجه طبيبين متقدمين لعلاج مريض يسألهما : « ايكما اطب بهذا » رواه مالك . حتى يتلقى المريض افضل رعاية متخصصة .

● هناك ادوية معينة كانت شائعة في عهد الرسول وبطبيعة الحال فانه استعملها في مرضه مثل سائر الناس ومن هنا بدأ بعض الكتاب والمؤرخين في استعمال تعبير « الطب النبوي » وبمرور الزمن ظهر اتجاه الى تقديس كل ما مارسه رسول الله من طعام وشراب وعلاج والالتزام به ، مع ان حديث رسول الله صريح في انه امر بالالتزام بما جاء به الوحي من امور الاسلام . اما الممارسات الدنيوية التي لا تتعلق بالعقيدة ، فالاجتهاد فيها مفتوح في اطار الالتزام بحدود الاسلام : « انتم اعلم بأمور دنياكم » فالاسلام لا يقبل ان يمتنع المسلم عن استعمال دواء حديث لمجرد ان الرسول لم يستعمله لأنه لم يكن موجودا في ذلك العصر . واعتقد ان احاديث الرسول فيما يتعلق بالعلاج تلتزم ايضا بالمنهج العام للتشريع وهو اعطاء الاطار الواسع للعموميات . فعندما علم رسول الله ان سيدة تستعمل مادة مهيجة للامعاء كوسيلة مسهلة ، نصحها بان تستعمل

السنا . وارى انه يقصد بذلك ان يضع قاعدة التداوي بما لا يضر او بما هو اقل ضررا اكثر مما يقصد ان يلزم الناس باستعمال السنا .

وهكذا نرى ان التشريع يقترب من الالزام في جانب الوقاية ودفع الضرر عن المسلمين - ويتجه الى وضع القواعد العامة التي تتمشى مع روح الاسلام فيما يتعلق بالعلاج .

● اما التأهيل فيهدف الى منع العجز بسبب المرض . والاسلام يعود المسلم الا يستسلم للعجز بل يصلي ولو بجفن عينه . الكل مطالب بالعمل حسب طاقته فالحديث : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه مسلم . والاسلام لا يرضى للمسلم ان يعيش عالة على غيره والحديث يقول : « اليد العليا خير من اليد السفلى » رواه مسلم . حتى في مجال التأهيل بالجراحة التعويضية اباح الاسلام استخدام الذهب في العلاج التعويضي رغم انه محرم على الرجال . اما الممارسات التي يقصد بها تشويه جسم الانسان او تغيير صورته الجميلة مثل الوشم فان الرسول حرمها بقوله : « لعن الله الواشمات » رواه مسلم . وقديما كانوا يكسرون جزءا من الاسنان اذا كان بارزا لاغراض التجميل وبذلك يزيلون طبقة المينا الواقية على سطح الاسنان وهذا فيه ضرر وهنا يتغلب دفع الضرر على التجميل فيحرمها الرسول بقوله : « لعن الله الواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي . اما الجراحة بقصد التجميل اذا لم يكن فيها ضرر او احتمال واضح للضرر فانها تدخل في القاعدة العامة : « ان الله جميل يحب الجمال » رواه البزار .

والمرأة المسلمة مطالبة بان تبدو بأجمل صورة في عيني زوجها .

خامسا : الاسلام وآداب ممارسة مهنة الطب :

● لا يجوز فصل آداب المهنة عن الاخلاقيات العامة التي يجب ان يتصف بها كل مسلم في سلوكه . فالاسلام يهدف الى تكوين الذات الاسلامية منذ الطفولة بحيث يمتزج الخلق الاسلامي مع تكوين الفرد وطباعه . ومن واجب الاسرة والمدرسة والدولة ان يوفروا البيئة الصالحة التي لا يشيع فيها المنكر ، ويكون المثل الاعلى فيها قول الله تعالى : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم / ٤ . وبذلك ينشأ الجيل منسجما مع فطرته النقية بسهولة بلا تناقضات ويجد طريق الخير امامه سهلا وبذلك يتحقق قول الله تعالى : **(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)** الطور / ٢١ .

والطبيب المسلم الذي يحمل امانة الاسلام اولا وامانة المحافظة على صحة المسلمين ودفع الضرر عنهم ثانيا ، اولى الناس بان تكون تربيته اسلامية وسلوكه محمديا .

وعندما سئلت عائشة زوجة الرسول عن اخلاقه قالت : (كان خلقه القرآن » رواه مسلم وابو داوود . وبذلك يكون الالتزام بخلق الاسلام جزءا من طبع الطبيب ،

يمارسه بلا تكلف في جهره وعلانيته ، ونذكر قصة المعلم الذي قال لتلميذه الصغير : « اذبح هذا الطائر في مكان لا يراك فيه احد » فغاب الغلام ثم عاد ومعه الطائر حيا وقال لاستاذه « لم اجد المكان الذي اكون فيه وحيدا تماما لأني كلما اختبأت في مكان شعرت ان الله معي » والطبيب المسلم الذي يشعر ان تعامله مع الله وان عليه رقابة دائمة : (**عن اليمين وعن الشمال قعيد**) ق/١٧ . لا بد ان يتقي الله في التعامل مع خلق الله . اذا تذكر قول رسول الله : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا » رواه البخاري ومسلم . فان نظرته الى الكائنات الحية كلها ستكون نظرة رحمة فأولى به ان يكون رحيما مع الانسان ـ افضل مخلوقات الله ـ الذي كرمه الله وجعله خليفة في الارض . لقد جرت العادة منذ عهد ابقراط ، ان يبدأ الطبيب حياته المهنية بترديد قسم يلتزم بادابه في ممارسة الطب . ان قضية السلوك المهني لا تحل بقسم ولا تستوفى بدراسة مقرر علمي في آداب ممارسة الطب ولا تحكمها قواعد قانونية تقررها نقابة طبية او دستور وضعي ان الرعاية بالمريض تحمل التزامات اخلاقية . والطبيب في ممارسته اليومية ستواجهه كثير من المواقف تستلزم استفتاء الضمير . وهنا ستتأثر قراراته بمدى التزامه تجاه ربه . وهنا ينبعث حكمه من قول رسول الله : « والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه احمد . ان مفهوم الواجب في الاسلام هو ان تعمل لا بقصد رضاء الناس بل يقصد به وجه الله : (**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**) الانعام/١٦٢ .

● هذه القاعدة الاساسية تندرج تحتها كل الفضائل والاخلاقيات التي اوصى بها القرآن والرسول الكريم ومنها :

★ الصبر : (**واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين**) هود ١١٥).

★ الاحسان في العمل : (**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**) البقرة/ ١٩٥) : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان**) النحل/ ٩٠).

★ السمت الصالح : « ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الكلام الطيب : « الكلمة الطيبة صدقة » رواه الترمذي .

★ الابتسام : « تبسمك في وجه اخيك له صدقة » رواه الترمذي .

★ الحياء : « ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحياء » رواه ابن ماجة ومالك .

★ الرحمة : « ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء » جامع الاصول .

★ الرفق : « لا يحل لمسلم ان يروع مسلما » رواه احمد وابو داوود .

★ التواضع : « من احب ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » رواه ابو داوود والترمذي .

★ الصحبة الطيبة : « لا تصاحب الا

مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه احمد والترمذي .

● ولكن هناك بعض جوانب اخلاقية معينة تمس عمل الطبيب اكثر من غيره ، ويلزمه ان يتذكر دائما حكم الاسلام فيها . ومن ذلك جوانب علاقته بالمريض كما يلي :

★ غض البصر : يقول القرآن : (**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم**) النور/ ٣٠ . فلا يجوز ان يكون الترخيص بالاطلاع على عورات الناس عند الضرورة مبررا للتخلي عن الحياء الواجب على كل مسلم . وعلى الطبيب الا يطلع الا على ما هو ضروري . وان شعور المريض بحياء الطبيب في هذا الموقف يعطيه ثقة اكثر في طبيبه .

★ لا يجوز اخبار المريض بخطورة مرضه ولو كان ميئوسا من شفائه . ان حالة المرض من الحالات القليلة التي رخص فيها الاسلام باخفاء الحقيقة قال رسول الله : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه » رواه الترمذي وابن ماجه .

★ وتطبيقا للقاعدة الشرعية : « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابو داوود . فإن الطبيب عليه ان يخطر المريض المصاب بمرض معد ويدعوه الى الاعتكاف لمنع الضرر عن المسلمين ، وهناك فرق بين أن يفقد المريض الامل في الشفاء وان يعرف انه مصدر ضرر للاخرين فيبتعد عنهم . اذا تعارضت مصلحة المجتمع مع مشاعر الفرد تفضل مصلحة المجتمع . فعندما علم رسول الله ان مريضا بالجذام قادم اليه ليبايعه مع المسلمين ارسل اليه ليرجع قائلا : « ارجع فقد بايعناك » رواه مسلم .

★ والطبيب في مهنته معرض للاطلاع على اسرار المريض فيجب ان يتخلق بخلق الاسلام في هذا المجال « من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة » رواه مسلم .

★ واذا استشاره المريض فليتزم بالامانة في ابداء المشورة وليحافظ على ما استشير فيه ، فالرسول يقول : « المستشار مؤتمن » رواه الترمذي وابو داوود .

★ فحص الطبيب للمريضة يجب ان تحضره ممرضة او احد محارم المريضة تطبيقا لقول الرسول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم » رواه البخاري .

● وهناك جانب آخر من سلوك الطبيب يمكن ان نسميه اسلاميات ممارسة المهنة ـ ومنها ما يلي :ـ

★ بدء الفحص او العلاج بذكر اسم الله فان ذلك له عدة اعتبارات :

ـ ادعي للتوفيق في العمل فالرسول يقول : « كل عمل ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر » رواه ابو داوود .

ـ استشعار لدوره كسبب نفاذ ارادة الله في العلاج وهذا هو موقف العبودية لله .

ـ توجيه عمله لله حتى يثاب عليه .

ـ منح المريض دفعة روحية وهو في موقف حساس : (**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٥ .

★ قد يشهد وفاة المريض وبصفته

مسلما قبل ان يكون طبيبا فعليه ان يلقنه الشهادتين كما يقول : « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » رواه مسلم .

★ تجنب ما حرم الله في العلاج تنفيذا لقول الرسول « ما جعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه البخاري .

وفي الطب الحديث لكل علاج محرم بديله الحلال .

★ تجنب الممارسات كالاجهاض والوشم فقد قال الرسول : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والواشرات والمستوشرات » رواه الترمذي .

★ الا يقدم على ممارسة الا اذا كان مطمئنا الى كفايته لتنفيذها فالرسول يقول : « لا حكيم الا ذو تجربة » رواه البخاري والترمذي . ويحترم التخصص المهني تنفيذا لقول الرسول : « من تطبب ولم يعلم عنه طب فهو ضامن » رواه ابو داوود .

★ ان يحافظ على كفاءته العلمية بالتعليم المستمر فان مهنته تتعداه الى غيره وعلمه من النوع التطبيقي والرسول يقول : « الحكمة ضالة المؤمن اني وجدها ينشدها » رواه الترمذي .

★ ان يتعامل مع زملائه الاطباء على اسس من تعاليم الاسلام فيتجنب الغيبة والتجريح ويحترم الكبير : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا ـ عباد الله اخوانا » رواه مسلم . ولا يتعالى على الصغير : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » رواه ابو داوود والترمذي . ويقدم النصح لمن يحتاجه : « الدين النصيحة » رواه البخاري ومسلم .

وان يسعى لتعليم زملائه الاقل خبرة : « من دل على خير فله مثل اجر فاعله » رواه مسلم : « يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » رواه الترمذي .

★ ان يفيد بعلمه كل مريض يمكنه مساعدته فالرسول يقول : « اللهم اني ـ اعوذ بك من علم لا ينفع » رواه الترمذي : (من كتم علما عن اهله الجم يوم القيامة لجاما من نار » رواه السيوطي .

★ ان يذيع ما يكتشفه من جديد في العلاج تعميما للفائدة ولا يحتكر طريقه في العلاج بقصد الكسب منها فالرسول يقول : « لا يحتكر الا خاطىء » رواه مسلم .

★ وان يراعي حرمة الميت كما يراعي حرمة الحي فالرسول يخاطب الكعبة قائلا : « والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك » رواه الترمذي .

ويقول : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي في الاثم » رواه ابن ماجة ومالك .

ان آفاق التعاليم الاسلامية تتسع لكل ممارسة طبية يقصد بها الخير للانسان وحتى في المواضع التي لم يرد فيها نص صريح فان التشبع بروح الاسلام يعطي الطبيب المسلم امكانية التصرف طبقا للمصالح المرسلة التي يراها نافعة للبشرية .

وهذا يزيد من حاجة المجتمع المسلم لأن يكون الاطباء اقرب الى الله واكثر التزاما بما انزل الله وجاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

بأقلام القراء

مفهوم القوامة في الأسرة

تحت هذا العنوان كتبت الاستاذة/فتحية محمد توفيق تقول :

لابد لكل مجتمع من المجتمعات الانسانية من رئيس يدير الشؤون ، ويرعى المصالح . ويتولى الامور بالرعاية والتوجيه ..

والاسرة هي المجتمع الصغير ، الذي يتكون منه المجتمع الانساني الكبير .. وبما ان الاسرة مجتمع ، فهي في اشد الحاجة الى قائد ، يصرف الامور بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويقود هذا المجتمع الصغير . الى شاطىء الامن . ومرفأ السلام . ويساعد في بناء وتوطيد دعائم المجتمع الكبير .

ولئن كان القرآن الكريم . قد سوى بين الزوجين في الحقوق والواجبات .. فلا ينبغي ان نفهم اطلاقا من هذه المساواة : المساواة المطلقة التي تتعدى حدود القدرة والامكانيات ..

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة ، في حدود الطاقة . كانت الدرجة التي فضل الله بها الرجال على النساء ، في قوله تعالى **(وللرجال عليهن درجة)** والاسلام الحنيف في اعطائه الرجل الحق . في القوامة على الاسرة ، قد بنى ذلك على سببين رئيسيين :

احدهما : ان الرجل هو المكلف بالانفاق على الاسرة . ولا يستقيم مع العدالة في شيء ، ان يكلف الانسان بالانفاق على هيئة ما دون ان تكون له القوامة عليها والاشراف على شؤونها .

وثانيهما : قوامة الرجل على المرأة . هو : ان المرأة مرهفة العاطفة . قوية الانفعال . شديدة التأثر .. وان ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية ..

وقد سوى الله سبحانه وتعالى المرأة على هذا الوضع . حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاساسية وهي وظيفة الامومة والحضانة والتربية على خير وجه ..

فلا يخفى ان هذه الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم . اكثر مما تحتاج الى التفكير . والادراك . والتأمل . على حين ان الرجل لا يندفع في الغالب مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة . بل تغلب عليه ناحية الادراك والتفكير ..

فصفات القوامة والرياسة . متوفرة ـ

اذن ـ في الرجل بطبعه . اكثر من توافرها في المرأة ..

وقوامة الرجل ، قائمة على الرحمة . والمودة . والمحبة . وحسن التصرف ، فهي قوامة تهدف الى الرعاية والعناية والتوجيه . وليست بسلطان مفروض .

وهي بمعنى اخر : تدبر . وارشاد . وليست بسيطرة ..

قال الله تعالى في سورة البقرة :

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) . ويقول ابن كثير في قوله تعالى « **بما فضل الله بعضهم على بعض** » اي لان الرجال افضل من النساء ، والرجل خير من المرأة .. ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال .

وكذلك الملك الأعظم ـ رئاسة الدولة ـ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، « لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة » رواه البخاري .

وقال تعالى في سورة النساء « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** » .

قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في كتابه ـ المرأة في القرآن ـ : « والقوامة هنا في الآية السابقة ، مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجال من واجب الانفاق على المرأة ـ وهو واجب مرجعه الى واجب افضل ، لمن هو دونه فضلا وليس مرجعه الى مجرد انفاق المال والا لامتنع الفضل اذا ملكت المرأة مالا . يغنيها عن نفقة الرجل ، او يمكنها من الانفاق عليه .

وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين ، من تاريخ بنى ادم ، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات ، والشرائع العامة ، وبعد نشوئها .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اي الناس اعظم حقا على المرأة ؟ قال : زوجها .

قلت : فأي الناس اعظم حقا على الرجل .

قال : امه رواه البزار والحاكم .

وعن الحسن رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن اهل بيته » رواه ابن حبان في صحيحه .

فأنت ايها القارىء الكريم ، ترى من كل هذا ، ان هذه الرئاسة والقوامة تعني فيما تعني : قوامة متجهة الى خير من يدخل في نطاقها ، وتحقيق السعادة له .

وتعني فيما تعني : الارشاد والهداية التي تجعل من التفاهم والاقناع وسيلتها الفعالة في بناء الأسرة .

اجل : انها رياسة ، ودرجة ، وقوامة ، تتوارى وراء البحث والتفكير الحر ولا تظهر الا عند الضرورة القصوى للفصل في المواقف المعقدة .

درجة ، وقوامة ورياسة : لا تتضمن حيفا على الزوجة ، ولا مساسا بحريتها ، ولا نقصا من حقوقها . ولكنها وسيلة لابد منها لحسن سير الامور ، في الأسرة ، وهكذا نرى الحكمة واضحة في التشريع الاسلامي .

بريد الوعي الاسلامي

شبابنا .. والتبشير الصليبي

كتب الينا من تونس الصديق/ رمضان الفارس يقول : جاءتني من فرنسا رسالتان تبشيريتان من رسائل (دروس بالمراسلة) والرسالتان تدعوانه الى اتباع المسيحية بالمراسلة ، وارسل لنا النموذج الداعي الى المراسلة وباللغة التي يريد ، ومجانا تصله المنشورات والكتيبات التبشيرية (وننشر صورته مع التعليق)

ورد الصديق على الرسالتين مسترشدا بقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

فكان مما قال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الملوك والأمراء في عهده فقد كتب الى هرقل امبراطور الروم والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس عظيم القبط في مصر ، ونجاشي الحبشة والى سائر أمراء العرب يدعوهم الى الاسلام فماذا فعلنا نحن ؟ وصلتني رسالة تبشيرية من فرنسا تدعوني الى اتباع الديانة المسيحية عن طريق المراسلة وهي الثانية من نوعها ولقد قمت بالرد على الأولى في العام الماضي ولكن دعاة الشرك يواصلون بث سمومهم فماذا فعلنا نحن ؟ انشغلنا باللهو والحياة الفارغة ، ونسينا ما كان عليه السلف الصالح فرق ، كبير بين اناس قال الله في حقهم (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**) وبين اناس انحرفوا عن جادة الصواب ، قد أضاعوا ليلهم في المعاصي في حين أن أعداءنا يخططون لنا ويبرمجون وبعد ذلك نطلب النصر من الله ! فواجبكم يا حماة الاسلام وحراس العقيدة أن تنتبهوا الى خطورة هذا الأمر ، وأن تضعوا حدا لهذا التيار قبل أن يكبر ، وهل آن لنا أن نستفيد من دروس الماضي القريبة منها والبعيدة كما استفاد بها أبطالنا من قبل فنعود الى قرآننا ونجمع القلوب التي تفرقت . أما آن لنا أن نتوقف عن البكاء على ماض ضيعناه ونشرع في التخطيط لمستقبل نطمئن به على أبنائنا من بعدنا ويكفينا فخرا أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يرد الخطر ويؤمن المستقبل ، ولا يتم هذا الا بالاستفادة من دروس التاريخ وبخلق هدف نبيل يعتمد على كتابنا الكريم . وواجب المسلمين في كل عصر أن ينتبهوا لما يحيط بهم وما يحاك لهم من مؤامرات

ودسائس ، وما أكثرها وصدق الله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران/٨٥ .

المحرر :

ونطمئن الصديق رمضان .. بأن الله سبحانه وتعالى ناصر دينه ، وحافظه من كل تحريف أو تبديل ، ولأن الاسلام هو دين الفطرة فانه يكتسب كل يوم أنصارا وأتباعا .. ذاك لأنه ما من فضيلة الا ودعا اليها ، وما من رذيلة الا ونفر منها .. والاسلام دين البساطة : اله واحد بلا تعدد ولا شبيه ، ولا ميوعة في الفكرة .. وتشريع يهدف الى صالح الانسانية جمعاء في الدنيا .. ويعد المتقين بنعيم مقيم في الآخرة .. العدل فيه هو الميزان .. والحق هو المتبع .. والعقل والشرع يسيران معا في طريق النور .. ورسوله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ..

الاسلام بقوته الذاتية ينتشر في ربوع العالم ليبدد الخرافات .. ويدعو أهل الديانات السابقة الى كلمة سواء .. اخلاص العبادة لله .. والدخول فيما بشر به الأنبياء السابقون جميعا من أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله الى الناس كافة وعلى الجميع اتباعه ، والايمان برسالته .. ليجدوا الخير في الدنيا والآخرة ، والا فلن يقبل الله من الأديان الا الاسلام ..

وواجب المسلمين اليوم أن يكونوا قدوة ومثلا طيبا .. فقد كان السلف

الصالح قرآنا متحركا .. في معاملاتهم ، وقـوانينهم ، واجتماعيـاتهم ، وسياستهم ، وكل شؤون حياتهم .. فدخل الغير في الاسلام لما رآهم على هذا المستوى من صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ..

وهذا هو أول الطريق للدعوة الى الله ، سلوك مستقيم ، وطهارة في الظاهر والباطن ، وبعد ذلك تؤتي الكلمة الطيبة ثمارها ..

وعلى علماء المسلمين وأغنيائهم أن يضعوا في ميزان حسناتهم ما يرفع درجتهم عند الله فبالعلم والمال تقف الدعوة الى الاسلام في وجه المنحرفين والعابثين .. وعن طريق الكتيبات البسيطة في أسلوبها الواضحة في معناها يمكن أن ندعوا الى الله .. أرأيت أخي المسلم كيف أنهم في كفرهم على استعداد لارسال تعاليمهم بأية لغة لأي شخص ومجانا !! ما أحرانا - ونحن دعاة الخير - أن نبذل في سبيل الدعوة الى الله بعض أموالنا .. ونوجه رسائلنا عن طريق الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، والرسائل الى انسان العصر الحاضر حيث الاتصالات سهلة ، والمسافات قد تلاشت بين أقطار الأرض ، والعقل البشري يستطيع تمييز الخبيث من الطيب .. متى حمل أمانة التبليغ علماء أكفاء مخلصون للحق ..

« والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

احلام مزعجة

رسالة جاءت من العريش - ج . م . ع - يقول صاحبها : انه يعاني من احلام مزعجة ، وتسيطر عليه افكار غريبة ، ويجد نفسه في اوضاع لا يرضاها لنفسه ، ويحرمها الدين الاسلامي الحنيف ، ثم يفيق من نومه ليجد آثارا في ملابسه ، توجب عليه الاغتسال ، ويسأل عن حل ؟ ..

المحرر : الاخ السائل لا ترهق نفسك ، ولا تحملها فوق ما تطيق ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » .

من هنا فلا اثم عليك فيما يصدر منك ، او تجده في منامك ، فلتهدأ نفسا ، ولتقر عينا ، هذا وبالمداومة على الصلاة وتلاوة القرآن الكريم خاصة قبل النوم ، تذهب عنك باذن الله وساوس الشيطان ، واذا وجدت شيئا مما تكره ، فحاول الاستيقاظ من نومك ، واستغفر الله ، وادعوه ، وفوض الامر عليه ، وحاول ان تشغل نفسك بالطاعات دائما ، فيصح نومك ، وعلى اية حال فانه لا اثم عليك فيما تجده في منامك ، ويجب عليك الغسل من خروج المنى فقط .. والله يصرف عنك ما يسوء ، واستشر طبيبا فقد تكون اعصابك مرهقة والشفاء من عند الله .

مع صحافة العالم

حاربوا التبشير بالسلاح الذي دخل به

○ كتبت جريدة الدعوة السعودية في عددها رقم ٨١٣ كلمة حول هذا الموضوع جاء فيها

التبشير نقطة هامة يرتكز عليها الاستعمار وينطلق منها ، ومجلة الدعوة الغراء في عددها رقم «٧٩١» تحت عنوان : « ضرورة انشاء مدارس اسلامية في العالم الاسلامي » ، ذكرت ناحية هامة لمحاربة الاستعمار الا وهي انشاء مدارس اسلامية مقابل مدارسه التبشيرية المنتشرة في كل مكان من العالم الاسلامي ، وبذلك تكون قد فتحت ملف هذا الموضوع الهام الذي يجب ان يبحث من جميع نواحيه .
ولعلي في الكلمة التالية اسهم في الافصاح عن بعض النواحي التي استطاع به الاستعمار ان يدخل الى بلاد الاسلام افكاره ومعتقداته .
لقد نفذ من ابواب كثيرة فغزا العقول وافسد المعتقدات ، وبنظري ان اوسع الابواب التي دخل منها « الفقر » ذلك الاخطبوط المفزع الذي يمسك بخناق الانسان فيحاول التخلص منه بأية طريقة فالفقير ككل انسان يريد ان يؤمن الدواء لولده والكتاب لفلذة كبده ، واللباس لعائلته ، والرغيف لمن يعول ، يبغي تهيئة المناخ الصالح لحياة يسعد فيها وعائلته يطوي بها ايام حياته . وهنا ، وجد الاستعمار مرتعا خصبا يرتع فيه كيف شاء فأمن للفقراء كل هاتيك المتطلبات الضرورية الملحة والتي لا يستطيع المرء ان يعيش بدونها ، امنها لهم باسم الانسانية ، وهو بلا شك كاذب ، امنها لهم باسم العطف والحنان وحقوق الانسان وهو ثعلب مراوغ انها طريقته التي استطاع ان ينجح فيها الى حد كبير واسلوبه في العمل لتنفيذ المخطط الذي قرره دهاقنة المبشرين المتأمرين على الاسلام .
وبحكم الحاجة انزلق الفقير المحتاج لتأمين الكتاب والدواء والغذاء وكان فساد عقيدته واولاده .
نحن لا نلتمس كبير عذر لهؤلاء ولكن الغريق يريد ان يمسك بمن ينقذه بلا تمييز ولا خيار حتى ولا ادنى نظر الى ما يترتب عليه لقاء نجاته من الغرق .
ـ والجوع امهر الطباخين ـ / والحاجة ام الاختراع / (وكاد الفقرأن يكون كفرا) .

ولا يعقل ان يترك انسان في اليم تتقاذفه الامواج ونقول له : اياك اياك ان تبتل بالماء !!!

ان الكثير من الشعوب الاسلامية التي غزاها التبشير تشكو الفقر ، فقر في الرجال فقر في المال فقر في كل الامكانيات ، وبعملية حسابية بسيطة يتبين لنا ان الزكاة المفروضة على الموسرين في العالم الاسلامي المترامي الأطراف تكفي لسد حاجيات تلك الشعوب وبالتالي توصد بابا واسعا أمام الغزو التبشيري المتزايد .
اقول عندنا في لبنان ، في الخليج ، في كثير من بلاد الاسلام تبذير بين للاموال واسراف متزايد ، اناس يصرفون المال هنا وهناك بلا حساب واخرون يفتقدون الدرهم لاطعام جائع او كسوة عار او معالجة مريض .
ان الذي ينفق الملايين في حفلة زفاف !! يستطيع ان يبني مستشفى ، والذي يصرف مليوني ليرة في اشهر الصيف !! يستطيع ان يؤسس جامعة ، والذي يصرف مليون ليرة في رحلة استجمام تدوم عدة ايام فقط !! يستطيع ان يطبع عدة الاف من كتاب إسلامي ـ في العقيدة مثلا ـ يوزع مجانا على شبابنا في العالم الاسلامي .
نحن لسنا بحاجة الى الاستعمار ، لسنا بحاجة الى مدارسه وجامعاته ، لسنا بحاجة الى مستشفياته ومصحاته ، لسنا بحاجة الى ماله وثروته ، لسنا بحاجة الى عطفه وحنانه ، فعندنا كل شيء موجود ومتوفر ـ **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ـ ولا ينقصنا سوى الاهتمام بأمور المسلمين استجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .
فهل يفكر اصحاب الثروات الضخمة في امور المسلمين ويتنادون لوضع دراسة شاملة كاملة لجمع الزكوات والتبرعات ووضعها في مكانها المجدي المثمر ضمن خطة يشرف عليها العاملون في الحقل الاجتماعي والاسلامي العام والامراء والعلماء من ذوي الهمم العالية والغيرة الاسلامية الصحيحة ؟؟

المسلمون بخير

○ **نشرت جريدة النور المغربية بتاريخ ١٩٨٢/١/١٢ هذه الكلمة** :

على امتداد التاريخ الاسلامي كان العلماء يقفون في وجه كل طاغية ، ومحرف ، ومبتدع ، وقدم العلماء الصورة الناصعة للتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم ، ومع انصرام القرون فان اسماء : سعيد بن جبير ، واحمد بن حنبل ، والثوري ، وغيرهم وغيرهم لا تزال تثبت للعالمين ان مهمة العالم في الاسلام هي ان يقف في وجه كل انحراف وزيغ ، وان يكون صوت الحق المدوي الذي لا يخشى في

الله لومة لائم .
والمسلمون اليوم بخير لماذا ؟ .. لان السجون تستقبل افواج العلماء بين فينة واخرى ، ولأن حبال المشانق ، والرصاص المستورد تزهق ارواحهم التي ترتفع الى الله ضارعة .
كل هذا يبشر بخير فالمسلم الحق هو الذي يبتلي فيصبر ويجاهد ، ولينصرن الله من ينصره .

الوصول الى الحق

○ قالت جريدة الانباء الكويتية في عددها رقم ٢١٩١ تقول :

لقد اصبح واضحا اليوم انه لا بقاء لهذه الامة ولا نصر لها ، ولا علاج لمشاكلها المعقدة الا بالعودة الى الاسلام وتطبيق احكامه العادلة وتعاليمه الكريمة بحذافيرها .. ويوم اعتصم العرب بالاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان عزوا بعد ذلة ، وقووا بعد ضعف ، واهتدوا بعد ضلال فعلت رايتهم ، واحترمت كلمتهم ، واتسعت دولتهم وعظم سلطانهم ، وانهارت امامهم كل قوى . وتلاشى امام هيبتهم كل نفوذ ، وتحطم امام غضبتهم كل جبروت ، وطأطأ الرأس لمطالبهم كل طاغية عنيد .. كيف حصل هذا ؟ كيف تبدلت الاحوال ؟ كيف صار الضعف قوة ؟ كيف اصبح الاعراب المتقاتلون المتباغضون اخوة متآلفين متحابين ؟.. انه الاسلام ، وانه القرآن ، انه نور الله العظيم ، انه كلامه الحكيم من اتبعه فقد اهتدى ، ومن استمسك به فقد عز وساد ، وبالمقابل فان من ينحرف عنه يضل ويشقى ومن يبتغ العزة من غيره يذله الله .
نعم هذا ما فعله الاسلام ، وهذا ما فعله العرب بعد ان اسلموا ، وهم بعد ذلك كلما ابتعدوا عن دينهم وعن اسلامهم ، كلما اذاقهم الله لباس الجوع والخوف ، وكلما حادوا عن الطريق المستقيم ، كلما نكبوا وابتلوا بالقحط والمرض والذل والهزيمة والخذلان ، وكلما اقبلوا على الدنيا كلما اعرض عنهم الله وتخلى عنهم يقول جل شأنه « **ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا** » .. ويقول : « **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون** » .
ان ما اصاب العرب والمسلمين اليوم من ذل وهوان ، وما الم بهم من ضعف وانحطاط هو نتيجة حتمية لتخليهم عن تعاليم دينهم واقبالهم على الدنيا ، واعراضهم عن الاخرة ، بخلاف ما كان عليه اباؤهم الاوائل ، وسلفهم الصالح رضوان الله عليهم . ولن يكشف الكرب ، ولن يرد الخطر الداهم ، الا اذا عرف المسلمون وخاصة العرب منهم كيف يعودون الى الله تعالى وكيف يقيمون حدوده ، وكيف يتخلصون نهائيا من حب الدنيا ، وحب المال ، وحب الشهوات والا فسوف تكون ـ لا قدر الله ـ الضربة قاضية والهزيمة منكرة .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٣)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة عشرة ● العدد ٢١١ ● رجب ١٤٠٢ هـ ● مايو ١٩٨٢ م



سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا
ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

بسم الله الرحمن الرحيم

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

صدق الله العظيم

- الحج ٣٩ -

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١١ ● رجب ١٤٠٢ هـ ● مايو ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

كيف نستعيد فلسطين ؟

أوحى الله إلى بني إسرائيل في التوراة وحيا مقضيا بحصوله بأنهم سيفسدون في أرض الشام وبيت المقدس مرتين ، وأنهم في هاتين المرتين سيعلون علوا كبيرا ؛ ويتجاوزون حدود الشرع والعقل بالبغي والظلم والغرور والكبر ، وأنهم كلما ارتفعوا واتخذوا من الارتفاع وسيلة للافساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويدمرهم تدميرا ، وإن عادوا بعد المرتين للافساد عاد الله لهم بالعقوبة .

وقد حكى الله تعالى هذا الإخبار في القرآن الكريم حيث يقول : (**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم**

لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا).

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد طبقا للعلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وانتشار الفساد فيها .. فمن قبل ثلاثة آلاف سنة وفلسطين بلاد العرب الكنعانيين ، فلما غزاها بنو إسرائيل عند هروبهم من مصر اعتبروا أهلها أعداء لهم ، واعتدوا عليهم . وعاملوهم بالبطش والحقد والقسوة والتقتيل . وصورت لهم نفوسهم المطبوعة على الفساد والافساد أن أرض كنعان وما حولها من البلاد ـ من الفرات إلى النيل ـ هبة لهم من إلههم حسب وعوده لأجدادهم ، وملأوا التوراة بتلك العهود المفتراة ، وقرنوها بأوامر لليهود ان يقتلوا غير اليهود دون تمييز بين رجل وامرأة ، وطفل وشاب ، ومحارب وغير محارب ، وأن يكون القتل والابادة دون سابق إنذار أو دعوة لاعتناق اليهودية .

وقد مكثت تلك المحنة العاتية تفعل فعلها بالكنعانيين حتى بعث الله على اليهود من قوض ملكهم وشتت شملهم نتيجة فسادهم وإجرامهم ، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض .

غزاهم الأشوريون سنة سبع وسبعين وستمائة قبل الميلاد ، وذبحوهم ، وأسروا ملكهم وسبوه إلى « بابل » .

وفي سنة عشرين وثلاثمائة قبل الميلاد حكمهم « بطليموس » وأرسل مائة ألف منهم إلى الأسر في مصر .

وفي سنة سبعين ميلادية دمر القائد الروماني القدس . وفتك بهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك التاريخ ، وتفرقوا شذر مذر في أنحاء العالم ، فكانوا في كل مكان حلوا فيه أداة فساد وإفساد ، مما جعل الشعوب والحكومات تضيق بهم وتطاردهم .

ضاق المسلمون بغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق ، فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها .

وفي سنة ألف ومائتين وتسعين ميلادية طردهم ملك الانجليز بعد أن أحرق الشعب البريطاني عددا كبيرا منهم .

وفي سنة ألف وثلاثمائة وأربع وستين ميلادية حذت فرنسا حذو الانجليز ، فشردت اليهود وطردتهم حتى لم يبق في فرنسا يهودي واحد .

وعذبتهم اسبانيا على يد محاكم التفتيش .

وأقيمت لهم المذابح في روسيا وبولندا وايطاليا ورومانيا وبلغاريا وهنغاريا .

ولا ينسى التاريخ الحديث ما حدث لهم على يد « هتلر » .

والوجود الاسلامي في بيت المقدس وما حولها بدأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلبية للاشارة الالهية بالاسراء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام .

وقد ظل الوجود الاسلامي ـ منذ ذلك التاريخ ـ متصلا طوال القرون ، ولم يهتز إلا في فترة الاحتلال الصليبي ثم عاد راسخا قويا إلى أن وقعت الكارثة سنة ألف وتسعمائة وثمان وأربعين ميلادية باحتلال اليهود لأرض فلسطين !!

ويكشف لنا التاريخ أن اليهود لم يكونوا طرفا في النزاع على بيت المقدس طوال مدة الوجود الاسلامي في فلسطين .. ذلك أن اليهود لم يكونوا موجودين في البلاد بشكل يجعل منهم مشكلة . بل كانوا قلة ضئيلة تنعم ـ بين المسلمين ـ بسماحة الاسلام وعدله ، لها ما للمسلمين وعليها ما عليهم .

وباحتلال اليهود لأرض فلسطين عام ١٩٤٨ عادوا إلى الإفساد في الأرض ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فالهمجية التي تعرض لها أهل فلسطين على أيدي اليهود في غزوهم الأول لها قبل ثلاثة آلاف سنة ، من فنون الكيد والمكر والبغض والحقد والتقتيل والابادة ، يتعرض لها أصحاب فلسطين اليوم ومنذ سنة ١٩٤٨ ... وما مذبحة « دير ياسين » وغيرها من المذابح التي اقترفها اليهود ، وما ضروب الوحشية التي ترتكب الآن مع أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة الا نمط من انماط قبائح اليهود ... وما صمود اهل فلسطين امام تلك الهجمات الوحشية التي يدعمها الطغاة في كل مكان ، إلا امتداد لكفاح الاجداد ، يدعمه الايمان بالله والثقة في نصره ، واليقين بوعده : (**وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**) .

إن تاريخ أمة من الأمم لم يشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود وتنكر للهداة ، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم ، وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين ، ولا ينتظر من أصحاب هذه الفعلة إلا استباحة دماء البشر ، واستباحة كل وسيلة قذرة تنفس عن أحقادهم وفسقهم .

على الأمة الاسلامية التي اعتدى عليها اليهود وسلبوا أرضها ومقدساتها ، أن تدرك أن ذلك ما تم لهم إلا لنجاحهم في تضليل هذه الأمة عن دينها ، وصرفها باللؤم والمكر عن قرآنها ، كي لا تأخذ منه أسلحتها الماضية وعدتها الواقية ، وعليها ـ كي تسترد ما سلب منها ـ أن تعود إلى دينها ، وتطبق شريعة خالقها ، فتستقيم لمن يستقيم لها امتثالا لقول الله تعالى : (**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين**) وتقاتل من

يعتدي عليها امتثالا لقوله جل شأنه : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**) .

ولتعلم الأمة الاسلامية أن قضية فلسطين ليست قضية إنسانية تتمثل في لاجئين يستحقون العطف والاحسان ، ويستحقون أن يوطنوا في البلاد العربية بعد طردهم من وطنهم ـ كما حاول اليهود وأعوانهم أن يجعلوها ـ وليست قضية عنصرية تخص العرب دون باقي المسلمين ، او قضية إقليمية تقتصر على اهل فلسطين كما ينبىء عن ذلك الأسلوب المتخذ حاليا لمعالجتها ، وكما يحاول اليهود وأعوانهم أن تكون .. وإنما هي قضية إيمانية يوجهها الايمان بالعقيدة الاسلامية ، والجهاد في سبيل الله . ويوم أن توضع في هذا الموضع الحقيقي تدنو ثمار النصر ، لأن الأعداء لا يبلغون من الأمة المسلمة شيئا مما يريدون وهي متمسكة بعقيدتها ، ملتزمة بمنهج دينها ، مدركة لكيد أعدائها .

وكل من يحاول صرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فإنما هو من عملاء يهود سواء عرف أم لم يعرف ، أراد أم لم يرد .

وعلى العلماء المخلصين أن يبصروا الشعوب الاسلامية بحقيقة العداء اليهودي وأنه عداء للاسلام يبغي القضاء عليه في كل مكان ، وأن يشخصوا لها بصورة واضحة الحقائق التاريخية عن فلسطين والقدس حتى لا تكون فريسة للتضليل .

إن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين والحرب بينهم وبين المؤمنين هي حرب بين اليهودية المختلقة المزيفة « التي تحض اتباعها على الظلم والاعتداء والحقد والغدر والجشع والقسوة والبطش والغرور » والاسلام الحنيف « الذي يأمر بالعدل والاحسان والرحمة وينهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

وانتصار الاسلام في هذه المعركة أمر حتمي بعون الله لأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، وسقوط بيت المقدس وما حوله ما هو الا سحابة صيف عن قليل تزول ، متى استخدمنا قارورة الدواء ، ولم نضن على أنفسنا بالعلاج : (**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

هو من عند الله

للاستاذ/ عمر الراكتي

تعلم يا أخي القاريء العزيز ان القرآن الكريم كتاب هداية ، ودستور عمل ، ونظام حكم ، وشريعة فرد ودولة ودول .

وهو وان لم يكن كتاب علوم لكنه تضمن ـ في مجال مخاطبة العقل ومنهجية التدليل على أنه من عند الله ـ آيات علمية ادركناها بما أفاءه علينا العليم الخبير سبحانه من علم .

ولسوف تدرك الاجيال من بعدنا ، بعلمها المتجدد ، معانى جديدة للقرآن لا ندركها نحن الان ، وسيظل الامر كذلك جيلا من بعد جيل .. فعطاء القرآن لا ينفد ، وصدق الرحمن إذ يقول : « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** » فصلت/٥٣

وفي التفسير الذي أخرجته وزارة الاوقاف في مصر بواسطة لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بعنوان « المنتخب » اشارات كثيرة الى العديد من آيات الله ذات السمة العلمية التي ادركناها نحن مؤخرا بعلمنا الحديث .

ولقد أردت لك يا أخي القاريء العزيز ان تتابع معي إشارات ومشاهد من هذه الآيات أقتطفها لك من التفسير المذكور ، لتزداد ايمانا على ايمانك ، وليعلم المرجفون أن الله نزل الذكر وأنه حافظ له ، وأنه كتاب لا تنفد آياته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المن والسلوى :

« **وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما**

رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » البقرة/٥٧
« **و إذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** » البقرة/٦١

● في قوله تعالى في تلك الآيات ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي أن المواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كلحوم الحيوانات والطير ، ومنها السمان « السلوى » أفضل في تغذية الانسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي واستفادة الجسم ، كما أن المن أساسه مواد سكرية حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان .

الجغرافيا والفلك :

« **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » البقرة/ ١٦٤
● سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرئي يعج بأجرام سماوية ، وتوجه الآية نظر الانسان الى ما في الوجود من حقائق علمية ينطوي تحتها خلق اجرام السماء المتباينة والنظم التي تحكمها ، والأفلاك التي تسير فيها ، وكذلك دوران الأرض حول محورها مما يسبب تتابع الليل والنهار ، ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، والى الماء الذي ينزل من السماء في دورات متتابعة تبدأ بتبخر ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الارض ، وكذلك تشير الآية الى الرياح ودوراتها . وان الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى :

الميتة والدم ولحم الخنزير :

« **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** » البقرة/ ١٧٣
● سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة ، لأن ما يموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من يأكله ، وفوق ذلك فان الموت بالاختناق او المرض ينجس فيه الدم بما يحتويه من مواد ضارة كثيرة كالعرق والبول .

والخنزير ينقل الامراض الخطيرة مثل التنيا ، كما أنه الحيوان الوحيد الذي يصاب بالتركينا التي تصيب آكله إذا أكله .

ومن هنا فعلى المضطر ألا يتجاوز حد الضرورة ولا يبغى ما اضطر اليه .

الصـــيام :

(أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنت تعلمون) البقرة/ ١٨٤

● علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد اهتدى الطب الحديث الى ان للصيام فوائد طبية عديدة ، فهو يفيد في علاج كثير من الامراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكري . كما أنه يصلح الجهاز الهضمي وهبوط القلب والتهاب المفاصل ، ويعطي الجسم والأنسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بهما ، كما أنه وقاية من كثير من الامراض المختلفة .

الأهــلة :

(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) . البقرة/ ١٨٩

● إن القمر يعكس ضوء الشمس نحو الارض من اجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الأهلة . فاذا كان القمر في حالة (الاقتران) أي بين الشمس والأرض فهو في المحاق ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض .

وإذا كان القمر في حالة (الاستقبال) اي الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض فانه يظهر بدرا ، ثم يأخذ في التناقص حتى الاقتران التالي ، وتتم الدورة الاقترانية أي الشهر العربي في مدى ٥٣٠٩ و٢٩ يوما . وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربي من ساعة الهلال وشدة إضاءته : فاذا شوهد الهلال خطا رفيعا عند الافق الغربي وغرب بعد الغروب ببضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب ، وتثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للناس . ودورة القمر هي التي علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الصوم وشهر الحج .

العـــدة :

(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) البقرة/٢٢٨

● شرعت العدة استبراء للرحم اولا ، واستبراء الرحم من الحمل لا يكون

الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا تحيض عادة ، وإن حاضت فان ذلك يكون مرة او اثنتين على الاكثر ، إذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض . ذلك تقدير الله في خلقه وما كان معلوما عند العرب ، وما كان للنبي الأمي أن يعلمه ، ولكن الله أنزل عليه القرآن فعلمه وعلم أمته .

وشرعت العدة ثانيا ليكون عند المطلق فرصة لمراجعة زوجته إذ قد يكون طلقها في غضب جامح فاذا ثاب اليه رشده ندم وحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكيما ، قد أعطاه الحق في أن يراجع زوجته قولا أو فعلا ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .

الرضاعة :

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم) البقرة/٢٣٣

النص القرآني المتقدم يعتبر وجوب الارضاع على الام ، ولا يكون الاسترضاع الا حيث لا يمكنها الارضاع ، وقد اتفق الفقهاء على وجوب الارضاع عليها ديانة ، لأن الارضاع هو المطعم الطبيعي للمولود ، إذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملاءمة فيزداد كمية بزيادة حجم المولود . وتتنوع محتوياته بحسب تقدم الطفل في السن ، والرضاعة تفيد الأم ولا تضرها إلا في أحوال شاذة ، فالرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمي للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود ، وكذلك تعيد الرضاعة تدريجيا الجهاز التناسلي الى اوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة .

ويجوز ان يفطم الصغير لاقل من عامين من ولادته .

ربوة خصبة :

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) البقرة/٢٦٥

● في تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهي الارض الخصبة المرتفعة اشارة ـ وهو ما كشفه العلم الحديث ـ الى انها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذري في التربة من غير ماء يضره ، ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسيقان المجموع الخضري ، فيتضاعف المحصول . وللوابل من الامطار فائدة فوق التغذية ، إذ أنه يذيب بعض المواد التي تحتاج اليها

النباتات مما يزيد نموها كما يغسلها من الآفات .

التصوير في الارحام :

(**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم**) آل عمران/٦

● تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة الباريء المصور ، وهو تحول البويضة المخصبة وهي خلية واحدة ضئيلة الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من اجهزة واعضاء وانسجة بملايين الخلايا مختلفات في البنيان والوظيفة .

وسوف تتوالى في القرآن الكريم آيات تفصل بعض أطوار النمو الجنيني . ولكن الذي تنوه به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص : هو المشيئة الالهية المطلقة في تصوير الجنين ، إذ أن الله يودع في البويضة الدقيقة الحجم جميع الموروثات « الجينات » التي تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الجسمانية ، بل ومواهبه العقلية والفلسفية ، والسمات الرئيسية في تكوين الشخصية الوارثة . وهي وان كانت تسير على قوانين ثابتة ، إلا أن هذا التحديد للصفات الوراثية لكل فرد بذاته نتيجة التقاء بويضة بعينها وحيوان منوي بعينه من بين الملايين من أقرانه ، هو من دلائل المشيئة الالهية المطلقة حتى انه لا يتماثل فردان في العالم تماثلا كاملا اللهم إلا في توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

اخراج الحي من الميت والعكس :

(**وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي**) آل عمران/ ٢٧

● دورة الحياة والموت هي معجزة الكون وسر الحياة نفسها . والسمات الرئيسية في هذه الدورة ان الماء وثاني اكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وانواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية هي مادة الحياة في النبات والحيوان .

أما في الشق الثاني من هذه الدورة فتعود هذه المواد الى عالم الموت في صورة نفايات الاحياء ونواتج « أيضها » - التمثيل الغذائي - وتنفسها .

كما تعود هذه المواد بتحلل الاجسام كلها بعد الموت ، فتستسلم لعوامل التحلل البكتيري والكيماوي التي تحيلها الى مواد غير عضوية بسيطة مهيأة للدخول في دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا في كل لحظة من الزمان : يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة .

وهذه الدورة المتكررة لا تتم الا في وجود كائن أودعه الله سر الحياة .

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الاولى وهي خلق الحياة من مادة الارض الميتة ، ثم تكرار الدورة كما سبق .

وهكذا جاء في الآية الكريمة اخراج الحي من الميت سابقا لإخراج الميت من الحي وهذا هو الاعجاز بعينه .

آيات لأولى الالباب :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) آل عمران/ ١٩٠

● في هذا النص تنبيه الى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق . ذلك أن السماء هي آية من آيات الله بدت لنا بتأثير الاشعة الشمسية على الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض . فعندما تسقط هذه الأشعة على ذرات العناصر الكيماوية التي يتألف منها الجو وعلى ما فيه من أتربة دقيقة تتشتت الاشعة في جميع الجهات .

ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جميع الالوان المرئية ولكن الذرات تمتص الالوان من بعضها البعض .

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ويتفاوت طول الليل والنهار نتيجة ميل هذا المحور عن مستوى مدار الأرض فاذا أضيف الى ذلك دورة الأرض حول الشمس نتج اختلاف الفصول . وتعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول يهيىء البيئة الصالحة للحياة والاحياء .

أنصبة المواريث :

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) النساء/ ١١و١٢

● نظام الميراث الذي بينه القرآن الكريم بكسوره الرياضية الدقيقة وحجب

البعض حجب حرمان أو حجب نقصان أعدل نظام للتوريث عرف ، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون في اوربا ، وهو دليل على أن القرآن من عند الله ، إذ لم يكن هناك قريب منه لدى الفرس والرومان ولا في أية شريعة اخرى قبله ، ويستظهر من هذا النظام القواعد العادلة الآتية :

١ ـ انه جعل التوريث بتنظيم الشارع الحكيم لا بارادة المالك ، من غير ان يهمل هذه الارادة فجعل له الوصية في حدود ثلث ما يملك .

٢ ـ في توزيع الثلثين من التركة بعد الوصية او الدين ، أعطى سبحانه الاقرب فالاقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير .

٣ ـ انه في التوزيع يلاحظ مقدار الحاجة ، ولذلك كان نصيب الفروع اكبر من نصيب الاصول لانهم اكثر احتياجا ، اذ هم مقبلون على الحياة بينما الآباء والامهات مدبرون عنها .

كما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ، حيث تقع عليه التكاليف والاعالة المالية واعباء المعيشة .

فالعطاء على قدر الحاجة هو العدل ، والمساواة مع تفاوت الحاجة ظلم .

٤ ـ ان الشرع الاسلامي في توزيعه للتركة ـ يتجه الى التفتيت دون التجميع ، ويندر في مسائل الميراث ان ينفرد بالتركة واحد ، فالملكية في الاسلام تتوزع جيلا بعد جيل بالتوريث .

٥ ـ انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجري عند العرب ، بل ورث القرابة التي من جانبها ، فالاخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الاشقاء ..

انه الشرع الحكيم ، الا انه من عند الله العليم الحليم .

الكلالة :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) النساء/١٧٦

● يسألونك أيها النبي عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد : ان حكم الله في ميراث هؤلاء ، ان كان للمتوفى أخت فلها نصف تركته ، وان كان للمتوفاة أخ فله تركتها ، وان كان للوارث اختان فلهما ثلثا التركة ، وان كانوا اخوة من ذكور واناث فنصيب الذكر مثل نصيب الانثيين . والله بكل شيء عليم .

التحريم بالرضاعة :

(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)
النساء/٢٣

● اختصت شريعة القرآن دون غيرها بالتحريم بسبب الرضاعة ، لان الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه في بطنها فكلاهما يكون اجزاء جسمه . وتسبق هذه الآية الشريفة بعشرات المئات من السنين ما تبينه علم الوراثة مؤخرا في زواج الاقارب فقد ثبت علميا ان زواج الاقارب يلد ذرية ضعيفة ، أفرادها على استعداد للامراض الوراثية وبهم عيوب خلقية . وقد تقل لديهم درجة التناسل حتى تصل الى العقم .

تحريم المنخنقة والموقوذة :

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) المائدة/٣

● تخاطب الآية الشريفة المؤمنين فتحرم عليهم الميتة أي ما فارقته الروح من غير ذبح شرعي ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، او التي ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علو فمات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه ، وأما ما ادركتموه وفيه حياة مما يحل لكم أكله وذبحتموه فهو حلال لكم بالذبح . وحرم عليكم ما ذبح للاصنام .

وعلة التحريم فيما تقدم أن موت الحيوان قد يكون لشيخوخة او مرض عضوي او طفيلى ، او نتيجة تسممه ، ومن هنا يشتمل لحمه على مواد ضارة تضر من يأكله ، فضلا عن ان الحيوان الذي يموت دون تذكية ينحبس فيه دمه وقد يمضي على موته وقت طويل لا يستطاع تحديده فيتعرض للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذي تلتقي فيه مواد « الايض » ـ اي التمثيل الغذائي ـ كلها ، ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ كالسموم التي تفرزها الكائنات المتطفلة في الجسم ، كما ان كثيرا من الطفيليات يمضي في الدم مراحل من دورة حياته في عائله ، ولهذا كله كان تناول الدم كغذاء محرما .

أما الخنزير فهو الرجس والرجس هو النجس والقذر والمأثم ، فالرجس كلمة جامعة لمعاني القبح والقذر وهي تلصق بالخنزير حتى عند الشعوب التي تأكله . والخنزير حيوان قارت رمام . يأكل ما يجده من قمامة ونفايات وفضول الانسان والحيوان وهذا هو السبب الرئيسي في قيامه بدوره في نقل الامراض وهو لذلك معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليات التي تصيب الانسان من الفيروسات والسبيروكينات :

(اللبتوسبيرا) والحيوانات الاولية (البروتوزا) والديدان الشعرية الحلزونية والمفلطحة والاسطوانية وشوكية الرأس .

ويعتبر الخنزير هو العائل الخازن لها . وتنتشر الامراض التي تسببها هذه الطفيليات والديدان في الصين والولايات المتحدة الامريكية واليابان وكوريا وغيرها وهي تصيب الجهاز الهضمي والمخ والنخاع الشوكي والقلب ، ولا تعرف هذه الامراض في البلاد الاسلامية حيث يحرم أكل لحم الخنزير .

وبعض تلك الامراض يسبب الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس .

وقد بذلت محاولات مضنية في الولايات المتحدة الامريكية لتربية الخنازير بطريقة (صحية) وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ، ومع ذلك ففي الولايات المتحدة ثلاثة أمثال الاصابات التي في العالم أجمع نتيجة تربية وأكل الخنازير ، فان متوسط الاصابة في ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع الوثوق بأن هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة .

يضاف الى هذا ان دهن الخنزير مختلف تماما في درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الاخرى ، ومن هنا فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير ، وينصح الاستاذ « رام » عالم الكيمياء الحيوية الدنماركي الحاصل على جائزة « نوبل » بعدم المداومة على تناوله حيث ثبت بالتجربة ان هذا الدهن يسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلب الشرايين وبعض امراض القلب الاخرى .

أما ما أهل به لغير الله وما ذبح على النصب فهي اوامر تعبدية .

والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فحكمها حكم الميتة وان اختلف سبب موتها .

الخمر والميسر :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة/ ٩٠ و٩١

- ذكر الله سبحانه وتعالى في الخمر والميسر في هذه الآية أمورا أوجبت تحريمهما :

أولها : انها خبث وشر في ذاته اذ لا يمكن ان توصف بالخير لان عنصر الضرر فيها واضح : ففي الخمر فساد العقل وفي الميسر فساد المال .

وفيهما معا فساد القلب ، والشيطان هو الذي يحسنهما .

ثانيها : انها تنشر العداوة والبغضاء ، فالميسر كثيرا ما ينتهي الى نزاع ، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضغينة .. والخمر أم الكبائر ، وعلة تحريمها تنحصر في أن الله كرم الانسان بالعقل بأن جعل له خلايا ارادية عليا في المخ تهيمن على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا في الانسان ، والخمر خاصة والمخدرات عامة تحجب مراكز الارادة والتمييز وتعطلها وتبطلها ، فتنشط المراكز

التي هي دونها فينفعل الانسان بها ، فاما ان يطغى او يعتدى وأما ان يفتر ويخمد ، وهذا معناه فقد التوازن العقلي ، وتتعطل الاعمال والمصالح .

وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا بالغ السوء على الجهاز الهضمي والدوري وعلى الكلي وتؤدي الى تليف الكبد .

ثالثها : اذا فقد العبد الاتزان انصرف عن ذكر الله الذي تحيا به القلوب .

رابعها : وبالتالي فالخمر والمخدرات تصد عن الصلاة أو عن ادائها على الوجه الاكمل .

وقد أجمعت المذاهب الاسلامية على ان الخمر هي كل مشروب او غير مشروب ، يسكر في ذاته ، استنادا الى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي يقول فيه : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) رواه احمد ومسلم والى ما اخرجه ابو داوود في صحيحه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « نهى عن كل مسكر ومفتر » .

فسبحان المشرع الحكيم ، والمبدع القدير الذي يكشف للناس عن آيات علمه المكنونة في كتابه ، يكشف بقدر عنها لجيل بعد جيل الى أن يرث الأرض وما عليها .

علة الجزية :

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة/ ٢٩

كانت الجزية من الموارد الهامة في الدولة الاسلامية ، وكانت هذه الضريبة تتراوح ما بين ثمانية واربعين درهما ، واثنى عشر درهما للفرد الواحد ، تؤخذ من اليهود والنصارى ومن في حكمهم ، وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط أن يكون له مال يدفع منه ما فرض عليه . وأعفى منها النساء والاطفال والشيوخ لان الحرب لا تعلن عليهم ، ولا يدفعها أيضا العمى والمقعدون إلا إذا كانوا أغنياء ، ولا الفقراء والمساكين والأرقاء ، ولم يكن يطالب بها الرهبان إذا كانوا في عزلة عن الناس .

وكانت علة فرض الجزية هي حماية أهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن في حكمهم لم يكلفوا الحرب او الدفاع عن انفسهم وعن غيرهم ، فكان من العدالة أن يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ، ومقابل انتفاعهم بالمرافق العامة في الدولة .

وهي أيضا توازي ما يؤخذ من المسلم من الغنائم وهو الخمس ، ومقابل ما يجود به المسلم من صدقة الفطر وما يفرض عليه من زكاة في الركاز وفي الاموال والزروع وعروض التجارة والصناعة الى جانب الكفارات المختلفة للذنوب ، فكان

من المتعين والحال كذلك أن يؤخذ من غير المسلم ما يقابل ذلك الذي يفرضه الشرع على المسلم .

وكانت الجزية تنفق في المصالح العامة وعلى فقراء أهل الذمة . ومما تقدم يبين بجلاء أن هذه الضريبة لا تهدف الى اذلال أحد ، كما أنها ليست عقوبة مقنعة ، فان عدالة الاسلام وسماحته تأبى مثل ذلك وهو الذي لا يتوخى الا ما يتفق وغاياته السامية .

الصورة المثلى للتكافل الاجتماعي :

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة/ ٦٠

الزكاة في الاسلام هي الصورة المثلى للضمان وللتكافل الاجتماعي في أي مجتمع ينشد الكمال في هذا النطاق .

فلا تصرف الزكاة المفروضة الا للذين لا يجدون ما يكفيهم ، والمرضى الذين لا يستطيعون كسبا ولا مال لهم ، والذين يجمعونها ويعملون فيها ، والذين تؤلف قلوبهم لانهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم في خدمته ونصرته ، والذين يدعون الى الاسلام ويبشرون به ، وفي عتق رقاب الارقاء والاسرى من ربقة العبودية وذل الاسر ، وفي قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الاداء اذا لم تكن هذه الديون ناشئة عن إثم أو ظلم أو سفه ، وفي امداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد في سبيل الله وما يتصل بذلك من سبيل الخير ووجوه البر ، وفي عون المسافرين اذا انقطعت اسباب اتصالهم بأموالهم وأهليهم .

شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه ، حكيم فيما يشرع .

وبعد ان استعرضنا مع النص القرآني مصارف الزكاة وأوجه انفاقها ، فقد بدا جليا أن الزكاة نظام وضع لتجمع بعض أموال من الغني وترد على الفقير ، فهي حق الفقير في مال الغني يجمعها ولي الامر ، وينفقها في مصارفها التي يعد أجلها خطرا محاربة آثار الفقر في المجتمع الاسلامي ، فالزكاة تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، كما ان فيها بابا للقرض الحسن ، ومنها يسدد دين من عجز عن سداده بعد أن اقترضه .

وفي صدر الاسلام لم تجعل الزكاة في المجتمع الاسلامي جائعا يبيت على الطوى ، ولا شحاذا أو سائلا تذله الحاجة ، حتى انها لكثرتها كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من ينفق عليه منها ، فلقد شكا عامل الصدقات على افريقية الى خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز أنه لا يجد فقيرا ينفق عليه ، فقال له

عمر : سدد الدين عن المدينين ، فسدد ، ثم شكا ثانية ، فقال له اشتر عبيداً وأعتقهم فذلك مصرف من مصارفها .

والحق أن الزكاة لو جمعت من وجوهها بأمانة ، وصرفت في مصارفها كما ينبغي ، لتبين ـ عملا ـ عندئذ أنها أكمل وأعظم نظام للتكافل الاجتماعي حسبما بدا ذلك جليا في عهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين رحمه الله

ولتخرس ألسنة واضعي النظم الاجتماعية الحديثة من اصحاب اللون الاحمر بدرجاته المتفاوتة الذين لم يزيدوا الفقير الا فقرا واستأثروا بالنعمة لطبقة الحكام ، ولعلك يا أخي قد قرأت وشهدت أمثلة من ذلك في بلادهم والدول التي اخضعوها وأذلوها لسيطرتهم .

الوفاء بالعهد :

(**والموفون بعهدهم اذا عاهدوا**) البقرة/ ١٧٧

(**وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون**) النحل/ ٩١

في هاتين الآيتين وفي عديد غيرهما من آيات القرآن الكريم حض التشريع القرآني على الوفاء بالعهود التي يقطعها الفرد المسلم على نفسه ، أو العهود التي تبرمها الجماعة الاسلامية في شكل مواثيق دولية .

وفي الحالتين يطلب التشريع القرآني الوفاء بالعهد المقطوع على النفس ، اي المبرم ، والله شهيد على هذا الوفاء طالما ان العهد والوفاء من بعده متسقان مع شرع الله .

كما نهى التشريع القرآني عن نقض الأيمان بالحنث فيها بعد تأكيدها بذكر الله وبالعزم أو التصميم عليها ، لان الله يعلم أيها المسلمون انكم قد راعيتم في عهودكم وحلفكم ان الله يكفل وفاءكم بها ، وانه سبحانه رقيب ومطلع عليكم في هذا الشأن وغيره ، فكونوا عند عهودكم وأيمانكم لأن الله يجازي على الحنث كما يجزي عن الوفاء .

وهذه الأحكام القرآنية في العهود تشف عن أن العلاقات بين الأفراد بعضهم وبعض وبين الدول بعضها وبعض لا تستقيم الا بالوفاء بالعهد ، وتنفيذ المواثيق ، فان الدول الاسلامية إذا عقدت عهدا او أبرمت ميثاقا فانما تعقده باسم الله فهو يتضمن يمين الله وكفالته .

وتدل الآيات المسرودة أنفا على قواعد مستخلصة من أحكامها هي : ـ

١ ـ أنه لا يصح ان تكون المعاهدات سبيلا الى الخديعة والا كانت غشا ، سواء أكانت علاقات آحاد أم علاقات جماعات ودول .

٢ ـ أن الوفاء بالعهد قوة في ذاته ، وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من أسباب القوة كالحمقاء التي تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه . وقد جاء هذا

التشبيه في الآية ٩٢ من سورة النحل .
٣ ـ أنه لا يصح ان يكون الباعث على نكث العهد الرغبة في القوة أو الزيادة في رقعة الارض او نحو ذلك .
ولا يخفى ان ربط الوفاء بالعهود والمواثيق الدولية برقابة المولى سبحانه وتعالى وبكفالته هو الامر الذي تفتقده القوانين الوضعية بصفة عامة ، والقانونان المدني والدولي العام بصفة خاصة .

حكم التشريع القرآني في الزنا :

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين . والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون) النور/ ٢ ـ ٤

يبين الله في هذه الآيات بعض أحكام الزنا في الاسلام ، فقد بين سبحانه وتعالى وجوب تطهير المجتمع من الزنا واشاعة الفاحشة بالفعل وبالقول بين المؤمنين ، وشرع لذلك عقوبات رادعة ، كما شرع في زنا الزوج تشريعا خاصا لتتوفر الثقة بين الزوجين .
وتطرقت الأحكام في الزنا بعد ذلك الى معالجة الكذب في هذه المواقف عند الاتهام بالزنا ، وما يجب على المؤمنين ازاء قولة السوء التي يعوزها الدليل ، ويتبع التشريع القرآني ذلك بآداب دخول البيوت .
وسوف نجمل في بحثنا هذا بمناسبة بيان أحكام تلك الآيات من سورة النور ، مقارنة عقوبة الاسلام في جريمة الزنا بمثلها في القانون الفرنسي بايجاز شديد مع استعراض سريع لمصالح الاسلام الخمسة ، ولأنواع العقوبات الثلاثة في الاسلام ، وللحدود السبعة فيه .
واذا كان حكم الزنا لمن لم يسبق له الزواج هو الجلد فان عقوبة المحصن ـ أي المتزوج وقت الزنا أو من كان متزوجا قبله ـ هي الرجم . أما اذا اختلى بزوجته خلوة صحيحة بدون أن يدخل بها حقيقة فلا يكون محصنا وتكون عقوبة الزنا عندئذ هي الجلد .
وقد أوجب الله سبحانه وتعالى تنفيذ العقوبة بالجلد وقضى بألا يمنعنكم شيء من الرأفة بطرفي الزنا عن تنفيذ الحكم عليهما ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الرأفة بالناس أو استجلاب رضاهم بهذه الرأفة التي تعطل حدود الله .
كما أوجب الله سبحانه وتعالى أن يحضر تنفيذ الحكم فيهما جماعة من المؤمنين ، ليكون العقاب منطويا على ردع لغيرهما كما انطوت على زجر الآثم

وايلامه .
وتلفت الأحكام في الآية الثالثة التي مر ذكرها الى أن الخبيث الذي من دأبه الزنا ، لا يرغب الا في نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك ، كما ان الخبيثة التي اعتادت الزنا لا يرغب في نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك . ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للتهم . هذا اذا لم يعقب ذلك توبة نصوح ، والتفسير على هذا يكون لبيان طبائع أهل الشرك والزنا في أنهم لا يرغبون الا في المفاسد ، ورأي الحنابلة والظاهرية عدم صحة الزواج من الزاني أو الزانية قبل التوبة .
ثم تتعرض أحكام الآية الثالثة والأخيرة لبيان حكم الذين يتهمون العفيفات بالزنا ، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يثبتون صدق الاتهام ، فأوجبت عقابهم بالضرب ثمانين جلدة وبعدم قبول شهادتهم على أي شيء مدى الحياة ، فهؤلاء هم الفاسقون الفجرة .

المصالح والعقوبات والجرائم في التشريع الاسلامي :

وبمناسبة أن جريمة الزنا أولى جرائم الحدود السبع ، وأن عقوبتها داخلة في النوع الأول من تقسيمات العقوبات في الاسلام وهي الحدود ، وأن المحافظة على العرض هي خامس المصالح المعتبرة في الاسلام ، فقد لزم أن نصنف هذه المجموعات الثلاثة فنقول :
ان الجرائم في الشريعة الاسلامية هي محظورات زجر الله عنها بحد أو تعزير . وهذه المحظورات تقع اما بارتكاب فعل نهت الشريعة عن ارتكابه أو بترك فعل أمر الشرع باتيانه .
وعلة تحريم هذه المحظورات أنها تمثل اعتداء سافرا على احدى **المصالح المعتبرة في الاسلام وهي خمس** :
المحافظة على النفس والدين والعقل والمال والعرض .
فالقتل مثلا عدوان على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وتعاطي الخمر جور على العقل ، والسرقة اعتداء على المال ، والزنا اعتداء صارخ على الأعراض .
وقد قسم الفقهاء الجرائم الى تقسيمات عدة تختلف باختلاف وجهات النظر اليها . ونورد فيما يلي تقسيمها من حيث جسامة العقوبة وهي تنقسم الى أقسام ثلاثة :
١ ـ الحدود ، ٢ ـ القصاص أو الدية ، ٣ ـ التعزير .
١ ـ فالحدود هي الجرائم التي تعتبر في ذاتها اعتداء على حق الله ، أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد . ولذلك حددها الله وحدد عقوبتها بنص في القرآن أو في السنة .
٢ ـ أما جرائم القصاص والدية فهي جرائم تغلب فيها حقوق العباد . وتولي الله

سبحانه وتعالى تحديد عقوبات بعضها بالنص ، وترك البعض الآخر لتقدير ولي الأمر ، ومثلها جرائم الدماء ، مثل جريمة قطع الأطراف والجراح .

٣ ـ أما جرائم التعزير فاكتفى الاسلام فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بحديها الأخف والأشد وترك للوالي اختيار العقوبة في كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التي وقعت بها .

وجرائم الحدود سبع هي :

١ ـ الزنا ، ٢ ـ قذف المحصنات ، ٣ ـ البغي ، ٤ ـ السرقة ، ٥ ـ قطع الطريق ، ٦ ـ شرب الخمر ، ٧ ـ الردة .

وقد جاء تعدادها جميعا في نصوص القرآن الكريم ، كما حددت نصوصه عقوباتها أيضا . عدا عقوبة الزاني المحصن وهي الرجم ، وعقوبة شارب الخمر وهي ثمانون جلدة ، وعقوبة الردة وهي القتل فقد نصت عليها السنة وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الاسلام .

○ الزنا في بعض الشرائع الأوروبية

وجدير بالاشارة الى أن القوانين الوضعية وان جرمت الزنا الا أنها أباحته في بعض صوره ، ولم تغلظ عليه العقوبة فاكتفت أغلبها بالحبس ، الأمر الذي أشاع الفاحشة بين الناس ، ونشر الفسق والفجور ، وهانت بسببه الأعراض ، وكثرت الأمراض ، واختلطت الأنساب ، وكثر اللقطاء .

ومن عجب أن أكثر الشرائع الحديثة تشدقا بالحرية الشخصية في البلاد المتمدينة تحمي هذه الجرائم ، فقانون العقوبات الفرنسي مثلا لا يعاقب الزاني والزانية غير المحصنين ما داما قد بلغا سن الرشد ، حيث تقتضي حريتهما الشخصية في رأيه تركهما يفعلان بنفسيهما ما يشاءان ، أما زنا المحصن من الرجال والنساء فعقوبته الحبس ، وليس للهيئة الاجتماعية ممثلة في النيابة العامة أن تتصدر للجريمة بالتحقيق الا بناء على طلب أحد الزوجين ، وترتب على اعتبار الجريمة واقعة في حق الزوج وحده أنه اذا أبلغ الحادث فله أن يسحب بلاغه فيقف التحقيق ، وله أن يعفو عن زوجته فتخرج من السجن قبل انقضاء العقوبة ولو صار الحكم عليها نهائيا .

وان عجبت فاعجب معي أن يعيب البعض على الاسلام تشدده في عقوبة الزنا ، وأغفل هذا البعض تشدد الاسلام في الوقت عينه في طرق اثبات الجريمة ، فبينما تكتفي الشريعة الاسلامية في اثبات جريمة القتل بشهادة شاهدين عدلين ، نراها تحتم في اثبات جريمة الزنا شهادة أربعة شهود عدول رأوا الواقعة أمامهم رأي العين ، أو تثبت باعتراف الجاني ـ

هذا ونلاحظ أن القرآن الكريم ـ كما سبق التنويه ـ أوجب علانية عقوبة الجلد ، لما في ذلك من تشهير بالجاني وتخويف لغيره .

ثلاث عورات

(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) . النور/٥٨ .

يوجب التشريع القرآني في هذه الآية على الذين آمنوا أن يأمروا عبيدهم وصبيانهم الذين لم يصلوا الى حد البلوغ ألا يدخلوا عليهم الا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات هي :

١ ـ قبل صلاة الفجر .

٢ ـ وقت التخفيف من الثياب في القيلولة .

٣ ـ بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم .

فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب اليقظة ، ويبدو عندئذ من عورات الجسم مالا ينبغي أن يراه غير الزوج أو الزوجة . فضلا عن أنها أوقات خلوة بين الزوجين .

وقد رفع النص القرآني الحرج في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات ، ذلك أن العادة جرت بأنه يتردد بعض من في البيت على بعض لقضاء المصالح .

وبمثل هذا التشريع الحكيم فيما ينبغي وفيما لا ينبغي يفصل الله الأحكام القرآنية فهو الحكيم الذي يعلم ما يصلح لعباده فيشرع لهم ما يناسبهم ثم يحاسبهم بمقتضاه ، وفي هذا التشريع لفت لأعضاء الأسرة الى اتخاذ الملابس اللائقة بمقابلة بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم مصونة ، وحريتهم مكفولة ، وآدابهم مرعية ، والقرآن آخر الأمر جدير بهذه التوجيهات التي تنهض بأخلاق المجتمع الى المستوى الرفيع .

وجعل بينكم مودة ورحمة

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . الروم/٢١ .

من دلائل رحمة الله أن خلق لكم أيها الرجال زوجات من جنسكم لتألفوهن ، وجعل بينكم مودة وتراحما ، وفي ذلك آية من آيات الله لمن يتفكر ويتدبر . فقد خلق الله تعالى النوع البشري وقدر لبقائه في هذه الدنيا أجلا ينتهي اليه ، وقضت سنة الله في خلقه والفطرة التي جبل عليها الناس بضرورة اجتماع الذكور والاناث للتوالد والتناسل ، وبغير نظام الزواج الذي وضعه الاسلام لا تحفظ الأنساب ولا

الأعراض ، ومن هنا فقد رسمت الشريعة الاسلامية اطارا للزواج وأحكاما ، وللزوجين حدودا لا يجوز لأحدهما أن يتعداها ليأمن كل منهما ظلم صاحبه ، وليشتركا في تحمل أعباء الحياة بما يسر له ، فتسود بينهما المودة والرحمة وتثمر الحياة الزوجية الثمرة المرجوة منها .

وللزواج شروط وأركان : فأما الأركان فهي الايجاب والقبول ... أما الشروط الشرعية التي تشترط في عقد الزواج فتنقسم الى أربعة أنواع رئيسية هي :

١ ـ شروط لانعقاد الزواج و أهمها التمييز واتحاد مجلس الايجاب والقبول .

٢ ـ شروط لصحة عقد الزواج وأهمها أن تكون المرأة حلا لمن يتزوجها وبحضور شاهدين للعقد .

٣ ـ شروط لنفاذ عقد الزواج وأهمها اكتمال أهلية الزوجين وأن يكون للعاقد ولاية شرعية .

٤ ـ وشروط للزومه وهو ما يعرف بجواز فسخ العقد لعيوب شابت الرضاء فيه .

ولا نود أن نشغل القارىء الكريم بالتطرق الى التفصيلات الفقهية لهذه الشروط فهي تتطلب شرحا وافاضة لا يتسع لها المقام وتخرجنا عن الخط المرسوم لما نود أن نعرضه من بيان حكمة التشريع بالقدر الذي تتصل به الأحكام .

ومن أسف أن أضاف القانون الوضعي في احدى البلاد العربية الى أحكام الشريعة الاسلامية في الزواج والطلاق والحضانة والنفقات قيودا لم تعرفها ، لا يتسع المجال للخوض فيها ، فهي على كل حال موضوعات حيوية تؤثر في الأسر وتمس من قريب حياة الناس جميعا ، وعلى المسلم أن يحيط بشرع الله فيها ولو باجمال ، ويدرك دور المشرع الأرضي في تقحمه شرع السماء فجمح به الخيال وهو يحسب أنه يحسن صنعا فيما أخل بحكم هنا وبحكم هناك .

الكيل والميزان :

(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها) الأنعام/ ١٥٢

(وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) الاسراء/ ٣٥

(ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هود/ ٨٥

(وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .الرحمن/ ٩ .

في هذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ تشريع قرآني ينص على اعتبار انقاص المكيال والميزان جريمة يعاقب عليها شرعا بالتعزير ، ويقابل هذا في التشريعات الوضعية ما يسمى بجريمة تزوير المكيال أو الميزان .

وهذا التشريع القرآني وسيلة من وسائل حماية المال ، لأن المال ولو كان مالا خاصا مملوكا للأفراد فهو مال الله وهم مستخلفون فيه ، هذا وحتى لا يقع الناس في عنت ومشقة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التسامح بين المسلمين حيث

قال : « رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى » . رواه البخاري وابن ماجة

الظهار :

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) . المجادلة/ ٣ - ٤ .

تقضي الآيتان المذكورتان بأحكام الظهار موجبة على الذي يظاهر من امرأته ثم يرجع عن قوله ويتبين خطأه ويود بقاء الزوجية ، أن يعتق رقبة قبل أن يتماسا ، عقوبة له كيلا يعود . فمن لم يجد رقبة أي عبدا فعليه صيام شهرين متتاليين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا . هذا شرع الله وتلك حدوده . فمن تجاوزها كان بمثابة الكافر وله عذاب شديد .

خاتمـــة

وبعد يا أخي المسلم فقد سقت اليك بضعة أمثلة تبينت منها بعض ملامح من التشريع القرآني وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الاسلام .

واذا كان هو شأن التشريع القرآني حكمة وعدلا ورشادا ، تنضح بها الأمثلة التي استعرضناها سويا فان هذا التشريع بما تضمنه من أوامر ونواهٍ تنظم حركة حياة المسلمين أفرادا وجماعات ، يستهدف أولا وأخيرا سعادة الانسان في الدارين ، فليس بغريب عندما تقرأ في محكم التنزيل قوله تعالى :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة/ ٤٤

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة/ ٤٥

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) المائدة/ ٤٧ .

هذا ولقد علق جل وعلا الايمان على مطلق الرضا ، واكتمال الارادة في الاحتكام الى شرع الله بقوله تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . النساء/ ٦٥ .

كما كان حقا وعدلا ورشادا أن يأمرنا بالعمل بأحكام القرآن والسنة معا بقوله :

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/ ٥٩ وصدق الله الحكيم .

قصة القدس

للاستاذ / محمد فوزي حمزه

هل تسمعون ؟

يا اهل هذه البلاد ، يا ساكني تلك الديار هل تسمعون ؟ يا ارض منزلتي واول امتي ، يـا من اختاركم الله لتبلغـوا رسالتي ، يـا (خير امـة اخرجت للناس) !، يـا من دخلتم بـعـزتـي ارض الخليـل ، هـل تسمعون ؟ ، انا اليوم غريب هنا ، شريد من هنا ، أحبيكم ، اناديكم ، أنادي نخوتي فيكم ، يا قادة امتي اين انتم ؟ فيم انتم ؟ كم انـادي ولا مجيب . هل تسمعون ؟ من المنادي ، من سامع الليث الأسير ؟ هذا الزئير ، انـه الاسـلام ، ينـادي من ارض الخليل ، الاسلام الذي صار غريباً في القدس ، من على مئـذنة المسجـد الأقصى ، يرسل هـذا النداء ، ولا مجيب ، والقدس تترنح ، تتهاوى ، تستجـير تشتكي ، ولا حمى ، ولا سهر ، لا مجيب الا الصدى يقول :

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حيـاة لمن تنادي

يؤذن في القدس :

هل ذهبت الى القدس ، انا لم يقدر لي ان اسافر اليها بالقطار ولا بالطائرة وفاتني ما يفوت غيري في هذا الزمان ، من حرص على اتيانها ، والصلاة فيها ، صلاة كألف صلاة ، لم اسافر اليها ، ولكنها هي التي تسافر الى في كل يوم وفي كل ساعة ومع كل خبر ، وكل حدث ، من احداث الساعة ،

كما يرويها التاريخ

الساعة المجنونة ، التي لا تفتأ تتغير تتبدل بسرعة ، بسرعة عجيبة لتأتي بجديد ، غريب عجيب ، كل ساعة ، حيا الله القدس ، انها تأتيني تطرق بابي ، وتعيش معي ، في فكري ، وفي بدني ، وفي قلبي ، وكل جوارحي ، واذان من المسجد الاقصى ، ينادي بالجهاد ، ولا من يسمع ، ولا من يقرأ ، ولا من يجيب ، رغم انه يؤذن في القدس ، ولا « يؤذن في مالطة » .

من اين تدخل الى القدس :

نحن الآن على « جبل المشارف » الذي يشرف على المدينة وما حولها ، فهيا بنا نمتع انظارنا بمشاهد المدينة المقدسة ، ولنتحمل اذا اصطدمت اعيننا بالجامعة العبرية التي اقيمت عليه ، وامامنا « جبل الزيتون » سمي كذلك لما عليه من اشجار الزيتون واشجار التين ، انه يواجه الحرم الشريف ، الى الشرق من القدس ، دائما كان اليهود يضايقون المسيح عليه السلام ، ودائما كان يلوذ بالصعود الى هذا الجبل ، وبعده « جبل بطن الهوا » ، ثم « جبل صهيون » ، و « جبل موريا » واخيرا « جبل المكبر » الذي وقف عليه عمر ابن الخطاب منذ ١٣٨٥ عام ، واخذ ينادي « الله اكبر الله اكبر » وجموع المسلمين تكبر معه .

من اين ندخل الى القدس ، من على هذه الجبال ، المحيطة بالقدس نرى

مداخل المدينة كلها ولها سبعة ابواب ، باب المغاربة ، باب النبي داود ، باب الخليل ، باب العمود ، باب الساهرة ، باب الاسباط او باب الملك الظاهر ، وباب السلسلة . هذه هي الابواب التي يدخل منها الناس الى المدينة ، ولكن دعك منها كلها فالدخول منها الآن يتطلب المرور على السلطات ، والحصول على بعض الاوراق ، والخضوع للاجراءات والوقوف امام التفتيش ... الى آخر ما يمكن ان تقابله في هذه الايام ، فالمسألة لم تعد بهذا اليسر المعروف في الاسلام ، فدعنا من هذه الابواب ، وهيا ندخلها من اعظم بواباتها على الاطلاق ، هيا الى ... بوابة التاريخ الاسلامي .

الا معاليها : تاريخ القدس مسألة غير سهلة ، فهو وعاء كبير ، يحتوي الكثير من الاحداث الكبيرة المتلاطمة ، كثيرة التداخل ، بالغة التعقيد ، تناولها المؤرخون والمعلقون والمراقبون وكل الناس ، كل منهم يتناولها من ناحية ويهمل ناحية ، ويترك احداثا ويركز على غيرها ، ويبدأ من حيث لم يبدأ غيره ، وينتهي حيث غيره لم ينته ، والمؤرخ له طريقته ، والمعلق له طريقته ، والمراقب والمحامي والصحافي والسياسي كل منهم له طريقته ، والله سبحانه وتعالى « له في ذلك حكم » .

وقد اعجبني تعبير يقول : « ان تاريخ القدس اشبه بمخطوط قديم تناوله النساخ عدة مرات ، وهو على اي حال مخطوط ضخم ، تتفاوت محتوياته ، بين الكبير والصغير ، ولكن احداثه الصغيرة ، تتضاءل بشدة ، حتى لا تكاد القدس تحسبها في تاريخها والناس - في هذا الزمان - يركزون على هذه الصغائر ، والقدس ترفضها ولا تقبل من الأمور الا معاليها .

١٥ هجرية :- تاريخ الاسلام في القدس ، هو احداثها الكبرى ، الجميع هناك يتواضع امامه ، سبعون عاما مثلا ، في العهد القديم لا بد تتضاءل وتنزوي امام ١٤٠٠ عام والقدس في الحكم الاسلامي ، الهيكل المزعوم زعم يتلاشى امام المسجد الاقصى بحجمه المعروف ، ووضعه المعروف في ضمير الف مليون مسلم ، الوعد الباطل ، لا بد يتضاءل امام الوعد الحق . اي حدث في القدس ومهما يحمل من معنى لا بد يتضاءل ، ويبدو حدثا صغيرا جدا امام قدوم النبي في ليلة الاسراء والمعراج ، والمعنى الذي يحمله كل شيء يتلاشى هناك ، ويبقى فقط ، الاسلام ، تلك حروف مكتوبة على ربوع القدس .

نحن الآن في سنة ١٥ هجرية ، جموع القدس ، مسلموها ، ونصارتها ، وبقية سكانها ، أئمتها ، وبطاركتها احتشدوا ينتظرون الزائر العظيم ، انظر ، هذا عمر يدخل المدينة ومعه قادة المسلمين وجنودهم وسماء المدينة تهتز تحت تهليل

الجموع « الله اكبر . الله اكبر» هذا المشهد سبقته رسالتان متبادلتان ثم معركة ، ثم اشرقت على المدينة راية ابي عبيدة . فأما الرسالتان فالأولى من الخليفة البسيط العظيم ، الحليم القوي الذي سارت جنده الى الشام فاهتزت تحتها الوهاد والجبال والارض والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق ؟ ـ من الطارق ؟ـ بريد المدينة ـ وماذا معك ؟

ـ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر ، الى عامله بالشام أبي عبيدة ، اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه ، فقد وصلني كتابك ، تستشيرني الى اي ناحية تتوجه « يقصد بعد انتصار اليرموك » وقد اشار ابن عم رسول الله بالمسير الى بيت المقدس ، فان الله يفتحها على يديك ، والسلام » .

والثانية ، « بسم الله الرحمن الرحيم » من ابي عبيدة بن الجراح ، الى بطاركة اهل ايلياء وسكانها ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وبالرسول ، اما بعد فانا ندعوكم الى شهادة الا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور ، فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم واموالكم وذراريكم وكنتم لنا اخوانا ، وان ابيتم فأقروا لنا بالجزية عن يد وانتم صاغرون ، وان انتم ابيتم ، سرت اليكم بجنود هم اشد حبا للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذراريكم » .

هاتان الرسالتان ، وبعدهما المعركة ، ثم راية ابي عبيدة ، وحضور عمر والمشهد العظيم ، وبعد المشهد العظيم « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما أعطاه عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الأمان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ... » والى آخر ما جاء في العهدة العمرية ، وضمت القدس الى الشام في العصر الاموي واصبحت مع سائر فلسطين جزءاً من الدولة الأموية .

الى الاسلام :

اما القدس وكيف دخلت الى مقدسات الاسلام ، فانها دخلت من البوابة الكبرى التي يدخل الناس منها افواجا في دين الله ، اقصد الطابع الابراهيمي للرسالة الاسلامية : (**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما**) ال عمران/٦٧ ومن هذه البوابة ، خطت القدس خطوات كبرى الى داخل المقدسات الاسلامية ، في الليلة المشهودة : (**سبحان الذي**

اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) الاسراء/١ وفي الحديث الشريف « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الاقصى » متفق عليه

القدس اتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشرقت عليها راية ابي عبيدة ودخلها عمر ، وقادة جنده ، خالد بن الوليد ، عبد الرحمن بن عوف ، ابو عبيدة عامر بن الجراح ، معاوية بي ابي سفيان وغيرهم ، ودفن فيها عدد من الصحابة الأجلاء ومن التابعين والمجاهدين ، وقدم اليها الخلفاء واستقبلوا بها الوفود ، وحرصوا عليها وعلى الاحتفاظ بها في حوزة المسلمين ودافعوا عنها وردوا العداة .

من اجل هذا ، واكثر من هذا ، القدس تعتبر نفسها من مقدسات الاسلام وفي المدينة المنورة ، يقف مسجد القبلتين ، ليشهد على ان القدس كانت قبلتنا الاولى ، الى ان تحولت قبلتنا الى المسجد الحرام ، وقال الله تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام)** البقرة / ١٤٤

دينا ووطنا :

ثم على القدس تعاقبت العصور الاسلامية ، العصر الاموي ، العصر العباسي ، الفاطميون ، عهد صلاح الدين ، المماليك سلاطين مصر القاهرة ثم العهد العثماني الى ان سقطت في يد الانجليز بعد الحرب العالمية .

وخلال هذه العصور ، كم حاولت جيوش اوروبا لاهداف استعمارية تتستر وراء الصليب ـ ان يحصلوا على القدس ، وظلوا يهاجمونها ويردهم المسلمون عنها ، وتسقط احيانا في ايديهم ، فلا يقر للمسلمين قرار حتى يجلوهم عنها وينصرهم الله عليهم ، فينتصرون ، ولا غرو انهم كانوا حريصين على عهد الله اكثر من حرصهم على اموالهم واهليهم وانفسهم ، وكانوا يحبون الموت ، كحب غيرهم للحياة .

واخيرا سقطت القدس ، في يوم اسود ، من عام اسود « من ريش الغراب » اسمه في التاريخ ١٩٦٧ ، ثم في مشهد اخير اعلن اليهود ضم القدس ، ولكنه ليس مشهد الختام ، فالقدس ما تزال ترفض وما تزال تأبى ، الا الاسلام والعروبة ، الم اقل انها لا تقبل من الامور الا معاليها ؟ ومهما كان ومهما حدث ، فسوف تتضاءل جميع الاحداث امام عظمة التاريخ الاسلامي ، وستبقى القدس كما هي عربية اسلامية ، دينا ووطنا وتاريخاً ، والله ناصر جنده ، ومؤيد حقه ، فالقدس للاسلام ، القدس للاسلام عبارة مكتوبة ، على ربوع القدس .

وقفة تأمل

في سبيل وحدة إسلامية

قالوا: لكي تتحقق الوحدة بين مجموعة من الناس لا بد من توافر عدة عوامل اما ان تجتمع كلها .. فتكون وحدة متكاملة قوية الدعائم .. واما ان يتحقق بعضها فتنشأ صور متعددة من صور الوحدة ..

وامتنا العربية متوافر لها عوامل اتحادها مجتمعة من اهمها:

اولا: انها ذات لغة واحدة .. يفهمها القاصي والداني .. ويتعامل بها ابناء المدن والريف ، فلسان الجميع عربي مبين.

ثانيا: وتجمعها رقعة من ارض الله واسعة بلا عوائق بين اقاليمها من بحار او جبال او سدود .. تنبع منها ينابيع الخير بشتى صوره .. وتستطيع بوسيلة انتقال برية ان تطوف بكل بلاد الامة العربية.

ثالثا: عنصر الامة هو العنصر العربي .. فالدماء العربية تسري في شرايين الوطن العربي الكبير .. وان كان العرق الخالص الصافي لأية أمة لا وجود له الان .. والعربية كما علمنا رسول الانسانية هي اللسان .. فمن نطق العربية فهو عربي.

رابعا: ودينها هو الاسلام ـ هذا هو الأهم ـ .. وفي ظل الاسلام نشأت الامة العربية .. بل هي امة انبثقت من القرآن الكريم .. « وانه لذكر لك ولقومك » .. وفي التمسك به حياة الامة العربية .. فقد نزل بلسانها « بلسان عربي مبين » .. وكلفها الله حمل مشاعل النور لتأخذ بيد الانسانية الى طريق الهداية ..

وهكذا تجتمع للأمة العربية كل اسباب الوحدة والعزة والقوة .. والعقيدة اقوى الروابط في ظلها تآخي الانصار والمهاجرون لبناء الدولة المحمدية في المدينة المنورة .. فكانت رابطة العقيدة اقوى من رابطة الدم .. وهكذا ينشأ البيت العربي المسلم من جديد على اساس العقيدة .. ثم يمتد البناء .. بناء الصرح الاسلامي الشامخ ويتسع ليشمل الأمة الاسلامية كلها في وحدة إسلامية شاملة .. وساعتها يعيد التاريخ ذكرى سلمان الفارسي عندما حاصر حصنا من حصون فارس ـ وهم ابناء جلدته ـ ثم قال لهم: اني رجل منكم اسلمت .. فقد ترون اكرام العرب اياي ، وانكم ان اسلمتم كان لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وان ابيتم فعليكم الجزية ، فان ابيتم قاتلناكم.

فماذا يمنع ان تتوحد الامة العربية في ظلال دينها بعد ان جربت انظمة من الحكم مختلفة ، فما زادتها الا نفورا وضياعا ؟!.

المعجزة

في السابع والعشرين من شهر رجب كل عام يتجدد ذكرى الاسراء والمعراج .. تلك الليلة الفضلى في تاريخ الدعوة الاسلامية التي فتحت فيها ابواب الآمال امام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. واخرجته من همومه واحزانه .. وبها استبشر المؤمنون الصابرون ، واطمأنت قلوبهم بنصر آت ..

.. ما اضعف حيلة الانسان .. وما اعجزه امام قوة الله وبأسه .. فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم قومه بالهدى ودين الحق .. رسالة خاتمة تخرج الناس من ظلمات الجهل والعبودية ، الى نور الحق والمعرفة ، وتوطد اركان المجتمع البشري كله على اساس العدل والحرية والمساواة ..

ولكن القوم تمردوا على الهدى ، وصدوا عن سبيل الله .. **(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة ـ آية/١٧٠ .

والآيةُ الكبرى

للاستاذ
محمد نعيم
عكاشة

كانت العقول جامدة مظلمة ، والقلوب قاسية متحجرة .. فكيف يعبدون إلها واحدا وقد طبعت نفوسهم ونفوس آبائهم وأجدادهم على الشرك وعبادة الأصنام دهورا وأجيالا !!..

وكيف يتقبلون وقد نشأوا في العصبية واعتادوا أن الحق للقوة ، أن ينصفوا ضعيفا .. او يقروا بالمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات !!..

كما ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوهم : أن يجتنبوا المنكرات والموبقات .. والا يقتلوا بناتهم خشية املاق .. وألا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .. وان يصونوا كرامة النساء .. وان يوفوا الكيل والميزان .. وألا يأكلوا اموال اليتامى .. وهذه كلها امور تغاير ما ورثوه من عادات ، وتخالف ما درجوا عليه من شهوات النفس الجامحة ..

وناضل رسول الله قومه بالدليل ، وقارعهم بالحجة ، وأخذهم بالنصيحة .. بذل وصبر صبرا جميلا ، ولكن القوم جمدوا على عاداتهم المنكرة ، وأخلاقهم السيئة ، وآذوا الداعي ومن استجابوا له بأشد واقسى ألوان الأذى والإيذاء ..

فلم يخضع رسول الله او يلين ، بل زاده ذلك ثباتا وإصرارا على إظهار دعوته ،

حتى قال : « والله : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ».

عام الحزن والآلام ..

وفي السنة العاشرة من البعثة بلغ الحزن من الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا كبيرا .. فقد ماتت زوجه خديجة ، ومات عمه أبو طالب ، وفقد بذلك نصيرين كبيرين وعضدين قويين له ضد طغيان قريش ...

يقول ابو الفداء : « وتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما المصائب ونالت منه قريش ، ولا سيما ابو لهب والحكم بن العاص وعقبة بن ابي معيط ، فانهم كانوا جيران النبي ، وكانوا يؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفي طعامه من القاذورات »..

وبعد عشر سنين من المشاق والمعاناة والآلام في سبيل اصلاح قومه ، وجد ان دعوته في مكة توشك ان تذهب صرخة في واد .. اذن ففيم المقام في أرض محكومة بالوثنية .. وبين قوم صمت آذانهم وأظلمت قلوبهم .. أليس هو مبعوث الله الى الناس كافة .. فليذهب الى بلدة أخرى قريبة من مكة ولتكن الطائف ؟.. وهناك دعا « ثقيف » الى الاسلام ، ولكن القوم أعرضوا عن دعوته وتهجم عليه السفهاء يمطرونه بالشتائم ويرشقونه بالحجارة حتى سال الدم من عقبيه ..

آمن الجن .. وكفر الإنس

وفي رجوعه من الطائف الى مكة بات بنخلة ، وفي جوف الليل قام يصلي فأرسل اليه تعالى نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين ، وقد آمنوا بالقرآن : **(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا)** الى قوله تعالى : **(ومن لا يجب داعيَ الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين)** الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ .

يقول ارفنج في كتابه « حياة محمد ».. إن هذه الزورة من الجن فيها عزاء وتسلية لمحمد بعد رجوعه من الطائف تلك الرجعة المؤلمة ، إذ فيها إشارة الى انه اذا كانت دعوتك وتعاليمك قد نبذت ورفضت من معشر الإنس ، فقد قوبلت باحترام واعجاب من عالم الجن ، عالم الذكاء الغيبي غير المرئي !

.. ويجيء العون والمدد من السماء :

ووسط الهموم والاحزان يتجه الرسـول الى العلي القديـر لا ليعلن يأسه وقنوطه ، ولكن ليستمد منه العون ويسأله الحول والقوة :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .. اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، او يحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » سيرة ابن هشام ص ٦١ ج٢ .

.. فيا له من سمو روحي .. ويا له من صفاء نفسي .. ويا لها من احاسيس نبيلة في مزدحم الآلام وشدة الكروب .. فكل أذى يهون في سبيل إظهار دعوة الحق ..

ويجيئه مدد السماء ، فيكرمه ربه بما لم يكرم به نبيا قبله .. يدعوه سبحانه الى حضرته القدسية في رحلة مباركة في السموات والأرض يرى فيها من آيات الله ما شاء ان يطلعه عليه .

ويبدأ الرسول رحلته الخارقة بمسراه من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) الإسراء/١ .

ثم يزيده الله في الفضل والتكريم فيرفعه الى السموات العلى في معراج إلهي حتى سدرة المنتهى ليرى من آيات الله الباهرة ، ومشاهد الكون العظيم ما قصه على قومه ، وما عرفه للناس من اتساع الوجود وامتداد نطاقه .

يقول ابن اسحاق : « كان في مسراه وما ذكر فيه بلاء وتمحيص ، وأمر من الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لاولي الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن امن بالله وكان لأمر الله على يقين . فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما اراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد ».

حدث بالخبر فكذبوه ..

ويرجع الرسول من إسرائه ومعراجه وقد خرج من همومه وأحزانه ..

يروي علماء السيرة : انه ما كاد يغدو الى المسجد ليحدث الناس بالخبر ، حتى مر به ابو جهل فقال له : هل كان من شيء ؟

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: لقد أسرى بي الليلة الى بيت المقدس ..

فقال ابو جهل متعجبا : ثم اصبحت بين أظهرنا !!..

قال الرسول : نعم ..

فصاح ابو جهل مناديا القوم : يا معشر بني كعب بن لؤى .. تعالوا فاسمعوا ما يقوله محمد .

ويحدثهم الرسول بالخبر : فكانوا ما بين مصدق ومكذب ..

وقال اكثرهم : ان هذا والله الامر البين ! والله إن العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، افيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة ..!!

وهذا المطعم بن عدي يقول للرسول : إن أمرك قبل اليوم كان امرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد أنك كاذب ..

.. وشهد ابو بكر بصدقه :

وسعى القوم الى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا ابا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع مكة !..

فقال أبو بكر : والله لئن قاله لقد صدق افما يعجبكم في ذلك ؟ فوالله انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل او نهار فأصدقه ، فهذا ابعد مما تعجبون منه ..

ثم تحول الى المطعم بن عدي مخاطبا : يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته ! أنا اشهد انه صادق ..

واقبل ابو بكر حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل حدثت هؤلاء القوم آنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : نعم ..

فقال أبو بكر : فصفه لي ، فإني قد جئته .. فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ،

وأبو بكر يقول : صدقت ، اشهد انك رسول الله فما وصف شيئا الا قال له : صدقت ، أشهد انك رسول الله .. فمن يومئذ سمي الصديق ..

وكان في القوم غير أبى بكر من يعرف بيت المقدس ، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكذيب والإنكار ان يستوصفه فوصفه لهم .. ثم سألوه عن أشياء في المسجد فذكرها حتى عدَّ ابوابه باباً باباً ، فيطابق ما عندهم .. وسألوه عن بعير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها ، فكان ما أخبر ..

وعجبوا !! وبالغوا في السؤال عسى أن يعجزوه ، ولكنه ذكر لهم الدلائل الواضحة ، والاخبارات الصحيحة ، فما لبثوا ان قالوا : ما هذا الا سحر مبين !!.. بينما استبشر المؤمنون ، واطمأنت قلوبهم الى نصر قريب ..

أحوال أهل الجنة وأهل النار :

وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار والبيهقي وابن جرير وأبي يعلي .. ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى وشاهد في السموات العلى صورا واشكالا ورموزا للحال التي عليها أرواح الناس بعد الموت ، وما سيكونون عليه من نعيم مقيم ، أو عذاب اليم .

وكان مما شاهده عليه الصلاة والسلام :

□ المجاهدون في سبيل الله :

مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يزرعون ويحصدون في يوم واحد ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف ، وما انفقوا من شيء فهو يخلفه ، والله خير الرازقين ..

□ المتكاسلون عن الصلاة :

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم وتكسر بالصخر ، وكلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ».

□ مانعو الزكاة :

ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع « الشوك اليابس » والزقوم « ثمر شجر كريه الطعم » ورضف جهنم « الحجارة المحماة »، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما الله بظلام للعبيد »..

□ الزناة والزانيات :

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم نيء خبيث في قدر ، فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ويدعون النضيج ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيباً فتأتي رجلاً خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح »..

□ أكلة أموال اليتامى :

ثم رأى عليه الصلاة والسلام قوما يطعمون من النار ، فتحرق صدورهم وتمزق احشاءهم ، فسأل عنهم جبريل ، فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما : إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا .

□ مثيرو الفتنة :

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون .

وبعد ..

فإن ليلة الإسراء من الليالي المباركة التي بذكرها تحيا القلوب ، وبمغزاها ينتفع أولو الالباب .. وما أحرانا ونحن نعيش في رحاب هذه الليلة أن نتخذ من سيرة رسول الله الزكية قدوة صالحة ، ونبراسا يضيء لنا طريق العمل في الحياة .. وأن نحيى سنته وننصر شريعته .

جزاء الخيانة !

كان ابن داوود يقرب في مجالسه حمامه
خدمته عمرا مثلما قد شاء صدقا واستقامة
فمضت الى عماله يوما تبلغهم سلامه
والكتب تحت جناحها كتبت لها فيها الكرامه
فأرادت الحمقاء تعرف من رسائله مرامه
عمدت لأولها وكان الى خليفته « برامه »
فرأته يأمر فيه عامله بتاج للحمامه
ويقول وفوها الرعاية في الرحيل وفي الاقامه
ويشير في الثاني بأن تعطى رياضا في تهامه
وأتت لثالثها ولم تستحي ان فضت ختامه
فرأته يأمر أن تكون لها على الطير الزعامه
فبكت لذاك تندما ، هيهات لا تجدي الندامه
وأتت نبي الله وهي تقول يارب السلامه
قالت فقدت الكتب يا مولاي في أرض اليمامه
لتسرعي لما اتاني الباز يدفعني امامه
فاجاب بل جئت الذي كادت تقوم له القيامه
لكن كفاك عقوبة . من خان خانته الكرامه

الاستاذ / محمود زيدان السفاريني

القرآن الكريم

تحت هذا العنوان سبق « للوعي الاسلامي » ان نشرت لنفس الكاتب في عددها الصادر في غرة المحرم ١٤٠١ هـ . حيث استعرض حجم مشكلة التلوث ثم تعريفه ، وقسم التلوث الى قسمين : تلوث حسي ، وتلوث معنوي ، وقارن بين التلوث والفساد ، وقسم الملوثات من حيث مسبباتها الى : طبيعية ، وصناعية ، وكيميائية ، وفيزيائية . وبيولوجية .
وفي العدد الصادر في غرة جمادي الاولى ١٤٠١ هـ ، فصل الكاتب الحديث في هذا الموضوع فاستعرض التلوث في الهواء ومدى تأثيره على النباتات والحيوانات والانسان والتربة ..
وفي عددنا هذا نمضي مع الكاتب حتى نهاية بحثه ، فيقول :

تلوث الماء

يعتبر موضوع تلوث البيئة واحدا من اهم الموضوعات التي تشغل بال الانسانية الآن ، ويعتبر تلوث الماء من اوائل الموضوعات التي اهتم بها العلماء المختصون بمجال التلوث ، وليس من الغريب اذن « ان يكون حجم الدراسات التي

وتلوث البيئة

للمهندس/محمد عبد القادر الفقي

تناولت هذا الموضوع اكبر من حجم تلك التي تناولت باقي فروع التلوث .

ولعل السر في ذلك مرده الى سببين :ـ

الاول :ـ اهمية الماء وضروريته ، فهو يدخل في كل العمليات البيولوجية والصناعية ، ولا يمكن لأي كائن حي ـ مهما كان شكله او نوعه او حجمه ـ ان يعيش بدونه ، فالكائنات الحية تحتاج اليه لكي تعيش ، والنباتات هي الاخرى تحتاج اليه لكي تنمو ، « وقد اثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهو وحدة البناء في كل كائن حي نباتا كان ام حيوانا ، واثبت علم الكيمياء الحيوية ان الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل اجسام الاحياء ـ فهو اما وسط او عامل مساعد او داخل في التفاعل او ناتج عنه ، واثبت علم وظائف الاعضاء ان الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها »
ان ذلك كله يتساوق مع الآية الكريمة التي تعلن بصراحة عن ابداع الخالق جل وعلا في جعل الماء ضروريا لكل كائن حي ، قال تعالى : (**وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون**) الأنبياء/ ٣٠ .

الثاني :ـ أن الماء يشغل اكبر حيز في الغلاف الحيوي ، وهو أكثر مادة منفردة موجودة به ، اذ تبلغ مساحة المسطح المائي حوالي ٧٠,٨٪ من مساحة الكرة

الارضية ، مما دفع بعض العلماء الى ان يطلقوا اسم « الكرة المائية » على الارض بدلا من الكرة الارضية . كما ان الماء يكون حوالي « ٦٠ ـ ٧٠٪ من اجسام الاحياء الراقية بما فيها الانسان ، كما يكون حوالي ٩٠٪ من اجسام الاحياء الدنيا » وبالتالي فان تلوث الماء يؤدي الى حدوث اضرار بالغة واخطار جسيمة بالكائنات الحية ، ويخل بالتوازن البيئي الذي لن يكون له معنى ولن تكون له قيمة اذا ما فسدت خواص المكون الرئيسي له وهو الماء .

ومن المؤسف ان الانسان قد امتدت يداه الى مياه الانهار والبحار والبحيرات والمحيطات ، فراح يلوثها بما يلقيه فيها من مخلفات ، وهناك بعض الانهار التي فسدت تماما ولم تعد صالحة للاستعمال الآدمي ولا للاستعمال الصناعي ، واذا كان الشاعر العربي القديم يقول :ـ

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فان هذا الوصف يناسب تماما ما وصلت اليه الحالة اليوم بنا ، بعد أن : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس**) الروم/ ٤١ .

من اجل ذلك اتجهت بعض الحكومات الى انشاء بعض الاجهزة المختصة او المعاهد العلمية او المؤسسات الحكومية التي تهدف الى دراسة مصادر التلوث ومعرفة حجمه ، وسن القوانين التي تحرم القاء المخلفات والنفايات في الماء ، ومعاقبة الشركات والهيئات التي تخالف المعدلات المسموح بها ، حتى تتم المحافظة على الماء الصالح للشرب ، والصالح لنمو الكائنات البحرية : النباتية منها والحيوانية ، وقد عقدت الامم المتحدة في مارس عام ١٩٧٧ مؤتمرا دوليا تناول بالدراسات قضايا الماء واصدر هذا المؤتمر عدة توصيات تتناول تأمين الماء الصالح لجميع الاستعمالات المنزلية والصناعية والزراعية .

بيد ان الفساد اذا ظهر في البر او البحر ، لا تكفي القوانين او التشريعات او المؤتمرات ان تحد منه ، او ان تضع الضوابط التي تتحكم فيه ، ذلك : (**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/ ١١ ، : (**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**) الزخرف/ ٧٦ ، واذا لم يقف الانسان مع نفسه موقف المحاسب واذا لم يراع الله فيما يصنع وفيما كسبت يداه ، وفي هذا الاسراف الزائد في انتاج الكماليات التي لا طائل وراءها ، او التي يعود نفعها على فئة محدودة من البشر ، فان العاقبة ستكون وخيمة ، خاصة وانه ينتج عن تصنيع هذه الكماليات كميات كبيرة من الملوثات ، واذا لم يتدارك الانسان ذلك فانه سوف يعض بنانه ندما حين لا ينفع الندم .

وليس بالهين ان تحل مشكلة التلوث جزئيا بالنسبة للماء او الهواء او التربة ، او ان تقوم بذلك كل دولة على حدة ، ذلك ان المسطحات المائية تتصل ببعضها البعض ، فمياه الامطار الملوثة تلوث الانهار التي تصب بدورها في البحار التي تتلوث مياهها هي الاخرى ، وعندما تتصل مياه البحار بالمحيطات ينتقل التلوث الى المحيطات ايضا ، ولا يشمل التلوث الماء وحده ، ولكن يشمل الماء وما حوى ، لهذا يجب على الانسانية كلها ان تحافظ على الماء ، وان تتعاون من اجل هذا الغرض .

ومن الجدير بالذكر ان تلوث الهواء يؤدي الى تلوث مياه الامطار ، وبالتالي يتلوث ماء الانهار والبحار والمحيطات ، كما ان تلوث الارض يسبب تلوث مياه المصارف والترع والقنوات والانهار التي تجري في هذه الارض .

★ الماء في القرآن :

ورد ذكر الماء في القرآن الكريم في ثلاثة وستين موضعا ، وقد جاء فيها بمعان مختلفة ، فهو طورا يعني مياه الامطار التي تسقط من السحاب مثل قوله تعالى :
(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) البقرة/ ٢٢ .
ومثل قوله تعالى :
(انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام) يونس/ ٢٤ .
وهو يعني المادة الاساسية التي خلقت منها السموات والارض ، والتي ايضا كان عليها العرش الالهي كما في قوله تعالى : **(وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا)** هود/ ٧ .
وهو يعني ايضا السائل المنوي للرجل او الكائنات الحية الاخرى كما في قوله تعالى :
(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق/ ٥ ـ ٧ .
وهو قد يعني المادة النووية المنصهرة او غير ذلك ، والتي تسقى للعصاة والكافرين في جهنم ، والتي تشبه المهل او النحاس المصهور كما في الآية الكريمة الآتية :
(وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) الكهف/ ٢٩ .
وما يعنينا في هذا المقام هو الماء الذي نعرفه جميعا ، والذي لا بد منه لحياة كل الكائنات الحية ، والذي يسقط من السماء ليكون الانهار والبحار والمحيطات .

★ الماء والبيئة :

الماء كما هو معروف سائل لا لون له ولا طعم اذا كان نقيا ، وهو مركب من اتحاد عنصري الهيدروجين والاكسجين .

ويلعب الماء دورا هاما في الطبيعة ، فهو كسائل : له حرارة نوعية عالية ، وبذلك يعتبر الماء وسطا ممتازا لانتقال الطاقة الحرارية ، وبذلك فانه يلعب دورا هاما ورئيسيا في ضبط درجة حرارة جسم الانسان ودرجة حرارة اجسام الكائنات الحية ، والماء يعتبر مذيبا جيدا لكثير من المواد والمركبات الكيميائية ، وهو بذلك يعد وسطا مناسبا لعديد من العمليات البيوكيميائية داخل جسم الانسان ، ومن بين ملايين المركبات والمواد الكيميائية الموجودة في الطبيعة ، لا تتواجد مادة تناظر الماء في خواصها ، ولم تتوصل البشرية بكل تقدمها العلمي والتكنولوجي الى بديل آخر يمكن ان يحل محل الماء .

(خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) لقمان ١٠ و ١١ .

ومن بين المشاكل التي تواجه البشرية هذه الايام **مشكلتان رئيسيتان** تتعلقان بالماء :

الاولى : وهي ندرة المياه الصالحة للشرب او اللازمة لري المحاصيل والنباتات التي يزرعها الانسان ، ومن العجيب ان الكرة الارضية كما قلت سابقا تحتوي على اكثر من ٧٠٪ من مساحة سطحها الخارجي ماء ، ومع ذلك فان كمية المياه الصالحة منها للاستعمال لا تتجاوز ١٪ من كل هذا الحجم الهائل .

ويعبر القرآن الكريم في اسلوب بياني رائع عن هذه المشكلة ، ويتنبأ بها قبل ان تحدث ، تأمل قوله تعالى : **(قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)** الملك/ ٣٠ .

وفي اللغة فان « الغور » مصدر « غار الماء » اي نضب وذهب في الارض ، و« الماء المعين » هو الماء الظاهر الجاري على سطح الارض بحيث تراه العين . والآية السابقة تعني ان الماء الذي نستقي منه ونسقي به الأرض والانعام والنباتات لو اراد الله أن يغيضه او ان يذهب به في باطن الارض لفعل ، وتأمل ايضا الاستفهام في قوله تعالى : (**فمن يأتيكم بماء معين**)؟ ، والذي يدل هنا على التعجيز والاستحالة ، فما كان لبشر مهما اوتي من علم او اوتي من قدرة اذا شاء

الله امرا ان يتحدى مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ او ان يقف امامها .
ومن اروع ما ذكره المفسرون في شرح الآية الكريمة السابقة ما قاله المرحوم الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « تفسير جزء تبارك »:

« وماء معين : اي جار على وجه الارض منظور بالعين ، ووزنه : مفعول ، من عانه اذا نظره بعينه ، او : فعيل ، من معن الماء في جريه اذا اطرد وتسلسل ، فكان ذلك اعون على نقائه وطهارته ، وتخليصه من الشوائب ».

وفي الحقيقة فان الحصول على الماء النقي الطاهر الخالص من الشوائب يكاد يصبح عسيرا هذه الايام نظرا للتلوث ، وهو المشكلة الثانية التي تتعلق بالماء .

☆ مصادر تلوث الماء :

يتلوث الماء بكل ما يفسد خواصه او يغير من طبيعته ، والمقصود بتلوث الماء هو تدنيس مجاري الماء والآبار والانهار والبحار والامطار والمياه الجوفية مما يجعل ماءها غير صالح للانسان او الحيوانات او النباتات او الكائنات التي تعيش في البحار والمحيطات ، ويتلوث الماء عن طريق المخلفات الانسانية والنباتية والحيوانية والصناعية التي تلقى فيه او تصب في فروعه ، كما تتلوث المياه الجوفية نتيجة لتسرب مياه المجاري اليها بما فيها من بكتريا وصبغات كيميائية ملوثة ، ومن اهم ملوثات الماء ما يلي :

١ ـ مياه الامطار :

تتلوث مياه الامطار ـ خاصة في المناطق الصناعية ـ لأنها تجمع أثناء سقوطها من السماء كل الملوثات الموجودة بالهواء ، والتي من اشهرها اكاسيد النتروجين واكاسيد الكبريت وذرات التراب ، ومن الجدير بالذكر ان تلوث مياه الامطار ظاهرة جديدة استحدثت مع انتشار التصنيع ، والقاء كميات كبيرة من المخلفات والغازات والاتربة في الهواء او الماء ، وفي الماضي لم تعرف البشرية هذا النوع من التلوث ، وأني لها هذا ؟

ولقد كان من فضل الله على عباده ورحمته ولطفه بهم أن يكون ماء المطر الذي يتساقط من السماء ، ينزله الله خاليا من الشوائب ، وان يكون في غاية النقاء والصفاء والطهارة عند بدء تكوينه ، ويظل الماء طاهرا الى ان يصل الى سطح الارض ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مؤكدا ذلك قبل ان يتأكد منه العلم الحديث :

(وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء

طهورا) الفرقان/٤٨ .

وقال ايضا :

(اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ما ء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) الانفال/١١ .

كم من المعاني تشعها كلمتا « طهورا » و « ليطهركم »، ولعل هاتين الكلمتين احسن وقعا واشمل معنى من كلمتي الصفاء والنقاء ، فالماء الطاهر يجب ان يكون حاويا لكل هذه الصفات ، والطهور في اللغة « ما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود » وهو يعني التطهر والطهارة ، جاء في مختار الصحاح في مادة « طهر » : « قلت : ونقل المطرزي في المغرب ان الطهور بالفتح مصدر بمعنى التطهر واسم لما يتطهر به وصفة في قوله تعالى : **(وانزلنا من السماء ماء طهورا)** .

واذا كان ماء المطر نقيا عند بدء تكوينه فان دوام الحال من المحال ، هكذا قال الانسان وهكذا هو يصنع ، فكما قلت سابقا ، لقد امتلا الهواء بالكثير من الملوثات الصلبة والغازية التي نفثتها مداخن المصانع ومحركات الآلات والسيارات ، وهذه الملوثات تذوب مع مياه الامطار وتتساقط مع الثلوج فتمتصها التربة لتضيف بذلك كما جديدا من الملوثات الى ذلك الموجود بالتربة ، ويمتص النبات هذه السموم في جميع اجزائه ، فاذا تناول الانسان او الحيوان هذه النباتات ادى ذلك الى التسمم : **(ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** الروم/٤١ .

كما ان سقوط ماء المطر الملوث فوق المسطحات المائية كالمحيطات والبحار والانهار والبحيرات يؤدي الى تلوث هذه المسطحات والى تسمم الكائنات البحرية والاسماك الموجودة بها ، وينتقل السم الى الانسان اذا تناول هذه الاسماك الملوثة ، كما تموت الطيور البحرية التي تعتمد في غذائها على الاسماك .

انه انتحار شامل وبطيء ، يصنعه البعض من بني البشر ، والباقي في غفلة عما يحدث حوله ، حتى اذا وصل اليه تيار التلوث افاق وانتبه ، ولكن بعد ان يكون قد فاته الاوان .

٢ ـ مياه المجاري :-

وهي تتلوث بالصابون والمنظفات الصناعية وبعض انواع البكتريا والميكروبات الضارة ، وعندما تنتقل مياه المجاري الى الانهار والبحيرات فانها تؤدي الى تلوثها هي الاخرى .

٣ ـ المخلفات الصناعية :ـ

وهي تشمل مخلفات المصانع الغذائية والكيمائية والبترولية والالياف الصناعية والتي تؤدي الى تلوث الماء بالدهون والبكتريا والدماء والاحماض والقلويات والاصباغ والنفط ومركبات البترول والكيماويات والاملاح السامة كأملاح الزئبق والزرنيخ ، واملاح المعادن الثقيلة كالرصاص والكادميوم .

٤ ـ المفاعلات النووية :ـ

وهي تسبب تلوثا حراريا للماء مما يؤثر تأثيرا ضارا على البيئة المائية وعلى احيائها ، مع احتمال حدوث تلوث إشعاعي لاجيال لاحقة من الانسان وبقية الكائنات .

٥ ـ المبيدات الحشرية ـ

والتي ترش على المحاصيل الزراعية او التي تستخدم في ازالة الاعشاب الضارة ، فينساب بعضها مع مياه الصرف الى المصارف ، كذلك تتلوث مياه الترع والقنوات التي تغسل فيها معدات الرش وآلاته ، ويؤدي ذلك الى قتل الاسماك والكائنات البحرية كما يؤدي الى نفوق الماشية والحيوانات التي تشرب من مياه الترع والقنوات الملوثة بهذه المبيدات ، ولعل المأساة التي حدثت في العراق عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ اوضح دليل على ذلك حين تم استخدام نوع من المبيدات الحشرية المحتوية على الزئبق مما ادى الى دخول حوالي ٦٠٠٠ شخص الى المستشفيات ، ومات منهم ٥٠٠ .

٦ ـ التلوث الناتج من تسرب البترول الى مياه البحار والمحيطات :

وهو اما نتيجة لحوادث غرق الناقلات الضخمة التي تتكرر سنويا ، واما نتيجة لقيام هذه الناقلات بعمليات التنظيف وغسل خزاناتها والقاء مياه الغسل الملوثة في عرض البحر .

ومن اسباب تلوث مياه البحار ايضا بزيت البترول تدفقه اثناء عمليات البحث والتنقيب عنه ، كما حدث في شواطىء كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية في نهاية الستينيات ، وتكون نتيجة لذلك بقعة زيت كبيرة الحجم قدر طولها بثمانمائة ميل على مياه المحيط الهادي ، وادى ذلك الى موت اعداد لا تحصى من طيور البحر

ومن الدرافيل والاسماك والكائنات البحرية نتيجة للتلوث .

هكذا رأينا كيف ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ، والخطورة الكبرى من تلوث الماء تكمن في تلوث المياه الصالحة للشرب ، ومما يؤسف له ان هناك بعض الانهار لم تعد تصلح لهذا الغرض مثل نهر الرور بالمانيا ، كما أن القاء مخلفات المجاري في مجاري الانهار دون معالجة يؤدي الى تغير لون الماء ، والى نمو الطحالب والنباتات المائية بصورة كثيفة ، مما يؤثر على الملاحة وعلى سرعة التيار ، بالاضافة الى ان الماء الراكد يكون مركزا خصبا لنمو وتكاثر الطفيليات المسببة للامراض كالكوليرا والبلهارسيا والحمى التيفودية والدوسنتاريا وغيرها من الامراض ، واذا نحن تأملنا قوله تعالى :

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) محمد / ١٥ .

لوجدنا ان الآية الكريمة « توجه الانظار الى ان الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار ، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير المكبرة ـ ميكروسكوب ـ بقرون عدة حيث تبين ان الماء الراكد المتغير مستودع لملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب الانسان والانعام بأضرار شتى ».

○ تلوث التربة والارض

يشكل تلوث التربة والارض جانبا هاما من جوانب مشكلة التلوث التي منيت بها البشرية في القرن العشرين كنتيجة للتدخل غير المدروس من جانب الانسان في خلق الله ، ومحاولاته المستمرة افساد النظام والسنن الكونية بغرض الزيادة المؤقتة في انتاج الارض الزراعية .

وفي واقع الامر فانه من الصعب على الباحث في موضوع التلوث ان يفرق بين الجوانب المختلفة لهذا الموضوع ، اذ يرتبط كل شق من هذه الجوانب ارتباطا وثيقا بالجوانب الاخرى ، وبمعنى آخر فان ما يلوث الهواء قد يلوث الماء ويلوث التربة ، ذلك ان نظم الماء والهواء والتربة ترتبط ارتباطا وثيقا ببعضها البعض ، واذا اتخذنا التربة كمثال سنجد ان الهواء يتخلل حبيباتها ، كما ان مياه الري والامطار والمياه الجوفية قد تغمرها او تبللها ، وبالتالي فان اي اضطراب في احد النظم يؤدي الى فساد الباقي ، لهذا فان الحديث عن تلوث التربة والارض يعتبر امتدادا لما قلناه عن تلوث الهواء والماء ،

★ التربة والارض في اللغة :ـ

جاء في المعاجم ان التراب و (التوراب) و (التورب) و (التيرب) و(التيراب) و (التربَاء) بفتح التاء ، و (الترب) و (التربة) بضم التاء كله بمعنى واحد ، وترب الشيء اصابه التراب ، و (تربه تتريبا فتترب) اي لطخه بالتراب فتلطخ واتربه اي جعل عليه التراب .

هذا هو المفهوم اللغوي لكلمة التربة الذي لا يختلف عن معنى التراب ، ولم ترد لفظة التربة في اي موضع بالقرآن الكريم ، وانما وردت في الآيات التي تتعلق بالخلق والبعث كلمة « التراب ».

اما الارض فهي اسم جنس ، وهي لفظة مؤنثة ، ولغويا تطلق على كل ما سفل ، وقد ورد ذكرها في آيات كثيرة بالقرآن الكريم .

★ المفهوم العلمي للتربة :ـ

تعرف التربة بأنها الطبقة العلوية السطحية من القشرة الارضية ، والتي تكونت مع الزمن نتيجة لتفتت الصخور المكونة للارض بفعل القوى والعوامل الخارجية التي ادت الى حدوث هذا التفتت مثل ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها في الليل والنهار ، ومثل تأثير عوامل التعرية من رياح وامطار وغيرها ، وتنقسم التربة على اساس حجم الحبيبات المكونة لها الى : طينية ورملية وطميية ، والتربة الزراعية تكون عادة خليطا من التربتين : الطينية والرملية ، وهي تتكون من مزيج من الحبيبات الصغيرة والكبيرة ، وتعتبر مادة الدبال الناتجة من تحلل المواد العضوية التي كانت تعيش على سطح الارض احدى المكونات الرئيسية للتربة الزراعية ، وهذه المادة غنية بالمعادن اللازمة لنمو النباتات ، كما انها تساعد على تفكك التربة ، مما يساعدها على ان تحتوي قدرا من الهواء اللازم لنمو

الجذور .

★ الارض في القرآن الكريم :ـ

ورد ذكر الارض في القرآن الكريم في عدة مواقع بمعان مختلفة ، فهي قد تدل على الكوكب الذي نعيش عليه مثل قوله تعالى :ـ

(واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) سورة هود/آية ١٠٨ .

وقوله تعالى :ـ

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) سورة الرحمن/آية ٣٣ .

كما قد تدل على الاماكن التي يعيش فيها الانسان ، وينتشر فيها العمران على سطح الارض مثل قوله تعالى :ـ

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) سورة النساء/آية ٩٧ .

وجاءت بمعنى الأرض المنبسطة الممهدة مثل قوله تعالى :

(الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) سورة البقرة/آية ٢٢ .

وجاءت بمعنى التراب كما في قوله تعالى :

(قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) سورة البقرة/آية ٧١ .

وجاءت ايضا بمعنى المفهوم الحديث لكلمة التربة في ايات كثيرة مثل :

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) سورة البقرة/آية ٦١ .

وايضا قوله تعالى :ـ

(وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) سورة الحج/آية ٥ .

اذ انه من المعروف ان القشرة الخارجية لسطح الارض المكونة من الصخور الرسوبية والمعروفة باسم التربة هي التي ينمو فيها النبات وتمتد فيها جذوره .

★ تلوث الارض :ـ

يتلوث سطح الارض نتيجة لتراكم المواد والمخلفات الصلبة التي تنتج من المصانع والمزارع والنوادي والمنازل والمطاعم والشوارع ، كما يتلوث ايضا من مخلفات المزارع كأعواد المحاصيل الجافة ورماد احتراقها ، واذا تأملنا الآيتين الكريمتين التاليتين :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) سورة البقرة/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، واللتين نزلتا في الاخنس بن شريق الذي اقبل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعلن اسلامه ، ثم خرج فمر بزرع فأحرقه ، وحمر فعقرها ، فذكر الله امره ، وعطفت الاية الكريمة هلاك الحرث والنسل على الفساد ، والذي يقصد به هنا الضرر الذي لحق بصاحب الزرع والحمر ، وايضا التلوث الذي حاق بالارض التي احترق فيها الزرع ، وتخلف فيها رماده .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا ان الملوثات والمخلفات التي تختلط بالتربة والارض الزراعية ، تفقدها خصوبتها ، وتؤثر تأثيرا سيئا على البكتريا الموجودة بها .

ولكي تتصور ضخامة هذه المشكلة يكفي ان تعلم ان ملوثات البيئة اذا تمكنت من القضاء على ستة انواع من البكتريا الموجودة في الدورة البيئية لعنصر النتروجين الضروري جدا لنمو النباتات ، فان الحياة على الكوكب الارضي تؤذن بالفناء .

ولتوضيح مدى تأثير الملوثات الكيميائية على الزراعة والانسان يجب ان نشير هنا الى تلك الظاهرة الغريبة التي حدثت في اليابان حيث اصيب الناس هناك بمرض

عجيب يهاجم العظام ويقلل من احجامهم ويجعلهم غير قادرين على الحركة ، واصبحوا اقصر قامة ، واختلف الاطباء في معرفة السر في ذلك المرض الى ان اتضح ان السبب وراءه هو سم الكادميوم الذي كان يلقى مع مخلفات احد المصانع المستخدمة لصهر الخارصين في مياه احد الانهار ، وانتقل السم الى حقول الارز حيث لوث نبات الارز الذي يستخدمه اليابانيون في طعامهم .

ولا يقتصر تلوث سطح الارض او التربة على الملوثات الناتجة من نفايا المصانع والمزارع والمنازل ، ولكنه يتلوث ايضا نتيجة لاستخدام طرق الزراعة الحديثة ، والتي تؤثر على تركيب التربة ، وتضعف من خصوبتها ، مما يؤدي الى هلاك الحرث والنسل ، او الى خبث التربة .

وكم هي رائعة تلك المقارنة التي يعقدها القرآن الكريم بين الارض الكريمة التربة التي يخرج نباتها باذن ربها ، وتلك التي خبثت فلا يخرج نباتها الا قليلا نتيجة للملوثات التي افسدت تكوينها ، انظر وتأمل قوله تعالى :

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) سورة الاعراف/آية ٥٨ .

الا تشير هذه الآية في جلاء واضح وبيان ساطع الى تلوث التربة ، وهل خبث الارض الا ندرة المعادن والاملاح اللازمة لنمو النباتات فيها ، او فساد التركيب الكيميائي للأرض بحيث لا يساعد الجذور على امتصاص الغذاء والماء ، او ان تمتد بين حبيبات التربة ؟

ان التكنولوجيا الحديثة التي تدعى انها تساهم في حل مشاكل الانسان قد افسدت في سنوات قليلة كثيرا من الاراضي الزراعية بما جاءت به بدعوى زيادة انتاج الارض وتحسين خواص التربة . ان افسد ما جاءت به هذه التكنولوجيا في مجال الزراعة ما يلي :

١ ـ المبيدات الحشرية :ـ

والتي من اشهرها مادة د . د . ت ، وبالرغم من ان هذه المبيدات تفيد في مكافحة الحشرات الضارة ، الا انها ذات تأثير قاتل على البكتريا الموجودة في التربة ، والتي تقوم بتحليل المواد العضوية الى مركبات كيميائية بسيطة يمتصها النبات ، وبالتالي تقل خصوبة التربة على مر الزمن مع استمرار استخدام هذه المبيدات ، وهذه طامة كبرى ، وخاصة اذا اضفنا الى ذلك المناعة التي تكتسبها الحشرات نتيجة لاستخدام هذه المبيدات والتي تؤدي الى تواجد حشرات قوية لا تبقى ولا تذر اي نبات اخضر اذا هاجمته او داهمته .

ان مادة الـ د . د . ت تتسرب الى جسم الانسان خلال الغذاء الذي يأتيه من

النباتات والخضروات ويتركز هذا المبيد في الطبقات الدهنية بجسم الانسان الذي اذا حاول ان يتخلص منها ادت الى التسمم بهذا المبيد ، وتتركز خطورة مادة الـ د . د . ت في بقائها بالتربة الزراعية لفترة طويلة من الزمن دون ان تتحلل ، ولهذا ازدادت الصيحات والنداءات في الآونة الاخيرة بضرورة عدم استعمال هذه المادة كمبيد .

إنه لمن المؤسف ان الاتجاهات الحديثة في مكافحة الحشرات تلجأ الى استخدام المواد الكيميائية ، ويزيد الطين بلة استخدام الطائرات في رش الغابات والنباتات والمحاصيل الزراعية . ان ذلك لا يؤدي الى تساقط الاوراق والازهار والاعشاب فحسب ، بل يؤدي الى تلوث الحبوب والثمار والخضروات والتربة ، وذلك قد يؤدي الى نوعين من التلوث :ـ

الاول :ـ تلوث مباشر وينتج عن الاستعمال الآدمي المباشر للحبوب والثمار الملوثة .

الثاني :ـ تلوث غير مباشر وهذا له صور شتى وطرق متعددة .

١ ـ فهو اما ان يصاب الانسان من جراء تناوله للحوم الطيور التي تحصل على غذائها من التقاطها للحشرات الملوثة بالمبيدات الحشرية حيث تنتقل هذه المبيدات الى الطيور وتتراكم داخلها ويزداد تركيزها مع ازدياد تناول هذه الطيور للحشرات فاذا تناولها الانسان كانت سما بطيئا ، يؤدي الى الموت كلما تراكم وازدادت كميته وساء نوعه .

٢ ـ وهو اما ان يصاب به نتيجة لتناوله للحوم الحيوانات التي تتغذى على النباتات الملوثة .

٣ ـ كما يمكن ان يصاب به نتيجة لسقوط هذه المبيدات في التربة وامتصاص النبات لها ، ودخولها في بناء خلايا النبات نفسه .

ومن اشهر المبيدات الحشرية التي تضر بصحة الانسان تلك المحتوية على مركبات الزئبق ولقد سمى المرض الناتج عن التسمم بالزئبق بمرض « الميناماتا » وذلك نسبة الى منطقة خليج « ميناماتا » باليابان والتي ظهر فيها هذا المرض لاول مرة عام ١٩٥٣م ، وذلك كنتيجة لتلوث المياه المستخدمة في ري الاراضي الزراعية بمخلفات تحتوي على مركبات الزئبق السامة الناتجة من احد المصانع الكيميائية الموجودة في المنطقة ، وترجع خطورة هذا التسمم الى تأثيره السيىء ـ وحتى ولو كان بكميات صغيرة ـ على جسم الانسان ، حيث ترتخي العضلات وتتلف خلايا المخ ، واعضاء الجسم الاخرى ، وتفقد العين بصرها ، وقد تؤدي الى الموت كما تؤثر على الجنين في بطن امه . فهل بعد هذا فساد ؟ انه لمن المزعج أن دعاة التقدم والتطور يعتقدون ان استخدام المبيدات الكيميائية والحشرية تساعد على حماية

النباتات من خطر الحشرات والفطريات التي تهاجمها . وانهم بذلك يزيدون الانتاج ويصلحون في الارض .

(واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ـ سورة البقرة/ ١١ ـ ١٢ .

٢ ـ الاسمدة الكيميائية :ـ

من المعروف ان الاسمدة المستخدمة في الزراعة تنقسم الى نوعين :ـ

الاسمدة العضوية :

وهي تلك الناتجة من مخلفات الحيوانات والطيور والانسان ، ومما هو معروف علميا ان هذه الاسمدة تزيد من قدرة التربة على الاحتفاظ بالماء ، اما الاسمدة غير العضوية وهي التي يصنعها الانسان من مركبات كيميائية فانها تؤدي الى تلوث التربة بالرغم من ان الغرض منها هو زيادة انتاج الاراضي الزراعية ، ولقد وجد المهتمون بالزراعة في بريطانيا ان زيادة محصول الفدان الواحد في السنوات الاخيرة لا تزيد على الرغم من الزيادة الكبيرة في استعمال الاسمدة الكيميائية ، كما وجد ايضا ان سطح التربة في حالة استخدام هذا النوع من الاسمدة الكيميائية يؤدي الى تغطية التربة بطبقة لا مسامية اثناء سقوط الامطار الغزيرة ، بينما تقل احتمالات تكون هذه الطبقة في حالة الاسمدة العضوية الى الثمن وكأن ذلك ما تنبأ به القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا في قصة صاحب الجنتين . قال تعالى : **(فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا)** الكهف/ ٤٠ ـ ٤١ .

إن هاتين الآيتين الكريمتين تشيران الى حقيقتين علميتين في منتهى الاهمية :ـ

الاولى :ـ اشارت الآية الاولى الى ظاهرة تعرية التربة حيث تصبح صعيدا زلقا اي ملساء لا شيء عليها نتيجة للصواعق .

الثانية :ـ اشارت الآية الثانية الى ظاهرة عدم قدرة التربة على الاحتفاظ بالماء حين يصبح ماؤها غورا ، فلا تصل اليه جذور النباتات ، ولا يمكن استخراج الماء منها بطرق الرفع العادية ، وذلك نتيجة للفساد والتلوث الذي يصيب التركيب الميكانيكي لحبيبات التربة والذي يساعد عليه في وقتنا الحالي استخدام الاسمدة

الكيميائية والملوثات التي تصيب الارض .

وتجدر الاشارة هنا الى ان ظاهرة تعرية التربة تحدث نتيجة للرياح القوية والتي تزيد حدتها خاصة في المناطق الجافة او اذا لم تكن هناك محاصيل او نباتات في الارض ـ ومن هنا تأتي خطورة استخدام مزيلات الاعشاب او حرق الغابات كما يحدث في مناطق كثيرة بالعالم ويشير القرآن الكريم الى ذلك في سورة الحاقة حين يتحدث عما اصاب قوم عاد من رياح شديدة الصوت وشديدة البرودة استأصلت كل ما صادفها ، بحيث عرت التربة وتركتها قاعا صفصفا . قال تعالى :

(واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) ـ الحاقة/٦ ـ ٨.

واذا كنا اشرنا قبل ذلك في حديثنا عن تلوث الهواء عن تأثير الملوثات على المناخ ، واشرنا الى الاضطرابات الناجمة من استعمالها في درجات الحرارة ، فانه من المفيد ان نذكر هنا ان هذه الملوثات تؤثر ايضا على الرياح وان الرياح شديدة البرودة لها اثر ضار على الزرع ، حيث تؤدي الى هلاك النباتات والخضروات ويشير القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى :ـ

(ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) آل عمران/١١٦ ـ ١١٧ .

والريح التي فيها صر : هي الريح الباردة الشديدة ، والحرث : الزرع .

ونقول : في الوقت الذي فقدت فيه المجاعات والاوبئة كثيرا من قسوتها وضراوتها في ارعاب البشرية نجد ان تلوث البيئة قد حل محل هذه الاوبئة ، وخطورة التلوث هو انه من صنع الانسان وان آثاره السيئة تعود عليه وعلى زراعته وصناعته ، بحيث تؤدي في النهاية الى قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ، والى تغيير شكل الحياة على الارض ، ومن الواجب علينا كمسلمين ان نحاول منع ذلك بشتى الطرق الممكنة عملا بقوله تعالى :ـ

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) ـ المائدة/٣٢ .

حديث

الإسراء والمعراج

للاستاذ
عبدالستار محمود الهواري

الاسراء ـ كما هو معلوم ـ رحلة من الأرض للأرض من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس .

والمعراج رحلة من الأرض إلى السماء ، من بقعة مباركة فيها هي المسجد الأقصى ، إلى بقعة مباركة في السماء هي سدرة المنتهى .

وهذا الحادث المعجز قد تم فعلا بشقيه على النحو الذي أشار إليه القرآن الكريم ، وأسهبت فيه كتب السيرة ، وأفاضت وثائق التاريخ .

والمعجزة فيه ظاهرة باهرة ، فما كان لحادث مثل هذا أن يتم إلا بمعجزة خارقة ، والمعجزة بلغة الناموس الكوني : أمر لا يجريه إلا رب الكون على يد من يشاء من عباده ، وقد شاء الله أن يجريه على يد خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) الاسراء/ ١ .

سجلت هذه الآية الكريمة من سورة الاسراء حدثا عميق الأثر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، كما كان له - ومازال - أهميته القصوى في دنيا المسلمين منذ فجر الدعوة الاسلامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فقد كانت هذه الرحلة القدسية من أم القرى مكة المكرمة ، إلى زهرة المدائن قدسنا العربية ، ثم العروج من بيت المقدس إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى الفيوضات القدسية والأنوار الالهية . وقد زالت الحجب .

وكانت النفحات الالهية التي حيا بها المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم حفاوة وتكريما للرسول ليطمئن قلبه ويستمر في دعوته . وليعلم عن قرب أن الله سبحانه قد اختاره بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وأن الله قد اجتباه : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام/ ١٢٤ . لتبليغ رسالة الاسلام خاتم الرسالات السماوية ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لقى في سبيل ذلك صنوف الأذى وشتى الآلام ، فان الله حافظه وناصره ، وإن فقد من آل بيته الناصر والمعين .. لقد أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كثير من عنت قريش ، فصبروا واحتملوا وقاطعهم المشركون وحاصروهم حتى فروا من مكة إلى شعاب الجبل ، وظلوا ثلاث سنوات متتابعة ووطأة الحصار لا تفت من عزيمتهم . ولا تضعف من إيمانهم ، بل كانت تزيدهم تمسكا بالدعوة وإصرارا على نشرها والتفاني في سبيل ظهورها ، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين سبقوا إلى الاسلام ، واحتملوا في سبيله الأذى والألم ، يخططون للأجيال المتلاحقة من المسلمين ، ويلقنونهم دروسا في التضحية وقوة الاحتمال في سبيل العقيدة والمبدأ والصبر على المكاره ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ ، وما كاد الحصار ينتهي ويعود الرسول ومن معه من الشعب يبشر بالدعوة ويدعو الناس إليها حتى فجع بموت عمه أبي طالب ، وكان أبو طالب حمي لابن أخيه وملاذا من أعدائه ، وفي نفس العام ماتت الزوجة الوفية خديجة رضي الله عنها ، وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم نعم الزوجة . تهون عليه

كل شدة ، وتـزيل من نفسـه كل خشية .. لقد كانت في بيت رسول الله تعطيه من برها ورقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها ما يزيده إيمانا بنفسه وثقة بنصر ربه ، أليست هي التي كانت تقول : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكـل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم .

وفي ليلة سبع وعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بسنة ، بات النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم هاني بنت عمـه أبي طالب وأختـه من الرضاع ، مهموما مكروبا على ما نزل به من إيذاء أهل الطائف عندما دعاهم إلى الايمان بالله ، فوق ما أصابه من موت زوجته رضي الله عنها ، وموت عمه أبي طالب ، حيث حـزن على فقدهما حزنا عميقا ، وعلى منع أهل مكة رسول الله من الدخول إليها بعد عودته من الطائف ، وعلى ما ناله من تزايد عداء قريش له ، وهو يدعوهم إلى الحق والعـدل وإلى الهـدى ، وسعـادتهم في الدنيـا والآخـرة ، فأحاطت به أسوار من الغموم كثيفة ، لا يدري كيف يخرج منها ؟ وقد ضاق ذرعا مما ألم به من الكرب ، فنام بعد صـلاتـه للعشـاء وصـدره مـلىء بالأحزان ، وأسلم وجهه إلى الله ، وأمره لعالم السر والنجوى ، الذي يقول للشيء كن فيكون .

وبعد لحظات هبط إليـه الأمين جبريل عليه السلام ، وأيقظه وأخذ بيده مسرعا إلى حيث الحطيم حول الكعبة ، فوجد البراق معدا ومهيأ لركوبه صلى الله عليه وسلم خاصة ، فقاده الملك « ميكائيل » وأخذ بركابه جبريل ، وصحباه إلى حيث القدس الشريف . في خطوة خاطفة ، فدخل المسجد الأقصى ، فإذا بلفيف من الأنبياء يتقدمه سيدنا ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمـان عليـهـم الصلـوات والتسليم ، وقد تهيـأوا لاستقباله صلى الله عليـه وسلم . استقبالا يليق بقدره ومنزلته عنـد ربه ، وفي صورة رائعة من الجلال والمهابة ، ودعوه الى إمامة الصلاة . فصلى بهم إماما ، فكان ذلك إجماعا من الأنبياء على إمامته وقيـادته . وميثاقا بمبايعته صلى الله عليه وسلم عـلى رسالتـه الكبرى لـلانسانيـة وإصلاح البشرية ، يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف / آية ١٥٨ : (**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**) . وبعد الصلاة قام كل نبي مثنيا على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن شئت فاقرأ وتحدث عن تلك الصورة الروحانية العظيمة النورانية الزاهرة ، التي كانت في المسجد الأقصى ليلة الاسـراء ، احتفـالا بسيـد الخلق وتكريما لليلة العروج إلى السماء كما روى القاضي عياض في كتابه : « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » قال : عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وصلت ليلة

أسرى بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة » وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس ، وبعد الصلاة قام كل نبي وأثنى على الله ورحب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم خطيبا ، وألقى هذه الكلمة المشرقة « كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي .. الحمدلله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع ذكري وجعلني فاتحا وخاتما » قال سيدنا ابراهيم مخاطبا الأنبياء « بهذا فضلكم محمدا » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إمام الأنبياء وخطيبهم بلا نزاع ، ثم عرج به صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى الملكوت الأعلى .

والمسجد الأقصى لم يكن على تلك الصورة المعروفة اليوم ، ذات السقف الموشي والقباب المستديرة والاسطوانات المسوقة ، وإنما كان بقعة واسعة اختارها الله لتكون متعبدا للناس ، ومكانا بدائيا للعبادة ، شأنه في ذلك شأن المسجد الحرام بمكة المكرمة الذي لم يكن به سوى الكعبة ذات البناء البدائي المربع الشكل ، ويحده من الشرق بئر زمزم وحول الكعبة دار الندوة ، وفضاء فسيح تناثرت فيه الأصنام ، ومع ذلك فقد سماهما الله مسجدا بحسب الحقيقة الشرعية حيث كانت موضعا للسجود .

والمسجد الأقصى بالقدس منتهى رحلة الاسراء ، ومبتدأ رحلة المعراج ، حيث عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ثم إلى سدرة المنتهى عند جنة المأوى حيث كان اللقاء بربه فوق الكون جميعا ، وفوق العالم والدنيا تحت رجليه ، وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم من سورة النجم ـ الآيات ٨ ـ ١٨ : (**ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) .

تحدثنا أم هانيء، هند بنت عمه أبي طالب وقد أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتها فتقول : « إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال ياأم هانيء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم كما ترين ، فقلت له يانبي الله لا تحدث بها الناس

فيكذبوك ويؤذوك ، قال لا والله لأحدثنهموه » .. ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ثوبه لتمنعه رحمة به وشفقة عليه من أذى المشركين ، ولكنه كان مصرا على مقابلة القوم وإلقاء حديثه على جموعهم غير مبال بما يترتب على ذلك من أحداث جسام ، لذلك ضرب الثوب بكل ما يملك من قوة ، فخلصه من يدها واندفع نحو الكعبة حيث يجتمع القوم ، فأرسلت خلفه جاريتها نبعة لترى مايفعله القوم ثم تعود فتخبرها الخبر .. وتسترسل أم هانىء في الحديث فتقول : فلما رجعت نبعة أخبرتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى نفر من قريش في الحطيم ، فقص عليهم ما كان في ليلته ، فلم يصدقه واحد منهم ، واستقبلوه بالسخرية والاستهزاء ، وذهب جماعة منهم إلى أبي بكر يقصون عليه ما سمعوا من محمد ، فقال لهم إنكم تكذبون عليه فقالوا : ها هو جالس في الكعبة يحدث الناس بما حدثناك به ، فيذهب أبو بكر إلى المسجد مسرعا ويسمع من محمد ما يقول فيسرع قائلا : صدقت يارسول الله إننا نصدقك في الخبر يأتيك من السماء في ساعة من ليل أو نهار فلم نكذبك في هذا .. فقاس أبو بكر صعود محمد إلى السماء بهبوط جبريل ثم صعوده مخترقا الحجب والله ييسر لعباده ما يشاء وهو على كل شيء قدير .

لم يكن بدعا أن يختلف الناس في الماضي ، ويكثر الجدل وتشتد المنازعات في موضوع الاسراء والمعراج : هل كان بالروح أو بالجسد ، أو بالجسد والروح جميعا سواء في ذلك الاسراء والمعراج .. لقد سأل الكفار النبي عن بيت المقدس فأخذ يصفه لهم ، ويصف أبوابه ومبناه ، علما أنه لم يذهب إليه في يوم من الأيام ، ولكي يؤكد لهم حقيقة هذه المعجزة ، أخذ يصف لهم ما رآه في الطريق ، وكيف أنه مر بقافلة من الابل يمتلكها بعضهم وذكر لهم أوصافها ، وقال لهم إن القائمين عليها وجدهم نياما فشرب من مائهم ، ثم أخبرهم بأن القافلة ستقدم في صبيحة هذا اليوم ، ومع طلوع الشمس بالتحديد ، يتقدمها جمل رمادي اللون .. فخرج القرشيون ليتأكدوا من هذه الحقيقة فوقعت أنظارهم على الابل .. فأيقنوا أنه صادق وأمين ، ومع ذلك كذبوه استكبارا وحسدا .

إن معجزة الاسراء صورة فريدة في نوعها ، اختص الله بها نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ، وكرمه برحلتها تكريما ، وقد حفلت بتأملات واعتبارات جديرة بأن تصدقها القلوب المؤمنة ، وتعتبر بها الأبصار الواعية ، وقد طاف الرسول ليلتها بالجنة ، ورأى فيها الأبرار وما وصلوا إليه من نعيم مقيم .. ورأى الأشرار وما وصلوا إليه من هم شديد .. وهذا أكد للنبي عليه الصلاة والسلام أنه سينتصر ، وأن دينه الحق سيبلغ أقصى الأرض وأطراف المعمورة ومشارف القارات : (**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) الضحى/٥ ، وصدق الله العظيم .

الاسلام والشباب

للأستاذ / محمد خطاب عقيلي

شباب كل أمة هو عمودها الذي تبنى عليه قبة مجدها وفخارها، انهم القلب النابض، والعقل المتقد، والساعد القوي الذي يحمل التبعات فلا ينوء بها وهو الحركة البانية، ودرع الامة في كل زمان ومكان. واذا كانت حكمة الشيوخ وحنكتهم وخبرتهم لا ستستغني عنها أية أمة حية، فان جانب التنفيذ والتطبيق والقدرة المركزة الدءوب على التفكير العلمي المتواصل والتجربة المتلاحقة المفضية الى النتائج المهمة هي من عمل الشباب، فللشباب حياة تتفجر منه كل القوى. ومن هنا يقاس تقدم الأمم بعدد العاملين فيها من الشباب، ويكون تقدمها مزدهرا لو كان هؤلاء الشباب على قدر من المهارة والاخلاص والقدرة على الاختراع والابتكار والعطاء.

والدول كل الدول - حريصة على أن يكون لديها طاقات كافية من الشباب المؤهل.. وهذا أمر لا مشاحة فيه. وأمة العرب أكثر

حاجة الى الشباب اليوم من أي وقت مضى ، به تبني نفسها وتسند حقها في الحياة ، وترد عن أرضها الطامعين ـ « والجيل الجديد الذي تنتظره الامة العربية أمام امتحان عسير .. عليه أن يقاوم التيارات الجارفة المنحرفة التي تريد أن تكتسحه في طيات أمواجها .. عليه واجب لا يعفيه منه ، أن أداه السابقون قدر استطاعتهم ، فكل جيل من أجيال الأمة ، لا بد أن يؤدي ثمن وطنه » .

.. لا بد أن يضحي ويستهدف للموت ، ليثبت حقه في أرضه ، وفي الحياة الكريمة العزيزة ، واذا أهمل حق الدفاع جيل من الاجيال ، كانت النكسات .. والنكبات . وكان على الاجيال التالية ، أن تبذل الثمن مضاعفا ، ليعود للعروبة مجدها .. وتسترد كل شبر من أرض العرب ممن اغتصبوه ، وتصبح كلمة الحق هي العليا .. وكلمة الباطل هي السفلى ..

ترى من هذا الشباب الذي تحتاجه الامة العربية اليوم وهي تعيش أحرج فترات حياتها حين تتجمع من جديد لتقوى وتتقدم .

انه ذلك الذي يملك الثروة الروحية الجليلة ، التي تكرم في الانسان معنى الانسانية ، وترفع في عينه الفضائل وتقيم ميزان العدل . وبها يملك القوة التي تمكنه من الاحتفاظ بحقه ، ولن يستطيع أن يكتسب قوته وصلاحيته للحياة ، الا من روح هذا الدين العظيم .. دين محمد بن عبد الله .. عليه أفضل الصلاة والسلام .

والدين بما له من سلطان على القلوب ، والنفوس ، وتأثير على المشاعر والاحاسيس ، وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة ، قادر على أن يحقق القوة للشباب دون تعثر أو انحراف ، وحين يقوى الشباب بدنيا وروحيا . تقوى الامة ، ولا يغلبها غالب ، فتربية الاسلام تغنينا عن كل شيء متى عرفنا كنهها ، وفهمنا معانيها وأهدافها . فهي ليست تربية محدودة ، بل تربية دينية ، وتربية خلقية ، وتربية عقلية ، وتربية اجتماعية ، وتربية بدنية ، وكلها للمسلم من باب الضرورات التي لا غنى عنها ، ولا بديل لها .

... الاسلام وتكريم الشباب

ولقد كرم الله تعالى في كتابه العزيز الشباب في مواطن كثيرة مما يدل على مكانته وأهميته .. وهذا واضح في قوله تعالى : صفة لابراهيم عليه السلام :

(**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**) الأنبياء/ ٦٠

وفي قوله تعالى ثناء على أصحاب الكهف :

(**إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا**)

الكهف/ ١٠ .

فقد كانوا عصبة الاستمساك بالحق والايمان أمام الكفر والطغيان وهم الذين قال عنهم القرآن بعد ذلك :

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا) الكهف/ ١٣ و ١٤

وفي وصف يوسف عليه السلام قال الله تعالى :ـ

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) يوسف/ ٣٠ . فهو فتى ضرب أروع الأمثال في الصمود امام الاغراء ، وكمال العفة وتمام الفضيلة .

وفي ثناء القرآن على موسى عليه السلام على لسان بنت شعيب قوله :ـ

(إن خير من استأجرت القوي الأمين) القصص/ ٢٦ . قوة في الجسم ، مكنته من ان يرفع بها غطاء البئر في القصة المشهورة ، وامانة في النفس ، جعلته يمشي أمامها ، حتى لا يكشف الهواء عن بعض اجزاء جسمها فيراها لو سار خلفها .

وقال جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (أي في إبان شبابنا وقوتنا) فتعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا » رواه ابن ماجه .

.. شباب الاسلام والعلم الحديث

يدلنا التاريخ ويعطينا ما يفيدنا في مستقبلنا ، فيحكي لنا أن المسلمين حين قتربوا من الاسلام ، وعاشوا له ومعه في وئام .. يأخذون تعاليمه ويدافعون عن حقوقه ، صاروا أعزة وسادة ، ومنارات للعلم والمعرفة . فأشهر الاسلام سلاحه ضد الجهل ، ووضع مبادىء لمحاربته ، واعلن شعار محو الأمية في أول كلمة نزلت من السماء الى الأرض .. وتلقاها محمد في غار حراء ، أمرا صارما ، مؤكدا :ـ

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق/ ١ ـ ٥ . وليس أدل على قدر العلم . وشرف التعليم من أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بانه المعلم :

(الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان) الرحمن/ ١ ـ ٤ . وآيات القرآن الكريم في سور مختلفة توضح مكانة العلم والعلماء ، وما لهما من شأن في حياة الناس .. قال الله تعالى :ـ

(يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة/ ١١ .

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر/ ٩

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/ ٢٨ .

وما هذه الآيات ، وما تحمل من معان جليلة الا ربط للايمان بالعلم وتوثيق صلة بين العلم والاسلام فاذا كان المسلمون قد تخلفوا لبعدهم عن الاسلام ، فهو تخلف لبعدهم عن العلم الذي يعتبره الاسلام من وسائل قوته بل اهم تلك الوسائل . والى جانب نداء القرآن الكريم ، نداءات من محمد صلى الله عليه وسلم الى كل الناس .. هي في واقع الامر حرب على الجهل أينما كان .

● فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

● وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله : ان الله وملائكته واهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » رواه الترمذي .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :-

« فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد » رواه الترمذي .

● وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » .

وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر » رواه أبو داوود والترمذي .

● وعن معاوية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ». رواه البخاري ومسلم .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما » رواه الترمذي .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم » رواه مسلم .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا

مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

● وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا » . رواه البخاري ومسلم .

الشباب ودور العلم في اعادة بناء كيان امتنا العربية والاسلامية

ليس صحيحا ان العلم المقصود هو علوم الشريعة الاسلامية وحدها من فقه وتوحيد وتفسير وحديث ومذاهب مختلفة ، ولكنه العلم بمعناه العام الواسع الذي يفيد الانسان في دينه ودنياه .. .. في حياته وآخرته .. كما انه ليس العلوم المدنية وحدها .. ويجب ان يعرف شبابنا ان الاسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان ينادي بالعلم لأنه القوة التي تكشف عن أسرار الكون . وتسخرها لمنفعة الانسان وبه نستخرج كنوز الارض ونستغلها لخير البشرية ، لا لدمارها .. وهلاكها وعذاب هذا الانسان .

لذا فان بين العلم والعبادة ارتباطا وثيقا فالله سبحانه وتعالى . امرنا ان نعمر الارض ونستغل خيراتها ، ومن كان جاهلا عاش محدود المكان والافكار .. فلا ارضا زرع .. ولا مصنعا اقام .. ولا انسانا أفاد !

وحين يدرك الشباب المسلم انه ما تخلفت شعوب العالم الاسلامي عن ركب الحضارة الا ببعدها عن العلم الذي حثهم الاسلام عليه . فانه لا بد ان يضاعف الجهد . ليلحق بالركب وليعوض ما فات ولعل تفوق بعض شبابنا الذي نال حظه من العلم وسعد بالفرصة التي تهيأت له ، حتى اصبح ممن لهم شأن في جامعات الخارج ، يغري بقية شبابنا على اعطاء العلم وقتا اطول . وجهدا اكبر فنحن لا نقل ذكاء عن غيرنا .. ولا مقدرة في اكتساب العلوم .. كل العلوم .. ولكن ما جرى في عهود الاستعمار والتفكك ، لا يمكن ان يعود مرة اخرى . واذا كانت للشعوب من قبل حاجة ماسة الى العلم فانها اليوم بعد تضاعف عدد السكان فوق هذه الارض ، اصبحت اشد حاجة من قبل الى العلم بمختلف انواعه وضروبه ..

« وليدرك شباب الاسلام والعروبة ان الغرب أو الشرق لم يكن بتقديم المساعدات لأمتنا سباقا بالفضل ولا مبتدئا به .. وليس أبناؤه من عنصر ناضج يفوق عنصرنا .. فالتاريخ هو صاحب

القول الفصل في هذا الموضوع ... وتطوي سجلاته بل مستنداته حقائق تؤكد أن الحضارة الاسلامية ، هي صاحبة الفضل الاول في المدنية الاوروبية ، ومن لا يعترف بذلك من اصحاب هذه المدنية فهو مكابر ، ومن اعتقد منا اننا اقل شأنا منهم فهو مريض .. مصاب بعقدة نفسية »

● وقد قال أبو الاسود الدؤلي « ظالم بن عمرو التابعي » رحمه الله :

العلم زين وتشريف لصاحبه
فاطلب هديت فنون العلم والادبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له
نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يحرمه
عما قليل فيلقى الذل والحربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

★ ويذكر التاريخ ان « جابر بن حيان » هو صاحب علم الكمياء بلا منازع وضع اصولها ونشر قوانينها .

« وأبو بكر الرازي » من رواد الطب في العالم وما زالت أجمل أبنية جامعة برنستون الامريكية تحمل اسمه اعترافا بفضله على الطب والعلاج . ولا يزال . « ابن الهيثم » يعتبر واضع علم الطبيعة والرياضة قال عنه المؤرخ العالمي سارتون « انه اكبر عالم طبيعي مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم الضوء في جميع الأزمان » .

ويذكر التاريخ « الخوارزمي » رائد علم الجبر ، و « الشريف الادريسي » ـ الجغرافي الذي وضع اول مصور للعالم ، و « ابن خلدون » مؤسس علم الاجتماع واشتهر بمقدمته الخالدة . و « ابن بطوطة » رائد الاستكشافات والرحلات و « ابو الريحان البيروني » في الفلسفة والرياضة والجغرافيا و « ابن سينا » اشهر مشاهير العلماء العرب في الطب و « عباس بن فرناس » وأول محاولة للطيران في تاريخ البشرية .

مشاكل الشباب ومعالجة اسلامية ايجابية

وما اجل الاسلام في حكمته ، وما اعظمه في منهجه التربوي لشباب الامة الاسلامية ذلك المنهج الذي يريده شبابا طاهرا مطهرا ، لانه ـ اي شباب الامة ـ عتادها وقوتها ، وعمادها ، تقوى بهم شوكتها ، وتحفظ هيبتها ، وتدفع بهم من يريد إذلالها واستعبادها ، ولن يكون كذلك الا اذا كان :ـ

* طاهر النفس .
* صحيح البدن .
* سليم الجسد .
* اذا صارعته المصائب صرعها .
* واذا دكت الأهوال أرض وطنه . أنشأها وعمرها .

ولكن للشباب نزوة ، ولشهوته جموح ، ولرغباته اغراء ، وللذاته افتتان ، ولنفسه رغبات يتشتت لها عقله ويتبلبل فكره فتزل قدمه في حمأة الشرور فلا يبالي سوء المغبة فتستعبده في حريته وتغلبه في قوته ، وتشقيه في سعادته فيصبح جريئا على الله معتديا على الناس ، مستخفا بالشرائع . مستهزئا بالفضائل ، حق الشهوة عنده اعظم من حق أخيه الانسان .

« فجعل الاسلام الخمر رجسا من عمل الشيطان ، لأنها تزلزل أركان الاخوة الاسلامية وتحل الروابط الاجتماعية وتهدم البدن ، وتفقد الكرامة وتدهور الاخلاق وتوقع العداوة والبغضاء في النفوس .

قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة/ ٩٠ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » رواه أبو داوود .

والى جانب ذلك اثبت الطب ان الخمر تسبب للانسان امراضا كثيرة مثل : الشلل ، والجنون ، وضعف النسل ، والتهاب الكبد ، وهزال الجسد » وعليك أيها الشاب . اذا كنت حزينا او مهموما ، وحدثك قرين السوء ، أن الخمر تذهب الهم والحزن وتجلب السرور . فاعلم أن للهموم والأحزان علاجا غير الخمر ، وهو الصبر ، قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**) البقرة/ ١٥٣ .

وقال تعالى : (**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**) الاعراف/ ٢٠٠ .

فانظر ايها الشاب ـ هداك الله ـ يا معقل الرجاء ! وعدة الوطن وفخار الشعب ، ومجد التاريخ الى الطريق السوي التي عبدها لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنهج الاسلامي الحنيف فاسلكها تسلم صحتك وتهنأ عيشتك ، وتحفظ مالك ويسعد حالك ، واعلم أن الانسان يمتاز عن الحيوان بعقله وتفكيره الذي جعله الله حكما في كل شيء ، فأراد تعالى أن يكون ذلك العقل سليما ، لا يتسرب اليه ما يؤثر عليه ..

قال تعالى : (**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى**) النازعات/ ٤٠ و ٤١ .

وقال تعالى : (**يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**) يونس/ ١٠٨ .

ونهى الاسلام عن الزنا لانه يسرق الشرف ويهدر العفة ويقطع

حبل الاخوة الطاهرة بين الافراد .

قال تعالى : (**ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/ ٣٢ .

قال تعالى : (**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**) النور/ ٣٣ .

وقال تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**) المعارج/ ٢٩ ـ ٣١ .

وقال تعالى : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**) النور/ ٣٠ و ٣١ .

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا شباب قريش ، احفظوا فروجكم لا تزنوا ، الا من حفظ فرجه فله الجنة » رواه الحاكم والبيهقي .

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

ويقبل الله التوبة من عباده ويعفو عن كثير .

يقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار**) التحريم/٨ .

(**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر/ ٥٣ .

ويقول تعالى : (**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**) الشورى/ ٢٥ .

ويقول تعالى : (**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**) طه/ ٨٢ .

ويقول تعالى : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/ ١٣٥ و ١٣٦ .

فاربأ ـ ايها الشاب المسلم ـ بنفسك ان تدنسها ، واعتز بدينك ، وحافظ على عقلك ، واحتفظ بجسمك سليما ، وبشبابك نضيرا ، فلا تظلم نفسك بهواها ، واغتنم شبابك قبل هرمك ـ والله

سبحانه سيحاسبك على عمرك فيم افنيته وعن شبابك فيم اضعته وعن مالك من اين اكتسبته وفيم أنفقته .

الشباب والدين والدنيا

عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ! ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا ، فإن الدنيا بلاغ الى الآخرة .. ولا تكونوا كلا على الناس » اخرجه النسائي .

يطلب الحديث من المسلم ان يعمل لدنياه ولآخرته جميعا من غير افراط ولا تفريط في حق احداهما .

والمسلم الكامل هو الذي ينظم وقته ، ويقسمه بين العمل للدنيا وللآخرة ، يعطي كلا منهما نصيبه في اعتدال ، فعمل الدنيا يتحقق بالسعي للرزق والعمل للكسب والقيام بما يحفظ للجسم قوته وصحته ويجعله قادرا على العمل والكسب ، وأداء الفرائض التي افترضها الله علينا .

ومن عمل الدنيا التمتع بالطيبات من الرزق في المأكل والمشرب والملبس وهي حلال للمسلم ما دام ذلك في حدود الاعتدال .

يقول تعالى : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الاعراف/ ٣١ .

وعمل الدنيا واجب على كل مسلم لنفع الناس ، وتعمير الارض التي جعله الله فيها خليفة ، وجعل رسالته ان يعمرها .

أما عمل الآخرة فيتمثل في صدق الايمان وطهارة الروح وصفائها ، ونظافة القلوب من الحقد والتمسك بالفضائل ومراقبة الله في السر والعلن واداء الفرائض التي اوجبها الله تعالى في إحسان ، وسبيل ذلك ان تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك .

وهذا هو الجانب الايجابي اما الجانب السلبي فهو كف الاذى والبعد عن منكرات الاقوال والافعال .

فالدنيا مزرعة الآخرة ، يستطيع الانسان ان يقدم فيها من الخير ما يثاب عليه في الآخرة ، ويبلغه رضا الله تعالى في مستقر رحمته .

ونستشف من الحديث احترام الاسلام للفرد فيحثه على العمل لينفع نفسه ويكسب من المال ما يحتاج اليه فيغنيه عن السؤال ، ولا يكون عبئا على غيره وبذا يصون كرامته ويحقق الخير للمجتمع الذي يعيش فيه .

قال تعالى :**(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذي من قبلهم وليمكنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** النور/ ٥٥ .

لماذا كان الإسراء والمعراج ؟

للشيخ / محمد الأباصيري خليفة .

أشار القرآن الكريم إلى الاسراء في قول الله تبارك وتعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) .

وأشار إلى المعراج في قوله جل شأنه : (**ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) .

وقد حدثا لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في وقت اشتطت فيه قريش في إيذائه بعد موت عمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه ، ويقف سدا منيعا دون عدوان قريش عليه .. فقد رأت قريش أن موت أبى طالب فتح أمامها طريق الايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تدخر وسعا في الايذاء .. ولقد عبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن هذه الحال بقوله : « ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

ولقد حمل هذا الايذاء رسول الله على التوجه إلى الطائف يدعو أهلها إلى الاسلام رجاء أن يهتدوا فيكونوا ردءا له ضد عتو قريش . ولكن أهل الطائف ردوه ردا غير كريم ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه الشريفين ، فتوجه إلى ربه شاكيا ضعف قوته إزاء هذا الطغيان وطالبا منه العون والعافية ودخل مكة في جوار أحد المشركين .

اقتضت حكمة الله تعالى ان يبث السكينة في نفسه والطمأنينة في قلبه فكان الاسراء والمعراج عقب عودته عليه الصلاة والسلام من الطائف ، وفيهما أراه الله من آياته الكبرى ، فقد انتقل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظات ، وهناك وجد الأنبياء السابقين في استقباله ، واتخذوه إماما لهم في الصلاة ، كما رأى الملائكة تزحم السموات ولا يعلم عددهم إلا الله ، وهم جند الله الأشداء الذين لا يغلبون ، وكأن الله تعالى يقول لرسوله : لا تبتئس بسفه قريش ولا بخسة أهل الطائف ، واعلم أنك بعين الله ورعايته ، وأنه سينصرك نصرا عزيزا .

وقد كان توقيت الاسراء قبيل الهجرة ، فقد اقتضت حكمة الله تعالى تمييز الصادقين في إيمانهم من الكاذبين ، حتى تتطهر صفوف الدعوة من ضعاف الايمان ، ولا يبقى فيها إلا أقوياء العقيدة الذين يصلحون لشرف الهجرة وتبعات الكفاح بعدها . وهذا التمييز عامل مهم في تثبيت الخطى على طريق النصر . « وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول لما حدث قريشا بالاسراء ارتد عن الاسلام بعض المسلمين فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل » .

ولتحديد بدء رحلة الاسراء ونهايتها معنى عظيم ، فهذه الرحلة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام تدل على أن الايمان الذي درج في رحاب بيت المقدس قديما على يد الرسل السابقين على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هو الايمان نفسه الذي نزل عليه ، وأن هذا الرسول ورث تعاليم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب بعد أن أهدرها اليهود ، فقضى الله بلعنتهم وسلب القيادة الدينية من أيديهم وتسليمها إلى سلالة اسماعيل .. وبذلك انتقل ميراث النبوات إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان دينه آخر الأديان ، ورسالته خاتمة الرسالات .. فهي رحلة ربطت بين عقائد التوحيد من لدن ابراهيم الى محمد خاتم النبيين ، وربطت بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، وكأنما أريد بهذه الرحلة إعلان وراثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمقدسات الرسل قبله ، فهي رحلة تشير إلى أبعد من حدود الزمان والمكان .. ومن هنا كان اسراء الله برسوله إلى المسجد الأقصى ومنه إلى السموات ، والنزول من السموات إلى بيت المقدس ، ثم العودة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وليد الصلة القائمة التي لا انفصام لها بين المسجد الحرام وبيت المقدس ، وبينهما وبين السموات .

وإذا كان بعض الناس يقولون : إن الاسراء والمعراج وقعا مناما ، فهي رؤيا

رآها رسول الله . فاننا ـ بيانا للحقيقة ـ نسوق الأدلة على أن الاسراء والمعراج وقعا يقظة لا مناما بقدرة الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ونرجو أن تكون محل التأمل والتدبر .

أولا ـ ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حدث قريشا بالاسراء كذبته ، ولو كان الامر رؤيا منامية ما كان محل تكذيب ، ولما ارتد بعض المسلمين .

ثانيا ـ قال الله تعالى : (**سبحان الذي أسرى بعبده**) فكلمة (**عبده**) للجسم والروح كما قال تعالى : (**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**) .

ثالثا ـ الاسراء يقظة بالروح والجسم عبارة عن حركة سريعة ، والحركة السريعة أمر ممكن في نفسه ، والتعجب منها لا يقتضي إنكارها ، ولحركة الاسراء والمعراج أمثلة في معجزات الرسل السابقين : فانقلاب العصا ثعبانا ثم عودتها في الحال عصا كما كانت ـ في معجزة موسى ـ حركة سريعة .. وإحضار عرش بلقيس ـ من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في لحظة ـ حركة سريعة .

ولقد فهم المسلمون الأولون أن اختيار المسجد الأقصى نهاية للاسراء وبداية للمعراج إعلام من الله بأن بيت المقدس من بيوت عبادتهم يجب أن يحافظوا عليه وأن يجعلوه في رعايتهم ، وأن يصونوا الأرض المباركة التي حوله .. وقد جعله رسول الله أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها فقال : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » .

ولقد دخل الفتح الاسلامي القدس وما حولها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعاش شعب فلسطين في رحاب الاسلام ينعم بالحرية والأمن والعدل والطهر .

ولما استولى الصليبيون والتتار على بيت المقدس وما حوله عمد المسلمون إلى إجلائهم وبذلوا في سبيل ذلك غالي التضحيات من النفوس والأموال . وعادت القدس وما حولها إسلامية عربية كما كانت إلى أن حدث عدوان اليهود على فلسطين سنة ١٩٤٨ بمعاونة جبهات الكفر التي تعمل على الكيد للمسلمين ، وهم منذ احتلالهم يرتكبون مع أهل البلاد أشنع الجرائم ، وغرورهم يزين لهم أنهم باقون ، ولكن هيهات ثم هيهات . فالأمة العربية المسلمة عملاقة حين تلوذ بعقيدتها وتعاليم دينها ، وإن ذلك واقع لا محالة مهما بذل اليهود وأعوانهم في بذر بذور الخلاف والشقاق بين الدول العربية .. وإذا كان اليهود قد عادوا للافساد في الأرض المقدسة فسيعود الله عليهم بالتدمير والهلاك على يد عباد له ، أولى بأس شديد .

أيها العرب المسلمون : إن اعتداء اليهود على بيت المقدس وما حوله من أرض فلسطين تخطيط إجرامي بين الصهيونية والصليبية والشيوعية لضرب الاسلام في معقل عزيز من معاقله ، والعدو ـ بجميع جبهاته ـ يعمل على عزلكم عن عقيدتكم التي هي مصدر قوتكم كي تضلوا الطريق الذي رسمه الله لكم وبينه في قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير . الذين**

أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وفي قوله جل شأنه : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** وفي قوله سبحانه : **(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم)** .

إن العدو الخبيث يعمل جاهدا على أن يكون جهادكم مجرد شجب لعدوانه ، واستنكار لجرائمه ، واستنجاد بالدول الكبرى والمحافل الدولية ، لتضيع جهودكم وأوقاتكم في جدل لا جدوى من ورائه ، وقد وقعتم في الفخ الذي نصبه لكم ، فوضعتم الندى في موضع السيف ، وتركتم طريق الله واتبعتم السبل الأخرى فتفرقت بكم عن سبيله ناسين قول الله تعالى : **(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** .

ولقد استشرى الداء ، ويوشك أن يسري في كثير من الأوطان الاسلامية ، ولا قضاء عليه إلا بالعقيدة الاسلامية الحية تقود طاقاتكم وقدراتكم إلى الجهاد المسلح ، وحينذاك لن يكون أمامكم إلا الفتح المبين والتأييد من الله العزيز الحكيم .. فأطوار التاريخ كلها منذ وجد الاسلام تدل على أن الاسلام أقوى ما يكون مراسا ، وأشد ما يكون مقاومة إذا أحدقت به الاخطار ، وأحاطت بأممه وشعوبه المحن .. إذ ذاك يتجلى ما في نفوس أهله من إيمان قوي وعزم حديدي ، ويهبون للجهاد ليحفظوا به أنفسهم من الذل والهوان ، وحقوقهم من الضياع ، وقيمهم ومقدساتهم من الدمار .. كذلك كان أجدادنا أيام التتار حين حطمت الخلافة ، وقضى على الجند ، وظن الناس الظنون ، فتحقق النصر على يد قائد من قادة الاسلام هو سيف الدين (قطز) ونزلت الهزيمة الماحقة بالغازين في موقعة (**عين جالوت**) .. وكذلك كان الحال حين تألبت أوروبا المتعصبة على حضارة المسلمين الزاهرة ، وانهالت أفواج الغزاة من الصليبيين صوب الشرق ، فقذفت بهم قوات الحاكم صلاح الدين الأيوبي وخلفائه إلى البحر ، وكانت موقعة (**حطين**) من أزهى المواقع في تاريخ الاسلام ، وتندر بهم الشاعر يذكرهم بأسر ملكهم (لويس) فيقول :

دار ابـن لقمـان عـلى حـالـهـا والقيـد باق والطـواشي صبيـح

وليست محنة اليوم بأقسى من محن الأمس ، فأعداء اليوم جبناء أحرص الناس على حياة .. وسبيل دحرهم وتخليص بلادنا من اعتدائهم سهل ميسور يتجلى في الاعتصام بحبل الله ، والوحدة على الحق الذي أنزل الله ، وإعداد القوة المادية والمعنوية ومن وراء ذلك النصر العزيز ، الذي وعد الله به المؤمنين الناصرين لدينه في قوله تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** وفي قوله سبحانه : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** ، ومن وراء ذلك أيضا تحقيق الوعد القاطع بتدمير اليهود كلما عادوا للافساد في قوله جل شأنه : **(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)** .

رحلة بالجسد والروح

كان الاسراء والمعراج بالرسول - صلى الله عليه وسلم - جسدا وروحا .. والدليل آيات سورة النجم .. منها قوله تعالى : « **إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » .

فلا يزيغ البصر ولا يطغى الا وهو في الجسم ، ولا ينتفى عنه الزيغ والطغيان الا وهو في الجسم ايضا .. فلم يزغ البصر عن الحق ، ولم يتجاوز الحقيقة بتسلط الخيال عليه . بل كانت رؤية حقيقة مدركة كما اراد الله لها ان تكون .

قصة الاسراء والمعراج

كان صلى الله عليه وسلم مضطجعا ، فأتاه جبريل ، فأخرجه من المسجد ، فأركبه البراق ، فأتى بيت المقدس ، ثم دخل المسجد فصلى فيه ، ثم عرج به الى السموات ، فاستفتحها جبريل واحدة واحدة ، فرأى فيها من آيات ربه ، واجتمع الانبياء (صلوات الله عليهم) وصعد في سماء بعد سماء الى سدرة المنتهى ، فغشيها من أمر الله ما غشيها ، فرأى صلى الله عليه وسلم مظهر الجمال الأزلي ، ثم زج به في النور فأوحى الله اليه ما أوحى .

« من كتاب وحي القلم»

الناس والحياة

فما كل قيل قيل علم وحكمة ... وما كل أفراد الحديد حسام

وللدهر تارات تمر على الفتى ... نعيم وبؤس صحة وسقام

الرضا .. والغنى

سأل عبدالملك بن مروان ، عبدالله بن يزيد بن خالد عن مقدار ما يملك من الثروة والمال ؟

فقال : « ياأمير المؤمنين : شيئان لا عيْلة عليّ معهما : الرضاء من الله ، والغنى عن الناس » .

فلما خرج عبدالله سأله أحدهم : « لماذا لم تخبر الخليفة بمقدار ثروتك ومالك ؟

فأجابه : لأن ما أملكه ، لا يعدو أن يكون قليلا فيحقرني ، أو كثيرا فيحسدني .

الإسلام والعلم

قال معروف الرصافي :

يقولون في الاسلام ظلما بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم
فان كان ذا حقا فكيف تقدمت ... أوائله في عهدها المتقدم
وان كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الاسلام من جهل مسلم
هل العلم في الاسلام الا فريضة ؟ ... وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم

من جرائم اليهود

اليهود هم اليهود منذ القدم .. يعيثون في الأرض فسادا ، وينشرون الخراب والدمار أينما حلوا .. فمذبحة دير ياسين مشهورة في التاريخ .. ففي ١٩٤٨/٤/٩ باغت اليهود من عصابة الأرغون وشترن سكان القرية الآمنين ، وفتكوا بهم دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء ، ومثلوا بجثث الضحايا الأبرياء وألقوا بها في بئر القرية وبلغ عدد القتلى « ٣٠٠ » .

ونشير إلى أن قائد عصابة « الأرغون » هو مناحيم بيغن .. رئيس وزراء الكيان الصهيوني الغاشم الآن .. وبيغن هو الذي نادى في حشد يهودي بلغ « ١٥ » ألف مستمع بأن تكون القدس عاصمة لإسرائيل . كان هذا في صباح ١٩٤٨/٨/٤م ، هذا هو العدو .. فماذا نحن فاعلون ؟!!

أغرودة الذكرى في ليلة الإسراء والمعراج..

للشاعر : محمود محمد بكر هلال

نـور من الله العلي سمـا بـه — وسرى فكان الروح ظل ركابه
اسرى به مولاه في غسق الدجى — فشأى البدور وكن من اترابه !!!
هبوا صباحا يسألون عن السرى — يتهامسون : من الذي اسرى به ؟
قيل : الملائك والبراق وقدرة — جعلت وجود الكون من أسبابه !!
هي منحة رب السماء افاضها — نـال النبي بها جـزيل رغـابه
نـور تجسد للـرشاد وللهـدى — ملأ الوجود الرحب من آدابه
والله سخـر للنبـي عـوالمـا — ما كان يغلبها سوى احبابه !!
اخذوا البراق من البروق لانه — برق سرى بين الورى وهضابه
فرأى النبي من الحياة عجائبا — حـازت لديـه منتهى اعجابـه
الفى فئات يحصدون زروعهم — فيعود غرسا ناضرا لشبابه !!

سأل الأمين : فقال : قوم جاهدوا ... في الله أعطاهم جزيل ثوابه
وأتى على قوم تهشم هامهم ... بالصخر يصليهم اليم عذابه
من هؤلاء ؟ فقيل : قوم فرطوا ... تركوا الصلاة فعمهَّم بعقابه
وهناك في البيت المقدس أقبلت ... زمر الهداة وجمعت برحابه
تخذوا رسول الله مصباح الهدى ... علما يؤم الناس في محرابه !!
لا غرو ان ترقى الى هام العلا ... تسري كما يسري السنا بسحابه !!
قد كنت انسانا ولكن من هدى ... وسنا وكان الوحي ظل ركابه !!
ونشأت في ظل الهدى مترفعا ... عن زخرف الدنيا وعن اربابه
نقيت من كدر الحياة وزورها ... وعزفت عن كأس الهوى وشرابه !!
وصدفت عن لهو الشباب فلم تكن ... يوما وان اغراك من طلابه !!
وحملت اعباء الحياة فلم تهن ... وسخرت من عنت الزمان وصابه !!
خلق كأن الزهر من نفحاته ... عبقت ازاهره على اصحابه
صيغت من الأدب الرفيع خلاله ... فالطهر والآداب ملء إهابه
من كان مثلك في السمو وفي الهدى ... قالت له الأفلاك يا مرحى به !!!
فلأنت نجم اطلعتك عناية ... ماذا يصد النجم عن آرابه ؟!!
هل في سرى نجم الى افلاكه ... في الليل مايدعو الى استغرابه ؟!!
هل كان من عجب وانت سنا الورى ... معراجك السامي الى ابوابه ؟!!
قد كنت اشبه بالهواء اذا سرى ... بين السماء وطار بعد حجابه !!
ان الهواء او الأثير او السنا ... ما كان افق الكون من حجابه !!
والمستحيل على الكفيف ميسر ... في دولة البصراء عند طلابه !!
حياك سكان السماء وهللوا ... لبزوغ نجم شع بعد غيابه
وغدوت في هذا العروج حقيقة ... كونية فازت على احبابه
خلصت من الدنيا ومن اظلامها ... وسمت على عبث الورى وترابه !!
فأراك من آياته ما لم يكن ... ليجول في خلد الحصيف النابه !!
صور يسجلها الزمان حقيقة ... وتخطها الأقدار بين كتابه
غلبت اشعتك الأثير فحلقت ... وسمت الى ملكوته وجنابه !!
وغمست في نور الجلال وافرغت ... حلل الجمال عليك عند خطابه
ورأيت ربك جل في ملكوته ... سبحانه عن حادث ومشابه
فرض الصلاة عليك تطهيرا لنا ... من اثم اخطاء الزمان وعابه
تزع النفوس عن الضلال اذا صفت ... بأدائها وتزيل حجب ضبابه
من شك في تلك الخوارق فليفق ... فالأمر لا يدعو الى استغرابه
قد طبق المذياع آفاق الورى ... من « لندن » يسعى الى (بنجابه)
يطوي المكان فلا مكان لصوته ... من أودع الاعجاز في اخشابه ؟!!
والتلفزون ترى وتسمع سره ... من آخر الدنيا ولا تعيا به !!

وسل المنوم عن حديث وسيطه ... ينبيك عن عجب النهي وعجابه !!
او ما سمعت بأن قوما سارعوا ... في رحلة للبدر بين سحابه ؟
طلعوا على القمر المضيء واخبروا ... عن ارضه وبحاره وترابه !!
افهل تشك بان رحلة احمد ... لله رب العرش من أسبابه ؟
سبحانه وله الجلال اذا قضى ... امرا يكون الأمر عند حسابه !!
عجبا لأبناء الحنيف ودينهم ... جعل الملوك الصيد من اعرابه ،
والله سخر للنبي عوالما ... من ريحه وسمائه وسحابه
يتقاعسون ودينهم عرف الألى ... كانوا - اذا نادى - الأسود بغابه !
لكنه الضعف الذي ازرى بنا ... والشرق يا للشرق من احزابه !!؟
لعبت به الاهواء فهو مسخر ... وهواه منعقد الى اربابه !!
ازرى به الغرب القوي وسامه ... سوء العذاب فصار من اذنابه !!
والله ما ظلم الاله عباده ... لكن تناهي الظلم من اوشابه
اغرتهم اللذات فانقادوا لها ... والغرب خادعهم بحلو سرابه
فتأخروا عن ركب دهر عامل ... وغدوا فرائس جهزت لذئابه
مسرى الرسول عدت عليه عصبة ... تبغي على الأعراض في محرابه !!
والقدس مثوى الأنبياء ومهدهم ... أمسى يئن من اللظى وعذابه !!
حيران مضطرب الجوانح صارخا ... من بغي صهيون ومن أوصابه !!
ارض السلام يغيب عن آفاقها ... نجم السلام ويختفي بسحابه ؟
من ذلك الباغي اليس مشردا ... لعبت به الأطماع من آرابه ؟؟
فمتى نرى جيش العروبة غازيا ... ويعيد ما اغتصبوا إلى أربابه
إني لآمل ان سيبرم في غد ... أمراً يعيد الحق عند نصابه
ومحرق الأقصى سيقصي في غد ... وغدا يذوق الويل عند حسابه !!
وعلى الذين تخلفوا ان يلحقوا ... فالبيت مفتوح على ابوابه
والشرق ان لم تتحد عزماته ... جعل الاله الذل في اعقابه !!
وتحكم الباغي الدخيل بأرضه ... ومشت جيوش الغرب فوق رقابه
يا أمة الاسلام اول دينكم ... نشر الهدى فرض على طلابه ،
لم لم تكونوا النور بعاث الهدى ... ونبيكم بعث الورى بكتابه ؟!!
نهل الرعاة من الحنيف فملكوا ... وغدا جفاة البيد من أقطابه
عفوا رسول الله ان جمحت بنا ... سفن الحديث ولم تقف بعبابه
يا منقذ الدنيا اليك تحية ... من مسلم رؤياك كل رغابه
ذكراك عطر بيانه وعبيره ... وهداك سر الحسن في آدابه
لازال دينك للبرية منهلا ... عذبا يريح القلب من أوصابه
ومنارة تهدي الحياة سبيلها ... وهدى يشع النور من محرابه
صلى عليك الله ما طلع الضحا ... او غرد الشادي على شبابه

أزمة أمانة

للدكتور عبد الله بن محمد الصديق

من المعلوم بالضرورة أن الاسلام مبني على ثلاث دعائم : العبادات ، والمعاملات ، والسلوك . والمقصود بالسلوك الآداب والاخلاق الفاضلة

ولا شك ان **الامانة** من اهم الأخلاق الكريمة ، بل هي اساسها وخلاصتها ، وهي من صفات الانبياء والمرسلين ، فقد تقرر في علم الكلام انه يجب في حق النبي والرسول ان يكون امينا ، لان الأمين يسمع قوله ويقتدي بفعله ، ويهتدي بهديه . وقد كان النبي منذ شبابه يدعى الامين

والايمان والأمانة قريبان في الاشتقاق ، وهما متلازمان في الشرع ، **فالمؤمن لا بد ان يكون امينا** ، ومن فقد الامانة فقد ايمانه ، ففي الحديث : « لا ايمان لمن لا امانة له » .

وصح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « اية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا أؤتمن خان » .

فأفاد ان فاقد الامانة ثلث منافق ، وانما جعل الشرع الامانة جزءا من الايمان لما لها من اهمية كبرى في سلوك الافراد والجماعات ، فأي مجتمع تسوده الامانة يكون مجتمعا راقيا في قمة الاخلاق الفاضلة .

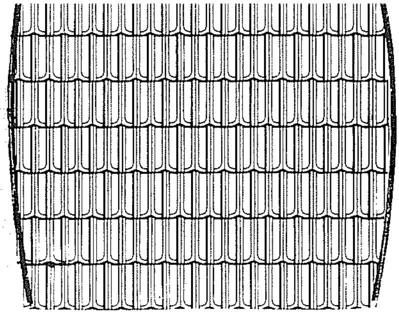
ذلك ان **الامانة** يلازمها الصدق والوفاء وحسن المعاملة ، وبقدر اجتماع هذه المعاني في الأفراد يكون المجتمع سعيدا خاليا من المشاكل ، بعيدا عن الخلافات والمنازعات ، وانظر الى عهد عمر بن الخطاب حين كان المجتمع يغلب عليه الامن والوفاء ، والصدق .. كان عهدا زاهيا ، راقيا ، فيه تحققت المدينة الفاضلة التي طالما حلم بها الفلاسفة .

واذا فقدت **الامانة** تبعها فقد الوفاء والصدق والامن ، وصار المجتمع مليئا بالخيانة والغدر والكذب واصبح الفرد غير آمن في مجتمعه .

واحوال المسلمين اليوم غير احوالهم بالامس ، فقد كانوا منذ عهد قريب امرهم مجتمع ، وكلمتهم واحدة ، ووفاؤهم مضرب الامثال ، ثم غزاهم الاستعمار ، بمخازيه ومفاسده ، فتغيرت اخلاقهم ، ووهنت كلمتهم ، وفقدوا **الامانة** ، **فصدق فيهم** قول النبي : « اول ما يرفع من دينكم الامانة »

وبرفعها من المسلمين اصبح مجتمعهم فوضى كاملة : **فوضى في الاحكام** ، في الاخلاق ، في العادات ولا احد من المسلمين يؤدي واجبه بأمانة الا القليل

ولأجل هذا الف صديقنا الاستاذ الفاضل السيد عبد اللطيف بن عبد الغني حبسوس بطنجة كتابا سماه : (**ازمة امانة**) بين فيه بالدلائل والشواهد المسموعة ، والمقروءة ، ان ما اصاب المسلمين من انحلال خلقي ، وتفريط في واجبهم **الديني** و الدنيوي منشؤه فقدان الامانة ، واستدل على ذلك بدلائل عقلية ونقلية ، فسد بذلك ثغرة في هذا الموضوع لم يُسبق اليها



الإسلام

محمد موزون

استطيع ان اقول : إن الرعاية التي اعطاها الاسلام للمرأة ، ما زالت وستبقى كذلك درة في جبين الانسانية ونجوما في سماء الخلود ، تعطي الف دليل ودليل على أن الحقوق التي اعطاها الاسلام للمرأة لم يعطها قانون ولا نظام غيره قديما وحديثا .. كيف لا والاسلام دين الانصاف والعدل وقد جاء ليقيم موازين القسط بين الناس ، ويعطي كل ذي حق حقه ..!! وكما أن للرجل حقوقا فإن للمرأة حقوقا كذلك ، اذ المرأة تمثل نصف المجتمع او اكثر ، ويقع على عاتقها تبعات جسام ، وتتخرج الأجيال من مدرستها ، فهي التي تربي العباقرة والأفذاذ الذين يقومون باصلاح المجتمعات ... كذلك اعطى الاسلام المرأة اهمية بالغة في جميع ما يخصها ولا سيما التربية والتعليم .

لقد جاء الاسلام فوجد المجتمع الجاهلي ينظر الى المرأة نظرات جائرة مليئة بالغبن والحيف والظلم .. يحتقرها ويزدريها ، بل كانت الجاهلية تتشاءم من المرأة حتى قالوا : **((الطيرة في ثلاث : في المرأة والدابة والدار))** . ويفسر لنا الخليفة الحكيم العظيم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما كانت عليه المرأة في الجاهلية

وتعليم المرأة

للاستاذ/ابراهيم النعمة

فيقول : (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء امرا حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم) .

في هذا المجتمع البائس الذي انحطت فيه عيشة المرأة النكدة الى الحضيض ، اذن الله بشروق شمس الاسلام وارسل رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي نوه بالمرأة كثيرا ، ورفع من شأنها في شتى المجالات ، وأمر الناس بالعناية والاهتمام بها ، وحض على احسان تربية البنات ، ورغب المسلمين في الأجر الكبير الذي ينتظر من يعنى بتربية البنات ويحسن اليهن فقال ـ عليه الصلاة والسلام : **((من عال جاريتين دخلت انا وهو الجنة كهاتين واشار بأصبعيه : السبابة والتي تليها"** رواه مسلم والترمذي .

وقال : **((من بلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار))** رواه البخاري ومسلم . وقال : **((من كانت له ثلاث بنات ، او ثلاث اخوات ، او بنتان ، او اختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ـ وفي رواية فأدبهن ، وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة))** رواه ابو داود وابن حبان والترمذي .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتبع أساليب فذة في رفع مكانة المرأة بأفعال عرف كيف يغرسها في قلوب الناس ، حضهم فيها على أن يسووا بين الذكور والاناث من اولادهم في التربية والخلق والادب والفضائل والمكارم والمطعم والملبس .. حتى وعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الآباء الذين يحسنون تربية بناتهم ، ولا يؤثرون الذكور عليهن بأن لهم الجنة فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **((من كانت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر وُلْده ـ الذكور ـ عليها ادخله الله الجنة))** رواه ابو داود والحاكم ..

وقد ضرب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أروع مثال وخطا اعظم خطوة في مجال العلم يوم حض المسلمين على تعليم الإماء اللواتي لا يعنى بأمرهن احد فقال : **((ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم اعتقها وتزوجها فله اجران))** رواه البخاري ومسلم .

ولم يكتف ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذلك بل اعطى ذلك المجتمع دروسا عملية في الرفع من شأن البنت ، فقد حدث أن صلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إماما بالناس وهو رافع احدى البنات .. ففي الحديث : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ، فاذا سجد وضعها ، واذا قام حملها) رواه البخاري ومسلم .. هذا في الوقت الذي كان الناس يتشاءمون من البنات تشاؤما يصوره القرآن اجمل تصوير فيقول : **(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون)** النحل/٥٨ ـ ٥٩ ..

على ان الاسلام لم يكتف بذلك بل خطا خطوة اخرى رائعة لم يصل اليها اي نظام او مبدأ أرضي منذ ان خلق الله البشر والى يومنا هذا وذلك جعله طلب العلم فريضة على كل مسلم ! ففي الحديث الشريف : **((طلب العلم فريضة على كل مسلم))** رواه ابن ماجة والطبراني . واجمع المسلمون على ان المسلمات يدخلن كذلك في فريضة طلب العلم الذي سيأتي بيانه .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتخول الناس بالمواعظ ويعلمهم ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وقد التمس النساء من الرسول أن يجعل لهن يوما يفقههن في الدين ، ويعلمهن امور الاسلام ، فاستجاب لالتماسهن ، وحدد لهن يوما وعظهن فيه ، وعلمهن شيئا من امور الاسلام .. ففي الحديث : **((جاءت امرأة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله . فقال : أجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله ..))** رواه البخاري ومسلم ..

هكذا غرس الاسلام في نفس المرأة المسلمة حب طلب العلم حتى اباح لها شهود خطب الجمع والعيدين وهي من وسائل التعليم والتربية وتهذيب النفوس . فقد امر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ان تخرج البنات البالغات ، او اللائي قاربن المحيض واللائي تكن في حال الحيض في عيدي الفطر والأضحى ليتعلمن ما ينفعهن من تعاليم الاسلام . تقول أم عطية الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ : (أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نخرجهن في الفطر والاضحى : العواتق والحيض ، وذوات الخدور . فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ... قلت يا رسول الله ، إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ قال : لتلبسها أختها من جلبابها) متفق عليه . فكانت هذه الاحاديث وغيرها دروسا قيمة القاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك المجتمع الذي غرق في ازدراء المرأة الى الاذقان .. وقد اثمرت دروسه تلك وآتت نتائج طيبة حيث اقبلت النساء في صدر الاسلام على رواية الحديث اقبالا عظيما ، حتى اتى ابن سعد في الجزء الذي عقده من طبقاته لرواية الحديث من النساء على سبعمائة امرأة روين عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ او عن بعض اصحابه . وترجم ابن حجر في كتابه (الاصابة في تمييز الصحابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة والف من المحدثات ، وشهد لهن بالعلم ووثقهن . وقد كتب كثير من العلماء الاوائل عن مراكز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) والنووي في (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوي في (الضوء اللامع) ... الخ ، ونبغ في التاريخ الاسلامي عالمات خلد التاريخ ذكرهن ، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ عالمة جليلة ، تحدث الناس ، وتصحح للصحابة وتفتيهم ، بل وتستدرك على فتاواهم واقوالهم .. حتى الف الامام بدر الدين الزركشي كتابا سماه «الاجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» .

وكانت السيدة فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي مثلا من آلاف الأمثلة التي يزخر بها تاريخنا الاسلامي ، فقد درست العلوم والفنون حتى صارت الفتوى تخرج من بيت والدها وعليها خطها وخط والدها ، فلما تزوج الشيخ علاء الدين الكاساني صارت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها . بل كانت ترد زوجها الى الصواب اذا اخطأ وهو من هو في العلم ، هو الذي شرح تحفة الشيخ السمرقندي حتى قيل : شرح تحفته وزوجه ابنته .

ومن العالمات اللائي خلد التاريخ ذكرهن : أم الواحد : ستيتة بنت القاضي الحسين بن اسماعيل الضبي المحاملي التي كانت من احفظ الناس للفقه الشافعي ، وكانت تحدث ويكتب عنها الحديث ، وكانت تفتي مع العلماء . توفيت سنة ٣٧٧ هـ .

وكانت أم الفتح بنت القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف بن شجرة من أعلم زمانها . كانت تتسم بتمسكها الشديد بتعاليم الاسلام ، وكانت عاقلة رزينة حصيفة . أخذ عنها كثير من العلماء كثيرا من العلوم . توفيت سنة ٣٩٠ هـ .

وكانت زينب بنت عبد الرحمن الشعري عالمة جليلة . وقد اخذ عنها اعيان العلماء رواية واجازة . وممن اجازها الحافظ ابو الحسن الفارسي ، وابو القاسم الزمخشري صاحب تفسير الكشاف . وقد اجازت هي ابن خلكان وكان صغيرا تشجيعا له .

اما كريمة بنت احمد المروزي ، فكانت من اعلم الناس بالحديث بمكة ، وقد قرأ عليها الخطيب البغدادي صحيح البخاري .

وكانت عنيدة جدة أبي الخير التيناني الاقطع (تجلس للتدريس فيجلس امامها خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء) . وقل مثل ذلك عن الشيخة شهدة التي كانت تلقب بـ (فخر النساء) . ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسين بن علي ... الخ ...

ويكفينا ان نذكر في هذا المقام ان ابن عساكر عد أساتذته الذين اخذ عنهم ، فكان منهم إحدى وثمانون امرأة كما قال ياقوت في معجم الادباء .

وذكر عبد الواحد المراكشي انه (كان بالربض الشرقي في قرطبة ١٧٠ امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي) علما بأن عدد أرباض - احياء - مدينة قرطبة (واحد وعشرون) ربضا كما يقول المقري في (نفح الطيب) .

وكان لبعض الشواعر أثر كبير في الاسلام منهن ليلى الأخيلية ، وحميدة بنت النعمان ، وسكينة بنت الحسين التي كانت تنقد الشعراء في قصائدهم وتكون حكما بينهم . وبدانية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون التي كانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي الفاسي وتشرحهما ، ومريم بنت ابي يعقوب الانصاري التي من شعرها حين كبرت :

وما يرتجى من بنت سبعين حجة
وسبع ، كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا
ويمشي بها مشي الأسير المكبل

وقل مثل هذا عن رابعة العدوية ، وزبيدة أم جعفر زوجة الرشيد ، وحفصة بنت الحاج الدكوني ، وتقية أم علي بنت ابي الفرج ... وقد الف السيوطي كتابا قيما في أشعار النساء عنوانه (نزهة الجلساء في أشعار النساء) .

هذه امثلة اقل من القليل ، تدلنا على مكانة المرأة العلمية في العصر الاسلامي ، ومشاركتها في شتى العلوم والفنون .. فقد كان كثير من النساء اساتذة للرجال ، يدرسونهم ، ثم يجيزونهم . ونجد في الاجازات العلمية اسماء عدد من النساء اللاتي اجزن الرجال . واذا كان التاريخ لم ينقل الينا اخبار كثير منهن ، فان من ذكرهن شاهد على المنزلة العلمية الكبيرة التي وصلت اليها المرأة

المسلمة ، في الوقت الذي كانت المرأة في اوربا تباع وتشترى ، وقد سموها رجسا وجعلوها من سقط المتاع وقالوا عنها : إنها كائن لا نفس له بل كانوا يبيعون زوجاتهم ويأخذون جميع أموالهن . يقول (سان بونا فنتور) من رجال الكنيسة الى تلاميذه : (اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا ، وانما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير الثعبان) .
ويقول : ترتوليان من أقطاب المسيحية عن المرأة : (انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله - أي الرجل -) .

وقد اعترف كثير من المستشرقين المنصفين والمستشرقات بالمنزلة العالية التي كانت تتبوأها المرأة المسلمة .

يقول بعض الذين أرخوا الحكم الثاني في الاندلس : (إن نساء ذلك الزمن (الذي كان للعلم والأدب شأن عظيم فيه ببلاد الاندلس) كن محبات للدرس في خدورهن ، وكان الكثير منهن يتميزن بدماثتهن ومعارفهن ، وكان قصر الخليفة يضم لبنى ، اي هذه الفتاة الجميلة العالمة بالنحو والشعر والحساب وسائر العلوم والكاتبة البارعة التي كان الخليفة يعتمد عليها في كتابة رسائله الخاصة والتي لم يكن في القصر مثلها دقة تفكير وعذوبة قريض ، كما كان يضم ايضا فاطمة التي كانت تكتب بإتقان نادر ، وتنسخ كتبا للخليفة ، ويعجب جميع العلماء برسائلها ، وتملك مجموعة ثمينة من كتب الفن والعلوم .

وتقول المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكه) : (وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات في المساجد ويفسرن احكام الدين . فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هي بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الاستاذة الشيخة . كما لمعت من بينهن اديبات وشاعرات ، والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجا على التقاليد) .

على أن أحدا لا يستطيع ان يجد نصا واحدا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في اقوال سلفنا الصالح يحرم تعليم البنات او النساء ، بل وجدنا على العكس نصوصا كثيرة تحث وتحض على طلب العلم . يقول ابن حزم في كتابه (الأحكام في اصول الأحكام) : (ويجبر الامام ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهن ما ذكرنا - يعني الطهارة والصلاة والصيام وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس والفروج والدماء والاقوال والاعمال - اما بأنفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهن ، وفرض على الامام ان يأخذ الناس بذلك ، وان يرتب اقواما لتعليم الجهال) .

هذا هو الحد الادنى الذي ينبغي توفيره في التعليم ، والمسئول عن كفالة حق التعليم للفرد رجلا كان او امرأة ، حرا كان أو عبدا هي الدولة . واكثر

من هذا ، فقد جعل الاسلام للمرأة الحق في ان تخرج طلبا للعلم الذي يجب عليها ان تعلمه ان كانت جاهلة ولم يعلمها زوجها ، ذلك ان الاسلام كلف المرأة ببعض المسئوليات ، ودعاها في الوقت نفسه الى طلب العلم لتتمكن من القيام بمسئولياتها على خير ما يرام . ومن أوائل ما دعا الاسلام المرأة الى معرفته هو الحلال والحرام في سائر التصرفات . ومعرفة العقائد والعبادات والأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس . وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات معا أن يقوا انفسهم واهليهم النار فقال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/٦ ولا يمكن ان يقوم الرجل او المرأة بالوقاية ما لم يكن كلاهما قد تعلم كي يستطيع وقاية نفسه وغيره . وحكم الذين آمنوا في هذه الآية تشمل المؤمنين والمؤمنات معا .

لقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ **«والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»** متفق عليه فكيف تستطيع المرأة إدارة شئون منزلها اذا كانت جاهلة ؟

وكيف تستطيع أن توجه طفلها توجيها سليما صائبا هادفا اذا لم تكن عارفة مطلعة على التعاليم الاسلامية ؟.

وقد مهد الاسلام السبيل لطلب العلم ، وجعل من واجب الحكومة الاسلامية ان تقوم بالإنفاق على الأولاد ذكورا واناثا اذا ضاقت بآبائهم سبل الحياة ، وكانوا فقراء عاجزين عن الانفاق على تعليم أولادهم وبناتهم . ان الاسلام لم يمنع المرأة من تعلم شتى العلوم والفنون ، ولم يحرم هذه العلوم عليها ، ولكن المصلحة العامة ـ مصلحة الامة ـ تقضي بأن تمارس المرأة بعض هذه العلوم دون البعض كالتدريس والتطبيب والتمريض وما شابه ذلك ، مما ينسجم وطبيعة تكونها ومقتضيات وظيفتها كأم ... والاسلام يراعي دائما وأبدا مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ... واذا كان الاسلام قد دعا المرأة الى طلب العلم فقد أمرها في الوقت نفسه بان تلبس الملابس المحتشمة .

وبعد :

فان المسلمين في عصرنا هذا وقد ابتعدوا عن روح الاسلام الحقيقية وخبا من نفوس كثير منهم نور الايمان ، صار بعض العامة منهم يعتقدون ـ جهلا وخطأ ـ بحرمة تعليم المرأة ـ ولو رجع هؤلاء الى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدوا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أول من دعا الى طلب العلم .

وكان هذا الشعور الخاطىء تجاه تعليم المرأة المسلمة هو الذي استفاد منه أعداء الاسلام إذ صار المجال أمامهم فسيحا واسعا يسرحون فيه ويمرحون ويسممون أفكار بناتنا ونسائنا بما يأتون به من الشرق أو الغرب حتى رأينا ثمراته الخبيثة في أيامنا هذه .

نسأل الله تعالى أن يهدينا سبل الرشاد ويوفقنا لما فيه حبه ورضاه .

بيان اسلامي مسيحي

عقد مكتب المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس (في عمان) لقاء اسلاميا - مسيحيا في مقر المؤتمر حضره عدد من العلماء المسلمين ورؤساء الطوائف المسيحية وجمع من رجال الفكر والمثقفين .
واستعرض المجتمعون التطورات التي تواجهها المقدسات في الاراضي المحتلة ، والظروف العصيبة التي يمر بها الاخوة المواطنون حيث تتحدى سلطات الاحتلال الصهيوني المشاعر الوطنية والدينية .
كما ناقش المجتمعون آخر تطورات القضية المقدسة في المحافل العالمية واخذوا علما بما يجري من حوار مسيحي - يهودي في الفاتيكان واصدرو البرقية التالية الى حاضرة الفاتيكان :
- تناقلت وكالات الانباء العالمية نبأ الحوار المسيحي - اليهودي الذي يجري حاليا في الفاتيكان . كما نقلت وسائل الاعلام المختلفة التوقعات التي رأتها عن طبيعة هذا الحوار وأهدافه .
ان المجتمعين يذكرون بان التعايش بين الاديان السماوية كان سمة حضارية في تاريخ الامة العربية الاسلامية ، وان هذا التعايش كان قائما في الارض المقدسة في فلسطين عبر عصور التاريخ العربي الاسلامي ، حيث كان يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود .
- كما يؤكد المجتمعون ان الصهيونية تعمل على استغلال جميع المواقف لصالحها وتسخيرها لخدمة اطماعها واهدافها العنصرية .
ولذا ، فانهم يذكرون بخطورة الظروف التي يجري فيها هذا الحوار وما يخشى ان ينجم عنه من نتائج يمكن ان تستغلها الصهيونية للقيام بمزيد من ممارسات التهويد للمقدسات الاسلامية والمسيحية في فلسطين ، ومزيد من ممارسات الاضطهاد ضد المواطنين .
ويتمنون الا يقع هذا الحوار في هذه الظروف حيث يؤدي هذا الحوار الى المزيد من الدعم السياسي للصهيونية في الوقت الذي تواجه فيه الصهيونية العنصرية عزلة دولية .
كما يؤكد المجتمعون ان هذا الحوار سيؤدي بصورة حتمية الى ايذاء مشاعر المسلمين والمسيحيين العرب الذين يعيشون جنبا الى جنب في العالم العربي . ويواجهون الاضطهاد من العدوان الصهيوني .
وان المجتمعين ليبعثون بالتحية والتقدير الى اخوانهم في المحتل من الارض المقدسة لوقفتهم البطولية امام العدوان الصهيوني الغاشم .

عسل النحل

مقدمة :

لقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم حديث شريف عن استعمال عسل النحل في علاج امراض الجهاز الهضمي يعتبر بحق اول تقرير علمي موثق عن حالة مرضية ثبت فيها فائدة عسل النحل وظهور اثره الطيب في علاج امراض المعدة والامعاء . روى البخـاري ومسلم عن ابي سعيـد الخدري ان رجلا جاء الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال : ان اخي استطلق بطنه . فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اسقه عسلا » فسقاه عسلا . ثم جاء فقال يا رسول الله ـ سقيته عسلا فما زاده الا استطلاقا . قـال : « اذهب فاسقـه عسلا » . فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال : يا رسول الله ما زاده ذلك الا استطلاقا قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « صدق الله وكذب بطن اخيك اذهب فاسقه عسلا » . فذهب فسقاه عسلا فبرىء ».

يروعنا في هذا الاثر يقين رسول الله « صلى الله عليه وسلم » امام ما بدا واقعا عمليا من استطلاق بطن الرجل

وأمراض الجهاز الهضمي

للدكتور
سالم نجم



كلما سقاه اخوه عسلا وقد انتهى هذا اليقين بتصديق الواقع له في النهاية . منذ ذلك الزمن السحيق والمسلمون يستعملون عسل النحل في امراض الجهاز الهضمي والبولي التناسلي والجهاز التنفسي ويستعملون عسل النحل في الامراض الجلدية وغيرها .. ولقد سجلت بعض نتائج هذه الابحاث وظهرت المؤلفات العديدة على توالي العصور ؟ وهنا في هذا البحث نعرض نتيجة المحاولة العلمية عن استعمال عسل النحل في حالات عسر الهضم وقرحة الاثنى عشر بطريقة التجربة والملاحظات السريرية والشعاعية وكذا باستعمال منظار المعدة ذي الالياف الزجاجية .

« طريقة البحث »

لقد تم اختيار خمسة واربعين مريضا متتاليا من المصابين بعسر الهضم سواء ـ ممن ثبت لديهم قديما قرحة بالاثنى عشر او لم يثبت ذلك . ولقد وضعت شروط اختيارهم للمقاييس التالية :ـ

أ ـ توفر الاعراض المرضية والتحاليل المعملية التي تشير الى امراض في

الجهاز الهضمي .

ب ـ الفحص بالاشعة الملونة على اعلى الجهاز الهضمي .

جـ ـ الفحص بالمنظار الضوئي ليشمل المعدة والاثنى عشر ، ولقد طبقت هذه المقاييس عند ادراج المريض في قائمة التجربة وعند الانتهاء منها بعد مرور ستة اشهر ، يعالج خلالها المريض بعسل النحل مع الفحص الدوري شهريا لكل مريض .

ولقد نصح المريض بان يشرب ثلاثين سنتيمترا مكعبا من عسل النحل الذي يتوفر لديه دون تحديد صنف بعينه ـ وذلك قبل تناول الطعام ثلاث مرات يوميا .

ولكي تتم المقارنة العلمية بصورة سليمة ، فقد قمنا باختيار عشرين مريضا اخرين ممن تتماثل صفاتهم مع المجموعة الاولى عدا انهم لا يتعاطون عسل النحل .. وذلك لكي تتم المقارنة بين المجموعتين لاستنباط الاثار المفيدة لعسل النحل في المجموعة الاولى غير ان العشرين مريضا قد اعطوا اقراصا « لايهامهم بالعلاج » من مادة خاملة لا تضر ولا تنفع ، ولكن نظرا لعدم استجابة العشرين مريضا لهذه الاقراص الدمي ـ ونظرا لاستمرار شكواهم المرضية وخوفا من حدوث مضاعفات مرضية قد تلحق بهم الضرر ـ ولدوافع انسانية ومهنية ، فاننا اكتفينا بوضع هؤلاء العشرين تحت التجربة لمدة ثلاثة اشهر فقط ، وليست ستة اشهر كما هو الحال في المجموعة الاولى قيد التجربة وبعد تلك الفترة عولجوا بالوسائل التقليدية .

النتائج

اقتصرت النتائج هنا على المجموعة الاولى المكونة من ٤٥ مريضا ومريضة « ٢٦ من الذكور ، ١٩ من الاناث » ممن تتراوح اعمارهم بين العشرين والخمسين ربيعا غير ان ـ معظمهم يقع في العقدين الثالث والرابع . ونلاحظ ان اهم الاعراض المرضية التي يشكون منها وقت بدء علاجهم كانت النزيف المعدي في ٦٢ مريضا فقط ، ولكن الاغلبية المطلقة كانت علتهم اعراضا مختلفة لعسر الهضم « اوجاع بطنية ـ احساس بالحموضة وانتفاخ باعلى البطن ـ غثيان ـ قيء » كما ظهر ان نصف المرضى يعانون من فقر الدم ، حيث تقل نسبة خضاب الدم عن ٥٠٪ ـ وكذلك ـ الدم المخفي بالبراز ارتفعت نسبته الى ٨٢٪ . اما نتائج الفحص الشعاعي بالمادة المعتمة « الباريوم » فقد ثبت ان ٧٥٪ من هؤلاء المرضى مصابون بقرحة او التهاب في الاثنى عشر او التهاب في جدار المعدة . اما نتائج الفحص بالمنظار الضوئي للمعدة والاثنى عشر فقد تشابهت النتائج مع تلك التي ظهرت بالاشعة الملونة .

اما المقاييس التي بمقتضاها فتحت نتائج البحث والشروط التي توفرت للحكم على شفاء او تحسن الحالة المرضية نتيجة لاستعمال عسل النحل . فقد لاحظنا ان ثلثي المرضى تماثلوا للشفاء التام كما ان سبعة

اخـرين تحسنت حـالتهم بشكـل ملحوظ . فقد حدث التئام لقرحة الاثنى عشر في خمسة مرضى ، كما تـأكـد ذلـك بـالكشف الشعـاعي والمنظاري . وكذلك لوحظ ان نسبة خضاب الدم قد تحسنت بدرجة كبيرة وان الدم المخفي في البراز قد اختفى من جميع المرضى الا اربعة فقط .

التعليق والاستنتاج

ان المعلومات التي زودتنا بها هذه الدراسة التجريبية ، اعطتنا الدليل القوي على ان عسل النحل له مكان بارز في علاج الحالات المرضية لاعلى الجهاز الهضمي .

ولقد جربنا كذلك عسل النحل في صورة حقن شرجية للمرضى المصابين بتقرح الامعاء الغليظة ، وثبتت فائدته في التئام هذه القـروح واستجابـة المرضى لهذا العلاج .

ومن الملاحظ ان عسل النحل تظهر فائدته بوضوح في الحالات المرضية العضوية « التهابات وقروح الجهاز الهضمي » عـلى حين ان فـائدتـه محدودة او منعدمة في الحالات التي يلعب فيها العامل النفسي دورا رئيسيا تقلص اسفل المريء او احدى نهايات المعدة او في حالات انقباض عضلات الامعاء .

وبمراجعة ما كتبه الأولون عن عسل النحل نجد ذخيرة من المؤلفات اثبتوا فيها نجاح عسل النحل في علاج الكثير من امراض الانسان مثل « التسمم بـالمعـادن الثقيلـة قسم سلبولينا ـ امراض كبدية ـ امراض جلدية ... الخ ».

ففي دراسة حديثة عن اثر العسل على إفرازات المعـدة من احماض وخمائر تبين ان العسل يهبط بافراز حامض « الهيدروكلوريك » الى معدل طبيعي وبذلك يساعد على التئام قرحة المعدة والاثنى عشر .

وقد درس اخرون خواص العسل ضد البكتيريا ومركباتها ومنهم احمد الزواوي الذي اوضح ان عسل النحل يساعد على التئام الجروح المتقيحة والقرح الجلدية المزمنة وقد تكون المكونات الاساسية للعسل « ٤٠٪ دكستروز » العامل المؤثر في استجابة انسجة الجسم له حيث لا يشابهه غذاء اخر في هذه الصفات وعـلى العموم فان الحاجة لا تزال ملحة في اجراء المزيد من الابحاث الجـادة المتأنية لكي نفهم بالدليـل العلمي الاثار المفيدة لعسل النحل في جميع احوال الجسم من صحة ومرض .

ولكننا نستطيع القول ان العسل من الاغذية المفيدة في يد الطبيب لكي يعالج بها الكثير من امراض الجهاز الهضمي . وحيث انه يفضل اي نوع اخر من العلاج وذلك لكونه : طعاما طبيعيـا ـ بـه نسبـة عـاليـة من الـدكستروز ـ ليست لـه الاضرار الجانبية للعقاقير ـ وفوق ذلك فانه رخيص الثمن ويسهـل الحصـول عليه . لكل هذه الاسباب فاننا نرى ان عسل النحل يجب ان يحتل المقام الاول في الاختيار لعلاج الحـالات المرضية للـجهاز الهضمي .

صحيفة اسلامية للطفل المسلم

للاستاذ : محمد عبدالحميد

رعاية الطفولة والاهتمام بها ليست مظهرا حضاريا أو جهدا انسانيا او عملا تنال به الميداليات والجوائز المتنوعة مهما كانت قيمتها .. ولكنها امانة واجبة على كل مسلم ومسلمة يتحملها الأب والأم من موقع الأبوة والاقارب من رابطة الرحم والمودة والمربون من موقع التعليم ، ورجال الاعلام من منطلق امانة وصدق الكلمة .

ويتحملها اولياء امور المسلمين في كل زمان ومكان كواجب اصيل في رعاية المسلمين .. وهي كذلك واجبة على المواطن المسلم والمواطنة المسلمة من منطلق النصيحة والمشورة وحب الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نحن الآن في أشد الحاجة الى توسيع رقعة الأرضية الثقافية التي تقف عليها براعمنا الصغيرة ، التي تتطلع الى مستقبل أفضل في

كل مناحي الحياة .. ان الواجب الديني يحتم علينا رعاية هذه الأجيال وتعهدها ومعاونتها كي تصلب عودها ليس أمام المغريات الحديثة فحسب ، وانما أمام المد الاعلامي في شتى صوره ، والذي يركز على تشويه القيم والمثل التي نادى بها الاسلام .

الكلمة المكتوبة دورها مؤثر وأثرها فعال ، وهنا تبرز أهمية الصحافة ، باعتبارها لغة اجتماعية تأخذ من الناس وتعطيهم .. تعرض للمجتمع وتعبر عن حياة الجماهير وقيم المجتمع ومثله .. انها أيضا تهدف الى ربط الجماهير بالأحداث المحلية والعالمية مع تعريفهم بما يدور حولهم في العالم كله .. ان الاعلام في حد ذاته ليس الهدف الوحيد للصحافة .. بل هناك ما هو أشد أثرا وتأثيرا كالتثقيف والتوجيه والتسلية .. وهذه النقطة الأخيرة كانت الباب الذى دخلت منه صحافة الغرب المتخصصة للأطفال الى نفوسهم وقلوبهم وعقولهم .

لا شك أنه قد آن الأوان وحان الوقت لكي تتجه الكتابات الخاصة بالأطفال وعنهم في العالم الاسلامي اتجاها ينطلق من مبادىء الدين الاسلامي الحنيف .

الأسوة الحسنة

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في معاملته للأطفال .. نسوق ذلك من منطلق أن المدرسة المحمدية سبقت ما يقول به خبراء التربية والاجتماع من ارجاع سلوك الرجال وتصرفاتهم من الخطأ والصواب ، من النجاح أو الفشل الى التربية الأولى التي شبوا عليها رؤية وسلوكا ومعاملة في البيت والمدرسة والمجتمع . المدرسة المحمدية أكدت بالكلمة والممارسة والسلوك أهمية هذه الفترة في حياة الطفل باعتبارها سن النضج والتكوين ونشدان المعرفة بشتى صورها المتعددة .

● في بيته مع أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، كان يحمل الحسن والحسين رضي الله عنهما .. كان يلاطفهما ويتيح لهما فرصة المرح واللعب حتى ولو كان في صلاته وعبادته : أخرج النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) عن عبد الله بن شداد عن أبيه : قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشى ، وهو حامل حسنا ـ أو حسينا ـ فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه .. ثم كبر للصلاة ، فصلى ، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها . قال أبي : فرفعت رأسي ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس : يا رسول الله ، انك سجدت بين ظهراني

صلاتك سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى اليك ، قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته » . (جامع الأصول ١٠ : ٢٢) .

● رأى عليه الصلاة والسلام رجلا ينادي طفلا لم يبلغ سن التمييز والادراك ، فيقول له : خذ .. مشيرا اليه بيده التي تمثل شيئا فيها تحمله ، ليؤنسه فيقترب منه .. فيسأل عليه الصلاة والسلام مستوضحا : عماذا يريد أن يعطيه لهذا الطفل ؟! فيقول الرجل « انها تمرة معي أريدها له . فتنفرج أسارير الرسول الكريم مبينا خشية أن يكون كذب على الطفل . لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف من الكذب على أمته .. والطفل الصغير يحاكي من هو أكبر منه .. فاذا كذب الأكبر شب الأصغر على هذه العادة بالاحتذاء والمحاكاة .. وهذا ما لا يرضاه لأنه كان ينشد لهذه البراعم الصغيرة الروح العالية والسلوك المثالي الحسن ، وهي جزء من تعاليم ربهم العلي القدير .

● كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل أسامة بن زيد رضي الله عنه معاملة حسنة عندما كان طفلا .. كما كان يعامل أنس بن مالك نفس المعاملة .. هذان الشابان ترعرعا في بيت النبوة وقاما على خدمته وهما صبيان صغيران .. عاملهما كأحب أبنائه وأعطاهما الرسول صلى الله عليه وسلم من حنانه الكثير .

يقول انس بن مالك ـ رضي الله عنه : لم يقل لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في يوم من الأيام عن امر فعلته لم فعلته ، ولا عن أمر تركته لم تركته ، وكان أحب الأمور إليه أيسره .

ذلك معناه أن الرسول الكريم كان القدوة الحسنة لأنس بن مالك ، فسار على هديه .. وكيف لرسول الله الكريم أن يخطيء وهو المعصوم من الخطأ ، أدبه ربه فأحسن تأديبه . ان الطفل متى وجد المثل الأعلى سار على دربه . أما أسامة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما آنس منه نضج الرجال ، وبروز ثمرة التربية النبوية المبكرة عهد اليه بقيادة أحد الجيوش الاسلامية ، وسار تحت إمرته كثير من كبار الصحابة من مهاجرين وأنصار .

● ومن حب الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال والاهتمام بهم ، أنه كان لا يفرق في السبي بين الوالدة وولدها . يقول عليه الصلاة والسلام : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » . (رواه الترمذي والحاكم والدار قطنى) .

● يقول صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد الا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » صحيح البخاري (٢ : ٩٧) . وهذا يؤكد

ضـرورة توجيـه الأطفال بشتى الصور المختلفة ورعايتهم عقليا وثقافيا ودينيا .

● لقد كان العرب في الجاهليــة لا يحتـرمـون الا القـوي ، القـوة سـلاحهم حتى ضـد الأطفـال الصغار .. كانوا يئدون البنـات ويقومون بدفنهن أحياء : **(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم)** النحل/٥٨ . **(واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت)** التكوير/٨و٩ . قال أحد سادة قريش يسأل الرسول الكريم وقد رآه يلاطف ويداعب ويقبل أحد أحفاده : يا رسـول الله ! أتقبلون الصبيان ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « نعم» ، فقال : ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرأيت أن نزع اللـه من قلبك الـرحمـة » رواه البخاري ومسلم .

أفكار مستوردة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأب العطوف الحنون .. كان الانسان الرقيق الشفوق .. كان أيضا المثل الأعلى للكبار والصغار على حد سواء .. واذا كان يعطي الصغار الطعام بيده ، ويسهر على المريض يعالجه ، ويحسن العناية والرعاية وتوجيههم .. فانما كان يفعل ذلك ليحذو كل أب حذوه .. ويكون قدوة لكل مسلم مع ولده .

ان أطفال اليوم هم شباب الغد ورجـاله ، سيحملـون الأمانـة ، ويجب أن يقوموا بها على أكمل وجه من واقع دينهم وبيئتهم .. من واقع قيمهم ومثلهم الاسـلاميـة دون تدخل وسيط دخيل لا يعرف شيئا عن الاسلام .. بل يحاربه من خلال بـراعمنا الصغيـرة حتى يشبوا ويسلكـوا مسالـك تنهانـا عنها التربية الاسلامية .

حتى الآن لا توجد في عالمنا الاسـلامي صحيفـة اسـلاميـة للأطفال .. كل ما هو قائم وموجود يحمل اسم المجلة الدورية ومعظم المواد الموجودة تعتمد على ترجمة القصص في هذه المجلات .. الأمر لا يقف عند هذا الحد .. ولكن البطل الذي تقدمه معظم هـذه المجلات يعبر عن مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا .. انه ذلك الانسان الخارق يحلق بعقول أطفالنا الى عالم الخيال .. انه يبتعد بهم عن الواقع .. يبتعد بهم عن البيئة والأسرة والدين والمثل التي ينادي بها الاسلام . ان التأثير على عقول أطفالنا بهذه الأشكال الفنية من التعبير عن طريق الكلمة والصورة شيء خطـير .. ان الطفل يـولد ضعيفا .. قواه العقلية ما زالت في طور النمو .. استعداداته الذهنية في طور التشكيل .. كيانه النفسي لم يستكمل بعد .. فعندما يصطدم واقعه بهذا النـوع من المجلات المستـوردة وبشكـل تكـراري ومستمر .. فكيف نطلب منه أن

يعيش مجتمعه المسلم .. وهو في اللاشعور يأخذ تشكيلا آخر لا هو قريب من مجتمعه ولا هو بعيد عن المجتمع الذي صدر اليه مثل هذه الأفكار التي كونت في عقله وتفكيره نسيجا من الصعب محوه .

ان جسم الطفل يحتاج الى تربية صحية ، وعقله يحتاج الى تربية عقلية أساسها الدين الاسلامي ، وقلبه يحتاج الى تربية روحية ، ونفسيته تحتاج الى تربية أخلاقية سلوكية بكل المبادىء والقيم التي جاءت في الرسالة المحمدية .. ان كل أمر من هذه الأمور يحتاج الى فهم تام .. يحتاج الى دراسة علمية متأنية حتى يمكن الوصول الى استراتيجية اعلامية اسلامية تخدم الطفل المسلم في جميع البلاد الاسلامية .

ولا شك أن صحافة الأطفال بما تحتويه من الصورة والكلمة ، تشبع رغبة الطفل في المعرفة والثقافة والتسلية عن طريق القراءة التي تعتبر دائرة معارف للطفل بنواحي الحياة وألوانها .. وتساعده في الحصول على الانطباعات الجديدة .. وتصل به الى الغايات التي نريدها في معرفة البيئة التي يعيش فيها ، والدين الذي يجب أن يعرف قواعده وشروحه .. وأخلاقياته ومثله .. والسلوك الذي يجب أن يباشره والقواعد التي يجب أن يتبعها .. ولن يتأتى لنا ذلك .. ولن نحقق هذا الهدف الا عن طريق صحيفة اسلامية للطفل .. وصحافي أو كاتب يعيش هذه الغايات والأهداف ويعايشها مع كونه في نفس الوقت قدوة حسنة دارسة وعارفة ومؤمنة بالدور الذي سيلعبه لخدمة الطفل .

الطفل المسلم

تعتمد صحافة الأطفال الغربية على أسطورة الرجل الخارق للطبيعة التي يطلق عليها « السوبرمان » .. ونظرا لما صادفته هذه الشخصية من نجاح ساحق اضطرت الصحف التي تكتب للطفل في كثير من الدول الى استخدامها بعد أن أدخلت عليها الكثير من التعديلات من خلال المغامرات المتنوعة التي يقوم بها والتي تجذب انتباه الطفل وتثيره الى أبعد الحدود . يقول «شرام » ان الاتصال بالجماهير يلعب دورا فعالا مؤثرا في أعمال الطفل متفاعلا في ذلك مع قوتين هامتين .. الأولى مكونات شخصية الطفل ، وثانيتهما علاقاته الاجتماعية . فالطفل الذي يقرأ في صحيفته عن مغامرة من النوع العنيف يتصرف بأحد طريقين : اما أن يحاول تقليد ما رآه وقرأه ، واما أنه لن يجد له صدى في نفسه وفي أعماله . والطفل المقلد صاحب نفسية معقدة .. والطفل الذي لا يقلد يعيش عاديا في مجتمعه . ونحن في الصحافة الاسلامية من أجل الطفل نريد أن نصل به الى

التقليد .. أو تقليد المثل الأعلى الذي نقدمه له .. حتى يكون هذا التقليد شيئا طبيعيا في سلوكه .. يصل به الى الشخصية المثلى .. شخصية الطفل المسلم الذي يعرف الله .. ويعرف القرآن الكريم .. والنبي المصطفى محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان النظريات الغربية الاعلامية تشطر نفسية الطفل الى قسمين .. ونحن نريد دمج هذه الشخصية وتكوينها بالشكل والجوهر والصورة التي تجعلنا نقدم الطفل النموذج .. أو نموذج الطفل المسلم الذي يعرف طريق الخير وينبذ طريق الشر للمهالك التي يؤدي اليها ..

كيف ؟ .. ومرة أخرى كيف ؟ .. لقد احتوى القرآن الكريم نماذج رائعة ثابتة وقوية من القصص الجامعة .. التاريخ الاسلامي مليء بقصص الرجال والمواقف التي لا تحصى ولا تعد .. لا يكفي أن نقدمها كما هي .. لا يكفي أن نبسط الكلمات .. ونقول هذه قصص تلائم الطفل . ولكن اذا كان الغرب قد نجح في الاثارة ليجذب الطفل .. فلنسلك هذا السبيل ولكن الفرق بيننا وبينهم ان اثارتنا هادفة .. لن نحلق بطفلنا المسلم في عالم الخيال الواسع .. وانما سنجعله يعيش واقع المسلمين في الماضي .. ونربط ما بين الماضي والحاضر بشكل مشوق وجذاب .. على سبيل المثال .. من الممكن أن نختار بطلنا في شخصية تقدس الحق .. وأخرى تقدس عمل الخير .. وثالثة تقدس مساعدة القوي للضعيف ولنا في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة .. ولنا في الخلفاء الراشدين خير الأمثلة . أليس ذلك أجدى وأنفع من أن نقدم للأطفال قصص الخرافات والروايات البوليسية والجاسوسية والعصابات والقتل وسفك الدماء ؟ ماذا ننتظر من أطفالنا بعد هذه القراءات ؟ هل نقول لهم حلقوا في آفاق الفضيلة واتركوا الرذيلة التي نقدم نماذجها اليهم في الكلمة والصورة الملونة بشكل يومي ومستمر .

يجب أن نسعى جاهدين لتغيير صورة البطل عند الطفل في الصحافة التي يمكن أن تقدمها في المفهوم أو الاطار الاسلامي النموذج الجديد .. البطل هنا يجب أن يتغير .. يتعدد سواء كان في صورة انسان أم حيوان هذا الى جانب الصفات التي يجب أن تلتصق به .. صفات الاخلاص والبسالة والقوة والغيرة على الاسلام والتمسك بالمبادىء القويمة والشجاعة واحترام الصغير للكبير .. وفهم معنى المسؤولية وأهمية العلم .. واحترام الأسرة والمجتمع والآخرين .. والكف عن الأذى .. والفهم الحقيقي لمعنى الحرية الملتزمة بحدود الدين والشريعة الاسلامية .

اذا كان البطل له هذه الأهمية فان المحرر الصحفي أو الكاتب المتخصص للكتابة للأطفال يصبح أكثر أهمية .. لأنه الانسان القادر على ترجمة هذه الأفكار والمعاني والمبادىء الاسلامية الى واقع ملموس من خلال الكلمة التي يكتبها .. لذلك لا بد أن تتوافر فيه العديد من الصفات .. أن يكون رجلا مسلما عارفا لدينه متفهما له .. دارسا الدراسة الأكاديمية الاعلامية الدينية التي تعطيه الأساس السليم ليكون الجسر الآمن بين الطفل والصحيفة المتخصصة ، التي تؤدي الهدف المنشود .. يضاف الى ذلك الايمان النابع من الأعماق بأن يلعب هذا الدور بشكل دائم ومستمر .. ذلك وحده لا يكفي ، انما يجب أن نخلق الوسيلة أو الوسائل التي تساعد على التعديل ، حتى نضمن أن رجع الصدى المباشر أو غير المباشر يحقق الاستراتيجية المطلوبة في هذا المجال . لأن الهدف الذي نرغبه .. أن يصير البطل ليس مجرد شخصية يرغب فيها الطفل أو يتابعها .. بل أن يحس ويشعر انه صديقه يشاركه أحاسيسه ويشاطره رغباته وأعماله وواقعه وامكانياته ، حتى تصير المثل العليا التي نريد أن نغرسها في سلوكياته شيئا طبيعيا نابعا من قناعاته الشخصية والحسية دون أي انفعال يفسد الهدف المنشود .

واذا كان البطل عنصرا ضروريا .. واذا كان الكاتب شيئا هاما ـ.. نجد أن الصورة المرسومة التي رسمها الفنان جزء ضروري في تكوين شكل الجريدة أو صحيفة الأطفال .. ان الصورة شكل من أشكال التعبير واذا لم يكن هناك توافق بين الصورة والكلمة ضاع المعنى وتفسخت الفكرة .. ان الصورة مع النص المكتوب تشكل لغة جديدة أو شكلا من أشكال التعبير المتحرك الذي يمكن أن يتعلق بالمقروء والمنظور ، حيث يتعين على الرسم أن يغني النص بتكوينه وحدة معه . وهنا ينبه بعض الباحثين الى أن المعاني المنقولة باللغة اللفظية تفهم بتتابع وتوالي الرموز اللفظية .. فتفهم الجملة بقراءة كلماتها كلمة كلمة بترتيب كتابتها أو نطقها .. بينما المعاني المنقولة بوسيلة غير لفظية كالصور والرسوم تفهم بعرض الوسيلة ككل دفعة واحدة وادراكها ككل دفعة واحدة أيضا .. ثم لتمعن بعد ذلك في أجزائها وربطها بهذا الكل . ولذلك نفهم المعنى الذي تنقله الصورة بالنظر اليها دون اتباع منا لتسلسل أو قواعد معينة تحكم انتقال العين في مشاهدة أجزائها واحدا بعد الآخر ، كما تحكم القواعد قراءة الجمل في اللغة اللفظية الا من خلال المعنى الكلي لهذه الوسيلة

وبطريق التحقق منها في اطار البناء الكلي للوسيلة أيضا .. كما تعتمد طبيعة الجزء على كونه داخلا في عرض متكامل فوري لحظي .. وذلك كله يشكل صعوبة لا نهاية لها للعمل المنطقي الفكري في تحديد قضاياه .. مع أن العقل يستطيع باستعمال اللغة اللفظية أن يحفظ بداية كل قضية ونهايتها .

وهناك رأي يتفق عليه الكثيرون فحواه أن الصورة تناسب الطفل أكثر من الكلام .. وتمتاز الصورة على الكلمة بقوة تأثيرها وطول مدة التأثر بها .. كما تقوم بدور أساسي في كل ما تقدمه صحافة الأطفال .. لذلك أصبحت ركنا رئيسيا للدور الذي تؤديه وتقوم به أكثر من الكلمة .. كذلك فان الصورة تساعد على توضيح معنى الكلمة .. ولا شك أن الصورة الملونة أكثر تأثيرا من الصورة العادية التي نطلق عليها (أبيض وأسود) .. وقد أكد الخبراء أهمية اللون لأنه يجذب انتباه الطفل .

ان اصدار صحيفة للأطفال يحتاج الى إسهام الكثيرين كل في مجاله .. مثل الكاتب والصحفي والرسام لاصدار صحيفة على المستوى الذي يرضى عنه الجميع .. بمعنى أنه لا ينبغي أن ننظر الى الطفل كأنه عميل يجب ارضاؤه والاستجابة الى ذوقه والرضوخ لرغباته .. ذلك شيء مطلوب ولكن ليس بمقاييس القارىء العادي .. فالطفولة لها حقوقها الواجب احترامها والعمل على تطويرها على أساس أن الطفل كائن يحتاج منا الى التوجيه والارشاد في هذه المرحلة الحاسمة من حياته .

من هذا المنطلق يجب أن يساير ذلك كله صدور تشريعات خاصة بصحف الأطفال .. تحميه من الدخلاء والناشرين الذين لا يهمهم سوى الاثارة والتوزيع لكسب المال دون ضابط أو رابط أو وازع من ضمير .. على سبيل المثال صدر في فرنسا عام ١٩٤٩ قانون خاص بالمطبوعات المعدة للأطفال وتحدد المادة الثانية القواعد التي يسترشد بها في الحكم على إضرار صحيفة للأطفال أو عدم إضرارها بالصغار .. ويرى البعض لضمان وجود كتابات تتناسب مع الأطفال ، أن يتدخل المربون مباشرة في مضمار صحافة الأطفال أو تنسيق جهودهم مع الناشرين للعمل على تحسين مستوى ما يصدر للأطفال من صحف .. وقد نص مشروع قرار المؤتمر الدولي لصحافة الأطفال عام ١٩٥٢ على أن يحرم على أي شخص صدرت ضده أحكام قضائية الاشتراك بأي شكل من الأشكال في انتاج مطبوعات للأطفال .

بعد ذلك كله .. هل آن الأوان لاصدار أو صدور صحيفة عصرية للطفل المسلم ملتزمة بمبادىء الشريعة الاسلامية في إطار متطور جاذب ومشوق ؟؟.

تربية الطفل

والآثار النفسية لحياة التدين

للدكتور
عبدالرحمن عيسوي

تقوم التربية الحديثة على المبادىء المستمدة من الدراسات النفسية الحديثة . وتمتاز التربية الحديثة بالشمول ، حيث تتناول جسم الطفل وعقله وروحه ونفسه حتى يشب شخصية ناضجة متكاملة جسميا وعقليا واجتماعيا ونفسيا وخلقيا وروحيا . واذا كان لدينا ما يعرف باسم التربية البدنية والتربية الدينية والفنية والقومية والزراعية فلماذا لا نهتم بما يمكن أن **نسميه التربية النفسية للطفل** تلك التي تتناول نفسية الطفل بحيث يشب متمتعا بالصحة النفسية السليمة ، فاذا كانت التربية الجسمية تعني بتربية جسم الطفل وصقله وتكوينه ونموه نموا سليما فان التربية النفسية تعني بنفس الطفل وسعادته وتكيفه وانسجامه مع نفسه ومع المجتمع المحيط به وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية السليمة ، إذ لا بد أن نهتم بعقل الطفل وانفعالاته واحساساته ومشاعره ودوافع سلوكه واهتماماته وميوله واستعداداته وقدراته واتجاهاته وجميع سمات شخصيته وخصائصها .

ان اطفالنا هم فلذات اكبادنا فوق ذلك فهم رجال الغد وحملة مشعل التقدم في المستقبل وورثة الحاضر ومن ثم وجبت العناية بهم والاهتمام بتنشئتهم اجتماعيا وخلقيا وروحيا وجسميا وعقليا ، ذلك لأن مرحلة الطفولة تمثل ركيزة أساسية في حياة الانسان الراشد الكبير فالخبرات والمواقف التي يمر بها الطفل في حياته الاولى تترك آثارا باقية في حياته . فالطفل اذا تمتع بطفولة سوية فاغلب الظن ان يحيا مراهقة سوية والمراهق السوي يميل الى أن يتمتع بشباب

سوي وهكذا نلمس اتصالا وثيقا في حياة الفرد عبر مراحل النمو المختلفة . فالخبرات التي يعيشها الطفل تترسب في لاشعوره وتظل باقية على شكل عقد نفسية او امراض ومن اجل ذلك وجبت العناية بتربية الطفل وصقل شخصيته لان الطفولة هي المرحلة التي تضع جذور أو بذور شخصيته الاولى .

واذا اردنا ان يشب أطفالنا أسوياء فعلينا أن نهتم بتربيتهم على اسس نفسية سليمة من ذلك اعتدال الاباء والامهات والمعلمين في معاملة الطفل فلا يسرفون في تدليله وتلبية مطالبه وترك الحبل على الغارب له لان الحرية المطلقة هي في النهاية فوضى . ومن شأن هذا النمط التدليلي من التربية أن يخرج لنا شخصية هيابة مدللة أنانية لا تهتم الا باشباع حاجاتها ودوافعها . وسرعان ما يصطدم الطفل مع المجتمع الخارجي عندما يفشل في تحقيق رغباته على النحو الذي تعود عليه في المنزل فيشعر بالفشل والاحباط والاضطهاد والسخط والتبرم .

اما الاسراف في القسوة على الطفل ومحاصرته بالعديد من الأوامر والنواهي والقيود والسلاسل والتحريم فان ذلك من شأنه ان يؤدي الى تكوين شخصية عدوانية حاقدة او قد يتقمص الطفل العدوان منهجا لتحقيق رغباته وقد ينشأ خائفا مترددا غير واثق من نفسه ، يكثر من لوم نفسه على كل كبيرة وصغيرة وقد يؤدي كثرة الضغط الى الانفجار فيثور ضد هذه القيود عندما يشب عوده فضلا عن ضعف مشاعر الحب تجاه من يمارس القسوة عليه .

ولذا فان الموقف المثالي هو **الاعتدال والتوسط** بين الحزم الزائد والتدليل المفرط .

ونحن اذا كنا ننادي باشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والاجتماعية كالحاجة الى الطعام والشراب والدفء والحب والحنان والقبول الاجتماعي واحترام الذات .. الا اننا ينبغي ان ندرب اطفالنا على ان هناك بعض الحاجات التي لا يمكن اشباعها في الحال والتو وأخرى لا يمكن إشباعها اطلاقا وثالثة لا يمكن إشباعها بالكم والكيف الذي يرغبه الطفل وذلك حتى يتعود الطفل على تأجيل اشباع بعض حاجاته حتى تتوفر الفرصة المناسبة وتتوفر الامكانات . وعليه ان يتدرب على تأجيل الاشباع الآلي المباشر والسريع لبعض حاجاته في سبيل تحقيق اهداف اكبر واكثر قيمة وابعد مدى . ولقد دلت البحوث النفسية على انه ليس للاشباع المادي قيمة في حد ذاته ، فالطفل يحتاج الى العطف والحنان والحب والدفء والشعور بالانتماء وبأنه مقبول لا منبوذ ، محبوب لا مكروه ، والشعور بان له قيمة ولقد وجد ان هذه الحاجات اكثر

قيمة من مجرد الاشباع المادي لحاجاته اذا تم هذا الاشباع بصورة ميكانيكية آلية .

وهناك من يتذبذب في معاملة الطفل فيتراوح بين المبالغة في الشدة والمبالغة في التدليل والعطف ولا يقل هذا النمط في التربية سوءا عن الافراط في القسوة او الافراط في التدليل لانه يفقد الطفل الشعور بالامان ويعجز عن توقع الثواب او العقاب نتيجة لاعماله ويشعره بالالم اكثر من السير على نمط واحد .

ومن الاخطاء الشائعة في تربية الاطفال تركيز الاباء والامهات على جانب واحد من جوانب شخصية الطفل ، ونعني به الاهتمام والالحاح على الطفل للتحصيل الدراسي فقط . ونحن لا ننكر اهمية هذا الجانب من النشاط في حياة الطفل بل وفي حياة الاسرة كلها ولكن لا ينبغي ان يطغى على كل الجوانب الاخرى ذلك لأن الوضع المثالي من الناحية السيكولوجية هو خلق الشخصية المتكاملة ، ولذلك فلا بد من تربية ضمير الطفل والاهتمام بجسمه ورياضته وروحه الاجتماعية ، وقدراته ، ومهاراته الحركية والذهنية ، وإشباع هواياته ، وتعويده الاعتماد على نفسه والثقة فيها والثقة في المجتمع والتعاون والأخذ والعطاء واحترام القانون والطاعة والنظام وتحمل المسئولية وتقدير الصالح العام على المصلحة الشخصية ، والقدرة على اقامة علاقات ايجابية وصداقات مع اقرانه وممارسة الرياضيات وتنمية قدراته على اكتساب العلم والمعرفة والاهتمام باوضاع المجتمع المحلي .

ان حياة الطفل او شخصيته لا تتكون فقط من الجانب العقلي وانما هناك الجوانب النفسية والاجتماعية والخلقية والجسدية والروحية ، ولا بد من العناية بها عناية متناسقة .

ولعل القارىء يتساءل في هذا الصدد هل أستخدم الضرب أو العقاب البدني في تربية الطفل أم لا ..؟

هناك كثير من الدراسات والجدل في هذا الصدد ولقد وجد ان الطفل يتعلم اذا نال الثواب او الجزاء الطيب او المكافأة والتشجيع او التعزيز والتدعيم لما يبذله من جهود ، وانه امكن اقلاع الاطفال عن بعض العادات السيئة كالاهمال او الكذب عن طريق العقاب ايضا ولكن مع ذلك يفضل ان نعتمد في تربية اطفالنا وتكوين عاداتهم الايجابية على تقديم المديح والثناء والجزاء الطيب والمكافأة المادية او المعنوية لان العقاب يؤدي الى ان يكره الطفل المادة او المدرسة او المدرس والاخطر من هذا ان يتعود عليه ويتبلد احساسه ويصبح الضرب عديم الجدوى معه ، ولا يؤثر فيه بل الادهى من ذلك انه قد يتعود عليه الى الحد الذي يجعله يسعى بطريقة

شعورية او لا شعورية لكي يناله ..فاذا استخدمنا العقاب وتبلد احساس الطفل وتعود عليه فماذا نفعل ؟ سنكون في موقف صعب ولذلك ينبغي الاعتماد على الحب والعطف والحنان والدفء وتشجيع الطفل وحثه على الاستذكار والعادات الايجابية الاخرى واستحسان اعماله الطيبة وتهيئة الجو الملائم للاستذكار امامه بتوفير الاضاءة والتهوية والجلسة المناسبة والهدوء اللازم وابعاد العوامل التي تشتت انتباهه . ومن الاخطاء الشائعة معايرة الطفل وتعنيفه وزجره ومقارنته بغيره من الأطفال .. ان كل طفل عالم في حد ذاته له قدراته واستعداداته وميوله وحدوده ، وليس جميع اطفالنا نسخة واحدة ولذلك من الخطأ بمكان معايرة الطفل ومقارنته باخوته او اخواته انما نقارنه بنفسه ونحكم عليه في ضوء مدى استخدامه لقدراته هو او هدرها وتبديد وقته . ان مقارنة الاطفال بعضهم بعضا تجعلهم يشعرون بالغيرة ويفقدون الشعور بالثقة في النفس . ان اطفالنا هم اغلى ما نملك في هذا الوجود ، ولذا وجب ان نبذل كل جهد في سبيل اسعادهم ومن ذلك ضرورة توفير مكتبات للاطفال بل وللآباء والامهات ونشر الوعي النفسي والتربوي بين الآباء والمعلمات انفسهم ، وتوفير دور الحضانة التي تستقبل الطفل وتوفير الحدائق والملاعب واللعب والمستشفيات والعيادات والملابس الخاصة بالاطفال . على اننا نطالب ان تدعم ملابس الاطفال وأغذيتهم كما هو الحال في معظم بلاد العالم الراقي . ان سعادة الطفل تنعكس على كل الاسرة ومن ثم فهي جديرة بكل عناية واهتمام .

وفي ضوء هذا ينشأ الطفل المسلم ، ويكون للدين دور هام في تربيته ونشأته ، فللآثار النفسية لحياة التدين في شخصية الفرد والجماعة في هذه الدنيا دور بارز الى جانب قيمتها الأكيدة في الحياة الاخرة .

واذا كان للدين ، اي دين ، قيمة في الحياة الدنيوية فان لديننا الاسلامي قيمة اعظم عن كافة الاديان باعتباره دين دنيا وآخرة . فالدين الاسلامي الحنيف ينظم حياة الفرد والجماعة تنظيما قائما على اساس من العدل والحكمة والتعاون والاخاء والتكافل .

واذا ما تأملنا في الآثار التي يتركها الدين الاسلامي سواء في جوانبه العقائدية او السلوكية ، لوجدنا ان له اعمق الاثر على نفسية الفرد وحياته العقلية والروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية . فلقد دلت الدراسات النفسية الحديثة أن حياة التدين تساعد المؤمن على التمتع بالصحة العقلية والسلامة النفسية ، وتحميه من الاصابة بالأمراض النفسية والعقلية الى الحد الذي جعل بعض العلماء من أمثال عالم النفس « كارل يونج »

يستخدم الدين منهجا في علاج مرضاه ، وذلك باعادتهم الى حظيرة الدين ومظلته الظليلة والى فكرة الايمان .

فالانسان المؤمن يشعر دائما بأن هناك سندا قويا ورحيما يقف بجانبه ، يرعاه ويشد أزره في الشدائد ، ففكرة القضاء والقدر تجعله يتحمل في صبر ما قد يعن له من أزمات ، ويتغلب عليها دون ان تنال منه بقدر ما تنال من الشخص الملحد فاقد الايمان . لذلك فان فكرة الثواب والعقاب وفكرة الجنة والنار ، تدفعه الى أن يسلك راضيا وطائعا مختارا السلوك القويم ، وينبذ سلوك الشر والخطيئة ، وتجعله يؤمن أنه سيلقى جزاءه الحسن في الحياة الآخرة . ومن شأن فكرة الخلق والبعث ان تجعل للحياة الحاضرة قيمة ومعنى ومغزى في نفس المؤمن . وبدون هذه الافكار فان الحياة تضحي مجرد عماء مادي صرفا لا هدف لها ولا قيمة من ورائها ومن ثم يشعر الفرد بالضياع في وسط محيط من الفوضى والاضطراب .

والواقع ان الدين الاسلامي مدرسة روحانية وسلوكية وخلقية واجتماعية شاملة تصقل شخصية المؤمن وتهذبها وتنمي فيها دوافع الخير والعفة والفضيلة والرحمة والتعاون ، وتغرس فيه مبادىء خلقية قويمة كالاخاء والاخذ والعطاء والتعاون : « حب لاخيك ما تحبه لنفسك » ومن شأن الايمان الديني ان يجعل صاحبه يتحلى بالتواضع والشعور بالمساواة : « لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى » لذلك يلعب الدين دورا اساسيا في شعور الفرد بالاطمئنان والرضا والقناعة والزهد في الملذات والشهوات وفي مطالب الحياة المادية ومغرياتها .

ويساعد الدين صاحبه على الشعور بالامن والامان النفسي ، الذي يقف سدا منيعا ضد الاصابة بالامراض النفسية التي يساعد على انتشارها في عصرنا الحاضر نزعات المادية والنفعية والفردية والانانية والوصولية والطمع ، وتؤدي العبادات بمن يؤديها الى ان يشعر بالحب تجاه اخوته بني الانسان والى ان يمد لهم يد العون .

والمعروف ان الانسان اذا استطاع ان يسعد غيره من الناس فانه يشعر هو بدوره - عن هذا الطريق - بالسعادة . وتؤدي حياة التدين الى الشعور بالصفاء والنقاء والطهارة والهدوء والراحة .

فالصيام يعود الصائم على الطاعة .. طاعة الله تعالى ويعوده على الصبر والجلد وينمي فيه قوة التحمل والصلابة وقوة الارادة .

وهو في جوهره تطويع للقوى الشهوانية في الانسان للقوى الروحانية السامية فيه ، بحيث يكون لها السيطرة والغلبة ، كذلك فان الصيام يجعل الصائم يحس بما يحس به الفقير او المحروم من الجوع والحرمان ، فيعطف عليه

ويعطيه مما ملكت يداه مما يؤدي الى شعورهما معا بالسعادة والرضا ، كذلك فان الصلاة والوضوء يساعدان على شعور المؤمن بالنظافة والطهارة ، ان لم تكن رأس العبادة الصلاة لكانت من العادات المحبوبة : طهارة اجسام ورياضة ابدان . وهي فوق كل ذلك عبارة عن مناجاة روحية بين الرب والعبد واتصال روحي بين الخالق والمخلوق . وعن طريق الصلاة تنمو مشاعر الخشوع والتقوى والورع . وفي سجود الكبير مع الصغير ازكاء للشعور بالمساواة والتواضع ونبذ التعالي والمكابرة ، فالجميع سواسية لا فرق بين غني وفقير وهي فرصة لجمع الشمل وتوحيد الصف . وهي بحق تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وفي ذلك تقويم واصلاح لسلوك الفرد ، والسلوك القويم علامة من علامات الصحة النفسية وعن طريق هذا الاتصال الروحاني بين العبد وربه ، يشعر المخلوق بالسعادة والرضا ، اللذين ينعكسان على صحته النفسية والعقلية والوجدانية ، وتنمو مشاعر المشاركة الوجدانية عن طريق هذا النشاط الجماعي الديني ولا سيما في صلوات الجماعة ، والتدين يعد غذاء صافيا للروح . والانسان المؤمن تختفي عنده مشاعر الخوف والهلع لانه لا يخشى الا الله تعالى ومن يخاف من الله لا يخاف من العبد ولذلك يتسم سلوكه بالشجاعة الأدبية والاقدام والشجاعة من علامات الصحة العقلية : فالايمان سلاح المؤمن في معركة الحياة .

وتؤدي الزكاة الى تماسك المجتمع وتكافله وشعور افراده بالتعاون وبالانتماء الى جماعة بشرية واحدة ، حيث يساعد القوي الضعيف ويعطف فيه الغني على الفقير ويسد حاجته ، واشباع الحاجات المادية او النفسية من العوامل المؤدية الى التمتع بالصحة النفسية ، واعطاء الغني للفقير يزيل مشاعر الحقد في نفس الفقير . كذلك فان من يخرج الزكاة يشعر بالرضا والسعادة والغبطة نتيجة لاسعاده غيره وللوفاء بتكليف من التكاليف الدينية التي فرضها الله تعالى علينا . وفيها اذكاء لروح الطاعة والمثول لأوامر الله تعالى ، ذلك لأن العقوق والعصيان ، من بشائر المرض النفسي .. والانسان المتثل للاوامر الشرعية انما هو انسان سوي ، واذا وجهت الزكاة للاقارب من الفقراء فان ذلك معناه توطيد لصلات الرحم ، وفي فريضة الحج تحقيق لمبدأ المشاركة الوجدانية بين طوائف المسلمين في شتى مشارق الارض ومغاربها . وفيه اذكاء للروح الجماعي الاسلامي بدلا من الروح الفردي ، وهنا تنمو مشاعر انتماء المسلم الى جماعة الاسلام الكبرى ، مما يساعد على زيادة الوحدة الاسلامية التي هي

ولا فخر اقوى الوحدات ، سواء كانت وحدات جغرافية ام سياسية ام قومية . وتساعد فريضة الحج على شعور الفرد بالتوبة والغفران وزوال ذنوبه ، فيبدأ حياته من جديد على أسس من الأخلاق والتراحم والسلوك القويم والطهارة ، هذا ولقد دلت الدراسات الميدانية التي أجريت في معظم بلاد العالم ومنها عالمنا العربي على وجود ارتباط قوي جدا! بين الايمان الديني والسلوك الديني من ناحية ، والتحلي بالقيم الخلقية . ومن ذلك ما لمسته من دراساتي عن الشباب العربي من وجود ارتباط قوي جدا بين بعض القيم الخلقية كالصدق والامانة وقوة الضمير والشعور بالذنب والوفاء والولاء والمسالمة والتعاون والاخذ والعطاء وحب الناس والعطف عليهم .. بين كل هذه القيم والايمان بالقيم الدينية وممارسة الانشطة الدينية كالصوم والصلاة والزكاة والحج . كذلك دلت الدراسات على وجود ارتباط قوي بين المعرفة الدينية كمعرفة مبادىء الدين الاسلامي مثلا والشخصيات الدينية وبعض الآيات القرآنية والسلوك الخلقي . ومعنى ذلك ان الدين له اكبر الاثر في النمو الخلقي والتمسك بمبادىء الفضيلة والعفة والصدق والامانة والولاء والوفاء والاخلاص والطاعة واحترام الصغير للكبير والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة واحترام القانون والنظام ونبذ عادات سلبية كالسرقة والكذب والرياء والنفاق والغيبة والنميمة والعدوان والتسلط والغطرسة والتعالي والدسائس والوقيعة والمكر والدهاء والأنانية والفردية والطمع والجشع .. وكلها من السمات التي ترتبط بالمرض النفسي اكثر من ارتباطها بالصحة النفسية .

فالدين عاصم من الزلل وعاصم من الاصابة بالامراض النفسية

وهناك بعض الامراض النفسية التي تعد انحرافا خلقيا بحتا ، ومن ذلك ما يعرف باسم انحراف السيكوباتية وتعني العته الخلقي او الجنون الخلقي او فقدان الاحساس الخلقي . وينشأ هذا الاضطراب من عدم نمو ضمير الطفل نتيجة لانعدام التوجيه الابوي في مرحلة الصغر ، ذلك لان ضمير الطفل يتكون نتيجة لما يلقاه الطفل من اوامر ونواه من الوالدين ، فيعرف الحرام والحلال والصواب والخطأ وبمرور الوقت يمتص الطفل قيم الآباء ومعاييرهم وتصبح قيمه هو ومعاييره هو . وتضحي جزءا لا يتجزأ من كيانه الذاتي ومن ثم يعزف عن ارتكاب الخطأ حتى في غياب الوالدين ، او من يمثل السلطة الخارجية ويصبح ضميره هو القوى الداخلية الرادعة التي تعاقبه على كل ما يرتكبه من اخطاء ، بل التي تمنعه وتجعله يقاوم اغراء السرقة او

المعصية ، ولكن في حالة ضعف تكوين هذا الضمير يصاب المريض بالسيكوباتية ، فلا يشعر بالذنب ولا يلوم نفسه ، ويصبح مغرما بارتكاب المعاصي والجرائم ، وتتملكه مشاعر ودوافع الانانية والحقد والحسد والعدوان الخفي والعلني ، ويصبح الناس عنده مجرد أدوات او وسائل مادية لا شعور لها .. يمتص رحيقها ويستغلها ثم يلقي بها في سلة المهملات .. ويمتاز هؤلاء المرضى بعدم الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة بل إن العقاب نفسه لا يؤثر في سلوكهم وتكثر حالات السيكوباتية هذه بين محترفي الاجرام ومرتكبي جرائم التزوير والتزييف والاختلاس والنصب والاحتيال والخداع والغش ومن الواضح ان السيكوباتية لا تؤثر على ذكاء المصاب فيظل ذكيا ، ولكنه يستغل ذكاءه في الشر وفي اشباع دوافعه الأنانية والفردية والحقد والحسد والغيرة والعدوان . والاخطر من كل ذلك أن السيكوباتي لا يصلح معه العلاج .. وتظهر اهمية الدافع الديني منذ نعومة اظافر الطفل في حمايته من الاصابة بهذا المرض الخلقي الخطير ، ذلك لان الدين يقدم للطفل المثل الاعلى والقدوة الحسنة التي يقتدي بها ويقدم له نظاما كاملا من القيم والمبادىء وانماط السلوك ومعاييره التي تعمل بمثابة المنار الذي يرشده نحو السلوك السوي السليم خلقيا وصحيا من وجهة نظر الصحة النفسية البحتة . فالسلامة الخلقية مدعاة الى الصحة العقلية وكلاهما يرجعان الى التراث الاسلامي الحنيف . **وعلى ذلك فالدين عامل من اقوى العوامل في الحفاظ على الصحة العقلية وسواء من حيث الوقاية او العلاج** . ولذلك وجب توفير أقصى درجات العناية بالتربية الدينية ونشر الوعي الديني القائم على اساس الفهم الصحيح ، للدين البعيد عن الفتور والاهمال والبعيد ايضا عن التزمت والتعصب الديني .. انما التعاليم الدينية السمحة التي يتعلم المسلم من خلالها رحابة الصدر وحب افراد البشر بل والتي يتعلم فيها حب نفسه والرضا عنها ذلك لان الغالبية الساحقة من علماء النفس قد استقر رأيها على ان حب الفرد لنفسه هو اساس حبه للاخرين ولا يوجد فرد يكره نفسه ويحب الاخرين والسلوك القويم مظهر من مظاهر التمتع بالدين والتمتع بالصحة العقلية والنفسية على حد سواء .

إننا نعيش في عصر مادي حيث يكثر فيه التنافس والتكالب وما احوجنا الى العودة الى واحة الدين برحابة صدره الفسيح لتجد ذواتنا الغذاء الروحي المشبع .. ولنجد فيه الشفاء والدواء الناجع والعاصم من الزلل .

تطبيق الشريعة الاسلامية

أدخلني الاسلام

للاستاذ / احمد حامد احمد

القوة الكامنة في الاسلام ، ليست قوة عادية وليست الا شيئا خفيا يحسه القلب فيؤخذ بهذه القوة ويصبح شيئا غير عادي في حياة المسلم المؤمن ايمانا حقيقيا ، وهذه القوة الخفية غير العادية ، تكمن في الايمان الكامل بكل تعاليم الاسلام ، وكتابه الكريم ، وما يحويه من شريعة لو طبقت بحذافيرها ، لأصبح المجتمع الاسلامي ، بحق ، مجتمع التكافل الاجتماعي الكامل ، بلا منازع .

ولا شيء اقوى من ان تطبق الشريعة الاسلامية ، ليكون لدينا الانسان المسلم الذي يعمل بهذه الشريعة ، فيعيش حياته آمنا على يومه وغده فيكون قدوة صالحة لغيره من المسلمين ، وغير المسلمين .

والدولة الاسلامية ، التي تطبق شريعة كتاب الله ، وتعاليم الاسلام ، هي المملكة العربية السعودية ، فالكل سواء امام شريعة الله ، ابتداء من الحاكم الذي يسيطر بقوته المعنوية على الدولة ، الى اصغر فرد في المملكة . الكل امام الله سواء .

ولهذا نجد ان الحياة الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية تسير هادئة ، خالية من العناصر الشاذة التي قد تؤرق حياة المستقرين هناك .

والذي يرتكب جريمة ، اي جريمة ، حسابه امام الشريعة الاسلامية ، لا مهرب منه ، فابن الملك ، او الملك

نفسه ، كابن العامل او العامل نفسه ، امام شريعة الله ، وقد شاهدت في ساحة القضاء بالرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، عدة احكام ، على مشهد ومرآى من جماهير الناس المحتشدة لترى ، كيف تطبق شريعة الاسلام ، ليكون في ذلك عبرة للرائى والسامع ، وليقل كل واحد لغيره ، ماذا رأى وشاهد وسمع .
وتمنيت ان تطبق شريعة الله في كافة انحاء العالم الاسلامي ، حتى يطمئن الجميع على حياتهم وأرزاقهم .
فالناس بالمملكة العربية السعودية ، ليسوا بحاجة لمن يحفظ لهم تجارتهم ومنازلهم وحياتهم ، رغم وجود كل الأجهزة العصرية التي تعمل على ذلك .
لكن شريعة الله ، هي السائدة هناك ، وادعوك عزيزي القارىء لتشاهد المحلات مفتوحة بما فيها من اشياء ثمينة ولا احد يحرسها ، طيلة وجود اصحابها للصلاة بالمسجد .
اليست هذه ظاهرة صحية ، جاءت نتيجة ايجابية لتطبيق الشريعة الاسلامية .
والتساؤل الذي يجرفنا هو ، متى تطبق الشريعة الاسلامية في مختلف الدول الاسلامية والعالم الاسلامي ؟
معذرة عزيزي القارىء ، فقد يأخذني الحديث عن شريعة الله وانا اقدم لك شخصية جديدة دخلت دين الشريعة الاسلامية .
والسبب في ذلك هو الشريعة الاسلامية .
فلنأخذ من هذه الشخصية القيمة الحقيقية التي اخذته الى الاسلام ، بقوة العقل والقلب .
هو الصحفي الالماني جلبرت شانديس ، يقول كنت في زيارة للمملكة العربية السعودية ورحت اتجول في انحاء المملكة ، وفي الأماكن المسموح فيها بالتجول لغير المسلمين ، وكان يوم جمعة ، هو الاجازة بالمملكة حيث يصلي الجميع في المساجد جماعات .
وقال لي مرافقي ، اتحب ان ترى كيف تطبق المملكة العربية السعودية شريعة الله ؟
ووافقته ، فأخذني الى ساحة القضاء حيث المسجد الجامع .
ووقفت مع مرافقي انتظر خروج جماعات المصلين ، الذين سيقفون لرؤية تنفيذ حكم بالاعدام في ساحة القضاء .
واخرجت كامرتي استعدادا لتصوير هذا المشهد الذي لم اره في حياتي لا ضربا بالرصاص او صعقا بكرسي الكهرباء او شنقا ، او ضربا حتى الموت ، او ذبحا بسيف او سكين .
وقال مرافقي ، ان تصوير هذا الذي سيحدث من المخالفات التي يحاسبك عنها قانون البلاد .
واقنعت مرافقي ان العمل الصحفي لا يمكن ان يكون هكذا بالكلمة ، ويجب على الناس في بلدي من قراء مجلتي المصورة ، ان يعرفوا الشريعة الاسلامية ، وحاولت اقناعه لأصور ما سيحدث ، لكنه لم يوافق على ذلك ابدا .
ويقول الصحفي الالماني :
بعد قليل خرجت الجموع ، واحتشد

الميدان بجموع غفيرة أتت من مساجد اخرى لتشاهد في ساحة القضاء، حكم الاعدام بالسيف، الذي سيقع على رقبة احد المذنبين.
وبعد قليل، شاهدت المذنب يسير بخطى ذليلة، وكلمات لم اعرفها من رجل بجواره قالها له، وبعد لحظات، هوى الرجل بسيفه على عنق المذنب، فانفصلت رأسه عن جسده في ثوان او اقل.
ولم استطع أن اخفي ارتباكي وانزعاجي بهذا المنظر الذي قلت فيه «انه بشاعة وامتهان للانسان».
وحزنت انني لم أصور هذا الذي حدث.
وناهيك عن الواقفين يشاهدون هذا الحكم الذي تم امامهم وفي بساطة، لم ار في عيون او في وجوه احد الواقفين اية علامة من علامات الضيق، او التأثر.
وسألت مرافقي عن عدم اكتراث الواقفين بما حدث فكانت اجاباته هو الآخر، ولم نتأثر بانسان لم يحترم كلمة الله وشريعته؟!.
ويقول الصحفي الالماني جلبرت شانديس:
لم تقنعني اية اجابات على الاطلاق، لا من مرافقي، ولا من اي انسان اخر ذكرت امامه ما شاهدت في ساحة القضاء بالرياض.
وكان كل همي، ان انقل لقارئي، مشاعري ليس بالكلمة فقط بل وبالصورة ايضا.

لذا.. طلبت البقاء مدة اخرى بالرياض، حتى اذهب وحدي لأشاهد هذه المحاكمة العلنية، وانقلها بالصورة لقارئي، حتى يتعرف على شيء لم يسمع به من قبل.
وبالفعل، بقيت مدة قمت فيها بتصوير اكثر من محاكمة في ساحة الرياض القضائية.
وسافرت، وكتبت، ونشرت بالصورة الملونة، على صفحات مجلتي استنكر فيها كل ما شاهدت من هذه المحاكمات.
وجاءتني رسائل كثيرة تستنكر هذا الذي كتبت وشاهدت وصورت في السعودية.
ونشرت ذلك ايضا، واعتبرته استنكارا لما يحدث على ارض المملكة العربية السعودية. وذات يوم جاءني شاب في مقتبل العمر، كان قد سأل عني بالتليفون كثيرا، ولم اعرف انه عربي مسلم، الا بعد ان التقيت به، وطلب مني ان انشر له ردا على استنكاري لما رأيت من تنفيذ لشريعة الله بالمملكة العربية السعودية.
واخذت منه مقاله الذي كتبه، واذا به يدفع لي بعدد من الصور، التي يظهر فيها حكم الاعدام، صعقا بالكرسي الكهربائي، وضربا بالرصاص، وشنقا.
ووجدتني امام حجج وامام مدافع عن الذي استنكرت.
وقال لي ان هذه الطرق ابتدعها الانسان، ليحافظ بها على مجتمعه من الخارجين عن القانون.
وراح الشاب العربي المسلم، وكان مصريا يشرح لي ان الذي استنكرته،

يتمنى المسلمون في شتى انحاء العالم ان يطبقوه في بلادهم ، وهذا هو الاسلام ، وهذه هي شريعته .

ورحنا نتناقش سويا ، ونشرت له كل كلمة كتبها ، علاوة على الصور التي جاء ليستكمل بها مقاله ، الذي دافع فيه بقوة الحجة ، عن تطبيق الشريعة الاسلامية في المملكة العربية السعودية .

وكان هذا الشاب يعمل طبيبا في احد مستشفيات برلين ، وبالطبع لاقى مقاله القوي الحجة ، استحسانا كبيرا من قراء المجلة ، وطالبوه ان يكتب لهم عن الاسلام وشريعته حتى يعرفوه اكثر واكثر .

واتصلت به انقل له رغبة قراء المجلة ، لكنه ببساطة شديدة ، طلب مني ان اتصل بالمسؤولين عن المركز الاسلامي في برلين ، ليقوموا هم بالتقديم عن الاسلام بالمجلة .

وبالفعل ، تم الاتصال بالمسؤولين عن المركز الاسلامي واصبح بالمجلة ثلاث صفحات اسبوعية ، عن الدين الاسلامي .

ووجدتني اقرأ وأقرأ ، واتعرف على الدين الاسلامي ، واحسست بقوته الخفية تسري في جسدي ، وتعلقت روحي به ، وتمنيت ان تكون الشريعة الاسلامية ، هي الحكم العدل ، في شتى انحاء العالم ، حتى لا يكون هناك قهر للذين لا يقدرون ، وحتى لا تكون هناك غلبة للذين يقدرون .

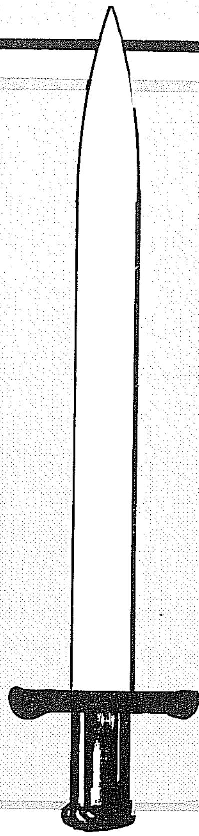
ويقول الصحفي الالماني :

وترددت على المركز الاسلامي في برلين ، حتى اقتنعت بالاسلام دينا ، وبشريعته حكما عادلا ، واعلنت اسلامي ، وكتبت مقالا اعلن فيه اسلامي ، في مجلتي ، وانهالت خطابات القراء الراغبين في تطبيق الشريعة الاسلامية ،والراغبين في اعلان اسلامهم ، وتولى المركز الاسلامي عملية كبيرة في دخول العديد من قراء المجلة الدين الاسلامي .

واصبح أسمي بعد ذلك سالم محمد سالم ، وقد أخترت هذا الاسم ، لانه لصديقي الذي دافع بكل قوة عن شريعة الاسلام ،؛ التي اتمنى ان تسود العالم ، ذات يوم قريب ان شاء الله واسلم على يدي صديقتي التي اصبحت زوجتي بعد ذلك ، وزرت السعودية بعد ذلك لاداء فريضة الحج ، مقتنعا تماما بشريعة الله .

وبعد ..ليت منظمة العفو الدولية التي تحاول ان تطمس المعلم الرئيسي للاسلام وهو الشريعة الاسلامية ، بتحريض الاطباء في العالم الاسلامي ، ضد هذه الشريعة تدرك ، اهمية الشريعة ، وما تؤديه للانسانية من خير ، وتكف عن هذا التعصب الاعمى الذي لا يقوم على حجة ولا يسنده برهان ولا تدع نفسها لهذا التحريض السافر الذي يستنكره المسلمون في شتى انحاء العالم إننا ندعو كل المثقفين في العالم الى دراسة الشريعة الاسلامية والتعرف على حقيقتها بنزاهة وبراءة ، وبعد عن العصبية ، انهم ان فعلوا ذلك اسعدوا انفسهم وسعدت بهم الانسانية .

صانع السيوف



للدكتور : عبدالحي الفرماوي

قال الأميركي لـرفيقه الـعـربي وهما يجلسان في شرفة السكن الجامعي عصر يوم من ايـام الربيع :
اتدري يا اخي ما سبب إسلامي ؟

اجـاب الزميـل الـعـربي : لا ، وأحب ان اعرف هذا السبب .

قال الاميركي : أتعرف صحابيا يسمى « خباب بن الأرت » ؟

قال العربي : نعم اعرفه جيدا . ثم اضاف قائلا : هو اول من اظهر اسلامه بمكة ، في وقت كان ذلك مخاطرة ولذلك : عذب عذابا شديدا ، كما كان سادس ستة يعتنقون الاسلام ، ما على وجه الارض غيرهم ، وشهد بدرا ، وما بعدها ونزل الكوفة وبها مات سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، قال علي بن ابي طالب لما مر بقبره « رحم الله خبابا ، اسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وابتلى في جسمه احوالا ، ولن يضيع الله اجره » .

وقال الاميركي : وكان ماهرا في صناعة السيوف منذ الجاهلية
قال العربي : لكن ما علاقة هذا بسبب اسلامك يا اخي ؟
فقال الامريكي : قصة صغيرة ، وقعت بيدى ، وأنا على دين

أهلى ، قرأتها ، فكانت سبب اسلامي .

قال العربي : أكانت عن خباب ابن الأرت ؟

فقال الاميركي : نعم ، عن خباب وعن بعض ما صادفه فترة إيذاء الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، حينما كانوا بمكة مستضعفين .

قال العربي : وما هي هذه القصة يا اخي .؟

واخرج الاميركي بعض وريقات من جيبه ، وهو يقول : إني اسميها : صانع السيوف ومنذ اسلمت وانا احتفظ بها معي . ثم صار يتلو وزميله يرنو اليه وينصت بكل اهتمام .

يا خباب : انت كثير الطلب » واتسعت حدقتا خباب ، وهو يسمع هذا الكلام من العاص بن وائل ، ثم ضبط اعصابه وقال : وانت كثير المماطلة !!

واضاف قائلا : الست قد صنعت لك ما طلبت ؟

قال العاص بن وائل :

« بلى »

قال خباب : لم إذن لم تعطني اجر ما صنعت لك ؟

وهنا أحس العاص بوقع اقدام تقترب من البيت فتغيرت لهجته في الحديث مع خباب وقال له : « أمهلني مرة أخيرة لمدة اسبوع ، أؤدي لك بعدها حقك »

وقبل أن يجيب خباب : دخل صديق للعاص ، وهو يقول : « عم صباحا يا ابن وائل » .

وقبل أن يجيب العاص تحية صديقه ، قال خباب للعاص : وهو يشير بسبابته « أسبوع فقط ! »

ثم اتجه صوب باب البيت وخرج ، تشيعه نظرات العاص وصديقه ، الذي لم يبال بعدم رد العاص ، قدر انشغاله بمعرفة سبب وجود خباب عند العاص ، حيث قال :

« ماذا كان يفعل صانع السيوف هنا ، هذا الصابىء عن ديننا ودين آبائنا ؟ »

قال العاص : إنه يطالبني ببعض حقوق له عندي من صناعة السيوف ، وأنا أراوغه واماطله ، تعذيبا له ، ونكاية بصاحبه محمد .

قال الصديق : لو كنت مكانك ما اعطيت هذا الصابىء شيئا أبدا ، ولو كرر المطالبة لألقيته خارج البيت ، وأنكرت حقوقه لدي ، وما وجد نصيرا له ولا معينا وليذهب ساعتها الى صاحبه الذي سفه أحلامنا ، وبدل ديننا ، ولن يستطيع صاحبه أن يفعل له شيئا ، وبذلك يكف عن المطالبة .

ومرت عجلة الايام بدورة الاسبوع ، وحضر خباب الى

العاص الذي امتقع لونه ساعة رؤيته لخباب ، ودخل عليه وذكره باتفاقه السابق ، ومهلته التي انتهت .
فقال العاص : ما عندي اليوم يا خباب ما أسدد به لك .
فقال خباب : ولست اليوم يا ابن وائل بمفارقك حتى آخذ حقي .
قال العاص : في دهاء ، ومكر ، وتحايل ، وضعف المدين يكسر حدة غروره ، والابتسامة الباهتة تتهرأ بين شفتيه ، « ما لك يا خباب ؟ ما كنت هكذا قبلا !! بل كنت حسن الطلب ، رفيقا به » !!
فقال خباب : في صراحة ، ووضوح ، وقوة موقف الدائن تزين تواضعه وأمارات الجد تكتسي بها طلعته ، وقوة الايمان تلقنه ما يقوله » ذاك اني كنت على دينك ، فاما اليوم فانا على الاسلام مفارق لدينك »

قال العاص : اسمع يا خباب ، اني على استعداد لان ادفع لك حقك بشرط واحد .
قال خباب : وما هو هذا الشرط الواحد ؟
قال العاص : ان تكفر بمحمد .
قال خباب : وقد امتزجت ملامحه بمشاعر متباينة ، يستشف الرائي لها ، مصارعة في كظم الغيظ ، وضبط الانفعالات « لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث »

قال العاص : في تهكم واضح « أو أني سوف ابعث ؟ »
قال خباب : نعم سوف تبعث .
قال العاص : وامارات التهكم تزداد وضوحا « اذا قد خطرت لي يا خباب فكرة جيدة سوف تجعلنا نصل الى حل وجيه »

قال خباب : وهو يجاريه ويجاهد صبرا فوق الطاقة « وما هي هذه الفكرة ؟ »
قال العاص : وهو يفتعل الجد « اليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي انت على دينه ان في الجنة ما ابتغى أهلها : من ذهب ، او فضة ، او ثياب ، او خدم » ..؟؟
قال خباب : بكل ثقة وفخار .. بلى يا ابن وائل ..!!
قال العاص : « إذا فانظرني الى يوم القيامة يا خباب ، حتى ارجع الى تلك الدار وسيكون لي بها مال وولد ، فاقضيك هناك حقك ، فوالله لا تكون انت واصحابك يا خباب آثر وأفضل عند الله مني ، ولا اعظم حظا في ذلك » .

وهنا انفجر بركان الغيظ من خباب ، وانطلقت سهام الكلمات من فمه ، وقال دون تمهل او روية :
« اخرس يا عدو الله ، خسئت وخسرت ، إن مكانك جهنم ، بها مثواك ، وإليها مصيرك ، هلم

اعطني حقي الذي عندك »
قال العاص : انت تعرف شرطي لأخذ حقك .
قال خباب : تبا لك ، ولشرطك ، ولمالك .

ولما كان يعلم خباب انه من المستضعفين ، وان قوى الشر تنشب مخالبها للفتك بأمثاله ، الذين يزلزلون دعائم الكفر ، ويقوضون اركانه ، فقد فوض امره الى الله ، وانصرف يؤلمه تهكم العاص بن وائل اكثر مما يشغله عدم أخذه حقه منه ، ويحزنه ما هو عليه والمسلمون من استضعاف في هذه الفترة ، أكثر مما اصابه من إيذاء ومراوغة .
وذهب من فوره الى من يجد عنده الراحة في هذا العالم المجهد المكدود ، ويجد عنده السكينة في هذا العالم اللاهث من العدو في سباق الشرور والآثام ، الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال له الحبيب عليه الصلاة والسلام حال دخوله :
ماذا بك يا خباب ؟

فقص عليه القصص .

قال عليه الصلاة والسلام .
لا تألم يا خباب .
فقد نزل في شأنه الآن قرآن يتلى ، يرد عليه كذبه ، ويهتك تهكمه ، ويدحض قولته ويثبت وحدته في بعثته ، وطول عذابه يوم القيامة في رقدته .

قال خباب بشوق ولهفة : بماذا أنزل يا رسول الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام :
قال الله تعالى في شأن العاص بن وائل ، وبسبب مقالته لك بخصوص البعث ، وتهكمه علينا ، ومحاولات إيذائه لنا :
(افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) . مريم / ٧٧ - ٨٠ .

قال خباب : صدق الله العظيم ، ولعنة الله على الظالمين ، وما يزيدنا الحق تبارك وتعالى يا رسول الله بكل ما ينزل عليك من القرآن الا يقينا فوق اليقين .
وفرح المسلمون ، وطابت نفوس المستضعفين ، حينما رأوا أن السماء تنتصر لهم من المشركين على هذا النحو الذي يجعل طاعة الله خالق الانسان والايمان به هو المعيار الوحيد ، الذي يرتفع بالتحلي به هذا وينحدر بالتخلي عنه ذلك ، دون نظر الى الجنس او اللون أو المركز الاجتماعي او ما شابه ذلك .

الفن الإسلامي

محمد فوزي

للاستاذ/محمد عبد الواحد حجازي

منذ بداية الانقلاب الصناعي الذي حدث في اوروبا في القرن التاسع عشر والعالم يسير بخطى واسعة ، بل وبقفزات خطرة في ميادين العلم والكشوف والاختراعات حيث اخذت في اندفاعها العنيف السريع الذي لم يتوقف ـ ولن يتوقف ـ حتى اصبح العالم اليوم وهو يعيش عصرا من الازدهار الصناعي والعلمي ، لم يسبق لأي عصر من العصور السابقة او لأية امة من امم الحضارات الشامخة ان شهدت نظيره من قبل .. وانه لعصر حقق فيه الانسان باختراعاته ما لم يكن يحلم به او يتخيله ، او تصوره له اساطير الجن وشطحات آلهة الوثنية .

لقد حقق الانسان باختراعاته وكشوفه ما زاد من رخائه ورفاهيته ، بل واطال من عمره فهو يعيش اليوم عمرا اطول ممن سبقوه ويستمتع بالدنيا ويعمرها اكثر مما عمرها واستمتع بها من سبقوه .. انها ـ اي

الكشوف العلمية والاختراعات الحديثة - اثارت فيه الرغبة الحادة والامل المتحرر من كل قيد في ان يشبع رغباته الى اقصى ما يستطيع - ولو بخع نفسه من اجلها - وان يتطلع الى المستقبل الى اقصى ما تثيره رغباته من شطحات وخيالات . فهل كان لكل ذلك اثره في حياة الانسان فيكون عصرا من ازدهار الامن والسلام والرخاء لشعوب العالمين التي طالما شقيت بالحروب او اشقاها زعماؤها وقادتها بالحروب ؟

لقد عاش العالم حربين عالميتين (١٩١٤ - ١٩٣٩) كانتا وبالا عليه وعلى ما شادته الشعوب وانشأته من حضارة لها فكرها وثقافتها واخلاقها .. ولها امانيها في اليوم والغد والحياة بأسرها .. كانتا وبالا عليه ، وان كانت الثانية اشد هولا واخطر نذيرا للبشرية ومستقبلها بسبب الاسلحة الحديثة التي بلغت رعيب تطورها في القنبلة الذرية تلك التي وضعت خاتمة الحرب العالمية الثانية وحسمت الموقف نهائيا .

واذا كانت النزعة الاستعمارية التي خلقتها وسعرت ضراوتها الكشوف الجغرافية والعلمية والانقلاب الصناعي من الاسباب الرئيسية للحربين العالميتين ، الا ان هذه النزعة في ذاتها كانت محنة العالم كله ، للمستعمرين وشعوبهم وللشعوب التي غلبها الاستعمار على امرها ورصد مقوماتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية لخدمة اهدافه التي كان يؤامر دائما على تنفيذها بشتى سبل التآمر وانواع التخريب .

كانت محنة للشعوب الاوربية ذاتها لأن نزعة حكوماتها الى المغامرة الاستعمارية ، وان حققت ثراء وقوة ورخاء ونهضة علمية ، الا انه بسبب التنافس الانتحاري بينها ، وجدت الشعوب وقد جند شبابها واقتصادها وكل مقوماتها الحضارية لخوض الحربين العالميتين . ولئن كانت للحكومات حجتها في دفع شعوبها الى خوض الحرب العالمية الثانية بسبب العقيدة العنصرية التي دبرها النازي واعدها لغزو العالم واخضاعه لسيطرته او دكتاتوريته الرهيبة ، الا ان ذلك لا يمنعنا من ان نقرر ان النزعة الاستعمارية التي تفشت بين الدول الاوروبية كانت سبب شقاء شعوبها بخوضها لغمار معاركها الشرسة .. وكانت سبب شقاء تلك الشعوب من جانب لا يقل عن المعارك العسكرية شراسة وخطرا .. ذلك ان التماسك الاجتماعي الذي كان يتميز به المجتمع الغربي بدأ يهتز ويترنح ومن ثم كان ان حدث تفسخ وتمزق بين عناصر البناء لما شاع فيه من تدهور وانحلال بدرجة اصبحت تهدده بالضياع .

وعلى ذلك يمكننا ان نقول انه بسبب الحرب العالمية الثانية وما جرى فيها وما انتهت اليه ان بدأت الشعوب بأجيالها تفقد الثقة في ميراثها من القيم الاخلاقية والتقاليد الاجتماعية ، وتفقد كذلك ثقتها في الدين من ناحية وسائله واهدافه .. يضاف الى ذلك محنة النظم السياسية

الاوربية العتيدة فيما كان لها من حق الهي متوارث ، كانت لـه اصداؤه وتقاليده الراسخة في البناء الاجتماعي للشعوب الاوربية فان ما اصيبت به تلك النظم من جراء الحروب التي شنتها الدول على بعضها البعض مما غير كثيرا من الخريطة السياسية لاوربا .. ومن قبل هذا بسبب الهزة العنيفة التي اصابتها جميعا من الثورة الفرنسية ، وتلك الهزة التي كانت لها اصداؤها العميقة في نفوس الحاكمين والمحكومين على حد سواء .. كان لذلك كله انطباعاته وآثاره في نفوس المجتمعات الاوربية على اختلاف حظوظها من الثقافة والفكر والمرتبة الاجتماعية والتقاليد التي تتمسك بها وتحترمها ، آثاره من حيث موقف هذه المجتمعات من التقاليد الاجتماعية والقيم الاخلاقية التي ارتفعت في ضميرها وسلوكها الى حد التقديس .. وكذلك من حيث نظرتها الى حاضرها الذي تقاسيه ونظرتها الى المستقبل الذي يحيرها ويخيفها في آن واحد ، وان كانت تتمنى ان يكون خيرا من ماضيها .

وفي العدوة الاخرى كان الشرق الماجد العتيد يعاني من الاستعمار اشد ضروب القهر والاستغلال والاستعباد ، تلك التي مارستها الدول الغربية تظاهرها جيوشها وتمهد لها بالمؤامرات والدعاوي الملفقة .. كانت الدول الاستعمارية تضرب بتلك الاسلحة المتنوعة شعوب الشرق لتتمكن من احكام خططها في استنزاف خيراتها وثرواتها واستنزاف قواها بما يوهن ارادتها ويحطم قدرتها فلا يبقى لها امل في التخلص من الأغلال التي قيدتها .

ومن ثم فان الامم الشرقية التي وطئها الاستعمار الغربي كانت تعاني محنة ذات ثلاث شعب هي :

اولا : محنة احتلال ارضها .

ثانيا : محنة الوصاية على مستقبلها الحضاري .

ثالثا : محنة الفتنة الاخلاقية التي اوقعها فيها الغرب بما نقله اليها اما مباشرة او غير مباشرة من الاساليب المعاشية والازياء الفكرية والثقافية التي تخالف ثقافة تلك الشعوب وفكرها مخالفة اجتماعية وعقائدية . فهي من ثم بذور افساد وتضليل وانحلال وان غلفت في اردية من المنطق الذي ، ان لم يغر بالاقناع ، والاخذ بما يشير ، فلا اقل من انه يوقع المستمعين اليه والمشاهدين له في بلية الشك واساءة الظن بتراثهم الاخلاقي من حيث قيمته وجدواه .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية تفجرت الانتفاضات التحررية بين الشعوب الشرقية لتتخلص من السيطرة الاستعمارية ، وتستقل بارادتها وحريتها في وطنها وعلى ارضها فتصبح مقاليده ومصائره بيدها وحدها .. ولم يكن من السهل على تلك الشعوب الثائرة التي نجحت ثوراتها ان تحتفظ باستقلالها السياسي والاقتصادي خالصا من تدخل الدول الاستعمارية ، ولكنها اصطدمت بابتلاء جديد هو ابتلاء مقاومة التآمر الاستعماري الذي اخذ

يتزيا بأزياء سياسية جديدة ويختلق من المبررات ما يمكنه من ان يعيد سيطرته او تدخله في شئون هذا الشعب او ذاك ولو من بعيد .. فان لم يستطع فالمؤامرات كفيلة ببث بذور الفتنة والشقاق بين قادة الامة وزعمائها وبين طبقات الشعب وطوائفه مما قد يمكن الاستعمار من ان يعيد الامة الى دائرة فلكه الاستعماري .

وفي خضم تلك الصراعات الدولية والعالمية من ثورات شعبية وافكار تحررية ومذاهب سياسية وعقائدية جديدة .. وما واكب ذلك من تفجر العلم التطبيقي بفيض من الاختراعات والانشاءات الصناعية في كافة مجالات الظواهر الحضارية ان اصبح العالم كله اليوم يعيش حربا جديدة ـ وان لم تعلن فتكون عالمية ـ هي حرب المذاهب الاجتماعية ـ او حرب الايدولوجيات ـ والجديد في هذه الحرب انها تصطنع من الفكر الانساني والقيم الانسانية ، كما تصطنع من التآمر وبث فتن الصراعات الاجتماعية بتأليب طائفة على طائفة او زعامة على زعامة ، اسلحة استعمارية حديثة تبسط بها سيطرتها على شعب او مجموعة من الشعوب بدعوى المناصرة السياسية او المناصرة الاقتصادية ، او المحافظة على المصالح الاستراتيجية .. وخلال ذلك الصراع او تلك الصراعات لم تنس الدول الاستعمارية ان تستعين في حربها بأحدث الاسلحة واشدها فتكا من اجل مناصرة رجالها وشد أزرهم ثم تحقيق اهدافها من خلالهم عندما تضعهم في قمة السلطة المتحكمة .

وكانت النتيجة لكل تلك الصراعات ان نشبت في نفس الانسان ـ وفي البناء الاجتماعي بالضرورة ـ فتنة كبرى ، اذ فقدت المبادىء الاخلاقية سواء اكانت دينية ام اجتماعية ، وهي التي تكفل الاستقرار النفسي والفكري للافراد والجماعات ثقلها وقيمتها في الضمير . ومن هنا فقد أصبح الانسان يعتقد أن من حقه ان يترك نفسه على سجيتها وحريتها ، فيطلق لنزعاته الحرية في ان تفعل ما تشاء وتشتهي ما تشاء .. ولقد وقر في نفسه انه بسلوكه هذا لا يعبر عن هوى طارىء او نزعة غريزية جامحة ولكنه ، وهنا موطن الخطر ، يعبر بعمله وفكره وتفضيله عن ثورة اخلاقية اصيلة من حقها الذي لا يستطيع ان يماري فيه احد ، ان تثبت وجودها وان تؤكد حقها في الحياة بالوسيلة التي تجد انها اكثر تعبيرا واسرع تحقيقا لما تهدف اليه وتتوخاه .

ومما سبق يمكننا ان نلخص العلل التي كانت السبب في اضرام وتسعير الثورة على القيم الاخلاقية والاجتماعية والانسانية وزيادة عنفها على الوجه الآتي :

اولا : الازدهار الصناعي متمثلا في مخترعات الترف والمتعة التي نوعت في اساليب فنون التعبير عن نزعات الانسان ونزواته وعن قلقه وحيرته .. .

ثانيا : التخطيط الصهيوني

الشيوعي الاستعماري (الصليبي)، لافساد الشباب جسميا ونفسيا وفكريا وعقائديا بواجهات من المذاهب التحررية جند لها كل الوسائل التعبيرية من فنون وثقافات .

ثالثا : اخفاق السياسات التربوية المعاصرة في تنشئة جيل مقتنع بالقيم الاخلاقية والانسانية والاجتماعية ومن ثم فقد اخفقت هذه القيم في مواكبة الازدهار الحضاري الحديث واخفقت بالتالي في تلبية تطلعات الشباب الثائر النافر ..

رابعا : عدم التزام الكثيرين من قادة الامم وزعمائها بتلك القيم ، ولعل الحروب المحلية التي اصبحت تشن او تتفجر في بقاع متفرقات من الارض وما يمهد لها به او ما يصحبها من دعايات المذاهب الاجتماعية والسياسية التي تزيف الحقائق على الشعوب والعالم كله .. لعلها اوضح دليل واكبر دليل على ذلك .. وبين صخب الازدهار الصناعي وما ابدعه من وسائل الترف وبواعث الفتنة .. ووسط ضجيج الحروب المتفجرة وقصفها القاتم الرعيب ..

ومن خلال الاصوات الثائرة على الخارجين على التقاليد والآداب المحمودة .. وكذلك من خلال اصوات اولئك الثائرين المحتجين على البالي العتيق من القيم الاخلاقية والتقاليد الاجتماعية ..

من خلال ذلك الرهج الثائر المختلط حتى ان المرء اصبح وهو لا يستطيع ان يميز بين الصواب والخطأ ، وبين الصحيح والمضل المبين ، تخرج دلالة واحدة او تساؤل واحد وكأن الجميع ينطق به في لحظة واحدة ، وهو : لماذا الاحتجاج على الاخذ بأسباب الحياة الحديثة وما فيها من متعة ونعيم ؟ لماذا الاحتجاج على القيم الحديثة والسلوك الحديث الذي نتمثله او يتمثل لنا من الفنون الحديثة التي هي اليوم خير تعبير عما في صدورنا من آمال واحلام والتي هي انضر تعبير واعمقه عن حريتنا وارادتنا ودوافعنا الحرة ؟!

فان قيل لهم : نحن لا نعيب عليكم اخذكم بفنون المتعة والتسلية التي تعمق الحياة في النفوس والتي تعين الانسان على الحياة .. ليس احتجاجنا على الفنون في ذاتها او عليكم في ذاتكم ولكن على ما تقدمه الفنون .. ان ما تقدمه هو في جملته حرام ، لا يخدمكم لو احسنتم النظر واصبتم في التقدير . ولا يخدم مجتمعاتكم ولا الناس اجمعين لو نظرتم نظرة اشمل واوسع ..

وربما كان جوابهم : فماذا نفعل وهذا هو ما يقدم لنا ويعرض علينا ؟ هلا خاطبتم وعاتبتم وزجرتم اولئك الذين يؤلفون ويقدمون ؟ هلا بصرتموهم بما هو حلال وما هو حرام ؟ هلا وضعتم لهم المعايير او الموازين التي يضبطون بها فنونهم ويراقبونها مراقبة ذاتية عند الابداع والانشاء ومراقبة موضوعية عند العرض والتقديم ؟ ان التثريب علينا في كل شيء ليس من الحكمة في شيء ..

وما كان المسلمون بعيدين عن هذه الفتنة بل كانت اوطانهم هي مواطن

الابتلاء والمحن التي قصدها الاستعمار بجيوشه وثقافاته، وقصدتها الصهيونية والشيوعية بتآمرهما ومكائدهما لإيهان قوة المسلمين وإزالة وجودهم .. ولذلك فاننا نجد الأصداء التي ذكرناها متمثلة في المجتمع الاسلامي تتجاوب بها أركانه من أقصاها الى أقصاها ؛ وهي الاجتراء على القيم الاخلاقية وفقدان الثقة فيها، والاقبال في نهم شهواني على الفنون لاسيما تلك التي تشبع فيهم نزعاتهم الفطرية وتكون بما تعرضه خير تعبير عن نفوس ثائرة وخائرة معا .

إنهم يثورون في تهجم واجتراء على المحتجين عليهم باسم الدين أو المبادىء الاخلاقية وكأنهم في احتجاجهم واجترائهم يقولون اقنعونا فنيا بما يبصرنا بالحلال والحرام .. وقدموا لنا الفنون وهي ملتزمة بمعايير الحلال والحرام .. راقبوا فنونكم قبل أن تراقبونا وزنوا أعمالكم قبل أن تزنوها علينا بشرط ألا تميتوا في أنفسنا فطرة الحياة .

ومن هنا فاننا نخطيء غاية الخطأ إذا اصطنعنا من مبادىء الاسلام أسلحة دفاعية فحسب، ندفع بها عنه تهمة إنكاره للفنون وتعطيله أو مهاجمته لها ؛ ولكن ينبغي أن يكون عملنا إبداع وخلق فن اسلامي تتجسد فيه حيوية الاسلام من حيث محتواه ومضمونه لا ان يكون مجرد واجهة تزيينية كتلك التي تميز العمائر الاسلامية .. ولذلك فانه لأساس جوهري لابداع فن إسلامي أن يقوم العمل فيه على مراعاة مبدأين ضروريين هما :

أولا : أن الاسلام رسالة انسانية عالمية فلا بد من ثم أن تتسامى فنونه الى المستوى العالمي لاسيما وأن المحنة عالمية ؛ يقول سبحانه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

ثانيا : أن الامة الاسلامية هي أمة الريادة العقائدية والفكرية والانسانية للبشرية كلها .. وإنها لريادة لا تعرف الجموح أو التطرف الغرائزي ولا تعرف التعالي التعصبي العقيم .. ولكنها قصد السبيل . فعلى الفنون الاسلامية إذن أن ترتفع الى مستوى الريادة المعتدلة في تصوير القيم الانسانية وتصوير أشواق الفطرة وآمال الانسان وآلامه ؛ يقول سبحانه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/١٤٣

وبناء على هذين المبدأين فانه يجب لانشاء فن اسلامي أن يكون محققا وملتزما في إبداعه بقيمتين إسلاميتين إنسانيتين وهما :

١ ـ تبيين أوجه الحلال وأوجه الحرام .

٢ ـ تحديد الموازين التي تحكم الرقابة الذاتية في حالة الابداع الفني والرقابة الموضوعية في حالة صناعة الأثر الفني وإخراجه

فهل يا ترى يسمع المشتغلون بالفنون هذا النداء ؟

بر الوالدين في الاسلام

جاءنا من الاستاذ صلاح أحمد الطنوبي كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

قال الله جل ثناؤه : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** » آية ٣٦ النساء .

وقال الله سبحانه وتعالى : **﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾** آية ٢٣ ، ٢٤ من سورة الاسراء .

وقال الله جل جلاله : « **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** » آية ٨ ـ العنكبوت .

قرن الله جل ثناؤه حق الوالدين بالتوحيد في كثير من الآيات ؛ لأن النشأة الأولى من عند الله تبارك وتعالى ، والنشأة الثانية القائمة على التربية والتوجيه والتهذيب من جهة الوالدين .. واحترام الوالدين في الاسلام أدب انساني رائع يتسم بالتربية الصادقة التي تربي النفوس وتزكي العقول وتصقل الأفئدة .. وطاعة الوالدين من أوجب الواجبات ، وأفضل القربات ، وأن عقوقهما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب .. والبر حق لازم الا ما حرم حلالا أو أحل حراما فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فضل بر الوالدين :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب الى الله ؟ (وفي رواية : أي العمل أفضل ؟) قال : « الصلاة على وقتها » .قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم) .

وسأل ابن عمر (رضي الله عنهما) : رجلا فقال : أتفرق من النار ؟ (أي

تخافها) وتحب أن تدخل الجنة ؟ قال : إي والله . قال : أحي والدك ؟ قال : عندي أمي قال : فو الله لو ألنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر (رواه الطبري) .

بر الوالدين يزيد في الرزق ويطيل العمر :

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر » (رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم) .

بر الوالدين بعد موتهما :

عن أبي أسيد مالك بْن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله : هل بقى لي من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم خصال أربع : الدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، (تنفيذ وصيتهما) واكرام صديقهما (وصل أصدقاء الأب والأم) ، وصلة الرحم (كالعم والجد والخال والخالة وغيرهم من أقارب الأبوين) التي لا رحم لك الا من قبلهما » (رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان) .

دعاء الوالدين مستجاب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجاب لهن لا شك فيهن ـ دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالدين على الولد » أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وحسنه ورواه ابن ماجه بلفظ «ودعوة الوالد لولده » .

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر :

عقوق الوالدين : هو الخروج على طاعتهما ، واهمال حقهما ، وفعل ما لا يرضيهما وايذاؤهما ولو بكلمة «اف » ، أو نظرة تحقير لهما ، أو تهوين لشأنهما .. وقد شدد القرآن الكريم في أمر العقوق ، فنهى عن التأفف والضجر فقال : « ولا تقل لهما أف » وتوعد من قال ذلك بقوله : **﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ﴾**

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر فعن أنس رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال : « الشرك بالله وعقوق الوالدين »(رواه البخاري والترمذي)

بريد الوعي الاسلامي

تكرار آية .. وسبب نزول

جاء في سورة الرحمن تكرار آية « فبأي آلاء ربكما تكذبان » فما السر الالهي في ذلك ؟ وما سبب نزول آيات سورة التحريم : « يأيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك » ؟

• سعيد احمد الشيحى ـ ج . م . ع .

اولا : سورة « الرحمن » هي سورة كريمة تستعرض نعم الله في الكون وفي خلقه ، نعمه الظاهرة ، ونعمه الباطنة ، نعمه في الدنيا ونعمه في الآخرة ، وعقب كل نعمة من نعمه سبحانه يأتي التعقيب بقوله الكريم هاتفا بالإنس والجن « فبأي آلاء ربكما تكذبان » وهذا السؤال المقصود به التسجيل والاقرار والإشهاد بنعم الله سبحانه على الإنس والجن .. فما يملك مخلوق أن يكذب بآلاء الرحمن سبحانه ..

وهذا التكرير من اجل التقرير والتأكيد والتذكير بنعم الله له مثيله في اللغة العربية ، قال ابن قتيبة : من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والافهام ..

« كم نعمة كانت له وكم وكم » .

« هلا سألت جموع كندة يوم ولوا اين اينا »

قال ابن قتيبة : فلما عدد الله تعالى في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه ، ونبههم على قدرته جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين ، ليفهمهم النعم ، ويقررهم بها .

وذلك مثل قولك : ألم ابوئك منزلا وكنت طريدا ؟ أفتنكر هذا ؟

الم أنفق عليك وكنت فقيرا ؟ أفتنكر هذا ؟

وهكذا يا أخ سعيد .. تمضي بنا سورة الرحمن تذكرنا بفضل الله وإحسانه في الكون وفي الخلق وفي الآخرة فعاود تلاوة السورة الكريمة وتدبر آلاء الله فيها ، حتى تأتي الى ختامها فتسبح باسم ربك ذي الجلال والإكرام .

ثم قل معنا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد .

ثانيا : أنت تعلم ان الدين الاسلامي

جاء ليكون آخر دين الى البشرية قد ارتضاه الله لعباده دينا الى يوم الدين .. ولذا جاء شاملا لكل جوانب الحياة معترفا بواقعها .. اخذا بيد البشرية الى المستوى اللائق الكريم ، ومرتفعا بها الى السمو والأفق الأعلى وخير مثال للانسان الكامل هو محمد صلى الله عليه وسلم وخير بيت من بيوت المسلمين هو بيت محمد صلى الله عليه وسلم ، لذا كانت حياة محمد المصطفى مسرحا تجري فيه أحداث الاسلام ذات الشأن حتى يتخذ المسلمون من ذلك العبرة والقدوة في حياتهم ، ونحن أمام « سورة التحريم » نشاهد حادثا من تلك الأحداث التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يعالجها في بيت أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله عن أمهات المؤمنين ، وهذا الحادث الذي نزلت بشأنه السورة الكريمة تعددت فيه الروايات نختار منها ..

ما رواه البخاري عن عائشة قالت : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير ـ المغافير : صمغ حلو الطعم كريه الرائحة ـ إني أجد منك ريح مغافير . قال : لا ، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » ويبدو أنها أخبرت زميلتها فأطلع الله رسوله على الأمر .

وهكذا تأتي السورة الكريمة لتعلم المسلمين جميعا .. ولذلك لم تذكر حقيقة الموضوع بل اكتفت بدلالته وآثاره لأن ذلك هو المهم ، وحكت السورة أنه لا يجوز للنبي ولا لأي إنسان طبعا ـ أن يحرم على نفسه شيئا أحله الله من أجل إرضاء شخص ما ـ مع العلم بان الرسول لم يحرم العسل بمعنى التحريم الشرعي ، إنما كان قد قرر حرمان نفسه مما كان حلالا ـ ولا يجوز حرمان النفس من الحلال عن تعمد وقصد، إرضاء لأحد .

ويستفاد من السورة الكريمة :

أولا : لا تحريم لما احله الله .. فلا يملك التحريم والحل الا الله سبحانه .

ثانيا : تربية الزوجات وتعويدهن على كتم الأسرار .

ثالثا : من أقسم على أمر وكانت مخالفته أولى فقد جعل الله له تحلة لقسمه .

رابعا : أن الله مطلع على السرائر ، ولا تخفى عليه خافية ، فليراقب كل مسلم نفسه وليخش الله ويتقه .

فعاود النظر يا أخ سعيد في السورة الكريمة لترى تعاليم الاسلام السامية وامثلة الايمان الحق ، وبشرية محمد أفضل خلق الله ، والطبيعة النسائية في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وتسليمهن الأمر لله سبحانه ، ثم مثال الكفر في بيت الإيمان

حيث أمرأة نوح وامرأة لوط ومثال الايمان في بيت الكفر ، حيث أمرأة فرعون ، والطهر والعفاف في مريم ،

والله يوفق الى سواء السبيل .

أجر المحامي

○ السيد / عبدالحميد احمد الجمل .. القليوبية ـ مصر
عندما يقف « المحامي » للدفاع عن متهم هو في الحقيقة بريء ، ويعمل على رد الحقوق الى أصحابها ، او ازالة الظلم الذي يكاد يلحق بغير مذنب ، فعمله هذا مشروع ، لانه إحقاق للحق ، ومساعدة لمحتاج ويستحق الأجر على ذلك .

في الرضاع

● القارىء : م. ع. م من الاردن
اذا كان والد الفتاة قد رضع من والدتك خمس رضعات متفرقات مشبعات أو أكثر وهو في سن الرضاع ـ فإنه بذلك يصير أخا لك من الرضاع وابنته تصبح بنت أخيك من الرضاع ـ ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ـ ولذا لا يجوز لك الزواج من الفتاة .

الاخ : ابو الوفاء عبدالمحسن .. المغرب ..
بإرضاعك من صديقة والدتك .. صارت أمك من الرضاع .. إذا كنت قد رضعت خمس رضعات مشبعات متفرقات في سن الرضاع .. ويصير كل أولادها إخوة وأخوات لك من الرضاع .. وابنة ابنها هي ابنة أخيك من الرضاع .. ويحرم عليك الزواج من ابنة أخيك .

والله أعلم .

تنويه

وقع خطأ غير مقصود بالآية الكريمة رقم ـ ٤٤ ـ من سورة الأعراف .. في مقال بعنوان « بين متاعين » منشور بالعدد ـ ٢٠٨ ـ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .
والآية جاءت هكذا : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا .. »
وصحتها : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » .
نقول هذا لقرائنا الكرام ونخص بالشكر الأخ البشير الرقيقي ـ من تونس ـ الذي نبهنا لهذا الخطأ .. فلزم التنويه .. ومعذرة .

وأيضا

وقع خطأ غير مقصود بالعدد رقم ٢٠٧ ـ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ .
أرشدنا إليه القارىء العزيز احمد مسلم احمد الحسنين ـ مصر . في مقال بعنوان « معسكر القرآن » حيث جاءت الآية الكريمة رقم ٢١٤ من سورة البقرة هكذا « أم حسبتهم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » والصحيح « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » فمعذرة .. وشكرا للأخ القارىء .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

من توصيات المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي

رفع المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي ، الشكر الى الكويت أميرا وحكومة وشعبا على استضافتها المؤتمر وأوصى في ختام اجتماعاته التي عقدها في الكويت ، بإنشاء « صندوق للطب الاسلامي » وبتوحيد الجهود لرسم الخريطة الصحية للعالم الاسلامي ، واوصى بدراسة النباتات الطبية الصالحة للاستنبات في أرجاء العالم الاسلامي ، وبإنشاء شركات إسلامية للادوية تستثمر الموارد النباتية الدوائية .

وفي مجال التراث الاسلامي ، اوصى المؤتمر بتحقيق التراث الطبي تحقيقا علميا ، وتتبع المصطلحات الطبية التي استخدمها العلماء المسلمون في كتب الطب ، وإعداد فهرس شامل لكافة المخطوطات الطبية ، كما أوصى بإنشاء مكتبة طبية تراثية . وفي مجال التعليم الطبي أوصى المؤتمر بان تكون السياسة التعليمية في كافة مراحلها ذات طابع إسلامي وغاية إسلامية ، وبإعداد الطبيب المسلم ، واستخدام الطب والمؤسسات الطبية في الدعوة الى الاسلام والهداية الى الله ، وأوصى بتوثيق الفقه الطبي وبيان الأحكام الفقهية في السابق واللاحق والآتي ، ثم الحرص على اعداد وانتقاء هيئة التدريس ممن يتوفر لهم الجانبان الاسلاميان من حسن اسلام ومن كفاءة علمية ، وأخيرا أوصى المؤتمر بنشر وثيقة الكويت عن الدستور الاسلامي للمهنة الطبية وتدريسها وتبني القسم الوارد بها لتكون ملتقى للأطباء المسلمين جميعا .

عن جريدة الرأي العام الكويتية ١٩٨٢/٤/٣

الاسلام هو الهدف

« كلما أقرأ عبارة الصراع العربي الصهيوني أو الصراع العربي الاسرائيلي أحس بانه ليس بالضبط كما يكتب بل هو صراع بين الاسلام والصليبية الحاقدة والشيوعية البغيضة وسلاحهما في هذه الحرب هذه العصابة الصهيونية والا :

١ ـ لماذا سلم الانجليز فلسطين للعصابة اليهودية ضاربين عرض الحائط بوعودهم للعرب الذين آزروهم في الحرب وأطعموهم ؟

٢ ـ لماذا أكد الاتحاد السوفياتي على

مصر ، بعدم البدء في القتال عام ١٩٦٧ رغم علمهم بالأخطار التي تحيق بالعرب من الحشود الاسرائيلية المتخذة وضع القتال حينئذ ؟

٣ ـ لماذا يرفض الاتحاد السوفياتي إمدادنا بالأسلحة الهجومية المتطورة ؟

٤ ـ لماذا يتدفق على إسرائيل المهاجرون الروس والأسلحة الصليبية والمعونات الاقتصادية الأوروبية والأميركية ؟

٥ ـ لماذا ترفض الدول الأوروبية الاعتراف بمنظمة التحرير وبحق الدولة الفلسطينية .

٦ ـ لماذا يرفض اعضاء مجلس الأمن الاوروبيون الغربيون وأميركا فرض عقوبات على إسرائيل لضمها الجولان وهل سيوقف الاتحاد السوفياتي الهجرة اليهودية من أراضيه الى اسرائيل إذا كانت العقوبات اختيارية ؟

وما هو العمل المطلوب من المسلمين ؟

فلنبدأ من البداية من المدينة المنورة من مسجد سيدنا رسول الله تعقد القمة العربية ولتكن عودة الى ديننا الحنيف المستهدف من قوى الشر عملاء الشيطان « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » قلبوا صفحات التاريخ ستجدون أن الاسلام حارب الدولة الرومانية والدولة الفارسية في آن واحد ، ثم كم من الزمن مر على أسر لويس التاسع الصليبي في المنصورة ، ومعركة عين جالوت .

والآن روسيا تحتل افغانستان واميركا تؤجج الحرب العراقية الايرانية وتمد اسرائيل بكل ما تحتاج له لأخضاع منطقة الشرق الاوسط لأطماعها وتمزيق شمل المسلمين وإبعاد مصر وجيشها عن التصدي لحماية الاسلام ونصرة الدين .

عن جريدة الشرق الأوسط ١٩٨٢/٣/١٨

الخلافات العربية وسلاح الاستنكار

كتبت جريدة القبس الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ملايين البشر يموتون كل عام جوعا بسبب حروب اشعلتها ايد دخيلة وخفية خوفا على مصالحها ـ الحروب لا ترحم والزلازل والكوارث لا ترحم ، والفقر لا يرحم ، والانسان نفسه لا يرحم ـ والدول العربية والاسلامية تحظى بالنصيب الاوفر من هذه الحروب والزلازل والكوارث والانقسامات ، بينما ملايين الدنانير والدراهم والريالات تملأ البنوك العالمية ، الى متى ؟ واذا كانت هذه الاموال الطائلة قد اودعت في البنوك لليوم الاسود كما يقول المثل فلا اظن ان هناك يوما او عصرا اسود وأسوأ من هذا العصر وهذا الوضع المتردي

الذي يمر به العالم العربي والاسلامي على السواء في الوقت الراهن ـ عوضا من ايداع تلك الاموال في البنوك فانه بالامكان الاستفادة من تلك الاموال تدريجيا على مستوى كل دولة اولا ، فالدول العربية ثانيا والدول الاسلامية ثالثا ـ نستفيد منها في مشاريع تعود

علينا وعلى شعوبنا بالخير الوفير .

صحيح ان المال هو عصب الحياة وعمودها الفقري .. ولكن ما الفائدة من المال اذا لم يشبع جائعا ، او يبني وطنا تسوده الطمأنينة والرخاء . وما الفائدة من المال اذا لم يرسم الابتسامة على شفاه اولئك الذين تهزهم أصغر الازمات . يجب ان لا ننسى « أن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ومثل ما خلقنا نعود اليه جل جلاله دون ان نحمل معنا فلسا واحدا .

ان عالمنا العربي والاسلامي اكبر واقوى من ان تعتدي عليه دويلة صغيرة مثل اسرائيل ولكن تشتتنا وسلبياتنا وانقساماتنا هي التي اتاحت الفرصة لعدونا الصهيوني الغاشم بان يتوغل بين صفوفنا وينشر سمومه ويضرب يمنة ويسرة ، شيبا وشبابا ، ابرياء وغير ابرياء ، نساء واطفالا ، مدنا وقرى دون هوادة ولا من رادع ان انبياءنا وخلفاءنا وائمتنا لم يكونوا اغنياء ماديا ابدا ولكنهم كانوا اغنياء دين ، معتصمين بحبل الله جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا وهدفا واحدا لنصرة الاسلام واعلاء كلمة الله والمحافظة على وحدة المسلمين ودولتهم ـ ضحوا بما هو غال ورخيص من اجل الدين والعدالة والحق .

اما اليوم فنحن مسلمون ونعتز بديننا واسلامنا ولكن لا نفعل شيئا سوى ان نطلق اجهزة اعلامنا ، دنست مقدساتنا وجئنا نستنكر ، دمرت مساجدنا وجئنا نستنكر ، احتلت اراضينا ونحن لا نزال نستنكر ـ ننتظر ليضربنا العدو في عقر دارنا ، ، يدمر ويقتل وينهب ثم نذهب نحن الى مجلس الامن وبكلمات رنانة ومؤثرة نقول إننا نستنكر هذا الاعتداء الصارخ على اراضينا ومقدساتنا و « اننا نناشد كل الدول المحبة للسلام في العالم ان تقف معنا في ادانة هذا العدوان » ويصفق الحاضرون وتدين بعض الدول في المجلس العدوان مجاملة لنا وعلى ورق فقط .. ولكن سرعان ما يرتفع اصبع متين ملطخ بالدم معلنا الفيتو ضاربا بكل القرارات عرض الحائط ويتحول الاستنكار الدولي الى فيمتو نشرب نخبه نحن ، ونحن مسلمون .

لقد حان الوقت لان نضع خلافاتنا جانبا وان نراجع حساباتنا وان نتحد ونحمي بلادنا واراضينا وديننا من اعدائنا بكل وسيلة نملكها فثرواتنا كثيرة وايماننا بربنا قوي وكل ما نحتاج اليه هو ترجمة القول الى فعل حينئذ فقط سيعرف عدونا من نحن .

وكفانا استنكارا وكفانا مديحا وكفانا قولا وخطبا ونفاقا نحن لا نريد من يصفق لنا او يعلن تأييده الشفهي لنا .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

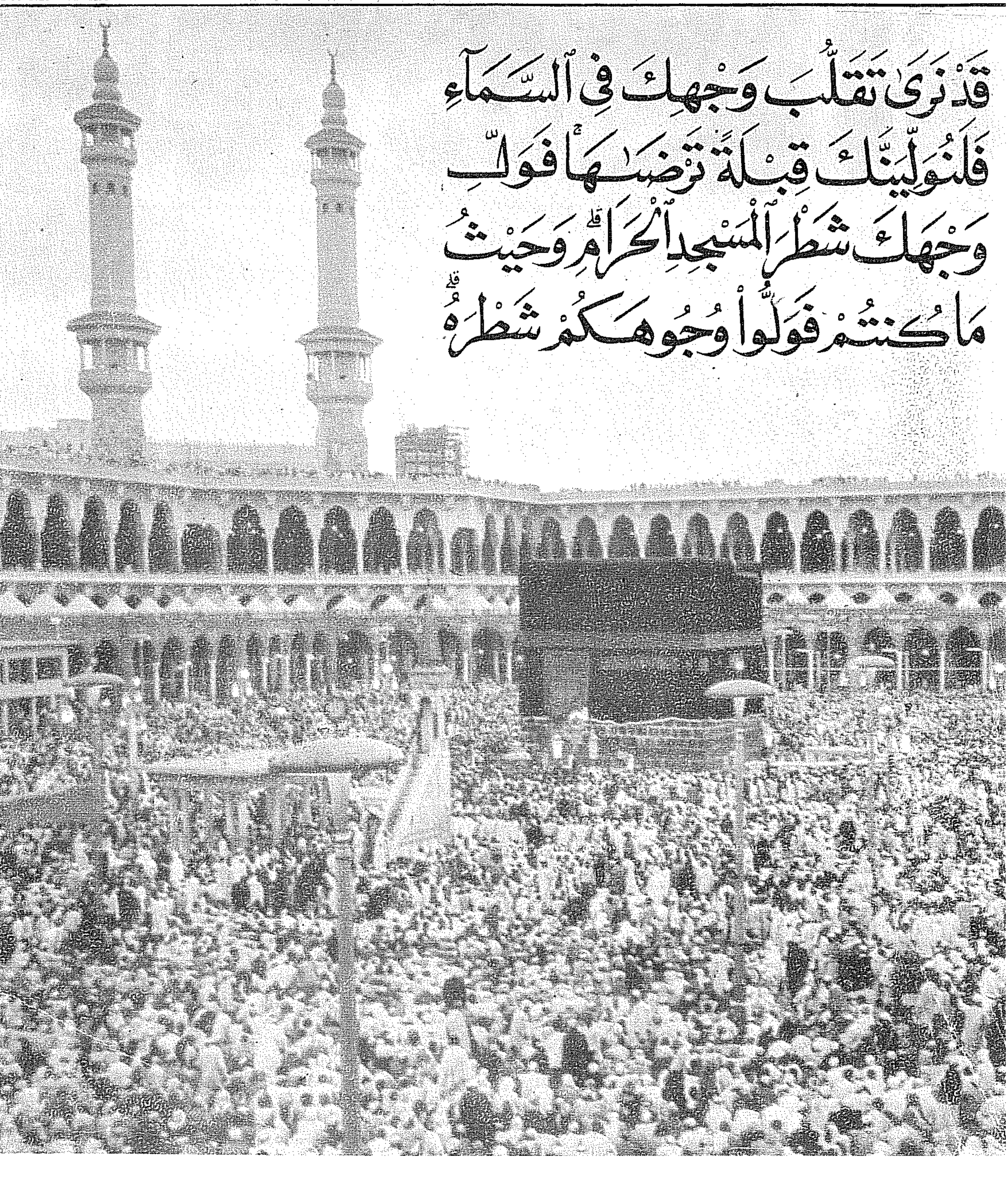
طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٢ ● شعبان ١٤٠٢هـ ● يونيو ١٩٨٢ م



قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ
مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ

مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٢ ● شعبان ١٤٠٢هـ ● يونيو ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الأمة الوسط

صراط الله المستقيم الذي ندعو الله في كل ركعة من ركعات صلاتنا أن يهدينا اليه ، هو طريق الاعتدال في الأفكار والأخلاق والعبادات والأعمال والارتباطات والعلاقات ، وهو المنهج الالهي الذي أوحى الله به الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس ، ، والذي كلفت الأمة الاسلامية بتحقيقه في الأرض ، وقيادة البشرية كلها اليه : (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**)

وقد كان الناس قبل الاسلام على قسمين ، قسم تقضي عليه تقاليده

بالمادية المحضة ، فلا هم له إلا الحظوظ والمتع الجسدية ، ولا يلتفت بحال إلى المزايا الروحية ، وذلك القسم كان يمثله اليهود والمشركون .. وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية البحتة ، وترك الدنيا وما فيها من الملذات الجسدية ، وهذا القسم يمثله النصارى الذين ابتدعوا الرهبانية قائلين : إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها ، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع الملذات الجسمانية ، وتعذيب الأبدان تقربا لله .

وقد جاء الاسلام بالمنهج المعتدل في كل شئون الحياة ، وقامت الأمة المؤمنة به ، المنطبعة في سلوكها بتعاليمه ، شاهدة على الماديين بالتفريط في جانب الدين ، والتعطيل لأحكامه وهداياته .. وشاهدة على المغالين بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية .

نعم منح الاسلام البشرية تشريعا يمتاز بالاعتدال الذي يقوم عليه حفظ الحياة وامتدادها ورقيها ، كما يبني عليه عزة الأمة ومجدها .. تراه في مجال العبادة يأمر بالأمر الوسط ، فلا إفراط ولا تفريط ، فمن حديث رواه الامام أحمد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .

وفي الحياة المعيشية يقيم الأمر على منزلة بين الاسراف والبخل ، لأن كلا الأمرين يقعد صاحبه قعدة الملوم المحسور قال تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**)

وفي تناول الطعام والشراب ينهي عن المبالغة في الاكثار ، وعن المبالغة في الاقلال لما لذلك من نتائج سيئة ، فالمبالغة في الاكثار تسبب كثيرا من الأمراض ، والمبالغة في الاقلال تلحق بصاحبها الضعف والهزال ، وتفقده طاقة العمل والانتاج قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**)

وفي العلاقة بين الفرد والمجتمع يصون التشريع الاسلامي للفرد شخصيته وكيانه ، لينطلق في الحياة معمرا ومنتجا ، ولكنه يحول دون جشعه وأنانيته ، لأنه لبنة في بناء المجتمع ، وعليه واجبات يلزمه القيام بها .. كما يصون للمجتمع شخصيته كذلك ، فيمنحه القدرة على موازنة الأوضاع ،

ولكنه يحول دون طغيانه على حقوق الفرد ، بل يجعله كافلا للفرد ومسئولا عنه .

ولتحقيق الحياة الفاضلة المشرقة بكل أسباب التقدم والنهوض يجمع الاسلام بين الموعظة والعقوبة ، فيرفع ضمائر الناس بالتوجيه والتهذيب : (**وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**) ويكفل نظام المجتمع بالقصاص والتأديب : (**ولكم في القصاص حياة**) (**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**)

والأمة التي تعتمد هذا التشريع الالهي منهجا لحياتها ، وطريقا لتصوراتها أمة معتدلة في تفكيرها وشعورها ، لا تجمد على عمل جزئي ، ولا تقلد تقليد الببغاء ، وإنما تتمسك بما لديها من أصول وقواعد وأحكام ، ثم تنظر في كل الأفكار والتجارب ، وتزنها بميزانها الذي لا يخطىء ، وشعارها : (الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق الناس بها) .

وهي الأمة التي تحرس العقل والضمير من ضلال الخرافات وعبث الأهواء فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله وتتواصى بالحق والصبر .

وهي الأمة القائدة التي تشهد على الناس جميعا ، فتقيم بينهم العدل ، وتضع لهم الموازين والقيم ، وتقعد منهم مقعد الأستاذ من تلميذه ، تعلم وترشد ، وتعطى ما عندها من نتاج الروح والعقل لأهل الأرض قاطبة ، وتتحمل التبعة في إقامة الحق الذي لاتصلح الحياة بغيره .. وبينما هي تشهد على الناس بالحق والعدل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يشهد عليها ، فيحكم على أعمالها ، ويزن مايحدث منها بميزان الوحي الذي نزل عليه من ربه وبلغها إياه : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

تلك هي الأمة المسلمة التي ميزها الله بشخصية خاصة وقبلة خاصة .. وهي الأمة التي جعلها الله أمة وسطا بين الأمم تشهد على الناس ويشهد عليها رسولها .

وقد بقيت هذه الأمة منذ تكوينها على يد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ـ محافظة على دينها ومجدها وسلطانها بين أمم العالم قرونا ، حتى إذا عزفت عن دينها ، وتركت رسالتها واتبعت الشهوات ، وجد أعداء الاسلام الفرصة مواتية للوثوب عليها ، وغزو بلادها والتهام خيراتها ، وتمكين المنافقين من إفساد أمورها ، (فاحتلت الصهيونية فلسطين ومقدساتها) .. (وغزت الشيوعية أفغانستان) ونشط الطغاة في إيذاء الأقليات المسلمة في كل مكان !!

وكان حقا عليها ـ وقد رأت ما حاق بها نتيجة ما كسبت أيديها ـ أن تثوب

إلى رشدها ، وتعود لهداية خالقها ، ليستخلفها في الأرض من جديد ، ويكشف عنها الضر ويزيل الغمة ، ويبدلها من بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الذلة عزة ، ومن بعد شتات الأمر تجمعا ووحدة ، ومن بعد الهوان كرامة ومجدا فقد قال وقوله الحق : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**)

نعم كان حقا أن تفعل ذلك ،ولكن مما يحز في النفوس ويملؤها ألما أن بعض الدول في الأمة المسلمة ما تزال ـ رغم هذا البلاء ـ قاسية القلب ، شاردة عن هداية الله ، تحكم بغير ما أنزل الله ، وتستخدم الظلم والطغيان في قهر الشعوب وإذلالها والتبعية والفساد على تدنيس حياتها . وفيها يصدق قول الله تعالى : (**فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون**) .

ومع هذا الظلام المخيم في بعض الدول فلا يمكن أن ييأس المؤمنون من روح الله : (**إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) .والله عزيز غالب على أمره ، وكم أتى على الاسلام من محن شداد ظن الناس بها الظنون فأزالها الله بجهاد المؤمنين وكفاح العاملين ومعاونة جنده الأشداء الذين لا يعلمهم أحد سواه : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**)

ستعود الأمة المسلمة أمة وسطا ، لها حقيقتها الكبرى ، وشخصيتها المستقلة ومهابتها المحفوظة ، وسلطانها الممتد بالحق والعدل .. والطريق بين واضح ، وسلوكه سهل مريح . اعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وعمل دائب في بناء المجتمعات على أسس الحق والعدالة ، وجهاد في سبيل الله لتأمين الدعوة لدينه ، وكبح جماح الأعداء ورد الحقوق المغتصبة .

والدول العاملة بالاسلام رائدة الخير وسبيل الرشد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي) .

وقال جل شأنه : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) وقال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**) .

رئيس التحرير

محمد الراصيري

الدين مصدر

للمعرفة عدة مصادر منها الفطرة ، ومنها الشرع الالهي ، ومنها التجربة الآتية من الحس الظاهر أو الشعور الباطن . والعقل مرآة تنطبع فيها الأشياء فهو قابل ، وأحيانا تكون قوته الفاعلة التجميع والتأليف . وقد يتورط العقل بسبب استناده كليا الى ألفاظ اللغة ، فينسى أنها وضعت للصور الذهنية قبل أن توضع للأعيان الخارجية . وربما نسى العقل هذا الملحظ وتصور أن كل لفظ في اللغة له مدلول في الخارج . فيحتكم في وجود اللفظ ويبني عليه أحكاما كلفظ « العنقاء » له معنى في الذهن ولا وجود له في الخارج : (**ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن**) النجم/٢٣ .

والانسان يخدع نفسه حين يظن أن الألفاظ أفكار ..

وليس المشاهد المحس هو المقياس الوحيد الذي لا تقاس صحة الأفكار الا عليه . بل المقياس الصحيح لصحة الأفكار أو فسادها تعاليم معصومة لا يأتيها الباطل ولا يقترب منها .

ولو أن الاسلام منع العقل من التجوال والنظر أو أطلق له العنان ، لكان العقل اما إلها يتصرف كما يشاء واما عدما لا أثر له ولا حركة فيه . لقد أنزله المنزلة الخليقة به تريض واسبح وصل نفسك بخيط الأمان حتى لا تنجرف بك الأمواج وحتى لا تحرم من رياضة فيها غذاؤك ومنها قوام حياتك : (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**)

المعرفة

للأستاذ/محمد عبد المنعم القيعي

يونس/١٠١ .

وهذه الهجمة العنيفة التي نسمعها ونراها مصوبة سهامها نحو الدين لا تهز منه شعرة واحدة من نفوس المؤمنين به ، فليس من اليسير أن تهز ايمانا يحمل معه التفاؤل والأمل . قد أمد جذوره في أفئدة الناس وقلوبهم . وهيهات للعقل أن يقتلع بعاصفته هذه الدوحة المتأصلة الراسخة : (**أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**)ابراهيم/ ٢٤و٢٥ .

(**أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه**) المجادلة/ ٢٢ .

فالحكم العقلي أحدث من ذلك الميل الغريزي عهدا وأضعف بناء . وأية أزمة تحدث في الحياة فانها تكف من جماح العقل وغروره ، ولا يبقى مع الانسان الا ايمانه . يبصره ان عمى في الحادثة ، ويهديه ان ضل عن السكينة ، ويجعله صديق نفسه متعاونا بها على ما يصادفه من أزمات . والويل للانسان حينما تنشق عليه نفسه ويقع فريسة بين نفسه وبين المصيبة : كحبة القمح تحت حجر الطاحون الضخم لا يبقي ولا يذر ...

وهل من طبيعة العقل التي فطر عليها ما يمكنه من الوصول الى بعض المعرفة دون اعتماده على ما تأتي به الحواس من العالم الخارجي ؟ ..

اذا كان له ذلك فلا مصدر له الا الايمان الذي يتجلى طورا في الفطرة وطورا في الشعور أو الاحساس

الداخلي . واننا نجهل كثيرا من ماهية الأشياء وحقيقتها المستقبلة عن ادراك الحواس جهلا تاما ، ولا ندري منها الا كيفية ادراكنا لها : (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ .

وعلى العقل أن يوقن بأن الزمان والمكان والعلة ليست الا وسائل للادراك الحسي والادراك العقلي ، فان دخل في قدم العالم وقع في التناقض . اذ هو لا يتصور شيئا لا نهائيا تصورا صحيحا . فان تصور على سبيل الفرض نقطة الابتداء تصور أيضا أن من قبلها أخرى : (**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون**) الجاثية/ ٢٤ .

ان عقولنا السليمة تبيح لنا أن نعتقد أن وراء الأشياء الها أوجدها وسيرها على ما هي عليه ، وشعورنا الأخلاقي يحتم علينا هذه العقيدة . وعجز الانسان عن استلهام عقيدته آية الفناء وافلاس الأحياء ، وشعور القلب أسمى من منطق العقل ، وان للقلب أسبابا خاصة به لا يمكن أن يفهمها العقل : (**ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) ق/ ٣٧ .

وان في الطبيعة جمالا ولكن على حساب كثير من ألوان التعذيب والموت . ولا شك أن في العالم قصدا أو تصميما ، ولكنه قد وضعه الكل لأجزائه . فما أحوج رجال العلم أن يفسروا أجزاء الكائن العضوي بأن لها معنى يقصدها الكل ، وبذلك ينقذون أنفسهم من هذه المغالاة في فكرتهم عن آلية الحياة ، لأن هذه الآلية وحدها يستحيل أن تفسر نمو برعمة واحدة من نبات . فحينما يوجد الجزء في الكل على وضعه المعين يكون مما اقتضاه تكوين الكل . ولن يكون الكل كلا الا بانضمام كل أجزائه اليه . فاذا وقف العقل عند جزء من أجزاء الكل غير مستسيغ له فعليه أن يتفطن أنه جزء من كل وليس مستقلا والعالم هو الكل وما يقع فيه من أجزاء تبدو شاذة اذا فصلناها عن الكل وتبدو ملائمة كل الملاءمة اذا لاحظنا أن بها يتم الكل .

فوجود مرضى بين الأصحاء تجميل لنعمة الصحة . ووجود أصحاء بين المرضى تأميل لهم بالشفاء . فمن الجمال والأمل يتكون عالم الأصحاء والمرضى .

فاذا أضفنا الى هذا المشهد أن عدم الغرور بالصحة مطلوب ، أصبح بناء الفضائل متكاملا بالمرض والصحة معا .

ولا يجوز أن يقام الدين على أساس من العقل النظري فقط ، بل يجب أن يبنى على العقيدة التي هي تكملة للمجهود العقلي ، ثم السلوك العملي . فليس الايمان بالتمني وانما الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

والاسلام يعيب على معتنقيه أن يقولوا قولا غير مصحوب بعمل ، كما يهدر أي قول أو عمل غير قائم على عقيدة : (**يا أيها الذين آمنوا لم**

تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) الصف/ ٢ و٣ .

وليس للعالم معنى إلا ما يراه الادراك ، وليس لهذا الادراك من معنى إلا مايبدو فيما تأتي به الارادة من عمل .

والذات لاتشعر بنفسها إلا إذا قيدت نفسها بقيود وحدود . وما التكاليف الشرعية إلا قيود تتقيد بها النفس لتعرف بها نفسها ومالها وما عليها . وهي بين حرام لاتقترب حدوده ، وحلال لاتتجاوزه ولا تتعداه : (**تلك حدود الله فلا تقربوها)** البقرة / ١٨٧ . (**تلك حدود الله فلا تعتدوها)** البقرة / ٢٢٩ ،وللذات في إدراك نفسها ثلاث خطوات : التقرير لتدرك به وجود نفسها ، ثم التبيين لتدرك به أنها ليست معدومة ، ثم التأليف لتدرك به وجودها وعدمها : (**هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)** الانسان / ١ (**كل شيء هالك إلا وجهه)** القصص / ٨٨ (**إنك ميت وإنهم ميتون)** الزمر / ٣٠

وإن الذات لاتشعر بوجودها إلا بمقدار ما هي قوة مجاهدة تغالب قيود العالم .

ولا يميز الانسان عن غيره إلا أنه كائن مسئول . فإن طالب بوضع التكاليف عنه أهدر نفسه وتخلى عن رسالته وأخلد إلى العجماوات : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب)** الاعراف / ١٧٥ و ١٧٦

والطبيعة التي هي مجال النظر عقل منظور ، والعقل الذي ينظر فيها طبيعة خفية . والعقل لا يحقق نفسه في أسمى صورة إلا في الخلق والابداع وإفادة نفسه وغيره من بني جنسه . وفي الحديث : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) رواه مسلم وفي حديث آخر : (إذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها حتى ينتفع بها غيره) رواه أحمد

وليست وظيفة العقل إنكار ما يستوعبه الرجل العادي في رأسه ، بل واجبه أن يعمل على توسيع أفقه وتصحيح مالديه من أفكار . وكم كان الاسلام يعمل دائبا على إزالة الأمية وتوسيع الثقافة المثمرة . ويوجب على الآباء أن يعلموا أولادهم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانهم . . .

والفكر وحدة عضوية الاجزاء متصلة بعضها ببعض . وما فكرة تداعي المعاني وترابط الأفكار بغريبة عن الاسلام . فعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى صديقة خديجة بعد وفاتها ، يذكرها .

وما تاريخ العالم الاعملية عقلية . وروح العالم هي القوة الرائدة لتقدمه ، والأدوات التي تتخذها تلك الروح للوصول إلى أغراضها هم زعماء الاصلاح في أي زمان أومكان .

الاعجاز التشريعي

لقد أيد الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن معجزة دالة على صدق رسالته ونجد في هذا الكتاب الكريم وجوها كثيرة للاعجاز كلها تدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يأتي به بشر ـ أيا كان ـ فضلا عن أمي لا يقرأ ولا يكتب .

ومن وجوه الاعجاز في هذا الكتاب الكريم : اعجازه التشريعي المتمثل في تشريعاته وأنظمته التي قررها والصالحة لكل زمان ومكان . وسأتحدث هنا بايجاز شديد عن بعض السبق للاسلام في بعض التشريعات :

أ ـ المجال الاقتصادي : وفي هذا المجال نجد تشريعا معجزا وسبقا مذهلا في كل ما قرره الاسلام ، وسأقصر الحديث على ثلاث نقاط فقط :

١ ـ الملكية الخاصة : فالملكية الخاصة في الاسلام ناتجة عن ايجاب العمل على الأفراد حيث يمتلك الشخص نتيجة عمله قال تعالى : **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة ١٠ . والملكية في الاسلام حق فردي مقيد ، مقيد بأسباب التملك فلا يجوز التملك عن طريق الربا أو الغش أو الاحتكار ... ومقيد بوجوه التصرف كتحريم الكنز والاستثمار بالمحرمات ..

وللملكية وظائف شخصية كتحقيق مستوى معيشة لائق للمالك ووظائف أسرية : كالانفاق على الأقارب في حالة الضرورة قال تعالى : **(وعلى الوارث مثل ذلك)** البقرة/٢٣٣ .

ووظائف اجتماعية كأداء الزكاة والانفاق في سبيل الله .

واذا نظرنا الى النظامين المعاصرين نجد في الرأسمالية ان الملكية حق فردي مطلق ونتيجة لذلك وجدنا في ظل هذا النظام الثراء الفاحش والفقر المدقع وما ينتج عنهما من آثار سيئة .

للقرآن

للاستاذ
علي خليل شقرة

وفي الشيوعية نجد مبدأ إلغاء الملكية الفردية وقد طبق هذا في تلك المجتمعات مما أدى الى قلة الانتاج ونقصان جودته وارتفاع أسعاره مما اضطر بعض الدول الشيوعية كالاتحاد السوفيتي الى السماح بقدر من الملكية الخاصة .

٢ ـ **الميراث** : ونجد أن الميراث في الاسلام مقرر وفقا لنظام دقيق معجز ، بينما نجد أن هذا الحق في الرأسمالية متروك للحرية المطلقة ، لا تضبطه قواعد فللشخص أن يورث أمواله لابنه الأكبر فقط أو لأي شخص حسبما يشاء أو حتى لطلبة !

بينما نجد في النظام الشيوعي منع الميراث بسبب منع الملكية الخاصة ولكن الاتحاد السوفيتي تراجع بعد أن سمح بقدر من الملكية الخاصة فسمح بحق الشخص في توريث ملكيته .

٣ ـ **تحريم الربا** : وقد حرم الاسلام الربا بأي شكل من الأشكال لما له من دور كبير في خلق التفاوت الفاحش بين الناس واستغلال حاجتهم .

ونجد أن الربا ممنوع في الشيوعية ، ولكن شتان بين النظامين : فان التزام المسلمين بالامتناع عن الربا ناتج عن إيمانهم بالله ومراقبتهم له .

ولكن في الشيوعية التي تطلب من الانسان الكفر بالله والأديان وألا يؤمن الا بالماديات ، فكيف يمتنع الانسان في ظل هذا النظام عن الربا ؟ !

ولا نجد في الرأسمالية ما يمنع من التعامل بالربا بل يعتبر الربا في هذا النظام « سعر فائدة » حقا لصاحب المال .

وهكذا نجد السبق المعجز للاسلام في كل ما قرره ، ونجد فشل الأنظمة التي تعارضت تشريعاتها مع ما قرره الاسلام بسبب اصطدامها بالفطرة الانسانية مما جعلها تتراجع وتلتقي

مع الاسلام في بعض النواحي .

٤ ـ **الناحية السياسية** : فيما يتعلق بنظام الحكم : وسأتحدث هنا عن دعامتين من دعائم نظام الحكم :

ـ الشورى : وهي مقررة بنص القرآن الكريم ، ومارسها المسلمون الأوائل في حياتهم العملية قال تعالى : (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى/٣٨ .

وطبقا لهذه القاعدة يشترك المسلمون في اختيار خليفتهم ويأخذ الخليفة رأي المسلمين قبل الاقدام على أي عمل .

بينما نجد هذا مقررا في الاسلام ، نجد في الدول التي تدعي الديمقراطية ـ كالولايات المتحدة ـ كثيرا ما يصل الرئيس للحكم بالرشاوي والتهديد ويعزل بمثل هذه الأساليب .

وفي الدول الشيوعية التي تؤمن بالدكتاتورية كنظام للحكم وتسميها ـ دكتاتورية البروليتريا ـ نجد هذه الفلسفة تقضي بسيطرة الحزب على الحكم وتنتهي السيطرة الى شخص واحد يتولى تنفيذ ما يريد ويعمل على تصفية معارضيه ، كما حدث عندما صفى ستالين رفاق دربه مثل تروتسكي وكامينيف .

● ـ **العدالة** : وهي من أهم دعائم نظام الحكم في الاسلام وتعني هذه : القضاء بين الناس بالحق واعطاء كل ذي حق حقه أيا كان قال تعالى : (**واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) النساء/٥٨ .

والعدل يكون بين جميع رعايا الدولة الاسلامية مسلمين وغير مسلمين قال تعالى : (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) المائدة/٨ .

نجد هذا مقررا في الشريعة الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا ، بينما نجد في هذا القرن العشرين تميزا ضد بعض المواطنين بسبب لون بشرتهم كما يحدث في الدول التي تدعي الديمقراطية والحرية ـ كالولايات المتحدة ـ .

أو نجد ظلما لبعض الناس بسبب معارضتهم لنظام الحكم القائم كما يحدث في الاتحاد السوفيتي .

وفي مجال الحرب نجد سبقا للاسلام بتقرير عدم التعرض للمواطنين المسالمين قال تعالى : (**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله**) النحل/١٢٦ ، ١٢٧ .

وفي معاملة الاسرى نجد تقريرا لمعاملة الأسرى بالحسنى والرفق بهم قال تعالى : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**) الانسان/٨ ـ ٩ .

ونجد للاسلام سبقا عجيبا في معالجة مشاكل تعتبر من أهم مشاكل العصر :

* قضية التمييز العنصري : وتشغل هذه القضية جزءا كبيرا من المناقشات في المؤتمرات الدولية واجتماعات الأمم المتحدة .

ونجد في القرآن الكريم علاجا

ناجعا لمثل هذه المشكلة فقد قرر القرآن قبل أربعة عشر قرنا ان الناس من أصل واحد قال تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) النساء/١ .

* وقرر القرآن الكريم أن الناس متساوون لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، قال تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » الحجرات/١٣ .

* وقد نهى القرآن حتى عن مجرد اللمز أو السخرية من الآخرين قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**) الحجرات/١١ .

ولم يقم الاسلام أي وزن لاختلاف لغات الناس أو ألوانهم بل اعتبر ذلك آية من آيات الله الدالة عليه قال تعالى : (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين**) الروم/٢٢ .

وقد طبق الاسلام هذا في الواقع العملي للمجتمع المسلم الأول فنجد في هذا المجتمع الفارسي والحبشي والعربي والبربري الكل سواء ، ولا تفاضل الا على أساس التقوى .

وبينما نجد هذا مقررا في الاسلام منذ ١٤٠٠ سنة نجد اليوم في أكثر الدول ديمقراطية وحرية كما تدعي ـ كما في الولايات المتحدة ـ نجد التمييز العنصري ضد السود ـ بسبب البشرة فقط ـ وضد البروتوريكو .

ومنذ عدة أسابيع قامت قبائل الهنود الحمر في أمريكا بمظاهرة للمطالبة بمعاملتهم كمواطنين من الدرجة الأولى .

وفي الدول الشيوعية كالاتحاد السوفيتي نجد الاضطهاد للمطالبين بحقوق الانسان والنفي الى معسكرات العمل .

● ـ **قضية المرأة** : لقد رفع الاسلام منزلة المرأة وقرر المساواة بينها وبين الرجل في النسب البشري وفي الحقوق والواجبات الدينية ومنح الاسلام للمرأة المسلمة حقوقا لم تحصل عليها المرأة حتى الآن في المجتمع الغربي .

فقد قرر الاسلام أهلية المرأة المالية وفصل أموالها عن أموال زوجها وجعل مالها ملكا لها فقط قال تعالى : (**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**) النساء/٣٢ . وقال تعالى : (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) النساء/٤ .

ونتيجة لذلك نجد استقلال المرأة واحتفاظها بشخصيتها واسم عائلتها .

وبينما نجد هذا مقررا في الاسلام منذ قرون ، نجد اليوم بعض الدول الغربية ـ كبريطانيا ـ التي قام فيها مؤخرا اتحاد نسائي رفع شعار « لماذا رفضت الزواج » وجمع الاتحاد عيوب الزواج في ميثاق ويرفض الميثاق « ان تفقد المرأة اسمها بسبب الزواج ،

وأن يشار اليها باسم مدام فلان ، وأن تضيع عليها حقوق مالية ناتجة عن الزواج ... » . وقد قرر الاسلام حقوقا كثيرة للمرأة لا تزال حلما بالنسبة للمرأة الغربية تحتاج للوصول اليها الى نضال وقيام اتحادات وجمعيات ... الخ .

وبعد ، فهل يستطيع أمي أن يأتي بمثل هذا القرآن ؟

بل هل يستطيع بشر أيا كان أن يأتي بمثل هذا الكتاب الكريم ؟ ان الانسان مهما بلغ من الذكاء والعبقرية لا بد أن يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ولا يستطيع أن يضع من التشريعات والنظم ما يصلح لتنظيم الحياة البشرية في غير بيئته وغير عصره .

لنأخذ مثلا في التاريخ - كارل ماركس - الذي وضع المذهب الماركسي وادعى أن تشريعاته هي وهي فقط الصالحة والكفيلة بحل جميع مشكلات الانسانية ، هذا المفكر قد تأثر ببيئته وعصره ، فهو قد عاصر الثورة الصناعية ، ورأى انقسام المجتمع الى طبقتين - الرأسمالية والعمال - ورأى استغلال الرأسمالي للعامل في مصنعه فظن ماركس أن هذا الوضع سيستمر الى الأبد فقال بضرورة الثورة من العمال على أصحاب العمل للحصول على حقوقهم . بينما نجد اليوم في الدول الرأسمالية أن الشقة بين أصحاب العمل والعمال تضيق بسبب تدخل الدول لتحديد الأجور وساعات العمل ووضع نظام للاجازات والضمان الاجتماعي وحتى المشاركة في الأرباح ... أرأيتم كيف اختلف الوضع الآن عنه عند وضع النظرية الماركسية ؟

فكيف نطلب من العمال الآن الحقد على صاحب العمل ومن ثم الثورة ؟

وأهمية البروليتاريا التي دعا اليها ماركس ورأى ضرورة اتحاد عمال العالم لمواجهة الرأسماليين ما مصيرها ؟

لقد منيت بالفشل فقد انفصلت عدة أحزاب شيوعية عن موسكو وطالبت بانتهاج سياسات مستقلة بينما ازداد التقارب بين الدول الشيوعية والرأسمالية .

والملكية الفردية التي حسبها ماركس سبب الشرور والآثام فقد رأينا كيف تراجع الاتحاد السوفيتي عن هذا المبدأ وسمح بقدر من الملكية الخاصة .

أرأيتم قصر نظر البشر ؟ لقد منيت التشريعات الماركسية بالهزيمة بعد أقل من قرنين من وضعها لأن واضعها بشر تحكمه الآراء والأهواء وظروف العصر ...

فكيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يأتي بتشريعات صالحة لتنظم الحياة بعد عدة قرون ؟

لقد تغيرت الحياة الآن عما كانت عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لا زالت تشريعات القرآن الذي أتى به صالحة لتنظيم الحياة بل هي وحدها الكفيلة بتنظيم الحياة .

ان الفعل المجرد من الهوى وان الحكم الموضوعي النزيه لا يمكن الا أن يسلم بصدق نبوة محمد وصدق رسالته .

نحن قسمنا بينهم معيشتهم

للدكتور/ عبد المحسن صالح

المؤمن الحصيف هو من استفاد مما حوله .. علما كان ذلك او عقيدة أو بحثـا او تطبيقا .. او - بـأضعف الايمان - تأملا يبصره بحقائق الخلق والمخلوقات ، فالايمان يتطلب منا ان نكون على دراية ببعض ما يجري في زماننا من أحداث وانجازات وعلوم تنطلق الآن كسيل جارف ، ولو فعلنا ، فان ذلك يمنحنا حسنات في ديننا ودنيانا ، لأن الدين المرتكز على علم وهدى ، لهو خير وابقى ، ولقد حسم

هذا الأمر بآية كريمة توضحه أعمق توضيح : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ اما عن حسنات الدنيا ، او بمعنى اوضح نقول : الحسنات التي تعود على الانسان بالخير والقوة والعزة ، فان مردها الى العلوم التجريبية التي تبحث في أسرار الطبيعة ، ذلك ان تقدم الدولة او تخلفها يرجع اساسا الى أخذها بأسباب العلم ، او تخلفها عن ركابه ، لأن العلم نفسه قوة يُخشى بأسها ، ولو جمع الانسان بين القوتين : قوة العلم ؛ وقوة الايمان ، فلا شك ان ذلك هو المراد ، من رب العباد : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ـ على حد ما اشار الحديث الشريف رواه مسلم وابن ماجه .

والواقع ان الدافع الذي يدفعنا لتقديم دراسات علمية ، في مثل هذه المجلة الاسلامية ، يرجع الى كون ديننا يحضنا على البحث والتأمل في آيات الخلق ، وفي هذا وردت آيات قرآنية كثيرة ذكرناها قبل ذلك في دراسات سابقة ، لكن لا مانع من ذكرها هنا مرة اخرى ، تذكيرا وتثبيتا : (**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٥ .. نذكر من هذه الآيات البينات : (**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون**) الجاثية/ ٤ : (**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**) الملك/ ٣ : (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) لقمان/ ١١ : (**ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**) يونس/ ٥ : (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/ ٢ الى آخر هذه الآيات التي لا تتجلى معانيها العميقة ، واشاراتها الاصيلة ، الا اذا عرفنا بعض ما ينطوي عليه الخلق من اسس تشهد بجلال الذي خلقها فقدرها ، ثم سيرها وسخرها لصالح الانسان ، ولصالح الحياة .

ميكروب يأخذ منا ويعطينا

فلقد كشف العلماء عن ظواهر غريبة تحدث بين الكائنات ، وفيها تبرز صور من التآلف والتعاون التي تجعل الحياة فيها ميسرة ، لأنها تقوم على مبادىء الأخذ والعطاء ، او التبادل الذي تبارك أحداثه السماء ، وهو بطبيعته يستلزم وجود كائنين لا يمتان لبعضهما بأدنى صلة ، اذ قد يكون احدهما في قمة الخلق ، والآخر في القاع ، ومع هذا الفرق الشاسع جدا في درجات سلم الخلق بين الكائنين اللذين يتبعان نوعين مختلفين ، الا أن احدهما لا يستطيع ان يعيش بدون الآخر ، فالحياة بينهما مشتركة من المهد حتى اللحد ، ومن اجل هذا يحتفظ احدهما بصاحبه ويؤويه ، ولا يستطيع التفريط فيه ، لأن غياب هذا عن ذاك يؤدي الى المرض والموت ؛ وهكذا قسم الله بينهم الرزق والمعيشة .

ونحن معشر البشر لا نشذ عن هذه القاعدة ، لأننا نستضيف داخل امعائنا جيوشا من الميكروبات التي

تعيش اما مع بعضها، واما مع أمعائنا في توازن تام، ولو اختل هذا التوازن، لأدى الى خلل في الأمعاء خاصة، والجسم عامة، لكن ذلك موضوع آخر، فالذي يهمنا هنا ان وجود هذه الميكروبات في أمعائنا، وفي كثير من الحيوانات كذلك، لازم لحياتنا وحياتها كلزوم الماء والطعام والهواء، لأن هذه الكائنات الدقيقة - اي البكتريا - تقوم بتكوين بعض الفيتامينات، وعلى الأخص مجموعة فيتامين « ب » المركب، حيث لا تستطيع اجسامنا تكوينها او صناعتها، ولهذا نعتمد في التمويل على مصادر الطعام المختلفة، او على هذه البكتريا التي تمنحنا اياها في مقابل ان نمنحها القليل من مخلفات الطعام المهضوم، هذا بالاضافة الى درجة حرارة مناسبة، وحماية من التشرد الذي قد تتعرض له في البيئة الطبيعية، اذ ان بعض انواعها لا يستطيع ان يعيش خارج امعائنا الا لفترات محدودة.

انه - اذن - تعاون تجاري محمود.. اسواقه الأمعاء، وسلعه المتبادلة تتمثل في المواد الكيميائية النادرة والغالية « بعض الفيتامينات »، او قد تكون السلع رخيصة ومتوافرة، « بقايا الطعام الذي لا نحتاجه، ولا بد ان نتخلص منه كفضلات ».. اي ان البكتريا هي التي تأخذ الرخيص، وعليه تعيش، في حين اننا نحصل منها على النفيس، ليكون لنا سندا وعونا في وظائف انسجة أجسامنا!

الدليل على ذلك قد يكون معروفا لنا جميعا، فعندما نتناول المضادات الحيوية لفترات طويلة عن طريق الفم لنحارب بها ميكروبا ممرضا في امعائنا، فان المضاد الحيوي قد يبيد الضار والنافع، او الدخيل والضيف الملازم لنا طوال حياتنا، وعندئذ قد تنتاب عضلاتنا رعشة، او قد يحل بها تقلص او ضعف عام، وليس ذلك من فعل المضاد الحيوي المباشر في اجسامنا، بل يرجع ذلك غالبا الى موت البكتريا التي كانت تمدنا ببعض الفيتامينات المعروفة باسم مجموعة فيتامين « ب » المركب، ومن اجل هذا كان لا بد من تناول المقادير المناسبة من هذه الفيتامينات لنعوض بها ما توقف داخل امعائنا، وهذا ينبئنا باهمية الميكروبات التي نستضيفها داخل امعائنا من المهد الى اللحد، اذ ان اول جرعة نحصل عليها، تأتينا - اول ما تأتي - اثناء خروجنا من بطون امهاتنا، فتتلوث بها شفاهنا، ومنها الى افواهنا فأمعائنا، لتعيش معنا العمر كله، وهو تلوث محمود على اية حال.

تجارب هادفة

ويبدو أن كل الكائنات العليا قد تخيرت « ضيوفها » من الكائنات الدنيا، وسهلت لها في امعائها الحياة التي تهواها، ومن اجل هذا كان لكل نوع من الحيوانات ميكروباته التي تناسب نمط الحياة في امعائه، لكن الاختيار هنا له اصول، ويخضع

لمنفعة متبادلة بين الاثنين ، فاختيار « الرفيق قبل الطريق » - طريق السفر ، على حسب المثل الشائع ، اكثر وضوحا بين هذه الكائنات ، لأن الميكروب قد يكون رفيق سوء في رحلة الحياة ، فيؤدي الى قلب الموائد على رأس من آواه ، لكنه في رحلة التعاون في الحياة ، لا بد ان يكون رفيقا حسنا ومضبوطا ، ليعرف كيف يأخذ ويعطي بحساب ومقدار ، ولا بد ان تكون المنفعة بينهما متبادلة وقائمة ما قامت الحياة !

ان ترجمة هذا الكلام الى تطبيق حقيقي له مغزاه ومعناه ، لن يتأتى الا بتجارب هادفة توضح ما قدمنا فأوجزنا ، والتجارب التي اجريت كثيرة ومتنوعة ، والنتائج التي تمخضت عنها اكثر ، وهي - في مجموعها - توضح ان عالمنا الذي نعيش فيه محكوم بروابط وعلاقات قدرت تقديرا مذهلا ، وهي تشهد بقدرة الله : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الأعلى/ ٢ و ٣ ، ثم سخر الكائنات من اعلاها الى ادناها ، لتتعاون وتتآلف فيما بينها ، وكأنما هي خيوط منسوجة في نسيج لا خلل فيه ولا فروج .

فماذا لو امكن الحصول على حيوانات خالية تماما من الميكروبات ، سواء في جلودها ام انوفها ام افواهها او بالأخص في أمعائها ؟

من الصعب جدا الحصول على مثل هذه الحيوانات ، لكن العلماء - رغم ذلك - قد تمكنوا من الوصول الى هذا الهدف بعد محاولات مضنية وعويصة ، ولا يهمنا ذلك في هذا المجال ، ثم ان الحديث فيه قد يتشعب ويطول ، لكن الذي يهمنا ان دراسة العلاقة بين الحيوان والميكروب تستلزم ذلك ، ومن اجل هذا توجد انواع من الحيوانات الخالية من اية ميكروبات ، وهي تعيش في معامل العلماء تحت ظروف معقمة ، وتتناول غذاء معقما كذلك ، وبحيث لا يقربها اي ميكروب ارضي .

فالمعرفة الحقة بأسرار الحياة تستلزم ركوب الصعاب ، لأن الأسرار ذاتها جميلة وجذابة ، وهي لا تتفتح الا للعقول الواعية ، لا اللاهية ، فغياب بعض العناصر الغذائية عن المخلوق - خاصة الفيتامينات ، نتيجة لغيابها من طعامه ، قد تؤدي الى كارثة ، لكن الكارثة لا تحدث ، لأن كل شيء قد نظم لاصلاح هذا الخلل ، اذ تقوم بعض الميكروبات التي تعيش في امعاء الحيوان بامداده بما يحتاج اليه او يهواه ، فيسد النقص ، وتسري به الحياة .

لكن الأمر ليس كذلك مع الحيوانات الخالية خلوا تاما من الميكروبات ، اذ قد تضعف وتموت بعد ايام او اسابيع ، يتوقف ذلك على نوع الحيوان ، وهي لا تموت من جوع ، لأنها تأكل من اطايب الطعام الذي تهواه ما تشاء ، بل يرجع ضعفها وموتها الى غياب بعض انواع خاصة من الميكروبات ، التي كانت تمدها بمواد كيميائية اساسية لازمة لنموها وحيويتها ، سواء في انسجتها او في دمائها ، لكن ذلك لا يحدث مع أترابها

التي تعيش في الطبيعة ، وتتناول نفس غذائها ، لأن الميكروبات التي تعيش في امعائها تصنع لها ما هي في حاجة اليه ، وتمدها به ، لتسير الامور سيرها الطبيعي .

ليس ذلك فحسب ، بل ان غياب الميكروبات من امعاء الحيوانات قد يؤدي الى شذوذ في تكوين انسجتها واعضائها ، او ضمور في نموها ، او تخلف في امخاخها ... فالجهاز الليمفاوي المسؤول عن المناعة لا يجد ما يستفزه ويحفزه ، ولهذا لا ينمو بنفس الدرجة التي ينمو بها مع الحيوانات الوليدة التي تحيا بميكروباتها ، كما ان امعاءها تصبح رقيقة ، وينقص معدل بعض بروتينات الدم « وبالأخص بروتينات من مجموعة جاما جلوبيولين المسؤولة عن خط من خطوط الدفاع والمقاومة » ، كما ان امعاءها الغليظة تتمدد وتتضخم على غير العادة ، وقد يصل وزنها الى خمسة اضعاف وزن امعاء الحيوانات التي تعيش بميكروباتها ، فيؤدي ذلك الى الضغط على ما حولها ، مما قد يترتب عليه موت اكيد ، لكن الأمور قد تعود الى مجراها الطبيعي ، لو ان الحيوان المحروم من الميكروبات قد حصل عليها .

والموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، لأنه يوضح بجلاء معنى العلاقات الوطيدة بين حيوان وميكروب ، وبدونها لا تستقيم الحياة ، لأن الحياة ذاتها ، وفي اية صورة من صورها ، تقوم على مبدأ التعاون فيما نطلق عليه نحن « خذ وهات » .. او المعروف والفضل المتبادل ، فالحيوان يعطي الميكروب بيئة مثالية للتكاثر والحماية ، وكانما الميكروب يرد له الجميل بمركبات تحل محل ما غاب عنه في طعامه ، وخدمة بخدمة .. عملا وتطبيقا ، لا شعارات وكلاما .

فيتامينات للفقراء بالمجان

ولا شك ان مبدأ التعاون الذي ارسيت قواعده بين المخلوقات بهذا النظام ، له حكمة بالغة ، وقد وجد اساسا لتخطي ازمات طارئة ، ذلك ان الفيتامينات من المواد الكيميائية الاساسية التي تقوم عليها اعمدة الحياة ، وغياب واحد منها او اكثر ، يؤدي الى مرض ، وطبيعي ان المورد الاساسي لهذه الفيتامينات يكمن في الطعام ، لكن ليست كل انواع الطعام مزودة بكل الفيتامينات ، ولهذا ينوع الناس في احتياجاتهم الغذائية ، حتى تسير الأمور في اجسامهم متوازنة .

لكن فقراء العالم اكثر بكثير من الاغنياء ، وقد لا يحصلون من انواع الطعام على ما يحصل عليه المقتدرون ، ومع ذلك فرب فقير اقوى صحة وحيوية من غني يعجبك طعامه وملبسه وسكنه ، اذ غالبا ما يقتصد الفقير في طعامه ، ويسرف الغني فيه ، والله لا يحب المسرفين ، حتى ولو كان الاسراف في طعام وشراب ، لكن ماذا يفعل الفقير الذي لا يستطيع ان يدفع ثمن طعام غني بالفيتامينات كما يفعل الاغنياء ؟

لا تحمل له هما .. فما ينقص في طعامه ، قد تكفلت به ميكروبات تعيش في امعائه ، فتعطيه نصيبه بالمجان ، خاصة في مجموعة فيتامينات « ب » المركبة ، فاذا اضطر الانسان للحياة على غذاء فقير في هذه المركبات الحيوية ، ولمدة طويلة ، فلن تحدث الكارثة ، اذ انه يمتلك داخل امعائه « شركات » ادوية من نوع فريد ، فكيميائيوها قد وجدوا على هيئة كائنات دقيقة تشتغل في الوقت المناسب ، لتمد من آواها بالفيتامين المناسب ، والجرعة المناسبة .

لكن هذه الحقيقة تتضح لنا اكثر في كائنات أضأل من الانسان ، فالحشرة مثلا لا تذهب الى الطبيب لتشكو له من اضطراب حل بها نتيجة لنقص فيتامين ، ومع ذلك فلم تترك هكذا لقدرها ، بل يسر الخالق لها امورها ، وامدها من خلال نظام فذ بما تهوي ، وبهذا تستقيم امورها ، وتحيا كما نحيا ، رغم انها لا تنوع في طعامها كما نفعل نحن في حياتنا ، اي انها فقيرة في الطعام عامة ، وفي الفيتامينات خاصة ، لكن الفقر في هذا المجال ، قد تحول الى غنى ، والفضل يرجع الى تقديرات مذهلة من صنع حكيم خبير .

ان بعض الحيوانات الأولية البسيطة ليست لها - بطبيعة الحال - امعاء كامعاء الانسان او الحيوان ، لأنها مجرد خلية واحدة ، ومع ذلك فهي تعيش بكيان مستقل وضئيل للغاية ، وهي كأي حيوان آخر تحتاج لبعض الفيتامينات ، لكنها لا تستطيع ان تصنعها لنفسها ، او تحصل عليها من طعامها البسيط ، ولهذا عقدت مع بعض انواع خاصة من البكتريا مواثيق غير مكتوبة ، ولها بنود وشروط نافذة المفعول ، فعلى الحيوان الأولي ان يحتضن بعض هذه الميكروبات داخل جسمه الدقيق ، او خليته الوحيدة ، ويزودها بما تشاء من حماية وغذاء ، وهي تزوده مقابل ذلك بالفيتامينات اللازمة لحياته ، وخدمة بخدمة ، ومنفعة بمنفعة ، فتسري الحياة بين هذه المخلوقات الدقيقة دون فلسفة او لف او دوران .

توازن له اصوله ومغزاه

العلماء الذين اكتشفوا هذه الظاهرة ، تحيروا فيها اعظم حيرة ، ولقد ظنوا بادىء الامر ان الحيوان الأولي مصاب بالميكروب ، ومع ذلك لا يمرض ولا يموت ، بل رأوه في غاية الصحة والعافية ، والحيرة الثانية ان عدد افراد البكتريا في داخل جسمه لا تنقص ولا تزيد الا في حدود ضيقة ومرسومة ، اذ من المعروف ان البكتريا اذا غزت خلية او نسيجا ، فانها تتكاثر فيه بسرعة رهيبة ، وتدمره تدميرا ، او قد تباد البكتريا ذاتها بخطوط دفاعية يمتلكها الحيوان ، ونحن نعرف ذلك ايضا في اجسامنا تمام المعرفة ، صحيح اننا نحتضن هذه الميكروبات في افواهنا وانوفنا وحناجرنا وامعائنا ، لكنها ممنوعة من الدخول بفضل خط دفاعي يقف لها بالمرصاد ، فاذا حدث لأي سبب ، واخترقته ، لتنفذ الى خلايانا

او دمائنا ، فانها تتكاثر فيها وتهلكها ، ما لم يتصد لها خط دفاعي آخر ليبيدها قبل ان تبيده ، ونتيجة المعركة تتحدد بأيهما القوي ، وأيهما الضعيف .

ان هذا يوضح لنا سبب حيرة العلماء في وجود ميكروبات داخل خلية الحيوان الاولي البسيط ؛ دون ان تتكاثر وتبيده ، ومن اجل هذا دفعهم فضولهم للمعرفة لعزل خلايا هذا الحيوان بميكروباته في الدوارق ، ثم امدادها بمضاد حيوي مناسب يبيد البكتريا ، ويحافظ على الحيوان الأولي ، وعندئذ ظهرت عليه اعراض الضعف والهزال ، فسارعوا بامداده بالميكروب الذي يهواه ، فاحتضنه في داخل خلاياه ، وبعدها عادت اليه حيويته ونشاطه ، وسار كل شيء داخل مادته الحية بحساب ومقدار ، وكما قدر الخالق من قديم الأزل .

وعند هذه الحدود ، عرف العلماء انهم يقفون امام ظاهرة من ظواهر التوازن ، ومبدأ من مبادىء التعاون ، فلا الميكروب يتكاثر بدون حساب ، حتى لا يؤذي من احتضنه وآواه ، ولا كذلك يأكل الحيوان البكتريا ، وهو على ذلك بقادر ، لأن الكثير من انواع الحيوانات الأولية تعيش على التهام البكتريا ، وتتخذها كطعام مستساغ ، الا هذه الانواع التي تعيش معها في تعاون دائم ، لأن البكتيريا تصنع لها ما تشاء من فيتامينات ، وتقدمها لها جزاء وفاقا ، وبهذا لا تجازيها جزاء سنمار ، لكن ما اكثر ما يتخلى الانسان عن مواثيقه ، ولا يفعل ذلك مخلوق على مستوى حيوان اولي دقيق .

لكن .. كيف حدث هذا التوازن المثير ، ورسمت له حدوده المقدرة ، وبحيث لا يطغى صاحب على صاحبه ، خاصة وأن ظواهر الطغيان على مستوى الانسان والحيوان والميكروب كثيرة ومتكررة في الزمان والمكان ؟

الواقع ان احدا لم يستطع تقديم تعليل معقول لذلك ، لكن ظواهر الأمور تشير الى ذلك ، اما بواطنها فتنطوي على اسرار ود العلماء لو يحصلون عليها ، لكن ما بالتمنيات نحصل على ما نريد ، بل يستلزم ذلك عقولا ذكية ، وبحوثا عميقة ، وطموحا صادقا للكشف عن هذه النظم التي توجد فينا ، او تمتد حولنا بغير حدود ، ويوم نكتشف المزيد من هذه الأسرار ، فان ذلك يبصرنا بحقيقة الخلق ، وتجليات الخالق الذي جعل كل شيء يسير بمقدار ؛ ويتفاعل بمعيار ، ويسري بحسابات لا خلل فيها ولا فوضى ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا العلماء الذين وهبوا انفسهم للبحث والتنقيب في كل خلق خلقه الخالق فقدره تقديرا مذهلا .

واخيرا ، فانه لا يسعنا الا ان نقدم هنا ما عبرت عنه الآية الكريمة من اجمال مقتضب لما قدمنا فأوجزنا : **(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)** الحجر/ ١٩ : **(وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** يونس/ ٩٢ .

دولة الحيوان

الكون سفر الله المنظور ، والقرآن الكريم سفر الله المقروء ، وكلا السفرين أمام أعين الناظرين ، من أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها .

وسفر الله المقروء يوجه إلى سفره المنظور ، أرضه وسمائه ، أفلاكه وكواكبه وأبراجه ، شمسه وقمره ، بره وبحره ، جباله ووهاده ، أنهاره ووديانه ، نباته وحيوانه وجماده ... يوجه إلى ذلك وغيره ، للنظر والتدبر والعبر ، ومعرفة المنافع والمضار ، والحكم والأسرار .

وللحيوان في القرآن الكريم دولة ، ولم لا ؟، أليست الحيوانات أمما أمثالنا ؟ ألم يقل المولى جل وعلا في سورة الأنعام في الآية/٣٨ : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**) .

أو ليست الحيوانات تسبح بحمد ربها كما قال المولى : (**والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه**) ٤١/النور وكما قال : (**ياجبال أوبى معه والطير**) ١٠/سبأ .

ألم ينتقد الهدهد كفر أهل

في القرآن

للاستاذ/محمد عبدالفتاح محمود علم الدين

سبأ ، وعدم سجودهم معه ، وسجودهم لما خلق الله ؟ فيقول لسليمان : (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموٰت والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**) ٢٤ ـ ٢٦ / النمل .

ألم تأمر زعيمة النمل قومها بالدخول في المساكن حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون .

ولقد شرفت الحيوانات باطلاق أسماء بعضها على سور من القرآن الكريم ، طواله وأوساطه وقصاره ، مثل : البقرة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، العاديات ، الفيل .

ولقد ذخر القرآن الكريم بذكر أنواع الحيوان : البري ، والجوي ، والمائي ، والبرمائي ،

الأليف والمتوحش ، والزواحف والحشرات .

ومن الأليف الدواب والأنعام والكلب ، ومن المتوحش الأسد والذئب ، ومن الحشرات ، النمل والنحل والجراد والعناكب والقمل ، ومن الطير الهدهد والغراب ، ومن المائي الحوت ، ومن البرمائي الضفادع ..

هذه الأنواع وغيرها جاءت في القرآن الكريم للنظر في خلقها ، سواء منها ما عظم في الخلقة كالابل والفيل ، أو دق وتناهى في الصغر كالجراثيم التي لا ترى إلا بالمجهر ، ولفوائدها الجمة للانسان ، فمنها ركوبه ، ومنها أكله اللحم وشربه اللبن ، ومنها يكسى من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويتخذ البيوت الخفيفة من جلودها .

ويتطبب بعسلها الذي فيه شفاء للناس .

وهي تفتح له باب الأمثال وضربها ، المعتمدة على التشبيه بما في هذه الحيوانات من قوة وضعف ، وذكاء وغباوة ، وعزة وخساسة ، وجمال وقبح ، وأنس ونفور ، ولئن كان الانسان قد روض الحيوان ، وذلك لمنافعه بارادة الله ، فلقد كان الحيوان معلما للانسان الأول ، ومعرفا إياه ما يجهل ، كالغراب الذي أرسله الله ليعلم ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه ، وقال عنه في القرآن الكريم : (**فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين**) ٣١/المائدة .

ولقد علم الحيوان الانسان البكور والسعي الى الرزق ، وعلمه الصبر والدأب على العمل وبناء المنازل وهندستها ، وحياة الأسرة والدفاع عنها ، وادخار القوت ليوم المخمصة ، والنظافة وإخفاء الفضلات .

انظر إلى الطيور كيف تسرع في البكور والبحث عن الرزق ، تغدو خماصا وتروح بطانا ، وانظر إلى أعشاشها التي بنتها في بقعة محصنة من الشجرة ، تثبت للريح والمطر على ضعفها وضعف موادها ، وفيها تحيا حياة الأسرة المتعاونة في تربية الصغار وإطعامها وحراستها وتعليمها الطيران .

وانظر إلى النمل والنحل ، كيف يدأبان على العمل ، وكيف يهندس النحل خلاياه ويدخر فيها العسل ؟ وكيف يدخر قوت الصيف للشتاء ؟ وانظر إلى الهرة كيف تنظف نفسها وصغارها بلسانها ويدها ، وكيف تخفي فضلاتها بالحفر والردم ؟ وغير ذلك ثم احكم بأن الحيوان علم الانسان .

ونبدأ الآن في ذكر ما ورد في القرآن الكريم من الحيوان والأغراض التي من أجلها ورد

ذكرها .

الدواب

الخيل : جاءت في القرآن الكريم في عدة مواطن : منها أنها من دواب الركوب وهي : الخيل ، والبغال والحمير ، وذلك في سورة النحل التي امتلأت بنعم الله تعالى على الانسان ، ابتداء برسالات الله إلى الانسان عن طريق الانبياء ومرورا بصنوف من الدواب والأنعام والنحل والطير مما سيرد في حينه إن شاء الله ، يقول الله تعالى : (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**) ٨/ النحل .

وجاءت في سورة الأنفال لحكمة أخرى وهي القوة الحربية وذلك في قوله تعالى في الآية/ ٦٠ : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**) وهؤلاء الآخرون هم المسمون الآن ، بالطابور الخامس وفي هذا الغرض وردت في سورة العاديات : (**والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا**) ففي هذه الآيات الكريمة يصف الله تعالى الخيل مقبلة على الاغارة ، تسابق الريح ، وتضرب الأرض بحوافرها فتقدح شررها إن صادفت أرضا وعرة ، وتثير غبارها إن صادفت أرضا متربة حتى تتوسط أرض الأعداء ، ويتم بها الانتصار .

وذكرت الخيل في سورة « ص» لبيان منزلتها عند نبي الله سليمان ، وكان بالخيل معنيا وبخاصة الجياد منها ، يحبها لأن الله تعالى جعل فيها خيرا كثيرا فقال جل شأنه : (**إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق**) ٣١ ـ ٣٣

والصافنات هي الجياد العربية يقوم كل واحد على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر ، وهي الخير في الآية الكريمة مصداق قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الاجر والمغنم » رواه أحمد . ومسح سليمان لسوقها وأعناقها اعتزاز بها لا كما يقول الخراصون ضربا بالسيف لأنها ألهته عن صلاة العصر ..!!

البغال : لم ترد إلا في سورة النحل مقرونة بدواب الركوب في الآية التي مرت وهي : (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**) .

الحمير : ذكرت كثيرا في القرآن الكريم مفردة وجمعا ، كما جاءت في الآية السابقة للركوب والزينة جمعا .

وجاءت في سورة المدثر في الآية ٤٩ ـ ٥١ بلفظ الحمر في قول الله

تعالى : (**فما لهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة**) وقد شبه الله تعالى من يدعوه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام الى الاسلام ثم ينفر من الدعوة ويعرض عنها مدبرا ، شبهه بالحمر الوحشية التي رأت أسدا فنفرت منه وولت الادبار فرارا ، وفي تشبيه المعرضين عن الدعوة للاسلام بالحمر إشارة إلى أن النفور سببه الجهل وهو تشبيه ذم وتهجين .

وجاء لفظ الحمار مفردا في الآية ٢٥٩ من البقرة في قول الله تعالى : (**وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس**) وذلك أن الذي مر بقرية بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر أو غيرها ورآها خاوية على عروشها استبعد إحياء أهلها فأراه الله من ذات نفسه ومن حماره ومشاهدته لعظامه كيف يحييها الله ويجمع ما تفرق منها ويكسوها لحما ثم يبعثها حمارا سويا ليعلم أن الله على البعث وعلى كل شيء قدير .

وجاء لفظ الحمار كذلك مفردا في سورة الجمعة في الآية الخامسة : (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**) فقد شبه الله تعالى اليهود الذين حملهم أمانة التوراة ليعملوا بها ويعلموها الناس ، فلم يستجيبوا لذلك حملا أو إبلاغا بالحمار الذي حمله صاحبه كتبا على ظهره وهو لا يدري ما بها ، وحظه منها الحمل فقط مع انها أسفار أي كتب علمية كبيرة ، وهذا مثل للجهل وبلادة الذهن وعدم الانتفاع بالمحمول ، وهذا التشبيه ينبه المسلمين أنهم إذا لم يعملوا بالقرآن الكريم ولم يبلغوه للناس فإن هذا التشبيه ينطبق عليهم .

الأنعام

وهي الابل والبقر والغنم جاءت جملة في بعض الآيات ومفصلة في البعض الآخر .

جاءت بلفظ الأنعام في قول الله تعالى (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم**) ٥ ـ ٧/ النحل .

ولقد سردت هذه الآيات الكريمة مزايا الأنعام في ضمن ما أنعم الله به على الانسان من نعم لا يحصيها إذا حاول عدها ، وما أجمل أن يرى الانسان الأنعام في المراعي تأكل وتخور وتهدر ، أو يراها تسير إلى مراحها أو حظائرها ، وما أعظم منة الله على عباده عندما تحملهم الابل وتحمل أثقالهم عبر الصحاري والقفار والكثبان ، والوديان صابرة على الجوع والظمأ ، تطأ الأرض بأخفافها فلا تغوص في الرمال ، وتشرف برأسها المرتفع على رقابها

الطويلة فترى من بعد ، ثم تأكل الشوك فلا يؤذيها لأن شفتها مشقوقة ، وما اطيب للانسان من أن يأكل لحومها ويشرب من ألبانها ، ثم يجد في جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ما ينسجه ملابس وأغطية وأخبية تقيه الحر والقر ولولا الدفء لآذاه البرد بأمراض الصدر والحميات ، فشكرا لله الرءوف الرحيم .

وذكرت الأنعام في الآية ١٢ من سورة محمد في معرض التعريض بالجاهلين الغافلين الساهين عما خلقوا من أجله وعن مآلهم في أخراهم : (**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**) فهؤلاء الكفار همهم في ملذاتهم ، وعقلهم في بطونهم ومتعهم ، والنار عاقبتهم ومآلهم .

وذكرت في معرض الذين أنعم الله عليهم بأشرف الحواس من السمع والبصر والفؤاد مما يمكنهم من الاتصال بملكوت الله وقرآنه ، ودعوات أنبيائه للهدى والرشاد ودين الحق ، ولكنهم أغمضوا عيونهم وأصموا آذانهم فلم تغن عنهم حواسهم شيئا وكانوا بذلك أضل من الأنعام ، يقول الله تعالى فيهم (**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ٤٤/الفرقان .

وذكرت في معرض الكفار في الجاهلية يحرمون ويحللون في الأنعام كما شاء لهم الهوى والضلال : (**وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**) ١٣٨ و١٣٩/الأنعام .

وجاءت الأنعام متفرقة إلى أنواعها الابل والبقر والغنم في مواضع منها :

قول الله تعالى (**ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين**) إلى أن قال (**ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين**) ١٤٤/الأنعام .

والمقصود بالاثنين الذكر والانثى والآية في معرض تكذيب الذين حرموا وحللوا باهوائهم فالله تعالى هو الذي يحل ويحرم ، وهو لم يحرم ما حرموه وكفى بذلك جرما عظيما .

كما جاءت آية تحرم على اليهود بعض ما كان حلالا لهم عقابا لهم على بغيهم هي قوله تعالى : (**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما او الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون**) ١٤٦/الأنعام .

وقد جاءت الابل وحدها في آية الحج ٣٦ في قوله تعالى : (**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون**) .

والبدن جمع بدنة وهي الناقة والله أمر ان تساق هذه الشعائر لتذبح باسم الله في مكة ومنى ، ثم يطعم منها الذي يحبسه الحياء عن السؤال والذي يعترض بالسؤال وذلك مضادة لما كان يفعله المشركون من الذبح للاصنام ، على النصب كما جاءت كلمة الابل في معرض حث الناس على النظر إليها والتدبر في خلقها وما امتازت به من نعم على سكان الصحاري وغيرهم . وذلك قوله تعالى : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**) ١٧ / الغاشية .

وجاءت كلمة البقرة مفردة في سورة البقرة التي سميت باسمها في الآية ٦٧ (**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**) وذلك لما قتل قتيل في بني اسرائيل وادارأت اليهود في قتله كل ينفي عن نفسه القتل ، فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة ثم يضربوا القتيل ببعضها ويكون ذلك سببا في إحياء الله للمقتول فيخبر باسم قاتله ويقتص منه .

الغنم : جاءت في الآية ٧٨ و ٧٩ من سورة الانبياء في قول الله تعالى : (**وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان**) وذلك ان داود عليه السلام حكم بالغنم لاصحاب الحرث مقابل ما اتلفوه ، ولكن سليمان عليه السلام قضى بدفع الغنم لاصحاب الحرث ينتفعون بألبانها ريثما يصلح اصحاب الغنم ما أتلفوه من الحرث ثم يترادان بعد الاصلاح .

وجاء ذكر النعجة واحدة النعاج وهي الغنم في الآية ٢٣ و٢٤ من سورة ص : (**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه**) والله أعلم أهم يقصدون النعاج حقيقة أم يكنون بها عن النساء ، أن افتعلوا هذه القصة ليبرروا بها تسورهم للمحراب وكانوا يريدون به سوءا .

الأوابد وحيوان الغاب

الأسد : جاء ذكره في آية المدثر ٥٠ و ٥١ (**كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة**) يقول الزمخشري في الكشاف ان قسورة قيل إنه الأسد ، يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة ، وقد سبق ذكر ان الحمر الوحشية أشد ما تكون نفورا إن رأت أسدا فانها تلوذ بالفرار ، وأنه

قد شبه بهم المعرضون عن الدعوة للاسلام .

السبع : هو كل حيوان متوحش آكل للحوم سواء في ذلك الأسد أو النمر أو الضبع أو الذئب وإن كان يطلق على الأسد كثيرا ، وجاء ذكره في قوله تعالى : (**وما أكل السبع إلا ما ذكيتم**) ٣/المائدة ، وذلك في صدد المحرمات من المطعومات ومن بينها الحيوان الذي افترسه سبع لطعامه فهو حرام أكله ، إلا إذا أدركه الانسان وفيه حياة وذكاه بالذبح ، أما حيوانات الصيد المعلمة من الكلاب والفهود والصقور فما صادته لصاحبها فحلال له ، وحق عليه أن يذكر اسم الله وقت إطلاق الجارح ، وما صاده لنفسه فحرام .

الذئب : هو الذئب المظلوم الذي نسب إليه إخوة يوسف أنه أكله وهو من دمه بريء فانه لم يكد سيدنا يعقوب يقول لأبنائه : (**وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**) ١٣/يوسف حتى عادوا إليه عشاء يبكون ويقولون : (**إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**) ١٧/يوسف .

القردة : وردت في القرآن الكريم في كفرة بني اسرائيل : (**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**) ٦٥/البقرة .

وذلك أن اليهود أمروا بأن يجردوا يوم السبت للعبادة ، وابتلاهم الله تعالى بجعل الحيتان تكثر يوم السبت أمام أعين اليهود فاذا انتهى السبت غابت الحيتان في البحر ، فلم يصبروا على هذا الابتلاء ورسبوا في الاختبار عندما قرروا أن يصطادوا في السبت فجعلهم الله قردة أو كالقردة مهانة وذلة .

القردة والخنازير : جاء ذكر القردة ثانية مع الخنازير في قوله تعالى : (**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل**) ٦٠/المائدة .

قيل المسخان كانا لمعتدي السبت من اليهود وقيل مسخ القردة لهم ومسخ الخنازير لكفار عيسى من اهل المائدة والله اعلم .

الخنزير : جاء في اللحوم المحرمة في آية المائدة ٣ : (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**) وآية الانعام ١٤٥ : (**قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير**) وتحريمه كما جاء في تفسير هيئة العلماء المختصة بالمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، لما فيه من طفيليات وفيروسات وديدان ، تصيب الكبد والامعاء وبخاصة

الـــدودة الشـــريطيـــة والـــدودة الشعرية ، وتنتشر يرقات الأولى في عضلات المصاب مسببة أعراضا قاتلة إذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكي أو القلب .

وتنتشر يـرقـات الثـانيـة في العضـــلات مكونـة حمى وآلاما روماتزميـة عضلية مبـرحة مـع صعوبة المضغ والتنفس والتهاب المخ ، ودهنه يسبب حصى المرارة وتصلب الشـرايين ، والحمـدلله الذي وقى المسلمين .

الفيل : ورد ذكره في الســورة المسماة باسمه في قولـه تعالى : (**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيــل . ألم يجعل كيـدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيـراً أبـابيل . تـرميهم بحجارة من سجيــل . فجـعلهـم كعصـف مأكول**) .

والتاريخ يذكر ان ابرهة وكان يحكم اليمن باسم ملك الحبشة ، بنى بيتا بصنعاء وأراد أن يصرف الناس عن الكعبة إليه ، فأعد جندا لهدمها ، وخـرجوا ومعهم فيـل ضخم لعملية الهدم ، ولـما كان العـرب لا يستعملون الفيلـة في الحروب ولا يعرفـون إلا الخيل والابل ، فقد هـابوه وأفسحـوا للجيش وللفيل الطريق ، حتى اذا وصل إلى مشارف مكة أرسل أبرهة الى سيد أهل مكة عبد المطلب بن هاشم يخبره انه لم يأت محاربا لهم وانما لهدم الكعبة ..

وقد رأى عبد المطلب انه لا قبل له بملاقاة هذا الجيش فخرج من مكة هو وقومه تاركين البيت الحرام لربه يحميه .

ولما أصبح الطاغية أبرهة ووجد الطريق ممهدا أمامه سار بجيشه والفيل ، لينفذ ما اعتزمه ، ولكن رب البيت أعجله بالطيور الأبابيل ترميه بحجارة من سجيل ، قيل إنها جراثيم مرض الطاعون فتكت بـه وبجيشه فتكـا عظيما حتى أصبحوا منثورين في الأرض كورق الشجر الجاف الذي أكله الدود ، وبذلك نجى رب العـالمين بيتـه وحماه ، ودرأ عن أهله ما كان شرا لهم فازدادوا بالبيت الحرام تعلقا وتعظيما ، وبهذا الحادث أرخت العرب وولد سيد البشر في اول عام من حادث الفيل ، عليـه أفضل صلاة وأزكى سلام .

الطيور

وردت في القرآن الكريم بلفظ الطير في عدة مواضع :

منها قوله تعالى : (**ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**) النحل/ ٧٩ .

والطيور يساعدها على الطيران اشياء في تكوينها ، أهمها شكل جسمـهـا الانسيـابي وبسطـة الاجنحـة المـزودة بـالـريش ، وعظـامهـا المجـوفـة الخفيفـة ، واكياس الهواء بين احشائها معلقة

بالرئتين حيث تمتلىء بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .

ومنها : (**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه**) النور/ ٤١ . والصف في الطيور أن يطير باسطا جناحيه دون ان يحركهما والطير الصافات لخفة وزنها ومتانة بنائها وعلو كفاءة قلبها وجهاز تنفسها وانسياب جسمها وقوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها تستخدم التيارات الهوائية لفترات طويلة دون جهد كبير .

عكس الطيور الصغيرة التي تعتمد على تحريك أجنحتها كلما طارت .

وجاءت في سورة سبأ آية ١٠ :
(**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير**)

وجاء في سورة النمل آية ١٧ :
(**وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون**)

وجاء في سورة الحج في آية ٣١ :
(**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**) .

الطيور اذا من نعم الله التي لا تعد فما يؤكل لحمه منها من أشهى انواع اللحوم ، وهي تسبح بحمد ربها : (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**) الاسراء/ ٤٤ وطيرانها ابهج الانسان وألهمه ان يحاكيها ، واستمر يدرس تركيبها وانسيابها وحركاتها واستخدامها لتيارات الهواء ، وما زال يحاول حتى استطاع ان يصنع مركبات الهواء ويطير فيها بعد ان عجز هو عن الطيران بنفسه .

وجاءت من الطيور انواع مفردة منها :

الهدهد : وهدهد سليمان أخذ حيزا كبيرا في سورة النمل فانه لما غاب وتوعده النبي سليمان بالعذاب الشديد او بالذبح ما لم يأته بعذر مقبول - أتاه ليعلمه انه احاط بما لم يحط به النبي وانه كان في سبأ وشاهد ما شاهد من كفر اهلها بالله وسجودهم لمخلوق له هي الشمس ، وكان بعد ، رسولا لسليمان يحمل رسالة مكتوبة لحاكمة سبأ فأدى الرسالة ، وظهر انه صادق في عذره فعفا عنه سليمان .

الغراب : وقد جاء ذكره في سورة المائدة في الآية ٣١ عندما ارسله الله تعالى ليعلم ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه وفي ذلك يقول الله تعالى : (**فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين**) .

ومن الحيوان الاليف **الكلب** وله دور كبير في حراسة الانسان : منزله ودوابه وغنمه ، ولبعض أنواعه دور كبير في الصيد كالكلاب السلوقية وغلب اسمه على حيوانات

الصيد من الفهود في قول الله تعالى : (**وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم**) المائدة/ ٤ .

وجاء في القرآن الكريم في الآية ١٧٥ و ١٧٦ من سورة الأعراف مشبها به من آتاه الله علما ، وابلغه آياته فأعرض عن علمها واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على أخراه ، فالكلب في طبعه شراهة وحرص ، ويمشي وخطمه في الأرض يتشمم ما فيها ؛ ويحتمل الهوان ، وربما أكل الجيف فقال المولى في هذا التشبيه :

(**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)

ولا شك ان من انسلخ من آيات الله بعدان بلغته واتبع هواه لشدة لهفته على الدنيا جدير بهذا التشبيه

المائي والبرمائي

من الحيوان المائي **صيد البحر واللحم الطري** : وهما كناية عن السمك ثم الحوت وقد جاء في القرآن الكريم في الآية ٩٦ من المائدة : (**أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما**) .

كما جاء في الآية ١٢ من سورة فاطر : (**وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا**)

اما **الحوت** فقد جاء مرتين ، دلت اولاهما على انه حوت صغير وهو الحوت الذي كان معدا لغذاء سيدنا موسى وفتاه وجاء في سورة الكهف آية ٦٣ : (**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**) يقول ذلك الفتى ردا على طلب موسى تناول الغداء بعد أن لقيا في سفرهما نصبا وتعبا .

وأما الثانية فهي حوت سيدنا يونس الذي التقمه بفمه ثم حمله باذن الله الى البر فنجا من الغرق ولا شك انه كان حوتا كبيرا ، يقول المولى جل وعلا في الآية ٨٧ و ٨٨ في الأنبياء : (**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**) وذا النون هو سيدنا يونس صرح به الله تعالى في سورة الصافات الآية ١٣٩ وما بعدها :

(**وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فساهم**

فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم) ولومه انه ترك قومه يأسا منهم دون اذن ربه .

ومن البرمائي **الضفادع** : وقد جاءت في سورة الاعراف في الآية ١٣٣ ضمن الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه كي يؤمنوا برسوله موسى عليه السلام ، لكنهم لكفرهم وعنادهم وكبرهم وخشيتهم ان يكون لموسى وقومه الكبرياء في الارض ـ كانوا كلما وقع عليهم الرجز طلبوا من موسى ان يدعو ربه لرفعه ويؤمنوا ، ولكنهم بعد رفعه يعودون للكفر فلم يبق الا ان اغرقهم الله جميعا ، والله تعالى يقول في هذه الآيات :

(**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين**) وهذه خمس آيات والاربع الباقيات : السنون ونقص من الثمرات والعصا واليد التي نوه الله بها في قوله في سورة الاسراء آية ١٠١ :

(**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا**)

الحشرات والهوام

الحية والثعبان : ورد ذكرهما في القرآن الكريم مقرونتين بعصا موسى في سورة طه في الآية ٢٠ :

(**فألقاها فاذا هي حية تسعى**)

وفي الآية ٣٢ من سورة الشعراء :

(**فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين**) .

النمل : ورد ذكره في السورة المسماة باسمه تفهم وتتحدث ولها صوت مسموع يعرفه من يعرف لغة الحيوان وذلك هو نبي الله سليمان حيث استمع لزعيمة النمل وهي تحدث سائر النمل بقولها : (**يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها**) النمل/ ١٨ و ١٩ .

النحل : ورد ذكره في سورة النحل المسماة باسمه في معرض فائدته من صنع العسل الشافي في الآية ٦٨ و ٦٩ حيث يقول المولى جل وعلا :

(**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس**)

وحياة النحل فيها آيات للمعتبرين ، فقد اعدها الله تعيش على رحيق الازهار ، تطير لها مسافات طويلة وتمكث في الامتصاص ساعات حتى اذا

امتلأت عادت الى بيوتها لا تضل السبيل اليها ولا تحيد عنها ، وفي هـذه البيوت تخطط وتهندس ، وتعمل دائبة علـى نظام الملكة والشغالة ، وتفرز العسل النقي الشهي الشافي باذن الله ومواده السكرية لا تضر ابدا ، يتغذى به مرضى السكر فلا يزيد في مرضهم بل يساعد على شفائهم ، ويقال ان النحل يمتص رحيق (٥) آلاف زهرة كي يفرز جراما من العسل ، فهـو اذاً يضني نفسـه ليفـوز الانسان بجناه وهو لم يكابد شيئا ، وهـذه من كبرى نعم الله علـى النـاس ، الوان العسـل مختلفة باختلاف الازهار .

العنكبوت : ورد ذكره في الآية ٤١ من سورة العنكبوت ، وفيها يقول الله تعالى : (**مثل الذين اتخذوا مـن دون الله أوليـاء كمثـل العنكبـوت اتخذت بيتـا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**) .

وهذا مثل يملأ القلب روعة فان الذين اتخذوا من دون الله اندادا يعتصمون بهم ، ويرجـون منهم المساندة والمساعدة ، ليسوا في ذلك الا كـالعنكبـوت اتخـذت بيتـا واستنـدت اليه ، فهي ضعيفـة استندت الى ما هو أشد منهـا ضعفا ، وهؤلاء استندوا الى ما لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ، فتوليهم غير الله عبث وكفر ، ولا يزيدهم الا خسارا .

الذباب : ورد في الاية ٧٣ و ٧٤ من سورة الحج وفيها يقول الله تبارك وتعالى : (**يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز**) .

يقول الامام ابن القيم تعليقا على هذه الاية الكريمة : حقيق على كل عبد ان يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فانه يقطع مواد الشرك من قلبه .

وذلك ان ادنى درجات المعبود ان يقدر على ايجاد ما ينفع عابده واعدام من يضره . والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعت لخلقه ، فكيف ما هو اكبر منه ؟ ولا تقدر على الانتصار منه اذا سلبهم شيئا . فلا اعجز من هذه الالهة ولا اضعف منها . فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟

الجراد والقمل : ورد في الآية التي ورد فيهـا ذكر الضفـادع وقـد سبقت ، كما ورد الجراد في سورة القمر : (**يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر**) /٧ .

البعوض : ورد في الآية الكريمة ٢٦ من سورة البقرة وهي قول الله تعالى :

(**ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها**) .

وذلك ان البعوض من خلق الله وكل ما خلق الله كبيرا او صغيرا فهو

جليل لا حقارة فيه الا في اعين المستهزئين ، والحيوان كلما دق كان أدل على القدرة ، فكيف بهذا الجسم الضئيل يحتوي اجهزة الحياة والحركة والتكاثر ؟... والحقارة لا تأتي للانسان الا اذا امتهن نفسه وارتكب الاثام فهي شيء غير الخلقة ، وما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل كله إبداع واعجاز .

حكمة خلق الحشرات الضارة

قال لي صاحبي يوما ما : أرأيت إلى الزرع النضير ، بينما يأخذ جماله بالعقول وتنعقد على نضرته النواظر ، وقد اخرج شطأه فآزره واستغلظ واستوى على سوقه ـ يحتنكه الجراد او تفتك به الحشرات ، فيزوي ويصير هشيما تذروه الرياح ؟

أرأيت الى الانسان اجمل المخلوقات والذي خلقه المولى جل وعلا في احسن تقويم ، بينما هو بالغ القوة جم النشاط شديد الاسر ... تدلف اليه جراثيم الامراض فتفت في عضده وتضعف من قوته ، وما تزال تتكاثر عليه حتى تودي به ويصبح في خبر كان مخلفا لآله الاحزان ؟ لكأن بين الحشرات والجمال في العالم عداوة : الجراثيم والفيروسات لا تفتأ تعلن عليه الحروب واذا كتب لها الانتصار على الانسان بصفة خاصة صار العمار الى خراب والجمال الى المسخ والتشويه . فما الحكمة في خلقها وضررها محقق وشرها مستطير ؟

فاطرقت ساعة افكر ثم أقبلت عليه اقول بما فتح الله علي :

١ ـ انت تعرف ان الخير لا يدرك الا بالشر ، وان النور لا يتصور الا بالظلام ، وانه بضدها تتميز الاشياء ، فهب الحشرات شرا محضا فهي سبيل الى إدراك الجمال .

٢ ـ وتعلم أن الانسان يطغى أن رآه استغنى ، يملؤه الشر والزهو ويغره بالله الغرور ، يمشي مرحا ويبطش جبارا ويتعالى حتى ليحارب ربه وينازعه الوهيته ـ فيسلط الله عليه اضعف مخلوقاته بعوضة فما دونها من جراثيم الامراض تخضد من شوكته وتعرفه قدر نفسه كما فعل ربك باصحاب الفيل ، عندما أرسل عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، ربما كانت جراثيم مرض الطاعون فجعلتهم كعصف مأكول

٣ ـ وتعلم ان الانسان يتعالم ، يدعي علم الأول والآخر ويذهب يخايل ويفاخر حتى ليقول أن كل ما يملكه أتاه على علم عنده كما قال قارون .. ولكن حشرة واحدة كحشرة القطن بلبلت عقل الانسان وحيرته واتعبت عقله وتفكيره ، فقد سلخ في محاربتها ومحاولة الفتك بها عشرات السنين ، يسلط عليها المبيدات وينفق الجهد الكثير والمال

الوفير ، ثم هو يبوء بعد كل هذا بالفشل الذريع ولا تزال كلما ابتكر مبيدا تتأقلم معه ، هذه حشرة واحدة فعلت به هذا ، أفبعد هذا يتطاول بعلمه ولا يعترف بأنه لم يؤت من العلم الا القليل ؟

٤ ـ وتعلم ان الانسان مغرم بالكسل لا يحركه الى العمل الا داع ملح ، وقد لعب الخوف من الهوام والحشرات دورا كبيرا في رقي الانسان ، فلخوفه منها بنى المنازل وحصنها ونظفها وسد شقوقها وثقوبها وأضاءها بعد أن جرب أنها تعيش في الشقوق وفي الظلام ، فهو مدين لها بهذا الرقي وان كان لها من الكارهين .

٥ ـ والحشرات في حد ذاتها معجزة كيف تحيا وكيف تتكاثر وكيف تنتقل وكيف تؤدي دورها وما أجزاؤها ووظيفة كل جزء وهي على هذا القدر من الصغر والدقة بحيث لا ترى بعض الأنواع الا بالمجهر والآلاف منها تجتمع على رأس دبوس ، اليس ذلك باعثا على البحث والكشف والاعتراف بعجز الانسان وإعجاز الخالق .

٦ ـ وبعد هذا فالحشرات والهوام والجراثيم مدد للتشبيه في اللغة لا ينفد ، وأثر التشبيه في الكشف والايضاح والتقرير والتمليح والتقبيح لا يجحد .

كما شبه المولى جل وعلا متخذي الأولياء من دون الله بالعنكبوت تستند الى بيت هو أوهى البيوت ، وكشفهم عن خلق الذباب وقد [illegible]

هذا فلا اعيده .

وفي غير القرآن الكريم جرت الالسنة بتشبيه بعض الناس بالهوام والحشرات لجامع بينهما سواء في ذلك الشعر والنثر ، ومن الشعر قول عنترة العبسي :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

وهذا مثل لكل من يغتر بمن ظاهره لين وفي باطنه الموت الزؤام .

وكان ابو الشمصمق المصري قد سكن دارا بالفسطاط بها عقارب فقال :

وبها عقارب كالأقارب رتع
فبها كفانا الله شر حماتها

وقد قلب التشبيه فجعل العقارب مشبها والأقارب مشبها به وهذا يدل على ان ايذاء الاقارب اشد من ايذاء العقارب .

وانت خبير بأن بعض الناس لهم لون خاص من حقهم ان يشبهوا بما يناسب لونهم ومن يتلون كثيرا يشبه بالحرباء والدءوب على العمل يشبه بالنمل والنحل وهكذا ..

على اني سمعت ان بعض العلماء استخرجوا من بعض السموم ترياقا لبعض الامراض فيكون نقمة تحولت الى نعمة ، وما بظاهره العذاب في باطنه الرحمة ، وكلها من جند الله .

(وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر) ٣١ المدثر .

هذا ما لدي ذكرته وعسى من يزداد علما يبدي ما عنده وفوق كل ذي علم [illegible] .

وقفة تأمل من أجل صناعة عربية

○ افتتح السيد / عبد العزيز حمد الصقر ـ رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت ـ الدورة السادسة للجمعية العمومية للاتحاد العربي للصناعات الهندسية يوم ١٣ / ٤ / ١٩٨٢ ..

○ وكان مما قال : يأتي اجتماعنا بعد أسبوعين فقط من انعقاد المؤتمر الأول لرجال الأعمال والمستثمرين العرب .. وأشار إلى أن هذا المؤتمر قد خرج بعدة ملاحظات منها : أن كبرى المنشآت الصناعية العربية الحيوية ـ كمصافي النفط ، ومعامل تحلية المياه ، والمصانع البتروكيماوية ـ ليس وراءها صناعة لتزويدها بقطع الغيار والتجهيزات التي تقوم عليها ، وهذا أمر بالغ الخطورة لأنه يضع مصير هذه المنشآت كلها في أيدي جهات خارجية ، ثبت مرارا أنها قادرة على التحلل من التزاماتها في أشد أوقات حاجاتنا إلى تنفيذها .

○ وأضاف : لقد لاحظ المؤتمر أيضا : أنه ليس لدى الأقطار العربية كلها قدرة حقيقية على صناعة محرك شاحنة ، أو جرار زراعي ، أو مضخة ماء ، أو توربين كهربائي ، رغم ضخامة ماتستورده منها

○ ومضى يقول : إنه رغم وجود سوق ضخمة لصناعة هندسية رابحة في حركة البناء الهائلة ، وفي حاجات القطاع الزراعي ، وفي الحاجات الدفاعية التي يرتبط مصيرنا كله بتلبيتها ، فإن كل الصناعات الهندسية العربية لاتزال في مرحلة بدائية بحيث أن وصفها بأنها مجرد صناعات تجميعية لا يكفي لايضاح تخلفها ،

○ ودعا السيد الصقر إلى تكاتف جهود حكوماتنا وشعوبنا جميعا من أجل الوصول إلى مستوى أفضل في مجال الصناعات الهندسية ، وقال : إن الاتحادات الصناعية النوعية .. مثلها مثل كافة المؤسسات العربية الاقليمية التي تهدف إلى النفع العام وتحقيق المصلحة ، لا تملك السلطة أو القدرة التنفيذية اللازمة والكافية ،

« والوعي الاسلامي » تتساءل لمصلحة من هذا التخلف الصناعي والكفاءات العربية والاسلامية متوافرة ، ورأس المال بفضل الله ميسور ، والتكامل بين الدول العربية حقيقة موجودة ،

وعلماؤنا على العطاء قادرون ، والعدو يستفزنا كل يوم بإهاناته التي لا تقابل منا إلا بالشجب والاستنكار ، وأخيرا تعطيل الأعمال ، والرد على استهتار العدو واعتدائه على الأهل والوطن والمقدسات لا يكون إلا بمزيد من الترابط والعمل والتطور الحضاري ، والجهاد في سبيل الله ، وعلى عاتق حكامنا المسلمين يقع العبء الأكبر .. فهل من وقفة تعيد للمسلمين ماضي عزهم وأمجادهم ؟ ؟ ..

تحقيق وتصحيح بين
ليلة القدر

ان الله تعالى انزل القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس واسعادهم ، ذكر ذلك في كثير من الآيات بصورة مطلقة لم يحدد الله لهذا النزول وقتا في اكثرها .

وكان ذلك بلفظ القرآن ، والكتاب ، والذكر ، والنور ، واحسن الحديث واحسن ما انزل اليكم

وحدد لهذا النزول وقتا بلفظ ليلة في آيتين

الآية الاولى ـ قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم**) الدخان / ٣ , ٤

الآية الثانية ـ قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) سورة القدر

ولم يذكر في كل من الآيتين شهرها الذي نزل فيه وحدد الله نزول القرآن بوضوح بشهر رمضان ، فقال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة / ١٨٥

وبقي نظر الفكر في تحديد شهر ليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان التي يقال انها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل امر حكيم فأما ليلة القدر فقد اجمع علماء التفسير، وائمة الحديث ورجال الدين على أنها من ليالي شهر رمضان ، لان الله ذكر نزول القرآن فيه ووردت في ذلك احاديث صحيحة معتبرة فلم يبق فيها خلاف واما الليلة المباركة فقد ذكر بعض المفسرين وفريق من العلماء انها ليلة النصف من شعبان ، واستندوا في ذلك على ما ورد في فضلها من الاحاديث ، وما قام فيها بعض التابعين للاجتهاد بالعبادة وبالتحقيق والتدقيق يظهر فضل ليلة القدر وعظمة ما وقع فيها من النزول وما كان لها من خصائص مهمة ، كما تظهر حقيقة ليلة النصف من شعبان

وليلة النصف من شعبان

للشيخ
احمد العجوز

على خلاف ما جرى عليه المسلمون في الاعوام الكثيرة الى وقتنا هذا .

★ ليلة القدر

ليلة القدر هي ليلة مباركة فيها الخير العميم والبركة التامة قال الله تعالى : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر)**
وهذه الليلة هي ليلة العظمة والشرف الرفيع ، فالقدر معناه العظمة والشرف ، وعظمة هذه الليلة لا لخصوصها المجرد بل لما وقع فيها من نزول القرآن الكريم ، وأي خير اعظم من ذلك ؟ فالقرآن يهدي به الناس في متاهات الحياة الى سبيل الخير والاسعاد والفلاح والرشاد .
فكان نزول القرآن نقطة تحول من حياة حالكة الظلام الى حياة انسانية مثلى ، واضحة المعالم ، تظللها السكينة والطمأنينة دائما ، فالقدر ليس لليلة نفسها لانها مضافة والقدر مضاف اليه ، والمضاف غير المضاف اليه ، فاكتسبت بذلك شرف الاضافة فكانت خيرا من الف شهر .
ثم ان التفاضل يقتضى التماثل النوعي بين الفاضل والمفضول ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (رباط ليلة في سبيل الله خير من الف ليلة فيما سواه من المنازل) اخرجه احمد .
وهنا لم يقل : ليلة القدر خير من الف ليلة ، لان الف ليلة يساوي ثلاثا وثلاثين شهرا ونصف الشهر بل قال : (خير من الف شهر) ، ليكون فضلها على اضعاف مضاعفة جدا من الليالي فالف شهر يساوي ثلاثا وثمانين سنة

ونصف السنة تقريبا ، وهذا ابلغ ، ويدل على عظمة القرآن وسموه ، وعلى قدره سبك سورة القدر الرائع ، وأسلوبها الحكيم الذي يظهر للعقول جلاله ، وبهاؤه وجماله فقد ذكرها الله اولا ، ثم سأل عنها سؤال تفخيم ، ثم بين قدرها بانها خير من الف شهر فقال :

(إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من آلف شهر)

وكانت اعادة لفظ القدر ثلاث مرات اشارة الى ثلاث مراتب فخمة كما يلي يعني : انا انزلنا كتابا ذا قدر بين الكتب السماوية ، وهو القرآن بواسطة ملك ذي قدر بين الملائكة وهو جبريل الى نبي ذي قدر بين الانبياء وهو محمد بن عبدالله . فضلا عما يفيد القرآن عظمة من التعبير الرائق ، والاسلوب الفائق من صيغة الجمع في قوله تعالى : **(إنا انزلناه)** دون ان يقول : انني انزلته بصيغة المفرد وصيغة الجمع للمفرد تكون للتعظيم ، كما هو معلوم في اساليب البلاغة ، فكان ذلك كله دلالة العظمة الذاتية وايضا ذكر ضمير القرآن بدل التصريح باسمه في قوله : (أنزلناه) دون ان يقول انزلنا القرآن ، لانه لعظمته ، ولشدة وقعه على الاسماع انتشر ذكره ، وارتفع امره ، فصار معلوما للجميع ، وغنيا عن التصريح والتعريف ، فجاء بضميره الدال عليه .

وايضا فان الله الذي انزله اضافة الى ذاته العلية لا الى من نزل به وهو جبريل تعظيما له ، فقال (انزلناه) ثم انه حدد انزاله بوقت ذي شأن وقدر وهو ليلة القدر فبذلك كله تضافرت دلائل العظمة بهذه الاعتبارات ، وهذه الاشعاعات السنية بما اوضحناه في كشف اسرارها واشعاع انوارها ففي ليلة القدر ، حين انكشفت حجب العلاء عن هبوط الملك جبريل الامين على سلالة الانسانية محمد عبدالله باول ما نزل من القرآن وهو : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)** العلق / ١ ـ ٥

ماد الكون لهذا التنزيل هيبة وجلالا ، ورنت الابصار الى المختار توقيرا واجلالا واصغي الوجود الى صوت القرآن ، يتنزل بلسما شافيا ونظاما وافيا ، يرسم خطط الاجتماع الكامل ، والاسعاد الشامل ، فيمهد للانسان سبل الحياة الرضية ، ويقرر له كنه المحبة الاخوية ويسهل للعيش الهنيء وعرة المسالك ، ووحشة المضايق ، والناس اذ ذاك كالغريق الذي يغالب البحر بأمواجه ، ويصارع الموت بهياجه فتدركه سفينة النجاة الى شاطىء الأمان .

فكان نزول القرآن بليلة القدر صرخة السماء المدوية التي أيقظت شعوب الجاهلية من غفوتها ، فوثبت الى الهدى والرشاد وبارقة العلاء المشعة فكشفت لهم حقائق الكون ، وكنه الوجود ، فطرحوا الخرافات والاباطيل ، ونبذوا الاوهام والاراجيف ، وآمنوا بالله رب

العالمين ، وتهافت على رحابه العقلاء ، واصغى الى آيه النبلاء ؛ يستهدون بهديه ، ويتجردون من أهوائهم وميولهم ويقلعون عن النقائص التي لوثت الفكر وعن الشوائب التي شوهت الفطر ، فكانت معاول تهديم ، وعوامل تخريب .

وظهرت عظمة ليلة القدر بما كان من آثار نزول القرآن فيها من الهداية لدين الله المبدع الحكيم إذ لم تمض فترة قليلة من الزمن حتى تنقلب النفوس الشريرة الى نفوس خيرة ، وتصبح العقول الضالة عقولا رشيدة نيرة ، وتتغير الاوضاع المنحطة الى اوضاع منتظمة راقية فبدد هذا القرآن بهداه ونوره دياجير الاوهام ، وقضى على التعسف والطغيان ، وكسر شوكة الجور والكبرياء ، وأصلح المجتمع المضطرب ، وهدد صروح الاستعباد والاستبداد ـ فصير الظلام ضياء ، والشقاء هناء والضلال ايمانا والجهل عرفانا والقنوط عزما واملا ، والخمول جدا وعملا ، وجعل التفرقة اتحادا والبغض ودادا ، والقساوة حنوا ، والانحطاط سموا ، والتحقير اكراما والتقهقر اقداما ، والاجحاف انصافا والشره عفافا .

فاقام دينا قويما ، وأسس دولة عادلة ، وكون أمة صالحة ، ونظم مجتمعا مثاليا ثم خرج المسلمون من بطحاء مكة والمدينة الى آفاق الارض ، واطراف المعمورة يحملون بايديهم دستور الاخوة ويرفعون قانون المساواة الشاملة ، ومشعل العلوم والحرية ، ليهدوا الناس ويعلموهم وليرشدوهم ويثقفوهم وليأخذوا بايديهم الى الصلاح ، ومعالم الخير ، وليزيلوا من بينهم تفاوت الطبقات ، واختلاف المراتب وليقضوا على العنصرية والعصبية ، والقبلية ، والاقليمية وليعلنوا للجميع ان لا فرق في الاسلام بين عربي وعجمي ، ولا بين ابيض واسود ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين ملك ومملوك ، ولا بين غني وفقير فكلهم اخوان على سواء في حقيقتهم الانسانية ، وهكذا امتزج روح القرآن بارواحهم ، فاستأصل من نفوسهم الحسد والطمع والكبر والصلف ، وأمات فيها الأهواء ، فلا يغضبون الا لله ولا يرضون الا لله فكان شعارهم شعار المساكين ، وعيشهم عيش الزاهدين ، ثم كانت فتوحاتهم فتوح الملوك العادلين ، دون أن يفتنهم ما نالوه من ملك وسلطان وجاه عن دينهم وصلاحهم . كل هذا كان من الخير العميم ، والبركة التامة في ليلة القدر ، فكانت بذلك حقا خيرا من الف شهر لذلك وردت الاحاديث الصحاح بفضلها وطلب إحيائها بعبادة الله ، وتؤكد الاحاديث انها في العشر الاواخر من رمضان ، وتذكر أنها في ليلة المفردات منها ، وترجح بعضها انها في ليلة السابع والعشرين منه .

عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) رواه البخاري ومسلم والترمذي

وعن زر بن حبيش قال : سألت أبي بن

كعب قال : إن اخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . فقال اراد الا يتكل الناس ، اما انه قد علم انها في رمضان ، وانها في العشر الاواخر ، وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين . فقلت : باي شيء ذلك يا ابا المنذر ؟ قال : بالعلامة أو بالآية التي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انها (**اي الشمس**) تطلع يومئذ لا شعاع لها) رواه الخمسة الا البخاري ، وغير ذلك من الاحاديث الواردة فيها .

ليلة النصف من شعبان

يظن بعض المفسرين وفريق كبير من المسلمين ان هذه الليلة هي المقصودة في قوله تعالى : (**إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم**) الدخان / ٣ ، ٤ وأن الله تعالى يقدر فيها الأعمار ، والأرزاق ، والشقاوة والسعادة الى مثلها من العام القابل وان الله يمحو من ذلك ما يشاء ويثبته وعنده أم الكتاب فعظموها كثيرا ، وهم يحتفلون بإحيائها بالعبادة في المساجد وفي البيوت ، ويتلون سورة يس ، ويدعون بدعائها الخاص ويصلون صلاتها الخاصة ، وهم يطلبون من الله محو الشقاوة وضيق الرزق ، وأن يقدر السعادة والتوفيق وسعة الرزق ، وهذا كله لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد أصحابه ، وسبب ذلك ان رجلين من التابعين : وهما خالد بن معدان ، ومكحول الشامي كانا يجتهدان في العبادة كثيرا ليلة النصف من شعبان ، واشتهر ذلك عنهما ، فاختلف الناس في فضل هذه الليلة لذلك على فريقين .

فريق اقرها ، واستحب إحياءها في المسجد كاسحق بن راهويه ، واستند لذلك الى أحاديث وردت في فضلها ، كحديث : ان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من شعر غنم « كلب » . اخرجه الدارقطني واحمد في مسنديهما .

وحديث « ان الله عز وجل يطلع الى عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد لحقدهم حتى يدعوه » رواه الدارقطني ايضا في السنن .

وحديث « ان الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن - اي مخاصم - » رواه ابن ماجة واحمد

وفريق انكرها وانكر تخصيص هذه الليلة بتعظيم كعطاء بن ابي رباح وابن ابي مليكة من علماء الحجاز واغفلها أهل المدينة من اصحاب مالك وغيرهم وقالوا : انها بدعة منكرة اذ لم يثبت عندهم في فضلها حديث - وهذه الاحاديث قد صرح علماء الحديث بضعفها وطعن كثير منهم بصحتها وقيل إنها موضوعة

قال القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب الاحكام : وليس في ليلة النصف من

شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا اليه .

وقال القاضي المذكور ايضا في كتاب العارضة : وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه .

ثم ان الصلاة الخاصة الموضوعة لهذه الليلة جاء حديثها في كتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وفي كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي لكن قد صرح جماعة من الحفاظ بان حديثها موضوع لا أصل له .

وذكر الامام النووي في كتابه (المجموع) قوله : الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ، ليلة أول جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ولا بالحديث فيهما فإن كل ذلك باطل ولا يغتر بمن اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فانه غالط في ذلك .

وقد صنف الامام ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي كتابا نفيسا في إبطالهما .

واما قوله تعالى : (**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**) الرعد / ٣٩

التي ادخلوها في دعاء ليلة النصف من شعبان فليس المراد محو ما قدر من الاعمار والارزاق والشقاوة والسعادة واثبات ما يريد منها ، وانما هي رد على قول الكفار الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية (معجزة) من آيات الرسل السابقين كابراهيم وموسى وعيسى لتدل على صدق رسالته فاجابهم الله بقوله : (**يمحو الله ما يشاء** - اي من الآيات السابقة - **ويثبت** - اي من الآيات التي تناسب مقتضى الحال - **وعنده أم الكتاب**) اي اصله وهو علمه تعالى باحوال خلقه فيقدر ما فيه الحكمة .

وذلك بدليل الآية قبلها وهي قوله تعالى : (**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**) الرعد/٣٨ .

فالله تعالى جعل لكل رسول آيات ومعجزات خاصة تناسب زمانه وما شاع فيه من العادات التي تناسبها تلك المعجزات

والخلاصة ان ليلة القدر هي في العشر الأواخر من رمضان وفي المفردات منه أو في ليلة السابع والعشرين منه صراحة

وان الليلة في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**) هي ليلة القدر لا غير وفي شهر رمضان فقط ، لقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**) لا كما روى عن عكرمة .

وان الاحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان ضعيفة وباطلة وقيل إنها موضوعة لا اصل لها وراويها وضاع كما قال شيخ الازهر محمود شلتوت وان الصلاة في ليلة النصف من شعبان بدعة منكرة و لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد أصحابه .

اليهود وميلهم

كان الاسرائيليون أو اليهود « كما غلب على تسميتهم » في ابتداء أمرهم أمة توحيد تدين بعقيدة الاله الواحد ـ وقد جاء في التوراة ما يشير الى ذلك عند إبلاغ موسى عليه السلام قومه من اليهود وهو في الجبل بالوصايا التي يجب أن يسيروا عليها في حياتهم ليكونوا مؤمنين وأهم هذه الوصايا الاعتقاد بالله الواحد مثال ذلك القول المنسوب الى الله في سفر الخروج .

★★★

(انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ـ ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني انا الرب الهك اله غيور) انظر سفر الخروج الاصحاح ٢٠ من عدد ٢ الى عدد ٦ من العهد القديم في الكتاب المقدس .

★★★

الا انه مع مرور الزمن اضمحلت عقيدة اليهود في التوحيد ومالوا بطبعهم الى الوثنية ، فاستبدلوا بجلال الوحدانية وسمو تكريمها لله الواحد الاحد الخالق القديم عبادة الحجر الذي لا يسمع ولا يبصر وعبادة البشر الذي لا يغني لهم شيئا فخرجوا بذلك على التعاليم الالهية حتى سموا في اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس بالبيت المتمرد .

فقد ورد عنهم في سفر حزقيال قوله (قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد) سفر حزقيال اصحاح ٣ عدد ٩ ـ وهذه الروح الوثنية التي كانت متسلطة على اليهود جعلتهم لا يرعون لنبي الله موسى ولا لأخيه هارون عليهما السلام حرمة إذ انحرفوا الى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين دون أي حياء وقد ورد ما يشير الى ذلك في سفر الخروج في الاصحاح ٣٢ من عدد ٧ الى عدد ٩ القول المنسوب الى

بطبيعتهم للوثنية

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

الله لموسى عليه السلام خلال صعوده الجبل لمناجاته (فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر ـ زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة) وعبادة اليهود للعجل المسبوك على شكل الحيوانات تمثل ديانة التوتمية في تقديس الحيوانات .

ولما توفي موسى وهارون عليهما السلام تمادى اليهود في عصيان اوامر الله والانسياق الى عبادة الاصنام ، فجلبوها من الأمم المحيطة بهم واقاموها في انحاء شتى بمدنهم في المرتفعات وعلى الطرق ، بل أقاموا لبعضها سدنة وكهنة يقدمون لها النذور ويحرقون لها البخور ولم يستمعوا لنصح انبيائهم لهم حتى لقد هددهم الله بالقتل في قوله لهم (وأضع جثث بني اسرائيل قدام أصنامهم وأذرى عظامكم حول مذابحكم) انظر سفر حزقيال في الاصحاح ٦ عدد ٥ .

شغف اليهود بعبادة العجل :

ثم ان شغفهم بالعجل وتقديسهم له أدى بهم الى انه كان لا يخلو عند اليهود معبد ملكي من وجوده فيه او وجود صورته فيه ـ وقد اشار الى ذلك سفر الملوك الاول في الاصحاح الثاني عشر عدد ٢٥ ـ ٣١ في قوله .

(وبني بريعام شكيم في جبل افرايم وسكن بها .. فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم ان تصعدوا الى اورشليم ـ هوذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من ارض مصر ـ ووضع واحدا في بيت إيل

وجعل الآخر في دان وكان هذا الامر خطية وكان الشعب يذهبون الى امام احدهما حتى الى دان) .

وفي معبد اورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا « القرن الثامن ق . م » يشتمل على حية معدنية تعرف باسم « نحشتان » وهي تمثل الاله وترمز اليه وكان خادم المعبد يبخرها ويزعمون انها ترجع الى عهد موسى عليه السلام فقد ورد في الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني عدد ١ ـ ٤ قوله :

(وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيله ملك اسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا .. وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود ابوه هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لان بني اسرائيل كانوا تلك الايام يوقدون لها ودعوها « نحشتان » .

كما كانوا يقدسون صورا ترمز الى الاله وتعرف باسم « ترافيم » يزعمون ان بيت النبي داود عليه السلام كان عامرا بها .

فقد ورد في سفر صموئيل الاول اصحاح ١٩ عدد ٩ ـ ١٣ قوله (وكان الروح الردي من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده وكان داود يضرب باليد فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح .. فهرب داود ونجا تلك الليلة .. فاخذت ميكال الترافيم ووضعته في الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب) .

بل انهم عبدوا النار وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هتوم ليجيزوا ابناءهم وبناتهم في النار « لمولك » الذي كان وثنا من أوثان الفينيقيين والى هذا اشار سفر أرميا في الاصحاح ٣٢ عدد ٣٤ ، ٣٥ فيقول :

(بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هتوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك الامر الذي لم أوصهم به ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطىء) .

فكانوا يضعون الأطفال فوق ذراعي الصنم مولك الممدودتين فتهبطان به بعد إيقاد النيران تحته وبذلك قتل اليهود كثيرا من أطفالهم بهذه العبادة الحقيرة وهم بذلك تشبهوا بالمجوسية في تقديسهم للنار .

ثم نقل اليهود عبادة الأصنام الى البيت المقدس في اورشليم « مدينة القدس » فملأوا بها مقاصير العبادة وحجراتها والى هذا يشير سفر حزقيال في الاصحاح ٨ عدد ١٠ ، ١١ فيقول (قد خلت ونظرت واذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة وواقف قدامها سبعون رجلا من شيوخ بيت اسرائيل .. وكل واحد مبخرته في يده وعطر عنان البخور صاعد) .

ثم تطرق الحال ببعضهم الى أن عبدوا الشمس وسجدوا لها وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الاصحاح ٨

عدد ١٦ فيقول عن أحد أماكن الصلاة (عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق) .

وهذه العبادة تمثل عقيدة الصابئة في عبادتهم للكواكب والنجوم ثم عبدوا البعليم والبعل وعشتاروت والى هذا يشير سفر القضاة في الاصحاح الثاني عدد ١١ ، ١٢ ، ١٣ فيقول (وفعل بنو اسرائيل الشرفى عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذي اخرجهم من ارض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها واغاظوا الرب تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت) .

ولم يكتفوا بذلك بل انهم عبدوا (كوشان رشعتايم) ملك آرام والى هذا يشير سفر القضاة في الاصحاح الثالث عدد ٨ فيقول (فحمى غضب الرب على اسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام فعبد بنو اسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين) .

كما عبدوا عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة فيقول عنهم سفر القضاة في الاصحاح الثالث المشار اليه عدد ١٤ .

(فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة) واخيرا انتهى الامر بفريق من اليهود الى عبادة بعض البشر فعبدوا كاتب الشريعة (عزرا) الذي قيل عنه انه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعد رجوعه من الأسر في بابل قال تعالى في القرآن الكريم : (**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**) التوبة / ٣٠ .

وعبادتهم لعزرا كانت بناء على نظرية الحلول ونظرية الاتحاد الفاسدتين فقد اعتقدوا ان الله حل او اتحد في عزرا ـ هاتان النظريتان اللتان يستند اليهما النصارى ايضا في عبادتهم للمسيح عليه السلام ، فهم يعتقدون ان الله حل او اتحد فيه مستندين الى ما ورد في انجيل لوقا مثلا بالاصحاح الاول عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ (فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وهأنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا فاجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك) .

مع انه ورد في الاسفار اليهودية أن روح الرب حلت على بعض الأنبياء الآخرين ولم يعتقدوا رغم ذلك ان الله حل فيهم مثال ذلك ما ورد في سفر حزقيال بالاصحاح ١١ عدد ٥ قوله على لسان ذلك النبي (وحل على روح الرب) ولم يقل احد من اليهود او النصارى ان الله حل او اتحد في حزقيال .

ما هو سبب انحرافهم ؟ :

يبدو أن السبب في انحراف اليهود والنصارى الى عقيدة الاتحاد والحلول ، هو ما تطرق الى مفاهيمهم بناء على ما اندس في كتبهم بأن الله روح ، وانها التي تقوم بها الحياة مع ان روح القدس او روح الرب لا يعدو ان يكون الملاك المرسل بالوحي او بالبشارة ، واضافة الروح الى الله هي اضافة تشريف ، فيقال عنه روح الرب او روح الله والاضافة كاضافة البيت والكتاب الى الله فيقال (بيت الله وكتاب الله) وقد يرد روح الله او روح الرب في اسفار اهل الكتاب بمعنى الفكر المستقيم فقد ورد بسفر أشعيا اصحاح ١١ عدد ١ وما بعده في قوله (ويخرج قضيب من جزع يس ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب) .

اما في عقيدة الاسلام فان الله حي بذاته فحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه وهي صفة كمال لأن الموت صفة نقص والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع النقائص وواجب له الكمال .

قال تعالى : (**الله لا اله الا هو الحي القيوم**) البقرة / ٢٥٥ .
وقال سبحانه : (**هو الحي لا اله الا هو**) غافر / ٦٥ .

القرآن الكريم يذكر عن اليهود شيئا من طبيعتهم المتمردة :

١ ـ لقد أخذ الله على ذلك الشعب اليهودي الميثاق على أن تكون عبادتهم لله وحده خالصة ، وكلفهم بأعمال الخير مثل بر الوالدين والاحسان اليهما وللاقارب واليتامى والمساكين والكلام الطيب مع الناس وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومع ذلك فقد تولوا عن ذلك كله واعرضوا قصدا وعمدا مع انهم يعرفونه ويذكرونه .
قال تعالى : (**وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون**) البقرة / ٨٣ .
٢ ـ وقال سبحانه : (**أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون**) البقرة / ١٣٣ فهذا يعقوب جد اليهود ويسمى اسرائيل واليه ينتسبون ـ لما حضرته الوفاة جمع بنيه الأسباط وسألهم عن الإله الذي سيعبدونه من بعده ، فأجابوه بأنهم على عهدهم حتى بعد وفاته في القيام بعبادة الله وحده كما كان يعبده جدهم ابراهيم وجدهم اسحق وعم

ابيهم اسماعيل عليهم السلام (وقد ذكر اسماعيل ضمن الآباء من باب التغليب لان اسماعيل هو عم ليعقوب) كما قرروا امام ابيهم انهم مطيعون خاضعون لله تعالى وحده باسلامهم لله ، اذ الاسلام هو ملة الانبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم .

٣ ـ بعد ان خرج اليهود من مصر صحبة نبي الله موسى عليه السلام ، حاول فرعون مصر وقتئذ اللحاق بهم ، وورد البحر هو وجنوده على إثرهم بعد ان فرقه موسى لقومه وجاوزوه جميعا ، الا ان البحر اطبق على فرعون وجنوده امام أعين اليهود ، مما كان يقتضي منهم التمسك بطاعة الله والحفاظ على عقيدة التوحيد ، الا ان الشخصية اليهودية انقلبت الى شخصية غادرة تنزع بطبعها الى الشر والابتعاد عن مواطن الخير ، لذلك فما إن اطمأنوا بنجاتهم من عدوهم فرعون ، حتى طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم « الها مجسما » ليعبدوه كتلك الاصنام التي تعبدها الاقوام التي صادفوهم بعد عبورهم البحر ، ففزع موسى من جاهليتهم التي عادت اليهم بعد اكرام الله لهم ، ولم يملك موسى الا ان حذرهم من ذلك التفكير السيىء والوهم الباطل الذي راودهم ، والى هذا يشير قوله تعالى :

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) سورة الاعراف / ١٣٧ ـ ١٤٠ .

وهذا التفضيل كان من الله لهم في زمانهم ـ وقبل أن تشرق على العالم دعوة الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ختام رسالات السماء والتي بفضلها ، اصبحت الأمة الاسلامية خير امة اخرجت للناس قال تعالى عن أمة الاسلام :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

٤ ـ ثم ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ليتلقى كتابا فيه بيان ما يصلح قومه بعد اربعين ليلة من الصيام ، وقد استخلف على قومه اخاه هارون عليه السلام ، وهناك تلقى موسى من ربه الالواح فيها مواعظ وتفصيل لكل شيء من اصول الحياة المستقيمة ، ولما رجع رأى من قومه ما اسف له واثار غضبه ، فقد رأى قومه قد اتخذوا لهم عجلا من حلى ، أتقنوا صنعه وعكفوا على عبادته ، وبذلك كشف اليهود عن شخصيتهم المريضة ، تلك الشخصية التي تنسلخ سريعا عن الحق انقيادا لما جبلوا عليه من طبع كله الشر ،

فوبخهم موسى عما ارتكبوه من جرم كبير في حق الله ، وبلغ به الغضب حدا اذ القى الالواح من يده ، واخذ برأس أخيه يجره اليه ، وكأنه استشعر تقصيرا من جانب أخيه ، الا أن هارون عليه السلام بين له ان اليهود استضعفوه وكادوا أن يقتلوه ورجاه الا يفعل به ما يشمتهم فيه ، فلم يتمالك موسى عليه السلام الا أن يدعو الله سبحانه وتعالى ان يغفر له ولأخيه ويدخلهما في رحمته بعد أن ظهرت له براءة أخيه قال تعالى : (**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين . قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين . سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون . واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت ارحم الراحمين . ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذله في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم**) الاعراف / ١٤٢ ـ ١٥٣ .

٥ ـ وكيف تستقيم الطبيعة اليهودية او تثبت على الحق ؟ لقد انتهى بها الامر بأن قضي العدل الالهي على تلك الشخصية المتمردة ان تطرد من رحمة الله الى يوم القيامة بسبب ما اختاره اليهود لأنفسهم بسوء نيتهم واعمالهم ـ ولعل حكمة الله الحكيم الخبير والعليم بطبائع النفوس اقتضت تقطيعهم تخفيفا لشرهم على العالمين ، فوزعهم الله هنا

وهناك ليداولهم الناس بالاذلال والتنكيل والحاق سوء العذاب بهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها قال تعالى : (**وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**) الاعراف /١٦٨ .

٦ - وحتى في وقتنا الحاضر لم تتغير طبيعة الشخصية اليهودية عما كانت عليه في تطاولها على قدسية الالوهية ومقام رب العالمين ، فهذه جولدا مائير التي كانت رئيسه لوزراء اسرائيل ابان حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقد استغاثت بامريكا وقتئذ تقول : « ان امريكا هي الـه اسرائيل الوحيد » ذلك ان أمريكا اقامت بينها وبين دولة اسرائيل جسرا جويا خلال حرب اكتوبر نقلت اليها بواسطته احدث السلاح والعتاد .

وتقول مائير في كتابها - حياتي : « انه ليس صحيحا ان الله هو الذي اختار اليهود - ولكن اليهود هم الذين اختاروا الله - فلقد كان الناس يعبدون الاصنام - ولكن اليهود عبدوا الاله الواحد فهم الذين اختاروا الاله الواحد - وهم الذين اختاروا التوحيد - ولذلك فليس الله هو الذي يستحق الشكر لانه اختار اليهود - ولكن اليهود هم الذين يستحقون الشكر من الله لانهم هم الذين فضلوه على بقية الحيوانات والأوثان » .

٧ - وما ذكرته جولدا مائير عن الله سبحانه ليس بمستغرب منها فهي من شعب اليهود الذي انحرف بطبعه عن جادة الحق منذ فجر تاريخه حتى لتجد في « التلمود » وهو كتاب اليهود الثاني بعد التوراة تجد اليهود « يعاتبون الله ويلعنونه ويشتمونه ويتهمونه بأن السن تقدمت به - وأنه لم يعد قادرا على الرؤية والسمع وحسن التقدير - وأنه منذ تخلي عنه اليهود اختلت في يده موازين كل شيء - وكثيرا ما بكي الله بين أيديهم وطلب منهم المغفرة وقليلا ما غفروا له » **تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا** - وقد ذكر القرآن الكريم شيئا مما قالوه عن الله بما لا يليق فمرة يقولون : (**ان الله فقير ونحن اغنياء**) ال عمران / ١٨١ - ومرة يتطاولون عليه بقولهم انه بخيل :

(**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا**) المائدة / ٦٤ .

قضاء العدل الالهي في اليهود :-

لذلك قضي العدل الالهي ولا راد لقضائه بطرد هذه الفئة الضالة من رحمة الله - وأن يبعث عليهم الى يوم القيامة من ينكل بهم ويسومهم الوانا من العذاب ، مهما حاول أعوانهم من الكافرين امثالهم مد يد المساعدة والمعاونة لهم فان حبلها مقطوع يوما ما طبقا لوعيد الله ، وتاريخ اليهود حافل باحداث العذاب الدنيوي الذي تصبه البشرية عليهم صبا منذ بداية وجودهم حتى يومنا هذا

الاسلام والمساواة

وأسباب

لقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات في جميع الأمور التي تتماثل فيها المرأة مع الرجل ، بينما قاست النساء في المجتمعات غير الاسلامية حيث كانت تباع المرأة وتوهب وتورث حتى القرن الماضي ، لهذا تضمن الاعلان العالمي لحقوق الانسان مبدأ المساواة أمام القانون ، دون تمييز بسبب الأصل أو الجنس او الدين او اللغة او المركز الاجتماعي .

هذه المساواة لا تعني مساواة المجد بالكسول ، ولا تعني المساواة بين الامي والمتعلم او المساواة بين المتخصص وغير المتخصص ، بل تعني ان تطبق الدولة على الجميع قانونا واحدا بغير استثناء بسبب اللون او الجنس او الدين ، بمعنى ان تنعدم الامتيازات الخاصة وليكون امام الجميع فرص متكافئة امام هذا القانون فإذا وضع القانون شروطا للاشتغال بالتجارة او الصيدلة أو المحاماة أو القضاء ، فلا يحرم من هذا القانون من انطبقت عليه هذه الشروط بدعوى انه من الملونين او الفقراء او النساء .

كما لا تعني هذه المساواة ان تطالب المرأة زوجها بالتناوب معها في الحضانة و الرضاعة او ان يطالب الرجل زوجته ان تشاركه مهامه ومسئولياته لأنه لا تماثل بين الرجل والمرأة في هذه الامور ، فالمساواة بين غير المتماثلين هي الفوضى بعينها ، هذه المساواة قد توصلت اليها الشعوب بعد كفاح ونضال طال واستمر حتى بعد الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ديسمبر ١٩٤٨ ، ولكنها ما زالت حتى اليوم مساواة لمصلحة الرجال ، ولهذا فالمرأة في المجتمعات الغربية ما زالت تحصل على نصف اجر الرجل وما زالت تابعة له في شخصيتها الاجتماعية وذمتها المالية ، ولكن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان كانت المرأة في الاسلام تطعن على قرار اصدره امير المؤمنين عمر بن الخطاب حين خطب الناس فقال : « لا تزيدوا في مهور النساء على اربعين اوقية ، ومن

الفوارق بين الجنسين

زاد القيت الزيادة في بيت المال » فقامت امرأة كانت تجلس في صفوف النساء وقالت : « ما ذلك لك يا عمر » لأن الله تعالى قد قال : (**وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**) النساء/ ٢٠ . فنزل أمير المؤمنين الى رأيها وقال : « كل الناس أفقه من عمر » ثم عاد فخطب الناس وقال لهم : « ايها الناس كنت نهيتكم ألا تزيدوا النساء في صدقاتهن أي مهورهن ـ فمن شاء ان يعطي من ماله ما احب وطابت به نفسه فليفعل »، والجدير بالذكر ان هذه المرأة كانت من عامة النساء ، فلا تستند الى عصبية وليس لها أي تجمع تحتمي به ، إنما احتمت بدستور الله واستمسكت بقول الله ، اي انها طعنت بانعدام دستورية قرار الحاكم .

وهذه القصة قد وردت في كتب التاريخ وليس سندها كسند الحديث ، الا ان هدفها هو حق المرأة في الطعن على قرارات الحاكم ولو لم تكن لها مصلحة حالة ومباشرة ، غير ان

للأستاذ / سالم البهنساوي

الرواية لا تصلح ان تكون لاولئك الذين يتغالون في المهور ولو أدى ذلك الى عدم الزواج .

ان الحرية بمفهومها الاسلامي لا تترك مجالا لصمويل بتلر وغيره ، ليحرضوا الأبناء على الآباء وعلى التقاليد ، لأنه في ظل الاسلام يدرك الرجال والآباء ، ان الاسلام يخول البنت ان تراجع اباها وتوجه اخاها وترد زوجها الى دستور الله إن نسى او تخطاه ، ويجب على الاب والزوج قبول ذلك بقبول حسن ، لأنه بهذا يطيع ربه ويذعن لشريعة خالقه ، وها هي الفتاة المسلمة قد مكنها الاسلام من ممارسة المفهوم الصحيح للحرية ممارسة جعلتها تعترض على ابيها او زوجها ، اذا وجدت منهما مساسا بحقها المشروع فيرضى الاب والزوج منها هذا الموقف لأن الاسلام هو الذي خول ذلك للفتاة والله تعالى يقول : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله**

ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاحزاب/ ٣٦ . لقد روى احمد وابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن بريرة عن ابيه قال : « جاءت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابي زوجني لابن اخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الامر اليها قالت : قد اجزت ما صنع ابي ، ولكن اردت ان تعلم النساء أن ليس للاباء من الامر شيء ». والحديث قطع بصحته في مجمع الزوائد .

وحتى يرد الله الانسان الى انسانيته جعل الابن يوجه الاب إذا ضل سبيل الفطرة الإنسانية .

وقد سجل الله موقف نبي الله ابراهيم من أبيه ، هذا الموقف الذي قال الله تعالى عنه : **(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين)** الانعام/ ٧٤ . كما سجل السبب الذي يخول الابن الحق في أن يقود أباه وفي ذلك يقول الله حاكيا مناظرة ابراهيم لأبيه : **(يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا)** مريم/ ٤٣ .

وفي ظل الاسلام اصبحت نسيبة بنت كعب علما من « اعلام النساء » ، فقد هاجرت مع الصحابة الى المدينة ، ثم في غزوة أحد بعد أن انفض الرجال من حول النبي صلى الله عليه وسلم وقفت نسيبة تقاتل وتدفع المشركين عنه وقد اصيبت في هذه الغزو بثلاثة عشر جرحا ولم يغير ذلك من ثباتها ودفاعها عن النبي الذي قال لابنها بعد المعركة : اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت خير من فلان وفلان كما سجلت كتب السيرة لها ايضا هذا الموقف دفاعا عن الرسول : فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقمت اباشر القتال ، واذب عنه بالسيف . وقد روى البخاري عن أنس : انه عندما انهزم المسلمون في غزوة احد لمخالفة الرماة اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت عائشة وأم سليم مشمرتين ، تسرعان بالقرب على ظهورهما . ثم تفرغان الماء في أفواه القوم .

وبعد

فهذه أمثلة قليلة عن مساواة الاسلام بين الرجل والمرأة وطبيعة هذه المساواة وحدودها ونطاقها .

يخلص منها ان المساواة في الاسلام حق في الامور التي يشترك فيها الرجال والنساء دون أن توجد بينهما فوارق طبيعية وغير مصطنعة ، ومن خلال هذه المساواة تكون الحرية الاسلامية في ممارسة هذا الحق وهي حرية تختلف عنها في المفهوم الغربي والاوروبي وكذا عن الحرية في القاموس الشيوعي .

لأنها الحرية التي وضعها رب الرجال والنساء وخالقهم والذي وضع

لهم ما يصلح حياتهم في الدنيا والآخرة سواء ادركوا ذلك ام جهلوه ، جهلا جعلهم يخالفون او يعاندون وينكرون خلق الله لهم وإحيائهم واماتتهم وبعثهم .

الفوارق المالية بين الجنسين

يحلو لبعض الرجال والنساء ممن انتسبوا الى الاسلام بشهادة الميلاد ، ان يرددوا ان الاسلام جعل حق المرأة نصف حق الرجل في الشئون المالية ويضربون على ذلك مثلا بحقها في الميراث وحقها في الدية الشرعية ولقد غاب عن هؤلاء ان اصحاب الديانات السابقة على الاسلام لا يجعلون للبنت ميراثا اذا كان لها اخوة من الذكور ، كما ان المجتمعات التي لا دين لها تحرم المرأة من الميراث فجاء الاسلام واعطى المرأة حقها قال الله تعالى : (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) النساء/٧ .

ولكن هذا النصيب تختلف احواله وفقا لاختلاف الاعباء المالية وغيرها مما لا يدركه البشر ، ومثال ذلك .

(١) يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل وذلك كما في حالة ميراث الأم والأب اذ قال تعالى : (**ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث**) النساء/١١ .

(٢) وقد يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل كما في حالة ميراث الاخوة لأم قال تعالى : (**وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث**) النساء/١٢ .

(٣) تأخذ البنت نصف التركة وتأخذ البنتان فاكثر ثلثي التركة إذا لم يكن للمتوفى فرع وارث ذكر - ويئول الباقي للورثة رجالا ونساء ، قال تعالى : (**فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس**) النساء/١١ .

(٤) كما تأخذ البنت نصف الابن لقول الله تعالى : (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**) النساء/١١ وهذا الفارق له سبب لا يدركه بعض الناس ، لهذا قال الله تعالى : (**آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما**) النساء/١١ .

والملاحظ من هذا التوزيع أن الفوارق في الميراث لا تتعلق بالذكورة والأنوثة ، لهذا قال الله تعالى : (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**) ، فامر الوالدين بالوصية بأولادهم توجيه من الله برعاية البنات حيث كانت القاعدة هي حرمانهن من الميراث ، اما تقرير الفوارق بين الابن والبنت فقط وليس بين كل رجل وامرأة ، فيرجع الى ان الاسلام قد كلف الابن بأمور كثيرة

تتطلب ان تزداد موارده لمواجهة هذه الأعباء فهو المكلف بالانفاق على زوجته وأولاده وعلى اقاربه المحتاجين رجالا او نساء ، وهو المكلف بأعباء الجهاد بماله ونفسه وهو المكلف بأعباء الضيافة للقريب والبعيد وهو المسئول عن تأثيث منزل الزوجية وعن تقديم جانب من المال الى من سيتزوجها كمهر لها قال الله عنه : (**وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**) .

فوارق الدية الشرعية :

الدية هي مال يجب دفعه من الجاني او أقاربه الى المجني عليه اوورثته من بعده ، ويقصد بذلك تعويض المصاب أو ورثة القتيل مع جبر الخطأ . قال الله تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا**) النساء/٩٢ .

ولقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الدية الشرعية بقوله « في النفس مائة من الإبل » رواه مالك والنسائي وهذا النص عام يشمل نفس الرجل ونفس المرأة فلا تخصيص الا بدليل ولقد ذكرت كتب الفقه ان الشريعة الاسلامية تجعل الدية الشرعية عن وفاة المرأة نصف الدية المقررة عن وفاة الرجل ، بل قال ابن المنذر : « اجمع اهل العلم على ان دية المرأة نصف دية الرجل » ولقد تضافرت كتب الفقه على إثبات هذا الحكم .

وقد أفصح هؤلاء عن أن هذه التفرقة سببها ما ورد في صحيفة عمرو ابن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم « دية المرأة على النصف من دية الرجل »، ولكن بالبحث عن صحة هذه الرواية تبين ان العبارة ليست ضمن فقرات صحيفة عمرو بن حزم ، قال الحافظ ابن حجر « هذه الجملة ليست في حديث عمرو بن حزم الطويل إنما اخرجها البيهقى من حديث معاذ بن جبل واسناده « غير ثابت » كما اثبت المحققون المعاصرون ان هذه العبارة ليست ضمن حديث عمرو بن حزم المعروف بصحيفة عمرو بن حزم التي ورد بها ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن « ان الرجل يقاد بالمرأة » ، فالصحيفة المنسوب اليها التفرقة بين الرجل والمرأة في الدية الشرعية ثابت فيها التسوية بينهما في العقوبة في القتل العمد ، والدية الشرعية عقوبة عن القتل الخطأ، ومن ثم يتساوي فيها الرجل والمرأة كما هو الحال في عقوبة القتل العمد .

كما أن هذه الصحيفة ليس فيها التفرقة بين الرجل والمرأة في الدية الشرعية على ما ذكرناه من قبل وبالتالي تتساوى المرأة مع الرجل في هذه الدية .

هذا والجدير بالذكر ان المقلدات لنساء اوروبا في مطالبتهن بالمساواة بالرجال ، قد غاب عنهن او تناسين ما يأتي :-

اولا : ان الاسلام يجعل القوامة على الاسرة للرجل ، وجعل في مقابل ذلك ان يتحمل المهر والنفقات السالف ذكرها ، بينما التشريعات التي يقلدها هؤلاء تجعل رئاسة الاسرة للرجل ولا تعفي المرأة من النفقات ، حيث ينص القانون المدني الفرنسي على ان الالتزامات في الاسرة متبادلة بين الزوجين ، وهذه القاعدة تسود جميع التشريعات غيرالاسلامية ، بل نظام الزواج في المجتمعات الغربية يجعل المرأة تقدم مبلغا من المال لزوجها عند الزواج او ان تخلط اموالها بامواله ، ويكون الزوج هو المتصرف وحده في الاموال المقدمة منها او المختلطة بينهما .

ثانيا : ان التشريعات غير الاسلامية لا تعرف نظام الميراث إنما تأخذ بنظام الوصية ، وهذا من شأنه ان يتصرف الشخص في أمواله قبل وفاته فيوصي بها لمن شاء من اقاربه او غيرهم ، بل له ان يوقف هذه الاموال على الكلاب والقطط ويحرم منها بناته وبنيه .

ثالثا : ان الاسلام يساوي بين المرأة والرجل في الاجر وغيره وذلك بخلاف الغرب .

رابعا : ان المساواة المطلقة قد تضر بالمرأة نفسها ، لهذا نجد موقفا آخر للمنظمات النسائية الامريكية ، واهمها جمعية سعادة المرأة ، فقد وضع الكونجرس الامريكي مشروعا لتعديل الدستور بما يكفل للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل وصدر بذلك قرار بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٢ لكن توقف تنفيذه على موافقة أغلب الولايات الامريكية ، ولكن الحقيقة كانت مخالفة لكل التوقعات فإن المنظمات النسائية نفسها او بعبارة أدق : فإن عددا لا بأس به منها ، قام بالاعتراض على القانون .

وكانت وجهة نظر المعارضة كما لخصها أنصار المرأة هي :ـ

(١) المساواة بالرجل تلزم المرأة بالعمل فلا تستطيع التفرغ للبيت إن شاءت .

(٢) المساواة تلغي وجوب النفقة على الرجل بل تجعل له حقا في النفقة .

(٣) المساواة تلغي امتيازات المرأة في السجون .

(٤) المساواة تستلزم وجوب تجنيد المرأة في الجيش .

وامام هذه المعارضة لم توافق أغلبية الولايات فتوقف التعديل . وفي أمريكا ايضا قضت المحكمة العليا ان من حق الولايات افتتاح معاهد خاصة بالبنات ، وذلك بناء على طلب من بعض الرجال للالتحاق بهذه المعاهد تحقيقا للمساواة ، كما قضت المحكمة أيضا بأن من حق ولاية ميتشيجان منع النساء من العمل ساقيات في الحانات .

وفي المجر تمردت المرأة على تبعات الاسرة والاطفال بسبب استقلالها في حياتها بعملها واكتفائها بالعلاقات غير الشريفة ، فاضطرت الحكومة لمنح اجازة حضانة بمرتب كامل للراغبات في البقاء في البيت ، فهل يدرك ذلك المقلدون والمقلدات .

إنما المؤمنون أخوة

للدكتور/الحسيني ابو فرحة

أمر المولى عز وجل المؤمنين أن يكونوا اخوة متحابين . جاء ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . إذ يقول : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » متفق عليه .

هذا والسنة شطر الوحي . فما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو مما امر به الله عز وجل . قال صلى الله عليه وسلم : « من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله » رواه ابن ماجه . وما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مثل ما نهى عنه الله في تحريمه . قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ما حرم الله » رواه ابن ماجة .

هذا وقد صرح صلى الله عليه وسلم في حديثه . بالأمر بالاخوة في الله بقوله :

« وكونوا عباد الله إخوانا » .

ونرى في الآية القرآنية الكريمة . التي اقتبسنا منها عنوان المقال . وهي قوله تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/ ١٠ . نرى فيها قصر المؤمنين على صفة الاخوة في الله . وهو وان كان قصرا غير حقيقي . لأن قصر الموصوف على صفة واحدة لا يتصور غالبا . فالمؤمنون لهم غير وصف الاخوة في الله اوصاف كريمة اخرى كثيرة .. وكأن الآية تقدم وصف الأخوة في الله على غيره من الصفات الكريمة الأخرى بعد وصف الايمان ، الذي جعل عنوانا للمؤمنين وعلما عليهم .

ويصور صلى الله عليه وسلم اثر الاخوة في الله . وانها تؤدي الى تماسك المسلمين في وحدة رائعة بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري ، وشبك بين أصابعه .

ومن هنا نلمس ثمرة سريعة دانية القطوف للاخاء في الله هي ما يثمره الاخاء في الله من قوة لكل فرد من المتآخين في الله .

ويشير القرآن الكريم الى منة الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بتأليفه بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخوانا . فيقول تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) آل عمران/١٠٣ .

وذلك ان جمع القلوب وتأليفها حتى تتآخى في الله بعد طول خصام يحتاج الى جهد كبير . بل قد يكون فوق طاقة البشر .

يقول تعالى : (**والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**) الأنفال/٦٣ .

ولقد حرص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اول ما نزل المدينة المنورة على بذر بذور الاخاء بين المسلمين . بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق : « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار . فقال : ـ فيما بلغنا . ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ :

تآخوا في الله اخوين . ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، (سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٥٠) .

وذكر القرآن الكريم من بين ما أنعم به على عباده في الجنة . نعمة الاخاء في الله فقال عز من قائل : (**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين**) الحجر/٤٧ .

ولم يبتل الله قوما ببلاء أخطر من ابتلائهم بحرمانهم من نعمة الأخوة في الله . فيتركهم متدابرين متنافرين . يبغي بعضهم على بعض ، ولا يأمن بعضهم البعض . فهم في صراع دائم . وخوف ملازم . حرموا نعمة الأمن . قال تعالى : (**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون**) الأنعام/٦٥ .

فجعل بأس الأمة بينهم من أخطر ما ينزله الله بالناس . ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا أشد الحرص على أن يجنب أمته هذا البلاء . الذي يحرمهم من نعمة الأخوة في الله . ولكن سبق القدر بأن يذيق الله أمتنا الاسلامية من هذا البلاء . روى الامام أحمد بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه . قال :

« أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا

معه . فناجى ربه عز وجل طويلا . ثم قال : سألت ربي ثلاثا ، سألته ألا يهلك امتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها . وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » رواه أحمد ومسلم في صحيحه .

وما كان المولى عز وجل وهو الرحمن الرحيم ليذيق الأمة الاسلامية هذا العذاب إلا بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما أمر عز وجل بالأخوة الاسلامية . فقد نهى عن أخوة الكفار وموالاتهم وهدد من يؤاخي الكفار من المسلمين . فقال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**) التوبة/ ٢٣ .

كما قال تعالى : (**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**) المجادلة/ ٢٢ .

وانما نهى الله عن مؤاخاة المسلم للكافر . لأن ذلك يضر بالأخوة الاسلامية ويناقضها . فهما لا يجتمعان أبدا . فمن امتلأ قلبه بالاسلام . لا يبقى فيه مكان لأخوة كافر . بل يمتلىء قلبه لا محالة ببغض الكافرين . وبمقدار ما يجد في قلبه من مودة وأخوة للكافرين يجد نقصا في قلبه في أخوته للمسلمين .

وهنا أحب أن أنبه إلى أن ترك مؤاخاة المسلم للكافر . لا يمنع من بر المسلم للكافر ومعاملته بالعدل . قال تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) المتحنة/ ٨ و٩ .

ولقد شرع الاسلام لنا الكثير مما يغذي الأخوة الاسلامية . نجد ذلك منثورا في الكتاب الكريم . والسنة النبوية المطهرة . ولا يتسع مقال للاحاطة بذلك .

وبحسبنا أن نذكر طرفا من ذلك . كنموذج يشير إلى غيره .

من ذلك تشريع الاسلام للجمعة والجماعة .. حيث يلتقي المسلم بأخيه المسلم . في ظلال رحمته تعالى . في الصلاة . وبين يدي الصلاة . وعقب الصلاة .

ولقاء المسلم بأخيه المسلم خير كله قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه .

ومن ذلك التبسم في وجه اخيك المسلم . وزيارته في الله . وصلته بما

تيسر قال صلى الله عليه وسلم : « يانساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى . فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا .

فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ قال : لا . غير أني أحببته في الله تعالى .

قال : فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » رواه مسلم .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد : بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » رواه الترمذي .

فنراه صلى الله عليه وسلم يحث في حديثيه هذين على التزاور في الله . ذلك أن المودة جسم روحها الزيارة . فالزيارة تغذي المودة وتنميها . وخاصة الزيارة ابتغاء وجه الله . وفي الحديثين نرى من ثمرات الزيارة لله وفي الله محبة الله عز وجل للزائر . وإعلامه بها عن طريق ملك يبشره بها .

كما نرى من ثمرات الزيارة في الله دعاء الملك له بأن يطيب ويطيب ممشاه . وأن يتبوأ من الجنة منزلا . ودعاء الملك مقبول .

وبهذا فقد جمع من زار أخا له في الله قياما بحق الأخوة عليه بين هذه المثوبات كلها . وبهذا يشيع بين المسلمين الاخاء في الله . وسقيا الاخاء في الله بالزيارة . طلبا لهذه المثوبات . واكرم بها من مثوبات . وخاصة حب الله لمن زار أخاه في الله .

أخي أيها المسلم . يتزاور المسلمون فيما بينهم والجمهرة الكبيرة منهم لا تظفر بمثوبة الله على هذه الزيارة . فصحح النية تظفر بهذه الزيارة . واقصد وجه ربك عندما تأتي عملا حتى ترزق المثوبة عليه . قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنية وإنما لامرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله . فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » متفق عليه .

وكما شرع الاسلام الكثير مما يغذي الأخوة الاسلامية . فقد شرع كذلك الكثير مما يحفظ صفو الأخوة الاسلامية .

فنهى عن سخرية المسلم من أخيه المسلم . كما نهى عن التنابز بالألقاب . ونهى كذلك عن الغيبة والنميمة . وعالج كذلك ما يثور بين المسلمين من خصومات .

وهذا قليل من كثير . مما شرعه الاسلام للحفاظ على الأخوة الاسلامية . ذكرته كنموذج فحسب . ففي النهي عن السخرية وعن التنابز بالألقاب يقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من**

نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات/١١ .

وفي الآية نهي صريح عن السخرية بالناس . فان ذلك مما يشيع بينهم العداوة والبغضاء ، والسخرية ثمرة من ثمرات الكبر . قال صلى الله عليه وسلم : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » الكبر أضر المعاصي على صاحبه . ذلك أنه أول معصية عصى بها الله عز وجل . حيث امتنع إبليس عن السجود لأبينا آدم كبرا قائلا : **(أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** ص/٧٦ . ومن هنا قال السادة العلماء : « كل معصية أصلها من الكبر لا يرجى زوالها . وكل معصية أصلها من الشهوة يرجى زوالها » .

وهكذا نرى مبلغ خطورة السخرية من المؤمنين .

ويتفرع عن السخرية لونان من السلوك هما الهمز واللمز . والهمز : هو السخرية بالفعل ، واللمز : هو السخرية بالقول . فالذي يسخر من إنسان بتقليد حركاته مثلا . هماز . والذي يسخر منه بلسانه لماز . وكلاهما مستهزىء .

ولقد أملى المولى عز وجل للكافرين . غير أنه لم يمل للمستهزىء منهم بنبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى : **(إنا كفيناك المستهزئين)** الحجر/ ٩٥ .

قال ابن اسحق : « إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمستهزئون يطوفون بالبيت . فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه ، فمر به الأسود بن عبدالمطلب . فرمى في وجهه بورقة خضراء . فعمى . ومر به الأسود بن عبد يغوث . فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا . (والحبن: انتفاخ البطن) ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين . وليس بشيء فانتقض به فقتله . « وانتقض الجرح : إذا تجدد بعد ما برىء » .

ومر به العاص بن وائل . فأشار إلى أخمص رجله . فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة . فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ، « والشبارقة » الشجرة العالية . سيرة ابن هشام ج٢ ص٥١ .

ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه . فامتخض قيحا فقتله .

هذا وقد قال سادتنا العلماء : « كل آية وردت في وعيد الكافرين تنسحب بذيلها على عصاة المؤمنين » فما كان الله عز وجل ليعجل عقوبة الاستهزاء للكافرين ويمهل المستهزئين بالمسلمين من المسلمين .

فحذار أخي المسلم من الاستهزاء بأخيك المسلم . تنل رضوان ربك وتظفر بمثوبته .

هذا ونهى الاسلام كذلك عن التنابز بالألقاب . صيانة للأخوة بينك وبين اخيك المسلم أن تنتهك حرمتها . وأي خير للمسلم في إيذاء أخيه المسلم

بتلقيبه بما يكره إنه لا يحصل إلا على إيغار قلب أخيه المسلم فيتربص به هو الآخر لينال منه متى سنحت له الظروف .

ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم ينادي أصحابه بأحب أسمائهم إليهم . ويغير من أسمائهم ما يكره منها .

ونهى الاسلام كذلك عن كثير من الظن . فان الظن أكذب الحديث . عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا » . وصدق أمير المؤمنين . فان ذلك أجمع لقلوب المؤمنين . ويذهب بالكثير من وساوس الشيطان . ويحفظ حرمة المؤمن أن تنتهك بسبب الظن .

وحرمة المؤمن عند الله عظيمة . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك . ما له ودمه وأن يظن به إلا خيرا » وتفرد ابن ماجة من هذا الوجه .

وينهى الاسلام كذلك عن ثمرات الظن من التحسس والتجسس والتباغض والتدابر كما ينهى كذلك عما يدور في فلك الظن من تقطيع روابط المحبة من التنافس والتحاسد يقول صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري .

وينهى الاسلام كذلك عن الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره . عن أبي هريرة قال : قيل : يارسول الله ما الغيبة ؟. قال صلى الله عليه وسلم : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في اخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

نهى الاسلام عن ذلك كله صيانة للأخوة الاسلامية أن تنتهك حرمتها . وحفاظا عليها من كل ما يصدع بنيانها .

ويبلغ الاسلام الذروة في الحفاظ على الاخوة بين المسلمين ، وذلك بعلاجه لما يثور بينهم من خصومات . يعتدي فيها المسلم على أخيه . المسلم . فنراه يضع الحل الأمثل لذلك فيخاطب المعتدى عليه الذي جرح شعوره . واعتدى على كرامته . فثارت ثائرته يخاطبه أولا باعطائه الحق في الثأر لكرامته . فيرضى بهذا شعوره . غير ان القرآن يشير إشارة خفية إلى عدم الرضا الكامل على رد الاعتداء . والانتقام من المعتدي ، تلك الاشارة هي تسمية القصاص من المعتدي اعتداء عليه . ويقول البلاغيون إنها مشاكلة فحسب لأن صورة القصاص تشبه صورة الاعتداء .

ولكن من يتدبر القرآن يجده يهدف إلى أبعد من ذلك . إنه يهدف إلى التنفير من القصاص . حيث سماه اعتداء هو الآخر .

ثم بعد أن تهدأ ثائرة المعتدي عليه . بإعطائه الحق في القصاص . يخاطبه القرآن بتفضيل الصبر على القصاص وهنا ينشرح صدر المعتدي عليه بعض الشيء للعفو إيثارا للصبر وكريم عاقبته على القصاص .

ثم تأتي المرحلة الثالثة آمرة بالصبر لنفس قد تهيأت تماما لقبول الأمر بالصبر . في المرحلتين السابقتين .

نقرأ ذلك كله في قوله تعالى : (**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله**) النحل/ ١٢٦ و١٢٧ ولو أمعنا النظر في هذه الآيات الكريمة ، وأطلنا التدبر فيها لرأينا فيها الكثير مما يصرف عن القصاص في غير القتل . كالضرب مثلا والجرح وغير ذلك .

فالآية أباحت القصاص في هذه الأمور بشرط المثلية ، والمثلية متعذرة بل قد تكون مستحيلة . فلطمة تختلف عن لطمة . لاختلاف القوة بين الضارب والمضروب . واختلاف الدافع . إلى غير ذلك .

كما أن الآية سمت الايذاء ابتداء عقوبة . ولا أفهم لم سمى عقوبة هنا ، إلا أن يكون ذلك إشارة إلى أن ما ينزل بالانسان إنما ينزل غالبا بسبب جرم منه ، فهو يعاقب من الله بتسليط هذا الذي اعتدى عليه .

كما سمى القرآن القصاص في آية اخرى اعتداء لما ذكرت سابقا . وهو التنفير من القصاص . قال تعالى : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**) البقرة/ ١٩٤ .

هذا ولم يقف الهدى القرآني في علاج ما يثور بين الناس من الخصومات عند حد الأمر بالصبر . بل جاوز هذا المقام إلى مقام أعلى منه بكثير . إنه أمر بالاحسان إلى من أساء اليك . ذلك أن إحسانك إليه في مقابل إساءته إليك يجتث جذور الخصومة . ويجعل الخصم تنقلب عداوته لك إلى محبة .

يقول تعالى مشيرا إلى هذا المقام مقام الاحسان إلى من أساء إليك : (**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**) فصلت/ ٣٤ و٣٥ .

هذا قليل من كثير مما شرعه الاسلام لبذر الاخاء بين المسلمين . وتغذيته بعد بذره . وصيانته من كل ما يضره . ويوقف نماءه .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل :

(**ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم**) الحشر/ ١٠ .

منهج الإسلام في ترشيد الاستهلاك

للاستاذ / مجدي عبدالفتاح سليمان

يعد الاستهلاك في واقع الامر ، سمة مميزة من سمات هذا العصر ، اذ لا يكاد يخلو أي نظام اقتصادي من ارتفاع متزايد في معدلات الاستهلاك سواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا ، متقدما ام نامياً ، ومع التسليم بعمومية هذه الظاهرة ، الا انه من الملاحظ تزايد معدلات الاستهلاك في البلاد الاسلامية بصورة خطيرة ، باتت تهدد مصالح هذه الدول ، وتعوق مجهوداتها الانمائية ، وفي مواجهة هذه الظاهرة وضع الاسلام قيوداً محكمة على الاستهلاك ، ايمانا بأن حرية

الاستهلاك تؤدي في النهاية إلى اصابة الاقتصاد القومي بأفدح الأضرار .

ويؤكد خبراء الاقتصاد ان ظاهرة الاستهلاك الكبير والمتضخم قائمة ومستمرة ، ومعنى استمرارها هو إنفاق كل الدخل الفردي والقومي ، وتسرب مدخراتنا وأموالنا إلى الخارج لتمويل شراء السلع الاستهلاكية ، ايضا سنواجه مصاعب امام التنمية ، تؤدي إلى مزيد من المشاكل الاقتصادية ، وتزداد الصعوبة امام المسئولين عن حل تلك المشاكل ، من هنا نؤكد ان ترشيد الاستهلاك يعتبر من الامور الحيوية التي يجب التفكير فيها جديا ، بسبب ما سيترتب عليه من آثار في مصلحة الاقتصاد القومي ، وكفى بالمرء اسرافاً ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه ، فكثرة الطعام تميت القلوب فقد قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء** » احياء علوم الدين للامام الغزالي ج ٣ ص ٧٨ دار احياء الكتب العربية

ينبغي ان نترك هذا التقليد الأعمى المدمر ، وهذه العادات السيئة والجري وراء أوهام وسراب الاستهلاك ، وأن نعود إلى تعاليم هذا الدين الحنيف فهو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من أزماتها وهو وحده كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من كمال ورفعة وتقدم ورخاء .

○ الاستهلاك وتعاليم الاسلام :

جاء الاسلام بمنهج شامل لتنظيم الحياة الانسانية ، وجعل الاستهلاك والاستفادة والانتفاع بما خلق الله تعالى أمرا طيبا في الاسلام ، طالما أنه لا يقوم على ادخال الضرر بالنفس او الاضرار بالغير ، والاسلام يكلف المسلم تمتيع ذاته في الحدود المشروعة ، ويكره للناس ان يحرموا في غير محرم ، لان الحياة لا بد ان تستساغ وأن تجمل ، وان تكون بهيجة في غير لهوولا اسراف ، فهو يأمر بني آدم أن يتزينوا الزينة اللائقة فقال تعالى : **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** الاعراف / ٣١ ـ ٣٣ » فالاسلام يطلب الاستمتاع بمباهج الحياة المعقولة للناس جميعا ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم لذلك وجه الخطاب هنا الى « بني آدم » فاذا دعا في بعض الاحيان إلى الصبر والرضا فليست هذه دعوة الى الحرمان ، انما هي دعوة لاحتفاظ النفس بطمأنينتها

علىّ الشدائد إلى ان تزول او تزال ، اما بعد ذلك فكل فرد مطالب بأن يستمتع المتاع الحلال ، والجماعة مطالبة بأن تهيء هذا المتاع لافرادها جميعا فلا تحرمهم مما يدعوهم الله ان يستمتعوا به في الحياة ، هذا كله من ناحية ، اما ان يتضخم هذا التمتع والتنعم كما هي صفة المجتمع غير الرباني ، فأمر لا يقره الاسلام ولا يعترف به ويصفه بالاسراف والتبذير ، من هنا فان الامة الاسلامية مطالبة باتباع منهج الاسلام في ترشيد وتنظيم الاستهلاك ، هذا المنهج الذي حرم حياة الترف ، ونهى عن الاسراف والتبذير والسفه ، وأمر بالتوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك » .

○ تحريم الاستهلاك الترفي :

حرم الاسلام الاستهلاك الترفي بكافة صوره واشكاله ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة** » متفق عليه ، والحديث دليل على تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وصحافهما سواء كان الاناء ذهبا خالصا ام مخلوطا بالفضة ، اذ هو مما يشمله انه اناء ذهب وفضة ، وقال الامام النووي : « **انه انعقد الاجماع على تحريم الاكل والشرب فيهما ، واختلف في العلة فقيل للخيلاء ، وقيل لكونه ذهبا وفضة** » سبل السلام للصنعاني ج ١ ص ٢٩ ويصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عقاب من يخالف ذلك فيقول : « ان الذي يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم » متفق عليه. ولمسلم : « **ان الذي يأكل او يشرب في اناء الذهب والفضة** » **نيل الاوطار للشوكاني ج ١ ص ٦٨**

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال اما النساء فأبيح لهن الحرير والذهب ، فعن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **احل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها** » رواه احمد والنسائي والترمذي ونهى عليه الصلاة والسلام عن الجلوس على الحرير فعن حذيفة رضي الله عنه قال : « **نهانا النبي صلى الله عليه وسلم ان نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه** » رواه البخاري ومن يلبس الحرير في الدنيا يحرم منه في الاخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة** » رواه البخاري .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التعالي في البنيان والتوسع فيه لغير ضرورة ، فقد روي ابو داود وابن ماجة والطبراني : **انه عليه الصلاة**

والسلام خرج يوما في بعض صحابته فرأى قبة مشرفة فقال : « ما هذه ؟ قالوا : هذه لفلان فقال : كل ما كان هكذا فهو وبال على صاحبه ، وعلم الرجل فهدمها وسواها بالارض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يجدها ، فسأل عنها فأخبر بما صنع صاحبها فقال : « يرحمه الله ، يرحمه الله » .

ونهى صلى الله عليه وسلم عن ستر جدران الحجر او تزيينها بستائر او اشياء ثمينة وما الى ذلك مما نسميه اليوم « بالديكور » فكلها أمور غير ضرورية وكمالية تدل على الترف ، فقد روي مسلم ان عائشة رضي الله عنها **زينت بيتها بستار فلما رآه صلى الله عليه وسلم جذبه ، وصار يفركه بين يديه حتى هتكه وقال : « يا عائشة » : ان الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا ، ان نكسو الحجارة والطين »** . و الرسول صلى الله عليه وسلم – **يسمي بيوت المترفين بيوت الشياطين** لما ينبع فيها من الفساد ، ولما يخرج منها من الفتنة « تكون ابل للشياطين ، وبيوت للشياطين فأما ابل الشيطان فقد رأيتها يخرج احدكم بنجيبات معه قد اسمنها ، فلا يعلو بعيدا منها ، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، واما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الاقفاص التي تستر الناس بالديباج » رواه ابو داود واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – رآها ابلا للشياطين فلا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون ، ونحن نجد السيارات الفخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الامور ، والوف لا يجدون اجرة المواصلات ، ومئات لا يجدون حتى ارجلهم للمشي بها ، فهي مقطوعة ذهبت بها الآفات !

اما البيوت التي رآها المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في الاقفاص التي تستر الناس بالديباج : فنحن نراها ووسائل الترف فيها لم تخطر على قلب بشر في ذلك الزمان وخلاصة القول : **ان الترف منبع شر يملأ القلوب حقدا وضغينة ، ويقضي على حياة الامن والاستقرار ، يصل بأصحابه إلى جحود الحق وانكار الشرائع ، ويغرس في نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات ، اذا فلا جرم ان يكون الترف سبب العذاب في الآخرة ، فيقول الله تعالى في سورة الواقعة / ٤١ – ٤٨ : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون)**

ولكن هذا الهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود مترفين : **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق**

عليها القول فدمرناها تدميرا) الاسراء ١٦ ذلك ان وجود المترفين في الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم ، وقعودها عن ازالة اسباب الترف وتركها المترفين يفسدون .. كل ذلك اسباب تؤدي حتما إلى الهلاك والتدمير .

○ تحريم الاسراف والتبذير والسفه :

○ **الاسراف** :« هو الانفاق في الحلال بصورة تزيد كثيرا عن الحاجة والمعقول وهو محرم ، وحقيقة هذا الاسراف مجاوزة الحد في كل فعل او قول .

يقول الحق تبارك وتعالى : **(كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الانعام/ ١٤١ فقوله « **لا تسرفوا** » نهى عن الاسراف في كل شيء ولا شك انه صحيح ، وقد ورد في تفسير ابن كثير : اي لا تسرفوا في المأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد** » احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٩ ونظر المصطفى صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال : « **لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك** » احياء علوم الدين ص ٨٦ ج ٤ اي لو قدمته لاخرتك وآثرت به غيرك . وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم : اي الناس افضل قال : « **من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته** » احياء علوم الدين ص ٧٨ ج ٤

● **اما التبذير** :فهو النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق وفي الفساد وقال مجاهد « لو انفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو انفق مدا في غير حق كان مبذراً » وقد شبه القرآن الكريم المبذرين بالشياطين اعداء البشرية ، فيقول الله تعالى : **(ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)** الاسراء/ ٢٦ ، ٢٧ .

○ **اما السفه** : فهو التبذير وعدم حسن التصرف في المال ، والسفيه عند الشافعية : « المبذر في ماله والذي ينفقه فيما لا يعود عليه بمنفعة عاجلة او آجلة ، كأن يقامر به ، او ينفقه في اللذات المحرمة الضارة بالبدن والعرض والدين كالزنى ، وشرب الخمر ، او ينفقه في المكروهات كأن يشتري به الدخان او يضيعه بسوء تصرفه ، كأن يبيع أو يشتري بالغبن الفاحش » ويقول الحق تبارك وتعالى : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)** النساء/ ٥ . وفي تفسير هذه الاية يقول الامام النسفي : **(ولا تؤتوا**

السفهاء) أي المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها ، والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء اموال السفهاء بقوله **(اموالكم)** لانهم يلونها ويمسكونها ، فالاموال التي بأيدي السفهاء إنما هي في الحقيقة اموال المجتمع ، وتوجب الشريعة الاسلامية على ولي الامر معاقبة السفيه بالحجر عليه وغل يده عن امواله » .

○ تحريم استهلاك السلع والخدمات الضارة :

يحرم الاسلام كل ما يضر بالمجتمع من سلع وخدمات ضارة بالجسم او العقل أو تؤدي الى تبديد الموارد من غير فائدة حتى لو لم تكن نفسها ضارة ، فحرم الاسلام أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .. وحرم شرب الخمر والميسر وحرم الاسلام الخبائث .

يقول تعالى : **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق)** المائدة ٣

« نهى المولى سبحانه وتعالى عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي ما مات من الحيوان حتف انفه من غير ذكاة ولا اصطياد ، وما ذاك الا لما فيها من المضرة ولما فيها من الدم المحتقن ، فهي ضارة للدين وللبدن لهذا حرمها الله عز وجل ، وقد أحل الله لنا ميتتين ودمين فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **احل لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالسمك والجراد ، واما الدمان فالكبد والطحال** » رواه احمد بن حنبل وابن ماجة وحرم « الدم » اي المسفوح وهو السائل ، وحرم لحم الخنزير وكله نجس **(وما اهل لغير الله به)** اي رفع الصوت به لغير الله . **(والمنخنقة)** التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالشبكة او غيرها **(والموقوذة)** التي أثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت **(والمتردية)** التي تردت من جبل او في بئر فماتت **(والنطيحة)** المنطوحة وهي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح **(وما اكل السبع)** بعضه ومات بجرحه **(الا ماذكيتم)** الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب ، اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت **(وما ذبح على النصب)** كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ، ويتقربون اليها تسمى الانصاب » .

● اما بالنسبة للشراب فقد حرم الاسلام شرب الخمر وما اشتق منها وما شابهها ليضمن بذلك سلامة عقول المسلمين ، فتكون تصرفاتهم في اطار

احكام الشريعة الغراء ، فالحق تبارك وتعالى يقول : (**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة / ٩٠ ويوضح لنا القرآن الكريم تحريم كل الخبائث « اي الاشياء الضارة » فيقول تعالى :(**الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم**) الاعراف / ١٥٧

○ التوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك :

يهدف النظام الاقتصادي في الاسلام الى تحقيق رفاهية المجتمع ودعم قدرته الاقتصادية حتي يتمكن من تحسين مستويات المعيشة ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالاعتدال والتوسط .

وقد جاء القرآن الكريم يقرر ان الحد الوسط في عملية الانفاق على الاستهلاك هو النمط المطلوب ، وذلك في قوله تعالى : (**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) الفرقان / ٦٧ فالقوام هو العدل والاعتدال ويقول الله تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً**) الاسراء / ٢٩ ويقول ابن كثير في تفسيرها : يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذا ما للبخل ناهيا عن السرف : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**) ٠ أي لا تكن بخيلا منوعاً لا تعطي أحداً شيئا : (**ولا تبسطها كل البسط**) اي لا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج اكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا اي فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك » وقال صلى الله عليه وسلم « **كلوا واشربوا وتصدقوا ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة** » رواه النسائي وابن ماجة وهذا الحديث يدل على تحريم الاسراف في المأكل والمشرب فهو جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والاخرة .

يتضح لنا مما تقدم ان اتباع منهج الاسلام في عملية الاستهلاك يؤدي حتما الى الحد من التنوع والتطور المستمر في الحاجات الانسانية غير الضرورية « الكمالية » ، وذلك من خلال تأثير هذا المنهج في سلوك المستهلك ، كما وان اتباع هذا المنهج يعد من العوامل الاساسية في بناء اقتصاد الامة وقوة بأسها ، اذ يغنيها عن الاستيراد الذي يشكل عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة ، وقد يفتح لها آفاقاً جديدة في التصدير .

مائدة القارئ

تجارة لن تبور

قال تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة فاطر

استغنى عن

قال حكيم : استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به .

اللهم اغفر لي

ورد أن الحجاج قال عند موته : اللهم اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي ، وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن البصري ، قال : قالها ؟ فقيل له : نعم - قال : عسى

في السكوت بيان

قال الشاعر :

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
.. سكوتي بيان عندها وخطاب

النفس اولا

مواعظ الواعظ لن تقبلا
حتى يعيها قلبه اولا
يا قوم من اظلم من واعظ
خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الخلق احسانه
وخالف الرحمن لما خلا

الرحمة أولا

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده ، فوق العرش ، إن رحمتي غلبت غضبي »
أخرجه البخاري

ثقيل الظل

أطال ثقيل الظل إقامته عند رجل ، فلما أمسى وأظلم البيت لم يأته بسراج ، فقال ثقيل الظل : أين السراج ؟
قال صاحب البيت : إن الله تعالى يقول : « **وإذا أظلم عليهم قاموا** » .
فقام وخرج .

في اللغة

الجنب : يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، صرح به صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولا جنبا إلا عابري سبيل » وعلله بأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجتناب .

يموت غنيا

يعيب البعض منا على أناس تقدمت بهم السن ، وما زالوا ينصبون من أجل الرزق الحلال ، ونقول لهم : لقد سئل حكيم : اتدخر المال وأنت ابن سبعين سنة ؟
قال : يموت الرجل فيخلف مالا لعدوه خير من ان يحتاج في حياته لصديقه

إعفاء اللحية في

للدكتور / نجاشي علي ابراهيم

على الرغم من أن إعفاء اللحية : من خصال الفطرة ، فقد كثر كلام الناس عن اللحية ، وشغلوا بها لدرجة أن الحديث عنها : أخذ حيزا كبيرا من تفكيرهم ، وقدرا عظيما من كلامهم ، حتى خيل لبعض الناس ، أن لها وضعا : يختلف عن بقية خصال الفطرة ، وأن إعفاء اللحية ينفرد بحكم : دونه حكم هذه الخصال .

وذكر إعفاء اللحية ، ضمن خصال الفطرة : كان وحده كافيا لعدم الاسراف في القول الذي يحلو لبعض الناس أحيانا .

وخصال الفطرة : أمور يميل إليها الانسان بطبيعته ، ويهتدي إليها بفطرته ، ومن ثم يستوى فيها الناس جميعا : مسلمهم وكافرهم ، إذا لم تنحرف بهم فطرهم .

وما ذكر النصوص الدينية في مثل هذه الأمور : إلا تذكير للانسان ، وتنبيه له ، حتى يعود إلى هذه الفطرة السليمة ، ولا ينساق في تيار مخالف لها .

وقد أرشدنا التاريخ قديما ، عن

الشريعة الإسلامية

العرب وغيرهم ، إلى أن إعفاء اللحية : كان عادة مستحسنة ، ولا يزال كذلك عند كثير من الأمم :

- في علمائها .
- وفلاسفتها .
- وشعرائها .

مع مابينهم من اختلاف : في الدين ، والجنسية ، والاقليم .

وهم يرون أن في إعفاء اللحية : مظهرا لجمال الهيئة ، وكمال الوقار ، وحسن الاحترام .

والمتأمل في بدن الانسان ، ذكرا كان أو أنثى ، يستطيع أن يدرك أن الله سبحانه وتعالى : قد زين رأس الانسان بالشعر ، وجعله لباسا له ، لاحتياجه إليه ، كما زين الوجه : بما أنبت فيه من الشعور المختلفة :

- فزين الوجه بالحاجبين ، وجعلهما وقاية لما ينحدر من بشرة الرأس إلى العينين ، وقوسهما وأحسن خطهما .
- كما زين أجفان العينين بالأهداب .
- ثم اختص الرجل ، بأن زين الله وجهه : باللحية ، وجعلها كمالا ، ووقارا ومهابة .
- ثم زين الشفتين من الرجل : بما أنبت فوقهما من الشارب ، وبما أنبت تحتهما من العنفقة .

وكان ذلك متناسقا مع تكوين الرجل وما تتطلبه رجولته ومسئولياته في الحياة من خشونة وهيبة واحترام .

كما كان خلو وجه المرأة من اللحية والشارب والعنفقة متناسقا مع تكوينها وما تتطلبه أنوثتها من رقة ونعومة .

المقصود باللحية :

اللحية بكسر اللام فقط : مفرد

اللحى بكسر اللام أيضا ، وحكى ضمها ، ثم إن اللحى وهو جمع ، يأتي مقصورا وممدودا .

واللحية : الشعر النابت على اللحيين .

وإعفاء اللحية : توفيرها لتكثر ، وهذا يعني تركها من غير حلق ، ولا نتف ، ولا قص للكثير منها .

فالاعفاء : توفير اللحية وتكبيرها ، لأن الاعفاء بمعنى الترك ، وكما يكون الاعفاء من الرباعي : يكون من الثلاثي .

فيقال مثلا : « عفوا » إذا كثروا وكثرت أموالهم ، قال تعالى : **(حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء)** / الأعراف / ٩٥ .

كما يقال : عفا بنو فلان ، إذا كثروا ، ويقال : عفا الشيء ، بمعنى كبر .

ـ وعلى هذا يكون : « أعفوا » بهمزة قطع مفتوحة ، إن كان رباعيا ، وهو الأكثر ، ويكون مصدره : الاعفاء .

ـ كما يكون : « اعفوا » بهمزة وصل ، إن كان ثلاثيا ، ويكون مصدره : العفو .

قال ابن دقيق العيد : تفسير الاعفاء بالتكبير ، من إقامة السبب مقام المسبب ، لأن حقيقة الاعفاء : الترك ، وترك التعرض للحية : يستلزم تكثيرها .

الاعفاء وما في معناه :

إذا كان إعفاء اللحية هو : توفير شعرها ، وتكثيره بتركه ، وأن الانسان لايأخذ منه شيئا ، فإن هذا مايدل عليه لفظ : « اعفوا » كما في حديث ابن عمر .

وترك شعر اللحية هكذا ، اختلفت الروايات في التعبير عنه :

ـ ففي رواية : اعفوا ، كما سبق .

ـ وفي رواية : أوفوا ، أي اتركوها وافية .

ـ وفي رواية : وفروا ، أمر من التوفير ، وهو الابقاء ، أي اتركوها وافرة .

ـ وفي رواية : أرخوا ، أي أطيلوها .

ـ وفي رواية : أرجوا ، من الارجاء ، وهو الترك والتأخير ، أي أخروها ، وأصل « أرجوا » : أرجئوا بالهمزة ، فحذفت تخفيفا ، كما في قوله تعالى : **(ترجي من تشاء منهن)** الأحزاب / ٥١ .

المغالاة في إعفاء اللحية :

الكلام عن إعفاء اللحية ، وتركها دون أن يتعرض الانسان لها ، بحلق أو نتف ، كثر كلام الناس عنه في هذه الأيام ، حتى وصل إلى درجة المغالاة والمبالغة ، مما جعل بعض الناس : يجاري هؤلاء المغالين والمبالغين ، ويوافقهم على مايقولون ، بينما البعض الآخر يصمت ، ولا ينبس ببنت شفة ، حتى لا يتهم في دينه .

ونحن لانشك أبدا ، في أن إعفاء اللحية وتركها ، وعدم حلقها : كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد

روى النسائي عن البراء قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كث اللحية ، وكان أصحابه رضوان الله عليهم ، يتابعونه عليه الصلاة والسلام في ذلك ، كما كانوا يتابعونه : في مظهره ، وهيئته ، حتى مشيته » .

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أحاديث ترغب في إعفاء اللحية وتوفيرها ، وكان ورودها بصيغة الأمر مثل :

ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « أحفوا الشوارب ، وآعفوا اللحى » رواه مسلم .

ـ وقوله صلى الله عليه وسلم : « جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى » رواه مسلم .

ـ وما روى عن ابن عمر أنه قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى » . رواه مسلم .

ـ وروى الامام أحمد في مسنده ، عن أبي أمامة ، وقد جاء في حديثه : فقلنا يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ، ويوفرون سبالهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم ، وخالفوا أهل الكتاب » .

والعثانين جمع : عثنون ، وهي اللحية .

ـ وعن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خالفوا المشركين ، أحفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى » . رواه مسلم .

قال ابن العربي : أما قص الشارب ، وإعفاء اللحية : فمخالفة للأعاجم ، فإنهم يقصون لحاهم ، ويوفرون شواربهم ، أو يوفرونهما معا ، وذلك عكس الجمال والنظافة .

هذا إلى جانب ، أن إعفاء اللحية وتركها ، يضفي على الرجل : الهيبة والوقار ، مما يسبب احترام الناس له ، واستماعهم لقوله ، وإقبالهم عليه دون غيره .

فإعفاء اللحية : مظهر لتمام الرجولة ، وكمال الفحولة ، ومدعاة للمهابة والتعظيم ، والاجلال والاحترام .

مذاهب الفقهاء في إعفاء اللحية :

المتأمل فيما ذكرنا ، يستطيع أن يدرك أن الحديث عن إعفاء اللحية :

ـ ورد بصيغة الأمر .

ـ وأن هذا الأمر معلل : بمخالفة المجوس والمشركين ، فقد كان من عادة الفرس : قص اللحية ، فنهى الشارع عن ذلك ، وأمر بإعفائها .

فهل يعني هذا : وجوب إعفاء اللحية ، وبالتالي يكون حلقها حراما ، لايجوز لمسلم أن يفعله ؟

لقد اختلف أهل العلم في ذلك :

ـ فرأى بعضهم : وجوب إعفاء اللحية وتركها ، وعدم حلقها ، وأن حلقها من المنكرات ، وأنه سفه وضلالة ، وفسق وجهالة .

ـ ومنهم رأى : عدم وجوب إعفاء اللحية ، وإنما إعفاؤها سنة فقط ، وبالتالي يكره حلقها .

فما دليل كل فريق على ماذهب إليه ؟

دليل القائلين بوجوب إعفاء اللحية :

الذين ذهبوا إلى وجوب إعفاء اللحية وتركها ، استدلوا بما يأتي :

ـ أولا : بالأحاديث التي وردت في الاعفاء ، وهي كثيرة ، وقد وردت بصيغة الأمر ، والأصل في الأمر : أن يدل على الوجوب .

ـ ثانيا : أن الأمر بإعفاء اللحية وتركها ، معلل بمخالفة المجوس والمشركين ، ومن كان على شاكلتهم من الكفار .

وإذا كان إعفاء اللحية واجبا ، فإن حلقها حرام ، لايجوز لمسلم أن يفعله ، حتى لايكون مخالفا لأمره صلى الله عليه وسلم بإعفائها ، وحتى لا يتشبه بالكفار الذين يحلقون لحاهم ، والذين أمرنا بمخالفتهم ، فإنهم كانوا يقصون لحاهم ، ومنهم من كان يحلقها .

ومن ثم قال القرطبي : لايجوز حلق اللحية ، ولا نتفها ، ولا قص الكثير منها .

وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : يحرم على الرجل حلق لحيته . تلك هي أدلة القائلين : بوجوب إعفاء اللحية وتركها .

دليل القائلين بعدم وجوب إعفاء اللحية :

الذين ذهبوا إلى القول : بعدم وجوب إعفاء اللحية ، ورأوا أن إعفاءها سنة ، استدلوا بما يأتي :

ـ **أولا** : بأن إعفاء اللحية من خصال الفطرة ، وأنها ذكرت ضمن أمور تتصل كلها بالنظافة ، وتحسين الهيئة ، وإظهار الوقار ، وفي المحافظة على هذه الأمور : محافظة على المروءة ، وعلى التآلف المطلوب ، لأن الانسان إذا بدا في الهيئة الجميلة : كان أدعى لانبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه ، والعكس بالعكس ، وخصال الفطرة هذه ، قد رواها مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة : قص الشارب .. وإعفاء اللحية .. والسواك .. والاستنشاق بالماء .. وقص الأظفار .. وغسل البراجم .. ونتف الابط .. وحلق العانة .. وانتقاص الماء .. قال زكريا ، قال مصعب : ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة » .

ومن ثم فإن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها ، وحثهم عليها ، واستحبها لهم ، ليكونوا على أكمل الصفات ، وأشرفها صورة .

ـ **ثانيا** : إذا كانت أحاديث إعفاء اللحية ، وردت بصيغة الأمر ، فإن الأمر كما يكون للوجوب ، يكون لغيره ، فإنه عليه الصلاة والسلام : من دأبه إرشاد أمته إلى ما يجعلهم في مقدمة أرباب العادات المستحسنة التي توفر لهم : مظاهر الوقار

والاحترام ، وجمال الهيئة ، وحسن المنظر .

وأحاديث إعفاء اللحية وتوفيرها : من هذا القبيل ، بدليل ذكرها مع أمور تشبهها في الغاية والهدف ، ويميل إليها الانسان بفطرته . ومن ثم نستطيع أن نقول : إن الأشياء التي مقصودها مطلوب لتحسين الشكل ، وتجميل المنظر ، وتزيين الهيئة : لا تحتاج إلى ورود أمر إيجاب للشارع فيها ، اكتفاء بدواعي الأنفس ، فمجرد الندب إليها كاف .

ـ **ثالثا** : إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أمر بإعفاء اللحية ، مخالفة للمجوس والمشركين ، ومن على شاكلتهم من الكفار ، فإن هذا يقتضي أن الحكم يدور مع العلة : وجودا وعدما ، حتى تتحقق المخالفة .

ونحن لو قلنا : بوجوب إعفاء اللحية ، وتحريم حلقها ، حتى لانتشبه بالكفار : لوجب علينا الآن تمشيا مع هذه العلة ، وهي المخالفة وعدم المشابهة للكفار القول : بتحريم إعفاء اللحية ، ووجوب حلقها ، لأن إعفاء اللحى الآن : شأن الرهبان في سائر الأمم والشعوب غير المسلمة .

ـ **رابعا** : أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل مخالفة الكفار في شيئين هما ، إحفاء الشارب ، وإعفاء اللحية ، التعبير عنهما بلفظ الأمر ، في جميع الأحاديث مثل :

ـ أحفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى .
ـ جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى .
ـ وروى عن ابن عمر أنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى .

فهل إحفاء الشوارب واجب ؟ لأنه جاء التعبير عنه بلفظ الأمر ، حتى نقول : إن إعفاء اللحى واجب كذلك ؟

إن الجواب واضح ، لمن يبتغي الحق ، ويبحث عنه ، ومن ثم قال القاضي عياض : يكره حلق اللحية وقصها .

ـ **خامسا** : حينما تحدث الفقهاء عن الخصال التي تكره في اللحية ، عدوا منها : حلق اللحية ، إلا إذا نبتت للمرأة لحية ، فيستحب حلقها .

فلم يبق إذن أمام هذه الأدلة والقرائن إلا أن يقال : إن إعفاء اللحية سنة .

ومن ثم نرى : أن القول بوجوب إعفاء اللحية ، مبالغة في القول ، وإسراف في الاستدلال ليس له مايبرره .

ولا يمنعنا من القول بالسنية : أن غير المسلمين ، يعفون لحاهم ولا يحلقونها ، إذ من العبث : التخلي عن التمسك بالسنة ، والتحلي بها إذا رأينا غيرنا يقلدنا ويجارينا : في بعض ما سنه لنا ديننا الحنيف . ويكفينا شرفا ، أن نفعل مانفعل ، ونتمسك به : لأن الدين رغبنا فيه ، وحثنا على فعله ، والتمسك به ، وغيرنا يفعله مجاراة وتقليدا .

ومن ثم يكون فعلنا : مصطبغا بالصبغة الدينية ، وفعل غيرنا مصطبغا بالصبغة التقليدية ، وشتان ما بين الأمرين ، وهو من وراء القصد ، والله الموفق والمعين ، والهادي إلى سواء السبيل ...

الايمان بالله أساس صحة النفس

للدكتور/ غريب جمعة

أصبحت الأمراض النفسية تقف على رأس قائمة الأمراض التي يشكو منها الانسان في المجتمعات المتمدنة بسبب « أزمة الايمان » إن صح هذا التعبير - التي تعاني منها تلك المجتمعات .

فالمجتمعات الشيوعية كافرة بالله ساخرة من المؤمنين به ، ولم تقف عند هذا الحد بل راحت تشن الحرب على المؤمنين في وحشية تخجل منها الوحوش في الغابة ، والمجتمعات الرأسمالية تعبد بنوك المال ستة أيام من كل أسبوع وتقضي ساعة من يوم

واحد في كنائس لتعبد الله على حد زعمها وعلى طريقتها .

وتقدم العلم وتخلف الايمان وأصبحت تلك المجتمعات تعيش في ظلال المدنية الحديثة التي أعطتها باليمين ثم أخذت منها بالشمال ، أعطتها من وسائل الراحة البدنية ومن وسائل الترفيه ما يفوق الوصف ، وغني عن البيان مايراه الانسان من معطيات هذه المدنية في الجسم والبيت والمجتمع ، ولكنها أخذت منها الراحة النفسية والطمأنينة القلبية أو الاحساس بالسعادة ، وذلك بسبب إفلاسها المشين في الجانب الروحي أو الايماني ، ولما كانت تلك المجتمعات محجوبة عن ربها ـ والعياذ بالله ، فقد تفشت فيها كما يتفشى الوباء نظريات لرجال حاولوا أن يدرسوا النفس البشرية ، ثم خرجوا على الناس بتلك النظريات التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب .

وكان من بين تلك النظريات نظرية أصحاب مدرسة التحليل النفسي التي يتزعمها « سيجموند فرويد » اليهودي ، لقد هبط أولئك الناس بالانسان هبوطا مشينا حيث قالوا « بقانون الغاب » الذي يحكم دنيا الناس « دنيا النفس الانسانية » وعلى ضوء هذا القانون فإن النفس في حاجة مستمرة الى إشباع غرائزها ولا تتوقف عن محاولة تحقيقها سواء بالطرق السوية أو العمليات التحويلية ، وحتى إذا ما تسامت النفس وارتفعت على غرائزها فإنها تفعل ذلك اضطرارا وخضوعا لضغوط البيئة وقوانين المجتمع ولكنها حينما تجد الفرصة مواتية بعيدا عن الأعين وفي غفلة من القانون فإنها تبادر إلى إشباع حاجاتها الأنانية ضاربة عرض الحائط بالقيم والدين والأخلاق .

وعلى ذلك فإن أصحاب الخلق الطيب مرضى نفسيون في نظر « فرويد » وأتباعه وما تظاهرهم بالتقوى واحترام المثل العليا إلا أقنعة يخفون بها نواياهم الذئبية وأغراضهم الشهوانية ، وكذلك فإن الصحة النفسية تتحقق عندما لا توجد عوائق تحول دون إشباع غرائز الانسان الحيوانية أو حواجز تمنع من النفاذ الى تحقيق الحاجات البيولوجية (الحيوية) العاجلة والأصحاء في نظر « فرويد » هم الذين يؤمنون بشعار : « كل أو أنت مأكول » « إذا لم تتذأب أكلتك الذئاب » وقد تولى اليهود كبر النفخ في « فرويد » والترويج لنظريته الهدامة وإشاعتها في مختلف أنحاء العالم كما جاء ذلك في كتابهم المعروف باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » حيث يقول الكتاب : « نحن الذين روجنا لفرويد ونحن الذين روجنا لماركس »

تولى اليهود خلع لباس العبقرية على « فرويد » حتى يحطموا القيم والمثل العليا والأخلاق الكريمة داخل الانسان ، فيسقط صريع الأهواء والشهوات والقلق والفزع ، وتنقطع صلته بالله ، ويصبح كالدمية في أيديهم ، يلعبون به متى وأين شاءوا .

ولننظر الى واقع المجتمعات التي آمنت بهذه الشعارات وعملت على

تنفيذها ومنها على سبيل المثال المجتمع الامريكي ومن حقنا أن نتساءل هل انخفضت نسبة الامراض النفسية في ذلك المجتمع ؟ وهو المجتمع الذي ينعم بوسائل مادية ربما لم تتوافر لغيره من المجتمعات . إن الاحصائيات الدقيقة تثبت أن ٨٠ ٪ من المرضى بشتى أنواع الأمراض في جميع المدن الأمريكية ترجع أمراضهم الى حد كبير الى مسببات نفسية ونصف هذه النسبة من الأشخاص ليس لديهم مرض عضوي على الاطلاق ويرجع سبب هذه الأمراض كما يقول الخبراء الى :

١ - **القلق** ، ٢ - **الخوف** ، ٣ - **التردد** ، ٤ - **الشك** ، ٥ - **الغيرة** ، ٦ - **الملل** ، ٧ - **الشعور بالخطيئة** .

ودعنا أيها القارىء من نظريات « فرويد » وما جرته على أصحابها ومن تبعهم في الغرب والشرق وهيا بنا ننظر الى الأمراض النفسية في ضوء الاسلام لنرى كيف عالجها علاجا كافيا وشافيا بعيدا عن فلسفة المتفلسفين وتعقيد المعقدين الذين يصفون الدواء وهم أولى الناس به ؟ إذ لا يزالون هم ومجتمعاتهم يقذفون بمئات الأطنان من المهدئات والمنومات في بطونهم ، ويكرعون ملايين البراميل من الخمور بحثا عن الراحة النفسية والسعادة ، ولكن هيهات .. هيهات .

إن علاج الاسلام للأمراض النفسية يمس الجانب الروحي في الانسان حيث يدعوه الى معرفة ربه وبالتالي معرفة رسالته في هذا الكون ، وهذه قضية من أقدم القضايا التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر البشري ألا وهي : **لماذا نحن هنا ؟ ما الهدف من هذه الحياة ؟**

ولم ينجح في حل هذه القضية الحل الكامل الذي يأخذ بنواحي العقول ومجامع القلوب إلا الاسلام .

وإذا ماعرف الانسان ربه وعرف رسالته في هذه الحياة ، فقد انحلت أمامه أعقد القضايا في نظر البعض وبالتالي فإنه يحسن صلته بالله وبالوجود من حوله باتباع ما أنزل الله والسير على نهج الاسلام الصحيح ، الذي اقتنع به عقله ، وتمتع به قلبه ، فيحسن أداء رسالته في الحياة ، ولا يهيم على وجهه في الأرض ، مبلبل الفكر ، شارد الذهن ، معقد النفس ، خرب القلب ، يتبع كل ناعق ، ثم يودع دنياه مفلسا خاسرا .

وهكذا يبدأ العلاج في الاسلام بتصحيح العقيدة ووصل الانسان بالله فيستشعر برد اليقين وسلامة الطمأنينة وقوة الشخصية ويحس بأنه ليس وحده في هذه الحياة وإنما يؤيد ربه ، ويتغلب على مشكلاته وينظر الى الحياة نظرة المتفائل لأن الاتصال بالله يطرد الوساوس والشكوك والخوف من القلب ويظهر أثر ذلك على الجوارح :

وضاءة في الوجه واستقامة في السلوك وصدقا في الحديث وحسن معاشرة لخلق الله واستعلاء على الشهوات ورفضا لسيطرة مخلوق عليه ،سواء كان شيوعيا أم يهوديا أم صليبيا أم غير ذلك - أي أن الانسان يكون على خير حال حينما يكون على حسن

اتصال بالله ومن عجب أن يدرك علماء الغرب « غير المسلمين » هذه الحقيقة ونحن نورد هنا أقوالهم لأن فريقا من الناس إذا جاءهم القول من الغرب قالوا : آمنا به إنه الحق ! ! !

يقول الدكتور « كارل يونج » وهو من أعظم أطباء النفس في كتابه الانسان العصري يبحث عن نفسه :

« إن كل المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية من كل أنحاء العالم كان مرضهم هو نقص الايمان وتزعزع عقائدهم ، ولم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم »

ويقول الدكتور « ماير » أحد أطباء مستشفى ماير بأمريكا :

« إن القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدي في كثير من الأحيان الى قرحة المعدة ! ! ! »

ويقول « ديل كارنيجي » :

« إن أطباء النفس يدركون أن الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا الأمراض »

وتأمل الامام ابن القيم رحمه الله وهو يصور هذه الحقيقة في كلمات من ذهب حيث يقول :

« في القلب شعث لا يلمه إلا الاقبال على الله

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار اليه

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه وفيه فاقة لايسدها إلا محبته والانابة إليه ودوام ذكره وصدق الاخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم يسد تلك الفاقة أبدا »

وليت المرضى بالقلق من المسلمين يدركون هذه الحقيقة حتى لا تطول مدة علاجهم شفاهم الله وعافاهم وبعد ذلك نجد أنفسنا أمام سؤال هو :

ماهي أسباب القلق والتوتر العصبي لدى الانسان ؟

إن أسباب القلق تكاد تنحصر في **خمسة** امور وهي أمور وجدت مع وجود الانسان على ظهر الأرض وهي ملازمة له الى يوم أن ينفض سرادق الحياة ويقف الناس بين يدي خالقهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، يوم يقول السابقون بالخيرات : **(الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)** فاطر / ٣٤ و ٣٥

هذه الأمور هي :

١ ـ الخوف من الفقر
٢ ـ الخوف من الناس
٣ ـ الخوف من الموت
٤ ـ الهم
٥ ـ اليأس من رحمة الله (عقدة الذنب)

ويأتي الاسلام ويعالج هذه الأمور

كأشفى وأوف ما يكون العلاج :
- أما الخوف من الفقر فإنه يؤكد للانسان أن رزقه على الله وقد ضمنه له وأكده ذلك بالقسم عليه وما هو بحاجة الى قسم جل شأنه ولكنه أراد أن ينتزع الهلع والطمع المركوزين في البشر يقول تعالى :

(وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل مائنكم تنطقون .) الذاريات / ٢٢ و ٢٣

ومن طريف مايروى أن أحد الأعراب حينما سمع هذه الآية قال :ياسبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ ألم يصدقوه في قوله حتى ألجأوه الى اليمين ؟ وعلى ذلك فلا يصح لمسلم حسن الاسلام أن يريق ماء وجهه أمام مخلوق ظنا منه أنه يستطيع أن يمنح أو يمنع ، وإنما يمد يديه الى الله وحده وهوأكرم من أن يرد يديه صفرا .

وحينما يؤكد الاسلام هذه الحقيقة فإنه لا يطلب من أبنائه أن يتحولوا الى فريق من المتثاقلين الى الأرض أو الثقلاء على الناس ، ولكنه يطلب منهم أن يهبوا خفافا في طلب الرزق بعد الفراغ من شأن العبادة قال تعالى :

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .) الجمعة / ١٠

ومع هذا السعي الحثيث لابد من اللجوء الى الله ودعائه أن يعيذهم من الفقر كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت . رواه أبو داود والحاكم

- وأما الخوف من الناس فهو ثمرة ضعف الايمان بالله وجهل بقدره جل وعلاوأن الكلمة الأخيرة في كل شأن من شئون الحياة هي له وحده وهو غالب على أمره . ويؤدي الخوف من الناس الي الجبن والى التخاذل في نصرة الحق بالقول أو العمل وياليت الجبان المتخاذل يعلم أن المخلوق أعجز من أن يملك من أمر نفسه شيئا بل أمر الآخرين ورحم الله الشاعر حين قال :

اذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تموت جبانا

واقرأ توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرسم ملامح شخصية المؤمن الواثق بربه المتوكل عليه .

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

«كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي : ياغلام إني أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله وإذا أستعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ،رواه الترمذي

وقد رأى أحد العارفين رجلا يبكي بين يدي رجل آخر وهو يشكو إليه ماأصابه فقال :

ياهذا أتشكو من يرحمك الى من لايرحمك ؟

وكان من دعاء الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

« اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، فصنه عن المسألة لغيرك ، فإنه لايقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك »

★ ـ وأما الخوف من الموت فكثيرا ما ينتهي بصاحبه الى الموت ، لذلك قال أسلافنا :

« احرص على الموت توهب لك الحياة »

وقد دفعهم حرصهم على الموت الى خوض غمارحروب كثيرة لرفع لواء الاسلام ونشر كلمته في شجاعة لا نظير لها فكتب الله لهم الحياة وأحيابهم الأمم .

وقد كان الامام علي رضي الله عنه يلقي بنفسه في صفوف الاعداء لايبالي أ وقع على الموت أم وقع الموت عليه ! فلما سئل في ذلك قال : من أي يومى أفر ؟ أمن اليوم الذي كتب الله لي فيه النجاة ففيم الخوف ؟ أم من اليوم الذي كتب الله علي فيه الهلاك فكيف أفر من قضاء الله ؟ وكم رأينا أناسا يموتون من الوَهم أكثر من مرة في اليوم ، ولو علموا أن نفسا لن تموت إلا بإذن الله :

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . آل عمران / ١٤٥

لو علموا ذلك لسلموا أمرهم الى الله ولأراحوا أنفسهم من إماتتها موتا بطيئا وأولى بهم أن يسألوا أنفسهم : **ماذا أعددنا لما بعد الموت ؟**

وتلك هي قضية القضايا وهم عنها غافلون .

★ ـ أما الهم . فربما لم يخل منه إنسان ولكن أثره على الناس يتفاوت بتفاوت درجات إيمانهم ، وعلى الانسان الذي يشكوهما أن يبحث عن سببه بحثا هادئا ، ويحاول إزالته فيما بينه وبين نفسه ، وهو أعرف بها من غيره ، ولا داعي للهروب من الواقع .

وجرب هذه التجربة الطريفة :

هات ورقة وقلما ثم سجل خواطرك ومن بينها همومك وأسباب هذه الهموم ، ثم رتب هذه الأسبابا حسب شدتها ثم ضع مجموعة من الحلول وأبدأ في تنفيذها وسوف تجد أن الأمر أهون مما كنت تتصور .

ومن العجب أن كثيرا من الأمور يبدأ صغيرا ثم يكبر إلا الهم فإنه يبدأ كبيرا ثم يصغر شيئا فشيئا حتى يتلاشى نهائيا ، وذلك من رحمة الله بعباده ، وتذكر حالة من حالاتك كنت تتميز فيها غيظا وقد أطارت النوم من أجفانك وما هي إلا عشية أو ضحاها وإذا الغيظ قد أصبح انشراحا والضيق قد أصبح فرجا . والعسر قد أصبح يسرا .....

ولله در القائل :

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم أمر تسوء به صباحا
فتأتيك المسرة بالعشى

أما إذا عجز الانسان عن حل مشكلته بنفسه فعليه أن يشرك معه من يطمئن اليهم ، ومن يحبون الخير له ، ويعلمنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسلك الفريد حيث يروي الامام البخاري رضي الله عنه أن : « ضمضم بن قتادة أتى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : يارسول الله ولد لي غلام أسود وكان ضمضم أبيض اللون ، وكأنه يستنكر أن يولد للأبيض أسود ، وهذا تعريض ينفي نسبه له وإلحاق التهمة بأمه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل ؟ » قال :نعم قال صلى الله عليه وسلم : ماألوانها ؟ قال : حمر . قال : « فهل فيها من جمل أورق ؟ (أي لونه بياض الى سواد) قال : نعم .

قال : « فأني ذلك ؟ » أي من أين أتاه هذا اللون الذي ليس في أبويه ، فقال الرجل : لعله نزعه عرق . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لعل ابنك هذا نزعه عرق » . وهكذا اطمأن الرجل وزال الشك من نفسه ولو بقى يجتر شكه بينه وبين نفسه لطحنه طحنا وربما كان سببا في تدمير حياته الزوجية .

ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أبا أمامة في المجلس في غير وقت صلاة فقال له : « مالي أراك يا أبا أمامة في المسجد في غير أوقات الصلاة ؟ » فقال يارسول الله : هموم لزمتني وديون . فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ،؟ « فقال بلى يارسول الله قال : « قل اذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني . أخرجه أبو داود

★ - أما اليأس من رحمة الله والوقوع تحت وطأة الذنب وتأنيب الضمير فإن من فضل االله على عباده أنه وسع كل شيء رحمة وعلما وأنه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وأنه يفرح بتوبة التائبين وماذا يريد المسرفون في المعاصي بعد هذه الآية الحانية الرحيمة التي يخاطبهم الله فيها بقوله : **ياعبادي** « مع عصيانهم » يقول تعالى :

(قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم .) الزمر / ٥٣ .

ومن هنا فإن الاسلام لا يعرف العقد النفسية بسبب الوقوع في معصية كما أنه لا يعرف احتراف الدجل باسم الجلوس على كرسي الاعتراف أو بيع صكوك الغفران . **وما على المذنب إلا أن يتوب الى الله توبة نصوحا مع الثقة الكاملة في عفو الله ومغفرته وهو سبحانه غفور رحيم .**

وهكذا نرى في هذه العجالة أن الاسلام يعالج أمراض النفس بطريقة تحفظ عليها اتزانها وصحتها وتجعلها تنطلق في الحياة متجاوزة كل العقبات وكأن لسان حالها يقول :

(إن معي ربي سيهدين) الشعراء / ٦٢

الإنسان المثالي في نظر الإسلام

للاستاذ/ محمود ابراهيم طيرة

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) آل عمران/١٩٣ .

حينما أمسكت بالقلم . وبدأت الكتابة فعلا في موضوع آخر غير هذا الموضوع ، على حين طالعتني بالصدفة عدة صور قبيحة من جشع الناس . وتهافتهم على المادة تهافت الفراش على المصباح : يلف حوله ويدور ، وتكون خاتمة المطاف أنه يسقط فيه ، ويحترق بناره ، وبالاضافة إلى الأخلاق ، وخراب الذمم ، واختفاء الكثير من المثل والقيم ، حتى صارت الحياة مليئة بالنفاق الشائع ، والظلم الواقع ، والنفوس المتخاصمة ، والأنانية المتحكمة والرذيلة الغاشمة ، والهموم القاعدة القائمة !!

من أجل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان تمثلت أمامي هذه الصور المحزنة ، فرأيتني على الفور أعدل عن الكتابة في الموضوع الأول وأباشر الكتابة في موضوع « الانسان المثالي في نظر الاسلام » لعل فيه عبرة بالغة وموعظة

نافعة ، عملا بقول الحق جل جلاله : **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** الذاريات/ ٥٥ . لقد شاءت إرادة المولى سبحانه أن يخلق الانسان من عنصرين مختلفين كل الاختلاف : روح نورانية ، علوية ، سماوية ، في إطار من جسم مادي أرضي مظلم .. ولقد تفضل الله جل وعلا على الانسان ، فمنحه العقل الرشيد ، نبراسا يهتدي به في ظلمات الحياة ، ويميز النافع من الضار ، والطيب من الخبيث والحق من الباطل ، ويواكبه في مساره على النهج القويم إلى حيث يكون النجاح والفلاح إذا توفرت في نفس المرء دوافع الخير ، وخلصت رغبته في الصلاح والاصلاح ، كما جعل فيه النفس البشرية والغريزة الحيوانية ، نزاعة للشر ، أمارة بالسوء ، تحاول دائما أن تقوده إلى الأخطاء والفحشاء ، والفساد والافساد ، بل إلى حيث الهلاك وسوء المصير وعلى هذا يستطيع المرء أن يكون ملاكا رحيما ، وأن يكون شيطانا رجيما .. أجل يستطيع أن يكون من وفد الآخرة في لباس أهل الدنيا ، وأن يكون من شر أهل الأرض في لباس أهل الآخرة !! يسمو الانسان بروحه وعقله إلى منازل الأبرار والقديسين وينحط بجسمه وغريزته إلى دركات الأبالسة والشياطين .. ومن ثم كانت المعركة في ساحته أبدا ودائما عنيفة ، بين روحه وعقله من جهة ، غريزته ونزوته من جهة أخرى ، وهو الذي يرجح كفة إحداهما على الأخرى ، وعلى هذا يكون ثوابه أو عقابه ، وخيره أو شره ، وحسنه أو قبحه .. هذا هو الانسان - كما خلقه ربه وسواه ، وبالعقل فضله وكرمه ، وبالغريزة الحيوانية اختبره وابتلاه ..

فلعمر الحق إن الانسان لمخلوق عجيب حقا : اجتمع فيه النور والظلام ، والخير والشر ، والتقت فيه السماء والأرض ، والملائكة بالشياطين ، وهذا هو موضع الاعجاز في خلق الانسان .

هذا وإن حياة كل امرىء في هذه الدنيا ترتبط بثلاثة أمور : علاقة المرء بنفسه ، وعلاقته بربه ، وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه ، وعلى مبلغ تنظيم هذه العلاقات ، تكون سعادة المرء أو شقاؤه ، وسلامته أو بلاؤه ، واستقامته أو اعوجاجه وعلى قدر ما يكون هذا التنظيم سليما دقيقا ، تكون قيمة المرء وقدره ، وحظ الانسانية من وجوده ، ومن أجل هذا نزلت الشرائع السماوية ، وسنت القوانين الوضعية ، وقامت المذاهب الاصلاحية ، وكرس الفلاسفة والمصلحون والمرشدون حياتهم ، يتنادون بالاصلاح ، ويدعون إلى التمسك بالمبدأ القويم ، وسلوك الطريق المستقيم ، والتذرع بالعمل النافع العظيم ، مقرونا بالاخلاص من القلب السليم . وتختلف هذه العلاقات باختلاف الناس ، فالانسان العادي يعيش في مد وجزر بين روحه وعقله من جهة ، غريزته ونزوته من جهة أخرى ، فحينا تبهره مظاهر الخير ، ويروقه اصطناع المعروف ، فيقبل عليها في غبطة ونشوة وشغف ،

منتصرا لروحه ، حتى تكون لها الغلبة في المعركة ، وحينا آخر يستهويه الشيطان ويغويه ويغريه ، فيزين له المناكر والشهوات بجمال زائف ، وبريق خادع ، فينكب عليها ، مترديا في حمأتها ، فما أن يثوب لرشده ، حتى يرى نفسه في هوة سحيقة ، وقد انقضت لذته ، فان لذة النزوات والشهوات تمضي سريعا وتزول ، وتبعتها تبقى وتطول ، كما تنطق بذلك الحكمة الصادقة فتقول : إياكم والشهوة التي تعقبها تبعة ، تمضي لذتها وتبقى تبعتها » ويحس على الفور بتبعة الجرم تلدغه كأنها عقرب ، وبوخز الضمير يقض مضجعه ، وينغص عليه حياته ـ وهذا ما يسمونه بعقدة الذنب ـ فيندب حظه العاثر ، ونجمه الآفل ، ولا يملك إلا الحسرة والندامة ـ ولات ساعة مندم ـ على أنه بمرور الزمن قد ينسى هذا الدرس القاسي ويعاود الكرة من جديد ، فينتصر لغريزته الحيوانية ثانيا ، كما انتصر لها أولا . ويقضي حياته على هذا المنوال لا يعتبر ولا يتعظ ولا يتذكر ، وتلك حالة لا يرضى بها عزيز ، ولا يقيم عليها إلا كل ممقوت مرذول يبوء بالخيبة المرة واليأس العقيم . ولو أنه استفاد من الدرس ، واكتشف أسباب الخطأ وتحاشاه لتغير وضعه وانصلح حاله ، فان الخطأ ليس عيبا في ذاته ، لأنه طبيعة في سائر البشر ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ولكن العيب الحقيقي هو في التمادي في الخطأ ، وعدم الافادة من درسه ، ولرب فشل هو النجاح بعينه إذا عرف الفاشل أسباب فشله وتجنبه ، فيكون النجاح حليفه طوال حياته . ورب نجاح هو الفشل بعينه ، إذا داخل صاحبه الغرور ، ولعبت نشوة النجاح برأسه ، فلم يتخذ نجاحه ذريعة إلى المحافظة والاستزادة ، بل وسيلة إلى الكسل والخمول ، فتنطفىء جذوة نشاطه ، وتضعف رغبته في العمل شيئا فشيئا ، حتى يكرهه أخيرا ، وينتهي أمره بالفشل الذريع ، وقاتل الله الغرور ، فانه مجلبة المضرة والشرور !!.. وليس بمستبعد على العاصي أن يستيقظ ضميره يوما بعد أن يحفه الله بلطفه ، فيحاسب نفسه ، ويستغفر ربه من ذنبه ، وينيب إليه في توبة نصوح ، يقلع فيها عن الذنب ويقرر في عزم صادق وإصرار وتصميم ، ألا يعود إلى مثله أبدا ، فيتقبل الله توبته ، ويغفر له . ويدخله في رحمته ، ويفيض عليه من فضله ، كما وعد سبحانه بذلك في الآيتين الكريمتين : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/١٣٥و ١٣٦ ، أما الانسان المثالي ، فانه فوق هذا المستوى بكثير : حيث يتبوأ مكانته السامية في أعلى الدرجات ، بكماله النفسي وجماله الروحي ، ولا يسمح لنفسه أبدا أن تنزل به إلى مواطن الشر والفساد ،

حيث يطل من عليائه على دنيا الناس ، فيراهم خليطا من البشر ، يموج بعضه في بعض ، وقد اختلط حابله بنابله ، وهم يتهالكون على المادة ـ كما أسلفنا ـ وماتت روحانياتهم أو كادت ، وانحطت أخلاقهم ـ وأخشى أن أقول إن موازينها قد اختلت بينهم ـ حتى صارت الحياة هما وعذابا ، والدنيا سعيرا يفور بأهله ! يرى كل هذا فيعز عليه هوان البشرية وشقاؤها ، وعذابها وبلاؤها ، ولكنه لا يملك إلا قيثارته ، يمسك بها ويعزف ألحان المثالية الأخاذة بمجامع القلوب ، المحركة لأنبل العواطف ، وأرق الشعور ، لعلهم يسمعون فيطربون ، ويتعشقون المثالية في أروع صورها ، فيحاولون اللحاق بركب المثاليين ، فهل ياترى هم فاعلون ؟ شيء بظهر الغيب ، والعلم عند الله .

إن علاقة المسلم المثالي بنفسه تقوم على أساس متين من الأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، التي هي للنفوس إصلاح وتهذيب ، وللحياة الفاضلة قوام وترتيب ، ولهذا لم يثن المولى سبحانه وتعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام بأحسن مما أثنى عليه به في شهادته له بقوله : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم/٤ ، وليس أثر الأخلاق في الاصلاح والتهذيب قاصرا على الأفراد والجماعات ، بل هو أيضا ضروري لحياة الأمم ونهضات الشعوب .

فـإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أجل ـ إن صلاح حال المرء ، وإستقامة أموره ونيل مراده ، ونجاحه في صناعته ، أو تجارته ، أو زراعته ، أو وظيفته ، إنما يكون بجد وعمل ، وأخلاق وقيم ، ورحم الله شوقي إذ يقول في نهج البردة :ـ

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخم !

والمثالي يصون نفسه عما يشين ، يحملها على ما يزين ، وهو في الرخاء والسراء شاكر ، وفي الضراء واللأواء صابر ، لا يشكو ولا يتبرم ، بل يتحمل ويتجمل ، وكأنما كان الشاعر يتغنى بصفات الانسان المثالي حينما قال :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما ، والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول

ويقول سيد الوجود مولانا الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه مسلم واحمد عن ابي يحيى صهيب ابن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ! إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا

له » والمثالي يخدم نفسه ، ولا يخدم جسمه ، ولا يحقق لغرائزه ما تصبو إليه من الشهوات والنزوات ، إنما يخدم نفسه فيقبل عليها ويستكمل فضائلها ، يزينها بالعلم يصونه بالعمل ، ويكملها بالأخلاق ، ويتوجها بالاخلاص ، وما أصدق ما يقوله الشاعر ابو الفتح البستي :ـ

ياخادم الجسم ـ كم تسعى لخدمته
اتطلب الربح مما فيه خسران ؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

ويحدثنا العارفون أن رجلا من الحكماء ، دخل على أحد الخلفاء ، فقال له الخليفة . عظني عظة تقى عني الخيلاء ، وتعرفني قدر نفسي ، فقال له الحكيم ، تفكر في خلقك ، واذكر مبدأك ومصيرك ، فاذا فعلت ذلك ، صغرت عندك نفسك ، وعظم بصغرها عقلك ، فان النفس أزينهما لك صغرا ، والعقل أنفعهما لك كبرا ، فقال الخليفة للحكيم . إن كان ثمة شيء يدل على الحكمة ، فصفتك هذه . فقال الحكيم : صفتي دليل ، وفهمك محجة « طريق » والعلم حلية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها فخذ لنفسك ما يزينها من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه من الاخلاص !

كما أن المثالي رقيق القلب ، دقيق الحس ، نبيل العاطفة ، لا يطيق أن يرى مشاهد الظلم أو الضيم ، أو إذلال النفوس : يساعد الضعيف ، ويبسط كف الندى للفقير ، ويحمل الكل ، ويحنو على البائسين ، ويكفكف دموع المكروبين والمحزونين .

يحدثنا التاريخ أن بلالا الحبشي من أصحاب مولانا الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان عبدا مملوكا لرجل فظ غليظ القلب من مشركي مكة يدعى أمية بن خلف ، وكان هذا المشرك يسومه سوء العذاب أملا في أن يترك الاسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، ويضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتوضع على صدره ، ثم يقول له مهددا ـ لا تزال هكذا حتى تترك دين محمد فلا يزيد بلال على أن يقول أحد أحد « يعني الله أحد ، الله أحد » ، ويمر سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه على هذا المسكين مرارا ، ويشاهد ما ينزل به من ظلم فادح ، فيحس بالألم يعتصر قلبه ، وما هي إلا أن يتقدم من مالكه هذا الجاهلي الغاشم فيشتريه منه ثم يعتقه ويفك رقبته لوجه الله الكريم ، فينعم بالحرية كما ينعم بها سائر المخلوقين !، ويروي أرباب السير أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتفقد أحوال الرعية ليلا ، فرأى بصيصا من نور ينبعث من بيت تبدو عليه أمارة الفاقة ، فطرق الباب واستأذن في الدخول ، فوجد أطفالا يبكون ، وأمامهم الأم توقد نارا تحت قدر ، فسألها ، ما بال أطفالك يبكون ؟ فقالت : من شدة الجوع ، فقال : وما الذي في القدر ؟ فقالت : فيه ماء

أعللهم به ليناموا ، فقال : وأين عمر أمير المؤمنين ؟ فقالت : قد شغلته الدنيا عنا ؟ فبكى سيدنا عمر ، وانطلق من فوره إلى داره ، وما لبث أن عاد وهو يحمل على رأسه وعاء فيه دقيق وسمن وتمر ، وجلس يهيىء الطعام للأطفال بنفسه ، وينفخ في النار والدخان يتخلل لحيته ، حتى نضج الطعام ، فجلس الأطفال إليه يأكلون ، ثم صاروا يلعبون ويتضاحكون ، وعمر واقف في المكان لا يبرحه ، فقيل له لماذا تنتظر ؟ فقال : رأيتهم يبكون ويصيحون وهم جياع ، فأحببت ألا أنصرف حتى أراهم يضحكون ويلعبون بعد أن أكلوا وشبعوا !!

والمرء المثالي يعفو اذا قدر ، لأنه يؤمن بالحكمة التي تقول « إذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه .. وتعجبه ولا شك القصة الانسانية الطريفة لأمير من الأمراء . كان عنده ضيف ، فجاء الخادم بالشراب ، وفيما هو يهم بتقديمه للضيف ، عثرت رجله بالبساط ، فانقلب كوب الشراب ووقع على البساط ، فاستشاط الأمير غضبا ، ورأى الخادم شرر الغضب يتطاير من عينيه ، فبادره على الفور قائلا له ـ اذكرك بقول الله عز وجل « والكاظمين الغيظ » فقال الأمير كظمت غيظي ، فقال العبد وبقوله تعالى « والعافين عن الناس » فقال الأمير : عفوت عنك : فقال العبد ، وبقوله جل شأنه « والله يحب المحسنين » فقال الأمير : اذهب فأنت حر لوجه الله !! هذا هو مجمل القول في علاقة الانسان المثالي بنفسه . اما علاقته بربه تبارك وتعالى ، فتتمثل في السمع والطاعة : يسمع اوامر الله ونواهيه ، فيطيعه فيهما كليهما بنية خالصة ، وعزم صادق بحيث لا يراه الله إلا حيث أمره ، ولا يفقده إلا حيث نهاه ، وهو دائم التفكير في صنع الله الذي أتقن كل شيء : في تقلب الليل والنهار ، في آيات الله البينات في ملكوت الأرض والسموات ، وعجائب المخلوقات ، مرددا قول الله سبحانه : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ و ١٩١ . ومن ثم يذكر ربه في ليله ونهاره ، في سره وجهاره ، في قعوده وقيامه ، في سفره ومقامه ، لسانه بذكر الله رطب ، وفي الدعوة الى الخير مجد ، ويده عاملة في كسب المعيشة ، ونفع الخليقة ، فتشرق روحه ، وينشرح صدره ، وتصفو نفسه ، ويعمر قلبه ، ويرتاح ضميره ، ويقينه لا يتزلزل ، بانه ليس غير ذكر الله يوقظ الوجدان ، ويزيد الايمان ، ويبعث في النفوس الاطمئنان ، وينسى المرء الآم نفسه ، ويمسح عن فؤاده آثار الهموم والاحزان ، ولعل الشاعر اصاب هذا المعنى العظيم الذي يجول في نفس المرء المثالي ويعتمل في صدره ، حينما قال :ـ

يشفي الصدور ، ويوقظ الوجدانا
ذكر الآله ، يزيدنا إيمانا
ويفرج الهم الثقيل عن الفتى
ويرد خوف الذاكر اطمئنانا
نارت بصيرته ، وتشرق روحه
ويعزه بين الورى مولانا
يمضي على نهج الشريعة مذعنا
لله جل جلاله ، إذعانا
والله نور ، يجتليه الذاكرو
ن اولو البصائر ، يملأ الأكوانا

والانسان المثالي يستحي من الله ، ولكن حياءه منه سبحانه ليس حياء شكليا ولا عاديا ، بل هو حياء مثالي حقيقي كما وصفه سيد الوجود مولانا محمد (ﷺ) في حديثه الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو حق الحياء ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « استحيوا من الله حق الحياء ، من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن اراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » وهو يتعامل دائما مع الله عز وجل ، يحاول مرضاته وحسن القبول ، سواء بعد ذلك عنده رضي الناس ام غضبوا ، متمثلا بقول الشاعر :ـ

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى ، والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود يا غاية المنى
فكل الذي فوق التراب تراب

أما علاقته بالناس في المجتمع الذي يعيش فيه ، فتحكمها ثلاثة أمور هي : الاخوة ، والمحبة ، والتعاون ، فانه يشعر شعورا نابعا من أعماقه ، بأنه أخ لكل مسلم على ظهر هذه الارض ، وأنهم جميعا اخوانه ، كما يقول الله عز وجل : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**) الحجرات/١٠ ، فلهم عليه حقوق الأخوة : لا يعتدى على أحد منهم ، في جسمه أو عرضه ، أو ماله ، ولا يستهزىء بأحد ، ولا يسخر من أحد ، فلربما كان المستهزأ به خيرا منه ، ولا يعيب أحدا ، ولا يلقبه بلقب يكرهه ، فما أصدق الحكمة التي تقول ، ثلاثة تبقى لك الود في صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ، وان توسع له في المجلس ، وأن تناديه بأحب الأسماء إليه ، كما انه لا يسيء الظن بغيره من غير دليل ، ولا يتجسس على الناس ، ولا يتتبع عوراتهم ، فان من تتبع عورة أخيه ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ، ولا يغتاب الناس ، ولا يسعى بالنميمة بينهم ، وإذا كان كثير من الناس يرى القشة في أعين غيره ، ولا يرى المدراة في عينه ، فان الانسان المثالي ليس كذلك ، فهو لا يبحث عن عيوب الناس وينسى عيبه ، بل هو يحاول دائما أن يكتشف عيوبه فيعالجها ، فذلك أجدى به وأنفع فان مولانا الرسول ينعي على الذين يشغلون انفسهم برؤية عيوب الناس ، عن النظر في عيوب أنفسهم ، يقول الرسول فيما يرويه أبو نعيم عن أبي

هريرة رضي الله عنه : « يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينه »! إن المسلم المثالي يترفع عن كل ما سبق ، استجابة لقول الحق تبارك وتعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم**) اي لا تعيبوا اخوانكم ، فان ما يعيب الاخ يعيب اخاه فكأنكم تعيبون أنفسكم (**ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**) الحجرات/ ١١ و ١٢ .

ويعجبني في هذا المقام قول القائل : ـ

إذا شئت ان تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس السن
وعينك إن أبدت إليك مساوئا
فصنها ، وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
والا ، ففارق بالتي هي احسن

والانسان المثالي محب للناس كل الناس ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، لا يعرف العداوة ولا البغضاء ، قلبه نقي كالشاشة البيضاء ، طاهر لم يلوثه حقد ولا حسد ، ولا غل ولا ضغينة ، يحب جيرانه ، ويؤدي حقوقهم عليه ، ولا يحسن اليهم فحسب بل ويتحمل اذاهم ، وذلك منه تنفيذا لأمر مولانا الرسول في حديثه الشريف الذي رواه الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « **اتق المحارم ، تكن اعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر من الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب** » وهو اذا قال صدق ، واذا وعد وفى ، واذا عاهد اوفى ، واذا استنصح نصح ، واذا استشير اشار بما يرى انه الرأي الصواب ، ويحفظ اسرار الناس ، ويحافظ على اماناتهم ، ويحل مشاكلهم ، ويفض بالحسنى منازعاتهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويقضي حوائجهم ، ويعود مرضاهم ، ويشيع موتاهم ، ويتعاون معهم في مجالات الخير والبر ، والاصلاح والنفع ، ويشاركهم في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وعلى العموم يعتبر الانسان المثالي في محيطه ظلا ظليلا ، يتفيؤه الناس في هجير الحياة ، بل انه في مجتمعه اشبه ما يكون بملك له عرش وتاج ، فأما عرشه فقلب كل أخ ومريد ، واما تاجه فهو حبهم الأكيد ، وهو مع هذا كله من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، مسالم لا يجازي المسيء ، متواضع لا يعجب بنفسه ولا

يتكبر ، ولا يطغى ، ولا يتجبر ، لانه يؤمن بان العظمة والكبرياء لله وحده ، ويعي جيدا قوله جل جلاله : **(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور)** لقمان / ١٨ ومن كان هكذا فانه يحيا في بلهنية من العيش ، قرير العين ، مطمئن النفس ، آمنا راضيا ، ينام ملء جفونه ، ليس له ولا عليه ، واني لأتخيل الانسان المثالي مقبلا في هالة من نور ، بكماله النفسي وجماله الروحي ، تحفه الهيبة ، ويجلله الوقار ، فأراني مأخوذا بهيبته ، ووقاره ، مبهورا بكماله وجلاله ، واقفا بين يديه وقفة ادب واحترام ، وقفة تمعن واستلهام ، استجلي فيه هذه الروعة وذياك الجلال ، واستميحه العذر ان اسأله عن اصله ونسبه ، عن ابيه وامه من يكونان ؟ وعن مسلكه في الحياة ، ماذا ، كان وماذا يكون ؟ وعن احب شيء الى نفسه في هذا الوجود ، فيجيبني من فوره ويقول : -

أبي الاسلام ، لا اب لي سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم
وأمي السمحة الغراء تهدي
الى الايمان ، والخلق القويم
أخاف الله في سر ، وجهر
كما ارضيه بالعمل السليم
وفي حب الرسول حياة نفسي
والا صرت اشبه بالهشيم !

إن المثاليين هم أحباب الله ، والصفوة الممتازة على ظهر هذه الأرض ، ومصابيح الهدى والرشاد في دياجير الجهالة والضلالة ، بل هم اشباه الملائكة : لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يشغلهم عن الله شاغل ، ولا يلهيهم عن عبادته لاه من مال او ولد ، او متاع : اما الليل فصافون اقدامهم في الصلاة ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، واما النهار ، فحكماء علماء ، ابرار اتقياء ، لا يرضون من اعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، قلوبهم من الله وجلة ، ونفوسهم من خشيته مشفقة ، صبروا اياما قصيرة ، اعقبتهم راحة طويلة . ارادتهم الدنيا فلم يريدوها وتعرضت لهم فأفلتوا من حبائلها . واجتنبوا الذهاب في مداحضها ، يقول رب العزة جل جلاله فيهم : **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)** النور/ ٣٧ و ٣٨

ايها الاخوة الأعزة - هذا بيان لمنهج المثالية في الاسلام ، ادعو نفسي وأدعوكم ، وأدعو كل اخواني المسلمين ، الى الالتزام به والسير عليه ، كي نحظى جميعا بسعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة .

ان امل كل مسلم في هذه الدنيا ، هو رضوان الله ومثوبته ، وهما قمة المجد وذروته ، وايم الله - ليس بيننا وبين هذا المجد الا خطوة او خطوتان ، فهل لنا ان نخطوهما فنحقق الآمال في المجد المنشود ؟ لعل وعسى .

إلى نذير!

للاستاذ / سيد خليل الابوتيجي

يـا إخوة الـدين في سهـل وفي قمم
نفسي تــذوب أسى مـن شـدة الألم
فهذه « القدس » في البـأساء داميـة
تســح دمعـا وتــدعـو يـا لمعتصم
وذي « فلسطين » تشكو البؤس باكية
لمـا تــراه مـن الأغـلال والشكـم
وهــذه سـاحـة الأحـداث تـدهمنا
بــواقـع مـؤلـم يـأبـاه ذو شمـم

★ ★ ★ ★

ما طأطأ الرأس أجـدادي لجائحـة
والكـون يـعلـم أنـا أمـة الشيـم
قد شع منهـا ضياء العلم وانبلجت
كـواكب الحق تمحـو غيهب الظلم
وأشـرق النـور في الآفـاق قـاطبـة
والمسلمـون غـدوا في أرفـع الأمـم
وأقبـل النـاس أفـواجـا لـروضتهـا
كي ينهلـوا علمهـا شـوقـا وفي نهم
كنـا سراة تـروع الكـون وحـدتنـا
بـالحق ، بالعلم ، بـالأعمـال والكلم
رمـاحنـا في جبـين الشمس مشـرعـة
كم أنقـذت أممـا من حمـأة الـوصم

واليــوم قــد بليت بــالخلف أمتنــا
فضعضعت مجدها السامي إلى النجم
إن المطـامـع والأهــواء تــدفـعنــا
إلى الــوراء فما نجني ســوى الندم
وعــزة الله لا تــؤتــى لمنفــرد
يقضي الحيــاة حليف الوهم والحلم
فضــع يمينك في يمنــاي وامض بنا
إلى الجهــاد .. إلى العليــاء والعظم
لنجـعــل الأرض بــركــانــا نفجــره
في وجــه مـغتصب في كــل ملتحـم
لنــرفـع الهــام نبني صــرح أمتنــا
ونعلن الحـق وضــاحــا لــذي قتم
روابط الحــب والاســلام تجمـعنــا
ووحــدة الــدم والتــاريــخ والقيـم

فمن أراد شقــاقــا فــاقطعــوا يــده
لترجعوا الشــرف الموروث من قــدم

★ ★ ★ ★

تــاريخكم حــافــل والخــير أجمعــه
في الالتقــاء عــلى هــدى وملتــأم
فــالجرح وحــدنــا .. والثــأر جمعنــا
هبــوا لنــأخــذه مــن ظــالم غشــم
إن تنصــروا الله تنصــركم كتــائبــه
حتى تهــزوا الدنــا هــزا بكــل كمي
اني نــذير لكم يــا قوم فــاعتصمــوا
وسطــروا صفحــة الإقــدام والهمم
ويــا أسود الحمى لا تهجعــوا أبدا
حتى يــرف لــواء الــدين في القمم

المرأة بين الجاهلية

وضع المرأة قبل الاسلام :

من ينظر الى تاريخ المرأة قبل بزوغ فجر الاسلام ، يجده مليئا بما يثير الاشجان ، من حال المرأة وقتذاك .
كانت المرأة تحيا في الجاهلية حياة لاتقل عن حياة الحيوانات العجماوات ، كانت مرهقة بالظلم في القرى والامصار ، لافرق بين جيل وجيل ، أو قبيل وقبيل ، كانت مهيضة الجناح ، ذليلة النفس ، قليلة الرجاء ، لاكيان لها ، ولا ميزان ، ولا آدمية لها محترمة ولا شخصية معتبرة .

ويحسن بنا أن نوضح وضع المرأة في جاهلية ماقبل العرب ، ليتضح لنا حالتها في كل المجتمعات الجاهلية . .

المرأة عند الاغريق :

كانت المرأة عند الاغريق تعد من المخلوقات المنحطة ، لا عمل لها سوى الانجاب ، ورعاية شئون البيت فكم من زوجة كانت تكره على الاستبضاع من غير زوجها فكانت تلد للوطن أولادا من رجل آخر ..

وكم من أم تكره على البغاء وأخت تنكح مكرهة بغير رضاء .. كان أرسطو ينظر الى المرأة كنظرته الى العبيد ، فالمرأة عنده كائن ناقص ضعيف الارادة ..

أما أفلاطون ، فقد وضع المرأة في

والإسلام

للاستاذ

سعد صادق محمد .

كتابه « الجمهورية » في مكان وضيع ، فقال : شجاعة الرجل في الأمر ، وشجاعة المرأة في تأدية الأعمال الوضيعة .

المرأة عند اليهود :

عامل اليهود المرأة معاملة الخدم ، وأعطت تشريعاتهم الظالمة الحق لأبيها أن يبيعها وهي قاصرة ، ولم تكن ترث الا اذا لم يكن لأبيها بنين ..

المرأة عند الهنود :

نصت شرائع الهند أن الوباء والموت خير من المرأة ، كذلك جاء في تشريع « مانو » الهندية ، أن المرأة تعد زانية اذا خلت بالرجل مدة تكفي لانضاج بيضة وأوجبوا عليها أن تموت مع زوجها اذا مات ، وتحرق جثتها مع جثته ، فاذا هربت من الموت حلت عليها لعنة الأبد ..

المرأة عند الرومان :

والمرأة عند الرومان كان ينظر اليها على أنها سلعة مملوكة للرجل له أن يتصرف فيها كما يشاء ، يملكها أبوها .. ثم زوجها .. ثم بنوها ، يتصرف فيها كل واحد منهم ، كما يتصرف في الرقيق ، أو الحيوان ، أو المتاع ..

فكم من حرة كانت تباع وتشترى ، وكانت تورث ولا ترث وتملك ولا تملك ، ويقول الرجال حينذاك : انما يرث من يحمي الذمار ، ويدافع عن القبيل ، أي أن الذي يستحق أن يرث هو الرجل لأنه يقوم بحماية الحمى

ورعايته والدفاع عن القبيلة ، أما المرأة ، فهي للبيت ، لرعايته ورعاية الاولاد ..

كانوا ينظرون الى المرأة نظرة احتقار وازدراء ويعاملونها معاملة الحيوانات العجماوات ويتشككون في انسانيتها ، ويتمارون في آدميتها ..

لقد بلغ من المهانة التي لحقت بالمرأة عند الرومان أن قرر أحد مجامعهم في روما أن المرأة لاروح لها ولا خلود ، ولكن يتحتم عليها العبادة ، وتلزم بالخدمة ، وأن يُكَّم فوها كالبعير ، والكلب العقور ، حتى لايتأتى لها الضحك ولا الكلام وكأن الله حرم عليها أن تنطق ولو بخير أو تدل عليه ..

المرأة في فرنسا وأنجلترا :

وفي المجتمع الفرنسي ، ضاعت أفكارهم عن المرأة ، هل هي انسان أم شبه انسان ، أم أنها مجردة حتى من الانسانية ؟ فرأوا أن يمنحوا المرأة شيئا من الانصاف فقرروا بعد جدال ونقاش وخلاف أن المرأة انسان ، الا أنها خلقت للذل والهوان ، وخلقت لتكون في خدمة الرجل ، وتحت أمره ونهيه ، وصدر هذا القرار عام ٥٨٦ م .

وقد سنت المحاكم الكنسية ، في القرن الحادى عشر قانونا ينص على أن للزوج أن يعير زوجته لرجل آخر لمدة يرتضيها المستعير ، وكان من حق كل حاكم أن يستمتع بامرأة الفلاح الى أربع وعشرين ساعة من تاريخ العقد على هذا الزواج ..

وفي عصر هنرى الثامن ملك انجلترا ـ أصدر البرلمان الانجليزي قرارا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ..

وفي عام ١٥٦٧ م أصدر البرلمان الاسكوتلاندي قرارا يقضي بأن المرأة لايجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء ، وأن تسلب الولاية عن نفسها كما تسلب الولاية على غيرها ..

تاريخ طويل للمرأة التي لم تستظل بشريعة الاسلام ، مشحون بالذل والهوان والاستعباد ، مملوء بالعار والخزى والاستبداد والظلم ..

المرأة في مجتمع جاهلية العرب :

أما المرأة عند الجاهلية العربية ، فقد تخلصت من بعض متاعبها ، ولكنها ظلت ترزح تحت ظلم كبير ، وتئن تحت تعسف مرير ، ويتجلى ذلك فيما يأتي : ـ

● كانت البنت حين تولد في القبائل العربية يخيم على البيت جو حزين ، ويلحقه عار كبير ، حتى يشتد ذلك عليهم ، فيدفنونها وهي حية دون ذنب جنته ، الا لأنها بنت ، ويتضح هذا من قول الله عز وجل (**واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء**

مايحكمون » النحل : ٥٨ و ٥٩ ..

وقوله سبحانه (**قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين**)الأنعام ١٤٠ ..

● كان الرجل يقاطع الدار التي بها زوجته ، أن هي حملت له انثى فتراسله متوسلة راجية :

● مالأبي حمزة لايأتينا
● يظل في البيت الذي يلينا
● غضبان الا نلد البنينا

● قال ابن عباس رضي الله عنهما ، : كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت حفرت لها حفرة ، وتمخضت على رأسها ، فإذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة ، وردت عليهاالتراب ، وأن ولدت له غلاما حبسته ..

ولم تقف مهانة الجاهلية العربية للمرأة عند وأد البنات خوفا من العار الذي كانوا يتوهمونه ، بل تجاوزوه الى صور أخرى حملت كلها معاني العسف والظلم ، ومن هذه الصور ..

١ ـ الأنكحة مثل : نكاح الاستبضاع ، البغايا ، الشغار ، البدل ، وغير ذلك من الأنكحة التي لايثبت بها نسب ، ولا ارتباط شرعي ولا يتحقق بها عدل ولا رحمة للمرأة ..

٢ ـ حرمانها من الميراث ، وكانوا يرون : انه لايعطي الارث إلا من قاتل على ظهر الخيل ، وطاعن بالرمح ، وضارب بالسيف ، وحاز الغنيمة .

٣ ـ حرمانها من المهر ، وكان والدها يأخذ مهرها ، ولا يعطيها شيئا ..

٤ ـ تعدد الزوجات بلا حدود ، وكان الرجل يجمع في عصمته ما يشاء دون تحديد .

٥ ـ الطلاق مع العضل وكان الزوج يطلق زوجته ، وله أن يراجعها عدة مرات وهي في العدة ، ويمنعها من التزوج بغيره ، ومن أنواع الطلاق عندهم : الظهار والايلاء ..

هذه هي النظرة الجاحدة الظالمة التي أعطتها المجتمعات التي قامت قبل الاسلام ، وهي نظرة كلها ازدراء ، وتعسف ، وجور ، كانت المرأة عندهم لا وزن لها ، ولا كيان ، ولكن وجدت مجتمعات رفعت المرأة الى مرتبة التقديس مثل : قدماء المصريين ، والبابليين ، فقدماء المصريين عبدوا « ايزيس » آلهة الأمومة والجمال وكانت « حتشبسوت » أول ملكة في التاريخ ، أما البابليون فقد رفعوا منزلة المرأة بموجب قانون « حمورابي » ..

الا أن كل هذا التقديس والاعزاز ، لم يصل بالمرأة الى المستوى اللائق بها ، وبإنسانيتها ، وكرامتها ، كما فعل معها ولها الاسلام ..

المرأة في ظل الاسلام :

حين اذن الله لشمس الاسلام أن تطلع ، ولنور الرسالة المحمدية أن يسطع أخذت ظلمات الجاهلية تنحسر ، وقوافل الشر والبغي في الأرض بغير الحق تختفي وتزول ، وجنود العصبيات الزائفة تندحر ، ونادى منادى الله : **إن الدين عند**

الله الاسلام ، ذلك الدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده نظاما صالحا ، ودستورا فاضلا ملائما لجميع العصور والأزمنة ، لأنه صنع الله الذي اتقن كل شيء ، دين جاء بتشريعات عادلة ، رحيمة ترسم لكل فرد في المجتمع ـ رجلا أو امرأة ـ ماله من حقوق ، وما عليه من واجبات ارتضى الله هذا الدين لخلقه ، يسرى على أغنيائهم كما يسرى على فقرائهم ويتحتم على عظمائهم ، كما يتحتم على صعاليكهم ، ويتكلف به رجالهم كماتتكلف به نساؤهم ، ويتحاكم به رعاتهم ، وكما تتحاكم اليه رعيتهم ..

فالاحتكام به وإليه واجب ، والوقوف عند حدوده فرض لازم (**ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**) ٢٢٩ : البقرة ..

لقد جاء هذا الدين لاصلاح ما أفسدته الاهواء ، وعلاج ما أمرضته الجاهلية فدعا الناس جميعا الى كل ما يصلح معاشهم ومعادهم ، ونبههم الى كل مايسعدهم في دنياهم وآخرتهم ، فهو تشريع الله ، ومن أحسن من الله تشريعا ، وهو حكم الله ومن أعظم من الله حكما !

لم يصدر ناموسه عن هوى ، ولم يحكم في قضية عن ميل ، إذ هو الحق ، لايزيغ ولا يضل ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ..

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن السابع من ميلاد المسيح عليه السلام بالشريعة الصالحة ، يدعو الناس الى خالقهم ، ويدلهم على بارئهم ويرشدهم الى اصلاح نفوسهم بآيات الله تعالى ، ويوجه دعوته في كل هذا للرجال والنساء ...

ونادى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه التشريعات وكان منها ما هو خاص بالمرأة (**يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ١٩ : النساء ..

وطبقا لهذا التشريع العظيم ، قرر الاسلام أن المرأة (انسان محترم) لايجب أن تورث ، ولا تحبس كرها ، وطلب من الرجل أن يحسن معاملتها ، وأن يصبر على أخلاقها ، إن كانت شرسة الاخلاق ، سيئة الطباع ، وحبب اليهم عشرتها بقوله تعالى (**فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) ..

فكان ذلك طفرة ، خرجت بها المرأة من رق الجاهلية ، الى حرية الاسلام ومن أعماق المهانة والاستكانة الى مراتب الاعزاز والحرية ..

وتقرر في صلب الدستور أن المرأة مشكورة السعي ، أن هي عملت الصالحات كالرجال ، في حدود ماتطيقه أنوثتها ، وطبيعة تكوينها ، فتجازى كالرجل بنعيم الله ورضاه (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**) ٩٧ : النحل (**من عمل**

سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) غافر/٤٠ . .

○ المرأة نعمة :

كانت المرأة في مجتمعات الجاهلية مصدر نقمة وفزع وحزن كما كانت نسيا منسيا وكما مهملا ، أما الاسلام ، فقد اعتبرها نعمة وسكنا ورحمة للرجل ، قال تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) ٢١ : الروم ..

○ المرأة ورثت في ظل الأسلام :

تقدم أن المرأة في عصور ماقبل الاسلام ، كانت تورث ولا ترث وتملك ولا تملك ، لأنها ملك للرجل وخلقت لخدمته ولأنها لا تحمى الذمار ولا تدافع عن القبيل ..

وعندما جاء الاسلام بتشريعاته أصبحت مالكة بعد أن كانت مملوكة ، فتقرر لها نصيب في الميراث وأن قل عن الرجل ، وتقرر لها نصيب في القليل أو الكثير لقوله الله :(**مما قل منه أو كثر**) ٧ : النساء

وبهذا صار للأنثى أن ترث في عباءة الرجل وسيفه ، وعمامته وعصاه ، وقرر الاسلام للذكر في الميراث مثل حظ الانثيين لقول الله تعالى : (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**) ١١ : النساء ..

وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ؛ أن الشريعة أوجبت على الرجل أن ينفق على المرأة ، وعلى البيت بماله من قوامة .. فنصيبه زائد عليها تارة ، ومساو لها تارة أخرى ..

★ مهر المرأة :

من الميراث التي حصلت عليها المرأة في الاسلام ، أن جعلت لها شريعة الاسلام مهرا تملكه ، وتطالب به ...

ولئن كانت شريعة اليهود تفرض للمرأة مهرا ، فانها لاتملكه لها بالفعل ، الا اذا مات زوجها ، أو طلقها ، لأنها في نظر اليهود ليس لها أن تتصرف في مالها وهي في كنف زوج ..

أما الشريعة الاسلامية ، فقد أعطت للمرأة الحق في أن تتصرف فيما فرضته على الزوج من مهر ، كما أعطت لها الحق في أن تمنحه لمن تشاء وقد ورد في هذا قول الله تعالى:(**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) ٤ : النساء

وحين ننظر الى لفظة « نحلة » نجد أنها تعني « العطاء الذي لايقابله عوض ، واذن فهذا العطاء الذي يعطيه الرجل للمرأة » « ليس في مقابل الاستمتاع ، وانما هو عطاء يعبر عن

الود والحب المتبادل بين الرجل والمرأة ،

● كذلك أشركتها الشريعة مع الرجل في الميراث ..

● فقال تعالى (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) ٧ : النساء وقال جل شأنه (**للذكر مثل حظ الانثيين** ..) ١١ : النساء

○ الاسلام صان المرأة وحفظها :

عمل الاسلام على صيانة المرأة ، وحفظها من الابتذال ، اذ بصيانتها ترتفع منزلة الاسرة الى أعلى الدرجات ، وبابتذالها تنحط الى أسفل الدركات ..

والاسلام قدس العرض وحافظ عليه ، وطالب أهله بالدفاع عنه والاستماتة في سبيله .

ولقد أوجب الله على المرأة ـ صيانة لها ـ أن تلتزم حدود الحشمة ، وأن تحافظ على الكرامة ، وطالبها بالوقار ، بعدم ابراز محاسنها ، حتى لايفتتن الرجل بها ، ويتضح هذا من قول الله لنبيه الكريم (**يـأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**) ٥٩ : الأحزاب ، وفي وجوب تحشم المرأة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حين دخلت عليه في ثياب رقاق « يا أسماء إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه ، رواه أبو داود.

كذلك يتحتم على المرأة ـ مثل الرجل ـ غض البصر ، وحفظ الفرج ، وفي هذا يقول الله (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بمايصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) ..الخ الآية ٣٠ ، ٣١ النور

وفي إطار صيانة المرأة منع الرسول النساء من التشبه بالرجال ، حتى لاتضيع أنوثتها حين تلبس زي الرجال ، أو تبدو بشيء من مظهره ..

ونهى الرسول أن يختلي الرجل بالمرأة ، لما في هذا الاختلاء من فرصة لاغواء الشيطان لهما ..

ونهى رسول الله المرأة الا تسافر وحدها من غير زوج أو غير ذي محرم ، ولو كان هذا السفر من أجل فريضة الحج لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم » متفق عليه

وحفاظا على المرأة من المهانة أمرها الاسلام الا تخرج من المنزل لتزاحم الرجل في كل مجال ولكن هناك مجالات لها أن تشارك الرجل فيها ومنها التعليم فلها أن تتعلم من العلوم ما

يناسب أنوثتها مثل التدريس والتمريض وغير ذلك مما يجعلها تحيا حياة كريمة ، وبوجه عام فان المرأة مكانها البيت ، كما أمرها ربها حيث تقول الآية (**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**) الأحزاب/٣٣

فالآية الكريمة تأمر المرأة بأن تستقر في البيت ، لأن هذا هو مكانها الذي خلقها الله له ، لتتولى شئونه ، وترعى من فيه والذي حدد لها هذه الوظيفة هو خالقها الذي يعلم أين مصلحتها ، وأين الخير بالنسبة لها » ..

والمرأة في البيت واحدة من أربع : فهي أم ، أو زوجة ، أو بنت أو أخت ، وعلى كل واحدة منهن واجبات في الحياة ، ولكل واحدة منهن تقدير واعزاز ممن يعولها .

الكتاب .. وقضية المرأة :

هذه هي نظرة الاسلام للمرأة ، وهذه هي مكانتها في نظر الشريعة الاسلامية ، ونحن كما تقدم نرى أن الاسلام كرم المرأة بأكثر مما تطمح اليه من حقوق ، وجعلها في مكان عزيز كريم بعد أن ذاقت ألوانا من المهانة في التشريعات السابقة ..

ولكن فريقا من الكتاب بدأ منذ سنوات مضت ، يتباكى على ما أسماه « حقوق المرأة » وأخذ بنشر المقالات الطويلة التي يزعم أنه يدافع بها عن هذه الحقوق .

ولا شك أن أصحاب هذه المقالات ، لو يعلمون حقوق وواجبات المرأة في الاسلام ، ووعوها حقا ، لما اتعبوا أنفسهم وتحدثوا عن هذه الحقوق ، ولكنهم يجهلون ماجاء به الاسلام للمرأة ، ثم هم مقلدون للغرب ، تابعون له .. أنهم يقلدون الغرب ، لا فيما يفيد ، ولكن فيما لايفيد وعلى أساس الانسلاخ من ديننا ، والابتعاد عن مقومات إسلامنا ، ونبذ تقاليدنا ، فنادوا بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ومن هنا دفعوا المرأة الى كل معترك للحياة في غير ضرورة داعية ، وزجوا بها الى كل ميدان ، ولأن طبيعة أنوثتها لا تصلح لكل الأعمال ، كانت عائقا لما اقتحمته من ميادين خاصة بالرجل ، فلم تنتج وقد أثبتت الأيام والأحداث عجز المرأة عن اقتحام ميادين الرجل ، واثبتت عدم صلاحيتها للعمل في هذه الميادين .

والاسلام حين ألزم المرأة بالبيت انما أراد من وراء ذلك تكوين مجتمع سليم قوي ، فحرص على أن يدعم بنيانه من لبنات قوية ولبناته هي الأسرة ، وانشغال المرأة خارج بيتها ، هو غياب لاحدى لبنات الأسرة وبالتالي هدم لها ، وكثير من الأسر اليوم يعاني من غياب الام العاملة ، وتشقى بخلو مكانها في المنزل ..

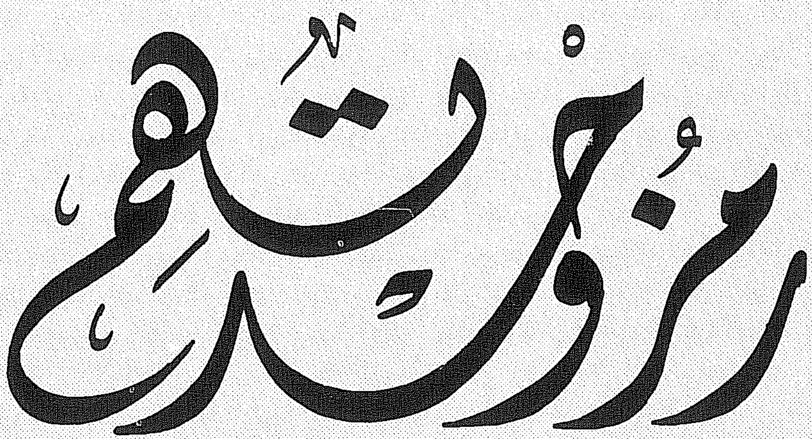
اننا اذا أردنا لأسرنا حياة ، ولمجتمعنا سعادة واستقرارا فلنعد الى اسلامنا ، فاسلامنا أعطى لكل من المرأة والرجل وظيفته المناسبة له ، وأنزله المنزل اللائق به ..

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

قبلة المسلمين

من الاحداث العظيمة التي حدثت في مجال التشريع الاسلامي حادث تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، واكثر المؤرخين على ان ذلك حدث في ليلة النصف من شعبان،فقد كان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وهو في مكة يتوجه في صلاته الى الكعبة ، فلما هاجر الى المدينة امره ربه ان يتوجه الى بيت المقدس . فتوجه اليه ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا كان فيها دائب الحنين الى الكعبة مكثرا من الدعاء ان يوجهه الله اليها ، وقد استجاب الله دعاءه فجمع المسلمين حيثما كانوا على قبلة خاصة بهم ، لها عند الله مكانة الاعزاز والتكريم ولها في نفس الرسول الكريم مشاعر الرضا والحب ، وانزل عليه قوله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

والمسجد الحرام اول بيت وضعه الله للناس ، وجعله مثابة وامنا، تشمله بركة الله وتقوم فيه آياته (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**) آل عمران / ٩٦



للشيخ / محمد الاباصيري خليفة

والجمهور على ان اول صلاة صلاها رسول الله الى الكعبة صلاة العصر فقد روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال : اشهد بالله لقد صليت مع النبي قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل ان تحول قبل البيت رجالا قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله : (**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**) البقرة / ١٤٣

واما اهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم التالي كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال : ان رسول الله قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل

الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة » واهل الكتاب يعلمون ان هذا التحويل من بيت المقدس الى الكعبة حق ، من عند الله لانه احد اوصاف الرسول في كتبهم : (**وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم**) **البقرة / ١٤٤** ولكنهم ـ حسدا وكفرا وعنادا ـ كتموا هذا العلم واشتركوا مع المنافقين والمشركين في السخرية بالرسول والمؤمنين وقالوا : ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا ، فهددهم الله بمجازاتهم على هذا الكتمان بقوله : (**وما الله بغافل عما يعملون**) ورد الله على الساخرين جميعا بان الامر كله لله ، وجميع الجهات من خلقه وايجاده وأينما تولوا فثم وجه الله (**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**) البقرة / ١٤٢ .

وقد اثبت الله كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفون من شأن الرسول وانهم بسبب ذلك حقت عليهم كلمة الله فهم لا يؤمنون ولو قدم لهم رسول الله كل دليل على صحة ما جاء به : (**ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك**) البقرة / ١٤٥ كما اثبت شدة تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق الذي جاءه من عند الله ، ورفضه ، اتباع اهواء اليهود « **وما انت بتابع قبلتهم** » وقد حذر الله المؤمنين من اتباع اهواء اليهود بعدما اعلمهم الله بامرهم ، والا كانوا ظالمين لانفسهم مسقطين لمنزلتهم فان الحجة على العالم اقوى من غيره . ومسئوليته بين يدي الله اشد من مسئولية سواه ، وخاطب الله الرسول بهذا التحذير وهو يريد امته فقال تعالى : (**ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين**) البقرة / ١٤٥ .

وقد كشف الله عن ان اختيار الكعبة قبلة للمسلمين ، يتجهون اليها في صلاتهم ، ويرتبطون بها بقلوبهم من تمام وسائل التميز لهذه الامة . بما حباها الله من نور وبما مكن لها من هداية ، فمكانها في الامم مكان العلم الهادي والسراج المنير ، ترشد الى دين لا غلو فيه ولا تقصير ، وتقوم على افضل النظم وخير المبادىء واقوم المناهج ، وتقعد من الانسانية مقعد الاستاذ من تلميذه ، تعلمها وتهديها . فهي خير الامم واعدلها ، ويوم القيامة تشهد على الامم بان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ورسول الله يشهد عليهم مزكيا ومصدقا : (**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة / ١٤٣ روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما اتانا من نذير وما اتانا من احد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وامته : قال : فذلك قوله « **وكذلك جعلناكم امة وسطا** » قال : والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد عليكم ».

كما بين الله تعالى انه صرف رسوله عليه الصلاة والسلام عن القبلة التي كان عليها وهي بيت المقدس الى الكعبة ليميز اتباعه ويظهر مؤمنهم من منافقهم ، لان ذلك

التحويل امر عظيم وشديد على النفوس لا يتقبله الا المؤمنون ، فمن اتبع رسول الله عن ايمان ويقين استقبل كل شيء يحدث بالرضا والطمأنينة تملؤه الثقة بان كل ما جاء به هو الحق من عند الله ، وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .. اما من في قلوبهم مرض فانه كلما حدث امر احدث لهم ريبا وشكا ، قال تعالى : **(وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون)** . التوبة / ١٢٤ و ١٢٥ وتميز الاتباع عامل كبير في سلامة الصف من الخلل والاضطراب ، وضرورة لتثبيت الخطا على طريق النصر .

وقد اشار الله الى هذه الحكمة في قوله تعالى : **(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم)** . البقرة / ١٤٣

والى جانب ان تحويل القبلة الى الكعبة قد حقق رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وميز الامة الاسلامية بقبلة خاصة ونقى صفوف اتباعه من المنافقين فان الله قطع بهذا التحويل حجة اليهود التي كانوا يقولون فيها : ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت !!؟ وحجة المشركين الذين كانوا يقولون : يزعم محمد انه على دين ابراهيم فلماذا يتجه الى غير قبلته .

نعم قطعت الحجة ، وكان الانصاف يقضى بترك العناد ، واتباع الرسول والايمان برسالته . ولكن الظالمين استمروا على كفرهم وجادلوا بالباطل فقال اليهود : لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه ، وقال المشركون رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه ، وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا .

وقد امر الله رسوله والمؤمنين الا يعبأوا بالظالمين وان يتمسكوا بالحق الذي تمت به النعمة عليهم ليكونوا من المهتدين قال تعالى : **(ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون)** . البقرة / ١٥٠

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني في اهل الكتاب ـ انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين » ومنذ ان اختار الله الكعبة قبلة للمسلمين وهي علم وحدتهم ورمز اخوتهم ووجهة عبادتهم . وستظل قلوب المسلمين موصولة بها ووجوههم متجهة اليها ما دامت الحياة استمساكا بالحق وحفاظا على الدين .

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

الجمال

(١)

عن الجمال كمصطلح اسلامي ، وعن الجمال والعلاقات الانسانية ، وعن الجمال في مطلق الخلق ، وعن الجمال كقيمة شوهها الخابطون ، يدور الحوار في هذه السطور .

والجمال من المنظور الاسلامي ، ليس مجرد مصطلح ، او مجرد علاقة ، او مجرد خيوط مرئية او مدركة .. وانما هو جزء من صميم البنية الوجودية ، وكل الاجزاء في علاقة الخلق بالخالق ، والكون بالتكوين .. لان وجودا يصدر عن واهب كل الوجودات ، لابد ان يتسم في بدئه وختامه بالجمال الخارق .

وللجمال في المفهوم الاسلامي ابعاد متناغمة ، فهو جمال موضوعي اول الأمر ، بما هو تجسيد لقدرة الخالقية في الخلق ، ثم هو جمال اسنادي ـ اذا جاز أن يقال ـ بمعنى ان هناك قيما معينة يمكن اذا اضيفت الى وضعيات وجودية او انسانية ان ترتفع بهذه الوضعيات عن مستوياتها العادية الى مستويات اخرى جمالية كما يضاف التواضع ـ مثلا ـ الى القوة ، فتصبح به قوة جميلة ، وليس قوة غاشمة .
وكما يضاف التفكير العاقل الى الحركة العارمة ، فتستحيل به حركة عاقلة ، وليس حركة رعناء .

من المنظور الإسلامي

للدكتور / محمد احمد العزب

ومادام ذلك كذلك ، اي مادام الجمال قيمة موضوعية نراها في الشجر ، والمطر ، والسحاب ، والجبل ، والفراش ، والورد ، والاصوات ، والألوان .. وكل ما برأ الله من وجود جمالي يتعالى على مر العصور .. ومادام الجمال كذلك قيمة اضافية ترتفع بكل ما تسند اليه فاذا هو رائع الجمال .. فان الاسلام لا يمكن ان يستهين به ، او يتجاوز قيمة كونه جزءا من صميم البنية الوجودية ، وكل الاجزاء في علاقة الخلق بالخالق ، والكون بالتكوين .

يرى النبي صلى الله عليه وسلم المطر ، فيستقبله استقبالا جماليا رائع الايحاء : ففي صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه قال : اصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر ، فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، حتى اصابه المطر ، فقلنا : يارسول الله ، لم صنعت هذا ؟ قال : « لانه حديث عهد بربه » . قال النووي في شرح مسلم : انه حديث عهد بتكوين ربه ، ومعناه : ان المطر رحمة ، وهي قريبة العهد بخلق الله لها ، فيتبرك بها .

ويرى النبي صلى الله عليه وسلم الهلال بازغا ، فيستقبله استقبالا جماليا رائع الايحاء كذلك ، فعن عبدالله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال : « الله اكبر ، اللهم اهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » رواه احمد والترمذي !!

وفي سنن ابي داود عن قتادة انه بلغه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك .. ثلاث مرات .

ان هذا الحس الجمالي الذي يتوقل فيه المخلوق حتى يصل الى رحاب الخالق ، يجسد حقيقة الجمال في الكون والانسان على السواء .. فاذا كان الجمال معطى كونيا يتألق في المطر الهاطل ، او الهلال البازغ ، فان هذا الجمال معطى انساني يتألق في الاحساس بجمال الكون ، والتعبير عن هذا الاحساس وهذا الجمال .

ولكن الاسلام يضع الجمال في اطاره المتحدد ، فاذا جاوز تخومه الى تخوم اخرى ، كان دميما ومرفوضا كذلك : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس » رواه مسلم والترمذي .

هنا يتحدد الجمال في الشكل والمحتوى كذلك .. فاذا ند عن سوائه القاصد كان جمالا مغلوطا ، او قل : كان غير جمال وغير جميل .

ـ ٢ ـ

وتوشك العلاقات الانسانية كلها في الاسلام ان تكون نابعة من قيم الجمال ، وهادفة الى قيم الجمال كذلك ، لان مجمل العلاقات الانسانية هو : علاقة الانسان بنفسه . وعلاقة الانسان بالآخرين ، وعلاقة الانسان بالكون ، وعلاقة الانسان بالله .. وما لم تكن هذه العلاقات جميعها مبنية على أسس جمالية شاملة ، فان صرحها المهتز يوشك باستمرار على مزيد من التداعي حتى الانهيار !!

فالجمال يطهر علاقاتنا بأنفسنا ، حين يوحي إلينا نزعة التعادل العاقل ، الذي لا يدمر في ارتفاعه الشاهق إلى أعلى ، ولا يكظم في إيغاله المرهق إلى تحت .. إنه يقفنا أمام تناسق الاشباع المادي من أعراض الحياة ، والاشباع الروحي من تعاليات العبادة ، ويحفظ علينا هذا التناسق الفذ في إيقاعه المتوازن ، فاذا نحن نمضي على الدرب في حراسة هذا التوازن الجميل .

والجمال يطهر علاقاتنا بالآخرين ، حين يقيمها أساسا على وطائد من الفهم المتبادل ، والتضامن الواثق ، والأخوة العقيدية ، والسلام الأرحب ، والتبادل النظيف .. إنه يغرينا بالعدل ، والحب ، والتسامح ، والفكر ، والايثار ، والتضحية ، وإضاءة كل المصابيح .. إنه يعمق فينا حس المتاع الجمالي في كل ما نشكل من جمال ، وحس التقزز الرديء من كل ما نسوى من رداءة وقبح .. فهو يغرينا ـ مثلا ـ بالعدل ، حين يوحي إلينا أن لا شيء أجمل من العدل ينشر أجنحته البيضاء فيحتضن بها الأنا والآخرين ، ولا شيء أوبل من الظلم الذي هو في النهاية افتيات صارخ على طبيعة الخلق فينا ، وتشويه هابط لفطرة البراءة ، وبراءة

الفطرة ، وانهيار بالمستوى الآدمي إلى مستوى وحشي دميم .

والجمال يطهر علاقاتنا بالكون ، حين يقيمها على أساس من التجاوب المحب ، فنحن حين نستشعر الجمال في نجمة أو نسمة ، نفتح كل مغاليق ذواتنا على جمال الوجود ، وحين نستشعر الجمال من مشهد طبيعي أو مشهد إنساني ، نرفض أن نقدم بالتدمير على روائع هذا الجمال .

والجمال يطهر علاقاتنا بالله ، حين ينهضها اساسا على الاحساس الوثيق بأن الله واهب كل ما في الكون من جمال ، وهو أقمن قمين بالعبادة الحقة لأنه خالق الجمال الانساني والطبيعي ، وما وراء الانساني والطبيعي على السواء .

وليس عبثا أن يلفت القرآن الكريم إلى كل ما في الكون الهائل من أناشيد الطبيعة ، ولوحات الجمال ، لأنه من هنا يستثير أروع ما في الحقيقة الانسانية من ميول مركوزة إلى تعشق الجميل ، ويحرك أعرض ما في الطبيعة الانسانية من تشوف شامل إلى روعة الخلق ، ولأنه حين يفعل ذلك يترقى بالقضية كلها من مستوى تأمل الجمال في الطبيعة والكون ، إلى مستوى التسبيح الفاهم بآلاء خالق الكون والطبيعة والجمال :

(**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) ق/٦ ـ ٨ .. (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**) النحل/٥ و٦ .. (**والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها**) الشمس/١ ـ ٨ .. (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين**) لقمان/١١ .

ـ ٣ ـ

وحين يركز الباحثون في قضايا الاعجاز الالهي على تأمل الجمال في خلق الانسان ، فانهم يقلصون بذلك رقعة الحركة التي يمكن ان تجسد قضايا الاعجاز الالهي في الخلق بلا حدود .. لأن خلق الانسان معجز نعم ، ولكن خلق الفراشة معجز كذلك بلا جدال .. واذن فقضية الخلق معجزة بذاتها ، والاعجاز فيها متوجه الى القوة الخالقة ، وليس الى نوعية ما خلقت هذه القوة فحسب . لان النوعيات المخلوقة كلها تؤكد اساسية الاعجاز في الخلق بلا تفريق .. ويمكن ان يكون الدقيق الدقيق من هذه النوعيات المخلوقة ادل على قضايا الاعجاز في الخلق ، لان ما فيه على دقته وضآلته من روعة التصميم ، وجمال التشكيل ، وابداع الخلق ، ينطق بأثر الخالقية المقتدرة التي تضع اسرارها المعجزة على الهامد الجامد ، فاذا هو كون من الحركة يغلي بالاندفاع ، وتلمس الساذج الغفل ، فاذا هو يتألق بهندسة

التشكيل الجمالي البديع .

وربما كان تركيز الباحثين في قضايا الاعجاز الالهي في الخلق على الانسان ، لأن الجمال المخلوق في الانسان وحده هو الجمال الحر الذي يستطيع ان يضيف إلى ماهيته المخلوقة ماهيات أخرى مكتسبة ، فحين يسدد الانسان طاقاته المادية والروحية والفكرية في الاتجاه الأنفع والأرقى ، يصبح جماله الانساني بحجم الوجود الفاضل بأسره ، وحين يسدد هذا الانسان كل طاقاته المخلوقة في اتجاه الأسوأ والأردأ ، يصبح جماله الانساني بلا حجم وبلا وجود على السواء .. وإذن فالجمال الانساني هنا جمال يتسم بحرية الخبط والرشاد ، فان وافق فطرته السوية كان على طريق الرشاد بلا ارتباك ، وإن صادم فطرته السوية كان على طريق الخبط بلا فكاك !!

وإذا كانت هذه هي وضعية الجمال الانساني ، فان الجمال في غير الانسان جمال سكوني قابل فحسب ، لا يستطيع تطوير ذاته إلى أعلى ولا إلى أسفل ، ومن هنا كان جمالا قابلا لا فاعلا ، جمالا يتسم بجمود الحركة أو بتكرارها إلى ما لا نهاية .. على النقيض من الجمال الانساني ، الذي يستطيع أن يتألق في فاعليته حين يبدع الأشياء والأفكار ، وأن يتألق في موضوعيته حين يكون مجلى من مجال تأمل الاعجاز الالهي في الخلق ، أي أنه صائر بلا توقف ، إذا شاء فالى أعلى ، وإذا اشاء فالى أحط ..

شيء آخر يميز الجمال الانساني ، وهو قدرة هذا الجمال على تأمل ذاته ، والعروج من هذا التأمل الذاتي إلى حقائق الايمان ـ فالانسان وحده يستطيع أن يتأمل جمال الخلق في ذاته ، ويستطيع من خلال هذا التأمل ، أن يصل إلى بارىء هذا الخلق الجميل ، أما غير الانسان فلا يستطيع تأمل ذاته على الاطلاق ، فلا البحر يستطيع أن يتأمل أمواجه الهادرة ، ولا العصفور يستطيع أن يتأمل تكوينه الفاتن ، ولا الشمس تستطيع أن تتأمل غدائر ضوئها الشلال .. الانسان وحده هو فارس هذا التأمل ، ومن هنا كان جماله جمالا واعيا بذاته ، وقادرا على تطوير ذاته بذاته ، ومطلا من خلال وعيه واقتداره على جلال الخلق الأول ، وروعة الخالق الأول ..

ولعل هذا الفهم يستلهم تكوينه البدئي من هتاف القرآن الكريم بالانسانية جمعاء : (**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات / ٢١ ، فهي دعوة إلى تأمل الاعجاز الالهي في الخلق من خلال الانسان ، لأن هذه نقطة الانطلاق إلى تأمل الاعجاز في كل شيء ، والترقي إلى الايمان بقدرة المعجز التي لا تحدها تخوم الأبعاد !!

ـ ٤ ـ

ولا نشك في أن مصطلحات إسلامية قد ظلمها الاستعمال العرفي ، فضاع من

جلالها الكثير ، وأحجم ـ حتى الفاهمون ـ عن تداولها أو التعامل الفكري معها ، وكأنها ـ حين أساء إليها الآخرون ـ أصبحت وضعية هابطة ، هبوط تصور الخابطين لحقائقها وإيماءاتها كذلك .

من هذه المصطلحات ، أو فلنقل في طليعة هذه المصطلحات ، مصطلح الجمال ، فقد زور الاستعمال العرفي هذا المصطلح ، حتى أصبح مرادفا للتسيب الخلقي . أو اللذاذات الجسدية النازلة ، تماما كما حدث لمصطلح آخر شبيه هو مصطلح الحب ، فقد زوره الاستعمال العرفي حتى صار مرادفا لدعارة الجسد وتفلت العلاقات .

وما هكذا ينبغي أن نفهم نحن عن مصطلح الجمال ، أو عن مصطلح الحب ، فالجمال هو فحوى الاعجاز في الخلق الالهي في كل شيء : في الصامت ، والصائت .. في الجامد ، والنامي .. في العاقل والغفل .. في الأشياء والأحياء .. والحب هو فحوى علاقة الكائن بالمكون ، مرورا بعلاقة الكائن بالكائن ، والكائن بالكون ، فلولا الحب لاستحالت الأرض إلى غابة تتهارش فيها قوى الظلام !!

على أن الاسلام لا يصادر الجمال في التكوين الآدمي ، بل إنه يحتفي به احتفاء غير مقيس على ما سبقه ، وغير مقيس به ما لحقه كذلك ، لأنه إحتفاء فذ يتعالى على النظائر والأشباه .. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة : إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه . وخطب المغيرة ابن شعبة امرأة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « اذهب فانظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه الترمذي .. ونصح الرسول رجلا خطب امرأة من الأنصار وقال له : « انظر إليها فان في أعين الأنصار شيئا » أخرجه مسلم .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل بعض النسوة ليتعرفن ما يخفى من العيوب ، فيقول لها : « شمي فمها ، شمي إبطيها ، شمي عوارضها ، وانظري إلى عرقوبها » رواه احمد . ولما تزوج جابر بن عبد الله ثيبا قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هلا جارية تلاعبها وتلاعبك » متفق عليه . وهذه طبيعة الفطرة الصحيحة التي ترنو الى الجمال في كل شيء .. ولعلنا نستجلي غوامض هذه الحقيقة في إطلالنا على ما ذكره القرآن الكريم من حفاوة بجمال حتى واحد من أنبياء الله ، في سورة يوسف ، لنرى إلى أي حد يقف الجمال الخلقي والجمال الخلقي في جبهة معا ، ليكونا دلالة على نبوة نبي وعصمة رسول .. وهل نستطيع أن نتجاوز ما تناقلته كتب السيرة والحديث والتاريخ من صفات ، وملامح ، وتكوينات النبي محمد عليه الصلاةوالسلام ، وما حرصت عليه هذه الكتب من تجسيد حقائق الجمال التكويني في البنيه المادية التي تنطق باستواء البنية الروحية فيه ، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها ، واحسنهم خلقا ، ليس بالطويل

الذاهب ، ولا بالقصير » وعنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين ، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئا قط أحسن منه » رواه البخاري ومسلم ، وفي البخاري : وسئل البراء : « أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا . بل مثل القمر » . وفي حديث أم معبد المشهور لما مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، هو وأبو بكر ، ومولاه ، ودليلهم . وجاء زوجها فقال : صفيه لي ياأم معبد ، فقالت : « رجلا ظاهر الوضاءة ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن » . وروى أبو زرعة باسناده عن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوذ بن عفرا : صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة » رواه الدارمي .

فاذا انتقلنا إلى تأمل حفاوته صلى الله عليه وسلم بالجمال والجميل ، طالعنا قوله الجليل : « من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغضه الله ، فأما التي يحبها الله : فالغيرة في الريبة ، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة ، وإن من الخيلاء ما يبغضه الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التي يحب الله : فاختيال المرء نفسه عند القتال ، وإختياله عند الصدقة . وأما التي يبغضها الله : فاختياله في البغي والفخر » رواه أبو داود والنسائي وأحمد .. كما يطالعنا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا جميلا ، فقال : يارسول الله ، إني رجل حبب إلى الجمال وأعطيت منه ما تراه ، حتى ما أحب أن يفوقني أحد ، إما قال : بشراك نعلى ، وإما قال : بشسع نعلى ، أفمن الكبر ذلك ؟ قال : لا « ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمط الناس » رواه أبو داود .. وليس يبعد عن استلهام النزعة الجمالية ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم من تحسين الأسماء الرديئة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصية فسماها جميلة » رواه الترمذي وابن ماجة وما كان يمارسه كذلك من ترجيل الشعر ، وسدله ، وفرقه ، أو التطيب والدهن ، ومخاللة النظافة .. وما كان يأمر به من جمال الصحبة ، وجمال الحديث ، وجمال الوفاء ، وجمال المعاملة ، وجمال التفكير ، وجمال العبادة .. هذا تركيز على مجمل الجمال في مجمل حياة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو شئنا لاستطردنا مع كثير مما تناقله التاريخ في هذا المجال .

نخلص إلى أن الجمال ، كالحب ، مصطلح ظلمه الاستعمال العرفي ، فأحجم حتى الفاهمون عن تداوله أو التعامل الفكري معه .. وأن الجمال ينبغي أن يظل مناط الاعجاز في الخلق الالهي ، لا أن يصير مناط التعلق الجسدي ، أو مناط الخلق في حقائق الأشياء .. وأن الجمال كما يتبدى في الطبيعة الصامتة ، والطبيعة الصائتة ، يتبدى كذلك في الكائن البشري الذي يعطى جماله لسانا ، فاذا هو يتحدث إلى الكون بآلاء واهب الجمال ، وإذا هو يحدد مسيرة العقل في اتجاهه إلى الأعلى ، بدءا من نقطة جمالية معينة ، وانتهاء إلى عالم الجمال والجلال والكمال !!

بأقلام القراء

يا شباب الأمة الوقت أمانة

بعث الينا الاستاذ خالد السيد علي بلاسي بهذه الكلمة :

ان الحقيقة المرة التي يعاني منها اسلامنا اليوم هي عدم فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولا عجب فتلك نهاية قوم سلكوا مسلكنا ولعل اول من ينظر إليهم إسلامنا هم الشباب ، والشباب بخاصة ـ إن جاز التعبير ـ وما ذلك الا لانهم القوة والفتوة ولديهم العقل الناضج والحيوية التامة ولا غرو ، فهم الذين نصروا رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما خذله الشيوخ ، من هنا فإن واجب تربية الشباب ـ التربية السليمة ـ واجب لا مفر منه ، كي يحمل الامانة حمل الفعال لا حمل الحمال ، واول عامل يهز كيان شبابنا هو الوقت وقد يعجب البعض .. كيف ذلك ؟!!

ان الوقت نعمة من أجل النعم على بني الانسان . ذلك لأنه اغلى من الذهب لان الذهب اذا فقد فانه يمكن العثور على غيره والعكس ـ بالنسبة للوقت ـ كائن وصحيح ، حتى ان حساب المرء متوقف على وقته وهذا ليس بجديد فقد ورد في السنة :

« لن تزولا قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم افناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » ولخطورة عامل الوقت فقد ذكر مرتين ، ولعل للشباب وزمنه داعياً لذكره مرة بعد المرة .. المهم ان الوقت بمكان خطير في حياة الانسانية جمعاء لا في حياة الفرد فحسب وللعجب فلا يشعر بهذه النعمة الا الانسان . ان كان يشعر ـ لكن ـ والاسف يملأ الدنيا ـ اصبح الانسان يتفنن في قتل وقته في اللهو واللعب وفي الحقيقة هو لا يقتل وقته وانما يقتل نفسه فالانسان ما هو الا وقته فان استغل وقته الاستغلال السليم فاز وربح والا كان من الخاسرين ..

وما ربط العبادات بالاوقات الا شاهد مبصر على صدق تلك القضية :

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ ١٠٣ : النساء

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ ١٨٩ : البقرة

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ ١٨٥ / البقرة

﴿الحج أشهر معلومات﴾ ١٩٧ : البقرة
﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ ١٤١ : الانعام
حتى ان العبادة في ذاتها لا تطلب من الشخص الا عند سن معينة فالامر ليس كما نرى اليوم .. فوضى .. ضياع للوقت .. قتل للفراغ .. لا .. ان الوقت هو حياة الانسان ووعاء الحياة وبعد :
فلعل الصورة وضحت في اذهانكم فهيا بنا لنرى ماذا يصنع شباب الاسلام في تلك النعمة ؟
لقد أضاع شباب الاسلام تلك النعمة العظيمة ولعل العامل الاساسي في ذلك هو اتباع الشباب لشيطانهم المريد ولكن كيف ذلك ؟
ان الشيطان المريد ـ لعنه الله ـ يعلم تمام العلم أن حياة الانسان موقوتة بالثانية وباللحظة ومن هنا فانه يريد ان يحقق مأربه المتمثل في قوله تعالى :
﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ٨٢ و ٨٣ / ص

ولا يتحقق هذا المأرب الا بتضييع هذه النعمة العظيمة من مسلمي الدنيا كي يفوز فيما اراده .

ثم يأتي بعد ذلك شبابنا بأعمال هدامة مدعيا بأن ما يفعله هو قمة الحضارة ، لا والله انها لقمة القذارة ، فينشغل شبابنا بأشياء لا تفيد لا في الدنيا ولا في الاخرة بل لعلها القواصم لظهور شبابنا وفي النهاية يضيع الوقت دون ما جدوى ويسير عمر الشاب في شارع الحياة ويصطدم بموج المتاعب فيتحطم وينهار وما ذلك الا لانه اضاع وقته فهل ننتبه ..؟!!
ان شبابنا اليوم أضاع وقته وبضياع الوقت ضاع كل شيء ، لقد انصرفوا الى اللعب في وقت يعيش فيه المسلمون في رعب دائم ، والعدو يعبث بحرمات الاسلام ويعتدي على مقدسات المسلمين .

يا شباب الامة
وقتكم أمانة فنظموه كي يسعد الاسلام والمسلمون ولعل تنظيم الوقت عامل جد خطير في حياة كل شاب فعليكم باستغلال وقتكم وتنظيمه التنظيم الدقيق الذي يعود بالفائدة على الاسلام والمسلمين ، ولا يغرنكم طول الوقت فعقارب الساعة لا تسير الى الخلف واعداء الاسلام لاينامون فأستغلوا الوقت في تحصيل المعارف والعلوم كي نسد ونضيق على الشيطان بابه فننجو ويسعد الجميع .

واخيرا اقول بأن السعادة كل السعادة ما هي الا في العمل المرضي لربنا وخالقنا كي يمن علينا بتقواه
ولست ارى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

فأمامكم وقتكم ومعكم عقولكم فاستغلوا الوقت ولا تضيعوه حتى نصل الى تمام النعمة .

الشكوك المتصاعدة تحجب الرؤية الاسلامية

تحت هذا العنوان يقول السيد / فاروق عبد العزيز سلام :

اذا كانت حياة الرسول محمد « صلى الله عليه وسلم » والرسالة حافلة بالتضحيات الجسام .. والصبر .. والمثابرة ، في مواجهة عنت ومروق الطغيان الذي غمر الحياة .. واعداء الاسلام .. فإنها فاضت بالنور الذي عم الكون وبالضياء الذي غمر الحياة .. وامدها باعظم زاد ، واكرم عطاء .. وسما بنفوس البشرية وطباعها الى كل عظيم .. ونبيل .

ولكن - في مواجهة النفوس الامارة بالسوء ، والساعية لمآرب ذاتية تحكمها المصلحة والهوى ، تصاعدت شكوك مريبة .. وطغت افكار مادية بحتة تلح في اصرار عنيد .. تحجب حقيقة الرؤية الاسلامية في الامة العربية في مواجهة كيل الاتهامات المتبادلة .. وتخبط الآراء العقيمة .. التي دفعت بالالحاد والشرك الى أن يصول ويجول على أشلاء المسلمين .. ويسبح في بحور دمائهم الزكية .. كما هو الحال في افغانستان ..

ونحن في مجون الحياة بين الاحجام والاقدام .. تتسع هوة التردي - ومن ثم يزداد الموقف سوءا وتعقيدا .. ويصبح غير قابل لتحقيق التقارب الروحي - طالما نحن في غينا سادرون نهمل تعاليم ديننا الحنيف بنظريات مستوردة تجعل سلوكنا محكوما بسياسة التبعية .. لاننا تعامينا بصرا وبصيرة عن قول الحق :

﴿ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة ٤٩ وليعلم العرب والمسلمون ان ريح التربص التي تهب عليهم . ان لم تجد من المقاومة .. والتحدي ما يدفع بها في اتجاه مغاير .. فسوف تتحول الى اعصار ومدمر

○ وعلينا (حكاما وقادة وشعوبا) أن نتربص بأعدائنا ..

○ ﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ الطور/٣١ حتى يتحقق فينا قوله تعالى : ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾

○ وليدرك العرب والمسلمون : ان اي مشكلات مصطنعة يمكن ان تؤثر على سلامة وامن امتنا ووحدتها .. هي مصيبة في ديننا ، لانها تفرق بنا السبل ، وتجعلنا فريسة سهلة ، وصيدا ثمينا لأعداء الحق . ..

كذلك يؤثر النزاع الناتج عن تصادم المصلحة الشخصية والنفع الذاتي على مصالح الجماعة ووحدة المسلمين .. وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

الامر الذي يدعو الى تدخل العقل والحكمة لوقف الاقتتال بين المسلمين وتضافر الجهود العربية والاسلامية لوقف حمامات الدم .

وايضا يدعو الى وحدة امة العرب والاسلام لتحقق القوة المؤمنة ..

واخيرا ان ابتعادنا عن الاسلام وشرعه خيانة ستجر علينا الكثير من الهزائم .. والخسران المبين وستجعل المخاوف تطغى على كل تصرفاتنا . وستكون وبالا .. وعاقبة المصير سيئة ..

فهل آن الأوان لأن ينقشع ضباب الشك ، ونسلم قيادنا لله طائعين .. ونعمل بكتابه المجيد وسنة نبي الرحمة ؟!.

مرة اخرى
شبابنا .. والتبشير المسيحي

كنا قد اثرنا هذا الموضوع في اعقاب رسالة وردت من القارىء رمضان الفارس ـ من تونس وكان ذلك في عدد جمادى الاخرة ـ رقم ٢١٠ لسنة ١٤٠٢هـ .

ودار الحديث حول ما يقوم به المسيحيون من التبشير والدعوة لما هم عليه من فساد . وانهم لا يدخرون جهدا في سبيل ذلك حتى وصلت كتيباتهم « دروس بالمراسلة » الى بلاد المسلمين واصبح من المألوف ان يحمل الينا البريد هذه الكتيبات « بدون طلب » و « بدون مراسلة » . » وذاك واقع ..

وقلنا : ان واجب المسلمين ان يقاوموا ذلك .. وان يعملوا للدعوة الاسلامية .. وهم على الحق .. وان يجندوا جزءا من اموالهم للدفاع عن الاسلام ، ونشر مبادئه السمحة .. وجسمنا الخطر الذي يواجهنا بنشر صورة النموذج الداعي الى المراسلة حتى تصل المرسل الرسائل والكتيبات التبشيرية المسيحية بالمجان .. وذلك حتى يعرف القارىء اننا نواجه عدوا حقيقيا .. وليس ما نقوله مجرد كلام ..

وبعد : انقسم القراء تجاه ما قلنا الى فرق ثلاث :

الفرقة الاولى : لم تفهم ما قلناه بعد ان قرأت .. ولا شأن لنا بهؤلاء .. فالذنب ذنبهم .. او هم لم يكلفوا انفسهم عناء القراءة والفهم .. وننصحهم بمعاودة المطالعة .

الفرقة الثانية : مؤيدة لما قلناه غير انها حذرة متشككة ورأيها انه ما كان ينبغي لنا ان ننشر صورة « دروس بالمراسلة » ويمثل هذا الاتجاه الاستاذ احمد حامد .. فكان مما قال :

● لقد حزنت اشد الحزن لمساهمتكم في الدعوة للمسيحية .
● كان المفروض ان تنشر رسالة

القارىء فقط .

● ويرى ان المسيحيين يستغلـون غيرة البعض منا على دينه ، فيرسلون ما يرسلون باسماء اسلامية وهمية لينشروا نشاطهم من خلال الصحف والمجلات الاسلامية .

● واخيرا يرجو الا نقع في هذا مرة اخرى .

وباختصار نقول للاستاذ حامد .. مع تقديرنا له ككاتب وصحفي اسلامي ، غيور على دينه ، كما يقول في رسالته .

اولا : ان اساليب التبشير المسيحي ليست في حاجة الى دعاية منا .. فهي منتشرة بشتى الاساليب والصور .. عن طـريق الافلام ، والاذاعـات ، والتلفزيون ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات ، وصناديق البريد .. وان الذي قلناه هو دعاية مضادة وليست دعاية لهم ، وتحذير من خطرهم ، وسوء مسلكهم .. وليس وراء ذلك شيء اخر . فلا تحزن صديقي .

ثانيا : نشرنا ما نشرنا حتى نعرف بموطن الخطر فنحذره ، ونعرف من أين يأتي فنقاومه ، ونوجه دعايتنا ضده ، ونبين زيفه وباطله ، حتى لا يقع شبابنا في شراكه ..

وهذا هو هدفنا .. ودعونا الى ان يجند رجال الدعوة الاسلامية طاقاتهم من اجل الذود عن حياض الاسلام ، ونشر تعاليمه الحقة ، وينفق الأغنياء منا بعض اموالهم في سبيل ذلك لتكون لهم مثـاقيـل في مـوازينهم يـوم الحسـاب ، ونطالب بطبـع كتيبات اسلامية تعالج قضايا معـاصرة ، وتأخذ بيد الشباب الى دائرة الهدى والرشاد ..

ثالثا : ونطمئن الأخ الاستاذ احمد حامد بأن الأخ رمضان الفارس .. صـديق قديم للمجلـة ، ويراسلنـا باستمرار .. فهو شخصية حقيقية ، وليست وهمية .. والذي يهمنا اساسا هـو الموضـوع الـذي ننـاقشـه ، ونعـرضـه ، واذا حـاول البعض استغلال غيرتنا الاسلامية ، فلن يحد ذلك منها ، وما ينبغي لهذا الاستغلال ان يوقف نشاطنا الاسلامي .. ونحن على يقين من ان المسلم فطن يميز الخبيث من الطيب ، ويعرف الدافع الحقيقي ، ويدرك المكر والخداع ، وله من سلامة الطوية ، وصفاء العقيدة ، وقوة الايمان ، ما يجعله في مأمن من مكر الصليبية ، وحقد اليهود ..

وها نحن نقول .. ليكون شبابنا على بصيرة مما يدور حولهم ..

رابعا : اننا لم نقع في فخ ، ولم نصب بالغفلة ، ولم ندع الى صليبية .. حتى تحذرنا من الوقوع مرة اخرى . بل ازلنا شبهات ، واتصفنـا باليقظـة والحذر ، ونبهنا الى اوكار الشر .. ودعونا الى مخاطبة الناس بالعقل والحكمة ، وان يقف وراء الدعـوة الاسلامية من يمدها بالمال اللازم حتى تؤدي دورها على اكمل وجه .. ولذا ترانا لن نألو جهدا في الكشف عن وجه الكفر القبيح ، وبيان زيفه ، وضلاله ، هذا مع تقديرنـا واعتزازنـا بالأخ الاستاذ احمد حامد ، ومـلاحظته موضع اعتبار فيما اذا كان هناك ما

يستدعى ذلك ، وتبقى النوايا الطيبة هي الدافع من وراء كل جهد مخلص .

ومن الله نستمد التوفيق والعون .

الفرقة الثالثة : مؤيدة لما قلناه ونشرناه بلا خوف ولا حذر ، بل وعلقت عليه واضافت اليه ، ويمثل هذا الفريق الأخ/زين احمد

حسانين .. وكان مما قال :

وكثير من الدول ترسل الكتيبات المسيحية مجانا الى من يريدها ، ولقد نشرتم انتم في مجلتكم الوعي الاسلامي في العدد رقم ٢١٠ في بريد الوعي الاسلامي رسالة الصديق/رمضان الفارس وان دل هذا على شيء فانما يدل ما يدبره الحاقدون ضد الاسلام والمسلمين ، ونحن للأسف لا نأخذ عبرة مما يحدث حولنا . فلماذا لا نبذل نحن المسلمين جهدا وفيرا لنشر ديننا الحنيف .

وديننا هو الصالح لكل زمان ومكان . لماذا لا نوزع كتيبات اسلامية فيها ما ينفع المسلمين في عصرهم هذا ، لماذا لا نوزعها مجانا على فقراء المسلمين عن طريق المراسلة مثلا ؟

إنى أحيي فيكم هذه الروح الاسلامية الوثابة ، واقدر هذه اليقظة من مجلتنا « الوعي الاسلامي » وأرجو أن ترسلوا الكتب عن طريق البريد لكل من يريد المزيد من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، ولكي يصل شبابنا الى المزيد من الوعي وايقاظ الروح الاسلامية .

واخيرا انني شاب مسلم يريد النصرة لدينه ، وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرا .

ونكتفي بهذا القدر .. والله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

مقالات مختصرة

جاءت عدة رسائل من بعض كتاب المجلة وقرائها من اكثر من وطن عربي اسلامي يدعو اصحابها الى ان تكون المقالات المنشورة مختصرة بقدر الامكان ، والا تزيد عدد صفحات المقالة الواحدة عن ست صفحات ، ويرى البعض الاقتصار على ثلاث صفحات فقط .

ونقول للأخوة القراء والكتاب الذين عابوا على المجلة نشرها لابحاث طويلة ومقالات تجاوزت عدد صفحاتها العشرين صفحة .. نقول لهم :

ان المجلة كانت وما تزال حريصة على الا تنشر مواضيع متسلسلة الحلقات .. حتى لا تضيع قيمتها العلمية وفائدتها الفكرية عندما ينتظر القارىء شهرا كاملا حتى يتابع ما بدأ قراءته قبل شهر ، وقد يأتي النسيان على ذاكرته فلا يتذكر شيئا مما قرأه ..

ويضطر لمعاودة القراءة من جديد .. وهكذا .. هذه واحدة .

والاخرى ان المجلة عندما تنشر موضوعا مسلسلا فانها تلتزم بالنشر لكاتب واحد لمدة قد تصل الى ستة شهور او اكثر .. وبذلك تضيق المساحة المتاحة امام نشر مواضيع اخرى لكتاب اخرين ..

ومن هنا فان المجلة رأت ان تنشر المقالات والابحاث دفعة واحدة تحقيقا للفائدة وبعدا عن التجزئة المخلة .. وبعد ذلك ناشدت المجلة كتابها الاختصار ما امكن عند كتابتهم لان كثرة الكلام ينسي بعضه بعضا ، وخير الحديث ما قل ودل .

ونطمئن القراء الى اننا لن ننشر مقالات طويلة الا في الحدود الضيقة جدا ، وحسب اهمية الموضوع المطروح للبحث .. ونناشد كتابنا الاعزاء ان يتعاونوا معنا في ذلك .. والخير نريد .. وبالله التوفيق .

« الاقتصاد الاسلامي »

حمل الينا البريد هذه النشرة العلمية المتخصصة في الأمور الاقتصادية من الوجهة الاسلامية ، تصدر عن بنك دبي الاسلامي في مطلع كل شهر عربي .. وقد جاءت الاعداد التي صدرت حتى الان حافلة بشتى المواضيع التي تهم المسلمين في تجارتهم ومعاملاتهم وبيعهم وشرائهم .. يشرف على كتابة هذه المواضيع علماء مسلمون متخصصون في علوم الاقتصاد وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض هذه المواضيع :

- الاقتصاد الاسلامي وعلم الاقتصاد الحديث
- الادارة في الاسلام
- عقد التأمين في ضوء الشريعة الاسلامية

والوعي الاسلامي اذ تنوه بايجاز لهذه النشرة انما تفعل ذلك انطلاقا من واجبها الاسلامي تجاه كل قضايا المسلمين المعاصرة وتقدم شكرها الجزيل للاخوة القائمين على اصدار هذه النشرة لما يبذلونه من جهد في خدمة الاسلام والمسلمين .. والله الموفق ..

مع صحافة العالم

احــراق الاقصى .. الى متى ؟

ان امتنـــا الان تـعـــاني مـن الخلافات والفرقة وتثقلها هموم الاحزاب والاراء والعدو امامنا يعتز ويخلص لعقيدته الباطلة ، ويفدي نفسه وماله من اجلها بعدما بث في القلوب المريضــة الخوف والرعب من تقدمه التكنولــوجي وصناعته للقنابل الذرية . ونحن لدينا ترسانة من الاسلحة لو وزعت على العالم لكفته ، وزراعة وصناعة لو القيت في البحر لفاض وطغى على الارض . مــاذا يريــد المسلمون ؟ اعطاهم الله من النعم ما لا يحصى ولا يعد ، فكيف لشرذمة من المرتزقة اليهود ان ينجسوا ديارهم ويعبثوا بأعراضهم ويسفكوا دماءهم وهم ســامدون لاهــون وكــأن الغيــرة الانسانية والاسلامية انعدمت في نفوسهم ، ولماذا لا يخلصون لدينهم كما يخلص اليهود الى اعتقادهم ، بل لماذا بعض المسلمين ليس لديه الوطنية والولاء لاهله وعرضه ؟ ذلك والله العجب .. نسوا دينهم الذي هو عزتهم ودعوا الى احزاب الشياطين وما تملي لهم الاهواء الضالة ومصالحهم الفاسدة . لماذا لا تفتح ابواب الجهاد تحت كلمة لا اله الا الله ، والله اكبر . يقودها مسلم براية خفاقة لا تــدعو الى حمية ، مرجعها الكتاب والسنــة واثر الصحابة والتابعين ؟ نحن لا نسمع الا نداء الجهاد والابواب مقفلة تنادي هل من قائد يحمل الراية وينظم الجيوش في نظام تتشامخ له الانوف وتعز به الهمم ، هذا هو الاسلام الذي نريده .

عن القبس الكويتية

القدس يستصرخكم

تطالعنا الصحف اليومية والنشرات الاخبارية الاذاعية بتهديد دولة صهيون « لعنة الله عليهم » بغزو جنوب لبنان والقضاء على مراكز الفدائيين وملاجىء الفلسطينيين .

ولكي نعلم قوة هذا الهجوم وشدته

ننظر الى مقدار ما حشدته اسرائيل من قوات يهودية على طول حدود لبنان الجنوبية ، وكل الصحف ذكرت مقدار هذه القوة الكبيرة .

ثم يعلن اليهود بكل جرأة استعدادهم لغزو جنوب لبنان ومراكز القوات المشتركة ، كأنها تستهزىء وتسخر من طول باعنا في الجهاد .

ان العرب لو يفهمون ما في اعلان اسرائيل بغزو جنوب لبنان وتهديدنا بذلك ، لعرفوا ما يتضمنه ذلك من سخرية واستهزاء بالعرب وقواتهم المكدسة الى اجل غير معلوم .
متى نستيقظ يا عرب ؟ متى تحين الساعة ونضرب الطغاة في عقر دارهم ؟ متى ومتى ومتى ولن يحدث شيء الا بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه .

عن ثوبان رضي الله عنه قال :ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :« لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي امر الله وهم كذلك » .

والحديث معناه انه لا تزال هناك جماعة من الناس منصورين على اعدائهم ما داموا ملتزمين بالحق حتى قرب يوم القيامة . فهل نكون نحن هؤلاء ؟ ندعو الله بذلك .

ولعله كان من الافضل بدلا من الاحتجاج والتشجيب على المجزرة التي حدثت في الحرم الشريف ارض الاسراء والمعراج ، والشكوى الى هيئة الامم وطلب ادانة اسرائيل ، التي يعلمون انهم وان حققوا الادانة وما هم بمحققيها الا باذن الله ، فلن تستجيب لها اسرائيل او حليفتها الولايات المتحدة ، وقد كنت اعتقد ان العرب قد استفادوا من طول الخبرة في هيئة الامم ومجالس الامن لدورهم البارز في طلبات ادانة اسرائيل وتوقيع العقوبات عليها بسبب جرائمها المتعددة على العراق وسوريا ولبنان وداخل فلسطين نفسها ، واسرائيل في كل هذا "واضعة في بطنها بطيخة صيفي" ولا تهمها الادانات ولا قرارات مجلس الامن لانها معتمدة على حق الفيتو لأمها الولايات المتحدة .

الافضل من ذلك كله ، بل الافضل من اعلان الاضراب تضامنا مع الشعب الفلسطيني في يوم الاربعاء ، هو ان نعود الى حظيرة الايمان ، ونوحد الصفوف ونقضي على الخلافات الداخلية وندعو الى حمل السلاح والجهاد في سبيل الله ونعلن الجهاد المقدس والحرب على عدو المسلمين وعدو الله من الازل البعيد ، وعلينا الاعتماد على الله خير العماد وصدق رسول الله اذ يقول :« لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها » .

كم فرحت عندما سمعت ان العرب والمسلمين يساندون الشعب الفلسطيني ويعلنون التضامن معه، ولكن سعادتي وفرحتي لم تدم ولم تلبث، كأنها وميض برق وزال عندما سمعت ان ذلك سوف يكون عن طريق الاضراب لمدة يوم واحد .

وكان من الاجدر بالعرب بدلا من ان يمر ذلك اليوم بلا فائدة ، ان يجلسوا مع بعض ويتشاوروا ويتباحثوا في كيفية رد الاعتداء الصهيوني الغاشم على الحرم الشريف معتمدين على الله وعلى امكاناتهم الهائلة . يا شباب العرب ان

القدس يستصرخكم ويستغيث بكم ـ وهو يعلم النتيجة سلفا متمنيا من الله ان تتغير احوال المسلمين العرب ويهبوا لنجدته فاغيثوه وانصروه ينصركم الله قبل ان يستفحل خطر اليهود وينتشر كالسرطان اللدود ، والقدس لم يقطع فيكم الأمل فما زلتم من جيشه ولحمه ودمه ، ام ان الترف والبطر قد غيركم ، إن القدس يصرخ ويستنجد بكم منذ اكثر من ثلاثين عاما وانتم لا تفعلون شيئا فهل حان وقت الجد والعمل ، ام مازال هناك مجال لانتظار قرارات هيئة الامم ومجلس الأمن .

عن القبس الكويتية

الاسلام جبهة صلبة في الشرق الاقصى

مندناو ، والمسلمون في الفلبين :

مندناو ، هي ثاني اكبر جزر الفلبين ، تقع في الجزء الجنوبي ، مساحتها ٣٦,٥٣٧ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها : ١,٨٩٨,٠٠٠ نسمة ، وينمو عدد سكانها بسرعة ، وتضم الكثير من القمم العالية الى ما فوق الخمسة الاف قدم ، مثلا (جبل آيو : ٩٥٤٠ قدما) وهو اعلى قمة في الفلبين ، وفيها سهول ومروج متسعة خصبة في وديان الانهار كنهر (مندانو) في (كوتاباتو) وحول نهر (اغوسان) ، وهنالك سهول ضيقة على الشواطىء تحيط بالجزيرة ، وتتسع قرب (دافو) ـ وهي اكبر مدنها ـ وباغاديان ، ومعدل الامطار فيها يبلغ الفي ملم سنويا .

تعتبر الجزيرة جبهة الفلبين الرئيسية وقد ازدادت الهجرة اليها عام ١٩٢٠ وازدادت اكثر عام ١٩٣٩ وما بعده تبعا للحرب الثانية ، حيث جاءها المهاجرون من سيبو ومانيلا .

واهم محصولاتها : القمح والارز وجوز الهند والقنب وياتي القطن والقهوة والكاكاو في المرتبة الثانية ، وانتاج الاخشاب عال لاسيما في اغوسان ومقاطعة زامبونكا ، وفيها احتياطي واسع من الحديد .

واكثر سكانها من المسلمين ، ويمتاز مسلمو الفلبين بالامانة والنزاهة وقوة الشكيمة ، وطالما ازعجوا المستعمرين والسلطة الظالمة التي تريد القضاء عليهم ، ولقد اكسبتهم حياة الادغال والحروب الكثيرة التي مروا بها مزيدا من الخبرة في حرب العصابات والقوة في التمسك بالحق والسعي الى اقراره ، ولقد كان منهم ابطال مجاهدون ، ومازالوا في مواجهة التعصب الذميم ضدهم يحققون صمودا عجيبا وقوة لا يستهان بها .

عن الرأي العام الكويتية

نداء الى العالم الاسلامي

أنقذوا صرح الدين والعلم في الهند

ناشدت المنظمة الاسلامية العالمية في نيودلهي بالهند ضمير العالم الاسلامي التحرك لانقاذ الجامعة الاسلامية « دار العلوم بديوبند » من موجة العداء التي تواجهها من بعض الفئات والطوائف الهندية ، وقالت المنظمة الاسلامية في رسالة بعثت بها الى « الوطن » ان الجامعة هناك لا تزال مغلقة منذ اواخر شهر مارس الماضي اثر الحوادث المفتعلة التي وقعت في الحرم الجامعي يوم ٢٤ مارس الماضي وتسببت باصابة عدد من الطلبة والموظفين بجراح ، واعتقال عدد اخر من الاساتذة والمدرسين .

واوضحت الرسالة الواردة لـ « الوطن » بأن الصراع بين بعض ابناء الجالية الاسلامية في الهند قد سمحت للعناصر المندسة بافتعال المشاكل والتدخل في الشؤون الداخلية للجامعة الاسلامية واضافت الرسالة : ان رغبة البعض في احكام السيطرة على الجامعة ورغبة بعض اعضاء الحزب الحاكم في تعطيل هذا الصرح الاسلامي ، وكذلك الميل الدائم لدى بعض الفئات الحزبية والسياسية الاخرى لتخريب اي نشاط او جهد اسلامي ناجح ، كل هذا جعل من احداث ٢٤ مارس الماضي خطرا يهدد بشل كل عمل يعود بالفائدة على الاسلام والمسلمين في الهند .

وادانت الرسالة عضو البرلمان الهندي المدعو اسعد مدني ، الذي استخدم انتسابه للحزب الحاكم في جني المكاسب الشخصية من خلال السيطرة على الجامعة الاسلامية ومؤسساتها المختلفة ، وكذبت ما يدعيه هذا النائب من صلة بالمدينة المنورة ، واكدت انه مواطن هندي الاصل ومن مدينة فيض اباد ، يعمل جاهدا على تنصيب نفسه زعيما دينيا وسياسيا للجالية الاسلامية في الهند .
هذا واكدت الرسالة الواردة من ديوبند على ان الجامعة الاسلامية هناك ، قد مضى على انشائها ١٢٠ سنة ، كانت خلالها مركزا للاشعاع الثقافي ، وقد تلقى الطلبة والدارسون خلال الاجيال الماضية في هذا المركز علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واصول الدين الاسلامي الحنيف والشريعة السماوية السمحة ، واصول الفقه واللغة والادب ، اضافة الى تخريج عدد كبير من الاطباء .

عن جريدة الوطن الكويتية

البحرين : انشاء « بيت القرآن » بكلفة مليون ونصف مليون دينار

دعا الدكتور عبد اللطيف كانو وكيل وزارة الاسكان في دولة البحرين المسلمين الى دعم مشروع انشاء بيت القرآن الكريم في البحرين والذي بدأ العمل فيه مؤخرا على ان يفتتح في شهر رمضان المقبل .

وقال عقب زيارته للبلاد ان هذا المشروع يمثل مؤسسة دينية ثقافية حضارية هدفها افادة المسلمين وطلاب العلم في جميع انحاء العالم .

واضاف بان المشروع سيضم كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من مصاحف ومخطوطات وترجمات ومطبوعات في مختلف اللغات العالمية . واشار الى ان هذا المركز الديني يتألف من خمسة اقسام هي : مسجد للصلاة وحفظ القرآن ، ومكتبة اسلامية جامعة ، ومتحف يتكون من خمس صالات للعرض ، ومدرسة لتحفيظ وترتيل القرآن ، وقاعة للاجتماعات وإلقاء المحاضرات اضافة الى مكتب لتأمين الخدمات المرتبطة بنشاط المركز ومتطلباته .

وقال ان هذه الفكرة بدأت منذ عشر سنوات وذلك من منطلق ثقافي .. وقد كانت هوايتي اقتناء المخطوطات القرآنية من مختلف انحاء العالم وجمعت منها ما يقارب ١٥٠٠ وحدة قرآنية معظمها نادر الوجود .

وتابع الدكتور كانو قائلا : « بعدها فكرت بأهمية حفظ هذه المجموعة النادرة ووضعها بتصرف العالم الاسلامي لينهل منها كل محب ومهتم بهذا الدين العظيم » .

وحول كيفية حصوله على مجموعة المخطوطات القرآنية النادرة قال: « كنت اسافر كثيرا وعند وصولي الى بلد ما، كنت ابحث فيها عن هذه المخطوطات وافتديها » .

اما عن المصاعب التي واجهته في عمله قال : « انها مصاعب بديهية حيث ان القرآن الكريم عزيز ومقدس ولا يقدر بثمن ويستحيل العيش بدونه لان مجرد وجوده في البيت بركة وخير كبير ..

وعن تكاليف المشروع .. قال الدكتور كانو « التقديرات الموضوعة للمشروع تبلغ حوالي مليون ونصف مليون دينار بحريني تم حتى الآن جمع نصف مليون دينار منها من اهل البحرين ونعمل على جمع باقي المبلغ عن طريق الاكتتاب من المسلمين في جميع البلدان الاسلامية والعربية .

عن جريدة الوطن

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة عشرة ● العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد :

رسالة الصيام والزكاة

ومجلة براعم الايمان

الجزء - ١ -

ظهر الإسلام

تأليف أحمد أمين

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وإيقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

المسلمون وفريضة الصيام

فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام فقال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**).

وعده رسول الاسلام محمد (ﷺ) من الأركان الخمسة التي يقوم الاسلام عليها فقال : (بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)

والمسلمون أمام فريضة الصيام أنواع :

منهم من تجري كلمة الاسلام على ألسنتهم دون أن يكون لها أثر في قلوبهم ، فيلقون أسماعهم لكل هاجس غريب عن الاسلام ، مخالف لتعاليمه .. وهؤلاء يرون الصيام حرمانا لا فائدة فيه ، وتقليدا دينياً لا مسوغ له مع تقدم الحضارة وتطور الفكر الانساني الذي يأبى قيود الصيام ، ومن ثم فهم يفطرون في رمضان ، ويسخرون بعقول الصائمين وتفكيرهم » ويوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب لن يجديهم أنهم تسموا بأسماء المسلمين ، ودرجوا معهم في تعداد المواليد .

ومنهم من يؤمنون بفريضة الصيام ، ولكن تخور عزائمهم إزاء الجوع والعطش في نهار رمضان فيفطرون مستخفين من الناس ، ولا يستخفون من الله وهو معهم .. ونذكر هؤلاء بأن من يضعف عن تحمل تبعات الايمان ، وينهزم أمام صبر ساعات في نهار رمضان ، يكون أشد ضعفا ، وأكبر هزيمة أمام تحمل الكفاح في مختلف شئون الحياة .. ذلك أن المنهزم في ميدان صغير ليس أهلا لأن يحرز النصر في ميدان كبير ، ومن ضعف عن تحمل الجوع والعطش ساعات ينطلق بعدها الى تناول ما أحل الله من الطيبات ، لا يمكن أن يكون انسانا يرجى في معارك الحق والشرف ، أو يعتمد عليه في مواطن الشدة والبأس .

ومنهم من يرون شهر الصيام موسما سنويا للموائد الزاخرة بألوان الطعام في كل ليلة ، وللسهر واللهو أكثر الليل ، والقعود والتراخي والكسل في النهار الى قبيل غروب الشمس ، وهؤلاء يخطئون الطريق في تقدير شهر الصيام ، ويفوتهم الفهم الصحيح لما خصه الله به ، فيمضي عليهم الشهر وقد زودوا أنفسهم بالخطايا !!

أما المؤمنون الصادقو الايمان ، فيدركون أن الله تعالى جعل شهر رمضان فترة تدريبية تجدد في نفوس المسلمين الصبر على المكاره ، والطاعة الخالصة لله ، والنظام في شئون الحياة ، والعطف على الفقراء والبائسين .. كما تعبىء فيهم القوى النفسية والخلقية ليسيروا في الحياة أعزة لا يقبلون الذل ، وكراما لا يرضون المهانة ، وأباة يرفضون الضيم ، فتصلح بهم الأوضاع ، ويتحقق بجهادهم النصر ، وتسعد بسلوكهم المجتمعات .. وأولئك هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان ، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى والسلام ، وأولئك هم الذين فهموا من كتاب الله وسنة رسوله ما سدد خطاهم على طريق الحق ، فانتهزوا فرصة حلول شهر رمضان ، وكانوا صائمين لنهاره ، قائمين لليله ، مكثرين فيه من الدعاء ، ومن البر والعطاء . وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتحدث عن أبواب الخير المفتحة للصائمين في رمضان ، التي تسعد من يغتنم ما فيها . ومن الغيض في هذا المجال أنه (ﷺ) خطب صحابته يوما وكان مما قال : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ،من أدى فيه خصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الخير ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة

ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله الا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما ، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار »

وفي حديث آخر يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل رحمته ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى الى تسابقكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل »

هذا هو شهر رمضان كما بينه رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، يمد الله فيه يده للمؤمنين ، ويبسط رحمته على المستجيبين ، ويمنح غفرانه للمذنبين التائبين فلنعد أنفسنا لاغتنام فضله وخيره ولنستجب لأمر الله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) .

ولندائه جل شأنه في قوله (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

نزول القرآن في رمضان

للأستاذ /
محمود الشرقاوي

نزل القرآن مفرقا ، وفي أوقات متباعدة ، وتاريخه هو تاريخ الرسالة المحمدية ، ومدته هي مدتها أو قريبا من ذلك .

وقد صرح القرآن بأن نزوله كان في رمضان ، وفي ليلة القدر منه على الخصوص كما قال تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة/ ١٨٥ .

وقال : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر)** القدر/ ١ .

وأكد ذلك بالنسبة الى الليلة المذكورة قوله في الآية الأخرى : **(إنا أنزلناه في ليلة مباركة)** الدخان/ ٣ .

ورمضان مختص بانزال الكتب السماوية السابقة ، فقد جاء في مسند الامام أحمد من حديث واثلة بن الاسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله تعالى القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

ومعنى إنزاله لاربع وعشرين خلت أنه نزل بعد تمام أربع وعشرين ليلة فيكون انزاله في ليلة خمس وعشرين .

وهذه الكتب المنزلة ما عدا القرآن نزل كل منها على الرسول الذي نزل عليه جملة واحدة .

وأما القرآن المجيد فمعلوم أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا من حين رسالته الى قرب وفاته ، بيد أن ظاهر هذه الآيات يدل على أنه نزل كله جملة واحدة في ليلة من ليالي شهر رمضان ، وهو أيضا ظاهر حديث واثلة السابق .

وهذا يثير في النفس تساؤلا :

كيف يتسنى القول بنزول القرآن كله جملة واحدة مع ما هو معلوم يقينا من أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا في اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر تقريبا ، حتى أن الكافرين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في سورة الفرقان/ ٣٢ : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**) .

وقد يجيب بعض الناس عن هذا التساؤل فيقول : ان الذي أنزل في ليلة القدر انما هو أول القرآن نزولا وهو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ فيكون قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) معناه شهر رمضان الذي ابتدىء فيه إنزال القرآن ، وقوله : (**إنا أنزلناه**) معناه إنا ابتدأنا إنزاله .

وهذا الجواب ليس بسديد لأنه فيه حمل الآيات على غير ظاهرها والجواب السديد هو ما أجاب به ابن عباس في آثار صحيحة مروية عنه نكتفي منها بما يلي :

اولا : أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي » صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله « فصل القرآن من الذكر » أن الملائكة كتبوا القرآن المجيد نقلا من اللوح المحفوظ ثم أنزلوا ما كتبوه الى مكان في السماء الدنيا يسمى بيت العزة .

ثانيا : أخرج النسائي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد في عشرين سنة ». وقوله « في عشرين سنة » فيه ايجاز بالاقتصار على ذكر العقدين الكاملين وحذف الكسر وهو سنتان وخمسة أشهر تقريبا .

ثالثا : أخرج ابن مردويه والبيهقي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله عطية بن الاسود ، فقال : وقع في قلبي الشك قول الله تعالى : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** » وقوله : « **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** » **وقوله** :« **إنا أنزلناه في ليلة القدر** » وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : « إنه انزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام » ، وقوله : « وقع في قلبي الشك » لا يقصد به حقيقة الشك ، فان القرآن لا يشك فيه مسلم انما مقصوده أن هذا التعارض الذي يبدو لأول وهلة يثير في النفس حيرة في الفهم مع إيمان بأن القرآن حق لا ريب فيه . وقوله : « أنزل على

مواقع النجوم » معناه أنزل مفرقا مثل مساقط النجوم فان النجوم تسقط أمام الانظار في أوقات مختلفة يتبع بعضها بعضا .

وقوله : « رسلا » بكسر الراء ـ معناه : « تؤدة » أي في زمن طويل .

ولا شك أن نزول القرآن من اللوح المحفوظ الى موضع مخصوص في السماء الدنيا يسمى بيت العزة ـ لا يقوله ابن عباس رضي الله عنهما اجتهادا ، ولا تخمينا فانه من علم الغيب الذي لا يطلع الله عليه الا رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا النزول الغيبي إن كان مما يحمل على القول به هو إبقاء الآيات الواردة في نزول القرآن على ظاهرها من نزوله جملة واحدة ، فانه لا يعارض نزوله الحسي في التاريخ المذكور ، أي ابتداء نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقا ، بل ان الرواية نفسها تشير الى ذلك وتبين المراد به ، فهما اذن نزولان ، غيبي وحسي وتاريخهما واحد ويتساءل العلامة الزركشي في « البرهان في علوم القرآن » عن السر في هذا النزول ، ويجيب عن ذلك بقوله : « فان قيل : ما السر في انزاله جملة من السماء ؟ قيل فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وذلك باعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قربناه اليهم لننزله عليهم » .

ويقرر النيسابوري« أن نزول القرآن بحسب الوقائع والحوادث أوفق في باب التكاليف والاستبصار » ويدلل القسطلاني على هذه الحكمة من نزول القرآن مفرقا بقوله : « إن الوحي في الزمن الأخير من الحياة النبوية كان أكثر نزولا لأن الوفود بعد فتح مكة كثروا ، وكثر سؤالهم عن الأحكام » .

وقد بين الله تعالى حكمة نزول القرآن مفرقا لا جملة واحدة في موضعين في الكتاب العزيز :

الموضع الاول : قوله تعالى في سورة الاسراء/ ١٠٦ .

(**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**) .

الموضع الثاني : قوله تعالى في سورة الفرقان/ ٣٢ و ٣٣

(**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) .

وصدر آية الاسراء : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**) يرشد الى حكمة من حكم التفرقة وهي أن يتيسر على الناس حفظه وفهمه ، وتخليهم عن عقائدهم وأعمالهم الفاسدة بالتدريج وتحليهم بالعقائد والاعمال الصالحة بالتدريج أيضا وأخرها « ونزلناه تنزيلا » يرشد الى حكمة أخرى من حكم التفرقة وهى الدلالة على أن القرآن منزل

من الله تعالى وليس من قول البشر ، فانه مع نزوله مفرقا حسب الحوادث واعجازه بهذا الترتيب الزمني كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الكتبة كلما نزلت آية أن يضعوها بأمر الله تعالى بعد آية كذا في سورة كذا ، فكان ترتيبه في التلاوة غير ترتيبه في النزول وكان مع ذلك متناسبا أعظم التناسب ، بل معجزا للخلق جميعا أن يأتوا بمثله ، فهذا إعجاز متكرر مرتين :
اولاهما : بترتيبه النزولي الزمني المتسق مع الوقائع .
وثانيتها : بترتيبه في التلاوة آيات وسورا طوالا وقصارا وأوساطا .

والآية الاولى من آيتي « الفرقان » : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**) . ترشد على حكمة ثالثة وهي « تثبت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بتجدُّد الوحي ونزول الملك ، وهو أمر يدعو الى طمأنينة القلب وانشراح الصدر مع ما في ذلك من تيسر الحفظ وتكرار انتصاره على الأعداء بتكرار عجزهم عن الاتيان بمثله كلما تحداهم .

والآية الكريمة الثانية من آيتي الفرقان : (**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) ترشد الى حكمة رابعة وهي مسايرة الحوادث باجابة السائلين ، وبيان حكم الله تعالى في الوقائع المتجددة وتوجيه أنظار المسلمين الى ما يقعون فيه من أخطاء أولا فأول ، وهتك أستار المنافقين والمشككين كلما هموا بأمر فيه كيد للاسلام والمسلمين .

وكان أول ما نزل هو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك**) كما تفيده السنة الصحيحة ، ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية ،حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنيفغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق** . اقرأ وربك الاكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... الحديث » .

لكن جاء في صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » وهذا محمول عند العلماء على ما بعد فترة الوحي

التي تلت النزول الأول .

وإذا كان أول ما نزل هو قوله تعالى :« **اقرأ باسم ربك** » كما ثبت لدينا بالدليل القاطع فان آخرها ما نزل على الراجح والمعتمد هو قوله تعالى : (**واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله**) البقرة/ ٢٨١ أخرجه النسائي وابن مردويه والطبري عن ابن عباس .

وهذا يرشدنا الى أن ثمرة المعرفة هي التقوى التي تعني حسن السلوك ومحاسبة النفس . فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، ولكنه وسيلة الى تزكية النفس ونفع العباد ، حتى يكون الانسان خليقا بهذا المنصب الرفيع ، الذي أهل له منذ وجود أول فرد منه ، وهو خلافة الله في أرضه ، المقتضية لاعلاء منار شريعته الكفيلة بسعادة الدنيا والآخرة .

وقد نزل القرآن بأرقى صور الوحي ، إذ ورد في القرآن أن الله تعالى يكلم الناس في صور ثلاث . قال تعالى :

(**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء**) الشورى/ ٥١ .

فأول صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان ، هي الايحاء ، ومعناه الاشارة السريعة ، تلقى في روع الانسان ، وفي هذه الحالة يتكلم الأنبياء وغيرهم من المتقين بنفث من روح القدس ، فيلقي في نفس الموحى اليه .. فكرة تشع في روعه بنور خاطف كأنه البرق ، ولا يكون الايحاء في هذه الصورة مصاغا بكلام ، بل يكون خطرة تخطر بالبال لا يسبقها تفكير وتجلي بها شكوك .

وثاني صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان : هي الكلام من وراء حجاب .

وثالث صورة لكلام الله للانسان : الحالة التي يرسل الله سبحانه وتعالى بها كلاما منه يحمله ملك رسول الى الموحى اليه .

وهذه الصورة هي أعلى مراتب التنزيل حيث اختص الله تعالى بها أنبياءه ورسله دون سواهم لتبليغ رسالاته الى الناس ، وأما الصورتان الأوليان : الايحاء والكلام من وراء حجاب ، فتقل مرتبتهما عن الصورة الثالثة ، ويشترك فيها الأنبياء ومن عداهم ممن سلكوا نهجهم من عباد الله المتقين . وأما الرسل فقد أمرهم الله بأن يبلغوا رسالاته الى الناس وينذروهم بها ، وذلك لتجنيبهم مواطن الضلال ، وهدايتهم الى الصراط المستقيم المفضى الى نجاتهم وسعادتهم . ورسالة هذه غايتها تكون أشد شأنا مما عداها ويكلم الله فيها رسوله بأعلى صورة الكلام مرتبة ، فلا تكون فكرة عابرة ، ولا كلا ما يسمعه الرسول وينطق به بنفث من روح القدس ، بل يرسل الله تعالى كلاما يحمله روح القدس الى الرسول ويسمى

كلام الله هذا الوحي المتلو ، وبه نزل القرآن كله بدون استثناء . فالقرآن وحي متلو على النبي نزل به الروح الأمين على قلب النبي ، بكلام عربي مبين وبأرقى صور الوحي .

وهناك صور أخرى للوحي فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى قبل نزول القرآن الرؤيا الصادقة : « **إن أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان رسول الله لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح** » .

ويتبع هذه الصورة من الوحي ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتا خفية ، وهذه الصورة يعبر عنها بالوحي الخفي يوحي بها الله الى الرسول .

وتختلف حالة الانسان أثناء تلقي الوحي باختلاف صوره ، ففي القسمين الاولين تعتري الانسان حالة غير عادية ، سواء أتاه الايحاء في وقت النوم ، أو اليقظة ولا يحدث تغيير بين في الموحى اليه ، وأما في الصورة الثالثة وهي التي اختص الله بها أنبياءه ورسله ، فتتغير حالة الموحى اليه تغييرا كبيرا ، فينتقل معها من عالم الى آخر ، ولا يزال الموحى اليه يقظا تمام اليقظة غير مصروع ولا غائب عن وعيه ، شاعرا بوطأة الوحي ، ويستطيع من حوله من الناس أن يشاهدوا هذا التغير المحسوس أثناء الوحي . عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال الرسول : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

وبهاتين الحالتين نزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ففي كلتيهما كان الرسول يرى جبريل ، وفي كلتيهما كان جبريل ينقل كلام الله فيفصم عنه فيعي ما يقول ، ولا فرق بين الحالتين سوى أنه في أحدهما كان جبريل يظهر على صورة رجل ينقل كلام الله بصوت هادىء لين ، وأما في الحالة الثانية فكان الوحي يأتي كصلصلة الجرس ، أي أن جبريل كان ينقل كلام الله بصوت قوي شديد .

وسواء أظهر جبريل عليه السلام في صورة رجل أم لا ، وسواء أبلغت الرسالة في صوت هادىء لين أم في صوت قوي شديد . فانه لا ريب في أن الموحى به كان كلا ما من الله يحمله جبريل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن جميعه بهذه الصيغة منجما على الرسول بواسطة جبريل . وقد كان الرسول يتلقى التنزيل بصورتيه وهو جالس مع

أصحابه أحيانا ، ويستخلص من ذلك أن الرسول كان يرى جبريل ويسمع منه التنزيل .

وكان القرآن ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات واكثر واقل . وقد صح نزول عشر آيات في قصة الافك جملة . وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول جملة « غير أولي الضرر » وحدها وهي بعض آية .

والحكمة في نزول الآيات قليلة العدد على هذا النحو هي في أن يتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظها ومن تعليمها للناس ومن إملائها على كتابه ليدونوها .

ولنزول القرآن حسب الحوادث الجارية شواهد كثيرة وهي كل القرآن تقريبا فمن ذلك مثلا ما اتصل بعمر بن الخطاب ، وكان هو سببا في نزوله فقد روى عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت الآية : (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة فقلت لهن : (**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن**) التحريم/ ٥ فنزلت كذلك .

وفي رواية أخرى أنه لما نزلت الآية : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/١٢ قال عمر بن الخطاب قلت أنا : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/ ١٤ فنزلت الآية كما نطق عمر : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

كانت الآيات التشريعية وهي آيات الاحكام تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في الغالب جوابا لحوادث في المجتمع الاسلامي ، وتعرف هذه الحوادث بأسباب النزول وقد اعتنى بها جماعة من المفسرين وألفوا فيها كتبا وجعلوها أساسا لفهم القرآن ، وأحيانا كانت تنزل الآيات جوابا عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين وقليلا ما كانت تنزل الأحكام مبتدأة .

ولنضرب أمثلة لكل من هذين القسمين :

١ ـ ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها قوما مسلمين مستضعفين ، فلما وصلها عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات جمال ومال ، فأعرض عنها خوفا من الله ثم أقبلت عليه تريد زواجه فقبل ووقف ذاك على اذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب اجازة ذلك النكاح فنزل قوله تعالى في سورة البقرة : (**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا**

المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة/ ٢٢١ .

٢ - ورد في القرآن أحكام كثيرة عقب أسئلة صدرت من المؤمنين أو من غيرهم من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢١٩ و ٢٢٠ .

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة/ ٢٢٢ .

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) البقرة/ ٢١٧ .

وفي سورة النساء :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) .

الى غير ذلك من الآيات .

أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فقليلة وقلما نرى حكما لم يذكر له المفسرون حادثا أنزل الحكم مرتبا عليه .

وكان من أعظم مقاصد القرآن أن شرع للناس ما ينظمون به أحوالهم المعاشية ويضبطون به أمور الحياة الدنيا من قوانين وأحكام صانت مصالح الفرد والجماعة وحمت حقوق الناس ، وكان رائدها العدالة الاجتماعية والحرص على المساواة بين عباد الله ، فانها لم تقم للانسان ميزانا الا ميزان التقوى أي الاستقامة : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/ ١٣ .

كما وضع القرآن دستور الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن والمعاملة الطيبة للناس : **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)** النحل/ ٩٠ و ٩١ .

إن القرآن يهدي الناس من الضلال ، وينير لهم سبيل الحياة الراضية المرضية في الدنيا

القرآن والمعادن

للمهندس / محمد عبدالقادر الفقي

لا مراء في اننا نعيش في عالم يتكون الى درجة كبيرة من المعادن .
ومنذ غابر الازمنة ، في عصور ما قبل التاريخ ، منذ ان كان اسلافنا القدامى يبحثون عن حجر الصوان لكي يستخدموه في صناعة الأدوات البدائية الى زماننا الحالي ، الذي استطاع الانسان المعاصر فيه ان يجتاز طبقات الغلاف الجوي للأرض ، وان يصل بسفنه الفضائية الى الكواكب المجاورة ، كانت المعادن ولا تزال ، تلعب دورا بارزا ورئيسيا في التطور البشري .
لا مراء في هذا ولا جدال اذا قلنا ان الانسان في العصر الحديث قد اصبح يعتمد اعتمادا كبيرا على المواد والمنتجات المعدنية التي تتغلغل في كل شيء وتدخل في كل الصناعات ، بحيث يصبح من العسير ان نتصور عالمنا بدونها ، وذلك لان المعادن تمدنا بالمواد الضرورية لكل الاغراض الصناعية والتجارية والمنزلية وغيرها ، فهي تدخل في انشاءات المباني وفي مصادر الاضاءة وفي الآلات المحركة ووسائل النقل

والمواصلات المستخدمة برا وبحرا وجوا ، كما تدخل في صناعة الأسمدة اللازمة للزراعة بالاضافة الى قيمتها الكبرى في صناعة الالات والادوات والاجهزة والمعدات التي تستعمل على نطاق واسع في شتى ميادين السلم وفي جميع مجالات الحرب .

○ المعادن بين اللغة والعلم :

جاء في المعاجم : « عدنت » البلد : اي توطنته وعدنت الابل بمكان كذا اي لزمته فلم تبرح ، ومنه « جنات عدن » اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن ـ بكسر الدال ـ وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لان اهله يقيمون فيه ولا يتحولون عنه شتاء ولا صيفا ، ومركز كل شيء معدنه ، والمكان الذي يستعدن منه معدن والجمع معادن والعرب تقول : فلان معدن الخير والكرم .

وفي العلم يعرف المعدن بانه مادة نتجت بفعل عوامل طبيعية اما من اتاح لهذه العوامل الطبيعية ان تمارس تأثيرها فان العلم يقف عاجزا امام ذلك ويترك ذلك لمجرد الصدفة الطبيعية البحتة ، ولكن العالم المؤمن بالله يقف امام ذلك خاشعا متأملا لعظمة الله الذي ابدع كل شيء والذي قدر كل الامور بقدرته وهيأ كل الظروف للحياة بكلمته ، فهو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وصدق تعالى حين يقول : (**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**) ـ سورة الانبياء / الآية ١٦ . (**هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون**) النحل/ ١٠ ـ ١٣ .

وتتميز مادة المعدن بالتجانس والتركيب الكيميائي الثابت ، والمعادن مواد غير عضوية بمعنى انها ليست ذات اصل حيواني او نباتي لانها تتركب من عناصر او مركبات كيميائية ، ومادة المعدن قد تتكون من عنصر كيميائي واحد ـ كالذهب والفضة والنحاس ـ او تتكون من عدة عناصر متحدة معا كالجبس والتلك والحجر الجيري ، ولكل معدن خواص طبيعية تفرقه عن غيره وغالبا ما يكون ذا شكل بلوري خاص به ، واحيانا يشترك اكثر من معدن في خاصية واحدة كاللون والبريق والتشقق ولكن يمكن التفريق بين الأنواع المختلفة للمعادن بمعرفة التركيب الكيميائي والشكل البلوري لكل معدن على حدة ، ولا يمكن ان يتأتى ذلك إلا لخبير او مختص ، والمعادن هي الوحدات التي تتكون منها الصخور المختلفة المكونة للارض ، وكل صخر يتكون من معدنين او اكثر فعلى سبيل المثال يعد صخر الجرانيت المعروف والشائع استخدامه كأحد احجار الزينة ، مكونا من ثلاثة معادن على الاقل هي الكوارتز والفلسبار والميكا ، وقد يتكون الصخر من معدن

واحد فقط مثل صخر الهالايت المعروف باسم الملح الصخري او ملح الطعام ، والذي يستخدمه الانسان في اغراض الطبخ وحفظ المواد الغذائية وفي بعض الاغراض الصناعية الاخرى .

ويمكن تقسيم المعادن الى نوعين رئيسيين هما :

١ ـ مجموعة معادن السيلكات والمسماة بالمعادن المكونة للصخور وهي اكثر المجموعات المعدنية انتشارا اذ تكون اكثر من ٩٨,٥٪ من القشرة الارضية .
٢ ـ مجموعات المعادن الاقتصادية والمسماة بالمعادن المكونة للخامات المعدنية ، وهي تشمل المعادن التي يستخلص منها الحديد والذهب والفضة والنحاس والألومنيوم والرصاص والزنك وغير ذلك .
ولما كنا بصدد دراسة المعادن التي ورد ذكرها في القرآن لا بد من الاشارة اولا الى الصخور والحجارة وتعريف كل مصطلح منهما .

○ الصخور بين اللغة والعلم والقرآن :

ان المعادن التي عرفها الانسان على سطح الأرض كثيرة حتى ليتجاوز عددها الالفين وبتجمع تلك المعادن مع بعضها تتكون الصخور ، والصخور في اللغة هي الحجارة العظام ، وهي ايضا الصخر بسكون الخاء وفتحها الواحدة منها تسمى صخرة .ـ

ويعرف الصخر علميا بانه كل مادة طبيعية تتكون من جمع من جسيمات معدنية سائبة او ملتحمة ، وتكون الصخور جزءا هاما من قشرة الارض ، وتنقسم الصخور الى ثلاثة انواع رئيسية هي :

١ ـ الصخور النارية :

وهي التي نتجت عن تبريد المواد المنصهرة الموجودة تحت أو داخل القشرة الارضية وتعتبر الصخور النارية المصدر الرئيسي لاغلب المعادن والصخور الاخرى ، ومن امثلتها الجرانيت والبازلت .

٢ ـ الصخور الرسوبية أو الصخور الطبقية :

وهي التي ترسبت نتيجة لتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية المختلفة حيث تتهشم الانواع الاخرى من الصخور بفعل الرياح والامطار والسيول والانهار وامواج البحر .. وتتفتت ثم تنقلها بعد ذلك الرياح لترسبها على شكل حبيبات صلبة او تنقلها مياه الامطار والانهار على شكل محاليل لترسبها اثناء سريانها على شكل طبقات ويتراكم معظمها في البحر على هيئة مواد مفككة غير متماسكة ، ثم تتعرض بعد ذلك لعوامل مختلفة تجعلها اكثر ترابطا واكثر صلابة واندماجا ، ومن اهم هذه العوامل الضغوط التي تقع على هذه الطبقات نتيجة لتراكم الصخور ، او نتيجة لتراكم المواد التي تفرزها بعض الكائنات الحية التي تعيش في البحار .ـ
ويكون الطين الصفحي والصلصال ما يعادل ٨٠٪ من جميع الصخور الرسوبية ،

اما الاحجار الرملية فهي تكون حوالي ١٥٪ منها ، والنسبة الباقية تمثل الاحجار الجيرية وباقي الانواع الاخرى للرسوبيات .

وتكمن اهمية الصخور الرسوبية في انها تعد البيئة الصالحة للزراعة ، كما انها تعد المكان المناسب الذي يمكن ان تتواجد فيه الثروات الطبيعية الهامة كالذهب والفضة والبترول وغير ذلك .

ويشير القرآن الكريم الى ذلك حين يبين ان الله هو الذي ينزل المطر من السحاب فتسيل به الأنهار والجداول ، كل بالمقدار الذي قدره الله تعالى لها لكي يكفي لانبات الزرع واثمار الشجر ، وعلى قدر الماء تتفتح الاودية كما يبين القرآن ان المعادن التي يوقد عليها ابتغاء حلية او متاع لها زبد كزبد الماء قال تعالى : **(انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد** / ١٧ .

واذا تأملت كلمة « رابيا » في الآية الكريمة لادركت انها تعني هنا تراكم الزبد وتراكبه طبقة فوق طبقة في نهاية المطاف ، حينما يلقي السيل بحمله ، ونهاية المطاف قد تكون مصبات الانهار او تكون على طول الطريق ، حيث يعجز السيل عن حمل ما علق به ، اذ ان هذه المقدرة تتناسب مع سرعة المياه ، والسرعة تتعلق بالميل او الانحدار وكلما ازدادت سرعة المياه كلما ازداد مقدار ما تحمله معها ، وكلما قلت السرعة كلما زاد معدل ترسيب المواد العالقة بالمياه ، ولذلك فانه حينما تصطدم مياه الانهار ـ عند المصبات ـ بمياه البحر فان كل المواد التي تحملها المياه معها تترسب على القاع ، ومع مرور آلاف السنين تتراكم طبقة الرسوبيات ويظهر ما يعرف باسم دلتا النهر ، حيث تزحف الشواطىء على البحر . كل هذا نستشفه من قوله تعالى : (فاحتمل السيل زبدا رابيا) ولتأكيد ذلك نذكر ان « الربا » في اللغة يعني الزيادة ، تقول ربا الشيء اذا زاد ، والرابية ما ارتفع من الارض .

كذلك يقارن القرآن الكريم بين شبيهين بالحق وهما الماء الصافي والمعدن الصافي ، حيث ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل وهما زبد الماء وزبد المعادن المنصهرة ، فزبد الماء يتشابه مع الزبد الذي ينتج من صهر المعادن التي يوقد الناس عليها في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين صنع حلية او متاع ينتفع به كالاواني ، حيث يطفو كل منهما فوق مصدره فاما الزبد الناشيء عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به غير مهتم به لحقارته ، واما ما ينفع الناس كالماء الصافي وخلاصة المعدن فيبقى في الأرض ، وكذلك يضرب الله الامثال لايضاح الشبهات وليعرف الناس الحق من الباطل .

٣ ـ الصخور المتحولة :

وهي تنشأ نتيجة لتحول الصخور الرسوبية او النارية نتيجة لتعرضها لدرجات

حرارة عالية او ضغوط عظيمة ، او الاثنين معا ، فاكتسبت من جراء ذلك خواص جديدة ميزتها عن غيرها فعلى سبيل المثال تتحول الاحجار الجيرية النقية الى رخام كما تتحول الصخور الطينية الى صخور صلبة دقيقة الحبيبات تعرف باسم الهورنفلنس .

ولم ترد لفظة « المعدن » في القرآن بل وردت لفظة « الصخرة » و« الصخر » كما وردت لفظة « الحجر » و« الحجارة » اما لفظة الصخر فهي لم ترد الا مرة واحدة حين تحدث القرآن عن قبيلة ثمود التي كانت تقيم بالحجر بين الشام والحجاز ، وحيث قاموا بقطع الصخر ونحته حيث صنعوا لأنفسهم بيوتا منه بالوادي الذي كانوا يقيمون فيه . قال تعالى : **(وثمود الذين جابوا الصخر بالواد)** الفجر / ٨ .

اما لفظة (الصخرة) فقد وردت مرتين :

الاولى في الحوار الذي دار بين موسى بن عمران وفتاه « خادمه » وذلك في قوله تعالى :

(قال أرأيت اذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) الكهف/ ٦٣ .

والثانية : في الحوار الذي كان يعظ فيه لقمان ابنه :

(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) لقمان / ١٦ .

والخردل نبات له حب اسود صغير جدا ، يضرب به العرب المثل في شدة الصغر . وتعبر الآية السابقة عن خاصتين من اهم الخواص التي تتميز بها الصخور : ألا وهما المسامية والنفاذية :

١ ـ **المسامية** : وهي النسبة المئوية لحجم الفراغات او المسام الموجودة في الصخور بالنسبة الى حجمها الكلي ، وهذه الخاصية ذات اهمية كبرى في مجال البحث عن البترول في الطبقات الصخرية الرسوبية ، حيث تتجمع قطرات زيت البترول داخل هذه المسام ، كما ان هذه المسام ايضا تقدم المكان المناسب لتواجد المياه الجوفية في الارض .

٢ ـ **النفاذية** :

وهي مقدرة الطبقات الصخرية على امرار السوائل المختلفة في المسام المتصلة الموجودة داخل الصخر ، ولا يوجد بالضرورة علاقة بين النفاذية والمسامية حيث ان صخرا معينا قد يكون عالي المسامية ولكنه غير منفذ ، اذا لم يكن هناك ممرات موصلة بين المسام ، ويعود ذلك الى وجود المواد اللاصقة التي تربط حبيبات الصخر بعضها ببعض ، وتغلق الطريق امام السوائل والمواد الموجودة داخل الفراغات ، بحيث تمنعها من الخروج من الحيز الموجودة فيه ، وبمعنى اخر يمكن ان تعرف النفاذية بأنها مقياس السهولة التي يمكن ان تتدفق بها السوائل خلال

المسام والفراغات المتصلة الموجودة بين حبيبات الصخور .
واذا تأملنا الآية الكريمة السابقة لوجدنا انها تعبر عن هاتين الخاصيتين في بلاغة فائقة واسلوب موجز ينم عن دقة كبيرة ويكشف عن اعجاز علمي باهر ، ففي قول الحق جل وعلا : **(ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة)** يدل على ان الصخور مهما كانت صلابتها فانها تحتوي على مسام ، اي على فراغات بين حبيباتها ـ بحيث يمكن ان تتواجد داخلها الجسيمات المتناهية الصغر كحبة الخردل ، اما النفاذية فيدل عليها قوله « تعالى : **(يأت بها الله)** اي يظهرها ويخرجها من مكمنها واذا كان الانسان قد تمكن حديثا من استخلاص المياه وزيت البترول من مسام الصخور الرسوبية فان استخلاص حبة الخردل من بين مسام هذه الصخور عملية شاقة جدا لا قبل للجن او الانس بها نظرا لصعوبة حركة المواد الصلبة بالنسبة للسوائل والغازات ، وهذا هو التحدي الكبير ، والبرهان العظيم على قدرة الله التي لا تحدها حدود ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات او في الارض ، ويؤكد ذلك قوله تعالى في ختام الآية : **(ان الله لطيف خبير)** اي لطيف لا تخفى عليه دقائق الاشياء مهما صغر حجمها وتضاءل وزنها ، خبير يعلم حقائق الاشياء كلها بحيث لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .
وهناك آية كريمة أخرى تتحدث عن هاتين الخاصيتين هي قوله تعالى : **(وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)** المؤمنون/ ١٨ ، حيث تشير هذه الآية الكريمة الى معان علمية خاصة بالدورة المائية في الارض ،؛ ولكن الاعجاز العلمي العظيم في هذه الآية يتجلى في قوله تعالى : **(فأسكناه)** والذي يوحي بعدة حقائق على درجة كبيرة من الأهمية :
اولا : ان اسكان الماء يعني استقراره واتزانه سواء كان هذا الماء على ظهر الارض في المحيطات والبحار والانهار او غير ذلك من المسطحات المائية وسواء تسرب هذا الماء إلى باطن الارض ليكون المياه الجوفية التي تنتقل من مكان الى آخر او استقر في احواض تركيبية شاسعة تحت سطح الارض كتلك التي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية ، والتي كشفت البحوث الحديثة عن اصلها القديم ، وقد تعتري مثل هذه التراكيب الجيولوجية الخازنة تغييرات جذرية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية فتذهب بها وما بها من ماء الى امكنة اخرى ، فتحيي ارض الصحراء الميتة اذا سيق الماء اليها . قال تعالى : **(أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون)** السجدة / ٢٧ .

ثانيا ٠ ان لفظة **(الاسكان)** تعني انه لا بد من وجود الفراغ الذي يمكن ان تشغله المياه وفي حالة المياه الجوفية فان هذا الفراغ ما هو الا المسام الموجودة بين الصخور ، ومن الجلي ان من اوجد هذه المسام وخلقها هو الخالق سبحانه وتعالى ، فما كان للصخر ولا للطبيعة ان تخطط ذلك او ان توجد ذلك من تلقاء نفسها .
ثالثا : ان قوله تعالى : **(وانزلنا من السماء ماء بقدر)** يعني ان مقدار الماء الذي

انزل على الارض لم يكن صدفة او اعتباطا او جزافا ، ولكن انزل بقدر معلوم بحيث يكفي احتياجات الارض وسكانها على مدى تاريخها الطويل لسنوات مضت وسنوات ستأتي الى ان يشاء الله ، فمن ذا الذي قدر هذه الاحتياجات ومن ذا الذي يقدر كميات هذه المياه بالنسب الكافية لحفظ التوازن الحراري على الأرض ؟ ولحفظ حياة الكائنات الحية التي تعتمد على الماء ، ومن ذا الذي حدد نسبة المياه في المحيطات وفي البحار والانهار وبين الصخور وفي تركيب المعادن ، وفي كل ما يدب على الارض غير القادر الرزاق المهيمن الذي وسع علمه كل شيء واحاط بكل شيء علما ؟؟

رابعا : ان قوله تعالى : (**وانا على ذهاب به لقادرون**) يدل دلالة اكيدة على امرين في منتهى الاهمية :

الاول : انه لا بد من وجود مسارات بين الصخور يمكن ان ينساب خلالها الماء بل ان هذه المسام تتواجد في الصخرة الواحدة ، ويعرف الجيولوجي هذه الخاصية جيدا حيث لا تتواجد اي مواد لاصقة تربط حبيبات الصخر ببعضها البعض فتعوق سريان الماء عبر المسام .

الثاني : امكان حدوث الثورات الجيولوجية او حدوث صدوع وفوالق والتواءات وارتفاعات وانخفاضات في قشرة الارض او في جنبات الاحواض التركيبية الحاوية للماء الموجود تحت سطح الارض مما يؤدي الى هجرة المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية الى مسافات طويلة ، بحيث تصبح هذه المياه غائرة في الارض فلا يمكن للانسان ان يصل اليها بأدواته او آلاته ، وهذا يتسق مع قوله تعالى : (**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**) الملك / ٣٠ .

وقوله ايضا :

(**اويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا**) الكهف / ٤١ .

وفي قوله تعالى « غورا » وجهان : احدهما ان يكون « غورا » بمعنى غائر والثاني ان يكون تقديره (ذا غور) فحذف المضاف كقوله تعالى : (**واضرب لهم مثلا رجلين**) الكهف / ٣٢ . اي مثل رجلين وايا كان الوجه الذي يمكن ان نأخذ به ، فان غور المياه يحدث كثيرا في بقاع مختلفة بالعالم ، حيث نرى بعض الأراضي التي لا يصلها الماء في الوقت الحاضر بعد ان كانت فيما مضى جنات مزروعة تتدفق فيها العيون واصبحت الآن جافة تماما لا ماء فيها .

★الحجر والحجارة :

الحجر في اللغة ـ معروف وهو يجمع في القلة على احجار وفي الكثرة (حجار) و« حجارة » وفي العلم تستخدم لفظة الحجر لتضاف الى انواع مختلفة من الصخور لتميز بينها مثل حجر الصوان وحجر المغناطيس وحجر القمر او لتصف انواعا اخرى من الصخور كالحجر الجيري والحجر الرملي والاحجار الكريمة .

ولقد وردت لفظة « الحجر » في القرآن الكريم في موضعين وذلك في الآيات التي تتحدث عن نبي الله موسى حين طلب منه بنو اسرائيل السقيا حينما اشتد بهم

العطش في التيه ، فامر الله موسى ان يضرب بعصاه الحجر فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينا بقدر عدد قبائل بني اسرائيل ، قال تعالى : **(واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)** البقرة / ٦٠

وقال تعالى :

(وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أ ناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الأعراف/ ١٦٠ .

أما لفظة (الحجارة) فقد وردت عشر مرات في كتاب الله الكريم ويمكن أن تقسم على النحو التالي :

أولا : الحجارة المستخدمة كوقود لنار جهنم وقد وردت بهذا المعنى في آيتين كريمتين هما قوله تعالى :

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة/ ٢٤ .

وقوله تعالى أيضا :

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم/ ٦ .

ولقد اختلف العلماء في تفسير المراد من هذه الحجارة ، ويقول القرطبي في هذا المقام في تفسيره لآية سورة البقرة السابقة : « والحجارة هي حجارة الكبريت الأسود ـ عن ابن مسعود والفراء ـ وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الاتقاد ، نتن الرائحة ، كثرة الدخان ، شدة الالتصاق بالأبدان ، قوة حرها اذا حميت ، وليس في قوله تعالى : **(وقودها الناس والحجارة)** دليل على أن ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ما ذكره في غير موضع من كون الجن والشياطين فيها ، وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : **(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)** الأنبياء/ ٩٨ أي حطب جهنم ، وعليه تكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وذكر ذلك تعظيما للنار انها تحرق الحجارة مع احراقها للناس » . . وسواء كان المقصود بالحجارة : الأصنام أو حجارة الكبريت الأسود أو غيرها من الحجارة ، التي لا يعلم كنهها غير المولى سبحانه وتعالى فان الشيء الجدير بالذكر هنا هو الوصف القرآني للحجارة بأنها وقود النار ، والوقود في اللغة هو الحطب ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على قابلية هذه الحجارة للاشتعال ، وعلى درجة الحرارة الهائلة التي تستعر بها جهنم ، حتى لترمي بشرر كالقصر .

ثانيا : الحجارة التي استخدمت في اهلاك قوم لوط عليه السلام . وقد وردت بهذا المعنى في كتاب الله الخالد في ثلاثة مواقع هي :

١ ـ (**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**) هود/٨٢ .

٢ ـ (**فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .ان في ذلك لآيات للمتوسمين**) الحجر/٧٣ ـ ٧٥ .

٣ ـ (**لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين**) الذاريات ٣٣و٣٤ .

وقد قيل ان السجيل كلمة ذات أصل فارسي دخلت العربية وهي تعني الطين المتحجر ، وقيل أصله من سجين أي جهنم فأبدلت نونه لاما ، وقيل أن هذه الحجارة قد صنعت من طين وطبخت بنار جهنم ، وقيل : (من سجيل) أي مما كتب عليهم أن يعذبوا به ـ مشتق من السجل .

وقد تكون هذه الحجارة من بعض أنواع النيازك المعروفة باسم النيازك الحجرية ، والتي تشبه في تركيبها الاحجار الأرضية الى درجة كبيرة بحيث يكون من الصعب على المرء أن يفرق بينهما ، الا أنها تكون سوداء محروقة بفعل انصهارها أثناء مرورها في الغلاف الجوي للأرض ، وفي واقع الأمر فان كوكبنا الأرضي يتعرض يوميا لوابل من القذائف الحجرية النارية بمعدل عدة ملايين حجر أو حبة رمل ، الا أن حكمة الله سبحانه وتعالى قد جعلت الغلاف الجوي للأرض بمثابة الدرع الواقي ، حيث يتولى حرق هذه الأحجار بالاحتكاك وتبخيرها أثناء مرورها خلاله على ارتفاعات تتراوح بين ثمانين وخمسين ميلا من سطح الأرض ، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

(**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**) الأنبياء/٣٢ .

وتعرف الأحجار التي تشتعل في الغلاف الجوي للأرض باسم الشهب ، الا أن بعضها ينجح في الوصول الى سطح الأرض بعد أن ينجو من رحلة الموت ، التي تتعرض لها النيازك خلال مرورها في الغلاف الجوي ويقدر ذلك بنحو ألفي حجر في السنة الواحدة .

وأحيانا ما تمطر السماء حجارة بمعدل عشرات من الشهب المرئية كل ساعة أو كل دقيقة ، ويرجع ذلك الى مرور الأرض أثناء سيرها خلال سحب من الأحجار ، وقد اكتشف عام ١٨٦٢م أن هذه الأمطار الحجرية هي بقايا الأحجار المتخلفة عن المذنبات ، وهي أجرام سماوية ، لها رأس سديمي المنظر ، به نواة أو أكثر ، وقد يمتد منه ذيل يربو أحيانا على مائة مليون ميل ، ويتكون المذنب من صخور أو حبيبات رملية تتخللها مجموعات غازية ، ولقد كان من المعتقد قديما أن المذنبات تأتي من خارج المجموعة الشمسية ولكن الآراء الحديثة تتبعها للمجموعة الشمسية التي ينتمي لها كوكبنا الأرضي .

ولا يزال الفلكيون يذكرون في أبحاثهم ذلك الحادث الذي تعرضت له الأرض عام

١٨٣٣م حيث أمطرت السماء سيولا من الأحجار حتى قدر عدد الشهب المرئية حينئذ بنحو ٢٠٠ ألف شهاب حتى ظن أنها نهاية العالم .

وتجدر الاشارة هنا الى أن معظم أحجار الشهب تكون في حجم حبة الرمل ، واذا تخيلنا حبة من الرمال تسير بسرعة ٤٠ ميلا في الثانية وتعرض لها جسد الانسان فان هذه الحبة سوف تثقب هذا الجسد ، أما اذا تعرض الجسد لمجموعة كبيرة من هذه الشهب الصغيرة ، فانه سوف يبدو بعد ثقبه كأوراق الزرع التي أكلتها الديدان ، أو على حد تعبير القرآن : كالعصف المأكول .

ثالثا : الحجارة التي طلب مشركو مكة أن تنزل عليهم من السماء وذلك لمحادة الله ومحادة الرسول قال تعالى : **(واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم)** الأنفال/ ٣٢ .

رابعا : الحجارة الصلبة التي تتفجر منها الأنهار أو تتشقق فيخرج منها الماء عيونا فوارة . قال تعالى : **(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)** البقرة/ ٧٤ .

وتتحدث الآية الكريمة السابقة عن بني اسرائيل وتبين أنهم لم تكن قلوبهم لتخضع أو تخشع بعد ما رأوا من آيات الله بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، فهي كالحجارة ، بل أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجري أنهارا ، ومنها ما يتشقق فيخرج الماء منها ، ومنها ما يتأثر بقدرة الله فيتردى من أعلى الجبال انقيادا لأمر الله ، وكلا من الحالتين : الأولى والثانية يفسران لنا بأجلى المعاني وأفصح الالفاظ المياه الجوفية التي تغور في القشرة الأرضية ، فهي تجري في المسام الموجودة بين الصخور والأحجار حتى اذا زادت الضغوط الواقعة عليها تمكنت من الخروج على هيئة مياه متدفقة من بين الصخور ، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع ، وهذا يتساوق مع قوله تعالى :

(وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) يس/ ٣٤ .

وتفجير المياه : انبجاسها ، أي انطلاقها من مكامنها بين الصخور وصعودها الى أعلى ، ولا يمكن أن يتم ذلك ما لم تكن تلك الصخور ذات مسامية عالية ونفاذية كبيرة ، وقد سبق أن أشرت الى تلك الخاصيتين في موضع سابق ، والانفجار : الانشقاق ومنه انشق الفجر ، ولغويا فان الانبجاس أضيق من الانفجار ، لأنه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا .

خامسا : الحجارة التي أرسلها الله على أصحاب الفيل بقيادة أبرهة ملك الحبشة الذين أرادوا أن يعتدوا على الكعبة المشرفة ويهدموها ، وذلك ليمنعوا العرب من الحج اليها ، فأرسل الله عليهم جماعات من الطيور ترميهم بحصى متحجرة ، فكانت الحصاة تثقب الذي تنزل عليه حتى هلكوا عن آخرهم .

قال تعالى :

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) سورة الفيل .

ولقد تضاربت الآراء حول الحجارة التي كانت تتساقط عليهم ، قال عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها - أي الطيور - فاذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري ، وكان الحجر كالحمصة وفوق حبة العدس وقال ابن عباس : كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدري .

ويذهب الامام محمد عبده في تفسيره لجزء عم ان الطير من جنس البعوض أو الذباب ، وان الحجارة كانت ملوثة بميكروبات الجدري أو الحصبة يقول الامام في هذا المقام :

« وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح - فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه » ، ويختتم الامام تفسيره قائلا : « هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير الصورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ، وان صحت روايته ... ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر ، لا ريب عند العاقل ان هذا أكبر وأعجب وأبهر » .

غير أننا لسنا مع الامام في رأيه الأخير حيث أنه يقصر تفسير الآيات الكريمة على ما رآه هو بفكره ، واستدل عليه برأي ابن عباس وغيره ، ذلك أن كنه هذه الحجارة هو أحد الأسرار التي لا يعلمها الا خالق السماوات والأرض . وما علينا الا الاجتهاد لمعرفتها ، وما دام باب الاجتهاد مفتوحا ، فمن الغبن أن يغلقه الامام أمام الآخرين أو يغلقه غيره ، فمن الجائز أن هذه الحجارة تتشابه مع أحجار الشهب التي تكون في حجم حبة الرمل ، والتي سبق أن أشرت اليها ، وقلت إن جسد الانسان اذا تعرض لها أصبح كالعصف المأكول ، والعصف ورق الزرع والمأكول : أي الذي أكله الدود أو السوس أو أكلته الدواب وتناثر من بين أسنانها بعضه .

ومن الجائز أيضا أن تكون هذه الأحجار من المواد المشعة على غرار الغبار الذري ، وقد تكون من أضداد المادة التي اذا التقت مع المادة أدت الى فنائها وتلاشيها ، أو غير ذلك والله وحده أعلم ، وهنا تتجلى عظمة القرآن في أن الكلمات البسيطة تحتمل عدة معان وكلها تؤدي الغرض المطلوب منها ، ويمكن لاي انسان

أن يفهمها بقدر ثقافته وقدر علمه المحدود ، بل وبقدر عمره أيضا .

سادسا : الحجارة التي يمكن أن يتحول اليها الانسان بعد وفاته ، قال تعالى : **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** الاسراء/ ٤٩ ـ ٥١ .

ويتجلى الاعجاز القرآني هنا في هذا التحدي السافر للمنكرين للبعث والمتشككين في الحياة الآخرة ، حيث تأمر الآية الكريمة **(قل كونوا حجارة أو حديدا)** رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم : لو أنكم كنتم حجارة لا يمكنها أن تقبل الحياة بحال أو حديدا وهو أصلب وأقسى من الحجارة أو أي خلق آخر غيرها مما تكره قلوبكم أو يكبر شأنه في صدوركم فان الله قادر على أن يعيدكم كما خلقكم أول مرة ، وليس ذلك بغريب فالانسان قد خلق من تراب ، والتراب ما هو الا فتات الصخور والحجارة المكونة للقشرة الأرضية ، ولذلك فان قوله تعالى : **(كونوا حجارة)** يتضمن كل العناصر المكونة للتراب بما فيها الحديد ، ولقد أثبت العلم الحديث ان جسم الانسان يتكون من نفس العناصر المكونة للتراب ، كما قرر فينوجرادوف في عام ١٩٣٣ أن التركيب الكيميائي لكل الكائنات الحية ـ نباتية كانت أو حيوانية تتشابه جدا ـ لو أخذت في الاعتبار عناصر مثل الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنتروجين والفوسفور والكبريت ، وفي واقع الأمر فان كل ما يدب على الأرض أو يزحف على سطحها أو يسبح في مائها أو يطير في هوائها من مخلوقات متباينة الأجناس والأنواع تجمعها جامعة واحدة وتشترك جميعها في وحدة واحدة ، ان دلت على شيء فانما تدل على وحدة الخالق سبحانه وتعالى ، ان عدد الأنواع المختلفة للمخلوقات التي تعيش على سطح الأرض يزيد عن مائتي مليون ، وكلها تعيش على سطح الأرض ، وكلها تشترك في أنها تمتص غذاءها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من تربة الأرض ومعادنها ، أو من هوائها حيث تقوم النباتات بتحويل غاز ثاني أوكسيد الكربون الى مواد غذائية في عملية التمثيل الضوئي المعروفة ولا شك أن المعادن تلعب دورا كبيرا في حياة كل الكائنات الحية .

واذا كانت المعادن الموجودة في التربة ضرورية لنمو النباتات التي يتغذى عليها الانسان والحيوان والطير أيضا ، فان القرآن الكريم يوضح ذلك في آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه/ ٥٣ ـ ٥٥ .

(والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها) النازعات / ٣٠ ـ ٣١ .

○ الفلزات في القرآن :

لقد جرى جمهور الناس على تسمية العناصر كالذهب والفضة والنحاس والحديد معادن ، ولكن الكيميائيين والمجامع اللغوية يصرون على تسميتها بالفلزات ، والفلز في اللغة ضرب من النحاس أبيض ، أو هو خبث الحديد ، أو هو يطلق على جواهر الأرض كلها ، وأغلب الظن أنه لفظ غير عربي .

أما الفلز فهو عنصر كيمائي له بريق خاص ويتميز بقابليته لتوصيل الحرارة والكهرباء ، وتتحد الفلزات منع الاوكسجين لتكون الأكاسيد ، وتوجد الفلزات في الطبيعة في صورة منفردة أو متحدة مع غيرها من العناصر ، ويتم استخلاص الفلزات من معادنها وذلك بصهرها في أفران خاصة ، حيث يتم رفع درجة الحرارة فيها الى الدرجة التي تنصهر عندها الخامات المعدنية التي تحتوي على هذه الفلزات ، والشوائب والمواد غير المرغوب فيها . والتي تعرف باسم الخبث أو الزبد وهي تطفو على سطح المادة المنصهرة ، بينما يتجمع الفلز في القاع حيث يمكن سحبه على فترات وصبه في قوالب منتظمة لتعطي أشكالا وصورا مختلفة من الأدوات التي يمكن للانسان أن يستخدمها في شؤون حياته .

وعادة ما يحتوي الفلز المستخلص ـ بعد عملية الصهر ـ على شوائب يجب ازالتها بطرق التنقية قبل أن يصبح الفلز صالحا للتسويق ، والفلزات الثمينة مثل الذهب والفضة قد توجد مختلطة بنواتج صهر النحاس والرصاص والزنك ، مكونة بذلك نواتج جانبية قيمة يمكن للانسان أن يستفيد منها ـ هي الأخرى ـ في أغراض صناعية كثيرة .

وهناك طريقتان لتنقية الفلزات ، وهما التنقية بالنار والتنقية بطرق التحليل الكهربي ، فعلى سبيل المثال ينقى الرصاص بالنار للحصول على الفضة التي يحتوي الرصاص عليها في غالب الأحيان ، وقد عبر القرآن الكريم عن استخدام الانسان للنار في صهر الفلزات التي تستخدم في صناعة الحلي والأدوات والمعدات وفي تنقيتها وذلك في الآية الكريمة التي سبق الحديث عنها وهي قوله تعالى : **(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد / ١٧

ولقد أشار القرآن الكريم الى فلزات أربعة هي الحديد والنحاس والذهب والفضة ، وسوف نتناول كل فلز من هذه الفلزات بالدراسة البسيطة الموجزة .

أولا : الحديد :

ورد ذكر الحديد في القرآن الكريم في ستة مواضع ، واحدة منها جاءت فيها لفظة الحديد بمعنى حدة البصر وذلك في قوله تعالى :

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ق/ ٢٢ ، أما المواضع الخمسة الأخرى فهي قوله تعالى :

١ - **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** الاسراء / ٤٩ - ٥١ ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى : **(قل كونوا حجارة أو حديدا)** : « ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا ان قدرتم » ، ومع هذا التحدي القرآني للكافرين والمتشككين في البعث ، يأتي الاعجاز العلمي ليتساوق مع القرآن الكريم وليؤكد ذلك ، فقوله تعالى : **(كونوا حجارة)** يتضمن كل العناصر المكونة للتراب ، والتراب ما هو الا فتات الاحجار والصخور المختلفة ، ولذلك فليس بمستحيل على من خلق الانسان من تراب أن يعيد خلقه مرة أخرى لو تحول الى حجارة في منتهى الصلابة والقسوة والغلظ والشدة ، او تحول الى أي مواد أخرى أكثر صلابة من الحجارة كالحديد .

٢ - قوله تعالى : **(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير)** سبأ ١٠ و ١١ ، حيث تتحدث الآية عن كيف صير الله الحديد لينا لنبيه داود ليشكله كما يشاء ، وان يصنع منه دروعا واسعة تحميه وجنده من بأس الاعداء ، وان يحكم نسج هذه الدروع بأن يجعل حلقاتها تتداخل في بعضها البعض ، وهذه الآية تدل على صلابة الحديد وقدرته على تحمل الضربات والصدمات اثناء الحروب ولذلك من الله على داود بأن ألان له الحديد .

٣ - قوله تعالى : **(حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)** الكهف/ ٩٣ - ٩٧ .

ويذكر القرآن الكريم في هذه الآيات كيف أن ذا القرنين بنى سدا منيعا وذلك بأن ساوى بين حافتي ا جبلين بما وضعه بينهما من قطع الحديد ، ثم أمر رجاله أن يوقدوا النار على الحديد حتى درجة الانصهار ، وهي درجة حرارة عالية تبلغ ١٥٣٥° مئوية ، فلما انصهر الحديد صبوا عليه القطر : (والقطر في اللغة هو النحاس المذاب) ، فأصبح بذلك السد قويا صلبا منيعا ، ولذلك لم يمكن ليأجوج ومأجوج أن يتسلقوه نظرا لارتفاعه الكبير ولا أن يثقبوه نظرا لصلابته العالية ومن المعروف ان الحديد يتميز ايضا بصلابة عالية ، والصلادة تعني قدرة المعدن على مقاومة الخدوش التى يمكن أن تحدث فيه ، وقد وجد أن الحديد له صلادة أعلى

من باقي الفلزات كالنحاس أو الالمنيوم أو الرصاص .. الخ .
٤ ـ قول الحق ـ جل وعلا ـ في سورة الحديد : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد/ ٢٥ .

لقد كان من الشائع بين الكيمائيين أن الحديد لا يتواجد على سطح الأرض في صورة منفردة بمعنى أنه يتواجد فقط على شكل مركبات كيمائية كالاكاسيد والكبريتيدات ، ولكن ثبت أن هناك أنواعا من النيازك التي تتساقط على سطح الأرض تبلغ نسبة الحديد الفلزي فيها إلى نحو ٩١٪ ، كما توجد أنواع أخرى تقل فيها نسبة الحديد « حوالي ٣٥٪ » ، ولقد كان المفسرون القدامى يقصرون معنى الانزال على الخلق كما فعل القرطبي حين رجح أن الحديد قد خلق مع الارض واستدل على ذلك بقوله تعالى :

(**وأنزلنا الحديد**) أي أنشأناه وخلقناه ، كقوله تعالى (**وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**) وهذا قول الحسن فيكون من الأرض غير منزل من السماء) وسواء كان (**إنزال الحديد**) يعني خلقه او يعني اسقاطه من السماء ، فان الآية الكريمة السابقة تحتمل كلا المعنيين ، وهذا هو سر عظمة القرآن وسر اعجازه .

٥ ـ قوله تعالى : (**هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد**) الحج/ ١٩ ـ ٢١ .

والمقامع في اللغة هي السياط ، وأصل المقمعة : ما يقمع به : أي يكف بعنف .

والآية الكريمة : (**ولهم مقامع من حديد**) تتساوق مع قوله تعالى في الآية التي سبق الاشارة اليها : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) ولذلك يستخدم الحديد لقمع الكافرين والمشركين في النار كلما حاولوا أن يهربوا من هول جحيمها ، فتردهم الملائكة بسياط من حديد الى حيث كانوا ، ولم يتوصل العلم الى الآن الى اكتشاف فلز أو معدن له خواص الحديد في بأسه وقوته ومرونته وشدة تحمله ، بيد أنه تجدر الاشارة بنا هنا الى أن الحديد المستخدم في المقامع التي تستخدمها الملائكة في جهنم يختلف في خواصه ومميزاته عن الحديد الذي نعرفه ، تماما كما تختلف الفاكهة التي ينعم بها المؤمنون في الجنة عن الفاكهة التي نعرفها في حياتنا الدنيا ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : (**مقامع من حديد**) ، حيث نلاحظ دخول حرف الجر (من) على كلمة (حديد) ليدل على أن الحديد المستخدم في هذه المقامع انما يتجانس فقط مع الحديد الذي نعرفه في الدنيا ، ولكنه يختلف عنه في الخواص والاغراض التي يستعمل فيها وهذا يتمشى مع المنطق والمنهج العلمي ، اذ لا يمكن للحديد الدنيوي أن يتحمل درجات الحرارة العالية جدا في جهنم دون أن يتغير شكله أو ينصهر ، ثم قد يكون الحديد الذي تصنع منه المقامع مكونا من عدد من العناصر التى لا يعلمها الا الله وتحتوي على الحديد كعنصر رئيسي فيها ، ولذلك قال

تعالى : (**ولهم مقامع من حديد**) ولم يقل « ولهم مقامع حديدية » لان الصفة في الجملة الثانية تقصر المواد التي تصنع منها المقامع على الحديد وحده ، والله وحده اعلم .

★النحاس :

ورد ذكر النحاس في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : (**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**) الرحمن/ ٣٣ ـ ٣٥ .

وهي تبين أن كل من تسول له نفسه من الجن أو الانس أن يخترق أقطار السماء ، فانه سوف يتعرض لأقسى أنواع العذاب ، حيث سيصب عليه نار ونحاس مصهور فلا يقدر على اتقائه أو دفعه ، ومن الجدير بالذكر أن الانسان قد توصل إلى صنع نوع خاص من الذخيرة المضادة للدبابات تعرف باسم « الحشوة الجوفاء » وتعتمد نظرية عملها على تجميع الموجات الانفجارية الناتجة من تفجير المادة المحطمة داخل المقذوفات أو الصواريخ في نقطة واحدة هي البؤرة وقد وجد خبراء المفرقعات أن استخدام النحاس كمادة مبطنة للمادة المحطمة في هذا النوع من الذخيرة ، يزيد من كفاءة اختراق المقذوفات للدروع السميكة للدبابات والعربات المجنزرة ، ولم يتوصل الانسان بعد الى معدن آخر يضاهي النحاس ـ في هذا المجال عمليا واقتصاديا ، وأي خبير في الذخيرة يدرك أن قوله تعالى : (**شواظ من نار ونحاس**) ينطبق تماما على نواتج تفجير مقذوفات الحشوة الجوفاء التي تستخدم ضد المدرعات ، فالشواظ في اللغة لسان اللهب ، ومن البديهي أن الانسان اذا حاول اجتياز أقطار السماوات والارض فسوف يتعرض لهذه المقذوفات من مصدر مجهول ـ ويدل على ذلك أن الفعل (**يرسل**) في الآية الكريمة مبني للمجهول ـ كما أن دقة التصويب في اطلاق هذه المقذوفات كبيرة جدا بحيث لا يمكن للجن أن يتفاداها ؛ أو للانس أن يتحاشاها ، ولذلك كان قوله تعالى (**فلا تنتصران**) تعبيرا عن ذلك ، وكانت الآية الكريمة السابقة التي ورد ذكر النحاس فيها تعد سبقا علميا كبيرا للقرآن في مجال المقذوفات .

★ الذهب والفضة :

يعد معدن الذهب من المعادن التي خلبت لب الانسان منذ قديم الزمان ، ولذلك يعتبره القرآن الكريم أحد الشهوات التي زين للناس حبها وكذلك الأمر بالنسبة للفضة ، قال تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع**

الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران/ ١٤ .
ولقد قدس الانسان هذين المعدنين ـ أحيانا ـ وما عجل بني اسرائيل الذهبي الذي عبدوه ببعيد عن الأذهان ، ولقد بلغ حب القدامى للذهب أن طلب فرعون من موسى أن تلقى عليه أسورة من ذهب لكي يؤمن بربه ، قال تعالى : **(ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين)** الزخرف/ ٥١ ـ ٥٣ .

ونظرا لأن الذهب له منزلة كبيرة عند البشر وكذلك الفضة ، فان الصراع كان دائما منعقدا بين بني البشر من أجل تملك هذين المعدنين ، ولذلك يحذر القرآن الكريم هؤلاء الذين يقومون بكنز الذهب والفضة ، قال تعالى : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)** التوبة/ ٣٤ ـ ٣٥ . والآيتان الكريمتان السابقتان ترسمان لنا صورة من أبشع صور التعذيب الجسدي والنفسي لهؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وجذبهم رنين الذهب وبهاء الفضة ، ومن المعروف أن المراكز الحسية والعصبية للانسان تتواجد في الجلد ، ولذلك فإن كي الجباه والجنوب والظهور يمثل نوعا من أقسى انواع العذاب الجسدي ، خاصة وان الذهب والفضة معدنان يتميزان بقدرتهما الكبيرة على توصيل الحرارة وامتصاصها ، ومما يزيد هذا العذاب الجسدي ضراوة عذاب نفسي يتمثل في أن هذين المعدنين اللذين كانا طوع يد الانسان في الحياة الدنيا قد تحولا إلى مصدر للالم في الآخرة ، وعلى النقيض من ذلك تشير آيات أخرى الى النعيم الذي ينتظر المؤمنين في جنة الخلد ، قال تعالى :

★ **(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير)** الحج/ ٢٣ .

★ **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا)** الكهف/ ٣٠ و ٣١ .

★ **(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير)** فاطر/ ٣٢ و ٣٣ .

★ **(الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس**

وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) الزخرف/ ٦٩ ـ ٧١ .

★ **(ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قواريرا من فضة قدروها تقديرا)** الانسان/ ١٥ و ١٦ .

★ **(وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا)** الانسان/ ٢١

والآيات الكريمة السابقة تتحدث عن النواحي التي يستخدم فيها الذهب والفضة في الآخرة ، فمنهما تصنع الأساور والأواني والقوارير والصحاف والأكواب ، وتجدر الاشارة الى أن الذهب لا يعتريه الصدأ كالحديد ، ولا يتفاعل مع الرطوبة والهواء كالنحاس ، ولا يتأثر بالاحماض كباقي المعادن ، ومن ثم فلا خوف على الطعام او الشراب الذي يوضع في الأواني والاكواب من التلوث ، وكذلك الأمر بالنسبة للفضة فهي تقاوم عملية التأكسد « الصدأ » كما تفيد الفضة في قتل الجراثيم والكائنات الدقيقة ، وعلى سبيل المثال ، فقد اثبت العلم الحديث ان جزءا واحدا من الفضة يكفي ـ اذا وضع في مصفاة ـ لقتل الجراثيم الموجودة في عشرة ملايين جزء من الماء دون ان يسبب خطرا على حياة الانسان ، كما أن ملعقة صغيرة من الفضة تطهر أكثر من ٣٦ مليار لتر ماء ، وبذلك تفوق فاعلية الفضة في تعقيم المياه فعالية الكلور عشرة اضعاف .

وبالاضافة الى قيمة الفضة في تطهير الغذاء ، فان الفضة هي ايضا افضل موصل للكهرباء والحرارة ، واذا اعطينا الفضة رقم ١٠٠ فسوف نجد أن المعادن الاخرى لها القيم التالية في نقل الحرارة :

الفضة	١٠٠	الحديد	١١,٦
النحاس	٧٣,٦	البلاتين	٨,٤
الذهب	٥٣,٢	الرصاص	٨,١
الزنك	١٩	البزموث	١,٨

ولهذا تستخدم الفضة في امتصاص الطاقة الشمسية حديثا ، وقد قام العلماء في مختبر اوديو للطاقة الشمسية في جبال البيرنيه بفرنسا ، باستخدام صفوف من المرايا الفضية المغطاة بطبقة رقيقة من الزجاج لعكس نور الشمس مركزا داخل فرن ضخم ، تبلغ درجة حرارته ٣٨٠٠ درجة مئوية ويمكن لهذه الحرارة العالية أن تذيب طبقا فولاذيا سمكه ١٣,٥ ملليمترا ، والأهم من ذلك ان الحرارة الناتجة لا تلوث الجو ، وكأن ذلك هو ما تنبأ به القرآن الكريم حين قال :

(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون) الزخرف/ ٣٣ .

وبالرغم من أن الآية السابقة تشير إلى أن هذه الدنيا من الهوان عند الله بحيث كان يجعل سقف الكافرين من الفضة ، الا ان الشيء المثير للانتباه هو اختصاص الفضة بالذكر في الآية دون الذهب ، والذهب أغلى وأقيم . لا بد أن في الأمر سرا يرتبط ـ والله اعلم ـ باستغلال الطاقة الشمسية عن طريق المرايا الفضية ـ ويؤكد

ذلك أن لفظة (سقف) هي جمع الجمع لكلمة (سقف) بسكون القاف ، كما أن بعض المفسرين يرون ان « اللام » في « لبيوتهم » بمعنى على ، اي علي بيوتهم ، وبذلك يمكن القول بان صفوف المرايا الفضية التي توضع على سطوح المباني والمنشآت هي السقف التي اشار اليها القرآن الكريم وتنبأبها منذ أربعة عشر قرنا .

وتتبقى آية أخيرة تتحدث عن العذاب الأليم الذي ينتظر الذين كفروا وكذبوا بلقاء ربهم ، وتبين انه من المحال ان تقبل التوبة من احدهم لو افتدى نفسه بملء الارض ذهبا ، قال تعالى : **(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين)** آل عمران / ٩١ .

★ الحلى والمعادن :

تستخدم لفظة « الحلى » لتدل على المواد التي يستخدمها الانسان لأغراض الزينة سواءكانت هذه المواد ذات اصل معدني كحجار الزينة والاحجار الكريمة او كانت ذات اصل حيواني كاللؤلؤ والمرجان ، وما يهمنا في هذا المجال هو الحلى ذات الاصل المعدني كالذهب والفضة والياقوت ، وقد تحدث القرآن الكريم في مواقع عن مصادر استخراج هذه الحلى وبين انها تستخرج من مياه الانهار والبحار ولا تستخرج فقط من المياه المالحة كما كان الناس يعتقدون قديما ، قال تعالى :

١ ـ **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)** النحل / ١٤ .

٢ ـ **(وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها)** فاطر / ٢٢ .

٣ ـ **(مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)** الرحمن / ١٩ ـ ٢٢ .

وعلى سبيل المثال يحصل الانسان على معظم الذهب الذي يتم انتاجه في العالم من رواسب الوديان كما هو الحال في منطقة نهر اللينا والأورال ، وفي مناطق ياكوت ونهر يينساي بالاتحاد السوفياتي ، وكذلك حقل ذهب بحيرة كيركلاند باونتاريو في كندا ، ورواسب الوديان الحاوية للذهب بكاليفورنيا .

ومن الاحجار الكريمة التي تستخدم في عمل الحلى معدن الزيركون وهو حجر كريم جذاب وتتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم انواعه تستخرج من الرواسب النهرية كذلك فان حجر التوباز يوجد ايضا في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة في العالم ، اما الياقوت فانه يتواجد هو الآخر في الرواسب النهرية في « كوجوك » في بورما العليا وفي الرواسب النهرية بتايلاند وسيريلانكا وقد تحدث القرآن الكريم عن **نوعين من الحلى :**

الاول : الحلى المصنوعة من المعادن وذكر منها القرآن الذهب والفضة والياقوت .
والثاني : الحلى المصنوعة من مواد عضوية وذكر منها القرآن : اللؤلؤ والمرجان .
واللؤلؤ مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية التي تعيش في مياه البحار والانهار وهذه المادة تكون على شكل حبات ذات بنيان صلد املس براق من كربونات الكالسيوم ، ولقد كان الرأي المعروف الى فترة بسيطة ان اللؤلؤ انما يستخرج فقط من المياه المالحة الى ان تمكن الانسان اخيرا من استخراج بعض أنواعه من المياه العذبة في انجلترا واستكلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان ..
اما المرجان فهو عبارة عن صخر تبنيه في البحر أحياء مائية غاية في الصغر ،لتتخذ منه بيوتا لها في الماء وهي تبني هذه البيوت من مادة الحجر الجيرى الموجودة في البحر .

★ **الياقوت** :
تحدث القرآن الكريم عن الياقوت في موضع واحد في كتابه الكريم وذلك في قوله تعالى :
(**فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان**) الرحمن / ٥٦ ـ ٥٨ .
يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآيات الكريمة في كتابه الشهير الجامع لاحكام القرآن : « روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال : « ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها » .
وذلك بان الله تعالى يقول : كأنهن الياقوت والمرجان ، فأما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون : ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك ، كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال الحسن : هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان) .
وما يقوله القرطبي في تفسير قوله تعالى : (**كأنهن الياقوت والمرجان**) يتساوق مع ما اثبته العلم من ان الياقوت يتميز بان له شفافية عالية ، وكلما كان الياقوت شفافا كلما زادت قيمته ، ولذلك تعد الشفافية عاملا هاما في تقدير الجواهر والحلى .

خاتمة :
هكذا طفنا في رحاب كتاب الله الخالد ،والقينا الضوء على الآيات الكريمة التي تشير الى المعادن ، واشرنا الى ما فيها من اعجاز ان دل على شيء فانما يدل على ان القرآن الكريم من عند الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وانه كتاب لا يأتيه الباطل أبدا ـ ولا يمكن للجن او الانس ان يأتوا بآية من آياته مهما أوتوا من علم ، ومهما أوتوا من قدرة ، والله يهدينا الى صراط الحميد .

وقفة تأمل

عقدة الأجنبي

واقع الامة المسلمة : صورة عجيبة ، مضحكة ، مبكية .. صورة غير واضحة المعالم ، وبلا اطر ، ولا ابعاد .. خليط من :

الشاب المستهتر اللاهي .. الذي يعيش يومه .. بلا امل في غده ، ولا تفكير في مستقبله ، ولا حرص على وقته ، بل حياته بين لهو بريء وغير بريء تحيط به رفقة السوء فتزين له الباطل فيراه حقا .. ويسيء الى نفسه من حيث يظن انه يحسن صنعا .. فلا يرعى للدين حرمة ، ولا للأهل حقا ، ولا للوطن واجبا .. وهذا وبال على نفسه وعلى امته ..

○ وشاب اخر يسارع الى مرضاة ربه ، قلبه معلق بالمساجد .. يفيض الايمان على جوارحه ، عف اللسان ، طاهر الثوب ، نقي الباطن .. يعرف لله حقه ، وللاهل واجبهم .. وللوطن حرمته .. يعيش من اجل نفسه وامته ، تجده في طرق الخير دائما حامل مشعل نور ، يهدي الى التي هي احسن ، ويجد في رمضان فرصة فينشط لعبادة الله تعالى صوما بالنهار ، وقياما بالليل ..

○ والفتاة ممن أنار الله بصيرتهن .. تتمسك بأهداب الدين ، فتحرص على كل فضيلة وتأنف من كل رذيلة .. فهي مسلمة في ظاهرها ، وباطنها .. تعرف لكل ذي حق حقه .. وتساهم في بناء صرح امتها الاسلامية الخالدة .

○ واخرى لا يهمها الا تقليد الغرب سلوكا ومظهرا .. اذا كانت « المودة » في الملابس القصيرة .. فهي سباقة اليها ، واذا كانت في الملابس الطويلة فهي مقلدة لها .. الى غير ذلك ..

○ من هنا فان واقعنا متناقض عجيب : ايمان صادق .. وصور زائفة .. اصحاب تقوى .. واصحاب سيئات ، عفاف وشرف ، واستهتار بالقيم .. فمتى يستقيم واقعنا هذا ؟! ام ستظل تصدق فينا هذه العبارة « عقدة الخواجة » : والتي تفسد واقعنا ، وتشوه مظهرنا ، وتنشر القبح في حياتنا ..

○ يحكى ان الشيخ حسن البنا كان في زيارة للشيخ المراغي - شيخ الازهر الاسبق - ودار حديث بينهما عن واقع المسلمين ، وعن كيفية نجاح الدعوة الى الله . وكان مما قال الشيخ المراغي : ان ابنته جمعتها صحبة السفر بالقطار باحدى الاجنبيات .. ودار حديث بينهما .. وقالت الاجنبية عن احد الصحابة الشيء الكثير مما شد انتباه ابنة الشيخ .. فما كان منها الا ان طلبت من ابيها كتابا يتحدث عن الصحابي الجليل .. فقال لها والدها الشيخ : طالما حدثتك عن الصحابة الكرام وتاريخهم وامجادهم . فلم تعطي حديثي اهتماما .. حتى اذا جاءت تلك الاجنبية فحدثتك عن صحابي جليل استمعت لكلامها وشدك حديثها !! ثم اردف قائلا : « اترانا يا شيخ حسن لن نسلم حقا الا اذا اسلم الاجنبي اولا ؟!! شيء عجيب .. فهل ان لحكامنا ان يطبقوا شرع الله في كل جوانب حياتنا .. ام علينا ان ننتظر حتى نأخذ ذلك عن الغرب ، كما اخذنا قوانيننا الوضعية !! .

من انتصارات رمضان

موقعة عين جالوت

للأستاذ : علي القاضي

يبدو أن الطبيعة البشرية بما فيها من أثرة تتغلب في كثير من الأحيان على المصلحة العامة وبخاصة حين لا يكون الايمان عميقا في النفس - ويكون من نتائج ذلك ما نقرؤه في كتب التاريخ وما نراه ونسمع عنه في عصرنا الحاضر من تنافس وتناطح وحروب - وكل ذلك يشقى به الفرد كما يشقى به المجتمع .

ونحن نقرأ في كتب التاريخ أنه حين وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ توزعت المملكة بين أولاده وأفراد أسرته ، وأراد كل واحد منهم أن يثبت ذاته ، فنشأ لذلك الصراع بينهم ، وبدلا من أن يستخدموا مؤهلاتهم وكفاءاتهم في أداء رسالتهم الاسلامية - اذا بهم يتجاوزون هذا كله - ويبدأ بعضهم في الاستعانة بالصليبيين لتدبير المؤامرات ضد اخوانهم - وكان لابد من جني الثمار لهذا السلوك - فاضطربت الدولة سياسيا ، وانحلت اخلاقيا ، وانتشرت الفوضى في الولايات التابعة للمملكة ، وافتقد الناس الأمن وهو أهم حاجات الناس في هذه الحياة .

وتجرأ الصليبيون على المسلمين

فبدأت غاراتهم على المدن الاسلامية التي استردها صلاح الدين منهم بعد تضحيات كثيرة .

○ داخل المجتمع الاسلامي :

نحن نعرف أن الهزيمة تأتي من الداخل قبل أن تأتي من الخارج ، ولذلك فلابد وأن نلقي نظرة على المجتمع الاسلامي في الفترة التي سبقت موقعة عين جالوت لنرى ما وصل اليه وأثر ذلك في طمع أعدائه فيه .

حدثت منازعات بين الملك العادل والملك الأفضل - كان من نتائجها اشتداد الغلاء ، وهلاك كثير من الاهالي حتى يقال كما روى بعض المؤرخين : ان الملك العادل كفن من ماله في شهر من سنة ٥٨٩ هـ نحوا من مائتي الف ، كما أكل الناس لحوم الكلاب .

وفي بلاد الشام والعراق وغيرها حدث زلزال عظيم كان من نتائجه موت نحو ثلاثين الفا في نابلس وقراها ، وقد قدر صاحب مرآة الزمان انه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو مليون ومائة الف انسان قتلا .

أما بغداد - مركز الخلافة - فقد سيطرت عليها مظهرية الملك ، وتغلغل نفوذ الخدم والحشم في قصور الخلفاء ، وبلغت الثروة والاسراف والمدنية ذروتها الى درجة ان المواكب الملكية كانت تشغل الناس عن الصلاة ، وكثرت مصادرات الاملاك وتفشت الرشوة وعزل كبار الموظفين وألقي القبض عليهم وصودرت املاكهم .

وتفاقم أمر الباطنية والشطار - واشتد النزاع الطائفي والتفكك الخلقي والانصراف الى اللهو والتكاثر في الاموال .

وهكذا كانت الحالة الداخلية في المجتمع الاسلامي : فرقة ونزاعا وعدم استقرار - وهذا ما هيأ الجو لأن تكون الدولة الاسلامية منهزمة من الداخل قبل ان تهزم من الخارج على يد اعدائها .

في هذه الفترة كان جيش بغداد يبلغ عشرة آلاف فارس - قلة في العدد وضعف في العزيمة وخور في الهمة - والخليفة سلبت منه كل سلطاته ، فلم يعد الا مجرد رمز ، هكذا أرادوا له أن يكون كالببغاء لا ينطق الا بما يريدون .

وملوك خوارزم الذين قامت دولتهم القوية في الجزء الشرقي من العالم الاسلامي في اخر القرن الخامس ، واصبح أكثر العالم الاسلامي خاضعا لسلطانهم لم يبذلوا قواهم الا في توسيع رقعة الحكم ودعمه وقمع خصومهم ، ولو انهم وجهوا اهتمامهم في تبليغ رسالة الاسلام الى من يجاورهم ، لأمكنهم بذلك أن يضموه الى عقيدتهم وأن يستأنسوا وحشيته ، ولأقاموا بذلك لأنفسهم سياجا يحميهم .

○ خارج المجتمع الاسلامي :

في هذه الفترة من التاريخ ظهر على

المسـرح الخارجي التتـار ـ القوة الجديدة في العالم ـ والتي عرفت بالوحشية المتناهية في معاملة البلاد التي تغير عليها ، لقد استولوا على فارس وتركستان ـ وكانت ابصارهم شاخصة الى بغداد مركز الخلافة الاسلامية ، وكانت الاحوال الداخلية المضطربة تجعل الوضع الداخلي على درجة كبيرة من الفوضى في كل ناحية .

ومما زاد الطين بلة أن الخليفة المستعصم استوزر محمد بن العلقمي سنة ٧٤٣ هـ ولم يكن وزير صدق ، فزاد نظام الحكومة اضطرابا ـ ولما وقعت الحـرب بـين أهـل السنـة والرافضة سنة ٦٥٥ هـ نهبت الكرخ ومحلة الرافضة ـ ووصل الامر الى نهب دور قرابات الوزير ، فـاشتد حنقه ، ودبر للاسلام وأهله ما وقع من الامور التي لم يؤرخ أبشع منها منذ بنيت بغداد .

○ زحف التتار :

بدأ التتار زحفهم بقيادة ملكهم جنكيز خان نحو الجزء الشرقي للعالم الاسلامي ـ ايران وتركستان ـ حتى وصلوا الى بغداد وقاموا بتدميرها وابـادة علمائهـا سنة ٦٦٥ هـ ـ والدافع المباشر لما قام به التتار هو قتل تجار قافلة كان افرادها جميعا من التتار بحجة أنهم جواسيس ـ ولما شكا جنكيز خان الى خوارزم شاه ما حدث للتجار ـ انتهز خوارزم شاه الفرصة فقتل رئيس السفراء ، وأمر باحراق لحي الباقين الذين رجعوا الى جنكيز خان ، وقتل الرسل عمل لا يقره اي قانون ، وهذا يدل على عدم تقدير للامور الذي هو أهم شيء في القيادة السياسية لدولة من الدول .

وثار جنكيز خان لهذا العمل وقال قولته المشهورة « اذا كانت السماء لا تحتمل وجود شمسين ، فإن الأرض كذلك ـ لا تحتمل ملكين .

بدأ التتار زحفهم على بخاري فأتوا عليها من كل جانب حتى أصبحت كومة من تراب ، ثم سمر قند حتى أحرقوها وأبادوا أهلها ـ وهكذا في جميع المدن التي مروا بها مثل همدان وقزوين ومرو ونيسابور وخوارزم .

وكان من نتائج هذا كله أن خوارزم شاه ، الذي كان يعتبر الملك الوحيد للعالم الاسلامي ، واقوى الرجال في عصـره ـ أصبح يعيش في خـوف وهلع ، وأصبح ينتقل من بلد الى بلد فارا بنفسه والتتار من خلفه يبحثون عنه ، حتى توفي في جزيرة مجهولة ..

وقد دخل رعب التتار قلوب المسلمين جميعـا حتى أصبح اسمهم يهـز النفوس ويبعث فيها الرعب ..

وهـزت غـارات التتـار العـالم الاسلامي هزا عنيفا وغلب على الناس اليأس ـ حتى دخل في قلوب الناس أن مقاومتهم مستحيلة ، وشاع في الناس أن التتار لا يهزمون ، ولذلك فقد أصبح كل شيء مصدقا ، وقد قتلوا في مدينة ري وحدها اكثر من سبعمائة الف مسلم ـ وفي بغداد استمر التتار يقتلون الأهالي أربعين يوما ـ حتى أصبحت خاوية على عروشها ـ ولم يرع التتار عهدا ولا ذمة ، وقد أنزل

هولاكو الخليفة المستعصم في خيمة - ثم دخل الوزير واستدعى التتار أهل الحل والعقد ، ليحضروا المعاهدة فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم - وهكذا تخرج طائفة وراء أخرى لتلقي نفس المصير - وكما فعلوا في بغداد فعلوا في حلب سنة ٦٥٨ هـ حيث استولوا عليها وأحرقوا مساجدها ، وجرت الدماء في الأزقة - ثم وصل التتار الى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن ايوب - فخرج هاربا ومعه الأغنياء ، ودخل التتار دمشق وتسلموها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها ، ووصلوا الى نابلس والكرك وبيت المقدس وغزة .

وقد استثمر التتار حرب الصاعقة وحرب الأعصاب الى أقصى حد فنشروا الذعر والخوف من بطشهم في كل مكان - وحيثما اتجهت قواتهم كانت تسبقهم الأقاصيص عن طغيانهم وقسوتهم ومذابحهم - وقد تدفق على مصر جموع الفارين من التتار ناشرين الرعب والفزع بين أفراد الشعب من هول ما يروونه من أخبار وفظائع المغول .

وقد كان للنصارى موقف غريب - فقد استقبلوا التتار خارج مدينة دمشق ، وقدموا اليهم الهدايا ، وكان معهم صليب يحملونه على رءوس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون : « ظهر الدين الصحيح - دين المسيح » . ويذمون الاسلام وأهله - ومعهم أواني الخمر يرشون منها على وجوه الناس ، ويأمرون كل من يجتاز الأسواق ان يقوم لصليبهم - فتكاثر عليهم المسلمون وردوهم الى كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم يمدح دين النصارى ويذم دين الاسلام وأهله ، ودخلوا الى الجامع بخمرهم ، فاجتمع قضاة المسلمين وفقاؤهم ودخلوا القلعة يشكون هذا الى متسلمها « ايل سيان » فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم - كما أمر جنكيز خان بقتل كل من يذبح الحيوانات على النحو الذي قرره الاسلام وسار على هذا النهج خلفاؤه .

ويلاحظ أن حاشية جنكيز خان كانت تضم عددا كبيرا من المسيحيين من بينهم قائده « كتبغا » وفي الوقت الذي ذبح فيه قوات التتار المسلمين في مذابح بغداد وغيرها لم يمس المسيحيون في تلك المدن .

○ موقف أوربا

وقد أيد المسيحيون في أوربا التتار تأييدا تاما - ذلك لانهم كانوا أصدقاء لهم ، كما كان لهولاكو زوجة مسيحية ، وكان لذلك أثره في سلوك التتار ، فولى سوريا رجل مسيحي بعد أن دخلها التتار - وكانت نظرة المسيحيين في أوربا على أنهم حلفاؤهم - من هنا فكر البابوات في نشر المسيحية بين التتار - كما فكر ملوك أوربا في تأليف حلف بين التتار والمسيحيين لتدمير البلاد الاسلامية .

وقد دعا لويس رجال التتار الى فرنسا ، حيث فاوضهم على عقد

اتفاقية عسكرية ، تنص على أن يقوم طرفاها بعمليات حربية على المسلمين ، يكون دور التتار فيها غزو العراق وتدمير بغداد والقضاء على الخلافة الاسلامية ، ويكون دور الصليبيين حماية هذا الغزو من الجيوش المصرية ، وتجريد جيوشهم لمنع نجدة القوات المصرية للمسلمين في آسيا ، وبذلك تعزل مصر عزلا تاما ، يقول الأسقف « دي مسيل » في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية « لقد كانت الحملة التترية على الاسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها ـ وقد هلل لها الغرب وارتقب الخلاص على يد هولاكو وقائده المسيحي « كتبغا » الذي تعلق أمل الغرب عليه ليحقق له القضاء على المسلمين ـ وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية ـ ولم يعد للغرب أمل في بلوغه الا على أيدي التتار خصوم المسلمين » .

○ **قطز** :

في هذه الفترة كان يحكم مصر قطز ـ ترى ماذا كان يحدث لو أن رجلا غيره كان يحكم مصر في هذه الفترة ؟ـ لكن الله سبحانه وتعالى كان رحيما بعباده ، فقيض للأمة الاسلامية في هذه الفترة ذلك الرجل الذي عزم على أن يقوم بدوره كاملا في إعادة مجد المسلمين ومحو الآثار التي ترتبت على الأحداث التي قام بها التتار في البلاد الاسلامية .

أرسل التتار رسلا الى مصر ـ ليشيعوا بين أهلها أن التتار خلقوا ليحكموا ويتحكموا في الرقاب وعلى الناس أن يقبلوا ذلك ساجدين ـ وقد أثار هؤلاء المبعوثون الفتنة في البلاد منذ حلوا في ضيافة الملك ـ وقد كانوا يمنونه ويعدونه ـ وكان رد قطز على ذلك أن أمر بقتل الرسل : فتم شنق أربعة منهم عند باب الساحة من ناحية الأزهر ـ وترك الخامس ليعود الى هولاكو فيبلغه ما رأى .

وقد كان مع هؤلاء الرسل رجال مخصوصون للتجسس ، وليعرفوا مداخل الحصون ومخارجها واستحكامات المدينة ، وما الى ذلك من الأماكن الحربية ـ وكان مع الرسل كتاب من هولاكو يهدد فيه ويطلب التسليم ، وقد جاء فيه « يعلم الملك قطز أنه من جيش المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم وأنا نحن جند الله في أرضه ـ خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ـ فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم ـ فنحن لا نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكر ـ وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ـ فعليكم بالهرب وعلينا الطلب فما لكم من سيوفنا خلاص ـ فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال » .

وقد عزم قطز على قطع أي أمل في حل غير القتال من المترددين والمنهزمين فقتل الرسل وقال قولته الحاسمة : ان الرأي عندي هو أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا

فهو المراد والا فلن نكون مسلمين أمام الخلق ـ ومن هنا فقد بدأ يعد العدة المتكاملة لمقابلة التتار ـ فأرسل الى ملوك المسلمين لتحقيق وحدة الغاية في مواجهة التتار وانقلبت القاهرة الى صناعة تعد للحرب عدتها .

○ العز بن عبد السلام :

وجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه من أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، وحضر أصحاب الرأي في دار السلطنة بقلعة الجبل وقال ابن عبد السلام : « انه اذا طرق العدو بلاد الاسلام وجب على المسلمين قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم ـ بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء ، وتبيعوا ما لكم من الحوائج المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة » وقد وافقوا على قوله ، ولكن الكلام شيء والتنفيذ شيء آخر ـ وشرح قطز لابن عبد السلام صعوبة الأخذ من أموال الأمراء فقال العز : لا أرجع في فتواي لرأي ملك أو سلطان ، وذكره بالله وبالعهد الذي قطعه على نفسه على أن يقوم بالعدل وينظر في حال المسلمين ومصلحتهم وأغلظ له في القول ـ وقد اغرورقت عينا قطز بالدموع ، وقام الى الشيخ فقبله على رأسه قائلا : بارك الله لنا ولمصر فيك ، وان الاسلام ليفخر بعالم مثلك ، لا يخاف في الحق لومة لائم .

وقد عهد قطز الى الشيخ الاشراف على التعبئة المعنوية والى وزيره ابن عبد الرفيع بالاشراف على جميع الاموال وتسليح كل قادر على حمل السلاح وشملت التدريبات العسكرية كل قرية ـ كما شملت البلاد روح من التشوق الى المثل العليا والتوبة من الذنوب والاقبال على الله ، وكل واحد أصبح يتمنى لو مات شهيدا ، وسارع أصحاب دور اللهو الى إقفالها ، وأصبحت القاهرة كأنها محراب عبادة .

وقد صفى قطز مشكلاته مع المتقاعسين من المماليك حين عرض أمرهم على الأمة ، فأشارت بحبسهم حتى تنتهي المعركة ـ كما طلب من الافرنج أن يحددوا موقفهم واتفق معهم على الحياد .

○ عين جالوت :

أحس قطز بأن التتار سيزحفون الى مصر بعد الشام ـ فقد تواترت الأخبار بأن التتار قد استولوا على سورية وفلسطين ، كما وصل الى القاهرة كمال الدين عمر بن النديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، يطلب من قطز النجدة على قتال الكفار ، ورأى الملك قطز ان خير وسيلة للدفاع الهجوم ـ فرأى أن يخرج من مصر بالجنود ويشن عليهم الهجوم في الشام ، وقد كان خروجه في يوم الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ بجيوش مصر ومن انضم

اليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم ـ ونودي في القاهرة والفسطاط وسائر أقليم مصر بالخروج الى الجهاد ـ وتقدم قطز الى جميع الـولاة بحث الاجناد للخـروج الى القتـال ، وسـار حتى وصـل الى الصالحية . فجمع الأمراء وكلمهم في الرحيل فأبوا وامتنعوا على الرحيل ـ فقال يا أمراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزو كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد فليصحبني ومن لم يختر فليرجع الى بيته فإن الله مطلع عليه ـ وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين .

وقد كان قادة قطز يريدون الدفاع لا الهجوم للصيت الذي بلغهم ، وبذل قطز جهودا ضخمة في رفع معنويات الجماهير والقادة على حد سواء ـ وكان عليه ان يزيل آثـار الحرب النفسية المغولية التي تمثلت في قول بعض الأمراء « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومة التتار » وهنا قال قطز : « ان الرأي عندي أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون مسلمين أمام الله » وعمل جهده على حشد كل طاقاته المادية والمعنوية للحرب ـ فلا يعلو صوت على صوت المعركة ولا يقبل عذر من قادر على الجهاد بماله وروحه ـ وقد كان هو قدوة لهم فسار على رأس جيشه حتى وصل مدينة غزة والقلوب وجلة ـ وفي غـزة كانت جمـوع التتار بقيـادة « بيدر » الذي كان ينتظر لقاء قطز بأمر من كتبغا الذي أمره بحرب قطز ـ وبعث قطز طلائع قواته بقيادة ركن الدين بيبرس لمناوشة التتار واختبار قوتهم وتحصيل المعلومات ـ فالتقى بيبرس بطلائع التتار في عين جالوت بالقرب من نابلس ، وشاغل التتار حتى وافاه قطز على رأس القوات الأصلية من جيشه .

وفي يـوم الجمعـة الخـامس والعشرين من شهر رمضان نشبت بين الجيشين معركة حاسمة ـ وقد كان التتار يحتلون مرتفعات سهل « عين جالوت » فانتصروا على جيش قطز في أول الأمر ـ وكانت طبيعة معاركهم الانقضاض عـلى الأعداء تطبيقـا لحـرب الصـاعقـة التي يمارسونها في حروبهم معتمدين على سرعة الخيل ـ وكان القتال شديدا لم ير مثله حتى قتل من الطائفتين جموع كثيرة وتغلغل التتار عمقا في مسيرة قطز فانكسرت انكسارا شنيعا ـ ولكن قطز حمل بنفسه في طائفة من جنده وأسرع لنجدة المسيرة حتى استعادت مواقعها ، وأستأنف قطز الهجـوم المضاد بقوات القلب التي كان يقودها وكـان يتقدم جنـوده وهو يصيـح « واإسلاماه » .

واقتحم القتال وباشـره بنفسه وأبلى في ذلك اليوم بلاء عظيما ـ وكانت قـوة القلب مؤلفة من المتطـوعـين المجاهدين الـذين خرجـوا يطلبون الشهـادة ويدافعـون عن الاسلام بايمان ـ وكان قطز يشجع اصحابه ويحسن لهم الموت ويضرب لهم المثل بما يفعله من إقـدام ويبديـه من استبسال .

وكان من ذكاء قطز أنه أخفى معظم

قواته النظامية في شعب التلال لتكون كمائن ـ وبعد أن كر بالمجاهدين مرة وأخرى تزعزع جناح التتار ، وبرز المماليك من كمائنهم وأداموا زخم الهجوم بشدة وعنف ـ وكان قطز أمام جيشه يصيح « وإسلاماه » يا الله انصر عبدك قطز على التتار ـ وكان جيشه يتبعه مقتديا باقدامه وبسالته ـ وقتل فرس قطز من تحته ـ وكاد يعرض للقتل لولا ان أسعفه احد فرسانه فنزل له عن فرسه وسارع قطز الى قيادة رجاله متغلغلا في صفوف أعدائه حتى ارتبكت صفوف التتار وشاع أن قائدهم « كتبغا » قد قتل فولوا الأدبار ـ وقد نصحه اتباعه بالهروب ولكنه قال : « الموت مع العزة خير من الهرب مع الذل والهوان » ولم يضيع المسلمون وقتا فبدأ المسلمون فورا في مطاردة التتار حتى دخل قطز دمشق في اواخر رمضان ، فاستقبله أهلها بالابتهاج واستمرت المطاردة الى قرب مدينة حلب ـ فلما شعر التتار باقتراب المسلمين منهم تركوا ما بأيديهم من أساري المسلمين ورموا اولادهم فتخطفهم الناس وقاسوا من البلاء ما يستحقون .

○ لماذا انتصر المسلمون ؟ :

ان كل الحسابات العسكرية تجعل النصر في جانب التتار ـ فقد كانت تجاربهم في الحرب طويلة ، ولم يكن لقطز ولا لقادته مثل هذه التجارب ولا ما يقاربها ، كما كان جيش التتار في عدد لا يحصيه الا الله تعالى كما يقول المؤرخون ـ كما انهم اشتهروا بالوحشية فكانوا يقتلون الرجال ويستاقون الأسرى ـ ولذلك فقد هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر الى المغرب ، كما هرب جماعات الى اليمن والحجاز والباقون بقوا في خوف شديد يتوقعون الهزيمة ـ وهكذا كانت الروح المعنوية في جيش المسلمين منهارة ـ أما التتار فلم يهزموا في معركة قط ، وقد استغل التتار حرب الاعصاب فكانوا يشيعون الشائعات المختلفة التي تؤثر في نفوس أعدائهم ـ وقد ازداد جيش التتار بالذين التحقوا بهم من المرتزقة والصليبيين بعد احتلال الشام .

كما أن جيش التتار كان يتميز بفرسانه المدربين ـ وكان تعداد فرسانه كبيرا مما يسر له سرعة الحركة وتطبيق حرب الصاعقة التي كانت من سمات حرب التتار .

ثم ان مواقع جيش التتار في عين جالوت كانت افضل من مواقع الجيش المصري ـ لأن تلك المواقع كانت محتلة من التتار قبل وصول الجيش المصري الى المنطقة حيث كانت تحت سيطرتهم ـ كما ان جيش التتار كان متفوقا في قضاياه الادارية ـ اذ انه كان يستند على قواعده القريبة في ارض الشام وهي التي استولى عليها واستثمر خيراتها ـ بينما كانت قواعد الجيش المصري الادارية بعيدة عنه ـ لانه كان يعتمد على مصر وحدها في اعاشته ، والمسافة بين مصر وعين جالوت طويلة وبخاصة في تلك الايام التي كانت القضايا الادارية فيها تنقل

علـى الـدواب والجمـال مختـرقـة الصحاري والقفار .

وعلى الرغم من هذا كله انتصر الجيش الاسلامي ـ انتصر لأنه سار في اتجاه الاسلام ، فالعلماء وعلى رأسهم العز قدموا ارشاداتهم التي نفذت بكل اخلاص وأمانة ، والشعب اتجه الى الله تعالى مستغفرا من ذنوبه طالبا من ربه النصر ، وقطز القائد كان البطل والقدوة ، وكان يتميز بالشجاعة وارادة القتال والتصميم على محاربة التتار مهما كلفه ذلك ـ فليس امامه الا النصر او الاستشهاد ، وحين اطمأن الى نصر الله لم يأخذه الغرور ـ بل ترجل عن فرسه ومرغ وجهه في التراب وسجد شكرا لله على ما أولاه من نصر باهر ، وحمد الله وأثنى عليه ثناء عاطرا .

ولاول مرة في تاريخ الزحف المغولي الذي امتد نصف قرن يخرج اليهم شعب ليقاتلهم قبل ان يصلوا اليه ، وينتصر عليهم انتصارا ساحقا ـ وهم القـوة الجبـارة التي اعتـادت ان تستسلم لها الشعوب قبل ان يصلوا اليها .

○ خاتمة :

يقول « دي ميستيل » تعليقا على هذه المعركة « وهكذا نرى الاسلام الذي اشرفت قوته على الزوال يستعيد قوته ويصبح اشد خطرا من ذي قبل » .

وقد بدأت بعد ذلك . دعوة الاسلام تنتشر فجأة بين افراد هذا الشعب ويتحقق على ايدي دعـاة الاسلام دخول هؤلاء في الاسلام ـ اذ بدأ حبه يتسرب الى نفوسهم حتى دخلوا في دين الله افواجا بعد ان فعلوا ما فعلوا بالمسلمين .

لقد نشأ التتار على حياة الهمجية وفتحوا بلاد المسلمين ، وقتلوا منهم من قتلوا وشردوا من شردوا ـ ومع ذلك فقد دخلوا في الاسلام وهم في ذروة قوتهم وسلطانهم ، وهذا من العجائب التي لا تحدث الا بالنسبة للاسلام ، اذ ان العادة قد جرت على ان يعتنق المغلوب دين الغالب . ولكن الاسلام غير ذلك .

وقد توزعت مملكة جنكيز خان بعد وفاته الى اربعة فروع ـ وبدأ الاسلام ينتشر في هذه الفروع الاربعة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى كان التتار قد اسلموا جميعا .

وقـد كان اول من اسلم منهم بركةخان ١٢٥٦/ ١٢٦٢ م ، وكان رئيسا للقبيلة الذهبية في روسيا ، وسبب اسلامه انه تلاقى يوما مع عير للتجار آتية من بخاري ـ ولما خلا بتاجرين سألهما عن اعتنـاق هذا الدين والاخلاص له ـ وقد كان أصغر اخوته .

ان الاسـلام يملك اكبـر قوة ، ويتمتـع بأكبـر مـوهبـة في كسب الانصار ، وقد اسلم التتار وبرز فيهم عـدد كبـير من العلمـاء والفقهـاء والمجاهدين والدعاة الربانيين واهل الصـدق ، ادوا دورهم في حمايـة الاسلام في ظروف دقيقة ولحظات عميقة في التاريخ .

ادعوهم لآبائهم

للدكتور / محمد زكي عبدالبر

يلفت النظر الآن ميل كثير من النساء المسلمات إلى التسمي باسم اسرة زوجها باضافة اسمها الى لقب زوجها تاركة لقبها هي اي اسم اسرة ابيها ، لدوافع لعل في مقدمتها شهرة الزوج او حب الناس له وخمول الاب او كره الناس له الى غير ذلك من البواعث .. ونحن ننبه الى ان هذا خطأ فاحش لا يقره الاسلام ، ولو جاز لكان اولى به امهات المؤمنين رضي الله عنهن وكن زوجات لخير خلق الله ، ولكنهن لم يفعلن واحتفظن باسمائهن واسماء آبائهن . قال الله تعالى : (**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق**

وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما . النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم) .
الاحزاب / ٤ ـ ٦ .
وجدير ان نبين سبب نزول هذه الآيات الكريمة ثم المراد منها

اولا ـ سبب النزول

كانوا في الجاهلية وأول الاسلام يقرون التبني ، وهو أن يتبنى الرجل ولد غيره ، فكان الرجل إذا أعجبه من الرجل جلده وظرفه ضمه ونسبه الى نفسه فيقال : فلان ابن فلان ، وجعل له من ميراثه نصيب الذكر من أولاده ، وحرم عليه نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها ، أي أن المتبني كان يأخذ ـ فوق النسب ـ حكم الولد من حيث الميراث ومن حيث حرمة النكاح .
وجريا على هذا العرف تبنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل المبعث ، زيد بن حارثة ، فكان يقال له « زيد ابن محمد » الا انه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نزل القرآن الكريم يحرم التبني ، فصار يدعى « زيد بن حارثة » قال القرطبي (١٤ ، ١١٨ ـ ١١٩) « اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل في زيد بن حارثة » .
وقصة زيد هذه جديرة بالذكر لنزول القرآن الكريم فيه .
كان زيد فيما روى عن انس بن مالك وغيره ، مسبيا من الشام ، إذ كانت العرب في جاهليتها يغير بعضهم على بعضهم ويسبى ، وكان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أخواله بني معن من بني ثعل من طيء فأصيب في غلمة من طيء ، فقدم به سوق عكاظ ، وكان حكيم بن حزام بن خويلد قد انطلق الى عكاظ يتسوق بها وقد أوصته عمته خديجة رضي الله عنها أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا إن قدر عليه . فلما جاء حكيم الى عكاظ وجد زيدا يباع فيها فأعجبه ظرفه فابتاعه فقدم به عليها وقال لها : إني قد ابتعت غلاما ظريفا عربيا فإن اعجبك فخذيه والا فدعيه فانه قد اعجبني ، فلما رأته خديجة رضي الله عنها اعجبها فأخذته . ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب النبي صلى الله عليه وسلم ظرفه فاستوهبه منها فقالت « هو لك ، فإن أردت عتقه فالولاء لي » فأبى عليها ، فوهبته له : ان شاء اعتق وان شاء امسك ، فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان زيدا خرج في ابل لأبي طالب الى الشام فمر بأرض قوم فعرفه عمه فقام اليه فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : غلام من اهل مكة : قال : من انفسهم ؟ قال : لا ، قال : فحر انت او مملوك ؟ قال : بل مملوك .

قال لمن ؟ قال : لمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب . فقال له : أعربي انت ام اعجمي ؟ فقال : بل عربي - قال : فمن اهلك ؟ قال : من كلب . قال من أي كلب ؟ قال : من بني عبدود قال : ويحك ! ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل ، قال : وأين اصبت ؟ قال : في اخوالي . قال : ومن اخوالك ؟ قال : طيء ، قال : ما اسم امك ؟ قال : سعدى - فالتزمه وقال : « ابن حارثة » ودعا أباه وقال : يا حارثة ! هذا ابنك ، فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه . قال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثرني على أهله وولده ، ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت ، فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له حارثة : يا محمد ! انتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته : تفكون العاني وتطعمون الاسير : ابني عبدك فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومه ، فانا سنرفع لك في الفداء ما احببت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعطيكم خيرا من هذا ، قالوا : وما هو ؟ قال : اخيره : فان اختاركم فخذوه بغير فداء ، وان اختارني فكفوا عنه . قالوا : جزاك الله خيرا فقد احسنت . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا زيد ! اتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا ابي وعمي واخي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا من عرفته ، فان اخترتهم فاذهب معهم ، وان اخترتني فانا من تعلم . فقال زيد : ما انا بمختار عليك احدا ابدا ، انت منى بمكان الوالد والعم ، قال له ابوه وعمه : يا زيد ! تختار العبودية على الربوبية ؟ قال : ما انا بمفارق هذا الرجل . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه واختياره الرق معه على حريته وقومه قال عند ذلك : « يا معشر قريش ! اشهدوا انه حر وانه ابني يرثني وأرثه » وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك . فطابت نفس ابيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه وانصرفا . وقد رباه النبي صلى الله عليه وسلم كالأولاد واخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب . ولم يزل زيد يدعى « زيد بن محمد » في الجاهلية وفي بدء الاسلام حتى نزل القرآن الكريم : (**ادعوهم لآبائهم**) فدعى « زيد ابن حارثة » ومن ذلك ما جاء في كلام ابن عمر رضي الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنا ندعوه الا زيد ابن محمد حتى نزل القرآن الكريم : (**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انت زيد بن حارثة بن شراحيل .

وكذلك حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، وكان ممن شهد بدرا ، تبنى سالما وانكحه ابنة

اخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار فكان يسمى « سالم ابن ابي حذيفة » .
وكذلك كان عامر بن ربيعة يقال له : عامر بن الخطاب واليه كان ينسب وكذا المقداد بن عمرو البهراني : كان يدعى : المقداد بن الاسود وغير هؤلاء ممن تبنى وانتسب إلى غير أبيه ، فانزل الله في زيد بن حارثة وفي سالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن عمرو ، (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) فردوا الى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين .
ولما كان زيد يدعى زيد ابن محمد قال الله تعالى : (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**) الأحزاب / ٤٠

ثانيا : جملة المراد بالآية الكريمة

(وما جعل أدعياءكم أبناءكم)

ادعياء جمع دعي ، فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يدعى ولدا ويتخذ ابنا اي المتبنى .
والمقصود ما جعل الله من ادعيت انه ابنك ، وهو ابن غيرك ، ابنك بدعواك اي ما جعل الله الدعوة والبنوة في رجل لان الدعوة عرض والبنوة اصل في النسب ، ولا يجتمعان في الشيء الواحد .
اي ما جعل ادعياءكم أبناءكم حقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب .
فهو رد ما كانوا يزعمون من أن دعى الرجل ابنه ، فيجعلون له من الميراث مثل نصيب الذكر من أولادهم ، ويحرمون نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها .

(ذلكم)

اي دعاؤكم الدعى بقولكم « هذا ابني » مجرد قول لا حقيقة لمدلوله ، اذ لا يواطىء اللفظ الاعتقاد ، إذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه .

(قولكم بأفواهكم) :

اي دعاء الرجل من ليس بابنه انه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم أي لا معنى ولا حقيقة له في الاعيان ، يعني انه لا حكم له ، فتبنيكم لهم قول لا يقتضى ان يكون ابنا حقيقيا ، فانه مخلوق من صلب رجل آخر ، فلا يمكن ان يكون له ابوان ، كما لا يمكن ان يكون للبشر الواحد قلبان ، فلا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته فهو كقول الهازل اذ هو بمعزل عن احكام البنوة كما زعموا .

(والله يقول الحق)

اي الله هو الصادق الذي يقول الحق اي العدل . وهو ما يوافق ظاهرا وباطنا أي الكلام المطابق

للواقع ، لأن الحق لا يصدر الا من الحق . وهو ، ان غير الابن لا يكون ابنا . اي : الله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه .

(وهو يهدي السبيل)
أي يبين لعباده سبيل الحق ويرشدهم الى طريق الرشاد والصراط المستقيم لا غير وهو قوله : **(ادعوهم لآبائهم)** أي فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله هذا . والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وما فيه سهولة :

(ادعوهم لآبائهم)
اي انسبوهم الى آبائهم . ووقوع اللام للاستحقاق . يقال : فلان يدعى لفلان أي ينسب اليه .
وقد وردت « ادعوهم » بصيغة الامر « افعل » وجمهور الفقهاء على ان الاصل في الامر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بوصفهما مبينين لشرع الله تعالى ان يكون للوجوب اي الطلب على وجه اللزوم والحتم ، بحيث يثاب المكلف على فعله ويأثم إذا تركه لانه طلب على جهة الاستعلاء ، اذ هو من الخالق للمخلوق ، الا اذا قامت قرينة على انه يراد غير ذلك ، والظاهر لنا انه لم تقم قرينة على انه يراد غير الوجوب .
فالحكم اذن هو الوجوب اي وجوب النسبة والعزو الى الآباء بحيث يثاب المكلف على فعل ذلك ويعاقب على تركه .

(هو) :
اي دعاؤهم لابائهم أو دعاؤكم إياهم لآبائهم .
والضمير في « هو » عائد على المصدر المفهوم من قوله « ادعوهم لآبائهم » اي « دعاؤهم لآبائهم » كما في قوله تعالى : **(اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة / ٨ .

(أقسط عند الله)
القسط بالكسر العدل . يقال أقسط الرجل إذا عدل . واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة المطلقة .
والمعنى بالغ في العدل والصدق .
وفي كشف الأسرار : هو اعدل واصدق واصوب من دعائهم إياهم لغير آبائهم .
ولا يراد هنا ـ والله أعلم ـ تفضيل هذا على ذاك ، بل الانفراد بالقسط من غير مشارك فيه ، يؤكد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام » متفق عليه وقوله : « ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر » رواه احمد وقوله في خطبة حجة الوداع : « من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ص ٢٥٣ وهذا تشديد وتهديد ووعيد اكيد في التبرى من النسب المعلوم .

(فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم)

امر سبحانه وتعالى ان يدعى المتبني لابيه ان علم . وتطبيقا لهذا قالوا : زيد بن حارثة فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى ولائه . ولذلك قالوا : سالم مولى ابي حذيفة بعد ان كانوا يسمونه سالم بن ابي حذيفة لتبني ابي حذيفة له .

فان لم يكن له ولاء معروف : قالوا له : يا اخي يعني في الدين ـ قال الله تعالى : (**انما المؤمنون اخوة**) الحجرات / ١٠ وهذا بطبيعة الحال يعني من اسلم منهم . أي فان لم تعلموا آباءهم فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية فيه (**اي في الدين**) فقولوا : هذا اخي . وهذا مولاي بمعنى الاخوة والولاية في الدين ـ فهو من الموالاة والمحبة ، فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف تقديره اخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين يعني من اسلم منهم .

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به)

أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ عن غير تعمد .

(ولكن ما تعمدت قلوبكم)

اي ولكن الاثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء الى غير آبائهم ، مع علمكم بذلك قال قتادة : لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه ، لم يكن عليك بأس وقال ابن كثير : « فاما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية » .

(وكان الله غفورا رحيما)

اي يغفر للمخطىء ويرحمه ويتجاوز عنه او غفورا للذنوب رحيما بالعباد .. ومن جملة من يغفر له ويرحمه من دعا رجلا لغير أبيه خطأ او قبل النهي عن ذلك . وخلاصة ذلك أن الابن يدعي الى أبيه إن عرف فان لم يعرف ابوه فالى مولاه ان عرف ، فان لم يكن له مولى او لم يعرف ـ فضلا عن عدم معرفة الاب ـ فالى الاخوة والولاية في الاسلام . ويأثم من يخالف ذلك . ويستوي في ذلك الذكر والأنثى . فلا يجوز أن تنتسب المرأة الى غير ابيها . وهو ما قصد أصلا بيانه في هذا المقال .

وغني عن البيان أن قصة زيد بن حارثة التي أتينا عليها فيما سبق ، لها دلالات كثيرة لا تخفي على القارىء منها كمال خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الخلق الذي جعل زيدا يؤثر العبودية عنده على الحرية مع أبيه ، وخلق الوفاء عند زيد رضي الله عنه ، والإسراع في تنفيذ حكم الله عن طواعية واختيار .

الوحدة الاسلامية

للأستاذ / محمد عبدالله السمان

الوحدة التي تجاهلناها :

لبثت الدعوة في مكة ثلاث عشرة سنة من أجل إرساء العقيدة ، لأنها بمثابة الأساس للبناء الذي كان مقدرا له أن يقوم في المدينة ، وهذا البناء يعني الدولة الاسلامية الناشئة ، ولكن بكل عناصرها ومقوماتها ، وقبل أن يعرف القانون الدولي الوضعي الحديث هذه العناصر والمقومات الأساسية عرفها الاسلام منذ نشأته . .

إن هذه العناصر تشمل : الأرض ، والشعب ، ثم نظام الحكم ، وقد توافرت هذه العناصر كلها في الدولة الاسلامية الناشئة في يثرب ، وزاد الاسلام إليها عنصرا رابعا ، هو عنصر العقيدة ، هذا العنصر لم يبرز إلا مؤخرا ، أضفوا عليه مصطلحا حديثا ، أطلقوا عليه لفظة « أيديولوجية » كما في الدول الاشتراكية ، وشتان بين هذه وتلك ،

فالعقيدة الاسلامية تمثل كيان المسلم بأسره ، تربطه بالخالق ـ عز وجل ـ وتربطه بالأمة االمسلمة أينما وجد ، وحيثما كان ، أما « الايديولوجية » في النظم الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فهي مجرد نزعة مؤسسة على الصراع الطبقي ، وقد فرضت فرضا بقوة السلطة .

ومن منطلق العقيدة ـ كعنصر أساسي من عناصر الدولة المسلمة ـ تتجلى فكرة الوحدة الاسلامية ، التي تشمل الأرض والشعب والنظام ، بالنسبة للأرض لا حدود وهمية أو حقيقية بين بلد مسلم وآخر ، فالأرض الاسلامية كلها دار الاسلام ، وبالنسبة للشعب ، لا فوارق في الجنس أو اللون ، لا مانع أن ينتمي المسلم إلى مسقط رأسه ، لكن انتماءه الأكبر الى الاسلام ، وبالنسبة للنظام ، لا تبعية للشرق أو الغرب ، وإنما التبعية للاسلام ، ولا يفهم من ذلك أن وحدة النظام تعني أنه نظام مغلق لا يسمح بالانفتاح على غيره من النظم الحديثة الوضعية التي لاتكن للاسلام عداء ، ولا يقبل التطور بحال من الأحوال ، بينما تعني وحدة النظام وحدة الجوهر ، بمعنى أنه نظام يستمد من الاسلام جوهره لا شكله ، والجوهر يعني المبادىء العامة التي أقرها الاسلام في مجال السياسة : الداخلية والخارجية ، خذ مثلا مبدأ « الشورى » إنه مبدأ عام مقرر في الاسلام ، فالمهم أن توجد الشورى ، وليس أسلوبها ، ومثلا آخر ، مبدأ « العدل الاجتماعي » فالمهم أن يتحقق العدل الاجتماعي ، وليس الشكل الذي يتحقق به ، لأن الجوهر ثابت خالد ، أما الاسلوب والشكل ، فيخضعان لتطور الحياة نفسها . .

● الحقيقة تتحول الى ذكرى :

لاشك أن الوحدة الاسلامية حقيقة لا تقبل الجدل بحال من الأحوال ، وقد ظلت كذلك عدة قرون ، وهي من صميم الاسلام ، بل من منطلق العقيدة التي هي أساس البناء الاسلامي ، وهذه الوحدة لا تقوم على وحدة المشاعر والأحاسيس ـ فحسب ـ بل هي وحدة عملية حركية تعاونية ، وكون هذه الحقيقة قد تحولت اليوم إلى مجرد ذكرى ، بأيدينا نحن ـ المسلمين ـ لا بيد عمرو أو زيد ، فهذا لا يمس الحقيقة من قريب أو بعيد ، والحقيقة أن أمة الاسلام أمة واحدة . .

إن المنتمين إلى الاسلام هم المسلمون أو المؤمنون ، وإطلاق هذا اللفظ أو ذاك ، لم يكن اعتباطا ، بل هو ذو مغزى ، ليدرك كل مسلم أن انتماءه الأكبر إنما هو لدينه ، وفي كتاب الله عز وجل ، عشرات الآيات توجه الخطاب إلى المؤمنين بـ « **يأيها الذين آمنوا** ..» وليس في كتاب الله آية واحدة توجه الخطاب بـ « يأيها المسلمون .... لماذا ؟

لأن إيمان المسلم يذكره دائما بأخوة الاسلام التي تربط بينه وبين إخوته في أي مكان ، والتي عبر عنها

القرآن بقوله : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات / ١٠ كما أوضح رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مدلول هذه الأخوة ، حين قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه مسلم وحين قال : « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » رواه مسلم

وإذا كان مما لا مراء فيه قيام دولة في الاسلام وللاسلام والمسلمين ، ابتداء من الهجرة النبوية ، فالذي لا مراء فيه كذلك أن وحدة الأمة االمسلمة : أرضا وشعبا ونظاما أصل من أصول الاسلام يستمد وجوده من عقيدة الاسلام ، ولقد عبر القرآن عن ذلك بهذه الآية الكريمة : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الانبياء / ٩٢ فقد ربطت الآية الكريمة بين وحدة الأمة والعقيدة ، برباط غير قابل للانفصام . .

ولكن مما يدعو إلى الأسى المرير ، أن هذه الوحدة قد تحولت فيما بعد لدى المسلمين إلى تاريخ وذكرى ، والذي يثير ماهو أشد من الأسى المرير ، أننا نحن ـ المسلمين ـ اليوم نجتر هذا التاريخ وكفى ، ونحتفل بالذكرى ـ ذكرى الهجرة التي مهدت لتأسيس دولة الاسلام وأعلنت وحدة الأمة المسلمة ـ دون أن يمر بأذهاننا ، أو يطوف بخواطرنا ، أننا نحن الذين قوضنا الدولة ، ومزقنا الوحدة ،ورضينا لأنفسنا أن تفقد الأمة ذاتيتها ، وتدين بالتبعية لغيرها .

○ الوحدة حقيقة وواقعا

إن الوحدة الاسلامية حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها فضلا عن تجاهلها أو إنكارها ، لكن هذه الوحدة كانت فيما مضى واقعا ثم أسدل عليه ستار التاريخ ، وهذا هو الفرق بين الحقيقة والواقع ، فالحقيقة خالدة ما بقيت السموات والأرض ، أما الواقع فغير خالد ولا ثابت ، لأنه قابل للتطور والتغيير ، ولأن الحقيقة من صنع الله ، أما الواقع فنحن نصنعه بأيدينا ، فالقرآن مثلا حقيقة ، بل حقيقة خالدة ، لكن تطبيقه يظل في إطار الواقع ، والاسلام ـ كما يقول الشهيد سيد قطب ـ **منهج إلهى للحياة البشرية** ، لكن تحقيق هذا المنهج إنما يتم في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم . »

لنبدأ الحديث عن الوحدة الاسلامية ـ كحقيقة ـ ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الاسلام ـ كمنهج إلهى عام للبشرية قاطبة ، وللأنسانية جمعاء ـ لم يقتصر على الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ـ فحسب ـ بل الدعوة إلى الأخوة الانسانية ، والأخوة الدينية ، ثم الأخوة الاسلامية في خاتمة المطاف ، هذا ما يقرره منهج الاسلام ، ويوضحه لنا عالم جليل فقدناه بالأمس ، ونفتقده اليوم ،هو الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله :

« إن الاسلام دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية . . فإذا كان شعار الاسلام الخالد إلى يوم القيامة هو وحدانية المعبود ، ووحدانية الخالق ، ووحدانية الذات الالهية :(**ليس كمثله شيء**)فكذلك أحكام الاسلام كلها تتجه نحو الوحدة الانسانية لا فرق بين جنس وجنس ، ولا لون ولون : « كلكم لآدم وآدم من تراب : (**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣ كذلك يقرر الاسلام الوحدة الدينية في أكمل مظاهرها ، فهو يقرر أن الرسالة الالهية واحدة . . . وإذا كان ابراهيم ـ عليه السلام ـ أبا للأنبياء في عهود الرسالة الالهية من بعد نوح ـ عليه السلام ـ فإن القرآن يذكر في أكثر من آية أنه يدعو إلى ملة ابراهيم : (**وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**) الحج / ٧٨ وإذا كان الاسلام دين الوحدة في الرسالة الالهية ، والوحدة في الانسانية ، فإنه من المؤكد دعا إلى الوحدة بين الذين آمنوا به ، ولم يرتابوا ، واتبعوا أوامر الاسلام في كل أمر جامع لوحدتهم ، واعتبرهم إخوة فيما بينهم . »

إن الاسلام بهذه الوحدة ، يهدف الى أن يكون للمسلمين أمة ذات شخصية مستقلة متميزة ، إذن فالوحدة هي المحور الذي يرتكز عليه بناء الأمة المسلمة ، وهذه الوحدة ليست مجرد واجب ، بل هي فرض عيني لأن أرباب العقيدة الواحدة ـ كما يقول الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ـ يجب أن يكون كتلة واحدة متماسكة ، ويدا واحدة عاملة تربط العقيدة بين قلوبهم والأخوة بين عواطفهم » .

ونعود فنكرر أن فرضية الوحدة لأنها من منطلق العقيدة ، وبدون رابطة العقيدة .. لا أمة .. وأية آصرة غير آصرة العقيدة ، كالجنس أو النسب أو الأرض . . لا علاقة لها بجوهر الانسان ، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الانسان ، ويقول لنا الشهيد **سيد قطب** : « إن آصرة التجمع هي العقيدة ، لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الانساني ، فأما إذا انبتت هذه الوشيجة ، فلا آصرة ولا تجمع ، ولا كيان . . إن الأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها ، وهي جنسيتها ، وإلا فلا أمة ، لأنه ليست هناك آصرة تجمعها .. والأرض ، والجنس ، واللغة ، والنسب ، والمصالح المادية القريبة ، لا تكفي واحدة منها ، ولا تكفي كلها لتكوين أمة ، إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة »

هذه هي حقيقة الوحدة الاسلامية ، التي كتب لها الخلود لأنها من صنع الله ـ عز وجل ـ أما الوحدة الاسلامية واقعا ، فقد رافقت الدولة المسلمة منذ تأسيسها في يثرب ، وظل هذا الواقع قائما حيا ، في

عصر النبـوة وعصـور الخلفـاء الراشدين ، وشطرا كبيرا من عصر الأمويين ، ثم تعرض هذا الـواقع لـلاهتزاز حتى وصـل الى مرحلـة الانهيار كنتيجة لعاملين رئيسيين : ضعف العقيدة لدى الرعية والرعاة ، وضعف العقيدة لدى الرعية أدى الى السلبية المطلقة ، وضعف العقيدة لدى الرعاة أدى الى الأهواء المطلقة كذلك ؛ أما العامل الآخر ، فهو تقصير علماء الدين ، حيث انهم تجاوبوا مع سلبية الرعية ، واسترخـوا لأهواء الرعاة ، صحيح أن التاريخ قد سجل لبعض العلماء مواقف مجيدة ، ولكنها كانت مواقف فردية تلاشت في خضم السلبية لدى الرعية والأهواء لدى الرعاة .. !

○ الوحدة بـين المخاوف والعقبات :

يقـول القس سيمون نقـلا عن كتاب : « كيف هدمت الخلافة » : « ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية . وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية .. والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة .. من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية » .

ويقول المبشر لورنس براون :
يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير »
ويقـول المؤرخ البريطـاني أرنولـد توينبي :
« أن الوحدة الاسلامية نائمة .. لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ . »

هؤلاء هم أعداء الاسلام ، ولا غرابة في أن يبدوا مخاوفهم ، ويملأ الرعب صدورهم من يقظة الوحدة الاسلامية ، ويعملوا جهد استطاعتهم بالتخطيط والتآمر للحيلولة دون أن تقوم لهذه الوحدة قائمة ، ويتمثل هـؤلاء الأعـداء في الصليبيـة ، والشيـوعيـة ، والـهنـدوكيـة ، والصهيونية على وجه أخص ، ومهما اختلفت هذه الأنماط سياسة أو فكرا أو حتى عقيدة ، فانها متفقة تماما على مواجهة الاسلام ، متعاونة تعاونـا كاملا خطة وتنفيذا على ضرب الاسلام في معاقله حتى يظـل عاجـزا عن الحركة ..

هذا أحد المبشرين يقول :
« ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية » .

وهـذا محـرر احـدى الصحف الشيوعية يقول :
« من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام »

وهذا الصهيوني الوقح بن غوريون رئيس وزراء اسـرائيـل الأسبق ، يقول :
« ان أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد » .

وهذا المبشر لورنس براون يصرح بقوله :

« كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل تلك المخاوف .. كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني ، والخطر البلشفي .. لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا ، والبلاشفة الشيوعيين حلفاؤنا .. أما اليابانيون فان هناك دولا جغرافية كبيرة تتكفل بمقاومتهم .. لقد وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام .. » .

قلت : لا غرابة في موقف أعداء الاسلام بكل فئاتهم من بعث الوحدة الاسلامية ، ولكي نكون صرحاء مع أنفسنا ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا ، أن المسلمين أنفسهم هم الذين قضوا على هذه الوحدة بأيديهم ، وقبل أن يتسلل الاستعمار الى ديارهم ، صحيح أن دور الاستعمار كان ـ وما يزال ـ قاصرا على الحفاظ على الشلل الذي أصاب الوحدة وأعجزها عن الحركة ، ولكن ما كان في استطاعة الاستعمار أن يفعل شيئا ، لو لم يكن كل شيء ممهدا له ..

ولكن أليست لدى الأنظمة في ديار المسلمين مخاوف من قيام الوحدة الاسلامية ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال بالنفي لا تصدر الا عن جاهل أو متجاهل ، بيد أن هناك فرقا بين تلك المخاوف لدى الأعداء ، وبين هذه المخاوف لدى أنظمتنا ، فمخاوف أولئك مبعثها الحقد على الاسلام ، أما مخاوف هؤلاء فمبعثها الأهواء ، وحب السلطان والجاه ، ولا مانع من أن تتظاهر بعض الأنظمة برفع شعار الوحدة الاسلامية ، حتى ما كان منها معلنا حرب الابادة على الحركة الاسلامية وأتباعها في داخل سلطانه ، لكن رفع الشعارات شيء ، والنوايا شيء آخر ..

يقول الشيخ محمد أبوزهرة :

« ان الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين ، ولا شكل الحكم في الأقاليم الاسلامية ، فلكل اقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي الى اقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المعاني الاسلامية السامية ، وانما معنى الجامعة الاسلامية أن نعتبر أنفسنا ـ مهما تناءت الديار مرتبطة بروابط وثيقة ، تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، وهي أحكام الاسلام وشعائره ، وعبادته وعقائده » ان ما يقوله الشيخ ـ رحمه الله ـ هو مفهوم الوحدة لدى سائر الداعين الخلص اليها ، ولكن المهم أن تقتنع الأنظمة ، التي جعلت من أهوائها سدا منيعا يحول دون الاقتناع بمنطق صريح أو حق جلي ..

ولا جدال في أن مجرد التفكير في احياء الوحدة الاسلامية يواجه عقبات كأداوات ، ومثل هذه العقبات تخطط لها القوى المعادية للاسلام ، بدافع من الخوف الذي زرعه الحقد في صدورها ، وتشرف على هذه المخططات في مجال التنفيذ الأنظمة في ديار المسلمين ، بدافع من الخوف الذي يسيطر على قلوبها ومشاعرها .. والذي جعلها تتوهم ضياع جاهها اذا قامت الوحدة الاسلامية .

مخططات المؤامرة عليها

○ في وجه الطوفان :

ان اخشى ما يخشاه اعداء الاسلام من الشرق والغرب ، هو ان تقوم قائمة للوحدة الاسلامية ، واذا كان الفزع يملأ نفوسهم حتى من مجرد التفكير الجاد في قيامها وبعثها من جديد فإن اليقظة تملأ ادمغتهم وعقولهم ، حتى لا يؤخذوا على غرة ، وهم لا يقفون عند حدود اليقظة والحذر ، بل انهم يخططون وينسقون ويرسمون ، ويرصدون كل نشاط اسلامي يمكن ان يثير فكرة الوحدة الاسلامية في اذهان المسلمين ..

هؤلاء الاعداء يجترون احقادهم احيانا ، تنز بها اقلامهم ، او تتفوه بها السنتهم ، لقد صرح مورو بيرجر في مؤلف له بقوله : ان خوفنا من العرب واهتمامنا بالامة العربية ليس بسبب وجود البترول عندهم بغزارة وانما بسبب الاسلام .. يجب محاربة الاسلام والتصدي له ، للحيلولة دون وحدة العرب ، التي تؤدي الى قوة العرب .. لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام ، وعزته وانتشاره » .

ولك ان تتصور - على سبيل المثال - ان ابشع ديكتاتور في العصر الحديث كان اعجز من ان يكتم حقده على الاسلام انه سالازار ، ديكتاتور البرتغال الذي هلك منذ سنوات صرح بقوله : « ان الخطر الحقيقي على حضارتنا ، هو الذي يمكن ان يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم ..

وعندما سأله احد الصحفيين في المؤتمر « لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ، ونزاعاتهم » فأجاب : اخشى ان يخرج منهم من يوجه خلافاتهم الينا » .

ولا غرابة في ان يكون الطوفان واردا الينا من خارج ديارنا ، لان وراء هذا الطوفان اعداء الاسلام والمسلمين ، ومهما اخلصنا النوايا لهم ، ورفعنا الراية البيضاء ايذانا منا باننا نريد التعايش السلمي معهم ، فانهم ماضون في سياستهم العدوانية علينا ، السياسة التي يصوغها الحقد الدفين ، وبالرغم من ان الحروب الصليبية العسكرية قد انتهت منذ قرون ، وبالرغم من انهم كانوا هم البادئين بالعدوان علينا ، الا ان الحروب الصليبية السياسية والفكرية ما تزال مستمرة ، ان « أيوجين رستو » رئيس قسم التخطيط في وزارة خارجية الولايات المتحدة والذي ظل مستشارا لشؤون الشرق الاوسط للرئيس الاسبق جونسون حتى سنة ١٩٦٧م ، هذا الرجل قال :

« يجب ان ندرك ان الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول او شعوب .. بل هي خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى .. وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة .. ومنذ قرن ونصف .. خضع الاسلام لسيطرة الغرب .. وخضع التراث الاسلامي للتراث المسيحي .

ولا مجال هنا للرد على ترهات هذا الاميركي الآفن .. لان الاسلام ليس هو الذي خضع لسيطرة الغرب ، بل بعض الانظمة العميلة ، كما ان التراث الاسلامي ليس هو الذي خضع للتراث المسيحي - ان كان للمسحية تراث ذو اهمية - بل ان التراث الاسلامي تعرض - وما يزال يتعرض - لحملات التشويه ، من قبل المبشرين والمستشرقين ، ودوائر المعارف الغربية والشرقية .. وحسبنا بعد ذلك اعتراف هذا الاميركي بان الصراع مستمر حتى هذه اللحظة .. ولكن بصور مختلفة ، وفي هذا رد على اولئك الذين يرون ان نحسن الظن .. ونرحب بفكرة اللقاء الاسلامي المسيحي ، أو التقارب الاسلامي المسيحي ..

○ **خطوات التنفيذ :**

من المؤكد ان اعداء الاسلام يحسبون الف حساب لفكرة الوحدة الاسلامية ، بل حتى للوحدة العربية باعتبارها منطلقا الى الوحدة الاسلامية الشاملة ، كان الافغاني اول داعية في العصر الحديث الى ضرورة بعث الوحدة الاسلامية ، فهل تركه الاستعمار وشأنه ؟ لم يدعه يستقر في بلد ، حاك له المؤامرات ، ودس بينه وبين بعض الحكام المسلمين ، وبتخطيط من الاستعمار دس له السم في دار الخلافة الاسلامية ، فأراح واستراح ..

لقد بدأ الاستعمار الصليبي يغزو ديار المسلمين منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، وقد سبقته الارساليات التبشيرية تمهد له ، حتى اذا تمكن زادت كثيرا من نشاطها وتحدياتها في ظل حمايته ، ومما يحز في النفس ، ان كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا حين تعرض للاستعمار تشير الى دوافعه او اهدافه وتتجاهل - عن عمد - الدوافع او الاهداف الجوهرية ، وفي مقدمتها السيطرة على بلاد المسلمين وارهاق شعوبها ، وتحطيم الروح المعنوية الاسلامية فيها ، بل وتحطيم كل امل في ان تقوم قائمة لوحدة المسلمين .. تتجاهل كتب التاريخ التي ندرسها في مدارسنا ، ان الاستعمار الغربي الصليبي ليس الا امتدادا للحروب الصليبية وانه كان يتحرك حاملا معه عقيدته الصليبية ..

يقول « باترسون سميث » لقد باءت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثا خطيرا وقع بعد ذلك .. حينما بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، فانتصرت هذه المرة .. ان حملة .. اللنبي على القدس خلال الحرب العالمية الاولى .. كانت هي الحرب الصليبية الثامنة والاخيرة .

ومسيو « بيدو » وزير خارجية فرنسا ، يصف احتلال المغرب العربي ، بانها معركة بين الهلال والصليب وعلى اثر سقوط القدس في ايدي الصهاينة في معركة عام ١٩٦٧ ، صرح « راندولف تشرشل » بقوله :

« لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين

واليهود على السواء .. بل ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .. ان القدس خرجت من ايدي المسلمين الى الابد .. ولن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود » .

واذا كان الاستعمار الصليبي اولى الخطوات التنفيذية للحيلولة دون ان تقوم للاسلام والمسلمين قائمة ، فان الخطوة الثانية كانت القضاء على الخلافة الاسلامية ، ومهما قيل عن سلوك اواخر السلاطين ـ ومعظمه اختلاق وافتراء اسهمت فيه وسائل الاعلام التي يملكها الاستعمار فان الخلافة الاسلامية كانت رمزا ـ على الاقل ـ يعيش في وجدان كل مسلم ، والذي يثير كوامن الاسى ، اننا نحن ـ المسلمين ـ أسهمنا في مأساة الخلافة الاسلامية قولا وعملا ، لقد اعتبرنا العهد العثماني عهد استعمار يجب التخلص منه ، وفي كتب التاريخ التي وضعت مناهجها تحت اشراف الاستعمار لتدرس في مدارسنا ، شوه تاريخ الخلافة ، حتى تنفر من مجرد اسمها الاجيال الجديدة ، بل وما هو ابعد من ذلك ، استغلال المسرح والسينما والاذاعة والشاشة الصغيرة في تشويه صورة الخلافة الاسلامية ، والتنديد بها والتهكم عليها ، والاشادة بكمال اتاتورك ، الذي كان صنيعة الماسونية العالمية ، ومن ورائها الصهيونية والصليبية معا .

في الحرب العالمية الأولى احتلت قوات انجلترا وفرنسا ، وايطاليا واليونان ، أراضي الدولة العثمانية باعتبار أن تركيا كانت حليفا لألمانيا ، وفي مؤتمر «لوزان» للصلح اشترطت انجلترا ـ مقابل الانسحاب ـ أن تلتزم تركيا بتنفيذ عدة شروط منها :

أولا ـ الغاء الخلافة الاسلامية ، وطرد الخليفة ومصادرة أمواله ..

ثانيا ـ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام ..

ثالثا ـ أن تتعهد تركيا باخماد أية حركة يقوم بها أنصار الخلافة ..

رابعا ـ أن تختار تركيا لها دستورا مدنيا بعد الغاء دستورها الاسلامي ..

والعجيب أن أتاتورك بعد أن قام بتنفيذ كل الشروط بحذافيرها ، اعترضت المعارضة في مجلس العموم البريطاني على اعتراف انجلترا باستقلال تركيا ، ووجهة نظر المعارضة ، أن تركيا المستقلة قد تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى ، وقال «كرزون» وزير خارجية انجلترا يومئذ ، قال في رده على المعارضة : « لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين : الاسلام والخلافة » .

○ ثم إعداد البدائل :

لم يغب عن أذهان الذين خططوا للحيلولة دون بعث الوحدة الاسلامية ، وقد تم لهم تمزيق الأمة الى دول ودويلات عن طريق الاستعمار الصليبي ، والذي حل محله نفوذ القوتين العظميين ، لم يغب عن

أذهانهم أن يعدوا البدائل عن الوحدة الاسلامية . فعملوا على انشاء أحزاب تستقطب عددا من الناس وتمزق الأمة حتى لا تقوم لها قائمة تحت مسميات مختلفة ، محاولين بذلك فصل العروبة عن الاسلام وايجاد كيانات صغيرة تستولي على مقاليد الأمور لصالح الاستعمار ، يقول الشيخ محمد الغزالي :

« ان المحاولات ناشطة للاجهاز على الاسلام ، تارة بتسويغ الارتداد عنه عقيدة وشريعة ، وتارة باحلال العروبة مكانه بعد تجريدها من أربطة الايمان ، ووشائج التاريخ ، ليكون مفهوما فارغا ميتا ، ثم افتعال يقظة عربية يلتف حولها المخدوعون .. لقد أبرزوا « القومية العربية » على أنها وليد أجنبي احتضنته بيئات نافرة من الاسلام أو مبغضة له ، وان هذا الوليد يستمد نماءه من الثقافات الدخيلة ، وتتسع دائرته على أنقاض مواريثنا الروحية والخلقية .. » .

وحاول الاستعمار بث فكرة فصل الدين عن الدولة في الأمة الاسلامية ، وتعتبر انجلترا وفرنسا رائدتين في هذا المجال ، وقد استطاعتا أن يكونا لهما تلاميذ وعملاء في ديار المسلمين ، بل ومن المنتمين الى الاسلام بمجرد أسمائهم وشهادات مواليدهم ، والمؤسف أن الكتب الدراسية المقررة على الطلبة في بعض الدول العربية ، اعتمدت الجنس واللغة والتاريخ المشترك ، والمصالح المشتركة هي وحدها مقومات القومية العربية .

وكثير من الدول العربية والاسلامية ، يرحب بالانضمام مثلا الى : كتلة عدم الانحياز ، أو الى الكتلة الافريقية ، ومنها ما هو عضو في الكومنولث البريطاني .. لكن حين تعرض فكرة الوحدة الاسلامية ، فلا تجد أي ترحيب من هذه الكثرة من الدول ، بل البعض منها يضيق الخناق على الداعين الى هذه الفكرة ، وهذا راجع الى أن هذه الدول لا تملك اراداتها ، فهي تتحرك وفق هوى الذين تدين لهم بالتبعية والولاء .. !

ولا يأس مع ذلك فالوحدة الاسلامية هي الأصل والأساس ، والله غالب على أمره ...

مائدة القارئ

كن مع هؤلاء

قال تعالى : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .الآية ٣٥ من سورة الأحزاب .

حسن الخلق

قال السيوطي : علامة حسن الخلق عشرة أشياء : قلة الخلاف ، وحسن الانصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين مايبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير ، ولطافة الوجه للكبير والصغير ، ولطف الكلام لمن هو دونه أو فوقه .

مهداة إلى حاكم

على الحاكم أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن ، والأناة فيما يحدث ،فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالاحسان المسارعة بالطاعة من الرعية والجند ، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب .

امتلاء المعدة

قال لقمان : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء ، عن العبادة .

إصلاح ذات البين

قال رسولنا الحبيب : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟
قالوا :بلى ، يارسول الله ! قال:إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذوات البين هي الحالقة،لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».رواه أبو داود .

قل عند الافطار

في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر يقول : ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله .
وكان يقول : الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت .
وكان يقول : اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم .
وكان يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي .

دعاء أعرابي

وقف الأعرابي يناجي ربه - سبحانه - فقال :

اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك أو أضطهد ، والأمر لك .

الجدي . . . والذئب

وقف جدي على سطح ، فمر به ذئب ، فأقبل الجدي على الذئب يشتمه ، فقال له الذئب : لست أنت الذي تشتمني ، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه .
ضربنا ذلك مثلا لمن يستغل منصبه فيلحق الأذى بغيره .

قصص القرآن وقصص القصاص

للدكتور/احمد علي المجدوب

كانت القصة ولا تزال بضاعة القصاص ، مع اختلاف بسيط ، فقد كانوا في الماضي يبيعونها شفاهة ، فأصبحوا يبيعونها كتابة وطباعة . وهم في الحالين قصاص .

والقصة لغة من قص الأثر أي تتبعه . وفي لسان العرب ، القصة : الخبر وهو القصص وقص على خبره يقصه قصا وقصصا : أورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب . والقصة الأمر والحديث .

ويعرف أبو هلال العسكري القصص ، عند بيانه للفروق بينها وبين الحديث ، فيقول : « إن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا عن سلف ، ومنه قوله تعالى : (**نحن نقص عليك أحسن القصص**) يوسف/٣ ، وقوله : (**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**) طه/٩٩ ، ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة ، وأصل القصص في العربية أتباع الشيء الشيء ، ومنه قوله تعالى : (**وقالت لأخته قصيه**) القصص/١١ ، وسمى الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول ، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص » .

ويتبين لنا من تعريف أبي هلال العسكري انه يقصر القصص على ما كان متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية وهو ما صرح به في أول الكلام ثم كرره عند تعريفه للحديث والفرق بينه وبين القصص فهو يقول : « والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ، ويكون طويلا وقصيرا ، وهذا يعني عند أبي هلال أن القصة لا تكون قصيرة لقوله أن القصص ما كان طويلا ، ثم قوله أن الحديث يكون طويلا وقصيرا .

ويمضي في تعريفه للقصص

فيقول : « ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا .. والقصص قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضا مثل قص الثوب بالمقص وقص الجناح وما أشبه ذلك ، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره وسميت القصة لأنها يتبع بعضها بعضا حتى تحتوي على جميع أمره ويلاحظ على تعريف أبي هلال العسكري أنه يجمع إلى المعنى اللغوي لكلمة قصة ، ما يمكن أن نعتبره تجاوزا معنى اصطلاحيا ، ونقول تجاوزا لان ابا هلال لم يقصد منذ البداية وضع مثل هذا التعريف وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بين الحديث والقصة فوجد نفسه منساقا وراء فروق تعد من عناصر المعنى الاصطلاحي وإن كانت في الواقع لصيقة بالمعنى اللغوي لكلمة قصة أو قصص .

والعناصر أو الفروق التي ذكرها ، منها ما يتعلق بشكل القصة من حيث الطول والقصر ومنها ما يتعلق بالموضوع الذي تدور حوله القصة . ومن حيث الطول فانه يشترط لاعتبار العمل جديرا بوصف القصة أن يكون طويلا وهو يتخذ من الحديث معيارا لقياس طول القصة ، فهي على الأقل يجب أن تكون أطول منه ، وهي أما أن تكون حديثا طويلا أو أن تكون خبرا طويلا أو عددا من الأخبار التي ترتبط فيما بينها ويتبع بعضها بعضا وهي في هذا تختلف عن الحديث الذي يتضمن عادة موضوعا واحدا كنصيحة أو توجيه أو أمر أو نهي أو خبر ولكنه قصير . وفيما يتعلق بموضوع القصة ، فان ابا هلال يرى أن يكون متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية على خلاف الحديث الذي يكون عمن سلف وعمن حضر . ولكن لا يجب أن نفهم من هذا أنه يقصد أن تكون الأحداث أو الأخبار تاريخية أو لها صلة بالتاريخ ، فيكفي أن تكون متعلقة بالماضي حتى ولو كانت تدور حول أشخاص عاديين ويدل على هذا قوله : « وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره » فالقصة قد تتناول موضوعا اجتماعيا أو عاطفيا أو سياسيا أو دينيا وغير ذلك وهو ما نجده في قصص العرب سواء في الجاهلية أم في الاسلام .

وربما ينشأ الظن لدى من يقرأ تعريف ابي الهلال العسكري للقصة أنه لم يفطن إلى ما يجب توافره من شروط أخرى تتعلق بالشكل الفني للقصة ، سواء من حيث تركيب الأحداث أو ارتباط الأخبار بحيث يتكون منها سياق عام يتضمن كما هو معروف مقدمة ونهاية وتقع بينهما عقدة أو بؤرة تتجمع فيها الأحداث التي اشتملت عليها المقدمة ، ولكنا لا نظن أنه لم يفطن إلى هذا الأمر الذي نلمس إلى أي حد أصبح جزءا من خبرة أصغر صبي يقرأ القصص أو يشاهد الروايات السينمائية والتلفزيونية ويميز فيها بين المشوق الذي يتضمن موضوعا معقدا ومشكلة غامضة ونهاية مثيرة ومعقولة وبين القصص الساذج الذي يشعر أن كاتبه يستخف بعقله أو لا يقدر

ذكاءه . ولا شك أن ابا هلال وغيره من العلماءالمسلمين قد سمعوا وقرأوا كثيرا من القصص الذي كان شائعا بدرجة كبيرة في أزمانهم ولكنه ، كما سبق أن قلنا ، لم يكن يضع تعريفا اصطلاحيا للقصة وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بينها وبين الحديث .

ولعله يجدر بنا أن نسوق للقارىء تعريفا حديثا لعالم مسلم محدث هو الشيخ محمد متولي الشعراوي فهو يقول : « كلمة قصة في ذاتها مأخوذة من قص الأثر . ومعنى قص الأثر أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه ، بحيث لا يتجاوز الأثر أبدا ، ليصل إلى مراده من نهاية الأثر . » ويريد فضيلته أن يزيد الأمر وضوحا فيضيف إلى ما تقدم قوله « فقصاصو الأثر حينما نأتي بهم ليكشفوا لنا جريمة وقعت ، ويرون آثار أقدام ، يسيرون مع الأقدام ليعرفوا أين ذهب صاحب هذه الأقدام ؟ أو يفحصون بصمة صاحب القدم حتى يستطيعوا أن يعرفوه فمعنى قص الأثر : أن نتبع الأثر بدون تصرف . اذن كلمة « قصة » يجب ألا تقال أبدا في أمر خيالي ، ولا في أمر متوهم ، ولا في أمر لا واقع له ، ويجب أن تطلق على واقع لا يتعداه القاص بخيال أو بغيره أبدا » .

ومعنى هذا أن القصة ، في رأي الشيخ الشعراوي يجب أن تدور حول حادث واقعي أو خبر حقيقي أو كليهما . كذلك فانها أي القصة ، يجب أن تتناول تاريخا فهو يقول : « القصة لون من ألوان التاريخ . فما التاريخ أولا ؟

التاريخ ربط الأحداث بالأزمنة وإن كان تاريخا لشخص يقول قائل : قد يكون التاريخ لحياة شخص من الاشخاص . نقول له : الشخص نفسه حدث من أحداث الحياة أيضا . إذن فما دام التاريخ هو ربط الأحداث بأزمانها فهو كذلك سواء كان فعلا أم فاعل فعل ، إذن فقد يكون التاريخ مرة لحدث ، ثم تدور الأشخاص حول الحدث » .

ولكن فضيلته لا يلبث أن يحدد بشكل أكثر وضوحا ما يعنيه بأن التاريخ قد يكون تاريخا لشخص ، مما يجعل القارىء يتبادر إلى ذهنه دخول القصص العادي أي غير التاريخي بالمفهوم الضيق في المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي . فهو يقول : « إذن الفكرة في الحدث ذاته ثم نأتي بالأشخاص الذين يدورون حول الحدث » ويضرب مثلا بالثورة الفرنسية فيقول : إذا أرخت للثورة الفرنسية فانك تتعرض للأشخاص الذين كانوا حول هذا الحدث .. إذن فالحدث يتطلب أشخاصا .. وقد يكون التاريخ مقصودا به الشخص ، وتدور الأحداث حوله ، مرة نريد الحدث ، وتأتي الأشخاص الذين يدورون في فلك الحدث ، ومرة نريد الشخص وتأتي الأحداث التي تدور حول الشخص » فهو حين قال إن القصة يمكن أن تتناول أشخاصا إنما قصد الأشخاص التاريخيين الذين تدور الأحداث حولهم أو الذين يدورون حول الأحداث .

كذلك فانه يجعل القصص وقفا على ما كان من الأحداث على درجة من الاثارة ، لم يحددها ، وإن اشترط أن تكون مثيرة ، واستبعد الأحداث غير المثيرة ولذلك فانه يقول : « والقصة لابد أن تكون حدثا مثيرا من التاريخ ، ودائما تكون فيها عقدة ويوجد فيها الحل للعقدة .

إذن القصة لون خاص من التاريخ ، لا تتعرض لمطلق التاريخ ، بل تتعرض لحدث مثير» ومن الواضح أن فضيلته يقصد إلى قصر كلمة « قصة وقصص » على ما كانت موضوعاته تاريخية حقيقية ، تفوق غيرها في الاثارة أو الأهمية بمعنى أصح وهذه الشروط مجتمعة لا تتوفر إلا في قصص القرآن الكريم الذي يقول فيه الله سبحانه : (**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**) الكهف/١٣ ، ويقول : (**إن هذا لهو القصص الحق**) آل عمران/٦٢ ، ويدعو فضيلته من يسمون القصص الذي يكتبه البشر « قصصا » ان : « يفطنوا جيدا إلى أن ما يضعون من القصص يجب أن يوضع له اسم غير هذا الاسم . »

وعلى الرغم من أننا لا نختلف مع الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن قصص القرآن هو القصص الحق وما عداه ليس كذلك إذ تتفاوت فيه نسبة الحق إلى الباطل بل وقلما يرجح فيه الحق على الباطل . الا اننا نختلف معه فيما عدا هذا . فمن ناحية ، فان القصة والقصص ليست بالتسمية الحديثة التي سميت بها الأعمال الأدبية التي تتناول أحداثا أو أخبارا وما يسمى بالعقدة وما إلى ذلك ، وإنما هي تسمية قديمة ، فقد وجد في الجاهلية قصص كثير ، تنوعت موضوعاته فمنه ما كان يدور حول الحروب والغزوات ومنه ما كان يدور حول العشق والحب ومنه ما كان يدور حول الجان والسحر . والأمر الذي اختلف فيه العرب في الجاهلية ثم في القرون الأولى من الاسلام عما هو شائع اليوم ، هو التأليف أي وضع القصص ، فهم لم يكونوا يؤلفون قصصا ، ولكنهم كانوا يحفظون أحداثا ويتناقلون أخبارا تتميز على غيرها من حيث ما فيها من إثارة وغرابة . كذلك فانهم لم يدونوا تلك الأحداث والأخبار بعد أن صارت قصصا ولكنهم حفظوها في ذاكرتهم ورددوها فيما بينهم فانتقلت من جيل إلى جيل مع ما اقترن به هذا الانتقال من إضافات وزيادات وتعديلات كانت تضفي على القصص قدرا أكبر من التعقيد والتشويق والاثارة ومن ثم المبالغة في الوصف والتصوير .

ولم تقتصر رواية القصص على ما كان منها ذو صلة بالأحداث المحلية ، ولكنه شمل ضروبا من القصص مما كان شائعا في المجتمعات المجاورة للجزيرة العربية مثل فارس والشام ومصر والهند وغيرها ، والتي كان التجار العرب يترددون عليها للاتجار مع سكانها فكانوا يعودون منها محملين لا بالمال والسلع فحسب ، بل وبما تلتقطه آذانهم وتعيه ذاكرتهم من القصص التي كانوا يسمعونها اثناء

إقامتهم في هذه البلاد . ولذلك نجد أن التراث الأدبي للعرب قبل الاسلام يتضمن الكثير من القصص الأجنبي المنقول من مصر والشام وفارس والهند . وبعضه بقي كما هو أي في صورته وشكله الأجنبيين والبعض الآخر وإن احتفظ بمضمونه ، إلا أنه تعرض لما يمكن أن نسميه عملية تعريب بحيث استبدلت فيه أسماء الأشخاص والأماكن باسماء أخرى عربية ، وربما أدخلوا بعض التعديلات عليه بحيث يبدو كما لو كان قد حدث في البيئة العربية .

ولما جاء الاسلام لم يتغير من الأمر شيء ، اللهم إلا من حيث الموضوعات التي يدور حولها القصص . ذلك أن الاسلام جاء بضمن ما جاء به إلى العرب ، بفيض من القصص التي وجدوها ملائمة أشد الملاءمة لمزاجهم وميولهم ، ففضلا عن قصص القرآن وهو كثير يشمل الأحداث التي وقعت للأنبياء والصالحين ، أتت الفتوحات بفيض آخر من القصص الذي يدور حول بطولات المسلمين وإيمانهم وحسن خلقهم ومروءتهم ، بالاضافة إلى السيرة النبوية التي تعد نوعا قائما بذاته حيث أنها وإن كانت تشبه القصص إلا أنها ليست منه .

ولعب القصاص دورا كبيرا وهاما في نشر هذا القصص ، حيث كانوا يترددون على المساجد والجماعات والمنتديات يروون قصصهم مقابل الحصول على هبات المستمعين . وهكذا يتبين لنا أن القصص أو القصة وجدت منذ زمن بعيد ، وكانت تسمى بهذا الاسم وظلت تسمى به دون أن يلقي هذا اعتراضا من أحد العلماء أو الفقهاء حتى في الأوقات التي فقد فيها القصاص ثقة هؤلاء وأولئك وهاجموهم بعد أن خلطوا القصص الذي ورد في القرآن موجزا بالاسرائيليات والخرافات والأساطير فلم يقل لهم أحد : غيروا اسم هذا اللون الذي تقصونه لأنه كذب وباطل ولا يجوز أن يحمل نفس الاسم الذي يحمله قصص القرآن .

وإذا كان فضيلة الشيخ الشعراوي يرى أن القصة معناها اقتفاء الأثر أي تتبع الحدث الحقيقي ، وهو مالا ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس ، سواء في زماننا هذا أو فيما مضى من أزمنة . فان هذا الاختلاف بين النوعين يعني أن النوع الثاني ليس بقصص ، حتى ولو كان يقوم على الخيال أو الكذب كالاسرائيليات ودليلنا على هذا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه التفرقة حيث قال : (**إن هذا لهو القصص الحق**) وقوله : (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**) وبمفهوم المخالفة يكون القصص الذي يكتبه الناس هو القصص غير الحق والقصص السيء ، ونظن أنه إذا منعنا تسمية القصص الذي يكتبه الناس بهذا الاسم ، فان النتيجة ستكون استحالة المقارنة أو المقابلة بين : القصص الحق والقصص غير الحق أو الكاذب ، وبين القصص الحسن والقصص السيء لأن اسم القصص سيكون قاصرا على

ما ورد في القرآن الكريم . ولو اننا أخذنا بمنطق الاستاذ الشعراوي لكان معنى هذا أن نغير اسم كل شيء أو كائن أو مخلوق سيء فالرجل الشرير مثلا ننفي عنه صفة الرجولة وكذلك المرأة السيئة والماء غير العذب لا يسمى ماء والكلب العقور لا يسمى كلبا وهكذا . وهذا في غاية الغرابة ونستدل في هذا المقام بقوله تعالى : (**يانساء النبي لستن كأحد من النساء**) الأحزاب/٣٢ ، فقد دعاهن نساء على الرغم من تمييزه لهن عن غيرهن من النساء وكذلك القصص الذي يكتبه الناس ، هو قصص ولكنه خيالي أو غير حقيقي أو قائم على التضليل والأباطيل كالاسرائيليات وغيرها . فالقصص اسم نوع من أنواع الأعمال الأدبية يدخل تحته مفردات منها السيء ومنها الحسن كثمار الفاكهة منها ما هو ناضج صالح ومنها ما هو غير صالح للأكل ولكنه يظل يحمل اسم النوع الذي هو منه .

كذلك فاننا لا نتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما ذهب إليه من أن القصة لا تكون إلا تاريخا سواء أكانت تاريخ حدث ام تاريخ شخص أم أشخاص . ولعله كان متأثرا في إبدائه لهذا الرأي بما يعتقده من أن قصص القرآن ليست إلا تاريخا ، إما لحدث هام ومثير أو لأشخاص عاشوا حدثا أو أحداثا مثيرة . وهذا غير صحيح ، فالقصص القرآني فيه ما هو تاريخي بالمعنى العلمي وهو المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي ، وفيه ما ليس بتاريخي ، ومن النوع الأول قصص الأنبياء عموما وقصة موسى عليه السلام على وجه الخصوص . أما ما عدا هذا فليس تاريخا وإنما هو من قبيل الأحداث التي تقع لأشخاص عاديين ، وهي على الرغم من غرابتها أو خروجها على المألوف لا ترقى إلى درجة الحدث التاريخي مثال ذلك قصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر أو الرجل الصالح وقصة أيوب ، فضلا عن قصة يوسف وامرأة العزيز وغيرها من القصص الذي وإن كان يصدق عليه وصف الحدث التاريخي ويأخذ وضعه كحلقات في سلسلة الأحداث التاريخية ، إلا أنه لا يعتبر كذلك إلا من حيث شغله لحيز من الزمن باعتباره ، أي الزمن ، مرادفا للتاريخ ولكنه لا يعد قصة تاريخية بحسب مقاييس أو مواصفات هذا النوع من الأعمال الأدبية . ولذلك فان قصص القرآن لا يعد كله تاريخيا ، فنحن نجد فيه القصص الاجتماعي والقصص العاطفي الذي يعرض لمشاعر الناس وعواطفهم وميولهم ونزعاتهم في المواقف المختلفة . من ذلك مشاعر امرأة العزيز نحو يوسف وزوجة فرعون نحو زوجها وأيوب إزاء ما نزل به وغير هذا وذاك مما يحفل به قصص القرآن الكريم .

ولعل من يقرأ كتاب **التصوير الفني في القرآن** للاستاذ سيد قطب يدرك هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فلو أن ما ورد في القرآن من قصص ينتمي إلى نوع القصة

التاريخية لوجدناها كلها في صورة فنية نمطية ولكن العكس هو الصحيح وهو ما يمكن أن يلاحظه من يقرأ قصص القرآن .

وأخيرا فان الشيخ الشعراوي يرى أن يكون مناط كل قصة : تثبيت فؤاد قارئها لمعنى من المعاني يجب أن يعيشه ، ويجب أن يتفانى فيه ، ويجب ألا يحيد عنه وهو ما انتهى إليه من تفسيره لقوله تعالى : (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**) هود / ١٢٠ ، ولعله قد فاته تخصيص هذا « المناط » بالمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم . وإلا ما لجأ إلى التعميم فقال « ان يكون مناط كل قصة » علما بأن القصص وردت في القرآن لأسباب أخرى غير تثبيت فؤاد الرسول من ذلك قوله تعالى : (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الأعراف / ١٧٦ ، وقوله : (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب**) يوسف / ١١١ ، وقوله : (**ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي**) الأنعام / ١٣٠ وللقصص أغراض أخرى فضلا عن غرض تثبيت الفؤاد من بينها الانذار والعظة والعبرة والتذكير وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى وغير ذلك من الأغراض وهو ما ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس أيضا والذي يجب أن تتنوع أغراضه وتتباين أهدافه ومراميه . ونتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن القصص لا ينبغي أن يهدف إلى قتل الوقت أو للاتجار أو لزخرف يراد تزيينه للناس ولا لإ باحية ولا لغير ذلك ، مما لا فائدة فيه ولا جدوى منه . وقبل أن أنهي هذا الموضوع أجد نفسي ملزما بابداء ملاحظة هامة على ما قرأته منسوبا لفضيلة الشيخ الشعراوي وهو الداعية الذي نكن له كل تقدير ونحمل له كل ود وحب .

ذلك أن سوق الكتب تمتلىء بكتيبات كثيرة تحمل اسم الشيخ الشعراوي وهي في الواقع ليست من نوع الكتيبات التي يضطلع مؤلفوها بتأليفها ، بما يتضمنه ذلك من دقة في الكتابة وحرص على المراجعة إلى غير ذلك . وإنما هي محاضرات أو أحاديث ارتجلها فضيلته هنا أو هناك وتولى فرد أو أفراد تسجيلها كتابة أو على شريط ثم أعادوا كتابتها ونشرها في كتيبات بقصد تعميم الفائدة باتاحة الفرصة لمن سمعها بالاحتفاظ بها والرجوع إليها ولمن لم يسمعها بقراءتها . وأظن أن فضيلته لم يراجعها المراجعة الكافية .

ولعله لو فعل لأعاد النظر في كثير مما قاله ارتجالا ، والارتجال ليس كالكتابة المتأنية التي تتيح للمرء إعادة النظر مثنى وثلاث فيما كتب وتيسر له إجراء ما يراه مناسبا من تعديل أو إضافة . لذلك فانني أتوجه بالرجاء إلى فضيلة الشيخ الشعراوي أن يعطي مزيدا من الاهتمام لما ينشر منسوبا إليه نظرا لما تصادفه هذه الكتيبات من رواج ملحوظ وما يعطيه القراء لما تتضمنه من اهتمام عظيم وقبول شبه مطلق .

فلسفة التوبة في الاسلام

للشيخ / عبدالحميد السائح

في القرآن الكريم والحديث الشريف إرشاد واضح ، وتوجيه بين ليكون المسلم عنصر خير في هذا العالم ومصدر هداية ، سائرا الى مدارج الرقي والفلاح وسالكا سبيل النجاح والنجاة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة / ١٨٣ فهدف الاسلام من فرضية الصيام أن يهيىء المسلم الصائم ليكون في عداد المتقين ، ولا يكون كذلك من اختار لنفسه ان ينحرف عن طريق الله التي هي الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بنعمة الايمان والاستقامة والهداية والرشاد ، كما لا يكون كذلك من اعرض عن تعاليم الله ، وسار وراء شيطانه واتبع هواه ولا يكون كذلك أيضا من استمر في غوايته وأمعن في أعراض الناس والاعتداء عليهم وعلى حقوقهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري وغيره وفي حديث آخر :« رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » رواه الطبراني

وكذلك في الصلاة قال سبحانه : **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر)** **العنكبوت** / ٤٥ **ولا يحقق حكمة الله في فرائضه الا من اقبل على الله مخلصا مقدرا جلاله وعظمته ومثل ذلك في الزكاة والحج ، وسائر شرائع الاسلام ، قال تعالى** : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة / ١٠٣ وقال أيضا(**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة**) الاعراف / ١٥٦ وقال عز شأنه : (**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**) الحج / ٣٧

فالتقوى والأخذ بشرائع الاسلام ، من الأهداف التي قصد اليها

الاسلام ، لانها تدخل صاحبها في رحاب الله وتجعله من الحائزين على رضاه .

والله سبحانه خلق الانسان على الفطرة التي تشده الى إدراك النعمة وتقديرها ، والإيمان بعظمة الخالق وارتباط القلوب على محبته ، كما جعل فيه غرائز تجذبه الى الترف والبطر والتمتع بالشهوات والانغماس في الملذات ، ولذلك يكون الانسان في صراع بين قوى الخير ، التي تحاول أن تضمه الى صفوف الناجين والمتقين ، وقوى الشر التي تحاول أن تدفع به الى الهاوية حتى يكون في بعد سحيق تحجز بينه وبين الهداية والسعادة الحقيقية ، وهنا تبرز قوة الإيمان عند من هداه الله الى أن يحوز رضاه .

قال تعالى : (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**) آل عمران / ١٤٢ وهذا الوضع ميز الله به عباده من بني آدم على الملائكة لانهم خلقوا مطبوعين على الطاعة : (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) التحريم /٦ ومن اجل هذا قال بعض العلماء إن خيار البشر أفضل من خيار الملائكة ، لأن طبيعة البشر أشق ومكافحتهم أصعب ، وجهادهم أضنى .

والله سبحانه يريد لعباده المؤمنين ان يكونوا مجندين لطاعته متباعدين عن معصيته حتى يكون ذلك اقرب الى الاذعان بقوة الله وعظمته وواسع علمه وخبرته ، ولكن هذه الحال قد لا تكون ميسورة ، ولا الطريق اليها معبدة ولا تكوين النفس البشرية وخلقتها مما يسهل ذلك فإذا زلت القدم وانساقت النفس وراء غريزتها ، وغرها شيطانها ووقعت في معصية الله ، حرص خالق الأكوان على ألا يطول الفراق بين هذا النوع من البشرورحمة الله ومحبته ورضوانه ، فأمر سبحانه عباده المؤمنين ان يثوبوا الى رشدهم اذا انحرفوا ، وان يعودوا الى ربهم اذا غفلوا وأن يشعروا بعظمة خالقهم ودقيق علمه وواسع اطلاعه . قال تعالى : (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) النور / ٣١

ولا يجوز لهم أن يستمرئوا الانحراف ، ولا أن يستمروا على الغفلة والتغافل ، لانه لا سبيل الى اخفاء الحقائق عن علام الغيوب ، الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور : (**إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦ ولذلك يبادر المؤمن الى الأوبة الى الله ، والعودة الى حظيرة قدسه ورضاه ، حالما يصحو من غفلته كما قال سبحانه : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الأعراف / ٢٠١ .

والمؤمن يشده إيمانه الى ان يعود الى صوابه ويربط قلبه بخالقه ، حتى يتغمده بفضله ورحمته ، ويدخله في حوزة المتقين التائبين : (**إن الله يحب**

التــوابــين ويحب المتطهـرين) البقرة / ٢٢٢ كما يبعده عن مواقف المتخــاذلــين الــذين يستمــرئــوم العصيان ، ويدأبون على الانغماس في الترف ولذائذ الشهوات ولو أغضبوا الرحمن ، ولذلك كانت التوبة الى الله من واجبات الاسلام عملا بآيـات القرآن وأحاديث خير الأنام ، صلوات الله وسلامه عليه .

التوبة النصوح

قال تعالى : (**يأيها الـذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفـر عنكم سيئــاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**) التحريم / ٨

والتوبة النصوح هي ما يتوافر فيها العناصر التالية :

١ ـ الندم على ما حصل .

٢ ـ الاقلاع عن المعصية .

٣ ـ العزم على ألا يعود .

٤ ـ الاستغفار ,

وبذلك يتجلى ان الاستغفار هو عنصر من عنــاصر التوبــة ، فــاذا استغفر الانسان بلسانه ، وهو مصر على عصيانه مستمرىء ما هو فيه من المحرمات ، لا تصح توبته ولا قيمة لاستغفاره ، بل هو استغفار يحتاج الى استغفار بمعنى ان الاصرار على الذنب خصوصا اذا كان من الكبائر ، يعني انغماس صاحبه في غضب الله ومعصيته ، ولا بد أولا من الندم ، حتى يستقر في قلب المؤمن شعوره بخطئه وانه لا بد أن يعود الى الطريق الصحيح ثم لا بد من الاقلاع عن المعصية ، اما اذا استمر في العصيان مثل أكل الربا وشرب الخمور ولعب القمار والطعن في اعراض النــاس وانكــار حقوقهم ، فــان استغفــاره لايجديه الا اذا اقلع عن عصيانه ثم يعزم بقلبه ألا يعود للمعصية ، اما اذا اضمر في نفسه ان يعود الى ذنبه ، فلا تنفعه توبته ولكن اذا استوفى عناصر التوبة ثم زلت به القدم مرة اخرى فان فضل الله عظيم : (**وهو الذي يقبل التــوبة عن عبــاده ويعفــو عن السيئات**) الشورى / ٢٥ والعنصر الاخير في التوبة هو الاستغفار اي طلب المغفرة والعفو من الله سبحانه .

المعاصي والسيئات

ـ ١ ـ

يقصد بالسيئات والمعاصي المحرمات والمحظورات شرعـا ، سواء كــانت محرمة لذاتها ، وهو ما يعبر عنه بتحريم المقاصد **او كانت محرمة لغيرها**،وهو ما يعبر عنه بتحريم الوسائل مثل النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة ، ومع ان هذا النوع محرم ايضا الا انه اقل اثما . قال تعالى : (**والذين إذا فعلوا فــاحشة أو ظلمــوا أنفســهـم ذكـروا الله**

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) آل عمران / ١٣٥ و ١٣٦

وكلا النوعين تجب التوبة منه ، وعدم الاصرار عليه ويعبر عنهما بالكبائر والصغائر ، واعدل الاقوال في التمييز بينهما ، ان الكبيرة ما ترتب عليها حد او توعد عليها بالنار ، او اللعنة او الغضب ، والصغيرة ما دون ذلك ويدخل في الكبيرة كل ما ثبت بالنص انه كبيرة مثل الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والزنا ، وقذف المحصنات وشهادة الزور ، والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين واليمين الغموس ، ويرجح هذا القول لانه هو المأثور عن السلف مثل ابن عباس وابن عيينة واحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعا ، واذا اجتنبت الكبائر تكفر الصغائر ، كما تكفر الصغائر بالاعمال الصالحة مثل تقديم العون لمن يحتاجه والصدقات وجميع أعمال الخير . قال تعالى : (**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)** النساء / ٣١ وقال أيضا : (**إن الحسنات يذهبن السيئات)** هود / ١١٤ وقال صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد

المعاصي والسيئات ايضا

ـ ٢ ـ

وتنقسم المعاصي والسيئات أيضا الى :

١ ـ المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الله

٢ ـ المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الناس

اما القسم الاول : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه آنفا ، وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، قال ابن حزم : والتوبة من الكفر والزنا وفعل قوم لوط والخمر واكل الاشياء المحرمة كالخنزير والدم والميتة وغير ذلك تكون بالندم والاقلاع والعزيمة على ألا يعود ابدا واستغفار الله ، وهذا اجماع لا خلاف فيه .

واما القسم الثاني : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه في القسم الاول ، ويضاف اليه ضرورة رد المظالم واعادة الحقوق الى اهلها قال ابن حزم ايضا : والتوبة من ظلم الناس في اعراضهم وأبشارهم لا تكون الا برد اموالهم اليهم ، ورد كل ما تولد منها معها او مثل ذلك ، ان فات ، فان جهلوا ففي المساكين ووجوه البر ، مع الندم والاقلاع والاستغفار والتحلل من الاعراض والأبشار الخ .

وقد افاض الامام الغزالي في كيفية خروج التائب من المظالم المالية .

فاذا اقرضك شخص عشرة دنانير مثلا فانكرت عليه حقه او ماطلت في رد

الحق الى صاحبه ، او اضعته عليه او حلفت يمينا كاذبة ، تكون ظالما ولا يقبل الله توبتك من ذنبك هذا ، ما لم ترد الحق الى صاحبه .

قل لي بربك ايها الصائم الكريم ، اذا كان هذا هو حكم الله في حق الشخص الذي ينكر على غيره حقه مهما كان ضئيلا او يضيعه عليه فما بال الذين يخونون امانات الجماعة والامة ، ويضيعون عليهم حقوقهم او يفرطون في حفظ ما ائتمنهم الله عليه ؟ فانهم لو استغفروا في اليوم الف مرة فلن يغفر الله لهم ولن يقبل توبتهم ما لم يردوا حقوق الامة اليها ، ويعيدوا للمظلومين حقوقهم ايضا ، فليحذر الذين يتولون شؤون العامة اذا فرطوا او ضيعوا او اهملوا او ارتشوا ، فان ذممهم لا تبرأ امام الله الا اذا ردوا الحقوق والامانات لاصحابها واعادوا للمظلومين ظلاماتهم .

قال تعالى **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)** الأحزاب / ٧٢

متى يتقبل الله التوبة ؟

ان الله سبحانه يريد لعباده ان يسارعوا الى توبته وطلب مغفرته ورحمته ، كلما وقعت خطيئة أو زلت القدم حتى لا يتلبس المؤمن بالمعصية ولا يبقى بعيدا عن رحاب ربه ، ولذلك فانه لا يقبل توبة من يؤخر توبته الى آخر الوقت ، كما قال سبحانه : **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)** النساء / ١٨ وانما يتقبل توبة من تتصل توبته بزلته ، وتقترن أوبته بمعصيته كما قال تعالى : **(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)** النساء / ١٧ .

فيكون وقت قبول التوبة محددا بما ذكر ، ولذلك فان الله لم يقبل من فرعون توبته وايمانه حين أدركه الغرق ، كما قال سبحانه : **(حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)** يونس / ٩٠و٩١

هدف الاسلام من التوبة

يهدف الاسلام من الحض على التوبة ان يشعر المسلم أن عليه أن يكون دائما عنصر خير ومصدر نفع للبشرية ، ومنطلق هداية لجلب الاخرين الى حوزة المؤمنين المتقين ، وألا تشيع المعاصي والمنكرات ، ولا تنتشر الموبقات ، حرصا على صلاح المجتمع ، والاقلال من المظالم والمفاسد ، فاذا بادر المؤمن الى التوبة تجمعت عناصر الخير وتناثرت قوى الشر والطغيان واتجه المجتمع الى ما فيه الخير والمصلحة العامة . قال تعالى : **(نبيء عبادي أني أنا**

الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم) الحجر / ٤٩ و ٥٠
فالآية الاولى تبشر المؤمنين بأنهم مهما ارتكبوا من المعاصي فان الله يغفره ويشمل التائبين برحمته ، والثانية نبهت المؤمنين بان عليهم ألا يسترسلوا في عصيانهم ولا يغفلوا عن ان الله يعاقب المعرضين عن مراقبته والمتخاذلين عن تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : **(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)** غافر / ٣
وفي البصائر ، حين بيان سرائر التوبة ان المقصود بها خوف الله وخشيته والقيام بامره واجتناب نهيه ، فيعمل بطاعة الله على نور من الله ، يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله وقد اخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن **ناسا من اهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فاكثروا ، ثم اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الى قوله : (غفورا رحيما) ونزل : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)** .
وفي رواية للطبراني عن ابن عباس ايضا قال : « **بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني وانت تزعم ان من قتل او زنى او اشرك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، وانا فعلت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟ فانزل الله : (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا)** ـ الاية فقال وحشي ، هذا شرط شديد « إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فلعلي لا اقدر على هذا فانزل الله (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئته ، فلا ادري أيغفر لي ام لا ؟ فهل غير هذا ؟ فانزل الله : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) قال وحشي : هذا نعم فأسلم »
ايها الصائم الكريم :
انظر ـ رحمك الله ـ كيف يحرص رسولك العظيم صلى الله عليه وسلم على هداية رجل اقدم على قتل عمه حمزة رضي الله عنه مما يدل على أن مبادىء الاسلام ، وأهداف الاسلام في ذروة المبادىء الانسانية السامية ، التي تهدف الى اصلاح المجتمع وانقاذ العصاة من عصيانهم والمنحرفين من غواياتهم ورحم الله محدث الشام الاكبر وعلامتها المرحوم الشيخ بدر الحسني ، فقد سمعته في احد دروسه يلفت انظار طلابه ، ويرشدهم الى ان العصاة والمذنبين يحتاجون منا الى عناية واهتمام بامرهم حتى يعودوا الى صوابهم ورشدهم . حبذا لو ان دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين يأخذون من ذلك عبرة ودرسا ، ويعملون على تيسير الدعوة الى الاسلام ويستعملون الحكمة في عرض مبادىء الاسلام واحكامه حتى ينجذب الآخرون اليه

ويقبلوا على تفهم مبادئه عن طواعية واختيار وقناعة ، ونفتح الحوار بينهم اذا اقتضى الامر على اساس من ارشاد الله بقوله سبحانه : (**وإنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين**) سبأ / ٢٤ وقوله عز شأنه : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥

واختم هذا البحث بالاشارة الى الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ، قال : « لما قضي الله الخلق كتب عنده فوق عرشه ، إن رحمتي سبقت غضبي » ، والى الحديث القدسي الاخر الذي رواه البخاري ايضا « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » . وفي رواية لمسلم « وإن تركها (السيئة) فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جرائي » وان هذا الحديث القدسي روى بالفاظ متعددة متقاربة ، في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والذي تبين من مجملها ما يلي :

١ ـ ان الهم على الحسنة يكافىء الله عليه فضلا منه ورحمة

٢ ـ ان الهم على السيئة ، بمعنى الخاطر الذي لا يصحبه توطين النفس على العمل ولا عزيمة لا يترتب عليه مؤاخذة واذا هم بالسيئة ثم تركها وأعرض عنها إرضاء لله وخوفا منه تكتب له حسنة كاملة

٣ ـ العزم على الحسنة يكافىء الله عليه لأنه يربي الإنسان على خير العمل وطريق الهدى والرشاد ، وأما العزم على السيئة ، اذا لم يعملها فانه يؤاخذ عليه على ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وغيره ، وقال القاضي عياض ، إن عامة السلف على ما قاله ابو بكر .

وقد تضافرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر ، قال تعالى : (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**) النور / ١٩ ومما يدل على المؤاخذة بالعزم والتصميم على السيئة وإن لم يعملها ، ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » ، والمقصود في الحديث ان احدهما قتل الآخر كما وقع التصريح به في بعض الروايات .

أسأل الله ان يهدينا رشدنا ، ويختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، وأن يتقبل صيامنا وأعمالنا ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، فانه نعم المرتجى والأمل : (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**) آل عمران / ٨

الإسلام

العلم مقدس في نظر الاسلام ، وهو أسمى شيء في الحياة ، لأنه حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الانسان الغاية ويربو على النهاية ، وقد حث علي بن أبي طالب على التعليم فقال « علموا اولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . ولم يفرق الاسلام في طلب العلم بين الأبناء والبنات . كيف وقد قال رسول الاسلام « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه ابن ماجه

وليس ادل على اهتمام الاسلام بالعلم ، من اطلاق الرسول سراح الأسرى المتعلمين من الكفار ، إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة . وحسبنا ان نذكر ان العلم في نظر الشافعي ، قوام الدنيا وقوام الدين رحمه الله تعالى « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » بل لا نغالي اذا قلنا ان الرسول كان يمنح الأوسمة والدرجات العليا للمتفوقين في العلوم ، ويكرم الممتازين من المتعلمين ، من الرجال والنساء ، فها هو ذا يمنح معاذ بن جبل ، درجة الامتياز في الفقه ، فيقول « اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٥٥ ويمنح زيد بن ثابت ، درجة الامتياز في علم الميراث ، فيقول « افرضكم زيد ابن ثابت » ، رواه ابن ماجه جـ ١٠ ص ٥٥ ويمنح ابا عبيدة بن الجراح

الدعوة للعلم

للاستاذ / حسنين نعيم

درجة الامتياز في علم الشريعة والقضاء ، فيقول « أقضاكم ابو عبيدة »

هذا وقد رأى ابن مسكويه والغزالي ، وهما من علماء الاسلام ، ان العلم غذاء للروح وغذاء للعقل ، وعد ابن خلدون العلم والتعليم طبيعيا في العمران البشري ، وقال إن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته ، من الحس والحركة والغذاء ، وغير ذلك ، وإنما تميز عنها بالفكر ، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصناعات .

وقد أفاض الحكماء والأدباء والفلاسفة في هذا السبيل ، فالغزالي يقول « من أصاب علما فاستفاده وافاده ، كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة » . يستوى في ذلك الكبير والصغير ، ولا شك أن الطفل أولى من الشيخ في التعلم ومن الواجب ان نعلمه فان العلم سبيل الرقي والنهضة ، ولقد قيل لأبي عمرو ابن العلاء هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ، قال : إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي اخرج رجال الحضارة وجهابذة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء وافذاذ الفكر امثال ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والرازي والقزويني والخوارزمي والجاحظ وابن النفيس

وابن حيان وابن بطوطة ، هذا كله في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في ظلمات الجهل والفوضوية والهمجية والتأخر ولم ينقذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور الاسلام ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية بإعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم في ذاته ، والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى القارىء بعض ما جاء على لسان فلاسفة العالم ، والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة « سيجريد هونكه » : ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري ، فسيادة أبناء الصحراء ، التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة في نوعها ، وإن الإنسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة ، والتي يحار الانسان في تعليلها وتكييفها .

وقالت « وان اوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق أوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة « كاربنسكي » : إن الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وان الابحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين ، الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا في ظلمات القرون الوسطى .

كما قال العلامة « سديو » في كتابه « تاريخ العرب » : كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى اوربا ، فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » .

هذا وقد نقل عن ليبرى قوله « لولم يظهر العرب على مسرح التاريخ ، لتأخرت نهضة اوربا الحديثة ، عدة قرون » .

كما نقل عن جوستاف لوبون قوله « ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها بل كان لهم الاثر البالغ في ثقافته العلمية أيضا » .

ان هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء افذاذ ، لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنا وجملة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية ، التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ، ومست القلوب فيها معاني السعادة ، واعتلت في ظلها صروح المجد .

وهذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد ، باقية بقاء الدهر ، مدوية دوي

الآذان ، لا ينضب لها معين ، ولا ينتهي لها مدى ، ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم .

يقول الدكتور جورج سارطون :

« إن المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية ، إذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام ، والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها » .

ومن هنا استطاع المسلمون في سرعة لم يعهد لها مثيل في تاريخ النهوض أن ينتقلوا من امة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا أساتذة العالم وقادة الفكر ، ورواد العلوم والفنون ، يدرسونها للأجيال المعاصرة ، كأحسن ما يكون الدرس والتعليم ، ويدونونها للأجيال المقبلة ، كأحسن ما يكون التأليف والتدوين ، وينشرونها في شعوب كانت تائهة ، في عماء الجهل وظلمته ، فقد كانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية ، فيأخذون عن علمائها ما شاءوا من أفانين العلوم ، والوان المعرفة ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين إليها مشاعل الهداية .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء ، والطب والفلسفة والزراعة وسائر أنواع الفنون الحضارية .

يقول العلامة « دربير » المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا :

« ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم . لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ومن هنا رأينا الاسلام يدعو الى البحث والتنقيب وتصيد الحكمة والمعرفة أنى وجدت « الحكمة ضالة المؤمن » ، « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت » ، كما رأينا الاسلام يرفع درجة الذين يعلمون ويفضلهم على غيرهم ممن يتقاعس عن التزود من العلم والاغتراف من مناهله ، كما رأينا المسلمين قد اندفعوا الى ميادين العلوم حتى ألموا بكل ما وصل اليه التفكير البشري وزادوا عليه ولم يتحرجوا من تلقي العلم والمعرفة عن غيرهم من الملل الأخرى لان الاسلام اباح لهم ذلك يقول الاستاذ « محمد أسد » وهو رجل اوربي هدى الله قلبه للاسلام :

« لم يقف الاسلام يوما سدا في وجه التقدم العلمي انه يقود الجهود الفكرية في الانسان الى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة وما من دين ذهب أبعد من الاسلام في تأكيد غلبة العقل وبالتالي غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة » .

ولقد جاء الاسلام داعيا الى العلم لأن العلم يرفع من شأن الفرد والأمة . اذ ينبه الانسان الى ما ينفعه وما يضره ولان العالم يعد في نظر الاسلام رفيعا حسيبا اذ الاسلام لا يفكر في نسب او حسب ولأن العلم اساس النجاح في الحياة وبه يستطيع الانسان ان يصل الى ارقى المناصب كما ان بالعلم قلت الفوارق الاجتماعية في الاسلام بل ذابت وظهرت المساواة

في تكافؤ الفرص ولم يكن الفقر أو الحسب عقبة في الوصول الى المراتب السامية والمناصب العالية .

فها هوذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه يزوج ابنة عمته زينب بنت جحش سليلة قريش الهاشمية من مولاه زيد بن حارثة ثم يبعث الرسول بزيد مولاه قائدا لغزوة مؤتة ثم بابنه أسامة قائدا لغزو الروم .

ثم تمضي عجلة الزمن فنرى عمر ابن الخطاب يستعمل على مكة نافع بن الحارث ثم يلقاه عمر فيقول له : من استخلفت على اهل الوادي ؟ . فيقول نافع استخلفت عليهم ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ، فقال : رجل من موالينا عندئذ قال عمر استخلفت عليهم مولى . فقال : نعم انه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض ، فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « **ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين** » . مختصر صحيح مسلم رقم ٢١٠٢ .

ولهذا رأينا المسلمين الأولين اقوياء اعزاء يضرب بهم المثل في العلوم والمعارف ، يقول احدهم يصف الأمة العربية بعد الاسلام : « قوم يضربون في الصحراء لا يعتنى بهم عدة قرون فلما جاءهم النبي صاروا قبلة أنظار في العلوم والمعارف وكثروا بعد أن كانوا قليلين وعزوا بعد أن كانوا أذلاء ولم يمض قرن بعد الاسلام حتى استضاءت اطراف الارض بعقولهم وعلومهم » .

ويقول غيره « استطيع ان اجهر بمنتهى الجرأة بعد ان قرأت كتاب المسلمين المقدس وعرفت ثقافة الاسلام بانه لا يوجد في تعاليم هذا الدين كلمة واحدة او عمل واحد من شأنه ان يعوق تقدم المسلم او يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة . ومن ثم لا يزال كثير مما عرفه العلماء المسلمون وكشفوه واخترعوه في سائر فروع العلم والمعرفة وبخاصة في الطبيعة والكيمياء والفلك والصيدلة والطب والجراحة موضع الاعجاب والفخر على مر الأزمان ، بل ولا يزال حتى اليوم مقدرا كل التقدير من العلماء الغربيين » ، وحسبنا ان يشهد بذلك علماء غربيون ، ليسوا من المسلمين حتى يتهموا بالتعصب للاسلام او بالعاطفة الدينية نحو القرآن فهذا رينورت يقول :

يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوروبا في القرن التاسع عشر مقتبسة من القرآن .

كما يقول احد المفكرين « من الصعب جدا ان نجد علما لا يدين بفضله للاسلام » وليس ادل على اثر الاسلام في المعرفة وانه دين العلم من ظهور طائفة من العلماء والباحثين كانوا جهابذة في العلم وعمالقة في الفكر وروادا في المعرفة قد أوقفوا حياتهم على البحث من امثال ابن الهيثم ، الذي وضع قواعد علم الضوء بعد أن ظل زمنا يبحث في السهول والأودية ، ومن امثال ابن النفيس الذي اجرى التجارب والاختبارات حتى اثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الأوردة

والشرايين المبثوثة في الكائن الحي بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل ان يكتشف « هارفي » الدورة الدموية بثلاثة قرون تقريبا ، وهكذا نرى ابن مسكويه يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والبيلوجيا ، كما نرى جابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، ونرى ابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة .

هذا الى جانب ان وجدنا علماء افذاذا في التاريخ والاجتماع والجغرافيا كالمسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون كما وجدنا علماء للرياضيات من امثال الخوارزمي الذي اسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا وعلماء للفلك من امثال يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر البستاني وابناء موسى بن شاكر . حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا اصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين اسهموا في هذا الميدان .

يقول جوستاف لوبون « ان النشاط الذي ابداه العرب في الدراسة كان مدهشا جدا ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما اظن من سبقهم وكانوا اذا ما استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الاولى الى تأسيس جامع وإقامة مدرسة » . ويستمر لوبون قائلا وعدا مدارس التعليم البسيطة فان المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر والمراصد والمكتبات الفنية ، وكان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكانت مكتبة الخليفة في قرطبة تحتوي كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة الف مجلد ، كان منها أربعة واربعون مجلدا للفهرس فقط . على انه قد لوحظ ان « شارل الحكيم » لم يستطع بعد اربعمائة سنة من هذا التاريخ ان يجمع في مكتبة فرنسا الملكية اكثر من تسعمائة مجلد .

وهكذا وعلى ضوء هذا كله استطاع الاسلام ان يخرج الى الدنيا فلاسفة وخطباء ومؤرخين واطباء يفخر بهم المسلمون ، وقد افادوا البشرية وأدوا خدمات جليلة للانسانية بمؤلفاتهم ومخترعاتهم التي خطت بالعالم خطوات واسعة نحو التقدم والمعرفة .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان المنبع الاول والأصيل الذي استمد منه الفكر الاسلامي اسباب تقدمه هو القرآن الكريم ، الذي لم يكن كتاب دين يحث على العبادة والتوحيد لله والتقرب اليه فحسب ، وانما كان القرآن الى جانب تأكيده وحدانية الله وما يتبعها من عقائد وعبادات وأوامر ونواه دستورا من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم ، كما لا يفوتنا اخيرا ان نذكر ان العلم هو مرآة نهضة الأمم وعنوان حضارتها وتقدمها ورقيها .

رمضان

رمضان : أهلا حادي الأرواح ... لعـوالم البـركـات والأفـراح
أكبرت فيك تجلـدي وتصبري ... ومخـافتي من فالق الاصبـاح
فحييت محمود السلوك مسالما ... متنـائيـا عن مـزلق لجنـاح ؛
فيم النزاع على حطـام زائل ؟ ... أولست معدودا من النصاح ؟
هيهـات يادنيـا أريق فضائـلي ... فأعيش عيش أذلة وشحاح !
أنا عبد ربي قد ملكت جوارحي ... وملأت من نبع الهدى أقداحي
فاذا شعوري بالنعيم مسيطر ... واذا الملائك اخـوتي ببـراح
يسقونني شهد الحقيقة صافيا ... يا فرحتي ! أنا منتش أو صاح ؟
والروح إن تشرق تجد بشعاعها ... فـردوسها بغـدوهـا ورواح !!
رمضان : يا شهر الهداية مرحبا ... يـا موسم الانعـاش لـلأرواح
ما أنت موسم بطنـة وتكاثـر ... إلا لـدى المنهـوم والملحـاح
فشريـعة الاسـلام نهج تـرفع ... وتعاظم بالـروح لا الألواح !
وإذا لزمت الدين صرت مؤهلا ... للفـوز بالتـوفيق كـل صبـاح
وأعـدت أرضي حـرة عـربيـة ... والـدين للتحريـر خير سـلاح
وأعنت إخواني ضحايا (كابل) ... والصامدين على أذى المجتاح !

***

الشيب في رأسي أطـل منبئـا ... أن التـزام اللهـو غـير مبـاح
فهـرعت للرحمن أرجـو عفوه ... ومدامعي تدعو جميل سماح !
ربي : بسطت يدا لتوبة تائب ... أتردني في مدمعي ونـواحي ؟

حادي الأرواح

للأستاذ /

محمود عبد اللطيف فايد

من للذنوب يزيل عني عارها إلا جناب الغافر الفتاح
من جاءنا رمضان فيض نعيمه بل بلسما لمتاعبي وجراحي !
رباه : قد أزف الرحيل فهب لنا من صومنا زادا وأقرب راح
واجعله فلك نجاتنا في محشر والناس في فزع بأرهب ساح
لم لا أصوم عن الدنايا كلها والفحش والتزوير والالحاح ؟
أو بالفسوق تشوه بيض صحائفي يا قبح ليل بعد شهر ضاح

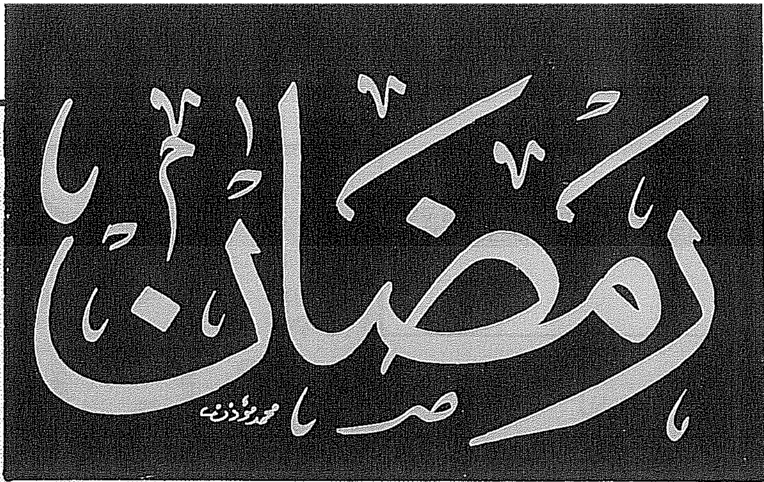
***

رمضان يا شهر الهدى بك مرحبا حررت روحي من قبيح جماحي !
وجعلتني عبدا منيبا خاشعا وكتاب ربي مؤنسي وقراحي
أحييته في خاطري فاذا به من شبه موتى مطلق لسراحي
سحر حييت على بديع بيانه وشددت في ترتيله ألواحي
يأيها الذكر الحكيم تحية في شهر نور بالهدى فواح
يا فجرنا من بعد ليل دامس كم مدلج يحتاج للمصباح !
أنعيش مرضى في ظلام تجاهل وعلاجنا دان دنو وشاحي ؟

***

رمضان : يا شهر الفضيلة : هذه سبحات روح طوفت ببراح
خذها تحية تائب مستغفر وجد الأمان بموكب الصلاح
أسرت إليك شموعه بدموعه في موسم البركات والأفراح

***



ارهفوا آذانكم للقرآن الكريم ، فهو يتلو كتاب المجد ..

﴿ وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت/ ٤١ ـ ٤٢ .

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ الانبياء/ ١٠ .

﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ الزخرف/ ٤٤ .

وصوغوا من جديد ، باسم الله ، يومكم وغدكم في نور الشهر الذي كان مولد خير امة اخرجت للناس ، وميقات اصطفاء الرسول الخاتم ، وابتداء الرسالة المهيمنة .. على رسالات الله جميعا باعتبارها كلمة الله الاخيرة التي لم يعوز البشرية من بعدها الى سواها ، ولن تجد الحياة في غيرها أمنها وهداها ..

ان المسلمين احوج من اي وقت مضى ، الى اقامة حاضرهم في اضواء ماضيهم ، ليتابعوا المسيرة راشدين على الاساس الذي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اوائلهم عليه ، ملائكة يسيرون على ارض الله ، يتعاونون على البر والتقوى ، ويتناجون بالحق ، ويتواصون بالصبر ، « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ».

واذا جاز لاحد ان يقول في سكر هواه .. قال الشاعر :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها !!

فهو ينتهب اللذات انتهابا ، ثاني عطفه ، غير آبه بماض ، ولا مكترث بآت ، فما يجوز ذلك ولا شيء منه للامة الوارثة التي يهتف بها كتاب ربها . وله الفضل والمنة .. كلما عميت عليها الانباء ، وتداخلت في نظرها مسالك الحياة بما يردها الى ما كانت عليه ، وما هي احق به واهله في قول الله تعالى :

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران/ ١١٠ .

يمليه دروسه

للشيخ / معوض عوض ابراهيم

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدي ابدا ، كتاب الله وسنتي ».

- ان الأفكار والمبادىء تتغير في اقطار واعصار كما تتغير الالبسة ، ويقوم بعضها على انقاض بعض ، ويهيل المتأخر منها على المتقدم التراب ، وتختلف من عصر الى عصر ، وقد يرى الناس في جديد ما يتفتق عنه العقل البشري عوضا عما تركوا من امثاله وفي مجاله ، لكن القيم الاسلامية تبقى ارفع وامنع ، واوفى واجمع من ان يرقى الى مستواها سواها ، فضلا عن ان يكون بديلا عنها ، لأنها وضع الله الذي يعلم من خلق وشرع الذي يعلم السر في السموات والارض وهو بكل شيء عليم

وما يستوي وحي من الله منزل وقافية في العالمين شرود ..

ورمضان فرصة متاحة لامعان النظر في هداية الاسلام ، وتأمل وصاياه وتكاليفه والتعرف على المدى الذي اخذنا به انفسنا من ذلك ، والعودة الجادة الى جادة الاسلام في الشهر الذي عرفت الحياة فيه الاسلام ، واستجلت البشرية فيه نور الشريعة الهادية الحانية ، فبددت من غواشيها ، وبثق الأمن في نواحيها ، وكان النبي صلى الله عليه بهذا الدين ، رحمة الله المهداة ، ونعمته المسداة .. اذ ايقظهم من سبات ، ونبههم من غفلات ، وجمعهم من فرقة وشتات ، واخذ بحجزهم فأقالهم مما تردوا فيه من شرك وضلالات ، وردهم في حنو وايناس الى ما اراد الله لهم من معاني الانسانية ، والكرامة الذاتية ، بالعقيدة الحقة ..

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ آل عمران/١٠٣

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ الجمعة/٢ .

- والارتباط بالاسلام ، والتذكير بتوجيهاته في العقيدة وتكاليف العبادة ومنهج السلوك لا يقترن بزمان دون زمان ، ولا بمكان دون مكان ، فحاجتنا الى الاسلام -

واقعا وتطبيقا واخذا والتزاما ـ ضرورية ودائمة ، في شتى شئوننا ومختلف اموزنا ، وكيف لا يحكم الأسوياءَ دينهم ؟! وكيف لا يأخذون منه ما زوده الله به من حوافظ المجتمع ، واسلوب الحياة ، ووسائل الاستقرار والسعة والازدهار ، والله تعالى يقول :

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ الاسراء/ ٩ و ١٠ .

ويقول سبحانه: **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** طه/ ١٢٣ ـ ١٢٦ .

لكن رمضان يجيء كل عام في ابانه ، ليجدد ذكرى الشهر الذي انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان تنزيله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ وجود الامة الفاضلة التي كانت ونبيها صلوات الله عليه وسلامه دعوة ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان القواعد من اول بيت وضع في الارض لعبادة الله وحده ، قال تعالى :

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ البقرة/ ١٢٨ و ١٢٩ . وتلقت الأمة من نبيها أول ما أوحى الله إليه في الشهر الكريم من كتابه: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾** العلق/ ١ ـ ٥ .

فعرف المسلمون منذ اللحظة الأولى ، أن الاسلام دين العلم ، يلحظ المسلم وهو يأخذه جهده ، ويعمل به ، ويبني الحياة على قواعده ، أن الله يراه ، ويعلم سره ونجواه ، فلا يقرأ حين يقرأ لهوى ، أو نزوة أو استعلاء ، ولكنه يقرأ باسم ربه الذي خلقه ، وخلقه كما قال تعالى :

﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ المعارج/ ٣٩

وكرم الله بني آدم ، وشرف الذين اختار لهم مصطفاه صلوات الله عليه وسلامه رسولا وكانوا باتباعه ، والتزام سنته يباهون ويقولون كما روى ابن تيمية رحمه الله :

ومما زادني شرفا وتيها ... وكدت باخمصي أطأ الثريا
وحولي تحت قولك ياعبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

وحرص المسلمون على تحصيل العلم ، ووهبوه في عصور الخير نشاطهم ،

وذهبوا في شتى فنونه المذاهب البعيدة ، وكانوا بحق الرواد الصادقين لكل من اخذوا منهم ما اخذوا ، فطوروه وطبقوه ، واعترف كثير من علماء الشرق والغرب بفضل السبق لأولئك الأوائل الذين انطلقوا من الاسلام دين العلم الى ما وفقهم الله اليه ، فاقهين دلالة اتزان الايمان بالعلم في آيات ذوات عدد من القرآن الكريم ، وأن الايمان والعمل يسبقهما العلم في دين الله ، والامام البخاري رحمه الله يقول في كتاب العلم من صحيحه « باب » العلم قبل القول والعمل ثم استأنس بقول الله تعالى :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ محمد/ ١٩ .

ورمضان والقرآن حجتا الاسلام في أنه دين العلم ، كان جبريل يلقي رسول الله عليهما السلام في رمضان من كل عام فيدارسه القرآن ، تلاوة وترتيب آيات ، وتسمية سور ، على الصورة التي حفظ بها الصحابة القرآن وجمع بها في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ، ثم نسخ على أساسها المصحف الامام ، مأثرة ذى النورين عثمان رضي الله عنه ، وكان عمل عثمان ذلك جلاء لعدة الله الكبرى: **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** الحجر/ ٩ .

وبقي القرآن الكريم بعد ذلك وإلى يوم الدين ، وكأن عهده بالسماء السابعة جلالا وسناء ، يلقي الله بذلك كله منه التراب في وجوه أقوام في نفوسهم من القرآن كحز المدى ، وهم يشغبون عليه كالذين حكى الله مقالتهم فقال تعالى: **﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾** فصلت/ ٢٦ . وإن زعم المعاصرون بما زيفوا من أفكار ، وبما ادعوا أنهم يميطون اللثام عن بعض ما استكن فيه من إعجاز واسرار ، ألم يقل بعضهم :

- فلنرتب القرآن فنكتبه من جديد على حسب نزول آياته ، دونما تواتر عبر الأجيال !!

- وقال آخرون إن قول الله تعالى في سورة المدثر « **عليها تسعة عشر** » من خلال الآيات ٢٦ - ٣١ التي بدأت بقول الله تعالى « **سأصليه سقر** » فهي في وعيد الله للوليد بن عتبة النار وزبانيتها وأهوالها فيجيء الذين في قلوبهم مرض فيلوون عنق الآيات ليا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون في « تسعة عشر » مالا يتسم وحكمة الله في انزال القرآن انه كتاب هداية لا كتاب احاجي وألغاز ، وصرف للجلى الواضح المنسجم مع السياق إلى ما لا يستقيم في عقل ، ولا صح في نقل ، ولا يثبت بحال أمام النظر المستبصر .

وقال آخر فلنحذف كلمة قل من التي خاطب الله بها مصطفاه في مثل قوله تعالى:

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ الكهف/ ١١٠ .

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ﴾ سبأ/ ٤٦ .

لقد طاشت سهام صوبها هؤلاء إلى مصدر الاسلام الأول ، وارتدت إلى نحورهم قسطا وعدلا ، بعد أن كشف الله عما في صدورهم بهذه الألفاظ .: **﴿ وما يعلم**

جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ المدثر/ ٣١ . أيكون الذين يهرفون بما لا يعرفون أعلم بالله وكلماته ، وإن كانوا دكاترة وأباطرة .. من ابن كثير رحمه الله وهو يقول في قوله تعالى :

﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ الآية قال :

﴿ وما جعلنا أصحاب النار: أي خزانها ، إلا ملائكة: أي زبانية غلاظا شدادا ﴾ إلى أخر ما قال وصرح فيه بمضلين ضالين من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم ممن انزلوا الآيات على العقول العشرة والنفوس التسعة التي لم تك إلا اسماء سموها بغير علم من الله ولا برهان !!

لقد اخرج الامام البخاري بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام ، ثم فتح أرمينية وأزربيجان مع اهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما « ياأمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف لننسخها ثم نردها إليك ، وكان القرآن قد جمع في صحف زمن أبي بكر بعد أن خيف أن يستمر القتل بالقراء في المواطن التي تفرقوا فيها ، وبقى عند أبي بكر حياته ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ـ أي رسم كتابة ـ فاكتبوه بلسان قريش ، فانما أنزل بلسانهم » .

ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة وارسل إلى كل أفق .. إلى قطر إسلامي .. بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » !

وكانت الحكمة في حرق ما سوى المصحف الامام ، خشية ان يكون في وجود غيره من الغلط ما يعلق بألسنة الناس وقلوبهم ، أو تكون سببا للكذب والاختلاف الذي يظل ـ رغم كل هذا الجهد الكبير ـ برأسه ، ثم تسحقه حقيقة القرآن ترتيبا وفقها ..

وإذا كانت همم الأبناء قد قصرت عن متابعة السير بالقرآن تطبيقا وحكما وتشريعا وعلما ، حتى انتقل صولجان العلم إلى غيرهم ، بعد أن أخذوا عنا ما أخذوا وتفتقت أذهانهم عن المفيد الجديد الذي رفعوا به ركائز الحضارة المعاصرة في بعض جوانبها ، وراحت ركائزها الأخرى تعصف بالأخلاق ، وتمتهن القيم والمواريث الصالحة ، ونعوذ بالله كما كان يدعو رسول الله ـ من علم لا ينفع .. فان بواكير صحوة مباركة تشرق بها الآفاق ، برغم ما ينسج حولها من خيوط الزور ، وما يفترى عليها من أكاذيب ..

وما ينبغي أن تذهلنا الفرحة بهذه الصحوة عن الحذر اليقظان ، أن تنفذ إلى كيانها دسائس الأعداء ومكائد الخصوم ، ووساوس أقوام يلفظهم الحق أبدا يلفظ الجسم ما يحاول أن تلحقه به من المضاد الآخرين ..

لقد آن أن نستقبل رمضان بوعي جديد ، وان نرهف له الأسماع وهو يتلو كتاب المجد ، ويتيح الفرصة لنذكر أنه قادر على أن نعود معه مرة اخرى إلى جادة الاسلام من ضلال وحيرة وضياع ، حين تصح منا العزائم على أن ننزل الاسلام منزله من دنيانا ، فيهيمن على شتى شؤوننا ثقة منا أنه دين الله ووحيه وسبيله إلى عز الدنيا وأمن الآخرة ، وحين يشد الاسلام منا الأواصر ، ونتآخى ونتناصر ، ونعود كعين وأختها وكتف ومعصم ، أمنع من أن تكون عرضا لأعادينا من كانوا وأين كانوا وكتاب الله تعالى يدعونا .

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ آل عمران/ ١٠٣

وما يكون الاعتصام بحبل الله إلا ونحن نستجيب لأمره بطاعته ، والانتصار على أنفسنا بالاستجابة لله ورسوله كما قال تعالى :

﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الانفال/ ٢٤ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل رمضان فرحا جذلان يناجي ربه « اللهم سلمه لنا وتسلمه منا » والمسلمون يقولون بقوله ، ويحاولون جهدهم أن يعملوا بعمله فنهارهم صائم ، وليلهم قائم في المحاريب بالصلاة الخاصة ، صلاة التراويح ، ويدهم تسخو بالبر ، وألسنتهم بذكر الله رطبة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد المئزر في العشر الأواخر من رمضان ويوقظ اهله ، ويشمر للعبادة ، فيعلم امته كيف تخرج من مدرسة الصوم بمنهج التقوى ، والارادة الخيرة التي ينطلقون بها من النصر على انفسهم وإيقافها عند حدود الله ، إلى ساحات القتال على قلب رجل واحد للنصر على الأعداء في مشاهد الحق ، وميادين إعلاء كلمة الله تعالى .

كان وهب يؤم الناس في قيام رمضان ويوتر بهم فاذا رفع رأسه من الركوع قنت ، فيقول :

« اللهم لك الحمد الدائم السرمدي ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك ان تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا » .

ثم يرفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فلا يسمعون ما يقول ، وكان من أئمة اللغة العربية من إذا دخل رمضان هجرا إنشاد الشعر والتمثل به .. وإن من الشعر لحكمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه البخاري في الأدب المفرد ليخلص قلبه ولسانه للقرآن الكريم في الشهر الكريم كما فعل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله .

وطوبي للذين يخلصون في رمضان ومن بعده قلوبهم ومشاعرهم جميعا للقرآن ليصوغهم مرة أخرى صياغة « ربانية » يعودون بعدها (خير أمة أخرجت للناس) .

الإثبات بالمعاينة

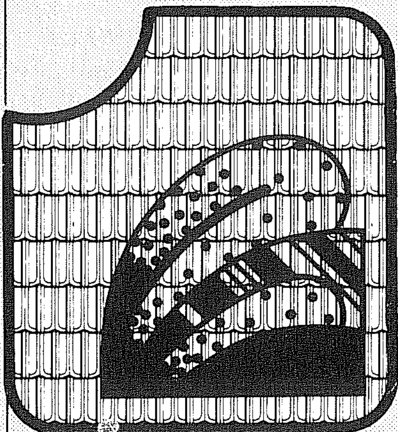
المعاينة هي أن يشاهد القاضي بنفسه أو بواسطة نائبه محل النزاع بين المتخاصمين لمعرفة حقيقة الأمر فيه .

والمعاينة تختلف عن علم الحاكم المسبق بأنها نتيجة مترتبة على رفع الدعوى في شيء يحتاج الى رؤية ومعاينة ، لبيان الحقيقة ، وادراك الواقع الملموس فيه .

والمعاينة يقوم بها القاضي بصفته قاضيا ، فكأنه نقل محل القضاء من المحكمة الى مكان المدعي به ، وجعله مجلسا للقضاء ، فيعتبر القاضي في عمل رسمي يمارس وظيفته في الكشف عن المدعي به بحضور الطرفين ، ليشرح كل منهما وجهة نظره ، ليستطيع القاضي تكوين قناعته ، ويظهر امامه الحق جليا واضحا ، ويحكم بالواقعة بناء على هذه المعاينة .

والعلم بمحل النزاع بالمعاينة أقوى من طرق الشهادة والكتابة فيه ، لأن المعاينة دليل مباشر ، باشره القاضي بنفسه ، ويختلف عن القضاء بعلم القاضي الذي يكتسبه بنفسه خارج مجلس الحكم ، وبشكل انفرادي وقبل النظر في الدعوى ، فالمعاينة تشبه الى حد بعيد العلم الذي يحصل عليه القاضي في مجلس القضاء ، مع فارق بينهما ، وهو أن المعاينة تستند الى

وخبرة



للدكتور
محمد مصطفى الزحيلي

رؤية أمور مادية لا مجال الى انكارها ، ولا تتغير أوصافها .

وقد تكون المعاينة في مجلس القضاء نفسه بأن يعاين القاضي المدعى به ، ويقوم بفحصه اذا أمكن احضاره الى مجلس القضاء . ويكون علمه الذي حصل من المعاينة في مجلس القضاء كالعلم في البينة ، وكالعلم في الحلف والاقرار ، وهذا ليس قضاء بعلمه ، وإنما هو قضاء بما يثبت عنده في مجلس القضاء ، كما اذا فحص البضاعة ووجدها تالفة أو فاسدة ، وكما اذا رأى البنت التي لم تبلغ ١٧ سنة ، ووجد أن جسمها يتحمل الزواج مثلا ، تطبيقا لنص قانون الأحوال الشخصية السوري بأن أقل سن للزواج عند البنت سبع عشرة سنة ، ويجوز زواجها وهي بنت خمس عشرة سنة اذا كان جسمها يتحمل ذلك ، فيطلب القاضي رؤيتها ليحكم بصلاحها للزواج أم لا .

وتتحقق المعاينة أيضا والحكم بها في مسائل الحسبة ، بحيث إذا رأى القاضي منكرا أو شاهد مخالفة للشرع ، أو أبصر غشا في السوق فانه يعتمد على معاينته ، ويحكم بموجبها ، وهو ما يطبقه رجال التموين والشرطة والأمن اليوم .

وان المعاينة لم يعقد الفقهاء لها

بابا مع وسائل الاثبات ، لكنهم ذكروا بعض الحالات التي تحتاج الى المعاينة في أبواب الفقه المتفرقة ، ويجب على القاضي أن ينتقل الى معاينتها ، أو أن يرسل نائبه أو أمينه للنظر فيها ، ونقل صفة المدعى به الى القاضي ليصدر الحكم فيها ، والقاضي بالخيار بأن يذهب بنفسه ، أو أن يستخلف غيره ، فيبعث خليفة عنه للرؤية والمشاهدة .

فان كان المدعى به من المنقولات التي لا يمكن نقلها الى مجلس القضاء الا بمؤونة وكلفة ، أو كان من العقارات الثابتة ، فان القاضي ينتقل الى مكان وجودها لمعاينتها وللتحقق من ادعاء المدعى فيها ، أما اذا كان المدعى به من المنقولات التي يمكن احضارها بدون كلفة ولا مؤونة فان القاضي يعاينها في مجلس القضاء ، ولا يعتبر ذلك حكما بعلمه ، مثل معاينة العيب في المبيع ، وتلف البضاعة وغيرها .

ومثال **القسم الأول** : اذا حكم على الزوج بتهيئة البيت المناسب للزوجة « البيت الشرعي أو بيت الطاعة » ثم ادعت المرأة بأن البيت الذي أعده لسكناها غير صالح ، فالقاضي يذهب بنفسه ليطلع على البيت ، ويحكم بعد معاينته بالمناسبة أوعدمها .

وهذا يدل على مشروعية المعاينة باتفاق الفقهاء ، ويؤيد ذلك قصة أبي سفيان ورجل من بني مخزوم عندما تحاكما الى سيدنا عمر ، فقد أخرج ابن التركمان في الجوهر النقي وابن عبد البر في التمهيد عن عروة وعن مجاهد أن رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب أنه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا من مكة . فقال عمر : اني لأعلم الناس بذلك ، وربما لعبت أنا وأنت فيها ونحن غلمان ، فاذا قدمت مكة فائتني بأبي سفيان ... ، فقال له عمر : يا أبا سفيان ، انهض بنا الى موضع كذا ، ونظر عمر ، فقال يا أبا سفيان ، خذ هذا الحجر من ههنا ، خذه لا أم لك ، وضعه ههنا ، فانك ما علمت قديم ظلم .... فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه .

فلو لم تكن المعاينة مشروعة لما ذهب سيدنا عمر الى ذلك ، قال الامام السرخسي : وللقاضي أن يلزمه بمعاينة سبب ذلك ، لأن معاينة السبب أقوى من افادة العلم من اقرار المقر به ، وهذا اذا رأى ذلك في مصره الذي هو قاض فيه ؛ فأما اذا رأى ذلك قبل أن يتقلد القضاء ثم استقضي ، فليس له أن يقضي بعلمه في ذلك عند أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : له أن يقضي بعلمه في ذلك ، لأن علمه بمعاينة السبب لا يختلف بما بعد أن يستقضي وقبله ، وهو أقوى من العلم الذي يحصل له بشهادة الشهود ، فان معاينة السبب تفيد علم اليقين ، وشهادة الشهود لا تفيده ذلك .

* الاثبات بالمعاينة في القانون :

أما القانون الوضعي فقد أجاز للمحكمة حق اللجوء الى المعاينة من نفسها أو بطلب الخصوم ، وجعل المعاينة من أهم الوسائل العادية ،

لأنها تمكن المحكمة من معاينة محل النزاع بنفسها ، وتكون اعتقادها عن المدعي به لاستخلاص الحكم فيه ، وقد تكون المعاينة في بعض الأحوال الدليل القاطع الوحيد في الدعوى ، وهذا ما بينه قانون البينات السوري مع بيان الاجراءات المقررة لاجراء المعاينة وتحديد وقتها ، وتحرير محضر فيها ، والاستعانة بخبراء فيها « المواد ١٣٤ ـ ١٣٧ » .

وهذا مما يتفق فيه القانون مع الشريعة تمام الاتفاق في الأخذ بالمعاينة والاعتماد عليها في وسائل الاثبات .

ولكن يصعب على القاضي في بعض الحالات الفنية الدقيقة معرفة الحقيقة فيها ، فيستعين بأهل الخبرة والتجربة ، فهل تعتبر معاينة أهل الخبرة مثل معاينة القاضي ، وتكون دليلا وحجة في الاثبات والحكم والقضاء ؟ والجواب عن هذا السؤال هو موضوع الخبرة .

* الاثبات بالخبرة ؟

الخبرة لغة : هي الاختبار ، وهو العلم بالشيء على حقيقته ، والخبير العالم ، والخبرة هي الاخبار عن حقيقة الشيء المتنازع فيه بطلب من القاضي ، والخبرة عامة تقدم في جميع المجالات العلمية والعملية ، ولا يهمنا من ذلك الا الخبرة التي تقوم عن أمر متنازع فيه أمام القضاء لاختلاف الخصوم فيه ، وادعاء كل منهما الحق لجانبه ، فيطلب القاضي ممن يثق بهم ويعتمد عليهم معرفة حقيقة الأمر بتجرد ، وتقديمه الى القاضي ، دون تحيز لأحد أطراف النزاع . فاذا قدم أحد الخصوم خبرة فلا تقبل منه .

وقول الخبير إخبار يحتمل الصدق والكذب ، ولكن خبره يعتمد على معرفة حقيقة الشيء وفحص كنهه نتيجة لتجاربه واختصاصه في ذلك وممارسته وقيامه بهذا العمل ، ولذلك فلا يشترط فيه العدد ، وقال بعض الفقهاء : لا تشترط فيه العدالة أو الذكورة .

وقد ذكر الفقهاء كثيرا من الأحكام التي يجب الرجوع فيها الى أصحاب الاختصاص والخبرة في مختلف فروع الفقه ، فاذا اختلف شخصان في نسب ثالث رجعوا الى قول القائف ، وعند الاختلاف في عيب المبيع يرجع الى أهل الخبرة في تحديد العيب ومقداره ، وهل هو قديم أو جديد ؟ وفي ادعاء التزوير في الخطوط والكتابة نلجأ الى أهل الخبرة في مضاهاة الخطوط ، ونقبل قول القاسم والخارص في الشهادة في الثمار ، ونقبل قول الأطباء في الجنون والعته في دعوى الحجر عليهما ، وهكذا في معظم الحالات ، فان الأمور الفنية والعلمية والدعاوي الدقيقة التي لا يستطيع القاضي معرفة حقيقتها بناء على اطلاعه وثقافته الخاصة فانه يرجع الى أهل الخبرة والاختصاص ، لأن أحوال الكون لا يمكن لانسان أن يلم بها ، وانما يتخصص في كل فرع منها فريق من الناس يدرسون حالاته ويعرفون خباياه ، ويطلعون على تفصيلاته ،

سواء في ذلك أحوال الانسان ، وأعراض الحيوان ، وصفات الأشياء ، وخواص المواد ، وتكوين العمران ، فاذا حصل في هذه الأمور الخاصة خلاف بين شخصين ، وأراد القاضي الوصول الى الحقيقة فيها ، فانه يستعين بأهل الخبرة وأصحاب التجربة في ذلك . ويأخذ برأيهم ، ويكون رأي الخبير هو الوسيلة في الاثبات ، في النسب والعيب والصحة والمرض والجروح والضرر وغيرها ، كما أن أعمال الخبير تكون هي المستند في الدعوى .

والأصل في كل ذلك قوله تعالى : (**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**) الانبياء /٧ ، فالخبرة والعمل بمقتضى ما يراه الخبراء مشروع باتفاق الفقهاء ، وأن فروعهم الفقهية المختلفة تدل صراحة على مشروعيتها واعتبارها في الاثبات ، وللحكم بموجبها ، وان لم يعقدوا لها بابا مستقلا .

ولتوضيح ذلك نذكر بعض الفروع المتفرقة في أبواب الفقه :

١ - **الرد بالعيب** : اذا ابتاع شخص من آخر دابة أو دارا ، ثم ظهر عيب في المبيع لم يذكره البائع ، ولم يسبق للمشتري رؤيته ، وكان العيب يؤثر في رضاء المشتري ويخل بقيمة البيع ، فأراد المشتري رده ، فأنكر البائع العيب ، ورفض رد المبيع ، فترافعا الى القضاء ، فيجب على القاضي الرجوع الى أهل الخبرة والاختصاص للنظر في العيب الخفي وتحديده فيما اذا كان قديما ، ليحكم القاضي للمشتري برد البيع ، أو كان حديثا عند المشتري فترد الدعوى ويثبت البيع ، ويكفي في الخبرة الواحد ، والاثنان أولى للاحتياط ، ويجوز الرجوع الى النساء ، لأنه يجوز من المرأة الخبر والفتيا ، قال ابن فرحون : « ونجيز شهادة أهل المعرفة في اختلاف المتبايعين في صفة المبيع » .

٢ - **عيوب الزواج** : اذا تزوج شخص بامرأة بكر على مهر معين ، وتبين أنها ثيب ، وطلب من القاضي التفريق والحكم على المرأة للتغرير به ، وأنكرت المرأة ذلك ، فتعرض على القابلة أو الطبيب المختص لبيان حقيقة الأمر ، والفصل فيه بناء على نتيجة الفحص ، وكذلك الحال اذا ادعى الزوج القرن والرتق وغيرهما ، فان القاضي يؤجل الزوج سنة كاملة لتمكينه من الاتصال بزوجته خلال فصول السنة المختلفة ، فاذا أصرت الزوجة على دعواها بعد ذلك ، فانها تعرض على أهل الخبرة في ذلك ، فان قالوا : لا تزال بكرا ، فرق القاضي بينهما .

٣ - **يرجع الى الأطباء المختصين** بالجراحة في معرفة طول الجرح وعمقه وعرضه عند دعاوي الجروح ، ويرجع الى أهل المعرفة من النساء أيضا في قياس الجرح وقدره اذا كان مما تجوز فيه شهادة النساء .

٤ - **يرجع الى أهل المعرفة** في عيوب الدواب ، ويقبل قول البيطار في عيوب ومرض الدابة ، وكذلك يرجع الى المختصين في عيوب الدور وما فيها

من الصدوع والشقوق وسائر العيوب ، ومثله عيوب السيارات والآلات الحديثة ، فان القاضي يستعين بأهل الخبرة والاختصاص .

٥ ـ يرجع القاضي الى أهل المعرفة من التجار في تقويم المتلفات وعيوب الثياب .

٦ ـ يرجع الى أهل المعرفة بالجوائح ، وما ينقص من الثمار ، ولمعرفة مالا يتكرر سببه ، أو مما يتكرر في التنازع بين الخارج وذي اليد ، قال ابن نجيم : « فان أشكل يرجع الى أهل الخبرة » .

٧ ـ ويرجع الى أهل المعرفة بمسائل الضرر بما يحدثه الانسان على جاره في الطرقات والبناء وحقوق الجوار ، ومثل ذلك يقبل الخارص الواحد فيما يخرصه عند الامام مالك ، ويقبل قول الملاح في القبلة اذا خفيت أدلتها ، وكان عدلا عارفا السير في البحر ، وكذلك من كانت صناعته في الصحراء وهو عدل ، وكذا خبر الواحد في دخول الأوقات .

وهكذا كل ما قبل فيه قول الشخص الواحد فانه من قبيل الاخبار الذي يقبل أمام القضاء لما تحف به من القرائن التي تجعل سبيله الخبرة ، قال أبو الوليد الباجي : احتج أصحابنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع السلب الى أبي قتادة بقول واحد دون يمين ، فدل على أنه يقبل فيه الواحد ، وان كان كذلك فيكون طريقه الخبر لا الشهادة .

قال العز بن عبد السلام : « الاعتماد على قول المقومين العارفين بالصفات النفيسة الموجبة لارتفاع القيمة ، وبالصفات الخسيسة الموجبة لانحطاط القيمة ، لغلبة الاصابة على تقويمهم ، وكذلك الاعتماد على قول الخارصين لغلبة اصابتهم في ذلك ، حتى لا يكادوا يخطئون » .

ويعتبر من الخبرة جميع الكشوف والعمليات والاجراءات العلمية والمختبرات التي يقوم بها أخصائيون في معرفة حقائق الأشياء المتنازع فيها ، وأهم هذه الأمور الطب الشرعي ، ويراد به العمليات التي يقوم بها أخصائيون لتحليل الدماء وفحص البصمات والكتابات والملابس لمعرفة أصحابها وفحص الحرائق لمعرفة أسبابها ، والقنابل لمعرفة مصدرها ، حتى فحص التراب والحجارة وما يمكن أن يترك أثرا ، وقد أقيمت المعامل والمعاهد لهذه الغاية ، ونستطيع أن نجد له أمثلة في التاريخ الاسلامي فالامام علي كرم الله وجهه ميز بياض البيض عن المني باستعمال الماء الساخن عندما اتهمت امرأة شابا باغتصابها .

وان تقدم العلوم وتفرع البحوث وزيادة التخصص ، وتقسيم العمل في جميع فروعه ، يؤكد الحاجة إلى الخبرة وفائدتها وأهميتها ، فان القضاة بأشد الحاجة الى أهل الخبرة والاختصاص في جميع الأمور اليومية اذا أرادوا الوصول الى حقائق الاشياء ، فيطلبون الاستعانة بذوي الاختصاص في النواحي العملية والتطبيقية في مجال العمران والتقدم وأعمال الدولة والظواهر العلمية .

والخبير يبين حقيقة الشيء بعد التجارب والبحوث العلمية التي استغرقت سنوات كثيرة في حياته، بحيث يزول معه العامل الشخصي تقريبا، وبذلك يكون رأي الخبير هو الخبرة ذاتها،! ولا ينظر الى التكوين الشخصي له، وخاصة اذا كانت الخبرة معتمدة على الآلات العلمية والطرق المادية والظواهر الثابتة المسلمة، ويقدم رأيه بناء على النظر والاستدلال.

ويشترط في الخبير أن يكون من أهل المعرفة فعلا في صنعته ومهنته واختصاصه الذي يسأل فيه، ولا يشترط فيه غير ذلك عند المالكية الذين قالوا يصح من الرجل والمرأة والمسلم والكافر والفاسق، ولا يشترط فيه العدد، فيجوز الرجوع الى خبير واحد أو أكثر، لأنه يشبه الشهادة من جهة، لأنه الزام معين، ويشبه الرواية من جهة ثانية لأنه إخبار، ويشبه الحكم من جهة ثالثة لأن حكمه ينفذ.

وانما يشترط العدد أو العدالة عند المالكية اذا تعلق بالاخبار حد من الحدود كتقويم المسروق، أو تعلق به عبادة كالهلال في رمضان، فيشترط اثنان عدلان، لأنه من باب الشهادة عندهم.

وكذلك قال الحنابلة يقبل قول الواحد، والاثنان أولى، فيقبل قول طبيب واحد في الجروح والأمراض، وقول بيطار في الدواب وغيرها، وتقبل شهادة امرأة واحدة عدل فيما لا يطلع عليه الرجال، كعيوب النساء تحت الثياب والبكارة والثيوبة والحيض والولادة والرضاع والاستهلال ونحوه، وكذلك جراحة وغيرها في حمام وعرس ونحوهما مما لا يحضره الرجال، والأحوط اثنتان، خروجا من الخلاف، وتعتبر شهادة المرأة في هذه الحالات من قبيل ابداء الخبرة فيما يختص بها.

ونرى أن كل شهادة أجازها الفقهاء بدون نصاب فهي من قبيل الخبرة، كالقابلة وغيرها.

واذا تعدد الخبراء ثم اختلفوا في الرأي أو اختلف القومان، أو اختلف القائفان. فاما أن تسقط أقوالهما لتعارضها، واما أن يقضي بأعدلهما. أو يعين خبير ثالث ليعمل بقوله.

* الخبرة في القانون الوضعي :

الخبرة وسيلة هامة في الاثبات القانوني، والأصل أن الاستعانة بالخبرة أمر اختياري للقاضي حسب تقديره، وللمحكمة مطلق الحق في تقدير ما أدلى به الخبير، بالأخذ برأيه أو رفضه، ورأي الخبير لا يقيد المحكمة، ولها أن تحكم بما يخالفه، لأنها تقضي بما تقتنع به وترتاح اليه، ولها أن تناقش الخبير ولو بنى حكمه على اعتبارات مقبولة ومعقولة، ولا جديد في القانون في موضوع الخبرة الا ما نص عليه من الاجراءات الخاصة بهذا العمل مما تقتضيه الظروف، وتوجبه المحكمة في العمل، وهو ما جاء مفصلا في قانون البينات السوري، « المواد ١٣٨ ـ ١٥٧ ».

المسجد
عمارته ووظيفته

للأستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

اقام المعمار المسلم المساجد ، لتتناسب مع متطلبات الانسان المسلم ، وتتفق مع طبيعة البيئة وتتلاءم مع الظروف المناخية ، وتراعي الظروف الدينية في توجيه المسلمين في صلاتهم الى جهة معينة فقد كانت تتجه الى بيت المقدس شمالا في اول الامر ، فلما كانت السنة الثانية من الهجرة امر الله نبيه ان يولي وجهه صوب المسجد الحرام ، ولهذا نجد ان مسجد قباء له قبلتان احداهما في الجهة الشمالية والاخرى في الجهة الجنوبية صوب المسجد العتيق بمكة .

أولا : ايوان المحراب والفناء :

وقد روعي في تصميم عمارة المسجد هذا النظام والتنسيق ، فلما حولت القبلة الى الجنوب اقيمت سقيفة ناحية الشمال ليستظل بها المسلمون كما شيدت سقيفة في الجهة الجنوبية (ايوان المحراب) واصبح للمسجد سقيفتان احداهما شمالية والثانية جنوبية ثم اقتضت ظروف التنسيق ان يوصل بين هاتين السقيفتين باخريين شرقية وغربية ، واصبح للمسجد فناء

في الوسط يحف به من كل جانب سقيفة او ايوان ، وغدا هذا التصميم هـو اساس تصميم المساجـد في الاسلام فلا بد للمسجد من فناء وايـوان محراب وبـاب في الشمال يتعامد مع محور المحراب او منتصف حائط القبلة ثم فتح في كل من الجهة الشرقية والغربية باب في منتصفهما ليدخل منه المصلون .

ثانيا : المحراب :

كان الرسول الكريم يتقدم صفوف المسلمين ليصلي بهم اماما وخلفـه جموع المؤمنين ، ولم يكن محراب مسجـد المدينـة مجوفا بل كـان مسطحا ، ولم يشيد محراب مجوف الا في العقد الرابع اي بعد اربعين سنة ليقف فيه الامام ولا يأخذ مكانا ، ويصطف المصلون خلفه في صفوف منتظمة ، كما فتح في جدار القبلة بجوار المحراب بـاب ليدخـل منه الامام ، الذي كان بيته يشيد بجوار جدار القبلة بحيث لا يتخطى صفوف المصلين ليصل الى مكانه بالمحراب .
ولـما زاد رخاء الـدولة الاسـلامية وعظمت ثروتها بولغ في زخرفة المحراب فصار يبنى من الطوب المحروق ، ويكسى بالرخام المتعدد الالوان او بالفسيفساء النادرة الجميلة ، وتعلوه او تحف به آيات من كتاب الله مثل قوله سبحانه (**فول وجهك شطر المسجد الحـرام وحيثما كنتم فـولـوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤ والآية الكريمـة : (**حافظـوا على الصلـوات والصلاة الـوسطى**) البقرة ٢٣٨ ، و:(**إن الصلاة كانت عـلى المؤمنين كتـابا مـوقـوتـا**) النساء / ١٠٣ وسجل الحكام الولاة اسماءهم ونقشوهـا على المحـراب تخليدا لذكـراهم ، وكانت الكتـابة تتنوع حسب العصر فكانت بالخط الكوفي او الكوفي المزهر بالاضافة الى الزخارف النباتية والهندسية ،

ثالثا المنبر :

كان مسجد النبي في المدينة المنورة لا منبر له حيث كـان عليه الصـلاة والسلام يخطب مستندا الى جذع نخلة ثم اتخذ منبرا من خشب الأثل يتكون من ثلاث درجات ، حيث كان يجلس على الدرجة الثالثة وقدماه الطاهرتان على الدرجة الثانية ، ولما تولى ابو بكر الخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام كان يجلس الصديق على الدرجة الثانيـة ورجلاه فـوق الدرجة الاولى ، ولما ولى امور المسلمين امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يجلس فوق الدرجة الاولى ورجلاه على ارضية المسجد .
وتطور المنبر وعظمت اهميتـه لانه المكان الذي كان يحظى بجلوس النبي الكريم ومن فوقه يستمع الناس الى شرح لامور دينهم ، كما ينادي من فوقه للجهاد والتطوع لقتال اعداء الله ورسوله وتفنن الصانع في تنميق المنبر وزخرفته فصنع من خشب الساج ، ثم

اتخذ من قطع هندسية مكعبة او اشكال سداسية او خماسية الى جانب زخارف نباتية على هيئة الشجر واغصانه ، فضلا عن الآيات القرآنية ، ومن الأمثلة على الزخرفة المنبرية ، عديد من المنابر المتقنة الصناعة الجيدة الزخرفة ففي مسجد العمري بمدينة قوص بصعيد مصر منبر رائع ينسب الى ايام الخليفة الحافظ الفاطمي نقشت عليه : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) النحل / ١٢٥ بخط كوفي مورق .

وهكذا جاء اهتمام النجار بصناعة المنبر وزخرفته لانه من افضل الاماكن التي تدعو الناس الى الامر بالمعروف والتحلي باخلاق القرآن والصفات الحميدة .

رابعا : المنارة :

لم يكن للمسجد النبوي وقت بنائه مئذنة ، فقد كان بلال مؤذن الرسول يؤذن للصلاة من فوق سطح مجاور للمسجد النبوي ، ولما رأي المسلمون برج معبد دمشق مرتفعا ويمكن الاستفادة منه لهذا الغرض ، وسمع الناس في دمشق الأذان هرعوا للصلاة ، وبدأت استخدام الابراج المربعة منارات للاذان ، وانتقل هذا الى شمال افريقيا (بالقيروان) وبالاندلس ولا زال اسم صومعة معروفا عن المنارة في هذه البلدان .

وتطور شكل المنارة في شرق الدولة الاسلامية فاصبحت لها قاعدة مربعة تعلوها قاعدة اخرى مثمنة وثالثة مستديرة وبين كل طبقة واخرى اقيمت شرفة ليقف بها المؤذن اثناء الاذان ..

كما اتخذت المنارات في فارس وبلاد الافغان انماطا اخرى ، فكانت هناك منارات مستديرة كالمدخنة او رفيعة ذات قمة مدببة كالمنارات العثمانية التي تشاهد في مساجد اسطنبول وغيرها ، وكان المؤذن يصعد الى المئذنة عن طريق درج داخلي اما منارة جامع سامرا التي شيدها الخليفة المتوكل فكان يصعد اليها من خارجها وعلى مثالها شيدت منارة جامع ابن طولون بمدينة القطائع بالقاهرة .

خامسا : مكان الوضوء :

هذا الجزء ضروري في المسجد وأحد عناصره الهامة ، فكان يجلب الماء الى المسجد عن طريق قنوات تتصل بمياه جارية او يرفع من بئر يحفر في احد اركان المسجد ، ليتوضأ المصلي ويتطهر قبل كل صلاة ، وهذه الميضأة تطورت الآن فاصبحت تمتد عبر انابيب من الحديد او النحاس على حين كانت في السابق تبنى وتصنع من الفخار .

سادسا : القباب :

اصبحت القبة عنصرا هاما من عناصر العمارة الدينية للمسجد ومن اقدم القباب قبة الصخرة ببيت المقدس

التي شيدت عام ٧٢ هـ والتي شيدت ايام الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان وكان قطرها نحو ٢٠,٤٤ مترا ، وقد ارتفعت القبة على قاعدة تتكون من قوائم اربعة « دعائم » . بين كل دعامة واخرى اعمدة ثلاثة ، وكلها تحمل ستة عشر عقدا مدببا ترتفع فوقها رقبة اسطوانية وهذه الرقبة هي منطقة الانتقال الى القبة المستديرة او ذات القنوات وغيرها .
وقد تنوعت القباب وابتكر المعمار المسلم انماطا كثيرة فكانت منها البصلية الشكل او المستديرة كما تعددت اساليب منطقة الانتقال فكانت اما ان تقام مثلثات كروية مقلوبة في كل ركن من الاركان او تقام حنايا اشبه بالمحارة على قمة المحارات في الاركان يكون الشكل مستديرا ويغطي المبنى بطاقية القبة . وزخرفت الاجزاء الداخلية من القباب بزخارف كتابية وآيات قرآنية ، واخرى هندسية لتجميلها وهذه الزخرفة يهدف بها المعمار المسلم الى عدم ترك مساحات كبيرة دون زخرفة لان الفراغ ليس مقبولا لدى الفنان والصانع المسلم .
هذه هي العناصر الرئيسية التي يتكون منها تصميم المسجد فالفناء يؤدي الى ادخال الضوء والهواء الى ايوان المحراب ، والمئذنة مكان لدعوة المسلمين للصلاة والمنبر مكان للخطبة ايام الجمع والاعياد والمحراب موضع لوقوف الامام في صدر المسجد او ينادي فيه ويدعو المسلمين للجهاد وقتال اعداء الدين ونشر الدعوة الاسلامية .

وظيفة المسجد :

كانت وظيفة المسجد مكانا لاداء الصلوات الخمس ، وفي رواق المحراب وايوانه كانت تعقد الندوات العلمية والدينية التي يتولى فيها الفقيه شرح غوامض الآيات القرآنية وتفسيرها وشرح الاحاديث النبوية ، ليكون المسلم على المام بامور الدين وتعاليمه ،؛ ففي المسجد النبوي كان الرسول وخلفاؤه يشرحون الآيات القرآنية وهكذا كان الفقهاء الذين ارسلوا الى الولايات ، فكان ابو موسى الاشعري يؤدي هذه المهمة في مسجد البصرة ايام الخليفة عمر بن الخطاب ، كما تولى هذه المهمة التابعون امثال « المقداد بن الاسود وابو الدرداء » في بلاد الشام ، وكذلك الحال كان في المسجد الكوفي حيث قام عبدالله بن مسعود برواية الاحاديث وقراءة القرآن وتفسيره ، وعلى هذا النحو كان المسجد معهدا للعلوم الدينية ، ولما ظهر الجدل وعلم الكلام وكثر النقاش في المساجد ؛ اقتضى الامر اقامة مدرسة في احد اركان المسجد لتكون مكانا للجدل والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ولغة عربية وغزوات الرسول واخبار الخلفاء ، وعلم الجغرافيا الذي تطور الى دراسة المناخ وطبقات الارض ، بالاضافة الى العلوم العقلية كالكيمياء والفيزياء والطب والصيدلة والنجوم وما اليها .
وهكذا كانت للمسجد أدوار هامة اولها العبادة ثم جاء الدور الثقافي العلمي للمسجد حيث يجلس الطلبة في حلقات

حول استاذ يعلم ابتغاء مرضاة الله ، فكان سعيد بن المسيب القرشي من التابعين الاوائل الذي كان له دور نشط وجهد في مدرسة المدينة الفقهية ، ورفض مغادرة المسجد فلم يبرح مكانه ومجلسه بقرب المحراب ليعظ المسلمين في امور دينهم ودنياهم ، وكان لقرار الخليفة الوليد بن عبد الملك أثره في تشجيع الاقبال على دراسة علوم القرآن وحفظه باعتبارها الاساس الذي يقوم عليه قضاء طلباتهم ونيل عطاياه وعلى نفس الاسلوب في كل المساجد بدأ الدور العلمي وتطور وازدهر ففي المسجد الاموي بدمشق مركز للحركة العلمية والدينية وكذلك في مساجد عمرو بن العاص وابن طولون والازهر في مصر وفي مسجد الزيتونة والقيروان بتونس ، وفي مسجد القرويين بفاس ، وفي المسجد الجامع بقرطبة في الاندلس ، فاصبح لهذه المساجد الاولى في صدر الاسلام حركة دينية ادت الى ظهور مذاهب « المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية » وانتشارها في العالم الاسلامي وبجانب هذا كان الاهتمام بالنحو والصرف والبيان والادب حتى لا يخطىء الانسان في قراءة القرآن .

وفي رحلات الرحالة امثال المقدسي ما يشير الى حلقات الدراسة والمناظرات التي كانت تعقد في المساجد بين وقت وآخر ، فقد ذكر انه حضر احداها بقوله كنت يوما في مجلس ابي الميكالي رئيس نيسابور حين حضر الفقهاء للمناظرة التي كانت تتم وفق اصول ثابتة وهي احترام المسجد ومراعاة لقدسيته » .

وقد كان الدين الحنيف حافزا للعرب والمسلمين على طلب العلم والتفكير في خلق السموات والارض ، ادراكا منهم بقدر العلماء ومكانتهم والتأمل في الكون واسراره مشجعا لمواصلة التعمق والتحصيل العلمي **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** المجادلة / ١١ ولانه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودعوة القرآن الكريم للرسول صريحة وللمسلمين كافة .

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) آل عمران / ١٦٤ كل هذه الآيات كانت سببا فيما توصل اليه العرب من تقدم حتى اصبحوا روادا في ميادين العلم المختلفة ولم يقتصر دور المسجد على الدين والعلم بل كانت تعقد به مجالس القضاء للفصل بين المتخاصمين طبقا للكتاب والسنة النبوية .

كما كانت تعقد فيه ألوية الجهاد .

وهكذا فقد حملت المساجد رسالة سامية دينية وعلمية وقضائية وساهمت في حفظ التراث العربي فمكتباتها كانت تضم انفس المخطوطات وظلت مشاعل تضيء وقبسا يحتذي ومنهلا فياضا للفكر والعلم والدين ومنارا للمعرفة واسهمت في تقدم الحضارة الانسانية وازدهارها .

النفاق والمنافقون

للاستاذ
عمر احمد
عبد الرحمن

النفاق خلق رديء ووصف خبيث ، تتلوث به الانفس الدنيئة الفاسدة الفطرة فلا يرى اهلها وسيلة الى مطامعهم في المال ومطامعهم الى الجاه الا الكذب والرياء ، ولقاء الناس بوجوه مختلفة ، والتصنع والخداع ولين القول ، كما قال تعالى فيهم « واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » المنافقون/ ٤ وهم يوجدون في كل شعب وكل قبيلة لا تخلو منهم بادية ولا حاضرة .

والنفاق صفة النفوس الضعيفة

الملتوية التي تضعف عن المواجهة، فتلجأ الى الدسيسة، وتصعب عليها الاستقامة فتداور وتحاور وتتثنى كالديدان والحيات.

والنفاق قسمان/عقيدة وعمل، فان كان في إبطان الكفر وإظهار الايمان فهو نفاق العقيدة والا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه.

والنفاق يتكون من خصال كما أن الايمان يتكون من شعب. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان » وروى ايضا بسنده عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: اذا ائتمن خان، واذا حدث كذب، واذا عاهد غدر، واذا خاصم فجر » وقال سأل سائل كيف جاءت خصال النفاق في الحديث الاول ثلاثا وفي الحديث الثاني اربعا؟

وفي الجواب عن ذلك نقول: قد جمع العلماء بين الحديثين فقالوا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم ربما اخبر ببعض العلامات في وقت وببعضها في وقت آخر: وقال النووي: حصل من مجموع الروايتين خمس خصال، لانهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الامانة وزاد الاول الخلف في الوعد، وزاد الثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة، وقال العيني: انها بالنظر الى الحقيقة ثلاث، وان كانت بحسب الظاهر خمسة، لان قوله: « اذا عاهد غدر » داخل في قوله: « اذا ائتمن خان » وقوله: « اذا خاصم فجر » يندرج في الكذب في الحديث.

وانما خص الشرع هذه الخصال بالذكر لأنها منبهة على ما عداها، إذ اصل الديانة منحصر في ثلاث: القول والفعل والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، إذ الخلف المذموم شرعا ما كان مبنيا على العزم وسبق الاصرار بان اقترن الوعد بالعزم على الخلف ونية عدم تنفيذه، اما لو كان عازما على الوفاء فعرض له مانع أو بدا له رأي، فهذا لم توجد فيه صفة النفاق، يشهد لذلك ما رواه الطبري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا وعد الرجل وهو يحدث نفسه أنه يخلف » « اي فهو منافق » وما رواه ابو داوود والترمذي في سننهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي له فلم يف فلا إثم عليه ».

نعم قد توجد هذه الخصال في المسلم المصدق بقلبه ولسانه فكيف يكون منافقا خالصا كما سماه الحديث؟ لهذا وجه العلماء قوله صلى الله عليه وسلم « كان منافقا خالصا » بتوجيهات كثيرة منها: -

١ - ان المراد من النفاق نفاق العمل لانفاق الاعتقاد الذي هو كفر.

٢ - ان الكلام على التشبيه، اي كان

كالمنافق الخالص ، لا أنه منافق في الاسلام مبطن الكفر ، فصاحب هذه الخصال شبيه بالمنافق فيها ، اذ النفاق اظهار ما يبطن خلافه ، وهو موجود في صاحب هذه الخصال :

٣ ـ ان هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه وعادة له ، يدل عليه التعبير بـ « اذا » فانها تدل على تكرر الفعل ، والتعبير بـ (كن فيه) يدل على تمكنها منه .

٤ ـ ان الغرض من هذا تحذير من اعتاد هذه الخصال خوفا ان يفضي به الى النفاق فعلا .

٥ ـ ان المراد النفاق في هذه الخصال فقط دون غيرها . ولا جدال في ان المتمسك بالنفاق العملي ، المداوم على خصاله يؤدي به ذلك الى النفاق العقيدي حتما ان لم يرجع عنه .

والنفاق من جهة اخرى ينقسم الى قسمين : خاص وعام ، فالنفاق العام ، هو ما يكون في الدين والدولة ، وخيانة الامة والملة ، واما النفاق الخاص ، فهو الشخص الذي يحاول صاحبه لقاء كل احد بما يرضيه عنه ويجيبه اليه ، ولا سيما الحكام واصحاب الجاه والمناصب والثراء ، الذين يرجو الانتفاع منهم او يخشى ضرهم ، فهو يلبس للصالحين لباس التقوى والصلاح ، ويخلع للفساق جلباب الحياء ، ويفرغ على المتكبرين حلل الاطراء ، وهو أهون النفاقين .

لم وجد النفاق بالمدينة ولم يوجد بمكة ؟ ولم يكن بمكة منافقون لأن كبراء قريش المغرورين بثروتهم الواسعة وجاههم في العرب ، بسدانة البيت الحرام ، واستكبارهم على سائر الناس واسرافهم في التمتع بالكفر وأكل الربا واتباع الشهوات ، اقول : لان كبراء قريش اعتبروا هذا الدين من اول يوم مناهضا لمصالحهم الدينية والدنياوية ، ولسيطرتهم على الحرم ، وكانوا يرون ان الاسلام يسوي بينهم وبين سائر الناس في جميع الحقوق ، ويفضل الفقير المتقي على الغني المسرف في الفسوق ، ويقتص للسوقة من الامراء والملوك ، ويحقر المتكبرين ويكرم المتواضعين ، ويزدري الظالمين والفاسقين فيسلبهم بهذا جميع ما يمتازون به على دهماء الناس ، فلهذا اعلنوا عليه حربا لا مداراة فيها ولا خفاء ، ولهذا كان اكثر من اهتدى به في مكة الفقراء وبعض اصحاب الفطر السليمة والعقول الحرة من الطبقة الوسطى ولأن طبيعة العرب الخلص تأبى النفاق ، فاما ايمان صادق واما كفر ظاهر .

وانما نجم النفاق في المدينة لما يأتي :

١ ـ فقد ظهر الاسلام وفشا في المدينة وأسلم الأنصار بظهور نور هذا الدين القويم ، ولم يكن لهم مصلحة دنياوية تحجب هذا النور عن بصائرهم ، أو تحملهم على مكابرة الحق وجحوده ككبراء قريش ، بيد ان من المعقول ألا يكون نور الاسلام قد ظهر لكل فرد منهم على سواء ، وان يكون منهم من اضطر الى الدخول فيما دخل فيه قومهم مواتاة لهم ، فاضطر افراد كثيرون ـ ومعظمهم من ذوي المكانة في

قومهم - ان يجاروا قومهم احتفاظا بمكانتهم فيهم ، حتى اذا كانت وقعة بدر قال كبيرهم : هذا أمر قد توجه .

٢ - وكان يساكن العرب في المدينة يهود ، وهم قوم مخادعون منافقون بطبيعتهم ، وعنهم أخذ عرب المدينة الذين لم يسلموا هذا الخلق المرذول ، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وصارت له الكلمة النافذة على المسلمين جميعا ، وصارت اليه الرئاسة الدينية والدنيوية والقيادة السياسية والاجتماعية ، حقد عليه وعلى دينه بعض العرب الذين كانت لهم الزعامة في المدينة ، واليهود الذين حقدوا على العرب أن يكون منهم النبي المبعوث في آخر الزمان ، فقد عاهدهم النبي على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم ، ولكنهم كانوا ينقضون عهدهم في كل مرة ويظاهرون عليه المشركين كلما جاءوا لقتالهم ، بل كانوا يغرونهم ويحرضونهم عليه ، فكانوا في اظهار الوفاء بعهده منافقين ، وكان لهم احلاف مع عرب المدينة فحافظ على مودنهم منافقوها ، وتآمر من هؤلاء واولئك فئات على الشر وعداوة الاسلام ولم يكن في استطاعتهم ان يعلنوا عن الحقدوالشر الخبيء في قلوبهم فلم يجدوا بدا من التستر بالاسلام ، يظهرونه ويبطنون الكفر والحقد والضغينة على الاسلام والمسلمين .

زعيم المنافقين وبعض أتباعه :

وقد تزعم هؤلاء رجل من العرب كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ويملكوه عليهم ، فلما انصرفوا عنه ومنهم اهله وولده ، حقد وضغن ونافق وداهن وهو عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ، وانضوى تحت لوائه - لواء النفاق - جماعة منهم ابو عامر ، وكان يقال له في الجاهلية « الراهب » ، ولبس المسوح ، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق » سيرة ابن هشام ومات بالشام غريبا طريدا وحيدا ، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين ، استشهد يوم أحد وهو غسيل الملائكة . وجلاس بن سويد بن الصامت قال ابن اسحاق : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير . ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احب ان ينظر الى شيطان فلينظر الى هذا » ابن هشام في السيرة وكان جسيما ثائرا شعر الرأس احمر العينين اسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله الى المنافقين ، وهو الذي قال : انما محمد أذن ، من حدثه بشيء صدقه فأكذبه الله ، وعباد بن حنيف ، وكان ممن بنى مسجد الضرار . ومربع بن قيظى وكان اعمى ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاز في حائطه وهو ذاهب الى احد : لا احل لك ان كنت نبيا ان تمر في حائطي ، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : لو اعلم

اني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر » ابن هشام وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجه .

وأخوه اوس بن قيظى ، وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد آمن في الجاهلية ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب ، أثخنته الجراح فاستشهد . وهؤلاء من الأوس . ومن الخزرج . رافع بن وديعة ، والجد بن قيس ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو .

ومن المفارقات العجيبة ان عبد الله ابن أبي رأس المنافقين كان له ابن من خيار المسلمين وأصدقهم ايمانا يقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي ، حتى لقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتل اباه فأبى النبي وقال : « لا ، بل نحسن صحبته ما دام بيننا » .

وتبع ابن أبي من اليهود قوم اظهروا الاسلام نفاقا وتقية ، منهم سعد بن حنيف وزيد بن الليث ورافع ابن حرملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات « لقد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورفاعة بن زيد بن التابوت ، اخبر النبي بموته مرجعه من تبوك ، ونعمان بن اوفى ، وعثمان ابن اوفى وغيرهم . « **البداية والنهاية** ج ٣ »

وهذا الخليط المنافق الممزوج من عرب المدينة ويهودها ، وان لم يعلنوها حربا سافرة فقد كانوا اشد خطرا على الدعوة من غيرهم ، لان العدو المكاشف اهون شأنا من العدو المخالط المتستر تحت ستار من الخداع والتمويه ، وكان هؤلاء المنافقون بحكم ظاهرهم يحضرون المسجد ويسمعون احاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ويتسقطون الاخبار وينقلونها الى الأعداء ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد ، فما بيتوا امرا الا اظهره الله وفضحه ، وما دبروا مكيدة الا رد الله كيدهم في نحورهم ، وانزل في شأنهم آيات كثيرة في سور متعددة كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والأحزاب والمنافقون ، وأخيرا معظم سورة براءة ، فما زال يقول فيها « ومنهم » « ومنهم » حتى اخزاهم وكشف نذالة نفوسهم وخبث طواياهم ولؤم طباعهم وفساد نواياهم تجاه الاسلام والمسلمين .

سياسة الاسلام مع المنافقين :

وقد كانت سياسة الاسلام تجاه المنافقين ، ان من اظهر الاسلام يعامل كما يعامل سائر المسلمين لأن قاعدة الاسلام : ان الحكم على الظواهر ، وان الله تعالى وحده هو الذي يحاسب ويعاقب على السرائر ، فهو الذي يعلمها وحده وهو الذي يجازي عليها ولا يباح لحاكم ولا لنبي أن يحكم على انسان بانه يسر الكفر في نفسه ، ولا ان يتهمه بذلك ويعاقبه عليه ، ولا

يثبت الكفر على من ظاهره الاسلام الا باقرار صريح منه او صدور قول او فعل يدل عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن او النبي ، او جحود كونه خاتم النبيين لا نبي بعده ، والشرك بالله بدعاء غيره ، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، لا يقبل فيه تأويل كجحود فرضية الصلاة والحج والزكاة ، او استحلال الزنا والربا وشرب الخمر ، واما حكمة ذلك وفائدته فهي ان من يلتزم شعائر الاسلام واحكامه ولو بغير ايمان يقيني فانه يرجى له بطول العمر ان ينشرح صدره للايمان ويطمئن به قلبه ويوقن به عقله ، والا كانت استفادته وإفادته للأمة دنيوية فقط .

وقد يقال : ان مقتضى حرية الدين التي امتاز بها الاسلام في معاملة اهل الكتاب ـ اذا اقرهم على العمل بدينهم حتى فيما بين لهم انهم خالفوا فيه ما جاء به رسلهم ـ ان يفتح للمنافقين بان يظهروا كفرهم .

ونقول في الرد على هذا : ان الجمع بين اظهار كفرهم وحسبانهم من المسلمين لهم ما لهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجبات ، تناقض لا يقول به عاقل ولا يحكم به عادل ، ومثلهم فيه كمثل من يسمح له بحقوق الجنسية السياسية الوطنية ولا يطالب بالخضوع لقوانينها ولا يعاقب على انتهاكها ومخالفة احكامها ! وانما تكون حرية الدين المعقولة لأهله في دائرة محيطه ، بألا يحاسب احدهم احدا على عقيدته ووجدانه فيه ، ولا اجتهاده في فهمه الا من طريق البحث العلمي ، وليس منها ان يخالف اصوله القطعية التي لا يكون المسلم مسلما بدونها ، ويعد مع ذلك مسلما ، واذن ليس لأحد ان يطالب حكومته المتدينة بالسماح له بالخروج عل دينها ، كما لا يصح له ان يطالبها بالسماح له بالخروج على قوانينها ، فتكون حريته هنا متعارضة مع حريتها هي وحرية أمتها .

وقد يقال : إن القرآن قد فضح بعض المنافقين وحكم بكفرهم ولم ينفذ النبي عليهم احكام المرتدين عن الاسلام ، بل بقي يعاملهم هو واصحابه معاملة المسلمين ، ونقول : إن ما بينه الله تعالى من حال المنافقين إنما كان وصفا لأناس غير معينين بأشخاصهم انذارا وزجرا لهم ، ليعرفوا حقيقة حالهم ويخشوا سوء مآلهم ، عسى ان يتوب المستعدون للتوبة منهم ، وقد تاب الكثيرون منهم بما ظهر لهم من اخبار القرآن عنهم بما لا يعلمه الا الله تعالى من أمرهم . وكان الذين عرف النبي صلى الله عليه وسلم وبعض اصحابه اشخاصهم قليلين جدا كالذين هموا باغتياله صلى الله عليه وسلم ، بتشريد راحلته في عقبة في طريق منصرفه من تبوك ليطرحوه عنها .

نسأل الله أن يجنبنا هذا المرض الخطير المستشري في الأفراد والجماعات وفي الدول والحكومات ، وندعو بدعاء اسلافنا :

« اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش » .



اعداد : سعد عوض المر

الدعاء يحبه الله :

يقول الله عز وجل : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)البقرة / ١٨٦ ، (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) (وادعوه خوفا وطمعا) (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف / ٥٥ و ٥٦ و ١٨٠ ، (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى)الاسراء / ١١٠ ، (قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم)

الفرقان / ٧٧ ، (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**) (**هو الحي لاإله إلا هو فادعوه مخلصين**) غافر/٦٠ و ٦٥ .

ان هذه الآيات النورانية تبين لنا مقام الدعاء عند الله تبارك وتعالى ، كيف لا .... وقد تجلت فيها هذه الربوبية الكريمة على عباد الله ، وتلك الالوهية الرحيمة على كل الناس من رب الناس القادر على كل شيء .

فقليل من الخلق اذا سألته أعطاك ... أعطاك اذا كان يملك ، بل إن عطاءه هذا قد يكون على مضض ، أو يكون قد سبقه فكر فيما سيعود منك عليه ، وما من أحد طلبت منه وأخذت ولم ينقص .

أما الله سبحانه وتعالى فانه يحب من عباده أن يدعوه دائما ، ويرضى على من يطلب منه ليل نهار ، فكلما زاد االطلب من العبد زاد الرضا من الرب ، لأن العلاقة هنا هي علاقة بين عاطى وآخذ ، عاطى خزائنه لا تنفد وآخذ لايشبع ولا يقنع بل دائما هو الى مطمع ، إنها علاقة بين خالق قوى ومخلوق ضعيف : (**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**)النساء / ٢٨ .

ان الله جل شأنه يصيب بعض الناس ببعض المصائب أو بعض الشدائد بغية أن يتذكروه ، فاذا تذكروه ذكروه ، واذا ذكروه دعوه ، واذا دعوه عبدوه ، فاذا عبدوه حمدوه ، واذا حمدوه أحبوه ، حينئذ يكشف ماألم بهم من سوء فيكونون بذلك قد كسبوا رضاه : (**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون**)الانعام / ٤٢ ، (**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**)المؤمنون / ٧٦ ، (**وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون**) الأعراف / ٩٤ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين كثيرا على أن يدعوا الله ولا يكلوا في دعائهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**) . رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

الله يأخذ بأيدينا في دنيانا :

لقد خلق الله عز وجل ذلك الانسان ولم يتركه في هذا الكون يواجه هذه الحياة وحده ، فبرحمته جل جلاله وهب له عقلا يستطيع به أن يفكر من أجل ممارسة كرامته التي وهبها الله له ، فبه يستطيع أن ينال قدرا كبيرا من النعم التي تحيط به بأقل جهد بدنى يبذله في سبيل حياة أفضل ينعم بها ، ولقد أسبغ هذه النعمة على جميع الناس وخص المزيد من رحمته على عباده المخلصين الذين يدعونه ، وفتح الباب دون غلق لمن يريد ، ولم يحجب مفاتيح هذه الرحمة عن كافة الناس

لمن يشاء منهم أن يدخل في عباده المؤمنين عندما وعدهم الاجابة حينما يدعونه ليستزيدوا من فضله وليأمنوا من محاذير المقادير ، ان الكافر الذي لا يؤمن بوجود الله هل يكون في طمأنينة أو راحة بال ؟ .... كلا إنه حينما يجد نفسه في مخاطر ، ومحاطا بظروف قاسية ، أو أن يكون قد وقع في مصيبة ، فانه يكون من الصعب عليه أن يجد ملجأ منها الا الاستسلام لها ، فيصير ضعيفا مهينا ذليلا أمامها لاأمل له ولا نجاة ولا مهرب ولا مغيث منها غير الجبن والخوف أو الانتحار ، عكس ذلك المؤمن الذي عرف أن له ربا قادرا وعده أن يستجيب له حينما يفر اليه مستغيثا به رافعا يديه اليه طالبا العون منه ، فهو بقدرته وقوته وجبروته يستطيع أن يأخذ بيد من يدعوه الى بر الأمان وأن ينجيه مما يحذر منه ، ويبعد عنه مايضره : (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**) النمل / ٦٢ .

الدعاء عبادة :

ان الدعاء عند الله عبادة : (**وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**)غافر / ٦٠ ، فحينما أمرنا ربنا المعبود أن ندعوه ، وبين لنا صفة الذين لا يمتثلون لهذا الأمر بأنهم يمتنعون عن أداء عبادته باستكبارهم واعراضهم عن الدعاء ، حيث أن شعورهم بعدم الحاجة الى طلب المدد من صاحب القدرة والجبروت قد ألبسهم ثوب الباطل والكبر ، أو أنهم ظنوا أنهم قادرون على نفع أنفسهم ناسين أو متناسين بأنهم من صنع الله ، وأن عقولهم التي علموا بها وفكروا بها هي أيضا من صنعه عز وجل ، حيث أنه لا سكون ولا حركة الا به ، وبذا يكونون قد أوقعوا أنفسهم في شراك الشرك الأصغر فيكون الجزاء العادل لهم هو هلاكهم كما ورد بسورة القصص آية / ٧٨ : (**قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا**) .

ان الدعاء عبادة يبتهل بها العبد الى خالقه في أي وقت وعلى أي حال ، والدعاء غير السجود غير التسبيح : (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)الأعراف / ٢٠٥ و ٢٠٦ ، فالملائكة الكرام يقومون بالتقرب الى الله عن طريق أفعال ثلاثة : العبادة ، والتسبيح ، والسجود - وهذا يوضح معنى كلمة عبادة التي تتمثل في الدعاء بسبب ورودها بلفظ منفصل ، ولعل الآية ٦٠ من سورة غافر قد قربت هذا المعنى حينما أخبرت بأن الذين يستكبرون عن دعاء الله انما يستكبرون عن عبادته .

هذا وقد قال الحبيب المصطفى

صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) أخرجه ابن حبان ، وقال أيضا : (الدعاء مخ العبادة) أخرجه الترمذي ، وقال أيضا (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات والأرض) أخرجه الحاكم .

فعندما يقف العبد بين يدي الرب يدعوه فانه يكون بذلك قد وصل الى مرحلة العبودية والافتقار اليه جل علاه ، حينئذ يكون قد تأكد بأن له ربا قادرا على اجابة دعوته ، وأنه ملجؤه الذي يفر اليه وقت الشدائد .

ان معنى العبادة في اللغة هي خضوع وخشوع المخلوق لخالقه وكل مايحبه الله من الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة ، فاذا نظرنا الى أركان الاسلام الخمسة نجدها جميعا تتمثل في مناجاة المسلم لربه وكأنه واقف في حضرته وبين يديه ، حقا انه لايراه بعينيه ولكنه يؤمن به بعقله وبصيرته ، ان تلك الاركان ما هي الا دعاء يرفعه العبد الى بارئه راجيا منه أن يتقبله قبولا حسنا ـ فالصلاة دعاء متصل منذ بداية الوقوف حتى نهاية التسليم ، ولا أدل على هذا من أننا اذا ما رجعنا للمعنى اللغوى للصلاة نجده الدعاء ، كذلك الزكاة حينما يؤديها العابد فانه يدعو في نفسه أن يتقبلها الله ، كذلك الحج « والحج عرفة » وما الوقوف بعرفة الا تلبية ودعاء ، كذلك الصيام ماهو الا دعاء مستمر يظل يرفعه الصائم الى الله طول النهار راجيا أن يتقبله قبولا حسنا .

وعجبا لمن ينكر أن العبادة حق لله عز وجل على الناس ، وأنه لم يخلقهم الا من أجلها : (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات / ٥٦ و ٥٧ ، ان العبادة تذلل وخشوع ، خضوع بعشق ، ركوع بشوق ، خشوع بحب ، فاذا الالباب صفت أضاءت البصائر وسجدت القلوب ، فاذا كان القرب كان الحب فيرتفع العبد الى الرب ليصبح مؤمنا خالصا له : (**والذين آمنوا أشد حبا لله**)البقرة / ١٦٥ .

والمؤمن المحب يعبد الله باخلاص ، فاذا كان ذلك كان الدعاء ثم كانت الاجابة ، فما الدعاء الا توفيق من الله رب الانام ، والذي يؤتى الدعاء بسبب حب الله له انما يكون قد اوتى خيرا كثيرا كما ورد في الحديث القدسي : ((ماتقرب الى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه)) رواه البخاري .

ان الله خلقنا كي نعبده ، ولم يرض لنا أن نعبد من دونه ما خلقه من أجلنا ، فليس من العدل حقا أن يصير الانسان ملكا لما يجب أن يتملكه أو أن يصبح عبدا لتلك الماديات التي تحط من سمو روحه ، فلقد وهب الله بني آدم نعمة التفضل والكرامة على كثير مما خلق : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير**

ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء / ٧٠ .

لذا يجب أن نستقبل هذه النعمة بالشكر الذي يزيدها لا بالجحود الذي يزيلها ، انها عندئذ تكون قضية الشرك الذي يبغضه الله ولا يغفره أبدا ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لذا وجب على الانسان أن يحذر وساوس الشيطان ، فلا يكون عبدا لهواه أو أسيرا لشيء يخشاه : **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** النساء / ١١٦ .

لادعاء الا لله

لادعاء لنبي أو ولي ، ولا وساطة في الدعاء ولا لجوء لمخلوق عند التقرب الى الله ، فالله لايحب أن يكون للعبد ولي من دونه ، لأن في هذا شركا به : **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)** الجن / ١٨ ، **(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته)** الاسراء / ٥٦ و ٥٧ ، **(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)** فاطر / ١٣ و ١٤ ، **(فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)** الزمر / ٢ و ٣ ، **(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)** الاعراف / ١٩٤ ، **(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون)** الاعراف / ١٩٧ .

ان الله عز وجل لا يحب اذا دعاه داع أن يكون بينهما ثالث ، فالله يعلم السر وأخفى ، يعلم ما أخفاه ذلك الانسان من قبل ان ينطق به لسانه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن يجيب على بعض الاسئلة التي تطرح أحيانا عليه الا عن طريق الوحي ، فكانت الآيات القرآنية تتنزل باذنه بالسؤال ثم تليها الاجابة مسبوقة بكلمة (قل) أي قل يامحمد :

(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) البقرة / ٢٢٠ . **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي)** الاعراف / ١٨٧ ، **(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول)** الأنفال / ١ .

ولكن جاءت حالة واحدة فقط تمثلت في سؤال ـ ويا له من سؤال : سؤال واحد عندما اقترب منه العباد اقترب الله أكثر فعجل الاجابة عليه حتى من قبل أن ينطقوا به ، بل انه عز وجل أخبر به حينما أجاب عليه ، وجاءت الاجابة عليه مباشرة من الله الى عباده دون أن ترد كلمة (قل) لأن الامر هنا قد تمثل في علاقة بين مخلوق وبارئه ، فاذا وقف بين يديه يسأله

ويرجوه ، كان هذا الوقوف عبادة ودعاء :

(وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة ١٨٦

الدعاء والقدر :

منذ الأزل وأقدار الناس مكتوبة بعلم الله العلي القدير ، فبقدرته سبحانه وتعالى علم ماسيتم منهم من أفعال من قبل أن يتنسموا نسيم الحياة ، بل وقد علم ما سيترتب عليها من نتائج وأحداث ، ولا عجب من ذلك فانه رب الانام وواجد الحياة ، فانت أيها المخلوق قد تستطيع أن تنظر الى السماء فترى سحابة سوداء مثقلة بالماء ، قادمة من هناك فتقول لمن حولك من الصحاب : ان المطر سينزل من السماء بعد ساعة من الزمان ، لقد قلت ذلك بعلمك المحدود الذي رآها سحابة سوداء ليست بيضاء ، جاءت متجهة نحوك من بعيد تسير ببطء شديد ، فاذا ماتحقق ذلك .. هل نقول لك لقد علمت الغيب ؟أو أن لك قوة في اسقاط هذا الماء ؟ بالطبع لا ، فهو علم علمك الله اياه قد جاء من تجارب سبق ان مرت عليك مرات ومرات فعلمت منها أن هناك مقدمات لكل حدث من قبل أن يقع ، فما بالك بعد ذلك تتعجب من أن القدر مكتوب عند الله منذ الأزل ، والله القادر الخالق العليم ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال علام الغيوب ، ألا يستطيع أن يعلم الأقدار .

وكما سبق أن نوهنا من أن أفعال الناس تترتب عليها نتائج وأحداث ، وان تلك الافعال تتم بمحض اختيارهم هم ، لأنه عز وجل أعطاهم عقلا صالحا قادرا على التمييز بين الخير والشر ، ومن ثم كانت حرية اتخاذ القرار نابعة منهم أنفسهم ، وهذا ما نتدبره من الآية العاشرة في سورة البلد : **(وهديناه النجدين)** ، أفلا يكون من العدل بعد ذلك أن يجنوا حصائد ما زرعوا ، ولنقف هنا وقفة .... ولنتذكر غفورا رحيما ومن ثم وجب علينا أن نغير العبارة الأخيرة ونقول : (أنه ليس من الظلم بعد ذلك أن يجنوا حصائد مازرعوا) ، فما يدريك أن يغفر الله لهم اذا شاء برحمته فقد سبقت رحمته غضبه .

ولكن هل القدر يستطيع أن يرده حذر ؟ كلا ... بل إن الدعاء هو الذي يستطيع أن يغير القدر ، فقد وعد الله عباده في قرآنه أن يستجيب لهم عندما يدعونه ولم يستثن من ذلك تغيير الاقدار أو رفع المصائب أو الشدائد من قبل وقوعها ، وهذا مانستشفه من قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : (لاينفع الحذر من القدر ، ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء) ، وقال أيضا فيما رواه الامام أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه : (لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عباد الله) .

هذا وقد صح عن الرسول صلى

الله عليه وسلم في دعاء القنوت قوله (وقنى شر ما قضيت) وفي هذا الدعاء نلمح طلب رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يحفظه الله من شر القضاء الازلى ، ولو لم يمكن تغييره ماصح أن يطلبه النبي مصداقا لقوله عز وجل في الآية الثالثة في سورة النجم : (**وما ينطق عن الهوى**) .

وكما أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من أن القدر ينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيتصارعان الى يوم القيامة ، وان ما حدث ليونس عليه السلام بعد أن ابتلعه الحوت في بطنه ، لدليل على أن الله قادر على أن يغير الاقدار اذا ما دعاه داع أو اذا كان من يرجو رحمته من المسبحين المناجين له في السراء ، فالله يتجلى باسمه اللطيف المغيث ، الرحمن الرحيم على عبده بسبب ابتهاله له واستمرار تسبيحه لذاته العلية : (**فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) الصافات / ١٤٣ و ١٤٤ .

ان استحالة أن يلفظ الحوت ما ابتلعه بجوار شاطىء بحر تتلاشى مع قدرة الله ووعده عباده المخلصين أن يستجيب لهم اذا مادعوه وان ينجي المؤمن منهم اذا مارفع له استغاثته بقوله : **لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** .

الدعاء الذي لايرد :

حينما يقع الانسان في مصيبة ، وتنقطع أمام عينيه الأسباب ، ولا يرى حوله أحدا من الأحباب ، ولا يجد من كان يراهم من الاصحاب ، وتضيق الدنيا أمام خطاه ، عندئذ تتحطم قلوع نفسه وأمله فوق صخور يأسه وملله ، ويصبح كريشة صغيرة في مهب الريح تعصف به كيف تشاء .

حينئذ لايجد العبد الا الله ولا يجد ملجأ الا اليه ، ولا مغيثا الا هو ، ولا قادرا الا سبحانه ، فيرفع رأسه داعيا طالبا العون والنجاة ، عندئذ فقط يكون اليقين كاملا والاخلاص شفافا ، والامل نقيا والرجوع اليه صادقا ، فيجد السميع المجيب ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى في سورة النمل آية / ٦٢ (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**)

كذلك الراجع الى ربه العائد الى بارئه التائب من ذنبه حينما يدعوه يجده أمامه محيطا به من كل جنب ، كذلك الصائم الذي يرجو رحمة ربه ، كذلك الامام العادل والرجل الصالح ، كذلك الولد البار بوالديه ، كذلك المسلم الذي يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب ، كذلك الذي يخاف الله ولا يأكل الا الحلال يطيب مطعمه فتستجاب دعوته ، اما ذلك المظلوم الذي يدعو الله ويلح في الدعاء شاكيا متوجعا ما أصابه ، رافعا شكواه الى جبار السموات والأرض مستغيثا أن ينصره ، متلهفا أن ينتقم من ظالمه ، أملا في عدل مولاه .. فهل يرده الله صفر اليدين بعد ذلك ؟ لا ... بل يعجل اجابة دعوته في دنياه ، لأنه حرم

الظلم على نفسه فكيف يتقبله أو يقبله من عباده .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لا ترد دعوتهم : الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كيف يتقبل الله الدعاء ؟

كثيرا مايدعو الانسان ربه بشيء قد يكون محببا له في لحظته يريد أن يتحقق ويأمل أن يستجاب له ، وهو لا يدري أن في تحقيقه ستكون الطامة الكبرى وستكون التهلكة والضرر .

وكثيرا ما يحزن المسلم لأنه ألح في دعائه ولم يجد استجابة ، رغم أن دعاءه هذا كان عريضا متواصلا . وقد يصيبه شيطانه ببعض وساوسه فيحاوره عما ورد بالآية الكريمة :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة / ١٨٦ ، انه يذكره فقط أنه دعا وينسيه أن يسأل نفسه هل هو حقا من عباد الله ؟ فهذا هو الشرط الذي يظهر بالآية الكريمة ، لاجابة الدعاء ، وقد يكون ماطلبه العبد هلاكا له وهو لا يدري ، فعسانا أن نحب شيئا وهو شر لنا وعسانا أن نكره شيئا وهو خير لنا : **(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء / ١٩ ، وقال تعالى : **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)** البقرة / ٢١٦ . وقد ينسيه الشيطان أيضا أن يتفكر فيما دعا به الى الله ، هل دعاؤه هذا قد مسه ظلم أيا كان هذا الظلم ؟ أنساه الشيطان كذلك أن يتفكر في أن الله ربما يكون قد ادخر له اجابة دعائه لوقت يعلم انه خير من ذلك اليوم الذي دعاه فيه وان في تأخير الاجابة سيكون الخير الكثير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له ، فاما أن يعجل له في الدنيا ، واما أن يؤخر له في الآخرة ، واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل يقول : دعوت ربي فما استجاب لي) رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه . واياك اياك من أكل الحرام اذا اردت أن يتقبل الله دعاءك وتكون دائما مستجاب الدعوة فلحمك الذي هو منك سينبت منه ، واللحم الذي نبت من حرام تكون النار أولى به ... وانى يستجاب لصاحبه .

الله يحب الداعي الشكور :

ان اكثر الناس يعيشون يومهم فقط ولا يتفكرون ، بل لايتوقعون ماسيؤول اليه حالهم نتيجة لأعمالهم ، بل أن كثيرا منهم يحبون أن يتناسوا ما مر بهم من ضنك وعذاب ، ولا يذكرون أنهم لم يخرجوا من تلك المصائب الا

برحمة من الله وعون ... هل جحدوا أو تناسوا ماكانوا يدعون ؟ ... وكيف كان حالهم حينما كانوا يلجون ويستغيثون ، ثم الآن هم لاهون ، بل عجبا يوقنون ان ماأخرجهم من مصائبهم الا أسباب وخلائق من دون الله ، بل عموا وصموا عن قوله سبحانه وتعالى في سورة فاطر آية / ١٥ : (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**) ، فيارب لا تجعلنا مع هؤلاء القوم الذين نسوا وقنطوا ولم يشكروا لك أو مع الذين وصفتهم في كثير من آيات الذكر الحكيم : (**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون**)الانعام / ٦٣ و ٦٤ ، (**وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه**) يونس / ١٢ ، (**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا**) الاسراء / ٦٧ ، (**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**) الروم / ٣٣ (**وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ماكان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا**) الزمر / ٨ (**فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم**) الزمر / ٤٩ ، (**لايسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط**) فصلت / ٤٩ ، (**وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**) فصلت / ٥١ .

الدعاء ينفع الميت :

لقد أوصانا الله عز وجل بالوالدين احسانا ، وقد وردت هذه التوصية في كثير من الآيات بنفس الكلمات ، ففي سورة الانعام آية / ١٥١ والنساء آية / ٣٦ والاسراء / ٢٣ يقول الله تعالى : (**وبالوالدين إحسانا**) ، كذلك في سورة العنكبوت آية/ ٨ ولقمان آية/ ١٤ : (**ووصينا الانسان بوالديه**) .

وما يوصي به الرب يكون أمرا وتكليفا الى العبد ، ولقد جاء بصيغة التوصية ليكون هذا الاحسان نابعا من القلب محببا الى النفس ، كذلك ليأتي هذا العمل ممزوجا بالعاطفة والرحمة .

فعندما يصبح الانسان أبا حينئذ يحس بأن هذه التوصية لها اشعاع من الرحمة والعدل ، واذا كان الاحساس ممكنا في حياتهما .. فكيف يكون الحال بعد مماتهما ؟ وما العمل لاستمرار برهما أو تدارك مافات ؟ ... انه الدعاء وان عمل ابن آدم ينقطع عنه بعد مماته الا من ثلاثة أشياء ، وما الدعاء الا واحد منها .

المعية للداعين الذاكرين والشقاء للمستكبرين الغافلين :

ان معية الله عز وجل تكون من نصيب الذاكرين الداعين ، أما التعب والنصب فيصيب المستكبرين الغافلين ، وما دام الانسان يدعو ربه ويذكره فان الشيطان لايجد اليه سبيلا : **(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)** الزخرف/ ٣٦ ، **(فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)** البقرة / ١٥٢ .

أنواع الدعاء

الاصل ان يكون الدعاء من الناس الى رب الناس ، الا انه عندما خلق الله ادم ومن ورائه ذريته اصبحت الملائكة تدعو الله وتستغفر لذنوب المؤمنين من هؤلاء الناس .

ودعاء الناس يختلف في درجة قبوله وفقا لصلة الانسان بربه ، فكلما قرب العبد من الله كلما كانت استجابته عز وجل أقرب ، فالمؤمن من يدعو دائما لنفسه بالخير من أجل الدنيا والآخرة ، كما أنه يدعو لأهله ووالديه ويدعو لغيره من المسلمين سواء كانوا أحياء أم أمواتا كما في صلاة الجنازة أو بعد دفن الميت مهما طال الزمن ، وقد يكون الدعاء إما بخير فيتقبله الله ؛ أو بشر فلا يجني صاحبه إلا سخط الله عليه .

أما دعاء الأنبياء والرسل فانه يكون مقبولا باذن الله لما له من شفافية وإيمان : **(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له)** الأنبياء ٨٣ و٨٤ : **(ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه)** الأنبياء/ ٧٦ :

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له) الأنبياء/ ٨٩ و٩٠ .

أفضل الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » . رواه الترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه ، وقد يتساءل سائل : إن الله يدعونا لأن ندعوه وهو البر الرحيم ، فكيف يشغلنا بقراءة القرآن عن دعائه والدعاء عبادة ؟.. والاجابة على ذلك لا تتطلب جهدا فان قارىء القرآن يدعو ربه بخير دعاء وخير الكلمات وفيها جوامع الكلم وما يتصوره انسان وما لم يتصوره من خير وسعادة الدارين ، فكلمات الله أنزلها عطاء ورحمة ، وان خير الدعاء ما علمه لنا قابل الدعاء ، هذا وقد وردت آيات الدعاء في معظم سور القرآن الكريم حتى تلك التي لم ترد فيها فانها تذكرنا بالعذاب او

الجنة فنجد ان قلوبنا قد انخلعت منا تدعو مولاها بما سمعت ورأت خوفا وطمعا ، فما بالك إذن اذا دعا قارىء القرآن الله بكلمات هو علمها لنا ، وأمرنا أن ندعوه بها وهو يقرؤها بين يديه طاهرا عندما لمسه ، وما بالك أيضا في أنه أخذ نفسه إلى ضيافة الرحمن ، وكان حقا على المضيف أن يكرم ضيفه ، وأنت إذا فتحت كتاب الله لوجدت أن الدعاء قد ورد في أول سورة به ، سورة الفاتحة (**إهدنا الصراط المستقيم**) .

فلنسارع إلى الدعاء

لنتعجل إليه من قبل أن يأتينا الموت بغتة ، ولنتخير الأوقات المباركة لنزيد منه متضرعين فيها بخشوع وخضوع ، ويقينا أن الأوقات كلها يستجيب الله فيها لمن يدعوه من عباده ، إلا أن بعضها يكون مفضلا ، والدعاء فيها يزيد العبد تقربا له ، فيتجلى الله بكرمه على من لاذ بحماه .

إن الله يفضل خلقا من كل شيء خلقه ، فهذا الانسان مكرم من بين خلقه في أرضه ، وهذا محمد من بين الرسل والأنبياء ، وذاك جبريل من بين ملائكة كرام : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/٧٥ ، وهناك جنة المأوى من بين جنات النعيم ، كذلك ساعة الجمعة وكذا جوف الليل من بين الساعات : (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا**) السجدة/١٦ ، كذلك يوم عرفة والجمعة من النهار ، كذلك ليلة القدر ، وشهر رمضان من بين الشهور - وهذا ما يؤكده ورود آية الدعاء ١٨٦ في سورة البقرة بين آيات الصيام - كذلك الدعاء حين الأذان وعند الالتحام في سبيل الله ، وحين تلاوة القرآن الكريم وبعد ختمه ، وبعد كل صلاة مفروضة ، كذلك حين الشرب من زمزم ، وعند مجالس ذكر الله وحين السجود : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم ، مصداقا لقوله عز وجل في سورة العلق آية/١٩ : (**واسجد واقترب**) وفي سورة النجم آية/٦٢ : (**فاسجدوا لله واعبدوا**) ، لأن في السجود تقربا إلى الله ، وما القرب إلا صلة وعبادة ، وما العبادة إلا دعاء .

ثم نقف بين يدي الله تعالى مستقبلين القبلة رافعين أيدينا إليه في خشوع وخضوع مقبلين مقلبين قلوبنا بين رغبة ورهبة بين رجاء وخوف : (**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا**) الأنبياء/٩٠ ، ولنقف بين يديه عز وجل خافضين أصواتنا فهو سميع عليم : (**إذ نادى ربه نداء خفيا**) مريم/٣ ، (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ ، (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول**) الاعراف/٢٠٥ .

وقبل أن ندعوه يجب أن نكون مؤمنين موقنين بقدرته وكرمه . وبأنه

سيقبله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فالله إذا قال للشيء كن فيكون .

ولنبدأ الدعاء بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم نحمده تعالى ونثني عليه ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء » رواه الترمذي عن عبيدة رضي الله عنه .

ويجب ألا ننسى أن نذكر في دعائنا الصلاة على النبي المصطفى حيث قال : « كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

كما لا ننسى أن نبدأ الدعاء ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم نستغفره ونتوب إليه ، ثم ندعوا بما علمنا الله تعالى في كتابه الكريم ، أو بما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)** البقرة/٢٨٦ .

ولندعوه عز وجل باسمائه الحسنى ، ولنكثر الدعاء بالاسم الذي نأمل من الله أن يتجلى علينا بفيض منه ، ولنختر من الأسماء الحسنى الاسم الذي يوافق حالتنا في الدنيا وقت الدعاء ووفقا لظروف معيشتنا ، وما أصبحت عليه نفسيتنا فاذا طلبنا الغنى دعوناه : « ياغني يامغني » وإذا أردنا العزة والكرامة في بعض الأمور دعوناه باسمائه : « يامعز ياعزيز » ، واذا ما رغبنا في الرحمة واللطف دعوناه : « يالطيف يارحيم يارحمن » .

ولنبدأ ما ندعوا به بـ « اللهم ربنا » لان كثيرا من آيات الدعاء في القرآن الكريم بدأت بهذه الكلمات المباركة التي تذكرنا بالعلاقة بين الله والانسان ، ولنستحضر أرواحنا وقلوبنا بين يدي الله ، لأننا بين يدي الله وفي حضرته وفي رحاب ملك الملوك .

ولندعوا ولنلح في الدعاء ولا نمل فقد قال ابن مسعود : كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثا ، ففي هذا تصفية لقلوبنا من الأمراض ، وتخليص لها من فكرة الاعتماد على النفس في البحث عن أسباب وكيفية تحقيق ما ندعوه به ، وحتى يوقن الداعي أن إجابته لدعائه هي مشيئة خالصة لله قد وفقه الله لأن يدعوه بها ليستجيب له .

وأخيرا يجب أن نؤمن على دعائنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا أحدكم فليؤمن على دعاء نفسه » رواه ابن عدى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم ننهيه بما انتهى به دعاء زكريا عليه السلام في سورة آل عمران آية رقم/٣٨ : **(إنك سميع الدعاء)** .

بأقلام القراء

الصوم وتربية الصمود

كتب الاستاذ : عبد الغني احمد ناجي يقول :

دأب الناس منذ بدء الخليقة علي التمدح بصفات خاصة تكسب الشخص العزة والمجادة في المجتمع الذي يعيش فيه وربما لا يستطيع الحصر أن يأتي على تلك الصفات . ولما كان الذي يجذب ويعجب في كل شيء ذروته ومنتهاه ، فأننا لا ندهش إذا وجدنا صفة الصمود أو قوة الارادة تتسنم هرم الصفات التي تكون الشخصية القوية لدى الانسان ، اذ هي الدعامة المتينة التي تسمق فوقها الرجولة الكاملة .

والله سبحانه وتعالى خلق الانسان ضعيفا أمام نزواته وشهواته ، ولكنه أرشده إلى أمضى سلاح يستطيع به التغلب على ضعفه البشري . ووعده أجزل الثواب ان هو أحرز النجاح في استعمال ذلك السلاح الذي لا يتعدى التمرس والتدريب على ضبط النفس ، وكبح جماحها ، ويتجلى ذلك بوضوح في فريضة الصيام التي تلزم المسلم بأن يلجم شهوتي بطنه وفرجه من الفجر الى غروب الشمس ، وهي المدة التي يكون فيها يقظا ، وشهواته متفتحة ، ونزواته حية نشيطة حتى يكون للتدريب ثمرة ، وحتى يتحقق معنى الكبح للنفس ، والالجام للشهوات .

فالانسان الذي يبلغ به الجوع والعطش مشارف الهلاك ثم يمتنع عن الطعام والشراب اتباعا لارشاد ، وانصياعا لتنبيه عمق ايمانه بهما وبأثرهما ـ هو إنسان وصل الى ذروة الصمود ، وقوة الارادة ، والانسان الذي يتأبى في شمم ديني أمام شهوته وهي تحاول أن تميله هو انسان عرف الطريق الى المكانة السامية بعد أن مرن على قيادة نفسه ، وتخلص من أن تقوده نفسه ، والنفس أمارة بالسوء .

ونحن كثيرا ما نقرأ عن فقراء الهند الذين يسيرون على نظام معين في الطعام والشراب والبعد عن مباهج الحياة ليكتسبوا صفاء النفس ، وشفافية الروح بغية الاتيان بالاعاجيب ، فهم يأخذهم النفس بألوان من القسوة وشظف العيش مدة

طويلة تمكنوا من السيطرة عليها سيطرة تامة ، وكأن نزواتهم البشرية غدت ولا حياة فيها ، نذكر ذلك لنشير الى ان الانسان اذا ترك لنفسه العنان في الحياة ، وأشبع رغباتها دون ما ضغط أو إحكام كانت طفولته مستمرة ، وإن أوغل في مراحل الشيخوخة ، ومثله لا يعول عليه ، ولا يصول ابدا في مجال ، ويكون عبئا على من يعيش بين ظهرانيهم ، وأتعس بمجتمع يتكون من أمثاله .

ولما كان هدف الاسلام الأمثل تكوين مجتمع فاضل يتسم بالقوة العادلة ،

والعزة الحكيمة ، والأخوة الرشيدة ، فانه أخذ الفرد - وهو اللبنة الأولى في المجتمع - بصنوف عديدة من التربية الهادفة الراشدة التي تكون الرجل بكل ما توحي به لفظة الرجل من معان تنداح دائرتها ثم تنحصر في (الصمود وقوة الارادة) .

فكانت فريضة الصيام في الاسلام لأهداف سامية ، وحكم بالغة تجلت بعد التجريب والتدريب .

وفي قمة هذه الأهداف تكون المجتمع الصامد كالطود الراسخ ، وليس ذلك التحليل او التخريج بغريب ، فنحن لا ننكر أن من أهداف الصوم في الاسلام ما يتردد كثيرا على السنة الفقهاء والوعاظ من الحفاظ على الصحة العامة ، فقد أثبته اطباء العصر الحديث ، وهذا مفخرة للاسلام ، وان كان الاسلام ليس في حاجة الى ذلك - ومن حمل الأغنياء على مسح دموع البؤساء بالإحسان والمعروف ولكننا نرى ان الاسلام يهدف من وراء كل فريضة يشرعها الى أهداف متفاوتة يكون أسماها وأرقاها ما يمس كيان المجتمع او يتصل بقوة الأمة وسلامتها .

فالاسلام ربما كان الدين الوحيد الذي دعا اتباعه الى أخذ وسائل القوة تجاه أعدائه ، قال تعالى : « **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم﴾** وليس ببعيد ان يكون المراد بالقوة - والله أعلم بمراده - القوة المعنوية التي تتجلى في الصمود وقوة الارادة ، وعدم التزحزح عن الحق قيد أنملة ، ولو كان في ذلك الموت فهو الشهادة التي يحظى بها الأبرار يشرح ذلك قوله تعالى : « .. **ومن رباط الخيل** » بعد قوله : « .. **من قوة** » فرباط الخيل رمز للسلاح المادي بكل صنوفه وتطوراته عبر حقب التاريخ المديد ، فيتعين أن يكون المراد بالقوة ، القوة المعنوية ، لأن العطف يقتضي المغايرة كما يقول علماء النحو .

ولقد وجد الاسلام الحنيف الحصيف أن أمثل طريقة لتقوية الجماعة معنويا تقوية الفرد أولا ، فمن اللبنات المتينة يتكون البناء الحصين ، لهذا شرع الصوم ، وفرضه على المسلم القادر منذ بلوغه أي دخوله مرحلة الرجولة ، وكأنه يقول لمن ناهز البلوغ : ستدخل مرحلة

شاقة ومشرقة : شاقة بأعبائها ومتطلباتها ، ومشرقة بما يحوطها من هالات المجد والعزة ، إنها مرحلة الرجولة الحقة .

ولما كان الجندي - اي جندي - لا يستطيع استعمال السلاح من فور انخراطه في سلك الجندية الا بعد تمرين طويل وعنيف على استعمال ذلك السلاح المادي - كان كذلك من شارف الرجولة لا يستطيع القيام بما تتطلبه تلك المرحلة من صمود وقوة إرادة - وهما أخص خصائصها - الا بالمراس الطويل ، والتدريب المستمر ، وكانت حلبة ذلك التمرين على استعمال السلاح المعنوي :

(**الصمود وقوة الارادة**) - فريضة الصيام التي جعلت المسلم في صموده أمام أعدائه في الحياة - بشرا كانوا أم أزمات وشدائد - يفوق الخيال ، وكأن الاسلام يقول لأتباعه : ستقابلكم في الحياة أخطار وأهوال ، ولن تتخطوا مراحلها الا بالصمود ، وكأنهم تساءلوا : ومن أين لنا به ؟ ، فكان الجواب : مما فرضه الله سبحانه وتعالى عليكم من صيام شهر كل عام .

وبعد .. فلنا - نحن المسلمين - أن نقول في مسامع الدنيا : إننا صائمون .. صامدون تجاه كل قوى الغدر والطغيان ممثلة في الاستعمار وأذنابه .

ضراعة صائم

من قصيدة للأستاذ / عبد الغني احمد زكي

يـأيها الشهر العظيم تحية	من مسلمين أتوك بالتوبات
يرجون رب الخلق عفوا واسعا	وقبول هذا الصوم والصلوات
يا من يصوم الشهر انت مقرب	فادع الاله يفرج الكربات
واحرص على ارضاء ربك دائما	فاجف الذنوب ومنكر السوءات
والنفس طهرها وزك ميولها	تجد الاله يحطك بالخيرات
لا تخش فوت الرزق ان حظوظنا	قد قسمت في اللوح بالميقات
يا رب هذا الشهر صمنا فارعنا	والطف بنا يوم الحساب الآتي
واجعل جزاء صيامنا وقيامنا	حسن الثواب لديك في الجنات

بريد الوعي الاسلامي

خطر جديد

ما زلنا نحذر من اساليب التبشير المسيحي ، ومحاولاتهم الخسيسة للنيل من الاسلام والمسلمين .. وها هو الدكتور عمر حسن كاسولي .. تأتينا رسالته من امريكا لتكشف لنا عن وجه قبيح من اوجه التبشير المسيحي .. وهكذا تواصل « الوعي الاسلامي » حملتها المضادة .. آملة ان تجد من اغنياء المسلمين وعلمائهم والغيورين على دينهم الاسلامي الحنيف وقفة في وجه هذا الخطر الجديد ..

يقول الدكتور/عمر حسن كاسولي :

● منذ الحادي عشر من يناير الى الرابع عشر من نفس الشهر ١٩٨٢ ، التقى « جماعة لوزان » المتخصصة في تنصير المسلمين مع اعضاء « هيئة اتباع النصرانية في العالم » و« مجموعة الدراسة الدينية » لمناقشة كيفية اكتساح العالم الاسلامى بالتبشير النصراني .

وقد عقد هذا اللقاء خارج لندن ، وترأسه « ريفراند باتريك شوكديو » الذي عين اخيرا منسقا للوصول الى المسلمين ، وكان من بين الحضور ستة آخرون ، من بينهم « ريفراند دق مكري » مدير معهد صاموال سفيمر بكاليفورنيا ، وعضو بمجموعة لوزان للعمل الاستراتيجي .

● وقد قررت هذه اللجنة ان تطلق على نفسها اسم « مرحبا بكم » وهي تدعو - « لجنة لوزان العالمية للتبشير النصراني » - الى تنصير المسلمين .. واللجنة جادة في ذلك عبر كل انحاء العالم ، وبطرق ونشاطات عديدة ، واولى هذه النشاطات تتمثل في مخطط يهدف الى فتح مراكز بحوث وتدريب في العالم وهي على اهبة فتح مراكز في اوروبا والباكستان والهند الشمالية وافريقيا الفرنكوفونية والشرق الاوسط . اما

المراكز الموجودة فقد اعترف بها كجزء من هذا العمل المشترك « معهد صاموال سفيمر بيزادنا كاليفورنيا ، و « مركز هنري مارتين للتدريب » بلندن ، وبالاضافة الى انشاء سلسلة من المراكز للبحوث والتدريب ، فان المحاضرات الاقليمية المتعلقة بتنصير المسلمين قد خطط لها . . وسيكون التركيز على الاماكن الاكثر كثافة في افريقيا ، واسيا (اي في الاماكن التي تعيش فيها اكثرية المسلمين).

بالاضافة الى تصميم رسالة استعلامية سيتم توزيعها بصورة خاصة على اعضاء اللجنة حتى يكونوا على بينة مما يجري في مختلف البقاع في العالم .

ـ وثمة نتيجة اخرى اسفر عنها هذا اللقاء وهي اعداد مخطط لتنسيق البحوث التي يتم تحقيقها عن المسلمين ، وهذا سيشمل جمع معلومات عن الكثافات السكانية للمجموعات المسلمة ومراقبة الحركات الاسلامية في الوقت الحاضر ، او القيام بطرق تدريسية تجلب المسلمين الى المسيحية (مع تحليلات تبين الافادة من هذه الدراسة) ودراسة الفرص لاختيار الجهات القابلة للاستجابة للتبشير النصراني . وستشجع « مرحبا بكم » استراتيجيات التنمية النصرانية ، وتعميق انواع المصادر الجاهزة على غرار الكتب والتزويد بالادوات الخاصة قصد تسهيل تنصير المسلم .

هذا هو العدو ، وتلك هي مخططاته ، ونكتفي بهذا القدر دون ذكر لعنوان تلك الجمعية ، فليعمل المخلصون لخدمة الاسلام والمسلمين .

حديث باطل

كنا قد نشرنا في عدد رجب ـ رقم ٢١١ ـ لسنة ١٤٠٢هـ ـ مقالا للاستاذ/محمد خطاب عقيلي ـ تحت عنوان « الاسلام والشباب » وقد استشهد الكاتب في معرض حديثه عن "الشباب والدين والدنيا" بحديث قال فيه : عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس ».. ثم قال الكاتب : أخرجه النسائي ..

ولما كانت « الوعي الاسلامي » تثق في كتابها ، وفي أمانتهم العلمية ، فإنها اعتبرت تخريج الكاتب للحديث تخريجا صحيحا ..

ولكن القارىء الكريم : علي اغا محمد شفيق كتب إلينا يقول عن الحديث المروي عن انس : إنه حديث باطل .. وساق دليل بطلانه حيث قال :

رواه الخطيب في كتاب « تلخيص المتشابه في الرسم » (ج ١٣ ورقة ١/١٣٦) من طريق محمد بن هاشم البعلبكي حدثني ابي هاشم بن سعيد عن يزيد بن زياد البصري وكان يسكن صور ـ عن حميد الطويل عن انس بن مالك مرفوعا من هذا الوجه رواه ابن عساكر في « تاريخه » (١/١٤٣/١٨) وزاد في آخره « ولا تكونوا كلا على الناس » ومن طريق ابن عساكر فقط اورده السيوطي في « الجامع الصغير » وذكر في كتابه « الحاوي للفتاوي » (٢٠١/٢) انه رواه الديلمي ايضا من هذا الوجه . وهذا اسناد ضعيف جدا وآفته يزيد هذا وهو الدمشقي ويقال فيه ابن ابي زياد وهو متهم ـ قال البخاري « منكر الحديث » وكذا قال ابو حاتم ، وقال مرة « ضعيف الحديث » كأن حديثه موضوع ، وقد جزم ابو حاتم في حديث آخر ليزيد هذا انه موضوع وقد اشتهر عن البخاري انه قال « كل من قلت فيه : منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، نقله الذهبي في « الميزان » (٥/١) فالحديث بهذا الاسناد واه جدا ، والحديث قد رواه ابن ابي حاتم في « العلل » (١٢٥/١٢٤/٢) من طريق الوحاظي عن يزيد بن زياد الدمشقي به وقال (وقال ابي : هذا حديث باطل). انتهى كلام الشيخ المحدث محمد نصر الدين الالباني .

هذا والوعي الاسلامي في انتظار رد او تعليق الاستاذ عقيلي على ما ذكره الأخ القارىء علي شفيق . مع تقديرنا لمكانة الكاتب العلمية .

خطأ مطبعي

وقع خطأ غير مقصود في موضوع « تفسير سورة الحشر (٢) » للاستاذ محمد عزة دروزة ـ بعدد جمادي الآخرة ١٤٠٢هـ ـ رقم ٢١٠ ـ حيث وردت الآية رقم « ١٢ » من سورة الحشر بهذا النص : (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون).

وصحة الآية الكريمة : **(لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون).**

ورد بذلك خطاب القارىء الشقيري عبد الرفيع .. من الدار البيضاء ـ بالمغرب ـ مع الشكر له ، واسفنا لوقوع هذا الخطأ المطبعي .

اقتراح برلماني بانشاء هيئة للدعوة الاسلامية

مهمة الهيئة : تقديم العون المادي للمسلمين ومواجهة حملات التبشير وتشجيع الاستثمارات في المجتمعات الاسلامية

قدم النواب السادة جاسم الخرافي وعيسى ماجد الشاهين وخالد السلطان وحمود الرومي مشروع قانون بشأن انشاء هيئة للدعوة الاسلامية . وقد جاء بالمشروع ما يلي :
- وافق مجلس الامة على القانون الاتي نصه ، وقد صدقنا عليه واصدرناه .

مادة اولى

تنشأ هيئة عامة ذات شخصية معنوية تسمى « الهيئة العامة للدعوة الاسلامية » تخضع لاشراف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية .

مادة ثانية

تتولى تلك الهيئة خارج النطاق الجغرافي لدولة الكويت ممارسة الاختصاصات التالية :

ا ـ الدعوة الى الاسلام وحض غير المسلمين على اعتناقه بالوسائل المناسبة لذلك .
ب ـ اقرار وتنفيذ الخطط والمشروعات التي تهدف الى التعريف بالاسلام ونشر تعاليمه والرد على خصومه .
ج ـ تقديم العون للمسلمين من خلال المشاريع المتنوعة في مجالات اقامة وتهيئة دور العبادة الاسلامية واقامة المدارس والمستشفيات ورعاية الانشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

د - توفير الوسائل المناسبة لنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة خاصة لدى المسلمين الذين تتطلب اوضاعهم ذلك .
هـ - تقديم العون المادي لمن يحتاج من المسلمين وخاصة في حالة التعرض لكوارث او عدوان او اضطهاد .
و - تقديم اوجه العون والرعاية المناسبين للاقليات الاسلامية .
ز - مواجهة حملات التبشير التي قد تتعرض لها بعض الجماعات الاسلامية .
ح - اجراء الدراسات والبحوث التي تستهدف تشجيع الاستثمارات الكويتية في المجتمعات والتجمعات الاسلامية للعمل على تنمية اقتصادياتها . وتقديم التوصيات المناسبة بذلك للجهات المعنية في الدولة .

مادة ثالثة

يكون للهيئة مجلس ادارة برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وعضوية كل من :
١ - مدير عام الهيئة
٢ - ممثلين بدرجة وكيل وزارة مساعد على الاقل لكل من
- وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .
- وزارة التربية.
- وزارة الصحة العامة

ويصدر بتعيينهم بناء على ترشيح الجهات التي يمثلونها وعرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية قرار من مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ما لم يفقدوا صفاتهم قبل ذلك .

٣ - أربعة من ذوي الخبرة والكفاءة من المهتمين بشؤون الدعوة الاسلامية ممن لا يتولون اي وظيفة عامة يصدر بتعيينهم قرار من مجلس الوزراء بناء على ترشيح وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد لمدتين مماثلتين

ويختار مجلس الادارة من بين اعضائه نائبا للرئيس .

ولمجلس الادارة ان يدعو لحضور جلساته من يراه من المختصين دون ان يكون له صوت معدود .

مادة رابعة

يختص مجلس الادارة باقرار السياسة العامة للهيئة والاشراف على تنفيذها وله على الاخص :
١ - اقرار خطط العمل والمشروعات التي تتضمنها هذه الخطط .
ب - النظر في مشروع الميزانية والحساب الختامي واقرارها قبل تقديمها للجهات المختصة .
ج - الموافقة على التقرير السنوي العام عن اعمال الهيئة .
د - اقتراح القوانين واللوائح والقرارات المتعلقة بمجالات عمل الهيئة وابداء الرأي

فيما يقترح من مشروعات تقدم في هذا الشأن .
هـ ـ اقرار نظم وقواعد قبول الهبات والتبرعات .
و ـ اقرار فتح مكاتب وفروع للهيئة في الخارج .
ز ـ تنظيم عمل مجلس الادارة من حيث مدة العضوية فيه وحالات سقوطها ونظام العمل به واجراءات ومواعيد اجتماعاته والاغلبية اللازمة لصحة انعقاده ولاصدار قراراته والاحكام المتعلقة بنفاذ هذه القرارات .
ح ـ اقرار تنظيمات الهيئة ونظمها المالية والادارية .
ط ـ وضع لائحة لشؤون العاملين في الهيئة تحدد امورهم الوظيفية بما في ذلك مرتباتهم وعلاواتهم وترقياتهم ومكافآتهم وتأديبهم .
ي ـ اي امور يرى رئيس مجلس او مدير الهيئة عرضها عليه .

مادة خامسة

يتولى ادارة الهيئة مدير عام ويجوز ان يكون له نائب او اكثر ، ويصدر بتعيينهم وتحديد مخصصاتهم مرسوم بناء على عرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . ويختار الوزير المشار اليه في حالة غياب المدير احد نوابه ليحل محله في ممارسة سلطاته .

مادة سادسة

يمثل الهيئة في علاقتها بالغير وامام القضاء مديرها العام ويكون لمن يوكلهم من موظفي الهيئة او غيرهم حق المرافعة عنها امام المحاكم .

مادة سابعة

يكون للهيئة مركز رئيسي في الكويت ويجوز لها ان تنشىء فروعا او مكاتب لها في الخارج .

مادة ثامنة

تكون للهيئة ميزانية عامة ملحقة وتبدأ السنة المالية للهيئة مع بداية السنة المالية للدولة وتنتهي معها ويستثنى من ذلك السنة المالية الاولى فتبدأ من تاريخ العمل بهذا القانون وتنتهي مع نهاية السنة المالية للدولة في نفس العام المالي .

مادة تاسعة

تتكون الموارد المالية للهيئة مما يخصص لها في ميزانية الدولة سنويا ومما تتلقاه من هبات وتبرعات .

مادة عاشرة

لا تخضع اعمال الهيئة ولا تصرفاتها المالية لاحكام قانون المناقصات العامة ولا للرقابة المسبقة لديوان المحاسبة .

مادة حادية عشرة

على رئيس مجلس الوزراء ـ والوزراء ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

عن الصحافة الكويتية

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد :

رسالة الصيام والزكاة

ومجلة براعم الايمان

قال الله تعالى في سورة آل عمران : ١٣٣

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٤ ● شوال ١٤٠٢ هـ ● اغسطس ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

من معاني العيد

جاء الاسلام وفي الناس عادات وتقاليد فكان شأنه مع هذه العادات وتلك التقاليد ان يقر منها الصالح الذي يتفق مع تعاليمه الكريمة ، وان يرفض ما عدا ذلك .

ولما كانت الاعياد سنة فطرية وطبيعة انسانية . يتخذها الناس ترفيها عن النفوس بعد كفاحها في معترك الحياة وشئون العيش ، او تذكيرالها بحادث محبب ، فقد قبل الاسلام مبدأ اتخاذ الاعياد ، ولكنه نظمها وسار بها في طريق الاعتدال ، وجعلها تجمع بين اللهو البريء الذي لا يخدش عرضا ولا يمس حرمة ، والمعاني السامية التي تقود المسلمين الى مراقي المجد والعزة .

لما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، ووجد

الانصار يلعبون ويمرحون في يومين ورثوا عن آبائهم واجدادهم اتخاذهما عيدين . قال لهم : قد ابدلكما الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى .. وهما يومان ارتبط بهما في تاريخ الاسلام وفرائضه ما جعلهما موضع الاعظام والاكبار ، اذ كل منهما يأتي بعد اداء المسلمين لركن من اركان الاسلام .

عيد الفطر يتلو اداء فريضة الصيام في شهر رمضان من كل عام .. وعيد الاضحى يتلو اداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام في كل عام .

والعيد يوم فرح وسرور ، لانه يعقب الانتصار على النفس واخضاعها لطاعة الله . ولكن النظرة الى العيد تختلف بين الصغار والكبار .. فالصغار لا يعنيهم في العيد سوى لبس الجديد ، وتعمير الجيوب ، واللهو واللعب لان احساسهم الذاتي قاصر لا يمتد خارج نفوسهم ، ولا يشعر بحال غير حالهم ، وهم في ذلك لا حرج عليهم .

أما الكبار فالعيد بالنسبة لهم مخبر لا مظهر ، ومعنى لا مادة . تتسع في نفوسهم دائرته فتشمل الاقارب والجيران واهل الحي .. بل تمتد وتمتد حتى تضم كل انسان يشترك معهم في عقيدة الايمان ، وتصله بهم الامال والالام . فهم باحساسهم الصادق ، وشعورهم الحي يعيشون ـ يوم العيد كغيره من الايام ـ مع كل من ارتبط معهم برباط العقيدة بشعور الاخوة واحساس المودة ، لان الاسلام علمهم ان المسلمين جسد واحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

واذا وجد بين المسلمين من الكبار العقلاء من يمرح في يوم

العيد ، ويتيه بما يملك او بما يلبس ، متناسيا اخوانه المحرومين من بهجة العيد ، فليس هؤلاء الكبار الا صغار في احساسهم وشعورهم ، بل وفي ايمانهم !!

ان عيد الفطر هذا العام يأتي كأعياد مضت ، والمسلمون يعيشون مأساة الخطر الجسيم على كيانهم ومستقبلهم .. يعيشون مأساة اغتصاب الصهيونية لجزء عزيز من الوطن الاسلامي الكبير هو « فلسطين » . وغزو الشيوعية لوطن حبيب من اوطانهم هو « افغانستان » . وطغيان الحكومات غير المسلمة على حقوق الاقليات المسلمة في كثير من جهات العالم ، وفقدان التلاحم بين الشعوب الاسلامية والحكام الذين لا يحكمون بشريعة الله ، ويستبدلون الذي هو ادنى (من القوانين الوضعية المصنوعة من الاهواء والشهوات والقاصرة عن تحقيق العدل والأمن ، والنظافة والطهر) بالذي هو خير (من تعاليم الحكيم الخبير الذي شرع للناس ما يصلح امرهم ويعز شأنهم ، ويجمعهم على كلمة الحق وفعل الخير). كما يعيشون فتنة عارمة دبرها الكافرون والمنافقون لتمزيق وحدة المسلمين . حين اشعلوا نيران الحرب بين دولتين مسلمتين . فاصبح المسلم يريق دم اخيه المسلم ويدمر دعائم حياته ، واصبحت الفرقة قائمة بين المسلمين بشكل يهدد حاضرهم ومستقبلهم .

والامة التي تنزل بها النوائب ، فلا تتحرك للعمل الذي يدرأ عنها ما نزل ، امة تحفر قبرها بيديها ، وتوفر على اعدائها مشقة القضاء عليها .. فهل الامة المسلمة كذلك ؟ كلا والف كلا .

ان الامة المسلمة في تاريخها المشرق يوم ان كانت تعتصم بحبل الله ، وتعمل بهدايته لم تهن ابدا ولم تضعف ، وطالما لقنت اعداء

الاسلام من الدروس القاسية ما جعلهم ينكصون على اعقابهم خائبين .. كانت اذا نجح معتد في العدوان عليها وسلب حقوقها لا تسكت على ضيم ، بل تمضي كل ايامها في تفكير دائب ، وتخطيط دقيق شامل ، وعمل جاد مثمر ، حتى اذا استكملت عدتها ، وتعبد الطريق امامها ، انقضت على اعدائها واستردت مكانتها ، ويومئذ تفرح بثمرة جهادها ونصر الله لها ، وتكون جديرة باعيادها .

فعلى مسلمي هذا العصر ان يسيروا على الدرب الذي سار عليه السلف الصالح ، وان يعلموا انه لا كرامة بغير عزة ، ولا عزة بغير جهاد ، وانهم ان صدقوا الله نصرهم .. وليتأملوا القاعدة التي رسمها الله للنجاح وخاطب رسوله بها في كتابه الكريم وهي :ـ

تقوى الله ، والتوكل عليه ، واتباع وحيه ، ونبذ طاعة الكافرين والمنافقين قال تعالى :

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .

فليستمسك المسلمون بهذه القاعدة وليعلموا ان الاعياد الاسلامية لا تكون الا لمن انتصر في ميدان الفضيلة والشرف ، وتعاون على البر والتقوى وجاهد في الله حق جهاده ، وكافح في سبيل العدل والحق والخير .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الاجتهاد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

يا أهل العلم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نخوض في القرآن بغير علم وألا نؤوله بالهوى والمزاج وألا نقتحم غيب القرآن بتكذيب او انكار أو تحريف بزعم حقنا في الاجتهاد فأن الاجتهاد في مورد النص لا يجوز والاجتهاد مع النص قطعي الدلالة بدعة والجرأة على غيب القرآن بحجة الحق في الاجتهاد ضلال واضلال .

فقد علمنا أن من الناس من حمد للقائلين باعجاز الرقم « ١٩ » بالقرآن ما قالوه تقديسا لهذا الرقم وبشروهم بالأجر إن كانوا خاطئين وبالأجرين إن أصابوا ، وغفل الحامدون عن أن القائلين بقدسية الرقم « ١٩ » وقيام سره في حروف وألفاظ وآيات القرآن وقيام القرآن عليه وصلوا بهذا الهذر الى أن جهنم ليس عليها ملائكة غلاظ شداد والى أن الله لم يتفرد بعلم الساعة ، كما قال كبيرهم أنه عرف بكرامة الرقم « ١٩ » وبفضل حسابات الأعداد علم الساعة وحدده تحديدا .

ومقالي هذا حدده عنوانه فلست أقصد به تأييد ما قرره القرآن من أن على جهنم تسعة عشر ملكا غلاظا شدادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا أن القرآن الكريم قرر أن الله وحده عنده غيب الساعة لم يطلع عليه ملكا ولا رسولا . فهذان الأمران معروفان من الدين بالضرورة وفيهما نصوص قاطعة محكمة .

واخاطب بهذا المقال أشتاتا من الناس منهم المسلمون الذين خالط الأيمان الثابت قلوبهم فأسلموا لغيب القرآن وجوههم ، ومنهم المسلمون مولدا ونشأة لكن حظهم من الثقافة الدينية قليل ، ومنهم المسلمون الذين تربوا على الثقافة الغربية ، وما أكثرهم ، ولم يعرفوا من دروب الفكر غير هذا الذي لقنتهم إياه هذه الثقافة

للمستشار / حسين ناجي محي الدين

فأصبح لهم مزاج فكري ومنحي سلوكي وعقيدي مخالفان لعقيدة المسلم الصحيحة ، ومنهم أخوتنا في الدين الذين لهم نصيب من العلم به قل أو كثر هذا النصيب، لكنهم علموا أشياء وغابت عنهم أشياء فخلطوا بين اجتهاد في فروع التشريعات لصلاح الدنيا وجرأة على الله بلغت الالحاد في كلامه عن غيبه وتحريفه عن مواضعه ظنا منهم أن الاجتهاد يتسع لهذا العبث والتلاعب بتقريرات الله في خصوص غيبه .

ألا فاني أذكر الجميع أن من منهج القرآن ألا نقفوا ما ليس لنا به علم من المغيبات وألا نحكم الظن في أمور العقيدة بالغيب ، فقد قال أصدق القائلين : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** »**الاسراء** ٣٦ وقال : « **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون** »يونس (٣٦) .

وسيجد ـ ان شاء الله تعالى ـ من بهرتهم الدعاية المنظمة الملحة المدروسة في ترويج خدعة الاعجاز العددي للقرآن بالرقم « ١٩ » الطمأنينة إلى الحق ، وسيدركون أن الزعم بفضل الكمبيوتر في الكشف عن الأعجاز المزعوم لهذا الرقم الجهنمي ـ ((جهنمي لأنه عدد ملائكة جهنم)) زعم كاذب قصد به التهويل والتطبيل فان العمليات الحسابية التي ساقتها هذه الخدعة عمليات ساذجة

يستطيعها المبتدىء في الدراسة الابتدائية وذلك يستفاد من تدبر النتائج السيئة التي وصلت إليها هذه العمليات الحسابية ومخالفتها لصريح القرآن مما يثبت أمرين معا : أن المنهج الذي اتخذه هؤلاء الحاسبون خاطىء فلا اجتهاد بغير أدوات وطرق الاجتهاد،ولا اجتهاد في الغيبيات هذا أمر وأما الآخر فهو سوء نية هؤلاء الحاسبين فانهم لم يتخلوا عن هذا العبث حين ظهرت لهم نتائجه التي تكذب القرآن ، ولو كانوا حسني النية لهالهم سوء ما وصلوا إليه فكفوا سراعا عما يفعلون ولم ينشروا افكهم بين الناس فضلا عن أن يذيعوه بكل اصرار وبكل وسائل الاعلام وفي معظم بلاد المسلمين .

ومن المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وأئمة المسلمين ، بل عليه الاجماع في كل العصور أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون يقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر ولو كان صحيحا فضلا عن أن يكون ضعيفا أو موضوعا . وذلك بخلاف الاحكام الشرعية فانه يكفي لتقريرها الخبر الصحيح الظني وهو خبر الآحاد .

وعلة التفرقة بين العقيدة والأحكام الشرعية في طريقة الثبوت وكيفية الدليل واضحة ومنطقية فان الأحكام الشرعية مستمدة إما من النص الصريح في القرآن أو بأحدى دلالات ظاهر الألفاظ أو مفهوم المخالفة الخ الخ .. وكذلك يمكن تقريرها بالنص المسموع من الرسول الواصل إلينا ولو بطريق الآحاد وذلك لأن أصحاب الرسول لم يكونوا يجتمعون كلهم به ـ صلى الله عليه وسلم ـ في وقت واحد وعلى صعيد واحد فكان منهم الحاضر وكان منهم الغائب ، والحاضر ولو كان واحدا منوط به تبليغ ما سمعه إلى من لم يسمع ولو كان واحدا ومطلوب منه ألا يخفي عند الاستفتاء حكم المسألة الذي سمعه بنفسه أو من غيره حكاية عن الرسول . ثم إن كثيرا من العلاقات والمسائل والأوضاع المستجدة على مدى العصور والأزمان قد لا تجد في القرآن نصا صريحا يعالجها ، وربما افتقدت في سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما ينزل حكم الله عليها فلم تجد ، أو وجدت قريبا منه ، فاحتاج الأمر الى الاجتهاد واعمال القياس بأنواعه .

أما العقيدة فلا يقررها الا القرآن وهو الدليل القطعي وإلا الحديث الموافق تماما والمطابق لحكم القرآن أو الحديث المتواتر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، والقرآن لم يترك عقيدة مطلوب من المسلم الآيمان بها إلا قررها فأية عقيدة تكون زائدة عما ورد في القرآن فانه لا يؤبه لها ولا يؤخذ بها .

ونتحوط فنقرر أن كلامنا هذا خاص بالعقيدة في شأن الغيبيات ، والغيبيات هي الأمور المغيبات أو الوقائع التي تحدث في مستقبل الزمان ، فلا تستنبط ولا تستنتج ولا يجدي في الوصول الى كنهها طريق الاستقراء ولا طريق القياس ، فكل دليل يصلح لتقرير حكم شرعي أو حقيقة علمية لا يصلح أبدا لتقرير المغيبات ، فدليل المغيبات هو وحده الخبر القطعي اليقيني من القرآن أو من السنة المطهرة

الشريفة .

فالقول بعقيدة وأمر يتصل بها يجب أن يسنده دليل قطعي بمعنى خبر يقيني قطعي الدلالة .

وكل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله . يكفي ذلك لترتعد فرائص المسلم حين يجازف ويتجرأ على الله وعلى علمه فيقول بغيب لم يقله الله فما بالنا لو قال بغيب خلاف ما قاله الله ومعارضا له ، ويا ويل المسلم حين يزين له الشيطان فعل ذلك ويا ويله اذا زين له الشيطان تصديقه بالقبول والترحاب . فالغيب لا يؤخذ العلم به بالظن ولا بالاجتهاد ولا بالقياس ، ومن فعل ذلك من المسلمين نحاكمه الى كتاب الله ونزنه بموازين الاسلام ، ولا ريب أنه بهذه الموازين تكون أمه هاوية ، ونسأل الله له التوبة ولنا وله السلامة .

وفي القرآن وفي الخبر المتواتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصوص واضحة عن بعض الغيبيات ، وهذان هما وحدهما المصدر المعتمد لهذه الغيبيات وبعض الغيبيات ورد في شأنها مجرد أشارة فلا نستطيع بحال من الأحوال أن نضيف الى تلك الأشارة أية اضافات بأي دليل آخر مهما كان قدره ، وبعض الغيبيات لم يقتصر فيها النص القطعي سواء من القرآن أو من السنة بمجرد الاشارة لكنه بسط فيها البيان شيئا ما ، وما لم يقله النص القطعي لا يمكن أضافته من عندنا . وسواء ورد الخبر القطعي مكتفيا بالاشارة أو به شيء من البيان والتفصيل فأنه ليس لبشر كائنا من كان أن يورد من عنده ما يناقضه أو ينافيه أو يعد له أو يغير فيه ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره وخرج على نهج الأسلام وجعل من نفسه ـ وحاشا لله وجلت عظمته ـ ندا لله في علم غيبه ، وهذا هو الافك العظيم والخسران المبين .

فالسمعيات ، أو التي نسميها الغيبيات التي لم يتصل بنا علمها الا عن طريق السماع من رب العالمين قرآنا نزل على سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اووحيا تكلم به سيدنا محمد بألفاظ من عنده ، هذه السمعيات نمثل لها بالساعة (القيامة الكبرى) والجنة والنار والجن والملائكة والبعث والنشور والحساب والجزاء الخ الخ ..

وانما الظاهرة التي نريد أن نسجلها هي أن الثقافة الأوروبية التي انتقلت الى امريكا وروسيا وسائر بلدان العالم انما قامت على منهج علمي مادي هو تحقيق المشاهدة وتمحيص التجربة ، والمشاهدة والتجربة لا تصلحان الا لمعالجة الأمور المادية المشاهدة والمحسة ، وقد وقر في أذهان أصحاب هذه الثقافة والمتأثرين بها والمتزودين بزادها أن الدليل العلمي هو وحده المشاهدة والتجربة ، وأن المنهج العلمي المعتبر هو الذي يقوم فقط على المشاهدة والتجربة والملاحظة والاستقراء ، وأنه بهذا المنهج ازدهرت العلوم وتقدمت المعارف وتوصل المتوصلون الى بعض أسرار الكون والى الاختراعات المذهلة .

وظن الظانون أنه لا علم الا عن طريق منهج التجربة والاستقراء ، وبلغ بهم الزهو بهذا المنهج أن حاولوا أن يطبقوه لاستفادة العلم واستنباطه في غير المسائل المادية المشاهدة المحسة فباءوا بالفشل والتخبط فان مصادر العقليات والفكريات غير مصادر الماديات . وما هية هذه غير ما هية تلك ، وبالتالي فان أدلة الماديات غير أدلة المعنويات ، وشتان بينهما وما اعظم الفرق .

بل الأدهى أن بعض أدعياء العلم المنبهرين بدليل التجربة والاستقراء ظنوا في أنفسهم القدرة على أن ينقلوا دليل المشاهدة والتجربة من حقله المادي لا الى حقل معنوي فحسب بل الى حقل الغيبيات فأضحكوا الثكلى ولم يزيدوا على أن قاموا ببهلوانيات لا تصدر الا من صبية غير مميزين أو من مأفونين استبدبهم الهوس والحمق والغفلة ، ونضرب لهؤلاء مثلا بهذا الذي قدس الرقم « ١٩ » وفي سبيل أثبات قداسته لجأ الى ماديات الجمع والقسمة والضرب فضل وأضل .

وان كان العلم الغربي لم يحتج في تحقيقه إلا الى الدليل المادي المستمد من عملية الاستقراء والمشاهدة والتجربة لأنه علم مادي فان علم المسلمين في جانبه الديني اعتمد الدليل المستمد من الخبر حيث كان القرآن والسنة هما المنهلين الرئيسيين والمصدرين المعتبرين لعلم العبادات والتشريعات فضلا عن علم الغيبيات ، وحيث كان الأمر كذلك فقد نهضوا بالخبر فجعلوا منه علما قائما بذاته وقعدوا له القواعد ووضعوا له الموازين والمصطلحات . ولم يكن الغربيون في حاجة الى مثل هذا العلم ، بينما المسلمون أخذوا في علومهم الدنيوية بكل الأدلة العلمية المعروفة الآن وعلى رأسها الاستقراء والتجربة والمشاهدة ، لكنهم لمهارتهم فرقوا بين علم تنزل أصوله من السماء فهو قائم على الخبر وبين علم دنيوي ينتفع بكل موازين العقل وقواعد الفكر السليم في استنباط النتائج من المقدمات واستخراجها من المشاهدات وهكذا وضعوا مع العلم الذي ينظم الرواية وعلوم النقل علما آخر لتنظيم قواعد الفهم السليم وسبل التفكير السوي والخروج بالنتائج الصحيحة من مقدماتها الصحيحة وبرعوا في علم الأدلة وعلم القياس براعة لم يسبقهم اليها سابق ولم يلحقهم فيها لاحق ، وذلك كله في مجال تشريع الفروع .

وهكذا يستطيع المسلم الفاقه المتبصر أن يعمل فكره ببراعة لا تباري في الأمور تعرض عليه فيعالج بالدليل المادي المشاهدات والمحسات وهو لا يعمله في غير هذا النطاق فيخرج بفكر سليم ورأي قويم ، ويعالج بالأدلة العقلية المعنويات والفكريات من فهم للنصوص وازالة تعارض ظاهري أو الكشف عن مناسبات خفية ويعمل دليل القياس الجلي وغير الجلي في مجالهما ويعالج كل حالة بنوع من الأدلة يناسبها ولا يناسبها سواه ثم هو في استنباط الأحكام الشرعية وفي فضائل الاعمال والأقوال يأخذ بالدليل القطعي كما يأخذ بالدليل الظني سواء بسواء .

لكن المسلم المتفقه الصائن لدينه من العبث المتحوط لايمانه أن يخدش لا يعمل في العلم بالغيبيات الا الخبر القطعي اليقيني الذي يفيد القطع والجزم واليقين لا الظن ولا الترجيح ، والمسلم بهذا السلوك لا يمارس الدليل العلمي فحسب انما هو

خاشٍ لربه أن ينسب إليه ما لم يقله أو أن يحرف ما نزل على نبيه ، ثم هو مصدق لربهٍ ولرسوله لا يتحايل على هذا التصديق بتوهينه أو خلخلته ، ثم هو يستحي أن يزاحم الله في علمه أو أن يدعي أن مراد الله كان كذا .

وهكذا يرى القارىء الفاضل أن التدخل في الغيبيات إثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او التدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله وادعى لنفسه ما ليس لها ، هذا فضلا عن كونه ينحرف بغير الدليل القطعي اليقيني الى التكذيب والانكار أو في أدنى الدرجات الى التحريف والتزوير وهما صنوان للتكذيب والانكار .

واعلم أن الغالبية الغالبة من المثقفين بعلوم الغرب المسيحي والشرق الألحادي لا يعلمون كيف يفرقون بين المادي من الأمور والمعنوي منها فضلا عن المغيبات من حيث أثباتها أو انكارها لعدم علمهم بأنواع الأدلة وما يصلح من الأدلة لكل نوع من هذه الأمور يستوي في ذلك المسلم منهم وغير المسلم ، ويستوي في هذا الخصوص المسلم المتهاون في دينه والمسلم الحريص على دينه الغيور عليه . من هنا سولت لأحدهم نفسه أن ينكر غيب الله بانكاره ملائكة جهنم وأن يزعم مشاركته لله في علم غيب الساعة ، كما سولت للناس نفوسهم أن يصدقوا هذا الهراء وهذا الهذر .

وقد قصدنا بما كتبنا تذكير علمائنا المسلمين ببعض قواعد التفسير ، مجرد تذكير ، فان ما قلناه غير غائب عنهم ولا هم جاهلون بشيء منه .

كما قصدنا وضع المتصدين لبعض مسائل الدين من المسلمين بالتفسير والتأويل بغير علم سابق بقواعدهما ومن غير ان يتزودوا بأدواتهما أمام مسئولياتهم ، وقصدنا تذكيرهم بتبعاتهم حيث أنهم مالوا وزلوا فظلموا أنفسهم وأمالوا وأزلوا فظلموا غيرهم ، وليس ذلك باليسير بل هو الخطب الكبير والفتنة الهوجاء ، فعليهم ان كانوا سليمي القصد حسنى النية أن يكفوا عما يفعلون وأن ينتهوا عما يعملون منيبين الى الله معلنين التوبة على رؤوس الأشهاد ثم متبرئين مما جنوا على المسلمين ، ونسأل لهم الله الغفران والعافية .

أما عامة المسلمين فهم معذورون ، لا علم لهم ، ثم انهم ببراءة وحسن قصد يناصرون ويؤازرون من يكشف لهم اعجازا جديدا لكتاب دينهم الذي ارتضوه . والى هؤلاء كتبنا مقالنا هذا ، ونسأل الله لهم الهداية فانها منه وحده والصلاح فأنه ثمرة التقوى . وبعد ، فنخرج مما سبق بنتيجتين لازمتين :

١ ـ أنه ليس كل أحد صالحا أو قادرا على الافتاء في دين الله خاصة اذا كان الموضوع من مواضيع تفسير النص القرآني أو الحديثي واستخراج دلالته . فأن لذلك علوما قائمة بذاتها ودراسات طويلة يجب ان يستوفيها باتقان كل من وهب نفسه لخدمة دين الله في هذا القطاع من العلوم الدينية .

٢ ـ أنه ليس كل موضوع ورد في القرآن أو في السنة قابلا لاعمال الرأي والاجتهاد والتفسير والتأويل . فالقاعدة انه لا اجتهاد في مورد النص ، وبعبارة اخرى فأن

النص اليقيني القطعي سواء من القرآن او السنة غير قابل دائما للتأويل او التفسير والاجتهاد خاصة اذا كان متعلقا بالسمعيات وهي المغيبات ، فأن الله يأمرنا ألا نتعقب او نقفو ما ليس لنا به علم .

وهكذا نرى ـ بحق ـ ويرى معنا القارىء الفاهم أنه لا يجوز لكاتب ولا لمؤيديه ان يبحثوا بغير ادوات البحث وخاصة في مواضيع لا يجوز فيها البحث اطلاقا . هذا اذا أحسـنا بهم الظن واحترمنا ظاهر اسمائهم والقابهم الاسلامية اخذا بالظاهر وان كانت المناقشة الموضوعية لصنيعهم وترويجهم الفتنة ستكون في غير صالح هذا الظاهر ، ونرجو ان يرجعوا عما هم فيه حتى يحسن بهم ظن المؤمنين .

واعود فأوجز وأحدد ما يكشف عنه إنكار ملائكة النار والادعاء بعلم وقت القيامة ، أن ذلك يكشف عن :

١ ـ تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الثابت في كتاب الله وكتب المرسلين السابقين .
٢ ـ فهو اذن تكذيب لما علم من الدين بالضرورة .
٣ ـ وتكذيب خبر الله تكذيب بالله وانكار له .
٤ ـ فهو اذن الغاء ايضا للرسل والأنبياء وعدم الاعتداد بهم .

ومن المتعاقلين ، أو المتظاهرين بسماحة العلم واتساع صدره للحوار ووجهات النظر المختلفة والمتضاربة من يجلس هادىء البال مستقر الأعصاب بين سيجارته وفنجان القهوة ويقول ان اقصى ما يقال في حق القائلين بالاعجاز العددي للقرآن الذي انتهوا به الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت القيامة هو انهم أجتهدوا فأخطأوا فلهم أجر .

وهؤلاء المتظاهرون بالسماحة في جانب الله لو أن أحدهم بلغه أن فلانا من الناس يرميه بالكذب وينشر عنه بين الناس أنه كاذب بكل وسائل النشر لثار كل ما فيه وفار كالمرجل وانفجر كالبركان وطار غضبا الى القضاء يقاضيه ولنشر بين الناس ـ مكلفا نفسه الكثير من مصروفات النشر ـ أنه هو الصادق الأمين وأن فلانا هذا أفاك كاذب معتد أثيم .

ثم لو انك سألت هذا المتعاقل المتظاهر بسماحة العلم عن ما هية الاجتهاد وشروطه ونطاقه في مسائل العقيدة فأنه يلوذ بالصمت عجزا عن الجواب لا يزيد عن تهتهة او تأتأة او تظاهر بالتعالي عن الاجابة لأنه اعلى واجل واعلم من ان يسأل عن توافه الأمور سؤال التعجيز والاستشكال .

فليدع المتعاقلون المتظاهرون بسماحة الصدر ووسامة العلم الكلمة الحاسمة لأهل العلم والاختصاص . فان اللعب بالعقيدة لعب بالنار ولعب في النار .

فاذا قال الفاقه لدينه ان الجرأة على الله بتكذيب خبره الوارد في كتبه المنزلة أنما هو تكذيب لله فهو فسوق ومروق وردة ، فليسمع له الجميع وليعلموا أنه لا اجتهاد لصاحب دين سماوي في خبر الله فضلا عن أن يكون انكارا له .

ولنسم الامور بأسمائها ، فالاجتهاد هو الوصول الى حكم غير معروف لواقعة لم

يتناولها النص الصريح من القرآن أو السنة بأي حكم ، وذلك في فروع التشريعات الدنيوية . وادوات هذا الاجتهاد نعني شروطه معروفة بين اهل الاختصاص فشروط ترجع الى علم المجتهد وشروط ترجع الى قصده نعني الى صلاحه وتقواه وخشيته من الله ثم شروط ترجع الى نفس الموضوع الذي يريد الاجتهاد في شأنه . فاذا اختل شرط من هذه الشروط أو انعدم ركن من هذه الأركان فان الأمر لا يعدو أن يكون عبث عابث او كيد كائد او ترويجا لالحاد .

اريد ان اقول : ان كان كبيرهم المنتهى من اكذوبة الإعجاز للرقم « ١٩ » الى إنكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة ، ان كان يفقه شيئا ولو يسيرا في علم الأصول ومباحث الأدلة او شيئا يسيرا في كيفية تناول العقيدة الثابتة بالقرآن او السنة المتواترة ، فانه بهذا القليل اليسير يعلم تماما ان العقيدة الثابتة بالقرآن لا مجال فيها للاجتهاد خاصة اذا وصل هذا الاجتهاد الى انكار مفهوم ظاهر النص فهو بهذا العلم وان كان يسيرا ـ الا انه بديهية من بدائه العقيدة ـ يكون سجل على نفسه سوء نيته وسوء قصده نحو القرآن واهله . فلا يجوز ان يحتج له عاذر بالاجتهاد ولا يقبل منه اجتهاده لأنه غير ثقة وله خبيئة وقصد سيىء ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن اجتهاده لا يقبل لأن موضوعه عقيدة ثابتة في الدين بالنص القطعي اليقيني ، وكل بحوثه وجهوده مرفوضة لأنها انتهت الى انكار العقيدة .

وان كان هو ومؤيدوه لا يعلمون شيئا ولو يسيرا في أصول الفقه وعلم الأدلة ويجهلون تماما ما يجب أن يعلمه صبي الكتاب غير المميز من أمر العقيدة فان الخطب في هذه الحالة خطبان : خطب الذي يتكلم في الله وأخباره بغير علم وينتهي بجهله وشعوذته الى تكذيب الله ، وينضم اليه خطب الذين سمحوا لأنفسهم بالإنصات اليه بسعة صدر ثم شجعوه على المضي في ترهاته وأباطيله فضلا عن كونهم صدقوه او بالأقل التمسوا له عذر الاجتهاد .

ونقول انتهاء في شأن من نحجم عن ذكر اسمه ومؤيديه ان النتائج التي وصلوا اليها كان يجب أن تروعهم وأن تصدهم عن ابحاثهم وان تسهرهم ليلهم يستغفرون الله منيبين اليه في خشوع الذليل امام العزيز ورجوع الجاهل الى مصدر العلم ، لكنهم ، وللعجب وللأسف معا ، يذيعون نتائج ما وصلوا اليه فرحين مزهوين ويتخذون من الإضرار والجد في اذاعة انكار عقائد قال بها الله اسلوبا لهم في نشاطهم المشبوه .

والذي احدسه بل اجزم به ان التباهي بكشف غامض والتفاخر بالوصول الى جديد والزهو بإعطاء الناس آذانهم لهذا الذي يهذر به ، كل ذلك أطربه فأمعن فاستخف الناس ليصدقوه ، فباع آخرته بدنياه والعاجلة بالآجلة ، ولو كانت المساحة من المجلة المخصصة لهذا المقال تتسع للمزيد لكشفنا لقارئها الكريم عن الكثير مما يجب ان يعلمه فاذا علمه زهد في الاستماع الى خدعة الأعجاز العددي للقرآن عن طريق الرقم الجهنمي « ١٩ » الذي هو شعار طائفة مارقة . ونسأل لنا وللجميع الهداية وصواب القول والعمل .

وقفة تأمل

صداقة العدو

ما اضيع الانسان عندما يتحالف مع عدو له .. حتى ولو كان هذا الحلف ضد عدو مشترك آخر .. فما بالك اذا كان البعض يتحالف مع العدو ضد أخيه او صديقه .. واقع مؤلم هذا الذي يعيشه عالمنا اليوم .
ولقد عبر عن ذلك أصدق تعبير شاعرنا الخالد الذكر احمد شوقي حيث قال مصورا ما نقصد اليه :

فأر رأى القط على الجدار ... معذبا في أضيق الحصار
والكلب في حالته المعهودة ... مستجمعا للوثبة الموعودة
فحاول الفأر اغتنام الفرصة ... وقال أكفي القط هذي الغصة
لعله يكتب بالأمان ... لي ولأصحابي من الجيران
فسار للكلب على يديه ... ومكّن التراب من عينيه
فاشتغل الراعي عن الجدار ... ونزل القط ، على بدار
مبتهجا يفكر في وليمة ... وفي فريسة لها كريمة
يجعلها لخطبه علامة ... يذكرها فيذكر السلامة
فجاء ذاك الفأر في الأثناء ... وقال عاش القط في هناء
رأيت في الشدة من اخلاصي ... ما كان منها سبب الخلاص
وقد أتيت أطلب الأمانا ... فامنن به لمعشري إحسانا
فقال : حقا هذه كرامة ... غنيمة وقبلها سلامة
يكفيك فخرا يا كريم الشيمة ... انك فأر الخطب والوليمة
وانقض في الحال على الضعيف ... يأكله بالملح والرغيف
فقلت في المقام قولا شاعا ... «من حفظ الاعداء يوما ضاعا»

من ذكريات الإسلام في شهر شوال

للاستاذ / صلاح احمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه :(**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**)٢١ / الاحزاب .

كانت ايام الرسول العظيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » كلها خيرا وبركة حفلت بالامجاد والمكرمات ، وكان شهر شوال من الشهور التي شهدت كثيرا من الاحداث البارزة ، والذكريات العظيمة التي حفلت بها حياة خاتم الانبياء والمرسلين محمد « عليه الصلاة والسلام » ..

ومن ابرز الأحداث والذكريات في شهر شوال :

(١) بناء النبي « صلى الله عليه وسلم » بعائشة « رضي الله تعالى عنها » :

في شهر شوال من السنة الاولى لهجرة النبي « صلى الله عليه وسلم » دخل النبي « عليه الصلاة والسلام » بزوجه عائشة بنت ابي بكر الصديق

« رضي الله عنهما » ، وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » قد خطبها من ابيها الصديق « رضي الله تعالى عنه » ، وهي بنت ست ، وقيل : سبع سنين ، وبني بها بعد الهجرة وهي بنت تسع ، ولم يتزوج الرسول « صلى الله عليه وسلم » بكرا غيرها .

وقد تربت السيدة عائشة « رضي الله عنها » في منزل الوحي ، فنشأت متخلقة بأحسن الاخلاق ، فلاعجب ان كانت احب نسائه اليه ، وآثرهن عنده ، وكان صداقها اربعمائة درهم ، وروت عن النبي « صلى الله عليه وسلم » اكثر من الف حديث ؛ وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، وكنيتها ام عبد الله ، كنيت بابن اختها اسماء ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وكان يدعوها اما لانه تربى في حجرها .. ، وقبض رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وهي بنت ثماني عشرة سنة ، وقبض ورأسه في حجرها ، ودفن في بيتها ، وتوفيت سنة سبع وخمسين للهجرة الشريفة في شهر رمضان « يوليو ٦٧٨م » ، وصلى عليها ابو هريرة بالبقيع ، ودفنت ليلا ، وذلك زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية .. فرضى الله تعالى عنها وارضاها .

(٢) سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ (شوال - السنة الأولى من الهجرة) :

في شهر شوال من السنة الاولى ارسل النبي العظيم « صلى الله عليه وسلم » ابن عمه « عبيدة بن الحارث » في ثمانين راكبا من المهاجرين ، وعقد له لواء ابيض حمله « مسطح بن اثاثة » ، وذلك لكي يعترض عيرا لقريش ، يحرسها مائتا رجل من اهل مكة ، على رأسهم ابو سفيان بن حرب ، فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ « واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة اميال من الجحفة » .

قال ابن هشام « فلم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان اول سهم رمي به في الاسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم » .

(انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٢٤ طبعة المكتبة التجارية)
وبعد انصراف كل من الفريقين عن الاخر ، ولى المشركون الادبار مسرعين السير الى مكة خوفا من ان يكون للمسلمين كمين او مدد ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود ، وعتبة بن غزوان وكانا قد اسلما قديما ،

فانتهزا الفرصة ، ولحقا بالمسلمين .

(٣) « عبد الله بن الزبير » اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين :

في شهر شوال من السنة الاولى ولد عبد الله بن الزبير ، فكان اول مولود في الاسلام بالمدينة من المهاجرين ، ولما ولدته السيدة اسماء بنت ابي بكر الصديق « رضي الله عنهما » كبر المسلمون تكبيرة كبيرة عظيمة ، فرحا بمولده ، لانه كان قد بلغهم عن اليهود انهم سحروهم ، حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، وكان اول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة النعمان بن بشير ..

(٤) غزوة « بني قينقاع » شوال ٢هـ :

بعد النصر الالهي للمسلمين في غزوة بدر اغتاظ يهود بني قينقاع ، وبدت البغضاء منهم للمسلمين ، واظهروا مكنون ضمائرهم ، انتهكوا حرمة امرأة من العرب قد قدمت الى سوق اليهود من بني قينقاع ، ومعها حلية جلست الى صائغ منهم بها ، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها وهي تأبى ، فجاء يهودي من خلفها في غفلة منها ، فأثبت طرف ثوبها من اسفل بشوكة الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها « عورتها » فضحكوا بها ، فصاحت فوثب احد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، وهذا نقض لعهدهم مع محمد « صلى الله عليه وسلم » فانزل الله تعالي فيهم : (**واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين**)٥٨ / الانفال . وقد جمع الرسول « صلى الله عليه وسلم » رؤساء اليهود لابلاغهم عواقب اعمالهم . فقالوا له : « يا محمد لا يغرينك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ، ولو لقيتنا لتعلمن اننا نحن الناس » .. وفي قولهم هذا تحد سافر لمحمد « صلى الله عليه وسلم » والاسلام ، فانزل الله جل ثناؤه قوله تعالى : (**قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار**) ١٢ و ١٣ / ال عمران .

وقد بدأ بنقض الحلف عبادة بن الصامت احد رؤساء الخزرج ، وتشبث بالحلف عبد الله بن ابي وقال : « اني اخشى الدوائر » ، فأنزل الله تعالى فيهم : (**يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم**

الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) ٥١و ٥٢ / المائدة .

ولما كشف بنو قينقاع نقاب العداوة للمسلمين وتحصنوا في حصونهم ذهب اليهم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في النصف الثاني من شهر شوال يحمل لواءه عمه حمزة ، وخلف على المدينة ابا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فأدركهم الرعب ، ولم يستطيعوا المقاومة ، فطلبوا التسليم والخروج من المدينة ومعهم النساء والذرية ، وللمسلمين المال ، فقبل عليه الصلاة والسلام واوكل عبادة بن الصامت لخروجهم وامهلهم ثلاث ليال ، وذهبوا الى بلدة اذرعان بالشام ولم يمض عليهم عام حتى هلكوا .

(٥) غزوة احد شوال ٣هـ :

رأت قريش بعد ان لحقت بها الهزيمة في واقعة بدر ان تثأر لشرفها وسمعتها ، ولمن قتل من رجالاتها ، لذلك كانت هي البادئة في العدوان ، ومما يدلنا على شدة حرصها على الاخذ بالثأر انها ظلت تستعد مدة سنة لحرب الرسول « صلى الله عليه وسلم » واصحابه ، وبذلت في هذا السبيل مجهودا كبيرا ، كما خصصت اموال القافلة التي حاول المسلمون اعتراضها وهي قادمة من الشام ، والتي كانت السبب في واقعة بدر للانفاق منها على تلك الحرب ، وطابت انفس اشرافها ان يجهزوا من تلك الاموال جيشا فنزل فيهم قول الله جل ثناؤه :(**ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون)** ٣٦ / الانفال .

كذلك دعت قريش حلفاءها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها في محاربة المسلمين .. ، ولما تم استعدادها خرجت بحلفائها الى المدينة في شوال سنة ٣ هـ بقيادة ابي سفيان بن حرب .. ، ولما بلغ النبي « صلى الله عليه وسلم » قدوم قريش على المدينة ، استشار أصحابه كعادته في مثل هذه المواقف ، فمنهم من اشار بالاكتفاء بالدفاع ، ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى وجوب البقاء في المدينة والاكتفاء بالدفاع عنها وقال لاصحابه : « امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام « جمع اطم وهي بيوت من حجارة كان يسكنها اهل المدينة » ، فان دُخل علينا قاتلناهم في الأزقة » وقد أيده في ذلك

أكابر الصحابة من المهاجرين والانصار ، كما وافقه عبد الله بن ابي . اما انصار الرأي الثاني فكان اغلبهم من الشبان الذين لم يشهدوا بدرا ، ومن المسلمين المتحمسين للقاء العدو ، وهؤلاء قالوا للرسول : « اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا » .

قبل الرسول « عليه الصلاة والسلام » رأى هذا الفريق لكثرة عدد انصاره وقوة باسهم ، ثم خرج من المدينة في الف من المسلمين ، ولم يكد يبلغ الشوط « مكان خارج المدينة » حتى تخلى عنه عبد الله بن ابي مع فريق من الجيش بحجة ان النبي لم يأخذ برأيه ، وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الاضطراب في صفوف المسلمين .

لم يعبأ الرسول « صلى الله عليه وسلم » بتخلف عبد الله بن ابي واتباعه ، وواصل السير حتى نزل بعدوة الوادي « شاطىء الوادي وجانبه الصلب » ، فاستقبل المدينة ، وترك جبل احد خلف ظهره حتى لا تهاجمه قريش من خلفه ، وجعل وراءه الرماة ـ وهم خمسون رجلا ـ وولى عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم « احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف ان نؤتي من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم اني اشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل »

(امتاع الاسماع ـ المقريزي جـ١ ص ١٢٤)

اما قريش وحلفاؤها فنزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة ، وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ..

وابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين ، فتبعهم المسلمون واخذوا يجمعون ما وجدوه في طريقهم من الغنائم ، فلما رأى الرماة رسول الله واصحابه متقدمين في جوف عسكر المشركين تركوا اماكنهم وسارعوا الى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم وحاصروا المسلمين من كل جهة وانتهز خالد ابن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة واتى المسلمين من خلفهم واعمل الرماح في ظهورهم فانتقضت صفوف المسلمين وصاروا ـ كما يقول الطبري ـ ثلاثة اقسام ما بين قتيل وجريح وفريق منهزم جهدته الحرب لا يدري ما يصنع ، وقد حاول هذا الفريق الهرب في ثنايا الجبل ، ولم يثبت مع الرسول سوى اربعة عشر : سبعة من المهاجرين ومثلهم من الانصار ..

وازمع ابو سفيان بن حرب العودة الى مكة .

(انظر : الامم والملوك للطبري جـ٢ ص ١٩٧ ، امتاع الاسماع للمقريزي جـ١ ص١٥٧)

(٦) غزوة الخندق او الاحزاب شوال سنة ٥ هـ :

وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، ويطلق عليها غزوة الخندق للظاهرة الحربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات ، فقد احاط الرسول فيها المدينة بخندق ليحول دون مهاجمتها ويصد به العدو ، كما عرفت ايضا بغزوة الاحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية الى قريش في محاربة المسلمين .

اجتمع طوائف من مشركي قريش وغيرهم من العرب ، وبنو النضير من اليهود لحرب المسلمين وعددهم عشرة الاف رجل ، ويرأس الجميع ابو سفيان ، لأنه كان قائدهم العام .

اما المسلمون فلم يخرجوا من المدينة بل حفر الرسول خندقا عملا باشارة سلمان الفارسي حذرا من هجوم الاعداء عليها ، واما المشركون واليهود فحاصروا المدينة ، وضيقوا عليها تضييقا شديدا ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما ، وفي ذلك الوقت نقض بنو قريظة اليهود العهود ، وجاهروا المسلمين بالعداوة ، وكذلك المنافقون ابرزوا ما تكنه صدورهم من النفاق ، فاشتد عند ذلك البلاء وعظم الخوف على المسلمين ، لان العدو اتاهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظن المسلمون بالله الظنون فأرسل الرسول عند ذلك خمسمائة مقاتل لحراسة المدينة خوفا على النساء والذرارى .. ولم يزالوا على هذه الحال الى ان هرب الاحزاب المحاصرون من خوف اصابهم ، واراح الله المسلمين من هذه النقمة ، وذلك ان الله سلط على الاعداء ليلا ريحا شديدة ، وجنودا لم يروها .. وفي البخاري .. « دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الاحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

(انظر : لباب الخيار في سيرة المختار للشيخ مصطفى الغلاييني ص ٧٢)

ولا شك انه كان لفشل الاحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين اثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم ان المدينة لا تؤخذ عنوة وان حشرت لها الاف الجنود من الحجاز ونجد ، وقدروي ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : حين جلت الاحزاب عن المدينة : « الآن نغزوهم ولا

يغزوننا » .
(انظر : الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٢ ص ٦٩)

(٧) غزوة حنين شوال سنة ٨ هـ

بعد ان دخل المسلمون مكة ، اقاموا بها مغتبطين بنصر الله تعالى وفضله عليهم اذ مكنهم من هذا الفتح العظيم ، ولم يكد المسلمون يستقرون بها اياما قليلة حتى سمعت هوازن بهذا الفتح ، فخشيت ان تدور الدائرة عليها هي الاخرى ، كما دارت على قريش وغيرها من قبل .

لذلك جمع مالك بن عوف النضري : هوازن وثقيفا وبعض القبائل الاخرى ، وسار بهم وبنسائهم وذراريهم الى رسول الله لقتاله .. ، ولما علم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بامر مالك وهوازن خرج ومعه الفان ممن اسلم من قريش وعشرة الاف من اصحابه .. وعندما بلغ المسلمون حنينا في المساء نزلوا على واد بها فأمضوا هنالك ليلتهم ثم انحدروا في عماية الفجر الى اودية تهامة ، وهناك فاجأتهم كتائب مالك بن عوف اذ كانوا يكمنون في الشعاب وامطروهم بوابل من النبل وشدوا على المسلمين ، فتراجع المسلمون وتفرقوا وانحاز النبي ذات اليمين وثبت في مكانه ، فأحاط به جماعة من المهاجرين والانصار واهل بيته لحمايته من عدوان قد يقع عليه . وحين رأى النبي ان الناس قد تفرقوا نادى فيهم : « اليّ ايها الناس انا النبي لا كذب ، انا بن عبد المطلب » ، ثم امر العباس بن عبد المطلب ان ينادي فيهم فهتف العباس يقول : يا اصحاب سورة البقرة ، يااصحاب السمرة .. وتجاوب صدى الهتاف في جنبات الوادي فاخذ المسلمون يأتون من كل صوب قائلين : لبيك لبيك .. وعاد الجميع الى ساحة الاستبسال ، والتقوا باعدائهم فقاتلوهم وشدوا عليهم ، واخذوا ينادون : ياللأنصار ياللخزرج فتفرق في الاعداء وانهزموا وهكذا نصر الله المسلمين نصرا مؤزرا وانهزم المشركون وخيب الله امالهم وقد نزل في شأن هذه الغزوة قول الله تبارك وتعالى : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين**) ٢٥ و ٢٦ / التوبة .

وبعد : فهذه هي صور من حياة المسلمين في شهر شوال في عهد الرسول العظيم محمد بن عبد الله « عليه الصلاة والسلام » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) ٢١ / الاحزاب

كرامة القلم

ذكر الله عباده بفضيلة الكتابة ، ونعمة القلم ، وثمرة القراءة ، وجعل ذلك احدى آياته التي لا تحصى ، ونعمه التي لا تستقصي ، فقال عز من قائل : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ .

وأقسم به تعالى في قوله : (**ن . والقلم وما يسطرون**) القلم/ ١ ولا يذكر الله سبحانه الا بنعمة جليلة انعم بها على عباده ، ولا يقسم عز وجل إلا بأمر خطير ، له في حياة عباده أبلغ الآثار .

وقد احصى ابن وهب وجوه البيان أربعة هي : بيان الاعتبار ، وبيان الاعتقاد ، وبيان العبارة الذي هو نطق باللسان ، وبيان الكتاب .

وقال عن بيان الكتاب إنه هو الذي يبلغ من بعد او غاب ، لأن بيان اللسان مقصور على الشاهد دون الغائب ، وعلى الحاضر دون الغابر ،

وقد اراد الله أن يعم بالنفع جميع أصناف العباد ، وسائر آفاق البلاد ، فألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم ، وعبروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا الغاية التي قصدها الله في افهامهم ، وايجاب الحجة عليهم . ولولا الكتاب الذي قيد على الناس اخبار الماضين لم تجب حجة الانبياء على من اتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم . ولذلك صارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب .

وقد قال العارفون في الموازنة بين دلالة القلم ودلالة اللسان : « القلم أحسن اللسانين ، والقلم أبقى اثرا ، واللسان اكثر هذرا » فاذا تحرى الكاتب الصدق فيما تخط يمينه جرت على اسلات قلمه آثار العلم ونفحات الايمان ، فعظمت الفائدة ، وتحققت رسالة القلم في نفع العباد ، وهدايتهم الى طريق الهدى والرشاد .

إيمان الكاتب

للدكتور/بدوي طبانة

وما تخطه اقلام الكاتبين انما هو صورة لما تنفث صدور اصحابها مما كمن في اعماقهم ، وما انطبعت عليه نفوسهم ، وذلك مصداق القول المأثور في عالم الادب والنقد ، وهو ان الاسلوب هو الرجل !

حتى الالفاظ المختارة ، والعبارات المؤلفة ، تبدو فيها طبائع اصحابها ، والوان معارفهم ، كما تبدو فيها سجاياهم واخلاقهم . ولهذا كان لكبار الكتاب طرائقهم في الكتابة ، واساليبهم المتميزة في التعبير التي يستدل بها القارىء اللبيب على شخصياتهم ، ولو لم تذكر له اسماؤهم .

ومعنى ذلك ان ذخائر المعارف ونوازع النفوس تجد سبيلها في المداد الذي يجري على القراطيس ، ليعكس عليها آثار العقليات والنزعات ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ..

وهنالك مقياس من اهم المقاييس التي يقيس بها النقاد جودة الكلام ، ويقدرون على اساسه صناعة الكلام ، وصناع الادب . وذلك هو مقياس « الصدق » في التعبير عن النفس ، وعن المشاعر والعواطف التي تجيش في صدور الادباء او الكاتبين .

ومن هنا تستشعر الاقلام حاجتها الى ايمان اصحابها بما يكتبون ، وصدقهم في التعبير عن هذا الايمان ، لأن لذلك ابعد الاثر في تصديق ما يكتب الكاتب ؟ وفي تقبلهم لما يقول ، وذلك يؤدي الى الثقة به ، والى سمو منزلته وعلو مكانته بين انداده من الادباء والكاتبين .

والايمان هو سلامة الاعتقاد ، واطمئنان القلب الى ما تكشف له من اسباب الايمان . ومعنى ذلك ان الرأي هو الذي يمثل عقيدة صاحبه ، وان هذه العقيدة هي التي تنسج الرأي وتوجهه وتجليه ، وهي التي تمنحه بعد ذلك صفة الثبات والاستقرار .

اما الرأي الذي لا يرفده اعتقاد ، ولا يعضده ايمان ، فلا يوصف الا بأنه شقشقة لسان ، وتنسيق الفاظ ،

وتزويق كلام . ولا يستساغ وصفه بالرأي ، لأنه فقد صلته باليقين الذي لا وجود له في قلب صاحبه ، قبل ان يفقد اليقين الذي يراد له في قلوب الآخرين .

وقد يكون لفقد اليقين علامات منها انك ترى في احاديث اللسان او القلم التي لا تنبع من القلب ، ولا تنبعث عن اعتقاد ان القول يهدم في آخره ما حاول ان يبنيه في اوله ، وينقض في حديث لا حق ما اراد ان يبرم في حديث سالف ، لأنه لا عبرة عند صاحبه بحقيقة يتحراها ، او عقيدة تدفع الى التعبير عنها ، وضم عناصرها بعضها الى بعض ، ليجيء هذا التعبير محكما رصينا عن عقيدة صلبة راسخة .

ومن ذلك ايضا ان يختلف منطق القول عن واقع العمل ، لأنه لا قيمة للايمان من غير العمل الذي يقتضيه ذلك الايمان ، وهو الذي يدل عليه ويؤكده . وكأن الكاتب حينئذ يحاول ان يكتب فيما يعجب الناس ، او فيما يظن انه محبب اليهم ، من غير ان ينبع الاعجاب من ذاته .

وذلك هو السر في ان اكثر ما يقرأ الناس وما يستمعون اليه لا يقع من قلوبهم الموقع الذي يلائم بلاغة العبارة وفصاحة الاسلوب ، لأن ذلك لم يجاوز حدود الصناعة التي تدرب عليها الكاتب او المتكلم .

وذلك ضرب من النفاق الذي كرهه ربنا عز وجل ، وكبر عنده مقتا ، فقد كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، وما فعل ، وكان يقول : قاتلت ، ولم يقاتل ، وصبرت ، ولم يصبر ، فأنزل الله تعالى : (**(يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)** الصف/٢ و ٣ .

ان نظرة واحدة الى كثير من الكتابات يوقفنا على ان الكتابة ـ وهي صناعة شريفة ـ اصبحت حرفة ممتهنة ، ووسيلة الى جلب الخير ودفع الضر ، وستر النفاق ، بقدرة اصحاب هذه الصناعة الشريفة على التقلب بين المبادىء ، والتنقل بين الموارد والمصادر .

وعندئذ يصبح القلم اداة للكذب والتمويه ، ووسيلة الى الخداع والتضليل ، فيحيد عن الهدف المرجو ، ويتنكب الطريق السوي المستقيم .

ولذلك كان الصالحون يتحاشون كثرة الكلام الا اذا كان صادرا عن طبع وايمان ، لأنهم كانوا لا يريدون به الا وجه الله ، ولا يعنيهم احد سواه .

لقد عرف العلماء والحكماء فضل هذه النعمة الكبرى على عباده ، وما يسرت لهم من تحصيل العلوم والآداب ، وسائر ما يرقى بعقولهم وقلوبهم ، وما يصلح من احوالهم في معاشهم ومعادهم ، فدونوا بأقلامهم كل ما استطاعوا ان يثقفوه من دين وعلم وخلق ، وكل ما رأوا في تدوينه خيرا لغيرهم ممن لم يعلموا علمهم ، ولم يثقفوا ثقافتهم ، فأنقذوهم من ظلمات الجهالة ، وحالوا بينهم وبين اسباب التردي والهلاك .

ثم اضافوا الى تراث الانسانية ما

استطاعوا ان يضيفوه من العلم النافع والحكمة البالغة ، ومن آثار النور الذي ملأ الله به قلوبهم ، والهداية التي يسر لهم سبيلها ، والقدرة على النظر في ملكوت السموات والارض ، وما خلق الله فيهما .. وقد حفظ التاريخ لاولئك العلماء والحكماء فضل ما اسدوا الى الانسانية ، لتضيف اليه في مستقبل حياتها ما تستطيع ان تضيف ، حتى لا تبدأ التجربة من جديد .

وهناك فريق من حملة الاقلام ضلوا سبيل الهدى ، وحادوا عن منهج الحق ، فصارت هذه النعمة في ايديهم نقمة ، وجرت اقلامهم على القراطيس بما يعفي على القيم ، ويقتل روح الفضيلة ، كما تجري الافاعي تنفث السم الزعاف الذي يردى من اصابته حمتها .

وشأن القلم أو شأن الكتابة في هذا هو شأن كل شيء نافع جميل ، كالصحة والثروة والجمال ، فهذه كلها تؤدي الى الخير والصلاح اذا احسن الانتفاع بها ، وهي كلها شرور تؤدي الى الضرر والفساد اذا اسيء استعمالها .

وليست هذه الاقلام الفاسدة جديدة على عالم الكتابة ، فان الخير والشر موجودان في طبيعة البشر ، وجود الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، والفضيلة والرذيلة ، والنفع والاذى ..

ولكن ضرر هذه الاقلام الفاسدة اصبح في زماننا اشد ، وخطرها صار ابلغ في تصديع المجتمعات من ضرر ما كانت تكتب في العصور الخالية ، وذلك للدور الخطير الذي تلعبه الصحافة في اذاعة ما تنشر بين جميع الطبقات بعد ان كانت هذه الكتابات محصورة في الكتب المنسوخة التي لا تصل الا الى ايد بالغة القلة من القارئين .

ومنذ سنوات انتقلت الى اوطاننا الاسلامية والعربية تيارات من الانحلال الخلقي والاجتماعي التي انتشرت في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية . وكان من ابرزها تلك البدعة التي فشت في شبابنا فيمن يسمونهم « الهيبز » وما نسميه « الخنفسه » . وقد قابل مجتمعنا هذه الظاهرة في شبابنا بالنفور والانكار والاشمئزاز . وكان في ذلك الانكار ما يدعو اولئك المقلدين الى الاقلاع عما انحرفوا اليه من هذه البدعة المنافية للذوق ، الخارجة عن حدود الادب .

وكنت قرأت فيما اتيح لي ان اقرأ منذ سنوات خبرين أثار أحدهما اعجابي ، وأثار الآخر اشمئزازي ..

اما الاول فقد كان يتمثل في نداء وجهه بابا المسيحيين الى نقابات الحلاقين يناشدهم فيه أن يتقوا الله في رؤوس الشباب التي يضعونها بين ايديهم ، فلا يحلقونها على نحو تأباه الفضيلة او ينتقص من مروءتهم ، او يخل بخصائص رجولتهم التي ينبغي

ان ينشـأ عليها شبـاب البـلاد ، ويـوجهوا نحـو الفضيلـة ومكـارم الاخـلاق والعمـل الجـاد النـافـع لحياتهم ، ومستقبل اوطانهم .

اعجبتني تلك الغيرة على الامة وشبـابها الـذين تنتظـرهم ليبنـوا برجولتهم ، وبسواعدهم الفتية امجاد الوطن . في حين انني لم أقرأ لواحد من رجالنا او كتابنا ما يشبه هذا التوجيه ، وكأن مثل هذا الامر لا يعنيهم في قليل او كثير .. اما الاخر فقد كان كلمة كتبها واحد من كتابنا ، اخذ فيها يفلسف ظاهرة « الخنفسة » التي انحرف اليها كثير من شباب الامة ، واخذ يصطنـع الاسباب ، ويلتمس المعاذير لأولئك المنحرفين ، ويعلل فشو هذه الظاهرة بان اولئك الشباب انما « تخنفسوا » ليعبروا عن شعورهم « بالقلق » الذي يعانونه في هذه المرحلة من مراحل حياتهم .

ومعنى ذلـك بايجـاز ان اولئك الشبان المدللين يعانون من مشاعر زعم الكاتب اللبيب انهم يحسونها في حياتهم ، وانهم لم يجدوا وسيلـة للتعبير عن هذه المشاعر التي استولت عليهم سوى هذه « الخنفسة » التي تبدو في تشبه الفتيان بالفتيات في ارسال الشعور ، واطالة الاظفار ، وتضييق السراويل ..

وسألت نفسي : اي انحدار بالفكر هذا الذي أقرأ ؟ واي اسفاف في ابتذال العلم بمثابة ذلك السخف ؟ واي تحريض على التمادي في ذلك الانحلال فوق هذاالتحريض ؟

ثم ما هذا القلق الذي يكابده شبابنا في هذا الزمان ؟ وما اسبابه ودواعيـه وهم يستقبلـون حيـاتهم بالعافية واشراقة الامل في نفوسهم ؟ ان نظرة واحدة الى هؤلاء الشباب ، والى الحياة التي يحيونها ، توقفنا على مدى ما ينعمون به من ترف ورفاهية ، وحياة كان لا يحياها آبـاؤهم ولا اجدادهم من قبل ، اللهم الا القليل من الافراد ، والقليل من ابناء الاسر التي من الله عليها بالسعة في الرزق ، والرغد في العيش ..

ان هذه النظرة الواحدة توقفنا على الفروق البعيدة بين حياة الأبناء في هذا الزمان ، وحياة آبائهم واسـلافهم الذين كانوا يلبسون ما خشن من الثيـاب ، وينامـون عـلى الحصر ، ويأكلون على الارض اقل ما تخرج لهم الارض ، ويستضيئون بلهب النار ، او بشعلة الزيت او شعلة النفط ، وعاشوا قانعين راضين بما رزقهم الله ، وبمـا قـدر لهم من نعمـة ، وانصرفوا الى العمل الجاد الصالح الذي ينفعهم في الدنيا والاخرة .

وتذكرت ما قال الصديق ابو بكر لعبد الرحمن بن عوف ، وهو يعوده في علته التي مات فيها : « والله لتتخذن نضائد الديباج وستـور الحريـر ، ولتألمن النوم على الصوف الاَذربي ، كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان » ! ولقد صدق الصديق رضي الله عنه فيما توقع مما تصير اليه

احوال المسلمين اذا ابطرتهم النعمة ، وشغلتهم الدنيا .

ولو سلمنا جدلا بهذا القلق الذي يلف الشباب ، فهل « الخنفسة » هي الدرع الواقي ، والبلسم الشافي من ذلك الداء العضال ؟

ان الأمر لا يعدو في نظري ان يكون عبثا من القول ، في عبث من الفعل ، ودعوة الى الفساد ، وليس علاجا لداء من الأدواء ، او وهم من الأوهام التي يتصورها مثل ذلك الكاتب الفيلسوف ، الذي خان امانة الكتابة ، وكرامة القلم ، وانضم الى زمرة الشياطين الذين يزينون للناس ما توحي به اليهم نفوسهم المريضة ، واستهانتهم بالقيم الانسانية ، والاخلاق الفاضلة .

وبشرى للخائفين والقلقين !

ومرحى .. مرحى للكاتب الفيلسوف الذي استطاع ان يشخص لهم الداء ، ويستنبط لهم الدواء ، ويعيد اليهم الثقة بانفسهم ، وما ذهب من مروءتهم او رجولتهم !

وادهى من ذلك وامر ما كتبه واحد من كتابنا المعروفين الذي يوصفون « بالتقدميين » وهم في الحقيقة « تأخريون » - اذا صحت هذه النسبة - الى ابعد حدود التأخر ، لانهم يريدون ان يعودوا بالانسان الى البهيمية ، وقد اخذ هذا الكاتب يشجع الادباء ، بل يدعوهم الى التصريح في شعرهم وكتاباتهم بما تنكره مبادىء الدين واصول الاخلاق ، وما يأباه كل ذوق سليم .

يقول هذا الكاتب « التقدمي » ان الاديب اذا احتاج الى صراحة تامة في التعبير عن العلاقات الجنسية ينبغي ان يمنح هذا الحق ، وان له كل الحق في ان ينال الحرية في بحث مشاكل الجنس بصراحة كاملة ، كما يبحث العالم مسائل الغازات السامة .. ويقول انه ليس في الادب الجنسي ضرر نشأ عن هذه الصراحة فيه يساوي او يقارب الضرر الذي نشأ من الغازات السامة !

ويتمسح هذا الكاتب بعلم النفس الحديث الذي يدعي ان الصراحة وعدم الوقوف في وجه الغريزة الجنسية والكلام عنها ، كل ذلك لا يضر ، وقد يفيد .. الى اخر هذا الكلام الساقط الذي يشجع على الفحش ، وعلى المجاهرة بالرذيلة ، غير مبال بأثر تلك المجاهرة في اخلاق الشباب ، وتحريضهم على تنكب الطريق السوي ، والصراط المستقيم .

ان امثال هذه الكتابات المتمردة على مبادىء الحق والعدل بعيدة الاثر في تقويض المجتمعات ، وينبغي الا تجد لها طريقها الى النشر والاذاعة ، وان يؤاخذ كاتبوها على جرأتهم على الحق والخير والفضيلة ، وان يضرب على ايديهم ، ماداموا قد فقدوا الضمير الحي الذي يردعهم ، ويحول بينهم وبين الغي والفساد ، في كل امة يحرص قادتها على كرامتها ، وعلى شبابها الذين تعدهم لبناء امجادها بمثلهم الرشيدة ، وسواعدهم الفتية .

عزة العلم وكرامة العلماء

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

★ نور العلم :

لم يبدأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتابه الكريم بالدعوة الى العلم الا وهو يريد أن يرعى نظر اوليائه اليه فيوقفوا انفسهم عليه ، ثم يكتسبوا من وراء ذلك عزة الربانيين وكرامة المقربين .

اما العلم فهو نور الله لا يهتدي اليه الا الموفق السعيد ، وهو الذي يضيء قلوب العارفين فيدركون به جلال الله وجماله ، فيزدادون لله حبا وخشية ، وعلى قدر حبهم لله يكون فرحهم به وانسهم بجماله . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ولم يجمع اهل الله على شيء كما اجمعوا على وجوب العلم الذي يثمر المعرفة وعلى وجوب الاستعداد لطلبه بالوسائل المعينة على طلبه المؤدية الى فتح ابوابه واجتناء ثماره . وليس انجح في ذلك من وسيلة الصدق في الطلب والتسلح بالطاعة . قال الامام مالك للشافعي رضي الله عنهما حين قصده لطلب العلم : ما اسمك ؟ قال : محمد .. فقال : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شأن من الشأن .

وكان للامام مالك فراسة صادقة ظهرت آثارها في الشافعي الذي طبق علمه الارض ، ويقول بعض العلماء : انه ـ اي الشافعي ـ المقصود بالاثر الوارد : عالم قريش يملأ طباق الارض علما .

وقد نظم الشافعي وصية استاذه وكيع حين اوصاه بالطاعة التي تورث العلم في قوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي	فأرشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور	ونور الله لا يهدي لعاصي

وقول الشافعي هذا من قبيل تواضع العلماء الذي يضيف الى جلالهم جلالا والى رفعتهم رفعة والى قدرهم سموا وعظمة .

★ ثمار العلم المعرفة :

ولا ينكر احد فضل العلم الذي ورد فيه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا	يغنيك محموده عن النسب

فلا ادب الا بعلم ، وان اردت اللفظ الصريح فيكفيك قوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩

ويكفي ان تكون المعرفة ثمرة العلم ، والمعرفة هي التي تمكن الانسان من ادراك حقائق الوجود والتعرف على الموجود ، ولجلال المعرفة اختص الله بها قوما وصفوا بها واصبحت فخرا لصاحبها حتى يقال له : العارف .

واسمى قطوف المعرفة معرفة الحق جل وعلا ، ولذلك دلائل تبدأ بأن يعرف الانسان نفسه في عجزها ووضاعتها وافتقارها وتقلبها وفنائها وحيرتها ، فيدل الاقرار بذلك على قدرة الخالق وعزته وقدمه وبقائه وتفرده ، ثم يدل ذلك على صدق العبودية لله والاعتماد عليه والالتجاء اليه . ورد في ذلك اثر كريم هو « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

ولا بد ان يثمر ذلك مزيدا من العلم الذي يمكنه من التقوى ، والتقوى تثمر الخشية والتقوى طريق العلم وثمرته معا ، فكما انها تفتح الطريق اليه فهي ايضا تثمره ، قال تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة / ٢٨٢ وفي الاثر « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

اما الخشية فالمولى عز وجل يقول فيها : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ بأسلوب القصر الذي يفيد غاية التوكيد وقوة التأييد . فكلما استشعر

الانسان ضعفه ازداد يقينه بعظمة القادر الذي تخضع لقوته الكائنات ، فيزداد المؤمن تواضعا وخشوعا ودنوا من حضرة القدس التي تعكس على القلب الفيوضات والاشراقات ، فيرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . انه المعراج الروحي للعارف الذي ورد في حقه « لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » .

هنا يستشعر المؤمن العزة الحقيقية التي ورد فيها قول الحق تعالى : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون /٨ ـ فان للايمان هيبة تفيض من قلب المؤمن على جوارحه فما يراه احد الا هابه ، لا تكاد تقتحمه العين،تمتلىء منه رهبة وخشية له . ورد في حق الامام مالك رضي الله عنه ان القلوب كانت تهابه اجلالا له حتى قال عنه سعيد بن هند الاندلسي : ما هبت احدا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية ـ الملقب بصقر قريش ـ فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت معها هيبة ابن معاوية .

وتعليل ذلك ميسور ، فمهابة عبد الرحمن بن معاوية مردها الى الحكومة والسلطان ، اما مهابة مالك فمردها الى التقوى التي استبطنت قلبه فخشى منها ربه ، ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء . وان الهيبة للامام مالك لتمتد حتى تبلغ الولاة انفسهم ، فلا يستطيعون ان يروعوه كما يروعون غيره من الرعية ، بل هو الذي يروعهم بسلطان العلم وصولجان الورع والتقوى . ولقد ذهب اليه مرة والى المدينة يحمل اليه خطاب توصية بالشافعي ارسله اليه والي مكة ، فلا يكاد يفتح له الباب ويرسل اليه مالك خادمته لتبلغه انه اذا كانت له مسألة فليرفعها في رقعة ويأتيه الجواب وان كان للحديث فانه يعرف موعده .

ولكن الوالي يخبرها بطلبته فيخرج اليه مالك ، وما ان يقرأ خطاب التوصية حتي يقول : سبحان الله اوصار علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤخذ بالوسائل ؟ اي بالوساطات فقد استغرب مالك ان تكون هناك وسيلة غير النية الصادقة في طلب العلم ومعها الجد والاجتهاد اللذان يأخذان بيد الطالب الى مدارج الكمال . هكذا تعلم العلماء قديما انه لا وساطة للانسان في بلوغ علمه غير حسن النية : « **انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله** » رواه البخاري ومسلم وابو داود .

ومن اعظم الهجرات الهجرة في طلب العلم . قال تعالى : (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة /١٢٢ .

لكن هذه الهيبة التي ورثها العلماء لا تحول ـ بكل اسف احيانا ـ بين بطش الجبارين حين يستبد بهم السلطان وتملي عليهم القوة ان بامكانهم ان يفرضوا القوة على العلم او ان يوجهوه لصالحهم ، وان يفعلوا ما يريدون في غيبة الضمير العادل والخشية الحقيقية لله ، وقد تعرض الامام مالك للاذى كما تعرض غيره من اجلة العلماء ، ولكن ذلك لم يخلع الهيبة عنهم ولا أزال معرفة الحق لهم ، بل ازدادوا في نفوس الناس رفعة ، وتلك ضريبة من ضرائب العلم والمعرفة . وكم اوذي الانبياء والاولياء فما ذلت نفوسهم ولا تطامنت عزتهم ولا تركوا دعوة الحق ..

وبذلك اصبح العلم اعظم قربة يتقرب بها الانسان الى ربه ، لأنه يهدي اليه ، ويعرف به ، واصبح كذلك زينة لصاحبه وتاجا فوق مفرقه ونورا يكسوه مهابة وجلالا ..فإن المشاهد في دنيانا التي فتنت الناس بمظاهرها الكاذبة ان يهاب الناس من اعتز بجاهه وماله وسلطانه وقربه من الحاكم ، ويملأ هذا الاستشعار قلب المهيب فيريده طغيانا وعلوا واستكبارا : (**كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى**) العلق /٦ ، ٧ .

ولكن غنيمة العالم اكبر ، وسلطانه اعظم ، لأنه استمده من قربه من الخالق ومعرفته به ، وشتان بين هيبة العالم التي يزينها التواضع وهيبة الطاغي التي يشينها العلو والاستكبار ، تلك هيبة محبوبة محترمة موقرة ، وهذه هيبة مكروهة محتقرة ، ويلتف الناس حول العلماء بالله طائعين وفي قلوبهم الاعزاز لهم والتواضع لهم والحب لهم ، ويلتف الناس حول الطاغين كارهين او طامعين وفي قلوبهم الحقد او الرغبة او الخوف من البطش او الحرمان ..

★ كيف يحقق العلم العزة :

ويصور لنا الجرجاني حرصه على طلب العلم حتى يستغني به ويعز فيقول :

ولو أن اهل العلم صانوه صانهم	ولـو عظموه في النفـوس تعظما
ولكن أذلـوه جهـارا وسـودوا	محيـاه بالاطمـاع حتى تجهمـا
ولم ابتذل في طلبة العلم مهجتي	لاخـدم من لاقيت لكن لأخدمـا
أأشقى به غرسـا وأجنيه ذلـة	اذا فابتياع الجهل قد كان احزما

انه يرسم لنا الطريق امام تحقيق عزة العلم ، انها تتحقق بالزهد في المطامع والارتفاع فوق الرغبات الدنيئة ، فالعالم في قلبه غنى واسع ليس في مقدور اي سلطان تحقيقه مهما كان له من عز الغنى وسلطان القوة .

بين العلم والمال :

ان غنى العالم في صدره وروحه ، وثروته في فكره ، هي اغلى من كل كنوز العالم مجتمعة لأنها ثروة روحية باقية ، اما ثروات الناس فهي مادية زائلة ، وماذا يفيد الغني ماله في ميزان المثل ؟ وقديما وازن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بين العلم والمال موازنة دقيقة تدل على فراسة قوية والهام صادق ، قال : العلم يحرسك وانت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق . وهذه قضية شغلت الاذهان طويلا - ومازالت تشغل - حتى قال فيها العلماء والحكماء ما قالوا ، وكان مما قاله حفني ناصف وهو يصور حال الدنيا التي تجتمع الى الجاهل ويفتقدها العالم ، وما حصل العالم علمه وخبرته الا بعناء زائد وتعب شديد :

أتفنى معي ان حان حين تجاربي ... وما حصلتها الا بطول عناء
اذا ورث الجهال ابناءهم غنى ... ومالا ، فما أشقى بني الحكماء

ولكن ليس شقاء على اي حال ، لانه ورث ابناءه ذخرا طيبا وذكرا خالدا .. ولكن « شوقيا وحافظا » كليهما كادا يجمعان على اهمية المال والعلم معا ، فشوقي يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهمو ... لم يبن ملك على جهل وإقلال

وحافظ يقول :

والمال ان لم تدخره محصنا ... بالعلم كان نهاية الاملاق

ولكن العلم عندهما مفضل في كل حال ، فشوقي يقدمه على المال في الذكر ، وحافظ ينصح بأن يجمع المرء الى ثروة المال ثروة العلم والا فان غناه فقر ووجده عدم .. الا ان الطغرائي كان صريحا حين اقتبس حكمة علي - كرم الله وجهه - المتقدمة فنظمها في قوله :

من قاس بالعلم الثراء فانه ... في حكمه اعمى البصيرة كاذب
العلم تخدمه بنفسك دائما ... والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب او يبيد لحادث ... والعلم لا يخشى عليه السالب
والعلم نقش في فؤادك راسخ ... والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الانفاق يغزر فيضه ... ابدا وذلك حين تنفق ناضب

والذي نخلص اليه ان العلم الحقيقي ثروة لا تدانيها ثروة وعزة لا تدانيها عزة ، وكم من غني اذله حرصه على ماله واهمه امر المحافظة عليه وارقه الخوف من الخسران او فوت الربح والطمع في جمع المزيد .

ولئن كان المال كالعلم في تطلع صاحبه الى الاستزادة منه حتى ورد في ذلك اثر « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » الا أن نهم العلم محمودة عواقبه سليمة نتائجه عظيمة بركته كلما زاد علم العالم ازداد بذلك استقرارا ورسوخا ونفعا . اما نهم المال فعلى العكس من ذلك وقلما سلم طامع في حطام الدنيا من الخسار ، كما انه لا يكاد يوجد مستزيد من العلم حل به كساد او بوار .

عزة العالم :

العالم من علمه في عزة ومنعة ، وفي لذة روحية لا تدانيها لذة ، وبخاصة حين يشعر بجدوى علمه ونتائج بحثه ، وهو فرح بالحق تياه بالمعرفة - في غير عجب - حتى قال احدهم : نحن في لذة لو ادركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

ولا بد من وضع ضابط للعالم الذي يشعر بالعزة ويدرك معناها ..

ذلك هو الذي يعرف للعلم حقه فلا يدنسه بالاطماع ولا يشوهه بالآثام ولا يحقره بالامتهان هو الذي يعمل بعلمه ويطابق قوله فعله ، لا يتناقض فيصبح امثولة بين الناس .

هو الذي يدرك انه بعلمه رفعه الله منزلة عالية دونها كل منازل الارض فهو النجمة المحلقة التي يتطلع اليها الناس ، بل هو الشمس المشرقة التي تعيش في ضوئها الكائنات ، انه كما يقول الشاعر :

ما الفخر الا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

ان العلم حياة والجهل موت ، ففضل العالم على غيره هو فضل الحي على الميت ولا يستوي الأحياء ولا الأموات .

فالعالم الحق هو الذي يدرك ذلك ، ويدرك معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم » رواه الترمذي .

وفي هذا الاثر لفتة كريمة بارعة ترفع قدر العالم الى منزلة النبوة المشرفة التي تأخذ بأيدي الناس من الظلمات الى النور ، والتي تستمد عزتها من عزة الاله القادر فتستنصر به فلا يرهبها سلطان ولا يزلزلها بهتان ولا يضعفها اغراء ولا يغويها أستعلاء .

بهذا الفهم كان العلماء سادة الدنيا ، وبهذا الفهم رفض الامام مالك ان يسعى الى بغداد ليقرأ عليه هارون الرشيد الموطأ ـ كما حدث بذلك الشيوخ ـ بل قال حين طلب منه ذلك : العلم يسعى اليه ولا يسعى العلم الى احد . فقصده هارون الرشيد في المدينة ونصب له كرسيا ليجلس عليه في مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، وخرج مالك الى حلقته ورأى هارون مستويا على الكرسي في المسجد ، وجلس مالك على الارض ليقرأ الحديث ـ كعادته ـ فكان اول ما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله » رواه ابن ماجة فنزل هارون وجلس على الأرض مثل بقية الناس .

هذا درس في عزة العلماء حين يعرفون قدر النعمة التي افاءها الله عليهم ، فلا يعرضونها للابتذال ، وماذا يتبقى في الدنيا اذا ضاعت كرامة العلم ..

ان الدنيا محفوظة مادامت كرامة العلماء محفوظة ، فاذا ذهبت كرامتهم ضاعت هيبتهم وضاع العلم بضياع هيبتهم ، وفي ضياع العلم ضياع للحياة نفسها .

هذه العزة التي لبس تاجها العلماء الأفاضل هي التي مكنتهم من ان يكونوا قدوة لغيرهم في الخير ومنارا يهتدى به الحكام في الاصلاح والعدل ومكنتهم من ان يجهروا بكلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم ، حتى قصدهم الخلفاء واستنار بهم الامراء واستضاء بنورهم الوجهاء .

وهذه العزة هي التي حلتهم بالشجاعة الأدبية ، فلم يخافوا بطش الحكومات الجائرة ولم يضعفوا أمام سطوة الجهل وجبروت الطغيان .

● مثل سعيد بن جبير رضي الله عنه امام الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقال له الحجاج وكان غاضبا عليه ويريد ان يقتله ـ ما اسمك .. فقال سعيد بن جبير .
قال الحجاج : بل شقي بن كسير .
فقال سعيد : امي اعلم باسمي منك .
فقال الحجاج : شقيت وشقيت امك .
فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارا تتلظى .
فقال سعيد : لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها .
قال الحجاج : الويل لك يا سعيد .
فقال سعيد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار .
قال الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التي تريد ان تقتل بها .
فقال سعيد : بل اختر انت يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة .

وحين ولى به ليقتل ضحك سعيد ، فقال الحجاج ردوه ، ثم سأله : ما يضحكك ؟
فقال سعيد : ضحكت من جرأتك على الله وحلم الله عليك .. وقتل سعيد ولم يبد عليه جزع .

هذا حوار دار بين رجل عالم تقي ورع متأهب للموت وبين حاكم قوي كان يتباهى بسلطانه وجبروته ، ومع ذلك لم يستطع الحجاج بن يوسف ان يرهب هذا العالم الذي استعز بسلطان العلم واستنصر بعزة الله .

لم يأبه للموت لانه يعلم بأنه نهايّة كل حي ، ولأن يمضي شهيدا خير له من ان يمضي غير شهيد ، والعلم الحقيقي يكشف الحجاب عن صاحبه فيرى منزلته عند ربه فيشتاق لها ويتعجل اللقاء .. والعلم الحقيقي هو الذي يكسب صاحبه الزهد في الدنيا وايثار الاخرة على الاولى فعلام ـ اذن ـ يحرص على البقاء في الدنيا وقد اتيحت له فرصة ذهبية للمضي الى الاخرة في موكب من النور والشهادة ؟ ..

وظل هذا الموقف الذي وقفه سعيد بن جبير يؤرق الحجاج خمسة عشر يوما بعد ان امر بقتله ومات الحجاج فرقا ورعبا ، فقد كانت الدعوة التي دعا بها سعيد وهو مسوق الى القتل ، اللهم لا تسلطه على احد بعدي ..

○ مثل آخر :

وبعزة العلماء هذه واجه ابو مسلم الخولاني معاوية بن ابي سفيان حينما دخل عليه يوما فقال له : السلام عليك ايها الأجير .

وحاول الناس ـ وهم الناس في كل زمان ومكان ـ ان يوجهوه في خطاب الخليفة وجهة اخرى ، فقال لهم معاوية السياسي المحنك : دعوه فان ابا مسلم يعرف ما يقول .

ثم يقول أبو مسلم لمعاوية :

انما مثلك مثل اجير اؤتمن على ماشية ليحسن رعيها ، ويوفر لبنها ، وينمى الصغيرة ، ويسمن العجفاء ، فان هو فعل ذلك استحق اجره وزيادة ، وان لم يفعل ذلك نزل به عقاب مستخلفه ولم ينل اجرا . يا معاوية انك ان عدلت مع اهل الارض جميعا ثم جرت على رجل واحد مال جورك بعدلك .

يا معاوية ، لا تحسبن الخلافة جمع المال واغداقه ، انما الخلافة العمل بالحق والقول بالمعدلة واخذ الناس في ذات الله ، يا معاوية ان الناس لا يبالون بكدر الانهار ماصفا النبع وطاب ، وان مكان الخليفة من الناس مكان النبع الذي يرجون صفاءه .

اهناك عزة ابلغ من هذه العزة التي لم تمنع صاحبها من ان يقول قولة حق لخليفة المسلمين تحيط به حاشيته وسلطانه ، وهم يحاولون ان يطامنوا من عزة هذا الناصح ويرفعوا من كبرياء المنصوح ؟؟

ولكن الخليفة كان واعيا لبيبا عاقلا ، عرف كيف يستفيد من النصح ويحتفظ للعالم بعزته وكرامته ، فقبل منه النصح وكفكف من غرب حاشيته حين قال لهم في حزم : الن ابا مسلم يعرف ما يقول ؟؟

لقد كان نصح ابي مسلم خالصا لوجه الله ، عارفا منزلته عند ربه ملبيا لامره حين قال في محكم كتابه : (**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) ال عمران / ١٠٤ ـ ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذي وقال حديث حسن - رياض العارفين صـــ ١٠٧ .

كان هناك حكام ـ يستجيبون ويقدرون العلم واهله ويتعرضون للعلماء طالبين النصح والمشورة فلا يبخل عليهم احد بذلك حسبة لله وابتغاء رضوان الله واستجابة لامر الله .

عرف العلماء قدر العلم فصانوه ورفعوا قدره فرفعهم الله بالعلم الى اعلى منزلة ، واعزهم ورسم لهم هالة مشرقة فياضة بالنور . قصد هارون الرشيد مرة الفضيل ابن عياض ليستمع الى وعظه ، فوجده في مكان موحش وفي غرفة مظلمة ، فجال هارون ومعه حاجبه في الغرفة حتى وجده ، فمد اليه يده ليسلم عليه ، فقبض عليها

الفضيل وقال له : ما الينها يدا ان نجت غدا من عذاب الله .

وبكي هارون من وعظ فضيل له حتى قال له حاجبه : ارفق بأمير المؤمنين . فقال فضيل : ويحك ، تقتله انت واصحابك كل يوم وأرفق به انا ..
يقصد ان بطانته بممالأته وتملقه تزين له ما يكون سببا في هلاكه في الآخرة .

واراد هارون ان يقدم لفضيل مالا ، فرفض فضيل قبوله - على رغم حاجته - وقال له : عجبا لك ادلك على النجاة وتدلني على الهلاك .

وخرج هارون يتعثر في مشيته ، ثم سمع صوت امرأة تقول لفضيل : انك تعلم حاجتنا ، افلا قبلت المال لنفرج به ضائقتنا ؟ ..

فقال لها فضيل : انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يخدمهم ، فلما كبر البعير ذبحوه واكلوه . يا اهلي موتوا جوعا ولا تذبحوا فضيلا .

ولقد اطمع هذا الحوار هارون في ان يعود الى فضيل فيقبل المال ، ولكن فضيلا غضب وتركه ولم يرد عليه ، فانصرف هارون يائسا ..

لكنه لم يغضب لأن العالم رفض هبته .. بل ازداد العالم رفعة في قلبه ، وقال هارون لحاجبه : ان اردت ان تدلني فدلني على مثل هذا ..

لقد ادرك هارون ان دولته لن تعز الا بعز العلماء وان سلطانه لن يقوى الا باكرامهم فعرف لهم منزلتهم حتى اثر عنه انه كان يصب بنفسه الماء على يد بعض العلماء اكراما لهم .

فعل ذلك مع ابي معاوية الضرير . وقال له يوما : من صب الماء على يديك ؟ قال : لا ادري . قال هارون : انا . فقال ابو معاوية : اعزك الله كما اعززت العلم واهله .

هكذا كانت عزة العلماء ، لم تهن ولم تضعف ولم تنحن امام الاغراء وما اكثره في خزائن الامراء ، وامتدت بذلك قامة اولئك العلماء حتى تضاءلت امامها القامات ...

انها العزة التي يقول الله عنها في كتابه الكريم : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) .

الإسلام بين الصليبية والمغول

للاستاذ / معالي عبد الحميد حموده

لا يمكن للتاريخ ان يطوي حوادثه مطلقا .. والتاريخ اذا تبدل الزمان والمكان ـ وهما يتبدلان طبقا لسنة الله في الخلق ـ فانهم دائما يقولون ان التاريخ يعيد نفسه .

وها نحن نحيا في عام هجري جديد بعد نهاية القرن الرابع عشر الهجري وخلال هذا التاريخ الهجري وقعت حوادث جمة وتبدل الزمان والمكان وخسر من خسر وفاز من فاز ولكن علينا ان نعي تماما ان التاريخ يعيد نفسه .

وما نعيشه ـ نحن المسلمين ـ في مطلع القرن الخامس عشر الهجري يؤكد ذلك تماما ويؤكد ان هذه الاعادة التاريخية الممثلة في وقوف الاسلام بين الصليبية والمغول مرة اخرى .

وقبل ان نتعرف من التاريخ على الوقفة الاولى التي وقفها الاسلام ضد الصليبية والمغول فان المتأمل لخريطة العالم الاسلامي الان وبكل الدقة والتفصيل يجد الاعادة التاريخية

لوقفة الاسلام ضد الصليبية والمغول ولكن هذه الاعادة التاريخية حدث بها تبدل في الزمان والمكان وحدث تبدل في المواقع ولكن الاهداف الاساسية ضد الاسلام هي هي لم تتغير ولم تتبدل بل انها صارت في القرون الهجرية الاخيرة تنمو بشكل عدائي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية كلها ولكن نفس الاعداء هم هم ونفس التحالف ضد الاسلام هو هو ونفس المخططات هي هي ويتجمع هذا كله في وعاء واحد هو : ابادة الاسلام .

ومن اوراق التاريخ الذي لا يكذب نتأمل ما فعلته الصليبية والمغول ضد الاسلام في القرون السابقة ثم نتعرف على ماتفعله الصليبية « والمغول » ضد الاسلام في العصر الحديث ولن نزيد او ننقص الا ان نقدم هذه الاوراق التاريخية لشباب الاسلام الذي يقوم ـ والفضل لله تعالى ـ بحركة يقظة اسلامية وبعث اسلامي لاستعادة ما خسرناه ومن اجل التيقظ التام تجاه اعداء الاسلام .

انتصار الاسلام على المغول

المغول هم في الاصل قبائل بدوية همجية موطنها الاصلي وسط اسيا وحضارتها بدائية متأخرة ، ويتجه المغول كثيرا الى الغزو للقتل والسلب والنهب ، فكانوا يغيرون على المدن المجاورة لهم يرتكبون اعمال العنف والارهاب ، ولم يكن غزوهم من اجل نشر عقيدة او فكرة او حضارة انما كان همهم التخريب والتدمير .

وكان المغول قبائل وثنية متفرقة متنابذة وظلوا على هذا الحال الى ان تمكن « جنكيز خان » من جمع كلمة المغول وتوحيدهم ثم اتجه نحو الشرق غازيا مدمرا كاسحا ، ففتح الصين في اوائل القرن ١٣ م ثم نقل المغول نشاطهم الى غرب اسيا ثم شرق اوربا فمنطقة الشرق الاوسط وهي ما تعنينا .

في منتصف القرن ١٣ م بعث خاقان المغول « منكوخان » اخاه « هولاكو » لفتح ايران والشام ومصر وبلاد الروم السلاجقة والارمن .

ونجح المغول في منتصف هذا القرن في القضاء على الدولة الخوارزمية والسيطرة على ايران ، بعد ان اتت الدولة الاسلامية الخوارزمية بضروب اسطورية من الشجاعة والبسالة والمقاومة .

لم تتوقف احلام المغول عند هذا الحد ، ولكن بدأ المغول يتطلعون الى القضاء على الدولة العباسية ـ وكانت الدولة العباسية للاسف قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف نتيجة الانقسامات المذهبية وانقسام القوى الاسلامية وسيطرة العناصر الاجنبية على الدولة .

ويهمنا هنا ان نذكر ان المغول لم يكن هدفهم ـ خاصة وان عدوهم هو الاسلام ـ هو التدمير والوحشية حسبما كانت اهدافهم الاولية ايام جنكيز خان ، ولكن كان المغول يختبرون المقاومة الاسلامية وفي هذا يقول المؤرخ الكبير ابن الاثير في كتابه

« ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي دخلت نصيبين .. والتي وصلت الى اربل كان مقصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم ام لا ؟ فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك وعساكر فقوى طمعهم » .

وبدأ المغول تجهيز الحملة الضخمة الشهيرة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها .

الصليبية والمغول ضد الاسلام

تعرض الاسلام في تلك المرحلة الدقيقة الى خطرين داهمين خطر المغول من جهة الشرق وخطر الصليبيين من الغرب .

بدأ المغول في اعداد الحملة لغزو الدولة العباسية والقضاء عليها ثم المضي قدما في طريق الغزو واجتياح العالم الاسلامي العربي في بلاد الشام ثم مصر .

في نفس الوقت كان هناك الصليبيون في بلاد الشام وكانوا قد نجحوا سنوات طويلة سابقة في السيطرة على بعض مدن الشام - خاصة المدن الساحلية - لكن المسلمين العرب صمدوا وكافحوا ببسالة منقطعة النظير حتى ادرك ابناء الصليب عجزهم - امام ابناء امة لا اله الا الله محمد رسول الله - وبدت بوادر انسحابهم من الشرق العربي ، واقتصر نفوذهم على مناطق محدودة في بلاد الشام على ساحل البحر المتوسط .

رأى ابناء الصليب ان ينقذوا كرامتهم ومصيرهم ، فجهزوا حملة صليبية جديدة قادها ملك فرنسا لويس التاسع الذي جاء الى جزيرة قبرص ١٢٤٨م ليتخذ منها قاعدة هجوم على مصر باعتبار ان مصر مركز المقاومة الاسلامية العربية للصليبيين ، وقد خرجت من مصر كل الجيوش التي الحقت بالصليبيين في الشام افدح الخسائر .

علم هولاكو وهو يستعد للقضاء على الدولة العباسية بنزول لويس التاسع في جزيرة قبرص ، وكان كل فريق منهم يطمع في السيطرة على الشرق العربي ولم يكن هناك بد من الصدام بين الفريقين الطامعين حول الغنيمة .

ولكن رأي الفريقان ان يتفقا اتفاق اللصوص على اقتسام هذه الغنيمة الكبرى التي يسيل لها اللعاب ، اوفد « هولاكو » سفراءه الى لويس التاسع يعرض عليه تعاون - بل قل تواطؤ - المغول والصليبيين بل ويرى بعض المؤرخين ان لويس التاسع لم يهاجم مصر الا بتحريض من المغول ذلك ان هولاكو كان يتأهب لغزو العراق واسقاط الخلافة العباسية وخشي ان

تهب مصر كعادتها للدفاع عن الاسلام والعروبة ، فرأى ان يشغل المصريين بمواجهة الخطر الصليبي كي ينفرد هولاكو بغزو العراق ..

كانت اللحظة جريئة ومليئة بالدهاء ..

استقبل لويس التاسع سفراء هولاكو بالبشر والترحاب ، اليس الهدف هو القضاء على الاسلام ؟ وبذل كل قطيع حاقد كل جهده في تنفيذ شروط الاتفاق ، فاتجه لويس الى مصر وتقدم هولاكو نحو العراق وبدأ تنفيذ المؤامرة .

ولكن اذا بالقطيع الصليبي يتلقى لطمة مؤلمة ، اذ اخفقت حملة لويس التاسع على مدينة « المنصورة » واضطر لويس الى طلب الصلح ، بل عرض على السلطان - وقتها - « توران شاه » ان تنسحب الحملة الصليبية من مصر مقابل ان يتنازل توران شاه له عن بيت المقدس .

ورفض السلطان المسلم هذا العرض رفضا تاما فالقدس اسلامية عربية ولا بد ان تظل كذلك دائما .

واندلع القتال ثانية ونجح المسلمون المصريون في إلحاق الهزيمة الهائلة بالصليبيين عند مدينة « فارسكور » ، وقتلوا من ابناء الصليب اكثر من سبعة « الاف » بل ان الملك لويس التاسع نفسه وقع في الاسر وتم ايداعه في دار القاضي ابن لقمان بالمنصورة .

لم يكن امام لويس التاسع الا ان يدفع فدية مالية ضخمة لقاء اطلاق سراحه واخفقت الحملة الصليبية تماما ، وعاد القطيع الصليبي يجر اذيال الخيبة والفشل ..

بعد هزيمة الصليبيين واندحارهم بدأ تنفيذ الشق الثاني من التحالف الدنس ، اذ تهيأ هولاكو لغزو الدولة العباسية وعن طريق المكيدة والخيانة تقدم هولاكو على رأس جيش مغولي ضخم وتم سقوط بغداد في المحرم ٦٥٦ هجرية « ١٢٥٨م » وظل المغول يقتلون المسلمين وكبار الفقهاء وعلماء الاسلام وكبار رجال الدولة العباسية واستمر القتل والسلب والنهب في بغداد ، وكانت اخر عبارة قالها خطيب مسجد بغداد في اخر جمعة اقيمت في بغداد قبل اجتياح المغول « اللهم اجرنا في مصيبتنا التي لم يصب الاسلام واهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

ونجد من اقوال التاريخ ما يشير الى نقطة خطيرة ، وهي ان الغزو المغولي انما هو امتداد للغزو الصليبي ، ذلك ان زوجة هولاكو كانت مسيحية على المذهب النسطوري ، واستخدمت كل وسائلها في حث زوجها البربري الهمجي على تدمير الاسلام وقتل ابنائه وتصفية المجتمعات المسلمة .

الاسلام يقهر المغول

اجتاح المغول مدن الشام في ٦٥٧ هجرية « ١٢٥٩م » وفتح هولاكو عدة مدن هامة ، ثم بدأ المغول في غزو مدينة حلب هذه المدينة الباسلة التي دافعت دفاعا مجيدا واستشهد كثير من اهلها ولم يتمكن هولاكو من اقتحامها الا سنة ٦٥٨ هجرية « ١٢٦٠م » معتمدا على الخيانة والغدر ، واقدم المغول على كثير من المذابح والفظائع التي لم يشهدها التاريخ من قبل .

بعدها تقدم المغول صوب دمشق وبعد مقاومة اسطورية لدمشق وابنائها المسلمين ضد المغول ، استولى عليها المغول وأعملوا كعادتهم في اهلها القتل والسلب والنهب .

وصل المغول الى مدينة غزة بفلسطين - ردها الله تعالى - واصبحوا قاب قوسين او ادنى من مصر ..

كان يحكم مصر وقتئذ امراء المماليك الذين وحدهم الاسلام ، فوقفوا وقفة هائلة استعدادا للمجابهة المقبلة .

سال لعاب هولاكو بعد سلسلة الغزوات المتتالية ، وظن انه سوف يستولى على مصر في ساعات ، بيد ان الاسلام اذا خسر في مواقع فانه الدين الوحيد الذي يجعل ابناءه يسرعون بتضميد جراحهم والوقوف صفا واحدا للدفاع عن دينهم وشرفهم ووجودهم وكيانهم .

وقعت معركة « عين جالوت » والتقى الجيشان الجيش المسلم المصري بقيادة سيف الدين قطز ، والجيش المغولي في عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨ هجرية « ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م » ودارت معركة رهيبة شرسة وابدى ابناء الاسلام بسالة منقطعة النظير ، وظل نداء « وا اسلاماه » الذي يردده سيف الدين قطز يدوي في انحاء المعركة حتى نصر الله المسلمون .

وانتهت موقعة عين جالوت بهزيمة ساحقة للمغول وبانتصار عظيم للامة الاسلامية .

والآن ..

التاريخ كما قلنا يعيد نفسه .. فها هي الصليبية متعاونة مع الشيوعية - والصهيونية على حرب الاسلام ، متفانية في الكيد له..

افرز التحالف الدنس ضد الاسلام تطبيقات عملية فرأينا زرعا لجسم دخيل في قلب الامة الاسلامية والعربية ، هذا الجسم هو ما يطلق عليه دولة اسرائيل .. اسرائيل هذه التي كانت عملا مباشرا للتحالف الصليبي والشيوعية ضد الاسلام .. أسرائيل هذه التي وقفت بريطانيا الصليبية وراء انشائها بكل ما تملك من قوى وجهد .. واسرائيل هذه التي وقف الاتحاد السوفييتي - والولايات

المتحدة الامريكية ـ منذ الوهلة الاولى لمساندتها ومؤازرتها .. بل ويقوم الاتحاد السوفييتي الان باخطر ما يمكن عمله لتقديم الجهد البشري العلمي لاسرائيل ، ويتمثل في سماح الاتحاد السوفييتي بهجرة العقول البشرية الصهيونية الى اسرائيل .

ثم تولى الفريقان الشيوعية ـ احفاد المغول ـ والصليبية العدوان على الاسلام فسقطت مجتمعات مسلمة تحت نير الصليبية الحديثة ـ مثلا ـ عندما اقدم القس الكاثوليكي صاحب الاصابع الملوثة بدماء المسلمين : جوليوس نيريري على غزو اوغندا « بمعاونة الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا » وكانت « الجريمة » أن رئيس اوغندا وقتها كان مسلما وباعتبار ان الاغلبية الساحقة في اوغندا مسلمون كان هذا سببا كافيا ان يقوم نيريري بغزو اوغندا وقتل ابنائها المسلمين وهتك عرض فتيات اوغندا المسلمات ، ويقف العالم الصليبي سعيدا منتشيا مباركا لهذا الغزو .. ثم ناهينا عما تفعله الصليبية الحديثة في العديد من المجتمعات المسلمة ..

ثم ما فعلته الشيوعية هي الاخرى بالبلدان والشعوب الاسلامية وآخرها ما يدور في افغانستان المسلمة ..

والقائمة طويلة ويصعب حصرها .. ولكن اثبت التاريخ الحديث ان اي عمل يتم ضد الاسلام ـ كدين ودولة ـ فانه يكون قد تم الاتفاق عليه مسبقا بين الولايات المتحدة الامريكية « زعيمة الصليبية الحديثة » وبين الاتحاد السوفييتي « زعيم مغول القرن العشرين » وهكذا ..

ان مسئولية العالم الاسلامي جد خطيرة في هذا القرن الخامس عشر الهجري ، هذه المسئولية التي تلزم العالم الاسلامي بأن يفيق ليرى ما تحت اقدامه وما يحمله امتداد البصر ، صحيح ان العالم الاسلامي استقل سياسيا ، ولكن علينا ان نواجه الموقف مواجهة صريحة ، فاذا كان العالم الاسلامي قد تحررت اقطاره المسلمة من الاستعمار والغزو المباشر ، الا ان بعض اقطاره مازالت تئن تحت الغزو الاستعماري غير المباشر سواء من الصليبية او المغول .

وعلى شعوب العالم الاسلامي وحكامه ان يعلموا ان التاريخ يعيد نفسه ، وان الصليبية ومغول القرن العشرين قد تحالفا ثانية ضد الاسلام .

وان الامة الاسلامية لن تعدم ان تفيق من سباتها ، وان يعيد التاريخ نفسه ثانية وينصرنا الله تعالى على الصليبية ومغول القرن العشرين .

قال تعالى :

(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الحج / ٤٠ .

الأعياد

أبواب للخير ودروب للبركة

للدكتور/ زيدان عبد الباقي

العيد في جوهره ـ ليس يوما بالذات ، أو تاريخا بالذات ، ولكنه معنى يتجسد في « **يوم** » **أو** « **تاريخ** » .. معناه المودة والصفاء والأخوة بين البشر ، وترك الأحقاد والضغائن والخلوص لله راحم الجميع ، والمهيمن على الكل . فاذا آمنا به فقد هدينا الى خير منهاج ... ومن ثم فلا نميل الى الاستعلاء أو القهر أو الطمع والجشع ، أو الجريمة والعدوان .. الخ . ولا تكون لدينا أي رغبة في الاستيلاء أو الاستحواذ على ما لدى الغير ، أو إهانة هذا الغير وإذلاله .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام - وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشر كافة - منذ خلقهم والى أن يرث الله الارض ومن عليها ... هذا الدين خطا خطوة حضارية بالحياة الانسانية وبمختلف أنماط السلوك الانساني . وذلك بصبغته للأعياد بالصبغة الانسانية ، بحيث أصبح العيد - في ظلاله ومع مسيرة الرسالة المحمدية - ميقاتا كريما - بما تتجلى فيه المعاني السامية والأخلاق الفاضلة والعقيدة القويمة ، والعبادة الخالصة ، التي تعد جميعا ثمرات دانية القطوف لما للدين الصحيح من أثر تربوي في التنشئة الاجتماعية - أو التطبيع الاجتماعي - للأفراد .

ارتباط الأعياد الاسلامية بالعبادة

والأعياد الاسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادة ، بصورة تؤكد حكمة الاسلام في مزجه بين الدين والدنيا في نسيج اجتماعي واحد محكم لحمته السلوك البشري والنشاط الانساني ، وسداته التوجيه الالهي والسنة النبوية ، ليكون هذا العمل راشدا قويما . ومن هنا :

فقد ارتبط **عيد الفطر المبارك** بعبادة الصيام ليعيش فيه المسلم تغمره مشاعر الارتياح بأداء الواجب العظيم ، والنهوض بالأعباء الثقال .

و يتكرر عيد الفطر المبارك مرة واحدة كل عام ليكون « **فرحا** » وليكون « **جزاء** » على الالتزام بآداب الدين أثناء القيام بعبادة الصوم التي كفل الله لمن يؤديها ايمانا واحتسابا ما لم يكفله للمسلم في اي عبادة اخرى فقد قال صلى الله عليه وسلم « **اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي** » :

- **اما الاولى : فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم . ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا .**

- **اما الثانية : فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك .**

- **اما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة .**

- **اما الرابعة : فان الله عزوجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي او شكوا ان يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرمي .**

- **اما الخامسة : فانه اذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : اهي ليلة القدر ؟ قال : لا الم تر الى العمال فاذا فرغوا من اعمالهم وفوا اجورهم** » .

وقد روي - ايضا - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **اذا كان**

يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على ابواب الطرق تنادي : **أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل . لقد امرتم بقيام الليل فقمتم . وامرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم** » . فاذا صلوا نادى مناد ان الله قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو « **يوم الجائزة** » . وفي نطاق هذا قال تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » (البقرة ١٨٥) .

والعيد لغة اسم مشتق من العود او من عاد يعود فهو عيد لانه مناسبة متكررة وقد فطنت العامة الى هذا المعنى بقولها ـ عند تبادل التهاني ـ في الاعياد بقولهم لبعضهم البعض « **بعودة الايام** » فما احسنه دعاء ، وما احسنها تحية . اذاً العيد هو أزهى ما يحتفل به الانسان ينتظره الصغار من أبنائنا ليصيروا كبارا مثل الآباء . و الكبار ـ كذلك ـ ينتظرونه ليسترجعوا ذكريات طفولتهم وليجتروا ازهى ذكريات الحياة وليعيشوا اجمل لحظات العمر الذي انقضى منه الكثير . ولكن حلاوته لا تزال عزاء عن كبر السن .. نعم ان العيد فرح ومرح وسرور وبهجة .. بل انه بمثابة الواحة الخصبة التي يأوي اليها المسافر المجهد ليستروح في ظلالها بعض الوقت فيسترد قوته وقدرته على مواصلة السير في الطريق المرسوم لحياته على هذه الارض .

وارتبط **عيد الأضحى المبارك** بعبادة الحج إذ يكون في اليوم التالي ليوم الحج الأكبر يوم عرفة حيث يتحلل الحجيج من إحرامهم إيذانا بانتهاء الجانب الأكبر من أعمال الحج . وبالتالي تمتلىء نفوسهم المؤمنة بالتقوى والاطمئنان ، وتعتريهم أحاسيس الراحة والرضا ، والشعور بانجاز الركن الخامس من أركان الاسلام . كما يرتبط بمبدأ « **التضحية** » موضوعا ولقد كان « **عيد الفطر** » **اول عيد احتفل به في الاسلام في المدينة المنورة** » بعد الهجرة في السنة الثانية . فقد كان لأهل المدينة يومان يحتفلون بهما ويلعبون فيهما ـ في الجاهلية ـ فسأل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما هذان اليومان ، فقالوا هما يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال صلوات الله وسلامه عليه « **ان الله ابدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى** » (رواه انس) فقد حرص صلى الله عليه وسلم على ان يكون للامة الاسلامية كيانها الفائق المميز حيث نهى عن التشبه بأصحاب الملل الاخرى . ونهى عن التقليد والانقياد الأعمى واتساقا مع هذه « **الاستقلالية الذاتية للامة** » فقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتفل المسلمون بأعياد الجاهلية ومن ثم امر المسلمين باسقاط هذه الاعياد من حسابهم ومن حياتهم ايضا .

والأعياد في الاسلام اثنان لا ثالث لهما ، وكل عيد منهما مرتبط ـ كما أوضحنا ـ بعبادة من العبادات الاسلامية الأساسية ، حتى لا تكون كثرة الأعياد وعدم ارتباطها بالدين وسيلة للتفريط في الواجب أو التهاون في العمل ، أو تعظيم من ليس لهم حق في التعظيم من البشر أو الموجودات أو القيم الاجتماعية السلبية ، أو التفاهات التي يرجى لها أن تكون شيئا مذكورا في حياة الناس . ومن المعروف أن هذه الأعياد لا ترتبط بالدين ولا تنبع من القلوب وإنما تفرض على الناس فرضا... تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير . ويجري الالحاح على الاحتفال بها ليل نهار . ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها أحد لكثرتها ولعدم اقتناع العقل الجمعي بها ، ولانها محلية ذلك أن لكل بلد أعياده الخاصة التي لا تعرف في البلاد الأخرى ، كما أن كثيرا من هذه الأعياد يتوقف الاحتفال بها بمجرد اختفاء الذين ابتدعوها من على كراسي الحكم .

ولذلك فان الاسلام ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى فحسب باعتبارهما من الأعياد الخالدة ، التي لا تفقد جلالها مهما تجاوزتها القرون حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في بعض الدول .

إن الاحتفال بالأعياد في الاسلام يترفع في جوهره وحقيقته عن أن يكون مقصورا على ما نرتديه من زينة وثياب جديدة غالية ، وما نقتنيه من تحف وآثار ، أو ما ينغمس فيه بعض الشباب من اللهو والمرح والتنزه بين أشجار الحدائق والبساتين . فيوم العيد هو اليوم الذي لا نعصى الله ، يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين ، يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا . ذلك هو يوم عيدنا . وليس العيد لمن لبس الملابس الجديدة او الفاخرة .. وانما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

وترتيبا على ما حققه المسلم في شهر رمضان من انتصار على نفسه وهواه ، متغلبا على شهواته ونزواته ، فائزاً بعطاء الله .. أو ما يحققه المسلم أثناء تأدية فريضة الحج من انتصار على عادة الحياة في مستوى معيشي مملوء بالرفاهية والعودة الى حياة التقشف والبساطة حتى يحظى بغفران الله عندما يقف في عرفات أشعث أغبر ، فيشهد الله الملائكة على أنه قد غفر له ولأمثاله . صحيح أن الاسلام لا يحرم ارتداء الجديد والفاخر من الثياب ولا يحرم الفرح والاستبشار ـ في العيدين وفي غيرهما من الأيام فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى في عيد الاضحى المبارك ـ تضربان بدفين . ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجي عليه بثوب فانتهرهما فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » رواه البخاري ومسلم .

واتساقا مع تلك التوجيهات الاسلامية التربوية ، ومع روح الاسلام السمحة ، مع روح الاعتدال

التي يتصف بها هذا الدين ، دين « **الوسط العادل** » الذي ينكر التزمت والتشدد في العبادة والسلوك ، نجد الاسلام قد شرع الرخص في العبادات تيسيرا على المسلمين ودفعا للمشقة والحرج عنهم . ومن تلك الرخص إباحته للعب والمزاح البرىء واللهو الذي لا عصيان فيه .. يقول حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي في كتابه « **إحياء علوم الدين** » ما نصه : « المزاح مطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه » .

ـ أما المداومة فلانها انشغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة .

! وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار وبالتالي فان ما يخلو من هذه الأمور فلا يذم ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ـ « إني لأمزح ولا أقول إلا حقا » رواه الطبراني

وعلى ذلك نرى ان الاحساس بفرحة العيد إنما يتحقق لمن أدخل البهجة على المحزون والمهموم وأنار الظلمة للضالين والحيارى في متاهات الحياة ، وأدخل الطمأنينة على خائف أو ملهوف ... ووقف مع مظلوم يدفع عنه الظلم ، ويمشي معه ليثبت خطاه .. وتقرب من يتيم ليضع على وجهه إشراقة أمل ورجاء .

ذلك هو المفهوم الاجتماعي السليم للاحتفال بالأعياد في الاسلام . ومن هنا فان تلك الاحتفالات يمكن أن تؤتي ثمارها ، وتتحقق أهدافها . وبذلك يمتزج الدين بالدنيا ، أو يقترن الجوهر بالمظهر ... فالأعياد في نظر الاسلام ـ لا تكون أعيادا ، وهناك من يعيش بين المسلمين في تعاسة وشقاء ... ولا تكون الأعياد أعيادا وهناك صدور مكلومة تطوي على الجوع ، ونفوس يؤرقها اليأس ، ويمزقها البؤس .. ولا تكون الأعياد أعياداً وهناك عيون محرومة .

ان الاحتفال بالأعياد ـ والحالة هذه ـ يوجب علينا أن نجعل من أعيادنا مصادر للخير ومنابع للرحمة بحيث يكون المسلم عونا لأخيه ، يمده بالمساعدة ، ويمنحه المساندة .. فالله في عون المسلم ما دام المسلم في عون أخيه .. والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

الأعياد مواسم للتصافح والتسامح

وحبذا ـ ونحن نحتفل بعيد التضحية والفداء ـ لو حققنا الهدف الاجتماعي الديني للاحتفال بالعيد ، وهو أن نتصافح ونتسامح ، ونزيل الخصومات والأحقاد ... وندعم أواصر المحبة والمودة ، مستظلين براية الاسلام متوحدين في عقيدتنا ، متجمعين في رحاب ديننا القويم .. إننا إن فعلنا ذلك نستطيع أن نحيل ـ بذلك ـ الاحتفال بالعيد الى دعوة للترابط والتآلف ، دعوة تكون منطلقا الى العزة والكرامة ، الى المجد

والشرف ، فيصبح عيدنا ، عيدا في الأرض ، وعيدا في السماء .

ولقد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في هذا المجال :

ـ **فعيد الفطر** يبدؤه المسلم الصائم بتمرات يأكلها أو بقليل من الماء ، ثم يتجه الى المصلى لاحياء شعيرة من شعائر هذا العيد ، وهي تلك التي تبدأ بصلاة الفجر ، وتنتهي بعد صلاة العيد يوم الفطر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) البقرة/ ١٨٥ .

ـ بينما **عيد الاضحى المبارك** لا افطار فيه الا بعد الصلاة ، حيث يأكل المضحي من أضحيته . ومن شعائر هذا العيد أداء صلاة الأضحى ويستمر التكبير حتى آخر أيام التشريق حيث يكبر المسلم عقب صلاة الجماعة في الأيام الثلاثة تكبيرات ثلاثة مصحوبة بكلمة الحمد وشهادة التوحيد . أي من صبح يوم عرفة الى عصر آخر أيام منى ، لقوله تعالى : (**واذكروا الله في أيام معدودات**) البقرة/ ٢٠٣ قال ابن عباس ، هي : **أيام التشريق وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة** .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام الثلاثة ، سواء قبل الصلاة أو بعدها ، أو في الطريق أو في المجالس وصيغة التكبير كما وردت عن ابن مسعود : **الله أكبر الله اكبر لا إله إلا الله ، والله اكبر الله اكبر ولله الحمد** .

وهناك صيغة أخرى للتكبير مزيدة بواسطة بعض المذاهب وهي : **الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ... الى آخر الصيغة المشهورة** .

وهذه الصيغة أو تلك بل والتكبير نفسه أمر مندوب وبالتالي يجب ألا يصرفنا تفضيل هذه الصيغة أو تلك عن جوهر الدين نفسه .

ومن شعائر الأعياد في الاسلام ـ أيضا ـ العطاء فمع عيد الفطر صدقة الفطر ومع عيد الأضحى التصدق بجانب من لحم الأضحية ، حتى يعيش المجتمع المسلم في رحاب المشاركة ، البارة ، وحتى تقتلع بذور الضغينة من القلوب المسلمة ... فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل كل ذلك بجوار حرصه على ارتداء أحسن ثيابه كما كان يغتسل ويتطيب ، ويسلك في ذهابه الى المصلى وعودته منها طرقا متباينة ليحيى وليهنىء اكبر عدد من المسلمين بالعيد .

اننا لا نتوقع ان ينقلب الناس ـ كل الناس ـ أخيارا أبرارا طوال العام أو طوال الحياة وانما لا أقل من أن يكونوا كذلك يوما أو يومين أو بضعة أيام أو شهور من كل عام ، لعلهم اذ يذوقون حلاوة الحياة الناعمة من غير غل او حقد او طمع أو رغبة في الاستيلاء والقهر ان تغريهم تلك الحياة بالمزيد منها بقية ايام وشهور العام ، أو على الأقل بالتخفيف من ضراوة الاستجابة السريعة لنزوات الغرائز .

الأهداف الاجتماعية للأعياد الاسلامية

وبجوار حكمة الأعياد الدينية فان لها أهدافا اجتماعية تنبع منها وترتبط بها . ومن ثم يجب على المسلمين أن يحققوا فيها معاني الاخاء والولاء بعضهم لبعض ، بمعنى أن يعطف الكبير على الصغير ويحنو الغني على الفقير . ويجود الموسر على المعسر . وينشر كل مسلم جناح الرحمة على من حوله من أقاربه بالوصل والتعاطف معهم والاغداق عليهم بروح المحبة والمودة .

ذلك أن أجل وأعظم الأعمال التي يقوم بها المسلم في العيد وفي غير العيد .. أن يطعم جائعا ، أو يكسو عريانا ، أو يمسح دموع الباكي .. فان عظمة مثل تلك الأعمال ترجع الى أن الاسلام يربط العبادة لله بأنماط السلوك مع خلق الله ... يمنحهم العطف والحنان .. بالكلمة الحلوة ... والبسمة المشرقة .. والمعاملة الطيبة .. والمعاشرة الحسنة .. ولين الجانب فاذا ما تحققت هذه الانماط السلوكية الدينية الايجابية ، والتي تنبع من اليقين والايمان .. تنتشر المحبة والمودة ، وتزداد الأواصر الاجتماعية تماسكا ، ويشتد المجتمع ترابطا واتساقا مع روح الانسانية . ويصبح المسلمون في ظلال دينهم الحنيف إخوة متحابين قلوبهم متصافحة وأرواحهم متعانقة وأياديهم متكاتفة ، فتتجلى وحدتهم ؛ وتظهر قوتهم ، ويرهبهم الأعداء .. وبالتالي تصبح الأعياد أبوابا للخير ودروبا للبركة .

وكان من أبرز الأعمال التي يأتيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم عيد الفطر المبارك أن يرسل مناديا ينادي في الناس أن أدوا الزكاة قبل صلاة العيد وفي حديث ابن عباس المرفوع اذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة الى الارض فيقومون على افواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون : **يا امة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم . فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله عز وجل يا ملائكتي ما جزاء الأجير اذا عمل عمله ؟ فيقولون : الهنا وسيدنا ان توفيه اجره فيقول سبحانه وتعالى « اشهدكم اني قد جعلت ثوابهم عن صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي انصرفوا مغفورا لكم »** .

ليلة ويوم في صحبته صلى الله عليه وسلم

فهيا يا أخي المسلم نبقى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال الليلة الاولى واليوم الأول من شهر شوال عسى ان تجلو تلك الصحبة جانبا من سنة الرسول الخالدة الباقية . وتوضح لنا اعماله واقواله في ذلك اليوم العظيم .. ماذا كان يفعل عقب نهاية اليوم الأخير من رمضان ؟ وماذا كان يفعل اذا اصبح في اليوم

الاول من شوال ؟ وكيف كان يغدو الى المصلى ؟ وما الذي كان يأمر به ويحض على ممارسته في يوم العيد .

غير اننا قبل ان نعود الى الوراء اربعة عشر قرنا لكي نشرف - تصورا - بصحبته صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم العظيم « **يوم الجائزة** » فاننا يجب ان نلتزم بآداب ديننا الحنيف عسى ان نحظى بموافقته على صحبتنا أياه . واول تلك الاداب ان نقترب همسا من « **منبره** » وان نغض من اصواتنا وانما تهليل وتكبير في خشوع المتقين لقوله تعالى « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** .. » (الحجرات ٣) وان نقتصد في مشيتنا فلا جري ولا هرولة وانما مسيرة الخاشعين المتقين لقوله تعالى « **واقصد في مشيك واغضض من صوتك** » (لقمان ١٩) .

ولما كانت بيوت امهات المؤمنين رضوان الله عليهم بجوار « **منبره** » صلى الله عليه وسلم فان من الآداب الاسلامية الا ندخل الى بيوتهن الا بعد الحصول على ترخيص بذلك لقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحيي من الحق** .. » (الاحزاب ٥٣) . ولان « **الزمان** » لا يسمح باعداد الاطعمة والاشربة فاننا نشكر الداعي سلفا - على ما كان يمكن ان يقدم لنا من طعام ونلتقي بصحبتنا له خارج منزله بمعنى اننا سوف نلبي دعوته الكريمة - اذا تفضل بدعوتنا - لنستأنس بحديثه صلى الله عليه وسلم ولنحظى بتوجيهاته .. وهي دعوة - نعتقد اعتقادا جازما - انها مفتوحة للجميع .. فهاهي بيوت امهات المؤمنين - رضوان الله عليهم اجمعين - تتصل ابوابها بمسجد المدينة . وها هي رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج من منزله محملة بزكاة الفطر لتوزيعها على الفقراء ثم تعود لتحمل غيرها من اجل توزيعها على المستحقين . وها هو صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ما انغمض له طرف ولا استقر به مضجع .. وعندما شاهدناه صلى الله عليه وسلم على هذا النحو اندفعنا نفعل مثله بعد ان تداعى الى أذهاننا قوله فيما يرويه ابو امامه « **من اقام ليلتي العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** » ومن ذا الذي يرغب في موات قلبه ؟ حياك الله يا سيدي يا رسول الله يا ذا القلب الذي لم يمت ابدا .

وبعد ان افقنا من حالة الانبهار هذه ووجدنا انفسنا نصلي مثله فاذا هو يستريح قليلا حتى اذا طلع الفجر اغتسل عليه الصلاة والسلام وتطيب ولبس أحسن الثياب وأفطر على تمرات قبل ان يخرج للصلاة ثم صلى الصبح وتوجه الى صلاة العيد . وسار معه في

طريقه الى المصلى عدد من اصحابه اشار اليهم عبد الله بن عمر في قوله « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في العيدين مع الفضل ابن عباس وعبد الله بن عباس وعلي وجعفر والحسن والحسين واسامة ابن زيد وزيد بن حارثة وابن ام ايمن .. رافعا صوته بالتهليل والتكبير يأخذ طريق الحدادين حتى يأتي المصلى** .. » وكل ذلك ونحن منذ مطلع الفجر نفعل ما يفعل حتى اننا كنا نهتف معه ومع اصحابه بصيغة التكبير التي وردت عن عمرو ابن مسعود وهي « **الله اكبر ، الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر الله أكبر ولله الحمد** » .

وهالنا عندما انتهينا الى المصلى ان نجد المسلمين وقد احتشدوا رجالا ونساء حتى الكواعب والعذارى وما رأيناه أكدته عائشة رضي الله عنها بقولها « **قد كانت تخرج الكعاب من خدرها لرسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم في العيدين** » وقد امرهن النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العيدين فقال « **وجب الخروج على كل ذات نطاق** » لتشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنسمع في ذلك رواية احمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « **شهدت الصلاة يوم الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان يصلي قبل الخطبة ثم يخطب بعد** .. » .

وبعد ان ادينا صلاة العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد من طريق غير الطريق التي جاء منها ، وهو يسلم على الناس وتسلم عليه الملائكة ويبادل الجميع التهاني حتى اذا بلغ منزله سلم على اهل بيته ، ثم خرج لزيارة المسلمين وتفقد احوالهم حتى اذا اذن بلال لصلاة الظهر اجابه النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من حوله يرمزون للوحدة والمحبة ولطاعة الله ورسوله . حتى ينقضي العيد .. وهكذا انتهت صحبتنا له صلى الله عليه وسلم وعدنا من حيث اتينا .

ولكن تبقى سنته خالدة باقية حتى يرث الله الارض ومن عليها .

تلك هي الأعياد وتلك هي توقعاتنا بالنسبة للاحتفال بها ، توقعات لا نأمل منها أن يصبح الناس فيها ملائكة ابرارا ، ولكننا نأمل فقط ان يكونوا اقل ضراوة وشراسة ، واكثر انعطافا نحو الرحمة والبر والحب والتسامح . فان فعلوا ذلك فقد حققوا معنى العيد ، كما اراده الله وكما حدد ملامحه ديننا الحنيف والسنة الشريفة . مع وديان الاعياد وفي ظلال خضرتها اليانعة وأهدافها السامية وأطرها الاسلامية ، ندعو الله أن يجعل مستقبل أمتنا المسلمة مستقبلا أسعد وأن يجعل غدها ارغد . كما ندعوه أن يجعل مجتمعنا الاسلامي الكبير أعز وأقوى .

فضل الاسلام على الطب الحديث

للدكتور/ احمد شوقي الفنجري

عندما ننظر اليوم الى التقدم المذهل الذي احرزته الانسانية في علوم الطب الحديث في اوروبا وامريكا وسائر انحاء العالم فقد لا يخطر ببال اكثر علماء الغرب انصافا للاسلام بل في بال العلماء المسلمين انفسهم ان الاسلام هو صاحب الفضل الأعظم في هذه الحضارة العلمية الهائلة .. فكيف كان ذلك .. وما هو دليلنا عليه ؟.

○ الطب قبل الاسلام :

من المعروف انه قبل ظهور الاسلام كانت الفكرة السائدة في العالم كله وفي

الاديان السابقة ان المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة ، وان السبيل الوحيد للشفاء هو صلاة الغفران لكي تطرد شيطان المرض من جسم المريض .

فاذا لم تشفه الصلاة فمعنى ذلك ان ايمانه ضعيف .

ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على اوروبا المسيحية وحدها .. بل في اسيا وافريقيا .. كان الاعتقاد السائد ان هناك الها للشر والمرض ، والها للخير والشفاء وان الصراع بينهما ينتهي بتغلب احدهما على الانسان .

وفي تلك العصور لم تكن الانسانية وخاصة في اوروبا تفهم قيمة النظافة ولا فائدتها ، بل كانت القذارة تعتبر من الايمان وفي هذا يقول الفيلسوف البريطاني « برنارد شو » كانت القذارة تشكل جزءا لا يتجزأ من الورع المسيحي ..

ولم تكن كلمة التعقيم قد ظهرت في الوجود او استعملت في معناها المتداول اليوم .

وكانت محاولة الوقاية من المرض تعتبر ضربا من التحدي لارادة الله والسخط على قدره وبلائه .. ولم تكن مهنة الطب تنال احترام الناس او تقديرهم ، بل ينظر اليها كنوع من الدجل والشعوذة ولم تكن هناك نظم او قوانين لحماية المهنة من الدخلاء او تأمين العاملين بها ، ولم تكن هناك رخص طبية او شهادات رسمية .

كانت الكنيسة تمنع الناس من التداوي وتحارب الاطباء والعلماء ، وتأمر بحرقهم وبحرق كتبهم او تضعهم على الخوازيق بتهمة الشعوذة والسحر والخروج على تعاليم الدين و سلطان الكنيسة ، وكانت تقف في وجه البحث العلمي والطبي وتحرمه .. وخير وصف لهذه الفترة ما جاء في كتاب برنارد شو : « حيرة الاطباء » بقوله :

« والكتاب المقدس صريح جدا بموضوع علاج الامراض . فرسالة جيمس الاصحاح الخامس رقم ١٤ ، ١٥ تحتوي على الارشادات الواضحة الآتية :ـ

« أيوجد بينكم شخص مريض فليدع اذا شيوخ الكنيسة ، وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب . ثم ان صلاة الايمان سوف تبرىء المريض ولسوف يرفعه الرب الى اعلى واذا كان قد ارتكب اوزارا فسوف تغفر له » .

وقد جاء في انجيل متى ٢١ : ٨ ـ ٢٢ ما يأتي :ـ

« عندما عجز الحواريون عن شفاء رجل شفاه المسيح ، سألوه لماذا لم نقدر نحن ان نشفيه ، قال لعدم ايمانكم ، الحق اقول : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن » .

وهكذا كانت الفكرة المسيطرة في اوروبا ، والتي تبنتها الكنيسة كعقيدة راسخة هي ان الايمان له تأثير عادي على الانسان ، وان حرارة الايمان وقوته تذيب شيطان المرض وتحرك الجبال :

« بالايمان قهر اناس ممالك وسدوا افواه اسود واطفؤوا قوة النار ونجوا من

حد السيف » من انجيل بولس ١١ : ٣٣

ومن الافكار الخطيرة التي تبنتها الكنيسة ايضا ان يكون الشفاء والعلاج بأيدي رجال الدين وحدهم .. وان الله قد حباهم القدرة على الشفاء عن طريق الصلاة والدعاء .

فقد جاء في انجيل متى ١٠ : ١ وفي لوقا ٩/٢٠ .

يقول بولس : « ومن مزيته التي لا يفاضله فيها نبي ولا رسول ، انه افضى بالقدرة على اتيان المعجزات والشفاء الى تلاميذه ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء واورث كنيسته تلك القدرة ايضا . » ويعقب الكثير من المستشرقين على ذلك بقولهم : « ان المسيحي المخلص لدينه كان يهتز في ايمانه اهتزازا عنيفا عندما يمرض البابا ولا يستطيع التغلب على مرضه » .

وكانت الكنيسة تحارب النظافة ، وتعتبر القذارة جزءا من التقوى والورع . وتعتبر من يعتني بنظافة ملبسه او بيته او جسده طامعا في الدنيا ، فقد جاء في الانجيل : « من أراد الفردوس فعليه بخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب » وهذا الزهد في الطعام مما يؤدي الى سوء التغذية :ـ « لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون » .

اثر هذه التعاليم في الطب الغربي القديم :

وبديهي ان يكون لهذه التعاليم خطرها على الحالة الصحية في اوروبا ، وخاصة في القرون الوسطى عندما ساد الحكم الثيوقراطي ، وتحكم رجال الكنيسة والكهنة في كل شؤون الحياة ومن بينها الطب والعلاج . ولذلك عندما ظهر الطاعون في أوروبا سنة ١٣٤٧ ميلادية انتشر فيها بسرعة هائلة بسبب القذارة والجهل حتى قتل ٢٥ مليون نسمة من تعداد سكان القارة الذين كانوا لا يزيدون عن مائة مليون .. اي ربع سكان القارة . وكان العلاج الوحيد الذي تسمح به الكنيسة هو جلد المرضى بالسياط لتخليص اجسادهم من الشياطين ومن لعنة الله . وقد ظلت هذه الافكار سائدة في اوروبا حتى بعد نهضتها وتخلصها من الحكم الثيوقراطي الكهنوتي لفترة طويلة وفي هذا يقول برنارد شو :ـ

ان الكثير من الفلاحين في اوروبا كانوا يقدمون الى المحاكمة بتهمة القتل غير المتعمد عندما يموت احد ابنائهم من المرض بسبب استغنائهم عن الطب والاطباء واكتفائهم بدعوات رجال الدين لمرضاهم . وفي وسط هذه الظلمات التي عمت القارة الاوروبية .

وفي الوقت الذي كان رجال الدين فيه في انحاء اوروبا يحرقون الاطباء والعلماء ، ويعاقبون بالموت كل من يحاول استعمال عقله او علمه في شفاء المرضى ، ظهر في جزيرة العرب المعزولة عن الدنيا النبي العربي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. فاذا به يأتي بتعاليم جديدة في كل شؤون الحياة ومن بينها مسائل الطب

والعلم . ويأتي بفهم جديد متنور عن قضية المرض والطب والدواء . بل اكثر من هذا يضع قواعد علمية للوقاية من الامراض السارية وقواعد لتنظيم مهنة الطب والعلاج تكاد ان تكون معجزة بمقاييس عصره وزمانه بل بمقاييس عصرنا هذا .

○ المفاهيم الاسلامية عن المرض والطب والعلاج :

١ ـ واول هذه المفاهيم التي جاء بها الاسلام ان الايمان لا يمنع من المرض . اي ان الانسان اذا مرض فلا يعني ذلك ضعفا في ايمانه او ان الشيطان قد خالطروحه وحال بينه وبين ربه .. ولكن المرض هو قدر الله وبلاؤه ، وقد يصيب المؤمن كما يصيب الكافر :

(**ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب**) الحديد/ ٢٢ .

والمؤمن اذا صبر فله ثواب الصبر على البلاء . وكان المسلمون يسألون الرسول اذا كان يوعك مثلهم ومثل سائر البشر فيقول لهم : « إني اوعك كما يوعك رجلان منكم » رواه احمد ومسلم عن ابن مسعود .

٢ ـ ولم ينكر الاسلام ما للايمان من فضل في رفع معنويات المريض مما يساعده على التغلب على مرضه . ولكنه لا يعتبره مصدرا وحيدا للشفاء والتأثير المادي بل امر المسلم ان يبحث عن الطبيب ويتعاطى الدواء الذي يصفه له . وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله .. فان الله لم ينزل داء الا جعل له دواء » رواه أبو داود .

٣ ـ وقد جاء الاسلام لينفى عن رجال الدين الحق المقدس في شفاء المرضى او احياء الموتى ، بل نفى هذا الحق عن الرسول نفسه فيقول تعالى : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الأنبياء/ ٣٤ . ويقول : (**ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء**) الأعراف/١٨٨ ، ويقول الرسول : « انتم اعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن انس بن مالك .

٤ ـ وقد نفى الاسلام ان تكون الصلاة والدعاء والتفاؤل وحدها ، وسيلة لشفاء المريض او طرد شبح الموت عنه او تغيير ما قدره الله له . وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيئا ولكنه يطيب نفس المريض » رواه الترمذي .

٥ ـ ويعلن الاسلام ان محاولة الوقاية من المرض او علاج المرض لا تعتبر هربا من قدر الله وان الانسان اذا نجا من المرض بفضل رعايته للقواعد الطبية او تناوله دواء معيناً فمعنى ذلك ان الله قد كتب له النجاة بهذا الدواء . فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « يارسول الله ، هل في تقاة نتقيها وفي دواء نتعاطاه هل ترد [ذلك]من قدر الله شيئا قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك « هي من قدر الله » رواه احمد وابن ماجة .

٦ ـ وانطلاقا من هذه النظرية الجديدة التي جاء بها الاسلام فقد اهتم بمهنة

ومطامع القوى الكبرى

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

وزير هام ، ولكن يعقوب لم يلبث ان لقي ربه وحمله أبناؤه الى أرض كنعان ، ولم يكادوا يفرغون من دفنه ويعودون الى مصر حتى اتى يوسف أجله هو الآخر ثم قضى ، وبوفاة يعقوب ويوسف انقضى جيلان من أجيال النبوة في بني اسرائيل ، ذهب الانبياء وبقي الشعب المشاغب ، وظلوا في أكناف فرعون يتقلبون في عزته وينعمون بنعمته ويحتفون ببقايا الكرامة التي كان قررها ليوسف ، ولكن عاداتهم السيئة وجدت في عزلتهم في أرض غوشن مرتعا خصبا تنمو فيه وتزداد تأصلا فيهم وتغلغلا بينهم ، حتى اذا أتى الغزو الهكسوسي ، والآثار التي تركتها الامبراطورية المصرية عن مشرق الاسرة الثامنة عشرة لتفصح افصاحا كبيرا عن تزامن الغزو الهكسوسي مع تواجد بني اسرائيل بمصر ، كما تفصح البرديات التي ادخرتها الايام منذ فجر الزمان عن « الترابط الواضح بين (آباء التوراة) وما يقصه سفر التكوين » فنبه هذا الغزو عادتهم المعروفة في خيانة البلاد التي تأويهم ، فنسوا ما قدمت لهم مصر واحتضنوا الجيش الغازي ، وانحازوا اليه ودلوه على طريقهم وأدلفوه بينهم وجعلوا له عيونا منهم ، وكان جل تقديرهم ان مصر بلد ليس لهم عاشوا فيها يقطفون خيراتها ما دامت فيها قوة تكفلهم ، فلما وهنت قوتها واتاها العدو وأدركوا انه غالب عليها ، انحازوا اليه ، ليضمنوا مركزا متميزا عند ملك الهكسوس ، وبالفعل كافأهم ملك الرعاة وأعطاهم ملكا وبوأهم منصبا ، وبسط عليهم من ألوان العزة ما صرفهم عن ترتيب أمورهم للعودة الى فلسطين ، بل وكاد ينسيهم فكرة الارض الموعودة ذاتها ويمحوها من أذهانهم .

○ الذلة بعد النعمة :

وأخذت بيوت اسرائيل تنمو وتنتشر ، « وكان من الطبيعي ان يتكاثر أبناء اسرائيل وان تثمر منهم الفروع عبر الزمن منذ أواسط العصر الهكسوسي وحتى حكم الامبراطورية المصرية ، حيث تهيأ لمصر ملك قوى هو أحمس الاول استطاع أن يجلي الهكسوس .. وبزوال الغبار الهكسوسي عن مصر ، فقد بنو اسرائيل مركزهم المتميز الذي ميزهم به ملوك الرعاة ، وانحسرت ألوان العزة التي رفت على أسلافهم ، وأخذت الذلة تعرف طريقها اليهم ، اذ

أن فرعون الذي تنبه لخطرهم وعرف كيدهم لم يشأ أن يطردهم من مصر ويقتلع جذورهم ، ولكن ضرب عليهم ألوانا من الذلة والاستعباد ، وحذر شعبه منهم بعد ان أصبحوا كثرة يخشى خطرها اذا أقبل الاعداء وانحازوا اليهم ، وأنزلهم منزلة مهينة حتى ان متون التاريخ المصري لم تعد تستلفتها هذه الجماعة التي تعيش منسية في حضيضها تحت نير التسخير والاستعباد ، ولكن المهم جدا ان هذا الاستعباد لم يكن اعتداء مجانيا من فرعون ، ولكن كان ـ وباعتراف الكتاب المقدس نفسه ـ لسبب وجيه جدا استحق أن يخيف منهم مملكة عظيمة كمصر وملكا مهيبا كفرعون ، وهو انحيازهم في الحرب لاعداء البلاد التي أكلوا خيراتها .

○ مجددا .. يخونون مصر :

الا أن هذه الجماعة المستذلة « ظلت تعيش في مصر الى عصر الاسرة الثامنة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني وظل أمرها في نمو وتكاثر ، وكانت مصر قد « قدمت اليهم عندما هاجروا اليها عام ١٦٥٦ق .م بسبب المجاعة التي حلت بأرض كنعان كل صنوف الكرم وحسن الضيافة ، ومع ذلك لم تلق منهم الا كل صنوف الجحود والتمرد والتآمر . وظلت هواية الخيانة والانحياز الى الاعداء تلازمهم الى عهد الملك منفتاح ، ذلك الفرعون الذي كان قد ورث عن أبيه تركة بالغة التعقيد أثقلته متاعبها الداخلية والخارجية معا ، والذي يعنينا هنا هو المتاعب الخارجية والدور الذي أداه فيها بنو اسرائيل من أرض جوشن حيث كانوا يسكنون ولكي نوضح نقول ان مصر في هذه الفترة كانت تواجه غزوا من ثلاث جهات ، من الشرق حيث زحفت عليها فلول آسيا ، ومن الشمال حيث هاجمتها الجماعات التي أطلقت عليها النقوش المصرية اسم « أقوام البحار » ، ومن الغرب حيث انتهز اللوبيون الفرصة وأسرعوا يداهمون الاراضي المصرية ، في هذا الوقت الذي تداعى فيه الاعداء على مصر كما تداعى الأكلة على قصعتها ، كانت خيانة جديدة من بني اسرائيل ، ولم يكن صدفة ان يدخل الجيش اللوبي من أرض جوشن بالذات ، ولكن دخولهم منها كان بعد تمهيد من جواسيسهم وعيونهم الذين ضمنوا لهم انحياز ابيات اسرائيل الساكنين فيها ، وما كان أسهل على لوبيا من أن تكسب انحيازبني اسرائيل وقد ألفوهم من قبل ينحازون للهكسوس ، وما كان أسهل على بني اسرائيل من أن يبيعوا بلدا ليس لهم وليسوا الا بعض من أووا اليه ، ولكن فرعون استطاع ـ رغم متاعبه ـ ان يسيطر على الموقف ، ويرد مهاجميه بما فيهم الغزو اللوبي ، ثم يتفرغ لتأديب بني اسرائيل ، على خيانتهم اذ انقلب عليهم من بعد ما أكرمهم آباؤه ، ولكن .. لم يكن بغير جريرة انه اضطهدهم وأنزل بهم فنونا من الذلة ومن عذاب الهون ، وسلط عليهم شعبه ليستذلوهم ويستعبدوهم

في أكثر الاعمال شقوة وصعوبة وهي أعمال البناء والهدم وصناعة الطوب ، ولنا هنا ان نلاحظ ان الشعب الذي ظل منسيا في السخرة التي ضربها عليه المصريون منذ العصر الهكسوسي الى عصر منفتاح ، اصبح الآن ملفتا للنظر وجديرا بان تهتم به سجلات الحكومة المصرية ، وهذه الجدارة لم يكتسبها بنو اسرائيل من حيث أنهم تزايدوا وأصبحوا كثرة ، ولكن من حيث أصبحت لهم أهمية سياسية أكسبها لهم عمل سياسي كبير ، وماذا في سياسة مصر - وهي تحارب على جبهة لا كمثلها عرضا وطولا تمتد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب مرورا بالشمال كله - يكون أكبر من خيانة قوم يقيمون فيها في أرض جوشن ينحازون الى العدو ويفسحون له ليخلقوا لفرعون هماً جديدا على ما عنده من هموم ، حتى انه اضطر الى احداث خلخلة في جيوشه عندما اضطر الى سحب صفوف من المحاربين في الشرق ليرد على الهجوم اللوبي .. ان فرعون كان معذورا اذا اضطهدهم بعد ذلك وعدهم في اعدائه وتهيأ للقضاء عليهم .

ونحن لسنا بدعا فيما نقول ، فان التنزيل الحكيم يسجل أطرافا من هذا الاضطهاد ، ويشهد على هذه الانتكاسة التي حلت ببني اسرائيل على يد فرعون ، كما أن المتون التي عثر عليها في أنقاض معبد منفتاح تسجل بوضوح ان فرعون سلكهم في أعدائه وقطع شوطا كبيرا في سبيل القضاء عليهم بعد هذه الفعلة ، فان ثمة قصيدة شعرية تصف انتصار المصريين على الاعداء ، بدأها الشاعر المصري القديم بلوبيا وختمها ببني اسرائيل ، تقول هذه القصيدة التي لا نشك في أنها نظمت أبياتها ابان احتفال منفتاح بانتصاراته :

ان تحنو « لوبيا » قد أقفرت ..
عسقلان أزيلت ..
فاتي أمست مسالمة ..
جيزر قبض عليها ..
بنوم أصبحت لا شيء ..
واسرائيل قد أقفرت وبذرتها انقطعت ..

(والقصيدة كشفت عنها الباحثة فلندرز بتري ١٨٩٦ م وهي تستعرض النصر الذي حققه منفتاح في اليوم الثالث للشهر الحادي عشر من السنة الخامسة من حكمه) ويقيني ان هؤلاء اعداء فرعون ، لوبيا ، وأقوام البحار ، وفلول آسيا ، واسرائيل ، اولئك الغرباء الساكنون في أرض غوشن ..

وهذه الانقلابة الفرعونية الفظيعة ، كانت ولا شك وراء خروج بني اسرائيل من مصر ، وقد ذهبت الاستاذة (أبكار السقاف) الى أن فرعون لم يهدأ له بال حتى طردهم من مصر طردا ، وبذلت جهدا كبيرا في كتابها القيم (اسرائيل .. وعقيدة الارض الموعودة) لتثبت التزامن بين زمن الخروج وزمن الغزو اللوبي ، وأنهم بعد فشل الغزو خرجوا من مصر مطرودين بيد فرعون لا فرارا منه ، ونحن مع تقديرنا التام لجهد الاستاذة السقاف ، لا نستطيع ان نشايعها في

ان بني اسرائيل خرجوا مطرودين ، فان تزامن خروجهم مع فترة الغزو اللوبي شيء ، وخروجهم مطرودين أو هاربين شيء آخر ، ليس بالضرورة نتيجة حتمية هذا التزامن ، والاستاذة السقاف تأخذ دليلا آخر من رواية الكتاب المقدس التي قررت (المرة تلو المرة) انهم خرجوا مطرودين .. ولكن الرواية المقدسة اضطربت وتلجلجت في هذا الامر ، فتارة يفهم منها انهم طردوا من مصر وأطوارا يفهم منها انهم خرجوا هاربين ، وعندنا ان فرعون كان له سبب وجيه يدعوه لان يضطهدهم في أرضه ولا يطلقهم ، ذلك انه لا بد كان يقدر انهم اذا خرجوا من مصر ووقعوا في حبائل أعدائها .. دلوهم على مكامنها وساعدوهم على غزوها ، خاصة وان وشائج قربى تربطهم باهل الشمال في مدين وارض كنعان ؛ وفي العراق حيث الكلدانيون الذين كانوا هم الاعداء التقليديين لمصر في ذلك الزمان .. ونحن اميل الى انهم هربوا من بأس فرعون الذي جرد وراءهم حملة تحصرهم وتوسعهم النكال والقتل ، وكاد يدركهم لولا أدركه قضاء الله ، ودليلنا على هذا الهرب من بني اسرائيل والطلب من جانب فرعون قول الحق تبارك وتعالى لموسى : (**فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون**)(الدخان / ٦٢) أي يكون في أثركم من يطلبكم في البرية ، وكذلك صرخة بني اسرائيل لموسى وقد أوشك أن يدركهم جنود فرعون : (**إنا لمدركون**) الشعراء / ٦١ ومهما كان من أمر خروجهم فانه يرتبط ارتباطا وثيقا بالقضاء على الغزو اللوبي وبقية الغزاة الذين زامنوه ، كما أنه يعتبر آخر المطاف في أمر وجودهم في مصر كأمة غريبة أوت الى مصر فأكرمتهم ورفعتهم وجعلت منهم وزيرا هاما يشار عليه ويدار اليه ويجاب الى ما طلب ، ثم كانت عاقبة احسانها اليهم انهم انحازوا الى أعدائها وتآمروا عليها وعلى امنها ما داموا فيها .

○ سماسرة الحرب .. في منعطف الطريق :

خرجوا اذن من مصر ، وقضوا دهرا في سيناء انزلت فيه التوراة على موسى الذي أتم مهمته وادى رسالته ولقى ربه ، وتولى من بعده يشوع بن نون الذي غزا بهم نواحي من فلسطين ودخلها بهم عنوة على أهلها ، وكان شاؤول بعد يشوع ، ثم استقرت لهم دولة في عهدي داوود وسليمان لم تدم أكثر من سبعين عاما ، هي كل ملكهم في الزمن القديم ، ويكون مناسبا هنا أن نورد من قال ان داوود انتهز « فرصة وجود خلاف بين مصر والعراق وتقسيم سوريا فوسع ملكه وقهر الاراميين في دمشق ... وجاء من بعده ابنه سليمان ... وظل تحت نفوذ مصر مسلما لها بالسيادة حتى وفاته .. » كما يكون مناسبا هنا ان نحيط بأن داوود نفسه كان في عهد استتبابه يعامل بني جلدته بحذر شديد لما علم من خيانتهم وانحيازهم

للاعداء ، شهدت بذلك الرواية المقدسة ذاتها ، اذ اتاه بعضهم يطلب حلفه قال لهم في أصرح عبارة : « ان كنتم قد جئتم الي لتساعدوني يكون لي معكم قلب واحد ، وان كان لكي تدفعوني لعدوى ولا ظلم لي فلينظر اله آبائنا ولينصف » (بالحرف الواحد من كتاب العهد القديم) .

وبعد سليمان انقسمت مملكته الى دويلتين صغيرتين احداهما في الشمال (مملكة اسرائيل) ، والاخرى في الجنوب (مملكة يهوذا) ، وفي هذه البقعة ، وقفت هاتان الدويلتان في منتصف الطريق بين القوتين الكبيرتين آنذاك ، آشور في العراق ، والامبراطورية الفرعونية في مصر ، وكان السباق بينهما على مناطق النفوذ ، يقودهما الى مخاصمة سياسية كبيرة وحروب عسكرية طاحنة ، فماذا كان موقف هؤلاء الساكنين في أرض كنعان ؟؟.، انهم ظلوا يقطفون ثمار هذه الحروب ، كلما رجحت كفة انحازوا اليها ، وكان موقفهم يشبه وقفة السمسار الذي يجني الفائدة من الجانبين فيعنيه ان يطول أمد الحرب لكي يستفيد دون ان يعنيه ماذا يحيق بالطرفين معا أو بالانسانية جميعا ، فكانوا يعملون على اطالة الحرب ليستفيدوا ، حتى ان كلا من الفريقين المتنازعين كان قد سئم هذا الوسيط الملل الذي يدعونه للحرب لكي يجني هو ثمارها ، بينما لعبته على الحبل الآخر تحول دون عملية فاصلة يسوى فيها الحساب كله ، وعزم كل منهما على القضاء عليه ، وسبقت الى ذلك آشور فهاجمت المملكة الشمالية وضمتها واسرت ملوكها وقضت عليها نهائيا ، ثم تلتها بابل - التي حلت محل آشور في العراق - بهجوم نبوخذ نصر الكلداني على المملكة الجنوبية وتخريبه القدس وسوقه اليهود سبايا الى بابل في مشهد مأساوى فظيع مما عرف الزمن القديم .

○ الجولة .. مع أشور :

وفي غضون ذلك ، كانت للاشوريين أطماع استعمارية في أراضي الشام ، واتصل بهم بعض أبيات اسرائيل يتناصرون على بعضهم بعضا ، اذ في أيام الملك (يوثام بن عزيا) ملك يهوذا .. بدا من كل من (أرصين) ملك آرام و (فقح بن رمليا) ملك اسرائيل طمع في املاكه ، وبدا (يوثام) انهما يوشكان للوثوب عليه ، ولكن (يوثام) لم يلبث ان هلك وملك مكانه ابنه (آحاز) الذي كان على علم بتدبير هذين الجارين ، فأرسل الى ملك آشور يستنجده ، وكانت صفقة بارعة عدها الملك الاشورى الذي استعانت طلائعه بهذه الدويلة التي تجسست له في الشام ومهدت لغزوه دمشق ، باثارة الفتنة وأعمال التخريب حتى دهم المدينة وقتل ملكها وضمها الى مستعمراته .

يقرر سفر الملوك أن (آحاز) هذا ظل مواليا للاشوريين عبدا لهم طيلة ملكه ، وقد ورد ذلك في اشارة الى ابنه (حزقيا بن آحاز) الذي « عصى على

ملك آشور ولم يتعبد له » كنص عبارة السفر ، بيد ان (حزقيا) هذا لم يغادر ملك آشور الا لينحاز الى ملك مصر الذي وعده بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، الا ان ملك آشور انزل به عقابا وحاصره حتى أرسل اليه يستعطفه ، وبلغ من تودده له انه خلع الذهب الذي على أبواب (بيت الرب) ليرشوه به ، فأرسل اليه الملك الاشورى من يفاوضه ويطلب منه أن يترك فرعون ويترك الرب ذاته وينحاز الى آشور الذي سيقدم له من العون ومن الدعم ما يحتاج لنفسه ولشعبه أكثر مما سيحصل عليه من فرعون ومن الرب جميعا ، وكان عرضا كبيرا قدره المفاوضون من اليهود ، حتى أنهم طلبوا من مفاوضيهم الاشوريين ان يحادثوهم بالآرامية وليس باليهودية التي يفهمها شعب المملكة ، حتى يستطيعوا تمرير المعاهدة بعيدا عن أعين شعبهم .

وهذه حلقة أخرى من المفاوضات في معاهدة تحالف استراتيجي اخرى يحاولها (حزقيا بن آحاز) نفسه مع ملك الاشوريين (سنحاريب) يشرحها سفر الايام الثاني مبينا نوع المفاوضات والهدف الذي دارت حوله ومسجلا اطرافا من محاضرها ، بيد انه يبدو ان ملوك آشور كانوا اذا استعصى عليهم أمر اغرائهم بالانحياز ، رفعوا عنهم حمايتهم وتركوهم لجيرانهم الذين استغلبوهم عليهم ليصفوا حسابهم معهم ، من قبيل ذلك انهم تركوا (رزاح الكوشى) يهاجمهم بجيش كبير ، ولو ان الكوشيين انهزموا في هذه الموقعة ، الا ان الثابت ان ارهاب الاشوريين كان يفرض عليهم بين الحين والحين لكي لا يفكروا في الخروج من دائرة الانحياز لهم ، وقد ورد غير مرة ان ملوك آشور كانوا يرسلون جنودهم ليعزلوا ملوك يهوذا ويسوقوهم اسرى ثم اذا لمسوا منهم توبة عن الخروج عليهم ، ردوهم الى عروشهم وحافظوا لهم عليها ، وهذا ـ بالضبط ـ ما حدث للملك (منسى) وشرحه بالتفصيل سفر الايام الثاني ، فان هؤلاء القوم لم يكونوا يملون السعي لدى البلاط الاشوري كلما انقلب عليهم ، ويبدون انحيازهم في صفه حتى يعود الى تمييزهم في هذه البقعة ومنحهم مناصب رئاسية ودينية فيها كلما احتاجت الى ذلك موجاته الاستعمارية .

الا ان هؤلاء القوم كانت طبيعة موقفهم في منتصف الطريق تفرض عليهم ان يتوددوا ايضا الى المصريين ويؤسسوا قنوات تصلح للاتصال بهم عند الحاجة اليهم ، وقد ورد انهم كانوا يزوجون المصريين بناتهم وما ذلك منهم الا لكي يكون لهم في مصر عرق ينفعهم اذا احتاجوا للاتصال بفرعون ، ولقد رأينا كيف حصل (حزقيا بن آحاز) من فرعون على وعد بالنصرة وبفرسان ومركبات ذات خيل ، وكيف أن آشور أرته من تأديبها ما رأى بسبب هذه المحاولة ، ولكن يبدو ان فرعون كان قد ضاق ذرعا بهم وبكثرة شواهدهم على التواطؤ المستمر مع القوى الطامعة في

غزو مصر والآتية من عند أبواب الفرات فحمل عليهم أكثر من مرة يريد ليس فقط تأديبهم ولكن عزلهم عن هذا الطريق الذي لا يؤمنون عليه ، ففي السنة الخامسة للملك (يربعام) « صعد (شيشق) ملك مصر على أورشليم بألف ومائتي مركبة وستين الف فارس ، ولم يكن عدد الشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين واخذ المدن الحصينة التي ليهوذا واتى الى اورشليم »

○ ومع بابل :

ثم حل البابليون في العراق محل الاشوريين ، « وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر في الشمال ، فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين في الجنوب ،... فلقد ضم البابليون هذه المنطقة الجنوبية الى بابل عام ٥٨٥قم ، وامست فلسطين بأجمعها جزءا لا يتجزأ من الدولة البابلية ، والى ذلك كان قد مهد نبوخذ نصر الثاني عندما أطاحت اسيافه ٨٦ ق م بأهل اليهودية ودمر الهيكل ، ثم حمل الرؤساء من قبيلتي يهوذا وبنيامين الى بابل اسرى وفي مقدمتهم افراد بيت داوود من سلالة يهوذا وأعضاء مملكة يهوذا ، وملكوا عليها أحد يهودها الموالين لهم هو الملك (يهوياقيم) . وحافظوا له على عرشه طالما بقي محافظا على ولائه وظلت دولتهم عينا وعونا لمطامعهم الاستعمارية ، فلما تمرد عليهم بعد ثلاث سنين ، تركوه لجيرانه من الآراميين والمؤابيين وبني عمون ليصفوا حساباتهم معه ، وازاء هذه الانقلابة البابلية أخذ اليهود يعملون دائبين على الاتصال بملك مصر ، في الوقت الذي فيه كانت طائفة منهم تعمل عملها في البلاط البابلي ، الذي لم يلبث ان اخرج يهوياكين من سجنه وكرمه ونعمه وادخره ليوم الحاجة اليه ، وكذلك الملك حزقيا ظل موضع العناية من ملوك بابل الذين ورد في تراجمهم انهم كانوا يراسلونه وهم يستعدون لعزل آشور ، عن سلطان العراق ، وظل اليهود في هذه المنطقة يوالون بابل ويساعدونها على التوسع ويمكنونها من الضغط على الامبراطورية المصرية التي انحصر ملكها في حدوده » ولم يعد ملك مصر يخرج من أرضه لان ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر ، كل هذا حققه ملوك بابل بفضل استخدامهم اليهود عيونا لهم وطلائع لجيوشهم في المنطقة .

ولا يفوتنا ان فرعون مصر عندما عنى بتجريد حملة على أربع الفرات ، عملت يهوذا على عرقلته اذ برز اليه ملكها يوشيا وكان على ولاء لملوك بابل ، فأرسل اليه الفرعون من يفاوضه ويبلغه بأنه لا يريده هو وانما يريد بابل ، ويطلب منه ان ينحاز اليه او يفسح الطريق ، ولكنهم وقفوا في وجهه فصمم فرعون على تصفية هذه القوة التي اعترضته كما لو كانت طليعة بابل ، وليس شأننا الآن ان نناقش اطرافا من اساطير بني اسرائيل ، ولكننا نجد لزاما هنا ان

نقف عند واحد من مداخل الاسطورة في العهد القديم ، لنرى كيف ان قصاص التوراة اراد لسفره ان يكون مضحكـا ، ففهم من روايتـه ان الفرعون اصطحب معه الها قـويا وسيره امام جيشـه ليساوم عليـه جيوش اسرائيل اذا هم استقدموا الههم (اله الحرب ورب الجنود) الذي يسير قدامهم ويضرب الجيوش بسيفه من أجلهم ويهديهم النصر في كل مرة ، والحوار مضحك لا نريد ان نسترسل فيه ، ولكن بدا من سياقته أن (اله الجنود) لم يكن سيفه قويا في هذه المرة ، اذ انهزم جيش يهوذا وقتل الملك (يوشيا) ، وملك من بعده أخوه آحاز فلم يلبث ان عزله الفرعون الذي ضم المنطقة وساقه اسيرا الى مصر وملك مكانه أخاه (الياقيم)

○ والفرس :

كثيرون هم الذين يجمعون على أن آشور ـ بضمها المملكة الشمالية ـ وبابل ـ بضمها المملكة الجنوبية ـ قد قضتا تماما على التاريخ السياسي لليهود وغيبتاهم تمام المغيب ، وربما كـان القصد ان الامبـراطوريتـين الاستعماريتين الكبيرتين قضتا على دولـة اليهود او عـلى دويلتيهم في الشمال والجنوب ، ولكن ، حيث انهما لم تقضيا على اليهود انفسهم ، فقد ظل حيا ذلك الدور الذي ارتبط وثيقا بكلمة (يهود) ، فاني وقعت على هذه الكلمة ، فانك ـ لاريب ـ واجد جماعة من الناس يدأبون السعي ويكثرون الجد والكد للاتصال بالقوى الكبرى والتغلغل في مصالحها والتوسط عند رؤسائها والحصول على حمايتها .

ونبدأ من حيث انتهى الكثيرون الى ان التاريخ السياسي لليهود قد انتهى بـانقضاء دويلتيهم وانتقـالهم الى اسوار السبى في أكناف العراق ، لنقول : في الفترة بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ، كانت جماهير غفيرة من اليهود يعيشون على ضفاف الفرات اسارى في السبى البابلي ، وهذه الجماهير اليهودية لم تضيع وقتها عبثا ، وانما عاشوا يتعرفون على طرق البلاد ومسالكها وأدواتها الدفاعية ومنشآتها الحيوية المدنية والعسكرية ، ويمدون ايديهم الخفية في البلاط البابـلي ويعملون عملهم السرى عند صناع القرار السياسي والاقتصادي والعسكري ، ذلـك في الـوقت الذي فيـه كانت فـارس ـ الامبراطورية الاستعمارية المجاورة والشابة آنذاك ـ تتاهب للانقضاض على العراق لتزيل عنه ملوك بابل وتحل محلهم هناك من حيث ارادت ان تنطلق في أكبر عملية غزو استعمارية عرفها الزمن القديم ، وكان طبيعيا من اليهود ان يتصلوا بفارس ، وكان منطقيا من فارس ان تهتبل الفرصة التي اتاحتها لهم جماعة كهؤلاء هي في أشد الحاجة اليهم ، وجرت اتصالات سرية ومفاوضات بين الجانبين ، التزم اليهود بموجبها بتخريب العراق عند هجوم الفرس ، وبالفعل لم يكن قورش العظيم ليتمكن من تحطيم سيطرة

البابليين الا بمعاونة اليهود « من داخل بابل في تخريب عمليات الدفاع » .

ثم « انطلقت من العراق حركة من أكبر حركات التوسع الاستعماري في العصور القديمة ، فتحت فيها العراق وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وكل الشام القديم (سوريا ولبنان والاردن وفلسطين) ثم هجموا على مصر واحتلوها ، وخلال هذه المهمة الحربية الطويلة كانت للفرس (في كل خطوة سلامة) بفضل خبرة اليهود بالمنطقة وانحيازهم الى الجيش الغازى وقيامهم بالتخريب أمامه في المدن والقرى المفتوحة والتجسس عليها ، حتى اذا دهمت فارس حدود مصر واحتلتها واقامت عساكرها عند أسوان ، استعانت باليهود في دخولها ثم استعمارها ، وقد شهدت الوثائق التاريخية على مدى التعاون التام بين حامية قمبيز وبين اليهود « فقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة في أسوان مجموعة من الوثائق العسكرية الفارسية المرابطة في أقصى الجنوب من البلاد ، وهذه الجالية المتعاونة معها في شؤون التموين والخدمات والاقتصاد والجباية والترفيه عن جنود الاستعمار .

« بلفور » العهد القديم :

فاية خدمات قدمها اليهود للفرس واستحقوا عليها أن تكافأهم هذه القوة الاستعمارية الكبرى ، التي احتضنتهم بعد تمام مؤامرتها ومكنتهم من العودة الى فلسطين ، اذ منحهم ملكها (قورش العظيم) تصريحا بالعودة الى سفوح صهيون ، الى حيث يطمعون في اقامة المجد الزائل ، وسمح لهم قورش باعادة بناء الهيكل ، وملك على يهوذا ملك من بيت داوود وايده وآزره هو (زربابل بن شالتئيل) ، الذي هيأه لذلك كهان اليهود .. ومن جديد .. عاد اليهود ليحكموا اورشليم ،، ومن جديد .. « عادت تتردد في هيكلها حشرجات الضحايا المذبوحة بيد اهل الكهنوت » .

وكان هذا التصريح بالعودة يشبه (تصريح بلفور) في العصر الحديث ، وكان نص (تصريح قورش) كالآتي : « هكذا قال قورش ملك فارس ، جميع ممالك الارض دفعها لي الرب اله السماء ، وهو اوصاني ان ابني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا ، من منكم من كل شعبة ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم ، فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في أورشليم ، وكل من بقي في أحد الاماكن حيث هو متغرب في مكانه فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم » .

هكذا مكنهم قورش العظيم من العودة وأمر حكومته بمساعدتهم وحث شعبه على التبرع لهم بالمال والمتاع ، الا ان (بلفور العهد القديم) لم يكن ليصدر هذا الامر ويكلف بلاده عناء المحافظة على دولة لليهود من باب العطف المجاني أو

الحب المجرد لبني اسرائيل ، ولكن المعقول ان الهدف من هذا التصريح هو ضمان الانحياز الكامل اليه وهو في حروبه الاستعمارية في المنطقة ، ثم استخدامهم ـ بعد استتباب الامر له ـ « ليكونوا عيونا له فيها ويستعين بدهائهم على حكم أصحاب البلاد من الكنعانيين » ، وليكونوا طليعة لقواته وفصيلة متقدمة لها في المنطقة وقوة خفية متغلغلة في شؤونها وذراعا قوية له بين دولها ، يؤدب به من خرج عن طاعته منها ، وقد كلفته مصالحه الاستعمارية أن يدخل هؤلاء الناس في البلاد عنوة على أهلها الذين ظهرت عليهم موجات من الاستياء قاموا على أثرها « يقيمون العراقيل في سبيل تجديد معبدهم »

الا أن يهود السبى عمدوا الى استغلال (تصريح قورش) أفضل استغلال ، فلم يعودوا جميعا من هناك ، ولكن جماعة منهم فضلت البقاء في العراق ليكونوا على مقربة من حكومة الدولة ، يعملون عملهم في بلاط فارس ويدخرون وجودهم ليوم تصير فيه فارس الى ضعف من بعد قوة ، ويحتاجون الى الاتصال بقوة استعمارية جديدة ، فبينما لم تمض سنتان على (تولى قورش العظيم) حتى عادت الفصيلة الاولى من يهود السبي عودتها وتتابعت من بعدها الموجات لتعيد بناء الهيكل وتجعل من تولى (قورش) نقطة تحول خطيرة في تاريخ اليهود ، وعادت جماعة أخرى في عهد الملك (ارتحشَشتا) بجهود سياسية بذلها كل من عذرا ونحميا صاحبي السفرين المنسوبين لهما ، فقد ظلت جماعة منهم هناك كما قلنا ، لتتغلغل في قصور الفرس وتدس كلمتها في قرارات الاكاسرة العظام ، وكانت أكبر التغلغل للنفوذ اليهودي تلك التي أفاض في شرحها سفر (الملكة أستير) ، تلك الفتاة اليهودية البارعة التي استطاع عمها (اليهودي المحنك موردخاى) أن يدسها بين محظيات الملك ، واستطاعت هي بنعومتها وجمالها ان تستحوذ على قلب الملك ، حتى تزوجها وخضع لسطوتها وجعل من نفسه ومن حكومته أدوات في أيديها والايدي الخفية التي تخفت وراءها ، فأصبح يعزل وزراءه كلما أراد اليهود ، ويقتلهم كلما أرادوا الانتقام منهم ، وأمر بتحرير اليهود ورفع مكانتهم فوق الوزراء والولاة في شئون دولته ومستعمراتها .

والجولة .. مع الاسكندر :

ولم تكد شمس القرن الرابع قبل الميلاد تشرق على الدنيا حتى بدأت شمس بابل تؤذن بالمغيب ، ولكن اليهود الذين رفعتهم في أصقاعها هذه الامبراطورية الاستعمارية الكبرى غفلا عن عوامل الضعف وأسباب الوهن وهي تنتشر ببطء وتستشري على مهل في أوصال الدولة الزائلة ، التي أكلوا خيرها وباعوا كهولتها ، وكيف لا يدركون ذلك وهم المخربون في كل موقع ، المثلون في كل طابور

خفي .. أصحاب الايدي الخفية المتلصصة والآذان المسترقة في كل مكان، المترقبون دائما متى تزول القوة التي يعتمدون عليها لينقلوا جهدهم ويولوا وجوههم شطر قوة أخرى،؟؟

ولم تمض ثلاثة عقود من هذا القرن، حتى كانت اليونان قد جهزت الاسكندر المقدونى بجيش قوى لاجتياح الشرق وازاحة النفوذ الفارسي عن الاصقاع التي دانت له، وبينما كانت نجوم فارس تأخذ طريقها الى الأفول نجما نجما، كان اليهود الذين عاشوا في أكنافهم حقبة طويلة من الزمن يراقبون الغزو اليوناني الآتي من الغرب، ويتفننون في الوسيلة ويحاولون الحيلة للاتصال به.

ولما بدأ يتطلع الى الشام ليجتازه الى العراق الذي كان في خطته أن يتخذ منه قاعدة ينطلق منها لينقض على الفرس في عقر دارهم، جاء دور يهود الشام، فما أن بدأت طلائع الإسكندر تزاحم حدود الشام من جهة أرض كنعان، حتى بدأ اليهود الاتصال به وعرض خدماتهم في التجسس له والاستطلاع أمامه والتخريب أمام قواته والتمهيد لها، فضلا عن ترسيخ أقدامه في المستعمرات الجديدة، وكان عرضا كبيرا يحتاج الى مثله الدكتاتور المقدونى الكبير الذي نجح في عقد الحلف مع هذا الطابور السري الخطير وضمه الى صفوفه، وقد كافأهم بعد الفتح بأن أسند اليهم مناصب رئاسية ودينية في البلاد، وبسط عليهم حمايته، ولكن الفاتح الكبير الذي كان ولا شك قد درس أحوال الأمم في البلاد التي خطط لغزوها دفعته فكرته عنهم وحنكة مخابراته بهم الى أن يتعامل معهم بحذر، فعندما ذهب يكافأهم بعد الفتح « أباح ليهود الشام أن تكون لهم شخصية قوية متميزة، وأن يحكم أفراد منهم يتولون السلطة الروحية والمحافظة على الأمن، واقامة القضاء حسب الشريعة الموسوية في محاكم خاصة بهم ..

ولكنه .. منعهم من الاشراف على السياسة الخارجية أو الاقتصاد أو الشئون العسكرية، وسلم ذلك بحكام يونانيين. أما يهود الاسكندرية فكافأهم بأن سمح لهم بإحياء دراساتهم الشرعية والاقامة في حي خاص بهم وإقامة شعائرهم الدينية.

○ ومع الرومان:

وعندما خضعت المنطقة لسيادة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد، كان اليهود قد أعدوا عدتهم لمغازلة القوى الرومانية الآتية من الشمال، ولكن بدا بعد نجاح الغزو ان حيلهم وماضيهم في الجاسوسية وقدرتهم على احتواء القوى الغازية، لم تكن على قدر الطموح الروماني نحو الاستعمار، لذلك انقلب الرومان عليهم وجردوهم من مراكزهم المتميزة فوق بقية أهل البلاد، فعمد اليهود الى التمرد والتخريب واثارة الفتن والقلاقل، وقاموا بحركة تمرد على

الرومان سنة ٦٦ م ، ولم تمض سنة ٧٠ م حتى كان الرومان قد قمعوها تماما ، الا أن اليهود استطاعوا ان يحققوا مكاسب من وراء هذه الخطة ، اذ أقام الامبراطور (تيتوس) على المنطقة مملكة « أقام على رأسها أسرة الهيرودبين من اليهود ، فحكمت قسما من فلسطين لحساب روما »

واذ علم ان اليهود في هذه الفترة كانوا قد انقسموا الى عدة فرق (من فريسيين وصدوقيين وأبناء داوود وغيرهم ..) ، فانه لم تلبث أن توالت الارهاصات بظهور المسيح ، حتى أخذت كل فرقة تنتظر أن يكون منها ، فلما ظهر النبي يحيى (يسمونه يوحنا المعمدان) وقام يدعو الى الله ، تآمروا عليه وفضلوا وثنية الرومان على تعاليمه السماوية ، فدفعوا نساءهم يوغرن عليه صدور الرومان حتى قتلوه اكراما ليهودية حسناء فتن بها الملك ، ثم توالت الارهاصات واخذ هديرها يشتد ، وعادت - من جديد - كل فرقة تستعد لان يكون منها ، حيث كانت فرقهم جميعا تنتظر كل منها أن يخرج من بينها مسيح عنصري صهيوني يتولى اخضاع العالم تحت أقدام اسرائيل ، فلما ظهر المسيح الحق ، لم يجدوا فيه أحلامهم ، وانما وجدوا رسولا من الله ينقض التعاليم الفاسدة التي حوتها كتبهم المحرفة والتي لم تتبدل منذ حرفها أحبار الفساد في أسر بابل ، فتآمروا عليه جميعا واتحدوا في مؤامرة ضمتهم الى البيت الهيرودي الذي رآه خطرا على عرشه ، وتآمرت عليه وعلى دعوته جحافل السلطة الدينية والزمنية معا ، وذلك - ببساطة - لأنه لم يكن عنصريا ولا صهيونيا ، وانما دعا الى عالمية الدين والى الله الحق .

○ ثم انتهى شهر العسل :

الا ان (شهر العسل) بين اليهود وبين الرومان لم يدم طويلا بعد غياب المسيح ، اذ عاود الرومان الضغط عليهم وقمعهم فعاودوا التخريب والتمرد ، الى ان كانت آخر حركة تمرد صهيونية في الزمن القديم بقيادة (بركوكبا) في القرن الثاني الميلادي ، تلك الحركة التي حمل الرومان من بعدها على اليهود حملة لم يعرف لها مثيل ، وطفقوا - فيما يشبه محو اللون اليهودي من على الارض - يوسعونهم قتلا وتشتيتا حتى لم تقم لهم من بعدها قومة الى العصر الحديث .

○ خاتمة

وكثيرون هم الذين يجمعون على أن ما بين حركة (بركوكبا) وبين عصر الصهيونية الحاضرة .. خمد اليهود تماما .. ولم تقم لهم قائمة .. ولم يكن لهم دور .. حتى العصر الحاضر ، منذ بدأ وايزمان يجمعهم في أوائل القرن العشرين في موجة صهيونية كبرى ترمي الى اغتصاب فلسطين ،... ولكن .. وقبل ان نختم حديثنا عن (شواهد الحلف في العهد القديم) ،..نرى لا بد وأن نتطرق الى

الفترة ما بين العصور القديمة وبين عصور الاستعمار الحديثة ، فانه طالما كان في الارض موجات استعمارية ... وطالما أن اليهود احياء يرزقون .. فاننا ـ حتما ـ سنجد لهم دورا مع قوى الطغيان ..واننا ـ حتما ـ سنجد لهم في الاستعمار حياة .. وعلى أي فاننا سنقصر حديث ختامنا عن دورهم في الحروب الصليبية ، ودورهم مع نابوليون بونابارت ، وسنجمل فيما يلي :

○ في الحرب الصليبية :

فمع تقدم الجيوش الصليبية في أرض فلسطين ، حاول بعض كتابهم أن يوجد لهم دورا ايجابيا في التعرض لفظائع الصليبيين التي تعرض لها أصحاب البلاد ، فلم يدخر وسيلة يفصح بها عن تعرض اليهود في أوروبا للاضطهاد على يد الصليبيين ، واسهب يشرح ما تعرضوا له في أوروبا الى ان أدرك ان حديثه عن فظائع أوروبا نحو يهود الغرب لا يعني بالضرورة أن فظائع الجيوش الصليبية التي أتت الى فلسطين قد أصابت ـ فيما أصابت ـ يهود الشرق ، فاكتفى بأن هؤلاء اليهود الشرقيين كان لهم دور سلبي للغاية ،... والى هنا يلزمنا الأمر ان نستوقف هذا المؤلف أمام نصوص كتابه ذاتها ، التي لم تستطع ان تبرر ما ذكرته من أن يهود الخليل سلموا تماما من فظائع الغزو الصليبي ، ولم يصبهم أذى الحملة هم ومسيحيو الشرق على حد سواء ، وهذا المؤلف ذاته ، لم يستطع الا أن يثبت ان الجيش الصليبي تمكن من دخول القدس من الحي اليهودي بالذات ، الذي ألقت قوات (جوديفراي) بأبراجها على سوره ودخلته ، ثم تركت أهله بسلام ثم اجتازتهم الى الاحياء الاخرى للمدينة المقدسة ... حكاية اليهود الساكنين في أرض غوشن بمصر وقصتهم مع الغزو اللوبي .. تتكرر من جديد من الحي اليهودي بالقدس وقصته مع الغزو الصليبي .

○ في الحملة الفرنسية :

وبذات الاجمال نقول ان نابليون بونابارت عندما استجمع قواه للحملة على الشرق ، كان ادرى بصلة اليهود في المنطقة واهميتهم كفصيلة متقدمة لكل جيش غازي ، اطلق نداء قويا الى يهود الشرق يدعوهم للانضمام الى حملته ويغريهم بمنافع لهم في المنطقة ... ولكن نابليون الذي نشر ذلك في جريدته الرسمية ، لم يتمكن ـ على النحو المعروف ـ من مواصلة حملته وفك حصار عكا وعاد الى بلاده دون ان يحقق لهم شيئا .

وكان ذلك في خواتيم القرن التاسع عشر ، وطوال القرن التاسع عشر ظل الصهاينة يطرقون أبواب الاستعمار انى وجدوه .. يتغلغلون في صفوفه ، ويكتسبون يدا في قراراته .. حتى احتضنهم وأيدتهم قواه الغاشمة ، على النحو الذي نعرفه جميعا عن عصور الصهيونية الحاضرة .

الأدب الاسلامي

اولا : تبنى الأدب الاسلامي والعناية به :

١ ـ دعوة الوزارات المختصة والجامعات الى تبني هذا الأدب ، والعناية به وتدريسه في المراحل الثانوية والجامعية ليعبر عن الاسلام وتعاليمه وينشر دعوته في الأرض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة .

٢ ـ ادخال مادة الأدب الاسلامي بصفة عامة وادب الدعوة بصفة خاصة في اقسام الدعوة والاعلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية التي تبرز هذا الأدب وتقعد له وتخرج الباحثين المختصين فيه .

٣ ـ دعوة الباحثين من علماء المسلمين عامة وأدبائهم ونقادهم خاصة الى اعداد البحوث في هذا الأدب ، ووضع قواعده في النقد . وحض الجامعات على تبني ما يكتب في هذا المجال وطباعته ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه .

٤ ـ دعوة الجامعات في الأقطار الاسلامية لانشاء فروع في مكتباتها للاثار الأدبية الاسلامية القديمة والحديثة المكتوبة باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية وما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع لتكون مراجع لدارسي هذا الأدب .

٥ ـ العمل على ترجمة هذه الآثار من العربية واليها وذلك للافادة من الطاقات الأدبية في العالم الاسلامي ، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعي لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة .

٦ ـ حض الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية والنوادي الادبية على تشجيع ذوي الطاقات الادبية المبدعة ، واعداد المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات النابعة من الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لاصحاب الآثار الفائزة ، والعمل على نشرها والكتابة عنها ، وعن أصحابها في الصحف والمجلات .

عقدت في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة « ندوة حوار حول الأدب الاسلامي » في شهر رجب ١٤٠٢ هـ . وهذه هي الندوة الثانية التي عقدتها الجامعة ، أما الاولى فكانت في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ . وأنتهى أعضاء الندوة الى التوصيات التالية :

٧ ـ وضع منهج متكامل للأدب الاسلامي تتفق الجامعات المتناظرة في العالم العربي على تبنيه وتدريسه في المرحلتين العالية والعليا .
٨ ـ انشاء مجلة متخصصة بالادب الاسلامي عامة وأدب الاطفال واليافعين والشباب خاصة .
٩ ـ ان تعمل المعاهد والكليات التي تدرس المذاهب الأدبية من كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان انها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات اجنبية ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للاسلام ، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وان يعهد بتدريس هذه المادة الى ناقد اسلامي بصير .
١٠ ـ ان تكون الموضوعات والنصوص الادبية التي تدرس في المعاهد والكليات خالية من كل ما يخالف الاسلام ، وان تختار من الآثار الأدبية المفعمة بالحض على المثل التي تنبع من الفطر السليمة ، وتتفق مع دين الله .
١١ ـ ان تهتم الجامعات اهتماما كبيرا بالأدب الاسلامي للاطفال وذلك بتدريس هذا الادب في المرحلتين العالية والعليا واعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتي الماجستير والدكتوراة .
١٢ ـ ان تشتمل كتب الأدب والمحفوظات في المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين في اولي القبلتين وثالث الحرمين ، وبكوا ما حل بفلسطين على ايدي الصليبيين واليهود ودعوا الى تحريرها ، كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدي صلاح الدين .
١٣ ـ ان يكون الادب الاسلامي الذي نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها

وثيقة الصلة ـ مادة ومعنى ـ بكتاب الله ، وحديث رسول الله واثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان لما في ذلك من روعة بيانية . وعمق ايماني وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لادبنا الاسلامي المعاصر .

١٤ ـ التنديد بالاعمال الادبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبي « الفولكلور » وبيان ما فيها من خطر على لغة القرآن وقطع لاواصر القربى بين المسلمين عامة والعرب منهم خاصة .

١٥ ـ دعوة الجامعات الى اقامة مراكز للأدب الاسلامي تعني بجمع مصادر هذا الأدب ومراجعة الموضوعات التي كتبت فيه والمقالات التي حضت عليه والرسائل الجامعية التي اعدت فيه .

١٦ ـ دعوة القائمين على الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة الى انشاء فرع الدراسات العليا في الادب الاسلامي وقواعده في النقد وذلك لتكوين فئة من المختصين بهذا الادب الداعين اليه عن دراية وتعمق وخبرة .

١٧ ـ تخصيص منح دراسية للادباء الاسلاميين من غير العرب في المعاهد والمراكز التي انشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وذلك لتوسيع رقعة الأدب الاسلامي وتبادل الخبرات الأدبية عن طريق الترجمة من العربية واليها .

١٨ ـ اهتمام العاملين في مجالات الأدب الاسلامي بتأصيل علم الجمال وتوجيهه وجهة اسلامية والافادة منه في الأعمال الأدبية الاسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون .

١٩ ـ يتوجه اعضاء الندوة بجزيل الشكر الى الجامعات التي أنشأت معاهد ومراكز لتعليم لغة القرآن للمسلمين من غير العرب ، ويأملون منها ان تضاعف جهودها في هذا المجال الخير ، وان توجه التعليم في هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلي بالحديث الشريف ، ومعرفة اداء الشعائر على أكمل وجه .

كما يأملون من هذه الجامعات ان تعمل على افتتاح المدارس في تلك البلاد الاسلامية لتعليم الاطفال والناشئين لغة القرآن ودين الاسلام وتثقفهم بالثقافة التي تربطهم باخوانهم العرب وان تؤلف لهم الكتب الاسلامية التي تلائم مستوياتهم .

ثانيا : رسم بعض الخطوط العريضة للأدب الاسلامي الذي ننشده :

تقترح الندوة لتأصيل هذا الأدب واغنائه ما يلي :

١ ـ تعميق النظرة في مفهوم هذا الادب القائم على التصور الاسلامي الصحيح ،

والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية .
٢ ـ دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الاسلاميين ، وذلك لاستخلاص السمات التي يجب ان تتوفر في الأدب الاسلامي والوصول الى مذهب أصيل في الأدب الاسلامي ونقده .
٣ ـ العناية بدراسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها ، وجعلها موجها ومقوما لانتاج الأدباء الاسلاميين .
٤ ـ الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للأدباء في انتاج أدب اسلامي سليم .
٥ ـ دراسة منهج القرآن الكريم والحديث الشريف في القصة والحوار والتصوير الفني والتملي من خصائص هذا المنهج ومزاياه للافادة منهما في النتاج الادبي الاسلامي .
٦ ـ دراسة فنون الادب الاسلامي في عهودها الاولى وذلك كأدب الدعوة الى الله ، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها في الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية .
٧ ـ دراسة الشعراء والادباء الاسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الأدب الاسلامي وتقويته وتنويعه .
٨ ـ العمل الجاد على جمع الادب الاسلامي الحديث ونقده وذلك لتقويمه وتوجيهه ولفت الانظار اليه .

ثالثا : توصيات عامة :

١ ـ طباعة البحوث التي اعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وارسالها الى سائر الجامعات في البلاد الاسلامية عامة ، والعربية منها خاصة مع الدعوة الى تبني الأدب الاسلامي الذي تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وجامعة دار العلوم الاسلامية في الهند ، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وغيرها من الجامعات .
٢ ـ ان تعقد هذه الندوة المباركة في بلد من البلدان الاسلامية مرة كل عامين .

هذا وان اعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسؤولين في وزارات المعارف والتربية والثقافة والاعلام وبالمجامع العلمية والنوادي الأدبية والمؤسسات الاسلامية ذات العلاقة ، ان يبذلوا كل ما في وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل الممكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد .

هل التدخين حقاً مضر؟

للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

مقدمة تاريخية :

موطن التبغ الأول هو القارة الأمريكية ، وحتى يومنا هذا لم يعرف بالضبط تاريخ ابتداء تلك القارة باستعمال التبغ للتدخين ، وقد وجدت في بعض الحفريات في امريكا ، يعود تاريخها الى حوالي ٦٠٠ ق. م بينها غليون من الفخار لتدخين التبغ .

عندما وصل كريستوف كولمبس مع رجاله الاسبان لأول مرة الى امريكا الوسطى مكتشفا القارة الجديدة عام ١٤٩٢م ، وهناك عرف التدخين .

وفي سنة ١٥١٩م جاء الرحالة اوفيدو لأول مرة باوراق التبغ الى اوروبا ، اما بذور التبغ فلم تصل القارة الاوروبية الا في سنة ١٥٥٩م ، وكان من البرازيل ، وفي نفس السنة استنبت جان نيكوت سفير فرنسا في البرتغال بذور التبغ في حديقة منزله وذلك بقصد الزينة لجمال اوراق نبتة التبغ الخضراء وازهارها الجميلة واخذت زراعة التبغ بعد ذلك تنتشر بسرعة هائلة في جميع انحاء اوروبا .

التبـغ نبـات مـن الفصيلـة البـاذنجانيـة ذو ساق اسطـوانية الشكل ، واوراقه بيضاوية لزجة كبيرة الحجم ، وزهوره جميلة ذات لـون احمـر وردي ، يرتفـع النبات عن الارض حوالي المترين واسم هـذا النبات هو سولاناسين .

مكونات التبغ :

يتركب التبغ من مواد عديدة تزيد عن ٣٠٠ مادة معروفة حتى الان ، وتختلف هذه المواد باختلاف نوع التبغ وطريقة التدخين ، واليك اهم هذه المكونات : ـ

١) النيكوتين :

في سنة ١٨٢٨م اكتشف العالمان الالمانيان بوسلت ورايمان من جامعة هايدلبرج الالمانية المادة الفعالة في التبغ وسمياها نيكوتين نسبة لجان نيكوت اول من استنبت بذور التبغ في اوروبا . والنيكوتين مادة شبه قلوية ، عديمة الرائحة واللـون في حالتهـا النقية ، قوامها زيتي لكنه يصبح مائلا للصفرة بمجرد ملامسته الهواء ، وهو مركب سام جدا وخطر على جميع المخلوقات . يستخرج النيكوتين من مـادة Nicotiana tobacum

تختلف كمية النيكوتين وفقا لنوع الدخان ، وطريقة استعماله ، ويكون امتصاصه حتى ٩٠٪ في الاشخاص الذين يستنشقونه والى ١٠٪ في عدم الاستنشاق . يمتص النيكوتـين في السجائر من الرئة ، بينما نيكوتين السيجار والغليون عن طريق الفم والبلعوم ، ولذلك يلاحظ بان مدخني السجائر يستنشقون الدخان اكثر من مدخني السيجار والغليون ليحصلوا على النيكوتين .

كل سيجارة من السجائر تحتوي ٢٠ ملغم من النيكوتين ، اذا احتوت على غرام واحـد من التبغ ، وزن السيجار حوالي خمسة غرامـات . الجرعة المميتة للنيكوتـين هي ٥٠ ملغم .

٢) البريدين :

وهو اقل سمية من النيكوتين ، واقل كمية اذ لا يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ اكثر من ملغم من البريدين .

٣) الامونياك (مركبات الأمونيا) :

يتولد عند حرق غرام واحد من التبغ ٣ ـ ٥ ملغم من الامونياك ، وضرره الصحي انه يؤدي الى التهاب الغشـــاء المخـــاطي للـعـــين والفم والحنجرة والقصبة الهوائية ، وهو السبب في حدوث السعال والبصاق عند المدخنين .

٤) المواد القطرانية :

وهي الزفت ، ويتولد حوالي ٤٠ ملغم من كل كغم من التبغ المحروق ، وقد ثبت علميا ان لـهذه المادة مفعولا

كبيرا في تكوين السرطان وخصوصا لما تحتويه مادة البنزيبرين ذات المفعول الأكيد في احداث السرطان .

٥) أول أوكسيد الكربون :

ان غاز اول اوكسيد الكربون يتولد في دخان التبغ بنسبة تتراوح بين ١ ـ ١٤٪ ، وهذا الغاز سام اذ يتحد مع الهيموجلوبين ((خضاب الدم)) ويقوم بوقف قابلية الدم لحمل الاوكسجين ، ولهذا السبب فان المدمنين على التدخين عادة ما يكون نفسهم قصيرا .

٦) وهناك مواد اخرى مثل غاز الميثان ، الكحول الايثيلي ، اجسام فينولية ، الزرنيخ يأتي من المبيدات الحشرية التي يرش بها التبغ ، السيانيد ، رماد ورق السيجارة وغيرها .

اشكال التدخين :

١) السجائر العادية وهي الأكثر شيوعا واستعمالا والأكثر خطرا على الانسان .

٢) السيجار يتألف من طبقات ثلاث الداخلية منها تتألف من تبغ الحشو العادي ، خطرها الأكبر على الفم والبلعوم .

٣) الغليون او البايب سبب استعماله هو تصفية وترشيح التبغ من النيكوتين والمواد القطرانية .

٤) الاركيلة او الشيشة

٥) استعمال التبغ بوضعه تحت اللسان (السويكة) ، وتسبب التهاب اللثة ، ناهيك عن رائحة الفم الكريهة .

مضار التدخين :

١) الجهاز التنفسي :

يؤثر التدخين على الجهاز التنفسي بالتأثيرات التالية : ـ

أ) السعال المزمن والبصاق ، نتيجة تخريش الاغشية المخاطية للقصبات الهوائية بمادة الامونياك .

ب) التهاب القصبات المزمن ، التدخين لفترة طويلة او بكميات كبيرة ينقص حركة الاهداب في القصبات ، وكذلك يثبط او يبطل عمل خلايا الدم البيض Marco Phages وهذا يؤدي الى تضخم الغدد المفرزة للمخاط وفرط تنسجها ويؤدي الى انسداد السبل الصغيرة التنفسية ، ويؤدي الى التهابها ، وأعراض المرض هو السعال المزمن مع البصاق لمدة طويلة من الزمن ، والالتهابات الحادة للمجاري التنفسية وضيق النفس ، وفي النهاية هبوط القلب وعجزه عن العمل .

جـ) انتفاخ الرئة غالبا ما يصاحب التهاب القصبات المزمن ،
وكيفية حدوث الانتفاخ هي التدخين ← نقص دفاع في الجسم ← نشاط فعالية الخمائر الحالة ← انتفاخ الرئة .

د) سرطان الرئة ، وملخص الأقوال في هذا الموضوع هي :

● يندر حدوث سرطان الرئة في غير المدخنين .

● انتشار التدخين بين المصابين بسرطان الرئة انتشارا يزيد عنه بين المرضى الاخرين في السن نفسها والمستوى الاقتصادي نفسه .

● عند بحث العلاقة بين سرطان الرئة والتدخين ، تظهر حقيقة واحدة على الأقل لا تقبل الجدل ، وهي كلما خفض الشخص التدخين قلت امكانية اصابته بالسرطان الرئوي ، يصبح العكس اي انه كلما اكثر الشخص من التدخين ازداد تعرضه للاصابة بسرطان الرئة .

ـ ان معظم المصابين بسرطان الرئة هم بين مدخني السجائر اكثر من مدخني السيجار والغليون .

الجهاز الهضمي :

١) التقرحات ، وتصبيب اللسان (المنطقة الامامية والجانبية) ، وارضية الفم ، وممكن ان تؤدي الى تضخمات وابيضاض الغشاء المخاطي Leukoplakia ، وهذه سابقة للسرطان .

٢) التهاب اللثة واللسان وممكن ان يكون اللسان مشعرا (حليماته طويلة) .

٣) تلون الاسنان باللون الاصفر .

٤) التهاب الغدد اللعابية ، وتؤدي الى ضخامتها وبعد ذلك الى تليف هذه الغدد وحدوث التلف .

٥) التدخين هو من العوامل المساعدة والتي تسبب قرحة المعدة والاثني عشر ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى اضطراب الحركة البوابية .

٦) سرطان الفم ، اكثر حدوثا بين مدخني الغليون والسيجار والسبب في ذلك يعود الى ان النيكوتين المجرد في السيجار هو قلوي التفاعل وبهذا فهو غير متأين ويذوب بالدهن ولهذا فانه يمتص بسهولة من الفم ، بينما تدخين السجائر وهي حمضية التفاعل ويكون النيكوتين اكثر تأينا وبهذا فان امتصاص النيكوتين من الفم قليلا ، ولهذا السبب ايضا يجعلنا نفسر لماذا مدخنو السيجار يستنشقون الدخان اقل من مدخني السجائر وان نسبة اصابتهم بسرطان الرئة اقل من مدخني السجائر .

القلب والأوعية الدموية :

١) مرض بيرجر ، يؤدي هذا المرض الى التهاب سطحي او عميق ، او تخثر للأوردة ، يصيب الشرايين الصغيرة والمتوسطة الحجم ، ومن اعراضه حدوث ظاهرة خاصة عند تعرض الجسم للبرد ويصبح لون الجلد ازرق فابيض فأحمر ، ويمكن اخيرا ان يؤدي الى حدوث وظهور التقرحات والغرغرينات .

٢) ارتفاع الضغط الدموي .

٣) التعرض للاصابة باحتشاء العضلة القلبية (الجلطة) والذبحة الصدرية .

٤) تسرع وعدم انتظام دقات القلب .

المرأة الحامل والتدخين :

يؤثر التدخين بالمرأة الحامل ما يلي :

١) يولد الطفل اقل من وزنه الطبيعي بحوالي ١٧٠ غرام ، وعزاه بعض الاطباء لمادتي اول اوكسيد الكربون والنيكوتين .
٢) قد يولد الطفل غير مكتمل النمو ولديه نقص في الاعضاء .
٣) قد تتعرض المرأة الحامل الى الاجهاض .
٤) قد يؤدي الى موت الجنين في رحم الأم .
٥) معدل موت الجنين بعد الولادة بشهر تزيد ٢٨٪ على جنين غير المدخنات .
٦) تغيرات في المشيمة وحدوث الترسبات والتكلسات تحت الغشاء المشيمي ، وكذلك وزن المشيمة في المرأة المدخنة اقل منها في غير المدخنة .

١) التهاب الملتحمة ، نتيجة تخريش اغشية العين بالمواد التي يحتويها التبغ .
٢) التهاب العصب البصري تكون مرافقة لنقص فيتامين ب ١٢ واكثر حدوثا في تدخين البايب ، وسبب ذلك هو ان مادة السيانيد في التبغ تتلف فيتامين ب ١٢ ، وتحدث له De-mylimation مرضا هذا المرض يسمى باللغة الطبية Tobacco Amblyopia .

الجهاز البولي :

١) نقصان التدرر بسبب افراز هرمون مهبط لتدرر البول ADH من الغدة النخامية .
٢) سرطان المثانة هو اكثر حدوثا بمرتين في المدخنين اذا قورنوا بغير المدخنين .

الجهاز العصبي :

١) يؤثر على عمل العقد العصبية فيحدث لها تهيجا خفيفا ثم يبطل عملها .
٢) يحث على افراز الموصلات العصبية مثل اسيتتل كولين ، ونور ادرلنالين .
٣) يؤثر على الغدة النخامية بافراز هرمون ADH ، وبالتالي يؤثر على البول فيقلل من كميته .
٤) تنبيهه للجهاز العصبي في مراكز الجهاز التنفسي ومراكز القيء وغيرهما .

تلوث البيئة :

التدخين احد مصادر تلوث البيئة ، وخاصة اذا كانت البيئة في الاماكن المغلقة الناتجة من دخان سجائر المدخنين ، وربما يحتج قائل ان من الحق الطبيعي ان يدخن سيجارته وقتما يشاء في اي مكان يشاء ، ولكني اقول اليس من حق غير المدخن ان يستنشق الهواء النقي لكي يملأ رئتيه ، ولا نتصور انه يرضى انه يرغب ان يملأ رئتيه بفضلات زفير جاره المدخن ، وهذا مطلب عادل بحق غير المدخن من الحياة النظيفة وتلك ضرورة مؤكدة .

ان نسبة غاز اول اوكسيد الكربون في التبغ (دخان التبغ) بين ١ ـ ١٤٪ ، بينما نسبة الغاز في دخان القاطرة حوالي ٣,٦٪ ، وفي الشوارع المكتظة لا تزيد بأكثر من ٠,٠١٪ ، وخطورة الغاز تزيد خاصة اذا كان المدخنون في غرفة او اماكن مغلقة ، وبالتالي يؤدي الى التسمم بأول اوكسيد الكربون .

وهذا الغاز يتحد مع هيموجلوبين الدم (خضاب الدم) بدلا من الاوكسجين ، وينتج عنه امراض التسمم ، وهناك نوعان من التسمم بهذا الغاز ، التسمم الحاد ومن اعراضه تورد لون الجلد وخاصة الوجنتين ، صداع في الرأس ، دوار وربما فقدان الوعي الخ ، اما التسمم المزمن فغالبا ما يكون مع الاشخاص المدمنين على التدخين ومن هذه الاعراض اضطرابات هضمية ، اضطرابات تنفسية (انقباض بالصدر) ، ارتخاء عام في الجسم ، نوبات من الصداع ، ارق في الليل عند النوم .

التدخين والفتق والبواسير :

الدخان هو احد العوامل المتسببة في احداث الفتق والبواسير ، والسبب في ذلك سهل جدا وهو كثرة السعال الذي ينتاب المدخن مما يؤدي الى ضعف العضلات البطنية ومنها ينتج الفتق ، وكذلك يؤدي الى ارتخاء عضلات المعصرة الشرجية وينتج عنها البواسير .

المضار الاقتصادية للتدخين :

كل منا يعرف هذه المضار سواء كانت على البيت الذي يعيش فيه المدخن او على المصلحة العامة ، ولا احب ان اتطرق الى شرح ذلك بالتفصيل ونتركها وضمير المدخن .

التدخين من وجهة نظر الدين الاسلامي :

عند دراسة قول الله تعالى « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** » .

« **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »

« **ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما** »

وعند الرجوع الى حديث الرسول (ص) « **نهى رسول الله (ص) عن كل مسكر ومفتر** »

وعند التعرف على القاعدة الاسلامية العامة « **لا ضرر ولا ضرار** »

وعند كشف ومعرفة مضار التدخين على المدخن والمجتمع والاسرة ،

افتى بعض العلماء انه مكروه وان الاصرار على المكروه حرام ، وافتى البعض الآخر انه حرام .

وقد نبه السيوطي على صحة حديث الرسول واستدل به ابن حجر على حرمة المفتر الذي لم يكن شرابا ولا مسكرا ومثل ذلك الدخان والتنباك ، فهذه كلها محرمة عملا بهذا الحديث لما هو ملازم لها من التخدير والتفتير . والله أعلم .

إلى العرب

للاستاذ : عيسى البي ابي بكر

يا امة انحدرت من العدنان
عاشت على الصحراء خير مكان

ارض تلألأ فوقها نور الهدى
يا مرحبا بالنور ، بالاذعان

ما ضرها شيئا جدابة ارضها
فيها ترعرع سيد الأكوان

انا غبطنا فضلها وعلوها
سبحان من يعطي بلا حسبان

المسلمون جميعهم اتباعها
قودي زمام القوم بالقرآن

لولاك ما خرج الانام وما نجوا
من ذلك البهتان والخسران

ماذا رعاك الله قولي بيني
صنعت يداك وكان من رضوان ؟

اني نظرت الى الشعوب ولم اجد
شعبا يضاهي امة القحطان

ان اللغات تعددت وتباينت
ولسان اهل الشرق خير لسان

الـوحـي اعلـن فضلـه هـذا كفـى
عـزا فبشـرى امـة الايمـان
انـي ليحـزنني كثيـراً حـالـهـا
عـاشت طـويـلا في لظى الـعـدوان
وغـدا زنيـم القـوم يقسم ارضـهـا
مـن دون مـا حـق مـن الازمـان
عجبـا لقـوم وحـدت لـهجـاتـهـم
كـل لـه عمـل بـلا ميـزان
مـاذا وراء الاجتمـاعـات التـي
جئتـم اليـهـا مـن جميـع مكـان ؟
مـاذا وراء الاتحـاديـات مـن
اثـر الـوئـام يـرى لـدى الاخـوان ؟
والله قـد اضحكتمـوا اعـداءكـم
الشر كـل الشر ضحـك الجـانـي
انـا سئمنـا مـا يقـول مـذيـعكـم
« الحـرب في قـدس وفي لبنـان
قتلـوا صبـاح اليـوم الـف مـواطن
قتلـوا نسـاء الحـي بـالنيـران
قـذف الـعـدو من السمـاء قنـابـلا
ذاقـت سمـوم المـوت بنـت فـلان
ان الاذاعـة إن جـهلـت امـورهـا
صنـعـت لبـث البشر لـلانسـان
يـا ايـهـا الـعـرب قـل لي لحظـة
هـل قـد خلقـت لـهـذه الأشجـان ؟
إنـي لآمـل ان اراك مكللا
يـومـاً بكـل تنـعـم وأمـان
أو أن أراك وقـد لبسـت مفـوفـاً
ثـوب الـعـلى وخلعـت ثـوب هـوان
يـا ايها الـعـرب الكـرام تضـافـروا
وتـعـاونـوا حتمـاً عـلى الإحسـان
لا تتـركـوا إبليس يفسـد جمـعكـم
وتـعـوذوا بـالله مـن شيطـان
ردوا الى الأيـام سـابـق عـزكـم
في الحكـم والأخـلاق والـعمـران .

حينما تسلم الزوجات.. ويكفر الأزواج!

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

لهذه الصورة وجوه متعددة ، لكل وجه منها حكمه الخاص .. وسنلقي اضواء على ما تناوله فقهاء الشريعة الغراء منها على النحو الآتي :

١ ـ لو تركت المرأة زوجها كافرا في دار الكفر .. وهاجرت مسلمة الى دار إسلام وليس في قصدها ان تعود الى حيث هاجرت ابدا .. وقعت الفرقة بينهما فورا على انها فسخ لا طلاق ، وهذا باتفاق الآراء بين الفقهاء ، ويرى ابو حنيفة رضي الله عنه انها ان كانت خالية من الحمل صح لها ان تتزوج غيره بدون عدة ولا تربص ، لأن حكمة مشروعية العدة اظهار خطر النكاح واحترام آثاره ، وافساح المجال للعودة الى زوجها بعد سكوت الغضب ، وهدوء الأعصاب ومعاودة الروية والتعقل والأناة ، وكل هذه حقوق قررها الاسلام للمسلم وللذمي وما دام في دار الاسلام ملتزما بأحكامنا ، واقعا تحت ولايتنا .. اما غيرهما فلا خطر لملكه في النكاح .. أما اذا كانت حاملا فيجب عليها قبل الزواج بغيره ان تتربص لا على وجه العدة .. بل على وجه الاستبراء حتى يرتفع المانع من النكاح بالوضع .. وذلك لأن الكافر في دار الحرب اسقط الشرع حقه في العدة على زوجته المسلمة او الذمية مادامت في ارض الاسلام بقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن**) الاية / ١٠ سورة الممتحنة .. فهذه الآية الكريمة قد أسقطت حق الكافر مادام في دار كفره في عدة امرأته التي خرجت مهاجرة باسلامها الى دار الاسلام .. وانما عليها الانتظار حتى الوضع احتراما لحق الولد الثابت النسب من أبيه الكافر .. وهذا يظهر بالنسبة الى المنع من النكاح احتياطا على ان هناك رواية اخرى عن ابي حنيفة هي اقل رجحانا في النظر من سابقتها ، وهي تبيح زواج هذه الحبلى بشرط الا

يقربها زوجها الا بعد وضع حملها قياسا على الزانية الحامل (فتح القدير ج٢ / ٥١٣) وسبب نزول الآية السابقة الذكر (كما في الكشاف ج٢ /٥١٣) ان صلح الحديبية كان يتضمن ان من أتى المسلمين مهاجرا من أهل مكة رده المسلمون اليهم ولا عكس ، وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم مازال بالحديبية .. فأقبل زوجها مسافر المخزومي ، وقيل صيفي بن الراهب فقال : يا محمد اردد علي امرأتي ، فانك قد شرطت ذلك ، وهذه طينة كتابك لم تجف فنزلت هذه الآية لبيان أنها خاصة بالرجال دون النساء .. وكان في بدء الاسلام يرد مهر زوجها الكافر اليه .. ثم نسخ هذا في آخر الاسلام بأول سورة براءة .. فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ما أسلمت الا حبا لله ورسوله .. فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ، وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٢ ـ اذا اسلمت الزوجة في أرض الكفر دون زوجها لا تقع الفرقة بينهما بمجرد الاسلام لان الاسلام ليس سببا في الفراق والفساد .. بل عليها العدة ثلاثة اشهر ان كانت لا تحيض .. او ثلاث حيض ان كانت تحيض ثم تقع الفرقة بينها وبين زوجها بمجرد انقضاء العدة لأنها شرط البينونة .. فأقيم الشرط مقام المشروط عند تعذره .. وهذا لأن عرض الاسلام على زوجها غير ممكن لوقوعه خارج ولايتنا .. ولا بد من ايقاع الفرقة منعا للفساد المرتب على التباين في العقيدة ، ولا فرق هنا بين المدخول بها وغير المدخول بها .. لان الفرق بينهما انما هو في حال الطلاق .. اما هنا فحالة اسلام احد الزوجين لا طلاق .

٣ ـ اذا اسلمت الزوجة دون زوجها وهما في دار الاسلام لا تقع الفرقة بينهما في الحال ولكن لا تمكنه من نفسها .. ويعرض عليه الاسلام من ولي الأمر .. فان أسلم فهما على حالهما ولا يتجدد عقد النكاح .. وان أبى فرق القاضي بينهما .. وكان ذلك التفريق طلاقا .. وان لم يعرض على زوجها الاسلام .. حتى مضت عدتها .. فمن حقها ان تتزوج بغيره كما في الزيلعي ، وحيث جاءت الفرقة من جانبه بإبائه الاسلام فينوب عنه القاضي في ايقاع الطلاق لولايته عليه .. وذلك لأنه لا بد من سبب تضاف اليه الفرقة ، والاسلام وحده لا يصلح سببا لوقوعها لانه عاصم للأموال والدماء والأعراض بقوله صلى الله عليه وسلم : « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، الا بحقها ، وحسابهم على الله » متفق عليه .. ومجرد اختلاف الدين لا يصلح سببا للفرقة كذلك ، لأنه يجوز تزوج المسلم بالكتابية ، وكفر المصر على كفره لا يصلح سببا للفرقة في أصل الزواج ، لأنه يجوز زواجه بها قبل اسلامها .. فلم يبق من الأسباب صالحا لاضافة

الفرقة اليه الا اباؤه الاسلام بعد دخول زوجته فيه ، لأنه يصلح قاطعا لعقدة النكاح ، فكان هو السبب المناسب ، والدليل على ذلك ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب الزهري : « أن ابنة الوليد بن المغيرة كانت تحت صفوان بن أمية ، فأسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها صفوان بن أمية من الاسلام . فلم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان واستقرت عنده امرأته بالنكاح الأول .. وصفوان بن أمية هذا استأمن له عمير بن وهب يوم الفتح وقال : يا نبي الله ان صفوان سيد قومي .. وقد هرب خوفا منك .. ليقذف بنفسه في البحر (السيرة الحلبية ج٣ / ١٠٦) .. فأمنه على نفسه .. فانك أمنت الأحمر والاسود .. فقال صلى الله عليه وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال : أعطني يارسول الله علامة يعرف بها أمانك له .. فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة .. وكان صفوان قد رفض العودة مع ابن عمه الا بهذه العلامة .. فلحقه عمير وهو يهم بركوب البحر .. فطلب منه العودة الى مكة وله الأمان .. فقال له : اغرب عني لا تكلمني .. فقال له عمير : يا صفوان فداك أبي وأمي .. جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .. وابن عمك .. عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك .. قال : اني أخافه على نفسي قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان هذا يزعم أنك أمنتني .. فقال صلى الله عليه وسلم : صدق .. فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أنت بالخيار اربعة أشهر .. ثم خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، ولما فرق الرسول غنائمها بالجعرانة رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر معجبا الى شعب ملآن أنعاما وأغناما .. فقال له صلى الله عليه وسلم : يعجبك هذا ؟ .. قال : نعم ، قال .. هو لك وما فيه .. فقبض صفوان ما في الشعب وقال : ما طابت نفس احد بمثل هذا الا نبي ثم أسلم .. وقد تأيد هذا الحكم بما ذكره الطحاوي وابن العربي (فتح القدير ج٢ / ٥٠٧) من ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرق بين نصراني ونصرانية بابائه عن الاسلام .. كما ذكر ان رجلا من تغلب اسلمت امرأته وكانت نصرانية فرفعت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له أسلم والا فرقت بينكما .. فأبى .. ففرق بينهما واشتهر بين الصحابة هذا الحكم بدون خلاف منهم له ، ولا اعتراض عليه .. ويدل لذلك قصة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها ابي العاص بن الربيع .. فانها أسلمت بمكة في ابتداء الدعوة حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم زوجته خديجة وبناته ، واستمر ابو العاص على شركه بمكة .. الى ان وقعت غزوة بدر الكبرى .. وزينب

مغلوبة على أمرها عنده لأنه كان حابسها .. فوقع اسيرا في ايدي المسلمين فيمن اسر ببدر .. فلما أرسل اهل مكة في فداء اسراهم .. ارسلت زينب في فداء ابي العاص قلادة كانت امها خديجة اعطتها اياها .. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها .. فردها عليها ، وأطلقه لها ، وشرط عليه ارسالها اليه .. فلما وصل الى مكة جهزها اليه صلى الله عليه وسلم .. واتفق في مخرجها ان هبار بن الأسود أثار عليها ركوبتها بحربته فوقعت زينب وكانت حاملا .. فأجهضت ، وظلت مريضة بسبب ذلك حتى ماتت .. ولذلك لم يعف الرسول صلى الله عليه وسلم عن هبار يوم الفتح ولو تعلق بأستار الكعبة وامر بقتله فقتل .. فلما كان قبيل الفتح خرج ابو العاص في تجارة له الى الشام .. فأخذته سرية من المسلمين واحتجزت ماله واعجزه الهرب منهم .. فدخل بليل على زينب وطلب منها ان تجيره عند ابيها صلى الله عليه وسلم فأجارته .. ثم كلم الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن السرية فردوا اليه المال .. واحتمله الى مكة .. فأدى ما عنده من ودائع وامانات وبضائع وكان رجلا امينا كريما .. فلما لم يبق لأحد عليه حق ولا علقة .. قال : يا اهل مكة هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا .. فجزاك الله عنا خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما .. قال : فاني اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوفا من ان تظنوا اني انما اردت ان آكل أموالكم .. فلما أداها الله اليكم .. وفرغت منها أسلمت .. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد النبي صلى الله عليه وسلم اليه زينب بنكاح جديد .. روى ذلك الترمذي وابن ماجه والامام احمد ..

واما ما جاء في بعض الروايات من انه « ردها على النكاح الاول » فهو محمول على معنى : بسبب سبق النكاح الاول مراعاة لحرمته .. كما يقال : ضربته على اساءته .. اي السابقة وقيل معنى قوله « على النكاح الاول لم يحدث شيئا » اي لم يحدث زيادة في الصداق وغيره في النكاح الثاني .. على مثل ما وقع في النكاح الاول .. وهو تأويل حسن .. جمعا بين الأدلة .. وهو اولى من اعمال بعضها واهدار بعضها .. وخصوصا ان هذا التأويل مثبت ، وغيره ناف .. والاول من وجوه الترجيح عند التعارض في مسلك الفقهاء المجتهدين .. وما جاء في بعض الروايات من ان زينب فارقت أبا العاص ست سنين او ثمان .. او ثلاث فمحمول على التفارق بالأبدان بعد غزوة بدر لا بالبينونة لأنها كانت قبل ذلك .. لأنها ان وقعت البينونة بينها وبين زوجها من حين أسلمت فالمدة تقرب من عشرين سنة .. الى اسلامه .. وان وقعت من حين نزل قوله تعالى : (**ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**) البقرة / ٢٢١ وهي مكية فأكثر من عشر سنين ..

إثم المسكرات

للدكتور

محمود ناظم النسيمي

الخمر في اصطلاح الاسلام هي اسم لكل مسكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب،لم يشربها في الآخرة » رواه مسلم وابو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي رواية لمسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » .

يدافع بعض الشاربين عن تعاطيهم للمسكرات أو لنوع منها بأنهم إنما يقدمون على ذلك تداويا رجاء منفعة معينة : وقد غفلوا ان ما يلحقهم من ضرر وإثم وخاصة اذا استمروا على تعاطيها هو أكبر من نفعها الموهوم . وسأقابل كل منفعة متوخاة بما يقابلها من أضرار .

١ ـ التنبيه في حالات الخور والوهن :

يمتص الغول « وهو روح المسكرات » بسرعة ويطرح ببطء ، وترتفع نسبته في الدماغ والسائل الدماغي الشوكي اكثر من بقية نسج البدن وسوائله ، فيظهر لأول وهلة كمادة منبهة يستفاد منها في بعض حالات الخور في البدن ، ولكن ذلك لا يدوم طويلا ، ويكون ذلك التأثير أفضل كلما كان تكرار استعمال المسكرات قليلا ، لأن الامعان في استعمالها مرارا رغبة باعادة النشاط او الاستمتاع باللذة او النشوة التي تحدثها يجر الى الاعتياد فلا تؤثر عندئذ الا اذا زيد مقدارها اكثر فاكثر ، وهذا ما يؤدي بمتناولها الى الإدمان ولذا لا يمكن الاعتماد على ذلك التنبيه في معالجة الوهن لأنه تأثير مؤقت وعرضي لا يتناول سبب الضعف

والوهن . اما التفتيش عن السبب ومكافحته ومعالجة الوهن فهي من مهمة الطبيب .

٢ ـ النشوة والجرأة وسلوان الهموم :

للغول تأثير مثبط في المراكز القشرية من الجملة العصبية المركزية ، تلك المراكز الناهية التي تشرف على حسن السلوك ، فيظن الناس ان هذا التأثير منبه وما هو الا مثبط ، ونتيجة لذلك يشعر الشارب في اول السكر بالنشوة فيبدي استرسالا بالكلام ثم يحس بالارتخاء والدوار الخفيف وبالابتهاج والتفاؤل الشديد مع التخلي عن التبعة الأدبية ، حيث تقل صفة ضبط النفس فيتكلم ويتصرف بسلوك يستحي ان يقوم به قبل سكره .

ولدى زيادة السكر تنجم عنه ثرثرة وشعور بالقوة غير الاعتيادية والتطوح وحالة انشراح او على العكس كآبة . ولا يلبث ان يأخذه النعاس المتزايد مع العربدة والصياح أو البكاء .

٣ ـ الدفء وتوسيع شرايين القلب :

تتوسع بالغول عروق الجلد ويبدو التوسع ايضا في الشريانين الاكليليين بالمقادير المتوسطة من الغول ، ولذا يشعر الشارب بالدفء . ولكن بازدياد الانتشار الدموي في الجلد تهبط حرارة الجسم الداخلية بضياع الحرارة ، ويشتد هذا الضياع لدى بلوغ السكر اقصى شدته بالاضطراب العارض على المراكز المنظمة للحرارة ويبدو هذا الأثر الضار اكثر في الاصقاع الباردة لشدة الحاجة الى حفظ الحرارة فيها . ومن الحوادث ما يظهر فيها وهط الدوران ، ويكون الموت اما سريعا واما بعد سبات عميق .

ويخطىء كثيرا اولئك الذين يعتقدون ان قدحا من الكونياك مثلا يمنع البرد واذاه فيمن يضطر للتعرض اليه ، ورب قليل من احد الاغذية السكرية كالدبس مثلا ينشط احتراقات البدن ويزيدها أجدى بكثير من تلك المشروبات السامة .

واذا كان الغول « ويسكي كان او غيره » يوسع الشرايين الاكليلية « القلبية » فان مقاديره المتوسطة ترفع الضغط وتزيد قوة التقلصات القلبية وتواترها ، وهذا ما يدعو لاحتقان الوجه وارتفاع الحرارة المحيطية . وشوهد عكس ذلك بالمقادير الكبيرة بسبب تنبه نوى العصب المبهم .

وفي الادمان ترتشح عضلة القلب

بالدهن وتتنكس . وتنقص البيراوانسيدر نشاط حل الفبرين ، وقلة نشاط حل الفبرين يزيد من تصلب الشرايين .

٤ ـ تنبيه الشهية للطعام :

ينبه الغول بتخريشه الخفيف بمقاديره القليلة في المشروبات الخفيفة افراز اللعاب وعصارة المعدة مع كثرة حمض كلور الماء فيها ونقص البيسين فيثير بذلك الشهية للطعام وخاصة اذا اخذ والمعدة فارغة ، ولكنه يثبط مفرز المعدة بالكثافة الشديدة من الغول كما في الاشربة الكثيفة كالعرق والويسكي والفودكا .. الخ فتكون هذه بذلك مانعا لسير الهضم ، وباشتداد السكر يظهر الغثيان والقيء مع ضعف في التحكم .

ويلاحظ في الذين يدمنون الاشربة الغولية بنظام او يكثرون منها نقص شهوتهم للطعام ويبدو فيهم عوز الفيتامين .

وبإدمان المسكرات تلتهب المعدة ويحتقن الكبد ويقصر في وظائفه وينتهي أمره الى تشمع الكبد الضموري .

٥ ـ إدرار البول :

يزداد مفرز البول بالمقادير القليلة من الاشربة الغولية ومنه تأثير هذه تأثيرا مدرا ، ولكنها تنقص اطراح حمض البول والفوسفات . هذا اذا أخذت مرات قليلة . اما اذا توالى دخول الغول الى الجسم ولو بمقادير قليلة فانه لا يدع عضوا ولا حسا في الجسم الا اخل بخلاياه ونسيجه وأوعيته وأعصابه ووظائفه الفسيولوجية اخلالا تظهر عوارضه آجلة ان لم تظهر عاجلة . وقد يؤدي هذا الادمان الى التهاب الكلى وقصورها .

فلا مبرر بعد هذا البيان الى استعمال البيرة كمدر للبول ، فإن ادمان هذا المشروب الخفيف يؤدي الى فرط السمن واتساع المعدة والبيلة الآحينية وضخامة القلب ، وهي أيضا تؤهب للبيلة السكرية والنقرس وتصلب الشرايين . وأضرار البيرة لا تنجم عن الغول الذي فيها فقط ، بل لما فيها أيضا من حمض الصفصاف ، الذي يضاف اليها لحفظها ، ولما فيها من مواد تغش بها بدل حشيشة الدينار . ولأن شارب الجعة « البيرة » يتناول الكؤوس بلا حساب ، وبذلك يدخل الى جسمه مقدار غير قليل من الغول وحمض الصفصاف والسوائل .

يقبل معظم متعاطي الاشربة الغولية عليها لتخفيف التوتر العقلي ولجعل الجسم يسترخي ، وبصورة خاصة لأنها تجعلهم

يشعرون بالانطلاق اجتماعيا . وقليل منهم من يقبل عليها للفوائد الموهومة التي عددتها ثم ذكرت المضار التي تقابلها ، ومهما كانت الدوافع فان المآسي الاجتماعية والأضرار الجسدية الناجمة عن تجرع الاشربة الغولية تجعل العاقل يبتعد عنها ، ولذا هبت امم العالم كلها للدعاية ضد اخطارها ومحاربتها .

والى جانب ما ذكرت فان كل فائدة متوهمة في المسكرات موجودة حقيقة في اشربة او اغذية او ادوية مباحة متوفرة ، يوضحها الطبيب ويسهل الحصول عليها بأقل كلفة دون التعرض لاضرار المسكرات التي تزداد بالاعتياد عليها ثم بالإدمان .

ولا يشترط في حدوث اعراض الادمان وعوارضه ان يكون المدمن على الاشربة الغولية تعتريه حالة سكر بينة ، بل من الناس من هم ذوو احساس بين يصبحون في عداد المسمومين الزمني بمقادير قليلة من احد الاشربة .

ان الشعور بالدفء والنشاط والابتهاج والتفاؤل والانطلاق اجتماعيا بالمقادير المعتدلة من الاشربة الغولية يدعو معظم الشاربين لتكرار تجرع تلك الاشربة . ولكن اذا حدث الامعان في استعمالها مرارا جر ذلك الى الاعتياد ، فلا تؤثر تلك الاشربة الا اذا زيد مقدارها اكثر فاكثر ، وهذا ما يؤدي بمتناولها الى الإدمان ، حيث يتجلى الانسمام الغولي المزمن « او العلة » بجميع اخطاره على الكبد واجهزة الجسم وعلى النفسية والعقل حيث يكشف الفحص عن التهاب المعدة الضموري او التقرحي وعن احتقان الكبد وايجابية علامات قصور الكبد مخبريا وتنتهي الحال بضمور الكبد « تشمع لائنك الضموري » والتهاب الاعصاب وقد ينضم الى ذلك اعراض التهاب عضلة القلب والعصيدة العرقية والتهاب الكلى . ويصير المدمن كثير التحرش ضيق الخلق ويظهر فيه حب المشاحنة والاعتداء .

قال الله تعالى : (**يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون**) المائدة / ٩٠و٩١ . وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : « ما اسكر كثيره فقليله حرام » رواه ابو داود وابن ماجة والترمذي وحسنه وصححه ابن حبان وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : عندنا أنبذة ، انتداوى بها ؟ قال : « أهي مسكرة » ؟ قال : نعم ، قال : « إنها داء وليست بدواء » رواه مسلم والبيهقي .

مسجد الفسطاط

من عادة المسلمين حين يفتحون بلدا جديدا ، ان يبدأوا باقامة مسجد لهم ، يكون مقرا للعبادة والشورى والتعليم جميعا ، وما فتحت مصر حتى شرع عمرو بن العاص في اقامة اول مسجد بها ، وكانت مساحته لاول عهده خمسين زراعا طولا في ثلاثين ذراعا ، وقد وقف على اقامة قبلة المسجد ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وابو الدرداء ، وفضالة بن عبيدة ، وعقبة بن عامر ، وابو ذر ، ورافع بن مالك ، وما برحت وسائل التوسعة والتحسين تتعاقب عليه في عهود معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وسليمان بن عبد الملك ، ومن خلفهم على كر العصور حتى اصبح مضرب المثل تشييدا وعمرانا .

ومنذ انشيء المسجد وهو معهد للعلم ، يدرس فيه النابغون من صحابة رسول الله ، واشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص وسنخصه بتعريف موجز في هذا الفصل ، واذكر ان محمد بن الربيع الجيزي الف كتابا فيمن دخل مصر من الصحابة ذكر فيه مائة واربعين صحابيا وجاء السيوطي فارتفع بالعدد الى ثلاثمائة ، واكثر هؤلاء قد رجعوا الى المدينة بعد تمام الفتح بأمد معقول ، وفيهم من ظل يهدي الى سبيل الرشاد ، فاشتهر بعضهم بالافتاء ، وبعضهم بالقضاء ، وهما من التشريع الاسلامي في لباب اللباب ، وعكف تلاميذهم من بعدهم على تلقي العلم وفيهم من رحل الى المدينة والعراق طالبا مستفيدا ثم رجع يذيع هدية في المسجد الجامع ومن اشهر من عرفوا بالعلم من تلاميذ الرعيل الاول يزيد بن ابي حبيب ، وابن لهيعه ، وابن وهب ، والليث بن سعد .

وعبد الله بن عمرو

اما يزيد بن ابي حبيب فهو بربري الاصل ، وقد رزق الحظوة في تفهم العلم ، وكان عاقلا مهيبا حليما ، ويقول المؤرخون انه اول من نشر الفقه في مصر بعد صحابة رسول الله ، اذ ورث منهم علما كثيرا اذاعه في المسجد ، كما روى عن سالم ونافع وعكرمة ، ولم يقتصر على الفقه ، بل اهتم بالغزوات والفتوح فكان الاساس الاول للمدرسة التاريخية بمصر .

واما ابن لهيعة ، فقد كان والده من العرب الوافدين ، وقد اخذ عنه الحديث ، واكثر من روايته اكثارا لم تكن موضع القبول من بعض المحدثين ، وليس هذا بعيب ، فكل عالم يؤخذ ويرد من قوله ، واذا كان قد تولى القضاء بمصر تسع سنين ، فمعنى ذلك انه كان ثقة في احكامه الشرعية ، يطمئن الناس الى دروسه بالمسجد كما يطمئنون الى حكمه في الاموال والدماء ، ولا يمكن ان نغفل ابن وهب ، وهو ابو محمد عبد الله القرشي ، وقد امتاز بكثرة الرحلة وبرع في الحديث ، فاختار منه كتابا سماه « الجامع في الحديث » رتبه على كتب متوالية ، وقد بلغ من الشهرة مبلغا جعل مالك بن انس يراسله ، ويصفه بوصف المفتي ، ومالك ـ بعد ـ اخبر الناس بالعلماء ولا يهتم الا بذوي النفاذ والسداد .

وقد بلغ الليث بن سعد من الفقه مبلغا رفعه الى مصاف الائمة الكبار من امثال ابي حنيفة ومالك والشافعي ، وله مناظرات علمية مع الامام مالك رضي الله عنه .

على ان تلاوة القرآن كانت ذات ذيوع بالمسجد ، اذ انتشر به جماعة من القراء يتلون كتاب الله بقراءة ورش عن نافع ، وورش هذا هو عثمان بن سعيد القفطي ، مصري اصيل رحل الى المدينة فقرأ بها على نافع تلميذ عبد الله بن عمرو ، ورجع لينشر قراءته بالديار المصرية في حلقته بمسجد الفسطاط ، وعنه انتقلت قراءة نافع

الى المغرب فما زال القوم يقرأون بها الى اليوم ، وكانت المصاحف تكتب في مصر بكثرة ليتداولها الحافظون من الكبار والصغار ، وكانت اجزاؤه توضع بكثرة في المسجد لتكون يسيرة المنال على القارئين ، وقد قرأنا في تاريخ الحاكم بأمر الله أن بعث من قصره الى مسجد الفسطاط بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات ، كلها قد كتب بالذهب ، ومكن الناس من التلاوة فيها تشجيعا وترغيبا ، كما ارسل نجفا من الفضة يعلق بالمسجد حتى يتمكن التالون بالليل من القراءة على ضوئه ! ويالها عناية كبرى حين يكتب المصحف بالذهب ويقرأ في مصابيح الفضة ! وليس المكتوب عشرة مصاحف بل الف وثلاثمائة تقريباً !

وفي مجال الموازنة بين التعليم بجامع عمرو والتعليم بالجامع الازهر بمصر يقول الدارسون ان مسجد الفسطاط وان سبق الجامع الازهر في التدريس العلمي بنحو من اربعة قرون ففيه فرق واضح بين التدريس بالمسجدين ، لأن التدريس بجامع الفسطاط كان حسبة لوجه الله تعالى ، حيث يندفع المدرس والطالب تلقائيا الى ممارسة التعليم ، والتعليم حسبة لوجه الله دون مقابل ما تبذله الدولة ، اما التدريس في الجامع الازهر فكان له اجره المبذول للمدرس قل او كثر ، وذلك في الاعم الاغلب ، اذ لا يمنع احد عالما يتبرع بالتدريس في المسجد حسبة دون راتب ، كما يقولون في صدد الموازنة بين المسجدين ، ان طلاب الفسطاط يطلقون اسم « الزاوية » على مكان الدرس ، اما طلاب الازهر فيطلقون اسم الحلقة على موضع التدريس ، واصطلاح الزاوية يوحي بالاقامة المستمرة بالمسجد ، اما الحلقة فتقوم ساعة الدرس ثم تنفض عقب انتهاء الاستاذ .

وبمقارنة الحركة العلمية في مسجد الفسطاط بمثيلاتها في مساجد العواصم الاسلامية ، نجد ان حركة الفسطاط لا تتقيد بمذهب لامام خاص ، فمن علماء المسجد المصري المالكي والحنفي والشافعي ، والمنفرد بمذهب خاص كالليث بن سعد ، اما مسجد المدينة فينحو منحى المذهب المالكي وحده ، وكذلك تنحو مساجد الكوفة والبصرة منحى المذهب الحنفي ، لأن تلاميذ الامامين ، هناك يتقيدون بمنحى الامام ، اما في مصر فلكل فقيه ان يتجه وجهته الخاصة بميله العلمي ، وقد ظلت هذه الحرية بين العلماء حتى بعد وفود الامام الشافعي الى مصر ، والتفاف الناس حوله ، لأن وجود فقيه كبير ، وامام عظيم كالشافعي رضي الله عنه ، لا يمنع الدارس ان يرد ما يختار من موارد العلم ، وكلها ذات ري وغذاء .

يقول الاستاذ محمد محمد المدني رحمه الله : « لقد كان المسجد الجامع يومئذ ، وهو مسجد عمرو بن العاص اشبه بنبع صاف فياض يزدحم حواليه الوارد ، بل اشبه بجامعة علمية كأرقى ما نعلم من الجامعات الحديثة ، تلتقي فيها الدراسات ، وتدور المحاورات ، وتعقد المناظرات ، وتعرض الكتب والتآليف والرسائل ، وتنقد المذاهب ، وتمحص المسائل ، في كنف من حرية الرأي ، واستقلال الفكر ، وادب البحث وعفة المقال ، فاذا افضى الامر في شيء من ذلك الى

خصومة فهي خصومة شريفة ، غايتها الوصول الى الحق ، قد تشتد احيانا وتعظم حتى يخيل أليك انها حرب عوان ، وهي حرب اي حرب ، ولكن جندها العلماء ، وقادتها الائمة الاعلام ، وسهمها الحجة والبرهان ».

فمن اعلام المذهب الحنفي بجامع عمرو اسماعيل بن اليسع الكوفي ، وقد وفد قاضيا في عهد المهدي فأذاع فقه اصحاب الرأي ، وتوافد القضاة من الاحناف في عهود الرشيد والمأمون والمعتصم يعاونون على نشر آراء امامهم ، على حين كان فقهاء المالكية أولى حظوة في الدروس العلمية ، وكلهم اعلام ائمة من امثال عبد الرحمن بن القاسم واشهب بن عبد العزيز وهما من مذهب مالك بمنزلة ابي يوسف ومحمد بن الحسن من مذهب ابي حنيفة ، ثم جاء الامام الشافعي فأحدث حركة فقهية ذات امتداد ، وكان محور نقاش هادف بين الاعلام الكبار وقد اذكى بين المصريين روح المناقشة والجدل ، وانفردت مؤلفات كثيرة بالرد عليه ، وتلتها مؤلفات ترد على ما قيل ، ثم انتقل الى جوار ربه ، فلم يهدأ النقاش بل امتد بين تلاميذه وتلاميذ مخالفيه !! كان الشافعي رحمه الله غيثا دافقا فملأ الانهار والينابيع ، واذا كان الشافعي ذائع الشهرة فاننا سنختار من علماء المسجد النبوي عبد الله بن عمرو اذ لم ينل ما يستحقه من دراسة علمية تبرز اثره الكبير في الثقافة الاسلامية بعامة ، وفي الحركة الفكرية الناشئة بمصر عقب الفتح الاسلامي بخاصة ، لأن الصحابي الكبير كان ذا ثقافة شاملة بالنسبة لزمنه ولزملائه ، اذ انه مع اجادته الكتابة والقراءة في معشر امي كان يقرأ بالسوريانية ، وكان يطالع التوراة فاهما مقارنا ، وقد أسلم قبل ابيه ، لأنه حاول ان يدرس الاسلام فيما يسمع من نصوص القرآن ، فوجد لكلام الله عز وجل بشاشة خالطت فؤاده ، وكأني به وقد اصغى الى صدق حججه ، وقوة منطقه ، فلم يستطع صبرا على اعتناقه ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما منيبا ، وقد كان المامه بالتوراة احد دوافعه الى دين الله .

ففي صحيح البخاري عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فقال : اجل ، والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن حيث يقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر حتى يقيم به الملة العوجاء** » قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا .

وقد عهدنا بعض الكاتبين يدرس أمثال كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام من مسلمة اهل الكتاب ليبين أثر قارىء التوراة في المحيط الاسلامي في الصدر الاول من عهد الدعوة ، ولم نجد فيهم من يشير الى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكأن هؤلاء متعمدون ان يغفلوا دور الصحابة الخلص في سعة الاطلاع ،

وقوة الالمام لحاجات في نفوسهم ، وتلك حقيقة نبه اليها الأستاذ صادق ابراهيم عرجون ، حين قال رحمه الله :

« كان يجدر بمؤرخي الاسلام ورجال الحديث وكاتبي السيرة النبوية وعلماء التفسير أن يجعلوا علم عبد الله بن عمرو وأضرابه من الثقات والاثبات ميزانا لعلم غيرهم من رواة اخبار التوراة ومقياسا لروايات الذين اكثروا من الحديث عنها من امثال كعب الاحبار ، ونوف البكالي ووهب بن منبه ، لأن منزلة عبد الله بن عمرو من الصدق والاتقان والفقه ترفعه عن منازل الارتياب ، ولو ان العلماء تنبهوا الى مثل هذا منذ القدم لامكن تصفية التاريخ الاسلامي من هذه الأقاصيص الاسرائيلية المهلهلة التي ملأت كتب التفسير والسيرة والحديث ، واذ فات هذا فلا اقل من ان يجعل الباحثون احاديث عبد الله واضرابه بعد التثبت من صحة روايتها وسيلة لامتحان هذه القصص المسطورة في الكتب ».

ولقدرة عبد الله بن عمرو على القراءة والكتابة كان احد الذين دونوا حديث الرسول في الصحف سماعا منه ، فقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ان اسلم ، واستأذنه ان يكتب حديثه ، فأذن له ، فقال عبد الله : يا رسول الله ، أأكتب ما أسمع منك في الرضا والغضب ؟ قال : « نعم ، فاني لا أقول الا حقا ».

ونحن نعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ، اذ حرص على أن يحفظ كل ما يسمع عنه ، ولكنه اعترف بأن عبد الله بن عمرو يحفظ من حديث رسول الله أكثر مما يحفظ ، وعلل ذلك حين قال : « ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله مني الا عبد الله بن عمرو فانه كان يعي بقلبه وأوعى بقلبي ، وأنا لا أكتب ».

وأثر عبد الله في تدوين الحديث النبوي لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موضع تردد من الذين يحاولون ان يطعنوا في رواية الحديث ، اذ يعلنون انه لم يدون الا بعد أمد بعيد من رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصلوا بذلك الى ما يريدون من هدم لأصل ثابت من اصول التشريع ، ولكن الروايات المتواترة عن تدوين عبد الله لما كان يسمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلتهم يتململون كراهية ، ولو أخلصوا للحق لاتبعوه حين تظهر دلائله ساطعة دون التباس .

واذا كان عبد الله من رواة الحديث وحفاظه ، ومن دارسي أخبار الانبياء والمرسلين في القرآن والتوراة ، فان أثره في مسجد الفسطاط بمصر ، قد كان من الوضوح بحيث ترك تلاميذه ينهجون نهجه في المحافظة على المأثور الصادق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي دراسة أخبار السابقين وروايات التاريخ وقصص الفتن والحروب ، لذلك عده مؤرخو الحركة العلمية في مصر اول استاذ لهذه الحركة المباركة ، وعدوه المؤسس الحقيقي للعلم في هذه البلاد ، اذ اخذ عنه كثير من اهل مصر مكبرين مقدرين ، وكان يسمى صحيفته التي دون فيها حديث رسول الله « الصادقة »، ويقول عنها : « فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد »، كما كان يحج ويعتمر ويأتي الشام ثم يرجع الى مصر ، وقد شافه الصحابة ونقل عنهم ونقلوا عنه ، وحرصوا على لقائه ، وما ظنك بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وقد علمت بمقدمه ، فقالت لابن أختها عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : يا ابن أختي ، بلغني ان عبد الله بن عمرو مار بنا الى الحج ، فقم والقه واسأله ، فانه حمل عن رسول الله علما كثيرا .

ولم يكن عبد الله عالما فحسب ، ولكنه كان عابدا من طراز متشدد ، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : حدثني عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقلت بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك ان تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر امثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله ، قال عبد الله : فشددت فشدد علي ، قلت : يا رسول الله اني اجد قوة ، فقال : صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه ، نصف الدهر ، فكان عبد الله ، يقول بعد ما كبر : يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ».

ولا يتسع المجال لرصد ما يحمل هذا الحديث من العبر ، ولكن الذي لا يفوتنا منها هو شدة حساسية عبد الله نحو ربه ، اذ ينهض لعبادته صائما قائما ، وهو بالأحرى ذو حساسية مفرطة حين يحدث عن نبيه ، وحين يبين الحلال والحرام لمن يجتمع حوله من السامعين .

على ان اهل مصر قد تناقلوا احاديث ابن عمرو تدوينا وكتابة ، فاقتدوا به في تسجيل المأثور عن رسول الله ! وذلك ما ينقض المتعارف من ابطاء حركة التدوين الى عهد بني مروان ، فقد روي المقريزي عن حيوة بن شريح قال : دخلت على حسين بن شفي الاصبحي ، وهو يقول : فعل الله بفلان ، فقلت له : ما له ؟ فقال : عمد الى كتابين كان ابن شفي جمعهما مما سمع من عبد الله عن رسول الله احدهما عن اقضيته والثاني أنباء يوم القيامة ، فأخذهما وأضاعهما ، ومعنى ذلك أن الحديث لم يكن مدونا فحسب بل كان مبوبا وفق الموضوعات فللاقضية باب ، ولاخبار القيامة باب ، وهكذا . ومعناه الثاني أن مصر قد أسهمت في رواية الحديث ونقله منذ عهد مبكر ، وأن مقام عبد الله بها قد ترك أثره في هذا الاتجاه ، واذا وجدنا أمثال يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، وابن وهب يتجهون وجهة المأثور في الافتاء فذلك توجيه عبد الله .

واذا كان الليث بن سعد من ابرز أعلام التشريع في مصر ، حيث انتهى اليه ما تسلسل منذ عهد ابن عمرو من القضايا والأحكام وشاع ذكره حتى عد بين الأفراد ، فان التاريخ ليحفظ له مناظرة فقهية بينه وبين مالك تصور ما كان يجري من حوار بين عالم المسجد النبوي وفقيه المسجد المصري ، وفي الالمام بها ما يبرز تصاول العقول ، وتبادل الافكار مهما بعد المدى ونأت المسافات .

عمر الخيام المفترى عليه

للاستاذ / العوضي الوكيل

الخيـام ، ونـاس يقـولـون الخيامي ، هو أبو الفتح غياث الدين ابن إبراهيم النيسابوري أما لقب الخيام أو الخيامي فقد ذكروا أنه لقب بذلك لاشتغاله أو والده بهذه المهنة ، **مهنة صناعة الخيام** .

مولده في مدينة نيسابور من اعمال خراسان في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي .

وكانت وفاته . كما يقول خير الدين الزركلي في الأعلام سنة ٥١٥ هـ أي في سنة ١١٢٣ الميلادية ، قال الزركلي : إنه دفن في مقبرة إمام زادة المحروقي الواقعة في حي حيرة من ضواحي نيسابور ، وقد ذكر ذلك رواية عن تلميذ الخيام أبي الحسن بن عمر النظامي العروضي السمـرقندي في كتاب فارسي له اسمه « جهار مقالة » الذي يعده البـاحثون اقـدم كتاب تاريخي واوثق سند علمي عن عمر الخيام وعصره وحياته .

وقد تنبأ الخيام بموضع قبره قبل ان يموت ، قال السمرقندي :

« كان الامام عمر الخيامي . وكان السمرقندي يلقبه بالامام ـ قد نزل بسراي الأمير ابي سعيد ببلدة بلخ سنة ٥٠٦ هـ ومعه الامام الأسفزاري فالتحقت بهما وفي أثنـاء الصحبة سمعت حجة الحق عمر الخيام . وهذا أيضا لقب كان يلقبـه به تلميـذه السمرقندي يقول :

إن قبري سيكون في موضع تنثر الريح علي فيه الأزهار في كل ربيع ، فاستبعدت هذا التنبؤ ، ولكني علمت أنه لا يكذب . ولما وصلت نيسابور سنة ٥٣٠هـ ذهبت إلى ضريحه . لانه كان له حق الأستاذية علي فوجدت ضريحه في جنب سور حديقة ورأيت أشجار الكمثرى والمشمش قد نثرت عليه من تلك الحديقة نَوّارَها بحيث

تواري جيرتــه تحت أوراق النَّوار فتذكرت القصة التي كنت سمعتها منه في مدينة بلخ فبكيت ، وكنت لا أجد للخيام نظيراً في بسيط العالم وأقطار الربع المسكون اسكنه الله جناته بمنه وكرمه .

وتحدث عن الخيام شمس الدين ابن محمود الشهرَزُوري في كتابه : نزهة الأرواح وروضة الأفراح فقال : رأيت الخيام وكان يتخلل بخلال من ذهب ، وكان يتأمل في الالهيات من الشفاء ـ يقصد كتاب الشفاء للحكيم ابن سينا ، فلما وصل إلى الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى ثم أوصى ، ولم يأكل ولم يشرب ، فلما صلى العشاء الاخيرة سجد ، وكان يقول في سجوده : إني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فان معرفتي إياك وسيلتي إليك » ومات بعد ذلك .

وتعلم عمر الخيام على يد كبير علماء عصره الامام موفق الـدين النيسابوري امـام أهل السنـة في عصره .

وتحدث كثير من معاصري الخيام عنه ، فكانوا يعدونه في الحكمة ثاني ابن سينا ويصفونه بأعلم أهل الفلك في زمانه .

وقال الشيخ الطرازي ، صاحب كتاب : « كشف اللثام عن رباعيات الخيـام » فقال : قـرأنـا في بعض المراجع الفارسية والعربية أن الخيام كان رجلا دينا ذا مروءة وفضل وأنه كان لا يشرب الخمر ولا يعاقر الكأس وليس في حياته إلحاد ولا مجون .

ولكن كثيرا من الباحثين من كتاب الشرق والغرب عرفوه عن طريق ما نسبوه اليه من الرباعيات المزعومة التي وصفوها بأنها فلسفة الخيام وزعم بعضهم أنه أبيقوري النزعة والميـول ، وسماه بعضهم « وولتـر الشرق » ، ورأى آخرون أنه إباحي وأنه مستهزىء بالاسلام وأحكامه ، وبعضهم زعم أنه دهري أو تناسخي أو جبري أو باطني وقالوا ثائر على كل شيء ، ثائر عـلى الدين والأخـلاق والعقل .

ثم قال الطرازي : إن الخيام ليس من ذلك كله والرباعيات التي نسبت إلى شخصيته البريئـة ليست من مقولاته ولا فلسفته . وقد دام الظن بصحة نسب هذه الرباعيـات الى الخيام أكثر من مائة سنة .

ويرى صاحب كشف اللثام أن لذلك سببين : الأول:هو تفريط الكتاب والمتـرجمين الـذي أوقعوا عـامـة الشرقيين في هذا الظن ، والثاني:هو اعتماد الشرقيين على ترجمة إدوار فتزجرالد ، ذلك الانجليـزي الذي تـرجم الربـاعيات سنـة ١٨٥٦ ، ونشرها في الشرق والغرب على نطاق واسع ، ولم يفطن الشرقيون إلى ما وراء فعله هذا من أغراض مذهبية ومكايد استعمارية .

ولم يكن الخيام إلا رجل دين صحيح كما تحدث عنه علماء عصره الذين عرفوه وعايشوه .

وقد نشر الأديب التركي شمس

الدين السامي كتابه قاموس الأعلام وجاء فيه حول الخيام قوله :

« إنـه لم تصـح لـدينا هـذه الرباعيات ، يعني الربـاعيات التي ترجمها فيتزجرالد ، أما الرباعيات الصحيحة فكلها يتحدث عن حكمة الله في خلقه وتكليف الناس بالعبادات وللخيام رسالة موضـوعها الكـون والتكليف بعضها يتضمن المعاني من الرباعيات .

وقال الأديب الكبير الدكتور شفق : إن الخيام كان ينشىء رباعياته ترفيها عن نفسه وتخفيفا لآلامه وذلك عندما يتعب إثر قيامه بحساب النجوم ، وقد ذكر ذلك الأديب العراقي المعروف عبد الحق فاضل وقال : إن الرباعيات التي نشرها إدوار فيتزجرالد تبتعد كثيرا عن أخلاق الخيام .

وأول من كتب عن الخيام من الغربيين هو « توماس هايد » أستاذ اللغتين العربية والعبرانية بجامعة اكسفورد ونشر في ذلك مؤلفا سنة « ١٨٠٠ »م ثم ترجمها بعده الفرنسي « نيكولاس » الذي كان من أعضاء السفارة الفرنسية في طهران وقد نقلها عن نسخة فارسية مطبوعة في بومباي بالهند ، وكان نيكولاس يعتقد ان عمر الخيام كان صوفيا ومشغولا بالعشق الالهي كحافظ الشيرازي وأمثاله من الشعراء المتصوفين وذلك نظراً لأن بعض الرباعيات كان يحتوي على مبادىء من التصوف .

على أن أكثر مترجمي الرباعيات شهرة بين أهل الغرب هو فيتزجرالد الانجليـزي (١٨٠٩ - ١٨٨٣) ويزيد ما ترجمه فيتزجرالد على سبعين ربـاعية ولكنـه لم يتقيد بـألفـاظ الرباعيات « كما ذكر الطرازي » بل إنـه تصـرف كثيـراً في التـرجمـة باعترافـه ، قال فيتـزجرالـد : إن ترجمتي ليست مطابقة لألفاظ الأصل كثيرا فقد غيـرت كثيراً من هـذه الرباعيات ومزجت بعضها ببعض ، وأخشى أنه ربما ضاعت ناحية من بساطة المعنى وسهولة الألفاظ التي تعد من أكبر مزايا عمر الخيام ، وهذا الرأي كتبه فيتزجرالد إلى أستاذه كاول .

ويقول الطرازي صـاحب كتاب « كشف اللثام عن رباعيـات عمر الخيام : إذا نظرنا إلى الرباعيات وما فيها من معان بعين التحقيق وطبقناها على ما أثبته المؤرخون من مؤلفات الحكيم النيسـابوري عمـر الخيام ورسائله وأقواله المنثورة والمنظومة نجد أن أكثرها - إن لم نقل كلها - لا ينطبق على مبدأ الخيـام الحقيقي ومسلكه الذي سلكه في حياته ودعا الناس إليه نستطيع أن نقول بكل جرأة وثقة أنها موضوعة ومختلقة لاسم عمر الخيام ، أو نقول إنها لخيام آخر غير الحكيم النيسابوري .

فأذا ثبت عن الحكيم النيسابوري قوله في رسالة ألفها بناء على طلب فخر الملك ابن الملك المؤيد : لقد صنفت في

رسالة طالبي معرفة الله عز وجل أربع طوائف هم : المتكلمون ، والفلاسفة ، والاسماعيليون - وهي طائفة كانت معروفة في عهد الخيام وليست فرقة الاسماعيلية المعروفة - ثم المتصوفون ، وقد رجح المتصوفين على سائر المذاهب لأنهم لم يطلبوا معرفة الله عز وجل عن طريق الفكر والبحث وإنما طلبوها عن طريق تصفية الباطن وتهذيب الأخلاق فانهم نزهوا النفس الناطقة عن كدورة الطبيعة والهيئة البدنية ، ولما تنزه الجوهر ووقف أمام الملكوت ، ظهرت الحقائق فقد علم أن أي كمال من الكمالات غير ممنوع من حضرة الله تعالى ، وقد علمنا أنه إذا زال الحجاب ابتعد المانع كما يقولون ولهذا تظهر حقائق الأشياء كما هي .

إذا ثبت مثل هذا الكلام عن عمر الخيام فكيف ثبت عنه في الرباعيات قوله :

« إن جرعة من الخمر خير عندي من بلاد جم « يعني إيران » وإن رائحة الكأس أحسن من غذاء مريم ، وان تأوها سحريا يخرج من قلب السكران أحسن من مناجاة بو سعيد وأدهم ، وهما من كبار رجال الصوفية .

أو قوله في رباعية مفتراة أخرى :

نحن جعلنا خرقة الزهد على رأس الدن ، وتيممنا من تراب الحانات وذلك أملا أن نجد عن بابها ذلك العمر الذي أضعناه في الدرس .

أهذا كلام يمكن أن يقوله من قال :

أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية
عفافاً وإفطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت
لطرق الهدى من فيضي المتقاطر
فان صراطي المستقيم بصائر
نصبن على وادي العمى كالقناطر

وهل يمكن أن يتفق هذا الكلام مع قول المفترين على لسان الخيام في إحدى رباعياته « مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم » :

أيها السيد الهاشمي « يقصد الرسول » :

لماذا هذا الدوغ الحامض « وهو لبن فيه حموضة » حلال في الشرع والخمرة حرام ؟ وهل يصح أن يقوم بهداية الضالين بفيضه المتقاطر وبدعوته إلى الله ورسوله من تنسب إليه تلك الرباعيات ؟

ومن الرباعيات التي افتراها فيتزجرالد قوله :

إلى متى نتحدث عن الصلاة والصوم ، اسكر في الحانات ولو بالتسول واشرب الخمر واغتنم الحياة فبعد موتك سيصنعون من ترابك مرة كأساً ومرة قلة وثالثة كوزاً .

او : يقولون إن هناك خمراً وحوراً عينا ، وهناك خمر وعسل مصفى فأي بأس إذ نحن اخترنا الخمر والحور من الآن فالنتيجة هي هي .

الحق أن الرباعيات المنسوبة إلى الخيام موضوعة لبعض الأغراض الدينية والاستعمارية ، وأن الخيام كان إماماً في الدين وواعظا ، ولم يكن رجل شراب ولا غوان ولم يكن ملحداً .

تربية إسلامية

لا يوجد مثل كتاب الله كتاب يـربى ويسعـد ويشفى النفـوس والأبدان . ولا عجب فالله الخالق أعلم بخلقه من أنفسهم وأعلم بما ينفعهم وما يضرهم وما يسعدهم وما يشقيهم وهو الهادي وهو الذي عليه الاعتماد .

قال تعالى : (**وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا**) النجم/٤٣و٤٤ . فهو الذي يضحك ويسعد من يشاء ويبكي ويشقي من يشاء . وهو الذى يحيى موات قلوبنا ويعلي همتنا ، فان الطموح إلى المعالي والتمسك بالمثل العليا فيه صحة النفوس وعزتها . والله هو الهادي الذي يشرح صدور المؤمنين : (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء**) الأنعام/١٢٥ . والصحة النفسية هي في انشراح الصدر بالايمان .

والأيمان بالله يمدنا بالقوة المعنوية

لا علم نفس

للاستاذ/سعد حسن لطفي

التي نجابه بها مشاكل الدنيا وهمومها ونقاوم بها الأعداء ولو كانوا متفوقين علينا في العدة والعدد . وعدم الايمان يؤدي إلى الجبن والتخاذل والخوف فتكثر الأمراض النفسية . والمؤمنون يهبهم اللـه الأمن ويـذهب عنهم الخوف : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) الأنعام/٨٢ . أما الكفار فيذيقهم الله لباس الجوع والخوف .

والمؤمن لا يخاف إلا الله في حين يخاف غير المؤمن من كل شيء .

والأيمان فيه الرضا عن الله ورضى الله عن المؤمن وفي هذا كمال السعادة والعـافية والشفـاء للروح والنفس والقلب والصدر والبدن ، وهدوء الفكر والأعصاب . أما عدم الايمان بغية السخط والتبرم بالحياة والضيق في الصدر والشقاء والتعاسة . والايمان فيه الأمل والثقة في الله وفي المستقبل وفي الجنة ، والكافر يائس قانط من رحمة الله ومن جنته والمستقبل مظلم

في نظره . والثقة في الجنة تهب الشجاعة فلا يهاب المؤمن الموت لأنه واثق من الجنة ، أما الكافر فيرعب من الموت ويحزن عند ملاقاة العدو ، لأنه يعلم أن مصيره إلى النار ، فلا يريد أن يفارق الدنيا هربا من الموت .

والايمان يجعلنا نترفع عن الدنيا ولا نحبها كحبنا لله بل نكون أشد حبا لله . وفي هذا تمام الصحة النفسية فان معظم الأمراض النفسية إن لم تكن كلها ، هي بسبب حب الدنيا أكثر من حب الله .. فيصاب الذين يحبون غير الله بالانهيارات النفسية التي قد تؤدي إلى الجنون ، بسبب فقدان حطام الدنيا أو امرأة يحبها أو وظيفة لم يستطع الحصول عليها أو فقدها .

والمؤمن عزيز النفس لا يتزعزع إذا رفضته امرأة ، فالنساء غيرها كثير ، ولا يجزع إذا إفتقر أو مرض أو مات أحبابه وأولاده . والاسلام يأمرنا باعزاز أنفسنا وعدم الذل والعبودية لمخلوق أو للدنيا ، فقال الرسول : « **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة** » رواه البخاري .

فيتحرر المؤمن من أسر الشهوات من الطعام الطيب واللباس الفاخر والذهب والفضة إمتثالا لقوله تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤ .

والمؤمن لا يحزن أو ينتحر إذا رسب في امتحان أو فشل في حياته .

ويسقط غير المؤمن في أسر الخمور والمخدرات والنساء فيفسد عقله وأعصابه وبدنه ويفقد ماله ، ويفقد إحترامه للمجتمع كما يفقد هو إحترامه لنفسه ، ويصير ذليلا يستجدي الناس ليحصل على الخمر والمخدر ، ويكون محتقرا ، وفي هذا غاية الشقاء النفسي والعلل والاضطرابات التي لا يزيلها أطباء النفس جميعا . وليس إلا الله من يتوب على العاصي ويغفر له ويشفيه من الأمراض التي ألمت به بسبب ذنوبه . فالطبيب لا يملك المغفرة .

وعلم النفس هو محاولة لفهم النفس البشرية وليس فيه مبادىء ومثل عليا وأخلاق فاضلة . ولا يملك الطبيب النفساني ما يريده المريض من مال أو امرأة أو نجاح أو وظيفة أو غير ذلك . وهذا كله بيد الله مالك الملك ، فهو الذي يعطي المريض ما يصبو إليه فيشفي ويسر . وفوق ذلك فهو علم ملىء بالأخطاء والتناقضات والنظريات المتضاربة شأنه شأن سائر علوم البشر . فهو مادي إلحادي ينكر وجود الله وينكر الوجدان الديني كما ينكر العقل الذي يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحدها .. وهو أربعة مذاهب متضاربة .

● وأحد هذه المذاهب وأشهرها : يعتبر الغريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر في مرتبة أقل من مرتبة الحيوان . وهذا التفسير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس وعلى النساء إلى درجة أن غاية الانسان في الحياة هي إشباع الغريزة الجنسية ، وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس !!

والمعروف أن الحيوانات لا تجعل الجنس همها الأول ولا تهتم به إلا وقت الحاجة للتلقيح .

ومن المؤسف أن هذا المذهب دون غيره من المذاهب هو المعمول به في التحليل النفسي والعلاج وفي التربية والتعليم مع أنه أكثرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القويم فانهم يقولون أن المريض يشفى بسرعة إذا أشرفت على علاجه ممرضة جميلة ، وهذا يعتبر دعوة صريحة إلى الاباحة والتحلل من الدين والأخلاق .

ومن المسلم به أن الصحة الجنسية هي في العفة والسيطرة على النفس . بعكس ما يقول فرويد أن الصحة في الاباحة وأن الأمراض النفسية في العفة حيث تسبب ما يسميه بالكبت . وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم وأشد حزما من الاباحة . والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ، ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على مقاومة الأمراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة الجنسية . ناهيك عن مضار الزنا كالأمراض التناسلية الفتاكة وكثرة أبناء السفاح ، والعداء بين الناس والجيران والأصدقاء والشك وعدم الثقة في بعضهم البعض وكثير غير ذلك مما يقوض المجتمع .

ولا يعرف فائدة العفة « روحيا وعقليا وبدنيا إلا الأتقياء الذين جربوها » .

● والمذهب الثاني : يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك ، فيكون سعيدا وصحيحا نفسيا إذا كان غنيا ، ويكون مريضا نفسيا إذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل ، فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله . وصحتهم البدنية والنفسية أحسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء . والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها ، فشتان ما بين الأثنين .

● والمذهب الثالث : يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة في إرضاء الناس .

وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق . فان القوة والمكانة في المجتمع هي في إرضاء الله ولو باغضاب الناس ، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فيرضى الله الناس عمن أرضاه باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضي

الناس باغضاب الله ، وإذا أحب الله عبدا حبب فيه خلقه . والمؤمن لا يهاب الحساد والأعداء وألسنتهم السوء .

● والمذهب الرابع : يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية . فهو ينكروجود الله ويقول إن الانسان لو اعتقد في أي شيء فانه يتأثر به ، كما قال الملحدون « من اعتقد في حجر لنفعه » . وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم ولا تنفع ولا تضر ، وفي أن النافع والضار هو الله وحده .

ويلاحظ الخلاف بين هذه المذاهب حيث يفسر كل منها الانسان تفسيرا مخالفا لتفسير الاخر . ولا يمكن أن تكون كلها صحيحة جملة واحدة ، فيجب إذن رفضها جملة وتفصيلا بسبب تضاربها . كما أنه لا يجوز

التوفيق بين هذه المذاهب وإيجاد مذهب وسط ، لأن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين .

فيجب الاعتماد على الله في شفاء النفوس فهو خالقها والخبير بها : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ . والا نكباب على تلاوة القرآن ففيه الشفاء والسعادة : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/ ٨٢ .

والدين فيه تهذيب الأخلاق وقواعد السلوك بين أفراد المجتمع فيكون الفرد والمجتمع في صحة نفسية كاملة ولا يوجد شجار أو إحتقار أو تكبر أو ظلم مما يسبب الأمراض النفسية .

والشخص المستقيم يسير مرفوع الرأس ومحترما ومحبوبا بين الناس ، أما الفاسق فيخاف أن تفتضح أعماله الشريرة الخفية ويكرهه الناس ويحتقرونه لمجونه ولهوه . فمن وجهة نظر الطب النفسي نرى أن الاستقامة هي أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية ، وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة ، وعدم الايمان هو أصل كل الأمراض . **وأثنى الله على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** .

والمؤمنون يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولا ينخدعون فيهم . والتعليم الديني هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل ، فان ضحايا الدجالين والسحرة كلهم من المتعلمين تعليما مدنيا حتى أساتذة الجامعات ، بعكس خريجي وطلبة المعاهد الدينية الذين

يوقنون بأن السحر كفر بالله وباطل وخرافة . وتكثر الأمراض النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقد والرغبة في المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس إلى فعل الخير والبعد عن الشر مثل الوازع

الديني ، والطمع في رحمة الله ورضاه وجنته ، والخوف من عقابه وناره . ولا ينكر اثر الوعظ في النفوس حيث يقوم أساسا على الترغيب والترهيب ، ولا يوجد في علم النفس التربوي أو خلافه هذا الباعث الذي يجعل الناس يتسابقون ويتنافسون في أعمال الخير والصلاح . وفي الغرب حيث يسود الالحاد ، لا يجدي الوعظ كثيرا لضعف اعتقادهم بوجود الجنة والنار أو وجود الله ، وبسبب عدم حبهم لله .

أما الفضائل فكلها في القرآن ما فرط فيها من فضيلة . ويكفي منهاجا للتربية الكاملة بعض آيات من القرآن ، مثل سورة الحجرات ، وسورة الاسراء من قوله تعالى : (و قضى ربك) وسورة لقمان ومواعظه لابنه ، وسورة الفرقان صفة عباد الرحمن . فلو ربينا التلاميذ والأبناء على هذه القطع وحدها لكفتهم ، فما بالك بكتاب الله الذي يحمل بين دفتيه كل آية تهز الوجدان وتضيء الجوانح وتعلم الانسان مركزه ومكانته في الدنيا وأهميتهما ، والمسؤولية التي عليه في إصلاح ما في الأرض ، وتجعله سباقا إلى فعل الخيرات ، ويبعث الهمم وتحيي موات القلوب ، وتعلم المبادىء والمثل العليا والقيم الشريفة السامية ، وكل هذا لا يوجد في علم النفس ولا أي علم بشري حيث يجعل الناس غايتهم في الحياة إشباع الشهوات .

والتربية الاسلامية تنطوي على التربية الوطنية والاجتماعية ، وتحض على حب الوطن والدفاع عنه ضد المعتدي المستعمر الذي يفسد الدين والدنيا ، ويحطم المعنويات والماديات ويشيع الجهل والفقر والمرض ، ويحض الشباب على الرذائل والموبقات ويثير الفتنة والعداوات بين القبائل .

والطوائف الدينية ، ويخلق الشقاق بين فئات الشعب بكل الأسباب الواهنة .. ولا يمكن محاربة هذا الاستعمار إلا بالابتهال إلى الله ، فانه وحده الذي يلقي في قلوبنا السكينة ، ونثق في نصره .

والدين يحث على العدل والمساواة والنهضة بالفقراء والطبقات السفلى ، ورحمة الفقير والضعيف .. كما يحض الدين على العلم والتفكير .

وقد آن الأوان للرجوع إلى التمسك بكتاب الله الذي أكرمنا به ، ففيه الحضارة والهداية والعلم وصلاح الدنيا والآخرة ، ويجب أن نرفض كل ما هو غربي ، فهو إلحاد وعلوم خاطئة ومبادىء ضالة منحرفة ، ولا نسمع لقول الغربيين في ديننا ولغتنا وتراثنا .

بيت الزكاة

الزكاة فريضة اسلامية فرضها الله على أغنياء المسلمين .. تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم ولها مصارف ثمانية حددها القرآن الكريم .

ومع ذلك فالناس أقسام ثلاثة في موقفهم من أداء فريضة الزكاة :

○ قسم : يعطي حق الله في ماله عن طيب خاطر .. شاكرا لله فضله .. وعارفا لكل ذي حق حقه ..

○ وقسم : يعطي القليل من ماله .. دون أن يؤدي كل المطلوب منه .. وكأنها مجرد صدقة تطوع ، فلا يلتزم بما فرضه الله عليه .

○ وقسم : امتنع عن أداء الزكاة .. لا جحدا لفرضيتها .. والا كان كافرا .. بل بخلا وشحا .. والنفس بطبعها شحيحة الا من رحم الله ..

وفي عهد الخلافة الراشدة ، وفي عصر السلف الصالح .. كانت الدولة تجمع الزكاة بواسطة « العاملين عليها » من أغنياء المسلمين .. وكانت تودعها « بيت المال » ثم تنفقها في أوجه انفاقها .. وبذلك نعم المجتمع كله بالرخاء واليسر ..

ثم مرت بالأمة الاسلامية أعوام وأعوام .. ضعف فيها الوازع الديني .. وأهملت السلطة واجبها في جمع الزكاة .. وانفاقها في سبيلها .. وصرنا في وضع أحوج ما نكون فيه الى الصديق رضي الله عنه ليقول في اصرار المؤمن : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ..

وليقول لمانعي الزكاة : والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .

ومع بدء الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي اليوم وحرص المسلمين على أداء فريضة الزكاة كما أمر الله عز وجل كان لا بد من قيام هيئة عصرية منظمة على أحدث الاسس تنوب عن الافراد واللجان المتعددة في جمع الزكاة لتكون اللبنة الاولى في قيام بيت مال

معاصر للمسلمين وبفضل الله أولا وبفضل الجهود الخيرة تم انشاء « بيت الزكاة » الذي تم تأسيسه مؤخرا كهيئة مستقلة وقد عقد أول اجتماع له بحضور كل من السادة :

أحمد سعد الجاسر وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .
ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .
عيسى ياسين وكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل .
حمد الجوعان مدير عام المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية .
هزاع جاسم الحسينان مدير ادارة شئون القصر .
أحمد بزيع الياسين - طارق سامي العيسى - عبد الله دخيل الجسار - محمد هادي العوضي - يوسف جاسم الحجي - يوسف محمد النصف .

وقد ناقش المجتمعون مجموعة من الامور المتعلقة بدفع عجلة بيت الزكاة الى الأمام وشكلوا لجنة لوضع النظام الاساسي ولوائح العمل والشئون التنظيمية لبيت الزكاة . وفي ختام الاجتماع عقد السيد وزير الاوقاف والشئون الاسلامية مؤتمرا صحفيا وضح فيه بعض الأمور المتعلقة ببيت الزكاة حيث قال :

لقد آن الأوان لقيام هيئة عصرية منظمة تنوب عن الأفراد والهيئات والمؤسسات في جمع الزكاة وتوزيعها حسب النصوص الشرعية بعد الرجوع الى هيئة اختصاصية في الشريعة . وقد تم فتح حساب لدى بيت التمويل الكويتي تحت رقم ٠٠ ٥٨٠ ـ٢٠ لتسهيل الامر امام الراغبين في صرف زكاتهم .

وسيتم افتتاح حسابات للبيت في جميع فروع بيت التمويل الكويتي . كما سيجري تعاون وتنسيق وتكامل بين بيت الزكاة والمؤسسات الحكومية الرسمية المشاركة في مجلس ادارة البيت لتلافي الازدواجية وسيتم أيضا تنسيق وتعاون مع بيوت الزكاة القائمة في بعض البلدان الاسلامية والاستفادة من تجربتها في هذا المضمار . وسيعمل بيت الزكاة على دعم لجان الزكاة القائمة في مساجد الكويت والتعاون معها الى أبعد الحدود بما يحقق مصلحة المجتمع الاسلامي عامة . وبإمكان جهاز الوقف في وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان يسهم بتمويل بيت الزكاة مع الأخذ بعين الاعتبار ان اموال الوقف ستصرف حسب وصية الواقف .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تهيب بكافة المواطنين والهيئات والمؤسسات ان يبادروا لدعم بيت الزكاة تحقيقا لركن عظيم من أركان الاسلام فيه مصلحة المجتمع المسلم ، وبه استقراره ، وبأداء الزكاة ينتشر الحب والخير بين أفراده ويعيش الجميع حياة التكافل المثالية ..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

قصة

الدنيا والناس

للاستاذ : محمد لبيب البوهي

كان اوغلي اعظم انسان جمع مالا وعدده في مدينة داركوك ، وكان علي حيدر افقر انسان فيها ، فاذا اردت ان تعرف كيف دارت امور الدنيا مع كل منهما فاليك هذه القصة :

★★★

كانت اكبر مشكلة تشغل بال السيد / اوغلي اغا هي مسألة الموت ، كيف يتسنى له ان يجمع ثلاثة ملايين دينار ثم يتركها ويموت ؟! لماذا اذن اجهد نفسه عشرات الأعوام ؟ ولماذا اذن ارتكب المخاطر والأهوال وغل يده الى عنقه فلم يدع دانقا من امواله ينفذ الى مسكين ؟ ولماذا اذن كان يطير النوم من عينيه اذا قيل له ان هناك فرصة متاحة في اقصى البلاد لجمع مال جديد ؟ ولماذا اذن كان يزحف النوم الى عينيه في عجلة اذا جاءه كتاب من جمعية خير تطلب معاونة في شأن من شئون الناس ؟ .

لماذا اذن كل هذا ، اذا كان الموت له بالمرصاد ..!؟ .

قرأ اوغلي اغا ذات يوم ان قيمة الانسان تتمثل في قدر ما يعطي او يبذل للاخرين ، وبما انه تعود ان يأخذ .. ويأخذ .. ويأخذ .. دون ان يفكر في اي عطاء . فقد ادرك ان الخيط الذي يصله بالناس قد اصبح مقطوعا . من اجل ذلك لم يكن السيد / اوغلي اغا يعيش مع الناس وانما كان يعيش في جو عمائره .. ومتاجره .. وسياراته .. ونواعيره ولم يكن له من صاحب او صديق .

ماذا اذن سيصنع اوغلي اغا بالمال الكثير ؟

وما معنى ان يأتي الموت فيخطفه من كل هذا ؟

لقد كان الموت هو شاغله الشاغل ، او بمعنى اكثر دقة ، الخوف منه والبحث عن مخرج ، اذا كان الموت مشكلته الكبرى اليس هناك من علاج يطيل امد البقاء !؟ اليس من طريقة وجدها العلم لاطالة العمر وتأخير الأجل المحتوم ؟ اليس هناك نظام للراحة والاستجمام .. والغذاء الجيد والرحلات .. وتدليك العضلات .. والأبحاث الالكترونية ؟ اليس من شيء من هذا كله امكن التوصل به ليضمن لاصحاب الثروات المخزونة التمتع بها الى نهاية الدهر ؟ ما فائدة العلم اذن اذا لم يكن قد ضمن هذا ؟ وماذا يفعل العلماء والالكترونيون .

لقد هز اوغلي اغا رأسه وتولى غاضبا وهو يردد : فليسقط اذن كل شيء ..

★ ★ ★

وراح اوغلي اغا يفكر في طريقة ينتقم بها من الدنيا ، ويغيظ اولئك الذين يتطلعون الى ماله ليرثوه من بعده ، وبما انه لا مفر من الموت فليأخذ الى أخراه كل ما جمع في دنياه .

وتذكر نظرية الفراعنة ، وسر بها سرورا عظيما ، كان الميت يطلب بان يدفن معه كل ما جمعت يداه .

ولما كانت ثروته عظيمة المقدار فقد جمع نفرا من المهندسين وطلب اليهم ان يقيموا له قبرا تطلى جدرانه بالذهب ويفرشوه بالسجاجيد والبسط ، ويقيموا له سريرا عليه وسائد من حرير ، حتى اذا مات السيد الوقور ونقل الى مقره الاخير ، كانت ثروته كلها قد نقلت معه .

★ ★ ★

اخذ المهندسون في بناء اروع واعظم قبر رأته داركوك ، وكان الناس يأتون من كل مكان للوقوف عن كثب ، وامتاع العين بالنظر الى القبر الذهبي العجيب . تحفة مقابر الدنيا في هذا الزمان ، وكثيرا ما كان اوغلي اغا يقف بالقرب منهم ، وهو يستمتع برؤية نظرات الحسد والتمني مرتسمة على وجوه الناس ، فقد كان منهم من يقول في نفسه : ليت لنا مثل ما أوتي اوغلي اغا ، انه لذو حظ عظيم .

واحيانا كانوا يجهرون بهذا التمني فيسخر منهم علي حيدر افقر فقراء المدينة ويتولى وهو يضحك ساخرا مما سمع ..

★ ★ ★

وذات يوم كان اوغلي اغا يتأمل قبره الذهبي ، فلما رأى علي حيدر الفقير جالسا مستندا الى حائط من جدران الضريح تغيرت نفسه واشمأزت وصاح في حاشيته قائلا :

انه لأمر معيب ومغيظ ان يقع ظل هذه الحشرة على قبري الذهبي ، احملوا هذا المخلوق والقوا به خارج داركوك . وطرد علي حيدر من المدينة ، وحرم عليه دخولها ، حتى لا يقع ظله على القبر الذهبي العظيم .

ومرت أيام وأيام ، وشهور واعوام ، وكان السائحون يأتون من بقاع مختلفة من الارض لرؤية القبر الذهبي في داركوك ، والتطلع في وقت الشروق الى القبة اللامعة وهي تتموج بلون الذهب كما يزداد المنظر بهاء حين تقع على القبة اشعة الغروب .

وذات صباح في يوم من ايام الشتاء دق ناقوس الهاتف في دار منظم الجنازات وكان هناك صوت نسائي ناعم يتحدث في الهاتف واسرع حارس المكان الى سيده منظم الجنازات يوقظه في عجلة . قم سيدي واستقبل اسعد ايامك ، ان السيدة رانجا امنجا هي التي تتحدث .

وهب منظم الجنازات من نومه مسرعا الى الهاتف ، ان السيدة رانجا امنجا هي امرأة اوغلي اغا ، ترى هل اقبلت الدنيا ..؟ وهل مات اوغلي اغا ؟ وحان لمنظم الجنازات ان يجني مكاسب اروع حفل جنائزي حين يزف السيد المبجل الى قبره الذهبي ؟.

وجاءه الصوت النسائي حزينا يردد : نعم .. لا تقل ان اوغلي اغا قد مات وانما قل انه قد انتقل الى امجاد القبة الذهبية .

قال منظم الجنازات في ادب كبير :

نعم بكل تأكيد ، وسوف تنظم اعظم الاحفال الجنائزية التي شهدتها داركوك .. سوف يكون زفافا يضرب به الامثال حين يسعى به الى قبره المكين ويوضع سيادته في اجلال تحت القبة التي تكسوها الشمس كل يوم بلون الذهب حين الشروق وحين الغروب .

وعاد صوت السيدة رانجا يقول : اسمعني جيدا ايها الرجل .

قال منظم الجنازات : كلي اذان سيدتي .

قالت السيدة ، تعلم ان اوغلي آغا عاش ايامه الارضية وهو يلقي الاوامر فيطاع وقد اوصى ان يدخل عالم القبة الذهبية طبقا لأمر اصدره ، لقد اوصى ان يوسد جثمانه فوق السرير الحريري الذي في القبر في نفس اللحظة التي تشرق فيها شمس الغد ، لا يتأخر الموعد عن ذلك دقيقة ولا يتقدم .. في نفس لحظة الشروق ، انه يريد ان يدخل عالمه في ظلال آية من آيات الكون واعلم جيدا ايها الرجل انه اذا تأخر الموعد لحظة او تقدم فسوف تحرم من اجرك الكبير الذي وعدك اياه .

★ ★ ★

حاول منظم الجنازات ان يشرح لها الامر ، فان الوفا من الناس سوف يأتون افواجا لمشاهدة هذا الحدث التاريخي الهام ، فكيف يسهرون الليل في زمهرير هذا الشتاء ؟ وهم

ينتظرون ..

قالت السيدة رانجا في حزم :

هكذا قرر اوغلي اغا .. اعني المرحوم اوغلي العزيز . المسجي ، امامي الان فوق منضدة من ذهب وشاربه العظيم يتدلى في وقار ، وعلى شفتي جثمان سيادته علامة تصميم لارادته .

قال منظم الجنازات :

ولكن الناس .. الالوف الذين سوف يأتون ، ما ذنبهم ؟ كيف نطلب اليهم ان ينتظروا حتى مشرق الشمس ، اني اخشى ان ينصرفوا يا سيدتي فتفقد الجنازة شطرا من مهابتها .

قالت السيدة رانجا .

امر اوغلي اغا بأن يمنح كل من ينتظر حتى الشروق مكافأة قدرها خمسون دينارا ، ان زوجي المرحوم عرف كيف يسجد الناس للمال ، فأتاهم من حيث يحبون .

قال منظم الجنازات :

يا للمرحوم اوغلي اغا من بعيد النظر حكيم ..!!

★ ★ ★

وضع الجثمان في تابوته ، وشيع الى المسجد بعد صلاة العشاء واعلن المنادي ان اوغلي اغا قد اوصى بان تمنح خمسون دينارا لمن يبقى الى جوار المسجد حتى يشارك في تشييع الجنازة عند الشروق .

ولبث جمع من الناس في زمهرير ليل هذا الشتاء ينتظرون ، بعد ان وضع الجثمان في رحبة المسجد ، ولكن شيئا عجيبا قد لفت الانظار ، ذلك انه كان هناك في المسجد جثمان اخر لم يدفن بعد .

فلما تساءل الناس عن ذلك قيل لهم انه قد مات في هذه الليلة انسان لم يدر به احد ولم يحفل به انسان ، انه المرحوم علي حيدر افقر فقراء المدينة ، انهم لم يجدوا له قبرا وان جثمانه ينتظر حتى يحمل في الصباح الى قبور الصدقات .

وتلفت منظم الجنازات يمينا ويسارا ، وهو يهمس لمن حوله لا تذكروا للسيدة رانجا ان هناك صعلوكا مسجى الى جوار جثمان اوغلي العظيم .

وراحت ساعات الليل الباردة تمر بطيئة قاسية ، ولاذ الناس بالاركان يلتمسون الدفء .. وغلب عليهم النعاس واستغرق منظم الجنازات في نوم عميق وهو يحلم بالاجر الكبير فلما بدت تباشير الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر هب منظم الجنازات مذعورا يدعو الناس الى صلاة الجنازة ثم حمل الجثمان الى القبر الذهبي .

وما ان وضع التابوت في القبر وكشف منظم الجنازات عن وجه الرجل حتى كاد ان يصعق من هول ما رأى ، لقد اخطأ الناس في لهفة العجلة فجاءوا بجثمان علي حيدر افقر فقراء داركوك ليدفن في القبر الذهبي بينما حمل جثمان السيد اوغلي اغا الى مقابر الصدقات .

الحركات التبشيرية في افريقيا

حديث أجرته جريدة السياسة الكويتية مع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حول : الحركات التبشيرية في افريقيا ننشره في مجلة « الوعي الاسلامي » امتدادا لحملتنا في هذا المجال ولتعم فائدته :

وبدأ مندوب الجريدة بهذه التساؤلات :

كيف تتحرك الحركات التبشيرية الان في قارة افريقيا ، وكيف يتم الوصول الى المناطق الافريقية النائية ؟ وما هي استراتيجية هذه الحركات الحديثة بخلاف الدعوة الى غير الدين الاسلامي ؟ وما هو الدور الكويتي

في هذا المجال ؟ وهل تقوم الدول الاسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة بكامل واجباتها في مكافحة هذه الحركات التبشيرية في افريقيا ؟

فأجاب عليها الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة بعد ان قام مؤخرا بتوقيع عقد انشاء وتنفيذ وتشييد قرية الحنان في السودان .. وعن هذه القرية ، والدور الذي ستقوم به لخدمة الاطفال الافارقة خصوصا ابناء اللاجئين من الحرب الاريترية وغيرها .

قال الاستاذ/محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة .. سأبدأ الحديث عن قرية الحنان التي قمت بتوقيع عقد الانشاء بالنسبة لها .. ثم اتطرق للحديث عن الحركات التبشيرية وما يتعلق بها لأهميتها وخطورتها في طعن الدين الاسلامي في القارة الافريقية .

○ **حول قرية الحنان يقول :**

● لقد قمت مؤخرا بتوقيع عقد انشاء هذه القرية النموذجية في السودان .. والفكرة في حد ذاتها اكبر من الكلمات الرنانة التي تعارف عليها علماء اللغة العربية .. القرية ستتسع لـ (١٠٠٠) طفل من الذكور والاناث .. السن المسموح به في بداية الالتحاق بالقرية يبدأ من الرابعة حتى الرابعة عشرة .. مناهج الدراسة وفق ما هو متبع في الدول العربية مع تكثيف شديد في تعليم اللغة العربية واصول الدين .. يحصل الطالب او الطالبة في نهاية المرحلة التعليمية على شهادة الابتدائية .

منظمة الدعوة الاسلامية

○ **وحول الهدف من بناء القرية يقول :**

● الملاحظ ان اطفال اللاجئين الاريتريين عامة يعانون من الأحوال الاجتماعية السيئة .. وتقوم الهيئات التبشيرية وسط هذه الحاجات والظروف المتدنية بالدخول وسط المعسكرات والعمل في حل العديد من المشاكل وتقديم الخدمات التي تجعل الأطفال يلتفون حول هذه الحركات التبشيرية ويلتصقون بها باعتبارها الصورة التي تقدم لهم ما يحلمون به من طعام وشراب وملابس وخدمات . ذلك يحدث ويتم في غياب تواجد اسلامي عربي داخل هذه المعسكرات .. علما بأن اغلبية الأطفال الذين يعيشون داخل هذه المخيمات من المسلمين ..

واقول ان انتشار هذه الحركات التبشيرية يتزايد داخل معسكرات المسلمين النازحين من جراء الحروب او الحرب الاثيوبية الاريترية .. وغيرها كاللاجئين الأوغنديين والتشاديين سواء في شرق السودان او جنوبها وغربها .

○ **يواصل حديثه قائلا :**

● المشكلة الآن ان بعض اللاجئين يجري تنصيرهم .. اي تحويلهم من الدين الاسلامي الى الدين المسيحي .. ذلك يحدث في غياب تواجد عربي يرتكز على خطط مناهضة

لما تقوم به جمعيات التبشير التي اصبحت كالاخطبوط داخل القارة الافريقية وفي هذه المناسبة اشيد تماما بالجهود التي قامت بها وما زالت تقوم بها الجمعية الثقافية النسائية في الكويت ومجلة اسرتي .. فقد كان للقائمات عليهما دور ايجابي ورائد في دخول هذه المناطق في السودان بزيارة مواقع اللاجئين الاريتريين .. ومن هنا كان التفكير في انشاء هذه القرية لخدمة الاطفال وتقديم كافة الخدمات لهم من غذاء وسكن وتعليم وعلاج كله بالمجان .. ونحمد الله ان هذا الجهد وذلك المجهود تم تتويجه بانشاء قرية الحنان .

○ **يقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :**

● لقد قمت بتوقيع عقد انشاء قرية الحنان نيابة عن الأخوات الفاضلات وبصفتي عضوا في مجلس امناء منظمة الدعوة الاسلامية التي انشئت في السودان وبعض الاخوة من الدول الافريقية ودول الخليج العربي . ان منظمة الدعوة الاسلامية ستقوم بتقديم الخدمات لجميع الاخوة اللاجئين في السودان وافريقيا على نفس المنوال الذي تقدمه الهيئات التبشيرية .

التبشير والمواصلات الحديثة

○ **وحول منظمة الدعوة الاسلامية يقول :**

● انها منظمة خيرية مقرها الخرطوم تعمل لمساعدة المحتاجين واللاجئين في افريقيا .. ولا شك ان التبرعات ستكون جزءا هاما من تزايد نشاطها .. انني اطالب الهلال الاحمر في كل بلد اسلامي وعربي ان يثبت وجوده في هذا المجال الاسلامي الخطير .. اننا نجد الهيئات ومجامع الكنائس وهيئات الصليب الاجنبية تعمل ليل نهار وتقدم كافة امكانياتها المادية والأدبية وغيرها من اجل نجاح المهمة التبشيرية في افريقيا .. وفي المقابل يجب ان تتكاتف الجهود في البلاد الاسلامية والعربية من اجل وضع استراتيجية مناهضة لدور الحركات التبشيرية .

○ **ويقول محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :**

● التبشير في افريقيا ليس جديدا .. انه قديم منذ مئات السنين .. ولكن الجديد فيه .. تطور استعمال المخترعات الحديثة باختصار اي فترة زمنية من اجل الوصول الى اي بقعة داخل افريقيا منعزلة عن وسائل الحضارة والمدنية .. على سبيل المثال لا الحصر نجد ان الهيئات التبشيرية تستعمل الطائرات العادية والعمودية والسيارات (الجيب) والدراجات النارية والدراجات الهوائية من اجل الوصول الى التجمعات السكانية .. يواصل حديثه قائلا :

● عندما يتم الوصول الى هذه التجمعات البشرية او داخل معسكرات اللاجئين (وغالبيتهم من المسلمين او بدون عقيدة يرتبطون بها) يكون هدفهم الأول دراسة احتياجاتهم .. ثم على الفور يجري تقديم كافة الخدمات التي يحتاجون اليها على سبيل المثال : تقدم لهم خدمات طبية بالمجان .. خدمات زراعية في زراعة انواع مفيدة من المحاصيل الزراعية .. خدمات بيطرية عن طريق علاج المواشي وزيادة ما تدره من البان .. لقد وصل الأمر في بعض المناطق الى بناء مدارس وكنائس ومشروعات مفيدة .. المواطن الافريقي في هذه الحالة لا يملك سوى الايمان بهم باعتبارهم مصدر رخاء وسعادة لهم .. وهذا هو بداية الطريق الى دخول التعاليم المسيحية داخل عقولهم ..

○ **يقول محمد ناصر الحمضان :**

● الخدمات التبشيرية في افريقيا لا تقف وحدها .. جميع المنظمات والهيئات في اوروبا وامريكا تقف خلفها .. تلبي حاجاتها واحتياجاتها .. وفي المقابل لا يوجد لنا دور مؤثر .. او بمعنى اخر وجودنا في حالة (صفر) او هو اكثر من ذلك بقليل جدا .

حل المشاكل

○ **وحول الطريقة المثلى (العصرية) التي يجب ان تسود ويجري اتباعها من جانب الدول الاسلامية والعربية للوقوف ضد الحركات التبشيرية والقيام بعمل اسلامي جماعي يقول :**

● اسلوب الدعوة الاسلامية داخل القارة الافريقية يجب ان يتغير انني اطالب بوجود الداعية (الواعظ) المسلم ووجود الطبيب والمهندس والطبيب البيطري .. اطالب ايضا بخدمات اجتماعية نسائية مكثفة .. انني اعتبر هؤلاء ايضا دعاة .. وهذا ما سنقوم به .. ونتبعه في منظمة الدعوة الاسلامية التي مقرها السودان الشقيق ..

○ **يختم حديثه بقوله :**

● ان دور الجمعية الثقافية النسائية الكويتية ومجلة اسرتي كان ومايزال رائدا في المجال الخيري الاسلامي انني ادعو جميع الهيئات والأفراد من المسلمين ان يقوموا باعمال مماثلة في ميادين مختلفة مثل بناء المدارس والمستوصفات والمساجد .. بل لا مانع من تقديم الماكينات والآلات الحديثة التي تساعد على الزراعة .. لأن مردودها سيعود على كل مسلم في القارة الافريقية ..

ان الحركات التبشيرية في القارة الافريقية تسير وفق استراتيجية عالمية .. ونحن يجب ان نتحرك وفق استراتيجية اسلامية عربية للوقوف ضد هذه الهجمة العالمية ضد الاسلام والمسلمين .

مع صحافة العالم

حقائق تكشفها الحرب اللبنانية

○ كم هي كثيرة تلك الأوهام والأكاذيب التي كشفها الغزو اليهودي للبنان والتي لا تزال وللأسف تعتلج وتعشعش في نفوس بعض أبنائنا وإخواننا العرب .

ومن أكبر هذه الأوهام اعتقاد بعضهم أن الاتحاد السوفياتي هو حليفنا وناصرنا في قضية فلسطين أولى القضايا العربية ، فهو وإن كان قد تعود أن يحل جميع مشكلاته وأزماته وتدخلاته في بقاع كثيرة من العالم بلغة القوة « التي أصبح العالم لا يعرف غيرها » إلا أنه في قضية العرب اقتصر علاجه على الطريقة العربية أي بالكلام فقط ، وذلك لأن الاتحاد السوفياتي لا يريد أن يكون عربيا أكثر من العرب ، فقد تعود هو على أن يقدم نصره الثمين إلى عمال العالم المسحوقين الذين يؤمنون بالاشتراكية العلمية وبصراع الطبقات كما يؤمنون بأن الاتحاد السوفياتي هو المخلص من هذا الصراع المرير ، ولكن يبدو أن الشعب العربي ليس من هذا النوع من المسحوقين .

كما كشف الغزو اليهودي ذلك الوهم الكبير الذي تعيشه بعض الأنظمة العربية في امكانية كسب اميركا او على الأقل تحييدها لأن زعيمة العالم الحر كما يسمونها تقبع تحت النفوذ اليهودي الاقتصادي والاعلامي والسياسي فاليهود يستبدلون رؤساء اميركا كما يستبدلون قبعاتهم والرؤساء يخافونهم ويغيرون مواقفهم تبعا لاهوائهم فهل تأمل زعماء هذه الأنظمة العربية الى تصريح « ريغان » الاخير حول الغزو حيث قال متلمسا العذر للغزاة : « انه يجب القضاء على الارهاب » أي العمل الفلسطيني . اما هيغ وزير الخارجية فقد صرح : « ان لاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها » . هكذا يفكر قادة الغرب او يهددون بأن قتل الابرياء من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وتدمير لبنان هو المصير المحتوم اذا لم تطرد المقاومة من لبنان كما طردت من باقي دول المواجهة .

وما قيل عن الولايات المتحدة يمكن ان يقال ايضا عن حلفائها الذين تعلق بعض العرب بحبال الأمل التي يرسلونها بين الحين والآخر فقد أثبت الغزو خرافة ما يسمى بالحل الأوروبي وإمكانية كسب تأييد أوروبا .

كما أثبت الغزو الخطورة الحقيقية للحلول السلمية مع اليهود الذين أخبرنا المولى عز وجل أنهم ينقضون العهد والميثاق ويقتلون الأنبياء ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأطماعهم في استغلال الشعوب الأخرى لا تقف عند حد « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » فكيف لعاقل أن يعتقد أن بامكان شعب مسلم أن يعيش بسلام مع دولة هذه هي صفاتها وأخلاقها .

كما كشف الغزو اليهودي للبنان ذلك الضعف المهين الذي يهيمن على الدول العربية وهو الذل الذي أخبرنا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم رغم ما تذيعه الأبواق الاعلامية من تقدم وقوة وكرامة،ذلك الذل الذي منع جميع الأنظمة العربية أن تطلق الرصاص على الغازي اليهودي .

فقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا تبايعتم بالعينية واخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلالا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم » . ولقد روى التاريخ أن المغولي كان يلقي المسلم في أبان حروب التتار فيقول له قف مكانك حتى أذهب أتي بسيفي لأقتلك فيقف المسلم حتى يأتي المغولي بسيفه ويقتله . ونحن نرى ذلك يحدث اليوم فرغم الهزائم في المعركة تلو الأخرى إلا أن الأمة العربية لا تتعلم وحكامها لا يتعظون فهم لا يعودون إلى تحكيم شرع الله ولا يعدون العدة لاستقبال الأعداء ولا ينشرون العدل والمساواة بين أفراد شعوبهم ولا يضعون المال الوفير الذي تجود به الأرض في مكانه المناسب

كما كشف الغزو لعبة المحاور التي تمارسها بعض الأنظمة العربية المتاجرة بالقضية الفلسطينية والتي تزعم أنها تتصدى للعدو الصهيوني وتصمد في وجهه بينما لم تفلح هي الأخرى فلم تحاول فعل الشيء اليسير في سبيل منع العار الذي يجري اليوم في لبنان .

كما يضع الغزو الكثير من علامات الاستفهام حول تلك التجمعات المسلحة في لبنان التي كانت تقاتل بعضها بعضا قبل الغزو ولكنها إكتفت بعد الغزو باذاعة البيانات الكاذبة عن وقوفها إلى جانب المقاومة وتصديها لقتال الغازين .

إن ما يحدث اليوم في لبنان إنما هو تعرية عامة لمسلك القائمين على شعوب هذه الأمة وثرواتها أمام العالم بأجمعه وسوف يكون وقوفهم أمام بارئهم أشد خزيا وأعظم إذا لم يعودوا إلى دينهم وينصروا إخوانهم ولله عاقبة الأمور .

عن جريدة الوطن الكويتية

التشريع الاسلامي

يعتقد البعض ان الشريعة الاسلامية لا توافق حال العصر الحاضر ، وانها انزلت لتوافق العصور الماضية ، لذلك رأيت ان ابين أحكام التشريع الاسلامي واثبت من خلالها أن الشريعة الاسلامية الغراء توافق كل زمان ومكان .

فالقرآن الكريم لم يأت قانونا مدنيا أو جنائيا أو دستوريا حتى ترد فيه جميع التفصيلات والشروح بل جاء دستورا عاما وشاملا ثابتا لا يتغير ولا يتبدل فجاء بقواعد ومبادىء عامة مجملة دون تعرض للتفصيلات والجزئيات لأن مصالح الناس وعلاقاتهم تتغير بتغير الزمان والحاجيات ، ولو جاء القرآن بالتفصيل والشرح لجميع أحكامه لوقع الناس في حرج شديد عندما تأتي أحكامه متلائمة مع عصر دون آخر وأعطى مثالا واحدا على ذلك كنظام الشورى في القرآن الذي ورد مجملا فلو جاءت احكام الشورى مفصلة وحدد القرآن طريقة الانتخاب وشروط الناخب وأهليته الى غير ذلك ، فإن ذلك قد يتلائم مع العصر الذي ورد فيه فيصطدم بعد مئات السنين مع عصور اخرى فترك القرآن التفاصيل للناس من أولى الأمر بعد ان حدد الغاية والهدف ليختار كل الناس ما يتناسب مع عصرهم لتحقيق مبدأ الشورى .

كما أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الاسلامي بل هناك مصدران اساسيان الى جانبه هما السنة النبوية الشريفة واجتهاد الفقهاء جاء بايجاد أحكام لوقائع لم يرد فيها نص في القرآن أو السنة على هدى من مبادىء القرآن والسنة ، لذلك تكونت المذاهب الفقهية المعروفة وحصل بينها بعض الخلاف وهذا الخلاف يعطي الفقه مرونة وتطورا ومسايرة للزمن كما ان الخلاف بين المذاهب الفقهية شبيهة بالخلاف بين فقهاء القانون وشراحه ولولا ذلك لرأينا جمودا في التشريع لا يتفق مع العقل وتطوره فكم من شراح اختلفوا في شروحهم والقانون واحد وكم من قضاة اختلفوا في أحكامهم والنص واحد .

فالتشريع الاسلامي تشريع كامل شامل تناول كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات منظمة لجميع شئون الدين والدنيا فأحكامه

تشتمل على العقائد كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر والعبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة وكل عمل خير يتقرب فيه العبد من ربه . كما اشتملت أحكام الشريعة الغراء على تنظيم شئون الحياة في جميع المجالات ألخصها فيما يلي :-

أولا : تشريع الاحوال الشخصية :

ويشمل الزواج والطلاق والنسب والحجر والوصية والميراث والنفقات وقد بلغت الآيات القرآنية حول ذلك - حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى:**(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** آية ٢١ من سورة الروم . **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)** آية ٢٢٨ من سورة البقرة . **(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)** آية ١٨٠ البقرة .. الخ .

ثانيا : التشريع المدني :-

وهو الذي يتعلق بالعقود والتصرفات من بيع وشراء ورهن وكفالة وقد بلغت الآيات التي تنظم علاقات الأفراد حوالي ٧٠ آية منها قوله تعالى في معاملة المدين المعسر **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)** آية ٢٨٠ من سورة البقرة . **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** آية ١٨٨ البقرة . **(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل)** البقرة/٢٨٢ **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** .

ثالثا : التشريع الجزائي - « القصاص والحدود والتعزير »

وهذا التشريع يتعلق بالجرائم والعقوبات وعدد الآيات حوالي ٣٠ آية كقوله تعالى :**(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)** . **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** .
آية ١٩٤ البقرة . **(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)** .**(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** آية ٨٥ النساء .

والتشريع الجزائي في الاسلام مقسم الى قسمين **الاول** جاءت أحكامه في القرآن بنصوص صريحة وقطعية وهي القصاص والحدود كحد السرقة وحد الزنا وحد القذف وحد قطع الطريق وأضافت السنة حد الشرب .

واهم مبدأ في تطبيق الحدود هو ان لا توجد شبهة لأن في الاسلام "المتهم بريء حتى يدان » وأكد ذلك الرسول الكريم بقوله « ادرأوا الحدود بالشبهات » لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ بالعقوبة .

أما النوع **الثاني** فهو التعزير وهو ترك أمر تقدير العقوبة لولي الامر لكل جريمة لم ينص عليها فيشرع المجتمع او الدولة الاحكام الزاجرة لها على هدى من مبادىء القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء .

رابعا : التشريع الدستوري :-

وهذا التشريع يتعلق بالحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم وبيان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وعدد الآيات في ذلك حوالي ١٠ آيات منها قوله تعالى **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾** آية ٣٨ من سورة الشورى .

﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ آية ٥٨ النساء . **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾**

خامسا : التشريع الدولي :-

كأحكام الحرب والمعاهدات والاسرى وعلاقة الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول والقرآن الكريم أول من أعلن مبدأ الكرامة والاخرة الانسانية بين الناس حيث قال تعالى **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ـ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** وقال الرسول الكريم « يا معشر قريش لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالانساب . » كم أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد حيث قال **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾** .

سادسا : التشريع المالي :-

وهذا التشريع ينظم واردات الدولة ونفقاتها وتنظيم علاقة الافراد مع الدولة وبناء التكامل الاجتماعي بين الافراد فلا فرق بين غني أو فقير أو شريف أو وضيع ومن آيات التشريع المالي قول الله تعالى: **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** آية ٤١ الانفال . **﴿وآتى المال على حبه﴾ ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** آية ١٠٣ التوبة . **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** آية ٢٠٤ القصص **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾** آية ٢٩ من سورة الاسراء .

كما اشتملت الشريعة الغراء على

مبادىء وقواعد تشريعية نص عليها في الكتاب والسنة بنصوص قاطعة ثابتة منها :ـ

١ ـ مبدأ الرضا في التصرفات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** .

٢ ـ مبدأ وجوب الوفاء بالالتزامات :ـ

ـ وجاء ذلك بقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)**(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) . كما قال الرسول الكريم « المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما او حرم حلال » .

٣ ـ مبدأ الجزاء على قدر العمل :ـ

ـ كقوله تعالى **(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) (ولكل درجات مما عملوا) (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون)** .

٤ ـ مبدأ شخصية العقوبة :ـ

ـ أي ان العقوبة لا توقع الا على شخص المجرم الذي ثبتت ادانته وثبت ذلك بقوله تعالى **(ولا تزر وازرة وزر اخرى)** .

(كل نفس بما كسبت رهينة) وقد اخذت بهذه القاعدة كافة التشريعات الجنائية الوضعية .

٥ ـ مبدأ المماثلة في الجزاء:

ـ كقوله تعالى :**(وجزاء سيئة سيئة مثلها) (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** .

وما هذه المبادىء والقواعد الا أمثلة لمئات المبادىء والقواعد التي وردت في القرآن أو السنة واستنبطها الفقهاء من أصولها التشريعية وبنوا عليها كثيرا من الاحكام .

تلك هي التشريعات التي وردت في شريعتنا الغراء فتناولت كل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة من تشريعات عامة وخاصة وهي تقابل بل تفوق بقيمتها التشريعية ما يعرف حاليا بالقوانين الوضعية كالقانون الدولي والقانون الدستوري والمدني والتجاري والجزائي . وها هم العلماء والمؤرخون الاجانب يشيدون بالشريعة فالعلامة شبرل عميد كلية الحقوق بفيينا يقول ان محمدا الذي تفتخر به البشرية بانتسابه اليها استطاع ان يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون نحن الاوروبيين اسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفي عام (الوعي الاسلامي عدد ٢٦)

ويقول المؤرخ الانجليزي ويلز ان الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية اينما سارت هي الديانة الاسلامية وان الاسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه وان أوروبا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها (مجلة الوعي الاسلامي عدد ٢٠) .

وقول الفيلسوف برناردشو ان الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان .

عن مجلة حماة الوطن الكويتية

بأقلام القراء

آداب الزيارة

اختار الأخ صلاح صالح يوسف خلقا اسلاميا من اخلاق الاسلام الرفيعة ليحدثنا عنه فقال لقد جاء الاسلام مبينا علاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، ولقد تداخلت هذه العلاقات بعضها ببعض مما ابعد غورها في ضمير الفرد المسلم :

فالعبادة علاقة بين الفرد وربه ، ولكنها تتشعب لتصل الفرد بالفرد والمجتمع من حوله فالصلاة مثلا علاقة متينة وصلة بالله ولكنها تعتبر منهاة للفرد عن المنكر الذي هو اعدى اعداء المجتمع .

والزكاة ، عبادة من العبادات ، ولكنها تمتد لتكون أرسى قواعد الاقتصاد الاسلامي .

ولقد نظم الاسلام حياة الانسان في كل مجالاتها ،

والنظم الاجتماعية من اهم مابين الاسلام ومن اهم هذه النظم والاخلاق الزيارة التي هي من اهم وسائل التألف والتعاطف فالارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وللزيارة في الاسلام آداب بينها القرآن ، وقد طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه واتباعه خير تطبيق .

قال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ٢٧ ـ ٢٩ النور »

لقد جاء الاسلام حقا ومقاوما للافات الاجتماعية لا معاقبا عليها ، فهو يقطع الطريق الى ما حرم فقد حرم الزنا فحرم مثيرات الشهوة كالنظر والسمع والتميع والرقص الماجن وما الى ذلك .

وهذه الايات تحفظ للمنازل حرمتها لما تحويه من اعراض ولانها ستر للعورات فلا ينبغي لها ان تكشف .

فالايات تبين انه على الزائر ان يعرف مدى رغبة المضيف بهذه الزيارة وهذه نقطة اولية .

اما الاستئذان فهو ستر للاعراض والعورات فالاستئناس والتسليم ، تفيد الاستئذان .

ولقد كانت هذه الايات بداية لتحول

كبير في طبيعة الزيارة عما كانت عليه في الجاهلية فقد وردت بعد نزولها احاديث نبوية كثيرة تفسر اداب الزيارة .

ويبين الحديث عدم جواز النظر الى داخل المنزل الذي يقصده الزائر قبل الاستئذان حتى ان كيفية الوقوف امام باب المنزل ورد فيها احاديث .

فعن هذيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب مستقبلا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك او هكذا فاني الاستئذان من النظر .

وعن عبدالله بن بسر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول : السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن الهستور .

وتوكيدا لحرمة المنازل ، وحفظا لعورات المسلمين ، وسترا للاعراض تتوالى النصائح النبوية حتى يأتي هذا التنفير الشديد من النظر .

(لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته - رميته - بحصاة ففقأت عينه ، ما كان عليك جناح) .

والسمع كالنظر ، فلا يحل استراق السمع لاناس دون علمهم فلا يحق لاعمى دخول منزل دون استئذان .

والاستئذان يشمل القريب والبعيد فعلى المرء ان يستأذن على امه واخواته والبنت على ابيها واخوانها .

فعن عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم (أأستأذن على امي ؟ قال « نعم » قال : « « انها ليس لي خادم غيري افأستأذن عليها كلما دخلت ؟ » قال : « اتحب ان تراها عريانة » قال الرجل : « لا » قال : « فاستأذن عليها » ابن جرير

وعلى الزائر ذكر اسمه اذا ما سأله صاحب الدار . والاستئذان يكون ثلاث مرات .

حيث قال صلى الله عليه وسلم :
« اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » البخاري ومسلم

« **واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم** »

اي بدون الشعور بالمهانة والبغض ، فلعل من تنوي زيارته مشغول بعمل لا يسمح له بمقابلتك .

ولا يعتبر الاذن من الصغير والمجنون ، بل يجب الاستئذان من كبير عاقل تعرف مسؤوليته في البيت

وعلى المسلم ان يختار الوقت المناسب للزيارة ، فلا تكون في وقت القيلولة مثلا ، حيث الناس في وقت راحتهم .

وبالنسبة للدعوة للزيارة فما ينبغي للمسلم رد دعوة اخيه المسلم بدون عذر .

وبالنسبة للمضيف عليه ان يكرم ضيفه ويلاقيه بالبشاشة والوجه الطلق .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق المسلم على المسلم ست :

★ اذا لقيته فسلم عليه .
★ واذا دعاك فاجبه
★ واذا استنصحك فانصحه .
★ واذا عطس فحمد الله فشمته

★ واذا مات فاتبعه » رواه مسلم

★ واذا مرض فعده هذا الحديث يحوي امورا اجتماعية تعود بالتعاطف والتراحم بين افراد المجتمع . ولا شك ان قبول الدعوة والزيارة يجلب الحب والتآلف الى القلوب . هذا بالنسبة للاداب التي يجب ان يتحلى بها الزائر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه » البخاري ومسلم

حتى ان على المضيف استقبال الزائر المسافر وتوفير المأكل والمنام له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)

« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ، قال : يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك صدقة »

البخاري ومسلم

ـ العيد والانسان ـ

للاستاذ / عبد الغني احمد ناجي

تشدو الخلائق أعذب الألحان ... فالعيد جاء ببهجة الانسان
كالواحة الخضراء في وجه اللظى ... تهب السرور لمدلج حيران
تمضي الشهور بعبئها وكأنها ... صحراء تلهب وارف الأزمان
حتي يجيء العيد في انواره ... وبهائه ، ومباهج الأكوان
يأتي النفوس بهالة ميمونة ... من بهجة الأرواح والأبدان
فيعيد للبشر المعنى جهده ... ونشاطه بعد الجهاد العاني
فيه الصفاء يعم آفاق النفو ... س فتغتدي كملائك الرحمن
« الله اكبر » للنفوس نشيدها ... نغم النفوس يصب في الآذان
الناس فيه تطهرت من حقدها ... واستروحت ظل الرضا الفينان
نبذوا الخلاف حفاوة وعبادة ... تركوا أوار البغض والشنآن
ما اروع الحب الذي غمر القلو ... ب بنوره في عيدها الجذلان
ما اروع اليوم الذي من سحره ... وجماله قرت به العينان
ما اروع الصفح الجميل يضمنا : ... قلب يصافح غيره ، ويدان

يـأيها العيد الجميل تحية ... من مسلمين اتوك بالاحسان
صاموا ، وصلوا للاله وكبروا ... مستلهمين الخير للأوطان
عبدوا الاله مخافة ومحبة ... هم ينشدون قوافي الرضوان
يا عيد عد عود الحبيب لخله ... فلعل فيك مهابط الغفران

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

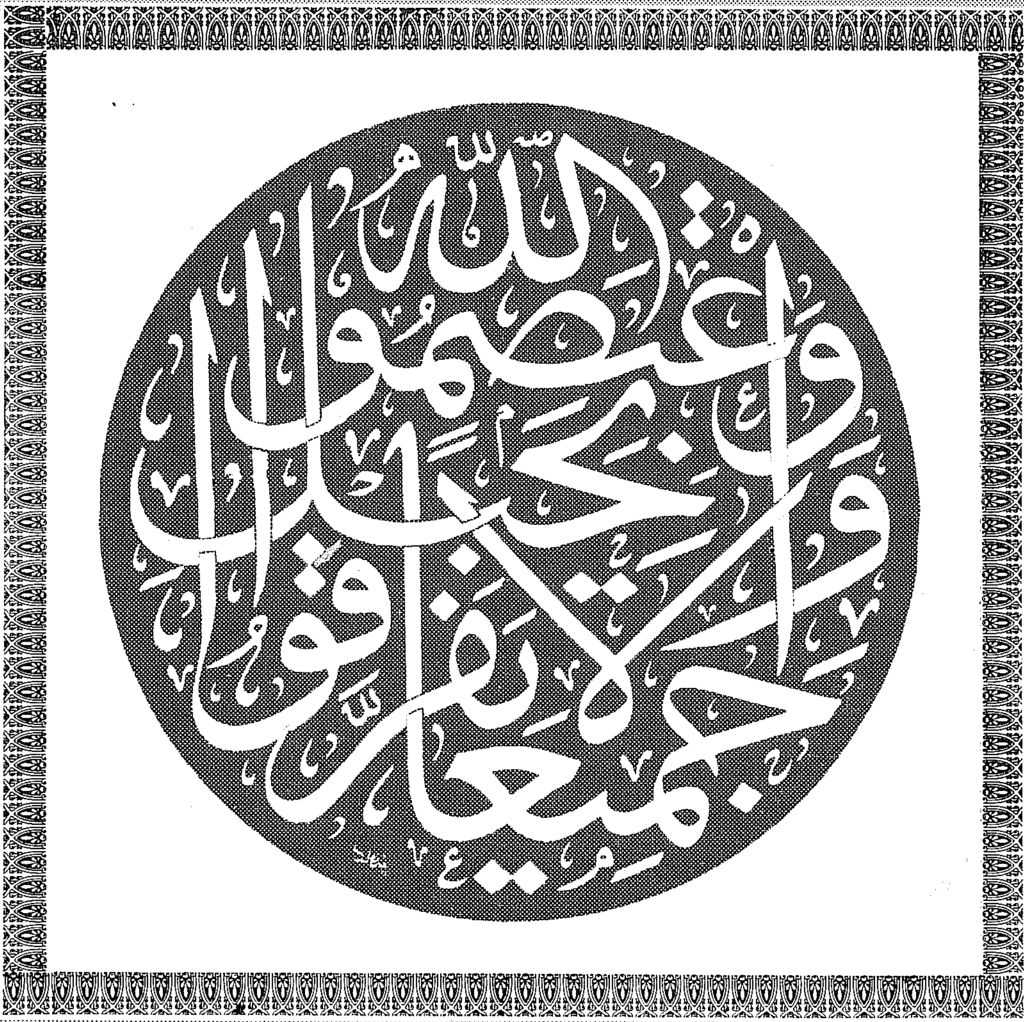
طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد : مجلة براعم الإيمان


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الاسلام والتربية النفسية

حاجة الامة الى التربية النفسية تفوق حاجتها الى قوة الابدان وكثرة الاموال ، فان قوة الأبدان من غير صحة نفسية قوة حيوانية لا تحقق خيرا ولا تدفع سوءا ، وكثرة الاموال لا تؤدي اثرا طيبا الا اذا كانت النفوس مهيأة لاستخدامها في البناء والتعمير ، واقامة العدالة الاجتماعية بين الناس ، واعداد القوة للأعداء .

ولا توجد اصول تقوم عليها التربية النفسية السليمة سوى الأصول التي اتى بها الاسلام ، فقد اقام امر الامة على الايمان بالله وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)

ودعا الى التآخي والتواد والتعاون على البر والتقوى . قال تعالى :
(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ..

واهتم بتربيتها على الشهامة والعزة والشدة على الاعداء ، والاستعداد الدائم للمفاجآت حتى تظل مهيبة الجانب ، لا يستطيع العدو ان ينال منها او يحط من كرامتها . قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** ..

كما اهتم بتربيتها على الصبر والمصابرة خلال المحن والخطوب فالله سبحانه يمتحن ايمان عباده بالبلاء صقلا لنفوسهم ، وتركيزا لوجودهم واظهارا للصادقين من الكاذبين .
قال تعالى : **(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)** .

وقال : **(لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)** .
وقال : **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** .

وامرها بالعدل حتى لا تضطرب شئونها ، وبالوفاء لمبادىء دينها حتى تسعد في حياتها .

وهذا الطريق الذي رسمه الاسلام لتربية الامة التي تؤمن به يجعل منها بنيانا واحدا ، متماسك الاجزاء ثابت الاركان ، قوي الدعائم ، فلا يستطيع اعداؤها ان يقتحموا حماها ، ولا ان ينالوا من عزتها وكرامتها .. ولذلك كان موطن اهتمام اعدائها دائما ان يعملوا على توهين هذا البناء بتفريق كلمة المسلمين ، واثارة الضغائن بينهم ، وبث روح الحقد والحسد في نفوسهم !!
والقرآن الكريم نبه على هذا وحذر من الوقوع فيه . قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد**

إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وقد نزلت هذه الآيات عقب فعلة منكرة قام بها يهودي خبيث يدعى (شاس بن قيس) فقد مضى على نفر من الانصار وهم متآلفون متحابون بعد ان نزع الاسلام ما كان في نفوسهم من احقاد وعداوات فغاظه ذلك ، واخذ يستدرجهم شيئا فشيئا الى ما كان بينهم من احداث في الجاهلية ، حتى أثار نفوسهم وتنادوا : السلاح السلاح !! وكادت كارثة الحرب ان تنزل بهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض اليهم يقول : (ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به واستنقذكم من الكفر والف بين قلوبكم) ؟

ففاء القوم الى رشدهم ، وعرفوا انها كيد عدوهم ، فعانق بعضهم بعضا باكين ، وانصرفوا مع رسول الله نادمين طائعين ، ونزل الوحي بالآيات السابقة لتكون دستور المسلمين الى يوم الدين .

وسياق تلك الآيات وسبب نزولها يرجحان ان المعنى : ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وكيف تتفرقون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض) اي لا ترجعوا بعدي مختلفين يضرب بعضكم وجوه بعض .

وعزوف المسلمين في هذا العصر عن هداية الله أدى بهم الى أن اختلفوا في تعاليم الدين خلاف جدل ومراء ، لا خلاف بحث واستهداء . فخفيت عليهم حقيقته ، وضاعت من بين ايديهم هدايته ، واصبحوا مسلمين بالأسماء والمواطن لا بالقلوب والأعمال .. والى ان اختلفوا في السياسة ، شيعا واحزابا . فذهبت ريحهم ، وتمكن العدو في بلادهم ، وضرب بعضهم

ببعض ، ووقف منهم ساخرا يرقب ـ في لهفة وشوق ـ نهايتهم !!..

وبهذا كفوه أمرهم ، وأراحوه من عناء جهادهم ، وفعلوا بأنفسهم ما لم يفعل بهم الخصوم .. قللوا العدد ، وأوهنوا الجلد ، وأصبحت دنياهم ذلة وخصاما ، وآخرتهم تبعات جساما !!

فالى متى والزمن يدور ويجري .. والفرص تسنح وتمضي ؟؟

ألم يأن لنا أن نعتصم بالله فنستمسك بديننا الحنيف ، ونخرج حب الكفار والمنافقين من قلوبنا ليسلم لنا وطننا ومقدساتنا ؟

ألم يأن لنا أن نتخلى عن حب الظهور ورذيلة الحسد لنشق طريقنا الى العزة في تواضع لله وتراحم فيما بيننا ، وايثار يشملنا خيره وتعمنا بركته ؟

لقد آن الأوان لأن نأخذ العبرة من تاريخنا ، ونسير على طريق النور والعدل والوحدة على الحق .. طريق الله الذي له ما في السموات وما في الارض واليه تصير الامور .

ان وحي الله ـ من كتاب وسنة ـ يهدينا سواء السبيل ويخرجنا من الظلمات الى النور (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) .

وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه بيان واضح لطريق الاعتصام بالله ، وطريق التعامل فيما بيننا ، وطريق التعامل مع أعدائنا ، قال تعالى : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**) ..

والله تعالى ينصر من ينصر دينه وهو القوي الغالب على أمره : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) .

نسأل الله ان يهدينا سواء السبيل .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

معالم الكمالات الإنسانية في

(١)

خلق الله البشر من تراب ، ونفخ فيهم من روحه قبسا به كانت حياتهم ، وعن طريقه استقرت في أعماقهم تطلعات علوية تنزع بهم نحو الكمال في مقاومة مستمرة للخلود والى عنصر الأرض الذي خلقوا منه .

وعلى مر العصور لم تنطفىء لهذه التطلعات جذوة ، وإنما كانت نارها تخبو فترة وتتوهج فترات ، وكانت الرسالات السماوية بفضل الله ورحمته بعباده تلبي حاجة البشر في تطلعاتهم ، فتدعوهم الى هدى الله في أسمى صور الكمال ، وتبين لهم الطريق الصحيح الى سلوكه ، فمنهم من لا يغمط نزعة الكمال عنده حقها ، فيفرح بهذا الهدى ويتبع الرسل ، ومنهم من كان يخلد

تصوير القرآن الكريم

للدكتور / محمد السيد جبريل

الى الارض ويتبع هواه .

وإذا كان هذا دأب البشر في الأزمان الماضية ، فإنهم في هذا العصر أشد احتياجا الى إشعال هذه الجذوة في قلوبهم وتحريك هذه النزعة في نفوسهم ، فلقد قطعت الحضارة المادية شوطا بعيدا ، ولكنها خلفت وراءها تراكمات هائلة من شهوات الحس بكل ألوانه وصوره ، حالت بشدة دون مواصلة الانسان تطلعاته السامية ، وتركته لا يلقى اهتماما إلا إلى تحقيق متطلبات وتحصيل ما يعينه على ذلك من وسائل مهما كان لونها أو طبيعتها .

ولكن التركيبة الانسانية نفسها لم يسعدها هذا الكم الهائل من وسائل الاشباع الجسدي المندفع ، فالنفحة الالهية في الانسانية بطبيعتها الدافعة الى السمو ، لا ينفصل أثرها عن الجسد الانساني طالما بقيت فيه حياة ، ولهذا السبب نفسه ، وفي خضم ما حققه الانسان في مجال المادة جأرت الأصوات بالشكوى من جراء ما حاق بالنفوس من تخريب وبالقيم من

تصدع وانهيار وبالعلاقات الاجتماعية من تمزق وبالأرض عموما من شرور ومفاسد ومظالم أغرقتها في طوفان من الدم .

ـ ٢ ـ

ولا يحتاج العقل الى عناء ليدرك أن الكمال الانساني الذي ينزع اليه البشر ـ والذي نعنيه في هذا البحث ـ ليس ضربا من الترف الذي يمكن الاستغناء عنه والحياة بدونه ، لما ينبىء عنه الاسم من زيادة عن الحد اللازم ، ولكنه الكمال الذي يقابل النقص وعدم التمام فيما يعتقده الانسان أو يقوله أو يعمله ، وعليه فإن معرفة حقيقته وبيان سبيله تمهيدا لاستئناف إشاعته ونشره أمر لا مفر منه ولا يغني عنه علاج آخر .

وربما فهم من السطور السابقة أن تحقيق هذا الكمال لا يتم إلا على حساب الجانب المادي وأنه لكي يرقى الانسان لا بد له من أن ينحي الأمور المادية جانبا فلا يجهد نفسه في سبيل التقدم في مجالها .

ونبادر فنقول : إن شيئا من ذلك ليس مقصودا ، ولكن المقصود هو جعل هذه الحضارة المادية مظهرا من مظاهر الكمال ، وذلك لن يحدث الا بإقامة صرحها على أساس متين من القيم التي تراعى متطلبات النفس كما تراعى متطلبات الجسد ، وتجعل كل هدفها اسعاد البشر جميعا ونشر السلام والمحبة والرخاء والتعاون بينهم ، وبعبارة أخرى : فإنه لن تسلم للأنسان حياة نظيفة ، ولن يخلص له استمتاع بأي لون من التقدم الا إذا وضحت معالم الكمال في أرجاء حياته كلها : اعتقادا صحيحا ، وتعاملا طيبا ، ونفسا صافية .

ـ ٣ ـ

إن ذلك توازن جوهري لا تستقيم الحياة بدونه ، وواضح من نمط الحياة وسيرها الآن أن هذا التوازن مفقود فما هو السبيل إلى إعادته ؟

الحق أن مهمة إعادة هذا التوازن إلى حياة البشر لا تقع على عاتق أحد كما تقع على عاتق المسلمين ، فهم وحدهم الذين يستطيعون ـ بما عندهم من قرآن استحفظوا عليه وسنة أمروا باتباعها ـ أن يعيدوا هذا التوازن في أسمى صوره ، وأن يحققوا الكمال الانساني بأمثل أسلوب لو أنهم قدموا منهج الاسلام : علما واضحا ، وسلوكا طيبا ، وكذلك تطبيقا دائما ، وما ذلك الأمر ببعيد .

فلقد قرر القرآن الكريم أسس الحياة الصحيحة ، ولفت الانظار الى الأقوم والأفضل في كل مجالاتها ، ووجه الاهتمام الاكبر الى محورها الأساسي

وهو الانسان الذي خلقه الله واستخلفه في الأرض ليعمرها بالخير والنماء والحب والسلام ، فرسم له صورة تبدو فيها معالم الشخصية الانسانية كما أرادها الخالق سبحانه أن تكون .

ولأهمية هذه الصورة الانسانية بمعالمها الواضحة فقد أبرزها القرآن ، كاملة في آية واحدة من أشمل آياته جمعت أطراف الكمال الانساني في كل المجالات ، وجعل البر عنوانا لها وسماها المفسرون باسمه .

يقول الله تبارك وتعالى :(**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) البقرة / ١٧٧

○ بين يدي الآية :

المشهور في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت ردا على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكانوا قد أكثروا القول بعد تحويل القبلة من بيت المقدس في الشام الى البيت الحرام في مكة استجابة من الله تعالى لرسوله الكريم الذي مكث بعد قدومه المدينة يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا ـ كما ذكر البخاري ـ وهو يتطلع الى الاتجاه الى البيت الحرام في مكة ، وعلم الله تعالى ذلك منه فلبى هذا الشوق الكريم عنده في قوله سبحانه : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة / ١٤٤

والمراد أنه ليس لأي فريق أن يعتقد حقية ما هو عليه في مواجهة تشريع جديد من الله تعالى ، فإن اليهود كانت تصلي ـ قبل المغرب ـ الى بيت المقدس من أفق مكة ، والنصارى ـ قبل المشرق ـ وادعت كل طائفة حصر البر على قبلتها ، ولما حولت القبلة كثر الخوض والتشكيك في هذا التحويل ، والمقصود من ورائه التشكيك فيما عليه المسلمون من دين بصفة عامة فنزلت الآية للرد عليهم في هذا المجال .

على أن الواحدى وغيره قد ذكر سببا آخر لنزول الآية ، فقد روى عن قتادة قوله « ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله تعالى هذه الآية (**ليس البر أن تولوا وجوهكم ـ الآية**) قال : وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فأنزل الله تعالى هذه الآية » أسباب النزول ص ٣٣

ونحن نميل الى الأخذ بالسبب الأول ، لا لكونه مشهورا فحسب ، ولكن لأن جو الآيات السابقة كلها وموضوع الحديث فيها يؤكد رجحانه ، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نأخذ من مطلع الآية منهجا يصحح للبشر كثيرا من مفاهيمهم فكرا وسلوكا .

وبيان ذلك : أن طالب الحق أو قاصد الخير يجب ان تنصرف همته الى تحصيل بغيته من الفضائل والكمالات إذا اتضح طريقها ، لا أن يتوقف ليجادل في أمر لا يملك الحكم فيه بصواب أو خطأ ، فتوجيه الخلق الى طرائق العبادة ووجهتها أمر لا يملكه بشر وإنما هو من اختصاص المعبود وحده وهو الله عز وجل ، فلله سبحانه أن يتعبد الخلق بما شاء وكيف شاء ، وأن يوجههم في ذلك ان شاء ، وفي مقابلة ما أثاره أهل الكتاب من جدل عند تحويل القبلة يبين الله تعالى لهم من خلال هذه الآية : ان البر أو الايمان أو الخير ليس في التوجه الى هذا المكان أو ذاك ولكنه تحقيق أركان العقيدة الصحيحة في المعبود ، أما التوجه فهو أمر الهي محض فالمشرق والمغرب وكل الجهات والأمكنة والأزمنة ملك لله وحده ، وهي تستوي كلها بالنسبة له سبحانه في توجيه العباد اليها ، يقول تعالى : (**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم**)البقرة / ١١٥ ولذلك كان الجدل في هذه القضية فوق أنه منازعة لله تعالى في اختصاصه بالتشريع ـ مضيعة للوقت وإهدار للأهم في سبيل التمسك بما ليس مهما . إن هداية الآية في هذا الصدد لا تقتصر على سبب نزولها فقط ، وينبغي على المتعلم منها أن يفهم ذلك فينقل هذه القاعدة من دائرة السبب الخاص ليطبقها في كل مجالات الحياة ، ويرسى لنفسه ولغيره مبدأ الاهتمام بالأنفع والأجدى وتحقيق ما افترض عليه ، ويبعد نفسه عن طرائق الجدل وضروب السفسطة في أمر ليس من شأنه من جهة ، ولا يعود عليه بالنفع من جهة أخرى .

ـ ٤ ـ

والآية بعد ذلك تبرز الكمالات الانسانية في جوانب ثلاثة تنتظم حياة الانسان كلها فيما يتعلق بعلاقته مع ربه ، وفيما يتعلق بوضعه في مجتمعه وعلاقته بأفراد هذا المجتمع ، وفيما يتعلق ببناء شخصيته وإصلاح نفسه وشأنه .

○ إنها أولا تبرز هذه الكمالات في جانب : صحة الاعتقاد .

وهي تتمثل في تحقيق خمسة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**)

وهي أصول الايمان الخمسة ، والحديث عن الايمان بهذه الأصول ينبغي ألا يسير في نمط تقليدي يهدف في النهاية الى تقريرها وإقامة الأدلة عليها على

طريقة علم الكلام ، وإنما ينبغي أن يرتبط في تقريرها بإصلاح واقع الحياة ، وأن يجعلها هدفا يقصد في كل ما يأتي الانسان وما يذر من واقع الحياة اليومية .

إن أول هذه الأصول هو الايمان بالله تعالى .

والايمان بالله تعالى ـ في بساطة ودون تعقيد ـ يعني أن يعتقد الانسان ـ على سبيل اليقين والقطع ـ أن لهذا الكون ربا خالقا والها معبودا ، وأن ينسب لهذا الرب الخالق والاله المعبود كل صفات الكمال ، وينزهه عن كل نقص ومشابهة لخلقه ، وهذا هو جوهر عقيدة الألوهية في الديانة الاسلامية التي هي في الحقيقة جوهر كل دعوة جاء بها الأنبياء والرسل دون تحريف ولا تغيير .

إن أصول الايمان في العقيدة الاسلامية ـ خاصة تلك التي يطلب من الانسان أن يؤمن بها دون أن يرى معظمها ـ تمتاز بالبساطة وعدم التعقيد ، فالله في هذه العقيدة : واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله . والدعوة الى قضية الألوهية في القرآن الكريم تقوم على أساس اعتبار قضية وجود الله تعالى قضية محسومة لا محل للجدل فيها ، وإنما توفرت أغراض الأدلة التي وردت فيه على إثبات الوحدانية وليست الوحدانية مطلقا بل وحدانية الألوهية أي اعتقاد أنه لا ينبغي أن يعبد مع الله تعالى أحد سواه .

لقد كان العرب عند نزول القرآن يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته وخلقه للكون وحكى القرآن ذلك عنهم في أكثر من موضع ، يقول الله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) ٦١/ العنكبوت :(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)العنكبوت/٦٣ ويقول سبحانه :(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) الزمر / ٣٨

وبالرغم من ذلك لم يعتبرهم القرآن مؤمنين ، ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم بهذا النوع من التوحيد وإنما دعاهم الى التوحيد الكامل لله ربا خالقا وإلها معبودا ، والى ذلك يشير قول الله تعالى :(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)الكهف / ١١٠وإليه يشير أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل :« يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال : أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ألا يعذبهم » رواه البخاري

والتوحيد بهذه الصورة الكاملة التي جاء بها الاسلام يضع الانسان في إطار العبودية الصحيحة لله عز وجل ويجعل مفاهيمه كلها في ممارسته لحياته تسير وفق هذا المبدأ ، فكل عمل يقوم به سوف يكون ابتغاء وجه الله ، لا عبادة الا لله ، ولا خوف الا من الله ، ولا تعظيم الا لله ، وبهذه العقيدة القوية تتغلغل جذور العزة في نفس المؤمن فلا ينافق أحدا لأنه يعلم أن النافع والضار هو الله ، ولا يغش ولا يخون لأنه يعلم ان الله مطلع عليه ، ولا يقصر في واجب لأنه يعلم أن العمل عبادة يؤجر عليها ، وبالجملة فإن الايمان الحقيقي بالله الواحد الخالق المعبود يقيم موازين الحياة على خط مستقيم لا تميل معه ولا تحيد .

● الأصل الثاني من أصول العقيدة : هو الايمان باليوم الآخر .

وقد جاء ترتيب الايمان بهذا الأصل عقب الايمان بالله تعالى في معظم آيات القرآن إشارة الى الايمان بالمبدأ الذي لا شيء قبله ، والمعاد الذي لا موت بعده ، فالايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الذي صدر عنه هذا الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي اليه هذا الوجود ، وما ينتظر الجميع فيه من حساب وجزاء نعيما للمؤمنين وعذابا للكافرين .

إن الايمان باليوم الآخر ـ إلى جانب أنه ركن أساسي لا يتم الايمان بدونه ـ هو ضرورة لازمة لا تستقيم الحياة بدونه أيضا .

إنه ضرورة يقتضيها تحقيق العدل الذي قد لا يتم في الدنيا بصورة قاطعة في مجال الصراع بين الخير والشر ، وإظهار بطلان ما عليه أنصار الالحاد ، وقد نص القرآن على ذلك : **(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين)** النحل / ٣٨ و ٣٩

وهو ضرورة تقتضيها الحكمة الالهية من خلق الانسان الذي خلق لعبادة الله تعالى وعمارة الأرض ، وسوف يحاسب على أداء هذا التكليف ، ولقد خلق الله تعالى في الانسان خاصية التفكير والنظر في عواقب الأمور ليطلعه على ما أعده له وراء هذه الحياة الفانية من الدار الآخرة الباقية ، ولم يكله الى هذه الخاصية وحدها ، ولكنه ألح وصرح له بأنه لم يخلقه عبثا ، يقول تعالى مقررا هذه الحقيقة : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** المؤمنون / ١١٥ و ١١٦

وهو أيضا ضرورة لتربية الوازع الوجداني في الانسان ، لأن حياة البشر تتأرجح بهم بين الخير والشر ، ومشكلة السلوك الانساني منذ الأزل تتمثل في إيجاد طريقة لحمل البشر على طريق الخير والصواب وابعادهم عن طريق الشر والخطأ ، وعلى طول مسيرة التاريخ الانساني وضعت للجماعات قوانين يعيش الناس بمقتضاها ، ولكن هذه القوانين لم تخل من كثير من النقص

والقصور في أية مرحلة من المراحل ، لأنها تفتقر الى الوازع الداخلي الذي يدفع الى الخير ويحول دون الشر ، وهذا الوازع لا يربيه شيء سوى الايمان باليوم الآخر ، وعندئذ سوف تكون حراسة هذا الوازع الوجداني للانسان مستمرة بالليل والنهار ، في السر والعلن ، لأن الخشية عندئذ تكون من الله المطلع على كل خفايا الانسان والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهذه الحراسة المستمرة التي تعين الانسان على سلوك سبيل الخير دائما تؤتى ثمارها لأنها واءمت طبيعة الانسان الذي يطمع في النعيم ويرغب فيه ، ويخشى العذاب ويرهبه .. وأي عذاب .. عذاب الآخرة الشديد الذي لا ينجو منه آثم ،وبهذا يدخل الايمان بالآخرة واقع الحياة ليحيلها الى مثالية في العمل والسلوك ، وبدونه كانت تبدو بعيدة المنال .

● الأصل الثالث : هو الايمان بملائكة الله .

وأنهم خلق لله ذوات طبيعة مغايرة لطبيعة الانسان ، تتم أعمالهم كلها في اطار قوله تعالى :(**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)التحريم / ٦

أما هذه الأعمال فهي كما بينها القرآن ووضحتها السنة النبوية الشريفة تتمثل ـ على الاجمال ـ في :

○ التسبيح والخضوع التام لله سبحانه :(**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)الأعراف / ٢٠٦

○ والنزول بالوحي :(**قل نزله روح القدس من ربك بالحق**)النحل / ١٠٢

○ وتدبير أمور الكون من إرسال الرياح ، وسوق السحاب ، وإنزال المطر ، وانبات النبات ونحو ذلك من الأعمال .

○ وتسجيل أعمال الانسان خيرها وشرها :(**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق / ١٨:(**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**)الانفطار / ١٠ ـ ١٢

○ وصلاتهم على المؤمنين :(**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**)الاحزاب / ٤٣

○ وحفظ الانسان بالليل والنهار ، وحضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم :« فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» رواه البخاري

○ ونزولهم عند قراءة القرآن ، واستماعهم اليه ، وتأمينهم مع المصلين ، واعلانهم عمن يحبه الله تعالى وعمن يبغضه ، وتثبيتهم المؤمنين ، وقبض الأرواح ، وتحية الطيبين وبشارتهم بالجنة .

فمن صميم الايمان الاعتقاد بأن ذلك كله حق لا ريب فيه ، وان لم يره الانسان فانه يدرك أثره ، وهم بهذا يلازمون الانسان في كل لحظاته ،

ومراعاتهم واكرام صحبتهم واجبة ، وهو ما يجعل واقع الانسان قائما على أساس من الخشية لله والتفكير في العمل قبل فعله ، وتحرى الخير في كل عمل حتى لا يسجل عليه شرا يحيل صحائفه الى سواد كأنها قدت من ظلمة والعياذ بالله .

● الأصل الرابع : الايمان بالكتب السماوية وأنها من عند الله أنزلها على رسله .

والذي يؤمن بالقرآن هو في الحقيقة مؤمن بها جميعا لأن الله تعالى قال عنه :(**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**)المائدة / ٤٨

فتعاليم القرآن هي كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله تعالى لها البقاء والخلود ، فصانها من التحريف والتبديل .

ويبين العلامة الألوسي أن لفظ الكتاب يشمل جميع الكتب ، وإذا أريد القرآن صح المعنى لأنه يهيمن عليها ، فيقول ما نصه : « والكتاب » أي جنسه فيشمل جميع الكتب الالهية لأن البر : الايمان بجميعها وهو الظاهر الموافق لقرينه ، ولما ورد في الحديث : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » أو القرآن لأنه المقصود بالدعوة والكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا ، والايمان به إيمان بجميع الكتب لكونه مصدقا لما بين يديه » روح المعاني حـ ٢ ص ٤٥

الأصل الخامس : هو الايمان بجميع النبيين المرسلين .

وأن الله تعالى أرسلهم إلى عباده يدعونهم الى عبادته سبحانه ، وإقامة دينه ، وتأدية فرائضه ، وأنهم قد بلغوا رسالاتهم ، وأدوا أمانتهم ، ولم يفرطوا في شيء منها ، وكانوا قدوة لأقوالهم فيما دعوا اليه من عبادات وأخلاق وعقائد وشرائع ، وأنهم جميعا اتفقوا في الدعوة الى هذه الاصول الخمسة السابقة .

يقول الله تعالى : (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)النحل / ٣٦

ويقول عز وجل :(**إنا أرسلناك بالحق بشيرا و نذيرا وإن من أمة الا خلا فيها نذير**) فاطر / ٢٤

ويقول سبحانه :(**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣

والايمان كذلك بأنهم معصومون منزهون عن السيئات والمعاصي كبيرها وصغيرها أمناء في تبليغ كل ما في رسالاتهم لا يخونون ولا يغشون أقوامهم ، ولا يخفون عنهم شيئا ، ولا يهادنونهم في باطل ، ولا يسارعون في هواهم .

والايمان كذلك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمهم ، لا يأتي بعده

نبي ورسالته خاتمة الرسالات ، والقرآن خاتم الكتب ، وأن الله قد أتم به الدين ، وأكمل به النعمة صلوات الله وسلامه عليه .

وذلك الايمان إذا اتصل بواقع الحياة جمع الناس على كلمة سواء لا يختلفون ولا يتشاحنون ، فالحق واضح والحجة ناصعة .

بهذه الاصول الخمسة يصح اعتقاد الانسان ، ويحقق كمالات نفسه في هذا الجانب ، وهو أولى الجوانب بتحصيل الكمال فيه ، فعلى أساسه يقوم البناء الانساني ، وبسلامته تستقيم الحياة .

○ وتنتقل الآية ثانيا لتبرز الكمالات الانسانية في جانب : حسن معاشرة العباد .

فمن المعروف أن أسلم المجتمعات بناء هو الذي يقوم صرحه على قاعدة قوية من التكافل الاجتماعي بين أفراده ، فيرعى بعضهم بعضا ، ويتعاونون فيما بينهم على ما فيه خير المجتمع واسعاد كل طوائفه .

ومن بين كل المجتمعات ينفرد المجتمع الاسلامي بضرب المثل وتحقيق أسمى الصور في هذا المجال ، فبناؤه يقوم على قواعد عامة تتمثل في الرحمة ، ليست الرحمة الخاصة بالأهل أو الأقارب أو الجيران فحسب ، ولكنها الرحمة العامة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم تجسيدا حيا لها في حياته كلها ، بل ما بعث الا بها :(**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء / ١٠٧ وهو القائل يبين أساس البناء الاجتماعي في الاسلام : «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه .

ومن قواعد هذا البناء أيضا : التعاون :(**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**) المائدة / ٢ والتناصح : يقول عليه الصلاة والسلام : «الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، وكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم» رواه مسلم. والتآخي والمحبة والصفاء : يقول الله تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات / ١٠. ويقول صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه. ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام : «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم.

ثم إن هذه المبادىء كلها يحيطها إطار من التكافل الاجتماعي الذي يطالب المسلم فيه ببذل العون كاملا للمحتاج اليه ، وآية البر التي معنا قد أرست هذا المبدأ متمثلا في إبراز كمالات النفس في حسن معاشرة العباد ، ومكان ذلك فيها قوله تعالى :(**وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى**

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) ويرجح المفسرون أن المقصود هنا صدقة التطوع لأن الآية نفسها بعد ألفاظ معدودة سوف تذكر الزكاة المفروضة صراحة ، وانما المسألة هنا بذل العون للمحتاج ما دام الانسان مستطيعا من غير وقوف عند فرض أو تقيد بنصاب ، لأنه يرى أن عليه التزاما تجاه أفراد المجتمع ـ وهم إخوته ـ ينبغي ان يؤديه .

والمسلم يتميز عن غيره في نظرته الى المال ، فالمسألة الاقتصادية عنده محاطة بأصول ينبغي ان تراعى ، فهو يستجلب الرزق بطاعة الله ، ويتحرى في ذلك الحلال ، وإذا كانت الأمم السابقة قد نصحت باستجلاب الرزق عن هذا الطريق فلم تنتصح ، فإن المسلم يحقق هذا الارشاد وقد أقره القرآن ، يقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام :(**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**) نوح / ١٠ ـ ١٢ ويقول سبحانه :(**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)الأعراف / ٩٦ ويقول أيضا : (**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**) المائدة / ٦٦

ثم إن المسلم إذا جاء الرزق عرف أولا : أن الله تعالى هو واهبه ومانحه ولو شاء أخذه أو أباده وترك الناس في شقاء : (**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**)الملك / ٣٠ (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون.بل نحن محرومون**)الواقعة / ٦٣ ـ ٦٧

★ وعرف ثانيا : دوره بالنسبة لهذا الرزق :(**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**)الحديد / ٧

★ وعرف ثالثا : وظيفة هذا المال عموما ، وأنه ينبغي أن يجعل في أيدي تعرف هذه الوظيفة :(**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**)النساء / ٥

★ وعرف أخيرا حق الفقراء فيه : (**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)المعارج / ٢٤ و ٢٥

من أجل ذلك كله أبرزت الآية معالم الكمالات الانسانية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض ، وبينت أن الفرد في هذا المجتمع لا يمنعه حبه لمال حصله بكد ونصب ، ودخل ملكه ، وأصبحت النفس شحيحة به ـ أن يبذله تطوعا لمن هو في حاجة اليه من : ذوى قرباه ، يقول صلى الله عليه وسلم : «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن

ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» رواه البخاري

● واليتامى ، قال تعالى : (**فأما اليتيم فلا تقهر**)الضحى / ٩ وقال عليه الصلاة والسلام : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» رواه البخاري وأشار صلى الله عليه وسلم بالسبابة والوسطى وفرج بينهما دليل على رفعة منزلة من يفعل ذلك .

● والمساكين ، قال عزوجل : (**فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة**)البلد / ١١ ـ ١٦ وقال سبحانه أيضا :(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) الانسان / ٨ وقال عليه الصلاة والسلام : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» قال الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه : وأحسبه قال : وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر» متفق عليه .

● وابن السبيل : الذي انقطعت به الطريق وحالت ظروف سفره بينه وبين ما قد يكون له من مال في بلده : «ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة» متفق عليه

● والسائلين : يقول الله تعالى لرسوله الكريم يوصيه بالسائل : (**وأما السائل فلا تنهر**)الضحى / ١٠

● وفي الرقاب : أي في تخليص الرقاب وفكاكها بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها ، والرقبة مجاز عن الشخص كما هو معروف .

على أن ذلك كله ينبغى ان يتم في جو من الاعتقاد بأن الانسان مهما فعل فإن نعمة الله عليه غامرة ، وأنه بهذا الانفاق إنما يقوم ببعض الشكر لهذه النعم الالهية .

إن حقا على كل مسلم اليوم كما كان حقا عليه في كل وقت أن لا يقتصر على نظرة الاعجاب أو عزة الفخار بهذا المنهج القرآني في معالجة قضايا المال في الحياة ، ولكن ينبغي عليه أن يتجاوز ذلك الى تطبيق هذا المنهج في واقع الحياة ، فإنه بذلك يساهم في بناء المجتمع على الصورة التي أرادها الاسلام ، ويشارك أيضا في إبراز هذه الكمالات الانسانية عند كل فرد مؤمن .

○ ثم تنتقل آية البر أخيرا : لتصور معالم الكمالات الانسانية فيما يتعلق بتهذيب النفس

وذلك يتحقق بأربعة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**)

لكن قبل بيان هذه الأمور يجدر بالمسلم أن يعرف أن ما افترضه الله تعالى

عليه من عبادات إنما شرع من أجل العابد ولمصلحته من : تهذيب نفس وصفاء سريرة واعتدال سلوك وتقويم طباع ، أما الخالق المعبود سبحانه فإنه غني عن ذلك كله ، لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة ، وقد ورد في الحديث القدسي : (يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل في البحر ، يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرافليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) رواه مسلم .

إقام الصلاة :

وتطبيقا لهذه القاعدة الالهية تسوق الآية في مفتتح كمالات الانسان ـ لتهذيب نفسه ـ اقامة الصلاة ، ومكانة الصلاة في الدين غير منكورة ، فهي عماده وأساس بنائه ، ومخ عباداته ، انها حياة القلوب وجلاء الابصار وطهارة الابدان وحرب الشيطان ، لذلك اهتم القرآن بشأنها أعظم اهتمام ، وتابعه في التوصية بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويكفي لايضاح ذلك ذكر طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ففي القرآن : يبين الله تعالى أنه أمر بها الأنبياء السابقين قبل أن يفرضها على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فإبراهيم عليه السلام يقول : **(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)** ابراهيم / ٤٠ واسماعيل عليه السلام يحكي عنه القرآن اهتمامه بشأنها : **(وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)** مريم / ٥٥ وموسى عليه السلام يتلقى الأمر من ربه بإقامتها : **(وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي . إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى)** طه / ١٣ و ١٤ وخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم يقول له رب العزة : **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)** طه / ١٣٢ ويقول له أيضا : **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت / ٤٥

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالحفاظ عليها وأدائها مقومة خاشعة ، فيقول : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا)** المزمل / ٢٠ ويقول أيضا : **(قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون)** المؤمنون / ١ و ٢ ثم يبين سبحانه أن إضاعتها تكون مقدمة للغرق في خضم الشهوات وبالتالي تورث أوخم العواقب : **(فخلف من**

بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)مريم / ٥٩

وفي السنة النبوية المطهرة : يعطي الرسول عليه الصلاة والسلام للصلاة قدرها من التوصية بها والاهتمام بشأنها ، فيبين أنها تغسل خطايا العبد المتوالية : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل كل يوم فيه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق عليه.

ويوضح أيضا أنها تعلم الطاعة والنظام والتماسك بأدائها في جماعة : « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » رواه أبو داوود وأحمد والنسائي

ويبين أيضا أنها تجعل الانسان نشيطا وثابا الى الخير : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها وأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه.

★ إيتاء الزكاة :

وتشير الآية إلى أداء الزكاة بنفس الاهتمام وتبرزها لنفس الهدف ، والزكاة هنا هي الزكاة المفروضة التي لا يقبل بدونها الايمان ، وإليها أشار القرآن في قول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) التوبة/١٠٣ . وهي وإن افترقت عن صدقة التطوع بضرورة أدائها دون وجوب الأولى ، إلا أنها تنطلق معها من منطلق واحد هو إقامة المجتمع الاسلامي على قاعدة صلبة من التكافل الاجتماعي وقد سبق الكلام في ذلك ، لكنا نزيد هنا أمرا هاما يلزم التنبه له عند إخراجها وهو أن تكون هذه الزكاة من طيب المال الذي يحبه الشخص لا من رديئه : (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) آل عمران/٩٢ ، وأن يتحرى في إخراجها أيضا أن تكون من الطيب الحلال لا من الخبيث الحرام : (**يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون**) البقرة/٢٦٧ .

★ الوفاء بالعهد :

والوفاء بالعهد ساقته الآية أيضا وصورته معلما من معالم الكمال

الانساني الذي يدل على نفس خيرة مستقيمة ، لأنه فوق كونه فضيلة خلقية تثمر الخير في المجتمع هو أمانة يحاسب المؤمن على أدائها ، يقول الله تعالى : (**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**) الاسراء/ ٣٤ . ويقول ايضا : (**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**) النحل/ ٩١ .

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في الوفاء بالعهد ، فكان لا يغدر ولا يخون ولا ينقض العهد وإن فعل أعداؤه ذلك ، والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم مع قومه يجدها دوما وفاء وأمانة والتزاما ، وأمثلة عهوده مع اليهود في المدينة ، ومع قريش في الحديبية ومع غيرهم في كل المواقف أبلغ شاهد ودليل على ذلك ، ولولا خشية التطويل لأفضنا القول فيها ، ولكنها مبسوطة في كتب السيرة فليرجع إليها من شاء .

وأمام ما كان يحدث من معاهديه من اليهود وغيرهم من خيانات لم يؤمر صلى الله عليه وسلم أن يقابل هذه الخيانات بمثلها ، وإنما أمر بعلاج ذلك باعلام من يخاف منهم خيانة في المستقبل وتبدو منهم بوادرها أن ينبذ إليهم ويعلمهم جهرا بما ينتوون وأن يبادر مع ذلك إلى إجهاض ما تحمله هذه النوايا من بغي خاصة إذا كان ذلك قد ألف منهم ، يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**) الأنفال/ ٥٨ .

ولا غرو فهو القائل صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » متفق عليه .

الصبر في البأساء والضراء وحين البأس :

وتختتم الآية الكريمة معالم الشخصية الاسلامية في كمالها الانساني ببيان مظاهر القوة والعزة والصبر فيها على كل حال وفي مواجهة كل الظروف .

وأشد ما يؤلم النفس وتجزع له ، بل جماع المشاكل الانسانية كلها ترجع إلى أسباب تتعلق بالرزق أو العمر ، فالفقر والمرض أمران يؤرقان الانسان ، لكن المؤمن في مواجهتهما يكون دائما صابرا صامدا ، لأنه ينظر إلى المسألة من خلال أمرين :

الأول : أن أمر الرزق والصحة بيد الله وحده سبحانه ، فما أصاب الانسان فيهما فمن الله ، وينبغي ألا يوجه إلى الخالق اعتراضا أو احتجاجا .

الثاني : أنه يرجو بصبره الأجر من الله تعالى ، واليسر بعد العسر .
ولقد صور القرآن هذه النظرة الايمانية للمؤمن عند وقوع الضر في حياته اختبارا ، وذلك في قول الله تعالى : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) البقرة/ ١٥٥ ـ ١٥٧ .
وفي مقابل هذا الصبر يعطى الله للمسلم أملا مستمرا في فرج كربه فيقول تعالى : (**فان مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا**) الشرح/ ٥ و٦
ولقد أبرز النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة من صفات المؤمن في قوله : « عجبا لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم .
فاذا ما جاوز الخطر والضرر مرحلة التوقع والاحتمال إلى مرحلة الرجحان بل والاقتراب ، وذلك عند لقاء العدو في ميدان الجهاد ، وهو المقصود بقوله سبحانه : (**وحين البأس**) لم يتغير صبر المؤمن في مواجهة الموقف ، بل يزيد ويثبت انصياعا لأمر الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**) الأنفال/ ٤٥ و٤٦ .
ثم هو بعد ذلك يثق فيما عند الله تعالى : إما رجوع بأجر مع غنيمة ، وإما شهادة تعدل في منزلتها في الآخرة منزلة الأنبياء والصديقين .
وبهذه الأمور الأربعة تضع الآية ملامح شخصية المؤمن في إطار الكمال الانساني المنشود ، لكنها قبل أن تترك المجال تضع آخر اللمسات في لوحة هذا الكمال وتبرز ألوانها مشرقة صافية واضحة بهذا الوصف : (**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) .
فمن حقق لنفسه منازل الخير الواردة في سائر الآية هو إنسان صدق الله تعالى : في عهد الايمان ، وإخلاص الطاعة ، وطلب مرضاته سبحانه ، وإلى جانب ذلك : طبع كل تصرفاته بطابع التقوى التي هي في أبسط معانيها : الخوف من الله تعالى .
بقي أن نقول : إن القرآن الكريم في تصويره لهذه الكمالات لم يجعلها ضربا من المثاليات بعيد المنال ، ولم يسقها ـ في ثوب من التجريد ـ معاني غامضة لا يفهمها المكلف فضلا عن استطاعة تطبيقها ، وإنما قدمها تشريعات عملية مستطاعة عالج بها الواقع الاجتماعي : إصلاحا لشأنه ، واهتماما بأمره ، وبناء لأركانه على أسس من الخير والمحبة والتعاون .

وقفة تأمل

أ ـ ضرورة الراحة من الشواغل :

أحيانا تنسينا شواغل الحياة أنفسنا ، ويشقينا اللهاث في طلب الرزق ، والسعى على العيال ، فنأوى الى كتاب الله نتفيأ ظلاله ، ونتدبر جلاله وجماله ، وما أحوج المسافر الى محطات يستريح فيها !! ويلم فيها أشتات نفسه الممزقة ، ويجمع خواطرها المتفرقة وهل تجد الأمان الا في ظلال القرآن ؟ ونعانق الاطمئنان الا في رحاب الايمان ؟ :(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)٢٨ / الرعد .(**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**)٨٢ / الاسراء .

وبقراءة القرآن الكريم ، وذكر الله العظيم يتدفق المدد ، وتتفتح أبواب المنعم الصمد ، فيرفع عنا ما يتعب الظهر ، ويؤود الصدر ، ويعلو قدرنا ، وينتظم أمرنا :(**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**)١٥١ و ١٥٢ / البقرة .

ب ـ باب التوفيق والنصر :

فإذا أردنا بهجة الروح ، واستشرفنا فيض الفتوح سعدنا بمنحة القرب ، وحلاوة المناجاة .. ولا بد لهذا المقام من الانقطاع الكامل عن الشواغل ، والتهيؤ النفسي ليكون الانسان بعيدا عن الأغيار ، نقيا من الأكدار ، صالح القلب لشروق

في أنوار جملة من كتاب الله

للاستاذ
محمود
عبد اللطيف
فايد

الأنوار « فليست حقيقة الذكر باللسان بل لا بد أن ينشأ أولا في الشعور والوجدان ، ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدا ، وتسبيحا وتنزيها ، فحينئذ يكون المسلم من الذاكرين حقا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . والمسلم الذي يذكر ربه يذكره ربه كما يقول الله عز وجل في حديث قدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأذكرته في ملأخير منه » رواه الشيخان ص ١٣٠ ، ١٣١ من شخصية المسلم كما يصورها القرآن للدكتور مصطفى عبد الواحد .
والقرآن الكريم ذكر :(**هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب**)٤٩ و ٥٠/ص

جـ ـ عظمة الذاكرين :

المسلم الذي يذكر ربه يناجيه بقلبه ، ويملأ فؤاده بحبه ، ويستضيء بنوره ، ولهذا فإن الذكر حياة للقلب ونور ، والغفلة عنه موت وظلام لأن الذي يغفل عن ذكر ربه ينسى حقيقة الوجود ، وسر الحياة وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) رواه البخاري وهو تصوير صادق لما ينشئه ذكر الله في نفس المسلم من قوة وحياة ، وما يمده به من زاد ، وما يفتحه أمامه من آفاق الايمان الداعي الى العمل .

د ـ جملة فياضة بالأضواء :

وفي القرآن الكريم ينابيع ثرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. هذه

الينابيع لا يغيض ماؤها ، ولا ينفد عطاؤها ، ولا يذبل رواؤها ـ ولنقف ـ أخي القارىء الكريم ، وأختي القارئة الفضلى ـ لنقف وقفة تأمل في ساحة قول الله عز وجل : (**وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ٣٤ ابراهيم .

قالت لي نفسي ـ الامارة بالسوء : النعمة مفردة فما الداعي الى العد المعجز ؟ وفكرت مليا لعل ربي يهديني ويقربني نجيا ، واستغفرت الرحيم التواب فعدت الى الصواب .. وثاب الى رشدي فأدركت أن نعم ربي متعددة فكيف أحسبها مفردة ؟ وكيف أفصل القطرة من بحرها ؟

إن اللقمة الواحدة من الطعام نعمة يسرها الله لي ـ وكلنا يأكل في اليوم مرتين أو أكثر ـ أمسكها بأناملي وهي من نعم الله ، ومظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته وإبداعه في خلقه : (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه**)٣ و ٤ / القيامة . هذه اللقمة أراها بعيني ، وهما نعمتان ، بل إن كل لمحة من إحداهما في كل ثانية نعمة !

وأقضم اللقمة وأصحنها بفمي ، وفيه عديد من النعم .. وأتنفس والتنفس لازم للحياة وللانتفاع بالطعام .. فكل نسمة هواء أستنشقها نعمة .. وتنفسي لا ينقطع ليلا ونهارا .. ومن زرع ؟.. ومن روى ؟.. ومن حصد ؟ ومن طحن ؟ ومن حمل ؟ ومن عجن ؟ ومن خبز ؟ أليس كل هؤلاء بعض المسهمين في صنع اللقمة ، والفضل للخالق المنعم الوهاب : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون**) !

(تفكهون : تندمون) ٦٣ ـ ٦٥ / الواقعة

وسألت نفسي هل استطعت عد النعمة ؟

وجال فكري جولة أخرى : هذه لقمة تضمنت عديدا من النعم أدركت في نورها فيضا من فضل الله وكرمه .. أليس العقل الذي أدرك نعمة ؟ وما قيمة الانسان إذا حرم العقل الواعي المفكر المتدبر ؟ هل يزيد كثيرا عن الأنعام التي تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب ؟

وساح عقلي في أنوار الآية سياحة أخرى :

هذه كلمات مباركات هي بعض آية حفظتها وحاولت فهمها ، وإدراك معانيها ومراميها ـ فمن الذي علمني القراءة والكتابة ؟ ومن الذي زج بي في قافلة النور لأدراك أغراض التنزيل ، ومرامى التأويل ؟ أليس شيوخي وأساتذتي ، بعض توفيق وفيض المنعم الجليل ؟

هـ ـ وكلما تكرر حلا

يا صاحب الأمداد ، وباسط الاسعاد .. لا علم لي إلا ما علمتني سبحانك ! قلت

في كتابنا العظيم القرآن الكريم :

(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)

جملة مكونة من ستة وعشرين حرفا ، تقف في أنوارها المعاني صفا صفا !! روى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ص ٣٠٣ ـ رياض الصالحين ط المكتبة الأهلية ببيروت . أمامنا ستة وعشرون حرفا وكل حرف بعشر حسنات فجزاؤنا مائتان وستون حسنة و : (**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**) ٤ / الجمعة

وهذا الجزء من الآية صدر بإن الشرطية وهي غالبا تدخل على المشكوك فيه كما يقول أهل البصر بالبلاغة ـ فهل تستغرق الدنيا الناس حتى يشغلوا بالنعم فيذهلوا عن واهب النعم ، والانسان كثير النسيان .. وهأنذا حاولت عد نعمة الله فأدركت أني كمن يحاول إحصاء ذرات الرمال أو وزن الجبال !!

و ـ وجهة نظر بعض العارفين

شغلتنا اللقمة ، وحسبناها نعمة صغيرة ، فإذا هي نعم كبار كثار وكأنها عين الانسان تحسبها حيزا ضيقا لكنه يرى بها الكون كله ، ويقرأ مؤلفات الأسلاف ، ويرى بها مظاهر العظمة والقدرة على الأرض ، ويرنو بها إلى النجوم في خشوع وإجلال للحي القيوم ، فإذا ما ترقينا في السلوك ، وفكرنا في نعم ملك الملوك وجدنا بعض شيوخنا يجد نعم الله في كل حالة ، ويلمحها في عسره ويسره ، فهو من وجده واجد ، ومن إغماضه عينيه عن الدنيا مشاهد لجلال ربه ، وما أجمل قول شيخنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في (لطائف المنن) : (ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وإذا عرفك سر المنع فقد أعطاك) !! يعني ـ والله أعلم ـ ربما أعطى الله لبعض الناس مالا وأولادا وزخرفا فشغل بالوسيلة عن الغاية ، وبالموهوب عن شكر الواهب فكان ماله سببا في الوبال ، وسوء المآل .. وربما كان الرزق بقدر القوت حتى لا يذهل العبد عن القيام بحق خالقه ورازقه ، ومعتقه من أسر الماديات ـ فيجد المرء سكينة النفس في الاقبال على الله ، ويسعد بعبادته مخلصا بلا رياء : (**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) ١١٠ / الكهف .

وإذا عرفنا الله سر المنع فقد أعطانا ، وهل في الدنيا متعة تعدل متعة العلم والمعرفة بجلال الله ، وما ينبغي له من ذكر وشكر ـ إن ابن عطاء الله رأى في المنع منحا ؛ فكل ما يصنع الجميل جميل : (**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) ٥٤ / الأعراف .

ز ـ من هدى سلفنا الصالح :

وإذا كان بعض أجدادنا الصالحين قال شاكرا لأنعم الله عليه وقد قدم إليه طعامه وكان يأتدم بزيت وخل ، ويقيم في المدينة المنورة : (زيت الشام بخل البصرة ! إن هذه نعمة ما نطيق شكرها) !! فماذا يقول من يأتيه دقيق خبزه من كندا أو استراليا جوابا بحارا ، متجشما أسفارا ؟.. وأما الادام والفواكه فمن أركان الدنيا .. كيف يذكر ويشكر ؟ وكيف ننسى أن الاسلام دعانا الى الاهتمام بالزراعة والغرس ؟ ومن أقوال سلفنا الصالح (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيل فليغرسه) وعن جابر وأنس ـ رضي الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (لا يغرس مسلم غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كانت له به صدقة) (رواه البخاري ومسلم) ولم لا نغرس ونزرع حتى لا نشعر بالحرج والضيق إذا تأخر الدقيق أو ارتفع السعر ؟.. لنزرع حتى نشعر بعزة الايمان والاطمئنان : (**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ٨ / المنافقون .
ألا يشعرنا ما تزدحم به أسواقنا ، وتمتلىء به مخازننا ـ بعظمة أنعم الله علينا مع تكاسلنا أو تغافلنا ؟.. والأمر حيوي يتعلق بالطعام والزاد وهو من ضرورات الجماعات والأفراد !

ح ـ مثل محسوس

إن نعمة الله حينما تفكر فيها يا أخي بقلب سليم ، وفكر مستقيم حينما تضعها في حنايا الصدر ، وتجعلها بين مرآتين من ذكر وشكر .. هذه النعمة أشبه بشمعة بين مرآتين ترى في ضوئها صفا من الشموع لا تدرك آخره ، وبقدر إخلاصك في التأمل ، وشفافيتك في التدبر تنثال عليك المعاني ، وتتداعى اليك الرؤى ..!! وأنت تدرك يا أخي الكريم : « أن غاية التلاوة هي اتصال القلب بأنوار القرآن ، ووقوف العقل أمام ما تحويه آياته من حق وهدى ، فهي عبادة تحتاج الى قلب سليم ، وعقل مستقيم » كما جاء في كتاب : « شخصية المسلم كما يصورها القرآن) ص ١٤٣
ولذلك نشفق على قومنا الذين يقفون بعيدا عن معين القرآن منشغلين بألحان ونغمات لا معنى لها ، ولا حقيقة من ورائها إننا نريد خشوع القلب ، وحضور اللب ، واستحضار جلال القرآن ، ولأمر ما قال الله عز وجل : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**) ٢٠٤ / الأعراف . تأمل يا أخي قوله عز وجل :(**وأنصتوا**) بعد : (**فاستمعوا له**) لأن الانشغال باللهو يحجب نور القرآن ، والغرق في هموم الدنيا لا يتفق مع جلاله ، وإذا لم يكن القلب مصغيا الى هداية القرآن فلا جدوى من تلاوته ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن ماائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » رواه الشيخان .

ط ـ الأسوة الحسنة

ولقد كان رسولنا الحكيم صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة ـ يخاطب الناس على قدر عقولهم مبينا عظمة القرآن لأنه الهدى والنور ، والمنهج والدستور .. يقول عليه الصلاة والسلام : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » رواه الترمذي .

فهل رأيت نفعا أعظم من هذا النفع ، وغرسا يعطيك أبرك من هذه الثمرات ؟
إن تعلم القرآن يعود على المسلم بثمرات تفضل كل عرض من أعراض الدنيا ..وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه فقال : « .. **أفلا يغدو أحدكم كل** يوم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ـ خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل » رواه مسلم .

● ـ وبعد ..

فهل توافقني يا أخي على ما ذهبت اليه من أن نعم الله سلسلة ، كل نعمة منها لا تدرك مفردة .. فلا ندرك نعمة الا بنعم ؟ هي أشبه بزرع أخرج شطأه فآزره ؟ أم تقول كما قال بعض شيوخنا من أهل العلم أن (نعمة) يراد بها النعم كأنهم قاسوها على (كلمة) قد يراد بها أحيانا (الكلام) قال ابن مالك
(وكلمة بها كلام قد يؤم)
يؤم : يقصد . وفي القرآن الكريم (**حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها**) ٩٩ و ١٠٠ / المؤمنون
وما أحوجنا إلى شكر نعم الله علينا ، وتقدير آلائه لدينا عسى الله أن يزيدنا هدى ، ويكشف عنا حجب السهو والغفلة ويزودنا بزاده الأبقى والأرقي : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**) ١٩٧ / البقرة . ورحم الله شاعرنا الحكيم الذي قال :

شكر الاله نعمة موجبة لشكره
فكيف شكري بره وبره من شكره ؟

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ودليل أعمالنا ، ودافعنا الى طريق الصلاح والفلاح :(**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**) ٢٩ و ٣٠ / فاطر .

المستقبل

تشير التقارير الصادرة عن الدوائر الغربية او الشرقية او العربية والاسلامية الى عودة جماعية الى الله ، تتم كل يوم في مختلف بقاع العالم الاسلامي ودخول جماعات جديدة في البلدان الاجنبية للاسلام .

فعلى الصعيد العربي والاسلامي هناك ظاهرة ايجابية بارزة بدأت تأخذ طريقها وسط محاولات التخريب التي تجري بفعل عوامل موضوعية وذاتية وخارجية في العديد من البلدان الاسلامية ، الا وهي عودة الشباب الى الله سبحانه وتعالى ، ويبرز هذا من خلال المواظبة على صلاة الجمع والجماعات في كل وقت . وانتشار الحجاب الاسلامي بين فتياتنا في الجامعات والمعاهد والمؤسسات والشركات ذات الطابع الاسلامي ومؤسسة الاستثمار الاسلامية وغيرها .

نعم ان المستقبل للاسلام داخليا على الصعيد الاسلامي ، وعلى الصعيد العالمي بحول الله تعالى لاسباب ابرزها :

١ ـ افلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التي تضحي بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد ، والتي قسمت المجتمع الى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما ، طبقة

للإسلام

للاستاذ / محمود قطام

البرجوازية حتى التخمة ، والفقيرة حتى العدم ، وما ترتب على ذلك من صراع طبقي وحقد اجتماعي ترسب مـع الايـام نتيجـة احتكـار فئـة البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميـع ابنـاء الشعب بمن فيهم الفقراء ، وما تمخض عنها من قيم مادية متعفنة وفلسفات مادية اتخذت الاجـرام والادمان عـلى المخدرات والهوس والشذوذ الجنسي طريقا لها تحت ستار جماعات متعددة الاسماء والمسميات كجماعة الهيبز والباكنز وهاري كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبيتلز .. الخ مما ادى بالتالي الى ازمة قيم وازمة ضمير حادة لن تنتهي قبـل ان تقتلع الاخضر واليابس في المجتمع الغربي .

يقول ليولد فلم دانز في كتـابه « الانسـان والضمـير المـأسـاوي الممزق » « ان الانسان المنتمي الى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء ولا يفكر ، انه لم يفكر بعد ولكنه يعلم كثيرا ان نهاية المسيحية تشمل ايضا نهاية الايديولوجيات الاخرى كالماركسية التي تجتاز من اجل ذلك ازمة عميقة وان هذه الازمة ليست ابدا علامة حياة بل علامة موت » .

ويرى المفكر لاموني « ان الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة الى الهلاك انه في النزع الاخير كذلك

الانسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء فكثرة الاخطاء في حضارتنا تجرها الى الغرب . »

ويقول د . عبد الله عزام ان سبب انهيار الحضارة الغربية واضح بسيط هو انها قامت بلا دين واتخذت ربها وراءها ظهريا .

ويقول برنارد شو الفيلسوف البريطاني « كنت اعرف دائما ان الحضارة تحتاج الى دين وان حياتها او موتها يتوقفان على ذلك » .

اما الكسيس كاريل في كتابه الانسان ذلك المجهول فيقول « ان القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكأن البيئة التي اوجدها العلم للانسان لا تلائمه لانها انشئت دون اعتبار ذات الانسان». ويقول برتراند راسل « ان حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس اجدر من الحيوان بهذه السعادة ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث ، واليوم اصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة » .

اما ماكنيل فيقول « ان الحضارة الغربية في الطور الاخير من اطوار حياتها اشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته ثم انشب مخالبه في امعائه فانتزعها واخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي . »

اما ارثر شوبنهاور فقد وصف الحياة الغربية بايجاز قائلا « ان الحياة تتأرجح من اليمين الى اليسار من الالم الى الملل ، ويستغيث هذا الغرب المسكين الهه اذا شاء انه سيظل فريسة مصيره فالقدر لا يرحم » .

ويقول شبنجلر « ان للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك ، وان حضارة جديدة اوشكت على الشروق في اروع صورة هي حضارة الاسلام ، الذي يملك اقوى قوة روحانية عالمية نقية . »

من هنا يمكن القول ان المستقبل للاسلام ، فعلى سبيل المثال بعض البلدان التي كانت في الماضي القريب جدا حاملة لواء الحروب الصليبية بدأ التيار الاسلامي يزحف اليها ، ففي بريطانيا ازداد الاتجاه الاسلامي بشكل لم يسبق له مثيل فقد ذكرت صحيفة صنداي اوبزيرفر البريطانية ضمن مقالة خصصتها عن الحركة الاسلامية في بريطانيا ، « ان هناك ٥٠ الف بريطاني اعتنقوا الاسلام ، وان الدين الاسلامي يزداد شعبية في بريطانيا حيث يعتبر الدين الاسلامي هو الثاني في بريطانيا . ومع ذلك لم تعترف الحكومة البريطانية به حتى

الان خوفا من ان يكتسح الساحة البريطانية » .

وفي اسبانيا وبعد هزيمة المسلمين التي مضى عليها زهاء سبعة قرون تم وضع حجر الاساس لاول مسجد في اسبانيا في التاسع من اكتوبر ١٩٨٠ بالقرب من مدينة قرطبة التاريخية .

كما ازداد عدد المسلمين في سويسرا خصوصا مدينة جنيف حيث جرى مؤخرا بناء اول مسجد كبير لسد حاجة المسلمين هناك . كذلك ازداد الاقبال على الاسلام في الهند وفي فلسطين المحتلة هناك تصاعد موجة المد الاسلامي بين المسلمين في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ و١٩٦٧ من جهة ومن جهة اخرى تزايد دخول اعداد كبيرة تقدر بالمئات من الفئات اليهودية للاسلام ، بحيث استدعى هذا الامر بحث هذه المسألة من قبل هيئة حاخامين صهاينة لبحث هذه المسألة الخطيرة في نظرهم ، كذلك في امريكا حيث ازداد دخول الزنوج الامريكيين للاسلام .

٢ ـ تراجع الشيوعية الالحادية حتى في اقوى معاقلها عن العديد من المبادىء والمنطلقات التي اعتبرت اساسية في فلسفتها ، كما حصل في روسيا حين تحول شعار دكتاتورية البروليتاريا الى شعار دكتاتورية الحزب والرجل الواحد منذ عهد ستالين الى عهد برجينيف ، ودكتاتورية العشيرة والعائلة الواحدة كما هو الحال في رومانيا الاشتراكية حيث تسيطر عائلة شاوشيسكو على مقدرات الامور في رومانيا .

كذلك بدأ العد العكسي للشيوعيين في العديد من البلدان الاشتراكية من خلال الثورات المضادة في كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر التي قمعت بالحديد والنار والعنف الدموي في حينها . وكذلك سير يوغوسلافيا نحو الاستقلال بعيدا عن موسكو والتوجه صوب معسكر دول عدم الانحياز . كذلك الحال في بولندا التي تعيش الان في ظل احكام عرفية بعد سيطرة الجيش على السلطة لقمع الاضرابات العمالية التي تنظمها نقابة التضامن على اعتبار انها ثورة مضادة تهدد المكتسبات الاشتراكية .

٣ ـ زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التي روج لها الاعداءوالاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التي توهم المروجون لها انها ستوحد العرب وتجعلهم امة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد ، ما فتئت تكرس الاقليمية والتجزئة التي خلفها الاستعمار ، وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية من خلال التمسك بكراسي الحكم حتى الرمق الاخير من حياتهم . وكأن النضال ضد الصهيونية والامبريالية يكون من خلال التشبث بكراسي الحكم وقمع كل حركة شعبية تطالب بضرورة العمل الاسلامي لتحرير الارض والمقدسات .

٤ ـ صلاحية الاسلام لكل زمان

ومكان ونظرته العامة الشاملة لكافة المناحي الحياتية وثباته في نهاية المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والايديولوجيات الاخرى ومن خلال مسيرة التطور الاجتماعي التي ستفرض البقاء للاصلح والاقوى والانسب والاقدر على التكيف .

فلقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول الى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي . ثم لجأوا الى الاشتراكية تعويضا عن فشلهم في تجربة الديمقراطية الغربية دون ان ينتبهوا الى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون اليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ الفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات .

كما قامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى شرقية وغربية مدنية وعسكرية متطرفة ومعتدلة يسارية ويمينية فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ولم يزدادوا الا انحرافا وزيفا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد .

من هنا يمكن القول ان الوضع الراهن للمسلمين يبشر بالخير ذلك ان الازمات الخانقة التي تعيشها الامة الاسلامية لا يمكن ان تكون الا ايذانا بزوال اسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والاضطرابات والفواجع التي تملأ الساحة الاسلامية الا الام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله ان يعقبه يسر ، طال الوقت او قصر وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يقول برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الشهير « ان انجلترا بل اوروبا لو احتاجت الى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة اليه من دمار محقق ودمار لا مناص لها منه فليس امامها الا الاسلام » ويضيف اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاده الى الخير ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

ويقول البر مشادق : من يدري .. ؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون اليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب . ويضيف لست متنبئا ولكن الامارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها .

ان المسلم قد استيقظ واخذ يصرخ هانذا انني لم امت ولن اقبل بعد اليوم ان اكون اداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها .

٥ ـ عودة الناس الى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجارب عديدة في الالحاد والاباحية والفوضى والعبثية ، ولاقتناع البشرية الراسخ ان السبيل الوحيد للقضاء على الفراغ والعلاج

الناجع لامراض العصر، يكون من خلال الايمان بالله الذي يؤدي الى السكينة والطمأنينة مصداقا لذلك قوله تعالى: (**هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما**)الفتح / ٤ وبهذا الصدد يقول الفيلسوف الغربي كارل ياسبرزان: الانسان في حالة غياب مبدأ او عقيدة يعتنقها يجد نفسه تائها ضائعا وغيرها من حالات الوجود الحادة.

٦ ـ الحتمية التاريخية والجدلية للاسلام مصداقا لذلك قوله تعالى: (**يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) التوبة / ٣٢ و٣٣ كذلك تأكيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره بسيادة الاسلام على كافة البقاع حيث روى ثوبان رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم: « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » رواه الترمذي وقال حسن صحيح. كذلك قوله صلى الله عليه وسلم:ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز او بذل ذليل عزا يعز الله دين الاسلام وذلا يذل به الكفر رواه احمد وقال حسن صحيح.

وعن ابي قبيل قال: كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية؟ فقال صلى الله عليه وسلم مدينة هرقل تفتح اولا. يعني القسطنطينية رواه احمد والدارمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقد فتحت القسطنطينية عام ٨٥٧هـ على يد القائد الاسلامي محمد الفاتح في عهد الدولة العثمانية اي بعد البشارة النبوية بثمانية قرون ونصف وستفتح روما باذنه تعالى قريبا. لان رسولنا الكريم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اليه.

فمثل هذه التأكيدات الالهية والنبوية لا تدع مجالا للشك في ان المستقبل للاسلام حتما لا محالة، وهي بذات الوقت تطمئن القلب والنفس الانسانية المضطربة وتبشرها بنور الاسلام من جديد بعد سبات عميق وظلام ظن البعض انه سرمدي.

وخلاصة القول ان تاريخ هذه الامة بمراحله المختلفة اثبت حقيقة واحدة ان الاسلام كان الوسيلة الوحيدة القادرة على جمع هذه الامة وتحرير ارضها وتوحيد صفها واشاعة العدل والرخاء والخير في ارجائها.

مشروعية الحج

أوحى الله عز وجل إلى ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل أن يرفعا قواعد البيت الحرام أول بيت وضع للناس ليكون مثابة لهم وأمنا .

وقصد الخليل ابراهيم وجه ربه ليتقبل عمله داعيا أن يجعل هذا البيت المحرم مناط رجاء القصاد وموضع حب عباده المخلصين ، وأن يحفظه من بطش الطغاة والآثمين على مر الزمان وكر السنين .

وعام تلو العام تزحف القوى البشرية المسلمة تلبية لأذان الخليل ابراهيم الذي أمره خالق الخلق ومالك الملك ، بأن يؤذن في الناس بالحج ، ويدعوهم لزيارة أول بيت وضع للناس يقول : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** الحج / ٢٧ .

ولقد ملأت الدهشة نفس الخليل ابراهيم ، وقال يارب : كيف أؤذن في الناس بالحج ؟ وماذا عسى أن يبلغ صوتي في هذه الآفاق ؟

فيجيبه المولى القدير : يا ابراهيم عليك الأذان وعلينا الابلاغ . وفي مواقف الحج الرائعة يتجلى الحق تبارك وتعالى على عباده القاصدين ويباهي ملائكته الابرار ويقول : يا ملائكتي ما طلب هؤلاء ؟ فتجيبه الملائكة يا ربنا أنت أعلم بهم منا إنهم يطلبون منك العفو والمغفرة فيقول أحكم الحاكمين عز وجل أشهدكم يا ملائكتي أني قد عفوت عنهم ، وغفرت لهم وأنا الغفور الرحيم .

وعظم الله بيته وقدسه وكرمه وشرف البلد الآمن مكة المكرمة ، وزادها من

وأسراره

للشيخ/ سليمان أحمد التهامي

فضله ، بأن بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من قلبها ، فكان شرفها شرفين ، وفضلها فضلين . وشرع الله الحج وفرضه على كل مسلم ومسلمة في كتابه الكريم وسنة نبيه الصحيحة المتواترة قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران / ٩٧ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ، متفق عليه .

والحج باجماع المسلمين من القواعد الخمس التي بني عليها الاسلام .

قد يتوارد على ذهن البعض بأن الحج حديث العهد ولم يكن معروفا من قبل دعوة المصطفى عليه أفضل السلام والحق أنه عادة قديمة موجودة في الشرائع السابقة حتى لقد قيل : ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بأن الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت ، وادعى ابن اسحاق ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم إلا حج ، وادعى غيره انه ما من نبي إلا حج ، وكان الحج معلوما عند العرب ، وصار ذلك واجبا عليهم بامر ربهم منذ الخليل ابراهيم عليه السلام .

وكانوا في الجاهلية يعظمونه ، ويعدون سدانته وخدمته من أشرف القربات ، وأجل الصالحات ، وهذا شاعر قبيلة جرهم يتفجع من ترك قبيلته سدانة البيت الحرام بقوله شعرا :

وكنـا ولاة البيت من بعد نـابت   نطوف بهذا البيت والامـر ظاهـر

الى أن يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

ومن تاريخ تعظيم هذا البيت انه لما باعت قبيلة خزاعة سدانته التي كانت لهم بزق خمر عيرها كثير من الشعراء على ذلك وقال أحدهم :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فبئست صفقة البادي

وكانوا يطلقون على مكان فيه حجر عليه أثر قدم ، اسم « مقام ابراهيم » ويتوارد أن هذا الاثر هو أثر قدم سيدنا ابراهيم عليه حينما اعتلى لبناء الكعبة ، واتخاذه محط رحاله حين يزور هاجر وابنها ، وأمر الله تعالى باتخاذ مقام ابراهيم تيمنا بهذا المكان الطاهر ، وتبركا بموضع وقف عليه رسول كريم ؛ هو أبو الانبياء الخليل ابراهيم ، كما قال تعالى في كتابه الكريم (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة منها ما فيه دليل صريح ، ومنها ما فيه قرينة قوية ، ومنها ما فيه إلهام بأن الحج كان معلوما وممارسا قبل الاسلام .

فلما جاء الاسلام فرضه ووضع احكامه وضوابطه ونواهيه لينهل منها المسلمون من كل فج عميق .

وللحج معنيان الاول هو المعنى اللغوي فقد وردت كلمة الحج في المعاجم اللغوية بمعنى : القصد للزيارة : يقال حج الينا فلان ، أي قدم ، ورجل محجوج ، أي رجل مقصود .

وجاء في مفردات غريب القرآن للاصفهاني :

أصل الحج ، القصد للزيارة .

وأما معنى الحج من الناحية الشرعية فهو أعمال مخصوصة تؤدي في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص .

أي القصد في أشهر معلومات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة » .

والحج فرض على الفور : أي أن على المستطيع أن يؤديه في أول عام استطاع فيه ويأثم بالتأخير لأن الله أمر المسلمين أن يبادروا ويسارعوا ، واتفق الأئمة على أن المبادرة للمستطيع أفضل .

ولقد نص بعض المالكية على أنه اذا كان للشخص صنعة أو تجارة وربحها على قدر كفايته وكفاية عياله ومن تجب عليه نفقتهم ولا فاضل من الربح يحج به أو علم أو ظن كسادها وعدم رواجها بالسفر ، فان الحج لا يلزمه أداؤه وهو على هذه الحال ، ولا ينبغي عليه أن يقتطع من رأس المال ما يحج به ، لأن الحج إنما يجب في الفاضل من الكفاية ، وبضاعته اساس في كفايته فلا يلزم بالنقص منها ليحج .

وذهب اكثر الأئمة المجتهدين الى أنه مفروض على التراخي لا على الفور اي أن للمستطيع أن يؤديه في أي عام من اعوام استطاعته ولا يأثم اذا أخره من عام

استطاع فيه أداءه .

والشافعية قالوا هذا ولكن بشرطين (الاول) أن لا يخاف فواته اما لكبر سنه وعجزه عن الوصول واما لضياع ماله ، فان خاف فواته لشيء من ذلك وجب عليه أن يفعله فورا ويكون عاصيا بالتأخير ، (الثاني) أن يعزم على الفعل فيما بعد فلو لم يعزم يكون آثما .

والحديث عن شروط الحج نقتطف من بين آراء الائمة اساسيات شروط وجوبه فمنها : **الاسلام** فلا يجب الحج على الكافر الاصلي ولو مرتدا ولا يصح الا اذا اسلم ، واذا مات بعد اسلامه قبل أن يحج ، حج عنه من تركته .

ومنها **البلوغ** فلا يجب على صبي ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة بعد البلوغ لقوله صلى الله عليه وسلم : « ايما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة اخرى » رواه الطبراني في الاوسط .

ومنها **العقل** فلا يجب على مجنون كما لا يصح منه حجه ، ومنها **الحرية** فلا يجب على من فيه رق . ومنها **الاستطاعة** .. والاستطاعة في معناها هي القدرة على الزاد والراحلة ، وامكان الوصول الى مكة ومواضع النسك امكانا عاديا لا يلحقه فيها مشقة بالغة .

والمراد بالراحلة هو ما يمكن الوصول عليه سواء كانت مختصة أو مشتركة بشرط أن يجد من يركب معه ولا بد أن تكون الراحلة هذه مهيأة بما لا بد منه في السفر .

وتعتبر القدرة على الراحلة هي : أن يتيسر للمرء ما يليق له عادة وعرفا ويختلف ذلك من شخص الى آخر .

اما القدرة على الزاد والراحلة فيشترط فيهما أن يكونا زائدين عن حاجاته ، كالدين الذي عليه والمسكن والملبس وعن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود .

أما من يعزم على الاقامة بمكة المكرمة فلا يشترط القدرة على مئونة الاياب ، ومن لم يستطع لا يجب عليه الحج ، لان في الانفاق على من تجب نفقتهم فهو واجب على الفور لا يقبل التأخير ، وذلك لان الفرائض لا تؤدي بالآثام ، ومن اشد الأثام ان يضيع الانسان من تجب عليه نفقتهم ويهمل النفس التي أوجب الله إكرامها لا إهدارها ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » رواه احمد وابو داود عن ابن عمر .

وأما القدرة على الراحلة فهي بالنسبة لمن كان بعيدا عن مكة بثلاثة ايام فاكثر ، أما القريب منها فيجب عليه الحج ولو لم يقدم على الراحلة ، متى قدر على المشي وعلى الزاد الفاضل عن حاجياته الاصلية .

وفي ذلك نرى أن المقدرة على المشي تقوم مقام الراحلة ، فمن قدر عليه وجب عليه الحج ولو كان بعيدا عن مكة المكرمة بمقدار مسافة القصر او اكثر .

ومن لا يستطيع ركوب الراحلة أو لم يجد ما يستطيع ركوبه أو قدر على راحلة

مع شريك له بحيث يتعاقبان الركوب عليها مما فيه مشقة فادحة في السفر فلا يعد ذلك مستطيعا ولا يجب عليه الحج .

وعلى ذلك فلا وجوب على من لم يجد الراحلة كما أنه لا وجوب على من لم يجد الزاد . والذين يخرجون الى مكة بغير زاد او يتكل بعضهم على بعض بالزاد او يحجون ولا يتزودون فاذا قدموا مكة سألوا الناس . أو الذين يدعون التوكل من الاغنياء والفقراء فيدعون اموالهم ويخرجون بلا زاد ولا طعام أولئك قد نهوا عن ذلك وامروا بالزاد والراحلة فعلى كل حاج ان يتزود زادا من المال والطعام يحفظ عليه حياته ، وزادا من التقوى يكسبه الحياة الاخرى . وصدق الله : (**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**) العنكبوت/ ٦٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الاعمال فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور » رواه البخاري .

وجعل الله اشهر الحج موسما فقد قال عز وجل : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة/ ١٩٧ .

ويقع الحج في السنة مرة واحدة ويكون في هذه الاشهر ، وكذلك يؤديها المسلم كفريضة مرة واحدة في العمر وما زاد فهو تطوع فمن ألزم نفسه بالشروع في الحج بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا فليؤد ما أوجب الشارع عليه ولينته عما نهاه عنه وليلتزم فيه الحدود . وليخلع عن رقبته ما طوقها من الحقوق وليصبح عزمه أن يكون حجه مبرورا وذنبه مغفورا وليقو على ظلمات باطنه لتستحيل نورا وعلى اوساخ ظاهره لتكون نقاء وطهورا ، روي عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج فحجوا » فقام الاقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ » فقال « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » مسلم وغيره .

وأوجب الله سبحانه وتعالى على الحاج أن يبدأ عمله بالاحرام من الميقات وهو المكان الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمواقيت خمسة فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وقت (حدد) لاهل المدينة ذا الحليفة ، ولاهل الشام الجحفة ، ولاهل نجد قرن المنازل ، ولاهل اليمن يلملم فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير اهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذاك حتى أهل مكة يهلون منها . » متفق عليه والميقات الخامس ذات عرق وهي ميقات أهل العراق وبلاد العجم .

ويستحب لمن اراد الاحرام أن يغتسل قبله وأن يلبس ثوبين نظيفين ازارا ورداء ، وأن يتطيب في بدنه خاصة ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : « كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه حين يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » متفق عليه وكان يصلي ركعتين تطوعا وينوي الحج قائلا « اللهم اني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني » .

ويلبي بما كان يلبي به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وان يكثر من التلبية كلما علا شرفا من الارض أو هبط واديا او لقى ركبا .

ويحرم على المسلم الرفث والفسوق والجدال . والرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من اهله ، والفسوق كلمة تعني اتيان معاصي الله في حالة اقدامه بالحج كقتل الصيد وقص الظفر وشبيه ذلك ، وقيل الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى : (**أوفسقا أهل لغير الله به**) الأنعام/ ١٤٥ . وقيل التنابز بالالقاب ومنه قوله تعالى : (**بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**) الحجرات/ ١١ . وقيل الفسوق السباب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » متفق عليه .

والجدال : المماراة والاختلاف ، كأن يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام أو المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسيء .

كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة ، وتقف طائفة بعرفة وطائفة بالمزدلفة ويتجادلون في الصواب من ذلك . أو أن تدعي طائفة ان حجها أبر من حج غيرها . وشرع الله سبحانه وتعالى الحج الى بيته الحرام دعوة الى الموحدين في آفاق الارض . والمؤمنين بالله ورسوله في أقطار الدنيا يحققون بها في موقف الحج الاكبر الوحدة الانسانية . ويؤلفون العصبة المبعوثة الى الله من الامة المحمدية ويعملون على تجديد شباب الاسلام لاحياء موات الايمان ، ولم الشعث وجمع الشتات ، وبعث رواكد الهمم ، والقضاء على عوامل الفرقة ، وتمكين أواصر المحبة والانتفاع بالجهود الانسانية في شئون الدنيا والآخرة .

هذا الاجتماع الاكبر الذي فرضه الله على الناس يستجيب المسلمون اليه استجابة للعقيدة الاسلامية المستقرة في قلوبهم المسيطرة على عقولهم الجارية فيهم مجرى الدماء يشهدون في هذه المشاعر والمواقف مجد الاسلام وعزته وسمو الدين وسماحته ، وجلال الامان وقدسيته ، ويذكرون عندها القائد الاعظم والابطال السابقين من جند الله الذين جنح الوادي بتلبيتهم من الزمن السحيق لبيك اللهم لبيك ، هذه الخلائق المجموعة لميقات الله والامم المحشودة في حرم الله .

وفيها العالم والطبيب والصانع ورجل السياسة والاقتصاد والاداب والفنون انما حشدها الله وجمعها من أقطار المشرق والمغرب لتعظم شعائره في حرمه الآمن وحول بيته العتيق ولتنظر في الامة الاسلامية .

وتعمل على توحيد جهود الافراد والجماعات ، وتعالج بما وهبها الله من علم

وحكمة ومن ورأى امراض المجتمع وتوضح السبل والمسالك لسير القافلة الاسلامية موفورة الحرية ، محفوظة الكرامة سليمة العقيدة والخلق ، ولهذا شرع الله ذلك الاجتماع المشهود ومن اجل هذا يجب أن تصدر عنه الدعوة الصادقة الى الله ورسوله ، والتوجيه الصالح لهذه الامة الشاردة التائهة في مجاهل الحياة لا تعقل لها معقدا ولا تعرف وحدة ولا تحرص على خلق .

ويجب ان يعود كل الى وطنه يبين ما رأى ، وينشر ما سمع فذلك ادعى الى أن تتلاقى نظرة المسلمين الى مصالحهم في بقاع الارض ، وتتحد آراؤهم في مشاكلهم المذهبية والوطنية والجغرافية ، وتتضافر جهودهم لتحقيق الوحدة الشاملة والاستقلال المنشود في كل ما يتصل بشؤون الدنيا والآخرة .

يجب أن تنصرف هذه الوفود الى شعوبها واممها لتكون مشاعل هداية ، ورسل اصلاح ، قادة الى الخير دعاة الى المعرفة والمحبة والحق والعدل .

وضيوف الرحمن في كل عام مئات الألوف من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها هؤلاء جميعا يجب ان يكونوا الدعامة القوية في البناء الاسلامي والخلية الحية في الجسم الاسلامي ، وحملة اللواء للجيش الاسلامي ، ولكنهم يرجعون كما يذهبون قلوبهم شتى وبأسهم بينهم شديد .

فأي أمل يعلقه المصلحون المخلصون من المسلمين الى الله ورسوله على بعث هذه الأمة الاسلامية من جديد ، وقد استحال عليهم في موقف الحج ان يستبدلوا القطيعة الضاربة أطنابها بين المسلمين بالقربى من الرحم في الدين والوطن والجهالة المتفشية في المسلمين بالمعرفة الحقة والادراك الصحيح لشؤون الدنيا والآخرة والذلة المخيمة على المسلمين بالعزة الواجبة لله ورسوله والمؤمنين .

أي امل يعلقه المصلحون المخلصون على استرجاع هذه الامة الاسلامية لسالف المجد وسابق العهد ، وهذا الجمع المحشود في موقف الحج لا يزيل فوارق الاجناس واللغات والمذاهب ولا يطلق الروح الانسانية من عقال الاوهام ولا يخلص النفوس الاسلامية من أسر الشهوات ، ولا يشرح الصدور الاسلامية بحقائق الدين ، ولا يطهر القلوب الاسلامية من ادران النفاق ، ولا يغذي الفطرة الاسلامية بالسياحة والبذل والحق والعدل والهدى والرشاد .

أي أمل يعلقه المصلحون المخلصون على رفع الامة الاسلامية من ذلك الحضيض الاوهد والخروج بها من هذه الظلمات المتراكمة الى النور والحياة .

والوافدون على الله في كل عام لا يحققون مشروعية الحج ، لقد ابوا الانتفاع بحكمته فنزع الله المهابة منهم ، وقذف في قلوبهم الوهن ، وقطعهم في الارض أمماً ، قل فيهم الصالحون وكثر المارقون فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

والاسلام دعا الى الجماعة في كل صلاة ، والجماعة في كل جمعة ، والجماعة في العيدين ، ثم دعا الى الاجتماع في موقف الحج ، هذه الدعوة الى الصلوات الجامعة والمواقف الجامعة اراد الاسلام بها تحقيق الوحدة الشاملة والمودة الخالصة

وتنمية العاطفة الاجتماعية وتقوية الغريزة الاصلاحية في نفوس المسلمين .

اراد الاسلام أيضا بهذه الجماعات والاجتماعات أن تكون السبل الواحدة التي يسلكها المسلمون ، فاذا هم قد تعاونوا وتآلفوا وتناصروا وتآزروا على اختلاف الالوان والمشارب وتباين الاجناس والطبائع وتنائي الديار والاقطار .

ولكن المسلمين أجابوا داعي الله في صلواتهم الجامعة ، ومواقفهم الحاشدة اجابة آلية آمنت بها ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، تعبت فيها اجسامهم ولم تسم بها أرواحهم انهم ينصرفون من هذه الجماعات والاجتماعات ، وفيهم العالم الذي يكتم علمه أو لا يعمل به .

والحاكم الذي انحرف عن العدل واقر الظلم والبغي ، والوالي الذي ثقل عليه الحق فلم يجهر به وخف عليه الباطل فدعا اليه وانقذه ، والقوي الذي يستذل بقوته الضعفاء والغني الذي يشح بماله على الفقراء ، والمعلم الذي عهد اليه بالنشء فلم يف بعهده ، والرجل الذي يؤتمن على الودائع فيخون الأمانات ، والزوج الذي يستغل مال زوجته او جمالها في غير طاعة الله والمرأة الغادرة التي تخون زوجها في ماله ونفسها انهم ينصرفون من هذه الجماعات الخ .. وفيهم الولد العاق والفتاة الجامحة ، وفيهم الذي يشعل نار الفتن ويفرق شمل الجماعات ويقطع أوصال الارحام ويجاهر الله بالعدوان .. يشهد هذه الصلوات الجامعة وتقف هذه المواقف الحاشدة ، هذه الطوائف الباغية الماكرة لم ينفعها ايمانها ، وقصرت بها طاعتها عن الوصول الى الله والنفاذ الى نفع الناس وذلك شأن الايمان الناقص وشأن الطاعة الزائفة ، ثم يحسب المسلمون بعد هذا كله أنهم قد أرضوا ربهم . وصدقوا برسولهم وعملوا بما في كتابهم ، وتأدبوا بآداب شرعهم ، كلا والله ولو نجحوا في ذلك وأفادوا منه لعم سلطانهم الأرض ، وفاض هديهم على المشرق والمغرب ودانت لهم امم الكفر وانار الله بهم ظلمات الضلال ، ونشر الله بهم الامن والسلام في العالمين .

فعلى هذا الجمع العمل على النجاة من هذا الطوفان المغرق في الشهوات والموبقات والخلاص من هذا الاسر المهلك بقهر النفس ونبذ عبادة الهوى ، وارغام انف الشيطان . وطاعة الولاة الناصحين واجبة والاسترشاد برشد العلماء العاملين والانتفاع بجهود أصحاب المواهب المخلصين ، فان ذلك ما يجمع القلوب على الهدى ويوحد الالسنة والايدي والعقول للخروج بالأمة المحمدية من هذا المأزق ، ورفعها الى الذروة وتمكينها من اسباب النجاح والفلاح وتحقيق العزة لها بين شعوب الدنيا وفي ذلك نصر الله : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد / ٧ .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال : لله وكتابه ، ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم عن تميم والبخاري عن ثوبان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقفة تأمل

عاقبة الظلم

○ الظلم سبب كاف لهلاك قوم بأكملهم .. ولقد قص علينا القرآن الكريم خبر قوم اخرجهم ظلمهم من جنات وعيون ، ونعيم ومقام كريم .. ثم كان مصيرهم الغرق ليكونوا عبرة وعظة لمن يجيئون بعدهم .

○ القوم هم قوم فرعون .. تحدوا نبي الله موسى .. وقد ناداه الله ان يذهب الى القوم الظالمين .. قال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون) .

○ وتجبر فرعون وقومه ، ونشروا الفساد والظلم وتحدوا رسالة السماء ، ورسول الله اليهم ، فكانت العاقبة : (فأخرجناهم من جنات وعيون.وكنوز ومقام كريم) بسبب ظلمهم .. كان ما هم فيه من نعيم ميراثا للقوم الذين ساروا في ركاب المرسلين : (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) .

○ ويسدل الستار على نجاة موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه .. قال تعالى : (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين • ثم أغرقنا الآخرين) .

○ ومع ذلك ـ وكما هو شأن اليهود دائما ـ تمردوا على نبيهم ، وكفروا بعد ايمان ، وعبدوا العجل ، فانزل الله بهم من البلاء والعذاب ما لم ينزله بغيرهم ، وان ربك لهو العزيز القادر على الانتقام من اعدائه ، الرحيم الذي يشمل اولياءه بواسع رحمته وفضله .

○ وهكذا تكون عاقبة الظالمين دائما في كل العصور والأزمان ـ فما بالنا لا نتدبر قصص القرآن لنتجنب اسباب الهلاك .. ولتكتب لنا السلامة ، وليتحقق لنا النصر على الاعداء ؟

○ أليس من الظلم ان يشاهد المسلمون ـ ويسمعون ـ هذا الدمار والتخريب والتقتيل والتشريد الذي يقع على اخوة لنا مسلمين في لبنان ؟ أليس من الظلم ان يقف الفلسطيني واللبناني امام عدو المسلمين الاول اسرائيل .. والعرب والمسلمون يسدون عين الشمس وكأن الأمر لا يعنيهم !!

○ بل نقول ان ظلمنا هنا وهناك على امتداد الساحة الاسلامية يقع على الافراد بل على شعب بكامله من حكومته « الوطنية » ، « التقدمية » « الثورية » .. فماذا نتوقع من نتائج ؟!

○ يقول رسولنا صلى الله عليهوسلم : "ما من مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته" .

○ فالبدار البدار يا زعماء المسلمين الى نصرة المظلومين .. والوقوف في خندق المجاهدين والدفاع عن الدين ، والعرض ، والوطن ، والشرف ، والكرامة ، فوجودنا مهدد ، ومسئوليتكم امام الله عظيمة . ودعاؤنا ان يحقق الله عز الاسلام على ايديكم .. ويبدل هواننا على الناس عزا ومجدا ، وذلنا شرفا ورفعة ..

اللهم آمين

البيت الحرام

وذكريات المسلم في الحج

للاستاذ / سعد صادق محمد

أمل ابراهيم في اقامة القواعد من البيت :

يعود تاريخ حج بيت الله الحرام الى أيام ابراهيم عليه السلام ، حين هاجر ومعه ابنه اسماعيل من العراق هربا من النمروذ ، طاغية العراق ، وحط رحاله في مكة بإذن الله ليقيم القواعد من البيت الحرام هو وابنه اسماعيل .

كان أمل ابراهيم الخليل حين قال : (**إني ذاهب الى ربي سيهدين**)الصافات / ٩٩ وهاجر الى واد غير ذي زرع تحوطه جبال ووهاد وكثبان .. كان يأمل ان تنشأ أمة ـ كما أراد الله ـ في هذا المكان القفر ، تكفر بكل ارباب الأرض ، وتخلص العبودية لله وحده لا شريك له ، ولا تخضع لسواه :(**واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**)الحج / ٢٦

وبعد ان وصل ابراهيم بزوجته هاجر ووحيده اسماعيل الى مهاجرهم الكريم ، قال يؤكد ما اراده الله من اقامة البيت ، وهو عبادة الله وحده ،

وتعمير الأرض ، قال :(**ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**)ابراهيم / ٣٧

○ رسول من امة العرب :

ولقد كانت اقامة البيت الحرام في مكة .. وكانت الدعوات الطيبة التي هتف بها ابراهيم الى ربه ـ وهو يضع اللبنات الكريمة في أكرم بناء ـ لتنشأ امة حول البيت ، هو ان يخرج منها رسول يتلو عليهم الكتاب ، ويعلمهم ويزكيهم ، وهذا ما تحكيه الآية الكريمة : (**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**)البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٩

واستجاب الله لدعاء ابراهيم الخليل ، فقامت امة العرب من حول البيت ، واصطفى الله منها قريشا ، واصطفى من خيار بطونها وعشائرها محمدًا صلى الله عليه وسلم .

○ ارتباط بين الرسالات :

ونلاحظ وجود ارتباط بين رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالة ابراهيم عليه السلام ، فقد جذب الحنين رسول الله الى مكة التي بها بيت الله (الكعبة) ، وأخذ يقلب وجهه تجاه المشرق (بيت الله الحرام) حنينا وتشوقا الى مسقط رأسه ، وموطن الكعبة ، ومنزل ابراهيم الخليل ، وقد قص علينا القرآن قصة حنين النبي الى البيت الحرام بقول الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

وحين جاء الرسول الأمر حول الرسول قبلته في الصلاة من بيت المقدس الى البيت الحرام . وهنا نجد الحقد اليهودي يتحرك لاثارة الفتنة ـ كعادتهم في كل زمان ومكان ـ فعندما حدث التحويل خاضوا في الأمر ، قائلين ان هذا التحويل هزة في رسالة النبي ، ودليل على عدم استقرارها ، وقالوا كما يحكى عنهم القرآن :(**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**) ؟.. فرد الله على سفاهتهم ، وسوء تفكيرهم بقوله :(**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**) البقرة / ١٤٢

لم يرض اليهود عن ترابط الرسالتين بهذا التحويل الذي تم قبل فتح مكة ، وكان ترابطا لا بد منه ، فهو ترابط بين أهل الأرض والسماء .. رباط يصل أهل الأرض برب البيت الحرام ، لتتجه قلوبهم .. ومشاعرهم .. وأفكارهم .. ومقاصدهم نحو هذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس وامنا ، وليعود الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم ـ الذي نزلت عليه الرسالة الخاتمة ـ بأمته العربية الى الجد ابراهيم الخليل عليه السلام صاحب الرسالة الاولى . وجدير بالذكر ، انه حدث ارتباط سابق بين الرسالات السماوية ، وبين السماء .. بين رب البيت الحرام ، وذلك حين اسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، من مكة .. الى المسجد الاقصى حيث يوجد بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء ، فأراد الله ان يبين للناس بهذا الترابط ، ان مهابط الوحي كلها : مهبط الوحي الأول الذي تلقاه ابراهيم واسماعيل ، ومهابط الوحي الثاني الذي تلقاه موسى وعيسى ، ومهبط الوحي الثالث الذي تلقاه محمد لتكملة الرسالات السماوية السابقة عليه .. أراد الله ان يبين ان هذه المهابط جميعها مهابط لرسالة واحدة ، في أصولها ، وعقيدتها ، وغاياتها ، ودعوتها ، وإن اختلفت ازمنتها ، وتعددت رسلها .

اذن ، فالترابط الذي حدث بتحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس الى البيت الحرام ، هو تأكيد للترابط السابق الذي حدث بين مهابط الوحي .

○ ذكريات المسلم في مناسك الحج :

وعندما يخرج الحجاج قاصدين الأراضي المقدسة لاداء فريضة الحج ، سيذكرون قول الله لخليله ابراهيم عليه السلام :(**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**)الحج / ٢٧ ـ ٢٩

ولهذا يرددون ـ وهم متوجهون الى هذه البقاع المقدسة ـ ما علمه لهم رسول الله : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

وسيذكرون ـ وهم متوجهون الى البقاع المقدسة ـ انهم ذاهبون الى البلد الأمين ، الذي خلع الله عليه الأمن والطمأنينة ، استجابة لدعوة ابيهم ابراهيم ، واعلى شأنه ، وعظم قدره ، وذلك حين اقسم به ضمن منازل الوحي ، حيث قال (**والتين والزيتون. وطور سنين . وهذا البلد الأمين**)التين / ١ ـ ٣

وسيذكرون ان هذا البلد الذي يقصدونه ، هي أم القرى التي خرج من

شعابها وجبالها شعاع الايمان ، ونور الهدى ، وصوت الحق والتوحيد ، فكان ذلك ايذانا بذهاب عهد الشرك والباطل والوثنية ، وايذانا بمجيء عهد الاسلام والتوحيد ، فعاد به الانسان الى كرامته وشخصيته ومكانته ، وذلك حين نزل القرآن على نبيه محمد ، فأنقذ البشرية مما كانت تعانيه من الاستعباد والظلم والقهر والضياع ، :(**وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**) الشورى / ٧

وسيذكرون ان هذه البلدة ، هي بلد السلف الصالح ، والرعيل الاول من المؤمنين الذين آمنوا بالله ، وبالدعوة المحمدية ، وواجهوا – حين اعلنوا ايمانهم واسلامهم – اقسى ما واجهته البشرية من عذاب واضطهاد وآلام في تلك العهود .. وان أبناء هذه البلدة باعوا انفسهم ، وتركوا اموالهم في سبيل الله ، وهاجروا من مكة الى المدينة مستعذبين آلام فراق الأهل والولد وكل شيء في الحياة في سبيل الهجرة الى الله ، ونصرة دينه .. وان هذا البلد ظل ابناؤه اوفياء له ، وظلوا محتفظين له بالوفاء والحب والتقدير ، رغم ما أصابهم من محن التشريد والاغتراب .. وانه عندما تيسر لهم طريق العودة اليه ، وفتحت لهم أبوابه ، دخلوا فاتحين منتصرين ، حيث يقول الله :(**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا على ربهم يتوكلون**)النحل / ٤١ و ٤٢ .

هذه الذكريات ستحضرهم وهم على أبواب مكة ، وحينئذ يشعرون انهم على صلة روحية بآثار ومكان أسلافهم الأوائل ، وهنا تأخذهم روعة الذكريات الى ماض عريق عزيز مجيد ، فتوحى اليهم هذه الذكريات العزيزة بالتجرد من مظاهر الدنيا وزخارفها ، ويخلعون انفسهم مما عرفته الدنيا من طبقات وتفاوت ومراكز ، ويعودون الى ربهم ، ويدخلون في وحدة العقيدة ، ووحدة المظهر ، فيظللهم شعور واحد ، وايمان واحد ، بأنهم جميعا أمام ربهم الواحد الذي يعاملهم هنا سواسية كأسنان المشط ، فما زالوا يهتفون ملبين تنفيذا لأمر الله وشرعه : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

وفي هذا المكان – البيت الحرام – تتلاشى ايضا الحواجز التي بينهم من فقر وغنى ، وقوة وضعف ، فيطوفون . متذكرين قول الله : (**وليطوفوا بالبيت العتيق**)وتحضرهم الذكريات حين يندفعون الى الصفا والمروة تنفيذا لأمر الله : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم**) البقرة / ١٥٨

وهنا – بين الصفا والمروة – يتذكرون هاجر زوج الخليل ابراهيم عليه السلام ، حين كانت تهرول وتجري هنا وهناك بحثا في هذا المكان عن ماء

تروي به عطش ابنها اسماعيل ، ثم نبع ماء زمزم ، فسقته ، ورطبت كبده وكبدها ، ونبع الخير هناك ، واتصل بهم الناس وعمروا المكان .

وسيذكرون وهم في عرفات ، ان الرسول وقف هنا في هذا المكان ، ودعا الله بما شاء ان يدعوه به ، فيقفون بين الجبال والاحجار والوديان .. وتحت السماء الصافية ، بقلوب مملوءة بالخشية ، ووجوه شاخصة بالضراعة ، وايد مرفوعة بالرجاء والسنة مشغولة بالدعاء ، وآمال صادقة في رب رحمن رحيم .

وسيذكرون حين يندفعون الى عرفات لرمى الحجار في العقبات الثلاث .. سيذكرون قصة الشيطان ، وهو يوسوس لابراهيم ، ويبعده عن الخضوع لأمر الله بذبح ابنه ، ويوسوس لابنه اسماعيل ليعصى امر الله بذبحه ، وكان ذلك بعد ان أطاع كل من ابراهيم واسماعيل امرربه في الذبح ، واستعدا لتنفيذ المشيئة الالهية ، يقول الله في هذا : (**فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه أن ياإبراهيم.قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين .إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم**) الصافات / ١٠٢ ـ ١٠٧ ، سيذكر الحجاج هذا الموقف العظيم من ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، وهمايرجمان ابليس اللعين ، ويطاردانه من ساحتهما ليبتعد عنهما بوسوسته واغوائه ، فيعلنون تصميمهم على نبذ عوامل الشر ، ونزعات النفس والهوى ، حين تأتى لهم من وسوسة الشيطان واغرائه واغوائه ، فينغص عليهم حياتهم ، ويروع امنهم .

وسيذكرون ايضا وهم في ميدان الرمى ، نبأ التبليغ الالهي ، الذي قام به على رضى الله عنه ، نائبا عن الرسول ، وأبو بكر على رأس حجيج المسلمين لأول مرة بعد الفتح الأكبر « فتح مكة » ذلكم التبليغ الذي أعلنت به كلمة الاسلام النهائية ، والذي وضع حدا لعلاقة المشركين بالبيت الحرام ، وسجلته سورة براءة أو التوبة يقول الله تعالى : (**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله**) التوبة / ١ ـ ٣

هذا هو بيت الله الحرام « الكعبة » .. وهذه هي المعانى الحقيقية لمناسك الحج تحدثنا عنها ، ليتذكرها ويعيها كل من يريد ان ينعم بآثارها الطيبة ، ويتزود بمنافعها وثمارها ، ويعود منها منشرح الصدر ، هادىء البال ، قرير العين ، مطمئن القلب ، حائزا لرضا الله ، حاملا معه خير زاد : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**) البقرة / ١٩٧

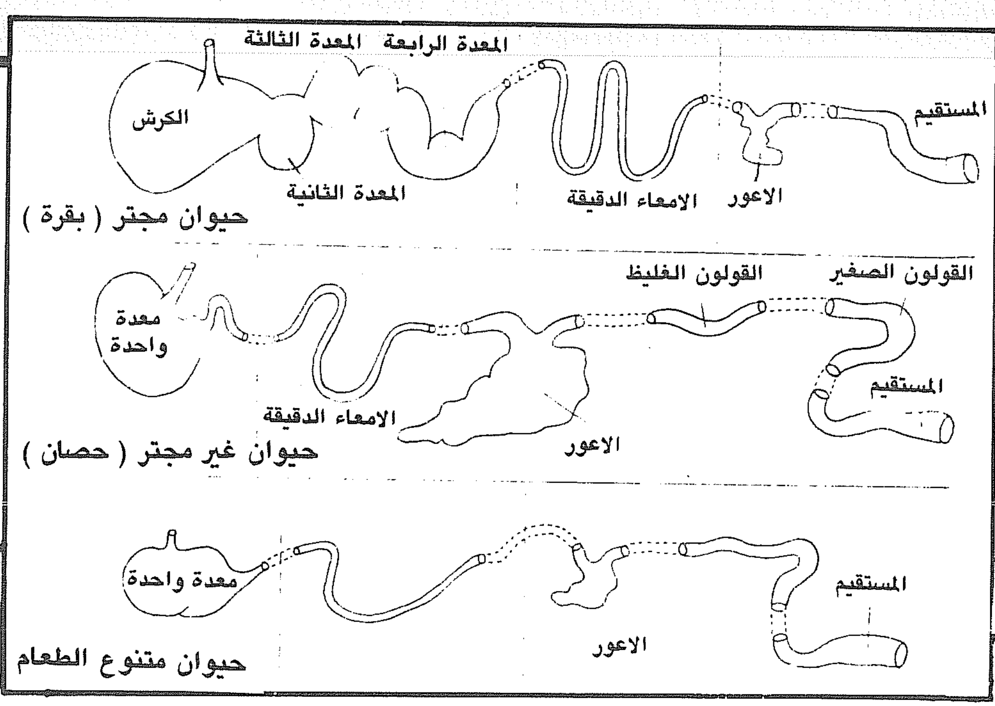
« من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا »

للدكتور / عبد المحسن صالح

وقفت طويلا ، وتأملت كثيرا في معاني آية من آيات القرآن الكريم هي قوله تعالى : (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) النحل/ ٦٦ ، وهي الآية الوحيدة في القرآن التي تعرضت للفظة اللبن ، بجوار آية اخرى ذكرت لبن الجنة : (**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين**) محمد/ ١٥ .

وقد رجعنا الى بعض التفسيرات التي تناولت الآية بالشرح والتحليل ، لنستأنس بها ، فأعطتنا معاني جديدة تتوافق مع ما نعرفه من طبيعة الفرث الذي نسب الى الأنعام ، لكننا لم نحظ من هذه التفاسير الا بالقليل ، ففي تفسير الأنعام يجيء انها الابل والغنم والبقر ، وفي تفسير الفرث تذكر تلك المراجع انه « الأشياء التي اكلها الحيوان وانهضمت في معدته بعض الانهضام » .. وفي تفسير آخر « هو ما يحتويه الكرش » ، وهي - على أية حال - تفسير لمعنى الفاظ ، دون ان تشير الى لب الحقيقة التي خصتها لتجعل لنا فيها عبرة .

لكن لا بد ان نستدرك ونقول : ان الذي عولنا على تقديمه في هذه الدراسة عن معنى العبرة التي يمكن ان نستقيها من ربط الأنعام بالفرث والدم واللبن ، ليس الا اجتهادا منا ، فان كنا قد اصبنا ، فهذا توفيق من الله : (**الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**) الاعراف/ ٤٣ ، وان اخطأنا ، أو جانبنا الصواب ، فان الله غفور رحيم .



شكل توضيحي للجهاز الهضمي لثلاث حيوانات مختلفة لاحظ ان الحيوان المجتر له اربع معدات تبدأ بالكرش وتنتهي بالمعدة الرابعة والحصان حيوان غير مجتر ويعيش ايضا على العشب لكنه بمعدة واحدة ، وفي اسفل الصورة الجهاز الهضمي لحيوانات متنوعة الطعام .. وكل جاء لما هو ميسر له .

بين حقيقتين معروفتين

فواضح من الآية الكريمة ، ومن التفاسير المتاحة لالفاظها أن الانعام عموما هي الحيوانات المجترة ، اي التي تأكل العشب او الكلأ على عجل ، ثم تحتفظ به في كروشها ، وتعيد مضغه بعد ذلك بتأن واضح في عملية يطلق عليها اسم الاجترار ، والعشب أو الحشائش المجترة هي التي تعرف باسم الفرث الذي ينتقل بعد ذلك من كرش الحيوان الى معدته الثانية والثالثة والرابعة ، ومنها الى الامعاء ، حيث يتم امتصاص نواتج الطعام المهضوم .

ورغم ان هناك حيوانات اخرى كالحمير والخيل مثلا ، تعيش على العشب ، الا ان احدا لا يستسيغ البانها ، انما اللبن المستساغ حقا هو ما نحصل عليه من الحيوانات المجترة كالماعز والاغنام والابل والغزلان والبقر والجاموس ، اي ان هناك علاقة واضحة بين لبن مستساغ مصدره فرث ، ولبن غير مستساغ ، لا فرث له ، ولا يهم بعد ذلك مصادر الطعام التي تحصل عليها الحيوانات الآكلة للعشب ، انما المهم هو الفرث الذي جاء من اجترار العشب ، ليتحول الى لحوم ودهون والبان يختلف طعمها ، واحيانا لونها ، باختلاف نوع

الحيوان .

هذه واحدة ـ أما المسألة الثانية التي نود توضيحها ، قبل ان نتعرض لاساسيات الموضوع الذي اشارت اليه الآية ، هي اختلاف التكوين العضوي او التشريحي للجهاز الهضمي بين الحيوانات الآكلة العشب ، وبين غيرها من حيوانات تعيش على مصادر متنوعة من الطعام ، وعلى رأسها الانسان بطبيعة الحال ، او هي ما نعرفه باسم الحيوانات الثديية ، او المنتجة للبن ، لكن المسألة الاهم انك لو فحصت الجهاز الهضمي للحيوانات التي تعيش على الرعي ، لوجدت اختلافا كبيرا بين الحيوانات المجترة وغير المجترة ، فالبقرة هنا غير الحمار ، بمعنى ان البقرة لها اربع معدات « بما في ذلك الكرش » وللحصان او الحمار معدة واحدة (انظر الشكل للتوضيح) ، ويعني ذلك عموما ان الجهاز الهضمي المناسب ، قد جاء للطعام المناسب ، لينتج اللبن المناسب ، اي ان كل شيء قد قدر من البداية بحكمة بالغة تدعو للعبرة والتأمل .

لكن العبرة الواضحة تكمن في الفرث ذاته ، وما يتمخض عنه من مركبات حيوية لا نكاد نحصيها عدا ، ان لبن انثى الانسان مثلا مشتق من اطعمة مختلفة نعرفها تمام المعرفة ، لكن لبن انثى حيوانات المرعى مشتق من اعشاب ، وقد تكون هذه الأعشاب جافة في مواسم خاصة ، ومع ذلك تعطي ، (لبنا خالصا سائغا للشاربين) والفرق ـ كما ترى ـ واضح بين غذاء للانسان فيه تنويع كثير ، وبين عشب للأنعام هو بالنسبة لنا لا يسمن ولا يغني من جوع ، فلا أحد مثلا يستطيع ان يعيش على ما تعيش عليه حيوانات المرعى ، والا كان مآله الضعف والهزال والموت ، ومع ذلك ، فكل مخلوق قد جاء لما هو ميسر له ، او ان ما نحسبه نحن بمعاييرنا عسرا ، هو بالنسبة لغيرنا يسر ، ولهذا العسر في الأعشاب يسر للأنعام ، وله عوامل تشرف عليه ، وتضيف اليه ، فيتحول الزرع الى ضرع .

عملية الهضم في فرث الأنعام

ونحن بطبيعة الحال نأكل الخضراوات طازجة او مطهية ، لكننا لا نستفيد من مكوناتها الا بأقل القليل ، لأن بروتيناتها ودهونها وسكرياتها ونشوياتها جد قليلة ، لكنها مع ذلك تحوي بعض العناصر والفيتامينات الهامة ، الا ان اكثر ما تحتويه الخضراوات والفواكه هي مواد سليلوزية واشباه سليلوزية ، وهذه تمر في امعائنا دون هضم يذكر ، وتخرج مطحونة في الفضلات ، وسبب ذلك اننا لا نمتلك في جهازنا الهضمي الخمائر أو الانزيمات التي تهضم السليلوز ، وتحوله الى سكريات واحماض عضوية لها في حياتنا شأن يذكر ، لكن الانعام تستطيع ذلك ، بل واكثر من ذلك ، وهي لا تهضم السليلوز بذاتها ، فليست لها

عصارات او خمائر لتقوم بهذا العمل ، لكنها « تستعير » خمائر غيرها ، لتجري على الألياف النباتية عمليات هضم واذابة ، فيتحول السليلوز الى جزيئات سكرية كبيرة ، ثم تُشطر الى ما هو اصغر واصغر ، الى ان تتحول الى جزيئات بسيطة يمكن امتصاصها ، والاستفادة بها في كثير من عملياتها الحيوية .. هذه الجزيئات تتمثل في السكريات والاحماض العضوية .

لكن .. ماذا نقصد حقا بقولنا ان حيوانات المرعى تستعير خمائر غيرها ؟... وهل يعني ذلك انها تستعين بكائنات اخرى ؟ .. وما هي طبيعتها ؟.. ولماذا لا نراها ؟

الواقع ان الفرث يحتوي على جيوش من كائنات دقيقة غير منظورة ، ولهذه الكائنات انواع كثيرة جدا ، وهي التي تقوم اساسا بعملية الهضم والاذابة ، ولكي يتيسر لها عملها ، فعلى الحيوان المجتر ان يقطع لها الانسجة النباتية اربا اربا ، او يطحنها في فمه طحنا ، لتتحول الى عجينة ذات الياف مشتتة ، وكلما طحن جرعة ، أعادها الى كرشه ، ودفع الى فمه جرعة اخرى ، وهكذا تستمر تلك العملية ـ على ما رعى الحيوان ـ لساعات طويلة ، وهو في اجتراره لطعامه لا يهضم ، بل يقطع الألياف ، ليسهل على جيوش الميكروبات عملها ، اذ كلما كان القطع والطحن اكفأ ، كان عمل الميكروبات في الهضم اتقن ، والفائدة في الفرث اعظم .

وليس لهذه العملية التي تقوم بها الأنعام مثيل في اي حيوان آخر ، وربما كانت العبرة تكمن هنا ، لكن العبرة او الحكمة الكبرى تكمن بعد ذلك فيما حققته العلوم التجريبية ، او ما كشفته من اسرار تستحق ان تقدم في هذه الدراسة ، ليعلم من لا يعلم كيف دبرت الامور وقدرت ، لتستفيد بها الأنعام فائدة لا يجاريها فيها اي حيوان آخر .

بين فرث ومعامل

ولقد تساءل العلماء بدهشة : كيف تعيش هذه الحيوانات على الاعشاب ، وتستفيد بها بكفاءة تامة في حياتها ، دون ان تظهر عليها اعراض سوء التغذية ، كما يحدث مثلا للانسان الفقير في الطعام ؟

والتساؤل ـ في حد ذاته ـ بداية هامة في الكشف عن اسرار الكون والحياة ، لكن لا يكفي ان تسأل وتتعجب وتسكت ، بل لا بد من وضع تساؤلاتك في إطار التجربة العلمية ، لأنها هي التي تميز الغث من السمين ، ولقد أجرى العلماء مئات وآلاف البحوث عن مكونات هذا الفرث .. بعضها يتناول مركباته الكيميائية ، وبعضها الاخر ينصب على اكتشاف مكوناته الميكروبية ، ولقد حاول العلماء محاولات كثيرة وشاقة ، ليعزلوا ميكروبات الفرث واحدا واحدا ، ليدرسوا كل نوع منها على حدة ، علهم يرسمون للعملية صورة متكاملة ، ورغم انهم قدموا

لهذه الميكروبات بيئات غذائية غنية ، وتماثل الى حد بعيد بيئتها في الفرث ، الا انها اظهرت عنادا شديدا ، وكأنما أي شيء آخر لا يرقى الى ما ترقى اليه بيئة كرش الحيوان ، لكن الميكروبات اظهرت بعض الاستجابة ، عندما امدوا بيئاتها الغذائية الصناعية بجزء من محتويات الفرث المعقمة « اي الخالية من الميكروبات » .. المهم ان العلماء قد تعلموا الكثير ، وادركوا ان الفرث يحتوي على عشرات ، بل مئات الانواع من الكائنات الدقيقة ، وكان اهمها البكتيريا ، يليها الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وبعض انواع فطر الخميرة .

ان الأمر يبدو وكأنما الحياة الدقيقة في الفرث ، اشبه بغابة متوازنة بنباتها وحيوانها وطيرها وزواحفها وحشراتها ، وان ما فيها يعيش على ما فيها ، وكأنما قدرت ارزاقها تقديرا ، لكن دراسة بيئة الغابة ميسرة ، في حين ان دراسة بيئة الفرث تنطوي على متاهات كثيرة ومعقدة ومتشابكة ، والحق انها اعيت العلماء حتى يومنا هذا .. فربما يعيش ميكروب على ما ينتجه في الفرث ميكروب آخر ، ثم يليه آخر وآخر ، وعشرات ، بل مئات .. فنحن في الواقع امام حياة غير منظورة ، وانتاج كيميائي غير منظور ، ودفع غير منظور ، وهذا وغيره يحتاج الى تحليلات كيميائية ، ومزارع ميكروبية ، وعقول ذكية لتخطط وتجرب وتجمع وتستنتج ، ونحن هنا لا نبالغ ، لأن لكل نوع من هذه الميكروبات بروجرامه الوراثي ، وبهذا البروجرام يحيل المادة الخام الى مادة حياة ، وهذه وحدها تنطوي على مئات العمليات الكيميائية التي تسير في سلسلة من الخطوات المنظمة اعظم تنظيم : واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

لكن الفرث لا يحتوي على نوع واحد من الميكروبات ، بل هناك عشرات او مئات ؛ وكل نوع يقوم بمئات العمليات او التفاعلات الكيميائية ، وحصيلة كل هذا معمعة كيميائية مفعمة بالاسرار ، وكانما ليس لها من نهاية او قرار وطبيعي اننا لا نستطيع ان نتعرض هنا لمثل هذه الأحداث التي تجري في الخفاء ، والتي كشف العلماء عن بعض اسرارها الحجاب ، لكن كل ميكروب ـ والحق يقال ـ بمثابة معمل كيميائي دقيق غاية الدقة ، ومع ذلك فهو يجري من العمليات الكيميائية ما هو اكثر كما ونوعا وسرعة ودقة مما يجري في اي معمل كيميائي متقدم من صنع الانسان .

فكرة الفرث سبقت افكارنا

لكن ... ماذا يعني كل هذا بالنسبة للانعام عامة ، والألبان خاصة ؟

يعني ـ في الواقع ـ الكثير ، ولكي نلم بعناصر الموضوع ، كان من الأوفق ان نشير اولا الى تلك البحوث التي يجريها العلماء ، لكي ينتجوا البروتينات من تربية او زراعة الميكروبات في مستودعات او احواض

كبيرة مجهزة ببيئات غذائية مناسبة ، فالمعروف ان هذه الكائنات تتكاثر بسرعة رهيبة طالما هي تحصل على غذائها باستمرار ، فالميكروب يتكاثر كل ٤٠ او ٣٠ دقيقة ، اوحتى كل ربع ساعة ، ويعني هذا ان الميكروب - في المتوسط - يعطي فردين بعد نصف ساعة ، واربعة بعد ساعة ، وثمانية بعد ساعة ونصف ... وهكذا يسير في متوالية عددية مضاعفة ، ليصبح في غضون يوم واحد بلايين فوق بلايين من الكائنات ، ولو استمرت هذه العملية ليومين اثنين بذلك المعدل ، لنتج لدينا بلايين فوق بلايين من اطنان المحصول الميكروبي ، لكن ذلك لا يحدث ، لأن هناك عوامل تحد من استمرار التكاثر بهذه السرعة ، ومع ذلك ، فلو ان الانسان قد نجح في السيطرة على هذه العملية ، فانها تمده بفيض هائل من البروتين الميكروبي الذي يصلح علفا للحيوان ، ان لم يكن غذاء للانسان ،، خاصة في عالم تنقصه الموارد البروتينية اللازمة لامداد مئات الملايين من الافواه الجائعة .

وطبيعي ان هذه المزارع الميكروبية تحتاج لصناعات ضخمة ، وصيانة مستمرة ، وموارد غذائية دائمة ، ومعامل للتحليل ، وعمالة للاشراف والتجهيز ، وطاقات للاستهلاك ... الى آخر هذه القائمة من التجهيزات اللازمة لأي مشروع كبير ، لكن هذه المشروعات لم يكتب لها النجاح المطلوب ، رغم البحوث الكثيرة التي اجريت في هذا المجال .

لكن الانعام قد حققت هذا الهدف قبل ان يظهر الانسان ، بعشرات الملايين من السنين ، ودون ان تلجأ الى اقامة المعامل ، واجراء البحوث ، فكروشها هي المعامل الطبيعية التي يجري كل شيء فيها بحساب ومقدار ، والفرث هو البيئة الصالحة تماما لتكاثر الميكروبات بأعداد رهيبة ، فكل شيء مهيأ حقا لهذا التكاثر والتفاعل ، فمن درجة حرارة مناسبة ، وحضانة ملائمة ، وميكروبات متوازنة ؛ وعمليات كيميائية متتابعة ، ونواتج غذائية متكاملة ، الى آخر هذه الامور المقدرة تقديرا مذهلا ، وليس ادل على ذلك من ان العلماء قد فشلوا في تقليدها ، ربما لانهم لم يلموا بكل تفاصيل هذه الاحداث المتداخلة ، ولو وصلوا ، لفعلوا وقلدوا ، لكن الفرث ينطوي على تحديات تحتاج الى كثير من البحوث والانجازات .. وهنا تكمن العبرة التي اشارت اليها الآية الكريمة .

ثم ان الانعام لا تدعي أنها تأكل اطايب الطعام ، لتجود باللحم واللبن المتكامل العناصر ، بل يكفيها عشب ترعاه ، ومن العشب تحصل على الطاقة الميسرة التي تستخدمها الميكروبات اولا ، ثم الأنعام ثانيا .. لأن الحيوان المجتر لا يستطيع ان يهضم المادة الأساسية في الاعشاب (السليلوز) - كما سبق ان ذكرنا ، بل عليه المضغ والتقطيع ، وعلى الميكروبات الهضم والتحليل ، والواقع ان كل مادة غذائية في العشب لها ميكروباتها المتخصصة ، فللسيليلوز

ميكروباته ، ولأشباه السيليلوز ميكروباتها ، وكذلك للنشويات والبروتينات .. الخ ، وكل هذا يتحول الى مواد كيميائية بسيطة وميسرة لتستفيد بها جيوش الميكروبات في بناء مادتها الحية ، وكأنما كرش الحيوان المجتر هنا بمثابة مستودع مثالي للتخمير ، او مزرعة ميكروبية ذات كفاءة عالية ، اذ عندما يصيب هذا المستودع اي الكرش » محتوياته في المعدة الثانية للحيوان ، فإن عدد الميكروبات قد يصل إلى حوالى ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميكروب في السنتيمتر المكعب الواحد ، (قدر سكان العالم بحوالي مرتين ونصف) اي ان محتويات الكرش هنا تضم اعدادا كونية من المحصول الميكروبي ، ومن هذا المحصول يحصل الحيوان على كل مقومات حياته ، اذ عندما تمر هذه المزارع في معدته وامعائه ، تموت منها نسبة كبيرة وتتحلل ، وعندئذ تتخلى له عن مادتها التي وهبتها يوما حياتها ، فيهضمها ويمتصها على هيئة بسيطة ، لتسري بعد ذلك في دمائه ، ثم تبنى في خلاياه . وأنسجته على هيئة بروتينات ودهون وسكريات بسيطة ومعقدة ، ومنها الى أثدائه ، ليصبح لبنا سائغا للشاربين ، وفي اللبن ايضا بروتيناته ودهونه وسكرياته وفيتاميناته .

تأمل له معناه

ثم انك لو تأملت قليلا في هذه العملية ، لأدركت ان حيوان المرعى بمثابة مزرعة ميكروبية كالتي يطمع فيها العلماء ، لكنهم لم يحققوا هدفهم بكفاءة حتى الآن ، ولقد حققها الحيوان ، وبأقل تكاليف ممكنة .. فمادته الخام تكمن في الاعشاب ، وطحنها تتكفل به الأسنان ، ومستودع تخميرها كرش ، وعمالتها ميكروبات متخصصة ومتوازنة ، وفي فرثها منحة غالية لم تكن موجودة اصلا في المادة الخام « اي الاعشاب » والمنحة تتمثل في بعض فيتامينات هامة للحيوان والانسان ، والذي جهز هذه المواد الثمينة ، من خاماتها الرخيصة ، مجموعة محددة من الميكروبات ، ولهذا فان ألبان الأنعام تحتوي عادة على نسبة ثابتة من الفيتامينات ، واهمها مجموعة فيتامين « ب » المركب ، ولا يهم ان اكل الحيوان عشبا خاليا من الفيتامينات ، او يابسا او اخضر ، لأن اساس صناعة هذه المواد الحيوية تكمن في هذه المعامل الحية الدقيقة ـ اي الميكروبات النشطة في فرثها .

والصعوبة التي تجابه العلماء الآن في بحوثهم التطبيقية هي كيفية جني المحاصيل الميكروبية من مزارعها بطريقة اقتصادية ، واصعب من ذلك ايضا فصل المكونات التي تحتويها الميكروبات ، اذ ان فيها النافع والضار ، فبجوار ما تحتويه من بروتينات وفيتامينات ، فقد تحتوي ايضا على سموم ناقعات ، وتلك مشكلة كبرى وقفت حائلا دون

الاستفادة من المزارع الميكروبية الصناعية - اي التي تتم في احواض او مستودعات كبيرة للتخمير .

لكن الأنعام قد حلت هذا الأمر بطريقة اقتصادية يسيل لها اللعاب ، فكأنما هي تحتضن في فرثها ميكروبات اختيرت لها اختيارا دقيقا ، فلا سموم فيها ، ولا نفايات ضارة ، بل قدر كل شيء تقديرا حسنا من البداية .. اضف الى ذلك ان المحصول الميكروبي ، والمكونات الغذائية التي اطلقتها الميكروبات في الفرث ، تجد لها في الجهاز الهضمي للحيوان ما يفصلها او « يغربلها » الى وحداتها ، فتمتص الامعاء منها المفيد ، وتدفعه الى الدم ، وغير المفيد ينطلق الى الخارج على هيئة فضلات .

والواقع ان عملية فصل وامتصاص المفيد من غير المفيد في امعاء الانسان والحيوان ، ثم دفعه الى الدم ، انما هي عملية معقدة ودقيقة ، فالغذاء المهضوم لا يمر من خلال اغشية خلايا الامعاء بنفس السهولة التي تمر منها المحاليل من خلال ورق الترشيح ، بل على الاغشية بناء ليس كمثله بناء ، والبناء من جزيئات كيميائية مختلفة ، لكنها متآلفة ، وهي هنا بمثابة حرس الحدود الذي يسمح بالدخول للمرغوب فيه ، ولا يسمح لسواه ، وكذلك تكون الاغشية الرقيقة غاية الرقة ، فهي تنتقي الصالح ، وتترك الطالح ، ليخرج كفضلات ، لكن هذا موضوع آخر طويل ومثير ، وقد نتعرض له في دراسة قادمة ، لنوضح بها المعنى المقصود من بين الفرث والدم ، ولنعلم ايضا شيئا عن اتقان الخلق الذي عبرت عنه الآية الكريمة : (**صنع الله الذي اتقن كل شيء**)النمل/٨٨ .

بقيت نقطة اخيرة تشير الى تلك العلاقة الوطيدة بين الانعام ، وبين ما تحوي في فرثها من ميكروبات ، فهذه الحيوانات لا تستطيع ان تعيش على الكلأ او الأعشاب بدون وجود هذه الكائنات ، لأنها بمثابة « الطاهي » الذي يجهز لها « المائدة » في كروشها من خامات بسيطة ، فيحولها الى اصناف من المركبات تدخل في اللحم والشحم واللبن ، ثم ينتقل كل هذا الى موائدنا طعاما شهيا ، ومن وراء ذلك جنود مجهولون يسكنون الفرث ... أضف إلى ذلك ان الميكروبات بدورها وكما سبق ان قدمنا - لا تستطيع ان تعيش بدون حضانة الانعام ، والتجارب الكثيرة التي اجراها العلماء توضح ذلك اعظم توضيح .

ان هذه المشاركة بين انعام وميكروبات تعرف باسم المنفعة المتبادلة ، لأن كليهما يقدم لرفيق حياته ما يحفظ عليه حياته ، وهو ما اشرنا اليه فيما تقدم من صفحات ، وهو ما اشرنا اليه قبل ذلك ايضا في دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وتعرضنا فيها لصور متقنة من التعاون بين الكائنات ، لتسير بها الحياة هينة لينة ، ولتدل على المغزى العميق ، والتنظيم الدقيق في كل شيء خلقه الله فقدره تقديرا : (**وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ .

وقفت بالنيل

للأستاذ / كمال الوحيدي

« مهداة الى المسلمين بمناسبة الغزو الروسي لافغانستان »

وقفت بالنيل في حزن أرددها
آهات وجد من الأعماق أزجيها
ونخلة في ضفاف النيل فارهة
دقات قلبي كبركان تناجيها
والدمع من مقلتي الحرى له لهب
يدمي القلوب التي جفت مآقيها

شكوت للنخلة الخضراء أمتنا
سيمت هوانا ولم تشهد مواضيها
فالخصم يعبث في اقداسنا بطرا
يا للمهانة قد ضجت ملاهيها
هانت على الناس لما أمعنت سرفا
فأصبحت هدفا تغزي نواحيها
فأطرقت نخلة الوادي تناشدني
بأن اكف فان الشكو يدميها

قالت : الا تبصر السكرى بلا سكر
مثل السوائم تلهو في مراعيها
لم يعبأوا بدماء في الوغي نزفت
هبت الى المجد إرضاء لباريها

هبت تصون الى الاقصى عروبته
ولم ترم بذليل العيش ترفيها
فخانها من تهاووا في ضلالتهم
صما ولم يقبلوا هديا وتوجيها

أين الشهامة أين القدس موطننا
أين الكرامة هل جفت سواقيها ؟
هذي الملايين للاسلام قد نسبت
لم تنتفض وسهام الكفر ترميها
ففي « فلسطين » اسرائيل قد رتعت
وفي « الفلبين » « ماركوس » طغى فيها
وشعبنا في « اريتريا » رأى عنتا
« مريام » يقذفها نارا ويصليها

فقلت يا نخلتي أفغاننا غزيت
فالروس قد أرهقوا كفرا مرافيها
وفي « اوغندا » دماء الأهل نازفة
دالت بها قوة كنا نرجيها
« جوليوس نيريري » غزاها وهي آمنة
حقدا فحول أنقاضا مبانيها
يا مسلمون اعدوا اليوم عدتكم
ضموا الصفوف فان الله راعيها
الكفر شن على الاسلام حملته
قتلا ونهبا وإفناء وتشويها
صفوا الجموع على اسم الله واعتصموا
بحبله وبإسم الله مجريها
ولترفعوا راية التوحيد عالية
فوق الثغور أقاصيها ودانيها
حتى تعود الى الاسلام عزته
وأرضنا بدماء الصيد نحميها

مشروع اسرائيلي

للاستاذ/ راتب السعود

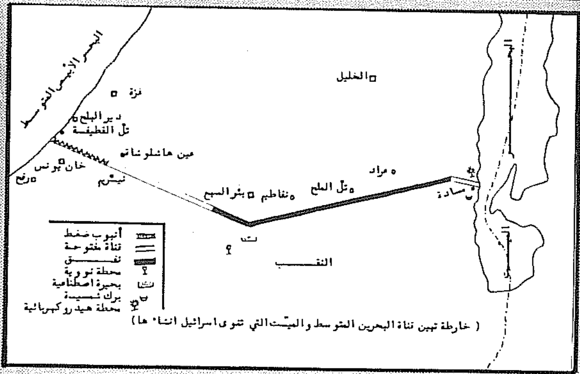
الاطماع الصهيونية في البلاد العربية وثرواتها من نفط ومواد خام ومياه وبحار وانهار ، اطماع لا حدود لها . فالمخططات التي وضعها الاستعمار للسيطرة على خيرات البلاد العربية ، سلمت للصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل لتعمل على تنفيذها بالتدريج تبعا للظروف السياسية والاوضاع الاقتصادية .

ولعل واحدا من هذه المخططات هو ما يطرح الآن تحت اسم « مشروع قناة البحرين » وهو مشروع من بنات افكار الاستعمار البريطاني القديم ، وكان قد تنبأ به الزعيم الصهيوني « ثيودور هيرتسل » وتحدث عنه في كتابه « الارض القديمة والجديدة » والمقصود هو ربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت عن طريق قناة تستغل لاغراض مختلفة .

نبذة تاريخية :

ولعل ايجاد هذا الرابط المائي بين البحر الابيض المتوسط والبحر الميت هو جزء من مشروع كبير كان الاستعمار البريطاني - في اواسط القرن التاسع عشر - يحلم به ، من اجل الوصول الى المستعمرات الهندية بأقصر الطرق واكثرها اقتصادا ، وخصوصا ان الاستعمار الفرنسي قد خطا خطوات واسعة في مشروع قناة السويس ، ولذا فقد كلفت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة الكولونيل « وليام آلن » للذهاب الى فلسطين ودراسة امكانية شق القناة التي ستكون موازية لقناة السويس . وبالفعل حضر آلن الى فلسطين وبدأ دراساته ولخص ابحاثه في كتاب بعنوان « البحر الميت طريق جديدة الى الهند » ويقترح فيه شق قناة تربط البحر المتوسط من خليج حيفا بالبحر الميت والذي سيرتفع منسوب المياه فيه ، ثم دعا الى استكمال المشروع

قناة البحرين المتوسط والميت



(خارطة تبين قناة البحرين المتوسط والميت التي تنوي اسرائيل انشاءها)

بوصل البحر الميت بخليج العقبة ، واكد ان تكون القناة من الاتساع بدرجة تسمح للسفن بالابحار فيها . نخلص من هذا الى ان مشروع القناة فكرة بريطانية قديمة ، اما الصهاينة فلم يفكروا بها الا منذ سنة « ١٨٩٩ ». وذلك حين وضع ثيودور هيرتسل الخطوط الاولى لانشاء دولة اسرائيل وبالتالي تزويدها بالماء والكهرباء لسد حاجاتها . ولعل هيرتسل استعان بمهندس سويسري يدعي « ماكس بوركات » من اجل وضع التصاميم الفنية للقناة التي ستنشأ في المستقبل .

تنفيذ المشروع :

بقي كل هذا حبرا « على ورق ، وتعاقبت الاجيال على الحكومات الاسرائيلية منذ تأسيسها ولكن الخطط والتصورات لم تهمل ، وكانت الظروف تحول كل سنة دون تنفيذها فيؤجل الى سنة اخرى لاعتبارات سياسية واقتصادية .

وجاءت حكومة الليكود برئاسة مناحيم بيغن لتشكل لجنة برئاسة « يوفال نئمان » رئيس علماء الجيش الاسرائيلي لدراسة المشروع ، حيث بدأت اللجنة اعمالها في عام ١٩٧٨ ، وبدأت بدراسة المشاريع والمخططات القديمة ، ودرست مختلف الاوضاع ورفضت عدة طرق يقترح واضعوها مرور القناة بمناطق معينة ، واستبدلتها بطرق اخرى رأت انها مناسبة لاسباب كثيرة ولاعتبارات سياسية واقتصادية وغيرها .

استقر الرأي على اعتماد الخط الذي يصل تل القطيفة قرب غزة على ساحل البحر المتوسط بالمسادة قرب البحر الميت ، وحال الانتهاء من كافة الابحاث وعلى ضوء تقارير لجنة نئمان ، فقد اتخذت الحكومة الاسرائيلية وبالتحديد يوم (١٩٨٠/٨/٢٤)، قرارا بالموافقة على مشروع القناة ،

حيث صرح بعدها « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي « ان القناة التي ستصل البحر المتوسط بالبحر الميت ستؤدي الى ثورة صناعية في اسرائيل ، ولذا لم يعد في وسعنا تأخير المشروع اكثر من ذلك اولا « بسبب صعوبة التموين بالنفط . وثانيا لأن الاردن تستعد لتنفيذ مشروع مماثل يصل البحر الاحمر ابتداء من خليج العقبة بالبحر الميت .

مخطط القناة :

سوف تبدأ القناة من تل القطيفة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ـ جنوبي دير البلح وشمالي خان يونس ـ في قطاع غزة وتنتهي في منطقة مسادة بالقرب من البحر الميت ، مرورا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع كما هو موضح في الخريطة .

وبالنسبة للتفاصيل الفنية لهذا المشروع ، فسوف تكون على النحو التالي : سيتم سحب مياه البحر المتوسط بواسطة جهاز خاص لادخال المياه بحيث يركب في تل القطيفة ويتوغل حوالي ٦٠٠ متر داخل البحر المتوسط بواسطة عائم بحري حيث تركب عليه مضخات للمياه بقدرة ٥٠ مترا مكعبا في الثانية ، وستسير المياه عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر بالقرب من عين هاشلوشاه ، وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران اسمنتية طولها ١١كم وعرضها ما بين ١٠ ـ ٢٠ مترا . وفي ضواحي نيريم ستتدفق المياه عبر نفق طوله ٨٦كم وقطره ٥ امتار ، ومرة اخرى تسير المياه جنوبي بئر السبع في قناة مغلقة عبر الكتلة الصخرية في عراد الى ان تنتهي في بركتي تجميع للمياه بالقرب من معاليه يائير على مرتفعات سلسلة جبال القدس التي تطل على البحر الميت ، وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت ، ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت .

والجدير بالذكر ان اجمالي طول القناة يبلغ ١٠٨ كم .

مدة انجاز المشروع :

لقد حدد البروفسور « يوفال نئمان » رئيس لجنة التوجيه والتنظير الخاصة بقناة البحرين ، الجدول الزمني لتنفيذ المشروع على النحو التالي :

- سنة واحدة للاعداد واستكمال التقديرات المالية .

● سنتان للتخطيط المفصل للمشروع .
اما العمل الفعلي فيبدأ سنة ١٩٨٢ وسيستغرق تنفيذ المشروع نحو ٥ سنوات وسيكون في الامكان تشغيل المحطة . وعليه يستغرق المشروع بعد بدء العمل فيه نحو ٨ سنوات .
وفي ندوة نظمتها الجامعة العبرية بالقدس حول مشروع قناة البحرين ، نوقشت المدة الزمنية التي سيحتاجها تنفيذ المشروع وقد بدا واضحا ان العمل الفعلي لن يبدأ قبل عام ١٩٨٣ وان العمل يستغرق نحو ٧ سنوات .

تكاليف المشروع :

اختلفت التقديرات حول التكاليف المتوقعة لتنفيذ مشروع قناة البحرين ، فقد ذكرت التقديرات الاولية ان تنفيذ المشروع سيتكلف مبلغا يتراوح ما بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار ، هذا الى جانب المبالغ التي ستنفق على اعمال البحث والتخطيط التي وظف فيها نحو ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية من ميزانية ١٩٨٠/٧٩ .
وقد نقل اخيرا عن التقرير الاخير لـ « لجنة التوجيه والتنظير » برئاسة نئمان انه تم الجزم بأن قيمة الاستثمارات التي ستوظف في القناة ستبلغ نحو مليار دولار . ويبدو ان هذا الرقم هو الاقرب للحقيقة من سائر التقديرات التي حاولت التقليل من قيمة الاستثمار كي تبرر جدوى المشروع الاقتصادية .

تمويل المشروع :

لم تواجه اسرائيل منذ قيامها اية صعوبة في توفير التمويل لمشاريعها التوسعية القائمة على الاغتصاب ، وتمويل مشروع قناة البحرين شأنه شأن كل مشروع تقدم عليه اسرائيل كان متوقعا ان يأتي من الخارج ، وعلى حد قول يوفال نئمان : اصبح هناك اهتمام من جانب هيئات مالية ، دولية وامريكية . وهناك اموال وفيرة في العالم الذي يبحث عن استثمارات مغرية وجادة ، وفي الامكان ايضا « تأمين دعم اميركي لهذا المشروع من جانب الادارة التي لم تعد تعتبر المستعمرات غير قانونية .
وجاء على لسان « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي : ان قرشا واحدا لن يأتي من ميزانية الحكومة لتمويل المشروع .
وبالفعل فقد اخذت هيئات الاستثمار الغربية التي تقع تحت النفوذ الصهيوني تتحرك في اتجاه توظيف اموالها في المشروع ، وقد عرضت مجموعة من المستثمرين من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا واسرائيل ،

نظمها المحامي الصهيوني الكندي روزنبرغ استعدادها لتمويل تنفيذ المشروع .

صعوبات امام المشروع :

الخبراء والفنيون الاسرائيليون يلقون مزيدا « من الاضواء على هذا المشروع ، ويحاولون ان يثبتوا بكل الاساليب مدى الجدوى الاقتصادية والفوائد المترتبة عليه ، ومع ذلك فهناك عقبات كثيرة وشاقة تعترض المشروع ، كما تحدث عنها بعض الخبراء منها :ـ

١ ـ ان قسما من القناة سوف يشق عبر الهضاب ، وسوف تسير المياه بواسطة انفاق ، وحفر الانفاق هذا من المشاكل الرئيسية التي تحتاج الى حلول ، اذ انها سوف تؤثر على المياه العذبة الجوفية في المنطقة التي سوف تمر بها القناة والتي تشكل مصدرا مهما بالنسبة للمنطقة .

٢ ـ استخدام مياه البحر المتوسط المالحة في التوربينات الكهربائية ، والتي تعمل بضغط الفارق بين مستوى البحر المتوسط والبحر الميت يتطلب استخدام معادن خاصة في صنع هذه التوربينات والا تعرضت للتآكل .

٣ ـ هناك سبب اقتصادي يعود ضرره على الاردن وعلى اسرائيل ، وهو ان مياه البحر المتوسط التي سوف تصب في البحر الميت تبلغ نسبة الملوحة فيها (٥٪) اذا ما قورنت بمياه البحر الميت التي تبلغ نسبة الملوحة فيها ١٥٪ ، وهذا يؤثر بل يضعف انتاج البوتاس في الجانب الاردني على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٤ ـ هناك اسباب سياسية سوف تعرقل المشروع ، منها معارضة الفلسطينيين الاكيدة لقناة اسرائيلية تمر عبر اراضيهم ، كما سوف يلقى المشروع معارضة اردنية ، حيث ان مشروع القناة سوف يؤثر تأثيرا كبيرا على مشروع حيوي وضخم الا وهو مشروع البوتاس الاردني المقام على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٥ ـ يعتبر هذا المشروع ـ اذا نفذ ـ خرقا للقانون الدولي ، اذ لا يحق لاسرائيل اقامة مشروع كهذا عبر اراض عربية استولت عليها بالقوة .

ولكن طالما ان قيام اسرائيل قائم على عدم المشروعية ولطالما اسرائيل ضربت بقرارات الدول العالمية وبقرارات الهيئة الدولية عرض الحائط ، فماذا يهمها مادام تنفيذ المشروع في سبيل صالحها حتى ولو كان على حساب مصلحة الغير .

ان القناة سوف تبدأ في تل القطيفة في غزة ، وغزة محتلة بالقوة وتابعة للحكم المصري ، والاردن تشترك مع اسرائيل في الحد بينهما « البحر الميت » فلا يحق لاسرائيل اقامة مثل هذه القناة دون اخذ موافقة مصر

والاردن والفلسطينيين الذين سوف تمر القناة بأراضيهم .

الاهداف الصهيونية من المشروع :

عندما يقوم الاسرائيليون هذا المشروع ، فان تقويمهم يتمحور حول ايجابياته اي الفوائد التي يتوخونها منه ، ويشدد الاسرائيليون على ان الغرض الرئيسي من المشروع هو توفير حل جزئي لمشكلة الطاقة التي تعاني منها اسرائيل ، الا انهم في الوقت ذاته يتحدثون عن فوائد ملازمة اخرى وفيما يلي عرض لابرز الفوائد التي سيجنيها الاسرائيليون من تنفيذ مشروع قناة البحرين :ـ

١ ● توليد الطاقة :

يتحدث الاسرائيليون عن استغلال القناة لانتاج ثلاثة انواع من الطاقة هي :

أ ـ الطاقة الهيدروكهربائية : ويقصد منها تشغيل المحطة المزمع انشاؤها قرب البحر الميت ، بحيث تنتج ٦٠٠ ميغاوات من الكهرباء يمكن زيادتها الى ٨٠٠ ميغاوات .

ب ـ الطاقة الشمسية : كما يتحدث الاسرائيليون عن امكان استغلال حرارة الشمس لانتاج طاقة شمسية من الممكن ان تكون في السنوات القادمة احد البدائل المقترحة للنفط ، بحيث تنتج نحو ١,٥ مليون ونصف المليون ميغاوات من الكهرباء .

جـ ـ الطاقة النووية : وثمة اهمية خاصة تعلقها اسرائيل على استخدام القناة في تبريد محطات طاقة تعمل بالذرة ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة والتي كانت دوما السبب الرئيسي والمشكلة العظمى لعدم توسيع المنشآت النووية ، لذا فان القناة ستفرز أمكانات بناء محطة طاقة نووية في اسرائيل .

● انتاج الوقود من الزيت الحجري :

يشكل الزيت الحجري احد البدائل التي تحاول اسرائيل استغلالها لانتاج وقود بديل للنفط ، فهناك في منطقة الجبال المطلة على البحر الميت كميات كبيرة من الزيت الحجري ، تقدر بنحو ٢ مليار طن ، واستخراج الوقود من الزيت الحجري يتطلب كميات كبيرة من مياه التبريد وسيكون بامكان القناة توفير تلك المياه اللازمة .

● احياء المشاريع السياحية :

يتحدث الاسرائيليون عن امكانية قيام سبع بحيرات اصطناعية ستقام على امتداد القناة ، لتساهم في تغيير المنظر الطبيعي ، وستقام حول هذه البحيرات وبأساليب حديثة فنادق ، ونواد للاستجمام وبيوت للسكن ،

وسيستخدم بعضها لممارسة الرياضة البحرية كالتجديف والتزلج المائي وصيد الاسماك .

● تحلية المياه المالحة :

ان اقامة القناة قد تمكن من بناء معمل لتحلية مياه البحر في النقب ، وذلك باستخدام البرك الشمسية التي ستقام في المكان نفسه من اجل حاجات هذا المعمل الذي ستضخ اليه المياه من البحر بصورة متزايدة .

● اعمار النقب : ـ

لعل مشروع قناة البحرين سيساهم في مخططات اسرائيل الرامية الى توطين النقب وتعميره وتحويله الى قاعدة لمشاريعها التوسعية ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة للري والشرب الضروريين لاقامة المستوطنات .

● البعد الامني ـ الاستراتيجي :ـ

ان القناة في نظر الاسرائيليين ستوفر انواعا مختلفة من الطاقة ، اكثر امنا من تلك المحطات الاخرى ، وكذلك فان القناة ستشكل حاجزا مائيا يصعب اجتيازه في حال وقوع مواجهة عسكرية بين اسرائيل والدول العربية ، من جراء امتلاء منطقة البحر الميت بالمياه ، وبالتالي لن تفكر الدول العربية باجتياز هذا الحاجز المائي لما يحتاجه ذلك من اللجوء الى عملية برمائية معقدة ومنسقة تحتاج الى اعداد واسع ودقيق .

● البعد المعنوي :

يرى الاسرائيليون ان المشروع سيكون ذا مغزى رؤيوي ومعنوي ، وقد درجت اسرائيل على جذب انتباه يهود العالم نحوها كلما وجدت نفسها بحاجة الى ذلك ، وهي تستغل مثل هذه المشاريع لاضفاء طابع الهيبة والحضارة والتقدم عليها ، ينطبق هذا الحال على مشروع تحويل مياه نهر الاردن وبناء شبكة المياه القطرية التي تصب في النقب وتطوير قدرتها النووية وغير ذلك .

● الجدوى الاقتصادية :

لقد حدد الخبراء الاسرائيليون معايير حساب الجدوى الاقتصادية بما يوفره المشروع وخصوصا محطة الطاقة الهيدروكهربائية ، وقد بينت ابحاث هؤلاء الخبراء ان هذا المشروع سيمد اسرائيل بانواع مختلفة من الطاقة ، وسيكون بامكان المشروع توفير ملايين الدولارات التي كانت ستنفق على شراء الوقود واقامة محطات طاقة بديلة .

ردود الفعل العربية :

يعتبر المشروع الاسرائيلي هذا مخالفا للقوانين والاعراف الدولية لأن الارض التي ستمر بها القناة ارض محتلة بالقوة كما ان مياه البحر الميت

التي ستصب فيها القناة مياه دولية لا يجوز التصرف فيها الا بموافقة الاطراف المجاورة .

ولقد تعالت الاصوات العربية عامة والاردنية خاصة ، مستنكرة قيام هذا المشروع التوسعي الاستيطاني ، وكانت آخر تلك النداءات ، نداء الملك حسين ملك الاردن ، عند قيامه بتدشين مشروع البوتاس الاردني الذي اقيم على الضفة الشرقية للبحر الميت يوم (١٨/٣/١٩٨٢) حيث قال :

« ان اسرائيل المحتلة لكل فلسطين تأبى الا ان تعتدي على البحر الميت ، ويتمثل ذلك في اعلان عزمها على شق قناة البحرين التي تربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، وعملها هذا هو عدوان على ارضنا وحقوقنا وقيمنا الروحية ، كما انه اعتداء ونقض للشرائع والقوانين الدولية التي ترسم لسلطة الاحتلال الحدود التي يجب ألا تتجاوزها ، فقناة البحرين هذه تلحق بحقوقنا وثروتنا الوطنية اكبر الاضرار نتيجة تدفق مياه البحر المتوسط الى البحر الميت وآثارها السلبية عليه .. وما سوف تغمره هذه المياه من معالم حضارية ومنشآت انسانية . كما ان القناة نفسها تعتدي على ارض فلسطينية عربية محتلة ، وتحدث فيها تغييرات سكانية وجغرافية جائرة ومناقضة لكل حق وعدل وقانون ، كما تنطوي هذه القناة على تهديد كبير لأمن واستقرار فلسطين والاردن والدول العربية المجاورة بسبب ما تنويه اسرائيل من استغلال لمياه القناة في تبريد المنشآت النووية الاسرائيلية وتكريس استخدامها للشر والعدوان .

وختاما .

فان مشروع اسرائيل والصهيونية العالمية بشق هذه القناة التي تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، يضع العرب امام تحد كبير لا يقل خطورة عن تحويل مجرى نهر الاردن . وهو استمرار لسياسة اقامة المستعمرات في الارض العربية المحتلة وخلق حقائق الامر الواقع فيها . ولا يقل هذا المشروع خطورة وتحديا عن سائر المشاريع التي تطرحها اسرائيل لفرض وجودها على العالم العربي وترسيخ اقدامها في جميع الاراضي الفلسطينية .

ان مشروع قناة البحرين الذي تطرحه الصهيونية الآن هو حلقة جديدة من سلسلة المشاريع الصهيونية الاخرى كمشروع آلون ومشروع الحكم الذاتي واحزمة المستعمرات الاستيطانية ، وهي تقوم جميعا على هدف واحد هو خلق حقائق منتهية في الضفة الغربية تمهيدا لضمها وتهجير سكانها العرب .

فماذا نحن فاعلون .. ؟؟؟

مائدة القارئ

الأمل في رحمة الله

قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ .

انفروا خفافا وثقالا

قرأ ابو طلحة الانصاري سورة « براءة » حتى بلغ هذه الآية : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) فقال : يأمرنا ان نخرج خفافا وثقالا ، شبانا وكهولا ، ما سمع الله عذر احد ، وقال لبنيه : اي بني ، جهزوني .. جهزوني .. (يعني للجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك الله ! قد غزوت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى مات . ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزوا عنك ! فقال : لا ، جهزوني . فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر ، فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها رضي الله عنه .

لا فرار

الشجاعة والحماسة من صفات العرب ، وجاء الاسلام فوجهها لنصرة الحق والدفاع عن الدين والعرض والوطن . فكانوا يكرهون الموت حتف انوفهم ، ويشتهونه في ساحات الوغى ، وميادين الشرف . قالت امرأة من عبد القيس . تصف قومها :

أبو أن يفروا والقنا في نحورهم ... لم يبتغوا من خشية الموت سلما

ولـو انهم فـروا لكـانـوا اعـزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت اكرما

لا تمسهما النار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله ».

لا حاجة للقاضي

كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قاضيا على المدينة المنورة في عهد ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه :
وقد طلب من ابي بكر إعفاءه من القضاء .
فقال أبو بكر : أمن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر ؟
قال : لا يا خليفة رسول الله ، ولكن ليس بي حاجة عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب اكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر في ادائه ، احب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب احدهم تفقدوه ، واذا افتقر اعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيم يختصمون ؟!

واجب الداعي الى الله

قال توماس ارنولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام) :
« ان البلجيكيين حكموا على زعيم مسلم بالاعدام ، فقضى هذا ساعاته الأخيرة ، وهو يحاول ان يدخل الاسلام الى قلب المبشر المسيحي الذي كان قد أرسل اليه ، ليزجي اليه التعزيات الدينية »

القدوة الحسنة

قال عمر بن عتبة لمؤدب ولده : ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بك : فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر اعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء .

الحج

منارة الهدى الإلهي

للاستاذ محمد رجاء حنفي

الحج مؤتمر سنوي عام يعقد في الحرم فرضا على كل مستطيع في كل عام ، تلتقي فيه الوفود من كل فج في حب ورحمة واخاء ، عند الحرم الآمن والبيت العتيق ، يطرح كل حاج منهم اللباس الذي اعتاده في بلده ووطنه ، ويرتدي ملابس الاحرام ، ويدخل الى منطقة التجمع متجانسا مع اخوانه وهو يردد : لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، فيتوحد ظاهره وباطنه ، ويلتقي مع اخوانه على مبدأ الخير العام المتمثل في « لا إله إلا الله » .

والحج في اللغة : القصد للزيارة ، ومن الناحية الشرعية هو : القصد في أشهر معلومات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة .

وهو فرض عين بالاجماع على كل مكلف مستطيع مرة في العمر ، وزعم بعض الفقهاء أنه يجب مرة كل خمس سنوات ، والصحيح انه مرة واحدة في العمر ، وما زاد على ذلك فهو نفل ، بدليل ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يأيها الناس : قد فرض عليكم الحج فحجوا» ، فقال الأقرع بن حابس ـ رضي الله عنه ـ : « أفي كل عام يا رسول الله ؟ .. فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : « لو قلت : نعم . لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه احمد والترمذي والنسائي .

وهو أحد الأركان الخمسة في الاسلام لقوله تبارك وتعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**) ٩٧/ آل عمران - ولما يروى عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » متفق عليه عن ابن عمر بن الخطاب ، فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج عن الاسلام ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

والمراد بالبيت الحرام المسجد الحرام ، بدليل قوله عز وجل : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**) ٩٦/ آل عمران - فهو أول بيت وضع للعبادة على الاطلاق ، وباجماع العلماء بدليل النص القطعي ، وهو سابق على المسجد الأقصى بعدة قرون ، وهو كما قال المفسرون أقدم بيت للعبادة ، وليس هناك أقدم منه .

ولا يكون الحج فرضا على المسلم إلا عند الاستطاعة ، وقد ذهب الامام الشافعي - رضي الله عنه - الى اعتبار الاستطاعة بالمال ، ولذلك أوجب الاستنابة على المريض الذي لا يرجى شفاؤه اذا قدر على دفع أجرة من ينوب عنه ، معتمدا في ذلك على جواب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على من سأله عن السبيل بقوله : « الزاد والراحلة » رواه الشافعي في مسنده والترمذي .

وذهب الامام مالك الى اعتبار الاستطاعة بالبدن ، وأوجب الحج على كل من استطاع أن يمشي ويكسب في الطريق .

أما الامام أبو حنيفة النعمان فقد ذهب الى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معا ، واستدل على ذلك بما نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : السبيل أن يصح بدن العبد ، ويكون له زاد وراحلة من غير أن يجحف به .

ويؤول الامام أبو حنيفة ما جاء في الحديث الذي اعتمد عليه الامام الشافعي بأن فيه بيانا لبعض شروط الاستطاعة ، بدليل أن من قصد أمن الطريق لا يجب عليه الحج ، والظاهر أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لم يتعرض لصحة البدن في الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الأمر ، ويؤيد هذا ما ورد في بعض الروايات من أن سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قد قال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب عندما سئل عن السبيل بقوله : « أن تجد ظهر بعير » ولم يذكر الزاد .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة :

لقد كان المسلمون والمصطفى

صلوات الله وسلامه عليه في شوق وحنين الى « مكة » ، فقد مرت عليهم ست سنوات وهم في جهاد مستمر ، ولم يروا وطنهم الأول الذي أخرجوا منه ، ست سنوات عاشها المهاجرون وهم يذوقون خلالها آلام الفراق والنفي ، ومرارة الحرمان من أهلهم ومن وطنهم .

وعندما فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة فرح المسلمون واشتد فرحهم ، لأنهم أدركوا أن تمام أمرهم قد اقترب ، وأن تحقيق ما وعد به المولى تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حان وقته ، وأن « مكة » الحبيبة الى القلب والى النفس مفتوحة أمام الدعوة الاسلامية لا محالة ، وأن البيت الحرام سيكون خالصا للمسلمين ، ولكلمة الله عز وجل وحده ، فكان ذلك هو مبعث فرحهم وسعادتهم ، ففرض الحج بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بكمال دعوته ، ونصرة كلمته ، وتحقيق أمله ،. خاصة وأن الفرائض كلها قد تمت فرضيتها ، فالصلاة فرضت في « مكة » ، والزكاة والصوم فرضا في « المدينة » ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل « مكة » .

في الحج وحدة في كل شيء :

لقد أرسى الاسلام بفرضيته للحج للانسانية دعامتين اثنتين :

الأولى : الاعتراف الكامل بالآثار الطيبة للنبوات السابقة ، التي لم تخالطها أهواء الناس ، ولم تنحرف بها شهواتهم ، فجميع الأنبياء والمرسلين عند المسلمين مكرمون معظمون ، ولكن أهواء الناس هي التي فرقت بينهم ، فتخاصمت باسمهم وهم من ذلك براء .

الثانية : أن الاسلام قد أنصف الحقيقة المظلومة التي شوهت على يد الأتباع الذين خالفوا رسلهم وأنبياءهم ، وردها نقية صافية ، تعانق في ساحتها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، والتقى على فطرتها الأطهار والأبرار من الأولين والآخرين .

ومن هنا لم يكن الحج مجرد فريضة تهذب النفس وتعصم السلوك ، وتجمع أهل الجيل الواحد على الخير والبر ، بل كان عنوانا للأخوة الانسانية العامة على مر الأيام وتوالي الأزمان ، وتقديرا للنبوات التي فرقتها الأهواء وانحرفت بها الشهوات ، مطالبا باتباع ملة سيدنا ابراهيم عليه السلام حنيفا ، وما كان من المشركين .

واننا اذا تأملنا فريضة الحج من بدايتها ، وهي تفرض الاحرام من مواقيت محددة ، وللاحرام لباسه وتلبيته وآدابه الخاصة والعامة ، ومظهره الجامع الذي يجعل الناس يدخلون الى منطقة التحريم وقد طرحوا خلف ظهورهم ما به يتفاضلون ويتفاوتون ، واتجهت نياتهم وعزائمهم الى التزود من العمل الصالح الذي يقربهم من المولى تبارك وتعالى ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، بل

ذكر لله عز وجل ، وبر بالخلق ، ومنافع مشتركة تعود بالخير على الانسانية كلها ، لوجدنا وحدة في كل شيء .

وحدة في العقيدة : فالله جل شأنه واحد ، والكل يستجيب لأمره ، ويبتغي مرضاته ، وهم يهتفون متجردين « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك »

وحدة في الاتجاه : فالقبلة واحدة .

وحدة في الزمان : فالحج أشهر معلومات .

وحدة في المكان : فالطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمار ، والنحر ، والتلبية لها أماكنها المخصوصة .

وهذه الوحدة الشاملة تجعل عواطف الناس الذين أقبلوا من جهات متباعدة ومتباينة تنصهر في بوتقة واحدة ، فتمضي الى طريق واحد ، هو طريق الهدى والفلاح .

الحج أفضل العبادات :

لقد ذهب كثير من العلماء الى أن الحج أفضل من الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، مستدلين على ذلك بما روي عن ماعز - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها » رواه احمد والطبراني ، ورواة احمد إلى ماعز رواة الصحيح .

وبما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخاري ومسلم .

ليشهدوا منافع لهم :

ان المولى تبارك وتعالى قد أوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس في كل عام لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله -عزوجل- الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية ، يقول الحق جل وعلا : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج/ ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم جميعا بأنهم جسد واحد ، كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ، ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في أن قمة المنافع الروحية هي توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لأعظم وحدة اجتماعية ، وإخاء ومحبة وسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد كلهم لبوا دعوته ، وأقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

أثر مناسك الحج

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعرف الجميع أنها شر كلها ولا خير فيها .

وفي مناسك الحج ينتصر الايمان على الكفر ، ويتغلب الخير على الشر ، والعلم على الجهل ، وتصفو النوايا ، وتتصافح القلوب ، وتظهر نفحات وتجليات من المولى تبارك وتعالى ، من غفران للذنوب ، واجابة للدعاء ، ورفع للدرجات .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الأنصاب في « منى » ، وهذه سنة متبعة من أيام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « أور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج يرجمونها في « منى » الى وقتنا هذا ، والى أن تقوم الساعة .

وقد لمس العرب بطلان عبادة الأصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي أخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : **(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)** ابراهيم/ ٣٥ و ٣٦ ، ولا يزال المسلمون يلمسون الى اليوم بطلان عبادة الأصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك أن الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الأصنام وعبادتها يتجلى أعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة الخالق عز وجل في قلوبهم ، وأنه الخالق لكل شيء بعد أن تصغر في نظرهم الأنصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون « الله أكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الأنصاب في كل عام ، ويوم النحر يرجم نصب « العقبة » أكبر الأنصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الوحيد الذي يرجم في ذلك اليوم ، أما بقية الأنصاب فترجم في أيام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا اثم عليه .

وقد قام وحي السماء منذ فجر التاريخ والى أن بلغت البشرية رشدها على توجيه الناس الى العقيدة الصحيحة ، وافراد الله عز وجل بالعبادة ، والتضرع والتوجه اليه دون سواه بالدعاء ، ولا خلاف بين الشرائع السماوية في حقيقة الايمان ، ولكنها تختلف في أعمال الجوارح ، وذلك راجع لاختلاف البيئات والظروف البشرية ، ولا ضير في ذلك ، فالمولى تبارك وتعالى هو الذي أنزل الشرائع كلها .

وفي مناسك الحج شرع الله عز وجل لنا جميع العبادات التي وردت في الشرائع كلها منذ سيدنا ابراهيم عليه السلام والى عهد رسولنا صلى الله عليه

وسلم ، حتى يكون الحج جامعا لأنواع العبادات البدنية ، ومظهرًا للاخاء والتواصل .

وفي مناسك الحج نجد التجرد من المخيط والاكتفاء بالازار والرداء ، والطواف بالكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والاجتماع الأكبر في عرفات ، ولأهمية هذا الاجتماع العظيم يبطل حج من لم يدركه قبل غروب شمس يوم عرفة ، ووقوف الناس جميعا سواسية أمام الخالق وبين يديه .

أطهر اجتماع انساني :

ليس هناك اجتماع على وجه الأرض في نقاء وصفاء اجتماع الحج وطهارته ، انه اجتماع منزه عن الشوائب ، شوائب الحقد والبغضاء ، والأثرة والجدال والخصام والنوايا السيئة ، يقول الله عز وجل : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة/

والحج المبرور هو الذي يرجع منه الحجاج مغفورا لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وهو الذي يباهي فيه المولى تبارك وتعالى الملائكة بمن لبوا دعوته ، وتحملوا مشاق السفر ، يقول الحق عز وجل للملائكته يوم عرفة : « **انظروا الى عبادي ، أتوني شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم** » رواه أبو يعلي ، والبزار والبيهقي واللفظ له .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه ، فعلت ؛ وإن شئتما ان أمسك وتسألاني فعلت : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفي للأنصاري سل ، فقال اخبرني يارسول الله ،فقال جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، ومالك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة ، ومالك فيه ، وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ، وعن نحرك ومالك فيه مع الافاضة ، فقال : والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : فانك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فان الله يهبط الى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول : عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي . في نسخة « يرجون رحمتي » ـ فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ـ أو كقطر المطر ، او كزبد البحر ـ لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك ، واما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها

حسنة ، ويمحي عنك بها خطيئة ، واما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل ، فقد غفر لك ما مضى » رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له ، وقال : وقد روى هذا الحديق من وجوه ، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق - قال الـ لي رضي الله عنه : وهي طريق لا بأس بها ، رواتها كلهم موثقون .

ان الانسانية لن تشعر بسعادة وصفاء ونقاء مثل ما تشعر به في هذا الاجتماع السنوي العظيم ، الذي يحقق المحبة والألفة والمودة بين الناس ، في ظل العقيدة الصحيحة .

ان الحج تعويد للمسلم على الحياة الجادة ، وتربية لقيمة المساواة ، وهو نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول الى المثل العليا ، والقيم السامية التي ينشدها الانسان الفاضل في هذه الحياة .

فهل يستطيع أي منهج أرضي بشري أن يصنع أمة كتلك الأمة التي لبت نداء المولى تبارك وتعالى ، ووقفت بعرفات وعظمت شعائر الله عز وجل ؟ .. وهل تتمكن فلسفة من الفلسفات أن تغرس هذه الفضائل العالية في نفوس البشر كما تغرسها فريضة الحج ؟

لا ، ان فريضة الحج منارة الهدى الالهي ، وما أجدرنا أن نفيء الى هذا الهدى ، وأن نستنير بنور الاله الحق حتى لا نضل الطريق ، فطريق الله عز وجل واضح لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولقد وردت عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحاديث كثيرة تبين فضل الحج ، وتوضح أنه يغفر الذنوب ، منها :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » رواه احمد والترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري ومسلم والأصبهاني وزاد "وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة » .

وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ، قيل : وما بره ؟ قال : « اطعام الطعام ، وطيب الكلام » رواه احمد والطبراني وفي رواية لأحمد والبيهقي : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

نسأل المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا الى اجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وأن يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا ، فانه بعباده رؤوف رحيم .

الفكر الإسلامي بين المنهج الرباني والمنهج الفلسفي

للاستاذ / أنور الجندي

من أخطر المنافذ التي دخل منها الاحتواء الغربي والخروج عن الذاتية والأصالة بتقبل مطروحات الفلسفة الغربية والوافدة بغير مراجعة أو نقد أو تحليل من وجهة نظر إسلامية صحيحة قادرة على النظر الصحيح ، متسلحة بمفاهيم الاسلام الأصيلة ، وأخطر ما هنالك النظر إلى هذه المطروحات على أنها علم أو على أنها حقائق مسلم بها ، أو على انها من المعرفة الانسانية المقررة فانها ليست كذلك ، وأنها في حقيقتها لا تعدو أن تكون وجهات نظر بشرية وفروض قابلة للنظر ، فيها الصحيح وفيها الخطأ ، وهي تدرس في إطار عصرها وبيئتها والتحديات التي واجهت المفكرين الذين طرحوها ، وإن من أخطر عيوبنا في تلقي الفكر الغربي الوافد ، أن نظن أنه من المسلمات أو من الحقائق العلمية .

ولا ريب أن دراسة مذاهب الفلسفة الغربية المعاصرة « والفكر الغربي كله بشقيه » ضرورة ، ولكن يجب ان يحتشد لها الدارسون بمعرفة عميقة ومكثفة

لمفاهيم الاسلام نفسه الذي قدم للبشرية منهجا ربانيا اصيلا ، قادرا على العطاء على مختلف العصور والبيئات دون ان يصيبه ما يصيب الفلسفات الوافدة من العطب أو التحلل او الانهيار ، بما يدفع أصحابه إلى الأضافة إليه أو الحذف منه أو تعديله ، ومقياس آخر هو مدى ما حققت هذه الفلسفات لمجتمعاتها ، ونحن نرى المجتمعات الغربية « ليبيرالية وماركسية واشتراكية » تئن تحت وطأة الانهيار الخلقي والقهر والاستبداد والتمييز العنصري أو التحلل الاجتماعي المتمثل في حركات الرفض المعاصرة بين الشباب « كالهيبية وغيرها » .

وجميعها ثمرة نقص هذه المناهج وماديتها وإنحرافها وإبتعادها عن تكامل العطاء الاسلامي الجامع للجسد والروح ، ومصدر إنهيارهاهو ابتعادها عن المصدر الحقيقي للحياة والكون والعلم وهو الله تبارك وتعالى ، وإقصاء الدين عن واقع المجتمع أو محاربته علانية .

فاذا تعمق الشباب المسلم في دراسة مفاهيم الدين الاسلامي وقيمه الأساسية ومعطياته الربانية ، التي تهدي القلوب وتعصم النفوس وتطلق النفس بالرضا والايمان والعزم ، أمكن مجابهة هذه المذاهب الفلسفية الوافدة سواء في مجال الفلسفة ذاتها أم في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومناقشتها والرد عليها والتصدي للوافدات ، ومن هذا الفهم يصل الباحث المسلم إلى أن مذاهب الفلسفة في عالمنا المعاصر ـ على حد التعبير ـ القائل ـ

« ليست سوى إجتهادات قابلة للصواب والخطأ ، ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ، فلكل أمم عقائدها وقيمها وفلسفتها التابعة من واقع تراثها ، وأن نعرف بالبديهة أن ما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا ، بل قد توقع بها أبلغ الضرر ، ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هي نتاج عصرها وبيئتها ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر » .

والمعروف أن هذه الفلسفات مادية الأساس ، فهي تلتمس ماديتها من فلسفة العلم وليس من العلم الطبيعي نفسه ، الذي لا يتعارض مع الاسلام وفلسفة العلم ، هذه المادية هي وحدها التي تعارض مفهوم الدين المنزل وهي التي تقوم على إبعاد فكرة الاله الخالق عن مجال البحث وحصر اليقين في دائرة الحس .

ومن هنا يأتي فصل هذه الفلسفات ، ويأتي ذلك الفارق العميق البعيد بين النظرة الاسلامية الجامعة القائمة على الروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة ، وهي النظرة التي تؤمن بالله تبارك وتعالى ، خالقا ورازقا ومدبرا لكل أمر ، وهو الذي علم الانسان ما علم من ثمرات العلم ، وكشف له من سنن العلم

والحياة والحضارات ما مكنه من إنشاء هذه الدائرة من المعرفة .

ومن هذا المنطلق المادي المنحرف يجيء الخطر ، الذي لا تكشف عنه دراسات الفلسفة التي يتلقاها أبناؤنا في الجامعات والمعاهد ، من حيث يتلقون هذه النظريات المادية على أنها علم ومسلمات في محاولة لاحتواء العقول الشابة وراء تفسير مادي للوجود أو تفسير مادي للتاريخ أو هما معا . وعلينا أن نعرف أن

الفلسفة الهلينية القديمة حين غزت الفكر الاسلامي في القرن الثالث ، طرحت هذه السموم من الالحاد والاباحية ، وخلقت جوا ملبدا بالاضطراب العقلي والروحي الذي كافحه علماء الاسلام وازالوا خطره وأبانوا عن سمومه وفساده ،وها هي الفلسفة الأوروبية المعاصرة تعود اليوم ، لتغزو عالم الاسلام تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبي على بلاد الأسلام ، وهي فلسفة غلب على مدارسها ومذاهبها « الالحاد الصريح » نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات في أوروبا ، ثم أفرزت مفاهيم الوجودية والهيبية ، نتيجة التشاؤم الذي ساد المجتمعات الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقد كان لانتشار هذه المفاهيم التي طرحتها فلسفات الرأسمالية والماركسية أثرها في نشر الفرقة والصراع وتعدد المذاهب مع الجدب والجفاف ، مع الحيرة والقلق ، فأصابت المسلمين سنة التشتت ، وما كان من غلبة العقلانية غير المسؤولة ، بينما يدعو القرآن للايمان بالغريزة . والفطرة والاكتساب .

ومن هنا كانت دعوة الاسلام صريحة في أن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تبارك وتعالى ولا أن يهتدي إليه ، إلا إذا صحب في تطوافه إلى تلك الغاية قلبا يتلقى عنه كل مدركاته ، وقد إعتمد دعاة الاعتزال على العقل ، فانحرف بهم عن الجادة ، وعن وسطية الاسلام الجامع بين الروح والعقل .

وقد كان الاسلام أوفى ما تكون العقائد حقائق تمس شغاف القلب وأشواق الروح وتقنع العقل ، ولذلك فان الذين كتبوا عن الاسلام عن طريق الفلسفة « فريد وجدي ، محمد عبده ، العقاد » لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القلوب .

وكما جاء هذا الخطر من جانب العقليين ، فقد جاء الخطر الآخر من بعض المتصوفة ، حين إنحرفوا إلى تفسيرات فلسفية حلولية وغنوصية غاية في الغرابة ، أما الطريق الصحيح فقد رسمه القرآن الكريم الذي جاء المثل الأعلى في العطاء العقلي والروحي للنفس الانسانية ، فقد صقل القلوب وهذب النفوس وقوم الأخلاق ، وبذلك تكشف خطر الدراسات المصبوبة في قوالب المنطق الجدلي ، الذي أدى إلى تعدد الفرق والمذاهب وتوسيع شقة الخلاف .

وهذه غاية دعاة الفلسفة والعقلانية في العصر الحديث .

ولقد كان الاسلام سهلا ميسرا ، من روح الفطرة ، فهو لا يحتاج إلى منهج فلسفي ليكشف جوهره اليسير ، كما احتاجت تفسيرات الأديان المعقدة ، وكان موضوع الفكر الاسلامي الدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن إستمرار هذه العبادة وعلى هذا الاساس لم يكن في حاجة إلى فلسفة ميتافيزيقية لكي يثبت صلاحيته أو يركز دعائمه .

وقد قيل : « إن الفكر الاسلامي ينطلق من الايمان بالله لينتهي بمزيد من الايمان ، أما الفكر الفلسفي فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الأول للكون والأشياء لينتهي بانكار الخالق والايمان به على الطريقة الفلسفية ، هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفي في أصوله وامتداداته ، لأن الفكر الاسلامي

فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن استمرار هذه العبادة ، ومن ثم فليس في حاجة إلى الفلسفة ليثبت صلاحيته ، ولا في حاجة إلى مسايرة الفلسفة المادية الحديثة والأخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، والاسلام يرفض جميع الاتجاهات التي توصف بالعلمية ، إذا قدمت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تبارك وتعالى وعن الحياة والمجتمع والانسان . ومحاولة التوفيق بين مبادىء الاسلام والفلسفات الديمقراطية أو الماركسية ، هي محاولة باطلة وزائفة وقديما فشلت محاولة التوفيق بينه وبين الفلسفة اليونانية » .

ولما كانت مطروحات الفكر الغربي كلها مطروحات بشرية فانها تعجز عن العطاء المتجدد ، وعن العطاء الجامع ، وتعجز عن أن تقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى فضلا عن أن الغرب لا يملك منهجا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع ، وأن النظرية المادية هي رد فعل الكهنوت ، وأن الماركسية هي رد فعل الرأسمالية ، وأن الفلسفة الغربية تعتمد على معطيات العلم التجريبي المتغير والذي يفسد بسرعة .

ويقرر بعض الباحثين أن جميع الفلسفات التي نادى بها مفكرو العصر ، تقوم على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح فمنها من يقترح ألوهية المادة ، ومنها ألوهية الانسان ، ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود وأن الدين الوحيد الذي صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك ، إنما هو الاسلام ، وترمى طرح هذه الفلسفات الى تدمير العقيدة الاسلامية ، لأنها العقبة الكؤود على طريق سيطرة الأهواء الحديثة على مصائر البشر ، وإذا كانت الماركسية في حقيقتها تدميرا لفكرة « الالوهية » ، وربطا للانسان ومصيره بمصير المادة المحسة ، وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس

منها « ارادة الله » على أية حال فان عداءها الصريح لم يتوجه في الحقيقة إلا إلى الاسلام باعتباره معقل الفكر الديني ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق . وهي تعد في ذلك أضرح حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوحدانية ، وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت : « وهناك محاولة أقل غلوا منها ولكنها أشد مكرا ، هي محاولة الفلاسفة الوضعيين الذين يهونون من شأن الاسلام وحركة التاريخ ، وقد بدا ذلك واضحا في الكتابات التي قدمها « أوجست كونت » عن الاسلام ، وجمعها تلميذه « كريستيان شرفنيس » ، وقد سلك فيه المؤلف مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية ، فقد أشبع الرجل الاسلام مدحا وتمجيدا ، ولكنه لم يزد على أن عده « مرحلة » كانت ضرورية كحلقة في سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد والنهائي : « الوضعية » .

وقد قيل إن : « الفلسفة لا مقياس لها فهي ظنية : اخفق منهج أرسطو وأخفق منهج (ديكارت) انها ظنية لانه لا يتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ومادام لا سبيل إلى اليقين في موضوعات الفلسفة فان اختلاف الآراء فيها دائم ، هذا

الاختلاف عبر القرون والجدل دائم مستمر ، الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف اتى قبلهم هدم آراء سابقيه جميعا ، ويقيم مذهبه على انقاض مذاهب سابقة فيأتي من بعده ويهدمه .

وبعد فان ثلاثة أخطار تواجه أصالة الفكر الاسلامي :

● « الأول » تفسيره فلسفيا ، « والثاني » تفسيره صوفيا « والثالث » تفسيره على أساس العقل وحده ، أو محاولة تجزئته مع مذاهب القومية أو الديمقراطية أو الاشتراكية ، وللاسلام منطلقه الخاص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والانسان والتوحيد المستمد من القرآن الكريم اساسا ومنهجا وأسلوبا للعرض والتفسير ، فاذا أريد إخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته وطبيعته ، ولقد جرت المحاولات لاخضاعه في مرات متعددة ، وأخطرها مرحلة الاحتواء التي يمر بها الآن ـ ولكنه كان قادرا على مقاومة التبعية أو التماس الأصالة والعودة إلى المنابع كلما اضطربت الاجواء أو برزت الأزمات أو قامت التحديات والأخطار بالغزو العسكري أو الفكري جميعا .

وعلى الفكر الاسلامي في مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة في مطالع القرن الخامس عشر ، اليوم تحرير الاسلام من التبعية لأي مذهب فلسفي باسم التحديث أو التقدم أو العصرية ، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادىء الاسلام وأسسه وروحه ، لأن الاسلام وحي ثابت ، وما عداه من آراء البشر حادث متغير ، ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير .

المسلمون والايثار

للاستاذة : فتحية محمد توفيق

ان تعاليم الاسلام التي شرعها الخالق لاصلاح حال الخلق ، جاءت لتنقل البشرية الى حياة مشرقة بالفضائل . وما جاء به الاسلام من عقيدة ، وما افترضه الله على عباده من عبادات ، وما دعا اليه الرسول الصادق الامين من سلوك فاضل واخلاق حسنة . انما هو السبيل الوحيد للانسان لكي تسمو نفسه بالخير وتفيض بالمشاعر الرقيقة للمسلمين ، حتى انه ليحيا بهم ، ويحيا لهم ، لأن المجتمع الاسلامي علاقات بين افراد تجمعهم وحدة الهدف ، ادركوا ما بينهم من صلات كما ادركوا الوجود المشترك الذي يتبادلون في اطاره دفع الاضرار وتحقيق المنافع ، والذين يمارسون فيه السعي الجماعي من اجل المثل والقيم . واذا ما نصح الاسلام الانسان في معاملته للغير ، وفي معاشرته للاسرة ان يرعى حدود الروابط الانسانية ، وان يتبادل مع هذا الغير الشعور الانساني الكريم . واذا ما نصح الاسلام بذلك فانما يعني ان يكون هناك تجاوب انساني ، تستريح اليه النفوس وترضى عنه ، وليس تجاوب النفوس الا ظاهرة تعبر عن الادراك النفسي لجمال الألفة وعاطفة الاخوة الصادقة .

وحينما تطرأ على النفوس ادران الوساوس ، وتنتابها نوازع التفرقة والاثرة والانعزالية ، يأتي الاسلام فيسدي المعونة الكاملة للانسان كي يدعم فطرته ويجلي اشعتها ، فيتحسس هذه النفوس ويغسلها مما علق بها ، ويجعلها حافلة بمشاعر ازكى وانقى ، والمؤمن في نظر الاسلام هو المحسن والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع ، صاحب الانسانية في سلوكه مع نفسه ومع غيره .. ان رسالة الاسلام ليست تخطيطا من انسان ، وليست طريقا من طرق التربية وضعه فرد من البشر . ان الاسلام وحي الله العليم بكل شيء . والاسلام ليس معرفة انه ايمان وتقوى ، انه ايمان بالله ، وخشية من الله ، وتقوى الله ، وهذا الايمان هو مصدر الدفع في الانسان نحو اطمئنان نفسه ، ونحو وعيه بالمجتمع ، ونحو

اسهامه في بناء المجتمع واستقراره .
واننا نرى في وضوح ان قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى اللا عليه وسلم تجعل النفس الانسانيا تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالاداب والفضائل العظيمة .
ولقد اثبت التاريخ والتجربة ان هذا الايمان وهذا التصديق صنع رجالا ونساء اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم وديارهم على انفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم في الغنائم من اجلهم ؛ ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حبا لهم ، ورغبة في اخو تهم ..
والايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة .
ويقال : اثرته بكذا أي خصصته به وفضلته .. قال تعالى في سورة الحشر ، في شأن الانصار الذين آثروا المهاجرين بأموالهم وديارهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ . ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)** اي يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (افضل الصدقة جهد المقل وابدأ بمن تعول) رواه ابو داود والحاكم . وهذا المقام اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى :(**ويطعمون الطعام على حبه**) الانسان / ٨ و (**وآتى المال على حبه**) البقرة / ١٧٧ فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به .
وهؤلاء اثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما انفقوه .
ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك . فقال : ابقيت لهم الله ورسوله) رواه الترمذي والدارمي
وفضيلة الايثار كان لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اهميتها لما لها من عظيم الاثر على اصحابه . فكان يحرص على ان يتخلقوا بها ويتجملوا بجميل فعلها وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام هو السباق الى ما يدعو اليه ويأمرهم به ، فاذا قصده احد في شيء وهو المحتاج اليه اعطاه رغبة في فعل الخير .
ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا هيئت له ، تمكن فيها ، ونما وترعرع واشرقت اثاره على من حولها ، وسعى اصحاب هذه القلوب في ادخال السرور على الغير ، والاخذ بأيديهم الى ما يحبون ، واصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ضربوا اروع المثل في هذا فكان اغتباطهم اكبر واعظم حينما يؤثرون الغير على انفسهم . ولقد كان لهذا الايثار اعظم النتائج في نشر

الاسلام والاهتمام بالمسلمين . ومما يذكر في تفسير القرطبي ان ابن المبارك قال : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام : اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : « اجعل هذا في بعض حاجتك » . فقال : وصله الله ورحمه . ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع فذهب بها اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله : وقال : يا جارية اذهبي الي بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ . فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا . ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فسر بذلك وقال : (انهم اخوة بعضهم من بعض) .

ان تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية حبا ورغبة فيما هو عند الله سبحانه وتعالى ، واملا في رحمته جل شأنه ، حصيلة ايمان كامل وثمرة يقين راسخ ولقد تألق المسلمون الاوائل في الايثار وبلغوا فيه الدرجة العليا ومكانة عظمى .

لقد اثمر الايمان بالله في قلوبهم ايثار الدعوة الى الله سبحانه وتعالى وحب رسوله على نفوسهم . فقدموا ارواحهم فداء للاسلام . وصاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، واصحاب المبادىء الحقة والدعوات الصادقة يقدمون انفسهم فداء للدعوة والذين شرح الله قلوبهم للاسلام وخالط شغافها ، وأشربت حبه ، لا تزعزعهم الاهوال مهما عظمت ، ولا تزلزل العواصف اقدامهم مهما قويت ، فالنفس هينة رخيصة ما دامت تبذل في سبيل العقيدة ، والموت ليس بالخطر الذي يهاب ، ما دام ذلك دفاعا عن الاسلام واستشهادًا في سبيل الله . ولقد كان المسلمون الاوائل نماذج فذة في البطولة والتضحية والفداء ، وبهذا تهيب العدو بأسهم وخاف سلطانهم ، يقول العقاد في وصفه لابطال الاسلام في حروب الردة : (اذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ وريبة المرتابين ، فهي قد كشفت كذلك عن الايمان اليقين والفداء السمح واليقين المبين ، فحفظت نماذج للنصر والشجاعة والايثار والحمية تشربها صفحات الاديان ، وجاءت الشهادة الاولى على لسان رجل من اصحاب طليحة سأله : (ويلكم ما يهزمكم) فقال : انا احدثك ما يهزمنا . انه ليس رجل منا الا وهو يحب ان يموت صاحبه قبله ، وانا لنلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه) .

والمسلمون بفضل ما رسخ في قلوبهم من عقيدة تحث على البذل والبر والتواد والتراحم والتعاطف . لم

يكتفوا ببذل الطعام والشراب للغير ، وانما آثروا اخوانهم على انفسهم وقدموا ما يمسك حياتهم وان كانوا في اشد الحاجة اليه . قال تعالى :(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا**) اي يطعمون الطعام وهم في محبة له وشغف به المسكين العاجز عن الاكتساب ، واليتيم الذي مات كاسبه ، والاسير المأخوذ من قومه المملوكة رقبته الذي لا يملك لنفسه قوة ولا حيلة وان ايثار اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما سابقوا به انفسهم من فعل الخير وايثار الغير على النفس يدعو الى اكبار واعظام ما قاموا به ، ولقد وجد في المجتمع الاسلامي كثير من المؤمنين الذي سمت فطرهم وارتفعت غرائزهم وهم يؤثرون غيرهم بطعامهم وشرابهم رغم ما يواجهونه من صعاب . وما يتحملونه من اعباء ، رجاء رحمة الله وابتغاء رضوانه . وان قوة الايمان بالله يتجلى اثرها في الانسان عند تعرضه لموقف الاختيار بين ما عند الله وعند الناس والمؤمنون حقا يختارون ما عند الله جل شأنه فيضحون بكل ما يملكون غير خائفين في الله لومة لائم ، يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق ، ويبذلون النفس والنفيس ، ويطيقون المصاعب بصبر وثبات . والنفوس المؤمنة حق الايمان تنظر الى الغاية التي تريدها وتعمل على تحقيقها ، وهي في سبيل الوصول الى غايتها لاتهاب تكبر المتكبرين ولا تجبر المتجبرين ، ولا تحرص على زينة الحياة الدنيا وزخرفها وترفها ، لانها آمنت بحياة اكبر واعظم من هذه الحياة ، فيها الخلود ، وفيها رضوان الله قال تعالى في سورة البقرة : (**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**) البقرة / ٢٠٧ . أي ومن الناس فريق يبيع نفسه لله لا يبغي ثمنا لها غير مرضاته ولا يتحرى الا صالح العمل وقول الحق ، مع الاخلاص فيهما ، فلا يتكلم بلسانين ، ولا يقابل الناس بوجهين ، ولا يؤثر عرض الدنيا وزخرفها على ما عند ربه والقلوب المؤمنة تواقة دائما الى فعل الخير ، حريصة عليه لرفع منزلتها ، واعلاء مكانتها عند ربها . والمؤمنون كلما أقبلوا على الله وتفانوا في حبه وطاعته ، ازدادوا يقينا به واقبالا عليه ، وتضحية في سبيل اعلاء كلمته ، لا ترهبهم الدنيا ومن فيها ولا يخضعون لتقليد الغرب او الشرق ، ولا يكونون عبيدا لعادة .

والمسلمون الاوائل بتمسكهم بتوجيهات الاسلام استطاعوا ان يوحدوا صفوفهم ويقيموا امة قوية الجانب ، عزيزة الكلمة . لقد آثر كل منهم اخاه المسلم بما عنده ، وقدمه على نفسه ، فغرسوا بفضيلة الايثار شجرة الاخوة والتراحم ، واكدوا روابط الأخوة بينهم ، فسادوا في الارض ، وكتب الله لهم النصر ، وامتنا الاسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في اشد الحاجة الى التمسك بالفضائل والقيم الاسلامية .

هموم

المرأة الغربية وحيرتها بين العمل ووظيفتها الطبيعية

للأستاذ : علي القاضي

كان للتطور الصناعي في الغرب اثر كبير في خروج المرأة للعمل ـ لانه افقدها تماسك الاسرة ـ فاصبحت لا تجد من يعولها فاضطرت الى الاعتماد على نفسها وخرجت للعمل وبدأت الافكار الجديدة تنتشر عن عمل المرأة ومساواتها بالرجل واثبات وجودها وكيانها وما الى ذلك من الافكار التي سادت في الغرب فصدقتها المرأة وصدقتها المجتمعات المختلفة ـ ثم انتقلت هذه الافكار الى المجتمعات العربية والاسلامية .

والآن وبعد مضي فترات طويلة

من عمل المرأة بدأت الصحف تنشر اخبارا عن هموم المرأة العاملة في الغرب .

لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :

هذه صرخة المرأة في المجتمعات الغربية كما جاء في الدراسة التي نشرتها صحيفة العرب القطرية بتاريخ ١١ من يونية ١٩٨٠م وقالت : ان الكونجرس الامريكي ليس به الا ١٧ امرأة ، وواحدة في مجلس الشيوخ الامريكي - وفي فرنسا ١٨ نائبة من اصل ٤٩١ وفي سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت .

وفي امريكا :

لا تتمتع المرأة في الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية - وهذا الحكم اطلقته اللجنة الامريكية للحقوق المدنية - وتؤكد هذه اللجنة ان القوانين السارية في الولايات المتحدة - تقنن الظلم الذي تتعرض له النساء الامريكيات عبر اعطائها امتيازات للرجل على المرأة اكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة .

وقالت الدراسة : ومنذ نصف قرن لم يبت في مصير التعديل السابع والعشرين للدستور الذي ينص على المساواة امام القانون بغض النظر عن الجنس - وذلك لان التعديل يحتاج الى موافقة ٣٨ ولاية من الخمسين - وحتى الآن لم يوافق على هذا التعديل سوى ٣٥ ولاية .

كان أجر المرأة في عام ١٩٥٩ هو ٦٣,٩٪ ، من اصل اجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل ، وفي عام ١٩٧٨ انخفض الى ٥٨,٩٪

وقالت مجلة بنش : ان واقع المرأة الامريكية هو الاجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهني وقلة مؤسسات تربية الاطفال

في ايطاليا : تحصل المرأة على اجر يقل عن الرجل بـ ٣٠٪

وفي فرنسا : يصل الفرق الى ٣٣٪

وفي اليابان يصل الى ٤٠٪

وفي **سويسرا** : نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرا حول وضع المرأة قالت فيه :

« ان ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن - لاسباب مختلفة - من حق التصويت في انتخابات هيئة الادارة المحلية وان قضية مساواة المرأة بالرجل في سويسرا ما زالت دون حل .

وفي امريكا : لا تشغل المرأة سوى ٥٪ من الوظائف المنتجة وبصورة اساسية في هيئات السلطة المحلية - اذ يبلغ عددهن حوالي ٥٩,٣٪ من السكان ، و ٥٣,٢٪ من الناخبين ومن اصل ٥٥٤٧ مقعدا في برلمان السوق المشتركة التسعة يوجد ٣٥٧ نائبة اي اقل من ٦٪ من البرلمانيين - بينما

تقترب نسبة النساء في هذه البلدان من ٥٢٪ .

والبرلمان الياباني ليس به الا ٣٪ من النساء من أعضاء البرلمان .

البطالة : وتقول الدراسة : ان البطالة تنتشر في صفوف النساء في امريكا اكثر بمرة ونصف المرة من انتشارها في صفوف الرجال - وتبلغ نسبة النساء اللواتي يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣٪ من الامريكيين .

وفي امريكا كانت نسبة الفتيات خلال عام ٧٦/٧٧ الدراسي من طالبات الجامعة على النظام الاتي : من طالبات الطب ٢٥٪ ومن طالبات الهندسة ٦٪ ومن طالبات الحقوق ٢٠٪ ومن طالبات الفيزياء ١٪ ومن العاملات المؤهلات فنيا ٣٪ .

وتقول مجلة بواس نيوزاندود ولد ريبورت : ان ٨٠٪ من الامريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا الى رواتب الرجال .

وفي فرنسا : كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقة في وجه الفتيات ولا يدرس في المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠ وفي معهد الالكترونات والاجهزة الالكترونية يدرس به ٦٢ طالبة من اصل ٢٦٠٠ ونسبة المهندسات ٨ ، ١٪ والطبيبات ٦٪ والفنيات ١١٪ .

في اليابان : لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك عن ١٠٪ ممن انهين الدراسة الثانوية - اما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة الثانوية فهي قليلة - وفي عام ١٩٧٩ لم يحصل سوى ٢٠٪ من خريجات المعاهد العليا والكليات التي تستمر مدة الدراسة فيها سنتين على عمل - وتشكل النساء ٨٪ من المدرسين في المعاهد ، و ١٠ ٪ من الاطباء .

ونسبة النساء اللاتي يتمتعن بعضوية النقابات الامريكية في تناقص مستمر - فقد كانت النسبة ١٧٪ في عام ١٩٥٠ وأصبحت ١٢،٥٪ في عام ١٩٧٨ والامريكيات غير النقابيات محرومات عمليا من الحماية القانونية ومن المعاش التقاعدي والاجازات السنوية والاجازات المرضية المدفوعة الاجر - واجور هذه الفئة من النساء تقل بنسبة ٢٥٪ عن النساء النقابيات مما يزيد من متاعب المرأة العاملة في المجتمعات الغربية - ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربية الاطفال وعدم وجود قوانين لحماية الطفولة والامومة او ضمانات لاجازات الحمل والولادات المدفوعة الاجر - وفي هذا الصدد ذكرت مجلة « بوليتكل افريزر » الامريكية مثلا : ان مؤسسات حضانة الاطفال في الولايات المتحدة لا تتسع لاكثر من مليون طفل وهذا رقم متواضع للغاية .

هموم المرأة الامريكية :

وقد نشرت صحيفة الاهرام القاهرية بتاريخ ١٢/٧/ ١٩٨٠ دراسة تحت عنوان هموم المرأة الامريكية قالت فيها : تقول جلوريا ستاتيم رئيسة تحرير مجلة « مز » ان هذه القضية اساسية لانها تمس آدمية المرأة ـ ولا بد ان يتحرر جسد المرأة كأساس للتحرر السياسي وهذه القضايا هي : الاعتداء على الفتيات والنساء وضرب الزوجات والاضطهاد بسبب الجنس والعنف داخل العائلة والاجهاض ـ ولكن ليس معنى هذا ان المرأة الامريكية تركت جانبا بقية القضايا وفي مقدمتها المساواة في الاجر ـ فمن الثابت حسب احصاءات مكتب العمل ان المرأة التي تقوم بنفس العمل ـ عمل الرجل ـ تحصل على اجر يوازي ٦٣٪ من اجره فقط .

ومنها فرص التدريب والتقدم المهني .

ومنها الامن والامان في الوظيفة ـ فالمرأة نظرا لحداثة عهدها بالعمل هي آخر من يعين واول من يفصل .

ومنها الاضطهاد بسبب الجنس .

ومنها دور الحضانة ـ فاحصاءات ١٩٧٨ تقول : إن ٥،٨ مليون امرأة عاملة اي ٤٤ ٪ من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الاقل في سن ما قبل الدراسة ـ وذلك مقابل ٣٠٪ سنة ١٩٧٠ وهذا يعني انه مطلوب ٥,٨ مليون مكان على الاقل في دور الحضانة ـ بينما المتاح هو مليون مكان فقط .

الأرقام تقول :

وماذا تقول الأرقام عن المرأة ؟

ان الأرقام تقول : انه من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة فإن المرأة لا تعمل سوى عشرين نوعا .

وان النساء اللاتي يمكن القول بانهن وصلن الى مراكز مرموقة لا تزيد نسبتهن عن ٢,٣ : والمعيار هنا هو الايقل المرتب عن ١٥ الف دولار .

والمرأة في مجموعها لا تحصل على اجر متساو مع الرجل وتتحمل اعباء اكثر من طاقتها فهي تعمل في البيت بالاضافة الى ٨ ساعات يوميا .

قضايا اخرى :

وتستمر الدراسة قائلة : إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن اصبحت تمثل المكان الاول في قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة ـ فضلا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادي من زوجها ـ بمعنى انه بمجرد طلاقها

تفقد حقها في ان يكون لها وضع اقتصادي يسمح لها ان تبتاع بالتقسيط » وهي قضية اساسية في امريكا » .

بالاضافة الى ان عمل الزوجة - وبخاصة في الريف - لا يعتبر عملا انتاجيا اقتصاديا لها - اذ يخضع نصيبها في الميراث لضريبة التركات بعكس زوجها المعترف بدوره الانتاجي فميراثه من زوجته لا يخضع للضريبة - والمرأة الامريكية بعد زواجها تدفع ضرائب دخل بنسبة اعلى من غير المتزوجة - ولذلك فقد بدأ عدد من الازواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الاقرار الضريبي ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الاقرار الضريبي .

المساواة الشكلية وماذا أنتجت ؟

وفي دراسة عن اول حركة انشقاق نسائية سوفييتية كشفت تدهور اوضاع المرأة في ظل المساواة الشكلية وكيف اظهرت الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية وقد نقلتها صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر يوم ١٩٨٢/١/٣ عن الاوبزرفر وجاء في هذه الدراسة ما يأتي :

« ظهرت ضمن جماعات المنشقين في الاتحاد السوفييتي مؤخرا حركة نسائية منشقة بدأت في مدينة لينجراد ، وراحت تنتشر في مختلف انحاء الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشيوعية .

ولقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفييت التي تصل الى دول الغرب حتى السنوات الاخيرة لا تشير الى حقوق المرأة في حد ذاتها - وتركز فقط على حقوق الانسان بصفة عامة - وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو كتاب العالم السوفييتي الشهير اندريه زخاروف « الخطر والامل » الذي لفت الانظار الى الاثار الخطيرة التي ينتجها النظام الشيوعي السوفييتي الشمولي على الصحة البدنية والعقلية للنساء وتدهور معدل المواليد في الاتحاد السوفييتي بسبب هذه الآثار .

وفي ١٠ ديسمبر ١٩٧٩ - وهو يوم الاحتفال بذكرى اعلان حقوق الانسان ظهرت اول نشرة متخصصة في شؤون المرأة تحت عنوان « تاريخ المرأة الروسية » قامت بتحريرها النساء المنشقات وتضمنت مقالات وبحوثا واشعارا وقضايا تاريخية حول مشاكل المرأة على وجه الخصوص - وكشف النقاب عن الفارق بين صورة المرأة في الايدلوجية الشيوعية وبين الواقع المرير الذي تحياه النساء في الواقع داخل الاتحاد السوفييتي .

وفي هذه النشرة ذكرت النساء قصص الاجهاض في مستشفيات الاجهاض التي اطلقوا عليها

وصف « مفارم اللحم » ـ كما ذكرت ايضا حكايات عن اغتصاب الازواج المخمورين لزوجاتهم ومعسكرات الاعتقال الصغيرة التي يعيش فيها الاطفال تحت اسم معسكرات الطلائع والسجن بتهمة البطالة والطفيلية التي توضع فيه النساء وغير ذلك من الروايات .

وقد كان لهذه النشرة النسائية تأثير مدو ـ ليس فقط في داخل روسيا ـ وانما ايضا في الخارج ـ وبخاصة في اوساط الحركة النسائية في باريس حيث ظهر لها فورا نسخة ترجمت الى الفرنسية ـ واهتمت الصحف النسائية وغير النسائية في فرنسا بكاتبات هذه النشرة واجرت معهن الاحاديث الصحفية المتعددة حول اوضاع النساء في الاتحاد السوفييتي .

وعلى الرغم من التشابه بين بعض مشاكل المرأة الروسية ومشاكل النساء في الدول الغربية ـ فان معظم المشاكل التي ذكرتها النشرة كانت مشاكل روسية بحتة ـ وكان واضحا ان النساء السوفييت معجبات بالمدى الذي وصلت اليه حركة المرأة الغربية ، ولكنهن لا يشاطرنها نفس الامال التي زعمن انها تحققت بفضل الثورة الروسية ـ حيث اصبحت المرأة الان في الاتحاد السوفييتي رائدة فضاء وعاملة في المصانع .

بل على العكس ـ فان معظم مطالب المرأة الروسية كانت تسير في خط معاكس ـ فالمساواة التي وعدتهن بها الثورة الروسية ـ قد دمرت نمط الحياة النسائية السابقة دون ان يؤدي ذلك الى اسعاد المرأة الروسية بأي حال من الاحوال ـ وكما ذكرت الصحفية المنشقة كبرا سايكير :

لقد كف الرجل عن ان يكون حامي المرأة ولم يتحول الى شريك يشاطرها كل شيء وقد حذرت هذه الصحفية في مقالها نساء الغرب من التطرف في دعوة المساواة ، التي تدمر قيم الاسرة والامومة ، وتطيح بدور المرأة مصدرا للحب والاستقرار ـ والحركة لا ترفض مبدأ المساواة ـ ولكنها ترفض المساواة الشكلية التي تساوي المرأة بالرجل حتى في الاعمال التي يسعى العالم الى تخليص الرجال منها .

مساواة زائفة :

أما تاناتيا ناجو تشيفا ـ وهي فيلسوفة ذات تعليم ماركسي فقد ايدت في مقالها كل ما ذكرته زميلتها الصحفية كبرا سايكير واضافت تقول : « ان نظام التعليم السوفييتي قائم على اساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوي في حقيقتها على احتقار للأنوثة ـ وان هذا النظام لم يؤد الى تحرير المرأة ، وانما ادى الى تأنيث الرجال بعد ان فقدوا

حريتهم وقدرتهم على تحمل المسؤولية » .

جنس ثالث :

وقالت تاناتيا في مقالها : ان المرأة في الاسرة التي تحللت بسبب ادمان الرجال للخمور وايضا في المصانع تشكل قوة العمل الرئيسة ، وان العمل في المصنع والبيت يثقل كاهلها ويدمر معنوياتها - وذكرت أن المرأة والرجل على السواء قد تحولا في المجتمع السوفييتي الى جنس ثالث هو جنس سوفييتي محض لا مثيل له في اي مجتمع اخر .

وبالطبع قامت المخابرات السوفييتية بتبديد هذه النشرة وقامت ايضا باعتقال بعض مؤسسات الحركة النسائية المنشقة الجديدة مثل « نانيانا نابونافا » وهي شاعرة وفنانة تم نفيها مؤخرا خارج الاتحاد السوفييتي - وذهبت للعيش في باريس ومثل الكاتبة بليافوز نيسكايا التي تمضي حاليا حكما بالسجن لمدة خمس سنوات في احد معسكرات الاعتقال الروسية .

ومع ذلك فقد استمرت الحركة النسائية منذ عام ١٩٧٩ ، وواصلت عملها حيث تقوم النساء حاليا باعداد النشرات والمقالات ضد الغزو السوفييتي لافغانستان - واخيرا ضد التهديد السوفييتي لبولندا .

وقد اطلق هؤلاء النساء اسم « نادي مريم » على جماعتهن واختاروا كلمة « نادي » بالذات ، حتى يتجنبن مطاردات البوليس السوفييتي اذا هن اطلقن على انفسهن جماعة او جمعية او اتحادا - كما نسبن انفسهن الى مريم العذراء كمثل اعلى لهن - وهو مثل ديني اعلى ، ويعتبر ظهوره في دولة مثل الاتحاد السوفييتي تطارد الاديان اكثر من ستين عاما منذ قيام الثورة الشيوعية امرا خطير الدلالة .

نعارض المساواة :

وقد ظهرت في الولايات المتحدة زعيمة جديدة فهي تعارض حركة تحرير المرأة في امريكا التي تطالب بتعديل الدستور الامريكي للنص صراحة على المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ان السيدة فليس شافلي المحامية المعروفة زعيمة الحركة المضادة لمساواة الرجل والمرأة تقول : انها استطاعت ان تقنع اغلبية امريكية انها نصيرة العائلة ونصيرة ربة البيت ونصيرة الاخلاق الفاضلة ، وان خصومها ضد كل هذه الفضائل وان نصراء تحرير المرأة يشنقون الزوجة الامريكية بدعاياتهم الفارغة .

ان الزوجة الامريكية سعيدة الآن - فهي التي تدير بيتها وهي التي تصدر القرارات ولكن يجب

ان تحترم زوجها او تعتبره رب العائلة .

واجب الزوجة :

وتستمر فليس قائلة : واجب الزوجة ان تستقبل زوجها بابتسامة كما تفعل الجرسونة في المطعم عندما تستقبل زبونا جاء لتناول الغذاء - انني معجبة بمسز مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا - فانها قبل ان تذهب في الصباح الى مكتبها فانها تعد بنفسها طعام الافطار لزوجها وابنها وابنتها - ولا تهمل اطعام اسرتها بحجة انها مشغولة بإدارة الحكم في بريطانيا - من حق المرأة ان تعمل بشرط ان تؤدي واجباتها كزوج وأم - فاذا لم تستطع ان تجمع بين العملين فعليها أن تستقيل أو تبحث عن عمل خفيف .

وتقول « ان مساواة المرأة بالرجل فيه القضاء على الاسرة وفيه القضاء على حلاوة الحياة الزوجية » . الاخبار القاهرية ٢١ /١/ ١٩٨٢ » .

وهي تعارض تعديل الدستور بحيث ينص فيه على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، لأن احدى نتائجه في رأيها سوف يكون تجنيد الفتاة ونزولها الى ميدان الحرب والقتل والتدمير وانه من الممكن ايضا ان يهدد وضع الزوجة .

وهكذا تتضح لنا جوانب غامضة من هموم المرأة العاملة في الغرب ترويها لنا المرأة المتفتحة الواعية محاولة ان تبصر بنات جنسها بالمستقبل المظلم الذي ينتظرهن .

ونمضي مستعرضين آراء المرأة الغربية فيما وصلت إليه الآن .. وما تعانيه من واقع مؤلم .. فمتى خرجت المرأة إلى العمل ؟

متى خرجت المرأة الى العمل ؟ ولماذا خرجت المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الأساسية ؟

تجيب على ذلك الدكتورة مرجريت بش عالمة انتوجرافية (متخصصة في علم السلالات البشرية) وانتروبولوجية (متخصصة في علم البشريات) في الولايات المتحدة الامريكية وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة مستقبل التربية التي تصدرها هيئة اليونسكو العدد الثالث عام ١٩٧٥ قالت العالمة :

حدث في العالم ثورتان ادتا الى تغيير الوظيفة الرئيسة لكل من الرجل والمرأة تغييرا جذريا .

١ - الثورة الصناعية :

التي طوحت بالمرأة في عالم حرمت فيه من القلب الحنون فلم تجد أبا أو أخا أو زوجا أو قريبا - يعنى بها وبأولادها - وبذلك نشأ ضرب جديد من الاستغلال .

٢ ـ الثورة الطبية :

التي كافحت الامراض الوبائية وخفضت من وفيات الاطفال ومكنت المرأة من تحديد النسل وقللت الانجاب .

فالمرأة اذن قد اضطرت الى العمل اضطرارا ـ وحين كثرت النساء العاملات ـ ظن الناس ان هذا هو الوضع الطبيعي ـ ولعل هذا هو الذي جعل الامم المتحدة تقرر اعتبار عام ١٩٧٥ عاما دوليا للمرأة ـ وقد دعا مؤتمر المرأة في عامها الدولي لاشراك النساء اشراكا كليا في تحقيق الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية كما دعا لاسهامهن في تحقيق التعاون والتفاهم والصداقة بين شعوب الارض قاطبة .

ومن هنا فاننا نلاحظ ان المرأة نفسها قد خدعت بهذه الفكرة واصبحت تنادي بها على انها ميزة لها .

على ان بعض النساء تنبهن الى خطورة هذه الفكرة ونادين بعودة المرأة الى وظيفتها الطبيعية .

فالسيدة جان مارتان سيسه : سفيرة غينيا لدى الامم المتحدة ـ تعرضت لهذا الموضوع في مجلة مستقبل التربية فقالت : في المجتمعات المتمسكة بالتقاليد القديمة ينتمي الفرد فيها الى الجماعة او العشيرة وتتسم تربيته بطابعها ـ ولما كانت المرأة هي نواة الخلية الاجتماعية ـ اي نواة الاسرة ـ فهي اقدر من سواها على القيام بتربية الطفل وتهذيبه ـ وهي امينة على التراث الموروث .

وأضافت السيدة جان قائلة :

● « الإنجاب كان مهمة المرأة الاولى ـ وكانت المرأة هي التي تقوم بتربية اولادها ـ فهي التي تتولى تشكيل العجينة تاركة للمجتمع القيام بإتمام عجنها ـ وقد تميزت هذه التربية بغرس الشعور بالشرف منذ الصغر وتقوية الرغبة في الدفاع عن الوطن والركون الى الاعمال النبيلة . »

ثم قالت : « والمساواة بين الرجل والمرأة في تربية الاطفال لا وجود لها ـ لان المرأة هي التي تقوم بتربيتهم ـ ذكورا كانوا ام اناثا ـ فهي التي تربي الرجل ـ ولذا وصفت بأنها المربية الاولى والمعلمة الرائدة » .

ماذا تستهلك المرأة ؟

وحين خرجت المرأة للعمل زاد استهلاكها لأشياء كثيرة حسب طبيعة وضعها الجديد .

ماذا تستهلك المرأة ؟ سؤال تجيب عليه ماري التو الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو في مجلة مستقبل التربية فتقول :

« اصبحت المرأة الحضرية في

مجتمع اليوم اساسا للاستزادة من المال والارباح ـ هدفا للاغراء والترغيب في الاقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع في الاسواق .

والواقع ان المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثرا بالدعاية الضخمة المغرية التي يطلقها التجار ترويجا لبضائعهم وترغيبا في شرائها .. ويلاحظ ان المرأة العاملة يتخفف زوجها من اعباء التموين المنزلي ومشاكله ليلقيه على عاتقها مستريحا مطمئنا » .

وتستمر ماري التو في حديثها قائلة :

« ومن اهم السلع التي تهتم بالدعاية التجارية بالترويج لها واغراء النساء بالاقبال على شرائها ـ مواد التجميل وادواته من الثياب المتطورة المتغيرة تبعا لتغير الفصول والشهور ـ بل والايام احيانا ـ وهكذا تجد المرأة نفسها عرضة للاستهلاك في ميولها وعواطفها فضلا عن استغلالها في ميادين الاعمال » .

هل المرأة سعيدة بخروجها الى العمل ؟

سؤال تجيب عليه الكاتبة الانجليزية الشهيرة « انا رورد ـ في مقالة ـ نشرتها جريدة الاسترون ميل الانجليزية فتقول :

« **لان تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم ـ خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ـ ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف** رداء ـ إنه عار على بلاد الانجليز ان تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ـ فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام **في البيت وترك اعمال الرجال للرجال** سلامة لشرفها وحفاظا على أنوثتها » .

عميدة أمريكية تقول للطالبات :

« اتركن هذه الشعارات »

في ولاية انديانا الامريكية ـ كان النقاش حادا بين واحد من الدارسين العرب وبعض الطالبات في الجامعة في اثناء دراستهم العليا ـ هو يدعو الى الاسلام الذي رعى حقوق المرأة وصانها ـ وهي تتكلم عن تحرير المرأة ـ ونوقشت قضية المرأة ولم يتفقوا على رأي ـ فاحتكموا الى عميدة الكلية ودار حوار هادىء شارك فيه الطالب العربي المسلم .

واستدعت العميدة واحدة من كبريات الاساتذة عندها ليتفقا على

جواب واحد وكان جوابهما الذي وجه للطالبات :

« يجب ان تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية ـ فان اجمل اوقات المرأة هي مناجاة طفل ـ وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية ، وأشهى ثمرة تقطفها هي تربية أجيال » .

ثم اضافتا الى ذلك قولهما :

« لقد تحصلنا على اكبر مركز تتوق اليه المرأة ـ بل والرجل في هذه الحياة واكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه ـ لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي ـ ان السعادة الحقيقية للمرأة ـ بعد ان درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي اعطاها للمرأة واشارتا الى زميل الحوار .

المرأة اليابانية :

اليابان الدولة التي نهضت ـ عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله ـ ما وضع المرأة فيها ؟

تجيب على هذا السؤال نوبوا ابسكاوا ـ سفيرة اليابان في باريس في مجلة « المجلة » ٢١/١١/١٩٨١ قائلة :

« المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج ـ اما بعد الزواج ـ فهي إما ان تترك عملها مباشرة واما ان تتابعه حتى يصبح لديها اولاد ـ بينما تلتزم المرأة منزلها ـ وبخاصة وانه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة ـ تربية الاولاد والطبخ وتنظيف البيت وسوى ذلك من الامور ـ وحين يكبر الاولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة الى ممارسة نشاطاتها السابقة » .

ثم اضافت قائلة :

« والجدير بالذكر ـ هنا ـ ان من اسباب قوة اليابان حاليا « هو عناية المرأة بالأولاد »

المرأة والاقتصاد :

ويأتي سؤال ما تأثير المرأة العاملة على النواحي الاقتصادية للدولة ؟ ـ ويجيب على هذا السؤال الاستاذ « جيوم فيربرو » في المجلد الاول من مجلة المجلات فيقول :

« ان اشتغال المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سيئا باعتبار ان اشتغالها فيه مزاحمة للرجل في ميدان نشاطه الطبيعي مما يؤدي الى نشر البطالة في صفوف الرجال كما وقع في بلادنا ـ فمنذ اخذت المرأة طريقها الى وظائف الدولة ـ فقد اصبح عدد كبير من حملة الشهادات الثانوية والعليا عاطلين عن العمل يملئون المقاهي ويقرعون ابواب الحكومة طلبا للوظائف بينما تحتل اماكنهم

فتيـات لا يحملن غـالبـا مثـل مؤهلاتهم » .

وما يقوله الاستاذ جيوم ينطبق على كل الدول التي أخذت بمبدأ العمل للمرأة فاصبحت تعاني من البطالة في صفوف الرجال والمشاكل المتنوعة التي تتـرتب على هـذه الناحية .

والموضوع يحتاج الى دراسة متأنية واعية وتوصيات مبنية على أساس هذه الدراسات تقدم الى الرجل والمرأة على السواء وتقدم الى الحكومات واهل الفكر علهم يبدءون صفحة جديدة فيعيدون النظر في توظيف المرأة الذي اصبح في كثير مـن الـدول مـن المسلمـات ـ واصبحت المرأة نفسها تطالب به ـ على انه حق من حقوقها ـ مع انها اول من يدفع الثمن ـ ثمن الخروج عن وظيفتهـا الطبيعية في هـذه الحياة .

ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور الكسيس كاريل يقول في كتابـه « الانسان ذلك المجهول » انه حتى هـذه الايام ـ لم يتضـح فكـر الانسان ولم يشعر على الوجه التام ما لوظيفة الولادة من الاهمية في حياة المرأة ـ ان قيام المرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمال القياس ـ وما انحراف النساء عن الولادة ورعاية الطفل الا حماقة شنيعة لا يقبل عليها عاقل » .

وعلى نهجه سار الدكتور فيكتور بوجومرلنز في كتابه « من الجلد الى الذهن » وترجم بعنوان « عش شابا طول حياتك » فقال :

« ان انجاب الاطفال شيء مهم جدا في حياة المرأة من كل ناحية ـ ولم يقرر احد من المختصين ان تعب البنية من كثرة الاولاد قاصر عليها ـ ان من المؤكد ان عملية الحمل والولادة حيوية جـدا في نشاط بنية المرأة ـ ولست اميل الى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير في حياتها بافراطها في انجاب الذرية ـ فكلنا يعرف نساء أنجبن كثيرا من الأولاد وعمرن » .

تغبط المجتمع العربي :

ومع ان المجتمع العربي لا زال يسير في طريق المجتمعات الغربية بدون تمييز بين النافع والضار الا أن من يعرف المجتمع العـربي بتقاليده الاسلامية الرائعة يغبطه على ما هو فيه من نعم ـ وان كان هو لا يدرك هذه النعم ولنسمع الكاتبة الامريكية « هيلين ستانستيزي » تقول في هذا الموضوع :

« ان المجتمع العربي كـامل وسليم ـ ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بالتقاليد التي تقيـد الفتاة والشاب في حدود المعقول ـ وان هـذا المجتمـع يختلف عن المجتمـع الاوربي والامـريكي ـ فعندهم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحث على احتـرام الاب والام ـ بل وتحتم اكثر من ذلك ـ

منع الاباحية الفردية التي تهدد اليوم المجتمع والاسرة في اوربا وامريكا ـ لذلك فان القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة ـ واقصد التي هي دون سن العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة ـ لهذا انصحكم ان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم ـ وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ـ ارجعوا الى عصر الحجاب ـ فهذا خير من اباحية وانطلاق امريكا واوربا » .

واضافت قائلة :

« امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه الكثير ـ لقد اصبح المجتمع الامريكي مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة ـ وان ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون والارصفة والبارات والبيوت السرية ـ ان الحرية التي اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار جعلت منهن « جيمس دسن » المصابات بالمخدرات والرقيق » .

واستمرت تقول :

« ان الاختلاط والاباحية والحرية في المجتمع الامريكي والاوربي هددت الاسرة وزلزلت القيم الأخلاقية ـ فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص « وتشرب الخمر والسجاير ـ بل وتتعاطى ذلك كله باسم المدنية والحرية والاباحية ـ والعجيب في اوربا وامريكا : ان الفتاة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها ـ تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ـ وتتحداهم باسم الاباحية والانطلاق ـ تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ـ ولا يكلفها هذا اكثر من توقيع ، وبعض النقود وعريس ليلة او عدة ليال وبعدها يتم الطلاق وربما الزواج والطلاق مرة اخرى .

وبعد

فهذه صيحات تحذير تأتينا من الغرب الذي ذاق ما ذاق من خروج المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الطبيعية ـ ترى هل نحن على استعداد للنظر في هذا الامر والاستماع الى هذه الصيحات .
ان فعلنا ذلك فاننا نسير في الطريق السايم الذي بينه لنا الاسلام ـ ولكن المدنية الغربية الهتنا عن ان نسير في طريقه .
بهذا نكون قد انصفنا انفسنا وحفظنا لمستقبلنا الأجيال التي تحقق رسالة هذه الامة التي اختارها الله تعالى لتكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

كفى.. كفى!

للدكتور / عز الدين علي السيد

المسلمون

المسلمون بكل ارض .. يا لها هبة السماء !
غيث تنزل .. كي يغيث الأرض من ألم الشقاء
نور تفجر .. في ربوع الكون .. يجنبه البلاء

★ ★ ★

المسلمون هم النجوم الغر في الليل البهيم
من قبلهم كان الظلام على ربى الدنيا يقيم
كان الورى لعب الضلال بكف شيطان رجيم

★ ★ ★

بالوحي جاء المسلمون ليبعثوا اهل القبور
ليحطموا قيد الحجى بكتاب توحيد ونور
ليشردوا بالظلم والظلماء والكفر الفجور

★ ★ ★

جنـد النبـي المسلمـون .. عـلى الثغـور يـرابطـون
بـالصبـر والايمـان والقلـب الكبـير يجـاهـدون
القتـل احـدى الحسنيـين .. فكيف يخشـون المنـون ؟

★ ★ ★

فتحـوا الأنام بفـاتحين : هـدى السماء وبـالسيـوف !
فتكـوا بـأكبـر دولتـين .. بـلا حسـاب للحتـوف
بـالروم والفـرس اللتـين هـوت بمجـدهمـا الصـروف

★ ★ ★

في الشـرق كـان المسلمـون وفي ربى الغـرب البعيـد
يبنـون لـلاسـلام صـرحـا للحضـارة لا يبيـد
بـالعلم .. بـالاخـلاق .. عظم امرهـا الـدين الجـديـد

★ ★ ★

المسلمـون دعـاة رب الـعـالمـين الى الـورى
للخـير يـدعـون الـعتـاة ومـن تكبـر وافتـرى !
بـاللـين والقـول الجميـل .. يـوثقـون بـه العـرى

★ ★ ★

فـاذا تمـادى في الـعقـوق ولـج في الظلـم المبـين
فـالسيـف اصـدق رادع هـزتـه ايـدي المسلمـين
لا يستكـين المسلمـون لـذلـة تصـم الجبـين

● ● ●

من هم ؟

من هم اولاء المسلمون ؟ هل نحن نحن المسلمون ؟
اني يحيرني الجواب ونحن في ذل وهون !
والمسلمون على ثراهم باللظى يتخطفون !

★ ★ ★

لم يحمهم عزم الابي وهم ملايين البشر !
متفككين .. مبعثرين .. على الثرى مثل المدر
فقدوا الارادة .. والرجاء .. وحملوا اللوم القدر !

★ ★ ★

هل نحن نحن المسلمون وقدسنا بيد اليهود ؟
او نحن نحن المسلمون وارضنا مرعى الاسود
من كل ذئب كان إن سرنا تزلزله الرعود !

★ ★ ★

هل نحن نحن المسلمون وقد دهينا بالفتن ؟
فلت عزائمنا ومزقت الصدور من الاحن
لا حزم يجمع شملنا وديارنا مأوى المحن !

★ ★ ★

اطفالنا .. ونساؤنا .. بيد العدو من العبيد !
او في العراء على الظما والجوع في ذل الشريد
النار احرقت الرجال وهدت البيت السعيد !

★ ★ ★

هلا بذلنا في حروب الغاصبين لارضنا ؟
مهجا رماها بعضنا بيد الدمار لبعضنا
ليزيد مجد الطامعين بحربهم وبحربنا !

★ ★ ★

مرحى ومرحى .. الف مرحى .. نحن قوم مسلمون !
اوليس آلاف المساجد بينها من يسجدون ؟
او ليس عشرات الالوف الى المناسك يهرعون ؟

★ ★ ★

لم لا نسمي المسلمين وان غدونا كالعليل
يرمي بما وصف الطبيب له ويرجو المستحيل ؟
هل بعد ميلادي ببيت مسلم يرجى الدليل ؟

● ● ●

أنا مُسلم

أنا مسلم .. رمز على الانسان قد قهر الهوى !
انا مسلم .. وسم على انف العدو به اكتوى
انا مسلم .. فخر الابي تجمعت فيه القوى !

★ ★ ★

انا مسلم .. رمز المحبة والوئام به اسود !
انا مسلم .. رمز الفداء لكي تصان بي الحدود
انا مسلم خلقي كتاب الله .. لا خلق الحقود !

★ ★ ★

انا مسلم .. خلقي اصيل من كتاب الله نابع
تبعي الانام وما انا في مذهبي للخلق تابع
أرْسَى من الجبل الاشم فلا تزعزعني الزوابع !

★ ★ ★

انا مسلم متفجر الذرات في اعماق ذاتي !
لا استكين .. تشع روحي النور يبهر في حياتي

خلقت لي الدنيا لاسبر غورها حتى مماتي

★ ★ ★

انا مسلم استقطب الدنيا وانظر في العواقب !
اعطي وآخذ كيف شئت ولا تعبدني المذاهب
متحرر الفكر الاصيل فلست عن ديني بذاهب !

○ ○ ○

انا مسلم ليست حروفا في اللسان او الورق
انا مسلم معنى الشريعة في الحياة قد انطلق
انا مسلم نهج يُطبّق في السلوك .. هل انطبق ؟؟

★ ★ ★

انا مسلم .. لفظ يردده الشيوخ مع الشباب
لفظ فسيح .. كالوجود .. وجوفه منا خراب !
فمتى تجيش به الحياة ؟ متى ننال به الرغاب ؟

★ ★ ★

الخاسرون تجاهلوه فيمموا صخرا بقاع !
وعلى سفينهم الضحايا والسواد من الرعاع
فمتى يفيق المسلمون ليحكموا رفع الشراع ؟

★ ★ ★

دستورنا القرآن اعلى قمة فوق القمم
لزمته مدرسة النبي فدوخت اعتى الأمم
لما جفاه المسلمون غدوا مواطىء للقَدَم !

★ ★ ★

المسلمون الاولون بدينهم صنعوا الغرائب
صدقت قلوبهم السماء فحققوا اغلى الرغائب !
يا مسلمي العصر الكئيب .. كفى .. كفى تلك المصائب !

● ● ●

كتاب الشهر

نظرات ومواقف للشيخ حسن محمد الكتبي

عرض وتقديم الاستاذ/ عبد السميع المصري

ان اروع ما يلفت نظر القارىء في هذا الكتاب هو روح الوفاء النادر للوطن والعروبة والاسلام .. هذا الروح الذي نتنسم اريجه في ثنايا الكتاب وفي العديد من صفحاته .

وكان من اجمل الوان الوفاء هو الوفاء لرجالنا الابطال الذين ضحوا بكل شيء في سبيل اعلاء كلمة الله واعلاء شأن المسلمين ومن اعظم المعاصرين منهم المغفور له الملك فيصل الذي يقول عنه الكاتب :

« واجه مصائر شعبه الذي كادت تعصف به الرياح العاتية التي احاطت به من جميع الآفاق ، وضيقت عليه الخناق فأنقذه من الانهيار ووضعه على الجادة الواضحة المعالم .. وعبر بالعالم الاسلامي والعربي الى ذروة السلام والاسلام » .

والواقع ان كتاب « نظرات ومواقف » قد ضم بين دفتيه ـ وقد بلغ ما يقرب من اربعمائة صفحة من القطع الكبير ـ عدة كتب في مجلد واحد .. ففيه من روائع الادب وفيه فيض من ثقافة وفيه دعوات الى الاسلام والتمسك بشرائعه وفيه آراء في السياسة والاقتصاد والاصلاح .

فهو يتحدث ـ في مؤتمر الادباء ـ عن الديمقراطية الانسانية النقية التي لا تشوبها شائبة لانها ديمقراطية محصنة بالأخلاق والفضيلة ومراقبة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ومن هذا المنطلق تنبعث دعوته القوية لكل خلق قويم فيقول في حديثه

عن « مصدر الالهام »

« ان كل انسان له جوانب كمال وجوانب نقص ، ولكن بعض الناس ترجح فيه بعض هذه الجوانب على الاخرى . ومن الانصاف ان نعرف لكل انسان ما فيه من خير لنأخذ به منه ونعترف له عنه ونعينه عليه ، وبذلك نحقق للانسانية كسبا عظيما وما كان خلاف ذلك من الانصاف ايضا ان نحاول استصلاحه بالحسنى ونحميه من الغيبة التي يصورها القرآن في ابشع صورة .. تحاكي اكل الانسان لحم اخيه ميتا .

فاذا حكمنا هذه القاعدة في علاقتنا مع الآخرين فاننا سنتخلص من تلك النقائض الفتاكة في حياتنا الاخلاقية والاجتماعية وهي : التحدي والجحود والمكابرة ونزن الرجال والاعمال بموازين عادلة رصينة » .

ويمضي المؤلف في الحديث عن كل جميل وخير في حياة الانسان فينتقل الى الحديث عن الحرية فيقول : « انها اول مطلب يطلبه كل كائن حي عندما يتنسم نسيم الحياة .. وهي تسبق العقل والفكر والنطق .. وتسبق جميع انواع الفهم والادراك .. وهي من صفات الروح الاولى تنعدم بانعدامها وتوجد معها لحظة وجودها ، وهي أول صفة تصاحب وجود الروح في الكائن الحي .. وأول شيء في الوجود يدافع عن نفسه ويحتفظ بحقه في التصرف وفي التعبير عن ذاته ..

ورغم أن الحرية هي الأصل في الحياة الانسانية وأولى الحقوق الفطرية التي درج على ممارستها منذ مولده ..

الا انها تعرضت للضياع في شتى عصور التاريخ وبين مختلف الأمم .. لقد مضى على الانسانية حين من الدهر كان فيه الرق نظاما دوليا اجتماعيا فاشيا في أوربا .. فكل من ملك قطعة من الأرض ملك ما عليها من اناس .. وكان التشريع الروماني يجعل عقوبة العبد اذا سرق من سيده أو هرب منه هي القتل ..

وكانت القوانين الدينية عند الهنود تحرم طبقة خاصة من الناس من جميع الحقوق ويعتبرهم رجال الدين رجسا يمتنعون عن مخالطتهم . ورغم ذلك فقد ظل الانسان يكافح في سبيل تخليص حريته من العبودية وتخليصها من الاغتصاب والتعدي عليها ويضع الانظمة التي تحقق له ذلك .. وقد سبقت الأديان السماوية الى الدعوة لذلك ..

لكن من المؤسف أن نجد الانسانية بعد أن رأت طريقها الى سعادة الحرية التي عاشت تحلم بها .. قد انتكست الى حال أسوأ مما كانت تعانيه .. فالظلم والحروب فاشية .. ثم ما يتبعها من امتيازات تفرض على المقهورين .

ولقد وقفت الشيوعية العالمية في طريق ممارسة الحريات بجميع أنواعها .. وتحقيق السلام .. وعطلت اعمال الهيئات والمؤسسات التي أقيمت لحمايتها وضمان سلامتها وانتقل الصراع المحدود الذي كان يعانيه الفرد في محيطه .. والجماعات الصغيرة في رقعتها من الارض الى

صراع دولي شامل عم العالم بالقلق والخوف من المصير المجهول .

والحرب الشيوعية في بلد لا يراد بها ان تخلص الى سلم دائم واستقرار وحرية بل الغاية منها هي توسيع رقعة الشيوعية التي تحرم الانسان من أبسط حقوقه في التفكير والتعبير والعمل المنتج لرفع مستوى معيشته ومضاعفة دخله وادراك حياة افضل يتمتع بها الجميع في ظل القانون .

والشيوعية تعتمد في اسلوب انتشارها على مبادىء منافية للمثالية التي طمح الانسان في جميع أدوار حياته الى تحقيقها .

فلا تؤمن بالله .. ولا تؤمن بالاديان .. وتعتبرها برجوازية يجب القضاء عليها والتخلص منها .. مع أن الأديان ـ هي « الحق » وأقوى رابطة قامت عليها الحياة الاجتماعية البشرية ولا نخص بهذا دينا دون آخر ـ »

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن كلمة سمعها من مسئول في وزارة خارجية دولة عظمى تضع كل ثقلها في محاربة الشيوعية ..

فهذا المسئول لا يعتبر البلد شيوعيا حتى يتلقى تعليماته وأوامره من موسكو مباشرة .. أما ما سببته سياسة بلده من دفع الكثير من بلاد الشرق الأوسط الى أحضان الشيوعية الى حد التخريب وقتال الشوارع وتلاشي الحكم الديمقراطي .. فهو في نظره من قبيل العبث الوقتي الذي لا يستحق المقاومة .

لكن عندما تستولي الطغمة الشيوعية على الحكم وتتلقى تعليماتها من موسكو ويصبح البلد شيوعيا .. عندئذ تهب حكومة ذلك المسئول لمقاومتها في اطار مدى تأثيرها على مصالحها فقط .

وفي ظل هذا المفهوم الخاطىء تزحف الشيوعية زحفا متصلا في جميع الاتجاهات وهي اذا حلت ببلد فنادرا ما تنحسر الا وسط بحور من الدماء .

لذلك يجب ان نعمل ونسارع بالعمل لصد هذا الزحف بمفاهيمنا الاسلامية التي تقدس الحرية بكل انواعها ..

★ « حرية الفكر .
★ حرية الملكية .
★ حرية استعمال الفرد للكاته ومواهبه الفطرية .
★ حرية السيطرة على طاقاته ليستغلها لخير نفسه وخير البشرية .
★ حرية تنظيم حياته على النحو الذي يتفق مع رغباته .
★ حرية العيش حيث يريد وكيفما يريد » .

موقنين ان ما توصل اليه العقل البشري من انظمة ديمقراطية انما هو

من ثمار هذه الحرية التي تريد الشيوعية ان تقضي عليها بما تهدره من كرامة الانسان وتدمره من الأخوة الانسانية وتنشره من نظام يصدم الفطرة ويعوق التقدم الحضاري للانسان .

وهنا يبرز دور الأدباء ومسئوليتهم الكبرى في الحفاظ على تراث الانسانية بصفتهم « الرواد في المهامه المقفرة والرائد لا يكذب أهله » .

« اننا بحاجة الى أن نبرز الوجود العربي في أفكاره الملائمة لفطرته وفي عقيدته الملائمة لطبيعته وفي طريقة حياته المنسجمة مع تقاليده وعاداته .. وان نتابع الأخطاء والانحرافات التي لحقت به فنبين مصادرها ومدى الاضرار التي الحقتها بالوجود العربي حتى نصحح الأخطاء ونعمل على تكوين رأي عام سليم واع مدرك .. رأي عام عربي اصيل - لا شرقي ولا غربي - يستطيع ان يأخذ بمقدرات الأمة العربية الى الطريق المستقيم .

كما أننا بحاجة ايضا الى تنقية موارد ومصادر ثقافتنا وفكرنا التي اختلطت اختلاطا مروعا يهدد بتصدع وتحول عظيم في الصميم حتى نحصل على فكر وثقافة صالحة لتغذية نمونا الطبيعي كيلا نتعرض الى خطر التحول عن فطرتنا .

اما في حديث الشيخ حسن كتبي عن « الاسلام والسلام العالمي » فهو يقول :

« السلام هو جزء من صميم العقيدة الاسلامية لأن الدعوة الى عبادة اله واحد لا شريك له حسبما جاء في جميع الديانات السماوية السابقة للاسلام هي عنصر رئيسي من عناصر السلام :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران / ٦٤

فاجتماع البشر في ظل توحيد الله - وهو جوهر الدعوة الاسلامية - يقضي على جميع المشاكل والخلافات والحروب التي طالما أثيرت بسبب الخلافات العقائدية أيا كان نوعها » .

لاسيما وأن الاسلام لم يعتمد في نشر عقيدته على حرب أو اكراه .. وكيف يكون ذلك والمولى عز وجل يقول في محكم كتابه :

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل / ١٢٥
(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة / ٢٥٦
(إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)
التكوير / ٢٧و ٢٨ .

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الانبياء / ١٠٧

فالسلام هو الأصل في دعوة الاسلام والحرب استثناء لا يلجأ اليها الا عند الضرورة القصوى ولا تكون ابدا بنية التوسع والاستعمار بل للدفاع عن النفس .

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج / ٣٩ و٤٠

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة / ١٩٠ والمسلم ملزم في حروبه بالتسامح والتقوى والعدل ومنع الاعتداء والجور والظلم وقتل الابرياء حتى تتحقق حرية الفكر والعقيدة فيقبل الناس على رسالة السماء .

ان من أهم دواعي الحج وهو ذلك اللقاء « بين اطراف هذا الكيان الاسلامي من كل فج عميق لقاء دينيا مبرأ من شوائب العصبيات والجنسيات وكل ما يفتت الأسرة الاسلامية الكبيرة من أسباب متنوعة ليعالجوا قضاياهم ويحلوا مشاكلهم على أسس من الدين وليتبادلوا المنافع بينهم » .. في ظل الاسلام .

لكن السلام في ظل الاسلام لا يعني الاستسلام أو النوم وقد استولى « أعداء الأديان وأعداء الانسان على قدس من مقدساتنا واستولى عبدة الاوثان على شطر عزيز على قلوب المسلمين جميعا من أرض باكستان » .

ولذلك يدعو المؤلف دعوة ملحة للتضامن الاسلامي الذي لم يكن في يوم من الأيام دعوة حزبية ولا تجمعات عدوانية وانما هو نسب روحي أقامه الاسلام بين المسلمين حيث جعل منهم اخوة وجعل الاخوة الاسلامية هي القاعدة التي يرتكز عليها كيان المجتمع الاسلامي وضرب لهذا الجسد مثلا بالجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

ولقد أصبح المسلمون في جميع اقطار الارض في أشد الحاجة الى احياء ذلك النسب بينهم بسبب فداحة الاخطار التي تهدد وجود الشعوب الاسلامية كجماعة توحد العقيدة بين أفرادها .. لقد عرف الشعب التركي حرب الابادة التي شنها القبارصة على الأتراك المسلمين بقصد أن يزيلوا وجودهم ... كما عرف هذه الأخطار الهنود المسلمون في الهند وكشمير وفي التركستان الذين يعانون مما يعانيه المسلمون الاتراك .

ويعيش المسلمون في زنجبار وفلسطين مهددين بالفناء .. وفناء هذه الجماعات الاسلامية يعتبر انتقاصا

للكيان الاسلامي العام وفناء لبعض اجزائه ومتى تعرض الكيان العام للانتقاص والفناء ينتهي الى الاضمحلال التدريجي حتى يتصدع البنيان وينهار .. »

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك في رحلة مباركة الى المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية الشريفة ويحدثنا من كلمته في ذلك المؤتمر عن علماء الطبيعة المعاصرين الذين آمنوا بالعلم وصنعوا منه إلها يعبد وكفروا بالخالق واتبعوا السراب وتجنبوا الصواب وأصبحوا : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم / ٧ .

وينتهي الى القول بأنه : « قد ثبت أن العلم من غير ايمان يقود الى الدمار وأن خيره للانسانية محدود في أضيق الحدود . وقد جاءت الاشارة الى ذلك واضحة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

(**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) يونس / ٢٤

لقد قدم لنا فضيلة الشيخ كتبي في كتابه مائدة شهية حافلة بمختلف ألوان العلم والأدب ولقد مزج فيه بين أدب الرحلات ـ عندما تحدث عن باكستان واليابان وتركيا وغيرها ـ وألوان الأدب الاخرى كما حرص على تبليغ ما يؤمن أنه الحق عارضا أمام القارىء في صورة محببة أهداف الاسلام العليا .

وهو يسدي النصح خالصا لوجه الله تعالى بعد أن شخص أدواء العرب كجزء من الأمة الأسلامية فيقول لهم عن جامعتهم :

« ان الجامعة العربية لا تحتاج الى مواثيق ولكن الى ايمان عميق ، ايمان بالمسئولية واخلاص لها وصراحة تامة في جميع الشئون التي تعرض فيها وعندئذ ستأتي هذه الجامعة بالمعجزات وفيما عدا ذلك فانها البيت الكبير للاسرة يجتمع فيه أفرادها ثم يخرجون بنفس الاحساس والشعور الذي دخلوا به » .

وفي سبيل الاصلاح علينا نحن العرب : « أن نطرح جميع النداءات والمذاهب كالقومية والاشتراكية وخلاف ذلك لانها لا ترتكز الى سند من تاريخ الأمة العربية . ونستبدل بها مذاهب ونداءات الجامعة الاسلامية لأنها السند الحقيقي الذي جعل من الأمة العربية تاريخا وحضارة وعلوما وفنا ومجدا » .

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣

الأميون القارئون والجامعيون الأميون

للاستاذ / السعيد الشرباصي

ليست الامية الحقيقية العميقة الجذور والبعيدة المدى هي عدم القدرة على حل رموز الكتابة أو عدم معرفة أنواع الحروف وتراكيب الكلمات ، ولكن الأمية الخطيرة هي عدم القدرة على مطالعة ما يحتويه العالم من أسرار ، وما يجري في فلكه من عبر ومرئيات .

وليس كل من عرف رموز الكتابة وميز بين أنواع الحروف بقارىء ، بل إن هناك ممن لا يعرفون الفرق بين حرف وحرف يجيدون القراءة لصفحات الوجود ، بينما نرى الكثيرين ممن يحسنون القراءة يعمون عن النظر الى ما في الكون ولا يفهمون حرفا واحدا من مقولاته .

ولقد اهتم القرآن الكريم بالتحذير من هذه الأمية ، لأنها تحول المبصر إلى اعمى .. والأمية الحقيقية المرذولة التي يحذر منها القرآن هي قرينة الغفلة ، وهي التي تكون العيون الباصرة قوية وسليمة بل وواسعة ونشيطة ، ولكنها لا ترى الا الظلام او الأضواء ، أما ما وراء ذلك من الحقائق ، فذلك شيء يغيب عنها ولا

تصل اليه ، يقول القرآن الكريم : **(فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)** الحج / ٤٦ .

وقضية الايمان هي قضية التأمل والتدبر والتبصر ، وعندما لا يوجد شيء من ذلك يصبح الايمان امرا مستحيلا ، لأن الآذان تسد والعيون تغلق : **(والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت / ٤٤ وغضب الله على المغضوب عليهم انما يكون بحرمانهم من هذه النعم الممنوحة التي لا تستعمل فيما أعدت له : **(اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** محمد / ٢٣ .

والواقع ان الأمية الحقيقية تحرم الانسان من آدميته ، وانه ليسهل عليك قيادة شخص فقد بصر عينيه ، ولكنه متفتح القلب ، مستيقظ الحس ، ولا تجد مثل هذه السهولة عندما تبتلى بشخص مبصر لكنه اعمى القلب لا يدرك ولا يبصر الحقائق .

وهؤلاء الاميون بأميتهم العميقة الجذور ، يسدون على الدعاة الطريق وتتحطم أمام غبائهم وسائل الارشاد والهداية ، لأنهم صم بكم عمي ، وقد نبه القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم الى بلاء هذه الأمية معزيا له عما يلاقيه من أصحابها قائلا له : **(أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)** يونس / ٤٣ وحقا فرغم انهم مبصرون ، لكنهم لا يبصرون .

وعندما يختم الله على قلب انسان ويعمي بصره تكون الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ، وهذا الصنف من الخلق هم الذين يصفهم الواصفون فيقولون عن الواحد منهم « انه اعمى البصر والبصيرة » وحفظنا الله من هذا البلاء .

○ **هل انت تقرأ :**

هذا هو السؤال الذي لو وجه الى كل الدارسين والمتخرجين من الجامعات فانهم سيجيبون على الفور بالايجاب ، وسيكون الرد بكل قوة « نعم انهم يقرأون » .. ولكننا لو طبقنا نظرية الأمية الحقيقية ، فهل الجواب يمثل الحقيقة والواقع ؟ . اعتقد أنه لا يكون قريبا من الحقيقة لأن معظم المتعلمين لا يعنيهم من الأمر الا : « ما قاله الاستاذ او كتبه ليؤدي فيه الامتحان » . أما ما وراء ذلك فأمره لا يعنيهم وحسبهم انهم يبصرون الطريق الذي ينتهي بهم للحصول على الشهادة او على الدرجة العلمية » أما أنهم يخرجون الى الحياة ليزودوها بما علموا ، وليتفاعلوا معها ويأخذوا منها أو يعطوها فذلك شيء لا يفعله إلا القليلون .

ان مهمة التعليم الذي يعتمد على معرفة القراءة في الحقيقة انما هي اعطاء المفاتيح لقراءة ما في الكون من آيات واستطلاع ما في الآفاق من عظات .. واذا كانت معلوماتنا ستظل قاصرة على ما كتب أو قرىء فان معنى ذلك وقوف المعرفة عن التقدم ، وثباتها عند الحد الذي وصل اليه من

سبقونا ، وبذلك لا يخطو العالم اي خطوة جديدة . وانما تقوم الحضارات والابتكارات على جهود العلماء وعلى اخلاصهم في قراءة ما في الكون من أمور مجهولة لم تقرأ بعد ، ثم تقديم هذه الاكتشافات الى العالم .

وفي المسائل الروحية والأخلاقية لا حقائق تكتشف ، ولكن تتطور أساليب الفهم لهذه الحقائق كما تتطور أساليب عرضها وتطبيقها ، وخاصة لمواجهة ما تم من اساليب مادية حديثة .

وعلى سبيل المثال كان الانسان الذي يعيش في بيئة اسلامية بسيطة لا يحتاج لتوضيح حقائق العقيدة الى عناء . اما إنسان الآلة في مجتمع المادة ، فانه محتاج الى طريقة مبتكرة في الوصول الى طوايا نفسه ثم في طريقة عرض الحقائق الدينية عليه .

والطرق المبتكرة التي يحتاج اليها المجتمع اليوم ، قطعا لم يكن العالم في حاجة اليها امس . ومن هنا يصبح التأمل فيما كان والتدبر فيه أمرا ضروريا ، ويصبح الخروج الى الوجود والتعرف على ما فيه واجب محتوم على كل طالب للمعرفة وما لم يتم ذلك فأنك لست محسوبا في عداد القراء . حتى لو صرت من كبار الموظفين ، أو من حملة الشهادات والدرجات .

○ **أقرأ الأميين :**

ومن قديم كانت القراءة معروفة في العالم كله ، وكانت موجودة في أم القرى . ويشهد لهذا ما حدث من الرسول صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر . حيث جعل فداء بعضهم أداء مهمة خاصة هي تعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة ومعنى هذا أن الكتاب والقراء كانوا موجودين بأم القرى قبل مجيء الاسلام .

ورغم هذا فان محمدا عليه الصلاة والسلام ، لم يكن قارئا لصحف الأوراق ولا كاتبا للحروف والكلمات ، واختاره الله سبحانه وتعالى أميا لتكون المعجزة الباهرة والمقنعة .

ومن بداية المسيرة اخذ نفسه بالقراءة الحقيقية ، قراءة العالم ومطالعة الكون ، فكان يترك الحياة العامة لينفرد بنفسه ، وليعيش مع العزلة في تأمل دائم .. في صمت الصحراء المعجز الذي ينطق بالايمان ويجلجل باليقين ، وفي السماء الصافية العريضة ، وفي صور الشعاب والجبال التي لا تستقيم ولا تنتظم .

كان يخرج الى غار حراء يجلس الساعات الطوال والأيام والليالي فهل كان يقضيها في تحنث وعبادة معروفة ؟ ام كان يقضيها في تأمل وتطلع ، يترقب النور ويبحث عن الشروق ؟ ولو كان ينشد العبادة المعروفة في زمانه لكان المسجد الحرام ارحب مكان لذلك ، ولكنه كان يطلب البحث عن الحق وتتطلع روحه الى ما هو اعظم .

واخذ الفتى الأمي يطيل النظر في الآفاق ويطيل التأمل في جميع الاتجاهات ، الطيور الشاردة التي

تظهر فجأة وتختفي بسرعه ، من الذي صنع لها الأجهزة المتحركة ، التي تحملها من سفح الأودية الى ما فوق هامات الهضاب ، والليل القادم بظلامه المطبق الممتد ، والذي ينتهي الى النهار بأشعته الباهرة التي لا تحتملها العين ، ثم اختلاف درجة الحرارة حيث البرودة مع الظلام ، وقسوة الحرارة مع النهار ثم هذه الأفلاك الدقيقة الصغيرة التي تنتشر في الخيمة الكبرى التي تغطي الوجود ، وهذه الأفلاك الكبيرة المشرقة والمضيئة والمتحركة في انتظام .

ثم هذه الحيوانات التي ضمن الله لها رزقها في جوف الصحراء والتي تختفي من الانسان خلف الكثبان ، وتعيش معتمدة على خالقها ، تسعى لرزقها ليلا او نهارا وتنظم حياتها من اجل البقاء .

إن القارىء الباحث لو عاش الى جوار أي حيوان حتى ولو كان بسيطا . وجعل يتأمل أحواله وأموره وأجهزته وطرق معيشته فانه يجد في هذا الحيوان البسيط حياة كاملة تمد المرء بالأفكار والتساؤلات التي تنتهي به الى الايمان بعظمة الخلاق الذي خلق الدقيق والجليل والحقير والعظيم .

فماذا يكون الحال لو كانت العين الفاحصة عين قارىء عظيم ينفذ الى الأغوار ويمضي الى الأعماق ويحسن الانتهاء الى الحقائق .

ثم اذا تلفت حوله ولم يجد ما ينظر اليه ، فلماذا لا يرد الطرف الى نفسه ، ويتأمل فيما حوت وفيما وعت : **(وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات / ٢٠و ٢١ .

لقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم أمي قرأ ، وأعظم انسان تأمل ونظر وبصر ، ولم تكن الرسالة الأسلامية التي حملها ، رسالة التعاويذ والمتاهات ولا رسالة الغموض أو التسليم الأعمى ، وانما نادى : لتتفتح العيون ولتتحرك القلوب ولتحس المشاعر ولتطالع ما في الحياة ، فكان خير امي قرّأ وخير أمي قاد الأميين الى القراءة الصحيحة ، بل وقاد المتعلمين الى المعرفة الحقيقية !

○ جاهلية القرن العشرين قديمة :

وكتاب جاهلية القرن العشرين « للاستاذ محمد قطب لم اجد في نفسي الاصرار على قراءته لاني احسست من عنوانه أنه يعالج جاهلية فترة معينة وطبقة محصورة بينما اعتقادي أن الجاهلية قرينة لمسيرة الانسان على مدار الأزمان .

كانت الجاهلية قبل الاسلام فجاء الاسلام ليحاربها ، ويطلب الى الجهلة ان تفتح عيونها على الحقيقة وتتجنب الحمق والعصبية . واستمر الاسلام مصدر اشعاع على مراحل التاريخ ليضرب بعصا الهداية رؤوس الجهلة في كل زمان ومكان .

ومفهوم الجاهلية الواضح هو العمى لا عدم العلم ، ولا غرابة ان

يقف الاسلام من الثقافة الغربية المادية موقف الاستنكار رغم ما وصلت اليه من تقدم علمي ، ولكنه تقدم يسوق البشرية الى الشراب والطعام ولا يمنحها الحب ولا الطمأنينة ولا يعطيها الأمان ولا الثقة .

ان الناس في كل المجتمعات المادية في الشرق وفي الغرب تأكل كثيرا ، ولكنها لا تشبع وتلبس كثيرا ولكنها تحس بالعرى . وتتمتع بأسباب الحياة ومع ذلك فهي تعيش في حرمان ، لأنهم يعيشون في حصار مادي مغلق ـ ولو أنهم فتحوا عيونهم على بداية الحياة ونهايتها . ومذاقها ومسيرتها لهان عليهم الأمر ولأدركوا أن الدنيا لا تستحق ان نحرق قلوبنا حسرات من أجلها ، وأن نذرف دموعنا تفجعا عليها .

فقضية الجاهلية قديمة ودائمة وهي معاصرة ومستمرة . لأنها قضية الأهواء التي تعايش الانسان ، فان هو تغلب عليها وسيطر على تنظيمها ارتقى وسما عن منزلة الحيوان ، وان سيطرت عليه فقد انسانيته ، وانحدر الى مستوى البهائم : **(أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)** الفرقان / ٤٣و٤٤ .

ثم من يسكن جهنم لو ان جيل الغافلين عن الحقائق انتهى ، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** الاعراف / ١٧٩

والغريب في قضية الايمان أن الانسان يحمل عناصره مع وجوده ويستخدم وسائله في تحركاته فقضية الحياة والموت هي قضية الميت الذي يتحول الى حي ، والحي الذي يصير ميتا ، وانها لقضية مشهودة في النبات وفي الحيوان ولكنها في التكوين الانسان أظهر وأعظم . حيث يرى الأنسان في مهده ضعيفا بسيطا ، ثم يتدرج في مراحل النمو الى ان يصبح فتيا قويا . ثم تبدأ المسيرة في الاتجاه العكسي ، وانها لقضية مفروغ منها لم تتخلف مع ولي ولا نبي ولا مع ضعيف ولا قوي . ورغم هذا الامتداد الذي لم يتخلف ابدا فان الجهل ينسى بعض الخلق هذه الحقيقة التي تعيش في كيانه .. فيستطيل ويستطيل حتى يظن انه من الخالدين ، بينما ينسى مصيره القريب الذي قد يتحول الى فاجعة .. مع ان الوسائل المستخدمة في الوصول الى الايمان وسائل جيدة ، عيون تدور الى اليمين والى اليسار وترى ما في المواجهة وتملك الحرية للاستدارة ، وآذان تسمع الهمس وشديد الجرس ، وقلوب شفافة تلتقط الاحساس والمشاعر من غير مفتاح يدار أو وقود يقدم ، فلماذا اذن لا نستخدم هذه الوسائل ؟ ولماذا لا نطلقها في طريقها الصحيح الذي أراده الله لها ؟

قصة اجتماعية

قطرات من دموع

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا »قرآن كريم

للأستاذ / حسين القباني

كانت ليلة من ليالي الصيف الماضي والقمر يسكب فيضا من نوره على تلال المقطم القريبة من حي العباسية ، والظلال ترسم مع الضوء صورا غامضة على الممرات المنحدرة ، وليس في المكان غير دقدقة حوافر جواد يسير بخطوات واهية متثاقلة ، ووقع خفيف لأقدام الحوذي العجوز ابراهيم وهو يمضي بجانب جواده بلبل .

ورغم النسيم الرخاء الذي كان يمسح على وجهيهما بيد رقيقة ناعمة ، فقد كانت قطرات العرق تتألق في ضوء القمر على جبين الرجل العجوز ، وتنضح على جسد الجواد المتعب - المتثاقل في خطوه .

كانا عائدين معا في تلك الليلة كعادتهما كل ليلة منذ خمسة عشر عاما ..

ومسح ابراهيم وجه بلبل حين رآه يتوقف لاهثا متعبا وهمس له :

- اقتربنا من البيت يا بلبل كما تعلم ، خطوات اخرى ونصل ، ولن نشقى بعد هذه الليلة أبدا ، فقد آن لنا أن نستريح حتى آخر العمر .

ولما ربت بيده على وجه الجواد وجده مبللا ، فلم يدر أهي قطرات من الدموع ام حبات من العرق ؟ .

وانحدر ابراهيم في طريقه الى البيت وعادت به الذاكرة الى الوراء .. الى اعوام بعيدة لا يعرف لها عددا ، الى ايام الشباب التي كان يشتغل فيها حوذيا في قصر احد الاثرياء ، ومرت على وجهه سحابة من الأسى وهو يذكر تلك الايام من شبابه ، فقد كانت اياما سوداء قاسية ، لم يشعر فيها لحظة انه آدمي من حقه ان يعيش كما ينبغي ان يعيش الآدميون ، كان يعلم ان نظام الرق قد الغي ، ولكنه كان يعيش اذل من العبد المسترق .

وكان من الممكن ان يقبل هذا كله في صبر من اجل لقمة العيش ، ولكن الذي كان يثيره ويكاد يذهب بعقله تلك النظرات الجوفاء التي يوجهها اليه السادة أصحاب القصر ، فقد كانوا ينظرون اليه وكأنه غير موجود ، أو كأنه جزء متحرك - تافه الشأن - من اجزاء مركبتهم الفاخرة ، وضبطه السيد الكبير ذات مرة وهو يلتقط من تراب الحظيرة بعض حبات الفستق التي سقطت ذات مرة من يد السيد وهو يطعمها للجواد ، ووجد نفسه مضروبا ومطرودا من القصر وهذه الكلمات ترن في أذنيه :

- لم يبق الا أنت يأكل الفستق .

وانتقل الى قصر ثان وثالث ورابع والمعاملة واحدة لا تكاد تختلف في جوهرها ، وكأن هؤلاء السادة الكبار قد تخرجوا في مدرسة واحدة لقنتهم دروسا خاصة في كيف يعامل السيد الكبير أولئك الذين أراد لهم القدر أن يكونوا في خدمته ورهن اشارته ؟

وتزوج ابراهيم ، وأثمر الزواج أولادا لأن نظام الحياة كما يقول العامة يأبى الا أن يعطى للفقير كرشا كلما احتاج قرشا ، وكثيرا ما كان يعوزه هذا القرش في فترات التعطل ، فتمضي الأيام به وبالأسرة الصغيرة في ضيق ومسغبة ..

وتنحسر سحابة القلق عن وجه ابراهيم وهو يذكر كيف وفق اخيرا للعمل عند صاحب مركبات الأجرة ، وكيف استطاع أن يدخر مبلغا من المال اشترى به مهرا صغيرا أسماه « بلبل » وكيف تفاءل به فلم يفترق عنه يوما منذ ذلك الحين حتى نشأت بينهما صداقة وطيدة قل ان يوجد مثلها بين انسان وانسان ؟؟

كانا يخرجان معا في بكور الصباح - صيفا وشتاء - سعيا في سبيل رزقهما ورزق الاسرة .. وكان كل صاحب مركبات يزيد في عمولة ابراهيم نسبة معينة بسبب وجود بلبل معه .. وكان ابراهيم يجلس في مقعد القيادة ، ويقضي النهار وجزءا من الليل في السعي ، بعيدا عن أولئك الذين كانوا ينظرون اليه على أنه قطعة تافهة من المركبة الفاخرة ، ثم يعود مع بلبل ليتناول كل منهما عشاءه في المربط ، الشعير وحبات الفول الجاف في المزود لبلبل ، وخبز الشعير وحبات

الفول المدمس على صندوق فارغ لابراهيم .

وكان بلبل لا يأكل الا اذا رأى صاحبه ابراهيم يمضغ الطعام أمامه ، وقد حدث ان شعر ابراهيم ذات ليلة بوعكة وغثيان ، فعافت نفسه الأكل وأبى الجواد أن يذوق شيئا حتى اضطر ابراهيم الى أن يتظاهر بالمضغ .

ولما مرت هذه الذكرى بابراهيم ، امتلأ قلبه بفيض جديد من الحب للجواد الوفي ، فتوقف وعاد يمسح على عنقه في حنان وهو يهمس له :

ـ هل تعرف يا بلبل لماذا سنستريح معا بعد هذه الليلة ؟.. ان ابني الاكبر ممدوح قد نال شهادة مدرسة الصناعات منذ شهور ، وظفر بمركز محترم في احدى الشركات منذ شهر ، ولا شك انه قبض اليوم مرتبه الاول .. جنيهات يا بلبل .. وأكبر ظني أننا سننعم الليلة بطعام شهي ، فلا شك أن أم ممدوح قد وضعت لك كمية كبيرة من الفول والشعير والتبن وربما قطعة من السكر ايضا ، فمن يدري ؟ فأنت يا بلبل جدير بكل خير بعد أن شاركتني هذا الكفاح الطويل في سبيل الرزق ، ولعلها تركت لي صحنين أو ثلاثة ملأى باللحم المشوي والارز والفاكهة ، نعم يا بلبل لقد آن لنا أن نستريح ..

وعاد ابراهيم مرة أخرى بأفكاره الى ذكريات كفاحه المستميت مع جواده بلبل لكي يتيح لولديه ـ ممدوح وخليل ـ نصيبا من التعليم يجنبهما المذلة التي كان يشعر بها تحت نظرات السادة المترفعين .. وكان يحرم نفسه من كل شيء عدا لقمة الخبز والأدام ، ليتيح لهما فرص التعليم ، ويمهد لهما طريقا في الحياة أقل وعورة ومشقة من طريقه ..

ونجح الرجل في كفاحه ، وتخرج ممدوح من مدرسة الصناعات ، واشتغل باحدى الشركات ، وأوشك خليل أن يتخرج من مدرسة التجارة ، ولا شك أن الاثنين سيحملان عنه عبء الانفاق على أمهما واخواتهما الثلاث ، اما هو فان ربحا قليلا من بيع الحلوى امام المدرسة الابتدائية بالحي كفيل بتغطية نفقاته ونفقات بلبل معه ..

والتفت الى جواده باسما وعاد يحدثه قائلا :

ـ نعم يا بلبل ان قروشا قليلة ستكفينا معا ، وما أظن ان العمر سيمتد بنا عاما آخر ، ولماذا يمتد وقد ادينا معا الجانب الاكبر من مهمة وجودنا .

وأحنى الجواد رأسه ، وأخذ يمسح بوجهه وجه صاحبه ، تاركا عليها حبات من العرق ، أو قطرات من الدموع ..

وظل القمر يرسل ضوءه على التلال والممرات المتشعبة فيها ، وظل السكون مخيما الا من وقع خطوات ، ودقدقة حوافر ، ونعيب بومة هناك ، ونباح كلب هنا .

وبلغ الاثنان المربط القريب من مسكن ابراهيم ، وهناك وقف الرجل العجوز يطرف بعينيه في ذلك الشعاع الباهت من ضوء القمر الذي تسلل الى المربط من فجوات في سقفه .

لا مصباح مضاء ، ولا فول ولا تبن في المزود ، ولا فول وخبز على الصندوق الفارغ .. لا شيء ..

ماذا حدث ..؟

كيف نسيت ام ممدوح ان تعد له ولجواده الطعام كما اعتادت كل ليلة ؟

هل اطار صوابها الفرح برؤية الجنيهات .. مرتب ابنها .. ام تراها اهملت امره عمدا لانه لم يرسل اليها نقودا في منتصف النهار كالمعتاد كل يوم .؟

ان كان الاحتمال الأخير هو السبب ، فان لابراهيم العذر فماذا كان في وسعه أن يفعل ما دام لم يربح في يومه لأول مرة في حياته غير ثلاثة قروش اشترى بها طعاما لبلبل ، وبقي هو بغير طعام حتى ساعته هذه ..

ورغم هذا كله ، فقد عاد راضيا وهو يعلم ان الله الذي قدر عليه الرزق في يومه هذا بسط له وللاسرة رزقا آخر عريضا عن طريق ابنه .

وهز رأسه مستنكرا وقال للجواد :

– لا يا بلبل ، ان أم ممدوح زوجة متعبة حقا ، وقد عشت معها صابرا من اجل الأولاد ، ولكني اعتقد أنه مهما بلغ جحودها فلن يصل الى حد حرماننا من العشاء في مثل هذا اليوم السعيد – محال محال .. امكث هنا حتى اذهب وأرى ماذا حدث ثم اعود .

واحس الرجل بشعور ثقيل مبهم يرين على صدره وهو ينقل قدميه في خطوات بطيئة نحو مسكنه الذي قضى فيه الخمسة عشر عاما الاخيرة ... مسكن بناه بيديه في هذه البقعة الموحشة من التلال ، بناه من الطين والأعشاب وسقفه بالشجر الجاف ، وما هي غير أسابيع حتى عمرت هذه البقعة الموحشة بعدد من الأكواخ المماثلة لزملائه الحوذية والباعة الجائلين .. أما متاع هذه المساكن فلم يكن يتجاوز حصيرا او قطعة من الخيش وبعض الاواني لطهو الطعام وغسل الثياب .

واجتاز ابراهيم المنحنى حتى اصبح قريبا من هذه الفجوة التي تؤدي مهمة النافذة في احدى غرفتي مسكنه ، فرأى بصيصا من الضوء ينساب منها على غير العادة ، وشعر بانامل باردة تعتصر قلبه خشية ان يكون اصاب الزوجة أو احد الابناء مكروه .

وما كاد رأسه يبلغ حافة الفجوة ، حتى سمع زوجه ، أم ممدوح تقول لابنها بصوتها الاجش الذي يعرفه عنها :

– اسمع يا ممدوح ، اذا عرف ابوك حقيقة مرتبك وان الشركة قررت لك خمسة وعشرين جنيها في الشهر ، فسوف يتواكل ويكسل ، بل ربما يرفض العمل اعتمادا على مرتبك .. انه رجل كسول كما تعلم ، يحب الجوع والراحة ، ولولا نخسي له يوما بعد يوم لكان حالنا اليوم غير هذا الحال ، ولما امكنك ان تتم دراستك ..

وصمتت المرأة برهة ريثما تسترد انفاسها ، ثم استطردت تقول :

– انظر ماذا فعل اليوم ..؟ انه يعرف انك ستقبض مرتبك هذه الليلة ولذلك لم يهتم بارسال بعض المال كالمعتاد ،

ومن يدري .. فلعله ساهر الآن في « البوظة » كما كان يفعل في شبابه .. ثم لا تنس أنك وعدتني بثوب حريري تشتريه لي من أول مرتب تقبضه ، وثلاثة ثياب لأخواتك، وقماش بدلة لاخيك خليل ، ولا بأس ان تدخر بعض مرتبك لتشرع في الزواج بعد ان يتوظف اخوك ، وسوف اختار لك بنفسي عروسا كالقمر من بيت كريم استطيع أن أعيش معها .. اما ذلك العجوز الفاني فما اظنه يصلح للحياة معنا ، سنتركه هنا مع حصانه اللعين .

وشعر ابراهيم انه يسقط في هاوية عميقة مظلمة ، وكأن كل كلمة يسمعها من زوجته سهم من النار يدمي قلبه ، ولكن ترى ماذا سيقول ابنه ؟ .. ابنه الأكبر ممدوح ، الذي سعد به يوم مولده وظل يرعاه ويعنى به يوما بعد يوم ، ويشعر بلذة الجوع ليوفر له الطعام ، ويحس متعة الحرمان ليقدم له السعادة .. هل سيلقي على هذه الزوجة الجحود درسا في الوفاء ..؟ هل .. آه .. ها هوذا يتحدث قائلا :

ـ اسمعي .. لا أنت ولا هو سينال من مرتبي شيئا .. يكفي أني صبرت على هذه الحياة القذرة كل هذه السنوات .. يكفي أني عشت الأربع سنوات الأخيرة ببذلة واحدة ، لقد آن لي أن اشعر بالحياة أن أرى الدنيا ، أن أستمتع بالطعام الطيب والمسكن النظيف ... والزوجة الجميلة ..

وبعد برهة صمت ، استطرد قائلا :

ـ ان الخدمة التي يمكن أن أؤديها لكم ، هي أن أرحل عنكم وأوفر عليكم المال الذي كنتم تنفقونه علي ..

وكأنما القى الشاب فكاهة تثير الضحك ، فاذا هو يضحك عاليا ، ثم يقول :

ـ سوف أرحل من الغد ، فقد استأجرت مع زميل لي شقة صغيرة « بالظاهر » .

ولم يستطع ابراهيم ان يسمع أكثر من هذا ، فقد شعر كأن كلمات ابنه هي السهام الأخيرة التي أجهزت عليه ، فتراجع عن النافذة ، وعاد مترنحا في طريقه الى المربط وقد اختلطت في ذهنه الذكريات، بحلوها ومرها ، واختلطت عند أقدامه الظلال بضوء القمر فاذا هي صور غامضة ، واذا نعيق بومة هناك يقطع السكون مع نباح كلب هنا ..

وعاد الرجل الى المربط ، وركع بجانب جواده ، وتمتم بأنفاسه الأخيرة قبل ان يسقط مغشيا عليه :

ـ كله عند الله يا بلبل .. ان الله لن ينسانا أبدا يا بلبل .

وفي عصر اليوم التالي ، كان المارة في شارع العباسية يشاهدون نعش رجل في طريقه الى مدافن باب النصر ، وكان وراء النعش عدد قليل من المشيعين ، ووراء هؤلاء جواد عجوز يسير في ضعف شديد وقد تعلقت عيناه بالنعش المحمول ..

ويقول بعض الذين شاهدوا هذا المنظر ، انهم لمحوا حبات من العرق تتساقط من جبين الجواد ، ويؤكد غيرهم انها كانت .. قطرات من دموع ..

خيانة امرأة نبي ..

قال تعالى في سورة التحريم : « **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** »
الآية ١٠

ونفهم من الآية الكريمة كما قال المفسرون : أن كفار مكة قالوا مستهزئين ـ أخزاهم الله ـ إن محمداً يشفع لنا .. فبين الله سبحانه أن شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تنفع كفّار مكة وإن كانوا أقرباء ، كما ان شفاعة نوح لا تنفع امرأته ، كذلك شفاعة لوط لا تفيد امرأته مع قربهما لكفرهما . وسوف يدخلان النار مع الداخلين .. حيث لا نسب يفيد .. ولكنه الايمان والعمل الصالح وفي ضوء هذا الفهم .. نقول : إن خيانة المرأتين ـ كما قال عكرمة والضحاك ـ هي الكفر .. ولم تكن خيانة زنى .. فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما : ما بغت امرأة نبي قط .

وعلى هذا نقول للأخ القارىء : **سامي عبداللطيف أحمد شاهين** ـ من مصر ـ : ان امرأة النبي لا تقع منها جريمة الزنى . وان المقصود من خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، خيانتهما في الدين ، حيث كانتا كافرتين أو منافقتين ، فامرأة نوح كانت تقول للناس عنه : إنه مجنون . وكانت تفشي اسراره ، وامرأة لوط كانت تعلم قومها بأضيافه وذلك بأن توقد في بيتها نارا ، فيراها القوم فيحاولون إيذاء أضياف لوط .. ولكن أضيافه كانوا من الملائكة ، ولن يصلوا اليهم أبدا .وكانت عاقبة الكفر والنفاق والخيانة هي الجحيم نعوذ بالله من شرّها .

حول آية من كتاب الله

أرسل الينا الأخ/ أزهري أحمد محمد حسين ـ من السودان : يسأل عن معنى الآية الكريمة (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

المحرر : ان هذه الآية جاءت في أعقاب أوامر ووصايا الهية تدعو الناس الى :

● عدم الاشراك بالله سبحانه ، فهو الله الواحد الأحد .
● والاحسان الى الوالدين .
● وألا يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر فالرزق كفله الله لكل كائن حي .

● والبعد عن ارتكاب الفواحش وهي الكبائر الظاهر منها والباطن .

● وعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق : قصاصا أو دفاعا عن النفس اذا لم يكن غير ذلك .

● والحفاظ على مال اليتيم ، فلا يتصرف وليه في ماله الا بالتي هي أحسن ، فلا تبذير ولا اسراف .

● والتعامل في أمانة .. فلا تطفيف في الكيل ، ولا اختلاس في الوزن .

● والحكم بالعدل بين الناس .. فلا يصرفنا شيء عن قول الحق من قرابة أو غيرها .

● والوفاء بالعهد .. فهو شيمة الصالحين .

بهذه الأخلاق الفاضلة أمرنا الله تعالى فيجب علينا أن نتخلق بها قدر استطاعتنا فاذا وقع منا ما ينافيها سارعنا بالتوبة الى الله ، وعدنا الى الطريق المستقيم الى الهدى والرشاد ، وهو طريق الاسلام ، دين الله الخالد ، وهذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه ولا نحيد عنه الى طرق أخرى ملتوية ، حتى لا تتفرق بنا السبل الى مذاهب مختلفة والى أديان باطلة .

وهكذا أوصانا الله باتباع الصراط المستقيم ، حيث الفضائل والمثل العليا ، والابتعاد عن المذاهب والأديان المختلفة التي تفرق الناس الى احزاب وشيع . لكل فرقة شيطانها الذي يزين لها طريق الغواية . وعلى الحق والخير قامت اسس الدين الاسلامي الخالد ، وبقيمه ومثله السامية ما زال ينتشر بين الناس ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

جزاء الخيانة

هكذا اختار الاستاذ محمود زيدان السفاريني هذا العنوان (جزاء الخيانة) عنوانا لأبيات شعرية لم ينسبها الى قائلها .. ونشرتها المجلة في عدد رجب رقم ٢١١ لسنة ١٤٠٢ هـ منسوبة للفاضل الاستاذ/ محمود زيدان السفاريني ..

وبعد النشر .. جاءتنا رسالة للقارىء محمد زيدان ـ من القاهرة ـ وقال : طالعتنا مجلتكم الغراء بقصيدة شعرية بديعة .. تحوز الاعجاب وتستوقف القارىء ولا شك ببراعة أسلوبها واكتمال عناصرها الفنية والجمالية مع عظيم هدفها ومعناها ، والأمر المدهش هو ما ذيلت به القصيدة من نسبتها للاستاذ/ محمود زيدان السفاريني .

ومضى يقول : والقصيدة واردة في الجزء الرابع من الشوقيات .. فهي للشاعر احمد شوقي وطلب الأخ القارىء من المجلة توضيح الالتباس

وحول نفس الموضوع كتب الدكتور/ رفيق محمد الشيخ ـ من الأردن ـ وكان مما قال : والقصيدة لشوقي رحمه الله ـ الشوقيات الجزء الرابع ـ وقال : انني اذ أنبه الى ذلك لأقول متسائلا ومتأذيا : لم كان هذا ؟

هذا وبالرجوع الى ديوان شوقي ـ الجزء الرابع ـ وجدنا نص القصيدة تحت عنوان : (سليمان عليه السلام والحمامة) . نقول هذا .. وننتظر من الاستاذ محمود زيدان السفاريني ردا أو تعليقا .

بأقلام القراء

الاســــلام كفيـل بالسعادة في الحياتين

للأستاذ: الشريف مأمون ابو الوفا

الاسلام دين الفطرة ودليل السعادة ونهج السلامة واقوم طريق للوصول الى باب النجاة في كلتا الحياتين !
فمن تأدب بادابه العالية فقد ارتدى حلل السعادة الحقيقية ومن نقب عن أسراره وعمل بما علم منها فقد تتوج بتاج الشرف والعزة وتسربل بحلل التجلة والكمال ونسج الـوقار عليـه سربالا سـابغا ، ورفـرف على هامته علم الهنـاءة والسعادة وانقشعت عن قلبه غيوم الاوهام والحيرة وصفا له جو العقيدة الثابتة فامتطي متن الطمأنينة وسار في طريق الصـراط آمنا معتمدا على هذا النجم الذي لا يضل به سار اتخذه هاديا في مسـراه ولا يحيـد عن جـادة الصواب من اهتدى به في كل مكان وكل زمان .

فليس من العجب ان نسمع من حين الى حين ومن وقت الى آخر أن فردا من الافراد قد لاح له ضوء هذا الدين الحنيف فاهتدى بهديه ، او ان اسرة من الاسر قد بدا لها بارق الشريعة الغراء فـاقتبسوا من نـورهـا قبسـا يستضيئون به بقية عمرهم في الدنيا ويسعى بين ايديهم في الآخرة بعد ان ضاعوا شرخ شبابهم في ظلام جهالتهم الحالك او ان جماعة من الجماعات قد سطعت على أبراج مباني قلوبهم انـوار شموس أسـرار الـدين المحمدي فمزقوا حجب غيرهم وهتكوا أسرار ضلالتهم وخلعوا ثيـاب كفرهم ، وارتـدوا حلل الدين فقد اختاره المولى ليسعد به اتباعه ويقرب به أنصاره ولم يقبل غيره من بين سائر الأديان وأخبر (جل شأنه) ان ابتغاء غيره ضـلال وهذيـان وخيبة وخسران فقال تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » كما قال عز وجل « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة

من الخاسرين » أجل ، انهم يتذوقون حلاوة شهده ورشفوا شيئا من رحيق عجائبه فاصطبغوا بصبغته وتحلوا بجميل آدابه وانكبوا على فهم أسراره . ليس بغريب ولا عجيب فان هؤلاء واولئك قد أصابوا باسلامهم كبد الحقيقة وخرجوا بايمانهم من ظلمات الجهالة الدامسة الى نور العلم المتلألىء واهتدوا الى طريق سليم مستقيم ، وما ذاك الا لأن الله تعالى قد اراد بهم خيرا فحفهم بعين عنايته وحفظهم بلطف رعايته وشملهم بعطفه ورحمته فانتشلتهم العناية الالهية من أسفل دركات المهانة والذلة ورفعتهم العناية والرعاية الربانية الى مستوى درجات القرب والعزة وخلع المولى العظيم عليهم خلع الاصطفاء وأفاض عليهم مزن الاختبار فتطهرت قلوبهم وصفت نفوسهم وغسلوا أدران الكفر بكوثر الشريعة الغراء الوضاء وتراءوا للملأ الأعلى سافرين عن وجوه المباهاة .

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

فلا غرابة ولا عجب لأولئك الألى ، رأوا الحق فابتغوه ، وشاهدوا الباطل فاجتنبوه وسمعوا داعي الرشاد فلبوا نداءه ، ولكن العجب كل العجب لمن يطرق سمعه « الاسلام » ولا يكون مسلما ، والغرابة كل الغرابة فيمن يعرف طرفا من آداب الملة الحنيفة ولا يكون مؤمنا ، والدهشة كل الدهشة لمن يسمع ما يتلى من آيات الذكر الحكيم ولم تنفتح له عيون فؤاده فيخشع لهيبته ويخضع لعظمته والحق سبحانه يقول « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وكما قال « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » فليت شعري ! ما الذي يصدهم عن الاسلام وتعاليمه ؟؟

وما الذي يحول بينهم وبين الايمان بآدابه ؟؟

ايصدهم عنه ان القانون السماوي الذي حكم فعدل : وقضى فأنصف ، فأمن الخائف ، وقوى الضعيف ، وساوى بين الرفيع والوضيع ، ونزع ربقة الاستعباد من أعناق المستضعفين ، وجعل النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف ، والسن بالسن والجروح قصاصا .

ما الذي يبعدهم عن التمسك بعروته الوثقى التي لا يطرق بابها انفصام ؟ وما الذي حدا بهم ان يجاهروا أهله بالعدوان

ويبيتوا لهم أسوأ النوايا ؟
أيجاهرون ببغض الاسلام وأهله لأنه يدعوهم الى ما فيه سعادتهم ويجعل بينهم وبين الشقاء سدا منيعا ، ام لأنه يحضهم على ترك معتقداتهم التي تجوس خلال نفوسهم حائرة لا تجد لها مأوى فتسكن معها هواجس الشكوك

والظنون ولا تستقر في طية من طيات صدورهم فتستقر معها تلك العقائد المضطربة وتطمئن معها ضمائرهم المتعبة .

ايظهرون على الاسلام وتشمخ عليه انوفهم (كلا) وقد كانوا بالأمس اذلاء لأنه هو الذي رفع رؤوسهم وأمنهم في ديارهم ووقاهم من ظلم المستبدين وغطرسة المستعبدين ؟

أيشهرون عليه سيوف البغضاء لانه فند بحججه الدامغة تعدد الالهة وطالب كل عاقل بتوحيد الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟

أيحاولون الانتصار على الاسلام (كلا) لأنه دين الفطرة والسعادة ودين العفو والكرم والسماحة ودين اليسر والسهولة ، ودين الشهامة والمروءة ، لا دين النذالة والدناءة ، دين الترفع والفضيلة ، لا دين الانحطاط والرذيلة ، دين الرفق بالضعفاء من البشر والحيوان لا دين الفلفطة والفظاظة ، دين الديمقراطية التي ينشدونها ويتغنون باسمها لا دين الاوتقراطية التي ينفرون منها ويحاربونها .

اليس عمر الاكرم وخليفة رسوله الاعظم القائل على رؤوس الاشهاد من اكابر اصحابه « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني » اما علموا ان الاسلام هو الذي حرر العقول من ربقة الخيال والاوهام واطلق لها عنان البحث والتوفيق لترتفع في رياض اليقين الزاهرة وترفل في حلل التمكن في اطهر العقائد لتظفر بالعز الدائم والنعيم المقيم . اجل : هو الذي فصل بالحق الواضح في كل امر اختلف فيه ابناء البشر في دينهم ودنياهم فوضح السبيل امامهم وظهر الدليل ناصعا في اعينهم ، فمن لحظته العناية سلك سبيل الهداية ومن سبق عليه القضاء هوى في مهاوى الضلال والغواية ، هو المرجع الوحيد الذي يرجع اليه كل مكابر متعنت فيفحم بحججه الدامغة وبراهينه القاطعة وادلته الناصعة ، هو الملاذ الذي يلجأ اليه كل حائر في عقيدته فيرفرف العدل على قلبه ويتسرب الاطمئنان الى نفسه فيعود متسربلا سربال راحته وهناءته .

بيان حول الغزو الاسرائيلي للبنان

جاء من رابطة العالم الاسلامي « مكتب عمان » ـ الأردن هذا البيان ننشره بنصه :

لا يستهدف العدوان الاسرائيلي الغاشم الفلسطينيين واللبنانيين وحدهم في لبنان انما يستهدف العرب والمسلمين في جميع ديارهم ، واسرائيل نفسها اراد لها صناعها ومؤسسوها منذ ان كانت الفكرة طيفا يجول في خواطر الزعماء السياسيين والدينيين اليهود والساسة من زعماء الغرب الذين كانوا يؤمنون بفكرة الصهيونية ، حتى ان بعض المفكرين الغربيين كان اكثر حماسا لاقامة دولة اسرائيل من الاسرائيليين انفسهم لتكون رأس حربة وجسر ومنطلق عدوان وشر ضد الامة العربية والاسلامية ، ولذلك ارادوا لها ان تقام على اسس دينية وحضارية تستمد وجودها من التاريخ القديم وحضارتها وايديولوجيتها من الحضارة الغربية ، وتحددت نظرتها منذ البداية على اساس الصراع التاريخي الحضاري العقائدي ، بين الاسلام كدين جاء ومعه حضارته وله ايديولوجيته السياسية الخاصة به وبين الحضارة الغربية المسيحية التي تستمد جذورها من التوراة والعهد القديم ، وقد استغلت الصهيونية تاريخ الصراع الذي كان قائما بين الحضارة الاسلامية والغربية مرورا بالحروب الصليبية الى نهاية العهد العثماني ، واستطاعت ان تستقطب القوى الغربية وتسخرها لاقامة كيانها العدواني ، وقامت اخيرا بجهود مكثفة في مراكز القوى الغربية لدمج الاهداف الاسرائيلية بالاهداف الغربية عقائديا وسياسيا وحضاريا دمجا كاملا ، فجاء عدوانها الاخير على لبنان متوجا لهذه الجهود ومجددا لهذه الاهداف ، وما نسمعه عن المجازر البشرية التي يرتكبها الصهاينة وقوات سعد حداد وغيرهم من المتعاونين مع الصهيونية لم يكن تخطيطه وليد الساعة ولم يأت عفوا ، فكان بمثابة انذار للعرب جميعا وللمسلمين عامة لينتبهوا للخطر الجسيم الذي يتهدد اصولهم وبلادهم وحضارتهم وليكفوا عن الفرقة والخلاف وليعلموا ان اعداءهم انما يقاتلونهم وهم مجتمعون متساندون ومن منطلق ايديولوجية محددة والعرب يسيرون في تيه ويلهثون وراء سراب الايديولوجيات الغربية التي وضعها لهم اعداؤهم ، والعدوان الصهيوني المدعوم بأسلحة الغرب وتأييده يسحق الشعبين الفلسطيني واللبناني معا ، ومنعوا عنهم ابسط حقوق الانسان فمنعوا عنهم الغذاء والماء والدواء ، والضمير العالمي والمنظمات الدولية الانسانية منعت من تقديم اية مساعدات فيالها من كارثة ما افظعها ويالها من نكبة تفتت الاكباد وتلين الصخر الجماد .

فهل للعرب والمسلمين ان يهبوا وينفضوا عنهم غبار النوم والاستسلام والسير وراء الاحلام ، وما اصدق قولة علي رضي الله عنه « اكلت يوم اكل الثور الأبيض » وطريق العودة الى الله والى الاسلام هي الطريق التي توصلنا الى شاطىء السلام وبر النجاة ولا طريق غيرها ونجدة اخواننا في لبنان من الفلسطينيين واللبنانيين حق وواجب . والله اصدق القائلين « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . صدق الله العظيم .

مع صحافة العالم

التدين يكسب أنصارا
وسوق الالحاد راكدة

لقاء مع وزير الاوقاف والشئون الاسلامية

حول التدين والالحاد والدعوة الاسلامية ورسالة المسجد دار هذا الحوار الذي أجراه مندوب جريدة الأنباء الكويتية .. ننقله لقارىء « الوعي الاسلامي » تعميما لفائدته .. قال : الاستاذ احمد الجاسر وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

— من مسؤوليات الوزارة الاساسية العمل على التوعية الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج ولا شك ان مهمة تعميق تعاليم الدين في نفوس الشباب مسؤولية مشتركة بين المؤسسات الحكومية والاهلية ، فهي جزء اساسي من مهمة بناء المواطن الصالح المنتمي لامته ودينه والمؤمن بربه والمستقيم على الخلق والسلوك السوي ، ولا شك ان مسؤولية الوزارة بالذات متميزة بهذا الخصوص ولديها الفرصة الكبيرة لممارسة هذا الدور من خلال المساجد المنتشرة في مختلف الاحياء السكنية سواء عن طريق خطب الجمعة والتأثير بواسطتها على جموع الشباب أو عن طريق اقامة الفروض الخمسة التي يقبل عليها العدد الكبير من الشباب ، فهناك فرصة كبيرة لائمة المساجد ليمارسوا الدور المؤثر في توجيه الشباب من خلال الصلاة والاحاديث والتوعية الدينية بعد اقامة الصلوات ، كما ان على الوزارة مسؤولية ايصال الكلمة الطيبة من خلال اجهزة الاعلام المختلفة وهناك برامج تنسق مع الاذاعة والتلفزيون واحيانا مع الصحافة ونأمل في المستقبل ان تتوسع نشاطات الوزارة في هذا المجال وأسأل الوزير :

● وزارة الاوقاف .. كيف تخطط دورها في التعليم الديني بالمدرسة والجامعة . ولماذا يخسر التعليم الديني في البرامج الدراسية بالجامعة ؟ قال :

— لا شك ان العملية التعليمية من مسؤوليات وزارة التربية وجامعة الكويت . فان هاتين الجهتين هما اللتان تتوليان مسؤولية التعليم في مختلف أنواعه بما فيه التعليم الديني ووزارة الاوقاف تضع امكاناتها

وطاقاتها دائما في خدمة وزارة التربية وجامعة الكويت لتساهم في بناء محتويات المفاهيم الدينية ، وحتى الان فان وزارة الاوقاف تشترك في مجلس ادارة المعهد الديني كما تدعي احيانا للمشاركة في عضوية لجان المفاهيم الدينية ، ونأمل في المستقبل ان يتوسع التعاون مع وزارة التربية والجامعة لتطوير التعليم الديني وتقديم مواد الثقافة الاسلامية لمختلف التخصصات الجامعية .

وأسأل الوزير :

● وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، كيف تتعامل مع اجهزة الاعلام الاسلامية والعربية والخليجية ؟ اجاب الوزير :

ــ للوزارة علاقات واسعة مع الكثير من المؤسسات والمراكز الاسلامية في الكويت او في العالم العربي او في العالم الاسلامي او بقية اجزاء العالم وهي على صلة دائما مع هذه المراكز والمؤسسات اما في شكل زيارات متبادلة لوفود او مراسلات حول النشاطات الاسلامية لهذه المؤسسات والمراكز ، الا انه من المؤسف ان التغطية الاعلامية لهذه النشاطات قاصرة الى حد كبير وليست هناك مبادرات تذكر من المؤسسات الاعلامية للاتصال والتعرف على هذه النشاطات واعتقد انه من واجب الوزارة ان تبادر من جهتها بمد جذور الاتصال لهذه المؤسسات الاعلامية العربية والاسلامية والعالمية لاهمية اجهزة الاعلام ودورها الكبير والمؤثر في مختلف النشاطات .

رسالة المسجد

● وزارة الاوقاف .. كيف تفهم رسالة المسجد ؟

ــ لا شك ان رسالة المسجد معروفة تاريخيا وحضاريا وليس لدى الوزارة فهم مختلف عن هذا الفهم الذي امتد عبر التاريخ الاسلامي ومنذ بدء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هناك قصور في مباشرة المساجد لدورها التاريخي في الوقت الحاضر فهي مسؤولية مشتركة بين جميع القائمين على الشؤون الدينية وشؤون المساجد ، ولا شك ان الكثير مما كان يقوم به المسجد اصبحت تتولاه مؤسسات خاصة لم تكن معروفة في العصور السابقة ولكن هذا لا يمنع من ان يستمر المسجد في القيام بدوره كملتقى للمصلين ومدرسة لطالب العلم ، وهذا يحتاج الى قيادات متفقة وواعية لدورها ولمسؤولياتها في كل مسجد ، والوزارة تعمل جاهدة على توفير هذه القيادات للمساجد لكي تستطيع ان تستقطب المواطنين وتشدهم الى المسجد في مختلف الاوقات والظروف .

● لكي نجتذب الشباب ، علينا ان نعيد المساجد في حياتنا مراكز عصرية لحياتهم ، في داخلها قاعات للمحاضرات والعرض السينمائي لافلام علمية وانسانية ومكتبات تثير الشوق الى الاطلاع ، هذا الكلام لاحد كبار الدين ، ونسأل لماذا تغلق مساجد الكويت بعد صلاة العشاء ، لماذا لا تتحول الى مراكز لتعزيز مسيرة

الدعوة بين الناس عامة والشباب خاصة ؟ أجاب الوزير :

— ان الوزارة تدرس مشروعا حول ذلك ، وعندما تتوفر القيادات الدينية الواعية سنتمكن من تنفيذ افكار الوزارة حول دور المسجد الشامل في التربية والتوعية .

عودة الى الدين

● الالحاد يتفشى وسوق الاديان يجنح في بعض الدول الى الركود وخاصة في محيط الشباب ، ما هو التخطيط العقائدي لاذكاء روح التدين في النفوس الصدئة ؟ اجاب الوزير :

— انا لا اوافق على هذا الكلام وذلك لاننا جميعا نلمس موجة التدين ليس في العالم العربي فقط ولا في العالم الاسلامي فقط ولكن في العالم اجمع ، ففي الوقت الذي تشهد فيه الدول الاسلامية عودة الكثير من شبابها الى الدين والالتزام باوامره مما اصبح يميز هذه الفترة في الوقت الذي كان التميز فيه لكبار السن ، وحتى في الديانات الاخرى فان موجة العودة الى التدين ظاهرة ملموسة ، كما ان هناك محاولات من فئات من الشباب لابتداع اديان جديدة وتدعم هذه المحاولات الهيئات الالحادية التي تريد لها ان تؤثر على الديانة الصحيحة واعتقد ان ما يتميز به العصر ليس انتشار الالحاد بقدر ما هو التمايز بين فئات المجتمعات او بين فئات الشباب الذين يريدون ان يتقيدوا بالدين ويلتزموا باوامره ونواهيه بشكل جاد ودقيق وبين فئة الشباب الذين يطلقون لانفسهم حرية التصرف بعيدا عن الالتزام الديني ، هذا التمايز الذي اصبح يدخل حتى في افراد الاسرة الواحدة في مختلف المجتمعات ويقسم هذه الاسرة الى فئتين لا ترتضيان اسلوب التعايش مثل ما كانت ترتضيه الفئات المتدينة وغير المتدينة في اوقات سابقة ، واعتقد انها بدايةموجة من الصراع العالمي بين الخير والشر وبين الايمان والكفر ، سوف تتصدر حلبة الصراعات المختلفة في السنوات القادمة .

والتقط الخيط حول الصراع بين الخير والشر وأسأل :

● الصراع بين الخير والشر موجود منذ الأزل لاستمرار الحياة ، لا احد ينكر ذلك ، ولكن الملاحظ في هذا العصر ان الصراع بلغ قمة العنف وان البشرية تتعذب اكثر مما كانت تتعذب من قبل .. لماذا ؟

التحدي الكبير

قال وزير الاوقاف :

— لا شك ان الصراع بين الخير والشر موجود منذ بدء البشرية والى ان تقوم الساعة ، ولا يزعم احد ان بامكانه القضاء على جميع الشرور في الدنيا ، وهذا هو التحدي الكبير والدائم لكل نفس بشرية منذ انزل الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من جنات النعيم ومنذ قتل قابيل هابيل ، وسوف يستمر الصراع بين الخير والشر الى ان تقوم الساعة ، ولقد من الله سبحانه وتعالى على البشرية برسالاته

السماوية وختمها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بشيرا ونذيرا لجميع ابناء البشرية ممن تبلغهم الدعوة الى ان تقوم الساعة ، وفي كل زمان وفي كل حين كان امل الفرد ان يعيش حياة الخير في الدنيا ليكسب النعيم المقيم في الاخرة ، ولكن الفرص المتاحة للاخيار والاشرار تستغل استغلالا غير متكافىء لذلك نجد الشر ينتشر ويطغى على مر الزمان الى جانب ان الظروف المأساوية التي يعيشها الكثير من اصحاب النزعة الخيرة تجعل الباب مفتوحا لهذا الصنف من الناس ليتحولوا تحت وطأة ظروفهم المعيشية والنفسية الى عناصر شريرة وهذا الكلام ينطبق على الدول والجماعات كما ينطبق على الافراد ، ولكن لا يجب ان يتشاءم الانسان ، فالخير باق الى قيام الساعة

الدعوة

ــ الحقيقة اننا بحاجة ماسة الى الدعوة في المجالين الخارجي والداخلي فالدعوة داخل دار الاسلام اكثر الان اهمية واصبحت الحاجة اليها اشد ، ونجاح الدعوة الخارجية مرهون اصلا بنجاح الدعوة الداخلية حيث تستطيع ان تقنع غير المسلمين بفضائل الاسلام وخصائصه التقدمية

● وهذه الدعوة ، كيف نخطط لها ؟

قال :بتهيئة المناخ الصالح لكل اسرة تفهم ببساطة وتعيش باخلاص تعاليم الاسلام واخلاقه واهدافه ومن ثم تبدأ المسؤولية من الاباء والامهات فكلنا كما يقول الرسول الكريم راع وكلنا مسؤول عن رعيته ، فهؤلاء الآباء والامهات يجب ان يكونوا مسؤولين . وقدوة في نفس الوقت ـ عن ابنائهم في كل ما يقولون ويفعلون داخل البيت وخارجه .

العالم والايمان

● والعالم يشهد تقدما علميا مذهلا وبعض رجال الدين واساتذة الجامعة يطالبون بضرورة اعادة النظر في كثير من الاشياء التي تقال للناس باسم الدين ، بعد ان تفتق العقل البشري الى معجزات علمية ، وأسأل الوزير :

● الايمان عمق واصالة ، فهل يزداد ايمان الانسان بازدياد علمه وثقافته ؟

ويجيب الوزير :

ــ « انما يخشى الله من عباده العلماء » ودعوة الاسلام الى طلب العلم والتفكير في آيات الله وخلقه دعوة متكررة ومترددة في سور القرآن الكريم وكلها ترسم الطريق الى الايمان بالله سبحانه وتعالى ، ولا شك ان الاسلام الحنيفي دين الفطرة وان بامكان الانسان مهما كان مستواه الثقافي وبحكم فطرته التي فطره الله عليها ان يدرك حقيقة الايمان وان يؤمن برب هذا الكون وبرسالته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكما قال الاعرابي قديما ـ فان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير ـ ولكن كلما زادت ثقافة الانسان وعلمه واطلاعه فان فرص الوصول الى حقيقة الايمان تكون متاحة له بشكل اكبر ، ولذلك فان المستقبل كما اعتقد هو لهذا الدين العظيم .

استقرئوا الاندلس

قلنا لهم توبوا ولا تتفرقوا فتفرقوا
فلنا اصدقوا وكأنما قلنا لهم لا تصدقوا
قلنا اقلعوا عن غيكم فاستهتروا وتعمقوا .
قوم أبت اخلاقهم ان يستحوا او يتقوا .
خلقوا لكيد بلادهم يا ليتهم لم يخلقوا .
باعوا الضمائر والعقائد والشعور وأملقوا

اخي القارىء
مما يروض الجوانح بالحزن ويقلق الضمائر الحية بالألم تفرق العرب وكراهيتهم لبعضهم البعض وانتحارهم وهم لا يدرون ، الاخطار تحيط ببلادهم ، ولكن شاء الحظ التعيس للشعوب العربية ان تبتلي ببعض الحكام وكأنهم دسيسة عليها . يتحدثون باسمها وهي المغلوبة المنكوبة بهم، هي تريدهم ان يستلهموا تعاليم الدين الحنيف ، يعتصمون جميعا بحبل الله فلا فراق ولا شقاق ولكن (الطموح الشخصي) و (الزعامة الزائفة) و (خداع النفس) . هذا ما يجعل الواحد منهم لا يفكر الا في نفسه . وليته استلهم تاريخ الاندلس حين عصفت الاهواء برؤوس الزعامات الهشة فكانت المصيبة عليهم جميعا :

مما يزهدني في ارض اندلس
اسماء معتصم منها ومعتضد

القاب مرة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

نتلفت نحن المواطنين العرب فنجد ان شعوب اوروبا رغم اختلاف الجذور واللسان وحدة واحدة لهم برلمانهم وارتفعوا عن الصغار وها هم يتقدمون ويضعون لمشاكلهم الحلول التي يرونها ونحن نعبد ربا واحدا ونتجه الى قبلة واحدة صفا صفا واكتافنا كتفا كتفا ، اشارة الى وحدة الهدف وسعي المؤمنين ومع ذلك كأننا نحتفظ بالخنجر ونحن في الصلاة .

لا نيأس ابدا فعودوا الى كتابكم واستقرئوا تاريخ الصدر الأول فستجدوا المخرج من كل ازمة والطريق الى الصدارة ان كنتم فاعلين .

عن جريدة الشرق الأوسط

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر :	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان :	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر :	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب :	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس :	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الأردن :	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية :	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط :	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء :	دار الفكر
البحرين :	دار الهلال
قطر :	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي :	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي :	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت :	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٦ ● ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ● اكتوبر ١٩٨٢ م

هدية العدد مجلة براعم الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

صدق الله العظيم

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٦ ● ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ● اكتوبر ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الحج

مؤتمر إسلامي عام

اول بيت وضعه الله لعبادته هو البيت الحرام بمكة . باركه الله بكثرة الخيرات . اذ تجبي اليه ثمرات كل شيء . وباركه بكثرة الثواب والاجر . وجعله منبع الهداية للعالمين . فيه آيات بينات .. منها مقام ابراهيم للصلاة والعبادة . ومن دخل حرمه امن على نفسه ولو كان قد ارتكب قبل دخوله ما ارتكب من الجنايات . وقد اوجب الله على المستطيع من المسلمين الحج اليه . قال تعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

وقد استجاب الله دعوة ابراهيم عليه السلام ، فجعل افئدة من الناس تهوي الى من يسكنون عنده . واودع في قلب كل مؤمن بالغ الشوق لزيارة البيت الحرام .. ومهما تردد المؤمن على هذا البيت حاجا او معتمرا ، فان شوقه اليه لا ينتهي ولا يضعف .

والحجاج الذين يفدون من كل فج عميق . يتلاقون عند البيت المقدس مجردين من كل صلة سوى الصلة الاسلامية ، ومتجردين من الثياب التي تميز بينهم ، وتباين اشكالهم ، ومرتدين ثوبا غير مخيط ، لا يميز فردا على فرد ، ولا شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة ليشعر الجميع انهم اخوة تجمعهم عقيدة واحدة ، هي توحيد الله ، ونسب واحد هو الاسلام ، وقيم واحدة . هي ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله ويؤدون جميعا شعائر عبادتهم ـ على قدم المساواة . في اماكن محددة ، وازمنة معينة .

وهذه المساواة التي يشعر بها حجاج بيت الله الحرام ، توحي اليهم ان يتخذوا من الحج مؤتمرا عالميا ، يدرسون فيه امورهم ، ويتذاكرون شئونهم على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . حتى تتحقق لهم الرؤية الصحيحة للمسار الذي يجب ان يسيروا عليه في مجتمعاتهم ، وفي علاقتهم بغيرهم . بعيدا عن سبل الضلال التي تدنس حياتهم وتفرق صفوفهم .. وذلك من المنافع الدينية والدنيوية التي جعلها الله تعالى من غاية الحج . كما قال سبحانه : (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام) .

وقد جاءت تعاليم الاسلام مبطلة لما كانت تتخذه قريش لنفسها في الحج من التميز عن غيرها ، حين كانت تأبى الوقوف مع الناس بعرفات . وتقف وحدها بالمزدلفة . فقال تعالى : (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

وفي قوله تعالى : (واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) **ما يفيد ان العرب ـ قبل الاسلام ـ كانوا في ضلال مبين في كل نواحي**

حياتهم . فمن الناحية الاعتقادية كانت تصوراتهم سقيمة باهتة ، ادت الى اضطرابهم في العبادات والشعائر والسلوك . فعبدوا الاصنام والجن والملائكة .. ومن الناحية الاجتماعية كان ضلالهم يتمثل في تميز طبقة عن طبقة ، واستعلاء قبيلة على اخرى ، وفي الحروب والمنازعات الدائمة بينهم ، والتي جعلتهم موضع السخرية لدى العالم ، واسقطتهم من عداد الامم التي يحسب لها حساب .. وفي الفوضى الخلقية في العلاقات الجنسية ، والعلاقات التي تقوم بين افراد المجتمع .. وفي المظالم التي يزاولها الاقوياء ضد الضعاف في المجتمع بلا ميزان ثابت يرجع اليه . والتاريخ شاهد عدل على ذلك .

فلما جاء الاسلام اخرجهم من هذا الضلال ، وغير حالهم الى احسن حال ، فأصبح تصورهم الاعتقادي تصورا صحيحا ، يتمثل في الايمان الخالص بالله الذي لا اله غيره وبذلك اتجهت العبادات والشعائر في طريقها الصحيح الذي يحقق الخير .. واصبحت الحياة الاجتماعية تقوم على الاخاء والمساواة ، والتعاون على البر والتقوى ، والعدل ، وطهارة الاخلاق . وبذلك حل الوئام والصفاء والسلام محل التنازع والشقاق فكان العرب بالاسلام ـ امة عزيزة الجانب . رفيعة القدر ، ينظر العالم اليها نظرة المهابة والتقديروالاحترام . ولا عجب فذلك تشريع الله للناس كافة يهدي به من اتبع سبيله الى مواقع الخير والرشاد . (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .. ومكث العرب مدة من الزمن يستمسكون بهداية الاسلام وينشرون حضارته في المشارق والمغارب . وهم اعزة كرام على انفسهم وعلى الناس .

ومما لا شك فيه انهم كانوا في فترة مجدهم تتوارد على ذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم في الجاهلية .. تلك الحياة الهابطة الضالة التي كانت تلوث حياتهم وتزري بتاريخهم . ثم يتأملون مكانهم العظيم الذي رفعهم اليه الاسلام ، فيدركون عمق هذه الحقيقة واثرها في حياتهم .

وليتهم استمروا على هذا الادراك ، اذا لظلوا منبع الهدى والنور ، ومكان الاجلال والتقدير . ولكن الكثير منهم نسوا الله فانساهم انفسهم ، وعادوا الى ضلالهم القديم يتقاتلون ويتناحرون ويتسابون ، وتركوا الدين الذي رسم مجدهم وخط ذكرهم الى نظم اصطنعها البشر بقصورهم واهوائهم وشهواتهم . فضلوا سواء السبيل . واضطربت

حياتهم . وتدنست مجتمعاتهم . ودبت بينهم اسباب الفرقة والتنازع . وتداعت عليهم الامم تسلب بلادهم . وتستذل كبرياءهم . فاصبح امرهم يجرح قلب الصديق ـ ان كان صديق ـ ويثلج صدر العدو !! وتلك سنة الله . غيروا ما بأنفسهم . فغير الله حالهم (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ولكن . هل ضاعت العزة الى غير رجعة . وافل المجد الى غير شروق . وحل اليأس محل الايمان ، والقنوط محل الرجاء ؟؟؟؟

لا . ثم لا . ان حقيقة الاسلام ما تزال قائمة . تؤدي رسالتها لمن يغتنمها . ويسير في ظلها .. والعرب حين يعودون الى الاسلام عودا صحيحا ينتقلون من طور وضيع صغير مضطرب . الى طور اخر رفيع عظيم . ولا يدركون هذه النقلة الا حين يصبحون مسلمين حقا . يطبقون كل تعاليم الاسلام .. انهم بذلك سيصبحون الامة الواحدة القوية النظيفة . والقول الواحد السديد ، والعمل الواحد المفيد .. وسيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين . لا يستطيع عدو أن يقتحم حماهم ، ولا ان ينال من كرامتهم .

ان النظم التي قامت على خلاف شريعة الله ، ما هي الا عبث وعنت وضلالة واضطراب .. وما هي الا عامل قطيعة وانفصام بين الشعوب وحكامها . فالشعوب تقدس اسلامها وترتضيه حكما في امورها . والقائمون على هذه الانظمة يعملون بالقهر على سيادتها . وهذا الانفصام من شأنه ان يضعف الامة . ويطمع فيها الاعداء ، ويسبب لها المتاعب والمأسي في الداخل ، والهزائم من الخارج !!

فلنعد الى منهج الاسلام . ولنعتبر بالاحداث الجسام التي انتابتنا ونحن معرضون عن هداية الله .. ولنعلم ان الله تعالى رءوف رحيم . لا يرد من اقبل بعد طول اعراض ؛ ولا من اناب اليه بعد اسراف (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) .

اننا ـ قبيل مؤتمر الحج ـ نسوق هذه المعاني تذكرة للمسلمين في كل مكان عسى ان يكون لهم فيها زاد . فيقيموا شرع الله ، ويعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

رئيس التحرير
محمد الاباصيري

نظـــرات في آية

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : في سورة الانعام / ١٢٤ : **(وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون)** (صدق الله العظيم)

(رسل الله .. وأعداء الله)

المتدبر لهذه الآية الكريمة يفيض عليه من أنوارها العلوية المباركة ما يكشف لبصيرته من علم الله تعالى وحكمته ، ما يملأ قلبه يقينا وايمانا بالله سبحانه ، واذا هو من هذا اليقين وذلك الايمان في حصن منيع لا تنفذ اليه منه وساوس الشيطان ، ولانفثات اهل الغي والضلال .

فالآية الكريمة تكشف اولا عن موقف المعاندين والمكابرين ، الغارقين في كبرهم وعنادهم على أن يركبوا مطايا الغرور . وأن يردوا تلك الأيدي الكريمة الممدودة اليهم برحمات الرحمن الرحيم رب العالمين ، لاستنقاذهم من مهاوي الهلاك ، وما ذلك الا لان هذه الرحمات قد جاءتهم على ايدي بشر مثلهم فكيف اذا كانت رسالة من الله سبحانه الى الناس أن يختص بها هذا الرسول أو ذاك ، وهم يرون أنفسهم أنهم اكثر أموالا واولادا ، وأقوى قوة وسلطانا من هؤلاء الرسل ، وانه لو كانت هناك رسالة من الله الى الناس لكانوا هم أولى وأحق بها !! : **(قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله)** وما درى هؤلاء الاغبياء المناكيد ان الله تعالى وحده هو الذي يصطفي لرسالته من يشاء من عباده ، لما منحه من صفات عالية ، وأخلاق كريمة تجعله أهلا لهذا الاصطفاء ، وكفئا لحمل هذه الأمانة العظيمة : **(الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور)** الحج/ ٧٥و٧٦ .

ولهذا كان من الله تعالى هذا الرد المفحم على هؤلاء المغرورين المتكبرين ، فقال سبحانه : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** وليس ذلك لأحد من خلقه : **(والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب)** الرعد/ ٤١ .

من كتاب الله

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

(موقف الضالين من دعوة الحق)

وقد كشف القرآن الكريم عن كثير من مواقف اللجاج في الضلال والعناد ، للكافرين والمشركين الذين اعماهم الضلال والعناد ، عن أن يستجيبوا لدعوة رسل الله ، وأن يقدموا لذلك من الحجج الباطلة ، والمعاذير الفاسدة ، ما يحجزهم عن الحق ، ويعمي عليهم السبيل الى الهدى ..

ومن اقوالهم ومدعياتهم في هذا ما ذكره القرآن الكريم على لسان الأقوام الذين كذبوا رسل الله ، وصدوا عن سبيله ، فقال تعالى على لسان قوم نوح :(**ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين**) هود/٢٧ ويكون رد نوح على ضلال قومه ما ذكره الله سبحانه على لسانه : (**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون**) هود/٢٨و٢٩ .

وعلى لسان عاد قوم هود ، يقول الحق سبحانه :(**قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء**) هود/٥٣و٥٤ ويرد هود على هذا السفه من قومه ، بما ذكره الله تعالى على لسانه :(**قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون**) هود/٥٤و ٥٥ .

ولذلك كان موقف ثمود ، قوم صالح ، كذبوا رسولهم ، وأنكروا ما كانوا يرون فيه من استقامة وخير ، بعد أن اصطفاه الله تعالى لرسالته ، فقال الله تعالى على لسانهم :(**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**) هود / ٦٢ ويكون جواب صالح على هذا السفه من قومه :(**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء**

فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) هود /٦٣ ـ ٦٥

وهكذا كان لكل رسول من قومه خلاف عليه ، وتكذيب له ، واعراض عنه ، وليس لهم من حجة يحتجون بها عليه ، الا انه بشر مثلهم ، ومن حقهم ـ كما يزعمون . انهم اولى منه بتلك الرسالة ، ان كان حقا هو رسول من عند الله اليهم !!

(محمد وما لقي في سبيل دعوته)

ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، كم لقي من عنت قومه ، ومن تكذيبهم له ، وإبائهم عن الاستجابة لدعوته اياهم الى الايمان بالله وحده ، وترك ما هم عاكفون على عبادته من أوثان .

وقد كثرت وتنوعت مدعيات المشركين وتخرصاتهم في وجه الاعجاز المتحدي لهم بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي صنعت مادته من كلامهم .. فقال تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** البقرة / ٢٣ و٢٤

ومع هذا فقد مضى المشركون في ضلالهم وعنادهم ، ولم يمنعهم الحياء والخجل بعد ان فروا من هذا الميدان عن ان يدخلوا في ميادين المماحكة والمجادلة بالباطل .. فقال تعالى على لسانهم : **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)** فرد الله عليهم بقوله سبحانه :**(فقد جاءوا ظلما وزورا)** الفرقان / ٤ ثم ان هؤلاء المشركين وقد فضحهم الله تعالى على أعين الناس ، لم يمسكوا السنتهم عن الزور والبهتان ، فقالوا ما ذكره الله تعالى على لسانهم في شأن القرآن :**(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)** فرمى الله هذا البهتان في وجوههم ، بقوله سبحانه : **(قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما)** الفرقان/ ٥و٦ .

ثم انهم لما عجزوا عن مواجهة القرآن الكريم ، ورأوا ان كل ما يقولونه فيه ليس الا افكا وبهتانا ، وهم أول من يعلمون انه افك وبهتان ، جاءوا ببهتان اخر ، فقالوا : ان محمدا ساحر يتلقى من الشياطين هذا الذي يقول لنا عنه انه كلام الله ، فيقول الله على لسانهم : **(إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر)** المدثر / ٢٤و٢٥ ويقول سبحانه :**(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب)** ص/ ٤ ـ ٨ . ويقول جل شأنه على

لسان هؤلاء المشركين ، كاشفا عن عنادهم وضلالهم :(**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا.أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**) الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ ويكون رد الرسول الكريم على هذا الحمق والسفه ما امره الله تعالى به ، :(**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**) الاسراء / ٩٣ .

(التوافق بين محمد ورسالته)

لا شك في أن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لو لم يكن رسولا ، مصطفى من عند الله ، لكان واحدا من آحاد العظماء في الانسانية ، الذين لم يكونوا رسلا ولا انبياء ، ولكانت له آثاره العظيمة الخالدة ، المتمثلة في سمو نفسه ، وعظمة اخلاقه ، وحسن سيرته ، وفي يده المبسوطة للناس بالخير ، والحب والرحمة ..

ولهذا كان اصطفاء الله تعالى لمحمد بحمل هذه الرسالة العظيمة الخاتمة لرسالات السماء ، مما اقتضته حكمة الله ، وعلمه بأحق الناس بتلك الرسالة .. والله تعالى يقول :(**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)

كان محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يمكن ان يكون في مقدمة الرجال الذين عرفهم قومه ، واحلوهم المقام الكريم في تاريخهم .. ففي حكماء العرب مثلا : اكثم ابن صيفي ، وفي خطبائهم قس بن ساعدة الايادي ، وفي شعرائهم من اصحاب المعلقات : امرؤ القيس ، وعنترة ، ولبيد ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن ابي سلمى .. وغيرهم .

كان يمكن ان يكون محمد ـ لو لم تخلع عليه من ربه سبحانه خلعة الرسالة ـ على رأس الكرام الامجاد من قومه .. فكيف وقد اصطفاه الله تعالى ليكون امام المرسلين ، وخاتم النبيين ؟

وقد رأينا انه حين ركبت قريش رأسها ، ووقفت من دعوة رسول الله هذا الموقف العنادي الضال ، لم تقل في رسول الله كلمة واحدة ، تمس خلقه ، او تنال من سيرته بينهم ، بل ان كل ما قالوه فيه ، هو انه شاعر ، او ساحر .. حيث كان الشعر والسحر ، مما يرفع في قدر الانسان عندهم ، وان لم يصل به هذا الى ان يكون رسولا ، متصلا بالله ، يتلقى منه ما يبلغه للناس .

وقد نفي الله تعالى عن رسوله الكريم ان يكون شاعرا ، فقال تعالى :(**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين**) يس / ٦٩و٧٠ ويقول سبحانه في نفي اتصال النبي بالشياطين ، وفي نفي الشعر عنه :(**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل**

على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون) الشعراء/ ٢٢١ ـ ٢٢٦ . كما نفي الله تعالى عن محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان يكون كاهنا او مجنونا ، فقال تعالى مخاطبا الرسول الكريم :(**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)** الطور / ٢٩ .

ان قريشا ترضى لمحمد ان ينزل من منازل العظمة الانسانية حيث يشاء ، وانها لتسلم لمحمد أن يكون ما يشاء في قومه ، في مناصب السيادة والقيادة عليهم ، ولكن قريشا لن ترضى ابدا من محمد ، او غيره أن يكون رسولا اليهم من عند الله ..

هكذا شأن الناس ، ينكرون ان يكون أحد من البشر على صلة بالله ، لأن هذا ـ في نظرهم ـ مقام متفرد ، لا يناله أحد بسعيه وجده ، او بجاهه وسلطانه ، ومن هنا تغلق الطرق في وجوه الناس جميعا لبلوغ هذه الغاية .

وقد آمن كثير من الحكماء ، والفلاسفة في قديم الزمان وحديثه ـ آمنوا بالله ، وأقروا بانه لا بد من اله خالق لهذا الوجود ، مدبر له ، قائم عليه ، ولكنهم مع ايمانهم بالله لم يؤمنوا برسل الله ، ولم يرضوا لانسان ان يلتقي بالملأ الأعلى ، ويتعامل معه .. وكأن هؤلاء الفلاسفة والحكماء الذين يذهبون هذا المذهب ، قد نظروا فيه الى انفسهم .. فحين رأوا انهم وهم اعقل الناس ، وأكثرهم علما ومعرفة ، وذكاء وفطنة ، لم ترفعهم عقولهم وعلومهم ومعارفهم الى الملأ الأعلى ، ولم تقم صلة بينهم وبين السماء ، أنكروا ان يكون هناك رسل من البشر ، يمدهم الله سبحانه بأمداد من عنده ، ليقوموا في الناس مبلغين عن الله ومبشرين ومنذرين ..

وهذا هو منطق الذين كفروا برسل الله ، محتجين لهذا بأنهم بشر مثلهم ، كما يقول تعالى عنهم : (**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون)** المؤمنون / ٣٣و٣٤ .

(إيمان أضل من الكفر !!)

واذا كان كثير من الحكماء والفلاسفة والعلماء قد آمنوا بالله ايمانا عقليا ، غير مستند الى دعوة من رسول من رسل الله ، علي حين أنهم كفروا برسل الله ـ فان كثيرا ممن آمنوا بالله عن دعوة من رسل الله ، لم تستسغ عقولهم ان يكون هؤلاء الرسل بشرا قد اصطفاهم الله تعالى لرسالته الى الناس ، بل ارتفعوا بهؤلاء الرسل عن عالم البشر ، وجعلوا لهم نسبا الى الله ، بالبنوة له ..

فكثير من مشركي العرب في الجاهلية ، قد عبدوا الملائكة من دون الله ، زعما منهم بأنهم ـ وهم بشر ـ لا يصلون الى الله ، ولا يقدرون على اختراق حجبه ،

ومخاطبته .. وفي هذا يقول الله تعالي عن هؤلاء المشركين من عبدة الملائكة ، وقد سموهم بنات الله :(**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالو لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**) الزخرف/ ١٩و٢٠ ويقول سبحانه ، وهو يواجه المشركين بهذا الضلال الذي غرقوا فيه :(**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**) سبأ/ ٤٠و٤١

وكذلك كان الشأن من أهل الكتاب ، فانهم ارتفعوا بأنبيائهم عن عالم البشر ، وجعلوهم أبناء الله ، كما يقول الله تعالى في اليهود والنصارى :(**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**) التوبة / ٣٠ كذلك اتخذ اليهود والنصارى احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وارتفعوا بهم عن عالم البشر ، الى مقام الالوهية .. يقول الله سبحانه فيهم :(**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**) التوبة / ٣١ .

(محمد .. الرسول البشر)

أما خاتم النبيين محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد حمى الله تعالى حماه من أن يدخل على اتباعه شك في انه بشر قد اختصه الله سبحانه بالرسالة لهداية الناس .. فمن آمن به رسولا ، آمن به انه بشر .. ولهذا قرر القرآن الكريم في أكثر من آية أن محمدا بن عبد الله ، هو واحد من قومه ، لا يفضلهم الا اصطفاء الله تعالى له بتلك الرسالة الموحاة اليه من ربه .. فمن آمن بكتاب الله لا يتم ايمانه الا اذا آمن بمحمد بشرا رسولا .. يقول الله تعالى مخاطبا اياه : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الانبياء/ ٣٤ ويقول سبحانه : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**) فصلت /٦ بل واكثر من هذا ، فان الله تعالى قد نعى محمدا في القرآن الكريم ، وهو لا يزال حيا بين قومه ، فقال سبحانه : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**) ال عمران / ١٤٤ وقال جل شأنه لرسوله الكريم : (**إنك ميت وإنهم ميتون**) الزمر / ٣٠

ولا شك ان هذه شهادة من عند الله ، قائمة ابد الدهر ، تنفي عن محمد ما يمس بشريته ، وتدفع عن اتباعه ان يعبدوه من دون الله ، كما عبد اليهود والنصارى بعض انبيائهم ، وكما عبدوا احبارهم ورهبانهم ..

فصلوات الله وسلامه على محمد النبي الامي ، البشر الرسول .. ؟

القرآن والمنافقون

للدكتور/ عبدالفتاح محمد سلامة

عندما بعث الله خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم، تصدت لدعوته قوتان: إحداهما سافرة: قد حسرت عن وجهها كل قناع، وأزالت كل غطاء، وبرزت للاسلام وصارعته بما في حوزتها من قوة وشكيمة.. وهذه القوة تتمثل في الكفر وأهله..

والأخرى لم تشأ أن تنزل إلى أرض المعركة ظاهرة مكشوفة، فيفتضح أمرها، وتتعرى حقيقتها، فآثرت أن لا تتدجج بالسلاح خفية، وتكيد للدعوة خلسة، وفي الواقع المشاهد، وأمام الجماهير المؤمنة، تبدو مذعنة راضية.. وأعني بهذه القوة: النفاق وحزبه..

إن الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، قد حاربوا دين الله الخاتم وجها لوجه؛ ونازلوه في ساحة الوغى، وجالدوه في ميادين الطعن والصدام، ولم تزل رحى الحرب دائرة، واوراها مشبوبا مشتعلا، ووطيسها حاميا متقدا، حتى نصر الله دينه، وأيد رسوله، وأعلى كلمة الحق، وظهرت دعوة محمد بن عبدالله، متلألئة كفلق الصبح المبين، وفتح الله بها قلوبا غلفا، وآذانا صما، وأعينا عميا..

بيد أن المنافقين ما كانت لديهم الشجاعة، وما واتتهم الجرأة لمنازلة الاسلام على أرض مكشوفة، ومحاربته بطريق صريح، لأنهم لو فعلوا ذلك لقطع المؤمنون دابرهم، واستأصلوا شأفتهم، كما دحروا الكافرين، وأطاحوا بعروشهم وكبريائهم..

لذلك فان المنافقين ارتدوا ثياب الاسلام، وتستروا بمسوحه، بينما انطوت قلوبهم على الكفر، واشتملت جوانحهم على التكذيب، وأضمروا في نفوسهم الغدر والخيانة لله ولرسوله، فدبروا المكائد، وتفننوا في الحيل، وبرعوا في الخديعة والمكر.. فلم

يتورعوا أن يسددوا للدعوة طعنات حاقدة في الخفاء، مصبوبة في قالب من الجبن الصاعق، والذلة المستكينة، والخسة المقنعة..

ولم يستحيوا - كذلك - ان يريشوا سهام اللؤم والوقيعة، ويرشقوا بها صدور المسلمين، بين الفينة والفينة، لينشروا سموم حقد اسود تغلي به مراجل قلوبهم، ويزرعوا بذور عداء مقيت، سري في الأوصال واستجابت له المشاعر..

والقرآن الكريم يحلل نفسيات هؤلاء القوم، وينفذ إلى أعماقهم، ويتغلغل الى بواطنهم، فيفتشها وينبشها، ليبرز ما ترسب فيها من أمراض وبيلة، وما غزاها من آفات وإحن

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)البقرة/ ١٠.

إن الانسان الذي يجاهر بعداوتك، ويكاشفك بها، لا تتوجس شرا من جانبه، لأنك ستكون مستعدا لنزاله، محتاطا لفتكه، فلا يمكن - إذا كنت مترقبا حذرا - أن يأخذك على غرة، أو يفجأك من الخلف..

أما الانسان الذي يتلون ويتقلب، ولا يقر له قرار، ويبدي لك الرضا، وهو في حقيقته امرؤ كاشح، يعض عليك الأنامل من الغيظ، ويود التمكين منك، ليفعل بك الأفاعيل، بل إنه ليتحرق شوقا الى الكيد لك، والتربص بك.. فهو:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

هذا الانسان يحيرك أمره، ويعييك خبره، ولا تدري كيف تعامله، حيث انك لا تأمن غدره، ولا تطمئن لجانبه، بينما هو امامك محب واثق، ومخلص مريد..

سلوك شائن كهذا، يقض مضجع الانسان، ويجعل دبيب الشك يتسرب إليه، فاذا الحياة تسير في أودية من القلق النفسي، والتوزع الوجداني، مما يفضي بالانسان الى العزلة، ويغريه بالوحدة والانطواء.. وتلك لوثة النفاق في كل زمان ومكان، وآفته الآثمة ما تعاقب الجديدان.. ولعل هذا ما يرمز إليه الأمام « الشافعي » رحمه الله، في أبياته الطريفة حيث يقول:

لا تجـز عن لوحدة وتفرد
ومن التوحد في زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم اخوة
الا التملق باللسان وباليد
واذا فتشت ضمير ما بصدورهم
ألفيت ثم نقيع سم اسود

إن النفاق في جسم الأمة كالأخطبوط، إذا لم يحاصر في أوكاره، ويلاحق في امتداداته، ويوقف زحفه، فانه سرعان ما يستشري وينفذ الى شرايين الحياة النظيفة فيسدها ويسممها، بالأراجيف والأكاذيب، وطمس

الحقائق ، وتثبيط الارادات ، وإشاعة التواكل المزري ، وتوهين العزائم ، وإخماد المعنويات .

وهذا ما كابده الاسلام وعاناه ، من جماعة النفاق المتبلدة ، بعد هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، إلى المدينة ، حيث تفتحت قلوب أهلها للدين الجديد ، وتشربته نفوسهم ، شريعة هادية ، وسلوكا طاهرا فذا ، وحياة متكاملة سامية .. حدث كل هذا .. لكن فئة متمردة ، قد أبت أن يلج الايمان قلوبها ، ويبدد الحنادس الكامنة فيها ، فطوت كشحها على كفر صاعق مقيت ، وأخفت في طويتها كراهية وغلا وعداوة لله ورسوله ، ثم أبدت إسلاما هزيلا رثا في صورة همهمات تتلى ، وعبادات مزيفة تؤدي ..

ثم بدأت مسيرة النفاق ومواكبه ، تتراقص اشباحها في مجتمع المدينة المتوثب ، والذي يريد أن يثبت وجوده ، ويملي على الحياة ارادته ، وكانت مواكب النفاق - هذه - تأخذ مظاهر التعويق والنكوص ، وألفت في عضد المؤمنين ، حتى يتقاعسوا عن الجهاد ومتطلباته ..

لقد تخاذلت عصابة النفاق عن نصرة الحق ، وأبت ان تلبي داعي الجهاد ، وفي كل موقف يستدعى الحميةوالغضب لله ورسوله ، يتطايرون عنه تطاير الفراش .. ثم يختلقون اعذارا واهية ، لا تثبت على محك الرجولة ، ولا تستقيم مع منطق الايمان :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون التوبة/ ٨٨

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) التوبة/ ٤

ويدلف بهم موقف الخيانة إلى معنى شائك ، ومنعطف اخلاقي ساقط ، فلا يكتفون بروح الانهزامية السارية فيهم ، والتي جعلتهم يتراجعون عن الزحف مع رسول الله وصحبه ، بل إنهم ليمثلون - في إحكام واتقان - دور المتشكك المتخرص الذي يحمل لواء الحرب النفسية ، بترويج الشائعات ، واثارة الزوابع ، والافتئات الرخيص ، والتطاول على رب العزة ، والتكذيب لنبيه صلوات الله وسلامه عليه :

(واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الاحزاب/ ١٢

وهذه المواقف المنكورة من الدعوة وصاحبها العظيم ، كانت تنضح على سلوكهم وتصرفاتهم ، فما يستطيعون دفعا لباطل من القول ، وزور من الحديث ، يمسون به كرامة أزكى انسان ، ويخدشون به مروءته ..

(يقولون لئن رجعنا الى المدينة

ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون المنافقون/ ٨

ولقد كانوا يقصدون بالأعز زعيمهم « عبدالله بن أبي بن سلول » ، وبالأذل « رسول الله » صلى الله عليه وسلم ..

أرأيت منطقا يتدلى منه اللؤم كهذا المنطق ؟ ثم ألا تبصر مدى الفحش والاسفاف في هذا الكلام المغلف المستور ؟ ألا يلتقي هذا كله مع طبيعة النفاق المظلمة المعتمة ؟ وكيف تربو جرثومة النفاق إلا في مثل تلك الاجواء الملبدة الغائمة ؟ إنها تبيض وتفرخ وتتوالد وتتكاثر ، لأنها بمنأى عن المجهر ، وتحيا في أجسام معتلة ..

إن ظاهر النفاق غير باطنه ، وهيكله المادي يباين حقيقته الخبيئة المستترة ، وتلك نغمته النشاز التي يعزف عليها ، ويدلس بها ، ويخفي في طياتها وجهه الصريح ..

ولقد تكشفت لرسول الله حقيقتهم المخبوءة ، واستبانت له دخيلتهم الغادرة ، بعد ظهور زيفهم على محك الايمان الصحيح ، وثبت له أن وجودهم يعني شوكة يغص بها حلق الاسلام وأهله ، بل إنهم بالأساليب الملتوية ، يناوئون الدعوة في مدها وسيلانها ، ويلاحقونها في وثباتها الجريئة ، وانطلاقاتها الباهرة .. ولكن ماذا يفعل الرسول الماجد ازاء قوم يضعهم القرآن في هذا الاطار .

(واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) آل عمران/ ١١٩ .

(ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون التوبة/ ٥٦

لقد كان في وسع النبي - وهو المعصوم المسدد بالوحي - أن يسلط عليهم سيف العدالة ، ويذيقهم كأس المنون ، حتى تمضي الدعوة الراشدة في مسيرتها ، ويتفرغ أتباعها لمواجه العدو السافر المكشوف .. ولكن كيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟؟

لقد جاءه يسعى ، ابن زعيم النفاق « عبدالله بن عبدالله بن أبي .. » ، وكان شابا مؤمنا مخلصا ، قد صدق ما عاهد الله عليه ، فقال له : يارسول الله : بلغني أنك تريد أبي « أي قتله » .. فان كنت فاعلا ، فمرني فأنا أحمل إليك رأسه .. فقال له الرسول الجليل بل نحسن صحبته مادام بيننا ..

ويصل الأمر إلى قمة العجب والانبهار ، يوم مات كبير المنافقين ، فلقد تقدم النبي الكريم فكفنه في قميصه ، ثم صلى عليه ، ودعا له واستغفر .. ولكن القرآن ينزل على رسول الله ، ليلقي إليه هذا الحكم

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون التوبة/ ٨٤

(استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) التوبة/ ٨٠

ومع نزول هذه الآيات الصارمة

الحاسمة إلا أن الرسول لكي يطيب خاطر الابن المؤمن ، والشاب النبيل .. يقول

لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفر له ، لزدت .. » رواه الترمذي وغيره .

هذه السياسة الحكيمة العاقلة التي انتهجها النبي القائد ، ليؤلف بين اصحابه ، ويرعاهم بوده ، تدمغ ساسة العالم وحكامه اليوم ، في لجوئهم إلى أساليب التصفية والقتل ، من اجل شهوة متسلطة ، وتحت ستار الزعامات الكاذبة ، وبدافع من حب التفرد بالسلطان والنفوذ ..

واذا نظرنا الى القرآن الكريم ألفيناه يدمدم على المنافقين ، ويهتك أستارهم ، ويجلّ خبيئتهم ، بل وينبىء المسلمين بما تكنه قلوبهم ، وما تضمره من مرض وكفر ورياء وخداع ونفاق وشقاق :

(**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون**) التوبة/ ٦٤ .

وهاك سورة من القرآن سميت باسمهم ، وتولت في بيان معجز ، يأخذ بمجامع القلوب ، كشف حالهم ، واحصت عليهم خلجات نفوسهم ، واحاديث السوء التي كانوا يلوكونها في غبش الظلام ، ثم أماطت اللثام عن الجبن الهالع الذي كان ينتابهم عند كل صيحة ، أو دعوة للجهاد في سبيل الله ..

قال تعالى :

(**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون . ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون**) المنافقون/ ١ ـ ٤

وهكذا ترى أن النفاق عدو لدود للاسلام ، وأن أربابه أشد خطرا ، وأعظم ضراوة على الدين وأهله من الكافرين ، فهم في الحقيقة شرّ الخليقة ، يتسترون بالايمان ، ويتمسحون بمسوحه ، بينما في أفئدتهم الكفر البواح ، يظهرون للمسلمين في صورة الأصدقاء والمتوددين ، ثم يتآمرون عليهم للفتك بهم والنيل منهم ..

ومن العجيب في صفاتهم أنهم يزعمون الاصلاح ، وما قصدهم الا الافساد :

(**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) البقرة/ ١١ و ١٢ .

لقد ابتلى الاسلام ، منذ القدم وحتى الآن ، بطوائف من المنافقين والمفسدين ، والأشرار والمخادعين ، حاربوه في جنح الظلام ، ووضعوا في طريقه العقابيل ، وزرعوا في دروبه الأشواك ، ليضلوا الناس عن صراط الله العزيز الحميد ..

وفي هذا العصر المادي المظلم ، كثر المنافقون والدجالون ، والمراءون والمخادعون ، من أصحاب القلوب المريضة ، وذوى النفوس الخبيثة ، والمذاهب الملتاثة ، وهم الذين آمنت ألسنتهم ، وكفرت بالله بواطنهم ، فخدعوا المسلمين وغرروا بهم ، وعملوا على تقويض دينهم ، وصدهم عن سبيل ربهم ، وإفساد أخلاقهم وحياتهم ..

ومما يؤسف له ، أن المنافقين في هذا العصر ، لهم سوق رائجة ، وبضاعة نافقة ، وبيدهم مقاليد الحكم والسلطان ، في معظم دول العالم ، وفي كثير من أقطار الاسلام .

لقد عم في هذا الزمان ، الكذب والتلون والرياء ، وغدا أكثر الناس لهم وجوه متعددة ، وألسنة كثيرة ، يتلونون تلون الحرباء ، ويدورون مع الباطل حيث دار ، وغدا لهم قادة وزعماء ، ورؤساء وكبراء ، دجلوا على المسلمين وخدعوهم ، وصرفوهم عن حكم قرآنهم ، وسنة نبيهم ، وأبدلوهم بذلك كله ، قوانين جاهلية ناقصة ، هي من صنع الأهواء الجامحة ، وابتكارات الخيالات الهائمة :

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة / ٥٠ .

إن الحياة الاسلامية الآن يغشاها ما يغشاها ، ولا شك أنها تعاني ما يشبه المخاض ، حيث العقائد اهتزت ، والقيم تهاوت ، والفضائل اندرست ، ومناهج الايمان تبدلت ، بل إن هناك فجوة فكرية شاسعة تفصل أبناء الاسلام عن دينهم ، فهم في ساحته وكأنهم غرباء عليه ، لا يأخذون من حقيقته إلا رسوما شاحبة ، وظلالا باهتة ، ـ فلا جرم ـ يعيشون وليس لهم من الاسلام إلا اسمه ..

كل هذا بفعل الطواغيت من المنافقين وعباد الشيطان ، أتباع كل ناعق ، واللاهثين ركضا وراء كل جديد ، من فتن الحياة وبهرجها ، حتى ولو كان ذلك على حساب المبادىء والأخلاقيات ..

ومن هؤلاء وأمثالهم كان يخشى رسول الله على أتباعه :

« إني لا أخاف عليكم مؤمنا ولا مشركا ، ولكني أخاف عليكم كل عليم اللسان ، منافق الجنان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون ».. رواه الحاكم وصححه ..

إن دين الله واحد ، وشريعته متكاملة ، لا تعرف الأجزاء ولا التفاريق ، فحذار ثم حذار ، ممن يتجرأون على شرع الله ، ويفتاتون عليه ، ليحطموه بمعاولهم ، ويخضعوه لأهوائهم ، تحت ستار الشعارات البراقة ، والمسوح الكاذبة .. إنهم أعداء الاسلام الحقيقيون ، الذين يجب التنبه لهم ، والقعود لهم بكل مرصد ..

فهل من صحوة تخمد النفاق ، وتحكم عليه الخناق ، ليحل الوفاق ، ونطرد من دنيا المسلمين أشباح الشقاق ؟

ذلك ما نرجو !! وعلى الله قصد السبيل ..

مِن هَدي النبوّة

وهذا أُهْدِيَ إليَّ

للاستاذ : محمد محمد حلاوة

عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني اسد يقال له ابن اللتبية على صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى الي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا أهدى الي ، فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى له ام لا !!

والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، اوشاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! »

رواه البخاري ومسلم

تربط الناس بعضهم ببعض روابط كثيرة ومختلفة ، سنة الحياة ، ولن تجد لسنتها تبديلا وتتعقد هذه الروابط وتتشابك كلما تقدمت المجتمعات البشرية عمرانا وحضارة ، ذلك لأن الانسان لا يمكن ان يعيش بمعزل عن الآخرين ، لانه في حاجة اليهم ، وهم في حاجة اليه .

وتختلف هذه الروابط في طبيعتها ، واهميتها ، واثرها ، والدائرة التي تعمل في نطاقها اختلافا كبيرا ، وان كانت كلها تلتقي عند نقطة واحدة ، وتتجمع على هدف واحد هو سعادة الفرد ، وسلامة المجتمع . فالرابطة الزوجية مثل تحدد العلاقة بين الزوج وزوجته ، وما لكل قبل الآخر من حقوق ، وما عليه له من التزامات ، ومحيطها لا يتعداهما ، ورابطة الصداقة تحدد العلاقة بين اثنين او اكثر من الاصدقاء .. وهكذا . ومن الروابط ما يتسع مداه فيشمل فئة خاصة ، او مهنة معينة ، اوقطاعا من القطاعات ، اومؤسسة من المؤسسات ، ومنها ما ينتظم الامة كلها ، وقد تمتد فتشمل الانسانية بأسرها .

وقد وضع الاسلام لهذه الروابط جميعها ، وفي كل صورها وحالاتها من القواعد المحكمة ، والضوابط المنظمة ، وسن لها من الاحكام والقوانين ـ ما يكفل للانسان هناءته في الدنيا ، وسعادته في الاخرة ، ولم يترك ثغرة من الثغرات الا سدها ، ولا شبهة الا ازالها ، ولا غموضا الا وضحه ، ولا تساؤلا الا أجاب عنه ، فكان بحق خاتم الديانات : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣

ويفيض كتاب الله سبحانه وتعالى ، واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يبهر ويسحر ويعجز : فمن الكتاب : (**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض**) آل عمران / ١٩٥ : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء / ٢٣ و ٢٤ (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**) النساء / ٣٦ (**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ..**) الاسراء / ٣١ (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣ .

ومن السنة : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما النساء شقائق الرجال » اخرجه أبو داود . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم . لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره . بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه . ان الله لا ينظر الى صوركم واجسادكم ، ولكن

ينظر الى قلوبكم واعمالكم . التقوى ها هنا . التقوى ها هنا ـ ويشير الى صدره ـ الا لا يبع احدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا » رواه مسلم .
وعن أبي نضرة : حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، الا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى » اخرجه الامام احمد .
غير ان النفس البشرية بما جبلت عليه من جشع ، وغرور ، وانانية ، وبما ركب فيها من غرائز حب السيطرة ، والسيادة ، والتملك ، والجاه ، والمجد ، والشهرة ، وامام مفاتن الحياة ومغرياتها ـ وجدت في هذه القواعد ، وتلك الاحكام ما يمسك بعنانها ، ويوقف من جماحها ويقف في سبيل اطماعها ونزواتها ، فحاولت ولا تزال تحاول ، وفي صراع عنيف مستميت ان تتحلل منها ، او تبتعد عنها ، او تخرج عليها ، ولجأت في ذلك الى اساليب مختلفة وملتوية بعضها يعتمد على القوة والطغيان وبعضها يعتمد على الحيلة والدهاء ، وجميعها تتحالف مع الهوى والشيطان ، فكان الاستبداد والاستعباد ، والتسلط والتعدي والظلم والنهب ، والغش والاحتيال والكذب والنفاق ، والرشوة والهدايا ، وغير ذلك كثير وكثير .. وتحت ستار (الغاية تبرر الوسيلة) و(البقاء للاقوى) وغيرهما من الشعارات الخادعة اخذت الوصولية تمد مخالبها وانيابها تفترس كل حق ، وتلتهم كل خير ، وتبتلع كل حب ، وتمزق كل وئام .
وقد تفشت الرشوة في السنوات الاخيرة تفشيا ظاهرا كاسلوب رخيص للوصول واصبح بها كل شيء يباع حتى الذمم والضمائر .
وانتهى الامر بالهدية فاصبحت رشوة مقنعة بل صارت مكشوفة حتى انه ليصعب عليك ان تفرق بينهما ، ان خيطا واهيا جدا ، ودقيقا جدا يكاد لا يبين يفصل بين الهدية محرمة ، والهدية مباحة ، فاي صديق يهدى صديقه ، ثم لا تحدثه نفسه او تراوده . بشيء ما اي شيء !! وكم زوجا يهدي زوجته هدية ثم لا ينتظر ردا او مقابلا !! وهل لا تؤثر الهدايا من الآباء لابنائهم ، اومن الابناء لآبائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الآباء لابنائهم او من الابناء لآبنائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الاباء !! فما بالك اذا كانت الهدية من مرءوس لرئيس ، او محكوم لحاكم ، او صاحب حاجة لمن يملكها !! ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد ان سمع قول عامله ابن اللتبية : « هذا لكم وهذا اهدي الى » قام من فوره وصعد المنبر متعجبا منه ومنكرا عليه « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي !» ثم زاجرا له ومعنفا « فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ؟! » ثم منذرا اياه ومحذرا من مغبة هذا الجرم العظيم مؤكدا ذلك بالقسم « والذي نفسي بيده لا يأتى بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تبعر ، ولا يكتفي بذلك بل يرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى ابطيه منبها المسلمين ، وكأنما

يشهد الله عليهم « الاهل بلغت . الا هل بلغت . الا هل بلغت » .
والان فمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيش في رحابه لحظات : « فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال » استخدام الفاء الدالة على التعقيب هنا يدل على ان الموضوع الذي سمعه من عامله موضوع خطير لا يحتمل التأخير ، وقيامه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام دلالة على ذلك ، وعلى مدى اهتمامه به ؛ وصعوده المنبر يؤكد هذا الاهتمام ، واستخدام ثم بعد « واثنى عليه » درس عظيم نتعلم منه الا يشغلنا عن حمد الله وشكره شاغل مهما كان عظيما وخطيرا .
« ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي ! » .
يتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم مما صنع عامله ، ويستنكر عليه ذلك باسلوب الاستفهام « ما بال العامل » ، والتعقيب في « فيأتي » بعد « نبعثه » يفيد سرعة استجابة المسلمين للعامل في جمع الصدقات ، وطاعتهم لاوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحذف الجملة الاولى من كلام عامله « هذا لكم » لتسليط الاضواء على القضية الاساسية ، وهي الهدية ، و« اهدي الي » مبنية للمجهول اما للاختصار او للرغبة في عدم التصريح باسماء المهدين لسبب او لآخر ، او لكلا الامرين معا .
« فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ! »
تعنيف شديد من الرسول صلى الله عليه وسلم لعامله يزيد في شدته هلا الدالة على الزجر ، والتعبير بلفظي ابيه وامه ، وهو يشير في الوقت نفسه الى مبعث الشبهة في الهدية ، فلولا هذا المنصب الذي اسند اليه ما احس احد به ، ولا فكر في اهدائه وكلمة « ينظر » هنا تناسب الموقف تماما ، فان الامر فعلا في حاجة الى التأمل الواعي ، والتدبر العميق .
« والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تبعر » .
تصوير بياني رائع يستبشع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اقدم عليه عامله من قبول الهدايا هكذا وبسهولة كان ليس في الامر شيء ، ويبين فيه ما ينتظره من عقاب اليم يوم القيامة ، يصدر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التصوير بهذا القسم العظيم الذي يختاره في مواقف معينة لاهميتها وخطرها ، ويستخدم فيه كلمة « شيء » لتحقير الهدية ايا كان شأنها وينكرها لتعم كل هدية صغرت ام جلت ، قلت ام كثرت ، ويأتي بالمضارع « يحمله » لاستحضار الصورة حتى تتضح بشاعتها فيكون ذلك ادعى الى النفور منها ، ويختار كلمة « رقبته » مع ان الحمل اساسا يكون على الرأس والظهر والكتفين امعانا في الاذلال والخزى ، وايماء بوطأة الالم ، وللاشارة الى انه بقبول الهدية قد قتل نفسه ، فان الرقبة مقتل من مقاتل الانسان ، وتتواكب كلمات البعير والبقرة ، والشاة والرغاء ، والخوار ، لتستكمل الصورة جوانبها الفنية صوتا ولونا وحركة ، في لفظ سهل ، وعبارة

واضحة ، ونسق جميل بديع .
ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الاهل بلغت الا هل بلغت ، الا هل بلغت ، رفع اليدين في حد ذاته يسترعي الانظار ، فاذا جاوز المعتاد كان ذلك بمثابة انذار شديد يقرع الاذان ، ويفتح الاذهان لتكون على اقصى درجة من الاستعداد لتقبل ما يلقى عليها وتدبره ، ويأتي التنبيه بعد ذلك في « الا » والاستفهام الذي يقصد به التقرير في « هل » والتكرار ثلاث مرات ، ليستقر الامر في النفوس ، ويرسخ في العقول ، ويصبح عقيدة ويقينا في القلوب ،
وليس بخاف بعد هذا التحليل لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدية تحمل في طياتها اشياء واشياء ، وتخفى وراءهامعاني ومعاني وبخاصة اذا كانت في المقدمة اليه يظنه نفع قريب او بعيد ، واقع او محتمل ، مما يلقي ظلالا قاتمة عليها ، ويلبسها ثوب الشبهة ، بل الحرمة « ان الحلال بين وأن الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .
ولعل هذا هو السر فيما درج عليه ائمة المسلمين في العصر الاول من التوقي الشديد والتحرز الكامل في محاسبتهم لانفسهم ، ومحاسبتهم لعمالهم وولاتهم مما سجلته كتب التاريخ والسيرة باحرف من نور . ولا يأخذنك العجب ، فلو عرفت ما تجره الهدايا والرِّشا علىالمجتمع الاسلامي اليوم من مآس ومخاز ، وآثام لجزعت وفزعت وانك لتسمع وترى في ذلك ما تقشعر له الابدان ويندى له جبين الزمان ، فكم ظلمت وحابت . اعطت من لا يستحق ، ومنعت من يستحق . ورفعت مغمورين ، وغمرت موهوبين اخرت كفاءات وقدمت « نفايات » قلبت الحق باطلا ، والباطل حقا ..
وها هم اولاء ضحاياها في كل مكان آدهم البؤس وحطمهم اليأس فكفروا بالقيم وكفروا بالحياة .
وقد تنبهت بعض الحكومات الى ما تحدثه الهدايا من تمزق في المجتمع ، وما تنفثه فيه من سموم الحقد والعداوة والبغضاء ، وما تجره عليه من ويلات فحرمت تقديم الهدايا الى الرؤساء ، وفي الحفلات خاصة وعامة وفرضت على من يقدمها ويقبلها عقوبة رادعة .
وبعد فلا حرج في الهدية في مناسبتها المشروعة : خطبة ، زواج ، نجاح .. اذا خلت من الغرض ، وكانت خالصة لله ولم يتبعها من ولا اذى ، ولم يستغلها المهدي أو المهدي اليه فيما يخرج بها عن معناها الاسمى : التقدير والحب والوفاء .
نسأل الله ان يلهمنا السداد والصواب ، وان ينأى بنا عن مواطن الشبهات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والله اعلم ،

وقفة تأمل

لا تعجب

● في عصر حضارة القرن العشرين .. في عصر منظمة « الأمم المتحدة » .. في عصر « مجلس الأمن الدولي » في عصر « غزو الفضاء » و « التكنولوجيا » .. وفي ظل « حقوق الانسان » ومع دعوات « الحرية » و « التقدمية » .. وفي عصر « الاستقلال » والتحرر من الاستعمار .. ياسعادة انسان القرن العشرين !!

● فالدولة العظمى « امريكا » أليست هي صاحبة « تمثال الحرية » الشهير ؟ ومن اجل هذا فلا فرق بين « السود » و « البيض » على ارضها .. وهي تقف بحزم في وجه العدوان مهما كان مصدره .. ولذا فانها بعد ان ضربت بيد اسرائيل وقنابلها « العنقودية » ثم « الفراغية » أرغمت المعتدين الآثمين « من الفلسطينيين » المشردين على الخروج من « بيروت » والى اي مكان .. جزاء صمودهم ، وقيامهم في وجه الغزاة ، وعنادهم واصرارهم على مقاومة « المصلحين » من بني اسرائيل .. تلك هي الحرية التي تعرفها امريكا ..

● والدولة العظمى « روسيا » أليست هي ناصرة الشعوب المقهورة ؟ اليست هي الواقفة بحزم الى جانب حركات التحرر في العالم ؟ وهي لذلك تساند الحكومة الأفغانية في مواجهة الثائرين المسلمين المجاهدين .. والذين يرفضون تواجد القوات الروسية في بلادهم .. وهي ما جاءت الا لانقاذهم .. وليس لاذلالهم !!

● والدول المتطورة .. ألم تحاول ازالة مظاهر التخلف في العالم بمساعدة « جنوب إفريقيا » « وإثيوبيا » و « إسرائيل » وغيرها لتتولى مهمة التغيير بابادة شعوب لا حق لها في الحياة ..

● ودول العالم الثالث .. يتولى قيادة الحكم فيها زعامات وطنية لا ترضى لشعوبها الا الحياة الفاضلة الهادئة العاقلة .. ولهذا فانها تضع « المشاغبين » في غياهب السجون ، وتذهل « الخارجين » عن سلطانها حتى عن اسمائهم .. وتحل دماءهم واموالهم واعراضهم حتى تنعم الشعوب بالحياة الناعمة في ظل « الزعيم الملهم » أو « القائد الفذ » أو « البطل الهمام » .

● أرأيت أخي حضارة القرن العشرين ، وكيف انقلبت المفاهيم رأسا على عقب .. وأفرغت الأسماء من مسمّياتها .. ورفعت شعارات بلا مضامين .. بل دلّت الأسماء والشعارات على النقيض تماما .. فالحرية تعني العبودية .. ونصرة الضعيف تعني امتصاص دمه حتى النقطة الأخيرة .. والمعتدي الطاغي هو المغلوب على امره المقهور الارادة .. ولا تعجب .. فلم يعد هناك موطن للعجب في زمن العجائب والغرائب .. حيث اصحاب الأرض السليبة .. والمشردون في الخيام .. الحالمون بفجر جديد .. المحاصرون من الطغاة الآثمين .. الصامدون في وجه الاجرام القبيح .. يجبرون على الرحيل .. والى اين ؟؟.. وعلى مرأى من الاخوة والأهل والعشيرة .. ياعار القرن العشرين .. للاسلام عودة .. ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله .

لماذا كان الدين عند الله الاسلام

للاستاذ : محفوظ امين غريب

إذا قرأ إنسان مادة « سلم » في معجم من معاجم اللغة وجد ان المعنى المجرد لكلمة « إسلام » هو الانقياد والاستسلام والاذعان بلا اعتراض .

وبناء على هذا يثبت لكل ذي عقل وبصر إن المقصود بكلمة « إسلام » من ناحية علاقة الانسان بربه الانقياد والإذعان والامتثال لله في امره ونهيه على لسان الوحي الذي جاء من عند الله على أيدي الرسل والانبياء :

(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا) النساء / ١٢٥

من أجل ذلك فان من يقرأ القرآن - المصدق لكتب السماء كلها - يجد فيه

ما يدله على أن الاسلام دين الرسل والأنبياء من لدن آدم حتى الرسالة الخاتمة التي جاء بها خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله ..

إن نوحا عليه السلام - بعد أن جاهد جهاد أولي العزم في تبليغ الوحي - حذر قومه من الإعراض، وأعلن في قوة أنه مستمسك بعروة الاسلام الوثقى، امتثالا لأمر الله: **(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)** يونس / ٧١ و ٧٢ .

ولنتفكر في دعاء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان قواعد البيت الحرام، فقد دعوا الله أن يجعلهما مسلمين، ويجعل من ذريتهما أمة مسلمة له تعالى، وأن يبعث في آخر الزمان رسولا من ذريتهما ليضع اللبنة الأخيرة التي تعطي صرح الاسلام الصورة النهائية الكاملة، فكان هذا الرسول الخاتم هو محمد عليه الصلاة والسلام: **(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)** البقرة / ١٢٨ و ١٢٩ .ووصى ابراهيم أبناءه بهذه الملة، ملة الاسلام، ووصى يعقوب عليه السلام بها أيضا بنيه؛ لأنها ملة لا يعرض عنها إلا من أذل نفسه واستخف بها وأخضعها للأوهام والأضاليل: **(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة / ١٣٠ - ١٣٣ .

وما دعا لوط عليه السلام إلا إلى الاسلام، فها هم الملائكة الذين كلفهم الله تعالى بقصف قوم لوط بالحجارة يستثنون من القصف بيتا أهله مسلمون: **(قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)** الذاريات / ٣٢ - ٣٦ .

وتحكي قصة يوسف عليه السلام أن يوسف كان يقر بفضل الله عليه ويدعو ربه أن يتوفاه مسلما: **(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا**

والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)يوسف / ١٠١

ولقد بث موسى عليه السلام في قومه روح الاسلام ليصمدوا أمام جبروت فرعون : (**وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**)يونس / ٨٤ .

ولهذا أشهد فرعون العالمين ـ حين أشرف على الغرق ـ أنه مسلم ، وقد جعل الله تعالى من إسلامه ، الذي جاء متأخرا بعد يأسه من النجاة وكان قبل عاصيا فاسدا ، جعل الله من إسلامه آية للناس أجمعين ، فنجاه ببدنه من أجل إسلامه : (**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**)يونس / ٩٠ ـ ٩٢ .

ويشهد واحد من الطير أن سليمان عليه السلام قد دعا الى الاسلام ؛ فلقد ذهب « الهدهد » من قبل سليمان يحمل إلى « بلقيس » ملكة سبأ وقومها دعوة الاسلام :(**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يأيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين**)النمل / ٢٠ ـ ٣١ .

وهدى الله « بلقيس » الى دين الفطرة ، دين العالمين ، فهتف انها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين :(**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)النمل / ٤٤

وقد أشهد أنصار عيسى ـ عليه السلام ـ الله تعالى انهم مسلمون ليميزهم بإسلامهم من الكافرين الذين كفروا بالوحي الذي جاء به عيسى من عند الله (**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**)آل عمران / ٥٢ و ٥٣

وكان هذا الوحي المنزل بالاسلام موصولا يتبع بعضه بعضا ، ليتصل تذكير الناس حتى يكونوا من

المهتدين ، ولذا آمن ذوو القلوب والعقول النقية من أهل الكتاب بالقرآن ، خاتم الوحي ، وأقروا أنه الحق من ربهم وأنهم مسلمون قبل إنزاله :

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص / ٥١ ـ ٥٣

إن مضمون هذا الوحي المتصل من لدن آدم حتى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه لا إله إلا الله فاعبدوه أيها الناس في كل زمان ومكان : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** الانبياء / ٢٥ .

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل / ٣٦

وقد اخذ الله تعالى على النبيين كلهم عهداً موثقا بتبليغ هذا الدين الواحد :

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما) الاحزاب / ٧ و ٨

وإذا قارن إنسان بين معجزات الرسل وبين معجزة محمد عليه الصلاة والسلام لوجد أن معجزة كل رسول قبل محمد حسية ، وأن معجزة محمد عقلية ، وما علة ذلك الا أن كل رسول قبل محمد قد أرسل لقومه خاصة وأما محمد فهو رسول البشرية كلها . وهذا يقنع ذوى الألباب بفكرة خلود معجزة القرآن الكريم مبرأ من التحريف والتبديل الى أن يرث الله الارض ومن عليها : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩

إن الله تعالى شاء أن تكون رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي المرحلة النهائية لرسالات السماء ؛ لتوائم آخر مرحلة يصل إليها عمر البشرية العقلى ، فالحكيم الخبير سبحانه شاء أن ينزل وحي الاسلام مجزأ وفق عمر البشرية العقلى ووفق حاجات الأمم والأجيال ؛ فالاسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام أشمل مما جاء به موسى عليه السلام وما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أشمل وأوسع مما جاء به الرسل جميعهم : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** النحل / ٨٩ ولذا كانت بعثة محمد مؤيدا بالقرآن إكمالا لصرح الدين : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة / ٣

لا شك ـ بعد هذا ـ في أن أي انسان منصف يتقبل بقبول حسن ما جاء في حديث محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاّ وضعت

هذه اللبنة فأنا تلك اللبنةوأنا خاتم النبيين » أخرجه الشيخان .

ولا شك أيضا في أن هذا الانسان المنصف لن يجد حرجا في تقبل ما جاء في حديث شريف آخر رواه الامام « أحمد » في مسنده حول نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان لينشر الاسلام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الانبياء إخوة لعلات ،دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين ممصرتين ـ هي الثياب التي تميل الى الاصفرار ـ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك في زمانه المسيح الكذاب وتقع الأمنة في الارض حتى ترتع الابل مع الأسود جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ».

ولعله قد تجلى الآن لذوى العقول والأبصار أن الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام هو خاتم الرسالات ، وأن البشرية كلها أمة محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) ـ الاعراف / ١٥٨ (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)سبأ / ٢٨

ويتجلى أيضا لذوى العقول والابصار ان تعدد الأديان أمر لم يرد به نص ، ولا يتقبله ذوو القلوب السليمة ، وإلا فليأت أحد بما يثبت أن كلمة (دين) جمعت على أديان :(**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**)البقرة/ ١٣٥ ـ ١٣٨ فليهنأ المسلم بالاسلام ويعتصم به ، وليحذر الذي يبتغي غير الاسلام دينا ويحاسب نفسه ؛ لأن رب العالمين قد حدد الطريق الأوحد لفوز الانسان في الدنيا والآخرة حين قال في القرآن خاتم كتب السماء :(**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)آل عمران / ١٩ (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)آل عمران / ٨٥

حج البيت

في القرآن والسنة

للاستاذ / : محمد نعيم عكاشة

.. سجل الاسلام منذ اكثر من اربعة عشر قرنا أعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ حتى وقتنا هذا ..

فأين العالم اليوم ـ شرقه وغربه ـ من المبادىء الانسانية التى أرساها نبي الاسلام في خطبته المشهورة بعرفة .. ووفرت للناس الأمن والامان في النفس والمال والعرض ..؟! اين ..؟!

في كل عام تتجدد الرحلة الروحية المباركة الى بيت الله الحرام .. وتزحف على مكة وفود الحجيج القادمة من شتى بقاع الأرض لاداء فريضة الحج .. والنزول في ضيافة الرحمن .. والعيش في الرحاب المقدمسة اياماً معلومات ..

وترى الاعناق وقد أشرأبت الى السماء .. والألسن تلهج بالدعاء .. ونداء التوحيد يتردد في جنبات الوادي وبين المشاعر الحرام ..

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » ..

ويغطي الارض الطهور على امتدادها القائمون والركع السجود .. الكل في تجرد وايمان وصفاء ومحبة .. والتماسا لمغفرة الله .. وطلبا لعفوه ورضاه ..

وداخل البيت العتيق وحول الكعبة المشرفة (قبلة المسلمين) تتدافع وفود الحجيج ، وتتلامس الايدي والاكتاف في دوران منتظم .. سبعة اشواط بالتمام والكمال .. طواف قدوم وعبادة ..

فسبحان من بيده ملكوت السموات والارض .. سبحان خفي الألطاف .. وعالم الأسرار ..

وتزدحم النفس بأحداث الماضي المجيدة .. فمنذ أربعة عشر قرنا أو يزيد ، انبعثت من ارض الجزيرة العربية انوار الرسالة المحمدية . تبشر بدين جديد افاء على العالم كله حضارة وعدالة وأمنا ..

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر .. وتستشعرها الانسانية في كل مكان .. ذكريات غالية تملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم .. ذكريات ارض النبوة .. ومهبط رسالة التوحيد ، ونزول القرآن الكريم .. وفي كل خطوة على طريق الحج تتجلى اروع صور المساواة في الاسلام .. بين فرد وآخر .. بل الكل سواء في لباس متحد الشكل ، ناصع البياض .. تحركهم عقيدة واحدة .. وتدفعهم من مكان الى مكان فريضة معلومة من الدين بالضرورة ..

وتتفاعل المشاعر في بوتقة الايمان .. ويعكف القلب على الاستزادة من العبادة والضراعة والاستغفار .. واحد احد بيده الملك .. واليه المصير ..

وتتوارد الخواطر عن حلاوة الايمان .. وسعادة الانسان في ظل الله .. وشقاء البشر بالنظم المادية وقوانين الارض ..

الشيوعيون والماديون فقدوا الطريق ؟! .. وباطلهم ضد الحج مردود عليه

وأي تعاسة للماديين الذين غرقوا في بحور الاهواء والشهوات .. وشاعت في مجتمعاتهم موجات عارمة من الانحلال والتمزق والاكتئاب النفسي .. وأدت الى الكثرة من حالات الانتحار بين الأفراد بصورة مزعجة وكئيبة ..؟!

وما اشده من بؤس للشيوعيين الذين تفننوا في تأليه الحاكم الفرد المخلوق الى زوال ؟!.. وانكار الخالق الواحد الحي القادر على كل شيء .. ان العقول المادية ما فتئت تهاجم الحج وأعماله في الاسلام ، وهي بلا شك عقول قاصرة على ادراك حقيقة العبودية لله ، والامتثال لأمره في اصل من أصول التكليف .. بل وكيف يستقر للشيوعيين الفهم الصحيح وقد ترسبت في أعماقهم منذ الصغر تعاليم ماركس ولينين الباطلة ؟!..

ويجيء الرد قاطعا على اولئك وهؤلاء في قوله تعالى :

(ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (سورة ال عمران /٩٧)

ـ فحمدا يارب وشكرا على الايمان ونعمة الاسلام ..

الحج في الاسلام .. وما قبله

والحديث عن الحج في الاسلام يستهوي الفؤاد ولا ينتهي .. ونكتفي هنا بلمحة سريعة عن فرضيته وحكمته ..

فقد علم الحق تبارك وتعالى ابراهيم الحج .. وعلمه ابراهيم للناس ، أذن بالحج : أي أعلنه : توجه ابراهيم عليه السلام الى الجهات الأربع جهة بعد أخرى ينادي بالحج .. ثم حج باسماعيل ومن معه من المسلمين من جرهم سكان الحرم آنذاك ..

ومن يومئذ صار الناس يحجون .. **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)** (سورة الحج / ٢٧ و٢٨)

وكان الحج معروفا من قبل في الجاهلية ، فكانوا يحجون قبل الاسلام ، ويطوفون بالبيت وهم عراة على عادة العرب في ذلك .. فلما جاء الاسلام ازال ما أصرفوا فيه من الشرك والمنكرات ، وزاد فيه من العبادات .. كما كان موجودا في الشرائع السابقة ، حتى لقد قيل ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بان الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت .. وادعى ابن اسحاق : ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا حج .. وادعى غيره : انه ما من نبي الا حج ..

والدليل على ان الحج كان في العرب قبل الاسلام ، آيات في القرآن الكريم ، وأحاديث في كتب الصحيح ، وأخبار في كتب السيرة والتاريخ ..

أما الآيات والأحاديث ، فمنها قوله تبارك وتعالى في سورة الحج :

(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وإذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (الآيتان : ٢٦ و٢٧)

وقوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع

خيرا فان الله شاكر عليم) (الآية : ١٥٨)

روي البخاري ومسلم عن الشعبي قال : كان صنم بالصفايدعى اساف ، ووثن بالمروة يدعى نائلة ـ فكان اهل الجاهلية يسعون بينهما ، فلما جاء الاسلام رمي بهما ، وقالوا : انما كان ذلك يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم ، فامسكوا عن السعي بينهما ، فانزل الله تعالى :**(ان الصفا والمروة من شعائر الله)**

حج المسلمون .. وكفر به غيرهم !

وجاء في بعض الروايات انه لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل الملل من مشركي العرب والنصارى واليهود والمجوس والصابئين وقال لهم :

« ان الله قد فرض الحج فحجوا البيت »

فلم يقبله الا المسلمون وكفر به غيرهم ، وقالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي اليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله سبحانه وتعالى :

(ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (سورة آل عمران : ٩٧)

السنة تفصل مجمل القرآن

وقد بين الله سبحانه المواقيت الزمانية للحج في قوله تبارك وتعالى :

(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب) (سورة البقرة : ١٩٧)

وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أماكن واسماء مواقيت الحج في السنة النبوية المطهرة التي تكفلت بتفصيل ما أجمل القرآن الكريم .. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له أمر تبيين ما جاء في القرآن مجملا بقوله تعالى :

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(سورة النحل : ٤٤)

فكل بيان من الرسول بمجمل في القرآن ، فهو عن الله ..

مكانة الحج في الاسلام .. ووجوب نفقته الطيبة

والحج في الاسلام دعامة من دعائم الدين ، وركن من أركانه الخمسة الذي لا يستقيم اذا قصر المرء في واحد منها .. لقوله سبحانه وتعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

وقد جاء فرضه بنص القرآن في سورة آل عمران : **(إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** (٩٦و٩٧)

ورجح العلماء ان فرض الحج كان في سنة ست من الهجرة ولكن لعدم استطاعة المسلمين الحج ومكة في ايدي المشركين ، لم يحجوا الى ان فتحت مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة ، ولما استقر الامر فيها رجع رسول الله بمن معه الى دار هجرته ، وولى امر مكة عقاب بن اسيد بن ابي العيض بن امية ، وجعل معه معاذ بن جبل ليعلم الناس الفرائض والسنن ، الى ان كانت سنة تسع - وقيل هي التي فرض فيها الحج ..

وكل ما ورد في القرآن في شأن الحج تضمنته سور مدنية ، لأنه فرض في المدينة بعد فتح مكة الا أربع آيات من سورة الحج نزلت بين مكة والمدينة والنية الصادقة الخالصة لوجه الله أساس لاداء الفريضة .. والاستطاعة مشروطة بالمال الحلال والنفقة الطيبة .. قال الامام احمد رضي الله عنه : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » .. وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « اذا خرج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور .. واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الفرز ، فنادى : لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مأجور .. »

وحسب المرء بعد ذلك ان ينزل في ضيافة الرحمن .. وبين عباده المخلصين .. ويعيش وسط ساحة كريمة لتتجلى فيها وحدة المسلمين .. وتتقوى في رحابها الروابط الاخوية وتتدعم الصلات بين جماهير المسلمين في العالم قاطبة ..

وحسبه ان ينتقل بين مواقع الأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ .. ويستحضر في قلبه عظمة الداعي وجلال الدعوة ..

امتاع للروح والقلب .. ومغفرة للذنب

وأي سعادة تغمر من كتب الله له الحج وشرف الزيارة .. انه يعود من رحلته الروحية هذه وقد ازداد شوقا للحج مرات ومرات .. وعاش حياته تواقا الى تكراره على الدوام ..

واي امتاع للروح والقلب في ممارسة شعائر تلك الفريضة .. والوصول عن طريقها الى رحمة الله ومغفرته ..

سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » - رواه

البخاري

وقال - صلى الله عليه وسلم - « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » - رواه البخاري وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان ..

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » - رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه .. وفي رواية للترمذي : انه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -

ومن الثابت ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحج البيت الا مرة واحدة بعد فرض الحج وكان في السنة العاشرة للهجرة ، وان المسلمين حجوا الى البيت في السنة التاسعة - بعد سنة فتح مكة - وكان على رأسهم ابو بكر الصديق ، ولم يحج معهم في تلك السنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال ان السبب في هذا ان المشركين كانوا لا يزالون مستندين الى صلح الحديبية وكانوا يدخلون المسجد الحرام ، ويطوفون بالبيت عراة على عاداتهم في الجاهلية ويباشرون حول الكعبة طقوسهم الوثنية ، فالرسول اراد ان يؤجل حجه عاما حتى يتم تطهير البيت الحرام من شعائر الوثنية ، ولهذا بعث علي بن ابي طالب مع أبي بكر وامره اذا اجتمع الناس بمنى يوم النحر ان يذيع فيهم رسالته التي تضمنت : ان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .. وتطهير الكعبة من الوثنيين ووثنياتهم بعد ان طهرها رسول الله عام الفتح من اصنامهم واوثانهم خلصت الكعبة رمزا لعبادة الله وحده ، وعادت كما طهرها ابراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فلما جاء موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين لاداء فريضة الحج .. وهذه هي المرة الوحيدة التي حجها رسول الله عليه الصلاة والسلام وسميت حجة الوداع .. اما عن ذهابه الى البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة فمن الراجح انه كان للعمرة وليس للحج كما قيل ..

ووصاياه في حجة الوداع

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله واثنى عليه : ثم قال :

● ايها الناس :

اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا ..

● ايها الناس :

ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم .. وقد بلغت .. فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .. وان

كل ربا موضوع (مهدر) ، وإن لكم رءوس اموالكم لا تظلمون وتظلمون .. قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .. وان كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وان اول دمائكم وضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو اول ما ابدأ به من دماء الجاهلية ..

● **ايها الناس :**

انما النسيء (تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .. وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض .. وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ..

● **ايها الناس :**

اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ..

وان الشيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم هذه ابدا . ولكنه ان يطع فيما سوى فقد رضي به مما تحقرون (تستصغرون) من اعمالكم ، فأحذروه على دينكم ..

واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهنّ شيئا .. وانكم انما اخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ..

فاعقلوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .. وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟..

قالوا : نشهد انك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت ..

وطفق ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ان خطب في الناس يقول : الله أشهد وودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع » ..

اعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ

ـ وهكذا ..

سجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبته بعرفة اعظم وثيقة لحقوق الانسان .. وحدد النهج القويم الذي تسير عليه امته من بعده ..

فأين المتشدقون بالحريات اليوم من هذه المبادىء الانسانية التى ارساها نبي الاسلام منذ اربعة عشر قرنا او يزيد ...؟!

اين هم من البيان المحمدي الخالد ونحن نرى في معظم دول العالم .. الحريات منتهكة .. وحقوق الانسان مهدرة .. والاخلاق في انحدار .. والفضيلة مذبوحة في كل مكان .. والجريمة شائعة بين الافراد بشكل مقلق ومخيف ..

نسأل الله ان يهدينا الى سواء السبيل .. وان يلم شمل المسلمين ، ويجمع قلوبهم على كتاب الله والعمل بشريعة الاسلام في شتى نواحي الحياة .

من حديث الحج

الوقوف بعرفات

تحدث القرآن الكريم عن عرفات والافاضة منه في آيتين وردتا في سورة البقرة في قوله تعالى : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**) البقرة/ ١٩٨ و ١٩٩ .

وقبل تفسير هاتين الآيتين وبيان ما تشتملان عليه من الأحكام يجدر الحديث في إيجاز عما يلي :

- ـ وصف عرفات .
- ـ حكم الوقوف به .
- ـ زمن الوقوف وشروطه .
- ـ سنن الوقوف .
- ـ حكمة الوقوف .

اما عرفات فهو ميدان واسع ، أرضه مستوية ، يبلغ نحو ميلين طولا في مثلهما عرضا ، وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ، ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف ، وفي شماليه جبل الرحمة ، وفي أسفل هذا الجبل الصخرات الكبار التى وقف عندها النبي صلى الله عليه وسلم .

والإفاضة منه

في القرآن الكريم

للدكتور/ محمد الدسوقي

ويقع عرفات في الجنوب الشرقي لمكة ، ويبعد عنها نحو خمسة وعشرين كيلو مترا .

وقد جاء عرفات على صيغة الجمع ، وقيل إنه جمع وضع لمفرد ، وحاول العلماء تعليل هذه التسمية فذكروا لها وجوها عدة ليس منها ما هو قائم على دليل صريح أو أصل لا يحتمل خلافا ومن ثم كانت كلها اجتهادات ، ومن هذه الوجوه أن آدم وحواء التقيا بعرفة ، فعرف احدهما صاحبه ، فسمي اليوم يوم عرفة ، والموضع عرفات ، أو أن آدم علمه جبريل مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له : أعرفت ؟ قال : نعم ، فسمي عرفات ، أو أن إبراهيم عليه السلام عرفها حين رآها ؛ أو أنه وضع ابنه اسماعيل وأمه هاجر بمكة ، ورجع إلى الشام ، ولم يلتقيا سنين ، ثم التقيا يوم عرفة بعرفات ، أو أن الحجاج يتعارفون فيه إذا وقفوا ، أو أن الله تعالى يتعرف فيه إلى الحجاج بالمغفرة والرحمة ، أو أن الحجاج إذا وقفوا في عرفة اعترفوا لله بالربوبية والجلال والصمدية والاستغناء واعترفوا على أنفسهم بالفقر والذلة والمسكنة والحاجة . (انظر تفسير القرطبي جـ٢ ص ٤١٥ ، والمنار ٢ ص ٢٣٢ .)

وقال بعض العلماء : أصل عرفة وعرفات من الصبر ، يقال : رجل عارف إذا كان صابرا خاشعا ، ويقال في المثل : النفس عروف وما حملتها تتحمل ، فسمي

بهذا الاسم ، لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وانواع البلاء واحتمال الشدائد لاقامة هذه العبادة .

وذكر صاحب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز في الجزء الرابع ص ٥٧ ان عرفات سمي بهذا الاسم من باب التكريم ، فهذا المكان المقدس عرف ، أي طيب وحف بالخيرات والبركات لضيوف الرحمن الذين أتوا من كل فج عميق ، ضارعين لله يلبون ويكبرون ويسعون ويطوفون ، يرجون رحمة ربهم ورضوانه .

وأما حكم الوقوف بعرفات فان اجماع الفقهاء منعقد على أنه ركن من أركان الحج ، بل هو ركنه الأعظم ، فهو عمدة افعال الحج على حد تعبير الامام ابن كثير في تفسيره ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجته التي علم فيها المسلمين مناسكهم : « الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك » رواه الامام احمد وليلة جمع ، أي ليلة المبيت بالمزدلفة .

ولأن الحج الصحيح لا يكون بغير الوقوف بعرفات ، وهو معنى الحديث السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من فاته هذا الوقوف ـ وإن أدى سائر المناسك . لا حج له ، وعليه حج من قابل ، كما أن عليه الهدى في رأي أكثر الفقهاء .

ويبدأ زمن الوقوف بعرفات لدى الجمهور من زوال اليوم التاسع ، ويمتد الى طلوع فجر اليوم العاشر ، وخالف الحنابلة من حيث بداية وقت الوقوف لا من حيث نهايته وهو فجر اليوم العاشر فلا خلاف بين العلماء فيه ، فيرون ان زمن الوقوف يبدأ من فجر اليوم التاسع لا من زوال هذا اليوم كما يرى الجمهور .

واهم شروط الوقوف بعرفات أن يكون في وقته ، وان يكون الحاج اهلا للعبادة ، ناويا الوقوف ، خلافا لمن يرى صحته من زائل العقل بنوم ، او غيره ، او جاز بعرفات دون ان يعلم انها عرفات ، لأن الوقوف على هذا النحو لا يتلاءم مع روح التشريع وأغراضه السامية .

وليس المراد من الوقوف هو الحضور بعرفات كل الوقت الذي يراه أغلب الفقهاء وإنما يجزىء الوجود في هذا الوقت . ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار .

على أنه يصح الوقوف في أي مكان من عرفة ، فكلها موقف الابطن عرنة ـ وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة ! فان الوقوف به لا يجزىء بالاجماع .

ويذهب جمهور العلماء إلى أن من وقف بعد الزوال وافاض قبل الغروب فحجه تام وما رواه الترمذي عن عروة بن مضرس بن أوس قال :

« اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : يا رسول الله إني جئت من جبل طيىء أكللت راحلتي ، واتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى يدفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا او نهارا ، فقد تم حجه وقضى تفثه » .

والاخذ برأي الجمهور اولى ، لما فيه من التيسير وعدم الحرج ، فالحجيج في

العصر الحاضر عددهم غفير ، ولا يتيسر لجميعهم الجمع في الوقوف بين جزء من النهار وجزء من الليل .

ومن وقف بعرفة ليلا دون ان يقف نهارا فلا خلاف في تمام حجه ، كما انه لا خلاف فيمن وقف قبل الزوال ، وأفاض قبل الزوال ايضا ان وقوفه لا يعتد به .

ولا دم على من وقف بعد الغروب ، واختلف فيمن وقف بعد الزوال وأفاض قبل الغروب ، فمن يذهبون الى وجوب ان يأخذ الحاج من الليل شيئا يرون وجوب الدم على من افاض دون ان يتصل وقوفه بالليل ، ومن يرى سنية الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفات لا يرى وجوب الدم على من ترك هذه السنة ، وأفاض نهارا بعد الزوال .

وللوقوف سنن عديدة منها الطهارة ، والوقوف راكبا إن امكن ، والوقوف عند الصخرات التي وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن استطاع ، وهذا خاص بالرجال دون النساء ، والجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وأن يجمع بين جزء من النهار وجزء من الليل ، وان يتجنب كل ما لا يخلق به في هذا المكان كالمجادلة والمشاتمة ، والاساءة الى الناس ، وان يكثر من الدعاء والتضرع الى الحق تبارك وتعالى ؛ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للناس في عرفة : وقفت هاهنا « أي عند الصخرات » وعرفة كلها موقف ، وخير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلته انا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره ودعا وتضرع الى غروب الشمس رواه احمد والترمذي .

وقد اثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة بعض الادعية التي لا مجال هنا لذكرها ، وعلى كل من يقف بعرفات ان يكون له في رسوله اسوة حسنة فيكثر من الدعاء بما يشاء ، وان يكون دعاؤه تعبيرا صادقا عما يعيش في وجدانه من خشية الله وندم على ما كان من ذنوب واثام ، ورجاء في عفو الله ، واشفاق من عذابه وعقابه .

والوقوف بعرفات يذكر المسلمين في كل عام بنعمة اتمام الدين ، وتلك الخطبة الجامعة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وبين فيها طريق الحق من الباطل والحلال من الحرام في الامانات والاموال والدماء والنساء ، وان الامة ما دامت تعتصم بكتاب الله وسنة رسوله فلن تضل او تزل ، او تحرف او تبدل .

وفي تذكر هذا في يوم يباهي الله فيه ملائكته بهؤلاء الحجيج منفعة للمؤمنين في دنياهم واخراهم ، فهم بهذه التذكرة يشكرون الله على ما أنعم عليهم بنعمة الايمان ، وهم بهذا الشكر يعاهدونه سبحانه الا يستمسكوا إلا بما اوحي الى نبيه ، وان يجاهدوا في الله حق جهاده ، وهذا هو طريق الخير والسعادة في الدارين .

هذا ـ في ايجاز ـ ما يتعلق بعرفات والوقوف به ، أما الآيتان اللتان تشيران الى هذا الوقوف ، والافاضة الى المزدلفة ، فان الحديث عنهما يقتضي اولا الكلام في سبب نزولهما ، ثم يفصل القول بعض التفصيل فيما تشتملان عليه من المعاني والاحكام .

أما الآية الاولى فقد ورد في سبب نزولها عدة روايات يجمع بينها معنى التحرج من الاقدام على طلب الرزق بالتجارة ونحوها في موسم الحج ، وهو تحرج انشأه الاسلام في النفوس ، وجعلها لا تقدم على ما كان سائغا في الجاهلية من أعراف قبل ان يقول الاسلام كلمته فيها .

روى البخاري قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت : ليس عليكم .. »

قال ابن عباس : كان ناس من العرب يحترزون من التجارة في ايام الحج ، واذا دخل العشر (اي العشر الاولى من ذي الحجة) بالغوا في ترك البيع والشراء بالكلية ، وكانوا يسمون التاجر في الحج ، الداج ، ويقولون : هذا الداج وليس بالحاج ، ومعنى الداج المكتسب الملتقط ، وهو مشتق من الدجاجة ، وبالغوا في الاحترازعن الاعمال الى ان امتنعوا عن اغاثة الملهوف ، واعانة الضعيف ، واطعام الجائع فازال الله تعالى هذا الوهم ، وبين انه لا جناح في التجارة .. تفسير الفخر الرازي ج٥ ص ١٨٧ .

فسبب نزول الاية اذن هو ان العرب بعد الاسلام تخوفوا من التجارة ونحوها من اسباب طلب الرزق في موسم الحج ، وربما غلب على ظنهم انها محرمة عليهم ، فبينت الاية انه لا اثم ولا حرج في التجارة والابتغاء من فضل الله مادام ذلك لا يؤثر على اداء المناسك ، والقيام بها في إحسان وإتقان .

ويذهب الرازي في تفسيره الى ان الشبهة في حرمة التجارة في الحج كانت حاصلة لدى العرب من وجوه هي :

● ـ انه تعالى منع الجدال فيما قبل هذه الاية ، والتجارة كثيرة الافضاء الى المنازعة في قلة القيمة وكثرتها فوجب ان تكون التجارة محرمة في وقت الحج .

● ـ ان التجارة كانت محرمة في وقت الحج في دين الجاهلية ، وظاهر ذلك شيء مستحسن لان المشتغل بالحج مشتغل بخدمة الله ، فوجب الا يتلطخ هذا العمل منه بالاطماع الدنيوية .

● ـ ان المسلمين لما علموا أنه صار كثير من المباحثات محرمة عليهم في وقت الحج كاللبس والطيب والاصطياد والمباشرة مع الاهل غلب على ظنهم ان الحج لما صار

سببا لحرمة اللبس مع مسيس الحاجة اليه في أن يصير سببا لحرمة التجارة مع قلة الحاجة اليها كان اولى .

● ـ عند الاشتغال بالصلاة يحرم الاشتغال بسائر الطاعات فضلا عن المباحات فوجب ان يكون الامر كذلك في الحج .

فهذه هي الوجوه التي يراها الامام الرازي ، كما يراها سواه من المفسرين وان لم يفصلوا القول فيها على نحو ما فصل ـ مصدر ما كان يشعر به العرب بعد الاسلام من حرج الاقدام على التجارة في موسم الحج .

والذي يؤكد ما ذهب اليه المفسرون من ان نفي الجناح في الاية خاص بكل ما يتصل بالكسب من اعمال في اثناء مناسك الحج ان التعبير القرآني وهو « الابتغاء من فضل الله » ورد في عدة ايات ويتناول بوجه عام أنعم الله في البحر والبر ، ووجوب السعي لطلبها والحصول عليها : **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** النحل / ١٤ . **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** الجمعة / ١٠

وهذا التعبير يوحي للمسلم بانه لا يرزق نفسه بعمله ، وانما هو يطلب من فضل الله ، ومتى استقر هذا الاحساس في قلبه وهو يبتغي الرزق فهو اذن في حالة عباده لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه الى الله : في ظلال القرأن ج٢ ص ١٢٠ .

فمقدمة الاية طوعا لما سلف تبيح الكسب في ايام الحج اذا لم يكن هو المقصود بالذات ، وانه مع حسن النية وملاحظة انه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة ، وان التفرغ للمناسك في ايام اداتها افضل والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة اكمل تفسير المنار ج٢ ص ٢٣١ .

ونفي الجناح في الآية لا يعني ان الامر كان محظورا ثم ابيح ، وإنما هو لنفي الاثم الذي توهمه المسلمون إذا ابتغوا من فضل الله في موسم الحج .

وتشير الاية بعد هذا الى الافاضة من عرفات ، وذكر الافاضة من عرفات يقتضي سبق الوقوف به ، ومعنى الافاضة ، الدفع بكثرة او جملة ، ومنه افاض الرجل في الكلام ، اي اندفع فيه باكثار وتصرف في وجوهه ، وهذه الافاضة يجب ان تكون في سكينة وخشوع وخشية لله ، فلا مزاحمة ولا مجادلة ولا رفث في القول او الفعل ، وانما هي لحظات الصفاء والنقاء والاقبال على الله بالاكثار من التلبية والدعاء ، وقد

روى الشيخان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افاض من عرفات امر المسلمين بعدم الاسراع في التوجه الى المزدلفة ، فقد قال لهم : ايها الناس ، عليكم بالسكينة ، فليس البر بالايضاع ، « اي الاسراع » وكان عليه الصلاة والسلام يكف ناقته عن السرعة ، فيسير عنقا ، - اي سيرا متوسطا لا هو بالسريع ، ولا بالبطيء - ولا يزاحم احدا ، فاذا وجد فجوة نصَّ سيره ، اي زاد في سرعته .

والرسول بهذا يرشد الامة الى آداب الافاضة وما يجب ان يكون عليه المسلمون وهم يدفعون من عرفات ، إنهم يفيضون في جملة وكثرة ، فاذا لم تظلل افاضتهم السكينة واخلاق الصبر والسماحة والدفع بالتي هي احسن ، فقدت الخشوع والخضوع لله وصار المسلمون كانهم في حلبة سباق لا يعني كل منهم غير ان يصل قبل سواه ، وان اذى اخاه بالدفع والمزاحمة .

ثم تأمر الاية بعد الافاضة بذكر الله عند المشعر الحرام ، والمشعر هو المعلم ، واصله من قولك : شعرت بالشيء ، اذا علمته ، وليت شعري ، اي ليت علمي ، وشعار الشيء ، اعلامه ، وسمي ذلك الموضع بالمشعر ، لانه معلم من معالم الحج والعبادة ، ووصف بالحرام ، لحرمته .

وتتباين الروايات في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فمنها ما يذهب الى انه المزدلفة كلها ، وهي عبارة عن فضاء فسيح بين عرفات ومنى ، ومنها ما يرى ان المشعر الحرام تل صغير قليل الارتفاع اقيم عليه مسجد المزدلفة ، ومنها ما يرى انه المسجد نفسه انظر تفسير القرطبي ج٢ ص ٤١٦ .

ومهما يكن من اختلاف في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فان الامر بذكر الله واجب عنده ، سواء كان المقصود به المزدلفة كلها ام مكانا بها ، وهذا الذكر يشمل التهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن ، كما يشمل الجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير باذان واحد واقامتين ، فقد روي الامام مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، اي يصلي ..

والجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة كالجمع بين العصر والظهر بعرفات ، فكلاهما سنة .

وتكرر الاية الامر بذكر الله ، معللة هذا ببعض ما انعم الله على عباده **(واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)** .

انه امر بالذكر للشكر والثناء والاعتراف بفضل الله ، ونعمه لا تحصى وفي مقدمتها نعمة الهداية والايمان والخروج من الظلمات الى النور .

ويلاحظ ان القرآن الكريم قرن بين الامر بذكر الله ، وبعض ما انعم به على عباده في عدة ايات ، منها قوله تعالى في الاية التي بينت ان رمضان هو الظرف الزمني لفريضة الصيام وان الله رحيم بعباده ، اذ اباح لهم الافطار عند وجود عذر مشروع كالسفر في طاعة والمرض ونحوهما : **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)** البقرة / ١٨٥ .

وهذا يعني ان المسلم لا ينفك ذاكرا لخالقه منيبا اليه مادام فيه رمق من حياة ، لانه يعيش في كل لحظة نعم الله التي لا تعد ، فالامر بالذكر في تلك الآية ليس مقصورا على موقف معين ، ولكنه يتجاوزه ليستغرق حياة الانسان كلها ، وبذلك يحقق معنى العبودية الخالصة لبارئه وهي الغاية من خلق الجن والانس : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)** الذاريات / ٥٦ ـ ٥٨ .

واما الآية الثانية فقد روى في سبب نزولها ان قريشا ومن دان دينهم من كنانة وجديلة و قيس ، وهم الحمس « واحدهم احمس ،، وهو الشديد الصلب في دينه » كانوا يقفون في الجاهلية بالمزدلفة ، لانها من الحرم ، ولا يرضون الوقوف بعرفة ، لانه من الحل ، وكانوا يقولون : نحن قطين الله « اي سكان حرمه » فينبغي ان نعظم الحرم ، ولا نعظم شيئا من الحل ، وكانوا مع هذا يقرون بان عرفة موقف ابراهيم عليه السلام ولكنهم ما كانوا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ، ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة فنزلت هذه الآية تأمر هؤلاء بالافاضة من عرفات ، وهذا يقتضي وقوفهم به كما يقف الناس ، ثم يفيضون معهم ، وفي ذلك ابطال لما كانت عليه قريش في الجاهلية من عادات واعراف فاسدة .

وتوجيه الخطاب في الاية الى قريش وبعض القبائل العربية التي آثرت الوقوف بالمزدلفة ولم تقف بعرفات حمل بعض المفسرين على القول بأن ثم في الاية ليست للترتيب ، وانما هي بمعنى الواو ، او مستعارة للتراخي بين الافاضتين : جاء في الكشاف للزمخشري : فان قلت كيف يكون موضع ثم قلت : نحو موقعها من قولك : احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم ، تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره ، وبعد ما بينهما ، فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال : ثم افيضوا ، لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ .

ويذهب بعض المفسرين الى ان الخطاب في الاية ليس موجها الى قريش ومن دان دينهم ، وانما هو موجه الى الناس قاطبة ، وانهم امروا بالافاضة من عرفات كما افاض ابراهيم عليه السلام ، وان كلمة الناس في الاية يراد بها خليل الرحمن ،

وان هذا من باب التكريم له ، كما وصف في اية اخرى بانه امة : (**إنَّ إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين**) النحل / ١٢٠ .

ومن المفسرين من رأى ان الأمر بالافاضة في الاية خاص بالافاضة من المزدلفة الى منى كما افاض الناس وهم الحمس ، وطوعا لهذا الرأي يكون الوقوف بالمزدلفة واجبا للأمر بالاضافة منها تفسير القرطبي ج٢

ويرجح جمهور المفسرين ان يكون الخطاب في الاية موجها الى الحمس وامرا لهم بالافاضة من عرفات كما يفيض سائر الناس ، وهو من ثم امر الى المسلمين جميعا ، لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا يوحي بوجوب الالتزام الكامل بالشعائر المفروضة كما امر بها الله ، وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان مخالفة ذلك بدعة ، وتمزيق للامة الواحدة .

ويأتي الامر بالاستغفار بعد الامر بالافاضة ، وهو اشارة الى ان المؤمن لا يسلم من الخطأ او الاثم ، وان عليه ان يتوجه في كل حالاته - وبخاصة وهو يؤدي ما كتبه الله عليه الى بارئه ، يرجو رحمته ومغفرته ، فهو سبحانه غفور رحيم ، غفور حليم ، فلا قنوط من رحمته وفضله ، وهذه نعمة اخرى ، تستوجب الشكر والطاعة : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ .

واذا افاض المسلم من عرفات واتى المزدلفة فان عليه أن يفيض من المزدلفة الى منى قبل شروق يوم النحر ، فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث انه عليه الصلاة والسلام لما اتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى الفجر ، فصلى الفجر ، ثم ركب القصواء حتى أُتى المشعر الحرام ، ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ، ثم دفع قبل طلوع الشمس .

ولكن هل يلزم الحاج المبيت بالمزدلفة ، او يكفيه الحضور بها ولو لحظة ؟

إن جمهور الفقهاء يرون الوقوف بالمزدلفة دون البيات بها ، خلافا للامام احمد ابن حنبل الذي يوجب المبيت بالمزدلفة ، ولا يعفي منه الا اصحاب الضرورات ، ومن يقومون برعاية الحجاج ، والقيام بما يحتاجون اليه من طعام ونحوه .

والمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ، وهو واد بين المزدلفة ومنى ، فقد روي الامام احمد عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مزدلفة موقف ، وارفعوا عن محسر »

ومن السنة الوقوف عند « قزح » . وهو موضع بالمزدلفة ، ويروى انه كان موقف قريش في الجاهلية ويقال : انه المشعر الحرام عند كثير من الفقهاء ـ لما رواه الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصبح بجمع اتى قزح فوقف عليه وقال : هذا قزح ، وجمع كلها موقف .

ويتزود الحجاج بالحصا الذي يرمون به الجمرات من المزدلفة ، وان جاز اخذ الحصا من غيرها . ويتضح مما سلف ان للمزدلفة عدة اسماء ، ولكن غلب عليها هذا الاسم واشتهرت به ولهذه التسمية تعليلات او تأويلات مختلفة ، بيد انها كلها لا تقوم على نص صريح ، وانما هي اجتهادات واحتمالات كما هو الشأن في عرفات .

ومن وجوه تسمية المزدلفة بهذا الاسم ان الحجاج يقربون فيها من منى ، فالازدلاف القرب ، او لأن الناس يجتمعون فيها ، والاجتماع الازدلاف ، او لانهم يزدلفون فيها الى الله تعالى ، اي يتقربون اليه بالوقوف او لان آدم اجتمع فيها مع حواء ، وازدلف اليها ، اي دنا منها .

وقد شرع الوقوف بهذا المكان تشريفا له وتكريما باعتباره من معالم الحج ، وليكون هذا الوقوف في الليل فرصة مناجاة للحق جل جلاله ، فقد امر بذكره فيه واردف هذا الامر بالامر بذكره ايضا ، فهو سبحانه انعم علينا بالهداية والايمان فوجب علينا اعترافا بفضل الله وشكرا على آلائه الجزيلة ان نذكره ونسبح بحمده في كل لحظة من لحظات الحياة ، واذا فعل المرء ذلك كان في كل افعاله واقواله حيث يحب ان يراه الله ، وهذا مناط الخير في الدنيا والاخرة .

وبعد فهذه دراسة عامة موجزة عن الوقوف بعرفات والافاضة منه في ضوء حديث الكتاب العزيز عن ذلك الوقوف وهذه الافاضة ، ولعل فيها ما يلقي مزيدا من الضوء على ركن الحج الاعظم ، والعمود الفقري لمناسكه ، ذلك الركن الذي يمثل المؤتمر الجامع لوفود الرحمن ، هذا المؤتمر الذي يجب ان يكون للمسلمين في كل عام لقاء مباركا على طريق الحق ووحدة الغاية ، ودعما لاواصر الاخوة ، واسباب القوة ، حتى نحافظ على ما يجب ان نحافظ عليه من العزة والكرامة والخيرية :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ال عمران / ١١٠

احباب

يتنافى كثير من الناس دائما انهم قد جاءوا في هذا الكون بقدرة الله وصنعته ، بل ومعظمهم لا يؤمنون بأن الله هو الذي خلقهم وانه هو بارئهم وموجدهم ، وانهم قد جاءوا الى هذه الارض ، بمشيئته ، بل الكثير ممن امنوا بوجود الله لم يدركوا انه عز وجل قد خلقهم كي يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم يدعوه دون سواه ، فاذا حاد احدهم عن هذا الطريق واتخذ إلهه هواه ، فانه بذلك يكون قد باع سعادته بشقاه ، واما من زكى نفسه واناب ثم اعرض عن معاصيه وتاب خوفا من الله العزيز الوهاب ، فانه يكون بذلك قد خالف هواه حبا لله جل علاه ، وهو عندئذ يكون قد اضاء محياه في شعاع بهاه ثم اعطى عقله نور هداه ، ووضع في قلبه ذكره وتقواه ، ومن ثم كان محبا لله جديرا بان يحبه الله ، ومن احبه الله كان معه اينما كان ، وكان وليه اينما توجه مهما كان اعداؤه ومهما كان جبروتهم .

فطوبى لمن احبهم الله لما نالوا ، وما ينتظرون جزاء وفاقا لما عملوا وأصلحوا في حياتهم ، وتعسا وهلاكا لمن لا يحبهم نتيجة افعالهم التي اقدموا عليها بغير حق او عدل .

هذا ولم يتركنا الله حيارى نقلب وجوهنا هنا وهناك بحثا عن اي الطرق التي

الله

للاستاذ سعد عوض المر

توصلنا لحب الرحمن ، فقد دلنا على سبل هداه من اجل الوصول الى حبه ورضاه ، ولكل هذه الطرق حلاوة وعلى جانبيها طلاوة ، رغم انها سبل بالجهد ملفوفة وبالبلاء والعناء محفوفة .

قال الله عز وجل في حديث قدسي:(**يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له .. ـ الى ان قال ـ يا ابن آدم أنا لك محب ، فبحقي عليك كن لي محبا**) ، اما من اعرض ونأى بجانبه واغلق قلبه عن هذا النداء ، بل واوصده بذلك الجحود امعانا في التكبر ، وزيادة في كراهيته لنفسه حينما أصبح عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال :(**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين**) البقرة/٩٨

وعن معاذ رضي الله عنه قال : ان الله عز وجل قال للنبي (ص) : سل يا محمد ، قال : قلت : اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين .. ـ الى ان قال ـ وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني الى حبك) اخرجه الترمذي والحاكم .

يقول الله تعالى في كتابه المجيد:(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**

ويغفر لكم)آل عمران/٣١ ، فياله من حب وياله من غفران ، ويالها من بشرى فالله هو الذي بشر بها ، ومن ذا الذي لا يحب ان يغفر له ؟.. لا أحد الا شقى او مستكبر وهما معا في الدرك الاسفل من النار مع فرعون وهامان .
هذا وقد اوضح الله لنا ودلنا في قرآنه الكريم عن هؤلاء المحظوظين الذين يحبهم ويحبونه وافاض عليهم من فضله رحمات من عنده وبركات ، وهؤلاء هم :

المتقون :

(**إن الله يحب المتقين**)التوبة/٤ و ٧ ـ هؤلاء هم اول من احبهم الله .
وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم:(**هدى للمتقين**)البقرة/٢ ، لانهم يخشون ربهم من فوقهم بالغيب ، وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم وهم من الساعة مشفقون ، ولان حب الله وحب المعاصي لا يجتمعان ، فهم في حب الله يتنعمون ويتغمدون لانهم دائما يحرصون على ان يكونوا بعيدين مبتعدين عن كبائر المعاصي وصغائر الذنوب ، بل انهم لها كارهون وان فعلوها لا يصرون ، ثم من بعدها يستغفرون ويندمون ، كذلك نراهم يجمعون صفات الذين احبهم الله لانهم مدفوعون بتقوى قلوبهم ، منيبين راغبين في ان يكونوا من المحسنين ، الذين علموا ان الله سميع بصير ، يسمع ويرى فكانوا من مقامه خائفين ولانهم على صلواتهم يحافظون فهم دوما يتطهرون .
انهم يخافون ان يقعوا في المعاصي او الآثام كي لا يغضبوا الرحمن ، عرفوا انه الواحد المنان فذاقوا حلاوة الايمان ، علموا قدره فأدوا ما عليهم ، وقاموا بين يديه حذرين خاشعين متنبهين منبهين انفسهم حتى لا يشدهم امر دنياهم وهم بين يدي الحنان المنان عالم السر وما بان ، فكانوا احق من غيرهم بان يكونوا احباء الله حتى يصل بهم العمر الى منتهاه .
لهذا كان [illegible] الطريق الى التقوى ، وكانت التقوى سبيلا الى الاحسان (**إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين**)الذاريات/١٥ و ١٦ .

المحسنون :

(**إن الله يحب المحسنين**)البقرة/١٩٥ ، (**والله يحب المحسنين**) آل عمران ١٤٨ و المائدة ٩٣
هؤلاء الذين يعبدون الله وكأنهم يرونه امامهم وهم قائمون بين يديه عز وجل ، يرون نوره ، يرون عظمته ، يرون جبروته ، فيحسنون العبادة ويطهرون انفسهم وهم في حضرته جل جلاله ، يخافون مقامه وهم يتقربون اليه بالطاعات والذكر والحمد والتسبيح والاستغفار ، فاحسنوا قدر استطاعتهم لانهم قد علموا انه يراهم لانه هو السميع البصير ، ولا تخفى عليه خافية حتى هواجس افكارهم ، فكانوا يزكون

انفسهم في خشوع وركوع ، وعنت وجوههم للحي القيوم الرحمن الرحيم مالك الملك ، ملك الملوك ، قاهر الاعناق .

المتطهرون :

(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة/٢٢٢ **(والله يحب المطهرين)** التوبة/١٠٨

هؤلاء الذين يحافظون على طهارتهم لانهم دائما يغتسلون ، وبالماء او التيمم يتوضأون ويتطهرون لانهم دوما يحرصون على ان يكونوا من الذين هم على صلواتهم يحافظون ، يتطهرون لانهم يحبون ان يقرؤوا القرآن الكريم فلا يلمسوه او يمسوه وهم نجسون ، انك لو اطلعت على نفوسهم او افئدتهم لرأيتهم نطيفة طاهرة نقية كأبدانهم ، لانهم قد غسلوها بتقوى الله وخشيته .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله (ص) انه قال (ما منكم من احد يتوضأ ثم يقول : أشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله .. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .. الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء) رواه مسلم والترمذي ، ويقول الله تعالى : **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة/٢٢٢ ، لان الرسول (ص) عندما قال حديثه الشريف سالف الذكر فانما قاله وهو يسبح في نور كلام الله العظيم ، لانه لا ينطق عن الهوى .

الصابرون : (والله يحب الصابرين) آل عمران ١٤٦

هؤلاء هم الذين لا يفزعون فاذا ما أصابتهم مصيبة تراهم من رحمة الله لا ييأسون ، ومن لطفه لا يقنطون ، فاذا ما نزلت بساحتهم شدة او اذا حلت بهم كارثة لا يفجعون ، واذا ما وجدوا انفسهم او اهليهم في مصيبة فهم يسترجعون (الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون) البقرة/١٥٦ ، لذا كانوا احق الناس بحب الله واستحقوا ان يذكرهم في كتابه الكريم مقرونين بحبه الكريم ومبشرين منه سبحانه وتعالى (وبشر الصابرين) البقرة ١٥٥

المتوكلون :

(إن الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩

هؤلاء هم الذين يتوكلون على الله دوما في كل امورهم ولا ينسون ، يتخذون الاسباب اولا ثم لا يتواكلون ، يعلمون ان الله باسط لهم يده بها فلم يعرضوا عنها ولا هم يستكبرون ، لا يدعونه وهم متكاسلون الا بعد ان يعملوا اولا ثم يتركون لأمر الله ما يبغون ويتمنون ، ثم بعد ذلك يستسلمون لقضاء الله وقدره ولا يفترون ، لا يغترون

بأنفسهم بما يعملون ولا يتأكدون من نتائج ما يفعلون ، اولئك حقا هم المتوكلون الذين استحقوا حب الله لانهم وصلوا أنفسهم وسلموها بين يديه ، فهل يرد الله من لجأ اليه او استعصم او اتخذه وكيلا ؟
جاء رسول الله (ص) وصحبه ليعلم فاطمة الزهراء فقال : قولي : (يا حي ، ياقيوم ، برحمتك استغيث ، اصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا إلى احد من الناس) رواه الطبراني .

المقسطون :

(إن الله يحب المقسطين)المائدة/٤٢ و الحجرات/٩ ، (إنه لا يحب الظالمين)الشورى/٤٠ (والله لا يحب الظالمين)آل عمران/٥٧ و ١٤٠
هؤلاء هم الذين يحكمون بين الناس ولا يشططون ، لا يخافون لومة لائم ولا يرهبون ، لا يرهبون خصما لقوته ولا يستضعفون ضعيفا طالما ان الحق معه ، ولا يخشون بطش جبار او متعجرف طالما ظلم ومهما كان الطرف الآخر ضعيفا .
هذا وقد اخبرنا رسول الله (ص) بالسبعة الذين سيظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل فيه الا ظله وكان من بينهم ذلك الامام العادل ، فطوبى للمقسطين : طوبى لهم بحب الله .

التوابون :

(إن الله يحب التوابين) البقرة/٢٢٢ ، (وهو الذي يقبل التوبة) الشورى ٢٥ ، (وأن الله هو التواب الرحيم)التوبة/١٠٤، (إنه كان توابا)النصر/ ٣
هؤلاء هم الذين يعصون ويذنبون فيتذكرون الله ، فيرتعدون ، وولا يجدون فرارا منه الا اليه فيندمون ويستغفرون ولا يصرون ، يتوبون عازمين على الا يعودوا لمثل هذا الذنب راجين رحمة ربهم وعفوه .
عرفوا بان الله تواب غفور رحيم لوآخذ الناس بذنوبهم ما تبقى على وجه الارض من احد وما كان احد من الناجين ، ولكنهم إذا ما زلوا مرة اخرى لا يقنطون يفزعون الى الاستغفار في الاسحار وفي كل وقت يغتسلون به من معاصيهم ويتوبون .
فكانوا ممن استحقوا حب الله لهم لانهم تذكروا بان لهم ربا سمى نفسه الغفور الرحيم التواب لمن تاب وأناب فتابوا وانابوا وهذا أيضا ما اخبرنا به رسول الله (ص) حين قال : (التائب حبيب الرحمن)
لكن هناك فريقا آخر من المؤمنين قد احبهم الله لبعض افعال هم قد فعلوها حبا له وابتغاء مرضاته وطمعا في رضوانه سبحانه وتعالى ، انهم غير اولئك السبعة الذين احبهم لاوصاف واحوال هم فيها : متمثلة في اطباع هي متأصلة فيهم ، لا يخلعونها ابدا اينما ذهبوا او ولوا ، او وقتما حلوا لانها راسخة في عقيدتهم اصيلة

في بنيان جذور ايمانهم (والذين آمنوا اشد حبا لله)البقرة ١٦٥ .
هؤلاء هم الذين بايعوا من قبل وباعوا انفسهم لخير من اشترى ، من أجل الا يستشري الباطل أو يعم الفساد ، وحتى تعلو كلمة الله ، ويجيء الحق ويزهق الباطل ويد حض (ان الله يحب الذين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) الصف ٤ ، لقد قاتلوا في سبيله متحدين غير متفرقين : لواؤهم لا إله الا الله ، سلاحهم الله اكبر ، زادهم التقوى والصبر ، نورهم القرآن ، درعهم الاستغفار والبعد عن الذنوب .
وهناك فريق آخر من المؤمنين يحبهم الله أيضا بسبب بعدهم عن صفات هم بالطبع لا يتصفون بها بل ولا يحبونها ، بل ويتجنبون ان يقعوا فيها ، فاذا ما زادت صفات الضد فيهم كان حب الله لهم كبيرا ، انهم هؤلاء الذين يمشون على الارض هونا ، وهم الذين لا يفرحون بالباطل ولا يحبون ان تشيع الفاحشة وهم الذين لا يعتدون ، وهم الذين لا يخونون ولا يجهرون بالسوء من القول ، كذلك هم الذين لا يظلمون ولا يبغون ، كذلك هم الذين لا يسرفون ولا يفسدون ، واخيرا هم أولئك الذين لا يستكبرون .
هذا وانه عندما نحصى هؤلاء الذين يحبهم الله وذكرهم في قرآنه الكريم لوجدنا هم سبعة ، عندئذ سنقف امام هذا الرقم ويقف تفكيرنا برهة ، بل سيظل مبهورا لحظة مشدوها لحظات ، ، لا يشدنا من امامه الا ذلك الرقم نفسه ، حينما يجرنا ليذكرنا بهؤلاء السبعة الذين اخبرنا عنهم رسول الله (ص) بأن الله عز وجل سيظلهم يوم لا ظل فيه الا ظله . وننتهز هذا المقال في هذا المقام للتنويه بهم ونربط بين هؤلاء السبعة واولئك السبعة الذين يحبهم الله ، سواء كانوا متفرقين او مجتمعين في اكثر من صفة ، لان الصفة المشتركة فيما بينهم جميعا هي (تقوى الله) : فذلك الذي يكون قلبه معلقا بالمساجد ، الا يذهب اليها ؟ الا يتطهر ؟ الا يحافظ على صلاته ويصطبر عليها ؟ الا يخشى الله تعالى ؟ الا يتذكر الله دائما فيتوكل عليه ؟ افلا يكون بعد ذلك من المتوكلين المتقين المتطهرين ؟ وذلك الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، أفلا يكون من المتقين ؟ الذي يخشون ربهم بالغيب ويخافون مقامه ، وهذا الامام العادل الا يكتسب صفة المقسطين ؟ وهذان اللذان تحابا في الله : اجتمعا وتفرقا عليه ، أفلم يتجاذبا أطراف الكلام فيما بينهما بما يواجههما من مشاكل أو صعاب فيتواصان بالحق ويتواصان بالصبر ، أفلا يكونان من الصابرين ؟ وهذا الذي يتذكر الله فيذكره في خلوته فتفيض عيناه من خشية الله ، أفلا يكون من التوابين المحسنين المتقين ؟ وهذا الشاب الذي نشأ في عبادة ربه ، او هذا الذي تصدق سرا فما علمت شماله ما أنفقت يمينه أفلا يكون من المحسنين ؟
فاللهم ربنا رب السموات والارض اكتبنا من هؤلاء السبعة الذين تحبهم ، ومع اولئك الذين تظلهم يوم القيامة وممن ترضى عنهم ، ولا تجعلنا ربنا ممن لا تحبهم او مع اولئك الذين لا ترضى عنهم آمين .

التبليغ والاقناع بالمعجزات

للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدي

لما كان تبليغ الدعوة وحده لا يكفي ، كان لا بد معه من الاقناع مؤيدا بالمعجزات النظرية والذهنية ، وفي هذا يقول الله على لسان المشركين للرسل : **(إن انتم إلا بشر مثلكم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين)** ابراهيم / ١٠ فقال الله لهم على لسان الرسل : **(إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله)** ابراهيم / ١١

وقد من الله على رسله بما ايدهم به من معجزات ، كما أيد سيد الخلق بحصيلة وفيرة من المعجزات الذهنية والمرئية ، وهي اكثر من ان تعد او تحصى ، نجتزىء

منها ما يلي : فمن معجزاته :
شق صدره الشريف والتآمه من غير اوجاع او ندوب اربع او خمس مرات ، ورفع صورة القدس امام ناظريه ليصفه لمجادليه عقب عودته من رحلة الاسراء والمعراج ، واخباره صلى الله عليه وسلم بموت ملك الحبشة الذي اكرم وفادة المهاجرين المسلمين اليه ، ثم الصلاة على روحه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله) آل عمران/ ١٩٩ وانشقاق القمر ، وخروجه صلى الله عليه وسلم من منزله والمتآمرون عليه نيام يذري على رؤوسهم التراب وهو يردد قول الله : (فاغشيناهم فهم لا يبصرون) يس /٩ والقاؤه الرمال والحصا في وجه اعدائه يوم بدر وحنين وهو يقول : « شاهت الوجوه » وكانت هذه الرمال من عوامل النصر في هاتين المعركتين ونسيج العنكبوت على فم الغار الذي اختبأ فيه رسول الله وصاحبه استعدادا للهجرة ، ثم ما وقع لسراقة ابن مالك وفرسه وهو يطارد الرسول في طريقه الى المدينة ، ثم ما وعده به الرسول من تسوره يوما بسوار كسرى ، وقد تمت هذه المعجزة في عهد عمر بن الخطاب ، ومنها تدفق اللبن من شاة عجفاء حتى فاض عن حاجة بيوت الرسول التسعة وعن حاجة ضيفانه ببركته حين مسح براحته الشريفة على ضرتها، ومنها انه تفل في عيني عليٍّ وهي مرمدة فشفي لساعته وسلمه على أثرها راية القيادة في معركة خيبر ، ومنها ما تحدث به بلال ان رسول الله رأى المسجد في صلاة الفجر يوما خاليا من المصلين ، فقال لبلال أين المسلمون يا بلال ؟ فقال حبسهم البرد يارسول الله فقال الرسول اللهم اذهب عنهم البرد فتداعى المصلون نحو المسجد وراحوا يتروحون فيه من الحر ، واصاب حذيفة رعشة من شدة البرد في الخندق فدعا له الرسول فكان يمشي كانه في حمام ، واصيب كلثوم بن الحصين في نحره بسهم يوم احد ، فبصق الرسول على جراحته فشفي لساعته ، واصيبت ساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فنفث عليها رسول الله فشفيت ونفث صلى الله عليه وسلم على رأس ورجل زيد بن معاذ بعد ان اصيبا بضربات سيف عند مقتل كعب بن الاشرف فبرئا لساعتهما دون ان يغادر فرسه ، وقطعت يد معوذ بن عفراء بسيف عكرمة بن ابي جهل يوم بدر فجاء الى الرسول يحملها والصقها الرسول به فالتصقت ، وروى محمد بن حاطب عن امه ان قدرا كان يغلي بالماء قد انكفأت عليه صغيرا فحملته إلى رسول الله فمسح على ذراعه وقال : « أذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يعقبه سقم اخرجه البخاري ١٠/٢٠٦ فتح الباري فما قامت امي حتى برئت ، ورد النبي عين قتادة الى مكانها بعد ان سالت على خده فكانت احسن عينيه ، وشكا ضرير الى رسول الله همه وجزعه من فقد بصره فقال له الرسول توضأ وصل ركعتين ودعا بدعاء لقنه الرسول له ، فانصرف لتوه مبصرا قريرا ، ونفث رسول الله في يده الشريفة ومر بها على جسد عتبة السلمي : فلازمته طيلة حياته - رائحة طيبة دون ان يمس طيبا ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم دعاؤه لعبد الله بن عباس ان يفقهه الله في الدين

ويعمله الحكمة والتأويل ، فكان كما دعا ، ومنها دعاؤه لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد ، فعاش رضي الله عنه فوق المائة ورأى مائة ولد من صلبه وحدث لاصحابه بانه اكثر الناس مالا ، ودعا رسول الله لام ابي هريرة بالهداية ، فاستجاب الله له ودخلت في دين الله ، وكان ذلك مصدر سعادة للصحابي الجليل ، ومنها التقاء شجرتين ليؤلفا ستارا لرسول الله عند قضاء الحاجة ، ومنها حنين الجذع الذي كان يتوكأ عليه الرسول وهو يخطب في الناس في المسجد فمسح الرسول عليه بيده فهدأ حنينه وسكن بكاؤه ، ومنها تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وسلم وانبجاس الماء من اصابعه وتكثيره الطعام في غزوة العسرة ومنها شكوى البعير له من قلة العلف وكثرة العمل ، واخباره لاصحابه ان طائفة من امته ستغزو البحر وبينهم ام حرام بنت ملحان وقد صدقت نبوءة الرسول وغزا المسلمون البحر الابيض المتوسط في عهد بني امية ودفنت في جزيرة قبرص وقبرها هناك معروف وعليه اسمها الكريم الى الان ، ومن معجزاته قوله لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب أيتكن صاحبة الجمل ، فوقع ذلك لعائشة رضي الله عنها في حرب علي ومعاوية ، ومن معجزاته قوله صلوات الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم منها رحما وصهرا ، والرحم هي هاجر ام اسماعيل عليه السلام ، والصهر هي مارية القبطية ام ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها نطق الشاة المطهية لرسول الله تدعوه الى الكف عن الاكل منها لانها مسمومة بيد يهودية كانت قد دعته الى طعام لها ، ودعا رسول الله رجلا الى الاسلام فقال له حتى تحيي لي ابنتي ، فقال له الرسول ارني قبرها فدله عليه فناداها رسول الله فلبت فقال لها اتحبين العودة الى الدنيا فقالت لا يا رسول الله ، إني وجدت الله خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا ، وروى كذلك أم امرأة معاوية بن عفراء كانت مريضة بالجزام وشكت أمرها الى رسول الله فمسح عليها بعصا في يده فذهب عنها المرض ، واخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان بانه ستصيبه بلوى شديدة ، فاصابته وقتل فيها ، وشفي رسول الله بعض الصحابة من مرض الرئة والقرحة والاستسقاء وشكت إمرأة بكم إبنها الى رسول الله بعد ان جاءه اوان الكلام فتمضمض صلى الله عليه وسلم وغسل يديه ثم أعطاها بعض الماء وطلب إليها ان تسقيه له ففعلت فانطلق لسان الطفل بالكلام .

ومن معجزاته العظمى صلى الله عليه وسلم ـ رحلة الاسراء والمعراج على ظهر البراق الذي هو اسرع خطا من الريح ، واسرع مسيرة من الضوء يسير بسرعة ٣٠٠ الف ميل في الثانية ، واسرع انتقالا من الجن الذي حمل عرش بلقيس من اليمن الى القدس في طرفة عين ، وذلك لانه جندي من جنود الله ، ولله جنود السموات والارض ، وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر .

كان عروجه صلوات الله عليه بشخصيته الملائكية التي دخل بها الى عالم البرزخ والتقى فيه بالانبياء وصلى بهم إماما في بيت المقدس ليكون ذلك بمثابة

تسليم راية التوحيد لقائد جديد هو محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وليعلن للدنيا ان بيت المقدس جزء من أرض الاسلام يجب الاحتفاظ به والدفاع عنه بالنفس والجهد والمال وكان عروجه صلى الله عليه وسلم بهذه الشخصية كذلك ليجتاز العوالم المترامية الخالية من الهواء ليتشرف بالأنوار الإلهية ويحظى بالشرف الأمثل ، دون حاجة الى سفينة الفضاء وصاروخها الضخم ودون الإحتماء بالملابس المكيفة والأطعمة الكيماوية ، والزمن الطويل ، هذا قليل من معجزاته صلى الله عليه وسلم مما لا يتسع المقام لذكرها جميعا ، ولعل قلة المعجزات في باب احياء الموتى من رحمة الله ببعض الناس حتى لا يبالغوا في حبه صلى الله عليه وسلم فيقعوا فيما وقع فيه النصارى حين وضعوا عيسى في مستوى الألوهية ، وعلى أي حال فإن المعجزات المتقدمة وما وقع على غرارها ليست الا رمزا لتأييد رسالته صلى الله عليه وسلم ، اما المعجزة الكبرى والمرجع الأعلى والدستور الخالد ، فهو القرآن العظيم وهو تأييد وردع وإقناع نزل به الروح الامين على الرسول الكريم لسعادة البشر دنيا ودين ، ذلك لان الاسلام آخر الاديان فيجب ان يكون أكثرهم إستيعابا واعمها فائدة ونفعا للبشرية جمعاء قال سبحانه : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء ١٠٧ ، ومن ناحية اخرى فان فيه من التحدي لخصوم الإسلام ما حملهم على الإستماع اليه والإنصات له والإعتراف بسمو بلاغته وجمال اسلوبه في مجتمع مفطور على قرض الشعر وسلاسة التعبير ، وسمو البلاغة وجلال البيان ، فأطفأ نور القرآن قناديل بلاغتهم وارغمهم على ان يقولوا في القرآن : **(إن فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، وانه ليس من كلام بشر وانما هو من كلام خالق القوى والقدر .)**

بعض نواحي الاعجاز في القرآن

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته والمتحدي بأقصر سورة منه ، تحدى به العرب بصفة خاصة ، ثم تحدى به غيرهم من الانس والجن ، فما ان سمعته الجن حتى عادوا الى قومهم يقولون : **(إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا)** الجن / ١ و٢ ما ترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها في غير اسهاب ممل او اقتضاب مخل ، وفي القرآن من قوة الصقل وجمال الاسلوب ما لو اجتمعت الانس والجن على محاكاته : **(لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء /٨٨ **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)** فصلت / ٤٢ ولأقداره العليا عند الله وضرورته القصوى للناس وعد الله بصيانته وحفظه ، فقال سبحانه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩ فذاد عنه شر الكائدين وحقد المبشرين وشرار الوجوديين ، وقد دعا الى الاستماع لآياته والانصات له فقال جلت عظمته :

(**واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون**) الاعراف / ٢٠٤ ثم يسره للاستذكار والحفظ فقال : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**) القمر / ٣٢ ثم دعا الى الامعان في معانيه وتدبر حكمه فقال جل شأنه :(**افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد / ٢٤ ودعا كذلك الى النظر في ملكوت السموات والارض ودراسة ما في الكون من الناحية العامة فقال جل شأنه :(**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات / ٢٠ و٢١ ثم قال عز من قائل : (**وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون**) يوسف / ١٠٥ وقال جل ثناؤه :(**وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون**)الاعراف /١٠ ثم توسع القرآن بعد ذلك في ذكر الآيات الكونية داعيا الى استثمار كنوز الارض والسماء فقال : (**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة**) لقمان ٢٠ ثم أشار القرآن الى مجال الزراعة فقال سبحانه (**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**) هود / ٦١ وقال جل شأنه : (**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**) ق / ٩ وقال سبحانه في تزاوج النبات والغرائس وغيرها : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات / ٤٩ وقال جل شأنه : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ واشار القرآن في مجال الصناعة فقال سبحانه : (**يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا**) الاعراف / ٢٦ وقال جل شأنه (**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير والنا له الحديد**) سبأ / ١٠ وقال سبحانه : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد / ٢٥ وقال ايضا :(**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور**) سبأ /١٣ وقال جل شأنه :(**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**) النحل /٦,٥ وفي مجال التجارة والملاحة يقول الله سبحانه :(**الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) الجاثية /١٢ وفي مجال الفلك :(**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**) الاسراء/١٢وقال جل شأنه :(**الشمس والقمر بحسبان**) الرحمن /٥ ثم اشار القرآن الى ما جاء به من طب وعلاج للنفوس فقال : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة**)الاسراء / ٨٢ وفي طبقات الفضاء يقول : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) فصلت/ ٥٣ هذه الملامة سريعة لبعض ما يحمله القرآن للناس من توجيهات وارشادات ومقدمات لاسعادهم في الدنيا والآخرة ، بينما القرآن في جملته معجزة يؤيد الله بها رسوله وقد جعله فوق المعارضة والتحدي سيما في باب

: تمرس العرب فيه وتنافسوا عليه ، وتفاخروا بتجويده وعجزوا عن محاكاته وطأطئوا رؤوسهم عند سماعه :(**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ وهو في النهاية معجزة ذهنية تصاحب الزمن وتعايش الخلود ، اما غيرها فهي معجزات حسية آمن بها من رآها ومن لم يؤمن بها فهي عنده بمثابة الخبر ان شاء صدق وان شاء كذب ، ولا تقع موقع التصديق الا بعد ذكرها في القرآن ، ومن ناحية اخرى يعلن القرآن اعجازه في اختراق الحجب الثلاثة حجاب الماضي وحجاب الحاضر وحجاب المستقبل اما الماضي ففيما ذكره القرآن عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ، قال سبحانه مخاطبا نبيه ورسوله محمدا :(**وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**) طه / ٩ و١٠ وقوله سبحانه لنبيه عمن تنافسوا في كفالة مريم : (**وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**) ال عمران / ٤٤ وقوله سبحانه : (**وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا**) القصص / ٤٥ وكذلك كشف القرآن عما كان يدور في مجالس القوم وما يتناولونه من مواضيع :(**ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير**) المجادلة / ٨ وقال جل شأنه : (**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**) التوبة / ٤٢ ثم يبشر القرآن المسلمين وهم قلة مستضعفة بمكة بهزيمة عدوهم في معارك المستقبل فيقول سبحانه (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ نزلت هذه الآية قبل الهجرة ، ولما نزلت قال عمر رضي الله عنه : اي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع ان نحمي انفسنا ؟! ، ولكن نبوءة القرآن كانت اصدق مما تحدث عنه عمر ، وان هذا الجمع قد ولى الادبار خارج مكة وانتصرت عليه القلة المؤمنة ثم يتحدث القرآن اعجازا بما هو اعمق من ذلك فيحدد موضع ضربة وقعت لعدو الله الوليد بن المغيرة قبل وقوعها بسنين فيقول سبحانه :(**سنسمه على الخرطوم**) القلم / ١٦ فيتحقق ذلك ويصرع الله عدوه بضربة سيف على انفه مؤشر كبريائه ، فمن يستطيع تحديد مثل هذا الا رب القرآن على لسان القرآن ؟.. ومثل هذا العاتي المتجبر ابو لهب الذي حكم عليه وعلى زوجته بالهلاك وهو على قيد الحياة ومثله النضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام المعروف « بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، ومما يدعو الى العجب ان بعض هؤلاء كانوا يؤمنون برسالة الرسول في قرارة نفوسهم ، ولكن حرصهم على زعامتهم وضآلة تفكيرهم ـ جعلهم يلجون في الطغيان ، وقد وصف القرآن ذلك فقال :(**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الانعام /٣٣ ويقول جل شأنه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) النمل /

١٤ كان النضر بن الحارث يتحدث مع خاصته بصدق الرسول وامانته ، ولكنه في المجالس العامة ينكر ذلك ويعلن حرب الكلام عليه ، وفي هذا نزلت الاية الكريمة : **(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين)** لقمان/٦ ونزل في الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : **(عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)** القلم ١٣ ـ ١٥ وقد قال الله فيه ايضا : **(سأرهقه صعودا)** المدثر / ١٧ ونزل في امية بن خلف قوله سبحانه : **(ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن في الحطمة)** الهمزة / ١ ـ ٤ ونزل في العاص بن وائل ـ قوله سبحانه : **(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)** مريم ٧٧ ـ ٨٠ وفي عمرو بن هشام « الشهير بابو جهل » ـ نزل قول الله سبحانه : **(أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب)** العلق / ٩ ـ ١٩ .

فكل من تناولتهم آيات الوعيد من مشركي قريش ، وانذرتهم بسوء الخاتمة وظلمة المصير ـ ماتوا كفارا من امثال الوليد بن المغيرة ، وابي لهب وامرأته حمالة الحطب ، والنضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام « الشهير بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، اما من لم تتناولهم آيات الله بالوعيد والنذير فقد اسلموا واسهموا في معارك النصر الاسلامي ، من أمثال ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، مما يدل على ان القرآن من لدن عليم خبير ، وان ما جاء به في هذا الشأن صورة من صور الاعجاز بالنسبة للمحيط العربي .

اما إعجاز القرآن من الناحية الدولية ، فتتحدث عنه أول سورة الروم ، حيث يقول سبحانه ، بسم الله الرحمن الرحيم :**(آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)** ١ـ ٥ فمن المعروف تاريخيا انه قد كان هناك دولتان كبيرتان تتناوبان السيطرة على العالم بالقرب من الجزيرة ، العربية ، هما الروم والفرس ، والروم اهل كتاب ، والفرس امة مجوسية تعبد النار ، وقد قامت الحرب بينهم في اول العهد بالاسلام فهزم الفرس الروم ، ففرح مشركو الجزيرة بهذا النصر لما بينهم من رباط الشرك ، وحزن المسلمون لصلة ما تجمعهم بالروح المسيحية فأراد الله ان يسري عن المسلمين ما اصابهم من حزن لهذه النتيجة ، فأنزل الله على رسوله الآيات المتقدمة في اول سورة الروم ففرحوا وراحوا يتساءلون عن معنى البضع وعدده من

السنين ، وراح ابو بكر يراهن على صحة ما جاء به كتاب الله ايمانا به وتصديقا ، وسواء اكان البضع سبع سنوات او تسع - فانها فترة طويلة وانها قضية تتصل بغير العرب خارج الجزيرة ، ولكن تحقيق هذا الوعد بعد انتهاء المدة المضروبة - كانت احدى معجزات القرآن - فيما تحدث به الى العرب خاصة والى غيرهم كافة على مدى القرون والى ان تقوم الساعة .

كروية الارض

وقبل خمسة عشر قرنا من الزمان والقرآن يحدثنا عن كروية الارض ودورانها ، فمن ناحية التكوير يقول سبحانه : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر / ٥ والتكوير لا ينم عادة الا حول جسم كروي ويؤيده قول الله سبحانه في آية اخرى فيقول جل شأنه : (**ولا الليل سابق النهار**) يس / ٤٠ وفيه رد على من يزعم ان النهار يسبق الليل ، وهذا تأكيد قرآني بأن الارض كروية ، اذ لو كانت مبسوطة لما تم تكوير الليل والنها رحول جسم واحد في وقت واحد ، فمنذ خلق الله الشمس سراجا ونصف الارض المواجه للشمس بمثل النهار ، والنصف الآخر بمثل الليل ، فاذا دارت الارض دورتها اصبح النهار ليلا والليل نهارا وهكذا لم تتخلف سنة الله في هذا الوضع الكوني الخالد ، واما ما قيل من ان الارض مسطحة ويستدل على ذلك بقوله جل شأنه :(**والارض مددناها**) ق / ٧ اي بسطناها ، فان الامتداد هنا امتداد أمام عين الرائي فقط ويقول جل شأنه :(**والأرض بعد ذلك دحاها**) النازعات / ٣٠ قال الكواكبي : دحاها اي كورها ، غير انها ليست تامة التكوير ، وفيه يقول سبحانه :(**أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**) الرعد / ٤١ أما دوران الارض فثابت بقوله سبحانه :(**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل / ٨٨ واذا كانت الجبال وهي أوتاد الارض تتحرك وتمر مر السحاب - فالارض المشدودة المثبتة بهذه الاوتاد لا بد وأن تدور بدورتها وفي التعبير بقوله سبحانه :(**وهي تمر مر السحاب**) - اشارة الى ان مرور الجبال وحركتها ليست مرورا ذاتيا ، وانما يتم تبعا لدورة الارض ، ذلك لان السحاب لا يمشي بقوة ذاتية ، وانما يمشي بقوة الرياح ، ولهذا كان التشبيه القرآني قويا ودقيقا في اثبات دوران الارض .

واذا قيل ان مرور الجبال سيكون في يوم القيامة ، فالرد على القائلين بذلك سهل وهو ان الارض في هذا اليوم ستتغير ، قال سبحانه :(**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**) ابراهيم / ٤٨ وان الجبال في هذا اليوم ستتحلل وتتفتت وتفقد وظيفتها وصلابتها حيث يقول سبحانه : (**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش**) القارعة / ٤ و ٥

والعهن هو الصوف المنفوش المتباعد الشعرات المتنافر الوحدات وعليه فان الارض ستكون غير الارض والجبال غير الجبال ، وان مرورها الموصوف بأنه كمر السحاب انما يكون في الدنيا غير اننا لا ندركه ولا نحس به ، الا ان ادراك ذلك يتطلب النظر الى شاخص خارج عن دائرة الارض ، وهيهات ان يتحقق وجود هذا الشاخص . وهاكم مثلا تقريبيا لذلك ، فلولا ضوضاء القطار ما أحس ركابه بمسيرته - الا حين تقع أنظارهم على اعمدة البرق والهاتف والشجر تجري بالقرب منهم ، وهي في الواقع لا تجري بل الذي يجري هو القطار فهل جاء العلماء في مختلف العصور بجديد في نظرية دوران الارض ؟ انه الاعجاز القرآني اطل على الدنيا وهي مظلمة فنقل الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ومن الضلال الى الهدى وذلك لانه من لدن عليم خبير .

التلقيح والتزاوج

ومن اعجاز القرآن ايضا الاعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والانوثة في الغرائس والنباتات كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطيور ، وقد ركز الله على هذه النظرية في مناسبات عديدة قال سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات / ٤٩ ، وقال جل شأنه : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ وقال عز من قائل :(**وأرسلنا الرياح لواقح**) الحجر / ٢٢ وقال جلت عظمته : (**وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**) الحج / ٥ ، وقال تسامت قدرته :(**أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**) الشعراء / ٧
وقال سبحانه :(**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**) لقمان / ١٠ وقال جل شأنه : (**فيهما من كل فاكهة زوجان**) الرحمن / ٥٢ وقال عز كبرياؤه :(**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**) الرعد / ٣ وقال عز من قائل :(**وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى**) طه / ٥٣ وقال سبحانه :(**والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**) ق / ٧ ، وفي التعبير بلفظ شيء في الآية الكريمة : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ما يفيد بان التزاوج الوارد في الايات المتقدمة لا يكون بين الاحياء فقط بل يكون كذلك بين الجمادات ، فالنيازك مثلا ثمرة تزاوج بين نجمين والطاقة الكهربية نتيجة تزاوج بين سالب وموجب ، وتفجير الذرة ثمرة اصطدام الالكترون بالبريتونات داخل نواة الذرة ، وهذا ما يكشف بعض المغزى العظيم في مثل قوله سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) قال صلوات الله عليه : ما من الانبياء من نبي الا وقد اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الى ، فأرجو أن اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) متفق عليه عن ابي هريرة .

من سمات المجتمع الاسلامي :

حسن المعاملة بين الدائن والمدين

للأستاذ / احمد حسن القضاة

المجتمع الاسلامي مجتمع رحمة وتعاون ، ومودة وتضامن .. تجد فيه الغني يأخذ بيد الفقير ، والقوي ينصر الضعيف .. وذلك على نقيض من المجتمعات التي لا تدين بالاسلام .

ويعود السبب في ذلك الى ان المجتمع الاسلامي يستمد نظمه وتشريعاته وطرائق عيشه من « الاسلام » . والاسلام - كما هو معلوم - نظام رباني ودين سماوي . فلن تجد فيه - اذن - نقصا في التشريع ، او اختلاطا في النظم ، او قسوة في الاحكام لانه صادر عن رب العالمين . وليس هو كما ينعته به اعداؤه : دين يقتصر على العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وشيء من الأخلاقيات ..

وسأضرب لك ايها القارىء الكريم مثلا على الرحمة والتعاون في المجتمع الاسلامي ، وآخر على القسوة والظلم في غيره من المجتمعات غير الاسلامية لتقارن بين المثالين ، وتوازن بين المجتمعين ، ولتعلم ان الاسلام شامل كامل ، دين ودنيا ، عبادات ومعاملات ، اخلاق وجهاد .. والمثالان يتعلقان بموضوع واحد هو : معاملة الدائن والمدين فيما بينهما .

في المجتمع الاسلامي :

من المعاملات الحياتية التي تجري

بين الناس ولا غنى عنها الدين . وهو مشروع في الاسلام . وقد نظم الاسلام هذه المعاملة - كما نظم غيرها - تنظيما عادلا بحيث يضمن للدائن حقه في دينه ، ويحمي المدين مما يثقل كاهله من اية زيادة أو ربا او غلظة او تجن من قبل الدائن .

فمن هذا التنظيم انه يجب توثيق الدين وكتابته والاشهاد عليه والمحافظة على حقوق الطرفين ، وحرمات الكاتب والشهود . وكل ذلك يرتبط بتقوى الله والحق والعدل ، ويجعله دينا لا يحل لاي من الدائن او المدين ان يخالف عن الحق والعدل فيه ، فمن فعل فقد فسق عن امر ربه وتعرض لعقابه الشديد .

قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**) البقرة / ٢٨٢ .

ومن جملة هذا التنظيم انه يترتب على المدين ان يدفع الدين عند حلول الاجل ، فلا يحل له تأخيره وهو موسر وقادر على الدفع لقوله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغني ظلم » رواه البخاري . ولقوله ايضا : « من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ، ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله » رواه البخاري . وان سداد الديون من الحقوق المؤكدة عند الله . اما ان عجز المدين عن الوفاء فيضمن عنه بيت مال المسلمين .

هذا بالنسبة للمدين . اما الدائن فقد امره الشرع ان يكون سمحا لدى مطالبته بالدين لقوله صلى الله عليه وسلم : « خيار الناس احسنهم قضاء » رواه البخاري . ولا تتحقق السماحة الا اذا كان الدائن كريم الخلق ، سخي النفس ، مؤمنا ، لا يطالب بدينه الا في الوقت الذي يعلم ان مدينه قد اصبح في حالة من اليسر والقدرة على الدفع . وان يترفق في الطلب بحيث لا يزعجه ولا يحرجه ولا يشهر به . وان يؤخر الاجل - وان كان محددا وموثقا بكتابات ومواثيق - الى وقت اخر ، وان لا يسارع في مقاضاته ، واذا كان غنيا لا يضره التنازل عنه او عن بعضه ، ويدخر -

بدلا منه ـ الأجر العظيم والجزاء الأوفى لدى من لا يضيع اجرا أو جزاء او عملا صالحا . فان الله تعالى يقول : **(إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)** التغابن / ١٧ . ويقول سبحانه : **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)** البقرة / ٢٨٠ .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه » رواه مسلم بهذا اللفظ . فانظر يا اخي كيف تكفل الله تعالى بثواب من يفرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا وجعل جزاءه تفريج كربة من كرب يوم القيامة ، وذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . وما اشد حاجة الانسان الى تفريج ازمات ذلك اليوم وشدائده .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه » رواه البخاري .

فهذا توجيه من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى اغنياء المسلمين لكي ينظروا المعسرين او يتجاوزوا عنهم حتى يكون جزاؤهم من جنس عملهم فيتجاوز الله عنهم يوم القيامة .

والتجاوز يشمل في معناه : الإنظار ، ووضع الدين عن المدين ، وحسن الاقتضاء . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا قضى ، واذا اقتضى » رواه البخاري .

ولا ريب ان السماحة بين الدائن والمدين : من اداء الحق ، والرفق في الطلب ، واحترام كل منهما للحق وحرصهما عليه ، ووفاء من عليه الحق ، وكرم الدائن ومسامحته للمدين المعسر .. كل ذلك يزرع الخير بين الناس ويغرس المحبة الصادقة في قلوبهم جميعا ..

والاسلام يشدد على هذه المعاني ويحرص عليها وينشرها بين اتباعه ويحوطها بسياج متين من الرغب والرهب لكي ينعم الناس في ظل هذا الدين بالحب والتعاون ، والخير والرفاهية ، وذلك لانه ـ بحق ـ دين الدنيا والاخرة ..

هذا مثال من المجتمع الاسلامي الذي لا تسوده القسوة او يقود حب المال افراده الى استغلال الفقراء والمعوزين لامتصاصهم والقضاء عليهم .

فاين نحن اليوم من هذه التوجيهات السامية والارشادات الحكيمة ؟

ولا تنظرن لبعض من يدعي حمل الاسلام ، في هذه الايام ، ولا يطابق قولهم فعلهم ، فتحكم على الاسلام او

على المجتمع الاسلامي من خلالهم . لاني اعرف اشخاصاً - غفر الله لنا ولهم - يدعون حمل الاسلام « متدينين كما يصفهم مجتمع اليوم » ولكنهم في اثناء الحياة « العملية » ولدى التعامل اليومي الملموس معهم سرعان ما « ينكشفون » للناس ويسفرون عن « طبيعتهم » الدنيوية الكامنة ، ويبدو منهم حب الدنيا والتهافت عليها . فهؤلاء بعيدون عن الاسلام وعن المجتمع الاسلامي ..

في المجتمع غير الاسلامي :

والآن اضرب لك مثلا لنفس الموضوع من المجتمع غير الاسلامي لتقارن - كما اسلفت لك - بين مجتمع الاسلام ومجتمعات الانظمة الوضعية التي طغت عليها الاثرة والانانية وقسوة النفوس وحب المال والجاه وحب الدنيا والتكالب عليها .

اذا تداين رجل من تاجر او من غني ، وعجز المدين عن الوفاء او تقاعس - لسبب او لاخر - عن سداد الدين تجد التاجر او الدائن يقيم الدنيا ويقعدها على هذا المدين ، فلا هو ينظره ولا يتجاوز عنه او يحسن الطلب منه . يرغي ويزبد ، ويشهر ويشتم ، وفوق ذلك كله قد يذهب به الى القضاء ليكون مصيره اما السجن فيقطعه عن السعي وراء كسب قوت عياله واولاده ، واما الحجز على ممتلكاته الخاصة - ان كان لديه ممتلكات - واما اقتطاع مبلغ شهري من راتبه - متضمنا دفع المبلغ ورسوم الدعوى واتعاب المحامي وغيرها - ان كان موظفا .

والحياة المعيشية هذه الايام صعبة وقاسية وممضة على ذوي الدخل المحدود وارباب العائلات الكبيرة ، سيما ذلك الجيش الكبير من الموظفين الصغار والعمال الذين لا تكاد رواتبهم واجورهم ان تكفي سد الحاجات الضرورية لهم ولأولادهم . فما هو السبيل امام هؤلاء الناس لكي « يواصلوا » حياتهم اليومية ويظلوا مع « لقمة العيش » ؟

انهم يلجأون الى البنوك الربوية « فيستلفون » ثلاثة او اربعة اضعاف رواتبهم لقاء فوائد تخصم سلفا من المبلغ المعطى لهم ، ثم يخصم من رواتبهم شهريا مبلغ معين الى ان يستوفي البنك ما اسلفه لهم .

ويتمشى بهذا الاسلوب جمع غير قليل من الموظفين والعمال والتجار الصغار بلا رادع من ضمير ، او وازع من تقوى .

لكن هناك فئة لا تلجأ الى هذا الاسلوب الحرام - مهما كلفها ذلك من جهد ومشقة ومعاناة - بل تصبر وتحتسب وتتوكل على الله وتعمل بنص الاية الكريمة : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق / ٢ و ٣ .

هذه الفئة - وان لم تكن تعيش في

مجتمع اسلامي ـ الا انها تلتزم ـ قدر المستطاع ـ باسلامها ، وتحافظ على تعاليم دينها ، بل وتعض عليها بالنواجذ .

لكن الدنيا لا ترحم ، والاطفال الصغار لا يصبرون على جوع ، او يعذرون ابا تقيا ووالدا لا يتعامل بالربا والحرام . فما السبيل امام هذه الفئة من المتقين الذين لا يعرفون ابواب البنوك الربوية او التجار الربويين ؟

هنالك طريقان : اما ان يتعامل الرجل الصالح شهريا مع تاجر بقال ، فيستدين منه احتياجاته البيتية طيلة ايام الشهر ، ويدفع له في نهاية الشهر جزءا من المبلغ الذي يزداد لقاء شرائه تلك الاحتياجات فيظل ـ طول عمره ـ مدينا لهذا التاجر .. لان هذا يأخذ كثيرا ويدفع قليلا ، والمبالغ تزداد مع قدوم كل شهر جديد .

واما ان يقترض مبلغا كبيرا او صغيرا من « صديق » او قريب له لقاء ان يدفع نقدا في نهاية كل شهر جزءا من هذا القرض ، ثم يشتري متطلباته نقدا بهذا المبلغ .. وفي كلا الحالين شر وبلاء للمدين ، لاني اعرف اشخاصا متقين يلجأون الى احد هذين الطريقين او اليهما معا مما يثقل كاهلهم ويعجزون عن الوفاء في نهاية الامر .

ومن العجب العجاب انني رأيت بام عيني احد هؤلاء المتقين وقد ركبه الدين ووقف عاجزا عن الوفاء لاحد « اصدقائه » الذين كان يتوسم فيهم « الصداقة » و « الاخوة » وكان قد اقترض منه مبلغا متواضعا من المال ، ولكن هذا الصديق تنكر له اخيرا ـ عندما عجز مرة عن دفع « القسط » المترتب عليه ، واخذ يشهر به ويوقعه في « احراجات » كبيرة على مرأى من الله والناس .

وكنت ترى صديقه المدين المؤمن قد غلب على امره ولم يحر جوابا الا انه كان يبرز له عذره ويطلب اليه التريث والصبر حتى يجعل الله من بعد عسر يسرا . ولكن بدون جدوى ، فما كان الا ان انبرى احد المحسنين الحاضرين بعد ان [illegible] الغيرة الدينية على المدين ، [illegible] القسط المطلوب من جيبه وحسم الخلاف بين « الصديقين » المتداينين ..

فاين هذا مما ذكرناه في بداية هذه المقالة ؟ اين هذا من سماحة الاسلام وسماحة رجاله الرحماء المتقين ؟ بل اين سماحة المجتمع الاسلامي من ظلم المجتمعات الربوية التي تقوم على امتصاص دم الفقراء واستغلال حاجتهم .. لتحولها الى خزائن ذوي الملايين من المستغلين والمحتالين والنصابين والمرابين ؟

اين نحن اليوم من الاسلام الكامل الشامل في حكمه وتشريعه ونظامه ومنهجه ؟ افلا تدبرنا هذا الدين القويم ، وعدنا الى قرآننا الكريم ، وصراط ربنا المستقيم ، وهدى رسولنا العظيم ؟!

مائدة القارئ

أخلاق الحاج

قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » ١٩٧ البقرة .

هكذا كانوا

قبل نشوب المعركة كان النعمان بن مقرن يقول :
اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم .. اللهم إني أسألك أن تقرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام .
ثم يقول لأصحابه : أمنوا يرحمكم الله .

يذوب القلب من كمد

اخطار .. ومهالك .. وويلات ، وحصار ، وقتل ، وأسر ، وجرحى بالمئات ، ذاك هو حال الاخوة في لبنان ، ومن قبلُ قال الشاعر أبو البقاء الرندي (الأندلسي) . قصيدة صور بها ما حل بالمسلمين في عهده بالأندلس .. نقتطف منها هذه الأبيات :

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم ... اسرى وقتلى ، فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيّات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان

ثم مضى يقول :

وطفلة ما رأتها الشمس اذ برزت ... كأنما هي ياقوت ومُرْجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية ، والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب اسلام وايمان

بشرى للحجاج

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : وقف النبي - صلى الله عليه وسلم - بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تؤوب ، فقال : « يا بلال ، أنصت لي الناس » . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنصت الناس ، فقال : « يا معشر الناس ، أتاني جبرائيل عليه السلام آنفا فاقرأني من ربي السلام ، وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات »

فقام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : يا رسول الله ، هذا لنا خاصة ؟

قال : هذا لكم ، ولمن أتي بعدكم الى يوم القيامة » فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : كثر خير الله ، وطاب .

حاول ان تكون

جاء رجل الى الحسن البصري - رحمه الله - فقال : ما سر زهدك في الدنيا يا امام ؟

فقال : اربعة اشياء :

● علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فأطمأن قلبي .

● وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري ، فاشتغلت به وحدي .

● وعلمت أن الله مطلع عليَّ ، فاستحييت أن يراني على معصية .

● وعلمت أن الموت ينتظرني ، فأعددت الزاد للقاء ربي ..

فحاول أن تكون - أخي - وأنا معك أحاول - مطمئن القلب ، منشغلا بعملك ، ذا حياء من الله ، متزودا بالتقوى والعمل الصالح لتفوز برضوان الله .

المضمون لا العنوان

قال التلميذ لشيخه : ما اجمل الشعارات التي يرفعها البعض عنوانا لعملهم ومبادئهم ، ولكن ما أقبح المضمون عندما تتعرض شعاراتهم للاختبار .

فقال الشيخ : إن بطاقة السكر على وعاء الحنظل لا تجعله حلو المذاق .

روح العبادة

قالت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - : جُعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم من الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة .

آدم عليه السلام

للاستاذ
محمود
الشرقاوي

(١)

قصة آدم في القرآن المجيد هي قصة الانسان الاول .. خلق من تراب .. وارتقى بالخلق السوي الى منزلة العقل والارادة .

وقصة هذه النشأة الآدمية يستوفيها القرآن في هذه الآيات :

(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٢٦ .

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الرحمن/ ١٤ .

(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) ص/ ٧١ .

(إنا خلقناهم من طين لازب) الصافات/ ١١ .

(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة/ ٧ .

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/ ١٢ - ١٤ .

(ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا) نوح/١٣و١٤ .

فالطين كما تصرح الآيات هنا هو الاصل الذي نشأ منه الانسان ، وان يكن هذا الطين قد تقلب في اطوار عديدة ، حتى ظهر منه هذا الانسان .

فالحمأ المسنون هو الطين بعد ان يتخمر ويتعفن ، وبين طور الطين والحمأ المسنون طور آخر هو الصلصال الذي يتحول فيه الطين الى مادة من الزبد يشبه الفخار . وبلغة العلم الحديث : يكون الطين ، فالصلصال ، فالحمأ المسنون - وهو الطين المتعفن - ثلاثة اطوار تنقلت فيها بذرة الحياة ، وان هذا التعفن الذي اصاب الطين هو بشائر الحياة ، اذ هو « البكتريا » التي نضجت فيها خمائر الحياة وظهرت فيها جرثومتها .

لقد تعرض القرآن لبدء الحياة في هذه الأرض فقال : **(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)** النور/ ٤٥ .

وهذا الذي قرره القرآن منذ قرون واجيال اصبح من مقررات العلم الحديث ، يقول العلماء ان اول حيوان وجد في هذه الارض ، انما وجد في الماء في صورة خلية ضئيلة جدا تحمل سر الحياة القابلة للنمو والتكاثر والتطور ، وبتكاثر هذه الخلية الضئيلة كثر ما يعيش في الماء من الاحياء ، وتطورت هذه الاحياء فصارت انواعا واجناسا وفصائل ، وظلت تعيش في الماء الى ما شاء لها الله ، ثم بدأ بعضها يدرج منه الى وجه الارض ويعيش عليها ، وتأقلم ذلك الذي درج الى سطح اليابس ، وتكاثر وتطور ،فكان منه ما نعرف من انواع الحيوان وما لا نعرف مما انقرض نسله وغبر عهده ذلك ما يقرره القرآن ، ويقرره العلم عن بدء الحياة في هذه الارض .وهو تقرير يدل على ان الارض عرفت كثيرا من انواع الاحياء المائية والبرية قبل ان تعرف هذا الانسان الذي يسكنها الآن بما لا

يحصيه الا الله من الدهور .

فلما خلق الله تعالى آدم ، كانت الارض حافلة بأصناف النبات والطير والدواب ، ولم يأمره سبحانه وتعالى بالهبوط اليها ، الا بعد ان علمه اسماءها وخواصها وسر تذليلها والانتفاع بها واليه الاشارة بقوله عز وجل : (**وعلم آدم الأسماء كلها**) البقرة/٣١ .

وليس في نصوص القرآن التي وردت عن نشأة الحياة وتطورها نص قطعي ، يدل على ان الانسان الحالي انحدر من سلالات تلك الاحياء القديمة وتطور حتى صار الى ما هو عليه الآن ، وليس في العلم كذلك نص يقيني يقرر ذلك . وكل ما هنالك ان لدى علماء الجيولوجيا علما عن بقايا عظام قديمة لأمم سكنت هذه الارض منذ عصور موغلة في القدم ، تخالف عظام الآدميين الموجودين عليها الآن .

وقد رأى بعض الباحثين في قصة آدم ان يناقشوا نظرية داروين . يقول داروين في حديثه عن أصل مذهبه : « ان المشابهة واسبابا اخرى تدعونا ضرورة الى الاعتقاد بـأن الأحياء اصلها واحد ، والا فاصل جوهري بين العالمين ، عالم النبات وعالم الحيوان » .

ثم يقول : « اني أرى فيما يظهر لي ان الاحياء عاشت على هذه الارض جميعها في صورة واحدة اولية ، نفخ الخالق فيها نسمة الحياة ».

ان آدم خلق من طين او تراب وذلك ما يؤيده الواقع ، ويقره العلم ، وتثبته التحاليل الكيماوية ، فلو اننا اخذنا قبضة من تراب الارض الخصبة ، واجرينا عليها عمليات التحليل الكيماوية لوجدناها تتركب من ستة عشر عنصرا .

ولو اخذنا قطعة من جسم الانسان واجرينا عليها عمليات هذا التحليل لوجدناها كذلك تتركب من ستة عشر عنصرا ، وهي نفس العناصر التي تتركب منها تربة الارض .

وهذه العناصر هي ما يأتي ، مرتبة بحسب نسبة وجودها في جسم الانسان . الاكسجين ٦٣,٠٣٪ - الكربون ٢٠,٢٠٪ - الايدروجين ٩,٩٠٪ النيتروجين ٩,٥٪ - الكالسيوم ٢,٤٥٪ - الفسفور ١,٠١٪ الكلور ٠,٦٪ - الفلور ٠,١٤٪ - الكبريت ٠,١٤٪ - البوتاسيوم ٠,١١٪ الصوديوم ٠,١٠٪ ، المغنسيوم ٠,٠٧٪ ، الحديد ٠,٠١٪ . وآثار ضئيلة من كل من اليود والسليكون والمنجنيز .

وتنتقل هذه العناصر من تربة الارض الى جسم الانسان بما يتناوله المرء من الاطعمة والمأكولات ، والاطعمة اما نباتية او حيوانية .

فالنباتية مؤلفة من العناصر التي ذكرناها ، فلو انك اخذت كمية من القمح مثلا وحللتها كيميائيا ، لوجدتها مؤلفة من العناصر المذكورة ، اذ النبات انما يستمد غذاءه من تربة الارض . اي من نفس هذه العناصر . والاطعمة الحيوانية مؤلفة من العناصر التي تتألف منها الاطعمة النباتية ، اذ الحيوان يعتمد في بناء جسمه على النبات .

وعندما يموت الانسان والحيوان والنبات تبلى اجسامهم وتتحلل الى عناصرها الاولى ، وتعود الى الارض ، قال الله تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنهـا نخـرجكم تـارة أخـرى) طه/ ٥٥ . وننتهي من هذا كله الى قول واحد في قصة خلق آدم . فآدم مخلوق من طين ، او من حمأ مسنون ، او من طين لازب او من سلالة من طين ، فهذا هو الذي يقوله القرآن في خلق آدم .

ـ ٢ ـ

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيخلق بشرا من طين وامرهم اذا سواه ونفخ فيه روحه ان يقعوا له ساجدين سجود تكريم ، وسجد الملائكة الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين وقال :

● **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .**

وطرده الله من الجنة ، فطلب من الله تعالى ان ينظره الى يوم الدين ، وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة ان يغوي ذريته ويفسدهم على الله ، وان يسعى في ان يجعل اكثرهم غير شاكرين لله ، الا عباد الله المخلصين ، فوعده الله هو وكل من اطاعه من ذرية آدم بالنار .

ان جواب ابليس يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح :

الاول : الاعتـراض عـلى ربـه وخالقه كما تضمنه جوابه ، ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله تعالى لا يوافق هواه ، وهذا كفر لا يقع مثله من مؤمن بالله وبكتابه ، فان المؤمن اذا خفيت عليه حقيقة او حكمة لله في شيء من كلامه ، بحث عنها بالتفكر والبحث وسؤال العلماء ، وصبر الى ان يهتدى الى ما يطمئن به قلبه ، مدركا قبل ذلك بأن الله تعالى يعلم ما لا يعلم ، من حقـائق خلقـه ، وحكم شرعه ، وفوائد امره ونهيه .

الثاني : الاحتجاج عليه بما يؤيد به اعتراضه والمؤمن المذعن لا يحتج على ربه ، بل يعلم بأن لله الحجة البالغة .

الثالث : جعل امتثال امر الرب تعالى مشروطا باستحسان العبد له وموافقته لرأيه وهواه ، وهو رفض لطاعة الرب ، وترفع عن مرتبة العبد ، وتعالى منه الى وضع نفسه موضع الند ، وهو في حكم الدين كفر وفي العقل حماقة وجهل . فان الرئيس لأية حكومة او جيش او جمعية او شركة اذا كان لا يطيعه المرءوسون له الا فيما يوافق أهواءهم وآراءهم لا يلبث امرهم ان يفسد بأن تختل الحكومة وتسقط ، وينكسر الجيش ويهلك ، وتنحل الشركة وتفلس ، وهكذا يقال في كل مصلحة يقوم بادارتها كثرة ، يرجع نظامها الى جهة واحدة ، فاذا كان الصلاح والنظام في كل امر يتوقف على طاعة الرئيس وهو ليس ربا تجب طاعته لذاته ولا لنعمه ، ولا معصوما من الخطأ فيما يأمر به ، فما القول في وجوب طاعة رب العالمين على عبيده ؟

روى ابو نعيم في الحلية والديلمى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « اول من قاس امر الدين برأيه إبليس . قال الله تعالى له : اسجد لآدم . فقال أنا خير منه » .
قال جعفر فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس .

الرابع : الاستدلال على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين وهذا جهل ظاهر من وجوه :

« احدها » ان خيرية المواد بعضها على بعض ليست من الحقائق التي يمكن اثباتها بالبرهان ، وانما هي امور اعتبارية تختلف فيها الاراء والاهواء ، واصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح انها متحولة من اصل واحد كما يعلم من الكيمياء .

- ان بعض الاشياء النفيسة اصلها خسيس فالمسك من الدم ، وجوهر الماس ، من الكربون الذي هو اصل الفحم ، والاقذار التي تعاف ، من مادة الطعام الذي يشتهي ويحب .
- ان الملائكة خلقوا من النور ، وهو قد خلق من مارج من نار وهو اللهب المختلط بالدخان فما فوقه دخان وما تحته لهب صاف . فان مادة المرج معناها الخلط والاضطراب . ولا شك ان النور خير من النار . والنار الصافية خير من اللهب المختلط بالدخان ، وقد سجد الملائكة المخلوقون من النور امتثالا لامر الله تعالى فكان هو اولى . بل اولى ان يقال له : اولى لك فأولى .

الخامس : اذا سلمنا جدلا ان خيرية الشيء ليست في ذاته وصفاته الخاصة التي تفصله عن غيره من مقومات نوعه ومشخصات نفسه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره ، وانما هي تابعة للمادة التي هي من اصل نفسه ، فلا نسلم ان النار خير من الطين ، فان جميع الاحياء النباتية والحيوانية في هذه الارض مخلوقة من الطين بالذات او بالواسطة ، وهي خير ما فيها ، بكل نوع من انواع الاعتبارات التي تعرفها العقول .. وليست للنار او لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها .

السادس : ان ابليس غفل عما خص الله تعالى به آدم من خلقه بيده ، والنفخ فيه من روحه ، وجعل استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه ، ومن تشريفه بامر الملائكة بالسجود له ، وجعله بتلك المزايا افضل من الملائكة ، وهم افضل من ابليس بعنصر الخلقة وبالطاعة .

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيجعل آدم خليفة في الارض . فقالوا : **(أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)**

البقرة/ ٣٠ ـ ٣٣ .

قال الراغب في مفردات غريب القرآن : الخلافة : النيابة عن الغير ـ اما لغيبة المنوب عنه واما لموته ، واما لعجزه ، واما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الاخير استخلف الله اولياءه في الارض ـ قال تعالى :

(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر/ ٣٩ والخلائف جمع خليفة ، وخلفاء جمع خليف .

للمفسرين في « الخليفة » مذهبان : ذهب بعضهم الى ان اللفظ يشعر بأنه كان في الارض صنف او اكثر من نوع الحيوان الناطق وانه انقرض ، وان هذا الصنف الذي اخبر الله الملائكة بانه سيجعله خليفة في الارض سيحل محله ويخلفه ، كما قال بعد ذكر اهلاك القرون : **(ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم)** يونس/ ١٤ .

وقالوا ان ذلك الصنف البائد قد افسد في الارض وسفك الدماء ، وان الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه ، لأن الخليفة لا بد ان يناسب من يخلفه ويكون من قبيله كما يتبادر الى الفهم ، ولكن لما لم يكن دليل على ان يكون مثله من كل وجه ، وليس ذلك من مقتضى الخلافة ، اجاب الملائكة بانه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله ، وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة .

قال الاستاذ الامام محمد عبده . واذا صح هذا القول فليس آدم اول الصنف العاقل من الحيوان الناطق ، تماثل الطائفة او الطوائف البائدة منه في الذات والمادة ، وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا .

اما المذهب الثاني : ان المراد هو اني جاعل في الارض خليفة عني ولهذا شاع ان الانسان خليفة الله في ارضه ، قال تعالى :

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) ص/ ٢٦ .

والظاهر والله اعلم ان المراد بالخليفة آدم ومجموع ذريته . ولكن ما معنى هذه الخلافة ؟ وما المراد من هذا الاستخلاف ؟ هل هو استخلاف بعض الانسان على بعض ، او استخلاف النوع على غيره ؟

جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم احكامه للناس وتنفذ فيهم على السنة اناس منهم ، يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك ، وكما ان الانسان اظهر احكام الله وسننه الوضعية « اي غير الشرعية لأن الشرع وضع الهي » كذلك اظهر حكمه وسنة الخلقة الطبيعية ، فيصح ان يكون معنى الخلافة عاما في كل ما ميز الله به الانسان على سائر المخلوقات . نطق الوحي ودل العيان والاختبار على ان الله تعالى خلق العالم انواعا مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه الا عن طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على ان وظائفه محدودة ـ قال تعالى : **(يسبحون الليل والنهار لا يفترون)** الانبياء/ ٢٠ . **(وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن**

المسبحون) الصافات/ ١٦٥و١٦٦ **(والصافات صفا .فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا)** الصافات/ ١ ـ ٣ على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الاحاديث ان منهم الساجد دائما والراكع دائما الى يوم القيامة ..

واما ما نعرفه بالنظر والاختبار فهو حال المعدن والجماد ولا علم له ولا عمل ، وحال النبات وانما تأثير حياته في نفسه فلو فرض ان له علما وارادة فهما لا اثر لهما في جعل عمل النبات مبينا لحكم الله وسنته في الخلق ولا وسيلة لبيان احكامه وتنفيذها ، فكل حي من الاحياء المحسوسة والغيبية فان له استعدادا محدودا ، وعلما الهاميا محدودا ، وعملا محدودا ، وما كان كذلك لا يصلح ان يكون خليفة عن الذي لا حد لعلمه وارادته ، ولا حصر لاحكامه وسنته ، ولا نهاية لاعماله وتصرفه .

وما الانسان فقد خلقه الله ضعيفا كما قال في كتابه :

(وخلق الإنسان ضعيفا) النساء/ ٢٨ .

وخلقه جاهلا كما قال : **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)** النحل/ ٧٨ .

ولكنه على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر ، وموضع لعجب المتعجب ، لأنه مع ضعفه يتصرف في الاقوياء ، ومع جهله في نشأته يعلم جميع الاسماء ، يولد الحيوان عالما بالهام ما ينفعه وما يضره وتكمل له قواه في زمن قليل ، ويولد الانسان وليس له من الالهام الا الصراخ والبكاء ، ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة الى غيره من الحيوان ويعطي قوة اخرى تتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة التي يسمونها العقل ولا يعقلون سرها ، ولا يدركون حقيقتها وكنهها ، فهي التي تغني الانسان عن كل ما وهب للحيوان في اصل الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر ، والاعضاء التي يتناول بها غذاءه ، والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه ، وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك ما لا يصل اليه التقدير والحسبان . فالانسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ولا محدود العمل ، فهو على ضعف افراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفا لاحد له باذن الله وتصريفه ، كما اعطاه الله تعالى هذه المواهب والاحكام الطبيعية ليظهر بها اسرار خليفته ، وملكه الارض وسخر له عوالمها ـ اعطاه احكاما وشرائع حد فيها لاعماله واخلاقه حدا يحول دون بغي افراده وطوائفه بعضهم على بعض ، فهي تساعده على بلوغ كماله لأنها مرشد ومرب للعقل الذى كان له

كل تلك المزايا فلهذا كله جعله خليفته في الارض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة .

ـ ٣ ـ

امر الله تعالى آدم ان يسكن الجنة بعد ان خلق له حواء يسكن اليها ، واباح لهما كل شيء في الجنة الا شجرة عينها لهما . بيد ان ابليس وسوس لهما بالاكل منها واغراهما بكل انواع المغريات . وقال لهما : ان ربكما لم ينهكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين .

وقال لآدم : (**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**) طه/ ١٢٠ (**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**) الاعراف/ ٢١ ولم يزل يمنيه بمعسول الاماني حتى نسى آدم أنه عدوه ، وان الله حذره منه اشد الحذر بقوله : (**إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه/ ١١٧ . فأكل آدم وحواء من الشجرة : (**بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**) الاعراف/ ٢٢ . ليسترا عورتيهما ويجعلا ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر ، وعاتب الله آدم على مخالفته امره والاكل من الشجرة ، فقدم آدم واخذ يعتذر فطرده هو وحواء من الجنة وطرد ابليس قائلا : (**اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) البقرة/ ٣٦ . (**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**) البقرة/ ٣٧ وهداه واجتباه وبقى في الارض هو وبنوه الذين اتى بهم من حواء .

اكل ادم من الشجرة ولم يمت يوم اكلها ـ كما جاء في التوراة ـ والقرآن المجيد قد علل النهي بأنه يترتب على مخالفته ان يكونا من الظالمين لنفسيهما ـ اي بفعلهما ما يعاقبان عليه ، ولو بالحرمان من ذلك الرغد من العيش وما يعقبه من التعب في المعيشة .

فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ظهرت لكل منهما سوأته وسوأة صاحبه وكانت مواراة عنهما ، قيل بلباس من الظفر كان يسترهما فسقط عنهما ، وبقيت له بقية في رءوس اصابعهما ، وقيل بلباس مجهول كان الله تعالى البسهما اياه ، وقيل بنور كان يحجبها ولا دليل على شيء من ذلك ، والاقرب عندي ان ظهورها لهما ، ان شهوة التناسل دبت فيهما بتأثير الاكل من الشجرة ، فنبهتهما الى ما كان خفيا عنهما من امرها ، فخجلا من ظهورها ، وشعرا بالحاجة الى سترها ، وشرعا يخصفان اي يلزقان أو يضعان ويربطان على ابدانهما من ورق اشجار الجنة العريض ما يسترها . فالمواراة كانت معنوية فلو كانت حسية فما ثم الا الشعر ساتر خلقي ، وقد تظهر الشهوة ما اخفاه الشعر ، وان لم يسقط بتأثير ذلك الاكل ويدل على كل من هذين الوجهين فطرة الانسان .

يقول محمد اقبال : ان قصة هبوط أدم كما جاءت في القرآن لا صلة لها

بظهور الانسان الاول على هذا الكوكب ، وانما اريد بها بالاحرى بيان ارتقاء الانسان من بدائية الشهوة الغريزية الى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان ، وليس يعني الهبوط اي فساد اخلاقي ، بل هو انتقال الانسان من الشعور البسيط الى ظهور اول بارقة من بوارق الشعور بالنفس ، وهو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة احدثتها خفقة من الشعور بأن للانسان صلة علية شخصية بوجوده .

هذا الى ان القرآن لا يعتبر الارض ساحة للعذاب سجنت فيها انسانية شريرة العنصر بسبب ارتكابها خطيئة اصلية - بل يجعل الارض مستقرا ومتاعا للانسان ينبغي ان يشكر الله عليه :

(**ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون**) (الاعراف/ ١٠).

يصف القرآن الانسان بأنه اخذ على عاتقه عبء الامانة التي ابت السموات والارض والجبال ان يحملنها فيقول سبحانه : (**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**) الاحزاب/ ٧٢ .

والمقصود بالامانة هنا التكاليف .

قال الامام الفخر الرازي : « إنا عرضنا الامانة .. اي التكليف وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة ، واعلم ان هذا النوع من التكاليف ليس في السموات ولا في الارض . لان الارض والجبل والسموات كلها على ما خلقت عليه : الجبل لا يطلب منه السير والارض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا من الملائكة ، لأن الملائكة وان كانوا مأمورين منهيين عن اشياء لكن ذلك لهم كالاكل والشرب لنا ، فيسبحون الليل والنهار ولا يفترون كما يشتغل الانسان بأمر موافق لطبعه » .

وقال في تفسير حمل الامانة : « لم يكن إباؤهن كاباء ابليس في قوله تعالى : (**أبى أن يكون من الساجدين**) من وجهين احدهما : ان هناك السجود كان فرضا ، وها هنا الامانة كانت عرضا » وثانيهما : ان الإباء كان هناك استكبارا وها هنا استصغارا ». استصغرن انفسهن بدليل قوله : (**وأشفقن منها**)» .

وقال بعضهم في تفسير الآية ان المخلوق على قسمين : مدرك وغير مدرك ، والمدرك منه من يدرك الكلي والجزئي مثل الآدمي ، ومنه من يدرك الجزئي كالبهائم تدرك الشعير الذي تأكله ولا تفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلائل والبراهين ، ومنه من يدرك الكلي ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل .

قالوا : والى هذا اشار الله تعالى بقوله : (**ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء**) فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن الا على مدرك

الامرين . إذ له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية هي مثل لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته ، واما غيره فان كان مكلفا يكون مكلفا « لا بمعنى الامر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفا كما ان المخاطب مكلف ».

وقال الامام ابن كثير « ... عن ابن عباس : يعني بالامانة الطاعة عرضها قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها ، فقال لآدم : اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها . فهل انت آخذ بما فيها ؟ قال : يارب . وما فيها ؟ قال : إن احسنت جزيت ، وان اسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها .

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس : الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض ، والجبال ، ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم . فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله الا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها » .

واورد ابن كثير اقوالا اخرى مروية بأصحابها ، وعقب عليها قائلا : انها كلها لا اختلاف بينها بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها .

وقال العلامة محمد جمال الدين القاسمي في « محاسن التأويل » :... عبر عنها بالامانة تنبيها الى انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى الى المكلفين وائتمنهم عليها ، واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها ومعنى الآية : ان تلك الامانة من عظيم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة - مراعاتها ، وكانت ذات شعور وادراك ، لأبين قبولها واشفقن منها .

اما قوله تعالى : (**وحملها الإنسان**) اي عند عرضها عليه ، اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده ، او بتكليفه اياها يوم الميثاق - اي تكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة ، وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري . او من اعترافه بقوله : بلى ».

وقوله تعالى : (**إنه كان ظلوما جهولا**) اعتراض وسط بين الجمل ، وغايته الايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله - اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل ، اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة ».

لقد عرضت الطاعة والقيام باعباء التكليف على السموات والارض والجبال فاستعفين من حملها وخفن من تبعاتها وحملها الانسان بما منحه الله من القوة الأدبية للوفاء بها ، انه كان كثير الظلم والجهل اذ لم يف بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .. (**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما**) الاحزاب/ ٧٣ .

التكامل بين العقيدة والشريعة

العقيدة والشريعة كلاهما وحي الله النازل من السماء ، وليس إفك البشر النابت من الأرض ، ولا يمكن بحال أن تعتبر العقيدة منفصلة عن الشريعة ، بل كلاهما متمم للآخر ، موصول به ، فالشريعة هي الترجمة العملية عن العقيدة .. والتعبير الحي عن وجودها .. والدليل الناطق عليها ، بدونها تصبح العقيدة سلبية عقيما لا اثر لها في الحياة ، ولا خطر لها في السلوك ، ومن اعتقد في الله وآمن به ربا جليلا حكيما أطاعه فيما أمر ونهى ، ونفذ ما طلب منه دون أي تردد أو إهمال ، ولا يتصور أن توجد عقيدة من غير شريعة إلا في صورة نظرية .. كما لا يتصور أن توجد شريعة من غير عقيدة .. وإلا فما الذي يحفز على أدائها ، وممارسة شعائرها في الحياة ؟

بل لا يمكن لدين ما أن يفصل بينهما ، لأن ذلك قطع لما أمر الله به أن يوصل ، ونحب أن نؤكد هنا على أمر هام ، هو أن العقيدة لا يمكن قصرها على المشاعر الوجدانية التي تعمر الضمير ، وتغمر الوجدان .. وتحكمهما من الزيغ والانحراف ، كما لا يمكن للعقيدة ان تقتصر على الشعائر التعبدية التي تلوذ بالمسجد وتعتصم به ، تاركة ما سوى ذلك لقوانين البشر ، وتصوراتهم ، ودساتيرهم !!

كما أنه لا يمكن قصر العقيدة على عملية التهذيب الروحي .. وان كان ذلك هدفا من أهدافها .. كما أن العقيدة لا تكون تطبيقا محدود الحجم والمساحة لبعض ما أنزل الله .. تاركة بقية أحكامه لمجرد الدراسة والمعرفة !

كما هو الواقع المر في كثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. تتحمس لتطبيق الشريعة في بعض المجالات كالطلاق والمواريث

في منهج القرآن

للاستاذ/توفيق محمد سبع

والعبادات .. ذاهلة عن إقامة الحدود .. وما تستتبعه من كبح جماح الجريمة ، وقمع الفساد والشر ، وتطهير وجه الحياة من الفسوق والعصيان !!

كما أنه يحلو لبعض المجتمعات أن تطبق الشريعة في كثير من أوامر الله .. تاركة المجتمع يموج بالمعاملات الربوية سواء على المستوى الفردي والجماعي !! كلا : إن العقيدة والشريعة كل لا ينفصل .. والاسلام عقيدة وشريعة ما في ذلك شك ، وتأبى هذه العقيدة إلا أن تعبر عن نفسها في شتى مجالات الحياة تعبيرا مطلقا ، لا تصطدم فيه بشيء من قوانين البشر .. وإلا فهو الخسران المبين .. وإذا كانت هذه العقيدة تحكم ضمير المؤمن حكما مطلقا ، يستسلم فيه لبارئه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .. وتسكت فيه كل هواتف الشك ووساوس الشيطان .. فانها بهذا القدر ينبغي أن تحكم دنيا الناس بحيث تلغي ما سواها من قوانين البشر ودساتيرهم القاصرة الرعناء ..

. نعم : لابد للعقيدة في معناها الواقعي والتكاملي ، ان تعبر عن كل تلك الجوانب لا تقتصر على واحد منها دون سواه ، تعبر عن نفسها تعبيرا واقعيا في الوجدان وفي شعائر العبادة ، وقضايا التهذيب ورياضات النفوس وواقع الحياة .. كل هذه الأبعاد آفاق للعقيدة لا ينبغي أن تسطع في أفق منها محتجبة عما سواه ، لا تترك البشر لأنفسهم طرفة عين ، ولا تغفل شأنا من شؤونهم اليسيرة أو الجليلة .. تعلمهم كيف يعبدون الله .. وكيف يتطهرون للصلاة .. وماذا يقولون عند النوم ، وماذا يقولون عند اليقظة .. وماذا يقولون عندما يرون الزهرة النابتة ، أو الهلال البازغ في افق السماء .. وماذا

يقولون عندما يدخلون لقضاء حاجتهم .. كل ذلك وأيسر منه قد وعته الشريعة .. لا تترك المسلم منذ يتيقظ من منامه .. حتى يأوى الى فراشه .. بحيث لا توجد ثغرة واحدة يملؤها الهباء .. أو فجوة يحتلها الهواء .. وسبحان من وسع كل شيء علما !!

بل إن هذه العقيدة لتستوعب فيما تستوعب جميع التشريعات الالهية لقيادة الحياة ، وضبط حركة الناس فيها .. تحل لهم الطيبات ، وتحرم عليهم الخبائث .

والتشريع بهذا التصور الشامل الكامل هو التعبير الواقعي عن العقيدة ، بدونه تصبح مجرد شعور يختبيء في وجدان الانسان لا يمتد إلى الحياة الواقعية ليحل مشكلاتها ويعالج قضاياها ويرعى شؤونها ..

ويدخل في عموم التشريع ما رسمه القرآن الكريم من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية للأمة المسلمة في إطار عام ، وتخطيط شامل .. بحيث يعد الخروج عليه تمردا على أوامر الله ، وتعطيلا لأحكامه في أخطر شؤون الجماعة المسلمة التي تتخطفها المذاهب الملفقة .. وتتحيفها سطوات الدول التي فسقت عن أمر الله .. فهذا التخطيط القرآني العام لشؤون المجتمع هو في الواقع عصمة لها من الزيغ ، وضبط لمسيرتها المؤمنة على صراط العزيز الحميد .

وهذا التخطيط القرآني الشامل لم يهمل التجربة الانسانية ، ولم يسقطها من حسابه ، لأنه يكتفي بالتوجيه العام تاركا التفاصيل الجزئية لما تتمخض عنه الحياة الصاعدة في سلم التطور ، من أساليب مثمرة لا تخرج عن إطار التشريع العام ، وإنما تنمو في رحابه ، وتزدهر في محيطه فتصبح علاجا لهذه الأمة الحائرة على مفترق الطرق .. تجد في هذا العمل البناء ما يحفظ عليها شخصيتها ، ويصون كرامتها ، ويربطها بربها .. فلا يضل لها سعي ، ولا تزل بها قدم .. ولا يضيع الطريق منها ..

إن حصيلة التجربة البشرية في هذا المقام لا يمكن إغفالها ولا الاستهانة بها .. وإنما ينبغي دراستها والاستفادة منها في إطار تشريعنا السماوي ـ لأنها في الواقع تعين على التكيف ، وتثمر الواقعية البناءة التي لا تبتعد عن المحور الأساسي للتشريع .. وحسب القرآن الكريم .. أنه في مرقاه العالي يظل يرقب التجربة الانسانية ويرصد سيرها واتجاهها .. ويتركها للزمن الذي يحكم لها أو عليها .. ولا يصادرها منذ البداية .. احتراما منه لعقل الانسان وتوقيرا لحصيلة التجارب البشرية .. فاذا اثبتت هذه التجربة وجودها ، فهي رصيد صالح للبشرية تنتفع بها وتستفيد منها . وإذا أخفقت فلا بأس أن تعدل من نفسها لتصبح تجربة رائدة ونافعة ، ويرى أبو حامد الغزالي أن ما يستحق القول في علوم الأخلاق والاجتماع وسياسة الأمم وما إليها إنما هو بقايا نبوات دارسة وشرائع سماوية قديمة

وأن الدين صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الميدان .. وفي كل ميدان ..

. وفي كلام الغزالي جنوح إلى شمول التشريعات السماوية التي يجب أن تبسط جناحها على الحياة والأحياء .. كما أن فيه ما يشبه الرفض لحصيلة التجربة الانسانية في هذه الميادين ما لم تتفق مع نظام الدين وخطوطه العامة .. وهذا حق لامرية فيه ولقد أعطى القرآن الكريم تخطيطات رائعة يمكن الاستهداء بها في هذه المجالات بحيث يمكن أن يقال : إن هناك نظاما سياسيا يرشد إليه القرآن .. ونظاما إقتصاديا متميزا لايمت إلى شرق أو غرب وانما ينتمي إلى السماء !! ونظاما إجتماعيا فريدا هو أصل كل النظريات التي تتنادى بها أصوات الفلاسفة هنا وهناك .

لم يتأثر القرآن في تنظيمه الشامل بأي نظام عالمي ، ولقد ألفت كتب جامعة في هذه المجالات فحصيت حقائقها وغاصت في أعماقها وقدمتها للبشرية منارات على طريق الحياة .. ويبقى أن يعرف المسلم مكانه على ظهر المعمورة .. وأن يتعمق فهم الأصول التي جاءته من رب العالمين .. لتظل شخصيته متميزة قوية في وجه الأعاصير التي تهب سواقيها بين وقت وآخر تحاول اقتلاع النظام الاسلامي من الجذور ..

حقيقة إن هذه الميادين ليست مسدودة .. بل هي مفتوحة لتجارب الحياة ، وحصيلة الخبرة الانسانية وعوامل الثقافة والمعرفة ، وتطور الزمن وما يجد من أحداث ومشكلات .. لكن كل ذلك مشروط بأن يكون داخل الاطار التشريعي وليس خارجه .. وحول المحور الأساسي وليس بعيدا عنه ، لأننا في الواقع نخضع الحياة للدين ولا نخضع دين الله للحياة .. ومهما اجتهدنا في نظرية المال ووسائل الاقتصاد فلن نجعل الربا يوما حلالا .. لأن الدنيا تتعامل به .. ولا نجعل السياسة فجورا وانتهازية ، لأن الزمن هكذا ، ولا يكون الحكم مهما تطورت الحياة استبدادا فاجرا ، وفردية متسلطة ، ولن نطور السياسة يوما لنتخذ من أعداء الله بطانات !!

كيف والقرآن يهتف فينا بهذا النداء القدسي : (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة ـ ٢٧٥ . وبقوله سبحانه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران ـ ١٥٩ .

وبقوله سبحانه : (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم**) آل عمران ـ ١١٨ .

بهذا المنطق يجب أن نفهم التجديد .. وعلى هذا الصراط يجب أن نسير ، إنه اجتهاد بالعقل فيما لم يرد فيه نص ، وفي مجال الحياة وسياستها وخبراتها العملية والعلمية على أن نلتزم بالاطار العام للتشريع ، حتى لا يخطىء لنا سعى ، أو تزل لنا قدم ـ والله ولي التوفيق .

المستشرقون وكتاباتهم عن الاسلام

للدكتور
عجيل النشمي

لقد تفرغ المستشرقون على تراثنا تمحيصا وتحليلا ، وساعدهم على ذلك اسناد وتشجيع حكوماتهم ، وتوفر المصادر لديهم ، وتخصص كل منهم في جزئية من العلوم الشرعية . الأمر الذي جعل كتابتهم ملفتة لنظر الباحثين والمتخصصين وطلبة العلم حتى في ديار المسلمين ، وأفلحت هذه الكتابات في التأثير على كثير من المثقفين في بلادنا ، خصوصا أولئك الذين تلقوا علومهم في ديار الغرب .

وكتابات المستشرقين تدور ـ في أغلبها ـ على سوء الظن بالاسلام والمسلمين ، والتقليل من شأن الحضارة الاسلامية ، والتشويش المتعمد على العلوم الشرعية الاسلامية ، وتشكيك المسلمين بدينهم ، باثارة الشبهات المختلفة في العقيدة او الشريعة او الفقه اوالتاريخ وعموم العلوم الاسلامية .

ولعل اتجاه الكتابات الاستشراقية هذا الاتجاه الخاطىء راجع الى المحاضن الاستشراقية الأولى التي تبنت الاستشراق لتحقيق اغراض دينية سياسية استعمارية .

لقد كانت الجمعيات التي انبنت عليها الحركة الاستشراقية جمعيات يقوم عليها رجال دين من المسيحيين او اليهود ، وكان هم هؤلاء توجيه تلك الدراسات لتخدم غاياتهم وأهدافهم السياسية والدينية .

إلا أن البيئة والمحاضن

الاستشراقية لم تخل من العلماء المنصفين المخلصين ، الذين يقررون الحقائق التي يتوصلون لها متجردين من تبعيات فكرية أو مذهبية أو دينية تعصبية أو ميول عدوانية حاقدة .

وعلم أصول الفقه هو أحد أهم العلوم الاسلامية التي تعرضت للمد الاستشراقي في حده الحاقد المغرض ، ولصعوبة مسلكه ـ الى جانب أمور أخرى سنذكرها في معرض البحث ـ لم يطرقه إلا كبار المستشرقين المتمكنين ، ولسوء الحظ ان هذا كان من نصيب ذاك الصنف المغرض ، فجاءت كتاباتهم غاية في التشويه والطعن المبطن والمكشوف والمغلف بالأسلوب العلمي المنطقي المزعوم .

تطور كتابة المستشرقين عن الاسلام :ـ .

بدأت دراسات المستشرقين للاسلام منذ أن كان المسلمون في اسبانيا ، وكانت الجامعات الاسلامية مقصد طلاب العلم في العالم .

ولقد بدأ المسيحيون **بدراسة اللغة العربية** أولا لأنها مفتاح فهم الاسلام ، وكان قصدهم من دراستها تسهيل مهمة التبشير بين العرب خاصة ، علما بأن كثيرا من المسيحيين كانوا يتكلمون العربية . ولما سقطت غرناطة ، وغادرها المسلمون عام ١٤٩٢م ـ أوقفت هذه الدراسة في اسبانيا . إلا أنها بدأت في روما ولنفس الغرض .

ومن ذاك التاريخ بدأت الكتابة الأولى في الاسلام ، وكان أول عالم كتب في ذلك هو الاستاذ Gullaum Postel ـ ١٥١٠ ـ ١٥٨١ ، ثم بدأ تلميذه Joseph Scaliger ـ ١٥٤٠ ـ ١٦٥٩ وهو مبشر وكان متأثرا بكتابات ابن سينا وغيره . وقام بعملية ترجمة ونقل بعض تراثهم الفلسفي واللغوي . إلا أن الجانب اللغوي أخذ حظا وافرا من كتابات كثير من المستشرقين .

وبعد هذه الدراسات الغنية حول اللغة العربية وقليل من الدراسات الاسلامية العامة . بدأت الكتابات حول الشرق الاسلامي تأخذ نقطة بدايتها على يد الاستاذ B . d'Herbe-lot ٩٥٠ ـ ١٦٢٥ م .

وقد قام بكتابة أول كتاب له أهمية خاصة وهذا الكتاب كان عبارة عن محاولة لكتابة موسوعة اسلامية .

ثم قام A Galland بترجمة كتاب « الف ليلة وليلة » ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ وكان لترجمة هذا الكتاب دور بارز في توجه المستشرقين الى فتح نافذة الثقافة الاسلامية .

فقد كان موقف المستشرقين من قبل عدائيا للاسلام لكنه عداء على غير أساس صحيح ولا رؤية واضحة للاسلام . بل وصل الأمر بهم الى اعتبار الاسلام عدو الله ، وكان للأستاذ Richard Simon جهد مشكور في توضيح الاسلام .

وتكلم في كتابه عن الشرق والمسيحية ،

وتعرض لشرح العقائد الاسلامية من العبادات والمناسك وغير ذلك . ولم يهاجم الاسلام ، بل كثيرا ما كان يمتدحه فيما يراه أفضل في الاسلام عنه في المسيحية .

ولعل مسلك هذا الكاتب في تحرى الصحة في عرض الاسلام انه اعتمد على مصادر اسلامية بحتة ، وكتب كتابا آخر على نفس المنهج عام ١٦٩٧ ، وكتب عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة سليمة .

ولقد ظهر بوضوح تأثير مسلك الاستاذ Richard في الكتابات من بعده ، حيث أصبحت دراسات المستشرقين تأخذ جانب الموضوعية ـ بعد عام ١٧٠٠ ـ وهذه الموضوعية جعلت الكتاب يثنون على الاسلام ويستحسنونه ، بل صرحوا بأن العقيدة الاسلامية معقولة من حيث المنطق والفكر خلافا للعقيدة المسيحية .

وكانت كتاباتهم في هذا الاطار عامة تتناول كتب اللغة العربية والمغازي ، والسير ، والتاريخ .

وفي عام ١٧٣٤ ظهرت اول ترجمة للقرآن الكريم على يد الأستاذ George Sale ١٦٩٧ ـ ١٧٣٦ وقد وضع لها مقدمة ، وكتب عليها تعليقات كثيرة .

ثم جاء الفقيه الألماني J. J. Reiske ـ ١٧١٦ ـ ١٧٧٤ وأشار فيما كتب الى الحقائق الالهية في الاسلام . وتلاه الأستاذ Simon Ockley وكتب رافعا من شأن الفكر الاسلامي بل والشرق الاسلامي ، وأعطاه مكانة عالية على العالم الغربي ، وكذلك فعل Edward Gibbon ـ ١٧٣٧ ـ ١٧٩٤ .

وكذلك كتب العالم الشهير Voltaire كتابا شعريا بعنوان « محمد » عام ١٧٤٢ ولم تكن كتاباتهم في عمومها طعنا بالاسلام ، بل كان تأثرها بالفكر الاسلامي واضحا .

الا أن أول كاتب كتب دراسة محققة متخصصة هو الأستاذ Silvestre de Sacy — وكانت دراسته للاسلام دراسة من منظور مجرد ، غير متأثر بالعقيدة والفكر المسيحي كما كان سابقوه . فمدرسته تعتبر مدرسة اللادينيين ولقد أصبح بما كتبه من مؤلفات حول الاسلام أستاذ ومرجع الدراسات الاستشراقية للأوروبيين ، وفتح ـ في نفس الوقت ـ الباب للكتاب المستشرقين من غير المسيحيين لولوج هذا النمط من البحث .

ومن بعده بدأت الكتابات تأخذ طريق التخصص نوعا ما ، وساعد في ذلك ظهور مجلات متخصصة عن الدراسات الشرقية ، والتي بدأها الأستاذ Josef Van Hammer ١٧٧٤ ـ ١٨٥٦ بمجلته Fundgruben des Orients ١٨٠٩ ـ ١٨١٨ ، وتوالت بعد ذلك المجلات في فرنسا وانجلترا وروسيا .

وظلت كتابات المستشرقين في هذا الاطار الموضوعي غير العدائي في جملتها ـ خصوصا ما صدر قبل ١٨٠٠ ـ تأخذ مكانها في حقل الدراسات الاستشراقية .

إلا أن هذه الموضوعية سرعان ما انقلبت نارا حامية على الاسلام

والمسلمين وذلك عندما حمى صراع الأوربيين على ما يسمى بالمسألة الشرقية مع بداية القرن التاسع عشر ويعنون بها مسألة دولة الخلافة الاسلامية في استانبول ، وبدأت كتابات المستشرقين تصور الاسلام لا على انه عدو للمسيحيين فحسب ، بل وأنه هذه المرة عدو للعلم والتقدم والحضارة . وأخذوا يصفون الاسلام بأنه رجعية وأخذت كتاباتهم تصور الاسلام في هذا الثوب الرجعي ، ثم تعرض سبيل الخلاص للمسلمين من واقعهم الأليم ، وذلك بأخذهم بالثقافة والحضارة الأوربية .

وتلونت الكتابات الاستشراقية حينئذ باللون السياسي الاستعماري الحاقد ، وأخذت الكتابات حول واقع المجتمع الاسلامي تبرز بصورة براقة على أنها هي الاسلام ، والاسلام هو المشكلة .

ولقد ساعدهم على ذلك ما كان يعيشه المجتمع الاسلامي وقتها من مشاكل كبيرة ، فقد كانت الاضطرابات والثورات متلاحقة في العالم الاسلامي الممزق ، فالثورة الكمالية في تركيا ، وفي الاجزاء الاسلامية في روسيا ، وفي اندونيسيا وايران وغيرها . فكان هذا الواقع مجالا خصبا لظهور كتابات مشوشة

وهكذا ظلت الكتابات الاستشراقية حول الاسلام بين تقلبات متتالية تتأثر مرة بالعقل ، ومرة بالعاطفة واخرى بالسياسة ، وما إلى ذلك . إلا أنها كانت في أغلبها كتابات تنطلق من منطلق العداء للاسلام .

أما بعد عام ١٨٨٠ فقد أخذت خطا محدثا يكاد يكون ثابتا ، وهو الدراسة المتعمقة . ثم الدس والطعن المكشوف والمعلن ، وتخصص لهذا الغرض جمع كبير من المبشرين وغيرهم .

جمعهم في صف واحد العداء للاسلام ، الا ان صفوفهم ـ في حقيقة الأمر ـ لم تخل من المنصفين ، وما أقلهم .

الكتابة في العلوم الاسلامية وأصول الفقه :ـ

تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الاسلامية ، بتنوع هذه العلوم . وقد كتبت مؤلفات عدة في التاريخ الاسلامي بأيدي متخصصين من المستشرقين ، وقد أولوا هذا الجانب أهمية خاصة لما يتضمنه من خطورة في التراث الاسلامي والانساني ولدوره في بلورة شخصية الاجيال اللاحقة .

كما وأنهم كتبوا في القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، كتابات كثيرة زادت في كثرتها على ما كتبوه فيما سوى ذلك من العلوم .

واتصفت كتاباتهم حول القرآن الكريم بابراز المتشابه منه ، والقراءات الشاذة ، وتأويل الآيات وتحميلها اكثر مما تحتمل موافقة للرأي والهوى ، كما وأبرزوا خلافات وجهات النظر بين المفسرين ، وما الى ذلك في نهج يرمي الى التشكيك

والتشويش في مجال الدراسات القرآنية . ولم يكن حظ الحديث وعلومه بأقل من ذلك ، بل ان مجالهم فيه أكبر وأوسع رحابة ، الأمر الذي مكنهم من إغراق المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في السنة شكلا وموضوعا ، فطعنوا في طريق وصول السنة ، وفيماتحمله من تصورات تخالف ما جاء في القرآن بزعمهم ، وان بعضها يخالف بعضه الآخر ، الى غير ذلك مما سولت لهم انفسهم قوله وسوغت لهم افتراءه .

أما كتاباتهم في الفقه الاسلامي ، فقد أبرزوا فيها كتب الخلاف ، وبنوا عليها مرونة الشريعة الى حد وصل في نهايته الى أن أحكام الشريعة بنيت على الهوى ، أو يمكن أن تبنى على ذلك .

وقد صوروا الخلاف بين علماء الأمة على أنه خلاف في الأصول لا في الفروع . وادعوا أن الاستنباط الفقهي قد توقف لأن أحكام الاسلام كانت صالحة لفترة معينة أغلق باب الاجتهاد بعدها ، وعليه فإن واجب المسلمين أخذ أحكام الحوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي ..

كتابات المستشرقين في أصول الفقه :

إذا كانت كتابات المستشرقين كثيرة وجهودهم متضافرة في مجالات القرآن وعلومه والحديث وعلومه ، والفقه ، فإن جهودهم في « أصول الفقه » لا تكاد تذكر بالنسبة لتلك الجهود . فكتاباتهم فيه بالمعنى التخصصي قليلة ومحصورة . ويشير Schacht الى ان تطور علم أصول الفقه لم يدرس ولم يعرف لدى المستشرقين في فترة ما قبل الشافعي ، ولعل آخر كتاب لهم في ذلك كتاب Schacht المسمى « أصول الفقه المحمدي » وقد نشرت أول طبعة وهي الخامسة سنة ١٩٧٩ . ومنذ ذلك التاريخ والذين أتوا من بعده يعتمدون على أفكاره واستنتاجاته . وقد بنى Schacht كثيرامن آرائه على سابقه Goldziher . فجمع أشتات Goldziher الأصولية من كتبه المتعددة وزاد عليها من كيسه الشيء الكثير .

وعلى أية حال فان كتاباتهم في أصول الفقه مع قلتها تحمل من الخطورة مالا يقل عن خطورة كتاباتهم في العلوم الاسلامية الاخرى ، بل لا نذهب بعيدا ان قلنا . ان الأفكار والتصورات التي بنوا عليها كتاباتهم ، وسطروا على ضوئها آراءهم المشوشة في العقيدة والفكر الاسلاميين ، انما بنيت على نظرتهم وتصورهم الحقيقي لمصادر التشريع الاسلامي التي تكشفها كتاباتهم في أصول الفقه .

والذي يتتبع هذه الكتابات يلحظ من أول وهلة سوء النية المبيت المكشوف . فلا يجد لهم جهودا تذكر في جزئيات وتفصيلات او تفريعات أصول الفقه ، أو بمعنى آخر لا يجد لهم جهودا تذكر في جانب ثمار أصول الفقه أو عمقه الحقيقي . فقد تركزت

جهودهم في جانب واحد منه ألا وهو الأدلة ، أو مصادر التشريع ، وضربوا صفحا عن الكلام على الجزء الآخر منه وهو الاحكام والدلالات اللغوية وتفصيلاتها ومتعلقاتها .

وهذا الموقف منهم يتناسب وسوء النية ، ذلك ان الأحكام هي ثمرة الأدلة ، إذ بها يتوصل الى الحكم فلو تكلموا في الأحكام لكان ذلك بمثابة التسليم بالأدلة التي هي أصل الثمرة والحكم ، وهذا غير مسلم عندهم .

فإذا تركزت جهودهم في الأصل وهو الأدلة وعدم التسليم بصحته واستطاعوا التشكيك به فإنهم حينئذ في غير حاجة للكلام على الأحكام ، فهي باطلة تبعا مادا م أساسها وأصلها على تلك الصفة ، وفي نفس الوقت فان طريق الوصول الى الحكم أو طريق الاستنباط باطل أيضا .

إلا أن هذا المسلك في الفصل بين الأدلة والأحكام ، مسلك خاطىء علميا ، ذلك ان علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للأحكام ، أو للأحكام المبنية على الأدلة ، فهما في لازم الأمر وحقيقته شيء واحد .

ولقد أدى مسلكهم هذا في الفصل الى الجهل بعلاقة وصلة الأحكام بالأدلة مما أوقعهم في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي سليم ، ذلك أن الأدلة مقصودة بذاتها للتوصل الى الأحكام الشرعية خاصة . فينبغي النظر لكليهما في آن واحد .

وفي نفس الوقت جعلهم ذلك جاهلين بصلة الفقه بالأصول الذي هو الثمرة العلمية التطبيقية للأدلة . اذ الاستنباط الفقهي وليد الأدلة التي يبينها أصول الفقه كما يبين طريقة استخدامها للوصول الى الاستنباطات الفقهية .

وعلى ذلك نستطيع القول : ان استنتاجاتهم الفئة في مجال الفقه الاسلامي ، والسيل الوافر من التهم والافتراءات عليه ، انما ابتنيت ابتناء طبيعيا ومنطقيا على عملية الفصل بين الأدلة والأحكام . وما قلناه في صلة الفقه بالأصول يقال أيضا في التفسير والحديث - لأنه يشدهما الى علم الأصول طريقة الاستنباط للآية والحديث - في احوال العموم والخصوص والتقييد والاطلاق والاجمال والبيان والناسخ والمنسوخ والترجيح عند التعارض ، وما الى ذلك مما لاغنى عنه عند النظر في آية او حديث ، فالنظر في الآية والحديث يستلزم النظر في آن واحد لعلم الأصول - والفصل بينهما - والحال هذه - قطع للاستنتاج الصحيح .

فإذا كان هذا الفصل خاطئا علميا ومنطقيا - كما رأينا فإن ما ابتنى عليه - بالتالي - من اجتهادات واستنتاجات في مجالات العلوم الاسلامية سواء الفقه او التفسير أو الحديث خاطئة تبعا ، وعليه يمكن القول : ان مساحة شاسعة من عملية الهجوم الاستشراقي على الاسلام عملية فاشلة ، أو على الأقل يمكن تفشيله بيسر وسهولة ما دام غير قائم على أسس علمية سليمة تتحمل ما يبنى عليها .

العروبة بلا شكل بلا

من المعروف ان العرب قبل الاسلام الحنيف عانوا الكثير من الاستعمار الفارسي والرومي والحبشي ، فلم يكن لهم دولة قوية تحميهم وترعاهم ولا حضارة مشرقة تنير أرضهم وسماءهم ، واصطلوا بنار التناحر والتخاصم والتمزق ، وعاشوا في جحيم الثأر والانتقام والتعصب القبلي ، وضلوا الطريق وتاهوا في ظلمات الجهل المطبق والأمية العمياء والضلالة العشواء . وتفرقت بهم السبل في التدين والعبادة ، فقد عبد معظمهم الأصنام الحجرية والبشرية ، كما عبد بعضهم بعض الحيوان والكواكب والنجوم والشجر ومنهم من سار في طريق الكفر والالحاد وانكار وجود الحياة الآخرة ويوم الحساب كما قال الله تعالى : **(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)** سورة الجاثية / ٢٤

كما ذاقوا وبال العادات السيئة والتقاليد الباطلة ومرارة الظلم والباطل والجشع والاستغلال والاستعباد والاستبداد وساد حياتهم النظام القبلي الذي يقوم على تعصب الفرد الاعمى لقبيلته في الحق والباطل وفي الصواب والخطأ وشعاره : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » . ويمتشق حسام الثأر والانتقام ليسترد حقه المسلوب وينتصف .

إسلام مضمون

للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

أما المرأة التي هي نصف المجتمع ويد الحياة اليسرى ، فقد كانت مسلوبة الكرامة والحرية وضيعة المكانة الاجتماعية مهدومة الشخصية .

واذا التفتنا الى اللغة العربية وجدناها لغة بداوة وجلافة ، تتقاسمها لهجات قبلية متعددة مختلفة ، يصعب التآلف والانسجام بينها ، كما كانت في العصر الجاهلي قاصرة على ان تنطق بلسان العلم والحضارة .

ولم يعرف العرب قبل الاسلام قانونا يضبط أمورهم ولا نظاما ينظم حياتهم ، ولم يعرفوا كذلك شريعة عادلة تحق الحق وتنصب ميزان العدل ، بل سادهم قانون الغاب الذي عماده « الحق للقوة » وانقلبت المعايير والمقاييس وانعكست الآية واعوجت الأمور فالصدارة والرئاسة لأرباب المال والجاه والقوة ، والمجد والشرف لأصحاب الحسب والنسب ، والأقوياء والأغنياء فوق القانون والحساب .

وفي ظل الاسلام الحنيف تغيرت حياة العرب من جميع جوانبها ونواحيها ، وتبدلت أوضاعهم وأحوالهم كلها ، فانتقلوا من جحيم العداوة والبغضاء وذل التفرق والانقسام الى نعيم المحبة والاخاء وعز التراحم والتعاون والاتحاد ، وتخلصوا من نير الحكم الأجنبي ، وخرجوا من ظلمات الاحتلال والاستعمار الى نور الحرية والاستقلال .

وتوحدوا في الدين والعقيدة وخرجوا من متاهات الكفر والشرك والضلال الى طريق الايمان والتوحيد والهدى ، فذاقوا حلاوة الحق والعدل ، وجنوا الثمار الطيبة من بستان العلم والايمان ومكارم الاخلاق .

وبدلهم الاسلام الحنيف بعادة الثأر والانتقام ونزعة التعصب القبلي الأعمى وحياة الفوضى والتسيب ، الولاء للدولة والارتباط بالأخوة العربية الاسلامية والخضوع لحياة القانون والنظام والانضباط ، وأحل قرابة الخلق والدين محل رابطة الدم والطين وتفيئوا بظلال الحرية والاخاء والمساواة ومبدأ تكافؤ الفرص .

ورفعت المرأة رأسها ، وبرزت شخصيتها الحرة المستقلة ، ونالت حقها في الحياة الحرة الكريمة ، ومنحت فرصة الوقوف الى جانب الرجل ، وصارت تشاركه لقمة العيش وتقاسمه حلو الحياة ومرها .

وامتدت يد التطور والازدهار الى اللغة العربية ، فتوحدت لهجاتها ، واتسعت آفاقها ، ونمت ألفاظها ، ومعانيها ، ورقت حواشيها ، وخلعت ثوب البداوة والجلافة ، وارتدت ثوب العلم والحضارة والمدنية ، وصارت لغة عالمية كاللغة الانجليزية اليوم ، وانتشرت في ارجاء العالم بانتشار الاسلام الحنيف ، فهي لسان الاسلام الناطق وترجمانه الشارح المفسر ووعاؤه اللغوي النظيف الشفاف .

وظهرت شريعة الله الرحيمة العادلة وسنته السمحة الغراء ، وسادت معايير السماء الصحيحة ومقاييسها السليمة ، فتولى مقاليد الأمور اهل العلم والايمان والتقوى والأمانة والصلاح عملا بقوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ وبقوله جل شأنه :(**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة / ١١ وصار أفضلهم وأكرمهم عند الله ورسوله أتقاهم وأشدهم طاعة لله ورسوله قولا وعملا ، وأحسنهم أخلاقا لا أكثرهم مالا ولا أعظمهم قوة ولا أعلاهم نسبا كما قال الله تبارك وتعالى : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣

وقال رسول الله محمد عليه افضل الصلاة والسلام : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه البخاري ومسلم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم : احب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا » رواه الطبراني .

وفي ظل الاسلام الحنيف اتسعت دنيا العرب وقامت للعرب دولة عربية اسلامية عظمى ، امتدت الى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا ، وطلع في آفاقها وسمواتها شمس حضارة عربية اسلامية ، أضاءت أنوارها أرجاء العالم القديم كله ، وكانت حضارة العصور الوسطى السائدة المستعلية بلا منازع وشمسها الساطعة المشرقة .

وقد انصهر في بوتقة العروبة والاسلام بلاد وشعوب لم تكن قبل الفتوحات

العربية الاسلامية عربية وصارت عربية الوجه واليد واللسان والفكر والثقافة والتاريخ واسلامية الدين والمذهب ، وهناك بلدان اخرى دخلت في دين الله ـ الاسلام الحنيف ـ افواجا واتخذته لها دينا وشريعة ودستورا ومنهاجا .

والدارس الناظر في تاريخ العروبة والاسلام يعرف أن العرب هم أول من كلفهم الله تبارك وتعالى باعتناق الاسلام وحمله الى الناس كافة ونشر أنواره في أنحاء الدنيا وآفاقها بحكم كون نبيّ الاسلام عربيا والقرآن عربي اللغة واللغة العربية وعاء الفكر الاسلامي فقد قال الله سبحانه وتعالى : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**)التوبة / ١٢٨

ويعرف كذلك أنهم قاموا بالعبء الأكبر والدور الأول في نشر الاسلام والفتوحات الاسلامية وبناء الدولة العربية الاسلامية وبناء منار الحضارة العربية الاسلامية فرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وابو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وسائر الخلفاء العظام من أمويين وعباسيين والقادة العسكريين العباقرة من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن نافع وموسى بن نصير ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي وسواهم رضي الله عنهم أجمعين من العرب الغر الميامين ، كما برز منهم فلاسفة وأدباء وشعراء وعلماء عباقرة من أمثال الكندي والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء وأبي تمام والبحتري وابن خلدون وابن رشد وغيرهم ، وبقيت الدولة العربية الاسلامية قوية مزدهرة والحضارة الاسلامية مشرقة ساطعة ما بقي العرب المسلمون يتولون أمرها ويقودون سفينتها ويرعونها ويحرسونها ويحمونها .

ولما أبعد العرب عن مركز القيادة والصدارة وتولى أمرها وقيادة سفينتها مسلمون غير عرب ضعفت الدولة وانحلت وانقسمت الى دويلات وشعوب وأوطان ونبت في أرض العروبة والاسلام أعشاب ضارة وغشي شمس الاسلام سحب بدع وشيع ومذاهب باطلة وقد نشر ذلك الدخن والسحب في أجواء الاسلام النقية وآفاقه الصافية عناصر اسلامية غير عربية ، اذ لم يفهم الاسلام الصحيح على حقيقته ولم يحافظ على نقائه وصفائه عبر العصور الا العرب والمسلمون الذين تعربوا لغة وثقافة ودينا ، لأن العرب أدرى الناس بالاسلام وأعلمهم به وأفهمهم له لأن القرآن الكريم عربي اللسان واللغة . لذلك كان العرب ومازالوا هم المعنيين قبل غيرهم والمسئولين أولا وأخيرا عن حمل الاسلام ونشر أنواره في آفاق العالم وابراز حقائقه الخالدة وسيبقى العرب خير من يترجم الاسلام الى الذين لا يعرفون لغته وستبقى شمس الاسلام ساطعة مشرقة في سماء العرب في حين يغشاها ضباب ودخان في سموات غيرهم .

وهكذا صار للعرب بفضل الاسلام الحنيف وفي ظله دولة عظمى وحضارة عالمية وتاريخ انساني مجيد مشرق ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كما أن الاسلام عز وساد في أرجاء العالم وطرق مسامع الدهر ، وسطع في آفاق الدنيا بفضل جهاد العرب بالمال والنفس والقلم والسيف ، وظل العرب أقوياء أعزاء ما بقوا متمسكين بالاسلام الحنيف ، كما أن الاسلام ظل مشرقا منيرا ما بقي العرب يتولون قيادة سفينته .

ولما ابتعد العرب عن الاسلام الحنيف بمكارم أخلاقه وفضائله السامية ضعفوا وافتقدوا حريتهم واستقلالهم ودولتهم وغزاهم اعداؤهم في عقر دارهم وقلب بلادهم واستعمروهم واستذلوهم واقتطعوا أجزاء غالية من ديارهم وبلادهم ، كما أن الاسلام الحنيف انكسف شمسه وقمره وغشيته السحب والضباب وانتكس وتقلصت أرضه وجزر بحره وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه » السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٥١ ط بيروت ج ٤

وكان العرب كلما اشتد عليهم الداء والألم ، وأطبق عليهم ظلام الجهل والتخلف وكابوس الاستعمار والاحتلال الأجنبي ، تحسسوا وتلمسوا طريق الاسلام الحنيف فوجدوا فيه العلاج الشافي من داء الضعف والهوان والانحلال والتمزق ، والنور الذي يبدد لهم ظلمات الجهل والضلال ويهديهم الصراط المستقيم فتتصافى نفوسهم وتتآلف قلوبهم وتتصافح أيديهم وتتلاقى أرواحهم وأبدانهم ويسيرون يدا واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا كالبنيان المرصوص لمقاتلة العدو الغازي المعتدي ونور العلم والايمان يسعى بين ايديهم يحدوهم الى ذلك قوله تعالى : **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** الصف / ٤

فيدحرون العدوان ويخلصون ديارهم المغتصبة ويستعيدون حريتهم واستقلالهم ويرفعون رأسهم عاليا ويحلقون في السماء .

وهكذا حفظ الاسلام للعرب شخصيتهم العربية الاسلامية ولغتهم العربية البليغة ، ولسانهم العربي المبين وتراثهم الفكري والعلمي والأدبي اذ لولاه لفقدوا ذلك كله وبادوا كما بادت امم وشعوب من قبلهم إبان عصور الطغيان والطوفان .

ويدل على ذلك تخلصهم من طغيان الصليبيين والمغول والاستعمار الغربي المعاصر ، ولن يقدر لهم أن يسحقوا الغزو الصهيوني الذي يجثم على صدورهم ويلتف حول أعناقهم في القدس وفلسطين مالم يعتصموا بحبل الله جميعا ويتسلحوا بسلاح العقيدة الاسلامية والعلم الحديث .

يفهم مما تقدم أن الاسلام الحنيف كان ومازال شمس العرب التي بعثت فيهم الدفء والحرارة والحياة ، وقمرهم الذي يضيء ليلهم ويهديهم سواء السبيل ونورهم الذي يسعى بين ايديهم وخلفهم . وهو ينبوع عزتهم وكرامتهم وقوتهم وجامع أرواحهم وقلوبهم وعقولهم وأبدانهم وأيديهم . ففي ظله وتحت شمسه

ذاقوا طعم الحياة الحرة الكريمة وقام لهم دولة عربية اسلامية عظمى وعلا منار حضارة عربية اسلامية كانت كوكب الهدى في العصور الوسطى ومزانوارها قبست أوروبا من بذورها نبتت الحضارة الأوروبية المعاصرة .

وببركة الاسلام الحنيف وفضله العميم صاروا خير أمة أخرجت للناس وذلك يعني أنه لاعز للعرب الا بالاسلام ولا ازدهار للاسلام الا بالعرب لأنه عربي اللسان واللغة ، ومن لا يعرف اللغة العربية لا يفهم الاسلام الصحيح . والعروبة بلا الاسلام لفظ بلا معنى والعرب بدونه جثة هامدة وأحياء أموات فكلاهما مكمل للآخر ومتمم له ويحتاج الى الآخر كما يحتاج اللفظ الى المعنى والمعنى الى اللفظ والشكل الى المضمون والمضيمون الى الشكل ولا تناقض ولا تباين بين العروبة والاسلام ، فالعروبة تعني الهوية القومية والبطاقة الشخصية للأمة العربية كما يعني اسم الأب والجد والعائلة للفرد ، والله سبحانه وتعالى خلق البشر وقسمهم الى قبائل وشعوب وأمم ودول كما قال جل شأنه : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم**) . الحجرات ١٣

ولكن وجه الخطأ والعيب في الظواهر القومية والتعصب القومي والتمييز العنصري وخير ما يهدم هذه الحواجز والسدود النفسية والعرقية الأخوة الانسانية ولا أخوة انسانية الا في ظلال العلم والايمان والاسلام .

ويتألف النسيج القومي لأي أمة ودولة من لغة قومية واحدة وجنسية واحدة وتاريخ واحد ووطن واحد وأرضية مشتركة وثقافة واحدة ومصلحة عامة مشتركة وتماثل في العادات والتقاليد .

أما الاسلام الحنيف فانه شريعة ربانية ونظام سماوي وقانون الهي ودستور حياة وأخلاق وأداب وفضائل ، وكل امة تحتاج في حياتها ومسيرتها ونهضتها الى ذلك لتنهض وتتقدم وتعيش حياة حرة كريمة ، يظلها الوئام والسلام والتعاون والاتحاد والعدل والرخاء .

لذلك تحتاج الأمة العربية في حياتها الى العروبة ، لتبرز هويتها القومية وينطق لسانها ، وتحتاج الى الاسلام الحنيف لتستضيء بنوره وتسير على هديه وسنته ، وتأخذ بشريعته ونظامه وتتخذه منهجا ودستورا لها وتتشرب أخلاقه السامية وآدابه العالية وفضائله المثمرة وتستمد منه الحيوية والنشاط والتجدد وروح الخلود والبقاء وتذوق طعم العدل والحق والحياة الحرة الكريمة ، وتبقى وحدة حية قوية غلابة ، هذا . والاسلام لم يلغ القومية العربية عندما نزل من السماء ، انما هذبها ونظمها ونقاها من التعصب القومي الأعمى ، كذلك لم يهدم القوميات الأخرى ، ولكنه نفي عنها التعصب العرقي والتمييز العنصري ، وآخى بين ابنائها وساوى بينهم وجمعهم تحت سقف الأخوة الانسانية واخوة الدين والايمان .

وهكذا يمكن للمرء ان يكون عربيا ومسلما أو تركيا ومسلما أو فرنسيا ومسلما وهلم جرا .. فتجمع الناس أخوة الدين والايمان والانسانية .

أما الأقليات الدينية الأخرى فيمكن لها أن تتعايش سلميا مع الأكثرية المسلمة في المجتمع الاسلامي ، اذ تربطها بها روابط اخرى عديدة لغة العروبة وثقافتها وقوميتها ووطنيتها وتراثها وتاريخها .

ومن ينظر في تاريخ العرب قديمه وحديثه ، يتبين له أن العرب ما صلحت أحوالهم ولا استقامت أمورهم ولا اتحدوا ولا تقدموا ولا عزوا ولا سادوا الا في ظل الاسلام الحنيف : فعلة العلل ومشكلة المشاكل عندهم الأثرة والأنانية والنزعة الفردية الانفصالية ، ووضع المصلحة الخاصة فوق المصلحة العامة وحب الزعامات والكراسي . وقد تولد عن ذلك نزعات طائفية واتجاهات اقليمية وحدود سياسية كرتونية بين أقطار الوطن العربي الكبير تحول دون تعاونهم واتحادهم وتفرقهم الى دويلات وشعوب وأوطان ولا دواء لهذا المرض الأخلاقي ولا شفاء منه الا بالاسلام الحنيف كما يقول الله تبارك وتعالى : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**) الاسراء / ٨٢ .

فالاسلام الحنيف يخنق في النفس العربية صوت الأثرة والأنانية والمصلحة الفردية ، ويطلق صوت التضحية والايثار والمصلحة العامة ، ويهدم ما يمزق الأمة العربية ويفصل بين شعوبها من حواجز نفسية وعقلية ونزعات اقليمية وحدود سياسية صناعية ، ويؤلف بين قلوبهم ويجعلهم اخوة في أسرة واحدة كما يقول الله تبارك وتعالى :(**انما المؤمنون اخوة**) الحجرات / ١٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه » متفق عليه وقال ايضا : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ويوحدهم فكريا وروحيا وعقائديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا ، ويصلح نفوسهم ويطهر عقولهم وقلوبهم ، ويشربهم مكارم الأخلاق ورفيع الآداب والفضائل ، وصلاح أمر المرء أساسه ازدهار أخلاقه وآدابه ، والرقي العلمي الحضاري يبنى على الرقي الأدبي الأخلاقي ، وذلك ما بينه أخمد شوقي اذ قال :

صلاح امرك للأخلاق مرجعه   فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال ايضا :

وليس بعامر بنيان قوم   اذا أخلاقهم كانت خرابا

وهنا تتجلى لنا الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه البخاري والحاكم والبيهقي

وفحوى هذا الموضوع أنه لا وحدة للعرب وسائر المسلمين ولا عزة ولا قوة ولا علم أو حضارة لهم الا في ظلال الاسلام الحنيف . لذلك كانت العروبة بلا الاسلام شكلا بلا مضمون وجسما بلا روح ، تعني التمزق والانقسام والجهل والضلال والتخلف الحضاري والضعف والهوان وحياة التبعية والعبودية والاستبداد واضمحلال الحق والعدل والمساواة ، كما يشهد بذلك واقع العرب في الماضي والحاضر .

العلاج بعسل النحل

للدكتور : عزت ابو الفتوح حموده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم يقول الحق تبارك وتعالى : : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل / ٦٨ و٦٩ .

وحينما نتعرف على التركيب الكيمائي للعسل . نجد أنه يتكون من :

١ ـ سكريات بسيطة :

وهي عبارة عن الجلوكوز والفركتوز ولذلك فهو سهل الهضم .

٢ ـ مجموعة كبيرة من الخمائر « الانزيمات »

وهي تسهم بدور كبير في عمليات الهضم مثل :

أنزيم بيروكسيديز والذي يساعد على إتمام حدوث عملية الاكسدة .

انزيم دياستيز والذي يعمل على تحويل النشادر والدكسترين الى سكر .

انزيم الانفرتيز والذي يعمل على تحويل سكر القصب الى سكر عنب وسكر فاكهة .

انزيم كاتاليز والذي يعمل على تحطيم الاكاسيد العالية .

٣ ـ الاملاح المعدنية :

ويحتوي العسل على مجموعة ممتازة من الاملاح المعدنية الهامة للجسم ، والتي لا غنى عنها مثل الكالسيوم ، الصوديوم ، البوتاسيوم ، المغنسيوم ، الحديد ، الكلور ، الفسفور ، الكبريت ، اليود ، وتقريبا فان نسبة بعض الاملاح الهامة الموجودة بالعسل تعادل نسبتها في مصل الدم البشري ..

٤ ـ الاحماض العضوية :

يحتوي العسل على بعض الاحماض العضوية الهامة مثل حمض الاوكساليك و حمض الترتريك .

٥ ـ الفيتامينات :

يحتوي العسل على كميات مرضية من الفيتامينات اللازمة للجسم مثل :

ـ فيتامين « ب ٢ » وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات والدهون والزلاليات وفي امتصاص السكر من الامعاء ، كذلك يعتقد بعض العلماء أنه يزيد المقاومة للميكروبات العنقودية والسبعية . ولوحظ أن نقص هذا الفيتامين يؤدي الى حدوث قرح بالمصران الغليظ ويزيد من تهيج الجهاز العصبي وحدوث بثور في الجلد .

ـ فيتامين ب ٣ وهو يعتبر عاملا مهما ضد التهابات الجلد ويسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات .

ـ فيتامين ب ٦ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالبروتينات ويمنح الجلد مناعة ضد الأمراض .

ـ فيتامين هـ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالدهون ويمنع انتشار الاكزيما والقوباء والدمامل .

ـ فيتامين C وهو يزيد من مناعة الجسم ضد العدوى ويسهم في عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادي للدم .

ـ فيتامين K وهو يمنع حدوث نزيف داخلي بالاوعية الدموية .

ـ حمض الفوليك وهو يسهم في المحافظة على الحجم العادي للكرات الدموية الحمراء .

وكمية الهيموجلوبين في الدم ويستعمل هذا الفيتامين بنجاح في علاج الانيميا الخبيثة « فقر الدم » .

ومع ان هذه الفيتامينات السابق ذكرها موجودة في العسل بكميات صغيرة ولكنها ذات اهمية كبيرة لانها تأتي متحدة مع مواد اخرى مثل الكربوهيدرات والاملاح المعدنية والاحماض العضوية . هذا ولقد اثبت العلم الحديث عن طريق استخدام احدث انواع التحاليل الكيمائية لشراب عسل النحل « العصير » انه يتكون أساسا من :

(أ) لبن النحل :

وهذه المادة تكون الجزء الاكبر

من مكونات شراب النحل وقد وجد عند تجريبها على الانسان انها كافية لشفائه من معظم الأمراض التي يصعب علاجها بالأدوية الأخرى .

(ب) غذاء الملكة « الفالوذج الملكي » :

وهو عبارة عن مركب كيمائي يحتوي على مجموعة كبيرة من هرمونات الجنس والاعصاب وقد وجد ان هذا الفالوذج الملكي الذي تفرزه الشغالة يحتوي على كميات عظيمة من البروتينات ، الدهون ،

السكريات ، الاملاح المعدنية ،

مجموعة من فيتامينات « أ ، هـ ، ب مركب » وعلاوة على ذلك فهو يحتوي على مواد لها خواص الهرمون الانثوي مما يساعد على نضج البويضات في اعضاء الملكة التناسلية . كما يحتوي على مادة « الجير ميسيدين » وهي مادة من المضادات الحيوية التي تعوق نمو الميكروبات والعفن .

(جـ) سم النحل

وهو عبارة عن المادة السامة التي تقذفها النحلة عن طريق الزبان في جسم الانسان عند لدغه ولقد اثبت العلم الحديث ان لسم النحل دورا كبيرا في علاج الحمى الروماتيزمية والتهاب الأعصاب ،

هذا وبعد توضيح التركيب الكيمائي للعسل يجدر بنا الاشارة الى فوائد العسل الشفائية .

أولا : دور العسل في علاج الجروح :

نظرا لأن العسل له خاصية امتصاص الماء لهذا فهو يعطي نتائج ممتازة في علاج الجروح المتقيحة والسطوح الملتهبة .

ولقد كتب بلينى العالم الروماني الشهير فقال : « إن دهن السمك اذا مزج بالعسل كان علاجا ممتازا للقروح والخراريج .
وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح باستعماله في الجروح السطحية في صورة لبخة مصنوعة بخلط العسل بالدقيق بدون ماء .
ولقد فسر الدكتور كرينيسكي تأثير العسل الشافي للجروح ، فقال : « إن العسل إذا عولج به الجرح فإنه يزيد كمية الجلوتاثيون الموجود في افراز الجرح . والجلوتاثيون يلعب دورا في منتهى الأهمية في عمليات التأكسد والاختزال في الجسم وهو أيضا ينشط نمو الخلايا وانقسامها وبهذه الطريقة يسرع شفاء الجروح .

ثانيا : دور العسل في علاج أمراض الرئة :

لقد كتب أبو قراط قديما فقال :

« ان شربة العسل تزيل البلغم وتوقف السعال » وقال ابن سينا إن مزيجا من العسل وبتلات الورد كاف لعلاج السل الرئوي في أطواره الأولى » . وظل الطب الشعبي قرونا طويلة يستعمل العسل لعلاج السل الرئوي إما مخلوطا باللبن أو الدهن الحيواني . والذي أثبته العلم الحديث حتى الآن ان العسل يسهم في شفاء أمراض الرئة حيث انه يزيد من مقاومة الجسم بصفة عامة وبذلك يمكن التحكم في العدوى ..

ثالثا : دور العسل في علاج أمراض القلب :

نظرا لأن نسيج القلب العضلي يعمل باستمرار فيجب ان يحصل دائما على ما يحتاجه من الجلوكوز لكي يعوض ما يفقده من طاقة .

وكان قديما يعتبر العلامة العربي ابن سينا العسل علاجا ممتازا لأمراض القلب ونظرا لأن العسل يتكون أساسا من الجلوكوز والفركتوز لهذا فإن تاثيره على عضلات القلب يصبح واضحا . وعلى ذلك فينصح أن يتناول مرضى القلب العسل في طعامهم يوميا

رابعا دور العسل في علاج امراض المعدة والامعاء

وجد أن العسل مركب كامن القلوية لذلك فهو يستخدم في علاج حموضة المعدة، وعلى أساس المراقبة الاكلينيكية استقر رأي كثير من المؤلفين على أن الغذاء المكون من العسل فقط أو ممزوجا مع بعض الأطعمة الأساسية يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة العالية في المعدة وينصح في علاج قرح المعدة والاثنى عشر بتناول العسل في صورة كوب ماء دافىء قبل الافطار بساعتين او بعد العشاء بثلاث ساعات ، ولقد اعلن مجموعة من الدكاترة السوفييت أن عسل النحل كاف لعلاج حموضة المعدة ، النزيف المعدي ، الامساك ، القيء ، وقرح المعدة والاثنى عشر بنجاح .

خامسا : دور العسل في علاج أمراض الكبد

يستعمل العسل بنجاح في علاج أمراض الكبد ، ويرجع ذلك الى طبيعة تركيبه الكيمائي والبيولوجي . ولقد ثبت أنه بالاضافة الى كونه طعاما لخلايا الجسم وانسجته فإن الجلوكوز يزيد من مخزون الكبد من السكر الحيواني وينشط عملية التمثيل الغذائي في الانسجة .

ونظرا لأن الكبد يقوم بعمل المرشح فيكون ترياقا لسد البكتريا ومن المعروف أن الجلوكوز

يزيد من أثرها في هذه الناحية ، وبذلك تزيد مقاومة الجسم للعدوى . وهذا هو السبب في استعمال الجلوكوز ، وهو أهم مكونات العسل على نطاق واسع في الطب الاكلينيكي للحقن في الوريد .

سادسا : دور العسل في علاج أمراض الجهاز العصبي :

كان الاغريق والرومان قديما يعتبرون العسل مسكنا وباعثا على النوم العميق .

وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح بتناول جرعات قليلة من العسل في حالات الأرق .

ولقد قرر العلم الحديث أن عسل النحل ناجح في علاج الاضطرابات العصبية وأن كوب ماء مذاب فيها العسل ، اذا اخذت قبل النوم سببت النوم الهادىء .

وقد دلت الملاحظات الاكلينيكية على إمكان الحصول على نتائج سريعة إذا عولج الجهاز العصبي بمحلول ٤٠ ٪ من الجلوكوز حيث يبدأ المريض في التحسن ، ويقبل على تناول الطعام ويختفي الصداع ويقوي البصر وتتحسن حالته الصحية بصفة عامة .

سابعا : دور العسل كدهان طبي لعلاج الأمراض الجلدية :

يعتبر عسل النحل من أهم المواد التي تحافظ على صحة الجلد وجماله وهو بدوره يحمي كل الجسم من المؤثرات الخارجية الضارة .

ثامنا : دور العسل في علاج أمراض العيون :

في مصر قديما كان العسل يعتبر واحدا من أنجح الأدوية لعلاج أمراض العيون المختلفة . وبناء على ما قاله الاستاذ الدكتور ى فيشر : رئيس قسم طب العيون بمستشفى اوديسا الاقا حيث استعمل مراهم العسل نطاق واسع للاصابات المخذ التي تضر بالقرنية .

وقد استعمل العسل أولا في مرهم ٣٪ سلفيدين بدل البرافين السائل وبسرعة أمكن ملاحظة أن العسل وحده دواء ناجح وكمنشط لالتئام الجروح ، فإن مرهم السلفيدين بالعسل أعطى نتائج ممتازة في علاج القرح بطيئة الالتئام الموجودة بالقرنية .

وفي نهاية مقالي هذا فإنني أقول إن في النحل ومنتجاته كثيرا من العبر والعظات لأصحاب العقول الناضجة.هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق في خلقه . وصدق الله إذ يقول : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)** فصلت / ٥٣ .

التضادُ في شعر الشافعي

للأستاذ / حكمت صالح

من ألوان البديع شاع ما يعرف بـ « الطباق » ، ويكون إما ايجابا أو سلبا ، فالايجاب يقصد به الجمع بين لفظتين متضادتين في المعنى ، مثل : الحي والميت ، أو النهار والليل ... الخ . وأما الطباق السلب فيقصد به الجمع بين اللفظ ومنفيه ، فان اجتمع أكثر من ضد وضد سمي الطباق .. « مقابلة » ، فالطباق اذن هو مقابلان بين المعاني .

والبديع ظاهرة فنية اهتدى اليها الشعراء منذ القديم بقريحتهم وحدسهم ، ثم ان الشعر يتطلب بطبعه مثل هذه « الرتوش » الفنية ، وفي ذلك يقول الدكتور (محمد مندور) :

« فاما ان البديع شيء قديم اهتدى اليه الشعراء بقريحتهم وبحكم طبيعة الشعر ذاته فأمر يحتاج الى تفصيل ، وذلك لأن الشعر ـ الى حد كبير ـ صياغة ، وفي طرق هذه الصياغة تتركز عادة أصالة الشاعر : إذ بفضلها يقيم علاقات بين الاشياء ، وكلما ازدادت كمية تلك العلاقات ودقتها وجدتها وقوة ايحائها ازداد شعره جودة » .

ثمة ما يقابل « الترادف » في اللغة وهو ما اصطلح عليه القدماء « الأضداد » أو « التضاد » في اللغة ... ويقصدون به إطلاق اللفظ على المعنى وضده . مثل « الجون » الذي الذي يقصد به الابيض ، والاسود . وهذا التضاد نوع من أنواع الاشتراك اللفظي ، وللغويين فيه اختلاف ، فـ « ابن درستويه» جحده في كتاب لم يصلنا وهو بعنوان « أبطال الأضداد » ، غير أن فريقا آخر أقروا كثرة وروده ، منهم « ابن سيده » و « الثعالبي » و « السيوطي » وغيرهم ، وكثيرة هي المؤلفات التي أدرجت تحت عنوان « الأضداد » لـ « قطرب » و « الأنباري » وغيرهما .

ورغم كون هذا التضاد وسيلة من وسائل التنويع في اللفظ والاسلوب ، ورغم ما أضفى على العربية من مران وطواعية في التنقل بين ما هو سلبي وما هو ايجابي ، أو العكس والنظير ـ رغم كل ذلك فاننا ـ في دراستنا هذه ـ سوف لا نقف عند هذا النوع من التضاد ، لأنه لا يشكل مؤشرا يميز شعر « الشافعي » . من ذلك قوله :

رأيتك تكويني بميسم منة كأنك كنت الأصل في يوم تكويني
فدعني من المن الوخيم ، فلقمة من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

« هذه الأرقام الأولى مثل ١٧٧ تشير الى تحقيق زهدي يكن والثانية مثل ٨٧ تشير الى تحقيق محمد عفيف الزعبي »

وسنتناول في هذا الفصل شكلين من أشكال « التضاد » ، الأول ونقصد به الطباق والمقابلة ، وهو موضوع كثر فيه الحديث في كتب البلاغة وخاصة في كتابي « البديع » لـ « ابن المعتز » ـ ت ٦٢٦ هـ ـ و « نقد الشعر » لـ « قدامة بن جعفر » ـ ت ٣٣٧ هـ ـ . وأما الشكل الثاني فنقصد به التضاد « المنطقي » ، وهو أن يعمد الشاعر في البيت الواحد الى استثارة معنيين متناقضين ، بغية الوصول الى حقيقة عقلية أو تقرير ذهني من خلال التمثيل الحسي المتناقض للتركيب اللغوي في شطريه ، وهذا ما سنفصل الحديث فيه فيما بعد .

فأما ما يتعلق بالشكل الأول من تضاد في ديوان (الشافعي) ، فان الشواهد ليست باليسيرة ، بل انها تكاد تزاحم أبيات الديوان . وقد قيل إن « بشار بن برد » و « مسلم بن الوليد » و « أبا نواس » ومن سلك سبيلهم كانوا قد سبقوا إلى هذا الفن الذي سماه المحدثون بـ « البديع » الأمر الذي دفع بـ « ابن المعتز » الى تفنيد هذا الزعم ، فأكثر في كتابه من الشواهد القرآنية واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وأشعار المتقدمين ، وقد أشار الى ذلك في مقدمة كتابه .

ونريد هنا ان نضيف « الشافعي » الى قائمة اسماء الشعراء الذين اتخذوا من البديع صنعة ، يبذلون فيها جهدا واضحا ، سواء في اختيار الالفاظ او زخرفتها ، وما يتطلب ذلك من قوة البناء اللغوي والنحت الحرفي . ولم يكن هذا الزخرف اللفظي في شعره الغاية الاساسية ، كما هو عليه الحال من امر معاصره « مسلم ابن الوليد » ـ الذي ولد بالكوفة سنة ١٤٠ للهجرة ـ والذي صبغ نسيجه بالالوان والظلال والاطياف ... كما ان « الشافعي » ـ من جهة اخرى ـ لم ينحدر الى اللغة اليومية التي انتهجها « ابو العتاهية » ـ الذي ولد بضواحي الكوفة سنة ١٣٠ للهجرة ـ بخفة اوزانها ورقة الفاظها ورشاقة قوافيها ، او ما يعرف بالسهل الممتنع ... هكذا كان شعر « الشافعي » يمثل مرحلة بين « مسلم » و « ابي العتاهية » .

والطباق قليلا ما يأتي في شعر « الشافعي » في لفظتين مثل « يزيد وينقص » في قوله :

« وان عرى الايمان : قول مبين وفعل زكي قد يزيد وينقص »
(ديوانه ١١٣/ ٥٤)

« ولقد كان « للشافعي » رأي في حقيقة الايمان أثر عنه ، فقد كان يقول : الايمان تصديق وعمل ، وكان يحتج لذلك ، ويدعو اليه ، واذا كان الايمان تصديقا وعملا فهو يزيد وينقص بزيادة العمل ونقصه » ..

واحتج لذلك بقوله تعالى : (**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا**) التوبة/ ١٢٤

وبقوله تعالى : (**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**) الكهف/ ١٣

ومثل « يزيد وينقص » قوله : « واقفا وقاعدا » (ديوانه ١١ /٢٣) ، و « البسط والقبض » (١١٥ /٥٥) ، و « المودة والجفا » (١٢٥ /١٠) .

« ومن اسباب قوة الطباق البديعي ... لان المقابلة نوع من التحدي بين المعاني ، والمنافسة في الظهور وهذه قوة للمعاني » .

ومن مقابلات (الشافعي) قوله :

« ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا ، وعند الله منها المخرج »
« ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج »
(ديوانه ٦٦ /٣٢)

والمقابلات كثيرة في الديوان قد تخرج الى تشبيه او استعارة فتأخذ شكل صورة بيانية كما في البيتين السابقين وتترى المقابلات من تعاشق الطباق او تجاوره ولا يخفى تقصد الصنعة اللفظية فيها متمثلا بالجهد الذهني المبذول في اختيار الالفاظ والمفردات :

« لقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا »
(ديوانه ١٠٢ /٤٠)

« ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وإن ارضيتهم ملوا »
(ديوانه ١٤٨ /٧١)

« فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم »
(ديوانه ١٥٥ /٧٥)

« وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ليخفاهم حالي وإني لمعدم »
(ديوانه ١٥٧ /٧٦)

« من جاء إليك فرح اليه ومن جفاك فصد عنه »
((ديوانه ١٧٢ /٨٥)

« ولكنني مدره الأصغر يسن ، جلاب خير وفراج شر »
(ديوانه ١٩٠ /٤٩)

ومن خلال الشواهد المتقدمة نرى المقابلة تأخذ أسلوب الخبر تارة ، فيخرج الى المدح كما في البيت الأول ، والى الفخر كما في البيتين الرابع والسادس وتنتهج تارة أخرى أسلوب الاستفهام الانكاري كما في البيت الثاني او يطرحها الشاعر بشكل تقرير لا يخلو من الوعيظة كما في البيت الثالث . وقد تأخذ المقابلة شكل أمر يخرج الى النصح وهو كذلك يصطبغ بالوعظية كما في البيت الخامس .

وتعبير لغوي كهذا انما يعكس رصيدا لغويا وتمكنا من الصياغة والتصرف في التراكيب لكي تستوعب الفكرة وتنقلها الى المتلقى بأمانة ووضوح ويعود ذلك الى أعمال العقل والتفكير ؛ والا قد يأتي التعبير فيه من الابهام والغموض والتعمية ما يصرفه الى التعقيد الذي هو أقرب الى الركاكة منه الى السلاسة والعمق .

وشعر « الشافعي » هذا يتسم بالوضوح والسلاسة معا ، الأمر الذي كاد أن يخفي ملامح الجهد المبذول في الصياغة . وهو بذلك يختلف عن «أبي تمام » الذي سئل يوما : « لم تقول ملا يفهم ؟ » فأجاب على الفور : «ولم لا تفهم ما يقال لك ؟ » ونحن ـ في هذا المجال ـ لا نغمط «أبا تمام » حقه في طول باعه والتفرغ لفنه الرفيع .

والوضوح الذي اتسم به طباق «الشافعي » ومقابلته ، جعلت أبياته السابقة بعيدة عن المماحكات الكلامية .. والجدل العقلي .. والدقة في توليد المعاني .. والمفارقات الذهنية ، ولعل السبب في ذلك أن «البديع » لم يطرق كفن جمالي مستهدف لذاته في شعر «الشافعي» ـ كما هو عليه الحال لدى معاصره «مسلم بن الوليد » .

« ان غبت عنهم ؛ فشر الناس يشتمني　　وان مرضت ؛ فخير الناس لم يعد
« وان رأوني بخير ساءهم فرحي　　وان رأوني بشر سرهم نكدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٣)

« وما موت من قد مات قبلي بضائري　　ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٠)

« رام نفعا فضر من غير قصد　　ومن البر ما يكون عقوقا »
(ديوانه ص ٦٧/١٤٠)

« ومن الدليل على القضاء وحكمه　　بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق »
(ديوانه ص ٦٥/١٣٣)

« لكن من رزق الحجا حرم الغنى　　ضدان مفترقان أي تفرق »
(ديوانه ص ٦٤/١٣٢)

« اذا نطق السفيه فلا تجبه — فخير من اجابته السكوت »
« فان كلمته فرجت عنه — وان خليته كمدا يموت »
(ديوانه ص ٣٧/٢٣)

« إني رأيت وقوف الماء يفسده — ان ساح طاب ، وان لم يجر لم يطب »
(ديوانه ص ٤٨/٢٦)

« ومن لم يذق مر التعلم ساعة — تجرع ذل الجهل طول حياته »
(ديوانه ص ٦٠/٢٩)

هذه المجموعة من المقابلات يميزها عن سابقتها أنها أكثر نضجا من الناحيتين الفكرية والفنية وهي ـ في أغلبها ـ تنم عن تجربة حياتية ومعاناة نفسية ؛ لذا جاءت أكثر تعقيدا ، وأقرب الى المنطق وصولا الى الاقناع بما يشبه البرهان «الرياضي » ، وهذا ما يميز أغلب شعر «الشافعي» .. كما وجدناه في صورته الشعرية ، وكما نجده في الاستدلال المنطقي وربما كان قد استمد هذه الخاصية من المؤثرات الدينية والفقهية ، ومن المذهب العلمي الذي كان يخضع له في انشائه علم «الأصول » ومن جهة أخرى فان الاقتراب من المنطق للوصول الى ما تشبه البرهان ساهم في شيوع الاكتفاء بالأبيات القليلة والمقطوعات القصيرة دون الاهتمام بالقصيدة ككيان له حيويته وبناؤه الفني ونموه ووحدته العضوية أو المعنوية فقد اكتفى بالبيت أو بالأبيات لكي تكون أقرب الى المثل أو الحكمة ومن ثم تكون موضع الاستشهاد أو البرهان .

وتستوقفنا مجموعة اخرى من المقابلات البديعية نستدرجها هنا ، كما تعكس من جوانب فنية ، وما تحتويه من حكم تسير مسار الامثال .

« إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها — فينبغي لك الا تأمن النارا »
(ديوانه ص ٩٢/٤٢)

« أنا إن عشت لست أعدم قوتا — وإذا مت لست أُعدم قبرا »
(ديوانه ص ٩٣/٤٢)

« كلما أدبني الدهر — أراني نقص عقلي »
« وإذا ما زدت علما — زادني علما بجهلي »
(ديوانه ص ١٤٥/٧٠)

« وأنطقت الدراهم بعد صمت أناسا بعد ما كانوا سكوتا »
« فما عطفوا على أحد بفضل ولو عرفوا لمكرمة ثبوتا »
(ديوانه ص ٣٠)

« تموت الاسد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب »
« وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشه التراب »
(ديوانه ص ١٩/٢٧)

« محن الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره تأتيك كالاعياد »
« ملك الاكابر ، فاسترق رقابهم وتراه رقا في يد الاوغاد »
(ديوانه ص ٣٥/٧٥)

« وسالمتك الليالي ، فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر »
(ديوانه ص ٤٤/٩٦)

إن ابيات « الشافعي » هذه والتي يتضمنها الفصل ـ إذا ما تكلمنا عنها بمصطلحات علم المنطق ـ تجدها غالبا ما يأخذ التضاد والمفارقات شكل « قضايا » لها وجود منطقي يتجلى في صورة او لوحة منطقية لا تكتفي بأن تحمل معنى وإنما تهدف الى مغزى ايضا .

كما أن اللجوء الى المجاز الشعري لا يشترط أن تكون القضية في أصلها صادقة أو كاذبة !.. ومن خلال معايير الدلالة والمعنى والحكم يربط الشاعر بين الصورة الشعرية واللوحة المنطقية كيما ترتبط القضية بعالم الواقع ، ومن ثم تصف « موقفا ». ان الجانب اللفظي من التضاد يصور لنا مدى التقاء الوقائع الموجبة بالوقائع السالبة . ولا يسعنا المقام هنا أن نتشعب في التفسيرات المنطقية التي تخرج البحث عن طبيعته الادبية ، ونكتفي بهذه الاشارة السريعة الى جهاز العلاقات والقوانين التي تمثل البناء من حيث التركيبات النظرية لكل من المنطق والشعر .

مجموعة ثالثة نقف عندها من المقابلات التي تتعدى نطاق الطباق اللفظي لكي تحدد ملامح صورة شعرية :

« وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا »
(ديوانه ص ٩١/١٨٦)

« أكل العقاب بقوة جيف الفلا وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف »
(ديوانه ٦١/١٢٩)

« فإن تجتنيها كنت سلما لأهلها وإن تجتديها نازعتك كلابها »
(ديوانه ص ٣٤/٢٢)

« خبت نار نفسي باشتعال مفارقي وأظلم ليلي إذ أضاء شهابها »
(ديوانه ص ٢٩/٢٠)

ونحن في جولتنا هذه مع المقابلة . نجد « الشافعي » لا يكتفي بالتضاد اللفظي ، وانما يعمد الى التضاد بالصورة الشعرية ، وذلك من خلال الكناية او الاستعارة او التشبيه الصوري . فالصورة في البيت الاول تستلهم المنظور البصري في تشخيص صورة تقريرية فيها من الجمال ما يشغل القارىء عن الالتفات الى الجهد الكامن وراء تحديد ملامح هذه الصورة وابرازها بهذا الشكل الفني .. وفي البيت الثاني يعتمد « توافر الاضداد »كما يسميه « ابو تمام » ويقصد به المقابلة ، ويتحول هذا التضاد الى ما يشبه الصراع بين الالفاظ المتقابلة ، تستمد ابعادها الذهنية من المخيلة لتسكب ظلالها في اطار من التقرير ، ليعبر عن مآسي الواقع الذي وقف عليه الشاعر .. وفي البيت الثالث تبرز الحركة واضحة من خلال التجاذب والمنازعة ، فقد استطاع الشاعر ان يستغل خياله في تبسيط التعقيد والتضاد . فهي صورة ماثلة امام مرأى مخيلة القارىء ، وكأنه يرقب عن كثب هذه الاطراف المتجاذبة ، وهكذا تتحول الالفاظ المتضادة الى صورة مرئية وتشخيص حي .. وفي البيت الاخير لا يكتفي بان يقيم التضاد بين صدر البيت وعجزه كما في الابيات الثلاثة السابقة ، وانما يعمد الى التكثيف والتعشيق بين ابعاد معالم الصورة في صدر البيت وبين معالم الثانية في العجز . والبيت الاخير يكشف لنا عن طاقة ابداعية ومقدرة فنية . نقرها « للشافعي » في بلوغه هذا المرتقى الصعب !

وبعد ان تكلمنا عن التضاد الذي هو طباق او مقابلة نعود الى القسم الثاني منه ونقصد به التضاد الذهني المنطقي والمفارقات،فرغم شيوع النوع الاول في ديوان الشافعي ، الا ان البديع هذا اصبح سمة لمدرسة شعرية تزاحم المنتسبون اليها فيما بعد . اما النوع الثاني من التضاد فينحصر في نطاق اقل اتساعا من الاول على صعيد الشعر في عصر الشاعر .

والتضاد المنطقي لصيق بأساليب علم الكلام الذي بدأ ينتشر بين كثير من الطوائف والفرق الاسلامية وخاصة بعد عصر الترجمة .

نعود الى المفارقات والتضاد المنطقي الذي اتسم بإعمال الفكر والتعمق في التصور ، وهو لا يخلو من التلاعب بالالفاظ ، ويعتمد المنطق ، ويطرح الدليل والبرهان وصولا الى الاقناع :

اذا ما كنت ذا قلب قنوع فانت ومالك الدنيا سواء »
(ديوانه ص ٢٢/١٧)

« وأحسن الى الاحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها »
(ديوانه ص ٣٢/٢١)

« ولا تمشين في منكب الارض فاخرا فعما قليل يحتويك ترابها »
(ديوانه ص ٣٣/٢١)

« لو شاء ان تصلى جهنم خالدا ما كان ألهم قلبك التوحيدا »
(ديوانه ص ٨٧/٣٩)

« وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق »
(ديوانه ص ١٣٢/٦٤)

فالتضاد في هذه الأبيات لا يرتبط بالجانب اللفظي ، بل بالمعنى او الصورة ، فالفقر مع القناعة يقابل الغنى وامتلاك الدنيا .. والاحسان الى الاحرار يستعبدهم .. والكبر على سطح الارض يعقبه الذل تحت ترابها .. والخلود في جهنم يقابله النجاة بالتوحيد .. وهمة العمل يقابلها ضيق الرزق .

وهذا الاسلوب يعتمد التلاعب بالالفاظ ، وبالتالي تقابل المعاني كمدخل يلجه الشاعر ليكسب رأيه حجة وتكسب حكمته مفعولا مؤثرا ، ان طرح مثل هذه المفارقات يبدو متقصدا في فن الصياغة الشعرية التي انتهجها الشافعي ، حتى غدت هذه المفارقات وكأنها سمة من سمات شعره وقد جاء هذا الاسلوب من باب الحرص على الاقناع ، ويبدو اثر القياس في مضمار الفقه منعكسا في بعض ابعاده على هذا الاسلوب ، واذا كان القياس يعتمد التناظر في المتشابهات فانه في الشعر يأخذ - هنا - شكل التضاد والمفارقات ، ليحدث في نفس المتلقي هزة الاعجاب بالتفاتات الشاعر الذكية ، واندهاش بها .

وفي معرض اشارتنا الى مذهب يعلل التضاد او المفارقات الصورية في الشعر نذكر (ريتشاردز) و(امبسون) فقد وجدا ان القدرة على التوصيل والنقل انما تصدر عن بعض الخصائص منها أن تركيبة الشعر مؤلفة بين المتباعدات والمتناقضات وان المعاني الشعرية تنشأ من الصراع بين ما هو منطقي وما هو غير منطقي .. ومن اقوال « بروكس » « ان بناء احسن القصائد هو بناء التناقض ، لان مواد القصيدة يقوم بينها التجاذب والمقاومة والصراع ، واحسن بناء ما بلغ بهذه المواد المتنافرة والمتصارعة درجة التوازن .

وتبدو الصنعة واضحة على هذا الاسلوب الذي انتهجه « الشافعي » فهو ينقح ويمحص .. يثقف ويصقل .. ويشذب ويجود ، فصياغة كهذه اقرب الى الصنعة والتصنع منها الى الطبع والسجية ، كما انها تكشف عن تمكن الشاعر في التعامل مع ادواته الشعرية الامر الذي اسبغ على شعره الحكمي ملامح الطلاوة ومتانة السبك والحبك شكلا رغم ما يبدو من جهد عقلاني يتغلغل في جنبات المضمون .

العقلية العلمية والحضارة الاسلامية

للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المهيأة لقبول العلم ، وسمي العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل في اللغة : ضد الحمق ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال علي كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطري المطبوع ، يشير ما روى الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » وكذا ما جاء من ان : « اول ما خلق الله العقل » .. والى العقل المكتسب يشير ما روي : « ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى ، او يرده عن رديء » .

ومن اوضح سمات القرآن الكريم التي اثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هي الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية في مسيرتها عبر الحياة .

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة في اكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الالفاظ التي تدل عليه او ترشد وتشير اليه من قريب او من بعيد من التفكر والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأي والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل واهميته بالنسبة للانسان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويشرح الصدور .. وليس اتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل في القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الانسانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذي ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء ، والمتعقلون قبل ان يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا في داخله وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ..

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء ، وفي بواطن الامور ..

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال .. والعقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ وتعي ، وتبدىء وتعيد ، والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل امر بمعروف ، وكل نهي عن محظور . افلا يعقلون ؟ افلا يتفكرون ؟ افلا يبصرون افلا يتدبرون ؟ اليس منكم رجل رشيد ؟ افلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر انفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء »

والاشارة الى العقل لا تأتي في القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة في سياق آية ، بل هي تأتي في كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل في كل معرض من معارض الامر والنهي التي يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، او يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من اصحاب العلوم الحديثة . بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف ، أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة او وظيفة ..

فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقي او المنع من المحظور والمنكر .

ومن خصائص العقل الانساني التي تميز بها :

اولا : انه ملكة الادراك التي يناط بها القيم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احيانا بادراك

الامور فيما ليس له علاقة بالاوامر والنواهي ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الامر.يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبني عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لان الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز .

والعقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الاضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ويتدبر ويحسن الادكار والرواية . ومن هذا المنطلق الاسلامي ، تعمق العلماء المسلمون في علوم الحياة والحضارة الانسانية ، وبعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الاطباء والفلكيين والرياضيين والكيميائيين ، واوائل من اكتشفوا حقائق علمية في مجالات كانت اول المعالم على طريق الباحثين والدارسين .. وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع . ومن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضوعة في الفكر الاسلامي ، ما حدث مصادفة ان كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته » . وهكذا يقرر الرسول الصادق الامين ، مبدأ علميا ، ظل ابد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد . وفي حادثة فيضان النيل بالاقليم المصري ، موضوعة علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامي ، وطهارته . ذلك انه كان الاعتقاد السائد في مصر قبل الفتح الاسلامي : ان النيل لا يفيض بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقتذاك . كتب الوالي عمرو بن العاص الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، في المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بإرسال رسالة يلقيها في النيل ، وكان في الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل . إن كنت تجري من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجري بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » .

وبهذا قضي المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمي او عقلي في الحياة .

وبالعقلية العلمية كانت علوم المسلمين ، هي أساس الحضارة في العصر الاول واخذت الحركة العلمية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائي حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ، ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة ..

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، في تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامي يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في

المتاهات الفلسفية ..

ومن شأنها ايضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل في ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامي والانساني .

واول دعامة في المنهج الاسلامي في تحرير العقل والفكر هي تحرير الانسان من اصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمي البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ..

والدعامة الثانية في المنهج الاسلامي .. هي تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة .. ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس في صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب ان يجتنب .

وقد عني الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد او عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى في سورة الحج .

« **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** » الآيتان ٨ ، ٩ .

والدعامة الثالثة في المنهج الاسلامي .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها .. لان طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان في سلوكه والتوائه في نظره . وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأي ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم .

ولهذا عني الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعي عليهم ضلالهم ،، فقال تعالى في سورة القصص : (**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) الآية ٥٠ .

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ..

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهي عنه ..

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامي ان يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به

في الطريق المستقيم .. فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، ومن شأنها ان تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ..

اولا : ان الناس في الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهيء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تعده وراثته الا للسطحي من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية في دائرة ضيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الاشياء الا بمنظار رمادي .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير في ملكوت السموات والأرض ..

قال تعالى في سورة الغاشية : (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الآيات . ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى في سورة ق : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

وهناك كثير من الآيات التي تدعو الى التفكير والنظر في السموات والأرض وما خلق الله فيها .. ليصل الانسان الى الايمان بالله ، فيرتقي الى السمو والكمال ..

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة ..

ويسوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقد حرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أي شأن ..

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر . بل استنهض العقول ووجه الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى في سورة الرعد : (**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) ختام الآية ٤

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الاية ١٣ (**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) .

وقوله تعالى في سورة طه : (**إن في ذلك لآيات لأولي النهي**) ختام الآية ٥٤

وقوله تعالى في سورة يونس : (**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) الآية ٦٧

وقوله تعالى في سورة الرعد : (**إنما يتذكر أولوا الألباب**) . الآية ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدي الى الرشد .. كماقال تعالى في سورة الزمر : (**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**) .. ختام الآية ١٧ ، والآية ١٨

وهكذا نرى ان الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الاغراض الخفية والأهواء الدفينة لان ذلك من أكبر العوامل في اعتدال النظر واستقامة التفكير.

ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين في بيداء الضلال، ومنقادين وراء سراب كل البدع والاهواء.

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلي وسيطرة التبعية العمياء ـ كما عرفنا في دعائم المنهج الاسلامي في تحرير العقل ـ فان ذلك يعني أن التقليد الذي ذمه الاسلام، هو التقليد الذي لا يميز بين الخير والشر تقليد أهل الغواية والضلال.

أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا عقولهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية.

وحرية الفكر التي دعا اليها الاسلام هي الحرية التي تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتجلي معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه، قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية في حياة النفوس .. اما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذي يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى في سورة الاسراء: (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الآية ٣٦.

وهذه الآية تنهي عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية، او رؤية بصرية، او براهين عقلية، وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات.

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه في مظانه، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام.

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئا واحدا، هو الاسلام والفكر الاسلامي .. فانتبهوا الى آيات الله التشريعية، وآيات الله الكونية .. وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة .. وأقاموا الحضارة الاسلامية التي تخطت مراحل النهوض في تاريخ النهوض والأمم.

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ ان ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، ورواد المعرفة والحضارة.

وبحثوا، ودرسوا، وأضافوا وجددوا، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث العاتية التي حملوا أعباءها

والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وإن بلغت ما بلغت ، لا تستطيع ان تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب ، ولا ان تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا : انه لاول مرة في تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة في التاريخ وفريدة في تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذه الخصائص والمميزات نجملها في النقاط التالية :ـ

اولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسي للقيم الحضارية ، قال تعالى في سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوي ان يجمح ، وتعصم الغالب ان يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل في الصدور .

ولهذا كرر رب العزة ، النداء في القرآن الكريم بصيغة « **يا أيها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، إبانة لحقيقتهم ، هذا الى ما ينطوي عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفي النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شيء الى الانسان هو ان تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما في الانسان شيء اقرب الى الله من الايمان به .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالي تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، في أي شأن من الشئون ، وفي أي درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في القرآن الكريم بهذا النداء (**يا أيها الذين آمنوا** ..) في ثلاثة وثمانين موضعا .. والآيات لثلاث والثمانون في جملتها ، تبين ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية فعالة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين في جميع جوانب الحياة .. وهذه الآيات كانت وما زالت أصلا جذريا يمس أساس الاوضاع في حياة الناس .. والاسم فيها يراعي حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية ، في حدود الحق والفضيلة والعدل .. والاسلام فيها وليد العقيدة التي تطهر النفس ، وتذكي القلب ، وتربي الخلق وتغذي العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء يبعث في روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة في غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل » .

وأثر الايمان يبرز بوضوح في الحضارة الاسلامية التي غيرت وجه التاريخ .

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية ، أنها تقوم على خلوص النية ،ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق هي الارادة المنفذة ، والضمير الموجه وجملة ما يراد أن يقال ان الاخلاق التي جاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصدق ، والاخلاص والاستقامة ، والنظافة ، والاصلاح ، والاخاء والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة وحسن الضيافة والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام ، ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث والكذب وشهادة الزور ، والبطر والجبن والخلاعة ، والميوعة والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالالقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق في الاسلام اعلاء كلمة الحق واقامة ميزان العدل في الخلق .

ثالثا : وفي الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامي ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والمواءمة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادي وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر في وضوح ان الانسان خليفة الله في الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من اين اكتسبه وفيما انفقه ومن هذا المنطلق الاسلامي كان الاقتصاد في الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكي فان الاقتصاد الرأسمالي يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة .. والاقتصاد الاشتراكي يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية اما الاقتصاد الاسلامي فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة في اطارها مطالب المادة ومشاعر الروح ، ومكارم الاخلاق .. وفي سبيل هذا الاطار الاقتصادي المتميز حرم الله الربا والغش والسرقة ، واكل أموال الناس بالباطل . وقد اثبت التاريخ ان الذين تربوا في مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة ، واعتدل في أيديهم ميزان الحق والعدل ولقد كانت الامة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر فيها الصناعات على اختلافها ، وما تركه المسلمون من تراث علمي ، لاكبر شاهد على ذلك .

من الامام ابن الشـ

كلما قلبت تراثنا الاغر رأيت صفحات مضيئة ، ما أحوجنا اليها في هذا الظلام الذي يعيشه أبناء الاسلام وسط خضم التيارات الهدامة والمذاهب الالحادية ولعل ذلك مرده الى البعد عن صراط الله المستقيم ومع واحد من الذين قادوا القافلة الاخلاقية الرائدة وددت ان يلتقي الشباب المسلم حوله ربما انتفع به .. ولن يخيب رجاه !!

من هو :

هو الامام « عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ».. يكنى أبا الفرج ، ولد عام ٥١١هـ ، كان من المتجردين للعلم فأعطى من بنات أفكاره العديد من المصنفات في مختلف العلوم بيد انه نشأ في موطن العلم « مشرعة الجوز » من اعمال بغداد ، وترعرع بها وما كاد يستوى حتى توفي والده فاستقبل الحياة بروح الكفاح والتضحية ، واصدق ما قيل عنه قول الموفق « كان ابن الجوزي لطيف الصورة ، حلو الشمائل ، رخيم النغمة ، موزون الحركات ، لذيذ الفاكهة ، لا يضيع من زمانه شيئا ، يكتب في اليوم أربع كراريس ، ويرتفع كل سنة من كتابة ما بين خمسين

الجوزي الى

بابي

للاستاذ / عبد الجواد محمد الخضري

كتابا الى ستين ، وله في كل علم مشاركة » طلب العلم على « علي بن عبد الواحد » « وأبي الحصن » « وأبي عبد الله البارع » ولو تأملنا عصره ، وما يموج فيه من اتجاهات مضطربة من كل جانب ادركنا علة عزلته التي اتخذها ذريعة لعدم الوصول الى المعاصي والحفاظ على الطاعات يقول : « المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان ينعدم النور كله » وكان لا بد ان يبتعد عن الاضواء والشهرة فاستغنى عن الناس بعلمه الا ان المناوئين له لم يعجبهم الموقف ، فأشهروا السنتهم في حياته وانتقدوه بعد وفاته وهيهات ! وهو الفقيه الحنبلي امام القرن « السادس الهجري » بلا منازع خصوصا في فن الوعظ الذي تفرد به وتميز بالفصاحة والبلاغة حتى غدا وحيد نسجه !! وبعد حياة مملوءة بالمعرفة على تنوعها رحل عن الحياة في (١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ) .

مؤلفاته :

اذا علمت انه من المتقين الذي انكبوا على العلم منذ مطلع اعمارهم بلا اضاعة للوقت او انحراف عن منهج الله ، فلازمه وابتعد عن المغرضين لا تعجب وانت

تطالع مصنفاته الموسوعية في الاخلاق والادب والتشريع والعقيدة ، وقد احصى « عبد الحميد العلوجي » مؤلفاته التي تبلغ خمسمائة مصنف من اهمها (التفسير الكبير ـ ذم الهوى ـ صيد الخاطر ـ تلبيس ابليس ـ مناقب عمر بن عبد العزيز ـ تلقيح فهوم اهل الآثار ـ الوفا في فضائل المصطفى ـ الذهب المسبوك في تاريخ الملوك ـ منتخب قرة العيون) اما رسالته التي نحن بصددها فهي « لفتة الكبد الى نصيحة الولد » ولا يغيب عن بالنا الازمة النفسية التي يعيشها الشباب المسلم من جراء الامراض الحضارية !! والعدوى الالحادية التي فشت في اصدقاء السوء واخلاء الهوى ، وقد احسن ائمتنا صنعا حين عالجوا ابناءهم في الماضي برسائل تربوية فكتب « مروان بن محمد » الى ابنه « عبد الله » رسالته التي يوصيه فيها بحسن الخلق والمسلك القويم ، وكتب الامام الغزالي « أيها الولد » ومجمل القول ان رسالة ابن الجوزى تلائم الحال المؤلم لبني العرب اليوم ناهيك ان نجله « أبا القاسم » يمثل شباب اليوم فينصحه قائلا اعلم يا بني ـ وفقك الله ـ انه لم يميز الادمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، فأعمل فكرك واخل بنفسك تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وان عليك فرائض انت مطالب بها .. وان انفاس الحى خطاه الى اجله ، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل فأين لذة امس ؟ قد رحلت وابقت ندما ؟! واين شهوة النفس نكست رأسا وأزلت قدما وما سعد من سعد بخلاف هواه ، ولا شقى من شقى الا بايثار دنياه ».

تلك انوار استمدت ضياءها من القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ السلف الصالح ولو ان كل فرد اعتبر بها ، وتذكرها لأمن في سربه ، وعوفى في بدنه وعاش في عيش رغيد وما أحرانا ان نتعرف على نصائحه العطرة ..

« وانظر يا بني الى نفسك عند الحدود فتأمل كيف حفظك لها فإنه من راعى روعى ومن اهمل ترك .. ومتى رأيت في نفسك عجزا فسل المنعم او كسلا فالجأ الى الموفق ولن تنال خيرا الا بطاعته ، ولا يفوتنك خير الا بمعصيته ، ومن الذي اقبل عليه فلم يركل مراد لديه »؟!

انها تجارب انسان صنعه الاسلام ، وشكله الكتاب الحكيم وصدق الله اذ يقول :

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) الطلاق / ٤ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب)** الطلاق / ٢ ، ٣ فالتقوى صلب الايمان واساس صلاح الاعمال وما لامست قلبا الا وطدته على اخلاص العمل لله ويحددها علي ـ رضي الله عنه ـ قائلا « هي العمل بالتنزيل والخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل » وكلها لا تتأتى الا بحفظ حدود الله وصدق الامام ابن الجوزي .. يا بني ومتى صححت التقوى رأيت كل خير ، فالمتقى لا يرى الخلق ولا

يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عباس « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك » رواه الترمذي .. واجعل لك ذخائر من تقوى تجد تأثيرها ، وقد جاء في الحديث « ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه الا رفعه الله في كبره » قال تعالى (**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين**) القصص / ١٤ ، واعلم يا بني ان اوف الذخائر غض البصر عن محارم الله ، وامساك فضول كلمة ومراعاة حد ، وايثار الله تعالى على هوى النفس » .

لقد اوجز المؤلف ـ رحمه الله ـ طريق الفلاح في كلمات جذابة متأنقة في الاسلوب قريبة الى القلوب ، وما على المستمعين الا العمل بما قال ، ولا ريب ان سوء الفهم وكثرة النسيان للعلم عائد الى النظرات الشهوانية التي تورث صاحبها خيبة الامل وقلة الرجاء ، وتعقب الندامة والضياع وقد نصحنا الله : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**) النور / ٣٠ (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**) النور / ٣١ فمن غض بصره فتحت بصيرته .

انتبه لنفسك !

الوقت اثمن شيء يمتلكه الانسان ، ليحصل ما فات ويستقبل ما هو آت فاذا ما استغل المسلم الزمن في ارضاء الله ، وانتفاع المجتمع ، مشى في سلك المكرمين الذين يراعون الحقوق قبل فوات الاوان وانتهاء اوقات الحياة وها هو ابن الجوزي يسدي الخير الى ابنه فيقول اندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت فكفى بها عظة .. ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل » لله دره !! فماذا لو شاهد الشبيبة وهي قابعة امام وسائل اللهو « التلفاز والسينما » ينظرون الى الرذائل المستوردة من بلاد لا تؤمن بالله ، ولا تعمل حسابا لدين او فضيلة ، وانها لكبيرة جدا كبيرة ان يسمح شاب لنفسه ان يعطل فرائض الله ومبادىء الحياة ثم يهوى الى عبادة الهوى ، وتكون النتيجة مؤسفة يوم يقوم الناس لرب العالمين !!

ان قتل الوقت جريمة في حق النفس ، وبعد ان كان المسلمون من اشد الخلق حفاظا على العمر ، اصبحوا من اكثر الناس تضييعا له ، فهل يفتح العقل لكشف اغوار الاعمال الضائعة ويراجع حساباته ؟!

الوصول الى السعادة !

فشل الفيلسوف اليوناني افلاطون في تحقيق آماله ، وانقلب فكره رأسا على

عقب حين عارضه الواقع وثار عليه الناس وطويت جمهوريته الا من على السطور ، وفي عصرنا الحديث هب المفكر الرياضي « برترانداراسل » مدافعا عن الاخلاق والقيم وناشد الناس بالمحافظة عليها ، وارتأى ان يؤلف كتابا اسماه « الوصول الى السعادة » ويبدو انه مات وهو حزين كاسف البال مما يجعلنا نقر في وضوح بأن السعادة في الوصول الى الله ، ويرسم « ابن الجوزي » امارات الطريق في قوله : « الزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ، ولا تتحدث عند طلوع الفجر بحديث الدنيا وقل عند انتباهك « الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور . الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم ..» رواه الترمذي ثم قم الى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج الى المسجد خاشعا وقل في طريقك ، « اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبممشاي هذا اليك اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، اسألك ان تجيرني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت » واقصد الامام فاذا فرغت من الصلاة فقل « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، ثم سبح عشر مرات واحمد عشر مرات وكبر عشر مرات » واقرأ آية الكرسي وسل الله سبحانه قبول الصلاة فان صح لك فاجلس ذاكرا الله تعالى الى ان تطلع الشمس وبعدها تشاغل بما يمكن من العلوم واهمها تصحيح الفقه ، فاذا اعدت دروسك الى وقت الضحى الاعلى فصل الضحى ثماني ركعات ثم تشاغل بمطالعة او نسخ الى وقت العصر ، ثم عد الى دروسك وصل بعد المغرب ركعتين تقرأ فيهما جزءين فاذا صليت العشاء فعد الى دروسك ثم اضطجع فسبح ثلاثا وثلاثين واحمد ثلاثا وثلاثين وكبر اربعا وثلاثين وقل اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » .

هكذا ربي الاطهار انفسهم وبينوا اسرار العمل الصالح لاحبائهم ورب سائل يقول : وماذا يفعل الدارسون في المدارس بالتوقيت القانوني ؟ اجيب عليهم ان يلتزموا بالآداب في الاوقات التي يفرغون فيها ، واذا ما اجتهدوا في اداء واجبهم نحو النفس رفعهم العلم الى ذروة الشرف والمجد .

اننا اليوم في اشد الحاجة الى النسيم الذي ينقي المناخ من النقع المسموم ومن العجيب ان تراثنا فيه فلاسفة الاخلاق (الفارابي والماوردي والغزالي ومسكويه وابن القيم وابن الجوزي) وغيرهم ، ولكن ما علينا الا مطالعة آثارهم وملاحقة سيرهم ، واذا لم نتخذ المسلمين قادة في التربية والتعليم ، فسنظل في طي النسيان تابعين اذلة لاهل الكفر ، وأليس من المخزي ان يتشدق بعض المفكرين بامثال « دوركايم واندريه جيد وكانت » ويتناسون اعلامنا ؟ ولا اجد في نفسي حرجا من قولي « سر تأخر الفكر الاسلامي هو التبعية والمحاكاة العمياء » ونسيان الله يقتضي نسيان النفس ولا يغفل ابن الجوزي فيقول « وقد اسلمتك الى الله واياه اسأل ان يوفقك للعلم والعمل وهذا قدر اجتهادي في وصيتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .

الوحدة .. والسلام وسياسة الفرقة

الدول العربية - حكاما وقيادة - يتحدثون لغة الوحدة والسلام ..

ولكن انماط سلوكهم العملي تدور في فلك سياسة فرق تسد ؛ التي ما زال مناوئو الوحدة والسلام يمارسونها .. حتى المؤتمرات العربية اصبحت ساحة مزايدات بالكلمات .. والشعارات ، يتراشق فيها حكام العرب وقادتهم الاتهامات جزافا .. فلا تكون الا القطيعة والبعد نتاجا ..

محصلتهما هوة سحيقة تزداد مع الايام عمقا .. واتساعا

وأصبح في غيبة الضمير الاسلامي . ان ما يجري في هذه المؤتمرات ، وبين اروقتها محاولات مستميتة ويائسة لاشاعة البلبلة .. ونشر الفوضى .. وتوسيع نطاق الحرب الباردة بين المسلمين .. وبالتالي توريط الامة العربي في خلافات انتحارية ، تسقط هيبتها .. وتمتص طاقاتها .. لانها بفقدها الروح الاسلامية والطابع العربي .. فقدت تأثيرها .. وجودة توصيلها ..

وبذلك اصبحت الوحدة الاسلامية ، والعربية مهاترات ومهزلة عربية .. وملهاة تحرق

طاقاتها .. وتبدد امكانياتها .. وتستنزفها ماديا .. وادبيا ومعنويا .. بينما شعوب الامة العربية تتحرق شوقا لرؤية الاستقرار يستتب على ارضها - بالحق والسلام والحرية والعدل - والرخاء يعم ارجاءها .. وكل مواطن متفق ان زيف الاطماع الشخصية التي تسيطر بالمصلحة والهوى .. وتريد ان تحكم وتتحكم بالمذلة والهوان والخنوع هي التي تزكي الصراع من أجل التسابق على من يحكم ويقود ..

وعلى ضوء ما تقدم يناشد الشعب الاسلامي والعربي ان يعمل حكامهم في ظل تعاليم الاسلام الحنيف مسترشدين بكتاب الله وسنة رسوله « صلعم ».. ذلك ان شكوكا متصاعدة - تلح في اصرار عنيد بحجب الرؤية الشعبية في الامة العربية .. في مواجهة كيل الاتهامات .. وتخبط الاراء الحاكمة ..

ومما يدعو للاستنكار ان نظل نصدق ما يقولون :

« **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كبر مقتا عند الله ان يقولوا مالا يفعلون** »

ونحن بين الاحجام والاقدام محصلة لتردد تتسع هوته .. ومن ثم - يزداد الموقف سوءا وتعقيدا .. ويصبح غير قابل لتحقيق التقارب والوحدة ذلك ان اي حكومة اسلامية تخلع نفسها من التربة الاسلامية تحكم على سياستها بالذبول وعلى نفسها بالموت .. « لأنه لن يشاد الدين احد الا غلبه » وطالما نهمل تعليمات ديننا بنظريات مستوردة .. وعقائد وضعية .. تجعل سياسة بعض حكامنا سياسة التبعية .. مرة في احضان الشيوعية الملحدة ، ومرة في احضان الصليبية الحاقدة تحت شعار الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية .. لأننا تعامينا بصرا وبصيرة .. عن قوله تعالى :

« **ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** » (المائدة اية ١١١) ومن ثم يتعين على الساسة العرب - اذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه - لتحقق لشعوبهم امة واحدة ذات ارادة واحدة وكلمة جامعة - لتكون قلب رجل واحد - ان يهجروا خلافاتهم وينبذوا صراعاتهم ..

وعدائهم الشخصي - لبعضهم بعضا - ويمتثلوا لقوله تعالى :

« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** .. » لأنه بهذا الوضع المزرى تصبح الامارة على المسلمين تآمرا ضد الاسلام والمسلمين .. وليعلم العرب والمسلمين ان رياح التربص التي تهب عليهم ان لم تجد من المقاومة والتحدى ما يدفع

بالرياح في اتجاه مغاير ، فسوف تتحول الى اعصار خانق ومدمر .. وعلينا حكاما .. وقادة .. وشعوبا ان نتربص بالمتربصين بنا : « فتربصوا اني معكم من المتربصين ».. حتى يتحقق علينا قوله تعالى : « **ان جندنا لهم الغالبون** ».. وليدرك حكام العرب والمسلمين : ان اي مشكلات مصطنعة يمكن ان تؤثر على سلامة وامن امتنا ووحدتها .. فتتفرق بنا السبل ».. وبقدر ما يؤثر النزاع الناتج عن تصادم المصلحة الشخصية والنفع الذاتي .. مع مصالح الجماعة .. ووحدة

المسلمين يحذرنا الله بقوله تعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين** »

واذا توحدت امة العرب والاسلام .. واجتمعت على مأدبة القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي اقوم .. وعمل حكامها - على قلب رجل واحد - جنبا الى جنب لتحقق من القوة ما يكفي ليجعلها قوة ردع حاسمة من اجل سلامها وسلام الانسانية وما يجعل اعداء الحق والاسلام يرهبون جانبنا ..

ذلك ان الاسلام هو السلام الحق .. والتكافل فيه رخاء وحب .. وامن وتآخي .. يحقق رفاهية الجنس البشري .. ان الاسلام حقيقة تسترشد بها النفوس الحائرة .. ان الاسلام قوة ينبذ الضعف والتخاذل .. ان الاسلام دين ودولة .. وعلى طريقه يكون المخرج الوحيد من الازمة العربية المؤسفة .. ان الاسلام مبدأ حق تقرير المصير للمغلوبين على امرهم .. ونصير المستضعفين في الارض .. الخ

ومن يعتقد غير ذلك فانه يعيش خدعا في عالم من الوهم الكاذب ويمني نفسه بآمال دنيوية زائفة جريا وراء شهواته .. او تحقيقا لمجد شخصي زائل .. وهو بتصرفاته لا ينتسب الى الاسلام .. وحقائق الموقف السليم .

ان في ابتعادنا عن الاسلام خيانة .. ستجر علينا خزى الدنيا وعذاب الاخرة بقدر ما تجلب لنا الخسران المبين دنيا ودين ..

وستجعل الجبن والمخاوف يطغيان على تصرفاتنا وفي ذلك سوء المصير فهل آن الاوان لنسلم قيادنا لله طائعين .. ونعمل بكتابه وسنة نبيه الكريم وصدق رسول الله « صلعم » تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي »

انه نعم المولى ونعم النصير

فاروق عبد العزيز سلام

افعال الناس

الاخ جمال الدين الجوة - من تونس - كتب يقول : لقد استوقفتني الآية الكريمة « والله خلقكم وما تعملون ».. وجال فكري في المقصود منها .. فهل لكم ان تفسروها بما يقضي على الحيرة التي اعانيها في الاجابة على سؤال : هل الانسان مخير او مسير ؟

المحرر : اضع بين يديك يا أخ جمال اولا هذه النقاط .. وبعدها تكون الاجابة ..

اولا : الله سبحانه صاحب الملك والملكوت .. خالق كل شيء .. وهو على كل شيء وكيل .. لا يعزب عن عمله مثقال ذرة في السموات ولا في الارض .

ثانيا : الله سبحانه عادل .. لا يظلم الناس شيئا .. وهو كريم يحب العفو .. ويثيب على الحسنة بعشر أمثالها .

ثالثا : خلق الله الانسان وميزه على سائر المخلوقات بالعقل .. وجعله مهيأ لفعل الخير او ارتكاب الشر .. فيسر أمامه الطريق ، وهداه النجدين .

رابعا : ارسل اليه الرسل الكرام مبشرين ومنذرين .. يبلغون رسالات الله إلى الناس ويخبرونهم بما غاب عن عقولهم ، ويرشدونهم الى ما فيه النفع والصلاح في الدنيا والاخرة .

وبعد هذا نقول : ان المقصود بالاية الكريمة « **والله خلقكم وما تعملون** » هو ان الله القادر هو الذي خلقكم من عدم وخلق اصل الاشياء التي تصنعون منها هذه الاصنام التي تعبدونها .. فانها مأخوذة من الاخشاب والحجارة وغيرها .. فكيف تعبدونها ومادتها مخلوقة لله سبحانه ؟.. هذا هو المعنى المقصود كمانفهمه من الاية الكريمة .. والله اعلم وفي ظل هذا الفهم يرى اهل السنة : ان الافعال هي من مخلوقات الله عز وجل ؛ وان العبد له منها الاكتساب فقط .. ونزيد الامر ايضاحا فنقول : ان الفلّاح عندما يحرث الارض ويلقي البذرة فيها . وينتظر النبات حتى ينمو ويحين الحصاد .. ليس له الا هذا الجهد الذي بذله والقصد في عمله ، اما الفعل الحقيقي اما انبات الزرع ، ونموه ، ثم هياجه ، ثم اصفراره ،

فذلك فعل الله سبحانه وتعالى .. يقول سبحانه : « **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون** ». وايضا تلك النار التي نستخدمها في اغراض شتى .. ليس لنا في حالات استخدامها الى القصد والميل الى هذه الاستخدامات .. ولذا فان الله سبحانه ابطل مفعولها عندما القى فيها ابراهيم عليه السلام وفي نفس الوقت كانت النار تفعل فعلها في الوقود حتى اتت عليه .

وعلى هذا فليس الانسان مطلق الحرية .. فلا يستطيع ان يوقع في ملك الله مالا يريده الله سبحانه وهناك فرق بين ارادة الله ، وامره ، وفعله سبحانه

كما ان الانسان ليس مجبرا او مسلوب الارادة ، لان الله سبحانه ميزه بالعقل ، ووهبه القدرة على توجيه ارادته للخير او للشر ، وامره سبحانه بأن يبذل كل جهده على طريق الهدى والرشاد ، ويبتعد عن طريق الغواية والضلالة .

وبمقدار ما منحه الله من قدرة على الاختيار والتمييز يكون حسابه .. ولا عذر له ان ضل ، فقد وهبه الله العقل ، وارسل اليه الرسل ، فان احسن فبتوفيق الله ، وان أساء فعلى نفسه جنى .. والامر من قبلُ ومن بعدُ لله سبحانه .. وهو الهادي الى سواء السبيل .

المكتبة الاسلامية

وصل الى بريد « الوعي الاسلامي » هذان الكتابان .. احدهما ديوان شعر ديني ، والاخر بعنوان « القرطبي المفسر » سيرة ومنهج .. نعرِّف بهما في زاويتنا هذه .

ديوان شعر

الشعر هو سجل العرب الخالد .. ونبض احاسيسهم المرهفة .. واشتمل الشعر على كل افكار الناس وشواغلهم .. ففيه المديح والهجاء .. وفيه الأحداث والعبر .. وفيه التاريخ والسير .. وفيه الوصف والخيال .. وفيه ايضا أسرار اللغة ومتون العلم واصول المعرفة .. ومن أعظم اغراض الشعر ما كان منه في الجانب الديني ..

والديوان الذي بين ايدينا من هذا النوع « مناجاة » للاستاذ/سيف النصر الحلخاوي .. فيه تسبيح لله تعالى ، واجلال له ، وحمد على نعمائه ، وطلب لعونه في كل حال .. وثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الى الاخلاق الفاضلة ، والاداب الاسلامية السامية .. والديوان بأسلوب سهل مشرق يدعو الى الفضيلة .. والى الصفاء النفسي في دنيا كدرتها الاحزان .. واستشرى فيها الفساد .. فما أحوجنا الى مناجاة الله سبحانه ..

القرطبي المفسر

كتاب تعرض فيه مؤلفه الاستاذ / يوسف عبد الرحمن الفرت الى دراسة الامام القرطبي ومنهجه في التفسير .. حيث تناول كتابه « الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان » بالنظر والتحليل والتقويم لهذا الجهد العظيم الذي يفيد منه العلماء جيلا اثر جيل ..

وقد قسم الاستاذ الفرت كتابه عن القرطبي المفسر الى تمهيد ، وثلاثة ابواب وخاتمة .

أما التمهيد : فكان دراسة عن البيئة والعصر الذي عاش فيه القرطبي .. والحالة السياسية والعلمية في الاندلس ومصر .

والباب الاول : مقسم الى فصول خمسة : نشأة القرطبي واسرته ـ رحلاته وشيوخه ـ اخلاقه وصفاته ـ آثاره العملية وتلاميذه ـ مذهبه الكلامي .

والباب الثاني : تناول السمات البارزة في تفسير القرطبي .. حيث أبان المؤلف عن منهج القرطبي في التفسير ، ومصادره ، ومكان تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، وبحث الاستاذ الفرت في « الفقه في تفسير القرطبي ». ورسم صورة عن البيان اللغوي في تفسير القرطبي .

وفي الباب الثالث : استعرض المؤلف علوم القرآن في تفسير القرطبي .. من اعجاز ، وفواصل الايات ، والمحكم والمتشابه ، والاحرف المقطعة في اوائل السور ، والنسخ في القرآن ، والقراءات ورأى القرطبي فيها .

والخاتمة : جاءت لتعرض خلاصة جهود القرطبي في كل ما سبقت الاشارة اليه .

والكتاب يقع في ٣٧٠ صفحة من القطع المتوسط .. وهو من منشورات دار القلم بالكويت .

القضية الفلسطينية

اكد رئيس وفد الكويت في اجتماعات منظمة المؤتمر الاسلامي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية احمد سعد الجاسر ان القضية الفلسطينية بكل ابعادها ونتائجها تمثل الرمز البارز للنضال المشترك لشعوب الامة الاسلامية ضد الاستعمار والظلم والعدوان .

ودعا في كلمة القاها في عاصمة جمهورية النيجر نيامي الى الانتقال من مرحلة المواقف السياسية الموحدة الى الاجراءات الملموسة والفعالة التي تعكس وحدة ارادة ومشاعر الشعوب الاسلامية حول حتمية المجابهة المشتركة للعدوان الصهيوني .

واشاد الوزير بصمود المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين امام العدوان الاسرائيلي وقال ان هؤلاء المقاتلين اثبتوا بصمودهم الشامخ ان لدى ابناء هذه الامة من ارادة الفداء والصمود ما يمكنهم من مجابهة العدو الصهيوني الشرس .

وحث على مواصلة وتكثيف الجهود لايقاف الحرب بين العراق وايران وقال ان هذه الحرب تمثل تصدعا خطيرا في بناء التضامن الاسلامي واستنزافا محزنا للدماء والامكانيات الاسلامية .

وكان وزراء خارجية الدول الاسلامية قد بدأوا مؤتمرهم الثالث عشر يوم الاحد الماضي لبحث عدة قضايا من بينها الغزو الاسرائيلي للبنان والحرب العراقية الايرانية والتدخل العسكري في افغانستان .

ومن المقرر أن يبحث وزراء خارجية الدول الاسلامية في العاصمة النيجيرية مشروع قرار قدمته اللجنة السياسية التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي دعت فيه الى ادانة صريحة لاسرائيل لغزوها لبنان وقتل الاف المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين .

وتبنت اللجنة السياسية مشروع القرار الذي يندد ايضا بالعدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ ويتهم اسرائيل باتباع سياسة عدوانية من شأنها عرقلة التنمية الفنية والعلمية في الدول الاسلامية .

وطالب المشروع اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي الذين سيحضرون

مؤتمر وكالة الطاقة الدولية المقرر عقده في فيينا في سبتمبر المقبل بتبني مشروع قرار تعلق بموجبه الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها اسرائيل في الوكالة الدولية .

وقال وزير الخارجية السعودي ان جميع الوفود المشاركة في هذا المؤتمر قد اعربت عن تضامنها غير المحدود مع الشعبين الفلسطيني واللبناني .

وندد وفد منظمة التحرير الفلسطينية في جلسة بالغزو الاسرائيلي للبنان كما هاجم الولايات المتحدة لمساندتها اسرائيل .

وقال وزير خارجية بنغلاديش في اشارة الى الحرب العراقية الايرانية ان على الدول الاسلامية مسؤولية اخلاقية لايجاد وسيلة لمناشدة العراق وايران لوقف العداوة بينهما فورا من اجل مصلحتيهما واقرار السلام والاستقرار .

افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

من اجل التكامل في بناء الوطن وارساء قواعده على اسس اسلامية وتعميق صلة الكويت بالمسلمين في العالم ومن اجل ربط الحاضر بالماضي وتخريج علماء متخصصين يواجهون مشكلات الحياة بايمان راسخ تم في الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٠/١١/١٤٠٢هـ الموافق في ٨/٩/١٩٨٢ م افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى الكلية في كيفان بحضور الدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية الرئيس الاعلى للجامعة . وستتكون هذه الكلية الجديدة من الاقسام التالية :

اولا : قسم العقيدة والدعوة :
ثانيا : قسم التفسير والحديث :
ثالثا : قسم الفقه واصوله :

هذا ويكون لكل قسم من هذه الاقسام الاشراف على سير العملية التدريسية في جميع المقررات التي اسندت اليه مثل : توزيع الدروس على اعضاء هيئة التدريس ، وتقديم الاقتراحات بشأن الخطط الدراسية ، وتحديد احتياجات القسم وميزانيته السنوية وترشيح اعضاء هيئة التدريس والمعيدين ، وتقديم ما يراه من الاقتراحات الى مجلس الكلية في شأن التعليم وانظمته ، وتأليف اللجان الفنية الدائمة والمؤقتة لدراسة الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تجاه الاسلام والمسلمين تدعو الله ان يسدد الخطى ويبارك الجهود لتكون هذه الكلية قلعة من قلاع الاسلام الحصينة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٢٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة — الكويت

الوعي الإسلامي

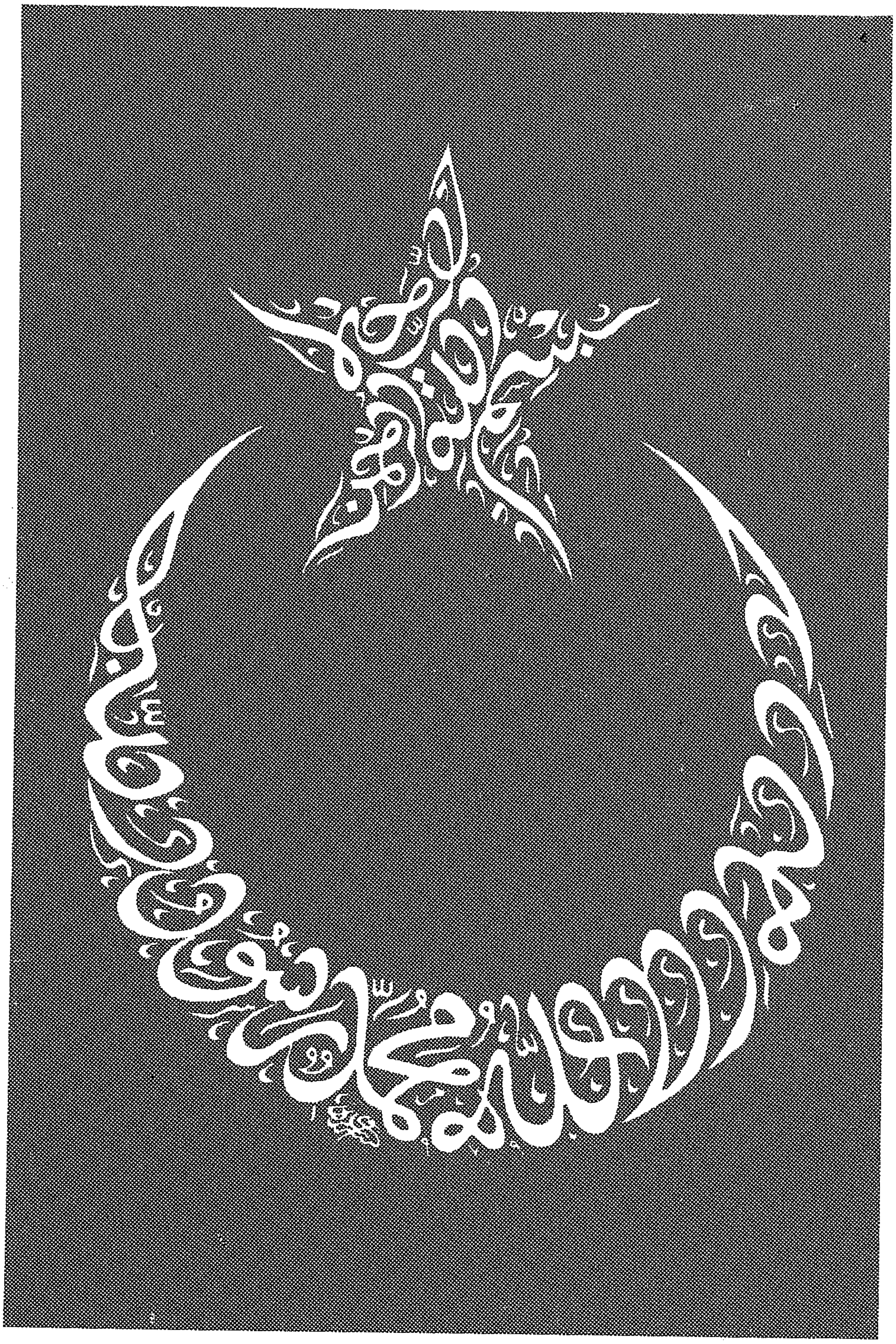
العدد ٢١٧ • محرم ١٤٠٣ هـ • اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه

رواه البخاري

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان



الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢١٧ ● محرم ١٤٠٣ هـ ● اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٢م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم: ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب «٤٢٢٨» بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي

الوقت هو الحياة

في مستهل شهر المحرم ينتهي عام بكل ما سجل فيه من اعمال واحداث ، ويشرق عام جديد ابيض الصفحات ، ليدون فيها ما يحدث لحظة بلحظة ، وساعة بساعة ، ويوما بيوم ، وشهرا بشهر .

والمؤمن الذي ينظر في امر مسلمي هذا العصر ييأس ويحزن لما هم فيه من ضياع وهوان . رغم كثرة عددهم ، فعددهم اكثر من تسعمائة مليون .

ووطنهم الفسيح زاخر بالخيرات . يمدهم بما يقارب نصف ثروة العالم .. والسبب في هذا الضياع والهوان غفلتهم عن هداية الله . ومظاهر تلك الغفلة كثيرة ، وأهمها اضاعة الوقت في غير ما يفيد ، وعدم تقدير قيمته في الحياة .. والحكمة العربية قديما تقول : « الوقت من ذهب إن لم تحرص عليه ذهب » .

وهذا صحيح في نظر من يقيسون الوجود بالقيم المادية .. أما الاسلام فالوقت فيه هو « الحياة ». لان مقاييس الوجود في الاسلام ابعد من القيم المادية .

بل هي مقاييس سامية . ترفع النفس الى قوة روحية عالية . وتسمو بالبدن الى قوة جسمانية فائقة .. وحياة الانسان في هذا الوجود هي الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة . وقد يذهب الذهب وينفد ، ولكنا نستطيع

الحصول عليه بعد نفاده . ونستطيع ان يكون معنا أضعاف ما فقدناه منه .

ولكن الوقت الذاهب ، والزمن الفائت لا نستطيع له اعادة ولا ردا ، فالوقت اذن اغلى من الذهب ، واغلى من كل جوهر وعرض . والنجاح في هذه الحياة لا يتوقف على الخطة الدقيقة ، والظروف المواتية ، فحسب . وانما يتوقف ـ مع هذا ـ على اللحظة المناسبة ، والتوفيق ان يقع العمل في وقته الملائم . (**والله يقدر الليل والنهار**) .. وليس وقت العمل نهارا دون ليل ، ولا ليلا دون نهار ، فصفات المؤمنين في ليلهم هجوع قليل وذكر كثير . (**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحارهم يستغفرون**) .

وصفاتهم في نهارهم فروسية وعمل . يستيقظون من نومهم مبكرين ، لينالوا بركة البكور التي دعا لهم بها رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : « اللهم بارك لامتى في بكورها » . وينهضون للاعمال جادين مخلصين . يتقنونها مراقبة لله وحبا لرضاه وامتثالا لقول الرسول الكريم « ان الله يحب احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه ».

ان الايقاظ لهداية الله يحرصون على اوقاتهم حتى لا تضيع سدى ، ويوقعون العمل في لحظته المناسبة ، وذلك امارة التوفيق والسداد .. اما اعظم الناس خسارة واخفاقا فهم اولئك الذين يغفلون عن هداية الله ، فلا تلتقط قلوبهم معانيها ، ولا تبصر اعينهم شاهدها . ولا تسمع آذانهم نداءها . هؤلاء لا يعرفون قيمة لاوقاتهم . يخرجون من الدنيا بلا زاد من

التقوى : وهم ـ بهذه الغفلة مستحقون للعذاب . قال تعالى : (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون**)

لقد كان من دعاء ابي بكر رضي الله عنه : « اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين » . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة في الاوقات واصلاح الساعات .. ورسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه » .. ومن اروع الصور التي تبينت فيها قيمة الوقت ما جاء في الاثر عن الحسن البصري : « ما من يوم ينشق فجره الا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فاني لا اعود الى يوم القيامة ».

.. وان الاوقات تتفاوت في يمنها وبركتها .. فساعة اعظم بركة من ساعة ، ويوم افضل عند الله من يوم . وشهر اكرم من شهر .. وتلك فرصة أتاحها الله للمؤمنين ليطردوا فيها شبح الغفلة ويعودوا الى التذكر واليقظة ، وليغنموا فيها نفحات الفضل حين تهب نسمات القبول ، فان الحسنة

تتضاعف في هذه الاوقات المباركة ، فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين ، كما يفتح فيها باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .. ولقد جاءت آيات الله وأحاديث رسوله تشير الى

هذه الاوقات . فالله تعالي يقول : (**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) . ويقول :(**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين**) ويقول : (**والفجر . وليال عشر**)

وفي القول المأثور توجيه سديد الى طريق الانتفاع بالوقت :« **ان المؤمن بين مخافتين:بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت** » .

أيها المسلمون . واجبنا تكريما لانفسنا ، واعزازا لديننا . ان نصرف أوقات حياتنا في العمل لدنيانا وآخرتنا . استجابة لامر الله تعالى في قوله : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**) . والا نضيعها بالكسل ، او نشغلها بالعبث ، وان نستعين بالله ولا نعجز وان نلبي امر الله تعالى :(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**)

اننا بذلك نقدر الوقت قدره ، ونعرف له قيمته ، ونسير في الطريق الصحيح الذي يحقق لنا العزة ، ويخرجنا من الظلمات الى النور باذن الله وارادته . (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**)

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

وجوب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

للمستشار / علي عبد اللاه طنطاوي

ليس الاسلام مجرد شعائر وعبادات أو أحكام يخير الانسان في الأخذ بها أو تركها وإنما هو دين بعث به النبي صلي الله عليه وسلم ليحكم الناس في سلوكهم ومعاملاتهم في كل زمان ومكان .

وأحكام الاسلام فيها صلاح للناس واصلاح وذلك ثابت في قوله تبارك وتعالى :ـ (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**)المائدة / ١٥ و ١٦

ويقول عز وجل : (**كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم / ١

ويقول جل وعلا : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**) الاسراء / ٨٢

والمسلمون مأمورون بتطبيق الشريعة الاسلامية ولا خيار لهم في ذلك فالله عز وجل يقول : (**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة / ٤٨ ويقول تبارك وتعالى : (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء / ٥٩

ويقول سبحانه وتعالى : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فأعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما**

لقوم يوقنون) المائدة / ٤٩ و ٥٠

وهذه الآيات الكريمة كما هو مبين من نصوصها تحمل تحذيرا للرسول صلى الله عليه وسلم من الحكم بغير كتاب الله واتباع الهوى وان القوانين الأجنبية المستوردة التي تحلل ما حرم الله وتحرم ما أحله ليست إلا صورة من صور الهوى الذي نهى عنه الله وحذر من الوقوع فيه .

ويقول الله عز وجل : **(وإنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** النساء / ١٠٥ ويقول : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء / ٦٥

ولعل في ذكر سبب نزول هذه الآية ما يوضح التزام المسلمين التزاما وجوبيا بأحكام الشريعة الاسلامية اذ قيل في سبب نزولها ان نزاعا نشب بين الزبير وأحد الأنصار على رى أرض فاختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام إسق ثم ارسل الماء الى جارك فقال الأنصاري أن كان ابن عمتك أي حكمت له لأنه ابن عمتك فغضب النبي من هذا القول الذي كان سببا لنزول هذه الآية .

وقيل أنها نزلت بسبب خصومة بين أحد اليهود ومنافق تظاهر بالاسلام فدعاه اليهودي لتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفض المنافق ودعا اليهودي لتحكيم كعب بن الاشرف أحد كبار اليهود فرفض اليهودي ثم انطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فأبى المنافق الا الذهاب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقضاء بينهما فما كان من عمر الا انه قتله بعد ان عرف قصته قائلا :**(هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله)** وعموما فإن كلا الروايتين يتضمن الالتزام الوجوبي الذي لا خيار فيه بأحكام الشريعة .

وقد وصف الله عز وجل من لم يحكم بكتابه بأنه كافر وظالم وفاسق فيقول جل من قائل : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** الايات من سورة المائدة / ٤٤ و ٤٥ و ٤٧

ويروى عن ابن عباس قوله من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر ومن اقر به ولم يحكم به فهو فاسق ظالم .

وخلاصة القول ان لا خيار للمسلم في اختيار التشريعات التي تحكم علاقاته وتنظم معاملاته لأن الاسلام دين ودولة فهو يحكم المسلم في عباداته وفي أسرته وفي مجتمعه ولو قصرناه على أحكام العبادات فإننا نكون قد بعدنا عنه وخالفناه هذا من الناحية الدينية .

أما من ناحية المصلحة فان حاجة المسلمين ماسة وملحة الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية بعد ان كشفت لنا الأيام قصور القوانين الوضعية المستوردة التي زينت

الفواحش للناس ثم أباحتها وأقامت حانات للخمور والفجور ثم حمتها فدمرت الكثير من بيوت المسلمين وقضت على أسرهم وشردت أطفالهم وذهبت بأبدانهم وعقولهم فضلا عن ذهابها بدينهم .

هذه القوانين الوضعية التي اهملت المسائل الاخلاقية ولم تولها أي عناية مادامت في نظرها لا تسبب ضررا مباشرا للافراد او الامن او النظام .

هذه القوانين الوضعية التي أباحت لذئاب الفساد والانحلال اعلاء الصوت والمطالبة بمنع الأذان للصلاة بمكبرات الصوت بحجة عدم تكدير راحة المواطنين سبحان الله انها حرب صريحة على الاسلام على أرضه وفي معقله .. انها محاولة هدم له أليست الصلاة هي الركن الثاني من اركان الاسلام ؟ من أقامها أقام الاسلام ومن تركها فقد هدم الاسلام ألم يقل عز وجل : (**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم**) البقرة / ١١٤

● هذه القوانين التي أباحت لبعض الملحدين والمحسوبين على الاسلام والمنسوبين اليه ان يشككوا في الدين ويوهنوا العقائد ويعرضوا بالأنبياء والرسل ويهاجموا المبادىء والقيم في محاولة لتخريب العقول النامية والقلوب الناشئة متخفين وراء القصص والاخبار والافكار والآراء .

● هذه القوانين المستوردة التي في ظلها تقام مسابقات الجمال وتقاس فيها السيقان والخصور والارداف وسط حفلات خليعة ماجنة تنافي المروءة والخلق الكريم .

● هذه القوانين الوضعية المستوردة التي كفلت حماية ملاعب السباق وأندية القمار ، فدمرت أسرا كريمة ، وشردت أطفالا في عمر الزهور ، فأصبحت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم في السهر ولعب القمار .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت عيون الشباب المتسكعين تمتد مسعورة في الشوارع الى ما لا يحل لها ولا تجد من يقمعها او يزجرها .

● هذه القوانين الوضعية التي تركت ألسنة السفهاء تمتد وتطول ولا تجد من يردعها .

● هذه القوانين الوضعية التي أباحت باسم الحرية الشخصية لاعداء الاسلام ان يبذروا في الكتب والصحف بذور الشك في نفوس الشباب والنيل من عقائده الصحيحة واخلاقه القويمة وغايتهم من ذلك اغراؤه على التمرد على احكام الدين وحثه بل دفعه الى الفسق والعصيان متسترين بما سموه الحرية الشخصية والتحرر العقلي .

● هذه القوانين الوضعية التي مهدت للفاحشة والرذيلة سبل الانتشار وتركت من يدافع عنها دون خجل ولا حياء برغم أننا بلد متفتح ، تقدم لكل زائر الطبق الذي يشتهيه .. وإسلاماه !! أعلى ارض الاسلام وفي

معقله يسمح بهذا ؟

لقد فقدنا الفضيلة والقيم والأخلاق وأصبح الفساد والمجون والانحلال والتخنث مظهرا من مظاهر التقدم في نظرنا ، وبات الكذب والختل والخديعة سياسة ، وأضحى الغش والنفاق والمداهنة كياسة ، وأصبح خلف العهود ونقض الوعود مصلحة ، وصار الناس ينظرون الى السماحة والمحبة والود والتعاون والاخاء على انها زوائل يستخف بالمتصف بها .

هذه هي مفاسد الغرب تنتقل الينا مع قوانينه التي نقلناها عنه فجاءت مخالفة لديننا واخلاقنا وتقاليدنا واصبحنا بفعلها أشباحا اسلامية بعيدين عن الدين .

ان غاية كل قانون هو خدمة الجماعة التي يشرع لها وسد حاجتها وحماية عقيدتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ، انه يجب ان يمثل دينها وآدابها واخلاق أفرادها وتقاليدهم ومن ثم اختلفت هذه القوانين باختلاف الشعوب والقانون الذي يصلح لدولة لا يصلح لاخرى اذا لم تكن ظروفها مشابهة لها كما حدث في البلاد الاسلامية ولا مخرج من هذا أولا علاج الا بتطبيق شريعة الله التي تقيم العدل وتحمي العقل وتهذب النفس المنحرفة وتكفل المساواة وتقوى دعائم الفضيلة في المجتمع . وقد أنصف يلولا كازيلي المستشار الملكي السابق لوزارة العدل حيث قال : « أنه يجب على مصر ان تستمد قانونها من الشريعة الاسلامية فهي اكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلد القانونية »

ويقول العالم النمساوي الكبير ليوبولدفاس - وقد أسلم وحسن اسلامه وتسمى باسم محمد علي - في كتاب الاسلام على مفترق الطرق - لقد تحققت ان ثمة سببا واحدا فقط للانحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين ذلك السبب يرجع الى الحقيقة الدالة على ان - المسلمين اخذوا شيئا فشيئا يتركون اتباع روح التعاليم الاسلامية ، لقد ظل الاسلام بعد ذلك موجودا ولكنه كان جسدا بلا روح ثم ان العنصر الذي خلق قوة العالم الاسلامي من قبل هو المسئول الآن عن ضعف المسلمين فان المجتمع الاسلامي بني منذ أوله على أسس دينية وضعف هذا الاساس قاد بالضرورة الى ضعف البناء الثقافي فيه وربما كان سببا لاضمحلاله بالكلية .

واذا اعتبرنا الامور على ما هي عليه اليوم فان الاسلام يشبه مركبا يغرق وكل يد تستطيع ان تكون عونا فان الحاجة اليها على ظهر المركب نفسه ولا يمكن ان ينقذ هذا المركب من الغرق الا اذا اصغينا الى القرآن وفهمنا قوله : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**) الاحزاب / ٢١

وفي هذا المعنى أيضا تقول المستشرقة الايطالية الدكتورة لورافيشيا فاغليري الاستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو في بحث لها بعنوان تفسير الاسلام : (انه الكتاب المقدس الذي لم يصبه تحريف ابدا .. ذلك الكتاب الذي لا يبلي بل سيبقى

كما أنزله الله على نبيه البدوي البسيط آخر الانبياء والمرسلين .. انه ذلك النبع النقي الذي سيعود اليه المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا في العودة الى نشاطهم القديم)

وتقول ـ ان علينا أن نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التي يستطيع الانسان الحياة وفقها ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك فينادي بفلسفة حياة ، دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامي وايجابي .»

حقا وصدقا ما قالته المستشرقة انها احكام الله خالقنا والاعلم بما تكنه خلجات انفسنا وهو الخبير دون سواه بما يصلح لعلاجها : (**هو أعلم بكم إذ انشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**) النجم / ٣٢ وسبحانه حين يقول : (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك / ١٤

انها أحكام الله التي سدنا بها العالم عندما تمسكنا بها وكنا ملء سمع الزمان وبصره فلما ابتعدنا عنها صرنا حيارى لا ندري اين المساق وسط بحر حالك السواد متلاطم الامواج ؟

انها الاحكام المنقذة لنا دون سواها وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا اليها بقوله : « لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك » رواه ابن ماجه

هذا هو توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يقول في محكم آياته :(**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال / ٢٤

واذا كانت حاجة المسلمين ماسة الى تطبيق احكام دينهم فان العالم بأجمعه أشد اليها حاجة وانا لا نلقي هذا القول جزافا او نرسله على عواهنه وانما هي حقائق ساطعة واضحة لا ترقى اليها شبهة ولا تستطيع كراهية كاره ولاعداوة حاقد ان تحجبها ، وقد وجدت صداها في كتابات كبار المستشرقين والمفكرين في العالم اذ يقول المفكر البريطاني الكبير برنارد شو ، اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم الى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة .

ويقول أيضًا ان اوربا اليوم ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه كما انها ستبرىء العقيدة الاسلامية مما اتهمتها به أراجيف رجال أوربا في العصور الوسطى ، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ويستند على فلسفته في حل المعضلات وفك المشكلات وحل العقد .

ويقول المؤرخ ويلز ان الديانة الحق التي وجدتها تسير مع المدنية أينما سارت هي الديانة الاسلامية واذا طلب مني احد القراء ان احدد له

الاسلام فاني احدده بالعبارة التالية : الاسلام هو المدنية ، ويقول : ان الاسلام ساد لانه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه

ويقول المستشرق جيب ما زال الاسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتتاليين المتقابلين في دنيا الغرب ، فهو يوائم بين الاشتراكية القومية وبين شيوعية روسيا فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا في الوقت الحالي والذي هو من مميزات روسيا أيضا .

ويقول ماسينيون ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال ، وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الاولية الضرورية ، ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري وبذا يحل الاسلام مرة اخرى مكانا وسطا بين نظريات الرأسمالية والبورجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية .. وللاسلام ماض بديع من تفاوت الشعوب وتفاهمها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض كلل بالنجاح في جمع كلمته مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات .

ويقول ليودوروس لقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم ، **الأولى** : قول القرآن : (**إنما المؤمنون إخوة**) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية **والثانية** : فرض الزكاة على كل ذى مال .

ويقول الدكتور جرمانوس ان مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعي الذي يهدده لن يكون الا في المزاوجة بين الحضارة الاوربية بدرسها وعلمها وبين الروح السامية التي تنطوي عليها عقائد الدين الاسلامي واني آمل ان يكون الاسلام قادرا مرة اخرى على تحقيق هذه المعجزة في سبيل وحدة الجماعة الانسانية .

هذه آراء بعض المفكرين الاجانب الذين ولدوا في بيئة غير اسلامية وارتبطت مفاهيمهم بغير دين الاسلام رفضوا كراهيته ومن ثم فان اقوالهم هذه لم يجهروا بها الا بعد دراسات طويلة وابحاث عميقة .

واني اضع هذه الاقوال أمام أقزام المسلمين الذين هبطوا بأنفسهم ودينهم الى المستوى الذي حجب عنهم حسناته ، فلجأوا الى مدنية الغرب او مادية الشرق الملحدة وكان جديرا بهم ان يتذكروا قول شاعر الاسلام محمد اقبال رحمه الله « ان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها ارادته لانه صاحب الرسالة والعلم اليقين » وصدق الله العظيم اذ يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠

الهجرة وتاريخ

قـد تكون الهجـرة في الاعتبار الشخصي هي اضطرار انسان ما الى تغيير محل اقامته والانتقال الى موطن اخر بصفة مؤقتة او دائمة تحت ضغط او تأثير ظروف مختلفة اجتماعية او اقتصادية او صحية ..كما ان الهجرة قد تشمل افراد اسرته لذات الظروف او لظروف اخرى كالفرار من ظلم ومحاولة التمـاس الامن في موطن جديد ، كما ان الهجرة قد تأخذ طابعا اكثر شمولا كأن تهاجر قبيلة او طائفة هجرة جماعية بسبب ظواهر بيئية كتأثير الزلازل او البراكين او غير ذلك . والهجرة المكانية التي ذكرناها قد تشمل ايضا انواعا من الطيور كطائر السمان مثلا الذي يهاجر في مواسم مختلفة من اقصى الشمال الى اماكن يتلمس فيها الدفء ، وتشمل الهجرة ايضا بعض ثعابين البحار حين تهاجر في موسم التزاوج السنوي الى مكان بعيد تقطع في سبيل الوصول اليه آلاف الاميال مسترشـدة بغريـزة خاصة ... او هجرة بعض الحيوانات كالفيلة مثلا حين تحس اقتراب منيتها فيهاجر الفـرد منها الى مكـان ما مستـرشدا بـالغريـزة حيث مقبرة الافيال .. وكما ان هذا ما يطلق عليه بالهجرة المكانية فهناك هجرات معنوية

الأمة العربية

للاستاذ
محمد لبيب البوهى

كهجرة الافكار او المخترعات او النظريات .

الهجرة في التاريخ العربي القديم :

عندما نتأمل خريطة العالم نجد ان مايسمى بالمنطقة العربية يشمل البقاع الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، وقد تعاقبت على هذه المنطقة اطوار مختلفة من التاريخ . ولا ريب ان الانتشار العربي في هذه البقاع المترامية لم يكن الا نتيجة لانتقال الاشخاص والافكار طوال اجيال ماضية موغلة في القدم عبر هذه المساحات .

بل ان هذه المنطقة العربية برغم ما تجتازه الان من فترات تأخر او ضعف او مرض فانما ذلك شيء طارىء وعرضى لا بد ان تعقبه صحوة ويقظة لاستئناف المسيرة والنهوض برسالتها في امانة ريادتها للانسانية ، فهذا الضعف الحالي انما هو كسنة الحياة حين يصاب الجسد القوى او بعض اعضائه بمرض عارض ، ما يلبث ان يزول بالعلاج او بالخصائص الذاتية في قوة مقاومة البدن القوى ليمر بطور

نقاهة ثم ينهض قويا منطلقا .

وليس لنا في هذا الصدد الا ان نشير الى ان ما يسمى بالمنطقة العربية لم يكن ذلك الا نتيجة لانتشار الانسان العربي من منطقة اصلية حاملا معه عاداته وتقاليده وافكاره .

دليل من التاريخ :

فالثابت علميا ومن المشاهدات الواقعية ومما يردده كثير من اعدائنا ان هناك عداوة مستمرة من قديم الزمان تأخذ أساليب وأوضاعا شتى عسكريا او اقتصاديا او فكريا ، وهي عداوة منشؤها اسباب كثيرة اهمها الخوف من يقظة الانسان العربي يقظة تستمد من خصائصه المركوزة فيها كل مقومات قيادة الحياة اذا اخذ اصحابها بها ، وحرصوا عليها ، وعملوا على نموها متماسكين كالبنيان ، فالعداء موجّه بالدرجة الاولى الى تعميق أسباب التمزق لتقطيع عناصر التماسك العربي بين ابناء المنطقة الواحدة ، واقامة الحدود والفواصل للحيلولة دون امكانية التماسك والتواصل .. مما يعتبر هجرة معنوية لخصائص الانسان العربي التي يُخشى يقظتها والتي يبرهن عليها التشابه الكبير منذ القدم في صفات اهل هذه البقاع ، وذلك لانها تستمد هذه الخصائص من جذور ثابتة تنتقل عناصرها مع الانسان العربي حيثما انتقل وتلازمه ، ولذلك فان المتأمل الحكيم يلحظ ذلك في ان اخلاق العربي في الكويت على سبيل المثال تطابق وتشابه اخلاق وطباع وعادات أخيه في العراق او الشام او مصر او الشمال الافريقي الخ .

منابع الهجرة العربية :

ونحن لا نستطيع الا ان نقف كثيرا عندما نتأمل وضع الانسان بصفة عامة على كوكب الارض ، اذ كانت النشأة الاولى من أب واحد وأم واحدة للانسانية جمعاء ، ثم بث منهما الله سبحانه كل بني الانسان :(**وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) النساء / ١

ففي البدء لم يكن غير آدم وحواء ، وحينما هبطا لم يكن على الارض من البشر سواهما ، ثم منهما جاءت الذرية التي اخذت مع توالي الاجيال بأسباب جغرافية ، واقتصادية وتحت تزاحم الخليقة في الحركة والانتقال وراء مصادر اخرى للحياة ، فانفصل بداية الابناء عن الاباء الى المكان الاقرب ثم الى آخر فكانت هجرات بطيئة في اماكن متقاربة ، ثم توالت بعد ذلك ، فالتاريخ البشري كله ينحصر في هجرة الذرية . وتطلعاتها الى اماكن جديدة دائما جيلا بعد جيل حتى صاروا شعوبا وقبائل في ارجاء الارض ، يقول سبحانه :

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات / ١٣

والتأمل اليسير يجعلنا نوقن أن

المنطقة العربية كانت اول ينابيع الهجرة كما تؤيد ذلك الادلة الدينية . اذ كان في هذه المنطقة المكان الأول الذي هبط فيهاالابوان للاستخلاف في الارض بدليل أن الله سبحانه وضع للناس أول بيت ، وواضح أنه لم يكن هناك من قبل شيء من ذلك : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا)** آل عمران / ٩٦

وهنا قد نجد سؤالا يطرح نفسه . ندرك من جوابه ان الجنس البشري كله من أب واحد . وأم واحدة ، ومعنى ذلك ان الهنود ـ وسكان الصين ـ والتبت . والروس والطليان والانجليز والامريكان و.. و.. و.. كلهم اخوة ، جاءوا من نفس الابوين ، ثم كان الانتشار عبر آلاف السنين من التاريخ الى بقاع الأرض .

وهذا يؤيد ان الهجرة هي دائما حركة الحياة وسوف تستمر أسبابها أبد الدهر .. فالاسباني ـ والطلياني والفرنسي هم اخوة لي ، واذا أسلم واحد منهم وحسن اسلامه صار أكثر قربا الى الله من اي عربي دونه في التقوى . وهنا قد ينشأ سؤال جديد لماذا اذن لا نتشابه ـ في كثير من التقاليد والافكار والعادات ـ بيننا وبينهم ؟ والجواب يرجع الى عوامل البيئة والاسباب الاجتماعية والاقتصادية المختلفة على حين وجود مقومات ساعدت الخصائص العربية على التشابه والتماسك .. ومصدر ذلك الحرص على كتاب الله الذي تولى سبحانه حفظه والتمسك بالسنة التي هي الترجمان والتطبيق العملي لآيات الله ، فانه من المشاهد الواقعي ان العربي حتى من كان غافلا أو لاهيا لا تنقطع صلته بصورة ما عن عقيدته .

كيف بدأت الهجرة وكيف كان انتشارها ؟:

يقول الدارسون من أهل العلم أنه في الأزمان الموغلة في القدم كانت الطبيعة تختلف عما هي عليه الآن ، فمن المعروف تاريخيا مثلا أن كثيرا من البراكين والجبال والهضاب كانت قيعانا تغمرها المياه .

وفي تلك الازمان كانت الجزيرةالعربية كما يقرر هؤلاء الدارسون تفيض بالخصوبة ، وتتساقط عليها الأمطار في جميع فصول العام ، وتكتنفها الغابات الكثيرة والأشجار ، وفي ذلك الوقت كانت أوروبا مغطاة بالجليد . ثم جاء العصر الحجري الذي احدث تغييرا جذريا ، فغمر الجفاف المنطقة العربية واخذت القشرة الارضية تتجمد فتحولها الى صحراوات . تبدلت فيها الظروف المناخية ، ومن ذلك الحين بدأت الهجرات بسبب هذه التغييرات على نطاق واسع ..

حديث التاريخ عن بداية الهجرات :

ويحدثنا اهل العلم عن سلسلة من الهجرات من الجزيرة العربية من نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة عام قبل

الميلاد ، اي من زهاء خمسة آلاف وخمسمائة من الأعوام . إذ انطلقت قبائل كثيفة تحت ضغط الظروف المناخية كما تقدم الى الشمال الشرقي ، حيث وادي الفرات ومن هذه الهجرات نشأت الموجة الحضارية التي عرفت باسم حضارة بابل وآشور .. وهناك اعتراض لا بد من بيانه عند هذه النقطة ذلك ان العداء التقليدي المغرض والمستمر للاسلام يأخذ مزاعم شتى فمن ذلك ما يزعمه كثير من المستشرقين من ان الحضارة الاسلامية لم تقدم جديدا للانسانية ، وانها اقتصرت على دور الناقل للحضارات القديمة كاليونانية وغيرها دون اضافة جوهرية ولا يقف بعضهم عند هذا الحد بل يحلو له ان يضيف ان الاسلام يعتبر معوقا وعقبة في سبيل الحضارة مرددين الاشارة الى أن عددا كبيرا من البلاد التي تدين بالاسلام في آسيا وأفريقيا وغيرهما غارقة في التخلف والجمود ذلك ان الاسلام في زعمهم يشد اهله الى الوراء ، ويجعلهم يدورون حول أنفسهم وعلى أعينهم غشاوة من الخرافات ـ وليس هنا مجال مناقشة هذا الباطل ، فالواقع يدحض هذه المفتريات فالتعاليم الاسلامية كانت هي الرائدة في جعل التقدم العلمي فريضة على كل مسلم ، واذا كان ذلك في ميدان التقدم الانساني فان الاسلام عمل على تصفية الرق على حين انه ما زال في الاذهان قيام الحضارة الغربية حتى عهد قريب ، تصيد مئات الالوف من زنوج افريقيا ، وتقلهم تحت السياط للبيع عبيدا في امريكا .

هجرة الافكار قبل وبعد هجرة الافراد والجماعات :

وهناك حقيقة لا يصح ان تغيب عنا ، هي ان للافكار هجرات ربما تسبق في كثير من الأحيان هجرة الأفراد والجماعات ، وقد تكون أسرع منها فرب نظريات أو أفكار في كتاب واسع الانتشار يصبح كل ما فيه بمثابة هجرة مفتوحة وغير مقيدة بقيد ما الى كل الأماكن التي يصل اليها وتفيد منه ، وعلى هذا الأساس فالأفكار الاسلامية هاجرت الى أوروبا وغيرها حتى قبل أن يعرف أصحاب هذه الافكار الطريق الى تلك البقاع .. والبلاد الغربية التي هاجرت اليها الأفكار العربية وانتفعت بها ، أصبحت بالقياس الى هذه الأفكار كالابن العاق الذي ينكر ما كان من اعداد أبويه له .. ومع هذا فان الأمر لا يخلو من بعض المنصفين من ذوي المكانة العلمية ، الذين يقرون بهذه الحقيقة أو بجزء منها .. واذا كان الأوروبيون يطلقون على (ارنولد توينبي) لقب أبي التاريخ فلننظر بعض ما يقوله أبو التاريخ توينبي .

مما قرره ابو التاريخ ارنولد توينبي :

انه يقول في كتابه : « الحضارة في

الميزان » « منذ قرون طويلة وأهل الغرب يرون في الاسلام خطرا مخيفا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشيوعية ، ففي القرن السادس عشر وهو الزمن القريب منا نسبيا كان الاسلام يبعث في قلوب الغرب من التوجس ما تبعثه الشيوعية في القرن العشرين » وهكذا فان رجل التاريخ وهو من اقطاب الرجال الغربيين يقرر أن عداوة الغرب للاسلام تعدل عداوتهم للشيوعية ، ولما كانت الشيوعية هي نظريات تنتقل بالهجرة الفكرية فهكذا يعملون حساب النظريات الاسلامية .. وإن كان الوضع يختلف تماما فالهجرة الفكرية للنظرية الشيوعية ، هي هجرة افكار مخربة مدمرة ومن أجل ذلك يعمل أصحابها على تسربها بأساليب سرية ، والأمر بالنسبة للاسلام هو عكس ذلك تماما .

وعلى حين يقف رجل مثل ارنولد توينبي هذا الموقف باعتراف واضح ، فانه يوجد في الجانب الآخر آراء بالغة الافتراء يرمينا بها آخرون كالمستشرق الأحمق المضلل (جيروثام) حيث يقول إن الاسلام غير قادر على أن يمد بنيه بالابداع ، ورجاله ودعاته سطحيون لا يستطيعون النفاذ الى اعماق الحياة ..

ولنترك هذه الادعاءات ولنعد الى جذور حضارتنا وكيف بزغ نجمها من المنطقة العربية بالهجرة الذاتية والفكرية ، فقد ذكرنا انه منذ قرابة خمسة آلاف وخمسمائة عام مضت تتابعت الهجرات من قلب الجزيرة الى سوريا وسواحل البحر الابيض حيث نشأت الحضارات العمورية .. والكنعانية . والفينيقية .

الهجرة العربية الى شمال افريقيا ومشرقها :

وقد ثبت من المراجع التاريخية والآثار ما يشير الى هجرة القبائل من المنطقة العربية في دفعات متتالية منذ التاريخ المذكور وتمت الهجرات عبر باب المندب والصومال واثيوبيا ومصر . وقد تبين ذلك من أمور كثيرة منها مثلا إطلاق كلمة عرب كإسم شامل على جميع الذين استوطنوا أكثر هذه الجهات ، وذلك على الرغم من التسميات المحلية .. ومن ذلك ما نلحظه من ان المنطقة الممتدة من الخليج حتى المحيط الاطلسي يتكلم اهلها لغة واحدة وقد انشأوا حضارة متشابهة ، ولهم تاريخ واحد ، وانصهرت فيه امجادهم وعلومهم وفنونهم وعاداتهم ـ وقد تكون هناك ظروف عاقت في بعض الاوقات انطلاق نموها ، أو جمدت ذلك الانطلاق ، أو عادت به الى الوراء .

ولكن بالرغم من ذلك فان الأصالة المركوزة في طبيعتهم ، ما تزال تحتوي خصائص مقومات اليقظة المرجوة وتمدهم بالقوى اللازمة لاستئناف المسيرة وتعويض ما فات ، بل والسبق الى المقدمة كخير أمة اخرجت للناس .

منهج الأخوّة

جاء في سيرة ابن هشام : قال ابن اسحاق « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين ، ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ـ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم .. وزيد بن حارثة .. أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخوين .. وكان أبو بكر وخارجة

في مدرسة الهجرة

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

بن زيد أخوين ، وكان بلال وأبو رويحة الخثعمي أخوين .. فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم » .

كانت الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه خطوة موفقة مترتبة على الهجرة ، بل هي ثمرة جنية من ثمارها ، فقد وثقت العلاقة بين المسلمين وربطت بينهم برباط متين من الحب والتضامن ، وزكى القرآن الكريم هذه الرابطة

واثنى عليها بما هو جدير بها لتظل مثلا أعلى ينظم حياة المسلمين في المستقبل ، ويحفزهم الى ما يجب عليهم نحو أنفسهم ودينهم ومجتمعهم من تضامن وتعاون .

ولقد ضرب الأنصار أروع المثل في استقبال اخوانهم المهاجرين ، فآثروهم على أنفسهم وأهليهم ، وبادلوهم الحب والوفاء وساروا معا في اخلاص وثيق العرى ، يشيدون بنيان دولة الاسلام الخالدة تحت لواء رسولهم القائد الأمين صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الحشر / ٩ .

جاء في مناسبة هذه الآية ما رواه القرطبي في تفسيره قائلا : وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في أموالهم ، ثم قال : ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا الا ثلاثة نفر .

وليس ثناء الله على صنيع الأنصار هذا شيئا هينا ، بل هو أمر له خطره ، هو قدوة يقتدي بها ، وقرآن يتلى ويتعبد بتلاوته ، وأثر خالد يذكرهم بالخير الى أن يطوي الله الأرض وما عليها ، وتعليم للمسلمين الى أبد الدهر ، كيف يكونون عند حسن ظن دينهم ، يرفعون من شأنه ، ويجاهدون في سبيله ، ويضحون بالغالي والنفيس من أجل اقامة مثله ؟

من مناهج مدرسة الهجرة :

الهجرة مدرسة لها مناهجها المتعددة ، ولقد خرجت هذه المدرسة ابطالا وربت رجالا دأبوا على التضحية والفداء ، وباعوا أنفسهم وأهليهم وأموالهم وأوطانهم لله ، وتحملوا المشقة والاغتراب يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وفي مقدمة هذه المناهج ما تعلمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخوة صادقة مخلصة ما تزال آثارها تروى ويتعلم منها المسلمون عبر العصور والأجيال الدروس

والعظات .

ولنقرأ في دروس الايثار التي تلقنها الصحابة في مدرسة الهجرة من الأمثلة الطيبة ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته : نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك ، فنزلت هذه الآية : ويؤثرون على انفسهم ..

وفي تفسير القرطبي .. ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا محمد بن مطرف قال : حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال للغلام : اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع .

فذهب الغلام اليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها الى معاذ بن جبل ، وقال : اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع . فذهب اليه فقال : يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال : رحمه الله ووصله ، وقال : يا جارية : اذهبي الى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا . فأطلت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره ، فسر بذلك ، وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .

ومن أمثلة الايثار ما ذكره القشيري قال : قال ابن عمر : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليهم ، فلم يزل يبعث به واحدا الى اخر حتى تداولها سبعة بيوت حتى رجعت الى اولئك . ذكره الثعلبي عن انس .

لقد قامت هذه الأخوة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه على الايثار ، ولا يكون الايثار الا نتيجة محبة خالصة مخلصة بين هؤلاء القوم الذين تخرجوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان هو مثلهم الأعلى ، يقوم نحوهم بخالص الوفاء ، ويؤثرهم على نفسه ويدافع عنهم ويرد غيبتهم ويذكرهم بكل خير ويبادلهم حبا بحب واخلاصا باخلاص . فهو يقول عن الانصار مثلا فيما رواه مسلم في صحيحه عن انس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الأنصار كرشي وعيبتي وان الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم » وما من أحد من أصحابه الا وقد أطراه وأثنى عليه وجعل له مزية تذكر له أبد الدهر .

وهذه هي أخلاق القيادة المثالية التي تذكر الفضل لأصحابه ، ولا تنساه حين تصل الى مبتغاها ، فانا لنقرأ في سير الأفذاذ أنهم يحيطون انفسهم بالمناصرين لهم في مبادئهم حتى اذا نجحوا في تحقيق أهدافهم نسوا أصحابهم أو بطشوا بهم أو تنكروا لهم خوفا من المنافسة أو استجابة لهاجس ريبة أو تأمينا للمستقبل ، ولكن المثل الأعلى في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم يعصمه من التردي في هذا الخطأ الذي يقع فيه قادة الدنيا ، ويدفعه الى أن يقي أصحابه بنفسه ويحرص عليهم حرصا شديدا لأن لكل منهم ميزة من المزايا العظام ، التي تعلي بنيان هذه الأمة ، وترفع شأن الأخلاق التي جاء ليتممها .

ولقد حرص أصحابه على أن يفتدوه بأنفسهم ويصونوه بأرواحهم ، وتحدثنا السيرة الطاهرة بأمثلة طيبة من ذلك ، تحدثنا مثلا بأن أبا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة : لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك ، نحرى دون نحرك ، ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت .

ولم يقف الأمر عند حد الرجال ، بل ان النساء أيضا تسابقن في افتداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى ان نسيبة بنت كعب أصيبت دون رسول الله بأحد عشر جرحا غائرا حتى أغمي عليها من كثرة النزف ، ولم يكن همها حين أفاقت من غشيتها الا السؤال عن رسول الله ولم تسأل عن زوجها أو ولديها .

والايثار الذي بنيت عليه الأخوة الصادقة بين أصحاب رسول الله لم يكن في أيام الدعة والرخاء فحسب ، فان ذلك أمر قد يحدث بين عامة الناس ، ولكنه ايثار الحاجة القصوى التي قد تتوقف عليها الحياة ، هو الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود ، فيما يرويه القرطبي في تفسيره : قال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ، ومعي شيء من الماء وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به ، فقلت له : أسقيك فأشار برأسه أن نعم ، فاذا أنا برجل يقول آه آه ، فأشار الى ابن عمي أن انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول آه آه ، فأشار هشام أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات .

من آداب الأخوة :

ولأن الأخوة عليها مدار كبير في بنيان المجتمع اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره وهو يبني مجتمع الأمة الاسلامية ، ودعا الى حسن العلاقة بين المسلمين فلا ينبغي أن يكون بينهم تقاطع او تدابر . روى مسلم في صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . » وروى عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » متفق عليه .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى التآخي بين اثنين اثنين ، بل وسع دائرة الأخوة لتشمل المسلمين جميعا ، وعمل على أن ينمي الشعور بالألفة والمودة بينهم عن طريق الايمان الذي ينبغي أن يكون هو أساس العلاقة بين المسلمين لا علاقة الدم أو النسب ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو هريرة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، واشار الى صدره ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم واللفظ له من حديث أوله : « اياكم والظن » وسادت هذه الأخوة حتى أصبحت في معرض النعم التي يمن الله بها على المؤمنين ويذكرهم بالمحافظة عليها ويحذرهم من كفرانها فيقول لهم : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)** آل عمران / ١٠٣

وبذلك أصبح المسلمون جميعا أعضاء في أسرة واحدة رباطها الاسلام وقوامها الايمان وشعارها الحب والوئام ، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة الى درجة أنه حذر من وجود تناحر أو شحناء بين أفراد هذه الأسرة الكبيرة روى سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم ولقد كان التوارث بين المسلمين يقوم على أساس هذه العلاقة الايمانية ، كان الأخوان في الله يتوارثان حتى نزل قوله تعالى : **(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)** الأنفال / ٧٥ فعاد التوارث كما كان .

الألفة ترفع الكلفة :

ولأن الشعار هو الحب ارتفعت الكلفة بينهم وذابت الخلافات وظللهم التسامح ، فقديما قالوا : الألفة ترفع الكلفة ، وجاء في الأثر الشعري :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وليس هناك أروع من التصافي بين الأخوان والتواضع لهم والتغافل عن هفواتهم والتماس الأعذار لهم ، وقد اعتبر الله المتحابين في الله من المقربين الى حضرته المستظلين بظله يوم لا ظل الا ظله ، ورد في صحيح مسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل الا ظلي » .

وأخرج أحمد والحاكم وغيرهما مرفوعا : « قال الله تبارك وتعالى حقت محبتي

للمتحابين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في ، وحقت محبتي للمتباذلين في . المتحابون في على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء . »

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاستكثار من الاخوان فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ولكل مؤمن شفاعة كما ورد في الآثار ، وقد اخذ الشيخ حسن رضوان هذا المعنى فنظمه شعرا في كتابه القيم المسمى « روض القلوب المستطاب » فقال :

ومن علـى صـدق اشتيـاقـه نظـر	الى أخيـه نظـرة فـاق البشر
وكـان مثـل من بصـدقـه اعتكف	عـاما بمسجـد النبي ذي الشرف
وكثـرة الأخـوان شـرعـا تطلب	لمـا لهـا من كـل خـير يـرغب
فكـل مـؤمـن لـه شفـاعـه	مقبـولـة في أمـر هـول السـاعـه

ولأن المودة ترفع الكلفة نزل قوله تعالى في نفي الحرج :(**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم**) الى قوله تعالى : (**أو صديقكم**) النور / ٦١ .

والصديق من يصدقك مودته وتصدقه ، ويخلص لك وتخلص له . جاء في تفسير الكشاف للزمخشري : « يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم يكبون عليها يأكلون ، فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال : هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم ، يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضي الله عنهم . وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء ، فاذا حضر مولاها وأخبرته أعتقها سرورا بذلك .

وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما : من عظم حرمة الصديق أن جعل الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصديق أكبر من الوالدين ؛ ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والأمهات فقالوا : مالنا من شافعين ولا صديق حميم .

عناية الأسلام بالأخوة :

لقد امتدح الاسلام الاخوة وأثنى على المخلصين فيها ، ووضع لها آدابها حتى تفنن المتفننون من الحكماء في ذلك ، وغصت بذلك كتب الأدباء والمؤلفين حتى أفردت لها أبوابا واستصفت فيها فرائد التعبير وغرائب القصص وطرائف الأشعار وروائع الحكم والأمثال ، وما ذلك الا لبيان فضل هذه الحلة التي يقوم عليها بناء المجتمع الشامخ الراسخ الأصول .

وما عرف انسان فضل الأخوة الا لكرم أصله وثاقب فكره وحسن مروءته ، وما

ضيع انسان أخاه الا اذا كان ساقط الهمة قليل المروءة . جاء في كتاب كليلة ودمنة : أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة « حدثني الرياشي عن الأصمعي ، قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس : اثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان الا قلة ، درهم يوضع في حق وأخ يسكن اليه في الله .

أما الصديق الذي يصحب فأصدق وصف فيه ما يرويه سفيان بن عيينة عن علقمة بن لبيب العطاردي يوصى ابنه :

« يا بني اذا نزعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إن صحبته زانك ، وان خدمته صانك ، وان أصابتك خصاصة عانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات آساك ، من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وان حاول حويلا آمرك ، وان تنازعتما منفسا آثرك ..ـ الحويل : المحاولة ـ والمنفس : النفيس . عيون الاخبار ـ

ومن أقاصيصهم الطريفة التي تدل على فرط المروءة والتفاني في خدمة الأصدقاء والرفقاء والاخوان ما يرويه أبو نصر السراج الطوسي في كتابه « اللمع » :

قال ابو علي الرباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المروزي رحمه الله فقال : أيما أحب اليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت نعم . فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وجعلها على ظهره ، فاذا قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول ألست أنا الأمير ، فعليك بالطاعة .

قال : فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي الى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر ، فكنت أقول لنفسي : ليتني مت ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال لي : اذا صحبك انسان فاصحبه كما رأيتني صحبتك .

وحدث السهروردي في كتابه عوارف المعارف قائلا : قصد صديق صديقه يستعين به في دين حان اجله ، فأعطاه ما طلب ، ثم دخل على زوجته يبكي ، فقالت له : ما يبكيك وكان بوسعك أن تعتذر اليه ؟ فقال لها : ما على المال أبكي ، ولكني أبكي على ما ضيعت من حق صحبته حتى اضطررته الى أن يسألني .

هذه الأخوة وتلك شروطها وآدابها كما وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساسها ومنهجها في مدرسة الهجرة الحافلة بالمناهج والدروس .

فهل نحن الآن آخذون الأهبة لاستعادة هذه المناهج ودراستها حق دراستها ، لنعود الى الدرب ونلحق بالركب ونصبح جديرين بهذه الرسالة السامية التي ائتمنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من بعده ؟ اللهم وفقنا للصواب واهدنا الى سواء السبيل .

من المعارك الخالدة

في الاسلام

موقعة نهاوند

للاستاذ / محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

بسم الله الرحمن الرحيم

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

صدق الله العظيم . النساء ٧٤ .

لقد وقف المسلمون بحركة الفتح في العراق شرقاً عند « حلوان » كما رسم عمر بن الخطاب ، كيلا يتورط المسلمون فيما لا يعرفونه من مسالك بلاد الفرس قبل أن تتوطد أقدامهم فيما انتزعوه من الفرس من أقاليم ، واتجهوا الى شمال العراق الذي كان يقع معظمه في قبضة الروم ، ليستولوا على ما بتلك النواحي من القرى والمدن حتى يأمنوا غارات الروم منها ، وزادهم رغبة في ذلك ما وصل الى علمهم من أن ملك الموصل قد جمع قوات من العرب والفرس والروم ، وأنه قد عسكر بهم في تكريت .

وحاصرهم المسلمون أربعين يوما ، عمل بعدها ابن المعتم القائد الاسلامي الذي سيره سعد بن أبي وقاص لملاقاة الأعداء على اجتذاب العرب من صفوف الأعداء ، مستعينا على ذلك بوحدة اللغة والجنس فأجابوه ، وطلب منهم أن يكبروا اذا ما سمعوا تكبير المسلمين ، وعندما حدث ذلك أثناء الهجوم ظن المحاصرون أن المسلمين قد فاجأوهم من الخلف ، فاستبقوا الى أبواب الحصن يريدون الخروج ، فأخذتهم سيوف المسلمين ، وسقط الحصن في أيدي القوات الاسلامية .

ثم سار ابن المعتم مع حلفائه الجدد الى نينوى وفتحها ، ودانت للمسلمين جميع الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات ، من المدائن الى الموصل .

وفكر الفرس في الخروج من الأهواز للاغارة على ما بأيدي المسلمين بقيادة الهرمزان ، وعرف المسلمون ما

ينتويه الفرس ، فكتب أمير البصرة يستأذن الخليفة في قتالهم فأذن له ، وأمر سعد بن أبي وقاص بأن يمده بالرجال والسلاح فأمده ، واشترك جيشا البصرة والكوفة في قتال الهرمزان حتى تم لهم النصر ، وطلب الهرمزان الصلح فأجيب الى ما طلب ، واحتفظ المسلمون بما استولوا عليه من أراضي .

بيد أنه بعد فترة من الزمن جاءت الأنباء بأن كسرى يزدجرد قد حرض الهرمزان وغيره من الأمراء على الثورة ضد المسلمين ، فكتب عمر الى سعد يطلب منه أن يعاون جنود البصرة في القضاء على هذه الحركة التمردية ، ووصلت قوات المسلمين الى رامهرمز حيث اصطدمت بالهرمزان وهزمته وانتزعت المدينة من يده ، فانسحب منها الى تستر ، فحاصرها المسلمون حوالي تسعة أشهر حتى خارت روح المقاومة فيها ، فدخلها المسلمون ونزل الهرمزان على حكم الخليفة عمر ، فأرسل اليه بالمدينة ليرى رأيه فيه ، وهناك أقام كفرد من عامة المسلمين بعد أن أسلم وحسن اسلامه ، وصار لا يفارق الخليفة مطلقا ، ولا يضن عليه بالرأي أو بالمشورة .

واستمر المسلمون في تقدمهم من تستر الى سوس ومنها الى جنديسابور ، وانفتح الطريق أمامهم الى أصفهان ، غير أنه قد طرأ من الحوادث ما وجه الفتوحات الاسلامية الى خراسان حيث يقيم كسرى الفرس ، فقد جاءت الأنباء بأن أمراء الفرس قد تكاتبوا وأرسل بعضهم الى بعض الرسل على أن يكونوا جبهة متحدة لدفع هؤلاء المسلمين الذين يغزونهم اليوم في عقر دارهم ، ويمدون سلطانهم على ولايات كثيرة من أرضهم ، ثم لا يفتأون يتقدمون فيها ، وكأنه ليس لأحد على وجه الأرض من القوة والقدرة ما يستطيع بهما أن يقف أمامهم أو يتحدى قوتهم .

وازاء هذه الأنباء رأى عمر بن الخطاب أن الوقوف بالفتح في حدود العراق لم يعد مستطاعا ، وأن الحوادث تحمله مختارا أو مكرها مرغما على أن يعدل في سياسته التي اتخذها ازاء هذا التوسع في فتوح بلاد الفرس ، وتدفعه دفعا الى التوسع حتى لا يجد يزدجرد مكانا له على أرض الفرس .

تجميع القوات الفارسية :

اتفق أمراء الولايات الفارسية على أن يكتبوا الي يزدجرد ليكون على رأس حركتهم ، فالجميع يدين له بالطاعة ، وبذلك يلتف الناس حول حركتهم .

وكان يزدجرد قد اضطرب في أرجاء مملكته بين مختلف الولايات منذ فر من المدائن ، فلما وصلته رسائل الأمراء ورأى ما أزعجه من زحف المسلمين أعجبه ما لاحظه من شدة حماس الأمراء ، وتصميمهم على دفع عدوهم وعدوه ، وعاودته نفحة من شبابه قلبت يأسه أملا ، وبدلت اضطرابه طمأنينة ، فكتب الى أهل ايران يستحثهم ويقلل من أهمية وخطر غزو العرب لهم .

وفعلت كتب كسرى فعل السحر في النفوس ، فبعث كل أمير من جنده ما استطاع ارساله الى نهاوند ، حتى وصل عدد الجنود مائة وخمسين ألفا تحت قيادة الفيرزان ، وفي نهاوند عقد كسرى مجلسا عسكريا ضم أمراء الجنود القادمين من شتى الأرجاء ، وقال لهم : « ان محمدا الذي جاء العرب بهذا الدين لم يتعرض لبلادنا ، وقام أبو بكر من بعده فلم يتعرض لنا في ملكنا ، ولم يثر بنا الا فيما يلي بلاد العرب من السواد ، وهذا عمر بن الخطاب لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا ، فأخذ بيت المملكة ، وانتقصكم السواد والأهواز ، وهو آتيكم ان لم تأتوه ، وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم » .

ونقل الأمراء مضمون حديث كسرى الى الجند ، فازدادت حماستهم وقويت معنوياتهم ، وظلوا ينتظرون اليوم الذي يواجهون فيه المسلمين على أحر من الجمر ، وهم متشوقون للقتال ، متعاهدون على أن يحرزوا النصر بأرواحهم ، ويستردوا ما فقدوه من ولايات ضاعت منهم على أيدي المسلمين .

عمر يستعد للقاء الفرس :

لم يبق لدى عمر أدنى شك في أنه اذا لم يوجه الى الفرس الضربة القاضية القاصمة فانهم لن يفتروا عن مناوأة المسلمين ، فالخصم قوي يملك الكثير من مصادر القوى المادية والبشرية ، وليس ببعيد أن يبتسم لهم الحظ يوما فتتعرض الدولة الاسلامية للخطر .

وأخذت الأنباء ترد الى المدينة متوالية وراء بعضها عن تأهب الفرس واستعدادهم لقتال المسلمين ، أنباء تهز القلوب وتروعها ، فالقوات الفارسية التي تجمعت تحت قيادة الفيرزان قد سارت الى همذان ، وهي الآن تتابع سيرها قاصدة حلوان ، بل هي قد تحركت متخذة طريقها صوب الكوفة ، وبعد قليل ستبلغها .

ولم يخف على عمر ما في هذه الأنباء من مبالغة يصورها الفزع ، لأن **الخوف من الخطر أو من توقعه يدفع النفوس الى كونها تتوهم الأشياء وتجسمها الى أضعاف أضعاف الواقع من حقيقتها** ، وليس من المستبعد أن يكون الفرس قد قصدوا من ظهورهم بهذا التكتل العسكري شن حرب نفسية المقصود منها اضعاف روح المسلمين المعنوية ، مع اثارة حملة من الشكوك المراد منها أن يرتاب أفراد القوات الاسلامية في مدى قدرتهم على مواجهة هذا العدو القوي .

بيد أن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الفرس قد جمعوا جموعهم واستعدوا استعدادا كاملا ، وأن عمر ان لم يواجه الفرس ويبادرهم بالشدة فقد يزدادون جرأة تنتهي بهم الى حد تهديد ما استولى عليه المسلمون في خوزستان والعراق ، فالتأهب الى ملاقاة هذا الخطر واجب مقدس .

عمر يستشير الناس فيمن يتولى القيادة :

أراد عمر أن يستشير الناس ـ كعادته ـ في مثل هذه الأمور ، فأمر المنادي أن ينادي : الصلاة جامعة . فأقبل المسلمون من كل مكان ، وعندما التأم عقد الناس بالمسجد صعد المنبر وذكر لهم ما أنهاه اليه عماله عن تهيؤ الفرس ، واجتماعهم وكثرة عددهم ثم قال لهم : « ان هذا اليوم له ما بعده ، ألا واني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفرهم ، ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب ؟ » .

وتكلم القوم ، فكان رأي طليحة بن عبيدالله أنه ولى هذا الأمر ، وقد أحكمته التجارب والأمور فأمره نافذ ومطاع ، وكان رأي عثمان بن عفان أن يكتب الى أهل الشام وأهل اليمن ليسيروا ، ثم يسير هو بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فيلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فيكون ذلك أعز للمسلمين ، وأن هذا اليوم له ما بعده فليشهده برأيه وأعوانه .

وكان رأي علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه اذا سار أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم ، واذا سار أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ، واذا سار عمر ابن الخطاب من المدينة انتفضت عليه الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما يدع وراءه أهم اليه مما بين يديه من العورات والعيالات ، وكان من رأيه أن يقر أهل الأمصار في أمصارهم ، ويكتب الى أهل البصرة ليتفرقوا ثلاث فرق : فرقة في حرمهم وذراريهم ، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ، وفرقة تسير الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ، وأن الأعاجم اذا نظروا اليه وقد خرج بنفسه قالوا : هذا أمير العرب . فيكون ذلك أشد لتكالبهم عليه ، فمكان أمير المؤمنين من العرب مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لن يجتمع أبدا .

واقتنع عمر برأي علي وسر به ، وكان اذا استشار أحدا في أمر من الأمور لا يبرم ذلك الأمر حتى يشاور العباس رضي الله عنه ، فلما اقتنع بكلام علي عرضه على العباس الذي قال له : خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم .

وأعلن عمر أنه مقيم بالمدينة ، ومرسل الجيوش تلو الجيوش امدادا لقتال الفرس ، ثم قال : « أشيروا علي أيها الناس برجل أوله أمر هذه الحرب وليكن عراقيا » ، قالوا : أنت أفضل منا رأيا ، وأحسن مقدرة ، وأبصر بجندك ، وقد وفد عليك أهل العراق وجنده فرأيتهم وخبرتهم . فقال عمر : « أما والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة اذا لقيها غدا ، النعمان ابن مقرن » ، فقال الناس : هو لها . ولعل السبب في اشتراط عمر أن يكون القائد عراقيا هو أن العراقي أعرف

ببلاده من غيره ، فيكون ذلك أدعى الى نجاح خططه فيها .

ولقد كان النعمان لها حقا ، فقد عرفه المسلمون فارسا شجاعا مقداما لا يعرف التردد ولا الفرار ، غير متسرع لاغتنام فرصة ، كان على ميمنة جيش أبي بكر الصديق الذي خرج يحارب من منعوا الزكاة فهزمهم في موقعة ذي القصة ، وكان في فتوح العراق يحارب جنبا الى جنب مع خالد ابن الوليد ، وكان النصر يسير في ركابه كما كان يسير في ركاب خالد ، وحينما تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جيش العراق كان النعمان في طليعة الجنود المقاتلة ، وقد برز في موقعة القادسية ، وفي فتح العراق العربي ، ثم أبلى بلاء حسنا في حروب خوزستان .

تعليمات الخليفة الى القائد الجديد :

كتب عمر الى النعمان يأمره بالمسير الى ماه ، لأنها ستكون مركز التجمع للقوات التي عين قائدا لها ، فاذا اجتمعت القوات سار بها الى الفيرزان ومن معه من الفرس .

وكتب لأهل الكوفة أن يوافوا النعمان وعليهم حذيفة بن اليمان قائدا ، وكتب لأبي موسى الأشعري أن يسير بأهل البصرة ، ثم أرسل الى ماه جموعا من المدينة فيهم عبد الله بن عمر ، وبعث الى النعمان يقول له : « ان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن » ، وعين السائب بن الأقرع ـ وكان كاتبا حاسبا ـ أمينا على الغنائم ، وقال له : « الحق بهذا الجيش فكن فيهم ، فان فتح الله عليهم فاقسم بين المسلمين فيئهم ، وخذ خمس الله ورسوله ، وان أصيب هذا الجيش فاذهب في سواد الأرض فبطن الأرض خير من ظهرها » .

وكتب الى أمراء الجند الذين كانوا بين فارس والأهواز أن : « اشغلوا أهل فارس عن اخوانكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري » ، وقد أراد عمر بعمله هذا أن يقطع خط الامداد والتموين عن الجيوش الفارسية .

زحف القوات الاسلامية :

اجتمعت القوات الاسلامية في ماه ، وأرسل عمر بن الخطاب قوة جديدة من أهل الحجاز الى النعمان قادها المغيرة بن شعبة ، وانهالت عليه الامدادات من جميع الأنحاء ، وحرص الذين لم يشهدوا موقعة القادسية ولم يحظوا بشرف الاشتراك فيها على أن يشتركوا في نهاوند التي لن تكون دون القادسية شأنا .

وتحرك الجيش حتى وصل الى حلوان ، فأراد النعمان أن يتعرف أخبار الفرس ليعرف هل بثوا جواسيسهم على الطريق الى نهاوند أم لا ؟ وذلك حتى يحتاط ولا يدخل بجيشه في طريق مجهول قد يعرض المسلمين للخطر ، فأرسل دورية استكشافية مكونة من طليحة

الأسدي ، وعمرو بن معد يكرب ، وعمرو بن أبي سلمى ليستكشفوا له الطريق ، فسار ثلاثتهم يوما كاملا ، وعندما حل الليل رجع عمرو بن أبي سلمى لعدم معرفته بأرض الفرس ، بينما استمر زميلاه في السير الى نهاية الليل ، ورجع عمرو بن معد يكرب لأنه لم ير شيئا خلال مسيره يوما وليلة وخاف من قطع الطريق عليه ، وواصل طليحة الأسدي السير حتى وصل الى نهاوند ، فعرف أخبار الفرس وأسرارهم ثم قفل راجعا ، وعندما رآه المسلمون كبروا لأنهم كانوا يخشون عليه من مفاجآت الطريق وخطره .

ودخل طليحة على النعمان وأخبره أن ليس بينه وبين نهاوند ما يعرقل سير المسلمين الى هناك ، وأن الطريق مأمون ، فأمر النعمان قواته بالتحرك ، وسار بقواته حتى نزل على مقربة من أعدائه ، وهناك كبر المسلمون ثلاث تكبيرات زلزلت الفرس وألقت الرعب في قلوبهم .

المفاوضات :

عرف الفيرزان أخبار المسلمين ، وأنهم جاءوا اليه بجيش يبلغ تعداده ثلاثين ألف جندي ، فلم يستصغر شأنهم أو يستهن بهم ، ولم يخدعه أنه أمامهم في مائة وخمسين ألف جندي متعاهدين على القتال حتى الموت ، متحصنين في حصون قوية منيعة ، فهو قد شهد موقعة القادسية ، ورأى من قوة هؤلاء العرب وشدتهم في القتال ما راعه وأنزل في قلبه الرعب ، واضطر يومها هو والهرمزان الى الفرار عقب هزيمة القوات الفارسية ذات الكثرة في العدد والعتاد والعدة .

وفكر الفيرزان ، ودارت في رأسه عدة أفكار .. هل ستدور الدائرة عليه هذه المرة أيضا ؟ .. هل جنوده لديهم من الروح العالية ما يمكنهم من احراز النصر على هؤلاء المسلمين الذين ما دخلوا معهم في معركة إلا وهزموهم ؟ .. ان موقفهم يوم القادسية كان مثل موقفهم اليوم ، كثرة في العدد ، وقوة في العتاد والعدة ، ومع ذلك لحقت بهم الهزيمة هل يبعث الى المسلمين ويطلب منهم المفاوضة ؟ وهل سيكون مصير هذه المفاوضات الفشل كما حدث في المرات السابقة ؟ وأحس الفيرزان بأن رأسه يكاد ينفجر من كثرة الأفكار التي به ، انه منذ وقت طويل يفكر ولم يهتد الى شيء .. فماذا يفعل ؟

واستقر رأيه على مفاوضة المسلمين ، عساه ينجح هذه المرة ويكسب بالمفاوضة ما يخسره بالحرب ، فأرسل الى المسلمين يطلب منهم المفاوضة ، فبعث اليه النعمان المغيرة بن شعبة ، الذي اجتاز الميادين المحيطة بنهاوند وتخطى أسوارها حتى انتهى الى الفيرزان .

ودار بين الرجلين حديث طويل احتقر فيه الفيرزان العرب واستصغر شأنهم ، ووصفهم بالجوع والشقاء ، ثم اشتد في لهجته مع المغيرة ليدخل الرعب الى قلبه ، ويضعف من روحه المعنوية ، فيفت بذلك في عضد

المسلمين ويرتاعوا ، ولكنه بعمله هذا أخفق السفارة وكان سببا في فشل المفاوضات .

المعركة :

أنشب النعمان القتال عقب فشل المفاوضات ، ودارت الحرب سجالا بين الفريقين يومين كاملين ، كان الفرس خلالهما لا يخرجون من حصونهم الا اذا أرادوا ورأوا في الخروج نصرا لهم ، فهم قد عمدوا الى أسوارهم وأحاطوها بحسك الحديد ، ولم يتركوا سوى منافذ ضيقة يخرجون منها متى أرادوا ، ولم تكن خيول المسلمين تستطيع اجتياز هذا الحسك ، وقد اشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول القتال وتسوء عاقبته .

وطال الحصار وامتدت أيامه ، فعقد النعمان مجلسا حربيا حضره كبار قواد الجيش وغيرهم من أعيان العرب ، وسألهم رأيهم في الخطة التي يجب أن يسير عليها بعدما طال أمد الحصار ، وبعد امتناع الفرس عليهم واختفائهم وراء حصونهم ، فعرضت اقتراحات عديدة ، كان من أبرزها وأوجهها رأي طليحة الأسدي الذي دل على ذكاء ممتاز ومهارة حربية وسعة ادراك ، ومؤداه : أن ينشب المسلمون القتال مع الفرس في صباح اليوم التالي ، ثم بعد فترة يتظاهرون بالانكسار والهزيمة ويرتدون الى الخلف منسحبين ، وعندئذ سيعتقد الفرس أنهم قد كسبوا الموقعة بتقهقر المسلمين وانسحابهم ، فيخرجون من حصونهم يتعقبونهم ، وفي هذه الحالة يخرج عليهم فريق من الجيش يكون قد كمن لهم أثناء الليل ويأتيهم من ورائهم ، فيضعهم المسلمون بين نارين ، وينصرف فريق آخر من الجيش يهاجم نهاوند ويحتلها ، ويرفع الراية الاسلامية فوقها .

ونفذ النعمان هذه الخطة على الفور ، فأمر القعقاع بن عمرو أن يذهب في صباح اليوم التالي ويهاجم المدينة بالجنود الذين تحت امرته ، فاذا خرج الفرس من حصونهم أظهر الهزيمة وتراجع أمامهم .

وفي الصباح تقدم القعقاع بجنوده ورمى المدينة بالنبل ، وأظهر للفرس أنه عازم على اقتحام الأسوار ، وأبدى من ضروب البأس والشجاعة ما جعل الفرس يخرجون اليه في حذر المرتاب المتشكك يصدون هجماته ، فقتل المسلمون كل من خرج اليهم ، مما أثار الحماسة في نفوس الفرس فخرجوا إليهم فوجدوهم قلة يمكن التغلب عليهم بلا صعوبة ، فاجتازوا الأسوار والحسك وأخذوا يقاتلونهم ، وهنا ظهرت براعة القعقاع ، فلم يأمر قواته بالتراجع ، بل استمر يقاتل حتى لا تنكشف حيلته ، وعندما أدرك أن الوقت قد حان لتنفيذ عملية الانسحاب فر بجنوده من أمامهم ، فلما شاهدوه يهرب خرجوا في أثره أملا في القضاء عليه وعلى قواته .

وكان النعمان قد أصدر أمره الى جنوده بالتراجع الى ما وراء مرمى النبل من حصون المدينة وأسوارها ،

حتى اختفى معظمها وراء أحد المرتفعات .

وتابع الفرس مطاردة القعقاع وهم ينقلون أمامهم بعضا من حسك الحديد خوفا من أن تحاول القوات الفارة مهاجمتهم من جديد ، ولكن القعقاع أمعن في الفرار بجنوده ، مما جعل الفرس يتثبتون من هزيمة المسلمين ، فتركوا حسك الحديد وراءهم وأسرعوا خلف الفارين .

واندفع الجيش الفارسي كله وعلى رأسه الفيرزان وراء المسلمين الذي اعتقد أن الدنيا قد ابتسمت له والحظ قد حالفه .

وقد نتج عن مطاردة القوات الفارسية للقعقاع وجنوده أن خلت مدينة نهاوند من الجنود ، ولم يبق بها سوى حراس أبوابها ، فلما ابتعدوا عن المدينة بمقدار كاف رأوا المسلمين يقفون ، وشاهدوا القعقاع ومن معه كأنما يريدون الثبات لهم فارتاعوا ، بيد أن روعهم لم يلبث أن هدأ وسكن وحسبوها حيلة أراد بها القعقاع أن يحمي ظهر الجيش المنسحب .

وانضم القعقاع بقواته الى القوات الاسلامية ، وأقام مع المسلمين ينتظرون أمر النعمان بالهجوم ، وكان النعمان قد أمر بأن يلزموا أماكنهم ولا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وكان اليوم يوم جمعة .

وأدرك الفرس المسلمين قبل الزوال فرموهم بالنبال حتى أكثروا فيهم الجراح ، فأشار بعض القواد على النعمان أن يصدر أمره للجيش بالقتال فلم يفعل ، فقال له المغيرة : « لو أن الأمر الي علمت ما أصنع » ، فأجابه النعمان في سكون وتؤدة : « رويدا تر أمرك . وقد كنت تلي الأمر فتحسن ، فلا يخذلنا الله ولا اياك ، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث »

لقد انتظر النعمان بالقتال الساعات التي كان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح ، فلما آن للشمس أن تزول ركب فرسه وسار به بين الجنود ، ووقف عند كل راية يشجع الجنود ، ويحرضهم بأحسن ما فيهم ، ويمنيهم ويعدهم النصر ان هم قاتلوا عدوهم بروح عالية ، ثم قال للجنود : « اني مكبر ثلاثا ، فاذا كبرت الثالثة فإني حامل ان شاء الله فاحملوا ، وان قتلت فالأمير بعدي حذيفة ، فان قتل ففلان » ، وعد لهم سبعة آخرهم المغيرة ، ثم قال : « اللهم أعزز دينك وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك » ، فبكى الجنود ، ورجع والأعين مشدودة اليه ، وهو معلم ببياض القباء والقلنسوة .

وكبر النعمان ثلاثا ، واندفع واللواء في يده منقضا على الفرس ، والمسلمون يشدون حوله ، ورأى الفرس صدق المسلمين في هجومهم فهاجموهم .

ودارت المعركة ، واقتتل الفريقان اقتتالا عظيما ، وكثر عدد القتلى من الفرس نظرا لاستماتة المسلمين في قتالهم حتى تخضبت الأرض بدمائهم

وانهمرت أنهارا ، فكانت الخيول والجنود تنزلق فيها .

وبينما كان النعمان يشق طريقه في قلب العدو زلق فرسه في الدماء فصرعه ، واراد المولى تبارك وتعالى أن يستجيب لدعائه في هذه الساعة فيستشهد في سبيله ، فأصابه سهم في خاصرته ، ورآه أخوه نعيم فسجاه بثوبه وأخذ اللواء من يده ودفعه الى حذيفة .

وأشار المغيرة بن شعبة بكتمان خبر استشهاد النعمان حتى لا تهن الجنود ، وتضعف معنوياتهم ويكون ذلك سببا في اضطراب سير المعركة .

ودخل الليل ، وانتشر الظلام ، والمسلمون يدفعون عدوهم أمامهم ، وأصاب الاعياء الفرس فتراجعوا منهزمين ، فاذا بحسك الحديد يمنعهم من الارتداد الى الخلف ، فأمعن فيهم المسلمون القتل ، وأراد البعض ان ينجو ، فانحرفوا عن موضع الحسك ، فاذا بالظلام يحجب عن عيونهم خندقا عميقا ، فهووا فيه بخيولهم .

وهكذا قضت القوات الاسلامية على ذلك الجيش الذي اجتمع من جميع أنحاء فارس ظانا أن بمقدوره الحاق الهزيمة بالمسلمين ، فاذا بالمسلمين يذيقونه الموت فلا يفلت منه الا الشريد .

وكان الفيرزان قد فر مع الفارين يطلب النجاة لنفسه ، فاندفع وحيدا يركض بجواده نحو همذان يرجو الاحتماء بها ، فرآه نعيم بن مقرن ، فدفع القعقاع في اثره وقد أدركه عند ثنية همذان وقتله .

ودخل الفارون همذان والمسلمون من ورائهم يطاردونهم حتى حصروهم فيها ، وأقسموا ألا يبرحوها حتى تفتح أبوابها ، وأدرك أميرها دقة موقفه ، وخاف أن يتخذ موقفا متشددا فيحل به مثل ما حل بالفيرزان وجنوده ، فأرسل الى المسلمين يستأمنهم ويصالحهم عليها ، فصالحه القعقاع .

وعاد القعقاع بمن معه ، فوجدوا حذيفة قد دخل نهاوند بجيشه عقب المعركة واستولى عليها وعلى ما فيها من الغنائم والأسلاب ، ودفعها الى السائب بن الأقرع الأمين على الغنائم .

وجاء الى المسلمين الهربذ صاحب بيت النار مستأمنا لنفسه ولمن شاء على أن يدلهم على جواهر كان كسرى قد أودعها عنده لنوائب الزمان ؛ فأعطاه حذيفة الأمان ، فأخرج له من تلك الجواهر سفطين ـ أي : جولقين ـ ، فأجمع المسلمون على أن يجعلوها لعمر ، ثم قسمت الغنائم على الجنود ، وخرج السائب بالباقي قاصدا المدينة .

عمر يتنسم الأخبار

كان عمر بالمدينة يتسقط أخبار الجيش وهو أشد ما يكون اشفاقا عليه ، فقد تأخر رسوله اليه بالبشرى ، وهو لم يذق للنوم طعما خوفا من أن يصله عن قواته ما لا يحب ولا يرضى ، فكان يقضي ليله داعيا لهم ثم يخرج يتنسم الأخبار

ويسأل القادمين الى المدينة .

وكان حذيفة قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى الخليفة ، وعندما بلغها سأله عمر عما وراءه من الأخبار ، فذكر له انتصار المسلمين وكتم عنه ما لا يسره ، فسر عمر بما سمع وهرع الى المسجد يصلي شكرا للمولى تبارك وتعالى ، ثم خرج في جماعة من أصحابه وكله شوق وأمل في أن يقف على جلية الأمر ، وأمعنوا في الطريق المؤدي الى بلاد فارس ، فشاهدوا على البعد راكبا مقبلا جهة المدينة توسم فيه عثمان بن عفان أنه السائب ، وقد صدق في توسمه ، فلقد كان الراكب فعلا هو السائب بن الأقرع ، فلما اقترب منهم نزل من فوق راحلته وسلم عليهم ، فقال له عمر : « ما وراءك ؟ » قال : « البشرى والفتح » وسأله عمر : « فما فعل النعمان ؟ » قال : « زلت فرسه في دماء القوم فصرع واستشهد » ، فقال عمر وقد هزه النبأ : « **انا لله وانا اليه راجعون** » ، ولم يتمالك نفسه فبكى حتى اخضلت لحيته ، وترحم على النعمان ، فقد كان رضي الله عنه رقيق القلب محبا للمسلمين ، حريصا على حياة القواد ، يحزن حزنا شديدا أذا أصيب أحدهم أو ألم به مكروه .

وعندما سكنت عنه ثورة الحزن سأل عمن قتل من المسلمين ، فذكر له السائب أعيان الناس وأشرافهم ، ثم قال : « وآخرون من أفناء الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين » ، فقال عمر والدمع يترقرق في عينيه : « وما ضرهم ألا يعرفهم عمر ، لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر » .

وعاد الجميع الى المدينة ، وأدخل خمس الفيىء الى المسجد ، وأمر عمر بعض الصحابة بالمبيت في المسجد حتى يقسم الفيىء على المسلمين في الصباح .

وذهب الى منزله وتبعه السائب وأخبره بخبر السفطين وما فيهما من الجواهر التي لا تقوم بمال ، وذكر له أن جنود القوات الاسلامية وقوادهم قد أجمعوا أمرهم على أن يجعلوهما له ، فقال له عمر : « يا ابن مليكة : والله ما دروا هذا ولا أنت معهم ، فالنجاء النجاء . عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاء الله عليه » ، فانطلق السائب راجعا الى حذيفة بنهاوند وأخبره بالحديث الذي دار بينه وبين عمر ، فباعهما وقسم ثمنهما على المسلمين .

ولقد وقعت تلك الموقعة في السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وعرفت بفتح الفتوح ، لأنها كانت خاتمة الحروب الهامة مع الفرس ، وأمر عمر بعدها القوات الاسلامية بالانسياح في بلاد الفرس ، وسهل ذلك عليهم أن قلب المقاومة قد سقط بهروب يزدجرد أمام زحف المسلمين الى أقصى حدود بلاده الشرقية ، وامتد النفوذ الاسلامي بذلك شرقا الى السند ، وقد تم ذلك للمسلمين في سنوات قلائل ، الأمر الذي لا يزال موضع دهشة العالم الى اليوم .

جماعات القصاص

نشأتها وتطورها في المجتمع الاسلامي

للدكتور / أحمد على المجدوب

القصاص جمع ومفردها القاص أو القصاص ، وفي لسان العرب القاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها والفاظها . والقصة : الخبر وهو القصص . وقص على خبره يقصه قصا قصصا : اورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب .

وفي القاموس المحيط : قص أثره قصا وقصيصا تتبعه والخبر اعلمه ، نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك احسن البيان ، والقاص من يأتي بالقصة . وما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم لا يزيد على هذا ففيه : قص الكلام او الاخبار ونحوها يقصها قصا وقصصا : تتبعها فرواها .

ويقال : قص القصص : روى الاخبار .

وقد عرف المستشرق اليهودي « جولد تسهير » القاص أو القصاص في كتابه المسمى دراسات اسلامية بأنه : الرجل الذي كان يجمع الناس حوله في الطرق او في المساجد من غير ان تكون له صفة رسمية ، فيعظهم حينا بذكر الاحاديث والاخبار المأثورة ، ويسليهم بالقصص والحكايات حينا آخر . وان الصفة الدينية

لحديثهم « أي القصاص » هي التي كانت تميزهم عن القصاص غير الدينيين الذين يجمعون الناس اليهم في الطرق ليسلوهم بالنوادر والمضاحك .

ويلاحظ على تعريف « جولد تسهير » انه : قصد به القصاص في الدولة الاسلامية ، اي بعد مجيء الاسلام في حين انهم كانوا موجودين في الجاهلية وان اختلف نوع القصص الذي كانوا يقصونه ، فقد شاع القصص بين العرب في الجاهلية ، وكان المحور الذي تدور حوله احاديثهم هي الحروب ، واايامها كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ويوم الكلاب ، ويوم ذي قار ، والهوى واخبار العاشقين ، والاشعار المنسوبة اليهم ، وعن السحر والكهانة ، واخبار الجن وغير ذلك مما يعبر عن عقلية العرب في جاهليتهم ويمثل ادبهم وحياتهم .

كذلك فان القصاص كانوا في الجاهلية يصحبون المقاتلين ويحرضونهم على القتال ويحمسونهم بقصصهم . وبعضهم استمر بفعل هذا بعد اسلامه مثل عمرو ابن معد يكرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط ، فقد ذكر ابو حنيفة الدينورى ان سعد بن ابي وقاص قبل لقاء القادسية جعل هؤلاء الثلاثة يثيرون عزائم الجند بقصائدهم وقصصهم لتحريضهم على القتال .

وهذا يدل على ان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعوا القصاص من القيام بهذا الدور وهو ما أخذ به من جاء بعدهم من الحكام ، فقد ذكر ان رجلا يسمى ابا العباس أحمد ابن ابي احمد الطبري المعروف بالقاص ، سمى بذلك لانه كان مع جيوش المسلمين في حروبهم للديلم والروم يحرضهم ويقص لهم .

أما فيما يتعلق بالتفرقة التي أوردها « جولد تسهير » بين انواع القصاص ، حيث قسمهم الى قصاص لهم الصفة الرسمية اي يكلفون برواية القصص من جانب الحكام ، وقصاص ليست لهم الصفة الرسمية ، ثم تقسيمه لهولاء الى قصاص دينيين يقصون القصص الديني ، وآخرين غير دينيين يسلون الناس بالنوادر والمضاحك على حد قوله ، فهو تقسيم صحيح .

ويمكن القول ان القصاص كانوا في اول الامر يقومون بهذا العمل ، تطوعا ، أي بصفة غير رسمية وبدافع من ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ، وكان ميدانهم الرئيسي على ما سبق ان ذكرناه ، بين الجند وفي المعارك سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى . ومع ذلك فان بعضهم كان يروي القصص في المدينة بين الغزوات ، وقد ذكر ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين ان النبي صلى الله عليه وسلم امتدح الخطباء الصالحين الذين يسمون القصاص . ويقول ايضا ان عمر بن الخطاب اجاز لتميم الداري ، او لعبيد بن عمير في رواية ان يقص على الناس .

وان كان للمقريزي رأي مخالف فهو يقول ان القصص والقصاص لم يكن في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الخلفاء الراشدين ، وانما حدث في زمن معاوية ، وقبل خلافة عثمان ، وكان تميم الدارى قد استشار عمر بن الخطاب قبل ذلك ليقص على الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له ان يذكر الناس

في يوم الجمعة قبل ان يخرج عمر . فلما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان استأذنه تميم فأذن له ان يذكر الناس يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك .

وفي رواية اخرى عن الحسن انه سئل : متى احدث القصص ؟ قال : في خلافة عثمان . فسئل من اول من قص ؟ قال : تميم الداري أما الخليفة الرابع علي بن ابي طالب فقد جاء في الاحياء للغزالي ، انه امر بطرد القصاص من المساجد ، ومنع الناس من الجلوس اليهم والاستماع الى قصصهم ، واستثنى الحسن البصرى لانه كان يسلك في قصصه مسلكا سليما . وفعل ذلك عبد الله بن عمر فاستعان على اخراجهم من المسجد بصاحب الشرطة .

يكاد الاجماع ينعقد على ان اول من استعمل القصاص بصفة رسمية هو معاوية بن ابي سفيان بعد ان آلت اليه الخلافة ، واول من اصدر اليه معاوية امره بقص القصص هو « تميم الدارى » ، الذي كان يقوم بهذا العمل في آخر خلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان على سبيل التطوع ، فلما عهد اليه معاوية بأمر القصص على الناس ، اخذ يروي قصصه في المساجد اذا فرغ المصلون من صلاة الصبح وفي المجتمعات في غير اوقات الصلاة . وما لبث معاوية ان عهد الى القضاة في الامصار بمهمة القصاص : فقد روى الكندى في كتابة « القضاة » ان كثيرا من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصاص الى جانب مهنة القضاء بأمر الحاكمين ، وان أول من قص بمصر « سليمان بن عمر التجيبي » سنة ٣٨ هـ . وولاه معاوية أمر القضاء الى جانب القصص ، ثم لم يلبث ان عزله من القضاء وخصصه للقصص لا غير .

الا ان المقريزي يرى ان تولى القاضي للقصص لم يحدث الا في مصر ، فلم يتم الجمع بين القضاء والقصص الا فيها ويفسر هذا الوضع الفريد بقوله : انه من المحتمل ان يكون نظاما من انظمة الكنيسة المصرية . ومما لا شك فيه ان استحداث معاوية لوظيفة القصاص ينم عن فطنة وبعد نظر ، فقد ادرك ما لعملهم هذا من أهمية وما لدورهم من أثر واضح ، يشبه الى حد كبير الاثر الذي تحدثه وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحف في الدول المعاصرة .

وقد وجد في هذه الفترة ، فضلا عن القصاص الرسميين وغير الرسميين الذين يقصون القصص الديني ، قصاصون من نوع آخر ، يروون اخبار الامم الماضية في القصور وعلى اسماع الخلفاء ومن هؤلاء عبيد بن شرية الجرهمي الذي قيل : انه روى اخبار الملوك العرب من لخم وغسان لمعاوية بن ابي سفيان الذي كان قد استحضره من صنعاء اليمن الى دمشق ليروى اخبار الامم الماضية واستمر عبيد يقوم بهذا العمل الى ايام عبد الملك بن مروان ، وله كتاب الملوك وأخبار الماضين .

كذلك كان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القصاص ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور والظاهر ان وظيفة القاص اصبحت في العهدين الاموي والعباسي من الوظائف السامية التي يسعى الى شغلها علية القوم فقد جاء في لسان العرب لابن منظور وقيل : اراد الخطبة لان الامراء كانوا يلونها في

الاول ويعظون الناس فيها ويقصون عليهم اخبار الامم السالفة .

ويبدو ان المبدأ الذي وضعه معاوية بن ابي سفيان والذي يقضي بتشجيع القصاص باعتبارهم وسيلة من وسائل اعلامه ، طبقه خلفاؤه من بعده ، فشجعوهم بدورهم حتى تضاعفت اعدادهم وانتشروا في كل مصر من امصار الدولة الاسلامية . فلما سقطت دولة بني امية وآل الحكم الى بني العباس ، لم يشأ هؤلاء وبالذات الخلفاء الأول ، ان يواجهوا ظاهرة القصاص التي اصبحت تمثل خطرا على الاسلام ، بل ارخوا لهم العنان وتركوهم يصولون ويجولون في انحاء الدولة ولم يعد القاص يجمع بين منصب القضاء وقص القصص فحسب ، بل جرى الجمع ايضا بين قراءة القرآن والقصص ، فكان من يقرأ القرآن بالمسجد يقص القصص أيضا .

وقد كثر القصاص بالعراق حتى حكى ابن عوف (المتوفي عام ١٥١ هـ) انه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة ، على حين كان للقصاص حلقات لا تحصى ، حتى كانت المساجد مملوءة بهم وفي بغداد ابتكر احد القصاص ، وهو موسى بن سيار الاسوارى ، طريقة جديدة في القصص اذ كان يجلس وعن يمينه العرب ، وعن يساره الفرس ، فيقص لهولاء بالفارسية ولأولئك بالعربية . وكان له قريب يدعى عمرو بن قائد الاسوري كان قاصا مثله وظل يقص ستا وثلاثين سنة وكلاهما عاش في القرن الثالث الهجري . ثم انتشروا في آسيا الوسطى وفي غيرها من الامصار .

أما في الحجاز فكانوا نادرين ويحكى عن مالك بن انس انه منعهم من دخول مسجد الرسول بالمدينة . وكانوا ايضا قليلين في المغرب ، حيث كان يغلب على الناس العناية بالحديث والامانة في روايته ، حتى يقول المقدسي : ان اهل المغرب لا يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك .

ويقول « جولد تسهير » ان القصاص لم يلقوا معارضة من احد وخاصة من العلماء ، ولم يضايقهم احد في ادائهم لهذه المهمة ، اي رواية القصص . واذا كان ذلك صحيحا في عهد الدولة الاموية وبداية عهد الدولة العباسية ، الا ان سبب صحته ليس هو الذي قال « جولد تسهير » وهو :

« انهم كانوا عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية » فهذا القول منه محض افتراء ، لان القصاص لم يكونوا في يوم ما عنصرا مكملا في الحياة الدينية الاسلامية ، بل الصحيح انهم كانوا عنصر هدم لهذه الحياة بما كانوا يروجونه من اسرائيليات واساطير وخرافات واكاذيب اساءت اشد الاساءة للاسلام وما زالت تسيء اليه ، وهو ما سوف نبينه عندما نتناول دور القصاص في نشر الاسرائيليات .

اما السبب الصحيح لعدم معارضة العلماء للقصاص ، فهو الصفة الرسمية او شبه الرسمية لهؤلاء في عهد الامويين وقيامهم بالدعوة لهم وترويج افكارهم ونشر آرائهم في خصومهم السياسيين .

واستمر هذا الوضع في عهد الدولة العباسية ومع ذلك فاننا نجد الحسن بن علي

رضي الله عنهما في العهد الاموي ينكر على قاص صادفه يقص القصص قوله عن نفسه انه قاص ودعاه الى ترك رواية القصص . وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر الذي لم يكن يحب ان يستمع الى قاص الجماعة . اما في عهد الدولة العباسية فانه فضلا عما فعله الامام مالك في المدينة ، فإن العلماء وبالذات ائمة المذاهب فعلوا مثله في بغداد عاصمة الخلافة ، فقد هاجمهم ابو حنيفة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والغزالي وغيرهم ممن لمسوا عن كثب خطورة الدور الذي يلعبه القصاص .

وفي هذا يروى ان احمد بن حنبل ويحيى بن معين اديا ـ الصلاة بمسجد الرصافة ، فقام بين ايدي المصلين قاص ، فقال : عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، ومضى يعدد اشياء غريبة وكائنات عجيبة يخلقها الله من كلمات لا اله الا الله فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وهذا ينظر اليه ، ثم سأله : انت حدثته بهذا ؟ قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة ، فلما انتهى القاص اشار له يحيى ، فجاء متوهما انه سيمنحه مالا ، فسأله يحيى من حدثك بها ؟ قال احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال له أنا يحيى وهذا أحمد ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال القاص : لم ازل اسمع ان يحيى بن معين ، واحمد بن حنبل احمقان ، ما تحققته الا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف ؟ قال : كأنه ليس في الدنيا احمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟

لقد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين : فما كان منهما الا ان رضيا من النقاش بالسلامة .

ليس ذلك فحسب ، بل ان الشعراء انفسهم لم يترددوا في تحذير الناس من القصاص بعد ان تمادوا في غيهم وهددوا بنشاطهم العقيدة الصحيحة وتسلطوا على الناس يتلاعبون بعقولهم ، فها هو ذا ابو دلف الخزرجي شاعر الملح والطرف والذي الف قصيدة مشهورة تسمى القصيدة الساسانية بين فيها اصناف المكدين والمخرقين والمحتالين من اسوأ طراز فسمى فيها القصاص فقال ؟

ومن قصص لاسرائيل أو شبرا على شبر

وكانوا يطلقون على الحكايات القصار الشبريات للتمييز بينها وبين القصص ، ويقول ابن منظور في « لسان العرب » ج ٣ ص ١٠٢ : « وفي الحديث لا يقص الا أمير أو مأمور او مختال ، اي لا ينبغي ذلك الا لأمير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا ، وأما مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الامير ولا يقص مكتسبا ، او يكون القاص مختالا يفعل ذلك تكبرا على الناس أو مرائيا يرائي الناس بقوله وعمله لا يكون وعظه وكلامه حقيقة . وفي الحديث : ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وفي رواية : لما هلكوا قصوا ، أي اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم ، او العكس لما هلكوا بترك العمل اخلدوا الى القصص »

كذلك فانه لما كثر عدد القصاص وزاد طمعهم ، اشتد الصراع فيما بينهم

واحتدمت المنافسة ، وتفشى الحقد والبغضاء بينهم فصاروا يكيدون لبعضهم بعضا حتى اصبح من الامثال الجارية ان القاص لا يحب القاص ويصور ابن قتيبة تأثيرهم على قلوب العامة قائلا : « كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب ، والاكاذيب من الاحاديث . ومن شأن العوام القعود عند القاص ، ماكان حديثه عجبا خارجا عن فطر العقول او كان رقيقا يحزن القلوب ويستفز العيون ، فاذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك او زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل .. الخ . »

ولما استفحل خطر القصاص امر الخليفة العباسي في عام ٢٧٩ هـ بالنداء في مدينة السلام (بغداد) الا يقعد في الطريق ولا في المسجد قاص ولا منجم ولا عراف ، وجدد هذا الامر في عام ٢٨٤ هـ . ثم بطل نظام الجمع بين المنصبين ، القضاء والقصص ، وارتفع شأن منصب القضاء ، وانحط منصب القاص ، بل وبطل ايضا الجمع بين قراءة القرآن والقصص ففي عام ٣٠١ هـ اراد ابو بكر الملطى الذي تولى القصص في هذه السنة ان يقرأ القرآن ويقص في كل يوم ، فمنعه القاضي من ذلك ، فرجع القاضي الى القراءة في ثلاثة أيام وترك القصص .

ومع ذلك فقد بقى القصاص غير الرسميين يمارسون نشاطهم . وفي القرن الرابع الهجري نزلوا الى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الديني والاساطير والنوادر في المساجد والطرق وينالون منهم مالا كثيرا . وكان يجتمع اليهم الرجال والنساء فيرفعون اصواتهم بالدعاء ويمدون ايديهم .

وفي اواخر القرن الرابع كان القصاص اكثر مثيري الفتن القديمة بين اهل السنة والشيعة ، وكان من نتيجة ذلك ان فقدوا كل ثقة من جانب اهل التقى والصلاح ، وبدأت الثقة تتحول عنهم الى طائفة خلفتهم هي طائفة المذكرين ، ويسمى مجلسهم مجلس الذكر .

وعلى الرغم من موقف الخلفاء العباسيين منهم ، اي من القصاص ، وعداء العلماء لهم ، الا انهم لم يكفوا عن القيام بنشاطهم ، بل ونوعوا في اساليبهم وفي الموضوعات التي يقصونها للناس ففي القرن السادس الهجري كما يقول ابن الجوزي : « انهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الرائقة الغزلية في العشق .. ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الالحان ، والالحان التي قد اخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم اقرب منها الى الكراهية والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيده وايقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب من دفائن الهوى ..

ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد باشعار العشق وغرضه ان يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد ، وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها واكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب ، فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل

الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها . ؟
ويقول : « ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجدا على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لانه امر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الامراء والظلمة والاخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الاحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر . »
وهكذا نلاحظ على العكس مما ذهب اليه « جولد تسهير » ان العلماء لم يكفوا عن معارضة القصاص والتحذير منهم ومن نشاطهم الضار واساليبهم الماكرة في اجتذاب الناس اليهم والاستيلاء على اموالهم وافساد عقولهم . واذا كانوا فيما شنوه من حملات عليهم لم يحققوا نجاحا ملحوظا فان ذلك لا يرجع الى تقصير في جانبهم او قصور في وسائلهم بقدر ما يرجع الى احوال المسلمين في تلك العصور ، حيث كانت مجتمعاتهم في حالة من التفاعل الشديد بين عناصر ثقافية قديمة واخرى جديدة ، او هي قديمة ولكنها تعد جديدة بالنسبة لمن وفد من العرب الى الاقاليم المفتوحة ، وقد وجد القصاص ووجدت القصة كذلك سبيلها الى البناء الثقافي للامة الاسلامية الذي كان في طور النمو .
ولعلنا لاحظنا فيما ذكره ابن الجوزي التطور الهام الذي اصاب رواية القصص في القرن السادس الهجري ، حيث اصبحت تصاحبها ايقاعات بالاقدام وتصفيق بالايدي ، مع الغناء اي ان القاص لم يعد ، كما كان في السابق ، يقص القصص كما لو كان يقرأ من كتاب ، او حتى كما لو كان يتكلم كلاما عاديا ، وانه اصبح يردد غناء مصحوبا بالايقاع بالاقدام التي تدق الارض - وبالايدي التي تصفق ، وفي مرحلة تالية اضاف القصاص الى الايقاع ، انغام آلة الربابة التي تصاحب غناءهم للقصص وهو ما نراه حتى اليوم في الريف المصري ، حيث ينتقل الراوي - اي القاص - بين القرى والنجوع يعزف على ربابته ويقص القصص فيتجمع حوله الرجال والنساء والاطفال يستمعون الى قصص عنترة والزناتي خليفة والزير سالم ، كما يروي السيرة النبوية بطريقة تذكر بما كان يفعله سلفه في القرون الهجرية الاولى من اللجوء الى الاسرائيليات وذكر الاساطير والخرافات . ومع ذلك فانه يمكن القول ان تأثيرهم في العامة آخذ في الضعف الى ان ينعدم ، او بالاحرى الى ان ينقرضوا خاصة بعد ان اقبل هؤلاء على التعليم واقتنوا اجهزة الاستقبال الاذاعي والمرئي فلم يعودوا بحاجة الى الاستماع للقصاص . ولكن ما يزال للاسرائيليات التي طالما روج لها هؤلاء باب واسع تنفذ منه الى العقول ، هذا الباب هو كتب التفسير والكتب المسماة بقصص الانبياء وقصص القرآن التي تستمد معظم مادتها من الاسرائيليات ، فلعل الهيئات المسئولة في الدول الاسلامية تقدم على هذه الخطوة التي طالما دعا اليها المخلصون من علماء هذه الامة ، الا وهي تخليص تلك الكتب مما علق بها من شوائب واعادة طبعها بعد تطهيرها من خرافات واساطير واكاذيب اليهود .

الهجرة تحول حاسم على طريق الدعوة

للاستاذ
محمد حسن عبد العزيز

الهجرة النبوية من مكة الى المدينة لم تكن عملا ارتجاليا عشوائيا ، وانما كانت عملية مخططة ذات اهداف محددة بكل ما يعنيه التخطيط من تكامل في الانشطة لتحقيق هدف عام محدد سلفا ، ويواجه المستقبل بتكتيكات مرحلية واضحة العناصر والامكانيات الواجب استخدامها في مراحل زمنية محددة او بمعنى ربط الاهداف بالوسائل المتاحة المستخدمة مع محاولة التحكم في الاحداث باتباع سياسة مدروسة وحساب دقيق لكل عوامل الاخفاق والنجاح .

اما الهدف المحدد سلفا فكان انتقال النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه من مكة الى يثرب وكانت الخطة ان يخرج جماعة المؤمنين ثم يلحق بهم نبيهم بطريقة لا تسمح

لكفار قريش ان يلحقوا بهم او به .

قضى النبي عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى ربه ويعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ـ فلم يؤمن به الا نفر قليل من الفقراء والمستضعفين ، وقد اخذت طواغيت قريش من الدعوة موقفا مؤسفا ـ قابلوا الحكمة والموعظة الحسنة بالاهانة والتنكيل وواجهوا الدعوة بالتي هي احسن ـ بالصد والتكذيب والانكار ـ فبعد ان بدأ القرآن يوجه نقده الشديد لمجتمع مكة وطعنه لنظمهم الاقتصادية والاجتماعية ويصفها بالجور والفوضى ، ويعيب عليهم الضلال والجهل والظلام الذي يغوصون فيه الى الاعماق ، خشى هؤلاء ان يستجيب الناس له فتضيع مكانتهم بين القبائل بكل ما تتيحه لهم من مظاهر الترف والانغماس في الشهوات والملذات ، فلجأوا الى اسلوب الملاينة والمساومة بالمال وبالملك لكنه ردهم ردا مفحما رافضا كل عرض زائل عرضوه عليه ـ كان حاسما في اشد الاوقات طلبا للحسم والقطع فامور العقيدة لا تقبل المساومة ولا تعرف الالتقاء في وسط الطريق ، فلا مجاملة ولو في شيء قليل لانها كل لا يتجزأ ، ونزلت آيات الوحي تفضحهم وتبين حقيقتهم : **(ودوا لو تدهن فيدهنون)** القلم / ٩

واصبحت الهجرة ضرورة حتمتها الظروف وقد بلغ الحقد الاعمى بالمشركين ذروته ، وغاظهم ان تفلت جماعة المؤمنين ايديهم ، واذن فلا بد من القضاء على محمد لأنهم ان قتلوه قتلوا أمة باسرها وقضوا على الدعوة في مهدها ، وبالتالي يكون وجود المهاجرين في المدينة بلا فائدة ، فقر قرارهم على ان تمثل كل القبائل وبينما هو نائم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ولا يستطيع بنو هاشم على عداء قومهم جميعا .

وكانت ضرورة اقتضتها ظروف الدعوة في مواجهة اعدائها خروجا مؤقتا من ارض لا تصلح لانطلاق الدعوة الى ارض ارحب واوسع ، تجد فيها الامان وحرية العقيدة وتحقق لجماعة المؤمنين القوة المادية القادرة على رد اعتداء الاعداء المتربصين .

لم تكن الهجرة اذن من اجل عيش هانىء ولا فرارا من التعذيب او من مواجهته وانما كانت انتقالا مؤقتا لوطن جديد من تصميم مؤكد على العودة للوطن الاصلي .

كذلك كانت الهجرة في مفترق الطريق بين عهد تثبيت الدعوة والعقيدة وتكوين الصف الاول ، وعهد تأسيس امة الاسلام كنموذج يحتذى به وينسج على منواله ، ومفترق الطريق بين عهد مقابلة الاساءة بالاحسان وعهد مقابلة الاساءة بالاساءة دون تجاوزها .

ومع استقبال هلال المحرم تتجه القلوب مفعمة بأنبل الاحاسيس الى تلك المدينة الخالدة التي فتحت ذراعيها وقلبها للداعي وللدعوة ولجماعة المؤمنين ، تحميهم وتكفل لهم حرية العقيدة وتتيح للداعي المناخ المباشر لنشر الاسلام في امان

واطمئنان ، حتى يحين له ان يعود الى مسقط رأسه .

واذا كنا نقول بأن الهجرة النبوية كانت تعتمد على تخطيط محكم وحساب دقيق لكل العوامل فان هذا لا يتأتى الا بتوحيد القوى ، واتخاذ الحيطة الكاملة اثناء الرحلة مع اجتناب كل عوامل الاخفاق لتحقيق الهدف ، ولذلك اجدني في حاجة الى ابراز بعض النقاط التي تساعدنا على توضيح الاطار العام لخطة الهجرة وهدفها من دراسة المناخ العام الذي كان يحيط بها .

اولا : موقع المدينة « يثرب »

تقع بين حرة واقم الى ناحية الشرق ، وحرة الوبر الى ناحية الغرب ، وتبعد عن مكة بمسيرة احد عشر يوما في طريق الشمال ، وتقدر مسافتها بنحو ٣٣٥ كيلو مترا على خط مستقيم وتشغل منخفضا تحيطه التلال من ثلاثة جوانب ومستواها نحو ٧٠٠ متر فوق سطح البحر الاحمر أما جزؤها الجنوبي فاكثر الجهات استواء وان وجدت به بعض المرتفعات .

ويوجد الى شمالها جبل أحد ومن ورائه جبل ثور والى الجنوب جبل عير .

وتمتاز هذه المنطقة بخصوبتها حيث تنتشر فيها العيون والابار وتكثر الزراعات بالاضافة الى اشتغال اهلها ببعض اعمال التجارة والصناعة .

وسميت باسم « يثرب » نسبة الى زعيم العماليق ، كما هو وارد في النقوش السبئية وما رواه الجغرافيون القدماء ، وعرفت ايضا باسم طيبة والمدينة المنورة بعد الهجرة .

ثانيا : الملامح البشرية

● ـ القبائل العربية :

وتتألف اساسا من قبيلتين ، الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان ازديتان في الاصل من عرب الجنوب ، هاجروا من اليمن على اثر انهيار سد مأرب واشتداد الجفاف ؛ ولجأوا الى هذه المنطقة بحثا أو جريا وراء المأوى والكلأ ، وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد ، لكنهم مع ذلك كانوا على خلاف شديد وحروب مستمرة حصدت منهم اعدادا هائلة لاتفه الاسباب .

● ـ قبائل يهود

ويرجع تاريخ قدومهم الى هذه المنطقة الى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تسربوا هربا من الاسر البابلي ، فقدموا من بلاد الشام واستوطنوا الاماكن الخصبة شمال الحجاز حول يثرب « فدك ، وتيماء ، ووادي القرى ، وخيبر » والمعروف عن اليهود منذ اقدم العصور ميلهم الى العزلة والانطواء وعدم الاندماج وسكنى احياء خاصة بهم سميت احياء اليهود او حواري اليهود

« الجيتو » والاشتغال بحرف لا يشاركهم فيها غيرهم تتصل اساسا بشئون المال والاقتصاد ، وكانت يثرب في هذا الوقت تمثل مركزا تجاريا هاما لوقوعها في طريق القوافل بين مكة والشام .

ونظرا لوجود خلافات شديدة ، بين القبائل العربية ، فقد اصبح المجال مناسبا لهم ، لذلك نجدهم قد تجنبوا الحيرة وغسان ، تحاشيا لسلطة الرومان عليها ، كما ابتعدوا عن نجران خشية الانتقام منهم عما فعلوه بالمسيح ابن مريم ، أما اليمن فكانت مسرحا للصراع المشتعل بين الفرس والحبشة ، أمّا مكة فمن العبث أن يفكروا فيها باعتبارها العاصمة الدينية للعرب جميعا ونفس الشيء بالنسبة للطائف لقربها الشديد من مكة . لذلك احتلوا الاماكن المرتفعة وفي عمق وجدانهم عقدة اليهودي التائه وفي يقينهم ان العرب سينتبهون حتما الى وجودهم وانهم سيرفضونه ، الامر الذي جعلهم يحملون مساكنهم الى اطم وحصون للتحصين بها اذا نشبت الحرب المنتظرة بينهم وبين العرب .

ومن اشهر هذه القبائل : « بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة » .

ثالثا : الحالة العامة في يثرب :

كما رأينا الخلافات على اشدها بين الاوس والخزرج لاسباب تافهة مع انهم ابناء عمومة ، يقول السمهودي « أنه وقعت بينهم حروب كثيرة لم يسمع قط في قوم غيرهم اكثر منها ولا اطول » ـ وذكر من حروبهم : « حرب سمير ، حرب كعب بن عمر ، وحرب خضير بن الاسلت ، وحرب حاطب بن قيس ، وكانت اخر حروبهم قبل الهجرة يوم بعاث » وعن طريق الدس والوقيعة استغل اليهود الخلافات الموجودة بين الاوس والخزرج فآلوا على انفسهم الا ان تزداد نيران الحرب يوما بعد يوم فيتفرغون لجمع المال وشراء العقار وحفر الآبار وتربية الماشية وتجارة الذهب والفضة والنسيج والاقراض بالربا ، ثم يتدخلون شيئا فشيئا في اقتصاديات البلاد ويسيطرون على مقاليد السلطة السياسية يوجهونها كما يشاءون لتحقيق مآربهم .

وقد مكنتهم سكناهم للاماكن العالية من التحكم والسيطرة على موارد المياه وحبسها اذا قل المطر ، كما انهم يفاخرون العرب بادعاء انهم اهل كتاب وانهم شعب الله المختار وان كل ما عداهم نجس لا يرقى الى مستوى الحيوان ، ولا يجوز له دخول ملكوت السموات .

ولم نسمع قديما ولا حديثا ان واحدا من معتنقي الديانات الاخرى قد تهود ، ويرجع سبب ذلك الى قسوة التعقيدات والطقوس التلمودية والتكاليف الصعبة .

وبهذا الاسلوب تحكم اليهود في يثرب ، وان كان لا ينكر ان العنصر العربي ضاق بوجودهم حتى بات الصدام محتما ينتظر الشرارة الاولى .

فالحالة العامة في يثرب كانت مضطربة تغوص الى الاعماق في الخلافات والحروب ، كلما خمدت نار الحرب اججها اليهود من جديد ، فاذا انتشرت بشائر مبعث النبي الخاتم استغلها يهود في توعد العرب بالانضمام اليه ومحاربتهم معه وقتلهم قتل عاد وإرم .

وقد اراد الله تعالى أن يجعل من اعداء الدين الجديد خير دعاية له . فقد انتظر الاوس والخزرج مبعث النبي الجديد وصمموا على ان يكونوا اسبق من اليهود في الايمان به والانضمام اليه فيتوحدون تحت قيادته حسما لخلافاتهم المستمرة وتوجيه شئون بلادهم لما فيه مصلحتهم ، ولعل ابرز توضيح لهذا المعنى ما قاله وفد الخزرج للنبي عليه الصلاة والسلام يوم العقبة : « انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم ما اجبناك اليه من امر هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك » .

خطة الهجرة :

لم يبق في مكة من جماعة المؤمنين غير النبي عليه الصلاة والسلام وابي بكر في انتظار اذن السماء لهما بالهجرة ، وغير علي بن ابي طالب الذي تنتظره مهمة خاصة .

وفي الليلة الموعودة استل النبي من بين المتربصين بدارة ، وقد اعماهم الله وغشيهم السبات العميق ، وينام علي في فراشه في مهمة لا يقوم بها غيره وفي سبيل ما هو افضل من حياته ذاتها ، فهو من آل البيت ويعلم كل دقائقه ، وتلك لفتة من التخطيط السليم الذي انتهجه النبي حتى لا يثير دخول رجل غريب الى البيت في الليل الشك في نفوس المشركين وليحافظ في نفس الوقت على سرية الهجرة ، ومنع ارتياب المشركين في الامر .

ولاحت خيوط الفجر في الافق ترفع صفحة الظلام الذي غشى الكون ، فانزاحت الظلمة وبدت الحقيقة المغطاة مع اشعة النور ؛ فالمضطجع على الفراش ليس محمدا ، وعلي ينظر الى فتيان قريش بنظرات يفهمون معناها ومغزاها ، وشفتاه تنضح عن بسمة رقيقة مطمئنة على نجاح الهجرة بينما يأكلهم الغيظ والدم يغلي في عروقهم .

وكان النبي تحت جنح الظلام قد اتجه مع صديقه ابي بكر الى غار ثور في اتجاه الجنوب عن طريق الغرب والمعلاه الشمالي وهما اقرب منه الى المدينة ، ويبعد غار ثور عن مكة نحو خمسة كيلو مترا ونصف الى جنوب الجنوب الشرقي ويبلغ ارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر ، والطريق

الموصل اليه شاق وعسير لكثرة الوعورة وشدة الانحدار حتى أن النبي لم يصل إليه الا بعد أن أدميت قدماه وسالت منها الدماء وبقيا فيه ثلاثة ايام كجزء من الخطة المعدة لضمان سلامة الهجرة ، ليكون دائم الاتصال باحوال قريش وتدابيرها ، تأتيه المعلومات عن طريق اسماء ومحمد ولدي ابي بكر .

وان استطاع قصاصو الاثر من الوصول الى باب الغار الا انهم اغفلوا عن البحث في داخله لما هو معروف من قصة نسيج العنكبوت والحمامتين الوحشيتين اللتين باضتا بجواره ، مما اوحى اليهم باستحالة دخول المهاجر العظيم الى هذا الغار ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠

وبعد الايام الثلاثة خرجا من الغار في اتجاه المدينة من طريق غير مألوف : من ناحية الغرب الى طريق الساحل بين اودية من السفوح ، عرجا منه شمالا ليتجنبا مناطق الاستقرار ويستفيدا في نفس الوقت من موارد المياه ، ثم اتجها شمالا مارين باسفل - عسفان ثم بامج - ثم اجازا قديدا ثم سلكا الخرار حتى بلغا الجحفة ثم سارا في المنطقة الجبلية حتى وصلا المدينة لمسافة تقدر بنحو ٣٣٥ كيلو مترا .

والى هنا تكون خطة الهجرة قد نفذت بكل مراحلها كأحسن ما يكون تنفيذا للخطة المدروسة من حيث السرية واستطلاع اخبار العدو وخططه لتجنب كل عوامل الاخفاق مع الاستفادة الكاملة بالامكانيات المتاحة .

وما اشبه اليوم بالبارحة .

** يهود الامس قدموا الى يثرب . واستقروا فيها زمنا ينهبون الثروات ويتحكمون ويستطلعون في المرافق ويوجهون دفة الحياة لما يخدم مصالحهم . وعن طريق الدس والوقيعة اوقعوا الخلافات بين ابناء العمومة بينما هم في موقف المتفرج الذي يميل مع الهوى ضد المغلوب .

* ويهود اليوم احتلوا فلسطين . بينما العرب تطحنهم الخلافات . فلم ينتبهوا للخطر الداهم فاذا تنبهوا كانوا قليلي الحيلة ممنوعي الوسيلة ليس امامهم الا الامر الواقع ، اما ان يقبلوه واما ان يوحدوا جهودهم لازالته واقتلاعه .

** وفرق كبير بين هجرة وهجرة .

* محمد عليه الصلاة والسلام هاجر الى قوم دعوه ولم يطلب منهم ترك وطنه ومسقط رأسه حتى انه لم يتمالك نفسه وهو يودع مكة ليلة الهجرة فانطلق لسانه وكله الم قائلا « والله إنك احب ارض الله الى الله وإنك احب ارض الله الي ولولا أن اهلك اخرجوني منك ما خرجت » وما كانت هجرته من اجل

شيء من متاع الدنيا وانما كانت في سبيل الله اعلاء لدينه الذي اراده للبشرية هاديا من الجهل والضلال والفوضى والظلام ليرسي قواعد الحق والعدل والمساواة .

لم يهاجر ليحارب عقيدة اخرى يختلف معها وانما كفل حرية العقيدة للكل ، لم يرفع سلاحا وانما كان سلاحه الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والدعوة بالتي هي احسن .

** اما يهود فقد هاجروا من اجل احتلال الارض وطرد السكان الاصليين واستنزاف الثروات والتدخل في شئون البلاد ورفض كل عقيدة تخالف عقيدتهم ، مهدرين كرامة الانسان وحرمة الاديان ، وهدموا الكنائس والمساجد واحرقوا بيت المقدس وحولوه الى صالة للرقص والفجور وحمام للسباحة .

* محمد لم يهاجر من اجل عيش هانيء وانما كانت هجرته حلقة في سلسلة نضال طويل ومتصل من اجل اعلاء راية التوحيد ، وفي ذهنه أن يعود يوما من الايام الى وطنه ومسقط رأسه .

* وهم هاجروا من اجل التسلط بالحديد والنار لاغتصاب ارض قالوا انها وطنهم المزعوم ، وافتروا انهم الشعب المختار المستحق وحده للحياة .

النبي في المدينة

لما وصل المهاجر العظيم الى يثرب وجد الاسلام قد انتشر فيها على ايدي الطليعة الموفقة واستقبله اهلها استقبالا يليق بمقامه ، ومن بين المستقبلين جماعة يهود وبعض من اعتنقوا الاسلام ولا تزال الوثنية تراود عقولهم وعلى رأسهم عبد الله بن ابي ، وبدأ على الفور في تنظيم المجتمع الاسلامي ليكون النواة والمثل الذي يحتذي به بعد ذلك .

وكان الاسلام يمر بمرحلة حرجة من حياته ، واعداؤه في داخل المدينة وخارجها يتربصون به ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه .

وان المجتمع الجديد كان في أمَسّ الحاجة الى تشريع جديد ينظم حياتهم ويحوطهم بالرعاية والحماية ويكفل لهم التناصر والتكافل ، لحماية هذا المجتمع الوليد من عوامل التفكك والاختلاف .

* وحتى يتناسى الاوس والخزرج خلافاتهما ، وحدهما معا تحت لقب الانصار اي الذين نصروا الله ورسوله . ثم جمع المهاجرين معهم في اخوة في حكم اخوة الدم .

* تشمل التوارث والالتزامات الاخرى الناشئة عن وشيجة النسب كالديات وغيرها ، وتلك صلة فريدة في تاريخ التكافل غير مسبوقة حتى بين اصحاب العقائد .

وقد استمر العمل بهذه الوشيجة الاخوية الاستثنائية الى ان استقرت الامور بعد غزوة بدر واستتب الامر والامن ، وتوفرت اسباب الارتزاق ، واصبحت الظروف الاستثنائية غير قائمة ، فنزلت آيات الوحي تبطلها

وتستبقي فقط نواحي التعاطف والتعاون والتناصر ، كما اقرت الابقاء على باب التكافل عن طريق الهبة والوصية وهو باب مفتوح لمن اراد ان يقدم برا او معروفا ، وهو كذلك اوسع نطاقا واشمل من نظام التوارث .

ثم بدأ ببناء مسجد بسيط ببساطة الاسلام ذاته ، متواضع في كل شيء بلا تكلف ، فراشه من الرمال والحصباء وجدرانه من اللبن ، وسقفه من جريد النخيل واعمدته من جذوعها ، وفيه يجتمع الجميع يتدارسون امور دينهم ودنياهم ويقيمون الشعائر التي طالما حوربت ، ليستشعروا معنى العبودية لله وحده ، وتتهذب نفوسهم ، وتصقلهم الطاعة والنظام فينعكس ذلك على علاقاتهم ، وصار المسجد منذئذ مصدر التوجيه الروحي والمادي وفيه تخرج أئمة العلم وقادة الجيوش وزعماء الاصلاح .

وقد اثنى القرآن الكريم على هذا الموقف النبيل باعتباره الصورة الحية والمثل المشرق للمؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، فرابطة العقيدة اقوى من رابطة الدم والنسب والجنس ، انه صدق الايمان من جانب المهاجرين الذين تركوا الاهل والمال والوطن ، والايثار من جانب الانصار الذين ضحوا بكل شيء في سبيل نصرة النبي وتأمين سلامة الدعوة وكفالة حرية العقيدة ، وذلك في الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر .

اما يهودوهم اهل كتاب يشاركونهم وطنهم ـ فإن كسب مودتهم فيه امان لمجتمع المدينة واتقاء لشرورهم خصوصا وانهم يرتبطون مع قريش بعلاقات تجارية ، وحصونهم تمتد في نواح معادية للدين الجديد ، والاسلام لا يستطيع بعد ، مواجهة جبهتين في آن واحد ـ لذلك كسب النبي مودة اليهود بتلك الوثيقة الخالدة التي توضحت فيها سمات المجتمع القائم على النصرة وعدم الاعتداء وصد هجوم المهاجمين ، ضمت هذه الوثيقة المهاجرين والانصار ومعهم يهود ، الذين اقرهم على عقيدتهم وامنهم على اموالهم وانفسهم واشترط عليهم وشرط لهم : « فمن تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة ـ اي المساواة في المعاملة ـ غير مظلومين ولا متناصر عليهم ـ وانهم في حالة الدفاع عن المدينة ضد اي خطر خارجي سواء مع المسلمين ، وان من يظلم او يأثم فانه لا يوقع الا نفسه واهل بيته . وان على المسلمين نفقتهم وعلى اليهود نفقتهم وبينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة » .

اما العلاقة بينهما فتقوم على اساس من النصح والنصيحة والبر والتعاون على رد المظالم ونصرة المظلوم مع التزام السلم والمسالمة لان يثرب حرام حرمتها لاهل هذه الصحيفة .

ومنعا لاي خلاف جعلت الصحيفة امور المجتمع شورى بينهم ، واوكلت الفصل في قضاياهم للنبي عليه الصلاة والسلام تأليفا بين القلوب وتوحيدا لجهة الفصل فيها .

اما المسائل الداخلية والخاصة

فأبقيت كما هي ، واصبحت امة الاسلام تشمل المسلم وغير المسلم .
ولما علمت بقية القبائل اليهودية بامر هذه الوثيقة ، اقبلت على النبي تطلب منه الانضواء تحتها فقبل واثبت توقيعهم عليها .

وامن الاسلام جبهته الداخلية وانصرف النبي الى شئون الدين يدعم القوى الروحية في النفوس ويؤلف بين القلوب باشاعة روح الاخاء والمساواة والرحمة والمحبة .

ومن الطبيعي ان تلقى دعوة الاسلام في هذا المناخ الجديد متنفسا ومنطلقا ، وان يجد من يريد الانضمام اليه مطلق الحرية في الاتصال بالداعي في امان واطمئنان دونما تهديد من أحد ، وان يعلن اسلامه على الملأ دون تردد وان يؤدي فرائض الدين في المسجد وقتما شاء وان يختلف وضع وموقف جماعة المؤمنين وبعدان كانوا لا يملكون الا الاحسان الى المسيء ، فقد تغير الموقف امام احتمال هجوم قريش في اي وقت او احتمال غدر يهود في الداخل فهم اليوم لا بد ان يعاملوا المسيء بإساءته ، ولذلك كان عليهم ان يدعموا قدراتهم القتالية بالاستعداد المادي والمعنوي : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) البقرة / ١٩٤ وحتى رد الاعتداء احاطه الاسلام بفيوض من اخلاقياته فلا يتجاوز الاعتداء الذي وقع والا انقلب ظلما .

ويروي لنا التاريخ بان يهود لم تستطع على الوثيقة صبرا ، وان روح الغدر الكامنة في نفوسهم تحركت وغاظهم ان ينتشر الاسلام بهذه السرعة وان مكائدهم لم تفلح في ايقاف ذلك الاعصار الجارف الذي دمر امامه الخرافات والاباطيل

وكشف ما زيفوه من التوراة وفضحهم إذ ادعوا انهم الشعب المختار ، فألبوا القبائل عليه واشتركوا معهم في قتاله ثم تحدوه بطريقة سافرة وحاولوا تفتيت الجبهة الداخلية باثارة الوقيعة بين الاوس والخزرج وايقاظ العداء القديم ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام كشف مؤامراتهم وعرف المؤمنون ما يضمره لهم يهود .

وبات وجود يهود ظهراني المسلمين في المدينة خطرا يتهددهم ولا بد من التخلص منهم تمكينا للدعوة من الانطلاق دون قيود ، فخرج اليهم المسلمون وقضوا على وجودهم نهائيا وتخلصت المنطقة العربية من شرورهم ، وانطلق الاسلام الى آفاق لم يكن بالغها في وجود تلك الشراذم العاتية .

وعاد الاسلام الى مسقط رأسه ظافرا منتصرا بغير قتال واندفع الناس يدخلون في دين الله افواجا ، وهم يرون محمدا قد نسى في ساعة النصر كل مساءاتهم وتحقق الهدف بفضل خطة محكمة وسليمة دقيقة الحساب ، وبفضل وحدة جماعة المؤمنين وتماسكهم وحققت الهجرة اهدافها وان ذهبت باناسها ، لكنها بقيت لنا على طول التاريخ ذكرى وعبرة .

وقفة تأمل

الجهاد

● ديننا لا يعرف الضعف ، ولا يستسلم للهزيمة ، ولا يقبل الدنية ، ولا يرضى لأتباعه الهوان والضياع والذل .

● فما بالنا تكال لنا الضربات القاتلة ، ويسبى أطفال المسلمين ونساؤهم ، وتسحق اقدام الأراذل جماجم الأحياء والأموات على السواء .

● ومأساة العصر في لبنان تدور طواحينها فتفرز اشلاء المسلمين .. ويتحد السلاح الكافر في يد الحاقد اليهودي ، والغادر الكتائبي ، والعميل الخسيس .. وترتفع اصوات النساء والصبيان والشيوخ .. « وا اسلاماه » !.. ولا مجيب ..

● ويجتمع من قبل المذبحة زعماء المسلمين .. ويحاربون بالقرارات ، والتوصيات ، والتهديدات ، ثم يأتي الشجب والاستنكار ، واعلان الحداد .. والتوقف عن العمل .. وتغيير برامج الاذاعات والتلتفزيونات العربية ، وتلاوة القرآن الكريم على ارواح الأبرياء الذين ذهبوا ضحية المكر والخداع والتآمر والعمالة ، وكأن القرآن كتاب أموات لا منهج حياة للأحياء !

● عجيب امرنا والله .. نضع مصائرنا على اعتاب الباب العالي الأمريكي .. وهو الذي قتلنا بسلاحه .. وأخرج مقاتلينا من مواقعهم بمكره ودهائه ، وخدع حكامنا بوعوده الكاذبة .. واطلق يد العدو لتعمل قتلا وذبحا في رقاب المسلمين .

● ومجلس الامن ، وهيئة الأمم ، والضمير العالمي .. وحقوق الانسان .. كلها مسميات بلا مضامين .. فلا خير فيها .. ولا امل .. والعدو لا يفهم الا منطق الحديد والنار ..

ولقد قال شاعرنا قديما :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

● وبعد .. فمتى نعمل من اجل الجهاد في سبيل الله ؟ اننتظر حتى يدخل العدو ديار المسلمين ؟ انه قد دخلها واغتصبها وشرد اهلها منذ عام ١٩٤٨

وما قبله .. وبسط نفوذه وما يزال على اراض اخرى اسلامية .. فماذا ننتظر ؟.. اليس الجهاد فرض عين في بعض حالاته..فمتى يكون كذلك اذا لم يكن الآن ؟..

● شعوب اسلامية كثيرة مقهورة من حكامها ، تحاسب على الكلمة ، والعقيدة ، والرأي الحق ، وتذوق شتى انواع العقاب على غير ذنب .. فماذا يمنع هؤلاء القادة ان يجهزوا من شعوبهم افرادا ـ غير مرغوب فيهم ـ يجهزوهم بالعتاد والسلاح ويمدوهم بالمؤن والمعونة ويفتحوا امامهم الطريق .. ليسطروا البطولات الاسلامية من جديد في ساحات الشرف والجهاد ، واذا انتصروا ـ وهم منتصرون بعون الله ـ كان في ذلك عز الجميع ، واذا استشهدوا ففي سبيل الله قدموا أرواحهم ، فقط على حكوماتنا ان تستطيع الدفاع عن نفسها .

● ان أمة الاسلام أمة عظيمة ، لا تصاب بالعقم ابدا ، فلله جنود من الناس يستطيعون ان يعيدوا الحق الى اهله ، ويذلوا الباطل ، ولا يخشون احدا إلا الله .

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » .

● واذا كنا لا نرغب في القتال لمجرد القتال ، ولا نحب سفك الدماء لمجرد سفك الدماء ، واذا كان ديننا هو دين السلام ، الا أنه يرفض الاستسلام للعدو ، او الفرار من ميدان القتال ..

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **يأيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف** » .

● يا قوم الزحف الاسلامي قادم ، والكرامة الاسلامية يصونها المجاهدون ، بالثبات على الحق حتى النصر او الشهادة .. وذاك وعد الله القائل سبحانه :

« **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

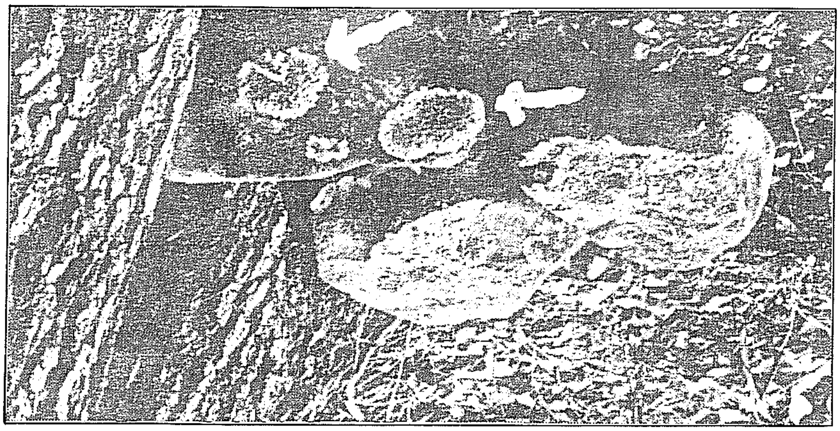
من آيات الله في خلقه

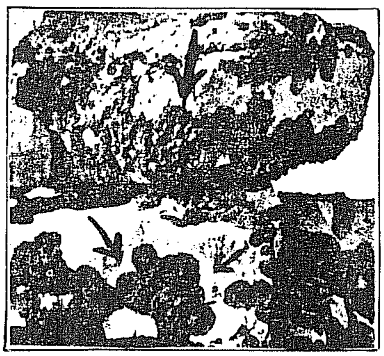
كائنات بدائية تعاونت، فصمدت وعاشت!

للدكتور
عبد المحسن صالح

التعــاون في الحيـاة شيء طيب ومطلوب ، فما تعاون قوم على خير ، الا وجنوا خيرا كثيرا ،.. مبدأ منطقي هام ومعروف ، ولقد عبر عنه القرآن الكريم اجمل تعبير : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله**) المائدة/٢ . وفي الحديث الشريف : « يد الله مع الجماعة » رواه الترمذي .

لكننا ـ وبحكم تخصصنا ـ لن نتعرض هنا لمبادىء التعاون في الدين والدنيا على مستوى البشر ، فلهذا فقهاؤه من رجال الدين ، وعلماؤه من المتبحرين في علم الاجتماع والسلوك والاخلاق ، ثم ما اكثر ما قيل ويقال في هذا المجال ، ومـا اوفر النصـائح





١ ـ صورتان للاشن وهي تلتصق على الصخور والاحجار (مشارا اليها بالاسهم).

المنطوقة والمكتوبة ، وما اجمل التوصيات والقرارات التي تتمخض عن الندوات والمؤتمرات ، علها تطبق في الدول والجماعات ، لكن ما من سميع او مجيب ، وها هو حال الدول العربية عامة ، والاسلامية خاصة ، شاهد على ما نقول ، فما اكثر الخلافات ، وما اشد العداوات ، خاصة عندما تؤدي الى حروب تسفك فيها الدماء ، ونرجو ان يكون ذلك سحابة صيف عما قليل تقشع .

ولست هنا من دعاة النصيحة الحسنة ، ولا الموعظة الطيبة ، فهذه وتلك تترددان بيننا ليل نهار ، دون ان يتمخض ذلك عن صلاح الحال ، لكننا سنتعرض هنا لصورة رائعة من صور التعاون التي حلت ببعض كائنات ظهرت قبلنا على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، ومع ذلك فقد هيأ الله لها من امرها رشدا ، فصمدت وسارت كل هذا العمر الطويل .

مواثيق رائعة

فرغم ان الانسان هو المخلوق

الوحيد الذي ينظم حياته بقوانين معروفة ، ومواثيق مكتوبة او منطوقة ، نتيجة لعقله الراجح ، وفكره الصائب ، الا انه في بعض الاحيان يخل بالمواثيق الكائنة بينه وبين ربه ، او بينه وبين كل ما حوله ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بعلاقاته مع الناس ، او مع البيئة التي يعيش فيها ، فيكون الخلل الذي لا يمكن ان تستقيم معه حياة رشيدة ، او علاقات وطيدة ..

والى هذا المعنى ايضا يشير القرآن الكريم : **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق)** الاعراف/ ١٦٩ : **(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)** الرعد/ ٢٥ . الى آخر هذه الآيات التي تعرضت للمواثيق في سور غير قليلة .

ومع اننا ارقى مخلوقات الارض ، ثم نفعل ذلك ، الا ان هناك كائنات صغيرة وبدائية قد احترمت مواثيقها بدرجة قد تنال من غرور الانسان وكبريائه ، فرغم ان هذه المواثيق غير مكتوبة ولا مسجلة ولا منطوقة ، الا انها واجبة النفاذ بين هذه الكائنات التي نعتبرها في ادنى درجات الخلق ، فلم يحدث ان اخلت بشرط من الشروط ، او تلاعبت ببند من البنود ، بل تحترمها وتسير على هديها ، وكأنما هي تقدم لنا درسا عظيما في معنى الحياة ، ولا حياة بدون نظام ولا مواثيق لو كنتم تعلمون !

من اجل هذا قدمنا تلك الدراسة ، فلعل فيها العبرة لمن اراد ان يتأمل ويعتبر بنظم اوحيت في هذه الكائنات البدائية وحيا جميلا ، وترك الانسان لعقله ، وبه يعرف الخطأ من الصواب : **(انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)** الانسان/ ٣. فالحق بين ، والباطل بين ، لكن اكثر الناس عن الحق لا هون !

علينا ـ اذن ـ ان نقدم احد هذه الكائنات التي تآلفت وتعاونت ، فصمدت وعاشت ، وفوق هذا فقد عمرت الارض ومهدتها ، لتكون صالحة للزرع والضرع ، ولا زالت تقوم بعملها هذا الى اليوم ، رغم انها قد بدأته من مئات الملايين من السنين ، وسوف نعود لتوضيح ذلك فيما بعد .

فالذين اوتوا شيئا من التأمل وقوة الملاحظة ، ونظروا الى صور الخلق من خلال « مرآة » العقل ، لا شك ستقع عيونهم يوما على اشياء اشبه بقشور تلتصق على قلف الاشجار ، او تتشبث بالصخور او قطع الاحجار .. قد تحسبها ميتة ، لأنها احيانا تجف تحت حرارة الشمس الحارقة ، فاذا مسها ندى او رطوبة او مطر ، اهتزت وربت ولانت ، لكن لا عليك من كل ذلك اذن ، لأن الحياة تحتوي على كل ما هو غريب ومثير .

فمن خلال دراساتنا لامثال هذه الكائنات ، والتي نعرفها باسم الاشن « مفردها اشنة » يتبين انهما كائنان في كائن واحد ، ولقد تعاونا معا ليكونا



٢ ـ شريحة في الاشنة توضح النسيج الفطري
وهو يحيط بخلايا الطحلب (الدائرية او البيضاوية).

اجناسا وانواعا شتى ، ومن خلال هذا التعاون الوثيق استطاعا ان يقهرا كل الظروف الصعبة ، فعاشت انواع منها على ثلوج القطبين ، وانواع اخرى في الصحاري الحارة ، وغيرها تشبثت بجذوع وفروع الاشجار ، او حتى على اسطح المنازل في المناطق الباردة .. وبالاختصار فقد اثبتا وجودهما بعناد بالغ في بيئات قاسية قد تتهاوى فيها الكائنات الاخرى وتموت !

خذ وهات

ان الاشنة تمثل لنا شريكى حياة ظلا متعاونين منذ عشرات او مئات الملايين من السنين ، دون ان يخل احدهما بمواثيقه او تعهداته نحو الاخر ، ويحضرنا في هذا المجال ، حديث للرسول عليه الصلاة والسلام : « يد الله على الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه ، فاذا خان احدهما صاحبه رفعها عنهما » رواه ابو داود والحاكم ـ وكأنما هذا الحديث ينطبق ايضا على حالة شريكي حياة وممات ، ذلك انهما اذا عاشا ، عاشا معا ، واذا اكلا ، فكل شيء بالعدل والقسطاس ، واذا خلفتهما ذرية ، جاءت الذرية بجزء من هذا وجزء من ذاك ، واذا ماتا ايضا ، ماتا معا .

والاشنة تتكون من طحلب وفطر ، وللطحالب عموما حياة تختلف اختلافا واضحا عن الفطريات ، وبيئتها الاساسية مياه البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات ، او احيانا على بيئة ارضية تتميز بالبلل والرطوبة ، ولا يمكن ـ والحال كذلك ـ ان يهجر الطحلب بيئته المائية او الرطبة ، ليعيش على الصخور والاحجار ، والا كان مآله الجفاف والموت في غضون ساعات ، لكن مواثيقه غير المكتوبة مع شريك

حياته ـ اي الفطر ـ قد هيأت له حياة ارضية ، فهجر بيئته المائية الى غير رجعة !

اما الفطر فنوع من العفن الذي يتكون من خيوط حساسة ودقيقة ، وانت تستطيع ان تراه على قطعة خبز رطبة تركتها لبضعة ايام في مكان دافىء ، فترى عليها مستعمرات فطرية ذات اشكال والوان مختلفة .

لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان الكائنين من قسمين مختلفين من اقسام مملكة النبات ، وهما لبساطتهما يعتبران من النباتات الدنيئة او البدائية جدا ، لكن بداوتهما قد تحولت الى حضارة ، فاستقلا بحياة من نوع جديد ، وهي تشير الينا من طرف خفي بان الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ويؤلف بين الذين قد تفرقت بهم سبل الحياة ، حتى لو كان ذلك على مستوى طحلب وفطر !

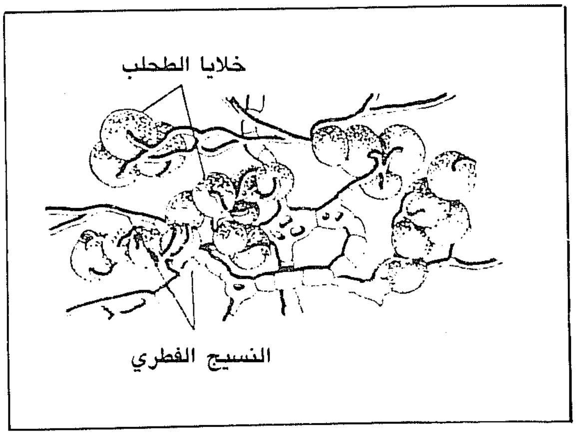
لكن .. ما هو الدافع الى ذلك ، خاصة وان عشرات الالوف من انواع الطحالب او الفطريات تحيا حياة مستقلة ، ودون ان يحتاج اي نوع منها للاخر ، او يعتمد عليه ؟

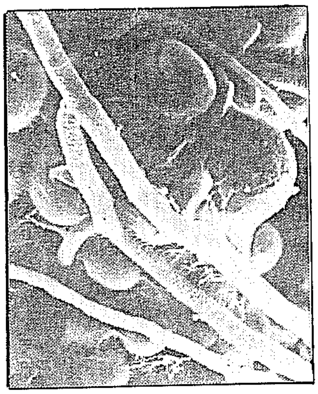
الواقع ان احدا لا يستطيع ان يقدم تعليلا مقبولا ومقنعا في هذا المجال ، اذ احيانا ما تضع لنا الحياة طرزا من الالغاز ، فيتخبط فيها العقل دون ان يصل الى قرار ، المهم ان هناك تمثيلية حكيمة نصبتها الحياة على خشبة مسرح الاشنة ، لنشهد احداثها من خلال هذين الكائنين ، وبعد ان نرى فصولها ، تتركنا في حيرة ، لنعلل ما شاءت لنا عقولنا من تعليلات ، لكننا لو اخترنا لها عنوانا يناسب الحال ، لكان هذا العنوان هو « التعاون في الحياة وعلى الحياة » .. او كما يعن لبعض العلماء تسميتها « حياة التكافل » او « تبادل المنفعة » ، او « اكفلني واكفلك ».. او ـ « خذوهات » .. او ما تشاء من مسميات ، لكن بعد ان نطلعك على اصول التمثيلية التي تنطوي على حكمة تجذب لاصالتها عقول العلماء والمفكرين والحكماء !

سوق تجارية لها مغزاها

وكما نتبادل نحن سلعنا على مستوى الاسواق المحلية او العالمية ، مع ما قد يعتريها في بعض الاحيان من بخس في الكيل والميزان ، او تحقيق ارباح ظالمة على حساب الغير ، كذلك يتبادل الكائنان في الاشنة سلعا كيميائية دون ان يغمط احدهما حق الاخر ، وكأنما هناك موازين منصوبة ، تتوازن كفتاها بين اخذ وعطاء ، فتؤدي الى توازن الحياة ذاتها بين السكان ـ نعني خلايا الفطر ، وخلايا الطحلب !

ان الطحلب بذاته ـ وكما ذكرنا ـ لا يستطيع ان يعيش معرضا للحرارة والجفاف ، فخلاياه جد رقيقة وحساسة ، ولهذا كانت بيئته الطبيعية في الماء ، ومع ذلك فأحيانا ما ينتشر على الصخور والاحجار في قيظ الصحراء ، وهذا تناقض صارخ ،





الصورة العليا بالميكروسكوب الاليكتروني وفيها تظهر خلايا الطحلب (بيضاوية الشكل) وحولها يتفرع النسيج الفطري (على هيئة خيوط حيـة).
والصـورة السفـلى رسم تـوضيحي للكائنين ، لاحظ الاتصال الوثيق بينهما ليتبادلا عناصر الحياة .

لكن المتناقضات قد تزول بالتعاون ، فجاء الفطر ليحيط صاحبه بنسيج من خيوطه ، ويحميه في الداخل ، وكأنما هو يدثره ويغطيه ، بحيث لا يؤثر الجفاف فيه ، بل ويحفظ عليه ماءه الذي يتوازن بحساب ومقدار مـع حياته ، ومع ان الماء شحيح ونادر في الصحراء ، او في قلف الاشجار ، الا ان الكائن الفطري قد جاء بنسيج كثيف ومغزول ومتداخل بحيث يعطيه ذلك القدرة في الحصول على الماء من بخار الهواء ، او من الندى الخفيف في الصباح الباكر ، فيقتسمه قسمـة عادلة مع رفيق حياته ، او قد تجود السحب العابرة ببعض مائها بـين الحين والحين ، فيؤدي ذلك الى نمو وانتعاش ، ويحتفظ ببعضه لـلايام العجاف !

لكن المشكلة ليست مشكلة ماء فحسب ، بل تبرز ايضـا العناصر الغذائية اللازمة لاستمرار الحياة ، فالفطر بذاته لا يستطيع ان يشكل هذه العناصر البسيطة ويبنيها على هيئة مادة حية ، ولا بد والحال كذلك ان يعيش رماما على المواد العضوية المتحللـة ، او متطفلا عـلى النبات والحيوان .. ان العفن الذي نراه على الخبـز المهجـور ، او في الثمـرات والفواكه والخضراوات العطنة ، انما هي انواع من الفطريات التي تحصل على غذائهـا منها عنـدما تحللهـا وتخمرها بعصاراتها الهاضمة ، ثم تمتصها ، وتعيش عليها ، وهي لا تختلف من حيث المبدأ عن عصاراتنا الهاضمة ، فنحن نهضم طعامنا في

امعائنا ، لكن الفطريات تفرز عصاراتها في الخارج على الطعام ، ثم تمتصه بحالة بسيطة وميسرة .

لكن الفطر الذي يعيش مع صاحبه الطحلب على قلف الاشجار الجافة ، او حتى على الصخور والحجارة ، لا شك نوع أو انواع غريبة من الفطريات ، فهو يوقع افكارنا مرة اخرى في تناقض واضح ، لأن الصخور مثلا لا تحتوي على اية مادة عضوية تكفي لاطعام نملة ، فما بالنا بأشنة اكبر من النملة بعشرات او مئات المرات ؟ وكيف ينمو الفطر على الصخر ، وليس فيه ما يسمن او يغني من جوع ؟

الواقع ان رفيق عمره ـ الطحلب ـ قد تكفل بهذه المهمة ـ لأنه هو الذي يقوم بتجهيز المائدة .. لقمة له ، ولقمة لمن دثره وحماه بجزء من نفسه او نسيجه ، وبذلك يقتسمان لقمة العيش ، او ما استوى من عناصر الغذاء ، سواء كان ذلك في السراء او الضراء ، اذ احيانا ما تسوء الظروف ، والنعمة لا تدوم ، لا بين بشر ، ولا مع اشن !

يفتت الصخر بحثا عن العناصر

ان الطحالب كائنات خضراء ، مثلها كالنباتات سواء بسواء ، بمعنى انها تمتلك مادة خضراء تعرف باسم « الكلوروفيل »، والكلوروفيل بمثابة بطاريات شمسية حية ودقيقة غاية الدقة ، وبهذا يستطيع الطحلب ، وكذلك اي نبات اخضر ، ان يستخدم هذه البطاريات في اقتناص الطاقة الشمسية ، وتحويلها الى طاقة كيميائية ، يدير بها عملياته الحيوية ، ويكون بها من العناصر البسيطة او غير العضوية ، خاماته الغذائية .. وهذه تتمثل لنا في بروتينات وسكريات ونشويات ودهون وفيتامينات .. الخ ، والطحلب يقوم بتجهيز الوليمة ، فيأخذ نصيبا ، ويعطي شريكه نصيبا !

لكن لا شيء يأتي من لا شيء ، فلكي يقوم الطحلب بتجهيز المائدة ، فلا بد من عناصر اولية وبسيطة ، ليصنع من خاماتها تلك الوليمة .. فمن اين يحصل على تلك العناصر ، وهو مدثر بنسيج الفطر ، ولا صلة له بتربة او صخر ؟

لقد تكفل الفطر بهذه المهمة ، وهي مهمة جد عويصة ، خاصة اذا كان يعيش على الصخور ، اذ ليس عليها شيء يصلح للحياة ، وليس له ايضا جذور ، ولو كانت ، لما استطاع ان يفتت الصخور ، لكنه مع ذلك يفتتها ، رغم ضعف حاله ، ورقة خيوطه ، فلقد امتلك لذلك احماضا يفرزها ، فيذيب الصخر والحجر ، صحيح ان العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا ، تعطك نتيجة اكيدة ، وبمرور ملايين فوق ملايين من السنين ، تمهد الاشن الصخور ، وتفتتها ، وتحولها الى بيئة تصلح لغزو كائنات اخرى صغيرة ، ثم قد تتبعها كائنات اكبر ، فاكبر ، ولهذا يعتبر العلماء ان هذه الاشن من الرواد الاوائل التي شاركت في تمهيد الصخور القديمة ، لتصبح بيئة صالحة لسلسلة من الكائنات التي

تبعتها في الظهور من قديم الزمن ، حتى جاء الانسان ليجد كل شيء ممهدا ، ومن وراء ذلك يد خفية ، ممثلة في عمل متناسق ومتعاون قام به جنود مجهولون لا يزالـون يؤدون عملهم حتى يومنا هذا ، دون ضجة او دعاية ـ كما يفعل البشر !

المهم ان الاشن تذيب وتمتص من الصخر عناصـره البسيطة ، هـذا بالاضافة الى ما يجود به عليها الغبار المتساقط من عناصر بتركيزات جد ضئيلة ، او ما تسوقه اليهـا مياه الامطار في فترات متقطعة ، ومع انها تكتفي باقل القليل ، الا انها صامدة في مكانها صمود المجاهدين الصابرين ، ففي فترات الرخاء ، تنمو على الصخر وتنتشر وفي ايام الشقاء تجف وتتصلب وتنكمش ، حتى لكـأنمـا هي من الاموات ، فاذا اصابها شيء من بخار او ندى او رذاذ : **اهتزت وربت** على حد تعبير القرآن الكريم !

نقول قولنا هذا ، لأن الاشن رغم قلـة حيلتها ، تستطيـع ان تقاوم البرودة القاسية ، والاشعة الحارقة ، والجفاف الشديد الذي لا يقدر عليه اي كائن اخر ، ورغم هذه الظروف ، نراها تعمر في مكانها مئات السنين ، او تنتشر على ما حولها من صخور ، لتفتت وتذيب وتمهد لنفسها ولغيرها من كائنات شتى .

من خامة اولية .. الى وليمة جاهزة

على الفطر اذن ان يسعى سعيه الشاق فيما تأهل له ، وتخصص فيه ، فهو خبير ـ كما سبق ان ذكرنا ـ بتجميع الماء ، وامتصاص العناصر ، وحماية صاحبه الـرقيق الحساس الساكن في الداخل ، لكن الفطر لا يستطيع ان يستفيد بما امتصه ، والطحلب قادر على ذلك ، ولهذا يتفرع الفطر بنسيجه حول خلايا الطحلب ، ليعطيها العناصر التي لا فائدة له فيها ولا مأرب ، فيقوم الطحلب بتصنيعها عـلى هيئـة بـروتينـات ودهنيـات وفيتامينات ، كما انه ضليع ايضا في تكوين السكريات والنشويات من غاز ثاني اكسيد الكربون والماء بمساعدة الطاقة الشمسية ، فيسحب الفطر منهـا نصيبـه ، ويتـرك للطحلب نصيبه .. انها قسمة عادلة ومتوازنة ، ولا بد من ذلك ، والا لاختلت امور التوازن ، ولا حياة مع خلل: (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبا/٢٨ .

ان المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه حياة هذين النوعين من الكـائنات الكائنين في كيان واحد ، هو مبدأ التبادل المنظم ، او التوزيع المنسق ، او التخصص في الاداء .. عملا لا قولا ، فكل مجهود يقوم به احدهما ، يجد التقدير عند الاخر .. لا ظلم ولا طغيان ولا بخس في الميزان ، ولقد طبقا ذلك بصورة تحطم غرور الانسان ، والى ذلك يشير القرآن الكريم : (**لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**) الزخرف/٧٨ .

ولقد بلغ التآلف والتعاون بـين الفطر والطحلب درجات وددنا لو انها كانت من نصيب الانسان ، اذ حاول العلمـاء التفرقـة بينهما ، وقـدموا للطحلب ما يهواه ، وللفطر كل ما يطمع فيه من خيرات هذا الكوكب ، لكنهما

لم يستجيبا لهذه الاغراءات ، بمعنى ان كلا منهما قد توقف عن النمو والتكاثر ، وكأنما هو يفتقد شيئا غاليا ، وعندما جمع العلماء شمل هذا وذاك ، تآلفا ، وسارت بهما الحياة سيرها الطبيعي .. قصة هائلة من قصص الوفاء النادر ، رغم ان هذه الكائنات من ادنى وابسط صور المخلوقات !

انها على اية حال علاقات قديمة ، وروابط وثيقة ، ومواثيق غير مكتوبة ، لكنها مع ذلك تحترم ودون ان يخل احدهما بالتزامه نحو شريكه ، وهذا ما لا يقدر عليه البشر ، فكل منهم يريد ان يستولي على ما ليس له حق فيه ، الا من رحم الله !

ولقد بلغ التآلف في هذه الكائنات مداه الى الدرجة التي اصبحت ذريتهما مشتركة ، فلا تطغى ذرية احدهما على الاخر ، بل يأتي الخلف على غرار السلف ، ولن نتعرض هنا للوسائل المختلفة التي تنتهجها هذه الانواع من الاشن في تكوين ذرياتها ، لتنتشر طولا وعرضا في الزمان والمكان ، فالحديث في ذلك يطول ، لكن يكفي ان نذكر ان اجزاء من نسيج الفطر تدثر خلايا من الطحلب ، وتحفظها من تقلب الظروف ، وهذه الوحدات الصغيرة بمثابة « الانجال » التي تهاجر الى افاق جديدة ، لتؤدي رسالتها نحو نوعها ، ونحو تمهيد الارض لغيرها ، لتعمر بمن فيها . انه تعاون في الحياة وحتى المات .. ولكل نصيب مما قدم نحو الاخر .

والواقع ان صور التآلف والتعاون لا تقتصر فقط على فطر وطحلب ، بل لنا فيها ايضا نصيب ، ففي داخل امعائنا ميكروب نحتضنه من المهد حتى اللحد ، ولو غاب ، لغابت عنا بعض مركبات لا نستطيع لها في اجسامنا تصنيعا ، وعندئذ تظهر علينا اعراض مرضية لا تختفي الا بعودة ما غاب عنها .. وما يجري علينا يجري على حيوانات المرعى ، فلها ايضا ميكروب من نوع اخر ، ولولاه لما كانت .. وصور اخرى كثيرة قد نتعرض لها في دراسة او دراستين ، فهذا وغيره يوضح امورا غابت عن مداركنا ومدارك الاجيال السابقة ، وهي تشير الى ما في الخلق من اسرار ، لو اننا وعيناها ، لكان لنا بين العالمين شأن يذكر : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**) المجادلة/١١ . فالعلم في اية صورة من صوره ، انما هو قوة في الدين والدنيا ، وهو فوق ذلك يكشف الستار عن ايات الله في خلقه : (**وفي الأرض آيات للموقنين**) الذاريات/٢٠ . ولا شك ان هذه الصورة من صور التعاون التي قدمناها في هذه الدراسة تشهد بان الله قد خلق فقدر فسوى فأبدع :

(**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/٨٨ : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/٥٠ . ولن يتضح لنا معنى هذه الايات ، الا اذا بحثنا في اسرار الكون والحياة ، لنعلم ما لم نكن نعلم (**وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/٨٥ .

الخطيب الديني

للأستاذ / ابراهيم علي ابو الخشب

تعول الأمم والجماعات على ما تسميه وسائل الاعلام ، ولا تفتأ ما بين وقت وآخر تعمل على تطويرها ، وادخال الجديد الذي يضمن لها قوة التأثير ، وأداءها لمهمتها على أكمل الوجوه وأحسنها ، لاعتقادهم أن الايمان بالفكرة ، والاذعان للمبادىء والاستجابة للرغبات ، وحمل الناس على سياسة معينة ، يتوقف إلى مدى بعيد على الدعاية له ، والتنويه به ،

وبيان جوانب الفضل من الاقبال عليه ، والرغبة فيه ، والحب له ، وهذه الوسائل مهما كان لها من الفاعلية او الأثر ، فان أعظمها عائدة وفائدة الخطابة ، وقد كانت هي السلاح الحاد لدى الأمم جميعا ، استعانت به ، واستفادت منه ، والتجأت اليه ، وأدى دوره الفعال في استقرار الأمور ، وانتصار السياسة ، وتمكين السلطان ، وتوطيد دعائم الملك ، والعرب وهي أمة بيان ولسن ، وفصاحة وبلاغة . كانت توليها شأنا عظيما ، والخطيب منهم كان لقبيلته بمثابة القوة الضاربة التي يعولون عليها في رفع الراية ، ونباهة الشأن ، واحترام الجانب ، وكان له من الاجلال والاحترام اضعاف اضعاف ما كان للشاعر على الرغم من تقديرهم للشعر وللشعراء ، وأنهم ـ كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة ـ ما كانوا يهنأون الا بغرس تنتج او شاعر يولد ، وذلك لأن الخطيب مع ذرابة لسانه ، وقوة بيانه ، وفصاحة اسلوبه ، وسلامة ألفاظه ، كان معروفا باستقامة الخلق ، وطهارة العرض ، ونقاء القلب ، وسلامة الضمير ، وحسن الأحدوثة ، ونظافة التاريخ ، ولهذا كانوا مع تلك المواقف المشهودة له ، يحكمونه في الخصومة ، ويعتمدون عليه في السفارة ، وينزلون على رأيه اذا اشتد بينهم النزاع ، وكان اعتقادهم فيه انه انسان مرموق ما في ذلك شك ، وكانوا على خلاف ذلك كله مع الشاعر ، وإن كان يتحدث باسمهم ، ويدافع عن اعراضهم ، وبخاصة اذا أضافوا الى ذلك أن معينه الذي ينفق منه هو الكذب الذي لا تتورع عنه السوقة ، ولا تتجنبه الدهماء ، ولا تخلو منه الطبقة الدنيا من الناس ، والشعر ـ كما يقولون ـ اعذبة أكذبه ، ولأمر ما جعل الاسلام الخطابة احدى شعائره في الجمعة والعيدين لما لهما من هذا الأثر الطيب الذي تتركه في نفس السامع ، لترغبه في الحق ، وتوجهه للخير ، وتحببه في السلوك السوى ، وكان الخلفاء المسلمون يقدرون لها دورها في توطيد دعائم السلطان ، واستقرار الأمن ، ولهذا كانوا يباشرونها بأنفسهم ، ليضمنوا ذلك النفع الذي يعود عليهم منها ، وكان خصومهم الذين يكيدون لهم ، او يكدرون الصفو عليهم ، إنما تثبت أقدامهم في الميدان ، ويقدرون على الطعان ، بمقدار ما يساعدهم القول ، ويسعفهم البيان ، أو يؤازرهم المنطق .

والجماعات الدينية ـ الآن ـ وقد انتشرت هنا وهنالك تدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عمادها الأول والأخير هو هذا اللون من القول ، وذلك الأسلوب من الدعاية ، الذي نسميه نحن بالخطابة الدينية ، وهو ضروري إلى حد بعيد لاثارة الوعي إلى الدين الحنيف ، والفقه فيه ، والفهم لقضاياه ومسائله ، ومعرفة حلاله وحرامه ، وبيان ما تضمنه من سلوك طيب ، وأخلاق حميدة ، ووازع الدين ، وصوت السماء ، من الأمور المهمة التي لها تقديرها في إصلاح البيئة .

وتهذيب الجماعة ، وتقويم الأخلاق ، وقد تقرع هذه المعاني كلها آذان الناس صباحا ومساء ، من اي جهة من الجهات ، أو ناحية من النواحي ، لكن دويها في الآذان ، أو وقعها في القلوب ، لا يكون بهذه المثابة من جلجلة الصوت ، والطنين في الأفئدة ، وتحريكها للنفوس ، كما يكون مصدرها خطيب المنبر في بيت من بيوت الله ، كما تنطق بذلك الآية الكريمة : **(وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)** الجن/١٨ ، والصوت الذي ينبعث منها من غير شك كأنه صادر عن الملأ الأعلى ، يشيع في قلب المؤمن الرهبة والخشية ، والفزع والتقوى ، والطاعة والامتثال ، والاذعان والاستجابة ، ويحمل الروح على أن تكون دائما أبدا يقظى الى صوت الضمير من داخلها فلا تنحرف ولا تلتوي ، وانما تكون على السنن السوى ، والصراط المستقيم ..

وقد دأبت الأمم والشعوب على أن تصطفى لتلك الخطابة جماعة ممن تتوافر لهم من المزايا والخلال ، والقدرة والاستعداد ، والبيان واللسن ، والفقه والعلم ، والصلاح والاستقامة ، والورع ، ما يجعل منهم أمثلة صالحة لأن يتخذ الناس منهم القدوة المتبعة . التي يحاولون أن يكونوا ظلالها ، أو صورة مكرورة منها وليجد قولهم ـ على الأقل ـ طريقه الى قلوبهم وأفئدتهم .. وإذا كان الاصلاح الاجتماعي في كل زمان ومكان مدينا للقوة التي تدفعه ، والجهود التي تعمل له ، والرجال الذين يرفعون لواءه ، والأصوات التي تنادي به ، فان حملة مشاعل هذا اللون من البيان كانوا هم الرعيل الأول في إصلاح الأمم والشعوب ، والنهوض بالأفراد والجماعات ، لا لأن لهم صوتا أندى ، ومنطقا أروع ، وكلما أكثر بيانا وإفصاحا ، وإنما كان هذا لأن إقناعهم يعتمد على تعاليم السماء التي لا تسف ولا تنزل ، أو تنافق وتداجى .. ولا نبالغ بعض المبالغة إذا قلنا إن الخطابة الدينية مع غزارة مادتها ، وكثرة روافدها ، وفيض معينها من الكتاب والسنة ، ظلت متخلفة عن غيرها من ألوان الخطابة الأخرى .

ولا ندري ما هو السبب المباشر لذلك التخلف ، ويقولون ان جمال الدين الأفغاني ادرك ذلك المعنى منذ زمن فأنشأ مدرسة يقوم الخريجون فيها بملء هذا الفراغ ، وأنشأ بعده رشيد رضا اخرى لتكون امتدادا لها ، ولكن ذلك كله لم يأت بالثمرة المرجوة ، لأن نجاح الخطيب يبتدىء من نفسه هو أولا وقبل كل شيء ، والذي يحيط علما بتاريخ الزهاد والمتصوفين يجد أن فصاحة المنطق ، وذرابة اللسان ، وما اشبه ذلك من آلات البلاغة والبيان ، كانت آخر ما يلتمس لهم من النعوت والأوصاف ، وأن الرجل منهم كان يعظ بسلوكه وعمله ، ودينه وخلقه ، وزهده وورعه ، أكثر مما يعظ بذرابة لسانه ، ونصاعة بيانه ، ولا نكلف خطيب المنبر أن يكون في مسرح الحسن البصري وابن السمان وابن

المبارك وابراهيم بن أدهم وغيرهم ممن كانوا ينابيع حكمة ، ومصابيح هداية ، وأمثلة نادرة للربانيين أو الأحبار . غير أننا نكلفه ألا يكون صورة مشوهة للرجل الذي يقف موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول للناس هذا حلال وهذا حرام ، ويقتضيه ذلك ـ لا محالة ـ أن يكون على كثير من العلم والأدب ، والفقه والورع ، والزهد والخلق ، ونظافة الظاهر والباطن ، وأن يكون عنده من الالمام بالمسائل ، والمعرفة للأحكام ، ما يجعله استاذا ، فلا يقول قائل ليته ، ولا لو كان ، وإنما يقول عنه القائلون انه يتحيز مكانا مرموقا ، وفراغا واسعا . وهو باعتباره « خطيبا دينيا » ينظر الناس اليه بمنظارين اثنين .. منظار الخطيب اولا ، ومنظار رجل الدين ثانيا ، وكلاهما له حسابه وتقديره ، واجلاله واحترامه ، واذا كان للدين سلطانه على الحياة في الاقتصاد والسياسة ، والحرب والسلم . والجماعات والأفراد . وكل معنى من معاني العيش والاستقرار ، فان الخطيب الذي نتحدث عنه وننشده ، يجب ان يكون صورة طيبة لهذا الدين الذي لا يضيق ذرعا بتلك الحياة التي يحياها الناس .. وقد كانت هذه الخطابة في بعض العصور صورة مهلهلة للصياغة الأدبية . او التفكير الهزيل ، وكان خطباء المنابر يخطبون من ديوان يدور على مدى العام مع المناسبات فلما انتعشت البلاغة ، وازدهر البيان ، تقدمت الخطابة نوعا ما . الا ان شيئا لا يزال عالقا بها ، وهو سجع الجمل ، واجتلاب بعض المحسنات البديعية ، ويقولون ان بعض علماء المذاهب كانوا يرون ضرورة ذلك السجع للموسيقى التي تؤثر في السامع ليخشع قلبه ، ويتحرك وجدانه ، كما يرون ـ كذلك ـ أن تلقى من مكتوب ليضمن الخطيب عدم الارتباك عليه او اللحن او الخطأ وللمنابر رهبتها واضطراب وقوف الناس فوقها .. ولا ينكر احد ان المنابر الكثيرة التي ظهرت في الأدب والسياسة والاجتماع والعلوم والفنون والتقاضي سيكون لها اثرها في انتعاش البيان واللسان ، وكل رصيد يضاف اليها مما يعمل على نهوضها وتقدمها فهو غنم لها ، وزيادة في تمكنها وقوتها ، وقد أدركنا منذ سنوات الأثر الذي احدثته بعض الجماعات الدينية في رقيها وتهذيبها ، ونهوضها وتقدمها .

ووددنا لو ان ذلك كله ظل موصولا ، لان ميزة هذه الجماعة التي كانت تحرص عليها ، أن يكون لأفرادها باع وذراع في اجادة القول ، وفصاحة المنطق ، وقوة البيان ، لكن هكذا اراد الله لهذه الطاقة التي كانت متاحة للخطابة الدينية أن تفتر ، ولهذا المد الثوري أن ينتهي ، وأصبحت المنابر لا تجد من يهزها ، وصارت لباقة اللسان ، وسلامة البيان ، وقوة المنطق ، فيما بيننا هنا وهنالك في البلاد التي تدين بالاسلام وتقضي تقاليدها الدينية ان يكون فيها منابر قول ، ومجالات خطابة ، وميادين براعةوفصاحة نادرة .

التاريخ الميلادي والهجري

للأستاذ / فتح الله محمد حسن الحمدي

للتاريخ الميلادي (الافرنجي) اهمية كبرى في حياتنا وحياة العالم اليومية ، وهذا التاريخ ملء بالذكريات للفرد وللدولة فعلى اساسه يحسب الفرد تاريخ ميلاده وعمره وتاريخ زواجه وتاريخ ميلاد اولاده او مناسبة عزيزة عليه له او لاصدقائه او اقربائه ، وكذلك الحال بالنسبة للدولة فللدولة تاريخ استقلال وتحرر وتاريخ مولد امير او رئيس او وفاته ايضا وهو يحسب بهذا التاريخ .

فنجد ان للتاريخ الافرنجي (الميلادي) اهمية في حياة الفرد والدولة والعالم وهو التقويم السائد والرسمي في معظم دول العالم كانت اسلامية او غير اسلامية .

والمعروف ان هذا التاريخ بدأ بمولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .
وشهور السنة الميلادية هي يناير ، فبراير ، مارس ، ابريل ، مايو ، يونيو ، يوليو ، اغسطس ، سبتمبر ، اكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر .. ولكل شهر

مناسبة لتسميته بهذا الاسم وهو يرجع الى قدماء المصريين والحضارات الاخرى وليس مجال بحثنا هذا أسباب تسمية كل شهر .
وعدد أيام السنة الميلادية هي ٣٦٥ يوما كل ٣ سنوات (في السنة البسيطة) ، ٣٦٦ يوما في السنة الرابعة وهي ما تسمى (بالسنة الكبيسة) .
ويمكنك عزيزي القارىء ان تعرف اي يوم يوافق للتاريخ الميلادي سواء في الماضي او في المستقبل بمئات السنين .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة :

السنة الميلادية على عكس السنة الهجرية **تماما من حيث عدد ايام الشهور** فالشهور الهجرية ٣٠ **يوما او ٢٩ اما في الميلادية ٣٠ او ٣١ في جميع الشهور** عدا شهر فبراير **فهو احيانا** يأتينا ٢٨ **يوما واحيانا ٢٩ يوما وليس هذا متروكا للحظ** او رؤية **هلال لكن بعملية** حسابية **بسيطة جدا الا وهي قسمة السنة** على ٤ فان كان **الناتج** رقما **صحيحا ولم يبق شيء فالسنة كبيسة واذا تبقى** اي كسر فالسنة بسيطة (في السنة الكبيسة **فبراير ٢٩ يوما وعدد** أيامها ٣٦٦ يوما ـ البسيطة **فبراير** ٢٨ يوما وعدد **أيامها ٣٦٥ يوما) .**
وعدد أيام اشهر السنة **هي يناير** ٣١ ـ **فبراير ٢٨ / ٢٩** ـ **مارس ٣١** ـ ابريل ٣٠ ـ مايو ٣١ ـ يونيو ٣٠ ـ يوليو ٣١ ـ اغسطس ٣١ ـ سبتمبر ٣٠ ـ اكتوبر ٣١ ـ نوفمبر ٣٠ ـ ديسمبر ٣١ يوما .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ الميلادية (الافرنجية) اود ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .
كما يجب على القارىء الكريم حفظ المتممات الحسابية الاتية والتي سيأتي شرح استخدامها فيما بعد وهي :
١ ـ شهر يناير يأخذ رقم ١
٢ ـ شهر فبراير يأخذ ٤

٣ ـ شهر مارس يأخذ رقم ٤
٤ ـ شهر ابريل يأخذ ٠
٥ ـ شهر مايو يأخذ رقم ٢
٦ ـ شهر يونيو يأخذ ٥
٧ ـ شهر يوليو يأخذ رقم ٠
٨ ـ شهر اغسطس يأخذ الرقم ٣
٩ ـ شهر سبتمبر يأخذ الرقم ٦
١٠ ـ شهر اكتوبر يأخذ الرقم ١
١١ ـ شهر نوفمبر يأخذ الرقم ٤
١٢ ـ شهر ديسمبر يأخذ الرقم ٦

وهذه الارقام تستعمل من اول يناير ١٩٠٠ حتى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠فقط

مثال :

ما هو اليوم الموافق ليوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

الحل العادي اولا :

احسب عدد السنوات الكبيسة منذ ١٩٠٠ وحتى ١٩٧٣

وذلك بقسمة ٧٣ على ٤ = ١ / ١٨

هنا سنستخدم ال ١٨ الصحيحة ونهمل الباقي لعدم اهميته .

ثانيا :

نجمع ال ٧٣ + ١٨ = ٩١

ثالثا :

نجمع ٦ **أيام** من اكتوبر = ٦

رابعا :

اذا نظرنا الى المتممات الحسابية والتي سبق ذكرها نجد ان المتمم الحسابي لشهر اكتوبر يأخذ = ١

خامسا :

المجموع = ٩٨

سادسا : نقسم ال ٩٨ ÷ ٧ (وهو عدد أيام الاسبوع) = ـ / ١٤

هنا لا يهمنا الرقم الصحيح ويهمنا جدا الرقم الباقي

اذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الاحد
اذا تبقى ٢ فيكون اليوم هو الاثنين
اذا تبقى ٣ فيكون اليوم هو الثلاثاء
اذا تبقى ٤ فيكون اليوم هو الاربعاء
اذا تبقى ٥ فيكون اليوم هو الخميس
اذا تبقى ٦ فيكون اليوم هو الجمعة
واذا لم يتبق شيء فيكون اليوم هو السبت

وفي مثالنا هذا لم يتبق شيء وعلى ذلك فيكون يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ هو يوم السبت .

القانون العام :

$$\frac{\text{السنة} + \frac{\text{السنة}}{٤} + \text{اليوم المراد معرفته} + \text{المتمم الحسابي}}{٧}$$

الحل المختصر : ملحوظات هامة :

١ ـ من خلال الحل العادي السابق يتضح لنا اننا نقسم الناتج على ٧ ولا يهمنا الناتج الصحيح ونهتم بالباقي كما هو في (ثانيا وثالثا) فمثلا يمكننا ان نقول ٩١ = ٠ (قسمة ٩١ على ٧ = ـ / ١٣

وكذلك الحال بالنسبة لليوم المراد معرفته فمثلا اذا اردت معرفة يوم ٢٧ اكتوبر فيمكننا اعتبار رقم ٢٧ هو ٦ (٢٧ على ٧ = ٦ / ٣

وكذلك ٣١ مارس مثلا يمكن اعتباره ٣ (ناتجة عن قسمة ٣١ على ٧ = ٣ / ٤

.. وهكذا واذا صعب عليك ذلك فعليك بجمعها بأكملها وبدون اختصار .

٢ ـ قبل ان تبدأ في احتساب اي تاريخ عليك ان تأخذ رقم السنة على جانب وتقسمها على ٤ اولا ثم نجمع الناتج على السنة نفسها وتقسمهما على ٧ واهمل الباقي من قسمة السنة على ٤ واهمل الصحيح من قسمة مجموع السنة + السنة على ٤ والكل على ٧ فمثلا سنة :

$$٧٣ \left(٧٣ + \frac{٧٣}{٤} \right) = \frac{٧٣ + ١٨}{٧} = \frac{٩١}{٧} = \text{صفر}$$

وهنا اذكرك عزيزي القارىء ان جميع ايام سنة ٧٣ يستعوض عنها بالرقم صفر من ١ يناير حتى ٣١ ديسمبر .

وبالتالي فان ١ ـ ٧٣ + $\frac{٧٣}{٤}$ = ٧٣ + ١٨ = $\frac{٩١}{٧}$ = ٠

٢ ـ ٦ ايام من اكتوبر = ٦

٣ ـ المتمم الحسابي لا كتوبر = ١

$$\overline{\quad\quad}$$
٧

٤ ـ بقسمة الناتج على ٧ = $\frac{٧}{٧}$ = ـ / ١ (المهم هنا الباقي وليس الرقم الصحيح)

وحيث انه لم يتبق شيء فاليوم كما ذكرت هو السبت

ملحوظة هامة :

اذا كانت السنة كبيسة (تقبل القسمة على ٤ بدون باق) وجب علينا طرح ١ من مجموع (السنة + $\frac{\text{السنة}}{٤}$) وقبل قسمتـه على ال ٧ في شهري يناير وفبراير فقط ولا نطرح شيئًا في باقي أيام السنة .

مثال (٢) : المطلوب معرفة اليوم الاول ليناير ١٩٦٠

الحل العادي :

١ ـ ٦٠ + ٦٠/٤ = ٦٠ + ١٥ = ٧٥ − ١ = ٧٤

٢ ـ ١ من يناير = ١

٣ ـ المتمم الحسابي لشهر يناير = ١

٧٦

٤ ـ بقسمة ٧٦ ÷ ٧ = ٦ / ١٠

فاذا تبقى ٦ فاليوم هو الجمعة

الحل المختصر :

١ ـ ٦٠ + ٦٠/٤ = ٧٥ − ١ = ٧٤/٧ = ٤ / ١٠ = ٤

٢ ـ ١ من يناير = ١

٣ ـ المتمم الحسابي ليناير = ١

٦

وحيث انه بقسمة ال ٦ ÷ ٧ ينتج صفرا ويتبقى٦فاليوم هو الجمعة .

مثال (٣)

مطلوب معرفة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

الحل :

١ ـ ٥٢ + ٥٢/٤ = ٦٥ = ٢

٢ ـ ٢٣ من الشهر = ٢٣ = ٢

٣ ـ المتمم الحسابي ليوليو = ٠

٤

وبقسمة ال ٤ على ٧ فيتبقى ٤ واذا تبقى ٤ فاليوم هو الاربعاء

ملحوظة : لا حظ عزيزي القارىء ان سنة ١٩٥٢ كبيسة واننا لم نطرح واحدا لوقوع التاريخ المراد معرفته بعد انتهاء يناير وفبراير ولا نطرح واحدا في السنوات الكبيسة الا في يناير وفبراير فقط .

مثال (٤)

مطلوب معرفة اليوم الموافق للعيد الوطني (٢٥ فبراير ١٩٨٢ م)

الحل :

١ ـ ٨٢ + ٨٢ ÷ ٤ = ١٠٢ = ٤

٢ ـ ٢٥ من فبراير = ٢٥ = ٤

٣ ـ المتمم الحسابي لفبراير = ٤

وبالجمع = ١٢

وبقسمة ال ١٢ ÷ ٧ = ٥ /١

وحيث انه تبقى ٥ فان اليوم الموافق لـ ٢٥ فبراير ١٩٨٢ هو الخميس

نصائح عامة :

١ ـ اذا تمعنت النظر في اي تقويم في السنوات البسيطة فانك تجد ان أيام شهر يناير واكتوبر واحدة فمثلا اذا كان ٥ يناير يوافق السبت فمن الطبيعي انك ستجد ٥ اكتوبر من نفس السنة السبت ايضا وكذلك الحال مع اشهر (فبراير ومارس ونوفمبر)
اما أشهر (ابريل ويوليو) و (سبتمبر وديسمبر) فانها واحدة ايضا سواء كانت السنة بسيطة او كبيسة .
٢ ـ انصحك عزيزي القارىء بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك على ٧ لان الباقي فيها جزء من ١٠ وليس جزء١ من ال ٧ لذا وجب النصح .

التاريخ الهجري

للتاريخ الهجري اهمية كبرى في حياة الامة الاسلامية وهو ملىء بالمعارك الاسلامية والفتوحات والمناسبات العزيزة على كل مسلم ومسلمة .
والمعروف لدى عامة الناس ان الشهور الهجرية بدأت بهجرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لكن احب ان اذكر بعض الاخوة ان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ٩ ربيع الاول من عام الفيل ـ الموافق ٢٠ ابريل ٥٧١ ، فمعنى ذلك ان الشهور العربية كانت موجودة قبل مولد الرسول .
لكن انشاء هذا التاريخ كان على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم الاربعاء ٢٠ جمادى الثانية بعد الهجرة بـ ١٧ سنة ـ الموافق ٨ يوليو ٦٣٨ م ـ ولقد كانت هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ١ هـ ـ الموافق ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م
ومن ذلك كله نستنتج ان اليوم الاول للتاريخ الهجري (العربي) هو يوم الخميس ١ محرم عام ١ هـ ـ موافق ١٥ يوليو ٦٢٢ ميلادية .
وقبل ان ندخل في عمليات معرفة التواريخ الهجرية يجب ان نعلم بأن السنة الهجرية كالسنة الميلادية من حيث انها كبيسة وبسيطة فكما ان السنة البسيطة في الميلادية ٣٦٥ يوما والكبيسة ٣٦٦ يوما كل ٤ سنوات فان السنة

الهجرية ٣٥٤ يوما عامة و ٣٥٥ يوما كل سنتين او ثلاث ، وسوف اشرح ذلك بالتفصيل .

السنة الكبيسة والسنة البسيطة

اتفق العلماء على ان الشهر الهجري ٤٤ ث / ٤٤ د / ١٢ س / ٢٩ يوم
وباحتساب الشهور يتضح ان الشهور ٣٠ يوما ، ٢٩ يوما على التوالي فمعنى ذلك ان الشهر الذي يكون ٢٩ يوما فاننا نجد فيه زيادة مقدارها ٤٤ ث / ٤٤ د / ١٢ س ومن خلال هذه المدة البسيطة فانه يستجمع لدينا ١١ يوما كل ٣٠ سنة .. لذا اتفق العلماء على ان تكون في كل ٣٠ سنة هجرية ١١ سنة كبيسة وهي :
٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩
فاذا اردت معرفة السنة الكبيسة من السنة البسيطة اقسم السنة على ٣٠ وقابل الباقي بهذه الارقام فان وافق احداها فهي كبيسة والعكس فهي بسيطة ، ويجب حفظها عن ظهر قلب .

واليك بيان ذلك عمليا :

قبل ان ندخل في عمليات احتساب التواريخ احب ان اوضح للسادة القراء انني سأتبع طريقتين او اسلوبين او اكثر وحتى يستوعب القارىء الطريقة المختصرة يجب عليه اولا معرفة الطريقة المطولة والمفسرة الى ابعد الحدود .

اولا : معرفة غرة اي سنة هجرية :ـ

مثال : اود معرفة اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ

اولا : الطريقة المطولة :

اتفقنا على ان السنة الهجرية البسيطة ٣٥٤ يوما والكبيسة ٣٥٥ يوما وان كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة .
فلمعرفة ذلك اليوم يجب علينا اولا ان نعرف عدد الايام التي مرت منذ بداية التاريخ الهجري وحتى اخر يوم في عام ١٤٠١ هـ .
الحل : ١ ـ اضرب ال ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤ يوما
هذا ان كانت جميع السنوات بسيطة لكن يتخلل ال ١٤٠١ سنة كل ٣٠ سنة ١١ سنة كبيسة

٢ ـ اقسم ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦ « ٣٠ سنة »
اذاً ٤٦ × ١١ « كل ٣٠ سنة » = ٥٠٦
٣ ـ ننظر الى ال ٢١ سنة الباقية نجد انه يتخللها « ٨ » سنوات كبيسة وهي :
« ٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ »
والتي اشرنا اليها سابقا = ٨
٤ ـ نجمع عليها ١ « ١ محرم » = ١
وبقسمة عدد الايام منذ بداية التاريخ على ٧ « عدد أيام الاسبوع » يتضح لنا

$$\frac{٤٩٥٩٥٤ + ٥٠٦ + ٨ + ١}{٧} = \frac{٤٩٦٤٦٩}{٧} = ١ \text{ يوم} / ٧٠٩٢٤ \text{ اسبوع}$$

وكما ذكرنا سابقا ان التاريخ بدأ بيوم الخميس ، وبالتالي فان عدد الاسابيع لا يهمنا بشيء

واذا تبقى من خارج القسمة	١	يكون اليوم موافق الخميس
واذا تبقى من خارج القسمة	٢	يكون اليوم موافق الجمعة
واذا تبقى من خارج القسمة	٣	يكون اليوم موافق السبت
واذا تبقى من خارج القسمة	٤	يكون اليوم موافق الاحد
واذا تبقى من خارج القسمة	٥	يكون اليوم موافق الاثنين
واذا تبقى من خارج القسمة	٦	يكون اليوم موافق الثلاثاء

اذاً لم يتبق شيء من خارج القسمة يكون اليوم موافق الاربعاء
اذاً فان مثالنا هذا يوافق الخميس . ١ محرم ١٤٠٢ هـ .

ثانيا : الطريقة المختصرة :ـ

اننا سنتبع نفس الطريقة بتسلسلها لكن باختصار شديد وقبل الدخول في الشرح عليك معرفة الآتي جيدا :ـ

١ ـ ما دمنا نضرب عدد السنوات السابقة × ٣٥٤ « في كل عملية » وقد نخطىء في عمليات الضرب وما دام لا يهمنا الرقم الصحيح ، فيمكن اختصار الرقم ٣٥٤ بـ ٤
وهو ناتج عن ٣٥٤ على ٧ = ٥٠ / ٤
٢ ـ كذلك الحال بالنسبة للسنة « السابقة » فيمكن قسمتها على ٧ أيضا واهمال الرقم الصحيح واستعمال الرقم الباقي :
مثل ١٤٠٢ ÷ ٧ = ٢ / المهم هنا ال ٢ الباقية فقط .
٣ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد السنوات الكبيسة « كل ٣٠ سنة » فيمكن قسمته على ٧ واخذ الرقم الباقي واهمال الصحيح « في مثالنا السابق ٤٦ »
٤٦ على ٧ = ٤ / ٦
٤ ـ كذلك الحال بالنسبة لعدد ال ١١ « فهو ثابت وهو احد طرفي الضرب » فيمكن قسمته واستبداله بـ ٤

مثال : ما هو اليوم الموافق لاول محرم ١٤٠٢ هـ
الحل :

١ ـ الباقي من قسمة ١٤٠١ على ٧ × الباقي من قسمة ٣٥٤ على ٧
١ × ٤ = ٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ =٢١ / ٤٦
٣ ـ باقي قسمة ٤٦ على ٧ × باقي قسمة ١١ على ٧
٤ × ٤ = ١٦
٤ ـ ابحث عن عدد السنوات الكبيسة في ٢١ سنة الباقية
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ = ٨/٧ = ١
٥ ـ ١ من شهر المحرم = ١
المجموع ٢٢

٦ ـ نقسم ٢٢ ÷ ٧ = ٣ ١/٧
ومعنى ذلك انه يتبقى ١ واذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس

معرفة اي يوم في السنة الهجرية :

لا يختلف الحال في اي يوم من ايام السنة عن غرة اي سنة والفارق البسيط هو اننا سنزيد على ما سبق بيانه عدد الايام الداخلة في السنة نفسها كأنني اريد معرفة ٥ ربيع الاول مثلا فما علينا الا ان نتبع ما سبق بيانه بالاضافة الى أيام شهر المحرم ، صفر ، ٥ أيام من شهر ربيع الأول المذكور في المثال .
وقبل الدخول في التفصيل يجب علينا ان نعرف عدد الايام بكل شهر وهي :ـ

محرم ٣٠	صفر ٢٩
ربيع الاول ٣٠	ربيع الثاني ٢٩
جمادي الاولى ٣٠	جمادي الثانية ٢٩
رجب ٣٠	شعبان ٢٩
رمضان ٣٠	شوال ٢٩
ذو القعدة ٣٠	ذو الحجة ٣٠ / ٢٩

مثال :
المطلوب معرفة اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣
الحل العادي : ١ ـ أحسب عدد ايام التاريخ الهجري اولا حتى ٣٠ ذو الحجة ١٣٩٢ وهي :
١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨
٢ ـ احسب عدد ال ٣٠ سنة السابقة
١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦
٣ ـ حيث ان كل ٣٠ سنة فيها ١١ سنة كبيسة
اذا ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ ال ١٢ سنة الباقية فيها ٤ سنوات كبيسة = ٤
٥ ـ اجمع الايام الداخلة في سنة ١٣٩٣ وهي :

محرم	صفر	ربيع١	ربيع٢	جماد١	جماد٢	رجب	شعبان	رمضان		
٣٠	٢٩	٣٠	٢٩	٣٠	٢٩	٣٠	٢٩	١٠	=	٢٤٦
									=	٤٩٣٥٢٤

بقسمة هذا الناتج على ٧ = ٣ / ٧٠٥٠٣
حيث ان الباقي ٣ وكما سبق وان اوضحنا انه اذا تبقى ١ فيكون اليوم الخميس
واذا تبقى ٢ فيكون اليوم الجمعة
واذا تبقى ٣ كما هو في مثالنا هذا فيكون اليوم (السبت) .
اذا اليوم الموافق لـ ١٠ رمضان ١٣٩٣ هو السبت .

الحل المختصر :
١ ـ حيث ان عدد أيام السنة ثابت في جميع التواريخ فيمكن اختصاره بالرقم ٤ وهو ناتج كما سبق عن قسمته على ٧ واخذ الباقي ٣٥٤ ÷ ٧ = ٤
وكذلك الحال برقم السنة نفسها (السابقة) ١٣٩٢ في مثالنا هذا
١٣٩٢ ÷ ٧ = ٦
فتكون الخطوة الاولى ٦ × ٤ = ٢٤
٢ ـ الخطوة الثانية فليس فيها اختصار ١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ١٢ / ٤٦
والناتج الصحيح يمكن اختصاره بضرب $\frac{٤٦}{٧} \times \frac{١١}{٧}$
٤ (باقي القسمة × ٤ باقي قسمة ١١ ÷ ٧ = ١٦
٣ ـ عدد السنوات الباقية من القسمة (١٢) فيوجد بها ٤ سنوات كبيسة (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠) = ٤
٤ ـ يمكن اختصار عدد أيام الشهور وذلك لتخفيف جمع الايام . وعلى ذلك فان

محرم ٢	صفر ١
ربيع الاول ٢	ربيع الثاني ١
جمادي الاولى ٢	جمادي الثانية ١
رجب ٢	شعبان ١
رمضان ٢	شوال ١
ذو القعدة ٢	ذو الحجة ٢ / ١

وهذا لم يجمع عادة
ففي مثالنا هذا
محرم صفر ربيع[١] ربيع[٢] جماد[١] جماد[٢] رجب شعبان رمضان
٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ١٠ = ٢٢
$\frac{٣٠}{٧}$ = ٢ ٤ — $\frac{٢٩}{٧}$ = ١ / ٤ = ٦٦
٥ ـ بقسمة ال ٦٦ على ٧ = $٩ \frac{٣}{٧}$
واذا تبقى ٣ فيكون اليوم السبت
مثال (٢) المطلوب معرفة اليوم الموافق لاول شوال ١٤٠٢ هـ

الحل العادي :
١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية فيها ٨ سنوات ك = ٨
٥ ـ محرم صفرربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان شوال
٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ١ = ١٦٧
٤٩٦٧٣٥

بقسمة هذا العدد على ٧ فيكون ٤٩٦٦٧٣٥ ÷ ٧ = ١
وحيث ان المتبقى ١ فيكون ١ شوال ١٤٠٢ هو الخميس
الحل المختصر :
١ ـ باقي قسمة ١٤٠١ / ٧ × ٤
١ × ٤ = ٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٢١ / ٤٦
٣ ـ ٤ × ٤ = ١٦
٤ ـ ال ٢١ سنة الباقية بها ٨ سنوات كبيسة = ٨
محرم صفرربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان شوال
ـ ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ + ٢ + ١ = ١٥
= ٤٣
٦ ـ نقسم ٧ / ٤٣ = ١ / ٦
واذا تبقى ١ فيكون اليوم هو الخميس
مثال (٣)
المطلوب معرفة اليوم الموافق ل ٨ محرم ١٣٦١
١ ـ ٢ × ٤ = ٨ = ١
٢ ـ ١٣٦٠ ÷ ٣٠ = ١٠ / ٤٥
٣ × ٤ = ١٢ = ٥
٣ ـال ١٠ سنوات الباقية فيها ٤ سنوات ك = ٤ = ٤
٤ ـ ٢٨ من محرم = ٢٨ = ٢٨ = ـ
٥٢ = ١٠
٥ ـ بقسمة اي من الناتجين على ٧ يكون الباقي هو ٣ وهو يوم السبت

ملحوظة هامة :
١ ـ لك الخيار عزيزي القارىء في ان تختصر او ان لا تختصر وما عملية

الاختصار هذه الا ضمان لعدم الوقوع في خطأ الجمع لاعداد كبيرة او بقسمتها على ٧ وستجد دوما ان النتيجة واحدة .

٢ ـ ان نسبة الخطأ في هذه العمليات لن تزيد عن ١..,ـ ٪ في جميع السنوات

٣ ـ انصح بعدم استخدام الالات الحاسبة عند قسمتك في اي عملية على ٧ لان الباقي فيها هو جزء من ١٠ وليس من ٧ لذا وجب النصح باستخدام العمليات الحسابية البحتة في القسمة .

العلاقة بين التاريخ الهجري والميلادي

ذكرنا في الجزء الخاص بالتقويم الهجري انه بدأ الحساب به على يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ الخامس عشر من شهر يوليو ٦٢٢ ميلادية ، وان عدد ايام السنة الهجرية ٣٥٤ يوما في السنة الهجرية البسيطة و ٣٥٥ يوما في السنة الهجرية الكبيسة .

وذكرنا ان السنة الكبيسة يمكن تحديدها بقسمة السنة على ٣٠ وباقي القسمة اذا قابل الارقام (٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩) فهي كبيسة وان لم يقابلها فهي بسيطة وذلك لكون كل ٣٠ سنة يتخللها ١١ سنة كبيسة ، وان عدد اشهر السنة ١٢ شهرا وانها على التوالي ٣٠ ، ٢٩ يوما عدا ذى الحجة فهو الذي يختلف فيه عدد الايام من حيث كبيسة او بسيطة .
وذكرنا في الجزء الخاص بالسنة الميلادية ان السنة ٣٦٥ يوما في السنة البسيطة و ٣٦٦ يوما في السنة الكبيسة ويمكن معرفة السنة الكبيسة بقسمتها على ٤ فان كان الناتج رقما صحيحا فالسنة كبيسة وان تبقى من خارج القسمة اي كسر فالسنة بسيطة (٣ سنوات متواصلة) وان عدد شهورها ١٢ شهرا ويتراوح عدد أيام شهورها من ٢٨ ـ ٣١ يوما وشهر فبراير الذي يختلف عدد أيامه تقريبا كل ٣ سنوات كما ذكرنا من حيث ان السنة كبيسة او بسيطة . ففي الكبيسة ٢٩ يوما والبيسطة ٢٨ يوما .
ومن خلال تلك المقدمة البسيطة يمكن معرفة عمليات التحويل ببساطة .

تحويل التاريخ الهجري الى ميلادي

مثال (١) نود معرفة التاريخ الميلادي الموافق ليوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية

الحل : لمعرفة التاريخ الميلادي يجب ان نعرف اولا عدد أيام التاريخ الهجري منذ بدايته وحتى العاشر من رمضان ١٣٩٣ ويحسب كالآتي :

١ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ × ٣٥٤ = ٤٩٢٧٦٨

٢ ـ السنة السابقة

١٣٩٢ ÷ ٣٠ = ٤٦ / ١٢

٣ ـ الصحيح

٤٦ × ١١ = ٥٠٦

٤ ـ نبحث في الـ ١٢ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة

فتجد انها (٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠) = ٤

٥ ـالايام الواقعة في عام ١٣٩٣ هي

محرم صفر ربيع١ ربيع٢ جماد١ جماد٢ رجب شعبان رمضان

٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ٣٠ + ٢٩ + ١٠ = ٢٤٦

ويجمع كل من ناتج ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، = ٤٩٣٥٢٤

ثم نقسم الناتج على عدد أيام السنة الميلادية (٣٦٥ ١/٤ يوما) ينتج

٤٩٣٥٢٤ ÷ ٣٦٥,٢٥٠ = يوم ٧١ سنة ١٣٥١

ونضيف على عدد الايام الناتجة ١٢ يوما (وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع عمليات التحويل ولا يسع المجال لشرح سببه) فينتج لنا :

يوم	سنة
٧١	١٣٥١
١٢	
٨٣	١٣٥١

وفي النهاية يمكن جمع السنة (١٣٥١ + ٦٢٢ (بداية التاريخ الهجري بالميلادية)

١٣٥١ + ٦٢٢ = ١٩٧٣

وعن الايام فيمكن العد اعتبارا من ١٥ يوليو ولمدة ٨٣ يوما فينتج لنا

باقي شهر يوليو اغسطس سبتمبر اكتوبر

١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٦

ومعنى ذلك ان العاشر من رمضان ١٣٩٣ يوافق السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣م .

مثال (٢) :
نود معرفة اليوم الميلادي الموافق لـ ١٢ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ
الحل :
لمعرفة ذلك اليوم يجب معرفة عدد الايام السابقة في التاريخ الهجري وهي :
١ ـ ١٤٠١ × ٣٥٤ = ٤٩٥٩٥٤
٢ ـ ١٤٠١ ÷ ٣٠ = ٤٦ / ٢١
٣ ـ ٤٦ × ١١ = ٥٠٦
٤ ـ نبحث في الـ ٢١ سنة الباقية عن عدد السنوات الكبيسة
(٢ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٢١) = ٨
٥ ـ محرم صفر ربيع الاول
٣٠ + ٢٩ + ١٢ = ٧١
وبجمع ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ = ٤٩٦٥٣٩
وبقسمة الناتج على ٤ /١ ٣٦٥ يوما ينتج
٤٩٦٥٣٩ ÷ ٣٦٥,٢٥ = ١٦٤ يوم ١٣٥٩ سنة

وباضافة ١٢ يوما وهذا العدد ثابت على الدوام في جميع العمليات التحويلية

يوم	سنة
١٦٤	١٣٥٩
١٢	
١٧٦	١٣٥٩

وبالعد من ١٥ يوليو ٦٢٢ ولمدة ١٧٦ / ١٣٥٩ ينتج لنا
اولا السنة ٦٢٢ + ١٣٥٩ = ١٩٨١
ثانيا اليوم :
باقي يوليو ٨١ اغسطس ٨١ سبتمبر ٨١ اكتوبر ٨١ نوفمبر ١٩٨١ ديسمبر ٨١ يناير ١٩٨٢
١٦ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٣٠ + ٣١ + ٧
ومعنى ذلك ان ١٢ ربيع الاول من عام ١٤٠٢ يوافق السابع من يناير ١٩٨٢م .
وهناك طريقة اخرى سريعة بالنسبة للسنة فقط وان كانت نسبة الخطأ فيها تصل الى ٢٥٪ وهي :
السنة الميلادية = السنة الهجرية × ٣٣ / ٣٢ + ٦٢٢
حيث ان كل ٣٣ سنة هجرية تعادل ٣٢ سنة ميلادية تقريبا ولان التاريخ الهجري بدأ في عام ٦٢٢م

مائدة القارئ

مصير الأصنام

جاء في سيرة ابن هشام أنه كانت « بقباء » امرأة لا زوج لها ، مسلمة ، وكان يأتيها إنسان من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج اليه ، فيعطيها شيئا معه ، فتأخذه ، قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو راوي الخبر : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : ياأمة الله ، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئا ، لاادري ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟
قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف اني امرأة لا احد لي ، فاذا امسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال : احتطبي بهذا .

بناء مسجد

كان اول ما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن استقر به المقام في « المدينة المنورة » هو بناء المسجد النبوي الشريف .. وكان البناءون من المهاجرين والأنصار ورسول الله معهم يعمل كواحد منهم .. وكان نشيدهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم يقول :
« لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة » .
وكان علي بن ابي طالب يقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

حائط الاسلام وبابه

خطب سعيد بن سويد بحمص ـ في الشام ـ فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس : إن للاسلام حائطا منيعا ، وبابا وثيقا : فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

لهذا لا يشرب الخمر

قيل للعباس بن مرداس : لو شربت النبيذ لازددت جرأة .

فقال : ما كنت لأصبح سيد قومي ، وأمسى سفيههم ، وأدخل في جوفي ما يحيل بيني وبين عقلي .

مجالسة العلماء

قال الشعبي : جالسوا العلماء ، فانكم ان احسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم ، وعذروكم ، وان اخطأتم لم يعنفوكم ، وان جهلتم علموكم ، وان شهدوا لكم نفعوكم .

دعوتان

قال حكيم : دعوتان ارجو احداهما ، واخاف الأخرى :

دعوة مظلوم اعنته ، ودعوة ضعيف ظلمته .

زماننا

قال الامام الشافعي ـ رضي الله عنه :

نعيب زماننا والعيب فينا ... ومالزماننا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان لنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضا عيانا

دعاء

قال اعرابي في دعائه :

اللهم لا تخيبني وانا ارجوك ... ولا تعذبني وانا ادعوك

اللهم فقد دعوتك كما امرتني ... فأجبني كما وعدتني

من وحي الهجرة النبوية

للاستاذ /محمود ابراهيم طيرة

قديم ، ولكن في القلوب جديد
ويوم ، ولكن قل في الدهر مثله
وذكرى الى كل القلوب حبيبة
وتلك ـ لعمرى ـ ليلة ، قد جرى بها
فيادورة الدنيا ـ قفى بتأدب
تجدد عزم المرء بالجد في العلا
وتوحى بان الحق ـ مهما أصابه
ومن يعتصم بالله يحظى بنصره
سقا الله ارضا سار فوق اديمها
وفي هجرة الهادي تجلت بطولة
فما أشجع المختار : لا يرهب القوى

ومجد لنا في العالمين تليد
وعيد على مر الزمان سعيد
وحب الورى للخالدات اكيد
من المعجزات الخارقات عديد
لها ، واحترام ، والانام يشيد !
وما العزم الا قدرة وجهود
من الباطل البطاش ـ سوف يسود
ولله في نصر النبي جنود
نبي الهدى ، والخطو منه سديد
له ، واسالوا التاريخ ، فهو شهيد
قوى الشر تغشى داره وحشود

ويقتحم الاخطار ـ لا ـ بل يدوسها ... كما داس اعواد الهشيم وليد !
ولكنه اذ غادر الدار شامخا ... عرى القوم طرا رهبة وجمود !
وطاشت سهام المعتدين ، لانها ... عناية ربِّ الكون عنه تذود
مقام رفيع لا ينال ، وكوكب ... سما في الاعالي ، ما اليه صعود !
الى الغار يمضي في امان ، تحفه ... ملائكة ، فالشر منه بعيد
فيا غار ثور ـ ان حظك وافر ... وحسبك فخرا في الوجود خلود !
شرفت بايواء النبي محمد ... وصاحبه حينا ، فانت سعيد
سمعت حديث المصطفى لصديقه ... يطمئنه ، والخوف منه شديد
هما اثنين كانا ، والمهيمن ثالث ... ورابعهم انت الوحيد تسود
هنيئا بما قد نلت في غسق الدجى ... فمجدك وافي ، والزمان يجود
وفي الغار آيات الاله كثيرة ... فسبحان ربي ، قادر ومريد
ولكنها الطلسم ، جمت رموزه ... وقد حار في حل الرموز رشيد !
طلاسم تنفي ان في الغار ساكنا ... فضاعت سدى للمقتفين جهود
عجيب هو الغار ، الذي بدد القوى ... ورد غزاة الشرك ، وهو قعيد
فان يك عند الناس غارا فانه ... لدى الله حصن للرسول عتيد !
وان عليا في الوفاء لدينه ... مثال علي في الحياة ، مفيد
ومن يرتضي الموت الزؤام نيابة ... عن المصطفى رمز الفدا ، ويزيد
وان له في العلم شانا وفي الحجى ... ودر علي في البيان نضيد !
ويا هجرة المختار ـ الف تحية ... فاني محب ، والاله شهيد
فقد كنت للاسلام اول نصره ... وللشرك ـ يعتو ـ دولة وجنود
لذا قدر الاسلام قدرك عنده ... فاولاك مجدا ، ما عليه مزيد
بك ابتدأ التاريخ ، يعلى مقامه ... بنسبته للمجد ، وهو اكيد
ومن ينتسب للمجد لا شك ماجد ... فتاريخنا في العالمين مجيد
سلام على الذكرى بهيج ، كانه ... من القلب في العام الجديد نشيد
ويا ربِّ ارجو للعباد هداية ... فان ضلال الاخسرين شديد !
وسلما لدنيانا ، يتوجه الرضا ... لعل به حلو الرخاء يعود

من المكتبة الاسلامية

الأفعى

تأليف الاستاذ عبدالله التل

هذا الكتاب الذي نعرض له لا نجد تعبيرا يصلح له الا ان نقول انه كتاب يجب على كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ان يقتنيه وان يقرأه ويتدارسه فهو كتاب يوضح بالدليل والبرهان مدى تغلغل الافعى اليهودية في كثير من شؤون الحياة بل ان اخطر ما فعلته الأفعى اليهودية هو القيام بكافة المذابح والانقلابات والمتغيرات التي طرأت على العالم العربي والاسلامي .

والكتاب يفضح كل مؤامرات اليهود ضد الاسلام .

ينقسم الكتاب الى فصول تسعة سنقوم - في ايجاز - بوضعها أمام القارىء المسلم ليعرف ماذا فعلت الأفعى وماذا ستفعل اذا لم نتقدم لها ليس لقطع رأسها فحسب ولكن لاستئصال ذيلها .

الفصل الأول : تجار الحروب :

يذكر المؤلف - رحمه الله - بالدليل والتوثيق العلمي ان جميع الثورات والانقلابات التي بدأت منذ عصر التسامح مع اليهود تكاد تكون كلها من صنع اليهود انفسهم لجأوا اليها تنفيذا لتعاليم التوراة المتداولةوالتلمود الارهابي هذه التعاليم التي تحض وفي صراحة ودون مواربة على القضاء على غير اليهود .

ولقد سعى اليهود الى السيطرة على

اليهودية

عرض وتلخيص الاستاذ/ معالي عبدالحميد حمودة

الشعوب عن طريق السيطرة عليهم ثقافيا وروحيا ثم استخدام المال في تحقيق هذه السيطرة ولعل أبرز من تولوا تنفيذ هذا « آل روتشيلد » ودورهم الخطير في الاتصال بالملوك والرؤساء والقيام بانشاء مصارف مالية في العديد من العواصم والمدن في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، ناهينا عن تطور الدور الذي لعبه آل روتشيلد وما نجم عنه افتعال الكيان الصهيوني بناء على وعد بلفور « ١٩١٧م » .

وكان اليهود وراء الثورة الفرنسية « ١٧٨٩م » ورفعوا شعار الماسونية المزيف : حرية مساواة اخاء وعندما قامت الثورة الفرنسية كان المحفل الماسوني الاكبر في باريس مركزا لتجمع قادة الثورة ، وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل الماسوني الرهيب .. والثابت تاريخيا ان اليهود هم الذين خططوا للثورة الفرنسية ، وهم الذين قاموا بها ، وكان من اسوأ نتائجها ان الفرنسيين قتلوا اخوانهم الفرنسيين ، وغنم اليهود في النهاية كل شيء .

ولقد اذاع اليهود ان الثورة الفرنسية كانت عملا تاريخيا خدم الانسانية واعطى وثيقة حقوق الانسان ؟؟ وهذه كلها مزاعم لا تستند الى واقع تاريخي ، فقد تحولت فرنسا بعد ثورتها الكبرى الى مزرعة يهودية وتحولت الى بؤرة فساد ، توزع

الرذيلة والدعارة والدنس والفجور على العالم بأسره .

ويبين الكتاب وقوف اليهود وراء حروب نابليون فعندما انتهت السلطة العليا في فرنسا اليه ، اتصل به اليهود وسيطروا عليه ومن ثم كانت اعمال نابليون في كافة حروبه من الحذاء الى الرأس . بيد ان نابليون انتبه الى الدور الذي لعبه اليهود في توريط فرنسا في الديون المالية الرهيبة ومن ثم اورد المؤلف عبارة خطيرة قالها نابليون بعد هزيمته .

« لقد عزمت على تحسين احوال اليهود غير اني لا اريد زيادة منهم في مملكتي . لقد عملت بالفعل على كل ما يثبت ازدرائي لاحقر شعب على وجه الأرض » وكان هذا بعد ان لقى نابليون هزيمته القاصمة في معركة ووترلو .

وعن حوادث القرن التاسع عشر الميلادي فان اصابع اليهود كانت وراء اغتيال الملوك والرؤساء في النمسا وايطاليا وروسيا والبرتغال وكذا اسهم اليهود في حرب السبعة اسابيع « ١٨٦٤م » التي وقعت بين بروسيا والنمسا .. وحرب السبعين « ١٨٧٠م » التي وقعت بين فرنسا وبروسيا وحرب البوير « ١٨٩٩ - ١٩٠٢م » التي دارت بين الانجليز وشعب البوير .

كما اورد المؤلف رحمه الله بيانات علمية دقيقة عن ان اليهود كانوا السبب الأول والأخير في الحربين العالميتين ، والتي تجاوزت خسائرها البشرية ٦٦,٢٧٩,٩٢٢ مليونا من البشر .

وينهي الفصل الأول حديثه عن اثر اليهود في الثورة الشيوعية ، هذا الاثر الذي بدأ بالتغلغل اليهودي للافعى في روسيا عن طريق المساعدات المادية الكبيرة وملايين الدولارات تتدفق على الثوار بواسطة قائدهم اليهودي « ترتوتسكي » .

الفصل الثاني : استغلال عصر التسامح لتخريب المسيحية :

يوضح لنا الكتاب ان اليهود تسللوا الى المسيحية منذ مئات السنين فخربوا معتقداتها واضاعوا اصولها السماوية الصحيحة وكان هذا التسلل في البدء بمعرفة بولس « شاؤل » الرسول وانطلق اليهود لتخريب المسيحية فاعتنقوا المسيحية . ولقد نجح اليهود في هذا العمل ايما نجاح ساعدهم في ذلك عصر التسامح من جهة ومن جهة اخرى رغبة بعض الدول المسيحية في معاداة الاسلام . وقد حارب اليهود كنيسة روما ، وتمت هذه المحاربة عن طريق تسلل ما يسمى بالمصلحين « وهم يهود » لاستحداث حركات مذهبية اخرجت المسيحية عما تبقى لها من اصولها الصحيحة واخر هؤلاء المصلحين كان « مارتن لوثر » الذي احيا الهالة الخرافية التي اضفتها التوراة المتداولة على بني اسرائيل بعد ان كانت المسيحية قد حطمت هذه الهالة وقضت تماما على خرافة الشعب

المختار .

الفصل الثالث : هدم الخلافة الاسلامية :

يعد هذا الفصل اهم فصول كتاب الافعى اليهودية واخطرها ، هذا الفصل الذي يبين كيف نجح اليهود والماسونية في اسقاط الخلافة الاسلامية . فيوضح لنا المؤلف كيف تسلل اليهود الى الخلافة العثمانية ؟ وتقربوا من السلاطين العثمانيين ، وبدأ هذا التسلل باغتيال السلطان محمد الفاتح عن طريق طبيبه اليهودي « يعقوب » ، وكذا تم اغتيال اولاد السلطان سليمان القانوني واحفاده الصغار ، وكان وراء هذا خليلة سليم الثاني « نوربانو » اليهودية ثم استمر تغلغل اليهود في دوائر الحكم العثماني اربعمائة عام ، حتى انتهى بزوال الخلافة العثمانية وهدم ذلك المعقل الاسلامي على يد العميل الماسوني مصطفى كمال الملقب بأتاتورك .

ويبين هذا الفصل الخطوات المرحلية التي لجأت اليها الافعى اليهودية لاسقاط الخلافة ، وبدأت بيهود الدونمة « المرتدون » الذين تظاهروا بالاسلام ، وكذا الجمعيات السرية ـ وعلى قمتها الماسونية ـ التي جندت كافة قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة ، ثم تكوين جمعية « الاتحاد والترقي » .

اكتملت الخطوات المرحلية بالدعوة المغرضة الى القومية العربية ، وساهم في هذه الدعوة الزائفة بعض مفكري النصارى الذين حملوا الحقد والبغضاء ضد الاسلام ، ويفرد الكتاب مقالا ضافيا للحديث عن رأس الافعى اليهودية : مصطفى كمال الذي جندته اليهودية ، واعتنق الماسونية ، واضطهد علماء الاسلام ، واغلق المدارس ، وهدم المساجد ، وحرم الأذان ، ومنع الصلاة في جامع ايا صوفيا ، والغى استعمال التقويم الهجري ، وألغى قوانين الميزات والزواج والاحوال الشخصية ، وشجع المرأة التركية والشباب المسلم على الدعارة والفجور .

الفصل الرابع : الافعى اليهودية في بلاد المسلمين تحت الحكم الشيوعي :

لم يكن عبثا تغلغل اليهود في الثورة البلشفية ، فقد كان لهذا التغلغل اسباب لها ما وراءها ، وتجسد هذا في التنكيل بالمسلمين تحت الحكم الشيوعي ، وبدأت مذابح الشيوعية تحركها الافعى اليهودية للتنكيل بالمسلمين ، فذبح المسلمون في تركستان الغربية .. والشرقية ، وبدأت هذه المذابح بخداع من ستالين .. ولينين للمسلمين وبعدها بدأت سلسلة حمراء دموية من الشيوعية لكافة البلدان الاسلامية ، التي غزتها الشيوعية ثم امتدت المذابح الى القوقاز .. والقرم وغيرها

من المدن ثم الى يوغسلافيا ، فلقى المسلمون هناك المذابح والتنكيل والتصفية الجسدية .

الفصل الخامس : الافعى في اندونيسيا وباكستان :

لعله لا توجد دولة من دول العالم الاسلامي تتعرض لموجات متتالية من التبشير والتنصير مثل اندونيسيا بالاضافة الى الهجوم الشيوعي الذي لا يتوقف ولا يهدأ ، ويفرد الكتاب صفحات للدور الخطير الذي لعبه « احمد سوكارنو » خدمة لليهودية والشيوعية والصليبية .

اما باكستان فيبين المؤلف رحمه الله بالوثائق والادلة كيف لعبت الافعى اليهودية دورا كبيرا في تقسيم باكستان وشن الهند للحرب ضد باكستان المسلمة ناهينا عن الصلات الوثيقة بين الهنادكة واليهود ، هذه الصلات الوثيقة التي تمثلت في التعاون العسكري بين النظامين .

الفصلين السادس والسابع من الكتاب :

يتكلم **الفصل السادس** عن لواء الاسكندرونة .. وقبرص .. والعراق وايران ويوضح ما قام به العميل الماسوني مصطفى كمال من اغتصاب لواء الاسكندرونة وعن قبرص والدور الذي قامت به الافعى اليهودية وبريطانيا ناهينا عن دور اليونان في محاولة ضم قبرص التركية المسلمة اليها .

وعن العراق وما قامت به الافعى اليهودية في ايام الشيوعية .. وعن ايران كيف ثبت تدخل اليهود في نظام حكمها - السابق - وتجارتها والسيطرة على اقتصادها بالاضافة الى تغلغل اليهود في نظام المخابرات الايراني « السافاك » وما قام به اليهود من انشاء دور للدعارة والفجور والفساد ايام شاه ايران .

اما **الفصل السابع** فهو يتحدث عن مأساة اريتريا المسلمة ومحنة الاسلام في الحبشة - ابان حكم هيلا سلاسي - وتعاونه مع اليهود تعاونا تاما من اجل القضاء على الاسلام كما نتعرف على الدور الذي قام به هيلا سلاسي عندما سلم ارتيريا الى اليهود عن طريق ضمها الى الحبشة متجاهلا في ذلك قرار الامم المتحدة وقتها .

الفصل الثامن : نيجيريا والسنغال وتشاد وزنجبار :

تواصل الافعى اليهودية لدغاتها السامة في قارة افريقيا المسلمة حيث الدول ذات الثقل الاسلامي ففي نيجيريا تسللت الطوائف اليهودية وافتعلت المنازعات الطائفية في هذا البلد الاسلامي العريق واستعانت اليهودية بالاستعمار البريطاني ومراكز التبشير وتسلل اليهود الى نيجيريا لتهويدها واعترض زعماؤها فكان ان تم تدبير اغتيال الزعيم المسلم

« احمدو بيللو » و (ابو بكر تافاوا باليوا) في ١٩٦٦/١/١٥ وقام بالاغتيال مجموعة من الضباط النصارى بتخطيط من اليهود وبريطانيا لازاحة الزعماء المسلمين .

اما تشاد والسنغال ـ وشعباهما من المسلمين ـ فقد قام الاستعمار الفرنسي بالتواطؤ مع اليهود بافتعال الخطط المألوفة لاحداث الفتن المعتادة وتدفقت البعثات اليهودية الى البلدين ونجحت هذه الطوائف في خلق الفتن واشتعلت المناطق كلها .

اما زنجبار فقد تكاتف على اضاعتها القوى العدائية المعتادة ، فاتفق الاستعمار الصليبي والاستعمار اليهودي بتصفية زنجبار ، ورصدت اسرائيل الاموال اللازمة وتم تدبير المذبحة المشهورة ضد المسلمين « ١٩٦٤/١/١٢م » وكانت الأوامر تقضي بقتل كل عربي مسلم وذبح الاطفال وهتك اعراض المسلمات وتم تشجيع الاباحية والرذيلة ، وقام الخادم « عبيد كرمومي » ـ الذي وضعه جوليوس نيريري حاكما لزنجبار ـ بتنفيذ خطة سادته ، وتم ضم زنجبار الى تنجانيقا في ٢٦ نيسان ١٩٦٤م وليصبح القس الكاثوليكي جوليوس نيريري رئيسا للدولتين المتحدتين تنجانيقا وزنجبار تحت ما يسمى بـ « تنزانيا » .

الفصل التاسع والأخير :

اما **الفصل الاخير** فهو يتعلق بالصدى الذي احدثه كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، وهو يتمثل في بعض المناقشات التي دارت بين النصارى وبين مؤلف الكتاب بالاضافة الى بعض الاراء الاسلامية التي خضعت في تقييمها للكتاب الى التهوين من اليهود والى التهويل لهم ، وقد تصدى المؤلف رحمه الله لهذا كله ووضع الامور في مكانها الصحيح .

واختتم المؤلف كتابه بعدة ملاحق هامة هي :

١ ـ ملحق رقم ١ الخاص بسلاطين آل عثمان وتواريخهم .

٢ ـ ملحق رقم ٢ الخاص بامبراطورية الاسلام « الاقطار الاسلامية المستقلة والاقليات المسلمة » .

٣ ـ ملحق رقم ٣ ويحمل نص المذكرة التي رفعها رئيس جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية الى الامم المتحدة .

وبعد ..

فليس لنا من تعليق نختتم به عرضنا لكتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام الا ان نطالب من فوق منبر **مجلة الوعي الاسلامي** بأن يقرأ كل مسلم ومسلمة هذا الكتاب ، ولعل الله عز وجل يلهم بعض اولياء امر العالم الاسلامي الذين منحهم الله ثروة من عنده ان يقوموا باعادة طبع هذا الكتاب وتوزيعه ـ ولو مجانا ـ على الشباب المسلم كي نعرف عدونا .

فلن نستطيع قط ان نتغلب على عدونا الا اذا عرفناه .. ولن نعرف عدونا الا اذا عرفنا اعماله وما فعله .. وما يفعله .. وما يخطط لعمله .

تلمسان

من الاحداث الثقافية الهامة انعقاد الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي بمدينة تلمسان بالجزائر منذ السادس من شوال ١٤٠٢ هجرية حتى اليوم الثاني عشر منه (٢٧ يولية ـ ٢ اغسطس ١٩٨٢م) ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله المحاضرات والمناقشات تقويم حصيلة الدراسات الاسلامية التي اجريت حول السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع في الاسلام ، والرد على افتراءات المستشرقين المغرضين ، ووضع منهج علمي تقوم عليه البحوث الفقهية . وقد شارك في هذا المؤتمر نحو الف من العلماء المتخصصين العرب والمسلمين والباحثين والطلاب . وقد بلغ عدد الاساتذة الجزائريين مائتين ، وخمسين عملوا جنبا الى جنب مع المفكرين القادمين من مختلف بلاد العالم .

وتناول الملتقى دراسة السنة من حيث تبليغها ، وتدوينها ، والبحث التحليلي لكتب الحديث ، وكان المحور الرابع للدراسة فهم السنة والعمل بها ، وذلك في اطار ما تهدف اليه هذه الندوة التي تقام بالجزائر سنويا من التعريف بالفكر الاسلامي والتصدي للغزو الثقافي الاستعماري .

ويذكر احتضان مدينة تلمسان لهذا الملتقى وكذلك الملتقى الذي عقد بها في سنة

مدينة الفكر الاسلامي

للدكتور

حسن فتح الباب

١٣٩٥ هجرية (١٩٧٥م) بماضيها التليد في العصور الوسطى ، اذ كانت مركزا للفكر العربي الاسلامي ومنارا ثقافيا يقصده طلاب المعرفة طوال ثلاثة قرون تقريبا . وكانت تنافس بما بلغته من مكانة مرموقة مدن المغرب العربي ولا سيما فاس والقيروان ، بل مدن المشرق العربي ايضا ، وقد هيأ لتلك المدينة العريقة ذلك المركز العلمي والحضاري عدة عوامل اهمها ما تتمتع به من موقع جغرافي استراتيجي ممتاز جعل منها مركزا تجاريا وثقافيا كبيرا يربط بين الشمال الافريقي والاندلس ، وملتقى طريقين من اهم طرق المغرب العربي ، احداهما تصل الشرق بالغرب ، والاخرى تربط بين الشمال والجنوب ، وكانت تعتبر خلال مدة طويلة سبيل الذهب . وبالاضافة الى هذه الميزات الجغرافية ، فان وفرة اراضيها الخصبة ومياهها العذبة جذبت اليها كثيرا من الاقوام إلتماسا لطيب المقام والحياة الرغدة ، وان كانت هذه العوامل قد جعلتها مسرحا للصراع في

العصرين الوسيط والحديث بين القوى السياسية المتنازعة ومطمعا للدول الاوروبية ، فكانت محاصرة او مهددة بالحصار في كثير من الاحيان . وهدمت واعيد بناؤها في كل مرة على يد القوة الغالبة لتتخذ منها ركيزة ومستقرا او نقطة وثوب للتوسع . وهكذا تعددت الممالك والدول التي عرفتها تلمسان ، اذ تعاقب عليها الرومان والادارسة والمرابطون والموحدون والزيانيون والمرينيون ثم الزيانيون مرة اخرى ، وقد اعقبهم الولاة الاتراك الذين استمر حكمهم ثلاثة قرون اعقبها عصر الاستعمار الفرنسي البغيض منذ نهاية الثلث الاول من القرن الماضي حتى اندثر على يد المجاهدين الجزائريين الاحرار واستقلت الجزائر سنة ١٩٦٢م .

ومازالت في تلمسان بعض اثار الحضارة الاسلامية التي ازدهرت بها في عهود الممالك المتوالية ، وفي مقدمة هذه المنشآت ذات القيمة التاريخية الاسلامية مساجدها ومدارسها ، واقدمها الجامع الكبير الذي بناه المرابطون في القرن الثاني عشر الميلادي ، وهو يشبه الى حد كبير مسجد قرطبة في فنه المعماري ولا سيما ساحة الصلاة والمحراب والقبتان . ومن اشهر مساجد تلمسان مسجد بلحسن وهو تحريف اسم ابن الحسن اخي العالم المشهور أبى اسحق ، وقد بناه عثمان ابن يغموراسن سلطان الزيانيين ، ومسجد سيدي أبى مدين نسبة الى الفقيه شعيب أبى مدين الاندلسي الاصل اذ ولد في اشبيلية سنة ١١٢٦م ، ودرس في فاس بالمغرب في عهد الموحدين ، كما درس في مدينة بجاية بالجزائر ، وكان زاهدا متصوفا . وكذلك مسجد سيدي الحلوي الذي بني في عهد المرينيين ، والحلوى هو الشيخ ابو عبد الله الشودسي الذي نشأ ايضا في اشبيليه ، وكان قاضيا متصوفا ، طاف في بلاد المغرب حتى استقر في تلمسان في اوائل القرن الثالث عشر . وثمة مساجد اخرى شيدت في تلمسان خلال العصور المختلفة ، ولم يزل بعضها قائما حتى الان مثل جامع اولاد الامام الذي يرجع الى عهد المرينيين . ولكثرة هذه المساجد تعد تلمسان بحق مدينة المآذن ولولا ان الاستعمار الفرنسي اهمل شأنها ، ولم يعن الاتراك ايضا بترميمها ، لاحتفظت المدينة بكثير منها .

وتضم مسجد ابي مدين وضريحه ومسجد الحلوي « قرية العباد » التي تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان على منحدر هضبة عالية : وهي تزخر بالاثار التاريخية التي خلفها السلطان المريني ابو الحسن لتخليد العلماء والزهاد في عصره وليدخل بصنيعه هذا في قلوب الاهلين لما عرفوا به من تقدير عميق لاهل العلم والصلاح ، ومن ارتفاع مكانة العلماء عندهم على مكانة الامراء . وتحوي هذه القرية اثار قصر ومدرسة الى جانب المسجدين والضريح . وقد ووري في مقبرتها كثير من رجال الفقه والتصوف ، فهي اشبه بمقبرة العالية مثوى الشهداء في الجزائر العاصمة . بيد ان بعض اهل المدينة ممن لم ينالوا قسطا من التعليم يبلغون في تقديرهم لاولئك الرجال مرتبة تكاد تقرب من التقديس اذ يعدونهم من اولياء الله ويعتبرون كل ما يصيبهم من نعم من فيض بركاتهم ، ويعتمدون عليهم

بعد الله في حماية مدنهم ومنشآتهم . ومن ثم تختلط الحقائق بالاساطير فيما يتعلق بسير هؤلاء الزاهدين نظرا لما تنسبه اليهم العامة من افعال كالخوارق . ولا شك ان انتشار مذاهب المتصوفة في عهد المرابطين والموحدين وسوء فهم العامة للاصول الشرعية قد ساعدا على ذلك . كما ان بعض اصحاب الطرق قد لعبوا دورا كبيرا في هذا الشأن دعمه المستعمرون ومبشروهم بعد الغزو الفرنسي ، كما استغله بعض مؤرخيهم المتعصبين في تشويه الاسلام والمسلمين .

ومع ذلك ، فانه من الثابت تاريخيا انه نشأت ـ الى جانب حركة التصوف ذات الاتجاهات المعتدلة والمغالية ـ نهضة ثقافية عربية اسلامية كبرى عمت تلمسان وسائر بلاد المغرب العربي ، تدل على ذلك المؤسسات الحضارية التي اشاد بها الخبراء والعلماء الاوربيون غير الحاقدين ، والتي تقع المدارس موقع الصدارة منها . وقد كانت هذه المدارس ـ التي اكثر الحكام المسلمون من بنائها ـ مقصدا لرواد العلم والمعرفة من اهل الاندلس والمغرب ، وبفضلها غدت تلمسان احدى العواصم الثقافية الكبرى . فكان المسجد بمحرابه تجاوره المدرسة بمكتبتها . ولا يخفى الدور الاجتماعي الكبير الذي يقوم به المسجد الى جانب دوره الديني بل ان الجوامع الكبرى كانت اشبه بالجامعات العلمية كما هو الشأن بالنسبة للجامع الازهر بالقاهرة وجامعي الزيتونة في تونس والقرويين بالمغرب . ومن ثم يحق القول ان مدارس تلمسان كانت محل عبادة ومنجم علماء وفلاسفة ومثقفين في نفس الوقت . بل ان الزوايا قامت الى جانب المدارس والمساجد بدور في نشر اللغة العربية والاسلام ، اذ لم تتعرض لها السلطات الفرنسية بل تركتها لابناء الشعب ، ظنا بان اقبالهم عليها من شأنه ان يلهيهم عن الاستعمار ويصرفهم عن السياسة والنضال الوطني ، فافاد من ذلك طلاب العلم في الحفاظ على لغتهم وشخصيتهم .

ويؤكد الباحثون الاجانب انفسهم أن تلمسان كانت تعد في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر للميلاد مدينة العلماء ، ومجمع المدارس ومزار الحكماء من مختلف ارجاء العالم العربي والاسلامي . وكان لحكامها مآثر غير منكورة في هذا الميدان ولا سيما في عهد بني زيان ازهى عصور تلمسان ، اذ كانوا يبنون الى جانب قصورهم مساجد تضاهيها في عظمة البنيان في اغلب الاحيان . كما اولوا دور التعليم والقائمين عليها رعايتهم ، تقديرا لرسالة العلم ، واستجابة لما عرف عن التلمسانيين من اجلال للمعرفة . وقد اوقفوا على هذه المدارس اراضي وحدائق ومطاحن وحمامات للانفاق من ريعها على المعلمين والطلاب وصيانة المباني . ولم يحل الاصل البربري لهؤلاء الحكام المسلمين دون تشجيعهم التدريس باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والحضارة الاسلامية ، واحتفالهم بالمولد النبوي في قاعة القصر الزياني بين ابناء الشعب المتجمعين في حلقات ادبية يتبارى فيها الشعراء ويحضرها السلطان . ويبرز بين هؤلاء الحكام بصفة خاصة السلطان يغموراسن الكبير ، اذ كان شغوفا بالثقافة العربية ، مطلعا عليها ، حريصا على حضور حلقات الدراسة في الجامع الكبير رغم انه لم يكن يتحدث الا باللهجة

البربرية ، واليه يرجع الفضل في اجتذاب علماء العرب المشهورين الى عاصمته تلمسان .

ومن اهم المدارس القديمة في تلمسان « مدرسة العباد » التي نوهنا بها انفا والتي كان ينقطع بها للدراسة الباحثون عن المعرفة ويلقي بها العلماء محاضراتهم . ولم يقتصر بعض هؤلاء العلماء على دراسة العلوم الدينية ، بل جمعوا بينها وبين العلوم الاخرى ، اذ لم يكن ثمة تخصص علمي في ذلك الزمان ، بل كان العلماء موسوعات جامعة حية ، تقاس مراتبهم بمعيار الشمول وسعة المعرفة مع الدقة وحدة الذهن والقدرة التعبيرية . وكان اكثرهم يجمعون بين العلم والعمل الصالح والزهد الذي يبلغ درجة التنسك ، ولا سيما ان النساك كانوا منتشرين انذاك في ربوع المغرب الكبير ، وقال عنهم مستشرق في دراسة علمية موضوعية « انهم يحسنون التوفيق بين العلم والتخيل وبين التقشف والعبادة » . ومنهم من كان فارسا مجاهدا في الحروب . ولعل ذلك من الاسباب الظاهرة التي ذكرناها من قبل ، وهي نظرة البسطاء من الناس الى هؤلاء العلماء الورعين البسلاء بصفتهم اولياء الله ، واحبابه ، وحماة مدينتهم الذين يصدون عنها غائلة المغيرين ، وتناقل الناس عديدا من الروايات التي تجمع بين الواقع والخيال في مآثر هؤلاء الرجال الابطال . ويكفي ان يذكر منهم « سيدي محمد بن علي » الذي قاد ثورة التلمسانيين ضد الاتراك في القرن السابع عشر .

وقد ذكر المؤرخان ابن مريم والتنسي (القرن الرابع عشر الميلادي) في مؤلفاتهما قائمة تضم اكثر من ثلاثمائة عالم عاشوا في تلمسان ، وامسكوا بزمام حياتها الثقافية في العصور الوسطى ، ومن بينهم الحافظ بن مرزوق ، وابو عبد الله الشريف ، وابراهيم المغمودي ، وسعيد العقباني ، وابن ذكرى ، والابلي ، ومحمد ابن عبد الكريم المغيلي ، وابن يحيى الونشريسي . وجلهم تعمقوا في دراستهم الفقهية ، وتوسعوا في العلوم الاخرى ، وصنفوا مؤلفات مازال بعضها يحمل افكارا لم يتجاوزها عصرنا . ومنهم من شغل مناصب هامة في العواصم العربية القديمة كفاس وغرناطة وتونس والقاهرة ، مثل مناصب الفتوى والقضاء والتدريس .

ويحظى الحافظ بن مرزوق بمكانة خاصة بين هؤلاء العلماء ، وقد عاش بين سنتي ١٣٦٤ ، ١٤٣٨م ، وعرف على نطاق واسع في تلمسان ، اذ شرح مؤلفات العالم الفيلسوف اليوناني سقراط ، والف كتابا في الفتوة ، وتخصص في تفسير القرآن ، ونظم قصيدة بعنوان « البردة » . وتدل هذه المؤلفات جميعا على سعة ثقافته .

ومن ابرز الشخصيات التاريخية التي عرفتها تلمسان المفكر العربي الاسلامي الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذي يعد من العبقريات النادرة في العصور الوسطى (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) ، اذ وضع لاول مرة اصول فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وله افكار تدخل في صميم الفكر الاقتصادي وان لم تشكل نظرية اقتصادية بالمعنى

الحديث . وقد تنقل في بلاد المغرب والاندلس ، ثم اقام بتلمسان حيث شرع في تأليف مصنفه التاريخي الكبير : « العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر » . وقد اتمه وكتب مقدمته الشهيرة ـ على ارجح الاقوال ـ في قلعة ابن سلامة بقرية تاقزوت التابعة لولاية تيهارت بالجزائر ، وذلك بعد ان غادر تلمسان وقبل ان يتوجه الى القاهرة . وهو يذكر انه خلال اقامته في تلمسان قصد الى مدرسة العباد في ضواحيها ، ملتمسا فيها الاعتكاف قليلا والتقاط الانفاس من عناء رحلاته الطويلة وعبء المناصب الادارية التي تولاها ، ومواصلة التحصيل ، وقال في ذلك ما معناه : « لقد توجهت الى مدرسة الشيخ ابي مدين فرارا من الشئون المدنية وطلبا للدرس بقدر ما يسمح لي بذلك » .

ويلي ابن خلدون في الاهمية العلمية لمؤلفاته الجغرافي المؤرخ ابو العباس احمد ابن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفي سنة ١٤٠١هـ (١٦٣١م) . وكان اديبا مشاركا في علوم الكلام والحديث والتفسير . وقد ولد في تلمسان وتوفي بمصر حيث كان قاضيا . واشهر مؤلفاته كتابه في تاريخ ممالك الاندلس والمغرب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ، ومازال يدرس حتى الان في الجامعات العربية . وله كتاب بعنوان « تعاليق حول مبادىء الحق » . ومن علماء تلمسان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (١٤٢٨ ـ ١٤٩٠م) الذي قال عنه احد المستشرقين انه قدم للعلم ما قدم ابن خلدون للتاريخ وعلم الاجتماع . وقد اسس تيارا فلسفيا انطلاقا من مبدأ وحدانية الله . ومن مؤلفاته كتاب العقيدة في عدة اجزاء (العقيدة الكبرى ، الوسطى ، الصغرى ، واخيرا المقدمة) . كما الف في علوم الطب والرياضيات والفلك وقد خلف اكثر من اربعين مصنفا في هذه العلوم وفي المنطق والنحو ، الى جانب العلوم الدينية والتصوف . وهو يعد فخر الفكر الاسلامي في اواخر القرن الخامس عشر . وقد توفي في بلدته تلمسان وله ضريح يزار في قرية العباد . ومن تلامذته عبد الكريم المغيلي الذي توفي في مدينة كانوا (نيجيريا) حيث اسس اول جامعة اسلامية في هذه المدينة .

ويقترن اسم الشيخ السنوسي باسم الشيخ ابي عبد الله الشوديسي المشهور بسيدي الحلوي ، اذ كان كلاهما من شيوخ المدرسة التلمسانية العريقة ، رغم ما يفرق بينهما من فاصل زمني . وقد ولد الشيخ ابو عبد الله ، واقام في اشبيلية بالاندلس حيث اشتغل بالقضاء بفضل تمكنه من علم التشريع ، واعتنق المذهب الصوفي . ورحل الى المغرب ثم الى تلمسان في القرن الثالث عشر ، ودفن في مقبرة العباد حيث اقيم له ضريح ومسجد باسمه . وقد عرف عنه انه من تلاميذ ابني الامام محمد التنسي والشيخ الابلي ، ذلك العالم الذي كان له دور راجح في تكوين ابن خلدون . ويروي المؤرخون عن الشيخ ابي عبد الله انه درس مبادىء المنطق اليوناني والحساب والهندسة والطب والفلاحة والموسيقى . وكان طلب العلم شغله الشاغل .

ومن علماء تلمسان الذين جمعوا بين العلوم الدينية والعلوم الاخرى احمد ابو

يحيى الحباق ، اذ تخصص هذا الفقيه في علم الاسطرلاب (الفلك) ، وترك مؤلفات قيمة مازالت تدرس في الجامعات الاوروبية منها « رسالة السفر » وتعليقه على كتاب الفقيه وعالم الرياضيات المراكشي ابي العباس احمد بن البناء (١٢٥٨ ـ ١٣٣٩م) « تلخيص اعمال الحساب » .

لقد ترسم هؤلاء العلماء خطى الرعيل الاول من علماء تلمسان القدامى ابتداء من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حينما كانت تحمل هذه المدينة القديمة اسم « أغادير » في عهد الأدارسة الذين بنوا فيها اول مسجد كبير بعد الفتح الاسلامي الذي قاده عقبة بن نافع قادما من مدينة القيروان التي اسسها في تونس ، وجعلوا منها مركزا لنشر مبادىء الاسلام عبر المدن والقرى في المغرب الاوسط (الجزائر حاليا) ، ثم اعقبهم المرابطون في اواخر القرن العاشر الميلادي . وقد شهدت تلمسان في عهدهم ـ ولا سيما في ظل حكم يوسف بن تشفين مؤسس دولتهم ـ ازدهارا بعد معاناة وحصار . وكان اول اعماله بناء عاصمته « تاقرارت » في موقع تلمسان الحالي ، واقامة الجامع الكبير ، واجتذبت تلك النهضة التي عظمت في عهد بني عبد الواد (الزيانيين) واستمرت من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، اقطاب الفقه والفكر من شتى البلدان . فوفد الى تلمسان الشيخ عمران ابو موسى المشدالي (٦٧٠ ـ٧٠٥هـ) ، وكان يدير بها المدرسة التاشفينية ، وهو شيخ مشايخ ابن خلدون ، وكذلك الشيخ اسحق بن ابراهيم التنسي الذي توطن فيها في عهد يغموراسن مؤسس الدولة الزيانية ، وكان يلقي دروسه بمسجدها .

وبفضل هذا الاضطراد في المجال العلمي والتعليمي بالمساجد والمدارس ابتداء من محو الامية والوعظ والارشاد وبث تعاليم الفقه والتصوف حتى التثقيف بالمعنى العام ، وتواتر العلماء طبقة بعد طبقة في سلسلة لم تنقطع حلقاتها عدة قرون ، ارسيت تقاليد في المجال الثقافي والفكري لم تقو على محوها كوارث الحروب التي لحقت بالبلاد . فكان التلمسانيون ينبعثون بالعلم والعرفان من بعد موتهم في الدمار ، وكانما مدينتهم طائر الفينيق الذي ينتفض بين ركام الرماد المحترق ، منطلقا الى الحياة ، محلقا في اجواء الفضاء . ونرى مصداق هذا الواقع الثقافي في شهادة شاهد من الفرنسيين لا يخلو من التعصب للعهد الاستعماري والتجني على العصر التركي ، وهو المستشرق « الفريد بال » ، اذ قال في عام ١٩٢٠ : « لازالت تلمسان مركز الثقافة . ويمتاز المسلمون في هذه المدينة . بحياتهم الثقافية لا عن سكان الارياف فحسب ، بل عن مسلمي المدن الاخرى ايضا » . وبعد ان نسب هذا المستشرق الى الاتراك وحدهم مسؤولية ما ران في عصرهم على بعض المناطق من خمول ثقافي ، متجاهلا الجاني الحقيقي وهو الاستعمار الفرنسي ، واستطرد قائلا : « واليوم ايضا ، رغم الضعف الثقافي الناتج عن ثلاثة قرون ، فانه يمكن العثور على عدد كبير من المثقفين المسلمين وبعض العلماء في تلمسان . وانك لتجد في

احيان كثيرة بقالا ، او بائع تبغ ، او حلاقا ، منهمكا في مطالعة نص تاريخي او ادبي ، او ديني ؛ او جزء من الف ليلة وليلة او مجموعة اغان ، ريثما يأتيه الزبائن » .

وقد كان من نتائج هذا المناخ الثقافي الذي ساد البيئة التلمسانية ، انه رغم المحو الاستعماري المنظم لمقومات الشخصية التاريخية لسكان المدينة ، فقد بقي اتصالها وثيقا بماضيها العربي الاسلامي ، واستطاعت تكوين تراث غني مكنها رغم تلك العقبات والالتواءات من مواصلة حياة ثقافية زاخرة قيمة ، خلعت طابعها التهذيبي على الكثرة الغالبة من اهلها في اوقات فراغهم ، وفي معاملاتهم ، بعد ان كان ذلك وقفا على طبقة الاثرياء . وقد كان هذا التراث الثقافي هو القاعدة التي شادت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصرح التمهيدي للنهضة العربية الاسلامية في الثلاثينات من القرن العشرين ، فشيدت في تلمسان مدرسة باسم « دار الحديث » افتتحها الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية ، وادارها من بعده نائبه الشيخ البشير الابراهيمي ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية ، الى جانب الكتاتيب ، وقد تخرج في هذه المدرسة وتلك الكتاتيب كثير من ابناء جيل الثورة الجزائرية التي اندلعت في الخمسينات .

كما انشئت في تلمسان بجهود فردية جمعيات دينية ثقافية ، اهمها جمعية اصدقاء الكتاب سنة ١٩٢٦ ، وكانت مكتبتها مركزا للتنوير وتبادل المصنفات ، وملتقى لطلاب المعرفة ، بل كانت هذه الجمعية ايضا مدرسة للتربية الوطنية ، وبث روح الصمود في مواجهة العدو ، فكان التلمسانيون يقصدونها بحثا عن الوسيلة التي تمكنهم من الاحتفاظ بشخصيتهم العربية الاسلامية ، من خلال الهامش الضئيل الذي تركه الاستعمار ، وهو تعليم مبادىء الدين واللغة العربية ، وذلك قبل ان يستبدل بهذه السياسة نهج القهر والتنكيل . ولقد منحت جمعية اصدقاء الكتاب النور لجمعية أخرى انشئت باسم « اصدقاء الطالب » ، وكانت مهمتها تقديم المساعدة المادية للشبان الجزائريين الذين وصلوا الى مرحلة التعليم العالي .

واليوم تؤتي البذور القديمة والرعاية الحديثة ثمارها ، فتتضاءل الامية بفضل التعليم المجاني وتنفيذ خطط التنمية الاجتماعية ، وتتزايد المدارس بمختلف مراحل التعليم ، وينشأ مركز جامعي سنة ١٩٤٧ يضم في هذا العام ١٧٠٩ طالبا . ويصدق القول ان تلمسان اليوم التي احتضنت ملتقى الفكر الاسلامي مرتين ، هي ابنة تلمسان الامس ، التي دافعت عن مقوماتها العقائدية واللغوية والثقافية ، وخاضت معارك طاحنة في سبيل الوطن ، واستحقت ـ بمن انجبت من مفكرين وباحثين وتجاوزت شهرتهم ارضها الى ارجاء العالم الاسلامي ، بل الى بلدان كثيرة خارج هذا العالم ـ ان تسمي عاصمة الفكر الاسلامي جنبا الى جنب مع القاهرة وفاس والقيروان والمدن الاندلسية في العصر الوسيط ، ومازالت كذلك حتى اليوم .

الله أقسم أن يتم نوره

للدكتور / احمد حسنين القفل

هلا سألت الدهر عن عظمائه ... وسألته : من جل عن نظرائه ؟
ينبيك توا ، دون ادنى ريبة ... أن الفريد الفذ من نجبائه
هو ذا النبي الهاشمي « محمد » ... من انقذ الانسان من أدوائه
من أسس الدين القويم مضحيا ... بالنفس والأموال في إنشائه
من قابل الأهوال يضحك ثغره ... للنائبات . اذا دعا بدعائه
من قاوم الكفار فردا أعزلا ... وهم الكثير ، فزلزلوا لبلائه
أقصوه عن وطن له فاذا بهم ... فتحوا البلاد بأسرها لندائه
الله أقسم أن يتم نوره ... حاشاه يخذل لائذا بلوائه

***

نعم الحنيفة . إنها دين الورى ... حمدا لرحمن على نعمائه
دين أضاء الكون بعد ظلامه ... آساه من أدوائه وشقائه
قد كانت الأعراب قبل ظهوره ... شعبا يشيع الجهل في أرجائه
قد الحجارة عابداً بجهالة ... وتفنن الشيطان في اغوائه
جور ، وحيف ، وانتهاك محارم ... حمق يعيش الكل تحت سمائه
جار القوي على الضعيف سفاهة ... واجتاحه في صبحه ومسائه
مازال يمرح في الضلالة هائما ... يزداد أدواء على أدوائه
والخير مقصور على ساداته ... والذل مضروب على ضعفائه
حتى أراد الله خيرا بالورى ... بل شاء آلاء على آلائه
بعث البشير « محمدا » برسالة ... لتخلص الانسان من أهوائه
لينير هذا الكون من ظلماته ... ويشيع دين السلم في أرجائه

***

بشر حباه الله نور بصيرة ... آتاه قرآنا وكل رضائه
مازال يدعو كادحا مستبسلا ... يزداد في اخلاصه ووفائه
والقوم منصرفون عنه للهوهم ... مستنفرين عليه في ايذائه
وسط الجحافل قام يدعو هازئا ... من عصبه رابت على اقصائه

قالوا لـه الايذاء مـرا علقـا   كم ساوموا حينا على اغـرائه
لهفي عـلى فـرد يتيم أعـزل   ايمانـه قـد زاد من أعبـائـه
ما انفك يدعو ساخرا من أمرهم   والكـل مشدوه لحسن بـلائـه
جهرا وسرا ؛ في المساء وفي الضحى   يـدعو لـدين جد في أرسـائه
حتى اذا برموا وجن جنونهم   ورأوا نـذير الشر في أنبـائـه
جمعوا الجموع لقتله وليأسهم   من رده عن دينـه ووفـائـه
وقفوا بباب البيت ليلة اجمعوا   أمـرا على اهـدار حق دمائـه
كتب الالـه لينصرن رسـولـه   والسهم طاش ففر من أعدائه
خرج الرسول « محمد » من بينهم   « وعـلي » يكمن طيعا لفدائه
والجمع عند الباب غاب صوابهم   هـذا يشارك ذاك في اغفـائـه
الله أكبـر ، تلك معجـزة بدت   هدت كيان الشرك في غلوائـه

***

هذي قريش قد تزايـد كربهـا   رصدت له الابطال من اعدائه
في اثره ذهبوا ، وغاية قصدهم   ان يقتلوا « المبعوث » في صحرائه
ما ذنب هادٍ قام يدعو قومـه   للصالحات ، وذاك كل رجائه ؟
واساه « صديق » وسار بجنبه   يسعى ويمضي طيعـا لفدائـه
حب لـذات الله ، لاختـل بـه   كلا ولا التضليل من أسمـائه
خاب الطغاة المشركون فقد رأوا   ما تعجز الألفـاظ عن ابدائـه
يا « غار ثور » قل لهم ماذا جرى   للصاحبـين تنـاجيـا بفنـائـه
بالباب أكملت « الحمامة » عشها   و« العنكبوت » يجول في أرجائه
سبحانك اللهم تنصر من تشا   وتـذل جبـارا عـلى خيـلائـه

***

في « يثرب » الفى الذين تمسكوا   بـالدين والتفـوا على اعـلائه
هم زمرة « الأنصار » قر بقربهم   كـل يبالـغ في تمـام رضـائـه
هبوا لنصرتـه كرامـا ، أيدوا   « علم الهدى » و« الدين » في ضرائه
ترك « المهاجر » مالـه وعيالـه   فـالمصطفى والله كـل رجـائـه
يا هاديا سعد الأنـام بفضله   والله نـاصـره عـلى أعـدائـه
هاجرت من وجه الظلام لرحمة   وسعت جميع الكون من أرجائه
هـذا منـار للجـهـاد أقمتـه   عال يحار الطرف في أضوائـه
هـذا مثـال للنـزاهـة حبـذا   لـو أننـا سـرنـا عـلى لألائـه

***

يا دولة الاسلام هذا مجدكم   جال الرسول وجد في ارسـائه
هـذا تـراث ان تمسكتم بـه   سدتم ، وان الفوز في اعـلائه
قـرآنكم دستوركم فخـذوا بـه   فالمجد ان تمضوا على آرائـه

اعداد الاسلام بالألعاب

للدكتور / زيدان عبد الباقي

التكيف الاجتماعي من الموضوعات التي لم يتفق ـ بعد ـ علماء الاجتماع على تعريف محدد لها . فمن الناحية العفوية هناك من يعرفه بأنه« **الوسيلة الاجتماعية التي تمكن الفرد من ان يتكامل اجتماعيا** » أي محاولة مساعدة الفرد على تحقيق النمو الفردي الاجتماعي السليم ، وعلى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة في كيانه ، وكذلك خلق الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، الذي يسمح له ـ في مرحلة معينة من عمره ـ بممارستها . وهناك من يعرفه بأنه « **تلاؤم الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه في اطار الأفكار والعادات والتقاليد السائدة ، ومع أنماط السلوك الاجتماعي الجديدة التي يخلقها التطور والتغيير في المجتمع ، وفي نظمه ومؤسساته ووسائل انتاجه** »بمعنى ان التكيف الاجتماعي عملية توفيق بين أفراد المجتمع ، تقوم على التضحية والتساهل والتحمل في سبيل الصالح العام وتحقيق الهدف المشترك .

ذلك ان الافراد مهما تقاربت مكوناتهم الشخصية ، فانهم مختلفون في الكثير او القليل منها ، ومن ثم يستحيل ان تسير حياتهم الاجتماعية على نحو صحيح الا بالتكيف الاجتماعي الايجابي ، وفي حدود ما

الرياضية

يتيحه الموقف الاجتماعي الذي يجمعهم من عناصر تلاؤمية .

التكيف الاجتماعي السلبي :

هذا ولم يجد علماء الاجتماع صعوبة في الاتفاق على تعريف محدد للتكيف الاجتماعي فحسب ، وانما وجدوا صعوبات أشد في تعريف « **سوء التكيف الاجتماعي**» ذلك المفهوم الذي يستخدم بكثرة في علوم الاجتماع والنفس الاجتماعي والتربية والبيولوجيا .. على اعتبار ان الفرد الذي لا يتكيف اجتماعيا سيكون منعزلا اجتماعيا وقد يعزله المجتمع اجتماعيا أيضا ، بعد أن تصبح له شخصية غير مقبولة من الجميع .

أنواع التكيف الاجتماعي :

هذا والتكيف قد يكون **فيزيقيا** Accommodation وقد يكون **اجتماعيا** Adaptation والنوع الثاني هو الذي يدخل في موضوعنا هنا . ويقصد بالتكيف الاجتماعي - من وجهة نظرنا - ان « **يتكيف الانسان مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، بحيث يصبح قطعة منها ، وعنصرا منسجما من عناصرها** » وعملية التكيف مع البيئة الاجتماعية - على هذا النحو - تحتاج الى نضج في الشخصية من جانب ، وادراك لواقع المجتمع من كل جوانبه من ناحية اخرى . وهذه العملية تتحقق بشكل متدرج ، وعلى مراحل متتابعة ، تتوافق مع مراحل نمو وتنشئة الفرد اجتماعيا . وهذه

العملية الأخيرة تبتدىء قبل ان يصبح الطفل جنينا . وتستمر معه من مرحلة النضج الاجتماعي .. الخ . وفي كل مرحلة من مراحل حياته تأخذ عملية التكيف الاجتماعي صيغة معينة ، تتبدل وفق المتغيرات التي تطرأ على شخصية الفرد من خلال تلك المراحل . وكلما اتيح له ان يندمج في مجتمعات متعددة ، كلما اكتسب تجارب وخبرات تربوية واجتماعية تساعده على الارتقاء بتكيفه الاجتماعي مع أفراد المجتمع الآخرين .

وبعبارة موجزة فان التكيف الاجتماعي « **هو الانسجام مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد** »على حين ان التكيف الفيزيقي وظيفته ترويض اعضاء الفرد وتكوينه الجسماني على التكيف مع ظروف البيئة الجغرافية ، ولا سيما الجوانب المناخية فيها . ذلك ان الانسان كما يفقد القدرة على الرؤية ، بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل فجأة من مكان يغمره الضوء الى مكان آخر مظلم ، يظل عاجزا عن الابصار ـ لفترة قصيرة ـ والى ان يتسع انسان العين . وبذلك يتمكن من التعرف على المرئيات داخل هذا المكان .. وبالمثل فان الانسان يفقد القدرة على التكيف الاجتماعي ـ بصفة مؤقتة ـ عندما ينتقل من بيئة اجتماعية الى اخرى مغايرة . وتستمر تلك الحالة معه الى ان يتغلب على المقاومة الداخلية والصراع الذاتي العنيف بين تراثه الراسب في تكوينه و[illegible] . وبين البيئة الاجتماعية الجديدة بمختلف عناصرها .

التوازن بين الفرد والجماعة :

غير ان التكيف الاجتماعي أو « **الشعور بالجماعية** » لا يعني ذوبان شخصية الفرد في المجتمع ، كما ان « **الفردية** » الحقيقية ليست انعزالا وهروبا من المجتمع ، على اعتبار ان « **التوازن بين الفردية والجماعية هو التكيف الاجتماعي بعينه** » اذ ان التكيف الاجتماعي « **عملية اجتماعية** »Social process تعتمد على ما يتطلبه المجتمع من تفاعل ايجابي بين الفرد والجماعة ، وهو **عملية فردية بقدر ما يتطلب المجتمع من اثراء لحياة الفرد ، حتى يتمكن من التفاعل الايجابي والاندماج** Amalgamation **في المجتمع** .

التكيف الاجتماعي بالأرقام :

وقد توصلت « السوسيومترية » Sociometry أو « علم قياس العلاقات الاجتماعية » الى وسيلة منهجية لقياس درجة التكيف الاجتماعي لكل فرد بالأرقام ، وترتيب افراد كل جماعة طبقا لدرجة تكيفهم الاجتماعي . وتقوم هذه الطريقة على أساس قسمة القيمة العددية لمجموع الاستجابات الرأسية والأفقية ـ في الصفوفة الاجتماعية ـ Matrix نحو

العضو في الجماعة على (ن ـ١) على اعتبار ان (ن) تساوي عدد أعضاء الجماعة ناقص العضو الذي يجري قياس مدى تكيفه الاجتماعي وعدد الاستجابات الرأسية والأفقية يمكن الحصول عليه من المصفوفة الاجتماعية ، التي تعتمد على أساس نتائج الاختبارات السوسيومترية .

التكيف الاجتماعي بالألعاب الرياضية :

التربية الرياضية هي احدى الوسائل التي تساهم في اشاعة التكيف الاجتماعي بين افراد المجتمع ذلك ان المجتمع الرياضي اذ يمارس بعض افراده الانشطة الرياضية ، ويشاهد البعض الآخر ممارسة هؤلاء ، مؤيدين البعض دون البعض بصورة تساعد على التنفيس الانفعالي Catharsis للمشاهدين والمشجعين ، وتساعد على ازجاء الطاقات الزائدة لدى اللاعبين في نشاطات بناءة . وكل ذلك مما يساعد على اندماج الافراد في البيئة الاجتماعية وزيادة انتمائهم اليها ، وهذا هو التكيف الاجتماعي الفعلي .

وفيما يلي يمكن تلخيص عناصر الدور الذي تلعبه الرياضة في احداث التكيف الاجتماعي :

(أ) انها مجال للتعبير عن الذات ، وبالتالي وسيلة لاثراء قدرات الأفراد على الابداع والتفوق من جانب ، واظهار الاستعدادات والمهارات الكامنة لديهم ونقلها الى حيز الواقع .

(ب) انها مجال للتنفيس الانفعالي عن الطاقات المكبوتة ، وبالتالي تساعد على التقليل من حدة التوترات النفسية ، الأمر الذي يصل الفرد الى حالة من الطمأنينة والهدوء النفسى . وتلك كلها تشكل أساسا للتلاؤم والتفاهم مع الآخرين . ولا ريب ان الانسجام بين الفرد والآخرين هو احد عناصر التكيف الاجتماعي في صورته الواقعية .

(ج) انها تعمل على توسيع دائرة الانتشار الاجتماعي للفرد ، اذ تأخذ به من دائرة الاسرة ، الى دائرة اوسع وارحب هي دائرة الملعب ، وهذه الأخيرة يجد فيها ما ينسيه ، ما قد يوجد في الدائرة الأولى من مشاكل اجتماعية ونفسية الى حين ، حتى اذا ما عاد اليها كان اكثر قدرة على التغلب عليها . اذ ان هذا النسيان يساعده على توفير الراحة المطلوبة لعقله ، حتى اذا ما عاد الى مجتمعه الاسرى كان عقله أكثر قدرة على التفكير المنطقي الخلاق ، الذي يأخذ بيده إلى وضع الحلول الناجعة لمشكلاته التي يعاني منها ، ومن المعروف ان لكل فرد مشكلاته التي كثيرا ما تختلف عن مشكلات الآخرين .

(د) انها تيسر للفرد فرصة التعود على التعاون الايجابي مع الآخرين ، فضلا عن ممارسة المنافسات الشريفة مباشرة أو غير مباشرة . وهذا يساعد الفرد على السيطرة على انفعالاته السلبية قبل الايجابية . وطبقا لما تفرضه الظروف في الموقف الاجتماعي

من أنماط سلوكية .
(هـ) انها تتيح للفرد التعامل مع مختلف الفئات الاجتماعية ، ومع المجتمعات المحلية والدولية ، سواء على النطاق الوطني او العالمي وبذلك تزداد دائرة معرفته اتساعا في الكم والكيف . وهذا يساعده على التعود على الالتزام بما تقضي به القوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تفرضها قواعد الألعاب الرياضية . وكل ذلك يجعل الفرد على بينة من قواعد الضبط الاجتماعي Social Control واذا ما عرف الانسان تلك القواعد الضبطية ، فانه سيكون على حذر من مخالفتها ، وحينئذ يوصف « **بالمواطن الصالح** »
(و) انها ليست نظاما اقتصاديا أو سياسيا ، وانما هي نظام اجتماعي ، بمعنى انها رؤية جمالية حياتية ، ومدرسة « **نبل** » كالصلاة ، مع ملاحظة ان الصلاة تحل محل الرياضة ، والعكس غير صحيح .. وهي « **نقاء اخلاقي** »لا يستهدف من ورائه مغنما .
(ز) انها مجهود يبذل للارتقاء بتصوراتنا عن قدرة الانسان وكرامته ، والارتفاع بها الى مستوى قدراته العضلية ، حتى نفرق بين العلم الذي نطلبه بعقولنا ، والاجسام القوية التي نطلبها بعضلاتنا .
(ح) انها تربية للجسم والفكر والروح معا ، بمعنى انها تهدف الى تحسين « **الذات** » البشرية والى التكامل المتواصل اللامتناهي لانسانية الانسان . ذلك ان التكوين الاجتماعي « **الشخصية** » للفرد ، والتكوين الكياني « **الجسم** » لا يتوقف عند حد معين ، وانما يعاد تكوينهما على فترات غير متباعدة من الزمن طوال عمر الانسان . وبالتالي فان التربية الرياضية عامل أساسي من عوامل اعادة تكوين الشخصية والجسم الانساني بين حين وآخر ، كلما طحنتهما المحن وصقلتهما التجارب .

اللعب وسوء التكيف الاجتماعي :

لقد تفاقمت المشاكل الاقتصادية المتعلقة بالرياضة ، بشكل لا نتوقع معه الا النتائج الوخيمة ، فتكاليف اقامة الدورات الرياضية وبطولاتها ومهرجاناتها تتزايد بصورة خيالية ، وناهيك عن الدورات الأولمبية .. ونتيجة لذلك سادت الجوانب الرياضية نزعة قوامها الرفاهية والأبهة ، والاسراف الذي يصل الى حد السفه . وقد انعكست هذه النزعة على حياة الرياضيين فدفعتهم الى تخصيص جل أوقاتهم للتدريب من أجل تحقيق (الفوز) والانتصار فحسب .. كل ذلك أدى الى كثير من السلبيات التي يمكن الاشارة اليها بالاصبع على النحو التالي :

● - ساعد ارتفاع مستوى الاداء وتعقده في الرياضة الدولية ، على انتشار ما يمكن تسميته « **بمرض المشاهدة دون الممارسة** » . ولعل

الاجسام المعيبة للافراد الذين لا يمارسون الرياضة ، حيث الكروش « البطون » البارزة ، والظهور المقوسة ، والنتوءات هنا وهناك ، والأرجل الملتوية والاجسام المترهلة ، والعرق الذي يتصبب من الجبين مع سرعة دقات القلب و « النهجان » لمجرد السير على الأقدام لبضع دقائق قليلة .. كل ذلك خير شاهد على الآثار السيئة لهذا المرض ، فالعامل أو الموظف أو التاجر .. ذو الوزن الثقيل ، او ذو الكرش « البطن » الكبير » ، أو ذو الجسم الناحل الضامر المريض ، عدم فائدته للتنمية الاجتماعية والاقتصادية اكثر من فائدته . وهؤلاء لعيوبهم الجسمية ـ الناجمة عن عدم ممارسة الرياضة ـ يصطفون على مقاعد الملاعب الرياضية بالعشرات أو المئات او الآلاف .. يمارسون الأقوال « التصفير » والتصفيق لأولئك النجوم الرياضيين الذين انتزعوا منهم المبادأة وسيطروا على الميدان ، واستحوذوا على الرياضة وسخروا كل الامكانات التي تتحمل نفقاتها الشعوب لصالحهم دون الجماهير صاحبة الحق فيها ، والتي يبدو انها لا تعرف أن ممارسة الرياضة حق لها وواجب عليها .

ـ أدى تشجيع مختلف الدول للحركة الرياضية الى انتشار الملاعب ، بل والمدن الرياضية الفسيحة الأرجاء خارج المدن السكنية ، الأمر الذي جعل ممارسة الرياضة تحتاج الى مبالغ مالية كبيرة للانتقال إليها ، فضلا عن المبالغ الكبيرة الأخرى المطلوبة للملابس الرياضية التي تحتكر انتاجها شركات صهيونية مثل « شركة أديداس » ولذلك فان عدم قدرة الكثيرين على شراء الملابس الرياضية ، وكذلك عدم قدرتهم على حيازة وسائل الانتقال الخاصة الى النوادي الرياضية ، فضلا عن ارتفاع قيمة العضوية في هذه النوادي .. كل ذلك أدى الى شعور الكثيرين بالعجز ، ومن ثم سوء التكيف الاجتماعي .

الفوائد التربوية للرياضة :

للتربية الرياضية عدة فوائد تربوية واجتماعية يمكن تلخيصها فيما يلي :

ـ ان الرياضة تقبل التوظيف « **كأداة تسهم في البناء الانساني والحضاري** » للمجتمع ، بمعنى انها تسهم في القضاء على كافة الاخطار التي تهدد المجتمع ، وكذلك في التخفيف من حدة المشاكل التي يعاني منها . وعلينا نحن ان نجعل منها رسالة تربوية ، تمارس بروح رياضية عالية ، من اجل تحقيق الاهداف الاجتماعية السامية . ولذلك يشترط لقيامها بتحقيق تلك الاهداف ان تكون خالية من التعصب والاثارة والمغالاة والصراع الدامي ، وان تكون بعيدة عن التحيز المقوت ، وعن الاتجار والمتاجرة ، وكذلك عن الاحتراف والاستعباد لشخصيات اللاعبين .

ـ انها واجب وهواية ، بمعنى انها

تشمل كل افراد المجتمع ، وتجب على الجميع ، وان كانت تمارس كهواية خالصة في الزمان والمكان بالرغم من انها ليست كذلك .

- انها تثري المناخ التربوي في مختلف مجالاته وتعزز مكانته وتدعمه ، بما تتيحه من فرص امام ذوي المواهب والاستعدادت والمهارات ، وتجعل من الميسور على كل منهم ان ينمي مواهبه وقدراته ، وصولا الى اعلى المستويات الرياضية الميسورة في نطاق الروح الرياضية السامية والاخلاق الحميدة الفاضلة . ومن هنا يمكن القول : ان الرياضة احدى الطرق الاساسية لبناء الشخصية الانسانية وتدعيم اركانها .

- انها ضرورة صحية واجتماعية ، ذلك ان اقوال المصلحين الاجتماعيين ان « **الرياضة للجميع** » رؤية انسانية صادقة ، تعبر عن حاجة الانسان المعاصر للحركة والنشاط البدني والرياضي المعاصر مملوءة بالمؤثرات السلبية التي ابعدت الانسان عن الحركة والنشاط ، حتى اصبح الانسان من الناحية الاجتماعية ، تتنازعه امراض الحضارة وتمزقه الصراعات النفسية .. واصبح في بعض المجتمعات الاخذة في النمو مجرد هيكل بشري ينوء بحمل ثلاثي امراض التخلف « **الفقر والجهل والمرض** » فلا هو قادر على حملها ، ولا هو قادر على التخلص منها ، وكأنها قدر لا فكاك منه ولا محيص عنه .

الدين الاسلامي والألعاب الرياضية :

من الظنون الخاطئة السائدة في المجتمع ان الدين الاسلامي يتعارض مع الالعاب الرياضية ، وهم في ذلك يجهلون ان الاسلام اعتد في تكوين شخصية الفرد كل اعتداد ببنائه الجسماني ، كاعتداده بكيانه الخلقي في ذاته ، مع الشخصية المثالية - لكي تجتمع فيه قوة البدن ، الى جانب قوة الروح والعقل . فقد نظر الاسلام نظرة اهتمام الى ضرورة القوة للتركيب الجسماني من اجل الاضطلاع بشاق الاعمال ، والقيام بأثقل الأعباء ، سواء اكان ذلك فيما يتعلق باعمال الصناعات الثقيلة ام مخاطر الاستكشافات والبحوث العلمية ، نظرية كانت ام تجريبية ، ام العمليات العسكرية على اختلاف انواعها وتعدد طرائقها .

فلا عجب اذن ان يعظم الاسلام اغراض البدن وحاجات الجسم ، بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « **فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا** » (رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وبإشادة القرآن الكريم ببسطة الجسم ، على انها من نعم الله اذ يقول سبحانه

وتعالى : (**وزاده بسطة في العلم والجسم**) البقرة / ٢٤٧ وزيادة على ذلك يدعو الاسلام اهله الى ممارسة كثير من الرياضات البدنية كالسباحة والرماية وركوب الخيل والاستطراد في عرض الادلة والشواهد على اهتمام الاسلام بأجسام المسلمين وعقولهم وارووواحهم لا ينتهي .

التكيف النفسي بالالعاب الرياضية :

ومن الضروري - من الناحية الاسلامية - ان تمارس الالعاب الرياضية بعيدا عن التعصب الاعمى والتحيز المقيت ، ولا تمارس الا على اسس من الاخلاق الاسلامية السامية . فقد فطن « ابن طباطبا » صاحب « الفخري في الاداب السلطانية » الى نفع الرياضة البدنية ، حيث قال عن فوائد الصيد .. **ومنها ان حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج** » ويقصد بالمزاج او بالسمات المزاجية ، ما يقصد بها في علم النفس الاجتماعي ، حيث تتوقف صحة المزاج على التكوين الفسيولوجي للفرد كحالة جهازيه العصبي والغدي . فهناك بعض الافراد الذين يميلون بطباعهم الى المدح والاستبشار ، والبعض الاخر الذي يميل الى الاكتئاب والانقباض بطباعهم ايضا وربما لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية . وهناك البعض الاخر ممن هم معرضون بفطرتهم الى ارتفاعات وانخفاضات في حالاتهم الانفعالية الغالبة .. وهناك اناس يميلون الى الانعزال والخجل والانطواء بحكم تكوينهم المزاجي .

والمعروف ان قصور الغدة الدرقية يسم الفرد بالخمول والبلادة .. ومثل هذه الامور يعنيها التكوين الوراثي للفرد الى حد كبير . ومن ثم فمن العسير - وربما من المحال - تغييرها . كما انها لا تحتاج الى تعليم او تدريب خاص .. وهذا على عكس السمات الاجتماعية والخلقية ، مثل التدين والامانة والتعاون والتنافس والتصارع والتكيف الاجتماعي والاستمثال الاجتماعي وما الى ذلك . والدليل على هذا ما لوحظ من ان الرضعاء في الاسبوع الاول من حياتهم ولا سيما الذين يعيشون في بيئة واحدة ، تبدو عليهم فوارق ملحوظة في سماتهم المزاجية . وما لوحظ من ان التوائم الصنوبة - اي التي تنشأ من انشطار نفس البويضة المخصبة - تبدي نشاطا ملحوظا في سماتها المزاجية ، حتى وان كان احدها منفصلا عن الاخر . اي في غير بيئته الاجتماعية . على حين ان التوائم اللاصنوية - اي التي تنشأ من بويضات مخالفة - والتي تنشأ وتربى اجتماعيا معا - تبدي اختلافا ظاهرا في السمات المزاجية في سن مبكرة . وبالتالي فان اللهو واللعب من الامور التي تساهم في التخفيف من اثار السمات المزاجية السلبية . وهذا ما يقصده الاسلام من وراء التشجيع

على الالعاب الرياضية ، بشرط الا تعوق اللاعبين والمشجعين عن اداء الفرائض الدينية .

هذا وفي كتاب « الموجز في الطب » لابن النفيس ـ في الكلام عن الالعاب الرياضية ـ ما نصه « **وفي اللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس ، لما يلزمه من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار** » واللاعب هنا هو الذي يفرح بفوزه ، ويغضب لفشله ـ وليس المشجعون الذي يستخدمون الحجارة وزجاجات المياه الغازية الفارغة ، والمقاعد وغيرها في قذف اللاعبين والحكام بها ، بل وقذف المتفرجين انفسهم عند هزيمة الفريق الذي يتولون تشجيعه .

والملاحظ هنا ان المتفرجين يتقمصون شخصيات اللاعبين طبقا لانتماءات المتفرجين الرياضية ، وبالتالي فان المتفرج يفرح عندما يفوز الفريق الذي يشجعه على الاخر المنافس . وبالعكس من ذلك يحزن عندما ينهزم فريقه او يصاب بالانقهار ، كما يقول الحديث السابق الذكر لابن النفيس .

ولعل دول الجزيرة العربية ـ وفي مقدمتها دولة الكويت ـ من اولى دول العالم التي تعطي اهتماما عظيما لممارسة الانشطة الرياضية ، حيث يوفر المسؤولون كافة احتياجات الرياضة والرياضيين بصورة ملأت الملاعب بعشرات الالاف من لاعبين ومتفرجين ، حيث يمكثون الساعات الطوال تحت وهج الشمس لمشاهدة المباريات الرياضية .. الامر الذي يمنع القليل النادر من شباب الجزيرة العربية من اداء الصلوات في مواقيتها . ولما كانت انماط السلوك ذات خاصية انتشارية ، فان الخوف يملأ قلوبنا من انتشار وزيادة اعداد الذين يؤجلون الصلوات من اجل الاستمتاع بمشاهدة المباريات الرياضية . ولان هذا الامر يقلقني فقد اجبت على سؤال لاحد طلاب المعهد العلمي بمدينة « سكاكا » بمنطقة الجوف بشمال المملكة العربية السعودية في صيف سنة ١٤٠٠ هجرية .. وكان السؤال يدور حول رأيي في الرياضة ؟ وكانت اجابتي : انها « وباء » ولم تفهم اجابتي على وجهها الصحيح ، حيث ظن بعض الطلاب انني لا احبذ الالعاب الرياضية . وقد اوضح لهم قصدي احد الزملاء .. هذا ولازلت اقول ان من الضروري توجيه جزء من طاقات الشباب التي توجه الى الرياضة .. توجيهها الى الاسهام في تنفيذ مشروعات وبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، حتى لا يبدو الشباب العربي ـ بين شباب العالم ـ فارغا ولا هم له الا تشجيع الرياضة والتعصب للاعبين .

تلك هي الرياضة التي اعتد بها الاسلام من اجل توفير التكيف الاجتماعي والنفسي للمسلمين في كل آن وزمان .

الاسلام والمشكلة الاسكانية

للاستاذ / محمود قطام

لقد انفرد الاسلام وتميز في نظرته وموقفه ومعالجته لهذه المسألة ، حيث كان صريحا حين اعلن ان الحد من النسل يعتبر جريمة لا تغتفر لقوله تعالى (**من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا**) المائدة / ٣٢ وقوله تعالى (**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله**) . الأنعام/ ١٤٠ لان هذا يعني تحجيما لسنة الله في خلقه وارضه ، وتدخلا في شؤون الخالق الرازق ، الكفيل بأرزاق جميع مخلوقاته من انس وجن وانعام وبقية الكائنات الحية الاخرى ، لقوله تعالى:(**وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**). هود/ ٦ وقوله تعالى :(**ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا**) . الاسراء / ٣٠ و ٣١

ويقول الامام ابو الاعلى المودودى - رحمه الله - : « ان قوانين الاسلام للحياة الاجتماعية والاقتصادية مع تعاليمه الخلقية وتربيته الروحانية قد محت كل سبب او داعية من تلك الاسباب والدواعي التي لاجلها نشأت ثم تقدمت وانتشرت حركة تحديد النسل في المدينة الغربية فالانسان اذا كان مصدقا ومؤمنا بالاسلام وتعاليمه وقوانينه من الوجهة الفكرية والعملية ، فانه من المحال ان تنشأ في نفسه رغبة في تحديد النسل ، او تعرض له في حياته ظروف ترغمه على الانحراف عن طريق الفطرة المستقيم ».

ويرى المرحوم محمود شلتوت - شيخ الجامع الازهر الاسبق - « ان تحديد النسل بالمعنى العام تأباه طبيعة الحياة ، وحكمة الله وشريعة

الاسلام ».
واذا كنا نجد في علومنا مثلا كثيرة لهذه المسائل التي لم يحرر فيها محل النزاع ، فاني ارى ان مسألة تحديد النسل من اوضح المسائل التي تناولها النظر واختلاف الرأي دون أن يحرر بين الباحثين المعنى المراد من كلمة ـ تحديد النسل ـ فقد تبادر ان المقصود منها هو : اصدار قانون عام يلزم الامة كلها ان تقف بالنسل عند حد معين ، لا فرق بين سيدة يسوغ اليها الحمل ، فترضع ولدها السابق لبن الحمل ، واخرى يبطىء حملها وتمضي مدة الرضاع او اكثر في تربية السابق دون حمل ولا ارضاع في زمن الحمل ، ولا بين قوى سليم من الامراض يلد اقوياء اصحاء ، وضعيف مريض يلد ضعفاء مرضى ، ولا بين غني في سعة من الرزق يستطيع القيام بتربية ابنائه الكثيرين ، فيضعف احتماله وتفسد حياته ويقع في حياة مرتبكة .
فتحديد النسل بهذا المعنى العام لا يمكن ان يرضاه عاقل او شرع يريد الاصلاح ، او امة تريد لنفسها البقاء وتعمل جاهدة وبخطوات سريعة في المشروعات الانتاجية التي تنافس بها الامم الاخرى ، وترد عنها كيد الغزاة المستعمرين . وهو بعد ذلك تـأباه طبيعة الكون المستمرة في النمو ، وتـأباه حكمة الحكيم الذي خلق الخلق ، وخلق فيها مادة التـوالد والتناسل ، وخلق مقـابل ذلـك في الارض وسائر ما خلق قوة الانتاج الدائم المضاعف .
فالنظام الاسلامي يحض على التزاوج ويشجع التكاثر والتناسل ، تحقيقا لمبدأ القوة والاتساع السكاني ، ولكي تبقى امة الاسلام مرهوبة الجانب من قبل اعدائها الكثيرين ، لقوله تعالى : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم وقـدمـوا لانفسكم** » البقرة/ ٢٢٣ وقولـه تعالى : « **ومن ايـاته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ». الروم / ٢١ وقوله تعالى :(**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشـركـوا بـه شيئـا وبالوالـدين احسانـا ولا تقتلوا اولادكم من إمـلاق نحن نرزقكم واياهم**) . الأنعام/ ١٥١ .
والاسلام في تحريمه لمنع او وقف او تحديد النسل اباح تنظيم النسل في حالات معينة وفقا للقاعدة الشرعية التي تشير : « ان الضرورات تبيح المحظورات » كأن يكـون الزوجـان مصابين بمرض خطير يخشى ان يمتد الى ذريتهما ، وقد اباح الرسول صلى اللـه عليـه وسلم العـزل بـرضى الطـرفين » ـ الـزوج والزوجـة ـ ، والقاعدة الشرعية تقول : « الضرر يزال » ، وهذا متروك للشخص وتقدير حالته ومدى تحمله ، وقد اباح العلماء ايضا منع الحمل مؤقتا بين الزوجين او دائما ان كان بهما او بأحدهما داء من شـأنه ان ينقـل الى الـذريـة والاحفاد .
والاسلام لا يتعارض مع العلم في نظرته الى ان الانسان خلق على هذه الارض ليكون خليفة لله في الارض ، ومسؤولا عن بقاء النوع البشري الى

ان يرث الله الارض ومن عليها ، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الانس والجن عبثا ، لقوله تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » الذاريات /٥٦.

وأشار ـ كاتب روسي انتون بتمي لوف في كتابه المأساة الحياتية للمرأة BIOLOGICal Tragedy of Woman الى ان ولادة المرأة ليست الا لتقوم بخدمة الابقاء على النوع البشري ».

يقول الطبيب آزوالد شوارز في كتابه نفسية الجنس The Payohologic-al Sex « اي شيء يا ترى يدل عليه وجود الغريزة الجنسية في الانسان ؟ من الحقيقة التي لا غبار عليها ان هذه الغريزة انما هي لانجاب الذرية وتخليد النسل ، اذ من القوانين الثابتة في علم الاحياء ان كل عضو في جسد الانسان يجب ان يؤدي وظيفته الخاصة المستقلة ، حتى يحقق بذلك المهمة التي قد اسندتها اليه الفطرة ، وعلى هذا اذا منع هذا العضو من اداء وظيفته الخاصة ، فلا بد ان تتعرض حياة الانسان لمشاكل مرهقة متعددة ، ومما يتعلق بهذا البحث ان جسد المرأة لم يخلق في معظمه الا لوظيفة الحمل والتوليد ، فهي اذا منعت ان تعمل لتحقيق هذه الوظيفة الاساسية لنظامها الجسدي والعقلي فلا بد ان تذهب ضحية الاضمحلال والتذمر والعقد النفسية المتعددة ، وعلى خلاف هذا فانها عندما تصبح اما تجد جمالا جديدا ، وبهاء روحيا يتغلب على ما قد يعتريها من الضعف والاضمحلال بسبب وضع الطفل وارضاعه .

ويضيف د . شوارز « ان كل عضو في جسدنا يجب ان يقوم بوظيفة ، وعلى هذا فانه اذا حيل بينه وبين ان يقوم بوظيفته فلا بد ان يختل به التوازن في نظامنا الجسدي ، ان المرأة ليست بحاجة الى انجاب الذرية لمجرد ان ذلك مما تقتضيه عاطفة الامومة التي قد فطرت عليها ، او لمجرد انها ترى القيام بهذه الخدمة واجبا على نفسها بناء على ضابط خلقي مفروض عليها ، وانما هي بحاجة اليها لان نظامها الجسدي ما بني كله الا للقيام بها ، فهي اذا منعت ان تقوم بها فلا بد ان تتأثر شخصيتها كلها بالانقباض والحرمان والهزيمة واليأس المميت .

والاسلام حين منع تحديد النسل كان محقا في ذلك لحرصه الاكيد على النوع البشري من الفناء والزوال ، ولحرصه على صحة افراده وجماعاته ومجتمعه بدليل ان العلم والطب الحديث أثبتا الحقائق التي اشار اليها الاسلام ، فقد أشار تقرير لجنة نسبة الولادة القومية في بريطانيا سنة ١٩٢٧ بصدد الحديث عن مشكلة تحديد السكان من الوجهة الطبية الى انه « من الممكن باستخدام الوسائل المانعة للحمل ان ينشأ الاضطراب والاختلال في نظام الرجل الجسماني ، كما انه من الممكن ان ينشأ به الضعف في قوته التناسلية او تنعدم فيه هذه القوة بتاتا ، ومما يجوز القول به على وجه عام : ان هذه الوسائل كانت تحدث في صحة الرجل مؤثرات سيئة جدا ، الا ان الذي يخشى دائما

ان الرجل عندما لا يشبع غريزته الجنسية بعلاقته الزوجية يعتريه التبرم والانقباض شيئا فشيئا في حياته العائلية ، ولا بد اذن ان يحاول اشباع غريزته الجنسية بوسائل اخرى تفسد عليه صحته بل قد تعرضه للامراض الخبيثة .

ويشير التقرير ذاته بالنسبة للنساء : « ان منع الحمل اذا كان لازما من الوجهة الطبية وكانت ولادة عدد كبير من الاطفال قد افسدت على المرأة صحتها ، فلا شك ان وسائل منع الحمل تحدث مؤثرات حسنة في صحة المرأة ، ولكن اذا لم تكن ثمة حاجة تدعوها الى منع الحمل فلا بد ان تكون النتيجة المحتومة لاتخاذ التدابير الصناعية ان ينشأ التوتر في نظام المرأة الجمساني ، ويلازمها شيئا فشيئا القلق والاضطراب والتبرم والضجر ، لانها عندما لا تشبع غريزتها فان علاقتها بزوجها يعتريها الشذوذ والانزعاج ، وقد شوهدت هذه النتائج بصفة خاصة في الذين يختارون طريق العزل لمنع الحمل .

وترى د . ماري شارليب ان وسائل تحديد النسل سواء كانت هي اللولبات المعدنية او الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ، وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهري ، ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلا بد ان يصيبها الانهيار العصبي Nerrous Instability قبل ان تبلغ سن الكهولة ، ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل ، التبرم ، التذمر والقلق والنزق والارق وتوتر الاعصاب وتشويش الفكر وهجوم الاحزان ، وضعف القلب ونقص الدورة الدموية ، وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية .

وترى د . ستياوتي في كتابها التخطيط العائلي Family Planning » ان نتائج تحديد النسل خطيرة جدا ، حيث ان الانسان يفقد بها طمأنينة القلب ، ويصيبه الاضطراب النفسي ، والقلق العصبي والارق الشديد ، ويختل عليه توازنه العقلي ، وتعقم النساء ويفقد الرجال قوتهم التناسلية .

ويرى د . رينيل ديوكس ان « المرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض للصداع والالام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها ان يصيبها مرض عضال كالسرطان .

والاسلام يرى ان لجوء المجتمع البشري في اي مكان واي زمان لاسلوب تحديد النسل ، دليل ابتعاده عن جادة الصواب والحق ، وانحرافه عن المحجة البيضاء ، الذي لا يزيغ عنها الا هالك ، لقوله تعالى « **وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** » البقرة / ٢٠٥.

كما ان لجوء المجتمع لتحديد النسل سيتبعه بالضرورة تقليص في موارد الرزق كعقاب الهي ، لتدخل خلقه في شؤون مخلوقاته ،

ومعاكستهم لفطرته السليمة وتناقص في القوى العاملة بسبب ازدياد معدل الوفيات ، وفي ذات الوقت انخفاض معدل المواليد ، لقوله تعالى « **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله** ».

من هنا فقد جاء النهي الاسلامي جازما وحازما بضرورة التخلي عن فكرة تحديد النسل ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما يمنع المؤمن ان يتخذ اهلا لعل الله يرزقه نسمة ، تثقل الارض بلا اله الا الله ».

ويرى جوزف اسبنجلور : ان الزيادة السريعة في عدد السكان تكفل الزيادة السريعة في النشاط الاقتصادي ، ولا سيما اذا كانت القوى المنبسطة Expensive Forces اكثر نشاطا من القوى المنكمشة Contractive Forces ، ومثل هذا سيحدث ايضا في الحالة المضادة ، والحق انه على قدر ما تهبط نسبة زيادة السكان ، تهبط نسبة استثمار رأس المال المتعلق بالتوظيف الكامل . Full Emplyment

كما ان الله سبحانه وتعالى تعهد وتكفل بمنع حدوث مشكلة الانفجار السكاني ، اوالقنبلة السكانية ، كما يحلو لبعض المفكرين تسميتها ، ذلك ان الخالق جل وعز هو المنظم والمسير لشؤون خلقه وكونه ، وهو العليم الخبير بما في مملكته ، فرب البيت اعلم بمن فيه من ضيوفه ايا كان علمهم ، ووعيهم ، وبعد نظرهم ، لقوله تعالى « **انا كل شيء خلقناه بقدر** »القمر /٤٩.

وقوله تعالى « **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** »الحجر/٢١ ، وقوله تعالى « **وما كنا عن الخلق غافلين** » المؤمنون/١٧.

والزيادة السكانية المطردة او ما يسمى بالانفجار السكاني ، قضية محلولة حسب الشرع الاسلامي ، فنظام الحياة والموت وعوامل الحرب والمحن والامراض والافات التي تحدث بين حين واخر ، والزلازل والاعاصير والبراكين تعمل بطريقة او باخرى على تحقيق التوازن المطلوب والمقدر من قبل رب السموات والارض ، لقوله تعالى : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض**) البقرة /٢٥١

»١ وكأن هذه الامور تسعى الى تطبيق مبدأ النزعة نحو التوازن المعروف في اساسيات علم النفس ، والذي يتلخص في ازالة كل ما من شأنه تهديد التوازن واعادة الامور الى حالتها الطبيعية ، والمحافظة على التوازن في هذا الكون الفسيح .

من هنا يمكن القول ان حركة تحديد النسل حركة غريبة عن المجتمع الاسلامي وهي حركة استعمارية ، هدفها تحطيم المجتمع الاسلامي ، والحضارة الاسلامية من الداخل من خلال اشاعة الفساد والانحراف ، وبالتالي العمل على افناء الانسان المسلم من خلال الترويج لفكرة تحديد النسل بدواعي شتى ، ظاهرها الحرص على المستوى المعيشي

للفـرد والمجتمع ، والمحـافظة عـلى التوازن الحياتي للانسانية ، وباطنها القضـاء عـلى الامـة الاسـلاميـة واذلالها .

ويرى الامام المودودي رحمه الله : « ان حركة تحديد النسل ليست الا ثمرة من ثمار الالحاد والدهرية

ان الاسلام هو الكفيل ـ اذا ما طبق كشريعة ومنهاج حياة ـ بحل كـافة المشكـلات الانسانيـة ، لان الانسان بلا اسلام يقتل نفسـه ، ويظلم نفسه ، ويعيش حياة الالم مهما اخذ حقه حظه من اللذة العابرة ، وان الانسانية بلا اسلام تدمر نفسها ، وتهدم سعادتها ، وتعيش حياة الشقاء الدائم حتى في هذا العالم الذي لا يدوم .

ويرى المفكر الاسلامي الشهير محمد قطب : انه لا بد من الاسلام لتخليص النـاس من جـاهليتهـم وضلالهم وشقائهم وحيرتهم ، وقلقهم واضطـرابهم ، وتمـزق حيـاتـهم وافكارهم ومشاعرهم ، فالاسلام هو العلاج الوحيد لكل جاهليات الارض ، ولهذه الجاهلية الحديثة ـ جاهلية القـرن الـعشـرين ـ عـلى وجـه التخصيص .

فالاسلام زيادة على كونه العلاج الناجع والوحيد لكـافة المعضـلات البشرية ، فان ممارسته العملية ، وتحكيم منهجه في واقع الحياة كفيل بخلق الاستقـرار والتوازن المعيشي والحياتي للانسانية ، لقوله تعالى : **(ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)** الاعراف / ٩٦

خلاصة القول فان الحل الناجع لمشكلة التزايـد السكاني تكمن في التخطيط العلمي الواعي والمدروس الذي يأخذ بعين الاعتبار حاجتين اسـاسيتين يحتـاج اليهما العـالم الاسلامي اليوم ، وهما : ١ ـ حماية نفسه .

٢ ـ اطعام نفسه .

ولتحقيق هاتين الحاجتين ، لا بد من زيادة وتكثيف الجهود لاستثمار الموارد التامة لبني الانسان ، وتطوير الزراعة بشقيها النباتي والحيواني ، والعمل على تطوير الصناعة السمكية باستثمار الامكانات المتاحة في البحار الداخلية والانهر ، وعمل بحيـرات اصطناعية ، والاستفادة من امكانيات الصيد في اعالي البحار ، بهدف زيادة الموارد المعيشية لتـواكب الزيـادة السكانية المطلوبة لبقاء الامة على اعتبار ان الله ـ جلت قدرته ـ هو الرزاق ، لقوله تعالى « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » الذاريات / ٥٨ وقوله تعـالى : « **له مقـاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** » الشورى /١٢ وقوله تعالى : « **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** » فالرزق من وظيفة رب العزة ، والسعي والبحث عنـه من وظيفـة الانسان ، لقوله تعالى : « **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له** » العنكبوت /١٧ .

أصحاب الرَّسّ

الاخ عبد القادر هائل غالب .. ارسل الينا من كالفورنيا ـ بأمريكا .. رسالة يقول فيها انه كان يقرأ في كتاب الله تعالى ، وابتدأ القراءة من أول سورة « ق » ومضى في قراءته الى ما شاء الله له ، وقد استوقفته الاية الكريمة : « **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود** ».

ويسأل من أصحاب الرس ؟ ومن نبيهم ان كان لهم نبي ؟ وأين كانوا ؟ وفي أي زمن عاشوا .. وختم رسالته كما بدأها بتحية الاسلام ، حيث عالم اليوم الذي لا يعرف الا الوحشية والهمجية والخراب وسفك الدماء .

المحرر : نحمد الله سبحانه على هدايته وتوفيقه ، ونستعينه ، ونطلب الغفران منه ، ونحيي في الاخ السائل حرصه على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وفهم مقاصده ، ونرجو ان يوفقنا الله وإياه للعمل بكتابة وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

هذا .. وتحكي سورة (ق) موقف كفار مكة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن الكريم ، وتكذيبهم بيوم البعث ، ورفضهم الاذعان والايمان بما جا ء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بأن وحي الله المنزل عليه ، كذبوا الرسالة والرسول ، وما جاءهم رسول الله الا بالحق الواضح ، وابان لهم القرآن الكريم عن قدرة الله الخالق .. أفلم ينظروا الى السماء وما فيها من مظاهر قدرة الله ، والى الارض وكيف حفظ لها الله استقرارها

بالجبال ، وأحياها بالنبات بواسطة الماء المبارك النازل بالخصب والنماء من السماء ، كل ذلك بفضل الله جعله رزقا للعباد ، والله القادر على الاحياء أول مرة قادر على البعث بعد الموت ، ولكن الكافرين يصرون على الانكار والكفر والعناد ، وشأنهم في ذلك شأن أمم سابقة كذبت رسل الله اليهم أمثال قوم نوح ، وأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون ، واخوان لوط ، واصحاب الايكة ، وقوم تبع ، فحق عليهم وعيد الله ، حيث انزل بهم عقابه في الدنيا ، فمنهم من مات غرقا ، ومنهم من تهدم عليهم بنيانهم وخسف الله بهم الارض ، ومنهم من اخذته الصيحة ، ذلك جزاؤهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم .

وفي ذلك تهديد لكفار مكة ، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسرد قصص الانبياء السابقين مع اقوامهم .

وأصحاب الرس كما يقول البيضاوي : قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس ـ وهي البئر غير المطوية ـ انهارت ، فخسفت بهم وبديارهم .

واختار ابن جرير الطبري : ان المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الاخدود الذين كفروا في سورة البروج .

وهناك من العلماء من يرى : انهم قوم رسوا نبيهم في البئر اي دفنوه حيا فيها ، فأهلكهم الله ، الى غير ذلك من الاراء ..

والذي يعنينا انهم قوم كذبوا رسول الله اليهم فأهلكهم الله ، وهذا هو شأن مكذبي الرسل دائما ، الهلاك في الدنيا ، والعقاب الأليم في الآخرة .

وبعد ذلك فلن يضيرنا في شيء اختلاف العلماء في تحديد زمانهم ومكانهم .

فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول : هم أهل قرية من قرى ثمود
وعكرمة ـ رضي الله عنه ـ يقول : أصحاب الرس بفلج ، وهم أصحاب (يس) ، وقال قتادة : فلج من قرى اليمامة .

والرس : هي البئر المطوية : اي التي لم تبن حوائطها .
هذا .. والله أعلم .

بأقلام القراء

محاربة الاسلام الفقر

تحت هذا العنوان كتب الأخ/علال البوزيدي - من المغرب - يقول :-

○ إن الاحسان الذي هو خلق نبيل من الاخلاق الاسلامية يعتبر من بين الطرق الايجابية التي حارب بها الاسلام الفقر .

ومظاهر الاحسان متعددة وحققت من النتائج عبر العصور ما تعجز الاقلام عن وصفه ، حتى ان فلسفة الفكر الاجتماعي استمدت قواعدها من الاحسان ، واكدت الأيام أن اهم مظاهر النهضة الاجتماعية ، واهم عناصر نجاح العمل الاجتماعي يرتكز على الاحسان والتضامن والتعاون والتآزر بين الناس ، كأفراد يشكلون المجتمع العام .

○ وحارب الاسلام كذلك الفقر بالحث على العمل ، والنهي عن البطالة ، نظرا لعواقبها السلبية على الانسان والمجتمع نفسيا واجتماعيا واقتصاديا .

- وقد جاء في الأثر .
- « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » .
- وقوله تعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

○ حارب الاسلام كذلك الفقر بالزكاة فأوجبها على المسلم وجعلها ركنا من الاركان الخمسة التي بني عليها الاسلام ، ولما لها من اهمية تعتبر الركن الثالث بعد الشهادة التي بها يدخل المسلم في الاسلام والصلاة التي هي عمود الدين ، ولذلك يعتبر الاخلال بهذا الركن ، وعدم القيام به ، من الكبائر .

وبفضل الشريعة الاسلامية الخالدة تم ايجاد الحلول الكفيلة

بمحاربة الفقر والقضاء عليه نهائيا لو تمسك الناس جميعا بعدالة السماء ، وقام الانسان باداء الأمانة بصدق ونزاهة ونكران ذات . ومن اسباب محاربة الفقر ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة وما نصت عليه السنة المطهرة ، فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام يقول معالجا للامراض الناتجة عن الفقر والعوز ومنها التسول والاستجداء : (اليد العليا خير من اليد السفلى) والاستقراء الواعي العاقل العميق في الأبعاد التي يشير اليها هذا الحديث تؤكد أن التحرر من الفقر والتوصل الى الغناء والاكتساب المشروع الحلال هو نتيجة كد واجتهاد ، وليس نتيجة تقاعس وكسل وخمول وبطالة ، بل لابد للانسان من العمل ، فالأرض غنية ومتعطشة الى السواعد والى عرق الجبين .

ولم يبق امام الانسان الا استعمال عقله وبصيرته ووعيه ثم عزيمته وارادته وحريته .

هذه الخصائص منحها الاسلام للانسان لتكتمل بها انسانيته وتصان بها كرامته ، وبتوفره عليها يجعل بينه وبين الفقر حواجز وموانع . وفي ختام هذا الموضوع يمكن القول بأن الاسلام حارب الفقر بما جاء في القرآن الكريم ، ويتضح ذلك من خلال ما تنص عليه الكثير من الآيات البينات التي تدور حول القدر والعدل والحرية والارادة .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .
« كل امرىء بما كسب رهين »
« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »
« اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » .
« وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون »
« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . وما ربك بظلام للعبيد » .
« إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » .

وهكذا تتوالى الآيات دالة دلالة محكمة على ما فيه خير الانسانية وصلاحها ونفعها ، ولكن عقوق بعض الناس وخروجهم عن الصراط المستقيم وتمسكهم بالمذهب المادي جعلهم يرون الآيات معكوسة ، وبذلك اصابت الناس فتنة تاه فيها الفقراء والأغنياء على السواء ، وما سلم منها الا اغنياء الايمان فاللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، واكفنا بفضلك عمن سواك . آمين .

منطق القوة

إن من هداه الله الى الاسلام يجب ان يسخر قلبه ولسانه في كل وقت لشكر الله وحمده على هدايته لأن الاسلام حقيقة إذا دخل القلوب ملأها بالحب والخير والارتداع عن أذى الغير .

أقول هذا عندما أسمع أنباء اتباع الأديان الأخرى من قوات اسرائيلية غازية ومعها العناصر العميلة الفاسدة وهي تقتل الأبرياء من اللاجئين الفلسطينيين العزل في بيروت ، وما قامت به اسرائيل من قبل بقصف مروع ، وتهديم البنايات فوق رؤوس المدنيين ، واستخدام الاسلحة المحرمة دوليا انتقاما لفشلها العسكري .

هذا الاسلام الذي شرفنا به الله يجب ان يكون مفخرة لكل مسلم يعتز به دينا وعقيدة في كل الظروف ، لأنه يقف مع المجتمعات يطورها وينميها ومع الانسانية يحافظ على كرامتها ويدافع عن حدودها وهو ما عجزت عنه قيادات ترفع شعارات معينة .. ولذلك فإني سأفصل موضوعي الى ناحيتين :-

الناحية الأولى .. موقف الرسول العظيم وخلفاؤه من اتباع الأديان الأخرى . واحترامهم للمواثيق معهم .

الناحية الثانية : موقفهم من المنحرف من اهل هذه الأديان والمعتدي على ارض الاسلام منهم .

أما الناحية الأولى : فقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلا اعلى لمعاملة اصحاب الأديان الاخرى فقد روى انه يحضر ولائمهم ويشيع جنازاتهم ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم حتى روى انه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأمرهم بالجلوس عليها .

وقد سار المسلمون على سيرة نبيهم فعاشروا اهل الملل بصفاء تام ووئام ..

وحين نذكر موقف الخليفة الراشد أبي بكر حين وقف خطيبا في جيش اسامة وقال كلمته ليس لهذا الجيش وانما للتاريخ وللعالم اجمع ، اذكرها ليعرف المعتدون كيف يكون التعامل الأخلاقي .. قال : أيها الناس اوصيكم بعشر فاحفظوها عني . لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا

بقرة ولا بعيرا ، الا لمالكه .. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .. الى ان ختمها قائلا : اندفعوا باسم الله ..

لقد كانت وصية ابي بكر لجيش اسامة اروع ما يمكن ان يوجهه خليفة انسان يقدر كرامة الانسان لقائد انسان يقود جيشه لخوض حرب عادلة ، ولم تصل قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي في القرن العشرين الى ان تسمو الى الهدف الرفيع الذي عبر عنه رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة في عددها ، الكبيرة في معناها ..

الناحية الثانية : لقد علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام كيف يكون الرد على من أراد بالاسلام والمسلمين شرا فعندما اعتدى يهود بنو قينقاع على حرمة امرأة مسلمة بأن كشفوا من جسدها ما حرم الاسلام كشفه وضحك اليهود منها ، وقتلوا احد المسلمين الذي حاول نصرة المرأة .

طارت شرارة الحرب ، وكان ذلك في منتصف شوال في السنة الثانية للهجرة فقد حاصرهم رسول الله في حصونهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا للتسليم ، وطردهم من المدينة واشترط ألا يجاوروه فيها ، وتكرر ذلك مع يهود خيبر الذين بدأوا يؤلفون جبهة ضد المسلمين فقام المسلمون بشن هجوم على حصونهم والفتك بهم ومد الاسلام رواقه على ارضهم .

وفي عهد معاوية الذي انتقم من بطريرك القسطنطينية لأنه صفع احد جنوده الذين ارسلهم للقسطنطينية لمعرفة احوالها وفتحها .. فقد سعى حتى احضره ووقف امامه واحضر الجندي وقال له اهذا الذي صفعك ؟

قم فاصفعه .. والمعتصم الذي اجتاح بلاد الروم من اجل امرأة استغاثت به .. هؤلاء هم القادة .. رسل السلام ورجال الحق في كل مكان لم يقفوا امام القصف والتدمير والاستغاثات موقف المتفرج .. كما يقف قادة اليوم امام المذابح .. انها النكسات والهزائم المتتالية ، حيث ضاعت القدس واراض اسلامية جديدة .. وانتهكت اسرائيل الحرمات ، وداست الكرامة حين غزت بيروت ودمرت بيوتها ..

واخيرا حين انطلقت الرصاصات الخائنة على الأبرياء لتقتلهم وتمثل بهم .. كل شيء تحرك .. وكل عين بكت في كل منزل اسلامي .. فماذا فعل حكامنا ؟ وماذا هم فاعلون ؟ لا امل الا في الجهاد ولا جدوى الا في منطق القوة ، فهي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو ..

والله غالب على امره ، والنصر للمجاهدين المسلمين ..

فايز موسى ابو شيخة

مع الصحافة

لا ريب في ان المذابح الهمجية التي قام بها العدو الصهيوني وحلفاؤه في مخيمي « صبرا » و« شاتيلا » تعتبر من الاحداث القليلة التي شغلت الاعلام العالمي على هذا النحو الواسع . ومع ذلك فما تزال وقائعها واثارها ودلالاتها افظع بكثير مما استطاع الاعلام ان يصور . على ان سلسلة الاحداث التي بدأت بالقصف الاسرائيلي الوحشي للعزل والآمنين في عدد من مدن لبنان وقراه ، وانتهت – وما نحسبها نهاية طبعا – بالمذابح الهمجية .. ثم ما تخلل ذلك من مواقف ومساومات واتفاقات وغدر ونقض للعهود .. كل ذلك كان كفيلا ان يكشف لشعوب المنطقة كثيرا من الحقائق الخطيرة التي ظلت لمدة من الزمن تعروها الشكوك .

صحيح ان فظاعة الاحداث ، وعظم الضحايا ، وفداحة الخسائر .. هي التي فرضت نفسها فرضا على الاعلام العالمي ، بيد ان الصحيح ايضا انها لم تكن لتستحوذ على هذا الاهتمام الواسع لولا مساسها المباشر الخطير بقضايا حساسة ، تتعلق بمصالح القوى العظمى ، والصراع الدولي في منطقة الشرق الاوسط . وهكذا فمن الخطأ ان يظن ان نوازع الشفقة او يقظة الضمير او شيئا اخر من هذا القبيل وحده هو الذي املى على الاعلام العالمي هذا الاهتمام الكبير بالاحداث المفجعة .

ولعل الاهم من ذلك هو ان السياسة الصهيونية وما تنطوي عليه من حقد وغدر وجريمة باتت عارا يصم الذين يقومون بدعمها ويعلنون حرصهم على امنها ، ذلك بان ما فعله الصهاينة في لبنان جعل اي تأييد او دعم او سكوت عاريا عن كل مسوغ اخلاقي ، من اجل هذا كان لابد للاعلام العالمي ، ولا سيما الامريكي والغربي ، ان يحاول تبرئة ساحته من جرائم اليهود ، عن طريق الادانة « الكلامية » والفضح الاعلامي .

وحين تنكشف الجرائم الصهيونية تجد القوى العظمى التي ما تزال حريصة على اسرائيل انه لابد من طريقة لدفع الحرج ، وهكذا يجب – في نظر اعلامها – تضييق دائرة التهمة ، وحصرها في « كبش واحد » . ولذلك يركز هذا الاعلام على تحميل جزء من المسؤولية عن المجازر الوحشية لحكومة بيجن ، ويتناسى الاعلام نفسه ان الاستفتاءات التي اجرتها وكالات انبائه نفسها دلت على ان الغالبية العظمى ليهود اسرائيل وامريكا والغرب ايدت الغزو الصهيوني للبنان ، وتنضوي

في هذا السياق الدعائي تلك التظاهرات التي يقوم بها اليهود ضد بيجن وشارون خاصة ، وهي محاولة لتضليل الرأي العام العالمي والحفاظ على ثوب « الحمل » الذي دأبت الصهيونية على ستر جرائمها به . وحين يهاجم الاعلام الامريكي بيجن وشارون فهو في الحقيقة يحاول تبليع شعوب المنطقة حبوبا مخدرة ، على نحو ما فعلت الادارة الامريكية عندما اقالت وزير خارجيتها هيج في ابان الغزو الصهيوني للبنان ، مع ان ماتم في لبنان كان بتدبير امريكي - اسرائيلي لاهداف امريكية اسرائيلية .

بقيت مسألة اخرى تكشف ايضا سر هذا الاهتمام الاعلامي للقوى المؤيدة لاسرائيل بالاحداث المفجعة في لبنان ، وهي ان هناك نقمة عارمة تجيش بها صدور الشعوب في المنطقة نتيجة لتلك الاحداث المروعة ، وهذه النقمة قد تنذر بانفجارات من الغضب ، مما يهدد على نحو او اخر مصالح القوى العظمى في الشرق الاوسط ، ولذلك فلا بد من ان يقوم الاعلام بمهمة التنفيس للحؤول بين براكين الغضب الشعبي وبين الانفجار ، حفاظا على « المصالح الحيوية » ومادام « الكلام » امرا قليل التكاليف ، ومادام « الفعل » الاسرائيلي قد استنفد اغراضه وامكاناته .. فلا ضير اذن من عواصف الدعاية الاعلامية . نقول هذا الكلام لاننا لم نلمس وما نحسب اننا سوف نلمس - اجراءات عملية فعالة للجم البربرية اليهودية تقوم بها دولة من تلك الدول التي تشن حملة « اعلامية » على جرائم اسرائيل ، وقد دأبت من قبل طويلا على حمايتها وضمان وجودها .

وهذا في الحقيقة هو الذي حمل عددا من الصحف العربية على ان تسأل : وماذا بعد ؟! اجل .. ماذا بعد الكلام ؟!

ومهما كان فقد ابرزت الاحداث المشحونة بالفواجع والالام للشعوب العزلاء المخدوعة جملة من الحقائق الصلبة التي غفل او تغافل عنها الكثيرون طويلا :

١ - ان حديث اسرائيل عن السلام مجرد خرافة للتضليل ، تدخل في اطار غدرها ونقضها للعهود كما تجلى واضحا بعد انسحاب الفلسطينيين من بيروت ، وان اسرائيل لن تكف عن عدوانها على شعوب المنطقة المجاورة قبل ان تحقق اهدافها جميعا ، ولن يكون عدوانها هذا هو العدوان الاخير .

٢ - ان « القوة » هي الاساس الذي تبنى عليه السياسات الدولية في هذا العصر الذي يدعي فيه الكبار لانفسهم وصاية شاملة على الحضارة الانسانية وقيمها ، وان مزاعم السلام التي يدغدغون بها الضعفاء ليست سوى جرعات من « الافيون » « السياسي » للقبول بسيطرة القوة والامر الواقع .

٣ - ان الذين يعولون على صداقة هذه او تلك من القوى العظمى ، لن ينالوا شيئا ذا بال من ولائم السياسة الدولية ما داموا لا يملكون من القوة ما يحمل تلك الدول على اعتبارهم والوفاء بالتزاماتها نحوهم ،

هذا .. وقد انصبت اتجاهات الصحافة العالمية على جوانب عدة ، ابرزها : تحديد المسؤولية المباشرة وغير المباشرة عن الجرائم المرتكبة . وفضح الطبيعة

العدوانية الغادرة لاسرائيل ، ومحاولة التكهن بما يمكن ان ينجم عن ذلك في المستقبل القريب .

المسؤولية

حول المسؤولية عن المذابح كتبت الغارديان تحت عنوان « اسرائيل والمذبحة » :

شهد لبنان مؤخرا واحدا من اكثر الاحداث بربرية في عصرنا الحاضر . وكانت السلطات الاسرائيلية التي سوف يلبسها العار الى الابد مسؤولة عنه . ليست هناك كلمات مناسبة نستطيع ان نصف بها ما فعله الاسرائيليون وحلفاؤهم من المليشيات اليمينية ضد اسر اللاجئين الفلسطينيين العزل في مخيمي صبرا وشاتيلا . وربما كانت مذابح الحرب العالمية الثانيــة في ليديس ووارسو وادادور . شيئـا لايذكر بالنسبة لما فعله الاسرائيليون .

وسوف تظهر الايام عاجلا ام اجلا كم من كبـار السياسيـين الاسرائيليين كان يعرف كل شيء عن قرار اطلاق يد المليشيات المسلحة في المخيمات .

لقد كان هناك من المسؤولين من يعرف . وهؤلاء جميعا مجرمون ومتواطئون في هذه الجريمة الوحشية . وسيكون من الصعب الان على اية حكومة ان تتعامل مع قيادة اسرائيل الحالية ، مع قيادة فيها مثل شارون وزيرا للحرب .

وقالت صحيفة هارتس الاسرائيلية في تقرير نشرت ترجمته في عمان في ٥ ذي الحجة :

ان اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي وايتان رئيس الاركان وعددا من كبار الضباط الاسرائيليين كانوا في مكان قريب من المخيمات الفلسطينية عند وقوع هذه المجازر وبالتحديد فوق سطح احد المباني في منطقة الاوزاعي بالضواحي الجنوبية الغربية من بيروت عند دخول قوات اسرائيل الى الجزء الغربي .

واضافت الصحيفة :

ان القوات الاسرائيلية التي كانت تطوق المخيمات كانت تطلق النار على من حاول الفرار من النساء والاطفال حيث قتلت بعضهم في حين اضطر البعض الاخر الى العودة للموت الذي كان في انتظارهم داخل المخيمات .

وكتبت التايمز تحت عنوان « بعد المذبحة » :

لماذا لم يستمع العالم عندما اعلن الفلسطينيون واصدقاؤهم الدور

الرئيسي للقوات الفلسطينية في لبنان يقتصر على حماية المدنيين الفلسطينيين وان من المرجح تماما وقوع مذبحة تستهدف اولئك الملايين بمجرد اخراج قوات منظمة التحرير من بيروت ، اذا لم يتم استبدال تلك القوات باخرى فعالة ومتعددة الجنسيات مفوضة بالبقاء حتى تتمكن السلطة اللبنانية النظامية من تسلم مقاليد الامور .

لا يتمكن المرء ايضا من تبرئة اولئك الذين كانوا يعلمون بان تلك المجزرة كانت ستحدث اذا لم يتم منعها ، ومع ذلك فانهم لم يتخذوا اية خطوات فعالة للحيلولة دون وقوعها .

والامريكيون ، والقوى الاخرى التي اسهمت في المفاوضات الخاصة باجلاء منظمة التحرير ، يجب ان يتحملوا ايضا جزءا من المسؤولية . فقد تقبلوا بسرعة كبيرة الزعم الاسرائيلي بان القوة متعددة الجنسيات لم يعد لها ثمة عمل بعد اتمام اجلاء منظمة التحرير . وحتى الدول الاخرى مثل بريطانيا ـ التي اختارت عدم القيام بدور نشط ـ يمكن اعتبارها مذنبة بسبب الاهمال .

اما صحيفة الانباء الكويتية فكتبت في ٨ ذي الحجة في افتتاحيتها تقول :

طبيعي جدا ان تتطلع الشعوب الى الانظمة والقادة في الاوقات العصيبة تنتظر الفعل الصادر عنها في مواجهة الازمات والتحديات القومية ، وبخاصة ما ارتبط منها بشأن الحرب والعدوان والاذلال العسكري . وتشتد ثورة الشعوب ويتعاظم غضبها حين ترى ان التصدي الذي كانت تحلم به قد اجهض وان الذين يجلسون فوق منصة الحكم بعيدون عن ممارسة الواجب المفترض وتأخذ الجماهير على القادة عجزهم عن الاتفاق على اسس المواجهة مع العدو .

○ فضح الهمجية اليهودية

وتراجع صحيفة صنداي تايمز طرفا من تاريخ الجرائم اليهودية لتضع اخر جرائمها في سياقها الصحيح . عن السياسة العدوانية الاسرائيلية تقول الصحيفة تحت عنوان : « التحذيرات التي تجاهلها العالم » :

اليوم حيث يعتصر الالم قلوب الفلسطينيين في كل مكان ، كم كانوا يتمنون لو كان هذا العالم قد جنبهم رؤية اسوأ مخاوفهم من الصهيونية تتحقق ، فلاكثر من اربعين عاما وهم يناشدون الانسانية ان تعمل شيئا من اجل وقف الخطر الذي يتهدد وجودهم على يد الصهيونية . ولكن العالم لم يعر اذنا صاغية لتحذيراتهم . وما حدث في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت مؤخرا لم يكن سوى سلسلة متصلة الحلقات لما

يحدث للفلسطينيين طيلة اربع حقب مضت .
ومذابح شاتيلا وصبرا لا تختلف عن غيرها من المذابح التي ارتكبت ضدهم من قبل في دير ياسين وقبية وقالونيا وكفر قاسم وقلقيلية والنبي الياس وعزون وخان يونس والسموع وغيرها الا في الارقام .
في ابريل ١٩٤٨ عندما كانت قرية دير ياسين الفلسطينية الواقعة عند اطراف القدس نائمة شن مسلحو عصابة ارغون تسفاي لئومي الصهيونية هجوما غادرا عليها وذبحوا ٢٤٣ رجلا وامرأة وطفلا . وقائد هذه العصابة لم يكن احدا غير مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل الحالي .
وبعد ذلك بخمس سنوات شنت العصابات الصهيونية هجوما مماثلا على قرية قبية فقتلوا سكانها الوادعين جميعا . وكانت العصابات تلك تحت قيادة اريل شارون الذي اخذ الان زمام جيش اسرائيل بين يديه .
واليوم بفضل وسائط الاعلام الحديثة شاهد العالم بالالوان عملية الابادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني فهل يفعل شيئا ام يستمر مرة اخرى في الانضمام الى الجوقة التي تعزف الحان الصهيونية .
في حملاتها القذرة ضد الفلسطينيين لم تنس الدعاية الصهيونية شيئا من شأنه ان يحرمهم مما كان لهم ، شوهت الصهيونية حتى تراثهم ، فهم ابناء الحضارة ليسوا في وسائط اعلامهم سوى حفنة من البدو الرحل وشوهت تاريخهم فمسحت عن الخارطة اسم فلسطين التاريخي القديم ووضعت مكانه اسما اختارته من بطون القصص التاريخية .

ما بعد العدوان الصهيوني

عرضت « الموند » الفرنسية تحليلا للعدوان الصهيوني ، وحاولت ان تتبين الاثار التي يمكن ان يؤدي اليها ، في مقال بعنوان « المسؤولية الامريكية تجاه المذبحة » :

امران اصبحا بديهيين بعد حرب لبنان ، اولهما ان بيغن واتباعه ليست لديهم اية رغبة في التفاوض مع الفلسطينيين في قبول تعايش بين دولة فلسطينية واخرى يهودية فوق ارض فلسطين . لقد خاض بيغن الحرب هذه المرة ليس للحفاظ على وجود اسرائيل بل ليحقق حلم « اسرائيل الكبرى » على حساب الدول العربية المجاورة . وثانيهما ان هناك استراتيجية مشتركة اميركية ـ صهيونية تهدف الى تأمين هيمنة الولايات المتحدة على هذه المنطقة الحيوية في الشرق الاوسط عبر تصفية منظمة التحرير الفلسطينية والاتيان بحكم سياسي موال لاميركا

في لبنان وتعزيز مواقع الحكومات المؤيدة للولايات المتحدة في العالم العربي في هذه الاثناء كان المواطنون العرب يتابعون بحيرة هذه السلبية من جانب معظم الحكومات العربية

ولو ان الدول العربية سمحت للمتطوعين بالانخراط في حرب لبنان وسهلت مهامهم لكان عشرات الالوف من المتطوعين العرب الشباب جاءوا لرفد الفلسطينيين وهو ما كان سيفعله اليهود حتما لو ان تل ابيب كانت في وضع بيروت .

ان الاحداث المأساوية التي يعيشها العرب ستكون لها بالتأكيد انعكاسات سياسية واستراتيجية اقليمية ودولية ايضا . وسيعرف العالم العربي المصدوم حتى قمة رأسه كيف يستخلص دروس مأساة لبنان بعد ان ادرك على حسابه ان نقطة الضعف الاساسية فيه تعود الى تمزق صفوفه .

أما الشعب الفلسطيني فمحكوم عليه ان يواصل الكفاح حتى يستعيد هويته ووطنه . ولن تكون الاعمال التي سيواجه بها الشعب الفلسطيني قادة اسرائيل شرعية وحسب بل هي ايضا عبارة عن اعمال دفاع مشروع عن النفس لانه بعد ان طردت اسرائيل الفلسطينيين من ارضهم لاحقتهم حتى الى لبنان حيث وجد جزء من الشعب الفلسطيني مأوى له في ذلك البلد .

وفي عدد اخر لصحيفة الموند نفسها صدر في ١٤ ذي الحجة قالت الصحيفة :

خارج اطار التفسيرات الرسمية ثمة قراءتان للعملية الاسرائيلية بدا احتمالهما ممكنا جدا منذ شهر حزيران « يونيو ». القراءة الاولى تقول ان اسرائيل لا تسعى الى اعادة بناء لبنان « قويا مستقلا » كما تعلن بالعكس انها تسعى الى تقسيم البلاد الى ثلاثة قطاعات او على الاقل الى منطقتين كبيرتين الاولى ، تقع الى الشمال من سهل البقاع ، وهذه تبقى متروكة لسورية (تعويضا عن الجولان) ، والثانية من بيروت والى الجنوب وهذه ستكون منطقة نفوذ اسرائيلية ويحاذي هذه الى الشمال محمية مسيحية تحت رقابة قوية .

القراءة الثانية تقول ان اسرائيل تريد اقامة دولة لبنانية قوية متحدة على ان استقلال هذه الدولة يكون على « ذوقها » وبطريقتها هي ، اي ان تكون دولة تابعة ضعيفة ، توقع معها معاهدة السلام التي تفرضها هي ، وتتحرك بحسب مشيئتها .

وقد اعربت عدد من الصحف العربية عن دهشتها من الارتماء العربي في احضان امريكا التي ثبت انها تواطأت مع اسرائيل في غزوها الاخير للبنان ، وتتوقع بعض الصحف ارتماء متزايدا في المستقبل .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٨ - صفر ١٤٠٣هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٢م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا

رواه مسلم

قال تعالى :

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا
أن الله مع المتقين

الآية ١٢٣ من سورة التوبة

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI
KUWAIT P. O. BOX: 23667
السنة التاسعة عشرة
العدد ٢١٨ - صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر ديسمبر ١٩٨٢م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الأحداث الجسام وأمل الغد

القى صاحب السمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كلمة الافتتاح في الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة الكويتي . وقد أشار فيها الى الاحداث الجسام التي شهدتها الارض العربية : من مذابح جماعية قامت بها اسرائيل وعملاؤها ، وملاحقة لأبناء الكويت تمت على أيد آثمة ، وحروب داخلية ومؤامرات واغتيالات . وعلى الصعيد الداخلي للكويت تضمنت كلمة الافتتاح اهتماما بما حدث من اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع .
وفيما يلي نص الكلمة :

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، بعون من الله سبحانه نفتتح الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة .

اخواني :

بين لقائنا هذا ولقائنا السابق شهدت ارضنا العربية احداثا جساما منها المذابح الجماعية التي ارتكبتها اسرائيل وعملاؤها ضد المدنيين العزل الى ايد اثمة لاحقت ابناء الكويت الذين يحملون رسالتها الى العالم اخاء وسلاما وتعاونا فمنهم من نجا ومنهم من اختاره الله سبحانه الى رحابه شهيدا . وكان العرب والمسلمين لم يكفهم ما يلقونه من اعدائهم فاضافوا اليه الحروب



الداخلية والمؤامرات والاغتيال .
على الصعيد الداخلي حدث اندفاع غير محسوب نحو الكسب السريع تحت مظلة الاقتصاد الحر الزمنا ان نتخذ موقفا يجمع بين حماية المجتمع والاقتصاد الوطني في نور من قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقوله تعالى « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ».
اخواني :
ان الاعباء التي تحملها الكويت داخليا وخارجيا تزداد كثافة وتشابكا مع تطور الحياة والاحداث في منطقتنا والعالم من حولنا .
واول من يعيننا على حسن القيام بها ايماننا بالله ربنا منه سبحانه وتعالى العون والهدى . وندعوه دائما قائلين « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم ».
وانني اذ اثني على التعاون القائم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لمقابلة هذه المسؤوليات . ادعو الله سبحانه وتعالى ان يزيد هذا التعاون قوة وامتدادا . لنجعل غدنا اكثر ازدهارا من حاضرنا . مهتدين بقوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع اجر من احسن عملا ».
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الوزارة في

في ذكرى الهجرة..

القى السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت كلمة في ذكرى الهجرة المشرفة ، وذلك في احتفال اقامته الوزارة في هذه المناسبة

وقد استهل السيد الوكيل كلمته بالاشارة الى العقبات والمصاعب التي واجهت الدعوة الى الله في مكة المكرمة ، ثم تحدث عن هدف الهجرة ، وما يستخلص منها من دروس لتعزيز الصحوة الاسلامية المعاصرة ، والمح الى ابرز تلك الدروس وهو الاخذ بالاسباب بالتخطيط والاعداد مقرونا بالاعتماد على الله . واكد ان الكوارث التي تصيب امتنا الان ترجع الى افتراق الكلمة ، ودعا الى العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا للحياة وفي شؤونها كافة . وانهى كلمته بالتذكير بان الاسلام دين القوة ، وليس يجدر بنا ان نكتفي بالشكوى والضيق ، او ان نركن لليأس على حين تعاني الامة من النكبات ، حتى لقد صار الجهاد واجبا على كل مسلم ومسلمة .

وفيما يلي نص الكلمة :

الاحتفال بالهجرة

دعوة إلى الجهاد

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد و آله وصحبه ومن اتبع هداه . وبعد . فكلما اطل على المسلمين عام هجري جديد تجددت معاني ذكرى عزيزة علينا . ذكرى خالدة الأثر في تاريخنا ونهج حياتنا دينا ودولة . انها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد ان تشبع جوها بعدانه ومعارضة دعوته . وتواصى اهلها بسد السبل امام انتشارها بينهم او في البيئات المجاورة . وفي ذلك الوقت نفسه أفاض الله على المدينة واهلها بركات العزم الصراح على احتضان الدعوة وبذل الطاعة للداعي الى الله على بصيرة . عازفين عن دين الآباء وتقاليد الأجداد . رابطين مصيرهم بمستقبل الاسلام رغم الظروف العصيبة المحيطة به . لا حافز لهم الا الثقة بوعد الله لرسوله والنهوض لنصرة الحق وأهله .

لقد هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام مع ثلة من السابقين الأولى لا بحثا عن معيشة افضل ولا سعيا الى مغانم لياخذوها . ولا رحيلا عن ارض نفدت خيراتها . فقد كانت مكة مهوى الافئدة ومركز جزيرة العرب . وخرج المهاجرون عنها وهي احب البلاد الى نفوسهم واقدس البقاع في الأرض . وكان

الهدف الوحيد لرعيل الهجرة الخروج الى أرض الله الواسعة ليهاجروا فيها ويعبدوا ربهم آمنين مع قوم (تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكان الهدف الذي ارتضاه الله لرسوله اقامة اول دولة للدين الحنيف بعد ان اشتاقت الأرض الى هدى الأنبياء واشتد ظمؤها الى وحي السماء .

لقد رافق حادثة الهجرة من مظاهر الأخذ بالأسباب ومن فيض العناية الالهية ما سدد الخطى وأنجح القصد ورسم السبل التي يجب أن يسلكها المسلمون أفرادا وجماعات لاعادة مجد الاسلام وعزة المسلمين ، بالتخطيط المدروس والاعداد المناسب مقرونا ذلك كله بما تمليه على المسلم عقيدته من الاعتماد المطلق على الله والثقة بوعده في نيل احدى الحسنيين : النصر المؤزر ، او الشهادة .

واننا بأشد الحاجة الى استحضار هذه الدروس المستفادة من الهجرة لتكون نبراسا لنا في تعزيز الصحوة الاسلامية وتأصيلها واحاطتها بما ينبغي من الفهم والهيمنة الرشيدة لتكون - كما يقولون - مقامات راسخة لا أحوالا متغيرة ، فان أحب العمل إلى الله أدومه وان قل ، ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق ، وهي الجديرة بالقيادة والريادة الى سواء السبيل .

ان هذه الذكرى تمر على المسلمين وهم مازالوا يخوضون امتحانا عسيرا بعد أن تكاثرت عليهم الكوارث المفجعة التي يكاد جديدها ينسي القديم .. وقد دلت هذه النوازل بما لا يدع مجالا للشك ، على ان أسبابها افتراق الكلمة واتباع السبل التي تفرق بيننا او تبعدنا عن صراط الله المستقيم ، وأقل ما يجب علينا أ لا نحرم من الحوافز الداعية الى جمع الشمل وتوحيد الكلمة والنهوض بما تمليه الاخوة الاسلامية من التعاون والتكافل ، (انما المؤمنون اخوة) و« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

لقد كان في الهجرة الى المدينة فرصة للاحتكاك باليهود والاختبار لمن اختاروا طريق النفاق والارجاف والتخذيل .. وقد تمكن المسلمون بوحدة الصف أن يخيبوا من كاد لهم من المنافقين ، أما اليهود فقد ظلوا طوال حياة الدولة الاسلامية - كما وصفهم الله - (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا) - ولم تجد فيهم شتى المواثيق والعهود ولا ما تفيؤوه من ظلال الحماية الاسلامية لأهل الأديان بتركهم وما يدينون ، ولم ينفع الا استمرار لواء الجهاد خفاقا فهو سنام الاسلام والسبيل لنكون

العزة ـ حقيقة واقعا ـ لله ولرسوله وللمؤمنين .

هذا ، وان الفلاح والنجاح هو في العودة الى الاسلام سلوكا ومنهجا ، دستورا لحياتنا ، وقواما لاقتصادنا وأمانا لمجتمعنا ، ونبعا لثقافتنا ، ولا صلاح لهذه الأمة في شتى عهودها وبقاعها الا بما صلح به أولها ، فان مبادىء الاسلام اذا حملت الى الناس بالدعوة الحكيمة والتطبيق الرشيد كان فيها راحة الانسانية المتعبة التي تلهث وراء مبادىء لم تحقق للبشرية ما تصبو اليه بل كشفت الحاجة الى الانضواء في دين الله الذي اكمله للناس ، ورضيه لهم ، واتم عليهم به النعمة ، فجزى الله عنا صاحب الذكرى خير ما جزى رسولا عن أمته .

ايها الاخوة المؤمنون ،،

ونحن نرقب في الافق هلال المحرم هذه الليلة تودع أمتنا من عمرها عاما مر عليها ثقيلا بالاحداث والمحن ارتفع في حسابه عدد الضحايا والشهداء ، فخلف الآلام والجراح وعصر الحزن كل القلوب وهزت بشاعة العدوان المشاعر في شرق الدنيا وغربها .

والاسلام هو دين القوة يأبى ان نستقبل عامنا الجديد بالشكوى والضيق ، يأبى ان نواجهه باليأس وتنكيس الرأس ، بل يوجب الجهاد في الظروف الحاضرة على كل مسلم ومسلمة حتى نحرر الارض ونطهر المقدسات ونثأر لشهدائنا الابرار .

وكيف لا والارض أرضنا والحق حقنا ومن المستحيل ان يباد شعب يستحق الحياة وان يضيع حق سلبه الطغاة .

تعلمنا الهجرة ان نواجه الاخطار في قوة واستعلاء وان نستعلي بالايمان على الآلام والجراح وان نوحد الصف وننسى الخلافات ، ونقدم للمعركة اكرم زاد واعظم تضحية لنخرج من المحنة برؤوس مرفوعة وجهاد مشكور ، ونعلم الاعداء ان الحق امضى سلاح وان خط الطغيان خاسر وأنه على الباغي تدور الدوائر .

(وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

ايها الاخوة بالعودة الى كتاب الله والتمسك بسنة رسوله نستحق بشارة القرآن الكريم (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

هذا وان وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية لتنتهز هذه الفرصة فتبعث بخالص التهنئة الى سمو امير البلاد وسمو ولي عهده الامين والشعب الكويتي الكريم والأمة الاسلامية وكلها امل ورجاء ان يعيد الله سبحانه هذه الذكرى على امة الاسلام وهي اكثر تمسكا بكتاب ربها وسنة نبيها وقد توحدت الصفوف واجتمع الشمل وتحقق لها النصر الكريم والفوز المبين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

أدب الدعوة إلى الله

غاية الاسلام أن يحيا الناس حياة طيبة ، ويتمتعوا بمدينة فاضلة ، ثم يفوزوا في الآخرة بسعادة خالدة .

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الدعوة إلى الاسلام لا يثبت أصلها ، وتمتد فروعها ، وتؤتي ثمرها الطيب ، إلا إذا قامت على أساس الحجة والبرهان ، وذهب بها الداعي كل مذهب حكيم ، وأخذ فيها بكل أدب جميل ..

وفي شواهد هذه المعاني يقول الله تعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** .

ويقول سبحانه : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**).

وكذلك كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام . فكان يراعي في تبليغها الطرق الكفيلة . بنجاحها ، فيورد لكل مقام مقالا يناسبه ، ويكسو كل معنى من المعاني ثوبا يليق به ، ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم ، ويلقاهم بالاسلوب الذي هو أدعى إلى إقبالهم ، وأسرع أثرا في صرفهم عن غوايتهم .

ومن طرق دعوته صلى الله عليه وسلم التذكير بما يصير اليه المتقون من عز وسلامة ، وما يلحق المجرمين من خزى ومهانة .. وللبشارة والانذار أثر كبير في حث المؤمنين على الحسنات وردعهم عن السيئات ، ودعوة غير المؤمنين إلى النظر والتأمل .. وإذا نظر غير المؤمن بروية أدرك أن دعوة الاسلام حق فيفسح لها صدره ، ويمد إليها عنقه مذعنا .

ومن مظاهر دعوته « صلى الله عليه وسلم » إرسال الحكم البالغة .

والكتاب العزيز والحديث الشريف مليئان بالحكم السامية التي تدل المتأمل على أن دعوة الاسلام قول فصل وما هي بالهزل

وما من حكمة نافعة يذكرها الناس لشاعر أو خطيب بالأعجاب إلا وكان معنى تلك الحكمة مقتبسا من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

ومن أدب دعوته أخذه فيها بالصبر والرفق والأناة . يعرضها في لين من القول ، ويقابل الجاهل بالاعراض والمسيء بالعفو أو الاحسان . وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغي مأخذاً لطيفا حتى أنه لا يوجه الانكار إلى رجل بعينه ما وجد في الموعظة العامة كفاية ، قالت عائشة « رضي الله عنها » : « صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغه ذلك ، فخطب ، فحمد الله ثم قال : « ما بال

أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فو الله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية »

ومن حكمته « صلى الله عليه وسلم » في الدعوة انه لا يجعل الوعظ على الناس ركاما بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجتهم إليها ، أو وقت نشاطهم لسماعها .

قال عبد الله بن مسعود « رضي الله عنه » لأصحابه : « إني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا ».

ومن بديع أسلوبه « صلى الله عليه وسلم » في إجابة السائلين أنه يأتي بالجواب في صورة قاعدة عامة . كان رجل من محارب يؤذيه أيام كان يعرض نفسه على القبائل داعياً إلى الله ، ثم جاء ذلك الرجل في وفد محارب مسلما وذكرَّ رسول الله بما كان يلقاه به من الأذى ، وقال له : استغفر لي . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الاسلام يجب ما قبله ». ولو قال في الجواب للرجل : « غفر الله لك » لبلغ السائل مرامه . ولكنه « صلى الله عليه وسلم » أورد الجواب في صورة يؤخذ منها غفران كل ذنب صدر من السائل قبل الإسلام ، ويؤخذ منها أن هذه المغفرة عامة لا تختص به ، بل تحصل لكل من ارتكب آثاما في عهد الكفر ، ثم دخل في حظيرة الاسلام .

وكان « صلى الله عليه وسلم » في دعوته يخاطب الناس بما تحتمله عقولهم . وأرشد إلى هذا الأدب بقوله : « حدثوا الناس بما يعرفون »

وكان من حكمته في الدعوة التصريح بعلل كثير من الأحكام والآداب أو الاشارة إليها . وذلك مما يزيد القلوب إيمانا بصدقها ، وينادي بأنها دعوة قائمة على رعاية المصالح وقطع دابر الفساد .

سأله رجل أأستأذن على أمي قال : « نعم » قال : إني معها في البيت قال : « استأذن عليها » قال إني خادمها قال : « إستأذن عليها » أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا قال : « إستأذن عليها ».

فعلّة أدب الاستئذان الخوف من أن يكون صاحب المنزل في وضع يكره أن يراه عليه أحد من الناس .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وضعا هو من أشد ما يكره الانسان أن يشهده عليه أحد ، وهو وضع تجرده من الثياب ليقنع السائل بوجوب الاستئذان ، ويمنعه من أن يراجع في الأمر مرة أخرى .

ومن حكمه في الدعوة أنه كان يعيد الجملة ثلاثا ، كما قال « صلى الله عليه وسلم » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » « والله لا يؤمن » قيل من يا رسول الله قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه »

وكان « صلى الله عليه وسلم » يقرن القول ببعض إشارات حسية تناسب المعنى ليزداد جلاء ، ويأخذ بها في النفس صورة قوية . ومثال هذا قوله « صلى الله عليه وسلم » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه .

ومن طرق دعوته « صلى الله عليه وسلم » افتتاحه الكلام بسؤال المخاطبين عن الشيء الذي يريد تعليمهم إياه لماضي الاستفهام من تهيئة النفوس للاصغاء إلى ما يقول . فيقع منها موقع القبول . قال معاذ بن جبل « رضي الله عنه » بينما أنا رديف رسول الله ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال « يا معاذ قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا »

تلك قبسات من أدب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في تبليغ دعوته وهي تفصح عن بالغ حكمته ونجاح منهجه ، مما كان سببا في الاقناع والقبول .

وحرى بالدعاة الى الله أن يقتدوا بهذا الأدب العالي ، وأن يدركوا أنه لا يكفي في الدعوة إلى الاسلام أن يطرق الداعي بها المجالس من غير أن يشد أزرها بالحجة ، ويتخير لها الاسلوب الذي يجعلها مألوفة للعقول ، خفيفة الوقع على الاسماع .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الترقي الروحي في المنهج الإلهي

للدكتور / عز الدين علي السيد

ما أمسكت القلم لأكتب إلا خلت اني سألغو وأثرثر ، بكلام معاد مسئوم ، لأنه ما من موضوع أقترحه ، إلا سبق لي أو لغيري قول فيه ، وكأنما يحس ذلك قلمي وصحيفتي ، فأراه نافرا وأراها ساخرة ! ولكني أجدني ما أزال مطالبا بواجب المسلم في التواصي بالحق ، ومبررا عملي ، بأن الفكرة مع تكرارها منسية كالمجهول : يعوزها ان تظل تذكر حتى تحيا وتشتد !

ويقيني في موضوع اليوم انه من علم القارىء بمكان ولكن يقيني أيضا أن ذلك المكان عند كثيرين زاوية من جانب المخ ، بعيدة عن البؤرة فليس له سلطان مهين على توجيه السلوك ، والترقي بالروح الى الغاية المبتغاة من انسان سوي ، عرف ما ناط به الخالق الكريم من مهمة صعبة ، ابت السموات والارض والجبال ان تحملنها واشفقن منها ! فالحياة المحمية بالأمانة من عقوق الآدمي في أنماط السلوك خاصية وعامة هي الحياة السوية ، التي تسنمت فيها الروح مكانها ، من قيادة الجسم وتوجيه انشطته ، وترشيد انفعالاته ، وترقية شهواته وهي حياة لا تخنق الاستعداد الشهوي ولاتئده كما يتوهم الاغبياء فلولا ما ناطه به الحكيم من وظيفة تعمير الأرض لما خلقه ، ولكنها تحفظه من العبث به من الشيطان ، الذي لا هم له الا احتواء البشر في حصيلة كيده المستمر !

فالدنيا منذ شاء الله ان يستخلف آدم ، مستعمرة له ولذريته ، وهي حافلة بكل مشتهى ، وللانسان قابلية فطرية مودعة فيه بالحكمة لتلتقي بهذه المشتهيات التي لا حصر لها ، والحواس التي هي منافذ الادراك لهذه

المشتهيات ، تجهيز الهي يحكم الصلة بين الانسان والوجود الذي هو فلذة منه ، ولكنه الخليفة فيه .
ولعله لولا اقتضاء الحكمة العلية احلال الشيطان هذا الكون مع الانسان ، ما احتاج الانسان الى وحي السماء يوجهه ، اذ كانت الفطرة التي خلق الله الناس عليها دينا كافيا للاشباع في حدود السلامة من الجشع ، وحب الفرد ان يستقطب المنافع كلها لذاته ولو شقي من حوله ، ولكنه لو كان الامر هكذا ، لما تميز الفاضل من المفضول ، ولما وجد البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ووجود ذلك كل مفروغ من القول فيه ، لان حكمة الله اقتضته اقتضاء ازليا ابديا ، يستوجبه كمال اسمائه الحسنى وجلاله !
وهنا يتجلى ميدان الصراع ، ويصبح الجهاد للترقي واجبا للانتصار على عدو البشر ، وللسلامة من مصير اقسم عليه متحديا اذ قال (**فبعزتك لاغوينهم اجمعين**) ص / ٨٢ وليكون المجاهد المترقي غالبا عليه داخلا في استثنائه : (**الا عبادك منهم المخلصين**) ص / ٨٣ .
واذا تبين بهذا لزوم الجهاد للترقي الى مستوى النصر على الشيطان ، الذي دسيسته في صميم تركيب الانسان وهي النفس الموصولة الحس بالشهوات على وجه مستمر ـ فقد اقتضت حكمة الله ان يسند الصفوة المختارة المستثناة بمنهج هذا الترقي ، لان العقل وان يكن عقالا للنفس ـ يعجز احيانا كثيرة امام الحكم بالتحسين والتقبيح ، للالتباس بمغالطة الشيطان ووسواسه ، وخديعته العقل بالعلل والبراهين المفتراة ! فليحق الحق ويبطل الباطل وليتأكد العدل وتقام الحجة ، انزل الله الكتب منهجا حكيما على نجباء الحياة : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥
ولو كان العقل وحده كافيا للحماية والانتصار لكان الحجة البالغة وكانت رسالة الوحي نافلة ! وحقيقة مؤكدة ان النفس البشرية نفس شاعرة وان لم تقل شعرا ، لان عالمها الداخلي عالم احساس وعاطفة ووجدان ، وعالمها الخارجي عالم اغراء واثارة وفتنة ، وهذا مناط انطلاق الخيال الذي يزلزل سلطان العقل ، وينيمه مخدرا بالسحر والنشوة ، ويصور له ان الله ما خلق هذين العالمين هكذا ، الا للاغتنام قدر المستطاع : (**من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث**) آل عمران / ١٤ واشباهها من كل مصب لعاطفة وهاتف بغريزة !
وهذا التلبيس حق بظاهره باطل مخز بباطنه والذي يكشف الحق ويزهق الباطل لعين العقل حتى يحذر هو منهج الله ، الذي لا يحرم قوانا الموهوبة من المتعة المسعدة بكل هذه المثيرات ، ولكن في اطار من الطهر والنزاهة ، وباحكام يعصم من انفلات المؤمن المستجيب الى حبالة الصائد المحتال .
فالرسالات والاسلام خاتمها والمهيمن بالتمام والكمال عليها ، منهج الهي منير صاعد يقيد الضار والقبيح بحكم ربه عليه ، وان حسنه العقل مخدوعا

بالعلل الكواذب ! ويقيد النافع والحسن بحكم ربه عليه وان قبحه العقل مخدوعا بالعلل الكواذب !

ويمكن للناظر في المنهج الالهي ان يجد مهما قلت ثقافته ـ قاموس الحسن وقاموس القبح ، الذي يفصل به بينهما ليهتدي فيرتقي :

فالحلال والطيب ، والبر ، والمعروف ، والازكى ، والاطهر ، والاحسن ، والاقوم ـ وما الى ذلك متصف بها الحسن عند الله !

والحرام ، والخبيث ، والمنكر ، والفاحشة ، والرجس ، والفسق ، والكفر ، وما اليها متصف بها كل قبيح عند الله !

وكل خير وفضيلة ـ كما قرر الحكماء ـ وسط بين رذيلتين : هما الافراط والتفريط . والمنهج الالهي هو دائم بينهما في استنان طريق الحياة !

فالاتصال الجنسي ـ كما لدى البهائم وشبهها من البشر ـ حسن في ذاته ، لانه استجابة طبيعية لغرائز تريد الاشباع ، ولكنه قبيح على اطلاقه ، لما يترتب عليه من مفاسد امن بها كل جيل او وطن اصيب بالفسوق عن منهج الله ، فضاع النسب ، وانحلت الاسرة ، وفقد السكن ، وتدلى الانسان فكان دون الحيوان ، الذي يعرف حظيرته وابناءه فيحضنهم ويرأمهم ! ولهذا حصنه المنهج الالهي بالضمان الكافي لحماية الحياة .

وحكم الانسان بالاعدام على هذه الغريزة فيه ، قبيح في منهج الله ، لانه افتراء على وصل الحياة باتخاذ السبب المشروع ، وحكم على الجنس بالانقطاع عند هذه الغاية ، وتحريم لما امتن به الله من زينة الحياة وانس القلب ، ومد بالحطب الجزل لنار الصراع في داخل الحياة النفسية يمرض المرء بالقلق والتوتر واضطراب الانتاج .

والقصاص قتل للنفس ، فهو قبيح في ذاته لانه ازهاق للروح وهدم لبناء الله الذي لا يقدر على مثله سواه ولكنه حسن في منهج الله لانه يعصم البناء الاكبر من الهدم ، لاعتقاله شهوة القاتل او نزوته في ظلال غريزة حب البقاء ، فيكف ليعيش عن اجابة النزوة ، ولهذا جعله المنهج الالهي مصدرا تصدر عنه الحياة ، بان جعله ظرفا لها في قول الحق جل علاه : **(ولكم في القصاص حياة)** البقرة / ١٧٩ كما جعل الحياة نكرة لعظمتها ، لانها حياة الملايين ومنها حياة القاتل الذي كفه النداء ! كما خاطب به اولى الالباب حملا لها ان تفكر ، وجعله تعالى علة للتقوى من الاعتداء الآثم والانطلاق المبير ، الذي ضرج الارض بدمائها اليوم ، دليل خسران البشر اذا تركوا منهج الله !

ولما كان هذا هو وجه الحسن في القصاص ، جعل الله الدماء قصاصا والجروح قصاصا ، والحرمات قصاصا ، ليرقى كل مؤمن فوق اهوائه ، ويؤمن البناء الاكبر شر بوائقه بثمن كبير هو امنه في الدنيا بالتلاحم مع هذا البناء ، وامنه في الاخرة بالاستجابة لصوت المنهج الذي اهاب به فلباه !

كما ان الاسراف في القتل قصاصا في منهج الله قبيح لانه طاعة للهوى ،

وانخداع بالظنة وافلات بالسلطان من قيود المنهج الذي استحب درء الحدود بالشبهات وفرض التحري لعدالة الشاهد ، وجعل للشهادة نصابا من الشهداء ، وللاقرار على النفس نصابا من الترديد ، تكريما لدم الآدمي وتعريفا له بقيمة ذاته ليعرف اين هو على دروب الحياة المتعددة المسالك !
وعلى قياس ما مثلنا كل ما في المنهج الالهي الحكيم من امر ونهى فما احل الله غير الطيبات وما حرم غير الخبائث .
والعبادات بمبادئها وصفاتها ما هي الا تدريب مستمر ناجح في التسامي بالنفس الى اعلى ما يكفل للدنيا نسقها المستقيم .
فالصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر قال تعالى : (**واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) العنكبوت / ٤٥ هكذا بتنزيل الصلاة منزلة الناهي العاقل المختار ، لاكبار شأنها في الترقي بالذات عن مشتهيات النفس الفاحشة ، التي ينكرها العقل المدعوم بسلامة الفطرة وبالسلامة من تزييف الشيطان .
والصوم تسام بالنفس عن اكتساب ما جبلت عليه ، وما هو ضروري لقيام الحياة ، فترة غير قصيرة من الزمن ، ليدربها على الانضباط وصيام الجوارح كلها عن التسفل بالهجر من قول او عمل وانت واجد عدم الجدوى من الصوم المقترن بالعمل الهابط في قول النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .
والحج تسام بالنفس على حب المال وملازمة الاهل والوطن ، واستمرار الحياة على نسق الكسب والراحة من عناء السفر ووعثاء الطريق ! وهو مع ذلك ترق بالسلوك الى التهذيب الاكمل ، في مضائق من شأنها ان تفلت الجارحة من ضبط العقل ، فلا تمام له الا بتمام السيطرة على مملكة النفس التي يحشد حولها المنكور قواه .
(**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) البقرة / ١٩٧ .
(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه !) رواه البخاري واحمد عن ابي هريرة .
والزكاة ـ والنفس مجبولة على الشح ـ استعلاء بهذه النفس على حبها المردي بتهديد الشيطان :
(**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**) البقرة / ٢٦٨
واستجابة في المقابل لدعوة المنهج الى الفلاح :
(**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) التغابن / ١٦ .
حيث يبذل المتسامي من خير ماله وطيب كسبه مستعصيا على نداء عدوه ، لا يبطل ما انفق بالمن والاذي ولا يتيمم الخبيث ينفق منه وليس بآخذه الا ان يغمض فيه ، بل يؤثر غيره ولو كان به خصاصة ، لانه آمن حين ارتقت نفسه

فوق دنياه ، بان الذخر اجمعه في ابتغاء وجه الله :
(انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) الدهر / ٩
وكلمة التوحيد وهي الاس لاركان الاسلام وحقيقة المنهج ، تسام بالعقل والروح عن دنو النظر وهبوط الوجدان ، بل عن بلاهة الطفولة التي تغري بحب الجمع والتكثير ، حتى في الاله الذي يعبد ، والتي لا تقتنع لعدم القدرة على التجريد ، الا بما تدرك الحاسة ، فهي من اجل ذلك تنكر الوحدانية ولا تؤمن باله لا تراه او تلمسه ! ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، يبطل لدى المؤمن كل سلطان غير الله لا يظله الله بسلطانه فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ومفهوم عقيدة التوحيد في المنهج الالهي ، تقرن الذل والعبودية لله وحده بالعزة والكرامة امام من سواه حتى يكون افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ! لان مفهوم هذه العقيدة ، ان الاكرم عند الله هو الاتقى ، وان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد وانه معه حيث كان يعلم السر واخفى :
(انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) لقمان / ١٦
فلا حجاب بين المترقي بمنهجه وبينه ، بل ما يزال المترقي به يجاهر حتى يقسم على الله فيبره ، وحتي يجعله عبدا ربانيا يقول للشيء كن فيكون !
وملتزم هذا المنهج حذر وقاف ، لا مخدوع ولا مغرور لانه رأى فيه
(ويحذركم الله نفسه) ال عمران / ٢٨ و ٣٠
(ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) الحجرات / ٢
(وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) الفرقان / ٢٣
(وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) الكهف / ١٠٤
بل ورأى قول اهدى البشر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولا انا الا ان يتغمدني الله » رواه البخاري واحمد
ان المنهج الالهي لترقية الروح ، الذي سلكه الحق في مائة واربع عشرة سورة هي القرآن ، واوحى الى نبيه بالسنة الحنون لبيانه وما اوسع صدرها لا يصوره في جلاله وكماله الا ذاته ، وهو بنعمة الله قد تكفل الله بان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما تطفلنا مع وجوده القائم الا لنرد اليه بمثل هذه الحروف انفسنا ، وانفس امثالنا مما نأوا عنه ، بفتن اظلتنا هي من حولنا كقطع الليل المظلم ، لا عاصم لنا من شرها الا ذلك الحبل الممدود بيننا وبين الله ،
(وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) الانعام / ٧٠

القرآن كمصدر تشريعي في رأي المستشرقين

للدكتور / عجيل النشمي

لقد تركزت بحوث المستشرقين حول القرآن الكريم وتناوله اغلبهم بالطعن من جوانب عديدة في لفظه ورسمه وتلاوته واحكامه واخباره وطريق تنزيله وثبوته والاحكام المستنبطة منه الى غير ذلك .

ولسنا هنا في معرض استقصاء ما دونوه والرد عليه . وانما حسبنا ان نقف على تصورهم للقرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي ودوره في بلورة الفقه ، وتقييم ذلك على ضوء ما قرره علماء اصول الفقه

والوقوف على هذا يستلزم حتما الوقوف على تصورهم للقرآن الكريم على وجه العموم من جانب ، والنتيجة التي راموا التوصل اليها من جانب آخر ، لأن النظر في القرآن كمصدر للتشريع فرع هذا التصور العام .

التصور العام للقرآن :

أ ـ ثبوت القرآن : ينظر المستشرقون الى القرآن الكريم على انه نسج محمد صلى الله عليه وسلم وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم والذي هو عبارة عن احلام ورؤي واوهام ـ حسب افترائهم ـ وانه في بدايته كان عبارة عن افكار وأمثلة تصور الحياة الاخرة ـ ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعى الى توحيد الله وحسن عبادته للفوز بالدار الآخرة .

وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله .

هذا التصور المشوش عن القرآن الكريم تجده مسطرا في كتبهم ويتناقلونه آثما عن آثم خاليا من ادنى نظرة علمية مجردة .

وهذا قول احد كبرائهم يكشف عن هذا التصور فيقول :

لما بلغ محمد (صلى الله عليه وسلم) الاربعين من عمره ، اخذ يقضي وقته على ما تعود في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة ، حيث كان نهبا للاحلام القوية والرؤي الدينية ، وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب الى قومه منذرا اياهم ما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين ، وبكلمة واحدة ، احس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه الى أن يكون مربيا لشعبه اي « منذره ومبشره ».

ويعبر الكاتب عن نفس الفكرة فيقول : وفي خلال النصف الاول من حياته اضطرته مشاغله الى الاتصال بأوساط استقى منها افكارا اخذ يجترها في قرارة نفسه ، وهو منطو في تأملاته اثناء عزلته ، ولميل ادراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها اثر حالته المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والاخلاقية لقومه الاقربين والابعدين . وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها الى الخارج في شكل امثال مضروبة للحياة الاخرى كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوما بعد يوم ، وهذه التأملات هي التي كونت الفكرة الاساسية التي بني عليها تبشيره ، وما سمعه او عرفه يوم الحساب ، الذي سيقع يوما على العالم كالصاعقة أخذ يطبقه على الامور التي يراها حوله ، والتي كانت تملأ نفسه اشمئزازا .. وهكذا اسس محمد (صلى الله عليه وسلم) دعوته على التوبة والندم والخضوع والاسلام الى تمثيلات تتعلق باليوم الآخر قبل كل شيء . وحالة الادراك هذه كان من نتائجها ، لا من اسبابها ، ان نبذ محمد (صلى الله عليه وسلم) الشرك الذي حطت عقائده من شأن القدرة الالهية التي لا حد لها ، ووزعتها بين آلهة متعددين ..

ثم يقول : اذا ما كان يبشر به خاصا بالدار الآخرة ليس الا مجموعة موارد استقاها بصراحة من الخارج يقينا واقام عليها هذا التبشير ، لقد افاد من تاريخ العهد القديم ـ وكان ذلك في اكثر الاحيان عن طريق قصص الانبياء ـ لِيُذكّرَ على سبيل الانذار والتمثيل ، بمصير الامم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين ارسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم ، وبهذا انضم محمد (صلى الله عليه وسلم) الى سلسلة اولئك الانبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم .

ويحاول التوصل الى نفس النتيجة وهي الطعن بقطعية ثبوت القرآن الكريم بأسلوب وطريقة اخرى ، حصرها في وجوه ثلاثة ، سنذكرها تباعا ونناقشها ونرد عليها .

● **الوجه الاول** : تخليط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « ان اول مصادر الشرع في الاسلام واكثرها قيمة الكتاب ، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ على الرغم من امكان سعي الشيطان لتخليطه سورة الحج الاية ٥١ و « الكاتب هنا في غاية الدهاء فهو حين يقرر قطعية ثبوت القرآن ابتداء ، ينفيها على الفور بزعمه امكان وسوسة الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم فيسبق لسانه سهوا او غلطا فينقل عن الله خلاف ما اراد . وهو يريد استغلال ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة الحج « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم** »الآية٥٢الحج .

فقد ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول هذه الآية ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى تولي قومه عنه ، وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به ، تمنى في نفسه ان يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على ايمانهم ، فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش كثير اهله ، واحب يومئذ ان لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفرون عنه ، وتمنى ذلك ، فأنزل الله تعالى سورة « **والنجم اذا هوى** » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ « **افرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** » النجم ١٩/ ٢٠ القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ، ويتمناه « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته ، فقرأ السورة كلها ، وسجد في آخر السورة ، فسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد . وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا ، وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا : قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه ، فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال : « ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه ، وقلت ما لم اقل لك » فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، وخاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** ».

هذه هي القصة التي اراد ان يشير ويستند عليها ، وليس له فيها متعلق ولا تصلح دليلا لنفي قطعية ثبوت القرآن الكريم .

فقد فند العلماء منذ القديم هذه القصة وابطلوها من عدة نواح ، ذكرها الاستاذ امين الخولي وضمنها رده على Schacht في تعليقه على كتابه اصول الفقه فذكر أن العلماء **نقدوها من جهات** .

★ ـ نقدوا سندها نقدا مرا اذ سئل عنها محمد بن اسحاق فقال هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتابا ، وابن اسحق نفسه قد قيل في الثقة به ما قيل ، فكيف بما يعده هذا المصنف من وضع الزنادقة ؟ كما قال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن . وليس فيها حديث الغرانيق . كما قال ابو حيان في تفسيره « وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكروه ، فوجب اطراحه ، ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه ، وكذلك قال في توهين سند هذه الرواية القاضي عياض ، وابو بكر بن العربي وغيرهم ، كل هذا الى جانب ان المروي فيها مرسل ـ اي سقط من سنده من بعد التابعي ، والجمهور يتوقف عن الاحتجاج به وحسبنا ذلك من طرق نقد سند هذه القصة :

● **كذلك نقدوها من نواح مختلفة ، منها** :

★ ـ مناقضتها القرآن من مثل قوله تعالى « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين** » ، الحاقة ٤٤ ـ ٤٦ وقوله « **وما ينطق عن الهوى . إن هو**

الا وحي يوحى » النجم ٣ ـ ٤ والعجب ان هذه الآية في صدر السورة التي يحكي ان التخليط كان فيها . وقوله « **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع إلا ما يوحى اليّ** ». ١٥ يونس .

★ ـ نقدها بمناقضة اعتبارات عقلية محضة لا تتوقف على مسلمات دينية ، ثم من تلك الاعتبارات ما هو عقلي صرف ومنها ما هو تاريخي ومنها ما هو ادبي . فالعقلي الصرف ، انها ليست الا خبر واحد ، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة . ثم من الاعتبارات التاريخية ملاحظة ان الرسول بمكة ـ حيث تروى القصة ـ لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص ومنها أن معاداة المشركين الرسول كانت اكبر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر .

★ ـ ومن الاعتبارات الادبية ما يسوقه القاضي عياض بقوله « **ووجه ثان** ، وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك ان الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن لا يخفي عليه ذلك ، بل هذا لا يخفي على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ». وهذا القول يوضحه النظر في السياق من سورة النجم وانه تعييب للآلهة وحط من شأنها « **ان هي إلا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** » النجم ٢٣ « فكيف يقحم قبل هذا قوله « **تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى** » وكيف يوضع هذا وسط ذلك السياق ، فيسيغه المشركون ، بل يعجبون به ويطربون له ، ويسجدون مع النبي ويشاع اسلامهم جميعا وفي المقام بعد ذلك نفى الله لشفاعة الملائكة في قوله « **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى** » النجم ٢٦ فكيف ترتجى شفاعة اصنامهم حين تنفي شفاعة الملائكة على هذا النحو ، وكيف يتلاءم هذا في المزاج الادبي لاساطين القول ، الذين تحدوا بالقرآن ، بل لأي عربي .

ومن الاعتبارات الادبية التي ينقد بها متن تلك القصة كذلك ، ما ساقه الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ـ في بحث له قيم الم فيه بطائفة من نقد القدماء ، ورفض القصة ، وفسر آية الحج هذه بما يستقيم دون اتصال بالسبب المزعوم في نزولها ، ولذلك الملحظ الادبي الناقض لمتن تلك القصة هو : ان العرب لم يرد في نظمها ، ولا في خطبها ، ولا نقل عن احد بطريق صحيح ، انها وصفت الهتها بالغرانيق ، وليس من معاني الكلمة شيء يلائم صفة الآلهة والاصنام حتى يطلق عليها في القرآن .

فتلك الاعتبارات الادبية وحدها ، دون نظر الى شيء وراءها ، مما لا يليق ان يهمله من رجح حلمه ، واتسع في فقه اللغة علمه ، حتى يحتج بعدها وبعد غيرها من قوى النقد بآية الحج المذكورة على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . وتلك كلها مظاهر النقد في الاسلوب القديم ، فكيف بدقة الاساليب الغربية الحديثة .

على انك ان تهدر ذلك كله ، وتقبل مع الاستاذ Schacht قصة الغرانيق ، فلن تجد بذلك ، الطريق للاستشهاد بآية الحج ٥٢ على امكان سعي الشيطان لتخليط القرآن . نعم تكون القصة وحدها شاهدا على وقوع هذا مرة على النحو الذي ترويه ، وتكون سببا للنزول له اثره في تفسير الآية ، لكن الآية مع ذلك كله لا تكون شاهدا على هذه الدعوى ، في امكان سعي الشيطان لذلك ، **لوجوه** :

● ـ ان الآية ـ على ان هذا سبب النزول ، وعلى فرض تخليط الشيطان على الانبياء ـ ليست حديثا عن تخليط حصل لنبي الاسلام ولا فيها اشارة اليه ، والى هذا يشير ابو حيان ـ في الموضع السابق ـ اذ يقول « وهذه الآية ليس فيها اسناد شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما

تضمنت حالة من كانوا قبله من الرسل والانبياء ، اذا تمنوا فليست الآية دليلا ـ في حساب البحث العلمي ـ على تخليط خاص بالقرآن ».

ولا يفوتك أن تلاحظ ان الآية تقول « **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** » فتعمم ، ولكن الكاتب يخص القرآن بامكان سعي الشيطان لتخليطه ، وذلك ما نمسك عن تعليله .

● ـ ان معنى الآية ، مع تسليم هذا السبب وتوجيه تفسيرها بمقتضاه ، انما هو ان ما يقع من تخليط الشيطان مؤقت ، لا يلبث ان ينسخه الله . ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، فهو امكان مؤقت لا يترك اثرا ، فلا يتجه مع هذا الاستدلال بالآية على امكان التخليط .

الوجه الثاني : نسيان النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول : « كما انه ليس من شك ايضا في انه وصل الينا ـ اي القرآن ـ من غير تحريف ـ على الرغم من نسيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعدد من آيات الكتاب ، سورة البقرة الآية ١٠٠ وسورة الاعلى الآية ٦ وما بعدها ».

فيزعم هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله عز وجل ينسي بعض ما يبلغ به ، ويستنتج ذلك من الآية التي اشار اليها وهي آية البقرة رقم ١٠٦ وليس ١٠٠ وهي قوله تعالى « **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير** » . البقرة ١٠٦ وقوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفي** » . الاعلى ٦ ـ ٧

والكاتب هنا يلقي الزعم على عواهله دون بيان او تفصيل ، وكأن الامر مسلم ومقرر في تصوره ، والامر ليس كذلك عند التدقيق ، وليس له مستند يقوى على تثبيت تلك الدعوى وسنبين فيما يلي مدلول الايتين لنقدر على الحكم على صحة او خطأ المدعي .

اولا : قوله تعالى « **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ».

لقد فسر بعض المفسرين كلمة « آية » بالمعجزة كالشيخ محمد عبده ومحيي الدين بن عربي استنادا الى فاصلة الآية ، « فان ذكر القدرة والتقرير بها لا يناسب موضوع الكلام ونسخها ، وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة .

وعلى هذا تخرج الآية عن محل الاستشهاد فلا تكون دالة على النسيان .

ثم يقال له ايضا : ان كلمة « ننسها » فيها احدى عشرة قراءة ، وفيها معاني عدة فقيل يراد بها التأخير ، او الترك او النسيان ، ومع هذه الاحتمالات لا يصح التمسك والانتصار على معنى واحد هو النسيان كما ذكره الكاتب .

وحتى على فرض ان المراد منها النسيان فقط ، فيمكن القول ، انها ليست شاهدا مطلقا على دعواه ان النبي صلى الله عليه وسلم نسي آيات ، واخل هذا بصيانة الكتاب عن التحريف ، لأن الكلام في انساء الله اياه ، لا في نسيانه هو ، وانساء الله له الآية كعدم ايحائها ، وهو بالنسيان بعد ذلك يؤدي رسالته ، اما لو اراد الله ابلاغها فنسيها ولم يؤدها فهذا هو المحرف للوحي ، وليس هو المذكور في الآية : الا ان يتحكم في اختيار قراءة بعينها ويرفض ما عداها ولو لم تكن من القراءات القوية ، على انه ان يرد ذلك فسنسايره ايضا **فنرى** :

● ـ انه على ابعد التنزل والمسايرة ، ومع فرض قصر الكلمة في الآية على « تنسها » بتاء الخطاب وهو ابلغ ما يطمع فيه المستشهد ، على هذا كله لا تشهد الآية لا على وقوع النسيان ، ولا على الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف .

اما انها لا تشهد بوقوع النسيان فعلا ، فلأن الكلام على صورة الشرط **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير** ـ وكل ما تفيده حصول الجواب ان حصل الشرط ، لا وقوع الشرط فعلا ، فكلمات الشرط تدخل على المستحيل مثل : **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** الانبياء /٢٢ **لئن أشركت ليحبطن عملك** الزمر /٦٥ ، خطابا للنبي ونظير هذا ان تقول ، ما ينصف الاستاذ

يصل الى الحق ، تريد وقوع هذا بوقوع ذاك وليس من معناه وقوع الانصاف من الاستاذ فعلا ، وهذا الملحظ قديم اورده المفسرون .

- **فمعنى الآية على هذا** « إن تنس تلاف الله نسيانك ».

وأما ان الآية لا تشهد بشيء من الاخلال بصيانة الكتاب عن التحريف فهو ان الله يحدث انه مراقب الرسول مشرف على الحال ، مبدله بما ينساه خيرا منه ، فهو عالم بنسيانه ، مغتفر له اياه ، معوض له عما ينسى ، فالآية على عكس ما يريد الاستاذ شاهدة - بفرض ان هذا تفسيرها وعلى كل هذا التنزل والتسليم - على عناية زائدة بمراقبة التبليغ ، واصلاح شأنه فكيف جعلها الكاتب شاهد نسيان وتحريف ..

ثانيا : قوله تعالى « **سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفي** »الاعلى /٦ - ٧ . فقد فسر النسيان كذلك بمعنى ترك العمل ، فالمعنى انه لا يترك العمل الا بما شاء الله ترك العمل به فينسخه - وبهذا تخرج الآية من موضوع احتجاج الكاتب ، وان ابى إلا قصرها على معنى النسيان ، فالاستثناء منه - الا ما شاء الله - قد فسر بأنه استثناء غير حقيقي ، وذلك لأوجه ، منها :

★ - ان الاستثناء انما هو لاظهار قدرة الله ، وان عدم نسيان الرسول منحة من الله له وتفضل يؤيده به ، ولهذا المقام نظائر قرآنية ، اريد فيها بيان قدرة الله ، وعدم مشيئة الله وقوع الامر المقدور ، المؤثر على مهمة الرسول وشخصيته ، مثل آيتي الاسراء « **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك . ثم لا تجد لك به علينا وكيلا . إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا** »الاسراء /٨٦ ، ٨٧ مع القطع بأن الله لم يشأ ذلك ، ومثل آية الزمر « **ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ». الزمر ٦٥ ومحال ان يشرك النبي « صلى الله عليه وسلم ».

★ - ان هذا الاستثناء بالمشيئة قد استعمل في اسلوب القرآن للدلالة على الثبوت والاستمرار ، فهو استثناء صلة في الكلام وليس ثم شيء اريد اخراجه ، وشواهد هذا الاسلوب القرآني قوله عن أهل النار « **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** » وقوله في اهل الجنة « **خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** » هود /١٠٧،١٠٨ . ولعل منه كذلك قوله « **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله** » الاعراف /١٨٨ .

الوجه الثالث : وقوع النسخ في القرآن الكريم .

فيقول : ولا يتعارض مع حجية القرآن القاطعة كذلك ان بعض آياته المتأخرة تنسخ ما قبلها ، سورة البقرة اية ١٠٠ وسورة النحل اية ١٠٣ وما بعدها ، وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته ، اما بما عمدوا اليه من التوفيق بينها ، واما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها ، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات .

والكاتب هنا لم يحرر معنى النسخ ولم يبين وجه التعارض والتناقض واكتفى بالاشارة الى آية النسخ السابقة وآية النحل في قوله تعالى « **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** » النحل /١٠٣ .

وهذه الآية الثانية مقحمة على دعوى النسخ ، وليس محل الاستشهاد - الدقيق - بها هنا ، وانما اراد بها فقط ان يؤازر دعوى الملحدين القدامى في دعواهم ، ونكتفي برد الآية ذاتها المفحم على هذه الدعوى .

اما الآية الاولى فهي التي تستحق منا وقفة نكشف فيها عن وجه الصواب الذي حاد عنه الكاتب في فهم معنى النسخ .

فلقد تعددت تعريفات العلماء لمعنى النسخ في الاصطلاح الشرعي :

فعرفه الامام الجصاص بأنه : **اطلاق الشرع بيان مدة الحكم والتلاوة وعرفه الامام** البيضاوي بأنه : « **بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه** ».
وعرفه ابو بكر الباقلاني بأنه « **الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه** ».
وعرفه فخر الدين الرازي بأنه « **طريق شرعي يدل على ان الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك ، مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا** » وعرفه ابن الحاجب بأنه « **رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر** » .
هذه هي حقيقة النسخ ولسنا في حاجة الى تفصيل هذه التعاريف من ناحية اصولية فنية انما يكفينا انها في جملتها تعني ان الله شرع حكما ما ثم رفعه ونسخه وابدله بحكم آخر غيره بما يناسب التدرج التشريعي الذي هو صفة من صفات التشريع الاسلامي .
والسؤال الموجه الى الكاتب بعد هذا ما هي صلة ذلك بعدم قطعية ثبوت القرآن انهما قضيتان منفصلتان ، لا تمت احداهما الى الاخرى بصلة ، اللهم الاصلة واهية .. كما الح لها الاستاذ امين الخولي في تعليقه على كلام الكاتب ـ وهي شبهة ما اثير قديما من ان النسخ يلزمه البداء اي ظهور شيء كان خافيا على الله ، وتلك شبهة واهية ، وقد مل القول فيها كذلك وواضح رد القدماء عليها بأن النسخ لم يكن الا اتباعا لمصلحة الخلق لا تغيرا لعلم الله ، والشرائع انما قصد بها مصالح الناس الدينية والدنيوية ، فتبدلت الخطابات بحسب تبدل المصالح .
على انه كان يجب على الكاتب ان يقدر ان طوائف من المسلمين المتاخرين قد انكروا جواز النسخ ، وفسروا الآيات المقول بنسخها تفسيرا لا يتوقف على القول بالنسخ .
فعلى القول بوقوع النسخ فعلا في القرآن ، لا يظهر له تأثير في قطعية الثبوت وعلى القول بعدم جواز النسخ يسقط الايراد من اساسه .
وبعد هذا يبقى القول والسؤال للكاتب اين التناقض الذي كان هم المفسرين التخلص منه ؟ هذا ما لا يستطيع اثباته بعد هذا البيان .
والامر الذي لا يمكننا استيعابه وتوجيهه وجهة علمية ، اشارته الى ان تلك التناقضات ـ المزعومة ـ تصور لنا تدرج محمد (صلى الله عليه وسلم) في نبوته فانها تصور التدرج حقا ولكن اتدرج التشريع ام تدرج المشرع ؟ اما عمل المشرع فظاهر في تدرجه ولكن هل ذلك تدرج للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يعتبر تدرج المعلم والمدرب والمروض والطبيب في العناية بمن يعلم او يدرب او يطبب صدى لتغيير في نفسه هو ؟ لا شك ان ذلك غير الواقع ، وهب ـ تساهلا ـ أن هذا المظهر يحتمل تدرج النبي وتدرج الشرع فكيف تحكم الكاتب وجعله مظهر تدرج النبي صلى الله عليه وسلم لا غير ؟ لا تدري اي اسلوب علمي يعتمد الكاتب في ذلك ، حتى يقرر ان التبديل يمثل ترقي النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته ولا يمثل ترقيه في اعداد امته وتلطفه في تربيتها .
وبمجموع هذه الردود على الجهات الثلاث التي زعم Schacht انها توهن قطعية ثبوت القرآن . لا يبقى محل لدعواه ولا وجه علمي يقابل به ما اوردناه .
وهذه النظرة الاستشراقية تعطينا تصورهم للقرآن الكريم كمصدر تشريعي من حيث ثبوته ، فهو لم يثبت عندهم من قبل الله عز وجل ولم ينزل بصورة وحي منه تبارك وتعالى ، وانما هو محض ادعاء واختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم تبلور من اتصالاته بمن حوله من اليهود والنصارى وغيرهم وساعد على ذلك حالته المرضية وعزلته الموحشة التي توهم من خلالها الوحي ، فرأى من واجبه تبليغ هذه الدعوة الى الناس .
وهذه افتراءات هشة ذكرها وحكاها القرآن على لسان اليهود والنصارى من قبل ورد عليها .
ولسنا هنا في معرض مناقشة تلك الدعاوي وتفنيدها ، وانما المراد بيان اصل التصور ومنشؤه ، ويكفينا هنا القول بأن هذا التصور مردود من الناحية العلمية والتاريخية المجردة ، وكل ما ذكروه لا يشكل دليلا يستأهل النقاش ويصلح مستندا لاثبات الزعم .

مشروعية الأذان

الأذان لغة : الاعلام ، قال تعالى : « **وأذان من الله ورسوله** » (التوبة : ٣)

وقال عز من قائل : « **فأذن مؤذن** » (الاعراف : ٤٤)

ويقال له : أذان .... وتأذين .... وأذين .

وهو شرعا : الاعلام بوقت الصلاة ، بألفاظ مخصوصة .

والراجح ان الأذان : لم يكن مشروعا في مكة ـ قبل الهجرة ـ وانما شرع في السنة الأولى من الهجرة ، كما يدل على ذلك حديث ابن عمر الذي نفى النداء بالصلاة قبل الهجرة مطلقا .

وحديث ابن عمر ، كما رواه البخاري : « كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحينون الصلاة ، ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك .

ـ فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا ، مثل ناقوس النصارى .

● وقال بعضهم : بل بوقا ، مثل قرن اليهود .

فهذا يفيد ان الصحابة رضوان

في الإسلام

دكتور نجاشي علي ابراهيم

الله عليهم ، كانوا يتحينون الصلاة .

قال القاضي عياض : يعني يقدرون حينها ، ليأتوا اليها فيه .

وهذا يدل على ان الأذان : لم يكن قد شرع في مكة قبل الهجرة ، لأنه لو كان مشروعا : ما فعل الصحابة ذلك .

وتذكر كتب السنة انه : لما كثر الناس ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشيء ، يجمعهم لها :

ـ فقالوا : لو اتخذنا ناقوسا ؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك للنصارى .

● فقالوا لو اتخذنا بوقا ؟.

قال : ذلك لليهود .

● فقالوا : لو رفعنا نارا ؟.

قال : ذلك للمجوس .

فافترقوا ... فرأى عبد الله بن زيد « رؤيا » فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : طاف بي وانا نائم رجل ، يحمل ناقوسا في يده .

● فقلت : يا عبد الله ... اتبيع الناقوس ؟.

قال : وما تصنع به ؟.

● قلت : ندعو به الى الصلاة .

قال : افلا ادلك على ما هو خير من

ذلك ؟.

● قلت : بلى .

فقال : تقول : الله اكبر ... الله اكبر ... فذكر اذان .

فلما اصبحت ، اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : انها لرؤيا حق .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم

● لعبد الله بن يزيد- : القه على بلال ، فانه أندى صوتا منك .

وعلى هذا يكون ابتداء مشروعية الأذان بالمدينة .

وقد ذكر بعض المفسرين : ان اليهود لما سمعوا الأذان قالوا : لقد ابتدعت يا محمد شيئا ، لم نسمع به فيما مضى من الأمم ، فنزل قول الله تعالى : « **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** » (المائدة : ٥٨) .

وقد جزم ابن المنذر : بان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي بغير أذان ، منذ فرضت الصلاة بمكة ، الى ان هاجر الى المدينة ، والى ان وقع التشاور في ذلك ، على مافي حديث عبد الله بن عمر ، ثم حديث عبد الله بن زيد / سبل السلام .

مسائل العقيدة في الأذان :

والأذان على قلة الفاظه ـ كما يقول القرطبي - مشتمل على مسائل العقيدة :

● لانه بدأ بالأكبرية ، وهي تتضمن وجود الله وكماله .

● ثم ثنى بالتوحيد ، ونفى الشرك .

● ثم باثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

● ثم دعا الى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة ، لانها لا تعرف الا من جهة الرسول .

● ثم دعا الى الفلاح ، وهو البقاء الدائم ، وفيه الاشارة الى المعاد ... ثم اعاد ما اعاد توكيدا .

حكمة مشروعية الأذان :

ومن ثم ذكر اهل العلم لحكمة مشروعية الأذان اربعة اشياء :

● اظهار شعار الاسلام .

● وكلمة التوحيد .

● والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها .

● والدعاء الى الجماعة .

الحكمة في اختيار القول :

ويستطيع المتأمل ، ان يدرك الحكمة البالغة : في اختيار القول للأذان دون الفعل ، وذلك لسهولة القول ، وتيسره لكل احد ، في كل زمان ومكان .

ويروى ان اول من أذن بالصلاة جبريل : في سماء الدنيا ، فسمعه عمر ، وبلال ، فسبق عمر : بلالا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء بلال فقال له : سبقك بها عمر / فتح الباري .

هذه هي قصة الأذان ، بالنسبة للصلاة المفروضة على وجه العموم ، حيث يكون الأذان للاعلام بدخول

وقت الصلاة بهذه الألفاظ المخصوصة التي ينطلق بها صوت المؤذن : خمس مرات في اليوم والليلة ، حتى انه : « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ، ولا إنس ، ولا شيء : الا شهد له يوم القيامة ، كما صرح بذلك المعصوم عليه الصلاة والسلام .

الأذان في صلاة الجمعـــة :

واذا كانت الجمعة تختص بأنها تسبق بخطبتين ، فمتى يكون الأذان ؟.

- هل يكون عند ابتداء الخطبتين ، وجلوس الامام على المنبر ؟.
- ام يكون قبل ذلك ؟.

يروى البخاري عن الزهري قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ان الأذان يوم الجمعة ، كان اوله حين يجلس الامام يوم الجمعة على المنبر : على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما . فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكثروا ، امر عثمان يوم الجمعة : بالأذان الثالث ، فأذن به على الزوراء ، فثبت الأمر على ذلك / البخاري .

كما يروى البخاري عن السائب بن يزيد : ان الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حين كثر اهل المدينة ... وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام ، يعني على المنبر / البخاري .

كما يروى ايضا عن ابن شهاب : ان السائب بن يزيد اخبره ان التأذين الثاني يوم الجمعة ، امر به عثمان حين كثر اهل المسجد ، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام / البخاري .

فأذان الجمعة انما كان بين يدي الخطيب طيلة عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

قال المهلب : الحكمة في جعل الأذان في هذا الحل ، ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر ، فينصتوا له اذا خطب .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر ، فان في سياق ابن اسحاق عند الطبراني وغيره عن الزهري : ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد .

فالظاهر ان هذا الأذان ، كان لمطلق الاعلام ، لا لخصوص الانصات .

نعم لما زيد الأذان الأول : كان للاعلام ، وكان الذي بين يدي الخطيب : للانصات / فتح الباري .

الأذان في عهد عثمـــان :

ولما تولى عثمان : الخلافة ، وولي امر المسلمين ، وكثر الناس بحيث اصبح الأذان الذي يقع بين يدي الخطيب : غير كاف في الاعلام ، احدث عثمان ، أذانا يعلم الناس بدخول وقت الصلاة ، وذلك غير الأذان الذي اعتاد الناس سماعه عند جلوس الامام على المنبر .

وعثمان رضي الله عنه ، لم يأمر بذلك الأذان عقب مباشرته لأمور

الخلافة وتوليه الحكم ، وانما سار على طريقة من سبقوه ، ثم لما رأى كثرة الناس : زاد هذا النداء ليكون اعلاما للناس بدخول الوقت .

ويؤكد هذا ما روي من ان الأذان ، كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابي بكر ، وعمر : يوم الجمعة أذانين .

وقد فسر ذلك : بالأذان والاقامة .

وعلى هذا فان الذي احدثه عثمان يوم الجمعة : هو النداء للصلاة حيث امر بالنداء لها في محل يقال له : « الزوراء » ليجتمع الناس للصلاة ، وكان ينادي لها بألفاظ الأذان المشروع .

والزوراء : موضع بسوق المدينة ، كما صرح بذلك البخاري في صحيحه .

قال الحافظ ابن حجر : وهو المعتمد .

وقال ابن بطال : هو حجر كبير عند باب المسجد ، وهذا مردود بما روى عند ابن خزيمة وابن ماجه عن الزهري : انها دار بالسوق يقال لها : « الزوراء » وعند الطبراني : فأمر بالنداء الأول على دار يقال لها : الزوراء .

وقفة تأمل :

والمتأمل في ذلك كله ، يستطيع ان يدرك ان ما زاده عثمان ، قد ورد في عبارات ، قد توحي لأول وهله بأنها متناقضة ، وذلك لأنها جاءت على النحو التالي ، على هذه الصورة .

- فأمر عثمان بالنداء الأول .
- التأذين الثاني امر به عثمان .
- امر عثمان بالأذان الثالث .

والواقع انه لا منافاة بين ذلك كله ، ولا تناقض بين هذه العبارات :

- لأن ما زاده عثمان يعتبر « اولا » باعتبار انه يسبق الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة .
- ويعتبر « ثانيا » بالنسبة للأذان الحقيقي الموجود بين يدي الخطيب لا الاقامة .
- ويعتبر « ثالثا » باعتبار كونه مزيدا على الأذان بين يدي الخطيب والاقامة للصلاة .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك ، لكونه خليفة مطاع الأمر / نيل الأوطار .

الأذان بعد زيادة عثمان :

وهكذا يتبين لنا ، ان صلاة الجمعة تسبق بما يأتي :

-) الأذان الذي يعلم الناس بدخول وقت الصلاة ، وهو الذي احدثه عثمان ولم يكن معمولا به قبل ذلك .
-) الأذان الذي بين يدي الخطيب ، والذي يفعله المسلمون الآن ، وهو ما كان موجودا من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى أحدث عثمان الأذان الذي يعلم الناس بدخول الوقت .
-) الاقامة للصلاة ، وهي التي تكون عقب انتهاء الخطيب من القاء خطبتي الجمعة .

عمل الناس وسلوكهم :

وأمام هذا الذي حدث ، واستقر منذ عهد عثمان رضي الله عنه ، فان عمل الناس وسلوكهم مختلف في ذلك :

ـ فمنهم من يلتزم ما كان سائدا ، ومعمولا به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، ويكتفي بالأذان بين يدي الخطيب ، والاقامة للصلاة ، ولا يلقى بالا لما زاده عثمان ، وبالتالي لا يفعلون ما فعله .

يقول ابن حجر : بلغني ان اهل المغرب الأدنى ، لا تأذين عندهم سوى مرة .

ـ والغالبية العظمى من المسلمين ، ينظرون الى عثمان بن عفان رضي الله عنه : نظرة احترام وتقدير ، فهو صحابي جليل ، وبالتالي يقلدونه في فعله ، ويسيرون على منهجه .

ابن عمر والأذان الأول :

واذا كان ابن ابي شيبة قد روى من طريق ابن عمر أنه قال : الأذان الأول يوم الجمعة بدعة .

فان هذا لا يصلح دليلا للمانعين ، او سندا لهم ، يعتمدون عليه ، لأنه لم يثبت عن ابن عمر ، انه قال ذلك على سبيل الانكار .

وانما كلام ابن عمر رضي الله عنهما :

● يحتمل ان يكون قد صدر منه على سبيل الانكار .

● كما يحتمل انه يريد بذلك : ان هذا الأذان لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام : يسمى بدعة .

واذا كان الناس لا يقتدون بعثمان رضي الله عنه الذي تبعه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخالفوه في ذلك ، فبمن يقتدون ؟.

إن بعض هؤلاء المخالفين ، قد يدعي انه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا حق اريد به باطل .

فلو انهم ارادوا فعلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لساروا على نهج صحابته من بعده ، ولكنهم يخالفون جماعة المسلمين ، ليلفتوا الأنظار اليهم ، ويصفوا انفسهم بالأتباع ، ويصموا غيرهم بالابتداع .

وهكذا يتبين لنا بوضوح : ان عثمان رضوان الله عليه ، قد احدث الأذان الأول : لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ، قياسا على بقية الصلوات ، وألحق الجمعة بها ، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدي الخطيب / فتح الباري .

وبالتالي تشترك صلاة الجمعة مع بقية الصلوات المفروضة في الأذان الأول الذي يعلم الناس بدخول الوقت ، ثم تنفرد صلاة الجمعة بالخصوصية التي اثبتها النبي صلى الله عليه وسلم لها ، وهي الأذان بين يدي الخطيب اثناء جلوسه على المنبر .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، والله الموفق والمعين ، والهادي الى سواء السبيل .

حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق

للدكتور فؤاد محمد محمود العارضة

الله سبحانه وتعالى خالق الكون وجميع المخلوقات من انسان وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك وهو رب هذا العالم وبمشيئته ورحمته يتعلق كل مخلوق ولا سيما الانسان . ونعمه وافضاله تغمر الانسان وسائر المخلوقات . ومع ذلك لولا قوته الخارقة وقدرته المعجزة ولولا ان امر الانسان وسائر الكون بيده وحده عز وجل لما أمن به ولما عبده وأطاعه احد ولما اعطاه بشر حقه من عبادة وطاعة وتسبيح وذكر فالمؤمن الذي يعبد الله ويطيعه انما يفعل ذلك خوفا من عقابه وعذابه في نار جهنم وطمعا في ثوابه ونعيمه في جنان الخلود . اما الكافر الملحد بالله فانه يكفر بالله وينكر وجوده لانه على بصره وبصيرته غشاوة كثيفة من ظلمات الجهل المطبق والغرور بالله والناس اعداء ما جهلوا وينكرون ما لا يرونه بأبصارهم أو بصائرهم .

وهكذا تكون قوة الله الراحمة العادلة التي لا تحد ولا تطال والقادرة على احقاق الحق واقامة العدل واعطاء الثواب وانزال العقاب هي التي جعلت الانسان يعترف بوجود الله ويقر بوحدانيته ويدرك مبلغ عظمته وقدرته ويؤمن به وحده إلاها لا شريك له لجميع البشر وربا اوحد لهذا الكون .

وننزل الى الأرض عالم البشر فنرى منذ بدء الخليقة وحتى اليوم ان الحياة الحرة الكريمة والعزة والقيادة والسيادة والمجد والعلم والحضارة والأمر والنهي كان من نصيب الاقوياء القادرين لا من نصيب الضعفاء العاجزين . فقد قاد أدم

حواء وانقادت حواء لآدم لان آدم اقوى بطبيعته من حواء جسما وعقلا ونفسا وروحا وقد ورث آدم هذه القيادة وربوبة الأسرة الى ابنائه واحفاده من بعده وورثت حواء هذا الانقياد للرجل والتبعية له الى بناتها وحفيداتها من بعدها وظل ذلك ارثا متوارثا بين بني البشر على توالي الاجيال والازمان كما يقول الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** » . سورة النساء / ٣٤

وفي عالم الدول والأمم نرى ان الأمم الواعية القوية هي التي صنعت التاريخ وحملت شعلة العلم والمعرفة ورفعت منار الحضارة والمدنية وهي التي تأثرت بالحياة وأثرت في مجراها وهي التي نالت حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة المستقلة وعاشت مسموعة الكلمة عالية المكانة يقدرها القريب والبعيد ويحترمها الصديق ويهابها العدو ..

ولما شاخت وضعفت وانحلت اقتحمتها العيون وافترستها الذئاب البشرية وبذلك فقدت حقها في الحياة الحرة المستقلة .

فالفرس والرومان كانت لهم قبل الاسلام الحنيف امبراطوريتان استعماريتان قويتان تنازعتا السيادة على العالم القديم ردحا طويلا من الزمن . ولما ضعفتا وشاختا فقدتا ما كان لهما من سيادة وحرية واستقلال على ايدي المسلمين الأوائل ..

وأقام المسلمون الاولون دولة عربية اسلامية امتدت الى فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا واضاء سماءها وارضها نجوم وكواكب من اهل العلم والفكر والفن والادب وأشرقت في آفاقها شمس الحضارة العربية الاسلامية .

ولما ضعف العرب المسلمون لابتعادهم عن الاسلام الحنيف الذي كان نور ابصارهم وبصائرهم وحياتهم وجامع ارواحهم وابدانهم ومصدر عزتهم وقوتهم وسلاحهم الذي فلوا به سلاح الحديد والفولاذ وهزموا اعتى قوى الباطل والظلم والظلام واعداء الحق والعدل والانسانية غزاهم الاعداء الطامعون في عقر ديارهم واستعمروهم واستعبدوهم واقتطعوا اجزاء عزيزة غالية من ديارهم وأوطانهم ونهبوا خيراتهم وثرواتهم وازهقوا ارواحهم وسفكوا دماءهم .

وفي العصر الحديث اندلعت ثورات وطنية دموية وظهرت حركات انسانية على الظلم والباطل والاستعباد والاستبداد وكلها رفعت شعار الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية ونادت بحق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل .

واخيرا تشكلت هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٥ واعلنت ميثاق حقوق الانسان ولكنه ظل حبرا على ورق ولم يترجم الى واقع ملموس واوضح دليل على ذلك هو حرمان الشعب الفلسطيني العربي من ارضه ووطنه وداره على يد دول استعمارية ماكرة غادرة تقول ما لا تفعل وتعمل ما لا تقول فهي قد وضعت توقيعها وختمها على ميثاق الامم المتحدة الذي يحرم الظلم والعدوان وينص على حق الانسان في الحياة

الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ولكنها لم تحترم توقيعها وختمها باتباعها سياسة استعمارية لا اخلاقية لا انسانية تناقض مضمون الميثاق .

وهكذا يكون وضع القوانين ورفع الشعارات واعلان المبادىء شيء والتطبيق العملي لها والعمل بها شيء آخر فواقع الحياة يقول لنا ان الاقوياء من افراد وجماعات ودول هم الذين استثمروها لصالحهم وتمثلوها ومارسوها في حياتهم وعاشوا احرارا كراما على ان الظالمين منهم تستروا بها ليستعبدوا الضعفاء والفقراء ويسخروهم لخدمة مصالحهم ويمتصوا دماءهم وينهبوا ثرواتهم باسم الحضارة والمدنية والانسانية والامن والسلام . فكم من اباطيل ومظالم اقترفت باسم الحق والعدل وكم من حماقات وجهالات ارتكبت باسم الحضارة والعلم والمدنية وكم من شعوب استعمرت واستعبدت باسم الحرية والامن والسلام العالمي وكم من افواه تكمم وايدي وأرجل تقيد وتغل والسن تربط وتخرس واجساد تلقى في غياهب السجون تحت ستار المحافظة على القانون والنظام وكم نحُر الوطن والشعب والمصلحة العامة على مذبح الوطن وكم وطنية جعلت شباكا ، وكم من شعارات براقة وقوانين لماعة خلابة رفعت واطلقت للاستهلاك المحلي وتخدير الاعصاب . هذا ما تبتلى به الشعوب المتخلفة الضعيفة اما الشعوب الواعية الحية القوية فانها تمارس حقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل يحترمها الصديق ويهابها العدو ويخطب ودها القريب والبعيد . وهذا هو واقع الحياة وحال الدنيا في كل زمان ومكان .

ويحدثنا واقع الحياة وهو القانون المعقول السليم الذي ينبغي السير عليه والعمل به بان المبادىء والقوانين والدساتير والقرارات تبقى حبرا على ورق مطوي حتى تلقى اقوياء قادرين على تطبيقها والسير في طريقها وبذلك تحيا وتثمر . ويقول لنا ايضا ان الحق الذي لاتدعمه قوة يسلب ويغتصب ويؤكل وان الحياة الحرة الكريمة لا يحياها الا الاقوياء الاشداء القادرون على الحرب والكفاح ودفع الظلم وانتزاع الحق المغتصب واقامة العدل ومعاقبة الظالمين المعتدين وان حقوق الانسان في الحرية والاستقلال والمساواة والعدالة الانسانية لا ينالها ولا ينعم بها الا الاقوياء القادرون بينما يحرم منها الضعفاء المساكين هذا والاقوياء الظالمون يقرون للاقوياء المبصرين مثلهم ، بحقهم في الحياة الحرة الكريمة وينصفونهم ولكنهم ينكرون على المستضعفين العاجزين العميان هذا الحق ويظلمونهم كما يقول احد الشعراء :

لا عدل الا ان تعادلت القوى   وتصادم الارهاب بالارهاب .

والقوي الظالم يصم سمعه ويغلق بصره دون شكوى الضعيف المظلوم ويسخر منه عندما يتظلم ويطالب بحقه كما يقول الشاعر فهد العسكر :

كم ضعيف بكى ونادى وراح   لبكاه تقهقه المدفعية

فالحياة الحرة الكريمة نورها العقول الواعية المستنيرة وسياجها النفوس الحرة الأبية التي يستوي الموت عندها والبقاء وتحمل ارواحها على اكفها وراحاتها كما

يقول شاعر فلسطين الشهيد عبد الرحيم محمود :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى

ويقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .

والدول الخمس الكبرى لقوتها وطول باعها تتمتع بحق الفيتو اي النقض في مجلس الامن الدولي ويدور في فلكها الدول الصغيرة الضعيفة . وهي تسمع كلمتها ويصان حقها ولا يعتدى احد على حدودها .

فعلى قدر قوة الامة الذاتية تتمتع بالحياة الحرة المستقلة الكريمة وتعلو مكانتها ويرتفع شأنها بين الأمم والدول ، فالقوي القادر حر كريم وسيد نفسه . والضعيف المسكين عبد مسخر للقوي وخادم له . والقيادة والسيادة والحياة للأقوى والانقياد والتبعية والعبودية للأضعف . فاذا كنت محاربا مقاتلا فأنت موجود ورأس مرفوع وان كنت ضعيفا متخاذلا فأنت ضائع مفقود وذيل مجرور .

والاسلام الحنيف دين العدل والحق والحرية والمساواة والقوة العاقلة الرحيمة يؤثر المؤمن القوي على المؤمن الضعيف كما يقول رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « **المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير** » رواه مسلم . فالمؤمن القوي نور قوي ساطع والمؤمن الضعيف نور ضعيف خافت . والحكمة في ذلك ان المؤمن القوي انفع للاسلام والحياة من المؤمن الضعيف . وهو اقدر منه على نصرة الاسلام وحمايته واقوى على احقاق الحق واقامة العدل وصنع الحياة الحرة الكريمة ، لذلك كان الاكثر اثمارا والأقدر على العمل والانتاج والخدمة هو الافضل المفضل عند الله والناس كما يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **الخلق عيال الله وأحبهم الى الله انفعهم لخلقه** » .

والاسلام الحنيف شعت انواره في الأرجاء والآفاق وقامت له دولة عربية اسلامية عظمى وحضارة اسلامية انسانية ساطعة مشرقة على ايدي المسلمين المؤمنين الاقوياء ويدل على ذلك اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ بدخوله في دين الله انتقلت الدعوة الاسلامية من مرحلة السر والخفاء الى مرحلة الجهر والعلانية .

الا ان القوة نوعان قوة ايجابية بناءة نافعة وقوة سلبية هدامة ضارة . فالقوة البناءة الخيرة هي القوة الرحيمة العادلة العاقلة المبصرة . اما القوة الهدامة الشريرة فهي الظالمة الغاشمة العمياء . وتصير القوة عادلة رحيمة خيرة بالعلم والايمان وتقوى الله ومكارم الاخلاق ، وتصير القوة جائرة باغية متسلطة بالجهر واتباع الهوى والشهوة والانانية والتحلل من الفضائل والمثل العليا . والقوة العادلة الراحمة العاقلة حضارة ومدنية

وانسانية والقوة الغاشمة العمياء همجية وحيوانية ووحشية .

وقوة الاسلام الحنيف قوة انسانية رحيمة عادلة وعاقلة مبصرة وهي شجرة طيبة مباركة أزهرت وأثمرت وأينعت ثمارها الطيبة الحلوة . لقد عامل المسلمون الأوائل في أيام عزهم وسلطانهم وقوتهم ودولتهم العظمى الناس برحمة وانسانية وأذاقوا الشعوب التي احتكوا بها طعم الحرية والكرامة والعدالة والأخوة الانسانية وأعلنوا حقوق الانسان في الحياة الكريمة ونشروا في ربوع الأرض نور العلم والايمان لأنهم كانوا هداة مصلحين وحملة رسالة سماوية ومجاهدين في سبيل الله ولم يكونوا مستعمرين متسلطين ولا لصوصا يسرقون وينهبون ويدل على ذلك البلدان التي انصهرت في بوتقة العروبة والاسلام بحرارة العلم والايمان والاسلام .

وهكذا تكون الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حقا طبيعيا مقدسا لكل انسان كالماء والهواء والنور ولا يحق لأي انسان أن يحرم انسانا آخر من هذا الحق الطبيعي فالله سبحانه وتعالى خلق الناس أحرارا كراما كما يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ولما كان الظلم والاستبداد والطمع والأنانية من شيم النفوس كما يقول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فقد رأينا الأقوياء الظالمين يتعدون حدودهم ويعتدون على الضعفاء المساكين وينتزعون منهم لقمة العيش ويسلبون حقهم في الحياة الحرة المستقلة .

ويمارس الأقوياء الأشداء القادرون حقهم في الحياة الحرة الكريمة ويحرم منه الضعفاء المساكين . فالقوي القادر سيد يأمر وينهي والضعيف المسكين عبد وخادم مسخر للقوى يدور في فلكه ويتبعه .

والقوة بيدها الأمر والنهي وحسم الأمور وحق تقرير المصير والبناء والهدم وصنع التاريخ وهي القادرة على الصنع والعمل والانتاج والتغيير والتبديل واحقاق الحق واقامة العدل واجراء الثواب وانزال العقاب وغرس الخير واجتثاث الشر وصنع السلام العادل ونشر الأمن الوارف ، والقوة لها القدرة على الطيران والغوص وتسخير البر والبحر والجو لخدمتها وعلى وضع الفاتحة والخاتمة ووضع النقاط على الحروف ولها المجد والعلى والفوز والفلاح .

وبالقوة الغلابة الراحمة المبصرة العاقلة تعاد المياه الى مجاريها ويوقف الظالمون الطامعون عند حدهم وتسحق الأخطار المحدقة بالوطن ويعاد الهر الذي يحكي انتفاخا صورة الأسد الى حجمه الحقيقي والقزم المتعملق الى وضعه الطبيعي ويفيق المخمور السكران بخمرة البطر والغرور من سكرته وغروره ويعود الحق الى نصابه والقوة العاقلة تفتح الطريق المسدود والباب المقفل .

على أن القوة العاقلة الراحمة العادلة قوة انسانية خيرة مثمرة ولها النصر والمجد والخلود فهي نفحة من نفحات الله العزيز الحكيم .

أما القوة الحمقاء الغليظة القاسية فهي قوة حيوانية كاسرة مفترسة ولها في

آخر الامر الهزيمة والاندثار والمصير الأسود .

فالقوي العاقل الرحيم مبصر وصحيح سليم معاف يعيش حرا كريما وآمنا مطمئنا تغشاه السكينة والطمأنينة ويثمر ثمارا طيبة .

أما القوي الظالم الأحمق فانه أعمى ومريض نفسيا وعقليا ولا قلب له ولا ضمير لديه ويعيش مفتقدا صفاء النفس وطمأنينة القلب وراحة الضمير يفر النوم من عينيه ويخنقه كابوس الرعب والقلق ويؤرقه وتطارده أشباح ضحاياه وجرائمه كما يقول الشاعر العربي :

اثنان يمضي الدهر لم يتهادنا ... شبح الضحية والضمير المجرم

وأما الضعيف المسكين فيعيش مغبونا مأكولا يسخره القوي الظالم لخدمته ويأكله حين يجوع كما يشهد بذلك واقع الحياة قديما وحديثا في كل زمان ومكان وواقع الحياة هو القانون السليم الذي ينبغي السير عليه .

ولا حياة حرة كريمة في هذه الحياة الا للأقوياء العقلاء الرحماء أما الأقوياء الظالمون فأعمارهم قصيرة اذ سرعان ما يقعون في مهاوي الردى والهلاك فهم لحمقهم وعماهم وتهورهم وصلفهم يلقون بأيديهم الى التهلكة ، فالقوة الحمقاء العمياء تضر وتؤذي وتدمر كما أن الشجاعة بلا عقل وحكمة تهور وجنون وانزلاق ولا خير في قوة بلا عقل ولا في شجاعة بلا حكمة كما يقول المتنبي :

وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في حكيم

والخير والمجد والعزة ثمرة القوة والعقل والشجاعة والحكمة . على أن العقل له المقام الأول والشجاعة لها المقام الثاني إذ بالعقل والحكمة يتميز الانسان عن الحيوان . أما الشجاعة فتوجد لدى بعض الحيوان . وفي ذلك يقول المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

وقوة الانسان تتجسد في عقله وروحه وخلقه لا في جسمه وقواه الحسية المادية ، وبها سخر قوى الطبيعة لخدمته وحلق في الفضاء وغاص في قاع البحر وجعل العالم الأرضي في مدى سمعه وبصره وفي متناول يده . وشق طريقه في الحياة وتذليل صعابها واجتياز عقباتها وحل مشاكلها العويصة ووضع الحيوان الذي يقوى عليه جسدأ وذراعا في القفص في حديقة الحيوان وهكذا يتبين لنا من واقع الحياة منذ كان الانسان أن الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل حق طبيعي لكل انسان ولكن هذا الحق لم يستطع أن يمارسه ويعيش فيه عبر الزمن الا الأقوياء القادرون . وقد حرم منه الضعفاء المساكين على أيدي الطغاة الظالمين فلا يمكن أن يعيش الانسان آمنا مطمئنا وحرا كريما إلا في عالم الملائكة والأنبياء . ففي دنيا البشر في العالم الأرضي لا يعيش في أمن وسلام وحرية واستقلال الا الأقوياء الأشداء العقلاء . فالعدالة الانسانية كانت ومضات غابرة في دنيا البشر وقد بلغت عصرها الذهبي في عهود المسلمين الأوائل ولا وجود للعدالة الوارفة الظلال الا في عالم الملائكة والأنبياء والدار الآخرة فالعدالة المطلقة فوق مستوى البشر .

وقفة تأمل

البعد الديني

إن العبادات الدينية برامج يومية تعمق في النفس معاني أسمى ، وإذا فقدت العبادة روحها فقدت أثرها الفعال في الفرد والجماعة ..

العبادات في الاسلام ليست شيئا من الأشياء .. يؤديها المسلم دون أن تترك في نفسه أثرا ..

○ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجعل الانسان « الفرد » و « الجماعة » يسلم الأمر لله ، فهو يرتبط في علاقته بالقوة التي لا تقهر ، وبهذا التسليم يشعر المسلم بالأمان ، ولا يرهب أحدا .

○ والزكاة تحارب صفة البخل في الانسان ، فيعيش المجتمع حالة التكافل ، والتراحم . فتنشأ المدينة الفاضلة .

○ والصوم سمو بالنفس عن عالم المادة إلى عالم الاشراق الروحي ، والصفاء النفسي ، حيث أن الله مطلع على كل شيء .. فلا خداع ولا نفاق ولا غش ولا احتيال .

○ والحج بوتقة تجمع الأمة المسلمة في أطهر البقاع ، طارحة وراءها كل متع الحياة الزائلة ، ملبية الخالق العظيم .. والجميع سواسية ، فلا اعتبار لحسب ولا نسب ولا جنس ولا لون .

وهذا البعد الديني هو الذي يجعل المسلم يقدم على التضحية بالمال والنفس من أجل هدف أسمى ، سعيا وراء الأمل ..

فما الهدف ؟.. هدف المسلم تحقيق العدالة في الأرض وفقا لمنهج الاسلام ، الذي ارتضاه الله للناس جميعا . وهو هدف لا يعرف الحدود الضيقة من الجنس والعرق .. بل هو لخير الانسانية جمعاء .

والأمل في نصر الله وتوفيقه لا يعرف اليأس ، فقديما قال الشاعر : « ما أضيق العمر لولا فسحة الأمل » .. ولتحقيق الأمل .. لا بد من وضوح الهدف ، والطموح الى تحقيقه ..

فهل نعرف نحن مسلمي اليوم هدفنا ؟ وهل نطمح الى تحقيقه ؟ وبمقدار ما يكون الهدف ساميا تهون التضحية والبذل والجهاد ..

ومادام الأمل عظيما فلا يأس .. وبالأمل يعمل الانسان ويجهد ويتعب ويتعرض للمخاطر .. ومن بعد ذلك يتحقق وعد الله القائل : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا** »ويقول سبحانه : « **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ».

فهل تعمل الحكومات الاسلامية من أجل هدف واحد ، وغاية واحدة ؟.. لو كان لما توالت على واقعنا الهزائم أليس كذلك ؟!

الإسلام والأيدولوجيات المعاصرة

للدكتور
عبد العزيز
ابو عبد الله

بعد ان فتحت الحرية على المواطنين الابواب على مصراعيها ، انطلق البعض ينادي بمذاهب ، كانت المناداة بها فيما مضى ، تجعل مكانه وراء القضبان ، وليته ينادي بها عن معرفة ، ولكن بدون وضوح فكر ، ولعلني ابلغ ما احاول الكشف عنه من بناء الوجودية الانسانية في منطقة مهبط الوحي وأرض الحضارات على دعائم خالدة ، واني لعلى يقين بان النقد الذي يستهدف الحق هو طريق المخلصين ، واذا

كنت احب افلاطون والحق . فان حبي للحق اكثر ، والحق أحق ان يتبع ، لقد اتسم الفكر المعاصر بنزعة مادية جافة من جهة ، وبنزعة انحلالية مائعة من جهة اخرى ، قوام الاولى فلسفة الايمان بالصراع الديالكتي من وراء هذا التمذهب بالواقع المادي .

وقد اصبحت المدرسة الجدلية وعلى رأسها « فورباخ وهيغل وماركس » ذات مذهب او ايديولوجية ، يجب ان تسود في رأيهم على الصعيد التوجيهي في دنيا الافراد والجماعات بل الانسانية جمعاء . واذا كان الفكر حركة تأملية من داخل الوجود البشري ، فان المادية الجدلية حركة ديناميكية في الخارج ، تحيكها صراعات الطبقات التي يصنعها الاقتصاد في مختلف صوره وتحركاته الصاعدة ، وما التاريخ في جوهره سوى قصة هذا الصراع الدامي ..!

والواقع ان هذه الحركة المادية قد تبلورت نظرتها في الوجود بانه مادة حية اكتسبت الفكر من تفاعلها وليس هو الا صورة له . وهنا تكون المادة سابقة في الوجود على الفكر ، والمادة كما يقولون ـ لم يخلقها اله ولا انسان ، وانما هي بعوامل الصيرورة تتطور كما قال قيراقليط الاغريقي وافتتح بها « ماركس » هامش كتابه « الدفاتر الفلسفية » والدين والمثالية في نظرهما اساطير وخرافات وانحرافات ومخدرات كانت تصنع دائما بين الاقوياء لاسكات الضعفاء .

وهذه نزعة فلسفية نبتت في اغريقا على يد هيراقليط ، ثم حملها التاريخ عبر الاجيال بين اخذ ورد وجزر ومد . تارة تظهر في انحراف المزدكية الفارسية ، ومرة على يد الخرمية في دولة الخلافة الاسلامية .

غير انها في هذا الطفو لم تكن ذات صبغة فكرية بقدر ما هي حركة متمردة على النظام والمثالية ، وما ان جاء القرن الثامن عشر بحركته الفكرية الواسعة ، حتى ظهرت : مادية « فورباخ » وجدلية : « هيغل » وصراع : « ماركس » في القرن التاسع عشر ، وتحول ذلك الى حركة عملية على يد : « لينين » في بداية هذا القرن .
ونلاحظ ان هذا المذهب قد اخذ على عاتقه تفسير الحياة في كل مظاهرها ونشاطها بالمبدأ الهام وهو : المادة المتحركة غير المخلوقة اصلا وحركتها الديالكتية تاريخ الوجود والاقتصاد هو الحبل السري ، والبشرية هي الدمى التي تحركها تلك الخيوط .. !

و« ماركس » رجل يهودي قصة حياته مثيرة ، ولا يعنينا منها سوى قدرته الفائقة على هضم هذا المذهب المادي من الجهة الفلسفية ثم انعطافه الى الناحية الاقتصادية ، واخراجه كتاب الشيوعية المقدس : « رأس المال » وهو كتاب صعب الاسلوب يقوم على ما يشبه المعادلات الرياضية ولقد عكف على هذا الكتاب تلميذ

مخلص هو « لينين » . ويحكي انه وعاه بدرجة تفوق على كاتبه ، وكان هو الاخر يهوديا قد حكم على اخيه بالقتل لاتهامه بحركة ضد القيصر الروسي ، ففر « فلادمير لينين » يجوب اوروبا ؛ وكانت الحالة السياسية والاقتصادية في روسيا بالاضافة الى ذوي الارهاب الراسبوتيني قد مهدت لقيام انقلاب خطير ، استولى فيه العمال على السلطة ، والحديث يطول عن الشيوعيين ، ولكن نكتفي هنا بنقطتين اساسيتين الاولى : ليست دفاعا عن القيصرية بالطبع ولكنها اعلان حقيقة . وهي ان المحفل الامريكاني الماسوني ، الذي يدير الماسونية الكونية وكل اعضائه من اعاظم زعماء اليهود وحدهم ، عقد مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود اصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لاثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم « اسحاق وموتيمر وشستر وليفي ورون » وكان المال مفروضا للدعاية واثارة الصحافة العالمية على القيصرية ، هذه الاموال هي التي غذت الثورة الشيوعية الثانية .

وفي عام واحد وخمسين وتسعمائة والف كان المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا مكونا من سبعة عشر عضوا على رأسهم ستالين والباقي يهود عدا « فيرشيلوف ومولوتوف » .

ولكن زوجتيهما من اليهود ، علاوة على هذا فكارل ماركس مؤسس الحركة الشيوعية يهودي ، ولا نريد ان نعلق ، ولكن هل كل هذه الاشياء صدق ؟ وما تعودنا ان نتكلم بهذه اللهجة ، لاننا لا نعادي اليهودية كدين ، ولكن كحركات عنصرية استعمارية ، والجواب مطلوب من الشيوعيين العرب .

وحكايتهم مع الامة العربية ليس فيها ما يشرف ، فقد دخلت الشيوعية مصر في اوائل العشرينات من هذا القرن عن طريق مجموعة جلبهم اليهود واتخذوها ستارا للعمل ضمن مخطط للحركة الصهيونية ، وكان اليهود قد اخذوا على عاتقهم مهمة نشر الشيوعية في الوطن العربي ، لان ذلك سيساعدهم على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . ثم بدأ انتشارهم في ظروف كانت مهيأة لهم ، فالوطن العربي تحت الاحتلال ، وما استقل منه لم يكن في المستوى الذي يمكنه من مواجهة مخططات من هذا النوع ، وقد قام تحركهم على تقسيم المجتمع الى شرائح اجتماعية وطائفية ، اما الاجتماعية فكانت في اوساط العمال الذين كانوا يعانون الوانا بليغة من الفاقة في ظل الانظمة الرجعية بدغدغة امانيهم واحلامهم بالاشتراكية الا أن امتدادهم كان محدودا ، وكان ينظر اليهم نظرة الريبة والحذر ، حتى الذين استجابوا لهم لم تطل استجابتهم فبمجرد ان اكتشفوا حقيقة ما يخفونه وراء دعوتهم انفضوا رافضين ، اما الشرائح الدينية ، فقد اختاروا طوائف معينة بدعوى انها ليست عربية وحاولوا عزلها عن المجتمع ،

والنقطة الثانية : قضية هجرة اليهود السوفييت الى فلسطين المحتلة كيف

وبأي منطق يبرر هذا ؟ . انه عدم التزام الماركسيين بالاممية التي جاءوا بها وتحللهم من قوميتهم لانهم يرفعون شعارات لا يطبقونها ، وهذا هو « لينين » الذي ارتبطت به الماركسية تطبيقا يقول عام الف وتسعمائة واربعة عشر هل ترى اننا نحن « البروليتاريين » في روسيا نحس بان الاعتزاز القومي غريب علينا ؟ لا والف لا ! فنحن نتعشق لغتنا ونحب بلادنا ونبذل قصارى جهدنا للرفع من شأن جماهيرنا الكادحة ، لنصل الى مرحلة الوعي الديمقراطي الاشتراكي ، ونحن نحس بالالم اكثر من غيرنا لما نراه من اضطهاد وذل يحيط ببلادنا على ايدي القيصر ورجاله ونبلائه ورأسماليته ، فنحن شديدو الاعتزاز ، ولذا فنحن نكره ماضينا الذليل ، وحاضرنا المستعبد .

ان التقدم الاقتصادي في اوربا كانت نتيجته ضد تقدم الانسان ، لانه سلبه شخصيته وارادته ، والذي ينظر الى المؤسسات الاقتصادية الكبيرة ، ويتبع سير فروع اعمالها ، يجدها تستغل الانسان ابشع استغلال ، وتأخذ منه كل وقته ، ولذا كان « شارل ديجول » سباقا عندما قال ان الحضارة الديناميكية معناها : انها تقيد الانسان ؛ وانها تثقل عليه بحيث لا يفكر في مصيره .

ان الدول الكبرى رغم تقدمها ، لم تفكر في تغيير اسلوب حياة الانسان الى الافضل ، بحيث تنعم بقسط من الحرية واكتشاف الذات ، ولقد تحدثت عن سقوط النظام الماركسي لانه قام على اساس عنصري لغرض خاص ، وبقي ان اثبت ان المجتمع الرأسمالي ينهار ، والشباب الامريكي يفقد نفسه ، وكوارث الطبيعة لا تحير المربين ، ولا تزعج علماء الاجتماع ، ولا تثير من الاهتمام الا بقدر الجهد الذي يبذله لمواجهة خسائرها بالاعتمادات المالية واعمال الاغاثة ، ولكن الكارثة التي تواجهها امريكا الان من النوع الذي يصعب معالجته ، ولا تقف خسائرها عند حد معين ، كفقد الارواح والممتلكات بل يتعدى ذلك لتمس حضارة الامة ومستقبلها في الصميم ..

السوس ينخر في نظام الكيان الأمريكي الذي لا يهمه مصلحة المجتمع ولا يهمه الا الربح المادي ولو بشراء أسلحة توجه الى صدور الشعوب ، لذلك ينهدم الهيكل الحضاري الهش والمخدرات في ادمان ، وهذه المشكلة بدلا لتها الاخلاقية لها ابعاد عميقة ، وتوضح فشل فلسفة التربية الامريكية في تحقيق اهدافها واشباع غايات المجتمع منها وخطورتها ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بالاطفال في سن المراهقة ، ولا يقتصر على الدراسة و « تفريخ » جيل من المنحرفين فحسب بل يتعداها الى مصير الامة كلها .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

في النظامين الماركسي والرأسمالي وضعت حرية الفكر والقلم في خدمة الاغراض الحزبية والتخريبية ، حيث تجند المخابرات الامريكية جيشا من العلماء لصنع ادوات الدمار وجيشا [illegible] في تدبير المؤامرات ، وكذلك يفعل الاتحاد السوفيتي

وغيرهما من الدول الأخرى .

هناك ـ كما اسلفنا ـ تجربتان أثبتتا أن الحرية وهم عند الغربيين والشرقيين ، فالغربية انتهت الى الديمقراطية كما أسموها ، والشرقية انتهت الى شكل الحكم في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي ، وقد لازم التجربتين في حركة نضالهما التحرري نضال رءوس الاموال في أيدي البيوتات الصناعية ، وقامت عليها طبقة من العمال تعيش من قوة عملها او اقطاعات زراعية قامت عليها طبقة من الفلاحين تعيش ايضا من ناتج عملها ، والديكتاتورية في روسيا دكتاتورية الطبقة العمالية تملي على الشعب ما تشاء ولكن هل زعماء الكرملين يعيشون كما يعيش سواهم ؟ لا والف لا ! انهم يعيشون في رغد من العيش وبحبوحة من النعيم ، بينما كثرة الشعب تطحنهم تروس البؤس وتطويهم عجلات الشقاء ، لا شفقة عليهم ، ولا احسان اليهم ، ولا تقدير لانسانيتهم ، ولا مراعاة لمشاعرهم .

ولقد وقف خروشوف يوما وكان جريئا فاخذ قطعتين من حديد ، وصار يضرب احداهما بالأخرى ، ثم استعدى أحد الجالسين وصفعه على وجهه عدة صفعات ، فحاول ان يدافع عن نفسه عندها قال خروشوف كلمة مشهورة ومسجلة وهذا في المؤتمر الأخير للحزب الشيوعي ، قال : الى ان يكون الانسان كهذه الالة او كهذه الاداة او كهذا الجماد لا يحس ، يمكنني ان أتعامل معه كما اتعامل مع هذا .

اذا كانت الاشتراكية الشيوعية او الماركسية لا تحقق للانسان في روسيا وفي ظلها ما حققته الرأسمالية في الدول الاسكندنافية ، فانا سأفرق بطاقة الحزب الشيوعي ، هذا كان اول تراجع مسجل وفيه الخفة بنظام ستالين فانهارت الماركسية ، علما بان الذرة لا يوجد في داخلها صراع كالانسان .. ! الرأسمالية حلت المشكل الاقتصادي باطلاق الملكية الفردية الى ما لا نهاية ، والرأسمالية تحولت الى طاحونة تطحن المجتمع الرأسمالي وتحول الفرد الى ترس في عجلة الرأسمالية ، هي التي تثير الحروب وتوجه السياسة ، وهي التي تجلب التعاسة للعالم في كثير من الاماكن .. والشيوعية تجربة مضادة للرأسمالية وهي اقصى اليسار ، واعتبرت نفسها حلت المشكل الاقتصادي بالغاء الملكية الخاصة ، وطبقت هذه التجربة ورأينا الفرد تحول ايضا الى ترس في عجلتها ، واصبح الحزب الشيوعي في البلاد الشيوعية يمثل السلطة ، ويملك الثروة في البلاد الشيوعية مثل الطبقة الرأسمالية .

لا بد من حل جديد ، فالاشتراكية هي التي تتيح الفرصة لارادة الانسان وهي التي تكون حلا باستمرار ، وليس هناك غير اشتراكية واحدة هي العدل الاجتماعي ، الذي يمنع استغلال الفرد للفرد او سيطرة طبقة على طبقة ، وهي التقاسم في الخير والتشارك في النعمة ، تسمح بنزع الملكية احيانا والتأميم ، ووضع قيود على الملكية في حالة ثالثة ، وبالتأمين والضرائب التصاعدية . والاديان كلها تقف بجانب هذه العادة الاجتماعية ، تنفي الاستغلال ، وفي القرآن الكريم كتاب البشرية الامجد من الايات ما يكشف بجلاء عن نظرية الاسم للمال ، فالمال

هو مال الله ، اي انه ملك عام فالمولى سبحانه يقول **(وآتوهم من مال الله الذي اتاكم)** النور / ٣٣ وقال عز وجل :**(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد / ٧ فالقول بان المال مال الله وان الناس ليسوا سوى امناء وحراس عليه ، هو قول لم يصل اليه مذهب من المذاهب الاشتراكية الحديثة ، لان ترجمته بلغة هذه الايام هو « المال وظيفة عامة وليس ميزة شخصية » فاذا أضفنا اليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ادركنا ان مازاد عن حاجة الانسان يجب ان يكون في خدمة غيره وان الاستئثار به لا تقره روح الاسلام .

ولننتقل الى « النازية » التي ظهرت في بداية العقد الرابع من القرن الحالي وبلغت اقصى نجاح لها ، ولم يكن نجاحها عسكريا فقط بل قد بلغ حد الاعجاز البشري اذ حاربت المانيا بفضله كل القوى الحربية في العالم المتمدين فهزتها جميعا ، ولكن الجانب العسكري لم يكن سوى الوجه الظاهر لحشد هائل من ملكات التفكير والتقييم والاختراع والاحتيال والالهام والتأثير في دروب الحكم والاقتصاد والدعاوى والتمويل والنقل والمواصلات والطباعة والنشر والحرب النفسية . بلغ اقصى نجاحه حينما ضم اليه كبار رجال السياسة والفكر واجتمعت كل السلطات في يدها واجتمعت سلطات الحرب في زعيم كان متجردا للمصلحة العامة ويفيض حبا لبلاده ، ولكن انصاره قالوا عنه انه زعيم معصوم ، خلبت النازية انظار العالم واوهمته بانه نظام جدير بالحياة وقادر على البقاء ، بل انه الحل الاسمى لازمة اوروبا والغرب كله ، ولكن لم يقدر لهذا النظام البقاء بعد الحرب العالمية الثانية ، لانه قام على العنصرية والتهديد . هدد « هتلر » القسس حينما نادوا بالتقوى والعمل الصالح لان هذا يتنافى مع نظريته العنصرية التي اساس التفاضل فيها الجنس « المانيا فوق الجميع » فانصرف رجال الكنيسة الى الحياة الاخرى وتركوا الدنيا .

في التربية عرف هتلر الاعمال التربوية وكان يقول للناس : ان رجلا سليما معافى هو افضل من رجل مريض مهما كانت مقوماته العقلية ، كان يتجه الى دعم قوى الرياضة لانه يؤدي الى قوة الجسد ، وطلب من المؤرخين ان يفسروا التاريخ تفسيرا تتجه فيه الناحية العنصرية اتجاها اخر باعتبار ان الشعب متفوق .

وطلب من العلماء ايضا ان يقولوا ولو بالتزييف ان الشعب الآري متفوق ، وكانوا يكتبون باللغة الانجليزية على السلع : صنعت في المانيا فاشترها فهي جيدة ، هنا تحول مخطط ، يتجه فيه الشعب نحو الوضع الافضل في تصوره ، اقول هذا لانني « ابغض العنصرية » لان اصحابها يعتبرون انفسهم اوصياء على الشعوب . نلاحظ في هذه النظم ان القسوة والقمع هي سبيل المحافظة على الايديولوجية وهي من صنع بشر ولكنها تحاط بقدسية المبدأ الذي يقول : الدولة التي تسمح بنقاش تسمح بالنقاش فيما يتصل بتطبيق المبدأ لا بالمبدأ نفسه ، هذه

مقررات الاوصياء ولها ملامح خمسة :

١ ـ لا تمتد بجذورها الى ثقافة المجتمع .

٢ ـ تحاط بجو من القدسية والحماية عن طريق القمع والقهر .

٣ ـ يتبنى ايديولوجيتها حزب غير مفتوح .

٤ ـ تهتم بالناشئة اكثر .

٥ ـ لا تهيء الفرصة للحوار والمناقشة وصولا الى الاجتماع .

فاين هذا من الثورات الشرعية المنبثقة من القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان القادرة على هداية الانسان واضاءة حياته بنور الايمان من اجل الخير تقوم على مبدأ الشورى : (**وشاورهم في الأمر**) ال عمران / ١٥٩

والقرآن الكريم يقول : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) والألمان يقولون : « المانيا فوق الجميع » وهناك فرق كبير بين المعنيين ولكنه فارق روحي ، ولكن اذا اخذنا الالفاظ على ظاهرها فقد نجد تشابها أن هؤلاء النازيين يريدون ان يرفعوا زعيمهم الى المكان الذي رفع الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (**اطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء / ٥٩ وهيهات ان يصل زعيمهم الى موطىء قدم الرسول فهذا موحى اليه وقد اختارته العناية الالهية واذا كانت الثورة الفرنسية قد قامت لتحرير المواطن الفرنسي في اواخر القرن الثامن عشر ونادت بالحرية والاخاء والمساواة ، فليست مبادىء جديدة ، وقد جاء بها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، جاء الاسلام وكان سموا بالذات العربية بل قتلا لحدة الشر في النفس الانسانية وتغليبا لجانب الخير في الجانب الفردي ، فكان منهجا تجلت فيه ادق المعاني الانضباطية والنظامية في الجانب الاجتماعي منتظما في ظل التربية النبيلة الروحية للفرد ومنسجما ومتجاوبا مع تطلعاتها الحياتية . بحيث يكون تنفيذ هذه التطلعات خاضعا لروحية التربية وصادرا عن خلقية سلوكية تكبح جماح النفس ازاء مغريات المادة . واتزنت النفس العربية اتزانا عميقا في ظل الاسلام وشموليته ، فأصبح فعلها المادي محكوما بهذا الاتزان الشمولي ، وصفت صفاء جعلها في ظل شمولية الاسلام تستشرق عالم الكون بشفافية مكنتها ان تعرف معنى وابعاد اتجاهها نحو السمو الروحي ، وهو القصد من هذه الحركة ، ثم كان على الجانب الاخر المنهج الحياتي لهذه النفس المهذبة كيف تحقق خلافتها لله في الارض ؟ وكيف تنظم هذه الخلافة للمجموعة الانسانية ؟ ثم قبل هذا كيف ينطلق الانسان العربي ليحملها نورا يبدد الظلام ومعرفة تبدد اليأس وتوحيدا يمزق جدران الشرك ، وامنا واطمئنانا يريح النفس مما هي فيه من قلق واضطراب ؟

لهذا خرج العرب ، ومن اجل خير الانسان قاتلوا ، ولكي تنتظم الانسانية كلها في ظلال المثل والروح تشرق شمس الاسلام ويعمر بالمحبة ، تظلها رايات العدل ، تحمل العرب عبء الرسالة : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران / ١١٠

الأسرة

من معـاني الاسـرة ـ كمـا في معجمات اللغة العربية ـ : الـدرع الحصينة ، وأقارب الرجل الادنون ، وأهل بيته ، الذين يتقوى ويحتمي بهم ، كما يحتمي المحارب بالدرع ، ومن المجـاز البليـغ ـ كمـا قـال الـزمخشري ـ قـولهم : شد اللـه أسره ، اي قوى احكام خلقته .

والاسرة في التاريخ القديم ، وعند اكثـر الامم ، اعتبـروهـا وحـدة اجتماعية ، يـرأسها الاب ، وكـان العرب يعتبرون القبيلة ، هي الوحدة السياسية والاجتماعية ، كمـا قال « سمث » ـ، وقال « روبرت لوى » : انهم كانوا يعتبرون الاسرة ، هي الوحدة الاجتماعية الصغرى ، التي نمت بعد ذلك حتى صارت عشيرة او قبيلة ، وقد ذهب بعض الباحثين الى ان عرب الجاهلية ، لم يعرفوا زواجا مستمرا ، ترتبط فيه المرأة بـرجل معين ، والى اجل غير مسمى ، لانهم كـانوا يجـرون على نظـام النكاح المؤقت .. الذي ظل شائعا بينهم ، حتى جاء الاسلام ، فأباحه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لاصحابـه فترة من الزمان ، عرف فيها هذا النكاح المؤقت باسم « نكاح المتعة » ، كمـا ذهبوا الى شيـوع الاباحيـة الجنسية عند العرب قبل الاسلام وذلـك ما سجلـه المؤرخ العـريق « سترابون » في معجمه الجغرافي ، على العرب في بلاد اليمن ، غير ان الباحثين المحققين قديما وحديثا ، قد اثبتوا بطلان ما سجله « سترابون » هذا ، وأثبتوا ان علاقة الرجل بالمرأة في العصر الجاهلي ، كانت لها نظم اربعة أشار اليها الحديث الصحيح ،

في الجاهلية والاسلام

للاستاذ : الغزالي حرب

بلسان السيدة عائشة ام المؤمنين التي قالت ـ رضي الله عنها ـ : ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء :

أ) فنكاح منها نكاح الناس اليوم .
ب) والنكاح الثاني كانوا يسمونه نكاح الاستبضاع ، وهو ان يقول الرجل لامرأته ، اذا طهرت من حيضها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ثم يعتزلها زوجها جنسيا ، حتى يظهر حملها من ذلك الرجل ، فاذا ولدت منه ، نسب الولد الى ابيه لا الى امه ، وهذا النكاح لم يكن شائعا عند العرب ، ولا مقصورا عليهم ، كما سنبين ذلك قريبا .

جـ) والنكاح الثالث نكاح المشاركة او الرهط ، وهو ان يجتمع رجال دون العشرة ، فيدخلوا على المرأة ، ليصيبها كل منهم .. فاذا وضعت حملها ، اجتمعوا عندها ، لتختار منهم من تلحق به ولده وولدها ، وهذا النكاح الثالث كان دخيلا على العرب من الفرس في أثناء حكمهم لليمن ، وتسلطهم على الحيرة قريبا من الكوفة ، في عهد الساسانيين .
د) والنكاح الرابع كان نكاح الاماء البغايا ، اللائى كن دخيلات على العرب ، الذين كانت أغلبيتهم العظمى ، لا يعترفون الا بالنكاح الاول المشروع ، الذي اقره الاسلام ـ فيما أقر ـ من النظم الجاهلية التي لم ير بها بأسا في مجموعها ، وأدخل عليها ما أدخل من التعديل ، والتنظيم ، والتهذيب ، لانه وحي السماء ، الذي لم يبح مثلا ـ وحاشاه ـ نكاح الاستبضاع ، الذي اباحه افلاطون في جمهوريته ، كما أباحه

ليكورغ مشرع أسبرطه ، وأباحته شريعة سولون للمرأة التي يعجز زوجها عن معاشرتها جنسيا ، وأقرته شريعة مانو للهنود .. وكل هذه الشرائع الوضعية لا قيمة لها ، ولا عبرة بها ، في جنب الاسلام شريعة السماء وخاتمة الديانات : ولا يستوي وحي من الله منزل .. وقافية في العالمين شرود !!

وما أهم ما أنكره الاسلام ، على نظام الاسرة في العصر الجاهلي ، منذ اللحظة الأولى لقيام هذا النظام ؟ وما أهم التعديلات أو البدائل الاسلامية التي بفضلها صار هذا النظام اسلاميا بعد ان كان جاهليا ؟

أولا : انكر الاسلام على عرب الجاهلية ـ اول ما أنكر ـ اعتبارهم عقد الزواج ، صفقة تجارية ومن هنا وصفوا الانثى عقب مولدها بأنها « النافجة » قائلين في التهنئة بمولدها : هنيئا لك النافجة » وذلك ما سارت به أمثالهم العربية ، ومعنى النافجة : التي تنفج مالك وتزيده ، بما تأخذه من مهرها ـ وهو العوض الذي يدفع لأهلها ـ وبما تأخذه من صداقها ـ وهو العوض الذي يدفعه الرجل لها هي وبفضل الصداق والمهر ينتفج حال والد العروس ويتضخم ، وانصافا للحقيقة والتاريخ ، نقرر ان بعض سادات العرب واشرافهم ، كانوا يأنفون من تضخيم ثرواتهم واموالهم بمهر او صداق ، ومن هنا فخرت احدى الزوجات العربيات ، بأن زوجها ووالد بناتها ، لا يأخذ مهرا أو صداقا مما كانوا يسمونه « حلوانا » وفي ذلك قالت هذه الزوج الام الفخور بزوجها المتعفف .

« لا يأخذ الحلوان من بناته » كما قال زوج عربي يفخر بذلك أيضا :

وليس تلادى من وراثة والدى
ولا شاء مالى مستفاد النوافج

وبقدر ما أنكر الاسلام ، اعتبار عقد الزواج صفقة تجارية ، خلع على هذا العقد من القداسة والتكريم ما لم يخلع على عقد سواه :

أ) فهو آية كونية عالمية شاملة لبني الانسان وغيرهم (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ .

ب) وطرفاه ـ وهما الذكر والانثى ـ جديران بالقسم بهما ، والتكريم لهما ، شأنهما في ذلك شأن الآيات الكونية التي اقسم الله بها قائلا : (**والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . إن سعيكم لشتى .**) الليل / ١ ـ ٤

جـ) وهو العقدة الوثقى ، والميثاق الغليظ ، الذي وصف القرآن الكريم به اثنين لا ثالث لهما : وهما العهد الرباني الاول الذي اخذه الله على انبيائه ورسله ، وعقد الزواج ، قائلا : (**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**) الأحزاب/٧ وقائلا ايضا سبحانه (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا.وكيف تأخذونه**

وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .) النساء / ٢٠-٢١

ثانيا : هذا الميثاق الزوجي الغليظ ، أقامه الادب الاسلامي القرآني ، على امتن الدعائم واقوى الاسس الاجتماعية ، وهي السكينة والمودة ، والرحمة ، مصداقا لقوله تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / ٢١ .

ثالثا : في ظلال هذه السكينة والمودة والرحمة ، المتبادلة بين الزوجين المسلمين المتحابين أقر القرآن الكريم العيون ، وشرح الصدور وأنار الأبصار والبصائر ، بالدعوات الصالحات المتوهجات بنور الامل والرجاء ، في الذرية الصالحة ، والخلف (بفتح اللام) الطيب قائلا : (**هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**) آل عمران / ٣٨ (**فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**) مريم / ٥-٦(**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان / ٧٤ .

رابعا : ولم يفت الاسلام - بادىء ذي بدء - ان ينكر على أهل الجاهلية ، مغالاتهم في المهر والصداق ، اللذين كانوا يفرقون بينهما ، بأن المهر هو العوض الذي يدفع لأهل المرأة ، والصداق هو العوض الذي يدفعه الزوج للزوجة نفسها ، وما أقوى الدعاء المحمدي الشريف الحاسم الذي يقول : اللهم اذهب ملك غسان ، وضع مهور كندة » ومعلوم ان اهل قبيلة « كندة » ، كانوا يغالون في مهور العرائس ، الى درجة ان العروس الكندية ، كان مهرها احيانا لا يقل عن الف من الابل ، وتلك هي الروح التجارية المادية ، التي اعلن الاسلام الحرب عليها بإنسانيته وسماحته وبساطته ، حتى يقيم الاسرة على أساس انساني ، لا على أساس تجاري ، بمثل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثلا لسهل بن سعد عندما أراد الزواج : اذهب فاطلب - ولو خاتما من حديد - قال : يا رسول الله ، ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ، فسأله الرسول الانسان الاعظم : هل معك من القرآن شيء ؟ قال : معي سورة كذا ، وسورة كذا .. قال : اذهب فقد انكحتكها بما معك من القرآن ، ومثل قوله - صلى الله عليه وسلم - ايضا : خير النساء أيسرهن صداقا » وكما زوج الرسول سهل بن سعد بما كان معه من القرآن ، زوج رجلا آخر بدون مهر اكثر من ان يعلم زوجته اربع سور او خمسا من كتاب الله - كما روى ابن عباس - أو يعلمها عشرين آية - كما روى ابو هريرة -، وبهذه الروح الاسلامية الاصيلة ، تشبع فاروق الاسلام عمر بن الخطاب ، في كلمته الصادقة الواقعية الملهمة : « لا تغالوا في صدقات النساء ، فانه لوكان تقوى لله ، او مكرمة في الدنيا ، لكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - أولانا بذلك ، فما أصدق نساءه ولا بناته اكثر من

اثنتي عشرة أوقية » ، ثم تشبع بها فقهاء الاسلام الذين قدروا المهر الشرعي ، بما لا يزيد عن خمسة وعشرين قرشا مصريا ومن شواهد الوسطية الاسلامية في اتزانها واعتدالها ، انها لم ترض المغالاة في المهر ، وفي الوقت نفسه لم ترض الحرمان نهائيا من المهر ، ومن هنا حرم فقهاء الاسلام ما يعرف باسم « نكاح الشغار » ، الذي سمى بهذا الاسم لانه شاغر وخال من المهر كلية ، لأنه قائم على اتفاق بين رجلين ، على أن يزوج كل منهما الآخر ابنته أو أخته ، بدون مهر مطلقا وحسب الطرفين هذا التبادل بينهما .. فان تم هذا النكاح المحرم - وهو نكاح الشغار - فهنا يوجب الاسلام مهر المثل لكل من هاتين الزوجتين ، وإلا فالزواج باطل شرعا .

ب) ومن شواهد الوسطية الاسلامية ايضا ، ان الاسلام لم ينكر على الجاهلية ، تعدد الزوجات - من حيث المبدأ - وانما أنكر عليها الفوضى في تعدد الزوجات ، فقد جاء الاسلام فوجد في قبيلة ثقيف وحدها ، رجالا لدى كل منهم عشر زوجات ، كمسعود بن معقب ، وعروة بن مسعود ، وسفيان بن عبد الله ، وابي عقيل مسعود بن عامر ، وغيلان بن سلمة ، فلما أسلم غيلان ، وسفيان ، وأبو عقيل ، نزل كل منهم عن ست زوجات وامسك أربعا ، ولكثرة الازواج الذين تزوجوا اكثر من اربع نساء في الجاهلية ، الف فيهن ابو الحسن المدائنى كتابا مستقلا عنوانه « من جمع اكثر من اربع » ، ومن سماحة الفقه الاسلامي ومرونته التي كان بها صالحا لكل زمان ومكان ، أنه اعتبر تعدد الزوجات ، خاضعا في الحكم الشرعي ، للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تحيط بالفرد والاسرة والامة ، فهو إما مباح ، وإما مكروه ، واما حرام ،- كما حقق ذلك الفقهاء قديما وحديثا ، ولا سيما الشيخ محمد امين صاحب الحاشية المشهورة باسم « حاشية ابن عابدين » في فقه الاحناف ، ولا شك في ان المنصفين الموضوعيين - حتى من غير المسلمين - يعتبرون تعدد الزوجات في الاطار الاسلامي المحكم المعتدل العادل ، خيرا من تعدد العشيقات ، في النظم الغربية المتحللة ، التي ندد بها كثير من الكتاب والباحثين الاجتماعيين شرقا وغربا ، ومنهم - على سبيل التمثيل لا الحصر - جوستاف لوبون ، الذي وصف نظام العقود الاسلامي بانه « نظام حسن ، ويرفع المستوى الاخلاقي في الأمم التي تدين به ، ويزيد الاسر ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تجدهما في أوروبا ».

خامسا : ولم يفت الاسلام - بادىء ذى بدء أيضا - ان ينكر على بعض القبائل العربية ، انها كانت لا تكتفي بحرمان المرأة من الميراث - وان كانت زوجة وأما ، وانما كانت تعتبرها هي نفسها ميراثا يورث عن زوجها المتوفى ، وكانت لا تتورع عن عضلها والتضييق عليها بمنعها من الزواج في

حياة زوجها او بعد وفاته ـ سواء أكان هذا العاضل الظالم زوجا هدفه من ظلمه هذا أن يسترجع الصداق الذي دفعه لها ، أو كان وارثا هدفه من ظلمه هذا أن تتنازل له المسكينة الارملة ، عما ورثته من زوجها بدافع الغيرة ، أو الأنفة ، أو الأثرة وحب الذات ، وفي تحريم هذا كله حفاظا على كيان الاسرة المسلمة يقول القرآن الكريم :(**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ألا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ..) النساء / ١٩

وفي تفسير هذه الاية الكريمة ، قال الطبري : « ان ابن الزوج المتوف او قريبه ، كان يعضل امرأته فيمنعها من الزواج من غيره ، حتى تموت او ترد اليه صداقها فداء لها ... وقال الزمخشري : « ان الرجل كان اذا تزوج امرأة ، ولم توافقه ، حبسها مع سوء العشرة ، والقهر ، حتى تفتدي منه بمالها وتختلع ،، » ، وانصافا هنا للحقيقة والتاريخ ، نذكر القراء ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن هذه المنكرات التي أنكرها الاسلام على بعض القبائل العربية ، ليكفل للاسرة استقرارها العائلي المنشود ، لم تكن مقصورة على هؤلاء العرب ، فقد كان العبريون يعتبرون المرأة جزءا من متاع الرجل ، تورث كما يورث ما خلفه ، وللوارث ان يبيعها او يعضلها ويضيق عليها ..

سادسا : ولم يفت الاسلام ايضا ـ وهنا بيت القصيد ـ ان ينكر على كثير من العرب في الجاهلية استخفافهم بقداسة الحياة الزوجية ، وكرامة الزوجة المغلوبة على امرها ، ومن شواهد هذا الاستخفاف ، ان الرجل منهم ـ كما قال الفخر الرازي ، وابن زيد كان يطلق امرأته ألف مرة ، أو مائة مرة ، ثم يراجعها بعد كل مرة ، ان أراد ، ولا حسيب ولا رقيب ، ولا معروف ولا احسان ، وانما هي المضارة للزوجة المسكينة ، والاستخفاف بكرامتها وكرامة الحياة الزوجية ، وذلك ما أنكره الاسلام عليهم أيما انكار ، يقول الله ـ تعالى : (**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**) البقرة / ٢٢٩

وفي ظلال هذا التشريع القرآني الكريم المحكم الخالد على الزمان ، كفل الفقه الاسلامي للزوجة حقها تاما كاملا ، في ان تشترط على زوجها في عقد الزواج ، جعل العصمة بيدها ، وأباح لها ـ اذا لم تكن العصمة بيدها ـ ان تفتدي حريتها ، بما تدفعه لزوجها من مال ، باسم « الخلع » ، ما دام هنالك مبرر معقول ، ومسوغ شرعي مقبول ، كالغيبة الطويلة ، او العجز الجنسي ، او سوء العشرة ، او تعذر التجاوب العاطفي بينها وبين زوجها ، او نحو ذلك مما فصلته كتب الفقه الاسلامي ، في واقعية وموضوعية والى لقاء قريب ـ ان شاء الله .

الإعلام الاسلامي

ان الحاجة ماسة اليوم الى اعلام اسلامي متميز عن الاعلام الغربي بنظرياته التقليدية التي تخدم بلاده ولا تحقق لنا أي شيء سوى أن نتعلم مبادىء وقيم بعيدة عن صدق الكلمة وإيثار الحق . يجب أن نتعدى مرحلة الأحاديث ونبدأ على الفور في التخطيط من منطلق منهج علمي يرسم لنا استراتيجية طويلة المدى ، ولتكن النهضة التكنولوجية في مجال الاتصال وأجهزته احدى وسائلنا لتحقيق هذا الهدف الذي يفرض نفسه علينا ...

أولا : التصدي للحملات التي يتعرض لها الاسلام ... وثانيا : تأسيس اعلام جديد يخدم الاسلام والمسلمين .

اننا نعيش الآن تحديات يتعرض لها الاسلام وتحيط به وبنا من كل جانب ...

أولها : اعتبار الديانـات أفيون الشعوب وانه لا نفع من التمسك بها خاصة الدين الاسلامي ..

ثانيها : محاولة جعـل الانسان ماديا وجعل القيمة للمجتمع ... أما

ضرورة للإسلام والمسلمين

للاستاذ / محمد عبد الحميد

قيمة الانسان وحريته وكرامته فلا مكان لها على الاطلاق …

وثالثها : ان الاسلام جامد ولا يصلح للعصر الحديث وانه يتعارض مع تطور المدنية …

ورابعها : وصف الاسلام بأنه صورة متكررة من الديانات التي سبقته ، وهو ما قام عليه مفهوم بعض علماء الأديان المقارنة لاعلاء شأن دياناتهم …

وخامسها : تشجيع الرغبات الجسدية من منطلق مفهوم الحرية التي يجيزونها لهذه الرغبات ويحرمونها على السلوك والانتاج الانساني …

وسادسها : التبشير الغربي القائم على التضليل الفكري والتحلل الخلقي والالحاد الذي يجد متنفسا قويا وواضحا في الصحافة ووسائل الاعلام المتعددة كالسينما والمسرح والتلفاز والراديو والمعارض والكتب …

سابعها : ان اللغة العربية الفصحى تواجه بوصفها لغة القرآن الكريم العديد من التحديات عن طريق اعلاء شأن العاميات واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام لوضع السدود والحيلولة دون فهم القرآن والاعتزاز والاهتمام بالتراث الاسلامي .

● الصحيفة الالهية

ولا شك أننا أمام كل هذه التحديات التي تهاجمنا بشكل مباشر أو غير مباشر وتتسرب الينا عبر العديد من القنوات الاعلامية الغربية .. تحتاج الى اعلام اسلامي لعرض الفكر الاسلامي ونشر المعرفة الصحيحة وتقديم الثقافة الاسلامية في اطار متطور جاذب وليس طاردا حتى تتحقق الاهداف التي نبتغيها للأجيال الحاضرة والمستقبلة باعتبارها الدرع الواقي للدين والاسلام والمسلمين . ان الاعلام الاسلامي حقق في الماضي أهدافه … ان الاسلام قد أدرك ما ينبغي أن يكون عليه الحال بين المسلمين في اجتماعاتهم المختلفة … وفي اتصالهم وفي كل ما يخص أمورهم … وضع الركائز القوية والمعالم الواضحة ..

كان الاسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحيتين النظرية والتطبيقية ... ان الوحي في حد ذاته بما يحويه من الصدق والقوة وعظمة الخالق يحمل اعلام الحق تبارك وتعالى لنبيه الكريم بحكم شرعي في قلب وعقل الرسول الكريم ليبلغه الى المؤمنين الذين انفتحت عقولهم وقلوبهم لهذه الرسالة الكبرى ... أيضا القرآن الكريم حسب المفهوم الاعلامي السائد أليس أكبر وأهم وسيلة اعلامية كونه الدستور الاكبر للبشرية الذي بين حدود الله وهاديا للناس كافة الى الصراط المستقيم .

لقد حوى القرآن الكريم قمة الاعلام في المصطلحات والمفاهيم والألفاظ الدالة على مختلف طرق وأساليب وأنماط الاعلام ... على سبيل المثال .. قول الحق تبارك وتعالى : (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**) . ابراهيم / ٥٢ . أيضا : (**عم يتساءلون . عن النبأ العظيم**) النبأ/ ١ و ٢ . أيضا (**هو الذي يصوركم في الأرحام**) آل عمران /٦ . كذلك : (**يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها**) الزلزلة/ ٤ و ٥ .

هذه الكلمات الربانية الخالدة فيها جميع أساليب الاعلام والدعاية المعروفة المدونة في الكتب الحديثة ... فيها الخبر ... فيها التوجيه والارشاد ... أيضا نجد أسلوب الأمثلة والشواهد التي جاءت به الكتب السماوية السابقة ... كذلك نجد أسلوب التوقع ... أيضا نجد الطريق الأمثل الذي يرسم لنا طريق الدعوة الاسلامية وتقديم المثل الأعلى والمنهج القويم الذي يوصل الى أبرز النتائج كما جاء في الآيات البينات التالية : (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**) الأحزاب / ٤٥ ـ ٤٨ .. كذلك : (**إنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء/ ١٩٢ ـ ١٩٥ ... أيضا : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥ ... أيضا (**لا إكراه في الدين**) البقرة /٢٥٦ . هذه مجرد أمثال ... وإننا لنجد في كل آية ، الاعلام الصادق الأمين من رب العالمين حتى إننا لنقول بأن القرآن الكريم هو بحق صحيفة إلهية فوق كل الصحف يصدق فيها قول الحق تبارك وتعالى : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ .

● الصدق والأمانة

ماذا في الأحاديث النبوية

الشريفة ؟ ... فيها الكثير .. فيها الصدق والمعلومات بل هي بحق مواثيق شرف لأعظم رسائل إعلامية بما تحويه من أدب الحديث ، بساطة التعبير ، التواضع ، احقاق الحق ، الايجابية في المواقف ، وضوح الايمان ، اكتساب محبة المستمع التي يتحلى بها رجل الاعلام وأيضا تحقيق الهدف المراد بقول هذه الأحاديث التي ما قيلت الا لتحقيق فائدة المسلمين الى يوم الدين . لقد توافر في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وتحقق فيهما ما يقوله الاعلاميون من أن أبرز مجموعة الاهداف التي تتجه اليها وسائل الاعلام على اختلافها مقروءة أو مسموعة أو مرئية هي : الاعلام أو الأخبار ، التوجيه والارشاد ، التفسير والايضاح والتثقيف .

ولنقرأ هذا الحديث الذي ينهى عن التعصب للنسب أو الجنس أو اللون : « دعوا الكسعة ، دعوها فانها منتنة » رواه البخاري وأحمد ومسلم . أيضا : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » . رواه أبو داود .. وفي الفضائل يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه أحمد والنسائي . وقوله : « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » . رواه الأصفهاني . وقوله : « ان الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها » رواه الطبراني . وقوله : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » . رواه أحمد والحاكم . وفي العلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وقوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عدي عن أنس بن مالك ... وباقي الأحاديث كل واحد فيه رسالة ذات هدف ، ونصيحة توجب الطاعة ، ومنهج يوجب الأخذ به ، وعلم يجب الاستفادة منه ، ونهي تجب عدم مخالفته ومعرفة يجب اتباعها ... هكذا هي الاحاديث النبوية الشريفة .

أيضاً تتمثل الوسائل الاعلامية فيما قاله الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وكلام كبار المحدثين والعلماء ، وخطب الخطباء ... وكانت الوسيلة لابراز ذلك كله ، المساجد ، اجتماع المسلمين في الصلاة والحج ، والاجتماعات العديدة والرسائل المختلفة التي كانت تبعث في المناسبات ... ثم الاعلام المباشر على هذه المستويات وغيرها .

هذا الزاد الكبير ... وهذا الزاد الرباني المتمثل في القرآن الكريم ... وهذا الكنز .. هذه الخزانة من المعرفة المتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة كيف لا نحافظ عليهما اليوم في مكانتهما الساشعة المرتفعة كما فعل الأوائل ... كيف نترك هذه الجحافل الملحدة تبعدهما عنا بنظريات دنيوية ... بنظريات اعلامية هي دونهما بكثير ؟؟ الا يحق لنا أن نتصدى لهم ... نأخذ منهم ونعطيهم بما هو أقوى وأشد تأثيرا .. اذا كان علمهم سيفسدنا ، بل انه كذلك ، فلنرده اليهم أشد وأقسى بالعلم والاقناع حتى يعرفوا ان الحق إلى جانبنا ... وأن حق ديننا علينا أن نصونه ونحميه حتى يبقى مصانا الى الأبد من أيدي العابثين .

● المنهج العلمي

كيف نصل الى اعلام اسلامي مثالي ونموذجي في آن واحد ؟ .. كيف نخطط ونتوصل الى منهج علمي يكون أساسا لاعلامنا الاسلامي الذي ننشده لجيلنا الحاضر والأجيال القادمة ؟ ... كيف نبني الحصن الاعلامي المسلم كي نصد هجمات الأعداء الذين يهدفون الى إبعادنا عن ديننا الذي يعرفون أهميته وقوته وشموليته وعالميته وأبديته ؟ ..

بين أيدينا نهضة تكنولوجية في مجال أجهزة الاتصال ... لدينا نهضة الترانستور ... لدينا أقمار الاتصال التي يسرت امكانية نقل الحدث لحظة وقوعه « مصورا » ، وليس مسموعا فقط كما هو الحال بالنسبة للراديو ... لدينا أيضا التلفزيون .. لدينا الكلمة المقروءة « الصحافة » ... وغيرها من وسائل الاعلام ... هل حقيقة قمنا باستغلال واستخدام هذه الوسائل لخدمة الدين الاسلامي ؟ ... هل استفدنا منها واستخدمناها في اعلامنا لهدفنا الأسمى للحفاظ على مبادىء الدين الاسلامي ؟ .

المسؤولية كبيرة ... والواجب أكبر أمام هذه الحملات الشرسة التي يشنها أعداء الاسلام لدين الله وصدق قول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة :

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) ٢١٧ . ولاشك أن حاجتنا تصبح ملحة لتحقيق هدفين أساسيين :

الأول : أن نبدأ بأنفسنا ... فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتلقى شيئا دون أن نكون عارفين بأهميته في تشكيل مستقبلنا ... المعنى الاجمالي الشامل حول هذه الخصوصية هو قيام الاعلام بدوره المؤثر في خدمة الدين الاسلامي وتحقيق أهدافه ومبادئه وفضائله ... ذلك يتطلب تثقيف وتعليم المواطن المسلم لاعداده لتلقي ذلك الاعلام حتى لا يشعر بالغربة العقلية بالمقارنة بالاعلام الغربي الذي يمتاز بعناصر التشويق التي تشد القارىء وتحرك مشاعره وأحاسيسه ليبتلع الطعم أو الفكرة التي تقدم له في قالب أو قوالب براقة وجميلة .

اذا قمنا بذلك أصبحنا أقوياء .. أصبحت لدينا القدرة على التصدير .. أقصد بكلمة التصدير العطاء الخارجي لمواجهة هذه الحملات .. وتتحول الدعوة الى عملية اتصال بالمفهوم الاعلامي السليم ... وهذا يقتضي تقديم الدين للجماهير التي لم تتح لها فرصة معرفته أو فهمه بالشكل والصورة الواقعية .

السؤال الذي يفرض نفسه كيف نحقق هذه الأهداف ؟ ... وبشكل آخر ما هي الوسائل التي تساعدنا ويمكننا استخدامها لتحقيق هذه الأهداف ؟ هل هي فقط الصحافة والاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية « التلفزيون » ؟ ... هل نضيف اليها الكتاب والمعارض والمؤتمرات والندوات ؟ ... هل نضم اليها الأفلام بشتى أنواعها سواء الأفلام السينمائية أو التسجيلية أو الوثائقية ؟ ... هل نقدر أهمية ودور الاتصال الشخصي والجماهيري والتوسع في انشاء المراكز الاسلامية المتخصصة في الخارج ؟ ..

لا شك أن هذه الوسائل جميعها هامة .. بل هي على جانب كبير من الأهمية .. لأنها وسائل اعلامية متعارف عليها ... ومتفق على فاعلية الأدوار التي تلعبها في الاعلام الغربي ... ونحن لا بد أن نعرف قدرها ونقدرها ونخطط لتأثيرها في مجال الاعلام الاسلامي الذي ننشده ونبغي تحقيقه . ان استخدام هذه الوسائل لا يمكن أن يبدأ من فراغ ... ولا يمكن أن يتم بشكل منفرد تقوم به كل دولة اسلامية على حدة ... ولا يكفي في هذا المجال انعقاد المؤتمرات والندوات ثم اصدار التوصيات التي يجري تنفيذ جزء منها ثم ترك بقية الأجزاء .

● الوسائل الاعلامية

إذن نحن مطالبون بانشاء الوسائل التالية :

* قمر صناعي اسلامي لاستخدامه في تزويدنا بكافة البرامج التليفزيونية الاسلامية يشاهدها الناس كافة في بلدان العالم المختلفة من أهمها نقل شعائر الحج وكافة الأفلام المصورة التي تنقل الى المشاهد الحضارة الاسلامية العريقة .

* عمل تخطيط علمي لتوزيع معاهد وكليات للصحافة الاسلامية التي تضطلع بدور تكوين الصحفي المسلم أو رجال الاعلام الاسلاميين ، الذين يخدمون في هذا المجال على مستوى البلاد الاسلامية وخارجها في دول العالم أجمع مع المعرفة التامة للغة الشعوب الاخرى واتقان لهجات الشعوب الاسلامية .

* انشاء وكالة عالمية للانباء تقوم بتمويلها الحكومات الاسلامية تتميز بالاستقلالية والعطاء ... لا يقتصر دورها على مجرد نقل الخبر بالكلمة أو الصورة بالشكل الغربي المتعارف عليه ... وانما يوضع لها منهاج اسلامي علمي اعلامي ولا تخضع لسيطرة الحكومات لتعمل في جو من

الحرية حتى تكتسب ثقة المسلمين وغير المسلمين في العالم كله ... تهتم بالخبر العادي ... والخبر الذي يخدم الدعوة الاسلامية .

* انشاء صحافة اسلامية تندرج تحتها التخصصات التالية :

أ ـ صحافة اسلامية شاملة بتصور اسلامي تهتم بالفنون الصحفية المتنوعة .

● ـ صحافة اجتماعية ودورها القيام والاهتمام بالدراسات الاجتماعية وقضايا المجتمع تتصدى لها بموضوعية اسهاما منها في تقديم وتقويم المجتمع وحل مشاكله بكافة الصور المختلفة .

● ـ صحافة اقتصادية .. قريبة مما يحدث في العالم ... مع بيان الأسس التي تتحرك في اطارها قضايا المصارف والبنوك والشركات المختلفة المتنوعة من خلال رؤية اسلامية ... **الأمر بهذه الصورة سيجعل المواطن المسلم وغير المسلم يعرفان عدالة هذه القضايا وصلاحيتها في التطبيق في كل زمان ومكان .**

● ـ صحافة اسلامية علمية .. وهي في هذا المجال يجب أن تسير في اتجاهين ... **الاول** : تفسيري بما حواه القرآن الكريم عن عظمة الخالق في الخلق بصوره المختلفة ... واحتواؤه ليس للتطورات والتكنولوجيا السائدة الآن ، بل بما يمكن أن تصل اليه في المستقبل ... **الثاني** : الحث على العلم ، وفتح الباب على مصراعيه للعلماء المسلمين في كافة التخصصات العلمية ، وتخصيص جوائز قيمة لأصحاب النظريات العلمية والمخترعين المسلمين ، وتشجيع البحث العلمي الذي يخدم البشرية بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة .

● ـ صحافة اسلامية أدبية وفنية ... وليس معنى ذلك أننا سنقف بها في شكل معين جامد ... وانما نعمل دائما على تحريكها في اتجاه التمييز الذي عرف به الشعر في أزهى عصوره في التاريخ الاسلامي والذي كان يعتمد على التلاقي بين فحول الشعراء في الأشكال المتعارف عليها حاليا كالندوة والمناسبات ليس في بلد معين ... وإنما في جميع البلاد الاسلامية مع ترجيح المهرجانات التي تضم شعراء المسلمين ودعوة الشعراء الغربيين للمشاهدة والسماع والمشاركة ... يضاف الى ذلك الاهتمام وتشجيع باقي الفنون الاخرى كالمسرح والقصة مع خلق الناقد الفني الاسلامي الذي يضع الأطر الفنية في هذا المجال لاثراء هذه الفنون وتقدمها على الدوام .

● ـ الاهتمام بالقضايا التي تعالج مشاكل المرأة ... وخير وسيلة لذلك وجود صحافة نسائية متخصصة تشجع على الدعوة الاسلامية والسلوك الحسن في ظلال تعاليم الاسلام ... مع التصدي لأي مشكلة وايجاد الحلول المناسبة لها ... وتشجيع المرأة في مجالات العمل التي تناسبها . والعمل على كل ما يصون حق المرأة بمعاملتها للزوج والأبناء ... الى كافة الموضوعات التي تتعلق بحياتها وصولا الى النموذج الأمثل

للمرأة المسلمة .

● وسائل أخرى

الأمر لا يقف عند هذا الحد ...
ولكن ذلك كله يرتبط بانشاء دار نشر اسلامية ومكتبة اسلامية لها فروعها في كل بلد اسلامي ... ووجود رابطة للناشرين المسلمين وتكوين جمعية اسلامية لحقوق التأليف .

والاهتمام بالمعارض الفنية الاسلامية عملية ضرورية ... ان حركة هذه المعارض في البلاد الاسلامية وخارجها تتيح للمسلم وغيره الوقوف على أهمية الفن الاسلامي بمدارسه المختلفة والتطورات العصرية التي أضافها الفنانون المعاصرون على أساس ان الدين غير جامد ... ولن يكون بأي حال من الأحوال جامدا أمام عمليات الابداع والخلق الفني والتشكيلات المتنوعة التي هي ثمار ذلك كله .

كذلك الاهتمام بالمكتبة الاسلامية لا يجب أن يقف أو يتوقف عند حد المبنى الذي يضمها ويتحرك اليها المواطن المسلم ... المكتبة في شكلها المتطور يجب أن تتحرك الى المواطن ... بمعنى ايجاد ما يسمى بالمكتبة الاسلامية المتنقلة ... تسعى الى صاحب المعرفة .. الى القارىء أينما وجد وتواجد .. وهذه الفكرة تشجع أكثر على القراءة ... وتجذب المزيد من القراء وهي غاية على جانب كبير من الأهمية .

موضوع آخر له دوره وأهميته ... ويدور حول توسيع الدائرة أمام المخيمات الاسلامية التي تضم الشباب من الجنسين في غير اختلاط ... مخيمات للذكور وآخرى للاناث ... تمارس فيها الرياضة الفعلية بمناقشة علوم الدين والاجابة على كافة الأسئلة التي تدور في عقول الشباب ... وأيضا ممارسة أنواع الرياضات المختلفة . وما أحوج شبابنا الى المزيد من هذه المخيمات داخل البلد الاسلامي الواحد ... وأيضا تجمع شباب المسلمين في مخيمات سنوية تقام كل عام في بلد اسلامي .

هذا الاطار العام الذي يضم الصور المختلفة يمكن أن يكون أساسا في خلق اعلام اسلامي في مظهره وشكله وجوهره ومضمونه ويصل بنا الى الأهداف التي نتمناها ونريدها ... أولا من أجل تكوين رأي عام اسلامي على أساس سليم ... الأمر الذي يمكننا في التصدي لأي معلومات مشوشة نخشى أن تهدمنا ... بل هي جادة في هدمنا ... وفي نفس الوقت تكون لدينا القدرة للوقوف أمام الاعلام الغربي نتصدى له بأساليبه ونتفوق عليه بأساليبنا القائمة على العقيدة الاسلامية التي أساسها العدل والاخلاص والوفاء والصدق والتضحية والعطاء والفهم الحقيقي لمعاني الحرية .. والتي يعبر عنها وعن غيرها القرآن الكريم دستور الاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

مائدة القارئ

مقاومة الشر

قال تعالى : « يـأيها الذين آمنوا قـاتلوا الـذين يلـونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين »

الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

الا المجاهرون

قال رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ :

« كل امتي معافى الا المجاهرون ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عمـلا فيستره الله ، ثم يصبح ليكشف ستر الله عنه » رواه البخاري ،

لا تشاؤم

كـان المنصـور بن ابي عامر الأندلسي اذا قصد الغزو عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى الـغـزو الا مــن الجامع ، فـذات مرة اتجه الى الجامع لعقد اللواء فيه ، فـاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حـامل اللـواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع ، فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت ، فتطير الحاضرون من ذلـك ، وتغـير وجـه المنصور ، فقال رجل : أبشر يا أمير المؤمنين لغـزو هين ، وغنيمـة سـارة ، فقـد بلغت أعـلامـك الثـريـا ، وسقاها الله من شجرة مبـاركـة زيتـونـة .

فـاستحسن المنصـور ذلـك ، واستبشر بـه ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

هل لك حاجة ؟

كان من أوائل من اقتحمـوا الحـرب في موقعة اليرموك غـلام من الأزد ، وكان حدثا كيسا ، وقال الغـلام لأبي عبيدة رضي الله عنه وهو قائد جيش المسلمـين : « **أيـهـا الأمـير ، اني اشفي قلبـي ، وأجـاهـد عـدوي وعـدو الاسلام ، وأبذل نفسي في سبيـل الله تعالى لعلي ارزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك ؟ وان كان لك حاجة الى رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ فأخبرني بها ؟** » .

فراسة

يحكى أن الشافعي كان يسير هو ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما فرأيا رجلا فقال الشافعي : انه نجار ..

وقال محمد : انه حداد ..

فسألا الرجل عن صناعته .. فقال : اني حداد ، وكنت أعمل في السابق نجارا .

فصدقت فراستهما .

افضل الجهاد

قيل لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : أي الجهاد افضل ؟

فقال : جهادك هواك .

الاعتدال

قال حذيفة بن اليمان : ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا ، ولا من ترك الدنيا للآخرة ، ولكن من أخذ من هذه لتلك .

كن أبيا

قال الشاعر :

وكن أبيا عن الاذلال ممتنعا
فالذل لا ترتضيه همة الرجل
وان عراك العنا والضيم في بلد
فانهض الى غيرها في الارض وانتقل

الامن

قال حكيم : الأمن مع الفقر خير من الخوف مع الغنى .

جواب مسكت

قال رجل لاخر : ان الحاكم قد أمر لكل مجنون بدرهمين .

فقال له : هل أخذت نصيبك ؟ .

دلالة الزمان والمكان عظة واعتبار

للاستاذ / عبد العزيز مصطفى

التلازم بين الزمان والمكان حقيقة من حقائق الفكر والحياة الانسانية وتجارب الانسان ، وهي حقيقة لا تحتاج الى برهان أدق من النتائج الحاصلة بعد كل شوط من أشواط العمل الانساني ، فأي عمل من أعمال الانسان في مجتمعه وفي اي بيئة ينتهي الى نتيجة حتمية ، ومهما كان نوع هذه النتيجة او لونها ودرجتها فهي نهاية « موقوتة » لعمل ما سبقها ، وفي ضوء هذه الحقيقة تتعدد الاعمال وتختلف وكذلك تتعدد وتختلف النهايات والنتائج .

ولكن التلازم بين الزمان والمكان في منهاج الاسلام حقيقة مضيئة باهرة ، فاذا كان الزمان والمكان وعاء لعمل الانسان ومشوار حياته المحدودة في عالم الدنيا ، فان الاسلام يجعل من وعاء الزمان والمكان مواطن اختبار للارادة ، ومواضع تأمل للعقل والوجدان ، ومجالا للانسان في عقيدته وعمله تتحقق فيه اخطر النتائج لعلاقتها بمصيره ، وهو مجال ليس قصاراه مظاهر الحياة في هذه الدنيا ، وإنما هو أبعد من ذلك ، لان الاسلام يجعل من الدنيا قنطرة الى الآخرة ، ومزرعة لحياة خالدة بعد الموت ، ولهذا فان الزمان والمكان في منهاج الاسلام سبيل للمسلم الى عالم لا يفنى بعد الموت ، وهو عالم إما جنة وإما نار ، الجزاء فيه على حسب النية والعمل ؛ والعقيدة والعمل الذي يطابقها ويوافق مراميها . وكأن التلازم بين

الزمان والمكان يقابله تلازم بين عهد الضمير وسلوك المسلم ، وكأنه التوافق بين الوعاء وما يوضع فيه أو يدور في مجاله المحدود من خير أو شر ما يقدمه المسلم في دنياه لاخرته . ولذلك فإن عظمة الاسلام في جانب من جوانبها العديدة تبين جلية واضحة في توقيت كل امر وكل شيء بميعاد ، وفي دور موكّل به كل مخلوق ، واذا كان وعاء الزمان والمكان هو حيز ما وكّل به كل مخلوق من أعمال وأقوال ، فإن ارتباط هذه الاعمال بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل للاعمال غاية ومعنى وقيمة كما يجعل للزمان والمكان معنى وغاية وقيمة وليس مجرد حركة زمانية او دورة مكانية .

فحركة الزمان والمكان ليست ـ في الاسلام ـ غاية لذاتها ، وإنما هي حركة مسخَّرة لغاية أسمى من مجرد الدوران في اختلاف الليل والنهار ، وما قيمة الحركة في اي مقياس عقلي إن لم تكن تستهدف غاية ؟.. فاذا كانت الغاية هي تأمل عظمة الله في مخلوقاته ، وكسبيل الى مزيد من الايمان بالله الواحد القادر الخالق العظيم ، فقد صارت للحركة الزمانية والمكانية ـ إذن ـ قيمة تعلو على أية قيمة أخرى ..

يقول جل شأنه :

(**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء / ٤٤

(**سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**) الحديد / ١

(**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ**) الاسراء / ٤٤

(**يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**) فصلت / ٣٨

تشير الآيات إلى أن الزمان والمكان من المخلوقات التي خلقها الله لتسبح بحمده ، كما أنها موضع للتأمل والاعتبار ، ولينتفع بها الانسان ، ويرى فيها قدرة الله . يقول سبحانه وتعالى :

(**ولله المشرق والمغرب**) البقرة / ١١٥

(**أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء**) الاعراف / ١٨٥

(**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) يونس / ٦٧

(**الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان**) الرحمن / ٥ و ٦

ولكن المسلم مطالب بألا تلهيه الدنيا وما فيها عن مصيره الابقى في الاخرة .

(**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**) القصص / ٦٠

فحركة النجوم والكواكب ، والليل والنهار ، وتعدد بيئات الانسان في الارض وتنوعها ، إنما هي دلائل قدرة الله ، وآيات من آياته سبحانه ، يجب أن تكون مصدرا للمؤمن من مصادر التفكير في صفات الله وقدرته البادية في مخلوقاته ، ومصدرا يتأمله المؤمن فيزداد ايمانه قوة ، وتلك هي الغاية من الزمان والمكان في منهاج العقيدة الاسلامية ، وهي أن يكون النظر الى الزمان والمكان على انهما آية

من آيات الله في ملكه ، وآية على رحمته التي وسعت كل شيء ، وسبيل الى التنافس في طاعة الله وعبادته والتقرب اليه سبحانه بالاعمال الصالحة .

(ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان/ ٢٠ .

من دلائل التدبير المحكم

وتبدو قدرة الله في مخلوقاته للمؤمن فيهتدي الى أدق نظام وأرقى اسلوب وأجمل تكوين وأروع توجيه كلما نظر في حركة الزمان والمكان كمثل من أمثلة مخلوقات الله ونعمه التي لا يبلغها الاحصاء . بل إن تعبير اللغة عن الجمال والنظام في حركة الزمان والمكان إنما هو تعبير محدود بحدود اللغة القاصرة عن الوصف مهما بلغت من البلاغة والشاعرية والمنطق ..

ومن دلائل النظام والجمال في حركة الزمان والمكان التنوع مع التخصيص والتعميم والمنفعة والتناسق في تدبير محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . هنالك النسيم والهواء الطلق والهواء الصحراوي القوي ، وهنالك هواء الخريف وهواء الشتاء والصيف وعبير الربيع .. ولكن هنالك أيضا الاعاصير والطوفان والسيول والعواصف الجامحة والرعد والبرق :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة / ١٦٤

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الاعراف / ٥٧

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر / ٢٢

(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنَّوم سُباتا وجعل النهار نشورا . وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسيَّ كثيرا) الفرقان / ٤٧ ـ ٤٩

وقد تأتي الريح بمعنى العقاب :

(كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) آل عمران / ١١٧

وقد تأتي بمعنى الابتلاء أو الاختبار أو العقاب أيضا :

(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم

أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) يونس /٢٢
(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) الاحقاف / ٢٤
(أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) الاسراء / ٦٩

ومن الـوان المنفعة التي يجنيهـا الانسان فيمـا خلق الله من نعم .. السحاب ..**(هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال)** الرعد / ١٢
(حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء) الاعراف / ٥٧
(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور / ٤٣ وفي هذه الاية الشريفة بيان لقدرة الله سبحانه في تصريف مخلوقاته على حسب ارادته ، فهو سبحانه المهيمن القيوم القهار ، وهو الرحيم الذي يرحم من يشاء من عباده ، وهوالخالق الاعظم .

نعمة وحكمة للتذكير والتأمل

والله جعل الزمان والمكان آية من آياته ، وعبرة لأولى الالباب ، فيهما اختلاف ولكنهما مسخران لغايات تنفع الانسان المؤمن في الدنيا والاخرة ، اذا أحسن هذا الانسان الشكر لله واذا اتجه الى الله بقلب سليم ، وأخلص العبادة لله ، وأعمل فكره في تأمل هذه المخلوقات العظيمة التي سخرها الله وذللها للانسان .
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) فاطر / ١٣
وفي الاية الشريفة اشارة الى الاخرة ، فالدنيا زائلة ، ولها وقت معلوم لله تنتهي عنده ، هو وقت الساعة ، ولذلك فالشمس والقمر ليسا دائمين خالدين ، وإنما هما مسخران لاجل مسمى يعلمه الله وحده :
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأي آلاء ربكما تكذبان) الرحمن / ٣٧ و ٣٨
هنالك التخصيص في مخلوقات الله والتعميم فيما سخرها له ، فالزمان مختص بدور ، والمكان له دور ، ولكنهما مسخران لكل البشر مؤمنين وكافرين ، فهما من آيات نعمه وابتلائه على سواء ؛ اذ إن المؤمن تزيده النعم إيمانا ، بينما الكافر

جاحد لنعم الله فهو خاسر دنياه وآخرته ، وذلك لان المؤمن كلما اهتدى الى الشكر لله على نعمه والى المزيد من العبادة والتقوى كان شكره وعبادته جزاءً حسناً له في الاخرة ، اما الكافر فله عذاب اليم حيث خسر مصادر الهداية في الدنيا فهو في الاخرة يلقي الخسران المبين .

تخصيص في وظيفة الزمان والمكان فلكل دوره ، وتعميم للفائدة ، يقابله تخصيص من نوع آخر هو دور المخلوق بالنسبة الى الخالق جلّ وعلا . دور العباد تجاه المعبود ، فاذا امتثل العبد لامر ربه فاز فوزا عظيما ، واذا انحرف عن طاعة خالقه واتبع هواه فقد ضل ضلالا بعيدا .

واذا كان التخصيص والتعميم في خلق السموات والارض ، فان المولى سبحانه جعل الزمان والمكان ، اية كبرى على النظام الفريد الذي لا يختل ، والتناسق العظيم الذي يبهر العقول والقلوب والافئدة ، تمجيدا لله وثناء عليه . فحركة الليل والنهار ـ كما يقول بعض المفكرين ـ آية على نظام دقيق يستدعى الايمان بالله أكثر مما تستدعي المعجزة إيمان المنكرين والملحدين والمكابرين ، فهذا النظام الدقيق المستمر طوال الدهور والعصور هو اكبر من المعجزة في بلاغتها واشارتها الى الصانع الاعظم . هذه الحركة المستمرة الدقيقة في سير الافلاك هي ابلغ دليل على وجود الله وعلى قدرته سبحانه ، وعلى رحمته بعباده فالزمان والمكان من نعم الله على الانسان ، قد سخرها سبحانه لينتفع بها الانسان ولتكون عبرة لاولى الابصار والالباب :

(**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**) الاسراء / ١٢

وكما أن الله سبحانه جعل الزمان نعمة من نعمه على الانسان فقد جعل سبحانه المكان والزمان متكاملين يكمل كل منهما الآخر ، ويؤثر كل منهما في الآخر ، وجعل سبحانه في هذا التأثير منطقة للانسان ورحمة به ، واذا كنا لا نتصور الزمان بغير مكان فلا نتصور المكان بغير صورة زمانية .. وهما مجال للعبادة واشارة واضحة الى عظمة الخالق ، والى أن واجب المخلوق أن يشكر الله على هذه النعم الكثيرة التي لا يحصيها عقل أنسان :

(**خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كلّ دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوجٍ كريم**) لقمان / ١٠

(**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**) لقمان / ٢٠

ونظام الكون فيما يرى الانسان من نظام الزمان والمكان رحمة من الله ونعمة . لان هذا النظام في دقته واتقانه من أسباب استمرار حياة الانسان الدنيوية وصلاحيتها للعيش ، وإمكان التمتع بخيراتها ، ولو لم يكن هذا النظام الالهي قائما لما استطاع الانسان أن يحيا على هذه الارض ، ولما استطاع أن يعمل ويفكر

وينال نصيبا من الراحة بعد عناء العمل . ولا شك أن حركة الزمان والمكان تشير الى أن هذه الدنيا فانية ، والى أن حياة الانسان محدودة ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، فالافلاك تسير على نظام دقيق الى أجل مسمى ، وكذلك حياة الانسان في الارض لها أجل محتوم لا مفر منه ولا مهرب :

(ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير) لقمان / ٢٩

وكذلك يجب أن يتأمل الانسان في حركة الزمان والمكان تأمل العابد المسبّح الشاكر لله ، فكل ما في السموات والارض آيات من آيات الله ، تشير الى عظمة الخالق ، وافتقار المخلوق الى الله المنعم المتفضل .

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) الروم / ١٧ و ١٨

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) الروم / ٢٣

وتشير آيات من القرآن الكريم الى أن الزمان والمكان من آيات القدرة الالهية ، وأنهما من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فيهما نور وضياء ، وفيهما مجال للتفكير العقلي واعمال الفكر في مخلوقات الله ؛ على أن الغاية من وراء ذلك الفكر تأكيد الايمان ألقلبي ، وتأكيد الاعتقاد بأن هذه الدنيا الى زوال ، وأن الآخرة هي الخير الأبقى :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون . ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس / ٥ ـ ٨

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس / ٣٧ ـ ٤٠

ومن نعمة الله على الانسان أن جعل سبحانه الزمان والمكان تذكيرا دائما للانسان بعظمة الخالق ، ورحمته ، وكرمه . فالزمان والمكان في متناول العقل الانساني والحواس الانسانية . وهما الحركة الدائبة في عالم الشهادة . وكما يشيران الى دقة النظام واحكام الحركة ، فهما أيضا يشيران الى رحمة الله في اختلاف الليل والنهار ، إذ الانسان يحتاج الى الليل للراحة ، ويحتاج الى النهار للعمل . ولكن العبادة جائزة ليلا ونهارا ، لان العبادة هي وظيفة الانسان المصيرية . ففي العبادة سعادته في الدنيا وفي الاخرة . وهي واجب المخلوق تجاه الخالق جلّ وعلا .

أمن المجتمع المسلم

التاريخ درس متكرر ، والمشكلات التي تعتــاق سبيــل المجتمــعــات الانســانية واحــدة ، والآفات التي تعتريها واحدة ، مهما اختلفت في المظهر فإنها تتفق في الجوهر ، ذلك لأن الانسان واحد . مهما استقى من ينابيع الثقافة والمعرفة وعبر التاريخ ، لأن هذه العوامل لا تغير منه إلا الشكــل .. أما المضمــون فسيبقى واحــدا رغم تطاول الــزمن وتقدم الحياة ... ومن هنا كان حتما على الانسان المعاصر أن يستفيد من عبر التــاريــخ ، وأن يتعظ بمــا حــدث للانسانية منذ أقدم العصور .. ليأخذ الحذر ، ويتجنب الخطأ ، ويمضي على درب مأنوس ، وطريق لاحب .

ويتميز القرآن الكريم باعطاء نماذج حية وواقعيــة فيها العظــة والعبرة لمن أراد أن يتدبر أو أراد شكورا .. وحين يستغــرق الانسان المعــاصر في قراءة هــذه النمــاذج وتــدبرهــا ، ويمنحهــا من الــوعي والتحليل ما تستحق سيجد فيها الكثير من صــور الحــاضر ، ومشكــلاتــه المعقدة ، وآفاته المدمرة حتى لكأنما هذا النموذج أو ذاك قد نزل غضا من السماء ليتناولها بالتحليل والبيان - وسيجــد أن الخــلاص من تلــك المشكلات مرتهن بما وصف القرآن من علاج ، وبما طب من دواء ، وبما قدم من وسائل الانقاذ .. لقد تعرض المجتمع المسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لموجة عاتية من الحرب النفسية كادت تعصف بأمنه وتفت في عضده وتتركه هيكلا بلا روح ، أو جسدا بلا طموح ، ولم تكن هذه الحرب **إلا حرب الاشاعة** ، التي كانت تدار هــادئة ، وقت السلم ، وتشن عاتية وقت الحرب .... كانت تتناول القيادة المسلمة حينا بتوهين أمرها ، وتقليل خطرها .. فالرسول ـاعر ، أو كاهن ، أو مجنون وكانت تتناول منهجة حينا آخر فهو شعر أو سحر أو أساطير الاولين .

ومما يدخل في هذا الباب حرب أخرى **تسمى حرب السخرية** تلتقي

كما يصوّره القرآن

للاستاذ: توفيق محمد سبع

مع السابقة في هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين وإلقاء اليأس في قلوبهم ، وإثارة الربكة والخجل في تصرفاتهم ، وهي سلاح فتاك كسابقتها وقد حكى القرآن بعض أساليبها في قوله سبحانه : « **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ● وإذا مروا بهم يتغامزون ● وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ● وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** المطففين ٢٩ ـ ٣٢

فهذا مشهد ساخر يسجله القرآن بكل حركة من حركاته بحيث تلمح فيه حركة الأيدي والعيون والشفاه والجباه والاكتاف تشترك في حركة التغامز من هؤلاء المجرمين الذين تجردوا من كل أدب وحياء !!

تلك الحرب النفسية وأشباهها كانت تدار وقت السلم ، ينفس بها الباطل عن حقده ، ويعبر عن موجدته .. محاولا بث الضعف في نفوس المسلمين .

والعجيب أن القوم قد عرفوا أثر هذا النوع من الحرب ، فاهتموا بشأنها ، بحيث عمدوا **الى تنسيقها** ، لتحدث أثرها من التشكيك والبلبلة في نفوس المسلمين ... وكان الوليد بن المغيرة بارعا في هذا اللون من الحرب النفسية .. كان يتولى بنفسه تفريخ الاشاعة وصبها في قالب منطقي ، ويناقش القوم في أمرها ، ويتخير المناخ المناسب لاطلاقها ، ويتحرى التجمعات العامة للجماهير ... لقد جمع الوليد يوما سادة قريش من المشركين ـ وتصدر مجلسهم ، ثم قال لهم : « إنه قد حضر الموسم .. وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا .. فأجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا فقالوا : أنت يا أبا عبد شمس فقل .. وأرقِمْ لنا رأيا نعمل به .. فقال : بل أنتم فقولوا أسمع منكم !! قالوا نقول كاهن .. قال : والله ما هو بكاهن .. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمته الكاهن ولا سجعه !! قالوا : مجنون قال : ما هو بمجنون ... لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته !! قالوا شاعر قال : ما هو بشاعر !! لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وما هو بالشعر !! قالوا : فما تقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل .. **وإن أقرب القول فيه** : أن تقولوا : **إنه ساحر** جاء بقول هو سحر يفرق فيه بين المرء وأبيه وبين

المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشريته ... فاقتنعوا وتفرقوا عنه بذلك .

وجعلوا يجلسون على السبل لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره .... فأنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله : **إنه فكر وقدر ● فقتل كيف قدر ● ثم قتل كيف قدر ● ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر** » المدثر ١٨ ـ ٢٥ وجعلوا يقولون ذلك لكل من لقوا من الناس فانتشر ذكره في العرب كلها .

والذي أود أن استخلصه من هذا الحديث ما يلي :ـ

١ ـ أن القوم كانوا يعرفون **تأثير الدعاية ضد محمد وأصحابه** بدليل اجتماعهم لهذا الأمر وتدارسهم للاشاعة ، واتخاذهم زعيما لهم يوجه آراءهم ، ويناقش أفكارهم .

٢ ـ أنهم لم يدعوا أمر الاشاعة فوضى تحكمه الآراء الفردية .. التي قد تتناقض أو يكذب بعضها بعضا بل عمدوا إلى مؤتمر لتبادل الرأي فيما يقولون بشأن محمد وقرآنه .

٣ ـ أنهم قد تحروا موسم الحج موعدا لاطلاق الشائعات لينتشر أمرها وتذيع في الآفاق ، بالضبط كما تفعل الدول الحديثة في انتهاز فرص التجمع الجماهيري لترويج الاشاعة لأن عقلية الجماهير لا تناقش ما تسمع .. وإنما تردده دون مناقشة ... (كالببغاء عقله في أذنيه).

٤ ـ أنها قد عمدت إلى لون من الانتقاء للاشاعة الملائمة التي تنطلي على الجماهير واستبعدت ما سواها من الاشاعات التي يسهل دحضها وتكذيبها .

٥ ـ أن القوم لم يطلقوا باشاعات كثيرة يكذب بعضها بعضا ـ وإنما أجمعوا على واحدة وتواصوا بها حتى تأخذ شكلا أقرب إلى المنطق .

لقد توصل هذا المجتمع الساذج الى أهم الشروط العلمية لفن الاشاعة ـ من وسط جماهيري ـ وتأقيت زمني ـ وحبكة ذكية ـ ودراسة للاشاعة ـ ثم اتخاذ قرار بها واطلاقها بعد ذلك .. ان حربا كهذه لا يمكن أن تمر على العرب دون أن تلعب بعقولهم .. ولقد تصدى القرآن الكريم لتعريتها .. وكشف نفوس أصحابها ـ كيلا تدمر الثقة في نفوس المسلمين الذين كانوا قلة مستضعفة تتعرض لشتى الاهانات في ذلك الوقت العصيب من عمر الدعوة ، إن هذا النوع من الحرب لا يستدعي عتادا ولا قوة .. كما أنه لا يريق دما ، ولا يهدم حصنا .. لأنه موجه إلى نفسية الشعوب . وإلى روحها ، بحيث لا يترك ذرة من هذا الكيان الا أوهنها وأضعفها وسلبها قوة الارادة لتستسلم بعد ذلك وتلقى السلاح ، وتلك هي غاية العدو وما يعمل له جاهدا بأساليب الخداع والدهاء والمكر والتمويه ، ولقد أخذ هذا الفن من حرب الاشاعة يقوى ويكثر التعويل عليه على امتداد الزمن بين أساليب الحرب وتخصص فيه

المتخصصون وأصبح قوة يعمل لها كل حساب ، ويشتد خطر الاشاعة في زمن الحروب ـ حتى لتترك اشاعة خادعة ما لا تتركه أفتك أسلحة الدمار والهلاك .. وكما ذكر القرآن بعض أساليب الاشاعة أيام السلم .. فانه كذلك يذكر بعض نماذج الاشاعة التي تطلق في ميادين القتال تنبيها على خطرها ، وتجنبا لآثارها فنحن نقرأ في كتاب ربنا : « **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** » وقد كانت هذه الاشاعة في أعقاب أحد ـ حيث كانت نفوس المسلمين مثقلة بالآلام لما فقدوا من الأبطال ، ولما تعرضوا له من الابتلاء والشدة .. ولقد واجهت قيادة المسلمين هذه الحرب النفسية بخطة أزكى وعمل أنجح .. كيلا تسري آثارها في نفوس المسلمين فسارعت بالتخطيط للقاء العدو الهارب حتى لا يطمع في المسلمين ولا يظن بهم الظنون .. إنه تجمع لاعلان نوع من الحرب النفسية على العدو الذي ظن أنه قد سحق المسلمين ـ ورغم القتلى والدماء نهض المسلمون بهذا الواجب الثقيل .. فقد خرج الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المسجد الجامع في أعقاب أحد وأمر بلالا أن يؤذن للخروج في طلب العدو .. كما أمر ألا يخرج من المسلمين إلا من كان محاربا بالأمس ، فارتفع الصحابة على الجراح والآلام ولبوا مسرعين ، مستجيبين لله ورسوله . ورفضوا منطق الحرب النفسية التي كان يرددها العدو وقتذاك .. وهو أن جيش المشركين لا يغلب بعد اليوم .. وبددوا هذه الخرافة .

امتحان صعب من غير شك ولكن روح الايمان تتغلب على تهاويل الموقف وتنهض بتبعاته في قوة وحزم . لقد خرج الرسول بالمسلمين إلى مكان يقال له : **حمراء الأسد بينه وبين المدينة ثمانية أميال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم يريد إرهاب العدو وبث الذعر في نفسه فأقام هناك ثلاثة أيام .**

ولقد أدت هذه الخطة هدفها فحين علم أبو سفيان بخروج المسلمين في طلبهم وأعلن ذلك في القوم .. قال بعض المشركين لبعض : ما بال هؤلاء مع آلامهم وجراحهم يخرجون لحربنا ؟ أبَقي فيهم عزم وجلد ؟ وحاروا في الأمر ... وذهبت بهم الظنون كل مذهب ـ فأورثتهم خبالا وضعفا وفتت في عضدهم فكروا راجعين إلى مكة سراعا .. فلما بلغ الرسول ذلك قال لأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي هذا الموقف يتجلى بصر القيادة المؤمنة بأساليب الحرب النفسية والرد على الشائعات المسمومة التي كان العدو يطلقها لتنال من عزم المسلمين وتوهن إرادتهم .. ولقد نزل في هذا الموقف قرآن يتلى ، ليظل درسا خالدا لأصحاب المبادىء والرسالات على امتداد التاريخ **يقول الحق** تبارك وتعالى : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر**

عظيم ● الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ● فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ● إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

وفي هذا التصرف من الرسول وأصحابه دروس وعظات .. فيه تبرز معادن الرجال الذين صنعهم محمد على عينه ، فقد ارتفعوا فوق آلامهم وجراحهم .. كما ارتفعوا على الأشاعات المسمومة التي كان يصوّبها العدو إلى قلوبهم ، بقصد تفتيت وحدتهم ، وإشاعة روح الهزيمة بين صفوفهم وتفريغ قلوبهم من المحتوى الايماني لتصبح خاوية تتبع كل ناعق ، وتصغى لكل شائعة وتموت فيها إرادة القتال ، وفيه حزم القيادة التي لم تتردد لحظة . في فرض الخطة الصارمة على الجيش المثخن بالجراح ، وقد نهض الجيش بواجب الزحف حسبما أشارت القيادة دون التفات الى المآسي والجراح - وفي ذلك من الولاء والطاعة ما يذهل العقل ويثير الاعجاب وهكذا أحبطت خطة الحرب النفسية التي شنها العدو بخطة أحكم ، وتدبير أقوى ، وكانت العقيدة هي التي تتحكم في الموقف كله وتسود صفوف المجاهدين « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » الاحزاب ٣٦ .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الدروس ليقفوا صفا واحدا أمام مخططات العدو وأساليب كيده . وليثبتوا في ميدان الحرب النفسية ويواجهوها بخطط مدروسة ومواقف ثابتة .. وما أكثر أعداءنا المتربصين بنا على مر العصور .. وما أكثر ما يستخدمون ضدنا من أسلحة الحرب النفسية التي ينفخون فيها من أبواقهم ، وأنهم الجيش الذي لا يقهر والعصمة من ذلك كله تكمن في قول الله سبحانه : « **فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ». إن هذا اليقين الجازم في الانتصار على العدو يفتقر إلى تربية إيمانية عميقة حتى تكون الثمرة كما قال الله سبحانه . « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله** » ولكي يزيدنا القرآن بصرا **بأساليب الحرب النفسية** ، وما ينبغي أن تواجه به من عقيدة وعلم - وبخاصة بعد أن أصبحت في العصر الحديث سلاحا فتاكا يتخصص فيه المتخصصون وأصبحت له المعامل النفسية والوسائل الحديثة التي تتولى تحليل الاشاعة ومدى تأثيرها على نفسية الشعوب .. من أجل ذلك نرى القرآن الكريم يزود الجماعة المسلمة بقواعد تخطيطية ووسائل وقائية وأخرى علاجية لتعصم الصف المؤمن من خطر الشائعات وتؤمن سلامة المجتمع من البلبلة وتدرأ عنه الآثار المدمرة التي تستهدف إرادته وروحه ، ولا شك أن تلك ناحية إعجازية في

كتاب الله .. ترصد بعين القدرة مستقبل هذه الحرب .. وخطورتها على أمن المجتمعات .. فتضع الأسس السليمة لتفاديها .. والخلاص من آثارها .

ولنقرأ في ذلك قول ربنا سبحانه : « **واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ● فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** » النساء ٨٣ ـ ٨٤ .

إن هذه الآية تضعنا وجها لوجه أمام الشائعات التي تتردد في المجتمعات أيام الحروب . وتعلمنا كيف يتصرف الأفراد في الشائعات اذا سمعوها تتردد في جنبات المجتمع . ثم توضح لنا أن الايمان هو خير عاصم من شرور تلك الشائعات .. وأنها لا تعدو مع الايمان أن تكون عملا شيطانيا لا ينبغي أن يفت في عضد المسلمين فيصدهم عن الاستمرار في الحرب ـ وتوضح للرسول الكريم وهو القيادة التي تتطلع إليها الأنظار أن يستمر على قتال العدو مهما اشتد خطر الاشاعة . حتى ولو قاتل وحده في الميدان فذلك وحده خليق أن يرد بأس العدو ويحبط مؤامراته .. والله من ورائه محيط .

ونحن نرى أن الآية الكريمة تفرض نوعا من الرقابة على الانباء أيام الحروب . حتى لا تتسرب الشائعات في صفوف المقاتلين فتوهن قوتهم .

وتطالعنا في هذه الآية أوضاع المجتمع المسلم في فترة من أحرج الفترات بين أحد والخندق وهي فترة نشطت فيها دعايات العدو بقصد إشاعة البلبلة في صفوف المجاهدين ، وبث الوهن والضعف في نفوسهم ، وكان المجتمع المسلم يومذاك طوائف عدة منهم المنافقون ـ ومنهم اليهود ـ ومنهم فئة لم ترتفع بايمانها إلى درجة الحصانة من عوامل الاغراء والضعف ـ ومنهم السذج الذين لا خبرة لهم بأساليب الحرب النفسية ـ فهم يرددون كل ما يسمعون عن حسن نية ـ كل هذه الطوائف كانت تردد ما تسمع إما عن سوء نية أو عن سذاجة ـ فيتلقفها لسان عن لسان وينقلها فرد عن فرد فلا تلبث أن تملأ رحاب المجتمع ، ومن البديهي أن نيات اليهود والمنافقين مدخولة فهم يرددون الاشاعة عن عمد وقصد ، كلما سمعوا شائعة طاروا بها لتفت في عضد المجتمع المسلم فيلقي السلاح ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى : « **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** » فمن أولئك الذين يذيعون الشائعات ؟ ومن أين تأتيهم ؟..

إن الذين يذيعون الشائعات هم طوائف من المجتمع الاسلامي بعضهم منافق يريد الحاق الدمار بالمسلمين ـ وبعضهم من اليهود الذين يعيشون على اثارة الاحقاد وتحريك الشائعات لارباك المسلمين

وبث الوهن في نفوسهم . وهناك فريق ثالث لم يرتفع بالايمان الى مستوى الموقف العصيب فهؤلاء يرددون الاشاعة دون روية ولا تمحيص لأنهم لا يدركون خطرها كما اسلفنا .

ومن البديهي أن الأشاعة إنما تعد الى تلك الطوائف من أعداء المسلمين - ومن يقفون ضدهم في القتال .. يحيكونها بذكاء وينشرونها بوعي . ويختارون لها الظروف الملائمة زمانا ومكانا وقد يتولى نشرها عملاء من بينهم - أو من ضعاف النفوس الذين يتظاهرون بمؤازرة المسلمين - وقد قسمت الآية الكريمة الاشاعة قسمين : **أولاها** : إشاعة الامن .. والأخرى : إشاعة الخوف والهدف واحد لا محالة وهو توهين الصنف المسلم وبث روح البلبلة والضعف في جنباته **وإشاعة الأمن** : هي التي تتحرى أوقات الحشد والتعبئة للجيش المسلم حتى إذا استكمل غايته من الاستعداد المادي والمعنوي .. وهم بالتحرك إلى العدو إذا باشاعة الأمن تتردد قائلة : ما بال هذا الاستعداد الهائل والعدو ضعيف وعدته قليلة وعدده ضئيل ؟! ولماذا كل هذا الانفاق والاستعداد والحالة آمنة ؟- تلك اشاعة لو تعقلها المسلمون لرفضوا الأخذ بها والانصياع إليها أو ترديدها - لأنها تريد أن تخدعهم - وتؤمنهم تأمينا كاذبا - حتى تفتر عزيمتهم وتبرد همتهم ويقل تحمسهم للقتال .. فيدرك العدو غايته ويميل عليهم ميلة واحدة أما **إشاعة الخوف** : فهي التي تحاول ارهاب الجيش المسلم بالمبالغة في وصف قوة العدو - ووفرة أسلحته ، وكفاءته القتالية وأن جيشه لا يقهر .. وتلك الشائعة لو لم يكتشف خطرها في أول الأمر فانها تثير الذعر في نفوس المسلمين .. وتسلبهم الأمن - وتدع افئدتهم هواء !! وهي في الوقت ذاته تهيء الفرصة لدعاة الهزيمة لكي يذيعوها في الآفاق . فتطير هنا وهناك تاركة اسوأ الاثر في نفوس المسلمين .

وتأمل معي كيف يعبر القرآن عن نشاط أولى الأغراض السيئة في بث الدعاية وذلك قوله سبحانه : « **أذاعوا به** » دون أن يقول : أذاعوه .. كأنما جعلت تلك الشائعات المغرضة بوقا ينفخ فيه دعاة الهزيمة وأعداء الدعوة .. فقد غدت الشائعة آلة ينفخ فيها هؤلاء .. يكبرون صغيرها - ويجسمون ضعيفها .. وينفثون فيها من أحقادهم وأضغانهم لتعمل عملها في الصف المسلم .. إن هذا التعبير يصور لنا تحمس هؤلاء لاذاعة الشائعات الضارة سواء كانت متصلة بالأمن أو الخوف لتؤدي هدفها من قتل الثقة في نفوس المسلمين .. وهذا تعليم للمسلمين ليعرفوا أخلاق عدوهم .

كيف نتصرف في الاشاعة التي تصلنا من أعدائنا ؟

هنا تمضي الآية في تعليم المسلمين وتنمية إدراكهم حتى لا يتسرعوا في ترديد ما يصلهم من اشاعات ، فذلك هو طريق الوهن .. وسبيل الهزيمة .

وانما عليهم أن يرفعوا كل اشاعة وافدة إلى نبيهم ـ أو الى أمير الجيش حتى يتصرف في أمرها والآية الكريمة تفترض أن **توجد فئة متخصصة** بين المسلمين في دراسة الاشاعة وتحليلها ـ ومعرفة بواعثها وأهدافها لتستنبط بعد ذلك ما ينبغي عمله إزاءها كيلا تؤثر في المسلمين بدليل قوله تعالى : « **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » فهم إذن جماعة مهمتها دراسة الشائعات واستنباط أهدافها وبواعثها .. ومعرفة الرد عليها ـ وربما استنبطت تلك الجماعة معرفة شخصية العدو ـ ومدى استعداده ومبلغ تحفزه .. وهكذا تجعل الآية من الاشاعة خطرا يتخصص في دراسته المتخصصون وترسم للمسلمين كيف يتصرفون فيما يصلهم من اشاعات .

وبهذا يتم توفير القيادة ، وتربية خلق الطاعة في المسلمين ، ورد الأمور إلى أربابها ـ وربما توحي كلمة « يستنبطونه » باعمال العقل ، وشحذ الذهن في كل اشاعة وافدة . وهذا يعطي الانطباع بخطر الاشاعة وقوة أثرها وإلا لما استدعت تحليلا ولا استنباطا ، لا غرو أن حرب الاشاعة ضرب من ضروب الحرب النفسية ترتكز على الذكاء والحيلة ـ ومن ثم كان الخلاص منها محتاجا الى الدراية وذكاء العقل لكشف مخططات العدو وتعرف أهدافه . ثم تأتي الآية الاخرى « **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** » لتؤكد للقيادة المسلمة رفض الاشاعة وعدم الاذعان لها ـ والمضي إلى القتال ولو فريدا ، وتحريض المسلمين عليه ـ ففي ذلك ما يحبط خطط العدو ، ويبطل تدبيره .

إن هذه الآية تبث الطمأنينة في نفوس المسلمين وأنه لا سبيل إلى تأثير هذه الحرب النفسية ما دامت قلوبهم مؤمنة ـ وعقولهم واعية ـ وطاعتهم موفورة ـ وعيونهم مفتوحة على عدوهم ، بعد ذلك كله فان أمر الاشاعة يصبح هينا لأنه من كيد الشيطان .. وكيد الشيطان ضعيف واهن .

إن هنا درسا يجب أن نتنبه له في جميع الأقطار الاسلامية ـ ذلك هو التماس العلاج من القرآن الكريم وتحكيم منهج الله في سلمنا وحربنا ففيه ما يعصمنا من الخطأ ويردنا إلى الصواب ، وأساليب الحرب النفسية رغم اهتمام الاعداء بها في العصر الحاضر وصرف الجهود إليها وإنفاق الأموال الطائلة عليها لتؤدي هدفها .. قد تناولها القرآن على شكل نماذج قوية تتجلى في إرادة الجيش المسلم وصلابته أمام الدعايات كما تتناولها على شكل دراسة تحليلية توضح أهدافها ومخاطرها وترسم للمسلمين السبيل الأمثل لتجنبها ليحيا المجتمع المسلم في أمن وسلام ، لا تلعب به الشائعات ولا تضلله دعايات الأعداء ـ وذلك لكي يعرف المسلمون أن قرآنهم قد استوعب ظروفهم الحاضرة والمستقبلة . كما استوعب أوضاعهم الماضية ـ وذلك من أقوى الأدلة على إعجازه وأنه تنزيل من حكيم حميد ـ وبالله التوفيق .

الشورى في الاسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

أما بعد :ـ

فان الاسلام يحرص كل الحرص على ارساء المبادىء التي يشعر في ظلها كل مسلم بأنه فرد له مكانته وكرامته بين أبناء مجتمعه .
ومن تلك المبادىء التي يحرص الاسلام على ارسائها : مبدأ الشورى ذلك المبدأ الذي اهتم به القرآن الكريم ، والتزم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما التزم به صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وفي هذا المقال يسرني ان اتناول ذلك بشيء من التفصيل .

اهتمام القرآن بالشورى :ـ

لقد ذكر الله تعالى الشورى في موضعين من كتابه العزيز ، لكل موضع منهما دلالته القوية على وجوب هذا المبدأ الهام من مبادىء الاسلام أما الموضع الأول من هذين الموضعين فهو : قول الله تعالى مخاطبا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم :ـ
« **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » . الاية ١٥٩ / آل عمران

بين النظرية والتطبيق

للاستاذ / عمر حافظ سليم

وهذه الاية تدل دلالة قوية على وجوب الشورى ، من جهة أنها نزلت عقب هزيمة المسلمين يوم احد ، وفي ظروف يتضح منها ان رأي من أشار على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن صوابا ، ومع ذلك فقد انزل الله ـ سبحانه وتعالى امره بالعفو عنهم ومشاورتهم ، وهذا يؤيد عناية الاسلام بالشورى واما الموضع الثاني : فهو قول الله تعالى :

« **فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون.والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » الاية٣٦-٣٨الشورى والذي يتأمل في هذه الاية المباركة ، وينظر في تركيبها يجد ان الله قد ذكر الشورى ، كصفة من صفات عباده ـ بين ركنين أساسيين من أركان الاسلام هما : الصلاة ، والزكاة ، وهذا يدل على اهمية الشورى وأنها واجبة التنفيذ مثل الصلاة والزكاة .

دعوة الرسول الى الشورى :ـ

لقد دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الاخذ بمبدأ الشورى في كل امر لم ينزل فيه وحي من الله ، ولم تمض فيه سنة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وهذه بعض الاحاديث الواردة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك :ـ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

« ما رأيت احدا قط كان أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » (رواه الشافعي)
٢ ـ وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العزم ، قال : ـ مشاورة اهل الرأي ، ثم اتباعهم ـ.. » (رواه ابن مردويه)
٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (المستشار مؤتمن) رواه ابو داود ـ والترمذي .
٤ ـ وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استشار احدكم اخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجة) .

تطبيق الرسول للشورى :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قدوة حسنة في تطبيق هذا المبدأ والزام نفسه به .
ولقد اشتملت سنته العملية على صور رائعة لمشاورة الرسول لاصحابه واليك ـ ايها القارىء الكريم ـ عرضا لبعض تلك المواقف التي استشار الرسول فيها أصحابه والزم نفسه فيها بمبدأ الشورى :

١ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في غزوة بدر الكبرى :

وذلك حين خرج الرسول ومعه أصحابه لاستعراض قافلة تجارية لقريش بهدف الاستيلاء عليها ، فما أن علمت قريش بهذا النبأ ارسلت بجيش كبير مجهز بأحدث معدات عصره ، وهنا أراد الرسول ان يختبر مدى استعداد جنوده ، فلم يجد لذلك انجح من الشورى فطلبها منهم يروى ابن هشام في سيرته : ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار الناس واخبرهم عن قريش ، فقام ابو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال واحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى **اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** ، لكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ،
فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله خيرا ثم دعا له » .
ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشيروا على أيها الناس ، وانما يريد الانصار ، وذلك لانهم عدد الناس ، وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وان ليس عليهم

آن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : اجل قال : « قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى عدونا بنا غدا ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا ، وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الان انظر الى مصارع القوم .

ـ ويروي ابن اسحق : انه في نفس تلك الغزوة نزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجيشه في ادنى ماء من بدر ، فسأله صحابي جليل هو الحباب بن المنذر ابن الجموح فقال يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل : فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملوء ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : لقد أشرت بالرأي ، فنهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى اذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم امر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماء ثم قذفوا فيه الانية » (سيرة ابن هشام ـ ج٢ ـ ص ٤١١ ، ٤١٢)

٢ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في أسرى بدر :

اخرج احمد ومسلم من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ في قصة بدر ، وفيه : « واستشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر وعليا وعمر ، رضي الله عنهم فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، واني أرى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة على الكفار ، وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم ، وائمتهم وقادتهم ،

فهوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت ، واخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت

وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء قد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة) وانزل الله تعالى : « **ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم.فكلو مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** » **٦٧ - ٦٩ / الانفال**

٣ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في الخروج لغزوة احد :

لما سمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون بأن المشركين قد نزلوا مقابل المدينة ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم ، حيث نزلوا ، فان ، أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى رأيه في ذلك والا يخرج اليهم ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره الخروج فقال رجال من المسلمين من اكرم بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا ، فلم يزل الناس برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا استكرهنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : يا رسول الله أستكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ـ صلى الله عليك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه . (سيرة ابن هشام ـ جـ٣ ـ ص ٤٧٤٦)

وأود ان أشير هنا الى أن ما حدث للمسلمين من هزيمة في يوم أحد ليس معناه أن الشورى سبب في ذلك ، لان هزيمة المسلمين في تلك الغزوة كانت لأسباب لا علاقة

لها بالشورى منها مخالفة الرماة لأوامر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانشغال المسلمين بجمع الغنائم .

٤ ـ مشاورة الرسول لاصحابه في صلح غطفان :

اخرج ابن اسحق عن الزهري قال :
(لما اشتد على الناس البلاء يوم الخندق) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، والى الحارث بن عوف بن ابي حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في ذلك فلما اراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له يا رسول الله : امرا تحبه فنصنعه لك ، ام شيئا امرك الله به ولا بد لنا من العمل به ام شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء اصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك الا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت ان اكشف عنكم من شوكتهم الى امر ما ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الاقرى او بيعا ، افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا) .

(سيرة ابن هشام ـ ج ٣ ـ ص ١٦٣)

★ التزام الخلفاء الراشدين بالشورى :

على نفس الطريق التي سلكها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاخذ بمبدأ الشورى سار صحابته من بعده ـ ويكفينا في هذا المقام ان نستدل على صدق ذلك بالمواقف الاتية :

١★ اختيار خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى المسلمون ان يختاروا خليفة له يقوم بتدبير الامور من بعده وقد اسرعوا الى ذلك قبل القيام بواجب تشييعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث اجتمع كبار المهاجرين والانصار .. في سقيفة بني ساعدة ليتشاوروا في هذا الامر ، وبعد مناقشات ومشاورات اجتمع امرهم على ابي بكر

الصديق ، فبايعوه خليفة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بايعه عامة المسلمين مرة ثانية في المسجد ، وبذلك تكون تلك البيعة تطبيقا عمليا رائعا لمبدأ الشورى .

★ اختيار عمر خليفة لابي بكر :

رأى ابو بكر في فترة خلافته ان يجنب الامة ما حدث من خلافات عند وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما كان منه الا ان اختار لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشار كبار الصحابة في ذلك فاقتنعوا بهذا الاختيار ، لذلك فقد سارع المسلمون جميعا بعد وفاة ابي بكر الى مبايعة عمر بن الخطاب بالخلافة ، وهكذا نرى ان رأي الامة كان هو الاساس في اختيار عمر خليفة لابي بكر .

★ اختيار عثمان خليفة لعمر :

وعندما طعن عمر في المسجد ذهب اليه المسلمون وطلبوا منه ان يستخلف عليهم فقال لهم : ان استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني ابا بكر وان لم استخلف فقد فعل ذلك من هو خير مني (يعني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم) .
ولكني ارى ان تكون شورى بين : عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، والزبير حتى اذا انتقل عمر الى جوار ربه اجتمع اهل الشورى ، وتشاوروا اياما ثم اختاروا عثمان بعد ان قام عبدالرحمن بن عوف بمشاورة كبار المهاجرين والانصار فبايعوه وبايعه الناس وهكذا تمت بيعة عثمان بالشورى ايضا .

٥ ـ مشاورة ابي بكر وعمر لاهل الرأي :

ويكفينا في هذا المقام ان نذكر دليلا واحدا على ذلك وهو ما اخرجه ابن سعد عن القاسم ان بابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان اذا نزل به امر يريد فيه مشاورة اهل الرأي والفقه دعا رجالا من المهاجرين والانصار ، ودعا عمر وعثمان ، وعليا ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وانما يصير فتوى الناس الى هؤلاء ـ فمضى ابو بكر على ذلك ثم ولى عمر فكان يدعو هؤلاء النفر ،؛ وكانت الفتوى تصير وهو خليفة الى عثمان ، وابي وزيد) .

بعد ان عرضنا لتلك النماذج الطيبة وهذه الصور الرائعة التي تشهد بصدق التزام الرسول وصحابته بمبدأ الشورى ننتقل الى نقطة اخرى تأتي كنتيجة لما عرضناه وهي : « سمات الشورى في الاسلام » وفيما يلي عرض لبعضها :

★ الشورى ملزمة للحاكم :

ولقد كثر الكلام حول هذا الموضوع وتناوله كثير من علمائنا الاجلاء ما بين مؤيد ومعارض ولكل رأيه ودليله . ولكن المجال الان لا يتسع لتلك الخلافات .
وحسبي في هذا المقام ان اشير الى ما سبق من المواقف التي ذكرناها كنماذج لتطبيق الرسول وصحابته لمبدأ الشورى ، فهذه المواقف كافية في الاستدلال على تأييد ان الشورى في الاسلام ملزمة للحاكم .
والقول بان الشورى غير ملزمة للحاكم معناه الغاء ارادة الامة وخضوعها لنزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم .

★ مجال الشورى ·

هو الامور التي لم ينزل فيها وحي من الله ولم ترد فيها سنة من رسول الله اما ما نزل فيه وحي من الله او وردت فيه سنة من رسول الله فلا مجال للشورى فيه اذ انه لا يقبل التغيير .

★ كيفية الشورى :

لم يحددها الاسلام وانما تركها للامة تكيفها مع ظروفها وتطوراتها .

★ تأخذ

● تأخذ الشورى في الاسلام برأي الاغلبية ، بل انها تحترم هذا الرأي احتراما شديدا ، وخير دليل على ذلك ما فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - في غزوة احد حين نزل على رأي الاغلبية

● تخلو الشورى الاسلامية من مساوىء النظم الديمقراطية فهي لا تعرف الحزبية التي يمقتها الاسلام .

● الشورى الاسلامية تجنب الامة نزعات الاستبداد الفردي عند الحاكم كما انها تقي المجتمع من آراء الشذاذ .. وفي نهاية حديثنا عن الشورى في الاسلام نتمنى من الله سبحانه ان يوفق المسلمين الى العودة الى الشورى الاسلامية التي لا تعرف التقليد ، ولا تعرف العزف على انغام الغرب ، ولا التغني بانغامه والله المستعان .

بماذا تثبت العقيدة

للشيخ / عبد الحميد السائح

من الامور التي لا يختلف عليها اثنان ان العقيدة هي الاساس الذي يجب ان يعنى بتثبيتها واحكامها ، وازالة الشبه والغموض عنها حتى تكون صافية صفاء الاسلام نفسه ، وتكون واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، بعيدة عن الدجل والتخيلات والاوهام .

ومن المسلم به ايضا ان العقيدة في الاسلام كلما كانت متينة مكينة امكن البناء عليها والاستناد اليها وثبات صاحبها عند المحن ، وصموده عند الفتن ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ، يهتم اولا بترسيخ العقيدة في نفوس اصحابه ، حتى تكونت فئة مؤمنة صمدت عند الشدائد وتحملت كل المصاعب ، وضحت في سبيل عقيدتها بكل شيء ، حتى اموالها وراحتها واصبح هدفها الاسمى الايمان بالله والحصول على رضاه ، وهجرت في سبيل ذلك اوطانها واقامت دولتها على اساس الايمان وعزة الاسلام ولا ريب أنه نشأ بعد ذلك فئات وطوائف في مختلف العصور جمحت عن طريق السداد وجنحت الى الانحراف ، والاضطراب سيرا وراء افكار فلسفية او آراء نظرية ، ينقصها التمحيص والتحقيق ويعوزها السند العلمي الدقيق.

ومن هذا القبيل ما انبهر به بعض الكتاب المعاصرين من دعوى الاعجاز العددي للقرآن الكريم لرقم ١٩ ، وبنوا على ذلك قصورا ونتائج لا تثبت امام نقاش علمي صحيح ، حتى وصلوا الى انكار ملائكة النار والى تحديد وقت الساعة .

وان ما تضمنه المقال القيم للمستشار حسين ناجي محيي الدين والمنشور في

الوعي الاسلامي العدد ٢١٤/ شوال ١٤٠٢ هـ اغسطس ١٩٨٢ م من نقد لمن تخيل الاعجاز في الرقم ١٩ ، وما ترتب عليه ، هو في محله غير ان المقال تضمن امورا ذات علاقة في اثبات العقيدة ، لا يصح السكوت عليها ولا المرور بها من غير تمحيص ولا تحقيق ، خصوصا ان غير الاستاذ المستشار ذهب الى ما يعارض تلك الامور ويناقضها ، كما يتجلى فيما يلي : يقول الاستاذ المستشار في مقاله المذكور :

١ ـ من المسلم الذي لا خلاف عليه بين علماء وائمة المسلمين بل عليه الاجماع في كل العصور ان الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب ان يكون تقينيا يعني متواترا ، فهذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقائد ولا يؤخذ فيها بأي خبر ولو كان صحيحا الخ .

٢ ـ كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب ، واقحاما على الله ما لم يأذن بقوله الخ ..

٣ ـ ان المتدخل في الغيبيات اثباتا بغير دليلها المخصص لها وهو الخبر القطعي اليقيني او المتدخل فيها تأويلا بغير نفس دليل ثبوتها فقد ظلم نفسه وافترى على الله ، وادعى لنفسه ما ليس اليها فضلا عن انه ينحرف الى التكذيب والانكار والتحريف والتزوير الخ ..

والذي ذهب اليه الكاتب الكريم يتفق مع رأي بعض العلماء الاعلام ويقتضيه تعريف علم العقائد بانه « العلم بالعقائد الدينية المكتسب من الادلة اليقينية » كما جاء في كتاب « فلسفة التوحيد او اشرف المقاصد » للعلامة احمد بن محمد المكناسي من علماء القرن السادس الهجري في عهد الدولة المولوية الهاشمية الاسماعيلية . وذهب اخرون الى ان العقيدة تثبت بحديث الاحاد اذا كان صحيحا وهو ما يقتضيه تعريف علم العقيدة بانه « علم يقتدر منه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ، ودفع الشبه » ، كما جاء في كتاب « المواقف » للعلامة عبد الرحمن ابو الفضل عضد الدين الايجي ، وهو من علماء القرن الثامن الهجري ، وذلك ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني في رسالته « وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة » ص ٥ وفي رسالته الاخرى « الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ٢٥ ـ ٤٥ ورأى ان القول بان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم والحديث المتواتر ، قول مبتدع لا اصل له في الشريعة الغراء ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن احد منهم الخ ..

وازاء هذين الاتجاهين المتضاربين رأيت ان احقق الموضوع من جميع اطرافه واعتمد على ما قرره الاسلاف من العلماء الاثبات خدمة للحقيقة وتجلية لها ، ومعاونة في تحديد ما تثبت به العقيدة في الاسلام ، وما يترتب على ذلك من نتائج :

١ ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يحدث اصحابه في اي شأن من شئون الدين ، انما يبلغ ما امره الله بتبليغه كما قال سبحانه : **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى .**

٢ ـ ان الصحابي بعد ان يؤمن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه

يتيقن صدق ما اخبر به الرسول وسمعه منه عن الله سبحانه ، لا فرق في ذلك بين شئون العقيدة او الاحكام العملية الدنيوية الاخرى وسواء استند خبر الرسول الى آية منزلة ، او حديث نبوي ، وكلاهما يفيد اليقين ، ولا مساغ للقول حينئذ بالتواتر والاحاد .

٣ ـ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي ، وتفرق اصحابه في الامصار ، وقبل تدوين الاحاديث في مسانيد وصحاح وسنن ، كانت العمدة على الرواية فاذا كان الراوي ثقة اعتمدت روايته والا اخذ بالاحكام المبنية في علمي الاصول ومصطلح الحديث في ذلك .

٤ ـ ما نقل من الاحاديث والسنن ، منه ما وصل الينا بطريق التواتر ، اي نقله جماعة عن جماعة لا يحتمل تواطؤهم على الكذب ، في جميع مراحل النقل حتى تصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا النوع من الاحاديث المتواترة لا خلاف بين علماء المسلمين وأئمتهم في الاعتماد عليه في العقيدة والاحكام وانه يفيد اليقين واما ما وصل الينا بطريق الاحاد فسيعرف حكمه مما يلي .

٥ ـ جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ، وطريق اهل السنة ان لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا بقول احد . قال البخاري رحمه الله ، سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجل للشافعي ، ما تقول انت ، فقال : سبحان الله ، تراني في كنيسة ؟ تراني في بيعة ؟ تراني على وسطي زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت تقول : ما تقول انت ؟ ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى :(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم)الاحزاب /٣٦ .

وخبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الامة ، وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في ذلك نزاع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله آحادا ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل اليهم يقولون : لا نقبله لانه خبر واحد الخ ..[٢] .

٦ ـ وفي شرح مسلم الثبوت من كتب اصول الفقه المعتبرة جملة من الاحكام المتعلقة تتلخص بما يلي :

أ ـ الاكثر من اهل الاصول ، ومنهم الائمة الثلاثة ابو حنيفة ومالك والشافعي على ان خبر الواحد ان لم يكن المخبر معصوما نبيا ، لا يفيد العلم مطلقا ، « يقصد بالعلم هنا وجوب الاعتقاد » ، وقيل يفيد بالقرينة وقيل يفيد العلم مطلقا وعن الامام احمد ان هذا مطرد في جميع الحالات .

ب ـ الاجماع على العمل به في حياته صلى الله عليه وسلم .

جـ ـ تحريم العمل بالظن ، المدلول عليه بالايتين : ولا تقف ما ليس لك به علم الاسراء /٣٦ و« ان يتبعون الا الظن» النجم /٢٨ مخصوص باصول الدين فان الظن واجب الاعتبار في العمليات بالدلائل القطعية .

٧ ـ في فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، يجب العمل بالاحاديث الصحيحة ، التي لا يعلم لها معارض يدفعها وهي تنقسم الى ما دلالته قطعية ، بان يكون قطعي السند والمتن ، وهو ما تيقنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ، وتيقنا انه اراد به تلك الصورة والى ما دلالته ظاهرة غير قطعية .

فأما الاول فلا خلاف بين العلماء في الجملة انه يجب اعتقاد موجبه علما وعملا . وقد اختلفوا في خبر الواحد الذي تلقته الامة بالقبول والتصديق او الذي اتفقت على العمل به . فعند عامة الفقهاء واكثر المتكلمين انه يفيد العلم ، وذهب طوائف من المتكلمين انه لا يفيد .

واما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الاحكام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فان تضمن حكما علميا مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه فذهب طوائف من الفقهاء الى ان خبر الواحد العدل اذا تضمن وعيدا على فعل فانه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ، ولا يعمل به في الوعيد الا ان يكون قطعيا وكذلك لو كان المتن قطعيا لكن الدلالة ظاهرة .

وذهب الاكثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف الى ان هذه الاحاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد ، فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الاحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل الخ .

٨ ـ وقال الامام الحافظ أبو عمر يوسف المعروف بابن عبد البر الاندلسي واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل ، هل يوجب العلم والعمل جميعا ، أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم انه يوجب العمل دون العلم ، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ، ولا يوجب العلم عندهم الا ما شهد به على الله ، وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه . وقال قوم كثير من أهل الاثر وبعض أهل النظر انه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعا ، ثم قال : والذي نقول به انه يوجب العمل به دون العلم ، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه .

٩ ـ ذكر المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « العقيدة الاسلامية » ان الامام الشافعي في الرسالة أول من تعرض لتقسيم العلم بالاحكام التكليفية العملية والاعتقادية الى قسمين :

الأول ـ سماه علم العامة .

الثاني ـ سماه علم الخاصة .

أما علم العامة فلا يسمع بالغا غير مغلوب على عقله جهله ، مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج على المستطيع والزكاة ، وانه حرم عليه الزنا ،

والقتل والسرقة والخمر ، وما كان في معنى ما ذكر .
وأما علم الخاصة ، فما يعرض للناس من فروع الشريعة ، التي ليس فيها نص كتاب لا يحتمل التأويل ، ولم يكن فيها نص متواتر ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو وجد نص ولكن بخبر الاحاد ، لا بالخبر المتواتر أو كانت النصوص فيه قابلة للتأويل ، ثم قال : ومن امتنع من قبول ما جاء في الكتاب أو السنة المجمع عليها ، استتيب ، أما خبر الخاصة (أي حديث الاحاد) فهو ملزم للعاملين في العمل وليس لهم رده ، ولكن لو شك شاك في هذا لم نقل له ـ تب ـ بل نقول له : ليس لك أن تشك . ثم قال الاستاذ أبو زهرة ، وعلى منهاج الشافعي نسير ، والأصل في اثبات العقائد لا يكون الا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل ، والسنة المتواترة ، التي تثبت العلم الضروري ، وأما خبر الواحد فانا نرى انه مع وجوب منع رده ووجوب قبوله ، لا يثبت العقائد اثباتا قطعيا ، فاذا كان قد ذكر بالسنة غير المتواترة أمور اعتقادية كبعض الاخبار عما يكون يوم القيامة وعما يكون في الجنات من نعيم مقيم ، وعما يكون في آخر الزمان من أخبار الدجال ونزول المسيح عليه السلام وغير ذلك مما ذكر في أخبار الآحاد التي يرويها الثقات العدول فانا نقبله ولا نرده ، ولكن لأن التكفير أمره خطير واعتبار المسلم مرتدا ، مع احتمال الغلط في أخبار الآحاد يمنع من اعتباره قطعيا في السند ، وكذلك ما يكون متواترا يحتمل التأويل غير المتكلف ، فانه يقبل النص ولكن لا يعتبر مرتدا الخ .

الخلاصة

١ ـ ما ذكره المستشار حسين ناجي ، في المقال المذكور من أنه (لا خلاف بين علماء وأئمة المسلمين في كل العصور وان الاجماع انعقد عليه ، وهو أن الخبر اذا كان متعلقا بالعقيدة فانه يجب أن يكون متواترا ، وان هذا الخبر اليقيني هو وحده الدليل القطعي في شأن العقيدة ، ولا يؤخذ فيها بأي خبر آخر الخ غير دقيق ، بل ان ذلك موضع خلاف كما عرف مما سبق .
٢ ـ ما ذكره المستشار أيضا من أن كل عقيدة يقررها خبر ظني ولو كان صحيحا فانها تكون مستبعدة ويكون القول بها رجما بالغيب الخ ليس صحيحا أيضا ، وان كان يسوغ له أن يختار القول بأن العقيدة لا تثبت الا بخبر قطعي ، دون الطعن بعقيدة من يقول بغير ذلك .
٣ ـ قول المستشار أيضا ، ان المتدخل في اثبات الغيبيات بغير الدليل القطعي يكون قد افترى على الله ، فيه مجازفة ومخالفة لآراء بعض الأئمة الاثبات الذين أشرت اليهم .
٤ ـ ما ذهب اليه الاستاذ محمد ناصر الالباني ، من وجوب الأخذ بالعقيدة بحديث الاحاد ، وان القول بأن العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي قول مبتدع ولا أصل له في الشريعة ولم يعرفه السلف الصالح ولم ينقل عن أحد منهم الخ قول غير صحيح أيضا ، ويتعارض مع ما نقلناه عن الامام الشافعي وعن شيخ الاسلام ابن تيمية وعن الحافظ ابن عبد البر الاندلسي .
٥ ـ والذي اختاره ليكون منهجا في العقيدة متفقا مع كل الاتجاهات السليمة هو ما يلي :
أولا ـ من أنكر شيئا من أمور الدين ، وهو يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث به أو

قرره فقد طعن في صدق الرسول وكذب برسالته ، ويلحق به من أهمل العلم بالمتواتر ، والمعلوم من الدين بالضرورة وهو ما في القرآن الكريم والسنة المتواترة ، ومثل هؤلاء يستتابون ، لأنهم سلكوا طريقا غير طريق المؤمنين ، ولا يعتبرون من المسلمين الا اذا تابوا وأصلحوا وعدلوا عن انحرافهم .

ثانيا : كل مسلم له قدرة النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية اذا ظهر له فيها وجه لا يتصادم مع نصها ، ولا يتعارض مع النصوص والآيات الاخرى ، ولا يؤدي الى انكار أية عقيدة وردت في الكتاب أو السنة المتواترة ، فلا يجوز لنا أن نكفره ونعتبره خارجا عن الاسلام ، لمخالفته المشهور بين العلماء أو لاعتقاده وجها غير مألوف ، وان كان الأجدر بالمسلم أن يتمسك بعقيدة السلف المعروفة عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، دون الدخول في تفصيلات لم تثبت بطريق صحيح يعتمد عليه .

أما اولئك الذين لا خبرة لهم بشؤون الدين واحكامه ولا معرفة لهم بأصول اللغة وقواعدها فليس لهم أن يخرجوا على الناس بأمور تحللهم من فرائض دينهم ، أو تحل لهم ما حرم عليهم بنصوص القرآن ، والاحاديث المعول عليها أو تبعدهم عن نهج الاسلام وقواعده الصحيحة .

ثالثا ـ القول بعدم اعتماد الاخبار والاحاديث النبوية ، والاقتصار على ما في كتاب الله ، أو التفريق بين السنة العملية والسنة القولية ، هو مناف للاسلام ومصادم للقرآن وهو بدعة بعض المنحرفين من أهل الضلال ولم يقل بذلك أحد ممن يعتد بقوله . قال تعالى : « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » .. النحل / ٤٤ وهل سنة الرسول وأحاديثه الصحيحة ، سواء كانت عملية أو قولية الابيان وتوضيح ما اشتمل عليه القرآن من العقائد والاحكام .

رابعا : القول باعتماد أخبار الأحاد التي رواها الثقات في العقيدة والعمل هو مذهب كثير من أئمة المسلمين وعلمائهم في جميع الامصار ، ولذلك فما نقل عن البعض من تحريم أخذ العقيدة من أخبار الاحاد ، قول غير صحيح أيضا ولا يعول عليه .

خامسا : لا يجوز تكفير من لم يعتمد في العقيدة على خبر الاحاد ، ولا من يؤول النصوص القطعية الثبوت تأويلا يحتمله لفظها ، حسب قواعد اللغة العربية وأصولها ، وذلك لأن التكفير أمره خطير ، ويجب أن يعتمد على الأمور القطعية التي لا تحتمل الغلط ؛ وفي حديث رواه البخاري : اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما . أما اذا كان النص قطعي الثبوت قطعي الدلالة مثل : وأحل الله البيع وحرم الربا . ومثل ما ورد في تحريم الخمر والزنا ونحو ذلك ، فلا مجال للتأويل فيها أو الاجتهاد بنصوصها ، وكل من يخالف ذلك ، فقد سلك طريقا غير طريق المؤمنين ، ويستتاب حتى يعتبر من جماعة المسلمين ، وهذا هو الطريق السليم الذي به يصان الاسلام ، من عبث العابثين ، وهراء الملحدين ، وتلاعب المستهترين ، .

قال تعالى : « **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » **الفتح** /٢٨ .

نسأل الله أن يوفقنا جميعا للحرص على رضاه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

بمناسبة رحيل ابطال المقاومة الفلسطينية عن بيروت في ذي القعدة ١٤٠٢هـ - اغسطس ١٩٨٢م

وصية شهيد

للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

يا اخوتي في عالم الأحياء ... لا وقت للعبرات عند رثائي !!
أنا عامر ساح الخلود وهانىء ... بمشاهد التكريم والاعطاء
كشف الغطاء عن العيون فراعها ... سحر من الفردوس ، فيض بهاء
حيث الورود بنظمها وعبيرها ... فرحى تحيي موكب الشهداء
وتمايل الأغصان يعرض لوحة ... لتآلف وتمازج وصفاء
والحور أرسلن اللحون تحية ... للقادمين على سنا وسناء
(عمر) أبو الشهداء يقدمنا هنا ... كالوالد المتبوع بالأبناء
كل أراد المعتدون فناءه ... والله يأبى غير حسن بقاء :
مامات من يهدى على درب العلا ... خطواتنا ، والعزة الشماء

○○○

أرأيتم قومي جميل نهايتي ... وشراسة الأعداء في أجوائي ؟
وتخاذل الأحباب عن صد العدا ... وكأن في حسن الكلام عزائي !
والكون يعجب من بطولة شعبنا ... والمجد يرمقنا على استحياء !
سبعون يوما في جحيم هائل ... وعزيمتي أقوى من الأرزاء
حسبوا الحصار معجلا لنهايتي ... فحصرتهم في بقعة سوداء
ولكم رجا (شارون) نصرا عاجلا ... مترقبا للراية البيضاء
لكنني أرهقته وأغظته ... وعلا يناطح حائط الشهباء
هل ينكر التاريخ حكمة (ياسر) ... وثباته في ساحة الأشلاء ؟
وتبسم الاخوان في جمر اللظى ... وصمودنا في قوة وفداء ؟
ولكل سيف نبوة لكنما ... خطأ القيادة مرهق الأعباء

○○○

يا إخوتي : مازلت أذكر عالما ... ودّعته ومعالم الأشياء
وربوع (صيدا) قطعة من موطني ... كيف اعتُبرت بها من الغرباء ؟
الأرض أرضي ، والفضاء يظلها ... جوى ومسرح زاجلي وسمائي

○○○

آه لصهيون مآرب في دمي ... يسعى لها في خِسَّة ودهاء
من شردوا في الأرض صاروا فيلقا ... يهزا بنا ويطل من علياء !!
يتوحدون على اختلاف لغاتهم ... لمذلتي وإهانتي وشقائي
و(العم سام) كم يؤيد طيشهم ... لصّان كم دأبا على إيذائي
عجبا خزائنه تضيق بثروتي ... والمر لي ، والشهد للأعداء
ما عاد يلمحنا كجسم واحد ... شتان بين حجارة وبناء
وتلاحم الذرات يصنع طودنا ... من بعد ما قد كن شبه هباء

○○○

أبني أبي : بالله لا تتفرقوا ... فالخلف يبقينا مع الضعفاء
الدين والأصل العريق موحد ... ماح لليل الضعف والشحناء
فلم الشرود عن الصواب كأننا ... لم نقتنع بتتابع الأرزاء !
لا تحرق المأساة حسن جهادكم ... لله فوق محجة بيضاء !!
طلقات خصمي لم تفرق بيننا ... بجنوب لبنان ولا الصحراء
أقطارنا كُوِيَت بفاجر غدرها ... كم نددت بالطعنة النكراء
الثأر لا التنديد يردع باغيا ... والنار فوق بلاغة البلغاء
جل المصاب ولن يفيدكم الأسى ... وتصارع التهمات والآراء
والتبر فوق النار يصفو جوهرا ... وسنا الخطوب منارة الحكماء

○○○

هذا عدوي قد بلوتم غدره ... فإلام ترجى (لعبة الوسطاء) ؟
هل نأمن الأفعى وشر سمومها ... في حجرنا أو نتقي بدواء ؟
الحل معروف وفي إمكانكم ... لو عشتم في وحدة وإخاء
والنصر ظلّ المؤمنين بربهم ... أسد الورى ببطولة وفداء
العاملين لدينهم ولعزهم ... السائرين على خطا الشهداء

○○○

يا إخوتي : إني صدقتكم الهدى ... ووصيتي سطرتها بدمائي
أترى تحل قلوبكم وعقولكم ... فتريحكم من نكبة سوداء
لا تنمحي بتخلف وتمزق ... أو تنجلي بنذالة العملاء

○○○

لا يأس مهما طال ليل محزن ... فالفجر قارب مؤذنا بضياء
فجر التوحد والتقدم والعلا ... فجر الشباب لأمتى المعطاء

التحاسد

ـ من مأثورات عمر بن ابي ربيعة الشاعر قوله :

حسـداً حملنـه مـن أجلهـا وقديما كـان في النـاس الحسـد

اي ان الحسد موجود في الانسان منذ خلق ، وبسببه قتل احد ابني ادم اخاه على قرب عهد بالجنة ، وعلى قلة ما جد في الدنيا من اسباب تؤدي الى الاثرة والتحاسد والتنافس . ولكنه الداء الوبيل الذي اعده الشيطان ليكيد للانسان ، والذي كان طبعا في ابليس فاراد ان يبثه في بني ادم ليفسد به حياتهم وينغص معيشتهم ، روى ابن القاسم عن مالك ـ فيما يحكيه القرطبي في تفسيره ـ انه قال : بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد ابليس ادم . حسده ـ كما قال قتادة ـ على ما اعطاه الله من الكرامة ، وحين امر الملائكة بالسجود له .

ومما ينسب الى علي كرم الله وجهه فيما يرويه كتاب بهجة المجالس : قال ابليس لجنوده : القوا بين الناس التحاسد والبغي لانهما يعدلان الشرك .

وسرى هذا الداء الوبيل الى قابيل الذي حسد اخاه هابيل الذي تقبل الله قربانه فقتله ، وقص الله قصتهما في سورة المائدة حيث قال جل شأنه : (**واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) الى اخر الايات من ٢٧ الى ٣٢ ـ المائدة .

ولم ينج من الحسد اخص الناس من سلالة الانبياء والمقربين ، واخوة يوسف الذين حسدوا اخاهم خير شاهد على ذلك .

وتوارث الناس هذا الحسد الذي اثمر البغي حتى قال الشاعر :

جنى الضغائن اباء لنا سلفوا فلـن تبيـد ، ولـلآبـاء ابنـاء ..

بين علماء

للاستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

مفهوم الحسد : والحسد هو ان يتمنى الانسان زوال نعمة انعمها الله على غيره ، ومرده الى الحقد والشر وسوء الطبع ، ومن اجل ذلك امرنا الله بالاستعاذة منه ومن اهله « ومن شر حاسد اذا حسد » وهو من الكفر بالله لان صاحبه اساء الظن بربه على نحو ما فسره « منصور الفقيه » الذي روى صاحب كتاب محاضرات الادباء قوله :

الا قل لمن بات لي حاسدا اتدري على من أسأت الادب
اسأت على الله في حكمه لانك لم ترض لي ما وهب

وزاد بعضهم :

فكان جزاؤك ان زادني وسد عليك باب الطلب .

وهذا النوع من الحسد مذموم ، وقد امرنا الله بمقاومته في نفوسنا .

الحسد والغبطة : وهناك لون من الحسد هو ما يسمى الغبطة ، وهي ان تتمنى مثل حال صاحبك قال عليه الصلاة والسلام : المؤمن يغبط والمنافق يحسد ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام « لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ، ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواهما ابن عبد البر النمري في كتابه بهجة المجالس .

ولأن الحسد يكاد يكون طبيعة في ابن ادم ، وضع النبي صلى الله عليه وسلم له انواعا من العلاج اهمها عدم البغي . فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه يوسف بن محمد بن عبد البر النمري في كتابه السابق انه قال : ثلاثة لا يكاد

يسلم منهن احد : الطيرة والحسد والظن . قيل فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق .

مبعث الحسد : ومبعث الحسد في النفس ما ركب فيها من حب الغنى والسيطرة والأثرة وحب التملك والرغبة في الاستعلاء . فاذا ما وجدت من يفوقها في ذلك استطار شرها ، وعلى ذلك فان النعم التي يفيئها الله على عباده من الأسباب التي تثير الحسد في النفوس ، حتى ورد الأثر الكريم : « كل ذي نعمة محسود » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ما كانت على أحد نعمة الا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزا » .

وعلى الرغم من أن الانسان قد نهى عن الحسد وأمر أن يقوم نفسه بالجهاد حتى لا تقع في هذا الداء الوبيل وشره المستطير ، إلا أننا نجد هذا الداء مستشريا حتى بين العلماء أنفسهم الذين نصبوا أدلة على الهدى ومعالم للتقوى وأمثلة صالحة للايثار والتواضع .

ولو حسد جاهل عالما لهان الأمر لأن الناس أعداء ما جهلوا كما يقولون : ولأن الشاعر الحكيم أجاد تقرير ذلك حين قال :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغضا إنه لدميم

أما أن يحسد عالم عالما فذلك هو العجب ، ومرده ـ كما أسلفت القول ـ الى ما ركب في الطبع من ذلك الداء الوبيل الذي لا يكاد يسلم منه أحد الا من عصم الله ووفقه في أن يتغلب عليه بمجاهدة النفس وحملها على الاعتدال والكف عن البغي .

ولأن تحاسد العلماء فيما بينهم قد اشتهر أمره ، وجرت به أقلام المؤرخين ، ووعته بطون الصحف ، وردت الحكمة التي رواها الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء : هلاك العلماء بحسدهم ، ولعله يقصد أن الحسد بينهم يؤدي الى أن يكيد بعضهم لبعض ، أو يؤدي الى غلبة الانفعال المفرط الذي يثير جيشان الدم الذي يقتل صاحبه إما فرحا أو غما ، كما حدث ذلك بالنسبة لسيبويه الذي تناظر مع الكسائي في مجلس الرشيد فخذل ظلما فمات كمدا وحزنا ... وسيأتي ذكر هذه القصة إن شاء الله تعالى .

وبسبب ذلك الحسد الذي يؤدي الى ركوب البواطل أحيانا لأنه يرغب في الانتصار للنفس لا للحق قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون.

وقد تكون الغيرة غير الحسد ولكنها فرع منه على أي حال ، فالغيرة تدفع الى التنافس وطلب الكمال كما تؤدي الى صون العلم عن غير أهله والمحافظة عليه من الابتذال ، ولعل هذه الغيرة هي المعنية في قول الأشج : إني لأغار على الحديث كما

يغار على الجارية الحسناء .

أمثلة من تحاسد العلماء :

ومما يروى في ذلك ما يحدث به الرواة في كتبهم مما كان يدور في مجالس الخلفاء والأمراء بين العلماء من مناظرات يثيرها التحاسد وتثيره ، وقد يؤدي ذلك الى ذهاب التحفظ ويدفع الى الخفة التي تستوجبها حلاوة الظفر أو الغم الذي يستجلبه الخذلان .

حدث الحريري في كتابه درة الغواص قائلا :

جمع الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا عنده ، وقد علم اليزيدي أنه يقصر عن الكسائي في النحو ، فابتدره في اللغة قائلا : كيف تقول : تمرة مذنبة ـ بكسر النون المشددة ـ أو مذنبة ـ بفتح النون ؟

فلم يأبه الكسائي لقوله ، بل ظن أنه قال بسرة . فقال : أقول مذنبة بكسر النون فقال : إذا كان ماذا ؟ قال : اذا بدا الارطاب من أسفلها .

فضرب اليزيدي بقلنسوته الارض ، وقال : أنا أبو محمد اليزيدي وقد أخطأت يا شيخ ، التمرة لا تذنب وإنما البسرة تذنب .

فغضب عليه الرشيد وقال : أتكتني بمجلس وتسفه على الشيخ ؟ والله إن خطأ الكسائي وحسن أدبه أحب الى من صوابك مع قبح أدبك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، فأمر باخراجه .

فحرص اليزيدي على الظفر حسدا للكسائي الذي كانت له منزلة في بلاط الرشيد جعلته يبادر بالسؤال في ميدان آخر غير ميدان النحو ، ولا يلقي بالسؤال صريحا حتى يموه الأمر على المسئول ، ولكنه على كل نال جزاءه من الرشيد . ويبدو أن أبا محمد اليزيدي كان مولعا بإظهار علمه بين يدي الخلفاء والامراء فقد حكى صاحب مهذب الأغاني في الجزء الثامن في ترجمته هذه القصة :

قال أبو محمد اليزيدي : كنا مع المهدي قبل أن يستخلف بأربعة أشهر ، وعنده شيبة بن الوليد العبسي ، فجمع بيننا مجلس وفيه الكسائي .

ودارت المناظرة حول النسب الى كلمتي البحرين والحصنين ، حيث قالوا في النسب الى البحرين : بحراني ، وفي النسب الى الحصنين : حصني ولم يقولوا : حصناني .

فقال اليزيدي : لو أنهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحري لم يعرف أإلى البحرين نسبوا أم الى البحر ولكنهم حين نسبوا الى الحصنين لم يكن هناك موضع آخر يقال له الحصن فقالوا حصني .

قال الكسائي : لما نسبوا الى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرين الا نون واحدة فقالوا : بحراني .

قال اليزيدي : فكيف تنسب الى بني جنان فإنه يلزم على ذلك أن تقول : جنى ، ولكنهم قالوا جناني . فسكت الكسائي .
ثم تناظرا في ضبط كلمة « خيرهم » في هذه العبارة : إن من خير القوم أو خيرهم بتة زيدا . فضبطها الكسائي بالرفع ، وعلل شيبة الذي كان حاضرا المجلس ذلك بأن أو بمعنى بل .
ولكن اليزيدي خطأهما وقال بل هي بالنصب . كما ورد في قول الشاعر :

يـأيـهـا الســائـلي لأخبـــــره	عمن بصنعاء من ذوي الحســـب
حمـير سـادتـهـا تقـر لـهـــا	بالفضل طـرا جحاجح العـــرب
وإن مـن خيـرهـم وأكـرمـهـم	أو خيـرهـم بتـة أبـو كـــرب

وعلة النصب تقدير إعادة إن ...
واستشهدوا بفصيح من فصحاء العرب فوافق على ذلك . فاستفز اليزيدي السرور حتى ضرب الأرض بقلنسوته وقال : أنا أبو محمد ...
فقال شيبة : أتكتني بحضرة الأمير ؟ فقال المهدي : والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر .
فقال اليزيدي : إن الله عز وجل أنطقك بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله .
فلما خرجوا قال شيبة : أتخطئني بين يدي الأمير ؟ أما لتعلمن .
قال اليزيدي : قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبها ـ عاقبتها ـ .
ثم كتب اليزيدي رقاعا فيها أبيات من الشعر تهجو شيبة لم تلبث أن ذاعت في الناس .
وهذا هو الجانب غير المحمود في القصة . وهو أن يؤدي التغاير والتحاسد الى التهاجي .. والتناظر في العلم أمر طيب ، ولكن ينبغي أن يكون منصرفا الى التعليم وبيان وجه الحق لا الى الانتقاص من أقدار الناس . والكسائي لم يخطىء في ضبطه ، ولكن الحسد يفعل الكثير ..
ويذكر الدميري في حياة الحيوان أن المناظرة بين الكسائي واليزيدي في مجلس الرشيد ، كانت بسبب آخر غير ما ذكر ، وهو أن اليزيدي سأل الكسائي عن إعراب كلمة مهر في آخر البيتين الآتيين :

مـا رأينـــــا قـــط خـــربـا	نقـر عنـه البيض صقـــــر
لا يكـون العيـــــر مهـــرا	لا يكـون المـهـــر مـهـــر

ـ الخرب ـ نوع من الطيور ـ العير : الحمار .
فقال الكسائي : يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر يكون ، ففي البيت إقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب ، لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون ، ثم

استأنف فقال : المهر مهر . والنتيجة التي توصلنا اليها من الحوار على كل لا تختلف ..

بين الكسائي والمفضل الضبي وذكر السيوطي في كتاب المزهر ما نقله عن الزجاجي في أماليه ، قال : أخبرنا أحمد بن سعيد الدمشقي ، قال : قال المفضل الضبي : وجه الى الرشيد فما علمت إلا والرسل تطلبني ، فخرجت حتى صرت إليه وهو متكىء ومحمد بن زبيدة عن يساره والمأمون عن يمينه ، فسلمت عليه ، فأومأ إلي بالجلوس فجلست ، فقال : يا مفضل ، كم في "فسيكفيكهم الله" من اسم ؟ فقلت : الياء لله عز وجل والكاف الثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم والواو للكفار . قال : صدقت كذا أفادنا هذا الشيخ ، يعني الكسائي وهو إذن جالس .

ثم قال : فهمت يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : أعد المسألة فأعادها كما قال المفضل . ثم التفت فقال : يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قول الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال : هيهات ، قد أفادنا هذا متقدما قبلك هذا الشيخ ، لنا قمراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين ، يريدون أبا بكر وعمر . قلت زيادة يا أمير المؤمنين في السؤال . قال : زد .

قلت : فلم استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه اذا اجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه فسموا الأخير باسمه .

قلت : بقيت مسألة أخرى ، فالتفت الي الكسائي وقال : أفي غير ما قلت ؟ قلت : بقية الفائدة التي أجراها الشاعر المفتخر في شعره . قال : وما هي ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، وبالقمر محمدا صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين ، فاشرأب أمير المؤمنين وقال للفضل بن الربيع : احمل اليه مائة الف درهم ومائة الف درهم لقضاء دينه .

فما حمل المفضل على الاستزادة في الحديث إلا وجود الكسائي ورغبة في اظهار منزلته وكثرة علمه في مجلس فيه غيره من العلماء .

الكسائي وسيبويه : وقد يؤدي هذا التحاسد الى التزوير وتعمية الحقائق ، ولعل أقدم ما يدل على ذلك في دنيا العلماء ما دار في مجلس الرشيد بين سيبويه والكسائي فيما يحكيه ابن خلكان في وفياته .

قال : ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يعلم الأمين ، فجمع هارون بينهما ، وتناظرا في قول القائل : كنت أظن أن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو هي أو إياها ...

قال الكسائي : إياها . وقال سيبويه : هي ..

وأصر كل على رأيه حتى اتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من

كلام أهل الحضر .

وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه . فاستدعى عربيا وسأله فقال كما قال سيبويه ، فقال له الأمين : نريد أن تقول كما قال الكسائي ، فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق إلا إلى الصواب ، فقرروا معه أن شخصا يقول : قال سيبويه كذا ، وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما ؟

فيقول العربي : الصواب مع الكسائي . فقال هذا يمكن ... وتم ما أرادوا .

فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا مع الكسائي ضده ، فخرج من بغداد مغموما وقد حمل في نفسه لما جرى عليه .

وهكذا ضاع الحق ، وما أشق ذلك على نفس الحر ، ولا سيما إذا كان صاحب السلطان ضالعا في ضياعه .

بين الأصمعي والجرمي : وجاء في درة الغواص للحريري أيضا ، قال : لما شخص أبو عمرو الجرمي الى بغداد ثقل موضعه على الأصمعي إشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنده ويصير السوق له ، فأعمل الفكر فيما يغض منه ، فلم ير إلا أن يرهقه فيما يسأل عنه ، فأتاه في حلقته وقال له : كيف تنشد قول الشاعر :

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين ؟

فقال له : بدأن . قال : أخطأت . فقال : بدين . قال : غلطت ، إنما هو (بدون) أي ظهرن . فأسرها أبو عمرو في نفسه وفطن لما قصده واستأنى به الى أن تصدر الأصمعي في حلقته واحتف الجميع به فوقف وقال له : كيف تقول في تصغير مختار ؟ قال : مخيتير ، قال : أنفت لك من هذا القول ، أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وأن التاء فيه زائدة ؟ ولم يزل يندد به الى أن انفض الناس من حوله ..

وكما كان هناك تحاسد بين الأصمعي والجرمي ، كان هناك تحاسد أشد بين الاصمعي وأبي عبيدة بسطت الكتب الأدبية ألوانا منه ..

وكان هناك تنافس أثاره التحاسد بين المبرد وثعلب ، حتى صار التباعد بينهما والتنافر مضرب مثل ، من ذلك ما ورد في كتابنا « المبرد أديب النحاة » : روى ياقوت أنه قد كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة ، واشتهر ذلك حتى صار مضرب الامثال ، وحتى قال بعضهم ممثلا بعسر اللقاء بين هذين العالمين :

كفى حزنا أنا جميعا ببلدة ... ويجمعنا في أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ... ولكنه في جانب عنه مفرد
نروح ونغدو لا تزاور بيننا ... وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا ... عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وبين الشعراء : واذا كان العلماء يتحاسدون لما فضل الله به بعضهم على بعض في العلم ، وهذا التفاضل يؤدي الى ازدياد قرب الفاضل الى الخليفة وارتفاع قدره بين الناس خاصتهم وعامتهم كما يؤدي الى إغداق العطايا عليه ، فإن الشعراء لما يحرزون من أموال الخلفاء والأمراء يكونون أشد تحاسدا وتباغضا .

جاء في الأمالي الجزء الأول : امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه ، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب . ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر ، فقال بعضهم لبعض : يا عجبا للأمير يعطي أبا العتاهية سبعين ألف درهم ، فبلغ ذلك عمر فقال : علي بهم ، وأدخلوا عليه . فقال : ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء ، إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشبب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتا ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب ببيتين ثم قال فينا ما قال ، وذكر أبيات مدحه فيه .

تباهي العالم وخيلائه : ويتصل بتحاسد العلماء ما يدخل في نفوسهم من عزة العلم وخيلائه حتى يخرجه ذلك عن حد الوقار والسكينة ، فإن العلم يطغى كما يطغى المال ، وإذا بلغ العالم في فنه حدا كبيرا ولم يكن الى جانب ذلك تواضع يزينه وتقوى تعصمه طغى وتكبر ، وربما دفعه ذلك الى الجهل حيث يكبر عليه أن يسأل عن شيء يجهله فلا يجيب فيفتي بغير علم ، وتلك من كبائر العلماء .

ومن خيلاء العلماء ما حدث به الشريش في شرح مقامات الحريري : قال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم : سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى . فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك من الأرض ؟ أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه ؟ فأفحمه . ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص الحفل واعتلى تبريز على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان . فقال : ليسألني من شاء عما شاء . فقام اليه أحد الأغفال فقال له : ما الفتيل والقطمير ؟ فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا . فلما نظر الى اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما ، وهذا من عقاب العجب بالنفس .

وقال قتادة : ما سمعت شيئا الا حفظته ولا حفظت شيئا فنسيته . ثم قال : يا غلام هات نعلي فقال له الغلام : هما في رجليك ، ففضحه الله .

واذا كان الحسد داء في قلب العالم فالكبر داء أكبر وقد قيل :

لكل شيء في الورى آفة وآفة المرء من الكبر ..

واذا كانت هذه أمثلة جرت لبعض ما كان يحدث بين أهل العلم . فإن في المقابل لها أمثلة تدل على إيثار كريم ، ومروءة نادرة ، وتواضع جم ، ومعرفة كبيرة بأقدار الناس ، يكفي في الدلالة على ذلك علاقة الأئمة الأربعة فيمن التقى منهم بعضهم ببعض وتقاريظ غيرهم لهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وسائل الانسان لقهر الشيطان

للاستاذ كارم السيد غنيم

لقد خلق الله الانسان وأمر الملائكة بالسجود له إجلالا لما بثه الله سبحانه فيه من روح ، واشعارا للمخلوق الجديد بان كل ما في الكون والحياة مسخر له ، ثم كان سجود الملائكة ايضا امتثالا لأمر الله الواحد القهار . عصى الشيطان ربه في السجود ودار ما دار من الحوار ، ثم انتهى الامر الى طرد اللعين من الجنة فاذا به يتوعد الانسان بان يقعد له كل مرصد ، وانه سيدفع لكل نسل من ذرية آدم شيطانا قرينا له يغويه ويعمل على ايقاعه في حبائل الذنوب والشرك ان استطاع .

ورد في الأثر عن الحسن البصري : ان الجن ذرية ابليس ـ كما

مداخل الشيطان الى نفس الانسان :

ان ابواب دخول الشيطان الى النفس الانسانية كثيرة ، وكل بحسب ما فيه من نقطة ضعف ، وعموما فانه يمكن القول بان كل صفة ذميمة او خصلة رذيلة تعد مسلكاً من مسالك الشيطان في دخوله الى النفس البشرية ، فمن مداخله

(١) الغضب . (٢) الشهوة . (٣) الحسد . (٤) الحرص الشديد : فاذا كان الانسان شديد الحرص على شيء ما اعمته شدة حرصه واصمته . (٥) الشبع : حتى ولو كان من حلال صافي ، ففيه ست خصال ذميمة هي :

ذهاب خوف الله من قلب العبد ، ذهاب الرحمة من قلب العبد (لأنه يظن ان كل الناس شباع مثله) ، الاثقال عن الطاعة ، عدم تذوق كلام الحكمة وذلك لفساد رقة البصيرة ، عدم نفاذ كلام الوعظ او الحكمة منه الى قلوب الناس ، ثم تهييج الأمراض لتحرك دواعيها في البدن . (٦) الاسراف : في كل شيء من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومتاع (٧) العجلة : وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى) ، واثر عن احد الصالحين قوله : العجلة من الشيطان الا في خمسة أمور ، فان العجلة فيها محمودة لانها سنة : اطعام الضيف اذا دخل البيت ، تجهيز ودفن الميت ، قضاء الدين ، تزويج البكر ، والتوبة من الذنب .

ان الانس ذرية آدم ـ ومن هذه الذرية وتلك مؤمنون وكافرون ، فمن كان كافرا فهو شيطان سواء كان من عالم الجن ام من عالم الانس ، ومن كان مؤمنا ـ جنا او انسا ـ كان وليا لله ، ولقد ثبت ان مع كل واحد من بني آدم شيطانا من الجن ، يجري منه مجرى الدم .

(٨) البخل وخوف الفقر : وذلك لانهما يدفعان الانسان الى الاكتناز والصراع على التملك واحراز المتاع . (٩) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم . (١٠) سوء الظن بالمسلمين : والقاعدة في الاسلام هي حسن ظن المرء بأخيه الى ان يثبت عكس ما ظن .

وسائل وطرق الشيطان في إضلال الانسان :

ان لهذه الوسائل اشكالاً والواناً منها على سبيل المثال : (١) يخيل الشيطان للانسان اشياء ويوعز اليه بان النفع فيها ، وهي في الحقيقة عين الهلاك للانسان ، فاذا استجاب المرء ووقع فيما زينه له الشيطان خرج اللعين ووقف ضاحكا مستبشرا بما نجح فيه من إغواء ، وكثيرا ما يكون الشيطان نفسه دالا على صاحبه المسكين فيما وقع فيه من مهالك . (٢) للشيطان قدرة على سحر العقل البشري ، وهو أمر لا يسلم منه الا من شاء الله من العباد ، فكم باطل حسنه الشيطان وكم حسن قبحه ، وضعيف الدين يسير اسيرا في ايدي الشيطان . ومن هذه الامور ما يلقيه اللعين إلى افراد معينين من خيالات متناقضة وآراء متهافتة ، حتى ينسيه كتاب الله وسنة رسوله ، ويدور وراء صاحبه اول الأمر بفاتحة الدخول وهي الوسوسة ، فالوسوسة إيحاء شيطاني يتدخل به شيطان المرء في أمور الايمان والطاعة من طهارة وصلاة وغير ذلك . فان كان المسلم مجتهدا في التقرب الى الله دخل الشيطان الى نفسه بانه قد بلغ من الرقي درجة تسقط معها التكاليف الشرعية ، فيظن العبد المسكين ذلك ويترك التكاليف من اوامر ونواه ، ويقع فيما يسمى (الزندقة) . (٣) قد يظهر اللعين بأشكال شتى وقد يسخر اشياء شتى حول الانسان ليوقعه في الضلال بما نصب له من شرك ، ويروى في هذا الشأن اثر وارد عن الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - يقول : كنت مرة في العبادة ، فرأيت عرشا عظيما وعليه نور ، فقال لي : يا عبد القادر انا ربك ، وقد حللت لك ما حرمته على غيرك . فقلت له : أأنت الله الذي لا اله الا هو ؟ اخسأ يا عدو الله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، وقال يا عبد القادر : نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في احوالك (اي معرفة دلالات السلوك الى الله والامور العارضة اثناءه) ، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا . فلما حكى الشيخ عبد القادر تلك القصة على تلاميذه في مجلس العلم الذي كان يعقده ، سأله احد التلاميذ : وكيف علمت يا استاذ انه شيطان ؟ فأجابه : علمت ذلك بقوله : حللت لك ما حرمت على غيرك ، وايضا انه قال : انا ربك ، ولم يستطع ان يقول : انا الله الذي لا اله الا انا .

قدمنا هذه الكلمات حتى يعلم الانسان اهم مداخل الشيطان واهم اشكال اغوائه حتى يمكننا التنبه له

فنستعمل الوسائل بالوجه الصحيح . من هذه الوسائل :

اولا : الاستعاذة :

الاستعاذة هي الاستجارة بشيء بقصد رد مكروه سوف يقع او وقع بالفعل ، والاستعاذة بالله تعالى هي اللجوء اليه طلبا لمعونته في دفع المكروه . وللاستعاذة صيغ كثيرة منها ..

(١) أقصر صيغة : اجمع العلماء على ان التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ولكن ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم . اذا شرع الانسان في تلاوة القرآن . ايهما افضل (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ام (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ؟ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (يا بن ام عبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح عن القلم) ورجحه النووي في الأذكار . (٢) الصيغة التي علمها جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما فعل ليلة ان كادته الشياطين حيث تحدرت عليه من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة يريد ان يحرق بها وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل : قال ماذا اقول : قال قل (اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا بخير ... يا رحمن) .

(٣) الصيغة التي تعلمها الرسول من ابراهيم ابي الانبياء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة) ، ثم يقول : هكذا كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها اسماعيل واسحاق .

وتسن الاستعاذة في مواضع منها :

(١) عند تلاوة القرآن الكريم : امتثالا للنص القرآني « **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » (النحل / ٩٨) بقصد طرد الشيطان حال التلاوة حتى يمكن للمسلم ان ينتفع بقراءته فهما وتدبرا ، ثم ايضا بقصد جلب الملائكة فاذا حضرت هربت الشياطين . (٢) قبل القراءة في الصلاة : خلاصة اقوال العلماء في ذلك انه يجوز للمسلم الاستعاذة قبل القراءة في الركعة الاولى فقط من كل صلاة ، ويجوز للمسلم ان يتعوذ قبل القراءة في كل ركعة من ركعات الصلاة ويجوز له ان يتركها في كل الركعات . (٣) قبل النوم : من السنة ان يتعوذ المسلم عند نومه بصيغة اقصرها « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، او (بسم الله ، اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وان يحضرون) ،

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يعلمها لأولاده ليقولوها قبل النوم ، ومن كان منهم طفلا لا يعرف القراءة او الحفظ كتبها له في ورقة وعلقها في عنقه . (٤) عند الأرق اثناء النوم . (٥) عند الغضب : روى مسلم عن سليمان بن صرة احد الصحابة رضي الله عنهم انه حدث ان غضب رجل في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول : (اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا ـ يقصد الغضب ـ عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) . (٦) عند مشاغلة الشيطان للمسلم اثناء الصلاة : قيل ان شيطانا يسمى (خترب) يلاعب المسلم اثناء صلاته بقصد افسادها عليه ، فاذا ما أحس المسلم به يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . (٧) حال السفر عند قدوم الليل يتعوذ المسلم بالصيغة المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك ، ومن اسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ووالد وما ولد) . (٨) عند نزول المسلم منزلا ما : يتعوذ بالصيغة المأثورة عن الرسول (حيث يقول : من نزل منزلا ثم قال : اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) . (٩) عند ورود النزغ الشيطاني في تفكير او عمل : وذلك بنص القول الالهي « واما ينزغنك من الشيطان [illegible] فاستعذ بالله انه [illegible] عليم (الاعراف [illegible]) كذلك [illegible]

فالاستعاذة سنة عند دخول المرحاض : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول (اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث) وقيل ان الخبث هم ذكور الشياطين ، والخبائث هم اناثها .

ثانيا : المعوذات :

المعوذات قد تكون ثلاثة : سورة الاخلاص + سورة الفلق + سورة الناس وقد تكون السورتين الأخيرتين فقط ، حسب الروايات التي وردت مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذه الروايات : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة : (ألا اخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟) قلت بلى ، قال : (قل اعوذ برب الفلق) ، و (قل اعوذ برب الناس) .

عن السيدة عائشة : (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه نفث ـ اي دفع رذاذا من فمه ـ في كفيه بـ : قل هو الله احد ، والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده . قالت عائشة : فلما اشتكى ـ اي وجع المرض ـ كان يأمرني ان افعل ذلك به) .

عقد الشيطان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يعقد الشيطان [illegible] قافية [illegible] [illegible] هو نائم [illegible] عقد .

يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، ـ اي يكتب على كل عقدة عقدها هذه العبارة ـ فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا اصبح خبيث النفس كسلان) .

استعاذات مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذات كثيرة تضمنتها كتب الحديث المختلفة وكذا كتب اهل السلوك والتربية الروحية ، نذكر منها ما يلي : اللهم اني اعوذ بك من البخل ، واعوذ بك من الجبن ، واعوذ بك من ان أرد الى ارذل العمر ، واعوذ بك من فتنة الدنيا ، واعوذ بك من عذاب القبر .

اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ، واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فانها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات) .

اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم .

اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء .

اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر ، واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال .

اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة ، واعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء ، واعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام .

اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء .

ثالثا : قراءة آية الكرسي :

ولا داعي لذكر آثار واخبار في فضلها لضيق المجال هنا ولكن نقول انها هي الآية رقم (٢٥٥) في سورة البقرة وهي : « **الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** » .

رابعا : قراءة سورة البقرة :

ومن جملة ما ورد في فضلها ان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا تدخله الشياطين .

خامسا : خواتيم سورة البقرة :

وهي الآيات (٢٨٥ + ٢٨٦) من السورة

سادسا : أوائل سورة غافر :

وهي الآيات ١ + ٢ + ٣ من السورة الكريمة وهي « **حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير** » .

سابعا : كثرة ذكر الله :

وهذا موضوع كبير متشعب نؤجله الى لقاء قادم ، ولكن علينا ان نعلم الفرق بين من يذكر الله وبين من لم يذكر الله كالفرق بين الحي والميت ، فالذاكر قلبه حي طاهر منير ، والاخر قلبه مظلم خاو من الأنوار ، ولذكر الله صيغ كثيرة وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في جميع الاحوال وجميع الاوقات وجميع الأماكن (فيما عدا قضاء الحاجة في المرحاض) .

ثامنا : احدى صيغ التوحيد :

قول : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ١٠٠ مرة متوالية .

تاسعا : الوضوء والصلاة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما النار تطفأ بالماء ، فاذا غضب احدكم فليتوضأ) وطبعا اذا توضأ فيحسن به ان يصلي على الاقل ركعتين .

عاشرا : الامساك عن فضول الكلام والطعام والنظر ومخالطة الناس :

اما فضول (قليل) النظر : فهو مبدأ الفتنة وبداية الوقوع في المحظور . واما فضول الطعام ، فلقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم اكيلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) واما فضول المخالطة - فيما عدا مخالطة تجر نفعا لدين المرء وتقواه - فهي الاقلال من معاشرة الناس خصوصا غير العاملين بدين الله .

نسأل الله العافية ونعوذ به من شرور الشياطين وسيئات انفسنا انه سميع قريب مجيب .

الجزية بين الأخذ والرد

للاستاذ / ابراهيم النعمة

مقدمة :

الجزية هي الاموال التي تأخذها دولة الاسلام من اهل الذمة او غيرهم من الكفار ، سواء كانت على الاشخاص ام على الارض الزراعية التي يملكونها . هذا هو مفهوم الجزية في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابي بكر وصدر من خلافة عمر . وبعد ان توسعت الفتوحات الاسلامية في بلاد فارس والروم صارت كلمة « الجزية » تطلق على الضريبة التي تؤخذ على الرؤوس فحسب . اما

الضريبة التي تؤخذ على الاراضي الزراعية ، فاطلق عليها اسم « الخراج » . وفرضت الجزية في السنة الثامنة من الهجرة بعد غزوة تبوك ، وقيل بل في السنة التاسعة . وسميت بهذا الاسم من المجازاة في مقابل حفظ نفوسهم وصيانتها من القتل !

وقد وجه خصوم الاسلام سهام نقدهم نحو هذا النظام ، ناعتين الاسلام بانه اعتدى على اهل الذمة وغيرهم من الكفار حين سن نظام الجزية ، واثقل كاهلهم ، فصار كثير من اهل الذمة ينوء بحملها ..!

والعجيب كل العجب ، ان تنزل الى هذا المستوى الوضيع وتتردى فيه منظمة « اليونسكو » التي زعمت في موسوعتها ان الجزية التي فرضها المسلمون على اهل الذمة ، جعلت وضعهم مهينا واثقلت كاهلهم ، وان ازدياد انتشار الاسلام بين اهل الذمة ادى الى تناقص الدخل من ضريبة الجزية ، فاضطرت دولة الاسلام ان تضع ضريبة جديدة هي ضريبة « الخراج » !

ويعترف الكاتب ان ضريبة الخراج لم تكن خاصة باهل الذمة فقط ، بل كانت تشمل اهل الذمة وغيرهم ، الا انه يستدرك فيقول : ان ذلك الوضع الاجتماعي كان ضارا باهل الذمة ويزعم ان اهل الذمة اقبلوا على الدخول في الاسلام تخلصا من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليهم !

لقد اخطأ كثير من المستشرقين حين تحدثوا في هذه القضية ، لانهم اولا : لا يقرأون ما كتبه المسلمون ، بل ينقل الواحد منهم عن الاخر هذه الشبهات ، واذا اورد قسم منهم الخبر اورده مبتورا او محرفا ، اذ غايتهم الطعن في الاسلام ليس الا ، وليس الوصول الى الحقيقة !

تاريخ الجزية

عرف نظام الجزية منذ عهود قديمة : فكان متبعا في عهد سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ كما ورد ذلك في سفر الملوك .

وعرف لدى النصارى ، فكانت الجزية تدفع للبابوات مقابل حماية الرسول بطرس .. وعرفت الجزية في اليونان : فكان اليونانيون يفرضون ضرائب باهظة ينوء بحملها كثير من الناس في اسيا الصغرى ، وذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

اما الرومان ، فقد فرضوها على الامم التي فتحوها ، وهي تعدل سبعة اضعاف

الجزية في الاسلام . يقول الاستاذ محمد كرد علي ناقلا عن بعض المؤرخين وصف حكم الرومان للشاميين :

« وكثيرا ما كانوا ـ الشاميون ـ يبيعون ابناءهم ليوفوا ما عليهم من الاموال ، وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق » .

على ان الضرائب الرومية ، في مصر كانت عامة شاملة ، فهي تجبى على الرؤوس والصناعات ، كما تجبى على الماشية والارض . وليس ذلك فحسب بل كانت تجبى من المارة تجارا وغير تجار ، بل كانت تجبى حتى من اثاث المنازل ! وبلغ الجور والتعسف في الضرائب في هذه البلاد مبلغا كبيرا ، اذ تعدت الاحياء الى الاموات : فكان لا يسمح بدفن الميت الا بعد ان يدفع وليه ضريبة معينة ! يقول « الفردج بتلر » في كتابه « فتح العرب لمصر » على الصفحة ٤٧ :

« ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب اخرى كثيرة العدد .. مما لا شك فيه ان ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجري بين الناس على غير عدل » .

وقد عرفت الجزية ـ ايضا ـ في بلاد الفرس . واول من سن نظامها ورتب اصولها وجعلها طبقات كبرى « انوشروان » !

كما عرفت الجزية في بولونيا والدانمرك وانكلترا والمانيا والبرتغال ..!

الجزية في الاسلام :

الجزية في الاسلام ليست هدفا من اهداف الجهاد ولا دافعا من دوافعه ، بل قد تكون نتيجة من نتائجه واثرا من اثاره . يقول القرآن الكريم :

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة / ٢٩ .

فهذه الاية تأمر المسلمين بقتال اعدائهم اذا دعا ما يوجب الى ذلك : كأن يعتدي هؤلاء على المسلمين في اشخاصهم او اموالهم او ديارهم او يحيكوا المؤامرات ضد دولة الاسلام لفتنة المسلمين في دينهم او تعويق انتشار دعوة الاسلام وذيوعها !

ولقد أخطأ قسم من الناس فهم هذه الاية ، فتمسكوا بحرفية اللفظ ، وتناءوا بعيدا عن روح الشريعة الاسلامية في تفسيرها واخذها ، بل ابتعدوا ـ ايضا ـ عن هدى الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والخلفاء الراشدين في اخذها ، اذ الجزية لم تكن سوى وسيلة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم .. فلم تكن ضربا من ضروب التحكم والتسلط ، وانما هي دعوة حكيمة للايمان بالله ، واسلوب

حكيم تتفتح به الابصار المغلقة ، وتجدبه الراحة والطمأنينـة النفوس القلقة ، اذ يتعرف من يدفع الجزية على الاسلام : بعقيدته وشريعته واخلاقه وسماحته وعدالته وتراحم اهله وتعاونهم على المكرمات الناصعات والسجايا الرائعات ، وذلك حين يخالط من يدفع الجزية للمسلمين . وهكذا يتعرف غير المسلمين على الاسلام من خلال فرض الجزية عليهم . فهي اذن دواء لداء ، وعملية جراحية لاستئصال امراض قتالة ، واي مرض اشد خطورة من مرض التقليد الاعمى والمحاكاة البلهاء ، وعكوف المرء على ما وجد عليه اباءه من دين وعقيدة وعادات لا تتفق مع العقل وفطرة الله التي فطر الناس عليها ؟!

والمقصود باليد في قول الله تعالى : (**حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) هو الغنى والقدرة على دفعها : فلا تؤخذ الا ممن يقدر على ادائها كما يقول اهل اللغة ! والصغار في قوله تعالى : (وهم صاغرون) اي راضون بحكم الاسلام في سنه الجزية . وهكذا فسر الامام الشافعي الصغار . وفسره الماوردي بان يجري عليهم احكام الاسلام . فيكون معنى الاية : ان الله يأمر المسلمين ان يقاتلوا من استوجبوا القتال الى ان يعطي رجالهم المقاتلون الجزية عن سعة وقدرة على ادائها ، طيبة نفوسهم باعطائها . يقول الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

« واذا اخذ منهم الجزية اخذها باجمال ولم يضرب منهم احدا ، ولم ينله بقول قبيح ، والصغار ان يجري عليهم الحكم لا ان يضربوا ولا يؤذوا » .

على ان سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ حين نهوا عن التشديد في اخذ الجزية منعوا المناداة على املاكهم عوضا عنها . وكتب علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ الى بعض عماله :

« لا تبيعن لهم في خراجهم حمارا ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيفا » .

ومن تسامح المسلمين في قضية الجزية ان الذمي لو مات وعليه شيء منها ، فانه يعفى منها ، ولا يؤخذ من تركته شيء . يقول الامام ابو يوسف ـ رحمه الله ـ :
« ان وجبت عليه الجزية فمات قبل ان تؤخذ منه ، او اخذ بعضها وبقي البعض لم يؤخذ بذلك ورثته ، ولم تؤخذ من تركته » .

وتساهل المسلمون في اخذها كثيرا ، فاباحوا دفع النقود والدواب والسلع والمتاع بدل الدراهم ، بل كان علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ « يأخذ منهم في جزيتهم الابر والمسال ويحسب لهم من خراج رؤوسهم » .

وحين تؤخذ الجزية يمنح من يعطونها امانا على انفسهم واعراضهم واموالهم وحريتهم في اقامة شعائرهم التعبدية ، ويقوم المسلمون بالدفاع عنهم اذا اعتدى عليهم معتد . وهكذا تصان ارواحهم ، ويسكنون في دار الاسلام احرارا !

ولقد طور المسلمون مفهوم الجزية ، وجعلوها تدور مع العلة وجودا وعدما ، فان من استعان به المسلمون ، او اشترك في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية . اما حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « انا لا نستعين بمشرك » رواه احمد وابو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها فهو من الاحاديث الخاصة ، ذلك ان

الثقة لم تكن متوافرة اذ ذاك في غير المسلم . فلا يفهم من هذا الحديث اذن عدم انخراط غير المسلمين في الجيش على الدوام . والذي يدلنا على ذلك ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعان بقسم من المشركين في بعض معاركه : فاستعان بصفوان بن امية قبل اسلامه في حنين . ومما روي عنه - صلوات الله وسلامه عليه - قوله : « ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخاري . لهذا وغيره صرح جمهور فقهائنا - رضي الله عنهم - بجواز الاستعانة باهل الشرك !

على ان روايات كثيرة رواها الطبري عن سويد بن مقرن احد قواد عمر بن الخطاب ، وعتبة بن فرقد ، وسراقة بن عمرو عاملي عمر بن الخطاب ، والاحنف بن قيس .. ان كل واحد من هؤلاء كتب لاهل مدينته كتابا وضح فيه ان من لا يدفع الجزية ينخرط مع المسلمين في الجيش ويقاتل اعداء الله ، فتسقط عنه الجزية . وقد كتب سويد بن مقرن لرزبان واهل دهستان كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان واهل دهستان وسائر اهل جرجان :

ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم . ومن استعنا به منكم ، فله جزاؤه في معونته عوضا من جزائه . ولهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم . ولا يغير شيء من ذلك .. » كتب سنة ثماني عشرة .

وكتب عتبة بن فرقد معاهدة مع اهل اذربيجان جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب امير المؤمنين اهل اذربيجان : سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها واهل مللها كلهم الامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم ، على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم . ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه من الدنيا شيء . لهم ذلك ولمن سكن منهم .. ومن حشر منهم في سنة « ارسل لميدان القتال » وضع عنه جزاء تلك السنة . ومن اقام فله مثل ما لمن اقام من ذلك . ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه . كتبت هذه المعاهدة سنة ثماني عشرة .

اما البلاذري فيقول :

« ان ابا عبيدة بن الجراح صالح السامرة بالاردن وفلسطين ، وكانوا عيونا وادلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم واطعمهم ارضهم » .

وذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢ عن حادث ملك شهر يراز الذي قال للامير من وجهته :

« انا اليوم منكم ويدي مع ايديكم .. وبارك الله لنا ولكم . وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ، فقبل منه ذلك » .

وهذا يشبه في عصرنا الحاضر المعاهدات التي توقع بين دولتين مستقلتين

وتسمى بمعاهدات الصداقة الدائمة ، وتتعهد كل من الدولتين بانجاد الدولة الاخرى من اي اعتداء كان لاجل محدود او غير محدود !

ونجد معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنه ـ قد اعطى العهد الى الارض . وفيه ترك لهم دينهم ، وان لا يدفعوا الجزية ثلاث سنين ، وبعد ذلك اذا رغبوا بدفع الجزية دفعوا منها ما شاءوا ، والا اعدوا خمسة عشر الف مقاتل ليعاونوا المسلمين وليدافعوا عن الارض . فاذا هاجمهم الروم تعهد معاوية بامدادهم بما يحتاجونه من نجدات !

والذي يدلنا على ان الجزية تؤخذ مقابل حماية أهل البلاد المفتوحة ، ودفع العدوان عنهم ، فاذا عجز المسلمون عن ذلك ردوا الى اهل البلاد ما اخذوه منهم من جزية ما جاء في معاهدة خالد بن الوليد لاهل بانقيا وبسما ، وهذه هي المعاهدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه .

اني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد ببانقيا وبسما جميعا على عشرة الاف دينار سوى الخرزة : القوي على قوته ، والمقل على قدر اقلاله في كل سنة .. فلك الذمة والمنعة .. فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم » كتبت سنة اثنتي عشرة في صفر .

وكذلك كان امر ابي عبيدة في فتوح الشام . يقول توماس ارنولد :

« كما ان ابا عبيدة قائد العرب في فتوح الشام عندما علم بان هرقل قد جهز جيشا لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد الجزية الى اهلها ، وكتب للناس « انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » .

ممن تقبل الجزية .

ذهب الاوزاعي والثوري وفقهاء الشام والمالكية على المشهور من مذهبهم ان الجزية تؤخذ من كل كافر ، عربيا كان او اعجميا ، من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام والاوثان . وهذا ما رجحه ابن قيم الجوزية حيث قال :

« ولم يفرق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خلفاؤه في الجزية بين العرب والعجم ، بل أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نصارى العرب واخذها

من مجوس هجر وكانوا عربا » .

وهذا الرأي اقرب من الرأي الذي ذهب اليه الشافعية والحنابلة والظاهرية والامامية اذ قالوا : ان الجزية لا تؤخذ الا من اهل الكتاب والمجوس !

والذي يجعلنا نميل الى الرأي الاول اننا لو لم نقبل الجزية من غير اهل الكتاب والمجوس لادى ذلك الى اجبارهم على الدخول في الاسلام والقرآن الكريم يقول :

(لا إكراه في الدين) البقرة /٢٥٦

شرط عقد الذمة :

اشترط فقهاؤنا ـ رضي الله عنهم ـ لعقد الذمة المؤبد شرطين :

١ ـ ان يلتزم الذمي بدفع الجزية اذا كان قادرا على دفعها .

٢ ـ تترك دولة الاسلام من عقدت له الذمة وما يدين به ، وتترك له امواله وما يعتقد ، كما تترك له قوانينه في الاسرة : من الزواج والطلاق والنسب فيتبع ما تعارف عليه اهل دينه !

ونستطيع ان نقول : ان الاسلام ضمن لمن يقيم بديار المسلمين اقامة دائمة من الحقوق ما لا نجد مثله في عصرنا الحاضر : ذلك ان من يقيم في إنكلترا وفرنسا ـ مثلا ـ ويتجنس بجنسية هذا البلد او ذاك تسرى عليه احكام ذلك البلد في الاسرة . فاذا تزوج باكثر من واحدة ، يعتبر زواجه باطلا ، وقد يحال الى المحاكمة بسبب هذه الجريمة المزعومة ! واذا طلبت الزوجة النفقة من زوجها ، فلا تنظر المحكمة في قضيتها ، لان هذا الزواج باطل عندهم ، على حين نجد فقهاءنا ، رضي الله عنهم ، قالوا : ان المجوسي اذا تزوج ابنته في بلادنا ، ورفعت البنت امرها الى القاضي المسلم تطلب النفقة فان على القاضي ان يقضي بالنفقة من غير ان ينظر الى العقد : اصحيح هو ام باطل ؟!

وعندما يدفع الانسان الجزية يكون كالمسلم في واجب الدولة في الدفاع عنه ، وفك رقبته ، فقد روي ان قطلوشاه امير التتر اغار على دمشق في اوائل القرن الثامن الهجري واسر من المسلمين واهل الذمة من اسر ، ففاوضه الامام ابن تيمية في ذلك ، فوافق قطلوشاه ان يفك اسرى المسلمين فقط ، لكن الامام ابن تيمية ابى الا ان يفك اسرى المسلمين واهل الذمة ، وكان مما قاله شيخ الاسلام في هذا :

« لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ، ولا ندع لديك اسيرا ، لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة ، فان لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، فأطلقهم الامير التتري جميعا . »

الزكاة والجزية :

تؤخذ الزكاة من المسلم بنسبة ٢,٥٪ عن نقوده ، ويدفع زكاة الغنم والبقر

والابل .. بنسب اخرى مبينة في كتب الفقه الاسلامي ، ولا يعفى القادر على الاداء من الزكاة ، والامام يحارب من يمتنع !

وقد حددت مصارف الزكاة تحديدا دقيقا في قوله تعالى :

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة / ٦٠

وتنفق الزكاة على المسلمين وغيرهم : فينفق بعضها في المرافق العامة ، ويستفيد من ذلك غير المسلمين - ايضا - وفسرت كلمة (المساكين) في اية مصارف الزكاة : بالذين لا يملكون ما يكفيهم . اما (المؤلفة قلوبهم) فقد فسرها كثير من العلماء بغير المسلمين تتألفهم دولة الاسلام لترغبهم الى الدخول في الاسلام ، او لتتقي شرورهم !

ويستفيد دافع الجزية من زكاة المسلمين حين تدفع بعض اموال الزكاة في اعداد الجيش الذي يدفع عن الامة : مسلمين وغير مسلمين !

ومع ذلك كله ، فان من يدفع الجزية لا يدفع سوى نسبة ضئيلة ، تتناسب مع حالة كل فرد : فالموسر يدفع ثمانية واربعين درهما ، ويدفع الوسط اربعة وعشرين درهما ، اما الفقير ، فلا يدفع سوى اثني عشر درهما فقط . ويعفى من هذه الضريبة من لا يقدر على القتال : كالاطفال والنساء والعميان والمقعدين والمعتوهين والرهبان والعبيد ..

وبدفع هذه النسبة الضئيلة تثبت عصمة دمه وماله . فهي في مقابل خدمتهم العسكرية في جيش المسلمين ، ومقابل حمايتهم من اي اعتداء خارجي كان . فاذا عجز المسلمون عن حمايتهم والدفاع عنهم يردون اليهم ما اخذوه منهم من جزية !

على ان من يدفع الجزية اذا افتقر يعفى من دفعها ، وتجرى له مساعدات من بيت مال المسلمين هو وعياله . ومما كتبه خالد بن الوليد لاهل الحيرة . « ايما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته افة من الافات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام . » .

وكتب والي العراق الى عمر بن عبد العزيز يخبره ان اموالا كثيرة قد اجتمعت فامره ان يوسع بها على المسلمين . فكتب اليه ان قد فعل ، ولا تزال عنده اموال كثيرة ، فامره ان يزوج ابكار النساء ابكار الرجال . فكتب اليه ان قد فعل ، وبقي مال ، فكتب اليه ان يقوي اهل الذمة على العمارة ..!

على ان دولة الاسلام تأخذ من المسلم زكاة ماله مبلغا كبيرا ان كان موفور الغنى ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ما ذكرته ، وهي نسبة قليلة جدا .. فلو ان مسلما وذميا ملك كل واحد منهما مليونا من الدراهم ، فتأخذ دولة الاسلام من

المسلم ربع العشر اي خمسة وعشرين الف درهم ، بينما لا تأخذ من الذمي الا ثمانية واربعين درهما فقط !

الفضل ما شهدت به الاعداء :

قال سير توماس . و . ارنولد :

« ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين ، كما يريدنا بعض الباحثين على الظن ، لونا من الوان العقاب لامتناعهم عن قبول الاسلام ، وانما كانوا يؤدونها مع سائر اهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة .. في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين . »

وقال ـ ايضا :

« ومن الواضح ان اي جماعة مسيحية كانت تعفى من اداء هذه الضريبة اذا ما دخلت في خدمة الجيش الاسلامي . وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة ، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار انطاكية ، سالمت المسلمين ، وتعهدت ان تكون عونا لهم ، وان تقاتل معهم في مغازيهم ، شريطة الا تؤخذ بالجزية ، وان تعطى نصيبها من الغنائم . ولما اندفعت الفتوح الاسلامية الى شمال فارس في سنة ٢٢هـ ، ابرم مثل هذا الحلف مع احدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد ، واعفيت من اداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية » .

وقالت الاستاذة (لورا فيشيا فاغليري) :

« منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة ، وتقاليدها القديمة ، شرط ان يدفع الذين لا يرتضون الاسلام دينا ضريبة عادلة الى الحكومة تعرف بالجزية . لقد كانت هذه الضريبة اخف من الضرائب التي كان المسلمون ملتزمين بدفعها الى حكومتهم نفسها ، ومقابل ذلك منح اولئك الرعايا « المعروفون باهل الذمة » حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الاسلامية نفسها . ولما كانت اعمال الرسل والخلفاء الراشدين قد اصبحت فيما بعد قانونا يتبعه المسلمون ، فليس من الغلو ان نصر على ان الاسلام لم يكتف بالدعوة الى التسامح الديني ، بل تجاوز ذلك ، ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية » .

وبعد :

فاين نظام الجزية في الاسلام مما فرضته بعض المعاهدات في عصورنا المتأخرة ، اذ فرضت معاهدة « فرنكفورت » ان تدفع فرنسا غرامة مقدارها خمسة مليارات من الفرنكات الذهبية ؟

بل اين نظام الجزية في الاسلام من نظام « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » حيث تقوم الدولة المنتصرة بفرض شروطها من طرف واحد للصلح ، من غير ان يكون للدولة المغلوبة رأي في ذلك ؟!

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

مسجد البصرة

- ١ -

يحتاج مسجد البصرة الى كتاب برأسه ، فقد قدر لهذا البلد الطيب أن يكون المصدر الأول للحركة العلمية في أزهى عصور العربية ، وكان علماؤه لا يقتصرون على البحوث الدينية ، بل يتكلمون في كل ما يتجه اليه العقل من علوم ، بحيث كانت ساحة المسجد الممتدة مدرسة ذات فصول ، والفصول هي الحلقات المتنوعة في المسجد ، فحلقة للنحو ، وحلقة لعلم الكلام ، وحلقة للفقة ، وحلقة للتفسير ، وحلقة للوعظ والقصص ، وحلقة للتاريخ والأخبار ، والناس يعرفون جميعا دسامة هذه الحلقات ويخفون اليها من كل صوب ، بل ان الرشيد على جلالة قدره كان يتنكر في بعض الملابس والأزياء ليشاهد بعض المصاولات الفكرية في البصرة على حالها الطبيعي دون افتعال ، وكذلك فعل المأمون اذ اخذ يصطحب القاضي يحيى بن أكثم إلى حلقات المعتزلة بالبصرة ، لينعم بلذة الصيال الفكري حين يرى رأيا يصول على رأي ، وحجة تقرع حجة ، والناس واعون متيقظون كأنما يسمعون لأول مرة كتاب الله .

وقد انتشرت سمعة المسجد البصري الجامع في العهد الأموي وكان لعهده الأول يقتصر على دروس الفقه والوعظ ، ثم اتجه الى دروس اللغة والنحو حين أخذ

والخليل بن أحمد

للدكتور/محمد رجب البيومي

عبدالله الحضرمي يقرأ العربية على طلابه ، وقد خطأ كبار الشعراء ومنهم الفرزدق ، فثار عليه الشاعر وهجاه بأبيات منها قوله المشهور :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

وتوالت دروس أبي عمر بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، تقيم للعربية مجدا شاهق الأوج رفيع العماد .

وكان للحسن البصري مجلسه العلمي الرائع ، وفي حلقة درسه نشأ الاعتزال حين خاصمه تلميذه واصل بن عطاء ، واعتزل مجلسه الى مجلس آخر ، وتابعه في اتجاهه عمرو بن عبيد ، واشتد اللجاج فكثرت المعتزلة ، وظهر من رءوسها في المسجد الجامع أبو هذيل العلاف والنظام ، ومهما قيل في الاعتزال من نقد ، فان أعلامه الكبار هم الذين تصدوا للزنادقة والملاحدة ، وهم الذين حاربوا أعداء الاسلام بمنطق العقل فكشفوا عوارهم ، وكان اعتزازهم بالعقل مبعث نهوض فكري لم يقف عند العقيدة وحدها ، بل امتد الى كل بحث علمي .

وبذلك أصبح الفكر الاسلامي ذا ثروة رائعة نقف عليها اليوم فيما كتبه السابقون من تراث يصور أوجه الخلاف بين الفرق المتصارعة ، ولا يعيي صاحب العقل البصير أن يتجه الى ما يرتضيه من الآراء ، مقدرا وجهة نظر المخالف تقديره لوجهته التي يميل اليها ، وفي ذلك من سعة الصدر ورحابة الأفق ما يجب أن يكون على مدى الحياة .

على أن مجالس الوعظ والقرآن بالمسجد الجامع بالبصرة كانت أشد جذبا للعامة من رواد الحلقات ، اذ لا يصبرون على عمق الجدل الكلامي ، وتشعب مراميه ، وقد اشتهر بالقصص التهذيبي ، والوعظ الديني نفر كبير منهم أبو ذر الهمذاني الذي قال عنه الجاحظ : ما سمعت أبا ذر يعظ الناس إلا خيل الي أنه قد نفخ في الصور وقام الناس لرب العالمين ، وما سمعت أحدا يقلده عن غير بصر الا تمنيت أن يمشق بالسياط تسعين !

أما القاضي ابن سيار الأسواري فقد كان عجيبة العجائب حقا ، يقول عنه الجاحظ : ان فصاحته بالفارسية كانت تعدل فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلس وعظه فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن شماله ، فيقرأ الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ، وللفرس بالفارسية ، فلا يدري العالم باللغتين معا بأي لسان هو أبين ، وزميله الذي يجاوره في الحلقة عمرو بن قائد لا يقل مكانة عنه ، وقد قضى ستة وثلاثين عاما يفسر كتاب الله ، مبتدئا بسورة البقرة ، ومضى عليه هذا الأمد الطويل دون أن يختم القرآن تفسيرا .

وكان عراك النحاة واللغويين لا يقل روعة عن عراك سواهم من المتكلمين ، فكثيرا ما اصطدم الأصمعي بأبي عبيدة في حلقات المسجد الجامع ، وكانت الغلبة في الظاهر للأصمعي لأنه حسن المنطق ، فصيح المخارج ، بارع الفكاهة ، ولكن الذين يدققون في صميم الحوار ويتعمقونه يعرفون عمق أبي عبيدة وبعد غوره ، وان صد عنه تلكؤ لسانه وضعف بيانه أثناء الجدل .

وقد خاصم الأصمعي سيبويه في بعض المسائل ، وانتصر عليه بلباقته المعهودة حين أخذ يشقق الحديث ، وينتقل من فن الى فن ، ولكن الأصمعي نفسه كان يدري أنه يخدع السامعين دون أن يصيب المقتل من صاحبه ، وفيما رواه ياقوت الحموي عن الأصمعي اعتراف صريح يدل على أنه يعرف منزلة من يناظرهم ، ويعلم أنهم يصيبون إصابة لا تحتاج الى اللجاج لو لا ما منيت به النفس البشرية من حب الانتصار وزهو الغلبة .

قال ياقوت : قال أبو حاتم الجستاني : فقلت له ـ أي الأصمعي ـ في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل ، فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه في المناظرة ، فقال : والله ، لولا أني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك ، إنه عرضَ عَليَّ شيء من الأشياء التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسرتها على خلاف ما فَسّر فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال : لا ناظرته إلاّ في المجلس الجامع ، فصليت يوما في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد ، فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما

الذي أنكرت من بيت كذا ، وبيت كذا ، ولم فسرت على خلاف ما يجب ، فقلت له : ما فسرت الا ما يجب ، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ ، تسألني وأجيب ، ورفعت صوتي ، فسمع العامة فصاحتي ، ونظروا الى لكنته ، وقالوا : غلب الأصمعي سيبويه ، فسرني ذلك ، فقال لي : اذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني لم ألتفت الى قول هؤلاء ، ونفض يده في وجهي ومضى ».

وهذه القصة وان صورت جموح الأصمعي وشهوة الزهو لديه فانها تصور أيضا اعترافه بالحق لأبي حاتم ، وتقديره القوي لرأي سيبويه ، كما تصور في الوقت نفسه عظمة سيبويه حين لم يعبأ بمدح العامة أو ذمهم ، بل قال قوله عن يقين في صحته ، بل عن يقين في أن الأصمعي يعلم أنه مصيب ، ولكنه يأبى أن يتراجع ! فسيبويه في مجال التقدير العلمي أوفى كيلا من صاحبه .

واذا كان الشعراء في صدر العصر العباسي يؤمون هذه الحلقات فانهم لا محالة قد تأثروا فكريا بالمتكلمين ، وأخذت أفكارهم تعمق ومعانيهم تغزر بالاستماع الى هذه المجادلات الدقيقة ، وفيهم من بالغ في ذلك مبالغة اشتهر بها ، يقول الدكتور محمد طه الحاجري .

« وقد كان من أثر اتصال الشعراء بالمتكلمين وأخذهم عنهم « في مسجد البصرة » أن جعلنا نرى فيهم من اصطبغ شعره بالصبغة الكلامية ، فعرف بهذا اللون من الشعر كأبي عبد الرحمن العطوي ، وهو شاعر بصري المولد والمنشأ ، وقد ذكره محمد بن داود في كتاب الشعراء ـ على ما ينقل عنه أبو الفرج ـ قال : كان له فن من الشعر لم يسبق اليه ، وذهب فيه الى ما ذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخف شعره على كل لسان ، وروى ، واستعمله الكتاب ، وأخذوا معانيه وجعلوه إماما ».

ونختار من أساتذة هذا المسجد الجامع شخصية الخليل بن أحمد فنعرف به على ايجاز وانه الشهير الجهير .

ـ ٢ ـ

قيل إنه لو اختير عبقريان من علماء الاسلام لكان أحدهما الخليل ، دون نزاع ، كما قيل لن يجوز على الصراط بعد الأنبياء من هو أدق ذهنا من الخليل . وهما قولان يجدان مبررهما من واقع الخليل العلمي لأن جهده في شتى ميادين العربية كان من الدهشة والعجب بحيث جاز لدارسيه أن يقفوا أمامه مبهورين .

تلقى الخليل بن أحمد العلم في مسجد البصرة على أساتذة كبار منهم عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، ولكنهما بالقياس اليه في منطق العلم الموازن ذوا جهد متواضع ، لأن الخليل مع عبقريته الساطعة قد كافح وجالد وترك البصرة الى بوادي الأعراب ، ولم يسمع شيئا من العلم الا ناقشة وأبدى رأيه فيه تفنيدا أو تأييدا ، وقد ذهب الى البادية وجمع ما استطاع جمعه من ألفاظ الأعراب ، ومواد اللغة ، وكان السابق الى تدوين أول معجم لغوي عرفته العربية ، وقد جعل يقابل

فصحاء اللغة في مواسم الحج بمكة عدة سنوات ، ليقارن ما جمعه بما عند الفصحاء ثم رسم الخطة لوضع معجم يشمل المهمل والمستعمل معا فاحتوى على نحو من ١٢,٣٠٥,٤١٢ كلمة عربية بعضها مستعمل وأكثرها مهمل . وقد حدا به الى تدوين المهمل ما منحه من تفكير عقلي دقيق ، لأنه كان يجيء بالفعل فيذكر الاحتمالات في حروفه كلها ضما وفتحا وسكونا ، ثم يقلب اشتقاقه على شتى وجوهه فتأتي صيغ كثيرة منها المهمل والمستعمل ، فيقول عن كلمة واحدة هذه مما استعمله العرب وعن أخرى هذه مما لم تستعمله . ثم أضاف في مجال الاستشهاد على ما نطقت به العرب كثيرا من درر الشواهد ، ونوادر الفرائد ، وعجيب القواعد مما يعز وجوده في معجم غير معجم العين ، وقد نسب هذا المعجم الى تلميذه الليث ، وكل ما في هذا النسب أن الليث سمع أستاذه ودون قوله وزاد عليه في حدود منهجه الذي قرره ، ولسنا نبخس الليث فضله ، ولكن النزاهة العلمية تقول إن احضار الأرض واعداد أدوات البناء ، وتشييد القصر كله من عمل الخليل دون نظر الى لبنات جديدة وضعها تلميذ أو تلميذان في عدة جدر من جدران البناء ! وقد بدأ الخليل معجمه بالعين ولم يبدأ بالهمزة كما فعل غيره من بعده لأنه رأى هذا الحرف مما يلحقه النقص والتغيير والحذف ، ولم يبدأ بالألف لأنها لا تكون كلمة في الابتداء ، ولا تكون في اسم أو فعل الا زائدة أو مبدلة ، أما العين فهي أنصع الحروف فخصت بالابتداء ، وهناك كتاب يسمى فائت العين ينسب للخليل ، وليس له ، لأنه لو ذكر الفائت لوضعه في مكانه في النسخة التي يقرؤها لطلابه ، كما هي عادة العلماء ! ولا بد أن عالما لغويا كبيرا استدرك على الخليل بعض ما استعمل من ألفاظ لم تذكر في « العين »، وليس ذلك بمستغرب ، فقد قال الامام الشافعي في « الرسالة » لا يحيط بكلمات اللغة العربية بشر الا أن يكون نبيا !

أما كتاب سيبويه الشهير فمن وحي الخليل أستاذه ، لأن الخليل بعقله العلمي قد جاز بالنحو حد الرواية الى ضبط الأصول ، وبسط الفروع ، واستخراج العلل والأسباب ، ولو تفرغ للنحو وحده لكان قد اهتدى الى أكثر مما اهتدى اليه ، وبعض الناس يقيمون معركة في غير ميدان ، فيذهب أحدهم الى تجريد سيبويه من كل فضل ، ونسبة الفضل في الكتاب كله إلى الخليل ، وبعض آخر يذهب الى أن الخليل أستاذ سيبويه حقا ، ولكنه يشرح النحو دون تأليف ، فألف سيبويه كتابه من جهده وحده ، وكلا الفريقين جانح عن الحقيقة موغل في الخطأ ، فأثر الخليل في سيبويه واضح ، واذا وجد في الكتاب قول سيبويه : « سألته » أو : « وقال » فالضمير راجع الى الخليل وحده ، فما ظنك بمن يسأله سيبويه وينتظر اجابته ! الحق أننا نضع الحق في نصابه حين نقول ان الكتاب بتوجيه من الأستاذ للتلميذ ، وأن التلميذ كان له جهد يكافىء جهد الأستاذ ، وكلاهما في النحو ذو مقام عظيم .

ونأتي الى عجيبة العجائب حقا ، وهي ابتداع الخليل علم العروض ابتداعا على غير سابق مثال ، وتفرده وحده لا شريك له بانشاء علم عربي كامل تام ، اذا صرفنا النظر عن بحر استدركه بعده المستدركون !! ونحن نعرف أن كل شيء مبتكر في

العلم أو الفن يكون مظنة التعثر ، والأخذ والرد ، ويكون نواة يضعها المبتكر الأول في الأرض الجديدة ثم تتوالى الأيام عليها بتوالي الباحثين سقيا ورعيا وتسميدا وتهوية حتى تنشق الأرض عن الغصن الأخضر ، وينمو الجذع والساق ، وتهتدل الفروع ، وتنضج الثمار ! هذا هو المعهود في دنيا العلم ، أما أن يكون العروض دوحة فينانة مثمرة ممتدة نشأت في أرض الخليل وحده وبمعونته رعيا وتهوية وريا وتشذيبا ، قد بسقت غصونها ، وامتدت ظلالها وجاءت بأشهى الثمر ! أما أن يكون دوحة العروض الوارقة المثمرة كلها من صنع الخليل وغرسه ، فهذا هو الشيء الذي لا ينتهي منه عجب ذوي العقول .

يقول حمزة بن الحسن الأصبهاني .

« ان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم ـ التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول ـ من الخليل بن أحمد ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض ، الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة ، لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا ، وذلك في اختراعه هذا العلم ، وفي تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم امداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام ».

لقد رأى الخليل فاشية اللحن على أيدي الموالي . وشاهد من ضعف السلائق ، وبلبلة الألسنة ما خشي معه على الشعر رواية وانشاء . فأخذ يجمع شعر العرب من كل فج ليجعله طوائف وشيعا ، وليخص كل طائفة بوزن معين تنتمي اليه مئات القصائد ، فاتخذ أصولا ، ووضع لكل أصل تفعيلات متميزة يعرف بها ، وانتهت الأصول الى خمسة عشر أصلا سماها بحورا ، وجعل لكل بحر اسما يناسبه ، وقد أخذ يستخفي عن الأنظار وهو يقطع الأبيات على ما اخترعه من الأوزان ، فيذكر فعولن مفاعيلن متفاعلن ، ويكرر ذلك تطبيقا لما يحضره من الشاهد ، وقد رآه أحد أولاده يقطع الأبيات ، وينطق بالوزن العروضي فدهش وحسب أباه مجنونا ومضى ليخبر أسرته ، ولكن الخليل ابتسم لما علم وقال في عطف :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني	أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني	وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وللخليل بن أحمد جهد معلم في شكل الحروف على نمطها المتعارف الآن ، اذ أن الخط العربي كان في صدر الاسلام خلوا من الشكل والاعجام ، فجاء أبو الأسود ليجعل النقط ضبطا للحروف ، فعلامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة تحته ، وعلامة الضمة نقطة وسطه ، وجعل التنوين نقطتين ، ثم جاء نصر بن عاصم ، فأعاد النظر الى الخط بتوجيه من الحجاج بن يوسف فأشار بنقط الاعجام بعد أن كانت الحروف كلها مهملة ، فوضع نقطة تحت الباء ونقطتين تحت

الياء وواحدة فوق النون واثنتين فوق التاء ، وثلاثة فوق الثاء وهكذا ، فاختلط نقط الشكل بنقط الاعجام ووقع الناشئون والكبار أحيانا في لبس مما يقرءون ، ولكن الله عز وجل هدى الخليل بن أحمد الى أن يميز بين الشكل والاعجام ، فجعل النقط للاعجام وحده ، أما الشكل فوضع له ما نعرفه الآن من علامات الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة للمضعف ، والشرطتين للتنوين ، وجعل للهمزة رأس عين « ء »، فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات هي : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة حرف « صـ » والمدة ، وترك كتابا يتضمن ذلك فلم يزد أحد عما فعل .

ومع هذا العلم الرفيع ، والاختراع المدهش فان الخليل كان متواضعا كل التواضع لم يفخر على أحد بما أحدث ، مع أن من يقرءون كتبه يفخرون تائهين لأنهم استطاعوا قراءتها فقط ، وعدوا أنفسهم بها علماء كبارا يشار اليهم بالبنان ، وقد تباعد عن الرؤساء فلم يتصل بخليفة أو وزير ، لأنه جعل العلم وجهته فقاسى من مشقات العيش ما كان يجب أن يمهد له تلقائيا ليفرغ الى مجهوده الضخم العملاق ، وقد عاش حتى رأى تلاميذه في حياته يتكسبون بعلمه ، ويعلمون الناس بما وعوا عنه درسا وتأليفا ، فتساق لهم الهدايا ، وتفرق عليهم البدر ، وتكال اليهم المناصب ، وهو مقيم بكوخ صغير من أكواخ البصرة ، فاذا غلبته نفسه ، وللنفس غلبة في أحيان الضيق ، تعزى بما يحفظ من روائع الحكم قرآنا وحديثا وشعرا ، وأخذ ينشد قول الأخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد   ذخرا يكون كصالح الأعمال

وقد أدرك حالته المتقشفة بعض الولاة من أبناء المهلب بن أبي صفرة ، فأجرى له راتبا ، وكان واليا على فارس والأهواز وأرسل اليه يستدعيه ، فأحس الخليل أنه منصرف لا محالة عما هو بصدده من معالجة شئون العلم نحوا وعروضا ولغة وموسيقى ، فرد عليه بقوله :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة   وفي غنى غير أني لست ذا مال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه   ولا يزيدك فيه حول محتال

وكانت وفاة الخليل فجأة بمسجد البصرة ! هذا المسجد الذي شهد فتوحه العلمية قد قدر عليه أن يشهد مصرعه بل مصرع أنبغ من شاهد من العلماء ، اذ يذكر المؤرخون أن الخليل بن أحمد دخل المسجد وهو يفكر في اختراع نوع من الحساب تذهب به الجارية الى التاجر فلا يظلمها ، فصدمته سارية « عامود » من سواري المسجد فشجت رأسه وسقط مغشيا عليه ، فعجلت هذه الصدمة القاسية بوفاته رحمه الله ، وإن أجل الله اذا جاء لا يؤخر .

بأقلام القراء

لغتنا العربية

كتب الأخ / الحسيني محمد عبد الرحمن – من الأردن – حول هذا الموضوع يقول : –

الحديث عن اللغة العربية لا ينبغي ان ينتهي .. بل لا بد ان يأخذ طابع الاستمرارية .. طالما اننا نحيا بها وتحيا بنا ..

لقد جعلها الله سبحانه وعاء لكتابه المجيد : « **إنا جعلناه قرآنا عربيا** » ... كما انها وعاء لعلوم الدين كلها من تفسير ، وفقه ، وتوحيد ، وغيرها ..

وهي لغة حديث رسولنا العظيم – صلى الله عليه وسلم – الذي أوتى جوامع الكلم ..

وهي التي تحوي كنوز تراثنا العلمي والأدبي .. ذلك التراث الذي نفخ الروح في هذه الأمة قديما فسادت الدنيا كلها ..

ولقد افاض كثير من الكتاب في الحديث عن العلل التي اصابت لغتنا .. والعى الذي اصاب ألسنة المتحدثين بها ... فأصبحت لغة غريبة بين قومها .. لا تلقى منهم عناية ولا اهتماما ..

والأسباب واضحة لا تخفى على احد ..

وقد يكون كلامنا معادا اذا قلنا ان الشباب في كل دولنا العربية تقريبا يرى ان الوظائف المرموقة وفرص العمل المربحة هي غالبا من نصيب اولئك الذين يجيدون لغة اجنبية او لغتين ..

اما الذين يجيدون اللغة العربية فأصبح مكانهم في الصفوف الخلفية ..

وصارت النصيحة المتداولة على ألسنة كثيرة موجهة للنشء تقول لهم : أتقنوا لغة اجنبية تفوزوا بالخير والفلاح .

اما الذين يدرسون اللغة العربية في المعاهد والجامعات فانهم – وهذا شيء محزن – جرفتهم الاقدار الى هذا المصير الذي لم يرغبوا فيه .. اذ ان اكثرهم من اولئك الذين تلفظهم الكليات العملية كالطب والهندسة وغيرها ..

وقد نتج عن ذلك ان نشأ جيل من مدرسي اللغة العربية لا يكاد يحسن نطق جملة واحدة .. اذا قرأ احدهم القرآن تعتع فيه وأعوج لسانه .. والشعر الذي تحسبه لؤلؤا منثورا ..

اذا أنشده أحدهم ذهب برونقه وروائه .. فلا تكاد تحسبه شعرا او حتى نثرا مقبولا .. هؤلاء هم الأمناء على أجيالنا .. والقائمون على تأديبها وتقويم ألسنتها ..

★ ★ ★ ★

اما وسائل اعلامنا فيبدو ان الحديث عنها اصبح كلاما لا غناء فيه ..

وكأني بالقائمين عليها لا يعنيهم ان تكون لغة اجهزتهم لغة عربية سليمة او غير سليمة .. لا يعنيهم ذلك في شيء طالما ان ما يريدون توصيله للناس يصل اليهم بأية صيغة كانت ..

★ ★ ★

وان نسيت فلا أنسى ابدا الخطباء .. وخاصة خطباء المساجد ، فقد سمعت بعضهم وهو يخطب يغم عليه بدهيات في اللغة .. ورغم كل هذا فأنني لا ارى الاصلاح عسيرا وأعد من خطواته ما يأتي :

١ - ان يبدأ تقويم اللسان من الصغر ، وذلك بالاهتمام الجاد بمدارس تحفيظ القرآن الكريم .. او التي تسمى في بعض البلاد : الكتاتيب .. ذلك لان حفظ القرآن الكريم منذ الصغر هو الحليب الذي اذا رضعه الطفل اكتسب مناعة ضد اعوجاج اللسان ..

٢ - انشاء مجمع لغوي على مستوى الدول العربية كلها .. لا تكون مهمته قاصرة على نحت الالفاظ .. وانما يتولى - بما يتاح له من وسائل - حماية لغتنا من التبذل والانحطاط .. واحياء تراثنا اللغوي الهائل وتنشئة اجيال قادرة على التحدث باللغة العربية الناصعة ..

٣ - ان تكون لهذا المجمع اذاعة وصحيفة يشرف عليها ويؤدي من خلالهما رسالته ..

٤ - ان يضاف بند الى مواثيق الشرف الاعلامية في الدول العربية ينص على ان التفريط في التحدث او الكتابة باللغة العربية السليمة يعد اخلالا بهذه المواثيق ..

٥ - ان يوضع المتحدثون بلغتنا الجميلة في موضعهم السليم .. فلا يحرمون من الوظائف والمناصب الهامة بينما تعطى لغيرهم ممن يجيدون لغات اجنبية ..

٦ - ان يدرك كل من له اهتمام بالثقافة الاسلامية ان بين علوم اللغة العربية وعلوم الدين رباطا وثيقا جدا ، فهما

كشقي المقص .. وان من يقرأ في علوم الدين ويهمل القراءة في علوم اللغة فقد فاته خير كثير .. ولم يعرف تاريخ امتنا عالما تبحر في علوم الدين الا وكان - بنفس القدر - متبحرا في علوم اللغة ..

٧ - ان يدخل كليات اللغة العربية من يعشق لغتنا الجميلة او على الأقل من لا يبغضها ..

٨ - المجلات الاسلامية لا تكاد تولي اللغة العربية شيئا من الاهتمام ..

صحيح ان ما ينشر فيها يلتزم الاسلوب اللغوي السليم .. لكن هذا وحده لا يكفي ..

اذ كيف لا تنشر هذه المجلات شيئا من بديع تراثنا اللغوي ؟. ثم كيف لا تهتم بتصحيح الاخطاء اللغوية الشائعة ؟ ولماذا لا ينشر فيها القدر الكافي من الموضوعات التي تناقش موضوعات تتعلق باللغة العربية وآدابها .. الى غير ذلك مما يعرفه القائمون عليها اكثر مما يعرفه مثلي ..

أخيرا فاني اكرر .. الاصلاح ليس عسيرا .. اذا أردناه ..

عدو العرب والاسلام

كتب الشيخ / علي احمد الحاوي - من مصر العربية - تحت هذا العنوان يقول شعرا :-

بيجن ربيب الحقد والأسقام ... قد ظل دوما مدمن الإجرام

كم من قبيح سافر يحلو له ... غر يعيش بأسوأ الأح[illegible]م

كم من بلاء وافتراء حاكه ... بيجن عدو العرب والإسلام

صهيون في صلف وحلم زائف ... متخبط في [illegible]نة وظلام

عقل الصهاينة القرود عقيدة ... قامت على الس[illegible]ات والإرغام

لا يؤمنون بمبدأ او قيمة ... وفقا لأخلاق [illegible]كر سامي

قد صدعوا الأقصى بكل بلية ... بين اعتداء وا[illegible]ام دامي

موجات صهيون بآمال تندت ... في جنة الأطما[illegible] والأوهام

فكر عقيم مفلس متعفن ... ويضيق بالأعراف والأفهام

هذا هو الأقصى ينادي أمة ... هي أمة الإسلام والإقدام

لخلاص مسجدنا وزهرة قدسها ... من قبل فوت الحين والأيام

لا بد يوما ان ترد لأهلها ... كل الحقوق لسيد وهمام

مع الصحافة

من الخطأ أن يظن أن صفحات قليلة كهذه يمكن أن تحيط بما تعرضه الصحافة من شؤون العالم الاسلامي في خلال شهر ، كما أن من الخطأ أيضا أن يظن أن الصحافة نفسها تولي شؤون المسلمين في العالم اهتماما حقيقيا شاملا لهمومهم وأزماتهم وأوضاعهم عامة . فمن المعروف أن الصحافة عادة لا تقول كل شيء ، أو هي لا تستطيع ذلك ، لأسباب أصبح الكثير منها معروفا .. ومألوفا أيضا .

ثم ان المسلمين أنفسهم لم يقوموا حتى الآن بانشاء وكالة أنباء اسلامية تتوفر على الاهتمام بقضاياهم على نحو يسع الأحداث الكثيرة المتتابعة التي تجتاح هذا العالم الاسلامي المترامي الأطراف . والى أن يتم ذلك سوف تبقى أخبار العالم الاسلامي على هامش الصحافة ، ولن تجد لها مكانا الا في ثنايا أخبار الغرب أو الشرق ،

حين لا تجد وكالات الأنباء العالمية مفرا من ذكرها ، لأنها تتصل ـ على نحو أو آخر ـ بمصالح تلك الدول غربية كانت أو شرقية . هذا .. فضلا عما تتعرض له أخبار المسلمين من تشويه أو توجيه ، تبعا لما تقتضيه مصالح هذه الدولة أو تلك ، وميولها .

● ●

واهتمام الصحافة في معظمه ينصب هذه الأيام على ما يسمى «عملية السلام » في الشرق الأوسط ، وعلى الأوضاع العربية التي نجمت في أعقاب مؤتمر فاس الأخير ، وعلى المخاوف الجديدة المتوقعة من استئناف المعارك في حرب الخليج .

وأما ما يحدث من اشتباكات دموية بين المسلمين والسيخ في الهند ، وأما أحوال سائر المسلمين في الشرق الأقصى أو في افريقية وغيرها .. فقل أن نظفر بما يجلو الصورة بوضوح .

وأما الحرب المنسية في أفغانستان بين المجاهدين المسلمين والغزاة الروس فلم نكن لنعرف عنها شيئا لولا تقرير ورد في صحيفة اسلامية غير مشهورة سنورد قبسات منه بعد قليل .

○ دوامة المبادرات

احتلت المباحثات الأردنية

الفلسطينية موقعا بارزا من اهتمام الصحافة ، ومع ذلك لم يخف عدد من المحللين السياسيين شكوكهم في نجاح أي تحرك سياسي ، ما دام العدو الاسرائيلي يستطيع أن يفرض ارادته بقوة السلاح ، دون أن تبدي الدول

العربية ارادة مماثلة لخيار عسكري ما ، يتيح للخيار السياسي استعادة بعض الحقوق المغتصبة .

تقول صحيفة «الغارديان » في مقال لها بعنوان « خريطة جديدة للشرق الأوسط » :

« الحقيقة هي أنه ليس هناك أدنى أمل في الشرق الأوسط بامكانية اقناع الحكومة الحالية في اسرائيل بمنح الفلسطينيين أي شيء أكثر من الحقوق البلدية المحدودة في مدن الضفة الغربية .

فالمفاوضات التي حدثت مؤخرا في الأردن ، والجهود الدبلوماسية العربية التي ستجد مكانا لها في واشنطن قد أجريت على أمل أن حكومة جديدة ذات آمال بالسلام ستظهر في تل أبيب أخيرا .

ورغم أن كلمة «الكونفيدرالية » ظلت تستخدم دائما لوصف العلاقة المستقبلية بين ضفتي نهر الأردن ، ففي القانون الدولي تعتبر الوحدة الداخلة في الاتحاد الكونفيدرالي دولة ذات سيادة لها الحق بصياغة سياستها الخارجية ووضع نمط دفاعاتها العسكرية .

ومن الواضح أن هذا لا يتناسب مع الخطط الأمريكية والاسرائيلية التي ترمي الى تذويب الفلسطينيين » ..

وحول الأمل الذي يتعلق به بعض العرب في تغيير حكومة العدو الاسرائيلي ، لتسهيل المباحثات ، والفوز ببعض الحقوق .. تقول «الهيرالد تريبيون » :

ومن المشكوك فيه أن يكون ما حدث (في الغزو الصهيوني الأخير للبنان) قد قلص التأييد القوي لبيغن في أوساط الاسرائيليين الذين يحبون أسلوبه المتشدد ولغته «العبرية القديمة » وتعصبه العرقي .

وتنقل صحيفة «كوريري ديلاسير » الايطالية في تحقيق لها ؛ وجهة نظر معظم اليهود في اسرائيل بعبارة موجزة لأحد اليهود يقول فيها :

« أعتقد أن بيغن يمثل اسرائيل ، وهو تعبير عن الحسم .. وعن الارادة ، القوة والايمان بالخط العادل (!) ومذابح صبرا وشاتيلا لا تغير أبدا وجهة نظري هذه ...

نحن الاسرائيليون لا علاقة لنا بهذا الموضوع . لا تنخدعوا أبدا بالمتظاهرين في تل أبيب فهم لا يمثلون الأغلبية هنا » .

أما « الايكونوميست » فتعرض تحليلا للظروف المحيطة بالمباحثات الأردنية الفلسطينية في مقال نشر في أوائل هذا الشهر جاء فيه :

لا تدوم اجراءات الوحدة بين الدول العربية طويلا ـ وقد كانت هناك عدة محاولات في الماضي ـ لأنها كانت تقوم

دائما على أسس عاطفية غامضة . ولكن المحادثات المطولة والمكثفة التي تجري في عمان منذ يوم السبت الماضي التاسع من أكتوبر والتي قد تسفر عن قيام اتحاد كونفيدرالي بين الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة هي أكثر واقعية لأنها مبنية على أسس متينة من المخاوف المشتركة .

لقد غير الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ترتيب أولوياتهما منذ الحرب في لبنان .

فقبل الحرب كان يجب أولا تحرير الضفة وقطاع غزة من الاحتلال الاسرائيلي ، ثم يأتي بعد ذلك احتمال ربطهما مع الأردن في اتحاد كونفيدرالي . أما الآن فقد جرى ،

تحت ضغط الخشية وعامل الوقت ، بحث تفاصيل هذا الاتحاد للموافقة عليه مسبقا ، على أن ينفذ عندما تتم استعادة هذه المناطق المحتلة .

وهكذا أصبح الاتفاق الأردني الفلسطيني عامل ضغط لازالة الاحتلال . ولم يأت هذا الاجراء تنفيذا لبيان القمة العربية في فاس في الشهر الماضي ولكن الأردن شعر بالخطر يتهدده من جانب اسرائيل ، وبخاصة بعد سيل التصريحات من وزير الحرب أرييل شارون التي هدد فيها النظام الهاشمي .... والفلسطينيون شعروا بالخطر يتهددهم أيضا .. »

○ في أعقاب قمة فاس :

تعرب معظم الصحف العربية عن خيبة أمل كبيرة من التطورات التي أعقبت مؤتمر فاس الأخير على صعيد العلاقات العربية ، لا سيما ما يتعرض له الفلسطينيون من ضغوط فقد ورد في افتتاحية للرأي العام أواخر ذي الحجة بعنوان « الوفاق والحد الأدنى » :

بعد مؤتمر القمة العربي الأخير في فاس ، بدا أننا خرجنا بصيغة من التضامن العربي ...
لكن يبدو أن «العادة القديمة » غلابة ، بحيث أن مناخات الانقسام بدأت تطل من جديد ، وتبرز رؤوسها ، من شتى الأمكنة والمواقع .

والحقيقة أننا لم نعد نتعاطى تلك «الأحلام القديمة » حول الوحدة بين الدول العربية ، وما درجنا عليه في السنوات الطوال الماضية . ولا ننكر أننا صدمنا في جميع تلك الأحلام ، حتى أننا بتنا نشك في أننا لم نكن نتحدث عن

خرافات . ولذلك تحولت أحلامنا ـ حتى لهذه الدرجة ـ نحو أن يكون بين الدول العربية ولو حد أدنى من التوافق ، بحيث نحفظ وجوهنا أمام العالم ، ونمتنع عن أن نكون مضغة في أفواه الآخرين ، ومضحكة لديهم .

وعن أزمة القرار الفلسطيني كتبت «الوطن » في افتتاحيتها في ٢٦ ذي الحجة :

« إذا كنا ندعو الى ان يعطى الفلسطينيون حق تقرير المصير في مواجهة اسرائيل ، فأولى ان نعترف للفلسطينيين ايضا بحق تقرير المصير في مواجهة العرب . ولطالما نادينا باستقلال العمل الفلسطيني ورفع الوصاية من عليه ، خاصة ان التجارب العديدة اثبتت ان القيادة الفلسطينية تملك وعيا سياسيا يمكنها من مواجهة الكثير من

التحديات التي تعترض طريقها باقتدار . ان الجهد العربي ينبغي ان يصب في اتجاه دعم الموقف الفلسطيني وليس الى تصفيته .. وكفانا نكسات وصدمات وشرذمات وتصفيات !»

○ حرب الخليج المدمرة

عبرت مجلة الرائد الصادرة في الهند عما يسببه استمرار حرب الخليج من آثار مدمرة للمسلمين ، وهم في اشد الحاجة الى دمائهم وامكاناتهم وقواهم . تقول المجلة :

لقد انتهز العدو هذه الفرصة ، فرصة انشغال البلدين بالحرب الأهلية ، واشتباكهما ، والوهن الذي اصابهما بسبب هذه الحرب الطويلة ، أن يحقق أهدافه في لبنان وأماكن أخرى .

○ المجاهدون المنسيون في افغانستان

قبل ان نعرض نبذا من تقرير عن أفغانستان نشير الى مقال نشرته « الموند » الفرنسية عن « الحرب المنسية في افغانستان » وعزت فيه صمت الغرب المريب الى عقود شراء الغاز التي تبرمها دول الغرب مع السوفيات . تقول « الموند »:

« إن الصمت والنسيان الذي يبدر من شركات التلفزيون تجاه « الحرب القذرة » التي ما زالت تدور في افغانستان يبدو غريبا وظالما .. وان كافة الحكومات الاوروبية الغربية التي تعاقدت لشراء الغاز السوفياتي في الاونة الاخيرة لم تسأل على الاطلاق عن المصدر الحقيقي لهذا الغاز الذي ستحصل عليه ، والحقيقة ان قسما كبيرا من الغاز الذي سيبيعه الاتحاد السوفياتي الى الدول الاوروبية الغربية والذي سينقل عبر سيبيريا ، مسروق من افغانستان ..».

وعن خطة السوفيات في الحرب لضرب المسلمين الافغان بالمسلمين الروس تقول الصحيفة :

ان القيادة السوفياتية العليا فهمت الخطأ الذي ارتكبته في البداية بارسالها الى الحرب في اراضي دولة مسلمة قوات سوفياتية مسلمة تم تجميعها من اوزبكستان وتركمانيا وتادجيك وقرغيزيا .

اما « الاكسبرس » فقد تحدثت عن الاسلحة الكيماوية والالغام (الدمى) التي يستخدمها السوفيات ضد المسلمين الافغان ، وذلك في مقال نشرته اواخر ذي الحجة بعنوان « دمى الموت السوفياتية » جاء فيه :

« انها الغام صغيرة فظيعة لانها اشبه ما تكون بلعب الاطفال ، فهي لا تتجاوز حجم علبة السجائر ، والسوفيات يلقونها في كل مكان فوق الجبال الافغانية وخاصة في الممرات الاساسية وعلى طول الحدود الباكستانية ..

ولهذه الالغام الوان خضراء ورمادية او صفراء تمتزج مع الاعشاب والطبيعة المحيطة بها ، واذا ما وطئها انسان فانه فسيفقد ساقه اما اذا لمسها فسيخسر يده .

ويعتبر الاطفال اول ضحايا هذه اللعب البلاستيكية التي تبدو بريئة وكذلك النساء والرجال ..

وقد لاحظ الاطباء السويسريون ان الجروح التي تسببها الالغام في بعض

الاحيان تتعفن وتصبح الاصابة شبيهة بتلك التي يتسبب فيها الفوسفور ولا تستجيب للعلاج التقليدي بالمضادات الحيوية ».

اما جريدة « الدعوة » الصادرة في « دلهي » بالهند في ١٣ ذي الحجة فقد عرضت تقريرا مطولا عن التطورات الاخيرة في عمليات الجهاد الافغاني جاء فيه :

الأمر الأساسي الذي نشاهده في الحرب التي تدور رحاها في افغانستان هو :

انها ليست حربا بين جيشين من الجيوش النظامية ، بل هي عبارة عن مقاومة شعبية اتسع نطاقها وشملت جميع انحاء البلاد . حيث اصبح كل مواطن افغاني مجاهدا في سبيل الله ..

وتقسم افغانستان الى ثلاث مناطق من وجهة المعارك القائمة فيها :

١ ـ المناطق التي تشتمل على معارك ساخنة .
٢ ـ مناطق الاشتباكات العادية
٣ ـ مناطق اللا حرب واللا سلم .

كابل ، وجلال آباد ، وغزني ، وهرات ، وقندهار ، ومزار شريف تعيش قلاقل ومعارك ولا يسودها السلم . ان جميع تلك البلدان تحيط بها ظروف خطيرة معبأة بالاشتباكات والمعارك . ولذلك فان السلطات في تلك البلدان تضطر في اغلب الاحيان الى فرض منع التجول حتى بالنهار ..

وقد حدثت خلال شهرين ماضيين معارك ساخنة جدا في سبع عشرة ولاية افغانية من بين ثمان وعشرين ولاية . كما حدثت في ست ولايات اشتباكات نعتبرها اشتباكات عادية . بينما عاشت خمس ولايات وضع اللا حرب واللا سلم ..

ان القوات الروسية استخدمت سلاحها الجوي في جميع الولايات على وجه التقريب ، والولايات التي اصيب فيها السكان باضرار جسيمة في الارواح والاموال بالغارات الجوية الروسية هي : فارياب . وغور ، وننكرهاو وقندهار ..

وعن غارات فدائيي المدن يقول التقرير :

هذا عنصر جديد انضم الى حركة المقاومة الافغانية من عام ١٩٨١م .

ونطلق على هذا العنصر الجديد مصطلح (فدائيو المدن) ان هؤلاء الفدائيين ـ على العكس من المجاهدين الذين يشتغلون في القرى والضواحي ـ يشنون الغارات على المدن بصورة عصابات تتكون حينا من نفرين واحيانا من ثلاثة او اربعة انفار .

وان اكثر من ضرب اعصاب ادارة كابل وقوات الاحتلال الروسي هو هذا العنصر الفدائي الجديد . ان فدائيي المدن ينفذون عمليات الاغارة بكل نجاح على كل من كابل العاصمة ، ومدينة غزني ومدينة هرات ومدينة قندهار .

وعن الوضع السياسي يذكر التقرير :

ان ادارة كابل تعاني صراعا عنيفا بين حزب برجم وحزب خلق . ولا تزال ادارة كارمل تستنفد جهودها لانهاء هذا الصراع بين الحزبين الشيوعيين . كما ان ادارة كارمل بايعاز من روسيا تخطط الآن لاثارة سوء التفاهم بين المهاجرين الافغان وبين المواطنين الباكستانيين .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

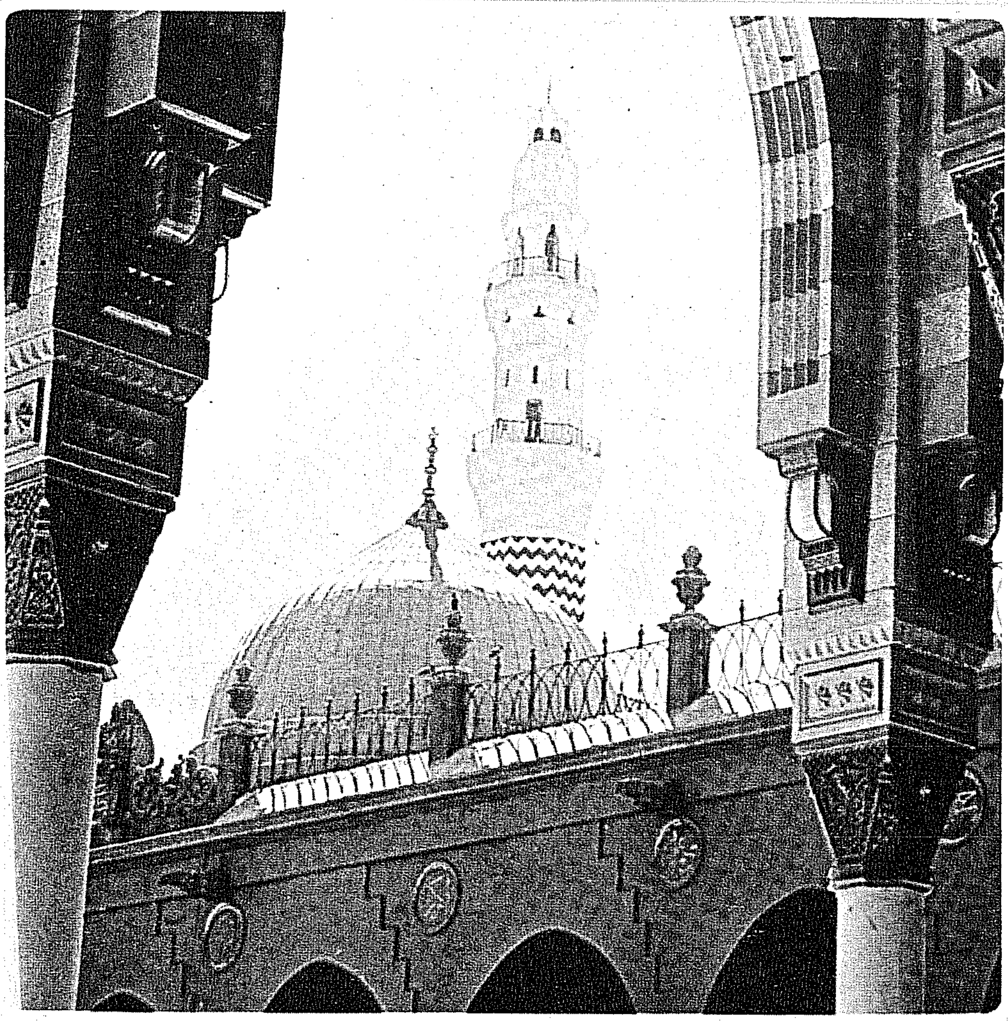
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٩ ـ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ ديسمبر / يناير ١٩٨٣ م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد/٢١٩ - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٨٣ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

لن نيأس أبداً.. وسنكافح مقتدين برسول الله

الأمة الاسلامية عرضة في هذه الحياة لأحداث ومصائب تنزل بها ، سواءاً كان نزولها بما كسبت أيديها ام امتحانا يختبر الله به ايمانها ليميز الصادقين من الكاذبين .

ومن شأن الاحداث ان توقظ في نفوس المؤمنين التفكير العميق في طريقة معالجتها والتغلب عليها ، لان تعاليم الاسلام تدعوهم الى الاخذ

بالاسباب التي تصون عزتهم وكرامتهم ، وفي مقدمتها الاعتصام بحبل الله ، والوحدة على الحق ، والتضحية في سبيل المبادىء العليا والقيم الكبرى ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون) وقال سبحانه : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

وقد كان الاسلاف الاوائل يستمسكون بحقوقهم الى حد انه اذا نال منهم عدو او حل بهم مكروه هجروا السكون والدعة ، وتركوا تقاليد الترف والسرف ، وابتعدوا عن اسباب اللهو والمرح ، ولا يقر لهم قرار الا اذا نالوا ثأرهم من عدوهم ، واستردوا ما فقدوه من ارض ومقدسات ، ولبسوا ثوب العزة ، ومزقوا ثياب المذلة والهوان ، فاذا تم لهم ما يبغون - نتيجة كفاحهم وجهادهم - حمدوا الله وشكروه لانه الموفق والمعين ، ينصر من ينصر دينه ، ويثبت على طريق الحق قدمه ، ويدحر المعتدين الظالمين (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل اعمالهم)) .

وحاضر الامة الاسلامية قد ملىء بالمحن الشداد من عدو خبيث تسنده كل قوى العدوان في الارض . اغتصب ارضها ومقدساتها منذ سنين ، ثم ارتكب ذلك العدوان الصارخ باحتلال لبنان ، واقامة ابشع المجازر ضد النساء والاطفال والشيوخ من اللبنانيين والفلسطينيين ..!! ولا يشك عاقل في ان تفرق الامة الناجم عن تركها لتعاليم الاسلام واتباعها لطرق الشياطين هو سبب تخاذلها في صد العدوان حتى اصابها ما اصابها من عار وشنار !!

واذا كان المنافقون قد اسعدتهم تلك المصائب وقرت عيونهم بحدوثها

فان المؤمنين قد جرحوا بها جرحا عميقا ، واحسوا بآلامها احساسا دقيقا ، ولا بد ان يعملوا على التخلص منها طال الزمن او قصر ، ولن يصرفهم عن العمل لخلاص الامة من هذا البلاء صارف ، وسيبذلون كل طاقاتهم لجمع أمتهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولن يسمحوا لمشاعر الدعة والهزل واللامبالاة التي يروجها المنافقون ان تخامر النفوس او تصرفها عن حياة الجهاد والكفاح ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة .

لقد كان رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام صاحب طاقة كبيرة تستوعب الحياة في جميع حالاتها من عسر ويسر ، وانكسار وانتصار .

ولقد علم اصحابه ان الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة ، وخور في العزيمة واسترخاء مع الشيطان ، قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة « انما اخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » رواه احمد والطبراني والبزار في المعجم الكبير وقال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخاري وليس معنى هذا الهدى النبوي تحريم المباح ولا زجر الناس عن طيبات احلت لهم ، وانما معناه ابعاد المرء عن الشهوات المحرمة ليكون صاحب ارادة قوية تتجه الى اقرار الحق فيبذل المال والنفس في سبيل الله تحقيقا للعزة ، وحفاظا على الديار والمقدسات . وذلك قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

ان الولع الشديد باللهو واللعب والاستجابة للشهوات الآثمة والأهواء المضلة وعدم الاحساس بمرارة العدوان دلالة واضحة على موت القلوب وقبول الدنايا وحب الدنيا ، وكراهية الموت . وفي المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول الله تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) ويقول سبحانه (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) .

لقد عاشت الامة فترة من الزمن وقد غيرت ما بنفسها فبعدت عن هداية الله وصرفت النظر عما يجب ان تراه وتفعله ، وحملقت عيونها فيما يجب ان تغض عنه وتسترخي بازائه ، فكانت المصائب والمحن (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .. واعداء الاسلام لا يطلبون من الامة الاسلامية ان تفعل بنفسها اكثر من ذلك .

والآن وبعد هذه النوائب تقف الامة على مفترق طرق ، ويتحتم عليها لتعود لها عزتها ويصان وجودها ، ان تعود الى اسلامها عودا صحيحا وان تحتكم في جميع امورها الى قانون ربها ، وتتوب الى خالقها ليكفر عنها سيئاتها ويمدها بنصره وتأييده (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) .

ايها العرب : لقد حملتم لواء الاسلام للعالم ، وكان سلفكم الصالح اساتذة العالم وهداته وانتم تعلمون ما أحدثتم . وان منقذكم الوحيد مما انتم فيه من تنازع وشقاق هو الاسلام ولا علاج لكم سواه فماذا تنتظرون بعد هذا البلاء الذي حاق بكم وبكل مسلم ؟

الا يستحق المسجد الاقصى وما حوله ولبنان وما اصابها وقفة تدبر واستعبار يتلاوم فيها المفرطون ، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العار وتدرك الثار ؟

إن لنا أملا في تلك الوقفة لأنها الفيصل بيننا وبين اعدائنا ، وهي الفيصل بين الكرامة والمهانة في تاريخنا .. واذا صح العزم وضح السبيل (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . نسأل الله الهداية والتوفيق .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

علم وبيان

يقول قرآن ربنا العظيم في نصه الحكيم :

« وانهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » « ١٦٣ - ١٦٤ سورة البقرة »

ولما كانت آيات القرآن الكريم قد نزلت في مناسباتها حسبما يستلزم الامر ويقتضي الحال . ردا على سؤال .. او تقديرا لموقف .. او حسما لما عليه جدال او ثبتا لما يفرضه الاسلام .. او تبيانا لما هو حلال .. وما هو حرام . الا ان الله تبارك وتعالى شاء ان ترتب الايات بغير ترتيب نزولها .. فكما كان يوحى الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاية كان يوحي بمكانها .. محددا ما قبلها .. وما بعدها . وبذلك تم ترتيب الآيات الكريمة في السور الشريفة .. كما شاء الله جل شأنه وكما هو يتداول بين ايدينا .. وهو على غير ترتيب نزولها .. ولا شك ان من ضمن ما نتبينه من اهداف ذلك .. هو الربط والترابط بين آياته الشريفة كلها .. ونصوصه الكريمة جميعها .. وهو ما يتضح في الايتين الكريمتين موضع هذا البحث .

فالآية الاولى تقرر بديهية عقلية .. وحقيقة علمية .. ان الهنا .. اله واحد . وان لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم ..

وجاءت الآية الثانية وهي التالية لها في ترتيب تسجيل الآيات فاوردت بعض شواهد وجود الله ووحدانيته .. وصورا من بالغ قدرته وواسع رحمته . وحددتها في :

● خلق السماوات والارض

من آيات القرآن

للاستاذ عبد الرزاق نوفل

- اختلاف الليل والنهار
- الفلك التي تجري في البحر
- انزال الماء من السماء
- تصريف الرياح
- السحاب المسخر بين السماء والارض

ولقد وصل العلم الى بعض الحقائق فيما اوردته الاية الشريفة . فقدم بها الى الانسان الادلة القاطعة على وجود الله ووحدانيته .. والامثلة الواضحة على رحمة الله بالناس وبالغ حكمته .. وهذه الادلة لا شك فيها . ولا خلاف عليها .. ولا جدال عنها لان ادلة العلم تعتمد على القياسات العملية والفحوص المعملية والمشاهدات التسجيلية والحقائق العلمية ولذلك فان الايمان عن طريق العقل ووسيلته العلم واجهزته السمع والبصر والوعي والادراك اثبت واقوى واعمق من الايمان عن طريق النقل .. الذي يتأثر بالناقل .. ويتغير بتغيره او تغير ما ينقله اليه ..

والسماوات يراها الانسان . كل انسان .. من اول العهد به وحتى نهاية البشر .. يراها في كل زمان .. ومن كل مكان .. ويتعجب اشد العجب .. انه لا يجد لها اولا تبدأ منه .. ولا اخرا تنتهي عنده .. ولا يقدر لها عمقا تصل اليه .. ولا شك ان المتأمل لذلك المتدبر له .. لا بد ان يسبح بحمد الله الخالق القادر .. يرى الانسان السماء. في نجومها .. فتدهشه كثرتها انها كثرة بالغة . فقد اعتقد انها تبلغ الفا .. هكذا قال علماء علم الفلك في اول العهد بهذا العلم اذ تمكن بطليموس من عد حوالي الف نجم صنفها الى ست مجموعات طبقا لمعانها .. واطلق عليها الست مقادير .. ثم استحدث العلم اجهزة الرصد والتقريب فأتيح له ان يرصد مئات الالاف .. وكلما تقدم في استخدام وسائل ادق .. كلما زاد عدد النجوم التي يمكنه رصدها .. ووجد ان هناك غيرها اكثر مما وصل علمه اليها .. لذلك قال حجة علم الفلك السير جيمس جينز في كتابه (الكون الغامض) في النصف الاول من القرن الحالي .

« ربما كان مجموع عدد النجوم التي في الكون قريبا من مجموع عدد حبات الرمل التي تغطي شواطىء البحار في العالم كله » .

ثم استخدم الانسان علم الفلك الراديوي يبحث في السماء على اساس اشعاعات راديوية موجودة بها بدلا من رصد الضوء واخيرا دخلت علوم الفلك في مرحلة اخرى جديدة ومتطورة

وذلك بدراسة الاشعة السينية المنطلقة في الفضاء .. ويتفق العلماء على ان السماء اعمق واكبر واضخم مما يتسع له الخيال اي خيال وان عدد النجوم اضعاف اضعاف اي عدد يتصوره الانسان .. والاعجب من ذلك ان العدد يتزايد .. والسماء تتسع وتتمدد وانه بالتحليل الطيفي للنجوم المضيئة ثبت ان المجرات التي تحوي النجوم والكواكب غير تلك التي تحتوي ارضنا وما يتبعها وما تتبعه تبتعد عنا مندفعة في السماء البعيدة بسرعة ١٤ الف ميل في الثانية وانها كلما ازدادت بعدا عنا ازدادت سرعتها الى درجة اكبر لم يعرف قدرها وان السماء دائما في اتساع وتمدد .. وان النجوم ابدا تتكاثر .. وتولد .. وتنمو .. وهذه الحقائق العلمية قال بها قرآن ربنا الكريم سابقا العلم بعشرات المئات من السنين بمثل النص الشريف :

« **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** »

« ٤٧ سورة الذاريات »

وبالرغم من هذه السرعات الرهيبة وحركة كل نجم في مجموعته .. وبالرغم من هذا الحشد الهائل من عدد يكاد لا يكتب ولا يقرأ .. ويتكاثر ويتزايد فانه لا فرصة اطلاقا لأن يصطدم نجم بآخر .. ولا ان يقترب من مجاله بحال من الاحوال ..

هذه بعض قدرة الله .. في الخلق .. وهذه بعض حكمته في التقدير والتدبير .

ويرى الانسان السماء .. فيعتقد حسبما يتراءى له ان ما بين النجوم انما هو خلاء ولكن العلم قد اثبت ان النجوم ليست في فراغ ولكنها محاطة بالغازات والتراب والتي اسموها بالغاز البيني اي ما بين النجوم وقرر ان السماء من الامتلاء به بحيث لا تستطيع اي قوة مما نعهدها او نعرفها ان تشق هذا التكتل الذي يكون السماء او ان تحدث ادنى نقص في اتصاله غير المتناهي .. بل ان العالم استخدم لفظ البناء في التعبير عن حقيقة قيام السماء . وهو ما قاله قرآن ربنا العظيم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان بالنص الشريف :

« **الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء** »« ٢٢ سورة البقرة »

هذه السماوات بما فيها - والتي تلتف حولنا من كل ناحية من يمسكها هكذا فلا تقع على الارض .. قال العلم انها الجاذبيات .. ثم قال اخيرا .. بل لا جاذبيات .. اذ تتوالد النجوم وتندفع بسرعات رهيبة مما لا يجعل للجاذبيات اي تأثير على حفظها .. ويجيب القرآن الكريم على ذلك بالحقيقة القاطعة في النص الكريم :

« **ويمسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم** »

« ٦٥ سورة الحج »

اليست هذه شاهدات على وجود الله - ووحدانيته .. وقدرته .. ورحمته .

اما عن خلق الارض فان الاجهزة العلمية التي خرجت من الارض ودارت حولها ورصدت حركاتها .. وصورت شكلها .. وسجلت

امجادها .. قد قدمت لنا عدة ملايين من الصور المسجلة من مختلف الزوايا وشتى الاركان . ومن اجهزة عديدة من دول متفرقة .. وتلتقي كلها في حقيقة علمية واحدة . هي أن الارض ليست كرة كاملة الاستدارة ولكنها اشبه الاشياء الدحية اي البيضة وقد سبق قرآن ربنا العظيم الى ذكر هذه الحقيقة بالنص الكريم :

« **والارض بعد ذلك دحاها** »

« ٣٠ سورة النازعات »

الارض اذا هي اشبه ببيضة . معلقة في الفضاء .. وانها كما اظهر الرصد والتسجيل تلف حول نفسها .. وايضا تلف حول الشمس . وبالرغم من شكلها الكروي . وحركتها هذه وتلك .. فان ما عليها لا يقع ولا يتناثر . فالمياه تجري في الانهار .. والبحار تفيض بالماء .. ونبني ونرتفع بالبناء وكل ذلك على سطحها . اليس ذلك صنع اله .. وامره ..

ويقرر العلم ان الارض على المسافة المثلى من الشمس لقيام الحياة وانها لو قربت .. منها .. او بعدت عنها . قليلا لانتهت الحياة .. بل ان اخر ما توصل اليه العلم يقرر ان الارض محاطة احاطة تامة في سمائها الدنيا بنطاق من الاشعاع القوي للجسيمات النشطة واسموه بحزام فان آلن .. كما امكن اكتشاف ما يسمى بالمارد الذري الذي يرهب العلماء منذ ما يقارب من نصف قرن اذ انه في طبقات الجو ويلف الارض تماما وهو ذرات من البروتون السالب التي تستطيع ان تفني المادة من جميع اشكالها وفي كل حالاتها افناء تاما .. اليس هذا هو بعض حفظ السماء الذي يقول عنه القرآن الكريم :

« **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** »

« ٣٢ سورة الانبياء »

اليست هذه بعض اللمحات الخاطفة في خلق الارض .. وما تشير اليه من بالغ قدرة الله ورحمته بالانسان .. بل وبالكون كله .. والا تدل على وجوده .. وعلى وحدانيته .. سبحانه وتعالى ..

ويعيش الانسان حياته بين ليل ونهار .. ومن عدالة امر الله سبحانه وتعالى ان العالم ينقسم بالتساوي بين الليل والنهار .. بالنسبة لكل انسان . في اي بقعة كان . ففي منطقة الاستواء يتساوى الليل والنهار يوميا وعلى طول العام . ثم يزداد النهار طولا صيفا وبالتدريج كلما بعدنا عن هذه المنطقة .. حيث يتناقص بقدره شتاء ويطول الليل الى ان نصل الى منطقة القطب فنجد ان النهار يستمر ستة اشهر متصلة والليل يستمر كذلك ستة اشهر متتابعة ..

واختلاف الليل عن النهار امر واضح يحس به ويراه كل انسان .. ماديا . بالنسبة للضوء والظلام وحيويا بالنسبة للطاقة والقدرة .. وسيكولوجيا بالنسبة للاحساس .. والادراك .. وقد ثبت بالقياس اختلاف كل نهار عن سابقه .. وعن لاحقه .. وكذلك يختلف الليل .. اي ليل .. وكل ليل عن غيره .. بعوامل شتى .. كالحرارة والرطوبة ودرجة الظلام ..

او شدة الضوء .. ودرجة الريح .. وسرعته واثـر النجوم والقمـر .. والاشعاعات التي تنهمر على الارض .. ويختلف من يوم الى اخر .. ومن ليلة عن غيرها .. وكل هذه الاختلافات بين الليل والنهـار .. وبين الليـالي وبعضـها . والنهار وغيره .. انما هي من صور رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده . فقد اثبتت الدراسات العلمية التي اجراها فـريق من الباحثـين البريطانيين بقيادة طبية بمستشفى سـانت تومـاس بلندن اخيـرا ان الشمس والقمر يؤثران على مزاج الشخص . وان الوقت كذلك نهارا وليلا . وفي اي شهر والطقس وحركة النجـوم والكواكب كلهـا تؤثـر في الانسـان . تأثيـرا ماديـا ونفسيا مباشرا وقويا فهذا الاختلاف في الليل والنهار وما يهدف اليه .. وما نعلم عنه الا القليل .. وهذا القليل انما يشير الى سعة رحمة الله بعباده وانه حقـا وصدقا .. الرحمن الرحيم ..

والانسان ليعيش حياته لا بد له من ان يتعامل مع الناس . وهذا التعامل انما يشمل . من هم بالقرب منه . والبعد عنه .. فهو يأكل ما زرعـه غيره .. ويلبس ما يعده له سواه .. ويشـارك في التجارة او الصنـاعة غيره .. ثم انه لا بد ان يتعامل مع البعيد عنه في مختلف البقاع وشتى الامصار .. فالله سبحانه وتعالى قد وزع ارزاق النـاس في كل انحـاء العالم .. فتشابكت بذلك مصالحهم .. ووجدنا حاجة كل فرد الى غيره ماسة وضرورية .. وكذلك الـدول .. في مختلف القارات .. ويجد الانسان ان البحر يفصل تماما بين القارات ويباعد بين البلاد . وانه لا بد ان يركبه ويعبر بـه من حيث هو الى حيث يحقق حاجاته . هكذا سخر الله للانسان ما يجعل الفلك تجري في البحر بما يحقق نفعه .. بداية من طلب العلم .. حيث تتفاوت درجاته في مختلف البلاد .. حتى تحقق التجارة وتوزيع منتجات الصناعة .. ونجدة دول قد يعتدي عليها .. والفلك تجري في البحر بداية من سفن الشـراع التي يـدفعهـا الهواء .. حتى هذه القلاع الضخمة والعابرات الضخمة تسير بما وفق الله به الانسان من استخدام للبخار او الذرة او الطاقة النووية وما قد يوفق الله اليه الانسان .. اذا شاء فيما بعد .. هذا الماء .. يحمل هذه الاوزان الكبيرة من الحديـد كسفينة ومـا تحمل .. وتسير كما تشاء .. الى حيث تشاء .. ولكن المشيئة هي لله وحده .. فهو الذي شاء فكانت الفلك وكانت رحلتها في البحر .. فسبحانه لا اله الا هو الرحمن الرحيم .. فهذا اثر من رحمته واشارة لقدرته ..

ومن ماء البحر وحرارة الشمس عليه .. يتكون البخار الذي يتصاعد اعلى الى السماء .. ثم يعود ليهطل على الارض ماء عذبا .. فاذا بالارض به .. وبلا غيره .. تتحرك بالحياة .. بعد موتها .. فتنبت الزرع .. وهو الغذاء الوحيد لكائنات حية تعيش عليه .. وايضا الغذاء لغيرها .. التي تعيش عليه وعلى هذه الكائنات ، وعلى رأسها واعلاها الانسان .. الذي احيا

الله الارض بالماء الذي انزلـه من السماء .. فدبت كائنات حية لتحقق الحياة الطيبة الكريمة للانسان .. رحمة من الله به .. وفضلا منه .

اما نزول الماء على الارض فانما تحدد مكانـه واتجاهـه الريـاح .. قـوتها .. سـرعتهـا .. وجهتهـا .. وعوامل اخرى عديدة .. كلها تشارك في تنفيذ امر الله الذي قدر سابقا كمية ما ينزل من الماء . واين ينزل .. والا لنزل المطر الى حيث صعد وتبخر .. اي ينزل الى البحر فلا يستفاد به .. ولكن رحمة الله بالانسان .. سبقت .. فقدرت للريح اتجاهـها وسرعتهـا لتحمل الماء الى حيث يجب كما اراد الله . جل شأنه .. والرياح التي تدفع الفلك على البحر .. وتدفع السحاب في السماء الى حيث يجب ان ينزل .. هي ايضـا من ضمن وسـائل تلقيـح النباتات .. فهناك من النباتات ما لا تتلاقح الا بالريـاح . حيث تحمل حبـوب اللقاح في اعضـاء تذكـير النبـاتات .. الى اجهـزة النباتـات الخاصة بالتلقيح .. وهذه الحقيقة العلمية التي وصل اليها العلم بعد دراسات مطولة وابحاث مستفيضة .. ومتابعات معملية وبعد استخـدام وسائل البحث المتطورة من اجهزة تكبير وتسجيل وتصوير قال بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان في النص الشريف :

« **وارسلنا الرياح لواقح** » « ٢٢ سورة الحجر »

والسحاب لا يتكون الا اذا تبخر الماء من على المسطحات المائية على الارض .. فهو بذلك انما يكون دائما بين السماء والارض .. فاذا سقط على الارض .. لم يعد بسحاب .. ولذلك فالسحاب مسخر بين السماء والارض فهذا مكانه .. كما انه كل سحاب ممطر لا يفترض ان ينزل مطره على الارض . فهناك حالات .. وكثيرة يهطل السحاب بالمطر من السماء فاذا اقترب من جو الارض .. وصادف درجات حرارة كبيرة .. عاد المطر ليتبخر بفعل الحرارة الى السماء مرة اخرى .. ولا ينزل بذلك المطر على الارض .. فهو بذلك ولذلك مسخر بين السمـاء والارض .. يصـعـد الى السماء .. وقد ينزل على الارض .. او يهبط في السماء ويعود اليها ثانية .. وكل هذا انمـا هو تـدبير العـزيز الحكيم .. وتقدير الله الواحد العليم حتى تتحقق رحمته بالانسان . فهو الرحمن الرحيم .

هذه هي بعض البديهيات العقلية التي تقوم على الشواهد البصرية والحقائق العلمية والتي يصل بها الانسان اذا ما شاهد وتأمل وتفكر .. واذا ما بحث وتدبر الى الحقيقة الاولى في هذا الوجود وهي ان الله الهنا اله واحد لا اله الا هو .. وانه هو الرحمن الرحيم .. ولذلك بعد ان اوردتها الاية الشريفة قالت عنها انها ايات لمن يستخـدمـون عقـولهم .. فستؤمن قلوبهم .. انها فعلا وحقا وصدقا آيات لقوم يعقلون ..

« **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** »

« ٢٤٢ سورة البقرة »

عندما ينصف الغربيون رسول الإسلام

رسول الله وأثره

تمهيد :

لم يكن محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أول رسول ، كما أنه لم يكن أول مصلح ، ولكنه كان أعمق هؤلاء جميعا في التأثير في حياة البشر ، سواء أكـان ذلك في حياته أم بعد مماته ، فهو صلوات الله وسلامه عليه صاحب رسالة شاملة ، كاملة ، متوازنة ، تصل المسلم بالله تعالى ، وتجعله يحس بكرامته عليه ، وبأن له رسالة في هذه الحياة ، وتجعله يقظ الضمير عالي الهمة كريما على نفسه وعلى مجتمعه ، يؤدي حق الله ، وحق نفسه ، وحق مجتمعه ، كما يؤدي حق جسمه وحق روحه ، والقدوة الكاملة الحية في نفس كل مسلم هو رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا ، فقد استطاع أن يربي ، وأن يؤثر ، وأن ينشر في ربوع العالم الأمن والسلام والاطمئنان ، التي لم تستطع آية فلسفة في قديم البشرية وحديثها أن تحققها ، ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور « مايكل هارث » صاحب كتاب **المـائة الأوائل** يختار**محمدا** عليه الصلاة والسلام أول واحد منهم ، وقد برر هذا الاختيار بقوله : (**إن اختيار محمد ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ،**

في البشريَّة

للأستاذ/ علي القاضي

كالمسيح في المسيحية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبق إليها سواهم كموسى في اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكـــامها ، وامنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه اقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها ، ثم يقول مبرزا سببا آخر من أسباب اختياره نبي الاسلام ليكـــون الأول : (إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متمدنة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكـــون الغزو عسكـــريا ، ولكنه في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت

تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا إلى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وأصبحت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا إلى الآن ، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار في قياس أثر الرسالة أي استمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم ، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي بحروفه كاملا دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد ، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فانني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الأنساني) .

مقارنة :

بحث الغربيون في تاريخ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي رسالته ، وحاولوا أن يقارنوه بالغزاة والفاتحين فلم يجدوا له شبيها ، لا في العصور القديمة ، ولا في العصور الحديثة ، وما أشد غرامهم بالمقارنات ، وما أشد اهتمامهم بالبحث في أوجه القصور بالنسبة لنبي الاسلام .

ومن هذه المقارنات التي قاموا بها مقارنتهم النبي الكريم بالاسكندر الأكبر في فتوحاته وسعتها وسرعتها ، فوجدوا أن فتوحات الاسكندر كانت عسكرية فقط ، فهي لم تغير شيئا من حياة الشعوب ، ولا من عاداتها ، ولا من أخلاقها ،

فهو لم يحمل رسالة تفيد أي شعب من هذه الشعوب ، بينما نبي الاسلام حمل رسالة كاملة خالدة إلى جميع الشعوب ، وإلى جانب هذا فان المدن قد دمرت تدريجيا في ظل حكم الامبراطورية الرومانية ، بينما عمرت المدن في ظل الحكم الأسلامي

وإلي جانب هذا ، فان الاسكندر الأكبر لم ينقل معه الفكر اليوناني ، وإنما تبنى بدون قيد ولا شرط الأفكار التي كانت سائدة في البلاد المغلوبة في ذلك الوقت ، واعتنق عقائدها ، وأخيرا فان المستعمرين الأغريق خضعوا لفاتحين آخرين ..

ولكن الاسلام غير كل شيء سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، في البلاد التي فتحها ، وقد تغلغل في الأعماق بالنسبة لهذه الشعوب جميعا ، فكان التغيير شاملا في اللغة ، والعادات ، والأفكار ، والأخلاق ، والتشريع ، وتغير تصور هذه الشعوب عن العالم وعن الله تعالى ، وعن المفاهيم التي أصبحت سائدة ، وذلك التغير كان سريعا ، وأحست هذه الشعوب إحساسات جديدة نحو نفسها ، ونحو الأنسانية ، والأفكار الأسلامية

كانت دائما تنتشر وتكسب الأتباع كلما أتيحت لها الفرصة لكي تظهر في بساطته ونقائه الفطريين ، ومعنى ذلك أن الأسلام له قوة ذاتية وتوافق فريد مع الطبيعة البشرية وحقائق الكون ..

المفكرون الغربيون :

والمفكرون الغربيون درسوا سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتكلم كل منهم عن الجانب الذي أثاره « فبرونر » في مقدمة كتابه « القرآن » تأليف « دي ساير » — لاحظ أن البناء الأخلاقي والديني لا يزال منصوبا على قوائمه ، وثابتا في صلابته ، حتى قيل : إنه لم يحدث منذ بداية الهجرة أن مسلما قد تحول عن الأسلام إلى دين آخر .

لقد انتشر الأسلام بين شعوب مختلفة في الجنس ، واللغة ، والدين ، والمناخ من الصين إلى مراكش ، فصاغ هذه الشعوب جميعا في بوتقة الاسلام ، وأصبح لها بناء اجتماعي واقتصادي وثقافي وتاريخي واحد ، ومع ما تعرض له هذا البناء على مدى التاريخ من عناصر التدمير الداخلية والخارجية إلا أنه لا يزال فيه من الحيوية ما يمكنه من أن يؤدي رسالته في العالم المعاصر ، وكانت سرعة الفتح ملفتة لنظر الجميع ، والآثار الأسلامية والعقائدية والاجتماعية والثقافية واللغوية قد تركت بصماتها في كل مجتمع من المجتمعات التي عاشت فيها ، بل وأكثر من ذلك فقد لاحظ المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » ملاحظة دقيقة ، قال : إن الفرس من القرن الرابع الهجري كانوا أشد غيرة على اللغة العربية من العرب أنفسهم ، فهم ليسوا حريصين على الأسلام فقط ، بل وعلى اللغة التي نزل بها القرآن ، وبلغ حرصهم درجة عظيمة حتى صاروا أكثر حرصا من العرب أنفسهم أصحاب اللغة .

وما أكثر الشعوب التي رفضت أن تذوب في الفاتحين ، ولكن حين دخلها الاسلام ، كانوا خير المنفذين لتعاليمه .

وهناك ملاحظة أخرى لاحظها بعض المنصفين من الغربيين ، تلك هي أن كل عاصمة من عواصم الدنيا تعيش لنفسها ولا تأبه بالآخرين ، ومن هنا فقد شقيت أمم كثيرة من أجل الأمة المتسلطة ، وما أكثر ما حطمت لندن وباريس من عواصم لتنعم هي ، والسبب يظهر في الحياة المادية التي تحياها هي .

ولكن عاصمة الأسلام أو عواصم الاسلام لا تقوم بهذا العمل لأن لها رسالة تؤديها لجميع البلاد ، وجميع الأمم ، وجميع الناس ، وهي أن يعبد الانسان ربه الذي كرمه وخلقه في أحسن تقويم .

ولقد كانت العاصمة الثقافية الأسلامية متنقلة ، ويعتبر ذلك مظهرا من مظاهر شباب الحضارة الاسلامية ، ولذلك فهي أطول الحضارات عمرا ... فالحضارة الاسلامية — على غرار الانسان — لها قلب يتصل به ، وهي الأماكن المقدسة .

و« دير مانجايم » يعجبه في الاسلام إبعاد أفراد المجتمع عن فوضى المعاشرة الجنسية ، وما استطاع أن ينشره الرسول الكريم من الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع ، فيقول : (إن دعوة محمد قد أوجدت في الجزيرة العربية تقدما غير قابل للاعتراض ، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة أم الجماعة ، فان قيمة المرأة في المجتمع برسالة محمد قد علت ، وحظها من الحياة قد تحسن ، ويرى أن الفحش والمعاشرة الحرة بين المرأة والرجل قد حظرها دين محمد ، وقد حرم أيضا إكراه الأماء على اتخاذ الفحش وسيلة لأثراء مواليهن ، كما كان متبعا من قبل ، ثم يقول : إن أفضل البراهين على عظمة رسالته ، هي تلك العقول المطمئنة ، والقلوب العامرة بالسكينة ، والأرادة القوية التي عالجت الأنسان من الأمراض الأخلاقية) .

و « ول ديورانت » ــ صاحب قصة الحضارة ــ كتب مجلدا كاملا عن الحضارة الاسلامية ، وقد نظر إلى أثر النبي الكريم في المجتمعات التي آمنت به ، وفي تواضعه الذي لم تعرف له البشرية مثيلا ، فيقول :« إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس ، لقلنا : إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ ، فقد رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء ، وقد نجح محمد برسالته في ذلك نجاحا عظيما لم يدانه أحد على مدى التاريخ ، لقد كبح محمد جماح التعصب ، وقضى على الخرافات ، وأقام فوق الديانات القديمة لبلاده دينا ساميا سهلا واضحا بنى به صرحا خلقيا عاليا ، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظمى ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم ، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان ، بل كان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم والتبجيل ، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام ، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله ، لم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال ، رغم ما كان يرد إليه من الفيء الكثير ، أما ما كان ينفقه على نفسه فكان أقل القليل ، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال .

و « توماس كارليل » يعجبه في محمد عليه الصلاة والسلام الصدق والتواضع ، كما يعجبه في الاسلام المساواة وفرض الزكاة ، وغير ذلك من الأشياء التي ساعدت على انتشار الاسلام ، فيقول في كتابه « الابطال » عن محمد البطل الرسول : (إني احب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي ، ولا يدعي ما ليس فيه ، لم يكن متكبرا ، ولكنه كان يخاطب بقوله الحر الصادق قياصرة الروم وأكاسرة العجم).

ثم يقول : وفي الاسلام خطة أراها

أشرف الخلال وأجلها ، وهي المساواة بين الناس ، والناس في الاسلام سواء والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا محتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الدين ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الفرد فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، فتعطى إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وما هي إلا صوت الانسانية السمحة الصافية المتراحمة المتعاطفة ، صوت الرحمة والأخاء والمساواة ، ثم يقول : لقد أخرج الله العرب بالأسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا بالأسلام من العرب أمة خاملة ، وأرضا هامدة ، وهل كانت إلا فئة من الأعراب خاملة متعثرة ، تجوب الفلاة لا يسمع لها صوت ، ولا يحس لها حركـــة ، فأرسل الله لها نبيا هو محمد ، فاذا الخمول وقد استحال إلى نشاط ، والضعة تتحول إلى قوة والشرارة إلى حريق ، وما هي إلا قرن من الزمان يمر على هذا الحادث الفذ ، حتى أصبح لدولة العرب موقع القدم الراسخ في العالم ، من الهند إلى الأندلس ، فأشرقت دولة الأسلام حقبا عديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ، وسيطر الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكـذلك الأيمان المنظم العظيم فهو مبعث الحياة ومنبع القوة).

فيلم الرسالة :

وفيلم الرسالة يحكي رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومع أن علماء المسلمين لم يوافقوا على عرضه لوجود بعض الأخطاء فيه ، إلا أنهم في الغرب استقبلوه استقبالا هائلا ، وقد عرض ما يقرب من عامين متواليين في معظم دور الخيالة الأوربية ، وأن الانسان ليأخذه العجب حين يرى صفوف الأوربيين متراصة للحصول على تذاكر لمشاهدة الفيلم ، ويخرجون بعد مشاهدته ليبدوا إعجابهم الرائع بهذه اللقطات من التاريخ الاسلامـي ، والتي تضع أيديهم كما يقولون على مفاهيم عظيمة لم يتمكنوا من معرفتها ، اللهم إلا من كان منهم متخصصا في هذه الدراسات ، ويرجعون ضيق ذات يدهم في هذا المجال إلى أن الدراسات عن الأسلام ونبيه العظيم ورجالاته الخالدين لا تزال حبيسة اللغة العربية ، ويقول الغربيون : إن هذا عيب في الكاتبين باللغات الأجنبية المقروءة من المسلمين ، وقصور دور النشر العربية عن الاسهام في ترجمة هذه الثقافة الخالصة إلى العالم باللغات التي يفهمها ويقرؤها .

عن الاجراءات الحربية :

وقد لاحظ بعض المفكرين الغربيين أن النبي صلوات الله وسلامه عليه — لا يميل إلى العنف ، ولا يحب المعارك ، ولا يتخذ الاجراءات الحربية العنيفة ، لأن كل هذه الأشياء ليست من طبعه ، ولكنه كان يحب للناس أن يدخلوا في دين الله وأن يهتدوا بهداه ، ولذلك فقد كان القرآن الكريم يلوم النبي صلوات الله وسلامه

عليه ــ في ذلك ، كان يلومه على حرصه الشديد في إسلام الناس ، مع أنهم لا يريدون أن يتبعوا طريق الهدى **(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)** الكهف/٦ ، كما لامه على أنه رضى بالفدية ، ذلك لأن الامام يتصرف في الأسير طبقا للمصلحة العامة ، وفي بداية الاسلام فان المفروض ألا يبقوا على الأسرى حتى لا يعودوا فيكونوا حربا عليهم ، لذلك كان من المفروض أن يكثر القتل في الكفار ، ففي ذلك إعزاز لشوكة المسلمين ، وإضعاف للمشركين **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** الأنفال/٦٧ ، ٦٨ .

وقد لقى النبي صلوات الله وسلامه عليه من أهل مكة ما لقى ، ومع ذلك فانه عندما فتح مكة وانتصر عليهم النصر الحاسم ، وعلت كلمة الله في جنباتها ، نهض رسول الله إلى البيت العتيق ، وأخذ يكسر الأصنام ، وهو يقول :**(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)** الاسراء/٨١ حتى إذا طهر المسجد من الأوثان ، وأقبل على قريش وهم صفوف ، يرقبون قضاءه فيهم ، أمسك بعضادتي باب الكعبة وهم تحته ، وقال: لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا له ، وهم الذين يعرفون خلقه عن طول صحبة : خيرا أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فاني أقول لكم ما قاله يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

بل أكثر من هذا ، فقد كان رسول الله بالمسجد الحرام يجهز على الوثنية ، واقترب منه فضالة بن عمير ، يريد أن يجد فرصة ليقتله فنظر إليه النبي نظرة عرف فيها طويته ، ولكنه لم يجد في نفسه على الرجل ، بل استدعاه وسأله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ فقال فضالة : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فتبسم النبي ، ثم قال : استغفر الله ، وتلطف معه ، ووضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : ما رفع يده عن صدري حتى ما من شيء أحب إلي منه ، ولو أن قائدا في عصرنا الحديث حصل له هذا لأباد العشرات ، بل والمئات ، ولكنه محمد رسول الله .

ومواقف المنافقين واليهود مع رسول الله مشهودة ومعروفة ، فقد كانوا يتآمرون على الفتك به بل وحاولوا ذلك مرات عديدة ، ومع ذلك فانه لم يجد عليهم في نفسه ، بل إنه كان يستغفر للمنافقين راجيا لهم الرحمة من الله تعالى ، فنزلت الآية الكريمة **(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)** التوبة/٨٠ ، ومع ذلك فان النبي الكريم قال : أزيد على السبعين ، فنزلت الآية الكريمة

(سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) المنافقون/٦ ـ وهذا هو الذي جعل « دير مانجايم » يعجب بانسانية محمد الرائعة ، في معاملة أعدائه في الحرب ، وفي عدم التعرض لغير المحاربين ، وفي عدم تجريد السلاح إلا عند الضرورة القصوى ، فيقول : (إن محمدا قد أبدى في حياته اعتدالا يلفت النظر ، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن نجد لها في التاريخ مثيلا ، فهو يأمر جنوده بألا يتعرضوا للضعفاء والمسنين ، والأطفال والنساء ، وحظر عليهم هدم البيوت وسلب الناس ، وامرهم ألا يجردوا سيوفهم إلا عند الضرورة القصوى).

تأثير الأسلام في الأديان الأخرى :

يقول الأستاذ « أحمد أمين » : ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الاسلام ، من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادي ظهر في « سيتمانيا » بفرنسا حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القس ، وأنه ليس للقس حق في ذلك ، وأن يضرع الانسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم ، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار ، فطبيعي ألا يكون فيه اعتراف .

ويقول صاحب كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟» (وكذلك كانت هناك حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل ، فقد أصدر الامبراطور الروماني « ليو الثالث » أمرا سنة ٧٢٦ م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل ، وصرح آخر سنة ٧٣٠ م بأن الاتيان بهذا وثنية ، وكذلك كان قسطنطين الخامس وليو الرابع ، على حين كان البابا جريجوري الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية من مؤيدي عبادة الصور ، ويقولون : إن كلوديس أسقف نورين الذي عين سنة ٨٢٨ م والذي كان يحرق الصور والصلبان ، وينهي عن عبادتها في أسقفيته ، ولد وربى في الأندلس الاسلامية وكذلك وجدت طائفة من النصارى شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية ، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام .

وكذلك كان تأثير الأسلام في أخلاق الأمم ، وفي تشريعاتها ، في أراضي أوربا النصرانية ، وفي الهند الوثنية بعد الفتح الأسلامي ، نراه في الاتجاه إلى التوحيد ، ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها ، والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر ،إن قادة الدين في هذا العصر قد دعوا إلى عبادة الله ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات التي ظهرت في الهند .

يقول الباحث الهندي المشهور« بانكر » سفير الهند في مصر سابقا ، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الأسلامية في عقلية الشعب الهندي ودياناته : (إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الاسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند ، وأنه قد فضح الفساد

الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندي ، وأنه قد أظهر انقسام الطبقات وحب الاعتزال من العالم الذي كانت تعيش فيه الهند ، إن نظرية الأخوة الاسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ، ويعيشون فيها ، أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية).

ويقول الكاتب الهندي « ميهاتا » في كتابه الحضارة الهندية والاسلام : (إن الاسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور ، انجلت به الظلمات التي كانت تغشي الحياة الأنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني ، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية ، لقد كانت فتوح الاسلام في عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ، شأنه شأن الاقطار الأخرى ، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام في هذا القطر الهندي مرتبطا بالحكومات فبقيت حقيقة الاسلام في حجاب ، وبقيت هباته وأياديه مختفية عن الأنظار .

ويقول « بريفوليت » في كتابه « صناع البشرية » : (ما من ناحية من نواحي تقدم أوربا إلا وللحضارة الأسلامية فيها فضل كبير ، وآثار حاسمة لها تأثير كبير) ويقول في موضع آخر : (لم تكــن العلوم الطبيعية التي يرجع فيها الفضل إلى العرب ، هي التي أعادت أوربا إلى الحياة ، ولكن الحضارة الأسلامية قد أثرت في حياة أوربا تأثيرات كبيرة ومتنوعة ، منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا).

خاتمة :

الانسان حين ينظر إلى المجتمعات المعاصرة، ويجد الصراعات المختلفة التي تدور فيها ، والجهود التي تبذل ، والأموال التي تنفق ، والأرواح التي تزهق ، يعجب أشد العجب ، لأن ذلك لن يعود بالخير على أحد ، وليس له هدف إلا الكسب المادي ، وما أشقى البشرية حين يتولى أمرها من لا يهتم بالمحافظة على أمنها ، ولا على صحتها الجسمية والنفسية ، ولقد لفت نظر « برنارد شو » أسلوب حل المشكــلات الذي يتميز به رسول الاسلام ، فلم يملك نفسه أن قال وهو غير المسلم :**(لو أن محمدا رسول الاسلام وجد وسط هذا العالم المليء بالمشكــلات والصراعات لاستطاع أن يحل مشكــلات العالم ، وهو جالس يحتسي فنجانا من القهوة).**

ترى ــ هل جاء الوقت ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري أن ينظر الغربيون إلى الأسلام نظرة منصفة ، فيعملوا على دراسته ، ويسيروا على نهجه ، حتى يخلصوا هذا العالم الحائر من حيرته ، ويعيشوا في أمن وسلام واطمئنان ، مؤدين رسالتهم المثالية في هذه الحياة .

شهر ربيع الأول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / صلاح أحمد الطنوبي

يقبل شهر ربيع الأول من كل عام ، فترى ملايين المسلمين يبتهجون بمقدم هذا الشهر أجمل ابتهاج ، ويفرحون لاقباله كل الفرح حيث يتم التعظيم

والتبجيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » ... فالدنيا كلها في شهر ربيع الأول تحتفل بذكراه ، وتعيش ذلك الشهر الكريم الذي اختاره الله تبارك وتعالى ؛ ليكون شهر مولده .. وليكون شهر هجرته .. وليكون الشهر الذي يستطيع فيه ان ينتزع أرض حصون بني النضير اقوى قبائل اليهود .. وليكون شهر الانتصارات في الغزوات والسرايا .. وليكون الشهر الذي يلحق فيه بالرفيق الاعلى .. بعد ثلاث وستين عاما عاشها صاحبها العظيم في جلال يبهر العقول .

١ - شهر ربيع الأول ومولد السراج الوهاج محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم »

ولد النبي العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم » في فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل ، فكان يوم مولده نقطة التحول في تاريخ البشرية من شر ما كانوا فيه من شقاء وضلال إلى خير أوصلهم للهداية والاسعاد ... ولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » والعالم تتقاذفه الأمواج ؛وينخر في عظامه سوس الفساد ، أضله دجالو الاديان ، واستعبده جبابرة الحكام وأرهقه جوز القوانين ، واستهوته في الأرض الشياطين ، وطغى فيه حب الشهوات . إن الرسول العظيم محمداً « صلى الله عليه وسلم » منقذ البشرية ، وهادي العقول ، ومطهر الأرواح ، ومزكي النفوس .

كان عام الفيل عام خيرين عظيمين لمكة ، بل للعرب ، بل للانسانية المؤمنة في مستقبل تاريخها : صيانة الكعبة من الفيل وأصحابه أو من جنون الشر ، ومولد الخير في شخص الوليد اليتيم محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم » ، وقد حكى الله قصة عدوان أبرهة في سورة الفيل ، وقد عاشت القصة مع القرآن الكريم تحدث الأجيال عن كيد اصحاب الفيل وما صنع الله تعالى بهم ، لتكون بها العبرة الواعظة لكل من يغريه حمقه بالعدوان على حرم الله الذي جعله مثابة للناس وأمنا ..

٢ - شهر ربيع الأول وهجرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

قضى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة بعد بعثته الشريفة يدعو إلى الله جل ثناؤه ، ويجمع حول الدعوة الطلائع المؤمنة القوية ، ويربيهم على الايمان بالله تعالى ، وعلى الصبر والصمود في مواجهة الشدائد ، ولقد ابتلوا بأقسى ألوان الابتلاء ، وعذبوا العذاب الشديد من أعداء الحق وأعداء الحياة ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .. ولقد أذن الله تبارك وتعالى لرسوله « صلى الله عليه وسلم » ان يختار للدعوة موقعا جديداً من مواقع العمل .. وأن يترك هذا الموقع إلى حين ، وأن يتجه إلى حيث يقيم مجتمع

الايمان ، فخرج الرسول العظيم، محمد « صلى الله عليه وسلم » من مكة أول يوم من ربيع الأول وقدم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول وذلك يوم الاثنين لثلاث وخمسين من مولده (٢٨يونية سنة ٦٢٢ م).

٣ ـ شهر ربيع الأول وهزيمة يهود بني النضير :

النضير : اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة في حدائق وآطام « حصون » لهم .

دبر يهود بني النضير مؤامرة لاغتيال الرسول « صلى الله عليه وسلم » وعلم الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » بنبئها ، فعزم على تأديبهم وذلك بأن يجلوا عن المدينة ، وامهلهم عشرة أيام ، ومن بقى بعد ذلك منهم ضربت عنقه ... الا ان المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي حرضوهم على البقاء ، وحاصرهم الرسول « صلى الله عليه وسلم » حصارا عنيفا ــ وتطهرت المدينة من رجسهم .

ونزل في امر بني النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وما عمل به فيهم .. وكانت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٥م).

٤ ـ غزوة دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥ هـ (يوليو سنة ٦٢٦ م):

دومة الجندل : بلد بين الحجاز والشام .

استعمل النبي « صلى الله عليه وسلم » على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وسببها ان النبي « صلى الله عليه وسلم » بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة ، فخرج النبي « صلى الله علسه وسلم » في ألف من أصحابه ومعه دليل من بني عذرة ، فأصابهم الرعب وتفرقوا ثم عاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » وصحبه منتصرين .. وقد كانت هذه الغزوة بمثابة اعلان عن دعوة الاسلام بين سكان البوادي الشمالية واطراف الشام الجنوبية ، وأحسوا بقوة الاسلام وسطوته ، كما كانت الغزوة ارهابا لقيصر وجنده ، وتعتبر الغزوة فاتحة سير الجيوش الاسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وافريقيا فيما بعد ..

٥ ـ غزوة الغابة في ربيع الأول سنة ٦ هـ (يولية سنة ٦٢٧ م):

وتسمى بغزوة ذي قرد ، وذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان ، وسببها اغارة عيينة بن حصن الفزارى في خيل لغطفان على لقاح رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بالغابة ، وكانت عشرين لقحة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة

في اللقاح ، والرجل الذي قتلوه هو ابن أبي ذر « رضي الله تعالى عنه » وكان يرعى الابل ، وامرأته التي اسروها اسمها ليلى ، وقد نجت لانهم اوثقوها ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانطلقت وركبت ناقة للنبي « صلى الله عليه وسلم » ليلا على حين غفلتهم ، وقدمت على النبي « صلى الله عليه وسلم » واخبرته بذلك .. فاستعمل الرسول « صلى الله عليه وسلم » على المدينة ابن أم مكتوم ، وركب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في خمسمائة ، وخلف سعد بن عبادة « رضي الله عنه » في ثلاثمائة يحرسون المدينة ، وعقد لواء للمقداد « رضي الله عنه » في رمحه وقال : « امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك » .

وكانت نتيجة هذه الغزوة انهم ادركوا العدو فهزموه ، وقتلوا رؤساءه ، واستنقذوا اللقاح .. وقد ابلى في هذه الغزوة سلمة بن الأكوع بلاء حسنا وكان راميا .

٦ ـ سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران (ربيع الاول سنة ١٠هـ):

بعث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خالد بن الوليد في شهر ربيع الاول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١ م) ومعه اربعمائة الى بني الحارث بن كعب بنجران (موضع بين اليمن ونجد) وأمره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا ، فان استجابوا قبل منهم ؛ واقام فيهم ، ليعلمهم الكتاب والسنة ومعالم الاسلام ، فان لم يفعلوا قاتلهم ، وكان اهل نجران على شريعة عيسى ابن مريم « عليه السلام » فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس الى الاسلام ويقولون : يأيها الناس اسلموا تسلموا ، فاسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم اليه فاقام خالد بن الوليد « رضي الله عنه » فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه .. وجاء خالد بن الوليد والوفد النجراني الى المصطفى « صلى الله عليه وسلم » كما امره الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » .

٧ ـ وفاة ابراهيم ابن النبي « صلى الله عليه وسلم » ربيع الاول سنة ١٠ هـ

توفى ابراهيم ابن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في شهر ربيع الأول سنة عشر (يونية سنة ٦٣١م)، وكانت ولادته في شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة (ابريل سنة ٦٣٠ م) من السيدة مارية القبطية ، التي كان اهداها له المقوقس عظيم مصر ، فتسراها حتى ولدت له ، فصارت ام ولد ، وانزلها منزلة الازواج .. وقد فرح الرسول بمولده فرحا عظيما ، فلا عجب ان كان حزنه عليه شديدا ، وقد دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فصارت عيناه تذرفان بالدموع ، وقال له عبد الرحمن بن عوف : اذا رآك المسلمون

تبكي بكوا ! فلما سريت عنه عبرته قال : انما هذا رحمة وان من لا يرحم لا يُـرحم انمـا ننهي النـاس عن النياحة ، وان يندب الرجل بما ليس فيه ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لولا ان آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، تدمـع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » رواه البخاري واحمد وابو داود وأمر النبي « صلى الله عليه وسلم » بـدفن ابراهيم في البقيـع « مقبرة أهل المدينة ».

وانكسفت الشمس يـوم مـات ابراهيم ، فأذاع الناس ان الشمس كسفت حزنا على موت ابراهيم ، فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، ولكنهما آيتان من آيات الله » رواه البخاري ، قال ذلك لأن الناس لما شاهدوا الكسوف قالوا : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، ولو كان النبي « صلى الله عليه وسلم » مخادعا أو كاذباً لاستغل هذه الفرصة السانحة ، وأذاع في طـول البلاد وعرضـها أن الشمس انما انكسفت لوفاة ابنه وأن هذه احدى معجزات النبوة ، لكنه أبى إلا الصدق وأذاع الحقيقة .

قال مسيو درمنجم في كتابه « حياة محمد » بمناسبة هذا الحدث : « ان محمدا كان واسع العقل ، فرد على هذه الخرافة بقوله : « ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد » وهذه كلمات لا يقولها مخادع » .

٨ ـ وفاة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في ربيع الأول سنة ١١هـ:

عاش المصطفى « صلى الله عليه وسلم » من مولده الى بعثته أربعين سنة ، ثم بعث بالرسالة على رأس الاربعين ، ومكث الرسول « صلى الله عليه وسلم » بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر بأمر ربه الى المدينة ليبني المجتمع الجديـد وعاش بهـا عشر سنوات ، كانت سلسلة من الصراع المتصل بين قاعدة الاسلام في المدينة بقيادته ، وبين العداوات الحاقدة من قريش واليهود والمنـافقين .. ولقـد جاهد الرسول « صلى الله عليه وسلم » حتى لقى ربه راضيا مرضيا مبلغا للرسالـة ومؤديا لـلأمانـة رسالـة الاسلام ، النعمة العظمى .. وامر الرسول ابا بكر ان يصلي بالناس فصلى بهم مدة مرضه ، وفي يـوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول لحق الرسول بربه وهو في الثالثة والستين من عمره ، وقد اعلن ابو بكر للصحابة خبر وفاة النبي بطريقة تدل على حكمته وقوة ايمانه ... « أيها الناس من كان يعبد محمدا فـان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا قول الله تعالى : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئـا وسيجـزي الله الشـاكـرين**) آل عمران/ ١١٤.

البدعة وذكرى

البدعة في اللغة ـ وفي لسان الشرع ـ البدعة والعلوم الحادثة ـ البدعة الحقيقية ـ المعترضون على ذكرى المولد قديما وحديثا ـ فتوى رسمية ـ أدلتها ـ مناقشتها ـ من أدلة بطلانها قصص القرآن ودلالته ـ الرسول راعى مناسبات كيوم عاشوراء ، ويوم مولده ـ ليست الذكرى ابتداعا ولا تشريعا ولا تشبها **بالآخرين** ـ بل قبس من نور السنة والكتاب .

روى الامام مسلم « في صحيحه ـ من باب خطبة الجمعة ـ بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته :

« أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »

البدعة في اللغة :

والبدعة لغة : هي الأمر المستحدث على غير مثال سابق .

ويقول صاحب فتح البارى : فيشمل لغة ما يحمد ويذم ، ويختص في عرف أهل الشرع بما يذم ، وإن وردت (البدعة) في المحمود فعلى معناها اللغوى [١]

البدعة في الشرع :

والبدعة في الدين : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا ـ كما نقله النووى عن البيهقي ، مرويا عن الامام الشافعي[٢]

وعرفت البدعة أيضا بأنها : ما عمل من دون أن يسبق له شرعية من كتاب ولا سنة[٣]

وعرفها الشاطبي على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة ، وإنما يخصها بالعبادات : بأنها : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه . [٤]

ويقول قبل هذا : العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة ـ وهو إطلاق أخص منه في اللغة . [٥]

البدعة وهل منها العلوم الحادثة ؟

ولقد حدث في الأمة أمور كثيرة ، وعلوم جمة ، لم تكن بصورتها من قبل ، قضت بها المصلحة ، واستوجبتها ضرورة المحافظة على

مولد الأمين

للأستاذ / كمال احمد محمد عون

الدين ، ولم تكن بطبيعة الحال مخالفة لمقاصده ، فقال عنها كثير من العلماء : إنها بدع حسنة ، وقسموا البدعة على هذا إلى خمسة أقسام ، وبينوا المراد بأمثلة ساقوها : فقالوا : منها :

بدعة واجبة : كحفظ العلوم بالتدوين ، والرد على الملاحدة باقامة الأدلة والبراهين .
وبدعة مندوبة : كبناء المدارس .
ومباحة : كالتوسعة في ألوان الطعام ، والثياب ..
ومكروهة : كالصيام في الشمس قائما ..
ومحرمة : كتحريم بعض الطيبات تدينا .

ويقولون في العبارة النبوية الواردة في الحديث السابق : « وكل بدعة ضلالة » إنها من قبيل العام المخصوص .

وفي هذا يقول الامام النووي في شرحه للحديث من صحيح مسلم :

الحديث من العام المخصوص ، وكذلك كل ما أشبهه من الأحاديث الواردة ويمضي قائلا : ويؤيد ما قلناه قول عمر رضي الله عنه في التراويح : نعمت البدعة .

ثم يقول : ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا ، قوله : وكل بدعة ضلالة ، مؤكدا بكل ، بل يدخله التخصيص مع ذلك : كقوله تعالى : « **تدمر كل شيء بأمر ربها** »(٦) . أي ما أمرت بتدميره

استدراك على الجماعة في التراويح :

وقد استدرك بعض المحققين فقالوا : إن تسمية الجماعة في صلاة التراويح بدعة تسمية لغوية ، فالاجتماع لصلاتها وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث صلاها ليلة في المسجد ، وصلى بصلاته جمع من الصحابة ، تزايدوا في الليلة الثانية ، والثالثة ، حتى كانت الليلة الرابعة ، كاد المسجد يعجز عن أهله ، فلم يخرج إليهم ، خشية أن تفرض عليهم ، وذلك رحمة بهم ، كما أوضحه لهم في صلاة الصبح من تلك الليلة . (٧)

ورأى عمر رضي الله عنه ، زوال

السبب الذي تخلف النبي صلى الله عليه وسلم من أجله عن صلاتها في جماعة ، فأمر بالاجتماع لها ، تقوية لبعض العزائم فيها .

واستدراك على التقسيم كله :

بل استدركوا على تقسيم البدعة على النحو المذكور ، وقالوا : ليس من البدعة في الدين ما يمكن أن يكون واجبا أو مستحبا ، بل البدعة منهى عنها ، ومردودة ، وهي في حقيقتها ما ليس لها أصل في الدين ، وكانت مخالفة لهديه القويم - والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[٨] » فقوله صلى الله عليه وسلم : « وكل بدعة ضلالة » عام أريد عمومه .

العلوم الحادثة ليست بدعة في الدين :

وما قيل عن العلوم الحادثة في المسلمين بأنها بدعة ، وأنها واجبة قول غير دقيق ، فالعلوم الضرورية لخدمة الدين ، وإن أمكن لغة تسميتها بصورتها الجديدة بدعة أو أمرا مبتدعا ، ليست على الحقيقة بدعة في الدين[٩] ، ولا إحداثا في أمر الله ورسوله ما ليس منه .

فالعلم وتقييده ، والاستزادة منه ، وصيانة اللسان عن الخطأ ، كل ذلك مأمور به شرعا .

وجدال المبطلين ، وعرض أقوالهم ، والكر عليها بالإبطال ، كثير في القرآن الكريم ، بل هو من مقاصده ، والله تعالى يقول : « **وجاهدهم به جهادا كبيرا** » (الفرقان ٥٢)

ذكرى المولد :

رأى المعترضين :

يرى فريق من أهل العلم قدامى ومحدثين إنكار الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، قائلين : إنها ابتداع من بعض ساسة الدول الاسلامية ، لا أصل له في الدين ، ثم شاع في أوساط كثير من المسلمين .

رأى الشاطبي :

وعلى سبيل المثال يقول الامام الشاطبي في بيان أن البدعة مخالفة للطريقة الشرعية ، ومضادة لها من أوجه متعددة ، **منها** :

وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل ..

ومنها : التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدا ، وما أشبه ذلك .[١٠]

فتوى هامة :

وتبسط القول في هذا فتوى شرعية ، على مستوى عال ، تناقلتها الصحف ، وبعض الاذاعات ، وترى :

أنه لا يجوز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره .

وتستدل الفتوى لرأيها بما نجمله فيما يلي :

١ ـ الاحتفال لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا غيرهم من الصحابة والتابعين ، وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتابعة لشرعه .

٢ ـ في الحديث الشريف : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

٣ ـ في القرآن الكريم : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

٤ ـ إحداث هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين .. حتى جاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به الله ، وهذا بلا شك خطر عليهم ، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ ظن بعض المتأخرين أنها بدعة حسنة ، وبردنا هذه المسألة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله لم نجد ما يدل عليها ، فعلمنا أنها بدعة محدثة ، وأنها من التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم .

٦ ـ زيادة على ما مر فقد تشتمل على منكرات أخرى ، كاختلاط الرجال بالنساء .. وشرب المسكرات والمخدرات ، وغير ذلك من الشرور .

٧ ـ وأخيرا نصحت للمسلمين بالحذر مما يحدثه الجهال من البدع والخرافات .

مناقشة الفتوى وما استندت إليه :

والفتوى بهذا ـ مع احترامنا وتقديرنا لمن صدرت عنه ، ومعرفتنا بأن فريقا من علماء المسلمين يأخذ بها ، وينحى باللائمة على من يحتفل بهذه المناسبة ـ لا تعدو في نظرنا العلمي بدين الله ، كونها **وجهة نظر ، جهد أصحابها فيما رأوه خيرا للمسلمين ، وهم في هذا القدر مشكورون .**

ولكن من حق أهل العلم بالدين أن يناقشوهم فيما أوردوه ، وبنوا عليه ما بنوا .

ومن واجب أصحاب الفتوى من العلماء أن يفسحوا صدورهم ، لسماع الرأي المقابل ، كي تتضح معالم الحقيقة في هذه المسألة ـ وفي القرآن الكريم « **فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** » (الزمر آية ١٧ و١٨) ، وفيه : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » (النحل ١٢٥)

أغفلت جوانب هامة :

والفتوى ـ في رأينا ـ **أغفلت جوانب هامة من العلم في دين الله ، ينبغي أن تدخل في الاعتبار ، قبل أن نصدر الأحكام بالجواز وعدم الجواز ، وقبل أن نصف الآخرين بأنهم مبتدعون وجائرون !!**

النبي غني بتكريم الله :

وهنا نحب أن نذكر لمن يحتفل بذكرى المولد ، ومن لا يحتفل به ، ما هو معلوم لكل مسلم ، من جلال التكريم الالهي للنبي العظيم ، بما لا يدانيه أي تكريم ، فقد رفع ذكره ، حتى لا يكون أذان ولا إقامة إلا بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعد الشهادة بتوحيد الله ، كما لا يكون تشهد في الصلاة بين يدي الله ، إلا بالسلام على نبي الله سلام حضور وخطاب ، ثم الصلاة عليه وعلى آله ، وعلى أبي الأنبياء وآله ، وعلى أهل طاعة الله أجمعين .
إلى جانب أن الدخول في الاسلام لا يكون إلا بشهادتين لا شهادة واحدة ؛ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

من أدلة بطلان الفتوى :

ونشير إلى ما نراه ردا على الفتوى في كلمات ، نتبعها بحول الله سبحانه الأدلة والبراهين :

١ ـ القرآن الكريم قص من أخبار السابقين ما فيه عبرة وذكرى لأولى الألباب .
٢ ـ القرآن الكريم قص من أنباء الرسل ما فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .
٣ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله راعى مناسبات لبعض الانبياء استوجبت شكر الله تعالى ، وتكررت رعاية هذه المناسبات حياته صلى الله عليه وسلم ، وحتى الآن .
٤ ـ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كرم يوم مولده بعبادة شكرا لله .
٥ ـ الصحابة كانوا يحيون وقلوبهم وعيونهم متعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم في حضور دائم ، ومع أسوة ماثلة ، ملأت كل حياتهم ، وناهيك بمثل عمر تأخذه الدهشة لسماعه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينكر موته ، ويثور ويتوعد من يحدث بموته ، حتى ترده عظة الصديق الخالدة ، وكأنه لم يكن يظن أن الرسول يموت .
٦ ـ ذكرى المولد النبوي تذكير بنعمة الله ، وسيرته الشريفة تطبيق عملي لكتاب الله ووحيه .
٧ ـ ليس الاحتفال تشريعا أو عبادة يكمل بها الدين ، إنما هو حض على التأسي برسول الله .
٨ ـ إحياء ذكرى عالم خدم الاسلام ليس عبادة له ، ولا بدعة في الدين ، بل استنهاض « لهمم العاملين » .
٩ ـ المنكر يجب إنكاره حيثما كان ، ومتى وجد ، والنهي عنه فريضة محكمة إلى يوم الدين .

وإليك أشعة موجزة من البيان :
قصص وأنباء للعبرة والتثبيت :

١ ـ لقد قص القرآن الكريم الكثير من أخبار السابقين ، وقال سبحانه : « **لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب** » يوسف (١١١)
وقال لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله :

« **واذكر في الكتاب مريم** .. » (مريم ١٦) - « **واذكر في الكتاب موسى** .. »(مريم ٥١) « **واذكر في الكتاب ادريس** .. »(مريم ٥٦) - « **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب** » (ص ٤٥) - « **واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** » (ص ٤٨) وقال تعالى ، في سورة الأنعام بعد ذكر ثمانية عشر من الرسل عليهم السلام : « **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** .. » الآية ثم قال سبحانه : **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا . إن هو إلا ذكرى للعالمين** » (الآيات ٨٣ - ٩٠) - **فأي إشادة بذكرى هؤلاء الكرام أجل وأروع من أن يكون هديهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، يؤمر النبي فيه باتباع هداهم** .

٢ : **تثبيت لفؤاد المصطفى** :

وقال تعالى : « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** » (هود ١٢٠)

٣ - رعاية المناسبة ليست ابتداعا : « يوم عاشوراء »

فلقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة مهاجرا ، رأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فلما سئلوا قالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى ومن معه ، فصامه شكرا ، ونحن نصومه .

فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أولى بموسى منهم ، وأمر بصيام عاشوراء ، وأرسل من يخبر بأمر رسول الله ، أن من أفطر فليمسك بقية يومه ، ومن لم يكن أفطر فليتم صومه [(١١)]

وبعد أن فرض صيام رمضان ظلت الحفاوة بيوم عاشوراء ، وقال صلى الله عليه وسلم قبيل لحوقه بالرفيق الأعلى : لئن عشت إلى قابل ، لأصومن التاسع والعاشر .

هذا : وضم يوم إلى عاشوراء قبله أو بعده ، لا ينتقص من تكريم عاشوراء ، إن لم يزده تكريما ، كما لا ينتقص من رعاية المناسبة فيه .

٤ - **ورعاية يوم مولده الشريف** :

ولقد صام صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ويوم الخميس ، وهما يومان ترفع فيهما الأعمال . وجاء في صحيح مسلم في صيام يوم الاثنين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنه : فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل علي فيه »

٥ - **ليس ابتداعا** :

فإذا احتفل فريق من المسلمين بذكرى المولد النبوي الشريف ، فصام يومه من صامه تقربا إلى الله ، واقتداء برسول الله ، وتصدق فيه من تصدق على الفقراء والمساكين ، فليسوا على الحقيقة مبتدعين .

وإذا رأى هذا الفريق العظيم من خيار المسلمين - وقد كثرت الغفلات ،

ورانت على قلوب كثير من المسلمين ـ أن يكون من ذكرى مولد الرسول الكريم مناسبة يستزيدون فيها من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ويتذاكرون من عظيم خلقه ، وجليل صبره وثباته ، وموصول جهاده ، وجهاد أصحابه معه ، وتفانيهم في ذلك ، بما يقيم أروع الأمثال أمام الأمة وشبابها ، ويزيد في أنوار قلوبهم فقهاً ومعرفة ، واقتداء بالنبي العظيم ، وصحبه الكرام ، فهم بذلك لم يخرجوا قط عن هدى القرآن الكريم ، في التذكير والاعتبار ، وتثبيت القلوب على دين الله ، وملء النفوس والأفئدة بأنوار الله ، متمثلة في جهاد الرسول ، وصحبه الأخيار .

مناسبات كريمة :

وكما يحتفلون بمناسبة المولد الشريف ، يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية ، وذكرى الاسراء والمعراج ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ونزول القرآن الكريم في ليلة القدر ، كل ذلك من باب التذكير ، والتحدث بنعمة الله على الأمة الاسلامية ، بمولد رحمة الله تعالى للعالمين ، وما كان من الأمور الجسام ، ذات الأثر الكبير للاسلام والمسلمين ـ وعلى نحو ما كان يقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل لصاحبه : اجلس بنا نؤمن ساعة (١٢) ، أي نزدد إيماناً ،
فهذه مناسبات كريمة ، ينتفع المسلمون بذكراها ، والذكرى تنفع المؤمنين .

القرآن والسيرة :

وفي القرآن الكريم الكثير الطيب المبارك من أنباء رسولنا الكريم ، وسيرته وجهاده ، وجهاد أصحابه ، بأسلوب الكتاب المعجز .
وفي السنة من ذلك تفصيل ، وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم قراءة لبعض ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

كتابة السيرة وقراءتها :

وهذه كتب السيرة النبوية ، وهي بصورتها جديدة وحادثة في الاسلام ، فهل ما كتب فيها عن نسبه صلى الله عليه وسلم ، ونشأته ورسالته وجهاده ، يمكن لمسلم أن يعده بدعة في الدين ، مرفوضة ومردودة على المبتدعين ؟!!

والمحاضرات حولها :

وإذا دعا الداعي إلى من يحاضر في ذلك . ويقرأ طرفا من صحيح ما دون فيه ، يكون مبتدعا ومحدثا في أمر الله ما ليس منه ؟
أو ليس ذلك من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور « حدثوا عني ولا حرج »؟
والحديث النبوي كما يعرفه رجاله : ما كان من قول النبي ، أو فعله ، أو تقريره ، وكذلك ما كان عن صفة من صفاته الجسمانية ، أو من خلقه العظيم ، ولقد كان خلقه القرآن .

ليس تشبها بقوم آخرين :

وليس ذلك بحمد الله من التشبه بقوم آخرين ، جعلوا مما سموه أعياد الميلاد عندهم فرصة للهو والعبث ، وإضاءة الأنوار ليلا مختلطين راقصين مخمورين ، حتى إذا اشتعلت الشهوات ، عمدوا إلى الأنوار فأطفأوها ، لتزداد الشهوات الآثمة اشتعالا في مجال الآثام ، مجللة بسواد الليل البهيم .

مخالفات مع الذكريات ومع العبادات :

وبعد :

فإن قيل : نظرت ـ إلى ذكرى المولد النبوي في ضوء السيرة النبوية وقراءتها ، ومدارسة العلم وعمل الصالحات ، مع أن الموالد ـ كما قيل ـ سواء المولد النبوي ، أو ما يعرف بموالد الأولياء ، كثيرا ما يكون فيها المخالفات والمنكرات ؟

والجواب :

كي نكون منصفين ، لا محيد عن وضع الأمور مواضعها ، وتحديدها وعدم الخلط فيها ، فالاحتفال بالمولد النبوي ، وبذكريات الاسلام الكبرى ، على نحو ما يفعله الأخيار من المسلمين ـ وإنهم بحمد الله كثيرون ـ ليس بدعا من هدى القرآن الكريم ، ولا من سنة النبي العظيم ، وليس تشريعا ، أو استكمالا في الدين ، أو اعتراضا على رب العالمين .

أما المنكرات ، إن خالطت عند بعض الناس هذه المناسبة الكريمة ، فلقد خالطت كثيرا غيرها ، مما هو من قواعد الاسلام ، وعباداته الأصلية ، فينبغي أن يقتصر النكير على المنكر ، سواء منها ما صحب العبادات ، أو ما صحب هذه المناسبات ، حتى تخلص هذه المناسبات وغيرها لما أريد منها ، ولما فيها من الخير المحقق والنفع العام للمسلمين .

وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق ؟

الهوامش :

(١) شرح فتح الباري على صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ـ مادة بدع .
(٣) الصنعاني في سبل السلام ـ باب الجمعة في شرحه للحديث .
(٤) الاعتصام ـ الباب الأول ـ تعريف البدعة .
(٥) نفس المصدر والباب .

(٦) المعنى مما أمرت بتدميره ـ راجع الموضوع في شرح النووى على مسلم ـ وفي تهذيب الاسماء واللغات مادة بدع للنووى ـ وشرح سبل السلام ـ باب الجمعة ـ للصنعاني .
(٧) أصل الحديث في صحيح البخاري ـ كتاب التهجد ، ورواه غير البخاري

(٨) صحيح البخاري في كتاب الصلح ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(٩) راجع الاعتصام للشاطبي ـ تعريف البدعة .
(١٠) المرجع السابق في شرح تعريف البدعة .

(١١) الحديث بعدة روايات في البخاري ـ باب صوم عاشوراء ، وفي بعضها أنه كان يصام في الجاهلية ، كما روى في أبواب أخرى من البخاري ، وغيره .

(١٢) رواه البخاري في أول كتاب الايمان

خير يوم طلعت عليه

تفاضل الأمكنة والأزمنة :

تتفاضل الأمكنة عند الله تعالى كما تتفاضل الأزمنة ، فمنزلة بيت الله الحرام تفضل سائر بيوت الله في شتى أنحاء المعمورة ، والحج عرفة ... ، كما تتفاضل الشهور فيما بينها ، « **إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** » ٣٦ التوبة . و « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » البقرة ١٩٧ و « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** .. » ١٨٥ البقرة .

واذ تتفاضل الشهور تتفاضل أيضا الليالي فنجد في شهر رمضان « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » ٣ القدر ، وحيث تتفاضل الليالي تتفاضل كذلك الأيام ، فيوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين حرم صومه الا مسبوقا أو ملحوقا ، فيه ساعة إجابة ، وصلاة الجمعة فيه ليست ككل صلاة ، فجعلت من الجمعة الى الجمعة كفارة ، تؤدى في وقت الظهر بأحكام وشروط مخصوصة ، في مساجد مخصوصة ، من تركها طبع الله على قلبه ، حرم في وقتها الشراء والبيع ، يقول تبارك وتعالى في سورة الجمعة التي سميت بإسمه :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة**

الشموع

للاستاذ/عمر الراكشي

فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »
٩ و ١٠ الجمعة .

ففي هاتين الآيتين يأمر الرحمن جل وعلا المؤمنين به وبرسوله ورسالته بأن يمضوا الى ذكر الله عندما يؤذن لصلاة الجمعة حريصين عليها ، وأن يتركوا من أجلها عروض التجارة بيعا وشراء ، فإن ذكر الله وإقامة الصلاة واجتماع المؤمنين حولها في هذه الساعة أنفع لهم وأجدى من كل كسب من بيع أو شراء إن كانوا يعلمون ، فاذا ما أدوا صلاتهم فقد أمرهم خالقهم بأن يتفرقوا في الأرض لمصالحهم يطلبون من فضله ، وأن يذكروه كثيرا بقلوبهم وألسنتهم لعلهم يفوزون بخيري الدنيا والآخرة ، فانما يطلب رزق الله بطاعته .

حكم صلاة الجمعة :

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال « صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه باسناد حسن ، وهي فرض عين على كل مكلف قادر مستكمل لشروطها ، وقد ثبت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، وهي ليست بدلا عن صلاة الظهر ، فمن أدرك الامام في الركعة الثانية فقد أدرك الجمعة وعليه أن يأتي بركعة ثانية ويسلم باتفاق ، أما اذا أدركه في الجلوس الأخير فقط فانه يلزمه أن يصلي الظهر أربع ركعات بعد سلام الامام ولا يكون مدركا للجمعة باتفاق المالكية والشافعية ، أما الحنفية فقالوا من أدرك الامام في أي جزء من صلاته فقد أدرك الجمعة ولو في تشهد سجود السهو وأتمها جمعة

على الصحيح .

متى يحرم البيع :

يجب السعي لصلاة الجمعة على من تجب عليه الجمعة اذا نودي لها بالآذان الذي بين يدي الخطيب . ولم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا الآذان ، فكان اذا صعد صلى الله عليه وسلم المنبر أذن المؤذن بين يديه ، وقد روى ذلك البخاري وأبو داود ، و النسائي والترمذي .
وقد زاد عثمان رضي الله عنه نداء قبل هذا عندما كثر الناس ، فقد روى عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كان زمن عثمان وكثر الناس ، زاد النداء الثاني على الزوراء ، وفي رواية زاد الأذان الثالث ، ولكن المراد به هنا الأذان ، وانما سماه ثالثا لأن الاقامة تسمى أذانا .
وقد خالف أبو حنيفة الأئمة الثلاثة ، فقال متى سمع الأذان بعد زوال الشمس فان على المسلم أن يسعى الى صلاة الجمعة فالآية التي مر ذكرها في صدر هذا المقال « عامة » فلم تخص أذانا معينا كما ذهب اليه الثلاثة ، وقول أبي حنيفة هو الذي نستريح اليه ، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنا نجمع [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ، ثم نرجع نتتبع الفيء[٢] .

شروط الجمعة :

ولصلاة الجمعة فوق شروط الصلاة المعتادة شروط أخرى نجملها فيما يلي : الذكورة ، فلا تجب الجمعة على المرأة ولكن إن صلتها مع الجماعة فانها تصح منها ، وتجزئها عن صلاة الظهر . وألا يكون المؤمن شيخا هرما يصعب عليه الانتقال الى الجامع . وأن يكون مبصرا فلا تجب على الأعمى اذا تعذر عليه الحضور بنفسه أولم يجد قائدا ، وأن يكون مقيما بالبلد الذي تقام فيه الجمعة فلا تنعقد بالمسافر الذي نوى الاقامة ، وحضور اثني عشر غير الامام في رأي المالكية ، وفي الامام اشترطوا أن يكون مقيما أو مسافرا نوى اقامة أربعة أيام وأن يكون هو الخطيب ، وأن يخطب خطبتين ، ولا تصح الجمعة في البيوت ولا في أرض براح مثلا ، ويشترط في الجامع أن يكون مبنيا البناء المعتاد لأهل البلد ، ولو تعددت المساجد في البلد الواحد فلا تصح الجمعة الا في الجامع القديم[٣] .

تخطي الجالسين واختراق الصفوف :

ويستثنى من التخطي المكروه أمور : منها أن يجد المرء فرجة أمامه يريد سدها ، ومنها أن يجلس في الصفوف الأمامية من لا تنعقد بهم الجمعة كالصبيان

ونحوهم ، فانه يجب في هذه الحالة على من تنعقد بهم الجمعة أن يتخطوا الرقاب ، ومنها أيضا أن يكون المتخطي إمام الجمعة ولا يمكنه الوصول الى المنبر إلا بالتخطي .

ومع ذلك نقول إن الاحتراز واجب على الجميع حتى لا يهدم الاستثناء القاعدة الأصلية ويحل محلها فيهدرها مع التوسع فيه .

الظهر بدلا من الجمعة :

من وجبت عليه الجمعة ، وتخلف عن حضورها بغير عذر لا يصح أن يصلي الظهر قبل فراغ الامام من صلاة الجمعة ، فلو صلى الظهر في هذه الحالة لم تنعقد باتفاق الشافعية والحنابلة .

أما من لا تجب عليه الجمعة كالمريض ونحوه فتصح صلاة الظهر منه ولو حال اشتغال الامام بصلاة الجمعة ، ويندب له تأخير الظهر اذا رجا زوال عذره ، أما اذا لم يرج ذلك فيندب له تعجيلها في أول وقتها ولا ينتظر تسليم الامام باتفاق ثلاثة من الأئمة وخالف المالكية(٤) .

فضل يوم الجمعة(٥) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة .رواه مسلم .

ولعل قيام الساعة فيه هو الذي دفع بعض أعداء الدين الى القول بأن فيه ساعة « نحس » ، ولقد جهلوا على أنفسهم وتطاولوا بغير علم ، فيدحض قولهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي ، يسأل الله خيرا إلا أعطاه اياه » وأشار بيده يقللها دلالة على قصر زمن هذه الساعة .

وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال : قال لي عبد الله بن عمر : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة »(٦) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ، ثم يصلي معه ، غفرله ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » .

ما يقرأ في صلاتي الجمعة وفجرها :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة : (**الم تنزيل السجدة**) ، و (**هل أتى على الانسان حين من الدهر**) وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة (**سورة الجمعة**) و (**المنافقين**) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس يوم الجمعة ، إذ دخل عثمان بن عفان ، فعرض به عمر ، فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟! فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت . فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غسل يوم الجمعة على كل محتلم ، وسواك ، ويمس من الطيب ما قدر عليه » .

واذا كان القرآن الكريم يقول في الآية ٣١ من سورة الأعراف « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** » فان المطلوب من المسلم يوم الجمعة أن يتوجه مغتسلا الى صلاة الجمعة في أحسن ثيابه وأبهى زينته ، وأفضل الثياب ما كان لونه أبيض ، وأن يقلم أظفاره ويقص شاربه وينتف إبطه ويتطيب . حتى ليبدو المسجد مع جمهرة المسلمين يوم الجمعة وكأنه حقا يوم عيد تحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده ، يباهي بهم ملائكته لنظافة باطنهم وظاهرهم ، وحسن سمتهم ومظهرهم ، فيجعل الله لهم نورا من كل جانب ومن فوقهم وتحتهم .

فضل التهجير يوم الجمعة :(٧) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فاذا جلس الامام طووا الصحف ، وجاؤوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة » .

والمعنى أن من بكر في الحضور الى المسجد قبل غيره كان له فضل من يهدي جملا ، والذي يليه في الحضور كان كمن يهدي ناقة ، وهكذا ...

خطبة الجمعة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه : السبابة والوسطى ، ويقول : « أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمن[٨] من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا[٩] فالي وعلي » .

وعن أبي وائل رضي الله عنه قال : خطبنا عمار رضي الله عنه فأوجز وأبلغ ، فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان ، لقد أبلغت وأوجزت ، فلو كنت تنفست ،[١٠] فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة[١١] من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحرا » . وعن جابر بن سمرة قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا » أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق .

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة ، ما أخذت **(ق والقرآن المجيد)** الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس » .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب قائما ، فمن نبأك انه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عير[١٢] من الشام ، فانفتل الناس اليها ، حتى لم يبق **إلا اثنا عشر رجلا** فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة « **واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** » الجمعة ١١

حرمة الخطبة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » .

وقد بلغ من أهمية الخطبة وحرمتها أن حرم الكلام في أثنائها ولو في جلوس الامام بين الخطبتين ، لا فرق في ذلك بين من يسمع الخطبة وغيره ، سواء أكان في رحبة المسجد أو في الطرق المتصلة به ، كما يحرم نهي المتكلم حال الخطبة ورميه بالحصى ليسكت ، بل ويحرم الشرب وتشميت العاطس ورد السلام ، ويندب للحاضر التأمين على دعاء الخطيب ويكره الجهر بذلك ، ويندب سرا التعوذ والاستغفار والصلاة على النبي عليه الصلاة و السلام .

ولا تسقط هذه الحرمة إلا اذا لغا الامام فمدح من لا يجوز مدحه أو ذم من لا يجوز ذمه ، وهذا رأي المالكية اختصارا لسرد كل الآراء .

التغليظ في ترك الجمعة :

عن الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمر ، وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة ، بيوتهم » .

خاتمة :

وبعد ، فهذا خير يوم طلعت عليه الشمس ، يوم أغر ، أعاننا المولى على المواظبة على إحيائه والاحتفاء به ، على الوجه الذي يرضاه ورسوله ، فاجعلنا اللهم نصادف فيه ساعات الاجابة ، واجعله لنا كفارة لما بين الجمعة والجمعة ، واجعلنا اللهم من رواد سوق الجنة يوم الجمعة ، فقد روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون الى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوها : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله ، لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » ١٣

الهوامش

(١) نجمع : بتشديد الميم المكسورة اي نصلي الجمعة
(٢) حديث رقم ٤٠٧ في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري . والفيء هو ما بعد الزوال من الظل .
(٣) اقتضرنا في الشروط على راي المالكية سعيا للايجاز نقلا عن كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات لعبد الرحمن الجزيري .
(٤) المرجع السابق
(٥) الأحاديث المسرودة في هذا المقال وردت في مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري بين رقمي ٣٢٦ و ١٩٦٧ .
(٦) هذا من الأحاديث التي انتقدها الامام الدار قطني على « صحيح مسلم » ورجح ان الصواب أنه موقوف على ابي بردة ، ويؤيده انه جاء من حديث جابر وغيره مرفوعا : ان ساعة الاجابة في آخر ساعة من يوم الجمعة .
(٧) التهجير : يعني التبكير والمهجر أي المبكر .
(٨) هذا على عمومه ، لم يطرأ عليه تخصيص اطلاقا ، خلافا لما يظن الناس اليوم ، وما وجد بعده صلى الله عليه وسلم من امور قام الدليل الشرعي على شرعيته ووجوبه فليس من البدعة في شيء ، وتفصيل هذا البحث الهام في كتاب « الاعتصام » للامام الشاطبي رحمه الله تعالى وفي شرح الكتاب ايضا لصديق حسن خان .
(٩) الضياع بفتح الضاد : العيال
(١٠) تنفست : اي اطلت قليلا
(١١) مئنة : علامة
(١٢) العير بالكسر : الابل تحمل الميرة ، ثم غلب على كل قافلة .
(١٣) المرجع السابق للحافظ المنذري في باب الجنة .

بين الدعاة والأدعياء حول قضية التأويل بالهوى

للمستشار/حسين ناجي محمد محيي الدين

أما الدعاة ـ اختصارا ـ فهم ورثة الأنبياء . ترى أحدهم فترى الفضل والفضيلة ممثلين في شخص ، قوله الصدق وبغيته الحق ، يحمل علما يبصر به في الظلمات ، ويدعو الى الله مخلصا له الدين وليس لنفسه نصيب من شغف بالظهور انما يقصد وجه ربه ، كل ذلك مع خشية شديدة لله وخوف عظيم من أن يغضب الله بقول أو فعل أو عمل .

اذا مس المصحف لا يمسه الا طاهرا وان قرأ بعضه كان خاشعا وان أراد الفهم كان متحوطا متحرزا لا يدخل على القرآن ما ليس فيه ولا يؤوله بهواه ولا يتجرأ على مراد الله بشطحات ونزوات . فذلك هو الداعي الى الله حقا .

أما الدعي ، فقد يكون خاويا من علم فيزعم لنفسه نصيبا كبيرا منه ، تميزه في أسلوب دعوته لهواه بهلوانية يغطي بها قصده وتعالم يغطي به جهله وعشق للدعاية لنفسه وحرص على جمع المساندين من أمثاله أصحاب العقول الفارغة والقلوب المريضة .

فالداعي يتحلى بالأصالة فهو النافع الذي يمكث في الأرض والدعي هو الوهج الذي هو الى زوال والزبد الذي هو الى فناء وجفاء .

وبين الداعي والدعي ما بين الحق والباطل وما بين النور والظلمات وما بين الهدى والضلال .

وما من داعي إلا وهمه نصرة الحق وما من دعي إلا وعنده خبيئة ، والخبيئة تغري صاحبها بالأخفاء وتغري صاحبها بالظهور بعكس ما هو عليه وضد ما هو لديه .

وقديما قرأنا تفاسير للقرآن - كله أو بعض آية - لا يخلو بعضها من اسرائيليات بهدف التأويل الباطل والانحراف بالنصوص تارة انحرافا ظاهرا مرذولا وتارة انحرافا ماهرا خفيا ، بل إن بعضها يخالف الدين ويخرج بصاحبها او مصدقها من ربقته ومن العهد الأزلي الذي بينه وبين ربه ألا يعبد سواه والا يشرك في معرفة ربه هواه . ويجمعها جميعا السخف من حيث أسلوبها والتكلف المرذول ، أما من حيث المقاصد فإرادة التضليل وتحريف كلام الله عن مواضعه . وكان العلماء الأتقياء أولا يفسرون القرآن بالمأثور ثم جاء من بعدهم من حذفوا أسانيده وجعلوه مجردا عنها لتدخل الإسرائيليات في غيبة الأسانيد ويصعب على القارىء تخيل وغربلة ما نسبه أصحاب الميول المنحرفة والمذاهب العقدية (نسبة الى العقيدة) كذبا وزورا الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الأئمة من ذريته أو الى صحابته ترويجا لبدعهم ودسا لأباطيلهم . ولسنا بصدد التفصيل فليرجع فيه القارىء الكريم إلى ما كتبه في هذا الشأن اولوا العلم والبصر ، فهو كثير .

وكما كان للإسلام وكتابه أعداء من قديم الزمان فهم اليوم غير منفكين في الكيد حاليا له بأساليب عصرية مدعين التجديد في إظهار وجوه اعجاز للقرآن متخذين من أسماء العلوم والمخترعات تكئات يتأولون بها القرآن ليصلوا الى تحقيق نواياهم السيئة وقصدهم الخاسر .

وهؤلاء المحدثون ، الذين هم بين أظهرنا الآن ، اتخذ بعضهم من أسلوب التضليل بالعلم سبيلا الى الشهرة أو الى القربى بمجامع العلم في أمريكا وأوربا زلفى الى القائمين عليها من مستشرقين حاقدين على الأسلام أو يهود صهاينة هم أشد عداء للأسلام من أهل القتيل لشخص القاتل .

ومن الأسف أن المنبهرين المأخوذين كثيرون لقلة بضاعتهم من العلم المانع لهم من الوقوع في براثن الملحدين والمرتدين ، وكثيرون منهم يغلب حسن ظنه بمن ادعى العلم فلا يتهمه في دينه ولا في قصده ، وبعضهم

المتحالم المتعالم الذي يريد أن يكسو نفسه حلة من رجاحة العقل أو سماحة الدين فيعتذر عن هؤلاء بحقهم في الاجتهاد غافلا عن أن للاجتهاد شروطا بعضها يرجع الى موضوع الاجتهاد . وبعضها يرجع الى أدوات الاجتهاد ، وكل هذه الشروط معدومة فيمن قال ـ ظلما للرقم « ١٩ » ـ انه وصل به الى أن جهنم ليس عليها تسعة عشر ملكا إنما عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ، كما قال إنه بأعمال الأعداد بزعامة الرقم « ١٩ » شارك الله غيب علم الساعة فحدده تحديدا ، مكذبا بالأمرين معا صريح القرآن !!

فليس مجتهدا من انتهى بهذره الى تكذيب القرآن .

وليس حسن النية شريف القصد من عرف أنه انتهى الى تكذيب القرآن فاستمسك بمنهاجه السيء وصار يدافع عنه ويروج له غير عابىء بخطأ لا يغتفر وقع فيه .

واذا كان صدق النتيجة يدل على صدق مقدماتها ووسائل الوصول اليها فإنه أيضا يقال ـ بحق ـ إن خطأ النتيجة يرجع إلى خطأ ما أوصل اليها وأدى اليها .

فلابد إذن أن أدوات التفكير عند هؤلاء كانت عاطلة ولا بد أن أسلوب بحثهم كان خاطئا وأن مقدمات القضية الخاسرة كانت خاطئة ، نقول هذا ويقوله كل من عنده عقل حتى ولو زعموا أن الكمبيوتر هو الذي أوصلهم وأن الكمبيوتر لا يكذب !!

وبعد ، فلن نعرض غثاثة بحث احدهم إلا من خلال كلماته في كتيب له فهذه الكلمات هي التي حددت مسار فكره الخاطىء فلا بد من عرضها بنصها ليعلم القارىء حقائق كانت خافية عنه :

قال ما نصه : « نحن نعلم أن الآية الأولى التي نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هي من سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وسورة العلق تتكون من تسع عشرة آية (١٩) ويأتي ترتيبها إذا بدأنا بتعداد القرآن من الخلف عند الرقم تسعة عشر (١٩) . ثم جاء الوحي بالآيات من سورة القلم (ن . والقلم وما يسطرون) وبعدها تأتي الآيات الأولى من سورة المزمل ، وفي المرة الرابعة وهو الحدث الهام نزل الوحي بالآيات المذكورة في سورة المدثر حتى قوله تعالى (عليها تسعة عشر) ، والشيء العجيب حقا أن الوحي الأمين أنزل عقب آية (عليها تسعة عشر) بالضبط سورة الفاتحة بكاملها ، وهي أول سورة كاملة ينزل بها جبريل عليه السلام بإجماع العلماء . فنلاحظ هنا أنه تبع آية (عليها تسعة عشر) مباشرة بسم الله الرحمن الرحيم المكونة من تسعة عشر حرفا » (ص ١٣ من كتيبه) .

ومن قبل ذلك قال في ص ١١ ما نصه : « فماذا يعني بقوله تسعة عشر ؟ هل يعني أن الأنسان الذي يعتقد أن القرآن من قول البشر سيعذب وسيكون

عذابه تحت إشراف تسعة عشر ». وهذا هو التفسير المتفق عليه من قبل العلماء القدماء فالتسعة عشر (عند المفسرين القدماء) هم حراس جهنم ، زبانية جهنم . لكن اذا تابعنا قراءة الآيات التالية نرى في الآية الكريمة السابقة « عليها تسعة عشر » وفي ضوء المعلومات الجديدة التي سنراها أن هناك تفسيرا جديدا لمعنى تسعة عشر وهي عدد حروف الآية القرآنية المفتتح فيها القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم ».

ثم يقول في ص ١٢ ما نصه : « إذن فالرقم تسعة عشر ليس هو عدد زبانية جهنم كما كنا نعتقد وكما فسر العلماء القدماء .. هذا ما يظهر في القرآن الكريم من تفسير للرقم (تسعة عشر) ومن الدلائل التي تؤيد هذا التفسير بأن رقم (التسعة عشر) الذي ذكر في القرآن الكريم يقصد به الله سبحانه وتعالى عدد حروف البسملة ما يأتي ..» انتهى .

قصدنا ذكر عباراته بألفاظها ليعلم القارىء أن استدلاله على ما انتهى إليه من إنكار ملائكة على جهنم لا يعتبر عند العقلاء استدلالا بكل مقاييس الاستدلال بل هو شطحة هوى جامح .

ونلاحظ قبل مناقشته الحساب على هذه العبارات أمورا :

١ ـ أوهم القارىء العادي أن الله لم يقطع في القرآن بأن على جهنم تسعة عشر ملكا ، وأن ذلك كان قول واجماع المفسرين القدامى ، فهو في حل من مخالفتهم الرأي لأن عنده من علم الكمبيوتر ما لم يكن عند علماء التفسير القدامى .

٢ ـ استفظع تعذيب الله بنار جهنم من جحدوا القرآن وقالوا إنه من صنع البشر لا من صنع الله ، فهؤلاء عنده لا يستحقون مكانا فيه سعير وشواظ ولهيب وإنما يستحقون مكانا معلقة عليه حروف الرحمة !!

٣ ـ من الواضح أنه لم يستعمل الكمبيوتر في عدّ آيات سورة العلق ولا في عد حروف البسملة ولا في معرفة كون الفاتحة نزلت بأكملها والبسملة آية منها بعد آية « عليها تسعة عشر » الواردة في سورة المدثر .

ولتفنيد هذا الهراء والرد عليه نقول وبالله التوفيق :ـ

أولا : على فرض صحة نزول الفاتحة بعد آية « عليها تسعة عشر » من سورة المدثر وعلى فرض أن البسملة آية من الفاتحة (وهو موضع خلاف) وعلى فرض أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا مع كونها عشرين حرفا بإثبات ألف الرحمن نطقا . نقول على فرض ذلك كله فليس مفاد ذلك ومؤداه أن عدد تسعة عشر يعني به الله حروف البسملة فسياق الآيات يستعصي تماما على أن يؤدي الى هذا الهراء . نقول : « ان حروف البسملة وان كانت تسعة عشر حرفا حسب عد بعضهم ومع كون ملائكة جهنم تسعة عشر ملكا فليس معنى ذلك أن زبانية جهنم هم حروف البسملة لمجرد التشابه في العدد ، فالتسعة عشر رجلا ليسوا هم النساء البالغ عددهن تسع عشرة امرأة لمجرد التوافق في العدد ، وليس البرتقال البالغ عشرين برتقالة هو الباذنجان

البالغ عشرين باذنجانة لمجرد التساوي في العدد ، ومن يقول ذلك فهو ذاهب العقل عديم الإدراك ».

هذا ويمكننا أن نقرر بديهة عقلية لا يتعلق بها شك هي أنه لا ارتباط في المعنى بين جملة وأخرى اذا اقتصر التشابه بينهما على أن عدد حروف الأولى يساوي عدد حروف الثانية فمجرد هذا التوافق في العدد لا يخلق ارتباطا بين الجملتين من حيث المعنى ولا تكمل احداهما الأخرى لمجرد هذا التوافق العددي ولا تفسرها ولا ترتبط بها بأي رباط ان لم يكن ثمة ما يوجب هذا الارتباط نابعا من المعاني . كما أن الروابط بين المعاني لا تتوقف على طول الجمل التي تحمل هذه المعاني ولا على قصرها ، وهذه الروابط لا يمكن استنباطها من مجرد تشابه في عدد الحروف أو عدد الكلمات أو حتى من تشابه في بعض الكلمات المشتركة بين الجملتين .

والمسلم الذي يتمتع بعقل طبيعي لا يقبل أن يكون أي رقم ولو كان الرقم « ١٩ » هاديا له في فهم كتاب رب العالمين والمرشد الى تفسيره وتأويله .

وربما كان من التبسط في الحديث أن نضرب مثلا بجملتين هازلتين نرطب بهما أعصاب القارىء الكريم :

١ ـ الفأر أكل خروفا وقطتين

٢ ـ الحصان انسان عاقل متزن .

فهاتان الجملتان تضم كل منهما تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم يجعل بينهما أي ارتباط . واذا انتقلنا من ضرب المثل بالهذر من القول الى المثل بالحق من القول وأوردنا جملتين أخريين جادتين هما :

١ ـ التسعة عشر زبانية جهنم .

٢ ـ الجنة حق والنار كذلك حق .

نرى أن كلا من الجملتين تتكون من تسعة عشر حرفا ، وهذا التوافق لم ينشىء بينهما أي ارتباط في المعنى ولا يتوقف فهم أحداهما على فهم الأخرى وكل جملة من الجمل الأربعة لا يصلها بأخواتها من حيث الأدراك والمفهوم هذا التوافق في عدد الحروف .

ثانيا : وربما نفى احدهم اتخاذه من التوافق والتشابه في العدد دليلا على الزعم الذي سجله وهو انكار ملائكة النار ، ورب قائل ان الدليل عنده هو ترتيب نزول الآيات فإن البسملة التي هي أول آية في الفاتحة والتي هي تسعة عشر حرفا نزلت مباشرة بعد آية « عليها تسعة عشر » التي في سورة المدثر .

وللرد على هذا التلبيس الذي هو من همزات إبليس نقرر أن نزول آية بعد آية لا عبرة له في الربط بينهما وأن العبرة في ذلك بترتيب ورودهما بالمصحف .

وبيان ذلك أن الآيات كانت تنزل بمناسبة حوادث معينة أو إجابة عن

أسئلة موجهة الى الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤمر الرسول الكريم بوضعها في سورة معينة ويحدد له جبريل عليه السلام موضعها في هذه السورة أي بعد آية كذا وقبل آية كذا فترتيب الآيات في المصحف كان بأمر من الله وليس من فعل الرسول ، وترتيب الآيات بالمصحف يغاير ترتيبها من حيث نزولها ، فكأن الله يقول لنا بأوضح بيان لا اعتبار في فهم القرآن واستنباط الأحكام وفي تفسيره لترتيب النزول إنما الاعتبار لترتيب المصحف .

فجبريل عليه السلام كان ينزل بمقاطع من القرآن على فترات وبين الفينة والفينة ولا يؤلف بين هذه المقاطع لا عامل السبق ولا عامل اللحوق ، اي أن الآيات لم تكن تنزل حسب ترتيبها عند الله في اللوح المحفوظ ولا حسب ما يراد لها من ترتيب في المصحف بل حسب الدواعي الظاهرة للبشر والدواعي الخفية عن البشر التي هي في علم الله وحده .

فاذا كان الله لم يأمر بترتيب الآيات في المصحف حسب نزولها وأمر بترتيب آخر هو الموجود الآن في المصحف فإن أمر الله هو الأولى بالاتباع ، ومخالفة الله عن أمره في هذا الخصوص عبث أطفال يجب تنزيه المسلم عنه .

وما يقال في الآيات يقال في السور فإن نزول سورة بعد سورة لا علاقة له على الأطلاق بتفسير السورة اللاحقة لمعاني أو مراد السورة السابقة والأمثلة كثيرة بعدد سور القرآن : فسورة الفلق نزلت بعد سورة الفيل وهي لا تفسرها ولا جامع بينهما . وسورة الإخلاص نزلت بعد سورة الناس وهي لا تتصل بها ولا يرتبطان بجامع مشترك بينهما . وسورة الكوثر نزلت بعد سورة العاديات ، وشتان بينهما ، وسورة القدر نزلت بعد سورة عبس ولا اشتراك بينهما في شيء وسورة القارعة نزلت بعد سورة قريش وهي لا تمت لها بصلة ولا تفسرها .

وننبه الى أن تفسير القرآن لا يكون بالهوى ولا بالتخمين .

ثالثا : لم يرد في القرآن كله ما يفيد أن جهنم عليها تسعة عشر حرفا هي حروف البسملة ولم يرد في أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقرآن ما يشير من قريب أو من بعيد الى هذا الهراء . فهل ضن علينا رب العالمين وضن على سيد المرسلين بما فتح به على أبليس ـ كما صرح احدهم في احدى المجلات المصرية ونقلت عنها جريدة كويتية ـ فقال ان ابليس هو الذي اكتشف في القرآن إعجاز العدد « ١٩ » وخص به أولياءه وصرف الآخرين أمثالنا عن إدراك عظمة هذا السر المكنون !! ولا حول ولا قوة الا بالله وتعالى عما يصفون .

رابعا : بل الذي ورد في القرآن صريح وقاطع في كون التسعة عشر هي عدة أصحاب النار .

وقد ورد هذا القطع الجازم في آية لاحقة لآية « عليها تسعة عشر » مباشرة هي آية « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ».

وبأعمال القاعدة المنطقية والشرعية في تفسير القرآن بمراعاة ترتيب المصحف لا ترتيب النزول يكون أصحاب النار الذين هم ليسوا إلا ملائكة هم المحددين عددا بتسعة عشر .

وفي التأكيد أنهم ملائكة ذوات أرواح وليسوا حروفا ونقوشا وصفهم الله بالحياة حين وصفهم بالغلظة والشدة وأنهم لا يخالفون الله عن امره وأنهم يفعلون ما يؤمرون ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » سورة التحريم .

ورب قائل - إن الله قادر على أن يأمر الحروف فتدب فيها الحياة ثم يأمرها فتطيع فتصير غليظة شديدة على أهل جهنم ، ونقول جوابا :

١ - أما وقد أصبحت هذه الحروف ذات حياة وأصبحت غليظة شديدة فلماذا لا نسميها بتسمية الله إياها ، لماذا لا نسميها ملائكة .

٢ - هذا ، وما الحكمة - على الفرض السابق - في كون الله يخلق حروفا ابتداء ثم يجعلهم ملائكة انتهاء ، أليس بقادر على أن يخلقهم ملائكة ابتداء دون اللجوء الى التصيير والتحويل .

٣ - ثم كيف يرتاح عاقل الى أن حروف الرحمة - وهي حروف البسملة - تنقلب اذا انقلبت الى ملائكة غضب ونقمة ، أما كان الأنسب ان تنقلب الى ملائكة رضوان ورحمة .

ألا فإن لله رحمة ، ومجالي لهذه الرحمة ، هي الجنات بدرجاتها ، ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الغضب والنقمة ، كما أن لله غضبا ونقمة ومجالي لهما هي السعير وطبقاته ومن خبل المأفونين أن يظنوا أن على هذه المجالي تعلق شعارات الرحمة والرضوان .

فإن كانوا يسخرون من نار الله كما سخر منها قبلهم كفار قريش ومن بعدهم كثيرون من طوائف الباطنية ، أو كانوا يريدون أن يستهزئوا بها وبزبانيتها كما فعل المغيرة وأبو جهل وغيرهما من قادة الكفر والظلمة ، فإن الله يسخر منه ومنهم ويستهزىء به وبهم .

وهكذا فإن ارتياب الكافرين أيام الرسول كما هو ظاهر النصوص كان متعلقا بعدد حراس النار وماهيتهم كما كان متعلقا قبل ذلك بكون القرآن ليس من عند الله وأنه سحر أو هو من قول البشر . وها هم خلف يبذرون بذور الشك والارتياب في نفوس المسلمين متخذين من الرقم الجهنمي وهو شعار البهائية التي تنكر النار هاديا لهم ، وقد صدق الله إذ قال : « وما جعلنا عدتهم (العدد ١٩) إلا فتنة للذين كفروا ».

اللهم إهد الضال منا وحصن المسلمين من الجنوح وارزقنا اجمعين صدق الايمان بك وبغيبك المكنون الذي كشفت لنا عن بعضه تبشيرا وإنذارا واجعلنا دعاة صدق وحق ولا تجعلنا ادعياء ضلال وباطل .

في رحاب الذكرى

المثل الأعلى للانسان

للاستاذ/ محمد الخضري عبدالحميد

عاش النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا أعلى لكل بني البشر ، من شتى الملل والنحل .. في الزهد والقناعة ، في الجود والكرم ، جميعا .. عاش راضيا هانئا بما قسم الله له .. فقيرا يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويمشي في الأسواق .. وحتى في الوقت الذي كانت تتدفق فيه إلى رحابه الشريف النزيه : غنائم الحروب .. لا تهتز قواعد دستوره القويم مقدار شعرة .. وإن (عائشة) أم المؤمنين رضوان الله عليها ، لتقول :

ـ « ما شبع ال محمد من خبز الشعير يومين متتاليين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

بل إنها ، رضي الله عنها ، عندما خاطبت عروة بن الزبير ، وهو ابن اختها اسماء ذات النطاقين ، قالت :

ـ « والله يابن اختي .. إنا كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال .. ثلاثة أهلة في شهرين .. وما أوقد في أبيات رسول الله عليه الصلاة والسلام : نار »! رواه البخاري ومسلم .

في كل زمان ومكان

أي أن شهرين قمريين ، كانا يمران على زوجات الرسول - وهو الذي (لو) شاء لأمسى أغنى ملوك العالم قاطبة ، بغير أن ينقص ذلك من شاهق مكانته .

- دون ان يوقد في أبياتهن نار لطهو طعام دسم ، يستلزم إنضاجه : إيقاد النار ..!! ومتى هذا ؟! في الوقت الذي هو فيه قادر على أن يثرى ، لو أن الثراء كان من بين أهدافه . لكنها العفة وشرف النفس ونقاء الجبلة وجلال الرسالة ، وروعة الاستمساك بالمبدأ .

وفي بيت ابنته (فاطمة) - رضي الله عنها - يتلفت النبي من حوله .. فإذا إبنته مرتدية كساء خشنا ، منسوجا من وبر الابل ، تطحن بالرحا .. ولا يروعه منظرها في شيء . حقا أنه قادر على أن يجعلها ترفل في أبهى الثياب ، وتختال بين أترابها بأثمن وأندر الحلى ، (لو) تخلى قليلا عن صموده ؛ وتمسكه الدقيق بحرفية نهجه ودستوره .. ثم هو لا يجزع حينما تشكو إليه - رغم ما ترسف فيه من فاقة مادية - أنها : « مالها طعام تأكله » ! إنه لا يزيد على أن يقول لها برفق وحنو :

- « تجرعي يافاطمة مرارة الدنيا .. لنعيم الآخرة » .

وعن (عائشة) رضي الله عنها .. « ما رفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قط غداء لعشاء .. ولا عشاء لغداء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، ولا قميصين ولا رداءين ، ولا إزارين ولا زوجين من النعال » .. وقولها كذلك : « توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس عندي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رق لي » رواه البخاري ومسلم والترمذي .

أنعم به من زهد .. وأكرم بها من قناعة .

أنعم وأكرم بهذا كله من (أسلوب حياة) ، يضع (العقيدة) وحدها : فوق كل متطلبات العيش والمعايشة .. وأعظم بها من مدرسة تنجب في الزهد (إماما) مثل (علي) كرم الله وجهه .. يقف في السوق عارضا للبيع سيفه ، وهو يقول : « من يشتري هذا

السيف مني .. فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته » ؟!

وبالقياس إلى ذلك الزهد ، وإلى تلك القناعة والبساطة .. كان النبي في الكرم في مثل هذه الحال : أكبر من وزنه حقا ، وأروع دلالة فعلا على ماهية السجية .

روى أبو ذر الغفاري ، رضوان الله عليه ، فقال : كنت أمش مع النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، في حرة المدينة فاستقبلنا احدا .. فقال عليه الصلاة والسلام : يا أبا ذر . قلت لبيك يارسول الله . قال : ما يسرني ان عندي لي مثل أحد ذهبا تمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ثم سار فقال : إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه وقليل ما هم ، ثم قال لي : مكانك لا تبرح حتى آتيك » رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

أي جود .. وأي كرم .. قياسا إلى واقع يضج تواضعا وبساطة .. وإزاء (إمكانات) متاحة ، ومغريات رهينة بإيماءة من أصبع .. لو شاءها أو بعضها لكان الذهب في حوزة (محمد) أقل المعادن قيمة وأهونها شأنا ، وسط ما يموج لديه من أنفس وأندر الجواهر ، وأشهى وأفخم الأطعمة .. لكنه أراد أن يكون وحسب : (المثل الأعلى) للبشرية جمعاء ، على ما ينبغي أن تكون عليه قوة الخلق ، ومتانة العزم ، أمام كافة البهارج والمشهيات الدنيوية .. بهذا يتحقق التوافق التام بين (طبيعة التعاليم) و : (واقعية السلوك) .

جاء إلى المصطفى رجل بأربع أواق ، وقال :

- « يارسول الله . إن هذه صدقة » .. وكان الرسول قد أجلس ثلاثة رجال جاءوا يسألونه وقال لهم : سيرزقكم الله .. فدعا رسول الله : أول الرجال الثلاثة فأعطاه أوقية ، وكذلك فعل مع الثاني ، ثم الثالث .. وبقيت مع رسول الله أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم فما قام أحد .. فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة ، فجعل لا تأخذه عينه ، ولا يطعم النوم جفنه ، فيرجع فيصلي ، فقالت له عائشة : يارسول الله هل بك شيء ؟ قال : لا . قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال : لا . قالت : إنك صنعت هذه الليلة شيئا لم تكن تفعله .. فأخرجها من تحت وسادته وهو يقول :

- هذه ، هي التي فعلت بي ما ترين . إني خشيت أن يحدث أمر الله ولم أمضها » .

وفي الشجاعة هو : رائد القوة ، وعلم الشجاعة

ما أشجع (محمد) العظيم ، وما أقوى بأسه ، وما أروع بدائع بطولته الرائدة الفريدة ، الباقية ناصعة

مضيئة إلى الأبد .. لم يك مطالبا أن يفعل شيئا من ذلك الهائل الكثير الذي يتطوع لأن يعمله بيديه ، غير راض لنفسه أن يمنح نفسه أية ميزة عن أقل فرد في معسكره . يحتطب ليسهم بينهم في إنضاج طعامهم . يحفر الرجل من الرجال فيعثر على صخرة ضخمة ، ولكي لا يعوق العمل الدءوب الشاق أي عائق ، يهب (محمد) للصخرة ، يهوى عليها بقوته كلها حتى ليتطاير الشرر منها ..

لكم كان سيد الأنام عظيما في قوته ، منذ أشرق على آفاق الكون سنا نوره .. وما كانت تلك القوة والشجاعة شيئا مكتسبا بمران خاص ، أو مستحدثا لمقتضى أحوال معينة .. وإنما هي الجبلة الرفيعة ، والفطرة الثرية السوية ، التي مثلما تجود بالبر ، والحنان ، والود ، والعطف .. فإنها - في ميادين القوة - تسخو في الجود بعطائها المعجز ، المميز ، الفريد .. وكثيرة هي الشواهد المأثورة المبكرة ذات الدلالة .. وهل ينسى إقدامه الجسور على فحل من الابل ، جمح واستشرى خطره ، حتى لقد صار وحشيا يفزع الكبار .. وإذا بـ (محمد) الشجاع في صباه الباكر ، يفعل ما لم يفعله حتى الشجعان الكبار .. يقتحم عليه حلبته ، ويشده بجذبة قاهرة إليه ، فيخضعه ويكبح جماحه ، ولا يدعه إلا بعد أن يذعن أمامه ، ويسلس له قياده ..

إنه (محمد) علم البسالة ، وعنوان الشجاعة ، وقدوة الأقوياء ، والمثل الأعلى والأسمى لذوى البأس وذوى العزة والاباء ..

تكاتف المشركون ضده ، وهم آنذاك قوة رهيبة ، وطاقة ضخمة مضادة يجب أن يعمل لعنف خطرها الحساب .. لكنه لم يكن يعبأ بجهودهم الدائبة في التكتل والتكالب على محاولة إطفاء شعاعات النور الجديد ، التي راح ينشرها بعزم ومضاء .. ويفاجأ الأعداء والمناوئون بأن يروه ، هو بذاته ، يقتحم - وحده - مجلس القوم في مكة ، ليس إلى جواره أي واحد من رجاله .. ويذهل المتآمرون إذ يفاجأون به بينهم هكذا .. واقفا بنفسه على رؤوسهم .. ويرتج على زعيم الطغمة الشريرة - ابي جهل - فلا يتمالك أن يلجأ إلى المراوغة والمداهنة .. يقول : « يامحمد .. ما كنت جهولا » ! .. إنه يبغي أن يعجم عود (محمد) ، لعله أن يعتذر إليه بقول لين ، أو قد يوضح للجالسين الذين يرسمون ويخططون ، أن أبا جهل ليس من (السفهاء الجهلاء) الذين يعنيهم محمد بذلك الوصف .. ربما يلين (محمد) وهو بينهم فينفي عن كبير القوم تلك الصفة السيئة .. لكن محمدا يجيبه على مسمع ومرآى من الملأ ، وبجلاء ووضوح ورأسه الكريم شامخ مرفوع :

- « ياأبا جهل .. أنت منهم » !

إنها القوة الواعية ، الواثقة .. قوة الايمان برسالة سامية عظمى ، جاءت لخير الانسان في كل مكان ، دائما وعلى مر الزمان .



وافى الربيع فيا بلابل غردي
فالارض نشوى والقلوب ظماء
ولد الحبيب فيا ملائك هللي
فالكون لحن والزمان غناء
واطل فجر محمد فأضاءت الـ
دنيا وتاهت بالهدى الجوزاء
وتبددت سحب الضلالة والهوى
بمحمد وانجابت الظلماء
فاذا الملائك فرحة واذا العوا
لم بهجة ومحبة وإخاء
ونبينا فخر العوالم كلها
هو للقلوب وللعيون ضياء
من جاءنا بالنور بعد ضلالة
والناس في دنيا العماء سواء
بيديه للدنيا كتاب خالد
ومع الكتاب شريعة سمحاء
شهدت له البلغاء في إعجازه
وتبارت الأدباء والشعراء

الربيع

للاستاذ / ضياء الدين الصابوني

وتطامنت هام الملوك وطأطأت
لبيانه العلماء والحكماء
وعجائب القرآن في طول المدى
لا تنقضي وجديده وضاء
آياته حكم وهدي بيانه
السحر الحلال وما لها نظراء
هو رحمة وسكينة وهداية
هو للقلوب الموجعات شفاء
من حرر الافكار من اوهامها
فأزيح عنها البغض والشحناء
وهدى القَلوب فكان اعظم مصلح
دع عنك ما يتقول السفهاء
لك يا محمد معجزات جمة
وأجلها القرآن والاسراء
يا ليت شعري من يفي بمديحه ؟
والكائنات لسانهن ثناء

عقـم الـزمـان أن يجـيء بمثلـه
أو أن يفـي بمـديحـه البلـغـاء
ذو المـعجـزات البـاهـرات وكلـهـا
صـدق وليس لـعـدهـا احصـاء
الجـذع حـن وظللتـه غمـامـة
ولقـد تفجـر مـن يـديـه المـاء
وشكـت اليـه الشـاه من ألـم بـهـا
مسـح الحبيـب فـزال عنهـا الـداء
يـا يـوم ميلاد الـرسـول تحيـة
الشـعـر فيـهـا روضـة غنـاء
انـا قـد اتيتـك مـادحـاً ومفـاخـراً
للمـادحـين شفـاعـة ورجـاء
تتطـاول الـعظمـاء في تكـريمـه
وببـابـه تتصـاغـر الـعظمـاء
حـزت الفضـائـل والمكـارم والـعـلا
وتـزينـهـا أخـلاقـك السمحـاء
فـإذا طلـعـت فـأي بـدر سـاطـع
واذا سفـرت فـلا تبـين ذكـاء
واذا بـذلـت فـأنـت اكـرم بـاذل
واذا نطقـت فللقلـوب غـذاء
واذا عفـوت فـأنـت اكـرم من عفـا
يـا أهـل مكـة (أنتـم الطلقـاء)
علمتنا الاحسان يا ذا الجود والاحسا
ن منـك الفضـل والآلاء
يـا مـاسحـاً دمـع اليتيم ومـالـك الـ
قلـب الـرحيـم ، وللـعفـاة رجـاء
كن لي شفيعـاً يـوم أبـعث خـائفـاً
لي في مـديحـك بـردة حسنـاء
ورجـاؤنـا فخـر الـوجـود محمـد
عـين الكمـال ونـوره الـوضـاء
ألـهمتنـي غـرر البيـان بمـدحـه
والله يـعطـي الفضـل كيـف يشـاء
صـلى المليـك عـلى الحبيـب محمـد
مـا حـن «قمُـريّ» وطـاب ثنـاء

الحب في الإسلام

للاستاذ/ محمد عبد الفتاح علم الدين

الحب عاطفة تحمل نفس المحب على الميل لمن يحب ولما يحب ، والانجذاب اليه والارتياح لمشاهدته إن كان يشاهد ، أو لخطورة في الذهن إن كان معنى من المعاني

والحب يبدأ ميلا ، ولكنه ينطوي على فضائل ، وتتولد منه عواطف نبيلة كالايثار والتضحية في سبيله .

ومحبوبات الانسان كثيرة ، على رأسها حب الله تعالى ، وحب رسوله الكريم ثم حب الوالدين والابناء والاقارب والزوجة والاصدقاء ، وابطال التاريخ والعلم والكشف ، ثم حب الوطن وحب العمل ، ثم المشتهيات من الاموال ممثلة في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام والحرث ، ثم طول العمر مع الصحة وحب الجمال في جميع مخلوقات الله ..

وغير معقول أن يكون حب كل هذه الانواع والمحبوبات على وتيرة واحدة ، وانما الحب في نظري يشبه مادة السكر ، يضاف الى عصير البرتقال فيكون شراب برتقال ، والى عصير المانجو فيكون شراب مانجو .. وهكذا ، وذلك يحتم أن يضاف الى حب الشيء ما يميزه عن حب غيره من صفات تليق به . فحب الله تعالى إجلال وإعظام ورهبة ، وحب الوالدين بر ، وحب الابناء عطف وحنان ، وحب الزوجة مودة ورحمة ، وحب الاصدقاء وفاء ، وحب المال حرص ..

وحب الله تعالى يأتي على رأس قائمة المحبوبات ولكنه حب يمتزج **بالإجلال والإعظام والخشية والرهبة** ، نحبه لنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والتي ابتدأنا بها ، وينوه عن

بعضها خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين يقول المولى جل وعلا على لسانه : (**الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**) الشعراء/ ٧٨ ـ ٨٢ ، فأول نعمة الهداية الى الايمان ثم سائر النعم ، كما أن سورة النحل تفيض بنعم الله علينا ، سواء على جسمنا المادي أو الروحي ، فمن حيث الروح يحييها الله بالدين تتنزل به الملائكة على من اصطفاهم من خلقه ليكونوا رسلا لسائر البشر ، ينقذوا به من الظلمات ، والنور رحمة بهم حتى لا يضلوا ويكون مآلهم النار .

ومن حيث الجسم المادي المخلوق من نطفة ينعم الله عليه بنعمة الحيوان : الانعام للحومها والبانها وشعرها ووبرها ودواب الركوب للحمل والاسفار ، والانسان هو الحيوان الوحيد الذي امتن الله عليه بنعمة الركوب والحمل في البر والبحر . وما عداه يمشي على بطنه أو رجليه أو اربع وينعم عليه بنعمة النبات ، والله تعالى يتولى توفير الماء العذب للانسان من التبخير والتكثيف والتبريد والمطر ، ليشرب البشر وسائر الحيوان ، والنبات يجود بمختلف الاثمار ، فأسهل الاشياء من الحرث والبذر والري يعمله البشر وأصعب الاشياء من تكوين الماء العذب وفلق الحب والنوى يصنعه القدر ، وتتابع السورة سرد نعم الله على البشر من الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ومن البحر السمك والحلى وجريان الفلك ومن جعل الجبال اوتادا حتى لا تميد الارض ، وعلامات يهتدي بها الانسان في البر ، كما يهتدي بالنجوم في البر والبحر ، وتذكر السورة ما من الله به على الانسان من عسل النحل الذي فيه الشفاء للناس ، والالبان التي يفرزها لنا من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

ثم نعمة الأسرة والأولاد والأحفاد ، ثم نعمة السكن والايواء والكساء والدروع التي تقي الانسان بأسه رحمة به ، وفي معرض سرد النعم تقول الأية الكريمة :(**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**) النحل/ ١٨ ، ومع ذلك فان كثيرا من البشر يجحد نعم الله التي أسبغها عليهم ظاهرة وباطنة :(**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**) النحل/ ٨٣ ، وصدق الله العظيم حيث يقول :(**إن الانسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد**) العاديات /٦ـ٨

والله يُحبُ ليس فقط لجلائل نعمه ، وإنما لأنه يقدر ضعف الانسان ، وانه لا محالة سيخطىء ، فيفتح له من رحمته أبواب التوبة من الذنوب ، وقد وعد الله تعالى من تاب بمغفرة ذنوبه مهما عظمت ، شريطة أن تكون التوبة نصوحا صدقا لا رجوع بعدها للذنب ، وأن تكون قبل الاحتضار في صحة الانسان ، مع

الندم والشعور بالتقصير في جانب الغفور الرحيم .

ويقول المولى ذلك في عدة آيات في كتابة الكريم منها :(**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) الزمر/ ٥٣ ويقول :(**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) آل عمران/ ١٣٥ و ١٣٦

والله رحيم بالناس أبلغ رحمة مالم يسيئوا ويصروا على الاساءة والذنوب والمعاصي والكفر .. انه عندئذ يكون شديد العقاب .

وهو يعجل للناس بعض العقوبات اليسيرة في الدنيا انذارا وتخويفا وردا للعقول الى صوابها والاسراع في العودة الى الله ، فاذا لم يتعظوا لم يبق لهم عذر في العذاب الاخروى الشديد .

ولما كان الله قد استأثر بعلم الغيب ، ولا يعرف إنسان ما خبأه له القدر وما له عند الله وهل هو مقبول وناج أو مرفوض هالك ؟ فان المؤمن يجب أن يكون على حذر وخشية ورهبة ، ولذلك قلنا إن حب الله يجب أن يكون إجلالا مع الشعور بالرهبة والخشية . والله يطلب منا ذلك حيث يقول :(**وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون**) النحل/ ٥١ . وفي وصف عباده المؤمنين :(**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون**) المعارج/ ٢٧ و ٢٨ ، ويقول :(**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الانفال/ ٢ ولهذه الخشية التي تصاحب الحب أجر كبير عند الله فهو يقول :(**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**) الملك/ ١٢ ، ويقول : (**فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين**) القصص/ ٦٧

وعجيب بعد هذا أن يقول بعض الناس انهم يعبدون الله محبة فقط ، دون خوف من ناره ودون رغبة في جنته ! وهم بذلك يحكمون على أنفسهم بعدم العلم ، حيث يقول الله تعالى :(**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨ ، والله تعالى يصف المؤمن ويحصر الايمان في قوم يقول عنهم :(**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذ ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**) السجدة/ ١٥ و ١٦

فالخوف من النار ، والطمع في الجنة ، وهكذا يتبين زيف العبادة التي تخلو من الخوف والطمع ، والواقع ان العبادة مزيج من الحب والرجاء والخوف والطمع والذكر والشكر والعمل الصالح : برا بالوالدين وصلة

للارحام ، وإيتاء ذوى القربى واليتامى والمساكين حقوقهم ، والاسهام في الانتاج والاعمار للوطن الاسلامي ، وحماية هذا الانتاج بالقوة الحربية الرادعة والذين لا يفهمون العبادة على هذا النحو يقصرون في جانب الاسلام .

هذا وحب الله تعالى يستلزم حب ما يحبه الله ، وهو بعد الايمان به **حب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم** واتباع كل ما جاء به . يقول الله تعالى :(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**) آل عمران/ ٣١ . وهذا يبين بكل وضوح أن حب الله ليس حبا كلاميا وإنما هو باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، ولقد جاء بالقرآن الكريم المنزل من ربّ العالمين فيه الايمان الكامل بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ، وفيه العمل الصالح بالعبادات والمعاملات والصبر والجهاد بانواعهما ، والضرب في الارض ابتغاء فضل الله وهو الانتاج وحراسة الانتاج ..

ويستلزم من كل مؤمن ان يتصف بصفات من يحبهم الله من المؤمنين كما في قوله تعالى :(**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**) المائدة/ ٥٤

ان هذه الآية وحدها تحتاج لوقفة من كل مسلم ليعلم اين هو من **هؤلاء** الاقوام ؟ والذلة على المؤمنين **هي ذلة** الرحمة لهم والاحسان اليهم والعمل على جلب المصالح لهم ودفع **الضرر** عنهم ، وهي كالذلة التي **عناها الله** عندما قال في حق الوالدين :(**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الأسراء/ ٢٤ . **استعارة** من رحمة الطائر الذي يكون في جو السماء فإذا أدرك عش أفراخه نزل من عليائه وبسط لهم أجنحته وحنا عليهم حنو المرضعات على الفطيم ، فأطعمهم وسقاهم وحماهم ودافع عنهم . هذه هي الذلة المطلوبة نحو المؤمنين ، وكلمة المؤمنين تشمل كل مؤمن أيا كانت جنسيته وأيا كان لونه ، فالايمان لحمة الاخوة :(**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/ ١٠

والعزة على الكافرين تقتضي التفوق عليهم في العلم والاقتصاد والسلاح الرادع المدافع لا المهاجم ولا المعتدي بحيث يكون المسلمون مثلا عليا في كل النواحي ، ودعاية طيبة عملية للاسلام ..

ونظرة للعالم الاسلامي هذه الايام توضح مدى الفرق الشاسع بين من يحبهم الله ويحبونه وبيننا ، لقد عرضنا أُجلّ نعمة انعم الله بها علينا بعد الايمان ، وهي نعمة الالفة والمحبة والاخوة بين المسلمين ، وهي النعمة التي امتن الله بها علينا في قوله :(**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم إعداءً فألّف بين قلوبكم**

فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران/ ١٠٣

ويقول :(**وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**) الانفال / ٦٣

اقول لقد عرّضنا هذه النعمة للضياع وصرنا شيعا وأحزابا وكل حزب بما لديهم فرحون ، والله برىء هو ورسوله ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا تحت أسماء ومسميات ما أنزل الله بها ، وقد افترقنا على أكثر من سبعين فرقة مع أن الله يريدنا جمعا واحدا لنا اسم واحد .

ان المسلمين في الاسلام كما قال الله تعالى عنهم :(**والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**) التوبة/ ١٠٠

فهم سابقون : مهاجرين وانصارا ، وتابعون لهم باحسان . ونحن لسنا من السابقين وإنما نحن من التابعين ونرجوا أن نكون باحسان ، والتابعون باحسان يقولون ما جاء في القرآن الكريم :(**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**) الحشر/ ١٠ . ولكننا بدل أن ندعو لهم جميعا بالمغفرة فهم الآن بين يدي الله يتولى حسابهم ويطلب منا الاستغفار لهم ، يجب أن ننبذ خلافاتنا والا نتعدى ونتصادم ونتقاتل ونغفل عن العدو الحقيقي الواقف لنا بالمرصاد ينتهز فرصة غفلة منا ليميل علينا ميلة واحدة ، مع أن الله تعالى أمرنا أن نأخذ حذرنا ولكننا فرطنا فعوقبنا ولم نأخذ عظة من الدرس القرآني للمسلمين في مثل هذا ، فانه عند مادس اليهود بين الاوس والخزرج من يذكرهم بالحروب التي كانت بينهم ، أهاجم وحرك الاحقاد القديمة وتواعدوا على القتال ، ولكن الرسول الكريم تدارك الأمر بحكمته ونزل في ذلك قوله الله تعالى :(**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ الى صراط مستقيم**) آل عمران/ ١٠٠ و١٠١

ولم يكن كفرهم الا تلاقيهم بالسيف بعد أن جمع الله قلوبهم بالايمان ولقد أحسن الفريقان أنهما أجرما باستعادة الخلافات القديمة ، وعادوا للوفاق والعناق ..

وكان حقا علينا أن نعتبر بذلك فلا نسمح باجترار الماضي ، وإعادة الخلافات جذعه وان نكتفي بالوصف الجامع المانع وهو وصف الله لنا **بالتابعين بإحسان** حتى يرضى عنا .

وإذا تتبعنا من يحبهم الله تعالى ، وذكرهم في القرآن الكريم وجدنا الكثير فهو يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحب المحسنين ويحب الصابرين ويحب المتوكلين ، ويحب المقسطين ،

والأذلة على المؤمنين والأعزة على الكافرين ..

وإذا تتبعنا من لا يحبهم الله وجدناه لا يحب الكافرين : والظالمين والمسرفين وكل مختال فخور ومن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ومن يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، والمفسدين والمعتدين والمستكبرين والفرحين ..

ولو سردنا الآيات التي أوضحت من يحبهم الله ومن لا يحبهم لطال المقام ، وكل تال للقرآن الكريم يمر عليه ذكر ذلك ، ويعلم أن عليه ان يتوب ويتطهر من الذنوب ، ويحسن العمل ويحسن الى الناس ، ويصبر في مواطن الصبر وهي البأساء والضراء وحين البأس ، وإذا عزم توكل على الله فالتوكل يأتي بعد تمحيص الموقف ولو إحتاج الى استشارة حتى لا يندم عند التسرع ، وعليه عند الحكم على الناس أن يقسط في الحكم ، وعليه الا يكون مختالا فخورا ولا خوانا أثيما وقد وصف الله تعالى المختال الفخور بأنه بخيل ويأمر الناس بالبخل ، ويكتم ما آتاه الناس من فضله ، وإذ أنفق فرياء للناس وعدم إيمان . ووصف الخوان الاثيم بأنه يستخفي من الذنب عن الناس ولا يستخفي من الله ، والله معه ومحيط بعمله ، وهذه وأمثالها مكارم أخلاق لا ينبغي للمؤمن إلا أن يتصف بها وعليه أن يكره الكفر كما يكره أن يقذف في النار ومثل الكفر الفسوق والعصيان .

وأشد أنواع الكفر الاشراك بالله ، فهو الظلم العظيم ، وهو الذي لا يقبل فيه صرفا ولا عدلا ونص ذلك في القرآن الكريم حيث يقول :(**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**) النساء/ ٤٨

والمسرفون على أنفسهم أنواع : منهم المسرف في الظلم والعلو كفرعون ، الذي كان عاليا من المسرفين وقسم الامة شيعا ، واستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم .

ومنهم المسرف في المعاصي والمسرف في الطعام والشراب ، والمسرف في صرف المال في الملاهى والمحرمات . والمفسدون أنواع ، منهم المستأثر بالخير الذي يحرم الناس حقوقهم في هذا الخير كقارون ، ومنهم الذين يشعلون نار الفتنة بين الناس والحروب كاليهود ، ومنهم الغاشون في الكيل والميزان وسائر الأعمال والمضيعون للثقة بين الناس ..

ونكتفي بهذا القدر ونذكر ان الله تعالى هو القوة الجبارة الهائلة التي لا يعلم قدرها غيره ولا يبلغ الواصفون وصفها ، هو الذي فطر الخلق ، وهو يدبر الامر من السماء الى الارض ، والذي يمتلك ما خلق ، ومنهم البشر ، امتلاك العبيد **بالخلق لا بالشراء** ، وقد احتجب بالنور لتكون عبادته عبادة احرار لا عبيد ، تمهيدا للمسئولية يوم الدين .

هذا الاله الذي نحن مدينون له بكل شيء في حياتنا من القوة الصالحة

والرزق والهداية وجميع النعم الظاهرة والباطنة ، وهو الموجود الدائم الكامل الذي لا حد لكمالة ، والذي فطرنا على الايمان به واللجوء اليه خاصة عند الشدائد ، والذي تطمئن بذكره القلوب ، هذا الاله المنعم المتفضل يستحق منا كل إجلال وتقدير وحب فوق حب الآباء والابناء والنفس وكل غال في الحياة فهو الواهب للجميع ـ ويجب تبعا لهذا الحب الغالي ان ننفذ كل ما رسمه لنا أمرا ونهيا بحرارة ، لا رسما فقط ، وأن نخضع لقوانينه في الاخلاق والمعاملات : من صدق وأمانة وعدل وإحسان وحسن معاملة وتواد وتناصح .. وأن نكون على المستوى الذي يريده لعباده ـ الصالحين ، وأنه سيؤتى كل ذي فضل فضله ، ويمتعه متاعا حسنا في الدنيا والآخرة .

وهذا حق لله وواجب علينا ، أن نؤثره على ما سواه ، والله تعالى يقول :(**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**) التوبة / ٢٤

حب الوالدين يلي حب الله ورسوله ، فهما السبب المباشر في إخراج الانسان الى حيز الوجود بقدرة الله وإرادته وتصويره ، ولهذا يأمرنا الله تعالى بالاحسان اليهما ، بالكلمة الطيبة والعمل الصالح ، وقد عنى جل جلاله في سورة الاسراء ، فإنه بعد أن أمر بعبادته وعدم الاشراك به أمر بالاحسان إلى الوالدين وعدم الاساءة اليهما .

وقد بين لنا لونا من الكلم الطيب والمعاملة الحسنة ننسج على منوالهما ، كما بين لنا لونا من الاساءة في الكلم والفعل لنبعد عنهما وعما هو أشد منهما .

فقال جل شأنه ناهيا عن القول المزعوم والفعل المكروه :(**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**) وقال عن القول الحسن والفعل الحسن ، :(**وقل لهم قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/ ٢٣ و ٢٤ فلا عذر لمخلوق بعد هذا البيان في أن لا يعامل والديه باحسان حتى أن كانا كافرين ، فيصاحبهما في الدنيا معروفا ، وإن كان لا يستمع لهما ان جاهداه على الكفر . وقد سمى الله تعالى ذلك برا فقال عن سيدنا يحيى :(**وبرا بوالديه**) مريم/ ١٤ وعن سيدنا عيسى :(**وبرا بوالدتي**) مريم/ ٣٢ .

حب الآباء للابناء . هو إن كان غريزة حتى في الحيوان الذي يحمي اولاده ويطعمهم ويضحي بنفسه في سبيلهم فهو في الانسان أرقى من ذلك أنه حب يقتضي أحسن تربية ، بحيث يتخرج الانسان على والديه وهو مثل عال يشرِّف المسلمين ويغيظ الكفار : علوٌ نفس وشهامةٌ وصدقاً وإيثاراً ووفاءٌ للعهد وسداداً لدين المجتمع

بالعمل في ميادين الانتاج أو حراسة الانتاج مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : وسبيل ذلك عدم تربية الترف او القهر والاذلال . بل تحبيب الابن في سير أبطال المسلمين من الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم من ابطال الصحابة ، ومن التابعين كصلاح الدين ، وعلى الوالدين ان يعلما ان تربية الابناء أمرا من الله لهما بقوله :(**قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم / ٦ وأهل المرء زوجه وأبناؤه ، ولن يقوا أولادهم النار إلا بالايمان والعمل الصالح والتربية على العزة والكرامة .

وليعلم الآباء أن الله تعالى جعل في نفوس الناشئة استعداد للخير ودوافع للسلوك الحميد ، فالاطفال عندهم غريزة التقليد ، فليعرضوا عليهم الأبطال الحق ليكونوا مثالهم ، وليبعدوا عنهم الأبطال الزائفين ، أبطال الجريمة والعنف والجنس حتى لا يكونوا منحرفين وعلى أبائهم الوزر .

وعلى الآباء وأولى الامر من المعلمين ورجال الوعظ والارشاد والاعلام أن يغرسوا في الأبناء حب إيصال الخير للناس ، لوجه الله فهو المجازي ، وحب الوفاء بالوعد والعهد ، وحب العلماء واختيار الاصدقاء ، وأن يرووهم بعد كتاب الله وحديث نبيه من الشعر أعفه ، ومن الحكم اصدقها ، فللمحفوظات أثر في مواقف المرء تدفعه للعلا إن كانت عالية ، وللحضيض إن كانت فاحشة .

وعلى رجال التربية والاعلام ان يكونوا نماذج حية للصدق والوفاء والشرف وقول الحق لا يخشون فيه لومة لائم حتى يكونوا قدوة للجيل الجديد .

حب الكمال والجمال إن الآباء الذين يحبون أبناءهم والاساتذة الذين يحبون تلاميذهم ينشئونهم على حب الكمال والجمال ، وسيجدون من الدين الاسلامي اكبر سند لهم في ذلك .

إنه دين يدعو الى الكمال والاجادة وبذل اقصى الجهد فيهما ويدعو الى استعمال الطاقات والمواهب الى أقصى الحدود ، تحقيقا للخلافة عن الله في أرضه ، والله الذي أتقن كل شيء خلقه يحب من عباده أن يحاكوه ما استطاعوا وما من عبد يعمل عملا وفي استطاعته أن يأتي بأجود منه إلا حوسب على تقصيره . شعار المؤمن في العلم قوله تعالى :(**وفوق كل ذي علم عليم**) يوسف/ ٧٦ فالعلم بحر لا ساحل له ، ومهما اغترف منه الانسان فانه يكون مجاهدا في سبيل الله له أجر المجاهد وجهاد العلم أقوى من جهاد السيف ، يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام :(**وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان/ ٥٢ ، والضمير في به يعود على القرآن الكريم ، والجهاد به أقوى لأنه يؤثر في الفعل ويعمل على الاقناع .

لا تجعل السيف فوق الرأي تقمعه
وقابل الرأي بالآراء والحجج
فرب مقتنع بالرأي يحرسه
ويفتدي نشره بالمال والمهج

وشعاره في العمل قول الله تعالى : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف/ ٣٠ وقوله : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك/ ٢

وشعاره في الاخلاق انه لا نهاية للفضيلة ولا حد للكمال ، وفي الحديث الشريف ان الله يرضي لكم اعالي الامور ويكره لكم سفاسفها .

وشعاره في التقوى :(**فاتقوا الله ما استطعتم)** التغابن/ ١٦

وفي الاعداد للعدو : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/ ٦٠ . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أهل الشام ان : « علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية » والدين الاسلامي يكره لابنائه المهانة والذلة والضعة والرضا بالدون وان يعيشوا في الحياة على هامشها ، لا يحس بهم احد ولا يطورونها ، بل يطلب منهم أن يؤثروا فيها آثار خالدة من العلم والعمل وتطوير الحياة إلى أسمى درجاتها والله من فوقهم مطلع على ما يعلمون ومحاسبهم عليه ويقول لهم : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/ ١٠٥ .

وكما يوجه الله عباده للكمال يوجههم للجمال ، فالاحساس به يحفّز المرء للكمال ولذلك دعاهم إلى النظر في ملكوته وما خلق ، ليدركوا مدى الاتقان ومدى التزيين ثم لا يكتفي بالجمال المرئي المحسوس ، وإنما يدعو أيضا إلى الجمال الروحي والاخلاقي ، ولقد غمرنا جل وعلا بوسائل الاحساس التي تدرك جمال المرئيات من شمس وقمر ونجوم وسحب تملأ النفس رجاء برحمة الله والتي تدرك جمال **المسموعات** من حفيف الاغصان وسجع الطيور وخرير المياه وأصوات المقرئين ، **والملموسات** من نعومة الورد والحرير ، كما غمرنا بما يدرك **الجمال الروحي** كالعقل والقلب والعواطف فانها تدرك فوق هذا الجمال المعنوي والاخلاقي ..

ومن أجمل ما خلق الله الاخلاق الكريمة يتحلى بها الرجل الكريم والمرأة الكريمة في مواقف الاحسان والحنان والشفقة والايثار والتضحية .

وكذلك الكلمة الطيبة توحي بجمال قائلها وتلذ لسامعها والحديث الشريف يقول : « الكلمة اللينة الطيبة صدقة ، ولا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق» رواه البخاري واحمد ومسلم

والعمل في حد نفسه جمال ، وما أجمل العامل أمام الآلة يديرها ويستخرج من دورانها صنائع غالية ، وما أجمل الفلاح زارعا حاصدا وسارحا بالانعام .

وما أجمل المرأة وهي تحوك الثياب وتطرزها وتنسق بينها ، وتعني بوليدها وتداعبه : وما أجمل الفتى

وهو مستغرق في الاستذكار . وما أجمل العالم في درسه أو معمله أو مكتبته .. كل هذه لوحات من الجمال علينا أن نحرص عليها ونربي ابناءنا عليها .

وبعد : ما أحسب مسلما يجهل أن الاسلام يحض على جمال المظهر والمخبر ، نظافة وعناية بالزي وذوقا وإدراكا للجمال وعيشا في سمو ، وسعيا للكمال والمعيشة اللائقة بالانسان . ولا أحسب مسلما يعيش إلا ويملأ عينيه كل يوم نظرا للشروق والغروب والكواكب والاشجار والثمار والجبال ومساقط المياه .. مما يملأ النفس روعة وجلالا ، ويجعلها تعنو لمولاها ، فتسبح بحمده كما تسبح له كل الكائنات :(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١ .

حب الوطن : وحب الوطن هو الوطنية ، ونحب الوطن لأنه أرض الآباء والأجداد ، وبيننا وبينه صلات قوية ونحن منه بمنزلة الغصن من الشجرة ، كون هواؤه وتربته اجسامنا ، وحكمتنا قوانينه وتطبعنا بعاداته ، ونعتز بعزته ، ونحن إليه إن غادرناه ، وحب الوطن طبيعة في الحيوان بله الانسان . يكون حب الوطن في كمون حتى إذا عدا عاد عليه تنبهت المشاعر وظهر حب الوطن والفداء والتضحية بالنفس والنفيس ، ومظاهر حب الوطن كثيرة منها .

الدفاع ضد الأعداء بالسلاح وهي وطنية الجنود ، وقف الحياة على خدمة أغراضه وهي وطنية الساسة ـ أداء الواجب نحوه وهي وطنية سائر الناس ، ومنها أداء الواجب اليومي على أكمل وجه وتعضيد المشروعات النافعة ، وانتخاب خير الناس ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ـ الاندماج مع الجماعة في المشروعات العامة وتعضيدها بالمال والمجهود العلمي والأدبي والجسمي ومشاركة الجماعة في الأفراح والأتراح .

وهكذا نرى أن حب الوطن يستلزم حب المواطنين ، والأمر أولا يقتضي ضبط النفس واعتدالها ، بالعفة عن الأموال والأعراض والعزوف عن الشهوات وضبط الفكر عن الجماح وتحصين النفس بالرفقة المؤدبة والوسط الصالح ، فكل ذلك يعينه على أن يكون مواطنا صالحا يحب الخير العام والنفع العام ، بل ويؤثر غيره على نفسه أحيانا ويؤدي دوره في الحياة على أكمل الوجوه .

حب النفس : وغير معقول أن يحب المواطن المواطنين ولا يحب نفسه ، وحب النفس كما قدمنا ينطبق عليه قوله تعالى :(**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**) البقرة/ ٤٤ ، حب النفس يقتضي ألا يظلمها صاحبها . وقد جاء ظلم النفس في قوله تعالى : (**ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**) فاطر/ ٣٢ . وقد قيل في التفاسير الكثير عن الظالم والمقتصد والسابق من ذلك : الظالم من انقص حق العبادة ، والمقتصد من اقتصر على الفرائض ، والسابق

بالخيرات من جمع بين الفرائض والسنن .
وقيل : الظالم المصر على المعصية ، والمقتصد التائب منها ، والسابق من لم يعص .
وقيل الظالم من رجحت سيئاته ، والمقتصد من تساوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت حسناته ومن ظلم النفس اتباع الهوى والشهوات وشياطين الجن والانس واليأس من روح الله والتفكير في الانتحار ، وليقرأ المسلم قول الله تعالى : (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا**) النساء/ ٢٩و٣٠
١ ـ ان شر ما يصيب الانسان الذي يظلم نفسه أن يفقد التمييز بين الحب العفيف والحب الشهواني ، ويخلط بينهما ، ويزين الشيطان له ان الحب بين رجل وإمرأة كاف في حد ذاته لأن يعاشرها معاشرة الأزواج دون زواج وهذا إغراء الشيطان للانسان ليرتكب الفواحش والفجور ، فشتان بين الزواج على رؤوس الاشهاد والمهر المبذول إعلاء لشأن المرأة وتكوين الأسرة والمسؤلية عن الأولاد والمودة والرحمة ، وبين الاختلاط الذي خلا من كل الكرامات ، إن الاول مقدس والثاني مدنس ..
٢ ـ خير للانسان الذي يظلم نفسه ان يقرأ ويفهم قول الله تعالى : (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**) الاحزاب/ ٤٣ ليعلم منزلته عند الله جل جلاله فيفتح قلبه للنور الالهي ويستضيء به ويشكر الله الرؤوف الرحيم .
٣ ـ وخير لمن يظلم نفسه بعدم الرضا بموقعه من الحياة وسخطه على القدر أن ينظر الى من هو دونه في المال ليرتاح ، ويقنع ويعمل مطمئنا إلى جانب الذي يجعل بعدالعسر يسرا ولا ينظر الى من فوقه فذلك يدعو الى ازدراء نعمة الله ، والله تعالى يقول :(**فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين**) الاعراف/ ١٤٤ ويقول : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم/ ٧
٤ ـ واحب أن أختم هذا المقال بقول الصادق الامين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه فانه لما كان المؤمنون أخوة فمعناها أن يحب الخير لجميع المؤمنين ، ولما كان يحب لنفسه الخير ويكره لها الشر ولا يريد أحدا أن يعتدي على نفسه أو عرضه أو ماله فينبغي أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه فلا يعتدي هو على نفس أحد أو عرضه أو ماله .
وهذا الحب لو سار على هذا النحو لكان المجتمع أزكى ما يكون أو أطهر ما يكون وأسعد ما يكون — فهل يتخلق كل مسلم بهذا الخلق الكريم ؟ وهل يحب الخير لسائر المسلمين ؟
يا سعادة من أحب الله ورسوله ووالديه وأولاده وإخوته المؤمنين .
ندعو الله مخلصين أن يجعلنا من هؤلاء المحبين المخلصين ..

مائدة القارئ

محمد (صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » . الآية ١٢٨ من سورة التوبة

اخبرنا عن نفسك ؟

جاء في السيرة لابن هشام ان نفرا من اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم : انا دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ..

ثقل الأمانة

بعد ان بويع عمر بن عبدالعزيز بالخلافة ، خلا في مصلاه يبكي ، فأقبل عليه المسلمون يقولون : ياابن عبدالعزيز ، ما يبكيك ؟ قال : انني حملت أمانة هذه الأمة ، فأنا أبكي لمن حملت الأمانة عنهم : أبكي للفقير الجائع ، وابن السبيل الضائع ، والمظلوم المقهور ، وذى العيال الكثير ، علمت أني مسؤول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأشفقت على نفسي ، وبكيت لثقل الأمانة .

حكمة

ان البراطيل تنصر الأباطيل ، هكذا قال حكيم ، ومعنى ذلك : ان البراطيل ـ جمع برطيل ـ وهو الرشوة ـ تستخدم من اجل الوصول الى أهداف غير مشروعة ، وتحقيق مطالب غير مستحقة ، وأصل البرطيل :

المعول الذي تحفر به الأرض ، ويستخرج به ما في باطنها ، فسميت الرشوة به لأنها كالمعول في تحطيم الفضائل ، والأخلاق ، واستخراج رذائل الطباع .

بخيل

قيل لرجل أما يكسون فلان ؟ فقال : والله لو كان له بيت مملوء برا ، وجاء يعقوب عليه السلام .

ومعه الأنبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء ، ليستعير منه إبرة ، ليخيط بها قميص يوسف عليه السلام الذي قد من دبر ، لما أعاره اياها ، فكيف يكسونى .

الدعاء للمريض

اخرج البخاري عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا أتى مريضا ، او اتى به قال : « ذهب الباس ، رب الناس ، اشف وانت الشافي ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » .

التقوى

سئل أحد الصالحين عن التقوى . قال : هل سلكت طريقا ذا شوك ؟

قال السائل : نعم .

قال الصالح : فما عملت فيه ؟

قال السائل : تشمرت وحذرت .

فقال الصالح : فذاك التقوى .

الحسد

جاء عن الحسد : انه جرح لا يبرأ .

ولما سئل الحسن البصري : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما انساك بني يعقوب ، نعم ، ولكن غمه في صدرك ، فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ، ولا لسانا .

وقال الشافعي في الحسد :

وداريت كل الناس لكن حاسدي
مداراته عزت وعز منالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
اذا كان لا يرضيه الا زوالها

بين العقل والعلم

قال الشاعر :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي منهما قد احرز الشرفا
فالعلم قال : انا احرزت غايته
والعقل قال : انا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم افصاحا وقال له
بأينا الله في فرقانه اتصفا
فبان للعقل ان العلم سيده
فقبل العقل راس العلم وانصرفا

الكون قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

رأيت الكون يرزح تحت ظلم ... وطغيان وجهل لا يزول
وكفر بالإله يسود ارضا ... واوثان يعظمها الجهول
ويصنع ربه من تمر نخل ... ويأكله لجوع قد يزيل
ملائكة وجناً يصطفيها ... ولا تّا ثم عزى يستميل
ويعبد شيخهم قمرا ونجما ... اليها في الشدائد قد يحيل
ومن اصنامهم صنم كبير ... عليه الذئب يوما قد يبول
وعباد لنار اوقدوها ... وتوصف انها الرب الجليل
ووأد للبنات نراه دوما ... تقرره القبائل لا العقول
فكم من طفلة دفنت بقبر ... تئن وتستغيث ومن خجول ؟
ولا يدري ابوها ان يوما ... سيسأل ما جنى هذا القتيل ؟
يخاف العار من ميلاد بنت ... فلا يبغي البنات ولا يعول
فيقتل ما يشاء من البنات ... ولا قانون يمنع او يحول
وشرب للخمور بكل واد ... ويوصف انه الفعل الجميل
ورق قد سرى في كل قطر ... وان ابن الملوك به ذليل
فكم من ابن انثى بيع ظلما ... كأن العبد في سجن نزيل
وهذا حاكم شرع الفساد ... فصار العدل امرا يستحيل

وكــان الفحش يبـدو والفجــور
شـريعة غـابة في الكـون اضحت
وكــان الجـن يقعـد في السمـاء
فكـان الكـون سجنـا لا يطـاق
لنخـرج من ظـلام الجهـل فـورا
فضـاق الكـون ذرعـا بـالظـلام
عـداء مستمـر بـين قـوم
الـم تـر كيـف ان الله اخـزى
لتهـدم كـعبـة كـانـت مثـابـا
فكـان بمـولـد المحمـود نصر
ونــار الفــرس اخمـدهـا الالـه
وكسـرى قد رأى في النـوم حلما
نـوافـذ قصـره بـاتـت تنـوح
فكـان بمـولـد القـرشي فضـل
وجـاء محمـد بـالـعـدل نـورا
وصــار من العصــاة هـداة دين
وحطـم كـل اصنـام الضـلال
وحــرم كـل ظلـم للـعبـاد
وسـاوى بـين انسـان فقـير
وحظـر الجـرم في قتـل الصغـار
وحــرر زوجـة كـانـت كـإرث
وحــرم ميتـة كـانـت حـلالا
فخلـف امـة تـدعـو لخـير
اراد الله خيـرا للجميـع
وسمــع الجـن قـرآنـا عظيمـا
وعـم الكـون اسـلام حنيـف
سمـاء الكـون صـارت في امـان
زمـان الـغـي قـد ولى وجـيء
اضيء الكـون مـن نـور الالـه
فتقصـده الخـلائـق مـن بـلاد
وتغتـرف الفضـائـل منـه دومـا
واصبـح كـل فـرد مستقيمـا

عـلانيـة كـأن الخـير غـول
مطبقـة وان وجـد البـديـل
ليعـرف مـا هـو السر المقـول ؟
ويسـأل ساكنـوه ومـا السبيـل ؟
لأن النـور مـاء سلسبيـل
وود الجـور عمـرا لا يطـول
وفخـر الفـرد في الحـرب يصـول
جنـودا امهـا في الـركب فيـل
وشيـدهـا مـن القِـدَم الخليـل
وسيف البغـي ليس لـهَ صليـل
ولم يبق عـلى الـعـرش اصيـل
بـأن الملـك للفـرس خـذول
وتنـعى حظـهـا فـغـداً تـزول
وفضـل الله ليس لـه عـديـل
بـذلـك يشتفـي الكـون العليـل
ليخلف بعـدهم في الهدى جيـل
ولم يسمـح بجـرح قـد يسيـل
فصـار القلـب للخـير يميـل
وانسـان لـه الشجـر الظليـل
لأن الله بـالـرزق كفيـل
الى احـد الاقـارب قـد تـؤول
وازلامـا الا بئس الـوسيـل
وعنـد الله للخـير الجـزيـل
فجـاء الـرشـد يكنفـه الشمـول
فـآمـن منـهـم النفـر القليـل
وحـرم الخـير انسـان رذيـل
فلا شيطـان يسمـع مـا يجـول
بمن يهـدي ، يـدعمـه الـدليـل
وحـل بمـولـد المختـار نيـل
لأن النيـل ليس لـه مثيـل
وتجـعـل كـل فسـق يستقيـل
بنـورِ الحـق ليس لـه مثيـل

فلسطين بين مزاعم الطروء الإسرائيلي

مقدمتان :

١ ـ في هذه المرة أقول « الطروء » الاسرائيلي ، ولا أقول « الوجود » الاسرائيلي ، فالوجود الاسرائيلي على الأرض شيء ، والطروء الاسرائيلي على أرض فلسطين شيءٌ آخر ، إذ أن اليهود لم يدخلوا فلسطين الا طارئين ، ولم يأخذوا دورا من تاريخها الا طارئين ، ولم يتواجدوا فيها ـ أبدا ـ كسكان أصليين ، وكان كل نصيبهم من تاريخها أنهم « طرءوا » عليها مرة في الزمن القديم ، دخلوها غزوا وغصبا ثم لم يلبثوا أن أزيلوا على نحو ما سنبين هنا ، وعادوا « ليطرءوا » عليها غزوا وغصبا أيضا في العصر الحاضر ،... وما نشك لحظة في أنهم ـ بأمر الله ـ زائلون منها كما زالوا في ذلك الطروء القديم .

والذي أعنيه عندما تفرض القضيّة الفلسطينية نفسها على المناقشة ، يجعلني أعتقد أن الدعاية الصهيونية التي عنيت بتشويه الحقيقة وليِّها قسراً لتوافق أطماعها تفوقت مع الأسف على التوعية العربية ، التي أخفقت في توصيل الحقيقة

الوجود العربي وأصالـة

للاستاذ/ محمد فوزي حمزة

وتأكيد الوعي العربي في أذهان الأجيال الحاضرة ، تفوقت عليها واستطاعت أن تغزو بباطلها طوائف من هذه الأجيال .. ليس فقط لتودع أذهانها كثيرا من مزاعمها حول فلسطين ، ولكن أيضا لكي تجعلهم يعتمدون مزاعمها على أنها حقائق تعلموها ليعتقدوها ويدافعوا عن اعتقادهم فيها .. وهذه الطوائف .. أجد نماذجها قليلة وكثيرة ، قريبة وبعيدة ، صغيرة وكبيرة ، محدودة ومنتشرة ، بالقدر الذي يجعلني أعتقد أن الصهيونية بما زرعته فيها ـ خلال صحافتها وإذاعتها وبقية وسائلها الجهنمية ـ من السطحية في المعرفة ، والتصاغر في الاهتمام ، والغرور في الفكر سواءً في تحصيله أو ابدائه ، استطاعت في غفلة من الوعي العربي والاسلامي أن تتسلل الى هذه النماذج .. فتغزو فكرها .. وتفسد وعيها .. وتتمكن من نواصيها ، حتى أستطاعت في النهاية أن تسخر من بينها

جنودا متطوعين ، او ـ بتعبير البروتوكول الصهيوني ـ وكلاء مغفلين ، يحملون دعايتها .. ويدافعون عنها .. ويثيرون مزاعمها ، بغرورهم وسطحيتهم وفساد وعيهم .. ليس في وجه اعدائهم .. ولكن في وجه من ؟؟ في وجه العرب .. أهلهم .. وشعبهم .. وأمتهم .. التي أفسدوا عليها مع الأسف الشديد .

والمزاعم التاريخية ـ والدينية معا ـ التي تدعيها الصهيونية في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، وكذلك الشكوك التي تثيرها الصهيونية حول أصالة الوجود العربي في فلسطين ، مردودة من جوانبها كافة ، والذي أحاوله هنا هو أن أفند أطرافا من هذه المزاعم .. وأزيل صحافا من هذه الشكوك .. ولعلي بهذا المقال المتواضع أستطيع أن أبلغ الحقيقة الى عقول الطوائف التي أعنيها ، والتي سبقتني اليها الصهيونية .. بوسائلها .. ومزاعمها ، وشتان بين جهدها وجهدي ، وشتان بين وسائلها ووسائلي ، ولكن على الله قصد السبيل .

٢ ـ ما كنا نريد أن ندير حجتنا على اليهود الا من شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، وهذا لا يعود الى قصور نستشعره في شواهدنا الأخرى ، ولكنه ـ رغبة منا في أن تكون شواهدنا عليهم من عندهم ، لتكون أقوى حجة عليهم وأكثر إلزاما لهم ، ولهذا فقد فضّلنا أن نُدير مقالتنا هذه من خلال الرواية اليهودية للتاريخ ، نأخذ مزاعمها زعما فزعما ، ثم نتركها ترد على نفسها بنفسها ، وتكذب نصوصها بنصوصها ، وتنسخ أساطيرها بأساطيرها فلا يستوي لها منطق ، ولا تستقيم لها حجة .

فالاحتجاج ـ إذن ـ بهذه الرواية ، ليس من باب الاعتقاد فيها أو الاعتداد بشيء من أكاذيبها ومزاعمها ، ولكن فقط ، من باب التفنيد والتمحيص لمجموعة غير متناسقة من الكتب الأسطورية ـ لا التاريخية ـ والخزعبلات الفولكلورية ـ لا الدينية ـ سميت في مجموعها باسم « كتب العهد القديم »، وادُّعِي زورا وبهتانا أنها التوراة التي أنزلها الله تعالى من السماوات العُلى ، رأينا أن ننبه إلى ذلك مسبقين لكي لا يحتج علينا أحد من أهلها إذا رحنا نعتد بشيء من نصوصها ، فنحن لم نعتد بنصوصها إلّا على نصوصها ، ولم نعتمد أساطيرها إلا على أساطيرها ، وإذ نحن لا نعتقد فيها جميعا ، فإننا ـ فقط ـ رحنا نقرب بين نصوصها المتعارضة ، نقابل بعضها بعضا .. ليهدم بعضها بعضا .

التاريخ المزور .. صعب التحقيق :

أساسنا اذن هو الرواية اليهودية للتاريخ .. ولكن وجدنا التحقيق في هذا التاريخ مهمة بالغة الصعوبة ، وذلك لأسباب متعددة نسوق منها ما يلي :

أولا : أن التاريخ اليهودي تكاد تنحصر مصادره في روايات الكتب المقدسة ، وهي نصوص العهد القديم التي بين أيدينا والمسماة جزافا بالتوراة ، مضافا اليها

شروحها المختلفة ، والتلمود ، وما أضيف الى كل هذا من كتب الايضاح والتفسير .. وهذه جميعا لا تكفي مهما تعددت أوجهها فإنها تنحصر جميعا في مصدر واحد اسمه « الكتب المقدسة »، ولم يوجد فيما عداها ما يمكن مقارنتها به للوقوف على مدى صحتها ، هذا اذا استثنينا المصادر النادرة التي فتحت عليها الأعين معرفة المستشرقين لبعض لغات الشرق ، وهذه أندر من أن تفيد كثيرا على الأقل ، إما لقلتها الشديدة ، أو لما طرأ عليها من آثار التحيز الذي لم تسلم منه كتابات المستشرقين . وكذلك إذا استثنينا ما تعلق من هذا التاريخ بسير مجموعة من الأنبياء أجلتها - على حقيقتها - آيات القرآن الكريم ، وفيما عدا ذلك ، فإن القدر الأكبر من مساحات التاريخ اليهودي قد أنفردت بروايته هذه الكتب المقدسة ، التي لم يكن من الصعب تفنيد بعضها كما سنرى .

ثانيا : انه تاريخ تختلط فيه الواقعة التاريخية بالأسطورة الخرافية التي تملأ جوانبه على نحو مُكْثر حتى أحاطت بكل واقعة فيه ، حتى كاد يتيقن لنا ألا تكون هذه الوقائع المروية في التاريخ اليهودي الا مادة قصصية استمِدَّت أصولها من خرافات الشعوب البدائية وأساطيرها ، ثم أعيدت صياغتها باستبدال أسماء من بني إسرائيل بأسماء الأبطال الخرافيين لهذه الأساطير ، وهذا أمر لا نستبعده على « مؤلفي » العهد القديم الذين لمسوا في الشعوب ميلا الى تقديس الأسطورة الغيبية والايمان بما يرد في اطارها ، فراحوا يلتمسون كل وسيلة ليلتقطوا من أساطير الشعوب ما يطعمون به كتاباتهم المزورة ، ونحن لسنا بدعا فيما احتملناه في هذا الأمر فان من حسن الحظ أن من الناس من أجتذبت انتباهه الخرافات التي حفلت بها أصحاحات الكتب المقدسة ، فعنوا قبلنا باستجلاء الأساس الأسطوري للمادة القصصية التي صيغت بها هذه الكتب وراح يطابق بينها وبين ما أمدته به عادات الشعوب من مجموعة هائلة من الأساطير والخرافات ووجدها جميعا تشكل الجو الخرافي الذي احيطت به كتابات العهد القديم ، وإنا لنستطيع أن نسوق على ذلك مئات الأدلة ، ولكنا - رغبة في الاختصار - سنكتفي بالإشارة الى السيل الغزير من شواهد هذا الحال ، الذي ساقه كتاب « الفلولكلور في العهد القديم »، ومن أراد التفصيل فهو هناك .

وعلى هذا فان الباحث في هذا التاريخ يجد نفسه أولا في حاجة الى تنقية الوقائع التاريخية مما حولها من جو أسطوري خرافي سيجد ولا شك عناء كبيرا في أستخلاصها منه الى أن يتمكن من التفرقة بين ما هو واقعة تاريخية ، وما هو أسطورة خرافية ، وانه لن يصل الى هذا المستوى من البحث الا بعد ان يبلغ من أمره إرهاقا كبيرا يتفرغ بعده لموازنة الوقائع التاريخية ودراستها .

ثالثا : ان هذا التاريخ لا تعتمد رواياته على أية نوع من الوثائق المكتوبة ، أو حتى الحفريات او الآثار التي يمكنها ان تقف شاهدة على واقعة بعينها أو مؤيدة خبرا بذاته .. خصوصا تلك الوقائع والأخبار التي كان مسرحها فجر التاريخ ، فإن أقدم الوثائق أو الحفريات أو الآثار التي أمكن التفتيش عنها لا تتعدى بأي حال

القرن الأول قبل الميلاد ، وإلى القرن الأول قبل الميلاد لا يكتسب التاريخ اليهودي أية درجة من التوثيق المؤيَّد ، ذلك إذا استثنينا من حسابنا تلك الفترة التي قضوها في مصر بعد زوال الغزو الهكسوسي ، إذ تنبهت حكومة فرعون الى خطرهم على البلاد إذا ما داهمها غزو أجنبي سرعان ما ينحازون اليه فأصبح فرعون يراقبهم وقدمت سجلاته طرفا من تاريخهم في هذه الفترة ، وفيما عدا ذلك لا ترى التاريخ اليهودي الا مجموعة من المسامرات الفولكلورية وحلقات من القصص المسلية التي أقرها الزمان في أذهان الجماعات البدائية واتخذها « مؤلفو » التوراة أساسا « توثيقيا » لرواية تاريخهم .

رابعا : ان التاريخ اليهودي كما ترويه لنا الكتب المقدسة ، ما هو الا تاريخ من صنع أصحابه ، ليس فقط من صنع أقلامهم ، ولكن أيضا من صنع أهوائهم ، وعندما نقول « من صنع أقلامهم »، فاننا نردد ما هو معروف من أن اليهود بعد أن ثوى أمرهم الى الأسر في أسوار بابل عكف أحْبارهم في هذا السبى البابلي على كتابة الأسفار التي يتألف منها كتاب العهد القديم ، ثم لقنوه لأممهم على أنه التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ، ولهذا نجد إصحاحات هذا الكتاب قد أتخمتها من مظاهر الضعف والركاكة وسوء السياقة وغير ذلك من أوجه القصور ما لا يعقل أن يتضمنه كتاب مُنَزَّل ، وعندما نقول « من صنع أهوائهم » فإننا نعني أن اليهود هم الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بنفسها ، فأضافت اليه وحذفت منه وحورت فيه كما شاءت وكانت فرصتها واسعة لتجعله في الإطار السلوكي والإنساني الذي راق لها ، ولكن ، ومع هذا ، فإن كُتَّاب هذا التاريخ لم يستطيعوا أن يجعلوه تاريخا سلسا مقبولا ، وكل الذي أستطاعوه هو أنهم شوهوا به كتبهم المقدسة ، إذ أنهم ضموه اليها رغبة منهم في تقديسه وإعلائه على مستوى كل نقاش ، فضموه الى الكتب المقدسة ، وجعلوه مُنزلًا من عند « الرب »، في إصحاحاته ، وبكلمات فمه ، فلا ترى الرب ـ في هذه الكتب ـ الا يروي واقعة مختلقة ، أو يستمد أسطورة غيبية ، أو يفسر عادة بدائية ، أو يرتل أنشودة شعبية .. سبحان الله تعالى عما يصفون .. ومن صنع أحْبار اليهود ، جُعِل التاريخ اليهودي نشازا خرافيا متفرقا متناقضا ، ومن رغبتهم في تقديسه ، أدخلت شواهد القصور الإنساني إلى الكتب المقدسة ، ومن كل هذا ومن كل ذاك ، كان تاريخا صعب التحقيق .

المزاعم التاريخية :

وُفِّق اليهود الى بث الدعوة الصهيونية في أصول الدين اليهودي ، ولكنهم لم يوفقوا في التعمية على الفاصل التاريخي بين دعوة موسى واغتصاب فلسطين ، فراحوا يطلبون اعتماد جذور إسرائيلية أقدم من موسى في سكنى المنطقة وساقوا تاريخها من عهد يعقوب ، ثم لم يوفقوا الى إثبات جذورهم فيها فذهبوا يلتمسون

تاريخها من عهد نوح ، ولم يوفقوا فطفقوا يزعمون أنهم كانوا بداية الخليقة فيها ، وقد كان لنا إزاء كل زعم من هذا ما أعان على هدمه على نحو ما سنرى .

موسى لم يدخل بهم فلسطين .

وقد حرص رواتهم على أن يديروا سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، حتى مسخوا شخصيته وافسدوا رسالته وأضاعوا دعوته ، ومن خلال الفكرة ذاتها بلوروا حوله ضروبا من الخرافة والأسطورة وصنوفا من القصص الشعبي حملوها سيرته وساعدهم عليها ما كان لموسى من طفولة مثيرة تبعث على اختراع القصص ، إذ بينما ولد موسى في أسرة متواضعة ، فإنه قد نشأ وتربَّى في قصور الملك ، فجمعت طفولته مرة واحدة بين التواضع « الذي يرضي الذوق السامي العربي » والرقي « الذي يرضي الذوق المصري »، هذه النشأة ذات الوجهين ، فضلاً عما كان له من قوة وفتوة وتعلم للحكمة على يد النبي شعيب « أو الكاهن المصري يثرو كما تسميه التوراة »، كل ذلك وجد فيه الرواة اليهود مادة مثيرة وشخصية طريفة راحوا يكيلون لسيرتها من الأساطير الحاضرة والغابرة ومن الصهيونية والعنصرية ما لا تحتمله سيرةُ نبي ، حتى أن بعض المؤرخين ـ من كثرة ما أثارته الرواية اليهودية حول موسى ـ كان لا يظنه نبيا من عند الله ، ولكن تصورهُ بطلا من طراز آخر غير طراز الأنبياء. «سيجمون فرويد» مثلا كان يظنه ثائرا مصريا خرج بطائفة من شعب مصر لِيغزو فلسطين .

وهذا الخلط في فهم شخصية موسى ، اتَّخَذ منه اليهود مدخلاً واسعا لبث الدعوة الصهيونية الى تعاليم الدين اليهودي ، فالمطالع لسفر الخروج يجده لا يدير السيرة إلا من خلال أسطورة الوعد الالهي وخُرافة الأرض الموعودة التي ترمي أولا وأخيرا الى ادعاء نوع زائف من الشرعية يُضْفَي على الغزو اليهودي لفلسطين ، ويؤكد على هذه الفكرة في كل مرحلة يتعرض لها من حياة موسى ، فيهيؤه لهذا « الوعد »، ويحصره عنده ، ويحاصر به سمعه أينما حل ، حتى كأننا لسنا بصدد نبي بعثهُ الله ليهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، ولكن كأننا بصدد زعيم من دُعاة الصهيونية المعروفين في زمننا هذا عاش في العهد القديم .. فهذا الرجل الذي كان من اوائل الدعاة لتحرير الفكر الأنساني من عبودية البشر ، وصاحب رسالة سماوية ودعوة انسانية كبرى للتمرد على الوهية فرعون وتذكيره بأن من فوق الكل ربا ، هو الله رب العالمين ، مسخه اليهود تماما وأعطاه سفر الخروج صورة قميئة على قدر مقاييسهم ، محدودة على قدر ضيق أفقهم ، وحوَّله الى داعية من دعاة الصهيونية المشهورين عند بني اسرائيل .

ولسنا الآن بصدد استعراض النصوص التوراتية التي تصبغ موسى بالصبغة الصهيونية ، وإنما نحن فقط نؤكد على أن البون الشاسع بين حقيقة موسى وحقيقة

الدين اليهودي من جهة ، وبين حقيقة هذا الشعب المشاكس من جهة أخرى ، تجعل من المتعذر الاعتقاد في أنهم عرفوا من موسى شيئا عن الرب أو شيئا عن الدين .

ثم لننظر الى موسى النبي ، أضاعوه تماما ، أضاعوه (وأضاعوا) توراته ، ثم لم يحتفظوا بشيء من ذكراه من بعده ، فأما التوراة فقد تلاشت من أذهانهم تقريبا وهم الذين عاشوا بدوا رحلا لا يعرفون مدرسة ولا تعليماً ، فكان اعتمادهم على الذاكرة الشفهية ـ فضلا عن تعمدهم التحريف ـ سببا رئيسيا من أسباب ضياعها ، ولم يمض على وفاة موسى جيل واحد ، حتى كانت قد نُسي أمرها وضاعت ألواحها الى أن كان عهد يوشيا الملك بعد سبعة قرون ، فتقدم له أحد كهان المعبد بعدد من الألواح دفعها اليه زاعما أنها هي « سفر الشريعة »، والله أعلم بما قدم له ولكن المعروف جيدا أنها لم تكن إلا « الكتاب المحرف » الذي عكف أحْبار اليهود على كتابته في أسر « بابل ».

وأما موسى فقد نسوهُ وتلاشى اسمه مع أسفارهم تقريبا منذ كان آخر عهدها به الكتاب الخامس من توراته « التثنية »، الذي ذكر اسمَهُ في نص باهت يذكر ـ بالكاد ـ موته ميتة غامضة لم يعرف بعدها شيء عنه ، ولا حتى موضع قبره من أرض مؤاب ، وأصبح موسى نسيا منسيا لا يعرفه المتأخرون من « مُؤَلفي » التوراة ، الى أن ذكرهُ « أشعيا » في الكتاب الثالث والعشرين ـ لاحظ طول الفترة ـ من كتب العهد القديم ، وقد ذكرهُ ذكرا يجعلهُ شيئا غابرا قديما مندثرا ، أو مجرد رائحة قديمة من الأيام الغابرة .. أيام موسى وشعبه ».

وإذ جعلنا في خطتنا الا نواجه « الرواية المقدسة » إلا بذات نصوصها ، فإن المهم ـ والمهم جدا ـ أن « الرواية المقدسة » نفسها التي أدارت سيرة موسى من خلال فكرة الغزو اليهودي لفلسطين ، لم تستطع إلا أن تثبت أن موسى لم يدخل بشعبه الى فلسطين ، وان تؤكد على ان موسى أتم مهمته وأدى رسالته وقضى أجله ولقِيَ ربَّه .. دون أن يدخل الى فلسطين ..، وهذه حقيقة احتار أصحاب التلمود ـ فيما بعد ـ في تفسيرها على نحو لا يضر بـدعاة الصهيونية التي تجعل من اغتصاب فلسطين واحدة من تعاليم الدين اليهودي .

وبالحرف الواحد من الرواية اليهودية ، يقول سفر التثنية مخاطبا موسى : « هذه الأرض التي أقسمتُ لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر ، ومات موسى »، وإزاء هذه الحقيقة ، تطلب الدعاوة الصهيونية اعتماد جذور أقدم من موسى في سكنى هذه الأرض .

أصول ضائعة :

وإزاء هذه الحقيقة ترجو الدعاوي الصهيونية اعتماد جذور أخرى لهم في

سكنى هذه الأرض أول عهدها بالسكان ، والحق ان الحصول على أصولهم الاولى من حيث هي أصولهم الأولى ـ فضلا عن بحث صلتها بفلسطين ـ مهمة بالغة الصعوبة ، سواء من حيث أصل نشأتهم أو من حيث تسميتهم ، وعندما لجأنا الى الكتاب المقدس ليدلّنا عليها وجدناه تلجلج واضطرب ولم يوفق في نسبتهم الى أحد من الناس ، اذ بينما نسب الى موسى أنه قال إن أباه كان « آراميا تائها » ، عاد ليصرح بلسان أشعيا بأنهم منسوبون الى كنعان ، ثم إمعانا في التخبط يعود الكتاب المقدس فيزدري كنعان ويزيله من نسب اليهود ، وقد أزاله رواة التاريخ اليهودي بأسطورة بدئية أثبتوها على نوح ، قالوا إن نوحا شرب الخمر حتى سكر وتعرَّى وكشف عن عورته فرآها ابنه حام « ابو كنعان »، وعندما صحا نوح من سُكره وعلم بالأمر لعن كنعان وقال انه عبد العبيد ذرية حام ، وطبعا لا يمكن اعتماد هذه الخرافة في الحوادث الحقيقية للزمن القديم ، ولكن واضح أن كتب العهد القديم توردها في حيلة صهيونية قميئة ترمي الى استثناء كنعان من زمرة « الشعب الممتاز »، وهذا موضوع آخر يعنينا منه أنهم أوقعوا الرواية المقدسة في اضطراب كبير أضاع أصولهم أن تعرف أو يهتدي اليها احد .. أو يهتدوا اليها هم أنفسهم . وكانوا أولى أن يهتدوا الى أصلهم قبل أن يزعموا أن لهذا الأصل صلة بفلسطين .

بعيداً عن فلسطين :

فاذا ما فرغنا من هذا الاضطراب الشديد ورحنا نبحث عن أصول الجاليات اليهودية المنتشرة في أنحاء الارض كيف نشأت وكيف ولدت أصولها الاولى بعيداً عن فلسطين بآلاف الاميال شرقا وغربا ـ بل وربما بعيدا عن الدين اليهودي نفسه ـ، أوقعتنا الدعاوة الصهيونية على اسطورة أخرى تقول : إن أسباط يهود أُخرجوا من فلسطين وتشبثوا في الأرض فكان منهم هذه السلالات .

الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يكن أول ساكن لها ، وعاش خارجها دهرا

واقدم جذر يمكن اعتماده لهذا الشعب الذي تسمى بـ « بني اسرائيل »، هو يعقوب عليه السلام فهو بحسب الرواية اليهودية نفسها اول عبري عبر النهر فارا من ارض خاله طالبا رضا أخيه ، وأول من تسمى « اسرائيل »، والحقيقة ان البحث في التسميات التي اطلقت على هذه المجموعة البشرية المحيرة مهمة شاقة نريد ان نُنَجِّي منها هذا المقال المتواضع ، ويكفينا منها ما أورده السفر العجيب

من أسطورة يفسر بها تسمية يعقوب باسم « اسرائيل »، وهي أسطورة نرفضها شكلا وموضوعا ولكن نورد لك ملخصها لتقف منها على خرافتهم حول تسمية « الاسرائيلي الاول » الذي ينتسب اليه بنو اسرائيل ، فاسم « اسرائيل » يعني في اللغة العبرية « قوة الله » ومجمل الاسطورة ان يعقوب استحق هذا الاسم لأنه قابل الرب وقاتله وهزمه ، ولكن كيف ؟، تقول الأسطورة ان الرب استعان بسلم بنته الملائكة وتنزل الى الأرض ليلا ليصارع يعقوب !، فهزمه يعقوب !، وقبض عليه !! ورفض ان يطلقه الى ان طلع الفجر !، فلما توسل اليه الرب الذي كان يخشى ضوء الصباح !!، فرض يعقوب « المنتصر » شروطه ، واضطر الرب ان يباركه ويسميه منذ هذه الحادثة « إسرائيـل » ، اي قوة الله .. وذلـك ـ كالاسطورة ـ لأنه قاتل الله وغلبه .

ولا أظنك إلا مثلي تستغرب هذا الهراء الذي لا يستقيم له منطق ، ولكن المجال هنا ليس لنشرح كيف أننا نرفض هذه الخرافة جملة وتفصيلا ، وإنما الجلي لنا ان يعقوب ـ في الخرافة المقدسة ـ هو الاسرائيلي الاول الذي يُنسب اليه هؤلاء القوم ، وسوف لا يكون صعبا تقويض كل بناء للدعاوة الصهيونية عندما نعرف من الرواية نفسها ان هذا الاسرائيلي الاول لم يولد في فلسطين ، ولم يدخلها إلا غلاما مع ابيه اسحق الذي استأذن ملكها (أبيمالك) وكان على القوم الذين سكنوها من قبل ، ثم أن هذا الغلام لم يلبث ـ بعد ان صار رجلا ـ ان غادر هذه البلاد هاربا من بطش أخيه الذي عزم على الانتقام منه لأنه ـ كالخرافة ـ خدعه وسرق بركته وجرده من ميراث أبيه ، وقد ندَّ يعقوب الى أرض خاله ، وهناك تزوج من ابنتي خاله ، واقام ردحا من عمره أقله عشرون سنة ، إذ تزوج الاولى بعد ان خدم خاله سبع سنين والثانية بعد سبع أخر ، وأقام حتى أنجب من إحداهما ثم أقام الى أن برئت الثانية ـ وكانت عاقرا ـ من عقرها وولدت له ثم أقام مدةً ثم هرب ، ولم تتركه الخرافة المقدسة يغادر أرض خاله إلا بعد أن ألحقت بسيرته فضيحة كبرى تقول : إنه سرق أغنام خاله وخرج قاصدا أخاه ، ثم كأنَّ الرواة اليهود كبر عندهم أن يتركوا أحداً بلا فضيحة ، فقالت روايتهم ان زوجة يعقوب ـ ابنة خاله ـ سرقت أدوات أبيها قبل الرحيل .

ومعلوم بعد ذلك جيدا ان يعقوب ارتحل ببنيه من فلسطين قاصدا مصر عندما استقدمهم يوسف اليه ليعيشوا معه بعد ان استأذن فرعون في استقدامهم .

ماذا كانت صلتهم بفلسطين اذن ؟:

لم تستطع الرواية المقدسة أن تقنعنا بصلة معقولة لهؤلاء الناس بالمنطقة ، ولم تستطع أن تثبت أنهم كانوا أصل الخلقة في فلسطين كزعم الدعاوة الصهيونية ، بل على العكس أثبتت أنها من قبل كانت مسكونة بغيرهم ، من قبل إبراهيم نفسه ،

واكدت بأن ذكرت أسماء القبائل الذين كانوا سكانها قبله ، « الرفائيم والعناقيم والزمزيم والا يميم والزوزيم – لاحظ الكثرة »، وزادت تأكيداً بأن قدمت أوصافا لهؤلاء القوم ، فقالت إنهم كانوا مردة عمالقة ، وهنا لا بد من الإشارة الى ضرورة وجود النص الخرافي في الرواية اليهودية ، فلا تحسب هذه الاوصاف الا مستمدة من التصور الأسطوري لأوائل الإنسانية السحيقة على انهم كانوا بشرا جِساماً ضِخامَ البنية .

وقد رأينا كيف استنطقنا الرواة اليهود عن أصولهم الاولى فلم يوفقوا في الإجابة ، وكيف أجابوا بأن الاسرائيلي الاول لم يكن أول ساكن لفلسطين وانه عاش خارجها ردحا من عمره ، وبعد طول جهاد مع اصل اليهود وحقيقة صلتهم بالمنطقة ، كاد يستقر عندنا ان نعتبرهم – مع تجاوز كبير – شيئا من القبائل السامية التي انفصمت في هذه المنطقة عن جذعها الكبير ، فان هذه القبائل المنخلعة عن أصولها قد ووجهت بمصير مجهول أمام الصراع الفظيع الذي دار حول المنطقة بين ممالك هذا الزمان ، فمنها ما حافظ على أرومته السامية الأولى ، كالعرب – ومنها ما صهرته الحوادث في الامبراطوريات الاخرى ، ومنها – كاليهود – من ظلوا متقوقعين على هوامش هذه الامبراطوريات ، يعيشون عللا على اطراف مجتمعاتها ، يخشون الاتصال بها والانخراط فيها ، فكانت صلاتهم الاولى بالمنطقة وجوداً طفيليا ونتوءات شاذة على هوامش الامم ، ولعل الرابطة التي تجعل بعض المنظرين يلحقونهم بطوائف الغجر وقبائلها ، وجدت مبعثها من ذلك الوجود الطفيلي المتوقع دائما على هوامش الأمم .

دخلوها غصبا .. ثم أزيلوا .. في الزمن القديم :

بالكاد ، من عهد شاؤول الملك ، نستطيع الوقوف على تاريخ لليهود تدل عليه الوثائق والحفائر والآثار ، فالكتابات اليهودية التي اكتشفت لا يزيد عمرها بحال عن الالف الاول قبل الميلاد ، وقد بدا هذا التاريخ الحقيقي – لا الخرافي – لليهود بتتويج شاؤول ملكا عليهم ، بجهود سياسية بذلها النبي صامويل بعد دخول اليهود الى فلسطين غصبا بالغزو المسلح في عهد يشوع بن نون « وهو نبي اوقديس تجعله الرواية اليهودية سفاحاً أسطوريا »، ثم توج شاؤول ملكاً عليهم سنة ١٠٢٠ ق . م ومن بعده كان الملكان الكبيران الوحيدان في تاريخ اليهود ، داوود وسليمان ، ملك أولهما سنة ١٠١٠ ق . م ، وخلفه الثاني ٩٧٠ ق . م ، ودام من بعده اربعين سنة ، فقوام حكمهما في الحرث – مضافا اليه حكم شاؤول – لم يبلغ قرنا من الزمان ، وهي فترة يسيرة أتت بعد غزو مسلح لا تصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، او لإقامة أي نوع من الحضارة يؤثر في الانسانية ، ولهذا .. تجد كل امة من الناس أقامت حضارة أوكان لها في الانسانية أثر من نوع ما .. حتى أشد

الأمم امعانا في التخلف .. الا اليهود .. الذين دخلوا الى فلسطين غُصْبا .. وأقاموا اقل من قرن .. ثم أزيلوا .. وكانوا لم يدخلوها إلا غزاة في عصر يوشع وعصور القضاة ، وهي عصور جمعت الى الخرافة والاسطورة وانباء الحرب والسفك قدرا من الرذائل يرى معه أنها كانت عصورا شبيهة الى حد كبير بعصور الصهيونية الحاضرة .

زوال دولتهم بعد سليمان :

ولم تكن لليهود في فلسطين ـ ولا خارجها ـ دولة بالمعنى المفهوم إلا في عهدي داوود وسليمان ، وقد بينا من قبل أن قوام العهدين معا لم يزد على سبعين سنة ، وبعد هذه الفترة اليسيرة ، اتخذت دولة اليهود طريقها الى الزوال ، وكان الانقسام هو أول هذا الطريق ، إذ انقسمت الى مملكتين ، مملكة الشمال وعاصمتها السامرة ، ومملكة الجنوب وعاصمتها القدس ، فأما مملكة الشمال فقد عاشت حياة وثنية وترف وانحلال كل ذلك بلغ الذروة في عهد الملك « آخاب » الذي بُعث في عهده النبي إيليا وقام يدعو الى الله وسط هذا الجو الموبوء ، فكان طبيعيا أن تذهب دعوته سُدًى الى أن رفع الى السماء ، ولكي يكون للاسطورة الفولكلورية مدخل في كل شيء يهودي ، فان الخرافة المقدسة تقول ان ارتفاع ايليا الى السماء كان بمركبة نارية اختطفته وهو سائر جوار تلميذه اليسع ، كما تجعل الرواية لايليا وجها اسطوريا آخر يشبه ما نعرفه اليوم عن اسطورة « بابا نويل » بوجهه الضاحك وملابسه الحمراء ولحيته البيضاء ونزوله في الاعياد حاملا الهدايا والمنح ، الا أن أسطورة إيليا زيدت عليها الزيادة الصهيونية الخاصة ، وهي قتله أعداء اسرائيل ، المهم أن مملكة الشمال انتهت جملة سنة ٧٢٠ق . م عندما هاجمها « سلما نصر » الآشوري وضمها الى آشور .

واما مملكة الجنوب فقد سجل عليها كل من أرميا واشعيا النبيين كثيرا من مظاهر الوثنية والفسوق والانحلال وذبح الاولاد والذكاء في الشر الى ان انتهت جملة بهجوم بختنصر الكلداني الذي دمرها وجعل السيف في اهلها وسبى من بقي منهم الى بابل وأحرق الهيكل ، وهذه المملكة التي لم تخلف للانسانية شيئا مفيداً ، خلفت رواية عنصرية هي رواية المسيح المخلص ، وقد بينا في مقال سابق تحت عنوان الوجود الاسرائيلي ومطامع القوى الكبرى في الوعي الاسلامي العدد ٢١٤ أن هذا المسيح المخلص هو مسيح عنصري صهيوني مكلف باخضاع العالم تحت أقدام اسرائيل ، وكم كانت هذه الرواية سببا في ظهور كثير من الدجالين ينتحلون صفة المسيح المخلص ، وقلنا انه لما ظهر المسيح الحق .. عارضوه وتآمروا عليه ، وذلك ـ ببساطة ـ لأنه لم يكن صهيونياً ولا عنصرياً وأنه دعا إلى الله الحق والى عالمية الدين .

الزوال الكبير :

وبزوال مملكتي الشمال والجنوب زال تماما النفوذ اليهودي من على فلسطين وكادت تنقطع صلاتهم بها بعد ان ذهبوا أسرى في السبى البابلي ، لولا أن طائفة من يهود السبى استطاعوا في عهد قورش ملك فارس ان يعودوا الى هذه الأرض ليعيشوا فيها ـ لا ليحكموها ـ ثم حصل هؤلاء من قبل اليونان على حقوق سياسية خاصة كانت بداية لتطلعات عنصرية جديدة ، حتى كان الغزو الروماني ، وثار اليهود سنة ٦٦م ثم اخمدت ثورتهم وخمدوا إلى أن قامت لهم حركة تمرد سميت بحركة بوكوكبا نسبة الى قائدها سنة ١٣٢م ، ثم أخمدت وكان من نتيجتها أن حمل الرومان عليهم حملة قتل وتشتيت لم يعرف لها مثيل ، فزال اليهود من فلسطين زوالا كبيرا وأخمد صوتهم في العالم كله ولم تقم لهم قائمة الا في العصر الحديث عندما بدأ هرتزل يجمعهم في موجة صهيونية كبرى لاقامة الدولة اليهودية ، ذلك اذا استثنينا ـ كما بينا في المقال المشار اليه سابقا ـ محاولاتهم الانخراط في الموجات الاستعمارية السابقة على هذه الموجة كالحملة الفرنسية والحملات الصليبية .

أصالة الوجود العربي :

ومنذ زوال النفوذ اليهودي عن فلسطين بعد الغزو الاشوري ، ظلت الأرض يتعاقب عليها الغزاة من فرس ويونان ورومان ، ولكن ظلت فلسطين كما كانت دائما ملتقى عناصر وشعوب شتى ، يغلب عليهم طابع الفلسطينيين الاصليين الذين كانوا هم العنصر السكاني المستمر ، ومنهم عرب كثير ، وقد افصحت الرواية اليهودية نفسها عن وجود هذا العنصر العربي ـ بكثرة ـ مقيما يأكل الطعام وتاجرا يمشي في الأسواق . وبشهادة الرواية نفسها كان العرب جزءاً لا يتجزأ من سكان فلسطين الأصليين قبل ان يفد اليها اليهود بآلاف السنين ، وقد حاول مؤرخ اليهود أن يجور على هذا الوجود العربي ليطفىء كثيرا من تألقه تحت تأثير الطمس والتعمية التي مارسها « لاحظ اننا نركز اهتمامنا على الرواية اليهودية » ولكن ما يزال بالامكان الوقوف على كثير من الشواهد التي فات أمرها على هذا المؤرخ الذي لم يكن أمينا بحال .

والدعاوات الصهيونية تعتمد على مغالطة تاريخية هامة تقول إن عمر بن الخطاب هو الذي أدخل العرب الى فلسطين ، وهذه مغالطة تعْمد الصهيونية الى تكبيرها ، والصحيح أن الذين أدخلهم عمر بن الخطاب الى فلسطين هم « المسلمون » لا « العرب »، الذين كان لهم وجود هناك قبله بآلاف السنين ، والذي فعله عمرُ أنه أخرج من هناك المستعمر الأجنبي ، الذي « بدوره » لم يكن اليهود ، وانما الرومان ، أما اليهود ، فالرومان كانوا قد طردوهم في حملة قتل وتشتيت لم

يعرف لها مثيل ، وكانوا فيها مستعمرين غزاة ولم يكونوا سكانا أصليين .

أما سكان فلسطين الأصليين فهم الكنعانيون ، وهم ليسـوا يهودا ولا إسرائيليين ، وقد رأينا كيف أن الرواية اليهودية تعتزل نسبتهم عن الشعب الممتاز ، وإنما هم قبائل سامية نزحت من بلاد العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وقال المؤرخ هيرودوت إنهم أتوا من جنوب البحر الأحمر .

ويجب ان نلاحظ ان الرواية اليهودية نفسها أوضحت ان القِدِّيس « صفنيا » عندما عنى بأن يلعن « اصحاب هذه الأرض » كان يَصُب لعناته على الكنعانيين « لا اليهود » ، كما يجب ان نلاحظ ان منطقة القدس بالذات سكانها الأصليون هم اليبوسيون وهم طوائف من العرب وهم بناتها وكان عليها ملك منهم هو (مالك صادق) « لاحظ عروبة الاسم » وقد حكمها ذلك الملك حكما دينيا وفات مؤرخ اليهود انه ذكره في سفر التكوين قبل أن يفد إبراهيم الى فلسطين ، اي قبل ان يظهرَ الى الوجود يعقوب وبنوه بأكثر من قرن ، وقد ظل هؤلاءاليبوسيون بالقدس الى أيام هاجمها يشوع ، وكان عليها آنذاك « أدوني صادق » الذي تحالف مع ملوك البقاع الفلسطينية الاخرى في تكتل فلسطيني واسع لرد هجوم اليهود ، وعندما انتصر يشوع ودخل القدس ظل اليبوسيون هناك يقاومون إرهابه إلى أن ذُكر في السفر الذي تسمى باسمه ـ اي بعد وفاته باجيال ـ أنهم بقوا هناك إلى « ذاك اليوم »، ثم هاجمتها موجة يهودية اخرى هم بنو يهوذا واغتصبوها وضربوها بالسيف وأحرقوها ، وبعدهم هاجمها بنو بنيامين ليمارسوا صنوفا جديدة من الضغط السياسي والفكري والعسكري ، كل ذلك واليبوسيون مقيمون في مدينتهم يقاومون ويأبون مغادرتها الى أن كتب في سفر القضاة أنهم أقاموا هناك إلى « هذا اليوم » الذي كتب فيه السفر ، ذلك السفر الذي قرر أن أورشليم يوم كتب لم يكن يسكنها إسرائيلي واحد واشهد على ذلك رجلاً عبرياً كان يعلم جيدا أنها « مدينة اليبوسيين »..

وفي المفكرين من يأخذ من رحلة ابراهيم الى مكة دليلا على الاتصال العربي بالمنطقة ، منذ عهد إبراهيم ، فان إبراهيم ما كان يتخذ من مكة مهاجَراً لزوجته وابنه بمحض الصدفة ، فهو لا يعقل ان تكون للصدفة يد في تحركات رئيس عشيرة كبير كابراهيم ، وإنما لا بد أنه كانت له صلات بذلك المجتمع العربي .

أما القوافل العربية التي كانت تمر بالمنطقة مطمئنة آمنة فلعل أشهرها القافلة التي التقطت يوسف عليه السلام ، وقد كان ذلك في أواخر أيام يعقوب ، ولكننا نعني أن هذا الطريق كان مألوفا آنذاك للعرب .

ثم في نهاية القراءة التاريخية ننتهي الى أنه ليس في تاريخ اليهود شيء هام من تاريخ فلسطين سوى انهم حكموها مدة من الزمان لم تزد على سبعين سنة في العهد القديم ، وأن بعض أجدادهم سكنوا مناطق منها أو كان لهم صلة بها ، وهذا كله لا يصلح لتكوين اي نوع من الحقوق ، يمكن الاعتداد به ، الا وفق نظرة ضيقة الأفق لا يسعنا ازاءها إلا ان نردد مع القائلين بانه مهما طلب اليهود الاعتداد بها فهي

لاتصلح أساسا لمنحهم فلسطين وترحيل أهلها منها ، والا كان واجبا إعادة النظر في توزيع الشعوب على بقاع العالم ودوله .

المزاعم الدينية :

انتهينا تواً إلى أن بداية اتصال هؤلاء الناس بالمنطقة لا تعتمد على أي وثائق تاريخية ، وجل اعتماد الصهيونية في دعاواها على مجموعة من مسامرات العهد القديم وقصصه المسلية التي أقلها من تراثهم الشعبي واكثرها من تراث الامم سرقوه وضموه الى الرواية المقدسة ، ثم ادعوا أن إله آبائهم قد وعدهم بهذه الارض ليخضِعوا منها العالمَ تحت اقدامهم ويقيموا فيها وطنهم القومي ، ونحن في حيرة من اثر هذا الوطن القومي الذي تسوق له الصهيونية حججاً تاريخية ودينية زائفة ، فاما الحجج التاريخية فقد خضنا فيها ، واما الحجج الدينية فنصوص مزعومة أدخلها الرواة اليهود على التوراة واستغلتها الصهيونية لكي تجعل من اغتصاب فلسطين امرا دينيا ومشيئة الهيئة . واما كيف ؟؟.. فاليك التفصيل ..

ابراهيم .. والوعد :

ملخص هذه النصوص يزعم ان الله اختار هذه الامة الضالة من دون الناس ليجعلهم شعبه المتميز ويتيح لهم هذه الأرض غَصْبا وطغيانا على ما لغيرهم فيها من حقوق ، ليست فقط حقوقا تاريخية ودينية ، وانما أيضا حقوق مدنية ، هكذا لا تبالي الصهيونية بأن تجعل الرب يساعد على الغصب ويأمر به . وهذا منهم أمر محير يرددون فيه رواياتٍ كثيرة متناقضة ، وصفوة سياقتها أن الرب انعطف على إبراهيم ووعده بان يُوَرث ذريته هذه الأرض ملكا أبديا ، بشرط أن يؤمنوا به ويخلصوا له ويتخذوه الها أبدياً لهم ، ولا نريد أن نخوض في تفاصيل التشويه والتحريف الذي تعرضت له النصوص التوراتية ، ولكنا نقول انه اذا كان هناك ثمة مجال للاعتداد بهذا الوعد فانه قد صدر لابراهيم ، وأن قصارى ما نستطيع فهمه هو ان الله يعد أنبياءه بأن يمكن للذين آمنوا في الأرض ويجعلهم الوارثين ، ولا يمكن بأي حال الاقتناع بأن الله اختص اليهود ليساعدهم على اغتصاب فلسطين كما تريد ان تقنعنا الدعاوة الصهيونية ، أو انه سبحانه وتعالى يقصر وعده على بني اسرائيل من حيث هم « بنو اسرائيل » بصرف النظر عن صلاحهم أو فسادهم ويستثني منه عباده المؤمنين .

والجدير هنا أن ذرية إبراهيم لا تقتصر على بني إسرائيل « بني يعقوب » ولا حتى على بني إسحاق ، وإنما تضم مع بني إسحق إسماعيل وبنيه ، وبنين آخرين

ذكرتهم الرواية المقدسة لامرأة ثالثة اسمها قطورة ، وبين آخرين ذكرتهم الرواية ذاتها لبعض السراري ، وما بنو اسرائيل إلا بطن من بطون اسحق بن ابراهيم .

وحسب الرواية اليهودية ذاتها قد وعد الله ابراهيم بأن يمكن لاسماعيل أيضا في الارض ، ولكن الرواية الصهيونية تجعله يقصر عهده على إسحق الذي تلده سارة ، ونحن نعلم الوعد القرآني الذي قطعه الله لابراهيم اذ قال له : (**إني جاعلك للناس إماما**) فلما سأل ابراهيم : قال (**ومن ذريتي**) قال الحق : (**لا ينال عهدي الظالمين**) اي لا يشملهم ، ونحن لا نريد ان ندير حجتنا من القرآن لاننا تكفينا على اليهود شواهدنا التي من عند اليهود أنفسهم ، ولكنا لم نجد في الرواية اليهودية نفسها ظلما من إسماعيل وبنيه ، وانما رأيناها تنسب الى يعقوب من الكذب والخديعة والسرقة والغش ما كان عليه السلام منه براء ، فضلا عن الخرافة والاسطورة .

اما الشعب الذي تزعم الرواية ان الله تعالى اختصه ليعده بهذه الارض . فان الرواية ذاتها هي التي تنسب اليه من الكذب والسرقة والغش والقتل والزنا والربا والفجور والفسوق والنهب والسلب .. والى اخر ذلك من ألوان الظلم ما ليس مجاله هنا ، ولكن نشير الى انه ينتشر في الرواية اليهودية حتى لا يكاد يخلو منه اصحاح فيها فاستحال الاقتناع بأنه شعب يمكن ان يختصهم الله ليمكن لهم في الارض ويجعلهم الوارثين .

الوعد .. في الطبعة الثانية :

قلنا انه ان كان هناك مجال للاعتداد بالوعد فانه قد صدر لابراهيم ، ولكن الرواية الصهيونية تصر على استثناء ذرية ابراهيم من الوعد عدا إسحاق ، فلا تلبث ان تنتهز فرصة تحول السيرة الى اسحاق حتى تضيف الى النصوص ما يحول الوعد اليه ، تقول الرواية : « وظهر له الرب ـ اي لاسحاق ـ وقال له .. لك ولنسلك اعطى هذه الارض واوف بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ..» وواضح هنا ان الرواية التي تقول ان الرب اقسم بوعده لابراهيم ، تعود لتجعله يحنث بقسمه وبوعده له ويحوله الى اسحق دون البقية من نسل أبيه .

الوعد في الطبعة الثالثة :

هذا لا يقبله على الله عاقل .. ولكن الرواية تتمادى عندما يتحول الراوي الى يعقوب ، لتذكر ان الرب « بعد ان نزل الى الارض وصارع يعقوب وانهزم أمامه واضطر ان يباركه ويسميه اسرائيل كما ذكرنا في شأن هذه الاسطورة » عاد كما حول وعده لابراهيم امام اسحاق ، ليحول وعده لاسحاق امام يعقوب ، اذ ظهر له

وقال : « .. انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق .. الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك ..»، وهذا الذي نراه جاء في خرافة اسطورية تنزل الرب الى الارض بسلم تبنيه الملائكة ليساعده في النزول ، الا ان الواضح ان الرواية الصهيونية تجعل الرب من على سلمه الاسطوري يخلف وعده الذي سبق ـ في الرواية ذاتها ـ لاسحق ، مستثنيا منه بقية ذريته سوى يعقوب « اسرائيل » وبنيه .

الوعد .. في مهب الريح :

ثم بعد ان نزح ابناء يعقوب الي مصر وارتفع نجمهم هناك في معية يوسف عليه السلام ، لم يلبثوا بعد يوسف ان أصيبوا بنكسة اخرجتهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وفيما كانوا فيه ، ظل كل من سفر الخروج وسفر التثنية يخبط بالوعد الالهي خبط عشواء ، لموسى .. ثم يشوع ، ثم يتقلب الى ان يصل الى داود بعد ان استقر لهم الامر في عهده هناك ، وهكذا .. كان وعد صهيون وعداً سياسيا لا يستقر ، وانما يتحول مع الاعصر ويتقلب في الاجيال تبعا للرياح السياسية ، ولا ندري من في ايامنا هذه سيكون صاحب الوعد اذا رأى اليهود يضيفون الى الكتب المقدسة نصوصا اخرى كالتي سبق ان اضافها اجدادهم .

الوعد .. والوطن القومي .. في السبى :

ولابد هنا أن نسجل أن أسطورة الوعد الإلهي كانت قد تعرضت لنكسة كبرى على أيدي اليهود انفسهم الذين همُّوا بنسيانها تماما وعدم الاحتفال بها منذ أيام السبى البابلي ، وقد قلنا فيما سبق أن بختنصر الكلداني لما هاجم القدس دمرها وجعل السيف في أهلها وأحرق الهيكل وسبى من بقي من اليهود الى بابل ، وأن طائفة من يهود السبى استطاعت أن تعود إلى فلسطين بتصريح من الملك قورش ملك فارس بعد أن غزا بابل وضمها هي ومستعمراتها إلى مستعمراته ، إلا أن هؤلاء الأسرى كانوا قد تعودوا في فترة السبى على الا يحفلوا كثيرا بفكرة الوعد ولا بفكرة العودة الى سفوح صهيون ، ذلك الجبل الذي كان قمة ما بلغه ابراهيم تحت قمته هو أنه اشترى قبرا هناك ، وقمة ما بلغه يعقوب أنه أتاه مع أبيه ثم هرب من هناك ثم عاد ليعيش فيها بعض أيامه الأخيرة ثم يغادرها الى مصر ، وتضاءلت عندهم فكرة الوطن القومي وانطفأ تألقها في أذهانهم هناك ، وربما كان ذلك تحت تأثير الديانات الفارسية والبابلية التي تعلموها في فترة الأسْر ، « كانوا قد تعلموا في السبى بعض الديانات القديمة ـ راجع العقاد : الصهيونية » أما الذين ظلت الفكرة تلازمهم فكانت فقد فقدت عندهم تماما معناها الديني المزعوم ، واكتسبت

معنىً سياسيا بحتا هو معنى العودة الى المجد المفقود ، ولهذا يستقر في قناعتنا أن هذه الفكرة ليست مبدأ دينيا وإنما هي فكرة صهيونية بحتة ترمي لأهداف سياسية .

لم يعظِّموه :

ويجب ان نعرف أن في أجيالهم السابقة من لم يعظم هذه البقعة ، ولا الهيكل ، ولم يمنحها التوقير المعتاد الذي يُعطي في العادة للمقدسات الدينية ، فقد دمروا القدس وحطموا الهيكل عدة مرات ، وقد رأينا كيف أن بني يهوذا وبني بنيامين دمروها في موجتي غزو متتاليتين ، كما ان احد ملوكهم « هو الملك يهواش » ، سبق أن دمر الهيكل دون أن يثور اليهود أو يغضبوا عليه او حتى يُبدوا سخطهم عليه أو يُضمروه ، وبقي الى ان مات مرضيا عنه غير مغضوب عليه .

ولكن .. لماذا ؟؟:

بقي ان نقول ، ولكن لماذا تصر إسرائيل : « الشعب » على أن الله اختارها من دون الناس ليورثها هذه الأرض ؟؟، وهم يجيبون على هذا التساؤل بأنهم « شعب الله المختار »، وهذه أكذوبة أخرى حرية بأن نفرد لها في غير هذا المقال ، ولكن دعنا الآن مع هذا الوطن القومي لنقول إن مركز بيت المقدس من الديانة اليهودية ـ باعتبارها رسالة سماوية ـ هو كمركزه من كل الديانات ـ باعتباره موضعا مقدسا ـ، وهذا اعتقاد لا شأن له بما تثيره الدعاوة الصهيونية من أنه الوطن الذي وُعِدَ اليهود بالاقامة حوله ليحكموا العالم من هناك ، إلا أن هذه الإثارة الصهيونية تحمل في طياتها عاملا هاما من عوامل فناء الصهيونية نفسها ، وهو أن هذا الوطن ـ إذا نجحت إسرائيل في إقامته وتأمينه ـ سيأتي عليه يوم لا يتسع ليهود الارض المدعوِّين اليه ، وساعتها لن تستطيع إسرائيل أن ترد عنه المهاجرين الجدد ، وإلا فان الدعوة الصهيونية سوف تنعدم من أساسها ، ولعل الصهاينة شعروا بهذا الخطر الكامن في أساس دعوتهم ، فعمدوا الى التوسع والغزو ، ولن يتوقفوا عن ذلك مادام في الأرض يهود مدعوُّون الى الوطن القومي ، وطالما كان لهذا الوطن القومي جيران يسهل التوسع في أراضيهم .

فأما متى ستكف إسرائيل عن التوسع ،... فهذا ما لا نظنه بالامر الذي يتحقق من تلقاء نفسه ؟ وأما متى سيكف جيران بيت المقدس عن تمكين إسرائيل من البقاء بينهم فضلا عن الغلبة عليهم والتوسع في أراضيهم ؟ فهذا ما نرجوه ، وندعو الله أن يحققه ، والناس أن يعملوا له .. وهم إذا عملوا له .. فالله لا شك ناصرٌ جُنده ، مُنجزٌ وعده ، مؤيدٌ حقه ..

القصاص في الإسلام

الاستاذ / السيد مصطفى الجرف

القصاص لغة هو الجزاء على الذنب اي يفعل بالفاعل مثل ما فعل او يقتل القاتل بدل القتيل . والقِصاص (بكسر القاف) والقَوَد (بفتح وفتح) بمعنى واحد . ومن المعنى اللغوى جاء المفهوم من القصاص في شريعة الاسلام .
ونورد فيما يلي انواعا ثلاثة للقصاص يندرج تحتها كل احكامه لافتين النظر الى حقيقة باهرة مؤداها ان الامم السابقة لم تكن تسوى بين الدماء في القتل او الجرح وانما كانت تكيل بكيلين فكانت عدالتها متهمة تثير الاحقاد في نفس المجني عليه وتدفع به وهو الاضعف ناصرا في اغلب الاحوال ـ الى مهاوي الاستخذاء والهوان كما سنرى بعد .

اولا : **حد القتل** :

وقد يسمى القصاص في القتلى . وهو عقوبة من يقتل انسانا بغير حق واصله في كتاب الله (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**) الانعام/ ١٥١ وهذا هو تحريم الفعل أو تجريمه . وقوله تعالى : (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**) الاسراء/ ٣٣ وهذا هو القصاص . ويقول ابن تيمية : لا يقتل غير قاتله . والعدوان بالقتل شر انواع العدوان لانه سلب لحياة خلقها الله عز وجل . وقد ورد ذكر القصاص نصا اربع مرات في القرآن الكريم ينذر ولي الدم اذا ما تجاوز حقه فاعتدى على غير القاتل . يقول تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم**) البقرة/ ١٧٨

ويتردد هذا النذير للمعتدي ضمن حديث رواه أبو شريح الخزاعي حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اصيب بدم أو خَبْل (بفتح فسكون ومعناه الجراح) فهو بالخيار بين احدى ثلاث فان اراد الرابعة فخذوا على يديه : ان يقتل او يأخذ الدية او يعفو . فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فان له جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه الدرامي

وهكذا يمقت الاسلام البغي في شتى صوره ويسحقه . ذلك لان الباعث النفسي ـ وهو الذي يرعى جانبه القانون الوضعي المعاصر في الديمقراطيات الغربية وتوابعها من شعوب الامة العربية ـ لو ترك له المجال في مثل جريمة القتل لأهلك الموتور الحرث والنسل . وهكذا تظل دائرة الانتقام والانتقام المضاد تدور بمزيد من الضحايا الأبرياء وهو امر لا يستقيم به شأن مجتمع من المجتمعات فوجب الحسم بالقصاص العدل وكفى . والقصاص عدل في ذاته وحياة .

والقتل ينقسم من حيث هو جريمة الى ثلاث مراتب هي :

١ ـ **العمد المحض** : او ما نعبر عنه بالمصطلح الجنائي الحديث : القتل العمد .
٢ ـ **الخطأ الذي يشبه العمد** : وهو ما نطلق عليه الضرب المفضى إلى الموت .
٣ ـ **الخطأ المحض** : والاصطلاح المقابل له في قانون العقوبات ، القتل الخطأ .

وجرائم القصاص وقد يسميها بعض الأئمة من فقهاء الاسلام بجرائم الدماء تقررت بالكتاب والسنة على سبيل الحصر فلا جريمة ولا عقوبة بغير نص وهكذا سبقت أمة الاسلام دول أوروبا بما يناهز ألفا ومائتين من السنين في تقرير هذا المبدأ الذي هو جماع فخر الثورة الفرنسية وعنوان ما يطلق عليه حقوق الانسان !

وعقوبة النوع الأول (العمد المحض) عند الامام ابن تيمية أن القصاص في تلك

الجريمة واجب على من قتل شخصا بالسيف أو بآلة حديدية أو نحوها ومن شأنها أن تؤدي الى القتل أو بالتحريق والتغريق والالقاء من مكان شاهق والخنق وامساك الخصيتين حتى تخرج الروح وغم الوجه (أي تغطيته) وسقى السموم ويمكن أن نضيف الى ذلك الصعق بالتيار الكهربائي أو دفع شخص فجأة أمام سيارة أو قطار لقتله ونحو ذلك من أفعال .

فهنا يجب تمكين أولياء المقتول من القاتل فان أحبوا قتلوا ، وإن أحبوا عفوا ، وان أحبوا أخذوا الدية (ونلاحظ أن الدولة هي التي تنهض بمهمة تنفيذ القصاص وليس المجني عليه بنفسه أو ولي الدم) . ويفتي الامام أبوحنيفة بأنه لا قصاص في جريمة العمد المحض الا اذا تم القتل (بمحدد ينفذ في الجسم) !! كسيف أو رمح ويمنع القصاص في القتل الذي يقع بآلة ثقيلة من شأنها أن تقتل ولا يمكن أن يقصد بها غير القتل !! ولكنه يوجب تعزير القاتل بهذه الطريقة بأشد أنواع التعزير . وغني عن البيان أن الامام يرى هنا إيجاب الدية على القاتل فضلا عن التعزير . والتعزير عقوبة متروك للدولة تقديرها بما يناسب كل جرم يرتكب أو ايذاء للغير بفعل أو قول أو اشارة فيما لم يرد به نص من الجرائم . والدِّيَة في جريمة القتل العمد المحض مائة من الابل .

والنوع الثاني يحدده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « ألا ان دية قتيل الخطأ شِبه العمد (بكسر الشين) ما كان بالسوط والعصا مائة من الابل منها أربعون خَلِفَة (بفتح الخاء ثم كسر ففتح) أي حوامل ، في بطونها أولادها » رواه الدارمي والنسائي وابن ماجة وأبوداود عن ابن عمر .. ونلاحظ أن الجرائم العمدية ذات أركان ثلاثة هي : الركن الشرعي أي وجود النص المجرم للفعل والمحدد للعقاب ، والركن المادي وهو صدور الفعل المكون للجريمة – من المجرم ايجابا وسلبا (أي أن الجريمة وقعت بفعل صادر عن المجرم أو وقعت لأنه ترك فعل شيء) ، والركن الأدبي وهو مدى توافر مسؤولية المجرم عن الأمر الذي وقع منه من حيث الادراك والارادة . لذلك ففي جرائم النوع الثاني نفتقد الركن الأدبي وهو القصد الى القتل ، فالجاني لم يكن يقصد الا الضرب فوقع القتل رغما عنه وبغير ارادة منه ، وهذا هو القصد المتعدى كما يعبر عنه في فقه القانون الوضعي .

أما النوع الثالث فمشروعيته ثابتة بكتاب الله . قال تعالى : (... **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء/٩٢ ..

ومثال تلك الجريمة ، قتل شخص بمقذوف ناري طائش في حفل ما ، أو أن يخطيء سائق السيارة فيقتل انسانا بلا قصد القتل ، وهذه الجرائم ليس فيها قصاص بالقتل وانما فيها الدية وهي مائة من الابل فضلا عن الكفارة كنص الكتاب وسواء كان العبد المحرر ذكرا أو أنثى ، والا فالصوم كما تحدد في الآية الكريمة .

ثانيا : القصاص في الجراح :

وهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، بشرط المساواة فاذا فقأ أحد الأشخاص عين شخص آخر كان للأخير أن يفقأ عين المعتدي اذا كان عامدا متعمدا ، وكذلك ان كسر سنا له وجب القصاص بالمثل . وهنا تفصيل لن نلبث عنده الا بما يكفي لبيان الحكم في قصاص الجراح . فنجد الامام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن يورد في هذا الباب ثلاثين مسألة وهو يستشرف الآية الكريمة التي نزلت بحكم الله في أمر اليهود المختلفين في القصاص وهم بنو النضير وبنو قريظة حيث كان النضيري يأنف أن يساويه القرظي في دمه عند القصاص فنزل قول الله تعالى : (**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسّنّ بالسّنِ والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥ .. وخلاصة ما انتهى اليه الفقهاء أن الامام ابن تيمية يقول بالمساواة ، وكذلك يرى أبوحنيفة والشافعي خاصة فيما لو كانت الجريمة فقء عين وكان المجرم ذا عين واحدة (أي أعور) فحتى في هذه الحالة يرى الامامان وجوب القصَاص أي أن المقتص منه سيصير أعمى ! وأما مالك بن أنس فيقول في هذه الجريمة إن شاء المجني عليه اقتص فتركه أعمى وإن شاء أخذ الدية كاملة والمقصود هنا دية عين الأعور .
والحق ان الحديث في هذا الباب أكبر من أن يستقصى في مقال ولكن عمق البحث الذي خلفه كل من الأئمة المجتهدين وتلاميذهم يدلنا على روعة الفكر القانوني عندهم وقدرتهم وذكائهم في استكناه واستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية في الكتاب والسنة والله أعدل الحاكمين .
أما في الاعتداء على الأطراف (كالرجلين والأصابع واليدين) فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن الاستواء أو المماثلة (أي المساواة) فيها لا يمكن أن يكون مقدرا تقديرا تاما فليس من الميسور غالبا احداث جرح مماثل تماما لجرح آخر ولذلك شاعت عبارة جامعة كأصل شرعي بين الفقهاء وهي قولهم « ان الاعتداء على الأطراف عمده كخطئة في كثير من الأحوال » بمعنى أنه في حالة احداث جرح بشخص ما ، فان حقه ازاء الجاني يقتصر على الدية أو العفو حتى ولو كان هذا الجاني عامدا متعمدا للحكمة التي تلخصها العبارة الآنفة . ولكن هناك حالة واحدة يمكن فيها القصاص في الجراح وهي ما يسمى بالموضحة (بتشديد الضاد مع الكسر) وهو نفوذ الجرح في لحم المجني عليه حتى يمكن رؤية العظم وهنا يمكن للقصاص أن يكون صورة ومعنى أي أن الجرح يكون بجرح مثله وهذه هي الصورة ، أما المعنى فهو ما يسمى بأرش الجناية أو ديتها أي العقوبة المالية بسبب العدوان بالجرح والشج للجسم . ويتفق الفقهاء على أن يضاف التعزير اذا كان المعتدى عليه ممن اشتهر بالتطاول على الناس والتعدي عليهم .

أما اذا كانت الجريمة عبارة عن ضرب باليد او بالعصا او بالسوط ففيه خلاف فيرى البعض القصاص استنادا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة ، وهو يلفت نظر أنس بن مالك حيث أراد الأخير حض المجني عليها على قبول الدية وكانت جارية لعمته « يا أنس : كتاب الله القصد » وكانت عمته قد كسرت لها سنا . ولكن لعدم توافر ركن العمد (أي القصاص المصر) بلغة القانون الوضعي في مثل هذه الجريمة ، يرى البعض الآخر من العلماء المجتهدين أنه لا قصاص بل يجب التعزير لعدم امكان المساواة .

ثالثا : **القصاص في الأعراض** :

وهو ثابت بدوره ، بالكتاب والسنة والاجماع ،؛ قال تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)** الشورى/ ٤٠ ويقضي الرسول العادل الرحيم بحكمه فيقول صلوات الله عليه وسلامه : « المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم » وهو ما يطلق عليه الانتصار نسبة الى ما جاء في محكم آياته عز وجل : **(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)** الشورى/ ٤١ .. والقصاص هنا يكون برد الاهانة أو الشتم أو القذف في العرض على ألا تكون بزنا أو لواط فان لذلك حدا معروفا ومقررا هو حد القذف . وأما اذا كان المعتدي قد افترى أي ذكر كلاما غير حقيقي في الشخص المعتدى عليه كأن قال له : يا شيوعي أو ياكافر وهو ليس كذلك فلا يرد عليه ، ويكون للحاكم أن يعزر مثل هذا المعتدي بشرط أن يتقدم بالشكوى من وجه اليه اللفظ المنكر .

خاتمة :

هذا وكل ما ورد في وجوب القصاص انما يكون في الجرائم العمدية أو ما يطلق عليه في الفقه الشرعي العمد المحض أما اذا تخلفت الارادة فلم يكن هناك عمد ـ أي افتقد الركن الأدبي من أركان الجريمة ـ فيحل حق المجني عليه في أحد أمرين لا ثالث لهما : العفو أو الدية كما سبق البيان . هذا ولا يمنع القصاص تعزير الجاني لمنع الفساد في الأرض ، اذا توافرت شروط ذلك .
كذلك فان عفو المعتدى عليه (المجني عليه) عن الجانى لا يمنع الا ايقاع القصاص به ولكنه لا يغل يد الحاكم عن تأديبه وزجره ان كان لذلك مقتض وحكمة . ولئن حبب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو حيث يقول : « ما زاد عبد بعفو الا عزا » النسائي .. فان ذلة الجاني المعفو عنه ، بين يدي المجني عليه أو ولي دمه ، ربما كانت في بعض الأحوال أشد أيلاما لنفس الجاني من كل عقوبة .
هذا وأستغفر الله لقصور أو تقصير والله تعالى أعلم .

للاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي

شاء الله لقلب الصغير أن يعتصره ألم اليتم ، وشاء له أن يأسى كما يأسى سائر الناس بالرغم من أنه أحب خلقه ومصطفاه ، وكان المتوقع في معايير الناس ومقاييسهم العابرة غير الفاحصة ـ أن يعيش أحب خلق الله الى الله بمنأى عن الأسى والالتياع ، وأن يحيا حياة مترفة باذخة لا تشوبها شائبة ألم أو شظف ، ولكن ذلك لم يكن ؛ لأن هذا المصطفى من خلق الله سيغدو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والأسوة الحسنة ، والسراج المنير لأمة سيكون من بينها ـ شأن سائر الأمم ـ من ستضغط عليهم بأساء الحياة وضراؤها ، وهم في بأسائهم تلك سيتطلعون إلى من يمسح على قلوبهم بيد رحيمة حانية ، ولا يفعل ذلك إلا من عاش ظروفهم ، وآسى كما يأسون ، ولقى ما يلقون من كل ما يصيب النفس البشرية عبر حياتها بشيء من الأسى والألم .

وليس ألم لنفس غضة كبرعم صغير ـ من فقد الوالد أو الوالدين ،

فبفقدهما يشعر الصغير كأن منافذ الرحمة في الوجود قد أوصدت أمامه :« .. هذان في الدنيا هما الرحماء ». وشاء الله تعالى أن يجمع لديه فقد الأب والأم ، وهو بعد غض نضير ، لا يقوى على تحمل الأسى ، ولا يطيق فؤاده فراق مصادر الرحمة والحنان ، ولكن الله الذي شاء له ذلك كان يهيئه تهيئة جذرية - إن صح ذلك التعبير - لأجل رسالة ، وأعظم عمل ؛ ليكون هداية ورحمة للعالمين ، فالعمل من الخطورة بحيث يستدعي التهيئة المبكرة ، حتى لكأنه بيتمه في صغره يوضع موضع الرجال ، بحيث يواجه مآسي الحياة من فجر وعيه حتى يستجمع طاقاته الموهوبة ، وحتى يحصر استعانته على الخطوب في الله وحده : « .. وإياك نستعين ». فاليتم المبكر كما أشعره بالأسى ليكون رحمة للعالمين - مرنه على أن يتجه في استقامة إلى الله تعالى وحده إذ لا والد ولا والدة منذ نعومة الظفر ، وحتى لا يذكر في كبره عندما يجابه إعراض المعارضين ، وصد الصادين - معونة أب أو أم ، فلكم سمعنا ونسمع كبارا يقولون في معترك الحياة ، وعند ضغط الشدائد والخطوب : « أين أبي ؟ وأين أمي ؟!» إن من يقول ذلك - ولو كان رجلا كبيرا - هو قطعا إنسان عاش في كنف الوالدين ، بين الترف والنعيم والتدليل ، وكان دائما يهرع إلى الوالدين كلما حز به أمر من أمور حياته الصغيرة ، فنشأ لا يعرف ملجأ وملاذا إلا هذين الوالدين . وشاء الله تعالى أن يكون فقد الوالد قبل أن يرى الصغير النور ، ربما - والله أعلم - ليعيش فجر عمره في كنف ينبوع الرحمة .. في كنف الأم ، إذ أنه يعد ليكون رحيما : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/ ١٠٧

ثم نخطو معه بعض مراحل عمره بما كان فيها من صبر على الشدائد ولجوء إلى الله تعالى ، وانقطاع إليه في إبام تحنثه وتعبده الليالي ذوات

العـدد ـ حتى نقف لـدى رحمتـه المنداحة التي تفجرت ينابيعها بصورة لم يعهدها تاريخ البشرية من قبل ؛ لندرك أن مراحله الأولى ـ بما اكتنفها من صنوف الأسى ، وبخاصة اليتم ـ لم تكن إلا تهيئة لتلك الرحمة الشاملة التي لم تدع ذا كبد رطبة إلا عمته في رحابها الفسيحة الندية ، فهو الذي كان يمسح على رأس اليتيم ـ أي يتيم ـ ثم يقول : « أنا وكافل اليتيم كهذين في الجنة » ويشير إلى السبابة والوسطى ، وهو الذي كان يغسل الطفل الصغير بيديه الشريفتين ، ثم يرفعه إلى صدره ويقبله في عطف غامر ، وحنان دافق لا يعدلهما إلا حنان الأم وعطفها ، ثم يقول لمن يعجب من ذلك ـ وهو الأقرع ابن حابس ـ : « من لا يرحم لا يرحم » ، وهو الذي يحس أدنى الألم يصاب به المسلم ، فيألم له ، وينهى عنه ، وكأنه ذاق منه ، فلقد كان أصحابه في سفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيه وهو نائم حبلا ، فاستيقظ ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » ، وينظر صلى الله عليه وسلم فيرى نماذج من الناس غير اليتيم والصغير وضعتهم ظروف الحياة في مواضـع تستدعي البـر والرحمة ، فيفيض عليهم من رحمته توجيها وعملا ، إنهم الخدم الذين تكاد نفوسهم تنفطر ، وقلوبهم تتقطع أسى ولوعة حينما يجدون بشرا مثلهم في قمة الحياة بذخا ونعيما ، وهم دونهم بمراحل ، ولن يسرى عنهم ، أو يرضيهم بمكانتهم إلا يد رحيمة تمسح الأسى من قلوبهم ، وبسمة ندية ترف عـلى ثغر إنسـان رحيم يفتح لهم صدره ، ويشعرهم بإنسانيتهم ، اذ ما ذنبهم في وضعهم ؟ وهنا نجد اليتيم الرحيم : محمدا صـلى الله عليـه وسلم ـ يولي هذه الطوائف من البشر رحمة وعناية ترتفعان بهم إلى مصاف اخوانهم الذين يفوقونهم في حظوظ الحياة ، فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ـ قال : سابيت رجلا فعيـرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟! ، إنك امرؤ فيك جاهليـة ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مـا يطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

ونجده ـ صلى الله عليه وسلم لا يدع نمطا من البشر يحتاج إلى الرحمة إلا رحمة ، وأوصى برحمته ، والبر به فالنساء قديما قبل الاسلام كن يعاملن في مجتمعهن معاملة تدعو إلى الأسى ، ثم إلى الرحمة التي تنقذهم من الجور والإعنات ، وهن مخلوقات ضعيفات ، فكانت وصاتـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ بهن نداء نديا : « استوصوا بالنساء خيرا » ويقول : « خيـركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ».

ورحمتـه صلى الله عليه وسلم ـ رحمة إنسانية لا تفرق بين جنس

وجنس ، أولون ولون ، ومن ثم لـم يحرمها أصحاب الديانات الأخرى ، حتى ولو كانوا من الأعداء ، ما داموا في وضع يستدعي العطف والاشفاق ، فلقد كان يوصي جنده بالأسرى خيرا ، حتى لقد كان ينهاهم عن أن يأسروا الأم دون الولد ، أو الولد دون الأم ، حتى لا يسبب لقلبيهما حزنا أو أسى ، فهو القائل في هذا المجال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ».

وتنداح رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبسط جناحيها على كل ذي كبد رطبة ، فالحيوان الأعجم له في رحمته أوفر نصيب ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا ، فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله : وإن لنا في البهائم أجرا ؟! فقال : نعم ، في كل ذات كبد رطبة أجر » ـ رواه الشيخان ـ

والأم من الطير تهز رحمته فيحس أساها وألمها حينما يعتدي صحابي على فراخها ، فيأمر برد فراخها إليها وكأنه يذكر ألم الفراق بين أشد المخلوقات تعلقا والتصاقا : بين الوالدين والأبناء ، فيستشعر أسى عصفورة خطف فرخاها ، فعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلقت لحاجتي ، فرأيت حمرة معها فرخان ، فأخذت فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تُعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « من فجع هذه بولدها ؟! ردوا ولدها إليها ».

من هذا التطواف العابر في رياض رحمته صلى الله عليه وسلم ، ومن تذكر تاريخ مولده ، وأحواله في نشأته ـ ندرك أن الله سبحانه وتعالى قد وضع نبيه ومصطفاه في ظروف من الحياة تجعله يحس ـ حينما يقوى على العمل ـ مآسى من وضعوا في ظروفه ، أما كونه ـ صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين من جهة مجيئه بخير دين أضاء ظلأم الحياة ـ فهذا أمر معروف من الدين بالضرورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفي بتجليته مقال .

وبعد ، فما أحرانا نحن المسلمين ـ أن نسير على نهج النبي الرحيم في الرحمة الندية ، والأريحية الانسانية ، والمثالية البشرية ، ذاكرين أن التراحم أقوى دعائم السعادة التي كان ينشدها رسول الله صلى عليه وسلم لأمته : (**لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) التوبة / ١٢٨

درس في قصة المرآة

: محمد عبد الرحمن صان الدين

كان شيخنا - رحمه الله - بحر علم زاخر ، وكانت له سبحات في سماوات الفكر والمعاني بأجنحة من صفاء الروح وتقوى القلب ، يرتاد مجاهل النصوص ويجوب منحنياتها ليستخرج من جيوبها أدق الاحكام واروع العبر ، وكان اذا اراد التحدث في موضوع ما ، قدم له مسبقا بارهاصات ومثيرات تشغل افكار تلاميذه ، وتوقظ عقول مريديه ، وتستولي على اهتمامهم وتطلعهم الى المعرفة ، حتى اذا استحكم الظمأ وبلغ الجوى من النفوس مداه أخذ يسكب عليها سلسالا من فيض علمه حتى ترتوي . وكان من بين رواد حلقة الشيخ شخصان ، على طرفي نقيض من أمرهما ، فأحدهما يبالغ في التزين والتأنق في ملبسه ومنطقه وتحركه الى حد يثير الاعجاب عند القلة ، والاشمئزاز عند الكثرة ، والآخر كان مثالا للفوضى والاضطراب في قوله وفعله فضلا عن رثاثة ملبسه وهيئته ، ولكنهما يتفقان في شيء واحد . هو الحضور الى الحلقة متأخرين دائما ، وكأنهما يعرضان علينا كل يوم النقيضين ، فتسمع الهمسات والتعليقات المختلفة الى أن يأخذ كل منهما مكانه القاصي من الحلقة ، ويمضي الشيخ في حديثه فتنصرف الأنظار والعقول اليه حرصا على استيعاب كل ما يتفوه به ، وذات يوم قال الشيخ بعد ان فرغ من الدرس :- أيها الابناء إني أهيب بكل واحد منكم أن يتخذ له

مرآة يجتهد في أن تكون نقية صافية حتى تنعكس عليها صورته الحقيقية وتكشف له عن حاله ، فيصلح من شأنه ويقوم معوجه وينفي شوائبه ، وأحب أن أرى مرآة كل منكم ، لاعرف مدى درايته وحسن اختياره للمرآة التي يرى فيها نفسه . فأخذناالعجب من أمر الشيخ اذ كيف تنال المرآة منه هذا الاهتمام وهو الزاهد الورع الذي يحيا بروحه وحسه في السماء ، وليس لجسمه ولا لقوانين الأرض سلطان عليه إلا بالقدر الضروري للحياة ، فكيف يحثنا على اتخاذ مرايا ، وقد كنا نعدها من لوازم النساء ، ونعد الناظر فيها من الرجال مفتونا ، ولكننا نعلم علم اليقين ان الشيخ لا يهزل ولا يمزح ، وانه لا يصدر الا عن فكر وروية ، وانه يعني ما يقول . فما أن انتهى من الدرس وانفرط عقد الحلقة حتى انصرف كل منا الى السوق يجوب الحوانيت والمتاجر مجتهدا في اختيار مرآة على جانب كبير من الجودة والأناقة علها تحوز رضاء الشيخ واعجابه فيزداد عنده حظوة وتقديرا لخبرته ومهارته . وجاء اليوم التالي وانتظمت الحلقة وأقبل الشيخ في هالة من نور العلم والتقى ، وجلس على كرسيه في دعة ووقار تحف به القلوب والأبصار ، ونظر فرأى الكل متحفزا وقد وضع كل واحد يده في جيبه أو حقيبته فقال : هل استحضرتم مراياكم ؟ فأجبنا بصوت واحد : نعم نعم يا شيخنا ، ومضى كل منا يعرض مرآته في ثقة وازدهاء فوالله ما التفت الى احداها وما زاد عن قوله : ضعها في جيبك ، ضعها في حقيبتك ، وقد لاحظنا انه كلما عرضت عليه مرآة تغشت وجهه المشرق مسحة من ضباب الامتعاض والأسف فاستحكم عجبنا ، وأخذتنا الحيرة ، وانتهينا من عرض مرايانا غير واحد منا قد اعتذر في حياء بأنه لم يستطع احضار مرآ ته اليوم ووعد باحضارها في الغد فعزونا ذلك الى رقة حاله وضيق ذات يده عن شراء مرآة جيدة ، والتفت الشيخ قائلا : إني محدثكم عن المرآة في الغد ان شاء الله تعالى ، وسار في درسه كالمعتاد حتى انـتهى منه وانصرف وانصرفنا ونحن نتساءل ترى ماذا يقول الشيخ عن المرآة ؟ وماذا يعرف عنها وعن أنواعها وجيدها ورديئها ؟ وما سر اهتمامه بها الى حد أن يخصها بحديث . وجاء الغد ونحن في لهفة بالغة الى ما يقول الشيخ عن المرآة ، توافد الجميع الى الحلقة ولم يتخلف احد ، وما إن أخذ الشيخ مجلسه حتى أشار الى زميلنا الذي لم يحضر مرآ ته بالامس وقال له : هل أحضرت مرآتك يا هذا ؟ فأجاب : أجل يا شيخنا الجليل قال الشيخ : فأرنيها اذا فمد الزميل يده اليمنى ووضعها على كتف شخص بجواره - لم نره من قبل في الحلقة - واشار بسبابة يده اليسرى الى وجهه الذي هو أقرب الى السحمة والدمامة منه الى البياض والوسامة وقال في ثقة واعتزاز : هذا هو مرآتي يا سيدي الشيخ : فضحكنا جميعا لهذه الدعابة الطريفة التي تعودنا مثلها من هذا الزميل المرح ، ولكن سرعان ما تلاشت ضحكاتنا حينما رأينا الشيخ - وقد تهلل وجهه - يضرب بكفه على فخذه

ويقول في نشوة غامرة : فقيه والله ، فطين وربي ، أنت الذي فقه ووعى ، زادك الله يا بني علما وفقها ، وبارك لك في مرآتك ، وبارك له فيك ، فأسقط في أيدينا وبدأنا ندرك ما كان يرمي اليه الشيخ واننا كنا نمر باختبار لقياس الفهم والادراك . ثم اخذ الشيخ يتحدث قائلا بعد ان سمى الله وحمده واثنى عليه : يا أبنائي : طبيعة المرآة ووظيفتها انها تعكس الصور التي تقابلها ، فتكشف للناظر فيها صورته وهيئته فيرى ما خفى عنه وما لا تقع عليه عينه ، وبقدر جودة المرآة ونقائها تكون درجة الكشف من الصدق والصحة والوضوح . والمؤمن في حاجة ماسة الى مرآة جيدة ليرى فيها نفسه ، ويعرف ذاته كما هي ؟ ولكن مرآة المؤمن ليست من البلور وان صفا جوهره وجادت صنعته ، فالبلور لا يكشف الا ما يواجه به ، ولا يعكس الا ظاهرا محسوسا بالعين من الاجرام والأجسام ، ويستوي امامه الانسان وغير الانسان ، والطيب والخبيث ، المؤمن والكافر . وانما هي ـ أي مرآة المؤمن ـ من عنصر آخر اكثر شفافية وأدق تصويرا ، إنها تعكس المعاني الملابسة للمحسوسات ، الصورة وما وراء الصورة ، دون تزويق أو تزوير أو حذف أو اضافة ، فيهتدي الناظر فيها الى ما فيه من محاسن ونقائص حسية او معنوية فيزيد من محاسنه او يحافظ عليها ، ويأخذ في تلافي نقائصه وعلاجها وما هذه المرآة الا الانسان المؤمن . روي ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن » وأطرق الشيخ قليلا ثم رفع رأسه وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة وهو يقول في صوت حالم : أجل « المؤمن مرآة المؤمن » وكأن صورا حية من واقع الحياة طافت بخاطره تقول : صدق رسول الله ، وأجال نظره في الحلقة مستأنفا حديثه السلسال قائلا : انها ـ اي مرآة المؤمن ـ الانسان المؤمن . اذا هي مرآة حساسة مميزة . نقاذة بصيرة ذات فراسة وفطنة . فالمؤمن كيس فطن . وهي لا تعكس الا الصورة النقية الطاهرة الخالية من الأوشاب ، صورة المؤمن الذي يجانسها ويشاركها عنصر الايمان . وارتفع صوت الشيخ في نبرات تهز المشاعر وكأنها اختلاجات قلبه وهو يقول : ان الايمان نور وهل يكون من النور الا الهداية والارشاد ؟ وهل يرى النور الا مبصر ؟! أما غير المؤمن وان حسن مظهره وراق منظره فان صورته لا تنعكس ولا تظهر على مرآتنا هذه ، لانها صورة شائهة يحجبها عن الظهور ضباب الكفران ، وأدران الذنوب ، وأبخرة الشهوات الداكنة ثم انظروا يا ابنائي الى اسرار النطق النبوي وخفاياه الجليلة في ايجاز معجز فقد شبه عليه الصلاة والسلام المؤمن الذي هو في أسمى درجات الانسانية صفاء ونقاء وعنصرا بالمرآة التي لا شك أنها في أعلى درجات البلور صفاء ونقاء وعنصرا ليتطابق وجه الشبه بينهما وهو الكشف الصادق والوضوح الكامل . وارتفع صوت من آخر الحلقة سائلا : أيها الشيخ : قد يصدق شخص في نقد شخص آخر فيقابله بامتعاض أو بنقد

أشد وقد ينتهي الأمر بالملاحاة ثم القطيعة ، لذلك يؤثر أكثر الناس في وقتنا الحاضر كتمان ما يرى ويفضل السكوت عليه ابقاء على الصلات والعلاقات فما التدبير والحالة هكذا ؟ فأجاب الشيخ قائلا : انظر الحديث الشريف انه يقول : « المؤمن مرآة المؤمن » فايمان هنا وايمان هناك وحيث يوجد الايمان توجد المصارحة والصدق من طرف ، ويوجد القبول والإذعان من الطرف الآخر . ولتعلم ـ رعاك الله ـ ان ما مثل المؤمنين في الحديث الشريف الا كجهازي الارسال والاستقبال المرئي (التلفاز) ان اختلا أو اختل أحدهما ، أو تكدر ما بينهما توقف الارسال والاستقبال أو توقف احدهما او ظهرت الصورة مضطربة مرتعشة ، مصغرة او مكبرة او معتمة الجوانب ، وبذلك تخفي الحقيقة أو تلتبس على الرائي ، وفي غيبة الايمان أو اضمحلاله وشحوبه في النفوس فان اكثر الناس اما شانىء حاقد يجحد المحاسن في الآخرين ويواريها ، ويبرز المساوىء والهنات وينشرها مضخمة بدافع الحقد الهادر في الأفئدة ، او بعكس ذلك بدافع الحب الأحمق الكاذب النابع من الكلف بالمنفعة المادية او المعنوية او الخوف او الرجاء ، فهو اذاً ملقٌ ونفاقٌ وتزويرٌ ، وفي الحالين يوردان موارد الهلكة والضياع ، ويؤديان الى البلبلة والفساد ، فالأولى تقف دون أهل المواهب والقدرات الممتازة عن تبوء المكانة التي هم بها جديرون ، وتوسد الامر الذي هم له مؤهلون ، واما الثانية فهي قاصمة الظهور ومصمية الصدور بما تجلب من الاغترار بالنفس واعتقاد وجود ما لا وجود له فيكون السلوك والتصرف وفق ذلك الوهم الخادع ، فيخيل للمرء انه يمسك السماء ان تقع وما يمسك الا غروره وحمقه ، وبذلك يقع الفساد الكبير والبلاء الماحق في الافراد والأمم ، وحينئذ لا يكون ايمان ولا مرآة ، ولا أُمن ولا امان بل لا تكون الا الشكوك والريب ، والهدم والتدمير . وهنا أطرق الشيخ في صمت ، وطال اطراقه وصمته حتى ظننا أن سنة من النوم قد أخذته ، فسرى في الحلقة شيء من اللغط والحركة يهدف ايقاظه وتنبيهه فرفع رأسه وقد تغير وجهه وبرقت في عينيه دمعة وقال بصوت مخفوق حزين : أقول حينما تختفي تلك المرآة مرآة الايمان من المجتمع ـ والعياذ بالله ـ تنطمس معالم الطريق وتتوارى الحقائق ويعبث الحق بالباطل ، فيقف الحليم حيرانا لا يدري ما يمينه وما شماله ولا اين يضع قدميه ولا كيف يسير ، ولا من يسمع ومن يجيب الا من عصم الله وقليل هم ، انها الداهية الدهياء التي تمحق البركة في الأرض وتغتال الهناءة والسكينة في بني الانسان . وقانا الله شرها وطهر مجتمع الاسلام من بوادرها ، وبصرنا سبيل الرشاد والنجاة . وانتهى الشيخ من حديثه وانصرف وانصرفنا وفي النفوس شحنة هائلة تعمل عملها في العقل والوجدان ، وراح كل منا يفكر في نفسه تارة وفيمن يعايشهم تارة اخرى باحثا عن المرآة .

المجتمع الفاضل

للأستاذ / حسنين نعيم

ليس ثمة شك في ان الاسلام يبني المجتمع على اسس سليمة وقواعد متينة ، تكفل له البقاء شامخا قويا وعزيزا أبيا ، وذلك بما احتوى من مبادىء وأخلاق وبما اشتمل عليه من نظم ومثاليات ولقد رأينا كيف ان مجتمع ما قبل الاسلام بما كان عليه من تفكك وتمزق وانهيار وانحراف وفساد ، قد تحول بالاسلام الى مجتمع فاضل قوي سعيد متماسك ، تسود بين افراده المودة والمحبة ، ولذا

لا نعجب حين نرى المنصفين من المستشـرقين يشيـدون بـالاسـلام ويمجدون تعاليمه معترفين صراحة وضمنا بأنه هو الطريق الوحيد الذي يمكن بواسطته اقامة المجتمع الفاضل السعيد كما انه هو الذي يمكن ان يكفل للانسان حقوقـه وان يحقق للمجتمع نهوضه ، على اسس الاخاء والمسـاواة والعدالـة التي هي من مبادئه السامية ، يقـول المستشرق المجري « عبد الكريم جرمانوس » « كان الذائـع ان فكرة المسـاواة والاخاء والديمقراطية والحرية من ابتكار اوروبا في القرن السابع عشر بينما هي حقيقة من حقائق الاسلام واصوله منـذ نشأ » ويقـول جاك استروي في كتابه « الاسلام امام التطور الاقتصادي »: ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة وان الشريعة الاسلامية اعدل الشرائع واحكمها فأساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد وغايتها اسعـاد الناس في الـدنيا والآخرة وهي بحر زاخر يحوي كل اسباب القوة والرخاء للامم والشعوب وهي الاساس المكين لبناء الحضارة وفيها من الاصول المرنة والقواعد الشاملة ما يجعلها مسايرة لمصلحة الناس في كل زمان ومكان .

ففي التشريع الاسلامي الوفاء كل الوفاء بحاجات المجتمعات الكبيرة والصغيرة وبمطالب الدول في مختلف الاجيال لأن هذا التشريع هو تشريع منزل من احكم الحاكمـين ، ورب العالمين لخير الناس ولمصلحة ورخاء الشعوب ، والمسلمون يملكون بهذا التشريع اعظم المصادر والمقومات الكفيلة ببناء عزة الامم ووحدتهـا وتقـدمها . هـذا وقد عقـد العالم الامريكي هوكنج استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد فصلا مستفيضا عن مصير الثقافة الاسلامية في كتابـه « روح السياسة العالمية » حيث تكلم فيـه باسهـاب عن اصـول الفقـه الاسلامي ، وعن المذاهب الاربعة ، وقال ان الاسلام يستطيع توليد افكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة ، تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، وفي نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام الميل نحو استخدامها ، واني اشعر بأني على حق حينما اقرر ان الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة جميع المبادىء اللازمة للنهوض .. ثم قـال « ان سبيل تقـدم الشعـوب الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية وعن القانون في النظم السماوية وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم واحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام قادرا على الصمـود امام مشكـلات العصر » واقول : « انه لا يعدل الاسلام في ذلك مذهب من المذاهب » والواقع الذي لا مرية فيه ان الاسلام يشتمل على كل ما يحتاجه المجتمع ليحيا حياة دنيوية

سعيدة واخروية تحظى برضا الله بفضل تعاليمه السمحة التي لم ترق الى مستواها اي تعاليم اخرى ، والتي تجلت في الاخاء والمساواة والعدل والشورى كما دعت من قبل ذلك الى الايمان بوحدانية الله تعالى الى غيرذلك من المحبة والعطاء والبذل والتضحية والفداء فهذه المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين كان لها ابعد الاثر في تربية النفوس على المساواة والايثار والمحبة والمودة الأمر الذي رأينا معه الانصار لا يفتحون بيوتهم فقط لاخوانهم المهاجرين بل فتحوا لهم ايضا قلوبهم حيث قدموا لهم اعز ما عندهم عن رضا نفس وسماحة خلق . وهؤلاء هم سادة العرب ومنهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يذهبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له ان سادة العرب يأتونك فيستحيون من ان يراهم العرب جلوسا مع اصحابك من الارقاء . امثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم ، فاذا جئناك فأقمهم واذا ذهبنا فأجلسهم حيث شئت فأنزل الله قوله : « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** » كما يقول جل وعلا « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا** ».

ولقد رأينا كيف ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان حاكما عاما للمسلمين قد وقف يخطب يوما في المسجد واراد ان يحدد مهور النساء لارتفاعها نسبيا حينذاك . فتنبرى له امرأة من آخر الصفوف وتقول : يا عمر . كيف تقول هذا والله تعالى يقول « **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » .

وهنا لا يملك عمر الا ان يرجع عن رأيه ويقول قولته المشهورة « اصابت امرأة واخطأ عمر ».

وان نظرة واحدة الى جميع العبادات الاسلامية ترينا كيف ان الاسلام قد سوى فيها بين الناس جميعا فالصلاة يقف فيها الجميع امام رب العالمين واحكم الحاكمين صفوفا منتظمة لا فرق بين غني وفقير ولا بين خادم وامير والحج يستوى الجميع في اقامة شعائره متجردين من الثياب الا ما يستر العورات وكذا الصوم يمتنع المسلمون عن تناول المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس وايضا يستوى المسلمون في القوانين التشريعية روى عن عائشة رضي الله عنها ان قريشا اهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا . ومن يجترىء على ذلك الا اسامة بن زيد حب رسول الله . فكلمه اسامة فقال له الرسول: « اتشفع في حد من حدود الله ثم قال انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا

اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » البخاري ومسلم .

والاسلام مع هذا دعوة اصلاحية تهذب الفرد وتقومه وتوجهه نحو الخير وتحثه على ان يكون سمحا عفوا كريما مهذبا نبيلا عادلا مع ربه وخالقه ومع روحه ونفسه ومع مجتمعه وبني جنسه يقول تبارك وتعالى « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** » وهذا هو رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يطالب الناس بأخذ حقهم منه ان كان لهم حق فعن الفضل بن عباس قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت اليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه فقال خذ بيدي يافضل فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال : ناد في الناس فناديت فاجتمعوا له . فقال : اما بعد . ايها الناس فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وانه قد دنامني خفوق (غياب) من بين اظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه (يقتص) ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن اخذت له ما لا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني الا وان احبكم الى من اخذ مني حقا ان كان له او حللني فلقيت ربي وانا طيب النفس وقد ارى ان هذا غير مغن عني حتى اقوم فيكم مرارا ».

وحدث ان ابا ذر الغفاري تطاول على بلال الحبشي وقال له يا ابن السوداء فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول :« أسابيت فلانا قال : نعم ، قال أعيرته بأمه ، قال : نعم عندئذ قال له الرسول انك امرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » البخاري . فقام ابو ذر ووضع خده على الارض وقال لبلال طأ بنعلك على خدي وكأنه اراد بذلك ان يكفر عما بدر منه في حق بلال ولكن بلالا المسلم الذي تربى على يد الرسول صلى الله عليه وسلم واستقى من معينه ضرب المثل الاعلى في العفو والسماحة عملا بقول الله تعالى « **وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم** » . وكما طبق رسول الله العدالة والمساواة وسائر الحقوق تطبيقا عمليا تمسك اصحابه صلوات الله عليهم بهذه الحقوق وطبقوها تطبيقا يدل على مدى شعورهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم كحكام مسئولين امام الله وامام رعاياهم . فها هو ذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد ضرب الأمثال في تطبيق العدالة وفي تحري الدقة في قبول الشهادة فعندما تقدم اليه رجل لاداء الشهادة قال له ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل اثنى عليه خيرا ، فقال له عمر : هل انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا : قال هل رافقته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق . قال لا قال فهل عاملته

بالدينار والدرهم الذي تستبين منه ورع الرجل قال لا . قال : اظنك رأيته قائما في المسجد يتلو القرآن يخفض رأسه تارة ويرفعه اخرى . قال نعم . قال عمر . اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك اجل لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والمسلمون الاولون يتحرون العدل في احكامهم فقد اهاب الاسلام بكل مسئول ان يتحرى العدل في تقديره للمرءوسين وحكمه عليهم من اجل ان يشعر المجتمع بالامان والاستقرار ويتفرغ افراده للعمل والبناء ومن ثم ضرب قضاة المسلمين المثل الاعلى في العدالة فذلك محمد بن بشير قاضي قرطبة عندما بعث اليه الخليفة عبد الرحمن الناصر بكتاب يشهد فيه لصالح عمه سعيد في قضية كان عمه احد خصومها رد شهادته قائلا لو قبلت شهادة الخليفة فلن يجترىء احد على القدح فيها وبذلك ابخس المشهود عليه حقه وتحقيقا للعدالة التي لا تفرق بين الناس . .

حكم ذات مرة على الخليفة عبدالرحمن الناصر وذلك في قضية رفعها عليه احد الرعية وابلغ الخليفة بالحكم مصحوبا بالاستقالة اذا لم ينفذ الحكم فورا .

وروى صاحب العقد الفريد للملك السعيد قال . قال عمر بن حبيب القاضي : حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم : ابو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم . فقلت انا : الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم البث ان جاءني غلام فقال اجب امير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك ان يطعن على اصحابه فسلمني منه وادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي وهو حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت علي فقلت يا أمير المؤمنين : ان الذي قلته ووافقت عليه وملت اليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به : فانه اذا كان اصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والاحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا امير المؤمنين ان تظن ذلك او تصغى اليه وانت اولى ان تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم . فلما سمع كلامي رجع الى نفسه ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب . احياك الله . احييتني احياك الله . احييتني احياك الله . ولا شك ان هذا كله مستمد من رسول الله عليه الصلاة

والسلام فما كان لعمر ولا لغيره مما اسلفنا من ان يتحرى الدقة في تطبيق العدالة لولا ان تعلم هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا ان تربى على يد الرسول الذي يقول : « يؤتي بالولاة يوم القيامة فيقول الله عز وجل انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي امرت به فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك . ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادي اقل من الحد الذي امرت به فيقول يارب اني رحمتهم فيقول تعالى كيف تكون ارحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص واحشوا بهما زوايا جهنم » .

بعد فهذا هو الاسلام الذي مكن للمسلمين الأولين من إقامة المجتمع الفاضل حيث كانوا يطبقون تعاليمه تطبيقا عمليا ومن هنا فلم يزل أمرا غريبا بل وغير مستساغ ان يتحاكم المسلمون الى قوانين موضوعة وبينهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . هذا مع خلو التشريعات الموضوعة من الجوانب الخلقية والمثاليات الادبية وتجردها من كل ماله مساس بالدين والاخلاق باعتراف مفكري الاوروبيين وفلاسفتهم اذ يقول سبنسر بعد الثورة الفرنسية اخذ المشرعون الاوروبيون في تجريد القوانين من كل ما له مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية فاقتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد المادية وما يمس الامن ونظام الحكم وقد ادى انعدام العنصر الخلقي في القوانين وسيادة المذاهب النفعية والمادية الى افساد الارض واباحة جنسية بشعة واستهتار مجنون بالقيم والمثاليات .

وعلى ضوء هذا يمكن القول بأن الذين بهرت الحضارة الاوروبية اعينهم فلم يبصروا ان هناك حضارة سوى هذه الحضارة الاوروبية بعيدون عن الصواب وهم مع هذا يسجلون على عقولهم طفولة ساذجة بل ان الذين يعلنون ان شريعة الله غير صالحة لهذا الزمان هم قوم جاحدون للحق كما يمكن ان نقول بأن حاجتنا الى الشريعة الاسلامية وتطبيقها حاجة حضارية اذا اردنا اقامة مجتمع فاضل يقول الدكتور جورج سارطون « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها ».

ولكن للأسف الشديد رأينا المسلمين قد اطفأوا مصابيح عقولهم وبهرتهم الحضارة الاوروبية وحبست تفكيرهم في نطاقها ومن ثم نسوا شريعتهم وتراثهم الخالد ولا نغالي اذا قلنا فقدوا ذاتيتهم الاسلامية وعاشوا بذاتية اوروبية حتى اصبحوا لا يؤمنون الا بحضارتها وقوانينها فلم يمر بخاطرهم يوما ان هناك انظمة اسلامية شاملة لكل شئون الحياة وقوانين وتشريعات قرآنية تسبق هذه القوانين بل وتفضلها بما فيها من اجلال للروح واكبار للاخلاق وما اشتملت عليه من نور وهدى ورحمة للعالمين .

منهج

الصحوة الإسلامية

بنوك بلا فوائد

تأليف ـ الدكتور/ احمد النجار

عرض الاستاذ : عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

يعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب التي تعالج موضوع البنوك اللاربوية ، حيث تعرض فيه المؤلف لثلاث نقاط على درجة كبيرة من الاهمية ، تمثل الابواب الثلاثة التي يتكون منها المرجع وهي :

١) التنظيم الاقتصادي في الاسلام .

٢) تجربة البنوك الاسلامية في

مصر .
٣) صور البنوك الاسلامية خارج مصر مع بيان لاعمال وخدمات البنك الاسلامي .

ففي الباب الاول « التنظيم الاقتصادي في الاسلام » يشير الكاتب لشمول منهج الله على التشريع الكامل للحياة بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية جنبا الى جنب مع الجوانب الاعتقادية والعبادية ، لذا فالجانب الاقتصادي ليس شيئا مستقلا له أحكامه ونظمه ، وانما هو جزء من منهج شامل وتلك هي النقطة الهامة لكي يستقيم الحديث .

فالجانب الاقتصادي مترامي الاطراف من الناحية الاسلامية ، ولا يمكن الاحاطة بكل جوانبه ، ولذا فالحديث سيتركز حول اهم النقاط فيه ، والذي يهمنا في هذا المقام ذلك الخاص بالبنك اللاربوي او البنك الاسلامي ، فهما شيء واحد .

ولذلك فقد اوضح الكاتب لنا مقصده في هذا الركن العظيم الاهمية البالغ الفائدة في الامور التالية :ـ

١ ـ المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي .
٢ ـ الخصائص الرئيسية للبنك الاسلامي .
٣ ـ المدخل للعمليات الرئيسية للبنك الاسلامي .
٤ ـ المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق .

ـ فمن حيث المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي فقد بينها الكاتب بوضوح ونجملها في :

* ان ملكية المال والتعليم التي وضعها الله عندما استخلف البشر في هذه الملكية ، هي دائما نقطة البداية في التفكير ، فالمال مال الله وللبشر حق الإنتفاع به وبذلك فهو يحدد للمال دوره ويرسم له وظيفته التي لا يجب أن يحيد عنها في الحياة ، ويضع الناس شروط وحدود العمل عندما تسند اليهم هذه الملكية عن طريق الاستخلاف أو النيابة .

* ويعتبر المبدأ الثاني من المبادىء الجوهرية للاقتصاد الاسلامي ، قيام ذلك الاقتصاد على أساس من القيم والمعايير الخلقية .

* أما المبدأ الثالث من تلك المبادىء فهو الواقعية في التوجيهات والضمانات في التنفيذ .

ـ ومن حيث الخصائص الرئيسية الأساسية للبنك الاسلامي : فقد بين الكاتب أن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك الربوية يختلف تماما عن النظرة والتصور الذي تنطلق منه البنوك اللاربوية حيث قام البنك الاسلامي اللاربوي ليؤدي :

* كل الوظائف التي تقوم بها البنوك الربوية من تمويل وتيسير للمعاملات وجذب للودائع وتحويل وصرف .. ليس فقط ، بل ويتميز عنه :

* بتطبيق الشريعة الاسلامية والسير على مبادئها .

* والالتزام بالاسس الاقتصادية السليمة التي تتفق مع المبادىء الاساسية .

ولذا فالخصائص التي يتميز بها البنك

الاسلامي تتمثل في :

* استبعاد التعامل بالفائدة ، حيث تشكل هذه الخاصية المعلم الرئيسي للبنك وبدونها يصبح البنك شيئا آخر غير كونه بنكا اسلاميا .

* توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمارات .

* ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية .

- أما من حيث المدخل للعمليات الرئيسية بالبنك الاسلامي . فقد قام الكاتب بتقسيمها إلى جانبين رئيسيين هما :-

أ) الموارد التي يقبسها البنك وتتمثل في إجمالي الموارد التي تأخذ صورة الودائع الادخارية والاستثمارية :

ولكي لا يبهم على البعض أو يداخلهم سوء الفهم في القيام بهذه الخدمة في البنوك الربوية فقد بين الكاتب :

* أن البنك الربوي يسعى إلى غرض واحد هو الربح ، والربح فحسب ، أما البنك اللاربوي فتعنيه مصلحة المجتمع ومعه مصلحة كل الافراد الذين يمثلون هذا المجتمع ، وكلما اكتسب البنك عميلا جديدا فقد عمل على توسيع قاعدة المطبقين لتعاليم الاسلام والملتزمين بها . ولذا فحجم الوديعة لا يهم البنك اللاربوي وإنما يهمه جذب الأفراد ليسلكوا سلوكا ادخاريا بما يتفق والشريعة .

* البنك اللاربوي يستهدف غاية تختلف عن تلك التي يستهدفها البنك الربوي ، فهو يعمل على بصيرة ووعي على شد الناس من خلال تحقيق مصالحهم عن طريق الله ، والبنك الربوي يعمل ولا غاية له إلا الربح .

* البنك اللاربوي يرى في نفسه مؤسسة ، هي جزء من كل تنظيم اسلامي عام مهمته خدمة المجتمع الاسلامي بكل مفرداته .

ولذا فيترتب على سياسة البنك اللاربوي في قبول الودائع :

* ترشيد الانفاق ومحاربة الاسراف .

* اتباع تعاليم الدين وبذلك يمكن أن يمضي البنك في خطة التنمية بثقة واطمئنان .

* زيادة عدد الصالحين في المجتمع الاسلامي وبذلك يزيد المجتمع قوة ومنعة وقدرة على تحقيق اعظم معدلات للارباح .

* نمو الملكيات الفردية وتحقيق عمليات التوازن بين الفرد والسلطة .

ب) أما الاستخدامات فقد بينها الكاتب في :

* الاستثمار المباشر من قبل البنك .

* التمويل بالمشاركة ، ويعني مساهمة البنك في رأس مال المشروع الانتاجي مما يترتب عليه أن يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع الانتاجي وشريكا في ادارته وتسعيره والاشراف عليه ، كذلك ما ينتج عنه من ربح أو خسارة .

وطالما أن الزكاة وظيفة اقتصادية إجتماعية بالدرجة الأولى ، وأن الفهم الصحيح لها ليس مجرد سد جوع الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات ، وإنما هي وظيفة تمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه بحيث يكون له دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره .

لذا يقوم البنك الاسلامي بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية وإدارة أموالها في البلاد التي لا يقوم فيها ولي الأمر بهذا العمل .

* قروض بدون فوائد في حالات معينة .

- وبالنسبة للنقطة الاخيرة - المنهج الاسلامي وحده .. هو الطريق - بين الكاتب أن تبنى منهجا مستوردا ثبت نجاحه هنا أو هناك يمكن أن يكون من أسباب تعويق خطواتنا في المنطقة الاسلامية وأن مشكلتنا تعود إلى :

١ - ما تركه الاستعمار من آثار ليست استعمارية عسكرية أو توطينية ، ولكنها آثار ثقافية أو فكرية بما يساعد على إهدار القيم الاصيلة والتراث والثقافة .

٢ - ما كان للغرب من حضارة بهرت أبصار أبناء المنطقة دون فحص للأسباب الموضوعية التي أدت إليها ، بحيث استقر في الأذهان اللحاق بركب هذه الحضارة وذلك بالتقليد والمحاكاة بنفس الأساليب والوسائل والمناهج . مما أدى إلى عملية أسر فكري لجمع غفير من المثقفين والمتعلمين .

وتطرق الكاتب إلى الأساس الذي تكونت على أعمدته هذه الحضارة في أوربا متناولا آراء كثير من العلماء والمؤرخين أمثال أبي الحسن الندوي وما قاله إقبال عما آل إليه حال المسيحية واليهودية ومدى تطبيقها للدين ومناهجه ، وانتقل إلى ما يتعلق بنظرية دارون المادية وما قاله ماركس عن أسلوب الانتاج ودوره في الحياة المادية وتحديده للعمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية .

وما استتبع ذلك من أفكار لفرويد وما تركته نظريته من آثار سيئة ، وخلص الكاتب إلى نتيجة هامة هي أن الحضارة الاوربية « شرقية وغربية » فرضت عليها الظروف الاختيار ما بين الدين أو العقل وقادتها الظروف الموضوعية والتاريخية أن تختار العقل فحسب وتنصبه إلها يعبد واستبعدت الدين عن الحياة . ولا يصلح لنا في عالمنا الاسلامي الاستفادة من أسلوب طبق في هذه البيئة تطبيقا أعمى بلا دراسة أو تحليل ، وأن أمامنا طريقا واضح المعالم ، هو المنهج الاسلامي ، والبحث فيه عن النظم والبرامج التي تصلح للعالم الاسلامي الحالي ، فهذا هو الطريق الذي لا يصادم المشاعر الظاهرة أو الخفية للقاعدة العريضة من أهل هذه المنطقة ومن ثم فانه يكفل التفاعل الذي هو أساس النجاح .

وفي الباب الثاني « تجربة البنوك الاسلامية في مصر » يعتبر هذا الجزء من أهم وأوضح ما كتب عن تجربة مصر في مجال البنوك اللاربوية ، فقد تعرض الكاتب لنقاط هامة تجيب على ما يجول بالخاطر حول هذه التجربة مثل :

* كيف نشأ التفكير فيها ؟
* كيف أمكن تطبيقها ؟
* الصعوبات التي واجهتها .
* كيف توقفت التجربة عن الاستمرار ولماذا ؟
* الآثار التي أسفرت عنها هذه التجربة .

ولذا فقد عرض الكاتب لثلاث نقاط

جوهرية هي :
١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة .
٢) مراحل التجربة .
٣) مرحلة الانقضاض .
(١) المناخ العام الذي عاصر تطبيق التجربة : لقد كانت هناك عناصر كثيرة لها تأثيرها الكبير على التجربة وتتمثل في :-
١ - عدم تبلور الذاتية المصرية في المجال الفكري حيث كان الاعتماد على تبني الأفكار المستوردة إلى حد الايمان بها إيمانا يعطل القدرة على الابداع أو التغيير بما يوحي بالتبعية الفكرية آنذاك .
٢ - تواجد جيل من المثقفين الببغاوات أو ما يمكن تسميتهم « تجار شنطة » في المجال الفكري ، حيث كثر تواجد مثل هؤلاء للاسف الشديد بشكل مؤلم مرير لدى المنتمين للمجال الاقتصادي .. ولا يستطيع أن يسلم مخلص مستنير بأنه يمكن أن يصلح لمجتمعنا في يوم من الأيام أمثال هؤلاء .
٣ - الجمود والخوف من الإقدام على تغيير القوالب القديمة التي فتحنا أعيننا عليها في نظم الاجهزة والمؤسسات .
٤ - وجود استعداد رسمي واضح لمحاصرة الحركة الاسلامية والتضييق عليها وإعناتها واتجاه صريح نحو تبني أفكار أخرى لا تركز على معطيات الفكرة الدينية .
٥ - الشكلية والمظهرية والعمل على تلميع الواجهة في كل عمل أو مشروع دون أدنى اهتمام بالجوهر ..
٦ - مراكز القوى والشلل التابعة لها ، فقد كان ذلك هو الاتجاه الطبيعي لحكم الفرد الذي يعايشه اتباع وحملة مشاعل لتمهيد الطريق ليأخذ الاتجاه الفردي مجراه .

وقد أسفر كل ما تقدم ذكره عن ظاهرة شملت المجتمع كله ، تلك الظاهرة التمزق الذي نتج بالضرورة عن الصراع المحتدم بين سلوك يجد المواطن نفسه مجبرا عليه ، وسلوك آخر تتجه إليه فطرته السليمة بين حرص - لا يكاد يفقده مواطن - على بلده ومصالحها وبين ما يجده من المسئولين من واقع بعيد كل البعد عن أن يقود الوطن أو أن يصل به وبمصالحه الى المرفأ المنشود .

(٢) مراحل التجربة : وقد عرضها الكاتب كالتالي :
المرحلة الأولى : وفيها تناول الكاتب محاولة سرد دخول فكرة بنوك الادخار المحلية الى مصر ، وذلك في ظل المناخ العام الذي سبق ذكره ، أسوة بما لاقته هذه البنوك من نجاح في المانيا ، مبينا ما تعرض له سيادته من جمود فكري وروتين مميت عند مقابلة المسئولين وعرض الفكرة عليهم ، وذلك حتى بعد موافقة رئيس مؤسسات الادخار الالمانية على تكوين لجنة في أواخر يناير ١٩٦١ لزيارة مصر وبحث التعاون الادخاري لنقل مثل هذه النماذج إليها . وانتهى الكاتب إلى بيان الملامح الأساسية التي تميزت بها هذه المرحلة في :
* وجود الروتين المعطل للاعمال حتى

فيما يتعلق بالمصلحة العامة التي تتصل مباشرة بتنمية المجتمع وتطويره .

* لجوء الجانب الألماني إلى المراوغة والتطويل في بعض الأحيان عندما علموا أن نماذجهم لن تنقل إلى مصر كما هي ، وكان الأمر بالنسبة لهم كسبا دعائيا سياسيا .

* وجود فئة مصرية تعتبر أهلا للثقة والخبرة ، وما دونها يشك في وجود أي دوافع طيبة لديهم .

* عدم وجود سياسات ثابتة لتنمية المجتمع وارتباط السياسات الضرورية بالأشخاص شاغلة المناصب وليس العكس .

* حرص الأجهزة على احتكار العمل والخوف الشديد من أية صورة من صور المنافسة ومقاومة كل جديد .

* الحفاظ على الشكليات حتى وإن ضاعت معه كبريات المصالح العامة .

* تفشى ظاهرة هجرة الخبرة إلى خارج الوطن لعدم قدرتها على أداء دورها أو التأثير أو العطاء أو أن تصبح محل تقدير وثقة .

المرحلة الثانية : وفيها ناقش الكاتب ما يتصل بوضع الخطوات العملية لأول مصرف لاربوي متعرضا للآتي :

* ارسال العاملين الذين تم اختيارهم للعمل إلى المانيا من عدمه والأسباب الداعية والمحبذة لذلك والمحددات التي تقف حيال ذلك .

* إختيار المنطقة المناسبة لبدء العمل فيها والتي انتهى البت فيها باختيار محافظة الدقهلية واختيار مدينة ميت غمر من بين مدن المحافظة التسع .

* وضع النظام الذي تعمل التجربة من خلاله بدون سعر فائدة ودون الاخلال بالمبادىء الاقتصادية السليمة .

* الاختيار الفعلي لمدينة ميت غمر وبيان أهمية المدينة وخصائصها الاقتصادية والاجتماعية .

* بدء النشاط الفعلي للتجربة في ميت غمر تحت إسم مركز الادخار الذي تغير بعد ذلك إلى بنك الادخار المحلي وقد لاقت التجربة نجاحا كبيرا .

وقد خلص الكاتب إلى تحديد ملامح رئيسية للمرحلة الثانية التي تتلخص في :

* تعطش الشعب إلى أن يرتد إلى أصوله الروحية وتراثه ، فقد اندفع الناس إلى هذا النظام والتفوا حوله عندما علموا مدى إتصاله بعقيدتهم وتراثهم الاصيل .

* أن توفر الجانب العقدي لدى العاملين في هذا المجال لا بديل عنه .

المرحلة الثالثة : **وبين فيها الكاتب ما يتصل بالغطاء القانوني للمشروع وبيان للصراعات التي دارت حول نظام العمل ، ولذا فقد تناول الحديث هنا :-**

* صياغة قواعد العمل لاستكمال جوانب التجربة ووضع أركان نظامها موضع التطبيق العملي .

* ما يتعلق ببداية أعمال الاستثمار والمشاركة خاصة في ظل التعامل بدون فائدة آنذاك .

* ما قام د . ريدي ببحثه وكتابته عن التجربة ١٩٦٦ وما نشره تحت عنوان « المجتمع العربي في مرحلة التغيير ».

* التخبط الكبير الذي ساير المؤسسة المصرية العامة للادخار منذ نشأتها وإشرافها على بنوك الادخار المحلية وعدم الاستعداد للمشاركة الايجابية في تنمية أعمال هذه البنوك .

* إدماج المؤسسة المصرية العامة للادخار في المؤسسة المصرية العامة للتأمين لتشتمل المؤسسة الجديدة على قطاعين أحدهما للادخار والآخر للتأمين .

وبين الكاتب ملامح هذه المرحلة في النقاط التالية :

* تواجد فئة من أعداء الاسلام همها ألا تتوافر أسباب النجاح لهذه البنوك والوقوف عائقا دون تطبيق شرع الله ، ووقع بعض أبناء البلد تحت تأثير الاجانب بانبهار أو عن غفلة .

* وجود بطانة سيئة من الرجال تسوق المخلصين إلى البعد عن طريق الحق والصواب .

* روعة مبادىء الاسلام قد يدركها الغرباء عن هذا الدين أكثر مما يدركها أبناؤه ومعتنقوه .

* المسلم يجب أن يتحلى بالفطنة والمرونة ومواصلة الجد والعمل في سبيل الله وألا ينصرف قلبه أو همته عن الأخذ بكل الأسباب وترك الأمر لله .

المرحلة الرابعة : مرحلة التوسع ولقد تعرض الكاتب هنا إلى :

* طبيعة عمل المشروع حتى الآن وقيام بنك ميت غمر بالانشطة المصرفية على نهج الشريعة الاسلامية .

* كسب التجربة للتأييد الشعبي والعمل على استمرار ذلك والحفاظ عليه ، وذلك بكسب مواقع جديدة وإثراء الفكر النظري وتكوين كيان يمكن أن تشكل وحداته فيما بعد إتحادا يحمي هذه الوحدات ويدعمها .

* انشاء تجارب جديدة في مدن الدقهلية .

ووقف الكاتب على أهم ملامح هذه المرحلة وبينها في :-

* تبلور نظام مصرفي بشكل إسلامي بدرجة مناسبة في بنك ميت غمر ، ووضع نظام للعمل ووضوح المعالم والممارسة العملية ، قد ساعد في وضع كثير من التفاصيل .

* كان فهم المسئولين سطحيا لفكرة البنك الذي يعمل بدون فائدة ، بحيث انحصر فكرهم لتلك البنوك على أنها فكرة جديدة تحقق نجاحا في تجميع المدخرات وجذب الناس ، بحيث تمنى أكثرهم تكرار هذه الفكرة على أوسع نطاق ممكن .

* لم يصل مجتمعنا بعد إلى إمكان فصل الهوى عن المصلحة العامة أو فصل المصلحة الخاصة على تقرير الذات وبين ما يحقق مصالح الناس والبلاد .

* التمسك بالمركزية بحيث أدت في كثير من الحالات إلى إخماد أي مبادأة وتجميدها وعجز كثير من الأفراد عن التخلي عنها .

(٣) مرحلة الانقضاض لاحتواء البنوك : في غياب الديمقراطية نجد

وفرة شديدة في عدد المنافقين وتفننا في أساليب النفاق ، وغياب أهل الخبرة واتساع قاعدة المضللين ، ولقد تناول الكاتب هنا ما يتعلق بمرحلة محاربة هذه البنوك صراحة وما يتصل بمراكز القوى حينئذ ودورها الكبير في الاجهاز على المشروع .

ثم انتقل الكاتب الى وضع بنوك الادخار المحلية بعد ذلك لتكون تحت إدارة البنوك الربوية ، بحيث أصبح الهدف الذي يعمل من أجله ، تغيير نظام مشروع بنوك الادخار من نظام إسلامي إلى نظام ربوي .

ويخلص الكاتب إلى الخسائر والانحرافات والتصرفات الأخرى ، التي لحقت بنوك الادخار ، المستمرة من البيانات المقدمة من إدارة الرقابة على البنوك بالبنك المركزي ، ولم تكن الادارة مسئولة منذ ٦٣ وحتى منتصف ١٩٦٧ ولكن المسئول عنها :

* عدم اعطاء الفرصة لبنوك الادخار ومشروعاتها الاستثمارية في نهاية مراحل البداية وتحطيم الخبرات وثقة المتعاملين معها .
* سوء إختيار المشرفين على البنوك منذ منتصف ١٩٦٧ بغد عزل المدير الأول بها .
* عزل الكفايات التي اكتسبت الخبرة في إدارة البنوك منذ « ٦٣ ـ ٦٧ » واعتبار معظمهم عمالة زائدة بالرغم من تخصص بعضهم .
* عدم استقرار الكيان القانوني الذي يحمي هذه التجربة من تعدد جهات الاشراف .
* عدم التزام الحيدة والأمانة في عرض المشاكل ، ونواحي القصور التي تصاحب التجارب الوليدة عادة ، لوضع الأسس السليمة للعلاج في هذا المشروع الحيوي .

وفي الباب الثالث « البنوك الاسلامية خارج مصر ووظائف البنك الاسلامي »

(أ) البنوك الاسلامية خارج مصر ، ألمح الكاتب هنا إلى بعض صور البنوك الاسلامية خارج مصر مثل :

١ ـ البنك الاسلامي للتنمية : فقيام هذا البنك يعتبر أحد آمال الأمة الاسلامية في المجال الاقتصادي ، ويرجع التفكير في هذا البنك إلى الاقتراحين اللذين قدمهما وفدا مصر وباكستان في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثاني ١٩٧٠ ، وبين الكاتب ما تعرض له البنك من صعوبات ومناورات في أول الأمر ، وناقش الصورة الرئيسية لعمل البنك والخدمات التي يمكن أن يقوم بتقديمها .

٢ ـ بنك دبي الاسلامي ـ ١٩٧٥ ، والذي نص في مصدره التشريعي على التزام الشركة بصفة أساسية والقيام بجميع الأعمال طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية أخذا وعطاء ، ولا تخرج الاغراض الأساسية للبنك عن أغراض نظائره من البنوك الاسلامية المحلية ، ويقوم بجميع الخدمات والعمليات المصرفية لحسابه أو

حساب الغير ، ويقوم بأعمال الاستثمار المباشر أو بشراء أو تمويل المشروعات .

٣ ـ بنك الادخار السوداني : الذي بدأ التفكير فيه عام ١٩٦٨ على غرار بنوك الادخار المصرية ، وقد قابله كثير من المشكلات عند صياغة اللوائح والنظم الداخلية ، حيث تعذر النص صراحة على التزامه بالشريعة الاسلامية وخلو معاملاته من المحظورات الشرعية ، وقد افتتح البنك عام ١٩٧٥ تقريبا ويسير على نمط بنوك الادخار الايطالية التي نجحت في الاشتراك مع الجانب السوداني في إعداد لوائح ونظم العمل .

٤ ـ بنك فيصل الاسلامي : بين الكاتب الدور الكبير الذي يقوم به سمو الأمير محمد الفيصل آل سعود واهتمامه بفكرة البنوك الاسلامية المحلية ، وتم الاتفاق حينئذ مع حكومة مصر والسودان على إنشاء فروع بها لبنك الفيصل الاسلامي ، ورأس سمو الأمير مجموعة من الخبراء لتقوم باعداد دليل للعمل في البنوك الاسلامية ليشمل على تفاصيل التنظيم المحاسبي والاداري والفني والتنظيمي للبنوك الاسلامية .

(ب) مناقشة عملية لشرعية الوظائف التي يقوم بها البنك الاسلامي المحلي :

بين الكاتب في أول الفصل الاركان التي يستند إليها البنك الاسلامي في عمله وهي :

* تقرير العمل كمصدر للكسب بديلا عن إعتبار المال مصدرا وحيدا للكسب .

* تقرير مبدأ المشاركة في الغنم والغرم .

* تصحيح وظيفة رأس المال في المجتمع كخادم للمصلحة وليس سيدا .

ثم بين الكاتب الاعمال التي يقوم بها البنك الاسلامي ممثلة في :

١ ـ قبول الودائع
- تحت الطلب
- الادخارية
- لأجل

٢ ـ القروض والسلفيات
٣ ـ الشيكات
٤ ـ تحصيل الكمبيالات
٥ ـ الاعتمادات المستندية
٦ ـ خطابات الضمان
٧ ـ التمويل مقابل كمبيالات
٨ ـ حفظ الأوراق المالية
٩ ـ عمليات الاكتتاب
١٠ ـ التحويلات
١١ ـ بيع وشراء العملات الاجنبية
١٢ ـ القروض لاغراض استهلاكية .

وناقش الكاتب بعد ذلك إحتمالات إحجام العملاء والرد على ذلك بالحديث عن ضمان الوديعة ثم العائد والربح وذلك بالحديث عن كيفية حساب الارباح في حالة المشاركة وتحديد أنصبة المستثمرين من الربح .

لماذا خلق الله الناس ؟

اغتنموا حياتكم قبل موتكم

جاءنا من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن - هذه الكلمة .. ننشرها تعميما للفائدة :-

قال الله تعالي : (**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**)

ومعرفة الله وعبادته أشرف الأعمال وأعظمها قدرا وأجلها شأنا فما بال هؤلاء الناس انصرفوا إلى الشؤون الحقيرة والمتع الزائلة والشهوات الفانية ، وعصوا الله وأطاعوا عدوهم الشيطان ؟ ألا يؤمنون باليوم الآخر ؟ ألا يصدقون بيوم الحساب والعقاب ؟

إن الله تعالى يقول : (**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**) . والذكر هنا الصلاة . فالله تعالى قد حكم بالخسران على من الهاه ماله وولده عن الصلاة الموقوتة . ويقول : (**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) أي فريضة تؤدى في أوقاتها .

جريمة تارك الصلاة

قال الامام العلامة ابن قيم الجوزية (لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، وأن أثم تارك الصلاة عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الاموال ، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وإنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة) .

وقد افتى مالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل وأصحابهم بأن تارك الصلاة يقتل . وأفتى سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة بأنه يحبس حتى يموت أو يتوب .

ـ من ترك الصلاة فقد كفر ـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك

الصلاة) . وقال : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) . وقال : (لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمداً متعمدا فقد خرج من الملة) .

وقال (من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) فمن يرضى لنفسه أن يكون كافرا . وخارجا عن ملة الاسلام ؟

الصلاة أول ما يسأل عنها العبد

جاء في الحديث (لاحَظَّ في الاسلام لمن ترك الصلاة) فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالاسلام مستهين به ، وإنما حظك من الاسلام على قدر حظك في الصلاة ورغبتك في الاسلام على قدر رغبتك في الصلاة جاء في الحديث الشريف (الصلاة عمود الاسلام) .

وجاء في الحديث : (أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن صلاته ، فان تقبلت تقبل منه سائر عمله ، وإن ردت صلاته رد سائر عمله) . هذا في شأن من يصلي ولكن صلاته سيئة فكيف بمن لا يصلي إطلاقا ؟

والصلاة أول فريضة فرضها الله على المسلمين وهي آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وهو على فراش الموت فقال : (الصلاة الصلاة) والصلاة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (آخر وصية كل نبي لأمته وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا) فكيف تنكر الوصية وتخون العهد يا تارك الصلاة .

- جزاء تارك الصلاة في جماعة -

وقد هدد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا يشهدون الصلاة في جماعة بحرق منازلهم عليهم فقال : (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أخالف إلى قوم في منازلهم لا يشهدون الصلاة في جماعة فاحرقها عليهم) فكيف إذن حال الذين لا يؤدون الصلاة لا في البيوت ولا في المساجد ؟

- ويل لمؤخر الصلاة عن وقتها -

قال تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال : (هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها) . فكيف حال من لا يصلي ؟ يا هذا لم يفت الأوان ما دمت حيا وباب التوبة مفتوح ، فتدارك نفسك وأبدأ فورا قبل أن يدركك المرض أو الموت وعندئذ لا ينفع الندم .

ـ صلاة العصر ـ

جاء في الحديث الشريف (الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله) أي فكأنما فقد أهله وماله فأصبح بلا أهل ولا مال . هذا لمن ترك صلاة العصر مرة واحدة فكيف شأن الذي لا يصلي إطلاقا لا عصرا ولا غيره ؟

ذلك هو الخسران المبين ، وسوف تظهر له الحقائق بعد الموت فيطلب من الله العودة إلى الدنيا ليعبد الله ويكون من الصالحين ، ولكن هيهات . لا رجوع .

فكيف يصبر على عذاب النار ؟

أيها المسلم :

أنت تعمل ليلا ونهارا لتحوز لنفسك ولأولادك عيشا هنيئا وحياة رغدة طيلة بقائك في الدنيا وهو سنين محدودة يعقبها الموت فلماذا لا تجد وتجتهد لتؤمن لنفسك ولأولادك أمنا وسلاما وحياة سعيدة في الآخرة دائمة أبدية لا انقضاء لها ولا نهاية ؟ أيهما أولى بالسعي والعمل المتواصل الدنيا الفانية أم الحياة الأبدية ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) فاختر لنفسك !

ـ ظن قاتل واعتقاد باطل ـ

فريق من المسلمين يزعمون أنهم مستقيمون في أخلاقهم ، لا يكذبون ، ولا يخدعون ولا يؤذون الناس ، ولا يسرقون ولا يخونون وأنهم يفعلون الخير ويخدمون الناس ويعدلون في أقوالهم وأعمالهم فيتسرب إليهم الوهم الخادع بأنهم وقد توافرت فيهم هذه الآداب ليسوا في حاجة إلى الصلاة ، وأن تلك المزايا أثقل في الميزان من الركوع والسجود . ذلك ظن قاتل واعتقاد باطل وجريمة ذات شقين أحدهما أنه يزكي نفسه ، وأنه معجب بها ، والآخر انه يرفع مقامه فوق مقام الأنبياء والرسل . فلو كانت الأخلاق الحميدة تغني عن الصلاة لما فرضها الله على الانبياء والرسل ولأعفاهم منها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل صلاة تطوع حتى تتورم قدماه ، فتسأله ام المؤمنين عائشة لماذا يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ؟

إن أعرف الناس بالله هم اكثرهم له خشية ، وكان رسول الله أكثر الناس خشية لله فكان أعبدهم لله . وأجهل الناس بالله هم الذين يلهون ويلعبون ويتمنون الأماني الكاذبة ، ويخادعون أنفسهم ويقنعون بالباطل ويحسبون أنهم مهتدون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وبعد الموت ستتكشف لهم الأمور .

بريد الوعي الإسلامي

رؤية الله سبحانه

تلقى بريد الوعي هذه الرسالة من الاخت الفاضلة/ ماجدة فوزي احمد العليمي .. تقول إنه دار نقاش بينها وبين أحد أقربائها .. حيث قال :

أنا لا أخشى دخول النار .. لان الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقني ..وهو سبحانه يتصرف في كيف يشاء . ولا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه ..

كما أنني لا أفرح بدخول الجنة . لأن هناك ما هو أحلى وأجمل من الجنة ونعيمها ..

إن كل ما أتمناه هو رؤية الاله العظيم . الذي خلق فسوى . وقدر فهدى . الاله الواحد . الفرد . الذي أبدع كل هذا الكون . وسيره بمفرده من مشرقه لمغربه .

هذه هي المتعة الكبرى . عندما أعيش في نشوة محياه .

قلت له :

ولكن العلم الحديث أثبت أن النور لا يرى وترى به الاشياء .. والله سبحانه أخبرنا بأنه « نور السموات والأرض ».

فرد قائلا :

هذا في الدنيا ـ ونعتقد أن هناك في الآخرة غيبيات يجب أن نؤمن بها دون أن نراها . وهذه أعلى مراتب الايمان . لأن هذا معناه التصديق بما أخبرنا به الله على لسان رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والتصديق إذا تمكن بالقلب . وتشبعت به الروح وصل إلى درجة عين اليقين .

في الدنيا نعتقد اعتقادا جازما أن الله سبحانه وتعالى « **ليس كمثله شيء** » ولهذا فقد حذرنا من البحث في ذاته جل شأنه .

أما في الآخرة فطلاقة القدرة لا حدود لها . فالله سبحانه وتعالى في قدرته أن يعطني من القدرة ما يجعلني أتمتع بمحياه »..

وهنا نمسك عن الكلام ..

فما رأي سيادتكم هل حقا سيتحقق هذا الأمل . ونرى الله ؟

في انتظار ردكم .. وشكرا .

المحرر : ونقول للاخت الفاضلة مستعينين بالله سبحانه :ـ

يظل المؤمن في الحياة الدنيا يعيش بين الخوف والرجاء .. الخوف من عذاب الله .. فإن الله سبحانه لو

آخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهر الارض أحدا من البشر ، فكلنا يخطىء .. فالانسان خطاء .. وخير الخطائين التوابون .. من هنا فإن المسلم يخشى عذاب الله .. معتقدا أن من يزحزح عن النار في الآخرة فقد فاز .. هذا هو جانب الخوف بسبب ما نرتكب من ذنوب .. وعندما نضع في اعتبارنا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وأنه كتبها لعباده الذين يخشونه ويتقونه ، وعندما نتذكر أن الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. فإننا نعيش في دائرة الرجاء والأمل .. نرجو رحمة الله ولطفه ، وعفوه وصفحه ، ونأمل في رضوانه ودخول جنته .. فالله سبحانه واسع الفضل .. ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات . وغاية المنى أن ينجينا الله من النار ، ويدخلنا الجنة فننعم بالنعيم الدائم .. وكيف لا نفرح بذلك !! أما رؤية الله في الآخرة .. فذاك هو الفضل العظيم منه سبحانه ، وهي غاية السعادة للمؤمنين .. ورؤية الله تعالى في الآخرة ممكنة للمؤمنين .. بدليل قوله تعالى عن الذين يكذبون بيوم الدين : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فإنه سبحانه لما حجب الكافرين عن رؤيته في الآخرة دل على أنه سبحانه سوف يتجلى لعباده المؤمنين - وكما قال الرسول الكريم : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ».. وأيضا قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة » ومعنى هذا أن المؤمنين سوف يرون الله سبحانه بأعينهم .. ولكن بلا حدود .. ولا تشبيه .. فالله سبحانه فوق الحد ، وفوق الوصف ، وليس كمثله شيء .. وهذا هو ما ندين به .. والله أعلم .

خشية الله ..

الأخ / ممدوح عدلي ابو هميلة .. من مصر .. يسأل عن معنى قوله تعالى :

« **إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ** »

ونقول باختصار .. إن الآيات في سورة فاطر (رقم ٢٧ و٢٨) تدعو الى النظر والتأمل في مخلوقات الله ، ومظاهر قدرته ، ليرى الانسان آثار قدرة الله فيزداد علما بعظمة الله الخالق ومعرفة بأسرار أودعها الله في سمائه وأرضه ، في الناس والدواب والأنعام ، وكلما ازداد علماً ازداد خشية من الله تعالى ، وتعظيما له ، فالذين يخشون الله حق خشيته هم العلماء .. لأنهم يدركون عن علم أن المخلوقات كلّها من صنع الله القادر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

القدوة والمثل الأعلى

تحت هذا العنوان كتب الصديق الاستاذ / علال البوزيدي - المغرب الشقيق يقول :

اذا كان الله جلت قدرته قد خلق الانسان في أحسن تقويم وميزه عن باقي المخلوقات بجميل الصفات :

خلقة وعلما ، وإرادة ومكانة ؛ وملكة وعقلا ، وإدراكا واستعدادا أخلاقيا ، فإن هذا الانسان الذي استحق هذا التكريم الرباني **ولقد كرمنا بني آدم** ، **واستحق خلافة الله** في الأرض ، لم يكن ذلك عبثا ، بل لغاية وللقيام برسالة وتحمل أمانة في هذا الوجود . ولذلك فلا بد لهذا الانسان من توجيه ، ومن قيادة وقدوة ومثل أعلى ، وهذه الصفات لا تجتمع في عامة البشر ، ولكنها صفات خص الله بها الرسل والأنبياء عليهم السلام .

وإذا نحن بحثنا جوانب من السيرة النبوية ودرسنا بعمق وإمعان الأدب النبوي نجد تجليات ذلك بارزة وواضحة في شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فقد توافرت فيه صفات :

الصدق ، والالتزام ، والتبليغ ، والعقل السليم .

ونصت كتب السيرة بالاضافة إلى ذلك على التكوين الجسمي للرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فأبرع الواصفون في وصف كمالاته الخلقية وصفاته المثالية الفريدة .

وفي هذا المقام الوصفي للرسول الكريم يقول عبد الله بن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة .
لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد دارت كتابات الكتاب الذين اهتموا بالسيرة المحمدية على أنه يمثل عليه الصلاة والسلام القدوة والمثل الأعلى للبشر في مختلف جوانب الحياة لأنه كان في كل جانب في القمة العليا من الكمال والتوفيق ، والتنصيص على هذه الانفرادية تؤكده البشارات كما تؤكده استطاعته عليه الصلاة والسلام الاستمرار بدعوته تبليغا وإقناعا ، وكذا إستيعابه لأسس دعوته نظريا وعمليا ، وتمسكه بها وثقته بانتصارها في وقت كانت البشرية فيه تعيش في ظلمات الجهل والجور والطغيان ونحن نعرف مدى المصاعب الكثيرة التي واجهها في سبيل القيام بنشر دعوة ورسالة الاسلام بين الأنام .

وكانت الدعوة المحمدية عقيدية سياسية وكانت بالتالي وبشهادة التاريخ دعوة ناجحة لم تشاهد مثلها أية أمة من الأمم الأرضية ، ولذلك جاء في حق الأمة الاسلامية : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » لكونها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله . وأمة خصها الله بهذا التكريم لا بد وأن لها قيادة حكيمة ، وبالفعل فإن الحكمة القيادية كانت متوفرة في الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتجليات ذلك واضحة في سياسته الموفقة في كل مجالات الحياة وكذا في الكيفية الخارقة التي كان صلى الله عليه وسلم يحل بها المشاكل الخطيرة المعقدة التي كانت تنشأ من حين لآخر ، وما أكثر المشاكل في مجتمعات الجهالة والكفر والشرك بالله ، إلا أن صمود الرسول وتجلده وصبره على طيش وغطرسة المشركين الضالين وطد عزيمته وبلغ به حدا لا مثيل له في تاريخ البشرية من الايمان الراسخ ، والعزم القوي ، وهذه البوادر ظهرت فيه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة المحمدية وتضاعفت بعد البعثة ، ولذلك كانت كل خطواته في الحياة موفقة .

الشيء الذي لم يسبق لبشر أن ارتقى إلى مكانته لا في الصفات ولا في السلوك ولا في القيادة والحكمة وبعد النظر كانت استمرارية مسيرة الدعوة المحمدية تعتمد منطلقات فذة لا يديرها إلا عقل عظيم وفكر ثاقب ، وهذه الاستمرارية تواصلت من بداية الدعوة حتى تحقيق النصر ، ثم تواصلت لتطبيق ما كانت تهدف إليه الدعوة وبدأ العهد النبوي المشرق ،

وانطلقت الدولة الاسلامية على أساس إحكام البناء حتى يكون قادرا على الصمود والاستمرار في المستقبل ، ثم وضع أسس النمو والتطور وتحصين الدعوة الاسلامية وتعزيزها بما يكفل لها السير نحو الغد المشرق عبر الأجيال والعصور .

فتميزت مسيرة الأمة الاسلامية في صدر الاسلام بخصائص القدوة المحمدية وتحركت لبناء أمجاد الاسلام ، وهنا برزت الشخصية القيادية العسكرية للرسول فكانت

الفتوحات الاسلامية ، وتواصلت انتصارات الدين الحنيف بقيادة صاحب الرسالة وناشر الدعوة الاسلامية محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه .

وهكذا فإن خصائص القدوة والمثل الأعلى كثيرة جدا فهو رسول الله صادق أمين ، قام بتبليغ دعوة الله حقا وصدقا ، وهو أعقل البشر ، وهو المعلم الأول ، وهو أكمل الخلق في ممارساته ومسؤولياته الأبوية والزوجية والأخلاقية والقيادية ولذلك قال في حقه الله عز وجل : « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ، **فهو** صلى الله عليه وسلم بعث للانسانية جمعاء فأخرج الناس من ظلمات الشرك بالله إلى نور الايمان ، وشرع للبشرية بإذن الله ما يصلح أحوال البشر في مجالات الحياة العقيدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، ومجمل القول أن محمدا رسول الله القدوة والمثل الأعلى للانسانية .

الشعر ونظرة الاسلام إليه

تحت هذا العنوان كتب الاخ /رياض عبدالكريم محمد ـ من مصر ـ يقول :

الشعر طبيعة في الانسان ، وهو فن من الفنون الانسانية الجميلة وليس هناك أمة من الامم أو جماعة من الجماعات لم يكن الشعر آداة من أدوات التعبير الجارية على لسانها ، كأن الشعر إدام حياتها في هذه الحياة القاسية المجدبة التي كانت تعيش فيها قبل الاسلام واذا كان الشعر على تلك الصفة في حياة الناس ، وفي حياة العرب بخاصة فان الاسلام بسماحته وانسانيته لا يمكن أن يقيم حظرا على هذا المتنفس الذي تنطلق منه مشاعر الناس وكان هدف الاسلام هو تخليص هذا الفن الجميل مما دخل عليه من تلك الألوان الصارخة من الفحش والهذر واللغو ، حتى تصفو موارده ، ويكون للكلمة الصادقة فيه وزنها وقدرها في تربية النفوس وتقويم الأخلاق اذ كان للثوب الذي تلبسه الكلمة في القالب الشعري تأثير عظيم في كشف مضمونها وتجسيد مستواها حتى لتكاد تتمثل كائنا حيا يعيش في وجدان السامع ويتحرك في كيانه ومن هنا كان موقف الاسلام من الشعر قائما على تقديره له ووزن خطره وأثره في النفوس وسلطانه على القلوب والعقول ، فاذا لم يقم على هذا الفن

حارس من خلق أو دين .. كان قوة من قوى الشر المدمرة التي تأتي على كل صالحة في المجتمع الذي تتحرك فيه شياطين هذا الفن ، ومن هنا نجد شاعرا من أصحاب النفوس الكبيرة كالمتنبي مثلا تحمله نفسه الكبيرة على أن يقف موقف الند مع ممدوحه سيف الدولة أمير الدولة الحمداني ولا يرضى أن يكون حاشية من حواشيه حتى اذا التقى بكافور صاحب مصر نظر اليه من سماء عالية فلم يستطيع أن يكتم ما بنفسه من مشاعر التقدير لذاته والاحقار لكافور فيظهر ذلك في كل شعر قال فيه ، فان المتنبي أبى عليه صدق نفسه أن يلتزم الشعر العربي من مطالع الغزل في كل قصيدة مدحا كانت أو ذما أو رثاء فصرخ من أعماقه تلك الصرخه المدوية التي رمى بها في وجه هذا الغزل المصطنع وقال :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم ؟

أكل فصيح قال شعرا متيم

نقول هذا لنصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من الدارسين للأدب العربي الذي نسبوا الي الدعوة الاسلامية أنها أصابت الشعر العربي الصميم في حياته وأنها دمغت الشعراء بهذا الوصف الذي يخرجهم من دائرة الاسلام وينأى بهم بعيدا عن المثل الفاضلة التي يتمثلها الاسلام في أهله أليس القرآن الكريم يقول في الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

فأي مسلم حريص على سلامة دينه يرضى لنفسه أن يكون من زمرة الشعراء ؟ وعلى هذا فقد حبس كثير من المسلمين في صدر الاسلام ملكة الشعر التي كانت تغرد الشعر في صدورهم ، من كان منهم شاعرا في الجاهلية أمسك عن قول الشعر في الاسلام والشعر العربي هو مجلي اللغة العربية ، ومظهر بيانها ، و شاهد بلاغتها ، فكيف يجيئون ليقتلوا هذا الشاهد الوحيد الذي ينطق باعجازه ، فاذا مات هذا الشعر العربي أو اختفى من الميدان فمن أين يعرف للقرآن الكريم مكانته ومن أين يؤخذ الدليل على مواقع الاعجاز فيه .

ان المنهى عنه في الشعر هو الشعر القبيح ، فشأن الشعر هو شأن الكلام عامة ، حسنه حسن ، وقبيحة قبيح ، فاذا كان الشعر سامي الهدف شريف القصد ، يدافع عن الحق ، وينتصر للايمان ، فهو سلاح مشروع ، ولذا نرى ختام السورة الكريمة.. « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

هذا ولقد سجل التاريخ الاسلامي للصحابة رضوان الله عليهم مواقف من الشعر تدل على تقديرهم له ، وحرصهم عليه .

مع الصحافة

○ سراب السلام

لم تدم طويلا تهويمة التفاؤل بما يدعى السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ، وسرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه ، ولكن في صور جديدة تمليها الأوضاع التي نشأت عن الغزو الصهيوني الأخير للبنان . إن خيبة الأمل تبدو واضحة في كثير من الصحف العربية ، بعد أن أظهرت هذه الصحف اهتماما كبيرا بالمساعي الدبلوماسية ، والتحركات السياسية ، والمبادرات السلمية ، بيد أن ذلك كله كان يتلاشى هباء حين يصطدم بالحقيقة العنيدة القاسية : أن لاسلام الا على حساب الضعيف حين تفرض القوة الغاشمة على الجميع منطقا خاصا بها ، وان من طبائع الاشياء في هذا العالم أن تبدأ الحلول السياسية دائما من حيث انتهت طلقات البنادق ، وأن البنادق الخرساء لا تجد في ميدان الحوار السياسي من يجيد التعبير عنها . وهكذا تغدو حمى المبادرات في رأي كثير من الأقلام في الصحافة العربية عملية تخدير محض :

حول هذا الموضوع نشرت « الوطن » في ٢١ من المحرم مقالا جاء فيه :

سكت الجميع .. واصبحوا في حالة استرخاء بعد ان انتقلوا الى عالم الخيال والأوهام .

« الرئيس الاميركي ريغان » اصدر مبادرته « ليخدر » بها « اصحاب القرار العربي » . وهؤلاء بدورهم اصدروا « مبادرتهم » لتخدير « الرأي العام العربي » !!

والاعتداءات التي حدثت مازالت موجودة . فاسرائيل مازالت موجودة في بيروت وكل جنوب لبنان .. وباقي الأراضي العربية القدس والضفة وغزة والجولان لا احد يتحدث عنها .. حتى المجزرة الشهيرة اصاب الاسترخاء ردود الفعل ازاءها وتم للجميع دفن « القتيل » واداة الجريمة وانتهى كل شيء .

ثم يزداد « اخراج » الموقف « حبكة » بالقيام ببعض الزيارات الغامضة ، او بعقد بعض الاجتماعات التي لم تسفر طوال عمرها عن شيء ، او بالقاء تصريح هناك يختلف على تفسيره هنا ، ثم تعديل للتصريح ليرضى عنه البعض ويرفضه البعض الاخر ، ثم اذا احس الرأي العام بالقلق - اي وبالاصطلاح الفني بدأ يسترجع وعيه - تختلق قضايا داخلية او خارجية لتنقله بعيدا عن مركز المشاكل واسبابها !!

البلد الوحيد الذي يعمل - سواء بطريقة صحيحة او مدمرة - هو اسرائيل تختلق المواقف الجديدة حتى تبتلع المكاسب القديمة وحينما تضم « القديم » تختلق مواقف جديدة اخرى حتى تضم « القديم » الذي كان « جديدا » من فترة قصيرة او طويلة حسب المواقف والضغوط !!

إن حالة الاسترخاء والتحركات الدبلوماسية الخائبة يقابلها في الجانب الآخر المعادي سعي تنفيذي حثيث لاستخلاص أقصى ما تتيحه من مكاسب نتائج الغزو الصهيوني الأخير، ولمنع الدبلوماسية الخائبة من أن تحصّل ولو حدا أدنى من الحقوق الضائعة . فاليهود وأعوانهم يجهدون الآن لشراء أكبر قدر ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة :

حول هذا الموضوع نشرت « الوطن » في ٨ صفر مقالا ، تعليقا على خبر ، جاء فيه :

كيسنجر يقود الآن حملة في الدول الأوروبية الغربية ، وخاصة في بريطانيا وفرنسا ، بهدف اقامة وكالة « سرية » مهمتها شراء اكبر عدد ممكن من مساحات الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة من اصحابها العرب ، بهدف منع قيام الدولة الفلسطينية ، وقبل نضوج الظروف الدولية والموضوعية لاقامة هذه الدولة .

واغلب الظن ان كيسنجر اليهودي اصلا ، لم يبادر الى قيادة هذه الحملة « الشرائية » الا بعد تلقيه الضوء الأخضر من واشنطن ، والأمر بالعمل والتنفيذ من تل ابيب .

والحركة الكيسنجرية الجديدة اليوم ، هي في الواقع بعث لئيم لتحركات وحركات الوكالة اليهودية وحاضنتها البريطانية منذ العام ١٩١٨ حتى العام ١٩٤٨ .. واية ذلك ان وزير الخارجية الاميركي الاسبق ، اسرع فركز خلال زيارته الاخيرة لبريطانيا ، على بحث هذا الموضوع مع كبار رجال المال اليهود والمؤيدين للصهيونية ، وزاد فتعهد لهم بدعم مالي ملحوظ من مصادر اميركية و « شرق اوسطية » لم تحدد طبيعتها ، لتوفير ارصدة مالية ضخمة والشروع في شراء اراضي الضفة الغربية والقطاع عبر شركات ومؤسسات ، بادارة اسرائيلية صهيونية ، لاقتطاعها سلفا من كيان الدولة الفلسطينية التي يقال انها « نضجت » او هي على وشك النضوج .

○ المسلمون : بين الذبح والتهجير

أما أوضاع المسلمين في سائر بقاع العالم الاسلامي فلم تنل ما يضارع خطورتها من اهتمام الاعلام العربي والعالمي . فقد استبدت الزوابع السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط بمعظم وسائل الاعلام ، حتى لقد مرت الأحداث الدموية التي تقع في نيجيريا مثلا أو في الهند دون أن يحفل بها الكثيرون .

١ ـ الذبح

ففي خلال شهر المحرم قتل أكثر من (٣٠٠) شخص في اشتباكات بمدينة مايدوغري ، ولم تهتم وسائل الاعلام بعرض التفاصيل ، بل اكتفت بوصف الاشتباكات أنها طائفية . بيد أن نيجيريا بلد فيه أكثر من (٧٠) مليون مسلم ، وهي كذلك من أغنى بلدان افريقية وأقواها ، وإذا أضفنا إلى ذلك أنها بلد منتج للنفط ، وأنها كذلك أهم سوق للصادرات البريطانية خارج أوربا .. كان من العسير علينا أن نغفل عن الأبعاد السياسية والاقتصادية المحرضة لهذه الأحداث التي يدفع فيها المسلمون دائما ثمنا باهظا من دمائهم وإمكاناتهم . فنيجيريا لم تبرأ بعد من العلل

والأمراض التي زرعها فيها المستعمر قبل أن يغادرها اسميا ، مثلها في ذلك مثل معظم بلدان المسلمين . ولعل بعض الصورة يتضح من دراسة نشرتها القبس عن نيجيريا في ٢٦ من المحرم جاء في الدراسة :

ان المسلمين في نيجيريا يتخطفهم العدو من كل مكان وذلك لاضعاف قوتهم وتشتيتهم ، مع انهم في شوق لنشر الدعوة الاسلامية ، ومجرد رؤيتهم لانسان عربي يحاول ان يعلمهم شيئا من القرآن او بعض الأحكام الشرعية فانهم يتعلقون به أيما تعلق وما ذلك الا لحاجتهم الى الدعوة الاسلامية .

واذا مررت بهم وجدتهم في حقولهم يقرأون القرآن ويعلمونه لأولادهم ، ولهذا الحب الكبير في نفوسهم ، ولقلة الدعاة المسلمين الذين قد الهتهم الدنيا عن كل شيء ظهر كثير من الأدعياء ليفسدوا الاسلام في نفوس المسلمين في نيجيريا وغيرها من بلدان افريقيا .

وتمضي الدراسة في الكشف عن معاول الهدم والفساد في نيجيريا ، فتتحدث عن اعداء ثلاثة للمسلمين هناك : الفرق المارقة ، والحركات التبشيرية المنظمة ، والجمعيات السرية الصهيونية .

عن الفرق المارقة تقول الدراسة :

« واكثر هذه الفرق انتشارا الاحمدية القاديانية والاسماعيلية ، ومما تدعو إليه القاديانية ان على كل مسلم طاعة ولي الأمر حتى ولو كان كافرا .

ولهذا كان المستعمر البريطاني من اكبر المشجعين لهذه الطوائف لانها تضمن بقاءه واستمراره مستعمرا للشعوب واراضيها ، وقد امدها الاستعمار بالتأييد المادي والأدبي في شرق وغرب افريقيا .

ومازالت هذه الطوائف اداة طبيعية بيد أعداء الاسلام يحركونها متى شاؤوا لضرب المسلمين » .

وعن الحركات التبشيرية جاء في الدراسة :

« هذا ومن اسباب الهدم والفساد في نيجيريا حركة التبشير في القارة الافريقية وذلك لهدم الاسلام في تلك المنطقة ، اذ انتشر التبشير بطرق سياسية ودعامة دولية وأموال غزيرة بانشاء المدارس والخدمات الطبية وتعليم اللغة الانكليزية او الفرنسية وبث وتعليم كراهية الاسلام في نفوس الناس واستطاع الاستعمار بقوته ونفوذه أن يجعل الأقلية المسيحية في كثير من المناطق الافريقية هي الطبقة الحاكمة القوية التي لا تنازع ، وعلى أثر ذلك ظهرت الحرب الأهلية في نيجيريا بين الأكثرية المسلمة والأقلية المسيحية التي دعمت من الغرب بقوة طمعا بخيرات البلاد والثروات البترولية ، وعندما أراد الاميركيون أن يوسعوا وجودهم ونفوذهم بالبلاد أنهوا الحكم العسكري ، ولجأوا الى الاسلام واستخدموه سلاحا لهم واستعاضوا عن الحاكم العسكري بلقب الحاج ... واصبح الحجاج اداة طيعة بيد المستعمر الغاشم » .

ويواجه المسلمون في نيجيريا هذه الهجمات الشرسة بدأب وايمان :

عن ذلك تقول الدراسة :

ولكن بالمقابل ظهرت فئات اسلامية قوية لها وزنها السياسي في نيجيريا ، وانتشر رجال الدين في كل بقعة حول ابار النفط الغنية وتغلغلوا في المكاتب الحكومية والمعاهد والجامعات .

وادرك الغرب ان الروح الاسلامية الدينية في نيجيريا لها خطر عظيم ، حتى ان الشباب الجامعي المسلم في « زاريا » وهي من اكبر المدن في شمال نيجيريا

صاروا يهتفون (الاسلام فقط) وقد كتب الدكتور اوارد فان : « ان الحركة الاسلامية سيكون لها شأن كبير في مستقبل نيجيريا السياسي ، وهي اخطر كثيرا من المنظمات الارهابية المتطرفة على النفوذ الغربي والثقافة الغربية » .

أما في الهند فالمسلمون يتعرضون للاجتثاث بالأسلوب نفسه : « اشتباكات طائفية » ، ولولا تقرير ورد في مجلة الدعوة التي تصدر في الهند لكان من الصعب علينا أن نعرف شيئا عن أحوال المسلمين هناك . ومما يلفت النظر ما ذكرته (الدعوة) : ان ٣٤٦ « اضطرابا طائفيا » حدثت في غضون الشهور العشرة الماضية ، سقط فيها ١١٨ قتيلا .

وقد نقلت (الدعوة) بتاريخ ٢٨ من المحرم في تقريرها أجزاء من خطاب أحد أعضاء البرلمان جاء فيه :

ان رجال الشرطة (P.A.C) انتهكوا حرمة النساء وانهم ارتكبوا فاحشة مع بنت اسمها نور فاطمة نظيرة واسم ابيها كريم الدين وانه لظلم صريح ارتكبه رجال الشرطة ، ولنا ان نعترف به ونسعى لايجاد حلول للقضايا . وذلك لان الاحداث لا تزال يتسع نطاقها .

ويظهر ان هناك فئات وأناسا يخالفون الأقلية المسلمة ويريدون القضاء عليها وارجو من الحكومة اخبارنا بهويتهم من هم ؟ وهنا اسأل الحكومة هل تريد اتخاذ اجراءات شديدة ضد الذين يضايقون الاقلية ؟

هذا واريد ان اذكر شيئا آخر .. ان الهنادك يريدون استبقاء شرطة P.A.C في ميرت .

أفلا يظهر بهذا ان هناك شيئا من المؤامرة ؟! إن الشرطة المسلحة للولاية (P.A.C) تغمض عينها عن المشاغبين الذين يشنون الغارة على الأقلية المسلمة ويـنهبون اموالها . ومن اجل هذا يحبها الهنادك فنظرا الى هذه الأوضاع الراهنة اقدم التماسي الى معالي الوزير لابعاد شرطة P.A.C هذا بعض ما قاله نائب في البرلمان ، ولا ريب في أن صورة ما يحدث أشد قسوة ومرارة بكثير مما يقال عادة في البرلمانات ، حيث تلبس الحقائق الموجعة أقنعة من الابتسام تسمى عادة « لباقة المحافل الدبلوماسية » .

٢ ـ التهجير

ذبح المسلمين واجتثاثهم هو نصف الحقيقة ونصف الصورة التي عليها اوضاع معظم المسلمين في هذا العصر ، اما النصف الثاني من الحقيقة او الصورة فهو مصير الذين كتب لهم أن يظلوا أحياء ، وهو مع ذلك مصير لا يقل بؤسا وإيلاما عن المصير الأول . فمن الملاحظ أن عمليات التهجير الدموية التي يتعرض لها المسلمون تتكرر في غير بلد من بلدانهم : في فلسطين ، ولبنان ، وفي افغانستان ، وفي مناطق أخرى لم تحظ بعد باهتمام كاف من وسائل الاعلام . والظروف التي تحيط بالمسلمين في كلا المصيرين متشابهة : فهناك من جهة ذبح ونهب وهتك للاعراض وقمع .. وهناك من جهة أخرى آلاف مؤلفة من المشردين الذين يعانون من المرض والفقر وقسوة العيش والخوف .. ههنا في لبنان وفلسطين ، وهنالك في افغانستان : عن اللاجئين الأفغان كتبت صحيفة (فرانكفورتر

الغمانية) في أواسط المحرم مقالا جاء فيه :

« إن ما يقرب من مليونين وسبعمائة الف من اللاجئين الأفغان يعيشون الآن في معسكرات بائسة في باكستان . وقد تضاعف عدد اللاجئين الأفغان الذين يصلون باكستان شهريا من اربعة عشر الفا الى ثمانية وعشرين الفا منذ بدء الهجوم السوفياتي في وادي بانـدشير وتعزيز النشاط القتالي في منطقة كابول . ويخشى ان يـؤدي سـوء الاحـوال الاقتصادية وتناقص المواد الغذائية في افغانستان الى زيادة اعداد المهاجرين الأفغان الى باكستان خلال فصل الشتاء القادم . ومن المحتمل كما يخشى مهاجرون افغان والسلطات الباكستانية ان يزداد تدفق اللاجئين الافغان على معسكرات اللاجئين في باكستان اذا حدثت مجاعة في افغانستان بسبب تلف جزء من المحاصيل الزراعية من جراء العمليات الحربية .

وبوسع المرء ان يتخيل النتـائج الوخيمة النـاجمة عن ذلك بالنسبـة للوضع في الثلاثمائة والتسعة والثلاثين مخيمـا الموجـودة على طـول الحدود الافغانية الباكستانية . ولذا فان الحاجة للمساعدة المقدمة من بلدان اخرى ماسة جدا خاصة وان الكثيرين من اللاجئين الجدد يسكنون في خيام لا تقيهم برد الشتاء القارس في تلك المناطق .

وقـد اصبح الـوضـع الصحي في المخيمـات سيئـا جـدا بسبب نقص امكانيات النظـافة وسـوء التغذيـة ، وهنالك خطر كبير من انتشار السل على شكل وباء بين اللاجئين . وبينما تبلغ نسبة المصابين بالسل بين الباكستانيين اثنين بالمائة تجدها تصل بين اللاجئين الافغان الى ستة بالمائـة مع ميـل الى الارتفاع .

وتتمثل المشكلة الصعبة الثانية في تزايد اعداد المصابين في الحرب فنقص الاجهزة الحديثة او الخبرة يحول دون اجراء العديد من العمليات الجراحية وخاصة تلك التي يتطلب اجراؤها قطع الاعصاب او الشرايين . ولذا فان الاطباء المهاجرين الأفغان ، يسعون سعيا حثيثا لتوفير امكانية اجراء عمليات لمثل هؤلاء المصابين في اسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان .

وتتشابه ظروف اللاجئين الأفغان من جراء الغزو الروسي مع ظروف اللاجئين الفلسطينيين من جراء الغزو الصهيوني : عن « مدينة الخيام » في عين الحلوة ورد مقال في (النيوزويك) في أواسط المحرم جاء فيه :

بين خرائب مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان ، راقب جمهور غاضب من النساء والأطفال الفلسطينيين فريقا كبيرا تابعا لوكالة غـوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وهو يقوم بنصب خيام زيتية اللون لا تتجاوز مساحة الأرض التي تقام عليها الواحدة منها ١٢ قدما مربعا .

وفجأة قام الصغار بهدم الخيمة التي نصبت ثم صبوا عليها الغازولين واشعلوا فيها النار . وصاحوا « لا نريد خيامكم » !

ان ما يقدر بخمسة وستين الفا من الفلسطينيين دمـرت بيـوتهم في الأيـام الأولى للغـزو الاسرائيلي للبنان الذي وقع في شهر حزيران الماضي ، وما زالوا بدون مأوى رغم مرور خمسة اشهر على تدمير بيوتهم .

محمد ابو النعاج (٦٣ سنة) من لاجئي عين الحلوة يقول : « كانت اسرتي المؤلفة من ١٣ شخصا تعيش في بيت مؤلف من ٨ غرف . فكيف سنتمكن من النوم والاستحمام وجميعنا في خيمة واحدة » ؟

وتثير زهرة ابو العسل (٣٤ سنة) وهي ام لعشرة اطفال مخاوف اشد عمقا حين تقول : « اننا نخشى ان تقوم الميليشيات اليمينية او غيرها بحرق خيامنا وخطفنا وقتلنا او طردنا من هذه الأرض . ان الخيمة لا توفر اية حماية لسكانها » .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

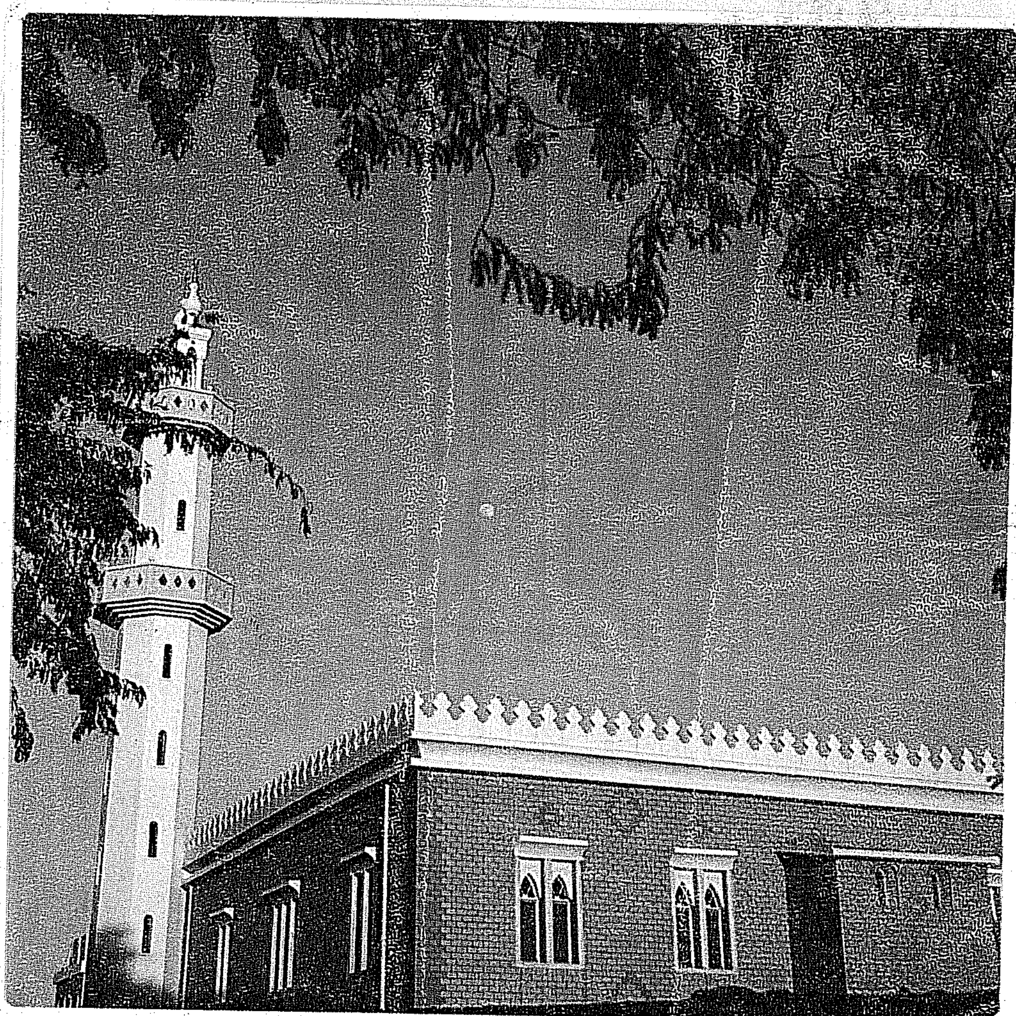
محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٠ - ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ - يناير / فبراير ١٩٨٣ م



هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

يَقُولُ تَعَالَى:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٠ ـ ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ ـ يناير / فبراير ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ - ٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الذكرى العطرة

كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ادعوا المسلمين الى أن يوفروا الدماء

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالذكرى العطرة لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عمت الاحتفالات شتى مناطق دولة الكويت ، وقد شارك التلفزيون والاذاعة في نقل الاحتفال من مسجد عبد العزيز المشاري في ضاحية اليرموك ..

ويطيب للوعي الاسلامي أن تسجل هنا نص الكلمة التي ألقاها سعادة الاستاذ / أحمد سعد الجاسر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واتبع رضوانه الى يوم الدين .

أيها الاخوة الكرام . لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان يجعل في الارض خليفة ، فأخبر بذلك ملائكته ومن قبل خلق ادم ، فقال تعالى « **اني جاعل في الارض خليفة** » ولقد تعهد سبحانه وتعالى ذرية آدم من بعده ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين ، رسلا قد قصصنا عليك ورسلا لم نقصصهم عليك .

وتواتر الرسل على دفعات متتالية يبشرون اقواما وينذرونهم ، ولقد كانت دعوات الرسل عليهم السلام لامم مختلفة ، وفي بقاع من الارض وعلى فترات من الزمن متعددة . حتى اتى الامر الى نهاية الرسالات وخاتم النبوات .. ففي عام شهد حادثة كبيرة سجلها الله سبحانه وتعالى في قوله « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.ألم يجعل كيدهم في تضليل .**

وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم

الأسوة الحسنة تكون بالعمل الصالح

لأنفسهم ويوجهوا السلاح إلى عدوهم..!

كعصف مأكول ». في ذلك العام حينما أراد أبرهة أن يعتدي على رمز العقيدة والتوحيد الذي بناه ابراهيم عليه السلام ، فقد حماه الله سبحانه وتعالى ، حمى هذا الرمز ، حمى البيت الحرام ، الكعبة المشرفة ، بآية من آياته سبحانه وتعالى معجزة ، ويشاء الله سبحانه ان يشهد نفس العام ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتكون بدءا لرسالة الاسلام التي اراد سبحانه وتعالى ان تكون خاتم الرسالات وليكون الرسول صلى الله عليه وسلم اخر الأنبياء ، وذلك بعد ان تأهلت الامة العربية لتلقى معجزة القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وبعد ان تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ رسالته ، على مر الاعوام والازمان ، وبعد ان امكن لهذا الكون ان يصل بعضه ببعض . وان تصل كلمة الله الى اطراف الدنيا ، من اقصاها الى اقصاها ، فلم تعد هناك حاجة الى رسل اخر يتلون محمدا صلى الله عليه وسلم . ولم تعد هناك حاجة الى رسالات اخرى ، فدين الله الاسلام هو خاتم الاديان . وهو الشامل لكل زمان ومكان .

قد خاطب الله سبحانه وتعالى امة الاسلام بقوله (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) والاسوة الحسنة انما تكون بالعمل الصالح ، ولو نظرنا إلى واقع المسلمين لوجدنا البون شاسعا فيما بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ..

لقد تركنا الرسول صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، ولكن الاهواء والفتن والالحاد والكفر يحاول ان يقتحم علينا حصوننا ، وينال من عقيدتنا . وكم حذرنا الله تعالى فقال (**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين معه بأنهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) فاذا بواقع المسلمين يقلب الاية رأسا على عقب ، فاذا بنا أشداء على أنفسنا رحماء بأعدائنا .. **وبعد ان كانت بلادنا لا تغيب عنها الشمس ، اخذت تأخذ في النقصان عاما من بعد عام .. وبعد ان كانت سيوفنا موجهة الى اعدائنا اصبحت سيوفنا موجهة الى صدورنا ، واصبح بأسنا بيننا ، ونحن امة واحدة . ربنا واحد وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة** . (**وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون**) .

لقد كانت لنا شخصيتنا الاسلامية المستقلة التي تميزها عن بقية الأمم . أمة ذات رسالة ، تحب الخير للناس جميعا ولا تضمر الحقد لأحد .. أمة تعطي أكثر مما تأخذ وتجير ولا تستجير ، وتغيث ولا تستغيث ، وتؤثر في غيرها أكثر مما تتأثر بها ، ويعيش العالم على تراثها ومعارفها . وأصبحنا الآن نستورد كل شيء من أعدائنا وأعداء ديننا . وقد غاب عنا قول الله تبارك وتعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

أيها الاخوة ، إنني أدعو المسلمين أن يكونوا على مستوى القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا ، وأفرادا وجماعات ، وأن يجعلوا من هذه الذكرى الطيبة منطلقا إلى استعادة شخصيتهم المستقلة المتميزة ، وتاريخهم الحافل بالبطولات والأمجاد ، وأمتهم الوسط .

إنني أدعو المسلمين إلى نبذ الخلاف ، وإلقاء السلاح فيما بينهم ، والاعتصام بحبل الله ، وأذكرهم بقوله سبحانه (**إنما المؤمنون إخوة**) ، وبقوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)

أدعو المسلمين إلى **أن يوفروا الدماء لأنفسهم ، ويوجهوا السلاح إلى عدوهم الذي يعمل على إذلالهم ، وابتلاع أرضهم ، وتوهين قواهم** .

أدعو المسلمين إلى العلم النافع ، والعمل الصالح ، والجهاد الحق ، حتى يتحول ميزان الحياة إلى صالحنا ، ويصحو ضمير العالم بقضيتنا ، ونواجه بكل قوة التحديات التي تريد القضاء علينا .

وعندئذ نكون قد أرضينا ربنا ، وأرضينا رسولنا ، ونكون قد اقتدينا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا ، وأن يأخذ بنواصيهم إلى الخير ، وأن يحفظ بلادنا من كل سوء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

من أسس الحياة العزيزة

الحرية ، والوحدة ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، من الركائز الأساسية التي أقام الاسلام عليها الحياة الكريمة للأمة الاسلامية .

فالحرية للانسان كالغذاء والهواء والماء ، لا يمكن أن يعيش بغيرها ، ولا أن يحيا بدونها . وهي في الاسلام لا يعني بها اتباع الشهوات ، وانطلاق النزوات دون ضابط . فهذه بهيمية تحرم الانسان انسانيته ، وتدخله في عالم الحيوان . ولا يعني بها بلبلة الافكار وإثارة

الفتن ، فهذه فوضى تقوض دعائم المجتمع ، وتشرد به عن نطاق السلوك السوي .. ولا حرية في الاسلام للانانيين الذين يحبسون الحق المعلوم الذي فرضه الله في أموالهم للسائل والمحروم ، ولا للمعتدين على الحرمات ولا لدعاة التحلل والاباحية ، ولا لرواد التبعية للأمم غير المسلمة ، فان المجتمع الاسلامي له الحق كل الحق في المحافظة على كيانه ووجوده ، وله الضرب على يد كل من يحاول تدنيسه او الابتعاد به عن طريق الاستغلال والسيادة والطهر والنظافة .

وإنما يعني بالحرية في الاسلام خلاص الانسان من كل سيطرة تتحكم في تفكيره الصائب ، أو وجدانه الطاهر ، أو حركته المشروعة ..

فالانسان ـ في الاسلام ـ له الحرية في أن يفكر ويعمل عقله الذي وهبه الله له طريقا للعلم والمعرفة ، وفي أن يعبر عما يجيش في صدره من حق ، او ينتهي اليه تفكيره من صواب ، بالقلم كاتبا ، وباللسان خطيبا او متحدثا ، فقد خلق الله الانسان وعلمه البيان ... وللانسان الحرية في اختيار عقيدته الدينية ، فلا يكره على اتخاذ عقيدة بعينها ، ولا على تغيير دينه بدين آخر ، او العيش بغير دين ، او على تعطيل شعائر دينه ، او غير ذلك مما يقلق الضمير (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).. وله حرية الاجتماع بغيره لمناقشة الآراء ، وتبادل الافكار ، وتكوين الهيئة التي تقوم على اساس احترام مبادىء الاسلام ، وصيانة النظام الشرعي لحياة الأمة ، والتعاون على البر والتقوى ..

وله الحرية في كسب عيشه من طريق حلال ليكفي نفسه واهله ، ويعود بالعطاء على قرابته وجيرانه . فلا يجوز ان يغلق عليه باب العمل رأسا ، او يضيق عليه الخناق في تدبير امر رزقه حتى يعمل في غير اختصاصه ، او فيما لا يلائمه .. ولا يجوز ان يفصل من عمله عدوانا وطغيانا .. وله الحرية ـ داخل مسكنه ـ فلا يقتحم عليه بغير اذنه ، وله الحق في صيانة نفسه وعرضه وماله ، فلا يجوز ازهاق روحه بغير حق ، ولا يجوز تعذيبه او ايذاؤه الا في عقوبة شرعية قامت ادلتها وانتفت شبهاتها ، ولا يصح العدوان على مال جمعه من حلال ، ولم ينفقه في باطل ، ولم يبخل به على حق .

والوحدة بين المؤمنين على الحق مصدر قوة قاهرة لأعداء الاسلام ، وهي من صنع الله العزيز الحكيم ، قررها القرآن ، واكدها الايمان ،

ونطق بها تاريخ الامة الاسلامية واشتراكها في المصالح والآلام : (إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاتقون).

والدعوة الى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة دعوة خير ، تنير للانسانية طريق العدل والانصاف والرحمة .. طريق العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والمعاملة الشريفة والاخلاق السامية والهمة العالية التي تأبى الضيم وترفض الذل : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

وجود هذه الأسس في الامة حية نابضة مطبقة نافذة ، هو من سبيل حياة الامة وعزتها وكرامتها .. ومن ثم كان من واجب المؤمنين ان يصونوها ، وان يحفظوها فاذا ما اعتدى عليها معتد جاهدوا في سبيلها لانها حق مقدس للمسلمين فمن حق المسلمين أن يعيشوا أحرارا لا يستعبدون ، وان يعيشوا مترابطين متوحدين لا يتفككون ولا يتمزقون بيد الأهواء والمطامع ، وان يخلو لهم السبيل في رقعة العالم الفسيحة ليقولوا كلمتهم ، وينشروا رسالتهم ، ويسهموا في تشييد صرح الانسانية على الحق والعدل .

إننا نحن المسلمين بعد الهوان الذي اصابنا على يد الصهيونية والقوى التي تساندها يجب ان تكون لنا من الاحداث عبرة ، وان نعود الى اسلامنا نهتدي بهدايته ونطبق احكامه ، لندرك ادراكا عميقا .. ان الحرية لا يسكت على ضياعها مؤمن مهما بلغ الطغيان .

وان الوحدة يجب ان تقوم بين المسلمين مهما بلغت وسائل الدس والوقيعة وان الدعوة الى الله لا بد ان تمضي الى اهدافها دون توقف ولا تردد .

وانه لا بد من تنفيذ امر الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) وأن نصر الله للمؤمنين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم).. (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ونسأل الله تعالى التوفيق والنصر .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

روح اليسر

شرع الله تعالى للناس أنظمة محددة المعالم. مضبوطة القواعد، واضحة الاهداف وضمنها روح اليسر، واودع في تضاعيفها معاني التخفيف ورفع الحرج. رحمة بالناس، ورفقا بهم، وتسهيلا لرحلة الحياة عليهم، لانهم اضعف من ان يكابدوها بدون تلطف، واعجز من ان يتحملوا تكاليفها بدون ترخص او اسماح. ومن أجل ذلك كانت الامور الاجتهادية في اطار الشريعة السمحة لا عقوبة فيها ولا مؤاخذة عليها لو اخطأ المجتهد اصابة هدفه، او التبس عليه سبيل قصده. مادام قد بذل في اجتهاده غاية وسعه، ولم يدخر في اصابة الحق طاقته وجهده، وصار من معالم هذا الدين (**ان من اجتهد فاصاب فله اجران، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد**) اذ ان العلم الحقيقي لوجه الصواب والخطأ من خصائص علام الغيوب. فالمسائل الاجتهادية بالنسبة الى المكلفين - امور نسبية. اذ لم يرد في خصوصها نص قاطع او بيان حاسم. فما كان صوابا ومصلحة عند قوم قد يكون مفسدة ومضرة عند آخرين. ويكفي في مجال الاجتهاد ان يتأرجح الصواب والخطأ امام انظار من نثق بعلمهم، ونطمئن الى احكامهم من ذوي الفقاهة البينة، والعلم الغزير، والافق الواسع ثم يترجح بعد طول النظر واحد منهما وهذا ما دعا كثيرا

في الإسلام

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

من الفقهاء الى الخوض في المسائل الاجتهادية بقدم ثابتة وروح وثاب يواكب حركة الحياة المتجددة ، ولا يوقف عجلة الفقه الاسلامي التي يجب الا تتوقف عن دورانها واندفاعها مهما كانت الظروف والملابسات ، ولم يستجيبوا لدعاة التهيب والاحجام خوفا من اتهام شريعة الله الخالدة بالعي والقصور ، والفقر العلمي والافلاس الحركي ، فمثل هؤلاء المتهيبين يجب ان ترد اليهم آراؤهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع من نذر ان يصوم لله تعالى قائما ضاحيا تحت وطأة الشمس الحارقة ، وبين لفح الهجير الملتهب . قال مالك رضي الله عنه في هذا الصائم : امره

الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتم ما كان لله طاعة ، ونهاه عما كان لله معصية ، لان الله تعالى لم يضع تعذيب النفوس وايلامها البالغ سببا للتقرب اليه ، والتحبب له . فالشريعة بجوهرها الاصيل تشتمل على عناصر التسامح والتيسير ، وتزخر بمقومات الخفة والسهولة . بل هي ارفق باهلها من أهلها ، وارحم بأبنائها من آصرة قرباها . كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالي : (**واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم**) الحجرات / ٧ وفي

الحـديث الصحيـح : (عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتي تملوا) رواه الطبراني وفي حديث قيام رمضان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اما بعد فانه لم يخف علي امركم ولكني خشيت ان تفرض عليكم « صـلاة الليـل » فتعجـزوا عنها) رواه البخاري وفي حديث انس رضي الله عنه : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين .. فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : حبـل لزينب تصـلي ، فاذا كسلت .. او فتـرت امسكت به .. فقـال : حلـوه .. ليصـل احـدكم نشاطه ، فاذا كسل او فتر قعد » رواه ابن ماجة وفي حديث معاذ رضي الله عنه حين اطال بالناس الصلاة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أفتان انت يا معاذ »؟ رواه احمد . وفي رواية البخاري : « انه قال ذلك ثلاثا لمعاذ .. وقال له : فلولا صليت بسبح اسـم ربـك الاعـلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى ، فانه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة » وكان الشاكي للرسول صلى الله عليه وسلم من معاذ رجلا مغتربا أقبل بناضحين (اي جملين) له ، وقد جنح الليل للمغيب ، فوافق معاذا يصلي ، فترك ناضحيه وانخرط مع معاذ في الصلاة ، فقرأ معاذ سورتي البقرة والنساء ، فلما انصرف الرجل ذهب يشكو وقد روي في هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان منكم منفرين .. فأيكم صلى بالناس فليتجوز فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة) رواه الدارمي وفي مقام اخر : (نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوصال) رواه البخاري . اي الصوم الذي يستغرق فحمة الليل وسحابة النهار بامساكه المتواصل . رحمة ورأفة بأمته . بعد ان بين لهم ان هذا وان كان يليق بذاته الشريفة لانه من خصائصه التي لم يؤذن بالقدوة فيها ولا المشاركة لها .. فانه لا يلائم سائر الامة لما فيه من تحميل النفس فوق وسعها ، والهدف من هذا وامثاله بسط اسباب الراحة والسعة امام المكلفين ليجدوا في جنبات الشريعة وبين اكنافها بغيتهم من اليسر العمـلي ، والامن النفسي ، والحلول السهلة لمشاكل حياتهم ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » رواه احمد وفي الحديث الشريف : « اني لاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي » رواه ابن ماجه

والاطار الذي يحدد الشريعة ، ويضم بـين جوانبـه كل ابعـادها واعماقها هو وسع الانسان وطاقته . وما خرج عن هذا الاطار من الحرج والمشقة الزائدة عن المعتاد فهو ساقط غير مطلوب ، شاذ غير مرغوب . ولذا اذنت في تفسير الفاظها ، وتأويـل معانيها في ضوء الممكن من الاعمال ، والميسور من الاقوال . ففي قـوله تعـالى : (**ولا تمـوتن الا وانتم مسلمـون**) ال عمـران /١٠٢ لا يتوجه الطلب بالاسلام الى حال الموت

لانه غير ممكن ، وانما الى ما قبل ذلك من فسحة العمر التي تؤدي حتما الى الموت ، والنهي عن الغضب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه : (لا تغضب) رواه البخاري ليس نهيا عن الغريزة الغضبية في حد ذاتها لانها من الفطرة التي لا فكاك عنها ، وانما نهى عما يستتبعها وما يلابسها من آثار وخيمة واعمال طائشة ، وهكذا صار من شعارات الاسلام (الحرج مرفوع) .. (ولا تكليف الا بما يطاق) ، والقرآن الكريم يؤيد هذا ويزكيه ، ويدعمه بآياته وينميه . بقوله تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » **البقرة / ١٨٥ وقوله** : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ وروت عائشة رضي الله عنها : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ، ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان ابعد الناس منه) رواه البخاري وظهر على أفق الشريعة كنتيجة لروح اليسر التي سرت في اوصالها سريان الماء في العود الاخضر ، او سريان الضوء في الشعاع الاحمر ـ الرخص الشرعية التي نصت عليها الشريعة ، والحيل الشرعية التي تمخض عنها فقه الفقهاء ، وهي متعددة الوجوه ، متنوعة الرؤى : فهناك رخصة السلم اي بيع المجهول لان الاصل في شرعية البيع ان يلاقي عينا ، وفي السلم سقط هذا الاعتبار حتى لم يبق قيام المبيع فعلا وقت العقد في السلم مشروعا ولا عزيمة ويكفي تعيين وصفه ومقداره رحمة بالمتعاملين . ومثل ذلك الرخصة في شرب الخمر او اكل الميتة للمضطر الى ذلك ، ومن ذلك الرخصة التي انعم الله بها على امة محمد صلى الله عليه وسلم برفع ما كان واجبا على الامم السابقة وذلك : كقرض موضع النجاسة من الثوب والجلد ، واداء ربع المال زكاة ، وقتل النفس لكفارة الخطيئة ، وجعل القصاص عقوبة للقتل العمد والخطأ ، واحراق الغنائم ، وتحريم اكل العروق التي في اللحم ، وتحريم الصيد في يوم السبت ، وتحريم الطيبات بالذنوب ، واشتراط الماء وحده للطهارة من الجنابة والحدث وكون الصلوات اكثر من خمس ، واشتراط ادائها في خصوص المسجد ، وحرمة الجماع في ليالي الصيام بعد العتمة ، وحرمة الأكل فيها بعد النوم من الليل . كل هذا رفع تيسيرا ورحمة ومن ذلك اباحة الفطر في نهار رمضان للسفر والمرض ، واجراء كلمة الكفر على لسان المكره بالقتل او القطع مع اطمئنان قلبه بالاسلام بالايمان

وهكذا لا تكاد تمر بقطاع من قطاعات الفقه الاسلامي ، ولا حقل من حقول الشريعة المتنوعة الا وجدت به واحة وارفة الظل . طيبة النسيم تمثل جانب اليسر والسماحة في هذا الدين المتين الذي جعل البسملة على رأس كل عمل من اعماله ، وقول من اقواله ومحورها الاساسي الرحمة في وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم .

عزة المؤمن

للدكتور / محمود محمد عمارة

اذا كان الاسلام دين الوفاء ودين الاخاء .. واذا كان هو بحق دين المروءة والاخلاص .. فلأنه دين العزة الباعثة على ذلك وعلى أمثالـه من فضائل الانسان . هذا الانسان الذي يستمد عزته من شريعة تحرر ارادته من التبعية لغير الله ..

حتى في اللحظة التي يطيع فيها فردا مثله . فانما يطيعه التزاما بأمر الله تعالى .. الذي أكرمه بدين يعمق فيه معنى الاباء بما شرع من آداب وسن من سنن :

بالمساواة .. من غير نظر الى نسب ولا نشب .

بالزكاة عند الفقر حقا مكتسبا .. ومعلوما .. بلا مَنٍّ ولا أذى ..

بتحريم الربا الجانح بالنفوس الى الهوان ..

بسداد الدين عن المدين حقا في عنق الدولة .. تحمي به سمعة الميت في قبره من القيل والقال .. بقدر ما تصون كرامة الورثة أيضا ! وذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم » : فمن مات وعليه دين . ولم يترك وفاء . فعلينا قضاؤه » رواه البخاري .

فالمفروض في المسلم أنه عامل .. ليواجه بثمرة عمله مفاجآت المستقبل . فاذا تورط في دين .. فعليه قضاؤه .. وقاية لنفسه من التبعية لغيره .. وابقاء على مشاعر الاعتزاز بالله راسخة في كيانه .. فاذا أعجزته الحيل .. وكانت الظروف أكبر من طاقته . فان الاسلام لا يتخلى عنه .. بل يفرض له « معاشا » فوريا .. لا يصون به البطون من الجوع .. بل

يحمي الكرامة من الضياع أيضا !
ان واديا من الماس .. ومثله معه .. لأهون في تقدير المسلم من أن يبادل عليه بذرة من كرامته ..
وحتى تبقى مشاعر العزة حية متجددة .. شرع الحق تبارك وتعالى الأذان على مدار اليوم كله .. مفتتحا بهذا الشعار الخالد :

الله أكبر ..

لينتزعك به من دوامة الحياة .. وقبل أن تستبد بك أطماع الغنى والجاه .. لتعلم دائما أن الله أكبر من المال .. ومن الناس .. ومن المنصب .. فابق كريما ولا تبع كرامتك .. ولا تساوم عليها في معترك العيش !
والمسلم بهذا المعنى هو ما صوره الشاعر اقبال حين قال :

ليس يدنو الخوف منه ابدا
ليس غير الله يخشى أحدا
لحنه في القلب نارا أشعلا
من قيود الزوج والولد خلا
معرض عما سوى الله الأحد
يضع السكين في حلق الولد

والمسلم هنا كهذا الصقر المحلق في الأجواء العالية .. يرسم للآباء صورة حية :

قلت للصقر وهو في الجو عال
اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر في جناحي وعزمي
وعنان السماء .. مرعى خصيب !

ان الصقر يعلِّم الانسان معنى السمو .. ليعلو بهمته .. فوق الخنوع وجواذب الأرض ..
و .. كل داء في سقوط الهمم !

معنى العزة ومجالاتها :

يقول الدكتور محمد سعاد جلال :
« العزة هي : سلامة النفس من الضعف والمهانة . وامتناع جانبها من الاقتحام والتسلط .
وهي صفة فطرية غالبا . منشؤها المعرفة بكرامة الانسان . وترجيح وزن هذه الكرامة على المنافع المادية . اذا قوبلت بها . وصاحبها إما أن يكون في مركز القوة من السلطة والبأس . أو مركز الضعف من الفقر وانعدام العصبية .
فاذا كان في مركز القوة : تعفف عن الصغار ومحقرات الأمور . ورفض المساومة على الشرف والكرامة .. وكل القيم الشريفة التي تنعكس على مرآتها كرامة الانسان .. وبذل من دون ذلك كل سلطانه وبأسه .
وان كان في مركز الضعف : استعصم بشرف الحق . وشرف الانسان ورفض أن يستجيب لأسباب ضعفه . مهما يحاول الناس أن ينزلوه على حكمها .
واحتمل من دون ذلك كل المظالم . والآلام التي تمثل في احساسه هرما يستوى على قمته ليرى عبدة المنافع في أسفله صغارا .

وأعظم أسباب العزة : التربية

الاسلامية . والعقيدة الاسلامية التي أقنعت العربي المسلم . الذي كان يرقع ثوبه . ويخصف نعله . ويتبلغ بالثمرات الجافة .. إنه بالاسلام سيد الأرض ومن عليها .

وصدق الله العظيم اذ يقول : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون / ٨ .

أجل لا يعلم المنافقون ذلك .. لأن باطنهم الخواء من معاني الخير أفقدهم حاسة التمييز .. وحرمهم القلب البصير بعواقب الأمور .. في الوقت الذي يحقق المسلم ذاته بعزته المشتقة من ايمانه بربه وتوكله عليه .. وما يثمره ذلك من بصيرة نافذة الى عمق الناس والاحداث .

وانهم بهذه البصيرة لقادرون على تذوق أدق وأخفى ما في الدنيا من جمال روحي .. هو أغلى من الأرض ومن عليها .. ومهما حاول المنافقون ستر خوائهم الروحي بشارات لها بريق خداع . فانهم ساقطون في الدرك الأسفل في الدنيا قبل أن يحتويهم في الآخرة .

ساقطون .. في نظر أنفسهم على الأقل .. « وكم من عزيز في رأى الناس هو في ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه . بما يجد من رهبة أو رغبة . عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه . من عدو ينافقه . أو رئيس يمالقه . أو صديق يحابيه » . .

ملامح المنهج الاسلامي :

وللاسلام منهجه الراشد في غرس فضيلة العزة في وجدان المسلم ليستقر ويستمر :

● – فقد فرض الجهاد علينا ثورة دائمة .. لا نمكّن بها عدوا من التحكم في رقابنا .

● – بنى كثيرا من أحكامه على تأكيد عزة المؤمن فمنحه بذلك راحة الضمير من ألم الهوان .. بقدر ما يفرض احترامه على من حوله .. فاذا ما اشتد الحرص على العزة قويت روح المقاومة في الأمة فتأبت على الاستسلام الغاصب .. وسلم لها دينها الذي يبقى معها دافعا الى التقدم والازدهار .

ومما ذهب اليه العلماء في هذا الباب : أن المسافر يقبل هبة الماء .. ولا يتيمم .. اذ لا يمتن بمقدار الوضوء عادة .

وفي نفس الوقت لا يلزمه العلماء بقبول ثمن الماء .. وأجازوا له التيمم .. اذا كان في هبة الثمن منه .. والمنة تورث شيئا من الذلة !

وعن هذا المعنى السامي يقول اقبال :

الارض ميدان البلابل للترنم والغناء
والقبة الزرقاء ميداني الى غير انتهاء
انا سائر بين الصخور وموطني عرش الهواء
لا يبتنى الشاهين وكرا .. ان موطنه السماء !

وهو الاباء المانع حتى من الشكوى . والذي كان سمة بارزة للأباة الأعزاء يصـونون بـه أنفسهم من مواقف الاستجداء ، وفي ذلك يقول أحدهم :

لست اشكو منك فالشكوى عذاب الأبرياء
وهى قيد ترسف العزة فيه والاباء
انا لا أشكو ففي الشكوى انحناء
وانا نبض عروقي كبرياء

وحين شكا رجل لآخر فاقته قيل له : تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟ ! وعندما أعد حاتم الطائي وليمـة لأمراء العـرب .. ذهب الى البادية فرأى اعرابيـا فدعـاه الى وليمته ـ فرفض قائلا :

لا أحمل منّة من حاتم !!

هذه المنّة الذاهبة بعزة الانسان بما تحمله من خيلاء وتسلط .. والتي تذهب بآثار المعروف بين الناس على نحو ما روى عن ابن سيرين وقد سمع رجلا يحدث عن آخر بأنه فعل له كذا وكذا فقال :

اسكت فـلا خير في المعـروف إذا أحصى .

إن احصاء المعروف يعني احبـاط مضمونه الاجتماعي .. فهو دلالة على فـرط احسـاس المعطى بـذاتهـ وبجميله .. على صورة لا تسمح بالود والتآخي .. وسوف يكون رد الفعل في قلب الآخذ حقدا أن حرمته الأقدار من فرصة الاعطاء . بقدر ما يشكل نوعا من التسلط يميت الاباء في صدور الآخذين .. وخير من هذا أن تكف يدك .. وصدق الله العظيم اذ يقول :

(قول معروف ومغفـرة خير من صـدقة يتبعهـا أذى) البقرة / ٢٦٣ .

ج ـ ردم منابع الذلة :

والاسلام ـ وهو شـريعة العليم الخبير ـ يعلم أن الذلة تأتي من منابع في كيان الانسان .. ومن ثم يحمل الانسـان على ردمهـا .. فرارا من أوضارها .

★ ـ الخوف من الموت
★ ـ الخوف على الرزق
★ ـ الخوف من الغير

أما الخوف من الموت فلا داعي له .. لأن الآجال بيد الله : **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون سـاعة ولا يستقدمون)** النحل / ٦١ .

وفيما يتعلق بالرزق ـ فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها المقدَّر لها .. وما على الانسان الا أن يطلبه بعزة النفس . ونقرأ في هذا المعنى قوله تعالى : **(وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)** الذاريات / ٢٢ و ٢٣ .

ولأهمية القضية يقسم سبحانه وتعالى على حقيتها .. مؤكدا أن الرزق في السماء .. يعنى في مقام أمين .. محفوظا هنـاك بعيدا عن متنـاول العابثين به .. المدعين حق التصرف فيه .. واذن .. فمن أذل نفسه من

أجل الرزق يحصل عليه فهو آثم في حق ربه .

يقول صلى الله عليه وسلم : « من تضعضع لغنى . لينال مما في يديه اسخط الله » إن لك رزقا عند مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه .. فاطلبه منه .. واذا كان سبحانه قد أجرى الخير على أيدي عباده . فاطلبه ولكن بعزة النفس .. مع العلم بأن رزقك نفسه يطلبك أنت . ويسعى من ورائك .. مما يطامن من الحاحك في طلبه .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » رواه الطبراني . فاذا ارتفع المسلم الى هذا المستوى .. كان موحدا حقا .. توحيدا يحرره من التبعية لغيره .. وما تثمره هذه التبعية من هوان .

يقول ابن القيم :

يا من الوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما احاذره
لا يجبر الناس عظما انت كاسره
ولا يهيضون عظما انت جابره

وإذن .. فليس هناك سبب للخوف من البشر العاجزين عن أن ينفعوك .. وعن أن يضروك .. الا بما كتب الله لك أو عليك ..(**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**) فاطر / ٢ .

من توجيهات النبوة :

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا المعنى : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ليس من عمل يقرب من الجنة إلا أمرتكم به . ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه . فلا يستبطئن أحد منكم رزقه . فإن جبريل ألقى في روعى : أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه :
فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب . فان استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فان الله لا ينال فضله بمعصيته » رواه الحاكم .
أي أن رزقك آت لا ريب فيه .. وقد يتأخر قليلا أو كثيرا واذن .. فلا مانع من طلبه .. شريطة أن تكون متجملا في هذا الطلب .. وإلا .. فإن الابتذال في السؤال .. وإن أكسبك قليلا من المال .. إلا أنه سيكلفك من كرامتك ما لا يسترد أبدا !

وخير من هذا كله أن ترضى .. فان القناعة كنز لا يفنى .. من حيث كانت لونا من الاعتزاز بالنفس يقف بك في مقام أمين عالي الجبهة .. لا تحمل مِنّة من أحد .

د ـ التحذير من المسألة :

وقبل أن يذل السؤال أعناق الرجال .. فإن توجيهات الاسلام تصونك من الزلل .. بعدأ بك عن مضاعفات المسألة .. ان الاسلام لا

يسمح بالمسألة .. إلا في أضيق الحدود .. وطبق قواعد صارمة ..

وعندما سأل حكيم بن حزام يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لفت نظره الى خطورة هذا المسلك على ايمان المسلم ..
وقد وعى حكيم رضى الله عنه الدرس ... وحرم على نفسه السؤال ..
وبلغت حساسيته حدا حمله على رفض أن يأخذ حتى حقه ورعا ! .
مما دعا أبا بكر الى المناداة في الناس أن لحكيم حقا .. لكنه يأبى أن يأخذه ! .

وهذا بشر بن قبيصة بن الخازن يحكي تجربة من تجاربه في هذا المجال فيقول :
تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال :
« أقم حتى تأتينا الصدقة . فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة : ان المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : تحمل حمالة . فحلت له المسألة حتى يصيبها . ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . أو قال سدادا من عيش .
ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد أصابت فلان فاقة . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش » رواه مسلم وأبو داود والنسائي « والحمالة بفتح الحاء : الدية . أو ما يتحمله للصلح بين المتخاصمين » ٧

فأنت ترى رجلا حملته همته ليقف الى جانب مسلم في محنته .. فدفع ثمن هذه الهمة ما له كله أو جله ..
فلما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم العوض . لم يخيب أمله .. لكنه عليه الصلاة والسلام يتخذها فرصة يضع فيها النقاط على الحروف فرارا بالمسلم من سوء استغلال السؤال بلا ضوابط . مما يؤدي بالانسان الى الهوان .
وقد ضيق الخناق في هذا المجال فلم يبح السؤال إلا في أضيق الحدود وبهذه الشروط الصارمة :
أن يشهد بأحقيته عدد لا يضيع الحق بينهم . ثم هم أصحاب العقول الراجحة التي لا تخطىء الصواب عادة ..
على أن يكونوا من قومه الواقفين على تطورات حياته .. وحتى اذا شهدوا بأحقيته فان ذلك لا يعطيه حق السؤال باطلاق بل انها الضرورة المقدرة بقدرها .. الى أن يقف على قدميه مرة أخرى ليستأنف نشاطه من جديد .

وما كان للاسلام أن يشجعه ليحصل على ثروة بلا تعب ثم يسمح لكرامته أن تذهب في نفس الوقت .. بينما هي أغلى الثروتين !

وضياع الكرامة نتيجة لاستمراء هذا المسلك السهل . هو ما حذر منه الحديث بشدة في قوله صلى الله عليه وسلم :
« لو يعلمون ما في المسألة ما مشى أحد

الى أحـد يسألـه » رواه النسائي والطبراني في الكبير .

والذين يمشون اليها مع هذا . فانما يلتقطون الجمر كما أشار الى ذلك حديث آخر .

ان المال يذهب ويجيء .. والعلم أيضا يذهب ومن السهل أن يعود .

لكن الشـرف اذا ذهب .. فمن العسير أن يعود ! من أجل ذلك يوالي الرسول صلي الله عليه وسلم تحذيره الشديد من المسألة يتجه به الى من يتخذها حرفة .

« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهة مزعة لحـم » رواه البخـاري ومسلـم والنسائي .
قال الخطابي رحمه الله :

يحتمل أن يكون المراد : « يأتي ساقطا لا قدر له . ولا جاه . أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه . لمشاكلة العقـوبة في مـوضع الجنـاية من الأعضـاء . لكـونـه أذل وجهـه بالسؤال » الترغيب والترهيب .

ولما ضُرب ابن حنبل ضربا لو وقع بالفيل لصرخ ، تجمل في إباء ، وحين عُرض عليه المال قال :

هذا أشد علي من السوط !!

إن الضرب القاسي .. وإن سال به الدم .. لكنه لا ينال من الكرامـة المستقرة في القلب .

أما نظرة الاشفاق .. وامتداد اليد بالاحسان ـ فدونها الموت .. ومن هنا كان الحرص عليها حرصا على الحياة ذاتها .. والاعزاء من الناس يجودون بحياتهم .. لتبقى كرامتهم ..

ولقد باع اعرابي ناقته الأثيرة لديه تحت ضغط الحاجة ولما سئل في ذلك أنشد :

وقـد تخرج الحـاجات يـا أم عامـر
كـرائـم مـن رب بـهـن ضنـين

انه يبيع رأس ماله بَيدَ أنه لا يسأل ..

وقد بلغت حساسيتهم هنا حدا كان سوط أحدهم يقع على الأرض فلا يطلب من زميله مناولته على تفاهة الطلب !!

روى مسلم عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمـانية أو سبعـة فقال : « ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فبسطنا أيدينا ـ وكنا حديثي عهد بالمبايعة ـ فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك ؟ قال :

« أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . وتقيموا الصلوات الخمس . وتطيعوا الله » . وأسر كلمة خفية وهي : « ولا تسألوا الناس شيئا » .

قال عبدالرحمن : فرأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه » .

وربما اشتد احتياط العلماء فيما يتعلق بسؤال السلاطين فرارا من الضرر المضاعف والمترتب على التردد على أبوابهم . لما يفرضه من استسلام لا يبقى للمروءة بقية .

قال العتابى : « اذا طلبت حاجة الى ذي سلطان . فأجمل في الطلب اليه . واياك والالحاح عليه . فان الحاحك يجرح عرضك . ويريق ماء وجهك .

فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك . ولعل الالحاح يجمع عليك إخلاق الوجه . وحرمان النجاح . فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب » .

في مجال التطبيق :

حفل التراث الاسلامي بصور نادرة في هذا الباب كان الواجدون فيها عند حسن الظن بهم :

فلم تكن القضية عندهم أن يجودوا بمال يمنع الفقر .. بل كانت بالدرجة الأولى مروءة تمنع الذلة أن تأخذ سبيلها الى قلوب الفاقدين .

في نفس الوقت ـ وبنفس القوة ـ يحفل التاريخ بألوان من التعفف المانع من السؤال .. حتى اذا فرضته الضرورة القصوى لم يكن المسلم ليتخلى عن هذه العفة أبدا اعتزازا بها وأزراء بكل شارة دنيوية لا تساوي ازاءها شيئا .

يقول المتنبي :

ومرادا لنفوس أصغر من
ان نتعادى فيه أو نتفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا

ويقول آخر :

لا تطلب الرزق في الدنيا بمنقصة
فالرزق بالذل خير منه حرمان
المال يمضي وتبقى بعده ابدا
على الفتى منه أوساخ وأدران
ما للفتى في الغنى من ذلة .. عوض
وليس في المال للأعراض اثمان

قال بعض رواة الأدب :

وقف علينا اعرابي ونحن برملة اللوء فقال : رحم الله إمرءاً لم تمجج اذناه كلامي . وقدم معاذه من سوء مقامي . فان البلاد مجدبة . والحال مسغبة . والحياء زاجر . يمنع من كلامكم . والفقر عاذر يدعو الى اخباركم . والدعاء أحد الصدقتين .

فرحم الله امرءاً أمر بمير أو دعا بخير .

فقلت :

ممن أنت يرحمك الله !

فقال : اللهم غفرا .. سوء الاكتساب يمنع من الانتساب !

وهذا الحياء المانع من السؤال الصريح الملحف . قد يحمل صاحبه أحيانا على الطلب في جنح الليل صيانة لماء وجهه الذي لا تبين ملامحه في الظلمة الساترة ! .
حدث العسجدى قال : جاء رجل الى أبي اسحاق الكسائى ليلا فقال : ما جاء بك ؟ قال : ركبني دين ، فقال الكسائى : وكم هو ؟ قال : أربعمائة درهم . فأخرج الكسائى كيسا فأعطاه فلما رجع بكى . فقال له أهله : ما يبكيك ؟ فقال : بكائي اني لم أبحث عن حاله التي ألجأته الى الذل ! أي أن واجب الكسائي لم ينته بإعطاء هذا المبلغ الكبير .. وبهذه السرعة .. بل أن واجبه الأكبر والذي فاته ، هو تقصيره في متابعة أمور حياته ، حتى لا يقف مثل هذا الموقف !

إن دوره الوقائي سابق لدوره العلاجي .. الذي جاء على ضخامته بعد فوات الأوان !

وفي اطار الحفاظ على عزة المؤمن حتى لا تورطه الحاجة في مواقف الذل .. وصيانة لماء وجهه لحظة السؤال نقرأ في حياة علي رضي الله عنه هذه القصة : وقف بين يديه أعرابي فقال : ان لى اليك حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك . فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك .
وان أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك .
فقال علي رضي الله عنه :

« خطَّ حاجتك على الارض . فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابي على الارض : اني فقير .
فقال علي : يا قنبر .. ادفع اليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدات به
فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال على :

يا قنبر : اعطه خمسين دينارا : أما الحلة فلمسألتك . وأما الدنانير فلأدبك !

ان نبل الرجل في رجائه لا يساويه

الا نبل علي في تساميه بمشاعر الرجل حين أعفاه أولا من تحريك فمه بالسؤال ..وقد كانت هذه عادته رضي الله عنه صيانة لماء الوجه . وقد روى عنه أنه كان يقول لأصحابه :

من كانت له اليَّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة ..

وتظهر أبعاد النبل العلوى في تصنيفه للهبات : حيث كانت اجابة الحاجة هدية عينية لا تجرح كرامة الرجل . ولم تكن هي الخمسين دينارا .. وهي صورة مالية ألبق أن تكون جائزة على موهبته الشعرية !!

وقد أخذ بنية بهذا الأدب العالي المقدر لانسانية الانسان : قيل للحسين رضي الله عنه : أن فلانا مدين لرجل قاس · يغلظ له القول . ويسيء معاملته من أجل الدين . فلو رأيت أن تريحه منه ؟ !

وبعد قليل . أقبل المدين . وقبل أن يطلب من الحسين شيئا ، أمر الحسين غلامه باحضار المبلغ الذي يسد الدين .

فقيل للحسين :

هل انتظرت حتى يسألك ؟ فلعله قد قضاه من غيرك .
فقال الامام الحسين :
لو انتظرت حتى يسألني .. لكان قد بذل لي من ماء وجهه ما لا يكفي فيه مال !!

ان شرخا في بناء الكرامة لا يجبر بمال ! ولقد كان رفْقُ الحسين يرجو راحة المدين من الدائن بدفع هذا المال .. ولم يقف الامام الحسين عند هذا السطح .. بل أنه أراح المدين من عذاب الضمير .. ووقاه من شر مستطير حين أنقذ كرامته من براثن غريم ثقيل . وحماه قبل ذلك من ذل السؤال .
وهذه الهمة العالية في تقدير الكرامة الانسانية وقفت ببعض الأعلام موقف التضحية حيث أخذوا نفوسهم بعزائم الامور وقضاء الحاجات الضخمة .. وما رضوا لها أن تشغل بقضاء حوائج تافهة لا تليق بمكانتهم :
جاء في صيد الخاطر لابن الجوزي :
قيل لاحد فحول الرجال :

لنا اليك حويجة « تصغير حاجة »
أي جئناك لتقضيها لنا .. فأبى وقال :: اطلبوا لها رجيلا !!

وبعد :

فلك أن « تعجب من أمة دينها العزة .. ثم تهمله لتصير الى ما صار اليه المسلمون اليوم »
وحاول أن توقظ الرقود قائلا :
اذا لم يكن الايمان مصدر العزَّة .. فماذا يكون ؟ !
وإذا لم يكن المسلم به عزيزا .. فمن يكون ؟ ! .

الشريعة الإسلامية والعلاقات الدولية في السلم والحرب

للمستشار / علي عبداللاه طنطاوي

تعريف :

إن علاقات الدول بعضها ببعض
تحكم في النظم الوضعية الحديثة
بالقانون الدولي العام والقانون الدولي
هو مجموعة القواعد القانونية التي

تحكم علاقة الدول بعضها ببعض ، سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب ، وتنظم علاقة الدول من حيث التمثيل الخارجي والمؤتمرات والمعاهدات ، وتنظم طرق فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية كالمفاوضات والتحكيم ، كما تنظم علاقة الدول المتحاربة مبينة كيفية إعلان الحرب ووسائلها المشروعة .

أحكام الشريعة الاسلامية في هذا المجال :

نظم الاسلام علاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم الأخرى أي الأجنبية عنها ، وقد وردت آيات القرآن الكريم منظمة للمبادىء العامة لهذه القواعد في السلم وفي الحرب ، ونظمت أيضا أحكام المعاهدات ومدى الالتزام بها .

وقد ترك القرآن الكريم تفاصيل هذه المبادىء لاجتهاد العقل البشري مسايرة لظروف الزمان والمكان . هذا وقد أفاض فقهاء الشريعة في كتب السير ، وكتب الجهاد ، وكتب التفسير ، فيما أتى به الاسلام من قواعد تحكم العلاقات بين الدول الاسلامية وغيرها من الدول .

الاسلام دين سلم وحسن الجوار :

زعم بعض المستشرقين أن الاسلام يقوم على القهر والغلبة ، وأن الحرب هي أصل الصلة بين المسلمين وغيرهم ، والسلم لا يكون إلا موقوتا لضرورة قائمة كأن يقوم بالمسلمين ضعف فيتريثوا حتى تجتمع لهم أسباب القوة والغلبة ، فيعاودون الكرة ، أو تكون للمسلمين مصلحة في وقت الحرب لفترة ما [1] .

وغني عن البيان أن هذا القول يجافي الحقيقة ، والواقع ، ذلك أن الدعوة الاسلامية لم تقم على الحديد والنار وإنما سلكت طريقها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقد حرم الاسلام اللجوء إلى القوة لنشر الدين فيقول الحق تبارك **وتعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** النحل / ١٢٥ ، ويقول جل شأنه **(لا إكراه في الدين)** البقرة / ٢٥٦ ، ويقول **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** يونس / ٩٩ ، ويقول عز من قائل **(إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)** التكوير ٢٧ و ٢٨ ، ويقول جلا وعلا (فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) الغاشية / ٢١ و ٢٢ .

وقد سمحت الشريعة الاسلامية للمسلمين بالتعاون مع غيرهم ما لم يحاربوا المسلمين أو يتعرضوا لهم بأذى **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم)** المتحنة / ٨ .والاسلام لا يسمح للمسلمين أن يتدخلوا في شؤون غيرهم من الدول ، فهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في السيادة على أراضيها ، ما لم تعتد على المسلمين أو على من يعتنق

الاسلام فيها ، فان تدخل الدولة الاسلامية عندئذ يكون لمنع الفتنة في الدين(٢) .

والسلم في شريعة الاسلام هو أصل العلاقات الدولية ، فيقول عز وجل (**فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ ، ويقول جل شأنه (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**) الأنفال / ٦١ .

ويقول أيضا وهو خير القائلين (**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة / ٢٠٨ .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قد حضت على السلم ودعت اليه إلا أنها أمرت المسلمين بعدم استجدائه من أعدائهم(**فلا تهنوا و تدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد / ٣٥ ويقول سبحانه : (**هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**) آل عمران / ١١٩ - ١٢٠ .

واذا ثبت للمسلمين أن السلم مع أعدائهم زيف وخداع يجب حينئذ المسارعة بانهائه عملا بقوله عز وجل (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩ .

أسباب الحرب في الاسلام وأحكامها :

لاشك أن غاية الاسلام باعتباره آخر الشرائع والأديان السماوية هو أن يدخل الناس فيه تحريرا لهم من الشرك والضلال ، ووصولا بهم الى نور الوحدانية وطريق الحق والكمال ، (**آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) إبراهيم / ١ ، ويقول (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد**) ابراهيم / ٥٢ .

ومن هنا جاء التكليف من الله عز وجل للمسلمين بدعوة الناس إلى هذا الدين الحنيف ... دعوة لا إكراه فيها ولا تهديد (**إنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**) آل عمران / ٢٠ ، (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية / ٢١ ، ٢٢ ، ولكن إذا حيل بين المسلمين وبين تبليغ دعوتهم وكانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة دون سواها لكي يتم التبليغ فإن الحرب هنا تضحى مشروعة مادامت قد أصبحت هي الوسيلة دون سواها لازالة العوائق من طريق نشر الدعوة .

وهذه الحرب لا تخل ولا توهن من حرية المخاطب بالدعوة فله مطلق الخيار في اعتناق الاسلام ، أو عدم اعتناقه (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف / ٢٩ .

كما أن قتال المسلمين دفاعا عن عقيدتهم اذا ما تعرضوا للفتنة فيها هو أمر واجب ومشروع (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) البقرة / ١٩٣ .

والقتال هنا يعد جهادا في سبيل الله (**أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) التوبة / ٤١ .

ويقول عز وجل ايضا (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان / ٥٢ ، ويقول جل من قائل (**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) الصف / ١٠ ، ١١ .

ويقول جل وعلا (**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة / ١١١ .

واذا كان السلم ـ كما سبق أن بينا ـ هو أصل العلاقات الدولية في الاسلام فان ذلك مشروط بعدم وقوع أي اعتداء على الديار الاسلامية أو فتنة المسلمين في دينهم ، والا فان الحرب هنا تصبح وجوبية دفاعا عن النفس والعقيدة والمال والعرض ، وذلك لقوله عز وجل (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

ونقض العهد من الأعداء أمر مسوغ للقتال (**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة / ١٢ .

والحرب مشروعة في الاسلام اذا قصد منها إغاثة المسلمين المظلومين ما لم يكن هناك عهد يحول دون ذلك (**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**) الانفال / ٧٢ .

ولا يشترط لشرعية الحرب وقوع اعتداء فعلي على المسلمين ، بل قد تكون الحماية من الاعتداء مبررة للحرب ما دام هذا الاعتداء متوقعا وقام الدليل عليه ، فلابد عندئذ من دفع الاعتداء قبل أن يستحيل الدفع ، هذا وقد يتعين الهجوم سبيلا للدفاع[٣] .

وغني عن البيان أن حرب الابادة التي شنتها وتشنها إسرائيل هذه الأيام على المسلمين في لبنان إنما هي اعتداء على النفس والدين والعرض

والمال ، وتوجب على المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا من سباتهم العميق ويقفوا وقفة رجل واحد ، ويسارعوا باتخاذ الاجراءات الحربية اللازمة لوقف هذا العدوان وإزالة آثاره ، وذلك إعمالا لقول الحق تبارك وتعالى (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

وجدير بالذكر أيضا أن الاضطهادات التي تلقاها الأقليات الاسلامية في الهند والحبشة والفلبين وبورما وتايلاند وكمبوديا ، وغيرها من البلاد غير الاسلامية ، توجب على المسلمين حكاما ومحكومين مساعدة هذه الأقليات الاسلامية ونصرتها عملا بقوله عز وجل (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء / ٧٥ .

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) ولقوله أيضا (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

ولا يفوت قادة المسلمين أن غزوة مؤتة هي أول معارك المسلمين في الشام إنما كانت بسبب اعتداء نصارى الشام على من أسلم منهم مما أدى الى قتل بعضهم ، فجهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا لنصرتهم أوكل قيادته الى زيد بن حارثة ، ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبدالله بن رواحة ، فلما استشهد الثلاثة انتدب المسلمون خالد بن الوليد للقيادة .

واذا وجبت الحرب كان إعلانها والانذار بها وتوضيح أسبابها أمرا واجبا على المسلمين (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**) الأنفال / ٥٨ .

وتجدر الاشارة في هذا المقام إلى أن الاسلام قد سبق بهذا المبدأ جميع الأديان والشرائع السماوية والقوانين الوضعية الحديثة في هذا الشأن .

واذا نشبت الحرب فلا نهب ولا تخريب ولا تدمير طبقا لتعاليم الاسلام ، ولا تعرض بأذى للشيوخ والنساء والأطفال والضعاف عموما ، ويبين ذلك جليا من توصية الرسول صلى الله عليه وسلم لقائد جيشه (تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ووبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم ...) .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه العام ، وإنما يضع كوابح وموانع إذا نشبت المعركة ، تحول بين جيش المسلمين وحب الانتقام من العدو أو إذلاله ، فيقول لقائد جيشه ، (انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وعلى هذا المبدأ الرحيم سار المسلمون من بعده عليه الصلاة والسلام ، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قائد جيشه قائلا « إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا ولا تحرقها ، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول عند عقد اللواء لأمير الجند « بسم الله على عون الله أمضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر ، قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا أمرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان ، وفي شن الغارات نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، أبشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

كما حض الاسلام على حقن دماء أفراد العدو الذين يريدون الخروج من صفوف الحرب ، وأجاز لكل مسلم أن يعطي الأمان ويمنحه ، واذا صدر الأمان من أحد المسلمين حقن دم المحارب ، ولا يعد مستسلما ولا أسيرا وإنما يعد من أهل الذمة ، لقوله صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

ولا يستطيع الحاكم المسلم أو قائد الجيش أن يلغي عقد الأمان الذي أعطاه أحد تابعيه ، ويروى في هذا الشأن أن أبا عبيدة بن مسعود الثقفي - أمير الجيوش في العراق - حينما هزم جيش فارس في موقعة النمارق أتوا إليه بأحد قادة فارس أسيرا ، فأشار لبعض المسلمين بقتله ، ولكنه أخبر أن هذا الأسير أخذ الأمان بالخدعة ممن أخذه أسيرا ، فقال قائد الجيش إني أخاف الله أن أقتله لأن أحد المسلمين قد أعطى له أمانا .

ويتعين على المسلم الوفاء بما أعطى من عهد أمان حتى لو كان ذلك عن طريق الاشارة ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار إلى السماء بأصابعه لمشرك ثم نزل إليه على ذلك فقتله لقتلته به »(٤) .

وقد نظمت الشريعة علاقة المسلمين برعايا الدولة المحاربة المقيمين في الديار الاسلامية ، فأمرت بحمايتهم وصيانة أرواحهم وأموالهم .

وقد أجاز جمهور الفقهاء الاتجار مع رعايا الدولة المحاربة فيما عدا أدوات الحرب والحديد وخالفهم في ذلك الشافعي ، واستند الجمهور في ذلك إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى أبا سفيان تمر عجوة وبعث إليه بخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين تولاهم القحط(٥) .

الاسلام وحق تقرير المصير :

وبعد الانتصار في الحرب منعت الشريعة التحكم في الدول المنهزمة ،

أو انتزاع ممتلكاتها ، فها هو ثاني الخلفاء الراشدين يبقي الأرض الزراعية في أيدي أصحابها ويفرض عليهم ضريبة الخراج .

كما سمحت الشريعة للشعوب بحق تقرير مصيرها ، فقواد المسلمين كانوا يخيرون الدول قبل القتال بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فان اختاروا العهد كان الوفاء واجبا ، وإن اختاروا القتال كان بسبب ما اختاروا .

وتقرير المصير كان يثبت ايضا في ميدان القتال وحتى بعد النصر أيضا ، ويروى في هذا الشأن أن قتيبة ابن مسلم الباهلي فتح بعض أقاليم سمرقند من غير أن يخير أهله بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فشكا أهل هذا الاقليم إلى عمر بن العزيز رضي الله عنه أن قتيبة قاتلهم قبل أن يخيرهم هذا التخيير ليقرروا مصيرهم ، فأرسل الخليفة إلى القاضي ليستمع إلى هذه الشكوى ويحققها ، فتبين للقاضي صحتها ، فأصدر أمره إلى جند المسلمين بأن يخروجوا من البلد الذي فتحوه ويعودوا إلى ثكناتهم ، ثم خير أهل هذا الاقليم ليقرروا مصيرهم فاختاروا العهد ، ومنهم من اختار الاسلام الذي سمح بهذا التخيير بعد الفتح والانتصار(٦) .

حكم الأسرى في الاسلام وحكم الرسل :

أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى ، والحرص على أرواحهم والمحافظة على كرامتهم ، وجعل من إطعامهم قربة لله « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » الانسان / ٨ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيرا » ويقول عليه الصلاة والسلام « ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب » .

ولقد حرم الاسلام تعذيب الأسرى حتى ولو كان تعذيبا نفسيا ، فقد روي أن بلالا رضي الله عنه وقعت في يده امرأتان يهوديتان أثناء احدى المعارك ، فأسرهما واقتادهما للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأثناء سيرهما مرتا على قتيلين من قومهما ، فأجهشت احداهما بالبكاء ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بلالا قائلا « هل نزعت منك الرحمة يا بلال أن تمر بامرأتين على قتلاهما » .

وقد ترك الاسلام للحاكم أمر التصرف في هؤلاء الأسرى ، بما يتفق ومصلحة المسلمين ، فله حق اطلاق سراحهم بفدية مالية ، أو مبادلتهم بأسرى المسلمين (**فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد / ٤ ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الجرحى في الحرب أو تشويه جثث القتلى وإنما أمر بدفنهم ونهى عن إلقائها للوحوش أو الطيور .

هذه هي أحكام الاسلام السمحة

حتى في ميدان القتال ، وقد التزم بها المسلمون على مر العصور ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نقض الروم عهدهم مع المسلمين ، وفي يد المسلمين رهائن منهم فامتنع المسلمون عن قتل رهائن الروم ، وأطلقوا سراحهم ، وقالوا « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » .

وفيما يسمى بالعصور الوسطى عندما أسر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي عددا ضخما من أفراد الجيوش الصليبية ولم يجد طعاما يكفيهم كان عليه أن يختار بين موتهم جوعا أو إطلاق سراحهم ، فأوحت إليه فضيلة الاسلام بإطلاق سراحهم ، غير أنهم كونوا من بينهم - بعد إطلاق سراحهم - جيشا يقاتله ، فقتلهم في الميدان محاربين وأبت عليه أحكام دينه أن يقتلهم أسرى جائعين ، وكان هذا في الوقت الذي قتل فيه ريتشارد قائد الانجليز في الحروب الصليبية ثلاثة آلاف أسير مسلم سلموا أنفسهم إليه بعد أن أعطاهم عهدا يحقن دماءهم ، مما دفع جوستاف لوبون إلى القول « بأن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من المسلمين »(٧) .

ويقول هيشيل دي ثوب أستاذ القانون الدولي بلاهاي « إن إعلان الحرب مبدأ إسلامي ، والرحمة بالمحاربين وتجنيب غير المحاربين من النساء والأطفال والزراع والشيوخ ويلات الحروب وعدم تخريب أملاك العدو ، كل هذه قواعد إسلامية أثرت في القانون الدولي(٨) .

وكما أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى أمر بحسن معاملة الرسل ، وتأمينهم فلا خوف على أنفسهم ولا أموالهم والرسل هم الذين يسمون في لغة العصر الحديث بالدبلوماسيين .

والرسول عليه الصلاة والسلام هو أول من استعان بالرسل في الاسلام ، إذ بعث بهم إلى مصر وفارس وبيزنطة والحبشة وغيرها . وكتب السير تروي لنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشجاع بن وهب الأسدي إلى شمر ابن الحارث ملك الغساسنة بالشام ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى بعمان ودحية الكلبي إلى قيصر الروم ، وعمرو بن أمية إلى النجاشي بالحبشة ، وعبدالله ابن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أمير أهل البحرين .. وقد زود الرسول صلوات الله وسلامه عليه هؤلاء الرسل بكتب تؤيد صحة وفادتهم منه ، كما توضح الغرض منها .

وكان رسل المسلمين يحترمون عادات وتقاليد الدول التي يوفدون لها ، ما لم تتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية كالسجود للملوك مثلا .

ومن جهة أخرى عرف الاسلام منذ بداية إشراقه نظام استقبال السفراء - الرسل - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبلهم في مسجده بالمدينة المنورة ، وكان وأصحابه يلبسون أحسن الثياب عند استقبالهم

الوفود والرسل(٩) .

وتأمين الرسل ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله عز وجل **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)** التوبة / ٦ .

وأما السنة فيروى أن مسيلمة الكذاب أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم رسولين قال لهما النبي أتشهدان أني رسول الله ؟ فقالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال النبي عليه الصلاة والسلام : آمنت بالله ، لو كنت قاتلا رسلا لقتلتكما .

المعاهدات في الاسلام :

حض الاسلام المسلمين على احترام معاهداتهم ومواثيقهم ، ونهى عن الغش في إبرام المعاهدات أو نقضها حتى ولو كان في نقضها نصر للمسلمين فيقول الله عز وجل **(والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)** الأنفال / ٧٢ ، ويقول **(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)** التوبة / ٤ .

وقد روى أن حذيفة بن اليمان خرج وابو حسيل يريدان الاشتراك في معركة بدر ، فأخذتهم قريش وقالت لهما تريدان محمدا ؟ فقالا : لا نريد سوى المدينة ، فأخذوا عليهما عهدا بألا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتوجها للنبي وأخبراه بما حدث فقال عليه الصلاة والسلام « انصرفا نفي بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

وحدث أيضا أن اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش في صلح الحديبية أن من يخرج إليه مسلما يرده إليهم ومن يخرج من عند المسلمين مرتدا لا يردوه للمسلمين ، وقد روي أن أبا جندل سهيل بن عمر توجه للنبي صلى الله عليه وسلم مسلما فرده عليه الصلاة والسلام فصار أبو جندل ينادي : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ فقال له النبي : اصبر يا أبا جندل واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا وقد كان حتى طلبت قريش النزول عن هذا الشرط ..

ولم تكتف شريعة الاسلام باحترام العهود والمعاهدات ، وإنما أمرت بالوفاء بها ، **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** النحل / ٩١ ، ويقول عز وجل **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** الاسراء / ٣٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خياركم الموفون بعهودهم) ويقول (أنا أحق من وفى بعهده) .

والمعاهدة لا تنقض من جانب المسلمين إلا إذا نقضت من الجانب الآخر **(إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم**

فاستقيموا لهم) التوبة / ٧ .

واذا كانت المعاهدة غير محددة المدة فإن جمهور الفقهاء قال بأنه إذا كانت أسباب إبرامها قائمة ، فالمعاهدة قائمة ، فإن تغيرت الأسباب فللمسلمين نقضها ، ولكنهم لم يبيحوا القتال إلا عند الاعتداء أو مظنته ، لأن النص القرآني يوجب استقامة المسلمين لمن عاهدوهم ماداموا مستقيمين لهم (**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)** .

وهذا خلاف ما كان عليه الحال في الدول الأوربية التي ادعى فيها البابـاوات لأنفسهم حق إبرام المعاهدات ونقضها ، ولقد حرم اوربان كل الأحلاف والمعاهدات التي تعقد مع أمراء ملحدين أو منفصلين عن الكنيسة الرومانية واعتبر ما عقد منها باطلا ، وأعفى الملوك والأمراء الموالين للكنيسة الكاثوليكية من هذه العهود والأحلاف ، وجعل الحرص على تنفيذها محرما ، كما صرح بولس الثالث بأن جميع المعاهدات التي تعقد مع الملحدين في المستقبل باطلة مهما كانت اليمين التي تؤيدها ، وحتى في عهد الاصلاح الديني الذي دعا اليه مارتن لوثر ، أخلى البابا جول الثاني فردينان الكاثوليكي من معاهدته مع لويس الثاني عشر(١٠) .

وجدير بالذكر الاشارة الى أن المعاهدات التي أمر الاسلام باحترامها والوفاء بها هي تلك المعاهدات التي تتوافر شرائطها الشرعية ، والتي تقوم على اتفاق حربين طرفيها ، ويكون الرضا فيها تاما ، فلا إكراه ولا تهديد ، ولا مكان لسياسة الأمر الواقع ، أو الطرف الضعيف أو المهزوم ، التي تسود الأنظمة الوضعية الحديثة وإذا انعدم الرضا بطلت المعاهدة لانعدام شرط جوهري تقتضيه طبيعة المعاهدة باعتبارها عقدا .

كما يجب أن لا تخالف المعاهدة حكما من أحكام الاسلام ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » وعلى ذلك فأي معاهدة تنص على تقييد حق الدولة الاسلامية في التسليح أو في حجم قواتها العسكرية ، إنما هي معاهدة باطلة لمخالفته قول الله عز وجل (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** الأنفال / ٦٠ .

كما يشترط وضوح المعاهدة وعدم غموض نصوصها لأنه قد يتخذ الغموض سبيلا لاخفاء العيوب الواردة بالمعاهدة وهذا أمر منهي عنه ، يقول الله عز وجل (**ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله)** النحل / ٩٤ .

الحياد في الاسلام :

عالجت الشريعة الاسلامية حالة الحياد في الحرب ، ونصت على وجوب منحه لطالبيه من غير المسلمين ، فلو أن دولا غير إسلامية

نشبت بينها الحرب وطلبت إحداها من المسلمين الحياد وجب على المسلمين إجابتهم إلى مطلبهم **(إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)** النساء / ٩٠ .

أما إذا كانت إحدى الدول الاسلامية طرفا من أطراف الحرب فلا حياد ، وإنما العون والنصر أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله عليه السلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » .

والحياد لا يكون أيضا إذا كانت إحدى الدول المحاربة حليفة للمسلمين بمقتضى حلف يوجب المساعدة في الحرب فعندئذ يجب على المسلمين نصرتهم ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين نقضت قريش العهد وأغارت على خزاعة الذين كانوا قد تحالفوا مع المسلمين .

وإذا كانت الحرب بين دولتين مسلمتين ، فإنه يجب على باقي الدول الاسلامية التدخل للصلح ، وفي حالة تعذره فعليهم نصرة الدولة المعتدى عليها **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)** **الحجرات / ٩ .**

ووفقا لنص الآية الكريمه تجب مراعاة العدل المطلق بين الدولتين ، فلا حيف على الدولة الباغية بسبب بدئها القتال أو التسبب في إزهاق أرواح المسلمين وإتلاف أموالهم ، مادامت قد دفعت تعويضا عادلا للدولة التي بغت عليها .

وإن القارىء لميثاق الأمم المتحدة لا يجد ثمة صعوبة في معرفة أن الآية الكريمة سالفة الذكر ، إنما كانت هدى ونبراسا ومصدرا أساسيا لهذا الميثاق ، الذي تفتق عنه العقل البشري في القرن العشرين ..

١ - الشرع الدولي في الاسلام ص ١١٣ للدكتور نجيب ارمنازي .

٢ - العلاقات الدولية في الاسلام للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .

٣ - فضيلة الشيخ المرحوم ابو زهرة ص ٥٠ .

٤ - حياة الصحابة محمد يوسف الكندهلوي ص ١٠٨ .

٥ - الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام للمستشار علي علي منصور والشيخ المرحوم محمد ابو زهرة .

٦ - الشيخ محمد ابو زهرة .. المرجع السابق .

٧ - كتاب حضارة العرب ص ٤٠٧ ترجمة عادل زعيتر .

٨ - كتاب القانون الدولي العام ج ١ ص ٢٩١ .

٩ - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ .

١٠ - الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام ص ٢٨٦ .

وقفة تأمل

المارقون من الدين

○ كثير من الناس يتحدثون في الدين الاسلامي .. في حكمة التشريع .. وفي الحلال والحرام .. والممنوع والمباح .. في العبادات .. والمعاملات .. في الاخلاق والآداب والسلوك .. وفي نظام الاسلام الاقتصادي ..

○ يجيدون فن الحديث ، وطرق العرض ، وشد انتباه المستمعين لهم .. حتى اذا ما نالوا الشهرة .. وذاع صيتهم ، وتداول الناس حديثهم .. دسوا السم في العسل .. وشطح بهم الخيال فسلكوا دروبا ملتوية .. توافق هواهم .. وظنوا أن ما ذهبوا اليه هو الحق .. وما عداه هو الباطل .. ونحجم عن الافصاح عن أسماء تمثل هذا الاتجاه ..

○ وآخرون يركبون الموجة .. ويعزفون على اهواء الناس .. أو بعض الناس .. بزخرف من القول .. ويحملون ابواقهم ليكون حديثهم في الماركسية زمنا .. وعن الرأسمالية حينا .. وعن القومية أحيانا .. وعن الدين لا مانع .. يرتدون مسوح الرهبان .. ويأمون المساجد .. ويتكلمون في جموع العـابـديـن - لا يتجاوز حديثهم حناجرهم ، فهم المارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ..هكذا عرفنا بهم رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

○ لم يعد غريبا ان نسمع الطبيب يفسر ايات الله .. والمهندس يقول عن الحديث الصحيح وغير الصحيح ، ورجل التجارة يفتي في الحلال والحرام ، وعالم اللغة الأجنبية يتكلم في الاستحسان والقياس ..
والمرأة المتبرجة تقول عن الحجاب .. وهل هو من الشرع ؟ او من تقاليد وعادات السابقين التي عفا عليها الزمن ؟! وصاحب الفنون يقص علينا ما أحسه من اسرار القرآن وإعجازه ..

هكذا .. صار الكل علماء في الدين .. يفسرون ، ويقعِّدون .. ويستنبطون ، ويفتون الناس في الحلال والحرام .. أما إن يزاول مهنة الطب غير الطبيب ، فذلك جناية يعاقب عليها القانون ، حتى ولو اجاد واصاب .. وهكذا كل مهنة لها نقابة ، وعضوية ، وشروط لابد من توافرها في كل متخصص في فرع من فروع المعرفة .. فليس بمهندس من لا يحمل شهادة الهندسة .. وليس بعالم في اللغة من لا يحصل على ليسانس اللغة ..

ونحن اذن في عصر التخصصات .. فلم لا نلتزم ذلك في العلم بقضايا الدين وأحكامه ؟؟ فلا يتكلم في الدين ويتصدر الافتاء للناس الا من توافرت فيه شروط الفقيه .. كما حددها العلماء .. أم أن الدين هو « الحيطة الواطية » ؟! .. ام لأنـــه لا تقف وراء الدين حكومة واحدة تدافع عنه ؟! ومهما يكن من أمر فالله حافظ كتابه ، وناصر دينه ، ومؤيد جنده ، ومدافع عن المؤمنين ، ولو كره الفاسقون والكافرون والظالمون ..

آيات محكمات في الخلق

ترددت كثيرا في كتابة هذه الدراسة على صفحات مجلة « الوعي الاسلامي ».. صحيح انها دراسة جديدة من نوعها ، لكن سبب ترددي يرجع اساسا الى طبيعة الكائن الحي الذي سأقدمه ، لأنه كائن بسيط ، ولأنه يعيش في بيئة تعافها النفوس ، وربما يعتبره البعض حقيرا ، ولا اعتبره كذلك ، اذ احيانا ما تنشأ الافكار العظيمة في الاوساط او البيئات الحقيرة ، ورب كائن « حقير » في عرف الناس ، يحمل من المؤهلات ما يجذب انتباه العلماء ، فيدرسونه دراسة وافية ، وكأنما لسان حالهم يقول « يضع سره في اضعف خلقه » ـ على حسب التعبير العامي الشائع !

لكن الذي شجعني على تقديم هذه الدراسة هنا ، هو توضيح ما انطوى عليه الخلق من صور الابداع ، وروعة الاداء ، واصالة الافكار ، وبحيث يبدو لنا ان الافكار التي نظن انها لنا وحدنا ، او اننا قد ابتدعناها بعقولنا ، انما هو ظن خاطىء ، اذ لو بحثنا في اسرار الكائنات ، لوجدنا انها قد سبقتنا بما نسبناه الى انفسنا ، واعتبرناه من بنات افكارنا .. لكن « لا جديد تحت الشمس » ـ كما يقولون .

ثم ان الذي شجعني على ذلك ايضا ، ان آيات الخلق في القرآن الكريم تشير الينا ان نبحث ونتدبر في اسرار الارض والسماوات ، وفي بدايات المخلوقات ، لأنها ايضا بمثابة آيات ناطقة بجلال : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الاعلى/ ٢و٣ . حتى ولو كان ذلك في بيئة تعافها النفوس ، ثم ان هذا البحث والتأمل سوف يوضح لنا معنى الآيات التي تعرضت لذلك : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/ ٥٠ : (**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/ ٨٨ : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**)

للدكتور/عبد المحسن صالح

العنكبوت/٢٠ : (**وفي الأرض آيات للموقنين**) الذاريات/٢٠ . الى اخر هذه الايات التي توضح ان كل شيء ـ صغر شأنه او كبر ـ قد جاء الى الوجود ، وهو يحمل في طياته نظامه المتقن الذي يجعله ميسرا لما جاء له .

قذائف موجهة

فالكائن الحي الذي تعلمنا منه ما لم نكن نعلم ، يعيش على روث البهائم .. شيء تعافه النفوس ـ لا شك في ذلك . والكائن نفسه يحتل القاع في سلم المخلوقات ، او هو من المخلوقات الدنيئة او البدائية جدا ، اذ يَنطوي تحت مجموعة الكائنات المعروفة باسم الفطريات او العفن ، والعفن لا نرتاح له كثيرا ، فكأنما هذا المخلوق قد جمع السيئتين : احْدَاهما تتمثل في بيئته ، والاخرى في نسبه ، لكن لا يجب علينا ان نتأفف او نسخر ، فرب مخلوقات نسخر منها ، لكنها تقدم لنا درسا مهما .. وكأنما الآية الكريمة : (**بل عجبت ويسخرون**) الصافات/١٢ تنطبق هنا على مقتضى الحال !

وسر العجب هنا ان هذا الكائن الضعيف جدا ، والبدائي جدا ، قد امتلك فكرة القذائف الموجهة ، وعرف مبادىء العدسات والتوجيه والزوايا وغير ذلك من مبادىء هندسية ، ظهرت معه قبل ان يظهر الانسان نفسه على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، وبها سار كل هذا العمر الطويل ، لأن الفكرة ذاتها اصيلة ، والمبادىء قويمة ، وبدون افكار رشيدة ومبادىء قويمة ، فلا تنتظر خيرا .. لا على مستوى بشر ، ولا مستوى عفن !

لا زلت اذكر انني درست في السنة النهائية بكلية العلوم هذا الفطر العجيب دراسة عابرة ، لأنه لا يضر ولا ينفع ، ولا فائدة لنا فيه ولا مأرب ، ومع ذلك فقد درسناه في صفحة وبضع صفحة ، لأن دراسة علم تقسيم الفطريات كان يستلزم ذلك ، ولم نعرف وقتها بالتفصيل ما ينطوي عليه هذا الفطر من اسرار ، الى ان وقع بين يدي مجلد من المجلدات الكثيرة التي يطلق عليها « بحوث في الفطريات » .. والفطريات وحدها تضم اكثر من مائة الف نوع ، لكن المجلد السادس من هذه المجموعة من المجلدات قد افسح النصف الاول من صفحاته تقريبا

لكشف اسرار حياة هذا الفطر الغريب ، ولقد قضى معه البروفيسور رينالد بولر - من كندا - سنوات عديدة ، وتوصل الى حقائق مثيرة ، وكشف لنا من الاسرار ، ما يدعو للتأمل والاكبار ، حتى ولو كان ذلك على مستوى كائن لا نجد غضاضة عندما نطؤه بالنعال ، لكن الفطر قد استحوذ على حياة الرجل سنين عديدة ، وكأنما لسان حاله يقول : **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/٢ : **(قد جعل الله لكل شيء قدرا)** الطلاق/٣ . ومن هذا المنطلق ، دعنا نتعرض لما ترددنا في تقديمه ، لنعرف كيف قدرت امور الفطر تقديرا .

فلنقدمه اذن باسمه العلمي « بايلوبولاس ».. والكلمة - كما هو واضح - لاتينية ، وتعني حرفيا الشعرة القاذفة ، وان كان البعض يطلقون على هذا الفطر اسم قاذف الكرة او الطبق ، المهم انه قاذف قذائف موجهة ، ولا تهمنا بذلك الاسماء ، بقدر ما تهمنا الاعمال او الاهداف .

بين افكار وافكار

لكن قبل ان نقدم فكرة هذه القذائف الحية ، ثم مقارنتها بما تمخضت عنه افكار الانسان ، كان من الضروري ان نتعرض باختصار شديد لطبيعة هذا الفطر .. فهو يعيش رماما على المادة العضوية التي تنطلق كنفايات على هيئة روث يخرج من الخيل والبغال والحمير ، وحيوانات المرعى عموما ، لكنه يترعرع على روث الدواب ، بحكم طبيعتها الصلبة نسبيا ، الا ان العين لا تستطيع ان تكتشف نموه في الروث الا بصعوبة ، لأن الفطر يتفرع فيها على هيئة خيوط حية دقيقة ، فهو يمتص العناصر الغذائية من الروث ، ويحولها الى مادة حية في نسيجه الفطري ، وبعد ايام قليلة ، تنبثق من هذه الخيوط عشرات او مئات المحاور الدقيقة التي تنتهي بقذائفها ، وهذه تستطيع ان تراها بسهولة ، لأن لون القذيفة ذاته اسود ، وتحتها جهاز حي منتفخ ، وفي هذا الانتفاخ تكمن ميكانيكية التوجيه والانطلاق (شكل ١).

الفكرة - لا شك - قد تبدو لنا متواضعة ، لكنها مبتكرة وفعالة ، وتحقق الهدف تماما ، وبحيث اثبت بها هذا الكائن انتشاره الواسع في كل ارض ومرعى ، ولكي تتحقق من ذلك ، فمن اليسير جدا أن تجوبه بنفسك ، اذا كنت لا تعاف تجارب الروث ، ذلك انك تستطيع ان تحصل على هذه القذائف من اية « بعرة » لجمل او حصان او حمار ، ولا يهم بعد ذلك سلالته او عمره او موطنه ، او ان كان يعيش على عشب طازج او جاف ، لأن الفطر قد احتاط للامر ، وبحيث يحتفظ « بكبسولته » حية لأسابيع او شهور في العشب الجاف .. المهم انك ستجده في اية فضلات ، وهذا يؤكد لك كفاءته الفائقة في سعة الانتشار ، ومن وراء ذلك كفاءته في التوقيت والتوجيه ، واصابة الاهداف !

ان تحقيق ذلك لن يكلفك شيئا ، فما عليك الا ان تحضر وعاء .. اي وعاء تشاء ، حتى ولو كان ذلك علبة فارغة ملقاة في القمامة ، وضع فيها عدة بعرات طازجة ، وندها بقليل من الماء ، واتركها مغطاة في مكان دافىء ، ثم عد اليها بعد عدة ايام ، واكشف الغطاء .. هنا ستجد المئات ، بل الآلاف من القذائف السوداء وهي تتجه الى اعلى ، علها تصيب اهدافها .

لكن لا عليك من كل ذلك ، وان كان البحث في اسرار الكائنات يستحق ذلك ، وعلينا نحن ان نقدم ما هو ضروري في هذا المجال ، فالجهاز الحي يتكون من قاعدة محاطة بعدد من الخيوط الفطرية لتشدها وتثبتها في مكانها ، وفوق القاعدة محور حي سمكه لا يزيد عن النصف ملليمتر ، وطوله يقع ما بين ١ ـ ٢ سنتيمتر ، وفي نهاية المحور تكمن استحكامات توجيه واطلاق القذيفة ، وهي لا تزيد عن تكوين أشبه بالعدسة ، وتحت العدسة عين كيميائية ضوئية وفوقهما تكمن القذيفة والقذيفة بمثابة « كيسولة » تحمل في داخلها الآلاف الجراثيم الفطرية ، والفطر بهذه الاستحكامات لا يريد حربا ، ولا يبغي قتلا ، بل يريد ان يعيش وينتشر في سلام ، دون ان يحدث اذى بنبات او حيوان ، كما يفعل بعض ابناء عمومته من الفطريات التي تتطفل على كثير من الكائنات .

مبادىء علمية وتكنولوجية

وطبيعي ان الفطر يطلق قذائفه دون ان يحتاج في ذلك لوقود كما هو الحال في قذائفنا ، وهو ايضا يوجه قذائفه دون الاستعانة بشبكة رادار ، لكنه اتخذ من اشعة الشمس هاديا ومرشدا ، وبها يقدر زاوية الاطلاق ، ويضبط على اساسها التوقيت ، والحق ان الخالق قد اوجد هذه المخلوقات ، لتكون دليلا ناطقا على ما في الخلق من آيات ، فمن اسس علمية بسيطة ، يستطيع الفطر ان يحقق انجازات مثيرة ، وطبيعي انه قد جاء بدون فكر او عقل ، لكنه ـ مع ذلك ـ يتصرف كما يتصرف اصحاب العقول ، اذ ليست له دراية بمبادىء هندسية او تكنولوجية ، لكن الامور قد اوحيت في هذه الكائنات وحيا ، وما الوحي هنا الا وحي نظام في المقام الاول !

لهذا لو اتيت اليه في صباح يوم مشرق ، لوجدت آلاف المحاور وهي موجهة نحو الشمس بزاوية قدرها ٤٥ درجة .. يقول خبراء القذائف انها اكفأ زاوية يمكن ان ترسل القذيفة الى ابعد مدى ، ولقد عرف الفطر ذلك منذ ملايين السنين ، وعرفه الانسان في الوقت الحديث .

وإذا كان الفطر يستخدم اشعة الشمس كرادار يوجه بها قذائفه نحوها ، فانها هي الوسيلة الوحيدة المتاحة له ، وهو لا يستخدمها فقط للتوجيه ، بل ايضا للتوقيت ، فكأنما هو بدوره قد امتلك ساعة زمنية ليحدد بها موعد الاطلاق ، اذ يبدأ في اطلاق قذائفه ما بين الساعة التاسعة والنصف ، حتى العاشرة والنصف ،

وسر هذا لا يخفى على لبيب ، ففي هذه الساعة بالذات يكون موقع الشمس في الافق مائلا بالنسبة للارض ، وبزاوية تقدر بحوالي ٤٥ درجة بالتقريب ، ولا يهم بضع درجات ناقصة او زائدة عن هذا التقدير ، لأن القذائف في كل الحالات سوف تسلك مسارا يرسلها الى ابعد مدى مستطاع (شكل ٢).

وفي الصباح الباكر يبدأ الفطر عمله استعدادا لعملية الاطلاق ، فتنشط القاعدة الارضية في سحب السوائل من الروث ، وتدفعها بحساب ومقدار عبر المحور الدقيق الى اعلى ، وتتجمع هناك في انتفاخ بيضاوي كبير نسبيا (شكل ٣)، وفي هذا الانتفاخ يحدث ضغط يصل الى ستة ضغوط جوية ، وكأنما هذا الضغط الكبير نسبيا بمثابة الوقود المحرك ، او القوة الدافعة للقذيفة ، وهي نفس الفكرة التي نبني عليها اطلاق مقذوفاتنا وصواريخنا ، لكن لا بد ان يتحول الوقود في عمليات الاحتراق الى غازات ذات ضغط كبير ، وكلما كان الضغط اكبر ، كان اندفاع القذيفة اسرع ، والمسافة التي تقطعها القذيفة اعظم ، لكن الفطر ليس في حاجة الى عمليات احتراق ، لأن الامور قد نظمت له ادق تنظيم ، وبحيث يستفيد من ديناميكية السوائل المسحوبة ، ويرتفع ضغطها شيئا فشيئا ، حتى تصل الى الحدود التي يحدث فيها الانفجار عند قاعدة الكبسولة تماما ، فيدفعها نحو هدفها !

وتأتي الساعة المرتقبة .. وفيها ترى المحاور مشدودة ، والقذائف موجهة بالزاوية المطلوبة ، والضغوط قد وصلت الى حدودها المرسومة ، وفجأة تسمع صوتا خافتا « بلوب »!.. وكأنما هو نبضة قلب واحدة ، وهذا يعني ان اول قذيفة في سلسلة من القذائف المتتابعة قد اندفعت عبر الهواء ، وبسرعة قد تزيد على خمسين كيلو مترا في الساعة ، وهو لا يحتاج الى اكثر من ذلك ، لأن القذائف تنطلق بسرعة اعصار مدمر جامح ، اضف الى ذلك ان هذا التكوين الحي رقيق غاية الرقة ، اي هو ارق واضعف من الشعرة ، ومع ذلك فقد حقق بها طلقة تعتبر بمعايير خبراء الصواريخ انجازا مذهلا فيه حكمة لقو يتدبرون .

ولو اصخت السمع ، لسمعت أصوات هذه القذائف وهي تنطلق بالمئات والآلاف ، ولو عدت بعد ساعة ، ودققت النظر ، لرأيت المحاور قد التوت وتحطمت من شدة الانطلاق ، ولم يعد لاجهزة الاطلاق الكبيرة نسبيا من وجود ، فلقد حدث فيها التفجير ، وادت بذلك مهمتها خير اداء ، لكنك لا شك واجد ايضا محاور لا زالت قائمة ، فهي لم تستعد بعد ، وسيأتي عليها الدور في حوالي الساعة التاسعة والنصف الى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي ، فيكون كل شيء وقتذاك جاهزا للانطلاق ، وهكذا تسير الامور يوما بعد يوم ، الى ان تفتقر البيئة الى العناصر اللازمة للحياة .. لكنها مستمرة في بيئات اخرى كثيرة وطازجة ، طالما كان هناك فطر يقذف ، وحيوان يرعى ، ونبات يستقبل ثم

يؤكل ، وهكذا تدور الدورة ، كما دارت منذ عشرات الملايين من السنين !

الهدف نبات

لقد ذكرنا منذ لحظة ان هناك نباتا يستقبل ، لأن اتمام حلقات او دورات هذه الاحداث يستلزم نباتا ، ذلك ان الهدف من اطلاق هذه القذائف ان تصيب النباتات التي تنتشر حول الروث بما حمل ، حتى اذا جاء الحيوان ليرعى ، كانت القذائف دائما هناك ، فتسير في امعاء الدواب ، الى ان تخرج مع فضلاتها ، ودون ان تسبب لها اية اضرار .

لكن اصابة الاهداف تحتاج ايضا الى تصميمات واحتياطات ، حتى لا تسقط القذائف من اوراق النباتات ، فكل قذيفة اصغر من رأس الدبوس قليلا ، ومع ذلك ، ففي داخل كل قذيفة ، حوالي مائة الف جرثومة .. الجرثومة بمثابة بذرة تحمل البروجرام الوراثي لهذا الفطر ، حتى اذا نبتت ، تمخضت عن فطر طبق الاصل من اسلافه ، ليعطي بدوره مئات وآلاف القذائف ، التي تحوي بدورها ملايين وبلايين من الجراثيم .

وطبيعي ان انتاج هذه الاعداد الهائلة له ما يبرره ، لأنه يتبع مبدأ علميا معروفا ـ مبدأ الاحتمالات الذي يقوم بدوره على اسس احصائية معروفة ، تحكمها معادلات لها بين العلماء شأن يذكر ، لكن الفطر في غنى عن ورق واقلام وافكار وغير ذلك من امور قد تشقينا وتسعدنا ، ولهذا اتيحت لهذا الكائن كل الفرص التي تساعده على الانتشار ، فأكثر القذائف قد يخيب ، واقلها قد يصيب ، ولهذا كان انتاج الجراثيم ببلايين فوق بلايين ، ليجيء مبدأ الاحتمالات في صالحه ، ، وحتى لو اصاب الهدف ، فلا بد من احتياطات اخرى تثبته على اوراق النباتات ، اذ ان هذه تتحرك مع حركة الرياح والنسمات ، فيؤدي ذلك الى سقوط المقذوفات من سطوحها الى الارض ، ولكنها لا تسقط ، بفضل ميكانيكية عجيبة لا بد من تقديمها هنا ، لندرك كيف دبرت الامور لكل خلق تدبيرا محكما .

ان المقذوف او ذلك الكيس الجرثومي مزود بسطح سفلي مستو ولزج ، اما سطحه العلوي فمحدب واملس ، وعليه قطرة صغيرة من سائل هي بمثابة جهاز يقوم بحركة انقلاب سريعة للغاية في حالة اذا ما حط المقذوف بسطحه الاملس على النبات ، فاذا حدث ذلك ، كان كفيلا بدحرجته وسقوطه .

اي ان شكل المقذوف وتكوينه يهيىءله احد احتمالين لا ثالث لهما ، فاذا اصاب بسطحه المستوى واللزج ، فان اللزوجة تثبته في مكانه ، وهذا غاية المراد ، اما الاحتمال الثاني : ان يضرب المقذوف بسطحه الاملس ، فتقوم قطرة السائل بثقلها بعملية انقلاب سريعة للغاية ، ومطيعة في ذلك لقوانين التوازن ، فيدور المقذوف على سطح النبات حوالي ١٨٠ درجة ، ليحل السطح اللزج محل السطح المحدب الاملس ، فيلتصق ولا

يقع .

وقد يتبادر الى الاذهان تساؤل : ولماذا لم يأت كل سطحه لـزجا ، ليتجنب هذه المناورات او الحركات التي تشبه حركات « الاكروبات » في السيرك ؟

لأن ذلك يرجع الى كون المقذوف يواجه بسطحه العلوي الاملس تيارات الهواء التي تجفف اللزوجة ، وتضيع وظيفتها ، في حين ان السطح الاسفل الملاصق لجهاز القذف لا يتعرض للجفاف ، اضف الى ذلك ان هذا السطح - اي الاسفل - على اتصال مباشر بجهاز القذف ، فيمده بالمادة اللاصقة الرطبة التي تساعده على بلوغ مراده ، فاذا لم يصب بها ، اشتغل الاحتمال الآخر ، ليعدل الوضع الى ما فيه صلاحه !

دقة التصويب :

والعلماء الذين تجذبهم اسرار الخلق الخافية ، قد يذهبون الى ما هو ابعد من ذلك ، ليضعوا الفكرة موضع التجريب ، ثم التطبيق ، وهم في كل الاحوال يصلون الى نتائج جميلة ، توضح ان كل خلق قد جاء لما هو له ميسر .. عملا لا قولا ، وربما قادتهم البحوث في اصول الخلق الى اهداف تنفعهم في حياتهم ، فاذا لم يتحقق ذلك - وهو نادر - فلا اقل من معرفة تضع لنا النقط فوق الحروف ، وتشير الى ان الخلق لم يأت هكذا اعتباطا ، بل قام على اسس قدرت تقديرا : (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/٤٩ : (**وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ . حتى ولو كان ذلك على مستوى ذرة وجزيء وخلية وفطر او ما فوق ذلك .

لقد جهز العلماء لهذا الفطر حلقة صغير من حلقات الرماية ، وتكفي لذلك اسطوانة من الفخار طولها متر ، وفي قاعها يكمن الفطر ، وفوقها ورقة بيضاء سميكة لتحجب ضوء الشمس ، ولا تسمح بالنفاذ الا لشعاع صغير من خلال ثقب ، وهنا تتوجه المحاور بما حملت من مقذوفات نحو الشعاع الذي يكون لها بمثابة الرادار ، وبعد ان يطلق الفطر قذائفه صوب الفتحة ، تؤخذ اللوحة ، فتبدو عليها نقط سوداء تكون علامات على ان القذائف قد اصابت هنا ، ولقد ظهر ان نتيجة التصويب رائعة ، فالمسافة التي تفصل بين الفطر ولوحة « النشان » كبيرة بالنسبة لطوله وحجمه ، ولو اردنا ان نحسبها لانسان يمسك ببندقية ، فعليه ان يصيب الهدف وهو يقف بعيدا عنه بحوالي ١٥٠٠متر !.. فهل منا من يستطيع - بمجهوده الشخصي - ان يصيب هدفا على مثل هذا البعد الكبير ؟

على أية حال ، فلقد فعلها الفطر على قلة حيلته ، وضعف شأنه ، وكأنما كل امر هنا بحساب ومقدار .

واخيرا ، فلا تعليق ، الا ان نختم ذلك بآيتين كريمتين : (**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**) هود/٥٦ . (**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون**) الجاثية/٤. وفي ذلك الكفاية لقوم يفقهون .

غزوة تبوك الكبرى

بقلم : محمد عزة دروزة

١ ـ من أحداث السيرة النبوية الشريفة الهامة التي فيها صور مشرفة وطريفة « غزوة تبوك » وهذه الغزوة كانت في السنة التاسعة للهجرة النبوية . وقد قادها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه . وقد بلغ عدد الجيش الذي قاده رسول الله ثلاثين ألفا . ولعله من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب . ولها أسباب مباشرة وغير مباشرة .

● فالمباشرة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم عَلِمَ أن القبائل النصرانية التي كانت خاضعة للغساسنة والروم تتجمع في جهات تبوك لغزو المدينة المنورة .

● أما الأسباب غير المباشرة فهي أن حالة الحرب كانت قائمة بين المسلمين تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذه القبائل التي كان أكثرها خاضعا للغساسنة والروم . فقد كان بعضها يعترض السابلة وقوافل التجارة وينهبها . وقد قتل بعضها رسولا لرسول الله . وكان النبي يرسل سرايا دعوة للاسلام فيقابل بعضها بالسلاح والقتل . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل سراياه بقيادة أصحابه ويقود احيانا جيوشا لتأديب هذه القبائل والتنكيل بها . وقد وصلت بعض جيوشه الى «دومة الجندل » في منطقة تبوك . وبعضها وصل الى مكان في « مؤتة » في منطقة معان . في البلقاء أي في عقب دار الغساسنة . وكانت هذه الجيوش

والسرايا تشتبك مع هذه القبائل أحيانا وكان بعضها يلوذ بالفرار وبعضها يدخل في الاسلام وبعضها يعقد عهد صلح مع المسلمين ، وقد كانت تقع معارك ضارية احيانا وخاصة وقعت هذه المعارك بين الجيش الذي وصل الى مؤتة وبين القبائل التي جمعتها الغساسنة والروم . وقد قتل فيها قواد ثلاثة عيَّنهم النبي صلى الله عليه وسلم واحداً بعد الآخر . ثم قام القائد الرابع الذي اختاره وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه في عملية بارعة أنقذ بها بقية الجيش (انظر تفصيل ذلك في الجزء الثالث من طبقات ابن سعد). والظاهر ان الروم ـ الغساسنة أرادوا أن يقابلوا هذا الجيش الذي وصل الى عقب دارهم بجيش يصل الى عقب دار المسلمين . فأمروا القبائل بالتجمع في منطقة تبوك . فرأي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يبادرها قبل أن تسير نحو المدينة . فكان ذلك هو سبب هذه الغزوة المباشر كما قلنا .

٢ ـ وكانت هذه الغزوة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية وبعد فتح مكة بعدة شهور . وقد نزل معظم سورة التوبة في صددها ونزل بعض الآيات على النبي وهو في الرحلة خارج المدينة .

٣ ـ ولقد أراد النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يحشد أكبر عدد ممكن لهذه الغزوة التي تكررت فيها الوقائع والتجمعات حتى يرهب أهلها ويحفظ هيبة الاسلام في قلوبهم . وقد كان الوقت صيفا قائظ الحرّ . وكانت السنة شحيحة الموسم فبدا من بعض المخلصين ترددا وتثاقلا فكان موقف الله ورسوله قويا شديدا حاسما تمثله هذه الآيات : (**يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ قليل.إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . إلاَّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) (رقم ٣٧ ـ ٤١) سورة التوبة .

فتراجع المتثاقلون المخلصون وتابوا واستجابوا وهذا التراجع مثله آية سورة التوبة هذه : (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه في ساعة العُسرةِ من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم**) رقم الآية (١١٦ ، ١١٧).

٤ ـ ولقد أقبل المخلصون من اهل المدينة ومن حولهم الذين لا أعذار لهم من فقراء ومرضى أو غير ذلك على الاكتتاب في الغزوة حتى بلغ عددهم ثلاثين ألفا وكان عدد الخيل عشرة

آلاف والجمال أضعافا مضاعفة للركوب وحمل الزاد والماء والأثقال . ولن يكد يتخلف من المسلمين المخلصين القادرين الذين لا أعذار لهم إلَّا نفر بعدد أصابع اليد .

٥ ـ وقد عذر الله سبحانه وتعالى ذوي الاعذار على ما جاء في هذه الآيات من سورة التوبة : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ..) (الآية ٩١).

ولقد جاء بعد هذه الآية آية عظيمة تدل على ما كان من شدة رغبة المسلمين المخلصين الفقراء من الانضواء في الجيش النبوي . وتؤيد ما قلناه من أن كلَّ القادرين من المسلمين المخلصين قد استجابوا لله ورسوله ما ورد في هذه الآية (**ولا على الذين إذا ما أتوك لتَحملهم قلتَ لا أجد ما أحملُكم عليه تولَّوا وأعينهم تفيض من الدَّمع حَزَنا ألَّا يجدوا ما ينفقون** ..) الآية ٩٢ سورة التوبة .

ولقد كانت السنة شحيحة الموسم كما قلنا فجمع النبي (صلى الله عليه وسلم) الميسورين من أصحابه وحثهم على التبرع . وقد ذكرت الاحاديث أن عثمان بن عفان قام في موقف فأعلن تبرعه بمائتي بعير وأحلاسها ثم قام في موقف آخر فأعلن تبرعه بثلاثمائة بعير وروى أنه جاء في موقف آخر يحمل في كمه صرة فيها الف دينار فضها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم) فأخذ يقلبها ويقول ماضر عثمان ما فعل بعد ذلك اللهم ارض عنه فأني عنه راض . ولقد روى أن عبد الرحمن بن عوف تبرع بأربعة آلاف درهم . ولم نَطَّلع على أسماء متبرعين آخرين من الميسورين . ولا نشك في أنه كان هناك عدد غير يسير منهم تبرعوا وفاتنا الاطلاع على اسمائهم أوقات المسجلين تسجيل اسمائهم . وفي سورة التوبة آية فيها اشارة الى أن حمية التبرع سرت الى غير الميسورين أيضا وتدل على هذه الآية : (**الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِرَ الله منهم ولهم عذاب اليم**) . (الآية ٧٩). وهذه الآية نزلت في التثريب على المنافقين وفضح مواقفهم ولكنها كما قلنا تتضمن اشارة الى تطوع غير الميسورين ايضا . وقد روى المفسرون ان هؤلاء كان يأتي بعضهم بصاع من التمر أو صاع من الزبيب أو صاع من البر أو الشعير . فاذا كانت حمية التبرع وصلت الى هذه الطبقة فلا شك في أن كثيرًا من الميسورين غير عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما قد تبرعوا أيضا بمقادير عالية . وبهذا التبرع أمكن حشد هذا الحشد العظيم وأمكن مساعدة كثيرين من الفقراء المخلصين الأصحاء أبدانا العاجزين مالاً مساعدتهم على الانضواء في هذا الحشد .

٦ ـ أما المنافقون فقد تظاهروا في بدء الأمر بالاستجابة ثم أخذوا يستأذنون النبي « صلى الله عليه وسلم »

بالتخلف بأعذار واهية . وقد علم الله ورسوله أنه لو خرجوا لكانوا مفسدين فأذن لهم النبي « صلى الله عليه وسلم » بالتخلف وهذا ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : (**لو كان عَرَضاً قريبا وَسَفَراً قاصداً لاتبَّعوك ولكن بعدت عليهم الشُّقَّةُ . وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**) . (الآية ٤٢). وكذلك الآيـة): (**ولو أرادوا الخـروج لأعـدوا له عُـدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَـالاً ولأ وضعـوا خـلالكم يبغونكم الفتنـة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**) (الآية ٤٥ ـ ٤٨). وعدد هؤلاء يقرب المائة .

٧ ـ ولقد أظهر المنافقون فرحهم بإذن رسول الله وتخلفهم فأنزل الله على رسوله وهو في أثناء الرحلة هذا الفصل اللاذع الصاعق بحقهم (الآية ٨١): (**فرح الـمُخَلَّفون بمقْعدِهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحَرِّ ، قل نار جهنم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكـوا كثيرا جزاءً بما كانوا يكسبون . فان رَّجَعَكَ الله الى طائفة منهم فاستأذنـوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً إنكم رضيتم بالقعود أوّل مـرّة فاقعـدوا مع الـخالفين . ولا تُصلِّ عَلى أحد منهم مات أبداً ولا تقُم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فـاسقون . ولا تعجبـك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يُعذِّبَهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**) (الآية ٨٥). وفي هذه السورة آيات كثيرة في مواقف المنافقين السابقة على ما هو متبادر شاءت حكمة التنزيل أن يوحي بها في مـناسبة تخلفهم لتـزداد فضيحتهم وتظهـر جرائمهم وخبث طواياهم . منها (**قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يُتَقَبَلَ منكم إنكم كنتم قوما فاسقين . وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلَّا وهم كُسالى ولا ينفقون إلّا وهم كـارهـون**) (التـوبـة ٥٣ ـ ٥٤) و(**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقون.لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مُدَّخلا لولوا إليـه وهم يجمحون. ومنهم من يَلمِزُك في الصدقات فان أُعطوا منها رَضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون**) (التوبة ٥٦ ـ ٥٨ من سورة التوبة).

و (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُنُ خَيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورَحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**) (التوبه ٦١). و (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنّا نخوضُ ونلعب قل أبالله وآياته ورسـوله كنتم تستهـزئـون . لا**

تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَّعفُ عن طائفة منكم نُعذّبْ طائفة بانهم كانوا مجرمين . المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون.) (التوبة ٦٥ - ٦٧) و (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم وإن يتولوا يُعَذبِّهم الله عذابا أليماً في الدّنيا والأخرة وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير . ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضلـه لنصَّدَّقَن ولنكونَنَّ من الصالحين . فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نِفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علاَّم الغيوب . الذين يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصَّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِر الله منهم ولهم عذاب اليم . استغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة ٧٤ - ٨٠).

٨ - ولقد اعتذر أيضا بعض أغنياء وزعماء الاعراب المنافقون وطلبوا من رسول الله أن يأذن لهم بالتخلف أيضا وفي هذا نزلت الآيات التالية منها ما كان قبل الرحلة ومنها ما كان في أثنائها : (وجاء المعَذِّرون من الأعراب ليؤذَن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم .ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . (التوبة ٩٠ - ٩١) . (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخَوَالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرِضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم.) (التوبة من ٩٣ - ٩٧ .

٩ - ولما اكتمل الجهاز في جيش النبي « صلى الله عليه وسلم)» استخلف في المدينة علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وسار على رأس جيشه العظيم الذي

يمكن أن يقال انه كان من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب عددا وعدة .

وتخلف عن الجيش النبوي نفريعُدون على أصابع اليد الواحدة تكاسلوا في الجهاد حتى تحرك جيش رسول الله وهم من المسلمين المخلصين الذين لا أعذار لهم والقادرين بَدَناً ومالاً وهم أبو حيثمة وأبو ذر الغفاري وكعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال ابن أمية فأخبروا النبي بتخلفهم فقال دعوهم ومن يكنْ به خير يأتي به الله .

وقد حركت التقوى الاثنين الأولين فلحقا بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وهو في الطريق . ومما ذكر عن أبي حيثمة أنه عاد الى بيته بعد سفر النبي « صلى الله عليه وسلم » في يوم قائظ فوجد امرأته قد هيأت له عريشا في طرف بستانه ورشته بالماء وهيأت له حلة ماء بارد وطعاما فلما رأى ذلك قال : ليس هذا بالانصاف رسول الله في الشمس وأبو حيثمة في الظل والى جانبه الطعام الشهي والماء البارد والله لن أدخل ثم هتف بزوجته تحضر له هجينة واغراضه وشيئا من الزاد والماء فركبه وقال أنا لا حق برسول الله . ولما أقبل ورأوا غباره قالوا يا رسول الله هذه أغبار راكب فقال رسول الله كن أبا حيثمة فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو حيثمة ولما أقبل على رسول الله قال له خيرا ودعا له وكذلك فعل أبو ذر فقد لامَ نفسه وركب ناطحة ولحق بالنبي في الطريق ورأو الغبار فقالو يا رسول الله هذه غبار راكب فقال كن أبا ذر فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو ذر فقال له خيراً ودعا له . اما الثلاثة الآخرون فقد ظلوا مترددين متكاسلين حتى فاتهم إمكان اللحاق بالنبي فظلوا متخلفين وكان من أمرهم أن النبي « صلى الله عليه وسلم » ولما رجع بجيشه قاطعهم فقاطعهم المسلمون حتى زوجاتهم طلبت منهم الطلاق وقد تجلد كعب فكان لا يأتي للصلاة ويسلم على الناس وعلى النبي فلا يردون عليه وظل متجلدا . أما الاثنان الآخران فقد انهارت أعصابهما فربطا نفسيهما بسواري مسجد رسول الله فكانت زوجاتهما تفكا وثاقهما للطعام وقضاء الحاجة والصلاة وظلوا على ذلك أربعين يوما . وفي تمام الأربعين خرج رسول الله من بيته وهتف إن الله قد تاب على كعب ورفاقه فبشروهم وحلوا وثاق الموثوقين . وسجل القرآن توبتهم في آية التوبة هذه : (**وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم .**) (التوبة ١١٨) . وكان هذا الحادث درساً بلغياً وعظة عظيمة للمتخلفين عن الجهاد وهم قادرون عليه . وكما قلنا سابقا أن ذكر الخمسة المتخلفين يُردْ أن جميع القادرين صحة ومالا وجميع من أمكن مساعدتهم من الفقراء القادرين بدنا انضووا الى جيش رسول الله «« صلى الله عليه وسلم » ولم يتخلف عنه إلا

المرضى وذوي الاعذار والعاهات والفقراء الذين لم يمكن مساعدتهم .

١٠ ـ ولقد قطع الجيش النبوي المسافة بين المدينة وتبوك في عشرين يوما أو منزلا . ونزل في تبوك ولم يتجاوزها ولم يجد في طريقه تجمعات عدائية وكذلك وجد التجمعات في منطقة تبوك قد هربت ممتلئة بالرهبة من أخبار الجيش النبوي العظيم . ولقد أرسل رسول الله سرايا الى مختلف أنحاء المنطقة حتى مشارف الشام ولم تلق كثيرا إلّا ما كان بين سرية قادها خالد بن الوليد رضي الله عنه الى (دومة الجندل) حيث كان ملكها (الاكيدر) النصراني وقد تصدت له حامية القلعة بقيادة أخوي الملك فاشتبك معها في جولة انتصر عليها وقتل أحد الاخوين وأسر الثاني وقتل وأسر عددا من الحامية وحينئذ نزل الملك عن حكمه فصالحه على ألفي بعير وثلاثمائة رقيق وأربع مائة درع وأخذه معه الى الرسول « صلى الله عليه وسلم » وكان الرسول قد قفل بجيشه الى المدينة بعد أن أقام فيها عشرين يوما واعتبر المنطقة قد دخلت في سلطانه فعين لها أميرا هو (عياد بن بشر) وقد اخذ خالد رضي الله عنه الاكيدرالى المدينة فأقرّ النبي (صلى الله عليه وسلم » الصلح معه ورتب عليه جزية ثم دعاه الى الاسلام فأسلم على ما رواه ابن سعد في طبقاته. وكتب له هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله للأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في (دومة الجندل) وأكنافها ان له الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الأرض والحلقة والسح والحافر والحصين ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعدفاددتكم ولا يحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلاّ عشر الثبات . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذاك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين » (هذا الفصل منقول من الجزء الثاني من كتاب طبقات بن سعد).

١١ ـ وقد كانت قرى اسرائيلية عديدة منتشرة ما بين تبوك الى مشارف الشام ممن كانوا شردوا من الرومان بعد تدمير اورشليم في أواخر القرن الأول من الميلاد المسيحي وكان أيضا على خليج العقبة ثغر ابله التي كان سكانها نصارى وعلى رأسها اسقف أو أمير اسمه يوحنا بن رؤبة وقد أرسلت هذه القرى وذلك الثغيروفودها الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » حينما بث سراياه ليأخذوا منه عهود أمان ويخضعوا له بايداء الجزية . ومنهم من قَدِمَ عليه في تبوك ومنهم من تأخر فلحق به الى المدينة وهي قرى دومة الجندل ـ اذرح ـ الجرباء . مقنا ـ بنو عريضه ـ بنو عاديا .

١٢ ـ وفي كتاب الطبقات لابن سعد نصوص كتب رواها (أن النبي « صلى الله عليه وسلم » كتبها لأهل هذه القرى وهذا نص الكتاب ان روى

انـه كتبه النبي « صـلى الله عليه وسلم » ليوحنا بن رؤبة وأهل ابله):
« بِسلم أنتم فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو فاني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب اليكم فأسلم أو اعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسهم كسوة غير كسوة الغزاة واكس زيداً كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي فاني قد رضيت وقد علم الجزية فان أردتم أن يأمن البر والبحر فأطـع الله ورسوله ويمنع عنكم حق،كان للعرب والعجم إلا حق الله ورسوله وانك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخـذ منكم شيئا حتى اقاتلكم فأسبي الصغير وأقتل الكبير فاني رسول الله بالحق أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم إنه كلمة الله وإني أؤمن به أنه رسول الله وآت قبل أن يمسكم الشر فإني قد أوصيت رسلي بكم وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعير وان حرملة شفع لكم واني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئا حتى ترى الجيش وانكم ن أطعتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه وان رسلي شرحبيل وأبي حرمله وحريث ابن زيد الطائي فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته وان لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله والسلام عليكم ان أطعتم وجهزوا أهَل أهلِ مقنا الى أرضهم ».

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد قالوا وكتب رسول الله محمد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا أن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء ، الليل مد والنهار شد).

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد أن النبي « صلى الله عليـه وسلم » كتبه لبني عريض قالوا : كتب رسول الله « صلى الله عليه وسلم »: (بسم الله الرحمن الرحيم وهذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض طعمه من رسول الله عشرة أوسق قمح وعشرة أوسق شعير في كل حصاد وخمسين وسقا تمر يوفون كل عام لحينه لا يظلمون شيئا). وبقية الكتب من هذا الباب ونكتفي مما تقدم .

١٣ ـ وهكذا حققت غزوة تبوك الكبرى أهدافا عظيمة ولو لم يقع فيها حرب إلا ما كان حول دومة الجندل . فقد أثبتت هيبـة الاسـلام ودولـة المسلمـين وسيادتها تحت راية النبي « صلى الله عليه وسلم » انه قـد توطـدت له السيادة فنصّب أميراً على المنطقة .

١٤ ـ ولقد ظلت مكة مشركة الى أواخر السنة الثامنة من الهجرة وكانت تحول بشركها بين الدعوة الإسلامية وأنحاء جـزيرة العـرب الأخرى وخـاصة الجنوبية لأنها كانت سادنة الكعبة البيت الحرام ومحجاً لجميع العرب واماما لهم . فلما فتحها الله على يد رسوله في رمضان السنة الثـامنة للهجرة ودانت للاسلام زال الحائل بين الاسلام وسائر انحاء جزيـرة العرب وارسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » سرايا الدعـوة وكتبا كثيرة لزعماء البلدان والقبـائل في مختلف انحاء الجزيرة . وكان فتح مكة ودينونتها بالاسلام داوياً فجعلهم

ذلك يرسلون وفودهم الى رسول الله الى المدينة يبايعونه بالاسلام ويتلقون منه التعليمات في الوصايا ويرسل معهم القراء والقضاة والامراء وجباة الزكاة الذين كان يأمرهم بتوزيع أنصبة الفقراء والمساكين في أهل منطقتها . وهكذا ساد الإسلام والسلطان الإسلامي سائر أنحاء الجزيرة ولا نشك في أن مسيرة الجيش العظيم الى تبوك ما حققه من أهداف عظيمة كان حافزاً شديداً أيضا في تدفق الوفود على رسول الله .

١٥ ـ وحينئذ جاءت اللحظة الحاسمة لضرب الشرك ضربة قاصمة وصيرورة كلمة الله هي العليا في أنحاء جزيرة العرب فأنزل الله أوائل سورة التوبة التي تعلن براءة الله ورسوله من المشركين الغادرين وتأمر بقتالهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم بكل مكان ومطاردته وترصدهم حتى يؤمنوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وتصفهم بأنهم لا عهد لهم وانهم لا يرقبون في المؤمنين إلاّ ولا ذمة وانهم المعتدون وأنهماشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وأنهم الفاسقون مستثنية الثابتين على عهودهم آمرة بالوفاء لهم والاستقامة عليها ما استقاموا عليها وأنزل الله في نفس السورة آية عظيمة الشأن في هذا الصدد حيث حرّمت وجود الشرك والمشركين ودخولهم المسجد الحرام . وهذا التعبير كان يعني على ما تلهمه آيات اخرى منطقة مكة جميعها .

وفي موسم الحج السنة التاسعة التي نزلت بها هذه الأيات أرسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا للحج وأمره أن يعلق آيات سورة التوبة الأولى المذكورة بشيراً ونذيرا وداعيا الى الله وحده . فكان ذلك حافزا جديدا لتدفق الوفود وسيادة الاسلام وعاملا في انحسار الشرك والمشركين .

١٦ ـ فلما كان موسم حج السنة العاشرة كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على رأس الحجاج الذين بلغ عددهم نحو مائة ألف ليس فيهم مشرك يهتفون : (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ـ ويكبرون : (الله أكبر ـ الله أكبر ـ لا اله الا الله ـ الله أكبر ـ الله أكبر ـ ولله الحمد ـ الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الاحزاب وحدَهُ لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون).

١٧ ـ وبعد عودة رسول الله من حَجه العظيم نزلت عليه سورة النصر : **(إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)** . والتي قال عنها ابن عباس وغيره رضي الله عنهم انها نَعيٌ لرسول الله ، ولم يلبث الرسول أن مرض والتحق بالرفيق الاعلى قرير العين بما حققه الاسلام من نصر وفتح ووعد تمثله آية سورة التوبة : **(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** .

من عبر الجهاد

حرب التحرير الجزائرية

للدكتور / حسن فتح الباب

تعد حرب التحرير الجزائرية إحدى المنعطفات الكبرى في تاريخ الكفاح الذي خاضته الشعوب العربية والاسلامية لإنتزاع حريتها واستقلالها من براثن اعدائها المستعمرين من بقايا الصليبيين. ويدرجها العلماء والباحثون في صدارة السجل الحافل بالملاحم النضالية في القرن العشرين . حيث ضحى فيها الشعب الجزائري بمليون ونصف من ابنائه ، وتتبين جسامة هذه التضحية اذا عرفنا ان تعداد هذا الشعب في عام ١٩٥٤ الذي انطلقت فيه ثورة التحرير كان يتراوح بين ثمانية وتسعة ملايين نسمة ، وان الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الذي جثم على صدر البلاد مائة وثلاثين عاما قد تركها بعد اندحاره وجلائه عنها سنة ١٩٦٢ قاعا صفصفا من جراء سياسة « الارض المحروقة » التي مارسها طوال الحرب ، لبث الرعب واليأس من جدوى المقاومة في انفس المقاتلين في الجبال وفي الريف ، اولئك الجنود المؤمنين بدينهم ووطنهم وقوميتهم الذين احتضنهم الشعب بمختلف فئاته دون ان يزحزحه عن موقفه ماصبه عليه الاعداء من شتى صنوف التعذيب والتنكيل .

وقد كان يطلق على هؤلاء الثوار البواسل والمحاربين الاشداء تلك التسمية الجديرة بهم والمستمدة من اصول الشريعة الاسلامية وهي « المجاهدون » ، اذ كانت حربهم دفاعا عن العقيدة وعن الأرض والعرض وتحت راية « الله اكبر » ، فكانت « جهادا » بمعنى الكلمة ، ويكفيهم لاستحقاق تلك المكانة أنهم انتزعوا وطنا عربيا مسلما من براثن أعتى أنواع الاستعمار ، وقضوا بذلك على محاولات العدو الغاصب « تنصير » أبنائهم ، مستخدما في ذلك طائفة من المبشرين المحترفين على رأسهم الداهية المتعصب « لافيجري » ، فجزائر اليوم كلها

مسلمون ، وينص دستورها على أن دين الدولة هو الاسلام . وأن لغتها الرسمية هي العربية . كما قضى أولئك المجاهدون الأحرار على أسطورة « الجزائر فرنسية » التي كان يتشدق بها الاستعمار الفرنسي ، مدعيا ان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا التي تمتد حدودها ـ تبعا لهذه الدعوى الباطلة ـ من دانكرك في اوروبا شمالا الى تامنراست « محافظة جزائرية » في افريقيا جنوبا .

ومازال يطلق اسم المجاهدين على الجزائريين الذين اشتركوا في حرب التحرير وشهدوا عصر الاستقلال ، وهم يسهمون اليوم في الجهاد الأكبر ، المتمثل في معركة البناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، ويعتبرون هذا الاسهام رسالة سامية لا يقل اثرها عن دورهم في سنوات الحرب ، اما الذين قضوا نحبهم من ابناء الشعب الجزائري سواء منهم المعروفون او المجهولون ، فما زال المجاهدون الأحياء ينبشون عن رفاتهم لاعادة دفنهم ، اذ تكشف عنه معاول العمال كلما حفروا ارضا لارساء قواعد مصنع او مدرسة او غير ذلك من المنشآت والمؤسسات التي تنص برامج التخطيط التنموي على اقامتها ، « آخر واقعة من هذا القبيل اعادة دفن رفات الشهيدين العقيد عميروش ـ وسي الحواس اللذين سقطا بجبل « ثامر » بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٩ ، ورفات ١٢٩ شهيدا بمقبرة الشهداء بقسنطينة ، وذلك صبيحة يوم ٧ مايو ١٩٨٢ الموافق للذكرى السابعة والثلاثين لمذابح ٨ مايو ١٩٤٥ التي سقط فيها ٤٥ الف قتيل على أثر مظاهراتهم ، مطالبين فرنسا بتحقيق وعدها بمنح الجزائر الاستقلال بعد انخراطهم في التجنيد دفاعا عن الغرب ضد النازية والفاشية في منطقة « سطيف وخراطة ـ وقالمة » .

فما من سنة أو شهر أو أسبوع احيانا الا وتصور وسائل الاعلام منظر توقف الآلة الجارفة على اثر ظهور بقايا اجساد تحمل آثار الاحتراق او التعذيب وجماجم اخترقتها رصاصات غادرة ، وحينئذ ينصرف الرجال عن عملهم ليأخذ كل منهم فرعا من شجيرة يمسح بها التراب عن تلك العظام الطاهرة في رفق ، ثم يجمعون هذه الرفات وهم منحنون كأنهم ساجدون في صلاة لم يستطيعوا أداءها في وقتها منذ عقدين من السنين في أرض سقط فيها شهداء بعيدا عن الأنظار ، : **(وما تدري نفس بأي أرض تموت)** لقمان / ٣٤ صرعى مجندلين بأدوات الفتك الجهنمي للعدو الهمجي ، الذي أفرزته الحضارة الغربية ، ـ او مقدمين أرواحهم رخيصة دفاعا عن مقدسات الشعب والوطن والحرية .

وهؤلاء الشهداء الذين ظلوا مجهولين تحت التراب أو الوديان او جنادل الصخور في السفوح والجبال في اقصى الجهات بأرض الجزائر الشاسعة هم الذين رفضوا بعزائم قوية كالفولاذ اغتصاب حقوقهم او تقسيم تراب وطنهم ، فحاربوا عدوهم

المدجج بأعتى الأسلحة وأحدثها بصدورهم العارية أو ما ملكت ايديهم من سلاح قليل ضئيل ، وما ادخرت نفوسهم من طاقات التضحية ، فاستطاعوا ان يحطموا صلفه وغروره بقوة ايمانهم الذي لا يقهر ، فمنهم « المسبلون » حاملو الرسائل بين المقاتلين في الجبال بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين أنصارهم في القرى والمدائن ، وقد حشدوا في معسكرات الموت بعد ان ألقى المجرمون عليهم القبض وهم يقومون بمهامهم النبيلة ، ومنهم المجاهدون الذين كانوا يجوبون الشعاب والوديان بين ظهراني الشعب ، ليثبتوا إيمانه في التحرير القريب ، ومنهم رجال تلك القوافل التي تحمل السلاح عبر الصحراء دحرا للعدو وشفاء لصدور قوم مؤمنين .

ومن ثم اصبحت المدافن الجماعية التي يعثر عليها ومواكب المشيعين لشهدائها بعد مرور عشرين سنة على الطلقات الاخيرة في الحرب التحريرية من الظواهر التي تسترعي النظر ، والتي تنبىء عن عمق الجهاد وبطولة المجاهد في الجزائر ، وتمثل عبرة للشعوب العربية والاسلامية تستمد منها الحافز النبيل على بذل التضحيات مهما عظمت في سبيل استرداد الحق الضائع ، واستعادة المقدسات التي تطؤها اقدام الأعداء الدنسة ، وتوحيد الجهود تحت راية الجهاد لصد الهجمات التي يشنها المستعمر القديم والجديد ، واثقة انه لا تحرير بغير ايمان بالحق وفداء في سبيله ، وأن النصر لا محالة عقبى المؤمنين المجاهدين .

ويحتل المجاهدون مكانة خاصة في نفوس أبناء جزائر اليوم والأمس بالنظر الى المناقب المثالية التي كانوا يتسمون بها ، اذ كانوا يتركون أطفالهم وبناتهم ونساءهم بلا معيل ، بل عرضة للتنكيل ، ليعيشوا مع الوحوش في مغاور الجبال وفي الغابات ، جائعين حفاة عراة ، مسددين رؤوس بنادقهم الى العدو في معاقله او في أثناء تجوله الارهابي ، حاملين أرواحهم على اكفهم لتقديمها في كل لحظة ذودا عما حرم الله انتهاكه ، ومن أجل جزائر حرة مستقلة ذات راية خفاقة ورأي مسموع في العالم ومكان كريم تحت الشمس ، فاستحقوا ان ينظر اليهم الشعب الذي جاهدوا لتحريره كأنهم ملائكة مطهرة .

لقد كانوا يؤمنون بالمبادىء المثلى التي أرساها المسلمون الأوائل ، ويقتدون بهم في السلوك القويم ، فقاموا يدافعون عن المستضعفين في الأرض ، ويردون البغي والعدوان ، ويبنون مجتمعا جديدا على أسس من العدالة الاجتماعية ومنع استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ونشر الاخاء والمساواة بين الناس ، والتمكين للديمقراطية الحقة القائمة على حرية الرأي والشورى والأخذ بما تستقر عليه الأغلبية ، ولقد حرموا على أنفسهم أثناء ثورتهم المسلحة طيبات الحياة ، منتصرين على الغرائز والنزوات البشرية ، وبلغ بهم ذلك حد

الاقلاع جميعا عن تدخين التبغ طفرة واحدة ، ضنا بثمنه لان المعركة المقدسة اولى بكل درهم ، وحفظا لصحتهم ، ولخشيتهم أيضا أن يتبين العدو مواقعهم من خلال ومضات لفائف الدخان المشتعلة .

ومن السمات التي تأصلت في نفوس الرعيل الأول من المجاهدين الجزائريين وحدة الصف الى جانب وحدة الهدف ، فكانوا يدا واحدة على أعدائهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، اقتداء بالصحابة والصالحين ، وكانت لهم نظم في محاكمة المخالفين منهم لردهم الى جادة الصواب ، كما كانوا يعقدون مجالس للصلح بين المتخاصمين ومكاتب للأحوال المدنية ، ومن ثم كان التلاحم بينهم وبين افراد الشعب وثيقا منذ أول رصاصة أطلقوها ، بل ان الثورة لم تكن لتقوم لولا الاعداد لهذا التلاحم عن طريق تصفية الحزازات التي نجمت عن تعدد الاحزاب السياسية وتفرق الناس بينها .

وقد غالى الناس أفرادا وجماعات في تقدير المجاهدين وتكريمهم من فرط اعجابهم بخلقهم وعملهم حتى كادوا يجاوزون الحد ، فكان اهل القرى عند اندلاع الثورة ينظرون الى المجاهد الذي يمر بهم في طريقه ، ويلبث بينهم حينا او بعض حين ، التماسا للراحة او للاختفاء عن أعين العدو المطارد له أو المتربص به ، كأنه من أحفاد الصحابة أو قبس من النور أو فيض من الخير العميم .

وبلغ تعظيم المجاهد أن كان ينسب اليه ما يشبه المعجزات ، ويعتبر خليفة وجنديا من جنود الله ، ولا شك أن ثمة عذرا لأصحاب هذا التصور وتلك المبالغة التي لم يكن يرضى بها المجاهدون المتشبعون بتعاليم الاسلام الحق ، ذلك لأن هؤلاء المبالغين كانوا قوما بسطاء ، فلم يجدوا غير هذا التصور وسيلة للتعبير عما تجيش به نفوسهم من مشاعر الاعجاب والتوقير والاعتراف بالجميل ، أضف الى ذلك أن كثيرا من المجاهدين يرجعون في أصولهم الى العرب الأوائل الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية وخصوصا من اليمن في أثناء الفتوحات الاسلامية ، فهم ينحدرون من أصلاب رجال تجري في عروقهم دماء العروبة والاسلام .

كما تعلل المبالغة في صورة المجاهد في عيون الجماهير المتشوقة للقائه وايوائه ومد يد المساعدة اليه ، مما كان يؤدي احيانا الى احراق العدو قرية كاملة بحرثها ونسلها انتقاما من أهلها ، بأنها كانت رد فعل تلقائيا للوسائل والحملات التضليلية التي كانت السلطة الاستعمارية تسعى جاهدة للتأثير بها في عقلية الشعب الذي وضع ثقته في قادته المناضلين ، عن طريق تشويه صورة المجاهد ، بادعاء تلك السلطة حينا أنه غول له رأس آدمي وجسم جرادة تطير من مكان الى مكان ، وانه يختفي في باطن الارض ثم يخرج من حيث لا يتوقع أحد ، وحينا أنه مجنون او غاز من الخارج لا ينتمي الى الشعب ولا

يسعى لصالحه ، أو خارج على القانون ، وغير ذلك مما يطفح به قاموس الاستعمار والصهيونية اليوم والأمس القريب ، وسوف يطفح به غدا حتى تتخلص من عارهما الشعوب ، ويكفي في هذا السياق نعت اعداء العرب والمسلمين للفلسطينيين المناضلين ولسائر جنود حركات التحرر الوطني وطلاب حق تقرير المصير بالارهابيين .

وثمة اسم آخر هو « الفلاجة » كان يطلقه الاستعماريون الفرنسيون على المجاهدين الجزائريين وقد اندثر بعد الاستقلال ، شأنه شأن الأسماء والنعوت الباغية الأخرى ، وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل المشتق من الفعل فلق أو قطع ، وقد استعاره الفرنسيون من اللغة التونسية الدارجة ، وكانوا يعنون به أن المجاهدين في نظرهم ليسوا الا فريقا من قطاع الطرق الذين يضربون كل من ألقى به سوء الطالع في طريقهم بشاطور على رأسه ، فيفلقونه نصفين ، قاصدين من وصف المجاهدين بهذه الصورة الخرافية البشعة ، تنفير الشعب من المجاهدين والحيلولة دون لحاق الرجال باخوانهم المحاربين بالجبل لمشاركتهم الجهاد ، لعلم المستعمرين أن جماهير الفلاحين هم بمثابة مخزن الثورة او التربة التي تمدها بكل العناصر الحيوية التي تحتاج اليها ، نظرا لأنهم اكثر الفئات عددا واكثرهم اضطهادا من قبل الأعداء ، وأنهم اذا تبنوا الثورة والمجاهدين على طريقها عجزت أية قوة عن الوقوف في سبيلهم .

ومن الأكاذيب التي لم يدخر الاستعمار جهدا في بثها قوله ان المحاربين في الجبال هم من حزب الباديسيين نسبة الى الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين الذين يحاربون عبادة الأولياء وتقديم الذبائح قربانا على أضرحتهم ، ويستنكرون « الوعدات » التي سماها الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله « اعراس الشيطان » . وكان المستعمرون يقصدون من وراء ذلك اثارة الفتنة والعداوة بين أبناء الريف وبين المجاهدين ، بدعوى أنهم ضد التقاليد والمعتقدات ، وقد نجح المضللون في تسخير جمع من اعداء العلم والدين عميت بصائرهم واغرتهم السلطة الاستعمارية بالأموال والمناصب لكي يتهموا المصلحين بأنهم جاءوا بدين جديد ، وهم الذين دعوا للعودة الى الينابيع الصافية الاولى والأصول الصحيحة للأسلام ، والى محاربة « الطرقيين » أدعياء التصوف وما جاءوا به من بدع وخرافات وأباطيل .

لقد كانت الجماهير تعي واقعها من شدة معاناتها اليومية ، وبفضل حركة التنوير الجزائرية في أوائل القرن ، وتوقن أنه لابد ان يأتي اليوم الذي تتحرر فيه البلاد ، وتنتظر صابرة مؤمنة ذلك اليوم حين تهب ريح الثورة فتقتلع أوتاد الظلم والظالمين على يد فئة رائدة منها تقودها في سبيل التخلص من الصليبيين الجدد اعداء الأمة والحق ، ومن ثم رد كيد المفترين

الى نحورهم ، وذهبت محاولاتهم عبثا ، اذ كانت أوهى من خيوط العنكبوت مثلها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فكانت الجماهير تتلقى هذه الدعاية السوداء من افك الأعداء بالسخرية ، وتهزأ من غفلة الجنود الفرنسيين والمرتزقة الذين استعانوا بهم ، ادراكا منها انهم ما كانوا ليعتبروا المجاهدين جرادا أو وحوشا أسطورية أو رجالا مسهم الجنون الا لانهم أذهلوهم بمهارتهم وتفننهم في حرب العصابات .

وكان الشعب يدرك أيضا أن المحاربين في سبيل مبادئه وقيمه إنما هم فتيته الابطال ، والجماهير منذ أقدم العصور تعرف أبناءها الحقيقيين ، ومن ثم سمي الجزائريون الفدائيين منهم « المجاهدين » ، لما اتسم به عملهم من فضائل الجهاد ، إذ كانوا يصارعون القوات المحتلة لطردها من بلد ليس بلدها ويقاتلون عدوا يخالفهم في دينهم وقوميتهم ولغتهم وحضارتهم ، عدوا اتى من وراء البحر وتسلط على ارضهم واعتدى على حرماتهم بشتى اساليب المسخ والتشويه ، كانت الجماهير تعرف ذلك ابان ارتفاع صيحة الجهاد بل قبل اندلاع الثورة ، وهي لم تزل تذكره منذ دنست أقدام أول جندي فرنسي أرض الجزائر العربية المسلمة في ٥ يوليو ١٨٣٥ ، وكيف يتسى ذلك الماضي الأليم وهو مازال حيا متواصلا في الحاضر ، إذ يحتكر « المستعمرون » لأنفسهم أخصب الاراضي ، ويبنون افخر المساكن ، على حين يسكن اصحاب الارض في الأكواخ والخيام ، ويستولي هؤلاء الغاصبون عنوة على كل الخيرات ولا يدعون غير الفتات ؟ وانى يسمع الشعب للأقاويل المغرضة وهو يرى بعينيه ويحس بوجدانه مدى ما حل به من مواجع ومظالم بمصادرة ممتلكاته وحرمانه من سعادته بل تجويعه ، وتجهيله ، واهانته في دينه ، وانتهاك مقدساته .

فلا غرو ان تلقى الريفيون وأهل البوادي نبأ انطلاق الثورة بالفرحة الغامرة ، وانفجرت الشحنات الكامنة في صدورهم عشرات السنين ، فاستجابوا الى دعاة الجهاد ، مدركين ان الحرية لا توهب ، وانما تؤخذ وسط دوي البارود ، وتسابق الشباب الى الانخراط في الثورة ، وباع كثير من الرجال كل ما يملكون وطلقوا زوجاتهم - ليملكن حريتهن - والتحقوا بصف الثوار ، ومن لم يستطع من الشيوخ الحرب قدم ابنه اخا للمجاهدين وهو فخور قرير العين ، وشاركت المرأة أخاها الرجل فيما تستطيع من ضروب الجهاد . وبذلك تحول الشعب كله الى جيش من المقاتلين المؤمنين بقضيتهم والرافعين شعار « الموت او النصر » مستهدفين نيل احدى الحسنيين : قهر العدو وتحرير البلاد والعباد أو الفوز بالجنة ، فانهزمت جيوش الصليبيين الجدد ، وانتصرت ارادة المؤمنين ، لتكون في تلك الهزيمة وذلك النصر عبرة لمن يعتبر .

الصحوة الإسلامية وأثرها في حياتنا اللغوية

للدكتور مصطفى عبدالعزيز السنجرجي

يشهد مطلع القرن الهجري الجديد هذه الصحوة الاسلامية التي تمثلت في مظاهر متعددة ، وسيكون لها بمشيئة الله تعالى أعظم الأثر في الأمة العربية التي تسعى حثيثا ليتبوأ أبناؤها المكانة السامية التي أرادها لهم الله سبحانه ، وذكرها في كتابه العزيز اذ قال عز من قائل :(**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران
تمثلت هذه الصحوة الاسلامية في عدة مظاهر منها :

أولا : المؤتمرات الاسلامية :

فقد أقيمت عدة مؤتمرات تُذَكِّر المسلمين بماضيهم المجيد ، وما ينبغي أن يفعلوه ليكون لهم الغد الباسم السعيد ، ومن اليسير أن نلاحظ أن هذه المؤتمرات قد تنوعت فكان منها المؤتمرات الخاصة التي تتناول ناحية واحدة من حضارة الاسلام مثل مؤتمر الطب الاسلامي الذي عقد للمرة الأولى بدولة الكويت يوم الاثنين السادس من ربيع الأول عام ألف وأربعمائة وواحد من الهجرة وحضره عدد كبير من الأطباء والعلماء من جميع أنحاء العالم ، وتناولوا بالبحث والدرس تراثنا الاسلامي الشامخ في مجال الطب ، والتعاليم التي تضمنها هذا التراث في مجال العلاج والوقاية تلك التعاليم التي وضعها الرواد الأوائل من علماء المسلمين العظام الذين تدين لهم الحضارة الانسانية أمثال الرازي وابن سينا ، وابن الهيثم وابن النفيس والبيروني وغيرهم ممن ألَّفوا في الطب والعلوم المختلفة وكانت مؤلفاتهم أساسا لحضارة الغربيين ، استمدوا علومهم منها ، ومازالوا يرجعون اليها .

وقد امتد نشاط هذه المؤتمرات من الشرق الى الغرب ، وأذكر على سبيل المثال من هذه المؤتمرات الاسلامية التي عقدت في الغرب مؤتمر الدعوة الاسلامية الذي عقد في مدينة ميونخ بألمانيا الغربية .

وقد تناولت البحوث والمحاضرات فيه موضوع الدعوة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ودراسة آفاقها ، واستعراض معوقاتها ، ووضع التخطيط لتنشيطها ثم أصدر المؤتمر توصياته في ختام جلساته وتناولت الكثير من الجوانب ، وفي مقدمتها اعتراف الحكومة الالمانية بالدين الاسلامي دينا رسميا اعتمادا على أن تعداد المسلمين عندهم يزيد على مليونين ، وهذا الاعتراف يحقق مزايا كثيرة للمسلمين من أهمها حرية انشاء المساجد والمدارس لأبناء المسلمين ، كما أعلن المسئولون في المركز الاسلامي عن نجاح المفاوضات الخاصة بشراء منزل مجاور للمركز لاعداده ليكون دار ضيافة ، ومكتبة اسلامية ، ومطبعة لطباعة المصاحف وكتب التفسير والفقه والتراث لخدمة المراكز الاسلامية ، كما يستعد هذا المركز لتنفيذ أكبر مشروع خاص بانشاء مزرعة لتربية الأبقار والدواجن ويلحق بها مذبح اسلامي يتم فيه الذبح وفقا للشريعة الاسلامية .

ثانيا : المعاهد الاسلامية :

كذلك من مظاهر الصحوة الاسلامية اقامة المعاهد العلمية التي تعني بالدراسات الاسلامية ، وفي مقدمتها دور القرآن الكريم ، التي تهتم بدراسة أمور الفقه والتفسير و حفظ وتجويد القرآن الكريم .

وفي مجال اقامة المعاهد العلمية التي تعنى بالدراسات الاسلامية نذكر بالاعزاز والفخر أن هذه المعاهد أخذت تنتشر في الغرب أيضا ، وحسبي أن أذكر على سبيل المثال جامعة المشرق والمغرب في الولايات المتحدة الامريكية وهي أول جامعة يؤسسها المسلمون هناك ، وتقوم بتدريس العلوم بشكل عام من وجهة نظر اسلامية ، وتضم ثلاث كليات هي:كلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وكلية الآداب والعلوم الانسانية ، بالاضافة الى معهدين أولهما:معهد للدراسات الاسلامية ، وثانيهما: معهد للدراسات الدولية .

وعلى الرغم من أن تأسيس هذه الجامعة لم يمض عليه أكثر من عام فان عدد الطلاب فيها بلغ خمسمائة ، ويتوقعون هناك أن يتضاعف العدد في السنوات القادمة وبلغ عدد الاساتذة أربعين ويشرف على هذه الجامعة مجلسان احدهما : مجلس أمناء ، والثاني مجلس ادارة ، ويضم مجلس الأمناء نخبة من الشخصيات الاسلامية المعروفة كرئيس جامعة الملك عبدالعزيز ، ومدير جامعة الامارات ، .

ومما هو جدير بالذكر هنا أيضا انشاء معهد لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين بجامعة فرانكفورت ، فقد تبرعت دولة الكويت باقامة مقر هذا المعهد وساهم فيه العديد من الدول العربية ، وأقيمت حفلات افتتاحه في نهاية شهر رجب ومطلع شهر شعبان سنة اثنتين وأربعمائة بعد الألف أيضا .

ثالثا : المؤسسات المالية الاسلامية :

ومن مظاهر هذه الصحوة الاسلامية أيضا انشاء المؤسسات المالية فقد انتشرت هذه المؤسسات مع مطلع هذا القرن الهجري الجديد،وأعلن المؤسسون أنهم يستثمرون الأموال طبقا لما جاء به القرآن الكريم واحتوته السنة المطهرة ، وأقرته الشريعة الغراء ، كما أن التزامهم الديني يحتم عليهم السير على هذا النهج القويم في جميع معاملاتهم المصرفية ، لقد أعلنوا الجهاد في سبيل الله لرفع بلوى الربا عن الأمة الاسلامية ، فقد رأوا ما يتعرض له المسلمون من اغراء خبيث نتيجة للتأثير الضار الذي تقوم به المؤسسات المالية التي تخضع لنظام الربا الذي يتمثل في هذه الانظمة الدخيلة على الأمة الاسلامية ، وبما ان الله جلت قدرته قدمنحهم الرزق الواسع من المال فان واجب الشكر عليهم يقتضيهم ان يحققوا لاخوانهم المسلمين الحماية من الوقوع في الربا وأضراره وذلك بإنشاء هذه المؤسسات المالية الاسلامية .

ان هذه الصحوة الاسلامية التي ظهرت مع بواكير القرن الهجري الجديد جعلت العديد من جمهور المسلمين يعلنون سخطهم على المعاملات المالية التي تخضع لنظام الربا ، وقد وجدوا البديل الحلال في هذه المؤسسات الاسلامية ، ومن ثم أقبلوا عليها لينالوا خير الدنيا والآخرة .

وفي مجال المؤسسات المالية الاسلامية نذكر أيضا بالاعزاز والاكبار مشروع بيت الزكاة الذي إقامته دولة الكويت ليتولى جمع الزكاة ، وصرفها في مصارف الزكاة التي حددها الاسلام ، ولا يخفى ما لهذا المشروع من آثار عظيمة في تقوية ركن من أركان الاسلام وتيسير القيام به على المسلمين .

رابعا : الاعلام الاسلامي :

كذلك من مظاهر هذه الصحوة الاسلامية اهتمام وسائل الاعلام بالأحاديث الدينية ، وأخبار المؤتمرات الاسلامية ، بجانب البرامج والمسلسلات ، والقصص ، والمسرحيات ، وسير الأبطال ، ومشاهير الاسلام ، ولا ننسى في هذا المقام أن نشير الى مؤتمر الاذاعات الاسلامية والدور العظيم الذي يقوم به ممثلو هذه الاذاعات تجاه القضايا والمشاكل التي تعاني منها الشعوب العربية والاسلامية .

خامسا : المؤلفات الاسلامية :

فقد ظهرت عدة مؤلفات وموسوعات اسلامية واذكر منها على سبيل المثال كتاب

الثقافة الاسلامية الذي تخرجه هيئة اليونسكو ويقع في خمسة مجلدات كل مجلد منها يتناول مظهرا من مظاهر الثقافة الاسلامية .

أثر الصحوة الاسلامية :

هذه لمحة خاطفة عن مظاهر هذه الصحوة التي كان من أعظم آثارها أننا رأينا كثيرا من شبابنا قد صححوا مسيرتهم نحو الدين ، وأقبلوا على تفهم أحكامه ، والعمل بتعاليمه وآدابه ، وإنا لنرجو أن تكون هذه المظاهر صادرة عن يقين متين ، وعقيدة ثابتة ، وفهم حقيقي حتى تواصل هذه الصحوة مسيرتها وتحقق الغرض المنشود منها .

ويعنيني من الحديث عن مظاهر هذه الصحوة ان أذكر ما سيكون لها من آثار طيبة في حياتنا اللغوية . ذلك لأن الدعوة الاسلامية حينما أشرق نورها على العالم جاءت وبين يديها كتاب الله العزيز الذي كان المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له أعظم الأثر في نفوس العرب فعكفوا على قراءته وتدبر آياته ، وحرصوا على محاكات أسلوبه وكلماته ، وسرعان ما ظهر أثره في اللغة العربية اذ أضفى عليها كثيرا من مظاهر الحسن والبهاء ، كما ضمن لها النماء والبقاء . وقد وضعت كثير من العلوم العربية للمحافظة على هذا الكتاب العزيز ، وأقبل الدارسون على دراستها لتساعدهم على فهم أساليبه ، واستنباط الأحكام من آياته ، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين العربية الفصحى والدين الاسلامي ، فالعربية الفصحى وسيلتنا لفهم القرآن الكريم واستنباط أحكام الشريعة ، وتثبيت العقيدة والحفاظ على القومية العربية ، وتراثها المجيد ، ولهذا كان لزاما على أبنائها أن يرعوها حق رعايتها ، ويتصدوا لمحاربة من ينقصها أو يكيد لها .

وان من دواعي الاسف ان نراها قد تعرضت منذ امد بعيد لتحديات شديدة كان لها اثرها في هذا التدني الذي آلت اليه في عصرنا ، ومن ثم تعالت صيحات ذوي الغيرة عليها تنادي باستعادة مجدها ، ودراسة مشكلاتها ، ومعرفة اسباب ضعفها ، والبحث عن انجع الوسائل للنهوض بها ، والتنديد بالتحديات التي واجهتها ، وكان من اخطر هذه التحديات التي ظهرت في القرن الهجري المنصرم نشاط بعض المثقفين العرب في الدعوة الى العامية ، واللهجات المحلية واتهام الفصحى بالجمود والعجز عن التعبير عن مستحدثات العصر، وانها مثقلة بقواعدها السقيمة التي ترهق كل من يلتزمها ، او يحاول التعبير بها ، وبذلك كانوا يرددون ما ردده المستعمر منذ امد بعيد حين عزَّ عليه ان يرى الامة العربية يربطها رباط متين يحافظ على وحدتها وهو اللغة القومية فأخذ يعمل على تفتيت وحدتها وذلك بالقضاء على هذا الرباط الذي يربط بين اجزائها وخير وسيلة لذلك هو الدعوة

الى العامية ونشر اللهجات المحلية وهكذا نشطت الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية وكان في طليعة الابطال الذين حملوا لواء هذه الحرب الدكتور ((ولهلم سبيتا)) الذي يعد اول من كتب في العامية المصرية من الاجانب ، وقد الف كتابه « قواعد العربية العامية في مصر » سنة ١٨٨٠م وكان مديرا لدار الكتب المصرية ايام الاحتلال البريطاني » والناظرون في تاريخ هذه الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية يرون ان هذا الكتاب كان من المحاولات الاولى التي اثارت بحق شكوكا حول العربية لا تزال آثارها عالقة بالاذهان الى اليوم ، كما لا تزال القضايا التي حركها نعاني منها ، ونحاول جاهدين القضاء عليها . « واعتقد ان الداعين الى العامية في هذه الايام الاخيرة من المثقفين العرب، متأثرون الى حد كبير بهذه الحملات الاستعمارية ناسين او متناسين ما تجنيه العامية واحياء اللهجات المحلية على وحدة العرب والدول الاسلامية ، وحسبي ان اشير هنا الى هذا القرار المنصف الذي اصدره المستشرقون في مؤتمرهم الذي عقد ببلاد اليونان فقد جاء في هذا القرار « ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الاسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف ، وان من واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة اساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والاخلاق » .

ومن اليسير ان ندرك ان هذا القرار يشير الى اهمية اللغة العربية الفصحى في البلاد الاسلامية والعربية ، وان واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بها عناية فائقة لأنها اللغة التي تصلح للتخاطب ، والكتابة ، والتأليف في هذه البلاد واستطيع ان اضم الى ذلك ان العناية بها توطد العلاقة بين هذه البلاد والقرآن الكريم والتراث العربي الاصيل ، كما ان نشر العامية واحياء اللهجات المحلية يبعدها عن ذلك ، ومن هنا تعالت صيحات بعض البلاد الاسلامية حين استشرى خطر العامية ، وتفاقم خطبها ، واتجه بعض اللغويين الى مناهج واساليب تتفق مع اللغات الاجنبية ولا تلائم العربية ومن خير الامثلة التي تصور استياء الامم الاسلامية من هذا الخطر الداهم ما جاء في بيان « جاكرتا » الذي اصدره المؤتمر العالمي الاول للاعلام الاسلامي الذي عقد في الواحد والعشرين من شهر شوال سنة اربعمائة والف للهجرة واستمر ثلاثة ايام فقد اشتمل هذا البيان على التوصية التالية :

« تواجه اللغة العربية الفصحى بوصفها لغة القرآن تحديات خطيرة تستهدف القضاء عليها واعلاء شأن العاميات في البلاد العربية ، واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام من طباعة وصحافة واذاعة وتلفاز ، وذلك للحيلولة دون فهم القرآن الكريم ، والحيلولة دون الاعتزاز بالتراث الاسلامي العربي ، ومن هذه التحديات محاولة اخضاعها لمنهج اللغات الذي وضع اساسا على مقايسة اللغات الاجنبية ، وكذلك محاولة تصويرها بأنها لغة قومية تخص العرب وحدهم ولهم حق تطويرها بينما هي لغة الف مليون مسلم من بينهم العرب ،

ولذلك نأمل العمل على حماية اللغة العربية من هذه الاخطار ، وذلك بنشر الوسائط التي تحقق تعليم الاجيال الجديدة الفصحى لغة القرآن وخاصة في البلاد الاسلامية وتقديم الدعم المادي للمؤسسات التي تقوم بهذا الغرض ، واستعمال جميع الوسائل العصرية في تقديمها الى مختلف الاجيال والاوطان بطريقة مبسطة ومشوقة ».

ولا ريب ان هذه التوصية قد بينت بوضوح هذه الامور الخطيرة التي تعرضت لها اللغة العربية الفصحى في هذه الايام ، وكان من نتيجتها هذا التدني الذي نراه في الاجيال الناشئة ، ومن اخطر هذه الامور انتشار العامية واحياء اللهجات المحلية على الرغم من ظهور كثير من البحوث والمؤلفات التي تعالج هذه المشكلة منذ زمن بعيد ، ومن الباحثين من حاول احصاء هذه البحوث والمؤلفات وتتبعها بالدراسة والبحث .

وقد عرفت العربية منذ القرن الثاني الهجري لونا من التأليف يهدف الى سلامتها وتنقيتها مما بدأ يشوبها من كلام دخيل او مختلف عن سنن العرب في كلامها وعرف هذا اللون باسم لحن العامة وهكذا توالت جهود ائمة اللغة عبر هذه العصور الطويلة وكان لهذه الجهود اثرها الكبير في الحفاظ عليها ، ومن ثم ارى لزاما على ذوي الغيرة على العربية الفصحى ان يضاعفوا جهودهم في التغلب على سيل العامية الجارف ، وان يضعوا نصب اعينهم ارتباط هذه اللغة بالقرآن الكريم ، والتراث العربي والاسلامي فهذا الارتباط هو سبب صمودها وبقائها طوال هذه الاحقاب التي لم تظفر بها اي لغة سواها ، وان من اعظم الاعمال التي يجب ان نكرس لها جهودنا هو العمل على نشر اللغة العربية وتيسير تعلمها لغير الناطقين بها .

حقا لقد ظهر في هذا المجال محاولات جادة ونافعة في هذه الاونة الاخيرة اذكر منها هذه المعاهد التي تعنى بتدريب المعلمين على تعليم اللغة العربية مثل معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ، ومعهد الخرطوم الدولي بالسودان ، والجامعة الامريكية بالقاهرة . ومنها مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . مثل مركز اللغات بجامعة الكويت ، ومركز اللغات بالجامعة الاردنية ، ومعهد بورقيبة بالجامعة التونسية ، وشعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ومركز تعليم اللغة العربية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ومركز تعليم اللغة العربية بمدينة البعوث الاسلامية بجامعة الازهر بالقاهرة ، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة المستنصرية ببغداد .

ولا ننسى في هذا المجال الاشادة بالندوات والمؤتمرات والبحوث والكتب التي ألفت لنشر هذه الرسالة النبيلة ، وإنا لنتوقع المزيد من هذه الجهود المباركة حتى تسترد هذه اللغة مجدها ، وتعود لها مكانتها وعزتها وسيادتها ، والله الموفق الى سواء السبيل .

مائدة القارئ

من قالها دخل الجنة

الاستغفار عبادة ، وسيد الاستغفار هو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من قالها موقناً بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة** » . **أخرجه البخارى** .

يصلحهم العدل والحق

كتب أحد الولاة الى عمر ابن عبدالعزي يقول : إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بذلك :

فكتب أمير المؤمنين اليه قائلا : أما بعد فقد بلغنى كتابك ، تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام .

لا تخدعك المظاهر

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل منكم وقد لبس فاخر ثيابه ، وتعطر بأغلى العطور ، فيعجبنى شكله وهندامه ، فأقول : هل لهذا الرجل حرفة يقتات منها ، فان قالوا : لا . سقط من عينى .

على رجاء الفلاح

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى ... وما علموا أن الخضوع هو الفقر

وبيني وبين المال شيئان حرما ... على الغنى : نفسي الأبية ، والدهر

إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه ... مواقف ، خير من وقوف بها العسر

فراسة

بينما كان الشافعى ، ومحمد بن الحسن ـ رضى الله عنهما ـ ماشيين إذ رأيا رجلا ، فقال الشافعى : إن هذا الرجل نجار ، وقال محمد بن الحسن : إنه حداد . فعندما سئل عن ذلك قال الرجل : كنت نجارا ، والآن اشتغل حدادا .

الأجل

قال حكيم : الموت كسهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .

موعد الغداء

سأل الضيف : متى تتناولون طعام الغداء كل يوم ؟
فأجاب الصغير : فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، أما إذا كان لدينا ضيف ، فنتناوله إثر خروجه مباشرة .

على رجاء الفلاح

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » الآيات من سورة الحج .

إلى الدعاة

قال الشيخ حسين المرصفى : « إن من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير ، يجب أن يكون أبعدهم عن التصنع ، وأحرصهم على الكمال ، فان أدنى هفوة منه تسقط اعتباره ، وتسهل التهاون به ، فلا يكون لكلامه تأثير في القلوب ، ويصقر مجلسه مسلاة يتلهى الناس بحضوره .

وقالوا : ما أحسنالتاج وهو على رأس الملك أحسن ، وما أحسن الدرة وهي على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة وهى من الفاضل التقى أحسن .

القواعد الإسلامية للتخطيط الاجتماعي

للدكتور / زيدان عبد الباقي

التخطيط من الأساليب العلمية التي يمكن استخدامها في مختلف النشاطات الانسانية ، ولا سيما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي .

وذلك على أساس أن التخطيط يعتبر بمثابة الركيزة الأساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية . وعلى ذلك فان تحقيق خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية لكل أهدافها مرهـون بمقدار الدقة والموضوعية التي تلازم التخطيط لها .

وهذان النوعان من التخطيط يمكن تقسيم كل منهما الى أقسام فرعية : فالتخطيط الاقتصادي يمكن تقسيمه الى : تخطيط صنـاعي ، وزراعي ، وتجـاري ... والتخطيط الاجتماعي يمكن تقسيمه الى تخطيط تعليمي وصحي وثقافي وترويحي وروحاني واداري وعمراني ... الخ .

والتخطيط الاجتماعي ـ على هذا النحو ـ يعرف بأنه « **عملية تغيير اجتماعي مقصودة ، ووسيلة فعالة لنقل مجتمع ما من مستوى الى مستوى آخر افضل عن طريق تصميم واصدار وتنفيذ مجموعة**

من القرارات المتناسقة والمتكاملة وغير المتعارضة ، بحيث يؤدى تنفيذها الى تحقيق الأهداف التي صدرت من اجلها الخطة ، وبأقل التكاليف الممكنة ، وفي المواعيد المحددة » .

وطبقا لهذا التعريف فان التخطيط ـ في كل المجالات ـ يحتاج ـ أولا وقبل كل شيء ـ الى نوع من التصور الذهني الناجم عن التنبؤ الاجتماعي لما يراد احداثه من تغيرات في البناء الاجتماعي . ومثل هذا التصور الذهني من الأمور المألوفة في حياة الفرد والجماعة ، والمجتمع المحلي ، والمجتمع الدولي ... كما أنه يحتاج الى عودة الى الماضي لاستلهام التجارب السابقة التي ترتبط بالموضوع أو المجال الذي يجرى التخطيط من أجله ، واذا عدنا الى الماضي ، نجد تجربة عريقة في القدم ، يصل عمرها ـ الى أبعد من عمر علم التخطيط ـ بأربعة عشر قرنا من الزمان . وهي التجربة المرتبطة بالغاء الرق في الاسلام ... فما هي أبعاد تلك التجربة الاسلامية الاجتماعية ؟

● الرق والاسلام :

لقد كان الرق سائدا في الجزيرة العربية ـ بل في العالم كله ـ قبل الاسلام . وكانت له وظيفته الاقتصادية بجوار وظيفته الاجتماعية . واستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم : « **الناس سواسية كاسنان المشط** » وقوله أيضا « **كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى** » رواه أحمد في مسنده ، واستجابة للتوجيهات الواردة في القرآن الكريم جاءت الخطة الاسلامية للقضاء على الرق متدرجة ومنسجمة مع الاوضاع الاجتماعية ، وبصورة ساعدت على تجنب الهزات الاجتماعية الضارة بالمجتمع .

كان ذلك قبل معرفة علم التخطيط بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فما هي تلك الأسس الاسلامية للتخطيط الاجتماعي ؟

● التخطيط الالهي للقضاء على الرق :

لقد ظهر الاسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، كما ترتكز عليه جميع فروع الانتاج في مختلف أمم العالم يومئذ . ومن ثم فانه لم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول المُشرّع الاسلامي تحريمه تحريما قاطعا وناجزا لأول وهلة . على اعتبار أن محاولة كهذه ، كان من شأنها أن تعرّض أوامر المشرّع للمخالفة والامتهان . كما أنه اذا أتيح لهذا المشرّع من وسائل القوة والقهر ما يمكنه من ارغام الناس على تنفيذ ما أمر به . فانه ـ بذلك ـ يعرّض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه الى أضرار بالغة .

لذلك فان التخطيط الالهي ـ من

أجل إلغاء الرِّق ـ اعتمد على إقرار الرّق . لكن الاسلام الذي أقر الرّق ، كان إقراره في صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وبدون أن يترتب على ذلك أي أثر سيء في نظام المجتمع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغيير مجرى الحياة الاجتماعية .

والوسيلة التي اتخذها هذا التخطيط من أجل تحقيق تلك الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص في العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرّق وتغذيه وتكفل بقاءه ، مع توسيع المنافذ التي تؤدى الي العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بنهر كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء . وخليق بنهر هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق في صورة سلمية هادئة . وأتاح للعالَم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام الذي يتعارض مع مباديء الاسلام .

روافد الرق :

كانت روافد الرق في العصر الذي ظهر فيه الاسلام كثيرة ومتنوعة ، ومن أهمها سبعة روافد هي :

الرافد الأول : هو الحرب بجميع أنواعها ، حيث كان الأسير في حرب أهلية أو خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

والرافد الثاني : هو القرصنة والخطف والسبى . وكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب ، حيث يفرض عليهم الرق .

والرافد الثالث : هو ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة مثل القتل والسرقة والزنا .. وفي هذه الحالات كان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق لمصلحة الدولة ، أو لمصلحة المجني عليه وأسرته .

والرافد الرابع : هو عجز المدين عن دفع دينه ، وبالتالي كان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

والرافد الخامس : هو سلطة الوالد على أبنائه ، إذ كان يباح له أن يبيعهم بيع الأرقاء .

والرافد السادس : هو سلطة الشخص على نفسه ، بمعنى أنه كان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ، ويبيع نفسه لقاء ثمن معين .

والرافد السابع والأخير : هو تناسل الأرقاء ، فكان ولد الجارية يولد رقيقا ، ولو كان والده حرا .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم في نهر الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس ، حتى أن عدد الأرقاء كان يزيد ـ في كثير من الأمم ـ على عدد الأحرار زيادة كبيرة .

● خطة الاسلام للقضاء على الرق :

جاء الاسلام وراوفد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، محرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين هما : رقّ

الوراثة . وهو الرق الذي يفرض على من تلده الأمَةُ . ورق الحرب وهو الذي يُفرضُ على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما .

هذا ومن أهم القيود على كل رافد من هذين الرافدين ما يلي :

★ القيود على رافد رق الوراثة :

فمن أهم القيود التي وضعها الدين الاسلامي لرق الوراثة أنه استثنى منه في البداية الجواري من أسيادهن ، حيث قرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا اذا اعترف به السيد . فمن المعروف أن الاسلام قد أباح ـ للرجل أن يعاشر من ملكت يمينه من الرقيقات مهما بلغ عددهن . ولكن الاسلام لم يُسَمِّ هذه المعاشرة زواجا ، وإنما سماها تسريا ، وإن كان قد رتب عليها كثيرا من الالتزامات والحقوق . ومن هذه الالتزامات أن ولد الرقيقة من سيدها يولد حرا إذا اعترف به السيد . وأن ما تجيء به بعد هذا الاعتراف يعتبر ابنا للسيد ويولد حرا بدون ما حاجة الى اعتراف آخر صريح . كما أن الجارية نفسها تصبح « أم ولد » ... ولا يباح « للسيد » بعد ذلك أن يتصرف فيها ببيع أو هبة أو بأي عقد آخر ينزع ملكيته لها ، كما أن هذه **الجارية تعتق بعد وفاة سيدها** .

ويبدو أن الاسلام قد أباح هذه المعاشرة بين السيد وجواريه لتيسير العتق وللقضاء على رافد كبير من روافد الرق ، وهو **رق الوراثة** . وكان السيد ملزما فيما بينه وبين ربه ـ وإن لم يكن ملزما قضاء ـ أن يعترف بالولد الذي يجيء من معاشرته لرقيقته . واعترافه هذا يزيل عن الولد وأمه صفة الرق ، ويمنحهما نعمة الحرية . ويدلنا التاريخ على أن المسلمين ـ في بدء الدعوة الاسلامية .. كانوا محافظين على روح دينهم ـ بهذا الصدد ـ كل المحافظة . فكان الاسياد يعترفون وقد تحرر بفضل هذا النظام آلاف الأرقاء والرقيقات .

★ القيود على رافد رق الحرب :

ولعل من أهم القيود على رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون في حرب بين طائفتين من المسلمين . فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق سواءأكانوا من الطائفة الباغية أم من الأخرى . واشترط ـ فوق ذلك ـ أن تكون الحرب شرعية ، أي يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين ... ولا يكاد الاسلام يبيح الحرب إلا في ثلاث حالات هي :

١ **حالة الدفاع عن النفس والوطن** : وذلك استجابة لقوله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

٢ ـ **حالة نكث العهد والكيد للدين الاسلامي** : وذلك استجابة لقوله تعالي : (**وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا**

أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة / ١٢ .

٣ - عندما تتحتم الحرب لاعتبارات تتعلق بسلامة الدولة ، والقضاء على الفتنة استجابة لقوله عز وجل : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)** البقرة / ١٩٣ .

هذا ولم تتجاوز حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، هذه الحالات ، سواء في حروبه مع قريش أو مع اليهود أو مع الروم . فاذا لم تكن الحرب مشروعة ، بأن أعلنت في غير الحالات السابقة . أو لم تنفذ وفق الأسس التي وضعها الاسلام ، أو لم تكن معلنة من قبل الخليفة ، فانها لاتؤدى الى رق من يؤسرون فيها . وحتى مع توافر هذه الشروط ، فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر . بل يبيح للامام أن يمن على الأسرى بدون مقابل . **أو يطلق سراحهم في نظير فدية أو في نظير اسرى من المسلمين عند العدو ، أو في نظير جزية تفرض على رؤوسهم** . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن القرآن الكريم قد تحاشى أن يذكر الرق بين الأمور التي يباح فيها للإمام أن يعامل بها الأسرى . واقتصر على ذكر المَنّ والفداء لقوله سبحانه وتعالى : **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مَناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب اوزارها)** محمد / ٤ .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال الرق عن طريق الأسر نفس المسلك الذي سلكه حيال الرّق الوراثي ، حيث قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للأسر ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام لم يحببه اليه ، بل حبب الى غيره وفضله عليه .

تلك هي الوسيلة التخطيطية التي اختطها الاسلام حيال روافد الرق ، والتي قضت عليها جميعا ، ما عدا رافدين اثنين . وهذان الرافدان قيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص الاسلام على مبادىء الحرية هو ما سلكه حيال العتق وتحرير الأرقاء .

★ المنافذ الأخرى للعتق :

كانت منافذ العتق من الرق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق . فلم تكن الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده . وبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرقيق أن يظل هو وذريته راسفين في أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية ، وبعد اجراءات قضائية ودينية واجتماعية معقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد - فضلا عن هذا كله - غرامة كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعا لحق من حقوقها .

جاء الاسلام وتلك حال العتق في

ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فحطم كل هذه القيود ، وفتح للأرقاء أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافاً من الفرص الميسورة . وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل ... فجعل الاسلام من أسباب العتق – على سبيل المثال – أن يجرى على لسان « السيد » في أية صورة : **لفظ يدل على عتق عبده** . سواء أكان جادا في النطق بهذا اللفظ أم كان هازلا . وسواء أكان مختارا أم مكرها . وسواء أكان في حالة عادية أم فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات ، أو بسبب المعاناة من حشرجة الموت ... الخ . ومن هذا يتضح أن الاسلام يتلمس أوهي الأسباب لتحرير الأرقاء .

ومن الأسباب الأخرى – التي اتاحها الاسلام – للعتق ، أن يجرى على لسان السيد في أي صورة « **لفظ يفيد التدبير** » أي لفظ يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . إذ أن مجرد صدور عبارة عن « السيد » تفيد هذا المعنى ، تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده . وقد اتخذ الاسلام جميع وسائل الحيطة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد . فحظر على « السيد » في أثناء حياته أن يبيع عبده « المدبر » أو يرهنه أو يهبه أو يتنازل عنه لآخر ، أو يتصرف فيه أي تصرف ينقل ملكيته الى شخص آخر . واذا كان « المدبر » جارية يسرى حكمها على من تلده بعد تدبيرها ، فيعتق معها بعد وفاة سيدها ، أقر بذلك ورثته أو لم يقروه .

ومن أسباب العتق – في الاسلام – كذلك ، أن يأتي « السيد » من جاريته بولد يعترف ببنوته . ففي هذه الحالة يعتبر الولد « حرا » من يوم ولادته – كما ذكرنا ذلك فيما سبق – وتصبح الأم نفسها حرة بعد وفاة سيدها . وقد اتخذ الاسلام لضمان الحرية لهذا النوع من الرقيقات ، الاحتياطات نفسها التي اتخذها حيال النوع السابق .

ومن أسباب العتق الأخرى في الاسلام **أن يكاتب السيد عبده** ، أي يتفق معه على أن يعتقه ، اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال ، في صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فقد أباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، بمعنى أن يبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ، حتى يستطيعوا جمع المبالغ المالية التي كوتبوا عليها ، وبالتالي تتحرر رقابهم . ومن أجل ذلك حث الاسلام المسلمين جميعا على مساعدتهم ، والتصدق عليهم ، فقال تعالى : **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور**

رحيم) النور / ٣٣ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل جعل سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ وقفا على مساعدتهم وتخليصهم من الرق . ويدل ظاهر القرآن الكريم ، على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول « **المكاتبة** » من أيدي العبد رغبة في تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه ، وذلك استجابة لما جاء في الآية السابقة من قوله تعالى : (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا و آتوهم من مال الله الذي آتاكم**) وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح ، سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ضرورة المكاتبة « **أواجب عليّ اذا طلب مني مملوكي الكتابة أن اكاتبه** ؟ **فأجابه** : عليه الصلاة والسلام بقوله : « **ما أراه إلا واجبا** » ... واستدل بالآية الكريمة السابقة . واذا كان المكاتب « جارية » سرى حكمها على من تلده بعد مكاتبتها ، فيعتق معها بدون « عوض » بمجرد أدائها المبلغ الذي تعاقدت مع سيدها عليه ، سواء أرضى « السيد » بذلك أم لم يرضَ ؟

العتق والتكفير عن الذنوب :

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها بين آونة وأخرى ، وجعل كفارتها تحرير الأرقاء . فقد جعله الاسلام تكفيرا للقتل الناشيء عن خطأ ما ، وما في حكمه ... وللحنث في اليمين ، وللظهار ـ وهو أن يقول الرجل لامرأته : **انت علي كظهر أمي** ـ وذلك تلبية لقوله تعالي : (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير**) سورة المجادلة / ٣ .. وتكفيرا أيضا للقتل الخطأ ، كما جاء في قوله تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا أن يصدّقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء / ٩٢ . وتكفيرا أيضا عن اليمين اللغو واليمين الغموس لقوله سبحانه وتعالى : (**لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون**) المائدة / ٨٩ ... الخ . وتقرر الشريعة الغراء أن من وجبت عليه كفارة من هذه الكفارات ، ولم يكن يملك عبدا ، وجب عليه أن

يشتري عبدا ويعتقه متى كان قادرا على ذلك .

تحرير الأرقاء من أكبر القربات :

وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الأرقاء وجعله من أكبر القربات التي يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى . حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم ليضرب به المثل في جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « **من فعل كذا ... فكأنما أعتق رقبة** » أو « **يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة** » ... الخ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ ليصرف في الانفاق على تحرير الأرقاء ، أي شرائهم وعتقهم . ومساعدة من يحتاج منهم للمساعدة في سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) التوبة / ٦٠ . اي فك قيود الرق عن رقاب الأرقاء . والمقصود « بالصدقات » في الآية الكريمة ، الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة .

الحرية والحياة العائلية للرقيق :

أما فيما يتعلق بالحياة العائلية أو الاجتماعية للرقيق نفسه ، فإن الاسلام لم يقتصر على ما قرره بصدد « **أم الولد** » وإلحاق نسب أولادها بسيدها ، بل حرص كذلك على أن يكون للرقيق حياة عائلية مستقرة عن سيده ، وعن أسرة سيده . فحث « السيد » أن يزوج أرقاءه ذكورهم وأناثهم زواجا شرعيا كاملا على طريقة التعاقد . فقال سبحانه وتعالى :

(**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**) النور / ٣٢ ـ أي زوجوا ـ.

زواج الأرقاء بالأحرار :

ولم يجز الاسلام للأرقاء أن يتزوجوا من أرقاء مثلهم فحسب ، بل أباح لهم أن يتزوجوا من أحرار . ذلك أنه يجوز للمسلم من العبيد ـ في الاسلام ـ أن يتزوج « **حرة** » غير سيدته والأمة « **حرا** » غير سيدها . ولم يجعل الاسلام للسيد أي سلطان على رقيقه ، ولا على جاريته في شئون أسرتهما الخاصة ... فلم يمنحه مثلا الحق في التفرقة بين رقيقه وزوجته ، ولا بين أمته وزوجها . وقد روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس أنه قال : اتى النبي عليه الصلاة والسلام رجل فقال : يا رسول الله ، سيدي زوجني أمته . وهو يريد أن يفرق بيني وبينها ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فقال « **يا أيها**

الناس ، ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ! إنما الطلاق لمن أخذ بالساق » زاد المعاد ص ٢٠٠و ٢٠١ . يقصد بذلك أن حق الطلاق ـ في هذه الحالة ـ لا يكون إلا للزوج نفسه وليس لسيده .

تعقيب :

وهكذا نجد أن الاسلام قد أرشدنا الى الأسس العلمية للتخطيط الاجتماعي بمثال تطبيقي يتعلق بتحقيق قاعدة الحرية الاسلامية لكل المسلمين . فقد حدد الاسلام هدف الخطة وهو « **تحرير الأرقاء بدون إحداث أية هزات اجتماعية** » ثم التزم بالمباديء العلمية للتخطيط مثل : ـ

ـ **مبدأ الواقعية** : حيث راعى الاسلام الدور الاقتصادي والاجتماعي للرقيق . ومن ثم لم يدع الى تحريره مرة واحدة ، وإنما أخذ بمبدأ التدرج الاجتماعي حتى يتقبل المجتمع « **التغير الاجتماعي الايجابي** » الذي جاء به الاسلام . وبالتالي فقد تحققت الحرية للرقيق ، وتحققت المساواة الاسلامية في المجتمع ، مع استمرار المجتمع الاسلامي ـ بعيدا عن الهزات المدمرة ـ في الازدهار والتقدم .

ـ **مبدأ الشمول** : حيث راعت الخطة الاسلامية عدم استثناء أي شخص من الرقيق أو من السادة من الالتزام بكافة أوامر الدين ونواهيه . كما حدد كافة الروافد التي تغذي نهر الرق والغاها جميعها على الفور ، ما عدا اثنين منها وضع لهما من القيود والمنافذ ما يقضي ، ودون نسيان « **رافد** » أو إهمال « **منفذ** » .

ـ **مبدأ المرونة** : حيث أباح الاسلام المكاتبة بين »السيد » وعبده أو أمته ، والزم « السيد » ـ كما ألزم الدولة ـ بمساعدة الرقيق في تحرير أنفسهم ، وكذلك أعطى الحرية للسيد في الاعتراف ببنوة من تلده له أمته . ورتب على هذا الاعتراف حرية المولود ، ثم حرية الوالدة ، بعد وفاة سيدها ، حتى تتحرر رقاب الأرقاء بعيدا عن المصادمات الدموية بينهم وبين سادتهم بما يتفق مع ظروف ذلك الزمان ، والظروف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية يومئذ .

ـ **مبدأ التقدمية** : حيث رفض الاسلام **التفرقة العنصرية** بمختلف أشكالها ، وحقق المساواة بين كل المسلمين . وجعل الأفضلية لمن يحوز « التقوى » التي كانت ـ ولا تزال ـ متاحة ـ لمن يريد ـ الحصول عليها بدون معوقات ، ويكون له حينئذ أن يتساوى مع سيده السابق أو يتفوق عليه اذا كانت لديه مبررات التفوق ... وكان ذلك قبل صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان بثلاثة عشر قرنا من الزمان . ذلك الاعلان الذي يتشدق به الأوربيون بالرغم من أن الأخذ به من الأمور الاختيارية . وذلك أبلغ دليل على **تقدمية الاسلام** الذي تنبأ بالصراع الحتمي الذي يمكن أن يقع بين العبيد وسادتهم عندما تتوافر للفريق الأول عناصر القوة على الفريق

الثاني . وبالتالي عمل الاسلام على تجنب ذلك الصراع .

- مبدأ الموازنة بين التنمية الاقتصادية وبرامج الخدمات :فقد راعى الاسلام دور الأرقاء في القيام بمختلف الأعمال اليدوية الزراعية والصناعية والتجارية ، عن طريق تحرير الأرقاء على التدريج ، وليس دفعة واحدة . وذلك حتى لا تتوقف المنتجات الزراعية والصناعية والتجارية التي كانت تقوم - بصفة كلية - على سواعد العبيد . وبالتالي تحدث مجاعة في المجتمع ... ولذلك تميزت الخطة الاجتماعية لتحرير رقاب الأرقاء بالمرونة والتدرج من جانب ، وبالمواءمة والتنسيق بين حاجات المجتمع الاقتصادية وحاجاته الاجتماعية من جانب آخر .

- مبدأ التنسيق : حيث أخذ الاسلام بتحرير الذكور والاناث من الرقيق ، وفتح كافة منافذ العِتق على مصراعيها بطريقة منظمة ومتماشية مع بعضها البعض ، ومع الأوضاع والظروف الاجتماعية لتجنيب المجتمع ويلات الهزات الاجتماعية .

- واخيرا مبدأ مراعاة الظروف الداخلية والخارجية : حيث كان - ولا يزال - الاسلام موضوعيا مع نفسه ومع المجتمع ، بل مع مختلف المجتمعات والأمم التي كان من المتوقع امتداد الاسلام اليها ، باعتباره الدين الخاتم ، أو الدين العام للبشرية كلها ، والذي ليس لبشر أن يتخذ دينا سواه ، ولذلك كانت القواعد التخطيطية الاسلامية ضرورية في كل زمان ومكان داخل الدولة الاسلامية ... ومتاحة لمن يرغب في تطبيقها من مختلف الدول الأخرى غير الاسلامية .

ولذلك ، فكما يعرف التخطيط الاجتماعي الحديث يمكن أن يعرف التخطيط الاجتماعي الاسلامي بأنه « **عملية اجتماعية مستمرة تتناولها جماعات او قيادات شعبية ، يتعاون فيها علماء دين ، ومهنيون ، وخبراء ، ومتخصصون . وتتضمن دراسة موضوعية ، وروية وتؤدة ، وتدبرا او بصيرة ، وخبرة عملية ونظرية ، وتفكيرا وتنبؤا لتعبئة موارد المجتمع البشرية والمادية واستثمارها في تحقيق اهداف المجتمع** » .

ذلك هو « التخطيط الاجتماعي الاسلامي » وتلك هي قواعده وأهدافه التي أخذ بها الاسلام عندما أشرق نوره على البشرية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ... ومما تجدر الاشارة اليه انه بالرغم من أسبقية المسلمين الى مثل هذا التخطيط الإلهي العلمي ، فان المسلمين المعاصرين يتهافتون الى قواعده المستوردة بدلا من الغوص في البحار والمحيطات الاسلامية بحثا عن اللآلىء الاسلامية واستخراجها وتجليتها وتقديمها للناس . ولا سيما للأجيال التي تحتاج منا نحن الآباء والمعلمين والأساتذة الى العمل المخلص على « **أسلمة** » العلوم التي تجري تنشئة الأطفال اجتماعيا عليها .

الغيرة بين المشروع والممنوع

للدكتور
عز الدين علي السيد

خلق الله الانسان بفطرة صافية مستقيمة ، فاذا تلقت هذه الفطرة الصافية ظروف الحياة فتعاملت مع الوسط الاجتماعي والطبيعي حولها ، وتدرجت في النماء قوى الجسم ومدارك الوجدان ـ أخذت هذه الفطرة في التأثر بكل ما حولها من وجودها ، الذي لا يمكن ان تستقل عنه ، والذي ما خلقت الا لتحيا فيه ، على درجة ما من الصراع الدائم تغلب وتغلب .

وهذه الفطرة النيرة في الانسان ، مهما تغلفت بالحجب الكثيفة من ظلام الفتن والشهوات والضلال عن الحق ، لا بد لها في ساعة من اليقظة والاشراق ، المنتصر حينا ، او الذي ما يومض حتى ينطفىء حينا آخر .

وقد بين الحق جل علاه بما لا يحتاج الى زيادة ، صفاء تلك الفطرة في أول الخلق ، ومواءمتها لما شرع ، فقال تعالى : **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** ٣٠/الروم .

ومن البديهيات ان الفطرة قبل ان تلتاث بما في الحياة من مخالفات للدين ، هي بيضاء نقية نقاء الدين ، لذلك فسر الفطرة في الآية كثير من الصحابة ومن بعدهم بالاسلام الفطري ، الذي يؤكده في مستأنف الحياة إيماننا الشرعي ، فاذا جانبه سقط حينئذ الاعتداد به .

قال القرطبي : والاولى حمل لفظ (الناس) في الآية على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم ، وانهم جميعا يفطرون على ذلك ، لولا عوارض تعرض لهم ، فيبقون ـ لعل الامام القرطبي اراد « فيصيرون » لأنهم كانوا على الفطرة ـ بسببها على الكفر ، كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ـ وفي رواية : على هذه الملة ـ ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهمة بهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول ابو هريرة :

واقرأوا ان شئتم« **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » ٢٢٤/٤ فتح القدير .

واقول ردا على الواحدي الذي يرى تخصيص لفظ « الناس » في الآية بالذين فطرهم الله على الاسلام ، لأن المشرك ـ في نظره ـ لم يفطر عليه : إن سياق الحديث الصحيح لا يساعده ، لأن « ما من مولود » قد جاءت فيه النكرة في سياق النفي فهي عامة ، ثم اكد نفي العموم قبل الاستثناء بحرف الجرد الزائد « من » ولو كان المراد ما بينه ، لسقطت دلالة الاستدراك في الحديث « ولكن ابواه يهودانه ...» كما تسقط دلالة التمثيل بالبهمة تولد جمعاء حتى تنالها يد البشر فتصبح جدعاء . ذلك فضلا عن طائفة من نصوص السنة تؤكد هذا المدلول ، منها ما ورد عن عياض بن حماد في الحديث القدسي : « واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم » ٢٢٦/٤ فتح القدير .

عودة :

في المقومات الأولى لهذه الفطرة ، ما نسميه بـ « الغيرة » لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالصحة النفسية والحياة الوجدانية ، التي تحفظ بنموها واعتدالها صحة حياة الفرد وصحة حياة المجموع

ويمكن ـ دون حاجة الى الفلسفة وحدودها ـ ان نكتفي بتفسيرها اللغوي ، وهي في اللغة الحمية والانفة : اي انها حساسية في النفس ينطلق منها صوت الانكار لما تراه حيفا على ما تجب حمايته ، وهذا الصوت النزوعي هو رد الفعل لهذا الحيف ، وقد يتمثل في تغضن الجبين نتيجة الانفعال ، عند عدم القدرة على التعبير بما هو أمثل ، وقد يزيد الى ارتكاب قتل المعتدي عند القدرة ، وتبرير النفس الثائرة لهذا النوع الكبير من رد الفعل .

والذين لا يغارون ـ على الاطلاق ـ قد فسدت عندهم الفطرة ، فهم ادنى في تبلدها من بعض الحيوان ، وانما اقول : « بعض الحيوان » لأننا نرى الكثير من انواع الحيوان يغار ، والمشاهدة المتكررة على اصنافه ـ حتى النازلة ـ تؤيد هذا الحكم .

مشروعية الغيرة :

وأعلى ما تؤيد به الغيرة وتكرم ، انها صفة لله جل علاه ، من اجلها حد الحدود التي عندها يجلد الانسان او يقتل قصاصا ، او يحكم عليه بدخول النار طهرة او خلودا ، حين يحيف على حمى الله الذي يجب ان يحذر ، والذي وضع على رأسه قوله تعالى: (**يا عباد فاتقون**) ١٦/الزمر وقوله : (**ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد**) ٣٠/آل عمران .

وكما ان ذلك كذلك ، يلحقه في التكريم للغيرة انها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي خلقه القرآن ، فلم تكن انفعالاته الا رد

الفعل لهذه الغيرة ، حين يرى المخالفة لشيء أمر الله به ، او الوقوع في أمر نهى الله عنه .

وقبل الدخول في التفصيل نذكر من الحديث بعض الشواهد ، التي تؤيد الحرص الشديد من رائد الامة وقائدها ومعلمها الرؤوف الرحيم ؛ لتكون هذه الغيرة خلق المؤمن ، الذي يحقق ذاته الايمانية ، ليتحقق به وبأمثاله مجتمع الاسلام العفيف الشريف .

قال ابو هريرة رضي الله عنه : قال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، لو وجدت مع اهلي رجلا لم امسه حتى اتى باربعة شهداء ؟ قال : « نعم ». قال : كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا ما يقول سيدكم ! انه لغيور ! وانا أغير منه ! والله أغير مني !» اخرجه مسلم .

لعلك ترى ان وصف النبي سعدا بالسيادة ، وامره الاصحاب ان يسمعوا ما يقول ، ما هو الا اعجاب بغيرته ، يؤيد ذلك عدم الانكار عليه ، والحاق غيرته بذلك الاستدراك الذي جعل نبيه شريكا له في الغيرة من وجه ، وأفضل من وجه ، ثم رفع هذه الغيرة تصعيدا إلى القمة ، حيث نسبها على وجه التفضيل الى ربه جل علاه !

وما اروع ما جاءت عليه العبارة الاولى من النظم ودقته « إنه لغيور » حيث أكدت بالاسمية ، و « إن » و « اللام » وصيغة المبالغة التي تدل على دوام استصحاب الصفة ، تقريراً لتلك الغيرة الغالية في خلق الصاحب الجليل ، لأن الغيرة سلاح المؤمن الحق الذي يحارب به الرذيلة ويذود به عن الشرف !

« **إن الله تعالى يغار ، و إن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه** » ١/٣٥٩ ـ الفتح الكبير .

وقد ذم وهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يغار على عرضه اشد الذم والتهديد بقوله : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث » ١/٥٣ ـ الفتح الكبير .

ولغيرة الحق جل علاه على كلمته أوجب القتال لتكون كلمته العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى . ولغيرته على الحقوق والواجبات التي سنها لقيام المجتمع المثالي اوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلهما مع الايمان موجب الوصف بخيرية هذه الأمة اذ قال : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ١١٠/آل عمران .

وجعل النبي ادنى انكار المنكر بغضه عند العجز عن كفه ودرئه وذلك أضعف الايمان ، ومثل المجتمع تارة بسفينة في البحر ، لو ترك أهلها لسفيه أن يخرق ما يدعي أنه من حقه فيها ما كان لهم الا ان يغرقوا جميعا ! ومثلهم تارة بالجسم الواحد يصاب بالحمى والسهر لعضو واحد منه أصابه الألم ، وذلك منه صلوات الله وسلامه عليه ايقاظ لوعي أمته ، حتى يبرأ من

جريرة ما تجلب على نفسها من مصائب التساهل والتفريط في جانب الله !

ما يغار عليه :

والذي يستوجب غيرة المؤمن : دينه بكل ما تحت هذا اللفظ من قضايا ، ودمه وماله وعرضه ، وجواره ووطنه وارضه .

وقد حرم الله الاعتداء على ذلك كله ، وأوجب حمايته والحمية له ، ولقد كانت خطبة الوداع التي تحمل أحر ما حملت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم قانونا حادا للمؤمنين في ذلك : « كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه » رواه مالك والبخاري ومسلم .

كما جعل القتل دون عزيز من هذه الغوالي شهادة تنال بها الجنة : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » ؟ الامام احمد عن سعيد ابن زيد .

وليستقيم حال المجتمع على هذا السمو ، حرم الله ورسوله كل وسيلة تؤدي الى نقض البناء بنقض طهره ، فقال تعالى : (**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الاسراء/٣٦ في معلمة اوامر ونواه من هذه السورة تنير السبيل وتشفي الغليل ، وقال جل علاه : (**يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**) ٥٩/الاحزاب .

كما أمر تعالى بغض البصر واتقاء المحارم ، وكرر رسوله التحذير في صور متعددة منها : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِجْلُ زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه : واللفظ لمسلم .

وقد امر صلى الله عليه وسلم نساءه ان يحتجبن امتثالا لأمر الله بالحجاب إذ قدم ابن ام مكتوم كفيف البصر ، قالت ام سلمة الراوية : يا رسول الله ، اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال منكرا عليها عدم ادراكها لمغزى الأمر بالحجاب : « أفعميا وان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟» رواه احمد بل نهى ان تنظر المرأة الى عورة المرأة او تفضي اليها في الثوب الواحد ، لأن ذلك مظنة ان تصفها لمن يفتن بها !

وليس أدل على هذه الغيرة الشريفة لديه ، من انه قد هم ان يفقأ عين رجل بمشقص كان في يده ، لأن الرجل قد اقحم عينه من ثغرة في الجدار ينظر ما وراءه . وانه نفي المخنث خارج المدينة لكليمات قالها ، مع علمه ألا إربة له في النساء ، وبعث عليا ليقتل قريبا لأم المؤمنين مارية كان يزورها صلة للرحم ، فلما رأى الرجل السيف لامعا وعليا قاصدا اسرعت به فطنته ليكشف عن نفسه فاذا هو أجب لا شيء له ، فكف عنه وأخبر النبي ما

رأى ! (تاريخ الطبري ٣/١٧٢).
كما حرم خلوة غير المحارم ، وسئل في الحم فقال : انه الموت ! وحرم ان تخرج المرأة متعطرة ولو كان خروجها الى المسجد وشدد في ذلك ليدرأ عن امته الفتنة . لقى ابو هريرة امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها اعصار ، فقال : يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : اني سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقبل صلاة امرأة تطيبت للمسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة » ١/٨١٥ : جمع الفوائد بلفظ ابي داود .

وطن المؤمن :

واما وطن المؤمن فقد اوجب الله القتال غيرة عليه أن ينال ، ودفاعا عنه ان ينتهك ، لأن في البلادة عن حقه انتقاصا لأرض الايمان ، واضعافا لشوكته ، وتضرية للطامع ، وانحطاطا بالنفس عن منزلة حشرات الارض التي لا يسلم من حماتها من يعتدي على جحورها ، ومن اجل ذلك ظل شعور النبي والمهاجرين مشدودا الى مكة التي أخرجوا منها ، حتى عادوا اليها فاتحين منتصرين ، بعد حروب متكررة من حين الى حين ! وقد نهى الله المؤمنين عن بر من اخرجوهم من ديارهم والاقساط اليهم ، تنويها بحق الوطن واغراء ببغض المعتدين عليه ، الى ان تمكن الفرصة لاغتصاب الحق السليب !

قال تعالى : (**واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**) ١٩١/البقرة .
وقال : (**إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) ٩/الممتحنة .

الجوار :

واما الغيرة على الجار فهي غيرة على النفس ، لأن من وصل اذاه الى جارك دون غيرة منك ، فما بقي بينه وبين الوصول اليك من حجاب ، وما زال جبريل يوصي النبي بالجار حتى ظن انه سيورثه !

قال تعالى : (**وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب**) ٣٦/النساء. وقال معلم الناس الخير : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره » بلفظ مسلم عن ابي شريح .
وقال : « خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » ١٥١ : رياض الصالحين عن ابن عمر .

غيرة الازواج :

وغيرة كل من الزوجين على صاحبه هي وليدة الحب ، وهي غيرة « محمودة » اذا اعتدلت ، لأنها تولد الحدب على حفظ كيان المنزل السعيد ، ولكنها تنتقل من ذلك البرج الرفيع الى

منزلة ادنى كلما تطرفت ، وعندما توهنها الظنة ويطوف عليها خيال الارتياب والشك ، الى ان تصبح خرابا وهدما ، ولم يسلم من الغيرة القائمة على شدة الحب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ام المؤمنين عائشة اشد نسائه غيرة من سواها ، وكان بعض نسائه لما يرين من منزلتها لديه تتحرك نفوسهن لذلك ، وقد دفعت غيرة بعضهن من بعض رسول الله الى هجرهن ، حتى رده الوحي اليهن ، وخاطبهن الله في تلك القصة مبينا ان ما صنعت حفصة وصاحبتها امر يستوجب التوبة ، فقال : (**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**) ٤/التحريم .

وكانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ازاء هذه الالوان من الغيرة تمام الحكمة وكمال الأناة ، فلم يزد اذ كسرت عائشة قصعة صاحبتها وفيها الطعام على ابتسامة كريمة ، وقوله لاصحابه : « كلوا فقد غارت امكم » رواه البخاري بعد ان ضم بيديه الفلقين على الطعام ، ولما ادركت ام المؤمنين سرعة استجابتها لصوت الغيرة سألته عن كفارة ما اتت قال غير منتهر : اناء باناء وطعام بطعام ! ولو أنه فعل ما نأتي اليوم من الضرب والتسفيه لما كان المثل الاعلى لامته وللناس اجمعين ، وهو القائل : خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي » رواه ابن عساكر والموصي بهن في اخر ما ودعت به انفاسه الدنيا ، لما علم من ضعفهن وحاجتهن الى الصبر عليهن وانهن عوان عند الرجال ! ان الاناة والتبين قبل النزوع بالاذى امر فرضه الله ، حتى لا ينفصم عقد الزوجية المحكم بظنة كاذبة او وشاية خائنة حاقدة : (**يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**) ٦/الحجرات .

المذموم من الغيرة :

ولكن الغيرة ـ كما جاء في النص السابق ـ منها المذموم ، الذي لا يرضاه الله ورسوله وهو كل غيرة أدت الى نزوع محرم ، وأول من ارتكب هذا النزوع الآثم ابليس ، الذي أبى أن يطيع أمر ربه بالسجود لآدم ترفعا وحمية آلت الى الحقد والحسد ، فقال يعلن غيرته الآثمة وترفعه المشين : (**لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**) الحجر/٣٣ . وقد حمله العمى الى أشد الحمق بجرأة التحدي فقال : (**لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**) النساء/١١٨و ١١٩ ، ثم كانت على الأرض غيرة قابيل من هابيل : (**اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/٢٧ فلم يلبث أن نزع الى ما سول لنفسه الشيطان : (**فطوعت له نفسه قتل**

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) المائدة/ ٣٠ .

وعلى هذا النمط المذموم كانت غيرة أبناء يعقوب من يوسف : (**اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)** يوسف/ ٨ ، فآل بهم الأمر الى ما هو معروف . وما قص علينا الله في أحسن القصص هذا ومثله الا لنتخذ منه العبرة ، ونهذب السلوك ، ونضبط بزمام العقل في اطار الشرع هذه النفوس أن تنزلق في ركاب الشيطان عدو البشر !

حمية الجاهلية :

والغيرة على القبيلة والأسرة ورابطة الدم بلا حق غير التعصب الأعمى لا يحبها الاسلام ، ولا أدل على بغضها من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها نهياً منفرا منها أشد التنفير ، فقال لأصحابه عندما وقع أمر مبين بين اثنين منهما ، فنادى كل منهما قومه : « دعوها فانها منتنة » اذ أنها دعوة جاهلية واحتكام الى نزعة شر أبطل حمقها الاسلام ، لأن فيها سلاح هدم للأسرة الكبرى التي لا يصان صرحها بغير الوئام وصحة العقل والسلامة من الفرقة ، وما أكثر ما جاء في هذا من آيات الله والحكمة ، أمرا بالعفو والصفح وحثا على التحاب والصلح ، واقامة الأحكام على العدل الذي يبرد القلوب ويدرأ الفتنة .

والمؤمن أخو المؤمن عليه أن ينصره في كل حال على سنن العدل غير جائر ، وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما ! فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره اذا كان مظلوما ، أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه - أو تمنعه - من الظلم فان ذلك نصره «رواه البخاري عن أنس » .

وقد ندد الحق بحمية الجاهلية ، التي جعلها الكفار في قلوبهم بالباطل ليمنعوا المؤمنين عن العمرة ، فأذلهم الله بالفتح مرغمة أنوفهم - قال تعالى : (**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما)** الفتح/ ٢٦ .

واتقاء لهذه الغيرة المسخوطة هدد النبي صلى الله عليه وسلم أشد التهديد من يحفرون القبور ليعظموا العظم الرميم بالافتخار به والانتساب اليه ، قال :«لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه !! ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي ! الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من التراب » رواه الترمذي عن أبي هريرة .

الشرف الذليل :

ويلحق بذلك الغيرة على الشرف

الذليل الكاذب والمنصب الخادع والكرامة المدعاة وهي تنزع بالمرء الى الكبرياء التي هي رداء الله من اتصف بها نازع الله رداءه فأذله الله ، وما أروع عدل الاسلام بين من يرى لنفسه الشرف الكاذب وبين من لا يرى له نصيرا الا الله ، الذي أوجب على الحاكم أن يسوى بينهما في الوقوف أمامه ، وأن ينتصف للمظلوم حتى من نفسه !

هكذا أنصف ضعيفا عمر من ابن حاكم مصر عمرو بن العاص ، الذي ضربه قائلا : أنا الابن الأكرمين ، فقال عمر وقد جيء بهما معا : اضرب ابن الأكرمين ! ليعلم الناس احترام قول الله : **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به)** النساء/٥٨ .

وما أروعها حين أمر صغيرا من المسلمين أن يلطم جبلة بن الأيهم الأمير المتعظم قصاصا ، اذ لطمه الأمير حمية لكبريائه وقد وطئت قدمه عفوا طرف ردائه ، فما أسف عمر وقد حقق عدل الاسلام لارتداد الأمير عن الاسلام !

ان المثل الأعلى للأمة هو نبيها الأمين ، الذي أقام عدل رسالته على نفسه فأقاد منها ، لتسير أمته على منهاج سنته !

عن أسيد بن حضير أن رجلا من الأنصار كان فيه مزاح ، فبينما هو يحدث القوم يضحكهم ، اذ طعنه النبي صلى اله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده ، فقال : اصبرني يا رسول الله ، فقال : أصبر ! قال : ان عليك قميصا وليس علي قميص ! فرفع صلى الله عليه وسلم قميصه ، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ، فقال : انما أردت هذا يا رسول الله .. ١/٤٠٤ ـ جمع الفوائد .

وفي سنن الدارمي (١/٣٥) عن رجل من العرب قال : زاحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها رجله ، فنفحني نفحة بسوط في يده ، وقال : بسم الله أوجعتني ! فبت لنفسي لائما أقول : أوجعت النبي صلى الله عليه وسلم ، فبت بليلة كما يعلم الله ! فلما أصبحت اذا رجل يقول : أين فلان : قلت : هذا والله الذي كان مني بالأمس ! فانطلقت وأنا متخوف ! فقال لي صلى الله عليه وسلم : انك وطأت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني ، فنفحتك نفحة بالسوط ! فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ! رجاله رجال الصحيح

وحقا ما قال معلم الناس الكرامة والخير ؟ « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ! «رواه الترمذي عن كعب بن مالك » ان الحرص المذموم على المال يذل أعناق الرجال ، والحرص المحموم على الشرف ينبو بالمرء عن صفات الكمال !

الغيرة من الحلال :

ومن الغيرة المقوتة والحمية الحمقى أن يغار ولي للمرأة من زوج تعاشره ، اباء بالكرامة المدعاة أن

تهدر ، فاذا وقع ذلك كان مقهورا عليه مغتما به ، وتلك سيما الجهل بسنة الحياةوشريعة الرسل التي جاؤوا بها من عند ربهم ، لتمتد أعراق البشرية على أساس من الطهر ، ولتقوم خلايا المجتمع على وشائج من القوة والتماسك الأسري والمحبة والتعاون والرحمة وما أحكم ما قيل : « جدع الحلال أنف الغيرة » .

وليس هذا الذي ولد من أبوين بمثل هذا الزواج المشروع ، أشد غيرة من الله ورسوله ، وقد جاءت كتبه تعالى ترغب في هذه السنة وتضع لها الحدود القائمة التي تحفظ الحقوق وتعمر الوجود وتعلي حقيقة الانسان عن انطلاق الحيوان .

مثل هذا الغر المتأبي على عفاف الشريعة وحكمتها ، اما قاتل لمحارمه من النساء بالكبت والحرمان ، وأما قاتل من يمد يده اليهن ليحصنهن ، وأما قاتل نفسه بالغضب عليه والدس له انتقاما منه ؛ لأن الغريزة لا تموت وان علتها الأسوار وقد ضرب الله مثلا شعيبا وموسى عليهما السلام اذ عرض عليه ابنتيه قائلا : **(اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين)** القصص/٢٧ كما ضرب لوطا عليه السلام مثلا اذ قال لقومه : **(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم)** هود/٧٨ وعرض الولي من ولاه الله عليهن للزواج رغبة في اعفافهن أدنى درجة من أن يطلبهن راغب ، فلو كان فيه وهم العيب ما صنعه نبي مرسل !

وقد نهى الله الأولياء والأزواج المطلقين عن العضل مهما يكن سببه ، فقال تعالى : **(فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف)** وبين ان ذلك موعظة منه للمؤمن الذي يرجو ثوابه ويخشى عقابه لما فيه من الطهر وزكاة الروح من الاسفاف : **(ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢٣٢ .

وقد زوج رائد الأمة وامامها على تلك الشريعة الغراء بناته الزكيات الطاهرات ، فأعطى عليا فاطمة التي هي بضعة منه ، وأعطى عثمان رقية وأم كلثوم واحدة بعد أخرى ، وهو الذي لا أعلى منه غيرة الا الله ، وقد أوصى أمته أن يفعلوا كما فعل ، وألا يربأوا بأنفسهم عن نفسه . قال صلوات الله وسلامه عليه :

« اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ١/٥١٧ جمع الفوائد .

« النكاح سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ... » رواه ابن ماجه .

وقد بين الله تعالى ان الرهبانية مبتدعة تعارض سنة الحياة وان الذين ابتدعوها لم يستطيعوا أن يرعوها فكان كثير منهم فاسقين ولو كانت خيرا لكتبها الله على الناس .

ان شريعة الله طاهرة سمحة مواكبة للحياة ، لا تخنق العقل ، ولا تقتل الفطرة ، نزلت من السماء لتزن سلوك الانسان بعنوان أنه انسان ! فمن ترفع بنفسه عن ما شرع له من الخير ربه فهو من الهالكين !!

غيرة العشق :

هذا لون آخر من الغيرة الممقوتة : غيرة العاشق على المعشوق أن يلم به غيره ، تلجئه الى اخفائه من طريقه أو اخفائها هي بارتكاب الجريمة الشنعاء وقد وقع قديما ويقع حديثا ما يعجب له العقل من غريب الأحداث ومما نقل الينا غيرة ديك الجن الشاعر على صاحبته التي قتلها ثم راح يرثيها بأفدح الدمع في أحر الرثاء ؟

رويت من دمها الثرى ولربما
روى الهوى شفتي من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها
ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي اذا سقط التراب عليها
لكن بخلت على العيون بحسنها
وشفقت من نظر العيون اليها

وما أشقى من أهدر العقل فهام في مسارح الشيطان !

وان من الأسى المعتصر للقلب أن يطالعنا الاعلام ليلا ونهارا في الصحف والاذاعة والتلفاز كدور الملاهي ، بالمئات من قصص تلك الجريمة ، والى أن يأتي الشباب منها مكان العبرة في الخاتمة يكونون قد تشبعوا بالمقدمات الداعرة والأساليب الفاتنة فتذهب العبرة هباء وتسكن الفتنة ، لأنها أعلق بالنفس وأشهى للهوى ، جريا حثيثا وراء اناس جرفهم السيل الى حفائر العفن لا يعنيهم من أمر الآخرة ما يعني المتقين أولى النهى ، الذين علت بالايمان قلوبهم ، وزكت بالخوف من الله أرواحهم ، فرفعوا في الأرض بيوتا اذن الله أن ترفع ، ومحوا من الأرض ظلاما أذن الله أن يمحى ، فعاشوا بعد ذهابهم في ضمير التاريخ خالدين ، وفي جنات النعيم مخلدين **(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)** الاسراء/١٩ .

خاتمة :

ان الغيرة على الدين فرض واجب ، وان كل غيرة حث عليها الدين فرض واجب ، وان الحال التي عليها المسلمون اليوم في ديارهم من فاحش الأزياء وانطلاق الأهواء ، وان هذه الوسائل الثقافية المنتشرة باسم الترفيه والترشيد ، مما أخرج الشيطان على يد المفتنين في الابتكار والابداع ليحولوا بين المرء وعقله ، وبين المرء وحكمة السلوك الى الخير واعلاء الضمير ـ ان كل ذلك لفي أشد الحاجة الى غضبة لله ، غيرة على قدس ضاع ، وأرض انتهبت ، ودماء أهدرت وشعوب مزقت ،وصلف أعداء في كل بقاع الأرض كانوا أمامنا لا شيء ، فصاروا أمامنا كل شيء وبتنا أمامهم .. لا شيء !

والله غالب على أمره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

الأساليب الدبلوماسية

ما أعظم حضارتنا الاسلامية وما أرفع تراثنا وما أسمى نظمنا الحكيمة وتشريعاتنا الرائدة في مجال القانون والادارة والاقتصاد والدبلوماسية التي كانت قبسا لأوربا ونهجا يقتدى به في تنظيم شئون الحكم على مر الأجيال ، وكانت الخطوة التي فتحت أفاقـا جديدة في ميادين الثقافة في العصور التالية .

وما أن تأسست دولة الاسلام في المدينة حتى قام الرسول النبي العربي بارساء قواعد الحكم على أسس من الكتاب المبين وعلى أساليب لم يألفها العرب من قبل .

واذا تحدثنا عن المجال الدبلوماسي كان لزاما علينا أن نذكر بفخر أول رسالة أو بمعنى أصح أول سفارة الى هرقل ملك الروم تعبر عن سمو في الفكر السياسي الدبلوماسي تقول « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد :

فاني أدعوك بدعوة الاسلام ، أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين . »

دعوة صريحة الى السلام ، يبعثها نبي يوحي اليه ، ويرسلها لملك الروم الذي وصفه بعظيم الروم يطالبه بأن حسن الجوار أمر مطلوب وأن دعوة الاسلام ما هي إلا دعوة للسلام .

عند العرب

للأستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز

وكانت هذه الدعوة الرائدة قبسا وهديا للخلفاء الراشدين أولا ولمن أتى بعدهم من الحكام لأن يتخذوا الاسلوب الدبلوماسي في معاملتهم لجيرانهم الروم .

وإذا كان التمثيل السياسي بين دولة الاسلام ودولة الروم لم يتم أو لم يتم تبادل السفراء الا ان الأمر تبدل فيما بعد ، توسعت دولة الاسلام ايام الخليفة عمر بن الخطاب حيث تجاورت املاك الدولتين بعد فتح الشام ومصر ، وزاد توسعها ايام بني أمية فضلا عن اتخاذ دمشق حاضرة للدولة العربية وقربها من بيزنطه عاصمة الروم الشرقيين ووجود استقرار سياسي بعد انتهاء التوسع أو وقوف مد الفتح بعد أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموي ، لكن الأمر تطور الى ابعد الدرجات إثر انشاء الدولة العباسية وانفصال الاندلس تحت زعامة امير أموي عن الدولة الأم في بغداد وأصبح التنافس بين بغداد وقرطبة دافعا للتحول الجديد ولمحاولة الخليفة العباسي توطيد علاقته بدولة الفرنجة في فرنسا وعمل خليفه قرطبه على توثيق علاقته ببيزنطه التي تجاور منافسيه العباسيين ، وتبادل الخليفه المهدي السفارة مع الفرنجه ووطدها هارون الرشيد بسفارته المشهورة الى الامبراطور شارلمان وتبادل الهدايا معه .

اغراض الدبلوماسيه

لم يقتصر التمثيل الدبلوماسي بين بغداد والفرنجه أو بين قرطبه وبيزنطه على التمثيل السياسي للسفراء بل شمل اهدافا ثقافية واقتصادية كما هو الحال في النظام الدبلوماسي الذي يسود العلاقات بين بلدين فكانت السفارات ترسل لتحمل التهنئة بالحاكم الجديد أو زواجه أو لأعمال تجارية أو أهداف ثقافية يسعى كل من

الطرفين على تنميتها .

ومن السفارات المشهوره الرسالة التي بعث بها امبراطور الروم ثيوفيل عام ٨٢٩ الى الخليفه العباسي المأمون يعلن فيها موافقته على تبادل الاسرى واعادة الحياه الاقتصادية بين الدولتين .

« قد كتبت اليك داعيا الى المساله راغبا في فضيلة المهادنه لتضع الحرب اوزارها ويكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا مع اتصال المرافق والفسيح في المتاجر وفك المستأسر وأمن الطريق » وكان رد الخليفه المأمون ايجابيا حتى تعود الحياه الطبيعية بين البلدين الجارين ، ويسمح لحاملى الرسائل بزيارة معسكرات الاسرى للتأكد من حسن المعاملة ومعرفة اعدادهم .

اتخاذ الدولة الاسلامية احتياطات لمنع التجسس :

كانت الدوله الاسلامية على دراية تامه بالأصول الدبلوماسيه والأغراض التي ربما يستغلها السفراء والمبعوثون وقد حفظت لنا الوثائق والمخطوطات بيانات مفصله على احوال الدولة البيزنطيه وطرقاتها ومعاقلها ومرافقها الهامة وساعدت هذه التقارير والمعلومات على تبادل التجارة وخدمة الأغراض الحربية .

ويتضح من التعليمات التى اصدرتها الدولة الاسلامية ادراكها للنوايا التي قد يقوم بها البعض من محاولة التجسس على المؤسسات العسكرية وهذا نص يؤكد هذا « يجب أن يعلم أن الملوك بارسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رساله أو نقل سفاره فقط بل هناك مئات الاغراض يبغونها فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطريق .. ويعلموا اذا كانت معبدة تستطيع أن تمر بها والامكنه التي توجد بها المروج والأعشاب وأن يعلموا قوة الجيش ومؤونته في العدد والعتاد وفي الدفاع والهجوم وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير وبمن يجتمع وأن يدركوا تنظيمات بلاطه وعاداته وأخلاقه في عدله وظلمه وسهره ، وكرمه وهل هو متعلم أم جاهل وهل ازدهرت مملكته بالعمران وهل رضى عنه جنده أم هم مغضبون وهل اتباعه من الفقراء أو الاغنياء ، وهل يجد في شئون مملكته أو يهملها ، وهل هو بخيل أو جواد ووزيره قادر أو عاجز وحاشيته من العلماء الاذكياء أم لا ، وماذا يحب وماذا يبغض ؟ وهل يميل الى الحب والى النساء حتى اذا رغبوا في مهاجمة مملكته أو أرادوا نقض خططه كانوا مطّلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوىء نصب أعينهم ينهجون بحسبها » .

أليست هذه الرسالة ادراكا عميقا لدور السفراء القادمين من الخارج

او ليست هذه فطنه عسكريه وحنكه سياسيه ومهارة في اسلوب المعاملة ليتسنى لاجهزة الدولة وموظفيها ان يكونوا يقظين واعين مدركين لدور السفير خطورة اعمالهم اذا حاولوا أن يعرفوا قوة الجيش وضعفه وعدد قواته وانواع السلاح واماكنها .

السفارات الثقافية :

أعطت الدوله الاسلامية العلاقات الثقافية أهمية خاصه وكانت مهمة المبعوثين الثقافيين أشبه ما تكون بمهمة المستشار الثقافي الآن حيث يعمل على تبادل العلماء والاساتذة والبحوث والابتكارات والمؤلفات والعلوم النادرة كالرياضيات والمخطوطات وزيارة الاماكن الأثرية فقد طلب السفير العربي ببيزنطه أن يزور مدينة أفسس التي يقال ان بها الكهف الذي حُفظت به جثث الشهداء السبعه الذين استشهدوا ايام الامبراطور الروماني « دقلد يانوس » وقد لبى الامبراطور البيزنطي طلبهم وزار المبعوثون المدينه وشاهدوا الكهف وكان من بينهم محمد بن موسى المنجم الذي وصف جثث الشهداء التي كانت محنطه .

اختيار السفراء :

كان الخلفاء هم الذين يقومون بمهمة اختيار السفراء بأنفسهم الذين كان يجب أن يجمعوا بين العلم والنسب العريق والكياسه والحنكه السياسيه والوسامه والفطنه والذكاء والمرونه الى جانب الفصاحه والحلم وبُعد النظر والحزم والبصيرة النافذه والثقافة العامه (ينبغي أن يكون على علم بالفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذى مثال من سلف فيما يورده ويصدره ويعلم أصول الخراج ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه) . ووصف الشاعر يوضح كيف يختار السفير :

ان الرسول مكان رأيك فالتمس — للرأي آمن من وجدت وأنصحا
تأبى الأمور على الغبي فان سعى — فيها الذكي فبالحرى أن تصلحا
فاذا توخيت الرسول فلا تكن — متجوزا في أمره متسمحا

اوراق اعتماد السفير :

حرصت دولة الاسلام على تزويد سفرائها بأوراق اعتماد وجواز سفر وتتضمن أوراق الاعتماد كتابا صادرا على لسان الخليفه به تعريف بالسفير وهدف

رسالته مع طلب باعتماده وتكتب الاوراق بلغة الدولة التي يوفد اليها السفير بخط جميل وعلى ورق خاص مصقول وكان السفراء يعطون الأمان (الحصانه الدبلوماسية) طول مدة اقامتهم كما يحترم حاشية السفير واتباعه على اختلاف درجاتهم .

مراسيم استقبال السفير :

يحاط السفير بالاحترام والحصانه الدبلوماسية والأمان منذ أن تطأ قدمه أرض الدولة الاسلامية لأن السفير يتكلم باسم الدوله التي جاء منها فوجب إكرامه واحترامه ففي هذا تكريم لرئيس دولته ويقدم للسفراء منذ دخولهم حدود الدولة كل ترحيب واحترام وينزلون في مساكن فخمه تليق بمكانتهم وتقام لهم المآدب والحفلات وبعد أن يصل العاصمة يأخذ قسطا من الراحه ثم يقصد الى الوزير (وزير الخارجية) ويقدم تقريرا عن مهمته وفي اليوم المحدد لاستقباله عند الخليفه يستقبل على باب القصر استقبالا رائعا بين صفوف الجند الذين يصطفون لتحيته حتى يصل الى قاعة العرش ويستقبله الخليفه ويتبادل معه الاحاديث الوديه .

تقارير السفراء :

كان نظام التقارير معروفا ومعمولا به أيام العباسيين الذين احسنوا اختيار سفرائهم ممن يتصفون بالمواصفات المطلوبه للسفير من اللباقه والحنكه السياسيه والمهاره والعلم والخبره ، ومن هؤلاء النخبه المشهوره نصر بن الازهر الذي أوفده الخليفه المتوكل العباسي الى بلاط امبراطور بيزنطه . فدخل قاعة العرش في أبهى حلة يرتدي سيفه وخنجره وقلنسوته وبدأ يقدم نفسه ويعلن مهمته وطلب من المترجم ان يكون دقيقا في الترجمه وأعدت له الدوله البيزنطيه برنامجا حافلا بعد اتمام مراسم استقباله زار فيها ميدان السباق ليشهد المباريات والفنون الشعبية ثم جرت المفاوضات الخاصه بتبادل الاسرى التي تكللت بالنجاح وذلك بعقد معاهدة عدم اعتداء وسجل السفير الاسلامي نصراً دبلوماسياً كبيرا بتحسين العلاقات الدبلوماسيه بين البلدين وعند عودته قدَّم تقريراً مفصلا عما شاهده وعن اسلوب معاملة الاسرى ونسخه من المعاهده التي تم توقيعها .

وهكذا اثبتت دولة الاسلام بنظامها السياسي والدبلوماسي أنها كانت رائدة في هذا الميدان كما كانت رائدة في ميادين الفكر والعلم مما سجلته الاحداث التاريخية والوثائق النادرة التي تؤكد نبوغ رجالنا ممن أسهموا في بناء صرح دولة الاسلام وفق أعرق النظم وأدقها .

البرهان

للدكتور / عماد الدين خليل .

جمعتني إحدى المناسبات بصديق قديم .. ورحنا نتجاذب اطراف الحديث ريثما يحين موعد تناول العشاء .. وتذكرنا المناقشات الحامية التي كانت تشتعل بيننا لسبب أو آخر قبل اكثر من عشرين سنة يوم كانت جمرات الصبا والشباب تحرقنا بنارها اللذيذة ، فكان شررها يتطاير في كل ما نقوم به ونمارسه .. وكان لمناقشاتنا نصيب من الشرر المتطاير كرشاش الماء قلت : لا أعتقد أننا الآن سنشعل نارا .. فالفكر الجاد هو الذي يضيء ..

ولكن ..

قال مقاطعا : ولكن ماذا ؟

أجبت : اذا اقتضى الامر فانه يتوجب عليه ان يحرق .. ولن يستطيع احد يومها أن يفصل بين النور والنار ..

قال مبتسما : أرجو الا يصيبني الحريق ، أنا على الاقل .

قلت : لن يصيبك باذن الله ، ما دمت قد انتزعت من نفسك كل ما يمكن أن يكون وقودا للنار ..

ما لبث أن راح ينشد باحثا عن مكان ما من المنضدة يمارس عليه الايقاع بيده : القاه في اليم مكتوفا وقال له ﴿ اياك اياك أن تبتل بالماء ..

وأنت تريد أن تخلصني من الحريق .. والوقود قد وضعه الله في كياني مذ أمر بخلقي .

قلت : ها قد عدت الى « بيتك » المفضل القديم .. أتراك لا تزال تعزف عليه ؟

قال : وسأظل حتى أجد البينةً التى تمنحنى القناعة ..

سألته : اتراك قرأت كتاب الله مرة واحدة في حياتك ببصيرتك لا بعينيك ؟! لن انتظر جوابك المعهود فانا متيقن من انك لم تفعل .. وعشرات .. بل مئات غيرك ، لم يفعلوا .. ولذا فهم يترنمون دوما بأبيات كهذه يبررون بها عجزهم وقصورهم .. انك لو قرأت كتاب الله بعقل مفتوح ، فانك ستجد ان معظم آياته تؤكد على الموقف التالي : ان الله سبحانه لا يطبع على قلب انسان ويختم على مصيره بالكفر او الايمان الا بعد علم مسبق بتكوين هذا القلب وطبيعة نبضه كما ونوعا وهذا التكوين المسبق ليس أمرا مجبرا عليه الانسان ، بل هو ثمرة اختياره الحر المتأثر بظروفه البيئية والوراثية .. ومن ثم فان اصرار القرآن على أن يكون المجتمع المسلم خاصة ، أو أي مجتمع مؤمن عامة ، ملتزما ايجابيته العقائدية وموقفه الايماني الحركي الصحيح ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، واقامة لحكم الله في الارض معناه السعي الجاد لايجاد البيئة والارضية والمناخ التي تتيح لاكبر عدد ممكن من الناس والجماعات ان تتفتح قلوبهم للحب والايمان والخير ، وان تمتلك افئدتهم القدرة على التعامل الفعال مع شريعة الله ، لكي يصوغوا وجودهم ومصيرهم بما يطمح اليه ويتمناه كل انسان .. ألم تقرأ هذه الآيات : (**قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا**) الاسراء / ٨٤ . (**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا**) الاسراء / ٧٢ . (**من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الاسراء/ ١٥ (**ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون**) الزمر / ٧٠ . (**ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الأنعام / ١٦٤ . (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان / ٣ . (**وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى**) النجم / ٣٩ ـ ٤١ .

رفض للصراع الدون كيشوتي

وإذ أنست في انصاته متابعة واهتماما واصلت حديثي قائلا : لقد منحتنا الرؤية القرآنية أفضل مركز في الكون واعطتنا مكان السيادة على العالمين ، وفضلتنا على كثير من خلق الله تفضيلا .. ومن خلال هذا المركز والمكانة والتفضيل منحنا حرية الاختيار والفعل لم تمنح لاحد من العالمين ، وجاءت على درجة من الامتداد والتوغل والانتشار بحيث تغطي تغطية كاملة الوجود البشري الحر لاي واحد منا كانسان فرد ، ولاية جماعة في التاريخ كوحدة تشدها قيم ومباديء واهداف .. ولقد أكد القرآن الكريم في اكثر من موضع ، هذه الحرية ، وقدم عشرات النماذج الواقعية لمجالها الواسع على المستويين الفردي والجماعي .. ولكنه كان ينبهنا دائما ، كي لا يفلت الخيط من ايدينا وتتحول مواقفنا التاريخية الى درامات كلاسيكية مصطنعة وصراع « دون كيشوتي » لا مبرر له ، كان ينبهنا دائما الى ان حريتنا الكاملة

المنطبقة انطباقا هندسيا باهرا مع وجودنا افرادا وجماعات ، ما هي إلا دوائر تعمل بتوازن وتناغم وتداخل ضمن الدائرة الاكبر التي يرسمها علم الله الشامل وتحيط بها إرادته التي لا يصدها شيء .. ويعود فيؤكد لنا مرارا أن النتائج النهائية للفعل البشري ـ الفردي والجماعي ـ تجيء منبثقة ، بمنطق عادل لا يعرف زيفا أو التواء ، عن افعالنا ، تحمل طبيعتها وتكوينها وملامحها وتتغذى بعجينتها التي جبلناها نحن ، وتشرب من شرايينها التي سهرنا على مِدّها بالدماء النقية الحمراء أو الكالحة الزرقاء التي تسوّد وتسوَّد حتى لتكاد تحترق فتكون دخانا ..

ويجب الا يخطر على بالك أن القرآن الكريم يبقي مسألة القدر والحرية في نطاق الانسان الفرد ولا يخرج بها عن دائرة التأويلات والزوايا الفلسفية والنفسية والاخلاقية .

ذلك أننا نلتقي ، الى جانب الآيات التي تحكي عن المستوى الفردي ، بعشرات من الآيات والمقاطع القرآنية التي تنتقل الى المستوى الجماعي وتعرض المسألة في صيغها التاريخية والحضارية .. وهي ـ كعادة المنهج القرآني الذي يرفض التجزئة والانفصالية ـ تربط دوما بين الارض والسماء وتتخذهما مسرحا ذا خشبة واحدة عريضة تتحرك عليها الجماعات البشرية لتؤدي دورها ولتكافأ على هذا الدور بما يوازي حجمه ويتلاءم مع جنسه ، هنا في الارض اولا ، ثم هناك في السماء فيما بعد ..

أكثر المواقف عدلا

قاطعني قائلا : ولكني أريد أن أسمع شيئا من شواهدك القرآنية لكي اطمئن الى صدق استنتاجاتك ..

اجبته : هنالك العديد من النماذج القرآنية تطرح علينا المسألة وفق اكثر الزوايا موضوعية وأشد المواقف عدلا وتماسكا ، واوسع الرؤى توغلا في صميم التجربة البشرية ، وهاك بعضا منها : (**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون**) النحل / ١١٢ و ١١٣ (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) الأعراف / ٩٦ .و (**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**) المائدة / ٦٥ و ٦٦ . (**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا**

مجرمين) هود / ٥٢ . (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) النحل / ٤١ . (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الجن / ١٦ . (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر / ٥١ . (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون) البقرة / ١٣٤ و ١٤١ .

اننا نرى بوضوح من خلال هذه النماذج القرانيه ـ وغيرها كثير ـ كيف أن أية جماعة أو أمة إنما هي مسؤولة عن فعلها فحسب ، إذ ليس من العدل أن تحمل نتائج أفعال غيرها من الجماعات ، يفصلها عنها الزمن أو المكان ، كما نرى كيف تكافأ الجماعة الواحدة بجزاء يستمد عجينته من بنية التجربة التي تمارسها هذه الجماعة ان خيرا أو شرا .. ومن ثم تجيىء رحمة الله أو يجيىء ختمه على القلوب والاسماع والابصار .. ان الله سبحانه يمنح نعمه التي تنزل وفق النواميس الطبيعية بالقسطاس على الامم والشعوب ، الا أن الجماعة التي تسيء التصرف ، وتطغى وتتجبر ويسوقها الطغيان والجبروت الى الكفر والمروق والتمرد على النظام الكوني ومبدعه ، فان العقاب في الانتظار . واننا لنلمح في اكثر من آية موقفا مغايرا تماما لما عودتنا عليه الرؤى الغربية منذ عهد « اسخيلوس » و « سوفوكليس » وحتى « يونسكو » و « كامي » و « ثكت » .. موقفا لتعاطف بين الله والانسان وغفران الله لكل ما من شأنه ان يصدر عن ضعف الانسان وعجلته واخطائه غير المتعمدة ، ونسيانه .. ودعوة الانسان لخالقه الا يحمله في حياته الدنيا اكثر من طاقته .

وفي آيات أخرى نجد تأكيدا دائما على استمرارية الجزاء على الفعل وتواصله في الارض والسماء ، وثمة آيات عديدة تبين لنا ان من يرد « لاحظ فعل الارادة » ثواب الدنيا فله ذلك ومن يرد ثواب الآخرة فلن يصده عن هدفه شيء .. وكثيرا ما تنتهي الآيات القرآنية في هذا المجال بعبارة (بما كانوا يصنعون) كما نلتقي بالافعال البشرية (أذهبتم) (استمتعتم) واضحة في نسبتها الى الارادة الحرة الأمر الذي يجعل الجزاء عادلا ازاء جماعة أذهبت بارادتها طيباتها واستمتعت بها بغير الحق . وما اكثر ما كانت دعوات الانبياء والمرسلين للجماعات البشرية تجيء لكي تناديهم أن (يختاروا) طريق الايمان لكي يحظوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وما كان لاى من هؤلاء المرسلين ان يلزمهم الزاما بالانتماء الى دعوته إذ **(لا إكراه في الدين)** بعد أن : **(تبين الرشد من الغي)** البقرة / ٢٥٦ .

إن الله سبحانه ما كان ليضرب جماعة ما ، أو أحدا من عباده ، قبل أن يبعث اليهم بالنذير ، ويدلهم على الطريق ، ويعطيهم الفرصة لكي يختاروا بملء ارادتهم أن ينتموا للحق ، أو تسوقهم الشهوات الى التشبث بمواقع الباطل حيث يحق العقاب كجزء من خطة العدل الالهي الشاملة في سياسة الكون كله ..

البرهان في قلوبنا

قال : ان هذا يبدو مغايرا في جوهره للصيغ التي طرحها الغربيون منذ عهد اليونان وحتى القرن العشرين عن العلاقة بين الله وعباده ..

أجبته : بالضبط .. إن القدر في تصورهم ضربة مفاجئة تجيء على حين غفلة لكي تقصم ظهر الانسان ، ودعابة درامية ثقيلة ومحزنة تصور الآلهة وهم يرسمون الخطط الخبيثة لايقاع العباد في الشباك التي نصبت بمهارة .. ان الصورة القرآنية تكتسح في طريقها هذا الغثاء ، لكي تعيد صيغة العلاقة بين الناس واقدارهم الى موقعها الانساني ، المنطقي ، العادل : (**وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) الأنبياء / ١٦ ـ ١٨ .

هنالك ما هو اكثر من هذا ، أن القرآن الكريم يبين لنا بوضوح أن الله سبحانه وضع الحجة والبرهان في قلب كل واحد منا ، وركز الدلالة اليه في فطرة كل انسان لحظة بعثه الى الحياة ، ومن ثم حمّله المسؤولية ، وفق هذا الامتداد الباطني ، في ان يختار ـ بارادته ـ الطريق الذي يقوده الى الله ، انسجاما مع تكوينه الذاتي ومعطياته الفطرية الاساسية .. وبهذا يؤكد الاسلام موقفه الانساني المفتوح ورفضه التام للقدرية التراجيدية القائمة على الغشم والمفاجأة .. هذا التأكيد الذي يجيء وفق تحذيرات واشارات تنبثق من داخل كل انسان كشهادة حرة ـ ابتداء ـ ثم تصدر اليه مرة اخرى من الخارج عن طريق رسل الله : (**وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون**) الآعراف / ١٧٢ و ١٧٣ .

من الشك الى اليقين

ورأيت شيئا غير قليل من ملامح الاقتناع والرضا تكسو وجهه وسمعته يرتل مع نفسه : (**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم / ٣٠ .

قلت له وأنا اتقدمه الى غرفة الطعام : ها انت ذا تذكرني بالشاهد الآخر الذي غاب عن ذاكرتي .. وسيجيء اليوم الذي أتعلم فيه منك .. فالذين يرحلون من محطات الشك الى مواقع اليقين يعرفون ـ اكثر ـ كيف يعلمون الآخرين ..

اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير

ألا وحرةٌ في

للدكتور / احمد حسنين القفل

الا مـوتـه لله في الحق انفـع — فعيش على ضيم فناء ومصرع
الا ان ايمـاني بـربي خـالص — اذا مت فـالحسنى ودار امتـع
اذا حانت الاجال ، هل من مؤجل — لها ساعة ، او ان حذرك ينفع ؟
وهل يمنع المكتوب في اللوح مهرب — وهل حرصنا يحمي ويجدي ويشفع ؟
ومن مات في الهيجا شهيدا مؤمنا — وفي نصرة الاوطان يسعى ويسرع
ففي زمرة الاطهار يحشر خالدا — وفي جنـة المأوى يقيم ويـرتع
ومن لم يمت بالسيف افناه غيره — تنوعت الاسباب ، فادكروا وعوا
سلام على الدنيا اذا لم تفز بها — بمقعـد صدق عنـد ربك يـرفع

***

فجاهد فمـا اجل يقصـره القنا — وليس يطيل العمر ، انك تقبع
اذا صارت الأوطان حلا لغاصب — فكيف تنـام الليل او تتمتـع ؟
وكيف تلوك الزاد او تطفىء الظما — وفي الدار محتل يجوس ويرتع ؟
الا فاقتل « الافعى » لتأمن سمها — وسارع ، فان بقـاءها سيـروع
فـان جذور الشر فيهـا تأصلت — ولا بد ان نجتثها ، ذاك انجع
وقالوا : هي الشيطان . كلا ، فانها — أضل من الشيطان نزغا وافظع
فابليس ان يعجز يجد في جرابها — كئوس الهوى حتى الثمالة يجرع

الله يا عرب

فليس لها عهد اذا عاهدتها فيشمتها غدر وزور مبرقع
تصيح : اريد السلم والسلم عندها حراب ، وصاروخ ، وجند ، ومدفع
ودبابة تفري ونار سعيرها يدمر امن الناس ظلما ويفزع

***

ومن سوء حظ العرب ان عدوهم بلا شرعة في ارضهم يتوسع
وما هو جبار ولكن خلفه حليف كوحش الغاب لا يتورع
جزى الله « امريكا » شرورا فانها تصلي لاسرائيل قهرا وتركع
تظاهر اجراما وتحمي عصابة وتسعى الى ظلم الشعوب وتهرع
وتنكر حقا واضحا دون رحمة وتصبو الى نصر الظلوم وتخضع
فذا « مجلس للأمن » يَنْدى جبينه لأحكامه تبكي هوانا وتدمع
تخالف « اسرائيل » عمدا نصوصها وها هو من وقر بدا لا يسمع

***

ايا شعبنا العربي في كل بقعة من الارض ، هيا نمحق الظلم ندفع
الم يأن ان نرعى مصيرا موحدا تعالوا على حق لنا نتجمع ؟
الم يأن ان نشفى من الغل صدرنا فنسعى الى سحق العدو ونسرع ؟
نشل يد العدوان ، نصليه بأسنا ونسقيه كأسا بالندامة يترع

ونسكت صوت الافك دوما وسرمدا ونحيي « فلسطين » الحبيبة نرجع
هلموا : فان الوقت حان لتؤمنوا بشورى ورأي بالاصالة يقنع
انقعد صرعى للهواجس بينما عدو لنا في ارضنا يتوسع ؟
انغمض جفنا سادرين عن العدا وجيش لهم في ارضنا يتربع ؟
اليس حراما ان نموت من الظما واعداؤنا من مائنا العذب تجرع
اليس حراما ان نبيت على الطوى وكلب العدا من خبزنا صار يشبع ؟

***

« وامريكة » و « الروس » قرقرارهم على ضربنا سرا . كفانا الادمع
ارى عصرنا عصر القوى ولا ارى لحق على ضعف ظهيرا يرفع
فعدل بلا درع هراء وغفلة وحق بلا جند سراب يخدع
بحقك لن تحظى بحقك كاملا اذا لم يؤيد حقك اليوم مدفع
اذا ثرت في ضعف فحقك ضائع وعدلك في عرف المضلين اضيع
ارى الناس يولون القوى مهابة وصاحب حق هائما يتوجع

***

الا وحدة في الله يا عرب انما اضاع التفرق عزكم فتجمعوا
فشاردة الاغنام للذئب لقمة وعود من العيدان للكسر اطوع
الا هبة يا عرب في وجه غاصب اذ يقوه درسا في التأدب يرثع
فلستم غثاء ترتضون مهانة لامجادكم في الدهر شان وموضع
ولا بد من يوم يؤمن حقكم اذا لم يكن بالعدل فالسيف اقطع .

***

اذا شاءت الاقدار هذا الذي جرى قليل سيتلوه النهار ويطلع
تراها دروسا يستفاد بضوئها وبالسم قد يشفى المريض ويبرع
ورب شقاء حقق السعد بعده ورب انهزام بعده النصر يتبع

ومن ينصر المولى يجد ان جنده تنزل من فوق السماء وتنبع
الهي رجونا فاستجب لرجائنا فانت النصير اليك وحدك نضرع
الهي دعونا فاستجب لدعائنا فانت القريب تجيب دعوة من دعوا

«صورة قصصية مشرقة من التاريخ الاسلامي العظيم»

العصابة المؤمنة

بقلم : محمد الطاهر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يشتعل غيظا :

ـ يا ابا بكر .. ، اليس برسول الله

فأجابه ابو بكر رضي الله عنه ، بهدوئه المعتاد :

ـ بلى

قال عمر :

ـ اولسنا مسلمين

قال ابوبكر :

ـ بلى

قال عمر :

اوليسوا بالمشركين

قال ابوبكر :

ـ بلى

لم يستطع عمر كتمان غضبه في هذه الحال فصرخ باعلى صوته :

ـ علام اذن نعطي الدنية في ديننا

لكن ابا بكر ، بقي محافظا على هدوئه فقال :

ـ يا عمر .. الزم امره .. انني اشهد انه رسول الله

هدأ عمر قليلا وقال والحسرة ما تزال تأكل قلبه :

ـ وانا اشهد انه رسول .

حين يغضب ابن الخطاب .. لا يدرى ماذا يفعل .. يشعر ببعض الحيـرة .. ويحتكـم الى السيـف دائما .. لكنه الان في موقف من اشد المواقف واصعبها .. ماذا يفعل ؟ هل يسكت؟ هل يستسلم ؟ ابدا عمر بن الخطاب لا يسكت على خطأ حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ارتكب هذا الخطأ .

اندفع عمر الى رسول الله وهو ما يـزال يتفجر غضبـا ودار الحوار السابق بينه وبين ابي بكر :

ما هذه الاجوبة المختصرة . هذه الكلمة التي لم يسمع غيرها من ابي بكر ومن النبي صلى الله عليه وسلم لا تشفى غليل عمر فقال بغضب ظاهر :

ـ علام اذن نعطى الدنية في ديننا ؟

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام باستسلام المؤمن بقضاء ربه :

ـ انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف امره ولن يضيعني .

تـرى هل تكفي هـذه الكلمات القليلة .. هل تكفي قلبا متفجرا كقلب عمر ؟ وعقلا حائرا لا يحتكم لغير السيف .. الله وحده اعلم .

« ٢ »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ـ اكتب يا علي

قال علي :

ـ ماذا اكتب يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم

هنا تدخل رسول قريش سهيل بن عمر غاضبا وقال :

ـ لا اعرف هذا .. اكتب باسمك اللهم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب باسمك اللهم .

فكتبها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب :

قال سهيل بن عمر :

ـ ماذا يكتب

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر

لم يستطع سهيل بن عمـر كتمان ضحكته فقال ساخرا :

ـ لو شهدت انـك رسول اللـه لم اقاتلك .. اكتب اسمك واسم ابيك

وكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بنفسه وقال :

ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمر ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس .. ويكف بعضهم

عن بعض .

وتردد علي بن ابي طالب وهو يكتب السطر التالي .. واحس بانه قد وقع في موقف حرج .. فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فرأى التصميم في عينيه .. فامسك القلم وكتب :

ـ على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

تحسس عمر بن الخطاب سيفه مرة ثانية .. واراد ان يقتحم المكان .. لكنه تذكر الكلمات الاخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم .. فارتد الى الوراء وهو يكتم غيظا جارفا .

« ٣ »

ولم يكد علي بن ابي طالب يضع قلمه حتى كان ابو جندل سهيل بن عمر يقف امام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرسف بقيوده . فما ان رأى سهيل بن عمر ابنه ابا جندل يقف امامه حتى ثار الدم في عروقه فضربه على وجهه .. ثم اخذ بتلابيبه وهو يقول :

ـ يا محمد .. لقد تمت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ صدقت

ثم اخذ يجر ولده المسلم من تلابيبه وابو جندل يصرخ باعلى صوته :

ـ يا معشر المسلمين .. يا معشر المسلمين .. أأرد الى المشركين ليفتنونني في ديني ؟

فقام عمر بن الخطاب وهو يمد يده الى سيفه وانتظر على احر من الجمر ثم تقدم النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جندل وقال :

ـ اصبر يا ابا جندل ، اصبر واحتسب .. فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا

واضاف :

ـ لقد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك ، واعطونا عهد الله ونحن لن نغدر بهم .

ـ عند ذاك لم يطق ابن الخطاب صبرا فوثب وسار مع ابي جندل جنبا الى جنب وهو يقول :

ـ « اصبر يا ابا جندل .. انما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب » .

واخذ يدني قائم سيفه منه وهو يقول :

ـ خذ هذا السيف فاضرب به رأس ابيك

لكن ابا جندل كان يعرف معنى كلمة الاب .. فمشى امامه صابرا راضيا بقضاء الله .

اما ابن الخطاب فقد ظل عابسا طوال الوقت .

« ٤ »

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة .. وعاد معه اصحابه وهم غير قادرين على تصديق ما حدث .. وما كاد النبي صلى الله عليه وسلم

يستقر في المدينة حتى كان ابو بصير عتبة بن اسيد بن جارية يقف امامه وهو يقول :

ـ « يا رسول الله .. لقد انطلقت من حبس بمكة .. وجئت اليك .. فهل انت مجيرى من ظلم كفار قريش ؟

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا .. فقد كان ينظر في كتاب ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي .. وكان احد رجال بني عامر بن لؤى يقف امام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ينتظر الاذن منه باعادة ابي بصير الى مكة حسب شروط المعاهدة وفي الطرف الاخر كان احد الموالي القرشيين يقف منتظرا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر في العيون المحدقة به :

ـ يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت .. ولا يصلح لنا في ديننا الغدر .

ثم تقدم منه وربت على كتفيه واضاف :

ـ « ان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا قريبا .. انطلق الى قومك »

قال ابو بصير بيأس ظاهر :

ـ يا رسول الله اتردني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟

قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

ـ يا ابا بصير .. انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

ومد ابن الخطاب يده الى سيفه .. وحاول ان يتحرك .. لولا يد ابي بكر التي سارعت لتهدئته . اما ابو بصير فقد انطلق مع رسول قريش .. ومولى قريش حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال ابو بصير :

ـ اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر ؟

قال الرجل :

ـ نعم .

ـ هل استطيع ان القي نظرة خاطفة عليه ؟

ـ انظر ان شئت .

وبلمح البصر كان السيف في يد ابي بصير .. فطوح به في الهواء ثم ضرب به رقبة الرجل .. ما ان رأى المولى ذلك حتى هرب مسرعا حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال :

ـ ان هذا الرجل قد رأى فزعا

فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ـ قتل صاحبكم صاحبي .

ولم يكد يكمل كلمته حتى كان ابو بصير يقف امامهم متوشحا سيفه .. وسار حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ يا رسول الله وفت ذمتك . وادى الله عنك ، واسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ « ويل امه .. مسعر حرب .. لو كان معه رجال »

« ٥ »

كانت هذه الكلمة بمثابة دليل لابي بصير لما يجب عليه فعله .. فودع رسول الله وصحبه ونزل بـ « العيص » من ناحية ذى المروة على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الى الشام .

ونظر ابو جندل حوله وهو يرسف في قيود كفار قريش .. فرأى قبسا من الضوء ينير له السبيل .. ومد يده الى اغلاله وقيوده .. فتخلص منها .. واتجه الى « العيص »

وبدأ نهر المسلمين يتدفق على « العيص »

قال سهيل بن عمر :

ـ الويل كل الويل لك يا ابا بصير

وقال سفيان بن حرب :

ـ والله ان هذا لهو السفه .

اما المسلمون المهاجرون من ظلم كفار قريش فقد كانوا يلتفون حول ابي بصير .

« ٦ »

قال ابو بصير :

ـ نحن الآن سبعين رجلا

وقال ابو جندل :

ـ بل سبعون اسدا انطلقت من اسارها وستعلم قريش كيف ننتقم لانفسنا ولاخواننا .

وبدأت حالة الحرب .. بين العصابة المؤمنة الهاربة بدينها .. وبين عصابة الكفار القرشيين .

قال سهيل بن عمر وهو يتميز غيظا :

ـ « ما هذا .. ألا نقدر على سبعين رجلا !

قال ابو سفيان بن حرب :

ـ هذا كثير .. هذا كثير .. انهم يضيقون الخناق علينا

وقال كافر آخر :

ـ ولا يظفرون بأحد الا قتلوه .. ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها

وهنا صاح سهيل بن عمر غاضبا

ـ ما العمل اذن ؟

قال ابو سفيان بن حرب باستسلام :

ـ يجب ان نكتب الى محمد ليضم هذه العصابة اليه

وعقب آخر :

ـ اجل لن نطالب بهم ابدا .. المهم ان نتخلص من شرهم .

« ٧ »

في صباح ذلك اليوم كانت المدينة كلها تستقبل هذه العصابة المؤمنة . وكان سيف عمر بن الخطاب يلمع في يده .. تقدم عمر بن الخطاب من الرسول صلى الله عليه وسلم وتمتم بكلمات غير مفهومة .. هل تعرفون ماذا قال ؟ :

« مازلت اتصدق واصوم واصلي واعتق ، من الذى صنعت يومئذ .. مخافة كلامي الذى تكلمت به ، حتى رجوت ان يكون خيرا » .

كتاب الشهر

علوم الدين

● عشت مع هذا الكتاب وقتا طويلا ؛ لأنه قدم لي زادا نافعا للدنيا والآخرة .. وما أشق أن أختار لكم - أيها الاخوة - بعض موضوعاته لأن كل موضوعاته خطير وعميق ومفيد .

إن هذا الكتاب دراسة ميسرة عن العلوم الاسلامية وهي القرآن الكريم والتفسير والسنة المطهرة والفقه والتربية والدعوة وغيرها من المباحث . وقد جمعت هذه الدراسة ما تفرق من أشتات تلك المباحث في بطون الكتب القديمة والحديثة ، وهي تعطي صورة واضحة عن الثقافة الاسلامية بأسلوب العصر . ونقف لنتساءل :

ماذا قال المؤلف **الدكتور/ عبدالله شحاته** ؟ لقد تحدث أولا عن الوحي وهو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة خفية غير معتادة للبشر ، وقد أشار **القرآن الكريم في آية واحدة الى صور ثلاث من صور الوحي هي** : **(وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم)** الشورى ٥١ .

وهذا الوحي الشرعي بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحي اليه بأن ما ألقى إليه حق من عند الله ليس من خطرات الأوهام ولا من نزعات الشيطان ، ولا يتولد من مقدمات بل هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والشبع والحب والبغض .

وقد بدأ نزول الوحي على رسول الله في ١٧ من رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة النبوية ، واستمر نزول الوحي عليه ٢٣ عاما حتى لقي ربه في ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٨ من يونيو ٦٣٣ م وكان عمره ٦٣ عاما .

وقد حظى القرآن الكريم بعناية الأمة خلفا عن سلف لأنه روح الشريعة

الإسلامي

تقديم الأستاذ / محمد ابراهيم الخطيب

وكتابها الخالد ، وظل وحيا يُتلى ، ونورا يهتدى به ، وهدياً يطبق ، وخلقا عمليا يتحلى به ، وينبغي أن يفهم انه ليس المراد بقراءة القرآن ترتيل ألفاظه فحسب بل المراد امتثال معانيه والتزام أوامره واجتناب نواهيه . وقد روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » . البخاري ، وعن أبي ذَرٍّ قال :يا رسول الله أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كُله » ، قلت : يارسول الله زدني ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء » ابن حبان .

ولقد كان القرآن حقا مدرسة خَرَّجَت رجالا قادوا الدنيا ، وأرسوا معالم حضارة خالدة ، وصبغوا الحياة بصبغة القرآن وتوجيه الرحمن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن كتابة القرآن وقال : ان ترتيب الآيات والسور توقيفي ، وتحدث عن حفظ القرآن في عهد الرسول وأبي بكر وعمر وعن أسباب جمع عثمان للمصحف ، وأشار الى القرآن المكي والمدني ، والقرآن المكي يدعو ـ كما يعرف من خصائصه ـ إلى الايمان بالله وتوحيد الخالق ، ويحارب عبادة الأوثان والأصنام ، ويذكِّر الناس بالبعث والجزاء ، ويصف مشاهد القيامة ، ويعرض صور النفخ في الصور والقيام من القبور وتوزيع الصحف ووزن الأعمال ، والمرور على الصراط ودخول المتقين الجنة ودخول الكافرين النار .

وتنزلت الآيات المدنية ، وتناولت فيما تناولت دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية . وسائر ضروب العبادات والمعاملات . وماذا قال المؤلف عن القرآن

والتفسير ؟ لقد أنزل الله القرآن مصدراً للهداية يقول سبحانه : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) المائدة/ ١٥ و ١٦ .
وقد جدت في أيامنا عوامل متعددة جعلت الكثيرين يتطلعون إلى حياة أفضل ويتلمسون سبل الاصلاح وميادين التقدم والازدهار ، ونرى أن نهضة المسلمين لا تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي رُوعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري ، وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوي من نصح ورشد ، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه المعْجز ، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن الكريم « وهو ما نسميه بعلم التفسير » خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي ، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز التي احتواها هذا الكتاب المجيد .
وتحدث المؤلف عن التفسير عبر العصور : عن التفسير في عهد النبي وفي عهد الصحابة ، وفي عهد التابعين ، وفي عهد تابعي التابعين ، وعن تفسير ابن جرير الطبرى وعن التفسير النقلي والعقلي والتفسير بين القديم والحديث وعن منهج الامام « محمد عبده » في التفسير .
ومن المفيد أن نذكر أن كتب التفاسير انقسمت الى نوعين : كتب التفسير بالمأثور ، وكتب التفسير بالمعقول .
وخلاصة ما قيل في مجال التفسير ـ١ ـ أن التفسير بدأ بتوضيح النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات ، وبذلك يعتبر النبي الأمين أول مفسر للقرآن ، ـ٢ ـ اتسع نطاق التفسير كلما بَعُدَ العهد بالنبوة لحاجة الناس إلى التفسير وبعدهم عن ملابسات نزول القرآن .. ـ٣ ـ لم يكن التفسير لذات التفسير بل نشأ التفسير إجابة عما غمض وتوضيحا لما أشكل ، وتفسيرا لما أبهم . فلم يفسر النبي الأمين جميع القرآن بل فسر آيات منه ، وتعهد أصحابه القرآن قراءة وفهما وتوضيحا فاتسع نطاق التفسير نسبيا ، ولكنه لم يشمل جميع القرآن . ـ ٤ ـ أقدم تفسير مطبوع الآن هو تفسير الثورى « ت ١٦١ هـ » وهو تفسير بالمأثور ، وقاصر على تفسير بعض الآيات . ـ ٥ ـ وأقدم تفسير كامل للقرآن هو تفسير « مقاتل بن سليمان البلخي » « ت ١٥٠ هـ » . ـ ٦ ـ وكثير من التفاسير المبكرة ضاعت ولم تصل إلينا ، ويعتبر تفسير « ابن جرير الطبري » « ت ٣١٠ هـ » أقدم وثيقة تجمع هذه التفاسير . ـ ٧ ـ واستمرت عناية المسلمين بالقرآن في جميع العصور الاسلامية فألّف حوله من الكتب مالا يحصى ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ . ونأتي الآن إلى الحديث عن السنة فماذا قال المؤلف في مجال السنة ؟ السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن

تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم والبيهقي .
وهي في اصطلاح المحدثين تطلق على كل ما أثِرَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل أو أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث أو الخبر أو الأثر حيث يستعمل اسم السنة ، وبذلك يكون الحديث والأثر مراد للسنة بالمعنى العام . وعن تدوين السنة يقول : كان عمر بن عبدالعزيز أول من أمر بتدوينها خوفا عليها من الضياع ، وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور ، فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري إلا أن عمله كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب ، وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني الهجري .
وعن كتب الحديث يقول : لقد صنفت في الحديث كتب كثيرة وصل إلينا بعضها ولم يصل بعضها الآخر ، ولايزال عدد كبير منها مخطوطا في المكاتب العالمية وقد اصطلح العلماء على تقسيم كتب الحديث بالنسبة إلى الصحة والحسن والضعف إلى طبقات : الطبقة الأولى وتنحصر في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك بن أنس ، والطبقة الثانية وفيها جامع الترمذي وسنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل ومجتبي النسائي ، والطبقة الثالثة وهى الكتب التي تكثر فيها أنواع الضعف من شاذ ومنكر ومضطرب مثل كتب البيهقي والطبراني والطحاوي ، ولا يستطيع الاعتماد على هذه الطبقة والاستمداد منها إلا كبار المحدثين الذين أفنوا حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة بصنفات حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة مصنفات هزيلة جمعت في العصور المتأخرة من أفواه القصاص والوعاظ وبعض المتصوفة والمؤرخين غير العدول وأصحاب البدع والأهواء كما في تصانيف ابن مردويه وابن شاهين وأبي الشيخ ، وهذه الطبقة لا يعول عليها أحد من الذين لهم إلمام بالحديث النبوي لأنها مصدر الأهواء والبدع ، ثم أشار المؤلف إلى البخاري ومسلم وصحيحيهما ، وإلى كتب السنن الأربعة ، وأصحابها هم أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه رضي الله عنهم ..
وننتقل الآن مع المؤلف إلي الفقه الاسلامي فماذا قال عنه ؟ لقد أرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه القرآن مشتملا على ثلاثة أهداف رئيسية هي : ـ١ ـ الدعوة إلى توحيد الله ولفت أنظار الناس إلى الأدلة على وجوده . ـ٢ ـ قصص الأنبياء السابقين وسيرة الخليقة لتكون عظة وعبرة لمن بعدهم . ـ٣ ـ تشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام والعبادات والمعاملات . وعرف القسم الأخير فيما بعد باسم الفقه ؛ فالفقه جزء من أجزاء الشريعة ، ومعناه فهم الأحكام الشرعية فهما دقيقا ، قال تعالى : (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة / ١٢٢ .
والفقه الاسلامي نظام عام يتناول علاقة الانسان بالخالق ، وعلاقة الإنسان مع غيره ، وقد درج الفقهاء القدامى على تقسيم الفقه إلى قسمين رئيسيين : الأول : أحكام العبادات التي يقصد بها التقرب إلى الله وحده ، والثاني : أحكام المعاملات ويقصد بها الأحكام التي تتعلق بجميع أعمال الانسان وتصرفاته وراء قسم

العبادات ، وقد جرى المتأخرون على تقسيم الفقه إلى ستة أقسام هي : ١ـ العبادات ٢ـ الأحوال الشخصية وهي ما يتعلق بنظام الأسرة ٣ـ العقوبات ٤ـ المعاملات وهي التصرفات المالية ٥ـ المرافعات : وهي ما يتعلق بالحكم في القضايا بين الناس ٦ـ المغازي وهي ما يتعلق بالحروب والجهاد ومعاملة الأسرى وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها . وقد مَرَّ الفقه الاسلامي بأدوار مختلفة مر بها الكائن الحي ، وهي : دور النشأة والنمو ، ودور النضج والكمال ، ثم دور التقليد والجمود ، وأخيراً دور اليقظة .

وقد نشأت المذاهب الفقهية المتعددة في دور نضج الفقه الاسلامي واكتماله أي في الفترة التي تبدأ من أوائل القرن الثاني الهجري تقريبا إلى منتصف القرن الرابع الهجري .

وقد أشار المؤلف إلى أشهر المذاهب السنية التي كتب لها البقاء حتى الآن ، وهي المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي ، والمذهب الحنبلي .

وننتقل الآن إلى« التربية الاسلامية » وحول هذا العنوان يقرر المؤلف أن القرآن الكريم دعوة هادفة إلى المُثُل العليا والطريق القويم ، وقد عني القرآن بالجانب الخلقي والنفسي والعقائدي والتشريعي فلم يكن قدرا من التعاليم ولكنه كان طاقة مبدعة وروحا جديدا طهَّر نفوس المسلمين وغمرها بالخير والفضيلة وبعد أن كان المثل الأعلى للفرد هو السلب والنهب صار هذا المثل للفرد هو الايمان والإحسان والصدق والوفاء والاقتداء بالنبي الأمين .

وقد اهتم الاسلام بتربية الأطفال اهتماما كبيرا لأنهم أملُ المستقبل ، رأيناه يأمر بحسن اختيار الأم ، ويذكر أن من حق الوليد على أبيه أن يحسن اسمه ، وأن يؤذن في أذنه اليمنى عند ولادته ، ويقيم الصلاة في اليسرى .. وذكر المؤلف آراء سديدة لفلاسفة الاسلام في مجال تأديب الصبيان وتهذيبهم ، لقد تحدث عن التربية عند الغزالي وعنها عند ابن خلدون ، وقد اهتم الاسلام بالعلم والتعليم ، ويكفى أن رسول الله كان معلما ومربيا ، وهو في نفس الوقت القدوة العملية للمسلمين ، ولمعاذ بن جبل وصية جليله في وصف العلم جاء فيها :« تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم » .

وللتربية الاسلامية معالمها ، ويخطىء من يقيسها بمقياس التربية في العصر الحديث ؛ ذلك أن التربية نظام اجتماعي ينبع من فلسفة كل أمة ، وهو الذي يطبق هذه الفلسفة أو يبرزها إلى الوجود .

والتربية الاسلامية جهاز اجتماعي يعبر عن روح الفكرة الاسلامية التي تعتمد على الكتاب والسنة ، وقد تميزت عن ألوان التربية الأخرى التي سادت في الشرق الأوسط وقت ظهور الإسلام .

وقد كان حفظ القرآن،او حفظ قدر يسير منه،كافيا في طبع الصبيان على التربية

الاسلامية الصحيحة ، وكلما زاد المسلم للقرآن حفظا زاد للاسلام فقها ، وعندما ترسخ العقيدة في نفس المسلم لا يقف في دائرة العمل عند حد نفسه بل يتجاوز ذلك إلى المجتمع بأسره حسب القاعدة الإسلامية« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهكذا يكون جوهر هذه التربية هو الضمير المستمد من مخافة الله ومعرفته حق المعرفة ، ومن مباديء التربية الاسلامية تكافؤ الفرص بالدعوة إلى الحرية والمساواة ، ومن القواعد المقررة في أصول الفقه الاسلامي أنه « لا ضرر ولا ضرار » وفي القرآن نقرأ :

(**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) االبقره / ١٨٥ .

وبهذه الروح السمحة رعى الاسلام مصالح الناس وأن تنقل الحضارة من جيل إلى جيل من أجل نفع الانسانية ، ومصالح العباد .

وقد اهتم الاسلام بتربية الشباب أيما اهتمام ، وقد كفل القرآن والسنة أصول الاصلاح السياسي والاجتماعي والفكري والروحي للشباب وللناس أجمعين .

وتقوم هذه الأصول على : ١ ـ الربانية ٢ ـ التسامي بالنفس الانسانية ٣ ـ تقرير عقيدة الجزاء ٤ ـ اعلان الأخوة بين الناس ، ٥ ـ النهوض بالرجل والمرأة جميعا والمساواة بينهما ٦ ـ تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب ٧ ـ ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج . ٨ ـ تأكيد وحدة الامة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

ولاشك أن الالتزام بالاسلام يثمر الخير للفرد والمجتمع ؛ لأن الاسلام ـ كما هو معروف ـ نظام شامل يشمل البيت والمدرسة والمسجد والحياة كلها .

ومن المفيد للرعاية الروحية للشباب التأكيد على العناية بالنشء في الصغر ، وعلى الايمان باهمية القدوة الحسنة ، وعلى الاهتمام بالمدرسة لأن لها دورا فعالا في إعداد النشء والشباب ، وعلى إعادة النظر في قوانين ولوائح ونظم نوادي الشباب ومراكزهم لتأكيد المباديء الدينية والخلقية ، وعلى العناية بالمسجد ، وبوسائل الإعلام لتكون أداة خير ..

ونأتي الآن إلى الحديث عن الدعوة إلى الاسلام .. ونتساءل : ما أهم وسائل نجاح هذه الدعوة ؟ وما ملامح الداعية القادر على القيام بهذا الدور العظيم ؟

ان اهم وسائل نجاح الدعوة أن تكون قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة وعلى الجدل بالتي هي أحسن ، وفي هذا نقرأ قول الله تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل/ ١٢٥ **والدعوة الى الاسلام في حاجة الى تفنيد مفتريات العدو وتأكيد قدرة الاسلام الذاتية على العطاء ، ولهذا وجب أن يتوفر لها الداعية المزَوّد بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به .**

ومن هذه الخبرات : التعمق في معرفة القرآن والسنة وعلوم الشريعة

والسيرة وأن يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التي توضح العلوم الدينية باسلوب العصر ، وأن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم ، وأن يكون خبيرا بطرق التربية والتعليم ، وأن يكون على خلق كريم ، وأن يكون حسن الهيئة وأن يحسن اختيار الموضوع مبتعدا عن اثارة الشبهات وأن يكون قدوة حسنة ، وبهذا ينجح في دعوته التي ينبغي أن يكون شديد الثقة والانفعال بها .

وفي ختام هذا الكتاب القيم يشير الكاتب الى نظام الحكم في الاسلام فماذا قال عن أهداف الحكم وعن حقوق الحاكم وواجباته ...

وعن دعائم الحكم الاسلامي ؟

ان الاسلام دعوة عالمية خالدة تهدف الى خير البشرية ، ومن هنا يجب أن تكون الغاية من نظام الحكم الذي يرضاه غاية شاملة تنتظم أهدافا عديدة منها : ـ١ ـ بيان الدين للناس بيانا صحيحا ، ـ٢ ـ العمل على وحدة الامة ـ٣ ـ حراسة الوطن وحمايته .

ثم انه اذا تم اختيار الحاكم وجبت له الطاعة ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم :« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (رياض الصالحين في باب وجوب طاعة ولاة الأمر) .

ووجب تفويض الامور اليه دون اعتراض عليه إلا بالنصيحة عندما تجب ، ليتفرغ لما وكِّل اليه من وجوه المصالح وتدبير شئون الامة وأعمالها وسائر ما يجب عليه .

والحكم الاسلامي يقوم على ثلاث دعائم لابد منها هي :

ـ ١ ـ الشورى فيما يجب المشورة فيه من شئون الامة العامة ، يقول الله تعالى : (وشاورهم في الامر) آل عمران/ ١٥٩ .

ـ ٢ ـ العدل من الحاكم الأعلى ومن سائر الحكام ، وكان سلوك النبي عليه الصلاة والسلام وسلوك الخلفاء الراشدين نموذجا للعدالة المطلقة التي شملت المسلمين وغير المسلمين كما شملت الأصدقاء والأعداء .

يقول سبحانه : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) النحل / ٩٠

ـ ٣ ـ الاستعانة بالاقوياء والأمناء والأكفاء وحسن اختيار الولاة والحكام يقول عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاسق لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » البخاري ومسلم وبقي ان نقول اذا كانت البشرية قد عرفت كثيرا من الوان النظم والحكومات فإن الاسلام قد وضع الاصول العامة لنظام الحكم ولم يقدم قالبا جامدا لتطبيق هذا النظام بل ترك لكل امة حرية الاختيار مع ما يتناسب مع ظروفها ومصلحتها وهو بهذا نظام متميز ليس له مثيل ..إنه النظام الاسلامي وكفى .. نفعنا الله بالاسلام .. وهدانا الى صراطه المستقيم .

الظواهر المرضية للتدين

للدكتور / محمد مصطفى الزحيلي

وجد الدين في هذه الدنيا منذ أول البشرية في الوقت الذي خرج سيدنا آدم من الجنة ، وحط قدمه على الأرض ، وخاطبه ربه بقوله تعالى : (**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة / ٣٨ .

والتدين فطرة ذاتية في النفس الانسانية ، ولا يمكن لها العيش السعيد والراحة والطمأنينة والسعادة الا تحت ظله .

وأستمر الدين يرافق البشرية في أطوار حياتها ، ولم يخل مجتمع ولا أمة من ظاهرة التدين ، ولم يمر زمن أو عصر بدون التزام بالدين ، ولم تقم حضارة ، ولا أسست مدنية ، ولا نهضت أمة الا من وراء عقيدة دينية .

وسيبقى الدين مرافقا للبشرية الى يوم الدين ، والى أن تفنى البشرية ، وتقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

ولكن الدين الحق الذي أراده الله تعالى لصلاح عباده في الأرض ، والذي يمتد من أول البشرية ، وينبع من النفس والفطرة ، وسيظل حتى النهاية ، هذا الدين لم يبق على نضارته ونقائه ، ولم يسلم على حاله ، وانما عرضت له ظواهر مرضية كثيرة ، غيرت جوهره ، وعكرت صفوه ، وحالت دون تحقيق الهدف الأصلي منه ، وتعددت هذه الظواهر المرضية هنا وهناك ، على مستوى الأفراد والمجتمع والدول ، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث ، ومن أهم هذه الظواهر المرضية للدين عبر التاريخ ما يلي :

* ضعف الايمان :

تعرض الدين الحنيف للوهن والضعف في النفوس ، وتحركت النزعة المادية في

الانسان ، وطغى الشيطان على اتباعه من الانس والجن للتهرب من أحكام الدين ، والتفلت من زمامه ، والتحايل عليه ، والتلاعب على بعض جوانبه ، وكانت النتيجة سوء الأحوال الخاصة والعامة تحت ستار الدين ، وانتشار الفساد والضلال في الفرد والمجتمع ، وبالتالي فقدت المقاصد الأساسية للدين ، وتعرضت المصالح الحقيقية للضياع .

* المتاجرة بالدين :

وقام بعض حملة الدين باستغلاله والتستر وراءه لتحقيق أغراضهم الشخصية ، ومطامعهم الذاتية ، وميولهم الدنيئة ، وشهواتهم الحيوانية ، واتخذوا الدين سلعة للمتاجرة والمساومة لسلب خيرات الناس ، وابتزاز أموالهم ، والوصول باسم الدين الى المناصب والمراكز ، والتمتع بشهوة السلطة ، وفرض النفوذ على الآخرين ، فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين .

* **اضفاء الصفة الدينية على الفلسفة والآراء :**

وظهر في مناطق متعددة من أرجاء المعمورة ، وفي أحقاب زمنية مختلفة ، ظهر عدد من الفلاسفة والمفكرين ، وأراد هؤلاء الفلاسفة أن ينشروا فلسفتهم وأفكارهم بين الناس ، فأستغلوا مكانة الدين في النفوس ، وأضفوا على فلسفتهم وأفكارهم الصفة الدينية ، وألبسوها رداء الدين ، ليضمنوا الأقتناع بها بسرعة في النفوس ، ويحققوا انتشارها ، وصارت هذه الفلسفات أديانا في التاريخ والمجتمع ، وخاصة الديانات الصينية والهندية القديمة ، ومن هنا ظهرت الأديان الوضعية التي اخترعها الناس افتراء وكذبا وزورا على رب العالمين ، وكانت النتيجة أن تعددت الأديان ، واختلط الحابل بالنابل ، وظهرت الأديان السماوية بجانب الأديان الأرضية ، والأديان المنزلة ازاء الأديان الوضعية ، والأديان الصحيحة معاصرة للأديان الفاسدة المزورة ، ومن ذلك دين مسيلمة الكذاب وغيره من المتنبئين الكاذبين .

* التحريف والتبديل :

وتعرضت الأديان السماوية الصحيحة المنزلة للتحريف والتبديل والتغيير على يد فريق من الناس ، الذين دخلوا الدين بدون ايمان ولا اقتناع ، واعتنقوا الدين نفاقا وتقية ، وأعملوا معاول الهدم والتخريب في الأديان ، فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، وافتروا على الله الكذب والزور والبهتان في الاحكام ، حتى صار الرهبان أربابا من دون الله ـ والعياذ بالله ـ ، وانقلب التدين من عبودية الله تعالى الى عبودية البشر والطواغيت ، كما نسبوا لله تعالى ما لا يليق به من الأسماء والصفات ، ونسجوا على الأنبياء القصص الوهمية والخرافات ، وافتروا على الله

تعالى الكذب في العقيدة ، وشرعوا الزور والبهتان في الأحكام .

* شهوة السلطة :

وظهرت جماعات من المتدينين أرادوا أن يشاركوا الحكام والملوك والسلاطين في السلطة ، وأن يتولوا المناصب والزعامات ، فساروا في ركب الحكام الظالمين ، والطغاة المستبدين ، واستغلوا نفوذهم الديني ، ومركزهم اللاهوتي في مواكبة الظلمة ، ومشاركة الطغاة والجبابرة ، وكانت النتيجة أن يمقتهم الناس ، وأن يديروا لهم الظهور ، وأن يصبوا عليهم اللعنات ، وأن يسعوا للتهرب منهم ، والتخلص من جورهم وظلمهم ، وأن يطالبوا بابعاد الدين الذي كان وسيلتهم في ذلك ، وأن يفصل الدين عن الدولة والمجتمع والحياة .

* رجال الدين .

وأراد بعض الحكام والطغاة المستبدين ان يركبوا موجة التدين ، وأن يستغلوا الدين لسلطتهم ، فامتطوا بعض ضعاف الايمان من ذوى النفوس الدنيئة ، ممن يعرف « برجال الدين » ويحمل شعار الدين ، ويلبس رداءه ، فقربوهم اليهم ، وفتحوا لهم أبواب السخاء والرفاه ، ثم سخروهم لمطامعهم ، وجعلوهم أبواق دعاية لهم ، يسبحون بحمدهم ، ويسترون عيوبهم ، ويضفون عليهم المساحيق البراقة ، فكانوا أشبه بكلاب الحراسة للسلاطين ، يقفون بجانب الظلمة ، ويدافعون عن الظالمين ، وحصروا الدين في بوتقة صغيرة ، وفتحوا للناس نافذة ضيقة ، وطلبوا منهم الرؤية من خلال المنظار الذي أتيح لهم .

* الجهل بالدين

وكان أكبر عون على معاداة الأديان الصحيحة الجهل بها ، لأن الانسان عدوما يجهل ، وظهرت جماعات كثيرة تجهل الدين السليم ، لكنها لم تتخل عن التمسك به فوجدت حظها بالتقاليد المتوارثة ، والعادات السيئة ، والأعراف الباطلة التي صارت في نظر الناس دينا ينقلونه من الأجداد الى الآباء ، ثم يتوارثونه الى الأبناء والأحفاد ، حتى انقلبت حياتهم « الدينية » الى وثنية سوداء ، وشرك وضيع ، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك هم الأخسرون أعمالا .

* أتباع الشهوات والغرائز

ولئن كان التدين فطرة في النفوس ، فالنفس البشرية ذات نزعة مادية أيضا ، وأنها تتركب من عدد من الغرائز والشهوات ، ويقوم العقل باقامة التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في النفس ، فان قصر العقل ، وتخلف عمله ، ترجح جانب المادة ، وتحركت الشهوات والغرائز ، وانطلقت بدون حد ولا قيد ، وسارت في طريق الغواية والشيطان ، وهذا يؤدي الى تجاوز حدود الشرع والعقل ،

وارتكاب المعاصي ، والانغماس في المحرمات ، والغفلة عن أحكام الشرع ، وتجاوز المقدسات الدينية مع الأعتراف بقرارة أنفسهم بالايمان وصحة العقيدة والتقصير في أحكام الدين ، ويسمى هؤلاء بالعصاة والمذنبين ، ولكنهم يشكلون ظاهرة مرضية خطيرة في المجتمع .

* تمزيق الدين :

وظهرت جماعات كثيرة تؤمن بالدين ، ولكنها تأخذ بعضه ، وتهمل بعضه الآخر ، فتطبق بعض أحكامه ، وتتخلى عن بعضها الآخر ، تسلخ من الدين ما تشاء من الفروع بما يتفق مع الأهواء والميول ، فتلتزم به ، وتدير ظهرها لما تشاء منه ، فتمزق الدين شر ممزق ، ثم تلجأ الى أديان أخرى أو فلسفات فكرية أو قوانين وضعية لتستورد منها ما تشاء ، وترقع بها التمزق والثغرات ، بدون تنسيق ولا انسجام ، ليصبح المنظر مقززا ، والثوب مرقعا ، والصورة مخزية ، والهيكل غريبا عن أهله وعن غير أهله .

ولم يقتصر هذا الأمر على الأفراد والجماعات ، بل امتد الى الدول والحكومات ، التي قامت بنفس العمل السابق ، وحاولت الجمع بين هذا وهذا ، فضلت وأضلت ، وأضاعت شخصيتها ، وفقدت هيبتها ، وتعثرت في طريقها ، واضمحل كيانها ، لتصبح تبعا لهذا وذاك .

ويصدق على هذه الظاهرة قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون**) البقرة / ٨٥ و ٨٦ .

* التبشير والاستعمار :

وأتخذت بعض الدول في العصور الحديثة سياسة مزدوجة نحو الدين ، فأعلنت الحرب عليه في الداخل ، وقررت التخلص منه ، واغلاق منافذه ، ومنع تعليمه ، واضطهاد رجاله ، وتشويه سمعته ، والحاق الشبه والأباطيل والمساوىء فيه ، بينما تبنت الدعوة اليه خارج البلاد ، وأرسلت البعثات التبشرية في شرق الأرض وغربها ، وأمدتهم بكل ما يحتاجونه ، فقام هؤلاء بالتبشير بالدين من جهة ، واماطة العقبات أمام الجيوش الزاحفة للاستعمار العسكري والسياسي والفكري والاقتصادي من جهة أخرى .

* الالحاد والعلمانية :

وظهرت في العصور الحديثة دعوات إلحادية كثيرة ، ونجحت بعض هذه

الأفكار الألحادية في استلام السلطة واقامة الدول على أساس الالحاد والعلمانية ، وأخذت على نفسها محاربة الأديان ، بدون تمييز بين دين ودين ، وكونت عن الأديان فكرة قاتمة سوداء وأصدرت عنها شبهات داكنة في مبادئها وأحكامها واستغلت التاريخ الأسود عن بعض حقب التاريخ للأديان ، وأظهرته للناس ، كما نشرت الجانب المظلم للأديان الفاسدة الباطلة الوضعية ، وحملت وزره الى الدين بشكل عام ، ورسمت للدين صورة مصطنعة اصطناعا ، تعلوها الرتوش الشيطانية ، والهندسية الخالية ، وتحمل شارة الاستيراد من الخارج ، مع كونها صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرفة ، أو العصور المظلمة ، وقرنت بهذه الصورة صورة لماعة براقة ، تتجلى في التقدم العلمي ومعطيات الحضارة والانتاج الصناعي الحديث ، والتقنية الفنية ، والمكتشفات العظيمة ، والاختراعات المتلاحقة ، والوسائل المتعددة التي يسخرها الانسان في حياته ومواصلاته ، وتزيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات الحياة ، مما يخلب الأنظار ، ويشغل الفكر ، ويحجب كثيرا من البسطاء عن كشف الحقيقة ، والتعمق في النظرة ، والبحث عن المتاعب والمشاكل والأمراض النفسية والعقلية والجسمية التي ترافق هذه الصورة ، لكنه قفز الى نفوس كثير من الناس ، وخاصة الشباب والمثقفين ان الدين « موضه » قديمة ، وقد ولى زمانها ، ولم يبق لها فائدة ، وليس للانسان حاجة اليها ، ويمكن بسهولة ويسر الاستغناء عن الدين ، وأعلنت دعوات الالحاد وجوب الاستغناء عن الدين وفصله عن الدولة ، وابعاده عن مجال الحياة ، وتابعوا الشطط فقالوا : ان الدين والتدين ظاهرة سيئة وعلامة على التخلف ، وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان ، واستدلوا على ذلك بأنهم أصبحوا في عصر المدنية والحضارة ، وأن العلم أساس كل شيء ، ويحقق للانسانية كل شيء ، ويحل ـ بل يجب أن يحل ـ محل الدين .

هذه بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ ، وكانت عبارة عن شوائب تركت آثارها السيئة على الحياة الانسانية ، وخلفت وراءها بصمات سوداء في جبين البشرية من جهة ، وعكرت صفحة الدين في النفوس ، وألحقت به العلل والاسقام من جهة أخرى ، واختلفت حالات هذه العلل والأعراض من أمة الى أخرى ، فقد قضت على كثير من الأديان الباطلة ، والأفكار السخيفة ، والطقوس الفارغة ، وقوضت دعائم رجال الدين في الظلم والاستبداد والاستغلال باسم الدين ، ووضعت حدا للشذوذ والانحراف الذي وصل اليه بعض رجال الدين ، وزالت الترهات التي ألصقت بالأديان كذبا وزورا وبهتانا ، بينما كانت هذه الظواهر المرضية دواء ناجعا للصحوة الدينية في أماكن أخرى ، ودفعت الناس للبحث والتفتيش عن الدين الحق ، والقيم الدينية الصحيحة ، وزالت كثير من الشوائب الغريبة عن أحكام الدين ، وظل الدين الحق عند الأفراد والشعوب كوكبا دريا ، ومصباحا مضيئا ، وأملا ساطعا ، يتطلعون اليه ، ويأملون فيه الخير والبر .

من حيل الأعداء

لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

تدارست لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية رسالة بعنوان « فرصة ذهبية » .. وتقول الرسالة : إنه بامكان كل مشترك ان يكسب ما يزيد عن « ٥٠٠٠ » دولار خلال ٣ ـ ٤ اشهر ..

وتمضي « الفرصة الذهبية » في بيان الخطوات المؤدية اليها فتدعو المشترك الى ..

١ ـ شراء قائمة بها أسماء مشتركين والتعليمات الخاصة نظير ١٠ دولارات أو ما يعادلها .

٢ ـ ثم يكتب اسمه وعنوانه بحروف انجليزية واضحة في الخانة المخصصة للمشترك الجديد في اسفل القائمة .

٣ ـ ثم يرسل المشترك القائمة ومعها شيكان قيمة كل منهما عشرة دولارات .. الشيك الأول صادر باسم المشترك رقم (١) والموجود باعلى القائمة .. والثاني باسم ..

ويرسلها الى ...

ثم خلال فترة قصيرة تصله ثلاثة قوائم جديدة .. يظهر اسم المشترك

هذا في كل منها مقرونا بالرقم ٦ .
ثم يقوم ببيع هذه القوائم الثلاثة إلى مشتركين جدد مقابل عشرة دولارات أو ما يعادلها وبذلك يستعيد ما دفعه سابقا ..

وهكذا تستمر اللعبة « الفرصة الذهبية » وفي كل خطوة يرتفع فيها اسم المشترك إلى الرقم الأعلى ليحل محله آخر ، ويختفي اسم المشترك الموجود في أعلى القائمة ..

فعندما يكون المشترك قد باع ثلاثة قوائم يكون في الرقم ٦ .. وكل واحد من الثلاثة يبيع ثلاثة قوائم فتكون مجموع القوائم (٩) والمشترك في الرقم ٥ .. وعندما يبيع كل واحد من التسعة ثلاثة قوائم يكون مجموع القوائم (٢٧) والمشترك في الرقم ٤ ..

وهكذا حتى يصل المشترك الى الرقم (١) وعندها سوف يكون عدد القوائم « ٧٢٩ » يمتلكها ٧٢٩ شخصا .. وكل شخص سوف يحرر شيكا باسم صاحب الرقم (١) بمبلغ (١٠) دولارات ومعنى هذا ان يحصل على « ٧٢٩٠ » دولارا .

وتقول « الفرصة الذهبية » وعلى اية حال .. واذا ما تخلف بعض المشتركين عن الاستمرار « في اللعبة » فانه لن يقل الدخل منها عن « ٥٠٠٠ » دولار .

تلك هي خلاصة « الفرصة الشيطانية » عرضناها بصورة مبسطة حتى يقف على ابعادها القارىء الكريم .. وهي محاولة خبيثة لأكل اموال الناس بالباطل .. وإلهائهم وضياع لوقتهم وأموالهم بلا فائدة .. إنهم الأعداء ـ اعداء الاسلام ـ يحاولون هدم حصوننا من الداخل ، وزعزعة الأسس الاسلامية والتي ستظل راسخة إن شاء الله ، بفضل وعيك أخي القارىء ، وادراكك لمساعي الافاعي اليهود ، ومكرهم ، ولن يحيق المكر السيىء الا بأهله .

ولذا رأت لجنة الفتوى : ان هذا من قبيل اكل اموال الناس بالباطل ، لما فيها من غرر ، وليس هناك مصلحة في نشر هذه القوائم ، لأنها اوراق لا قيمة لها ، ولذلك فهي نوع من القمار ، لاحتواء هذا التصرف على الغرر ، وسينتهي الأمر الى ألا يوجد من يشتري هذه القوائم ، فتتضاعف الخسارة على من ينتهي عليه الأمر ، والواضح ان هذا عمل يهودي غالبا ، يراد به سلب اموال المسلمين بالباطل ، لأنهم يقولون « ليس علينا في الأميين سبيل » .

وتضيف الوعي الاسلامي : ان كل دورة لرأس المال بهذه الطريقة تعتبر دورة باطلة .. حيث لا مصلحة حقيقة وراء انتقال رؤوس الأموال من يد الى اخرى .. ولو كانت بصورة شركات وهمية ، لا وجود لها ، وعلى فرض وجودها فلا فائدة انتاجية منها .. بل مثل ذلك يأتي على الاقتصاد ، ويركز المال في ايدي فئة قليلة ، ويخلف الحسرة والخراب في نفوس وبيوت المساهمين . وقى الله المسلمين من الوقوع في هذه المهاوي .. اللهم آمين .

تشكيل الآيات القرآنية

الأخ/ نبيه حامد ابراهيم حمزة .. يطلب منا تشكيل الآيات القرآنية الواردة في مقالات وموضوعات « مجلة الوعي الاسلامي » حتى لا يقع القارىء في خطأ عند تلاوتها ويخشى هو من الوقوع في هذا الخطأ .

المحرر : نشكر للأخ نبيه حرصه على قراءة الآيات القرآنية بصورة صحيحة ، وكنا نود أن نحقق له رغبته ورغبة كثير من القراء لولا عدة اعتبارات منها :

أولا : خشيتنا أن يقع خطأ في تشكيل حرف من آية فيؤدي إلى فساد المعنى .

ثانيا : ليست في المطبعة حروف مشكلة .. بل لا بد لفعل ذلك من بذل جهود شاقة .

ثالثا : نحن نقوم بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بذكر رقمها واسم السورة الواردة فيها .

حتى اذا ما وقع خطأ مطبعي في احداها أمكن للقارىء الوقوف على صحته برجوعه إلى موضعها في المصحف الشريف .

رابعا : لا يكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين من نسخة كريمة من القرآن ، ولذا فالامر سهل على أي قارىء كريم .. بأن يفتح كتاب الله ، ويتحقق بنفسه من قراءة الآيات قراءة صحيحة . نفعنا الله بالقرآن الكريم تلاوة وعملا .

قراءة القرآن على الموتى

الاخ/ حسن عقار ـ من المغرب العربي ـ ارسل يسأل عن حكم قراءة القرآن الكريم على الموتى ، وهل تنفعهم ام لا ؟

المحرر : يقول الشيخ محمود شلتوت : ان استمطار الرحمة على الموتى لا يكون الا بعمل مشروع كالدعاء والصدقة ، بشرط أن يكون خالصا لوجه الله الكريم .. ثم يقول : إن رحمة الله للموتى شأن من شئون الله سبحانه الغيبية استأثر بها ، ومنه وحده تعرف سبلها .

ونقول : إن آيات القرآن الكريم تدل صراحة على أن الانسان لا ينتفع الا بسعيه وعمله هو ، يقول تعالى :

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ويقول سبحانه : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » . ويقول : « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . الى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن ثواب العمل الصالح عائد على صاحبه فقط .

والأحاديث التي وردت بانتفاع الوالدين بعمل ابنهما الصالح يمكن إرجاعها إلى أن الولد من سعي أبيه ، ومن عمله . ومن هنا فلا تعارض بين الآيات والأحاديث .. ويكون انتفاع الوالدين بعمل أولادهما ، وإهدائهم الثواب إليهما من قبيل انتفاعهما بعملهما . أما قراءة الغير فثوابها للقارىء ، وهو لم يملك ثواب القراءة حتى يهديه لسواه ، وأما القراءة بأجر فهذا ما لم يشرعه الله ولم يأذن به .

الاستمناء

كتب الصديق / مجدي بركات .. حول هذه الآفة الخطيرة التي يتعرض لها الشباب خاصة في هذه الأيام .. ونضيف إلى ما قاله الصديق : إن العلاج يكمن في :

١ - شغل أوقات الفراغ لدى الشباب بعمل يعود عليهم بالنفع .. كالأعمال اليدوية ، والاطلاعات المفيدة ، والقراءات المثمرة .

٢ - الحياة في جماعة واختيار رفقة صالحة .. تعينه على الخير .. وتبتعد به عن الشر .

٣ - إلزام المرء نفسه بطاعة الله ، والابتعاد عما حرمه الله وسد منافذ الشيطان التي يطلع منها على الانسان فيفسد عليه عمله ، ويزين له الباطل فالنظرة الى الأجنبية حرام ، ولمس المرأة الأجنبية من غير حائل لا يقره الاسلام ، والخلو مع امرأة أجنبية نهى عنه ديننا . كل ذلك حتى نسد على الشيطان منافذه فلا نقع فيما يوجب الحد .

٤ - الاستعانة بالصوم على كبح جماح الغرائز ، كل ذلك إذا لم يكن ميسورا أن يصل الانسان إلى ما يريد بطريق مشروع .. والاعتماد المطلق على الله في كل حال .. وإذا ما زلت قدم الانسان فليسرع بالنهوض والتوبة الصادقة إلى الله ، وهو الموفق والمعين ، والهادي إلى طريق الفلاح .

الى قرائنا

كثير هم قراؤنا الأفاضل الذين أرسلوا إلينا يسألون عن كتاب « الأفعى اليهودية » للاستاذ / عبد الله التل والذي قدم له وعرضه الأستاذ / معالي عبد الحميد وكيف يمكنهم الحصول على نسخة من الكتاب ؟ ونحن بدورنا قد أرسلنا للأستاذ معالي برغبة قرائنا الأعزاء .. وما زلنا في انتظار إجابة كاتبنا الفاضل .. وعندما يصلنا رد سيادته بما يحقق رغبة القراء ، فسوف ننشره إن شاء الله .

الأخ منير عبدالسلام الأشقر أرسل الى بريد الوعي الاسلامي بهذه الكلمة تحت عنوان :

ونسي العرب معقد شرفهم !

معلوم لدينا أن العرب وغير العرب سواء في أنهم خلقوا لعباده الله وأداء حقوقه والاستعداد للقائه ؟
لكن العرب وحدهم أولى الأجناس بمعرفة الله والتزام حدوده ، اذ أن حاجتهم الى الدين تفوق حاجة غيرهم أو فرص التسامي التي تتاح لهم يوم يتقون الله أضعاف الفرص التي تتاح لغيرهم ، ان العرب جنس حاد المشاعر جامح الغرائز ، عندما يطيش يفقد وعيه وعندما يعقل يبلغ الاوج ... ولقد تمعنت في رأى ابن خلدون في العرب وترددت في تصديقه ثم انتهيت اخيرا الى أن العرب لا يصلحون الا بدين ، ولا يقوم لهم ملك الا على نبوة ، وأن العالم لا يعترف لهم بميزة الا اذا كانوا حملة وحي ، فاذا انقطعت بالسماء صلتهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وغشيهم الذل من كل مكان .

ففي قراءتنا لسير الأنبياء مع أقوامهم نعجب أشد العجب لضياع رسالتهم أمام عواصف التكذيب التي هبت عليهم من كل مكان ! في جنوب الجزيره العربية كانت عاد وسبأ وفي شمالها كانت ثمود ومدين وقرى المؤتفكة .. فتاريخ العرب الأقدمين مع الدين مثار عبرة ! إن الرسل الكرام أعجزتهم الطباع المستكبرة والرذائل

المتمكنة ، فمضت سنن الله تحصد المجرمين وتؤدب العاتين ففي سورة هود التي تعتبر بمثابة نموذج لهذا التاريخ من القرآن الكريم قوله سبحانه « **فلولا كان من القرون من قبلكم أو لو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين.وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** »

صدق الله العظيم ، ... وشاء الله أن يتجدد العرب مع الرسالة الخاتمة ، ان الأوائل الذين بادوا في حريق الجحود جاء من بعدهم من أخذ الكتاب بقوة ، وخدم الايمان بعزم ، وانتصب لحرب الجبابرة ببأس شديد !

والواقع ان الجيل الذي رباه محمد صلى الله عليه وسلم كان من طراز فذ . لقد ألان القلوب لله حتى بلّت دموعها المحاريب ، وأخلص النيات فما بقي هوى ولا غش .

وتمهدت الميادين لنصرة الحق ، فاندكت صروح للباطل ما ظن أحد أنها تزول وتلاشت أوهام وخرافات حقرت الانسانية وأزرت بها ونشأت حضارة اسلامية أسهم فيها العرب وغيرهم في ظل اخاء عام وفطرة سليمة .

ولكن العرب نسوا معقد شرفهم وعروة مجدهم ، وظنوا أنهم بغير الاسلام يمكن أن يكونوا شيئا .. ! وقوى هذا الشعور أو ضعف حسب انكماش الايمان وامتداده وجاء دور الهزيمة العامة في تاريخ العرب الأخير ، والعرب يفخرون بأصلهم لابدينهم ويتحدثون عن دمهم لا عن نسبهم الروحي الثاقب .

ولعل أغرب مفارقة في تاريخ الحياة كلها أن يقبل اليهود في موكب تقوده التوراة ، على حين ينسى العرب قرآنهم ، بل تستعجم لغتهم على أفواههم فما يحسنون النطق بها !! وبدهي أن تتلاحق المخازى في شئون العرب السياسية ، الاجتماعية ، وألا يبدو لهم نصر في أفق من الآفاق .

كيف ؟ وقد تيقظت الشهوات ، وصرخت الأثرة وشرع العرب المعاصرون يحيون كما كانت عاد وثمود . يبطشون بطش الجبابرة ولا يروى لهم عطش الى الملذات الحرام .

ان العرب ـ بعيدا عن الاسلام ـ لن يكونوا الا حطب جهنم ! ذاك في الدار الآخرة أما في هذه الدنيا فان العرب بعيدا عن الاسلام ـ سيأكل بعضهم بعضا . ثم يأكل بقيتهم اليهود والنصارى !! اذا كان الدين ضرورة أساسية لرشد الناس ، وقيامهم بحقوق خالقهم ، فان الدين ـ للعرب هو الهواء الذي يبقى حياتهم ، أو الغذاء الذي يمسك كيانهم ، فليروا رأيهم ، ان شاءوا الحياه أو شاءوا الممات .

القضاء في الإسلام

وتحت هذا العنوان كتب الأخ / محمد عصمت عبدالرحيم فقال :
قال تعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »

القضاء عدالة لها قداستها ، وأمانة لها نزاهتها ، وعبادة لها طهارتها ، وتنفيذ للأحكام يبعث في النفس الثقة والاطمئنان .

فهو يضرب على يد المنحرف حتى يفيء الى رشده ، ويقلع عن غيه ، ويكف عن ايذاء غيره . لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتولى القضاء بين الناس بنفسه ، متخذا القرآن مصدر قضائه ، فهو القائل

لمعاذ حين ولاه على اليمن « كيف تحكم بين الناس » فقال معاذ بن جبل أحكم بكتاب الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : فبسنة رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : اجتهد رأيي ولا آلو .

فقال صلى الله عليه وسلم « الحمدلله الذي هدى رسول رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله »

نهج الخلفاء ، نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يتولون القضاء بين الناس بأنفسهم ، متخذين القرآن والسنه مصدر قضائهم .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية في عهد عمر الفاروق عهد بالقضاء الى صفوة من الصحابة ، وأوصى عمر بن الخطاب الوالى ابا موسى الاشعري « ان آس بين الناس في مجلسك وعدلك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس وراجعت فيه نفسك أن تسترجعه وتسترده ، فان الحق قديم ، وإن الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ، وذلك الامام على كرم الله وجهه عندما عين الاشتر النخعي ولاية مصر قال له :

أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك ،

وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، ممن لا تشرف نفسه على الطمع ، وممن لا يزد هيه إطراء ولا يستميله اغراء ، ثم افسح له في البذل مما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ،

وما أجمل نصيحه الحسن البصرى رضي الله عنه لابن هبيرة القاضي حين استشاره

فقال الحسن البصرى :

يا أبن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فأنفذه ، وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من كتاب يزيد .
فقال له ابن هبيرة : صدقت ورب العالمين .

قال صلى الله عليه وسلم « من ولي القضاء فقد ذبح بدون سكين » لقد كان المسلمون الأوائل يتهيبون القضاء ويرغبون عنه ، اما خوفا من عدم القيام بالتزاماته أو خوفا من أن يحملهم الولاة على اصدار احكام لا تقوم على اساس من الحق ، فمن ولى منهم القضاء ، التزم بكتاب الله وسنة رسوله ليحدد حركاته ومعاملاته على وجه يباعده عن الظلم والجهل ويصعد به لأوج الحق والعدل .

فكانوا يتحرون الحق ، لاقامة موازين العدل ، مدفوعين الى ذلك بروح التقوى ، يخوضون الدنيا للحق حيث كان ، لا يخافون في الحق احدا حتى ولو كثر اتباع الباطل . عاملين بقوله تعالى : « وممن خلقنا يهدون بالحق وبه يعدلون »

اليك قضية أمرأة اشتكت أمرها للقاضي شريك بن عبدالله .

فعندما امتنعت عن بيع بستانها للأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدي ، أمر غلمانه ، فأزالوا حدود بستانها ومعالمه ، وخلطوه ببستانه ، فارسل يستدعى الأمير ، لحضور مجلس القضاء ، فأرسل الأمير رئيس الشرطة بالكوفة ليطلب منه العدول عن هذا فما كان من شريك ألا أن حبس رئيس الشرطة ، فلما علم الأمير بذلك أرسل بعض الوسطاء فما كان من القاضي شريك الا أن نهرهم ، قائلا :

ان العداله لا تفرق بين أمير وصغير ، ولما علم الأمير بذلك ، ذهب في ركب من حراسه الى السجن وأخرج المسجونين عنوة . فأعد القاضي نفسه للسفر للقاء الخليفة ، وطلب إعفاءه من القضاء قائلا : والله ما طلبت من بنى العباس

ولاية القضاء ، وأنما هم الذين اكرهونا عليها ، ولقد وعدونا أن نكون أعزة أحرارا ، نتوخى العدل في أحكامنا ، أما الآن فلا سبيل للبقاء في مجلس الحكم ما دمنا عاجزين عن أداء الأمانة ، ثم انصرف .

فلحق به الأمير واسترضاه ، فقال القاضي : الحل عندي أن يرد الى السجن من أمرت بحبسهم ، أو أن يحضر الوالى مجلس القضاء مع المرأه . فنفذ الوالي ، وحكم عليه برد البستان واقامة الحدود والمعالم التي هدمت ، فنفذ الحكم .

هكذا كان القضاء في الاسلام ، يتولاه رجال فقهاء صادقون بكتاب الله عاملون ، قال تعالى « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

النظر في آيات الله « عز وجل »

تحت هذا العنوان كتب الصديق عبدالمنعم توفيق ـ يقول :

تباركت يا من تملك الخلق والأمرا ... لك الحمد لا نحصى ثناء ولا شكرا
تعامت عقول الخلق عن درك ما ترى ... فلم يبصروا في الكون آياتك الكبرى
بسطت على الغبراء للناس أنعما ... واطلعت في الخضراء انجمها الزهرا
وأجريت شمسا يستضاء بنورها ... واطلعت للسارين في ليلهم بدرا
فكان نظام الكون أكبر آية ... على قدرة تغنوا لآثارها قسرا
الم يخلق الانسان من اصل نطفة ... ليذعن للمولى ويمتثل الأمرا ؟
الم ينظر الانسان للزرع نظرة ... فيبصر آثار الجمال به تترى ؟
الم ينظر الانسان للغيث هاميا ... وكيف به قد أصبح الزرع مخضرا ؟
الم ينظر الأحياء للموت آتيا ... الم يبصروا كم في الثرى حفروا قبرا ؟

فيا شقوة العاشين عن ذكر ربهم ... عموا عن صراط الحق وانتحلوا عذرا
تبصر وقم لله في هداة الدجى ... تفز بنعيم الخلد في دارك الأخرى
وهيا بنوا الاسلام أعلوا مناره ... وشدوا عراه تكسبوا الفخر والأجرا

افيقوا بني الاسلام قد طال نومكم ... وقد يبعث الأعداء من بات مغترا
أعدوا لهم من قوة ما ستطعتم ... ولا تغفلوا عن كيدهم وخذوا الحذرا

تركنا كتاب الله لم نرع حقه ... ونحن بما يحويه من حكم أدرى
فيا أمة الدين الحنيف تمسكوا ... جميعا بحبل الله واتحدوا طرا
وسيروا على نهج الهداة وأصلحوا ... شؤونكم كي تمنحوا الفوز والنصرا

مع الصحافة

تشغل الصحافة العربية والعالمية في هذه الأيام مسألتان كبريان : مسألة الشرق الأوسط ، ومسألة أفغانستان . والحقيقة أن بين المسألتين وجوها عدة من التشابه ، ولكن التشابه الجوهري الرئيسي بينهما هو أن أعباء كل من المشكلتين تقع على رؤوس المسلمين وحدهم ، وأن التكاليف الباهظة لكل منهما يقوم بدفعها المسلمون وحدهم : دماء زكية ، وعذابات مضينة ، وأموالا مضيعة .. ومع ذلك فان بين المشكلتين في هذه الآونة فرقا جوهريا رئيسيا أيضا : فمشكلة الشرق الأوسط دخلت الآن - أو أدخلت عنوة وكيدا - في نطاق المساومات الدبلوماسية ، بعد أن تم اطراح الخيار العسكري ، وأصبحت النتائج التي يمكن أن تنجلي عنها المفاوضات شبه واضحة ، أو قل : إنها تسلك سبيلا واحدا لا بديل له : كل خطوة فيه تعني تنازلا جديدا من طرف ، وتعنتا وتشبثا بالشروط من طرف آخر . أما مشكلة أفغانستان فمايزال المسلمون هناك يحملون بنادقهم ، ويتصدون كل يوم للغزاة السوفيات ، وهذا يعني أنهم مايزالون يملكون بين أيديهم الخيار العسكري ، ويمارسونه أيضا على نحو فعال جدا . ومع ذلك تحاول صحف الغرب أن توحي بأن حلا دبلوماسيا يوشك أن يضع نهاية للصراع في أفغانستان ، وليس من المستبعد أن تكون هناك مساع دولية حثيثة للحل الدبلوماسي ، ولكن المهم أن المجاهدين الافغان مايزالون قادرين على أن يتخذوا قرارهم الذي يكفل مصالح المسلمين هناك وحقوقهم ، ماداموا قادرين على أن يوقعوا بالعدو الغازي ، وماداموا ثابتين تحت راية الجهاد .

ومع ذلك يظل وضع المسلمين في أفغانستان عرضة للخطر . صحيح أن ما تتحدث به صحف الغرب عن الحل الدبلوماسي قد يكون ضربا من التخمين ، دفع اليه موت بريجينيف ومجيء أندروبوف من بعده ، أو ذكرى مرور سنوات ثلاث على الغزو السوفياتي لأفغانستان ، أو بداية عام ميلادي جديد ، أو رغبة السوفيات في التفاهم مع الصين ، أو تصريحات بعض المسؤولين في أمريكا والغرب بأن النية تتجه نحو ايجاد لون من التفاهم بين الكبار ، بعد انقضاء عام ساخن جدا ، حفل بألوان الصراع في عدد من مناطق العالم . ومهما يكن نصيب هذا التخمين من الصحة ، فهو احتمال قائم ، وهو ينطوي على دلالات فيها الكثير من الخطورة التي تحدق بالمجاهدين في أفغانستان . ذلك بأن من الحقائق المؤسية في عالم السياسة

أن قضايا الشعوب ، عندما توضع على موائد المساومات الدولية ، يتفق المساومون الكبار فيها - حتى قبل البدء بالحوار - على شيء واحد : هو أن الدور الوحيد الذي يسمح للشعب المعني بالقضية أن يلعبه بين الكبار هو أن يقوم بدفع التكاليف التي تضمن مصالح الكبار ، و « تحمي أمنهم » ، وتكفل تحقيق التفاهم فيما بينهم « على قضيته » !

وحين يزمع الكبار أن يبدؤوا بترتيب أسباب التفاهم فيما بينهم يشرعون بالضغط على الشعب صاحب القضية ، ويقومون بحصاره والتضييق عليه .. وتصدر إذ ذاك الأوامر العليا من الكبار الى أتباعهم الصغار بإحكام الطوق على الشعب الضحية ، فتسكت وسائل الاعلام فجأة عن قضيته ، وتنقطع المعونات عنه ، وتغدو الصحافة مشغولة شغلا كاملا بما يتناثر على موائد المساومات الدبلوماسية من شروط وتصريحات وتنازلات ومناورات ..

شيء واحد مايزال يضيء الأمل ويستعصي - حتى الآن - على سحر الكبار : أن رصاص المجاهدين مايزال يدوي بين أطراف الجبال الداكنة في أفغانستان فيزيد هتافهم « الله أكبر » قوة وحماسة .

○ في الشرق الأوسط : خدع ومكائد .

تعرب معظم الصحف العربية عن يأسها من أن ينال المفاوضون العرب شيئا ذا بال من حقوقهم المسلوبة ، وذلك بسبب ما آلت اليه أوضاع القوى بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان . والصحافة عامة - عربية وأجنبية - تدرك ادراكا لامرية فيه أن المفاوضين العرب لم يعد لهم صوت مسموع ، بعد أن تم اسقاط الخيار العسكري واستبعاده تماما ، وبعد أن وضح الاستسلام الكامل للنوايا الأمريكية والخطط الأمريكية ، في انتظار ما يمكن أن يسمح به « الكرم الاسرائيلي » من تنازلات . ولما كانت السوابق الأمريكية قد أصبحت معروفة فان التحرك الأمريكي لا يعدو أن يكون مجرد مكيدة أو خدعة كبرى : حول هذا الموضوع كتبت الرأي العام الكويتية في ٧ ربيع الأول افتتاحية جاء فيها :

من الواضح أن الأميركيين يجيدون المخادعة والتدليس ، وصولا الى أهدافهم . ولابد ان هذه المزايا سوف تكون موضع الاعتماد الاقصى في هذه المرحلة ، حيث بدا أن العرب ، بعد ضربة لبنان ، سقطوا يترنحون طائشي الصواب . بل كالثمرة التي « نضجت » يقتلها نضوجها ذاته !

إن السلام المطروح ، لا يتعدى السراب ، وقصاراه أننا نسجل رفع أيدينا بالاستسلام . فلا الولايات المتحدة ، ولا أسرائيل ، يريدان السلام حقا . بل

إنهما تعرفان أن السلام المطروح ليس سلاما . ولقد شكل رفض الشعب المصري للتطبيع برهانا قاطعا على أن هذا السلام ليس سلاما . وبرهن كلام الدولة المصرية ؛ بلسان وزير دفاعها الفريق أبو غزالة ، عن ضرورة إقامة التوازن الستراتيجي بالسلاح ، أن السلام مع اسرائيل هو وهم أميركي كبير ، بل هو الخدعة الكبرى .

وإذن فعن أي سلام يتحدثون ، وأية حقوق ، وأية فرصة ؟ !

أما صحيفة الأنباء الكويتية فقد نشرت في ٨ ربيع الأول مقالة أبرزت ما ينطوي عليه الموقف العربي من تناقضات في المساعي المبذولة في إطار ما يسمى بتسوية القضية الفلسطينية ، في حين أن معظم الظواهر تؤكد على أن العدو اليهودي يتشبث تشبثا عنيدا بمطالبه « التوراتية » فيما يدعيه من حقوق . تقول المقالة :

هناك سؤال يدور حول اطار التسوية . فالاطار الرسمي الاسرائيلي هو الحكم الذاتي حسب اتفاقات كامب ديفيد . والاطار الرسمي الاميركي هو كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالاردن ، حسب « مشروع ريغان » . والاطار العلني العربي هو اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، حسب « مشروع فاس » . لكن الدول العربية تتصرف عمليا على اساس أن المشروع الواقعي القابل للتنفيذ هو المشروع الاميركي . وهي تدفع الاحداث باتجاه تفاهم فلسطيني - اردني يحل مشكلة من يفاوض ومن يسترجع الارض . وليس سرا ان عددا من قادة منظمة التحرير يقولون في المجالس الخاصة ان اقصى ما نستطيع الحصول عليه هو ما تستطيع اميركا ان تعطينا اياه . وليس سرا ايضا ان احد وزراء الخارجية العرب قال لقادة المنظمة : المطروح أمام الجميع هو استعادة الارض مقابل الاعتراف باسرائيل ، فاذا كنتم تريدون استعادة الارض فتعالوا نفوض الملك حسين صلاحية التفاوض ، واذا كنتم تريدون دولة مستقلة فان هذه لا تأتي بالوسائل الديبلوماسية .

ونحن الآن في مرحلة الضغط الاميركي على العرب من أجل المزيد من الليونة في المواقف ، لا في مرحلة الضغط الاميركي الجدي على اسرائيل .... والفارق بين الدول العربية هو ان بعضها يطلب من السيد ياسر عرفات تفجير قنبلة الاعتراف باسرائيل في قصر الاليزيه في باريس ، في حين ان بعضها الآخر يعتبر ان حديقة البيت الابيض المكان المثالي لمثل هذا التفجير . فالمنطق الذي تحاول ادارة الرئيس ريغان « تسويقه » هو ان من الافضل « محاصرة » مناحيم بيغن بالاعتدال العربي والاميركي من أجل محاصرته في الداخل بخلق نوع من الاعتدال الاسرائيلي في صفوف الرأي العام وحزب

العمل المعارض . لكن الحسابات الاميركية على الورق لا تزال خاطئة على الارض ، الى حد ان وزير الاعلام الاردني عدنان ابو عودة أوجز الوضع بقوله : هناك مشروعان للنقاش هما مشروع ريغان ومشروع فاس ، ومشروع للتطبيق هو مشروع بيغن ، اي ضم الضفة والقطاع .

أما عن المشكلة اللبنانية فتصورات الصحافة عن مستقبل لبنان غامضة ومضطربة . بعض الصحف تعتقد بأن المفاوضات بين الوفدين اللبناني والاسرائيلي هي من قبيل تحصيل الحاصل فاسرائيل ـ كما تقول القبس في ١٥ ربيع الأول :

اسرائيل تقدم مطالبها بالجرافة ، ولبنان يحفر جبل المطالب الاسرائيلية بالابرة . وشاهد الزور الاميركي يلعب دور القرد في الاسطورة ، يأكل من جبنة هذا ، ويقضم من جبنة ذاك حرصا على العدل وقسمة الحق !
واسرائيل تفاوض مسترخية ، وهي تضع قدميها في مياه الليطاني ، كما كانت تفعل عند ضفة السويس . ولبنان يفاوض وهو يضع يديه في النار .
وأميركا ترعى المفاوضات وهي تضع عينا على الطعم اللبناني في الصنارة الاسرائيلية ، وعينا أخرى على صيدها الوفير المتوقع في الشرق الاوسط ، والممتد على طول رقعة العالم العربي .

وسحبت اسرائيل حاليا أكثرية جيشها الغازي من الاراضي اللبنانية واعادته الى اسرائيل . وبعد أن وصل عدد القوات الاسرائيلية في لبنان الى حوالي ١٢٠ ألف جندي ، فان عددها الان لا يتجاوز الاربعين ألفا كما يقال .
وهذا يعني ان اسرائيل خفضت بنسبة كبيرة جدا مخاطر وجود قواتها في لبنان ، وامتصت نسبة كبيرة من احتجاج أهالي الجنود داخل اسرائيل ، واختصرت نسبة كبيرة جدا من النفقات العسكرية .

بيد أن صحفا أخرى تنظر الى الأمور في لبنان من زاوية أخطر ، فصحيفه « لوموند » ترى ـ في مقال نشرته في أوائل ربيع الأول ـ أن لبنان بات مقسما بالفعل :
تقول « لوموند »

إن تقسيم لبنان بين دمشق وتل أبيب ، وهو أمر يشك كثير من اللبنانيين أن للولايات المتحدة ضلعا فيه ، مسألة قد تحققت بالفعل ، لان سلطات أمين الجميل تقتصر فعاليتها على العاصمة بيروت فقط (وهو الانجاز الوحيد الذي حققه الرجل) .
فالمعارك مستمرة بين المليشيات الاشتراكية والمليشيات الكتائبية في منطقة الشوف .

واندلعت أيضاً المعارك في شمال البلاد وفي طرابلس على وجه التحديد . وتسوية المشكلة الاسرائيلية الفلسطينية لم تحرز أي تقدم هي الأخرى .

أما صحيفة الغارديان فتحلل الوضع في لبنان بعد الغزو الصهيوني الأخير في مقال نشرته في أوائل صفر جاء فيه :

لقد اخل الغزو الاسرائيلي للبنان وما تبعه من ضعف للمسلمين وفصائلهم المسلحة ، بالميزان السياسي اللبناني ، وواكب هذا الضعف قوة وسيادة مطلقة للطائفة المسيحية ـ فأصبحت تلك السيادة كاملة وقانونية بعد انتخاب الرئيس المسيحي للدولة تعززه ميليشياته المسيحية الكتائبية ـ وعلى الرغم من أن المسلمين في لبنان ما زالوا يشكلون الاغلبية العددية في البلاد ، الا انهم وضعوا في حالة مروعة من اليأس والخذلان ، يأسا املته عليهم حرب اهلية طاحنة طوال سبع سنوات كاملة جنوا تبعاتها ضعفا وهوانا وخذلانا مرده موقف الدول العربية التي كانوا دوما يسندون ظهورهم اليها يتوقون لدعمها ومساندتها والمسيحيون اللبنانيون هم في الحقيقة فصائل مؤتلفة ولكنها مختلفة في الفكر والاتجاه ومستوى التطرف ، فهناك من يطلق عليهم اسم « البشيريون » وهم اتباع بشير الجميل الرئيس اللبناني السابق الذي اغتيل قبل ان يتولى رسميا مهام منصبه ، وهم يمثلون الان اكثر الفصائل المسيحية تطرفا وكأنهم يرون ان التهديد لسيادة لبنان لا يأتي الا من قبل مسلميه على الرغم مما يبدو الان على سطح المسرح السياسي في لبنان من سهولة انقياد المسلمين اللبنانيين في الاتجاه الذي خطط لهم .

○ في أفغانستان : طبخة دولية .

بينما تكثر صحف الغرب من الحديث عن الحل الدبلوماسي الوشيك في أفغانستان يؤكد المجاهدون المسلمون هناك إصرارهم على المضي في طريق الجهاد ، بارادة صلبة ، وايمان عميق ، وثقة كبيرة بنصر الله . ففي محاضرة ألقاها في مسرح جامعة الكويت في اواسط ربيع الأول رئيس الاتحاد الاسلامي للمجاهدين الأفغان المجاهد عبد رب الرسول سياف .. أكد أن المجاهدين الأفغان قاموا خلال السنوات الثلاث الماضية من عمر الجهاد ضد الغزو الروسي بتحرير العديد من المدن والقرى ، وهم يواصلون عملياتهم الفدائية ضد الغزاة في العاصمة كابل .

وهاجم المجاهد سياف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وقال انهما تشتركان في تنفيذ مهمة تصفية الجسد الاسلامي ووأد الجهاد ومحاصرة الوجود الاسلامي . وخاطب المدعوين بقوله : انني حضرت اليكم مندوبا من مدرسة الجهاد الغالية ، وممثلا عن أولئك الذين يعيشون حلاوة النصر في خنادقهم وهم

يتصدون لمواجهة عدو المسلمين الشرس .. جئت أحمل لكم دماء المجاهدين وصرخاتهم .. الذين تركوا وحدهم يعيشون وسط نيران المدافع ..

ومع ذلك تفوح مما يكتبه صحفيون غربيون رائحة طبخة دبلوماسية ، قد يتواطأ على ترتيبها أطراف دولية كبرى معنية بالمسألة الأفغانية ، ولعل هذا يظهر بوضوح في مقال نشرته مجلة الوطن العربي في عددها ٣٠٦ بتاريخ ٨٢/١٢/٢٤ لأحد الكتاب الفرنسيين المختصين بالشرق الأوسط (فيليب روندو) . وقد جاء في المقالة :

اذا كان من غير الممكن إذا ان ينتصر السوفيات في هذه الحرب أو يتخلوا عنها ، فان البديل هو مفاوضات تؤدي الى تركيز افغانستان محايدة ، ولكن صديقة للاتحاد السوفياتي ، وهي الصيغة التي اعلن الجنرال ضياء الحق رئيس الدولة الباكستانية رغبته فيها خلال زيارته الاخيرة الى بكين . ومن الملفت ان يعلن اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي ومندوبه في الأمم المتحدة علنا ، مساندتهما للخطة التي اقرتها الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي وهي خطة قد تم الاتفاق حولها بين افغانستان وباكستان وتقضي بسحب ١٥٠ ألف جندي سوفياتي من افغانستان . كما تلحظ تشكيل حكومة ائتلافية في كابول قد تضم عناصر من « المقاومة » ولكنها تبقي على العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي . وقد وضع جدول لانسحاب سوفياتي يشرف عليه معا الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الاميركية ومهمة هؤلاء الفرقاء التأكد من أن أيا من الفريقين لن يقوم بأعمال عسكرية ضد الآخر خلال فترة الانسحاب بالذات . تبقى بالطبع ، برسم الحل ، مشكلة عودة مليونين و ٨٠٠ ألف لاجيء افغاني في باكستان ومليون لاجيء اخر في ايران .

ان يوري اندروبوف قد يكون إذا مستعدا لوضع حد لمغامرة ادت الى تدهور العلاقات السوفياتية مع الغرب والدول الاسلامية ودول عدم الانحياز وكلفت باهظا في المال والضحايا من الجيش الاحمر . رغم ذلك يبقى الخبراء الاميركيون في موقف شك ثابت . هم يرون انها عملية طويلة المدى لأن الكرملين يسقط من حسابه امكانية ان تتولى السلطة في كابول حكومة افغانية معادية للسوفيات في حين ان قرار الامم المتحدة ينص على احترام حق الشعب الافغاني في تقرير شكل الحكم الذي يلائمه . هذا ولا ينبغي ان يتخذ الانسحاب السوفياتي صيغة التراجع وتكون الخيارات بالتالي محدودة جدا .

ومهما يكن من أمر ، فمادام المجاهدون الأفغان يحملون بنادقهم فهم اذن مايزالون يملكون زمام قرارهم ، ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين في سائر أوطانهم عن دعم الجهاد الاسلامي في أفغانستان ، والحفاظ على الراية مرفوعة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة ــ الكويت ــ